
الجلد الثالث من تفسير عادل

وزير اعظم و سوداد كوم محمد پاشا افندیمزك احداثی

مجلد كتابك مو هشتیرابه عادل
نسخه ٤٣

٤٥٦

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم
مالك البر والبحر خادم الحرمين الشريفين السلطان بن
السلطان السلطان الغازي محمود خان
وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتلى اكرمه الله
تعالى بالزلفى والحسنى حرره العبد الفقير
احمد شيخ زاده المفتش باوقاف الحرمين
الشريفين عفي لهما

سورة طه عليه الصلاة والسلام مكية

وهي مائة وخمس وثلاثون اية وعدد كلماتها الف وثلثماية واحد واربعون كلمة وعدد حروفها خمسة الاف ومايتان واثنان واربعون حرفا عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى واعطيت فواتح القران وخثم السورة التي ذكرت فيها البقرة من تحت العرش واعطيت المفصل نافلة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى طه قرا ابو عمرو بفتح الطا وكسر الها وبكسرهما جميعا حمزة والكساي وابو بكر والباقون بفتحهما وقال الزجاج ويقرا طه بفتح الطا وسكون الها وكلها لغات قال الزجاج من فتح الطا والها فلان ما قبل الالف مفتوح ومن كسر الطا والها امال الى الكسر لان الحرف مقصور والمقصور تغلب عليه الامالة الى الكسر **فصل** قد تقدم الكلام في الحروف المقطعة اول الكتاب وفي هذه هنا قولان الصحيح انها من ذلك وقيل انه مفيد فقال الثعلبي طا شجرة طوبى والها الهاوية فكانه اقسم بالجنة والنار وقال سعيد بن جبير هو افتتاح اسمه هادي فالطا افتتاح الطيب الطاهر والها افتتاح اسمه الهادي فكانه قيل يا مطاع الشفاعة للامة ويا هادي الخلق الى الملة وقيل الطا تسعة في الحساب والها خمسة تكون اربعة عشر ومعناه يا ايها البدر وقيل غير ذلك **فصل** قيل معنى طه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي ثم قال سعيد بن جبير بالنبطية وقال قتادة بالسريانية وقال عكرمة بالحبشية وقال الكلبي بلغة عك وقيل عكل وقيل هي لغة يمانية وحكى الكلبي انك لو قلت في عك يا رجل لم يجب حتى تقول طه وقال الطبري طه في عك بمعنى يا رجل وانشد قول شاعرهم

دعوت بطه في القتال فلم يجب ❊ فخفت عليه ان يكون موايلا

ان السفاهة طه في خلايقكم ❊ لا قدس الله ارواح الملاعين

قال الزمخشري والصفة ظاهر في المستشهد به فذكره وقال السدي معناه يا فلان وقاله الزمخشري ايضا ولعل عكا تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم قالبون اليا طا فقالوا يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها يعني فكانه قيل في الاية الكريمة يا هذا وفيه بعد كبير واعترض عليه بعضهم فقال لو كان كذلك لوجب ان يكتب اربعة احرف طاها قال ابو حيان ثم خرص وحرر على عك ما لم ينقله نحوي وهو انهم يقلبون يا التي للندا طا ويحذفون اسم الاشارة ويقتصرون منه على ها التي للتنبيه وقيل طه اصله طاها بهمز طا امر من وطي يطا وها ضمير مفعول يعود على الارض ثم ابدل الهمزة لسكونها الفا ولم يحذفها في الامر نظرا الى اصلها اي طا الارض بقدميك

وقد

وقد جاء في الحديث انه قام حتى تورمت قدماه وقرا الحسن وعكرمة وابو حنيفة وورش في اختياره طه باسقاط الالف بعد الطا وهي ساكنة وفيها وجهان احدهما ان الاصل طا بالهمزة امر ايضا من وطي يطا ثم ابدل الهمزة ها كابدالهم لها في هرقت وهرجت وهترت والاصل ارقت وارجت واترت والثاني انه ابدل الهمزة الفا كانه اخذه من وطا يطا بالبدل كقوله لا هناك المرتع ثم حذف الالف حملا للامر على المجزوم وتناسيا الاصل الهمز ثم الحق ها السكت واجرى الوصل مجرى الوقف وقد تقدم في اول يونس الكلام على امالة طا ها قوله ما انزلنا هذه قراءة العامة وقرا طلحة ما نزل مبنيا للمفعول القران رفع لقيامه مقام فاعله وهذه الجملة يجوز ان تكون مستانفة ان جعلت طاها تعديدا لاسما الحروف ويجوز ان تكون خبرا لطه ان جعلتها اسما للسورة ويكون القران ظاهرا واقعا موقع المضمر لان طه قران ايضا ويجوز ان يكون جواب قسم ان جعلت طه مقسما به وقد تقدم تفصيل ذلك **فصل** قال الكلبي لما انزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فانزل الله هذه الاية وامره ان يخفف على نفسه فقال ما انزلنا عليك القران لتشقى وقيل لما راى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا انك لتشقى حيث تركت دين ابايك اي لتعنى وتتعب وما انزل عليك القران يا محمد الا لشقاوتك فنزلت ما انزلنا عليك القران لتشقى واصل الشقا في اللغة العنا وقيل المعنى انك لا تلام على كفر قومك كقوله لست عليهم بمسيطر وقوله وما انت عليهم بوكيل اي انك لا تواخذ بذنبهم وقيل ان هذه السورة من اوايل ما نزل بمكة وكان عليه السلام في ذلك الوقت مقهورا تحت ذل الاعدا فكانه تعالى قال لا تظن انك تبقى ابدا على هذه الحالة بل نعلو امرك ونظهر قدرك فانا ما انزلنا عليك هذا القران لتبقى شقيا بينهم بل تصير عزيزا معظما مكرما قوله الا تذكرة في نصبه اوجه احدها ان يكون مفعولا من اجله والعامل فيه فعل الانزال وكذلك لتشقى علة له ايضا ووجب مجي الاول مع اللام لانه ليس بفاعل الفعل المعلل ففاته شرطية الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرايط هذا كلام الزمخشري ثم قال فان قلت هل يجوز ان تقول ما انزلنا ان تشقى كقوله ان تحبط اعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة طارية كالنصبة في واختار موسى قومه واما النصبة في قوله تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لانه احد المفاعيل الخمسة التي هي اصول وقوانين لغيرها وقال شهاب الدين قد منع ابو البقا ان تكون تذكرة مفعولا له لانزلنا المذكورة لانه قد تعدت الى مفعول له وهو لتشقى ولا يتعدى الى اخر من جنسه وهذا المنع ليس لانه يجوز ان يعلل الفعل بعلتين فاكثر وانما هذا بنا منه على انه لا يقتضي العامل من هذه الفضلات الا شيا واحدا الا بالبدلية او العطف الثاني ان تكون تذكرة بدلا من محل لتشقى وهو راي الزجاج وتبعه ابن عطية واستبعده ابو جعفر ورده الفارسي بان التذكرة ليست بشقا وهو رد واضح وقد اوضح الزمخشري هذا فقال فان قلت هل يجوز ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثنا المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن قال ابو حيان يعني باختلاف الجنسين ان نصبة تذكرة نصبة صحيحة ليست بعارضة والنصبة التي تكون في لتشقى بعد نزع الخافض نصبة عارضة والذي نقول انه ليس له محل البتة فيتوهم البدل منه قال شهاب الدين ليس المراد الزمخشري باختلاف الجنسين الا ما نقل الفارسي ردا على الزجاج واي اثر لاختلاف النصبتين في ذلك الثالث ان تكون نصبا على الاستثنا المنقطع اي لكن انزلناه تذكرة الرابع انه بدل موكد لفعل مقدر اي لكن ذكرنا او تذكر انه تذكرة وقيل التقدير ما انزلنا عليك القران لتحمل متاعب التبليغ الا ليكون تذكرة كما يقال ما شافهناك بهذا الكلام لتتاذى الا ليعتبر غيرك الخامس انه مصدر في موضع الحال اي الا مذكرا السادس انه بدل من القران ويكون القران هو التذكرة قاله الحوفي السابع انه مفعول له ايضا ولكن العامل فيه لتشقى ويكون المعنى كما قاله الزمخشري انا انزلنا عليك القران لتحمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا التعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون تذكرة حالا ومفعولا له انتهى هو فان قيل من اين اخذت انما جعله حالا ومفعولا له ان العامل فيه لتشقى وما المانع ان يريد ان

العامل فيه فعل الانزال فالجواب ان هذا الوجه قد تقدم في قوله وكل واحد من لتشقى وتذكرة
علة للفعل وايضا فان تفسيره للمعنى المذكور منصب على تسلط لتشقى على تذكرة الا ان ابا البقا
لم يظهر هذا المعنى الذي ظهر للزمخشري وهو منع عمل لتشقى في تذكرة فقال ولا يصح ان يعمل فيها
لتشقى لفساد المعنى وجوابه كما تقدم ولا فرق في تسمية التعب شقا قال الزمخشري والشقا
يجي في معنى التعب ومنه المثل اتعب من رايض مهر واشقى من رايض مهر ولمن يخشى متصل بتذكرة
وزيدت اللام في المفعول تقوية للعامل لكونه فرعا ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه صفة لتذكرة
وخص من يخشى بالتذكرة لانهم المنتفعون بها قوله تنزيلا في نصبه اوجه احدها ان لا يكون
بدلا من تذكرة اذا جعلا حالا لا اذا كانا مفعولا لان الشي لا يعلل بنفسه لانه يصير التقدير ما انزلنا
القران الا للتنزيل الثاني ان ينتصب بنزل مضمرا الثالث بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة
انزلناه تذكرة الرابع ان ينتصب على المدح والاختصاص الخامس ان ينتصب بيخشى مفعولا به
اي انزله للتذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين قال ابو حيان والاحسن
ما قدمناه اولا من انه منصوب بنزل مضمرا وما ذكره الزمخشري من نصبه على غيره فمتكلف اما
الاول ففيه جعل تذكرة وتنزيلا حالين وهما مصدران وجعل المصدر حالا لا ينقاس وايضا
فمدلول تذكرة ليس مدلول تنزيلا ولا تنزيلا بعض تذكرة فان كان بدلا فيكون بدل اشتمال
على مذهب من يرى ان الثاني مشتمل على الاول لان التنزيل مشتمل على التذكرة وغيرها
واما قوله لان معنى انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة فليس كذلك لان معنى الحصر يفوت في
قوله انزلناه تذكرة واما نصبه على المدح فبعيد واما نصبه بيخشى ففي غاية البعد لان يخشى
راس اية وفاصلة فلا يناسب ان يكون تنزيلا منصوبا بيخشى وقوله وهو معنى حسن واعرابه
بين عجمة وبعد عن ادراك الفصاحة ووجود العجمة قوله ممن خلق يجوز في من ان يتعلق
بتنزيلا وان يتعلق بمحذوف على انه صفة لتنزيلا وفي خلق التفات من تكلم في قوله انزلنا
الى الغيبة وجوز الزمخشري ان يكون ما انزلنا حكاية لكلام جبريل وبعض الملائكة فلا التفات
على هذا وقوله الارض والسموات العلى جمع عليا نحو دنيا ودنى ونظيره في الصحيح كبرى وكبر
يقال سما عليا وسموات علا ومعنى تنزيلا ممن خلق اي من الله الذي خلق الارض والسموات
العلى يعني العالية الرفيعة وفايدة وصف السموات بالعلا الدلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها
في علوها وبعد مرتقاها قوله الرحمن العامة على رفعه وفيه اوجه احدها انه بدل من الضمير
المستكن في خلق ذكره ابن عطية ورده ابو حيان بان البدل يحل محل المبدل منه ولو حل في محله
لم يجز لخلو الجملة الموصول بها من رابط يربطها به الثاني ان يرتفع على خبر مبتدا مضمر تقديره
هو الرحمن الثالث ان يرتفع على الابتدا مشارا بلامه الى من خلق والجملة بعده خبر وقرا جناح
ابن حبيش الرحمن مجرورا وفيه وجهان احدهما انه بدل من الموصول لا يقال انه يودي الى البدل
بالمشتق وهو قليل لان الرحمن جرى مجرى الجوامد لكثرة ايلايه العوامل والثاني ان يكون
صفة للموصول ايضا قال ابو حيان ومذهب الكوفيين ان الاسما النواقص كمن وما لا يوصف
منها الا الذي وحده فعلى مذهبهم يجوز ان يكون صفة قال ذلك كالراد على الزمخشري
والجملة من قوله على العرش استوى خبر لقوله الرحمن على القول بانه مبتدا او مضمر وقيل انه
مرفوع على خبر مبتدا مضمر وكذلك في قراءة من جر وفاعل استوى ضمير يعود على الرحمن
وقيل بل فاعله ما الموصولة بعده اي استوى الذي له ما في السموات قال ابو البقا وقال
بعض الغلاة فاعل استوى وهذا بعيد ثم هو غير سايغ في التاويل اذ يبقى قوله الرحمن
على العرش كلاما تاما ومنه هرب قال شهاب الدين هذا يروى عن ابن عباس فانه كان يقف
على لفظ العرش ثم يبتدي استوى له ما في السموات وهذا لا يصح عنه وما في الارض وما
بينهما وما تحت الثرى هو التراب ولامه يا بدليل تثنيته على ثريين وقولهم ثريت الارض
تثرى ثرى والثرى يستعمل في انقطاع المودة قال جرير

فلا تنبشوا بيني وبينكم الثرى ... فان الذي بيني وبينكم مثري

والثرا بالمد كثرة المال قال الشاعر

اماوي ما يغني الثراء عن الفتى ... اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وما احسن قول ابن دريد في قصيدته التي جمع فيها بين الممدود والمقصور باختلاف معنى

فصل قال المفسرون معنى له ما في السموات وما في الارض لما شرح ملكه بقوله
الرحمن على العرش استوى والملك لا ينتظم الا بالقدرة والعلم لا جرم عقبه بالقدرة ثم بالعلم
اما القدرة فهي هذه الاية والمعنى انه تعالى مالك لهذه الاقسام الاربعة فهو مالك لما في
السموات من ملك وكوكب وغيرهما ومالك لما في الارض من المعادن والفلوات ومالك لما بينهما
من الهوى ومالك لما تحت الثرى قال الضحاك يعني ما وراء الثرى من شي وقال ابن عباس
ان الارضين على ظهر النون والنون على بحر وراسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على
صخرة خضرا خضرة السما منها وهي الصخرة التي ذكرها الله في قصة لقمان فتكن في صخرة والصخرة
على قرن ثور والثور على الثرى وما تحت الثرى لا يعلمه الا الله عز وجل وذلك الثور فاتح فاه
فاذا جعل الله البحار بحرا واحدا سالت في جوف ذلك الثور فاذا وقعت في جوفه يبست واما العلم
فقوله وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى قال الحسن السر ما اسر الرجل الى غيره واخفى
من السر ما لم يلقيه ذلك ما اسر في نفسه وعن ابن عباس وسعيد بن جبير السر ما تسر في نفسك
واخفى من السر ما يلقيه الله في قلبك من بعد ولا تعلم انك تحدث به نفسك لانك تعلم ما تسر
اليوم ولا تعلم ما تسر غدا فالله تعالى يعلم ما تسر اليوم وما تسر غدا وقال علي بن ابي طلحة عن
ابن عباس السر ما اسر ابن ادم في نفسه واخفى ما خفي عليه مما هو فاعله قبل ان يعلمه واخفى ما
وقال مجاهد السر العمل الذي يسر الناس واخفى الوسوسة وقيل السر هو العزيمة واخفى ما يخطر
على القلب ولم يعزم عليه وقال زيد بن اسلم يعلم السر واخفى اي يعلم اسرار العباد واخفى سره من
عباده فلا يعلمه احد قوله واخفى يجوز وفيه وجهان احدهما انه افعل تفضيل اي واخفى من
السر والثاني انه فعل ماض اي واخفى الله عن عباده غيبه كقوله ولا يحيطون به علما قوله
تعالى الله لا اله الا هو الجلالة اما مبتدا والجملة المنفية خبرها واما خبر لمبتدا محذوف اي هو
الله لا اله الا هو له الاسما الحسنى تانيث الاحسن وقد تقدم ان جمع التكسير في غير العقلا يعامل
معاملة المونثة الواحدة ولما ذكر صفاته وحد نفسه فقال الله لا اله الا هو له الاسما الحسنى

فصل قالوا كلمة لا هنا دخلت على الماهية فانتفت الماهية واذا انتفت الماهية
انتفت كل افرادها وانما الله اسم علم للذات المعينة اذ لو كان اسم معنى لكانت كلها محتملة
للكثرة فلم تكن هذه الكلمة مفيدة للتوحيد وقالوا الا استحقت عمل ان لمشابهتها لها من وجهين
الاول ملازمتها الاسما والاخر انها نقيضتها فان احدهما لتاكيد الثبوت والاخر لتاكيد النفي
ومن عادتهم تشبيه احد الضدين بالاخر في الحكم واذا كان كذلك فتقول لما قالوا ان زيدا
ذاهب كان يقول لا رجلا ذاهب الا انهم بنوا الاسم ما دخل عليه من الاسم المفرد على الفتح اما
البنا فلشدة اتصال حرف النفي بما دخل عليه كانهما صارا مفردا واحدا واما الفتح فلانهم
قصدوا البنا على الحركة المستحقة توفيقا بين الدليل الموجب للاعراب والدليل الموجب
للبنا وخبره محذوف تقديره لا اله في الوجود ولا حول ولا قوة لنا وهذا يدل على ان الوجود
زايد على الماهية فان قيل تصور الثبوت مقدم على تصور السلب فان السلب ما لم يضف الى
الثبوت لا يمكن تصوره فكيف قدم هنا السلب على الثبوت فالجواب لما كان هذا السلب من
موكدات الثبوت لا جرم قدم عليه فايدة ينبغي لاهل لا اله الا الله ان يحصلوا اربعة اشيا
حتى يكونوا من اهل لا اله الا الله التصديق والتعظيم والحلاوة والحرمة فمن ليس له التصديق
فهو منافق ومن ليس له التعظيم فهو مبتدع ومن ليس له الحلاوة فهو مراي ومن ليس له الحرمة فهو
فاجر

فصل قال بعضهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة الكلمة
الطيبة هي لا اله الا الله اليه يصعد الكلم الطيب لا اله الا الله وتواصوا بالحق لا اله الا الله انما اعظكم
بواحدة لا اله الا الله وقفوهم انهم مسيولون عن قول لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمومنين
والمومنات وقال عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى خلق ملكا من الملايكة قبل ان يخلق
السموات والارض وهو يقول اشهد ان لا اله الا الله مادا بها صوته ولا يقطعها ولا يتنفس
عنها ولا يقطعها ما دام اسرافيل لم ينفخ في الصور فاذا امر اسرافيل بالنفخ في الصور وقامت القيمة
قطعها تعظيما لله تعالى وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زلت اشفع الى ربي

ويشفعني واشفع اليه ويشفعني حتى قلت يارب شفعني فيمن قال لا اله الا الله وقال سفيان الثوري سالت جعفر الصادق بن محمد الباقر عن حمعسق فقال الحا حلمه والميم ملكه والعين عظمته والسين سناوه والقاف قدرته يقول اقسم بحلمي وملكي وعظمتي وسناي وقدرتي لا اعذب بالنار من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وعن ابن عمر قال قال عليه الصلاة والسلام من قال في السوق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شي قدير كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة وبنى له بيتا في الجنة وروي عن موسى بن عمران عليه السلام انه قال يارب علمني شيئا اذكرك به قال قل لا اله الا الله قال انما اردت شيئا تخصني به قال ياموسى لو ان السموات السبع ومن فوقهن في كفة ولا اله الا الله في كفة لمالت بهن لا اله الا الله

فصل قيل ان لله اربعة الاف اسم لا يعلمها الا الله والانبيا الف منها خاصة به تعالى والالف الثانية يعلمها الله والانبيا والالف الرابعة يعلمها الله تعالى والانبيا والمومنون فثلث ماية في التوراة وثلثماية في الانجيل وثلثماية في الزبور وماية في القران تسعة وتسعون منها ظاهرة وواحد مكنون من احصاها دخل الجنة واعلم ان الاسما الواردة في القران منها ما ليس بانفراده ثنا ومدح كقوله جاعل وفالق وصانع فاذا قلت فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا كان مدحا واما الاسم الذي يكون مدحا فحسنه ما اذا قرن بغيره صار ابلغ في المدح نحو قولنا حي فاذا قيل الحي القيوم والحي الذي لا يموت كان ابلغ وايضا بديع فاذا قلت بديع السموات والارض ازداد المدح ومن هذا الباب ما كان اسم مدح ولكن لا يجوز افراده كقولنا دليل وكاشف فاذا قيل يا دليل المتحيرين ويا كاشف الضر والبلوى جاز ومنها ما يكون اسم مدح مفردا ومقرونا كقولنا الرحيم الكريم ومن الاسما ما يكون مقارنها اجنبي كقولك الاول والاخر المبدي المعيد الظاهر الباطن العزيز الحكيم قوله وهل اتاك حديث موسى الاية عظم حال القران فلما عظم حال القران وحال الرسول بما كلفه اتبع ذلك بما يقوي قلب رسوله من ذكر احوال الانبيا تقوية لقلبه في الابلاغ كقوله وكلا نقص عليك من انبا الرسل ما نثبت به فوادك وبدا بموسى لان فتنته كانت اعظم ليتسلى قلب الرسول عليه الصلاة والسلام بذلك ويصبر على تحمل المكاره قوله وهل اتاك يحتمل ان يكون هذا اول ما اخبر به من امر موسى فقال وهل اتاك اي لم ياتك الى الان وقد اتاك الان فتنبه له وهذا قول الكلبي ويحتمل ان يكون قد اتاه ذلك في الزمان المتقدم فكانه قال ليس قد اتاك وهذا قول مقاتل والضحاك عن ابن عباس وهذا وان كان على لفظ الاستفهام الذي لا يجوز على الله تعالى لكن المقصود منه تقرير الخبر في قلبه وهذه الصورة ابلغ في ذلك كقولك لصاحبك هل بلغك عن كذا فيتطلع السامع الى معرفة ما يومي اليه ولو كان المقصود هو الاستفهام لكان الجواب يصدر من قبله لا من قبل الله تعالى قوله اذ راى نارا يجوز ان يكون منصوبا بالحديث وهو الظاهر ويجوز ان ينتصب بما ذكر مقدما قاله ابو البقا وبمحذوف بعده اي اذ راى نارا كان كيت وكيت قاله الزمخشري وهل على بابها من كونها استفهام تقرير وقيل بمعنى النفي وقرا الاهله امكثوا بضم الها حمزة وقد تقدم انه الاصل وهي لغة الحجاز وقال ابو البقا ان الضم للاتباع قوله انست اي ابصرت والايناس الابصار والبين ومنه انسان العين لانه يبصر به الاشيا والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو الوجدان وقيل الاحساس فهو اعم من الابصار وانشد والحرث بن حلزه

انست مناة وقد روعها القناص وقد دنا الامسا

والقبس الجذوة من النار وهي الشعلة في راس عود او قصبة ونحوها وهو فعل بمعنى مفعول كالقبض والنقض بمعنى المقبوض والمنقوض ويقال اقبست الرجل علما وقبسته نارا ففرقوا بينهما هذا قول المبرد وقال الكسائي ان فعل وافعل يقالان في المعنيين فيقال قبسته نارا وعلما واقبسته ايضا علما ونارا وقوله منها يجوز ان يتعلق باتيكم او بمحذوف على انه حال من قبس واما بعضهم الهدي وقفا والجيدان لا تمال الا ان الاشهر انها بدل من التنوين هـ

فصل قال المفسرون استاذن موسى شعيبا في الرجوع من مدين الى مصر

لزيارة والدته واخيه فاذن له فخرج باهله واخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام فولدت امراته في ليلة شاتية وكانت ليلة جمعة فالجاه المسير الى جانب الطور الغربي الايمن فقدح زنده فلم يوره فبينما هو في مزاولة ذلك اذ ابصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور قال السدي فظن انها نار من نيران الرعاة وقال اخرون انه عليه السلام راها في شجرة وليس في القران ما يدل على ذلك وقال بعضهم ان الذي راه لم يكن نارا والصحيح انه راى نارا ليكون صادقا في خبره اذ الكذب لا يجوز على الانبيا قيل النار اربعة اقسام نار تاكل ولا تشرب وهي نار موسى عليه السلام وقيل ايضا النار اربعة احدها نار لها نور بلا حرق وهي نار موسى عليه السلام ونار لها حرقة بلا نور وهي نار جهنم ونار لها حرقة ونور وهي نار الدنيا ونار لا حرقة لها ولا نور وهي نار الاشجار فلما ابصر النار قال لاهله امكثوا يجوز ان يكون هذا الخطاب للمراة وولدها والخادم ويجوز ان يكون للمراة وحدها خرج على ظاهر لفظ الاهل فان الاهل يقع على الجمع ايضا فقد يخاطب الواحد بلفظ الجمع وقيل اقيموا في مكانكم اني انست نارا والايناس هو الابصار وقيل ابصار ما يونس به ولما وجد منه الايناس وكان متيقنا حققه لهم بكلمة اني ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجا والطمع فقال لعلي ولم يقطع فيقول اني اتيكم لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفا به والنكتة فيه ان قوما قالوا كذب ابراهيم لمصلحة وهو محال لان موسى عليه السلام قبل نبوته احترز فلم يقل اني اتيكم والقبس النار المقتبسة في راس عود او فتيلة او غيرهما او اجد على النار هدى اي ما يهتدي به وهو اسم مصدر فكانه قال اجد على النار ما اهتدي به من دليل او علامة ومعنى الاستعلا في النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها وان المصطلين بها اذا احاطوا بها فكانه قال اجد على النار من يدلني فلما اتاها اي النار قال ابن عباس راى شجرة خضرا من اسفلها الى اعلاها اطافت بها نار بيضا تتوقد كاضوا ما يكون فوقف متعجبا من شدة ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ما الشجرة تغير ضوء النار قال ابن مسعود كانت الشجرة سمرة خضرا وقال مقاتل وقتادة والكلبي كانت من العوسج وقال وهب كانت من العليق وقيل من العناب قال اكثر المفسرون ان الذي راه موسى نارا فلما دنا منها سمع تسبيح الملايكة وراى نورا عظيما قال موسى ظن موسى انها نار اوقدت فاخذ من دقاق الحطب وهذا الحشيش اليابس ليقتبس من لهبها فمالت اليه كانها تريده فتاخر عنها وهابها ثم لم يزل تطمعه ويطمع فيها ثم لم يكن باسرع من خمودها كانها لم تكن ثم رمى موسى ببصره الى فرعها فاذا خضرتها ساطعة في السما واذا نور بين السما والارض له شعاع تكل عنه الابصار فلما راى موسى ذلك وضع يديه على عينيه فنودي ياموسى قال القاضي الذي يروى من ان الزند ما كان يوري بجايز وما روي من ان النار كانت تتاخر عنه فان كانت النبوة قد تقدمت له جاز ذلك والا فهو ممنوع الا ان يكون معجزة لغيره من الانبيا لان قوله وانا اخترتك فاستمع لما يوحى دليل على انه انما اوحي اليه في هذه الحال وجعله نبيا وعلى هذا يبعد ما ذكروه من تاخر النار عنه وتبين فساد ذلك قوله تعالى فلما اتاها نودي ولو كانت تتاخر عنه حالا بعد حال لما صح ذلك ولما بقي لفا التعقيب فايده والجواب ان القاضي انما بنى هذا الاعتراض على مذهبه في ان الارهاص غير جايز وذلك باطل فبطل قوله واما التمسك بفا التعقيب فقريب لان تخلل الزمان القريب بين المجي والندا لا يقدح في التعقيب قوله القايم مقام الفاعل ضمير موسى وقيل ضمير المصدر اي نودي الندا وهو ضعيف ومنعوا ان يكون القايم مقام الفاعل الجملة من ياموسى لان الجملة لا تكون فاعلا قوله اني قرا ابن كثير وابو عمرو بالفتح على تقدير الباي باني لان الندا يوصل بها تقول ناديته بكذا وانشد الفارسي قول الشاعر

ناديت باسم ربيعة بن مكدم ان المنوه باسمه الموثوق

وجوز ابن عطية ان يكون بمعنى لاجل وليس بظاهر والباقون بالكسر اما على اضمار القول كما هو راي البصريين اي فقيل واما لان الندا في معنى القول عند الكوفيين وقوله انا يجوز ان يكون مبتدا وما بعده خبره والجملة خبر ان ويجوز ان يكون توكيدا للضمير المنصوب ويجوز ان يكون فصلا فصل قال المفسرون لما نودي ياموسى اجاب سريعا ما يدري من دعاه

فقال اني اسمع صوتك ولا ادري مكانك فاين انت فقال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك من نفسك فعلم ان ذلك لا ينبغي الا لله عز وجل فايقن به فاخلع نعليك روي ابن مسعود مرفوعا في قوله اخلع نعليك قيل كانت من جلد حمار ميت ويروى غير مدبوغ وقال عكرمة ومجاهد ليباشر بقدميه تراب الارض المقدسة فيناله بركتها لانها قدست مرتين فخلعهما والقاهما من وراء الوادي وقيل انه عرف ان المنادي هو الله تعالى لانه راى النار في الشجرة الخضراء بحيث ان تلك الخضرة ما كانت تطفي تلك النار وتلك النار ما كانت تضر تلك الخضرة وهذا لا يقدر عليه احد الا الله تعالى قوله طوى قرا الكوفيون وابن عامر طوى بضم الطا والتنوين وقرا الباقون بضمها من غير تنوين وقرا الحسن والاعمش وابو حيوة وابن محيصن بكسر الطا منونا وابو زيد عن ابي عمرو بكسرها غير منون فمن ضم ونون فانه صرفه لانه اوله بالمكان ومن منعه فيحتمل اوجها احدها انه منعه للتانيث باعتبار البقعة والعلمية الثاني منعه للعدل الى فعل وان لم يعرف اللفظ المعدول عنه وجعله كعمر وزفر الثالث انه اسم اعجمي فمنعه للعلمية والعجمة ومن كسر ولم ينون فباعتبار البقعة ايضا فان كان اسما فهو نظير عنب وان كان صفة فهو نظير عدي وسوى ومن نونه فباعتبار المكان وعن الحسن البصري انه بمعنى الثنا بالكسر والقصر والثنا المكرر مرتين فيكون معنى هذه القراة انه طهر مرتين فيكون مصدرا منصوبا بلفظ المقدس لانه بمعناه كانه قيل المقدس مرتين من التقديس وقرا عيسى بن عمر والضحاك طاوي اذهب وطوى اما بدل من الوادي او عطف بيان له او مرفوع على اضمار مبتدا او منصوب على اضمار اعني **فصل** استدل المعتزلة بقوله اخلع نعليك على ان كلام الله تعالى ليس بقديم اذ لو كان قديما لكان الله قايلا قبل وجود موسى اخلع نعليك يا موسى ومعلوم ان ذلك سفه فان الرجل في الدار الخالية اذا قال يا زيد افعل ويا عمرو لا تفعل مع ان زيدا وعمرا لا يكونان حاضرين يعد ذلك جنونا وسفها فكيف يليق ذلك بالاله سبحانه وتعالى واجيب عن ذلك بوجهين الاول ان كلامه تعالى وان كان قديما الا انه في الازل لم يكن امرا ولا نهيا الثاني انه كان امرا بمعنى انه وجد في الازل شي لما استمر الى ما لا يزال صار الشخص به مامورا من غير وقوع التغيير في ذلك الشي كما ان القدرة تقتضي صحة الفعل ثم انها كانت موجودة في الازل من غير هذه الصحة فلما استمرت الى ما لا يزال حصلت الصحة فكذا ههنا وهذا كلام فيه غموض وبحث دقيق **فصل** قال بعضهم في الاية دلالة على كراهة الصلاة والطواف في النعل والصحيح عدم الكراهة لانا ان عللنا الامر بخلع النعلين لتعظيم الوادي وتعظيم كلام الله تعالى كان الامر مقصورا على تلك الصورة وان عللناه بان النعلين كانتا من جلد حمار ميت فيجوز ان يكون محظورا لبس جلد الحمار الميت وان كان مدبوغا فان كان ذلك فهو منسوخ بقوله عليه السلام ايما اهاب دبغ فقد طهر وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم خلعهما في الصلاة فخلع الناس نعالهم فلما سلم قال ما لكم خلعتم نعالكم قالوا خلعت فخلعنا قال فان جبريل عليه السلام اخبرني ان فيهما قذرا فلم يكره النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة في النعل وانكر على الخالعين خلعهما واخبرهم انه انما خلعهما لما فيهما من القذر **فصل** قال عكرمة وابن زيد طوى اسم للوادي قال الضحاك طوى اسم واد مستدير عميق مثل الطوي في استدارته وقيل طوى معناه مرتين نحو ثنى اي قدس الوادي مرتين اي نودي موسى نداين يقال ناديته طوى اي مثنى وقيل طوى اي طيا قال ابن عباس انه مر بذلك الوادي الذي طويته طيا اي قطعته حتى ارتفعت الى اعلاه ومن ذهب الى هذا قال طوى مصدر اخرج عن لفظه كانه قال طويته اطوي طوى كما يقال هدي يهدي هدى قوله وانا اخترتك اي للرسالة والكلام قرا حمزة في اخوتي وانا اخترتك بفتح الهمزة بضمير المتكلم المعظم نفسه وقرا السلمي والاعمش وابن هرمز كذلك الا انهم كسروا الهمزة واما قراة حمزة فعطف على قوله اني انا اخترتك وذلك انه بفتح الهمزة هناك ففعل ذلك لما عطف غيرها عليها وجوز ابو البقا ان يكون الفتح على تقدير ولانا اخترناك فاستمع فعلقه باستمع والاول اولى ومن كسرها فلانه يقرا اني انا ربك بالكسر وقراة ابي كقراه

حمزة بالنسبة للعطف ومفعول اخترتك الثاني محذوف اي اخترتك من قومك قوله لما يوحى الظاهر يتعلق باستمع ويجوز ان تكون اللام زايدة في المفعول على حد قوله تعالى ردف لكم وجوز الزمخشري وغيره ان تكون المسالة من باب التنازع بين اخترتك وبين استمع كانه قيل اخترتك لما يوحى فاستمع لما يوحى قال الزمخشري فعلق اللام باستمع او باخترتك رد ابو حيان هذا بان قال ولا يجوز التعليق باخترتك لانه من باب الاعمال فكان يجب او يختار اعادة الضمير مع الثاني فكان يكون فاستمع لما يوحى فدل على انه من باب اعمال الثاني قال شهاب الدين والزمخشري عنى التعليق المعنوي من حيث الصلاحية واما تقرير الصناعة فلم يعنه وما يجوز ان تكون مصدرية وبمعنى الذي فاستمع للوحي او للذي يوحى **فصل** هذه الاية تدل على ان النبوة لا تحصل بالاستحقاق لان قوله وانا اخترتك يدل على ان ذلك المنصب العالي انما حصل لان الله تعالى اختاره له ابتدا لا انه يستحقه على الله تعالى وقوله فاستمع لما يوحى اي اليك فيه نهاية الهيبة والجلالة لانه قال لقد جاكم امر عظيم فتاهب له واجعل كل عقلك وخاطرك مصروفا اليه ثم قال انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني ولا تعبد غيري وهذا يدل على ان عبادته انما لزمت لالهيته **فصل** احتجوا بهذه الاية على انه يجوز تاخير البيان عن وقت الحاجة من وجهين الاول انه تعالى بعد ان امره بالتوحيد امره بالعبادة ولم يذكر كيفية العبادة فثبت انه يجوز ورود المجمل منفكا عن البيان الثاني انه قال اقم الصلاة لذكري ولم يبين كيفية الصلاة قال القاضي لا يمتنع ان موسى عليه السلام قد عرف الصلاة التي تعبد الله بها شعيبا عليه السلام وغيره من الانبيا فوجه الخطاب الى ذلك ويحتمل انه تعالى بين له في الحال وان كان المنقول في القران لم يذكر الا هذا القول واجيب عن الاول بانه لا يتوجه في قوله تعالى فاعبدني وايضا فحمل مثل هذا الخطاب العظيم على فايدة جديدة اولى من حمله على امر معلوم لان موسى عليه السلام ما كان يشك في وجوب الصلاة التي جا بها شعيب عليه السلام فلو حملنا قوله واقم الصلاة لذكري على ذلك لم يحصل من هذا الخطاب المعظم فايدة زايدة اما لو حملناه على صلاة اخرى لحصلت فايدة زايدة وقوله لعل الله بينه في ذلك الموضع وان لم يحكه في القران قلنا لا شك ان البيان اكثر فايدة من المجمل فلو كان مذكورا لكان اولى بالحكاية قوله لذكري يجوز ان يكون المصدر مضافا لفاعله اي ذكرتها في الكتب اولاني اذكرك ويجوز ان يكون مضافا لمفعوله اي لان تذكرني وقيل معناه وذكر الصلاة بعد نسيانها لقوله عليه السلام من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها قال الزمخشري وكان حق العبادة لذكرها ثم قال ومن يتمحل له ان يقول اذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله او على حذف مضاف اي لذكر صلاتي او لان الذكر والنسيان من الله تعالى في الحقيقة وقرا ابو رجا والسلمي للذكرى بلام التعريف والف التانيث وبعضهم لذكرى منكرة وبعضهم للذكر بالتعريف والتذكير **فصل** ذكروا في قوله لذكري وجوها احدها الذكرى بمعنى ليذكرني فان ذكري ان اعبد ويصلى لي وثانيها ليذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الاذكار عن مجاهد وثالثها لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها ورابعها لان اذكرك بالمدح والثنا وخامسها لذكري خاصة لا يشوبه ذكر غيري وسادسها ليكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين كقوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وسابعها الاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة كقوله ان الصلاة كانت على المومنين كتابا موقوتا وثامنها اقم الصلاة حين تذكرها اي انك اذا نسيت صلاة فاقضها اذا ذكرتها قال عليه السلام من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك ثم قرا اقم الصلاة لذكري قال الخطابي هذا الحديث يحتمل وجهين احدهما لا يكفرها غير قضايها والاخر انه لا يلزمه في نسيانها غرامة ولا كفارة كما تلزم الكفارة في ترك صوم رمضان من غير عذر كما تلزم المحرم اذا ترك شيا من نسكه فدية من دم او طعام انما يصلي ما ترك فقط فان قلت حق العبادة ان يقول صلي الصلاة لتذكرها كما قال عليه السلام اذا ذكرها فالجواب قوله لذكري معناه للذكر الحاصل بخلقي او بتقدير حذف مضاف اي لذكر صلاتي **فصل** لو فاتته صلاة يستحب ان يقضيها على ترتيب الادا فلو ترك الترتيب في قضايها جاز عند الشافعي رحمه الله ولو دخل عليه وقت فريضة وتذكر فايته فان كان في الوقت سعة استحب ان ياتي بالفايتة ولو بدا بصلاة الوقت ليلا تفوت الاخرى

ولو تذكر الفائتة بعد ما شرع في صلاة الوقت اتمها ثم قضى الفائتة ويستحب ان يعيد صلاة الوقت
بعدها ولا يجب وقال ابو حنيفة رحمه الله يجب الترتيب في قضا الفوايت ما لم تزد على صلاة يوم
وليلة حتى قال لو تذكر في خلال صلاة الوقت فائتة تركها اليوم يبطل فرض اليوم فيقضي
الفائتة ثم يعيد صلاة الوقت بعدها ولا يجب الا ان يكون الوقت ضيقا فلا يبطل واستدل بالاية
والخبر والقياس واما الاية فقوله اقم الصلاة لذكري اي لتذكرها واللام بمعنى عند كقوله
اقم الصلاة لدلوك الشمس اي عنده دلوكها فالمعنى اقم الصلاة عند تذكرها وذلك يقتضي وجوب
الترتيب واما الخبر فقوله عليه السلام من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها والفا للتعقيب وروي في
الصحيحين ان عمر بن الخطاب جا الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق فجعل يسب كفار
قريش ويقول يا رسول الله ما صليت العصر حتى كادت الشمس ان تغرب فقال النبي صلى الله عليه
وسلم وانا والله ما صليتها بعد قال فنزل الى بطحا فصلى العصر بعد ما غابت الشمس ثم صلى بعدها
المغرب والاستدلال به من وجهين احدها انه قال صلوا كما رايتموني اصلي وقد صلى الفوايت على
الولا فيجب علينا اتباعه والثاني ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم اذا خرج مخرج البيان للمجمل
كان حجة وهذا الفعل خرج بيانا لمجمل قوله واقيموا الصلاة ولهذا قالوا ان الفوايت اذا كانت قليلة
يجب مراعاة الترتيب فيها فاذا كثرت سقط الترتيب للمشقة واما الاثر فروي عن ابن عمر انه قال
من فاته صلاة فلم يذكرها الا في صلاة الامام فليمض في صلاته مع الامام ثم يصلي ما فاته ثم ليعيد التي
صلاها مع الامام وروي ذلك مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم واما القياس فانهما صلاتا فرض
جمعها وقت واحد في اليوم والليلة فاشبهتا صلاتي عرفة والمزدلفة فلما لم يجب اسقاط الترتيب
فيهما وجب ان يكون حكم الفوايت فيما دون اليوم والليلة كذلك واحتج الشافعي رضي الله عنه بما روي
ابو قتادة انهم لما ناموا عن صلاة الفجر ثم انتبهوا بعد طلوع الشمس امرهم النبي صلى الله عليه وسلم
ان يقودوا رواحلهم ثم صلاها ولو كان وقت الصلاة معينا للصلاة لما جاز ذلك فعلمنا ان ذلك
الوقت وقت لتقرر الوجوب عليه لكن لا على سبيل التضيق بل على سبيل التوسع واذا ثبت هذا فنقول
ايجاب قضا الفوايت وايجاب ادا فرض الوقت الحاضر يجري مجرى التخيير بين الواجبين فوجب ان يكون
المكلف مخيرا في تقديم ايهما شا ولانه لو كان الترتيب واجبا في الفوايت لما سقط بالنسيان الا ترى انه
اذا صلى الظهر والعصر بعرفة في يوم غيم ثم تبين انه صلى الظهر قبل الزوال والعصر بعد الزوال فانه
يعيدهما جميعا ولم يسقط الترتيب بالنسيان لما كان شرطا فيهما لما كان يسقط بالنسيان قوله ان الساعة
اتية اكاد اخفيها لما خاطب موسى عليه السلام بقوله فاعبدني واقم الصلاة لذكري اتبعه بقوله
ان الساعة اتية اكاد اخفيها وما اليق هذا بتاويل من تاول قوله لذكري اي لاذكرك بالامانة
ووقت المجازاة ثم قال اكاد اخفيها والعامة على ضم الهمزة من اخفيها وفيها تاويلات احدها ان
الهمزة في اخفيها للسلب والازالة اي ازيل خفاها نحو اعجمت الكتاب اي ازلت عجمته واشكيته
اي ازلت شكواه ثم في ذلك معنيان احدهما ان الخفا بمعنى الستر وما ازال سترها فقد اظهرها والمعنى
انها لتحقق وقوعها وقربها اكاد اظهرها لولا ما تقتضيه الحكمة من التاخير والثاني ان الخفا هو
الظهور كما سياتي والمعنى ازيل ظهورها واذا ازال ظهورها فقد استترت والمعنى الى لشدة ابهامها اكاد
اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها وهو على عادة العرب في المبالغة في الاخفا قال

ايام تصحبني هند واخبرها • ما كدت اكتمه من الخبر •

وكيف يتصور كتمانه من نفسه والتاويل الثاني ان كاد زايدة قاله ابن جبير وانشد غيره شاهدا
عليه قول زيد الخيل

سريع الى الهيجا شاك سلاحه • فما ان كاد قرنه يتنفس •

وقول الاخر

وان لا الوم النفس مما اصابني • وان لا اكاد بالذي قلت اجح •

ولا حجة في شي منه والتاويل الثالث ان الكيد ورد بمعنى الارادة قاله الاخفش وجماعة وهو
قول ابي مسلم فهو كقوله كذلك كدنا ليوسف ومن امثالهم المتداولة لا افعل ذلك ولا كاد اي لا اريد
ان افعله وهذا لا ينفع فيما قصده والتاويل الرابع ان خبرها محذوف تقديره اكاد اتي بها لقربها
وانشدوا قول ضابي البرجمي حيث قال

هممت ولم افعل وكدت وليتني • تركت على عثمان تبكي حلايله •

اي وكدت افعل فالوقف على اكاد والابتدا باخفيها واستحسنه ابو جعفر وذكر ابن الخطيب هنا سوالا فقال

ان كاد نفيه اثبات واثباته نفي قال تعالى وما كادوا يفعلون اي فعلوا ذلك فقوله اكاد
احفيها يقتضي انه ما اخفاها وذلك باطل لوجهين احدهما قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة
والثاني ان قوله لتجزى كل نفس بما تسعى انما يليق بالاخفا لا بالاظهار ثم اجاب بوجوه الاول
ان كاد موضوع للمقاربة فقط من غير بيان النفي والاثبات فقوله اكاد اخفيها معناه قرب
الامر فيه من الاخفا واما انه هل حصل ذلك الاخفا او ما حصل فهو غير مستفاد من اللفظ بقرينة
قوله لتجزى كل نفس بما تسعى وانما ذلك انما يليق بالاخفا لا بالاظهار الثاني ان كاد من الله واجب
فمعنى قوله اكاد اخفيها اي انا اخفيها على الخلق كقوله عسى ان يكون قريبا اي هو قريب قاله الحسن
وذكرنا في التاويلات المقدمة وقرا ابو الدردا وابن جبير والحسن ومجاهد وحميد اخفيها بفتح
الهمزة والمعنى اظهرها بالتاويل المتقدم يقال خفيت الشي اظهرته واخفيته سترته هذا هو
المشهور وقد نقل ابن الخطيب ان خفيت واخفيت بمعنى وحكى عن ابي عبيد ان اخفى من الاضداد
يكون بمعنى اظهر وبمعنى ستر وعلى هذا تتحد القراتان وعن مجي خفيت بمعنى اظهرت قول امري
القيس

خفاهن من انفاقهن كانما • خفاهن ودق من عشي مجلب •

وقول الاخر

فان تدفنوا الدا لا نخفه • وان توقدوا الحرب لا نقعد •

قال الزجاج وهذه القراة ابين لان معناها اكاد اظهرها فيفيد انه قد اخفاها والحكمة في اخفا
الساعة واخفا وقت الموت ان الله تعالى وعد قبول التوبة قربهما فلو عرف وقت الموت لاشتغل
بالمعصية الى قرب ذلك الوقت ثم يتوب فيتخلص من عقاب المعصية فتعريف الموت كالاغرا بفعل المعصية
وهو لا يجوز قوله لتجزى هذه لام كي وليست بمعنى القسم اي لتجزين كما نقله ابو البقا عن بعضهم ويتعلق
هذه اللام باخفيها وجعلها بعضهم متعلقة باتية وهذا لا يتم الا اذا قدرت ان اكاد اخفيها معترضة بين
المتعلق والمتعلق به اما اذا جعلتها صفة لاتية فلا يتجه على مذهب البصريين لان اسم الفاعل
متى وصف لم يعمل وان عمل ثم وصف جاز وقال ابو البقا وقيل باتية وكذلك وقف بعضهم عليه
وقفة يسيرة ايذانا بانفصالها عن اخفيها قوله بما تسعى متعلق بتجزى وما يجوز ان تكون مصدرية

فصل

او موصولة اسمية ولا بد من مضاف اي تجزى بعقاب سعيها وبعقاب ما سعته
لما حكم بمجي الساعة ذكر الدليل عليه وهو انه لولا القيامة لما تميز المطيع من العاصي وهو المعنى بقوله
تعالى ام نجعل المتقين كالفجار واحتجت المعتزلة بهذه الاية على ان الثواب مستحق على العمل لان
البا للالصاق فقوله بما تسعى يدل على ان المؤثر في ذلك الجزا هو ذلك السعي واحتجوا بها ايضا على
ان فعل العبد غير مخلوق لله تعالى لان الاية صريحة في اثبات سعي العبد ولو كان الفعل مخلوقا
لله تعالى لم يكن للعبد سعي البتة قوله فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها من لا يؤمن هو المنهي
صورة والمراد غيره فهو من باب لا ارينك هنا وقيل ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب
فذكر السبب ليدل على المسبب والضميران في عنها وبها قال ابن عباس وذلك لانه يجب عود الضمير
الى اقرب مذكور وهو هنا الساعة وقيل للصلاة وقال ابو مسلم الضمير في عنها للصلاة وفي بها
للساعة قال وهذا جايز في اللغة فالعرب تلف الخبرين ثم ترمي بجوابهما ليرد السامع الى كل خبر
حقه واجيب بان هذا انما يصار اليه عند الضرورة ولا ضرورة هنا قوله فتردى يجوز فيه ان ينتصب
في جواب النهي باضمار ان وان يرتفع على خبر ابتدا مضمر تقديره فانت تردى يجوز فيه ان ينتصب في
جواب النهي باضمار ان وان يرتفع على خبر ابتدا وقرا يحيى تردى بكسر التا وقد تقدم انها لغة والمراد
الهلاك يقال ردي قال دريد بن الصمة

تنادوا فقالوا اردت الخيل فارسا • فقلت اعبد الله ذلكم الردي •

فصل

الخطاب في قوله فلا يصدنك يحتمل ان يكون مع موسى وان يكون مع محمد عليهما
السلام والاقرب انه مع موسى عليه السلام لان جميع الكلام خطاب له وعلى كلا الوجهين فلا معنى
لقول الزجاج انه ليس بمراد وانما اريد به غيره وذلك لانه ظن ان النبي عليه السلام لما لم يجز عليه مع
النبوة ان يصده احد عن الايمان بالساعة لم يجز ان يكون مخاطبا بذلك وليس الامر كما ظن لانه اذا كان
مكلفا بان لا يقبل الكفر بالساعة من احد وكان قادرا على ذلك جاز ان يخاطب به ويكون المراد هو وغيره

فصل

ويحتمل ايضا ان يكون المراد بقوله فلا يصدنك عنها النهي عن الميل اليهم ومقاربتهم
المقصود نهي موسى عليه السلام عن التكذيب بالبعث ولكن ظاهر اللفظ يقتضي نهي من لم يؤمن

عن صدر موسى عليه السلام وفيه وجهان احدهما ان صدا الكافر سبب في رخاوة الرجل في الدين
فذكر المسبب ليدل حمله على السبب كقولهم لا اريك المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته
فكذا ههنا كانه قيل لا تكن رخاوتك في الدين سديدا **فصل** دلت الاية على
وجوب تعلم علم الاصول لان قوله فلا يصدنك يرجع معناه الى صلابته في الدين وتلك
الصلابة ان كان المراد بها التقليد لم يتميز المبطل فيه عن المحق فلا بد وان يكون المراد بهذه
الصلابة كونه قويا في تقرير الدلايل وازالة الشبهات حتى لا يتمكن الخصم من ازالته عن
الدين بل يكون هو متمكنا من ازالة المبطل عن بطلانه **فصل** فلا يصدنك يدل
على ان العباد هم الذين يصدون ولو كان تعالى هو الخالق لافعالهم لكان هو الصاد ومنهم
لدل ذلك على بطلان القول بالجبر واجيب بالمعارضة بمسالة العلم والداعي ثم قال تعالى
واتبع هواه والمعنى منكر البعث انما انكره اتباعا للهوى لا للدليل وهذا من اعظم الدلايل
على فساد التقليد لان المقلد متبع للهوى لا للحجة ثم قال فتردى اي فتهلك قوله وما تلك
بيمينك ما مبتداه استفهامية وتلك خبره وبيمينك متعلق بمحذوف لانه حال كقوله وهذا
بعلي شيخا والعامل في الحال المقدرة معنى الاشارة وجوز الزمخشري ان تكون تلك موصولة
بمعنى التي وبيمينك صلتها ولم يذكر ابن عطية غيره وهذا ليس مذهب البصريين لانهم لم
يجعلوا من اسما الاشارة موصولا الا اذا شروط تقدمت واما الكوفيون فيجيزون ذلك
في جميعها ومنه هذه الاية عندهم اي وما التي بيمينك وانشد وايضا تحوت وهذا تحملين
طليق اي والذي تحملين وقرا الفرا وما هذه التي في يمينك **فصل** السوال انما
يكون لطلب العلم وهو على الله تعالى محال فما فايدة قوله وما تلك بيمينك فالجواب
فيه فوايد الاولى حكمة هذا السوال تنبيهه وتوقيفه على انها عصى حتى اذا قلبها حية
علم انها معجزة عظيمة وهذا على عادة العرب يقول الرجل لغيره هل تعرف هذا لا شك انه
يعرفه ويريد ان ينضم اقراره بلسانه الى معرفته بقلبه الثانية ان يقرر عنده انها خشبة
حتى اذا قلبها ثعبانا لا يخافها الثالثة انه تعالى لما اراه الانوار المتصاعدة من الشجرة الى
السما واسمعه كلام نفسه ثم اورد عليه التكليف الشاق وذكر له المعاد وختم ذلك بالتهديد
العظيم فتحير موسى عليه السلام ودهش فقيل له وما تلك بيمينك وتكلم معه بكلام البشر
ازالة لتلك الدهشة والحيرة فان قيل هذا خطاب من الله مع موسى بلا واسطة ولم يحصل
ذلك لمحمد عليه السلام فيلزم ان يكون موسى افضل من محمد فالجواب انه تعالى كما خاطب
موسى فقد خاطب محمدا في قوله فاوحى الى عبده ما اوحى الا ان الفرق الذي ذكرتم موسى
عليه السلام افشاه الى الخلق والذي ذكر مع محمد كان سرا لم يستاهل له احدا من الخلق وان كان
موسى تكلم معه فامة محمد يخاطبون الله في كل يوم مرات على ما قال عليه السلام المصلي يناجي
ربه والرب يتكلم مع احاد امة محمد يوم القيمة بالتسليم والتكريم لقوله سلام قولا من رب
رحيم قوله هي عصاي هي يعود على المستفهم عنه وقرا العامة عصاي بفتح اليا والجحدري
وابن ابي اسحاق عصي بالقلب والادغام وقد تقدم توجيه ذلك اول البقرة ولمن تنسب
هذه اللغة والشعر المروي في ذلك وروي عن ابي عمرو بن ابي اسحاق ايضا والحسن عصاي
بكسر اليا لالتقا الساكنين وعن ابي اسحاق ايضا عصاي بسكونها وصلا وقد تقدم الكلام هو
هناك قوله اتوكا يجوز ان يكون خبرا ثانيا لهي ويجوز ان يكون حالا اما من عصاي واما من
اليا وفيه بعد لان مجي الحال من المضاف اليه قليل وله مع ذلك شروط ليس فيه شي منها هنا ويجوز
ان يكون جملة مستانفة وجوز ابو البقا نقلا عن غيره ان تكون عصاي منصوبة بفعل مقدر
واتوكا هو الخبر ولا ينبغي ان يقال ذلك والتوكا التحامل على الشي وهو بمعنى الاتكا وتقدم تفسيره
في يوسف فهما من مادة واحدة وذكرها هنا لاختلاف وزنيهما والهش بالمعجمة الخبط يقال هششت
الورق اهشه اي خبطته ليسقط والمعنى اخبط بها واضرب اغصان الشجر ليسقط ورقها
على غنمي فتاكله واما هش عيش بكسر العين في المضارع فبمعنى البشاشة وقد قراه
النخعي بذلك فقيل هو بمعنى اهش بالضم والمفعول محذوف في القراتين اي اهش به
الورق او الشجر وقيل في هذه القراة من هش هشاشة اذا مال وقرا الحسن وعكرمة واهش

بضم الها والسين المهملة وهو السوق ومنه الهس والهساس وعلى هذا فكان ينبغي ان يتعدى
بنفسه ولكنه ضمن ما يتعدى بعلى وهو اقوم واهول ونقل ابن خالويه عن النخعي انه قرا
واهش بضم الهمزة وكسر الها من اهش رباعيا وبالمهملة ونقلها عنه الزمخشري بالمعجمة فتكون
عنه قراتان ونقل صاحب اللوامح عن مجاهد وعكرمة واهش بضم الها وتخفيف الشين قال ولا
اعرف لها وجها الا ان يكون قد استثقل التضعيف مع تفشي الشين فخفف وهي بمعنى قراة العامة
وقرا بعضهم غنمي بسكون النون ولا ينقاس وقرا علي بتشديد اليا والمارب جمع مارب وهي
الحاجة وكذلك الاربة ايضا وفي را المارب الحركات الثلاث وانما قال مارب في معنى جماعة
الحاجات وكذلك الاربة ايضا ... قال جماعة من الحاجات اخرى ولم يقل اخر لروس الاي واخرى كقوله له الاسما الحسنى وقد
تقدم قريبا قال ابو البقا ولو قال اخر لكان على اللفظ يعني اخر كقوله فعدة من ايام اخر بضم الهمزة
وفتح الخا وبالمعنى لفظ الجمع ونقل الاهوازي عن شيبة والزهري مارب قال بغير همز
كذا اطلق والمراد بغير همز محقق بل يسهل بين بين والا فالحذف بالكلية شاذ **فصل**
قيل لما قال هي عصاي تقدم الجواب الا انه عليه السلام ذكر الوجوه الاخر كانه قال يجب المكالمة
مع ربه فجعل ذلك كالوسيلة الى تحصيل هذا الغرض اتوكا عليها التوكا والاتكا واحد كالتوقي
والاتقا اي اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على راس القطيع واهش بها على غنمي واضرب
اغصان الشجر ليسقط ورقها على الغنم فتاكله ولي فيها مارب اخرى اي حوايج ومنافع وانما
اجمل في المارب رجا ان يساله ربه عن تلك المارب فيسمع كلام الله مرة اخرى ويطول امر المكالمة
بسبب ذلك قال وهب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طلب ثمر الشجرة جناه بالمحجن فاذا
حاول كسره لواه بالشعبتين فاذا سار وضعها على عاتقه تعلق بها اداته من القوس والكنانة
والثياب واذا كان في البرية ركزها والقى عليها كساه كالظلا وقيل كان فيها من المعجزات انه
كان يستقي بها فتطول البير وتصير شعبتاها دلوا وتصيران شمعتان في الليل واذا ظهر
عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرا ركزها فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها زاده وماءه وكانت
يابسة فيركزها ويتبع الما فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام قال مقاتل اسمها بينة وروي
عن ابن عباس انها كانت تماشيه وتحدثه قال الله تعالى القها يا موسى اي ابذها قال وهب
ظن موسى انه يقول ارفضها فالقاها على وجه الارض ثم نظر اليها فاذا هي حية تسعى صفرا
من اعظم ما يكون من الحيات تمشي بسرعة لها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها اربعون
ذراعا وصارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقا وعرفا تهتز وعيناها تتقدان كالنار
تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلقمها وتقصف الشجرة العظيمة بانيابها وتسمع
لاسنانها صريرا عظيما وهذا خارق عظيم وبرهان قاطع على الذي تكلمه هو الذي يقول
للشي كن فيكون **فصل** والحكمة في قلب العصا حية في ذلك الوقت من وجوه
احدها لتكون معجزة لموسى عليه السلام يعرف بها نبوة نفسه لانه عليه السلام الى هذا الوقت
ما سمع الا النداوالندا وان كان مخالفا للعادات الا انه لم يكن معجزا لاحتمال ان يكون ذلك من
عادات الملايكة والجن فقلب العصا حية لتكون دليلا قاهرا على المعجزة الثاني انه تعالى
عرضها عليه ليشاهدها اولا فاذا شاهدها عند فرعون لا يخافها وقالها انه كان راعيا فقيرا ثم
نصب المنصب العظيم فلعله بقي يتعجب من ذلك فقلب العصا حية تنبيها على اني لما قدرت
على ذلك فكيف تستبعد مني نصرة مثلك في اظهار الدين فان قيل كيف قال ههنا حية وفي
موضع اخر جان وهو اكبر ما يكون من الحيات فالجواب ان الحياة اسم جنس يقع على الذكر
والانثى والصغير والكبير واما الجان فقيل عبارة عن ابتدا حالها كانها كانت حية على
قدر العصا ثم تورمت وتزايدت وانتفخت حتى صارت ثعبانا وقيل كانت في عظم الثعبان وسرعة
الجان لقوله فلما راها تهتز كانها جان وتسعى يجوز ان يكون خبرا ثانيا عند من يجوز ذلك
ويجوز ان يكون صفة لحية فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر فوقف استحيا فنودي
خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى اي نردها عصا كما كانت قوله سيرتها فيه نصبها
اوجه ان تكون منصوبة على الظرف اي في سيرتها اي طريقتها الثاني انها منصوبة على البدل
من ها سنعيدها بدل اشتمال لان السيرة الصفة اي سنعيدها صفتها وشكلها الثالث انها منصوبة

علي اسقاط الخافض اي الي سيرتها قال الزمخشري ويجوز ان يكون مفعولا من عاده اي عاد
اليه فيتعدي لمفعولين ومنه بيت زهير وعادك ان تلاقيها عداء وهذا هو معني قول من
قال انه علي اسقاط الي وكان قد جوز ان يكون ظرفا لما تقدم الا ان [illegible] رده بان ظرف
مختص ولا يصل اليه الفعل الا بواسطة في الا [illegible] والسيرة فعلة تدل علي الهيئة من السير
كالركبة من الركوب ثم اتسع فيها فعبر بها عن المذهب والطريقة قال خالد الهذلي

فلا تغضبن من سيرة انت سرتها • فاول راض سيرة من يسيرها

وجوز ايضا ان ينتصب بفعل مضمر اي تسير سيرتها الاولي وتكون هذه الجملة المقدرة في محل
نصب علي الحال اي سنعيدها سائرة سيرتها [illegible] موسي [illegible] تلك الكرامات
العظيمة وعلم انه مبعوث من عند الله تعالي الي الخلق فلم ذا خاف فالجواب من وجوه احدها
ان ذلك الخوف كان من نفرة الطبع لانه عليه السلام ما شاهد مثل ذلك قط وهذا معلوم بدلائل
العقول قاله ابو القاسم الانصاري وذلك الخوف من اقوي الدلائل علي صدقه في النبوة لان الساحر
يعلم ان الذي اتي به تمويه فلا يخافه البتة وثانيها خاف لانه عليه السلام عرف ما لقي ادم منها
وثالثها مجرد قوله لا تخف لا يدل علي حصول الخوف كقوله ولا تطع الكافرين لا يدل علي وجود
تلك الطاعة لكن قوله فلما راها تهتز كانها جان ولي مدبرا يدل عليه **فصل** قال
المفسرون كان علي موسي مدرعة من صوف قد خللها بعيدان فلما قال الله له خذها لف طرف المدرعة
علي يده فامره الله ان يكشف يده فكشف وقيل ان ملكا قال له ارايت لو اذن الله بما تحاذره اكانت
المدرعة تغني عنك شيئا قال لا ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت فكشف يده ثم وضعها في فم الحية
فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتيها في الموضع الذي يضعها اذا توكا واعلم ان ادخال يده في
فم الحية من غير ضرر معجزة وانقلابها خشبا معجزة اخري وانقلابها حية معجزة اخري ففيها
توالي معجزات مع المارب التي تقدمت قوله واضمم يدك الي جناحك لا بد هنا من حذف والتقدير
واضمم يدك تنضم واخرجها تخرج فحذف من الاول والثاني وابقي مقابليهما ليدلان علي ذلك ايجازا واختصارا
وانما احتيج الي هذا لانه لا يترتب علي مجرد الضم الخروج وقوله بيضاء حال من فاعل تخرج وقوله من غير
سوء يجوز ان يكون متعلقا بتخرج وان يكون متعلقا ببيضاء لما فيها من معني الفعل نحو ابيضت من
غير سوء ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف علي انه حال من الضمير في بيضاء وقوله من غير سوء يسمي عند
اهل البيان الاحتراس وهو ان يؤتي بشيء يرتفع توهم من يتوهم غير المراد وذلك ان البياض
قد يراد به البرص والبهق فاتي بقوله من غير سوء نفيا لذلك قوله اية فيها اوجه احدها ان
يكون حالا اعني انها بدل من بيضاء الواقعة حالا الثاني انها حال من الضمير في الجار والمجرور الثالث
انها منصوبة بفعل محذوف فقدره ابو البقا جعلناها اية واتيناك اية وقدره الزمخشري خذ
اية وقدر ايضا دونك اية وزاد ابو حيان هذا بان ذلك من باب الاغراء ولا يجوز اضمار الظروف في
الاغراء قال لان العامل حذف وناب هذا منابه فلا يجوز ان يحذف النايب ايضا وانضاف ان احكامها تخالف
العامل الصريح فلا يجوز اضمارها وان جاز اضمار الافعال **فصل** يقال لكل ناحيتين
جناحان كجناحي العسكر لطرفيه وجناحا الانسان جانباه والاصل المستعار منه جناحا
الطير لانه يجمعهما عند الطيران وجناح الانسان عضده اي اضمم يدك الي ابطك تخرج
بيضاء نيرة مشرقة من غير سوء وعن ابن عباس الي جناحك اي الي صدرك والاول اولي لان
يدي الانسان عضده يشبهان جناحي الطائر ولانه قال تخرج ولو كان المراد بالجناح الصدر
لم يكن لقوله تخرج معني ومعني ضم اليد الي الجناح ما قال في اية اخري وادخل يدك في جيبك
لانه اذا ادخل يده في جيبه كان كانه قد ضم يده الي جناحه والسوء الرداءة والقبح في كل شيء
وكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوءة والبرص ابغض شيء الي العرب فكان جديرا بان
يكني عنه بالسوء وكان عليه السلام شديد الادمة فكان اذا ادخل يده اليمني في جيبه وادخلها
تحت ابطه اليسري واخرجها فكانت تبرق مثل البرق وقيل مثل الشمس من غير برص ثم
اذا ردها عادت الي لونها الاول اية اخري دلالة اخري علي صدقك سوي العصا قوله
لنريك متعلق بما دلت عليه اية اي دللنا بها لنريك او جعلناها او اتيناك المقدورة
وقدره الزمخشري لنريك فعلنا ذلك وجوز الحوفي ان يتعلق باضمم وجوز غيره ان يتعلق

بتخرج

بتخرج ولا يجوز ان يتعلق بلفظ اية لانها قد وصفت وقدره الزمخشري ايضا لنريك خذ هذه
الاية ايضا قوله من اياتنا الكبري يجوز ان يتعلق من اياتنا بمحذوف علي انه حال من الكبري وعلي
هذا فمفعولا ثانيا لنريك الكبري [illegible] ويجوز ان يكون المفعول
الثاني نفس من اياتنا فيتعلق بمحذوف ايضا وتكون الكبري علي هذا صفة لاياتنا وصفت الجمع
المؤنث [illegible] مارب اخري والاسماء الحسني وهذان الوجهان قد نقلهما
الزمخشري والحوفي وابو البقا وابن عطية [illegible] ان تكون
اية كلها هي الكبري لان ما كانت بعض الايات الكبري صدق عليها انها الكبري واذا جعلت الكبري
مفعولا فلا يمكن ان تكون صفة للعصا واليد معا [illegible]
بالوصف دون الاخر [illegible] التفضيل بمكان كل منهما **فصل** قال المفسرون قال
لنريك من اياتنا الكبري [illegible] من اياتنا الاية
الكبري [illegible] ابن عباس كانت يد موسي اكبر الايات [illegible] قال الحسن اليد اعظم
[illegible] لانه جعل الكبري مفعولا ثانيا لنريك [illegible]
وقد ضعف ذلك بانه ليس في اليد الا تغير اللون واما العصا ففيها تغير اللون والخلق والزيادة في
الحجم وخلق الحياة والقدرة والاعضاء المختلفة وابتلاع الشجر والحجر ثم عادت عصا بعد ذلك
فقد وقع التغير مرة اخري في كل هذه الامور فكانت العصا اعظم واما قوله لنريك من اياتنا
الكبري فقد بينت انه عائد اليهما [illegible] اذهب الي فرعون انه طغي لما
اظهر الايات عقبها بان امره بالذهاب الي فرعون وبين العلة في ذلك انه طغي [illegible]
[illegible]
جاوز الحد في العصيان والتمرد [illegible] قال رب
اشرح لي صدري ويسر لي امري [illegible] السؤال
[illegible]
فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده قوله لي صدري متعلق باشرح قال
الزمخشري فان قلت لي في قوله اشرح لي صدري ويسر لي امري ما جدواه والامر مستتب بدونه
قلت قد ابهم الكلام اولا فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين [illegible]
لطلب الشرح لصدره والتيسير لامره [illegible]
هذه الاية قوله ويسر لي امري اي سهل علي ما امرتني به من تبليغ الرسالة الي فرعون لان
كلما يصدر من العبد من الافعال والاقوال والحركات والسكنات [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمة واخذ بلحيته فقال فرعون لاسية امراته
ان هذا عدوي واراد ان يقتله فقالت اسية انه صبي لا يعقل ولا يميز [illegible]
طشتين في احدهما جمر وفي الاخر جواهر فوضعهما بين يدي موسي فاراد ان ياخذ الجواهر فاخذ
جبريل عليه السلام يد موسي فوضعها علي النار فاخذ جمرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه وصارت
عليه عقدة [illegible]
[illegible]
واختلفوا في انه لم طلب حل تلك العقدة [illegible]
[illegible] **فصل**
[illegible]
قال الحسن ان تلك العقدة زالت بالكلية لقوله تعالي قد اوتيت سؤلك يا موسي وقيل هذا
ضعيف لانه عليه السلام لم يقل واحلل العقدة من لساني بل قال واحلل عقدة من لساني فاذا
حل عقدة واحدة فقد اتاه الله سؤله والحق انه انحل اكثر العقد وبقي منها بقية لحكاية فرعون ام انا
خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين [illegible]

احدهما ان المراد بقوله ولا يكاد يبين اي لا ياتي ببيان وحجة والثاني ان كان عجمي قريب
فلو كان المراد هو البيان للسان لكان معناه انه لا يقارب البيان فكانه فيه نفي البيان
بالكلية وذلك باطل لانه خاطب فرعون وقومه وكانوا يفهمون فكيف يمكن نفي البيان بل انما
قالوا ذلك تمويها ليصرفوا الوجوه عنه واعلم ان النطق فضيلة عظيمة ويدل عليه وجوه الاول
قوله تعالى خلق الانسان علمه البيان ولهذا قيل الانسان هو الحيوان الناطق الثاني
اتفاق العقلاء على تعظيم امر اللسان قال زهير •

• لسان الفتى نصف ونصف فؤاده • فلم يبق الا صورة اللحم والدم •

وقالوا ما الانسان لولا اللسان الا بهيمة مرسلة اي لو ذهب نطقه لم يبق من الانسان الا القدر
الحاصل في البهايم وقالوا المرء باصغريه قلبه ولسانه وقالوا المرء مخبو تحت لسانه الثالث ان في
مناظرة ادم مع الملائكة ما ظهرت الفضيلة الا بالنطق حيث قال يا ادم انبئهم قال الم اقل لكم
اني اعلم غيب السموات والارض قوله من لساني يجوز ان يتعلق بمحذوف على انه صفة لعقدة اي
من عقد لساني ولم يقل الزمخشري غيره ويجوز ان يتعلق بنفس احلل والاول اولى قوله
واجعل لي وزيرا يجوز ان يكون لي مفعولا ثانيا مقدما ووزيرا هو المفعول الاول ومن اهلي على
هذا يجوز ان يكون صفة لوزيرا ويجوز ان يكون متعلقا باجعل وهرون بدل من وزيرا وجوز ابو
البقاء ان يكون هرون عطف بيان لوزيرا ولم يذكر الزمخشري غيره ولما حكى ابو حيان هذا لم
يعقبه بنكير وعجيب منه فان عطف البيان يشترط فيه التوافق تعريفا وتنكيرا وقد عرفت
ان وزيرا نكرة وهرون معرفة والزمخشري قد تقدم له مثل هذا في قوله تعالى فيه ايات بينات
مقام ابراهيم وتقدم الكلام معه وهو عايد هنا ويجوز ان يكون هرون منصوبا بفعل محذوف
كانه قال اخص من بينهم هرون اي من بين اهلي ويجوز ان يكون وزيرا مفعولا ثانيا وهرون
هو الاول وقدم الثاني عليه اعتناء بامر الوزارة وعلى هذا فقوله يجوز ان يتعلق بنفس الجعل
وان يتعلق بمحذوف على انه حال من وزيرا اذ هو في الاصل صفة له ومن اهلي على ما تقدم من
وجهه ويجوز ان يكون وزيرا مفعولا اول ومن اهلي هو الثاني وقوله مثل قوله ولم يكن له
كفوا احد يعنون انه به يتم المعنى ذكر ذلك ابو البقاء ولما حكاه ابو حيان لم يعقبه بنكير وهو
عجب لان شرط المفعولين في باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية وانت لو ابتدات بوزيرا
واخبرت عنه بمن اهلي لم يجز اذ لا مسوغ للابتداء به واخي بدل او عطف بيان لهارون وقال
الزمخشري وان جعل عطف بيان اخر جاز وحسن قال ابو حيان ويبعد فيه عطف البيان
لان عطف البيان الاكثر فيه ان يكون الاول دونه في الشهرة وهذا بالعكس قال شهاب الدين
لم يرد الزمخشري ان اخي عطف بيان لهارون حتى يقول الشيخ ان الاول وهو هرون اشهر
من الثاني وهو اخي انما عنى الزمخشري انه عطف بيان ايضا لوزيرا ولذلك قال اخر ولا بد
من الاتيان بلفظه ليعرف انه لم يرد الا ما ذكرته قال وزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل
اولى وزيرا مفعولا وهرون عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل من هرون وان جعل
عطف بيان للوزير اخر جاز وحسن فقوله اخر تعين ان يكون عطف بيان مثل ذلك وجوز
الزمخشري في اخي ان يرتفع بالابتداء ويكون خبره اشدد به الجملة من قوله اشدد به وذلك على
قراءة الجمهور له بصيغة الدعاء وعلى هذا فالوقف على هرون وقرا ابن عامر اشدد للمضارعة
وجزم الفعل جوابا للامر واشركه بضم الهمزة للمضارعة وجزم الفعل ليبقى على ما قبله حكاية
عن موسى اني افعل ذلك وقرا الباقون بحذف همزة الوصل من الاول وفتح همزة القطع في
الثاني على انهما دعاء من موسى لربه بذلك وعلى هذه القراءة تكون هذه الجملة وقد نزل فيها
العطف خاصة دون ما تقدمها من جمل الدعاء وقرا الحسن اشدد مضارع شدد بالتشديد
والوزير هو مشتق من الوزر وهو الثقل وسمي بذلك لانه يحمل اعباء الملك ومونته وهو معين
على امر الملك وقايم امره وقيل بل هو من الوزر وهو الجبل الذي يتحصن به وهو الملجا كقوله
تعالى لا وزر وقال

• من السباع الضواري دونه وزر • والناس شرهم ما دونه وزر •
• كم معشر سلموا لم يؤذهم سبع • ولا ترى بشرا لم يؤذهم بشر •

وقيل من الموازرة وهي المعاونة نقله الزمخشري عن الاصمعي قال وكان القياس ازيرا يعني بالهمزة

لان

لان المادة كذلك قال الزمخشري عن الاصمعي فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها اليها ان فعيلا
جاء بمعنى مفاعل مجيئا صالحا كقولهم عشير وجليس وخليط وصديق وخليل ونديم فلما قلبت
في اخيه قلبت فيه وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى الموازر واخوته الى الموازرة بمعنى
ان وزيرا بمعنى موازر ومؤازر يقلب فيه الهمزة واوا قلبا قياسا لانها همزة مفتوحة بعد
ضمة فهو نظير مؤجل ويؤاخذكم ويشبهه فحمل ازير عليه في القلب وان لم يكن فيه سبب القلب والموازر
ماخوذة من ازار الرجل وهو الموضع الذي يشده الرجل اذا استعد لعمل متعب

فصل

اعلم ان طلب الوزير اما انه خاف على نفسه العجز عن القيام بذلك الامر فطلب المعين او لانه راى ان
التعاون على الدين والتظاهر عليه مع مخالفة الود وزوال التهمة قربة عظيمة في الدعاء الى
الله تعالى ولذلك قال عيسى بن مريم عليه السلام من انصاري الى الله قال الحواريون نحن
انصار الله وقال لمحمد عليه السلام حسبك الله ومن اتبعك من المومنين وقال عليه السلام
ان لي في السما وزيرين وفي الارض وزيرين فاللذان في السما جبريل وميكائيل واللذان
في الارض ابو بكر وعمر وقال عليه السلام اذا اراد الله بملك خيرا قيض الله له وزيرا صالحا ان نسي
ذكره وان نوى خيرا اعانه وان اراد شرا كفه وقال انوشروان لا يستغني اجود السيوف عن الصقل
ولا اكرم الدواب عن السوط واراد موسى عليه السلام ان يكون ذلك الوزير من اهله اي من
اقاربه وان يكون اخاه هرون والسبب فيه اما ان التعاون على الدين منقبة عظيمة اراد ان لا تحصل
هذه الدرجة الا لاهله وان كل واحد منهما كان في غاية المحبة لصاحبه وكان هرون اكبر سنا من
موسى باربع سنين وكان افصح لسانا منه واجمل ابيض اللون وكان موسى ادم اللون اقنى
جعدا اشدد به ازري اقو به ظهري واشركه في امري في النبوة والازر القوة وازره قواه وقال ابو
عبيدة ازري اي ظهري وفي كتاب الخليل الازر الظهر ثم انه تعالى حكى عنه ما لاجله دعا بهذا الدعاء
فقال كي نسبحك كثيرا قال الكلبي نصلي لك كثيرا ونحمدك ونثني عليك والتسبيح تنزيه الله تعالى في
ذاته وصفاته عما لا يليق به ونذكرك كثيرا اي نصفك بصفات الجلال والكبريا قوله كثيرا نعت
لمصدر محذوف او حال من ضمير المصدر كما هو راي سيبويه وجوز ابو البقاء ان يكون نعتا لزمان محذوف
اي زمانا كثيرا انك كنت بنا بصيرا اي عالما بانا لا نريد بهذه الطاعات الا وجهك ورضاك وبصيرا بان
الاستعانة بهذه الاشياء لاجل حاجتي في النبوة اليها او بصيرا بوجوه مصالحنا فاعطنا ما هو اصلح لنا
قوله قال قد اوتيت سولك يا موسى ولقد مننا عليك مرة اخرى فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى
مخبوز واكل بمعنى ماكول ولا ينقاس ومرة مصدر اخرى تانيث اخر بمعنى غير وزعم بعضهم انها بمعنى اخره
فتكون مقابلة للاولى وتحمل لذلك بان قال سماها اخرى وهي اولى لانها اخرى في الذكر

فصل

اعلم ان موسى عليه السلام لما سال ربه تلك الامور الثمانية وكان من المعلوم ان قيامه بما كلف لا يتم
الا باجابته اليها لا جرم اجابه الله تعالى اليها ليكون اقدر على ابلاغ ما كلف به فقال قد اوتيت سولك
يا موسى ولقد مننا عليك مرة اخرى ونبه بذلك بعد السوال ونيلها اني كنت ربيتك فلو منعتك
الان كان ذلك ردا بعد القبول واساءة بعد الاحسان فكيف يليق بكرمي ونيلها انا اعطيناك في الازمنة
السالفة كل ما احتجت اليه ورقيناك الى الدرجة العالية وهي منصب النبوة فكيف يليق بمثل هذه
التربية المنع عن المطلوب ومعنى مننا عليك اي انعمنا عليك مرة اخرى فان قيل لما ذكر تلك النعم
بلفظ المنة مع ان هذه اللفظة موذية والمقام مقام التلطف فالجواب انما ذكر ذلك ليعرف موسى
عليه السلام ان هذه النعم التي وصل اليها ما كان مستحقا لشيء منها بل انما خصه الله بمحض الفضل
والاحسان فان قيل لما قال مرة اخرى مع انه تعالى ذكر منة كثيرة فالجواب لم يعن بمرة اخرى مرة
واحدة من المنن لان ذلك قد يقال في القليل والكثير قوله اذ اوحينا العامل في اذ مننا اي
مننا عليك في وقت ايحائنا الى امك وابهم في قوله ما يوحى التعظيم كقوله تعالى فغشيهم من اليم ما
غشيهم وهذا وحي الهام لان الاكثرين على ان ام موسى عليه السلام ما كانت من الانبياء وذلك لان
المراة لا تصلح للقضاء والامامة ولكن لا يمكن عند اكثر العلماء من تزويج نفسها ويدل على ذلك قوله
تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم والوحي قد جاء في القران لا بمعنى النبوة قال تعالى
واوحى ربك الى النحل واذ اوحيت الى الحواريين ثم اختلفوا في المراد بهذا الوحي على وجوه الاول انه
رؤيا راتها ام موسى وكان تاويلها وضع موسى عليه السلام في التابوت وقذفه في البحر وان الله

بعالي يرده عليها الثاني انه عزيمة جازمة وقعت في قلبها دفعة واحدة الثالث المراد خطور البال
وغلبته على القلب فان قيل الالقا في البحر قريب من الاهلاك وهو مساو للخوف الحاصل من القتل
المعتاد من فرعون فكيف يجوز الاقدام على احدهما لاجل الصيانة على الثاني فالجواب من وجوه احدها
عرفت بالاستقرا صدق رؤياها فكان الالقا في البحر الي السلامة اغلب على ظنها من وقوع الولد في يد
فرعون اولعله اوحي الي بعض الانبيا في ذلك الزمان لشعيب عليه السلام او غيره ثم ان ذلك النبي عرفها
مشافهة او مراسلة واعترض عليه بان الامر لو كان كذلك لما لحقها الخوف واجيب بان ذلك الخوف كان
من لوازم البشرية كما ان موسى عليه السلام كان يخاف فرعون مع ان الله تعالى كان امره بالذهاب
اليهم الثالث لعل بعض الانبيا المتقدمين كابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام اخبروا بذلك
الخبر الي امه اولعل الله تعالى بعث اليها ملكا على وجه النبوة كما بعث الي مريم في قوله فتمثل لها بشرا سويا
واما قوله ما يوحي معناه اوحينا الي امك ما يجب ان يوحي وانما وجب ذلك لان الواقعة واقعة عظيمة
ولا سبيل الي معرفة المصلحة فيها الا بالوحي فكان الوحي فيها واجبا قوله فاقذفيه يجوز ان تكون
مفسرة لان الوحي بمعنى القول ولم يذكر الزمخشري غيره وجوز غيره ان تكون مصدرية ومحلها حينئذ
النصب بدلا مما يوحي والضماير في قوله ان اقذفيه الي اخرها عايدة على موسى عليه السلام لانه المحدث عنه
وجوز بعضهم ان يعود الضمير في قوله ان اقذفيه في اليم للتابوت وما بعده وما قبله لموسى عليه
السلام لانه المحدث عنه وجوز بعضهم ان يعود الضمير وعليه الزمخشري وجعله منافرا ومخرجا للقران
عن اعجازه فانه قال والضماير كلها راجعة الي موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الي التابوت فيه
هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم فان قلت المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى
الي الساحل قلت ما ضرك لو جعلت المقذوف في البحر والملقى الي الساحل هو موسى في جوف التابوت
حتى لا تفرق الضماير فيتنافر عليك النظم الذي هو من اعجاز القران والتابوت الذي وقع عليه التحدي
ومراعاته اهم لما يجب على المفسر قال ابو حيان ولقايل ان يقول ان الضمير اذا كان صالحا لان يعود
على الاقرب وعلى الابعد كان عوده على الاقرب راجحا وقد نص النحويون على هذا فعوده على
التابوت في قوله فاقذفيه في اليم فليلقه اليم راجح والجواب ان احدهما اذا كان محدثا عنه والاخر
فضلة كان عوده على المحدث عنه ارجح ولا يلتفت الي القرب ولهذا رددنا على ابي محمد بن حزم في
دعواه ان الضمير في قوله تعالى فانه رجس عايد على خنزير لا على لحم لكونه اقرب مذكور فيحرم بذلك
شحمه وغضروفه وعظمه وجلده فان المحدث عنه هو لحم خنزير لا خنزير وقد تقدمت هذه المسلة
في الانعام قوله فليلقه اليم هذا امر معناه الخبر ولكونه امرا لفظا جزم جوابه في قوله ياخذه وانما
خرج بصيغة الامر مبالغة اذ الامر اقطع الافعال واكدها وقال الزمخشري لما كانت مشية الله
وارادته تعالى قا اليم ويلقي بذلك التابوت الي الساحل سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كانه
ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل وبالساحل يحتمل ان يتعلق
بمحذوف على ان البا للحال اي ملتبسا بالساحل وان يتعلق بنفس الفعل على ان البا ظرفية بمعنى في
والقذف يستعمل بمعنى الالقا والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب واليم البحر والمراد
به ههنا نيل مصر في قول الجميع واليم اسم يقع على النهر والبحر العظيم قال الكساي والساحل فاعل
بمعنى مفعول سمي بذلك لان الما يسحله اي يقشره الي اعلاه **فصل** روي انها اتخذت
تابوتا قال مقاتل ان الذي صنع التابوت حزقيل مومن ال فرعون وجعلت في التابوت
قطنا محلوجا ووضعت فيه موسى وقيرت راسه وشقوقه بالقير ثم القته في النيل وكان يشرع منه
نهر كبير في دار فرعون فبينما فرعون جالس على راس البركة مع امراته اسيا اذا بتابوت يجي به
الما فامر الغلمان والجواري باخراجه فاخرجوه ففتحوا راسه فاذا صبي من اصبح الناس وجها
فلما راه فرعون احبه بحيث لم يتمالك فذلك قوله والقيت عليك محبة مني قال ابن عباس احبه
وحببه الي خلقه وقال عكرمة ما راه احد الا احبه فان قيل قوله ياخذه عدو لي وعدو له لم يكن
موسى في ذلك الوقت معاديا له فالجواب من وجهين الاول كونه كافرا عدوا لله وكونه عدوا لموسى
فانه بحيث لو ظهر له حاله لقتله الثاني عدو له من حيث يؤول امره الي عداوته قوله مني فيه وجهان
قال الزمخشري مني لا يخلو اما ان يتعلق بالقيت فيكون المعنى على اني قد احببتك ومن
احبه الله احبته القلوب واما ان يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة اي محبة حاصلة او واقعة مني

قد

قد ذكرتها في القلوب وزرعتها فيها فلذلك احبتك امراة فرعون حتى قالت قرة عين لي ولك
لا تقتلوه وروي انه كان على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من راه وهو
كقوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال القاضي هذا الوجه اقرب لانه حال الصغر لا يكاد يوصف بمحبة
الله تعالى التي ظاهرها من محبة الدين لان ذلك انما يستعمل في المكلف من حيث استحقاق الثواب
فالمراد اول ما ذكر في كيفيته في الخلقة يستحلى ويستقط وكذلك كانت حاله مع فرعون وامراته
ويمكن ان يقال بل الاحتمال الاول ارجح لان الاحتمال الثاني يحوج الي الاضمار وهو ان
يقال والقيت عليك محبة حاصلة مني وواقعة بتخليقي وعلى الاول لا حاجة الي الاضمار واما
قوله انه حال صباه لا تحصل له محبة الله فممنوع لان معنى محبة الله هو ايصال النفع الي
عباده وهذا المعنى كان حاصلا في حقه في حال صباه وعلم الله ان ذلك يستمر الي اخر عمره فلا
جرم اطلق عليه لفظ المحبة قوله ولتصنع قرا العامة بكسر اللام وضم التا وفتح النون على البنا للمفعول
ونصب على الفعل باضمار ان بعد لام كي وفيه وجهان احدهما ان هذه العلة معطوفة على علة
مقدرة قبلها والتقدير ليتلطف بك ولتصنع او ليعطف عليك وترام ولتصنع وتلك العلة المقدرة
متعلقة بقوله والقيت اي القيت عليك المحبة ليعطف عليك ولتصنع فهي في الحقيقة متعلق بما
قبله من القا المحبة والثاني ان هذه اللام تتعلق بمضمر بعدها تقديره ولتصنع على عيني فعلت
ذلك اي القيت عليك محبة مني او كان كيت وكيت ومعنى ولتصنع اي لتربى ويحسن اليك فانا مراعيك
ومراقبك كما يراعي الانسان الشي بعينه اذا اعتنى به قاله الزمخشري ومجازه ان من صنع للانسان
شيا وهو حاضر ينظر اليه صنعه كما يحب ولا يمكنه ان يخالف غرضه فكذا هذا وفي كيفيته قولان
الاول المراد من العين العلم اي ترى على علم مني ولما كان العالم بالشي يحرسه عن الافات اطلق لفظ العين
على العلم لاشتباههما من هذا الوجه الثاني المراد من العين الحراسة لان الناظر الي الشي يحرسه
عما لا يريده فالعين كانها سبب الحراسة فاطلق اسم السبب على المسبب مجازا وهو كقوله تعالى
انني معكما اسمع وارى ويقال عين الله عليك اذا دعا له بالحفظ والحياطة وقرا الحسن وابو نهيك
ولتصنع بفتح التا قال ثعلب معناه لتكون حركتك وتصرفك على عين مني وقال قريبا منه
الزمخشري وقال ابو البقا اي لتفعل ما امرك برأي مني وقرا ابو جعفر وشيبة ولتصنع بسكون
اللام والعين وضم التا وهو امر معناه لتربى وليحسن اليك وروي عن ابي جعفر في هذه القراة
كسر لام الامر ويحتمل مع كسر اللام او سكونها ان تكون لام كي وانما سكنت تشبيها
بكتف وكبد والفعل منصوب والتسكين في العين لاجل الادغام لانه لا يقرا في الوصل الا بالادغام
فقط قوله اذ تمشي في عامل الظرف اوجه احدها ان العامل فيه القيت اي القيت عليك محبة
مني في وقت مشي اختك انه منصوب بقوله ولتصنع اي لتربى ويحسن اليك في هذا الوقت قاله
الزمخشري والعامل في اذ تمشي القيت او لتصنع قال ابو البقا اذ تمشي يجوز ان تتعلق باحد الفعلين
يعني بالفعلين ما تقدم من القيت او لتصنع وعلى هذا فيجوز ان تكون المسلة من باب التنازع
لان كلا من هذين العاملين يطلب هذا الظرف من حيث المعنى ويكون من اعمال الثاني للحذف
من الاول وهذا انما يتجه كل الاتجاه اذا جعلت ولتصنع معطوفا على علة محذوفة ومتعلقة هي
بالقيت اما اذا جعلته متعلقا بفعل مضمر بعده فيبعد ذلك او يمتنع لكون الثاني صار من جملة
اخرى الثالث ان يكون اذ تمشي بدلا من اذ اوحينا قال الزمخشري فان قلت كيف يصح البدل
والوقتان مختلفان متباعدان قلت كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه ان يقول لك
الرجل لقيت فلانا سنة كذا فيقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيته هو في اولها وانت في اخرها قال
ابو حيان وليس كما ذكر لان السنة تقبل الاتساع فاذا وقع لقيهما فيها بخلاف هذين الظرفين
فان كل واحد منهما ضيق وليس بمتسع لتخصيصهما بما اضيفا اليه فلا يمكن ان يقع الثاني في الظرف
الذي وقع فيه الاول ليس متسعا لوقوع الوحي فيه ووقوع مشي الاخت فليس وقت وقوع
الفعل مشتملا على اجزا وقع في بعضها المشي بخلاف السنة قال شهاب الدين وهذا تحامل منه عليه
فان زمن الفعل ايضا ضيق لا يسع فعلها وانما ذكر مبني على التساهل اذ المراد ان الزمان مشتمل
على فعليهما وقال ابو البقا ويجوز ان تكون بدلا من اذ الاولى لان مشي اخته كان منة عليه يعني
ان قوله اذ اوحينا منصوب بقوله مننا فاذا جعل اذ تمشي بدلا منه كان ايضا ممتنا به عليه الرابع

ان يكون العامل فيه مضمرا تقديره اذكر اذ تمشي وهو على هذا مفعول به لفساد المعنى على الظرفية
قوله اذ تمشي اختك اسمها مريم يروى انه فشا الخبر بمصر ان آل فرعون اخذوا غلاما في النيل
وكان لا يرتضع من ثدي كل امرأة يؤتى بها لان الله تعالى حرم عليه المراضع غير امه واضطروا
الى تتبع النساء فخرجت اخته متعرفة خبره فجاءت اليهم متنكرة فقالت هل ادلكم على من يكفله
اي على امرأة ترضعه قالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها فذلك قوله فرجعناك الى امك كي تقر
عينها بلقائك قوله كي تقر عينها قرأ العامة تقر بفتح التاء والقاف وقرأت فرقة تقر بكسر
القاف وقد تقدم في سورة مريم انهما لغتان وقرأ جناح بن حبيش تقر بضم التاء وفتح
القاف على البناء للمفعول عينها رفعا لما لم يسم فاعله ولا تحزن اي يذهب عنها الحزن فان
قيل لو قال كي لا تحزن وتقر عينها لان الكلام مفيدا الا انه لا يلزم من عدم حصول الحزن
حصول السرور لها فلما قال اولا كي تقر عينها كان قوله ولا تحزن فضلة لانه متى حصل السرور
وجب زوال الغم لا محالة فالجواب المراد تقر عينها بسبب وصولك اليها ويزول عنها الحزن
بسبب عدم وصول لبن غيرها الى باطنك قوله وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وهذه المنة
الخامسة قال ابن عباس هو الرجل القبطي خطابان وكره حيث استغاثه الاسرائيلي اليه فحصل
له الغم من وجهين الاول من عقاب الدنيا وهو اقتصاص فرعون منه على ما حكى الله تعالى
عنه فاصبح في المدينة خائفا يترقب والثاني من عقاب الله حيث قتله لا بامر الله فنجاه الله
تعالى من الغمين اما من فرعون فوفق له الهجرة الى مدين واما من عقاب الآخرة فلانه
تعالى غفر له ذلك قال كعب الاحبار كان عمره اذ ذاك ابن اثني عشر قوله فتونا فيه وجهان
احدهما انه مصدر على فعول كالقعود والجلوس الا ان فعولا قليل في المتعدي ومنه الشكور
والكفور والثبور واللزوم قال تعالى لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وهذا على مذهبهم في
تاكيد الاخبار بالمصادر كقوله وكلم الله موسى تكليما والثاني انه جمع فتن او فتنة على ترك
الاعتداد بتاء التانيث كحجور وقدور في حجرة وقدرة اي فتناك ضروبا من الفتن عن ابن عباس
انه ولد في عام يقتل فيه الولدان والقته امه في البحر وقتل القبطي واجر نفسه عشر سنين وضل
عن الطريق ونفرت غنمه في ليلة مظلمة ولما سأل سعيد بن جبير عن ذلك اجاب بما تقدم
وصار يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير قال معناه الزمخشري وقال غيره هم
يعنون من الفتن اي المحن يختبر بها وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الفتون وقوعه
في محنة بعد محنة خلصه الله منها اولها ان امه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها
الاطفال ثم القاؤه في البحر في التابوت ثم منعه من الرضاع الا من ثدي امه ثم اخذه بلحية
فرعون ثم همه بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطي وخروجه الى مدين خائفا
فعلى هذا معنى فتناك خلصناك من تلك المحن كما يفتن الذهب بالنار فيتخلص من كل خبث
فان قيل انه تعالى عدد انواع منته على موسى في هذا المقام فكيف يليق بهذا الموضع قوله
وفتناك فتونا فالجواب من وجهين الاول ما تقدم من ان فتناك بمعنى خلصناك تخليصا
والثاني ان الفتنة تشديد المحنة يقال فتن فلان عن دينه اذا اشتدت عليه المحنة حتى
رجع عن دينه قال تعالى فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله وقال احسب
الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وقال ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن
الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ولما كان التشديد في المحنة مما يوجب كثرة الثواب عده
الله من جملة النعم فان قيل هل يصح اطلاق الفتان عليه سبحانه اشتقاقا من قوله وفتناك
فتونا فالجواب لا لانه صفة ذم في العرف واسماء الله تعالى توقيفية لا سيما فيما يوهم ما لا
ينبغي قوله فلبثت سنين في اهل مدين والتقدير وفتناك فتونا فخرجت خائفا الى اهل
مدين فلبثت سنين فيهم وهي اما عشر او ثمان لقوله تعالى على ان تأجرني ثماني حجج فان اتممت
عشرا فمن عندك وقال وهب لبث موسى عند شعيب عليهما السلام ثمانية وعشرين سنة منها
عشر سنين مهر امرأته وبرد عليه قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل اي الاجل المشروط عليه في
تزويجه ومدين بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر قوله ثم جئت على قدر يا موسى هذا
الجار متعلق بمحذوف على انه حال من فاعل جئت موافقا لما قدر لك كذا قدره ابو البقاء وهو

تفسير معنى والتفسير الصناعي ثم جئت مستقرا او كائنا على مقدار معين كقول الآخر

نال الخلافة او جاءت على قدر • كما اتى ربه موسى على قدر

ولا بد من حذف في الكلام اي على قدر امر من الامور وقال محمد بن كعب جئت على القدر الذي
قدرت انك تجيء فيه وقال مقاتل كان موعدا في تقدير الله وقال عبد الرحمن بن كيسان
على رأس اربعين سنة وهو القدر الذي يوحى فيه الى الانبياء وهذا قول اكثر المفسرين او على
الموعد الذي وعده الله وقدر انه يوحى اليه بالرسالة وهو اربعون سنة قوله واصطنعتك
لنفسي اي اخترتك واصطفيتك افتعال من الصنع لوحيي ورسالتي وابدلت التاء طاء لاجل حرف
الاستعلاء وهذا مجاز عن قرب منزلته ودنوه من ربه لان احدا لا يصطنع الا من يختاره قال القفال
واصطنعتك اصله من قولهم اصطنع فلان فلانا اذا احسن اليه حتى يضاف اليه فيقال هذا صنيع
فلان او جريح فلان وقوله لنفسي اي لا اصرفنك في اوامري لئلا تشتغل الا بما امرتك به وهو
اقامة حجتي وتبليغ رسالتي وان تكون حركاتك وسكناتك لي لا لنفسك ولا لغيرك وقال
الزجاج اخترتك لامري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي كاني الذي اقمت
عليهم الحجة وخاطبتهم قوله اذهب انت واخوك باياتي لما قال واصطنعتك لنفسي عقبه بذكر
ما له اصطنعه وهو الابلاغ والاداء والباء في باياتي بمعنى مع لانهما لو ذهبا اليه بدون آية معهما
لم يلزمه الايمان وذلك من اقوى الدلائل على فساد التقليد قال ابن عباس يعني الآيات التسع
التي بعث الله بها موسى وقيل العصا واليد لانهما اللذان جرى ذكرهما في هذا الموضع ولم يذكر
انه عليه السلام اوتي قبل مجيئه الى فرعون ولا بعد مجيئه حين لقي فرعون فالتمس منه آية غيرهما بين
الآيتين قال تعالى حكاية عن فرعون ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين وقال فذانك برهانان من
ربك الى فرعون وملئه فان قيل كيف يطلق لفظ الجمع على الاثنين فالجواب من وجوه احدها
ان العصا كانت آيات انقلابها حيوانا ثم انها اول الامر كانت صغيرة لقوله تعالى تهتز كانها جان
ثم كانت تعظم وهذه آية اخرى ثم كانت تصير ثعبانا وهذه آية اخرى ثم انه عليه السلام كان
يدخل يده في فمها فلم تضره وهذه آية اخرى ثم كانت تنقلب عصا وهذه آية اخرى ثم زوالها بعد
ذلك آية اخرى فدل ذلك على انها كانت آيات كثيرة وثانيها ان العصا امر واحد ولكن فيها
آيات لان انقلابها حية تدل على وجود اله قادر على الكل عالم بالكل حكيم وتدل على نبوة موسى
وتدل على جواز الحشر حيث انقلب الجماد حيوانا فهذه آيات بينات كثيرة ولذلك قال ان اول
بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا الى قوله مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا فهاهنا اولى
وثالثها قال بعضهم اقل الجمع اثنان وقيل معنى قوله باياتي امددكما باياتي واظهر على ايديكما
من الآيات ما تزاح به العلل من فرعون وقومه والمعنى فان اياتي معكما كما يقال اذهب فان
جندي معه اي اني امدك بهم متى احتجت وقيل الآيات العصا واليد وحل العقدة من لسانه
وذلك ايضا معجزة قوله ولا تنيا في ذكري يقال ونى يني ونيا كوعد يعد وعدا اذا فتر وتكاسل
والوني الفتور ومنه امرأة اناة وصفوها بفتور القيام كناية عن صحابتها قال

منا الاناة وبعض القوم يحسبنا • انا بطاء وفي ابطائنا سرع

والاصل ونَاة فابدلوا الهمزة من الواو كاحد ووحد وليس بالقياس وفي الحديث ان فيك
لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة والوني المقتصر في امره قال الشاعر فما انا بالواني ولا الضرع
الغمر وونى فعل لازم لا يتعدى وزعم بعضهم انه يكون من اخوات زال وانفك فيعمل بشرط النفي او
شبهه عمل كان فيقال ما ونى زيد قائما وانشد ابن مالك شاهدا على ذلك قوله

لا يني الخب شيمة الخب ما • دام فلا يحسبنه ذا ارعواء

اي لا يزال الخب اي بضم الخاء شيمة الخب اي بكسرها وهو المحب ومن منع ذلك البيت على حذف حرف
الجر فان هذا الفعل يتعدى تارة بعن وتارة بفي يقال ما ونيت عن حاجتك او في حاجتك
فالتقدير لا يني الخب في شيمة المحب وفيه مجاز بليغ وقد عدي في الآية الكريمة بفي وقرأ
يحيى بن وثاب ولا تنيا بكسر التاء اتباعا لحركة النون وسكن الياء من ذكري وقرأ اهل الحجاز
وابو عمرو لنفسي اذهب وذكري اذهبا وان قومي اتخذوا من بعدي اسمه بفتح الياء فيهن وافقهم

ابو بكر من بعدي اسمه وقرا الاخوان بكسرها باسكانها والمراد بنلبيع الرسالة وقيل لا يفترعن ذكر الله والحكمة فيه ان من ذكر جلال الله ليستخف غيره فلا يخاف احدا ويقوي روحه بذلك الذكر فلا يضعف في مقصوده ومن ذكر الله لا بد ان يكون ذاكرا احسانه وذاكرا احسانه لا يفتر في اداء اوامره وقيل لا تنيا في ذكري عند فرعون وكيفية الذكر ان يذكر الفرعون وقومه ان الله تعالى لا يرضى منهم الكفر ويذكر لهم امر الثواب والعقاب والترغيب والترهيب

فصل اذهب الى فرعون انه طغى ذكر المذهوب اليه في قوله اذهب انت واخوك باياتي يحتمل ان يكون كل واحد منهما مامورا بالذهاب على الانفراد فقيل مرة اخرى اذهب انت واخوك باياتي يحتمل ان يكون كل واحد منهما ليعرف ان المراد منه ان يشتغلا بذلك جميعا لا ان ينفرد به احدهما دون الاخر والثاني ان قوله اذهب انت واخوك باياتي امر بالذهاب الى كل الناس من بني اسرائيل وقوم فرعون ثم قوله اذهبا الى فرعون امر بالذهاب الى فرعون وحده فيكون هذا ابيد بعد بل الذهاب متوجهان لشي واحد وهو فرعون وقد حذف من كل من الذهابين ما اثبته في الاخر وذلك انه حذف المذهوب اليه من الاول واثبته في الثاني وحذف المذهوب به وهو ما ياتي من الثاني واثبته في الاول فان قيل قوله اذهبا الى فرعون خطاب مع موسى وهرون عليهما السلام ولم يكن حاضرا هناك وكذا في قوله تعالى ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى واجاب القفال بوجوه احدها ان الكلام كان مع موسى الا انه كان متبوع هارون فجعل الخطاب معه خطابا مع هارون وكلام هرون على سبيل التقدير بالخطاب في تلك الحالة وان كان مع موسى عليه السلام وحده الا ان الله تعالى اضافه اليهما كما في قوله واذ قتلتم نفسا فادارتم فيها وقوله لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي القايل هو عبد الله بن ابي وحده وثانيهما يحتمل ان الله تعالى خاطبهما بقوله اذهبا الى فرعون وثالثها حكى في مصحف ابن مسعود قال ربنا اننا نخاف اي انا واخي قوله فقولا له قولا لينا قرا ابو معاذ قولا لينا وهو تخفيف من لين كميت وميت وقوله لعله فيه اوجه احدها ان لعل على بابها من الترجي وذلك بالنسبة الى المرسل وهو موسى وهرون اي اذهبا على رجايكما وطمعكما في انه اذهبا مترجيين لها معين وهذا معنى قول الزمخشري ولا يستقيم ان يرد ذلك في حق الله تعالى اذ هو عالم بعواقب الامور وعن سيبويه كلما اورد في القران من لعل وعسى فهو من الله واجب يعني انه يستحيل بقا معناه في حق الله تعالى والثاني ان لعل بمعنى كي فتنفيد العلية وهذا قول الفرا قال كما يقال اعمل لعلك تاخذ اجرك اي تاخذ والثالث انها استفهامية اي هل يتذكر او يخشى وهذا قول ساقط وذلك انه يستحيل الاستفهام في حق الله تعالى كما يستحيل الترجي واذا كان لا بد من التاويل فجعل اللفظ على ما يقوله بانبيا اولى من اخراجه عنه فان قيل لما ذا امر الله تعالى باللين مع الكافر الجاحد فالجواب من وجهين احدهما انه كان قد ربى موسى عليه السلام فامره ان يخاطبه بالرفق رعاية لتلك الحقوق وهذا تنبيه على نهاية تعظيم حق الابوين الثاني ان من الجبابرة عادة اذا اغلظ لهم الوعظ ان يزدادوا عتوا وتكبرا والمقصود من البعثة النفع لا حصول زيادة الضرر فلهذا امر الله تعالى بالرفق لعله يتذكر او يخشى اي يتعظ ويخاف

فصل اختلفوا في ذلك القول اللين فقال ابن عباس لا تعنفا في قولكما وقال السدي وعكرمة كنياه فقولا له يا ابا العباس وقيل يا ابا الوليد وقيل مقاتل القول اللين هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى وقولهما انا رسول ربك الى قوله والسلام على من اتبع الهدى وقال السدي القول اللين اي موسى اتاه ووعده على قبول الايمان شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع منه الا بالموت وتبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فاعجبه ذلك وكان لا يقطع امرا دون هامان وكان غايبا فلما قدم اخبره بالذي دعاه اليه موسى قال اردت ان اقبل منه فقال له هامان كنت ارى لك عقلا ورايا انت رب تريد ان تكون مربوبا وانت تعبد تريد ان تعبد فقلبه عن رايه

فصل قال ابن الخطيب هذه التكاليف الا الله تعالى لما علم انه لا يومن قط كان ايمانه ضدا لذلك العلم الذي يمتنع زواله فيكون سبحانه عالما بامتناع ذلك الايمان واذا كان عالما بذلك فكيف امر موسى بذلك الرفق وكيف بالغ في الامر بتلطف دعوته الى الله تعالى مع علمه باستحالة حصول

ذلك منه ثم ذهبت المعتزلة بنا زعموا في هذا الامتناع من غير ان يذكروا شبهة قادحة في هذا السوال ولكنهم سلموا انه كان عالما بانه لا يحصل ذلك الايمان وسلموا ان فرعون لا يستفيد ببعثه موسى عليه السلام الا استحقاق العذاب والرحيم الكريم كيف يليق به ان يدفع سكينا الى من علم قطعا انه يمزق به بطن نفسه ثم يقول اني ما اردت السكين اليه الا لاحسان اليه يا اخي العقول قاصرة عن معرفة هذه الاسرار ولا سبيل فيها الا التسليم وترك الاعتراض والسكوت بالقلب واللسان ويروى عن كعب انه قال والذي يحلف به كعب انه لمكتوب في التوراة فقولا له قولا لينا وسافتي قلبه فلا يومن قوله قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قد تقدم ان هرون لم يكن حاضرا هناك فكيف قالا ربنا وقد تقدم جوابه فان قيل ان موسى عليه السلام قال رب اشرح لي صدري وعين له ذلك الامر فكيف قال بعده اننا نخاف فان حصول الخوف يمنع من حصول شرح الصدر فالجواب شرح الصدر عن قوته على ضبط الاوامر والثواب وحفظ تلك الشرايع على وجه لا يتطرق اليها السهو والتحريف وذلك شي اخر غير زوال الخوف فان قيل اما علم موسى وهرون عليهما السلام وقد حملهما الله تعالى الرسالة انه تعالى يومنهما من القتل فالجواب قد امنا ذلك وان جوزا ان ينالهما السوء قبل تمام الامر وبعده وايضا فانما استظهرا بذلك سوالا ربهما ما يزيد في ثبات قلوبهما على دعايه وذلك بان ينضاف الدليل النقلي الى العقلي زيادة في الطمانينة كما في قوله تعالى ولكن ليطمين قلبي فان قيل لما تكررت الاوامر من الله تعالى بالذهاب فتقدم الذهاب والتعلل بالخوف هل يدل على المعصية فالجواب ان اقتضى الامر الفور كان ذلك من اقوى الدلايل على المعصية لا سيما وقد الزم الله تعالى من انواع التشريف وتقوية القلب وازالة الغم ولكن الامر لا يقتضي الفور اذا ضمت اليه ما يدل على ان المعصية غير جايزة على الرسل قوله ان يفرط علينا ان يفرط مفعول يخاف ويقال فرط يفرط سبق وتقدم ومنه الفارط وهو الذي يتقدم الواردة الى الماء وفرس فرط يسبق الخيل اي نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها قال الزمخشري ومن ورود الفارط بمعنى المتقدم على الواردة قول الشاعر

واستعجلونا وكانوا من صحابتنا • كما تقدم فراط لوراد

وفي الحديث انا فرطكم على الحوض اي سابقكم ومتقدمكم ويحيى بن وثاب وابن محيصن وابو نوفل يفرط بضم حرف المضارعة وفتح الراء على البناء للمفعول والمعنى خافا ان يسبق في العقوبة اي يحمل حامل عليها وعلى المعاجلة بها اما قومه واما الشيطان واما حب الرياسة واما ادعا في الالهية وقرا ابن محيصن في رواية والزعفراني ان يفرط بضم حرف المضارعة وكسر الراء من افرط قال الزمخشري من افرط غيره اذا حمله على العجلة خافا ان يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب وقال كعب بن زهير

تنفي الرياح القذا عنه وافرطه • من صوب سارية بيض يعاليل

اي سبقت اليه هذه البيض لتملاه وفاعل يفرط ضمير فرعون وهذا هو الظاهر الذي لا ينبغي ان لا يعدل عنه وجعله ابو البقا مضمرا لدلالة الكلام عليه فقال فيجوز ان يكون التقدير ان يفرط علينا منه قول فاضمر القول لدلالة الحال عليه كما يقول فرط مني قول وان يكون الفاعل ضمير فرعون كما قال انه طغى

فصل قال ابن عباس يفرط علينا يعجل علينا بالقتل والعقوبة يقال فرط عليه فلان اذا عجل بمكروه وفرط منه امر اي بدل وسبق او ان يطغى يجاوز الحد بالتخطي بان يقول فيك ما لا ينبغي بجراته عليك واعلم ان من امر بشي فحاول دفعه لاعذار يذكرها فلان يختم كلامه بما هو الاقوى كما ان الهدهد يختم عذره بقوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فكذا هنا بدا موسى بقوله ان يفرط علينا وختم بقوله او ان يطغى لما كان طغيانه في حق الله تعالى اعظم من افراطه في حق موسى وهرون قوله قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى اي لا تخافا ما عرض في قلبكما من الافراط والطغيان لان ذلك هو المفهوم من الكلام لانه تعالى لم يومنهما من الرد ولا من التكذيب بالايات ومعارضة السحرة وقوله انني معكما اي بالحراسة والحفظ وقوله اسمع وارى قال ابن عباس اسمع دعاكما فاجيبه وارى ما يراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلا تهتما وقال القفال قوله اسمع وارى يحتمل ان يكون مقابلا لقوله يفرط علينا او ان يطغى يفرط علينا بان لا يسمع منا او ان يطغى بان يقتلنا فقال الله تعالى انني معكما اسمع كلامكما فاسخره للاستماع منكما وارى افعاله ولا اتركه حتى يفعل بكما ما تكرهانه واعلم ان مفعول اسمع وارى

محذوف تقديره واسمع اقوالكما واري افعالكما وعن ابن عباس اسمع جوابه لكما واري ما يفعل
بكما ويكون من حذف الاقتصار عن جبي ويبت قوله فاتياه اعاد التكليف المتقدم فقال فاتياه
فقولا وذلك انه تعالي قال اولا اذهبا الي فرعون وثانيا قال اذهب انت واخوك وثالث
اذهب الي فرعون ورابعا قال ههنا فاتياه فان قيل انه تعالي امرهما بان يقولا له قولا لينا
وههنا امرهما بان يقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرايل ولا تعذبهم وفي هذا تغليظ من
وجوه الاول قولهما انا رسولا ربك وهذا يقتضي انقياده لهما والتزامه لطاعتهما وذلك يعظم
على الملك المتبوع والثاني قوله فارسل معنا بني اسرايل فيه ادخال النقص على ملكه لانه
كان محتاجا اليهم فيما يريده من الاعمال وايضا امرهم له بالارسال يقتضي وجوب الطاعة والانقياد
فيصير تحت امرهم والثالث نهيهم له بقولهم ولا تعذبهم والرابع قوله قد جيناك باية من ربك
والفايدة في القول اللين اولا والتغليظ ثانيا فالجواب ان الانسان اذا اظهر اللجاجة فلا بد
من التغليظ فان قيل اليس ان الاولي ان يقول انا رسولا ربك قد جيناك باية فارسل معنا
بني اسرايل ولا تعذبهم لان ذكر المعجز مقرونا بادعا الرسالة اولي من تاخيره فالجواب على هذا اولي
لانهم ذكروا المجموع الدعاوي ثم استدلوا على ذلك المجموع بالمعجز وقوله قد جيناك باية من ربك
قال الزمخشري هذه الجملة جارية من الجملة الاولي وهي انا رسولا ربك مجري البيان والتفسير
لان دعوي الرسالة لا تثبت الا ببينتها التي هي مجي الاية فان قيل ان الله تعالي اعطاه ايتين
وهما العصا واليد ثم قال اذهب انت واخوك وذلك يدل على الثلاث ايات وقال هنا جيناك باية
وذلك يدل على انها كانت واحدة فكيف الجمع اجاب القفال بان معني الاية ههنا الاشارة الي جنس
الايات كانه قال قد جيناك ببيان من عند الله ثم يجوز ان يكون ذلك حجة واحدة او حججا كثيرة
وقال غيره المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوي ببرهانها فكانه قيل قد جيناك بمعجزة وبرهان
وحجة على ما ادعينا من الرسالة كقوله قد جيتكم ببينة من ربكم وقوله فات باية ان كنت من
الصادقين وقوله اولو جيتك بشي مبين وتقدم الجواب عن التثنية والجمع وان في العصا
واليد ايات قوله والسلام على من اتبع الهدي يحتمل ان يكون تسليما منهما لم يومرا بقوله فتكون
الجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب قال بعضهم ان على بمعني اللام اي والسلام لمن اتبع الهدي
كقوله لهم اللعنة ولهم سوء الدار وقال تعالي من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها وقال
ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها وهذا وعد منهما لمن امن وصدق بالسلام له من العقوبات
في الدنيا والاخرة والسلام بمعني السلامة كما يقال رضاع ورضاعة وقيل هذا من كلام الله تعالي
كانه قال فقولا انا رسولا ربك وقولا له والسلام على من اتبع الهدي وليس المراد منه التحية انما
معناه سلم من عذاب الله من اسلم **فصل** قوله ارسل معنا بني اسرايل خل عنهم
واطلقهم عن اعمالك ولا تعذبهم لا تتعبهم في العمل وكان فرعون يشغلهم في الاعمال الشاقة قوله
انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولي هذه الاية من اقوي الدلايل على ان عقاب
المومن لا يدوم لان الالف واللام للاستغراق او لفايدة الماهية وعلى التقديرين يقتضي ه
انحصار هذا الجنس فيمن كذب وتولي فوجب ان لا يحصل لغير المكذب المتولي وظاهر هذه الاية
يقتضي القطع بانه لا يعاقب احد من المومنين تركنا العمل به في بعض الاوقات فوجب ان يبقي على
اصله في نفي الدوام كانه لا عقاب فلذلك يحسن مع حصول ذلك القدر ولان العقاب المتناهي
اذا حصل بعده السلامة مرة غير متناهية صار ذلك العقاب كانه لا عقاب فلذلك يحسن مع
حصول ذلك القدر ان يقال انه لا عقاب وايضا فقوله والسلام على من اتبع الهدي يقتضي حصول
السلامة لكل من اتبع الهدي اذا فسرنا السلام بالسلامة والعارف بالله قد اتبع الهدي فوجب
ان يكون صاحب السلامة ومعني الاية انما يعذب الله من كذب بما جيناه به واعرض قوله ان
العذاب ان وما في حيزها في محل الرفع لقيامه مقام الفاعل الذي حذف في اوحي الينا وسبب
بنايه للمفعول خوفا ان يبدر من فرعون بادرة لمن اوحي لو سماه فطوي ذكره تعظيما له
واستهانة بالمخاطب قال فمن ربكما يا موسي نادي موسي وحده بعد مخاطبتهما جميعا اما لان
موسي هو الاصل في الرسالة وهرون تبع وردء ووزير واما لان فرعون كان لخبثه يعلم الرثة
التي في لسان موسي ويعلم فصاحة اخيه بدليل قوله واخي هرون هو افصح مني لسانا وقوله ولا

يكاد

يكاد يبين فاراد استنطاقه دون اخيه واما لانه حذف المعطوف للعلم به اي يا موسي وهرون
قاله ابو البقا وبدا به وقد يقال حسن الحذف كون موسي فاصلة لا يقال كان ينبغي في ذلك ان يقدم
هرون ويوخر موسي فيقال يا هرون وموسي فتحصل مجانسة الفواصل من غير حذف لان بدا
موسي اهم وهو المبدو به واعلم ان في الكلام حذفا لانه لما قال فاتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل
معنا بني اسرايل الي قوله ان العذاب على من كذب وتولي امر من الله تعالي لموسي بان يقول
لفرعون ذلك الكلام والتقدير فذهبا الي فرعون فقالا له ذلك فقال مجيبا لهما قوله اعطي
كل شي خلقه في هذه الاية وجهان احدهما ان يكون كل شي مفعولا اول وخلقه مفعولا ثانيا
على معني اعطي كل شي شكله وصورته التي تطابق المنفعة المنوطة به كما اعطي العين الهية التي
تطابق الابصار والاذن الشكل الذي يطابق الاسماع ويوافقه وكذلك اليد والرجل واللسان
قاله مجاهد واعطي كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين
والناقة والبعير والرجل والمراة ولم يزاوج شي منها غير جنسه ولا ما هو مخالف لخلقه وقيل
المعني واعطي كل شي مما خلق خلقته وصورته على ما يناسبه من الاتقان لم يجعل خلق الانسان
في خلق البهايم ولا بالعكس بل خلق كل شي فقدره تقديرا الثاني ان يكون كل شي مفعولا ثانيا
وخلقه هو الاول مقدم الثاني عليه والمعني اعطي خليقته كل شي يحتاجون اليه ويرتفقون
به وقرا عبد الله والحسن والاعمش وابو نهيك وابن ابي اسحاق ونصير عن الكسايي وجماعة
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق بفتح اللام فعلا ماضيا وهذه الجملة في هذه
القراة يحتمل ان تكون منصوبة المحل صفة لكل او في محل جر صفة لشي وهذا معني قول الزمخشري
صفة للمضاف يعني كلا او للمضاف اليه يعني شي والمفعول الثاني على هذه القراة محذوف
فيحتمل ان يكون حذفه حذف اختصار للدلالة عليه اي اعطي كل شي خلقه ما يحتاج اليه ويصلحه
او كمله ويحتمل ان يكون حذفه حذف اقتصار والمعني ان كل شي خلقه الله لم يخله من انعامه
وعطاياه **فصل** اعلم ان فرعون كان شديد القوة عظيم الغلبة كثير العسكر ثم ان
موسي لما دعاه الي الله لم يبطش به ولم يوذه بل خرج معه في المناظرة لانه لو اذاه لنسب الي
الجهل والسفاهة فاستنكف من ذلك وشرع في المناظرة وذلك يدل على ان السفاهة من غير
حجة شي لم يرتضه فرعون مع كمال جهله وكفره فكيف يليق ذلك بمن يدعي الاسلام والعلم
ثم ان فرعون لما سال موسي عليه السلام عن ذلك قبل موسي ذلك السوال واشتغل باقامة
الدلالة على وجود الصانع وذلك يدل على فساد التقليد ويدل ايضا على فساد قول من الذين
يقولون نستفيد معرفة الاله من قول الرسول لان موسي عليه السلام اعترف ههنا بان معرفة
الله يجب ان تكون مقدمة على معرفة الرسول ودلت الاية ايضا على انه يجوز حكاية المبطل
لانه تعالي حكي كلام فرعون في انكاره الاله وحكي شبهات منكري النبوة وشبهات منكري
الحشر الا انه يجب ان يذكر الجواب مقرونا بالسوال كما فعله الله تعالي في هذه المواضع لئلا يبقي
الشك ودلت الاية على ان المحق يجب عليه استماع كلام المبطل ويجيب عنه من غير ايذا ولا ايحاش
كما فعل موسي عليه السلام بفرعون ههنا ولقوله ادع الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وقال وان احد من المشركين استجارك فاجره حتي يسمع كلام الله **فصل** قال
بعضهم ان فرعون كان عارفا بالله تعالي الا انه كان يظهر الانكار تكبرا وتجبرا لقوله لقد
علمت ما انزل هولا الا رب السموات والارض فيمن نصب التا في علمت كان ذلك خطابا لموسي
عليه السلام مع فرعون وذلك يدل على ان فرعون كان عالما بذلك ولقوله وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا ولانه لو لم يكن عاقلا لم يجز تكليفه والعاقل يعلم بالضرورة انه وجد بعد
العدم ومن كان كذلك افتقر الي مدبر وهذان العلمان الضروريان يستلزمان العلم بوجود
المدبر لان قول موسي عليه السلام ربنا الذي اعطي كل شي خلقه ثم هدي يقتضي ذلك لان
كلمة الذي تقتضي وصف المعرفة بجملة معلومة عند المخاطب وايضا فان ملك فرعون لم
يجاوز القبط ولم يبلغ الشام ولما هرب موسي الي مدين قال له شعيب لا تخف انك من الامنين
فمع هذا كيف يعتقد انه اله العالم وقال اخرون انه كان جاهلا بربه واتفقوا على ان العاقل
لا يجوز ان يعتقد في نفسه انه خالق هذه السموات والارض والشمس والقمر وانه خالق نفسه

لانه يعلم بالضرورة عجزه عنها ويعلم بالضرورة انها كانت موجودة قبله فيحصل له العلم الضروري بانه ليس موجدها ولا خالقها واختلفوا في كيفية جهله بالله تعالى فيحتمل انه كان دهريا نافيا للمدبر ويحتمل انه كان نافيا للعلة المرجحة ويحتمل انه كان من عبدة الكواكب ويحتمل انه كان من الاولية وانما ادعا الربوبية لنفسه بمعنى انه يجب عليهم طاعته والانقياد له

فصل قال ههنا فمن ربكما يا موسى وقال في سورة الشعراء وما رب العالمين وهو سوال عن الماهية فهما سوالان مختلفان والواقعة واحدة والاقرب ان يقال سوال اما لانه كان يقول انا الله والرب فقال فمن ربكما فلما قام موسى الدلالة على الوجود وعرف انه لا يمكنه ان يقاومه في هذا المقام لظهوره وجلايه عدل الى طلب الماهية وهذا تنبيه على انه كان عالما بالله لانه ترك المنازعة في هذا المقام لعلمه بغاية ظهوره وشرع في المقام الصعب لان العلم بماهية الله تعالى غير حاصل للبشر

فصل قال فمن ربكما ولم يقل الهكما لانه اثبت نفسه ربا في قوله الم نربك فينا وليدا يذكره ذلك على سبيل التعجب كان قال انا ربك فلم تدع ربا اخر وهذا يشبه كلام نمرود حين قال له ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود وانا احيي واميت ولم تكن الاحيا والاماتة التي ذكرها ابراهيم هي التي عارضه نمرود بها في اللفظ فكذا ههنا لما ادعى موسى عليه السلام ربوبية الله تعالى ذكر فرعون هذا الكلام اي انا الرب الذي ربيتك ومعلوم ان الربوبية التي ادعاها موسى عليه السلام لله تعالى غير هذه الربوبية في المعنى ولانه لا مشاركة بينهما الا في اللفظ

فصل استدل موسى عليه السلام على اثبات الصانع باحوال المخلوقات وهو قوله ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى وهذه الدلالة هي التي ذكرها الله تعالى لمحمد عليه السلام في قوله سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى وقال ابراهيم عليه السلام فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين واعلم ان الخلق عبارة عن تركيب القوالب والابدان والهداية عبارة عن ابداع القوى المدركة والمحركة في تلك الاجسام فالخلق مقدم على الهداية كما قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى ان قال ثم انشاناه خلقا اخر واعلم ان عجايب حكمة الله تعالى في الخلق والهداية بحر لا ساحل له ولنذكر منه امثلة احدها ان الطبيعي يقول الثقيل هابط والخفيف صاعد واثقل الاشيا الارض ثم الما واخفها النار ثم الهوا فلذلك وجب ان تكون النار اعلى العنصريات والارض اسفلها ثم انه تعالى قلب في خلقة الانسان فجعل اعلا الاشياء منه الشعر والعظم وهما ايبس ما في البدن وهما بمنزلة الارض ثم جعل تحته الدماغ الذي هو بمنزلة الما وجعل تحته النفس الذي هو بمنزلة الهوا وجعل تحته الحرارة الغريزية التي في القلب وهي بمنزلة النار فجعل مكان الارض من البدن الاعلى وجعل مكان النار من البدن الاسفل ليعلم ان ذلك بتدبير القادر الحكيم لا باقتضاء العلة والطبيعة وثانيها انك اذا نظرت عجايب النحل في تركيب البيوت المسدسة وقسمتها وعجايب احوال البق والبعوض في اهتدايها الى مصالح انفسها لعرفت ان ذلك لا يمكن الا بالهام مدبر عالم بجميع المعلومات وثالثها انه تعالى هو الذي انعم على الخلايق بما فيه قوامهم من المطعوم والمشروب والملبوس والمنكوح ثم هداهم الى كيفية الانتفاع بها فيستخرجون المعادن من الجبال واللالي من البحار ويركبون الادوية والدرياقات النافعة ويجمعون بين الاشيا المختلفة ويستخرجون لذيذ الاطعمة فذلك دلت على انه تعالى هو الذي خلق الاشيا المختلفة ثم اعطاهم العقول التي بها يتوصلون الى كيفية الانتفاع بها وليس هذا مختص بالانسان بل عام في جميع الحيوانات فاعطى الانسان انسانه والحمار حماره والبعير ناقته ثم هداه لها الى وجه التناسل وهدى الاولاد لثدي الامهات بل هذا غير مختص بالحيوانات بل هو حاصل في اعضايها فخلق اليد على تركيب خاص واودع فيها قوة الاخذ وخلق الرجل على تركيب خاص واودع فيها قوة المشي وكذا العين والاذن وجميع الاعضا ثم ربط البعض بالبعض على وجه يحصل من ارتباطها مجموع واحد هو الانسان وانما دلت هذه الاشيا على وجود الصانع لان اتصاف كل جسم من هذه الاجسام بتلك الصفة يعني التركيب والقوة الهادية اما ان يكون واجبا او جايزا والاول باطل لانا نشاهد تلك الاجسام بعد الموت منفكة عن ذلك التركيب والقوى فدل على ان ذلك جايز والجايز لا بد له من مرجح وليس ذلك المرجح هو الانسان ولا ابواه لان فعل ذلك يستدعي

قدره عليه وعلما بما فيه من المصالح والمفاسد والامران فايتان عن الانسان لانه بعد كمال عقله يعجز عن تغيير شعرة واحدة وبعد البحث الشديد عن كتب التشريح لا يعرف من منافع الاعضا ومصالحها الا القدر القليل فلا بد وان يكون المتولي لتدبيرها وترتيبها موجودا اخر وذلك الموجود لا يجوز ان يكون جسما لان الاجسام متساوية في الجسمية فاختصاص ذلك الجسم بتلك المؤثرية لا بد وان يكون جايزا فيفتقر الى سبب اخر والدور والتسلسل محالان فلا بد من انتهايها في سلسلة الحاجة الى مدبر ليس بجسم ولا جسماني ثم ذلك المؤثر اما ان يكون بالذات او بالاختيار والاول محال لان الموجب لا يميز مثلا عن مثل وهذه الاجسام متساوية في الجسمية فلم اختص بعضها بالصورة الفلكية وبعضها بالصورة العنصرية وبعضها بالنباتية وبعضها بالحيوانية فثبت ان المؤثر والمدبر قادر والقادر لا يمكنه مثل هذه الافعال العجيبة الا اذا كان عالما ثم ان هذا المدبر الذي ليس بجسم ولا جسماني لا بد وان يكون واجب الوجود في ذاته وصفاته والا لافتقر الى مدبر اخر ولزم التسلسل وهو محال فاذا كان واجب الوجود في قادريته وعالميته والواجب لذاته لا تخصيص لبعض الممكنات دون البعض فوجب ان يكون عالما بكل ما صح ان يكون معلوما وقادرا على كل ما صح ان يكون مقدورا فظهر بهذه الدلالة التي تمسك بها موسى وقررها استناد العالم الى مدبر ليس بجسم ولا جسماني وهو واجب الوجود في ذاته وصفاته عالم بكل المعلومات قادر على كل المقدورات وذلك هو الله سبحانه وتعالى قوله فما بال القرون الاولى البال الفكر يقال خطر ببالي كذا ولا يثنى ولا يجمع وشذ جمعه على بالات ويقال للحال المكترث به بال وكذا ما في قولهم ليس بالبال والاصل بالي كعام فيه فحذفت لامه تخفيفا

فصل قال المفسرون البال الحال اي ما حال القرون الماضية والامم الخالية كقوم نوح وعاد وثمود في ارتباط هذا الكلام بما قبله وجوه الاول ان موسى عليه السلام لما قرر امر المبدا قال فرعون ان كان اثبات المبدا ظاهرا الى هذا الحد فما بال القرون الاولى ما اثبتوه بل تركوه فكان موسى عليه السلام لما استدل على اثبات الصانع بالدلالة القاطعة قدح فرعون في تلك الدلالة بقوله ان كان على ما ذكرت من قوة الدلالة وجب على اهل القرون الماضية ان لا يغفلوا عنه فعارض الحجة بالتقليد الثاني ان موسى عليه السلام لما هدده بالعذاب في قوله ان العذاب على من كذب وتولى قال فرعون فما بال القرون الاولى فانها كذبت ولم يعذبوا الثالث وهو الاظهر ان فرعون لما قال فمن ربكما يا موسى فذكر موسى عليه السلام دليلا ظاهرا على صحة دعواه فقال ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى خاف فرعون ان يزيد في تلك الحجة فيظهر للناس صدقه وفساد طريق فرعون فاراد ان يصرفه عن ذلك الكلام ويشغله بالحكايات فقال فما بال القرون الاولى فلم يلتفت موسى عليه السلام الى ذلك الحديث وقال علمها عند ربي في كتاب ولا يتعلق غرضي باحوالهم ولا اشتغل بها ثم عاد الى تتميم كلامه الاول وابراز الدلايل الباهرة على الوحدانية فقال الذي جعل لكم الارض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وهذا الوجه هو المعتمد في صحة التكلم فان قيل العلم الذي عند الرب كيف يكون في الكتاب وذلك ان علم الله صفة قايمة فتكون صفة الشي حاصلة في كتاب غير معقول فذكروا في الجواب وجهين الاول معناه انه تعالى اثبت تلك الاحكام في كتاب عنده ليكون ما كتبه فيه ظاهرا للملايكة فيكون ذلك زيادة لهم في الاستدلال على انه تعالى عالم بكل المعلومات منزه عن السهو والغفلة وللقايل ان يقول قوله في كتاب يوهم احتياجه سبحانه في العلم الى ذلك الكتاب وهذا وان كان غير واجب لا محالة ولكنه لا اقل من ان يوهم في اول الامر لا سيما للكافر فكيف يحسن ذكره مع تقاده مثل فرعون في وقت الدعوة الوجه الثاني ان يفسر ذلك بان بقا تلك المعلومات في علمه سبحانه كبقا المكتوب في الكتاب فيكون الغرض من هذا الكلام تاكيد القول بان اسرارها معلومة لله تعالى بحيث لا يزول شي منها عن علمه ويوكد هذا التفسير قوله بعد ذلك لا يضل ربي ولا ينسى وقيل انما رد موسى علم ذلك الى الله لانه لم يعلم ذلك فان التورية انزلت بعد هلاك فرعون والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ قوله علمها عند ربي في خبر هذا المبتدا وجوه احدها انه عند ربي وعلى هذا فقوله في كتاب متعلق بما تعلق به الظرف من الاستقرار او متعلق بمحذوف على انه حال من الضمير المستتر في الظرف او خبر ثان الثاني ان الخبر قوله في كتاب فعلى هذا قوله عند ربي معمول للاستقرار الذي تعلق به في كتاب كما تقدم في عكسه او يكون حالا من الضمير المستتر في الجار الواقع خبرا وفيه خلاف اعني تقديم الحال على عاملها المعنوي والاخفش يجيزه ويستدل بقراة

السموات مطويات بيمينه وقوله رهط بن كور محقبي ادراعهم منهم ورهط ربيعة بن حذار
وقال بعض النحويين انه كان العامل معنويا والحال ظرف او عديد وحسن التقديم عند الاخفش
وغيره وهذا امتداد او يكون ظرفا للعلم نفسه او يكون حالا من المضاف اليه وهو الضمير في علمها ولا يجوز
ان يكون في كتاب متعلقا بعلمها على قولنا ان عند ربي الخبر كما جاز تعلق عندي به ليلا يلزم منه
الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي وقد تقدم انه لا يخبر عن الموصول الا بعد تمام صلته الثالث ان
يكون الظرف وحرف الجر معا خبرا واحدا في المعنى فيكون بمنزلة هذا حلو حامض والضمير في علمها
فيه وجهان قال ابو البقا وفيه تطراد كل منهما بفايدة الخبرية بخلاف هذا حلو حامض والضمير في
علمها فيه وجهان اظهرهما عوده على القرون والثاني عوده على القيمة لانه لما ذكر القرون على ذلك
لانه سال عن مبعث الامم والبعث يدل على القيامة قوله لا يضل ربي في هذه الجملة وجهان
احدهما انها في محل جر صفة لكتاب والعايد محذوف تقديره في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى حفظه
ربي فربي فاعل يضل على هذا التقدير وقيل تقديره الكتاب ربي فيكون في يضل ضمير يعود
على كتاب وربي منصوب على المعظم وكان الاصل عن فحذف الحرف اتساعا يقال ضللت كذا وضللته
بفتح اللام وكسرها لغتان مشهورتان وشهراهما الفتح والثاني انها مستانفة لا محل لها من
الاعراب ساقها تبارك وتعالى لمجرد الاخبار بذلك حكاية عن موسى وقرا الحسن وقتادة والجحدري
وعيسى الثقفي وابن محيصن وحماد بن سلمة لا يضل بضم اليا اي لا يضل ربي الكتاب اي لا يضيعه
يقال اضللت الشي اذا ضيعته فربي فاعل على هذا التقدير وقيل تقديره لا يضل احد ربي عن
علمه اي علم الكتاب فيكون الرب منصوبا على المعظم وفرق بعضهم بين ضللت منزلي بغير الف
واضللت بعيري ونحوه من الحيوانات بالالف نقل ذلك الرماني عن العرب وقال الفرا يقال
ضللت الشي اذا اخطات في مكانه لغتان وضللت لغتان فلم يهتد له كقولك ضللت الطريق
والمنزل ولا يقال اضللته الا اذا اضاع منك كالدابة انفلتت وشبهها قوله ولا ينسى في فاعل
ينسى قولان احدهما انه عايد على ربي اي ولا ينسى ربي ما اثبته في الكتاب والثاني ان الفاعل
ضمير عايد على الكتاب على سبيل المجاز كما اسند اليه الاحصا مجازا في قوله الا احصاها كان محل
للاحصا

فصل قال مجاهد في قوله تعالى لا يضل ربي ولا ينسى ان معنى اللفظين
واحد اي لا يذهب عليه شي ولا يخفى عنه وفرق الاكثرون بينهما فقال القفال لا يضل عن
الاشيا ومعرفتها وما علم من ذلك لم ينسه فاللفظ الاول اشارة الى كونه عالما بكل المعلومات
وقوله ولا ينسى دليل على بقا ذلك العلم ابد الاباد وهو اشارة الى نفي التغير وقال مقاتل
لا يخطي ذلك الكتاب ربي ولا ينسى ما فيه وقال الحسن لا يخطي وقت البعث ولا ينساه وقال
ابو عمرو واصل الضلال الغيبوبة والمعنى لا يغيب عن شي ولا يغيب عنه شي وقال ابن جرير
لا يخطي في التدبير فيعتقد فيما ليس بصواب كونه صوابا واذا عرفه لا ينساه وكلها متقاربة
والتحقيق هو الاول واعلم ان فرعون لما سال موسى عن الاله فقال ربنا وكان ذلك
بسبيله الاستدلال اجاب بالصواب باوجز عبارة واحسن معنى ولما سال عن القرون الاولى
وكان ذلك مما سبيله الاخبار ولم ياته خبر في ذلك وكله الى عالم الغيوب قوله الذي جعل
في هذا الموصول وجهان احدهما انه خبر مبتدا مضمر ومنصوب باضمار امدح وهو على هذين
التقديرين من كلام الله تعالى لا من كلام موسى وانما احتجنا الى ذلك لان قوله فاخرجنا وقوله
كلوا وارعوا انعامكم وقوله منها خلقناكم الى قوله ولقد اريناه لا يتاتى ان يكون من كلام موسى
فلذلك جعلناه من كلام الباري تعالى ويكون فيه التفات من ضمير الغيبة الى ضمير المتكلم وهو
المعظم نفسه فان قلت اجعله من كلام موسى يعني انه وصف ربه تعالى بذلك ثم التفت الى
الاخبار عن الله بلفظ المتكلم قيل انما جعلناه التفاتا في الوجه الاول لان المتكلم واحد بخلاف
هذا فانه لا يتاتى فيه الالتفات المذكور واجرايه من كلام الله والثاني ان الذي صفة لربي
فيكون في محل رفع او نصب على حسب ما تقدم من الاعراب وفيه ما تقدم من الاشكال في نظم
الكلام من قوله فاخرجنا واخواته من عدم جواز الالتفات وان كان قد قال بذلك الزمخشري
والحوفي وقال ابن عطية ان كلام موسى تم عند قوله وانزل من السما ماء وان قوله فاخرجنا
الى اخره من كلام الله تعالى وفيه بعد وقرا الكوفيون مهدا بفتح الميم وسكون الها من غير الف

والباقون مهادا بكسر الميم وفتح الها والف بعدها وفيه وجهان احدهما قال المفضل انهما مصدران
بمعنى واحد يقال مهد تمهيدا ومهادا والثاني انهما مختلفان فالمهاد هو الاسم والمهد هو الفعل كالفرش
والفراش والمفراش المصدر والفراش اسم ما يفرش او ان مهادا جمع مهد نحو فرخ وافراخ وكعب وكعاب
ووصف الارض بالمهد اما مبالغة واما على حذف مضاف اي ذات مهد قال ابو عبيد الذي اختاره مهادا
وهو اسم والمهد الفعل وقال غيره المهد الاسم والمهاد الجمع كالفرش والفراش اجاب ابو عبيد بان الفراش
والفرش فعل قوله شتى فعلى والفه للتانيث وهو جمع شتيت نحو مرضى في جمع مريض وجرحى في جمع
جريح وقتلى في جمع قتيل يقال شت الامر شتا وشتاتا فهو شت اي تفرق وشتان اسم فعل
بمعنى ماض بمعنى افترق ولذلك لا يكتفى بواحد وفي شتى وجهان احدهما انها منصوبة نعتا لازواجا
اي ازواجا متفرقة بمعنى مختلفة الالوان والطعوم والثانية انها منصوبة على الحال من ازواجا
وجاز مجي الحال من النكرة لتخصيصها بالصفة وهي من نبات الثالث ان ينتصب على الحال ايضا من فاعل
الجار لانه لما وقع وصفا رفع ضميرا فاعلا الرابع انه في محل جر نعتا لنبات قال الزمخشري يجوز ان يكون
صفة لنبات ونبات مصدر سمي به النابت كما سمي به النبت واستوى فيه الواحد والجمع بمعنى انها شتى
مختلفة النفع والطعم واللون والرايحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها يصلح للبهايم
ووافقه ابو البقا ايضا والظاهر الاول قوله كلوا منصوب بقول محذوف وذلك القول منصوب
على الحال من فاعل اخرجنا تقديره فاخرجنا كذا قايلين كلوا وترك مفعول الاكل على حد تركه في
قوله تعالى وكلوا واشربوا وارعوا رعى يكون لازما ومتعديا يقال رعى دابته رعيا فهو راعيها
ورعت الدابة ترعى رعيا فهي راعية وجا في الاية متعديا والنهى فيه قولان احدهما انه جمع نهية كغرف
جمع غرفة والثاني انها اسم مفرد وهو مصدر كالهدى والسرى قاله ابو علي وقد تقدم اول الكتاب
انهم قالوا لم يات مصدر على فعل من المعتل اللام الا سرى وهدى وبكى وان بعضهم زاد لقى واستدعليه
بيتا وهذا لفظ اخر فيكون خامسا والنهى العقل قالوا سمي بذلك لانه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبايح

فصل لما ذكر موسى الدلالة الاولى وهي دلالة عامة تتناول جميع المخلوقات من الحيوان
والنبات والجماد ذكر بعده دلايل خاصة فقال الذي جعل لكم الارض مهادا اي جعلها حيث يتصرف
العباد وغيرهم عليها بالنوم والقعود والقيام والزراعة وجميع المنافع المذكورة في تفسير قوله الذي
جعل الارض فراشا وسلك لكم فيها سبلا السلك ادخال الشي في الشي اي ادخل في الارض لاجلكم
طرقا تسلكونها قال ابن عباس سهل لكم فيها طرقا وانزل من السما ما تقدم الكلام فيه في البقرة
فاخرجنا به ازواجا تقدم ان هذا من كلام موسى تقديره يقول ربي الذي جعل كذا وكذا فاخرجنا
نحن معاشر عباده بذلك الما بالحراثة ازواجا من نبات وتقدم ان الصحيح انه من كلام الله تعالى
لان ما بعده لا يليق بموسى عليه السلام ولان اكثر ما في قدرته صرف المياه الى سقي الاراضي والحراثة
فاما اخراج النبات على اصناف طبايعه والوانه واشكاله فليس من موسى عليه السلام فثبت انه كلام
الله تعالى وقوله ازواجا اي اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة متفرقة بعضها مع بعض شتى مختلفة
الالوان والطعوم والمنافع بعضها يصلح للناس وبعضها للبهايم كلوا امر اباحة وارعوا انعامكم
تقول العرب رعيت الغنم فرعت اي اسيموا انعامكم ترعى ان في ذلك اي فيما انزلت من هذه النعم
لايات لعبرة او دلالات لاولي النهى لذوي العقول قال الضحاك لاولي النهى الذين ينتهون عما حرم
الله عليهم وقال قتادة لذوي الورع **قوله** تعالى منها خلقناكم الاية لما ذكر منافع الارض والسما
بين انها مخلوقة لذاتها بل لكونها وسايل الى منافع الاخرة فقال منها خلقناكم اي من الارض فان
قيل انما خلقنا من النطفة على ما بين في ساير الايات فالجواب من وجوه الاول انه لما خلق اصلنا
وهو ادم عليه السلام من تراب كما قال تعالى كمثل ادم خلقه من تراب حسن اطلاق ذلك علينا
الثاني ان تولد الانسان انما هو من النطفة ودم الطمث وهما يتولدان من الاغذية والغذا اما حيواني
او نباتي والحيواني ينتهي الى النباتي والنباتي انما يحدث من امتزاج الما والتراب فصح انه تعالى
خلقنا منها وذلك لا ينافي كوننا مخلوقين من النطفة الثالث روي ابن مسعود ان ملك الارحام
ياتي الى الرحم حين يكتب اجل المولود ورزقه والارض التي يدفن فيها وانه ياخذ من تراب تلك البقعة
وينثره على النطفة ثم يدخلها في الرحم ثم قال وفيها نعيدكم اي عند الموت والدفن ومنها نخرجكم تارة
اخرى يوم البعث قوله تعالى ولقد اريناه ايا تنا الاية هذه الروية بصرية فلما دخلت همزة النقل

تقدت بها الى اثنين اولها الها والثاني اياتنا والمعنى ابصرناه والاضافة هنا قايمة مقام التعريف
العهدي اي الايات المعروفة كالعصا واليد ونحوها والا فلم يري الله تعالى فرعون جميع اياته
وجوز الزمخشري ان يراد بها الايات على العموم بمعنى ان موسى عليه السلام اراه الايات التي بعث
بها وعدد عليه الايات التي جات بها الرسل قبله عليهم السلام صادق بين لا فرق بين ما يخبر عنه
وبين ما يشاهد به قال ابو حيان وفيه بعد لان الاخبار بشي لا يسمى روية له الا بمجاز بعيد وقيل
بل الروية هنا قلبية فالمعنى اعلمناه وايده ذلك انه لم يره الا العصا واليد فقط ومن جوز استعمال
اللفظ في حقيقته ومجازه او اعمال المشترك في معنييه يجيز ان يراد المعنيان جميعا وتاكيد الايات
بكلها يدل على ارادة العموم لانهم قالوا فايدة التوكيد بكل واخواتها رفع توهم وضع الخاص
موضع الاعم ولا يدعي انه اراد بالايات ما يدل على وحدانية الله وصدق المبلغ فاما الايات الدالة
على الوحدانية فقوله الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى وقوله الذي جعل لكم الارض مهادا الى
اخره وما ذكره في سورة الشعرا قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض
وما بينهما الايات واما الايات الدالة على صدق المبلغ فهي الايات التسع المختصة بموسى عليه
السلام وهي العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع وشق الجبل ومعنى
اريناه عرفناه صحتها واوضحنا له وجه الدلالة فيها وانما اضاف الايات الى نفسه سبحانه
وتعالى مع ان المظهر لها موسى لانه اجراها على يده كما اضاف نفخ الروح الى نفسه تعالى فنفخنا
فيها من روحنا مع ان النفخ كان من جبريل عليه السلام ولم يذكر مفعول التكذيب والابا لعظمه
له وهو معلوم **فصل** ولقد اريناه اياتنا يعني الايات التسع فكذب بها وزعم
انها سحر وابى ان يسلم فان قيل قوله كلها تفيد العموم والله تعالى اراه جميع الايات لان
من جملة الايات ما اظهرها على ايدي الانبيا قبل موسى عليه السلام وبعده فالجواب لفظ
الكل وان كان للعموم لكن قد يستعمل في الخصوص مع القرينة كما يقال دخلت السوق فاشتريت
كل شي او يقال ان موسى عليه السلام اراه اياته وعدد عليه ايات غيره من الانبيا فكذب بالكل
او يقال تكذيب بعض المعجزات تقتضي تكذيب الكل فحكى الله تعالى ذلك على الوجه الذي
يلزم وقال القاضي الابا الامتناع وانه لا يوصف به الا من كذب يتمكن من الفعل والترك ولانه
تعالى ذمه بانه كذب وبانه ابى وان لم يقدر على ما هو فيه لم يصح وهذا السوال وجوابه تقدم
في سورة البقرة في ابليس ابى واستكبر قوله اجيتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى وترك
هذه الشبهة يجب لانه القى في مسامعهم ما يصيرون مبغضين له جدا وهو قوله اجيتنا لتخرجنا
من ارضنا لان هذا مما يشق على الانسان في النهاية ولذلك جعل الله تعالى مساويا للقتل
في قوله اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ثم صار واقفا لكاية البغض له اورد الشبهة الطاعنة
في نبوته عليه السلام وهي ان ما جيتنا به سحر لا معجزة لما علم ان المعجز انما يتميز عن السحر بكون
المعجز ما يتعذر معارضته قال فلناتينك بسحر مثله قوله فلناتينك جواب قسم محذوف
تقديره والله لناتينك وقوله بسحر يجوز ان يتعلق بالاتيان وهذا هو الظاهر ويجوز ان يتعلق
بمحذوف على انه حال من فاعل الاتيان اي ملتبسين بسحر قوله موعدا يجوز ان يكون زمانا كقوله
ان موعدهم الصبح ويرجحه قوله موعدكم يوم الزينة والمعنى عين لنا وقت اجتماع ولذلك اجابهم
بقوله موعدكم يوم الزينة وضعفوا هذا بانه ينبو عنه قوله موعدكم يوم وبقوله لا نخلفه واجاب
عن قوله لا نخلفه بان المعنى لا نخلف الوقت في الاجتماع فيه ويجوز ان يكون مكانا والمعنى بين
لنا مكانا معلوما نعرفه نحن وانت فناتيه ويويده بقوله مكانا سوى قال فهذا يدل على انه
مكان وهذا ينبو عنه قوله موعدكم يوم الزينة ويجوز ان يكون مصدرا اي اجعل بيننا وبينك موعدا
لا نخلفه ويويد هذا قوله لا نخلفه نحن ولا انت لان الوعد هو الذي يصح وصفه بالخلف وعدمه
والى هذا نحا جماعة مختارين له ويرد عليهم بقوله موعدكم يوم الزينة فانه لا يطابقه وقال
الزمخشري ان جعلته زمانا نظرا في قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيان ان تجعل
الزمان مخلفا وان يعضل عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوى لزمك ايضا
ان يوقع الاخلاف على المكان وان لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراة الحسن غير مطابقة
له زمانا ومكانا جميعا لانه قرا يوم الزينة بالنصب فبقي ان يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف

محذوف اي مكان الوعد ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف فان قلت
فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد ان يجعله زمانا والسوال واقع عن المكان لا عن الزمان
قلت هو مطابق معنى وان لم يطابقه لفظا لانهم لا بد لهم ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر
باجتماعهم فيه ذلك الزمان فبذكر الزمان علم المكان واما قراة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير
والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطابق هذا ايضا من طريق المعنى ويجوز ان لا يقدر مضاف
محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه وقال ابو البقا هو هنا مصدر لقوله
لا نخلفه نحن ولا انت والجعل هنا بمعنى التصيير وموعدا مفعول اول والظرف هنا الثاني والجملة
من قوله لا نخلفه صفة لموعدا ونحن موكد مصحح للعطف على الضمير المرفوع المستتر في نخلفه
ومكانا بدل من المكان المحذوف كما قرره الزمخشري وجوز ابو علي الفارسي وابو البقا ان ينتصب
مكانا على المفعول الثاني لاجعل قال وموعدا على هذا مكان ايضا ولا ينتصب بموعد لانه مصدر
وقد وصف يعني انه يصح نصبه مفعولا ثانيا ولكن بشرطان يكون الموعد بمعنى المكان ليتطابق
المبتدا والخبر في الاصل وقوله ولا ينتصب بالمصدر يعني انه لا يجوز ان يدعي انتصاب مكانا بموعد
والمراد بالموعد المصدر وان كان جايزا من جهة المعنى لان الصناعة تاباه وهو وصف المصدر
والمصدر شرط اعماله عند عدم وصفه قبل العمل عند الجمهور وهذا الذي منعه الفارسي وابو
البقا جوزه الزمخشري وبدا به فقال فان قلت فبم ينتصب مكانا قلت بالمصدر وانما يدل
عليه المصدر فان قلت كيف يطابقه الجواب قلت اما قراة الحسن فظاهر واما على قراة العامة فعلى
تقدير وعدكم وعد يوم الزينة قال ابو حيان وقوله ان مكانا ينتصب بالمصدر ليس جايز لانه
قد وصف قبل العمل بقوله لا نخلفه وهو موصول والمصدر اذا وصف قبل العمل لم يجز ان
يعمل عندهم قال شهاب الدين الظروف والمجرورات يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها وفي المسالة
خلاف مشهور وابو القاسم نحا الى جواز ذلك وحصل الحق في انتصاب مكانا على الظرف وانتصابه
بالجعل فتحصل في نصب مكانا خمسة اوجه احدها انه بدل من مكانا المحذوف الثاني انه مفعول
ثان للجعل الثالث انه نصب باضمار فعل الرابع انه منصوب بنفس المصدر الخامس انه منصوب
على الظرف بنفس اجعل وقرا ابو جعفر وشيبة لا نخلفه بالجزم على جواب الامر والعامة بالرفع على
الصفة الموعد كما تقدم وقرا ابن عامر وحمزة وعاصم والحسن سوى بضم السين منونا وصلا والباقون
بكسرها فهما لغتان مثل عدى وعدى وطوى وطوى فالكسر والضم على انها صفة بمعنى مكان
عدل الا ان الصفة على فعل كثيرة نحو لبد وحطم وقليله على فعل وحكى سيبويه لحم ويم ومن نون
والحسن سوى اجرا الوصل مجرى الوقف ولا جايز ان يكون تنع صرفه للعدل على فعل كعمر لان ذلك
في الاعلام واما فعل في الصفات محصور فيه نحو عطم ولبد وقرا عيسى بن عمر سوى بالكسر من غير تنوين
وهي كقراة الحسن في التاويل وسوى معناه عدلا ونصفة قال الفارسي كانه قال قربه منكم قربه
منا قال الاخفش سوى مقصور ان كسرت سينه او ضممته وممدود ان فتحتها ثلاث لغات ويكون
فيها جميعا بمعنى غير وبمعنى عدل ووسط بين الفريقين قال الشاعر

• وان ابانا كان حل ببلدة • سوى بين قيس قيس عيلان •

والفزر قال وتقول مررت برجل سواك وسواك وسواك اي غيرك وتكون للجميع واعلا
هذه اللغات الكسر قاله النحاس وزعم بعض اهل اللغة والتفسير ان معنى مكانا سوى مستو
من الارض لا وعر فيه ولا حزونة **فصل** قال مقاتل وقتادة مكانا عدلا بيننا
وبينك وعن ابن عباس نصفا اي يستوي مسافة الفريقين اليه وقال مجاهد منصفا بيننا قال
الكلبي مكانا سوى هذا المكان الذي نحن فيه وقال ابن زيد مستويا لا يحجب العين ما فيه من
الارتفاع والانخفاض حتى يشاهد كل الحاضرين كل ما يجري وقيل سوى اي يستوي حالنا في الرضا
به قوله موعدكم يوم الزينة العامة على رفع يوم الزينة خبر الموعدكم فان جعلت موعدكم زمانا
لم يحتج الى حذف مضاف تقديره وعدكم وعد يوم الزينة وقرا الحسن والاعمش وعيسى وعاصم في بعض
طرقه وابو حيوة وابن ابي عبلة وقتادة والجحدري وهبيرة يوم بالنصب وفيه اوجه احدها ان
يكون خبر الموعدكم على ان المراد بالوعد المصدر اي وعدكم كاين في يوم الزينة كقولك القتال يوم كذا
والسفر كذا الثاني ان تكون موعدكم مبتدا والمراد به الزمان والضحى خبره على نية التقريب فيدل لان

ضحى ذلك اليوم بعينه قال الزمخشري ولم يبين ما الناصب ليوم الزينة ولا يجوز ان يكون منصوبا
بموعدكم على هذا التقدير لان مفعولا مرادا به الزمان او المكان لا يعمل وان كان مشتقا منه فتكون
الناصب له فعلا مقدرا واحده ابو حيان في قوله على نية التعريف قال لانه وان كان ضحى ذلك اليوم
بعينه فليس على نية التعريف بل هو نكرة وان كان من يوم بعينه لانه ليس معدولا عن الالف
واللام كسحر ولا هو معروف بالاضافة ولو قلت جيت يوم الجمعة بكرا لم يدع ان بكرا معرفة وان كنت
تعلم انه من يوم بعينه الثالث ان يكون موعدكم مبتدا والمراد به المصدر ويوم الزينة ظرف وضحى
منصوب على الظرف خبرا للموعد كما اخبر عنه في الوجه الاول بيوم الزينة نحو القتال يوم كذا قوله
وان يحشر الناس في محله وجهان احدهما الجر نسقا على الزينة اي موعدكم يوم الزينة ويوم
ان يحشر اي ويوم حشر الناس والثاني الرفع نسقا على يوم التقدير موعدكم يوم كذا وموعدكم ان
يحشر الناس اي حشرهم وقرا ابن مسعود والجحدري وابو نهيك وعمرو بن فايد وان تحشر الناس
مبنا للخطاب في تحشر وروي عنهم يحشر بيا الغيبة والناس نصب في كلتا القراتين على المفعولية
والضمير في القراتين لفرعون اي وان تحشر انت يا فرعون اي وان يحشر فرعون وجوز بعضهم ان
يكون الفاعل على ضمير اليوم في قراة الغيبة وذلك مجازا لما كان الحشر واقعا فيه نسب اليه نحو نهاره
صايم وليله قايم وضحى نصب على الظرف العامل فيه يحشر ويذكر ويونث والضحا بالمد والفتح
للضاد فوق الضحى لان الضحى ارتفاع النهار والضحا بعد ذلك وهو مذكر لا غير **فصل**
قال مجاهد وقتادة ومقاتل والسدي يوم الزينة كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون
في كل سنة وقيل هو يوم النيروز وقاله مقاتل وقال ابن عباس وسعيد بن جبير يوم
عاشورا واختلفوا في القايل موعدكم يوم الزينة فقيل هو فرعون بين الوقت قال القاضي
لان المطالب بالاجتماع هو فرعون والظاهر انه من كلام موسى لانه جواب لقول فرعون فاجعل
بيننا وبينك موعدا وايضا ان تعيين يوم الزينة يقتضي اطلاع الكل على ما سيقع فيه فتعيينه
انما يليق بالمحق الذي يعرف ان اليد له لا بالمبطل الذي يعرف انه ليس معه الا التلبيس وايضا
فقوله موعدكم خطاب للجميع فلو جعلناه من فرعون لموسى وهرون لزم اما حمله على التعظيم
وذلك لا يليق بحال فرعون معهما او على ان اقل الجمع اثنان وهو غير جايز اما لو جعلناه من موسى
الى فرعون وقومه استقام الكل وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه
وكبت الكافرين وزهوق الباطل على روس الاشهاد وفي المجمع الغاص لتكثر المحدث بذلك الامر
العجيب في كل بدو وحضر ويشيع في جميع اهل الوبر والمدر قال القاضي انه عين اليوم بقوله
يوم الزينة ثم عين من اليوم وقتا معينا بقوله وان يحشر الناس ضحى اي وقت الضحوة نهارا
جهارا قوله فتولى فرعون فجمع كيده التولي قد يكون اعراضا وقد يكون انصرافا والظاهر
انه هنا بمعنى الانصراف وهو مفارقته موسى عن الحق فجمع كيده مكره وحيله وقومه وسحرته
والاتيه الى الموضع بما جمعه قال ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد منهم
حبل وعصي وقيل كانوا اربع مايه وقال كعب اثني عشر الفا وقيل اكثر من ذلك ثم ضربت
لفرعون قبة فجلس فيها ينظر وكان طول القبة سبعين ذراعا فقال لهم موسى عند ذلك
يعني السحرة الذين جمعهم فرعون ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب اي لا تزعموا
ان الذي جيت به ليس بحق وانه سحر قال قتادة فيستاصلكم وقد خاب من افترى العمه الحرمان
والخسران قوله ويلكم قال الزجاج يجوز في انتصاب ويلكم ان يكون المعنى الزمهم الله ويلا ان
افتروا على الله ويجوز على النداء كقوله يا ويلتا االد وانا عجوز ويا ويلنا من بعثنا من مرقدنا
قوله فيسحتكم قرا الاخوان وحفص عن عاصم فيسحتكم بضم اليا وكسر الحا والباقون بفتحها فقراة
الاخوين من اسحت رباعيا وهي لغة نجد وتميم قال الفرزدق التميمي •
• وعض زمان يا ابن مروان لم يدع • من المال الا مسحتا او مجلف •
وقراة الباقين من سحته ثلاثيا وهي لغة الحجاز واصل هذه المادة الدلالة على الاستقصا والنفاد
ومنه سحت الحالق الشعر استقصاه فلم يترك منه شيا ويستعمل في الاهلاك والاذهاب ونصبه
باضمار ان في جواب النهي ولما انشد الزمخشري قول الفرزدق الا مسحتا او مجلف قال بعد
ذلك في بيت لا تزال الركب تصطك في تسوية اعرابه قال شهاب الدين يعني ان هذا البيت

صعب الاعراب واذ قد ذكر فلنذكر ما ورد في هذا البيت من الروايات وما قال الناس في ذلك
على حسب ما يليق بهذا الموضع فاقول وبالله الحول روي هذا البيت بثلاث روايات كل واحدة
لا تخلو من ضرورة الاولى لم يدع بفتح اليا والدال ونصب مسحت وفي هذه خمسة اوجه الاول معنى
لم يدع من المال الا مسحتا لم يبق الا مسحت فلما كان هذا في قوة الفاعل عطف عليه قوله او مجلف
بالرفع وبهذا البيت استشهد الزمخشري على قراة ابي والاعمش فشربوا منه الا قليل برفع قليل وقد
تقدم الثاني انه مرفوع بفعل مقدر دل عليه لم يدع والتقدير او بقي مجلف مبتدا وخبره مضمر تقديره
او مجلف كذلك وهو تخريج الفرا الرابع انه معطوف على الضمير المستتر في مسحتا وكان من حق هذا
ان يفصل بينهما بتاكيد او فاصل اما لان القايل بذلك وهو الكسايي لا يشترط وايضا فهو جايز
في الضرورة عند الكل الخامس ان يكون مجلف مصدرا بزنة اسم المفعول كقوله تعالى كل ممزق
اي تخليف وتمزيق وعلى هذا فهو فاعل لعطفه على الفاعل وهو قول الفارسي وهو احسنها الرواية
الثانية فتح اليا وكسر الدال ورفع مسحت وتخريجها واضح وهو ان يكون من ودع في بيته يدع فهو
وادع بمعنى بقي يبقى فهو باق فيرتفع مسحت الفاعلية ويرفع مجلف بالعطف عليه ولا بد حينئذ
من ضمير محذوف تقديره من اجله او بسببه ليرتبط الكلام الرواية الثالثة يدع بضم اليا وفتح
الدال على ما لم يسم فاعله ومسحت بالرفع لقيامه مقام الفاعل ومجلف عطف عليه وكان من
حق الواو ان لا تحذف بل تثبت لانها لم تقع بين يا وكسرة وانما حذفت حملا للمبني على المفعول على
المبني للفاعل وفي البيت كلام اطول من هذا تركنا اختصارا وهذا البيت قد ذكرته في البقرة وفسرت
معناه ولغته وصلته بما قبله فعليك بالالتفات اليه قوله فتنازعوا امرهم بينهم اي ه
وتفاوضوا تشاوروا واستقروا على شي واحد وقال مقاتل اختلفوا فيما بينهم قال محمد
ابن اسحاق اي تناظروا وتشاوروا في امر موسى سرا من فرعون قال الكلبي قالوا سرا ان غلبنا
موسى اتبعناه وهو قول ابن عباس لما قال لهم موسى لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض
ما هذا بقول ساحر قال بعض المفسرين ان فرعون وقومه دخلوا مع السحرة في التنازع •
وقال اخرون انما تنازع السحرة وحدهم قوله واسروا النجوى اي المناجاة يكون مصدرا
واسما اي اسروا النجوى من فرعون قال ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وقال قتادة
ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السما فله امر وقال السدي نجواهم هو قولهم ان هذين لساحران
يريدان ان يخرجاكم من ارضكم قوله ان هذان اختلف القرا في هذه الاية الكريمة فقرا ابن كثير
وحده ان هذان بتخفيف ان والالف وتشديد النون وحفص كذلك الا انه خفف نون هذان
وقرا ابو عمرو ان بتشديد هذين باليا وتخفيف النون والباقون كذلك الا انهم قروا هذان بالالف
فاما القراة الاولى وهي قراة ابن كثير وحفص فاوضح القراات معنى ولفظا وخطا وذلك انهما جعلا
ان المخففة من الثقيلة فاهملت ولما اهملت كما هو الافصح من وجهيها خيف التباسها بالنافية فجيء
باللام فارقة في الخبر فهذان مبتدا ولساحران خبر ووافقت خط المصحف فان الرسم هذن دون
الالف ولا يا وسياتي بيان ذلك واما تشديد نون هذان فعلى ما تقدم في سورة النسا متقنا
واما الكوفيون فيزعمون ان ان نافية بمعنى ما واللام بمعنى الا وهو خلاف مشهور وقد وافق
تخريجهم هنا قراة بعضهم ما هذان الا ساحران واما قراة ابي عمرو فواضحة من حيث الاعراب والمعنى
اما الاعراب فهذين اسم ان وعلامة نصبه اليا ولساحران خبرها ودخلت اللام توكيدا واما من
حيث المعنى فانهم اثبتوا لهما السحر بطريق تاكيدي من طرفيه ولكنهم استشكلوها من حيث خط
المصحف وذلك ان رسمه هذان بدون الف ولا يا فاثباته باليا زيادة على خط المصحف قال ابو
اسحاق لا اجيز قراة ابي عمرو لانها خلاف المصحف وقال ابو عبيد رايتها في مصحف الامام عثمان
هذن ليس فيها الف وهكذا رايت رفع الاثنين في ذلك المصحف باسقاط الالف واذا كتبوا
النصب والخفض كتبوه باليا ولا يسقطونها قال شهاب الدين وهذا لا ينبغي ان يرد به على ابي
عمرو وكم جا في الرسم اشيا خارجة عن القياس فان قلت ما نقل عن ابي عبيد مشترك الالزام
بين ابي عمرو وغيره فانهم كما اعترضوا عليه بزيادة اليا يعترض عليهم بزيادة الالف فان الالف
ثابتة في قراتهم ساقطة من خط المصحف فالجواب ما تقدم من قول ابي عبيد انه راهم
يسقطون الالف من رفع الاثنين فاذا كتبوا النصب والخفض كتبوه باليا وذهب جماعة منهم

عايشه رضي الله عنها وابو عمرو الي ان هذا مما لحن فيه الكتاب واقهم بالصواب يعنون انه كان
من حقه ان يكتبه باليا فلم يفعل فلم يقراه الناس الا باليا على الصواب واما قراة الباقين ففيها
اوجه ان بمعنى نعم وهذان مبتدا ولساحران خبره ومن ورود ان بمعنى نعم قوله

بكر العواذل في المسيب يلمنني • والومهن وبلقن شيب علاك •

وقد كبرت فقلت انه اي فقلت نعم والها للسكت وقال رجل لابن الزبير لعن الله ناقة
حملتني اليك فقال ان وصاحبها عدم ثبوت ان بمعنى نعم وما اورد وه يوول اما البيت فان
الها اسمها والخبر محذوف لفهم المعنى تقديره انه كذلك واما قول ابن الزبير فذلك من حذف
المعطوف عليه وابقا المعطوف وحذف خبر ان للدلالة عليه تقديره انها وصاحبها ملعونان
وفيه تكلف لا يخفى والثاني دخول اللام على خبر المبتدا غير المولد بان المكسورة لان مثله
لا يقع الا ضرورة كقوله

ام الحليس لعجوز شهربه • ترضي من اللحم بعظم الرقبه •

وقد يجاب عنه بان لساحران يجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف دخلت عليه هذه اللام
تقديره لهما ساحران وقد فعل ذلك الزجاج كما سيأتي حكاية عنه الثاني ان اسمها ضمير
القصة وهو ها التي قبل ذلك وليست ها التي للتنبيه الداخلة على اسم الاشارة والتقدير
ان القصة ذان لساحران وقد رد واهذا من وجهين احدهما من جهة الخط وهو انه
لو كان كذلك لكان ينبغي ان يكتب انها فيصلوا الضمير بالحرف قبله كقوله تعالى فانها
لا تعمي الابصار فكتبهم اياها مفصولة من ان متصلة باسم الاشارة يمتنع كونها ضميرا وهو
واضح الثاني انه يودي الي دخول لام الابتدا في الخبر غير المنسوخ وقد يجاب عنه عما تقدم
الثالث انها اسم ضمير الشان محذوف والجملة من المبتدا والخبر بعده في محل رفع خبرا لان التقدير
انه اي الامر والشان وقد ضعف هذا بوجهين احدهما حذف اسم ان وهو غير جايز الا في
شعر بشرط ان لا يباشران فعلا كقوله

ان من يدخل الكنيسة يوما • يلق فيها جاذرا وظبا •

والثاني دخول اللام في الخبر وقد اجاب الزجاج بانها داخلة على مبتدا محذوف تقديره لهما
ساحران وهذا قد استحسنه شيخه المبرد اعني جوابه بذلك الرابع ان هذان اسمها ولساحران
خبرها وقد رد هذا بانه كان ينبغي ان يكون هذين باليا كقراة ابي عمرو وقد اجيب عن ذلك بانه
على لغة بني الحرث وبني الهجيم وبني العنبر وزبيد وعذره ومراد وخثعم وكنانه وحكى هذه
اللغة الايمة الكبار كابي الخطاب وابي زيد الانصاري والكسايي وقال ابو زيد سمعت من العرب
من يقلب كل يا ويفتح ما قبلها الفا يجعلون المثنى كالمقصود فيثبتون الفا في جميع احواله
ويقدرون اعرابه بالحركات وانشدوا قوله

فاطرق اطراق الشجاع ولو ترى • مساغا لناباه الشجاع لصمما •

اي لنابيه وقوله ان اباها وابا اباها • قد بلغا في المجد غايتاها •

اي غايتيها الي غير ذلك واستدل لقراة ابي عمرو بانها قراة عثمان وعايشة وابن الزبير وسعيد
ابن جبير وروي هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة رضي الله عنها انها سيلت عن قوله تعالى
ان هذان لساحران وعن قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والصابيون والنصاري في
المايده وعن قوله لكن الراسخون في العلم منهم الي قوله والمقيمين الصلاة والموتون الزكاة
فقالت يا ابن اختي هذا خطا من الكاتب وروي عن عثمان انه نظر في المصحف فقال ارى فيه
لحنا وستقيمه العرب بالسنتها وعن ابي عمرو انه قال اني لاستحي ان اقرا ان هذان ساحران
وقرا ابن مسعود واسروا النجوي ان هذان ساحران بفتح ان واسقاط اللام على انها وما
في خبرها بدل من النجوي كذا قاله الزمخشري وتبعه ابو حيان ولم ينكره وفيه نظر لان الاعراض
بالجملة القولية مفسرة للنجوي في قراة العامة وكذا قاله الزمخشري اولا فكيف يصح ان يجعل
ان هذان ساحران بدلا من النجوي وقرا حفص عن عاصم بتخفيف النون وعن الحفص
ان هذان لساحران خفيفة بمعنى ثقيلة وهي لغة يرفعون بها ويدخلون اللام ليفرقوا بينها
وبين التي في معنى ما وروي عن ابي بن كعب ما هذان الا ساحران وروي عنه ايضا ان هذان
الا ساحران وعن الخليل مثل ذلك وعن ابي ايضا ان ذان لساحران فصل قال المحققون هذه

القراة لا يجوز تصحيحها لانها منقوله بطريق الاحاد والقراة يجب ان يكون منقولا بالتواتر اذ لو
جوزنا اثبات زيادة في القران لانه لما جاز في هذه القراة من القراة بطريق جواز الزيادة والنقصان
والتغير في القران وذلك يخرج القران عن كونه حجة ولما كان ذلك باطلا فلذلك ما قرى واما الطعن
في القراة المشهورة فلو حكمنا ببطلانها جاز ذلك مثله في جميع القران وذلك يفضي الي القدح في كل القران
وهو باطل واذا ثبت ذلك امتنع ضرورته معارضا بخبر الواحد المنقول عن بعض اصحابه وايضا
فان المسلمين اجمعوا على ان ما بين الدفتين كلام الله وكلام الله لا يجوز ان يكون لحنا وغلطا ولذلك
ذكر النحويون وجه تصحيح القراة المشهورة كما تقدم

فصل

اعلم انه تعالى لما ذكر
ما اسروه من النجوي حكى عنهم ما اظهروه مما يدل على التنفير عن متابعة موسي وهو امور احدها
قولهم ان هذين لساحران وهو طعن منهم في معجزات موسي ومبالغة في التنفير عنه لان كل طبع
سليم ينفر عن السحرة عن رؤية الساحر لان الانسان يعلم ان السحر لا بقاله فاذا اعتقدوا فيه السحر
قالوا كيف نتبعه وهو لا بقا له ولا لدينه وثانيها قوله يريدان يخرجكم من ارضكم وهذا نهاية
التنفير لان مفارقة الوطن والمنشا شديدة على القلب وهذا كقول فرعون يريد ان يخرجنا
من ارضنا بسحرك يا موسى فكان السحرة تلقفوا هذه الشبهة من فرعون ثم اعادوها وثالثها قولهم
ويذهبا بطريقتكم المثلى وهذا ايضا له تاثير شديد في القلب فان العدو اذا استولى على جميع
المناصب والاشيا التي يرغب فيها فذلك يكون في نهاية المشقة على القلب وقال ابن عباس يعني
سراة قومكم واشرافهم يقال هاولا طريقة قومهم اي اشرافهم والمثلى تانيث الامثل وهو الافضل
وسمي الافضل بالامثل لان الامثل هو الاشبه بالحق وقيل الامثل الاوضح الاظهر وحدث
الشعبي عن علي قال يصرفان وجوه الناس اليهما وقال قتادة طريقتكم المثلى يوميذ بنو اسرايل
كانوا اكثر القوم عددا واموالا فقال عدو الله يريدان يذهبا بهم لانفسهم وقيل بطريقتكم اي
بسنتكم ودينكم الذي انتم عليه والمثلى نعت الطريقة تقول العرب فلان على الطريقة المثلى
يعني على الهدي المستقيم وقيل الطريقة المثلى الجاه والمنصب والرياسة قوله بطريقتكم اليا
متعدية كالهمزة والمعنى باهل طريقتكم قال الزجاج هذا من باب حذف المضاف واذا كانت
الطريقة عبارة عن الشاذة فلا حذف قوله فاجمعوا قرا ابو عمرو فاجمعوا بوصل الالف وفتح الميم
والباقون بقطعها مفتوحة وكسر الميم وقد تقدم تحقيق ذلك في سورة يونس وكيدكم مفعول به
وقيل هو على اسقاط الخافض اي على كيدكم وليس بشي فاما قراة ابي عمرو فهي من الجمع اي لا تدعوا شيا
من كيدكم الا جيتم به بدليل قوله فجمع كيده ومعنى قراة الباقين قيل معناه الجمع ايضا تقول العرب
اجمعت الشي وجمعته بمعنى واحد والصحيح ان معناه العزم والاحكام قال الفرا الاجماع الاحكام
والعزيمة على الشي اي اجمعوا كلكم على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا فيختل امركم ثم ايتوا صفا اي
جميعا قاله مقاتل والكلبي وقيل اي مصطفين مجتمعين ليكون انظم لامركم واشد لهيبتكم وقال
ابو عبيدة والزجاج الصف موضع الجمع ويسمى المصلى صفا اي ايتوا المكان الموعود الذي تجتمعون
فيه لعيدكم قوله صفا يجوز ان يكون حالا من فاعل ايتوا اي ايتوا مصطفين او ذوي صف فهو
مصدر في الاصل وقيل هو مفعول به اي ايتوا قوما صفا وفيه التسمية بالمصدر او على حذف المضاف
اي ذوي صف قوله وقد افلح قال الزمخشري اعتراض يعني وقد فاز من غلب يعني بالاعتراض
انه جي بهذه الجملة اجنبية بين كلامهم ومقولهم لان من جملة قولهم قالوا يا موسي اما ان تلقي وهذه
الجملة اعني قوله وقد افلح من كلام الله تعالى فهو اعتراض لهذا الاعتبار وفيه نظر لان الظاهر انها من
مقولهم ثم قالوا ذلك تحريضا لقومهم على القتال وحينيذ فلا اعتراض قوله تعالى قالوا يا موسي اما
ان تلقي الاية وههنا حذف والتقدير فحضروا الموضع قال السحرة يا موسي قوله اما ان تلقي فيه اوجه
احدها انه منصوب باضمار فعل تقديره اختر احد الامرين كذا قدره الزمخشري قال ابو حيان وهذا
تفسير معنى لا تفسير اعراب وتفسير الاعراب اما تختار الالقا والثاني انه مرفوع على خبر مبتدا محذوف
تقديره الامر اول ويدل عليه واما ان يكون اول من القي واختاره ابو حيان وقال فيحسن المقابلة
من حيث المعنى وان لم تحسن مقابلة من حيث التركيب اللفظي قال وفي تقدير الزمخشري الامر القاوك
لا مقابلة فيه وتقدم نظير هذا في الاعراف فصل معنى الكلام اما ان تلقي ما معك قبلنا واما ان
نلقي ما معنا قبلك وهذا التخيير مع تقديمه في الذكر حسن ادب منهم وتواضع فلا جرم رزقهم

الته الايمان ببركته ثم ان موسى عليه السلام قابل ادبهم بادب فقال بل القوا فان قيل كيف يجوز
ان يقول موسى بل القوا فيامرهم بما هو سحر وكفر لانهم اذا قصدوا بذلك تكذيب موسى عليه السلام
كان كفرا والجواب من وجوه الاول نسلم ان يحلى لا لقا كفر لانهم اذا القوا وكان غرضهم ان يظهر الفرق بين
ذلك الالقا وبين معجزة موسى عليه السلام كان ذلك الالقا ايمانا انما الكفر هو القصد الى تكذيب موسى
عليه السلام وانما امر بالالقا لا بالقصد الى تكذيب فزال السوال والثاني ذلك الامر كان مشروطا
والتقدير القوا ما انتم ملقون ان كنتم محقين كقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله ان كنتم قادرين
الثالث انه لما تعين ذلك طريقا الى كشف الشبهة صار ذلك جايزا وهذا كالمحق اذا علم ان في قلب
واحد شبهة وانه لو لم يطالبه بذكرها وتقديرها باقصى ما يقدر عليه لبقيت تلك الشبهة في قلبه
ويخرج بسببها عن الدين فان للمحق ان يطالبه بتقديرها على اقصى الوجوه ويكون غرضه من ذلك
ان يجيب عنها ويزيل امرها عن قلبه فمطالبته بذكر الشبهة لهذا الغرض جايز فكذا ها هنا الرابع ان
لا يكون ذلك امرا بل معناه انكم ان اردتم فعله ولا مانع منه حسا لكن ينكشف الحق الخامس ان موسى
عليه السلام لا شك انه كارها لذلك ولا شك انه نهاهم عن ذلك بقوله ويلكم لا تفتروا على الله كذبا
فيسحتكم بعذاب واذا كان كذلك استحال ان يامرهم بذلك لان الجمع بين كونه ناهيا امرا بالفعل
الواحد محال فعلمنا ان امره غير محمول على ظاهره وحينئذ يزول الاشكال فان قيل لما قدمهم في الالقا
على نفسه مع ان تقديم اسماع الشبهة على سماع الحجة غير جايز فكذا تقديم ازالة الشبهة على
ازالة الحجة يجب ان لا يجوز لاحتمال انه ربما ادرك الشبهة ثم لا يتفرغ لادراك الحجة بعده فيبقى
حينئذ في الكفر والضلال وليس لاحد ان يقول ان ذلك كان بسبب انهم لما قدموه على انفسهم
فهو عليه السلام قابل ذلك بان قدمهم لان امثال ذلك انما يحسن فيما يرجع الى حظ النفس فاما
ما يرجع الى الدليل والشبهة فغير جايز فالجواب انه عليه السلام كان قد اظهر المعجزة مرة
واحدة فما كان به حاجة الى اظهارها مرة اخرى فالقوم لما جاوا للمعارضة فقال عليه السلام
لو اظهرت المعجزة اولا لكنت كالسبب في اقدامهم على اظهار السحر وقصد ابطال المعجزة وهو لا يجوز
ولكني افوض الامر اليهم باختيارهم يظهرون ذلك السحر ثم اظهر انا ذلك المعجزة الذي يبطل
سحرهم فيكون هذا التقدير سببا لرفع الشبهة فكان اولى قوله فاذا حبالهم هذه الفا
عاطفة على جملة محذوفة وقد دل عليها السياق والتقدير فالقوا فاذا واذا هذه هي التي للمفاجاة
وفيها ثلاثة اقوال تقدمت احدها انها باقية على ظرفية الزمان الثاني انها ظرف مكان
الثالث انها حرف وقال الزمخشري والتحقيق فيها انها الكناية بمعنى الوقت والطالبة ناصبا لها
وجملة تضاف اليها خصت في بعض المواضع بان يكون الناصب لها فعلا مخصوصا وهو فعل
المفاجاة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجاة موسى
وقت تخيل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجاة حبالهم وعصيهم مخيلة
اليه السعي قال ابو حيان قوله زمانية قول مرجوح وهو مذهب الرياشي وقوله الطالبة ناصبا
صحيح وقوله وجملة تضاف اليها ليس صحيحا عند بعض اصحابنا لانها اما ان تكون هي خبر المبتدا
واما ان يكون معمولة لخبر المبتدا واذا كان كذلك استحال ان تضاف الى الجملة لانها اما ان تكون
بعض الجملة او معمولة لبعضها فلا يمكن الاضافة وقوله خصت في بعض المواضع الى اخره قد
بينا الناصب لها وقوله والجملة بعدها ابتدائية لا غير هذا الحصر ليس بصحيح بل قد جوز
الاخفش على ان الجملة الفعلية المقترنة بقد تقع بعدها نحو خرجت فاذا قد ضرب عمرو وبني
على ذلك مسئلة الاشتغال نحو خرجت فاذا زيد قد ضربه عمرو برفع زيد ونصبه على الاشتغال
وقوله والمعنى مفاجاته حبالهم وعصيهم اياه فاذا قلت خرجت فاذا السبع فالمعنى انه فاجاني
السبع وهجم ظهوره انتهى قال شهاب الدين وما رد به غير لازم له لانه رد عليه بقول بعض النحاة
وهو لا يلزمه ذلك القول حتى يرد به عليه لا سيما اذا كان المشهور غيره ومقصوده تفسير
المعنى وقال ابو البقا الفا جواب ما حذف وتقديره فالقوا فاذا وفي هذا ظرف مكان العامل
فيه القوا وفي هذا نظر لان القوا هذا القدر لا يطلب جوابا حتى يقول الفا جوابه بل كان ينبغي
ان يقول الفا عاطفة هذه الجملة الفجائية على جملة اخرى تقديره وقوله ظرف مكان هذا
مذهب المبرد وظاهر قول سيبويه ايضا وان كان المشهور بقاوها على الزمان وقوله ان العامل

فيها فالقوا لا يجوز لان الفا تمنع من ذلك هذا كلام ابي حيان ثم قال بعده ولان اذا هذه انما هي
معمولة لخبر المبتدا الذي هو حبالهم وعصيهم ان لم يجعلها هي في موضع الخبر لانه يجوز ان يكون الخبر
يخيل ويجوز ان يكون اذا ويخيل في موضع الحال وهذا نظير خرجت فاذا الاسد رابض ورابضا فاذا
رفعت رابضا كانت اذا معمولة له والتقدير فبالحضرة الاسد رابض او في المكان واذا نصبت كانت
اذا خبرا وكذلك يكتفي بها وبالمرفوع بعدها كلاما نحو خرجت فاذا الاسد قوله يخيل اليه قرا العامة
يخيل بضم اليا الاولى وفتح الثانية مبنيا للمفعول وانها تسعى مرفوع بالفعل قبله لقيامه مقام
الفاعل تقديره ويخيل اليه سعيها وجوز ابو البقا فيه وجهين اخرين احدهما ان يكون القايم
مقام الفاعل ضمير الحبال والعصي واذا ذكر ولم يقل تخيل بالتا من فوق لان تانيث الحبال غير
حقيقي الثاني ان القايم مقام الفاعل ضمير يعود على الملقى فلذلك ذكروا على الوجهين فقوله
انها تسعى وجهان احدهما انه بدل اشتمال من ذلك الضمير المستتر في يخيل والثاني انه مصدر في
موضع نصب على الحال من الضمير المستتر ايضا والمعنى يخيل اليه هي انها ذات سعي ولا حاجة الى هذا
وايضا فقد نصوا على ان المصدر المؤول لا يقع موقع الحال لو قلت جاء زيد ان يركض تريد ركضا بمعنى
ذا ركض لم يجز وقرا ابن ذكوان تخيل بالتا من فوق وفيه ثلاثة اوجه احدها ان الفعل مسند لضمير
الحبال والمعنى اي تخيل الحبال والعصي انها تسعى بدل اشتمال من ذلك الضمير الثاني كذلك الا ان
انها تسعى حال اي ذات سعي كما تقدم تقديره قبل ذلك الثالث ان الفعل مسند لقوله انها تسعى
كقراءة العامة في احد الاوجه وانما انث الفعل لاكتساب المرفوع التانيث بالاضافة اذ التقدير
تخيل اليه سعيها وهو كقوله • كما شرقت صدر القناة من الدم •
فله عشر امثالها وقرا ابو السماك تخيل بفتح التا واليا مبنيا للفاعل والاصل تتخيل فحذف احدى
التاءين نحو تنزل الملائكة وانها تسعى بدل اشتمال ايضا من ذلك الضمير وجوز ابن عطية ايضا انه
مفعول من اجله ونقل ابن جبارة الهذلي قراة ابن السماك تخيل بضم التا من فوق وكسر اليا فالفعل
مسند لضمير الحبال وانها تسعى مفعول اي تخيل الحبال سعيها ونسب ابن عطية هذه القراة للحسن
وعيسى الثقفي وقرا ابو حيوة نخيل بنون العظمة وانها تسعى مفعول به ايضا على هذه القراة وقرا
الحسن والثقفي عصيهم بضم العين حيث وقع وهو الاصل وانما كسرت العين اتباعا للصاد وكسرت
الصاد اتباعا لليا نحو دلو ودلي وثني والاصل عصوو بواوين فاعل كما ترى بقلب الواوين يائين
استثقالا لهما فكسرت الصاد لتصح اليا فكسرت العين اتباعا ونقل صاحب اللوامح ان قراة الحسن عصيهم
بضم العين وسكون الصاد وتخفيف اليا مع الرفع وهو ايضا جمع كالعامة الا انه على فعل كحمر والاول
على فعول كفلوس والجملة من يخيل ان تكون في محل رفع خبرا على ان اذا الفجائية فضلة وان يكون
في محل نصب على الحال على ان اذا الفجائية هي الخبر والضمير في اليه الظاهر عوده على موسى وقيل
يعود على فرعون ويدل للاول قوله تعالى فاوجس في نفسه خيفة موسى وفيما مضى راي فالقوا
فاذا حبالهم وعصيهم جمع حبل وعصى **فصل** قال ابن عباس القوا حبالهم وعصيهم
واخذوا اعين الناس فراي موسى والقوم كان الارض امتلات حيات وكانت اخذت ميلا من كل
جانب وانها تسعى فخافوا واوجس في نفسه خيفة اي واوجس اضمر في نفسه خوفا وقيل وجد في
نفسه خوفا فان قيل كيف استشعر الخوف وقد عرض عليه المعجزات الباهرة كالعصا واليد فجعل
العصي حية عظيمة ثم انه تعالى اعادها كما كانت ثم اعطاه الاقتراحات الثمانية وذكر ما اعطاه
قبل ذلك من المنن وقال له بعد ذلك كله انني معكما اسمع واري فمع هذه المقدمات الكثيرة كيف
وقع الخوف في قلبه فالجواب من وجوه احدها قال الحسن ان ذلك الخوف انما كان لطبع البشرية
من ضعف القلب وان كان قد علم موسى انهم لا يصلون اليه وان الله ناصره والثاني قال
مقاتل خاف على القوم ان يلتبس عليهم امرهم فيشكوا في امرهم فيظنوا انهم قد ساووا موسى عليه
السلام ويوكده قوله تعالى لا تخف انك انت الاعلى الثالث خاف حيث بدوا وتاخر القاوه ان ينصرف
بعض القوم قبل مشاهدة ما يلقيه فيدوموا على اعتقاد الباطل الرابع لعله عليه السلام كان
مامورا بان لا يفعل شيا الا بالوحي فلما تاخر نزول الوحي في ذلك الجمع بقي في الخجل الخامس لعله
عليه السلام خاف من انه لو ابطل سحرهم فلعل فرعون قد اعد اقواما اخرين فيحتاج مرة اخرى
الى ابطال سحرهم وهلم جرا فلا يقطع وحينئذ لا يتم الامر ولا يحصل المقصود فصل اختلفوا

في عدد السحرة فقال الكلبي كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط وسبعون من بني اسرائيل اكرههم فرعون على ذلك مع كل واحد منهم عصي وحبل وقال ابن جريج وعكرمة تسعماية من الفرس وثلثماية من الروم وثلثماية من الاسكندرية وقال وهب خمسة عشر الفا وقال السدي بضعة وثلاثون الفا وقال القاسم بن سلام سبعون الفا وظاهر القران لا يدل على شيء من هذه الاقوال ثم انه تعالى ازال ذلك الخوف بقوله لا تخف انك انت الاعلى اي الغالب يعني لك الغلبة والظفر وهذا يدل على ان خوفه كان لامر يرجع الى ان امره لا يظهر للقوم فامنه الله تعالى بقوله انك انت الاعلى وفيه انواع من المبالغة احدها ذكر كلمة التاكيد وهي ان وثانيها تكرير الضمير وثالثها لام التعريف ورابعها لفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة قوله والق ما في يمينك وههنا سوال وهو انه لو لم يقل والق عصاك والجواب جاز ان يكون تصغيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والقها تلقفها والق العويد الفرد الصغير الجرم الذي بيمينك فانه بقدرة الله تعالى يلتقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجاز ان يكون تعظيما لها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكثيرة فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شيء عندها والقها تلقفها باذن الله وتمحقها قوله تلقف اي تلتقم وتبتلع ما صنعوا بسرعة قرا العامة بفتح اللام وتشديد القاف وجزم الفاعل جواب الامر وقد تقدم ان حفصا يقرا تلقف بسكون اللام وتخفيف القاف وقرا ابن ذكوان هنا تلقف بالرفع اما على الحال واما على الاستئناف وانث الفعل في تلقف حملا على معنى ما لان معناها العصا ولو ذكرها نظرا الى لفظها لجاز ولم يقرا به وقال ابو البقا انه يجوز ان يكون فاعل تلقف في قراءة الرفع حالا من موسى وفيه بعد وصنعوا ههنا اختلقوا وزوروا والعرب تقول في الكذب هو كلام مصنوع قوله انما صنعوا كيد ساحر العامة على رفع كيد على انه خبر ان وما موصولة وصنعوا صلتها والعايد محذوف والموصول هو الاسم والتقدير ان الذي صنعوه كيد ساحر ويجوز ان تكون ما مصدرية فلا حاجة الى العايد والاعراب بحاله والتقدير ان صنعتهم كيد ساحر وقرا مجاهد وحميد وزيد بن علي بالنصب على انه مفعول به وما مزيدة مهيئة وقرا الاخوان كيد سحر على ان المعنى كيد ذوي سحر جعلوا نفس السحر مبالغة وتبيين الكيد اي حيلة سحر لانه يكون سحرا وغير سحر كما يميز سائر الاعداد بما يفسرها ونحو ماية درهم والف دينار ومثله علم فقه وعلم نحو وقال ابو البقا كيد ساحر اضافة المصدر الى الفاعل وكيد سحر اضافة الجنس الى النوع وانما وحد ساحر وافرد ساحر وان كان المراد به جماعة قال الزمخشري لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع تخيل ان المقصود هو العدد وقري ساحرا بالنصب على ان ما كافة ثم قال ولا يفلح الساحر حيث اتى من الارض وقال ابن عباس لا يسعد حيث كان وقيل معناه حيث احتال قوله فالقي السحرة سجدا لما القى ما في يمينه وصار حية وتلقف ما صنعوا وظهر الامر خروا عند ذلك سجدا لانهم كانوا في اعلى طبقات السحر فلما راوا ما فعل موسى عليه السلام خارجا عن صناعتهم عرفوا انه ليس من السحر البتة نقل ان رييسهم قال كنا نغلب الناس بالسحر وكانت الالات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فاين ما القيناه فاستدل بتغيير احوال الاجسام على ان الصانع القادر العالم بظهورها على يد موسى عليه السلام على كونه رسولا صادقا من عند الله فلا جرم تابوا وامنوا بما هو النهاية في الخضوع وهو السجود وقال الاخفش انه من سرعة ما سجدوا كانهم خروا وقال الزمخشري ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا روسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقايين وروي انهم لم يرفعوا روسهم حتى راوا الجنة والنار وراوا ثواب اهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة قال القاضي هذا بعيد لانه لو اراهم عيانا لصاروا ملجئين وذلك لا يليق به قولهم انا امنا بربنا ليغفر لنا واجيب بانه لما جاز لابراهيم قطعه يكون مغفورا له ان يقول والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي فلم لا يجوز في حق السحرة قوله قالوا امنا برب هارون وموسى احتج التعليمية بهذه الاية وقالوا انهم امنوا بالله الذي عرفوه من قبل هارون وموسى وفي الاية فايدتان الاولى ان فرعون ادعى الربوبية في قوله انا ربكم الاعلى والالهية في قوله ما علمت لكم من اله غيري فلو قالوا امنا برب العالمين لكان فرعون يقول انهم امنوا بي لا بغيري فلقطع هذه التهمة اختاروا هذه العبارة ويدل عليه تقديمهم ذكر هرون على موسى لان فرعون كان يدعي

ربوبية

ربوبية موسى بناء على انه رباه فقال الم نربك فينا وليدا فالقوم لما احترزوا عن ايهامات فرعون قدموا ذكر هرون وموسى قطعا لهذا الخيال الفايدة الثانية هي انهم لما شاهدوا ما خصهم الله تعالى به من المعجزات العظيمة والدرجات الشريفة قالوا رب هرون وموسى قوله امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر اعلم ان فرعون لما شاهد منهم السجود له والاقرار خاف ان يصير ذلك سببا لاقتداء ساير الناس بهم في الايمان بالله وبرسوله ففي الحال القى هذه الشبهة في البين وهي مشتملة على التنفير من وجهين الاول ان الاعتماد على اول خاطر لا يجوز بل لا بد فيه من البحث والمناظرة والاستعانة بخواطر الغير فلما لم يفعلوا شيئا من ذلك بل في الحال امنتم له دل ذلك على ان ايمانكم ليس عن بصيرة بل بسبب اخر والثاني قوله انه لكبيركم الذي علمكم السحر يعني انكم تلامذته في السحر فاصطلحتم على انكم تظهروا العجز عن انفسكم ترويجا لامره وتفخيما لشانه ثم بعد ايراد هذه الشبهة اشتغل بالتهديد تنفيرا لهم عن الايمان وتنفيرا لغيرهم عن الاقتداء بهم فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف قوله لاقطعن يقدم نحوه ومن خلاف حال اي مختلفة ومن لابتداء الغاية وتقدم تحرير هذا وما قرى به وقوله في جذوع النخل يحتمل ان يكون حقيقة ففي التفسير انه نقر جذوع النخل يعني جوفها ووضعهم فيها فماتوا جوعا وعطشا وان يكون مجازا وله وجهان احدهما انه وضع في مكان على والاصل على جذوع النخل كقول الاخر

• بطل كان ثيابه في سرحة • يحذى نعال السبت ليس بتوام •

والثاني انه شبه تمكنهم بتمكن من حواه الجذع واشتمل عليه شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعايه فلذلك قيل في جذوع النخل ومن بعد صليب في قوله

• وقد صلبوا العبدي في جذع نخلة • فلا عطست شيبان الا باحدها •

قوله اينا اشد مبتدا وخبر وهذه الجملة سادة مسد المفعولين ان كانت علم على بابها ومسد واحد ان كانت عرفا به ويجوز على جعلها عرفا مسدا ان يكون اينا موصولة بمعنى الذي وبنيت لانها قد اضيفت وحذف صدر صلتها واشد خبر مبتدا محذوف والجملة من ذلك المبتدا وهو الخبر صلة لاي واي وما في حيزها في محل نصب مفعولا بها كقوله تعالى ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن في احد وجهيه كما تقدم واراد بقوله اينا نفسه وموسى لقوله امنتم له واشد عذابا اي انا على ايمانكم به او رب موسى على ترك الايمان به وابقى اي ادوم فان قيل ان فرعون مع قرب عهده بمشاهدة انقلاب العصا حية عظيمة وذكروا انها قصدت ابتلاع قصر فرعون وال الامر الى ان استغاث بموسى من شر ذلك الثعبان فمع قرب عهده بذلك وعجزه عن دفعه كيف يعقل ان يهدد السحرة ويبالغ في وعيدهم الى هذا الحد ويستهزئ بموسى ويقول اينا اشد عذابا فالجواب يجوز ان يقال انه كان في اشد الخوف في قلبه الا انه كان يظهر الجلادة والوقاحة تمسكا لناموسه وترويجا لامره ومن استقرا احوال العالم علم ان العاجز قد يفعل امثال هذه الاشيا ويدل على صحة ذلك ان كل عاقل يعلم بالضرورة ان عذاب الله اشد من عذاب البشر ثم انه انكر ذلك وايضا فقد كان عالما بكذبه في قوله انه لكبيركم الذي علمكم السحر لانه علم ان موسى ما خالطهم البتة وما لقيهم وكان يعرف سحرته ويعرف استاذ كل واحد منهم وكيف حصل ذلك العلم ثم مع ذلك قال هذا الكلام مثبت ان سبيله في ذلك ما ذكرناه وقال ابن عباس رضي الله عنه كانوا في اول النهار سحرة وفي اخره شهدا قوله قالوا لن نوثرك على ما جانا من البينات اي لن نختارك على ما جانا من الدلالات لما هددهم فرعون اجابوه بما يدل على حصول اليقين التام والبصيرة الكاملة في اصول الدين فقالوا لن نوثرك وهذا يدل على ان فرعون طلب منهم الرجوع عن الايمان والا فعل بهم ما وعدهم فاجابوه بقولهم لن نوثرك وبينوا العلة وهي ان الذي جاهم بينات وادلة والذي يذكره فرعون محض الدنيا وقيل كان استدلالهم انهم قالوا لو كان هذا سحرا فاين حبالنا وعصينا قوله والذي فطرنا فيه وجهان احدهما ان الواو عاطفة عطفت هذا الموصول على ما جانا اي لن نوثرك على الذي جانا ولا على الذي فطرنا اي على طاعة الذي فطرنا وعلى عبادته وانما اخروا ذكر الباري تعالى لانه من باب الترقي من الادنى الى الاعلى والثاني انها واو قسم والموصول مقسم به وجواب القسم محذوف اي وحق الذي فطرنا لا نوثرك على الحق ولا يجوز ان يكون الجواب لن نوثرك عند من يجوز تقديم الجواب لانه لا يجاب القسم بلن الا في شذوذ من الكلام قوله فاقض ما انت قاض يجوز في ما وجهان اظهرهما انها موصولة بمعنى الذي وانت قاض صلتها والعايد محذوف اي قاضيه وجاز حذفه وان كان مخفوظا لانه منصوب

المحل اي فاقض الذي انت قاضيه والثاني انها مصدرية ظرفية والتقدير فاقض امرك مدة ما انت
قاض ذكره كذا ابو البقا ومنع بعضهم جعلها مصدرية قال لان المصدرية لا توصل بالجمل الاسمية وهذا
المنع ليس مجمعا عليه بل جوز ذلك جماعة كثيرة ونقل ابن مالك ان ذلك يكثر اذا دلت على الظرفية وانشد

• واصل خليلك ما التواصل ممكن • فلانت او هو عن قليل ذاهب •

ويقل ان كان غير ظرفية وانشد • احلامكم لقيام شافية • كما دماؤكم تشفي من الكلب •

قوله انما تقضي هذه الحيوة الدنيا يجوز في ما هذه وجهان احدهما ان تكون المهيئة لدخول ان على
الفعل والحيوة الدنيا ظرف لتقضي ومفعوله محذوف اي تقضي غرضك وامرك ويجوز ان تكون الحياة
مفعولا به على الاتساع في الظرفية باجرايه مجرى المفعول به كقولك صمت يوم الجمعة ويدل لذلك قراة
ابي حيوة تقضى هذه الحياة ببنا الفعل للمفعول ورفع الحياة لقيامها مقام الفاعل وذلك انه اتسع فيه
فقام مقام الفاعل فرفع والثاني ان تكون ما مصدرية هي اسم ان والخبر الظرف والتقدير ان قضاك في هذه
الحياة الدنيا بمعنى ان لك الدنيا فقط ولنا الاخرة وقال ابو البقا فان كان قد قري بالرفع هو خبر ان
يعني لو قري برفع الحياة لكان خبر الان ويكون اسمها حينئذ ما وهي موصولة بمعنى الذي وعايدها تقديره
ان الذي تقضيه هذه الحيوة الدنيا لا غيرها قوله وما اكرهتنا يجوز في هذه وجهان احدهما انها موصولة
بمعنى الذي وفي محلها احتمالات احدها انها مرفوعة المحل على الابتدا والخبر محذوف تقديره والذي اكرهتنا
عليه من السحر محطوط عنا ولا نواخذ به ونحوه والوجه الثاني انها نافية قال ابو البقا وفي الكلام
تقديم تقديره ليغفر لنا خطايانا من السحر ولم يكرهنا عليه وهذا بعيد عن المعنى والظاهر هو الاول
ومن السحر يجوز ان يكون حالا من الهاء في عليه او من الموصول ويجوز ان يكون لبيان الجنس

فصل

قال المفسرون لم علم السحرة انهم متى اصروا على الايمان اوقع بهم فرعون ما اوعدهم به فقالوا اقض ما انت
قاض لا على وجه الامر لكن اظهروا ان ذلك الوعيد لا يزيلهم عن ايمانهم البتة ثم بينوا ما لاجله يسهل عليهم
احتمال ذلك فقالوا انما تقضي هذه الحيوة الدنيا اي قضاؤك وحكمك انما يكون في هذه الحيوة الدنيا
وهي فانية تزول عن قريب ومطلوبنا سعادة الاخرة وهي باقية والعقل يقتضي تحمل الضرر الفاني
للتوصل الى السعادة الباقية ثم قالوا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا ولما كان اقرب خطاياهم عهدا
ما ظهر منهم من السحر قالوا وما اكرهتنا عليه من السحر وفي ذلك الاكراه وجوه الاول قال ابن عباس
ان ملوك ذلك الزمان كانوا ياخذون بعض رعيتهم ويكلفونهم تعلم السحر فاذا شاخ احدهم بعثوا اليه
احداثا ليعلمهم ليكون في كل وقت من يحسنه فقالوا ذلك اي كنا في التعلم اولا والتعليم ثانيا مكرهين
وهو قول الحسن وقال مقاتل كانت السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون من بني
اسرايل كان فرعون اكرههم على تعلم السحر وقال عبد العزيز بن ابان قالت السحرة لفرعون ارنا
موسى اذا نام فاراهم موسى نايما فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا لفرعون ليس بسحر ان الساحر اذا
نام بطل سحره فابى عليهم ان لا يعارضوه وقال الحسن ان السحرة جروا من المداين ليعارضوا موسى
فاحضروا بالحشر وكانوا مكرهين في الحضور لقوله وابعث في المداين حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم
وقال عمرو بن عبيد دعوة السلطان اكراه وهذا ضعيف لان دعوة السلطان اذا لم يكن معها خوف
لم تكن اكراها ثم قالوا والله خير وابقى قال محمد بن اسحاق خير منك ثوابا وابقى عقابا لمن عصاه
وقال محمد بن كعب خير منك ان اطيع وابقى عذابا منك ان عصي وهذا جواب لقوله ولتعلمن اينا
اشد عذابا وابقى قوله انه من يات ربه مجرما قيل هذا ابتدا كلام الله تعالى وقيل من تمام قول
السحرة ختموا كلامهم بشرح احوال المجرمين واحوال المومنين في عرصة القيامة والهاء في انه ضمير
الشان والجملة الشرطية خبرها ومجرما حال من فاعل يات وقوله لا يموت يجوز ان يكون حالا من جهنم
لان في الجملة ضميرا منها والمراد بالمجرم المشرك الذي مات على الشرك فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح
ولا يحيى حياة ينتفع بها فان قيل الجسم الحي لا بد وان يبقى اما حيا او ميتا فخلوه من الوصفين
محال فالجواب ان المعنى يكون في جهنم باسوا حال لا يموت موتة مريحة ولا يحيى حياة ممتعة وقال
بعضهم ان لنا حالة ثالثة وهي كحالة المذبوح قبل ان يهدي ولا هو حي لانه قد ذبح ذبحا لا يبقى
الحياة معه ولا هو ميت لان الروح لم تفارقه بعد فهي حالة ثالثة

فصل

استدلت المعتزلة بهذه الاية في القطع على وعيد اصحاب الكباير قالوا اصحاب الكباير مجرم وكل مجرم فان له
جهنم لقوله من يات مجرما وكلمة من في معرض الشرط تفيد العموم بدليل انه يجوز استثنا كل واحد

منها

منها والاستثنا يخرج من الكلام ما لولاه لدخل واجيب بانه لا نسلم ان صاحب الكبيرة مجرم لانه تعالى
جعل المجرم في مقابلة المومن لقوله ومن ياته مومنا وقال ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا
يضحكون وايضا فانه قال له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى فالمومن صاحب الكبيرة وان عذب بالنار
لا يكون بهذا الوصف وفي الخبر الصحيح يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان قال ابن
الخطيب وهذه اعتراضات ضعيفة اما قوله ان الله تعالى جعل المجرم في مقابلة المومن فنسلم لكن هذا
انما ينفع لو ثبت ان صاحب الكبيرة مومن ومذهب المعتزلة انه ليس بمومن فهذا المعترض كانه بنى هذا
الاعتراض على مذهب نفسه وذلك ساقط وقولهما ثانيا انه لا يليق بصاحب الكبيرة ان يقال في حقه ان له
جهنم لا يموت فيها ولا يحيى قلنا لا نسلم فان عذاب جهنم في غاية الشدة قال تعالى ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته واما الحديث فقالوا القران متواتر ولا يعارضه خبر الواحد وللخصم ان يجيب بان
ذلك يفيد الظن فيجوز الرجوع اليه في العمليات فهذه المسئلة ليست من العمليات بل من الاعتقادات
فلا يجوز الرجوع اليه ههنا واعتراض اخر فقال اجمعنا على ان هذه المسئلة مشروطة بنفي التوبة وبان
لا يكون عقابه محبطا بثواب طاعته والقدر المشروط بين الصورتين هو ان لا يجد ما يحبط ذلك العقاب
لكن العفو محبط للعقاب وعندنا ان المجرم الذي لا يوجد في حقه العفو لا بد وان يدخل جهنم قال ابن
الخطيب وهذا الاعتراض ايضا ضعيف اما شرطه نفي التوبة فلا حاجة اليه لانه قال من يات ربه مجرما
لان المجرم اسم ذم فلا يجوز اطلاقه على صاحب الصغيرة بل الاعتراض الصحيح ان يقول عموم هذا الوعيد
معارض بما جا بعده من عموم الوعد وهو قوله تعالى ومن ياته مومنا قد عمل الصالحات هذا الوعيد
معارض بما جا بعده من عموم الوعد فاوليك لهم الدرجات العلى وكلامنا في من اتى بالايمان والاعمال
الصالحة ثم اتى بعد ذلك ببعض الكباير فان قيل عقاب المعصية يحبط ثواب الطاعة قلنا لا يجوز
ان يقال ثواب الايمان يدفع عقاب المعصية فان قالوا فلو كان كذلك لوجب ان لا يجوز اقامة الحد عليه
قلنا اما اللعن فغير جايز عندنا واما اقامة الحد فقد يكون على سبيل المحنة كما في حق التايب وقد يكون
على سبيل التنكيل قال المعتزلة قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا
من الله فالله تعالى نص على انه يجب عليه اقامة الحد على سبيل التنكيل فكل من كان كذلك استحال ان
يكون مستحقا للمدح والتعظيم واذا لم يبق ذلك لم يبق الثواب على قولنا ان عذاب الكبيرة اولى بازالة
الثواب الطاعة المتقدمة من الطاعات بدفع عقاب الكبيرة الطارية فقد انتهى كلامهم في مسئلة
الوعيد قلنا حاصل الكلام يرجع الى النص الدال على اقامة الحد عليه على سبيل التنكيل صار معارضا
للنصوص الدالة على كونه مستحقا للثواب فلم كان ترجيح احدهما على الاخر اولى من العكس وذلك
لان المومن كما ينقسم الى السارق والى غير السارق فالسارق ينقسم الى المومن وغير المومن فلم يكن
لاحدهما مزية على الاخر في العموم والخصوص واذا تعارضا تساقطا ثم نقول لا نسلم ان كلمة من في
افادة العموم قطعية بل ظنية ومسئلتنا قطعية ولا يجوز التعويل على ما ذكرتموه

فصل

تمسك المجسمة بقوله من يات ربه فقالوا المجسم انما ياتي ربه لو كان الرب في المكان واجيبوا بان الله
تعالى جعل اتيانهم موضع الوعد اتيانا الى الله مجازا كقول ابراهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي
سيهدين قوله ومن ياته مومنا قرا ابو عمرو وسكن الهاء ويختلسها ابو جعفر وقالون ويعقوب حط
والاخرون بالاشباع مومنا مات على الايمان قد عمل اي وقد عمل الصالحات تقتضي ان يكون اتيا
بكل الصالحات وذلك بالاتفاق غير معتبر ولا ممكن فينبغي ان يحمل ذلك على اداء الواجب ثم ذكر ان من
اتى بالايمان والاعمال الصالحات كانت لهم الدرجات العلى ثم فسر الدرجات العلى من الجنة لمن اتى
بالايمان والاعمال الصالحات فساير الدرجات التي هي غير عالية لا بد وان يكون لغيرهم وما هم الا العصاة
من اهل الايمان والعلى جمع العليا والعليا تانيث الاعلى قوله جنات بدل من الدرجات او بيان
قال ابو البقا ولا يجوز ان يكون التقدير هي جنات لان خالدين حال وعلى هذا التقدير لا يكون في
الكلام ما يعمل في الحال وعلى الاول يكون العامل في الحال الاستقرار ومعنى الاشارة قوله وذلك
جزاء من تزكى قال ابن عباس يريد من قال لا اله الا الله ومعنى تزكى يطهر من الذنوب قال عليه
السلام ان اهل الدرجات العلى ليرونهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدري في افق السما وان ابا بكر وعمر منهم
واعلم انه ليس في القران ان فرعون فعل باوليك القوم المومنين ما وعدهم ولم يثبت في الاخبار قوله
تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي الاية وفي هذه الاية دلالة على ان موسى عليه السلام

في تلك الحال كثر مستجيبونه فاراد تعالى تمييزهم من طايفة فرعون فاوحى اليه ان يسري بهم
ليلا يشاهدهم العدو فيمنعهم عن مرادهم او ليكون عايقا لفرعون عن طلبه وتتبعه او لئلا
اذا تقارب العسكران لا يري عسكر موسى عسكر فرعون ولا يهابوهم قوله فاضرب لهم طريقا
في نصب طريقا وجهان احدهما انه مفعول به وذلك على سبيل المجاز وهو ان الطريق متسبب عن
ضرب البحر اذ المعنى اضرب البحر لينفلق لهم فيصير طريقا فبهذا يصح نسبة الضرب الى الطريق
وقيل ضرب هنا بمعنى جعل اي اجعل لهم طريقا واشرعه فيه والثاني انه منصوب على الظرف
وقال ابو البقا التقدير موضع طريق فهو مفعول فيه على الظاهر ونظيره قوله ان اضرب بعصاك
البحر وهو مثل ضربت زيدا وقيل ضرب هنا بمعنى جعل وشرع مثل قولهم ضربت له بسهم انتهى فقوله
على الظاهر يعني انه لولا التاويل لكان ظرفا يبسا صفة لطريقا وصف به لما يوول اليه لانه
لو لم يكن يبسا بعد انما مرت عليه الصبا فجففته كما روي في التفسير وفي قول في الاصل مصدر
وصف به مبالغة او على حذف مضاف او جمع يابس كخادم وخدم وصف به الواحد مبالغة
كقوله ومعا جياعا اي كجماعة جياع لمفرط جوعه وقرا الحسن يبسا بالسكون وهو مصدر ايضا
وقيل المفتوح اسم والساكن مصدر وقرا ابو حيوة يابسا اسم فاعل جعله صفة للطريق ومن
قرا يبسا بتحريك اليا فالمعنى طريقا ذا يبس ومن قرا بتسكين اليا فهو مخفف عن اليبس فالمعنى
ما كان فيه وحل ولا نداوة فضلا عن الما وذلك ان الله ايبس لهم الطريق في البحر قوله
لا تخاف العامة على تخاف مرفوعا وفيه اوجه احدها انه مستانف لا محل له من الاعراب الثاني انه
في محل نصب على الحال من فاعل اضرب غير خايف والثالث انه صفة لطريقا والعايد محذوف
اي لا تخاف فيه وحمزة وحده من السبعة لا تخف بالجزم وفيها وجه احدها ان يكون نهيا
مستانفا الثاني انه نهي ايضا في محل نصب على الحال من فاعل اضرب او صفة لطريقا كما تقدم
في قراءة العامة الا ان ذلك يحتاج الى اضمار قول امري القيس اي مقولا لك او طريقا مقولا فيها
لا تخف كقوله • جاوا بمذق هل رايت الذيب قط • الثالث مجزوم على جواب الامر اي اضرب
طريقا يبسا لا تخف قوله دركا قرا ابو حيوة دركا بسكون الرا والدرك اسم من الادراك
اي لا يدركك فرعون وجنوده وتقدم الكلام عليها في سورة النسا وان الكوفيين قروه بالسكون
كابي حيوة هنا قوله ولا تخشى لم يقرا الا ثابت الالف وكان من حق من قرا لا تخف جزما ان
يقرا لا تخش بحذفها كذا قال بعضهم وليس بشي لان القرات سنة وفيها اوجه احدها ان يكون
حالا وفيه اشكال وهو ان المضارع المنفي بلا كالمثبت في عدم مباشرة الواو له وتاويله على
حذف مبتدا اي وانت لا تخشى كقوله • نجوت وارهنهم مالكا • والثاني انه مستانف اخبره تعالى
انه لا يحصل له خوف والثالث انه مجزوم بحذف الحركة تقديرا كقوله •
• اذا العجوز غضبت فطلق • ولا ترضاها ولا تملق • وقوله
كان لم ترى قبلي اسيرا يمانيا ومنه فلا تنسى في احد القولين اجرا لحرف العلة مجرى الحرف الصحيح
وقد تقدم ذلك في سورة يوسف عند من يتقي الرابع انه مجزوم ايضا بحذف حرف العلة وهذه
الالف ليست تلك اعني لام الكلمة انما هي الف اشباع اتي بها موافقة للفواصل ورؤوس الاي فهي
كالالف في قوله الرسولا والسبيلا والظنونا وهذه الاوجه انما يحتاج اليها في قراءة جزم لا تخف واما
من قراه مرفوعا فهذا معطوف عليه اي لا تخاف ادراك فرعون ولا تخشى الغرق قوله فاتبعهم
فرعون بجنوده قال ابو مسلم يزعم رواة اللغة ان اتبعهم وتبعهم واحد وذلك جايز ويحتمل
ان تكون اليا زايدة اي اتبعهم فرعون جنوده كقوله لا تاخذ بلحيتي اسري بعبده وقال غيره
في بجنوده وجه احدها ان تكون البا للحال وذلك على ان اتبع يتعدى لاثنين حذف ثانيهما
والتقدير فاتبعهم فرعون عقابه وقدره ابو حيان روساه وحشمه قال شهاب الدين والاول
احسن والثاني ان البا زايدة في المفعول الثاني والتقدير فاتبعهم فرعون جنوده كقوله تعالى
ولا تلقوا بايديكم الا ان بالسور واتبع قد جا متعديا لاثنين مصرح بهما قال تعالى واتبعناهم
ذرياتهم والثالث انها معدية على ان اتبع قد يتعدى لواحد بمعنى تبع ويجوز على هذا الوجه
ان تكون البا للحال ايضا بل هو الاظهر وقرا ابو عمرو في رواية والحسن فاتبعهم بالتشديد وكذلك
قراءة الحسن في جميع القران الا في قوله فاتبعه شهاب ثاقب قوله ما غشيهم فاعل غشيهم وهذا

من باب الاختصار وجوامع الكلم الى ما يقل لفظا ويكثر معناها اي غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله تعالى
وقرا الاعمش فغشاهم مضعفا وفي الفاعل حينئذ ثلاثة اوجه احدها انه ما غشاهم كالقراءة قبله اي
غطاهم من اليم ما غطاهم والثاني هو ضمير الباري تعالى فغشاهم الله والثالث هو ضمير فرعون
لانه السبب في اهلاكهم وعلى هذين الوجهين فما غشاهم في محل نصب مفعولا ثانيا **فصل**
قيل ان فرعون امر جنوده ان يتبعوا موسى وقومه وكان هو فيهم فغشيهم اصابهم من اليم ما غشيهم
وهو الغرق وقيل غشيهم علاهم وسترهم من اليم ما غشيهم يريد بعض ما اليم لا كله وقيل غشيهم من اليم
لا غشي قوم موسى فغرقوا هم ونجا موسى وقومه واضل فرعون قومه وما هدى فارشدهم وهذا
تكذيب لفرعون وتهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد احتج القاضي بقوله واضل فرعون قومه
وقالوا لو كان الضلال من خلق الله لما جاز ان يقال واضل فرعون قومه بل وجب ان يقال الله اضلهم
ولان الله تعالى ذمهم بذلك فكيف يكون خالقا للكفر لان من ذم غيره لشي لا بد وان يكون المذموم
هو الذي فعله والا استحق الذم **فصل** قال ابن عباس لما امر الله تعالى موسى ان
يقطع بقومه البحر وكانوا بنو اسرايل استعاروا من قوم فرعون الحلي والدواب لعيد يخرجون
اليه فخرج بهم ليلا وكان يوسف عهد اليهم عند موته ان يخرجوا بعظامه معهم من مصر فلم يعرفوا
مكانها حتى دلتهم عجوز على موضع العظم فاخذوه وقال موسى عليه السلام للعجوز احتكمي فقالت
اكون معك في الجنة فلما خرجوا تبعهم فرعون فلما انتهى موسى الى البحر قال هنا امرت فاوحى الله
اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فقال لهم موسى ادخلوا فيه فقالوا كيف ندخل وهو
رطب فدعا ربه فهبت عليه الصبا فجفت فقالوا نخاف الغرق في بعضنا فجعل بينهم كوى حتى يرى بعضهم
بعضا ثم دخلوا حتى جاوزوا واقبل فرعون الى تلك الطرق فقال له قومه ان موسى سحر البحر كما ترى
وكان على حصان فاقبل جبريل بين يدي فرعون فابصر الحصان الفرس فاقتحم بفرعون على اثرها
وصاحت الملايكة في الناس الحقوا حتى اذا دخل اخرهم وكاد اولهم ان يخرج التقى البحر عليهم فغرقوا
فرجع بنو اسرايل حتى ينظروا اليهم وقالوا يا موسى ادع الله يخرجهم لنا حتى ننظر اليهم فلفظهم البحر
الى الساحل واصابوا من سلاحهم قال ابن عباس ان جبريل قال يا محمد لو رايتني وانا ادس فرعون
في الما والطين مخافة ان يتوب فهذا معنى قوله فغشيهم من اليم ما غشيهم قال ابن الخطيب وفي هذه
القصة اعاث الاول قال بعض المفسرين ان موسى لما ضرب البحر انفرق اثني عشر طريقا يابسا
وبقي الما قايما بين الطريقين كالطود العظيم وهو الجبل فاخذ كل سبط من بني اسرايل في طريق واحد
لقوله فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا ويمكن حمله على الجنس الثاني ان قول بني اسرايل لعله
اظهر الله لهم الطرق وبينها لنفتنوا وقالوا نريد ان نرى بعضنا بعضا فهذا كالبعيد لان القوم لما ابصروا
مجي فرعون صاروا في نهاية الخوف والخايف اذا وجد طريق الفرار والخلاص كيف يتفرغ للعنت
البارد الثالث ان فرعون كان عاقلا كان في نهاية الدهاء فكيف اختار القا نفسه للتهلكة فانه
كان يعلم من نفسه ان انفلاق البحر ليس بامره وذكروا عنه هذا وجهين احدها ان جبريل كان على
الرمكة فتبعه فرس فرعون ولقايل ان يقول هذا بعيد لانه لا يبعد ان يكون خوض الملك
في امثال هذه المواضع مقدما على خوض جميع العسكر وايضا فلو كان الامر على ما قالوه لكان
فرعون في ذلك الدخول كالمجبور وذلك مما يزيده خوفا ويحمله على الامساك عن الدخول وايضا
فاي حاجة لجبريل عليه السلام الى هذه الحيلة وقد كان يمكنه ان ياخذه مع فرسه ويرميه في
الما ابتدا بل الاولى ان يقال انه امر مقدمة العسكر بالدخول فدخلوا وما غرقوا فغلب
على ظنه السلامة فلما دخل اغرقهم الله الرابع ان قولهم عن جبريل انه كان يدسه في الما والطين خوفا
ان يومن فبعيد لان المنع من الايمان لا يليق بالملك والانبيا الخامس روي ان موسى عليه السلام
كلم البحر فقال انفرق لي لا غير فقال البحر لا امر على رجل عاص وهذا غير ممتنع على اصول اهل
السنة لان عندهم البنية ليست شرطا للحياة وعند المعتزلة ان ذلك على لسان الحال لا على
لسان القال **قوله** تعالى يا بني اسرايل قد انجيناكم من عدوكم الاية قرا الاخوان قد انجيتكم وواعدتكم
ورزقتكم بتا التكلم والباقون انجيناكم وواعدناكم ورزقناكم بنون العظمة واتفقوا على وانزلنا
وتقدم خلاف ابي عمرو في وعدنا في البقرة وقرا حميد نجيناكم بالتشديد وقرى الايمن بالجر وقال
الزمخشري خفض على الجوار كقولهم جحر ضب خرب وجعله ابو حيان شاذا ضعيفا وخرجه على

انه نعت للطور قال وصف به لكى لما فيه من اليمن او لكونه على يمين من يستقبل الجبل وجانب مفعول
ثان على حذف مضاف اي اتيان جانب ولا يجوز ان يكون المفعول الثاني محذوفا وجانب ظرف للوعد
والتقدير ووعدناكم التورية في هذا المكان لانه ظرف مكان مختص لا يصل اليه الفعل بنفسه ولو قيل انه
توسع في هذا الظرف فجعل مفعولا به اي جعل نفس الموعود نحو سير عليه فرسخان وبريدان قوله
فيحل قرا العامة فيحل بكسر الحاء واللام من يحلل والكسائي في احرف بضمهما وابن عيينة وافق العامة في الحا
والكسائي في اللام فقراة العامة من حل عليه كذا اي وجب من حل الدين يحل اي وجب قضاوه ومنه قوله
حتى يبلغ الهدي محله ومنه ايضا ويحل عليه عذاب مقيم وقراة الكسائي من حل يحل اي نزل ومنه او تحل
قريبا من دارهم والمشهورات فاعل يحل في القراتين هو غضبي وقال صاحب اللوامح انه مفعول به
وان الفاعل ضمير عايد على الطغيان كما قدره واما محذوف والفاعل غضبي وفي عبارته قلق وقرا طلحة
لا يحلن عليكم بلا الناهية وكسر الحاء وفتح اللام من يحلن ونون التوكيد المشددة اي لا تتعرضوا للطغيان
فيحق عليكم غضبي وهو من باب لا ارينك وقرا زيد بن علي ولا تطغوا بضم الغين من طغى يطغو كغزا
يغزو وقوله فيحل يجوز ان يكون مجزوما عطفا على لا تطغوا كذا قال ابو البقا وفيه نظر اذ المعنى ليس
على نهي الغضب ان يحل بهم والثاني انه منصوب باضمار ان في جواب النهي

فصل

اعلم ان الله تعالى لما انعم على قوم موسى عليه السلام بانواع النعم ذكرهم ولا شك ان ازالة الضرر يجب
تقديمه على ايصال المنفعة وايصال المنفعة الدينية اعظم من ايصال المنفعة الدنيوية فلهذا
بدا تعالى بازالة الضرر بقوله انجيناكم من عدوكم فان فرعون كان ينزل بهم انواع الظلم والاذلال
والاعمال الشاقة ثم ذكر المنفعة الدينوية وهي قوله ووعدناكم جانب الطور الايمن وذلك انه
انزل عليهم في ذلك الموعد كتابا فيه بيان دينهم وشرايعهم او لانه حصل لهم شرف بسبب ذلك قال
المفسرون وليس للجبل يمين ولا يسار بل المراد ان طور سينا عن يمين السالك من مصر الى الشام
ثم ثلث بذكر المنفعة الدنيوية فقال وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم
امر اباحة ثم زجرهم عن العصيان فقال ولا تطغوا فيه وقال ابن عباس لا يظلم بعضكم بعضا
فياخذه من صاحبه وقال مقاتل والضحاك لا تظلموا فيه انفسكم بان تجاوزوا الاباحة وقال
الكلبي لا تكفروا النعمة اي لا تستعينوا بنعمتي على مخالفتي ولا تعرضوا عن الشكر ولا تعدلوا عن
الحلال الى الحرام والمراد بالطيبات ههنا اللذايذ لان المن والسلوى من لذايذ الاطعمة وقال
الكلبي ومقاتل الطيبات الحلال وذلك لان الله تعالى انزل اليهم ولم تمسه يد الادميين روي
انهم كانوا يصبحون فيجدونه بين بيوتهم فياخذون منه قدر حاجتهم في ذلك اليوم الى الغد
ومن ادخر منه لاكثر من ذلك فسد ومن اخذ منه قليلا كفاه او كثيرا لم يفضل عنه فيصنعون منه
مثل الخبز وهو في غاية البياض والحلاوة فاذا كان اخر النهار غشيهم طير السلوى فيقتصون
منه بلا كلفة ما يكفيهم لعشائهم واذا كان الصيف ظلل عليهم الغمام يقيهم حر الشمس ثم قال
فيحل عليكم غضبي اي يجب عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى اي هلك وقيل شقي
وقيل وقع في الهاوية هوى يهوي هويا اذا سقط من علو الى السفل ثم قال واني لغفار لمن
تاب وامن واعلم انه تعالى وصف نفسه بكونه غافرا وغفورا وغفارا وبان له غفرانا ومغفرة
وعبر عنه بلفظ الماضي والمستقبل والامر اما وصف كونه غافرا فقوله غافر الذنب واما كونه غفورا
فقوله وربك الغفور واما المغفرة فقوله وان ربك لذو مغفرة للناس واما صيغة الماضي
فقوله في حق داود فغفرنا له ذلك واما صيغة المستقبل ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقوله
ان الله يغفر الذنوب جميعا وقوله ليغفر لك الله واما لفظ الاستغفار فقوله استغفروا ربكم
ويستغفرون للذين امنوا وههنا نكتة وهي ان العبد له اسما ثلثة الظالم والمظلوم والظلام
اذا اكثر منه الظلم وذلك في مقابلة كل واحد من هذه الاسما اسما فكانه تعالى قال ان كنت ظالما
فانا غافر وان كنت ظلوما فانا غفور وان كنت ظلاما فانا غفار قال ابن عباس من تاب
عن الشرك وامن وحد الله وصدقه وعمل صالحا اي ادى الفرايض ثم اهتدى علم ان ذلك توفيق
من الله عز وجل وقال قتادة وسفيان والثوري لزم الاسلام حتى مات عليه وقال الشعبي
ومقاتل والكلبي علم ان لذلك ثوابا وقال زيد بن اسلم تعلم العلم ليهتدي كيف يعمل وقال
سعيد بن جبير اقام على السنة والجماعة

فصل

قال بعضهم يجب التوبة عن الكفر اولا
ثم الاتيان بالايمان ثانيا لهذه الاية فانه قدم التوبة عن الايمان ودلت هذه الاية ايضا على
ان العمل الصالح غير داخل في الايمان لانه تعالى عطف العمل الصالح على الايمان والمعطوف مغاير
المعطوف عليه قوله وما اعجلك عن قومك يا موسى ما اعجلك مبتدا وخبر وما استفهامية
عن سبب التقدم على قومه قال الزمخشري فان قلت ما اعجلك سوال عن سبب العجلة
فكان الذي ينطبق عليه من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك والشوق الى كلامك وتنجز موعدك
وقوله هم اولاء على اثري كما ترى غير منطبق عليه قلت قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيين
احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السوال عن سبب التقدم والحامل عليه فكان اهم الامرين
الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير
مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة قريبة
يتقدم مثلها الوفد راسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السوال عن السبب فقال وعجلت اليك
رب لترضى واجاب غيره عن هذا السوال بانه عليه السلام ورد عليه من هيبة عتاب الله ما اذهله
عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام

فصل

في الاية سوالات الاول قوله
وما اعجلك استفهام وهو على الله تعالى محال والجواب انه كان في صيغة الاستفهام والامتناع فيه
الثاني ان موسى عليه السلام اما ان يقال انه كان ممنوعا عن ذلك التقدم او لم يكن ممنوعا عنه
فان كان ممنوعا كان ذلك التقدم معصية فيلزم وقوع المعصية من الانبيا وان لم يكن ممنوعا
كان ذلك الانكار غير جايز والجواب لعله عليه السلام ما وجد نصا في ذلك الا انه باجتهاده تقدم
فاخطا في ذلك الاجتهاد فاستوجب العتاب الثالث قوله وعجلت والعجلة مذمومة والجواب
انها ممدوحة في الدين قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم الرابع قوله لترضى يدل
على انه عليه السلام انما فعل ذلك ليحصل الرضا لله تعالى وذلك باطل من وجهين احدهما يلزم تجدد
صفة لله والاخر انه تعالى قبل حصول ذلك الرضا يجب ان يقال انه كان راضيا عن موسى لان
تحصيل الحاصل محال ولما لم يكن راضيا عنه وجب ان يكون ساخطا عليه وذلك لا يليق بحال الانبيا
والجواب المراد تحصيل دوام الرضا كقوله ثم اهتدى المراد دوام الاهتدا الخامس قوله وعجلت اليك
رب لترضى يدل على انه ذهب الى الميعاد قبل الوقت الذي عينه الله له والا لم يكن ذلك تعجيلا ثم
ظن ان مخالفة امر الله سبب لتحصيل رضاه وذلك لا يليق باجهل الناس فضلا عن كليم الله والجواب
ان ذلك كان باجتهاد واخطا فيه السادس قوله اليك يقتضي كون الله في الجهة لان الى لانتها الغاية
والجواب ايضا على ان الله تعالى لم يكن في الجبل فالمراد الى مكان وعدك

فصل

دلت الاية على انه تعالى امره بحضور الميقات مع قوم مخصوصين فقال المفسرون هم السبعون اختارهم
الله من جملة بني اسرايل يذهبوا معه الى الطور لياخذوا التوراة فسار بهم موسى ثم عجل موسى من
بينهم شوقا الى ربه وخلفهم ليتبعوه وامرهم ان يتبعوه الى الجبل فقال الله وما اعجلك عن قومك
يا موسى قال مجيبا لربه هم اولاء على اثري اي بالقرب مني ياتون من بعدي وعجلت اليك رب لترضى
لتزداد رضى قوله هم اولاء على اثري كقوله ثم انتم هولاء تقتلون وعلى اثري يجوز ان يكون خبرا
ثانيا وان يكون حالا وقرا الجمهور اولاء بهمزة مكسورة والحسن وابن معاذ بيا مكسورة ابدل الهمزة
يا تخفيفا وابن وثاب اولا بالقصر دون همزة وقرات طايفة اولاي بيا مفتوحة وهي قريبة من
الغلط والجمهور على اثري بفتح الهمزة والثا وابو عمرو في رواية عبد الوارث وزيد بن علي على
اثري بكسر الهمزة وسكون الثا وعيسى بضمها وسكون الثا وحكاها الكسائي لغة قوله فانا قد فتنا
قومك من بعدك ابتليناهم الذي خلفتهم مع هرون وكانوا ستماية الف فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر
الفا من بعدك من بعد انطلاقك الى الجبل

فصل

قالت المعتزلة لا يجوز ان يكون المراد
ان الله خلق فيهم الكفر لوجهين الاول الدلالة العقلية الدالة على انه لا يجوز من الله تعالى ان
يفعل ذلك والثاني انه قال واضلهم السامري وايضا فلان موسى لما طالبهم بذلك سبب الفتنة فقال
افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فلو حصل ذلك بتخليق الله لكان لهم ان يقولوا
السبب فيه ان الله خلقه فينا لا ما ذكرت فكان يبطل كلام موسى عليه السلام وايضا فقوله ام اردتم
ان يحل عليكم غضب من ربكم ولو كان ذلك بخلقه لاستحال ان يغضب عليهم فيما هو الخالق ولما بطل
ذلك وجب ان يكون لقوله فتنا معنى وذلك لان الفتنة قد تكون بمعنى الامتحان يقال فتنت الذهب

بالنار ان امتحننا بالنار فيميز الجيد من الردي فهنا شدد الله التكليف عليهم لان السامري لما
اخرج لهم العجل صاروا مكلفين بان يستدلوا بحدوث جملة العالم والاجسام على ان له الها ليس بجسم
وحينئذ يعرفوا ان العجل لا يصلح للالهية فكان هذا التعبد تشديدا في التكليف والتشديد
في التكليف موجود قال تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون والجواب ليس
في ظهور صوت من عجل متخذ من ذهب شبهة اعظم مما في الشمس والقمر والدليل الذي ينفي كون الشمس
والقمر الها اولى بان ينفي كون العجل الها فحينئذ لا يكون حدوث العجل تشديدا في التكليف ولا يصح حمل
الاية عليه فوجب حمله على خلق الضلال فيهم وقوله واضلهم فاضاف الاضلال الى السامري قلنا ليس جميع
المسببات العادية تضاف الى اسباب من الظاهر وان كان الموجد هو الله تعالى فكذا ههنا وايضا
قرى واضلهم السامري اي واشد ضلالا لهم السامري وعلى هذا لا يبقى للمعتزلة استدلال الذي يحسم
مادة الشغب مسئلة الداعي قوله واضلهم السامري العامة على انه فعل ماض مسند الى السامري وقرا
ابو معاذ في احزنين واضلهم مرفوعا بالابتدا وهو افعل تفضيل والسامري خبره ومعنى اضلهم دعاهم
وصرفهم الى عبادة العجل واضاف الاضلال الى السامري لانهم ضلوا بسببه قال ابن عباس في رواية
سعيد بن جبير كان السامري علجا من اهل كرمان وقع الى مصر وكان من قوم يعبدون البقر والاكثرون
على انه كان من عظماء بني اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة قال الزجاج وقال عطا وابن عباس
كان الرجل من القبط جارا لموسى وقد امن به روي انهم اقاموا بعد مفارقة موسى عشرين ليلة
وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فان قيل كيف التوفيق
بين هذا وبين قوله لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك من بعدك فالجواب من وجهين الاول
انه تعالى اخبر عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجود الكائنة على عادته كقوله اقتربت الساعة ونادى
اصحاب الجنة الى غير ذلك الثاني ان السامري شرع في تدبير الامر لما غاب موسى عليه السلام ثم رجع
موسى الى قومه بعدما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة قوله غضبان اسفا حالان
وقد تقدم في سورة الاعراف قيل الاسف شدة الغضب ولا يلزم التكرار لان غضبان يفيد كماله
وقال الاكثرون حزينا جزعا يقال اسف ياسف اسفا فهو اسف اذا حزن وقيل الاسف المغتاظ وفرق
بين الاغتياظ والغضب لان الله تعالى لا يوصف بالغيظ ويوصف بالغضب من حيث ان الغضب ارادة الاضرار
بالمغضوب عليه والغيظ تغير يلحق المغتاظ وذلك لا يصح الا على الاجسام كالضحك والبكاء ان
موسى عليه السلام عاتبهم بعد رجوعه فقال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا صدقا قيل المراد
بالوعد الحسن انزال التورية وقيل الثواب على الطاعات وقال مجاهد العهد هو قوله تعالى
ولا تطغوا فيه الى قوله ثم اهتدى ويدل عليه قوله تعالى بعد ذلك افطال عليكم العهد ام اردتم
ان يحل عليكم غضب من ربكم فكانه قال انسيتم ذلك الذي قال الله لكم ولا تطغوا وقيل الوعد الحسن
ههنا يحتمل ان يكون وعدا حسنا في منافع الدين وان يكون في منافع الدنيا اما منافع الدين فهو
الوعد بانزال الكتاب الهادي الى الشرايع والوعد بحصول الثواب الاعظم في الاخرة واما منافع
الدنيا فان الله تعالى قد وعدهم قبل اهلاك فرعون ان يورثهم ارضهم وديارهم فان قيل قوله
الم يعدكم ربكم هذا الكلام انما يتوجه عليهم لو كانوا معترفين بالاله سوى العجل اما لما اعتقدوا
انه الاله سواه على ما اخبر الله عنهم انهم قالوا هذا الهكم واله موسى فكيف يتوجه عليهم هذا الكلام
فالجواب انهم معترفين بالاله لكنهم عبدوا العجل على التاويل الذي تذكره عبدة الاصنام قوله
وعدا حسنا يجوز ان يكون مصدرا موكدا والمفعول الثاني محذوف تقديره موعدكم بالكتاب وبالهداية
ويتنزل المفعول الثاني للعلم ويجوز ان يكون الموعد بمعنى الموعود فيكون هو المفعول الثاني قوله
افطال عليكم العهد ام نسيتم ذلك العهد وقيل افطال عليكم مدة مفارقتي اياكم وطول العهد ويحتمل
امورا احدها افطال عليكم العهد بنعم الله من انجائكم من فرعون وغير ذلك من النعم المذكورة في اول
سورة البقرة كقوله فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون وثانيها روي انهم عرفوا ان
الاجل اربعين ليلة فجعلوا كل يوم بازاء ليلة وردوه الى عشرين قال القاضي هذا ركيك لان ذلك
لا يكاد يشتبه على احد وثالثها ان موسى عليه السلام وعدهم ثلثين ليلة فلما اراد الله فيها عشرة
اخرى طال العهد قوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم هذا لا يمكن اجراؤه على ظاهره لان
احدا لا يريد ذلك ولكن المعصية لما كانت توجب ذلك ومريد السبب مريد للمسبب اي اردتم ان تفعلوا

فعلا يوجب عليكم الغضب من ربكم فاخلفتم موعدي وهذا يدل على موعد كان منه عليه السلام
مع القوم فقيل المراد ما وعدوه من اللحاق والمجي على اثره وقيل ما وعدوه من الاقامة على دينه الى ان
يرجع اليهم من الطور وان يكون مضافا الى المفعول بمعنى وعدوه ان يتمسكوا بدينه وسننه قوله بملكنا
قرا الاخوان بضم الميم ونافع وعاصم بفتحها والباقون بكسرها فقيل لغات بمعنى واحد كالنقض والنقض
والنقض وهو مصادر ومعناها القدرة والتسلط وفرق الفارسي وغيره بينها فقال المضموم معناه
لم يكن ملك فنخلف موعدك بسلطانه وانما فعلنا بنظر واجتهاد فالمعنى على انه ليس لهم ملك كقول
ذي الرمة • لا يشتكى سقطة منها وقد رقصت • بها المعاور حتى ظهرها حدب •
اي لا يقع منها سقطة فتشتكى وفتح الميم مصدر من ملك امره والمعنى ما فعلناه بانا ملكنا الصواب
بل غلبتنا انفسنا وكسر الميم كثير فيما تحوزه اليد وتحويه ولكنه يستعمل في الامور التي يبرمها الانسان
ومعناها كمعنى التي قبلها والمصدر في هذين الوجهين مضاف لفاعله والمفعول محذوف اي بملكنا
الصواب قوله حملنا قرا نافع وابن كثير وابن عامر وحفص بضم الحا وكسر الميم مشددة وابو جعفر
كذلك الا انه خفف الميم والباقون بفتحها خفيفة الميم فالقراة الاولى والثانية نسبوا فيها الفعل الى
غيرهم وفي الثالثة نسبوه الى انفسهم واوزارا مفعول ثان على غير القراة الثالثة ومن زينة يجوز
ان يكون متعلقا بحملنا وان يكون متعلقا بمحذوف على انه صفة للاوزار قوله فكذلك نعت لمصدر
او حال من ضميره عند سيبويه اي القا مثل القائنا **فصل** اختلفوا في القائل ما اخلفنا
موعدك بملكنا على وجهين فقيل القائل هم الذين لم يعبدوا العجل فانهم قالوا ما اخلفنا موعدك بامر
كنا نملكه وقد يضيف الرجل فعل قرينه الى نفسه كقوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر واذ قتلتم نفسا وان
كان الفاعل لذلك اباهم فكانهم قالوا الشبهة قويت عبدة العجل فلم نقدر على منعهم عنه ولم نقدر ايضا
على مفارقتهم لانا خفنا ان يصير ذلك سببا لوقوع الفرقة وزيادة الفتنة وقيل هذا قول عبدة العجل
والمعنى ان غيرنا اوقع الشبهة في قلوبنا وفاعل السبب فاعل المسبب فالمخلف للوعد هو الذي اوقع الشبهة
فانه كان كالمالك فان قيل كيف رجوع قريب من ستماية الف انسان من المكلفين العقلا عن الدين
الحق دفعة واحدة الى عبادة عجل يعرف فسادها بالضرورة ثم ان مثل هذا الجمع لما فارقوا الدين
واظهروا الكفر فكيف يعقل رجوعهم دفعة واحدة عن ذلك الدين بسبب رجوع موسى عليه السلام
وحده اليهم فالجواب هذا ممتنع في حق البله من الناس ثم ان القوم فسروا العذر الحامل لهم على
ذلك الفعل فقالوا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فمن قرا بالتخفيف فالمعنى حملنا مع انفسنا ما كنا
استعرناه من القوم ومن قرا بالتشديد فقيل ان موسى عليه السلام امرهم باستعارة الحلي والخروج
بها فكانه الزمهم ذلك والمراد بالاوزار حلي قوم فرعون وقيل جعلناه كالضامن لها الى ان يؤديها الى
حيث يامرنا الله وقيل ان الله تعالى حملهم ذلك اي الزمهم حكم المغنم قيل اخذوها على وجه العارية
ولم يردوها حين خرجوا من مصر استعاروها لعيدهم وقيل ان الله تعالى لما اغرق فرعون نبذ البحر حليهم
فاخذوها وكانت غنيمة ولم تكن الغنيمة حلالا لهم في ذلك الزمان فسماها الله اوزارا لذلك لانه يجب
عليهم حفظها من غير فايدة فكانت اثقالا وقيل سميت اوزارا لكثرتها وثقلها والاوزار الاثقال وقيل
المراد بالاوزار الاثام اي المعنى حملنا الاثام روي ان هرون عليه السلام قال انها نجسة فتطهروا منه وقال
السامري ان موسى انما احتبس عقوبة بالحلي فيجوز ان يكونوا ارادوا هذا القول وقد يقول الانسان
للشي الذي يلزمه رده هذا كله اثم وذنب وقيل ان ذلك الحلي كان للقبط يتزينون به في مجامعهم
يجري فيها الكفر فلذلك وصفت لكونها اوزارا كما يقال مثله في الات الملاهي قوله فقذفناها اي طرحناها
في الحفيرة وذلك ان هرون قال لهم ان تلك غنيمة لا تحل فاحفروا حفيرة ثم القوه فيها حتى
يرجع موسى فيرى النار فيه قال وكذلك القى السامري ما معه من الحلي فيها قوله فاخرج لهم عجلا جسدا
له خوار قال ابن عباس اوقد هرون نارا وقال اقذفوا ما معكم فيها فالقوا فيها ثم القى السامري ما كان
معه من تربة حافر فرس جبريل قال قتادة كان قد صر قبضة من ذلك التراب في عمامته فاخرج لهم
عجلا جسدا له خوار فاختلفوا هل كان ذلك الجسد حيا ام لا فقيل لا لانه لا يجوز اظهار خرق العادة
على يد الضال بل السامري صور صورة على شكل العجل وجعل فيها منافذ وتخاريق بحيث يدخل فيها
الرياح فيخرج صوت يشبه صوت العجل وقيل انه صار حيا وخار كما يخور العجل لقوله فقبضت قبضة
من اثر الرسول فنبذتها ولو لم يصر حيا لما بقي لهذا الكلام فايدة ولانه تعالى سماه عجلا والعجل حقيقة

هو الحيوان وسماه جسدا وهو انما يتناول الحي واثبت له الخوار فاما ظهور خارق العادة على يد الضال
فجايز لانه يحصل الالتباس وهاهنا كذلك فوجب ان لا يمتنع وروي عكرمة عن ابن عباس ان هرون
عليه السلام مر بالسامري وهو يصنع العجل فقال ما تصنع فقال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال
اللهم اعطه ما سال فلما مضى هرون قال السامري اللهم اني اسيلك ان يخور فخار وفي رواية
فالقي التراب في فم العجل وقال كن عجلا يخور فكان كذلك بدعوة هرون وعلى هذا التقدير يكون
ذلك معجز النبي فقوله فقالوا هذا الهكم واله موسى وهاهنا اشكال وهو ان القوم ان كانوا في
الجهالة بحيث اعتقدوا ان ذلك العجل المعمول في تلك الساعة هو الخالق للسموات والارض فهم
مجانين وليسوا مكلفين ولان هذا محال على مثل ذلك الجمع العظيم وان لم يعتقدوا ذلك فكيف قالوا
هذا الهكم واله موسى وجوابه لعلهم كانوا من الحلولية يجوز حلول الاله وحلول صفته من صفاته
في ذلك الجسم وان كان ذلك ايضا في غاية البعد لان ظهور الخوار لا يناسب الالهية ولكن لعل
القوم كانوا في غاية البلادة قوله فنسي قرا العامة بكسر السين وقرا الاعمش بسكون السين
وهي لغة فصيحة والضمير في نسي يجوز ان يعود على السامري وعلى هذا قيل انه من كلام الله
تعالى وكانه اخبر عن السامري انه نسي الاستدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل في شيء ولا
يحل فيه شيء ثم انه بين المعنى الذي يجب الاستدلال به وهو قوله افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا
اي لا يخاطبهم لان من لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر لا يكون الها ولا يكون للالهية تعلق بالحالية
والمحلية ويجوز ان يعود على موسى وعلى هذا قيل هذا قول السامري والمعنى ان هذا الهكم واله
موسى فنسي موسى ان هذا هو الاله فذهب يطلبه في موضع اخر وهو قول الاكثرين وقيل فنسي
وقت الموعد في الرجوع قوله افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا اي ان العجل لا يكلمهم ولا يجيبهم
اذا دعوه ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا وهذا استدلال على عدم الهيته بانه لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر
وهذا يدل على ان الاله لا بد وان يكون موصوفا بهذه الصفات وهو كقوله تعالى في قصة ابراهيم
عليه السلام لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر وان موسى عليه السلام في الاكثر لا يعول الا على دليل
ابراهيم عليه السلام قوله ان لا يرجع العامة على رفع يرجع لانها المخففة من الثقيلة ويدل
على ذلك وقوع اصلها وهو المشددة في قوله الم يروا انه لا يكلمهم قال الزجاج الاختيار الرفع
بمعنى انه لا يرجع كقوله وحسبوا ان لا تكون فتنة بمعنى انه لا يكون وقرا ابو حيوة والشافعي
وابان بنصبه جعلوها الناصبة والرؤية على الاولى يقينية وعلى الثانية بصرية وقد تقدم
تحقيق هذين القولين في المايدة والسامري منسوب لقبيلة يقال لها السامرة **فصل**
دلت الاية على وجوب النظر في معرفة الله وقال في اية اخرى الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا
وهو قريب من قوله في ذم عبدة الاصنام فاسالوهم ان كانوا ينطقون اي لو كان يكلمهم لكان
الها والشيء يجوز ان يكون مشروطا بشروط كثيرة وفوات واحد منها يقتضي فوات المشروط وحصول
الواحد منها لا يقتضي حصول المشروط وقال بعض اليهود لعلي رضي الله عنه ما دفنتم نبيكم
حتى اختلفتم فقال ما اختلفنا عنه وما اختلفنا فيه وانتم ما جفت اقدامكم من ماء البحر
حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم الهة قوله ولقد قال لهم هرون من قبل انما قال ذلك شفقة
منه على نفسه وعلى الخلق اما شفقته على نفسه فلانه كان مامورا من عند الله بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وكان مامورا من عند اخيه موسى عليه السلام اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع
سبيل المفسدين فلو لم يشتغل بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر كان مخالفا لامر الله ولامر موسى وذلك
لا يجوز واما الشفقة على الخلق فلان الانسان يجب ان يكون مشفقا على خلق الله خصوصا على ابناء
جنسه واي شفقة اعظم من ان يرى جمعا يتهافتون على النار فلم يبال بالكثرة بل صرح بالحق
فقال يا قوم انما فتنتم به واعلم ان هرون عليه السلام سلك في هذا الوعظ احسن الوجوه
لانه زجرهم عن الباطل اولا بقوله انما فتنتم به ثم دعاهم الى معرفة الله ثانيا بقوله وان ربكم
الرحمن ثم دعاهم ثالثا الى النبوة بقوله فاتبعوني ثم دعاهم رابعا بقوله واطيعوا امري وهذا
هو الترتيب الجيد لانه لا بد قبل كل شيء من اماطة الاذى من الطريق وهو ازالة الشبهات
ثم معرفة الله فانها هي الاصل ثم النبوة ثم الشريعة فثبت ان هذا الترتيب احسن الوجوه وان
ربكم الرحمن فخص هذا الموضع باسم الرحمن تنبيها على انهم متى تابوا قبل الله توبتهم لانه هو الرحمن

ومن

ومن رحمته ان خلصهم من افات فرعون ثم انهم لجهلهم قالوا هذا الترتيب الحسن في الاستدلال
بالتقليد فقالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى كانهم قالوا لا نقبل حجتك ولكن نقبل
قول موسى وهذه عادة المقلد قوله انما فتنتم به قرا العامة انما فتنتم به وان ربكم الرحمن بالكسر
فيهما لانه بعد القول لا بمعنى الظن وقرات فرقة بفتحهما وخرجت على لغة سليم وهي انهم يفتحون ان
بعد القول مطلقا وقرا ابو عمرو في رواية الحسن وعيسى بن عمر بفتح ان ربكم فقط وخرجت على وجهين
احدهما انها وما بعدها بتاويل مصدر في محل رفع خبر المبتدا محذوف تقديره والامر ان ربكم الرحمن
فهو من عطف الجمل لا من عطف المفردات والثاني انها مجرورة بحرف مقدر اي لان ربكم الرحمن فاتبعوني
وقد تقدم القول في نظير ذلك بالنسبة الى هذه الفا **فصل** لما قالوا لهرون لن نبرح
عليه عاكفين اي مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع الينا موسى اعتزلهم هارون في اثني عشر الفا
الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع وسمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين
الذين معه هذا صوت الفتنة فلما راى هرون اخذ بشعر راسه بيمينه ولحيته بشماله وقال له ما
منعك اذ رايتهم ضلوا اشركوا قوله اذ منصوب بمنعك اي اي شيء منعك وقت ضلالهم ولا فيها قولان
احدهما انها مزيدة اي ما منعك من ان تتبعني والثاني انها دخلت حملا على المعنى اذ المعنى ما حملك
على ان لا تتبعني وما دعاك الى ان لا تتبعني ذكره علي بن عيسى وقد تقدم تحقيق هذين القولين في
سورة الاعراف والقراة في يا ابن ام ومعنى تتبعني اي تتبع امري ووصيتي يعني هلا قاتلتهم وقد
علمت اني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل ان لا تتبعني اي ما منعك من اللحوق بي واخباري
بضلالهم فتكون مفارقتك اياهم زجرا لهم عما اتوه افعصيت امري **فصل** تمسك الطاعنون
في عصمة الانبياء عليهم السلام بهذه الاية من وجوه احدها ان موسى عليه السلام اما ان يكون قد امر هارون
باتباعه او لم يامره فان امره فاما ان يكون هرون قد اتبعه او لم يتبعه فان اتبعه كان لوم موسى لهرون
معصية وذنبا لان ملامة غير المجرم معصية وان لم يتبعه كان هرون تاركا للواجب فكان فاعلا
للمعصية وان قلنا ان موسى ما امره باتباعه كانت ملامته اياه بتركه الاتباع معصية وعلى جميع
التقديرات يلزم اسناد المعصية اما الى موسى او الى هرون وثانيها قول موسى افعصيت امري استفهام
على سبيل الانكار فوجب ان يكون هرون قد عصاه وان يكون ذلك العصيان منكرا والا كان موسى
كاذبا وهو معصية واذا فعل هرون ذلك فقد فعل المعصية وثالثها قوله يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا
وهذا معصية لان هرون عليه السلام قد فعل ما قدر عليه فكان الاخذ براسه ولحيته معصية وان فعل
ذلك قبل تعرف الحال كان ذلك معصية ورابعها ان هرون قال لا تاخذ بلحيتي ولا براسي فان كان الاخذ
بلحيته وراسه جايزا كان قول هرون لا تاخذ منعا له عما كان له ان يفعله فيكون ذلك القول معصية وان
لم يكن ذلك الاخذ جايزا كان موسى عليه السلام فاعلا للمعصية والجواب عن الكل انه حاصل هذه
الوجوه يتمسك بظواهر قابلة للتاويل ومعارضة ما يبعد عن التاويل بما يتسارع اليه التاويل غير
جايز واذا ثبت هذه المقدمة ففي الجواب وجوه احدها انا وان اختلفنا في جواز عصمة الانبيا لكن
اتفقنا على جواز عصمة الانبيا لكن اتفقنا على جواز ترك الاولى عليهم واذا كان كذلك فالفعل الذي
يفعله احدهما ويمنع منه الاخر اعني موسى وهرون عليهما السلام لعله كان احدهما اولى والاخر ترك
الاولى فلذلك فعله احدهما وتركه الاخر فان قيل هذا التاويل غير جايز لان كل واحد منهما كان جازما
فيما ياتي به فعلا كان او تركا وفعل المندوب وتركه لا يجزمون به قلنا تقييد المطلق بالدليل غير ممتنع
فنحمل الجزم في الفعل والترك على ان المراد افعل ذلك او اتركه ان كنت تريد الاصلح وقد يترك ذلك الشرط
اذا كان تواطوهم يحملهم على رعايته معلوما مستقرا وثانيها ان موسى عليه السلام اقبل وهو غضبان على
قومه فاخذ براس اخيه وجره اليه كما يفعل الانسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب فان الغضبان المتفكر
قد يعض على شفته واصابعه ويفتل لحيته فاجرى موسى اخاه هرون مجرى نفسه لانه كان اخاه
وشريكه فصنع به ما يصنع الرجل بنفسه في حالة الفكر والغضب واما قوله لا تاخذ بلحيتي ولا براسي ولا
يمتنع ان يكون هرون عليه السلام خاف من ان يتوهم بنو اسرايل انه منكر عليه فنبهه انه معاون له ثم
اخذ في شرح القصة فقال اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرايل وثالثها ان بني اسرايل كانوا
على نهاية سوء الظن بموسى حتى ان هرون غاب عنهم غيبة فقالوا لموسى انت قتلته فلما وعد الله
موسى وكتب له في الالواح من كل شيء ثم رجع فراى من قومه ما راى اخذ براس اخيه ليدنيه فيتفحص عن

كيفية الواقعة فنهي هرون ان يسبق الي قلوبهم ما لا اصل له فقال اسفا على موسى لا تاخذ بلحيتي
ولا براسي لئلا يظن القوم ما لا يليق بك وبرا بها قال الزمخشري كان موسى عليه السلام رجلا حديدا
مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين راى قومه
يعبدون عجلا من دون الله بعدما راوا من الايات العظام ان القى الواح التورية لما غلب عليه من الدهشة
العظيمة غضبا لله وحمية وعنف باخيه وخليفته على قومه فاقبل اقبال العدو وقال ابن الخطيب ره
وهذا الجواب ساقط لانه يقال هب انه كان شديد الغضب ولكن مع ذلك الغضب الشديد هل كان
يبقى عاقلا مكلفا ام لا فان بقي عاقلا مكلفا فالاسئلة باقية بتمامها اكثر ما في الباب انك ذكرت انه
يغضب شديدا وذلك من جملة المعاصي وان قلتم انه في ذلك الغضب لم يبق عاقلا ولا مكلفا فهذا مما لا
يرتضيه مسلم البتة فهذه اجوبة من لم يجوز الصغاير اما من جوزها فالسؤال ساقط وجواب اخر وهو ان
موسى عليه السلام لما رجع الي بني اسرايل كان عالما بانهم قد فتنوا وان السامري قد اضلهم والدليل
عليه قوله تعالى لموسى انا قد فتنا قومك من بعدك واذا كان كذلك لموسى عليه السلام انما جاء
وهو عالم بحالهم فانكاره على هرون لعلمه بحالهم قبل مجيئه اليهم لا لما انبئوه في سؤالهم وقوله
افعصيت امري يدل على ان تارك المامور عاص والعاصي مستحق للعقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله
يدخله نارا فمجموع الايتين يدل على ان الامر للوجوب قوله يا ابن ام قيل انما خاطبه بذلك ليدفعه
عنه ويتركه وقيل كان اخاه لامه واعلم انه ليس في القران دلالة على انه فعل ذلك فان النهي عن الشيء
لا يدل على كون المنهي فاعلا للمنهي عنه لقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين وانما في القران انه اخذ
براس اخيه يجره اليه وهذا القدر لا يدل على الاستخفاف بل قد يفعل لسائر الاغراض على ما بيناه قوله
لا تاخذ بلحيتي ولا براسي الجمهور على كسر اللام من اللحية وهي الفصحى وفيها الفتح وبه قرا عيسى بن
سليمان الحجازي والفتح لغة الحجاز ويجمع لحي كقرب وينقل فيها الضم كما قالوا اصور بالكسر وحقها
الضم والبا في بلحيتي لتبيين زايدة اما لان المعنى لا تكن منك اخذ واما لان المفعول محذوف اي لا تاخذني
ومن زعم زيادة كقوله تعالى في قوله ولا تلقوا بايديكم فقد تعسف **فصل** معنى قوله براسي اي
بشعر راسي وكان قد اخذ بذوابته اني خشيت لو انكرت عليهم لصاروا احزابا يقتتل بعضهم بعضا
فتقول انك فرقت بين بني اسرايل ولم ترقب قولي ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي
واصلح اي ارفق بهم قوله ولم ترقب قولي هذه الجملة محلها النصب نسقا على فرقت بين بني اسرايل
اي تقول فرقت بينهم وان تقول ولم ترقب قولي اي لم تبال وقرا ابو جعفر ترقب بضم حرف المضارعة
من ارقب فان قيل ان قول موسى عليه السلام ما منعك ان لا تتبعني افعصيت امري يدل على انه امره
بشيء فكيف يحسن في جوابه ان يقال انما لم امتثل قولك خوفا من ان تقول لم ترقب قولي وقيل يجوز
مثل هذا الكلام على العاقل فالجواب لعل موسى عليه السلام انما امره بالذهاب اليه بشرط ان لا
يودي ذلك الي فساد القوم فلما قال موسى ما منعك ان لا تتبعني قال انك انما امرتني باتباعك اذا لم
يحصل الفساد فلو جيتك مع حصول الفساد ما كنت مراقبا قولك قوله فما خطبك يا سامري ما خطبك
مبتدا وخبر وتقدم الكلام على الخطب في يوسف ومعناه هنا ما امرك وشانك اي ما حملك على ما صنعت
وقال ابن عطية انه يقتضي انتهارا لانه قال ما نحسك وما شومك ورد عليه ابو حيان بقوله فما
خطبكم ايها المرسلون قوله بصرت يقال بصر بالشيء اي علمه وابصر اي نظر اليه كذا قال الزجاج
وقال غيره بصر بالشيء وابصره بمعنى علمه والعامة على ضم الصاد في الماضي ومضارعه وقرا
الاعمش وابو السمال بصرت بالكسر يبصر بالفتح وهي لغة وعمرو بن عبيد بالبنا للمفعول في الفعلين
اي اعلمت بما لم يعلموا به وقرا الاخوان تبصروا خطابا لموسى وقومه وتعظيما له كقوله اذا طلقتم
النسا حرمت النسا عليكم والباقون بالغيبة عن قومه والعامة على فتح القاف من قبضة وهي
المرة من قبض قال الزمخشري واما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية
المفعول بالمصدر وقال شهاب الدين والنحاة يقولون ان المصدر الواقع كذلك لا يونث بالتا
تقول هذه حلة نسج اليمن ولا تقول نسجة ويعترضون بهذه الاية ثم يجيبون بان الممنوع
انما هو التا الدالة على التحديد لا على مجرد التانيث وهذه التا دالة على مجرد التانيث وكذلك
قوله والارض جميعا قبضته وقرا الحسن قبضة بضم القاف وهي كالغرفة والمضغة في معنى
المعروف والمقبوض وروي عنه قبصة بالصاد المهملة والقبض بالمعجمة بجميع الكف وبالمهملة باطراف

الاصابع وله نظاير كالخضم وهو الاكل بجميع الفم والقضم بمقدمه والقصم قطع بانفصال والفصم بالفا
اتصال وقد تقدم شيء من ذلك في البقرة وادغم ابن محيصن الضاد المعجمة في تا المتكلم مع ابقا الاطباق
كما تقدم في بسطت وادغم الاخوان وابو عمرو الذال في التا من نبذتها **فصل** لما اجاب هرون
اخاه موسى بالجواب المتقدم اقبل موسى على السامري وقال له ما خطبك اي ما حملك على ما فعلت فقال
بصرت بما لم يبصروا به اي رايت ما لم يروا وابنوا اسرايل وعرفت ما لم يعرفوا قال ابن عباس علمت ما لم يعلموا
ومنه قولهم رجل بصير اي عالم قال ابو عبيدة واراد انه راى جبريل عليه السلام فاخذ من موضع حافر
دابته قبضة من تراب فقال فقبضت قبضة من اثر الرسول وقرا ابن مسعود من اثر فرس الرسول
والمراد بالرسول جبريل عليه السلام عند عامة المفسرين واراد باثره التراب الذي اخذه من موضع
حافر دابته لما راه يوم فلق البحر عن علي رضي الله عنه ان جبريل عليه السلام لما نزل ليذهب موسى
الي الطور ابصره السامري من بين الناس فقال ابن عباس في رواية الكلبي انما عرفه لانه راه في صغره
وحفظه من القتل حين امر بذبح اولاد بني اسرايل فكانت المراة اذا ولدت طرحت ولدها حيث لا يشعر به
الفرعون فتاخذ الملايكة الولدان ويربونهم حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامري ممن
اخذه جبريل عليه السلام وجعل نفسه في فيه وارتضع منه اللبن ليربيه لما قضى على يديه من الفتنة
فلم يزل يختلف اليه حتى عرفه قال ابن جريج فعلى هذا قوله بصرت بما لم يبصروا به يعني رايت ما لم
يروه من فسر الابصار بالعلم فهو صحيح ويكون المعنى علمت ان تراب فرس جبريل عليه السلام له
خاصية في الاحيا وذلك انه كان كلما رفع الفرس يديه او رجليه في مشيه على الطريق اليبس يخرج
تحته النبات في الحال وقال ابو مسلم ليس في القران تصريح بما ذكره المفسرون فهنا وجه اخر وهو ان
يكون المراد بالرسول موسى عليه السلام وباثره سنته ورسمه الذي امره به فقد يقول الرجل ان فلانا
يقفوا اثر فلان ويقتص اثره اذا كان يمتثل رسمه فالتقدير ان موسى عليه السلام لما اقبل على السامري
باللوم والسوال عن الامر الذي دعاه الي اضلال القوم في العجل فقال بصرت بما لم تبصروا به اي عرفت
الذي انتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت قبضة من اثرك ايها الرسول اي شيا من دينك فنبذته
اي طرحته فعند ذلك اعلمه موسى عليه السلام بما له من العذاب في الدنيا والاخرة وانما اورد بلفظه
الاخبار عن غايب كما يقول الرجل لرئيسه وهو مواجه له ما يقول الامير في كذا وبماذا يامر الامير
واما دعاوه ان موسى عليه السلام رسولا مع جحده وكفره فعلى مذهب من حكى الله عنه قوله يا ايها
الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وان لم يومنوا بالانزال قال ابن الخطيب وهذا القول الذي
ذكره ابو مسلم ليس فيه الا انه مخالف للمفسرين ولكنه اقرب الي التحقيق لوجوه احدها ان جبريل
عليه السلام ليس معهودا باسم الرسول ولم يجر له فيما تقدم ذكر حتى يجعل لام التعريف اشارة اليه
فاطلاق لفظ الرسول لارادة جبريل كانه تكليف بعلم الغيب وثانيها انه لا بد فيه من الاضمار وهو
قبضة من اثر حافر دابة الرسول والاضمار خلاف الاصل وثالثها انه لا بد من التعسف في بيان ان
السامري كيف اختص من بين جميع الناس برؤية جبريل ومعرفته ثم كيف عرف ان تراب حافر دابته
يوثر هذا الاثر والذي ذكروه من ان جبريل عليه السلام هو الذي رباه فبعيد لان السامري ان عرف
انه جبريل حال كمال عقله عرف قطعا ان موسى عليه السلام نبي صادق فكيف يحاول الاضلال وان كان
ما عرفه حال البلوغ فاي منفعة لكون جبريل عليه السلام مربيا له حال الطفولية في حصول تلك
المعرفة ورابعها انه لو جاز اطلاع بعض الكفرة على تراب هذا شانه لكان لقايل ان يقول فلعل موسى
اطلع ايضا على شيء اخر يشبه ذلك فلاجله اتى بالمعجزات فرجع حاصله ان سوال من يطعن في المعجزات
ويقول لا يجوز انه يقال انما اتوا بهذه المعجزات لاختصاصهم بمعرفة بعض الادوية التي لها خاصية ان يبعد
حصول تلك المعجزة وحينئذ ينسد باب المعجزات بالكلية ثم قال وكذلك سولت لي نفسي اي زينت
والمعنى فعلت ما دعتني اليه نفسي وسولت ماخوذ من السوال قوله فاذهب فان لك في الحياة
ان تقول لا مساس قرا العامة بكسر الميم وفتح السين وهو مصدر لفاعل كالقتال من قاتل فهو
يقتضي المشاركة وفي التفسير لا تمسني ولا امسك وان من مسه اصابته الحمى وقرا الحسن وابو حيوة وابن
ابي عبلة وقعنب بفتح الميم وكسر السين هكذا عبر ابو حيان وتبع فيه ابا البقا ومتى اخذنا بظاهر
هذه العبارة لزم ان يقرا مسيس بقلب الالف ياء لانكسار ما قبلها ولكن لم يرو ذلك فينبغي ان يكونوا
ارادوا بالكسر الامالة ويدل على ذلك ما قاله الزمخشري وقرى لا مساس بوزن فجار ونحو قولهم في الظبا

• انا وردت الماء فلا عتاب • وان فقدته فلا اياب •
وهي اعلام للمسه والعمد وال بته وهي المرة من الاب وهو الطلب فهذا تصريح منه ببقاء الالف على حالها
ويدل عليه ايضا قول صاحب اللوامح هو على صورة نزال ونظاير من اسماء الافعال بمعنى انزل وانظر
فهذا ايضا تصريح باقرار الالف على حالها ثم قال صاحب اللوامح فهذه الاسماء التي بهذه الصيغة
معارف ولا تدخل عليها الالف فهذه التي تنصب النكرات نحو لا مال لك لكنه فيه نفي الفعل فتقديره
ولا يكون منك مساس ومعناه النهي اي لا تمسني وقال ابن عطية لا مساس هو معدول عن
المصدر كفجار ونحوه وشبهه ابو عبيدة وغيره بنزال ودراك ونحوه والشبه صحيح من حيث هي معدولات
وفارقه من حيث ان هذه عدلت عن الامر ومساس وفجار عدلت عن المصدر ومن هذا قول
الشاعر تميم كرهط السامري وقوله ان لا يريد السامري مساس فكلام الزمخشري وابن عطية
يعطي ان مساس على هذه القراة معدول عن المصدر كفجار عن الفجرة وكلام صاحب اللوامح يقتضي
انها معدولة عن فعل الامر الا ان يكون مراده انها معدولة كما ان اسم الفعل معدول كما تقدم توجيه
ابن عطية لكلام ابي عبيدة **فصل** معنى الكلام انك ما دمت حيا ان تقول لا مساس
اي لا تخالط احدا ولا يخالطك احد وامر موسى بني اسرايل ان لا يخالطوه ولا يقربوه قال ابن
عباس لا مساس لك ولولدك والمماس من المماسة معناه لا يمس بعضنا بعضا فصار السامري
مقيم في الارض مع الوحوش والسباع لا يمس احدا ولا يمسه احد عاقبه الله بذلك وكان اذا لقي
احدا يقول لا مساس اي لا تقربني ولا تمسني وقيل كان اذا مس احدا حما جميعا في الوقت وقال
ابو مسلم يجوز ان يريد بمس النسا فيكون من تعذيب الله اياه انقطاع نسله فلا يكون له من
يونسه فيخليه الله من زينة الدنيا التي ذكرها في قوله المال والبنون زينة الحياة الدنيا قوله
وان لك موعدا لن تخلفه الموعد بمعنى الوعد وقرا ابن كثير وابو عمرو تخلفه بكسر اللام على البنا
للفاعل اي تجي اليه ولن تغيب عنه والباقون بفتحها على البنا للمفعول وقرا ابو نهيك فيما
حكاه عنه ابن خالويه بفتح التاء من فوق وضم اللام وحكى عنه صاحب اللوامح كذلك الا انه
بالياء من تحت وابن مسعود والحسن بضم النون وكسر اللام فاما القراة الاولى فمعناها لن
تجده مخلفا كقولك احمدته واجبنته اي وجدته محمودا وجبانا وقيل المعنى سيصل اليك ولن
تستطيع الروغان والحيدة عنه قال الزمخشري وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته
مخلفا قال الاعشى • اثوى وقصر ليله ليزودا • فمضى واخلف من قتيلة موعدا •
ومعنى الثانية لن يخلف الله موعده الذي وعدك وفتح اللام اختيار ابي عبيدة لانه قال الموعد
حقا لا خلف فيه ولن يخلفك الله والمعنى ان الله يكافيك على فعلك ولا يغفر عنه واما قراة ابي
نهيك فيهما من خلفه يخلفه اذا جا بعده اي الموعد الذي لك لا يدفع قولك الذي يقوله وهي
قراة مشكلة قال ابو حاتم لا نعرف لقراة ابي نهيك مذهبا واما قراة ابن مسعود فاسند الفعل
فيها الى الله تعالى والمفعول الاول محذوف اي لن نخلفك قوله ظلت العامة على فتح الظا
وبعدها لام ساكنة وابن مسعود والاعمش بخلاف عنه وابي حيوة وابن ابي عبلة ويحيى
ابن يعمر بكسر الظا وروي عن ابن يعمر ضمها ايضا والي الاعمش في رواية الاحزي ظللت بلامين
اوليهما مكسورة فاما قراة العامة ففيها حذف احدى المثلين وابقا الظا على حالها من حركتها
وانما حذف تخفيفا وعده سيبويه في الشاذ يعني شذوذ قياس لا شذوذ استعمال وعد
معه الفاظا نحو مست واحست كقوله • احسن به فهن اليه شوس •
وعد ابن الانباري همت في هممت ولا يكون هذا الحذف الا اذا سكنت لام الفعل وذكر بعضهم
المتاخرين ان هذا الحذف ينقاس في كل مضاعف العين واللام سكنت لامه وذلك في لغة
سليم قال شهاب الدين والذي اقوله انه لم يبق التضعيف المذكور والكسرة نحو ظللت ومسست
انقاس الحذف وهل يجري الضم مجرى الكسر في ذلك فالظاهر انه يجري بل بطريق الاولى لان
الضم اثقل من الكسر نحو غضضن بانسوة اي اغضضن ابصاركن ذكره ابن مالك واما الفتح فالحذف
فيه ضعيف نحو قرن بانسوة في المثل وجه في احد توجيهي قراة وقرن في بيوتكن كما سياتي
ان شا الله تعالى واما الكسر فوجهه انه نقل كسرة اللام الى الفا بعد سلبها حركتها ليدل عليها واما
الضم فيحتمل ان يكون جا منه لغة على فعل يفعل بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع ثم نقلت

كما

كما تقدم ذلك في الكسر واما ظللت بلامين فهذه هي الاصل وهي مبهمة على غيرها وعاكفين خبر ظل
قوله لنحرقنه جواب قسم محذوف اي والله لنحرقنه والعامة على ضم النون وكسر الرا مشددة من
حرقه يحرقه بالتشديد وفيها تاويلان اظهرهما انها من حرقه بالنار والثاني انه من حرق ناب البعير
اذا وقع عض ببعض انيابه والصوت المسموع منه يقال له الصريف والمعنى لنبردنه وبردا بحفته
به كما يفعل البعير بانيابه بعضها على بعض وقرا الحسن وقتادة لنحرقنه بضم النون وسكون الحا
وكسر الرا من احرق رباعيا وقرا ابن عباس وحميد وعيسى وابو جعفر لنحرقنه وكذلك الا انه بضم الرا
فيجوز ان يكون من احرق وحرق بمعنى كانزل ونزل واما القراة الاخيرة فبمعنى لنبردنه بالمبرد قوله
ثم لننسفنه العامة على فتح النون الاولى وسكون النون الثانية وكسر السين خفيفة وقرا عيسى بضم
السين وقرا ابن مقسم بضم النون الاولى وفتح الثانية وكسر السين مشددة والنسف التفرقة والتذرية
وقيل قلع الشي من اصله يقال نسفه ينسفه بكسر السين وضمها في المضارع وعليه القراتان والتشديد
للتكثير **فصل** معنى احرقه على قراة التشديد قال السدي امر موسى بذبح العجل فذبح
وسال منه الدم ثم احرق ونسف رماده وهذا يدل على انه صار لحما ودما لان الذهب لا يمكن احراقه بالنار
وفي قراة ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه وعلى قراة التخفيف اي لنبردنه بالمبرد وهذه القراة تدل على
انه لم ينقلب لحما ودما فان ذلك لا يبرد بالمبرد ومنه قيل للمبرد المحرق وقال السدي اخذ موسى العجل
فذبحه ثم حرقه ثم برد عظامه بالمبرد ثم ذراه في اليم ثم لما فرغ من ابطال ما ذهب اليه السامري عاد
الى بيان الدين الحق فقال انما الهكم اي المستحق للعبادة الله الذي لا اله الا هو وسع كل شي علما قال
مقاتل يعلم من يعبده ومن لا يعبده قوله وسع كل شي علما العامة على كسر السين خفيفة وعلما على هذه
القراة تمييز منقول من الفاعل اذ الاصل احدها انه مفعول قال الزمخشري وجهه انه وسع متعد الى
مفعول واحد واما علما فانتصابه على التمييز فاعلا في المعنى فلما نقل الى التعدية الى مفعولين
فنصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل
ما كان فاعلا مفعولا وقال ابو البقا والمعنى اعطى كل شي علما فيضمنه معنى اعطى وما قاله الزمخشري
اولى والوجه الثاني انه تمييز ايضا كما هو في قراة التخفيف وقال ابو البقا وفيه وجه اخر وهو ان يكون عظم
خلق كل شي كالارض والسما وهو بمعنى بسط فيكون علما تمييزا وقال ابن عطية وسع خلق الاشيا وكثرها
بالاختراع قوله كذلك نقص الكاف اما نعت لمصدر محذوف او حال من ضمير ذلك المصدر المقدر والتقدير
كقصصنا هذا النبا الغريب نقص ومن انبا صفة لمحذوف وهو مفعول نقص اي نقص نبا من انبا **فصل**
لما ذكر قصة موسى عليه السلام مع فرعون ثم مع السامري قال كذلك نقص عليك من ساير الامم واحوالهم
تكثيرا لبيانك وزيادة في معجزاتك وقد اتيناك من لدنا ذكرا يعني القران لقوله وهذا ذكر مبارك انزلناه
وانه لذكر والقران ذي الذكر يا ايها الذي نزل عليه الذكر وفي تسمية القران بالذكر وجوه احدها انه كتاب
فيه ذكر ما يحتاج اليه الناس من امر دينهم ودنياهم وثانيها انه يذكر الا الله ونعمايه وفيه التذكر والموعظة
وثالثها فيه الذكر والشرف لك ولقومك كما قال وانه لذكر لك ولقومك وسمى الله تعالى كل كتاب انزله
ذكرا فقال فاسالوا اهل الذكر وكما بين نعمته بذلك بين وعيده لمن اعرض فقال من اعرض عنه فانه
يحمل يوم القيمة وزرا اي من اعرض عن القران ولم يومن به ولم يعمل بما فيه فانه يحمل يوم القيمة وزرا
والوزر هو العقوبة الثقيلة سماها الله وزرا لثقلها على المعاقب تشبيها بالحمل الثقيل وقيل حملا ثقيلا
من الاثم قوله من اعرض عنه يجوز ان يكون من شرطية او موصولة والجملة الشرطية لجزيه المشبهة
بها في محل نصب صفة لذكرا قوله خالدين فيه حال من فاعل يحمل فان قيل كيف يكون الجمع حالا
من مفرد فالجواب انه حمل على لفظ من فافرد الضمير في قوله اعرض وفانه وحمل على معناها فجمع في خالدين
ولهم والمعنى مقيمين في عذاب الوزر والضمير في فيه يعود للوزر والمراد في العقاب المسبب عن
الوزر وهو الذنب فاقيم السبب مقام المسبب وقرا داود بن رفيع يحمل مضعفا مبنيا للمفعول والقايم
مقام الفاعل ضمير من ووزرا مفعول ثان قوله وسا هذه التي بمعنى بيس وفاعلها مستتر فيها يعود على
حملا المنصوب على التمييز لان هذا الباب يفسر الضمير فيه بما بعده والتقدير وسا الحمل حملا والمخصوص
بالذم محذوف تقديره وسا الحمل حملا وزرهم ولا يجوز ان يكون الفاعل بيس ضمير الوزر لان شرط الضمير
في هذا الباب ان يعود على نفس التمييز فان قلت ما انكرت ان يكون في سا ضمير الوزر قلت لا يصح
ان يكون في سا وحكمه حكم بيس ضمير شي بعينه غير مبهم ولا جايز ان يكون سا هنا بمعنى اهم واحزن

تكون متصرفة كساير الافعال قال الزمخشري كفاك صا واعتداد به كلام الله تعالى الي واخرت
الوزر لهم يوم القيمة حملا وذلك بعد ان يخرج من عهدة هذه اللام وعهدة هذا المنصوب انتهى
واللام في لهم متعلقة بمحذوف على سبيل البيان كهي في هيت لك والمعنى بيس ما حملوا على انفسهم
من الاثم كفرا بالقران قوله يوم ينفخ يوم بدل من يوم القيمة او بيان له او منصوب باضمار فعل
او خبر مبتدا مضمر وبني على الفتح على راي الكوفيين كقراءة هذا يوم ينفع وقد تقدم وقرا ابو عمرو
ننفخ مبنيا للفاعل بنون العظمة لقوله ونحشر اسند الفعل الى الامر به تعظيما للمامور وهو
الملك اسرافيل والباقون بضمها مضمومة مفتوح الفا على البنا للمفعول والقايم مقام الفاعل
الجار والمجرور بعده والعامة على اسكان الواو في الصور وقرا الحسن وابن عامر في رواية بفتحها
جمع صورة كغرف جمع غرفة وقد تقدم القول في الصور في الانعام وقرئ ينفخ ويحشر بالياء مفتوحة
مبنيا للفاعل والله تعالى او الملك وقرا الحسن وطلحة وحميد ينفخ كالجمهور بالياء مفتوحة
مبنيا للمفعول المجرمين رفع به وزرقا حال من المجرمين والمراد زرقة العيون وجات الحال
هنا بصفة تشبه اللازمة لان اصلها على عدم اللزوم لو قلت في الكلام جاني زيد ازرق
العينين لم يجز الا بتاويل **فصل** قيل الصور قرن ينفخ فيه يدعا به الناس للحشر
وقيل انه جمع صورة والنفخ نفخ الروح فيه ويدل عليه قراءة من قرا الصور بفتح الواو والاول
اولى لقوله فاذا نقر في الناقور والله تعالى يعرف الناس امور الاخرة بامثال ما شوهد
في الدنيا ومن عادة الناس النفخ في البوق عند الاسفار وفي العساكر والمراد من هذا النفخ
هو النفخة الثانية لقوله بعد ذلك ونحشر المجرمين يومئذ زرقا فالنفخ في الصور كالسبب
لحشر فهو كقوله يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا والزرقة هي الخضرة في سواد العين فيحشرون
زرق العيون سود الوجوه فان قيل اليس ان الله تعالى اخبر انهم يحشرون عميا فكيف يكون
اعمى وازرق فالجواب لعله يكون اعمى في حال وازرق في حال وقيل زرقا اي عميا قال الزجاج
يخرجون زرقا فان قيل كيف يكون اعمى وقد قال تعالى ليوم تشخص فيه الابصار وشخوص البصر
من الاعمى محال وايضا قال في حقهم اقرا كتابك والاعمى كيف يقرا فالجواب ان احوالهم قد
تختلف وقيل المراد بقوله زرقا اي زرق العيون والعرب تتشام بها وقيل يجمع مع الزرقة سواد
الوجه وقال ابو مسلم المراد بالزرقة شخوص ابصارهم والازرق شاخص فانه لضعف بصره
يكون محدقا نحو الشي وهذه حال الخايف المتوقع لما يكره وهي كقوله انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار
وروى ثعلب عن ابن الاعرابي زرقا عطاشا قال لانهم من شدة العطش يتغير سواد اعينهم حتى
تزرق لقوله تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وحكى ثعلب عن ابن الاعرابي طامعين على
ما لا ينالون **فصل** قالت المعتزلة المجرمين يتناول الكفار والعصاة فيدل على عدم
العفو عن العصاة قال ابن عباس يريد المجرمين الذين اتخذوا مع الله الها اخر وتقدم هذا
البحث قوله يتخافتون يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا ثانية من المجرمين وان
يكون حالا من الضمير المستتر في زرقا فيكون حالا متداخلة اذ هي حال من حال ومعنى يتخافتون
اي يتسارون فيما بينهم ويتكلمون خفية يقال خفت يخفت وخافت مخافتة والتخافت
السرار نظيره قوله تعالى فلا تسمع الا همسا وانما يتخافتون لانه امتلات صدورهم من الرعب
والهول او لانهم بسبب الخوف صاروا في نهاية الضعف فلا يطيقون الجهر وقوله ان لبثتم الا هو
مفعول المسارة وقوله الا عشرا يجوز ان يراد الليالي وحذف التا من العدد قياس وان يراد
الايام وانما لم تحذف التا فقيل لانه اذا لم يذكر المميز في عدد المذكر جازت التا وعدمها سمع من
كلامهم صمنا من الشهر خمسا والصوم انما هو الايام دون الليالي وفي الحديث من صام رمضان
واتبعه بست من شوال وحسن الحذف هنا لكونه راس اية وفاصلة **فصل** قال
الحسن وقتادة والضحاك ارادوا به اللبث في الدنيا اي مكثتم في الدنيا الا عشر ليال واحتجوا
لقوله تعالى لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فانه قيل اما ان يقال
انهم نسوا قدر لبثهم في الدنيا وما نسوا ذلك والاول غير جايز اذ لو جاز ذلك لجاز ان يبقى الانسان
خمسين سنة في بلدة ثم ينساها والثاني غير جايز لانه كذب واهل الاخرة لا يكذبون لا سيما وهذا
الكذب لا فايدة فيه فالجواب من وجوه الاول لعلهم اذا حشروا في اول الامر وعاينوا تلك الاهوال

وشدة وقعها ذهلوا عن مقدار عمرهم في الدنيا وما يذكروا الا القليل فقالوا لبثنا ما عشنا تلك
الايام القليلة في الدنيا حتى لا نقع في هذه الاهوال الشديدة وتمام تقريره مذكور في سورة الانعام
في قوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وثانيها انهم عالمون بمقدار عمرهم في الدنيا
الا انهم لما قابلوا اعمارهم في الدنيا باعمار الاخرة وجدوها في نهاية القلة فقال بعضهم ما لبثنا في
الدنيا الا عشرة ايام وقال اعقلهم ما لبثنا الا يوما واحدا اي قدر لبثنا في الدنيا بالقياس الى قدر
لبثنا في الاخرة كعشرة ايام بل كاليوم الواحد بل كالعدم وانما خص العشرة والواحد بالذكر لان القليل
في امثال هذه المواضع لا يعبر عنه الا بالعشرة والواحد وثالثها انهم لما عاينوا الشدايد تذكروا ايام
النعمة والسرور وتاسفوا عليها وصفوها بالقصر لان ايام السرور قصار ورابعها ان ايام الدنيا
قد انقضت وايام الاخرة مستقبلة فالذاهب وان طالت مدته قليل بالقياس الى الاتي وان قصرت
مدته فكيف والامر بالعكس ولهذه الوجوه رجح الله تعالى قول من بالغ في التقليل فقال اذ يقول
امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما وقيل المراد منه اللبث في القبر ويويده قوله تعالى ويوم تقوم
الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يوفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان
لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فاما من جوز الكذب على اهل القيمة فلا اشكال فيه في الاية
واما من لم يجوزه قال ان الله تعالى احياهم في القبر وعذبهم ثم اماتهم ثم بعثهم يوم القيمة لم يعرفوا
مقدار لبثهم في القبر كم كان فخطر ببال بعضهم انه في التقدير عشرة ايام وقال اخرون انه يوم واحد
فلما وقعوا في العذاب مرة اخرى استقلوا زمان الموت الذي هو زمان الخلاص لما نالهم من هول
العذاب وقيل المراد باللبث بين النفختين وهو اربعون سنة لان العذاب يرفع عنهم بين النفختين
استقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا والاكثرون على ان قوله ان لبثتم الا عشرا اي عشرة ايام فيكون
قول من قال ان لبثتم الا يوما اقل وقال مقاتل ان لبثتم الا عشرا اي ساعات لقوله كانهم يوم يرونها
لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وعلى هذا يكون اليوم اكثر قال تعالى نحن اعلم بما يقولون اي بما
يتسارون اذ يقول امثلهم طريقة اي اوفاهم عقلا واعدلهم قولا ان لبثتم الا يوما فقصر ذلك في
اعينهم في جنب ما استقبلهم من الاهوال يوم القيمة وقيل نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم
قوله اذ يقول منصوب باعلم وطريقة منصوب على التمييز قوله تعالى ويسلونك عن
الجبال الاية لما وصف لهم يوم القيمة حكى سوال من لم يومن بالحشر قال ابن عباس سال رجل
من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيمة فانزل الله هذه
الاية وقال الضحاك نزلت في مشركي مكة قالوا يا محمد كيف تكون الجبال يوم القيمة على سبيل
الاستهزا فقيل ينسفها ربي نسفا واجاب بفا التعقيب لان مقصودهم من هذا السوال الطعن
في الحشر والنشر فلا جرم امره بالجواب مقرونا بحرف التعقيب لان مقصودهم تاخير البيان في مثل هذه
المسالة الاصولية غير جايز واما المسايل الفروعية فجايز فلذلك ذكر هناك بغير حرف التعقيب
والضمير في ينسفها عايد الى الجبال والنسف التذرية وقيل القلع الذي يقلعها من اصلها ويجعلها
هبا منثورا قال الخليل ينسفها يذهبها ويطيرها قوله فيذرها في هذا الضمير قولان احدهما
انه ضمير الارض اضمرت للدلالة عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة والثاني ضمير الجبال وذلك
على حذف مضاف اي فيذر مراكزها ومقارها ويذر يجوز ان يكون بمعنى يخليها فيكون قاعا حالا وان
يكون بمعنى ترك التصييرية فيتعدى لاثنين فقاعا ثانيهما وفي القاع اقوال فقيل هو منتقع الما
ولا يليق معناه هنا وقيل انه المنكشف من الارض قاله مكي وقيل انه المكان المستوي ومنه قول عمر
ابن الخطاب • ليكونن بالبطحا قريش • فقعا القاع في اكف الاما •
وقيل انه الارض التي لا نبات فيها ولا بنا والصفصف الارض الملسا وقيل المستوية فهما قريبان من المترادف
وجمع القاع اقوع واقواع وقيعان قوله لا ترى فيها عوجا يجوز في هذه الجملة ان تكون مستانفة وان
تكون حالا من الجبال ويجوز ان تكون صفة للحال المتقدمة وهي قاعا على احد التاويلين او صفة
للمفعول الثاني على التاويل الاخر وتقدم الكلام على العوج وقال الزمخشري هنا فان قلت قد
فرقوا بين العوج والعوج قالوا العوج بالكسر في المعاني وبالفتح في الاعيان والارض عين فكيف
صح فيها كسر العين قلت اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض بالاستوا والملاسة
ونفي الاعوجاج عنها على ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها وبالغت في التسوية

على عينيك وعيون البصر او لتقفنهم على انه لم يبق فيها اعوجاج ثم استطلعت راي المهندس فيها وامرته ان يعرض استواها على المقاييس الهندسية يعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله تعالى ذلك العوج الذي دق ولطف عن الادراك اللهم الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر والامت النتو اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه امت وقيل الامت هو التل وهو قريب من الاول وقيل الشقوق في الارض وقيل الاكام وقال الحسن العوج ما انخفض من الارض والامت ما نشز من الروابي والمقصود من وصف الارض بهذه الاوصاف انها تكون في ذلك اليوم ملساء خالية عن الارتفاع والانخفاض وانواع الانحراف والاعوجاج قوله يومئذ منصوب بيتبعون وقيل بدل من يوم القيمة قاله الزمخشري وفيه نظر للفصل الكثير وايضا فانه يبقى يتبعون غير مرتبط بما قبله وبه يفوت المعنى والتقدير يوم اذ نسفت الجبال قوله الداعي اسرافيل والدعا هو النفخ في الصور اي يتبعون صوت الداعي الذي يدعوهم الى الموقف القيامة وقوله لا عوج له اي لا يعدل عن احد بدعايه بل يحشر الكل وقيل لا عوج لدعايه وهو من المقلوب اي لا عوج لهم عن دعا الداعي لا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا وقيل انه ملك قايم على صخرة بيت المقدس ينادي ويقول ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى عرض الرحمن قوله وخشعت الاصوات للرحمن اي سكنت وذلت وخضعت ووصف الاصوات بالخشوع والمراد اهلها قوله فلا تسمع الا همسا الاستثنا مفعول به وهو استثنا مفرغ والهمس الصوت الخفي قيل هو تحرك الشفتين دون نطق قال الزمخشري هو الذكر الخفي ومنه الحروف المهموسة وقال ابن عباس والحسن وعكرمة الهمس وطي الاقدام اي لا تسمع الا خفق الارض باقدامهم ومنه همست الابل اذا سمع ذلك من وقع اخفافها على الارض قال • وهن يمشين بنا هميسا •

قوله يومئذ بدل مما تقدم او منصوب بما بعده لا تحزنك والتقدير يوم اذ يتبعون لا تنفع الشفاعة قوله الا من اذن فيه اوجه احدها انه منصوب على المفعول به والناصب له ينفع ومن حينئذ واقعة على المتفرع له الثاني انه في محل رفع بدلا من الشفاعة ولا بد من حذف مضاف تقديره الا شفاعة من اذن له الثالث انه منصوب على استثنا من الشفاعة بتقدير المضاف المحذوف وهو استثنا متصل على هذا ويجوز ان يكون استثنا منقطعا اذا لم يقدر شيا وحينئذ يجوز ان يكون منصوبا وهي لغة الحجاز او مرفوعا وهي لغة تميم وكل هذه الاوجه واضحة وله في الموضعين للتعليل كقوله وقال الذين كفروا للذين امنوا اي لاجله ولاجلهم

فصل

المعنى لا تنفع الشفاعة احدا من الناس الا من اذن له الرحمن اي الا من اذن له الله ان يشفع له ورضي له قولا اي ورضي قوله قال ابن عباس يعني قال لا اله الا الله وهذا يدل على انه لا يشفع لغير المومنين وقالت المعتزلة غير مرضي عند الله فوجب ان لا يشفع الرسول في حقه وهذه الاية من اقوى الدلايل على ثبوت الشفاعة في حق الفساق لان قوله ورضي له قولا يكفي في صدقه ان يكون الله تعالى قد رضي له قولا واحدا من اقواله والفاسق قد ارتضى الله من اقواله الشهادة ان لا اله الا الله فوجب ان يكون الشفاعة نافعة لان النفي الاستثنا من النفي اثبات فان قيل انه تعالى استثنى من ذلك النفي بشرطين احدهما حصول الاذن والثاني ان يكون رضي له قولا هب ان الفاسق قد حصل فيه احدى الشرطين وهو انه تعالى رضي له قولا فلم قلتم انه اذن فيه فالجواب ان هذا القيد كاف في حصول الاستثنا لقوله تعالى لا يشفعون الا لمن ارتضى فاكتفى هناك بهذا القيد ودلت هذه الاية على انه لا بد من الاذن فظهر ان مجموعهما انه اذا رضي له قولا يحصل الاذن في الشفاعة واذا حصل الامران حصل الاستثنا وتم المقصود قوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم الضمير في قوله بين ايديهم عايد الى الذين يتبعون الداعي ومن قال ان قوله اذن له الرحمن المراد به الشافع قال الضمير عايد اليه والمعنى لا تنفع شفاعة الملايكة والانبيا الا لمن اذن له الرحمن في ان يسمع من الملايكة ثم قال يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم يعني ما بين ايدي الملايكة كقوله في اية الكرسي قاله الكلبي ومقاتل وفيه تقريع لمن يعبده الملايكة ليشفعوا له قال مقاتل يعلم ما كان قبل ان خلق الملايكة وما كان بعد خلقهم ومن قال الضمير عايد الى الذين يتبعون الداعي قال يعلم الله ما بين ايديهم اي ما قدموا وما خلفهم من امر الاخرة وقال الضحاك يعلم ما مضى وما بقي وحتى تكون القيامة ولا يحيطون به علما قيل

الكناية راجعة الى ما اي هو يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يعلمونه اي العباد لا يعلمون بما بين ايديهم وما خلفهم وقيل الكناية راجعة الى الله اي ان عباده لا يحيطون به علما قوله وعنت الوجوه يقال عنى يعنو اذا ذل وخضع واعناه غيره اي اذله ومنهم العناة جمع عان وهو الاسير وقال • فيارب مكروب كررت وراه • وعان فككت الغل عنه ففداني • وقال امية بن الصلت • مليك على عرش السما مهيمن • لعزته تعنو الوجوه وتسجد •

وفي الحديث فانهن عوان والمعنى ان ذلك اليوم تذل الوجوه اي المكلفين انفسهم وذكر الوجوه واراد اصحابها لان قوله وعنت من صفات المكلفين لا من صفات الوجوه لقوله وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية وخص الوجوه بالذكر لان الخضوع بها يتبين وفيها يظهر وتقدم تفسير الحي القيوم وروي ابو امامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اطلبوا اسم الله الاعظم في هذه السور الثلاث البقرة وال عمران وطه قال الراوي فوجدنا المشترك في السور الثلاث الله لا اله الا هو الحي القيوم قوله وقد خاب يجوز ان تكون هذه الجملة مستانفة وان تكون حالا ويجوز ان يكون اعتراضا قال الزمخشري وقد خاب وما بعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خايب خاسر ومراده بالاعتراض هنا الاعتراض بوجوه العصاة حتى تكون الجملة قد دخلت بين العصاة وبين من يعمل من الصالحات فهذا عنده قسم وعنت الوجوه فلهذا كان اعتراضا واما ابن عطية فجعل الوجوه عامة فلذلك جعل وقد خاب من حمل ظلما معادلا بقوله ومن يعمل من الصالحات الى اخره

فصل

قال ابن عباس خاب وخسر من اشرك بالله والظلم الشرك قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والمراد بالخيبة الحرمان اي حرم الثواب من حمل ظلما اي ظلم ولم يتب ثم قال ومن يعمل من الصالحات وهو مومن اي ومن يعمل شيا من الصالحات والمراد به الفرايض وكان عمله مقرونا بالايمان نظيره ومن ياته مومنا قد عمل الصالحات قوله وهو مومن من جملة حالية فلا يخاف قرا ابن كثير بجزمه على النهي والمعنى امن بالنهي عن الخوف امرا بالامن والباقون برفعه على النفي والاستيناف اي فهو لا يخاف والهضم النقص تقول العرب هضمت لزيد من حقي اي نقصت منه وهو هضيم الكشحين اي ضامرهما ومن ذلك ايضا طلعها هضيم اي دقيق متراكب كان بعضهم يظلم بعضا فينقصه حقه ورجل هضيم ومهتضم اي مظلوم وهضمته واهتضمته كله بمعنى قال المتوكل الليثي • ان الاذلة واللييام لمعشر • مولاهم المتهضم المظلوم •

قيل والظلم والهضم متقاربان فرق القاضي الماوردي بينهما فقال الظلم منع جميع الحق والهضم منع بعضه والظلم هنا هو ان يعاقب لا على جريمة او يمنع عن الثواب على الطاعة والهضم ان ينقص من الثواب والهضم ان لا يوفى حقه قوله وكذلك انزلناه نسق على كذلك نقص قال الزمخشري ومثل ذلك الانزال وكما انزلنا عليك هولاء الايات انزلنا القران كله على هذه الوتيرة وقال غيره والمعنى كما قدرنا هذه الامور وجعلناها حقيقة بالمرصاد للعباد كذلك حذرنا هولاء امرها وانزلناه قرانا عربيا لتفهمه العرب فيقفوا على اعجازه ونظمه وخروجه من جنس الكلام البشري وصرفنا فيه من الوعيد اي كررناه وفصلناه قوله من الوعيد صفة لمفعول محذوف اي صرفنا في القران وعيدا من الوعيد والمراد به الجنس ويجوز ان يكون من مزيدة اي على راي الاخفش في المفعول به والتقدير وصرفنا فيه الوعيد لعلهم يتقون اي يجتنبون الشرك او يحدث لهم ذكرا اي يجدد لهم القران عبرة وعظة وقرا الحسن او يحدث كالجماعة الا انه سكن لام الفعل وعبد الله والحسن ايضا وحرج على اجرا الوصل مجرى الوقف او على تسكين الفعل استثقالا لا للحركة كقول امري القيس كقول امري القيس • فاليوم اشرب غير مستحقب • وقول جرير • او نهر تيري فلا تعرفكم العرب •

وقد فعله كما تقدم ابو عمرو في الراي خاصة نحو ينصركم وقرى نحدث بنا الخطاب اي تحدث انت او يحدث فيه سوالات الاول كيف يكون محدثا للذكر فالجواب لما حصل الذكر عند قراته اضيف اليه الثاني لم اضيف الذكر الى القران وما اضيف التقوى اليه والجواب لان التقوى عبارة عن ان لا يفعل القبيح وذلك استمرار على العدم الاصلي فلم يجز اسناده الى القران واما حدوث الذكر فامر حدث بعد ان لم يكن فجاز اضافته الى القران الثالث كلمة او للمنافاة بين التقوى وحدوث الذكر فلا يصح الا تفاق مع الذكر فما معناه والجواب هذا كقوله جالس الحسن او ابن سيرين اي لا تكن

خاليا منهما فلذا ههنا وقيل معنى الكلام انا انزلنا القران لتتقوا فان لم يحصل ذلك فلا اقل من ان
يحدث لهم ذكرا وشرفا وصيتا وعلى التقديرين يكون انزله تقوى قوله فتعالى الله الملك الحق
لما عظم امر القران اردفه بان عظم نفسه وذلك تنبيه على انه يجب على خلقه تعظيمه وانما وصف
ملكه بالحق لان ملكه لا يزول ولا يتغير وليس بمستعار من قبل الغير ولا غيره اولى به فلهذا وصف
بذلك وتعالى تفاعل من العلو وقد ثبت ان علوه وعظمته لا تكيفه الاوهام ولا تقدره العقول
ثم قال ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه قال ابو مسلم ان من قوله ويسئلونك
عن الجبال الى هنا يتم الكلام وينقطع ثم قوله ولا تعجل بالقران خطاب مستانف كانه قال ويسئلونك
ولا تعجل بالقران وقال غيره ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه جبريل بالقران
يبادر فيقرا معه قبل ان يفرغ جبريل من التلاوة مخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله عن
ذلك امره ان يسكت حال قراءة الملك ثم يقرا بعد فراغه من القراءة كانه تعالى لما شرح نفع
القران للمكلفين وبين انه سبحانه متعال عن كل ما لا ينبغي ومن كان كذلك يجب ان يصون رسوله
عن السهو والنسيان في امر الوحي فاذا حصل الامان عن السهو والنسيان فلا تعجل بالقران فقوله ولا
تعجل بالقران يحتمل ان يكون المراد لا تعجل بقراءته في نفسك ويحتمل ان لا تعجل في تاديته الى غيرك ويحتمل
اعتقاد ظاهره ويحتمل في تعريفه الغير ما يقتضيه ظاهره اي حتى يتبين بالوحي تمامه او بيانه وهما
جميعا لانه يجب التوقف في معنى الكلام الى ان يفرغ لجواز ان يحصل عقيبه استثناء او شرط او غيرهما من
المخصصات فان قيل الاستعجال الذي نهي عنه ان كان فعله بوحي فكيف نهي عنه فالجواب لعله
فعله باجتهاد وكان الاولى تركه ولهذا نهي عنه قوله من قبل ان يقضى اليك وحيه العامة على
بناء يقضى للمفعول ورفع وحيه لقيامه مقام الفاعل والجحدري وابو حيوة والحسن وهي قراءة عبد
الله نقضي بنون العظمة مبنيا للفاعل ونصب وحيه مفعول به وقرا الاعمش كذلك الا انه سكن لام الفعل
استثقل الحركة وان كانت حقيقة على حذف حرف العلة وقد تقدم من ذلك شواهد عند قراءة من
اوسط ما تطعمون اهاليكم قوله وقل رب زدني علما اي بالقران ومعانيه وقيل علما الى ما علمت
وكان ابن مسعود اذا قرا هذه الاية قال اللهم زدني ايمانا ويقينا **قوله** تعالى ولقد عهدنا الى
ادم من قبل الاية في تعلق هذه الاية بما قبلها وجوه الاول انه تعالى لما قال كذلك نقص عليك
من انباء ما قد سبق ثم انه عظم امر القران ذكر هذه القصة انجازا للوعد في قوله كذلك الثاني انه لما قال
وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا اخبر بقصة ادم عليه السلام كانه قال ان طاعة
بني ادم للشياطين وتركهم التحفظ من الوسواس امر قديم فانا عهدنا الى ادم من قبل اي من قبل هؤلاء
الذين صرفنا لهم الوعيد وبالغنا في تنبيههم لعلمنا ان هذا عدو لك ولزوجك ثم انه مع ذلك نسي
وترك ذلك العهد فامر البشر في ترك التحفظ امر قديم الثالث انه قال لمحمد وقل رب زدني علما ذكر
بعده قصة ادم فانه بعد ما عهد الله اليه وبالغ في تحذيره من العدو فدل ذلك على ضعف البشرية عن التحفظ فيحتاج
حينئذ الى الاستعانة بربه في ان يوفقه لتحصيل العلم ويجنبه عن السهو والنسيان الرابع ان محمدا
عليه الصلاة والسلام لما قيل له ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه دل على انه كان في
امر الدين بحيث زاد على قدر الواجب فلما وصفه بالافراط وصف ادم بالتفريط في ذلك فانه تساهل
ولم يتحفظ حتى نسي فوصف الاول بالتفريط والاخر بالافراط ليعلم ان البشر لا ينفك عن وقوع زلة
الخامس ان محمدا لما قيل له ولا تعجل ضاق قلبه وقال في نفسه لولا اني قدمت على ما لا ينبغي والا لما
نهيت عنه فقيل له يا محمد ان كنت فعلت ما نهيت عنه فانما فعلته حرصا منك على العبادة وحفظا
لاداء الوحي وان اباك اقدم على ما لا ينبغي لتساهله وترك التحفظ فكان امرك احسن من امره والمراد
بالعهد هنا امر الله اي امرناه واوصينا اليه اي لا تاكل من الشجرة من قبل هؤلاء الذين صرفنا لهم
الوعيد في القران فتركوا الايمان وقال ابن عباس من قبل ان ياكل الشجرة عهدنا اليه ان لا ياكل منها
وقال مجاهد والحسن من قبل محمد والقران قوله فنسي قرا اليماني بضم النون وتشديد السين بمعنى
نساه الشيطان وفاعل هذه القراءة يحتمل ان يقال اقدم على المعصية من غير تاويل وان يقال
اقدم عليها مع التاويل وعلى القراءة المشهورة يحتمل ان يكون المراد بالنسيان نقيض الذكر وانما عوقب
على ترك التحفظ والمبالغة في الضبط حتى تولد منه النسيان ويحتمل ان يكون المراد بالنسيان الترك
وانه ترك ما عهد اليه من ترك الاكل ثم قال قوله ولم نجد له عزما يجوز ان يكون وجد علمية فيتعدي

لاثنين

لاثنين وهما له عزما وان يكون بمعنى الاصابة فيتعدى لواحد وهو عزما اذ هو في الاصل صفة له
نصب عليه والعازم هو المصمم لقوله ولم نجد له عزما يحتمل ولم نجد له عزما على ترك المعصية او على التحفظ
والاحتراز عن الغفلة او على الاحتياط في كيفية الاجتهاد واذا قلنا انه عليه السلام انما اخطا بالاجتهاد
وقال الحسن ولم نجد له صبرا عما نهي عنه وقال ابن عطية حفظا لما امر به وقال قتيبة رايا معزوما حيث
اطاع عدوها ابليس الذي حسده وابى ان يسجد له والعزم في اللغة هو توطين النفس على الفعل قال ابو
امامة الباهلي لو وزن حلم ادم على جميع ولده لرجح عليه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما فان قيل
اتقولون ان ادم كان ناسيا لامر الله حين اكل من الشجرة قيل يجوز ان يكون نسي امره ولم يكن النسيان في
ذلك الوقت مرفوعا عن الانسان بل كان مواخذا به وانما رفع عنا وقيل نسي عقوبة الله فظن انه نهي
تنزيه قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم تقدم على ذلك مفصلا في سورة البقرة وقوله ابى جملة
مستانفة لانها جواب سوال مقدر اي ما منعه من السجود فاجيب بانه ابى واستكبر ومفعول ابى يجوز
ان يكون مرادا وقد صرح به في الاية الاخرى في قوله ابى ان يكون مع الساجدين وحسن حذفه ههنا كونه
العامل راسي فاصلة ويجوز ان لا يراد البتة وان المعنى انه من اهل الاباء والعصيان من غير نظر الى متعلق
الاباء ما هو قوله فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك وسبب تلك العداوة من وجوه الاول ان
ابليس كان حسودا فلما راى اثار نعم الله في حق ادم حسده وصار عدوا له الثاني ان ادم عليه السلام
كان شابا عالما لقوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها وابليس كان شيخا جاهلا لانه اثبت فضيلته بفضيلة
اصله وذلك جهل والشيخ ابدا يكون عدوا للشاب العالم الثالث ان ابليس مخلوق من النار وادم مخلوق
من الماء والتراب فبين اصليهما عداوة فبقيت تلك العداوة فان قيل لم قال فلا يخرجنكما من الجنة مع ان
المخرج لهما من الجنة هو الله فالجواب لما كان بوسوسته هو الذي فعل ما ترتب عليه الخروج صح ذلك
قوله فتشقى منصوب باضمار ان في جواب النهي والنهي في الصورة لابليس والمراد به هما لا يتعاطيا اسباب
الخروج فيحصل لكما الشقاء وهو الكد والتعب الدنيوي خاصة ويجوز ان يكون مرفوعا على الاستيناف اي
فانت تشقى كذا قدره ابو حيان وهو بعيد او ممتنع اذ ليس المقصود الاخبار بذلك وقع الاخراج لهما
من ابليس حصل ما ذكر واسند الشقاوة اليه وحده لان الامور معروفة برؤوس الرجال وحسن ذلك
كونه راس فاصلة ولانه اريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المراة قوله
ان لك ان لا تجوع لك خبر ان وان لا تجوع في محل نصب اسمها والتقدير ان لك عدم الجوع والعري فتعري
منصوب تقديرا نسقا على تجوع والعري تجرد الجلد عن شيء يقيه يقال منه عري يعرى عريا قال
الشاعر • فان تعرين ان كسي الجواري • فتنبوا العين عن كرم عجاف •
قوله وانك لا تظما قرا نافع وابو بكر وانك بكسر الهمزة والباقون بفتح فمن كسر فيجوز ان يكون ذلك
استينافا وان يكون نسقا على ان الاولى ومن فتح فلانه عطف مصدر مؤول على اسم ان الاولى المتقدم
والتقدير ان لك عدم الجوع وعدم العري وعدم الظما والضحى وجاز ان يكون ان بالفتح اسما لان
بالكسر للفصل بينهما ولولا ذلك لم يجز لو قلت ان ان زيدا قائم حتى لم يجز فلما فصل بينهما جاز وتقول
ان عندي ان زيدا قائم فعندي هو الخبر قدم على الاسم وهو ان وما في حيزها وليها لكونه ظرفا والاية
من هذا القبيل اذ التقدير فان لك انك لا تظما وقال الزمخشري فان قلت ان لا تدخل على ان فلا يقال
ان ان زيدا منطلق والواو نائبة عن ان وقائمة مقامها فلم ادخلت عليها قلت الواو لم توضع لتكون
ابدا نائبة عن ان انما هي نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كان لم يمتنع اجتماعهما
كما اجتمع ان وان واضحى يضحى اذا برز للشمس قال عمر بن ابي ربيعة •
• رات رجلا ايما اذا الشمس عارضت • فيضحى واما بالعشي فيخصر •
ذكر الزمخشري هنا معنى حسنا في كونه تعالى ذكر هذه الاشياء بلفظ النفي دون ان يذكر اضدادها بلفظ
الاثبات فيقول ان لك الشبع والكسوة والري والاكتنان في الظل فقال وذكرها بلفظ النفي لنقائضها
التي هي الجوع والعري والظما والضحو ليطرق سمعه باشياء من اصناف الشقوة التي حذره منها حتى
يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها قوله فوسوس اليه اي نهى اليه الوسوسة واما وسوس
له فمعناه لاجله قال الزمخشري فان قلت كيف عدي وسوس تارة باللام في قوله فوسوس لهما
الشيطان واخرى بالى قلت وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووقوقة الدجاجة في انها حكايات
الاصوات فحكمها حكم صوت واجرس وجرس ومنه وسوسة المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وانشد

ابن الاعرابي ◆ وسوس يدعوا لخلصارب الفلق ◆ فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله كقولك حدث
احرك لهما يا ابن ابي كباش ومعني وسوس اليه عني اليه الوسوسة كقولك حدث اليه واسر اليه وقال
ابو البقا عدي وسوس باللي لانه بمعني اسر وعداه في موضع اخر باللام لكن له بمعني ذكر له ويكون بمعني
لاجله قوله هل ادلك علي شجرة الخلد يعني علي شجرة ان اكلت منها بقيت مخلدا وملك لا يبلي
اي من اكل من هذه الشجرة دام ملكه قال ابن الخطيب واقعة ادم عجيبة وذلك لان الله رغبه في
دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقي ان لك الا تجوع فيها ولا
تعري وانك لا تظما فيها ولا تضحي ورغبه ابليس ايضا في دوام الراحة بقوله هل ادلك علي شجرة
الخلد وفي انتظام المعيشة بقوله وملك لا يبلي فكان الذي رغب الله تعالي ادم فيه هو الذي
رغبه ابليس فيه الا ان الله تعالي وقف ذلك علي الاحتراس عن تلك الشجرة وابليس واقف علي
الاقدام عليها ثم ان ادم عليه السلام مع كمال عقله وعلمه بان الله مولاه وناصره ومربيه وعلمه
بان ابليس عدوه حيث امتنع من السجود له وعرض نفسه للعنة بسبب عداوته كيف قبل في الواقعة
الواحدة والمقصود الواحد قول ابليس مع علمه بعداوته له واعرض عن قول الله تعالي بانه هو
الناصر والمولي ومن تامل هذا الباب طال تعجبه وعرف ان الامر ان هذه القصة كالتنبيه علي
انه لا دافع لقضاء الله ولا مانع منه وان الدليل وان كان في غاية الظهور ونهاية القوة فانه لا
يحصل النفع به الا اذا قضي الله ذلك وقدره ويدل علي ذلك كما ثبت في الحديث الصحيح روي
البخاري ومسلم ان النبي صلي الله عليه وسلم قال احتج موسي وادم عند ربهما فحج ادم موسي
قال انت ادم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته واسكنك
في جنته ثم اهبطت الناس بخطيئتك الي الارض فقال ادم انت موسي الذي اصطفاك الله برسالته
وبكلامه واعطاك الالواح فيها تبيان كل شي وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التورية
قبل ان اخلق قال موسي باربعين عاما قال ادم فهل وجدت فيها وعصي ادم ربه فغوي
قال نعم افتلومني علي ان عملت عملا كتبه الله علي ان اعمله قبل ان يخلقني باربعين
سنة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم فحج ادم موسي وروي مسلم عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم كتب الله مقادير الخلايق قبل ان يخلق
السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه علي الماء وقال كل شي بقدر حتي العجز
والكيس قوله فاكلا منها يعني ادم وحوي فبدت لهما سواتهما قال ابن عباس عريا
من النور الذي كان الله البسهما حتي بدت فروجهما وانما جمع سواتهما كما قال صغت قلوبكما
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال الزمخشري طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل
كذا واخذ وانشا وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينه مسافة قصيرة وقري
يخصفان للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو ان يخرز عليها الخصاف اي يلزقان
الورق بسواتهما للستر وهو ورق التين قوله وعصي ادم ربه فاكل الشجرة فغوي اي
فعل ما لم يكن فعله وقيل اخطا طريق الجنة وضل حيث طلب الخلد باكل ما نهي عن اكله فخاب
ولم ينل مراده وقال ابن الاعرابي اي فسد عليه عيشه وصار من العز الي الذل ومن الراحة
الي التعب قال ابن قتيبة يجوز ان يقال عصي ادم ولا يجوز ان يقال ادم عاص لانه انما
يقال عاص لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط ثوبه فيقال خاط ثوبه ولا يقال هو
خياط حتي يعاوده ويعتاده قوله فغوي الجمهور علي فتح الواو وبعدها الف وتقدم
تفسيرها وقيل معناه بشم من قولهم غوي البعير بكسر الواو والياء اذا اصابه ذلك وحكي
ابو البقا هذه القراة وفسرها بهذا المعني قال الزمخشري وعن بعضهم فغوي فبشم من
كثرة الاكل وهذا وان صح علي لغة من يقلب الياء المكسورة ما قبلها الفا فيقول في فني
وبقي فنا وبقا وهم بنو طي تفسير خبيث قال شهاب الدين كانه لم يطلع علي انه قري
بكسر الواو ولو اطلع عليها لردها وقد فر القايل بهذه المقالة من نسبة ادم عليه السلام
الي الغي ◆ فصل تمسك بعضهم بقوله فعصي ادم ربه فغوي في صدور الكبيرة عنه
من وجهين الاول ان العاصي اسم للذم فلا ينطلق الا علي صاحب الكبيرة الامر فعل
فعلا يعاقب عليه الثاني ان الغواية والضلالة اسمان مترادفان والغي ضد الرشد

ومثل هذا لا يتناول الا الفاسق المنهمك في فسقه واجيب عن الاول بان المعصية مخالفة الامر
والامر قد يكون بالواجب وبالندب فانك تقول امرته فعصاني وامرته بشرب الدوا فعصاني واذا
كان كذلك لم يمتنع اطلاق اسم العصيان علي ادم بكونه تاركا للمندوب فاجاب المستدل بانا بينا
ان ظاهر القران يدل علي ان العاصي يستحق العقاب والعرف يدل علي انه اسم ذم فوجب تخصيص
اسم العاصي بتارك الواجب ولانه لو كان تارك المندوب عاصيا لوجب وصف الانبيا باسرهم
بانهم عصاة لانهم لا ينفكون من ترك المندوب فان قيل وصف تارك المندوب بانه عاص مجاز
والمجاز لا يطرد قلنا لما سلمت كونه مجازا فالاصل عدمه واما قوله تعالي امرته بشرب الدوا فعصاني
قلنا لا نسلم ان هذا الاستعمال يروي من العرب ولين سلمنا ذلك لكنهم انما يطلقون ذلك اذا جزموا
عليه بالفعل وحينيذ يكون معني الايجاب حاصلا وان لم يكن الوجوب حاصلا وذلك يدل علي
ان العصيان لا يجوز اطلاقه الا عند تحقق الايجاب لكنا اجمعنا علي ان الايجاب من الله يقتضي
الوجوب فيلزم ان يكون اطلاق لفظ العصيان علي ادم انما كان لكونه تاركا للواجب ومن
الناس من سلم ان الاية تدل علي صدور المعصية منه لكنه زعم ان المعصية كانت من الصغاير لا من
الكباير وهذا قول عامة المعتزلة وهذا ايضا ضعيف لانا بينا ان اسم العاصي اسم للذم وان ظاهر
يدل علي انه يستحق العقاب وذلك لا يليق بالصغيرة اجاب ابو مسلم بانه عصي في مصالح الدنيا
لا فيما يتصل بالتكاليف وكذا القول في غوي وهذا ايضا بعيد لان مصالح الدنيا مباحة من تركها
لا يوصف بالعصيان الذي هو اسم للذم ولا يقال دلاهما بغرور واما التمسك بقوله فغوي
فاجابوا عنه من وجوه احدها انه خاب من نعيم الجنة لانه انما اكل من الشجرة ليدوم ملكه فلما
اكل زال فلما خاب سعيه قيل انه غوي وتحقيقه ان الغي ضد الرشد والرشد هو ان يتوصل بشي
الي شي يتصل الي المقصود ومن توصل بشي الي شي يحصل فيه مقصوده كان ذلك غيا وثانيها
قال بعضهم غوي اي بشم من كثرة الاكل قال ابن الخطيب والاولي عندي في هذا الباب ان
يقال هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد تقدم شرح ذلك في البقرة وههنا بحث لا بد منه
وهو ان ظاهر القران وان دل علي قوله فغوي لكن ليس لاحد ان يقول ان ادم كان عاصيا غاويا
ويدل علي صحة هذا القول امورا احدها قال القتيبي يقال للرجل يخيط ثوبه خاط ثوبه
ولا يقال هو خياط حتي يعتاده ويصير معروفا بالخياطة وهذه الزلة لم تصدر عن ادم الا مرة
واحدة فوجب ان لا يجوز اطلاق هذا الاسم عليه وثانيها ان علي تقدير ان تكون هذه الواقعة
انما وقعت قبل النبوة لم يجز بعد ان قبل الله توبته وشرفه بالرسالة والنبوة والطلاق
هذا الاسم عليه كما لا يقال لمن اسلم بعد الكفر او شرب او زنا ثم تاب وحسنت توبته لا يقال
له بعد ذلك كافر او شارب او زاني فكذا ههنا وثالثها ان قولنا عاصي وغاوي يوهم كونه عاصيا
في اكثر الاشيا ولم يردها بان اللفظتان في القران مطلقتين بل مقرونتين بالقصة التي عصي
فيها فكانه قال عصي في كيت وكيت وذلك لا يوهم ما ذكر ورابعها انه يجوز من الله ما لا يجوز من غيره
وكما يجوز للسيد من ولده وعبده عند معصيته من اطلاق القول ما لا يجوز لغيره قوله ثم اجتباه
ربه اي اختاره واصطفاه فتاب عليه بالعفو وهداه الي التوبة حتي قال ربنا ظلمنا انفسنا
قال عليه السلام لو جمع بكا اهل الدنيا الي بكا داود لكان بكاوه اكثر ولو جمع ذلك الي بكا نوح
لكان بكاوه اكثر وانما سمي نوحا لنوحه علي نفسه ولو جمع ذلك كله الي بكا ادم خطيته كان
بكاوه اكثر قال وهب لما كثر بكاوه امره الله تعالي بان يقول لا اله الا انت سبحانك وبحمدك
عملت سوا وظلمت نفسي فاغفر لي فانك خير الغافرين فقالها ادم ثم قال قل سبحانك
لا اله الا انت عملت سوا وظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم قال ابن عباس
هن الكلمات التي تلقاها ادم من ربه قوله قال اهبطا منها جميعا هو سواك وهوان
قوله اهبطا اما ان يكون خطابا مع شخصين فكيف قال بعده فاما ياتينكم وهو خطاب
الجمع وان كان خطابا بالجمع فكيف قال اهبطا واجاب ابو مسلم بان الخطاب لادم ومعه ذريته
ولابليس ومعه ذريته ولكونهما جنسين صح قوله اهبطا ولاجل اشتمال كل واحد من الجنسين
علي الكثرة صح قوله فاما ياتينكم وقال الزمخشري لما كان ادم وحوي عليهما السلام اصل البشر
الذين منهما تفرعوا جعلوا كانهم البشر انفسهم فخوطبوا مخاطبتهم فقيل فاما ياتينكم علي لفظ الجماعة

ومن قال بان اقل الجمع اثنان او بانه يعبر عن الاثنين بلفظ الجمع كقوله فقد صغت قلوبكما
فلا يحتاج الى تاويل قوله بعضكم لبعض عدو تقدم تفسيره فاما ياتينكم مني هدى فمن
اتبع هداي وهذا يدل على ان المراد الذرية والمراد بالهدى الرسل وقيل الايات والادلة وقيل
القران فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة لانه تعالى يهديه الى الجنة وقيل لا يضل ولا يشقى
في الدنيا فان قيل المتبع هدى الله قد يشقى في الدنيا فالجواب ان المراد لا يضل في الدين ولا
يشقى بسبب الدين فان حصل بسبب اخر فلا باس ولما وعد تعالى من يتبع الهدى اتبعه
بالوعيد لمن اعرض فقال ومن اعرض عن ذكري والذكر يقع على القران وعلى ساير كتب
الله تعالى على ما تقدم قوله ضنكا صفة لمعيشة واصله المصدر فكانه قال معيشة ذات
ضنك فلذلك لم يونث ويقع للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ واحد وقرا الجمهور ضنكا بالتنوين
وصلا وابداله الفا وقفا كساير المعربات وقرات فرقة ضنكى بالف وفي هذه الالف احتمالان
احدهما انها بدل من التنوين وانما اجري الوصل مجرى الوقف كما تقدم في نظايره وسياتي
منها بقيتان ان شا الله تعالى والثاني ان يكون الف التانيث بني المصدر على فعلى نحو دعوى
والضنك الضيق والشدة يقال منه ضنك عيشه يضنك ضنكا وامراة ضناك كثيرة لحم البدن
وكانه ضيق جلدها به **فصل** قال جماعة من المفسرين الكافر وان كان موسرا يكون حريصا على
الدنيا طالبا للزيادة ابدا فعيشته ضنك وايضا فمن الظلمة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة
بكفره قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة قال ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل
وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم قال ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال ابن مسعود وابو هريرة وابو سعيد الخدري
المراد بالمعيشة الضنك عذاب القبر وقال الحسن وقتادة والكلبي هو الضيق في الاخرة في جهنم
فان طعامهم الضريع والزقوم وشرابهم الحميم والغسلين فلا يموتون فيها ولا يحيون وقال
ابن عباس المعيشة الضنك هي معيشة الكافر لانه غير موقن بالثواب والعقاب وروي على
عنه عليه السلام انه قال عقوبة المعصية ثلاثة ضيق المعيشة والعسر في اللذة وان لا يتوصل الى
قوته الا بمعصية الله قوله ونحشره يوم القيامة اعمى قرا العامة ونحشره بالنون ورفع الفعل
على الاستيناف وقرا ابان بن تغلب في اخرين بتسكين الراء وهي محتملة لوجهين احدهما ان يكون
الفعل مجزوما نسقا على محل جزاء الشرط وهو الجملة من قوله فان له معيشة فان محلها الجزم
فهي كقراءة من يضلل الله فلا هادي له ونذرهم بتسكين الراء والثاني ان يكون السكون سكون
تخفيف نحو يامركم وقرات فرقة بيا الغيبة وهو الله تعالى او الملك وابان بن تغلب في روايته
ونحشره بسكون الهاء وصلا وتخريجها اما على لغة بني عقيل وبني كلاب واما على اجراء الوصل
مجرى الوقف واعمى نصب على الحال **فصل** قال ابن عباس اعمى البصر وقال مجاهد
والضحاك ومقاتل اعمى عن الحجة وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال القاضي
وهذا ضعيف لان في القيامة لا بد ان يعلمهم الله بطلان ما كانوا عليه حتى يتميز لهم الحق من
الباطل ومن هذا حاله لا يوصف بذلك الا مجازا ولا يليق بهذا قوله وقد كنت بصيرا ولم يكن كذلك
في حال الدنيا ومما يويد ذلك انه تعالى علل ذلك العمى بان المكلف نسي الدلايل فلو كان العمى
الحاصل في الاخرة عين ذلك النسيان لم يكن للمكلف بسبب ذلك ضرر وقوله لم حشرتني اعمى وقد
كنت بصيرا جملة حالية من مفعول حشرتني وفتح الهمزة نافع وابن كثير قوله كذلك اتتك
قال ابو البقا كذلك في موضع نصب اي حشرا مثل ذلك واتيانا مثل ذلك او جزاء مثل اعراضك
او نسيانا وهذه الاوجه التي قالها تكون الكاف في بعضها نصبا على المصدر وفي بعضها نصبا
على المفعول به ولم يذكر الزمخشري فيه غير المفعول به فقال اي مثل ذلك فعلت انت ثم
فسر بان اياتنا اتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر فتركتها واعرضت عنها وكذلك
اليوم تنسى في النار قوله وكذلك نجزي من اسرف اي ومثل ذلك الجزاء نجزي من اسرف اي اشرك
ولم يومن بايات ربه ولعذاب الاخرة اشد وابقى مما نعذبهم في الدنيا والقبر وابقى وادوم قوله
افلم يهد لهم في يهدي وجهان احدهما انه ضمير الباري تعالى ومعنى يهدي يبين ومفعول يهدي
محذوف تقديره اولم يبين الله لهم العبر وفعله بالامم المكذبة قال ابو البقا فاعله وجهان

احدها ضمير اسم الله تعالى وعلق يبين هنا اذ كانت بمعنى اعلم كما علقه في قوله وتبين لكم كيف
فعلنا بهم قال ابو حيان وكم هنا خبرية والخبرية لا يعلق العامل عنها وقال الزمخشري ويجوز
ان يكون فيه ضمير الله او الرسول ويدل عليه القراة بالنون الوجه الثاني ان الفاعل مضمر يفسره
ما دل عليه من الكلام بعده قال الحوفي كم اهلكنا قد دل على هلاك القرون التقدير افلم يبين لهم هلاك
من اهلكنا من القرون ومحو اثارهم فيتعظوا بذلك وقال ابو البقا الفاعل ما دل عليه اهلكنا
اي اهلاكنا والجملة مفسرة له الوجه الثالث ان الفاعل نفس الجملة بعده قال الزمخشري هو
فاعل لم يهد الجملة بعده يريد الم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا
عليهم في الاخرين سلام على نوح في العالمين فان تركناه معناه معنى القول فحكيت به الجملة
كانه قيل وقلنا عليه واطلقنا عليه هذا اللفظ والجملة تحكى بمعنى القول كما تحكى بالقول
الوجه الرابع انه ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم هو المبين لهم بما يوحى اليه من اخبار الامم
السالفة والقرون الماضية وهذا الوجه تقدم نقله عن الزمخشري الوجه الخامس ان الفاعل
محذوف نقل ابن عطية عن بعضهم ان الفاعل مقدر تقديره الهدى او الامر او النظر والاعتبار
قال ابن عطية وهذا عندي احسن التقادير قال ابو حيان وهو قول المبرد وليس بجيد
اذ ليس فيه حذف الفاعل وهو لا يجوز عند البصريين وتحسينه ان يقال الفاعل مضمر تقديره يهد
هو اي الهادي قال شهاب الدين ليس في هذا القول الفاعل محذوف بل فيه انه مقدر ولفظ
مقدر كثيرا ما يستعمل في المضمر واما مفعول يهد ففيه وجهان احدهما انه محذوف والثاني ان تكون
الجملة من كم وما في حيزها لانها معلقة له فهي سادة مسد مفعوله الوجه السادس ان الفاعل كم
قاله الحوفي وانكره على قايله لان كم استفهام لا يعمل فيها ما قبلها قال ابو حيان وليست كم هنا
استفهامية بل هي خبرية واختار ان يكون الفاعل ضمير الله تعالى كانه قال اولم يبين الله ومفعول
يبين محذوف اي العبر باهلاك القرون السابقة ثم قال كم اهلكنا اي كثيرا اهلكنا فكم مفعولة
باهلكنا والجملة كانها مفسرة للمفعول المحذوف ليهد قال القفال جعل كثرة ما اهلك من القرون
مبينا لهم كما قد جعل مثل ذلك واعظا لهم وزاجرا وقرا ابن عباس وابو عبد الرحمن السلمي فلم نهد
بالنون الموذنة بالتعظيم قال الزجاج يعني اولم نبين لهم بيانا يهتدون به لو تدبروا او تفكروا
وقوله كم اهلكنا فالمراد المبالغة في كثرة من اهلكه الله تعالى من القرون الماضية قوله من
القرون في محل نصب نعتا لانها نكرة وضعف جعله حالا من النكرة فلا يجوز ان يكون مميزا
على قواعد البصريين ومن ادخله على خبر دخولها على غيره من المميزات لتعريفه قوله
يمشون حالا من القرون او من مفعول اهلكنا والضمير على هذين عايد على القرون المهلكة
ومعناه انا اهلكناهم وهم في حال امن ومشي وتقلب في حاجاتهم كقوله اخذناهم بغتة ويجوز
ان يكون حالا من الضمير في لهم وهم المشركون المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم والعامل
فيها يهد والمعنى انكم تمشون في مساكن الامم السابقة وتتصرفون في بلادهم فينبغي ان تعتبروا
لئلا يحل بكم ما حل بهم وقرا ابن السميفع يمشون مبنيا للمفعول مضعفا لانه لما تعدى بالتضعيف
جاز بناوه للمفعول **فصل** المعنى اولم يبين القران او ما تقدم من التقادير لكفار مكة
كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ديارهم اذا سافروا والخطاب لقريش كانوا يسافرون
الى الشام فيرون ديار المهلكين من اصحاب الحجر وثمود وقريات لوط ان في ذلك لايات لاولي النهى
لذوي العقول ثم بين تعالى الوجه الذي لاجله لا ينزل العذاب معجلا على من كفر بمحمد عليه
السلام فقال ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى وفيه تقديم وتاخير والتقدير
ولولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى لكان لزاما والكلمة هي الحكم بتاخير العذاب عنهم
اي ولولا حكم سبق بتاخير العذاب عنهم واجل مسمى هو القيامة وقيل يوم بدر قوله
واجل مسمى في رفعه وجهان اظهرهما عطفه على كلمة اي ولولا اجل مسمى لكان العذاب لازما
لهم والثاني جوزه الزمخشري وهو ان يكون مرفوعا عطفا على الضمير المستتر والضمير على
الاخذ العاجل المدلول عليه بالسياق وقام الفصل بالخبر مقام التاكيد والتقدير ولولا كلمة
سبقت من ربك لكان الاخذ العاجل المدلول عليه بالسياق لازما لهم كما كانا لازمين
لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل فقد جعل اسم كان عايدا على ما دل عليه

السياق الا انه قد يشكل عليه مسيلة وهي انه قد جوز في لزام وجهين احدهما ان يكون مصدر لازم
كالخصام ولا اشكال على هذا والثاني ان يكون وصفا على افعال بمعنى مفعل اي ملزم مكانه
آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصيم وعلى هذا فيقال كان ينبغي ان يطابق في التثنية
فيقال لازمين بخلاف كونه مصدرا فانه يفرد على كل حال وجوز ابو البقا ان يكون لزاما جمع
لازم كقيام جمع قايم والمراد ان امة محمد وان كذبوا فسيوخرون ولا يفعل بهم
ما فعل بغيرهم من الاستيصال وذلك لانه علم فيهم من يومن وقيل علم ان في نسلهم من يومن
فلو نزل بهم العذاب لعمهم الهلاك وقيل المصلحة فيه خفية لا يعلمها الا الله وقال اهل السنة له بحكم
المالكية من يخص من يشا بفضله ومن شا بعذاب من غير علة اذ لو كان فعله لعلة لكانت
تلك العلة ان كانت قديمة لزم قدم الفعل فان كانت حادثة افتقرت الى علة اخرى ولزم
التسلسل ثم انه تعالى لما اخبر نبيه بانه لا يهلك احدا قبل استيفا اجله فقال فاصبر على ما يقولون
اي من تكذيبهم النبوة وقيل ترك هم القتول قال الكلبي ومقاتل هذه الاية منسوخة باية
القتال ثم قال وسبح بحمد ربك اي صل بامر ربك وقيل صل لله بالحمد والثنا عليه ونظيره قوله
تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة قوله بحمد ربك حال اي وانت حامدا لربك على انه وفقك
للتسبيح واعانك عليه واختلفوا في التسبيح على قولين قال الاكثرون على ان المراد منه الصلاة
وهولا اختلفوا على ثلاثة اوجه الاول ان المراد الصلوات الخمس قال ابن عباس دخلت
الصلوات الخمس فيه فقبل طلوع الشمس هي الفجر وقبل غروبها الظهر والعصر لانهما جميعا قبل
الغروب ومن اناء الليل فسبح المغرب والعتمة ويكون قوله واطراف النهار كالتوكيد للصلاة
بين الوقتين في طرفي النهار وهما في صلاة الفجر وصلاة المغرب كما اختصت الصلاة الوسطى
بالتوكيد الثاني ان المراد الصلاة الخمس والنوافل لان الزمان اما ان يكون قبل طلوع الشمس
او قبل غروبها فالليل والنهار دخل في هاتين العبادتين واوقات الصلوات الواجبة دخلت
فيها فتح قوله ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار للنوافل الثالث ان المراد اربع صلوات فقوله
قبل طلوع الشمس للفجر وقبل غروبها للعصر ومن اناء الليل للمغرب والعتمة بقي الظهر خارجا
على هذا التاويل يمكن ان تستدل بهذه الاية على ان المراد بالصلاة الوسطى صلاة الظهر لان
قوله حافظوا على الصلوات المراد بهذه الاربع ثم افرد الوسطى بالذكر والتاسيس اولى من التاكيد
والاول اقوى هذا اذا حملنا التسبيح على الصلاة وقال ابو مسلم لا يبعد حمله على التنزيه والاجلال
والمعنى اشتغل بتنزيه الله تعالى بهذه الاوقات فان قيل التنزيه والاجلال والمعنى اشتغل
النهار له طرفان فكيف قال واطراف النهار بل الاولى ان يقول كما قال واقم الصلاة طرفي النهار
فالجواب من الناس من قال اقل الجمع اثنان فسقط السوال ومنهم من قال انما جمع لانه
تكرر في كل نهار ويعود وقوله من اناء الليل متعلق بسبح الثانية وقد تقدم ما في هذه الفاقوله
واطراف العامة على نصبه وفيه وجهان احدهما انه عطف على محل ومن اناء الليل والثاني انه
عطف على قبل وقرا الحسن وعيسى بن عمر واطراف بالجر عطفا على اناء الليل وقوله هنا اطراف
وفي هود طرفي النهار فقيل هو من وضع الجمع موضع التثنية كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين
وقيل هو على حقيقته والمراد بالاطراف الساعات قوله ترضى قرا الكسائي وابو بكر عن عاصم
ترضى مبنيا للمفعول والباقون مبنيا للفاعل وعليه ولسوف يعطيك ربك فترضى والمعنى
ترضى ما تنال من الشفاعة او ترضى بما تنال من الثواب على ضم التا كقوله وكان عند ربه
مرضيا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم قيل المراد نظر العين وهو
قال واحدا لنظر بتطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور واعجابا به كما فعل نظارة قارون
حيث قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم اولوا العلم والايمان
فقالوا ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا وفيه ان النظر غير الممدود يعفى عنه كنظر
الانسان الى الشي مرة ثم يغض ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز في الطباع قيل ولا تمدن
عينيك اي لا تفعل ما انت معتاد له ولقد شدد المتقون في وجوب غض البصر عن ابنية
الظلمة ولباس الفسقة ومراكبهم وغير ذلك لانهم اتخذوا هذه الاشيا لعيون النظارة فالناظر
اليها يحصل لغرضهم كالمغري له على اتخاذها وقال ابو مسلم ليس المنهي عنه هنا هو النظر بل

هو الاسف اي لا تاسف على ما فاتك مما نالوه من حظ الدنيا قال ابو رافع نزل ضيف بالرسول عليه
السلام فبعثني الى يهودي قال قل ان رسول الله يقول بعني كذا وكذا من الدقيق واسلفني الى
هلال رجب فاتيته فقلت له ذلك فقال والله لا ابيعه ولا اسلفه الا برهن فاتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقوله فقال والله لين باعني واسلفني لقضيته واني لامين في السماء
امين في الارض اذهب بدرعي الحديد اليه فنزلت هذه الاية وقال عليه السلام ان الله لا ينظر
الى صوركم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم وقال ابو الدردا الدنيا دار من
لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعن الحسن لولا حمق الناس لخربت الدنيا
وعن عيسى بن مريم عليه السلام لا تتخذوا الدنيا دارا فتتخذكم لها عبيدا وعن عروة بن الزبير
كان اذا راى ما عند السلاطين يتلو هذه الاية ويقول الصلاة يرحمكم الله قوله ازواجا في نصبه
وجهان احدهما انه منصوب على المفعول به والثاني انه منصوب على الحال من الهاء في به راعى
لفظ ما مره فافرد ومعناها اخرى فلذلك جمع قال الزمخشري ويكون الفعل واقعا على منهم كانه
قيل الى الذي متعنا به هم اصناف منهم قاله ابن عباس وناسا منهم الكلبي والزجاج رجالا
منهم قوله زهرة في نصبه تسعة اوجه احدها انه مفعول ثان لانه ضمن متعنا معنى اعطينا
فازواجا مفعول اول وهو الثاني ان يكون بدلا من ازواجا وذلك اما على حذف مضاف
اي ذوي زهرة واما على المبالغة جعلوا نفس الزهرة الثالث ان يكون منصوبا بفعل مضمر دل
عليه متعنا تقديره جعلنا لهم زهرة الرابع نصبه على الذم قال الزمخشري وهو النصب
على الاختصاص الخامس ان يكون بدلا من موضع الموصول قال ابو البقا واختاره بعضهم وقال
اخرون لا يجوز لان قوله لنفتنهم فيه من صلة متعنا فيلزم الفصل بين الصلة والموصول بالاجنبي
وهو اعتراض حسن السادس ان ينتصب على البدل من محله السابع ان ينتصب على الحال من ما
الموصولة الثامن انه حال من الهاء في به وهو ضمير الموصول فهو كالذي قبله في المعنى فان قيل
كيف يقع الحال معرفة فالجواب ان يجعل زهرة منونة نكرة وانما حذف التنوين لالتقا الساكنين
نحو ولا ذاكر الله الا قليلا وعلى هذا فتم جرت الحياة فقيل على البدل من ما الموصولة التاسع انه
تمييز لما او للهاء في به قاله الفرا وقد رد عليه بانه معرفة والمميز لا يكون معرفة وهذا غير لازم لانه
يجوز تعريف التمييز في اصول الكوفيين العاشر انه صفة لازواجا بالنا ويليق المذكورين في نصبه
حالا وقد منع ابو البقا هذا الوجه بكون الموصوف نكرة والوصف معرفة وهذا يجاب عنه بما اجيب
في تسويغ نصبه حالا اعني حذف التنوين لالتقا الساكنين والعامة على تسكين الها وقرا الحسن
وابو الهيثم وابو حيوة بفتحها قيل بمعنى كجهرة وجهرة واجاز الزمخشري ان يكون جمع زاهر
كفاجر وفجرة وبار وبررة وروى الاصمعي عن نافع لنفتنهم بضم النون من افتنه اذا اوقعه في
الفتنة والزهرة بفتح الها وسكونها كنهر ونهر ما يروق من النور وسراج زاهر لبريقه ورجل ازهر
وامراة زهرا من ذلك والنجم الزاهر هي المضية **فصل** معنى متعنا الذذنا به والامتاع
الالذاذ بما يبدو من المناظر الحسنة ويسمع من الاصوات المطربة ويشم من الروايح الطيبة وغير ذلك
من الملابس والمناكح يقال امتعه وامتعه تمتيعا والتفعيل يقتضي التكثير ومعنى الزهرة فيمن
حرك الزينة والبهجة كما جا في الجهرة قرى ارنا الله جهرة وقيل جمع زاهر وصفا لهم بانهم زاهروا
هذه الحياة الدنيا لصفا الوانهم وتهلل وجوههم بخلاف ما عليه الصلحا من شحوب الالوان والتقشف
في الثياب ومعنى لنفتنهم لنعذبهم كقوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في
الحياة الدنيا وقال ابن عباس لنجعل ذلك فتنة لهم بان ازيد لهم في النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا
ثم قال ورزق ربك في المعاد يعني في الجنة خير من مطلوبهم وابقى لانه يدوم ولا ينقطع وليس كذلك
حال ما اوتوا من الدنيا ويحتمل ان ما اوتيته من يسير الدنيا اذا قرنته بالطاعة ورضيت به
وصبرت عليه كانت عاقبته خيرا لك ويحتمل المراد ما اعطي من النبوة والدرجات الرفيعة قوله
وامر اهلك بالصلاة اي قومك وقيل من كان على دينك كقوله وكان يامر اهله بالصلاة وحمله
بعضهم على اقاربه واصطبر عليها اي اصبر على الصلاة وحافظ عليها فانها تنهى عن الفحشا والمنكر
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية يذهب الى فاطمة وعلي عليهما السلام
كل صباح ويقول الصلاة ثم بين تعالى انه انما امرهم بذلك لنفعهم وانه متعال عن المنافع فقال

لا نسألك رزقا اي لا نكلفك ان ترزق احدا من خلقنا ولا ان ترزق نفسك وانما نكلفك عملا فتفرغ بذلك لامر الاخرة كما قال بعضهم من كان في عمل الله كان الله في عمله وقال ابو مسلم معناه انا نريد منه ومنهم العبادة ولا نريد ان يرزقه كما يريد السادة من العبيد الخراج ونظيره وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون وقيل المعنى انما امرناك بالصلاة لينفعك لانا ننتفع بصلاتك نحن نرزقك في الدنيا بوجوه النعم وفي الاخرة بالثواب قال عبد الله بن سلام كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل باهله ضيق او شدة امرهم بالصلاة وتلا هذه الاية والعاقبة الجميلة المحمودة للتقوى اي لاهل التقوى وقال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك واتقوك ثم يؤيده قوله في موضع اخر والعاقبة للمتقين وقرا ابن وثاب نرزقك بادغام القاف في الكاف والمشهور عند اهل العربية الادغام اذا كانت متصلة كميم جمع نحو خلقكم كما تقدم قوله وقالوا لولا ياتينا باية من ربه وقال في موضع اخر من ربه واعلم ان هذا من لوازم قوله تعالى فاصبر على ما يقولون وهو قولهم لولا ياتينا باية اي هلا ياتينا باية وقال في موضع اخر لولا ياتينا باية من ربه كما ارسل الاولون ثم اجاب عنه بقوله اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى اي بيان ما فيها وهو القران اذا وافق ما في كتبهم مع ان الرسول لم يشتغل بالدراسة والتعلم فكان ذلك اخبارا عن الغيب فيكون معجزا بينة ما في الصحف الاولى ما فيها من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وبعثته وقال ابن جرير والقفال بينة ما في الصحف الاولى من انباء الامم الذين اهلكناهم لما جاءتهم البينات فكفروا بها واقترحوا الايات فلما اتتهم لم يؤمنوا بها فاخذناهم بالعقوبة والهلاك فما يؤمنهم ان يكون حالهم في سؤال الايات كحال اولئك قوله اولم تاتهم بينة قرا نافع وابو عمرو وحفص تاتهم بالتاء للتانيث والباقون بالياء من تحت لان التانيث مجازي وقرا العامة بينة ما باضافة بينة الى ما مرفوعة وهي واضحة وقرا ابو عمرو فيما رواه ابو زيد بتنوين بينة مرفوعة وعلى هذه القراءة ففي ما وجهان احدهما انه بدل من بينة بدل كل من كل الثاني ان يكون خبر مبتدا مضمر هي ما في الصحف الاولى الثالث ان يكون ما نافية قال صاحب اللوامح واريد بذلك ما في القران من الناسخ والفصل مما لم يكن في غيره من الكتب وقرئت بينة بالتنوين والنصب ووجهها ان تكون ما فاعلة وبينة نصب على الحال وانث على معنى ما ومن قرا بالتاء انث حملا على معنى ما ومن قرا بالياء الغيبة فعلى لفظها وقرا ابن عباس بسكون الحاء من الصحف قوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله الهاء في قبله يجوز ان تعود للرسول لقوله لولا ارسلت الينا رسولا وجوز الزمخشري وغيره وقوله ان تعود على بينة باعتبارها في معنى البرهان والدليل والمعنى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبل ارسال الرسول او من قبل مجي البرهان لقالوا يوم القيامة لولا ارسلت الينا رسولا يدعون فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى بالعذاب والذل والهوان والخزي الافتضاح اي لكان لهم ان يقولوا ذلك فيكون عذرا لهم فاما الان فقد ارسلناك وبينا على لسانك عليهم وما لهم فلم يبق لهم حجة البتة روى ابو سعيد الخدري قال عليه السلام يحتج على الله يوم القيمة ثلثة الهالك في الفترة يقول لم ياتني رسول وتلا لولا ارسلت الينا رسولا والمغلوب على عقله يقول لم تجعل لي عقلا انتفع به ويقول الصغير كنت صغيرا لا اعقل فترفع لهم النار ويقال ادخلوها فيدخلها من كان في علم الله انه سعيد ويبقى من في علم الله انه شقي فيقول الله اياي عصيتم فكيف برسلي لو اتوكم

فصل

قال الجبائي هذه الاية تدل على وجوب فعل اللطف اذ المراد انه يجب ان يفعل بالمكلفين ما يؤمنون عنده ولو لم يفعل لكان لهم ان يقولوا هلا فعلت لنا كذا لنؤمن وهلا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك وان كان في المعلوم انهم لا يؤمنون وان يبعث اليهم الرسول لم يكن لهم ذلك حجة وضح انه انما يكون حجة لهم اذا كان في المعلوم انهم يؤمنون اذا اتاهم نحوه

فصل

قال الكعبي قوله لولا ارسلت الينا رسولا اوضح دليل على انه تعالى يقبل الاحتجاج من عباده وانه ليس قوله لا يسال عما يفعل كما ظنه الجبرية من انما هو ما جور منا يكون عدلا منه بل لا دليله انه لا يفعل الا العدل قال واذا ثبت انه تعالى يقبل الحجة فلو لم يكونوا قادرين على ما امروا به لكان لهم فيه اعظم حجة

فصل

ودلت الاية على ان الوجوب لا يتحقق الا بالشرع اذ لو تحقق العقاب قبل مجي الشرع لكان العقاب حاصلا قبل الشرع قوله فنتبع نصب باضمار ان في جواب التحضيض وفي اعراب ابي البقاء جواب الاستفهام وهو سهو وقرا ابن عباس وابن الحنفية والحسن وجماعة

كثيرة نذل ونخزى مبنيين للمفعول قوله قل كل متربص كل مبتدا ومتربص خبره افرد حملا على لفظ كل والمعنى كل منا ومنكم متربص منتظر عاقبة امره وذلك ان المشركين قالوا نتربص بمحمد حوادث الدهر فاذا مات تخلصنا قال الله تعالى فتربصوا فانتظروا فستعلمون اذا جاء نصر الله وقامت القيامة تظهر امر الثواب والعقاب فانه يتميز المحق من المبطل ويحتمل ان يكون المراد قبل الموت اما بسبب الجهاد او بسبب ظهور الدولة والقوة قوله فستعلمون من اصحاب يجوز في هذه وجهان اظهرهما ان تكون استفهامية مبتداة واصحاب خبره والجملة في محل نصب سادة مسد المفعولين والثاني ويعزى للفراء ان تكون من موصولة بمعنى الذين واصحاب خبر مبتدا مضمر اي هم اصحاب وهذا على مقتضى مذهبهم يحذفون مثل هذا العائد وان لم تطل الصلة ثم علم يجوز ان تكون عرفانية فيكتفى بهذا المفعول وان تكون على بابها فلابد من تقدير ثانيهما قوله الصراط السوي قرا العامة السوي على وزن فعيل بمعنى المستوي وقرا ابو مجلز وعمران بن حدير السواء بفتح السين فالمد بمعنى الوسط الجيد وقرا يحيى بن هرمز والجحدري السوء على فعل باعتبار ان الصراط يذكر ويؤنث وقرا ابن عباس السوء بفتح السين بمعنى الشر وروي السوي بضم السين وتشديد الواو ويحتمل ذلك وجهين احدهما ان تكون قلب الهمزة واوا وادغم الواو في الواو وان يكون مبنى اجتمع فعل من السوا واصله السوي فقلبت الياء واوا وادغم ايضا وكان قياس هذه السيا لانه متى اجتمع يا وواو وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو يا وهنا فعل بالعكس وقرئ السوي بضم السكون وفتح الواو وتشديد الياء تصغير سوء قاله الزمخشري قال ابو حيان وليس ببعيد اذ لو كان كذلك لثبتت همزة سوء والاجود ان يكون تصغير سوى كقولهم عطي في عطا وقال شهاب الدين وقد جعله ابو البقاء ايضا تصغير السوء بفتح الهمزة ويرد عليه ما تقدم ايراده على الزمخشري وابدال مثل هذه الهمزة جائز فلا ايراد قوله ومن اهتدى فيه ثلاثة اوجه احدها ان تكون استفهامية وحكمها كالتي قبلها الا في حذف العائد الثاني انها في محل رفع على ما تقدم في الاستفهامية الثالث انها في محل جر نسقا على الصراط اي واصحاب من اهتدى وعلى هذين الوجهين تكون موصولة قال ابو البقاء والوجه الثاني وفيه عطف الخبر على الاستفهام وفيه تقوية قول الفراء يعني انه اذا جعلها موصولة كانت خبرية ومعنى الكلام فستعلمون اذا جاء امر الله وقامت القيامة من اصحاب الصراط المستقيم ومن اهتدى من الضلالة نحن ام انتم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قرا طه ويس قبل ان يخلق ادم بالفي عام فلما سمعت الملائكة القران قالوا طوبى لامة ينزل عليها هذا وطوبى لالسن تتكلم بهذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وعن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقرا اهل الجنة من القران الا يس وطه

سورة الانبيا مكية

وهي مائة واثنا عشرة اية وكلماتها الف كلمة ومائة وثمانية وستون كلمة وعدد حروفها الف وثمانمائة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اقترب للناس حسابهم الاية اللام متعلق باقترب قال الزمخشري رحمه الله هذه اللام لا تخلو اما ان تكون صلة لاقترب او تاكيدا لاضافة الحساب اليهم كقولك ازف للحي رحيلهم الاصل ازف رحيل الحي ثم ازف للحي رحيلهم ونحوه وما اورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا نحو عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا ابا لك لان اللام مؤكدة لمعنى الاضافة وهذا الوجه اغرب من الاول قال ابو حيان يعني بقوله صلة انه متعلقة به واما جعله اللام توكيدا لاضافة الحساب اليهم مع تقدم اللام ودخولها على الاسم الظاهر فلا نعلم احدا يقول ذلك وايضا فيحتاج الى ما تتعلق به ولا يمكن تعلقها بحسابهم لانه مصدر موصول ولا يتقدم معموله عليه وايضا فان التوكيد يكون متاخرا عن المؤكد وايضا فلو اخر في هذا التركيب لم يصح واما تشبيهه بما اورده سيبويه فالفرق واضح فان عليك معمول لحريص وعليك المتاخرة تاكيد وكذلك فيك زيد راغب فيك متعلق براغب وفيك الثانية توكيد وانما غره في ذلك صحة تركيب حساب الناس وكذلك ازف رحيل الحي فاعتقد اذا تقدم الظاهر مجرورا باللام واضيف المصدر لضميره انه من باب فيك زيد راغب فيك فليس مثله واما لا ابا لك فهي مسئلة مشكلة وفيها خلاف ويمكن ان يقال فيها ذلك لان اللام فيها جاورت الاضافة ولا يقاس عليها لشذوذها وخروجها

عن الاقيسة قال شهاب الدين رحمه مسيلة الزمخشري اشبه شي بمسيلة لا اباك والمعنى الذي اوردصحيح واما كونها مشكلة فهو انما بناها على قول الجمهور والمشكل مقرر في بابه فلا يضرنا القياس عليه لتقرره في مكانه قوله تعالى وهم في غفلة معرضون يجوز ان يكون الجار متعلقا بمحذوف على انه حال من الضمير في معرضون وان يكون خبرا للضمير ومعرضون خبر ثان وقول ابي البقا في هذا الجار انه خبر ثان يعني في العدد والا فهو الاول في الحقيقة وقد يقال لما كان في تاويل المفرد وجعل المفرد الصريح مقدما في الرتبة فهو ثان بهذا الاعتبار وهذه الجملة في محل نصب على الحال من الناس نزلت في منكري البعث والقرب لا يعقل الا في المكان والزمان والقرب المكاني هنا ممتنع فتعين القرب الزماني فان قيل كيف وصف بالاقتراب وقد عبر بعد هذا القول اكثر من ستماية عام فالجواب من وجوه الاول انه مقترب عند الله تعالى لقوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون الثاني كل ات قريب وان طالت اوقات تقربه وانما البعيد هو الذي انقرض قال الشاعر • فلا زال ما تهواه اقرب من غد • ولا زال ما تخشاه ابعد من امس
الثالث ان المقالة اذا كانت مؤجلة الى سنة ثم انقضى منها شهر فانه لا يقال اقترب الاجل اما اذا كان الماضي اكثر من الباقي فانه يقال اقترب الاجل فعلى هذا الوجه قال العلما رضي الله عنهم ان فيهم دلالة على قرب القيامة ولهذا قال عليه الصلاة والسلام بعثت انا والساعة كهاتين وقال صلى الله عليه وسلم ختمت النبوة وكل ذلك لاجل الباقي من مدة التكاليف اقل من الماضي واعلم انه انما ذكر تعالى هذا الاقتراب لما فيه من مصلحة المكلفين ليكثر تحرزهم خوفا منها ولم يعين الوقت لان كتمان وقت الموت اصلح لهم والمراد بالناس من له مدخل في الحساب وهم المكلفون دون من لا مدخل له فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالناس المشركون وهذا من اطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القايم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وهو قوله تعالى وهم في غفلة معرضون وصفهم بالغفلة والاعراض اما الغفلة فالمعنى انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضا عقولهم انه لا بد من جزا المحسن والمسي ثم اذا انتبهوا من سنة الغفلة ورقدة الجهالة بما يتلى عليهم من الايات اعرضوا وسدوا اسماعهم قوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث ذكر الله تعالى بيانا لكونهم معرضين وذلك ان الله تعالى يجدد لهم الذكر كل وقت ويظهر لهم الاية بعد الاية والسورة بعد السورة ليكون على اسماعهم في الموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم ذلك الا استهزا وقرأ العامة على جر محدث نعتا لذكر على اللفظ وقوله من ربهم فيه اوجه اجودها ان يتعلق بياتيهم ويكون من لابتدا الغاية مجازا والثاني ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الضمير المستتر في محدث الثالث ان يكون حالا من نفس ذكر وان كان نكرة لانه قد تخصص بالوصف بمحدث وهو نظير ما جاني رجل قايما منطلق تفصل بالحال بين الصفة والموصوف وايضا فان الكلام نفي وهو مسوغ لمجي الحال من النكرة الرابع ان يكون نعتا لذكر فيجوز في محله وجهان الجر باعتبار اللفظ والرفع باعتبار المحل لانه مرفوع المحل اذ هو مزيدة فيه وسيأتي في جعله نعتا لذكر اشكال من حيث انه قد تقدم غير الصريح على الصريح وتقدم تحريره في المايدة الخ من ان يتعلق بمحذوف على سبيل البيان وقرا ابن ابي عبلة محدث رفعا نعتا لذكر على المحل لان من مزيدة فيه لاستكمال الشرطين وقال ابو البقا ولو رفع على موضع من ذكر جاز كانه لم يطلع عليه قراة وزيد بن علي محدثا نصبا على الحال من ذكر وسوغ ذلك وصفه بمن ربهم ان جعلناه صفة او اعتماده على النفي ويجوز ان يكون من الضمير المستتر في من ربهم اذا جعلناه صفة قوله الا استمعوه هذه الجملة حال من مفعول ياتيهم وهو استثنا مفرغ وقد معه مضمرة عند قوم وهم يلعبون حال من فاعل استمعوا اي استمعوه لاعبين

فصل

قال رحمه الله معنى محدث محدث التنزيل الامر بعد الامر وقيل الذكر المحدث ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواعظ سوى ما في القران واضافه الى الرب سبحانه لانه لا ينطق عن الهوى بقوله الا استمعوه لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون

فصل

استدلت المعتزلة بهذه الاية على حدوث القران فقالوا القران ذكر والذكر محدث فالقران محدث بيان ان القران ذكر قوله تعالى في صفة القران ان هو الا ذكر

للعالمين وانه لذكر لك ولقومك انا نحن نزلنا الذكر ان هو الا ذكر وقران مبين وهذا ذكر مبارك انزلناه وبيان ان الذكر محدث قوله ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث وقوله ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث فالجواب من وجهين الاول ان قوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وقوله وهذا ذكر مبارك انزلناه اشارة الى المتركب من الحروف والاصوات وذلك مما لا نزاع فيه لاحد وانه معلوم بالضرورة انما النزاع في قدم كلام الله تعالى بمعنى اخر الثاني ان قوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث لا يدل على حدوث كل ما كان ذكرا لان قول القايل لا يدخل هذه البلدة رجل فاضل الا يبغضونه فانه لا يدل على ان كل رجل يجب ان يكون فاضلا بل على ان من الرجال من هو فاضل واذا كان كذلك فالاية لا تدل الا على ان بعض الذكر محدث وهذا لا ينتج شيا فظهر ان الذي ظنوه قاطعا لا يفيد ظنا ضعيفا فضلا عن القطع قوله لاهية يجوز ان يكون حالا من فاعل يلعبون فتكون الحالان متداخلتين وعبر الزمخشري عن ذلك فقال وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفان ومتداخلان واذا جعلناهما حالين مترادفين فيه نفسه تقديم الحال غير الصريحة وفيه من البحث ما في باب النعت وقلوبهم مرفوع بلاهية وقال البغوي رحمه الله لاهية نعت تقدم الاسم ومن حق النعت ان يتبع الاسم في الاعراب فاذا تقدم النعت الاسم فله حالتان فصل ووصل فحالته في الفصل النصب كقوله تعالى خاشعا ابصارهم ودانية عليهم ظلالها ولاهية قلوبهم وفي الوصل حاله ما قبله من الاعراب كقوله تعالى اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها العامة على نصب لاهية وابن ابي عبلة على الرفع على انها خبر ثان لقوله وهم عند من يجوز ذلك او خبر مبتدا محذوف عند من لا يجوزه قوله واسروا النجوى الذين ظلموا يجوز في محل الذين ثلاثة اوجه الرفع والنصب والجر فالرفع من ستة اوجه احدها انه بدل من واو اسروا تنبيها على اتسامهم بالظلم الفاحش وعزاه ابن عطية لسيبويه وغيره للمبرد الثاني انه فاعل والواو علامة جمع دلت على جمع الفاعل كما تدل التا على تانيثه وكذلك يفعلون في التثنية فيقولون فاما اخواك وانشدوا

• يلومونني في اشترا النخيل اهلي وكلهم الوم •

واليه ذهب الاخفش وابو عبيد وضعف بعضهم هذه اللغة وبعضهم حسنها ونسبها لازدشنوه وتقدمت هذه المسيلة في المايدة عند قوله تعالى ثم عموا وصموا كثير منهم الثالث ان يكون الذين مبتدا واسروا جملة خبرية قدمت على المبتدا ويعزى للكسائي الرابع ان يكون الذين مرفوعا بفعل مقدر فقيل تقديره يقول الذين واختاره النحاس قال والقول كثيرا ما يضمر ويدل عليه قوله بعد ذلك هل هذا الا بشر مثلكم وقيل تقديره اسرها الذين ظلموا الخامس انه خبر مبتدا مضمر تقديره هم الذين ظلموا السادس انه مبتدا وخبره الجملة من قوله هل هذا الا بشر ولا بد من اضمار القول هل هذا القول تقديره الذين ظلموا يقولون هل هذا الا بشر والقول يضمر كثيرا والنصب من وجهين احدهما الذم والثاني اضمار اعني والجر من وجهين ايضا احدهما النعت والثاني البدل من الناس ويعزى هذا للفرا وفيه بعد قوله هل هذا الى قوله تبصرون يجوز في هاتين الجملتين الاستفهاميتين ان يكونا في محل نصب بدلا من النجوى وان يكونا في محل نصب باضمار القول قالهما الزمخشري رحمه الله وان يكونا في محل نصب على انهما محكيان بالنجوى لانها في معنى القول وانتم تبصرون جملة حالية من فاعل تاتون فصل اعلم ان الله تعالى ذم الكفار بهذا الكلام وزجرهم عن مثله بانهم اذا استمعوا وهم يلعبون لم يحصلوا الا على مجرد الاستماع الذي قد تشارك فيه البهيمة الانسان ثم اكد ذمهم بقوله تعالى لاهية قلوبهم واللاهية من لها عنه اذا ذهل وغفل وقدم ذكر اللعب على اللهو كما في قوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو تنبيها على ان اشتغالهم باللعب الذي معناه اللهو والغفلة والسخرية والاستهزا معلل باللهو الذي معناه الذهول فانهم انما اجتمعوا على اللعب لذهولهم عن الحق وقوله تعالى واسروا النجوى فيه سوال وهو ان النجوى اسم من التناجي وهو لا يكون الا خفية فما معنى قوله واسروا النجوى والجواب انهم بالغوا في اخفايها وجعلوا بحيث لا يفطن احد لتناجيهم فان قيل لم قال واسروا النجوى الذين ظلموا فالجواب ابدال الذين ظلموا من اسروا اشعارا بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به او جاعلي لغة من قال اكلوني البراغيث وقوله هل هذا الا بشر مثلكم يحتمل ان يكون التفسير واسروا النجوى وقالوا هذا الكلام وانما اسروا هذا الحديث لوجهين احدهما انما كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى امر وعادة المتشاورين ان

يجتهدوا في كتمان سرهم عن اعدائهم والثاني ان يسروا نجواهم بذلك ثم يقولون لرسول الله وللمومنين
ان كان ما تدعون حقا فانا امرناه واعلم انهم طعنوا في نبوته صلى الله عليه وسلم بامرين
احدهما انه بشر مثلهم والثاني ان الذي اتى به سحر وكلا الطعنين فاسد اما الاول فلان النبوة
تتوقف صحتها على المعجزات والدلايل لا على الصور اذ لو ارسل الملك اليهم لما علم كونه نبيا بصورته وانما
كان يعلم بالعلم فاذا ظهر ذلك على من هو بشر فيجب ان يكون نبيا صلى الله عليه وسلم بل الاولى ان
يكون المبعوث الى البشر بشرا لان المرء القبول من اشكاله اقرب وهو به انس واما الثاني فهو ان
ما اتى به الرسول من القران ظاهره الوعيد لا مرية فيه وقد كان صلى الله عليه وسلم يتحداهم بالقران
مدة من الزمان حالا بعد حال وهم ارباب الفصاحة والبلاغة وكانوا في نهاية الحرص على
ابطال امره بمعارضة القران فلو قدروا على المعارضة لامتنع ان لا ياتوا بها لان الفعل عند توفر
الدواعي وارتفاع الصارف واجب الوقوع فلما لم ياتوا بها دلنا ذلك على انه في نفسه
معجز وانهم عرفوا حاله فكيف يجوز ان يقال انه سحر والحال ما ذكرناه وكل ذلك يدل على انهم كانوا
عالمين بصدقه الا انهم كانوا يموهون على ضعفائهم بمثل هذا القول وان كانوا فيه مكابرين والمعنى
افتاتون تحضرون السحر وانتم تعلمون انه ليس بسحر قوله تعالى قل ربي يعلم القول قرا الاخوان
وحفص قال على كرم الله وجهه لفظ الخبر والضمير للرسول صلى الله عليه وسلم والباقون قل على
الامر وقوله تعالى في السما فيه اوجه احدها ان يتعلق بمحذوف على انه حال من القول والثاني
انه حال من فاعل يعلم السر وضعفه ابو البقا رحمه الله وصفي ان يمتنع والثالث انه متعلق بيعلم
وهو قريب مما قبله وحذف متعلق السميع العليم للعلم به والمعنى لا يخفى عليه شي وهو السميع لاقوالهم
العليم بافعالهم قال الزمخشري فان قلت هلا قيل يعلم السر لقوله واسروا النجوى قلت القول عام
يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان اكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول
يعلم السر كما ان قوله يعلم السر اكد من ان يقول يعلم سرهم فان قلت لم ترك الاكد في سورة الفرقان
في قوله تعالى قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض قلت ليس بواجب ان يجي بالاكد
في كل موضع ولكن يجي بالتاكيد تارة وبالاكد اخرى ثم الفرق انه قدم هنا انهم اسروا النجوى فكانه
قال ان ربي يعلم ما اسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة ثم قصد وصفه بعالم الغيب
لا يعزب عنه مثقال ذرة وانما قدم السميع على العليم لانه لا بد من سماع الكلام اولا ثم من حصول
العلم بمعناه قوله تعالى اضغاث احلام خبر مبتدا محذوف اي هو اضغاث والجملة نصبا بالقول
واعلم انه تعالى عاد الى حكاية قولهم هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر ثم قال بل هو اضغاث
احلام بل افتراه بل هو شاعر فحكى عنهم هذه الاحوال الخمسة وترتيب كلامهم ان كونه بشرا مانع من
كونه رسولا لله سلمنا انه غير مانع ولكن لا نسلم ان هذا القران معجز ثم اما ان نساعد على ان فصاحة
القران خارجة عن مقدور البشر فلم لا يجوز ان يكون ذلك سحرا وان لم نساعد عليه فان ادعينا كونه
في نهاية الركاكة قلنا انه اضغاث احلام وان ادعينا انه متوسط بين الركاكة والفصاحة قلنا انه
افتراه وان ادعينا انه كلام فصيح قلنا انه من جنس فصاحة ساير الشعر وعلى جميع هذه التقديرات
فانه لا يثبت كونه معجزا ولما فرغوا من تقدير هذه الاحتمالات قالوا فلياتنا باية كما ارسل الاولون
والمراد انهم طلبوا منه حالة لا تتطرق اليها شي من هذه الاحتمالات وقال المفسرون ان المشركين
اقتسموا القول فيه وفيما يقوله فقال بعضهم اضغاث احلام اي اباطيلها واهاويلها راها في
النوم وقال بعضهم بل افتراه اي اختلقه وقال بعضهم بل محمد شاعر وما جاكم به شعر فلياتنا
باية ان كان صادقا كما ارسل الاولون من الرسل والايات قوله كما ارسل يجوز في هذه الكاف وجهان
احدهما ان يكون في محل خبر نعتا لاية اي باية مثل اية ارسال الاولين فما مصدرية والثاني ان
يكون نعتا لمصدر محذوف اي اتنا بمثل ارسال الاولين فاجابهم الله تعالى بقوله ما امنت قبلهم
من قرية اي قبل مشركي مكة من قرية اتتهم الايات اهلكناها اي اهلكناهم بالتكذيب افهم يومنون
ان جاتهم اية والمعنى انهم في العتو اشد من الذين اقترحوا على انبيايهم الايات وعاهدوا انهم
يومنون عندها فلما جاتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو اعطيناهم ما يقترحون لكانوا اشد
نكثا قال الحسن انما لم يجابوا لان حكم الله تعالى ان من كذب بعد الاجابة الى ما اقترحه فلا بد
من ان ينزل به عذاب الاستيصال وقد مضى حكمه في امة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة بخلافه

فلذلك

فلذلك لم يجبهم وتقدم الكلام في اعراب نظير قوله اهلكناها افهم يومنون قوله يوحي اليهم قرا
حفص نوحي بنون العظمة مبنيا للفاعل اي نوحي والباقون بالياء وفتح الحاء مبنيا للمفعول
وقد تقدم في يوسف وهذه الجملة في محل نصب نعتا لرجالا واليهم في القراءة الاولى منصوبة
المحل والمفعول محذوف اي نوحي اليهم القران او الذكر ومرفوع المحل في القراءة الثانية لقيامه
مقام الفاعل **فصل** اعلم انه تعالى اجاب عن سوالهم الاول وهو قولهم ما هذا
الا بشر مثلكم بقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فبين ان هذه عادة الله في الرسل
من قبل محمد صلى الله عليه وسلم ولم يمتنع ذلك من كونهم رسلا واذا صح ذلك فيهم فقد ظهر على محمد
مثل ما ظهر فاسالوا اهل الذكر يعني علما اهل الكتاب حتى يعلموكم ان رسل الله الموحى اليهم
كانوا بشرا فلم يكونوا ملايكة وانما احالهم على اوليك لانهم كانوا يتابعون المشركين في معاداة الرسول
واما المشركين يسالة اهل الكتاب لانهم الى تصديق من لم يومن بالنبي صلى الله عليه وسلم اقرب منهم
الى تصديق من امن قال تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا
اذى كثيرا فان قيل اذا لم يوثق باليهود والنصارى فكيف يجوز ان يامرهم بان يسالوهم عن الرسل
فالجواب اذا تواتر خبرهم وبلغ حد التواتر جاز ذلك لانا نعلم بخبر الكفار اذا تواتر كما نعلم بخبر
المومنين وقال ابن زيد اراد باهل الذكر المومنين وهو بعيد لانهم كانوا طاعنين في القران
وفي الرسول صلى الله عليه وسلم فاما تعلق كثير من الفقها بهذه الاية في ان للقاضي ان يرجع
الى فتوى العلما وفي ان للمجتهد ان ياخذ بقول مجتهد اخر فبعيد لان هذه الاية خطاب
مشافهة وهي واردة في هذه الواقعة المخصوصة ومتعلقة باليهود والنصارى على التعيين
قوله ان كنتم لا تعلمون جواب الشرط محذوف لدلالة ما تقدم عليه اي فاسالوهم ومفعولا
العلم يجوز ان يراد اي لا تعلمون ان ذلك كذلك ويجوز ان لا يراد اي ان كنتم من غير ذوي العلم
قوله تعالى وما جعلناهم جسدا اي ما جعلنا الرسل الا جسدا ولم يقل اجسادا لانه اسم جنس لا ياكلون
الطعام هذا رد لقولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام والمعنى لم نجعل الرسل ملايكة بل جعلناهم
بشرا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين في الدنيا قوله لا ياكلون الطعام في هذه الجملة وجهان
اظهرهما انها في محل نصب نعتا لجسدا وجسدا مفرد يراد به الجمع وهو على حذف مضاف اي ذوي
اجساد غير اكلين الطعام وجعل يجوز ان يكون بمعنى صير فيتعدى لاثنين ثانيهما جسدا ويجوز
ان يكون بمعنى خلق وانشا فيتعدى لواحد فيكون جسدا حالا وتاويله بمشتق اي متغذ بين
لان الجسد لا بد له من الغذا وقال ابو البقا ان لا ياكلون حالا اخرى بعد جسدا اذا قلنا ان جعل
يتعدى لواحد وفيه نظر بل هي صفة لجسدا بالاعتبارين لا يليق بمعنى الاية قوله ثم صدقناهم
الوعد صدق يتعدى لاثنين الى ثانيهما بحرف الجر وقد يحذف تقول صدقتك الحديث وفي الحديث
بحوامر واستغفر وقد تقدم في ال عمران قال الزمخشري هو مثل واختار موسى قومه
سبعين رجلا والاصل في الوعد من قومه والمعنى صدقناهم الوعد الذي وعدناهم باهلاك
اعدايهم فانجيناهم ومن نشا اي انجينا المومنين الذين صدقوا الرسل واهلكنا المسرفين اي
المشركين المكذبين وكل مشرك مسرف على نفسه قوله تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا يا معشر
قريش فيه ذكركم اي شرفكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك وهو شرف لمن امن به وقال مجاهد
فيه حديثكم وقال الحسن فيه ذكركم اي ذكر ما تحتاجون اليه من امر دينكم افلا تعقلون وهذا
كالبعث على التدبر للقول لانهم كانوا عقلا لان الخوف من لوازم العقل فمن لم يتدبر فكانه خرج
عن العقل قوله وكم قصمنا كم في محل نصب مفعولا مقدما بقصمنا ومن قرية تمييز والظاهر
ان كم هنا خبرية لافادة التكثير والقصم القطع والكسر الذي يبين تلاؤم الاجزا بخلاف
الفصم قوله كانت ظالمة في محل جر صفة لقرية ولا بد من مضاف محذوف قبل قرية اي وكم
قصمنا من اهل قرية بدليل عود الضمير في قوله فلما احسوا ولا يجوز ان يعود على قوله قوما
لانه لم يذكر ما يقتضي ذلك **فصل** لما حكى عنهم تلك الاعتراضات الساقطة لكونها
في مقابلة ما ثبت اعجازه وهو القران ظهر لكل عاقل ان اعتراضهم كان لاجل حب الرياسة والدنيا
والمراد بقوله قصمنا اهلكنا قال ابن عباس رضي الله عنه المراد منه القتل بالسيوف والمراد
بالقرية حضور وسحول باليمن ينسب اليهما الثياب وفي الحديث [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم

في توبتين سحوليتين وروي حضوريين بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر
كما سلطه على اهل بيت المقدس فاستاصلهم روي انه لما اخذتهم السيوف نادى مناد من السماء
يا لثارات الانبيا فندموا واعترفوا بالخطا وقالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين وقال الحسن المراد
عذاب الاستيصال وهذا اقرب لان اضافة ذلك الى الله تعالى اقرب من اضافته الى القايل
ثم يتقدر ان يحمل ذلك على عذاب القتل فما الدليل على الحصر في القريتين التي ذكر ابن عباس وقوله
تعالى كانت ظالمة اي كافرة يعني اهلها وانشانا بعدها اي احدثنا بعد هلاك اهلها
قوما آخرين فلما احسوا باسنا اي عذابنا بحاسة البصر اذا هم منها يركضون اي يسرعون هاربين
والركض ضرب الدابة بالرجل يقال ركض الدابة يركضها ركضا ومنه قوله تعالى اركض برجلك
فيجوز ان يركبوا دوابهم فيركضوها هاربين منهزمين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب
ويجوز ان يشبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين قوله اذا هم اذا هذه فجائية
وتقدم الخلاف فيها وهم مبتدا ويركضون خبره وتقدم اول الكتاب ان امثال هذه الاية
دالة على ان لما ليست ظرفية بل حرف وجوب لوجوب لان الظرف لابد له من عامل ولا عامل
هنا لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها والجواب انه عمل فيها معنى المفاجاة المدلول عليه باذا
والضمير في منها يعود على قريته ويجوز ان يعود على باسنا لانه في معنى النقمة والباسا فانث
الضمير حملا على المعنى ومن على الاول لابتداء الغاية وللتعليل على الثاني قوله لا تركضوا
اي قيل لهم لا تركضوا لا تهربوا قال الزمخشري رحمه الله القول محذوف فان قلت من
القايل قلت يحتمل ان يكون بعض الملايكة ومن ثم من المومنين او يكونوا خلقا بان يقال
لهم ذلك وان لم يقل او يقوله رب العزة ويسمعه ملايكته لينفعهم في دينهم او يلهمهم ذلك فيحدثوا
به نفوسهم قوله وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف
ابطار النعمة وهي الترفه وقوله لعلكم تسالون تهكم به وتوبيخ قال ابن عباس رضي
الله عنه تسالون عن قتل نبيكم وقال غيره هذا التهكم يحتمل وجوها الاول ارجعوا الى
نعمتكم ومساكنكم لعلكم تسالون عما جرى عليكم وترك باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السايل
عن علم ومشاهدة الثاني ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى يسالكم عبيدكم ومن ينفذ
فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تامرون وماذا ترسمون كعادة المخدومين الثالث يسالكم الناس
ما في ايديكم ويستشيرونكم في المهمات قوله تعالى فما زالت تلك دعواهم اسم زالت تلك ودعواهم
الخبر هذا هو الصلاة وقد قال الحوفي والزمخشري وابو البقا يجوز العكس وهو مردود بانه اذا
خفي الاعراب مع استوايهما في المسوغ لكون كل منهما اسما او خبرا وجب جعل المتقدم اسما والمتاخر
خبرا وهو من باب عيسى صلوات الله عليهما وتقدم ايضا هذا في اول سورة الاعراف فليلتفت
اليه وتلك اشارة الى الجملة المقولة قال الزمخشري تلك اشارة الى يا ويلنا لانها دعوى
كانه قيل فما زالت تلك الدعوة دعواهم والدعوة بمعنى الدعوى قال تعالى واخر دعواهم
ان الحمد لله رب العالمين وسميت دعوى لانهم كانوا دعوا بالويل فقالوا يا ويلنا قال
المفسرون لم يزالوا يكررون هذه الكلمة فلم ينفعهم ذلك كقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا
باسنا حتى جعلناهم حصيدا الحصيد هو الزرع المحصود اي جعلناهم مثل الحصيد شبههم
في استيصالهم به كما يقول جعلناهم رمادا اي مثل الرماد وقوله حصيدا مفعول ثان لان
الجعل هنا تصيير فان قيل كيف تنصب جعل ثلاثة مفاعيل فالجواب ان حصيدا وخامدين
يجوز ان يكون هذا من باب هذا حلو حامض كانه قال جعلناهم جامعين بين الوصفين جميعا
ويجوز ان يكون خامدين حالا من الضمير في جعلناهم او من الضمير المستكن في حصيدا فانه في معنى
المحصود ويجوز ان يكون من باب ما تعدد فيه الخبر نحو زيد كاتب شاعر وجوز ابو البقا فيه ايضا
ان يكون صفة لحصيدا وحصيد بمعنى محصود كما تقدم فلذلك لم يجمع كما لم يجمع مثل المقدر انتهى
واذا كان بمعنى محصودين فلا حاجة والمعنى انهم هلكوا بذلك العذاب حتى لم يبق حس ولا
حركة وجفوا كما يجف الحصيد وخمدوا كما تخمد النار قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض الاية
اعلم انه لما بين اهلاك القرية لاجل تكذيبهم اتبعه بما يدل على انه فعل ذلك عدلا منه ومجازاة على
ما فعلوا فقال تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين اي وما سوينا هذا السقف

المرفوع

المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجايب والغرايب كما سوى الجبابرة سقوفهم
وفرشهم للعب واللهو وانما سويناها لفوايد دينية ودنيوية فليتفكر المكلفون فيها على ما قال عز
وجل ويتفكرون في خلق السموات والارض واما الدنيوية فلما تتعلق بها من المنافع التي لا تعد
ولا تحصى وهو كقوله سبحانه وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا وقوله تعالى ما خلقناهما
الا بالحق وقيل وجه النظم ان الغرض منه تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والرد على منكريه
لانه اظهر المعجز عليه فان كان محمد كاذبا كان اظهار المعجز عليه من باب اللعب وذلك منفي عنه
وان كان صادقا فهو المطلوب وحينئذ يفسد كل ما ذكروه من المطاعن ولاعبين حال من فاعل
خلقنا قال القاضي عبد الجبار دلت هذه الاية على ان اللعب ليس من
قبله تعالى اذ لو كان كذلك لكان لاعبا فان اللاعب في اللغة اسم لفاعل اللعب فنفي الاسم الموضوع
للفعل يقتضي نفي الفعل والجواب يبطل ذلك بمسيلة الداعي وقد تقدم قوله تعالى لو اردنا
ان نتخذ لهوا قال ابن عباس رضي الله عنه في رواية عطا اللهو المراة وهو قول الحسن
وقتادة وقال في رواية الكلبي اللهو الولد بلغة اليمن وهو قول السدي وهو في المراة اظهر
لان الوطي يسمى لهوا في اللغة والمراة محل الوطي لاتخذناه من لدنا اي من عندنا من الحور العين
لا من عندكم من اهل الارض وقيل معناه لو كان ذلك جايزا في صفتنا لم نتخذه بحيث يظهر لكم
ويستتر ذلك حتى لا يطلع عليه وتاويل الاية ان النصارى لما قالوا في المسيح وامه ما قالوا رد الله
عليهم بهذا وقال سبحانه لاتخذناه من لدنا لانكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده
لا عند غيره قوله ان كنا فاعلين في ان هذه وجهان احدهما انها نافية اي ما كنا فاعلين قاله قتادة
ومقاتل وابن جريج والثاني انها شرطية وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب لو عليه والتقدير
ان كنا فاعلين اتخذناه ولكنا لم نفعله لانه لا يليق بالربوبية قوله تعالى بل نقذف بالحق
على الباطل بل حرف اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه لذاته كانه قال سبحانه ان نتخذ
اللهو واللعب بل من موجب حكمتنا ان نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق والمعنى دع الذي
قالوا فانه كذب وباطل ونقذف نرمي ونسلط قال تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا
اي يرمون بالشهب بالحق بالايمان على الباطل على الكفر وقيل الحق قول الله انه لا ولد له والباطل
قولهم اتخذ الله ولدا قوله فيدمغه العامة على رفع الغين نسقا على ما قبله وقرا عيسى بن
عمر رضي الله عنه بنصبها قال الزمخشري وهو في ضعف قوله

ساترك منزلي لبني تميم ... والحق بالحجاز فاستريحا

وقري شاذا فيدمغه بضم الميم وهي محتملة لان يكون في المضارع لغتان يفعل ويفعل وان
يكون الاصل الفتح والضمة للاتباع في حرف الحلق وقيل يدمغه اي يصيب دماغه من قولهم دمغت
الرجل اي اصبته في دماغه كقولهم راسه وكبده ورجله اذا اصاب منه هذه الاعضاء واصل الدمغ شج
الراس حتى يبلغ الدماغ واستعار القذف والدمغ تصويرا لابطاله به فجعله كانه جرم صلب
كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه اهلكه واذهبه فاذا هو زاهق ذاهب ولكم
الويل يعني من كذب الرسول ونسب القران الى انه سحر واضغاث احلام وغير ذلك من الاباطيل قوله
مما تصفون فيه اوجه احدها انه متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر اي استقر لكم الويل من
اجل ما تصفون ومن تعليلية وهذا اوجه وجيه والثاني انه متعلق بمحذوف والثالث انه حال من
الويل اي الويل واقع مما تصفون كذا قدره ابو البقا وما في مما تصفون يجوز ان يكون مصدرية
فلا عايد عند الجمهور وان يكون بمعنى الذي او نكرة موصوفة ولابد من العايد عند الجميع حذف
لاستكمال الشروط والمعنى مما تصفون الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد وقال مجاهد مما تكذبون
قوله تعالى وله من في السموات والارض الاية لما نفى اللعب عن نفسه ونفي اللعب لا يصح الا بنفي
الحاجة ونفي الحاجة لا تصح الا بالقدرة التامة عقب تلك الاية بقوله عز وجل وله من في السموات والارض
لدلالة ذلك على كمال الملك والقدرة وقيل لما حكى كلام الطاعنين في النبوات واجاب عنها وبين ان غرضهم
من تلك المطاعن التمرد وعدم الانقياد بين هاهنا انه لم يفعله سبحانه وتعالى منزه عن طاعتهم لانه تعالى
هو المالك لجميع المخلوقات وان الملايكة مع جلالتهم مطيعون له خايفون منه فالبشرية مع كونهم في
نهاية الضعف اولى ان يطيعوه قوله ومن عنده يجوز فيه وجهان احدهما انه معطوف على من الاولى اخبر

تعالى عن من في السموات والارض وعن من عنده بان الكل له في ملكه وعلى هذا فيكون من باب ذكر الخاص بعد العام تنبيها على شرفه لان قوله من في السموات شمل من عنده وقدم نظيره في قوله جبرئيل وميكال وقوله لا يستكبرون على هذا فيه اوجه احدها انه حال من من الاولى او الثانية او منهما معا وقال ابو البقا رحمه الله حال اما من الاولى او الثانية على قول من رفع بالظرف يعني اذا جعلنا من في قوله تعالى وله من في السموات مرفوعا بالفاعلية والرافع الظرف على راي الاخفش جاز ان يكون لا يستكبرون حالا اما من من الاولى واما من الثانية لان الفاعل يجي منه الحال ومفهومه انا اذا جعلناها مبتدا لا يجي يستكبرون حالا كانه يرى ان الحال لا يجي من المبتدا وهو راي لبعضهم ويجوز ان يكون لا يستكبرون حالا من الضمير المستكن في هذه الواقع صلة وان يكون حالا من الضمير المستكن في له الواقع خبرا والوجه الثاني من وجهي من ان يكون مبتدا ولا يستكبرون خبره وهذه جملة معطوفة على جملة قبلها وهل الجملة من قوله تعالى وله من في السموات استينافية او معادلة لجملة قوله ولكم الويل اي لكم الويل وله جميع العوالم علوية وسفلية والاول اظهر لا يستحسرون اي لا يكلون ولا يتعبون يقال استحسر البعير اي كل وتعب قالت علقمة بن عبدة •

• بها جيف الحسرى فاما عظامها • فبيض واما جلدها فصليب •

ويقال حسر البعير وحسرته انا فيكون لازما ومتعديا واحسرته ايضا فيكون فعل وافعل بمعنى في احد وجهي فعل قال الزمخشري فان قلت الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى الحسور قلت في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم احقا لتلك العبادات الشاقة بان لا يستحسروا فيما يفعلون وهو سو الحسن وجواب مطابق قوله يسبحون يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا من الفاعل في الجملة قبله ولا يفترون يجوز فيه الاستئناف والحال من فاعل يسبحون

فصل دلت هذه الاية على ان الملك افضل من البشر من ثلثة اوجه تقدمت في البقرة والمراد بقوله ومن عنده هم الملائكة بالاجماع وصفهم الله تعالى بانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهذا لا يليق بالبشر وهذه العندية عندية الشرف لا عندية المكان والجهة روي عبد الله بن الحارث بن نوفل رضي الله عنه قال قلت لكعب ارايت قول الله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا افلا تكون الرسالة مانعتهم عن ذلك التسبيح وايضا قال سبحانه اوليك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يشتغلون باللعن حال اشتغالهم بالتسبيح اجاب كعب الاحبار وقال التسبيح لهم كالتنفس لنا فكما ان اشتغالنا بالنفس لا يمنعنا الكلام فكذلك اشتغالهم بالتسبيح لا يمنعهم من ساير الاعمال فان قيل هذا القياس غير صحيح لان الاشتغال بالتنفس انما لم يمنع من الكلام لان الة التنفس غير الة الكلام واما التسبيح واللعن فهما من جنس الكلام فاجتماعهما محال فالجواب اي استبعاد في ان يخلق الله لهم السنة كثيرة بعضها يسبح الله تعالى وبعضها يلعنون اعدا الله عز وجل ويقال معنى قوله لا يفترون انهم لا يفترون عن العزم على ادايه في اوقاته اللايقة كما يقال ان فلانا مواظب على اداء في اوقاتها قوله ام اتخذوا هذه ام المنقطعة فيتقدر ببل التي للاضراب الانتقال وبالهمزة التي معناها الانكار واتخذ يجوز ان يكون بمعنى صنع فيتعلق من به وجوز ابو حيان ان يكون بمعنى صير التي في قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا قال وفيه معنى الاصطفا والاختيار ومن الارض يجوز ان يتعلق بالاتخاذ كما تقدم وان يتعلق بمحذوف على انها نعت لالهة اي من جنس الارض قوله هم ينشرون جملة في محل نصب صفة لالهة وقرا العامة ينشرون بضم حرف المضارعة من انشر وقرا الحسن بفتحها وضم الشين يقال انشر الله الموتى فنشروا ونشر يكون لازما ومتعديا قوله ام اتخذوا الهة استفهام بمعنى الجحد اي لم يتخذوا من الارض يعني من الاصنام من الخشب والحجارة وهما من الارض والمنكر بعد اتخاذهم الهة من الارض ينشرون الموتى فان قيل كيف انكر عليهم اتخاذ الهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لالهتهم بل كانوا في نهاية البعد عن هذه الدعوى فانهم كانوا مع اقرارهم بالله وانه خالق السموات والارض منكرين البعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم فكيف يدعون ذلك للجماد الذي لا يوصف بالقدرة البتة فالجواب انهم لما اشتغلوا بعبادتها ولا بد للعبادة من فايدة وهي الثواب فاقدامهم على عبادتها يوجب اقرارهم بكونهم قادرين على الحشر والنشر والثواب والعقاب فذكر ذلك على سبيل التهكم بهم والمعنى اذا لم يكونوا قادرين على ان يحيوا ويميتوا ويضروا

وينفعوا

وينفعوا فاي عقل يجوز اتخاذهم الهة وقوله من الارض كقولك فلان من مكة او من المدينة وقوله هم يفيد معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا الهة لا يقدرون على الانشا الا هم وحدهم قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الا هنا صفة للنكرة قبلها بمعنى غير والاعراب فيها متعذر فجعل على ما بعدها وللوصف بها شروط منها تنكير الموصوف او قربه من النكرة بان يكون معرفا بال الجنسية ومنها ان يكون جمعا صريحا كالاية او ما في قوة الجمع كقوله •

• لو كان غيري سليمى الدهر غيره • وقع الحوادث الا الصارم الذكر •

فالا الصارم صفة لغيري لانه في معنى الجمع ومنها ان لا يحذف موصوفها عكس غير وانشد على ذلك قوله

• وكل اخ مفارقه اخوه • لعمر ابيك الا الفرقدان •

اي وكل اخ غير الفرقدين مفارقه اخوه وقد وقع الوصف بالا كما وقع الاستثنا بغير والاصل في الا الاستثنا وفي غير الصفة ومن ملح كلام الزمخشري واعلم ان الا وغير يتعارضان ولا يجوز ان يرتفع الجلالة على البدل قلت لان لو بمنزلة ان في ان الكلام معها موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد الا امراتك وذلك لان اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه فجعل المانع صناعيا مستندا الى ما ذكر من عدم صحة ايجاب اعم العام واحسن من هذا ما ذكره ابو البقا من جهة المعنى فقال ولا يجوز ان يكون بدلا لان المعنى يصير الى قولك لو كان فيهما الله لفسدتا الا ترى انك لو قلت ما جاني قوم الا زيد على البدل لكان المعنى جاني زيد وحده ثم ذكر الوجه الذي رد به الزمخشري فقال وقيل يمتنع البدل لان ما قبلها ايجاب ومنع ابو البقا النصب على الاستثنا لوجهين احدهما انه فاسد في المعنى وذلك انك اذا قلت لو جاني القوم الا زيدا لقتلتهم كان معناه ان القتل امتنع لكون زيد مع القوم ولو نصبت في الاية لكان المعنى ان فساد السموات والارض امتنع لوجود الله تعالى مع الالهة وفي ذلك اثبات اله مع الله تعالى واذا رفعت على الوصف لا يلزم مثل ذلك لان المعنى لو كان فيهما غير الله تعالى لفسدتا والوجه الثاني ان الهة هنا نكرة والجمع اذا كان نكرة لم يستثن منه عند جماعة من المحققين اذ لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثنا وهذا الوجه الذي عناه اعني الزمخشري وابا البقا قد اجازه المبرد وغيره اما المبرد فانه قال جاز البدل لان ما بعد لو غير موجب في المعنى والبدل في غير الواجب احسن من الوصف وهذا فيه نظر من جهة ما ذكره ابو البقا من فساد المعنى وقال ابن الصايغ تابعا للمبرد لا يصح المعنى عندي الا ان يكون الا في معنى غير التي يراد بها البدل اي لو كان فيهما الهة عوض واحد اي بدل الواحد الذي هو الله سبحانه وتعالى لفسدتا وهذا المعنى اراد سيبويه في المسئلة التي جا بها توطية وقال الشلوبين في مسئلة سيبويه لو كان معنا رجل الا زيد لغلبنا ان المعنى لو كان معنا رجل مكان زيد لغلبنا فالا بمعنى غير التي بمعنى مكان وهذا ايضا جنوح من ابي علي الى البدل وما ذكره ابن الصايغ من المعنى المتقدم مسوغ للبدل وهو جواب عما افسد به ابو البقا وجه البدل اذ معناه واضح ولكنه قريب من تفسير المعنى

فصل المعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما شي غير الواحد الذي فطرهما لفسدتا ولا يجوز ان يكون الا بمعنى الاستثنا لانها لو كانت استثنا لكان المعنى لو كان فيهما الهة ليس فيهم الله لفسدتا وهذا يوجب بطريق المفهوم انه لو كان فيهما الهة معهم الله ان لا يحصل الفساد دونها باطل لانه لو كان فيهما الهة فسوا كان الله معهم او لم يكن الله معهم فالفساد لازم ولما بطل حمله على الاستثنا ثبت ما ذكرنا وهو ان المعنى لو كان في السما والارض الهة غير الله لفسدتا اي لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع من الالهة لان كل امر صدر عن اثنين فاكثر لم يجر على النظام ويدل العقل على ذلك من وجوه الاول انا لو قدرنا الاهين لكان احدهما اذا انفرد صح منه تحريك الجسم واذا انفرد الثاني صح منه تسكينه فاذا اجتمعا وجب ان يبقيا على ما كانا عليه حال الانفراد فعند الاجتماع يصح ان يحاول احدهما التحريك والاخر التسكين فاما ان يحصل المرادان وهو محال واما ان يمتنعا وهو ايضا محال واما ان يمتنعا وهو ايضا محال لانه يكون كل واحد منهما عاجزا وايضا المانع من تحصيل مراد كل واحد مراد الاخر والمعلول لا يحصل الا مع علته فلو امتنع المرادان لحصلا وذلك محال واما ان يمتنع احدهما دون الثاني وذلك ايضا محال لان الممنوع يكون عاجزا والعاجز لا يكون الاها ولانه لما كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد لم يكن عجز احدهما اولى من عجز الاخر فثبت ان القول بوجود الاهين يوجب هذه الاقسام الفاسدة فكان القول به باطلا الوجه الثاني ان الاله يجب ان يكون قادرا على جميع الممكنات فلو فرضنا الاهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع الممكنات فاذا اراد كل واحد

بهما تحريك جسم فتلك الحركة اما ان يقع بهما او لا يقع بواحد منهما او يقع باحدهما دون الثاني
والاول محال لان الاثر مع المؤثر المستقل واجب الحصول ووجوب حصوله به يمنع من استناده الى
الثاني فلو اجتمع على الاثر الواحد مؤثرات مستقلان يلزم ان يستغني بكل واحد منهما عن كل
واحد منهما فيكون محتاجا اليهما وغنيا عنهما وهو محال واما ان لا يقع بواحد منهما البتة فهذا يقتضي
كونهما عاجزين وايضا فامتناع وقوعه هذا انما يكون لاجل وقوعه بذاك وبالعكس فلو امتنع وقوعه
بهما لوقع بهما معا وهو محال واما ان يقع باحدهما دون الثاني فهو باطل لان وقوعه بهذا يلزم منه رجحان
احد الالهين على الآخر من غير مرجح وهو محال الوجه الثالث لو قدرنا الهين فاما ان يتفقا او يختلفا
فان اتفقا على الشيء الواحد فذاك الواحد مقدور لهما ومراد لهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال
وان اختلفا فاما ان يقع المرادان او لا يقع واحد منهما او يقع احدهما دون الآخر والكل محال
فثبت ان الفساد لازم على كل التقديرات وذكروا وجوها اخر عقلية وفي هذا كفاية
ثم انه تعالى نزه نفسه فقال سبحان الله رب العرش عما يصفون اي عما يصفه به المشركون
من الشرك والولد فان قيل اي فائدة لقوله تعالى رب العرش عما يصفون فالجواب ان هذه
المناظرة وقعت مع عبدة الاصنام وهي انه كيف يجوز للعاقل ان يجعل الجماد الذي لا يعقل ولا يحس
شريكا في الالهية لخالق العرش العظيم وموجد السموات والارضين قوله لا يسئل عما يفعل
اعلم ان اهل السنة استدلوا على انه تعالى لا يسئل عما يفعل بامور احدها انه لو كان كل شيء معللا
بعلة كانت تلك العلة معللة بعلة اخرى ولزم التسلسل فلا بد في قطع التسلسل من الانتهاء
الى ما يكون غنيا عن العلة واولى الاشياء بذلك ذات الله تعالى وصفاته مبرأة عن الافتقار
الى المبدع المخصص فكما ان فاعليته يجب ان تكون مقدسة عن الاستناد الى الموجب والمؤثر
وثانيها ان فاعليته لو كانت معللة بعلة لكانت تلك العلة اما ان تكون واجبة او ممكنة
فان كانت واجبة لزم من وجوبها وجوب كونها فاعلا وحينئذ يكون موجبا بالذات لا فاعلا
بالاختيار وان كانت ممكنة كانت تلك العلة فعلا لله تعالى فتفتقر فاعليته لتلك العلة
الى علة اخرى ولزم التسلسل وهو محال ثالثها ان علة فاعلية الله تعالى للعالم ان كانت قديمة
فيلزم قدم العالم وان كانت محدثة افتقرت الى علة اخرى ولزم التسلسل ورابعها انه تعالى
ان فعل فعلا لغرض اما ان يكون متمكنا من تحصيل ذلك الغرض بدون تلك الواسطة او لا يكون
متمكنا منه فان كان متمكنا منه كان توسط تلك الواسطة عبثا وان لم يكن متمكنا منه كان
عاجزا والعجز على الله تعالى محال واما العجز علينا فغير ممتنع فلذلك كانت افعالنا معللة
بالاغراض وذلك في حق الله تعالى محال وخامسها لو كان فعله معللا بغرض لكان ذلك الغرض
اما ان يكون عائدا الى الله تعالى او الى العباد والاول محال لانه منزه عن النفع والضر واذا بطل
ذلك تعين ان الغرض لا بد وان يكون عائدا الى العباد ولا غرض للعباد الا حصول اللذة وعدم
حصول الالام والله تعالى قادر على تحصيلها ابتداء من غير واسطة واذا كان كذلك استحال ان
يفعل شيئا لاجل شيء وسادسها ان الموجودات ملكه ومن تصرف في ملك نفسه لا يقال له لم فعلت
ذلك وسابعها ان من قال لغيره لم فعلت ذلك فهذا السؤال انما يحسن حيث يكون للسائل على المسؤول
حكم على فعله وذلك في حق الله تعالى محال فانه لو فعل اي فعل شاء فالعبد كيف يمنعه عن ذلك
بان يهدده بالعقاب وذلك على الله محال وان يهدده باستحقاق الذم والخروج عن الحكمة
والاتصاف بالسفاهة على ما يقوله المعتزلة فذلك ايضا محال لانه مستحق للمدح والاتصاف
بصفات الحكمة والجلال فثبت بهذه الوجوه انه لا يجوز ان يقال لله في افعاله لم فعلت وان
كل شيء صنعه لا علة لصنعه واما المعتزلة فانهم سلموا انه يجوز ان يقال الله عالم بقبح القبيح
وعالم بكونه غنيا عنه ومن كان كذلك فانه يستحيل ان يفعل القبيح واذا عرفنا ذلك عرفنا
ان كل ما يفعله الله تعالى فهو حكمة وصواب واذا كان كذلك لم يجز للعبد ان يقول لله لم فعلت
هذا ثم قال تعالى وهم يسئلون وهذا يدل على كون المكلفين مسئولين عن افعالهم واعلم
ان منكري التكاليف احتجوا على قولهم بوجوه احدها قالوا التكليف ان توجه على العبد حال
استواء داعيته الى الفعل والترك او حال رجحان احدهما على الآخر والاول محال لان حال
الاستواء يمتنع الترجيح وحال امتناع الترجيح يكون تكليفا بالمحال والثاني محال لان حال

الرجحان يكون الراجح واجب الوقوع وايقاع ما هو ممتنع الوقوع تكليف ما لا يطاق وثانيها قالوا
كل ما علم الله وقوعه فهو واجب فيكون التكليف به عبثا وكل ما علم الله عدمه كان ممتنع الوقوع فيكون
التكليف به تكليف ما لا يطاق وثالثها قالوا سؤال العبد اما ان يكون لفائدة او لا لفائدة فان كان
لفائدة فان عادت الى العبد فهو محال لان سؤاله لما كان سببا للعقاب لم يكن نفعا عائدا الى العبد
بل ضررا عائدا اليه وان لم يكن في سؤاله فائدة كان عبثا وهو غير جائز على الحكيم بل كان اضرارا وهو
غير جائز على الرحيم والجواب من وجهين الاول ان غرضكم من ايراد هذه الشبهة النافية للتكليف
ان تلزمونا نفي التكاليف فكأنكم كلفتمونا بنفي التكاليف وهذا متناقض الثاني ان مدار كلامكم في
هذه الشبهات على حرف واحد وهو ان التكاليف كلها تكليف بما لا يطاق فلا يجوز من الحكيم ان يوجهها
على العباد فيرجع حاصل هذه الشبهات الى انه يقال لله تعالى لم كلفت عبادك الا انا قد بينا
انه سبحانه لا يسأل عما يفعل فظهر بهذا ان قوله لا يسئل عما يفعل اصل لقوله وهم يسئلون
فتأمل هذه الدقائق العجيبة لتقف على الطرف من اسرار القرآن فان قيل قوله وهم يسئلون مؤكد
بقوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين وبقوله وقفوهم انهم مسئولون الا انه ينافيه قوله تعالى
فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان فالجواب ان يوم القيمة يوم طويل وفيه مقامات فـ
ينصرف كل واحد من السلب والايجاب الى مقام دفعا للتناقض **فصل** قالت المعتزلة
انه تعالى لو كان الخالق للحسن والقبيح لوجب ان يسأل عما يفعل بل كان يذم بما من حقه الذم كما
يحمد بما من حقه الحمد وثانيها انه يجب ان لا يسأل عن المأمور به اذ لا فاعل سواه وثالثها انه لا يجوز ان
يسألوا عن عملهم اذ لا عمل لهم ورابعها ان عملهم لا يمكنهم ان يعدلوا عنه من حيث انه خلقه واوجده فيهم
وخامسها انه تعالى صرح في كثير من المواضع انه يقبل حجة العباد كقوله رسلا مبشرين ومنذرين
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وهذا يقتضي ان لهم عليه حجة قبل بعثة الرسل وقال
ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا ونظائر هذه الايات كثيرة وكلها
تدل على ان حجة العبد متوجهة على الله تعالى والجواب هو المعارضة بمسئلة الداعي ومسئلة العلم
بالوجوه المتقدمة التي بيناها انه يستحيل طلب علية افعال الله تعالى **فصل** في تعلق
هذه الاية بما قبلها وهو ان من اثبت لله شريكا ليس معه الا طلب الكمية في افعال الله تعالى وذلك
لان الثنوية والمجوس وهم الذين اثبتوا الشريك لله تعالى قالوا رأينا في العالم خيرا وشرا ولذة والما
وحياة وموتا وصحة وسقما وغنى وفقرا وفاعل الخير وفاعل الشر ويستحيل ان يكون الفاعل الواحد
خيرا وشريرا معا فلا بد من فاعلين ليكون احدهما فاعلا للخير والآخر للشر فرجع حاصل هذه
القسمة الى ان مدبر العالم لو كان واحدا فلم خص بالحياة والصحة والغنى وخص هذا بالموت والالم
والفقر فيرجع حاصله الى طلب الكمية لا جرم انه تعالى بعد ان ذكر الدليل على التوحيد ذكر ما هو النكتة
الاصلية في الجواب عن شبهة القائلين بالشريك لان الترتيب الجيد في المناظرة ان يبتدئ بذكر
الدليل المثبت للمطلوب ثم يذكر بعده الجواب عن شبهة الخصم قوله تعالى ام اتخذوا من دونه
الهة استعظام لكفرهم وهو استفهام انكار وتوبيخ قل هاتوا برهانكم اما من جهة العقل واما من
جهة النقل واعلم انه تعالى لما ذكر دليل التوحيد اولا وقرر الاصل الذي عليه يخرج شبهات القائلين
اخذ يطالبهم بدليل شبهتهم قوله هذا ذكر من معي العامة على اضافة ذكر الى من اضافة المصدر
الى مفعوله كقوله تعالى بسؤال نعجتك وقرئ ذكر بالتنوين فيهما ومن مفتوحة الميم نون المصدر
ونصب به المفعول كقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وقرأ يحيى بن يعمر هذا ذكر
بتنوينهما ومن بكسر الميم وفيه تأويلان احدهما ان ثم موصوفا محذوفا قامت صفته وهي الظرف مقامه
والتقدير هذا ذكر من كتاب معي ومن كتاب قبلي والثاني ان معي بمعنى عندي ودخول من على
مع في الجملة نادر لانها ظرف لا ينصرف وقد ضعف ابو حاتم هذه القراءة ولم ير لدخول من وجها ووجهه
بعضهم بانه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد فكما تدخل من على اخواته كذلك تدخل عليه وقرأ طلحة ذكر معي
وذكر قبلي بتنوينهما وذكر ميم من ووجههما واضح مما تقدم **فصل** قال ابن عباس رضي
الله عنه هذا ذكر من معي اي هذا هو الكتاب المنزل على من معي وهذا ذكر من قبلي اي الكتاب الذي
نزل على من تقدمني من الانبياء وهذه التوراة والانجيل والزبور والصحف وليس في شيء منها
اني اذنت بان تتخذوا الها من دوني بل ليس فيها الا اني انا الله لا اله الا انا كما قال بعد هذا وما

ارسلنا من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وهذا اختيار القفال والزجاج وقال سعيد
ابن جبير وقتادة ومقاتل والسدي معناه القرات ذكر من معي فيه على دبني ومن يتبعني الى يوم القيمة
بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وذكر خبر من قبلي من الامم السالفة ما فعل بهم
في الدنيا وما يفعل بهم في الاخرة وقال القفال رحمه الله المعنى قل لهم هذا الكتاب الذي جيتكم
به قد اشتمل على احوال من معي من المخالفين والموافقين وعلى بيان احوال من قبلي من المخالفين
فاختاروا لانفسكم فكان الغرض منه التهديد ثم قال تعالى بل اكثرهم لا يعلمون الحق لما طالبهم بالدلالة
على ما ادعوه وبين انه لا دليل لهم البته لا من جهة العقل ولا من جهة السمع ذكر بعده ان وقوعهم
في هذا المذهب الباطل ليس لاجل دليل ساقهم اليه بل لان عندهم اصل الشر والفساد وهو عدم العلم
والاعراض عن استماع الحق والعامة على نصب الحق وفيه وجهان اظهرهما انه مفعول به بالفعل قبله
والثاني انه مصدر موكد قال الزمخشري ويجوز ان يكون المنصوب ايضا على التوكيد لمضمون
الجملة السابقة كما تقول اهذا عبد الله الحق لا الباطل فاكد انتفا العلم وقرا الحسن وابن محيصن
وحميد برفع الحق وفيه وجهان احدهما انه مبتدا والخبر مضمر والثاني انه خبر لمبتدا مضمر قال الزمخشري
وقري الحق بالرفع على توسط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق
لا الباطل **قوله** تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الاية مقررة لما سبقها من ايات التوحيد
وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم نوحي بالنون وكسر الحا على التعظيم لقوله ارسلنا وقرا الاخرون
بالبا وفتح الحا على الفعل المجهول قوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الاية لما بين بالدلايل الظاهرة كونه
تعالى منزها عن الشريك والضد والند اردف ذلك ببراته عن اتخاذ الولد قال المفسرون نزلت
في خزاعة حيث قالوا الملايكة بنات الله وقالوا انه تعالى صاهر الجن على ما حكى الله تعالى عنهم
تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ثم انه تعالى نزه نفسه عن ذلك بقوله سبحانه لان الولد لا بد
وان يكون شبيها بالوالد فلو كان لله سبحانه وتعالى ما يشبهه من بعض الوجوه فلا بد وان يخالفه
من وجه اخر وما به المشاركة غير ما به المماثرة فيقع التركيب في ذات الله تعالى وكل مركب ممكن فاتخاذه
للولد يدل على كونه ممكنا غير واجب وذلك يخرجه عن حد الالهية ويدخله في حد العبودية فلذلك
نزه نفسه قوله بل عباد عباد خبر مبتدا مضمر اي هم عباد ومكرمون في قراة العامة مخفف وقراة عكرمة
مشدد ولا يسبقونه جملة في محل رفع صفة لعباد والعامة على كسر البا في يسبقونه وقري بضمها
وخرجت على انه مضارع سبقه اي غلبه في السبق يقال سابقه فسبقه يسبقه اي غلبه في السبق
ومضارع فعل في المغالبة مضموم العين مطلقا الا في بابي العين او اللام والمراد لا يسبقونه بقوله
يعوض الالف واللام عن الضمة عند الكوفيين والضمير محذوف عند البصريين اي بالقول منه
فصل لما نزه نفسه سبحانه وتعالى عن الولد اخبر عنهم بانهم عباد والعبودية تنافي الولادة
الا انهم مكرمون مفضلون على ساير العباد لا يسبقونه قولهم فوق قوله واذا كان قولهم تابعا لقوله فعملهم
ايضا مبني على عمله لا يعملون عملا ما لم يومروا به ثم انه تعالى ذكر ما يجري مجرى السبب لهذه الطاعة
فقال سبحانه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والمعنى لما علموا كونه سبحانه ذكر ما يجري مجرى السبب لهذه
الطاعة فقال يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي انهم لما علموا كونه سبحانه عالما بجميع المعلومات علموا
كونه عالما بظواهرهم وبواطنهم فكان ذلك داعيا لهم الى نهاية الخضوع وكمال العبودية قال ابن عباس
رضي الله عنهما يعلم ما قدموا واخروا من اعمالهم وقال مقاتل يعلم ما كان قبل ان خلقهم وما كان بعد
خلقهم وقيل ما بين ايديهم الاخرة وما خلفهم الدنيا وقيل بالعكس ثم قال ولا يشفعون الا لمن ارتضى
اي لمن هو عند الله مرضي قاله مجاهد وقال ابن عباس لمن قال لا اله الا الله وهم من خشيته اي من
خشيتهم منه فاضيف المصدر الى مفعوله مشفقون خايفون لا يامنون من مكره ونظيره قوله
تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جبريل صلوات
الله عليه ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله قوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه قال
قتادة عني به ابليس لعنه الله حيث دعى الى عبادة نفسه وامر بطاعته فان احدا من الملايكة لم
يقل اني اله من دون الله والاية لا تدل على انهم قالوا ذلك او ما قالوه وهذا قريب من قوله لين اشركت
ليحبطن عملك قوله فذلك نجزيه جهنم يجوز في ذلك وجهان احدهما انه مرفوع بالابتدا وهذا
وجه حسن والثاني انه منصوب بفعل مقدر يفسره هذا الظاهر والمسئلة من باب الاشتغال وفي

هذا الوجه اضمار عامل مع الاستغنا عنه فهو مرجوح والفا وما في حيزها في موضع جزم جوابا
للشرط وكذلك نعت لمصدر محذوف او حال من ضمير المصدر اي جزاء مثل ذلك الجزا ونجزي
الجزا حال كونه مثل ذلك وقرا العامة نجزي بفتح النون وابو عبد الرحمن المقري رحمه
الله وجهه انه من اجزا بالهمز من اجزاني كذا اي كفاني ثم خففت الهمزة فانقلبت الى اليا فصل
احتجت المعتزلة بقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى على ان الشفاعة في الاخرة لا تكون لاهل الكباير
لانه لا يقال في اهل الكباير ان الله يرتضيهم والجواب قول ابن عباس والضحاك ان معنى الا لمن
ارتضى على ان الشفاعة في الاخرة اي لمن قال لا اله الا الله وهذه الاية من اقوى الدلايل في اثبات
الشفاعة لاهل الكباير وهو ان من قال لا اله الا الله فقد ارتضاه الله لان المركب متى صدق عليه
انه ارتضاه فقد صدق لا محالة كل واحد من اجزايه واذا ثبت ان الله تعالى سبحانه ارتضى وجب
اندراجه تحت هذه الاية فثبت بما ذكرنا ان هذه الاية من اقوى الدلايل لنا على ما قرره ابن عباس
رضي الله عنه **فصل** دلت الاية على ان الملايكة مكلفون لقوله وهم بامره يعملون وعلى
ان الملايكة معصومون قوله كذلك نجزي الظالمين قال القاضي عبد الجبار هذا يدل على
ان كل ظالم يجزيه الله جهنم كما توعد الملايكة به وذلك يوجب القطع بانه تعالى سبحانه لا يغفر
الكباير في الاخرة واجيب بان اقصى ما فيه ان هذا العموم مشعر بالوعيد وهذا معارض بعمومات
الوعد والمراد بالظالمين الواضعين الالاهية والعبادة في غير موضعها قوله تعالى اولم ير الذين
كفروا الايات اعلم انه تعالى شرع الان في الدلايل الدالة على وجود الصانع وعلى كونه منزها عن الشريك
وعلى التوحيد فيكون كالتوكيد لما تقدم من الفا والدالة على حصول الترتيب العجيب في العالم ووجوده
الالهين يقتضي وقوع الفساد وفيها رد على عبدة الاوثان من حيث ان الاله القادر على مثل هذه
المخلوقات العظيمة كيف يجوز في العقل ان يعدل عن عبادته الى عبادة حجر لا يضر ولا ينفع فهذا
وجه النظم وقرا ابن كثير الم ير من غير واو والباقون بالواو ونظير حذف الواو واثباتها هنا
ما تقدم في البقرة وال عمران في قوله تعالى قالوا اتخذ الله ولدا سارعوا الى مغفرة وقد تقدم
حكمه وادخال الواو يدل على العطف على امر تقدمه والروية هنا يجوز ان تكون قلبية وان تكون
بصرية فان وما في حيزها سادة مسد مفعولين عند الجمهور على الاول ومسد واحد والثاني
محذوف عند الاخفش وسادة مسد واحد فقط على الثاني فان قيل ان كان المراد بالروية
البصرية فيشكل لان القوم ما راوهم كذلك البتة ولقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض
وان كان المراد بالروية العلم فيشكل لان الاجسام قابلة للفتق والرتق في انفسها فالحكم عليها بالرتق
اولا وبالفتق ثانيا لا سبيل اليه الا بالسمع والمناظرة مع الكفار المنكرين للرسالة فكيف يجوز مثل
هذا الاستدلال فالجواب المراد من الروية العلم وما ذكروه من السوال فدفعه من وجوه احدها انا
نثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بساير المعجزات ثم نستدل بقوله ثم نجعله دليلا على حصول النظام
في العالم وانتفا الفساد عنه وذلك موكد الدلالة المذكورة في التوحيد وثانيها ان يحمل الرتق والفتق
على امكان الرتق والفتق والعقل يدل عليه لان الاجسام يصح عليها الاجتماع والافتراق واختصاصها
بالاجتماع دون الافتراق او بالعكس يستدعي مخصصا وثالثها ان اليهود والنصارى كانوا عالمين
بذلك فانه جا في التوراة ان الله تبارك وتعالى خلق جوهرة ثم نظر اليها بعين الهيبة فصارت
ما ثم خلق السموات والارض منها وفتق بينهما وكان بين اليهود وعبدة الاوثان نوع صداقة بسبب
الاشتراك في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم فاحتج الله عليهم بهذه الحجة على انهم يقبلون قول اليهود
في ذلك قوله كانتا الضمير يعود على السموات والارض بلفظ التثنية والمتقدم جمع وفي ذلك
اوجه احدها ما ذكره الزمخشري فقال وانما قيل كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة
الارضين ومنه قولهم لقاحان سوداوان اي جماعتان فعل في المضمر ما فعل في المظهر الثاني قال
ابو البقا الضمير يعود على الجنسين الثالث قال الحوفي كانتا رتقا والسموات جمع لانه اراد الصنفين
قال الاسود بن يعفر • ان المنية والحتوف كلاهما • يوفي المخارم يرقبان سوادي •
لانه اراد النوعين وتبعه ابن عطية في هذا فقال وقال كانتا من حيث هما نوعان ونحوه قول
عمرو بن شيم • الم يحزنك ان حبال قيس • وتغلب قد تباينتا انقطاعا •
قال الاخفش السموات نوع والارض نوع ومثله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ومن ذلك

اصلحنا بين القومين ومرت بنا غنمان اسودان لان هذا القطيع غنم وذاك غنم ورتقا خبر
ولم يثن لانه في الاصل مصدر ثم لك ان تجعله قايما مقام المفعول كالخلق بمعنى المخلوق او تجعله على
حذف مضاف اي ذواتي رتق وهذه قراءة الجمهور وقرا الحسن وزيد بن علي وابو حيوة وعيسى
رتقا بفتح التاء وفيه وجهان احدهما انه مصدر ايضا ففيه الوجهان المتقدمان في الساكن التاء
والثاني انه فعل بمعنى مفعول كالقبض والنقض بمعنى المقبوض والمنقوض وعلى هذا فكان
ينبغي ان يطابق بخبره في التثنية واجاب الزمخشري عن ذلك فقال هو على تقدير موصوف
اي كانتا شيا رتقا وقال المفضل لم يقل كانتا رتقين كقوله وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام
وحد جسدا كذلك ما نحن فيه كل واحد رتق ورجح بعضهم المصدرية بعدم المطابقة في التثنية
وقد عرف جوابه وله ان يقول الاصل عدم حذف الموصوف فلا يصار اليه دون ضرورة والرتق الانضمام
ارتتق خلقه اي انضم وامراة رتقا منسدة الفرج فلم يلن جماعها من ذلك والفتق فصل ذلك المرتتق
وهو من احسن البديع هنا حيث قابل الرتق بالفتق **فصل** قال ابن عباس رضي
الله عنهما في رواية عكرمة والحسن وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيا واحدا ملتزمين ففصل
الله تعالى بينهما ورفع السما الى حيث هي واقر الارض وهذا القول يوجب ان خلق الارض مقدم
على خلق السما لانه تعالى لما فصل بينهما ترك الارض حيث هي واصعد الارض السماوية قال
كعب رضي الله عنه خلق الله السموات والارض ملتصقتين ثم خلق ريحا توسطتهما ففتقتهما وقال
مجاهد والسدي كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض
كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع ارضين وقال ابن عباس في رواية عطا واكثر
المفسرين ان السموات كانتا رتقا مستوية صلبة لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السما بالمطر
والارض بالنبات ونظيره قوله تعالى والسما ذات الرجع والارض ذات الصدع ورجحوا هذا الوجه
بقوله بعد ذلك وجعلنا من الما كل شي حي وذلك لا يليق الا به ولما تعلق بما تقدم وهو ما ذكرنا
فان قيل هذا الوجه مرجوح لان المطر لا ينزل من السموات بل من سما واحدة وهي سما الدنيا فالجواب
انما اطلق عليه لفظ الجمع لان كل قطعة منها سما كما يقال ثوب اخلاق وبرمة اعشار وعلى هذا التاويل
تحمل الروية على الابصار وقال ابو مسلم يجوز ان يراد بالفتق الايجاد والاظهار كقوله تعالى فاطر
السموات والارض وكقوله بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن فاخبر عن الايجاد بلفظ
الفتق وعن الحال قبل الايجاد بلفظ الرتق وتحقيقه ان العدم نفي محض فليس فيه ذوات
واعيان متباينة بل كانه امر واحد متصل متشابه فاذا وجدت الحقايق فعند الوجود والتكوين
يتميز بعضها من بعض وينفصل بعضها عن بعض فبهذا الطريق حسن جعل الرتق مجازا عن العدم
والفتق عن الوجود وقيل ان الليل سابق النهار لقوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار
فكانت السموات والارض مظلمة والا ففتقها الله باظهار النهار المبصر واعلم ان دلالة هذه
الوجوه على اثبات الصانع ووحدانيته ظاهرة لان احدا لا يقدر على مثل ذلك قوله وجعلنا
من الما كل شي حي يجوز في جعل هذه ان تكون بمعنى خلق فتتعدى لواحد وهو كل شي ومن الما
متعلق بالفعل قبله ويجوز ان تتعلق بمحذوف على انه حال من كل شي لانه في الاصل يجوز ان يكون
وصفا له فلما قدم عليه نصب على الحال ومعنى خلقه من الما احد شيين اما شدة احتياج كل
حيوان للما فلا يعيش بدونه واما لانه مخلوق من النطفة التي تسمى ما ويجوز ان يكون جعل بمعنى
صير فيتعدى لاثنين ثانيهما الجار بمعنى انا صيرنا كل شي حي بسبب من الما لا بد له منه والعامة
على خفض حي صفة لشي وقرا حميد بنصبه على انه مفعول ثان لجعلنا والظرف لغو ويبعد
على هذه القراءة ان يكون جعل بمعنى خلق وان انتصب حيا على الحال قال الزمخشري رحمه
الله ومن في هذا نحو من في قوله صلى الله عليه وسلم ما انا من دد ولا الدد مني فان قيل كيف قال
خلقنا من الما كل حيوان وقد قال سبحانه والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق الملايكة من النور وقال في عيسى صلوات الله عليه اذ تخلق
من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وقال تعالى في حق ادم صلى الله
عليه وسلم خلقه من تراب فالجواب اللفظ وان كان عاما الا ان القرينة المخصصة قايمة فان
الدليل لا بد وان يكون مشاهدا محسوسا ليكون اقرب الى المقصود وبهذا الطريق يخرج عنه الملايكة

والجن

والجن وادم وقصة عيسى لان الكفار لم يروا شيا من ذلك **فصل** قال بعض المفسرين
المراد بقوله كل شي حي الحيوان فقط وقال اخرون بل يدخل فيه النبات لانه من الما صار ناميا وصار
فيه الرطوبة والخضرة والنور والثمر وهذا القول اليق لان المعنى كانه قال ففتقنا السما لانزال
المطر وجعلنا منه كل شي في الارض من النبات وغيره حيا فان قيل النبات لا يسمى حيا فالجواب لا نسلم
ويدل عليه قوله تعالى كيف يحيي الارض ثم قال تعالى افلا يومنون والمعنى افلا يومنون بان يتدبروا
هذه الادلة فيعلموا الخالق ويتركوا طريقة الشرك قوله تعالى وجعلنا في الارض رواسي ان تميد الرواسي
الجبال والراسي هو الداخل في الارض قوله ان تميد مفعول من اجله اي ان لا تميد فحذفت لا لفهم المعنى
كما زيدت في لئلا يعلم اهل الكتاب او كراهة ان تميد وقدره ابو البقا فقال مخافة ان تميد وفيه نظر
لانا ان جعلنا المخافة مسندة الى المخاطبين اختل شرط من شروط النصب في المفعول له وهو اتحاد الفاعل
وان جعلناها مسندة لفاعل الجعل استحال ذلك لانه تعالى لا يسند اليه الخوف وقد يقال يختار ان
يسند المخافة الى المخاطبين وقولكم يختل شرط من شروط النصب جوابه انه ليس بمنصوب بل
مجرور بحرف العلة المقدر وحذف حرف الجر مطرد مع ان وان بشرطه **فصل** قال
ابن عباس رضي الله عنهما ان الارض بسطت على الما فكانت تكفا باهلها كما تكفا السفينة فارساها
الله تعالى بالجبال الثقال قوله وجعلنا فيها فجاجا سبلا في فجاجا وجهان احدهما انه مفعول به
وسبلا بدل منه والثاني انه منصوب على الحال من سبلا لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب
حالا كقوله • لمية موحشا طلل • يلوح كانه خلل •
ويدل على ذلك مجيه صفة في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا وقال الزمخشري فان قلت في
الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم توخر كقوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت
لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله • لعزة موحشا طلل قديم •
فان قلت ما الفرق بينهما من جهة المعنى قلت احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني
انه حين خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمة قال ابو حيان نعني بالابهام ان الوصف لا يلزم
ان يكون الموصوف متصفا به حالة الاخبار عنه وان كان الاكثر قيامه به حالة الاخبار عنه
الا ترى انه يقال مررت بوحشي القاتل حمزة فحالة المرور لم يكن قاتلا له فقتل حمزة والفج الطريق
الواسع والجمع الفجاج والضمير في فيها يجوز ان يعود على الارض وهو الظاهر كقوله عز وجل والله جعل
لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا وان يعود على الرواسي يعني انه جعل في الجبال طرقا
واسعة وهذا قول مقاتل والضحاك ورواية عطا عن ابن عباس وعن ابن عمر رضي الله عنه قال
كانت الجبال منضمة فلما اغرق الله قوم نوح فرقها فجاجا وجعل فيها طرقا وقوله تعالى لعلهم يهتدون
اي لكي يهتدون اذ الشك لا يجوز على الله عز وجل والمعنى ليهتدوا الى البلاد وقيل ليهتدوا الى
وحدانية الله بالاستدلال قالت المعتزلة وهذا يدل على انه تعالى اراد من جميع المكلفين الاهتدا
وقد تقدم وقيل الاهتدا الى البلاد والاهتدا الى وحدانية الله تعالى يشتركان في اصل الاهتدا
ويحمل اللفظ على ذلك المشترك مستعملا في مفهوميه معا قوله تعالى وجعلنا السما سقفا محفوظا
سميت سقفا لانها كالسقف للبيت ومعنى محفوظا اي محفوظا من الوقوع كقوله عز وجل ويمسك
السما ان تقع وقيل محفوظا من الشياطين قوله وهم عن اياتها جملة اسمية فيه ويضعف جعلها
حالا مقدرة وقرا مجاهد وحميد عن ايتها بلفظ الافراد جعل الخلق اية وهي مشتملة على ايات واطلق
الواحد واراد به الجنس والمعنى ان الكفار معرضون عما خلق في السما من الشمس والقمر والاستضا
بنورهما والنجوم والاهتدا بها وحياة الارض بامطارها وعن كونها اية بينة على وجود الصانع
ووحدانيته لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها قوله تعالى وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس
والقمر كل في فلك يسبحون اي كل منهما من الشمس والقمر او منهما اي من الليل والنهار والشمس والقمر
ويسبحون يجوز ان يكون خبر كل على المعنى وفي فلك متعلق به ويجوز ان يكون حالا والخبر
في فلك وكون المضاف اليه يجوز ان يقدر بالاربعة الاشيا المذكورة ذكره ابو البقا ولم يذكر غيره
الا ان المضاف اليه الشمس والقمر وهو الظاهر لان السباحة من صفتهما دون الليل والنهار وعلى هذا
فيعتذر عن الاتيان بضمير الجمع وعن كونه جمع من يعقل اما الاول فقيل انما جمع لان ثم معطوفا محذوفا
تقديره والنجوم كما دلت عليه ايات اخر فصارت النجوم وان لم تكن مذكورة يعود هذا الضمير اليها

وقال الزمخشري الضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة
لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعها بالشموس والاقمار انتهى والذي حسن ذلك كونه راس اية
وقال ابو البقاء يسبحون خبر كل على المعنى لان كل واحد اذا سبح فكلها تسبح وقيل يسبحون على
هذا الوجه حال والخبر في فلك والتقدير كلها والخبر يسبحون واتى بضمير الجمع على معنى كل وفي
هذا الكلام نظر من حيث انه لما جوز ان يكون المضاف اليه شيئين جعل الخبر الجار ويسبحون
حالا فرارا من عدم مطابقة الخبر للمبتدا فوقع في تخالف الحال وصاحبها واما الثاني فلانه
لما اسند اليهما السباحة التي هي في افعال العقلا جمعها جمع العقلا كقوله تعالى سبحانه رايتهم
لي ساجدين واتينا طائعين قال الزمخشري والتنوين في كل عوض عن المضاف اليه اي
كلهم في فلك يسبحون وهذه الجملة يجوز ان يكون لا محل لها من الاعراب لاستينافها ويجوز ان يكون
محلها النصب على الحال من الشمس والقمر فان قلنا ان السباحة تنسب الى الليل والنهار
كما نقل عن ابي البقا في احد الوجهين فيكون حالا من الجميع وان كان لا يصح نسبتها اليهما كانت
حالا من الشمس والقمر لان الليل والنهار لا يتصفان بانهما يجريان في فلك فهو كموكد رايت
هندا وزيدا متبرجا انتهى وسبقه الى هذا الزمخشري يعني انه قد دل دليل على ان الحال من
بعض ما تقدم كما في المثال المذكور قال الزمخشري فان قلت لكل واحد من القمرين فلك على
حدة فكيف قال في فلك يسبحون قلت هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا اي كل واحد
منهم والسباحة العوم في الما وقد يعبر به عن مطلق الذهاب وقد تقدم اشتقاقه في سبحانك
ومعنى يسبحون يسيرون بسرعة كالسابح في الما

فصل اعلم ان للكواكب حركتين
الاولى مجمع عليها وهي حركتها من المشرق الى المغرب والحركة الثانية قالت الفلاسفة واصحاب
الهيئة ان للكواكب حركة اخرى من المغرب الى المشرق قال وهي ظاهرة في السبعة السيارة
خفية في الثابتة واستدلوا بانا وجدنا الكواكب السيارة كلما كان منها اسرع حركة اذا فارق
ما هو ابطا حركة منه تقدمه نحو المشرق وهذا في القمر ظاهر جدا فانه يظهر بعد الاجتماع بيوم
او بيومين من ناحية المغرب على بعد من الشمس ثم يزداد كل ليلة بعدا منها الى ان يقابلها وكل
كوكب كان شرقيا منه على طريقته على ممر البروج يزداد كل ليلة قربا منه ثم اذا ادركه ستره
بطرفه الشرقي وينكشف ذلك الكوكب بطرفه الغربي فعلمنا ان لهذه الكواكب السيارة حركة من
المغرب الى المشرق واجيبوا بان ذلك محال لان الشمس مثلا اذا كانت متحركة بذاتها من المغرب
الى المشرق حركة بطية وهي متحركة بسبب الحركة اليومية من المشرق الى المغرب لزم كون الجرم الواحد
متحركا حركتين الى جهتين مختلفتين دفعة واحدة وذلك محال لان التحرك الى جهة تقتضي
حصول التحرك في الجهة المنتقل اليها فلو تحرك الجسم الواحد دفعة واحدة الى جهتين لزم حصوله
دفعة واحدة في مكانين وهو محال قالوا ما ذكرتموه ينتقض بما اذا دارت الرحا الى جانب والنملة
التي تكون عليها متحركة الى خلاف ذلك الجانب والكلام في هذه المسئلة مهان عن هذا

فصل
الفلك مدار النجوم والفلك في كلام العرب كل مستدير وجمعه افلاك ومنه فلكة المغزل قال
الضحاك الفلك ليس بجسم وانما هو مدار هذه النجوم وقال الكلبي الفلك استدارة السما وقال
بعضهم الفلك موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه وقيل ما مجموع تجري فيه الكواكب
واحتجوا بان السباحة لا تكون الا في الما واجيبوا بالمنع فانه يقال في الفرس الذي يمد يديه في الجري
سابح وقال الحسن الفلك طاحون كهيئة فلكة المغزل وقال جمهور الفلاسفة واصحاب الهيئة
الافلاك اجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة غير قابلة للخرق والالتيام والنمو والذبول واختلف
الناس في حركات الكواكب فقال بعضهم الفلك ساكن والكواكب تتحرك فيه كحركة السمكة في الما
وقال اخرون الفلك متحرك والكواكب تتحرك فيه ايضا اما مخالفا لجهة حركته او موافقا لجهته اما
بحركة مساوية لحركة الفلك في السرعة والبطو او مخالفة وقيل الفلك متحرك والكواكب مغروزة
فيه اما الاول فقالت الفلاسفة انه باطل لانه يوجب خرق الفلك وهو محال واما الثاني فحركة
الكوكب ان كانت مخالفة لحركة الفلك فذلك ايضا يوجب الخرق وان كانت حركتها الى جهة حركة
الفلك فان كانت مخالفة لها في السرعة والبطو لزم الانخراق وان استويا في الجهة والسرعة
والبطو فالخرق ايضا لازم لان الكواكب تتحرك بالقسم بسبب حركة الفلك فتبقى حركته الذاتية زائدة

فيلزم

فيلزم الخرق فلم يبق الا القسم الثالث وهو ان يكون الكوكب مغروزا في الفلك والفلك يتحرك
فيتحرك الكوكب بسبب حركة الفلك واعلم ان مدار هذا الكلام على امتناع الخرق على الافلاك
وهو باطل بل الحق ان الاقسام الثلاثة ممكنة والله سبحانه قادر على كل الممكنات والذي دل
عليه لفظ القران ان الافلاك مشابهة والكواكب جارية فيها كما تسبح السمكة في الما

فصل
احتج ابن سينا على كون الكواكب احيا ناطقة بقوله تعالى يسبحون قال والجمع بالواو والنون
لا يكون الا للعقلا وبقوله تعالى والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين والجواب انما اتى بضمير
العقلا للوصف بفعلهم وهو السباحة قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد الاية لما استدل
بالاشيا المذكورة وهي من اصول النعم الدنيوية اتبعه بما يدل على ان هذه الدنيا امرها كذلك لا يبقى
ولا يدوم وانما خلقها سبحانه للابتلا والامتحان وليتوصل بها الى دار الخلود فقال تعالى وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد قال مقاتل ان ناسا كانوا يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يموت فنزلت
هذه الاية وقيل كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون به في قولهم نتربص بمحمد ريب المنون فنفى
الله تعالى عنه الشماتة بهذه الاية فقال افان مت فهم الخالدون اي قضى الله ان لا يخلد في الدنيا
بشر لا انت ولا هم وفي هذا المعنى قول القايل

فقل للشامتين بنا افيقوا • سيلقى الشامتون كما لقينا

وقيل يحتمل انه لما ظهر انه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبيا صلوات الله عليهم وجاز ان يقدر مقدر
انه لا يموت اذ لو مات لتغير شرعه فنبه الله تعالى على ان حاله كحال غيره من الانبيا صلوات الله عليهم
في الموت قوله افان مت تقدم نظيره في ال عمران عند قوله عز وجل افان مات او قتل وفي هذه الاية
دليل لمذهب سيبويه وهو انه اذا اجتمع شرط وقسم اجيب الشرط فتكون الاية قد دخلت فيها
همزة الاستفهام على جملة الشرط والجملة المقترنة بالفا جواب الشرط وليست منصب الاستفهام وزعم
يونس ان الاستفهام منصب على الجملة المقترنة بالفا وان الشرط معترض بين الاستفهام وبينها وجوابه
محذوف وليس بشي اذ لو كان كما قال لكان التركيب افان مت اهم الخالدون بغير فا وكان ابن عطية يحكي
عن يونس فانه قال والف الاستفهام داخلة في المعنى على جواب الشرط قوله تعالى كل نفس ذايقة
الموت هذا العموم مخصوص فانه له تعالى نفسا لقوله تبارك وتعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في
نفسك مع ان الموت لا يجوز عليه قال ابن الخطيب رحمه الله وكذا الجمادات لها نفوس وهي لا تموت
والعام المخصوص حجة فيبقى معمولا به فيما عدا هذه الاشيا وذلك يبطل قول الفلاسفة في ان الارواح
البشرية والعقول والنفوس الفلكية لا تموت واعلم ان الذوق هاهنا لا يمكن اجراوه على ظاهره
لان الموت ليس من جنس المطعوم حتى تذاق بل الذوق ادراك خاص فيجوز جعله مجازا عن اصل
الادراك واما الموت فالمراد منه هنا مقدماته من الالام العظيمة لان الموت قبل دخوله في الوجود
يمتنع ادراكه وحال وجوده يصير الشخص ميتا والميت لا يدرك شيا والاضافة في ذايقة الموت
في تقدير الانفصال لانه لما يستقبل كقوله تعالى غير محلي الصيد وهديا بالغ الكعبة قوله ونبلوكم
بالشر والخير نبلوكم نختبركم بالشر والخير بالشدة والرخا والصحة والسقم والغنا والفقر وقيل بما تحبون
وما تكرهون لكي يشكر على المنح ويصبر على المحن فيعظم ثوابه اذا قام بما يلزم وانما سمي ذلك ابتلا
وهو عالم بما يكون من اعمال العاملين قبل وجودهم لانه في صورة الاختبار قوله فتنة في نصبه
ثلاثة اوجه احدها انه مفعول من اجله الثاني انه مصدر في موضع الحال اي فاتنين الثالث انه
مصدر من معنى العامل لا من لفظه لان الابتلا فتنة فكانه قيل نفتنكم فتنة ثم قال سبحانه
والينا ترجعون اي الى حكمه ومحاسبته ومجازاته تنبيه بذلك بطلان قولهم في نفي البعث والمعاد
وقرا العامة ترجعون بتا الخطاب مبنيا للمفعول وغيرهم بيا الغيبة على الالتفات قوله تعالى
واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا والمعنى ما يتخذونك الا هزوا والمعنى وهذا رجوع الى
تهجين كفرهم قال السدي ومقاتل رحمهما الله نزلت في ابي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم وكان
ابو سفيان مع ابي جهل فقال ابو جهل لابي سفيان هذا نبي بني عبد مناف فقال ابو سفيان وما
ينكر ان يكون نبيا في بني عبد مناف فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهما فقال لابي جهل
ما اراك تنتهي حتى ينزل بك ما نزل بعمك الوليد بن المغيرة واما انت يا ابا سفيان فانما قلت ما قلته
حمية فنزلت هذه الاية قوله ان يتخذونك ان هنا نافية وهي وما في حيزها جواب الشرط باذا واذا

مخالفة لادوات الشرط في ذلك فان ادوات الشرط متى اجيبت بان النافية او بما النافية وجب
الاتيان بالفا تقول ان اتيتني فان اهينك او فما اهينك وتقول اذا اتيتني ما اهينك بغير فا
يدل له قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا واتخذ هنا متعد
لاثنين وهزوا الثاني اما على حذف مضاف واما على الوصف لمصدر مبالغة واما على وقوعه
موقع اسم المفعول وفي جواب اذا قولان احدهما انه ان النافية والثاني قد تقدم والثاني انه
محذوف وهو القول الذي قد حكى به الجملة الاستفهامية في قوله اهذا الذي يذكر الهتكم اذ التقدير
واذا راك الذين كفروا يقولون اهذا الذي ويكون الجملة المنفية معترضة بين الشرط وبين
جوابه المقدر قوله وهم بذكر الرحمن هم كافرون هم الاولى مبتدا مخبرا عنه بكافرون وبذكر متعلق
بالخبر والتقدير وهم كافرون بذكر وهم الثاني تاكيد للاول تاكيدا لفظيا فوقع الفصل بين
العامل ومعموله بالمؤكد وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول وفي هذه الجملة قولان احدهما انها في محل
نصب على الفاعل القول المقدر اي يقولون ذلك وهم على هذه الحالة والثاني انها حال من فاعل
يتخذونك واليه نحى الزمخشري فانه قال والجملة في موضع الحال اي يتخذونك هزوا وهم حال هي
اصل الهزو والسخرية وهي الكفر بالله عز وجل **فصل** والمعنى انهم يعيبون عليه كونه يذكر
الهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء مع انهم بذكر الرحمن المنعم عليهم الخلاق المحيي المميت كافرون ولا
فعل اقبح من ذلك فيكون الهزو واللعن والذم عليهم من حيث لا يشعرون يقال فلان يذكر
فلانا اي يعيبه وفلان يذكر الله اي يعظمه ويحتمل ان يراد بذكر الرحمن القران ومعنى اعادة هم
ان الاولى اشارة الى القوم الذين كانوا يفعلون ذلك الفعل والثانية ابانة لاختصاصهم به
وايضا فان اعادتها تاكيدا وتعظيم لفعلهم قوله تعالى خلق الانسان من عجل الاية في المراد
بالانسان قولان احدهما انه النوع وذلك انهم كانوا يستعجلون العذاب ويقولون متى هذا الوعد
والمعنى ان بنيته من العجلة كما قال تعالى وكان الانسان عجولا فان قيل مقدمة الكلام لا بد وان
تكون مناسبة للكلام وكون الانسان مخلوقا من العجل يناسب كونه معذورا فيه فلم رتب على هذه
المقدمة قوله فلا تستعجلون فالجواب انه تعالى نبه على هذا ان ترك الاستعجال حالة مرغوب
فيها القول الثاني ان المراد بالانسان شخص معين فقال ابن عباس في رواية عطا نزلت الاية في
النضر بن الحرث وقال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي والكلبي ومقاتل والضحاك المراد
ادم صلى الله عليه وسلم روى ابن جريج وليث بن ابي سليم قال خلق الله ادم صلى الله عليه وسلم
بعد كل شي من اخر نهار يوم الجمعة فلما دخل الروح راسه ولم يبلغ اسفله نظر الى ثمار الجنة فلما دخل
الروح جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان يبلغ الروح الى رجليه عجلان الى ثمار الجنة فوقع فقيل خلق
الانسان من عجل والقول الاول اولى لان الغرض ذم القوم وذلك لا يحصل الا اذا حملنا لفظ الانسان
على النوع قوله من عجل فيه قولان احدهما من باب القلب والاصل خلق العجل من الانسان لشدة صدوره
منه وملازمته له والى هذا ذهب ابو عمرو ويؤيده قراة عبد الله خلق العجل من الانسان والقلب
موجود في كلامهم قال الشاعر • حسرت كفي عن السربال اخذه •
يريد حسرت السربال عن كفي ومثله في الكلام اذا طلع الشعرى استوى العود على الحربا وقالوا عرضت
الناقة على الحوض وتقدم منه امثلة الا ان بعضهم يخصه بالضرورة ويقدم فيه ثلاثة مذاهب
والثاني انه لا قلب فيه وفيه تاويلات احسنها ان ذلك على المبالغة جعلت ذات الانسان كانها
خلقت من نفس العجلة دلالة على شدة اتصاف الانسان بها وانها مادته التي اخذ منها كما قيل
للرجل الذي هو طاد نار تشعل والعرب قد تسمي المرء بما يكثر منه فتقول ما انت الا اكل ونوم وما
هو الا اقبال وادبار قال الشاعر • ترتع اذا نسيت حتى اذا ذكرت فانما هي اقبال وادبار •
ويتاكد هذا بقوله خلق الانسان عجولا قال المبرد خلق الانسان من عجل اي من شانه العجلة
كقوله تعالى خلقكم من ضعف اي ضعفا ومثله في المبالغة من جانب النفي قوله صلى الله عليه
لست من الدد ولا الدد مني والدد اللعب وفيه لغات دد محذوف اللام وددا مقصورا كعصا
وددن بالنون والفه في احدى لغاته مجهولة الاصل لا يدري اهي عن يا او واو وقيل خلق الانسان
من عجل اي بسرعة وتعجيل غير ترتيب خلق الانسان سائر الادميين من النطفة ثم العلقة ثم
المضغة ثم العظام ثم انشاناه خلقا اخر وقال ابو عبيدة رحمه الله العجل الطين بلغة حمير

قال

قال شاعرهم • والنبع في الصخرة الصما منبته • والنخل ينبت بين الما والعجل •
قال الزمخشري رحمه الله بعد انشاده عجز هذا البيت والله اعلم بصحته قال شهاب الدين رحمه
الله وهو معذور وهذا الجار يحتمل تعلقه بخلق على المجاز والحقيقة المتقدمين وان يتعلق بمحذوف
على انه حال كانه قال خلق الانسان عجلا قاله ابو البقا وقرا العامة خلق مبنيا للمفعول الانسان
مرفوعا لقيامه مقام الفاعل وقرا مجاهد وحميد وابن مقسم خلق مبنيا للفاعل الانسان نصبا مفعولا
به فان قيل القوم استعجلوا الوعيد على وجه التكذيب ومن هذا حاله لا يكون مستعجلا على الحقيقة فالجواب
ان استعجالهم بما يوعدهم من عقاب الاخرة او هلاك الدنيا يتضمن استعجال الموت وهم عالمون بذلك
فكانوا مستعجلين حقيقة قوله ساريكم اياتي مواعيدي قيل هي الهلاك المعجل في الدنيا والاخرة ولذلك
قال فلا تستعجلون اي انها باتية لا محالة في وقته فلا يطلبون العذاب قبل وقته فاراهم يوم بدر
وقيل كانوا يستعجلون القيامة وقيل الايات ادلة التوحيد وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل
الايات اثار القرون الماضية بالشام واليمن قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
هذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزا وهو كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب
ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب فبين تعالى انهم يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم قوله متى هذا متى خبر
مقدم في محل رفع وزعم بعض الكوفيين انها في محل نصب على الظرف والعامل فيها فعل مقدر رافع لهذا
والتقدير متى يجي هذا الوعد او متى ياتي ونحوه والاول اشهر قوله لو يعلم جوابها مقدر لانه ابلغ منه في الوعيد
فقدره الزمخشري رحمه الله لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزا والاستعجال ولكن جهلهم هو الذي هونه
عندهم وقدره ابن عطية لما استعجلوا وقدره الحوفي لسارعوا وقدره غيرهم لعلموا صحة البعث وقال البغوي
رحمه الله لما اقاموا على كفرهم ولما استعجلوا بقولهم متى هذا الوعد وحين مفعول به ليعلم وليس
منصوبا على الظرف اي لو يعلمون وقت عدم كف النار وقال الزمخشري ويجوز ان يكون يعلم متروكا
بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر اي
حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وعلى هذا فحين منصوب على الظرف
لانه جعل مفعول العلم انهم كانوا وقال ابو حيان والظاهر ان مفعول يعلم محذوف لدلالة ما قبله
اي لو يعلم الذين كفروا مجي الموعود الذي سالوا عنه واستبطؤه وحين منصوب بالمفعول الذي
هو مجي ويجوز ان يكون من باب الاعمال على حذف مضاف واعمل الثاني والمعنى لو يعلمون حين
مباشرة النار حين لا يكفونها عن وجوههم **فصل** ثم انه تعالى ذكر في رفع هذا الحزن
عن قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم الاول انه بين ما لصاحب هذا الاستهزا من العقاب الشديد
فقال لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون اي لو يعلمون
الوقت الذي يسالون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه
النار من قدام ومن خلف فلا يقدرون على دفعها عن انفسهم ولا يجدون احدا ينصرهم كقوله فمن
ينصرنا من باس الله ان جانا وانما خص الوجوه والظهور لان مس العذاب لها اعظم موقعا قال
لبعضهم ولا عن ظهورهم السياط قوله بغتة نصب على الحال اي مباغتة والضمير في تاتيهم يعود
على النار وقيل على الحين لانه في معنى الساعة وقيل على الساعة التي يضطرهم فيها الى العذاب
وقيل على الوعد لانه في معنى النار التي وعدوها قاله الزمخشري وفيه تكلف وقرا الاعمش بل
ياتيهم بيا الغيبة بغتة بفتح الغين فيبهتهم باليا ايضا فاما اليا فاعاد الضمير على الحين او على
الوعد وقيل على النار وانما ذكر ضميرها لانها في معنى العذاب ثم راعى لفظ النار فانث في قوله ردها
وقوله تعالى بل تاتيهم اضراب انتقال وقال ابن عطية استدراك مقدر قبله نفي تقديره ان الايات
لا تاتي على حسب اقتراحهم وفيه نظر لانه يصير التقدير لا تاتيهم الايات على حسب اقتراحهم
بل تاتيهم بغتة فيكون الظاهر ان الايات تاتي بغتة وليس ذلك مرادا قطعا وان اراد ان يكون
التقدير بل تاتيهم الساعة او النار فليس مطابقا لقاعدة الاضراب **فصل** لما بين
شدة هذا العقاب بين ان وقت مجيه غير معلوم لهم بل تاتيهم بغتة وهم غير محتسبين ولا مستعدين
فتبهتهم اي تدهشهم حيارى واقفين لا يستطيعون حيلة في ردها ولا هم ينظرون اي لا يمهلون لتوبة
او معذرة وانما لم يعلم المكلفين وقت الموت والقيامة لما فيه من المصلحة لان المرء مع كتمان ذلك
اشد حذرا واقرب الى التلافي ثم ذكر الوجه الثاني في قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال عز

وجل ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون عقوبة استهزائهم وحاق وحق بمعنى زال وازال والمعنى فكذلك حقيق بهولاء وبال استهزائهم قوله تعالى قل من يكلوكم الاية لما بين ان الكفار في الاخرة لا يكفون عن وجوههم النار بين ايضا ما وصفه به ابتغيه بانهم في الدنيا ايضا لولا ان الله تعالى يحرسهم ويحفظهم لما بقوا في السلامة فقال لرسوله صلى الله عليه وسلم قل لهولاء الكفار الذين يستهزءون ويغترون بما هم عليه من يكلوكم بالليل والنهار وهو اكقول الرجل لمن حصل في قبضته ولا مخلص له منه من ينصرك مني وهل لك مخلص والكلا الحفظ اي يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن ان نزل بكم عذابه يقال كلاه الله يكلوه كلاة بالكسر كذا ضبطه الجوهري فهو كالي ويكلو قال ابن هرمة • ان سليمى والله يكلوها • ضنت بشيء ما كان يرزوها •

والكلات منه احترست ومنه سمي النبات كلا لان به تقوم بنية البهايم وتحرس ويقال بلغ الله بك اكلا العمر والكلا موضع يحفظ فيه السفن وفي الحديث نهى عن بيع الكالي بالكالي اي بيع الدين بالدين كان كلا من رب الدينين يكلا الاخراى يراقبه وقال ابن عباس المعنى من يمنعكم من عذاب الرحمن وقرا الزهري وابن القعقاع يكلوكم بضمة خفيفة دون همز وحكى الكسائي والفرا يكلوكم بفتح اللام وسكون الواو وقال شهاب الدين رحمه الله ولم اعرفها قراة وهو قريب من لغة من يخفف الكلت الكلا على الكلو وقفا الا انه اجري الوصل مجرى الوقف قوله من الرحمن متعلق بيكلوكم على حذف مضاف اي من الرحمن وباسه كقوله عز وعلا يحفظونه من امر الله وبالليل بمعنى في الليل وانما ذكر الليل والنهار لان لكل واحد من الوقتين افات يختص به والمعنى من يحفظكم بالليل اذ نمتم وبالنهار اذا انصرفتم في معايشكم وخص ههنا اسم الرحمن بالذكر تلقينا للجواب حتى يقول العاقل انت الكالي يا الاهنا لكل الخلايق برحمتك كما في قوله تعالى ما غرك بربك الكريم فخص اسم الكريم تلقينا بل هم اضراب عما تضمنه الكلام الاول من النفي اذ التقدير ليس لهم كالي ولا مانع غير الرحمن والمراد بذكر ربهم القران ومواعظ الله معرضون لا يتاملون في شيء منها ليعرفوا انهم لا كالي لهم سواه ويتركوا عبادة الاصنام التي لا تحفظهم ولا تنعم عليهم قوله تعالى ام لهم الهة ام منقطعة اي بل الهم الهة فالميم صلة والمعنى الهة تمنعهم وقد تقدم ما فيها وقوله من دوننا فيه وجهان احدهما انه متعلق بتمنعهم قيل والمعنى الهم الهة تجعلهم في منعة وعز والى هذا ذهب الحوفي والثاني انه متعلق بمحذوف لانه صفة لالهة اي الهة من دوننا تمنعهم ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه ان في الكلام تقديما وتاخيرا ثم وصف الالهة بالضعف فقال لا يستطيعون نصر انفسهم وهذا مستانف لا محل له ويجوز ان يكون صفة لالهة وفيه بعد من حيث المعنى قال ابن الخطيب رحمه الله لا يستطيعون خبر مبتدا محذوف اي فهذه الالهة لا تستطيع حماية انفسها عن الافات وحماية النفس اولى من حماية الغير فاذا لم تقدر على حماية انفسها فكيف تقدر على حماية غيرها قوله ولا هم منا يصحبون قال ابن عباس يجاورون لقول العرب انا لك جار وصاحب من فلان اي مجير منه وقال مجاهد ينصرون وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير بل متعنا هولاء الكفار واباهم في الدنيا اي امهلناهم وقيل اعطيناهم النعمة حتى طال عليهم العمر فتمددهم الزمان فاغتروا والهاه يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها اي افلا يرى هولاء المشركون بالله المستعجلون بالعذاب اثار قدرتنا انا ننقص الارض من جوانبها ناخذ الواحد بعد الواحد من المشركين ونفتح البلاد والقرى من حول مكة ونزيدها في ملك محمد صلى الله عليه وسلم اما كان لهم عبرة في ذلك فيومنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم افهم الغالبون ام نحن وهو استفهام تقرير قال ابن عباس ومقاتل والكلبي ننقصها بفتح البلدات وروي عن ابن عباس رواية اخرى المراد نقصان اهلها وقال عكرمة تخريب القرى وموت اهلها وقيل موت العلما وهذه الرواية ان صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يعدل عنها والا فالاظهر ههنا ما يتعلق بالغلبة ولذلك قال افهم الغالبون قال القفال نزلت هذه الاية في كفار مكة فكيف يدخلها العلما والفقها قوله تعالى قل انما انذركم بالوحي اي اخوفكم بالقران وقوله ولا يسمع قرا ابن عامر ههنا ولا تسمع بضم التا للخطاب وكسر الميم الصم الدعا منصوبين وقرا ابن كثير كذلك في النمل والروم وقرا باقي السبعة بفتح يا الغيبة والميم الصم بالرفع الدعا بالنصب في جميع القران وقرا الحسن كقراة ابن عامر الا انه بيا الغيبة مبنيا للمفعول الصم رفعا الدعا نصبا وروي عن ابي عمرو بن العلا ولا يسمع بضم اليا من تحت وكسر الميم الصم نصبا الدعا رفعا فاما قراة ابن عامر

وابن كثير فالفاعل فيها ضمير المخاطب وهو الرسول صلوات الله عليه فانتصب الصم الدعا على المفعولين واولهما هو الفاعل المعنوي واما قراة الجماعة فالفعل مسند للصم فانتصب الدعا مفعولا به واما قراة الحسن الاولى فاسند الفعل فيها الى ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم وهي كقراة ابن عامر في المعنى واما قراته الثانية فاسند الفعل فيها الى الصم والصم قايم مقام الفاعل فانتصب الثاني وهو الدعا واما قراة ابي عمرو فانه اسند الفعل فيها الى الدعا على سبيل الاتساع وحذف المفعول الثاني للعلم به والتقدير ولا يسمع الدعا الصم شيا البتة ولما وصل ابو البقا الى هنا قال ولا يسمع فيه قراات وجوهها ظاهرة ولم يذكرها واذا في ناصبه وجهان احدهما انه يسمع والثاني انه الدعا فاعمل المصدر المعرف بال واذا اعملوه في المفعول الصريح ففي الظرف اولى قال الزمخشري فان قلت الصم لا يسمعون دعا المبشر كما لا يسمعون دعا المنذر فكيف قيل اذا ما ينذرون قلت اللام في الصم عايدة الى هولا المنذرين كاينة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضعوا الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم اسماعهم اذا انذروا اي انتم على هذه الصفة من الجراة والجسارة على التصام عن الانذار والايات ثم بين تعالى ان حالهم مستعين الى ان يتغيروا بحيث اذا شاهدوا اليسير مما انذروا به فعنده يسمعون ويعتذرون ويعترفون حيث لا ينتفعون وهذا هو المراد بقوله ولين مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين واصل النفخ من الله الريح والذي قال الزمخشري في المس والنفخ ثلاث مبالغات لفظ المس وما في النفخ من معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة رمحته رمحا يسيرا والنفح الخطر قال ابن عباس نفحة طرف وقيل قليل قال ابن جريج نصيب من قولهم نفح فلان لفلان من ماله اي اعطاه حظا منه قال

• اذا رده من حيث ما نفحت له • اتاه برياها خليل يواصله •

وقيل ضربه من قولهم نفحت الدابة برجلها اي ضربت ومن عذاب صفة لنفحة ثم بين سبحانه ان جميع ما نزل بهم في الاخرة لا يكون الا عدلا فانهم يقولون يا ويلنا انا كنا ظالمين اي مشركين دعوا على انفسهم بالويل بعدما اقروا بالشرك قوله تعالى ونضع الموازين القسط قال الزجاج رحمه الله ذوات القسط ووضعها احضارها وانما جمع الموازين لكثرة من يوزن اعمالهم وهو جمع تفخيم ويجوز ان يرجع الى الموزونات وفي نصب القسط وجهان احدهما انه نعت للموازين وعلى هذا فلم افرد ولنا عنه جوابان احدهما انه في الاصل مصدر والمصدر يوحد مطلقا والثاني انه على حذف مضاف الوجه الثاني انه مفعول من اجله اي لاجل القسط الا ان في هذا نظرا من حيث ان المفعول له اذا كان معرفا بال يقل تجرده من حرف العلة تقول جيت للاكرام ويقول جيت الاكرام كقوله

• لا اقعد الجبن عن الهيجا • ولو توالت زمر الاعدا •

وقرئ القصط بالصاد لاجل الطا وقد تقدم قوله ليوم القيامة في هذه اللام اوجه احدها قال الزمخشري مثلها في قولك جيت لخمس خلون من الشهر ومنه بيت النابغة

• توهمت ايات لها فعرفتها • لستة اعوام وذا العام سابع •

والثاني انها بمعنى في واليه ذهب ابن قتيبة وابن مالك وهو راي الكوفيين ومنه عندهم لا يجليها لوقتها وكقول مسكين الدارمي

• اوليك قومي قد مضوا لسبيلهم • كما قد مضى من قبل عاد وتبع •

وكقول الاخر

• وكل اب وابن وان عمرا معا • مقيمين مفقود لوقت وفاقد •

والثالث انها على بابها من التعليل ولكن على حذف مضاف اي لحساب يوم القيامة وشيا يجوز ان يكون مفعولا ثانيا وان يكون مصدرا اي شيا من الظلم

فصل في وضع الموازين

قولان احدهما قال مجاهد هذا مثل والمراد بالموازين العدل ويروى مثله عن قتادة والضحاك والمراد بالوزن القسط بينهم في الاعمال فمن احاطت حسناته بسياته ثقلت موازينه اي ان حسناته تذهب سياته ومن احاطت سياته بحسناته فقد خفت موازينه اي ذهبت سياته بحسناته حكاه ابن جريج عن ابن عباس والثاني ان الموازين توضع حقيقة ويوزن بها الاعمال روي عن الحسن انه ميزان له لسان وكفتان وهو بيد جبريل عليه السلام يروى ان داود عليه السلام سال ربه عز وجل ان يريه الميزان فاراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فغشي عليه ثم افاق فقال الهي من الذي يقدر ان يملا كفته حسنات فقال الله عز وجل يا داود اني اذا رضيت عن عبد ملاتها بتمرة وعلى هذا القول في كيفية وزن الاعمال طريقان احدهما انه يوزن صحايف الاعمال والثاني ان يجعل في

كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيات جواهر سود مظلمة فان قيل اهل القيمة اما ان
يكونوا عالمين بكونه تعالي عادلا غير ظالم او لا يعلمون ذلك فان علموا كان مجرد حكمه كافيا في
معرفة ان الغالب هو الحسنات او السيات فلا فايدة في وضع الميزان وان لم يعلموا ذلك لم يحصل
الفايدة في وزن الصحايف لاحتمال انه جعل احدي الصحيفتين اثقل او اخف ظلما فلا فايدة في
وضع الميزان على كلا التقديرين والجواب قال ابن الخطيب رحمه الله اما على قولنا لا يسال
عما يفعل وايضا فيه ظهور حال الولي من العدو في مجمع الخلايق فيكون لاحد القبيلين في ذلك اعظم
السرور وللاخر اعظم الغم ويكون ذلك بمنزلة نشر الصحف وغيره فاذا ثبت ذلك فالدليل على
وجود الموازين الحقيقية ان حمل لفظ الميزان على مجرد العدل مجاز وصرف اللفظ عن الحقيقة الى المجاز
من غير دليل غير جايز ولا سيما وقد جاءت الاحاديث الكثيرة الاسانيد الصحيحة في ذلك قوله
وان كان مثقال حبة قرا نافع هنا وفي لقمان برفع مثقال على ان كان تامة اي وان وجد مثقال
والباقون بالنصب على انها ناقصة واسمها مضمر اي وان كان العمل ومن خردل صفة لحبة وقرا
العامة اتينا من الاتيان بقصر الهمزة اي جينا بها وفي حرف ابي جينا وكذا قرا ابن مسعود وهو
تفسير معني لا تلاوة وقرا ابن عباس ومجاهد وسعيد وابن ابي اسحاق والعلا بن سامه وجعفر
ابن محمد اتينا بها بمد الهمزة وفيها اوجه اصحها انه فاعلنا من المواتاه وهي المجازاه والمكافاة
والمعني جازينا بها ولذلك تعدي بالبا الثاني انها من فاعله من الاتيان بمعني المجازاة والمكافاة
لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزا قاله الزمخشري الثالث انه افعل من الايتا كذا توهم بعضهم وهو
غلط قال ابن عطية ولو كان اتينا اعطينا لما تعدت بحرف جر ويوهن هذه القراة ان بدل الواو
المفتوحة همزة ليس بمعروف وانما يعرف ذلك في المضمومة والمكسورة يعني انه كان من حق هذا
القاري ان يقرا اتينا مثل واطينا لانها من المواتاه على الصحيح فابدل هذا القاري الواو المفتوحة
همزة وهو قليل ومنه احد واناه وقال ابو البقا رحمه الله ويقرا بالمد بمعني جازينا بها فهو يقرب
من اعطينا لان الجزا اعطا وليس منقولا من اتينا لان ذلك لم ينقل عنهم وقرا حميد اثبنا من الثواب
والضمير في بها عايد على المثقال وانث ضميره لاضافته لمونث فهو كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم

فصل زعم الجبائي ان من استحق مايه جزا من العقاب
في اكتسابه التايبث بالاضافة
فاتي بطاعة يستحق بها خمسين جزا من الثواب فهذا الاقل محبط بالاكثر فيبقي الاكثر كما كان
وهذه الاية تبطل قوله لان الله تعالي يمدح بان اليسير من الطاعة لا يسقط ولو كان الامر كما قال
الجبائي لسقطت الطاعة من غير فايدة فان قيل الحبة اعظم من الخردلة فكيف قال حبة من خردل
فالوجه فيه ان يفرض الخردلة كالدينار ثم يعتبر الحبة من ذلك الدينار والغرض المبالغة في ان
شيا من الاعمال صغيرا كان او كبيرا غير ضايع عند الله تعالي ثم قال وكفي بنا حاسبين قال
السدي محصين والحسب معناه العد قال ابن عباس رضي الله عنه عالمين حافظين لان من
حسب شيا علمه وحفظه والغرض منه التحذير فان المحاسب اذا كان عالما بحيث لا يمكن ان يشتبه عليه شي
فحقيق بالعاقل ان يكون شديد الخوف منه قوله تعالي ولقد اتينا موسي وهرون الفرقان
الاية لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول انما انذركم بالوحي اتبعه بانه عادة الله في الانبيا
قبله فقال سبحانه ولقد اتينا موسي وهرون الفرقان يعني الكتاب الفرق بين الحق والباطل
وهو التوراة وكان ضيا لغاية وضوحه يتوصل به الى طرق الهدي في معرفة الشرايع وكان
ذكري اي موعظة او ذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم وقال ابن زيد رحمه الله الفرقان
النصر على الاعدا كقوله تعالي وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يعني يوم بدر حين فرق
الحق والباطل وهو مروي عن ابن عباس ولا يدخل في قوله وضيا اي اتينا موسي النصر
وضيا وهو التوراة لان العطف يقتضي المغايرة وقيل المراد بالفرقان البرهان الذي
فرق به الحق والباطل فقال الضحاك الفرقان هو فلق البحر قال محمد بن كعب الفرقان
الخروج عن الشبهات ومن قال المراد بالفرقان التوراة قال الواو في قوله جل وعلا تكون من
باب عطف الصفات والمراد به شي واحد اي اتيناه الجامع بين هذه الاشيا وقيل الواو زايدة
قال ابو البقا رحمه الله ضيا حالا على هذا وانما خص الذكر بالمتقين كما في قوله تعالي هدي
للمتقين قوله تعالي الذين يخشون في محله ثلاثة اوجه الجر على النعت والبدل او البيان

والرفع

والرفع والنصب على القطع وفي معني الغيب وجوه الاول يخشون اي يخافون ربهم ولم يروه فياتمرون
باوامره وينتهون عن نواهيه وثانيها يخشون ربهم وهم غايبون عن الاخرة واحكامها وثالثها يخشون
ربهم في الخلوات اذا غابوا عن الناس وهم من الساعة مشفقون خايفون ثم قال ولما انزلت عليه الفرقان
قال لك هذا القران المنزل عليك وهو معني قوله وهذا ذكر مبارك يعني القران ذكر لمن يذكر به
مبارك يتبرك به ويطلب منه الخير افانتم يا اهل مكة له منكرون جاحدون استفهام توبيخ وتقرير
والمعني لا انكار في انزاله وفي عجايب ما فيه قوله تعالي ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل
الاية رشده مفعول ثان وقرا العامة رشده بضم الرا وسكون الشين وعيسي الثقفي بفتحها والرشد
كالعدم والعدم وقد تقدم الكلام عليهما والمراد بالرشد النبوة لقوله تعالي وكنا به عالمين لانه
تعالي انما يخص بالنبوة من يعلم حاله انه في المستقبل يقوم بحقها ويجتنب ما لا يليق بها ويحترز عما
ينفر قومه من القبول وقيل الرشد الاهتدا لوجوه الصلاح في الدين والدنيا لقوله تعالي فان
انستم منهم رشدا وقيل يدخل تحت الرشد النبوة والاهتدا قوله من قبل اي من قبل موسي وهرون
قال ابن عباس وهذا احسن ما قدر به المضاف اليه وقيل من قبل بلوغه او نبوته حين كان
في السرب وظهرت له الكواكب فاستدل بها وهذا على قول من حمل الرشد على الاهتدا والا لزمه
ان يحكم بنبوته صلى الله عليه وسلم قبل البلوغ قاله مقاتل وروي الضحاك عن ابن عباس
يعني من قبل اي حين كان في صلب ادم صلى الله عليه وسلم لما اخذ الله ميثاق النبيين والضمير في به
يعود على ابراهيم وقيل على رشده والمعني انه تعالي علم منه اشيا بديعة واسرارا عجيبة حتي اهله
لان يكون خليلا له وهذا كقولك في رجل كبير انا عالم بفلان فان هذا الكلام في الدلالة على تعظيمه
ادل مما اذا شرحت حال كماله

فصل دلت الاية على ان الايمان مخلوق لله تعالي لانه
لو كان الرشد هو التوفيق والبيان وقد فعل الله تعالي بالكفار فيجب ان يكون قد اتاهم رشدهم
واجاب الكعبي بان هذا يقال فيمن قبل لا فيمن رد وذلك كمن اعطي المال لولدين فقبله احدهما
ورده الاخر او اخذه ثم ضيعه يقال اغني فلان ابنه فيمن ثمر المال ولا يقال مثله فيمن ضيع وهذا
الجواب لا يتم الا اذا جعلنا قبوله جزا من مسمي الرشد وذلك باطل لان المسمي اذا كان مركبا من جزين
ولا يكون احدهما مقدور الفاعل لم يجز اضافة ذلك المسمي الى ذلك الفاعل فكان يجوز يلزم ان يجوز
اضافة الرشد الى الله تعالي بالمنقول لكن النص وقوله تعالي ولقد اتينا ابراهيم رشده صريح في
ان ذلك الرشد انما حصل من الله تعالي فبطل قوله اذ قال يجوز ان يكون منصوبا باتينا او برشده
او بعالمين او بمضمر اي اذكر وقت قوله وجوز ابو البقا فيه اوجها يكون بدلا من موضع قبل اي انه
يحل محله فيصح المعني اذ يصير التقدير واحدا ما هذه التماثيل اي الصور يعني الاصنام والتماثيل
اسم للشي الموضوع مشبها بخلق من خلق الله واصله من مثلت الشي بالشي اذا شبهته فاسم ذلك
الممثل بالمثال والتماثيل جمع تمثال وهو الصورة المصنوعة من رخام او نحاس او خشب يشبه
بخلق الادمي وغيره من الحيوانات قال امرو القيس

فيارب يوم قد لهوت وليلة ● بانسة كانها خط تمثال

قوله لها قيل اللام للعلة اي عاكفون لاجلها وقيل بمعني على اي عاكفون عليها وقيل ضمن عاكفون
معني عابدين فلذلك اتي باللام وقال ابو البقا وقيل افادت معني الاختصاص وقال الزمخشري
لم ينو للعاكفين مفعولا واجراه مجري ما لا يتعدي كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها فان
قلت هلا قيل عليها عاكفون لقوله يعكفون على اصنام لهم قلت لو قصدنا التعدية لعداه بصلته
التي هي على قال شهاب الدين الاولي ان يكون اللام للتعليل وصلة عاكفون محذوفة اي عاكفون عليها
لاجلها لا لشي اخر قوله قالوا المفعول به للتعدية

فصل اعلم ان القوم لم يجدوا في
جوابه الا طريقة التقليد فاجابوا بان اباهم سلكوا هذا الطريق فاقتدوا بهم فلا جرم اجابهم
ابراهيم صلى الله عليه وسلم بقوله لقد كنتم انتم واباوكم في ضلال مبين فبين ان الباطل لا يصير
حقا بكثرة المتمسكين به قوله انتم تاكيد للضمير المتصل قال الزمخشري وانتم من التاكيد الذي
لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع نحو اسكن انت
وزوجك الجنة قال ابو حيان وليس هذا حكما مجمعا عليه فلا يصح الكلام مع الاخلال به لان الكوفيين
يجيزون العطف على الضمير المتصل المرفوع من غير تاكيد بالضمير المنفصل ولا فصل وتنظير ذلك

باسكن انت وزوجك الجنة مخالف لمذهبه والعطف في اسكن انت وزوجك الجنة ليس معطوفا
على الضمير المستكن في اسكن بل مرفوع بفعل مضمر اي ولتسكن زوجك فهو عنده من قبيل عطف
الجمل وقوله هنا مخالف لمذهب سيبويه قال شهاب الدين لا يلزم من ذلك انه خالف مذهبه اذ يجوز
ان ينظر بذلك عند من يعتقد ذلك وان لم يعتقده هو وفي ضلال يجوز ان يكون خبرا ان كانت كان
ناقصة او متعلقا بكنتم ان كانت تامة قوله قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين لما حقق
صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم ولم يجدوا من كلامه مخلصا وراوه منكرا عليهم مع كثرتهم قالوا اجئتنا
بالحق ام انت من اللاعبين فاوهموا بذلك الكلام انه يبعد ان يقدم على الانكار عليهم جادا في ذلك
وقالوا اجادا انت فيما تقول ام لاعب فاجابهم صلى الله عليه وسلم بقوله بل ربكم رب السموات والارض
الاية قوله بالحق متعلق بجيت وليس المراد به حقيقة المجي اذ لم يكن غائبا وام انت ام متصلة
وان كان بعدها جملة لانها في حكم المفرد اذ التقدير اي الامرين واقع مجيك بالحق ام لعبك كقوله

لا ابالي ابث بالحزن تيس • ام جفاني بظهر غيب لئيم • وقوله

لعمرك ما ادري وان كنت داريا • شعيب بن سهم ام شعيب بن منقر •

يريد اي الامرين واقع ولو كانت منقطعة لقدرت ببل والهمزة وليس ذلك مرادا قوله الذي
فطرهن يجوز ان يكون مرفوع الموضع او منصوبه على القطع والضمير المنصوب في فطرهن للسموات
والارض قال ابو حيان ولما لم تكن السموات والارض تبلغ في العدد الكثير منه جا الضمير ضمير
القلة قال شهاب الدين ان عني لم يبلغ كل واحد من السموات والارض فمسلم ولكنه غير مراد بل المراد
المجموع وان عني لم يبلغ المجموع منهما فغير مسلم لانه يبلغ اربع عشرة وهو فوق حد جمع الكثرة اللهم
الا ان يقول ان الارض شخص واحد وليست بسبع كالسما على ما راه بعضهم فيصح ذلك ولكنه غير
معول عليه وقيل على التماثيل قال الزمخشري وكونه للتماثيل اثبت لتضليلهم وادخل في الاحتجاج
عليهم وقال ابن عطية فطرهن عبارة عنها كانها تعقل وهذا من حيث ان لها طاعة وانقيادا وقد
وصفت في مواضع توصف من يعقل وقال غيره فطرهن اعاد ضمير من يعقل لما صدر منهن
من الاحوال التي تدل على انها من قبيل من يعقل فان الله تعالى اخبر بقوله تعالى اتينا طايعين
وقوله صلى الله عليه وسلم اطت السما وحق لها ان تئط قال شهاب الدين كان ابن عطية وهذا
القايل توهما انهن من الضماير المختصة بالمونثات العاقلات وليس كذلك بل هو لفظ مشترك
بين العاقلات وغيرها قال تعالى منها اربعة حرم ثم قال تعالى فلا تظلموا فيهن انفسكم قوله
على ذلكم متعلق بمحذوف او بالشاهدين اتساعا او على البيان وقد تقدم نظيره نحو لكما من الناصحين

فصل اعلم ان القوم لما اوهموا انه كالمازح فيما خاطبهم به في امر اصنامهم اظهر ذلك
بالقول والاثم بالفعل ثانيا اما القول فهو قوله بل ربكم رب السموات والارض وهذا يدل على ان الخالق
الذي خلقها لمنافع العباد هو الذي يحسن ان يعبد لان القادر على ذلك هو الذي يقدر على
الضر والنفع وهذه الطريقة هي نظير قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا ثم قال
وانا على ذلكم من الشاهدين اي على انه لا اله الا الذي لا يستحق العبادة غيره وقيل من الشاهدين
على انه خالق السموات والارض وقيل اني قادر على اثبات ما ذكرته بالحجة واني لست مثلكم
اقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه اباءكم وقيل المراد منه
المبالغة في التاكيد والتحقيق كقول الرجل اذا بالغ في مدح اخر او ذمه اشهد انه كريم او ذميم
واما الفعل فقوله تالله لاكيدن اصنامكم لا مكرن بها قرا العامة تالله بالتا المثناة فوق وقرا
معاذ بن جبل واحمد بن حنبل رضي الله عنهما بالبا الموحدة قال الزمخشري فان قلت ما الفرق
بين التا والبا قلت البا هي الاصل والتا بدل من الواو والمبدل منها وان البا فيها زيادة معنى وهو
التعجب كانه تعجب من تسهيل الكيد على يده وتاتيه اما قوله ان البا هي الاصل فيدل على ذلك
تصرفها في الباب بخلاف الواو والتا وان كان السهيلي قد رد كون الواو بدلا منها وقال
ابو حيان النظر يقتضي ان كلا منهما اصل واما قوله التعجب فنصوص النحويين انه يجوز فيها التعجب
وعدمه وانما يلزم ذلك مع اللام كقوله •

لله يبقى على الايام ذو حيد • بمشمخر به الضيان والاس •

وبعد منصوب بلاكيدن ومدبرين حال موكدة لان تولوا يفهم معناها وقرا العامة تولوا بضم التا

واللام

واللام مضارع ولي مشددا وقرا عيسى بن عمر تولوا بفتحها مضارع تولى والاصل تتولوا فحذف احدى
التاءين اما الاولى على راي هشام واما الثانية على راي البصريين وبنصرها قراة الجميع فتولوا عنه مدبرين
ولم يقرا احد تولوا وهي قياس قراة الناس هنا على كلتا القراتين فلام الكلمة محذوفة وهو اليا لانه من
ولي ومتعلق هذا الفعل محذوف تقديره تولوا الى عيدكم ونحوه فان قيل الكيد ضرر الغير بحيث لا يشعر
به ولا يتاتى ذلك في الاصنام فكيف قال لاكيدن اصنامكم فالجواب توسعا لما كان عندهم ان الضرر يجوز
عليها وقيل المراد لاكيدنكم في اصنامكم لانه بذلك الفعل انزل بهم الغم قوله فجعلهم جذاذا قرا العامة
جذاذا بضم الجيم والكسائي بكسرها وابن عباس وابو نهيك وابن السماك بفتحها قال قطرب هي في لغاتها
كلها مصدر فلا يثنى ولا يجمع ولا يونث والظاهر ان المضموم اسم للشي المكسر كالحطام والرفات
والفتات بمعنى الشي المحطم والمفتت فقال اليزيدي جمع المضموم جمع جذاذة بالضم نحو زجاج في
زجاجة والمكسور جمع جذيذ نحو كرام في كريم وقال بعضهم المفتوح مصدر بمعنى المفعول اي مجذوذين
ويجوز على هذا ان يكون على حذف مضاف اي ذوات جذاذ وقيل المضموم جمع جذاذة بالضم والمكسور
جمع جذاذة بالكسر والمفتوح مصدر وقرا ابن وثاب جذذا بضمتين دون الف بين الذالين وهو
جمع جذيذ كقليب وقلب وقرى بضم الجيم وفيها وجهان احدهما ان يكون اصلها بضمتين وانما خففت
بابدال الضمة فتحة نحو سرر وذلل في جمع سرير وذليل وهي لغة لبني كلب والثاني انه جمع جذة
نحو قبة في قبب ودرة في درر والجذ القطع والتكسير وعليه قوله •

بنو المهلب جذ الله دابرهم • امسوا رمادا فلا اصل ولا طرف •

وتقدم هذا مستوفى في هود هو فان قيل لم قال جعلهم وهذا جمع لا يليق الا بالعقلا فالجواب عامل
الاصنام معاملة العقلا حيث اعتقدوا فيها ذلك قوله الا كبيرا استثنا من المنصوب في فجعلهم اي لم يكسرهم
بل تركهم وهم صفة وهذا الضمير يجوز ان يعود على الاصنام وتاويل عود ضمير العقلا عليها تقدم
ويجوز ان يعود على عابديها والضمير في اليه يجوز ان يعود على ابراهيم صلى الله عليه وسلم اي يرجعون
الى مقالته حين يظهر لهم الحق او غلب على ظنه انهم لا يرجعون الى مقالته الا اليه لما شاهدوه من
انكاره لدينهم وسب الهتهم فتبكيتهم بما عاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ويجوز ان يعود على
الكبير وفيه وجهان احدهما لعلهم يرجعون اليه كما يرجعون الى العالم في حل المشكلات فيقولون ما لهولا
مكسورة وما لك صحيح والفاس على عاتقك وهذا قول الكلبي رحمه الله وانما قال ذلك بناء على كثرة
جهالاتهم فلعلهم كانوا يعتقدون فيها انها تجيب وتتكلم والثاني انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك مع
علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم

فصل قال السدي كان لهم في كل سنة عيد يجتمعون
فيه فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان هذا الوقت
قال ازر لابراهيم لو خرجت معنا فخرج معهم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه وقال اني سقيم اشتكي
رجلي فلما مضوا وبقي ضعفا الناس نادى وقال تالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين اي الى
عيدكم فسمعوها منه واحتج هذا القايل بقوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم وقال الكلبي كان ابراهيم
صلى الله عليه وسلم من اهل بيت ينظرون في النجوم وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا الا مريضا فلما
هم ابراهيم صلى الله عليه وسلم بكسر الاصنام نظر قبل يوم العيد الى السما وقال لاصحابه اراني اشتكي
غدا وهو قوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم واصبح في الغد معصوبا راسه فخرج القوم لعيدهم
ولم يتخلف احد غيره فقال تالله لاكيدن اصنامكم فسمع رجل منهم هذا القول فحفظه عليه ثم اخبر به
غيره وانتشر ذلك في جماعة فلذلك قال تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم ثم ان ابراهيم صلى الله عليه
وسلم دخل بيت الاصنام فوجد سبعين صنما مصطفة وعند الباب صنم عظيم من ذهب مستقبل
الباب وفي عينيه جوهرتان يضيان بالليل فكسرها كلها بفاس في يده حتى لم يبق الا الكبير علق
الفاس في عنقه فان قيل اولئك الاقوام اما ان يكونوا عقلا او لا يكونوا عقلا فان كانوا عقلا
وجب ان يكونوا عالمين بالضرورة ان تلك الاصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر فاي حاجة في
اثبات ذلك الى كسرها اقصى ما في الباب ان يقال القوم كانوا يعظمونها كما يعظم الواحد منا المصحف
والمسجد والمحراب وكسرها لا يقدح في تعظيمها من هذا الوجه وان لم يكونوا عقلا لم تحسن مناظرتهم
ولا بعثة الرسل اليهم فالجواب انهم كانوا عقلا وكانوا عالمين بالضرورة انها جمادات ولكن لعلهم
كانوا يعتقدون فيها انها تماثيل للكواكب وانها طلسمات موضوعات بحيث ان كل من عبدها

يعتقدا

انتفع وكل من استخف بها ناله منها ضرر شديد ثم ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كسرها ولم ينله منها
ضرر البتة فكان فعله دالا على فساد مذهبهم قوله من فعل هذا يجوز في من ان تكون استفهامية
وهو الظاهر فعلى هذا تكون الجملة من قوله انه لمن الظالمين استئنافا لا محل لها من الاعراب
ويجوز ان تكون موصولة بمعنى الذي وعلى هذا فالجملة من انه في محل رفع خبر الموصول والتقدير
الذي فعل هذا بآلهتنا انه ومعنى الآية من فعل هذا الكسر والحطم الشديد معدود في الظلمة
اما لجرائته على الآلهة الحقيقة بالتوقير والاعظام واما لانهم راوا افراطا في كسرها وتماديا في
الاستهانة بها قوله يذكرهم في هذه الجملة اوجه احدها ان سمع هنا يتعدى لاثنين لانها متعلقة
بعين فيكون فتى مفعولا اولا ويذكرهم هذه الجملة في محل نصب مفعولا ثانيا الا ترى انك لو قلت
سمعت زيدا وسكت لم يكن كلاما بخلاف سمعت قراءته وحديثه والثاني انها في محل نصب ايضا صفة
لابراهيم قال الزمخشري رحمه الله فان قلت ما حكم الفعلين بعد سمعنا وما الفرق بينهما
قلت هما صفتان لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت
حتى يذكر شيئا مما يسمع واما الثاني فليس كذلك وهو الذي قاله لا يتعين لما عرفت ان سمع ان تعلق
بما يسمع نحو سمعت مقال زيد فلا خلاف انها تتعدى لواحد وان تعلقت بما لم يسمع فلا يكتفى
به ايضا بلا خلاف بل لا بد من ذكر شيء يسمع فلو قلت سمعت زيدا وسكت او سمعت زيدا يركب
لم يجز فان قلت سمعته يقرا صح وجرى في ذلك خلاف بين النحاة فابو علي يجعلها متعدية
لاثنين ولا يتمشى عليه قول الزمخشري وغيره يجعلها متعدية لواحد ويجعل الجملة بعد المعرفة
حالا وبعد النكرة صفة وهذا اراد الزمخشري قوله ابراهيم في رفع ابراهيم وجه احدها انه
مرفوع على ما لم يسم فاعله اي يقال له هذا اللفظ وكذلك قال ابو البقا فالمراد الاسم لا المسمى
وفي هذه المسالة خلاف بين النحويين اعني تسلط القول المفرد الذي لا يؤدي معنى جملة ولا هو
مقتطع من جملة ولا هو مصدر لقال ولا هو صفة لمصدر نحو قلت زيدا اي قلت هذا اللفظ
فاجازه جماعة كالزجاجي والزمخشري وابن خروف وابن مالك ومنعه آخرون وممن اختار رفع
ابراهيم على ما ذكرت الزمخشري وابن عطية اما اذا كان المفرد مؤديا معنى جملة كقولهم قلت
خطبة وشعرا وقصيدة او اقتطع من جملة كقوله

اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة • معتقة مما يجيء به التجر •

او كان مصدرا نحو قلت قولا او صفة له نحو قلت حقا او باطلا فانه متسلط عليه كذا فالواو
في قولهم المفرد المقتطع من الجملة نظر لان هذا لم يتسلط عليه القول انما تسلط على الجملة
المشتملة الثاني انه خبر مبتدا مضمر اي يقال له هذا ابراهيم او هو ابراهيم الثالث انه مبتدا
محذوف الخبر اي يقال له ابراهيم فاعل ذلك الرابع انه منادى وحرف النداء محذوف اي يا ابراهيم
وعلى الاوجه الثلاثة فهو مقتطع من جملة وتلك الجملة محكية بيقال وتقدم تقرير هذا في
البقرة عند قوله سبحانه وقولوا حطة رفعا ونصبا وفي الاعراف عند قوله تعالى قالوا معذرة
رفعا ونصبا والجملة من يقال له يحتمل ان يكون مفعولا آخر نحو ظننت زيدا كابنا شاعرا وان
يكون صفة على راي الزمخشري ومن تابعه وان يكون حالا من فتى وجاز ذلك لتخصصه بالوصف

فصل لما سمع بعض القوم قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم تالله لاكيدن اصنامكم
وسمعوا سبه لآلهتهم غلب على ظنهم انه الفاعل لذلك فلذلك قالوا سمعنا فتى يذكرهم اي
يعيبهم ويسبهم يقال له ابراهيم فهو الذي يظن انه فعل هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار واشراف قومه
فقالوا فيما بينهم فاتوا به على اعين الناس قال نمرود اي جيئوا به ظاهرا اي بمراى من الناس
لعلهم يشهدون عليه انه الذي فعله قال الحسن وقتادة والسدي كرهوا ان ياخذوه بغير بينة
وقال محمد بن اسحاق لعلهم يشهدون اي يحضرون عقابه فينزجروا عن الاقدام على مثله
وقال الكلبي ومقاتل المراد مجموع الامرين اي يشهدون عليه ويشهدون عقابه قوله على
اعين في محل نصب على الحال من الهاء في به اي ائتوا به ظاهرا مكشوفا بمراى منهم ومنظر قال
الزمخشري فان قلت ما معنى الاستعلاء في على قلت هو وارد على طريق المثل اي يثبت
اتيانه على الاعين ويتمكن ثبات الراكب من المركوب وتمكنه منه قوله ءانت فعلت في انت وجهان
احدهما انه فاعل بفعل مقدر يفسره الظاهر بعده والتقدير افعلت هذا بآلهتنا فلما حذف الفعل

الفصل

انفصل الضمير والثاني انه مبتدا والخبر بعده الجملة والفرق بين الوجهين من حيث اللفظ واضح
فان الجملة من قوله فعلت الملفوظ بها على الاول لا محل لها لانها مفسرة ومحلها الرفع على الثاني ومن
حيث المعنى ان الاستفهام اذا دخل على الفعل اشعر بان الشك انما يتعلق به هل وقع ام لا من غير شك
في فاعله واذا دخل على الاسم وقع الشك فيه هل هو الفاعل او غيره والفعل غير مشكوك في وقوعه
بل هو واقع فقط فاذا قلت اقام زيد كان شكك في قيامه واذا قلت ازيد قام وجعلته مبتدا كان
شكك في صدور الفعل منه ام من عمرو والوجه الاول هو المختار عند النحاة لان الفعل تقدم وما
يطلبه وهو اداة الاستفهام قوله بل فعله هذا الاضراب عن جملة محذوفة تقديره لم افعله انما
الفاعل حقيقة هو الله سبحانه وتعالى واسناد الفعل الى كبيرهم من ابلغ التعاريض قوله
هذا فيه ستة اوجه احدها ان يكون نعتا لكبيرهم الثاني ان يكون بدلا من كبيرهم الثالث ان يكون
خبرا لكبيرهم على ان الكلام يتم عند قوله بل فعله وفاعل الفعل محذوف كذا نقله ابو البقا قال
وهذا بعيد لان حذف الفاعل لا يسوغ قال شهاب الدين وهذا القول يعزى للكسائي وحينئذ
لا يحسن الرد عليه بحذف الفاعل فانه يجيز ذلك ويلتزمه ويجعل التقدير بل فعله من فعله ويجوز
ان يكون اراد بالحذف الاضمار لانه لما لم يذكر الفاعل لفظا سمى ذلك حذفا الرابع ان يكون الفاعل
ضميرا فتى الخامس ان يكون الفاعل ضمير ابراهيم وهذان الوجهان يؤيدان ان المراد بحذف الفاعل
انما هو الاضمار السادس ان فعله ليس فعلا بل الفا حرف عطف دخلت على على التي اصلها لعل
حرف ترج وحذف اللام الاولى ثابت فصارا اللفظ فعله اي فلعله ثم حذفت اللام الاولى وخففت
الثانية وهذا يعزى للفرا وهو مرغوب عنه وقد استدل على مذهبه بقراءة ابن السميفع فعله
بتشديد اللام وهي قراءة شاذة لا يرجع بالقراءة المشهورة اليها وكان الذي حملهم على هذا خفاء وجه
صدور هذا الكلام من النبي صلى الله عليه وسلم

فصل اعلم ان القوم لما قالوا له
انت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم طلبوا منه الاعتراف بذلك ليقدموا على ايذائه فقلب الامر
عليهم وقال بل فعله كبيرهم هذا وكان قد علق الفاس في رقبته واراد بذلك اقامة الحجة عليهم
واظهار جهلهم في عبادة الاوثان وقال صلى الله عليه وسلم فاسالوهم ان كانوا ينطقون ه
واعلم ان للناس هنا قولان الاول قول كافة المحققين وهو ان قول ابراهيم صلى الله عليه
وسلم بل فعله كبيرهم هذا من قبيل التعريض وهو من وجوه احدها ان قصد ابراهيم تقرير الفعل
لنفسه على اسلوب تعريضي ليس قصده لنسبة الفعل الى الصنم وهذا كما لو قال صاحبك وقد كتبت
كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط ولا يقدر هو الا على خرمشة فاسدة اانت كتبت هذا
فقلت له بل كتبته انت وكان قصدك بهذا تقريره لك مع الاستهزاء لا نفيه عنك واثباته للامي
او للاخرش المخرمش لان اثباته والامر دائر بينهما للعاجز منهما استهزاء واثبات للقادر وثانيها ان
ابراهيم صلى الله عليه وسلم غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة وكان غيظه من كبيرها اشد
لما راى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو السبب في استهانته لها وحطمه لها والفعل
كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه وثالثها ان تكون حكاية لما يلزم من مذهبهم كانه قال لهم
ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد منه ذكر
هذه الاوجه الثلاثة الزمخشري ورابعها ما تقدم عن الكسائي انه كان يقف عند قوله كبيرهم ثم
يبتدي فيقول هذا فاسالوهم والمعنى بل فعله كبيرهم وعنى نفسه لان الانسان اكبر من كل صنم
وانه كناية عن غير مذكور اي فعله من فعله وكبيرهم ابتداء كلام وخامسها قال القتيبي معناه على
التقديم والتاخير اي بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون فاسالوهم فجعل النطق شرطا للفعل ان
قدروا على النطق قدروا على الفعل فاراهم عجزهم وفي ضمنه انا فعلت ذلك وسادسها قراءة
ابن السميفع المتقدمة والقول الثاني قال البغوي رحمه الله والاصح ان ابراهيم صلى الله عليه
وسلم اراد بذلك الفعل اقامة الحجة عليهم فذلك قوله فاسالوهم ان كانوا ينطقون حتى يخبروا
من فعل ذلك بهم لما روى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتان منهن في ذات الله سبحانه وتعالى قوله اني سقيم وقوله
بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه اختي وفي حديث الشفاعة قول ابراهيم صلى الله عليه
وسلم اني كذبت ثلاث كذبات والقايلون بهذا القول قرروه من جهة العقل وقالوا الكذب ليس

فيتحالذانه فان النبي اذا هرب من ظالم واختفى في دار انسان فجا الظالم وسال عنه فانه يجب
الكذب فيه واذا كان كذلك فاي بعد في ان ياذن الله في ذلك لتوبيخهم والاحتجاج عليهم والمصلحة
لا يعلمها الا هو كما اذن ليوسف صلى الله عليه وسلم حين امر مناديه فقال لاخوته ايتها العير
انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا قال ابن الخطيب رحمه الله وهذا القول مرغوب عنه اما
الخبر فلان يضاف الكذب الي رواته اولى من ان يضاف الي الانبيا صلى الله عليهم والدليل
القاطع عليه لو جاز ان يكذبوا لمصلحة وباذن الله تعالى فيه فليجز هذا الاحتمال في كل ما اخبروا
عنه وفي كل ما اخبر الله تعالى عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرايع ويطرق التهم الي كلها ثم لو
صح ذلك الخبر فهو محمول على المعاريض على ما قال صلى الله عليه وسلم ان في المعاريض لمندوحة
عن الكذب فاما قوله اني سقيم فلعله سقيم القلب كما يجي في موضعه واما قوله بل فعله كبيرهم
فقد ظهر الجواب عنه واما قوله لساره هذه اختي اي في الدين واما قصة يوسف فتقدم الكلام
عليها قوله ان كانوا ينطقون جوابه محذوف لدلالة ما قبله ومن جوز التقديم يجعل فاسالوهم
هو الجواب قوله فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون فيه وجوه الاول ان ابراهيم
صلى الله عليه وسلم لما نبههم على قبح طريقتهم بما اورده عليهم علموا ان عبادة الاصنام باطلة
وانهم على غرور وجهل في ذلك الثاني قال مقاتل فرجعوا الى انفسهم فلاموها وقالوا انكم
انتم الظالمون لابراهيم حيث تزعمون انه كسرها مع ان الفاس بين يدي الصنم الكبير الثالث
انتم الظالمون لانفسكم حيث سالتموه حتى انه يستهزي بكم في الجواب قوله ثم نكسوا على
روسهم قرا العامة نكسوا مبنيا للمفعول مخفف الكاف اي نكسهم الله او خجلهم وعلى روسهم حال
اي كاينين على روسهم ويجوز ان يتعلق بنفس الفعل والنكس والتنكيس القلب يقال
نكس راسه ونكسه مخففا ومشددا اي طاطاه حتى صار اعلاه اسفله وقرا ابو حيوه وابن
ابي عبلة وابن الجارود وابن مقسم نكسوا بالتشديد وقد تقدم انه لغة في المخفف فليس
التشديد للتعدية ولا للتكثير وقرا رضوان بن عبد المعبود نكسوا مخففا مبنيا للفاعل وعلى
هذا فالمفعول محذوف تقديره نكسوا انفسهم على روسهم فصل قال المفسرون
اجرى الله الحق على لسانهم في القول الاول ثم ادركتهم الشقاوة وهو معنى قوله ثم نكسوا على
روسهم اي ردوا الى الكفر بعد ان اقروا على انفسهم بالظلم وقيل قلبوا على روسهم حقيقة لفرط
اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم ابراهيم فما احاروا جوابا الا ما هو حجة لابراهيم
صلى الله عليه وسلم حين جادلهم فقالوا لقد علمت ما هولا ينطقون فاقروا بهذه الحجة التي
لحقتهم لقد علمت هذه الجملة جواب قسم محذوف والقسم وجوابه معمولات لقول مضمر وذلك
القول المضمر حال من مرفوع نكسوا اي نكسوا قايلين والله لقد علمت قوله ما هولا ينطقون
يجوز ان تكون ما هذه حجازية فيكون هولا اسمها وينطقون في محل نصب خبرها او تميمية فلا
عمل لها والجملة المنفية باسرها سادة مسد المفعولين ان كانت علمت على بابها ومسد واحد
ان كانت عرفانية قوله افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيا ان عبدتموه ولا يضركم
ان تركتم عبادته اف لكم اي نتنا وقذرا لكم ولما تعبدون من دون الله تقدم الكلام على
اف في سورة سبحان قال الزمخشري اف صوت اذا صوت به دل على ان صاحبه متضجر
وان ابراهيم صلى الله عليه وسلم اضجره ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد وضوح الحق
وانقطاع عذرهم وزهوق الباطل فتافف واللام في لكم وفي لما لام التبيين اي التافف لكم
لا لغيركم وهي نظير قوله هيت لك ثم قال افلا تعقلون اي ليس لكم عقل تعقلون هذا وتعرفونه
فلما الزمهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ليس في القران من القايل ذلك
والمشهور انه نمرود بن كنعان بن سنحاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح صلى الله
عليه وسلم وقال مجاهد سمعت ابن عمر يقول انما اشار بتحريق ابراهيم صلى الله عليه وسلم
رجل من الاكراد من فارس وروى ابن جريج عن وهب عن شعيب رحمهم الله قال ان الذي
قال حرقوه اسمه هرير فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الي يوم القيمة قال مقاتل لما
اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابراهيم حبسوه في بيت وبنوا له بنيانا كالحظيره وذلك قوله
تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم ثم جمعوا له الحطب الكثير حتى ان الرجل او المراة

لو مرضت قالت ان عافاني الله لاجمعن حطبا لابراهيم وقيل بنوا اتونا بقرية يقال لها كوثا
ثم جمعوا له اصلاب الحطب من اصناف الخشب مدة اربعين يوما وكانت المراة تغزل وتشتري الحطب
بغزلها فتلقيه فيه احتسابا في دينها فلما اشتعلت النار واشتدت حتى ان كانت الطير لتمر بها
وهي في اقصى الجو فتحترق لشدة وهجها روي انهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها فجا ابليس لعنه الله
وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد يقال له هيزن وكان اول من صنع المنجنيق
فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الي يوم القيمة ثم عمدوا الي ابراهيم فوضعوه فيه مقيدا مغلولا
فصاحت السماوات والارض ومن فيها من الملايكة صيحة واحدة اي ربنا ما في ارضك احد يعبدك
غير ابراهيم وانه يحرق فيك فاذن لنا في نصرته فقال سبحانه ان استغاث باحد منكم او دعاه
فلينصره فقد اذنت له في ذلك وان لم يدع غيري فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بيني وبينه فانه
خليلي ليس لي خليل غيره وانا الهه ليس له اله غيري فلما ارادوا القاه في النار اتاه خازن المياه
فقال ان اردت اخمدت النار واتاه خازن الرياح فقال ان شيت طيرت النار في الهوا فقال
ابراهيم صلى الله عليه وسلم لا حاجة لي اليكم ثم رفع راسه الي السما وقال اللهم انت الواحد في السما
وانا الواحد في الارض ليس في الارض من يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل قال ابن عباس
رضي الله عنهما حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه
وسلم حين قيل له ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم
الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سو وقيل حين القي في النار قال لا اله الا انت سبحانك
رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموه في المنجنيق الي النار فاتاه جبريل صلى
الله عليه وسلم فقال يا ابراهيم الك حاجة قال اما اليك فلا قال فاسال ربك قال حسبي من
سوالي علمه بحالي فقال الله يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم قال كعب الاحبار رضي الله عنه
جعل كل شي يطفي عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ النار وروت ام شريك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم امر بقتل الوزغ وقال كان ينفخ على ابراهيم صلى الله عليه وسلم وقال السدي القايل
كوني بردا وسلاما هو جبريل وقال ابن عباس في رواية مجاهد لو لم يتبع بردها سلاما لمات
ابراهيم من بردها قال ولم يبق يوميذ نار الا طفيت ولو لم يقل على ابراهيم لبقيت ذات بردا ابدا
قال السدي فاخذت الملايكة بضبعي ابراهيم واقعدوه الي الارض فاذا عين ما عذب وورد احمر
ونرجس ولم تحرق منه الا وثاقه وقال المنهال بن عمرو اخبرت ان ابراهيم لما القي في النار
كان اما اربعين يوما او خمسين يوما وقال ما كنت اطيب عيشا مني اذ كنت فيها قال ابن يسار وبعث
الله ملك الظل في صورة ابراهيم وقعد الي جنب ابراهيم يونسه واتى جبريل بقميص من حرير
الجنة وطنفسة فالبسه القميص واجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال يا ابراهيم
ان ربك يقول سبحانه ان النار لا تضر احبابي ثم نظر نمرود من صرح له واشرف على ابراهيم
فراه جالسا في روضة وراى الملك قاعدا الى جنبه وما حوله نار تحرق فناداه نمرود يا ابراهيم
هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال قم فاخرج فقام يمشي حتى خرج منها قال له نمرود من
الرجل الذي رايته معك في صورتك قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل ارسله ربي ليونسني
فقال له نمرود اني مقرب الي الهك قربانا لما رايت من قدرته وعزته فيما صنع بك اني ذابح له اربعة
الاف بقرة قال ابراهيم صلوات الله عليه لا يقبل الله منك ما دمت على دينك هذا قال نمرود لا
استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبحها له فذبحها ثم كف عن ابراهيم روي ان ابراهيم صلى الله عليه
وسلم القي في النار وهو ابن ست عشرة سنة وانما اختاروا المعاقبة بالنار لانها اقوى العقوبات وروي
ان هاران ابا لوط قال لهم ان النار لا تحرقه لانه سحر النار ولكن اجعلوه على شي واوقدوا تحته
ففعلوا فطارت شرارة في لحيته الي لوط فاحرقته قوله بردا اي ذات برد والظاهر في سلاما انه
نسق على بردا فيكون خبرا عن كون وجوز بعضهم ان ينتصب على المصدر المقصود به التحية في العرف
وقد رد هذا بانه لو قصد ذلك لكان الرفع فيه اولى نحو قول ابراهيم سلام وهذا غير لازم لانه
يجوز ان ياتي القران على الفصيح والافصح ويدل على ذلك انه جا منصوبا والمقصود به التحية نحو قول
الملايكة قالوا سلاما وقوله على ابراهيم متعلق بنفس سلاما ان قصد به التحية ويجوز ان يكون
صفة فيتعلق بمحذوف وعلى هذا فيحتمل ان يكون قد حذف صفة الاول لدلالة صفة الثاني عليه

تقديره كوني بردا عليه وسلاما عليه **فصل** قال ابو مسلم الاصفهاني في تفسير
قوله تعالى قلنا يا نار المعنى انه سبحانه وتعالى جعل النار بردا وسلاما لا ان هناك كلام
كقوله ان يقول له كن فيكون اي يكونه واحتج عليه بان النار جماد فلا يجوز خطابه والاكثرون
على انه وجد ذلك القول ثم هولا لهم قولان احدهما قال السدي ان القايل هو جبريل والثاني
قول الاكثرين ان القايل هو الله تعالى وهو الاقرب الاليق بالظاهر وقوله النار جماد فلا
يكون في خطابها فايدة فالجواب لم لا يجوز ان يكون المقصود من ذلك الامر مصلحة عايدة الى
الملايكة **فصل** اختلفوا في كيفية برد النار فقيل ان الله تعالى ازال ما فيها من الحرارة
والاحراق وابقى ما فيها من الاضاة والاشراق والله على كل شي قدير وقيل انه تعالى خلق في جسم
ابراهيم كيفية مانعة من وصول النار اليه كما يفعل بخزنة جهنم في الاخرة وكما انه ركب بنية
النعامة بحيث لا يضرها ابتلاع الحديدة المحماة وبدن السمندل بحيث لا يضره المكث في النار وقيل
انه خلق بينه وبين النار حايلا يمنع من وصول اثر النار اليه قال المحققون والاول اولى
لان ظاهر قوله يا نار كوني بردا اي نفس النار صارت باردة حتى سلم ابراهيم من تاثيرها فان قيل
النار بقيت كما كانت والحرارة جزء من مسمى النار امتنع كون النار باردة فاذن يجب ان يقال
المراد من النار الجسم الذي هو احد اجزاء مسمى النار وذلك مجاز فلم كان مجازكم اولى فالجواب ان المجاز
الذي ذكرناه يبقى معه حصول البرد وفي الذي ذكرتم لا يبقى ذلك فكان مجازنا اولى **فصل**
معنى كون النار سلاما على ابراهيم ان البرد اذا افرط اهلك كالحر فلا بد من الاعتدال وهو من وجوه
الاول ان يقدر الله بردها بالمقدار الذي لا يوثر والثاني ان بعض النار صار بردا وبقي بعضها على
حرارته فتعادل الحر والبرد والثالث انه تعالى جعل في جسمه مزيد حر فتمتع بذلك البرد فالتذ به
فصل روي ان كل النيران في ذلك الوقت زالت وصارت بردا ويويد ذلك ان النار اسم
للماهية فلا بد وان يحصل هذا البرد في الماهية ويلزم منه عمومه في كل افراد الماهية وقيل بل اختصت
بتلك النار لان الغرض انما تعلق ببرد تلك النار وفي النار منافع للخلق فلا يجوز تعطيلها والمراد
خلاص ابراهيم لا ايصال النفع الى ساير الخلق فان قيل افيجوز ما روي من انه لو لم يقل سلاما
لاتى البرد عليه قال ابن الخطيب ذلك بعيد لان برد النار لم يحصل منها وانما حصل من جهة الله تعالى
فهو القادر على الحر والبرد فلا يجوز ان يقال كان البرد يعظم لولا قوله وسلاما قوله واردوا به
كيدا اي ارادوا ان يكيدوه فجعلناهم الاخسرين قيل معناه انهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل
لهم مرادهم وقيل فجعلناهم مغلوبين غالبوه فلقنه الله الحجة وقيل ارسل الله تعالى على نمرود وقومه
البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماهم ودخلت واحدة في دماغه فاهلكته قوله ونجيناه ولوطا
الى الارض التي باركنا فيها للعالمين لما نصره الله تعالى اتم النعمة عليه بان نجاه ونجى لوطا وهو ابن
اخيه وهو لوط بن هاران نجاهما من نمرود وقومه من ارض العراق الى الارض التي باركنا فيها
للعالمين يعني مكة وقيل ارض الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار ولانها معادن
بعث اكثر الانبيا صلوات الله عليهم وقال تعالى الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله قال ابي
ابن كعب سماها مباركة لانه ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وروى
قتادة ان عمر بن الخطاب قال لكعب الا تتحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقبره فقال اني وجدت في كتاب الله المنزل يا امير المومنين ان الشام كنز الله من ارضه
وبها كنزه من عباده وروى عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول انها ستكون هجرة بعد هجرة فخيار الناس الى مهاجر ابراهيم صلى الله عليه وسلم
قوله ولوطا يجوز فيه وجهان احدهما ان يكون معطوفا على المفعول قبله والثاني ان يكون
مفعولا معه والاول اولى وقوله الى الارض يجوز فيه وجهان احدهما ان يتعلق بنجيناه على ان
يضمن معنى اخرجنا بالنجاة فلما ضمن معنى اخرج تعدى تعديته والثاني انه لا تضمين فيه
وان حرف الجر يتعلق بمحذوف على انه حال من الضمير في نجيناه اي نجيناه منتهيا الى الارض
كذا قدره ابو حيان ويتنظر من حيث انه قدر كونا مقيدا وهو كثيرا ما يرد على الزمخشري
وغيره ذلك **فصل** اعلم ان لوطا امن بابراهيم صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى
فامن له لوط وكان ابن اخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ وامنت به ايضا سارة وهي

بنت

بنت عمه وهي سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم صلى الله عليه وسلم فخرج من كوثى ربا من ارض
حدود بابل بالعراق مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على
عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شا الله تعالى ثم ارتحل منها ونزل ارض السبع من فلسطين
وهي برية الشام ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج من مصر يريد الشام ونزل لوط بالموتفكة
وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة واقرب وبعثه الله نبيا فكذلك قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى
الارض التي باركنا فيها للعالمين قوله تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة قال مجاهد
وعطا النافلة العطية وكذلك النفل وتسمى الرجل الكثير العطا نوفلا وقيل الزيادة وقيل
لولد الولد فعلى الاول تنتصب انتصاب المصدر من معنى العامل وهو ووهبنا لا من لفظه لان
الهبة والاعطا متقاربان فهي كالعاقبة والعافية وعلى الاخيرين تنتصب على الحال والمراد بها يعقوب
وان النافلة مختصة بيعقوب على كل تقدير لان اسحاق ولده لصلبه وهذا قول ابن عباس وابي
ابن كعب وابن زيد وقتادة قوله وكلا مفعول اول لجعلنا وصالحين هو الثاني توسط العامل
بينهما والاصل وجعلنا اي صيرنا كلا من ابراهيم ومن ذكر معه صالحين وقوله وجعلناهم ايمة
كما تقدم الا انه لم يوسط العامل وقوله يهدون صفة لايمة وبامرنا متعلق بيهدون وقد تقدم
التصريف المتعلق بلفظ ايمة وقراة القرا فيها **فصل** المعنى وكلا من ابراهيم واسحاق
ويعقوب جعلنا صالحين قال الضحاك اي مرسلين وقال اخرون عاملين بطاعة الله وجعلناهم
ايمة يقتدى بهم في الخير يهدون يدعون الناس الى ديننا بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات اي العمل
بالشرايع وقال ابو مسلم المراد النبوة واقام الصلاة اي واقامة الصلاة يعني المحافظة وايتا الزكوة
وكانوا عابدين موحدين دلت هذه الاية على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى لان قوله تعالى
وكلا جعلنا صالحين يدل على الصلاح من قبله واجاب الجبائي بانه لو كان كذلك لما وصفهم بكونهم
صالحين وبكونهم ايمة وبكونهم عابدين ولما مدحهم بذلك واذا كان كذلك فلا بد من التاويل وهو من
وجهين الاول ان يكون المراد انه تعالى اتاهم من لطفه وتوفيقه ما صلحوا به والثاني ان المراد تسميتهم
بذلك كما يقال زيد فسق فلانا وكفره اذا وصفه بذلك وكان مصدقا عند الناس وكما يقال في الحاكم
زكى فلانا وعدله وجرحه اذا حكم بذلك والجواب المعارضة بمسالة العلم والدواعي واما الحمل على اللطف
فباطل لان فعل الالطاف عام في المكلفين فلا بد في هذا التخصيص من مزيد فايدة ولان قوله جعلته
صالحا كقولك جعلته متحركا فحمله على تحصيل شي سوى الصلاح ترك للظاهر واما الحمل على التسمية فمحال
لان ذلك انما يصار اليه الا عند الضرورة في بعض المواضع ولا ضرورة ههنا الا ان يرجعوا مرة اخرى الى فصل
المدح والذم وحينئذ يرجع الى مسايل الدواعي والعلم قوله فعل الخيرات قال الزمخشري اصله
ان يفعلوا الخيرات ثم فعلوا الخيرات وكذلك اقام الصلاة وايتا الزكاة قال ابو حيان كان الزمخشري
لما راى ان فعل الخيرات واقام الصلاة وايتا الزكاة ليس من الاحكام المختصة بالموحى اليهم بل هم
وغيرهم في ذلك مشتركون بني الفعل للمفعول حتى لا يكون المصدر مضافا من حيث المعنى الى ضمير
الموحى اليهم فلا يكون التقدير فعلهم الخيرات واقامتهم الصلاة وايتاهم الزكاة ولا يلزم ذلك اذ
الفاعل مع المصدر محذوف ويجوز ان يكون من حيث المعنى مضافا الى ظاهر محذوف يشمل الموحى
اليهم وغيرهم والتقدير فعل المكلفين الخيرات ويجوز ان يكون مضافا الى ضمير الموحى اليهم اي يفعلوا
الخيرات ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة واذا كانوا هم قد اوحي اليهم ذلك فاتباعهم جارون مجراهم
في ذلك ولا يلزم اختصاصهم به ثم اعتقاد بنا المصدر للمفعول مختلف فيه اجاز ذلك الاخفش والصحيح
منعه فليس ما اختاره الزمخشري مختارا قال شهاب الدين الذي يظهر ان الزمخشري لم يقدر هذا
التقدير الذي ذكره الشيخ حتى يلزمه ما قاله بل انما قدر ذلك لان نفس الفعل الذي هو معنى صادر
من فاعله لا يوحى انما يوحى الفاظ تدل عليه فكانه قيل واوحينا هذا اللفظ وهو ان يفعل الخيرات
ثم صاغ ذلك الحرف المصدري مع ما بعده مصدرا منونا ناصبا بعده ثم جعله مصدرا مضافا لمفعوله
وقال ابن عطية والاقام مصدر وفي هذا نظر انتهى يعني ابن عطية النظر ان مصدر افعل على
الافعال فان كان صحيح العين جا تاما كالاكرام وان كان معتلها حذف منه احدى الالفين وعوض
منها التاء فيقال اقامة فلما لم يقل كذلك جا فيه النظر المذكور قال ابو حيان ولا نظر
في هذا وقد نص سيبويه على انه مصدر بمعنى الاقامة وان كان الاكثر الاقامة بالتا وهو المقيس

في مصدر افعل اذا اعتلت عينه وحسن ذلك انه قال وايتا الزكاة وهو بغير تا فتقع الموازنة
بين قوله واقام الصلاة وايتا الزكوة وقال الزجاج حذفت التا من اقامة لان الاضافة عوض عنها
وهذا قول الفرا زعم ان التا تحذف للاضافة كالتنوين وقد تقدم بسط القول في ذلك عند قراة من قرا
في براة عدة ولكن كره قوله ولوطا اتيناه حكما وعلما الاية في الواو في قوله ولوطا قولان احدهما قال
الزجاج انه عطف على قوله واوحينا اليهم والثاني قال ابو مسلم انه عطف على قوله اتينا ابرهيم رشده
من قبل ولا بد من ضمير في قوله ولوطا كانه قال واتينا لوطا فهو منصوب بفعل يفسره الظاهر بعده
تقديره واتينا لوطا اتيناه فهي من الاشتغال والنصب في مثله هو الراجح ولذلك لم يقرا الا به لعطف جملة
على جملة فعلية وهو احد المرجحات وقيل ان لوطا منصوب باذكر لوطا اتيناه حكما اي الحكمة او الفصل
بين الخصوم بالحق وقيل النبوة وعلما فيه ادخل التنوين على الحكم والعلم دلالة على علو شان ذلك
الحكم وذلك العلم قوله ونجيناه من القرية اي من اهل يدل على ذلك قوله انهم كانوا وكذلك اسند عمل
الخبايث اليها والمراد اهلها يريد سدوم والخبايث صفة لموصوف محذوف اي تعمل الاعمال الخبايث
كانوا ياتون الذكران في ادبارهم ويتضارطون في انديتهم مع اشيا اخر كانوا يعملون من المنكرات
انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا قال مقاتل رحمه الله الرحمة النبوة وقال
ابن عباس والضحاك انها الثواب انه من الصالحين **قوله** تعالى ونوحا اذ نادى من قبل الاية في نصب
نوحا وجهان احدهما انه منصوب عطفا على لوطا فيكون مشتركا معه في عامله الذي هو اتيناه حكما
المفسر باتيناه الظاهر وكذلك داود وسليمان والتقدير ونوحا اتيناه حكما وعلما وداود وسليمان
اتيناهما حكما وعلى هذا فاذ بدل من نوحا ومن داود وسليمان بدل اشتمال وتقدم مثل هذا في طه
الثاني انه منصوب باضمار اذكر اي اذكر نوحا وداود وسليمان اي اذكر خبرهم وقصتهم وعلى هذا
فيكون اذ منصوبا بنفس المضاف المقدر اي خبرهم الواقع في وقت كان كيت وكيت وقوله من قبل
اي من قبل هولا المذكورين **فصل** المراد من هذا النداء دعاوه على قومه بالعذاب ويدل
على ذلك قوله تعالى اني مغلوب فانتصر وقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ويوكده
قوله تعالى فاستجبنا له فنجيناه فدل ذلك على ان نداه ودعاه كان بان ينجيه مما يلحقه من جهتهم
من الاذى بسبب تكذيبهم وردهم عليه واتفق المحققون على ان ذلك النداكان بامر الله عز وجل
لانه لو لم يكن باذنه لم يومن ان تكون المصلحة ان لا يجاب اليه فيصير ذلك سببا لنقصان حال الانبيا
صلوات الله عليهم وقال اخرون لم يكن ماذونا له في ذلك قال ابو امامة لم يحسر احد في خلق الله
لحسرة ادم ونوح صلوات الله عليهما لحسرة ادم على قبول وسوسة ابليس لعنه الله وحسرة نوح على
دعايه على قومه فاوحى الله تعالى اليه ان دعوتك وافقت قدري قوله فنجيناه واهله من الكرب
العظيم المراد بالاهل هنا اهل دينه قال ابن عباس المراد بالكرب العظيم من الغرق وتكذيب قومه
وقيل لانه كان اطول الانبيا عمرا واشدهم بلا والكرب اشد الغم قوله ونصرناه من القوم فيه اوجه
احدها ان يضمن نصرناه معنى منعناه وعصمناه ومثله فمن ينصرنا من باس الله فلما ضمن معناه تعدى
تعديته والثاني ان نصر مطاوعه انتصر فتعدى تعديه ما طاوعه قال الزمخشري هو نصر
الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذيليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين منه
ولم يظهر فرق بالنسبة الى التضمين المذكور فان معنى قوله منتصرين منه اي ممتنعين او معصومين
منه الثالث ان من بمعنى على اي على القوم قال المبرد تقديره ونصرناه من مكروه القوم قال
تعالى فمن ينصرنا من باس الله والمعنى منعناه من القوم الذين كذبوا باياتنا ان يصلوا اليه
بسوء انهم كانوا قوم سوء لتكذيبهم له وردهم عليه فاغرقناهم اجمعين فخلصه منهم بذلك قوله
تعالى وداود وسليمان الاية تقدم الكلام على الاعراب واعلم ان المقصود ذكر نعم الله على
داود وسليمان فذكر اولا النعمة المشتركة بينهما ثم ذكرها يخص كل واحد منهما من النعم اما النعمة
المشتركة فهي قصة الحكومة وهو ان الله تبارك وتعالى زينهما بالعلم والفهم في قوله سبحانه
وكلا اتيناه حكما وعلما قال اكثر المفسرين المراد بالحرث الزرع وقال ابن مسعود وابن عباس
رضي الله عنهما كان الحرث كرما تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم اي رعته ليلا فافسدته
والنفش الرعي بالليل قاله ابن السكيت وهو قول جمهور المفسرين والنفش الانتشار ومنه
كالعهن المنفوش ونفشت الماشية اي رعت ليلا بغير راع عكس الهمل وهو رعيها نهارا بلا راع

وعن الحسن ان النفش هو الرعي بلا راع ليلا كان او نهارا قوله وكنا لحكمهم شاهدين في الضمير المضاف
اليه حكما اوجه احدها انه ضمير جمع يراد به المثنى وانما وقع الجمع موقع التثنية مجازا او لان التثنية جمع
واقل الجمع اثنان ويدل على ان المراد التثنية قراة ابن عباس لحكمهما بصيغة التثنية الثاني ان المصدر مضاف
للحاكمين وهما داود وسليمان والمحكوم له والمحكوم عليه فهولا جماعة وهذا يلزم منه اضافة المصدر
لفاعله ومفعوله دفعة واحدة وهو انما يضاف لاحدهما فقط وفيه الجمع بين الحقيقة والمجاز
فان الحقيقة اضافة المصدر لفاعله والمجاز اضافته لمفعوله الثالث ان هذا مصدر لا يراد به
الدلالة على علاج بل جي به للدلالة على ان هذا الحدث وقع وصدر كقولهم له ذكا ذكا الحكما وفهم
فهم الاذكيا فلا ينحل لحرف مصدري وفعل واذا كان كذلك فهو مضاف في المعنى للحاكم والمحكوم له
والمحكوم عليه ويندفع المحذوران المذكوران قوله ففهمناها قرا العامة ففهمناها بالتضعيف
الذي للتعدية والضمير للمسلة او للفتيا وقرا عكرمة فافهمناها بالهمزة عداه العامة بالتضعيف
فصل قال اكثر المفسرين دخل رجلان على داود صلى الله عليه وسلم احدهما صاحب
حرث والاخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان غنم هذا دخلت في حرثي ليلا فافسدته فلم تبق
منه شيا فقال داود فان الغنم لك فخرجا فمرا على سليمان صلى الله عليه وسلم فقال كيف قضى
بينكما فاخبراه فقال لو وليت امرهما لقضيت بغير هذا وروي انه قال غير هذا ارفق بالفريقين
فاخبر بذلك داود فدعاه فقال كيف تقضي وروي انه قال له بحق النبوة والابوة الا اخبرتني بالذي
هو ارفق بالفريقين فقال ادفع الغنم الى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويبذر
صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم اكل دفع الى اهله واخذ صاحب
الغنم غنمه فقال داود القضا ما قضيت وقال ابن مسعود ومقاتل ان راعيا نزل ذات ليلة بجنب
كرم فدخلت الاغنام الكرم وهو لا يشعر فاكلت القضبان وافسدت الكرم فجا صاحب الكرم من الغد
الى داود فقضى له بالغنم لانه لم يكن بين ثمن الكرم وثمن الاغنام تفاوت وذكروا في القصة قال
ابن عباس حكم سليمان بذلك وهو ابن احدى عشرة سنة واما حكم الاسلام ان ما افسدت الماشية
المرسلة بالنهار من مال الغير فلا ضمان على ربها وان ما افسدته بالليل ضمنه ربها لان في عرف
الناس ان اصحاب الزروع يحفظونها بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح روي
محيصة ان ناقة البرا بن عازب دخلت حايطا فافسدت فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان على اهل الحايط حفظها بالنهار وان ما افسدت المواشي بالليل ضمان على اهلها وذهب اصحاب
الراي الى ان المالك اذا لم يكن معها فلا ضمان عليه فيما اتلفت الماشية ليلا كان او نهارا قال ابو بكر
الاصم رضي الله عنه انهما لم يختلفا في الحكم البتة وان الله تعالى بين لهما الحكم على لسان سليمان والصواب
انهما اختلفا ويدل عليه اجماع الصحابة رضي الله عنهم وايضا قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين
ثم قال ففهمناها سليمان والفا للتعقيب فوجب ان يكون ذلك الحكم سابقا على هذا الفهم وذلك
الحكم السابق ان اتفقا فيه لم يبق لقوله ففهمناها سليمان فايدة وان اختلفا فيه فهو المطلوب
فصل احتج الجبايي على ان الاجتهاد غير جايز من الانبيا بوجوه الاول قوله تعالى
قل ما يكون لي ان ابدله من تلقا نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي وقوله وما ينطق عن الهوى الثاني
ان الاجتهاد طريقه الظن وهو قادر على اليقين فلا يجوز المصير الى الظن كالمعاين للقبلة
لا يجوز له الاجتهاد الثالث لو جاز له الاجتهاد في الاحكام لكان لا يقف في شي منها فلما وقف في مسلة
الظهار واللعان الى ورود الوحي دل على ان الاجتهاد غير جايز عليه الرابع ان الاجتهاد انما يصار
اليه عند فقد النص وفقد النص في حق الرسول كالممتنع فوجب ان لا يجوز الاجتهاد الخامس لو
جاز الاجتهاد من الرسول صلى الله عليه وسلم لجاز ايضا من جبريل وحينيذ لا يحصل الامان ان
هذه الشرايع التي جا بها هي من نصوص الله ام من اجتهاد جبريل واجيب عن الاول ان الاية
واردة في ابدال اية لانه عقب قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقانا ايت بقران غير هذا
او بدله ولا مدخل للاجتهاد في ذلك واما قوله وما ينطق عن الهوى فمن جوز له الاجتهاد يقول
ان الذي اجتهد فيه هو عن وحي على الجملة وان لم يكن كذلك على التفصيل وايضا فالاية واردة
في الادا عن الله لا في حكمه الذي يكون بالعقل وعن الثاني ان الله تعالى اذا قال له اذا غلب على
ظنك كون الحكم معللا في الاصل بكذا ثم غلب على ظنك قيام ذلك المعنى في صورة اخرى فاحكم

بمثل ذلك الحكم فهاهنا الحكم مقطوع به والظن غير واقع فيه بل في طريقه وعن الثالث لعله
صلى الله عليه وسلم كان ممنوعا عن الاجتهاد في بعض الانواع او كان ماذونا له مطلقا لكنه
لم يظهر له في تلك الصورة وجه الاجتهاد فتوقف وعن الرابع لم لا يجوز ان يحبس النص عنه
في بعض الصور فحينئذ يحصل شرط جواز الاجتهاد وعن الخامس ان هذا الاجتهاد مدفوع باجماع
الامة على خلافه ثم الذي يدل على جواز الاجتهاد لهم وجوه الاول انه صلى الله عليه وسلم اذا غلب
على ظنه ان الحكم في الاصل معلل بمعنى ثم علم او ظن قيام ذلك المعنى في صورة اخرى فلا بد وان
يغلب على ظنه ان حكم الله في هذه الصورة مثل ما في الاصل لقوله صلى الله عليه وسلم ارايت لو
كان على امك دين فقضيته الثاني قوله تعالى فاعتبروا امر الكل بالاعتبار فوجب اندراج
الرسول صلى الله عليه وسلم فيه لانه امام المعتبرين وافضلهم الثالث ان الاستنباط ارفع درجات
العلما فوجب ان يكون للرسول صلى الله عليه وسلم فيه مدخل والا لكان كل واحد من المجتهدين
افضل منه في هذا الباب فان قيل انما يلزم لو لم تكن درجته اعلا من الاعتبار وليس الامر كذلك
لانه كان يستدرك الاحكام وحيا على سبيل اليقين فكانت ارفع درجة من الاجتهاد الذي قصاراه
الظن فالجواب لا يمتنع ان لا يجد النص في بعض المواضع فلو لم يكن من اهل الاجتهاد ولكان اقل
درجة من المجتهدين الذي يمكنه تعرف ذلك الحكم من الاجتهاد وايضا فقد تقدم ان الله تعالى
لما امره بالاجتهاد كان ذلك مفيدا للقطع الرابع قوله صلى الله عليه وسلم العلما ورثة الانبيا
صلوات الله عليهم فوجب ان يثبت للانبيا درجة الاجتهاد ليرث العلما عنهم ذلك الخامس قوله تعالى
عفا الله عنك لم اذنت لهم فذلك الاذن ان كان باذن الله تعالى استحال ان يقال له لم اذنت وان
كان هوى النفس فهو غير جائز وان كان بالاجتهاد فهو المطلوب **فصل** قال
الجبائي لو جوزنا الاجتهاد من الانبيا ففي هذه المسئلة لا نجوزه لوجوه احدها ان الذي وصل الى
صاحب الزرع من در الماشية وصوفها ومنافعها مجهول المقدار فكيف يجوز الاجتهاد اخذ المجهول
عوضا عن الاجرة ثانيها ان اجتهاد داود عليه السلام ان كان صوابا لزم ان لا ينقض لان الاجتهاد
لا ينقض بالاجتهاد وان كان خطا وجب ان يبين الله توبته كسائر ما حكاه عن الانبيا صلى الله
عليه وسلم فلما مدحهما بقوله وكلا اتينا حكما وعلما دل على انه لم يقع الخطا من داود صلى الله عليه
وسلم وثالثها لو حكم بالاجتهاد لكان الحاصل هناك ظنا لا علما لكن الله تعالى قال وكلا اتينا
حكما وعلما ورابعها كيف يجوز ان يكون عن اجتهاد مع قوله ففهمناها سليمان واجيب عن الاول
بان الجهالة في القدر لا تمنع من الاجتهاد كالجعالات وحكم المصراة وعن الثاني لعل خطاه كان
من باب الصغاير وعن الثالث ان المتمسك بالقياس فان الظن واقع في طريق الحكم واما الحكم
فمقطوع به وعن الرابع ان المجتهد اذا تامل واجتهد واداه اجتهاده الى حكم كان الله تعالى
فهمه من حيث بين له طريق ذلك فهذا جملة الكلام في بيان انه لا يمتنع ان يكون اختلاف
داود وسليمان في ذلك الحكم انما كان بسبب الاجتهاد واما بيان انه لا يمتنع ايضا ان يكون اختلافهما
فيه بسبب النص فوجهه ان يقال ان داود عليه السلام كان مامورا بالحكم من قبل الله تعالى
ثم انه تعالى نسخ ذلك بالوحي الى سليمان خاصة وامره ان يعرف داود ذلك الحكم حكمهما
جميعا وقوله ففهمناها سليمان اي اوحينا اليه فان قيل هذا باطل لوجهين الاول لما نزل
ان الحكم الاول على داود وجب ان ينزل نسخه ايضا على داود لا على سليمان الثاني ان
الله تعالى مدح كل واحد منهما على الفهم ولو كان ذلك على سبيل النص لم يكن في فهمه كثير مدح
واعلم ان القول الاول اولى لانه روي في الاخبار الكثيرة ان داود لم يكن بت الحكم في ذلك حتى
سمع من سليمان ان غير ذلك اولى وفي بعضها ان داود ناشده لكي يورده ما عنده ولو كان
نصا لكان تظهره ولا يكتمه ووجه الاجتهاد فيه ما ذكره ابن عباس رضي الله عنه ان داود صلى
الله عليه وسلم قوم قدر الضرر في الكرم فكان مساويا لقيمة الغنم وكان عنده ان الواجب في ذلك
الضرر ان يزال بمثله من النفع فلا جرم سلم الغنم الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة رحمه الله في
العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه واما سليمان فاداه اجتهاده الى انه يجب
مقابلة الاصول بالاصول والزوايد بالزوايد واما مقابلة الاصول بالزوايد فغير جائز لانه
يقتضي الحيف ولعل منافع الغنم في تلك السنة كانت موازنة فحكم به قال الشافعي رحمه الله

فيمن غصب عبدا فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازا ما فوته الغاصب من
منافع العبد فاذا ظهر ترادا اذا ثبت ان تلك المخالفة كانت مبنية على الاجتهاد فهل تدل هذه القصة
ان المصيب واحد او الكل مصيبون فمن قال ان المصيب واحد استدل بقوله تعالى ففهمناها سليمان
قال ولو كان الكل مصيبين لم يكن لتخصيص سليمان بهذا التفهيم فايدة واما القايلون بان الكل مصيبون
فمنهم من استدل بقوله تعالى وكلا اتينا حكما وعلما ولو كان المصيب واحدا ومخالفه مخطيا لما صح ان
يقال وكلا اتينا حكما وعلما قال ابن الخطيب وكلا الاستدلالين ضعيف اما الاول فلان الله تعالى
لقد نقل انه فهمه الصواب فيحتمل انه فهمه الناسخ ولم يفهم ذلك داود فكل واحد منهما مصيب فيما حكم
به على ان اكثر ما في الاية انها دالة على ان داود وسليمان كانا مصيبين وذلك لا يوجب ان يكون الامر
كذلك في شرعنا واما الثاني فلان الله تعالى لم يقل كلا اتيناه حكما فيما حكم به هنا بل يجوز ان يكون اتاه
حكما وعلما بوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام على انه لا يلزم من كون كل مجتهد مصيبا في شرعهم ان يكون
الامر كذلك في شرعنا قوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن هذه من النعم التي خص بها داود فقوله
يسبحن في موضع نصب على الحال والطير يجوز ان ينتصب نسقا على الجبال وان ينتصب على المفعول
معه وقيل يسبحن مستانف فلا محل له وهو بعيد وقرئ والطير رفعا وفيه وجهان احدهما انه
مبتدا والخبر محذوف اي والطير مسخرات ايضا والثاني انه نسق على الضمير في يسبحن ولم يوكد ولم يفصل
وهو موافق لمذهب الكوفيين **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه كان يفهم تسبيح
الحجر والشجر وقال وهب كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقال قتادة يسبحن اي يصلين
معه اذا صلى وقيل كان داود اذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير بمثابة قوله تعالى وان
من شيء الا يسبح بحمده وتخصيص داود عليه السلام بذلك انما كان بسبب انه كان يعرف ذلك ضرورة
فيزداد يقينا وتعظيما وقالت المعتزلة لو حصل الكلام في الجبل لحصل اما بفعله او بفعل الله فيه
والاول محال لان بنية الجبل لا تحتمل الحياة والعلم والقدرة وما لا يكون حيا عالما قادرا يستحيل منه
الفعل والثاني محال لان المتكلم عندهم من كان فاعلا للكلام لا من كان محلا للكلام فلو كان فاعل
ذلك الكلام هو الله لكان المتكلم هو الله لا الجبال فثبت انه لا يمكن اجراؤه على ظاهره فعند هذا قالوا
معنى قوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال قوله يا جبال اوبي معه اي تصرفي معه وسيري بامره
ومعنى يسبحن من السبح الذي هو السباحة خرج اللفظ فيه على التكثير ولو افرد لقيل اسبحي فلما
كثر قيل سبحي معه اي سيري وهو كقوله تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا اي تصرفا ومذهبا اذا
ثبت هذا فنقول ان سيرها هو التسبيح لدلالته على قدرة الله تعالى واعلم ان مدار هذا القول
على ان بنية الجبال لا تقبل الحياة وان المتكلم من فعل الكلام وكلاهما ممنوع واما الطير فلا امتناع ان
يصدر عنها الكلام ولكن اجمعت الامة على ان المكلفين اما الجن او الانس او الملايكة فيمتنع فيها ان
تبلغ في العقل الى درجة التكليف بل يكون حاله كحال الطفل في ان يومر وينهى وان لم يكن مكلفا
فصار ذلك معجزة من حيث جعلها في الفهم بمنزلة المراهق وايضا لدلالته على قدرة الله تعالى وعلى
تنزيهه عما لا يجوز فيكون القول فيه كالقول في الجبال وقدم الجبال على الطير لان تسخيرها
وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ثم قال وكنا
فاعلين اي قادرين على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل نفعل ذلك بالانبيا صلوات
الله عليهم الانعام الثاني قوله وعلمناه صنعة لبوس الجمهور على فتح اللام من لبوس وهو
الشيء المعد للبس قال الشاعر

البس لكل حالة لبوسها ● اما نعيمها واما بوسها

والمراد باللبوس هاهنا الدرع لانها تلبس وهو في اللغة اسم لكل ما يلبس ويستعمل في الاسلحة
وهو بمعنى الملبوس كالحلوب والركوب وقرئ لبوس بضم اللام وحينئذ اما ان يكون جمع لبس
المصدر الواقع موقع المفعول واما ان لا يكون واقعا موقعه والاول اقرب ولكم يجوز ان يتعلق
بعلمناه وان يتعلق بصنعة قاله ابو البقا وفيه بعد وان يتعلق بمحذوف على انه صفة للبوس
قال قتادة اول من صنع الدرع وسردها وحلقها داود صلى الله عليه وسلم وانما كانت صفايح
قوله لتحصنكم هذه لام كي وفي متعلقها اوجه احدها ان يتعلق بعلمناه وهذا ظاهر على
القولين الاخيرين واما على القول الثالث فيشكل وذلك انه يلزم تعلق حرفي جر متحدين لفظا

ومعنى بعفل ويجاب عنه بانه يجعل بدلا من لكم باعادة العامل كقوله تعالى لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وهو بدل اشتمال وذلك ان الناصب للفعل المقدرة ماولته وهي ومنصوبها مصدر وذلك المصدر بدل من ضمير الخطاب في لكم بدل اشتمال والتقدير وعلمناه صنعة لبوس لتحصنكم والثاني ان يتعلق بصنعة على معنى انه بدل من لكم كما تقدم تقريره وذلك على راي ابي البقا فانه علق لكم بصنعة والثالث انها تتعلق بالاستقرار الذي تعلق به لكم اذا جعلناه صفة لما قبله وقرا الحرميان والاخوان وابو عمرو ليحصنكم بالياء من تحت والفاعل الله تعالى وفيه التفات على هذا الوجه اذ يتقدمه ضمير التكلم في قوله وعلمناه او داود او التعليم او اللبوس وقرا حفص وابن عامر بالتاء من فوق والفاعل الصنعة او الدرع وهي مؤنثة او اللبوس لانها يراد بها ما يلبس وهو الدرع والدرع مؤنثة كما تقدم وقرا ابو بكر لنحصنكم بالنون جريا على ما علمناه وعلى هذه القراة الثلاث الحاء ساكنة والصاد مخففة وقرا الاعمش ليحصنكم وكذا النعيمي عن ابي عمرو بفتح الحاء وتشديد الصاد على التكثير الا ان الاعمش بالتاء من فوق وابو عمرو بالياء من تحت وقد تقدم ما هو الفاعل

فصل معنى ليحصنكم اي ليحرزكم ويمنعكم من باسكم اي حرب عدوكم وقال السدي من وقع السلاح فيكم ذكر الحسن ان لقمان الحكيم صلى الله عليه وسلم حضر داود عليه السلام وهو يعمل الدرع فاراد ان يساله عما يفعل ثم كف عن السوال حتى فرغ منها ولبسها على نفسه فقال عند ذلك الصمت حكمة وقليل فاعله ثم قال تعالى فهل انتم شاكرون يقول لداود واهل بيته وقيل يقول لاهل مكة فهل انتم شاكرون نعمي بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ولسليمان الريح العامة على النصب اي وسخرنا الريح لسليمان فهي منصوبة بعامل مقدر وقرا ابن هرمز وابو بكر عن عاصم في رواية بالرفع على الابتدا والخبر الجار قبله وقرا الحسن وابو رجا بالجمع والنصب وابو حيوة بالجمع والرفع وتقدم الكلام على الجمع والافراد في البقرة وبعض هولا قرا في سبا كذلك كما سياتي بيانه ان شا الله قوله عاصفة حال والعامل فيها على قراة من نصب سخرنا المقدر وفي قراة من رفع الاستقرار الذي تعلق به الخبر يقال عصفت الريح تعصف عصفا وعصوفا فهي عاصف وعاصفة واسد تقول اعصفت بالالف تعصف فهي معصف ومعصفة والريح تذكر وتونث فالعاصفة الشديدة الهبوب فان قيل قد قال في موضع اخر تجري بامره رخاء والرخا اللين قيل كانت الريح تحت امره ان اراد ان تشتد اشتدت وان اراد ان تلين لانت فان قيل قال في داود وسخرنا مع داود الجبال وقال في سليمان وسخرنا لسليمان الريح فذكر في حق داود بكلمة مع وفي حق سليمان باللام وراعى هذا الترتيب ايضا في قوله يا جبال اوبي معه وقال سبحانه وسخرنا له الريح تجري بامره فما الفايدة في تخصيص داود بلفظ مع وسليمان باللام فالجواب يحتمل ان الجبل لما اشتغل بالتسبيح حصل له نوع شرف فما اضيف بلام التمليك واما الريح فلم يصدر منه الا ما يجري مجرى الخدمة فلا جرم اضيف الى سليمان بلام التمليك وهذا جواب اقناعي قوله تجري يجوز ان يكون حالا ثانية وان يكون حالا من الضمير في عاصفة فيكون حالين متداخلين وزعم بعضهم ان التي باركنا فيها صفة للريح وفي الاية تقديم وتاخير والتقدير الريح التي باركنا فيها الى الارض وهو تعسف والمراد بقوله تعالى الى الارض التي باركنا فيها بيت المقدس قال الكلبي كان سليمان صلى الله عليه وسلم وقومه يركبون عليها من اصطخر الى الشام والى حيث شاء ثم يعود الى منزله ثم قال سبحانه وكنا بكل شيء عالمين اي وكنا بكل شيء علمناه عالمين بصحة التدبير فيه علمنا انما نعطي سليمان صلى الله عليه وسلم من تسخير الريح وغيره يدعوه الى الخضوع لربه عز وجل قوله من يغوصون يجوز ان يكون موصولة او موصوفة وعلى كلا التقديرين فموضعها اما نصب نسقا على الريح اي وسخرنا له من يغوصون او رفع على الابتدا والخبر في الجار قبله وجمع الضمير حملا على معنى من وحسن ذلك تقدم الجمع في قوله الشياطين فلما ترشح جانب المعنى روعي نظيره قوله

وان من السنوات من هي روضة • تهيج الرياض قبلها وتصوح

راعى التانيث لتقدم قوله وان من السنوات ودون ذلك صفة لعملا يحتمل ان يكون من يغوصون منهم هو الذي يعمل سابر الاعمال ويحتمل انهم فرقة اخرى ويكون الكل داخلين في لفظة من والاول اقرب وظاهر الاية انهم بحرهم لكنه قد روي انه تعالى سخر كفارهم دون المومنين وهو الاقرب من وجهين احدهما اطلاق لفظ الشياطين والثاني قوله وكنا لهم حافظين فان المومن

اذا سخر في امر لا يجب ان يحفظ لئلا يفسد وانما يجب ذلك في الكافر ومعنى يغوصون اي يدخلون تحت الما فيخرجون له من قعر البحر الجواهر ويعملون عملا دون ذلك اي دون الغوص وهو ما ذكره تعالى في قوله يعملون له ما يشا من محاريب وتماثيل الاية وكنا لهم حافظين حتى لا يخرجوا من امره وقيل ذكرهم جمع من الملائكة وجمع من مومني الجن وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان سلطانه مقيم عليهم يفعل بهم ما يشا وفي كونهم محفوظين ثلاثة اوجه احدها انه تعالى كان يحفظهم لئلا يذهبوا ويتركوه الثاني قال الكلبي كان يحفظهم من ان يهيجوا احدا في زمانه الثالث قال الزجاج كان يحفظهم من ان يفسدوا ما عملوا وكان دابهم ان يعملوا ثم يفسدون بالليل روي ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل اشغله بعمل اخر لئلا يفسد ما عمل وكان من عادة الشياطين انهم اذا فرغوا من العمل ولم يشتغلوا بعمل اخر خربوا ما عملوا وافسدوه

فصل سال الجبائي نفسه فقال كيف يتهيا لهم هذه الاعمال واجسامهم رقيقة لا يقدرون على عمل التقيل وانما يمكنهم الوسوسة واجاب بانه سبحانه وتعالى كثف اجسامهم خاصة وقواهم وزاد في عظمهم ليكون ذلك معجزة لسليمان فلما مات سليمان عليه السلام ردهم الى الخلقة الاولى لانه لو بقاهم على الخلقة الثانية لصار شبهة على الناس ولو ادعى متنبي النبوة وجعله دلالة لكان كمعجزات الرسل فلذلك ردهم الى خلقهم الاول قال ابن الخطيب رحمه الله وهذا الكلام ساقط من وجوه احدها لم قلتم ان الجن من الاجسام ولم لا يجوز وجود محدث ليس بمتحيز ولا قايم بالمتحيز ويكون الجن منهم فان قلت لو كان الامر كذلك لكان مثلا للباري تعالى قلت هذا ضعيف لان الاشتراك في اللوازم الثبوتية لا يدل على الاشتراك في الملزومات فكيف اللوازم السلبية سلمنا انه جسم لكن لم لا يجوز حصول القدرة على هذه الاعمال الشاقة في هذا الجسم اللطيف وكلامه بنا على ان البنية شرط وليس في يده الا الاستقرا الضعيف سلمنا انه لا بد تكثيف اجسامهم لكن لم قلت بانه لا بد من ردها الى الخلقة الاولى بعد موت سليمان وقوله بانه يفضي الى التلبيس قلنا التلبيس غير لازم لان النبي اذا جعل ذلك معجزة لنفسه فللمدعو ان يقول لم لا يجوز ان يقال ان قوة اجسادهم كانت معجزة لنبي اخر ومع قيام هذا الاحتمال لا يتمكن المتنبي من الاستدلال به واعلم ان اجسام هذا العالم اما كثيفة او لطيفة اما الكثيف فاكثف الاجسام الحجارة والحديد وقد جعلها الله تعالى معجزة لداود صلى الله عليه وسلم فانطق له الحجر والان له الحديد وكل واحد منهما كما يدل على التوحيد والنبوة تدل على صحة الحشر لانه لما قدر على احيا الحجارة فاي بعد في احيا العظام الرميمة واذا قدر على ان يجعل في اصبع داود عليه السلام قوة النار مع كون الاصبع في نهاية اللطافة فاي بعد في ان يجعل التراب اليابس جسما حيوانيا والطف الاشيا في هذا العالم الهوا والنار وقد جعلهما الله تعالى معجزة لسليمان صلى الله عليه وسلم اما الهوا فقوله تعالى وسخرنا له الريح واما الريح فلان الشياطين مخلوقون من النار وقد سخرهم الله تعالى له ثم كان يامرهم بالغوص في المياه والنار تنطفي بالما ولم تكن تضرهم وذلك يدل على قدرته على اظهار الضد من الضد قوله تعالى وايوب اذ نادى ربه الاية قوله وايوب كقوله ونوحا وما بعده وقرا العامة اني بالفتح لتسليط النداء عليها باضمار حرف الجر اي باني وعيسى بن عمر بالكسر فمذهب البصريين اضمار القول اي نادى فقال اني ومذهب الكوفيين اجري النداء مجرى القول والضر بالضم المرض في البدن وبالفتح الضر في كل شي فهو اعم من الاول

فصل قال وهب بن منبه رضي الله عنه كان ايوب عليه السلام رجلا من الروم وهو ايوب بن اموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكانت امه من ولد لوط بن هاران وكان الله قد اصطفاه ونباه وبسط عليه الدنيا وكانت له البثنية من ارض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من اصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمر والبساتين وما لا يكون لرجل افضل منه في العدة والكثرة والاهل والولد من الرجال والنسا وكان رحيما بالمساكين يكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان معه ثلاثة نفر قد امنوا به وقد عرفوا فضله قال كان احدهم من اهل اليمن يقال له اليفن ورجلان من اهل بلدة يقال لاحدهما بلدد والاخر صافر وكانوا كهولا وكان ابليس لعنه الله لا يحجب عن شي من السموات وكان يقف فيهن حيث ما اراد حتى رفع الله عيسى

عليه السلام محجوب منا ربع فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حجب من الثلاث الباقية فسمع ابليس
تجاوب الملايكة بالصلاة على ايوب وذلك حين ذكره الله واثنى عليه فادركه البغي والحسد
فصعد سريعا حتى وقف من السما موقفا كان يقفه فقال الهي نظرت في عبدك ايوب فوجدته
عبدا انعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما اعطيته لحال عما هو عليه من شكرك
وعبادتك ولخرج عن طاعتك فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله
ابليس حتى وقع على الارض ثم جمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة
فاني سلطت على مال ايوب فقال عفريت من الشياطين اعطيت من القوة ما اذا شيت تحولت اعصارا
من نار فاحرق كل شي فقال له ابليس لعنه الله فات الابل ورعاتها فذهب فاتى الابل حين
وضعت روسها وابتثت في مراعيها فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار من نار
لا يدنو منه احد الا احترق فاحرق الابل ورعاتها حتى اتى على اخرها ثم جا ابليس لعنه الله في
زي بعض الرعاة الى ايوب عليه السلام فوجده قايما يصلي فقال يا ايوب اقبلت نار حتى
غشيت ابلك فاحرقتها ومن فيها غيري فقال ايوب عليه السلام الحمد لله الذي هو اعطاها
وهو اخذها وقديما وطنت نفسي ومالي على الفنا فبقي الناس مبهوتين متعجبين فمن قايل
يقول ما كان ايوب يعبد شيا وما كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان اله ايوب يقدر على
ان يصنع شيا لمنع وليه ومنهم من يقول هو الذي فعل ما فعل ليشمت به عدوه ويفجع به
صديقه فقال ايوب الحمد لله حين اعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن امي
وعريانا اعود في التراب وعريانا احشر الى ربي ولو علم الله فيك خيرا ايها العبد لنقل روحك
مع تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فاخرك فرجع ابليس الى اصحابه خاسيا
ذليلا فقال لهم ماذا عندكم من القوة فقال عفريت اخر عندي من القوة ما اذا شيت صحت
صيحة لا يسمعها ذو روح الا خرجت روحه فقال له ابليس لعنه الله فات الغنم ورعاتها فانطلق
فصاح بها فماتت وماتت رعاتها ثم جا ابليس لعنه الله متمثلا بقهرمان الرعاة الى ايوب وهو
يصلي فقال له مثل القول الاول ورد عليه ايوب الرد الاول فرجع ابليس صاغرا الى اصحابه
فقال لهم ما عندكم من القوة فاني لم اكلم قلب ايوب فقال عفريت اخر عندي من القوة ما
اذا شيت تحولت ريحا عاصفا اقلع كل شي اتيت عليه فقال اذهب الى الحرث والفدادين
فاتاها فاهلكها ثم اتى ابليس متمثلا الى ايوب وقال مثل قوله فرد عليه ايوب الرد الاول وكلما
انتهى اليه هلاك مال من امواله حمد الله واحسن الثنا عليه ورضي عنه بالقضا ووطن نفسه
بالصبر على البلا حتى لم يبق له مال فلما راى ابليس صبره على ذلك وقف الموقف الذي كان
يقف عند الله تعالى فقال الهي ان ايوب يرى انك ما متعته بولده فانت معطيه المال
فهل انت مسلطي على ولده فانها المصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله تعالى
انطلق فقد سلطتك على ولده فاتى اولاد ايوب في قصرهم فلم يزل يزلزله بهم من قواعده
حتى قلب القصر عليهم ثم جا ايوب متمثلا بالمعلم الذي يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه
والراس يسيل دمه ودماغه فقال لو رايت بنيك كيف انقلبوا منكوسين على روسهم
لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ونحوه ويرققه حتى رق ايوب عليه السلام وبكى وقبض
قبضة من التراب ووضعها على راسه وقال ليت امي لم تلدني فاغتنم ابليس لعنه الله ذلك
وصعد سريعا ووقف موقفه ثم لم يلبث ان فاء وابصر واستغفر وصعد قرناوه من الملايكة
صلوات الله عليهم بتوبته فسبقت توبته الى الله تعالى وهو اعلم فوقف ابليس لعنه الله
ذليلا فقال يا الاهي انما هون على ايوب المال والولد لعلمه انه يرى انك اذا متعته بنفسه
فانت تعيد له المال والولد فهل انت مسلطي على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد
سلطتك على جسده وليس لك على قلبه وعقله ولسانه سلطان وكان الله عز وجل اعلم به
لم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل
بلا نزل بهم ليتاسوا به في الصبر ورجا الثواب فانقض عدو الله سريعا فوجد ايوب
ساجدا فعجل قبل ان يرفع راسه فاتاه من قبل وجهه فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها
جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثاليل مثل اليات الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها فكان

بحك

يحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة
حتى تقطع لحمه وتغير وانتن فاخرجه اهل القرية وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا
ورفضه الناس كلهم الا امراته رحمة بنت افرايم بن يوسف فكانت تصلح اموره وتختلف اليه بما
يصلحه ثم ان وهبا طول الحكاية الى ان قال ان ايوب عليه السلام اقبل على الله متضرعا اليه فقال
رب لاي شي خلقتني يا ليتني عرفت الذنب الذي اذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك عني
الم اكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الاهي انا عبد ذليل ان احسنت فالمن
لك وان اسات فبيدك عقوبتي جعلتني للبلا غرضا وللفتنة نصبا وسلطت علي ما لو سلطته
على جبل لضعف عن حمله الاهي تقطعت اصابعي وتساقطت لهواتي وتناثر شعري ذهب المال
فصرت اسال اللقمة فيطعمني من يمن بها علي ويعيرني بفقري وهلاك اولادي قال الامام
ابو القاسم الانصاري رحمه الله وفي جملة هذا الكلام ليتك اذ كرهتني لم تخلقني ثم قال ولو كان
ذلك صحيحا لاغتنم ابليس بان يحمله على الشكوى وان يخرجه عن حلية الصابرين والله لم يخبر
عنه الا قوله اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين وقال انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب
واختلف العلما في السبب الذي قال لاجله اني مسني الضر فروى ابن شهاب رحمه الله عن انس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ايوب عليه السلام بقي في البلا ثماني عشرة سنة فرفضه
القريب والبعيد الا رجلين كانا يغدوان اليه ويروحان فقال احدهما للاخر ذات يوم والله
ان ايوب اذنب ذنبا ما اذنبه احد من العالمين فقال له صاحبه وما ذاك فقال منذ ثماني
عشرة سنة لم يرحمه ولم يكشف ما به فلما راحا الى ايوب لم يصبر حتى ذكر ذلك فقال له ايوب
ما ادري ما تقولان غير ان الله تعالى يعلم اني كنت امر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله
فارجع الى بيتي فاكفر عنهما كراهية ان يذكرا الله الا في حق وروي ان الرجلين لما دخلا عليه
قالا لو كان لايوب عند الله منزلة ما بلغ الى هذه الحالة فما شق على ايوب شي مما بلي به اشد
مما سمع منهما وقال اللهم ان كنت تعلم اني لم ابت شبعانا وانا اعلم مكان جايع فصدقني فصدق
ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم البس قميصا قط وانا اعلم مكان عار فصدقني فصدق وهما
يسمعان ثم خر ايوب ساجدا ثم قال اللهم لا ارفع راسي حتى تكشف ما بي قال فكشف الله ما به
وروي الحسن قال مكث ايوب بعد ما القي على الكناسة سبع سنين واشهرا ولم يبق له مال ولا ولد
ولا صديق غير امراته رحمة صبرت معه وكانت تاتيه بطعام وتحمد الله مع ايوب والصبر على
ما ابتلاه فصرخ ابليس صرخة جزعا من ايوب فاجتمع جنوده من اقطار الارض وقالوا له ما خبرك
قال اعياني هذا العبد الذي سالت الله ان يسلطني عليه وعلى ماله وولده فلم ادع له مالا
ولا ولدا ولم يزدد بذلك الا صبرا وحمدا ثم سلطت على جسده فتركته ملقى في كناسة ما يقربه الا امراته
وهو مع ذلك لا يفتر من الذكر والحمد فاستغثت بكم لتغيثوني فاشيروا علي قالوا ارايت ادم
حين اخرجته من الجنة من اين اتيته قال من قبل امراته قالوا فشانك من قبل امراته
فانه لا يستطيع ان يعصيها لانه لا يقربه احد غيرها قال اصبتم فانطلق حتى اتى امراته فتمثل لها
في صورة رجل فقال اين بعلك يا امة الله قالت هو ذا يحك قروحه ويتردد الدواب في جسده فلما
سمعها طمع ان يكون ذلك جزعا فوسوس اليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال وذكرها جمال
ايوب وشبابه قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم انها قد جزعت فاتاها بسخلة فقال
ليذبح هذا ايوب لغير الله فيبرا فجاءت تصرخ الى ايوب تقول حتى متى يعذبك ربك الا يرحمك اين
المال اين الولد اين الماشية اين الصديق اين الحسن اين جسمك الذي قد بلي وصار مثل الرماد
ويتردد فيك الدود اذبح هذه السخلة واسترح فقال ايوب عليه السلام اتاك عدو الله ونفخ
فيك فاجبتيه اما تذكرين ما كنا فيه من المال والولد والصحة من اعطانا ذلك قالت الله قال
فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا بهذا البلا قالت سبع سنين قال ما
انصفت ربك الا صبرت ثمانين سنة كما كنا في الرخا ثمانين سنة لين شفاني الله لاجلدنك
مائة جلدة امرتيني ان اذبح لغير الله وحرام علي ان اذوق بعد هذا شيا من طعامك وشرابك
الذي تاتيني به وطردها فذهبت فلما نظر ايوب في شانه وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق
وقد ذهبت امراته خر ساجدا وقال رب مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقال ارفع راسك فقد

استجبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ما فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة
الا سقطت ثم ضرب برجله مرة اخرى فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج
وقام صحيحا وعاد اليه شبابه وجماله حتى صار احسن ما كان ثم كسي حلة فلما قام جعل يلتفت فلا
يرى شيا مما كان له من الاهل والمال الا وقد ضاعفه الله تعالى وذكر ان الما الذي اغتسل به تطاير
على صدره جرادا من ذهب فجعل يضمه بيده فاوحى الله اليه يا ايوب الم اغنك قال بلى ولكن
من يشبع من نعمك قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امراته قالت هب انه
طردني افاتركه حتى يموت جوعا وتاكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت ما رات تلك الكناسة
ولا تلك الحال واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب
الحلة ان تاتيه وتسال عنه فارسل اليها ايوب عليه السلام ودعاها فقال ما تريدين
يا امة الله فبكت وقالت اردت ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ايوب
عليه السلام ما كان منك فلما بكت وقالت بعلي قال اتعرفينه اذا رايتيه قالت وهل يخفى
علي فتبسم وقال انا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته ثم قالت انك امرتني ان اذبح سخلة لابليس
لعنه الله واني اطعت الله وعصيت ابليس ودعوت الله فرد علي ما ترين وروى الضحاك
ومقاتل رضي الله عنهما ان ايوب بقي في البلا سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع
ساعات وقال وهب رحمه الله بقي في البلا ثلاث سنين فلما غلب ايوب ابليس ذهب ابليس
لعنه الله الى امراته على هيئة ليست كهيئة بني ادم في العظم والحسن والجمال على مركب ليس من
مراكب الناس فقال لها انت صاحبة ايوب قالت نعم قال فهل تعرفيني قالت لا قال
فانا اله الارض صنعت بايوب ما صنعت وذلك لانه عبد اله السما وتركني فاغضبني ولو سجد لي
سجدة واحدة رددت عليه وعليك جميع ما لكما من مال وولد فان ذلك عندي قال وهب
سمعت انه قال لو ان صاحبك اكل طعاما ولم يسم الله لعوفي مما به من البلا وفي رواية اخرى
قال لها لو شيت سجدة واحدة لرجعت المال والولد وعافيت زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته
بما قال لها فقال لها ايوب عليه السلام اتاك عدو الله ليفتنك ثم اقسم ان عافاه الله ليضربنها
مائة سوط فقال عند ذلك مسني الضر يعني من طمع ابليس في سجوده له وسجود زوجته
ودعايه اياها واياه الى الكفر وفي رواية قال وهب كانت امراة ايوب تعمل للناس وتاتيه
بقوته فلما طال عليه البلا وسيمها الناس فلم يستعملوها فالتمست ذات يوم شيا من الطعام فلم
تجد شيا فجزت قرنا لها من راسها فباعته برغيف فاتته فقال لها اين قرنك فاخبرته بذلك
فحينئذ قال مسني الضر وفي رواية قال اسماعيل السدي لم يقل مسني الضر الا لاشيا ثلاثة
احدها قول الرجلين له لو كان عملك خالصا لما اصابك ما اصابك والثاني كانت لامراته ثلاث
ذوايب فعمدت الى احداها فقطعتها وباعتها فاعطوها بذلك خبزا ولحما وجات الى ايوب
فقال من اين هذا قالت كل فانه حلال فلما كان من الغد لم تجد شيا فباعت الثانية وكذلك
فعلت في اليوم الثالث وقالت كل فانه حلال فقال لا اكل ما لم تخبريني فاخبرته فبلغ
ذلك من ايوب ما الله اعلم به وقيل انما باعت لان ابليس لعنه الله تمثل لقومه في صورة بشر
وقال لين تركتم ايوب في قريتكم فاني اخاف ان تعدي اليكم ما به من العلة فاخرجوه
الى باب البلد ثم قال لهم ان امراته تدخل في بيوتكم وتعمل وتمس زوجها افما تخافون ان تعدي
اليكم علته فحينئذ لم يستعملها احد فباعت ضفيرتها والثالث حين قالت له امراته ما قالت
وفي رواية قيل سقطت دودة من فخذه فردها الى موضعها وقال قد جعلني الله طعمة لك
فعضته عضة شديدة فقال مسني الضر واوحى الله تعالى اليه لولا اني جعلت تحت كل شعرة
صبرا لما صبرت **فصل** طعنت المعتزلة في هذه القصة من وجوه الاول قال
الجبائي ذهب بعض الجهال الى ان ما كان به من المرض كان فعلا للشيطان سلطه عليه
لقوله تعالى عنه مسني الشيطان بنصب وعذاب وهذا جهل اما اولا فانه لو قدر على احداث
الامراض والاسقام وضدها من العافية لتهيا له فعل الاجسام ومن هذا حاله يكون الها واما
ثانيا فلان الله تعالى اخبر عنه وعن جنوده بان قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان
دعوتكم فاستجبتم لي فالواجب تصديق خبر الله دون الرجوع الى وهب بن منبه وهذا اعتراض

ضعيف لان المذكور في الحكاية ان الشيطان نفخ في منخره فوقعت الحكة فيه فلم قلتم ان القادر على
النفخة التي تولد منها هذه الحكة لا بد وان يكون قادرا على خلق الاجسام وعلى هذا الا محض التحكم
واما التمسك بالنص فضعيف لانه انما يقدم على هذا الفعل مع علمه انه لو اقدم عليه لما منعه الله تعالى
وهذه الحالة لم تحصل الا في حق ايوب عليه السلام من انه استاذن الله فاذن له واذا كان كذلك لم
يكن بين ذلك النص وبين هذه الحكاية تناف قصة وثانيها قالوا ما روي انه عليه السلام لم يسال
الا عند امور مخصوصة فبعيد لان الثابت في العقل انه يحسن من المرء ان يسال ذلك ربه ويفزع
اليه كما يحسن منه المداواة واذا جاز ان يسال ربه من قبل نفسه فان قيل افلا يجوزون انه تعالى
تعبده بان لا يسال الكشف الا في اخر امره قلنا يجوز ذلك بان يعلمه ان ذلك به مدة مخصوصة
من مصالحه ومصالح غيره لا محالة فعلم عليه السلام انه لا وجه للمسلة في هذا الامر الخاص فاذا قرب
الوقت جاز ان يسال ذلك من حيث يجوز ان يدوم ويجوز ان ينقطع وثالثها قالوا انتهى ذلك به
المرض الى حد التنفير غير جايز على الانبيا **فصل** اعلم انه عليه السلام الطف في السوال
حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب فان قيل اليس ان
الشكوى تقدح في كونه صابرا فالجواب قال سفيان بن عيينة ولو شكى الى الله فانه لا يعد
ذلك جزعا اذا كان في شكواه راضيا بقضا الله اذ ليس من شرطها استحلا البلا الم تسمع قول يعقوب
انما اشكو بثي وحزني الى الله قوله وانت ارحم الراحمين وذلك ان كل من يرحم غيره فاما ان يرحمه
طلبا للثنا في الدنيا او الثواب في الاخرة او للرقة الجنسية في الطبع فيكون مطلوب ذلك الراحم حظ
نفسه واما الحق سبحانه فانه يرحم عباده من غير طلب زيادة او نقصان من الثنا ومن صفات
الكمال فهو ارحم الراحمين وايضا فكل من رحم غيره فانما ذلك بمعونة رحمة الله لان من اعطى غيره
طعاما او شرابا او دفع عنه بلا فلولا الله سبحانه خلق المطعوم والملبوس والالات لما قدر احد
على اعطا ذلك الشي ولولا الله لما حصل النفع بذلك فاذن رحمة العباد مسبوقة برحمة الله تعالى
وملحوقة برحمته فاين الطرفين كالقطرة في البحر فوجب ان يكون ارحم الراحمين وايضا فلولا ان الله
تعالى خلق في قلب العبد تلك الدواعي والارادات لاستحال صدور تلك الرحمة فكان الراحم في الحقيقة
هو الحق سبحانه لانه هو الذي خلق تلك الداعية فكان تعالى ارحم الراحمين في الحقيقة هو الحق
سبحانه لا فان قيل كيف يكون ارحم الراحمين مع انه ملا الدنيا من الافات والاسقام والامراض والالام
وسلط البعض على البعض بالايذا وكان قادرا على ان يغني كل واحد عن ايلام الاخر واذايته
فالجواب ان كونه سبحانه ضارا لا ينافي كونه نافعا بل هو الضار النافع فاضراره ليس لدفع مشقة
ونفعه ليس لجلب منفعة بل لا يسال عما يفعل قوله تعالى فاستجبنا له يدل على انه دعا ربه
لكن هذا الدعا يجوز ان يكون وقع منه على سبيل التعريض كما يقال ان رايت او اردت او احببت
فافعل كذا ويجوز ان يكون على سبيل التصريح بازالة ما به من ضر وبين تعالى انه اتاه اهله
ويدخل فيه من ينسب اليه من زوجة وولد وغيرهما قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومقاتل
والحسن والكلبي وكعب رضي الله عنهم ان الله تعالى احيى له اهله يعني اولاده باعيانهم واعطاه
مثلهم معهم وهو ظاهر القران قال الحسن اتاه الله المثل من نسل ماله الذي رده اليه واهله ويدل
عليه ما روى الضحاك عن ابن عباس ان الله تعالى رد الى المراة شبابها فولدت له ستة وعشرين
ذكرا قال وهب كان له سبع بنات وثلاث بنين وقال ابن يسار كان له سبع بنين وسبع
بنات وروى عن انس يرفعه انه كان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله سحابتين
فافرغت احداهما على اندر القمح الذهب وافرغت الاخرى على اندر الشعير الورق حتى فاض
وروى ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما ايوب صلوات
الله عليه يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل ايوب يحثي في ثوبه فناداه ربه جل
جلاله يا ايوب الم اكن اغنيتك عما ترى قال بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك وروى
ليث رحمه الله قال ارسل مجاهد الى عكرمة وسال عن الاية فقال قيل لايوب ان اهلك لك
في الاخرة فان شيت عجلناهم لك في الدنيا وان شيت كانوا لك في الاخرة واتيناك مثلهم في الدنيا
فقال يكونون لي في الاخرة واوتى مثلهم في الدنيا فعلى هذا يكون معنى الاية واتيناه اهله
في الاخرة ومثلهم معهم في الدنيا قوله رحمة فيها وجهان اظهرهما انه مفعول من اجله والثاني

انها مصدر لفعل مقدر اي رحمناه رحمة ومن عندنا صفة لرحمة قوله وذكرى للعابدين
اي فعلنا به تلك الرحمة وهي النعمة لكي يتفكر فيه بالذكر فيتعظون ويعتبرون وخص العابدين
لانهم المنتفعون بذلك قوله واسماعيل يعني ابن ابراهيم وادريس وهو اخنوخ وذا الكفل كل
من الصابرين لما ذكر صبر ايوب ابتعه بذكر هولا لانهم ايضا كانوا من الصابرين على الشدايد
والمحن والعبادة اما اسماعيل فصبر على الانقياد للذبح وصبر على المقام ببلد لا زرع فيها ولا ضرع
ولا بنا وصبر في بنا البيت فاكرمه الله تعالى واخرج من صلبه خاتم النبيين واما ادريس فتقدمت
قصته في مريم قال ابن عمر بعث الى قومه داعيا لهم الى الله فابوا فاهلكهم الله ورفع ادريس الى السما
السابعة واما ذو الكفل قال الزجاج الكفل في اللغة الكفل الذي يجعل على عجز البعير يركب عليه
الرديف وقال ابن الاثير هو كسا يحوط حول سنام البعير ثم يركب فذلك الكسا هو الكفل وهو بكسر
الكاف واسكان الفا فاصلة من الكفل بفتح الفا والكفل ايضا النصب واختلفوا في تسمية بهذا
الاسم فقال الحسن كان له ضعف عمل الانبيا عليهم السلام في زمانه وضعف ثوابهم وقال ابن عباس ان
نبيا من انبيا بني اسرايل اتاه الله الملك والنبوة ثم اوحى الله اليه اني اريد قبض روحك فاعرض الملك
على بني اسرايل فمن يكفل لك انه يصلي بالليل لا يفتر ويصوم بالنهار لا يفطر ويقضي بين الناس لا
يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال انا اتكفل لك بهذا فتكفل ووفا به
فشكر الله له ونباه فسمي ذا الكفل وعلى هذا فالمراد بالكفل هنا الكفالة لانه يكفل بامور فوفي بها
وقال مجاهد لما كبر اليسع صلى الله عليه وسلم قال لواني استخلفت رجلا على الناس في حياتي
حتى انظر كيف يعمل فجمع الناس فقال من يقبل مني بثلاث استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل
ويقضي فلا يغضب فقام رجل تزدريه العين فقال انا فرده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم
الاخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال انا فاستخلفه فاتاه ابليس في صورة شيخ ضعيف
حين اخذ مضجعه للقايلة وكان لا ينام الليل والنهار الا تلك النوبة فدق الباب فقال
من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقال ففتح الباب فقال ان بيني وبين قومي خصومة
وانهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول حتى حضر الرواح وذهبت القايلة فقال اذا رحت
فاتني اخذ حقك فانطلق فراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فلما كان الغد يقضي بين
الناس ينتظره فلا يراه فلما رجع الى القايلة اخذ مضجعه اتاه فدق فقال من هذا فقال الشيخ
المظلوم ففتح له فقال اقل فاذا قعدت فاتني فقال انهم اخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا
نحن نعطيك واذا قمت جحدوني قال فانطلق فاذا رحت فاتني فاتته القايلة فراح فجعل ينظر
ولا يراه وشق عليه النعاس فقال للبواب في اليوم الثالث قد غلبني النعاس فلا تدع احدا يقرب
هذا الباب حتى انام فجا ابليس لعنه الله في تلك الساعة فلم ياذن له الرجل فدخل في كوة البيت
فتسور منها ودق الباب من داخل فاستيقظ وعاتب البواب فقال اما من قبلي فلم تات فانظر
من اين اتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما اغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال له
اتنام والخصوم ببابك فقال انت ابليس قال نعم اعييتني في كل شي ففعلت هذه الافعال

فصل

بك فعصمك الله مني فسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به وقيل غير ذلك قال
ابو موسى الاشعري ومجاهد ذو الكفل لم يكن نبيا بل كان عبدا صالحا وقال الحسن والاكثرون
كان نبيا وهو الاظهر لان الله تعالى قرن ذكره باسماعيل وادريس والغرض ذكر الفضلا من عباده
فدل ذلك على نبوته ولان السورة ملقبة بسورة الانبيا ولان قوله ذو الكفل يحتمل ان يكون لقبا
وان يكون اسما والاولى ان يكون اسما لانه اكثر فايدة من اللقب واذا ثبت ذلك فالكفل هو النصيب
لقوله تعالى يكن له كفل منها والظاهر ان الله تعالى انما سماه بذلك تعظيما له فوجب ان يكون
الكفل هو كفل الثواب فسمي بذلك لان عمله وثواب عمله كان ضعف عمل غيره وضعف ثواب

فصل

غيره وقد كان في زمنه انبيا على ما روي قيل ان ذا الكفل زكريا وقيل يوشع
وقيل الياس ثم قالوا خمسة من الانبيا صلوات الله عليهم سماهم الله تعالى باسمين اسرايل
ويعقوب والياس وذو الكفل وعيسى والمسيح ويونس وذا النون ومحمد واحمد صلى الله
عليهم قوله كل من الصابرين اي على القيام بامر الله تعالى واحتمال الاذى في نصرة دينه
وادخلناهم في رحمتنا قال مقاتل الرحمة النبوة وصيرهم الى الجنة والثواب وقال آخرون يتناول

جميع اعمال البر قوله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا الاية اذ بمعنى صاحب والنون الحوت ويجمع
على نينان كحوت وحيتان والمراد بذي النون يونس عليه السلام وسمي بذلك لان النون وقد تقدم
ان الاسم اذا دار بين ان يكون مفيدا ولقبا فحمله على المفيد اولى خصوصا اذا علمنا الفايدة التي لذلك
الوصف قوله مغاضبا حال من فاعل ذهب والمفاعلة هنا يحتمل ان تكون على بابها من المشاركة اي
غاضب قومه وغاضبوه حين لم يومنوا في اول مرة وفي بعض التفاسير مغاضبا لربه فان صح ذلك
عمن يعتبر قوله فينبغي ان يكون اللام للتعليل لا التعدية للمفعول اي لاجل ربه ولدينه ويحتمل
ان يكون بمعنى غضبان فلا مشاركة كعاقبت وسافرت والعامة على مغاضبا اسم فاعل وقرا
ابو شرف مغاضبا بفتح الضاد على ما لم يسم فاعله كذا نقله ابو حيان ونقله الزمخشري عن ابي
شرف مغضبا دون الف من اغضبته فهو مغضب قوله ان لن ان هذه المخففة واسمها ضمير
الشان محذوف ولن نقدر هو الخبر والفاصل حرف النفي والمعنى لن نضيق عليه كقوله تعالى
فقدر عليه رزقه ومن قدر عليه رزقه والعامة على نقدر بنون العظمة مفتوحة وتخفيف الدال
والمفعول محذوف اي الجهات والاماكن وقرا الزهري بضمها وتشديد الدال وقرا ابن ابي ليلى
وابو شرف والكلبي وحميد بن قيس ويعقوب يقدر بضم اليا من تحت وفتح الدال خفيفة مبنية
للمفعول وقرا الحسن ويعقوب وعيسى بن عمر بفتح اليا وكسر الدال خفيفة وعلي بن ابي طالب
واليماني بضم اليا وكسر الدال مشددة والفاعل على هذين الوجهين ضمير يعود على الله تعالى
قوله ان لا اله الا انت يجوز في ان وجهان احدهما انها المخففة من الثقيلة فاسمها كما تقدم
محذوف والجملة المنفية بعدها الخبر والثاني انها تفسيرية لانها بعدما هو بمعنى القول لا حروفه

فصل

معنى الاية واذكر صاحب الحوت وهو يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا قال
ابن عباس كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك وسبى منهم تسعة اسباط ونصف
وبقي سبطان ونصف فاوحى الله تعالى الى شعيا النبي ان اذهب الى حزقيل الملك وقل له حتى
يوجه نبيا قويا امينا فاني القي في قلوب اوليك حتى يرسلوا معه بني اسرايل فقال الملك فمن
ترى وكان في مملكته خمسة من الانبيا فقال يونس بن متى فانه قوي امين فدعا الملك يونس
وامره ان يخرج فقال يونس هل امرك الله باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال
فههنا انبيا غيري اقويا فالحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي وللملك ولقومه فاتى بحر الروم
فوجد قوما هيوا سفينة فركب معهم وقال عروة بن الزبير وسعيد بن جبير وجماعة
اذ ذهب عن قومه مغاضبا لربه لما كشف عن قومه العذاب بعدما وعدهم فكره ان يكون بين
قوم قد جربوا عليه الخلف فيما وعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذي به رفع العذاب عنهم
وكان غضبه انفة من ظهور خلف وعده وان يسمى كذابا لا كراهية لحكم الله وفي بعض الاخبار
انه كان من عادة قومه ان يقتلوا من جربوا عليه الكذب فخشي ان يقتلوه لما لم ياتهم العذاب
للميعاد فغضب والمغاضبة ههنا من المفاعلة التي تكون من واحد كالمسافرة والمعاقبة فمعنى
قوله مغاضبا اي غضبان وعن ابن عباس رضي الله عنه قال اتى جبريل يونس صلوات
الله عليهما فقال انطلق الى اهل نينوى فانذرهم قال التمس دابة قال الامر اعجل من ذلك
فغضب فانطلق الى السفينة وقال وهب ان يونس بن متى كان عبدا صالحا وكان في خلقه
ضيق فلما حمل عليه اثقال النبوة تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل نقذفها من يديه وخرج
هاربا منها فلذلك اخرجه الله من اولي العزم فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر كما
صبر اولو العزم من الرسل وقال تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت قوله فظن ان
لن نقدر عليه اي لن نضيق عليه العقوبة قال مجاهد وقتادة والضحاك والكلبي وهو
رواية العوفي عن ابن عباس فقال قدر الله شيا تقديرا وقدر يقدر قدرا بمعنى واحد
ومنه قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت في قراءة من خففها دليل هذا التاويل قرا عمر بن عبد
العزيز والزهري فظن ان لن نقدر عليه بالتشديد وقال عطا وكثير من العلما معناه
فظن انه لن نضيق عليه الحبس من قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر اي يضيق
عليه وقال ابن زيد هو استفهام معناه افظن انه يعجز ربه فلا يقدر عليه وعن الحسن
قال بلغني ان يونس لما اصاب الذنب انطلق مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن

ان لن نقدر عليه وكان له سلف عبادة فابى الله ان يجعله للشيطان فقذفه في بطن الحوت
فمكث فيه اربعين من بين يوم وليلة وقال عطا سبعة ايام وقيل ثلاثة ايام وقيل ان
الحوت ذهب به مسيرة ستة الاف سنة وقيل بلغ به تخوم الارض السابعة فتاب الى ربه
في بطن الحوت وراجع نفسه فقال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين حين عصيتك
وما صنعت من شي فلم اعبد غيرك فاخرجه الله تعالى من بطن الحوت **فصل**
احتج القايلون بجواز الذنب على الانبيا عليهم السلام بهذه الاية من وجوه احدها ان اكثر
المفسرين على انه ذهب يونس مغاضبا لربه فيكون هذا قول ابن مسعود وابن عباس والحسن
والشعبي وسعيد بن جبير ووهب واختار ابن قتيبة ومحمد بن جرير واذا كان كذلك فمغاضبة
الله تعالى من اعظم الذنوب ثم على تقدير ان هذه المغاضبة لم تكن مع الله عز وجل بل كانت
مع ذلك الملك او مع القوم فهو ايضا محظور لقول الله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب
الحوت وهذا يقتضي ان ذلك الفعل من يونس محظور وثانيها قوله فظن ان لن نقدر عليه
وذلك يقتضي كونه شاكا في قدرة الله وثالثها قوله اني كنت من الظالمين والظلم مذموم
قال تعالى الا لعنة الله على الظالمين ورابعها انه لو لم يصدر منه الذنب فلم عاقبه الله بان
القاه في البحر في بطن الحوت وخامسها قوله جل وعز فالتقمه الحوت وهو مليم والمليم هو ذو
الملامة ومن كان كذلك فهو مذنب وسادسها قوله جل وعز ولا تكن كصاحب الحوت فان
لم يكن صاحب ذنب لم يجز النهي عن التشبه به وان كان مذنبا فهو المطلوب وسابعها قوله
سبحانه فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
وهذا يقتضي ان ذلك الفعل يخرج ان يكون يونس من اولي العزم والجواب انه ليس في الاية
من غاضبه فلا نقطع على نبي الله بانه غاضب ربه لان ذلك صفة من يجهل كون الله مالكا للامر
والنهي والجاهل بالله لا يكون مومنا فضلا عن ان يكون نبيا واما ما روي من انه خرج مغاضبا
لامر يرجع الى الاستعداد فبما يرتفع حال الانبيا عنه لان الله تعالى اذا امرهم بشي فلا يجوز
ان يخالفوه لقوله تعالى وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم
الخيرة من امرهم وقوله تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا مما قضيت فاذا كان في الاستعداد مخالفة لم يجز ان يقع ذلك منهم واذا ثبت
انه لا يجوز صرف هذه المغاضبة الى الله تعالى وجب ان يكون المراد انه خرج مغاضبا لغير
الله تعالى والغالب انه انما يغاضب من يعصيه فيما يامره به فيحمل على مغاضبة قومه او الملك
او هما جميعا ومعنى مغاضبته لقومه انه غضبهم لمفارقته لخوف حلول العذاب بهم وقرى
مغاضبا كما تقدم واما قولهم مغاضبة القوم ايضا محظور لقوله تعالى ولا تكن كصاحب
الحوت فالجواب لا نسلم انه كانت محرمة اما الذهاب فلان الله تعالى امره بتبليغ الرسالة
اليهم واما امره بان يبقى معهم ابدا فظاهر الامر لا يقتضي التكرار فلم يكن خروجه من بينهم
معصية واما الغضب لما لم يكن منهيا عنه قبل ذلك ظن ان ذلك جايز من حيث انه لم يفعله
الا غضبا لله وانفة لدينه بل كان الاولى له ان يصابر وينتظر من الله الامر بالمهاجرة
عنهم ولهذا قال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت كان الله تعالى اراد لمحمد صلى الله عليه وسلم
افضل المنازل واعلاها واما الجواب عن قوله فظن ان لن نقدر عليه فنقول من ظن
عجز الله فهو كافر ولا خلاف انه لا يجوز نسبة ذلك الى احاد المومنين فكيف الى الانبيا فاذن
لا بد فيه من التاويل وفيه وجوه الاول فظن ان لن نقدر عليه نضيق كقوله عز وجل
الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر ومن قدر عليه رزقه اي يضيق وكذا قوله تعالى واما
اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه اي ضيق فمعناه ان لن نضيق عليه وعلى هذا فالاية حجة
لنا لان يونس ظن انه مخير ان شا اقام وان شا خرج وان الله تعالى لا يضيق عليه في اختياره
وكان من المعلوم ان الصلاح في تاخير خروجه وهذا من الله بيان لما يجري مجرى العذر له
من حيث خرج لا على تعمد المعصية لكن ظن ان الامر في خروجه موسع يجوز ان يقدم ويوخر
وكان الصلاح خلاف ذلك الثاني ان يكون هذا من باب التمثيل اي فكانت حاله مماثلة
لحال من ظن ان لن نقدر عليه في خروجه عن قومه من غير انتظار لامر الله الثالث ان نفسر

القدر بالقضا والمعنى فظن ان لن نقضي عليه بشدة قاله مجاهد وقتادة والضحاك والكلبي
ورواية العوفي عن ابن عباس واختاره الفرا والزجاج فقال قدر الله الشي قدرا وقدره تقديرا
فالقدر بمعنى التقدير وتقدم قراة عمر بن عبد العزيز والزهري بضم النون والتشديد من
التقدير وروي انه دخل ابن عباس على معاوية فقال معاوية لقد ضربتني امواج القران
البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك فقال وما هي قال ظن نبي الله ان لن نقدر
عليه الله فقال ابن عباس رضي الله عنه هذا من القدر لا من القدرة الرابع فظن ان لن نبتلي
القدرة والفعل مناسبة فلا يبعد جعل احدهما مجازا عن الاخر الخامس انه استفهام بمعنى التوبيخ
كما تقدم عن ابن زيد السادس قول من قال ان هذه الواقعة قبل رسالة يونس فيكون هذا
الظن حاصلا قبل الرسالة واذا كان كذلك فلا يبعد في حق غير الانبيا ان يسبق ذلك الى وهمه
بوسوسة الشيطان ثم انه يرده بالحجة والبرهان واما الجواب عن قوله اني كنت من الظالمين فنقول
ان حملناه على ما قبل النبوة فلا كلام وان حملناه على ما بعدها فيجب تاويله لانا لو اجريناه
على ظاهره لاستحق اللعن وهذا لا يقوله مسلم واذا وجب التاويل فنقول لا شك انه كان تاركا
للافضل مع القدرة على تحصيل الافضل فكان ذلك ظلما واما الجواب عن القايه في البحر في بطن
الحوت وان ذلك عقوبة فلا نسلم ان ذلك عقوبة اذ الانبيا لا يجوز ان يعاقبوا بل المراد المحنة واما
الجواب عن الملامة فانما كانت بسبب ترك الافضل قوله فنادى في الظلمات قال الزمخشري
اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله تعالى ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات
وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات وقيل اراد ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت ان لا اله الا
انت سبحانك نزه ربه عن كل النقايص ومنها العجز وهذا يدل على انه ما كان مراده من قوله فظن
ان لن نقدر عليه انه ظن العجز وانما قال سبحانك لان معناه سبحانك ان تفعل جورا او شهوة
الانتقام او عجزا عن تخليصي عن هذا الحبس بل فعلته بحق الالاهية وبمقتضى الحكمة اني كنت من الظالمين
اي ظلمت نفسي بفراري من قومي بغير اذنك كانه قال كنت من الظالمين وانا الان من التايبين
النادمين فاكشف عني المحنة روى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعا
الا استجيب له قوله فاستجبنا له ونجيناه من الغم اي من غمه بسبب كونه في بطن الحوت وبسبب
خطيئته قوله وكذلك ننجي المومنين الكاف نعت لمصدر او حال من ضمير المصدر اي كما انجينا يونس
من كرب الحوت اذ دعانا وكما نجانا يونس كذلك ننجي المومنين من كربهم اذا استغاثوا بنا وقرا
العامة ننجي بضم النون الاولى وسكون الثانية من انجى ينجي وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم
نجي بتشديد الجيم فاستثقل توالي مثلين فحذفت الثانية كما حذفت في قوله ما تنزل الملايكة
الا بالحق في قراة من قراه كما تقدم وكما حذفت التا الثانية في قوله تذكرون وتظاهرون وبابه
ولكن ابو البقا استضعف هذا التوجيه بوجهين فقال احدهما ان النون الثانية اصل وهي
فا الكلمة فحذفها يبعد جدا والثاني ان حركتها غير حركة النون الاولى ولا يستثقل الجمع بينهما
بخلاف تظاهرون الا ترى انك لو قلت تتحامى المظالم لم يمتنع حذف الثانية اما كون الثانية
اصلا فلا اثر له في منع الحذف الا ترى ان النحويين اختلفوا في اقامة واستقامة اي الالفين
المحذوف مع ان الاولى هي اصل لانها عين الكلمة واما اختلاف الحركة فلا اثر له ايضا لان الاستثقال
باتحاد لفظ الحرفين على اي حركة كانا الوجه الثاني ان نجي فعل ماض مبني للمفعول وانما سكنت
لامه تخفيفا كما سكنت في قوله تعالى ما بقي من الربا في قراة شاذة تقدمت قالوا واذا كان الماضي
الصحيح قد سكن تخفيفا فالمعتل اولى ومنه انما شعري قد خلط بجلجلان وتقدم من ذلك
جملة واسند هذا الفعل الى ضمير المصدر مع وجود المفعول الصريح كقراة ابي جعفر ليجزي قوما
بما كانوا يكسبون وهذا راي الكوفيين والاخفش وتقدمت شواهد ذلك والتقدير نجي النجا قال
ابو البقا وهو ضعيف من وجهين احدهما تسكين اخر الفعل الماضي والاخر اقامة المصدر مع وجود
المفعول الصريح كقراة وقد عرف جوابهما مما تقدم الوجه الثالث ان الاصل ننجي كقراة العامة الا ان
النون الثانية قلبت جيما وادغمت في الجيم بعدها وهذا ضعيف جدا لان النون لا تقارب الجيم
فتدغم فيها الوجه الرابع انه ماض مسند لضمير المصدر اي نجي النجا كما تقدم في الوجه الثاني
الا ان المومنين ليس منصوبا بنجي بل بفعل مقدر وكان صاحب هذا الوجه فر من اقامة غير

المفعول به مع وجوده فجعله من جملة اخرى وهذه القراة متواترة ولا التفات على من طعن
على قاريها وان كان ابو علي قال هي لحن وهذه جراة منه وقد سبقه الى ذلك ابو اسحاق والزجاج
واما الزمخشري فانما طعن على بعض الاوجه المتقدمة فقال ومن تمحل لصحته فجعله فعلا وقال
نجي النجا المومنين وارسل اليا واسنده الى مصدره ونصب المومنين فمتعسف بارد التعسف فلم
يرتض هذا التخريج بل للقراة عنده تخريج اخر وقد يمكن ان يكون هو المبتدا به لسلامته
مما تقدم من الضعف قوله تعالى وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا الاية اعلم انه
تعالى بين ههنا انقطاع زكريا الى ربه لما مسه الضر بتفرده واحب من يونسه ويقويه على
امر دينه ودنياه ويقوم مقامه بعد موته فدعا الله تعالى دعا مخلص عارف بقدرة ربه
على ذلك وان تمت به الحال وبلغ وحده من الكبر وغيره وما يمنع من ذلك بحكم العادة فقال
رب لا تذرني فردا وحيدا لا ولد لي وارزقني وارثا وانت خير الوارثين ثنا على الله تعالى بانه
الباقي بعد فنا الخلق وانه افضل من بقي حيا ويحتمل ان يكون المعنى ان لم ترزقني من يرثني
فلا ابالي فانك خير الوارثين ثنا على الله تعالى قال ابن عباس كان سنه مائة سنة
وسن زوجته تسعا وتسعين سنة فاستجبنا له اي فعلنا ما اراده بسواله ووهبنا له يحيى
واصلحنا له زوجه اي جعلناها ولودا بعدما كان عقيما قاله اكثر المفسرين وقيل
كانت سيئة الخلق سليطة اللسان فاصلح الله خلقها وقيل جعلها مصلحة في الدين فان صلاحها
في الدين من اكبر اعوانه لانه يكون اعانة في الدين والدنيا واعلم ان قوله تعالى ووهبنا له
يحيى واصلحنا له زوجه يدل على ان الواو لا يفيد الترتيب لان اصلاح الزوج مقدم على
هبة الولد مع انه تعالى اخره في اللفظ ثم قال انهم يعني الانبيا الذين سماهم في هذه السورة
وقيل زكريا وولده واهله كانوا يسارعون في الخيرات والمسارعة في طاعة الله من اكبر
ما يمدح المرء به لانه يدل على حرص عظيم على الطاعة قوله ويدعوننا العامة على ثبوت
نون الرفع قبل نا مكفوفة منها وقرات فرقة يدعونا بحذف نون الرفع وطلحة بادغامها
فيها وهذان الوجهان فيهما اجرا نون نا مجرى نون الوقاية وقد تقدم قوله رغبا ورهبا
يجوز ان ينتصبا على المفعول من اجله وان ينتصبا على انهما مصدران واقعان موقع الحال
اي راغبين راهبين وان ينتصبا على المصدر الملاقي لعامله في المعنى دون اللفظ لان ذلك
نوع منه والعامة على فتح الغين والها ونقل عن الاعمش وهو الاشهر عنه بضم الرا وما بعدها
وقرات فرقة بضم وسكون فيهما **فصل** ومعنى رغبا طمعا ورهبا خوفا اي رغبا
في رحمة الله ورهبا من عذاب الله وكانوا لنا خاشعين اي متواضعين قال قتادة رحمه
الله ذلك لامر الله وقال مجاهد الخشوع هو الخوف اللازم في القلب قوله تعالى والتي
احصنت فرجها الاية يجوز ان ينتصب قوله والتي نسقا على ما قبلها وان ينتصب باضمار اذكر وان
يرتفع بالابتدا والخبر محذوف اي وفيما يتلى عليكم التي احصنت ويجوز ان يكون الخبر فنفخنا
وزيدت الفا على راي الاخفش نحو زيد فقائم وفي كلام الزمخشري نفخنا الروح في عيسى فيها
قال ابو حيان مواخذا له فاستعمل نفخ متعديا والمحفوظ انه لا يتعدى فيحتاج في تعديه الى
سماع وغير متعد استعمله هو في قوله اي نفخت في المزمار انتهى ما واخذه به قال شهاب
الدين وقد سمع نفخ متعديا ويدل على ذلك ما قرئ في الشاذ فانفخها فيكون طيرا وقد
حكاها هو قراة فكيف ينكرها فعليك بالالتفات الى ذلك وقال ابن الخطيب جعلنا النفخ
في مريم من جهة روحنا وهو جبريل صلى الله عليه وسلم لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى
جوفها اي امرنا جبريل فنفخ في جيب درعها واحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها واضاف
الروح اليه تشريفا لعيسى عليه السلام ومعنى احصنت فرجها اي احصانا كليا من الحلال
والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا وقيل منعت جبريل جيب درعها قبل ان
تعرفه والاول اولى لانه الظاهر من اللفظ قوله وجعلناها وابنها اية للعالمين اما مريم
فاياتها كثيرة احداها ظهور الحبل فيها لا من ذكر وذلك معجزة خارجة عن العادة وثانيها
ان رزقها كان ياتيها به الملائكة من الجنة لقوله زكريا انى لك هذا قالت هو من عند
الله وثالثها ورابعها قال الحسن انها لم تلتقم ثديا قط وتكلمت هي ايضا في صباها كما تكلم

عيسى

عيسى واما ايات عيسى عليه السلام فقد تقدم بيانها فان قيل هلا قيل ايتين كما قال وجعلنا
الليل والنهار ايتين لتطابق المفعول فالجواب ان كلا منهما اية بالاخر فصارا اية واحدة لان حالهما
بمجموعهما اية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل او تقول حذف من الاول لدلالة الثاني او بالعكس
اي وجعلنا ابن مريم اية وامه كذلك وهو نظير الحذف في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وقد تقدم
او ان معنى الكلام وجعلنا شانهما وامرهما اية قوله تعالى ان هذه امتكم الاية العامة على رفع امتكم
خبر الان ونصب امة واحدة على الحال وقيل هو على البدل من هذه فيكون قد فصل بالخبر بين البدل
والمبدل منه نحو ان زيدا قائم اخاك وقرا الحسن امتكم بالنصب على البدل من هذه او عطف البيان
وقرا ايضا هو وابن ابي اسحاق والاشهب العقيلي وابو حيوة وابن ابي عبلة وهرون عن ابي عمرو
رضي الله عنهم امة واحدة بالرفع على خبرات وامتكم امة واحدة برفع الثلاثة على ان يكون امتكم
خبران كما تقدم وامة واحدة بدل منها بدل نكرة من معرفة او يكون امة واحدة خبر مبتدا محذوف ومعنى
امتكم قال الزمخشري الامة الملة واشار الى ملة الاسلام من الاديان واصل الامة الجماعة التي هي
على مقصد واحد فجعلت الشريعة امة لاجتماع اهلها على مقصد واحد ثم قال وانا ربكم الهكم فاعبدون
قوله وتقطعوا اي اختلفوا في الاصل وتقطعتم الا ان الكلام صرف عن الغيبة على طريق الالتفات
كانه ينعى عليهم ما افسدوه الى اخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب
هولا والمعنى اختلفوا في الدين فصاروا فرقا احزابا قال الكلبي وفرقوا دينهم بينهم يلعن بعضهم
بعضا ويتبرا بعضهم من بعض والتقطع ههنا بمعنى التقطيع قوله امرهم فيه ثلاثة اوجه
احدها انه منصوب على اسقاط الخافض اي تفرقوا في امرهم فجعله منقولا من الفاعلية وزبرا
يجوز ان يكون مفعولا ثانيا على ان ضمن تقطعوا معنى صيروا بالتقطع واما ان ينتصب على الحال
من المفعول اي مثل زبر اي كتب لان الزبر جمع زبور كرسل جمع رسول او يكون حالا من الفاعل
نقله ابو البقا في سورة المومنين وفيه نظر اذ لا معنى له وانما يظهر كونه حالا من الفاعل في قراة زبرا
بفتح البا اي فرقا والمعنى صيروا امرهم زبرا اي تقطعوا في هذه الحال والوجهان ماخوذان مما تفسير
الزمخشري لمعنى الاية الكريمة فانه قال والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما تتوزع
الجماعة ويقتسمونه فيصير لهذا نصيب ولذلك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا
وفي الكلام التفات من الخطاب وهو قوله امتكم الى الغيبة تشنيعا عليهم بسوء صنيعهم وقرا الاعمش
زبرا بفتح البا جمع زبرة وهي قطعة الحديد في الاصل ونصبه على الحال من ضمير الفاعل في تقطعوا كما
تقدم ولم يتعرض له ابو البقا في هذه السورة وتعرض له في المومنون فذكر فيه الاوجه المتقدمة
وزاد انه قرئ زبرا بسكون البا وهو بمعنى المضموم قوله كل الينا راجعون توعدهم بان هذه
الفرق المختلفة الينا يرجعون فنحاسبهم ونجازيهم باعمالهم قال صلى الله عليه وسلم تفرقت بنو
اسرايل على احدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون وخلصت فرقة وان امتي ستفترق على اثنين
وسبعين فرقة تهلك احدى وسبعون فرقة قالوا يا رسول الله من تلك الفرقة قال الجماعة
وهذا الخبر يبين ان المراد بقوله تعالى ان هذه امتكم الجماعة المتمسكة بما بينه الله تعالى في هذه
السورة من التوحيد والنبوات وان قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الناجية انها الجماعة ليس
تعريفا للفرقة الناجية اذ لا فرقة تمسكت بباطل او بحق الا وهي جماعة من حيث العدد ولهذا
طعن بعضهم في صحة الخبر فقال ان اراد بالاثنين وسبعين فرقة اصول الاديان فلن يبلغ هذا
القدر وان اراد الفروع فانها تتجاوز هذا القدر الى اضعاف ذلك وقيل ايضا ضد ذلك وهو انها
كلها ناجية الا فرقة واحدة والجواب قال ابن الخطيب والمراد ستفترق امتي في حال ما وليس
فيه دلالة على افتراقها في ساير الاحوال ولا انه لا يجوز ان يزيد وينقص قوله تعالى فمن
يعمل من الصالحات وهو مومن الاية لما ذكر امر الامة وتفرقهم وانهم اليه راجعون اتبع ذلك بقوله
فمن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا كفران لسعيه اي لا يجحد ولا يبطل سعيه والكفران مصدر
بمعنى الكفر قال رايت اناسا لا تنام حدودهم وجدي ولا كفران لله تايه والسعيه متعلق بمحذوف
اي نكفر لسعيه ولا يتعلق بكفران لانه يصير مطولا والمطول ينصب وهذا معنى والضمير في له يعود
على السعي والمعنى لا بطلان لثواب عمله وهو كقوله تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها
وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا فالكفران مثل في حرمان الثواب والشكر مثل في

اعطايه فقوله فلا كفران المراد نفي الجنس للمبالغة لان نفي الماهية تستلزم نفي جميع افرادها
ثم قال وانا له كاتبون اي لسعيه كاتبون اما في ام الكتاب او في الصحف الذي تعرض يوم القيمة
والمراد من ذلك ترغيب العباد في الطاعات قوله وحرام على قرية قرا الاخوان وابو بكر وروت
عن ابي عمرو وحرم بكسر الحا وسكون الرا وهما لغتان كالحل والحلال وقرا ابن عباس وعكرمة
وحرم بفتح الحا والميم وضم الرا بزنة كرم وكسر الرا وفتح الميم على انه فعل ماض وروي عنهما
ايضا وعن ابي العالية بفتح الحا والميم وضم الرا بزنة كرم وهو فعل ماض ايضا وروي عن
ابن عباس بفتح الجميع وهو فعل ماض ايضا واليماني بضم الحا وكسر الرا مشددة وفتح الميم
ماضيا مبنيا للمفعول وروي عن عكرمة بفتح الحا وكسر الرا وتنوين الميم فمن جعله اسما ففي
رفعه وجهان احدهما انه مبتدا وفي الخبر حينئذ ثلاثة اوجه احدها قوله لا يرجعون وفي ذلك
حينئذ اربع تاويلات التاويل الاول ان لا زايدة والمعنى وممتنع على قرية قدرنا اهلاكها
لكفرهم رجوعهم الي الايمان الي ان تقوم الساعة وممن ذهب الي زيادتها ابو عمر ويستشهدوا
عليه بقوله تعالى ما منعك ان لا تسجد يعني في احد القولين التاويل الثاني انها غير زايدة
وان المعنى انهم غير راجعين عن معصيتهم وكفرهم التاويل الثالث ان الحرام قد يراد به
الواجب ويدل عليه قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا وترك الشرك
واجب ويدل عليه ايضا قول الخنسا • وان حراما لا ارى الدهر باكيا على شجوه الا بكيت على صخر •
وايضا في الاستعمال اطلاق احد الضدين على الاخر وهو مجاز مشهور قال تعالى وجزاء
سيئة سيئة مثلها ومن ثم قال الحسن والسدي لا يرجعون عن الشرك قال قتادة لا
يرجعون الى الدنيا التاويل الرابع قال ابو مسلم بن بحر حرام ممتنع وانهم لا يرجعون فيكون عدم
رجوعهم واجبا واذا امتنع الانتفا وجب الرجوع فيكون المعنى ان رجوعهم الي الحياة في الدار
الاخرة واجبا ويكون الغرض منه ابطال قول من ينكر البعث وتحقيقه ما تقدم انه لا كفران
لسعي احد وانه تعالى يجازيه يوم القيمة وقول ابن عطية قريب من هذا فانه قال وممتنع
على الكفرة والمهلكين انهم لا يرجعون الى عذاب الله واليم عقابه فيكون لا على بابها والحرام
على بابه الوجه الثاني ان الخبر محذوف تقديره وحرام توبتهم او رجا بعثهم ويكون انهم لا
يرجعون علة لما تقدم من معنى الجملة فيكون حينئذ في لا الاحتمالان الاحتمال الاول ان
تكون زايدة وكذلك قال ابو البقا فهذا الوجه بعد تقديره الخبر المتقدم اذا جعلت لا زايدة
قلت والمعنى عنده لانهم يرجعون الى الاخرة وجزايها الاحتمال الثاني ان تكون غير زايدة
بمعنى ممتنع توبتهما او رجا بعثهم لانهم لا يرجعون الى الدنيا فيستدركوا فيها ما فاتهم من ذلك
الوجه الثالث ان يكون هذا المبتدا لا خبر له لفظا ولا تقديرا وانما وقع شيئا يقوم مقام خبره
من باب اقايم اخواك قال ابو البقا رحمه الله والجيد انهم ان يكون انهم فاعلا سد مسد الخبر
وفي هذا نظر لان ذلك يشترط فيه ان يعتمد على نفي او وصف او استفهام وهنا فلم يعتمد المبتدا
على شي من ذلك اللهم الا ان ينحو نحو الاخفش فانه لا يشترط ذلك وهو الظاهر وحينئذ يكون
في لا الوجهان المتقدمان من الزيادة وعدمها باختلاف معنيين اي امتنع رجوعهم الى الدنيا
او عن شركهم اذا قدرتها زايدة او امتنع عدم رجوعهم الى عقاب الله في الاخرة اذا قدرتها
غير زايدة الوجه الثاني من وجهي رفع حرام انه خبر مبتدا محذوف فقدره بعضهم الاقالة
والتوبة حرام وقدره ابو البقا اي ذلك الذي ذكر من العمل الصالح حرام وقال الزمخشري وحرام
على قرية اهلكناها ذاك وهو المشهور المذكور في الاية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور
غير المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك وقرا العامة اهلكناها
بنون العظمة وقرا ابو عبد الرحمن وقتادة اهلكتها بتا المتكلم ومن قرا حرم بفتح الحا وكسر الرا
وتنوين الميم فهو في قراته صفة على فعل نحو حذر قال
• وان اتاه خليل يوم مسغبة • يقول لا غايب مالي ولا حرم •
ومن قراه فعلا ماضيا فهو في قراته مسند لان وما في حيزها ولا يخفى الكلام في لا بالنسبة الى
الزيادة وعدمها فان المعنى واضح مما تقدم وقري انهم بالكسر على الاستيناف وحينئذ لا بد
من تقدير مبتدا يتم به الكلام تقديره ذلك الصالح حرام وتقدم تحريم ذلك قوله تعالى

حتى اذا فتحت الاية تقدم الكلام على حتى الداخلة على اذا مشبعا وقال الزمخشري هنا فان قلت
بم تعلقت حتى قلت واقعة غاية له واية للابتداء هي متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم
لا يزول حتى تقوم الساعة وهي حتى التي تحكى بعدها والكلام المحكى هو الجملة من الشرط والجزا اعني
اذا وما في حيزها وابو البقا نحا هذا النحو فقال وحتى متعلقة في المعنى بحرام اي يستمر الامتناع
الى هذا الوقت ولا عمل لها في اذا وقال الحوفي هي غاية والعامل فيها ما دل عليه المعنى من تاسفهم
على ما فرطوا من الطاعة حين فاتهم الاستدراك وقال ابن عطية حتى متعلقة بقوله وتقطعوا
ويحتمل على بعض التاويلات المتقدمة ان تتعلق بيرجعون ويحتمل ان يكون حرف ابتدا وهو
الاظهر بسبب اذا لانها تقتضي جوابا هو المقصود ذكره قال ابو حيان وكون حتى متعلقة بتقطعوا
فيه بعد من حيث كثرة الفصل لكنه من حيث المعنى جيد وانهم لا يزالون مختلفين على دين الحق الى
قرب مجي الساعة فاذا جات الساعة انقطع ذلك كله وتلخص في تعلق حتى اوجه احدها انها متعلقة
بحرام والثاني انها متعلقة بمحذوف دل عليه المعنى وهو قول الحوفي الثالث انها متعلقة بتقطعوا
الرابع انها متعلقة بيرجعون وتلخص في حتى وجهان احدهما انها حرف ابتدا وهو قول الزمخشري
وابن عطية فيما اختاره والثاني انها حرف جر بمعنى الى وقرا فتحت بالتشديد ابن عامر والباقون
بالتخفيف وتقدم ذلك اول الانعام في جواب اذا اوجه احدها انه محذوف فقدره ابو اسحاق قالوا
يا ويلنا وقدره غيره فحينئذ يبعثون وقوله فاذا هي شاخصة عطف على هذا المقدر والثاني
ان جوابها الفا في قوله فاذا هي قاله الحوفي والزمخشري وابن عطية فقال واذا هي المفاجاة
وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفا كقوله اذا هم يقنطون فاذا جات الفا معها تعاونتا على
وصل الجزا بالشرط فيتاكد ولو قيل اذا هي شاخصة كان سديدا وقال ابن عطية والذي اقوله
ان الجواب في قوله فاذا هي شاخصة وهذا هو المعنى الذي قصد ذكره لانه رجوعهم الذي كانوا
يكذبون به وحرم عليهم امتناعه قوله ياجوج هو على حذف مضاف اي سد ياجوج وماجوج
وتقدم الكلام فيهما وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزا تسعة اجزا منهما
ياجوج وماجوج يخرجون حين يفتح السد قيل السد يفتحه الله ابتدا وقيل بل اذا جعل الله
الارض دكا زالت تلك الصلابة من اجزا الارض فحينئذ يفتح السد قوله وهم قال اكثر
المفسرين كناية عن ياجوج وماجوج وقال مجاهد كناية عن جميع العالم باسرهم اي يخرجون
من قبورهم ومن كل موضع فيحشرون الى موقف الحساب والاول اظهر لتناسق النظم ولانه روي
في الخبر ان ياجوج وماجوج لا بد ان ينشروا في الارض ويقبلوا على الناس من كل موضع مرتفع
وقرا العامة ينسلون بكسر السين وابو السماك وابن ابي اسحاق بضمها والحدب النشز من الارض
اي المرتفع ومنه الحدب في الظهر وكل كدية او اكمة فهي حدبة وبها سمي القبر لظهوره على وجه
الارض والنسلان مقاربة الخطو مع الاسراع كالرمل يقال نسل ينسل وينسل بالفتح
في الماضي والكسر والضم في المضارع ونسل وعسل واحد قال
• عسلان الذيب امسى قاربا برد عليه الليل فنسل •
والنسل من ذلك وهو الذرية اطلق المصدر على المفعول ونسلت ريش الطاير وقدم الجار
على متعلقه لتواخي روس الاي وقرا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما جدث بالثا المثلثة
والجيم اعتبارا بقوله فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون وقري بالفا وهي بدل منها قال
الزمخشري الثا للحجاز والفا لتميم وينبغي ان يكونا اصلين لان كلا منهما لغة مستقلة ولكن قد
كثر ابدال الثا من الفا قالوا مغثور في مغفور وقالوا فم في ثم فابدلت هذه من هذه تارة
وهذه من هذه اخري روي حذيفة بن اسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم
علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها
عشر ايات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم
وياجوج وماجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب واخر
ذلك نار تخرج من النار تطردهم الى محشرهم قوله تعالى واقترب الوعد الحق المراد بالوعد
الموعود وهو يوم القيمة وسمي الموعود وعدا تجوزا قوله فاذا هي شاخصة ابصار اذا هي
للمفاجاة وهي فيها اوجه اجودها ان يكون ضمير القصة وشاخصة خبر مقدم وابصار مبتدا

موخر والجملة خبر طي لانها لا تفسر الا بجملة مصرح بجزيها وهذا مذهب البصريين والمعنى
ان ابصار الذين كفروا تشخص عند ذلك من شدة الاهوال قال الفرا وجماعة الواو في قوله واقترب
الوعد الحق كقوله سبحانه فلما اسلما وتله للجبين وناديناه اي ناديناه ويدل عليه ما روي
حذيفة قال لو ان رجلا اقتنى فلوا بعد خروج ياجوج وماجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة
وقال قوم لا يجوز طرح الواو وجعلوا جواب حتى اذا فتحت في قوله يا ويلنا فيكون مجازا لان التقدير
حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج واقترب الوعد الحق قالوا يا ويلنا قد كنا في غفلة الثاني ان يكون
شاخصة مبتدا وابصار فاعل سد مسد الخبر وهذا يمشي على راي الكوفيين لان ضمير القصة تفسر
عندهم بالمفرد العامل عمل الفعل فانه في قوة الجملة الثالث قال الزمخشري هي ضمير مبهم يوضحه
الابصار ويفسره كما فسر الذين ظلموا واسروا ولم يذكر غيره قال شهاب الدين وهذا قول الفرا فانه
قال هي ضمير الابصار تقدمت لدلالة الكلام ومجي ما يفسرها وانشد شاهدا على ذلك •

• فلا وابيها لا تقول حليلتي • الا فر عني مالك بن ابي كعب •

الرابع ان تكون هي عمادا وهو قول الفرا قال لانه يصلح موضعها هو فيكون كقوله تعالى انه
انا الله ومثله فانها لا تعمى الابصار وانشد •

• بثوب ودينار وشاة ودرهم • فهل هو مرفوع بما هاهنا راس •

وهذا لا يمشي الا على احد قولي الكسائي وهو انه يجيز الفصل مع الخبر المقدم نحو هو خير منك
زيد الاصل زيد هو خير منك وقال ابو حيان اجاز هو القائم زيد على ان زيد هو المبتدا والقائم
خبره وهو عماد واصل المسئلة زيد هو القائم قال شهاب الدين وفي هذا التمثيل نظر لان
تقديم الخبر هنا ممتنع لاستوايهما في التعريف بخلاف المثال المتقدم فيكون اصل الاية فاذا
ابصار الذين كفروا هي خاشعة فلما قدم الخبر وهو شاخصة قدم معها العماد وهذا ايضا انما
يجي على مذهب من يرى وقوع العماد قبل النكرة غير المقارنة للمعرفة الخامس ان تكون هي
مبتدا وخبره مضمر يتم الكلام حينئذ على هي ويبتدا بقوله شاخصة خبر مقدم وابصار مبتدا
موخر ذكره الثعلبي وهو بعيد جدا لتنافر التركيب وهو التعقيد عند علما البيان قوله
يا ويلنا معمول لقول محذوف اي يقول يا ويلنا وفي هذا القول المحذوف وجهان احدهما انه
جواب حتى اذا كما تقدم والثاني في محل نصب على الحال من الذين كفروا قال الزمخشري قوله
قد كنا في غفلة من هذا يعني في الدنيا حيث كذبنا وقلنا انه غير كاين بل كنا ظالمين انفسنا
بتلك الغفلة وتكذيب محمد وعبادة الاوثان قوله انكم وما تعبدون اي هنا بما وهي لغير
العقلا لانه متى اختلط العاقل بغيره تخير الناطق بين ما ومن وقرا العامة حصب بالمهملتين
والصاد مفتوحة وهو ما يحصب اي يرمى في النار ولا يقال له حصب الا وهو في النار فاما
قبل ذلك فحطب وشجر وغير ذلك وقيل يقال لحصب قبل الالقا في النار وقيل هو الحطب بلغة
اهل اليمن وقال عكرمة هو الحطب بالحبشة وقرا ابن السميقع وابن ابي عبلة وروية عن ابن
كثير بسكون الصاد وهو مصدر فيجوز ان يكون واقعا موقع المفعول او على المبالغة او على
حذف مضاف وقرا ابن عباس بالضاد معجمة مفتوحة او ساكنة وهو ايضا ما يرمى به في النار ومنه
المحضب عود يحرك به النار لتتوقد وانشد •

• فلا تك في حربنا محضبا • فتجعل قومك شتى شعوبا •

وقرا امير المومنين وابي وعايشة وابن الزبير رضي الله عنهم حطب بالطا ولا اظنها الا تفسيرا
لا تلاوة

فصل

المعنى انكم ايها المشركون وما تعبدون من دون الله يعني الاصنام
حصب جهنم اي وقودها وهذا تشبيه واصل الحصب الرمي قال تعالى ارسلنا عليهم حاصبا
اي ريحا ترميهم بالحجارة قوله انتم لها واردون جوز ابو البقا في هذه الجملة ثلاثة اوجه
احدها ان يكون بدلا من حصب جهنم يعني ان الجملة بدل من المفرد الواقع خبرا وابدال
الجملة من المفرد اذا كان احدهما بمعنى الاخر جايز اذ التقدير انكم انتم لها واردون والثاني
ان تكون الجملة مستانفة والثالث ان تكون في محل نصب على الحال من جهنم وفيه نظر من
حيث مجي الحال من المضاف اليه في غير المواضع المستثناة ومعنى انتم لها واردون اي فيها
داخلون وانما جات اللام في لها لتقدمها تقول انت لزيد ضارب كقوله تعالى والذين هم

لاما فاتهم وعبدهم راعون والمعنى انه لا بد لكم ان تردوها ولا معدل لكم عن دخولها

فصل

روي ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة
ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الاية فاقبل عبد الله بن الزبعري
فراهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ابن الزبعري انت قلت ذلك قال نعم قال خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود
عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملايكة فسكت رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولم يجب فضحك القوم ونزل قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك
منه يصدون وقالوا االهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ونزل في
عيسى والملايكة ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وفي رواية اخرى انه صلى الله عليه وسلم
قال بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى يعني عزيرا والمسيح والملايكة قال ابن الخطيب واعلم ان سوال ابن الزبعري غير
متوجه من وجوه احدها ان ذلك الخطاب كان مع مشركي مكة وهم كانوا يعبدون الاصنام
فقط وثانيها انه لم يقل ومن تعبدون وكلمة ما لا يتناول العقلا واما قوله تعالى وما بناها
وقوله ولا انتم عابدون ما اعبد فمحمول على الشي ونظيره هاهنا ان يقال انكم والشي الذي تعبدون
من دون الله لكن لفظ الشي لا يفيد العموم فلا يتوجه سوال ابن الزبعري وثالثها ان من
عبد الملايكة لا يدعي انهم الهة وقال سبحانه لو كان هولا الهة ما وردوها ورابعها هب انه يفيد
العموم لكنه مخصوص بالدلايل العقلية والسمعية في حق الملايكة والمسيح وعزير لبراتهم من الذنوب
والمعاصي ووعد الله اياهم بكل خير وهو المراد بقوله سبحانه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
وخامسها الجواب الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو انهم كانوا يعبدون الشياطين
فان قيل الشياطين عقلا ولفظ ما لا يتناولهم فكيف قال ذلك قلنا كانه قال صلى الله
عليه وسلم لو ثبت لكم انه يتناول العقلا فسوالكم ايضا غير لازم من هذا الوجه فاما ما قيل انه
صلى الله عليه وسلم سكت عن ايراد ابن الزبعري هذا السوال فهو خطا لانه لا يقال ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان تنبه لهذه الاجوبة التي ذكرها المفسرون لانه اعلم منهم باللغة وتفسير
القران فكيف يجوز ان تظهر هذه الاجوبة لغيره ولم يظهر له منها شي فان قيل يجوز ان يسكت
صلى الله عليه وسلم انتظارا للبيان قلنا كان البيان حاضرا معه فلم يجز عليه السكوت لكن
لا يتوهم عليه الانقطاع من سوالهم ومن الناس من اجاب عن سوال ابن الزبعري فقال
ان الله تعالى يصورهم في النار ملكا على صورة من عبدوه وحينئذ تبقى الاية على ظاهرها
وهذا ضعيف من وجهين الاول ان القوم لم يعبدوا تلك الصورة وانما عبدوا اشيا اخر لم يحصل
معهم في النار الثاني ان الملك لا يصير حصب جهنم في الحقيقة وان صح ان يدخلها فان خزنتها
الذين يدخلونها مع انهم ليسوا حصب جهنم

فصل

الحكمة في انهم قرنوا بالهتهم امور احدها
انهم لا يزالون بمقارنتهم في زيادة غم وحسرة لانهم ما وقعوا في ذلك العذاب الا بسببهم والنظر الى
وجه العدو باب من العذاب وثانيها انهم قدروا ان يشفعوا لهم في الاخرة فاذا وجدوا الامر على
عكس ما قدروا لم يكن شي ابغض اليهم منه وثالثها ان القاها في النار يجري مجرى الاستهزا بها
ورابعها قيل ما كان منها حجرا او حديدا يحمى فيعذب بعبادها وما كان خشبا يجعل جمرة يعذب بها
صاحبها قوله لو كان هولا الهة ما وردوها اعلم ان قوله وما تعبدون بالاصنام التي لا تدخل
لفظ ما وهذا الكلام بالشياطين التي لقوله هولا ويحتمل ان يريد الشياطين والاصنام
وغلب العقلا وبين الله تعالى على انه من يرمى في النار لا يمكن ان يكون الها قال ابن
الخطيب رحمه الله وهنا سوال وهو ان قوله لو كان هولا الهة ما وردوها لكنهم وردوها
فهم ليسوا الهة هذه الحجة اما ان يكون ذكرها لنفسه او لغيره فان ذكرها لنفسه فلا فايدة فيه
لانه كان عالما بانها ليست الهة وان ذكرها لغيره فاما ان يذكرها لمن يصدق بنبوته او ذكرها
لمن يكذب بنبوته فان ذكرها لمن يصدق بنبوته فلا حاجة الى هذه الحجة لان كل من صدق
بنبوته لم يقل بالاهية هذه الاصنام وان ذكرها لمن يكذب بنبوته فذلك المكذب لا يسلم انه لك

الالهة يردون النار فكان ذكر هذه الحجة لا فائدة فيه كيف كان وايضا فالقايلون بالاهيتها لم يعتقدوا
الا كونها تماثيل الكواكب او صورة الشفعاء وذلك لا يمنع من دخولها النار واجيب عن ذلك بان المفسرين
قالوا المعنى لو كان هولاء يعني الاصنام الهة على الحقيقة ما وردوها اي ما دخل عابدوها النار قوله
الهة العامة على النصب خبر لكان وقرا طلحة بالرفع وتخريجها كتخريج قوله اذا ماتت كل الناس
صنفان ففيها ضمير الشان قوله وكل فيها خالدون يعني العابدين والمعبودين وهذا تفسير لقوله
انكم وما تعبدون من دون الله قوله لهم فيها زفير قال الحسن الزفير هو اللهيب اي يرتفعون
بسبب لهيب النار حتى اذا ارتفعوا وارادوا الخروج ضربوا بمقامع الحديد فهووا الى اسفلها سبعين
خريفا قال الخليل الزفير ان يملا الرجل صدره غما ثم يتنفس قال ابو مسلم قوله لهم عام لكل معذب
فنقول لهم زفير من شدة ما ينالهم والضمير في قوله وهم فيها يرجع الى المعبودين اي لا يسمع صراخهم
وشكواهم ومعناه انهم لا يغيثونهم وشبهه سمع الله لمن حمده اي اجاب الله دعاه قوله وهم فيها لا يسمعون
على قول ابي مسلم محمول على الاصنام ومن حمله على الكفار فيحتمل ثلاثة اوجه احدها ان الكفار
يحشرون صما كما يحشرون عميا زيادة في عذابهم والثاني لا يسمعون ما ينفعهم لانهم انما يسمعون اصوات
المعذبين او كلام من يتولى تعذيبهم من الملايكة والثالث قال ابن مسعود ان الكفار يجعلون في
توابيت من نار ثم تجعل تلك التوابيت في توابيت اخر ثم تلك التوابيت في توابيت اخر من النار عليها
مسامير من نار فلذلك لا يسمعون شيئا ولا يرى احد منهم ان احدا في النار يعذب غيره والاول
ضعيف لان اهل النار يسمعون كلام اهل الجنة فلذلك يستغيثون بهم على ما ذكره الله في سورة
الاعراف **قوله** تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية قال بعض اهل العلم ان ههنا
بمعنى الا قال ابن الخطيب قد بينا فساد هذا القول وذكرنا ان سوال ابن الزبعري لم يكن واردا
فلم يبق الا احد امرين الاول ان يقال ان عادة الله تعالى انه متى شرح عقاب الكفار ردف بشرح
ثواب الابرار فلهذا ذكر هذه الاية فبقيت تلك الاية فهي عامة في حق كل المومنين الثاني ان
هذه الاية نزلت في تلك الواقعة فتكون كالتاكيد في دفع سوال ابن الزبعري ثم قال العبرة بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب وهذا هو الحق اجراها على عمومها فتكون الملايكة والمسيح وعزير صلوات
الله عليهم داخلين فيها الا ان الاية مختصة بهم ومن قال العبرة بخصوص السبب خصص قوله ان
الذين بهولاء فقط قوله منا يجوز ان يتعلق بسبقت ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الحسنى
قال الزمخشري الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تانيث الاحسن وهي اما السعادة واما البشرى
بالثواب واما التوفيق للطاعة ثم شرح احوال ثوابهم فقال سبحانه اوليك عنها مبعدون قال
اهل العفو معناه اوليك منها مخرجون واحتجوا بوجهين الاول قوله تعالى وان منكم الا واردها
اثبت الورود والورود الدخول فدل على ان هذا الابعاد هو الاخراج والثاني ان ابعاد الشي
عن الشي لا يصح الا اذا كانا متقاربين لانهما لو كانا متباعدين استحال ابعاد احدهما عن الاخر
لان تحصيل الحاصل محال وقالت المعتزلة اوليك عنها مبعدون لا يدخلون النار ولا يقربونها
البتة واحتج القاضي عبد الجبار على فساد الاول بامور احدها ان قوله ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى يقتضي ان الوعد بثوابهم قد تقدم في الدنيا وليس هذه حال من يخرج من النار وثانيها
انه تعالى قال اوليك عنها مبعدون فكيف يدخل في ذلك من وقع فيها ونالها قوله لا يسمعون
حسيسها وقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر يمنع من ذلك والجواب عن الاول لا نسلم ان المراد من قوله تعالى
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى هو ان الوعد بثوابهم قد تقدم ولم لا يجوز ان يكون المراد من الحسنى
تقدم الوعد بالثواب يليق بحال من يخرج من النار فانه عند المخاطبة باطل ويجوز الجمع بين استحقاق
الثواب والعقاب وعن الثاني انا نتناول ان قوله سبحانه اوليك عنها مبعدون لا يمكن اجراوه
على ظاهره الا في حق من كان في النار وعن الثالث ان قوله لا يسمعون حسيسها مخصوص بما بعد الخروج
وعن قول المعتزلة بان المراد بقوله سبحانه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اوليك عنها مبعدون
انهم لا يدخلون النار ولا يقربونها يبطل القول بان جميع الناس يردون النار ثم يخرجون الى
الجنة فيجب التوفيق بينه وبين قوله وان منكم الا واردها وقد تقدم وقوله وهم فيما اشتهت
الى قوله وتتلقاهم كل جملة من هذه الجمل يحتمل ان يكون حالا مما قبلها وان تكون مستانفة وكذا
الجملة المضمرة من القول العامل في جملة قوله هذا يومكم اذ التقدير وتتلقاهم الملايكة يقولون هذا

يومكم **فصل** معنى لا يسمعون حسيسها اي صوتها وحركة تلهبها اذا نزلوا منازلهم في الجنة
والحس والحسيس الصوت الخفي وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون مقيمون كقوله سبحانه وفيها ما تشتهي
الانفس وتلذ الاعين لا يحزنهم الفزع الاكبر النفخة الاخيرة لقوله تعالى ونفخ في الصور ففزع من في
السموات ومن في الارض وقال الحسن رحمه الله حين يومر بالعبد الى النار وقال ابن جريج حين يذبح
الموت وينادي يا اهل الجنة خلود فلا موت وقال سعيد بن جبير والضحاك هو ان يطبق جهنم وذلك
بعد ان يخرج الله منها من يريد ان يخرجه وتتلقاهم الملايكة اي تستقبلهم الملايكة على ابواب
الجنة يقولون هذا يومكم الذي كنتم توعدون فان قيل اي بشارة في انهم لا يسمعون حسيسها
فالجواب المراد منه تاكيد بعدهم عنها لان من قرب منها قد يسمع حسيسها فان قيل اليس اهل الجنة
يرون اهل النار فكيف لا يسمعون حسيس النار فالجواب اذا حملناه على التاكيد زال هذا السوال
قوله تعالى يوم نطوي السما الاية في يوم نطوي اوجه احدها انه منصوب بلا يحزنهم الثاني انه
منصوب بتتلقاهم الثالث انه منصوب باضمار اذكر او اعني الرابع انه بدل من العايد المقدر تقديره
توعدونه يوم نطوي فيوم بدل من الها ذكره ابو البقا وفيه نظر اذ يلزم من ذلك خلو الجملة الموصول
بها من عايد على الموصول ولذلك منعوا جا الذي مررت به ابي عبد الله على ان يكون ابي عبد الله
بدلا من الها لما ذكروا ان كان في المسلة خلاف الخامس انه منصوب بالفزع قاله الزمخشري وفيه نظر
من حيث انه اعمل المصدر الموصوف قبل اخذه معموله وقد تقدم ان نافعا يقرا يحزن بضم اليا الا هنا
وان شيخه ابن القعقاع يقرا يحزن بالفتح الا هنا وقرا العامة نطوي بنون العظمة وشيبة بن نصاح
في اخرين تطوى بضم التا المثناة من فوق وفتح الواو مبنيا للمفعول وقرا العامة السجل بكسر السين
والجيم وتشديد اللام كالطمر وقرا ابو هريرة وصاحبه ابو زرعة بن عمرو وابن جرير بضمهما واللام
مشددة ايضا بزنة عتل ونقل ابو البقا تخفيفها في هذه القراة ايضا فيكون بزنة عنق وابو السمال
وطلحة والاعمش بفتح السين والحسن وعيسى بن عمر بكسرها والجيم في هاتين القراتين ساكنة واللام
مخففة قال ابو عمرو وقراة اهل مكة مثل قراة الحسن والسجل الصحيفة مطلقا وقيل بل هو مخصوص
بصحيفة العهد وهي من المساجلة وهي المكاتبة والسجل الدلو الملاي وقال بعضهم هو فارسي معرب
فلا اشتقاق له والطي مصدر مضاف للمفعول والفاعل محذوف تقديره كما يطوي الرجل الصحيفة
ليكتب فيها من المعاني والفاعل يحذف مع المصدر باطراد والكلام في الكاف معروف اعني كونها نعتا
لمصدر مقدر او حالا من ضميره واصل الطي طوي فاعل كنظايره وروي عن علي وابن عباس رضي الله عنهم
اسم ملك يطوي كتب اعمال بني ادم وروى ابو الجوزا عن ابن عباس ان السجل اسم رجل كان يكتب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذين القولين يكون المصدر مضافا والكتاب اسم الصحيفة
المكتوبة قال بعضهم وهذا القول بعيد لان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا معروفين
وليس فيهم من سمي بهذا وقال ابو اسحاق الزجاج السجل الرجل وقال الزمخشري كما يطوي الطومار
للكتابة اي ليكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبنا ثم توقع على المكتوب فقدر الزمخشري
من الفعل المبني للمفعول وقد عرف ما فيه من الخلاف واللام في الكتاب اما مزيدة في المفعول
ان قلنا ان المصدر مضاف لفاعله واما متعلقة بطي اذا قلنا المراد بالسجل الطومار فالمصدر
وهو الطي مضاف للمفعول والفاعل والمقدر كطي الطاوي السجل وهذا قول الاكثرين وقيل
اللام بمعنى على وهذا لا ينبغي ان لا يجوز لبعد معناه على قول كل والقراات المذكورة في السجل
كلها لغات فيه وقرا الاخوان وحفص للكتب جمعا والباقون للكتاب مفردا والرسم يحتملهما فالافراد
يراد به الجنس والجمع للدلالة على الاختلاف والمعنى المكتوبات اي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة
فيكون معنى طي السجل للكتاب كون السجل ساترا لتلك الكتابة ومخفيا لها لان الطي هو الدرج
والنشر الذي يكشف قوله كما بدانا في متعلق هذه الكاف وجهان احدهما انها متعلقة بنعيده
وما مصدرية وبدانا صلتها فهي وما في حيزها في محل جر بالكاف واول خلق مفعول بدانا والمعنى
نعيد اول خلق اعادة مثل بداتنا له اي كما ابرزناه من العدم الى الوجود نعيده من العدم الى
الوجود والى هذا نحا ابو البقا فانه قال الكاف نعت لمصدر محذوف اي نعيده عودا مثل بدئه وفي
قوله عودا نظر اذ الاحسن ان يقول اعادة والثاني انها تتعلق بفعل مضمر قاله الزمخشري ووجه
اخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة اي نعيد مثل الذي بدانا نعيده

واول خلق ظرف لبدانا اي اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى
قال ابو حيان وفي تقديره نعيده بدانا لان ينصب اول خلق على المفعولية وقطعه عنه من غير
ضرورة تدعوا الى ذلك وارتكاب اضمار بعيد مفسرا بنعيده وهذه عجمة في كتاب الله تعالى واما
قوله ووجه اخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده فهو ضعيف جدا لانه مبني على
ان الكاف اسم لا حرف وليس مذهب الجمهور وانما ذهب الى ذلك الاخفش وكونها اسما عند البصريين
مخصوصا بالشعر قال شهاب الدين كلما قدره فهو جار على القواعد المنضبطة وقاده الى ذلك
المعنى الصحيح فلا مواخذة عليه ويظهر ذلك بالعامل لغير الفظي واما ما ففيها ثلثة اوجه
احدها انها مصدرية والثاني انها بمعنى الذي وقد تقدم تقرير هذين والثالث انها كافة
للكاف عن العمل كما في قوله كما الناس مجزوم عليه وجازم فيمن رفع الناس قال الزمخشري اوطق
مفعول نعيد الذي يفسره نعيد والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد اول الخلق كما بدانا تنبيها
للاعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السوا فان قلت فما اول الخلق حتى يعيده كما بداه
قلت اوله ايجاده من العدم فكما اوجده اولا من عدم نعيده ثانيا من عدم واما اول خلق
فتحصل فيه اربعة اوجه احدها انه مفعول بدانا والثاني انه ظرف لبدانا والثالث انه
منصوب على الحال من ضمير الموصول كما تقرر والرابع انه حال من مفعول نعيده قاله ابو البقا
والمعنى مثل اول خلقه واما تنكير خلق فللدلالة على التفصيل قال الزمخشري فان قلت
ما بال خلق منكرا قلت هو كقولك اول رجل جاني زيد اول الرجال ولكنك وحدته ونكرته
ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى اول خلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع
قوله وعدا منصوب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة المتقدمة فناصبه مضمر اي وعدنا ذلك
وعدا

فصل اختلفوا في كيفية الاعادة فقيل ان الله تعالى يفرق اجزاء الاجسام
ولا يعدمها ثم انه يعيد تركيبها فذاك هو الاعادة وقيل ان الله تعالى يعدمها بالكلية ثم انه يوجدها
بعينها مرة اخرى وهذه الاية دالة على هذا الوجه لانه تعالى شبه الاعادة بالابتداء والابتدا
ليس عبارة عن تركيب الاجزاء المتفرقة بل عن الوجود بعد العدم فوجب ان تكون الاعادة كذلك
واحتج الاولون بقوله تعالى والسموات مطويات بيمينه فدل هذا على ان السموات حال كونها
مطوية تكون موجودة وبقوله يوم تبدل الارض غير الارض وهذا يدل على ان الارض باقية
لكنها جعلت غير الارض

فصل قال المفسرون كما بدانا هم في بطون امهاتهم عراة
غرلا كذلك نعيدهم يوم القيمة ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة روى ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال انكم تحشرون حفاة عراة غرلا ثم قرا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا
انا كنا فاعلين يعني الاعادة والبعث وقيل المراد حقا علينا بسبب الاخبار عن ذلك وتعلق العلم
بوقوعه وان وقوع ما علم الله وقوعه واجب ثم حقق ذلك بقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور
قرا حمزة بضم الزاي والباقون بفتحها بمعنى المزبور كالحلوب والمركوب يقال زبرت الكتاب اي كتبته
والزبور بضم الزاي جمع زبرة كقشر وقشور ومعنى القراتين واحد لان الزبور هو الكتاب قال
سعيد بن جبير ومجاهد والكلبي ومقاتل الزبور جميع الكتب اي كتبته والزبور بضم الزاي جمع
زبرة المنزلة والذكر ام الكتاب الذي عنده والمعنى من بعد ما كتب ذكره في اللوح المحفوظ
وقال ابن عباس والضحاك الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة وقال
قتادة والشعبي الزبور والذكر التوراة وقيل الزبور زبور داود صلى الله عليه وسلم والذكر
القران وبعد بمعنى قبل كقوله تعالى وكان وراهم ملك اي امامهم والارض بعد ذلك دحاها
اي قبله وقيل الزبور زبور داود صلى الله عليه وسلم والذكر القران وبعد بمعنى قبل كقوله
تعالى وكان وراهم ملك اي امامهم والارض بعد ذلك دحاها هو ما روي انه صلى الله عليه وسلم
قال كان الله ولم يكن معه شي ثم خلق الذكر من بعد الذكر يجوز ان يتعلق بكتبنا ويجوز ان
يتعلق بنفس الزبور لانه بمعنى الزبور اي المكتوب اي المزبور من بعد ومفعول كتبنا ان
وما في حيزها اي كتبنا وراثة الصالحين للارض اي حكمنا به قوله ان الارض يعني ارض الجنة
يرثها عبادي الصالحون قال مجاهد يعني امة محمد صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله
تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض وقال ابن عباس اراد اراضي

الكفار

الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل اراد الارض
المقدسة يرثها الصالحون لقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها التي باركنا فيها قوله ان في هذا اي في هذا القران يعني ما فيه من الاخبار والوعد
والوعيد والمواعظ البالغة لبلاغا وصولا الى البغية فمن اتبع القران وعمل به وصل الى ما يرجوا
من الثواب وقيل لبلاغا اي كفاية والقران زاد الجنة كبلاغ المسافر لقوم عابدين اي مومنين
قال ابن عباس عالمين قال كعب الاحبار هم امة محمد صلى الله عليه وسلم اهل الصلوات
الخمس وشهر رمضان قوله وما ارسلناك الا رحمة يجوز ان ينتصب رحمة مفعولا له اي لاجل
الرحمة ويجوز ان ينتصب على الحال مبالغة في ان جعله نفس الرحمة واما على حذف مضاف اي
ذا رحمة او بمعنى راحم وفي الحديث يا ايها الناس انما انا رحمة مهداة قوله للعالمين يجوز ان
يتعلق بمحذوف على انها صفة لرحمة كاينة للعالمين ويجوز ان يتعلق بارسلنا عند من يرى
تعلق ما بعد الا بما قبلها جايزا او بمحذوف عند من لا يرى ذلك هذا اذا لم يفرغ الفعل لما بعدها
اما اذا فرغ فيجوز نحو ما مررت الا بزيد كذا قاله ابو حيان هنا وفيه نظر من حيث ان هذا ايضا
مفرغ لان المفرغ عبارة عما افتقر ما بعد الا لما قبلها على جهة المعمولية له

فصل قال ابن عباس قوله رحمة للعالمين عام في حق من امن ومن لم يومن اعلم انه صلى الله عليه وسلم
كان رحمة في الدين والدنيا اما في الدين فلانه صلى الله عليه وسلم بعث والناس في جاهلية وضلال
واهل الكتابين كانوا في حيرة في امر دينهم لطول مكثهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم
فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والثواب فدعاهم
الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام وميز الحلال والحرام فمن كانت همته طلب
الحق فلا تركن الى التقليد ولا الى العناد والاستكبار قال تعالى قل هو للذين امنوا هدى وشفا
الى قوله وهو عليهم عمى واما في الدنيا فلانهم تخلصوا بسببه من الذل والقتل فان قيل كيف كان رحمة
وقد جا بالسيف واستباحة المال فالجواب من وجوه الاول انما جا بالسيف لمن انكر وعاند ولم
يتفكر ولم يتدبر ومن اوصاف الله الرحمن الرحيم وهو منتقم من العصاة وقال سبحانه وانزلنا
من السما ما مباركا ثم قد يكون سببا للفساد الثاني ان كل نبي من الانبيا قبله اذا كذبه قومه
اهلك الله المكذبين بالخسف والمسخ والغرق وانه تعالى اخر عذاب من كذب رسولنا الى
الموت او الى القيامة قال سبحانه وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ولا يقال اليس انه قال قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم وقال ليعذب الله المنافقين لانا نقول تخصيص العام لا يقدح فيه الثالث
انه صلى الله عليه وسلم كان في نهاية حسن الخلق قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقيل له
صلى الله عليه وسلم ادع على المشركين فقال انما بعثت رحمة ولم ابعث عذابا وقال في رواية
حذيفة انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما رجل سببته او لعنته فاجعلها اللهم عليه صلاة الى
يوم القيمة الرابع قال عبد الرحمن بن زيد الا رحمة للعالمين يعني المومنين خاصة

فصل قالت المعتزلة لو كان تعالى اراد من الكافر الكفر ولم يرد منه القبول من الرسول بل ما اراد منهم
الا الرد عليه وخلق ذلك فيهم ولم يخلقهم الا لذلك كما تقول اهل السنة لوجب ان يكون ارساله نقمة
وعذابا عليهم لا رحمة وهو خلاف هذا النص ولا يقال ان رسالته رحمة للكفار من حيث لم
يعجل عذابهم في الدنيا كما عجل عذاب ساير الامم لانا نقول ان كونه رحمة للجميع على حد واحد وما
ذكرتموه في الكفار فهو حاصل للمومنين وايضا فان الذي ذكرتموه من نعم الدنيا كانت حاصلة
للكفار قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وحصولها بعده بل كانت نعمهم في الدنيا قبل بعثته وحصولها
بعده واعظم لانه في بعثته نزل بهم الغم والخوف ثم امر الجهاد الذي فيه الكره فلا يجوز ان يكون
هذا هو المراد والجواب انا نقول لما علم الله تعالى ان ابا لهب لا يومن البتة واخبر عنه انه لا يومن
كان امره بالايمان امرا بقلب علمه جهلا وخبره الصدق كذبا وذلك محال فكان قد امره بالمحال وان
كانت البعثة مع هذا القول رحمة فلم لا يجوز ان يقال البعثة رحمة مع انه تعالى خلق الكفر
في الكافر ولان قدرة الكافر ان لم يصلح الا للكفر فقط فالسوال عليهم لازم وان كانت صالحة للضدين
توقف الترجيح على مرجح من قبل الله تعالى قطعا للتسلسل وحينئذ يعود الالزام ثم نقول لم لا يجوز
ان يكون رحمة للكفار بمعنى تاخير عذاب الاستيصال عنهم وقولهم اولا انه كان رحمة للجميع على حد

واحد وجيران يكون رحمة للكفار من الوجه الذي كان رحمة للمومنين فالجواب ليس في الاية
انه صلى الله عليه وسلم رحمة للكل باعتبار واحد او باعتبارين مختلفين فدعوا الكل كون الوجه واحد
تحكم وقولهم نعم الدنيا كانت خالصة للكفار من قبل فالجواب نعم ولكنه صلى الله عليه
وسلم لكونه رحمة للمومنين لما بعث حصل الخوف للكفار من نزول العذاب فلما اندفع ذلك
عنهم بسبب حضوره كان ذلك رحمة في حق الكفار **فصل** تمسكوا بهذه الاية في انه افضل
من الملايكة لان الملايكة من العالمين فوجب ان يكون هو افضل منهم واجيب بانه معارض
بقوله تعالى في حق الملايكة ويستغفرون للذين امنوا وذلك رحمة منهم في حق المومنين
وكذا قوله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي قوله تعالى قل انما يوحى الي انما الهكم
اله واحد لانه لما اورد على الكفار الحجج في ان لا اله سواه وبين انه ارسل رسوله رحمة للعالمين ها
اتبع ذلك بما يكون انذارا في مجاهدتهم والاقدام عليهم فقال قل انما يوحى الي قوله انما الهكم ان
وما في خبرها في محل رفع لقيامه مقام الفاعل اذ التقدير انما يوحى الي وحدانية الهكم وقال
الزمخشري انما لقصر الحكم على شي او لقصر الشي على حكم كقولك انما زيد قايم وانما يقوم زيد
وقد اجتمع المثالان في هذه الاية لان انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم
اله واحد بمنزلة انما زيد قايم وفايدة اجتماعهما على الدلالة على ان الوحي لرسول الله صلى
الله عليه وسلم مقصور على استيثار الله عز وجل بالوحدانية قال ابو حيان اما ما ذكره في انما
انها للقصر ما ذكره هو مبني على ان انما للحصر وقد قررنا انها لا تكون للحصر وان ما مع ان كهي
مع كان ومع لعل فكما انها لا تفيد الحصر في التشبيه ولا الحصر في الترجي فكذلك لا يفيد مع ان
واما جعله انما المفتوحة موولة بحرف مصدري ينسبك منه مع ما بعده مصدر فالجملة بعدها
ليست جملة مستقلة ولو كانت انما دالة على الحصر لزم ان يقال انه لم يوح اليه شي الا التوحيد
وذلك لا يصح الحصر فيه اذ قد اوحي اليه اشيا غير التوحيد قال شهاب الدين الحصر بحسب كل مقام
على ما يناسبه فقد يكون هذا المقام يقتضي الحصر في ايحا الوحدانية لشي جرى من انكار الكفار
لوحدانيته سبحانه وان الله لم يوح اليه لهاسب وهذا كما اجاب الناس عن هذا الاشكال الذي ذكره
الشيخ في قوله انما انت منذر انما انا بشر انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة الى غير ذلك ومامن قوله
انما يوحى يجوز فيها وجهان احدهما ان تكون كافة وقد تقدم والثاني ان تكون موصولة كالتي
في قوله انما صنعوا ويكون الخبر هو الجملة من قوله انما الهكم اله واحد تقديره ان الذي يوحى
الي هو هذا الحكم قوله فهل انتم مسلمون استفهام معناه الامر اي اسلموا كقوله فهل انتم
منتهون اي انتهوا قوله تعالى فان تولوا فقل اذنتكم على سواء اذنتكم اعلمتكم فالهمزة
فيه للنقل قال الزمخشري اذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله في الجري مجرى
الانذار ومنه قوله تعالى فاذنوا بحرب وقول ابن حلزة اذنتنا ببينها اسما وقد تقدم تحقيق
هذا في البقرة قوله على سواء في محل نصب على الحال من الفاعل والمفعول معا اي مستوين في
العلم بما اعلمتكم به لم نطو عن احد منكم **فصل** قال ابو مسلم الانذار على السوا
الدعا على الحرب مجاهرة كقوله فانبذ اليهم على سواء وفايدة ذلك انه كان يجوز ان يقدر من اشرك
ان حالهم مخالف لساير حال الكفار في المجاهرة فعرفهم بذلك انهم كالكفار في ذلك اي ها
اعلمتكم بالحرب وان لا صلح بيننا اي على سوا اي انذار ابينا لنتاهبوا لما يراد بكم اي اذنتكم
على وجه نستوي نحن وانتم في العلم به وقيل المعنى فقد اعلمتكم ما هو الواجب عليكم من
التوحيد وغيره على سوا في الابلاغ والبيان لاني بعثت معلما والغرض منه ازاحة العذر
لئلا يقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا وقيل نستوي في الايمان وقيل اذنتكم على
سوا الي على مهل اي لا اعاجل بالحرب الذي اذنتكم بل امهل واوخر رجا اسلامكم قوله وان
ادري العامة على ارسال اليا ساكنة اذ لا موجب لغير ذلك وروي عن ابن عباس انه قرا
وان ادري اقريب وان ادري لعله فتنة بفتح اليا وخرجت على التشبيه بيا الاضافة
على ان ابن مجاهد انكر هذه القراة البتة وقال ابن جني هو غلط لان ان نافية لا عمل لها
ونقل ابو البقا عن غيره انه قال في تخريجها انه القى حركة الهمزة على اليا فتحركت وبقي
الهمزة ساكنة فابدلت الفا لانفتاح ما قبلها ثم ابدلت همزة متحركة لانها في حكم المبتدا بها ه

والابتدا بالساكن محال وهذا تخريج متكلف لا حاجة اليه ونسبة راويها عن ابن عباس الى
الغلط من هذا التكلف فانها قراة شاذة منكرة وهذا التخريج وان نفع في الاولى فلا يجدي في الثانية
بشيا وسياتي قريب من ادعا قلب الهمزة الفا ثم قلب الالف همزة في قوله منساته ان شا الله تعالى
وبذلك يسهل الخطب في التخريج المذكور والجملة الاستفهامية في محل نصب بادري لانها معلقة
لها عن العمل واخر المستفهم عنه لكونه فاصلة ولو وسط لكان التركيب اقريب ما توعدون ام بعيد
ولكنه اخر مراعاة لروس الاي وما توعدون يجوز ان يكون مبتدا وما قبله خبر عنه ومعطوف
عليه وجوز ابو البقا فيه ان يرتفع ببعيد لانه اقرب اليه يعني فاعلا بقريب قال لانه اعتمد على
الهمزة قال ويخرج على قول البصريين ان يرتفع ببعيد لانه اقرب اليه يعني انه يجوز ان تكون
المسالة من التنازع فان كلا من الموضعين يصح تسلطه على ما توعدون من حيث المعنى **فصل**
المعنى وما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون يعني يوم القيمة او من عذاب الدنيا وقيل الذي
اذنتهم به من الحرب لا يعلم هو قريب ام بعيد لئلا يقدر ان يتاخر وذلك ان السورة مكية
وكان الامر بالجهاد بعد الهجرة وقيل ما توعدون من غلبة المسلمين عليهم قوله تعالى انه يعلم
الجهر من القول ويعلم ما تكتمون والمقصود منه الامر بالاخلاص وترك النفاق ومن القول
حال من الجهر قوله لعله فتنة الظاهر ان هذه الجملة معلقة لادري والكوفيون يجرون الترجي
مجرى الاستفهام في ذلك الا ان النحويين لم يعدوا من المعلقات لعل وهي ظاهرة في ذلك كهذه الاية
ولقوله تعالى وما يدريك لعله يزكى وما يدريك لعل الساعة قريب **فصل** المعنى
وما ادري لعله تاخير العذاب عنكم او لعل ابهام الوقت الذي ينزل عليكم العذاب فتنة لكم
اي بلية لكم والفتنة البلوى والاختبار وقيل لعل تاخير الجهاد فتنة لكم اذا انتم دمتم على
كفركم وقيل لعل ما بينت لكم فتنة لكم لانه زيادة في عذابهم ان لم يومنوا ومتاع الى حين اي تتمتعون
الى انقضا اجالكم قوله تعالى قل رب احكم قرا حفص عن عاصم قال رب خبرا عن الرسول
صلى الله عليه وسلم والباقون قل على الامر وقرا العامة رب بكسر البا اجتزا بالكسرة عن يا الاضافة
وهي الفصحى وقرا ابو جعفر بضم البا فقال صاحب اللوامح انه منادى مفرد ثم قال وحذف
حرف الندا فيما كان ان يكون وصفا لاي بعيد بابه الشعر قال شهاب الدين وليس هذا من
المنادى المفرد بل نص بعضهم على ان هذه بعض اللغات الجايزة في المضاف الى يا المتكلم حال
ندايه وقرا العامة احكم على صورة الامر وقرا ابن عباس وعكرمة وابن يعمر ربي بسكون اليا
احكم افعل تفضيل فهما مبتدا وخبر وقرى احكم بفتح الميم كاكرم على انه فعل ماض في محل خبر
ايضا لربي وقرا العامة تصفون بالخطاب وقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي رضي
الله عنه يصفون باليا من تحت وهي مروية ايضا عن عاصم وابن عامر والسلمة والخطاب
واضح **فصل** المعنى رب افصل بيني وبين قومي بالحق اي بالعذاب والحق
هاهنا بمعنى العذاب كانه استعجل لهما العذاب نظيره ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
فلاجرم حكم الله عليهم بالقتل يوم بدر وقال اهل المعاني رب احكم بحكمك الحق فحذف
الحكم واقيم الحق مقامه والله يحكم بالحق طلب او لم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب
للحق وقيل المعنى افصل بيني وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو ان ينصرني عليهم وربنا الرحمن
المستعان على ما تصفون من الكذب والباطل وقيل كانوا يطمعون ان يكون لهم الشوكة والغلبة
فكذب الله ظنونهم وخيب امالهم ونصر رسول الله والمومنين **فصل** روي عن
ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اقترب للناس ه
حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القران ~ ~ ~

سورة الحج مكية

غير ست ايات نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى هذان خصمان الى قوله عز وجل وهدوا الى صراط
الحميد وهي ثمان وسبعون اية وعدد كلماتها الف ومايتان واحدى وسبعون كلمة وعدد حروفها
خمسة الاف وخمسة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم اي احذروا عقابه والامر بالتقوي يتناول اجتناب المحرمات واجتناب
ترك الواجبات قوله ان زلزلة الساعة الزلزلة شدة حركة الشي ويجوز في هذا المصدر وجهان
احدهما ان يكون مضافا الفاعله وذلك على تقديرين احدهما ان يكون من زلزل اللازم بمعنى
تزلزل اللازم فالتقدير ان تزلزل الساعة والثاني ان يكون من زلزل المتعدي ويكون المفعول
محذوفا تقديره ان زلزال الساعة الناس كذا قدره ابو البقا والاحسن ان يقدر ان زلزال الساعة
الارض يدل عليه قوله عز وجل اذا زلزلت الارض ونسبة التزلزل والزلزال الساعة على سبيل
المجاز الوجه الثاني ان يكون المصدر مضافا الي المفعول به على طريقة الاتساع في الظرف كقوله
طباخ ساعات الكري زاد الكسل وقد اوضح الزمخشري ذلك بقوله ولا تخلوا الساعة من ان تكون
على تقدير الفاعلة لها كانها هي التي تزلزل الاشيا على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة مصدرا مضافا
الي فاعله على تقدير المفعول فيها على طريق الاتساع في الظرف واجرايه مجري المفعول به كقوله
مكر الليل والنهار **فصل** اختلفوا في وقت هذه الزلزلة فقال علقمة والشعبي
هي من اشراط الساعة قبل قيام الساعة ويكون بعدها طلوع الشمس من مغربها قال ابن عباس
زلزلة الساعة قيامها فيكون معها روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الصور انه
قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيامة وان عند
نفخة الفزع يسير الله تعالي الجبال وترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة
وتكون الارض كالسفينة ضربتها الامواج او كالقنديل المعلق ترجحه الرياح وقال مقاتل وابن
زيد هذا في اول يوم من ايام الاخرة وليس في الاية دلالة على شي من هذه الاقوال قوله
يوم فيه اوجه احدها ان ينتصب بتذهل ولم يذكر الزمخشري غيره والثاني انه منصوب
بعظيم الثالث انه منصوب باضمار اذكر الرابع انه بدل من الساعة وانما فتح لانه مبني لاضافته
الي الفعل وهذا انما يتمشي على قول الكوفيين وتقدم تحقيقه اخر المايدة الخامس انه بدل
من زلزلة بدل اشتمال لان كلا من الحدث والزمان يصدق عليه انه مشتمل على الاخر ولا يجوز
ان ينتصب بزلزلة لما يلزم من الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر قوله ترونها في هذا الضمير
قولان اظهرهما انه ضمير الزلزلة لانها المحدث عنها ويؤيده ايضا تذهل كل مرضعة والثاني
انه ضمير الساعة فعلي الاول يكون الذهول والوضع حقيقة لانه في الدنيا وعلى الثاني يكون
على سبيل التعظيم والتهويل وانها بهذه الحيثية اذ المراد بالساعة القيامة وهو كقوله تعالي
يوما يجعل قوله تذهل في محل نصب على الحال من ها في ترونها فان الروية هنا بصرية
وهذا انما يجي على غير الوجه الاول واما الوجه الاول وهو ان تذهل ناصب ليوم ترونها فلا محل
للجملة من الاعراب لانها مستانفة او يكون محلها النصب على الحال من الزلزلة او من الضمير
في عظيم وان كان مذكرا لانه هو الزلزلة في المعنى او من الساعة وان كان مضافا اليها لانها اما
فاعل او مفعول كما تقدم واذا جعلناها حالا فلا بد من ضمير محذوف تقديره تذهل فيها وقرا
العامة تذهل بفتح التا والها من ذهل عن كذا يذهل وقرا ابن ابي عبلة واليماني بضم التا
وكسر الها ونصب كل على المفعولية من اذهله عن كذا يذهله عداه بالهمزة والذهول الاشتغال
عن الشي وقيل اذا كان مع دهشة وقيل اذا كان ذلك لطرا ان شاغل من هم او مرض ونحوهما وذهل
ابن سينا اصله من هذا والمرضعة من تلبست بالفعل والمرضع من شانها ان ترضع كحايض فاذا
اريد التلبس قيل حايضة قال الزمخشري فان قيل لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التي
هي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي من شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع
في حال وصفها به والمعني ان من شدة الهول تذهل هذه عن ولدها فكيف بغيرها وقال بعض
الكوفيين المرضعة يقال للام والمرضع يقال للمستاجرة غير الام وهذا مردود بقول الشاعر

• كمرضعة اولاد اخري وضيعت • بني بطنها هذا الضلال عن القصد •

واطلق المرضعة بالتا على غير الام وقول العرب مرضعة يرد ايضا قول الكوفيين ان الصفات
المختصة بالمونث لا يلحقها تا التانيث نحو حايض وطالق فالذي يقال ان قصد النسب
فالامر على ما ذكروا وان قصد الدلالة على التلبس بالفعل وجبت التا فيقال حايضة وطالقة
وطامثة قوله عما ارضعت يجوز في ما ان تكون مصدرية اي عن ارضاعها ولا حاجة الي تقدير

حذف على هذا ويجوز ان يكون بمعنى الذي فلا بد من حذف عايد اي ارضعته ويقويه تعدي
تضع الي مفعول دون مصدر والحمل بالفتح ما كان في بطن او على راس شجرة وبالكسر ما كان على
ظهر قوله تعالي وتري الناس سكاري قرا العامة على فتح التا في تري على خطاب الواحد
وقرا زيد بن علي بضم التا وكسر الرا على ان الفاعل ضمير الزلزلة او الساعة وعلى هذه القراة فلا بد من
مفعول اول محذوف ليتم المعني به اي وتري الزلزلة او الساعة الخلق الناس سكاري ويويد هذا
قراة ابي هريرة وابي زرعة وابي نهيك تري الناس سكاري بضم التا وفتح الرا على ما لم يسم
فاعله ونصب الناس بنوع من المتعدي لثلاثة فالاول قام مقام الفاعل وهو ضمير الخطاب
والناس سكاري هما الاول والثاني ويجوز ان يكون متعديا لاثنين فقط بمعني وتري الزلزلة
او الساعة الناس قوما سكاري فالناس هو الاول وسكاري هو الثاني وقرا الزعفراني وعباس
في اختياره وتري كقراة ابي هريرة رضي الله عنه الا انهما رفعا الناس على انه مفعول ما لم يسم
فاعله والتانيث في الفعل على تاويله بالجماعة وقرا الاخوان سكري وما هم بسكري على وزن صفة
المونثة بذلك واختلف في ذلك على هذه صيغة جمع على فعلي كمرضي وقتلي او صفة مفردة استغني
بها وصف الجماعة خلاف مشهور وتقدم في قوله اسري وظاهر كلام سيبويه انه جمع تكسير فانه
قال وقوم يقولون سكري جعلوه مثل مرضي لانهما شيان يدخلان على الانسان ثم جعلوا
روبي مثل سكري وهم المستثقلون نوما من شرب الرايب وقال الفارسي ويصح ان يكون جمع
سكر كزمن وزمني وقد حكي رجل سكر بمعني سكران فتجي سكري حينيذ لتانيث الجمع قاله
شهاب الدين ومن ورود سكري بمعني سكران قوله

• وقد جعلت اذا ما قمت يثقلني • ثوبي فانهض نهض الشارب السكر •
• وكنت امشي على رجلين معتدلا • فصرت امشي على اخري من الشجر •

ويروي البيت الاول الشارب الثمل والاول اصح لدلالة البيت الثاني عليه وقرا الباقون سكاري
بضم السين وقد تقدم في البقرة خلاف هل هذه الصفة جمع تكسير او اسم جمع وقرا ابو هريرة
وابو نهيك وعيسي بفتح السين فيهما وهو جمع تكسير واحده سكران قال ابو حاتم وهي لغة تميم
وقرا الحسن والاعرج وابو زرعة والاعمش سكري وما هم بسكري بضم السين فيهما فقال
ابن جني هي اسم مفرد كالبشري لهذا افتاني ابو علي وقال ابو الفضل فعلي بضم الفا من صفة
الواحد من الاناث لكنها لما جعلت من صفات الناس وهم جماعة اجريت الجماعة مجري المونث
الموحد وقال الزمخشري هو غريب قال شهاب الدين ولا غرابة فان فعلي بضم الفا كثير
مجيها في اوصاف المونثة نحو الربي والحبلي وجوز ابو البقا فيه ان تكون محذوفا من سكاري
وكان من حق هذا القاري ان تحرك الكاف بالفتح ابقا لها على ما كانت عليه وقد رواها بعضهم
كذلك عن الحسن وقري ويري الناس بالياء من تحت ورفع الناس وقرا ابو زرعة في رواية سكري
بالفتح وما هم بسكري بالضم وعن ابن جبير كذلك الا انه حذف الالف من الاول دون الثاني
واثبات السكر وعدمه بمعني الحقيقة والمجاز اي وتري الناس سكري على التشبيه وما هم
بسكري على التحقيق قال الزمخشري فان قلت لم قيل اولا ترون ثم قيل تري على الافراد
قلت لان الروية اولا علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا راين لها وهي معلقة اخرا بكون
الناس على حال السكر فلا بد ان يجعل كل واحد منهم رايا لسايرهم **فصل** روي ان هاتين
الايتين نزلتا بالليل في غزوة بني المصطلق والناس يسيرون فنادي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاجتمعوا حوله فقراها عليهم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السرج
عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا القدور والناس بين باك وجالس حزين متفكر فقال
صلى الله عليه وسلم اتدرون اي يوم ذلك اليوم قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم يقول
الله لادم صلى الله عليه وسلم قم فابعث بعث النار من ولدك فيقول ادم وما بعث النار
فيقول الله عز وجل من كل الف تسع مائة وتسعة وتسعين الي النار وواحدا الي الجنة
فعند ذلك يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وتري الناس سكاري وما هم بسكاري
قال فيقولون راينا ذلك الواحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعمائة وتسعة
وتسعون من ياجوج وماجوج ومنكم واحد وفي رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

يسروا وسددوا وقاربوا فان فيكم خليقتين ما كانتا في قوم الا كثرتاه ياجوج وماجوج ثم قال
اني لارجوا ان يكونوا ربع اهل الجنة فكبروا وحمدوا الله تعالى ثم قال اني لارجوا ان يكونوا
نصف اهل الجنة فكبروا وحمدوا الله تعالى ثم قال اني لارجوا ان يكونوا ثلثي اهل الجنة ان اهل
الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون امتي واما المسلمون في الكفار الا كالشامة في جنب البعير
او كالشعرة البيضاء في الثور الاسود ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ويدخل من امتي سبعون
الفا الجنة بغير حساب فقال عمر رضي الله عنه سبعون الفا فقال نعم ومع كل واحد
سبعون الفا فقام عكاشة بن محصن وقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم قال انت
منهم فقام رجل من الانصار وقال مثل قوله فقال سبقك بها عكاشة فخاض الناس في
السبعين الفا فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا فقال صلى الله عليه وسلم هم
الذين لا يكتوون ولا يرقون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون **فصل**
معنى الاية قال ابن عباس رضي الله عنهما تذهل وتشتغل وقيل تنسا كل مرضعة اذا شاهدت
ذلك الهول وقد القمت ثديها نزعته من فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت اي عن ارضاعها
او عن الذي ارضعته وهو الطفل وتضع كل ذات حمل حملها اي تسقط ولدها التمام وغير التمام
قال الحسن وهذا يدل على ان هذه الزلزلة تكون في الدنيا لان بعد البعث لا يكون حمل قال
القفال ويحتمل ان يقال ان من ماتت حاملا او مرضعة بعثت حاملا ومرضعة تضع حملها من
الفزع ويحتمل ان يكون المراد من ذهول المرضعة ووضع الحامل على جهة المثل كما تاولوا قوله
تعالى يوما يجعل الولدان شيبا وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب وقيل
معناه كانهم سكارى ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم فان قيل
هل يحصل ذلك الخوف لكل احد او لاهل النار خاصة فالجواب قال قوم ان الفزع الاكبر وغيره
يختص باهل النار وان اهل الجنة يحشرون وهم امنون لقوله سبحانه لا يحزنهم الفزع الاكبر وقيل
بل يحصل للكل لانه تعالى لا اعتراض عليه في شيء من افعاله **فصل** احتجت المعتزلة
بقوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم وصفها بانها شيء مع انها معدومة وبقوله سبحانه ان
الله على كل شيء قدير فالشيء الذي قدر الله عليه سبحانه اما ان يكون موجودا او معدوما والاول محال
والا لزم كون القادر قادرا على ايجاد الموجود واذا بطل هذا ثبت ان الشيء الذي قدر الله عليه معدوم
فالمعدوم شيء واحتجوا ايضا بقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله اطلق اسم الشيء
على المعدوم في الحال فالمعدوم شيء واجيب عن الاول ان الزلزلة عبارة عن الاجسام المتحركة
وهي جواهر قامت بها اعراض وتحقق ذلك في العدم محال فالزلزلة يستحيل ان يكون شيئا حال
عدمه فلا بد من التاويل ويكون المعنى انها اذا وجدت صارت شيئا وهذا هو الجواب عن الباقي
قوله تعالى ومن الناس من يجادل الاية في النظم وجهان الاول انه اخبر فيما تقدم عن اهوال القيمة
وشدتها ودعا الناس الى تقوى الله عز وجل ثم ميز في هذه الجملة قوما من الناس الذين ذكروا
في الاولى واخبر عن مجادلتهم الثاني انه تعالى بين انه مع هذا التحذير الشديد بذكر زلزلة
الساعة وشدائدها قال ومن الناس من يجادل في الله بغير علم قوله من يجادل يجوز ان
يكون من نكرة موصوفة وان يكون موصولة وفي الله اي في صفاته وبغير علم مفعول او
حال من فاعل يجادل وقرا زيد بن علي ويتبع مخففا **فصل** قال المفسرون نزلت
في النضر بن الحرث كان كثير الجدل وكان يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين
وكان ينكر البعث واحياء من صار ترابا ويتبع في جداله في الله بغير علم كل شيطان مريد والمريد
المتمرد المستمر في الشر يريد شياطين الانس وهم رؤساء الكفار الذين يدعون من دونهم الى الكفر
وقيل اراد ابليس وجنوده قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الاملس يقال صخرة مرداء اي
ملساء ويجوز ان يستعمل في غير الشيطان اذا جاوز مثله قوله كتب عليه انه قرا العامة كتب مبنيا
للمفعول وفتح ان في الموضعين وفي ذلك وجهان احدهما ان انه وما في حيزه في محل رفع لقيامه
مقام الفاعل فالهاء في عليه وفي انه يعودان على من المتقدمة ومن الثانية يجوز ان تكون شرطية
والفاء جوابها وان تكون موصولة والفاء زائدة في الخبر لشبه المبتدا بالشرط وفتحت ان الثانية
لانها وما في حيزها في محل رفع خبر لمبتدا محذوف تقديره فشانه وحاله انه يضله او يقدر فانه

مبتدا والخبر محذوف اي فله ان يضله الثاني قال الزمخشري ومن فتح فلان الاول فاعل
كتب والثاني عطف عليه قال ابو حيان وهذا لا يجوز لانك اذا جعلت فانه عطفا على انه بقيت
انه بلا استيفا خبر لان من تولاه من فيه مبتداه فان قدرتها موصولة فلا خبر لها حتى تستقل خبر الانه
وان جعلتها شرطية فلا جواب لها اذا جعلت فانه عطفا على انه قال شهاب الدين وقد ذهب ابن
عطية الى قول الزمخشري فانه قال وانه في موضع رفع على المفعول الذي لم يسم فاعله واما الثانية
عطف على الاولى موكدة وهذا رد واضح وقري مبنيا للفاعل اي كتب الله فان وما في خبرها في محل
نصب على المفعول به وباقي الاية على ما تقدم وقرا الاعمش والجعفي عن ابي عمرو انه فانه بكسر الهمزتين
وقال ابن عطية وقرا ابو عمرو انه فانه بالكسر فيهما وهذا يوهم انه مشهور عنه وليس كذلك وفي تخريج
هذه القراة ثلاثة اوجه ذكرها الزمخشري الاول ان يكون على حكاية المكتوب كما هو كانه قيل كتب
عليه هذا اللفظ كما يقول كتب عليه ان الله هو الغني الحميد الثاني ان يكون على اضمار القول اي
كتب فيه بمعنى قيل قال ابو حيان اما تقدير قيل يعني فيكون عليه في موضع ما لم يسم فاعله
وانه من تولاه الجملة مفعولة لما لم يسم لقيل المضمرة وهذا ليس مذهب البصريين فان الجملة عندهم
لا تكون فاعلا فلا تكون معنى مفعول ما لم يسم فاعله وكان ابو حيان قد اختار ما بدا به الزمخشري
اولا وفيما قدمته وهو انه اسند الفعل الى الجملة فاللازم مشترك وقد تقدم تقرير مثل هذا في اول
البقرة ثم قال واما الثاني يعني انه ضمن كتب معنى القول فليس مذهب البصريين لانه لا تكسر
عندهم الا بعد القول الصريح لا ما هو بمعناه والضميران في عليه وانه عائدان على من الاولى كما تقدم
وكذلك الضماير في تولاه فانه والمرفوع في يضله ويهديه لان من الاولى هو المحدث والضمير المرفوع
في تولاه والمنصوب في يضله ويهديه عايد على من الثانية وقيل الضمير في عليه لكل شيطان والضمير
في فانه للشان وقال ابن عطية الذي يظهر لي ان الضمير الاول في انه يعود على كل شيطان وفي
فانه يعود على من الذي هو المتولي **فصل** قيل معنى كتب عليه مثل اي كانما
كتب اضلال من تولاه عليه لظهور ذلك في حاله وقيل كتب عليه في ام الكتاب واعلم ان هذا الكلام
يحتمل ان يكون راجعا الى من يجادل وان يرجع الى الشياطين فان رجع الى من يجادل فانه يرجع
الى لفظه الذي هو موحد فكانه قال كتب من يتبع الشيطان انه يضله عن الجنة ويهديه الى
النار وذلك زجر منه فكانه قال كتب على من هذا حاله ان يصير اهلا لهذا
الوعد وان رجع الى الشيطان كان المعنى ويتبع كل شيطان مريد قد كتب عليه انه من تولاه فهو
ضال وعلى هذا الوجه ايضا يكون زجرا عن اتباعه قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من
البعث الاية لما حكى عنهم الجدال بغير علم في اثبات الحشر والنشر وذمهم عليه الزمهم الحجة واورد
الدلالة على صحة ذلك من وجهين احدهما الاستدلال بخلقة الحيوان اولا ثم بخلقة النبات ثانيا
وهذا موافق لما اجمله في قوله تعالى قل يحييها الذي انشاها اول مرة وقوله فسيقولون من
يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة فكانه تعالى قال ان كنتم في ريب اي شك من البعث ففكروا في
خلقتكم الاولى لتعلموا ان القادر على خلقكما اولا قادر على خلقكم ثانيا قوله من البعث يجوز
ان يتعلق بريب ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه صفة لريب وقرا الحسن البعث بفتح العين
وهي لغة كالطرد والطرد والحلب والحلب بالسكون قال ابو حيان والكوفيون اسكان العين
عندهم تخفيف فيما وسطه حرف حلق كالنهر والنهر والشعر والشعر والبصريون لا يقيسونه
وما ورد من ذلك هو عندهم مما جاء فيه لغتان وهذا يوهم ظاهره ان الاصل البعث بالفتح وانما خفف
وليس الامر كذلك وانما محل النزاع اذا سمع الحلقي مفتوح العين يجوز تسكينه ام لا الا انه كلما جاء
ساكن العين من الحلقي لا يدعى ان اصلها الفتح كما هو ظاهر عبارته قوله فانا خلقناكم من تراب
اي خلقنا اصلكم وهو ادم عليه السلام من تراب نظيره قوله تعالى كمثل ادم خلقه من تراب
وقوله تعالى منها خلقناكم ويحتمل ان خلق الانسان من المني ودم الطمث وهما يتولدان من
الاغذية والاغذية اما حيوان او نبات وغذا الحيوان ينتهي الى النبات قطعا للتسلسل والنبات
انما يتولد من الارض والماء فصح قوله انا خلقناكم من تراب **فصل** قال النووي في ه
التهذيب التراب معروف والمشهور الصحيح الذي قاله الفرا والمحققون انه جنس لا يثنى ولا يجمع ونقل
ابو عمرو الزاهد في شرح الفصيح عن المبرد انه قال جمع واحده ترابة والنسبة الى التراب ترابي

وذكر النحاس في كتابه صناعة الكتاب في التراب ثنتي عشرة لغة فقال تراب وتورب على وزن
جعفر وتوراب وتيرب بفتح اولها والاثلب والاثلب الاول بكسر الهمزة واللام والثاني بفتحهما والثا
مثلثة فيهما ومنه توهم بعضهم انه الاثلب وهو المكثكث وبالثا المثلثة المكررة والكثكث بكسر الكافين
والدقعم بكسر الدال والعين والرقعا بالمد والرغام بفتح الرا والغين المعجمة ومنه ارغم الله
انفه اي الصقه بالرغام وهو التراب وصبا مفتوح البا الموحدة كالعصا والكلخ بكسر الكاف
والخا المعجمة واسكان اللام بينهما والكلمخ بكسر الكاف واسكان الميم بينهما والخا ايضا معجمة
والعثير بكسر العين المهملة واسكان الثا المثلثة وبعدها يا مثناة من تحت مفتوحة قوله
ثم من نطفة والنطفة اسم للما القليل اي ما كان وهو هنا ما الفحل وجمعها نطاف فكانه سبحانه
يقول انا الذي قلبت ذاك التراب اليابس لطيفا مع انه لا مناسبة بينهما والمراد من الخلق
من النطفة الذرية قوله ثم من علقة العلقة قطعة الدم الجامدة وجمعها علق ولا شك
ان بين الما وبين الدم الجامد مباينة شديدة وعن بعضهم وقد سئل عن اصعب الاشيا
فقال وقع الزلق على العلق اي على دم القتلى في المعركة قوله ثم من مضغة المضغة القطعة
من اللحم قدر ما يمضغ نحو الغرفة والاكلة بمعنى المغروفة والماكولة قوله مخلقة وغير مخلقة
العامة على الجر في مخلقة وفي غير على النعت وقرا ابن ابي عبلة بنصبهما على الحال من النكرة وهو
قليل جدا وان كان سيبويه قاسه والمخلقة الملسا التي لا عيب فيها من قولهم صخرة خلقا اي ملسا
وخلقت السواك سويته وملسته وقيل التضعيف في مخلقة دلالة على تكثير الخلق لان الانسان
ذو اعضا متباينة وخلق متفاوتة قاله الشعبي وقتادة وابو العالية وقال ابن عباس
وقتادة رضي الله عنهما مخلقة تامة الخلق وغير مخلقة اي ناقصة الخلق وقال مجاهد
مصورة وغير مصورة وهو السقط وقيل المخلقة من تمت فيها احوال الخلق وغير المخلقة
من لم يتم فيه احوال الخلق قاله قتادة والضحاك وقيل المخلقة السقط روي علقمة عن ابن
مسعود قال ان النطفة اذا استقرت في الرحم اخذها ملك بكفه وقال اي رب مخلقة وغير
مخلقة فان قال سبحانه غير مخلقة قذفها في الرحم دما ولم تكن نسمة وان قال تعالى مخلقة
قال الملك اي رب ذكر ام انثى اشقي ام سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق وباي ارض تموت فقال
له اذهب الى ام الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها في ام الكتاب فينسخها فلا تزال
معه حتى تاتي على اخر صفتها قوله لنبين لكم اي لنبين لكم كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف
اطوار خلقكم لتستدلوا بقدرته في ابتدا الخلق على قدرته على الاعادة وقيل لنبين لكم ان تغيير
المضغة والخلقة هو اختيار من الفاعل المختار ولولاه لما صار بعضه مخلقا وبعضه غير مخلق
وقيل لنبين لكم ما تاتون وما تذرون وما تحتاجون اليه في العبادة قوله ونقر في الارحام
ما نشا العامة على رفع ونقر لانه مستانف وليس علة لما قبله فينصب نسقا على ما تقدم وقرا
يعقوب وعاصم في رواية بنصبه قال ابو البقا على ان يكون معطوفا في اللفظ والمعنى مختلف
لان اللام في لنبين للتعليل واللام المقدرة مع نقر للصيرورة وفيه نظر لان قوله معطوفا في
اللفظ يدفعه قولك واللام المقدرة فان تقدير اللام يقتضي النصب باضمار ان بعدها الا بالعطف
على ما قبله وعن عاصم ايضا ثم نخرجكم بنصب الجيم وقرا ابن ابي عبلة ليبين ويقر بالياء من تحت
فيهما والفاعل هو الله تعالى كما في قراة النون وقرا يعقوب في رواية ونقر بفتح النون وضم
القاف ورفع الرا من قر الما يقره اي صبه وقرا ابو زيد النحوي ويقر بفتح اليا من تحت وكسر
القاف ونصب الرا ويقر الله وهو من قر الما اذا صبه وفي الكامل لابن جبارة لنبين ونقر ثم نخرجكم
بالنصب فيهن يعني وبالنون في الجميع المفضل وباليا فيها مع النصب ابو حاتم وباليا والرفع عمر بن
شبه انتهى قال الزمخشري والقراة بالرفع اخبار بانه يقر في الارحام ما يشا ان يقره ثم قال
والقراة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين
احدهما ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام من نقر ثم تولدوا وتنشوا وتبلغوا حد
التكليف فاكلفهم ويعضد هذه القراة قوله ثم لتبلغوا اشدكم قال شهاب الدين تسمية مثل هذه
الافعال المسندة الى الله تعالى غرضا لا يجوز وقرا ابن وثاب نشا بكسر النون وهو كسر حرف المضارعة
كما تقدم في قوله تعالى نستعين والمراد بالاجل المسمى يعني نقر في الارحام ما نشا فلا تمجه ولا تسقطه

الى اجل مسمى وهو حد الولادة وهو اخر ستة اشهر او تسعة اشهر او اربع سنين كما نشا وقدرنا تمام
الخلق والمدة قوله ثم نخرجكم طفلا اي نخرجكم من بطون امهاتكم طفلا حال من مفعول نخرجكم
وانما وحد لانه في الاصل مصدر كالرضى والعدل فيلزم الافراد والتذكير قال المبرد واما لانه مراد
به الجنس ولان العرب تذكر الجمع باسم الواحد قال تعالى والملايكة بعد ذلك ظهير واما لان المعنى
نخرج كل واحد نحو القوم يشبعهم رغيف اي كل واحد منهم وقد يطابق به ما يراد به فيقال طفلان
واطفال وفي الحديث سئل عن اطفال المشركين والطفل يطلق على الولد من حين الانفصال الى
البلوغ واما الطفل بالفتح فهو الناعم والمراة طفلة قال

ولقد لهوت بطفلة ميالة • بلها تطلعني على اسرارها

اما الطفل بفتح الطا والفا فوقت ما بعد العصر من قولهم طفلت الشمس اذا مالت للغروب واطفلت
المراة اي صارت ذا طفل قوله ثم لتبلغوا اشدكم الاشد كمال القوة والعقل وهو من الفاظ الجموع
التي لا واحد لها فبنيت لذلك على لفظ الجمع والمعنى انه سهل في تربيتكم واعطيتكم امورا الى اشدكم
فنبه بذلك على الاحوال التي من خروج الطفل من بطن امه وبين بلوغ الاشد لان بين الحالتين
وسايط قوله ومنكم من يتوفى العامة على ضم اليا من يتوفى وقرات فرقة يتوفى بفتح اليا وفيه
تخريجان احدهما ان الفاعل ضمير الله تعالى اي يتوفاه الله تعالى كذا قدره الزمخشري والثاني ان
الفاعل ضمير من اي يتوفى اجله وهذه القراة كالتي في البقرة والذين يتوفون منكم اي مدتهم ومعنى
الاية ومنكم من يتوفى على قوته وكماله ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو الهرم والخرف فيصير كما كان في اول
الطفولية ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم وروي عن ابي عمرو ونافع انهما قرا العمر بسكون
الميم وهو تخفيف قياسي نحو عنق في عنق قوله لكيلا يعلم هذا الجار متعلق بيرد وتقدم نظيره
في النحل والمعنى يبلغ من السن ما يتغير عقله فلا يعقل شيا فان قيل انه يعلم بعض الاشيا كالطفل
فالجواب المراد انه يزول عقله فيصير كانه لا يعلم شيا لان مثل ذلك قد يذكر في النفي مبالغة ومن الناس
من قال هذه الحال لا تحصل للمومنين لقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وهو
ضعيف لان معنى قوله ثم رددناه دلالة على الذم فالمراد ما يجري مجرى العقوبة ولذلك قال تعالى
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون وهذا تمام الاستدلال بخلقة الحيوان واما
الاستدلال بالنبات فهو قوله وترى الارض هامدة فنصب هامدة على الحال لان الروية بصرية والهمود
السكون والخشوع وهمدت الارض يبست ودرست وهمد الثوب بلي قال الاعشى

قالت قتيلة ما لجسمك شاحبا • واري ثيابك باليات همدا

والاهتزاز التحرك ويجوز به هنا عن انبات الارض نباتها بالما والجمهور على ربت اي زادت من ربا
يربو وقرا ابو جعفر وعبد الله بن جعفر وابو عمرو في رواية وربات بالهمز اي ارتفعت يقال ربا بنفسه
عن كذا اي ارتفع عنه ومنه الربيئة وهو من يطلع على موضع عال لينظر للقوم ما ياتيهم وهو عين
القوم ويقال له ربي ايضا قال الشاعر

بعثنا ربيا قبل ذلك مخملا • كذيب الغضا يمشي الضرا ويتقي

قوله من زوج فيه وجهان احدهما انه صفة للمفعول المحذوف تقديره وانبتت الوانا وازواجا من
كل زوج والثاني ان من زايدة اي انبتت كل زوج وهذا ماش عند الكوفيين والاخفش والبهيج
الحسن الذي يسر ناظره وقد بهج بالضم بهاجة وبهجة اي حسن وابهجني كذا اي سرني بحسنه

فصل

المعنى وترى الارض هامدة يابسة لا نبات فيها فاذا انزلنا عليها الما المطر
اهتزت تحركت بالنبات والاهتزاز الحركة على سرور وربت اي ارتفعت وزادت وذلك ان الارض ده
ترتفع وتنتفخ فذلك تحركها وقيل فيه تقديم وتاخير معناه ربت واهتزت قال المبرد اراد اهتزت
وربا نباتها فحذف المضاف والاهتزاز في النبات اظهر يقال اهتز النبات اي طال وانما انث لذكر الارض
وانبتت من كل زوج بهيج وهذا مجاز لان الارض لا تنبت وانما المنبت هو الله تعالى لكنه يضاف
اليها توسعا ومعنى من كل زوج اي من كل نوع من انواع النبات والبهجة حسن الشي ونضارته
ثم انه تعالى لما قرر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب وذلك قوله تعالى ذلك بان الله هو
الحق الاية ذلك فيه ثلاثة اوجه احدها انه مبتدا والخبر الجار بعده والمشار اليه ما تقدم من خلق
بني ادم وتصويرهم حاصل بان الله هو الحق وانه الثاني ان ذلك خبر مبتدا مضمر اي الامر

ذلك الثالث ان ذلك منصوب بفعل مقدر اي فعلنا ذلك بسبب ان الله هو الحق فالباقي الاول مرفوعة المحل وعلى الثاني والثالث منصوبته قوله وان الساعة اتية فيه وجهان احدهما انه عطف على المجرور بالباء اي ذلك بان الساعة والثاني انه ليس معطوفا عليه ولا داخلا في حيز السببية وانما هو خبر والمبتدا محذوف لفهم المعنى والتقدير والامر ان الساعة ولا ريب فيها يحتمل ان تكون هذه الجملة خبرا ثانيا وان يكون حالا **فصل** المعنى ذلك لتعلموا ان الله هو الحق والحق هو الموجود الثابت فكانه تعالى بين ان هذه الوجوه المتنافية وتواردها على الاجسام يدل على وجود الصانع وانه يحيي الموتى وهذا تنبيه على انه لما لم يستبعد من الاله ايجاد هذه الاشيا فكيف يستبعد منه اعادة الاموات وانه على كل شي قدير اي ان الذي يصح منه ايجاد هذه الاشيا لا بد وان يجب اتصافه بالقدارة لذاته ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور والمعنى انه تعالى لما اقام الدلايل على ان الاعادة في نفسها ممكنة وانه سبحانه قادر على كل الممكنات وجب القطع بكونه قادرا على الاعادة واذا ثبت الامكان والصادق اخبر عن وقوعه فلا بد من القطع بوقوعه **قوله** تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم الاية جعل ابن عطية هذه الواو للحال فقال وكانه يقول هذه الامثال في غاية الوضوح ومن الناس مع ذلك من يجادل فكان الواو للحال والاية المتقدمة الواو فيها واو عطف قال ابو حيان ولا يتخيل ان الواو في ومن الناس من يجادل واو حال وعلى تقدير الجملة التي قدرها قبله لو كان مصرحا بها فلا يتقدر بان فلا يكون للحال وانما هي للعطف قال شهاب الدين ومنعها من تقديرها باذ فيه نظر اذ لو قدر لم يلزم منه محذور وقوله بغير علم يجوز ان يتعلق بيجادل وان يتعلق بمحذوف على انه حال من فاعل يجادل اي يجادل ملتبسا بغير علم اي جاهلا قوله ثاني عطفه حال من فاعل يجادل اي معرضا وهي اضافة لفظية نحو ممطرنا والعامة على كسر العين وهو الجانب كني به عن التكبر والحسن بفتح العين وهو مصدر بمعنى التعطف وصفه بالقسوة ليضل متعلق اما بيجادل واما بثاني عطفه وقرا العامة بضم اليا من يضل والمفعول محذوف اي ليضل غيره وقرا مجاهد وابو عمرو في رواية بفتحها اي ليضل هو في نفسه قوله له في الدنيا خزي هذه الجملة يجوز ان تكون حالا مقارنة اي مستحقا ذلك وان يكون حالا مقدرة وان تكون مستانفة وقرا زيد بن علي واذيقه بهمزة المتكلم وعذاب الحريق يجوز ان يكون من باب اضافة الموصوف لصفته اذ الاصل العذاب الحريق اي المحرق كالسميع بمعنى المسمع **فصل** قال ابو مسلم ان الاية الاولى واردة في الاتباع المقلدين وهذه الاية واردة في المتبعة عن المقلدين فان كلا المجادلين جادل بغير علم وان كان احدهما تبعا والاخر متبوعا وبين ذلك قوله ولا هدي ولا كتاب منير فان مثل ذلك لا يقال في المقلد وانما يقال فيمن يخاصم بنا على شبهته فان قيل كيف يصح ما قلتم والمقلد لا يكون مجادلا قلنا يجادل تصويبا لتقليده وقد يورد الشبهة الظاهرة اذا تمكن منها وان كان معتمده الاصلي هو التقليد وقيل ان الاية نزلت في النضر بن الحرث وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وفايدة التكرير المبالغة في الذم وايضا قد كرر في الاية الاولى اتباعه تقليدا بغير حجة وفي الثانية مجادلته في الدين واضلاله غيره بغير حجة والاول اقرب لما تقدم ودلت الاية على انه لا جدال مع العلم والهدي والكتاب حق حسن والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدي الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي والمعنى يجادل من غير مقدمة ضرورية ولا نظرية ولا سمعية وهي كقوله سبحانه ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم ثم قال تعالى ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله ثني العطف عبارة عن التكبر والخيلا قال مجاهد وقتادة لاوي عنقه وقال عطية وابن زيد معرضا عما يدعى اليه تكبرا والعطف الجانب وعطفا الرجل جانباه عن يمين وشمال وهو الموضع الذي يعطفه الانسان اي يلويه ويميله عند الاعراض عن الشي ونظيره قوله تعالى واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا وقوله سبحانه واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ليضل عن سبيل الله فمن ضم اليا فمعناه ليضل غيره عن طريق الحق فجمع بين الضلال والكفر واضلال الغير ومن فتح اليا فالمعنى ليضل هو عن دين الله له في الدنيا خزي عذاب وهوان وهو القتل ببدر فقتل النضر وعقبة بن ابي معيط يوم بدر صبرا وتذليله

يوم

يوم القيمة عذاب الحريق ويقال له ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد والكلام في قوله ذلك بان الله كالكلام في قوله ذلك بما قدمت وكذا قوله وان الله يجوز عطفه على السبب ويجوز ان يكون التقدير والامر ان الله فيكون منقطعا عما قبله قوله ظلام مثال مبالغة فان قيل اذا قلت ليس زيد بظلام لا يلزم منه اصل الظلم فان نفي الاصل لا يستلزم نفي الاخص فالجواب ان المبالغة انما جي بها للتكثير محلها فان العبيد جمع واحسن من هذا ان فعالا هنا للنسب اي بذي ظلم لا للمبالغة **فصل** قالت المعتزلة هذه الاية تدل على خطا لبا الاول دلت على ان العبد انما وقع في ذلك العذاب بسبب عمله فلو كان فعله خلقا لله تعالى لكان حين خلقه استحال منه ان لا يتصف به فلا يكون ذلك العقاب بسبب فعله فاذا عاقبه عليه كان ذلك محض الظلم وذلك خلاف النص الثاني قوله سبحانه وان الله ليس بظلام للعبيد يدل على انه سبحانه انما لم يكن ظالما بفعل ذلك العذاب وهذا يدل على انه لو عاقبه لا بسبب فعل يصدر من جهته لكان ظالما وهذا يدل على انه لا يجوز تعذيب الاطفال لكفر ابايهم الثالث انه سبحانه تمدح بانه لا يفعل الظلم فوجب ان يكون قادرا عليه خلاف ما يقول النظام واين يصح ذلك منه خلاف ما يقوله اهل السنة الرابع انه لا يجوز الاستدلال بهذه الاية على انه تعالى لا يظلم لان عندهم صحة نبوة النبي موقوفة على نفي الظلم فلو اثبتنا ذلك بالدليل السمعي لزم الدور واجاب ابن الخطيب عن الكل بالمعارضة بالعلم والداعي **قوله** تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وقتادة نزلت في قوم من الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان احدهم اذا قدم المدينة فصح بها جسمه ونتجت فرسه مهرا حسنا وولدت امراته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد اصبت فيه خيرا واطمان اليه وان اصابه مرض وولدت امراته جارية واجهضت رماكه وقل ماله قال ما اصبت منذ دخلت هذا الدين الا شرا فينقلب عن دينه وذلك الفتنة فانزل الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف قال اكثر المفسرين اي على شك واصله من حرف الشي وهو طرفه وقيل على انحراف او على طرف الدين لا في وسطه كالذي يكون في طرف العسكر ان راى خيرا ثبت والا فر وعلى حرف حال من فاعل يعبد اي متزلزلا ومعنى على حرف اي على شك او على انحراف او على طرف الدين لا في وسطه **فصل** لما بين حال المظهرين للشرك المجادلين فيه عقبه بذكر المنافقين فقال سبحانه ومن الناس من يعبد الله على حرف وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمانينة كالذي يكون على طرف العسكر فان احس بغنيمة قر والا فر وهذا هو المراد بقوله سبحانه فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه قال الحسن رضي الله عنه هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه فان اصابه خير وصحة في جسمه وسعة في معيشته اطمان به وسكن اليه وان اصابته فتنة بلا في جسده وضيق في معيشته اطمان به انقلب على وجهه ارتد ورجع الى ما كان عليه من الكفر **فصل** ذكروا في السبب وجوها احدها ما تقدم والثاني قال الضحاك نزلت في المولفة قلوبهم منهم عيينة بن بدر والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس قال بعضهم لبعض ندخل في دين محمد فان اصابنا خير عرفنا انه حق وان كان غير ذلك عرفنا انه باطل الثالث قال ابو سعيد الخدري اسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وولده فقال يا رسول الله اقلني فاني ما اصبت من ديني هذا خيرا ذهب بصري ومالي وولدي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاسلام لا يقال ان الاسلام يسبك كما يسبك النار خبث الحديد والذهب والفضة ونزلت هذه الاية وههنا اشكال وهو ان المفسرين اجمعوا على ان هذه السورة مكية الا ست ايات ذكروها اولها هذان خصمان اختصموا الى قوله تعالى صراط الحميد ولم يعدوا هذه الوقايع التي ذكروها في سبب نزول هذه الاية مع انهم كيف قال وان اصابته فتنة انقلب والخير ايضا فتنة لانه امتحان قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فالجواب مثل هذا كثير في اللغة لان النعمة بلاء وابتلاء قال تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه ولكن انما يطلق اسم البلا على ما ينفر عنه الطبع والمنافق ليس عنده الخير الا الخير الدنيوي وليس عنده الشر الا الشر الدنيوي لانه لا دين له فلذلك وردت الاية على ما يعتقده فان قيل اذا كانت الاية في المنافق فما قوله انقلب على وجهه وهو في الحقيقة فان قيل مقابل الخير هو الشر قلنا فان اصابه خير اطمان به كان يجب ان

يقول وان اصابه شر انقلب على عقبه فالجواب لما كانت الشدة ليست بقبيحة لم يقل تعالى وان
اصابه شر بل وصفه بما لا يفيد فيه القبح قوله خسر الدنيا والآخرة قرأ العامة خسر فعلا ماضيا
وهو يحتمل ثلاثة اوجه الاستيناف والحالية من فاعل انقلب ولا حاجة الى اضمار قد على الصحيح
والبدلية من قوله انقلب كما ابدل المضارع من مثله في قوله يلق اثاما يضاعف وقرأ مجاهد
والاعرج وابن محيصن والجحدري في آخرين خاسر بصيغة اسم الفاعل منصوب على الحال وهي تؤيد
كون الماضي في قراءة العامة حالا وقرئ برفعه وفيه وجهان احدهما ان يكون فاعلا بانقلب ويكون من
وضع الظاهر موضع المضمر اي انقلب خاسر الدنيا والاصل انقلب هو والثاني انه خبر مبتدا محذوف
اي هو خاسر وهذه القراءة تؤيد الاستيناف في قراءة المضي على التخريج الثاني وحق من قرأ خاسر رفعا
ونصبا ان يجر الآخرة لعطفها على الدنيا المجرورة بالاضافة ويجوز ان يبقى النصب فيها اذ يجوز ان
يكون الدنيا منصوبة وانما حذف التنوين من خاسر لالتقاء الساكنين نحو قوله ولا ذاكر الله الا قليلا

فصل معنى خسرانه الدنيا هو انه خسر العز والكرامة واصابة الغنيمة واهلية الشهادة
والامامة والقضاء ولا يبقى ماله ودمه مصونا واما خسران الآخرة فيفوته الثواب الدائم ويحصل
له العقاب الدائم وذلك هو الخسران المبين قوله يدعو من دون الله ما لا يضره ان عصاه ولم
يعبده وما لا ينفعه ان اطاعه وعبده وذلك هو الضلال البعيد عن الحق والرشد وهذه الاية
تدل على ان الاية الاولى نزلت في اليهودي لانه ليس ممن يدعو من دون الله الاصنام والاقرب انها
واردة في المشركين الذين انقطعوا الى الرسول على وجه النفاق قوله يدعو لمن ضره اقرب
من نفعه فيه عشرة اوجه وذلك انه اما ان يجعل يدعو مسلطا على الجملة من قوله لمن ضره اقرب
من نفعه اولا فان جعلناه مسلطا عليها كان فيه سبعة اوجه احدها ان يدعو بمعنى يقول
واللام للابتداء ومن موصولة في محل رفع بالابتداء وضره مبتدا ثان واقرب خبره وهذه الجملة
صلة للموصول وخبر الموصول محذوف تقديره يقول للذي ضره اقرب من نفعه اله او الهي او نحو
ذلك والجملة كلها في محل نصب بيدعو لانه بمعنى يقول فهي محكية به وهذا هو قول الحسن وعلي
رضي الله عنهما هذا فيكون قوله لبئس المولى مستانفا ليس داخلا في المحكي قبله لان الكفار
لا يقولون في اصنامهم ذلك ورد بعضهم هذا القول بانه فاسد المعنى اذ الكافر لا يعتقد في الاصنام
ان ضرها اقرب من نفعها الثاني ان يدعو مشبه بافعال القلوب لان الدعاء لا يصدر الا عن
اعتقاد وافعال القلوب تعلق فيدعو معلق ايضا باللام ومن مبتدا موصول والجملة بعده
صلة وخبره محذوف على ما مر في الوجه قبله والجملة في محل نصب كما يكون كذلك بعد افعال القلوب
الثالث ان يضمن يدعو معنى يزعم فيتعلق كما يعلق والكلام فيه كالكلام في الوجه الذي قبله
الرابع ان الافعال كلها يجوز ان تعلق قلبية وغيرها فاللام معلقة ليدعو وهو مذهب يونس
فالجملة بعده الكلام فيها كما تقدم الخامس ان يدعو بمعنى يسمي فتكون اللام مزيدة في المفعول الاول
وهو الموصول وصلته ويكون المفعول الثاني محذوفا تقديره يسمي الذي ضره الها ومعبودا
ونحو ذلك السادس ان اللام مزحلقة من موضعها والاصل يدعو من لضره اقرب فقدمت من تاخير وهذا
قول الفراء ورد هذا بان ما في صلة الموصول لا يتقدم على الموصول السابع ان اللام زائدة في المفعول
وهو من والتقدير يدعو من ضره اقرب فمن موصولة والجملة بعدها صلتها والموصول
هو المفعول بيدعو ويثبت زيادة اللام لزيادتها في قوله تعالى ردف لكم في احد القولين ورد
هذا بان زيادة اللام انما تكون اذا كان العامل فرعا او بتقدم المعمول وقرأ عبد الله يدعو من
ضره بغير لام ابتدا وهي مؤيدة لهذا الوجه وان لم يجعله مسلطا على الجملة بعده كان فيه ثلاثة
اوجه اظهرها ان يدعو الثاني توكيد ليدعو الاول فلا معمول له كانه قيل يدعو من دون الله
الذي لا يضره ولا ينفعه وعلى هذا فتكون الجملة من قوله ذلك هو الضلال معترضة بين
المؤكد والمؤكد لان فيها تشديدا وتاكيدا للكلام ويكون قوله لمن ضره مستانفا فتكون
اللام للابتداء ومن موصولة وضره مبتدا واقرب خبره والجملة صلة ولبئس جواب قسم مقدر
وهذا القسم وجوابه خبر للمبتدا الذي هو الموصول الثاني ان يجعل ذلك موصولا بمعنى الذي
وهو مبتدا والضلال خبره والجملة صلة له وهذا الموصول مع صلته في محل نصب مفعولا ليدعو
اي يدعو الذي هو الضلال وهذا منقول عن ابي علي الفارسي وليس هذا ماشيا على راي البصريين

اذ لا يكون

اذ لا يكون عندهم من اسماء الاشارة موصول الا ذا بشروط تقدم ذكرها واما الكوفيون فيجيزون في اسماء
الاشارة مطلقا ان تكون موصولة وعلى هذا فيكون لمن ضره اقرب مستانفا على ما تقدم الثالث ان
يجعل ذلك مبتدا وهو ويجوز فيه ان يكون بدلا او فصلا او مبتدا والضلال خبر ذلك او خبر هو على
حسب الخلاف فهو ويدعو حال والعائد منه محذوف تقديره يدعوه وقدروا هذا الفعل الواقع
موقع الحال بدعوا قال ابو البقاء وهو ضعيف ولم يبين وجه ضعفه وكان وجهه ان يدعو مبني للفاعل
فلا يناسب ان يقدر الحال الواقعة موقعه اسم مفعول بل المناسب ان يقدروا اسم فاعل فكان ينبغي
ان تقدروه داعيا ولو كان التركيب يدعى مبنيا للمفعول لحسن تقديرهم مدعوا الا ترى انك اذا قلت
جاء زيد يضرب كيف تقدره بضارب لا بمضروب **فصل** اختلفوا في المراد بقوله
لمن ضره اقرب من نفعه فقيل المراد رؤساء الذين كانوا يفزعون اليهم لانه يصح منهم ان يضروا ويؤيد
هذا ان الله تعالى بين في الاية الاولى ان الاوثان لا تضرهم ولا تنفعهم وهذه الاية تقتضي كون
المذكورين فيها ضارا نافعا فلو كان المذكورون في هذه الاية هو الاوثان لزم التناقض وقيل
المراد الاوثان ثم اجابوا عن التناقض بوجوه احدها انها لا تضر ولا تنفع بانفسها ولكن عبادتها
سبب الضرر وذلك يكفي في اضافة الضرر اليها لقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس فاضاف
الاضلال اليهم من حيث كانوا سببا للضلال فلذلك نفى الضرر عنهم في الاية الاولى بمعنى كونها
فاعلة واضاف الضرر اليهم في هذه الاية بمعنى ان عبادتها سبب للضرر وثانيها كانه سبحانه بين
في الاية الاولى انها في الحقيقة لا تضر ولا تنفع ثم قال في الاية الثانية ولو سلمنا كونها ضارة نافعة لكن
ضرها اكثر من نفعها وثالثها ان الكفار اذا انصفوا علموا انه لا يحصل منها لا نفع ولا ضر ثم انهم في
الآخرة يشاهدون العذاب العظيم بسبب عبادتها فكانهم يقولون لها في الآخرة ان ضركم اعظم من
نفعكم قوله لبئس المولى ولبئس العشير المولى هو الناصر والعشير الصاحب والمعاشر والمخصوص
بالذم محذوف تقديره لبئس المولى ولبئس العشير ذلك المدعو واعلم ان هذا الوصف بالرؤساء
اليق لانه لا يكاد يستعمل في الاوثان فبين تعالى انهم يعدلون عن عبادة الله الذي هو خير الدنيا
والآخرة الى عبادة الاصنام والى طاعة الرؤساء بقوله لبئس المولى والمراد ذم ما انتصروا به قوله
تعالى ان الله يدخل الذين امنوا الاية لما بين في الاية السالفة حال عبادة المنافقين فبين وحال
معبودهم وان عبادتهم ومعبودهم لا تضر ولا تنفع بين هنا صفة عبادة المومنين وصفة
معبودهم وان عبادتهم حقيقية ومعبودهم يعطيهم اعظم المنافع وهو الجنة التي من كمالها جمعها
بين الزرع والشجر وان تجري تحتها الانهار وبين انه يفعل ما يريد بهم من انواع الفضل والاحسان
زيادة عن اجورهم كما قال تعالى ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واحتج اهل السنة في خلق
الافعال بقوله تعالى ان الله يفعل ما يريد ان يفعله غيره واجيب بان هذا تقييد للعموم وهو
خلاف للنص قوله تعالى من كان يظن من يجوز ان تكون شرطية وهو الظاهر وان تكون موصولة
والضمير في ينصره الظاهر عوده على من وفسر النصر بالرزق وقيل يعود على الدين والاسلام فالنصر
على بابه قال ابن عباس والكلبي ومقاتل والضحاك وقتادة وابن زيد والسدي واختار الفراء
والزجاج ان الضمير في ينصره يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم يريد ان من ظن ان لن ينصر الله محمدا
في الدنيا باعلاء كلمته واظهار دينه وفي الآخرة باعلاء درجته والانتقام ممن كذبه والرسول صلى
الله عليه وسلم وان لم يكن له ذكر في هذه الاية ففيها ما يدل عليه وهو ذكر الايمان في قوله ان الله
يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات والايمان لا يتم الا بالله ورسوله قوله فليمدد اما جزاء للشرط
او خبر للموصول والفاء للشبه بالشرط والجمهور على كسر اللام من ليقطع وسكنها بعضهم كما يسكنها
بعد الفاء والواو لكونهن عواطف ولذلك اجروا ثم مجراها في تسكين هاء هو وهي بعدها وهي قراءة
الكسائي ونافع في رواية قالون عنه قوله هل يذهبن الجملة الاستفهامية في محل نصب على
اسقاط الخافض لان النظر يتعلق بالاستفهام واذا كان بمعنى الفكر تعدى بفي وقوله ما يغيظ
ما موصولة بمعنى الذي والعائد هو الضمير المستتر وما وصلتها مفعولة بقوله يذهبن اي هل
يذهبن كيده الشيء الذي يغيظه فالمرفوع بمعنى الذي والعائد محذوف او مصدرية قال شهاب
الدين كلا هذين القولين لا يصح اما قوله العائد محذوف فليس كذلك بل هو مضمر مستتر في حكم
الموجود كما تقدم تقديره قبل ذلك وانما يقال محذوف فيما كان منصوب المحل او مجروره واما

قوله او مصدرية فليس كذلك ايضا اذ لو كانت مصدرية لكانت حرفا على الصحيح واذا كانت
حرفا لم يعد عليها ضمير واذا لم يعد عليها ضمير بقي الفعل بلا فاعل فان قلت اضمر في يغيظ ضميرا
فاعلا يعود على من كان يظن فالجواب ان من كان يظن في المعنى مغيظ لا غايظ وهذا بحث
حسن **فصل** المعنى من كان يظن ان لن ينصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الدنيا
والاخرة فليمدد بسبب الى السما والسبب الحبل والسما سقف البيت هذا قول الاكثرين اي ليشدد
حبله في سقف فليختنق به حتى يموت ثم ليقطع الحبل بعد الاختناق وقيل سمي الاختناق قطعا
وقيل ليقطع اي ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ صنيعه
وحيلته اي هل يذهبن كيده وحيلته غيظه والمعنى فليختنق غيظا حتى يموت وليس هذا على
سبيل الحتم ان يفعل لانه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق والموت ولكنه كما يقال للحاسد
اذا لم ترض بهذا فاختنق ومت غيظا وقال ابن زيد المراد من السما السما المعروف ومعنى الاية
من كان يظن ان لا ينصر الله نبيه ويكيد في امره ليقطعه عنه فليقطعه من اصله فان اصله من
السما فليمدد بسبب الى السما ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذي ياتيه فلينظر
هل يقدر على اذهاب غيظه بهذا الفعل **فصل** روي ان هذه الاية نزلت في
قوم من اسد وغطفان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وكان بينهم وبين اليهود
حلف وقالوا لا يمكننا ان نسلم لانا نخاف ان لا ينصر محمد ولا يظهر امره فينقطع الحلف بيننا وبين
اليهود فلا يميروننا ولا يووننا فنزلت هذه الاية وقال مجاهد النصر بمعنى الرزق والها راجعة
الى من ومعناه من كان يظن ان لن يرزقه الله في الدنيا والاخرة نزلت فيمن اسا الظن بالله عز
وجل وخاف ان لا يرزقه فليمدد بسبب الى السما سما البيت فلينظر هل يذهبن فعله ذلك ما
يغيظ وهو خنقه فعله ان لا يرزق وقد يأتي النصر بمعنى الرزق تقول العرب من ينصرني نصره
الله اي يعطيني اعطاه الله قال ابو عبيدة تقول العرب ارض منصورة اي ممطورة وعلى كل
الاقوال فانه زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فايدة فيه قوله وكذلك انزلناه اما حال من
ضمير المصدر المقدر واما نعت لمصدر محذوف على حسب ما تقدم من الخلاف اي ومثل ذلك الانزال
انزلنا القران كله ايات بينات فايات حال قوله وان الله يهدي يجوز فيه ثلاثة اوجه
احدها انها منصوبة المحل عطفا على مفعول انزلناه اي وانزلنا ان الله يهدي من يريد اي
انزلنا هداية الله لمن يريد هدايته الثاني انها على حذف حرف الجر ذلك الحرف متعلق بمحذوف
والتقدير ولان الله يهدي من يريد انزلناه فيجي في موضعها القولان المشهوران في محل نصب
ام جر والى هذا ذهب الزمخشري وقال في تقديره ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم مومنون
انزله كذلك مبينا **فصل** قال اهل السنة المراد من الهداية اما وضع الادلة او خلق
المعرفه اما الاول فغير جايز لانه تعالى فعل ذلك في حق كل المكلفين ولان قوله يهدي من يريد دليل
على ان الهداية غير واجبة عليه بل هي متعلقة بمشيئته سبحانه ووضع الادلة عند الخصم واجب
فيبقى ان المراد منه خلق المعرفة قال القاضي عبد الجبار في الاعتذار هذا يحتمل وجوها احدها
يكلف من يريد لان من كلف احدا شيا فقد وصفه له وبينه وثانيها ان يكون المراد يهدي الى
الجنة والاثابة من يريد ممن امن وعمل صالحا وثالثها ان يكون المراد ان الله يلطف بمن يريد
ممن علم انه اذا هدي ثبت على ايمانه كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وهذا الوجه هو الذي اشار
الحسن اليه بقوله ان الله يهدي من قبل لان من يقبل والوجهان الاولان ذكرهما ابو علي واجيب
عن الاول بان الله سبحانه ذكر ذلك بعد بيان الادلة وعن الثاني من الشبهات لا يجوز حمله على
محض التكليف واما الوجهان الاخيران فمدفوعان لانهما عند الخصم واجبان على الله تعالى وقوله
يهدي من يريد يقتضي عدم الوجوب قوله تعالى ان الذين امنوا الاية لما قال وان الله يهدي
من يريد اتبعه ببيان من يهديه ومن لا يهدي به واعلم ان ان الثانية واسمها وخبرها في محل رفع
خبر ان الاولى قال الزمخشري وادخلت على كل واحد من جزي الجملة لزيادة التاكيد ونحوه
قول جرير ● ان الخليفة ان الله سربله ● سربال ملك به ترجى الخواتم ●
ولا يتعين ان يكون البيت كالاية يحتمل ان تكون الخليفة خبره به ترجى الخواتيم ويكون ان
الله سربله جملة اعتراض بين اسم ان وخبرها بخلاف الاية فانه يتعين قوله ان الله يفصل وحسن

دخول ان على الجملة الواقعة خبرا لطول الفصل بينهما بالمعاطف قال شهاب الدين قوله فانه يتعين
قوله ان الله يفصل بينهم ان يكون خبرا ليس كذلك لان الاية محتملة لوجهين اخرين ذكرهما الناس
الاول ان يكون الخبر محذوفا تقديره يفترقون يوم القيمة ونحوه والمذكور يفسره كذا ذكره ابو
البقا والثاني ان الثانية تكرير للاولى على سبيل التوكيد وهذا ماش على القاعدة وهو ان
الحرف اذا كرر توكيدا اعيد معه ما اتصل به او ضميره ما اتصل به وهذا قد اعيد معه ما اتصل به
اولا وهو الجلالة المعظمة فلم يتعين ان يكون قوله سبحانه ان الله يفصل خبرا لان الاولى كما ذكر
واختلف العلما في المجوس فقيل قوم يعبدون النار وقيل الشمس والقمر وقيل اعتزلوا النصارى
ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين النصارى شيا ومن دين اليهود شيا وهم القايلون بان للعالم
اصلان نور وظلمة وقيل هم قوم يستعملون النجاسات والاصل نحوس بالنون فابدلت ميما ومعنى
يفصل بينهم يوم القيمة اي يحكم بينهم ان الله على كل شي شهيد اي عالم بما يستحقه كل منهم فلا يجري
في ذلك الفصل ظلم ولا حيف **قوله** تعالى الم تر ان الله يسجد له الاية قيل المراد بهذه الروية
العلم اي الم تعلم وقيل الم تر بقلبك والمراد بالسجود وقال الزجاج انها مطيعة لله تعالى كقوله
تعالى للسما والارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين ان يقول له كن فيكون وان منها
لما يهبط من خشية الله وان من شي الا يسبح بحمده وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والمعنى ان
هذه الاجسام لما كانت قابلة لجميع ما يحدثه الله تعالى فيها من غير امتناع اشبهت الطاعة
والانقياد وهو السجود فان قيل هذا التاويل يبطله قوله تعالى وكثير من الناس فان السجود
بالمعنى المذكور عام في كل الناس فاسناده الى كثير منهم يكون تخصيصا من غير فايدة فالجواب من
وجوه الاول ان السجود بالمعنى المذكور عام في كل الناس وان كان عاما في حق الكل الا ان بعضهم
تكبر وترك السجود في الظاهر فهذا الشخص وان كان ساجدا بذاته لا يكون ساجدا بظاهره واما
المومن فانه ساجد بذاته وبظاهره فلاجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذكر وثانيها ان يقطع
قوله وكثير من الناس عما قبله ثم فيه ثلاثة اوجه الاول ان تقدير الاية ولله يسجد من في السموات
ومن في الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثاني بمعنى
العبادة وانما فعلنا ذلك لقيام الدلالة على انه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك في معنييه جميعا
الثاني ان يكون قوله وكثير من الناس مبتدا وخبره محذوف وهو مثاب لان خبر مقابله يدل عليه
وهو قوله حق عليه العذاب والثالث ان يبالغ في تكثير المحقوق بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم
يخبر عنهم بحق عليهم العذاب وثالثها ان من يجوز استعمال اللفظ المشترك في مفهوميه جميعا يقول المراد
بالسجود في حق الاحيا العقلا العبادة وفي حق الجمادات الانقياد ومن ينكر ذلك يقول ان الله تكلم
بهذه اللفظة مرتين فعنى بها في حق العقلا الطاعة وفي حق الجمادات الانقياد فان قيل قوله
ولله يسجد من في السموات ومن في الارض عام فيدخل فيه الناس فلم قال وكثير من الناس مرة
اخرى فالجواب لو اقتصر على ما تقدم لاوهم ان كل الناس يسجدون كما ان كل الملايكة يسجدون فبين
ان كثيرا منهم يسجد طوعا دون كثير منهم فانه يمتنع عن ذلك وهم الذين حق عليهم العذاب وقال
القفال السجود ههنا هو الخضوع والتذلل بمعنى كونها معترفة بالفاقة اليه والحاجة الى تخليقه
وتكوينه وعلى هذا تاولوا قوله تعالى وان من شي الا يسبح بحمده وقال مجاهد ان سجود هذه الاشيا
سجود ظلالها لقوله تعالى تتفيوا ظلاله عن اليمين والشمايل سجدا لله وقال ابو العالية ما في
السما نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يوذن له فياخذ ذات اليمين
حتى يرجع الى مطلعه قوله وكثير من الناس فيه اوجه احدها انه مرفوع بفعل مضمر تقديره
ويسجد له كثير من الناس وهذا عند من يمنع استعمال المشترك في معنييه او الجمع بين الحقيقة والمجاز
في كلمة واحدة وذلك ان السجود المسند لغير العقلا فلا يعطف كثير من الناس على ما قبله
لاختلاف الفعل المسند اليهما في المعنى الا ترى ان سجود غير العقلا هو الطواعية والاذعان لامره
وسجود العقلا هو هذه الكيفية المخصوصة الثاني انه معطوف على ما تقدمه وفي ذلك ثلاث
تاويلات احدها ان المراد بالسجود القدر المشترك بين الكل العقلا وغيرهم وهو الخضوع والطواعية
وهو من باب الاشتراك المعنوي والتاويل الثاني انه مشترك اشتراكا لفظيا ويجوز استعمال
المشترك في معنييه والتاويل الثالث ان السجود المسند للعقلا حقيقة ولغيرهم مجاز ويجوز

الجمع بين الحقيقة والمجاز على خلاف في هذه الاشيا مذكور في كتب الاصول الثالث من الاوجه
المتقدمة ان يكون كثير مرفوعا بالابتدا وخبره محذوف وهو مثاب لدلالة خبر مقابله عليه وهو
قوله تعالى وكثير حق عليه العذاب كذا قدره الزمخشري وقدره ابو البقا مطيعون او مثابون او نحو
ذلك الرابع ان يرتفع كثير على الابتدا ايضا ويكون خبره من الناس اي من الناس الذين هم
الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون الخامس ان يرتفع بالابتدا ايضا ويبالغ في تكثير
المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب ذكر ذلك الزمخشري
كما تقدم قال ابو حيان بعد ان حكى عن الزمخشري الوجهين الاخيرين قال وهذان التخريجان
ضعيفان ولم يبين وجه ضعفهما قال شهاب الدين اما اولهما فلا شك في ضعفه اذ لا فايدة طايلة
في الاخبار بذلك واما الثاني فقد يظهر وذلك ان التكرير يفيد التكثير وهو قريب من قولهم
عندي الف والف وقوله • لو عد قبر وقبر كنت اكرمهم •
وقرا الزهري والدواب مخفف البا قال ابو البقا ووجهها انه حذف البا الاولى كراهية التضعيف
والجمع بين ساكنين وقرا جناح بن حبيش وكبير بالبا الموحدة وقرئ وكثير حقا بالنصب وناصبه
محذوف وهو الخبر تقديره وكثير حق عليه العذاب حقا والعذاب مرفوع بالفاعلية وقرئ مبنيا
للمفعول وقال ابن عطية وكثير حق عليه العذاب يحتمل ان يكون معطوفا على ما تقدم اي وكثير
حق عليه العذاب يسجد اي كراهية وعلى رغمه اما بظله واما بخضوعه عند المكاره فقوله معطوف
على ما تقدم بمعنى عطف الجمل لا انه هو وحده عطف على ما قبله بدليل انه مبتدا وخبره قوله يسجد

فصل قال ابن عباس في رواية عطا وكثير من الناس يوحده وكثير حق عليه العذاب
ممن لا يوحده وروي عنه انه قال وكثير من الناس في الجنة وهذه الرواية تؤكد ان قوله وكثير من
الناس مبتدا وخبره محذوف وقال اخرون الوقف على قوله وكثير من الناس ثم استانف بقوله
الاستيناف فقال وكثير حق عليه العذاب ليس لهم احد يقدر على ان يدفع ذلك الهوان عنهم مكرما
لهم ثم بين بقوله ان الله يفعل ما يشا انه الذي يصح منه الاكرام والهوان يوم القيمة بالثواب
والعقاب **قوله** تعالى هذان اختصموا في ربهم الاية لما بين ان الناس قسمان منهم من يسجد لله
ومنهم من حق عليه العذاب ذكر هنا كيفية اختصامهم والخصم في الاصل مصدر ولذلك يوحد ويذكر
غالبا وعليه قوله تعالى نبا الخصم اذ تسوروا ويجوز ان يثنى ويجمع ويونث وعليه هذه الاية ولما
كان كل خصم فريقا يجمع طايفة قال اختصموا بصيغة الجمع كقوله تعالى وان طايفتان من المومنين
اقتتلوا فالجمع مراعاة للمعنى وقرا ابن ابي عبلة اختصما مراعاة للفظ وهي مخالفة للسواد قال ابو
البقا واكثر الاستعمال توحيده فمن ثناه وجمعه حمله على الصفات والاسما واختصموا انما جمع
حملا على المعنى لان كل خصم تحته اشخاص وقال الزمخشري الخصم صفة وصف بها الفوج او الفريق
فكانه قيل هذان فوجان او فريقان يختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله
عز وجل ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل هولا خصمان او اختصما جاز ان يراد المومنون
والكافرون قال شهاب الدين ان عنى بقوله ان خصما صفة بطريق الاستعمال المجازي فمسلم لان
المصدر يكثر الوصف به وان اراد انه صفة حقيقة فخطا وظاهر لتصريحهم بان رجل خصم مثل
رجل عدل وقوله هذان للفظ اي انما اشير اليهم اشارة المثنى وان كان في الحقيقة للجمع باعتبار
لفظ الفوجين والفريقين ونحوهما وقوله كقوله ومنهم من يستمع اليك فيه نظر لان في تلك
الاية تقدم شي له لفظ ومعنى وقوله في ربهم اي في دين ربهم فلا بد من حذف مضاف اي في
دينه وامره وقرا الكسائي في رواية عنه خصمان بكسر الخا واحتج من قال اقل الجمع اثنان بقوله
هذان اختصموا في ربهم واجيب بان المعنى جمع كما تقدم **فصل** اختلفوا في تفسير
الخصمين فقيل المراد طايفة المومنين وجماعتهم وطايفة الكفار وجماعتهم وان كل الكفار يدخلون
في ذلك قال ابن عباس رجع اهل الاديان الستة في ربهم في ذاته وصفاته وقيل اهل الكتاب
نحن احق بالله وامنا بمحمد وامنا بنبيكم وما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه
وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم وقيل هو ما روي قيس بن عباد عن ابي ذر الغفاري
انه كان يحلف بالله ان هذه الاية نزلت في ستة نفر من قريش تبارزوا يوم بدر حمزة وعلي
وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة وقال علي كرم الله وجهه انا اول

يجثو للخصومة بين يدي الله تعالى وقال عكرمة هما الجنة والنار قالت النار خلقني الله لعقوبته
وقالت الجنة خلقني الله لرحمته فقص الله على محمد خبرهما والاقرب هو الاول لان السبب وان كان خاصا
فالواجب حمل الكلام على ظاهره وقوله تعالى هذان كالاشارة الى من تقدم ذكره وهم اهل الاديان الستة
المذكورون في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان
الله يفصل بينهم يوم القيمة وايضا ذكر صنفين اهل طاعته واهل معصيته ممن حق عليه العذاب فوجب
رجوع ذلك اليهما فمن حمله على مشركي العرب واليهود من حيث قالوا في نبيهم وكتابهم ما حكينا فقد اخطا وهذا
هو الذي يدل على ان قوله ان الله يفصل بينهم اراد به الحكم لان ذلك التخاصم يقتضي ان الواقع بعده حكما فبين
تعالى حكمه في الكفار وذكر من احوالهم ثلاثة امور احدها قوله سبحانه فالذين كفروا قطعت لهم ثياب
من نار وهذه الجملة تفصيل وبيان لفصل الخصومة المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم قاله الزمخشري
وعلى هذا فيكون هذان معترضا والجملة من اختصموا حالية وليست موكدة لانها اخص من مطلق الخصومة
المفهومة من خصمان وقرا الزعفراني في اختياره قطعت مخفف الطا والقراة المشهورة تفيد التكثير وهذه
تحتمله والمراد بالثياب احاطة النار بهم كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقال سعيد بن
جبير ثياب من نحاس مذاب وقال بعضهم يلبس اهل النار مقطعات من النار قوله يصب هذه الجملة
يحتمل ان تكون خبرا ثانيا للموصول وان يكون حالا من الضمير في لهم وان يكون مستانفة والحميم هو
الما الحار الذي انتهت حرارته قال ابن عباس لو قطرت منه قطرة على جبال الدنيا لاذابتها قوله يصهر
جملة حالية من الحميم والصهر الاذابة يقال صهرت الشحم اي اذبته والصهارة الالية المذابة وصهرته
الشمس اذابته بحرارتها قال تصهره الشمس ولا ينصهر وسمي الصهر صهرا لامتزاجه باصهاره تخيلا
لشدة المخالطة وقرا الحسن في اخرين يصهر بفتح الصاد وتشديد الها مبالغة وتكثيرا لذلك والمعنى ان
الحميم الذي يصب فوق روسهم يذيب ما في بطونهم من الشحوم والاحشا قوله والجلود فيه وجهان
اظهرهما عطفه على ما الموصولة اي يذاب الذي في بطونهم من الامعا ويذاب ايضا الجلود اي يذاب
ظاهرهم وباطنهم والثاني انه مرفوع بفعل مقدر اي وتحرق الجلود قالوا لان الجلد لا يذاب انما ينقبض
وينكمش اذا اصلي بالنار وهو في التقدير كقوله علفتها تبنا وما باردا وزججن الحواجب والعيونا
والذين تبوءوا الدار والايمان فانه على تقدير وسقيتها ما وكحلن العيون واعتقدوا الايمان قوله
ولهم مقامع يجوز في هذا الضمير وجهان اظهرهما انه يعود على الذين كفروا وفي اللام حينيذ قولان
احدهما انها للاستحقاق والثاني انها بمعنى على كقوله ولهم اللعنة وليس بشي والوجه الثاني ان
الضمير يعود على الزبانية اعوان جهنم ودل عليهم سياق الكلام وفيه بعد ومن حديد صفة لمقامع
وهي جمع مقمعة بكسر اللام لانها الة القمع يقال قمعه يقمعه اذا ضربه بشي يزجره به ويذله والمقمعة
المطرقة وقيل السوط اي سياط وفي الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان
ما اقلوها قوله كلما ارادوا كلما نصب على الظرف وتقدم الكلام في تحقيقها في البقرة والعامل فيها هنا
قوله اعيدوا ومن غم فيه وجهان اظهرهما انه بدل من الضمير في منها باعادة العامل بدل اشتمال كقوله
تعالى لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم ولكن لا بد في بدل الاشتمال من رابط ولا رابط فقالوا هو مقدر تقديره
من غمها والثاني انه مفعول له ولما نقص شرط من شروط النصب جر بحرف السبب وذلك الشرط هو عدم
اتحاد الفاعل فان فاعل الخروج غير فاعل الغم فان الغم من النار والخروج من الكفار واعلم ان الاعادة
لا تكون الا بعد الخروج والمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم فخرجوا اعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى
عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا
قوله وذوقوا منصوب بقول مقدر معطوف على اعيدوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق مثل الاليم
والوجيع قال الزجاج هولا احد الخصمين وقال في الخصم الاخر وهم المومنون ان الله يدخل الذين امنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار قوله يحلون العامة على ضم اليا وفتح الحا واللام مشددة
من حلاه يحليه اذا البسه الحلي وقرئ بسكون الحا وفتح اللام مخففة وهو بمعنى الاول كانه عدي
تارة بالتضعيف وتارة بالهمزة قال ابو البقا من قولك احلي اي البس الحلي وهو بمعنى المشدد وقرا
ابن عباس بفتح اليا وسكون الحا وفتح اللام مخففة وفيها ثلاثة اوجه احدها انه من حليت المراة تحلى الثاني انه
من حلي بعيني كذا يحلى اذا استحسنته ومن مزيدة في قوله من اساور فلا يكون المعنى يستحسنون فيها
اساور الملبوسة ولما نقل ابو حيان هذا الوجه عن ابي الفضل الرازي قال وهذا ليس بجيد لانه

جعل حلي فعلا متعديا ولذلك حكم بزيادة من في الواجب وليس مذهب البصريين وينبغي على هذا التقدير
ان لا يجوز لانه لا يحفظ هذا المعنى الا لازما فان كان بهذا المعنى كانت من للسبب اي بلباس اساور الذهب
يحلون بعين من راهم اي يحلى بعضهم بعين بعض وهذا الذي نقله عن ابي الفضل قال ابو البقاء هو
وجوز في مفعول الفعل وجها اخر فقال ويجوز ان يكون من حلي بعيني كذا اذا احسن ويكون من
زايدة او يكون الفعل محذوفا ومن اساور نعت له فقد حكم عليه بالتعدي وليس الاوجه في المفعول
الوجهين المذكورين الثالث انه من حلي بكذا اذا ظفر به فيكون التقدير يحلون باساور ومن بمعنى
الباء من حلي بمعنى ظفر قولهم لم يحل فلان بطايل اي لم يظفر به واعلم ان حلي بمعنى لبس الحلية
او بمعنى ظفر من مادة اليا لانهما من الحلية واما حلي بعيني كذا فانه من مادة الحلاوة وانما قلبت
الواو يا لانكسار ما قبلها قوله من اساور من ذهب في الاولى ثلاثة اوجه احدها انها زايدة كما
تقدم تقريره عن الرازي وابي البقاء وان لم يكن من اصول البصريين والثاني انها للتبعيض اي
بعض اساور الثالث انها لبيان الجنس قاله ابن عطية وبه بدا وفيه نظر اذ لم يتقدم شي مبهم
وفي من ذهب لابتدا الغاية وهي نعت لاساور كما تقدم وقرا ابن عباس من اسور دون الف ولا ها
وهو محذوف من اساور كما قالوا جندل والاصل جنادل قال ابو حيان وكان قياسه صرفه لانه
نقص بناوه فصار كجندل لكنه قدر المحذوف موجودا فمنعه الصرف قال شهاب الدين فقد جعل
التنوين في جندل المقصور من جنادل تنوين صرف وقد نص بعض النحاة على انه تنوين عوض
هو في جوار وغواش وبابهما والاساور جمع سوار قوله ولولوا قرا نافع وعاصم بالنصب والباقون
بالخفض فاما النصب ففيه اربعة اوجه حمله على اضمار فعل الثاني انه منصوب نسقا على موضع
من اساور وهذا كتخريجهم وارجلكم بالنصب عطفا على محل بروسكم ولان يحلون فيها من اساور في قوة
يلبسون اساور فحمل هذا عليه الثالث انه عطف على اساور لان من مزيدة فيها كما تقدم الرابع انه
معطوف على ذلك المفعول المحذوف التقدير يحلون فيها الملبوس من اساور ولولوا فلولوا عطف
على الملبوس واما الجر فعلى وجهين احدهما عطفه على اساور والثاني عطفه على من ذهب لان السوار
تتخذ من اللولو ايضا ينظم بعضه الى بعض وقد منع ابو البقاء ان يعطف على ذهب قال لان السوار
لا يكون من اللولو في العادة قال شهاب الدين بل يتخذ منه في العادة السوار واختلف الناس
في رسم هذه اللفظة في الامام فنقل الاصمعي انها في الامام لولو بغير الف بعد الواو ونقل الجحدري
انها ثابتة في الامام بعد الواو وهذا الخلاف بعينه قراءة وتوجيها جار في حرف فاطر ايضا قال
البغوي واختلفوا في اثبات الالف فيه فقال ابو عمرو اثبتوها كما اثبتوا في قالوا وكانوا وقال
الكسائي اثبتوها للهمزة لان الهمزة حرف من الحروف وقرا ابو بكر في رواية المعلى منصوب عنه لولو
بهمزة اولا وواوا اخرى وفي رواية يحيى عنه عكس ذلك وقرا الفياض ولوليا بواوا اولا وبا اخرا
والاصل لولو ابدل الهمزتين واوين فبقي في اخر الاسم واو بعد ضمة ففعل فيها ما فعل بادل جمع دلو
بان قلبت الواو يا والضمة كسرة وقرا ابن عباس وليليا بيايين فعل فيها ما فعل الفياض ثم اتبع
الواو الاولى للثانية في القلب وقرا طلحة ولول بالجر عطفا على المجرور قبله وقد تقدم والاصل
ولولو بواوين ثم اعل باعلال ادل واللولو قيل كبار الجوهر وقيل صغاره قوله ولباسهم فيها
حرير اي انهم يلبسون في الجنة ثياب الابريسم والمعنى انه تعالى وصلهم في الاخرة الى ما حرمه عليهم
في الدنيا قال صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة فان دخل الجنة لبسه
اهل الجنة ولم يلبسه قوله وهدوا الى الطيب من القول يجوز ان يكون من القول حالا من
الطيب وان يكون حالا من الضمير المستكن فيه ومن للتبعيض او البيان قال ابن عباس الطيب
من القول شهادة ان لا اله الا الله ويؤيد هذا قوله تعالى مثل كلمة طيبة وعليه قوله سبحانه اليه
يصعد الكلم الطيب وهو صراط الحميد لقوله عز وجل وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال ابن
زيد لا اله الا الله والله اكبر والحمد لله وسبحان الله وقال السدي هو القران وقال ابن عباس
في رواية عطا هو قول اهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده وهدوا الى صراط الحميد الى دين
الله وهو الاسلام والحميد هو الله المحمود في افعاله **قوله** تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن
سبيل الله الاية لما فصل بين الكفار والمومنين ذكر عظم حرمة البيت وعظم كفر هولا فقال
ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام وذلك بالمنع من الهجرة والجهاد قال ابن

عباس نزلت الاية في ابي سفيان بن حرب واصحابه حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنة الحديبية عن المسجد الحرام وعن ان يحجوا ويعتمروا وينحروا الهدي فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
قتالهم وهو محرم بعمرة ثم صالحوه على ان يعود في العام القابل قوله ويصدون فيه ثلاثة اوجه احدها انه
معطوف على ما قبله وحينئذ ففي عطفه على الماضي ثلاثة تاويلات احدها ان المضارع قد لا يقصد به
الدلالة على زمن معين من حال او استقبال وانما يراد به مجرد الاستمرار فكانه قيل ان الذين كفروا ومن
شانهم الصد عن سبيل الله ومثله الذين امنوا وتطمين قلوبهم بذكر الله الثاني انه مؤول بالماضي
لعطفه على الماضي الثالث انه على بابه وان الماضي قبله مؤول بالمستقبل الوجه الثاني انه حال من
فاعل كفروا وبه بدا ابو البقاء وهو فاسد ظاهرا لانه مضارع مثبت وما كان كذلك لا تدخل عليه الواو
وما ورد منه على قلته مؤول فلا يحمل عليه القران فالخبر محذوف واختلفوا في موضع تقديره فقدره
ابن عطية بعد قوله والباد اي ان الذين كفروا خسروا او اهلكوا ونحو ذلك وقدره الزمخشري بعد
قوله والمسجد الحرام اي ان الذين كفروا نذيقهم من عذاب اليم وانما قدره كذلك لان قوله تعالى
نذقه من عذاب اليم يدل عليه الا ان ابا حيان قال في تقدير الزمخشري بعد المسجد الحرام لا يصح
قال لان الذي صفة للمسجد الحرام فموضع التقدير هو بعد والبادي يعني انه يلزم من تقديره
الفصل بين الصفة والموصوف باجنبي وهو خبر ان فيصير التركيب ان الذين كفروا ويصدون عن
سبيل الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم الذي جعلناه للناس وللزمخشري ان ينفصل من
هذا الاعتراض بان الذي جعلناه لا نسلم انه نعت للمسجد حتى يلزم ما ذكر بل يجعله مقطوعا عنه
نصبا او رفعا ثم قال ابو حيان لكن تقدير الزمخشري احسن من تقدير ابن عطية لانه يدل عليه الجملة
الشرطية بعد من جهة اللفظ وابن عطية لحظ من جهة المعنى لان من اذيق العذاب خسر وهلك الوجه
الثالث ان الواو في ويصدون مزيدة في خبر ان تقديره ان الذين كفروا يصدون وزيادة الواو
مذهب كوفي تقدم بطلانه وقال ابن عطية وهذا مفسد للمعنى المقصود قال شهاب الدين
ولا ادري فساد المعنى من اي جهة الا ترى انه لو صرح بقولنا ان الذين كفروا يصدون لم يكن فيه
فساد معنى فالمانع انما هو امر صناعي عند اهل البصرة لا معنوي اللهم الا ان يريد معنى خاصا
يفسد بهذا التقدير فيحتاج الى بيانه قوله الذي جعلناه يجوز جره على النعت او البدل او البيان
والنصب باضمار فعل والرفع باضمار مبتدا والجعل يجوز ان يتعدى لاثنين بمعنى صير وان يتعدى
لواحد والعامة على رفع سواء وقرا حفص عن عاصم بالنصب هنا وفي الجاثية الاخوات وسيأتي
توجيهه فاما على قراءة الرفع فان قلنا ان جعل بمعنى صير كان في المفعول الثاني ثلاثة اوجه اظهرها
ان الجملة من قوله تعالى سواء العاكف فيه هي المفعول الثاني ثم الاحسن في رفع سواء ان يكون خبرا
مقدما والعاكف والبادي مبتدا مؤخرا وانما وحد الخبر وان كان المبتدا اثنين لان سواء في الاصل مصدر
وصف به وقد تقدم اول البقرة واجاز بعضهم ان يكون سواء مبتدا وما بعده الخبر وفيه ضعف او
منع من حيث الابتداء بالنكرة من غير مسوغ ولانه متى اجتمع معرفة ونكرة جعلت المعرفة المبتدا وعلى
هذا الوجه اعني كون الجملة مفعولا ثانيا فقوله للناس يجوز فيه وجهان احدهما ان يتعلق بالجعل
اي جعلناه لاجل الناس كذا والثاني انه متعلق بمحذوف على انه حال من مفعول جعلناه ولم يذكر
ابو البقاء على هذا الوجه غير ذلك وليس معناه متضحا الوجه الثاني ان للناس هو المفعول
الثاني والجملة من قوله سواء العاكف في محل نصب على الحال اما من الموصول واما من عايده وبهذا
الوجه بدا ابو البقاء وفيه نظر لانه جعل هذه الجملة التي هي محط الفايدة فضلة الوجه الثالث ان
المفعول الثاني محذوف قال ابن عطية والمعنى الذي جعلناه للناس قبلة ومتعبدا فتقدير
ابن عطية هذا مرشد لهذا الوجه الا ان ابا حيان قال ولا يحتاج الى هذا التقدير الا اذا كان اراد
تفسير المعنى لا الاعراب فيسوغ لان الجملة في موضع المفعول الثاني فان جعلناها متعدية لواحد
كان قوله للناس متعلقا بالجعل على العلية وجوز فيه ابو البقاء وجهين اخرين احدهما انه حال
من مفعول جعلناه والثاني انه مفعول تعدى اليه بحرف الجر وهذا الثاني لا يعقل كيف يكون
للناس مفعولا عدي اليه الفعل بالحرف هذا ما لا يعقل فان اراد انه مفعول من اجله فهي عبارة بعيدة
من عبارة النحاة واما على قراءة حفص فان قلنا جعلنا يتعدى لاثنين كان سواء مفعولا ثانيا وان قلنا
يتعدى لواحد كان حالا من ها جعلناه وعلى التقديرين فالعاكف مرفوع به على الفاعلية لانه مصدر

وصف به فهو في قوة اسم الفاعل المشتق تقديره جعلناه مستويا فيه العاكف ويدل عليه قولهم مررت برجل سوا هو والعدم فهو تاكيد للضمير المستتر فيه والعدم نسق على الضمير المستتر ولذلك ارتفع ويروى سوا والعدم بدون تاكيد وهو شاذ وقرا الاعمش وجماعة سوا نصبا العاكف جرا وفيه وجهان احدهما انه بدل من الناس بدل تفصيل والثاني انه عطف بيان وهذا اراد ابن عطية بقوله عطفا على الناس ويمتنع في هذه القراة رفع سوا لفساده صناعة ومعنى ولذلك قال ابو البقا وسوا على هذا نصب لا غير واثبت ابن كثير يا والبادي وصلا ووقفا واثبتها ابو عمرو وورش وصلا وحذفاها وقفا وحذفها الباقون وصلا ووقفا وهي محذوفة في الامام

فصل معنى الكلام ويصدون عن المسجد الحرام الذي جعلناه للناس قبلة لصلاتهم ومنسكا ومتعبدا كما قال تعالى وضع للناس وتقدم الكلام على معنى سوا باختلاف القراءة واراد بالعاكف المقيم فيه والبادي الطاري من البدو وهو النازع اليه من غربته وقال بعضهم يدخل في العاكف الغريب اذا جاور ولزمه كالبعيد وان لم يكن من اهله واختلفوا في معنى سوا فقال ابن عباس في بعض الروايات انهما يستويان في سكنى مكة والنزول بها فليس احدهما احق بالنزول الذي يكون فيه من الاخر الا ان يكون احدهما اسبق الى المنزل وهو قول قتادة وسعيد بن جبير ومن مذهب هولاء تحريم كراء دور مكة وبيعها واستدلوا بالاية والخبر اما الاية فهذه قالوا ان ارض مكة لا تملك فانها لو ملكت لم يستو العاكف فيها والباد فلما استويا ثبت ان سبيلها سبيل المساجد واما الخبر فقوله صلى الله عليه وسلم مكة مناخ لمن سبق اليه وهذا مذهب ابن عمر وعمر بن عبد العزيز وابي حنيفة واسحاق بن الحنظلي رضي الله عنهم وقال عبد الرحمن بن سابط كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن احد من اهل مكة احق بمنزله منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس ان يغلقوا ابوابهم في الموسم وعلى هذا فالمراد بالمسجد الحرام كله لان اطلاق لفظ المسجد الحرام وارادة البلد الحرام جائز لقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وايضا فقوله العاكف المراد منه المقيم واقامته لا تكون في المسجد بل في المنازل وقيل سوا العاكف فيه والبادي في تعظيم حرمته وقضا النسك به واليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة اي ليس للمقيم ان يمنع البادي وبالعكس قال صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب من ولي منكم من امور الناس شيا فلا يمنعن احدا صلى طاف بهذا البيت او صلى اية ساعة من ليل او نهار وهذا قول من اجاز بيع دور مكة وقد جرت مناظرة بين الشافعي رضي الله عنه واسحاق الحنظلي بمكة وكان اسحاق لا يرخص في كرا بيوت مكة فاحتج الشافعي بقوله الذين اخرجوا من ديارهم فاضاف الديار الى مالكها او الى غير مالكها وقال صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من اغلق بابه فهو امن وقوله صلى الله عليه وسلم هل ترك لنا عقيل من رباع وقد اشترى عمر رضي الله عنه دار السجن اترى انه اشتراها من مالكها او من غير مالكها قال اسحاق فلما علمت ان الحجة لزمتني تركت قولي والقول بجواز بيع دور مكة واجارتها قول طاوس وعمرو بن دينار وبه قال الشافعي رضي الله عنه قوله ومن يرد فيه بالحاد فيه اربعة اوجه احدها ان مفعول يرد محذوف وقوله بالحاد بظلم حالان مترادفتان والتقدير ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم وانما حذف ليتناول كل متناول قال معناه الزمخشري والثاني ان المفعول ايضا محذوف تقديره ومن يرد فيه تعديا وبالحاد حال اي ملتبسا بالحاد بظلم بدل باعادة الجار الثالث ان يكون بظلم متعلقا بيرد والبا للسببية اي بسبب الظلم وبالحاد مفعول به والبا مزيدة فيه لقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم لا يقران بالسور واليه ذهب ابو عبيدة وانشد للاعشى • ضمنت برزق عيالنا ارماحنا اي ضمنت رزق ويويده قراءة الحسن ومن يرد الحاده بظلم قال الزمخشري اراد الحادا فيه فاضافه على الاتساع في الظرف من الليل ومعناه ومن يرد ان يلحد فيه ظالما الرابع ان يضمن يرد معنى يتلبس فلذلك تعدى بالبا اي ومن يتلبس بالحاد مريدا له والعامة على يرد بضم اليا من الارادة وحكى الكسائي والفراء انه قرئ يرد بفتح اليا قال الزمخشري من الورود ومعناه من اتى فيه بالحاد ظالما قوله الالحاد العدول عن القصد واصله الحاد الحافر واختلف المفسرون فيه فقيل انه الشرك اي من لجا الى الحرم ليشرك به عذبه الله وهو احدى الروايات عن ابن عباس وهو قول مجاهد وقتادة وروي عن ابن عباس انها نزلت في عبد الله بن سعيد حيث استلبه النبي صلى الله عليه وسلم فارتد

مشركا

مشركا وفي قيس بن ضبابة وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن خطل حيث قتل الانصاري وهرب الى مكة كافرا فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم الفتح وقال مجاهد تضاعف السيات بمكة كما تضاعف الحسنات وعن سعيد بن جبير وحبيب بن ابي ثابت هو احتكار الطعام بمكة وعن عطا هو قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له في ذلك فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل كلا والله وبلى والله وعن عطا دخول الحرم غير محرم وارتكاب شي من محظورات الاحرام من قتل صيدا وقطع شجر ولما كان الالحاد بمعنى الميل من امر الى امر بين تعالى ان المراد بهذا الالحاد ما يكون ميلا الى الظلم فلهذا اقترن الظلم بالالحاد لانه لا معصية كبرت ام صغرت الا وهو ظلم ولذلك قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم وقوله تعالى نذقه من عذاب اليم بيان للوعيد **قوله** تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت الاية اي اذكر حين واللام في لابراهيم فيها ثلاثة اوجه احدها انها للعلة ويكون مفعول بوانا محذوفا اي بوانا الناس لاجل ابراهيم مكان البيت وبوا جا متعديا بامرين قال سبحانه وتعالى واذ بوانا بني اسرايل لنبوينهم من الجنة غرفا وقال الشاعر •

• كم صاحب لي صالح بوانه بيدي لحدا •

والثاني انها مزيدة في المفعول وهو ضعيف لما تقرر انها لا تزاد الا بعد تقدم المعمول او كان العامل فرعا الثالث ان تكون معدية للفعل على انه مضمن معنى فعل يتعدى بها اي هيانا له مكان البيت كقولك هيات له بيتا فتكون اللام معدية قال معناه ابو البقا وقال الزمخشري واذكر حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباة فسر المعنى بانه ضمن بوانا معنى جعلنا ولا يريد تفسير الاعراب وفي مكان البيت وجهان اظهرهما انه مفعول به والثاني قال ابو البقا ان تكون ظرفا وهو ممتنع من حيث انه ظرف مختص فحقه ان يتعدى اليه بفي **فصل** روي ان الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات احداها بناء الملائكة قبل ادم صلى الله عليه وسلم وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت الى السما ايام الطوفان والثانية بناء ابراهيم والثالثة بناء قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء والرابعة بناء ابن الزبير والخامسة بناء الحجاج وهو البناء الموجود اليوم وروى ابو ذر قال قلت يا رسول الله اي مسجد وضع اول قال صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام قال ثم قلت اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون سنة والمسجد الاقصى اسسه يعقوب صلى الله عليه وسلم وروى محمد بن عمرو بن العاصي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله جبريل صلى الله عليه وسلم الى ادم وحوى فقال لهما ابنيا لي بيتا فخط لهما جبريل فجعل ادم يحفر وحوى تنقل حتى اجابه الما نودي من تحته حسبك يا ادم فلما بنياه اوحى الله تعالى اليه ان يطوف به وقيل له انت اول الناس وهذا اول بيت ثم تناسخت القرون حتى حجه نوح ثم تناسخت القرون حتى رفع ابراهيم صلى الله عليه وسلم القواعد منه وروي عن علي رضي الله عنه ان الله تعالى اوحى الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم ان ابن لي بيتا في الارض فضاق به ذرعا فارسل الله تعالى السكينة وهي ريح خجوج لها راس فاتبع احدهما صاحبه حتى انتهت ثم تطوقت في موضع البيت تطوق الحية فبنى ابراهيم صلى الله عليه وسلم حتى اذا بلغ مكان الحجر قال لابنه ابغني حجرا فالتمس حجرا حتى اتى به فوجد الحجر الاسود قد ركب فقال لابيه من اين لك هذا قال جا به من لا يتكل على بنايك جا به جبريل من السما فاتمه قال ثم عليه الدهر فانهدم فبنته العمالقة ثم انهدم فبنته قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ شاب فلما ارادوا ان يرفعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فقالوا نحكم بيننا اول رجل يخرج من هذه السكة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من خرج فقضى بينهم ان يجعلوه في مربط ثم يرفعه جميع القبايل كلهم فرفعوه ثم ارتقى هو فرفعوا اليه الركن فوضعه وكانوا يدعونه الامين صلى الله عليه وسلم قال موسى بن عقبة رضي الله عنه كان بنا الكعبة قبل المبعث بخمس عشرة سنة قال ابن اسحاق كانت الكعبة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني عشرة ذراعا وكانت تكسى القباطي ثم كسيت البرود واول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف واما المسجد الحرام فاول من احر بنيان البيوت من حول الكعبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشتراها من اهلها وهدمها فلما كان عثمان رضي الله عنه اشترى دورا واردها فيه فلما ولي ابن الزبير رضي الله عنه احكم بنيانه واكثر ابوابه وحسن جدرانه ولم يوسعه شيا اخر فلما استقر

الامر الى عبد الملك بن مروان فزاد في ارتفاع جدرانه وامر بالكعبة فكسيت الديباج وتولى ذلك
بامره الحجاج وروي ان الله تعالى لما امر ابراهيم صلى الله عليه وسلم ببنا البيت لم يدر اين يبني
فبعث الله ريحا خجوجا فكشفت ما حول البيت عن الاساس وقال الكلبي بعث الله سبحانه بقدر
البيت فقامت بحيال البيت فيها راس تتكلم وعينان يا ابراهيم ابن على قدري وحيالي فبني عليه
قوله ان لا تشرك في ان هذه ثلاثة اوجه احدها انها هي المفسرة قال الزمخشري بعد ان ذكر
هذا الوجه فان قلت كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة قلت كانت التبوئة مقصودة
من اجل العبادة وكانه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا لا تشرك بي الزمخشري ان ان المفسرة لا بد
ان يتقدمها ما هو بمعنى القول لا حروفه ولم يتقدم الا التبوئة وليست بمعنى القول فضمنها معنى
القول ولا يريد بقوله قلنا لا تشرك تفسير الاعراب بل تفسير المعنى لان المفسر لا يفسر القول
الصريح الثاني انها المخففة من الثقيلة قاله ابن عطية وفيه نظر من حيث ان ان المخففة
لا بد ان يتقدمها فعل تحقيق او ترجيح كما انها اذا كانت مشددة الثالث انها المصدرية التي تنصب
المضارع وهي توصل بالماضي والمضارع والامر والنهي كالامر وعلى هذا فان مجرورة بلام العلة
مقدرة اي بوانا لئلا تشرك وكان من حق اللفظ على هذا الوجه ان يكون ان لا يشرك بلام
الغيبة وقد قري بذلك قاله ابو البقا وقوي ذلك قراة من قراه بالياء يعني من تحت ووجه قراة العامة
على هذا التخريج ان يكون من الالتفات من الغيبة الى الخطاب الرابع انها الناصبة ومجرورة بلام ايضا
الا ان اللام متعلقة بمحذوف اي فعلنا ذلك لئلا تشرك وجعل النهي صلة لها وقوي ذلك قراة اليه
قاله ابو البقا والاصل عدم التقدير مع عدم الاحتياج اليه وقرا عكرمة وابو نهيك ان لا يشرك قال
ابو حيان على معنى ان يقول معنى القول الذي قيل له وقال ابو حاتم ولا بد من نصب الكاف
على هذه القراة بمعنى لئلا يشرك قال شهاب الدين كانه لم يظهر له صلة ان المصدرية بجملة النهي
وجعل لا نافية وسلطان على المضارع بعدها حتى صار علة للفعل قبله وهذا غير لازم لما تقدم
من وضوح المعنى مع جعلها ناهية **فصل** وههنا سوالات الاول اذا قلنا ان
ان هي المفسرة فكيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة والجواب
انه سبحانه لما قال جعلنا البيت مرجعا لابراهيم فكانه قيل ما معنى كون البيت مرجعا له
فاجيب عنه بان معناه ان يكون مقبلة موحدا لرب البيت عن الشريك والنظير مستقلا بتنظيف
البيت عن الاوثان والاصنام السوال الثاني ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما لم يشرك بالله فكيف
قال لا تشرك بي والجواب المعنى لا تجعل في العبادة لي شريكا ولا تشرك بي غرضا اخر في بنا البيت
السوال الثالث ان البيت ما كان معمورا قبل ذلك فكيف قال وطهر بيتي والجواب لعل ذلك
المكان كان صحرا فكانوا يرمون اليها الاقذار فامر ابراهيم ببنا البيت في ذلك المكان وتطهيره
عن الاقذار وكانت معمورة وكانوا وضعوا فيها اصناما فامره الله تعالى بتخريب ذلك البنا ووضع
بنا جديد وذلك هو التطهير عن الاوثان او يكون المراد انك بعد ان تبنيه فطهره عما لا ينبغي
من الشرك وقوله تعالى للطايفين قال ابن عباس للطايفين بالبيت من غير اهل مكة حـ
والقايمين اي المقيمين فيها والركع السجود اي المصلين من الكل وقيل القايمون هم المصلون
قوله تعالى واذن في الناس بالحج قرا العامة بتشديد الذال بمعنى ناد وقرا الحسن وابن
محيصن اذن بالمد والتخفيف بمعنى اعلم ويبعده قوله في الناس اذ كان ينبغي ان يتعدى
بنفسه ونقل ابو الفتح عنهما انهما قرا بالقصر وتخفيف الذال وخرجها ابو الفتح وصاحب اللوامح
على انها عطف على بوانا اي واذكرا ذ بوانا واذ اذن في الناس وهي تخريج واضح وزاد صاحب
اللوامح فقال فيصير في الكلام تقديم وتاخير ويصير ياتوك جزما على جواب الامر الذي
في وطهر ونسب ابن عطية ابا الفتح في هذه القراة الى التصحيف فقال بعد ان حكى قراة الحسن
وابن محيصن واذن بالمد وتصحف هذا على ابن جني فانه حكى عنهما واذن على فعل ماض واعرب
على ذلك بان جعله عطفا على بوانا قال شهاب الدين ولم يتصحف عليه بل حكى هذه القراة ابو الفضل
الرازي في اللوامح له عنهما وذكرها ايضا ابن خالويه ولكنه لم يطلع عليها فنسب من اطلع الى التصحيف
ولو تانى اصاب او كاد وقرا ابن ابي اسحاق بالحج بكسر الحا حيث وقع كما تقدم **فصل** قال
اكثر المفسرين لما فرغ ابراهيم صلى الله عليه وسلم من بنا البيت قال الله اذن في الناس بالحج قال

يارب

يارب وما يبلغ صوتي قال الله تعالى عليك الاذان وعلى البلاغ فصعد ابراهيم الصفا وفي رواية
ابا قبيس وفي رواية على المقام فارتفع المقام حتى صار كاطول الجبال فادخل اصبعيه في اذنيه واقبل
بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال يا ايها الناس الا ان ربكم قد بنى بيتا وقد كتب عليكم الحج الى البيت
العتيق فاجيبوا ربكم فاجابه كل من يحج من اصلاب الابا وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك قال ابن سعيد
فاول من اجابه اهل اليمن فهم اكثر الناس حجا وقال مجاهد من اجاب مرة حج مرة ومن اجاب مرتين
او اكثر فيحج مرتين او اكثر بذلك القدر وقال الحسن واكثر المعتزلة ان المامور بالاذان هو محمد صلى
الله عليه وسلم واحتجوا بانه ما جاء في القران وامكن حمله على ان محمدا هو المخاطب به فهو اولى وقد
بينا ان قوله تعالى واذ بوانا اي واذكر يا محمد اذ بوانا فهو في حكم المذكور فلما قال واذن فاليه يرجع
الخطاب قال الجبائي امر محمدا صلى الله عليه وسلم ان يفعل ذلك في حجة الوداع قالوا انه ابتدا فرض
الحج من الله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم وفي قوله تعالى ياتوك دلالة على ان المراد ان يحج فيقتدي
به وروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا قوله
رجالا نصب على الحال وهو جمع راجل نحو صاحب وصحاب وتاجر وتجار وقايم وقيام وقرا عكرمة
وابو مجلز رجالا بضم الرا وتشديد الجيم وروي عنهم تخفيفها ووافقهم ابن ابي الحسن على التخفيف
وجعفر بن محمد ومجاهد على التشديد ورويت عن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا فالمخفف
اسم جمع كظؤار والمشدد جمع تكسير كصايم وصوام وروي عن عكرمة ايضا رجالى كنعامى بالف
التانيث وكذلك عن ابن عباس وعطا الا انهما شددا الجيم قوله وعلى كل ضامر نسق على رجالا
فيكون حالا اي مشاة وركبانا والضمور الهزال ضمر يضمر ضمورا والمعنى ان الناقة صارت ضامرة لطول
سفرها قوله ياتين النون ضمير كل ضامر حملا على المعنى اذ المعنى على ضوامر وياتين صفة لضامر
والى بضمير الجمع حملا على المعنى اي جماعة الابل وقد تقدم اول الكتاب ان كلا اذا اضيفت الى نكرة لم يراع
معناها الا في قليل كقوله • جادت عليه كل عين ثرة • فتركن كل حديقة كالدرهم •
وهذه الاية ترده فان كلا فيها مضافة لنكرة وقد روعي معناها وكان بعضهم اجاب عن بيت زهير بانه
انما جاز ذلك لانه في جملتين قيل له فهذه الاية جملة واحدة لان ياتين صفة لضامر وجوز ابو حيان ان
يكون الضمير يشمل رجالا وكل ضامر قال على معنى الجماعات والرفاق قال شهاب الدين فعلى هذا يجوز
ان يقال عندي الرجال ياتين ولا ينفعه كونه اجتمع مع الرجال كل ضامر فيقال جاز ذلك لما اجتمع
معه ما يجوز فيه ذلك اذ يلزم منه تغليب غير العاقل وهو ممنوع وقال البغوي رحمه الله جمع ياتين
لمكان كل واراد النوق وقرا ابن مسعود والضحاك وابن ابي عبلة ياتون تغليبا للعقلا المذكور
وعلى هذا فيحتمل ان يكون قوله وعلى كل ضامر حالا ايضا ويكون ياتون مستانفا يتعلق به من كل فج
ياتوك رجالا وركبانا ثم قال ياتون من كل فج وياتون مستانفا ايضا ولا يجوز ان يكون صفة رجالا
ولضامر لاختلاف الموصوف في الاعراب لان احدهما منصوب والاخر مجرور ولو قلت رايت زيدا ومررت
بعمرو العاقلين على النعت لم يجز بل على القطع وقد جوز ذلك الزمخشري فقال وقري ياتون صفة
للرجال والركبان وهو مردود بما ذكرنا والفج الطريق بين الجبلين ثم يستعمل في ساير الطرق اتساعا
والعميق سفلا يقال بير عميق ومعيق وفيجوز ان يكون مقلوبا الا انه اقل من الاول قال •
• اذا الخيل جات من فجاج عميقة • يمد بها في السير اشعث شاحب •
وقرا ابن مسعود معيق ويقال عمق ومعق بكسر العين وضمها عمقا بفتح الفا قال الليث رحمه الله
عميق ومعيق والعميق في الطريق اكثر وقال الفرا عميق لغة الحجاز ومعيق لغة تميم واعمقت البير
واعمقتها وعمقت ومعقت عماقة ومعاقة وامعاقا قال روبة وقاتم الاعماق خاوي المخترق
الاعماق هنا بفتح الهمزة جمع عمق وعلى هذا فلا قلب في معيق لانها لغة مستقلة وهو ظاهر قول الليث
ايضا ويويده قراة ابن مسعود بتقديم الميم ويقال غميق بالغين المعجمة ايضا **فصل** بدا
الله بذكر المشاة تشريفا لهم روي سعيد بن جبير باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الحاج
الراكب له بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة وللماشي سبعمايه حسنة من حسنات الحرم قيل يا رسول
الله وما حسنات الحرم قال حسنة بماية الف حسنة وانما قال تعالى ياتوك رجالا لانه هو المنادي فمن
اتى مكة حاجا فكانه اتى ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم لانه يجيب نداه قوله ليشهدوا يجوز في
هذه اللام وجهان احدهما انه يتعلق باذن اي اذن ليشهدوا والثاني انها متعلقة بياتوك وهو

الاظهر قال الزمخشري وذكر منافع لانها منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات قال سعيد بن المسيب ومحمد بن علي الباقر المنافع هي العفو والمغفرة وقال سعيد بن جبير التجارة وهي رواية ابن زيد عن ابن عباس قال الاسواق وقال مجاهد التجارة وما يرضي الله به من الدنيا والاخرة ويذكروا اسم الله في ايام معلومات قال الاكثرون هي عشر ذي الحجة قيل لها معلومات للحرص على علمها بحسابها من اجل وقت الحج في اخرها والمعدودات ايام التشريق وروي عن علي رضي الله عنه انها يوم النحر وثلاثة ايام بعده وهو اختيار الزجاج لان الذكر على بهيمة الانعام يدل على التسمية على نحرها والنحر للهدايا انما يكون في هذه الايام وروي عطا عن ابن عباس انها يوم عرفة ويوم النحر وايام التشريق وقيل عبر عن الذبح والنحر بذكر اسم الله لان المسلمين لا ينفكون عن ذكر اسم الله اذا نحروا على ما رزقهم من بهيمة الانعام يعني الهدايا والضحايا تكون من النعم وهي الابل والبقر والغنم قال الزمخشري البهيمة مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والغنم قوله فكلوا منها قيل هذا امر وجوب لان الجاهلية كانوا لا ياكلون من لحوم هداياهم شيا ترفعا على الفقرا وقيل هذا امر اباحة واتفق العلما على ان الهدي اذا كان تطوعا كان للمهدي ان ياكل منه وكذلك اضحية التطوع لان النبي صلى الله عليه وسلم امر ان يوخذ من كل جزور بضعة فطبخت واكل من لحمها وحسي من مرقها وكان هدي تطوع واختلفوا في الهدي الواجب كالنذور والكفارات والجبرانات للنقصانات مثل دم القران ودم التمتع ودم الاساءة ودم التقليم والحلق والواجب بافساد الحج وفواته وجزاء الصيد فقال الشافعي واحمد رضي الله عنهما لا ياكل منه وقال ابن عمر لا ياكل من جزاء الصيد والنذور وياكل مما سواهما وقال مالك رضي الله عنه ياكل من هدي وجب عليه الا من فدية الاذى وجزاء الصيد والمنذور وعند اصحاب الراي ياكل من دم التمتع والقران ولا ياكل من واجب سواهما قوله واطعموا البايس الفقير معنى الزمن الفقير الذي لا شي له قال ابن عباس البايس الذي ظهر بوسه في ثيابه وفي وجهه والفقير الذي لا يكون كذلك فتكون ثيابه نقية ووجهه وجه غني والبوس شدة الفقر قوله ثم ليقضوا تفثهم العامة على كسر اللام وهي لام الامر وقرا نافع والكوفيون والبزي بسكونها اجرا للمنفصل مجرى المتصل كعو كتف وهو نظير سكنت هاهو بعد ثم في قراة الكسايي وقالون حيث اجريت ثم مجرى الواو والفا والتفث قيل اصله من التفف وهو وسخ الاظفار قلبت الفا ثا كمغثور في مغفور وقيل هو الوسخ والقذر يقال ما تفثك وحكى قطرب تفث الرجل اي كثر وسخه في سفره وقال الزجاج ان اهل اللغة لا يعرفون التفث الا من التفسير وقال المبرد اصل التفث في كلام العرب كل قاذورة تلحق الانسان نقصها وقال القفال نقل نفطويه سالت اعرابيا فصيحا ما معنى قوله ثم ليقضوا تفثهم فقال ما افسر القران ولكنا نقول للرجل ما تفثك اي ما وسخك وما ادرنك ثم قال القفال وهذا اولى من قول الزجاج لان القول قول المثبت لا قول النافي والمراد بالتفث هنا الوسخ والقذارة من طول الشعر والاظفار والشعث والحاج اشعث اغبر والمراد قص الشارب والاظفار ونتف الابط وحلق العانة فالمراد بالقضا ازالة ذلك والمراد به الخروج من الاحرام بالحلق وقص الشارب والتنظيف ولبس الثياب وقال ابن عمر وابن عباس قضا التفث مناسك الحج كلها وقال مجاهد هو مناسك الحج واخذ الشارب ونتف الابط وحلق العانة وقلم الاظفار وقيل التفث هنا رمي الجمار وقيل معنى ليقضوا تفثهم ليصنعوا ما يصنعه المحرم من ازالة شعر وشعث ونحوهما عند حله وفي ضمن هذا قضا جميع المناسك اذ لا يفعل هذا الا بعد فعل المناسك كلها قوله وليوفوا قال ابو بكر رضي الله عنه وليوفوا بالتشديد والباقون بالتخفيف وتقدم في البقرة ان فيه ثلاث لغات وفى ووفى واوفى وقرا ابن ذكوان وليوفوا بكسر اللام والباقون بسكونها وهذا الخلاف جار في قوله وليطوفوا والمراد بالوفا ما اوجبه بالنذر وقيل ما اوجبه الدخول في الحج من المناسك وقال مجاهد اراد نذر الحج والهدي وما ينذر الانسان من شي يكون في الحج وقيل المراد الوفا بالنذر مطلقا وقوله وليطوفوا المراد الطواف الواجب وهو طواف الافاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق وسمي البيت العتيق قال الحسن القديم لانه اول بيت وضع للناس وقال ابن عباس وابن الزبير لانه اعتق من الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله ولما قصده ابرهة فعل به ما فعل فان قيل قد تسلط الحجاج عليه فالجواب انه ما قصد التسلط على البيت وانما تحصن به عبد الله بن

الزبير

الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه وقال ابن عيينة لم يملك قط وقال مجاهد اعتق من الغرق وقيل لانه بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير قوله والطواف ثلاثة طواف الاول طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الاسود الى ان ينتهي اليه ويمشي اربعا وهذا الطواف سنة لا شي على تاركه والثاني طواف الافاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق ويسمى ايضا طواف الزيارة وطواف الصدر وهو واجب لا يحصل التحلل من الاحرام ما لم يات به والثالث طواف الوداع لا رخصة لمن اراد مفارقة مكة الى مسافة القصر في ان يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعا فمن تركه فعليه دم الا الحايض والنفسا فلا وداع عليهما لما روي ابن عباس رضي الله عنه قال امر الناس ان يكون اخر عهدهم بالبيت الا انه رخص للمراة الحايض والرمل يختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الافاضة والوداع قوله ذلك ومن يعظم حرمات الله الاية ذلك خبر مبتدا مضمر اي الامر والشان ذلك قال الزمخشري كما يقدم الكاتب جملة من كلامه في بعض المعاني فاذا اراد الخوض في معنى اخر قال هذا وقد كان كذا وقدره ابن عطية فرضكم ذلك او الواجب كذلك وقيل هو مبتدا خبره محذوف اي ذلك الامر الذي ذكرته وقيل في محل نصب اي امتثلوا ذلك ونظير هذه الاشارة قول زهير بعد تقدم جمل في وصف هرم بن سنان

هذا وليس كمن يعيى بخطبته • وسط الندي اذا ما ناطق نطقا

والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها يحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم رضي الله عنه الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمشعر الحرام وقال ابن زيد الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام والاحرام وقال الليث حرمات الله تعالى ما لا يحل انتهاكها وقال الزجاج الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه قوله فهو هو ضمير المصدر المفهوم من قوله ومن يعظم اي فالتعظيم خير له كقوله تعالى اعدلوا هو اقرب وخير هنا ظاهرها التفضيل بالتاويل المعروف ومعنى التعظيم العلم بوجوب القيام بها وحفظها وقوله عند ربه اي عند الله في الاخرة وقال الاصم فهو خير له من التهاون قوله احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم ووجه النظم انه كان يجوز ان يظن ان الاحرام اذا حرم الصيد وغيره فالانعام ايضا محرم فبين تعالى ان الاحرام لا يوثر فيها ثم استثنى منه ما يتلى في كتاب الله تعالى من المحرمات من النعم وهو المذكور في سورة المايدة في قوله غير محلي الصيد وانتم حرم قوله الا ما يتلى عليكم يجوز ان يكون استثنا متصلا وتصرف الى ما حرم من بهيمة الانعام بسبب عارض كالموت ونحوه وان يكون استثنا منقطعا اذ ليس فيها محرم وقد تقدم تقرير هذا اول المايدة قوله من الاوثان في من ثلاثة اوجه احدها انها لبيان الجنس وهو مشهور وقول المعربين وتقدر بقولك الرجس الذي هو الاوثان وقد تقدم ان شرط كونها بيانية ذلك ويجي مواضع كثيرة لا يتاتي فيها ذلك ولا بعضه والثاني انها لابتدا الغاية قال شهاب الدين وقد خلط ابو البقا القولين فجعلهما قولا واحدا فقال ومن لبيان الجنس اي اجتنبوا الرجس من هذا القبيل وهو معنى ابتدا الغاية هنا يعني انه في المعنى يوول الى ذلك ولا يوول اليه البتة الثالث انها للتبعيض وقد غلط ابن عطية القايل بكونها للتبعيض فقال ومن قال ان من للتبعيض وقد غلط ان قلت معنى الاية فاسده وقد يمكن التبعيض فيها بان يعني بالرجس عبادة الاوثان وبه قال ابن عباس وابن جريج فكانه قال فاجتنبوا من الاوثان الرجس وهو العبادة لان المحرم من الاوثان انما هو العبادة الا ترى انه قد يتصور استعمال الوثن في بنا وغيره مما لم يحرم الشرع استعماله فللوثن جهات منها عبادتها وهي بعض جهاتها قال ابو حيان والاوثان جمع وثن والوثن يطلق على ما صور من نحاس وحديد وخشب ويطلق ايضا على الصليب قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم وقد راى في عنقه صليبا الق هذا الوثن عنك وقال الاعشى

يطوف العفاة بابوابه • كطوف النصارى ببيت الوثن

والاشتقا قد من وثن الشي اي اقام بمكانه وثبت فهو واثن وانشدوا لروبة على اخلاق الصفا الوثن اي المقيمات على العهد وقد تقدم الفرق بين الوثن والصليب فصل قال المفسرون فاجتنبوا الرجس من الاوثان اي عبادتها اي كونوا على جانب منها فانها رجس اي سبب الرجس وهو

العذاب والرجس بمعنى الرجز وقال الزجاج من هنا للتجنيس اي اجتنبوا الاوثان التي هي الرجس
واجتنبوا قول الزور واعلم انه تعالى لما حث على تعظيم حرماته اتبعه بالامر باجتناب الاوثان
وقول الزور لان توحيد الله تعالى وصدق القول اعظم الحرمات وانما جمع الشرك وقول الزور في
سلك واحد لان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن يحق له العبادة فكانه قال تعالى
فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي راس الزور واجتنبوا قول الزور كله ولا تقربوا شيا منه وما
ظنك بشي من قبيله عبادة الاوثان وسمي الاوثان رجسا لا للنجاسة لكن لان وجوب تجنبها اكد
من وجوب تجنب الرجس ولان عبادتها اعظم من التلوث بالنجاسة قال الاصم انما وصفها بذلك
استحقارا واستخفافا والزور من الازورار وهو الانحراف وكذا الافك وذكر المفسرون في قول الزور
وجوها الاول قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك والثاني شهادة الزور لان النبي صلى
الله عليه وسلم صلى الصبح فلما سلم قام قايما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك
بالله تعالى وتلا هذه الاية الثالث الكذب والبهتان الرابع قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك
لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك قوله حنفا لله حال من فاعل اجتنبوا وكذلك
غير مشركين وهي حال موكدة اذ يلزم من كونهم حنفا عدم الاشراك اي مخلصين له اي تمسكوا
بالاوامر والنواهي على وجه العبادة لله وحده لا على وجه الاشراك غير الله به فلذلك غير مشركين به
ثم قال تعالى ومن يشرك بالله فكانما خر من السما اي سقط من السما الى الارض قوله فتخطفه قرا
نافع بفتح الخا والطا مشددة واصلها تختطفه فادغم وباقي السبعة فتخطفه بسكون الخا
وتخفيف الطا وقرا الحسن والاعمش وابو رجا رضي الله عنهم بكسر التا والخا وروي عن الاعمش
كقراة العامة الا انه بغير فا تخطفه وتوجيه هذه القراات تقدم في اوايل البقرة عند قوله
تعالى يكاد البرق يخطف وقرا ابو جعفر الرياح جمعا وقوله خر في معنى تخر ولذلك عطف عليه
المستقبل وهو فتخطفه ويجوز ان يكون على بابه ولا يكون فتخطفه عطفا عليه بل هو خبر مبتدا
مضمر اي فهو تخطفه قال الزمخشري يجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان كان
تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس وراه اهلاك بان صور حاله
بصورة حال من خر من السما فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى
هوت به في بعض المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسما والذي
ترك الايمان واشرك به بالساقط من السما والاهوا التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان
الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة والسحيق
البعيد ومنه سحقه الله اي ابعده ومنه قوله صلى الله عليه وسلم سحقا سحقا اي بعدا بعدا
والنخلة السحوق الممتدة في السما من ذلك قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعاير الله في اعراب
ذلك كاعراب ذلك المتقدم وتقدم تفسير الشعيرة واشتقاقها في المايدة والمعنى ذلك الذي ذكرت
من اجتناب الرجس وقول الزور وتعظيم شعاير الله من تقوى القلوب قال ابن عباس شعاير
الله البدن والهدايا واصله من الاشعار وهو اعلامها لتعرف انها هدي وتعظيمها استحسانها
واستسمانها وقيل شعاير الله اعلام دينه وقيل مناسك الحج قوله فانها من تقوى القلوب
اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب ليس في شي منه ضمير يرجع فحذفت هذه
المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزا الى من ليرتبط به قال
الزمخشري قال ابو حيان رحمه الله وما قدره عار من راجع الى الضمير من الجزا الى من الا ترى ان
قوله ان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب ليس في شي منه ضمير يرجع من الجزا الى من يربطه به
واصلاحه ان يقول فان تعظيمها منه فالضمير في منه عايد على من وانما ذكرت القلوب لان
المنافق قد يظهر التقوى من نفسه وقلبه خالي عنها فلهذا لا يكون مجدا في الطاعات واما
المخلص تمكنت التقوى من قلبه فانه يبالغ في ادا الطاعات على سبيل الاخلاص واعلم ان الضمير
في قوله تعالى فانها من تقوى القلوب فيه وجهان احدهما انه ضمير الشعاير على حذف مضاف
اي فان تعظيمها من تقوى القلوب والثاني انه ضمير المصدر المفهوم من الفعل قبله اي فان
التعظيم من تقوى القلوب منهم ومن جوز اقامة ال مقام الضمير وهم الكوفيون اجاز ذلك هنا
والتقدير من تقوى قلوبهم كقوله فان الجنة هي الماوي وتقدم تقريره والعامة على خفض القلوب

وقري

وقري برفعها فاعلة للمصدر قبلها وهو تقوى قوله لكم فيها منافع اي في الشعاير بمعنى الشرايع
اي لكم في التمسك بها وقيل في بهيمة الانعام وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك ورواه مقسم عن
ابن عباس وعلى هذا فالمنافع درها ونسلها واصوافها واوبارها وركوب ظهورها الى اجل مسمى
وهو ان يسميها ويوجبها هديا بان تركبوها اذا احتجتم اليها وتشربوا البانها ان احتجتم اليه الى اجل مسمى
الى ان تنحروها وهذا اختيار الشافعي ومالك واحمد واسحاق رضي الله عنهم وهو اولى لان النبي صلى
الله عليه وسلم مر برجل يسوق بدنة وهو في جهد فقال صلى الله عليه وسلم اركبها فقال يا رسول
الله انها هدي فقال اركبها ويلك وقال صلى الله عليه وسلم اركبوا الهدي بالمعروف حتى
تجدوا ظهرا واحتج ابو حنيفة رضي الله عنه على انه لا يملك منافعها بانه لا يجوز له ان يوجرها للركوب
فلو كان مالكا لمنافعها لملك عقد الاجارة عليها كمنافع ساير المملوكات واجيب بان هذا قياس
في معارضة النص فلا عبرة به وايضا فان ام الولد لا يملك بيعها ويملك الانتفاع بها فكذا
هنا ومن حمل المنافع على ساير الواجبات يقول لكم فيها اي في التمسك بها منافع الى اجل ينقطع
التكليف عنده والاول قول جمهور المفسرين لقوله تعالى ثم محلها الى البيت العتيق اي ان لكم
في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم واعظم هذه المنافع محلها الى البيت العتيق اي وقت
وجوب نحرها منتهية الى البيت كقوله تعالى هديا بالغ الكعبة وقوله محلها يعني حيث يحل نحرها
واما البيت العتيق فالمراد به الحرم كله كقوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا اي
الحرم كله فالمنحر على هذا القول مكة ولكنها نزهت عن الدما الى منى ومنى من مكة قال صلى
الله عليه وسلم كل فجاج مكة منحر وكل فجاج من منى منحر قال القفال هذا انما يختص بالهدايا التي
تبلغ منى فاما الهدي المتطوع به اذا عطب قبل بلوغ مكة فان محله موضعه ومن قال الشعاير
المناسك قال معنى قوله ثم محلها الى البيت العتيق اي محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق
ان يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر قوله تعالى ولكل امة جعلنا منسكا الاية قرا الاخوان
هنا وفيما بعده منسكا بالكسر والباقون بالفتح وقيل هما بمعنى واحد والمراد بالمنسك مكان النسك
او المصدر وقيل المكسور مكان والمفتوح مصدر قال ابن عطية والكسر في هذا من الشاذ ولا
يسوغ فيه القياس ويشبه ان يكون الكساي سمعه من العرب قال شهاب الدين وهذا الكلام
منه غير مرضي كيف يقول ويشبه ان يكون الكساي سمعه والكساي يقول قرات به فكيف
يحتاج الى سماع من تمسكه باقوى السماعات وهو روايته لذلك قرانا متواترا وقوله من الشاذ
يعني قياسا لا استعمالا فانه فصيح في الاستعمال وذلك ان فعل يفعل بضم العين في المضارع قياس
المفعل منه ان يفتح عينه مطلقا اي سوا اريد به الزمان ام المكان ام المصدر وقد شذت الفاظ
ضبطها النحاة في كتبهم مذكورة في هذا الكتاب قوله تعالى ولكل امة اي جماعة مومنة سلفت
قبلكم من عهد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جعلنا منسكا اي ضربا من القربان اي اراقة الدما
وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه عند ذبحها ونحرها فقال تعالى ليذكروا اسم الله على ما رزقهم
من بهيمة الانعام اي عند الذبح والنحر لانها لا تتكلم فقال بهيمة الانعام وقيد بالنعم لان من
البهايم ما ليس من الانعام كالخيل والبغال والحمير لا يجوز ذبحها للقرابين وكانت العرب تسمي
ما تذبحه للصنم العتر والعتيرة كالذبح والذبيحة قوله فالهكم اله واحد في كيفية النظم
وجهان الاول ان الاله واحد وانما اختلفت التكاليف باختلاف الازمنة والاشخاص لاختلاف
المصالح والثاني فالهكم اله واحد لا تذكروا على ذبايحكم غير اسمه فله اسلموا انقادوا واطيعوا
في انقاد لله كان مخبتا فلذلك قال بعده وبشر المخبتين قال ابن عباس وقتادة رضي
الله عنهم المخبتين المتواضعين الخاشعين وقال مجاهد المطمينين الى الله والخبت المكان المطمين
من الارض قال ابو مسلم حقيقة المخبت من صار في خبت من الارض اي تقول اخبت الرجل
اذا صار في الخبت كما يقال انجد واتهم واشام وقال الكلبي هم الرقيقة قلوبهم وقال عمرو بن
اوس هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا قوله تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
يجوز ان يكون هذا الموصول في موضع جر او نصب او رفع فالجر من ثلاثة اوجه النعت للمخبتين
او البدل منهم او البيان لهم والنصب على المدح والرفع على اضمارهم وهو مدح ايضا ويسميه
النحويون قطعا والمعنى اذا ذكر الله ظهر عليهم الخوف من عقاب الله والخشوع والتواضع لله

والصابرين على ما اصابهم من البلايا والمصايب من قبل الله لانه الذي يجب الصبر عليه كالامراض والمحن فاما ما يصيبهم من قبل الظلمة فالصبر عليه غير واجب بل لو امكنه دفع ذلك لزمه الدفع ولو بالمقاتلة قوله والمقيمي الصلاة في اوقاتها قرا العامة على خفض الصلاة باضافة المقيمين اليها وقرا الحسن وابو عمرو في رواية بنصبها على حذف النون تخفيفا لا لحذف التنوين لالتقا الساكنين وقرا ابن مسعود والاعمش بهذا الاصل والمقيمين الصلاة باثبات النون ونصب الصلاة وقرا الضحاك والمقيم الصلاة بتم ليس بعدها شي وهذا لا يخالف قراة العامة لفظا وانما تظهر مخالفتها لها وقفا وخطا ثم قال سبحانه ومما رزقناهم ينفقون اي يتصدقون فهم خايفون خاشعون متواضعون لله مشتغلون بخدمة ربهم بالبدن والنفس والمال قوله تعالى والبدن جعلناها لكم من شعاير الله الاية العامة على نصب البدن على الاشتغال ورجح النصب وان كان محوجا للاضمار على الرفع الذي لم يحوج اليه لتقدم جملة فعلية على جملة الاشتغال وقري برفعها على الابتدا والجملة بعدها الخبر والعامة ايضا على تسكين الدال وقرا الحسن ويروى عن نافع وشيخه ابي جعفر بضمها وهما جمعان لبدنة نحو ثمرة وثمر وثمر فالتسكين يحتمل ان يكون تخفيفا من المضموم وان يكون اصلا وقيل البدن والبدن جمع بدن والبدن جمع لبدنة نحو خشبة وخشب ثم يجمع خشبا على خشب وخشب وقيل البدن اسم مفرد لا جمع يعنون اسم جنس وقرا ابن ابي اسحاق رحمه الله البدن بضم البا والدال وتشديد النون وهو يحتمل وجهين احدهما انه قرا كالحسن فوقف على الكلمة وضعف لامها كقولهم هذا فرخ ثم اجري الوصل مجرى الوقف في ذلك ويحتمل ان يكون اسما على فعل كعتل وسميت البدنة بدنة لانها تبدن اي تسمن وهل تختص بالابل الجمهور على ذلك قال الزمخشري والبدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الابل خاصة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقر عن سبعة فجعل البقر في حكم الابل فصارت البدنة متناولة في الشريعة للجنسين عند ابي حنيفة واصحابه والا فالبدن هي الابل وعليه تدل الاية وقيل لا تختص بالابل فقال الليث البدنة بالها يقع على الناقة والبقرة والبعير وما يجوز في الهدي والاضاحي ولا يقع على الشاة وقال عطا وغيره ما اشعر من ناقة او بقرة لقول النبي صلى الله عليه وسلم حين سيل عن البقر فقال وهل هي الا من البدن وقيل البدن يراد به العظيم السن من الابل والبقر ونقل النووي في تحرير الفاظ التنبيه عن الازهري انه قال البدنة لا تكون من الابل والبقر والغنم ويقال للسمين من الرجال وهو اسم جنس مفرد قوله من شعاير الله هو المفعول الثاني للجعل بمعنى التصيير وقوله لكم فيها خير الجملة حال امامن ها جعلناها واما من شعاير الله وهذان مبنيان على ان الضمير في فيها هل هو عايد على البدن او على شعاير والاول قول الجمهور قوله فاذكروا اسم الله عليها صواف نصب صواف على الحال اي مصطفة جنب بعضها الى بعض وقرا ابو موسى الاشعري والحسن ومجاهد وزيد بن اسلم صوافي جمع صافية اي خالصة لوجه الله تعالى وقرا عمرو بن عبيد كذلك الا انه نون اليا فقرا صوافيا واستشكلت من حيث انه جمع متناه وخرجت على وجهين احدهما ذكره الزمخشري وهو ان يكون التنوين عوضا من حرف الاطلاق عند الوقف يعني انه وقف على صوافي باشباع فتحة اليا فتولد منها الف تسمى حرف الاطلاق ثم عوض عنه هذا التنوين وهو الذي تسميه النحويون تنوين الترنم والثاني انه جا على لغة من يصرف ما لا ينصرف وقرا الحسن صواف بالكسر والتنوين ووجهها انه نصبها بفتحة مقدرة فصار حكم هذه الكلمة كحكمها حالة الرفع والجر في حذف اليا وتعويض التنوين نحو هولاء جوار ومررت بجوار وتقدير الفتحة في اليا كثير كقولهم اعط القوس باريها وقوله

كان ايديهن بالقاع القرق • ايدي جوار يتعاطين الورق

وقول الاخر وكسوت عار لحمه ويدل على ذلك قراة بعضهم صوافي بيا ساكنة من غير تنوين نحو رايت القاضي يا فتى بسكون اليا ويجوز ان يكون سكن اليا في هذه القراة للوقف ثم اجري الوصل مجراه وقرا العبادلة ومجاهد والاعمش صوافن بالنون جمع صافنة وهي التي تقوم على ثلاث وطرف الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل احدي يديها

فتقوم

فتقوم على ثلاث الا ان الصوافن انما يستعمل في الخيل كقوله الصافنات الجياد كما سياتي فيكون استعماله في الابل استعارة

فصل سميت البدنة بدنة لعظمها بريد الابل العظام الصحاح الاجسام يقال بدن الرجل بدنا وبدانة اذا ضخم فاما اذا اسن واسترخى يقال بدن بتبدينا جعلناها لكم من شعاير الله اي من اعلام دينه سميت شعايرا لانها تشعر وهو ان تطعن بحديدة في سنامها فيعلم انها هدي لكم فيها خير النفع في الدنيا والاجر في العقبى فاذكروا اسم الله عليها عند نحرها صواف اي قياما على ثلاث قوايم قد صفت رجليها واحدى يديها ويدها اليسرى معقولة فينحرها كذلك لما روي وزياد بن جبير قال رايت ابن عمر اتى على رجل قد اناخ بدنة بنحرها قال ابعثها قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد الصواف اذا عقلت رجلها اليسرى وقامت على ثلاث قال المفسرون قوله فاذكروا اسم الله عليها بحذف اي اذكروا اسم الله على نحرها وهو ان يقال عند النحر بسم الله والله اكبر ولا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك والحكمة في اصطفافها ظهور كثرتها للناظرين فتقوى نفوس المحتاجين ويكون التقرب بنحرها عند ذلك اعظم اجرا واعلا اسم الله وشعاير دينه

فصل اذا قال علي بدنة هل يجوز له نحرها في غير مكة قال ابو حنيفة ومحمد يجوز وقال ابو يوسف لا يجوز الا بمكة واتفقوا فيمن نذر هديا ان عليه ذبحه بمكة ومن قال لله على جزور انه يذبحه حيث شا وقال ابو حنيفة البدنة بمنزلة الجزور فوجب ان يجوز له نحرها حيث يشا بخلاف الهدي فانه قال هديا بالغ الكعبة فجعل بلوغ الكعبة من صفة الهدي واحتج ابو يوسف بقوله والبدن جعلناها لكم من شعاير الله فكان اسم البدنة يفيد كونها قربة فكان كاسم الهدي واجاب ابو حنيفة بانه ليس كلما كان ذبحه قربة اختص بالحرم فان الاضحية قربة وهي جايزة في سائر الاماكن قوله فاذا وجبت جنوبها اي سقطت بعد النحر فوقعت جنوبها على الارض واصل الوجوب السقوط يقال وجبت الشمس اذا سقطت للمغيب ووجب الجدار اي سقط ومنه الواجب الشرعي كانه وقع علينا ولزمنا قال اوس بن حجر الم تكشف الشمس شمس النهار والبدن للجبل الواجب قوله فكلوا منها امر اباحة واطعموا القانع والمعتر اختلفوا في معناهما فقال عكرمة وابراهيم وقتادة القانع الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسال والمعتر الذي يسال قال الازهري قال ابن الاعرابي يقال عررت فلانا واعتررته وعروته واعتريته اذا اتيته تطلب معروفه ونحوه قال ابو عبيد وروى العوفي عن ابن عباس القانع الذي لا يتعرض ولا يسال والمعتر الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسال فعلى هذين التاويلين يكون القانع من القناعة يقال قنع قناعة اذا رضي بما قسم له وقال سعيد بن جبير والحسن والكلبي القانع الذي يسال والمعتر الذي يتعرض ولا يسال وقيل القانع الراضي بالشي اليسير من قنع يقنع قناعة فهو قانع والقنع بغير الف هو السايل ذكره ابو البقا وقال الزمخشري القانع السايل من قنعت وكنعت اذا خضعت له وسالته قنوعا والمعتر المعترض بالسوال انتهى وفرق بعضهم بين المعنيين بالمصدر فقال قنع يقنع قنوعا اي سال وقناعة اي تعفف ببلغته واستغنى بها وانشد للشماخ

لمال المرء يصلحه فيغني • مفاقره اعف من القنوع

وقال ابن قتيبة المعتر المتعرض من غير سوال يقال عره واعتره وعراه اي اتاه طالبا معروفه قال

لعمرك ما المعتر يغشى بلادنا • لنمنعه بالضايع المتهضم

وقول الاخر

سلي الطارق المعتر يا ام مالك • اذا ما اعتراني بين قدري ومجزري

وقرا ابو رجا القنع دون الف وفيها وجهان احدهما ان اصلها القانع فحذف الالف كما قالوا مقول ومحيط وجندل وعلبط في مقوال ومخياط وجنادل وعلابط والثاني ان القانع هو الراضي لا غير وقرا الحسن والمعتري اسم فاعل من اعترى يعتري وقرا اسماعيل ويروى عن ابي رجا والحسن ايضا والمعتر بكسر الرا اجتزا بالكسرة عن لام الكلمة وقري المعتري بفتح اليا وقال ابو البقا وهو في معنى المعتر في قراة العامة قال بعضهم والاقرب ان القانع هو الراضي بما يدفع اليه من غير سوال والحاح والمعتر هو الذي يعرض ويطالب ويعتريهم حالا بعد حال فيفعل ما يدل على انه لا يقنع بما يدفع اليه ابدا وقال ابن زيد القانع المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين ولاه

يكون له ذبيحة ويجي الي القوم فيتعرض لهم لاجل لحمهم قوله تعالى كذلك سخرناها
الكاف نعت مصدرا او حال من ذلك المصدر اي مثل وصفنا ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها
لكم نعمة منا لتتمكنوا من نحرها لعلكم تشكرون لكي تشكروا انعام الله عليكم قوله لن
ينال الله لحومها العامة على القراة بياء الغيبة في الفعلين لان التانيث مجازي وقد وجد
الفصل بينهما وقرا يعقوب بالتاء فيهما اعتبارا باللفظ وقرا زيد بن علي لحومها ولا دماءها
بالنصب والجلالة بالرفع ولكن يناله بضم اليا على ان يكون القايم مقام الفاعل التقوي
ومنكم حال من التقوي ويجوز ان يتعلق بنفس يناله **فصل** لما كان عادة
الجاهلية اذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدماها قربة الي الله عز وجل فانزل الله هذه
الاية لن ينال الله لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوي منكم اي ولكن يرفع اليه
منكم الاعمال الصالحة وهي التقوي والاخلاص وما اريد به وجه الله **فصل**
قالت المعتزلة دلت هذه الاية على امور احدها ان الذي ينتفع به فعله دون الجسم
الذي ينحره وثانيها انه سبحانه غني عن كل ذلك وانما المراد ان يجتهد العبد في امتثال
امره وثالثها انه لما لم ينتفع بالاجسام التي هي اللحوم والدما وانتفع بتقواه وجب ان
يكون تقواه فعلا له والا كان تقواه بمنزلة ورابعها انه لما شرط القبول بالتقوي
وصاحب الكبيرة غير متقي فوجب ان لا يكون عمله مقبولا وانه لا ثواب له والجواب اما
الاولان فحقان واما الثالث فمعارض بالداعي والعلم واما الرابع فصاحب الكبيرة
وان لم متقيا مطلقا ولكنه متقي فيما اتى به من الطاعة على سبيل الاخلاص فوجب
ان يكون طاعته مقبولة وعند هذا تنقلب الاية حجة عليهم قوله كذلك سخرها الكاف
نعت مصدر او حال من ذلك المصدر ولتكبروا متعلق به اي انما سخرها كذلك لتكبروا الله
وهو التعظيم بما يفعله عند النحر وقبله وبعده وعلى ما هداكم متعلق بالتكبير عدي
بعلي لتضمنه معنى الشكر على ما هداكم اي ارشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وهو ان يقول
الله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما ابلانا واولانا ثم قال بعده على سبيل الوعد لمن
امتثل امره وبشر المحسنين كما قال من قبل وبشر المخبتين
قال ابن عباس المحسنين الموحدين والمحسن هو الذي يفعل الحسن من الاعمال فيصير
محسنا الى نفسه بتوفير الثواب عليه قوله تعالى ان الله يدافع عن الذين امنوا قرا ابن كثير
وابو عمرو يدفع مضارع دفع والباقون يدافع وفيه وجهان احدهما ان فاعل بمعنى فعل المجرد
نحو جاوزته وجزته وسافرت وطارقت والثاني انه اخرج على زنة المفاعلة مبالغة
فيه لان فعل المفاعلة ابلغ من غيره وقال ابن عطية يحسن دفاع لانه قد عن للمومنين
من يدفعهم ويوذيهم فتجي مقاومته ودفعه عنهم مدافعة يعني فيلحظ فيها المفاعلة فصل
لما بين الحج ومناسكه وما فيه من منافع الدنيا والاخرة وذكر قبل ذلك صد الكفار عن المسجد
الحرام اتبع ذلك ببيان ما يزيل الصد ويمكن يومن معه التمكن من الحج فقال ان الله يدفع
عن الذين امنوا قال مقاتل ان الله يدفع كفار مكة عن الذين امنوا بمكة وهذا حين امر
المومنين بالكف عن كفار مكة قبل الهجرة حين اذوهم فاستاذنوا النبي صلى الله عليه وسلم
في قتلهم سرا فنهاهم والمعنى ان الله يدفع غائلة المشركين عن المومنين ويمنعهم من المومنين
ولم يذكر ما يدفعه حتى يكون افخم واعظم واعم وان كان في الحقيقة انه لا يدافع بين المشركين
فلذلك قال بعده ان الله لا يحب كل خوان كفور فنبه بذلك على انه يدفع عن المومنين كيد
من هذا صفته وهذه بشارة للمومنين باعلايهم على الكفار وهو كقوله لن يضروكم الا اذى
وقوله انا لننصر رسلنا والذين امنوا وقوله انهم لهم المنصورون ان الله لا يحب كل خوان
في امانة الله كفور لنعمته قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شركا وكفروا نعمته قال
الزجاج من تقرب الى الاصنام بذبيحته وذكر عليها اسم غير الله فهو خوان كفور قال مقاتل
اقروا بالصانع وعبدوا غيره فاي خيانة اعظم من هذه قوله اذن للذين يقاتلون قرا
اذن مبنيا للمفعول نافع وابو عمرو وعاصم والباقون قراوه مبنيا للفاعل قال الفرا والزجاج
يعني اذن الله للذين يحرصون على قتال المشركين في المستقبل واما يقاتلون فقراه مبنيا

للمفعول

للمفعول نافع وابن عامر وحفص والباقون مبنيا للفاعل وحصل من مجموع الفعلين ان نافعا
وحفصا بنياهما للمفعول والثاني للفاعل وان ابن عامر عكس هكذا فهذه اربع مراتب والماذون
فيه محذوف للعلم به اي للذين يقاتلون في القتال وبانهم ظلموا متعلق باذن والباء سببية
اي بسبب انهم مظلومون **فصل** قال المفسرون كان مشركي مكة يوذون اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالون يجيئون بين مضروب ومشجوج يشكون ذلك الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية وهي اول اية اذن الله فيها بالقتال ونزلت هذه
الاية بالمدينة وقال مجاهد نزلت هذه الاية في قوم باعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة
الى المدينة فكانوا يمنعون فاذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بانهم ظلموا
اي بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالايذا وان الله على نصرهم لقدير وهذا وعد منه تعالى
بنصرهم كما يقول المرء لغيره ان اطعتني فانا قادر على مجازاتك لا يعني بذلك القدرة بل يريد
انه سيفعل ذلك قوله الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق يجوز ان يكون في محل جر نعتا للموصول
او بيانا له او بدلا منه وان يكون في محل نصب على المدح وان يكون في محل رفع على اضمار مبتدا
فصل لما بين انهم انما اذنوا في القتال لاجل انهم ظلموا فسر ذلك الظلم بقوله
الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله فبين تعالى ظلمهم لهم بهذين
الوجهين الاول انهم اخرجوا من ديارهم والثاني اخرجوهم بسبب قولهم ربنا الله وكل واحد
من الوجهين عظيم في الوجهين الظلم قوله الا ان يقولوا فيه وجهان احدهما انه منصوب
على الاستثنا المنقطع وهذا مما يجمع العرب على نصبه لانه منقطع لا يمكن توجه العامل اليه
وما كان كذا اجمعوا على نصبه نحو ما زاد الا ما نقص وما نفع الا ما ضر فلو توجه العامل جاز
فيه لغتان النصب وهو لغة الحجاز وان يكون كالمتصل في النصب والبدل نحو ما فيها احد الا حمار
وانما كانت الاية الكريمة من الذي لا يتوجه عليه العامل لانك لو قلت الذين اخرجوا من ديارهم
الا ان يقولوا ربنا الله لم يصح الثاني انه في محل جر بدلا من حق قال الزمخشري اي بغير موجب
سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله
هل تنقمون منا الا ان امنا بالله انتهى وممن جعله في موضع جر بدلا مما قبله الزجاج الا ان ابا
حيان رد ذلك فقال ما اجازاه من البدل لا يجوز لان البدل لا يجوز الا حيث سبقه نفي او نهي
او استفهام في معنى النفي واما اذا كان الكلام موجبا او امرا فلا يجوز البدل لان البدل لا يكون الا
حيث يكون العامل يتسلط عليه ولو قلت قام الا زيد ولتضرب الا عمرو لم يجز ولو قلت في غير القران
اخرج الناس من ديارهم الا ان يقولوا لا اله الا الله لم يكن كلاما هذا اذا اختيل ان يكون الا ان
يقولوا في موضع جر بدلا من غير المضاف الى حق واما اذا كان بدلا من حق كما نص عليه الزمخشري
فهو في غاية الفساد لانه يلزم منه ان يكون البدل يلي غيرا فيصير التركيب بغير الا ان يقولوا
وهذا لا يصح ولو قدرنا بغير كما يقدر في النفي في ما مررت باحد الا زيد فيجعله بدلا لم يصح لانه
لا يصير التركيب بغير غير فقولهم ربنا الله فيكون قد اضيف غير الى غير وهي فيصير بغير غير
ويصح في ما مررت باحد الا زيد ان تقول ما مررت بغير زيد ثم ان الزمخشري حين مثل البدل
قدره بغير موجب سوى التوحيد وهذا تمثيل للصفة جعل بمعنى سوى ويصح على الصفة فالتبس
عليه باب الصفة بباب البدل ويجوز ان تقول ما مررت بالقوم الا زيد على الصفة لا على البدل
قوله ولولا دفع الله تقدم الخلاف فيه في البقرة وتوجيه القراتين وقرا نافع وابن كثير لهدمت
بالتخفيف والباقون بالتثقيل الدال على التكثير لان المواضع كثيرة متعددة والقراة الاولى
صالحة لهذا المعنى ايضا قوله تعالى صوامع وبيع وصلوات ومساجد العامة على صلوات
بفتح الصاد واللام جمع صلوة وقرا جعفر بن محمد بضمهما وروي عنه ايضا بكسر الصاد وسكون
اللام والجحدري ايضا وصلوات بضمها وسكون الواو وبعدها تا مثناة من فوق مثل صلب
وصلوب والكلبي والضحاك كذلك الا انهما اعجما الثا بثلاث من فوقها والجحدري ايضا وابو العالية
وابو رجا ومجاهد كذلك الا انهم جعلوا بعد الثا المثلثة الفا فقروا صلوثا وروي عن مجاهد
في هذه التا المثناة من فوق ايضا وروي عن الجحدري ايضا صلوات بضم الصاد وسكون

اللام والف بعد الواو والتا مثلثة وقرا عكرمة صلوثيا بكسر الصاد وسكون اللام وبعدها
واو مكسورة بعدها يا مثناة من تحت بعدها ثا مثلثة بعدها الف وحكي ابن مجاهد انه
قرئ صلوات بكسر الصاد وسكون اللام بعدها واو بعدها الف بعدها ثا مثلثة وقراه
الجحدري وصلوب مثل كعوب بالبا الموحدة وهو جمع صليب وفعول جمع فعيل شاذ
نحو ظريف وظروف واسينة واسون وروي عن ابي عمرو صلوات كالعامة الا انه لم
ينون منعه الصرف للعلمية والعجمة كانه جعله اسم موضع فهذه اربع عشرة قراة المشهور
منها واحدة وهي هذه الصلوات المعهودة ولا بد من حذف مضاف ليصح تسلط الهدم اي
مواضع صلوات ويضمن هدمت معنى عطلت فتكون قدرا مشتركا بين المواضع والافعال
فان تعطيل كل شي بحسبه واخر المساجد لحدوثها في الوجود والانتقال الى الاشرف والصلوات
في الامم الملتين صلوة كل ملة بحسبها وظاهر كلام الزمخشري انها بنفسها اسم مكان فانه قال
وسميت الكنيسة صلوة لانها يصلي فيها وقيل هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوثا انتهى
واما غيرها من القراات فقيل هي سريانية او عبرانية دخلت في لسان العرب ولذلك كثر فيها
اللغات والصوامع جمع صومعة وهي البنا المرتفع الحديد الاعلى من قولهم رجل اصمع وهو
الحديد القول ووزنها فوعلة كدوخلة وهي متعبد الرهبان لانهم ينفردون وقال قتادة
والزجاج وقال ابو العالية هي كنايس اليهود وقال الزجاج الصوامع للنصارى وهي التي
بنوها في الصحارى والبيع لهم ايضا وهي التي بنوها في البلد والصلوات لليهود قال الزجاج
وهي بالعبرانية صلوتا والمساجد للمسلمين وهذا هو الاشهر وقال ابو العالية الصلوات
للصابيين وقال الحسن انها باسرها اسما المساجد اما الصوامع فلان المسلمين قد يتخذون
الصوامع واما البيع فاطلق هذا الاسم على المساجد على سبيل التشبيه واما الصلوات فالمعنى
انه لولا ذلك الدفع لانقطعت الصلوات ولخربت المساجد **فصل** معنى ولولا دفع
الله الناس بعضهم ببعض اي بالجهاد واقامة الحدود كانه قال ولولا دفع الله اهل الشرك
على اهل الاديان وعطلوا ما يبنونه من مواضع العبادة وقال الكلبي يدفع بالنبيين
عن المومنين وبالمجاهدين عن القاعدين عن الجهاد وروى ابو الجوزا عن ابن عباس
يدفع الله بالمحسن عن المسي وبالذي يصلي عن الذي لا يصلي وبالذي يتصدق عن الذي
لا يتصدق وبالذي يحج عن الذي لا يحج وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يدفع
بالمسلم الصالح عن مائة من اهل بيته ومن جيرانه ثم تلا هذه الاية وقال الضحاك يدفع
بدين الاسلام وباهله عن اهل الذمة وقال مجاهد يدفع عن الحقوق بالشهود وعن
النفوس بالقصاص فان قيل لماذا جمع الله بين مواضع عبادات اليهود والنصارى
وبين مواضع عبادة المسلمين فالجواب اما على قول الحسن فالمراد بهذه المواضع اجمع مواضع
المومنين وان اختلفت العبارات عنها واما على قول غيره فقال الزجاج المعنى لولا دفع
الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شرع كل نبي المكان الذي يتعبد فيه فلولا الدفع لهدم
في زمن موسى الكنايس التي كانوا يصلون فيها في شرعه وفي زمن عيسى الصوامع والبيع
وفي زمن نبينا المساجد فعلى هذا انما دفع عنهم حين كانوا على الحق قبل التحريف وقبل
النسخ فان قيل كيف تهدم الصلوات على تاويل من تاوله على صلوة المسلمين فالجواب
من وجوه الاول المراد من هدم الصلوة ابطالها واهلاك من يفعلها كقولهم هدم فلان
احسان فلان اذا قابله بالكفر دون الشكر الثاني ما تقدم من باب حذف المضاف كقوله
واسيل القرية اي اهلها فالمراد مكان الصلوة الثالث لما كان الاغلب فيما ذكر ما يصح ان
يهدم جاز ضم ما لا يصح ان يهدم اليه كقولهم متقلدا سيفا ورمحا وان كان الرمح لا يتقلد
فان قيل لما قدم الصوامع والبيع في الذكر على المساجد فالجواب لانها اقدم في الوجود
وقيل اخر المساجد في الذكر كما في قوله ومنهم سابق بالخيرات قال عليه السلام نحن الاخرون
السابقون قال الكلبي ومقاتل يعود الى الكل لان الله تعالى يذكر في هذه المواضع كلها
ويجوز ان تكون صفة للمساجد فقط ان خصصنا الضمير في فيها بها تشريفا لها ثم قال
ولينصرن الله من ينصره اي ينصر دينه ونبيه وقيل يتعلق الجهاد بالقبول نصرة لدين

الله

الله ان الله لقوي على اهل هذه النصرة التي وعدها المومنين عزيز وهو الذي لا يضام
ولا يمنع مما يريده قوله الذين ان مكناهم يجوز في هذا الموصول ما جاز في الموصول
قبله ويزيد هذا عليه بانه يجوز ان يكون بدلا من من ينصره ذكره الزجاج اي ولينصرن الله
الذين ان مكناهم وان مكناهم شرط واقاموا جوابه والجملة شرطية باسرها صلة للموصول
فصل لما ذكر الذين اذن لهم في القتال وصفهم في هذه الاية فقال الذين ان
مكناهم في الارض والمراد من هذا التمكين السلطنة ونفاذ القول على الخلق اي نصرناهم على
عدوهم حتى يتمكنوا من البلاد قال قتادة وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم المهاجرون
لان الانصار لم يخرجوا من ديارهم فوصفهم بانهم اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر ثم قال ولله عاقبة الامور اي اخر امور الخلق ومصيرهم اليه اي يبطل كل
ملك سوى ملكه فتصير الامور اليه بلا منازع قوله وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم
نوح الاية لما بين اخراج الكفار المومنين من ديارهم بغير حق واذن في مقاتلتهم وضمن
للرسول النصرة وبين ان لله عاقبة الامور اردفه بما يجري مجرى التسلية للرسول بالصبر
على اذيتهم بالتكذيب وغيره فقال وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم ساير الامم انبياءهم وذكر
الله تعالى سبعة منهم فان قيل فلم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى فالجواب من
وجهين الاول ان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط الثاني
كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح اياته وعظم معجزاته
فما ظنك بغيره فامليت للكافرين اي امهلتهم الى الوقت المعلوم عندي ثم اخذتهم عاقبتهم فكيف
كان نكير اي فكيف كان انكاري عليهم بالعذاب وهو استفهام تقرير اي اليس كان واقعا قطعا
ابدلتهم بالنعمة نقمة وبالكثرة قلة وبالحياة موتا وبالعمارة واعطيت الانبيا جميع ما وعدتهم
من النصر على اعدايهم والتمكين لهم في الارض فينبغي ان تكون عادتك يا محمد الصبر عليهم فانه
تعالى انما يمهل لمصلحة فلا بد من الرضا والتسليم وان شق ذلك على القلب والنكير مصدر
بمعنى الانكار كالنذير بمعنى الانذار واثبت يا نكيري حيث وقع ورش في الوصل وحذفها في
الوقف والباقون بحذفها وصلا ووقفا قوله وكاين من قرية يجوز ان يكون كاين منصوبة
المحل على شغل الاشتغال بفعل مقدر يفسره اهلكتها وان يكون في محل رفع بالابتدا والخبر
اهلكتها وتقدم تحقيق القول فيها قال بعضهم المراد من قوله وكاين من قرية وكم على وجه التكثير
وقيل معناه ورب قرية والاول اولى لانه اولى في الزجر وقوله اهلكتها قرا ابو عمرو ويعقوب
اهلكتها بالتا وهو اختيار ابي عبيد لقوله فامليت للكافرين ثم اخذتهم وقرا ابن كثير واهل
الكوفة والمدينة اهلكناها قوله وهي ظالمة جملة حالية من ها اهلكناها وقوله فهي خاوية
عطف على اهلكتها فيجوز ان يكون في محل رفع لعطفها على الخبر على القول الثاني وان لا يكون لها
محل لعطفها على الجملة المفسرة على القول الاول وهذا اعني الزمخشري بقوله والثانية لا محل
قوله فهي خاوية على محل لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل تفريعا
على القول بالاشتغال والا اذا قلنا انه خبر لكاين كان له محل ضرورة **فصل** والمعنى
وكم من قرية اهلكتها اي اهلها لقوله وهي ظالمة اي واهلها ظالمون فهي خاوية ساقطة
على عروشها على سقوفها قال الزمخشري كل مرتفع اظلك من سقف بيت او خيمة او ظلة فهو
عرش والخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط او من خوى المنزل اذا خلا من اهله فاذا فسرنا
الخاوي بالساقط كان المعنى انها ساقطة على سقوفها اي خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت
حيطانها فسقطت فوق السقوف وان فسرناه بالخالي كان المعنى انها خلت من الناس مع بقاء
عروشها وسلامتها ويمكن ان يكون خبرا بعد خبر اي هي خالية وهي على عروشها يعني ان السقوف سقطت
على الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان قايمة فهي مشرفة على السقوف الساقطة
قوله وبير معطلة عطف على قرية وكذلك وقصر اي وكاين من بير وقصر اهلكناها قيل ويحتمل ان
تكون معطوفة على ما بعدها على عروشها اي خاوية على بير وقصر ايضا وليس بشي والبير من بارت
الارض اي حفرتها ومنه التابير وهو شق كيزان الطلع والبير فعل بمعنى مفعول كالذبح بمعنى
المذبوح وهي مونثة وقد تذكر على معنى القليب وقوله وبيري ذو حفرت وذو طويت

يحتمل التذكير والتانيث والمعطلة المهملة والتعطيل الاهمال وقرا الحسن معطلة بالتخفيف يقال اعطلت البير وعطلتها فعطلت بفتح الطا واما عطلت المراة من الحلى فبكسر الطا والمعنى وكم من بير معطلة متروكة مخلاة عن اهلها والمشيد المرتفع قال قتادة والضحاك ومقاتل رفيع طويل وقال سعيد بن جبير وعطا ومجاهد المجصص من الشيد وهو الجص وانما بني هنا من ساده وفي النسا من شيده لانه هناك بعد جمع فناسب التكثير وهنا بعد مفرد فناسب التخفيف ولانه راس اية فاصلة **فصل** المعنى انه تعالى بين ان اهل القرية مع تكلف بنيانهم لها واغتباطهم بها جعلت لاجل كفرهم بهذا الوصف وكذلك البير التي تكلفوها وصارت شربهم صارت معطلة بلا شارب ولا وارد والقصر الذي احكموه بالجص وطولوه صار خاليا بلا ساكن وجعل ذلك عبرة لمن اعتبر وهذا يدل على ان تفسير علي تجعلها اولى لان التقدير وهي خاوية مع عروشها قيل ان البير المعطلة والقصر المشيد باليمن اما القصر على قلة جبل والبير في سفحه ولكل واحد منهما قوم في نعمة فكفروا فاهلكهم الله وبقي البير والقصر خاليين وروى ابو روق عن الضحاك ان هذه البير بحضرموت في بلدة يقال لها حاضورا وذلك ان صالحا مع اربعة الاف نفر ممن امن به اتوا حضرموت فلما ترلوها مات صالح فسميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات فبنوا قوم صالح حاضورا وقعدوا على هذه البير وامروا عليهم خليس من جلاس وجعلوا وزيره سحاريب فاقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا اصنما فارسل الله اليهم حنظلة ابن صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطل بيرهم وخرب قصورهم قال الامام ابو القاسم الانصاري وهذا عجيب لاني زرت قبر صالح بالشام في بلدة يقال لها عكا فكيف يقال انه بحضرموت قوله تعالى افلم يسيروا في الارض الاية يعني كفار مكة افلم يسيروا في الارض فينظروا الى مصارع المكذبين من الامم الخالية فيذكر ما يتكامل به الاعتبار لان الروية لها حظ عظيم في الاعتبار وكذلك سماع الاخبار ولكن لا يكمل هذان الامران الا بتدبير القلب لان من عاين وسمع ولم يتدبر ولم يعتبر لم ينتفع فلهذا قال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فتكون هو منصوب على جواب الاستفهام وعبارة الحوفي على جواب التقرير وقيل على جواب النفي وقرا مبشر بن عبيد فيكون بالياء تحت لان التانيث مجازي ومتعلق الفعل محذوف اي ما حل بالامم السالفة ثم قال قلوب يعقلون بها اي يعلمون بها وهذا يدل على ان العقل هو العلم وعلى ان محل العلم هو القلب لانه جعل القلب التي هذا العقل فيكون القلب محلا للعقل ولهذا سمي الجهل بالعمى لان الجاهل لكونه متحيرا يشبه الاعمى ثم قال واذان يسمعون بها اي ما يذكر لهم من اخبار القرون الماضية فيعتبرون بها قوله فانها لا تعمى الضمير للقصة ولا تعمى الابصار مفسرة له وحسن التانيث في الضمير كونه وليه فعل بعلامة تانيث ولو ذكر في الكلام فقيل فانه لجاز وهي قراة مروية عن عبد الله بن مسعود والتذكير اعتبار الامر والشان وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمى ضمير راجع اليه قال ابو حيان وما ذكره لا يجوز لان الذي يفسره ما بعده محصور وليس هذا واحدا منه وهو في باب رب وفي باب نعم وبيس وفي باب الاعمال وفي باب البدل وفي باب المبتدا والخبر على خلاف في بعضها وفي باب ضمير الشان والخمسة الاول يفسر بمفرد الا ضمير الشان فانه يفسر بجملة وهذا ليس واحدا من الستة قال شهاب الدين بل هذا من المواضع المذكورة وهو باب المبتدا غاية ما في ذلك انه دخل عليه ناسخ وهو ان فهو نظير قولهم هي العرب تقول ما شات وليس النفس تتحمل ما حملت وقوله تعالى ان هي الا حياتنا وقد جعل الزمخشري جميع ذلك مما يفسر بما بعده ولا فرق بين الاية الكريمة وبين هذه الامثلة الا دخول الناسخ ولا اثر له ويعجب من غفلة الشيخ عن ذلك قوله التي في الصدور صفة او بدل او بيان وهل هو توكيد كقوله يطير بجناحيه لان القلوب لا تكون في غير الصدور او لها معنى زايد كما قال الزمخشري الذي قد تعورف واعتقد ان العمى في الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف

المعتقد

المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما يقول ليس المضا للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك تقرير لما ادعيته للسان تثبيت لان محل المضا هو هو لا غيره وكانك قلت ما نفيت المضا عن السيف واثبته للسانك فلته مني ولا سهوا ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا وقد رد ابو حيان على الزمخشري قوله تعمدت به اياه وجعل هذه العبارة عجمة من حيث انه فصل الضمير وليس من مواضع فصله وكان صوابه ان تقول تعمدته كما تقول السيف ضربتك به لا ضربت به اياك وقد تقدم نظير هذا الرد والجواب عنه عند قوله تعالى يخرجون الرسول واياكم ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم وهو انه مع قصد تقديم غير الضمير عليه لغرض يمنع اتصاله قال شهاب الدين واي خطا في مثل هذا حتى يدعي العجمة على فصيح شهد له بذلك اعداوه وان كان مخطيا في بعض الاعتقادات مما لا تعلق له بما نحن بصدده وقال ابن الخطيب وعندي فيه وجه اخر وهو ان القلب قد يجعل كناية عن الخاطر والتدبر كقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وعند قوم ان محل الفكر هو الدماغ فالله تعالى بين ان محل ذلك هو الصدر وفي محل العقل خلاف مشهور والى الاول ميل ابن عطية قال هو مبالغة كما تقول نظرت اليه بعيني وكقوله يقولون بافواههم وقد تقدم ان في قوله بافواههم فايدة زيادة على التاكيد قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده الاية نزلت في النضر بن الحرث حيث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما وهذا يدل على انه عليه السلام كان يخوفهم بالعذاب ان استمروا على كفرهم ولهذا قال ولن يخلف الله وعده فانجز ذلك يوم بدر ثم بين ان العاقل لا ينبغي له ان يستعجل عذاب الاخرة فقال وان يوما عند ربك اي فيما ينالهم من العذاب وشدته كالف سنة فبين تعالى انهم لو عرفوا حال عذاب الاخرة وانه بهذا الوصف لما استعجلوه قال ابو مسلم وقيل المراد طول ايام الاخرة في المحاسبة وقيل ان اليوم الواحد كالف سنة بالنسبة اليه على السوا لانه القادر الذي لا يعجزه شي فاذا لم تستبعدوا امهال يوم فلا تستبعدوا ايضا امهال الف سنة مما تعدون قرا ابن كثير وحمزة والكسايي يعدون بيا الغيبة لقوله ويستعجلونك وقرا الباقون بالتا لانه اعم ولانه خطاب للمسلمين واتفقوا في تنزيل السجدة بالتا قال ابن عباس يعني يوما من الايام الستة التي خلق الله فيها السموات والارض وقال مجاهد وعكرمة يوما من ايام الاخرة ولما روى ابو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا معاشر صعاليك المهاجرين بالفوز التام يوم القيمة تدخلون الجنة قبل اغنيا الناس بنصف يوم وذلك قدر خمس مائة سنة قوله وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة اي امهلتها مع استمرارهم على ظلمهم واغتروا بذلك التاخير ثم اخذتهم بان انزلت العذاب بهم ومع ذلك نعذابهم مدخر وهو معنى قوله والي المصير فان قيل ما الفايدة في قوله اولا فكاين بالفا وههنا قال وكاين بالواو فالجواب ان الاولى وقعت بدلا من قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة قوله قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين امر رسوله بان يديم لهم التخويف والانذار وان لا يصده استعجالهم للعذاب على سبيل الهزء عن ادامة التخويف والانذار وان يقول لهم انما بعثت للانذار فاستهزاوكم بذلك لا يمنعني منه قوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم لما امر الرسول بان يقول لهم اني نذير مبين اردف ذلك بان امره بوعدهم ووعيدهم لان هذه صفة المنذر فقال فالذين امنوا وعملوا الصالحات فجمع بين الوصفين وهذا يدل على ان العمل خارج عن مسمى الايمان وبه يبطل قول المعتزلة ويدخل في الايمان كل ما يجب من الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان ويدخل في العمل الصالح كل واجب وترك محظور ثم بين تعالى ان من جمع بينهما فالله تعالى يجمع له بين المغفرة والرزق الكريم فالمغفرة عبارة عن غفران الصغاير او عن غفران الكباير بعد التوبة او عن غفرانها قبل التوبة والاولان واجبان عند الخصم واداء الواجب لا يسمى غفرانا فبقي الثالث وهو العفو عن اصحاب الكباير من اهل القبلة واما الرزق الكريم فهو اشارة الى الثواب والكريم هو الذي لا ينقطع ابدا وقيل هو الجنة

قوله والذين سعوا في اياتنا معجزين اي اجتهدوا في ردها والتكذيب بها وسموها سحرا
وشعرا واساطير الاولين يقول لمن بذل جهده في امر انه سعي فيه توسعا كما اذا بلغ الماشي
نهاية طاقته فيقال انه سعي وذكر الايات واراد التكذيب بها مجازا قال الزمخشري
يقال سعيت في امر فلان اذا اصلحته او افسدته بسعيه قوله معجزين قرا ابو عمرو وابن كثير
بتشديد الجيم وفي حرفي سبا والباقون معاجزين في الاماكن الثلاثة والجحدري
كقراءة ابن كثير وابي عمرو في جميع القران وابن الزبير معجزين بسكون العين فاما الاولى
ففيها وجهان احدهما قال الفارسي معناه ناسبين اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
الى العجز نحو فسقته اي نسبته الى الفسق والثاني انها للتكثير ومعناها مثبطين الناس
عن الايمان واما الثانية فمعناها ظانين انهم يعجزوننا وقيل معاندين وقال الزمخشري
عاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الاخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه
وعجزه فالمعنى سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام
لا يتم لهم والمعنى سعوا في معناها بالفساد وقال ابو البقاء معاجزين في معنى المشدد
مثل عاهد وعهد وقيل عاجز سابق وعجز سبق **فصل** اختلفوا في المراد
هل معاجزين لله او الرسول والمومنين والاقرب هو الثاني لانهم ان انكروا الله استحال
منهم ان يطمعوا في اعجازه وان اثبتوه فيبعد ان يعتقدوا انهم يعجزونه ويغلبونه ويصح
منهم ان يظنوا ذلك في الرسول بالحيل والمكايد فاما القايلون بالاول فقال قتادة ظانين
ومقدرين انهم يعجزوننا بزعمهم ان لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار ويعجزوننا ويفوتوننا
فلا نقدر عليهم كقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيات ان يسبقونا او يعجزون الله
بادخال الشبه في قلوب الناس واما معاجزين غالب في الحقيقة يرجع الى الرسول
ولا محالة الى الله تعالى ثم قال اولئك اصحاب الجحيم اي انهم يدومون فيها قوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي
وغيرهما من المفسرين لما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعراض قومه عنه وشق عليه
ما راى من مباعدتهم عما جاهم به تمنى في نفسه ان ياتيه من الله ما يقارب بينه وبين
قومه لحرصه على ايمانهم فجلس ذات يوم في نادي من اندية قريش واحب يوميذ ان لا ياتيه
من الله شي ينفروا عنه فانزل الله سورة والنجم اذا هوى فقراها رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى بلغ افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان على
لسانه لما كان يحدث به نفسه ويتمناه تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى فلما
سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراته وقرا السورة
كلها وسجد في اخر السورة فسجد المسلمون لسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين
فلم يبق في المسجد مومن ولا كافر الا سجد الا الوليد بن المغيرة وابو احيحة سعيد بن العاص
فانهما اخذا حفنة من البطحا ورفعاها الى جبهتهما لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا
السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا قد ذكر محمد الهتنا باحسن الذكر وقالوا
قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن الهتنا هذه تشفع لنا عنده فان جعل
لها محمد نصيبا فنحن معه فلما امسى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل فقال يا محمد
ماذا صنعت تلوت على الناس ما لم اتك به عن الله عز وجل وقلت ما لم اقل لك فحزن رسول
الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله خوفا عظيما فانزل الله هذه الاية
يعزيه وكان به رحيما قال ابن الخطيب واما اهل التحقيق فقالوا هذه الرواية باطلة
موضوعة لوجوه من القران والسنة والمعقول اما القران فقوله تعالى ولو تقول علينا
بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقوله قل ما يكون لي ان ابدله
من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي وقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
فلو انه قرا عقيب هذه الاية تلك الغرانيق العلى لكان قد ظهر كذب الله في الحال
وذلك لا يقوله مسلم وقوله وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره
واذا لاتخذوك خليلا وكلمة كاد عند بعضهم قرب ان يكون الامر كذلك مع انه لم يحصل

وقوله

وقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم وكلمة لولا لانتفاء الشي لانتفاء غيره فدل ذلك
على ان الركون القليل لم يحصل وقوله لنثبت به فوادك وقوله سنقريك فلا تنسى واما السنة
فروي عن محمد بن اسحاق انه سيل عن هذه القصة فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف فيه
كتابا وقال الامام ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم قال
رواة هذه القصة مطعون فيهم وروى البخاري في صحيحه انه عليه السلام قرا سورة النجم وسجد
فيها المسلمون والمشركون والانس والجن وليس فيه ذكر الغرانيق وروي هذا الحديث من طرق
كثيرة وليس فيها البتة ذكر الغرانيق واما المعقول فمن وجوه احدها ان من جوز على الرسول
تعظيم الاوثان فقد كفر لان من المعلوم بالضرورة ان اعظم سعيه كان في نفي الاوثان وثانيها
انه عليه السلام ما كان عليه في اول الامر ان يصلي ويقرا القران عند الكعبة امنا لاذى المشركين
له حتى كانوا ربما مدوا ايديهم اليه وانما كان يصلي اذا لم يحضروا ليلا او في اوقات خلوة وذلك
يبطل قولهم وثالثها ان معاداتهم للرسول كانت اعظم من ان يقروا بهذا القدر من غير ان يقفوا
على حقيقة الامر فكيف اجمعوا على انه عظم الهتهم حتى خروا سجدا مع انه لم يظهر عندهم موافقته
لهم ورابعها قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته وذلك لان احكام الايات بازالة
ما يلقيه الشيطان عن الرسول اقوى من نسخه بهذه الايات التي تبقى الشبهة معها فاذا اراد
الله تعالى احكام الايات لئلا يلتبس القران بغيره فبان يمنع الشيطان من ذلك اصلا اولى وخامسها
انا لو جوزنا ذلك ارتفع الامان عن شرعه وجوزنا في كل الشرايع ان يكون كذلك ويبطل قوله
تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فانه
لا فرق في العقل بين النقصان عن الوحي وبين الزيادة فيه فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الاجمال
ان هذه القصة موضوعة اكثر ما في الباب ان جمعا من المفسرين ذكروها لكنهم ما بلغوا حد
التواتر وخبر الواحد لا يعارض الدلايل العقلية والنقلية المتواترة واما من جهة التفصيل
فالتمني جاء في اللغة لامرين احدهما تمني القلب والثاني القراة قال الله تعالى ومنهم اميون
لا يعلمون الكتاب الا اماني اي الا قراة لان الامي لا يعلم القران من المصحف وانما يعلمه من القراة
وقال حسان: تمنى كتاب الله اول ليله • واخرها لاقى حمام المقادر
وقيل انما سميت القراة امنية لان القاري اذا انتهى الى اية رحمة تمنى حصولها واذا انتهى
الى اية عذاب تمنى ان لا يبتلى بها وقال ابو مسلم التمني هو التقدير وتمنى هو تفعل من منيت
والمنية وفاة الانسان للوقت الذي قدره الله ومنى الله لك اي قدر لك واذا تقرر ذلك فان
التالي مقدر للحروف يذكرها شيا فشيا فالحاصل ان الامنية اما القراة واما الخاطر فان فسرناها
بالقراة ففيه قولان الاول انه تعالى اراد بذلك ما يجوز ان يسهو الرسول فيه ويشتبه على
القاري دون ما رووه من قوله تلك الغرانيق العلى والثاني ان المراد منه وقوع هذه الكلمة في قراته
ثم اختلف القايلون بهذا على وجوه الاول ان النبي عليه السلام لم يتكلم بقوله تلك الغرانيق العلى
ولا الشيطان تكلم به ولا احد تكلم به لكنه عليه السلام لما قرا سورة النجم اشتبه الامر على
الكفار فحسبوا بعض الفاظه ما رووه من قولهم تلك الغرانيق العلى وذلك على حسب ما جرت
العادة به من توهم بعض الكلمات على غير ما يقال قاله جماعة وهو ضعيف لوجوه احدها ان
التوهم في مثل ذلك انما يصح فيما جرت العادة بسماعه فاما غير المسموع فلا يقع ذلك فيه
وثانيها انه لو كان كذلك لوقع هذا التوهم في بعض السامعين دون البعض
فان العادة مانعة من اتفاق الجمع العظيم في الساعة الواحدة على خيال واحد فاسد في المحسوسات
وثالثها لو كان كذلك لم يكن مضافا الى الشيطان الوجه الثاني قالوا ان ذلك الكلام كلام الشيطان
وذلك بان يلفظ بكلام من تلقاء نفسه يوقع في درج تلك التلاوة في بعض وقفاته ليظن انه
من جنس الكلام المسموع من الرسول قالوا ويوكد ذلك انه لا خلاف ان الجن والشياطين يتكلمون
فلا يمتنع ان ياتي الشيطان بصوت مثل صوت الرسول فيتكلم بهذه الكلمات في اثناء كلام الرسول
وعند سكوته فاذا سمع الحاضرون تلك الكلمة بصوت مثل صوت الرسول وما راوا شخصا اخر ظن
الحاضرون انه كلام الرسول ثم هذا لا يكون قادحا في النبوة لما لم يكن فعلا له وهذا ايضا ضعيف
فانك اذا جوزت ان يتكلم الشيطان في اثنا كلام الرسول بما يشتبه على كل السامعين كونه كلاما

للرسول يبقى هذا الاحتمال في كل ما يتكلم به الرسول فيفضي الى ارتفاع الوثوق عن كل الشرع فان قيل هذا الاحتمال قائم في الكل ولكنه لو وقع لوجب في حكمة الله ان يبين الحال فيه كما في هذه الواقعة ازالة للتلبيس فالجواب لا يجب على الله تعالى ازالة الاحتمالات كما في المتشابهات واذا لم يجب على الله ذلك امكن الاحتمال في الكل الوجه الثالث ان يقال المتكلم بذلك بعض شياطين الانس وهم الكفرة فانه عليه السلام لما انتهى في قراءة هذه السورة الى هذا الموضع وذكر اسماء آلهتهم وقد علموا من عادته انه يعيبها فقال بعضهم تلك الغرانيق العلى فاشتبه الامر على القوم لكثرة لغط القوم وكثرة صياحهم وطلبهم تغليطه واخفاء قراءته ولعل ذلك في صلاته لانهم كانوا يقربون منه في حال صلاته ويسمعون قراءته ويلغون فيها وقيل انه عليه السلام كان اذا تلى القرآن على قريش توقف في فصول الآيات فالقى بعض الحاضرين ذلك الكلام في الوقفات فتوهم القوم انه من قراءة الرسول ثم اضاف الله ذلك الى الشيطان لانه بوسوسته يحصل اولا ولانه سبحانه جعل ذلك المتكلم نفسه شيطانا وهذا ايضا ضعيف لوجهين احدهما انه لو كان كذلك لكان يجب على الرسول ازالة الشبهة وتصريح الحق وتبكيت ذلك القائل واظهار ان هذه الكلمة صدرت منه ولو فعل ذلك لنقل فان قيل انما لم يفعل الرسول ذلك لانه كان قد ادى السورة بكمالها الى الامة دون هذه الزيادة فلم يكن ذلك مؤديا الى اللبس كما لو سها في الصلوة بعد ان وضعها الى اللبس قلنا لان القرآن لم يكن مستقرا على حالة واحدة في زمان حياته لانه كان يأتيه الآيات فيلحقها بالسور فلم تكن تأديته تلك السور بدون هذه الزيادة سببا لزوال اللبس وثانيهما لو كان كذلك لا يستحق العقاب على فعل الغير وذلك لا يليق بالحكيم الوجه الرابع ان المتكلم بهذا هو الرسول عليه السلام ثم هذا يحتمل ثلاثة اوجه اما ان يكون قال هذه الكلمة سهوا او قسرا او اختيارا فان قالها سهوا كما يروى عن قتادة ومقاتل انهما قالا انه عليه السلام كان يصلي عند المقام فنعس وجرى على لسانه هاتان الكلمتان فلما فرغ من السورة سجد وسجد كل من في المسجد وفرح المشركون بما سمعوا واتاه جبريل واستقرأه فلما انتهى الى الغرانيق قال لم آتك بهذا فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان نزلت هذه الآية وهذا ضعيف لوجوه احدها انه لو جاز هذا السهو لجاز في سائر المواضع وحينئذ تزول الثقة عن الشرع وثانيها ان الساهي لا يجوز ان يقع منه مثل هذه الالفاظ المطابقة لوزن السورة وطريقتها ومعناها فانا نعلم بالضرورة ان واحدا لو انشد قصيدة لما جاز ان يسهو حتى يتفق منه بيت شعر في وزنها ومعناها وطريقتها وثالثها هب انه تكلم بذلك سهوا فكيف لا يتنبه لذلك حين قرأها على جبريل وذلك ظاهر واما ان تكلم بذلك قسرا كما قال قوم ان الشيطان اجبر النبي على التكلم به وهذا ايضا فاسد لوجوه احدها ان الشيطان لو قدر على ذلك في حق النبي لكان اقتداره علينا اكثر فوجب ان يزيل الشيطان الناس عن الدين ولجاز في اكثر ما يتكلم احدنا ان يكون ذلك باجبار الشيطان وثانيها ان الشيطان لو قدر على هذا الاجبار لارتفع الامان عن الوحي لقيام هذا الاحتمال وثالثها انه باطل لقوله تعالى حاكيا عن الشيطان وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وقال الا عبادك منهم المخلصين ولا شك انه عليه السلام كان سيد المخلصين واما ان كان تكلم بذلك اختيارا فههنا وجهان احدهما ان نقول ان هذه الكلمة باطلة والثاني ان نقول انها ليست كلمة باطلة اما على الاول فذكروا فيه طريقين الاول قال ابن عباس في رواية عطاء ان شيطانا يقال له الابيض اتاه على صورة جبريل والقى عليه هذه الكلمة فقرأها فلما سمع المشركون ذلك اعجبهم فجاءه جبريل فاستعرضه فقرأ السورة فلما بلغ الى تلك الكلمة قال جبريل انا ما جئتك بهذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اتاني آت على صورتك فالقاه على لساني الطريق الثاني قال بعض الجهال انه عليه السلام لشدة حرصه على ايمان القوم ادخل هذه الكلمة من عند نفسه ثم رجع عنها وهذان القولان لا يرغب فيهما مسلم البتة لان الاول يقتضي انه عليه السلام ما كان يميز بين الملك المعصوم والشيطان الخبيث والثاني يقتضي انه كان خائنا في الوحي وكل واحد منهما خروج عن الدين واما الوجه الثاني وهو ان هذه الكلمة ليست باطلة فههنا ايضا طرق الاول ان يقال الغرانيق هم الملائكة

وقد كان ذلك قرآنا منزلا في وصف الملائكة فلما توهم المشركون انه يريد آلهتهم نسخ الله ذلك الثاني ان يقال المراد منه الاستفهام على سبيل الانكار فكأنه قال أشفاعتهن ترتجى الثالث ان يقال ذكر تعالى الاثبات واراد النفي كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي لا تضلوا كما قد يذكر النفي ويريد به الاثبات كقوله قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا والمعنى ان تشركوا وهذان الوجهان الاخيران يعترض عليهما بانه لو جاز ذلك بناء على هذا التأويل فلم لا يجوز ان يظهروا كلمة الكفر في جملة القرآن او في الصلاة بناء على هذا التأويل ولكن الاصل في الدين ان لا يجوز عليهم شيء من ذلك لان الله تعالى قد نصبهم حجة واصطفاهم للرسالة فلا يجوز عليهم ما يطعن في ذلك او ينفر ومثل ذلك التنفير اعظم من الامور التي جنبه الله تعالى نحو الفظاظة وقول الشعر فقد ظهر القطع بكذب هذه الوجوه المذكورة في قوله الغرانيق العلى هذا اذا فسرنا التمني بالتلاوة فاما ان فسرنا التمني بالخاطر وتمني القلب فالمعنى انه عليه السلام اذا تمنى بعض ما يتمناه من الامور وسوس الشيطان اليه بالباطل ويدعوه الى ما لا ينبغي ثم ان الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله ويهديه الى ترك الالتفات الى وسوسته ثم اختلفوا في كيفية تلك الوسوسة على وجوه احدها انه تمنى ما يتقرب به الى المشركين من ذكر آلهتهم بالثناء قالوا انه عليه السلام كان يحب ان يتألفهم فكان يتردد ذلك في نفسه فعندما لحقه النعاس زاد تلك الزيادة من حيث كانت في نفسه وهذا ايضا خروج عن الدين لما تقدم وثانيها قال مجاهد انه عليه السلام كان يتمنى انزال الوحي عليه على سرعة دون تأخير فينسخ الله ذلك بان عرفه ان انزال ذلك بحسب المصالح في الحوادث والنوازل وغيرها وثالثها يحتمل انه عليه السلام عند نزول الوحي كان يتفكر في تأويله اذا كان مجملا فيلقي الشيطان في جملته ما لم يرده فبين تعالى انه ينسخ ذلك بالابطال ويحكم ما اراده بادلته وآياته ورابعها معنى اذا تمنى اذا اراد فعلا مقربا الى الله ألقى الشيطان في فكره ما يخالفه فرجع الى الله في ذلك وهو كقوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وكقوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ومن الناس من قال لا يجوز حمل الامنية على تمني القلب لانه لو كان كذلك لم يكن ما يخطر ببال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة للكفار وذلك يبطله قوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم والجواب لا يبعد انه اذا قوي التمني اشتغل الخاطر فحصل السهو في الافعال الظاهرة بسببه فيصير ذلك فتنة للكفار

فصل

رجع حاصل البحث الى ان الغرض من هذه الآية بيان ان الرسل الذين ارسلهم الله وان عصمهم عن الخطأ مع العلم فلم يعصمهم عن جواز السهو ووسوسة الشيطان بل حالهم في جواز ذلك كحال سائر البشر فالواجب ان لا يتبعوا الا فيما يفعلوا عن علم وذلك هو المحكم وقال ابو مسلم معنى الآية انا لم نرسل نبيا الا اذا تمنى كانه قيل وما ارسلنا الى البشر ملكا وما ارسلنا اليهم نبيا الا منهم وما ارسلنا من نبي خلا عند تلاوته من وسوسة الشيطان وان يلقي في خاطره ما يضاد الوحي ويشغله عن حفظه فيثبت الله النبي على الوحي وعلى حفظه ويعلمه صواب ذلك ويبطل ما يكون من الشيطان قال وفيما تقدم من قوله يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين تقوية لهذا التأويل كانه تعالى امره ان يقول للكافرين انا نذير لكم لكني من البشر لا من الملائكة ولم يرسل الله قبلي ملكا وانما ارسل رجالا فقد يوسوس الشيطان اليهم فان قيل هذا انما يصح لو كان السهو لا يجوز على الملائكة قلنا اذا كانت الملائكة اعظم درجة من الانبياء لم يلزم من استيلائهم بالوسوسة على الانبياء استيلاؤهم بالوسوسة على الملائكة واعلم ان الله تعالى لما شرح حال هذه الوسوسة اردف ذلك ببحثين الاول كيفية ازالتها وهو قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والمراد ازالته وازالة تأثيره وهو النسخ اللغوي لا النسخ الشرعي المستعمل في الاحكام واما قوله ثم يحكم الله آياته فاذا حمل التمني على القراءة فالمراد به آيات القرآن وان حمل على احكام الادلة التي لا يجوز فيها الغلط البحث الثاني انه تعالى لما بين اثر تلك الوسوسة شرح اثرها في حق الكفار اولا ثم في حق المؤمنين ثانيا اما في حق الكفار فهو قوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة وذلك انهم افتتنوا لما سمعوا ذلك والمراد به تشديد التعبد لان ما يظهر من الرسول عليه السلام من الاشتباه في القراءة سهوا يلزمهم البحث عن ذلك ليميزوا السهو من العمد وليعلموا ان العمد صواب والسهو قد لا يكون صوابا ثم قال للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق ووصفهم بذلك لانهم مع كفرهم يحتاجون الى التدبر واما

المومنون فقد تقدم علمهم بذلك فلا يحتاجون الى التدبر واما القاسية قلوبهم فهم المشركون المصرون
على جهلهم باطنا وظاهرا ثم قال وان الظالمين لفي شقاق بعيد يريد ان هولاء المنافقين والمشركين
والمعنى وانهم فوضع الظاهر موضع المضمر قضى عليهم بالظلم ولنرجع الى الاعراب فنقول والشقاق
الخلاف الشديد والمعاداة والمباعدة سوا واما في حق المومنين فهو قوله وليعلم الذين اوتوا العلم
انه الحق من ربك قوله الا اذا تمنى القى الشيطان في هذه الجملة بعد الا ثلثة اوجه احدها انها في محل
نصب على الحال من رسول والمعنى وما ارسلناه الا حالة هذه والحال محصورة والثاني انها في محل الصفة
لرسول فيجوز ان يحكم على موضعها بالجر باعتبار لفظ الموصوف وبالنصب باعتبار محله فان من مزيدة
فيه والثالث انها في موضع استثنا من غير الجنس قاله ابو البقا يعني انه استثنا منقطع واذا هذه يجوز
ان تكون شرطية وهو الظاهر واليه ذهب الحوفي وان يكون لمجرد الظرفية قال ابو حيان ونصوا
على انه يليها يعني الا في النفي المضارع بلا شرط نحو ما زيد الا يفعل وما رايت زيدا الا يفعل والماضي
بشرط تقدم فعل نحو ما ياتيهم من رسول الا كانوا او مصاحبة قد نحو ما زيد الا قد فعل وما جا بعد
الا في الاية جملة شرطية ولم يليها ماض مصحوب بقد ولا عار منها فان صح ما نصوا عليه يوول
على ان اذا جردت للظرفية ولا شرط فيها وفصل بها بين الا والفعل الذي هو القى وهو فصل جايز فيكون
الا قد وليها ماض في التقدير ووجد شرطه وهو تقدم فعل قبل الا وهو وما ارسلنا قال شهاب
الدين ولا حاجة الى هذا التكلف المخرج للاية عن معناها بل هي جملة شرطية اما حال او صفة واستثنا
كقوله الا من تولى وكفر فيعذبه وكيف يدعى الفصل بها وبالفعل بعدها بين الا وبين القى من غير ضرورة
تدعوا اليه ومع عدم صحة المعنى وقوله تعالى اذا تمنى انما افرد الضمير وان تقدمه شيان معطوف
احدهما على الاخر بالواو لان في الكلام حذفا تقديره وما ارسلنا من قبلك من رسول الا اذا تمنى
ولا نبي الا اذا تمنى كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه والحذف اما من الاول او من الثاني والضمير
في امنيته فيه قولان اظهرهما انه ضمير الشيطان والثاني انه ضمير الرسول قوله ليجعل في متعلق هذه
اللام ثلثة اوجه اظهرها انها متعلقة بيحكم اي ثم يحكم الله اياته ليجعل وقوله والله عليم حكيم جملة
اعتراض واليه نحا الحوفي والثاني انها متعلقة بينسخ واليه نحا ابن عطية وهو ظاهر ايضا الثالث
انها متعلقة بالقى وليس بظاهر وفي الكلام قولان احدهما انها للعلة والثاني انها للعاقبة وما في قوله
ما يلقي الظاهر انها بمعنى الذي ويجوز ان تكون مصدرية قوله والقاسية ال في القاسية موصولة
والصفة صلتها وقلوبهم فاعل بها والضمير المضاف اليه هو عايد الموصول وانثت الصلة لان مرفوعها
مونث مجازي ولو وضع فعل موضعها لجاز تانيثه والقاسية عطف على الذين اي فتنة للذين في
قلوبهم مرض وفتنة للقاسية قلوبهم قوله وليعلم الذين عطف على ليجعل عطف علة على مثلها
والضمير في انه قال الزمخشري انه يعود على تمكين الشيطان اي ليعلم المومنون ان تمكين الشيطان
من ذلك الالقا هو الحق اما على قول اهل السنة فلانه تعالى يتصرف كيف شا في ملكه وملكه فكان
حقا واما على قول المعتزلة فلانه تعالى حكيم فيكون كل افعاله صوابا فيومنوا به وقال ابن عطية
انه يعود على القران وهو وان لم يجر له ذكر فهو في قوة المنطوق وهو قول مقاتل وقال الكلبي انه
يعود الى نسخ الله ما القاه الشيطان وقوله فيومنوا عطف على وليعلم وفتخبت عطف عليه
وما احسن ما وقعت هذه الفاات ومعنى فتخبت اي تخضع وتسكن له قلوبهم لعلمهم بان المقضي
كاين وكل ميسر لما خلق له **فصل** ومعنى اوتوا العلم اي التوحيد والقران وقال السدي
التصديق فيومنوا به اي يعتقدوا انه من الله قوله وان الله لهادي قرا العامة لهادي الذين
بالاضافة تخفيفا وابن ابي عبلة وابو حيوة بتنوين الصفة واعمالها في الموصول والمعنى ان
الله يهدي الذين امنوا الى طريق قويم وهو الاسلام قوله ولا يزال الذين كفروا في مرية
الاية لما بين حال الكافرين اولا ثم حال المومنين ثانيا عاد الى شرح حال الكافرين مرة اخرى
فقال ولا يزال الذين كفروا في مرية شك ونفاق منه اي من القران او من الرسول او من ما القاه
الشيطان والمرية والمرية بالكسر والضم لغتان مشهورتان وظاهر كلام ابي البقا انهما قراتان
قوله حتى تاتيهم الساعة وهذا يدل على ان الكفار الى قيام الساعة لا يخلوا من هذا وصفه
بغتة اي فجاة من دون ان يشعروا ثم جعل الساعة غاية لكفرهم وانهم يومنون عند اشتراط
الساعة على وجه الالجا وقيل اراد بالساعة الموت او تاتيهم عذاب يوم عقيم قال الاكثرون هو يوم

بدر

بدر وقال عكرمة والضحاك هو يوم القيمة والعقيم من العقم وفيه قولان احدهما انه الشد
يقال امراة معقومة الرحم اي مسدودة عن الولادة وهذا قول ابي عبيد والثاني ان اصله القطع
ومنه الملك عقيم اي لانه يقطع صلة الرحم بالتزاحم عليه ومنه العقيم لانقطاع ولادتها والعقم انقطاع
الخير ومنه يوم عقيم قيل لانه لا ليلة بعده ولا يوم فشبه بمن انقطع نسله وقيل لانهم لا يرون فيه
خيرا وقيل لان كل ذات حمل تضع حملها في ذلك اليوم فكيف يحصل الحمل فيه هذا ان اريد به يوم القيمة
وان اريد به يوم بدر فقيل لان ابنا الحرب يقتل فيه فكان النسا لم يلدنهم فيكن عقما يقال رجل عقيم
وامراة عقيم اي لا يولد لهما والجمع عقم وقيل لانه الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم ينشي مطرا
ولم يلقح شجرا وقيل انه لا مثل له في عظم امره وذلك لقتال الملايكة فيه واعلم ان القول الاول اولى لانه لا يجوز
ان يقال ولا يزال الذين كفروا ويكون المراد الى يوم بدر لان من المعلوم انهم في مرية بعد يوم بدر فان قيل
لما ذكر الساعة فلو حملتم اليوم العقيم على يوم القيمة لزم التكرار قلنا ليس كذلك لان الساعة مقدمات
القيمة واليوم العقيم هو نفس ذلك اليوم وعلى ان الامر لو كان كما قال لم يكن تكرارا لان في الاول ذكر
الساعة وفي الثاني ذكر عذاب ذلك اليوم وان اريد بالساعة وقت الموت فالعذاب يوم عقيم
القيمة فالسوال زايل قوله الملك يوميذ لله وهذا من اقوى ما يدل على ان اليوم العقيم هو هذا اليوم
والمراد انه لا مالك في ذلك اليوم سواه ويوميذ منصوب بما تضمنه من الاستقرار لوقوعه خبرا ويحكم
يجوز ان يكون حالا من اسم الله وان يكون مستانفا والتنوين في يوميذ عوض من جملة فقدرها
الزمخشري يوم يومنون وهو لازم لزوال المرية وقدره ايضا يوم تزول مريتهم انه تعالى بين كيف يحكم
بينهم وانه يصير المومنين الى جنات النعيم والكافرين الى عذاب مهين قوله والذين كفروا وكذبوا وقوله
فاوليك وما بعده خبره ودخلت الفا لتضمن المبتدا معنى الشرط بالشرط المذكور ويحتمل ان يكون
خبرا عن اوليك وعذاب فاعل به لاعتماده على المخبر عنه وان يكون خبرا مقدما وما بعده مبتدا والجملة
خبر اوليك قوله والذين هاجروا مبتدا وقوله ليرزقنهم جواب قسم مقدر والجملة القسمية وجوابها
خبر قوله والذين هاجروا وفيه دليل على وقوع الجملة القسمية خبرا للمبتدا ومن منع يضمر قولا هو
الخبر يحكي به هذه الجملة دليل على وقوع الجملة القسمية وهو قول مرجوح قوله رزقا يجوز ان يكون
مفعولا ثانيا على انه من باب الرعي والذبح اي مرزوقا حسنا وان يكون مصدرا موكدا وقوله ثم قتلوا
وقوله مدخلا تقدم الخلاف في القراة بهما في ال عمران وفي النسا قوله لما ذكر ان الملك له يوم القيمة
وانه يحكم بينهم ويدخل المومنين الجنات اتبعه بذكر الوعد الكريم للمهاجرين وافردهم بالذكر تفخيما لشانهم
فقال والذين هاجروا فارقوا اوطانهم وعشايرهم في طاعة الله وطلب رضاه ثم قتلوا او ماتوا وهم
كذلك قال مجاهد نزلت في طوايف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم
والظاهر انه للعموم ثم قال ليرزقنهم الله رزقا حسنا والرزق الحسن هو الذي لا ينقطع ابدا وهو نعيم
الجنة وقال الكلبي رزقا حسنا اي حلالا وهو الغنيمة وهذان الوجهان ضعيفان لانه تعالى جعله
جزاء على هجرتهم في سبيل الله بعد القتل وبعدها لا يكون الا نعيم الاخرة ثم قال وان الله لهو خير
الرازقين ومعلوم ان كل الرزق من عنده فقيل التفاوت انما كان بسبب انه تعالى مختص بان
يرزق بما لا يقدر عليه غيره وقيل المراد انه الاصل في الرزق وغيره انما يرزق بما تقدم من الرزق من
جهة الله وقيل ان غيره ينقل من يده الى يد غيره لا انه يفعل نفس الرزق وقيل ان غيره اذا رزق
فانما يرزق لانتفاعه به اما لاجل خروجه عن الواجب او لاجل ان يستحق به حمدا او ثنا او لاجل الرقة
الجنسية واما الحق سبحانه فان كل الصفة ذاتية فلا يستفيد من شي كمالا زايدا بالرزق الصادر منه
لمحض الاحسان وقيل ان غيره انما يرزق اذا حصل في قلبه ارادة ذلك الفعل وتلك الارادة من الله فالرازق
في الحقيقة هو الله **فصل** قالت المعتزلة الاية تدل على امور ثلثة الاول ان غير الله
قادر والثاني ان غير الله يصح ان يرزق ويملك ولولا كونه قادرا فاعلا لما صح ذلك الثالث ان الرزق
لا يكون الا حلالا لان قوله خير الرازقين يدل على كونهم ممدوحين والجواب لا نزاع في كون العبد قادرا
لكن القدرة مع الداعي موثرة في الفعل بمعنى الاستلزام والثالث بحث لفظي تقدم الكلام فيه
فصل دل قوله ثم قتلوا او ماتوا على ان حال المقتول في الجهاد والميت على فراشه سوا لانه
تعالى جمع بينهما في الوعد ويويده ما روى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المقتول في سبيل
الله والمتوفي في سبيل الله بغير قتل هما في الاجر شريكان ولفظ الشركة يشعر بالتسوية وان فيه

يبقى لتخصيصها بالذكر فايدة قوله ليدخلنهم هذه الجملة يجوز ان تكون بدلا من ليرزقنهم وان
تكون مستانفة وقوله مدخلا يرضونه قال ابن عباس انما قال يرضونه لانهم يرون في الجنة ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه وقوله في عيشة راضية وقوله ارجعي الى ربك
راضية مرضية ورضوان من الله اكبر ثم قال وان الله لعليم حليم بما يستحقونه فيفعله بهم ويزيدهم
او عليم بما يرضونه فيعطيهم ذلك في الجنة واما الحليم فلا يعجل بالعقوبة على من تقدم على المعصية
بل يمهل ليقع منه التوبة فيستحق الجنة قوله ذلك ومن عاقب ذلك خبر مبتدا مضمر اي الامر
ذلك وما بعده مستانف والباء في قوله بمثل ما عوقب به للسببية في الموضعين قال ابو البقا والذي
يظهر ان الاولى يشبه ان تكون للالة ومن عاقب مبتدا خبره لينصرنه الله **فصل** المعنى الامر
ذلك الذي قصصنا عليك ومن عاقب بمثل ما عوقب به اي قابل من كان يقابله ثم كان المقابل مبغيا
عليه بان اضطر الى الهجرة ومفارقة الوطن وابتدي بالقتال قال مقاتل نزلت في قوم من المشركين
اتوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم وكره المسلمون قتالهم وسالوهم ان يكفوا عن
القتال من اجل الشهر الحرام فابوا وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون لهم فنصروا
فوقع في انفس المسلمين من القتال في الشهر الحرام فانزل الله هذه الاية وعفى عنهم وغفر لهم
والعقاب الاول بمعنى الجزا واطلق اسم العقوبة على الاول للتعلق الذي بينه وبين الثاني
كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها يخادعون الله وهو خادعهم وهذه النصرة تقوي تاويل
من تاول الاية على مجاهدة الكفار لا على القصاص لان ظاهر النص لا يليق الا بذلك وقال الضحاك
هذه الاية في القصاص والجراحات لانها مدنية قال الشافعي واحمد في احد الروايتين عنه من حرق
حرقناه ومن غرق غرقناه لهذه الاية فان الله تعالى جوز للمظلوم ان يعاقب بمثل ما عوقب به
ووعده النصر وقال ابو حنيفة واحمد في الرواية الاخرى بل يقتل بالسيف فان قيل كيف تعلق
الاية بما قبلها فالجواب كانه تعالى قال مع اكرامي لهم في الاخرة الوعد لا ادع نصرتهم في الدنيا
على من بغى عليهم ثم قال وان الله لعفو غفور رحيم اي ان الله ندب المعاقبين الى العفو عن الجاني
بقوله فمن عفى واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم
الامور فلما لم يات بهذا المندوب فهو نوع اساءة فكانه تعالى قال اني عفوت عن هذه الاساءة وغفرتها
وقيل انه تعالى وان ضمن له النصر على الباغي لكنه عرض مع ذلك بما هو اولى به وهو العفو والمغفرة
فلوح بذكرها تين الصفتين وفيه وجه اخر وهو انه تعالى دل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر
على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده قوله ذلك بان الله يولج الليل في النهار
وفيه وجهان الاول اي ذلك النصر بسبب انه قادر ومن قدرته كونه خالق الليل والنهار ومتصرفا
فيهما فوجب ان يكون قادرا عالما بما يجري فيهما واذا كان كذلك كان قادرا على النصر الثاني المراد
انه مع ذلك النصر ينعم في الدنيا بما يفعله من تعاقب الليل والنهار وولوج احدهما في الاخر
ومعنى ايلاج احدهما في الاخر انه يحصل ظلمة هذا في ضيا ذلك بغيبوبة الشمس وضيا ذلك في ظلمة
هذا بطلوعها كما يضيء البيت بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو ان يزيد في احدهما ما ينقص من الاخر
من الساعات وذلك مبتدا وبان الله خبره ثم قال وان الله سميع بصير اي انه كما يقدر على ما لا
يقدر عليه غيره فكذلك يدرك المسموع والمبصر ولا يجوز المنع عليه وذلك كالتحذير من الاقدام
على ما لا يجوز في المسموع والمبصر قوله ذلك بان الله هو الحق قرا العامة وان ما عطفا على
الاول والحسن بكسرها استينافا وقوله هو الحق يجوز ان يكون فصلا ومبتدا وجوز ابو البقا
ان يكون توكيدا وهو غلط لان المضمر لا يوكد المظهر ولكان صيغة النصب اولى به من الرفع
فيقال اياه لان المتبوع منصوب وقرا الاخوان وحفص وابو عمرو هنا وفي لقمن يدعون بالياء
من تحت والباقون بالتاء من فوق والفعل مبني للفاعل وقرا مجاهد واليماني بالياء من تحت
مبنيا للمفعول والواو التي هي ضمير تعود على معنى ما والمراد بها الاصنام او الشياطين ومعنى الاية
ان ذلك الوصف الذي تقدم من القدرة على هذه الامور لاجل ان الله هو الحق اي هو الموجود
الواجب لذاته الذي يمتنع عليه التغير والزوال وان ما يفعل من عبادته هو الحق وما يفعل
من عبادة غيره فهو الباطل كقوله ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة وان الله هو العلي الكبير
القاهر المقتدر ونبه بذلك على انه القادر على الضر والنفع دون سائر من يعبدونه تنبيها بذلك في

عبادته

عبادته راجع عن عبادة غيره واما الكبير فهو العظيم في قدرته وسلطانه وذلك يفيد كمال القدرة قوله
تعالى الم تر ان الله انزل من السما ما الاية لما دل على قدرته بما تقدم اتبعه بانواع اخر من الدلايل على
قدرته ونعمته فقال الم تر ان الله انزل من السما ما وفيه ثلاثة اوجه احدها ان المراد الروية الحقيقية
لان الما النازل من السما يرى بالعين واخضرار النبات على الارض مري فيحمل الكلام على حقيقته اولى
والثاني المراد الم تخبر على سبيل الاستفهام والثالث المراد الم تعلم قال ابن الخطيب والاول ضعيف
لان الما وان كان مريا الا ان كون الله منزلا له من السما غير مري واذا ثبت هذا وجب حمله على العلم لان
المقصود من تلك الروية هو العلم لان الروية اذا لم يقترن بها العلم كانت كانها لم تحصل قوله فتصبح
فيه قولان احدهما انه مضارع لفظا ماض معنى تقديره فاصبحت فهو عطف على انزل قاله ابو البقا
ثم قال بعد ان عطفه على انزل فلا موضع له اذن وهو كلام ضعيف لان عطفه على انزل يقتضي ان يكون
له محل من الاعراب وهو الرفع خبر لان لكنه لا يجوز لعدم الرابط والثاني انه على بابه ورفعه على الاستيناف
قال ابو البقا فهي اي القصة وتصبح الخبر قال شهاب الدين ولا حاجة الى تقدير مبتدا بل هذه
جملة فعلية مستانفة لا سيما وقدر المبتدا ضمير القصة ثم حذفه وهو لا يجوز لانه لا يولى بضمير القصة
الا للتاكيد والتعظيم والحذف ينافيه قال الزمخشري فان قلت هلا قيل فاصبحت ولم صرف
الى لفظ المضارع قلت لنكتة فيه وهي افادة بقا اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم علي
فلان عام كذا فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت رحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع فان قلت فما له
رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام قلت لو نصب لاعطى عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب
بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله ان تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبت فانت ناف
لشكره شاك تفريطه وان رفعته فانت مثبت للشكر وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب له من اتسم
بالعلم في علم الاعراب وتوقير اهله وقال ابن عطية قوله فتصبح بمنزلة قوله فتضحى او تصبح في عبارة
عن استعجالها اثر نزول الما واستمرارها كذلك عادة ورفع قوله فتصبح من حيث الاية خبر والفا
عاطفة وليست بجواب لان كونها جوابا لقوله الم تر فاسد المعنى قال ابو حيان ولم يبين هو ولا الزمخشري
كيف يكون النصب نافيا للاخضرار ولا كون المعنى فاسدا قال سيبويه وسالته يعني الخليل
عن الم تر ان الله انزل من السما ما فتصبح الارض مخضرة فقال هذا واجب وتنبيه كانك قلت اتسمع
انزل الله من السما ما فكان كذا وكذا قال ابن خروف وقوله هذا واجب وقوله فكان كذا يريد انهما
ماضيان وفسر الكلام باتسمع ليريك انه لا يتصل بالاستفهام لضعف حكم الاستفهام فيه وقال بعض شراح
الكتاب فتصبح لا يمكن نصبه لان الكلام واجب الا ترى ان المعنى ان الله انزل فالارض هذه حالها
وقال الفرا الم تر خبر كما تقول في الكلام اعلم ان الله يفعل كذا فيكون كذا ويقول انما امتنع النصب
جوابا للاستفهام هنا لان النفي اذا دخل عليه الاستفهام وان كان يقتضي تقريرا في بعض الكلام
هو معامل معاملة النفي المحض في الجواب الا ترى الى قوله تعالى الست بربكم قالوا بلى وكذلك
الجواب بالفا اذا اجبت النفي كان على معنيين في كل منهما ينتفي الجواب فان قلت ما تاتينا فتحدثنا
بالنصب فالمعنى ما تاتينا محدثا وانما تاتينا ولا تحدث ويجوز ان يكون المعنى انك لا تاتي فكيف تحدث
فالحديث منتف في الحالتين والتقرير باداة الاستفهام كالنفي المحض في الجواب يثبت ما دخلته الهمزة
وينتفي الجواب فيلزم من هذا التقرير اثبات الروية وانتفا الاخضرار وهو خلاف المقصود وايضا
فان جواب الاستفهام ينعقد منه مع الاستفهام السابق شرط وجزا كقوله الم تسل فتخبرك الرسوم
يتقدر ان تسال تخبرك الرسوم وهنا لا يتقدر ان تر انزال المطر تصبح الارض مخضرة لان اخضرارها
ليس مرتبا على علمك او رويتك انما هو مرتب على الانزال وانما عبر بالمضارع لان فيه تصوير الهيئة
التي الارض عليها والحالة التي لابست الارض والماضي يفيد انقطاع الشي وهذا كقول محمد بن معاوية
يصف حالة مع اسد نازله في قصة جرت له مع الحجاج بن يوسف الثقفي وهي ابيات فيها

يسمو بناظرتين تحسب فيهما • لما اجالهما شعاع سراج
لما نزلت بحصن ازبر مهصر للقرن ارواح العدى مجاج • فاكر احمل وهو يقعي باسته فاذا يعود فراجع ادراج
وعلمت اني ان ابيت نزاله • اني من الحجاج لست بناج

فقوله فاكر تصوير للحالة التي لابسها قال شهاب الدين اما قوله وايضا فان جواب الاستفهام الى
قوله انما هو مرتب على الانزال منتزع من كلام ابي البقا قال ابو البقا انما رفع الفعل هنا وان كان

بتله استفهام لامرين احدهما انه استفهام بمعنى الخبر اي قد رايت فلا يكون له جواب والثاني
ان ما بعد الفا ينصب اذا كان المستفهم عنه سببا له ورؤيته لانزال الما لا يوجب اخضرار الارض
وانما يجب عن الما واما قوله وانما عبر بالمضارع فهو معنى كلام الزمخشري بعينه وانما غير
عبارته واوسعها وقوله فتصبح استدل به بعضهم على ان الفاء لا تقتضي التعقيب قالوا
لان اخضرارها متراخ عن انزال الما هذا بالمشاهدة واجيب عن ذلك بما نقله عكرمة
من ان ارض مكة وتهامة على ما ذكروا انها تمطر الليلة فتصبح الارض غدوة خضرة فالفا
على بابها قال ابن عطية شاهدت هذا في السوس الاقصى نزل المطر ليلة بعد قحط
فاصبحت تلك الارض الرملة التي تسفها الرياح قد اخضرت بنبات ضعيف وقيل تراخي
كل شي بحسبه وقيل ثم جمل محذوفة قبل الفا تقديره فتهتز وتربو وتنبت فتصبح بيبس
ذلك قوله تعالى فاذا انزلنا عليها الما اهتزت وربت وانبتت وهذا من الحذف الذي
يدل عليه فحوى الكلام كقوله تعالى فارسلون يوسف ايها الصديق افتنا الى اخر القصة
وتصبح يجوز ان تكون الناقصة وان تكون التامة ومخضرة حال قال ابو البقا وفيه
بعد عن المعنى اذ يصير التقدير فتدخل الارض في وقت الصباح على هذه الحال ويجوز
فيها ايضا ان يكون على بابها من الدلالة على اقتران مضمون الجملة بهذا الزمن الخاص
وانما خص هذا الوقت لان الخضرة والبساتين ابهج ما ترى فيه ويجوز ان يكون بمعنى
تصير وقرا العامة مخضرة بضم الميم وتشديد الرا اسم فاعل من اخضرت فهي مخضرة
والاصل مخضررة بكسر الرا الاولى فادغمت في مثلها وقرا بعضهم مخضرة بفتح الميم وتخفيف
الرا نحو مبقلة ومسبعة والمعنى ذات خضراوات وذات سباع وذات بقل ثم قال ان
الله لطيف خبير اي انه رحيم بعباده ولرحمته فعل ذلك حتى عظم انتفاعهم به لان الارض
اذا اصبحت مخضرة والسما اذا امطرت كان ذلك سببا لعيش الحيوان اجمع ومعنى خبير اي عالم
بمقادير مصالحهم فيفعل على قدر ذلك من غير زيادة ولا نقصان وقال ابن عباس لطيف
بارزاق عباده خبير بما في قلوبهم من القنوط وقال الكلبي لطيف في افعاله خبير باعمال
خلقه وقال مقاتل لطيف باستخراج النبت خبير بكيفية خلقه له ما في السموات وما في
الارض عبيدا وملكا وهو غني عن كل شي لانه كامل لذاته ولكنه لما خلق الحيوان فلا بد
في الحكمة من مطر ونبات فخلق هذه الاشيا رحمة للحيوانات وانعاما عليهم لا لحاجة به الى
ذلك واذا كان كذلك كان انعامه خاليا عن غرض عايد اليه فكان مستحقا للحمد فكانه
قال انه لكونه غنيا لم يفعل ما فعله الا للاحسان ومن كان كذلك كان مستحقا للحمد فوجب
ان يكون حميدا فلهذا قال وان الله لهو الغني الحميد قوله تعالى الم تر ان الله سخر لكم
ما في الارض اي ذلك لكم ما فيها فلا اصلب من الحجر ولا اشد من الحديد ولا اكثر هيبة من
النار وقد سخرها لكم وسخر الحيوانات ايضا حتى ينتفع بها للاكل والركوب والحمل قوله
والفلك العامة على نصب الفلك وفيه وجهان احدهما انها عطف على ما في الارض وسخر
لكم الفلك وافردها بالذكر وان اندرجت بطريق العموم تحت ما في قوله ما في الارض لظهور
الامتنان بها ولعجيب تسخيرها دون ساير المسخرات وتجري على هذا حال والثاني انها
عطف على الجلالة تقديره الم تر ان الفلك تجري في البحر فتجري خبر على هذا وضم لام
الفلك هنا الكسائي فيما رواه عن الحسن وهي قراءة ابن مقسم وقرا ابو عبد الرحمن وطلحة
والاعرج وابو حيوة والزعفراني برفع والفلك على الابتدا وتجري بعده الخبر ويجوز ان
يكون ارتفاعه عطفا على محل اسم ان عند من يجوزه ذلك نحو ان زيدا وعمرو قايمان وعلى هذا
فتجري حال ايضا والبا في بامره بالسببية قوله تعالى وكيفية تسخيره الفلك هو من حيث
سخر الما والرياح تجريها فلولا صفتهما على ما هما عليه لما جرت بل كانت تغوص او تقف فنبه
تعالى على نعمته بذلك وبان خلق ما تعمل منه السفن وبان بين كيف تعمل وقال بامره لانه
تعالى لما كان هو المجري لها بالرياح نسب ذلك الى امره توسعا لان ذلك يفيد تعظيمه باكثر
ما يفيد لو اضافه الى فعله على عادة الملوك في مثل هذه اللفظة قوله تعالى ويمسك السما ان
تقع في ان تقع ثلاثة اوجه احدها انها في محل نصب او جر لانها على حذف حرف الجر تقديره من ان

تقع الثاني انها في محل نصب فقط لانها بدل من السما بدل اشتمال اي ويمسك وقوعها بمنعه
الثالث انها في محل نصب على المفعول من اجله فالبصريون يقدرون كراهة ان تقع والكوفيون
لئلا تقع قوله تعالى الا باذنه في هذا الجار وجهان احدهما انه متعلق بيقع اي الا باذنه فتقع
والثاني انه يتعلق بيمسك قال ابن عطية ويحتمل ان يعود قوله الا باذنه على الامساك لان الكلام
يقتضي بغير عمد ونحوه كانه اراد الا باذنه فيه يمسكها قال ابو حيان ولو كان على ما قال لكان
التركيب باذنه دون اداة الاستثنا ويكون التقدير ويمسك السما باذنه قال شهاب الدين وهذا
الاستثنا مفرغ ولا يقع في موجب لكنه لما كان الكلام قبله في قوة النفي ساغ ذلك اذ التقدير لا يتركها
تقع الا باذنه والذي يظهر ان هذه الباء حالية اي الا ملتبسة بامره ثم قال ان الله بالناس لرؤوف
رحيم اي ان المنعم بهذه النعم الجامعة لمنافع الدنيا والدين قد بلغ الغاية في الاحسان والانعام
فهو اذن رؤوف رحيم قوله وهو الذي احياكم انشاكم ولم تكونوا شيا ثم يميتكم عند انقضا اجالكم
ثم يحييكم يوم القيمة للثواب والعقاب ان الانسان لكفور لنعم الله عز وجل وهذا كما يعدد المرء
نعمه على ولده ثم يقول ان الولد لكفور لنعم الوالد زجرا له عن الكفران وبعثا له عن الشكر فلذلك
اورد تعالى في الكفار فبين انهم دفعوا هذه النعم وكفروا بها وجهلوا خالقها مع وضوح امرها
ونظيره قوله وقليل من عبادي الشكور قال ابن عباس الانسان هنا هو الكافر وقال في رواية
هو الاسود بن عبد الاسد وابو جهل والعاص وابي بن خلف والاولى انه في كل المنكرين قوله
تعالى لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه لما عدد نعمه وانه رؤوف رحيم بعباده وان كان منهم من يكفر
ولا يشكر اتبعه بذكر نعمه بما كلف فقال لكل امة جعلنا منسكا وحذف الواو من قوله لكل امة لانه
لا تعلق لهذا الكلام بما قبله فحذف العاطف قال الزمخشري لان تلك ان وقعت مع ما يدانيها ويناسبها
من الاي الواردة في امر النسايك فعطفت على اخواتها واما هذه الواقعة مع اباعد من معناها فلم تجد
معطفا قوله هم ناسكوه هذه الجملة صفة لمنسكا وقد تقدم انه يقرا بالفتح والكسر وقد تقدم
الخلاف فيه هل هو مصدر او مكان وقال ابن عطية ناسكوه يعطي ان المنسك المصدر ولو كان مكانا
لقال ناسكون فيه يعني ان الفعل لا يتعدى الى ضمير الظرف الا بواسطة في وما قاله غير لازم لانه قد
يتسع في الظرف فيجري مجرى المفعول به فيصل الفعل الى ضميره بنفسه وكذا ما عمل عمل الفعل ومن
الاتساع في ظرف الزمان قوله • ويوم شهدناه سليما وعامرا قليل سوى الطعن النهال نوافله •
ومن الاتساع في ظرف المكان قوله • ومشرب اشربه رسيل لا اجن الطعم ولا وبيل •
يريد اشرب فيه **فصل** روي عن ابن عباس المنسك شريعة عاملون بها وروي عنه
انه قال ويؤيده قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وروي عنه انه قال عيدا يذبحون فيه
وقال مجاهد وقتادة وقربان يذبحون وقيل موضع عبادة وقيل مالفا يالفونه والاول اولى
لان المنسك ماخوذ من النسك وهو العبادة واذا وقع على كل عبادة فلا وجه للتخصيص فان قيل
هلا حملتموه على الذبح لان المنسك في العرف لا يفهم منه الا الذبح وهلا حملتموه على موضع العبادة وعلى
وقتها فالجواب من الاول لا نسلم ان المنسك في العرف مخصوص بالذبح لان ساير افعال الحج تسمى مناسك
قال عليه السلام خذوا عني مناسككم وعن الثاني ان قوله هم ناسكوه اليق بالعبادة منه بالوقت
والمكان قوله فلا ينازعنك قرا الجمهور بتشديد النون وقرا بالنون الخفيفة وقرا ابو مجلز فلا ينزعنك
من نزعته من كذا اي قلعته منه وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته انزعه اي غلبته في المنازعة
ومجي هذه الاية كقوله تعالى فلا يصدنك عنها وقوله لا ريبك هاهنا **فصل** معنى الكلام
على قراة ابي مجلز اي اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون ان يخدعوك ليزيلوك عنه وقراة ينازعنك فيه
قولان الاول قال الزجاج انه نهي له عن منازعتهم كما يقول لا يضاربك فلان اي لا تضاربه قال
بعض المفسرين فلا ينازعنك في الامر في امر الذبايح نزلت في بديل بن ورقا وبشر بن سفين ويزيد
ابن خنيس قالوا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم تاكلون ما تقتلون بايديكم ولا تاكلون ما قتله
الله والثاني ان المراد ان عليهم اتباعك وترك مخالفتك وقد استقر الان الامر على شرعك وعلى انه
ناسخ لكل ما عداه فكانه قال لكل امة بقيت منها بقية يلزمها ان تتحرك الى اتباع الرسول عليه السلام
فلذلك قال وادع الى ربك اي لا تخص بالدعا امة دون امة فكلهم امتك فادعهم الى شريعتك فانك على
هدى مستقيم والهدى يحتمل ان يكون نفس الدين وان يكون ادلة الدين وهو اولى كانه قال ادعهم الى

هذا الدين فانك من حيث الدلالة على طريقة واضحة ولهذا قال فان جادلوك اي فان عدلوا
عن هذه الادلة الي المراء والتمسك بما ذعنم فقل الله اعلم بما تعملون اي انه ليس بعد ايضاح الادلة
الا هذا الجنس الذي يجري مجري الوعيد والتحذير من يوم القيمة الذي يتردد بين جنة وثواب
لمن قبل وبين نار وعقاب لمن رد وانكر فقال الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون
فتعرفون حينئذ الحق من الباطل قوله الم تعلم ان الله يعلم ما في السما والارض الاية لما
قال الله يحكم بينهم اتبعه بما به يعلم انه تعالى عالم بما يستحقه كل واحد ويقع الحكم بينهم
بالعدل لا بالجور فقال لرسوله الم تعلم ان الله يعلم ما في السما والارض وهذا استفهام
معناه تقوية قلب الرسول عليه السلام والوعد له وايعاد الكافرين بان افعالهم كلها
محفوظة عند الله لا يضل عنه ولا ينسى والخطاب مع الرسول والمراد سائر العباد لان الرسالة
لا تثبت الا بعد العلم بكونه تعالى عالما بكل المعلومات اذ لو لم يثبت ذلك لجاز ان يشتبه عليه
الكاذب بالصادق فحينئذ لا يكون اظهار المعجزة دليلا على الصدق واذا كان كذلك استحال
ان لا يكون الرسول عالما بذلك فثبت ان المراد ان يكون خطابا مع الغير ثم قال ان ذلك في كتاب
اي كله في كتاب يعني اللوح المحفوظ وقال ابو مسلم معنى الكتاب الحفظ والضبط والشد يقال
كتبت المزادة اكتبها اذا خرزتها فحفظت بذلك ما فيها ومعنى الكتاب بين الناس حفظ ما يتعاملون
به فالمراد بالآية انه محفوظ عنده وايضا فالقول الاول يوهم ان علمه مستفاد من الكتاب
واجيب بان هذا القول وان كان صحيحا نظرا الي الاشتقاق لكن حمل اللفظ على المتعارف اولي
ومعلوم ان الكتاب هو ما يكتب فيه الامور فان قيل اي فائدة في ذلك الكتاب اذا كان محفوظا
فالجواب ان كتبه تلك الاشيا في ذلك الكتاب مع كونها مطابقة للموجودات دليل على انه تعالى
غني في علمه عن ذلك الكتاب وفائدته ان الملائكة ينظرون فيه ثم يرون الحوادث داخلة في
الوجود على وفقه فيصير ذلك دليلا لهم زائدا على كونه تعالى عالما بكل المعلومات وقوله ان ذلك
على الله يسير اي العلم بجميع ذلك على الله يسير والمعنى ان ذلك مما يتعذر على الخلق لكنه متى اراده الله
تعالى كان فيعبر عن ذلك ثم انه تعالى بين ما يقدم الكفار عليه مع عظم نعمه ووضوح دلائله فقال
ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة وما ليس لهم به علم اي عن جهل وليس لهم به
دليل عقلي فهو تقليد وجهل والقول الذي هذا شانه يكون باطلا وما للظالمين من نصير اي
وما للمشركين من نصير مانع يمنعهم من عذاب الله قوله واذا تتلى عليهم اياتنا يعني القرآن
بينات لانه متضمن للدلائل العقلية وبيان الاحكام قوله يعرف العامة على تعرف خطابا مبنيا
للفاعل المنكر مفعول به وعيسى بن عمر ويعرف بالياء من تحت مبنيا للمفعول المنكر مرفوع قائم مقام
الفاعل والمنكر اسم مصدر بمعنى الانكار وقوله الذين كفروا من اقامة الظاهر مقام المضمر للشهادة
عليهم بذلك قال الكلبي تعرف في وجوههم الكراهة للقران وقال ابن عباس التجبر والترفع وقال
مقاتل انكروا ان يكون من الله قوله تعالى يكادون يسطون هذه حال امام الموصول وان كان
مضافا اليه لان المضاف جزؤه واما من الوجوه لانها يعبر بها عن اصحابها كقوله وجوه يومئذ عليها
غبرة ثم قال اولئك هم ويسطون ضمن معنى يبطشون فتعدي تعديته والا فهو متعد بعلى
يقال سطا عليه واصله القهر والغلبة وقيل هو اظهار ما يهول للاخافة ولفلان سطوة اي تسلط
وقهر وقال الخليل والفرا والزجاج السطو شدة البطش والمعنى يهمون بالبطش والثواب
تعظيما لانكار ما خوطبوا به اي يكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم اياتنا اي محمد صلى الله
عليه وسلم واصحابه من شدة الغيظ يقال سطا عليه وسطا به اذا تناوله بالبطش والعنف
ثم امر رسوله بان يقابلهم بالوعيد فقال قل افانبئكم بشر من ذلكم اي بشر لكم واكره اليكم من
هذا القران الذي تسمعون او من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة
والضجر بسبب ما تلي عليكم قوله النار تقرا بالحركات الثلاث فالرفع من وجهين احدهما الرفع
على الابتدا والخبر الجملة وعدها الله والجملة لا محل لها فانها مفسرة للشر المتقدم كانه قيل ما شر
من ذلك فقيل النار وعدها الله والثاني انها خبر مبتدا مضمر كانه قيل ما شر من ذلك فقيل
النار اي هو النار وحينئذ يجوز في وعدها الله الرفع على كونها خبرا بعد خبر واجيز ان يكون بدلا
من النار وفيه نظر من حيث ان المبدل منه مفرد وقد يجاب عنه بان الجملة في تاويل مفرد ويكون بدل

اشتمال

اشتمال كانه قيل النار وعدها الله للكفار واجيز ان تكون مستانفة لا محل لها ولا يجوز ان
تكون حالا قال ابو البقا لانه ليس في الجملة ما يصلح ان يعمل في الحال وظاهر نقل ابي حيان عن
الزمخشري انه يجيز كونها حالا فانه قال واجاز الزمخشري ان يكون النار مبتدا ووعدها خبرا وان يكون
حالا على الاعراب الاول انتهى والاعراب الاول هو كون النار خبر مبتدا مضمر والزمخشري لم يجعلها
حالا الا اذا نصبت النار او جرتها باضمار قد وهذا نصه وانما منع ذلك لما تقدم من قول ابي
البقا وهو عدم العامل واما النصب فهو قراءة زيد بن علي وابن ابي عبلة وفيه ثلاثة اوجه
احدها انها منصوبة بفعل مقدر يفسره الفعل الظاهر والمسئلة من الاشتغال الثاني قال
الزمخشري انها منصوبة على الاختصاص الثالث ان تنتصب باضمار اعني وهو قريب مما قبله
وهو هو واما الجر فهو قراءة ابن ابي اسحاق وابراهيم بن نوح على البدل من شر والضمير في وعدها
قال ابو حيان الظاهر انه هو المفعول الاول على انه تعالى وعد النار بالكفار اي يطعمها
اياهم الا ترى الي قوله تعالى وتقول هل من مزيد ويجوز ان يكون الضمير هو المفعول المفعول
الثاني والذين كفروا هو المفعول الاول كما قال وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار
نار جهنم قال شهاب الدين وينبغي ان يتعين هذا الثاني لانه متى اجتمع بعد ما يتعدي الى
اثنين شيئان ليس ثانيهما عبارة عن الاول فالفاعل المعنوي رتبته التقديم وهو المفعول
الاول ونعني بالفاعل المعنوي من يتاتى منه فعل فاذا قلت وعدت زيدا دينارا فالدينار
هو المفعول لانه لا يتاتى منه فعل وهو نظير اعطيت زيدا درهما فزيد هو الفاعل لانه اخذ
للدرهم وقوله وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف تقديره وبئس المصير هي النار فصل
والمعنى ان الذي ينالكم من النار اعظم مما ينالكم عند تلاوة هذه الايات من الغضب والغم
وهي النار وعدها الله الذين كفروا اذا ماتوا على كفرهم وبئس المصير هي قوله تعالى يا ايها
الناس ضرب مثل فاستمعوا له الاية لما بين انهم يعبدون من دون الله ما لا حجة لهم به ولا علم
ذكر ههنا ما يدل على ابطال قولهم قوله ضرب مثل قال الاخفش ليس هذا مثل وانما المعنى
جعل الكفار لله مثلا وقال الزمخشري فان قلت الذي جاء به ليس مثلا فكيف سماه مثلا
قلت قد سميت الصفة والقصة الرائعة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها
ببعض الامثال المسيرة لكونها مستغربة مستحسنة وقيل معنى ضرب جعل كقولهم ضرب
السلطان البعث وضرب الجزية على اهل الذمة اي جعل ذلك عليهم ومعنى الاية جعل لي شبه
وشبه بي الاوثان اي جعل المشركون الاصنام شركاي فعبدوها وقيل هو مثل من حيث المعنى
لانه ضرب مثل من يعبد الاصنام بمن يعبد ما لا يخلق ذبابا فاستمعوا له اي فتدبروه حق تدبره
لان نفس السماع لا ينفع وانما ينفع بالتدبر قوله ان الذين تدعون وقرا العامة تدعون
بتاء الخطاب والحسن ويعقوب وهارون ومحبوب عن ابي عمرو بالياء من تحت وهو في كليهما مبني
للفاعل وموسى الاسواري واليماني يدعون بالياء من اسفل مبني للمفعول والمراد الاصنام
فان قيل قوله ضرب يفيد فيما مضى والله تعالى هو المتكلم بهذا الكلام ابتدا فالجواب اذا
كان ما يورد من الوصف معلوما من قبل جاز ذلك فيه ويكون ذكره بمنزلة اعادة امر تقدم
قوله لن يخلقوا جعل الزمخشري نفي لن للتابيد وتقدم البحث معه في ذلك والذباب
معروف واحد وجمع القليل اذبة وفي الكثرة ويجمع على ذبان وذبان بكسر الدال وضمها وعلى
ذب والذبة ما يطرد بها الذباب وهو اسم جنس واحده ذبابة يقع للمذكر والمونث فيفرد
بالوصف قوله تعالى ولو اجتمعوا له قال الزمخشري نصب على الحال كانه قال مستحيل
خلقهم الذباب حال اجتماعهم لخلقه وتعاونهم عليه فكيف حال انفرادهم وقد تقدم ان هذه
الواو عاطفة هذه الجملة الحالية على حال محذوفة اي انتفى خلقهم الذباب على كل حال ولو
في هذه الحالة المقتضية لخلقهم فكانه تعالى قال ان هذه الاصنام ان اجتمعت لا تقدر على
خلق ذبابة على ضعفها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا قوله تعالى وان يسلبهم الذباب
شيا السلب اختطاف الشي بسرعة يقال سلبه نعمته والسلب ما على القتيل وفي الحديث من
قتل قتيلا فله سلبه وقوله لا يستنقذوه منه الاستنقاذ استفعال بمعنى الافعال يقال انقذه
من كذا اي انجاه منه وخلصه ومثله ابل المريض واستبل فصل كانه تعالى قال

اترك امر الخلق والاعادة وتكلم فيما هو اسهل منه قال الذباب ان يسلب منها شيئا فهي لا تقدر
على استنقاذ ذلك الشيء من الذباب واعلم ان الدلالة الاولى صالحة لان يتمسك كون الاوثان
خالقة عالمة حية مدبرة واما النفي كونها مستحقة للتعظيم والاول فاستدلال نفي كونها كذلك
معلوم بالضرورة فلا فايدة في اقامة الدلالة عليه واما الثاني فهذه الدلالة لا تفيده لانه
لا يلزم من موضوع على صور الكواكب او انها تماثيل الملايكة والانبيا المتقدمين فالجواب
انا كونها طلسمات موضوعة على الكواكب بحيث يحصل منها الضر والنفع فهو يبطل بهذه
الدلالة فانها لم تنفع نفسها في هذا القدر وهو تخليص النفس عن الذبابة في العقل ان تعظيم
غير الله ينبغي ان يكون اقل من تعظيم الله والقوم كانوا يعظمونها غاية التعظيم وحينئذ
كان يلزم التسوية بينها وبين الخالق سبحانه في التعظيم فمن هاهنا استوجبوا الذم فصل
قال ابن عباس كانوا يطلون الاصنام بالزعفران فاذا جف جاء الذباب فاستلبته
وقال السدي كانوا يضعون الطعام بين يدي الاصنام فيقع الذباب عليه فياكل منه
وقال ابن زيد كانوا يحلون الاصنام باليواقيت واللالي وانواع الجواهر ويطيبونها بانواع
الطيب فربما يسقط منها واحدة فاخذها طاير او ذباب فلا تقدر الالهة على استردادها
ضعف الطالب والمطلوب قيل هو اخبار وقيل تعجب والاول اظهر قال ابن عباس الطالب
الذباب يطلب ما سلب من الطيب من الصنم والمطلوب الصنم يطلب الذباب منه السلب
وقيل العكس الطالب الصنم والمطلوب الذباب فالصنم كالطالب لانه لو طلب ان يلحقه
ويستنقذ منه ما استلبه لعجز عنه والذباب بمنزلة المطلوب وقال الضحاك الطالب العابد
والمطلوب المعبود لان كون الصنم طالبا ليس حقيقة على سبيل التقدير وقيل المعنى
ضعف اي ظهر قبح هذا المذهب كما يقال عند المناظرة ما اضعف هذا المذهب وما اضعف
هذا الوجه قوله تعالى ما قدروا الله حق قدره ما عظموه حق تعظيمه حيث جعلوا
هذه الاصنام على نهاية خساستها شركاء له في المعبودية ان الله لقوي عزيز قوي لا يتعذر
عليه فعل شيء عزيز لا يقدر احد على مغالبته فاي حاجة الى القول بالشريك قال الكلبي
في هذه الاية وفي نظيرها في سورة الانعام انها نزلت في مالك بن الصيف وكعب بن
الاشرف وكعب بن اسد وغيرهم من اليهود حيث قالوا ان الله سبحانه لما فرغ من خلق
السموات والارض اعيا من خلقهما فاستلقى واستراح ووضع احدى رجليه على الاخرى
فنزلت هذه الاية تكذيبا لهم ونزل قوله وما مسنا من لغوب قوله تعالى الله
يصطفي من الملايكة رسلا الاية لما ذكر ما يتعلق بالالهيات ذكر هنا ما يتعلق بالنبوات
قال بعضهم تقدير الكلام ومن الناس رسلا ولا حاجة لذلك بل قوله ومن الناس مقدر
التقديم اي يصطفي من الملايكة ومن الناس قال مقاتل قال الوليد بن المغيرة أأنزل
عليه الذكر من بيننا فانزل الله هذه الاية فان قيل كلمة من للتبعيض فقوله من الملايكة
يقتضي ان يكون الرسل بعضهم لا كلهم وقوله جاعل الملايكة رسلا يقتضي كون كلهم رسلا
فكيف الجمع فالجواب يجوز ان يكون المذكور هاهنا من كان رسلا الى بني ادم وهو اكابر
الملايكة كجبريل وميكاييل واسرافيل والحفظة صلوات الله عليهم واما كل الملايكة فبعضهم
رسل الى البعض فان قيل قوله في سورة الزمر لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق
ما يشا يدل على ان ولده يجب ان يكون مصطفى وهذه الاية تدل على ان بعض الملايكة
وبعض الناس من المصطفين فلزم بمجموع الايتين اثبات الولد فالجواب ان قوله لو اراد
الله ان يتخذ ولدا لاصطفى يدل على كل ولد مصطفى ولا يدل على ان كل مصطفى ولد فلا
يلزم من دلالة هذه الاية على وجود مصطفى كونه ولدا وايضا فالمراد من هذه الاية
تبكيت من عبد غير الله من الملايكة كانه سبحانه ابطل في الاية الاولى قول عبدة
الاوثان وفي هذه الاية ابطل قول عبدة الملايكة فبين ان علو درجة الملايكة ليس
لكونهم الهة لان الله اصطفاهم لكان عبادته فكانه تعالى يقول انهم ما قدروا الله حق قدره
اذ جعلوا الملايكة معبودة مع الله ثم بين تعالى بقوله ان الله سميع بصير انه سميع لما
يقولون ويرى ما يفعلون ولذلك اتبعه بقوله تعالى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم قال

ابن

ابن عباس ما قدموا وما خلفوا وقال الحسن ما بين ايديهم ما عملوا وما خلفهم ما هم عاملون
من بعد ثم قال والى الله ترجع الامور اشارة الى القدرة التامة والتفرد بالالهية والحكمة
ومجموعها يتضمن نهاية الزجر عن الاقدام الى المعصية قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اركعوا واسجدوا الى اخر السورة لما ذكر الالهيات والنبوات اتبعه بالكلام في الشرايع وهو
من اربعة اوجه الاول تعيين المامور والثاني اقسام المامور به والثالث ذكر ما يوجب
قبول تلك الاوامر والرابع تاكيد ذلك التكليف اما تعيين المامور به فهو قوله يا ايها
الذين امنوا وهذا خطاب للمومنين لانه صرح بهم ولقوله هو اجتباكم ولقوله هو سماكم
المسلمين وقوله وتكونوا شهدا على الناس وقيل خطاب لكل المكلفين مومنا كان او كافرا
لان التكليف بهذه الاشيا عام في كل المكلفين فلا معنى لتخصيص المومن بذلك واما فايدة
التخصيص فلانه لما لم يقبله الا المومنون خصهم بالذكر ليحرضهم على المواظبة على ما قبلوه
وكالتشريف لهم في ذلك الافراد واما المامور به فاربعة امور الاول الصلاة وهو المراد بقوله
اركعوا واسجدوا وذلك لان اشرف اركان الصلاة هو الركوع والسجود والصلاة هي المختصة
بهذين الركنين تجري ذكرهما مجرى ذكر الصلاة وذكر ابن عباس ان الناس كانوا في اول اسلامهم
يركعون ولا يسجدون حتى نزلت هذه الاية والثاني قوله واعبدوا ربكم قيل وحدوه وقيل
اعبدوا ربكم في ساير المامورات والمنهيات وقيل افعلوا الركوع والسجود وساير الطاعات
بنية العبادة الثالث قوله وافعلوا الخير قال ابن عباس هو صلة الرحم ومكارم الاخلاق
لعلكم تفلحون تفوزون بالجنة وقيل كلمة لعل للترجي فان الانسان قلما يخلو في اداء فريضة
من تقصير فليس هو على يقين من ان الذي اتى به هل هو مقبول عند الله والعواقب
مستورة وكل ميسر لما خلق له **فصل** اختلفوا في مجموع التلاوة عند قراءة هذه
الاية فذهب عمر وعلي وابن عمر وابن مسعود وابن عباس الى انه يسجد به قال ابن المبارك
والشافعي واحمد واسحاق لما روى عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله فضلت سورة الحج
ان فيها سجدتين قال نعم من لم يسجدهما فلا يقراها وقال سفيان الثوري واصحاب الراي
لا يسجد هاهنا وعدد سجود القران اربع عشرة سجدة عند اكثر اهل العلم منها ثلاث في المفصل
وروي عن ابي بن كعب وابن عباس ليس في المفصل سجود وبه قال مالك وقد صح عن ابي
هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرا واذا السما انشقت وابو هريرة
متاخر الاسلام واختلفوا في سجدة ص فروي عن ابن عباس انها سجدة شكر وهو مذهب
الشافعي وعن عمر انه يسجد فيها وهو قول الثوري وابن المبارك واصحاب الراي واحمد
واسحاق الرابع قوله وجاهدوا في الله حق جهاده يجوز ان يكون حق جهاده منصوبا على
المصدر وهو واضح وقال ابو البقا ويجوز ان يكون نعتا للمصدر بحذف اي جهادا حق جهاده
وفيه نظر من حيث ان هذا معرفة فكيف يجعل صفة لنكرة قال الزمخشري فان قلت ما وجه
هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله قلت
الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول من
اجله ولوجهه صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا
يعني بالظرف الجار والمجرور كانه كان الاصل حق جهاد فيه فحذف حرف الجر واضيف المصدر للضمير
وهو من باب هو حق عالم وجد اي عالم حقا وعالم جدا **فصل** المعنى جاهدوا في
سبيل الله اعدا الله حق جهاده وهو استفراغ الطاقة فيه قاله ابن عباس وعنه قال لا تخافوا في
الله لومة لايم وقال الضحاك ومقاتل اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته وقال مقاتل بن
سليمان نسخها قوله فاتقوا الله ما استطعتم وهذا بعيد لان التكليف شرطه القدرة لقوله
تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وما جعل عليكم في الدين من حرج يريد الله بكم اليسر ولا
يريد بكم العسر فكيف تقول وجاهدوا في الله على وجه لا يقدرون وقال اكثر المفسرين حق
الجهاد ان تكون نية صادقة وقيل يفعله عبادة لا رغبة في الدنيا من حيث الاسم والغنيمة وقيل
يجاهدوا اخراكم جاهدوا اولاكم فقد كان جهادهم في الاول اقوى وكانوا فيه اثبت نحو صنعهم
يوم بدر يروى عن عمر انه قال لعبد الرحمن بن عوف اما علمت انا كنا نقرا وجاهدوا في الله حق

جهاده وفي اخر الزمان كما جاهد ثم في اوله قال عبد الرحمن ومتى ذلك يا امير المومنين قال اذا
كانت بنو امية الامرا وبنو المغيرة الوزرا واعلم انه يبعد ان يكون هذه الزيادة من القران
والا لنقل كنقل نظايره ولعله ان صح ذلك عن الرسول فانما قاله كالتفسير للاية وروي
عن ابن عباس انه قرا وجاهدوا في الله حق جهاده كما جاهدتم اول مرة فقال عمر رضي الله عنه
من الذي امرنا بجهاده فقال قبيلتان من قريش مخزوم وعبد شمس فقال صدقت وقيل
معنى الاية استفرغوا وسعكم في احيا دين الله واقامة حقوقه بالحرب واليد واللسان وجميع
ما يمكن وردوا انفسكم عن الهوى والميل وقال ابن المبارك هو مجاهدة النفس والهوى
وهو الجهاد الاكبر وهو حق الجهاد وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع عن غزوة
تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر واراد بالجهاد الاصغر الجهاد مع الكفار
وبالجهاد الاكبر الجهاد مع النفس واما بيان ما يوجب قبول هذه الاوامر فهو ثلثة الاول
قوله هو اجتباكم اختاركم لدينه وهذا من اعظم التشريفات فاي رتبة اعلا من هذا
واي سعادة فوق هذا ثم قال وما جعل عليكم في الدين من حرج وهذا كالجواب عن سوال
وهو ان التكليف وان كان تشريفا لكنه شاق على النفس فاجاب الله بقوله ما جعل عليكم
في الدين من حرج روي ان ابا هريرة رضي الله عنه قال كيف قال الله ما جعل عليكم في الدين
من حرج مع انه منعنا عن الزنا والسرقة فقال ابن عباس بلى ولكن الاصر الذي كان على بني
اسرايل وضع عنكم هذا قول الكلبي قال المفسرون معناه ان المومن لا يبتلى بشي من الذنوب
الا جعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بالكفارات
وليس في دين الاسلام ذنب الا يجد العبد سبيلا الى الخلاص من العذاب فيه وقال مقاتل
هو الرخص بانه بالرخص فمن لم يستطع ان يصلي قايما فليصل جالسا ومن لم يستطع فليوم واباحة
الفطر في السفر للصايم والقصر فيه والتيمم واكل الميتة عند الضرورة **فصل** استدلت
المعتزلة بهذه الاية على المنع من تكليف ما لا يطاق وقالوا لما خلق الله الكفر والمعصية في
الكافر والعاصي ثم نهاه عنه كان ذلك من اعظم الحرج وذلك منفي بصريح هذا النص والجواب
انه لما امره بترك الكفر وترك الكفر يقتضي انقلاب علمه جهلا فقد امر المكلف بقلب علم
الله جهلا وذلك من اعظم الحرج ولما استوى العدمان زال السوال الموجب الثاني قوله
ملة ابيكم فيه اوجه احدها انها منصوبة باتبعوا مضمرا قاله الحوفي وتبعه ابو البقا الثاني
انها منصوبة على الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم الثالث انها منصوبة بمضمون ما
تقدمها كانه قال وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه قاله الزمخشري وهذا اظهرها الرابع انه منصوب بجعلها مقدرا قاله ابن عطية
الخامس انها منصوبة على حذف كاف الجر اي كملة ابيكم قاله الفرا وقال ابو البقا قريبا منه
فانه قال وقيل تقديره مثل ملة لان المعنى سهل عليكم الدين مثل ملة ابيكم فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقوله ابراهيم بدل او بيان او منصوب باعني فصل
والمقصود من ذكر ابراهيم التنبيه على ان هذه التكاليف والشرايع هي شريعة ابراهيم
والعرب كانوا محبين لابراهيم عليه السلام لانهم من اولاده فكان ذكره كالسبب لانقيادهم
لقبول هذا الدين فان قيل ليس كل المسلمين يرجع نسبه الى ابراهيم فالجواب ان هذا خطاب
مع العرب وهم كانوا من نسل ابراهيم وقيل خاطب به جميع المسلمين وابراهيم اب لهم على معنى
وجوب اكرامه وحفظ حقه كما يجب احترام الاب وهو كقوله تعالى وازواجه امهاتهم وقال
النبي صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد فان قيل هذا يقتضي ان تكون ملة محمد كملة
ابراهيم سوا فيكون الرسول ليس له شرع مخصوص ويوكده قوله اتبع ملة ابراهيم فالجواب
انما وقع هذا الكلام مع عبدة الاوثان فكانه قال عبادة الله وترك الاوثان هي ملة ابراهيم
واما تفاصيل الشرايع فلا تعلق لها بهذا الموضع قوله تعالى هو سماكم في هذا الضمير قولان
احدهما انه يعود على ابراهيم لانه اقرب مذكور الا ان ابن عطية قال وفي هذه اللفظة يعني
قوله وفي هذا ضعف قول من قال الضمير لابراهيم ولا يتوجه الا بتقدير محذوف من
الكلام مستانف انتهى ومعنى ضعف قول من قال بذلك ان قوله وفي هذا عطف على من

قبل وفي هذا اشارة الى القران فيلزم ان ابراهيم سماهم المسلمين في القران وهو غير واضح لان
القران المشار اليه انما نزل بعد ابراهيم بمدد طوال فلذلك ضعف قوله وقوله الا بتقدير محذوف
الذي ينبغي ان يقدر وسميتم في هذا القران المسلمين وقال ابو البقا قيل الضمير لابراهيم فعلى
هذا الوجه يكون قوله وفي هذا اي وفي هذا القران سبب تسميتهم وهو قول ابراهيم ربنا واجعلنا
مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فاستجاب الله له وجعلها امة محمد صلى الله عليه وسلم والثاني
ان الضمير يعود على الله تعالى ويدل له قراة ابي الله سماكم بصريح الجلالة اي سماكم في الكتب
السالفة وفي هذا القران الكريم ايضا وهذا مروي عن ابن عباس ويويده قوله ليكون الرسول
شهيدا عليكم وتكونوا شهدا على الناس فبين انه سماهم بذلك لهذا الغرض وهذا لا يليق الا بالله
فقوله ليكون الرسول متعلق بسماكم فبين فضلكم على ساير الامم وسماكم بهذا الاسم لاجل
الشهادة المذكورة فلما خصكم بهذه الكرامة فاعبدوه ولا تردوا تكاليفه وهذا هو الموجب الثالث
لقبول التكليف وتقدم الكلام في انه كيف يكون الرسول شهيدا علينا وكيف تكون امته شهدا على
الناس في سورة البقرة واما ما يجري مجرى الموكد لما مضى فهو قوله فاقيموا الصلاة واتوا الزكاة
فهي المفروضات لانها المعهودة واعتصموا بحبل الله اي بدلايله العقلية والسمعية قال ابن
عباس سلوا الله العصمة عن كل المحرمات وقيل ثقوا بالله وتوكلوا عليه وقال الحسن تمسكوا بدين
الله هو مولاكم سيدكم والمتصرف فيكم وناصركم وحافظكم فنعم المولى ونعم النصير فكانه تعالى قال
انا مولاك بل انا ناصرك وحسن حذف المخصوص بالمدح وقوع الثاني راس اية وفاصلة **فصل**
احتجت المعتزلة بهذه الاية من وجوه احدها ان قوله ليكونوا شهدا على الناس يدل على انه تعالى
اراد الايمان من الكل لانه تعالى لا يجعل الشهيد على عباده الا من كان عدلا مرضيا فاذا اراد ان يكونوا
شهدا على الناس فقد اراد ان يكونوا جميعا صالحين عدولا وقد علمنا ان منهم فاسق فدل ذلك
على ان الله تعالى اراد من الفاسق كونه عدلا وثانيها قوله واعتصموا بالله وكيف يمكن الاعتصام
به مع ان الشر لا يوجد الا منه وثالثها قوله فنعم المولى فانه لو كان كما يقوله اهل السنة من انه خلق
اكثر عباده ليخلق فيهم الكفر والفساد ثم يعذبهم لما كان نعم المولى بل كان لا يوجد من شر الموالي
احد الا وهو شر منه فكان يجب ان يوصف بانه بيس المولى وذلك باطل فدل على انه سبحانه ما اراد من
جميعهم الا الصلاح فان قيل لم لا يجوز ان يكون نعم المولى للمومنين خاصة كما انه نعم النصير لهم خاصة
قلنا انه تعالى مولى الكافرين والمومنين جميعا فيجب انه يقال انه نعم المولى للمومنين وبيس المولى
للكافرين فان ارتكبوا ذلك فقد ردوا القران والاجماع وصرحوا بشتم الله تعالى عن ذلك ورابعها
ان قوله سماكم المسلمين من قبل يدل على ان الاسما الشرعية وانها من قبل الله لانها لو كانت لغة
لما اضيفت الى الله تعالى على وجه الخصوص والجواب عن الاول وهو قولهم ان كونه تعالى مريدا
لكونه شاهدا يستلزم كونه مريدا لكونه عدلا فنقول ان كانت ارادة الشي مستلزمة لارادة لوازمه
فارادة الايمان من الكافر توجب ان تكون مستلزمة لارادة جهل الله فيلزم كونه تعالى مريدا
لجهل نفسه وان لم يكن ذلك واجبا فقد سقط الكلام واما قوله واعتصموا بالله فيقال هذا ايضا
وارد عليكم فانه سبحانه خلق الشهوة في قلب الفاسق واكدها وخلق المشتهي وقربه منه ورفع
المانع ثم سلط عليه شياطين الانس والجن وعلم انه لا محالة انه يقع في الفجور والضلال وفي الشاهد
كل من فعل ذلك فانه يكون بيس المولى فان صح قياس الغايب على الشاهد فهذا لازم عليكم
وان بطل سقط كلامكم بالكلية والله اعلم روي الثعلبي باسناده عن ابي امامة عن ابي ابن كعب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج
واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المومنون مكية

وهي مائة وثمان عشرة اية والف ومايتان واربعون كلمة وعدد حروفها اربعة الاف وثمانماية وحرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قد افلح المومنون الايات العشر روي ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن
ابن عبد القاري قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول كان اذا انزل على رسول الله صلى الله

عليه وسلم الوحي يسمع عنده وجهه كدوي النحل فمكثنا ساعة وفي رواية فنزل عليه يوما فمكثنا
ساعة واستقبل القبلة فرفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا
ولا تحرمنا واثرنا ولا توثر علينا وارض عنا ثم قال لقد انزل علينا عشر ايات من اقامهن
دخل الجنة ثم قرا قد افلح المومنون عشر ايات ورواه الامام احمد وعلي بن المديني وجماعة عن
عبد الرزاق وقالوا اعطنا ولا تحرمنا وارض عنا قوله تعالى قد هنا للتوقع قال الزمخشري
قد نقيضة لما فقد تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المومنين كانوا متوقعين لهذه البشارة
وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه والعامة على افلح مفتوح
الهمزة والحا فعلا ماضيا مبنيا للفاعل وورش على قاعدته من نقل حركة الهمزة الى الساكن
قبلها وحذفها وعن حمزة في الوقف خلاف فروي عنه كورش وكالجماعة وقال ابو البقا من
القى حركة الهمزة وحذفها فعلته ان الهمزة بعد حرف حركتها صيرت الفا ثم حذفت لسكونها
وسكون الدال قبلها في الاصل ولا يعتد بحركة الدال لانها عارضة وفي كلامه نظر من وجهين
احدهما ان اللغة الفصيحة في النقل حذف الهمزة من الاصل فيقولون المرة والكمة في المراة
والكماة واللغة الضعيفة فيه ابقاوها وتدبيرها بحركة ما قبلها فيقولون المراة والكماة
بمدة بدل الهمزة كراس وفاس فمتى خففها فقوله صيرت الفا ارتكاب لاضعف اللغتين
الثاني انه وان سلم انها صيرت فلا نسلم ان حذفها لسكونها وسكون الدال في الاصل
بل حذفها الساكن محقق في اللفظ وهو اللام من افلح ومتى وجد سبب ظاهر احيل الحكم
عليه دون السبب المقدر وقرا طلحة بن مصرف وعمرو بن عبيد افلح مبنيا للمفعول اي
دخلوا في الفلاح فيحتمل ان يكون من افلح متعديا يقال افلحه اي اصاره الى الفلاح فيكون
افلح مستعملا لازما ومتعديا وقرا طلحة ايضا افلحوا بفتح الهمزة واللام وضم الحا وتخرجها
على ان الاصل افلحوا المومنون بلحاق علامة جمع قبل الفاعل كلغة اكلوني البراغيث فيجي
فيها ما تقدم في قوله ثم عموا وصموا كثير منهم واسروا النجوى الذين ظلموا قال عيسى سمعت
طلحة يقراها فقلت له اتلحن قال نعم كما لحن اصحابي يعني ان ابتعتهم فيما قرات به فان
لحنوا على سبيل فرض المحال فانا لاحن بتبعهم وهذا يدل على شدة اعتنا القدما بالنقل
وضبطه خلافا لمن يغلط الرواة وقال ابن عطية وهي قراة مردودة قال شهاب الدين ولا
ادري كيف يردونها مع ثبوت مثلها في القرات باجماع وهما الايتان المتقدمتان وقال
الزمخشري وعنه اي عن طلحة افلح بضمة بغير واو واجتزا بها عنها كقوله فلو ان الاطبا
كان حولي وفيه نظر من حيث ان الواو لا تثبت في مثل هذا درجا لئلا يلتقي ساكنان فالحذف
هنا لا بد منه فكيف يقول اجترا عنها بها واما تنظيره بالبيت فليس مطابقا لان حذفها
من البيت ضروري ومن البيت ضرورة وهذه الواو لا يظهر لفظها في الدرج بل يظهر في الوقف
وفي الخط وقد اختلف النقلة لقراة طلحة هل يثبت للواو صورة ففي كتاب ابن خالويه
مكتوبا بواو وبعد الحا وفي اللوامح وحذفت الواو بعد الحا لالتقايهما في الدرج وكانت الكتابة
عليها محمولة على الوصل نحو ويمحوا الله الباطل قال شهاب الدين ومثله سندع الزبانية لصار
الجحيم قال المفسرون والفلاح النجاة والبقا قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد
وبقوا في الجنة وتقدم الكلام في الايات في البقرة قوله تعالى في صلاتهم خاشعون
الجار متعلق بما بعده وقدم للاهتمام به وحسنه كون متعلقه فاصلة وكذلك فيما بعده
من اخواته واضيفت الصلاة اليهم لانهم هم المنتفعون بها والمصلى له غني عنها فلذلك
اضيفت اليهم دونه

فصل

اختلفوا في الخشوع فمنهم من جعله من افعال
القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات
ومنهم من جمع بين الامرين وهو الاولى قال ابن عباس مخبتون اذلا وقال الحسن وقتادة
خائفون وقال مقاتل متواضعون وقال مجاهد هو غض البصر وخفض الصوت والخشوع
قريب من الخضوع الا ان الخضوع في البدن والخشوع في البدن والبصر والصوت قال
تعالى وخشعت الاصوات للرحمن وعن علي هو ان لا يلتفت يمينا ولا شمالا وقال سعيد
ابن جبير هو ان لا يعرف من على يمينه ولا من عن يساره وقال عطا هو ان لا يعبث بشي من

جسدك لان النبي صلى الله عليه وسلم ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال لو خشع
قلب هذا الخشعت جوارحه قال ابن الخطيب وهو عندنا واجب ويدل عليه امور احدها قوله
تعالى افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها والتدبر لا يتصور بدون الوقوف على
المعنى وقوله تعالى ورتل القران ترتيلا اي قفوا على عجايبه ومعانيها وثانيها قوله تعالى
اقم الصلاة لذكري وظاهر الامر للوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلوته كيف
يكون مقيما للصلاة لذكره ثالثها قوله تعالى ولا تكن من الغافلين وظاهره للتحريم
وقوله حتى تعلموا ما تقولون تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق في الدنيا
ورابعها قوله عليه السلام من لم تمنعه صلاته عن الفحشا والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا
وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشا وقال عليه السلام كم من قايم حظه من قيامه التعب
والنصب وما اراد به الا الغافل وقال ايضا ليس للعبد من صلاته الا ما عقل وقالت
عايشة سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس
يختلسه الشيطان من صلاة العبد وعن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله
عز وجل مقبلا على العبد ما كان في صلاته ما لم يلتفت فاذا التفت اعرض عنه وذهب بعضهم
الى انه ليس بواجب لان اشتراط الخضوع والخشوع خلاف لاجماع الفقها فلا يلتفت اليه
واجيب بان هذا الاجماع ممنوع لان المتكلمين اتفقوا على انه لا بد من الخضوع والخشوع
واحتجوا بان السجود لله طاعة وللصنم كفر وكل واحد منهما يماثل الاخر في ذاته ولوازمه
فلا بد من امر لاجله يصير السجود في احدى الصورتين طاعة وفي الاخرى معصية قالوا
وما ذاك الا القصد والارادة والمراد من القصد ايقاع تلك الافعال لداعية الامتثال
وهذه الداعية لا يمكن حصولها الا عند الحضور قوله والذين هم عن اللغو معرضون قال
عطا عن ابن عباس عن الشرك وقال الحسن عن المعاصي وقال الزجاج كل باطل ولهو وما لا
يجمل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم والسب قال الله تعالى واذا
مروا باللغو مروا كراما اي اذا سمعوا الكلام القبيح اكرموا انفسهم عن الدخول فيه واعلم ان
اللغو قد يكون كفرا كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وقد يكون كذبا كقوله لا يسمع
فيها لاغية وقوله لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما ولما وصفهم بالخشوع في الصلاة اتبعه بوصفهم
بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك قوله والذين هم للزكاة فاعلون اللام في قوله
للزكاة مزيدة في المفعول لتقدمه على عامله ولكونه فرعا والزكاة في الاصل مصدر ويطلق على
القدح المخرج من الاعيان وقال الزمخشري اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي
يخرجه المزكي من النصاب والمعنى فعل المزكي وهو الذي اراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا
يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عنه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل يقول للضارب
فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق
في هذا انك تقول في جميع الحوادث فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولم يمتنع الزكاة الدالة
على العين ان يتعلق بها لحرجها من صحة ان يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها
وقد انشد والامية بن ابي الصلت • المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات
ويجوز ان يراد بالزكوات العين ويقدر مضاف محذوف وهو الادا وحمل البيت على هذا اصح لانها
فيه مجموعة قال شهاب الدين انما احوج ابا القاسم الى هذا ان بعضهم زعم انه يتعين ان تكون
الزكوة هنا المصدر لانه لو اراد العين لقال مودون ولم يقل فاعلون فقال الزمخشري لم يمتنع
ذلك لعدم صحة تناول فاعل لها بل لان الخلق ليسوا بفاعليها وانما جعل الزكوة في بيت امية
اعيانا لجمعها لان المصدر لا يجمع وناقشه ابو حيان وقال يجوز ان يكون مصدرا وانما جمع
لاختلاف انواعه وقال ابو مسلم ان فعل الزكوة يقع على كل فعل محمود مرضي كقوله قد افلح
من تزكى وقوله فلا تزكوا انفسكم ومن جملتهم ما يخرج من حق المال وانما سمي بذلك لانها تطهر
من الذنوب لقوله تعالى تطهرهم وتزكيهم بها وقال الاكثرون المراد بها هنا الحق الواجب
في الاموال خاصة لان هذه اللفظة قد اختصت في الشرع بهذا المعنى فان قيل ان الله لم يفصل
بين الصلاة والزكاة فلم فصل هنا بينهما فقوله والذين هم عن اللغو معرضون فالجواب

لان ترك اللغو من متممات الصلاة قوله والذين هم لفروجهم حافظون الفرج
اسم يجمع سواة الرجل والمراة وحفظ الفرج التعفف عن الحرام قوله الا على ازواجهم
فيه اوجه احدها انه متعلق بحافظون على التضمين معنى ممسكين او قاصرين وكلاهما
يتعدي بعلى قال تعالى امسك عليك زوجك الثاني ان على بمعنى من اي الا من
ازواجهم كما جاءت من بمعنى على في قوله ونصرناه من القوم واليه ذهب الفرا الثالث
ان يكون في موضع نصب على الحال قال الزمخشري الا والين على ازواجهم او قوامين
عليهن من قولك كان فلان على فلانه فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان
زياد على البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم فلانه تحت فلان ومن ثم سميت المراة
فراشا الرابع ان يتعلق بمحذوف ويدل عليه غير ملومين قال الزمخشري كانه
قيل يلامون الا على ازواجهم اي يلامون على كل مباشرة الا على ما اطلق لهم فانهم
غير ملومين عليه قال شهاب الدين وانما لم يجعله متعلقا بملومين لوجهين
احدهما ان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها الثاني ان المضاف اليه لا يعمل فيما قبل المضاف
الخامس ان يجعله صلة لحافظين قال الزمخشري من قولك احفظ على عنان فرسي
على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت بمعنى ما طلبت منك الا
فعلك يعني ان صورته اثبات ومعناه نفي قال ابو حيان بعد ما ذكر ذلك عن
الزمخشري وهذه وجوه متكلفة ظاهر فيها العجمة قال شهاب الدين واي عجمة في
ذلك على ان الشيخ جعلها متعلقة بحافظون على ما ذكره من التضمين وهذا لا نضج
الاتيان بتركيب وجها منها وهو التاويل بالنفي كنشدتك الله لانه استثنا مفرغ ولا
يكون الا بعد نفي او ما في معناه السادس قال ابو البقا في موضع نصب بحافظون على
المعنى لان المعنى صانوها عن كل فرج الا عن فروج ازواجهم قال شهاب الدين وفيه
شيئان احدهما تضمين حافظون معنى صانوا وتضمين على معنى عن قوله او ما ملكت
ما بمعنى اللاتي وما في محل الخفض يعني او على ما ملكت ايمانهم وفي وقوعها على العقلا
وجهان احدهما انها واقعة على الانواع كقوله فانكحوا ما طاب اي انواع والثاني قال
الزمخشري اريد من جنس العقلا ما يجري مجرى غير العقلا وهم الاناث قال ابو
حيان وقوله وهم ليس بجيد لان لفظ هم مختص بالذكور فكان ينبغي ان يقول وهو
على لفظ ما او وهن على معنى ما واجيب بان الضمير عايد على العقلا فقوله وهم اي
والعقلا الاناث وقال ابن الخطيب هلا قيل من ملكت والجواب لانه اجتمع في السرية
وصفان احدهما الانوثة وهي مظنة نقصان العقل والاخر كونها بحيث تباع وتشترى
كسائر السلع فلهذين الوصفين فيها جعلت كانها ليست من العقلا

فصل

هذه
الاية في الرجال خاصة لان المراة لا يجوز لها ان تستمتع بفرج مملوكها فان قيل اليس
الزوجة والمملوكة لا يحل له الاستمتاع بها في احوال كحال الحيض وحال العدة والصيام
والاحرام وفي الامة حال تزويجها من الغير وحال عدتها وكذا الغلام داخل في ظاهر
قوله او ما ملكت ايمانهم فالجواب من وجهين الاول ان مذهب ابي حنيفة ان الاستثنا
من النفي لا يكون اثباتا لقوله عليه السلام لا صلاة الا بطهور ولا نكاح الا بولي فان
ذلك يقتضي حصول الصلاة بمجرد حصول الطهور وحصول النكاح بمجرد حصول الولي
وفايدة الاستثنا صرف الحكم لا صرف المحكوم به فقوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على
ازواجهم معناه انه يجب حفظ الفرج عن الكل الا في هاتين الصورتين فاني ما ذكرت حكمهما
لا بالنفي ولا بالاثبات الثاني سلمنا ان الاستثنا من النفي اثبات فغايته انه عام دخله
التخصيص بالدليل فيبقى حجة فيما عداه وقوله فانهم غير ملومين يعني يحفظ فرجه
الا من امراته وامته فانه لا يلام على ذلك اذا كان على وجه اذن الشرع فيه دون الاتيان
في غير الماتى وفي حال الحيض والنفاس فانه محظور ويلام على فعله فمن ابتغى وراء ذلك
اي التمس وطلب سوى الازواج والمملوكات فاوليك هم العادون الظالمون المتجاوزون
من الحلال الى الحرام وفيه دليل على ان الاستمنا باليد حرام قال ابن جريج سالت عطا

عنه

عنه فقال مكروه سمعت ان قوما يحشرون وايديهم حبالى فاظن انهم هولاء وعن سعيد
ابن جبير قال عذب الله امة كانوا يعبثون بمذاكيرهم قوله والذين هم لاماناتهم
قرا ابن كثير هنا وفي سال لامانتهم بالتوحيد والباقون بالجمع وهما في المعنى واحد اذ المراد
العموم والجمع اوفق والامانة في الاصل مصدر ويطلق على الشي الموتمن عليه كقوله ان تودوا
الامانات الى اهلها وتخونوا اماناتكم وانما يودي ويخان الاعيان لا المعاني كذا قاله الزمخشري
اما ما ذكره من الايتين فمسلم واما هذه الاية فتحتمل المصدر وتحتمل العين والعهد ما عقده
على نفسه فيما يقربه الى الله ويقع ايضا على ما امر الله به كقوله الذين قالوا ان الله عهد الينا
والعقود التي عاقدوا الناس عليها يقومون بالوفاء بها فالامانات تكون بين الله وبين
العبد كالصلاة والصيام والعبادات الواجبة وتكون بين العبيد كالودايع والبضايع
فعلى العبد الوفا بجميعها وقوله راعون الراعي القايم على الشي بحفظه واصلاحه كراعي الغنم
ومنه يقال من راعي هذا الشي اي متوليه قوله تعالى والذين هم على صلاتهم يحافظون
قرا الاخوان على صلوتهم بالتوحيد والباقون صلواتهم بالجمع وليس في المعارج خلاف
والافراد والجمع كما تقدم في اماناتهم وامانتهم قال الزمخشري فان قلت كيف كرر ذكر
الصلاة اولا واخرا قلت كيف كررهما ذكرات مختلفات وليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع
في صلاتهم واخرا بالمحافظة عليها ثم قال وايضا فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس
الصلاة اي صلاة كانت وجمعت اخرا ليفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر
والسنن الراتبة وهذا انما يتجه في قراة غير الاخوين واما الاخوان فانهما افردا اولا واخرا
على ان الزمخشري قد حكى الخلاف في جمع الصلاة الثانية وافرادها بالنسبة الى القراة
وقيل كرر ذكر الصلاة ليبين ان المحافظة عليها واجبة كما ان الخشوع فيها واجب ثم قال اوليك
هم الوارثون اوليك اي اهل هذه الصفة هم الوارثون فان قيل كيف سمي ما يجدونه من الثواب
والجنة بالميراث مع انه سبحانه حكم بان الجنة حقهم في قوله ان الله اشترى من المومنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة فالجواب من وجوه الاول روي ابو هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل
النار ورث اهل الجنة منزله وذلك قوله اوليك هم الوارثون وايضا فقد قال الفقها انه
لا فرق بين ما ملكه الميت وبين ما يقدر دخوله في ملكه في انه يورث عنه كذلك قالوا في الدية
التي انما تجب بالقتل انها تورث مع انه ما ملكها على التحقيق وهذا يويد ما ذكر فان قيل انه
تعالى وصف كل الذي يستحقونه ارثا وعلى ما قلتم انما يدخل في الارث ما كان يستحقه غيرهم
لو اطاع فالجواب لا يمتنع انه تعالى جعل ما هو لهذا المومن بعينه منزلة لذلك الكافر لو اطاع
لانه عند ذلك كان يزيد في المنازل فاذا امن هذا عدل بذلك اليه الثاني ان انتقال الجنة
اليهم من دون محاسبة ومعرفة بمقاديره يشبه انتقال المال الى الوارث الثالث ان الجنة
كانت مسكن ابينا ادم عليه السلام فاذا انتقلت الى اولاده كان ذلك يشبه بالميراث فان قيل
كيف حكم على الموصوفين بالصفات السبعة بالفلاح مع انه تعالى ما تمم ذكر العبادات الواجبة
كالصوم والحج فالجواب ان قوله لاماناتهم وعهدهم راعون ياتي على جميع الواجبات من
الافعال والتروك كما تقدم والطهارات دخلت في جملة المحافظة على الصلوات لكونها من
شرايطها واعلم ان قوله هم الوارثون يفيد الحصر لكنه يجب ترك العمل به لانه ثبت ان الجنة
يدخلها الاطفال والمجانين والولدان والحور ويدخلها الفساق من اهل القبلة بعد
العفو لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وتقدم الكلام في الفردوس في سورة
الكهف قوله تعالى هم فيها خالدون يجوز في هذه الجملة ان تكون مستانفة وان تكون
حالا مقدرة اما من الفاعل يرثون واما من مفعوله اذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون
ولا يخرجون وقد جاء في الحديث ان الله خلق ثلاثة اشيا بيده خلق ادم بيده وكتب التورية
بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزتي لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث قوله تعالى
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الايات لما امر بالعبادات في الايات المتقدمة بطريق
الحث عليها والاشتغال بعبادة الله لا يصح الا بعد معرفة الله لا جرم عقبها بذكر ما يدل على

وجوده واتصافه بصفات الجلال والوحدانية فذكرا نواعا من الدلايل منها تقلب الانسان في ادوار خلقته وهي تسعة اولها قوله ولقد خلقنا الانسان قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومقاتل والمراد بالانسان ادم عليه السلام سل من كل تربة وخلقت ذريته من ماء مهين وقيل الانسان اسم جنس يقع على الواحد والجمع والسلالة هي الاجزاء الطيبة المبثوثة في اعضايه التي لما اجتمعت وحصلت في اوعية المني صارت منيا وهذا مطابق لقوله تعالى وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين قال ابن الخطيب وفيه وجه اخر وهو ان الانسان انما يتولد من النطفة وهي انما تتولد من فضل الهضم الرابع وذلك انما يتولد من الاغذية وهي اما حيوانية او نباتية والحيوانية تنتهي الى النباتية والنبات انما يتولد من صفو الارض والماء فالانسان في الحقيقة يكون متولدا من سلالة من طين ثم ان تلك السلالة بعد ان تواردت عليها اطوار الخلقة وادوار الفطرة صارت منيا قوله تعالى من سلالة فيه وجهان اظهرهما ان يتعلق بخلقنا ومن لابتداء الغاية والثاني ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الانسان والسلالة فعالة وهو بناء يدل على القلة كالقلامة وهي من سللت الشي من الشي اي استخرجته منه ومنه قولهم هو سلالة ابيه كانه انسل من ظهره وانشد

فجات به عضب الاديم غضنفرا • سلالة فرج كان غير حصين •

وقال امية بن ابي الصلت • خلق البرية من سلالة منتن • والى السلالة كلها سعود

وقال عكرمة هو الماء يسيل من الظهر والعرب تسمي النطفة سلالة والولد سليلا وسلالة لانهما مسلولان وقال الزمخشري السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وهذه الجملة جواب قسم محذوف اي والله لقد خلقنا وعطفت على الجملة قبلها لما بينهما من المناسبة وهو انه لما ذكر ان المتصفين بتلك الاوصاف يرثون الفردوس فتضمن ذلك المعاد والاخروي ذكر النشاة الاولى ليستدل بها على المعاد فان الابتداء في العادة اصعب من الاعادة كقوله وهو اهون عليه وهذا احسن من قول ابن عطية هذا ابتداء كلام والواو في اوله عاطفة جملة كلام على جملة كلام وان تباينتا في المعنى وقد تقدم بيان وجه المناسبة قوله من طين في من وجهان احدهما انها لابتداء الغاية والثاني انها لبيان الجنس قال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين من ومن قلت الاولى للابتداء والثانية للبيان كقوله من الاوثان قال ابو حيان ولا يكون للبيان الا اذا قلنا ان السلالة هي الطين اما اذا قلنا انه من انسل من الطين فمن لابتداء الغاية وفيما يتعلق به من هذه ثلاثة اوجه احدها انها تتعلق بمحذوف اذ هي صفة لسلالة الثاني انها تتعلق بنفس سلالة لانها بمعنى مسلولة الثالث انها تتعلق بخلقنا لانها بدل من الاولى اذا قلنا ان السلالة هي نفس الطين قوله ثم جعلناه نطفة في هذا الضمير قولان احدهما انه يعود للانسان فان اريد غير ادم فيكون على حذف مضاف ايضا ويويده قوله تعالى وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين هو صالح للاصل والفرع او عاد الضمير على الانسان اللايق به ذلك وهو نسل ادم فلفظ الانسان من حيث هو صالح للاصل والفرع ويعود كل شي لما يليق به واليه نحا الزمخشري قوله تعالى في قرار يجوز ان يتعلق بالجعل وان يتعلق بمحذوف على انه صفة لنطفة والقرار المستقر وهو موضع الاستقرار والمراد بها الرحم ووصفت بها المكانة التي هي صفة المستقر فيها لاحد معنيين اما على المجاز كطريق ساير وانما الساير من فيه واما لمكانتها في نفسها لانها تمكنت بحيث هي واحرزت ومعنى جعل الانسان نطفة انه خلق جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل قرارا مكينا لهذه النطفة يتخلق فيه الى ان تصير انسانا قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة وما بعدها ضمن خلق معنى جعل التصييرية فتعدت لاثنين كما يضمن جعل معنى خلق فيتعدى لواحد نحو وجعل الظلمات والنور والمعنى حولنا النطفة عن صفاتها الى صفات العلقة وهي الدم الجامد فخلقنا العلقة مضغة اي جعلنا ذلك الدم الجامد مضغة اي قطعة لحم كانها مقدار ما يمضغ كالغرفة وهو ما يغترف وسمي التحويل خلقا لانه تعالى يفني بعض اعراضها ويخلق اعراضا غيرها

تسمي خلق الاعراض خلقها كانه سبحانه يخلق فيها اجزا زايدة قوله فخلقنا المضغة عظاما اي صيرناها كذلك وقرا العامة عظاما والعظام بالجمع فيهما وابن عامر وابو بكر عن عاصم عظما والعظم بالافراد فيهما والسلمي والاعرج والاعمش بافراد الاول وجمع الثاني وابو رجاء ومجاهد وابراهيم ابن ابي بكر بجمع الاول وافراد الثاني عكس ما قبله فالجمع على الاصل لانه مطابق لما يراد به والافراد للجنس كقوله والملك صفا وكقوله وهن العظم مني وقال الزمخشري وضع الواحد موضع الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة قال ابو حيان وهذا عند سيبويه واصحابه لا يجوز الا في ضرورة وانشدوا • كلوا في بطن بعضكم تعفوا •

وان كان معلوما ان كل واحد له بطن قال شهاب الدين ومثله • لا تنكروا القتل وقد سبينا في حلقكم عظم وقد شجينا •

يريد في حلوقكم ومثله قول الاخر • بها جيف الحسرى فاما عظامها • فبيض واما جلدها فصليب •

يريد جلودها ومنه وعلى سمعهم قوله فكسونا العظام لحما اي البسنا لان اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة لها قيل بين كل خلقتين اربعون يوما ثم انشاناه خلقا اخر اي خلقا مباينا للخلق الاول مباينة ما بعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل جزء من اجزايه عجايب فطرة وغرايب حكمة لا يحيط بها وصف الواصفين قال ابن عباس ومجاهد والشعبي وعكرمة والضحاك وابو العالية المراد بالخلق الاخر هو نفخ الروح فيه وقال قتادة نبات الاسنان والشعر وروى ابن جريج عن مجاهد انه استوا الشباب وعن الحسن قال ذكرا او انثى وروى العوفي عن ابن عباس ان ذلك تصريف احواله بعد الولادة من الاستهلال الى الارتضاع الى القعود الى القيام الى المشي الى ان ياكل ويشرب الى ان يبلغ الحلم وخلق الفهم والعقل وينقلب في البلاد الى ما بعدها الى ان يموت قالوا وفي هذه الاية دلالة على بطلان قول النظام ان الانسان هو الروح لا البدن فانه سبحانه بين ان الانسان هو المركب من هذه الاشيا وفيها دلالة ايضا على بطلان قول الفلاسفة الذين يقولون ان الانسان شي لا ينقسم وانه ليس بجسم ثم قال فتبارك الله اي فتعالى الله لان البركة يرجع معناها الى الامتداد والزيادة وكل ما زاد على الشي فقد علاه ويجوز ان يكون المعنى البركات والخيرات كلها من الله وقيل اصله من البروك وهو الثبات فكانه قال البقا والدوام والبركات كلها منه فهو المستحق للتعظيم والثنا بانه لم يزل ولا يزال احسن الخالقين المصورين والمقدرين والخلق في اللغة التقدير قال زهير • ولانت تفري ما خلقت • وبعض القوم يخلق ثم لا يفري •

قوله احسن الخالقين فيه ثلاثة اوجه احدها انه بدل من الجلالة الثاني انه نعت للجلالة وهو اولى مما قبله لان البدل بالمشتق يقل الثالث ان يكون خبر مبتدا مضمر اي هو احسن والاصل عدم الاضمار وقد منع ابو البقاء ان يكون وصفا قال لانه نكرة وان اضيف لان المضاف اليه عوض من من وهكذا جميع افعل منك قال شهاب الدين وهذا بناه على احد القولين في افعل التفضيل اذا اضيف هل اضافته محضة ام لا والصحيح الاول والمميز لافعل محذوف لدلالة المضاف اليه عليه اي احسن الخالقين الذين هم جمع فحمله على عيسى خاصة لا يصح والثاني انه اذا صح وصف عيسى بانه يخلق صح ان غيره سبحانه يخلق ويصح ايضا وصف غيره من المصورين بانه يخلق واجيب بان هذه الاية معارضة بقوله الله خالق كل شي فوجب حمل هذه الاية على انه احسن الخالقين في اعتقادكم وظنكم كقوله وهو اهون عليه وجواب ثان وهو ان الخالق هو المقدر لان الخلق هو التقدير فالاية تدل على انه تعالى احسن المقدرين والتقدير يرجع معناه الى الظن والحساب وذلك في حق الله تعالى محال فتكون الاية من المتشابه وجواب ثالث ان الاية تقتضي كون العبد خالقا بمعنى كونه مقدرا لكن لم قلت انه خالق بمعنى كونه موجدا

فصل

قالت المعتزلة الاية تدل على ان كل ما خلقه الله حسن وحكمة وصواب والا لما جاز وصفه بانه احسن الخالقين واذا كان كذلك وجب ان لا يكون خالقا للكفر والمعصية فوجب ان يكون العبد هو الموجد لها واجيب من الناس من حمل الحسن على الاحكام والاتقان في التركيب والتاليف ثم لو حملناه على ما قالوه فعندنا انه يحسن من الله كل الاشيا لانه ليس فوقه

امرؤ بني حتى يكون ذلك مانعا له عن فعل شي **فصل** وروي الكلبي عن ابن عباس ان
عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب هذه الايات لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهي
الى قوله خلقا اخر عجب من ذلك فقال فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اكتب فهكذا انزلت فشك عبد الله وقال ان كان محمد صادقا فيما يقول فانه يوحي الي كما يوحي
اليه وان كان كاذبا فلا خير في دينه فهرب الى مكة فقيل انه مات على الكفر وقيل انه اسلم يوم الفتح
وروي سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية قال عمر بن الخطاب فتبارك الله
احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزل يا عمر وكان عمر يقول وافقني ربي
في اربع الصلاة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولي لهن او ليبدلنه الله خيرا منكن فنزل
قوله عسى ربه ان طلقكن والرابع قوله فتبارك الله احسن الخالقين قال العارفون هذه الواقعة
كانت من اسباب السعادة لعمر وسبب الشقاوة لعبد الله كما قال تعالى يضل به كثيرا فان قيل
فعلى كل الروايات فقد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القران وذلك يقدح في كونه معجزا كما ظنه عبد الله
فالجواب هذا غير مستبعد اذا كان قدره القدر الذي لا يظهر فيه الاعجاز فسقطت شبهة عبد الله
قوله ثم انكم بعد ذلك لميتون اي بعدما ذكر ولذلك افرد اسم الاشارة وقرا العامة لميتون وزيد
ابن علي وابن ابي عبلة وابن محيصن لمايتون والفرق بينهما ان الميت يدل على الثبوت والاستقرار
والمايت على الحدوث كضيق وضايق وفرح وفارح فيقال لمن سيموت ميت ومايت ولمن مات
ميت فقط دون مايت لاستقرار الصفة وثبوتها وسياتي مثله في الزمر انك ميت قال الله تعالى فان
قيل الموت لم يختلف فيه اثنان وكم من مخالف في البعث فلم اكد المجمع عليه ابلغ تاكيد وترك المختلف
فيه من تلك المبالغة في التاكيد فالجواب ان البعث لما تظاهرت ادلته وتظافرت ابرز في صورة
المجمع عليه المستغني عن ذلك وانهم لما لم يعملوا للموت ولم يهتموا باموره نزلوا منزلة من ينكره فابرز
لهم في صورة المنكر الذي استبعده كل استبعاد وكان ابو حيان سئل عن ذلك فاجاب بان اللام
غالبا تخلص المضارع للحال ولا يمكن دخولها في يبعثون لانه مخلص للاستقبال لعمله في الظرف
المستقبل واعترض على نفسه بقوله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فان اللام دخلت على المضارع
العامل في ظرف مستقبل وهو يوم القيمة فاجاب بانه خرج هذا بقوله غالبا او بان العامل في يوم
القيمة مقدر وفيه نظر اذ فيه تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه وبعد ذلك متعلق بميتون ولا يمنع
لام الابتدا من ذلك **قوله** تعالى ثم انكم يوم القيمة تبعثون جعل الاماتة التي هي اعدام الحياة
والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين على اقتدار عظيم بعد الانشا والاختراع فان
قيل ما الحكمة في الموت وهي لا وصل لنعيم الاخرة وثوابها بنعيم الدنيا فيكون ذلك في الانعام ابلغ
فالجواب هذا كالمفسدة في حق المكلفين لانه متى جعل للمرء الثواب فيما يتحمله من المشقة في الطاعة
صار اتيانه بالطاعات لاجل تلك المنافع لا لاجل طاعة الله بدليل انه لو قيل لمن يصوم ويصلي
اذا فعلت ذلك ادخلناك الجنة في الحال فانه لا ياتي بذلك الفعل الا لطلب الجنة فلا جرم اخره
وبعده بالامانة وهو الاعادة ليكون العبد عابدا لطاعته لا لطلب الانتفاع فان قيل هذه الاية
تدل على نفي عذاب القبر لانه قال ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون ولم يذكر بين
الامرين الاحيا في القبر والاماتة فالجواب من وجهين الاول انه ليس في ذكر الحياتين نفي الثالثة
والثاني ان الغرض من ذكر هذه الاجناس الثلاثة الاحيا والاماتة والاعادة والذي ترك ذكره
فهو من جنس الاعادة **قوله** تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق الاية اي سبع سموات سميت
طرائق لتطارقها وهو ان بعضها فوق بعض يقال طارقت الفعل اذا اطبق النعل على نعل
تطارق بين الثوبين اذا لبس ثوبا على ثوب قاله الخليل والزجاج والفرا قال الزجاج هو
كقوله سبع سموات طباقا وقال علي بن عيسى سميت بذلك لانها طرائق الملايكة في العروج
والهبوط وقيل لانها طرائق الكواكب في مسيرها والوجه في انعامه علينا بذلك انه جعلها موضعا
لارزاقنا بانزال الما منها وجعلها مقرا للملايكة ولانها موضع الثواب ومكان ارسال الانبيا ونزول
الوحي قوله وما كنا عن الخلق غافلين اي بل كنا لهم حافظين من ان تسقط عليهم الطرائق السبع
فتهلكهم وهذا قول سفين بن عيينة وهو كقوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
وقوله ويمسك السما ان تقع على الارض الا باذنه وقال الحسن انا خلقناها فوقهم ليدل عليهم

بالارزاق والبركات منها وقيل خلقنا هذه الاشيا دلالة على كمال قدرتنا ثم بين كمال العلم بقوله
وما كنا عن الخلق غافلين يعني عن اعمالهم واقوالهم وضمايرهم وذلك يفيد نهاية الزجر وقيل
وما كنا عن خلق السموات غافلين بل نحن لها حافظين لئلا يخرج عن التقدير الذي اردناها عليه
كقوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت واعلم ان هذه الايات دالة على مسايل منها انها تدل على
وجود الصانع فان انقلاب هذه الاجسام من صفة الى صفة اخرى تضاد الاولى مع امكان بقايها
على الصفة الاولى تدل على انه لا بد من مغير ومنها انها تدل على فساد القول بالطبيعة فان شيا
من تلك الصفات لو حصلت بالطبيعة لوجب بقاوها وعدم تغيرها ولو قيل انما تغيرت تلك
الصفات لتغير تلك الطبيعة افتقرت تلك الطبيعة الى خالق وموجد ومنها انها تدل على انه
عالم بكل المعلومات قادر على كل الممكنات ومنها انها تدل على جواز الحشر والنشر بصريح الاية
وكان الفاعل لما كان قادرا على اعادة التركيب الى تلك الاجزاء كما كانت ومنها ان معرفة الله يجب
ان تكون استدلالية لا تقليدية والا لكان ذكر هذه الدلايل عبثا قوله تعالى وانزلنا من
السما ما بقدر الاية لما استدل اولا على كمال القدرة بخلق الانسان ثم استدل ثانيا بخلق السموات
استدل ثالثا بنزول الامطار وكيفية تاثيرها في النبات واعلم ان الما في نفسه نعمة وهو مع ذلك
سبب لحصول النعم فلا جرم ذكره الله اولا ثم ذكر ما يحصل به من النعم ثانيا قال اكثر المفسرين
انه تعالى ينزل الما في الحقيقة من السما لظاهر الاية ولقوله وفي السما رزقكم وما توعدون
وقال بعضهم المراد بالسما السحاب وسماه سما لعلوه والمراد ان الله صعد الاجزا المايية من
من قعر الارض ومن البحار الى السما حتى صارت عذبة صافية بسبب ذلك التصعيد ثم ان تلك
الذرات تاتلف وتتكون ثم ينزله الله على قدر الحاجة اليه ولولا ذلك لم ينتفع بتلك المياه لتفرقها
في قعر الارض ولا بما البحار لملوحته ولانه لا حيلة في اجرا مياه البحار على وجه الارض لان البحار هي
الغاية في العمق وهذه الوجوه انما يتحملها من ينكر الفاعل المختار فاما من اقر به فلا حاجة به الى
شي منها وقوله بقدر قال مقاتل بقدر ما يكفيهم للمعيشة من الزرع والغرس والشرب ويسلمون
معه من المضرة وقوله فاسكناه في الارض قيل جعلناه ثابتا في الارض قال ابن عباس انزل الله تعالى
من الجنة خمسة انهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل ثم انزلها من عين واحدة من
عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام ثم استودعها الجبال
واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله تعالى وانزلنا من السما ما بقدر فاسكناه
في الارض ثم يرفعها عند خروج ياجوج وماجوج ويرفع ايضا القران والعلم كله والحجر الاسود من
ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه فيرفع كل ذلك الى السما فذلك قوله تعالى وانا على
ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشيا من الارض فقد اهلها خير الدنيا والدين وقيل معنا
فاسكناه في الارض ما يبقى في الغدران والمستنقعات ينتفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر
وقيل فاسكناه في الارض ثم اخرجنا منها في الارض ينابيع فما في الارض كله من السما قوله تعالى وانا على
ذهاب به لقادرون على ذهاب متعلق بلقادرون واللام كما تقدم غير مانعة من ذلك وبه متعلق
بذهاب وهي مرادفة للهمزة كهي في لذهب بسمعهم اي على اذهابه والمعنى كما قدرنا على انزاله فكذلك
نقدر على رفعه وازالته فتهلكوا عطشا وتهلك مواشيكم وتخرب ارضيكم قال الزمخشري قوله على
ذهاب به من اوقع النكرات واحزها للفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه
وفيه ايذار بكمال اقتدار المذهب وانه لا يتعسر عليه شي وهو ابلغ في الايعاد من قوله قل ارايتم ان اصبح
ماوكم غورا فمن ياتيكم بما معين واعلم انه تعالى لما نبه على عظيم نعمته بخلق الما ذكر بعده النعم الحاصلة
من الما فقال فانشانا لكم به اي بالما جنات من نخيل واعناب وانما ذكر النخيل والاعناب لكثرة
منافعها فانهما يقومان مقام الطعام والادام والفاكهة رطبا ويابسا وقوله لكم فيها فواكه
كثيرة اي في الجنات فكما ان فيها النخيل والاعناب فيها الفواكه الكثيرة ومنها تاكلون شتا وصيفا
قال الزمخشري يجوز ان يكون هذا من قولهم فلان ياكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يعملها يعنون
انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم قوله
وشجرة عطف اي ومما انشانا لكم شجرة وقريت مرفوعة على الابتدا وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو
سينا بكسر السين والباقون بفتحها والاعمش لذلك الا انه قصرها فاما القراة الاولى فالهمزة فيها

ليست للتانيث اذ ليس في الكلام فعلا بكسر الاول وهمزته للتانيث بل للالحاق بسرداح وقرطاس فهي كعلبا فتكون الهمزة منقلبة عن يا او واو لان الالحاق يكون بهما فلما وقع حرف العلة متطرفا بعد الف زايدة قلبت همزة كرداء وكساء قال الفارسي وهي التاء التي ظهرت في درجاية والدرحاية الرجل القصير السمين وجعل ابو البقا هذه الهمزة اصلية فقال والهمزة على هذا اصل مثل حملاق وليست للتانيث اذ ليس في الكلام سينا يعني مادة سين ونون وهمزة وهذا بخلاف لما تقدم من كونها بدلا من زايد ملحق بالاصل على ان كلامه محتمل للتاويل الي ما تقدم وعلى هذا امتنع الصرف للتعريف والتانيث لانها اسم بقعة بعينها وقيل للتعريف والعجمة قال بعضهم والصحيح ان سينا اسم اعجمي نطقت به العرب فاختلفت فيه لغاتها فقالوا سيناء كحمراء وصفراء وسيناء كعلباء وحرباء وسينين كخندريس وزنجبيل والجنديد الفحل والخصي ايضا فهو من الاضداد وهو ايضا راس الجبل المرتفع والرحليل المنتحي من رحل اذا انتحي وقال الزمخشري طور سينا وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف فيه الطور الي بقعة اسمها سينا وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرء القيس وكبعلبك فيمن اضاف فمن كسر سين سينا يعني مادة سين ونون وهمزة وهذا مخالف لما تقدم من كونها بدلا من زايد ملحق بالاصل على ان كلامه محتمل للتاويل الي ما تقدم وعلى هذا امتنع الصرف للتعريف والتانيث لانها اسم بقعة بعينها وقيل للتعريف والعجمة سينا والتانيث لانها بقعة وفعلا لا يكون الفه للتانيث كعلباء وحرباء قال شهاب الدين وكون الف فعلا بالكسر ليست للتانيث هو قول اهل البصرة واما الكوفيون فعندهم ان الفها تكون للتانيث فهي عندهم ممنوعة للتانيث اللازم كحمراء وبابها وكسر السين من سينا لغة كنانية واما القراءة الثانية فالفها للتانيث فمنع الصرف واضح قال ابو البقا وهمزته للتانيث اذ ليس في الكلام فعلال بالفتح وما حكي الفراء من قولهم ناقة فيها خزعال لا يثبت وان ثبت فهو شاذ لا يحمل عليه وقد وهم بعضهم فجعل سينا مشتقة من السنا والسناء ولا يصح ذلك لوجهين احدهما انه ليس عربي الوضع نصوا على ذلك كما تقدم الثاني انا وان سلمنا انه عربي الوضع لكن المادتان مختلفتان فان عين السنا نون وعين سينا يا كذا قال بعضهم وفيه نظر اذ لقايل ان يقول لا نسلم ان عين سينا يا بل عينها نون وياوها مزيدة وهمزتها منقلبة عن واو كما قلبت السناء ووزنها حينيذ فيعال وفيعال موجود في كلامهم كميلاع وقيتال مصدر قاتل قوله تنبت قرا ابن كثير وابو عمرو وتنبت بضم التاء وكسر الباء والباقون بفتح التاء وضم الباء فاما الاولي ففيها ثلاثة اوجه احدها ان انبت بمعني نبت فهو مما اتفق فيه فعل وافعل وانشدوا الزهير

رايت ذوي الحاجات عند بيوتهم ۞ قطينا بها حتى اذا انبت البقل

وانكره الاصمعي اي نبت الثاني ان الهمزة للتعدية والمفعول محذوف لفهم المعني اي تنبت ثمرها او جناها وبالدهن حال اي ملتبسا بالدهن الثالث ان البا مزيدة في المفعول به كهي في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم وقول الاخر

سود المحاجر لا يقران بالسور ۞

وقول الاخر

يضرب بالسيف ويرجوا بالفرج ۞

واما القراءة الاخري فواضحة والبا للحال من الفاعل اي ملتبسة بالدهن يعني وفيها الدهن كما يقال ركب الامير بجنده وقرا الحسن والزهري وابن هرمز تنبت مبنيا للمفعول من انبتها الله وبالدهن حال من المفعول القايم مقام الفاعل اي ملتبسة بالدهن وقرا زر بن حبيش تنبت بالدهن من انبتت وسقوط البا هنا تدل على زيادتها في قراءة من انبتها والاشهب وسليمان بن عبد الملك بالدهان وهو جمع دهن كرمح ورماح واما قراءة ابي سمر وعبد الله تخرج فتفسير لا قراءة لمخالفة السواد والدهن عصارة ما فيه دسم والدهن بالفتح المسح بالدهن مصدر دهن يدهن والمداهنة من ذلك كانه يمسح علي صاحبه ليقر خاطره

فصل اختلفوا في طور سينا وفي طور سينين فقال مجاهد معناه البركة اي من جبل مبارك وقال قتادة معناه الحسن اي الجبل الحسن وقال الضحاك معناه بالنبطية الحسن وقال عكرمة بالحبشة وقال الكلبي معناه المشجر اي جبل وشجر وقيل هو بالسريانية الملتف بالاشجار وقال مقاتل كل جبل فيه اشجار مثمرة فهو سينا وسينين بلغة النبط وقال

ابن

ابن زيد هو الجبل الذي نودي منه موسي بين مصر وايلة وقال مجاهد سينا اسم حجارة بعينها اضيف الجبل اليها لوجودها عنده والمراد بالشجرة التي تنبت بالدهن اي تثمر الدهن وهو الزيتون قال المفسرون وانما اضافه الله الي هذا الجبل لان منها تشعبت في البلاد وانتشرت ولان معظمها هناك قوله وصبغ العامة على الجر عطفا على بالدهن والاعمش وصبغا بالنصب نسقا على موضع بالدهن كقراءة وارجلكم في احد محتملاته وعامر بن عبد الله وصباغ بالالف وكانت هذه القراءة مناسبة لقراءة من قرا بالدهان والصبغ والصباغ كالدبغ والدباغ وهو اسم ما يفعل به قال الزمخشري هو ما يصطبغ به اي يصبغ به الخبز ولا كلين صفة والمعني ادام للاكلين فنبه تعالى علي احسانه بهذه الشجرة لانها تخرج هذه الثمرة التي يكثر الانتفاع بها وهي طرية ومدخرة وبان تعصر فيظهر الزيت منها وتعظم وجوه الانتفاع به قوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة الاية لما ذكر النعم الحاصلة من الماء والنبات ذكر بعده النعم الحاصلة من الحيوانات فذكر ان فيها عبرة مجملا ثم فصله من اربعة اوجه احدها قوله نسقيكم مما في بطونها والمراد منه جميع وجوه الانتفاع ووجه الاعتبار فيه انها تجتمع في الضروع وتخلص من بين الفرث والدم باذن الله فتستحيل الي طهارة ولون وطعم موافق للشهوة وتصير غذاء وايضا فهذه الالبان التي تخرج من بطونها اذا ذبحت لم يجد لها اثرا وذلك دليل على عظم قدرة الله وتقدم الكلام في نسقيكم في النحل وقري تسقيكم بالتاء من فوق مفتوحة اي تسقيكم الانعام وثانيها قوله ولكم فيها منافع اي بالبيع والانتفاع باثمانها وثالثها قوله ومنها تاكلون اي كما تنتفعون بها وهي حية تنتفعون بها بعد الذبح بالاكل ورابعها قوله وعليها وعلى الفلك تحملون اي على الابل في البر وعلى الفلك في البحر ولما بين دلايل التوحيد اردفها بالقصص كما هو العادة في ساير السور **قوله** تعالى ولقد ارسلنا نوحا الي قومه الايات قيل كان نوح اسمه يشكر ثم سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه حين دعا على قومه بالهلاك فاهلكهم الله بالطوفان فندم على ذلك وقيل لمراجعة ربه في شان ابنه وقيل لانه مر بكلب مجذوم فقال له اخسا يا قبيح فعوتب على ذلك وقال الله تعالى اعبتني اذ خلقته ام عبت الكلب وهذه وجوه متكلفة لان الاعلام لا تفيد صفة في المسمي قوله يا قوم اعبدوا الله وحدوه ما لكم من اله غيره اي ان عبادة غير الله لا تجوز اذ لا اله سواه وقري غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ ثم انه لما لم ينفع فيهم الدعا واستمروا على عبادة غير الله حذرهم بقوله افلا تتقون وزجرهم وتوعدهم باتقا العقوبة ليصرفوا عما هم عليه ثم انه تعالى حكي عنهم شبهتهم في انكار نبوة نوح عليه السلام وهي قوله ما هذا الا بشر مثلكم وهذه الشبهة تحتمل وجهين احدهما ان يقال انه لما كان ساير الناس في القوة والفهم والعلم والغنى والفقر والصحة والمرض سوا امتنع كونه رسولا لله لان الرسول لابد وان يكون معظما عند الله وحبيبا له والحبيب لابد وان يختص من غير الحبيب بمزيد الدرجة والعزة فلما انتفت هذه الاشيا علمنا انتفاء الرسالة والثاني ان يقال ان هذا الانسان مشارك لكم في جميع الامور ولكنه احب الرياسة والمتبوعة فلم يجد اليها سبيلا الا بادعاء النبوة فصار ذلك شبهة لهم في القدح في نبوته ويؤكد هذا الاحتمال قوله يريد ان يتفضل عليكم اي يطلب الفضل عليكم ويراسكم الشبهة الثانية قولهم ولو شا الله لانزل ملايكة اي ولو شا الله ان لا نعبد سواه لانزل ملايكة بابلاغ الوحي لان بعثة الملايكة اشد افضاء الي المقصود من بعثة البشر لان الملايكة لعلو شانهم وشدة سطوتهم وكثرة علومهم ينقاد الخلق اليهم ولا يشكون في رسالتهم فلما لم يفعل ذلك علمنا انه ما ارسل رسولا الشبهة الثالثة قولهم ما سمعنا بهذا في ابايينا الاولين فقولهم بهذا اشارة الي نوح عليه السلام ببشريته رسولا او بهذا الذي يدعوا اليه نوح وهو عبادة الله وحده لان اباهم كانوا يعبدون الاوثان وذلك انهم كانوا لا يعولون في شي من مذاهبهم الا على التقليد والرجوع الي قول الاباء فلما لم يجدوا في نبوة مثل نوح عليه السلام هذه الطريقة حكموا بفسادها الشبهة الرابعة قولهم ان هو الا رجل به جنة اي جنون وهذه الشبهة من باب الترويج على العوام لانه عليه السلام كان يفعل افعالا على خلاف عاداتهم فكان الروسا يقولون للعوام انه مجنون فكيف يجوز ان يكون رسولا الشبهة الخامسة قولهم فتربصوا به حتى حين وهذا يحتمل ان يكون متعلقا بما قبله اي انه مجنون فاصبروا الي زمان يظهر عاقبة امره فان افاق والا فاقتلوه ويحتمل ان يكون كلاما مستانفا وهو ان يقولوا لقومهم اصبروا فانه وان كان نبيا حقا فالله ينصره ويقوي امره

فحينئذ يتبعه وان كان كاذبا فالله يخذله ويبطل امره فحينئذ نستريح منه واعلم انه تعالى لم يذكر
الجواب عن هذه الشبه لركاكتها ووضوح فسادها لان كل عاقل يعلم ان الرسول لا يصير رسولا
لكونه من جنس الملك وانما يصير رسولا بتميزه عن غيره بالمعجزات فسوا كان من جنس الملك
او من جنس البشر فعند ظهور المعجز عليه يجب ان يكون رسولا بل جعل الرسول من البشر اولى لما تقدم
من ان الجنسية مظنة الالفة والموانسة واما قولهم يريد ان يتفضل عليكم فان ارادوا ارادته لاظهار
فضله حتى يلزمهم الانقياد لطاعته فهذا واجب في الرسول وان ارادوا انه يترفع عليهم على سبيل
التكبر فالانبيا منزهون عن ذلك واما قولهم ما سمعنا بهذا فهو استدلال بعدم التقليد لا يدل
على وجود الشي فعدمه من اين يدل على عدمه واما قولهم به جنة فكذبوا لانهم كانوا يعلمون بالضرورة
كمال عقله واما قولهم فتربصوا فضعيف لانه ان ظهرت الدلالة على نبوته وهي المعجزة وجب عليهم
قبول قوله في الحال ولا يجوز توقيف ذلك الى ظهور دولته لان الدولة لا تدل على الحقية وان لم
يظهر المعجز لم يجز قبول قوله سوا ظهرت الدولة او لم تظهر قوله قال رب انصرني بما كذبون
اي اعني على هلاكهم بتكذيبهم اياي كانه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي وقيل انصرني بدل
ما كذبون كما تقول هذا بذاك اي بدل ذاك ومكانه وقيل انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب
وهو ما كذبوه حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم فلما اجاب الله دعاه قال
فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا اي بحفظنا وكلاتنا كان معه من الله حفاظ يكلوونه
بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه عمله قيل كان نوح نجارا وكان عالما بكيفية اتخاذ
وقيل ان جبريل عليه السلام علمه عمل السفينة وهذا هو الاقرب لقوله باعيننا ووحينا فاذا
جا امرنا واعلم ان لفظ الامر كما هو حقيقة في طلب الفعل بالقول على سبيل فكذا هو حقيقة
في الشان العظيم لان قولك هذا امر تردد الذهن بين المفهومين فدل ذلك على كونه حقيقة
فيهما وقيل انما سماه امرا تعظيما وتفخيما كقوله قال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قوله
وفار التنور تقدم الكلام في التنور في سورة هود فاسلك فيها اي ادخل فيها يقال سلك
فيه دخله وسلك غيره واسلكه من كل زوجين اثنين اي من كل زوجين من الحيوانات الذي
يحضر في الوقت اثنين الذكر والانثى كي لا ينقطع نسل ذلك الحيوانات وكل واحد منهما زوج لا
كما يتوله العامة ان الزوج هو الاثنان روي انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض وقري من كل بالتنوين
واثنين تاكيد وزيادة بيان واهلك اي وادخل اهلك الا من سبق عليه القول ولفظ على انما
يستعمل في الضار قال تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وهذه الاية تدل على امرين احدهما
انه تعالى امره بادخال سائر من امن به وان لم يكن من اهله وقيل المراد باهله من امن دون
من يتصل به نسبا او سببا وهذا ضعيف والا لما جاز الاستثنا بقوله الا من سبق عليه القول والثاني
قال ولا تخاطبني في الذين ظلموا يعني كنعان فانه سبحانه لما اخبر باهلاكهم وجب ان ينهاه
عن ان يسائله في بعضهم لانه ان اجابه اليه فقد صير خبره الصادق كذبا وان لم يجبه اليه كان
ذلك تحقيرا لشان نوح عليه السلام فلذلك قال انهم مغرقون اي الغرق نازل بهم لا محالة
قوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك على الفلك اعتدلت انت ومن معك على الفلك
قال ابن عباس كان في السفينة ثمانون انسانا نوح وامراته سوى التي غرقت وثلاث
بنين سام وحام ويافث وثلاث نسوة لهم واثنان وسبعون انسانا فكل الخلايق نسل
من كان في السفينة روي سعيد بن المسيب عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ولد لنوح ثلاثة اولاد سام وحام ويافث فاما سام فابو العرب وفارس والروم
واما يافث فابو ياجوج والخزر واما حام فابو هذه الجلدة السودا وياجوج وماجوج
بنو عم الترك قال ابن الجوزي ولد لحام كوش ونبرش وموعح وبوان وولد لكوش نمرود
وهو اول الجبابرة ملك بعد الطوفان ثلثمائة سنة وعلى عهده قسمت الارض وتفرق
الناس واختلفت الالسن ونمرود ابراهيم الخليل ومن ولد نبرش الحبر ومن ولد موعح
ياجوج وماجوج ومن ولد بوان الصقالبة والنوبة والحبشة والهند والسند ولما اقتسم
اولاد نوح الارض نزل بنو حام مجرى الجنوب والدبور فجعل الله فيهم الادمة وبياضا
قليلا وعمر اكثر الارض وروي ان فالغ بن عابر قسم الارض بين اولاد نوح فنزل بنو سام

سرة

سرة الارض فكانت فيهم الادمة والبياض ونزل بنو يافث مجرى الشمال والصبا فكانت فيهم الحمرة
والشقرة ونزل بنو حام مجرى الجنوب والدبور فتغيرت الوانهم روي ابن شهاب قال قيل لعيسى
ابن مريم عليه السلام احيي حام بن نوح فقال اروني قبره فاروه فقام فقال يا حام بن نوح احيا
باذن الله عز وجل فلم يخرج ثم قالها الثانية فخرج واذا شق راسه ولحيته ابيض فقال ما هذا قال
سمعت الدعا الاول فظننت انه من الله تعالى فشاب له شقي ثم سمعت الدعا الثاني فعلمت انه من
الدنيا فخرجت قال مذكم مت قال منذ اربعة الاف سنة ما ذهبت عني سكرة الموت حتى الان
وروي ان الذي احياه عيسى بن مريم سام بن نوح والله اعلم وروي عن المغيرة بن هلال قال
الارض اربعة وعشرون الف فرسخ فاثنا عشر الف للسودان وثمانية للروم وثلاثة للفرس والف
للعرب وقال مجاهد ربع من لا يلبس الثياب من السودان مثل جميع الناس قوله تعالى فقل
الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين الكافرين وانما قال فقل ولم يقل فقولوا لان نوحا كان
نبيا لهم وامامهم فكان قوله قولا لهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبريا الربوبية
وان رتبة ذلك المخاطب لا يترقى اليها الا ملك او نبي قال قتادة علمكم الله ان تقولوا عند
ركوب السفينة بسم الله مجراها ومرساها وعند ركوب الدابة سبحان الذي سخر لنا هذا وعند
النزول وقل رب انزلني منزلا مباركا قال الانصاري وقال لنبينا وقل رب ادخلني مدخل صدق
واخرجني مخرج صدق وقال واذا قرات القران فاستعذ بالله فكانه تعالى امرهم بان لا يغفلوا
عن ذكره في جميع احوالهم قوله وقل رب انزلني منزلا مباركا قرا ابو بكر بفتح ميم منزلا وكسر
الزاي والمنزل والمنزل كل منهما يحتمل ان يكون اسم مصدر وهو الانزال والنزول وان يكون
اسم مكان النزول او الانزال الا ان العباس منزلا بالضم والفتح لقوله انزلني واما الفتح والكسر
فعلى نيابة مصدر الثلاثي مناب مصدر الرباعي كقوله انبتكم من الارض نباتا وتقدم نظيره
في مدخل ومدخل في سورة النسا واختلفوا في المنزل فقيل نفس السفينة وقيل بعد خروجه
من السفينة منزلا من الارض مباركا والاول اقرب لانه امر بهذا الدعا حال استقراره فيكون
هو المنزل دون غيره ثم قال وانت خير المنزلين وذلك ان الانزال في الامكنة قد يقع من غير
الله كما يقع من الله لانه يحفظ من انزله في سائر احواله ثم بين تعالى ان فيما ذكر من قصة نوح
وقومه ايات دلالات وعبر في الدعا الى الايمان والزجر عن الكفر فان اظهار تلك المياه العظيمة
ثم اذهابها لا يقدر عليه الا القادر على كل المقدورات وظهور تلك الواقعة على وفق قول نوح
عليه السلام يدل على المعجز العظيم وافنا الكفار وبقا الارض لاهل الطاعة من اعظم انواع
العبر قوله وان كنا لمبتلين ان مخففة واللام فارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا وتقدم
ذلك مرارا فعلى الاول معناه وقد كنا وعلى الثاني ما كنا الا مبتلين فيجب على كل مكلف
ان يعتبر بهذا الذي ذكرناه وقيل المراد لعاقبتن من كذب الانبيا وسلك مثل طريقة قوم نوح
وقيل المراد كما عاقب بالغرق من كذب فقد يمتحن من لم يكذب على وجه المصلحة لا على وجه
التعذيب لكي لا يقدر ان كل الغرق يجري على واكثر المفسرين هذه قصة هود لقوله تعالى
حكاية عن هود واذكروا اذ جعلكم خلفا من بعد قوم نوح ومجي قصة هود عقيب قصة نوح
في سورة الاعراف وهود والشعرا وقال بعضهم هي قصة صالح لان قومه الذين كذبوهم هم
الذين هلكوا بالصيحة وتقدم كيفية الدعوة في قصة نوح قوله تعالى فارسلنا فيهم قال
الزمخشري فان قلت حق ارسل ان يعدى بالى كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث فما باله
عدي في القران بالى تارة وبفي اخرى كقوله كذلك ارسلناك في امة قلت لم يعد بفي كما عدي بالى
ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال كقول روبة ارسلت
فيها مصعبا ذا اقحام وقد جا بعث على ذلك كقوله تعالى ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا قوله
ان اعبدوا الله يجوز ان تكون المصدرية اي ارسلناه بان اعبدوا واي بقوله اعبدوا وان تكون
مفسرة افلا تتقون قال بعضهم هذا الكلام غير موصول بالاول وانما قاله لهم بعد ان كذبوه
وردوا عليه بعد اقامة الحجة عليهم فعند ذلك خوفهم بقوله افلا تتقون هذه الطريقة مخافة
العذاب الذي انذركم به ويجوز ان يكون موصولا بالكلام الاول بان راهم معرضين عن عبادة
الله مشتغلين بعبادة الاوثان فدعاهم الى عبادة الله وحذرهم من العقاب بسبب قتالهم

على عبادة الاوثان قوله وقال الملا قال الزمخشري فان قلت ذكر مقالة قوم هود
في جوابه في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو وقال الملا الذين كفروا من قومه انا
لنراك في سفاهة قالوا ما نراك الا بشرا مثلنا وههنا مع الواو فاي فرق بينهما قلت الذي بغير
واو على تقدير سوال سايل قال فما ذا قيل له فقيل له قالوا كيت وكيت واما الذي مع الواو
فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع في الحصول اي في هذه الواقعة هذا الكلام الحق
وهذا الكلام الباطل وشتان ما بينهما قال شهاب الدين ولقايل ان يقول هذا جواب بنفس
الواقع والسوال باق اذ يحسن ان يقال لم لا جمع هنا فوقهما ايضا جوابا لسوال سايل كما في
نظيرتيها او عكس الامر قوله وكذبوا بلقا الاخرة اي بالمصير الى الاخرة واترفناهم نعمناهم
ووسعنا عليهم في الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه وقد تقدم شرح
هذه الشبهة في القصة الاولى قوله ويشرب مما تشربون اي منه فحذف العايد لاستكمال
شروطه وهو اتحاد الحرف والمتعلق وعدم قياسه مقام مرفوع وعدم ضمير اخر هذا اذا
جعلناها بمعنى الذي فان جعلتها مصدرية لم يحتج الى عايد ويكون المصدر واقعا موقع
المفعول اي من مشروبكم وقال في التحرير وزعم الفراء ان معنى مما تشربون على حذف اي
تشربون منه وهذا لا يجوز عند البصريين ولا يحتاج الى حذف البتة لان ما اذا كانت مصدرا
لم يحتج الى عايد فان جعلتها بمعنى الذي حذفت العايد ولم يحتج الى اضمار من بمعنى انه يقدر
تشربونه من غير حذف جر وحينئذ يكون شروط الحذف ايضا موجودة ولكنه تفوت المقابلة
اذ قوله تاكلون منه فيه تبعيض فلو قدرته هنا تشربونه من غير من فاتت المقابلة ثم ان
قوله ولا يجوز عند البصريين ممنوع بل هو جايز لوجود شروط الحذف قوله ولين اطعتم
بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون لمغبونون جعلوا اتباع الرسول خسرانا ولم يجعلوا عبادة الصنم
خسرانا قال الزمخشري واذا واقع في جزاء الشرط بل واقعا بين انكم والخبر وانكم والخبر
ليس جزاء للشرط بل ذلك جواب للقسم المحذوف قبل ان الشرطية ولو كانت التركيب الخبر
جوابا للزمت الفاء في انكم بل لو كان بالفا في تركيب غير القران لم يكن ذلك التركيب جايزا الا
عند الفراء والبصريون لا يجيزونه وهو عندهم خطا قال شهاب الدين يعني انه اذا توالى
شرط وقسم اجيب سابقهما والقسم هنا متقدم فينبغي ان يجاب ولا يجاب الشرط ولو اجيب الشرط
لاختلفت القاعدة الا عند بعض الكوفيين فانه يجيب الشرط وان تاخر وهو موجود في الشعر
قوله ايعدكم انكم الاية في اعرابها ستة اوجه احدها ان الاولى مضاف لضمير الخطاب حذف
واقيم المضاف اليه مقامه ان والخبر قوله اذا متم وانكم مخرجون تكرير لان الاولى للتاكيد
والدلالة على المحذوف والمعنى ان اخراجكم اذا متم وكنتم الثاني ان خبر ان الاولى هو مخرجون
وهو العامل في اذا وكررت الثانية توكيدا لما طال الفصل واليه ذهب الجرمي والمبرد والفرا
ويدل على كون الثانية توكيدا قراة عبد الله وكنتم ترابا وعظاما مخرجون الثالث ان انكم
مخرجون موول بمصدر مرفوع بفعل محذوف ذلك الفعل المحذوف هو جواب اذا الشرطية
واذا الشرطية وجوابها المقدر خبر لانكم الاولى تقديره يحدث انكم مخرجون الرابع كالثالث
في كونه مرفوعا بفعل مقدر الا ان هذا الفعل المقدر خبر لان الاولى وهو العامل في اذا الخامس
ان خبر الاولى محذوف لدلالة خبر الثانية عليه تقديره انكم تبعثون وهو العامل في
الظرف وان الثانية وما في خبرها بدل من الاولى وهذا مذهب سيبويه السادس ان يكون
انكم مخرجون مبتدا وخبره الظرف مقدما عليه والجملة خبر عن انكم الاولى والتقدير
ايعدكم انكم اخراجكم كاين او مستقر وقت موتكم ولا يجوز ان يكون العامل في اذا مخرجون
على كل قول لان ما في خبر ان لا يعمل فيما قبلها ولا يعمل فيها متم لانه مضاف اليه وانكم وما في
خبره في محل نصب او جر بعد حذف الحرف اذ الاصل ايعدكم بانكم ويجوز ان لا يقدر حرف
جر فيكون في محل نصب فقط نحو وعدت زيدا خيرا قوله هيهات هيهات هيهات اسم
فعل معناه بعد وكرر للتوكيد وليست المسيلة من التنازع قال جرير

• فهيهات هيهات العقيق واهله • وهيهات خل بالعقيق نواصله •

وفسره الزجاج في ظاهر عبارته بالمصدر فقال البعد لما توعدون فظاهرها انه مصدر

بدليل

بدليل عطف الفعل عليه ويمكن ان يكون فسر المعنى فقط وهيهات اسم لفعل قاصر يرفع
الفاعل وهنا قد جاء ما ظاهره الفاعل مجرورا باللام فمنهم من جعله على ظاهره وقال ما توعدون
فاعل به وزيدت اللام فيه التقدير بعد ما توعدون وهو ضعيف اذ لم يعهد زيادتها في الفاعل
ومنهم من جعل الفاعل مضمرا لدلالة الكلام عليه فقدره ابو البقا هيهات التصديق او الصحة
لما توعدون وقدره غيره بعد اخراجكم ولما توعدون للبيان قاله الزمخشري لبيان المستبعد
ما هو بعد التصويب بكلمة الاستبعاد كما جاءت الكلام في هيت لك لبيان المهيت به وقال الزجاج
البعد لما توعدون فجعله مبتدا والجار بعده الخبر قال الزمخشري فان قلت ما توعدون
هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع بقوله • فهيهات هيهات العقيق واهله
فما هذه اللام قلت قال الزجاج في تفسير البعد لما توعدون او بعد لما توعدون فيمن نون
فنزله منزلة المصدر قال ابو حيان وقول الزمخشري فيمن نونه نزله منزلة المصدر
ليس بواضح لانهم قد نونوا اسما الافعال ولا تقول انها اذا نونت تنزلت منزلة المصادر وقال
شهاب الدين الزمخشري لم يقل كذا انما قال فيمن نون نزله منزلة المصدر لاجل قوله او بعد
فالتنوين علة لتقديره اياه نكرة لا لكونه منزلا منزلة المصدر فان اسما الافعال ما نون
منها نكرة وما لم ينون معرفة نحو صه وصه يقدر الاول بالسكوت والثاني بسكوت ما
وقال ابن عطية طورا يلي الفاعل دون لام تقول هيهات مجي زيد اي بعد واحيانا يكون
الفاعل محذوفا عند اللام كهذه الاية التقدير بعد الوجود لما توعدون ولم يستجوده ابو
حيان من حيث قوله حذف الفاعل والفاعل لا يحذف ومن حيث الثاني تاكيد للاول تاكيدا
لفظيا وقد جاء غير موكد كقوله •

• هيهات منزلنا بعنف سويقة • كانت مباركة على الايام • وقال اخر
• هيهات ناس من اناس دارهم • دقاق ودار الاخرين الاوانى •

وقال روبة هيهات من منخرق هيهاوه قال القيسي شارح ابيات الايضاح وهذا مثل قولك
لبعد بعده وذلك انه بني من هذه اللفظة فعلالا بمنزلة الفلقال والزلزال والالف في
هيهات غير الالف في هيهاه وهي في هيهات لام الفعل الثانية كقاف الحقحقة الثانية وهي في
هيهاه الف الفعلال الزايدة وفي هذه اللفظة لغات كثيرة تزيد على الاربعين ذكر منها
الصفاقسي ستة وثلاثين لغة وهي هيهات وايهات وهيهان وايهان وهايهات وايهات
كل واحد من هذه الست مضمومة الاخر ومفتوحته ومكسورته وكل واحدة منها منونة
وغير منونة فتكون ستا وثلاثين وحكى غيره هيهاتا وايهاك بكاف الخطاب وايها واها
وايها وهيها فاما المشهور وما قرى به فالمشهور هيهات بفتح التا من غير تنوين بني لوقوعه
موقع المبني او لشبهه بالحرف وتقدم تحقيق ذلك وبها قرا العامة وهي لغة اهل الحجاز
وهيهاتا بالفتح والتنوين وبها قرا ابو عمرو في رواية هارون عنه ونسبها ابن عطية لخالد
ابن الياس وهيهات بالضم والتنوين وبها قرا الاحمر وابو حيوة وبالضم من غير تنوين وروي
عن ابي حياة ايضا فعنه فيها وجهان ووافقه ابو السماك في الاولى دون الثانية وهيهات
بالكسر والتنوين وبها قرا عيسى وخالد بن الياس وبالكسر من غير تنوين وهي قراة ابي
جعفر وشيبة ويروي عن عيسى ايضا وهي لغة تميم واسد وهيهات باسكان التا وبها
قرا عيسى بن عمر الهمداني ايضا وخارجة عن ابي عمرو والاعرج وهيهاه بالها اخرا وصلا ووقفا
وايهات بابدال الها همزة مع فتح التا وبها تبين قرا بعض القرا فيما نقل ابو البقا فهذه تسع
لغات قد قري بهن لم يتواتر منها غير الاولى ويجوز ابدال الهمزة من الها الاولى في جميع ما تقدم
فيكمل بذلك ست عشر لغة وايهان بالنون اخرا وايها بالالف اخرا فمن فتح التا قالوا
فهي عنده اسم مفرد ومن كسرها فهي عنده جمع تانيث كزينبات وهندات ويعزى هذا
لسيبويه لانه قال هي مثل بيضات فنسب اليه انه جمع من ذلك حتى قال النحويين مفردها
هيهة مثل بيضة وليس بشي بل مفردها هيهات قالوا وكان ينبغي على اصله ان يقال فيها
هيهيات بقلب الف هيهات يا لزيادتها على الاربعة نحو ملهيات ومعزيات ومرميات لانها
من بنات الاربعة المضعفة من اليا من باب جاجيت وصيصيه واصلها بوزن القلقلة

والحقحقه فانقلبت اليا الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت هيهاه كالسلقاه والجعباه وان كانت اليا التي انقلبت عنها الف سلقاه وجعباه زايدة وباهيهيه اصلها فلما جمعت كان قياسها على قولهم ارطيات وعلقيات ان يقول فيها هيهات الا انهم حذفوا الالف لالتقا الساكنين لما كانت في اخر اسم مبني كما حذفوها في ذان واللتان وتان ليفصلوا بين الالفات في اواخر المبنية والالفات في اواخر المتمكنة وعلى هذا حذفوها في اولات وذوات لتخالف ياحصيات ونويات وقالوا من فتح تا هيهات فحقه ان يكتبها ها لانها في مفرد كتمره ونواه ومن كسرها فحقه ان يكتبها تا لانها في جميع كهندات ولذلك حكم الوقف سواء ولا التفات الى لغة كتف الاخوة والاخواه ولا هذه ثبت لقلتها وقد رسمت في المصحف بالهاء واختلف القراء في الاصل الوقف عليها فمنهم من اتبع الرسم فوقف بالها وهما الكساي والبزي عن ابن كثير ومنهم من وقف بالتا وهو البا قون وكان ينبغي ان يكون الاكثر على الوقف بالها لوجهين احدهما موافقة الرسم والثاني انهم قالوا المفتوح اسم مفرد اصله هيهيه كزلزله وقلقله من مضاعف الرباعي وقد تقدم ان المفرد يوقف على تا تانيثه بالها واما التنوين فهو على قاعدة تنوين اسما الافعال دخوله دليل على التنكير وتصور معنى المصدر المعرف فكانه قال البعد البعد فجعل التنوين دليل التنكير وعدمه دليل التعريف انتهى ولا يوجد تنوين التنكير الا في نوعين اسما الافعال واسما الاصوات نحو سيبويه وسيبويه وليس بقياس بمعنى انه ليس لك ان ينون منهما ما شئت بل ما سمع تنوينه اعتقد تنكيره والذي يقال في القرات المتقدمات من نون جعله للتنكير كما تقدم ومن لم ينون جعل عدم التنوين للتعريف ومن فتح فللخفة وللاتباع ومن كسر فعلى اصل التقا الساكنين ومن ضم فتشبيها بقبل وبعد ومن سكن فلان اصل البنا السكون ومن وقف بالها فاتباعا للرسم ومن وقف بالتا فعلى الاصل سوا كسرت التا او فتحت لان الظاهر انهما سوا وانما ذلك من تغيير اللغات وان كان المنقول عن مذهب سيبويه ما تقدم وهكذا ينبغي ان تقبل القرات المتقدمة وقال ابن عطية فيمن ضم ونون انه اسم معرب مستقل مرفوع بالابتدا وخبره لما توعدون اي البعد لوعدكم كما تقول النجح لسعيك وقال الرازي في اللوامح فاما من رفع ونون احتمل ان يكونا اسمين متمكنين مرفوعين خبرهما من حروف الجر بمعنى البعد لما توعدون والتكرار للتاكيد ويجوز ان يكونا اسما للفعل والضم للبنا مثل حوب في زجر الابل لكنه نونه نكرة قال شهاب الدين وكان ينبغي لابن عطية ولابي الفضل ان يجعلاه اسما ايضا في حالة النصب مع التنوين على انه مصدر واقع موقع الفعل وقرا ابن ابي عبلة هيهات هيهات ما توعدون من غير لام جر وهي واضحة مزيدة المدعي زيادتها في قراة العامة وما في لما توعدون يحتمل المصدرية اي لوعدكم وان يكون بمعنى الذي والعايد محذوف اي توعدونه قوله ان هي هي ضمير يفسره سياق الكلام اي ان حالتنا الا حياتنا وقال الزمخشري هذا ضمير لا يعلم ما يراد به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع حياتنا لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس تتحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شات وقد جعل بعضهم هذا القسم مما يفسر بما بعده لفظا ورتبة ونسبه الى الزمخشري متعلقا بما نقلناه عنه قال شهاب الدين ولا تعلق له في ذلك قوله نموت ونحيا جملة مفسرة لما ادعوه من ان حياتهم ما هي الا كذا وزعم بعضهم ان فيها دليلا على عدم الترتيب في الواو واذ المعنى نحيا ونموت اذ هو الواقع ولا دليل فيها لان الظاهر من معناها يموت البعض منا ويحيا اخرون وهلم جرا يسيرون الى انقراض العصر ويخلف غيره مكانه وقيل يموت نحن ويحيا ابناونا وقيل القوم كانوا يعتقدون الرجعة اي نموت ثم نحيا بعد ذلك الموت **فصل** اعلم ان القوم طعنوا في نبوته بكونه بشرا ياكل ويشرب ثم جعلوا طاعته خسرانا اي انكم ان اطعتموه الطاعة من غير ان يكون لكم بازايها نفع فذلك هو الخسران ثم طعنوا في صحة الحشر والنشر فقالوا ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون معادون احيا للمجازاة ثم لم يقتصروا على هذا القدر حتى قرنوا به الاستبعاد العظيم فقالوا هيهات هيهات لما توعدون ثم اكدوا ذلك بقولهم ان هي الا

حياتنا الدنيا نموت ونحيا ولم يريدوا بقولهم نموت ونحيا الشخص الواحد بل ارادوا ان البعض يموت والبعض يحيا وانه لا اعادة ولا حشر فلذلك قالوا وما نحن بمبعوثين ثم بنوا على هذا فطعنوا في نبوته وقالوا ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمومنين واعلم ان الله تعالى ما اجاب عن هاتين الشبهتين لظهور فسادهما اما الاولى فقد تقدم الجواب عنها واما انكارهم الحشر والنشر فجوابه انه سبحانه لما كان قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات وجب ان يكون قادرا على الحشر والنشر وايضا فلولا الاعادة لكان تسليط القوي على الضعيف في الدنيا ظلما وهو غير لايق بالحكيم على ما تقرر في قوله تعالى ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى واعلم ان الرسول لما يئس من قبول دعوته فزع الى ربه وقال رب انصرني بما كذبون وقد تقدم تفسيره فاجاب الله سواله وقال عما قليل ليصبحن نادمين قوله عما قليل في ما هذه وجهان احدهما انها مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد كما زيدت في البا نحو فبما رحمة وفي من نحو مما خطاياهم وقليل صفة لزمن محذوف اي عن زمن قليل والثاني انها غير زايدة بل هي نكرة بمعنى شي او زمن وقليل صفتها او بدل منها وهذا الجار فيه ثلاثة اوجه احدها انه متعلق بقوله ليصبحن اي ليصبحن عن زمن قليل نادمين الثاني انه متعلق بنادمين وهذا على احد الاقوال في لام القسم وذلك ان فيها ثلاثة اقوال جواز تقديم معمول ما بعدها عليها مطلقا وهو قول الفرا وابي عبيدة والثاني المنع مطلقا وهو قول جمهور البصريين الثالث التفصيل بين الظرف وعديله وبين غيرهما فيجوز فيهما للاتساع ويمتنع في غيرهما فلا يجوز في والله لاضربن زيدا زيدا لاضربن لانه غير ظرف ولا عديله والثالث من الاوجه المتقدمة انه متعلق بمحذوف تقديره عما قليل ننصر حذف لدلالة ما قبله عليه وهو قوله رب انصرني وقرئ لتصبحن بتا الخطاب على الالتفات او على ان القول صدر من الرسول لقومه بذلك قوله عما قليل الاية معناه انه تظهر لهم علامات الهلاك فعند ذلك تحصل لهم الحسرة والندامة على ترك القبول ثم بين تعالى الهلاك الذي انزل عليهم بقوله فاخذتهم الصيحة بالحق قيل ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة عظيمة فهلكوا وقال ابن عباس الصيحة هي الرجفة وعن الحسن الصيحة نفس العذاب والموت كما يقال فيمن يموت دعي فاجاب وقيل هي العذاب المصطلم قال الشاعر

صاح الزمان بال برمك صيحة ● خروا لشدتها على الاذقان ●

والاول اولى لانه الحقيقة قوله دمرناهم بالعدل من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا في قضايه وقال المفضل بالحق اي بما لا مدفع له كقوله وجات سكرة الموت بالحق قوله فجعلناهم غثا الجعل بمعنى التصيير وغثا مفعول ثان والغثا قيل هو الجفا وتقدم في الرعد قال الحسن وقال الزجاج هو البالي من ورق الشجر والعيدان اذا جرى السيل خالط زبده واسود ومنه قوله غثاء احوى وقيل كل ما يلقيه السيل والقدر مما لا ينتفع به وبه يضرب المثل في ذلك ولامه واو لانه من غثا الوادي يغثو غثوا وكذلك غثت القدر واما غثيت نفسه تغثي غثيانا اي خبثت فهو قريب من معناه ولكنه من مادة اليا وتشدد تاء الغثا وتخفف وقد جمع على اغثا وهو شاذ بل كان قياسه ان يجمع على اغثية كاغربة او على غثيان كغربان وغلمان وانشدوا لامرء القيس

من السيل والغثاء فلكة مغزل ●

بتشديد التا وتخفيفها والجمع اي والاغثا قوله فبعدا للقوم الظالمين بعدا مصدر بدل من اللفظ فعله فناصبه واجب الاضمار لانه بمعنى الدعا عليهم والاصل بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا وفي هذه اللام قولان اظهرهما انها متعلقة بمحذوف للبيان كهي في سقيا له وجدعا له قاله الزمخشري والثاني انها متعلقة ببعدا قاله الحوفي وهذا مردود لانه لا يحفظ حذف هذه اللام ووصول المصدر الى مجرورها البتة ولذلك منعوا الاشتغال في قوله والذين كفروا فتعسا لهم لان اللام لا تتعلق بتعسا بل بمحذوف وان كان الزمخشري جوز ذلك وسياتي في موضعه ان شا الله تعالى قوله فجعلناهم غثاء صيرناهم هلكى فيبسوا يبس الغثا من نبات الارض فبعدا بمنزلة اللعن الذي هو التبعيد من الخير للقوم الظالمين الكافرين ذكر هذا على وجه الاستخفاف والاهانة لهم قوله ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين اي اقواما

احزين وقيل المراد قصة لوط وشعيب وايوب ويوسف صلوات الله عليهم والمعنى انها
اجلا الديار من المكلفين ما تسبق من امة اجلها من صلة اي ما تسبق امة آجلها وقت هلاكها
وقيل اجال حياتها وتكليفها قال اهل السنة هذه الاية تدل على ان المقتول ميت باجله اذ لو
قتل قبل اجله لكان قد تقدم الاجل او تاخر وذلك ينافيه هذا النص قوله ثم ارسلنا رسلنا
تترى في تترى وجهان اظهرهما انه منصوب على الحال من رسلنا بمعنى متواترين اي واحدا بعد
واحد او متتابعين على حسب الحاجة في معناه وحقيقته انه مصدر واقع موقع الحال والثاني
انه نعت مصدر محذوف تقديره ارسالا تترى اي متتابعا او ارسالا اثر ارسال وقرا ابن
كثير وابو عمرو ودون تنوين والوقف عندهم يكون بالالف ويميله حمزة والكسائي وهو مثل
غضبى وسكرى ولا يميله ابو عمرو في الوقف وهذه هي اللغة المشهورة بغير تنوين فله وجهان
احدهما ان وزن الكلمة فعلى كغضبى فقوله تترى كقولك ضربته ضربا وزيد في قراة غيرهم
فعلى وقدره هذا الوجه بانه لم يحفظ جريان حركات الاعراب على رايه فيقال هذا تتر
ومررت بتتر نحو هذا نصر ورايت نصرا ومررت بنصر فلما لم يحفظ ذلك بطل ان يكون وزنه
فعلا الثاني ان الفه للالحاق بجعفر كهي في ارطا وعلقا فلما نون ذهبت لالتقاء الساكنين
وهذا اقرب مما قبله ولكنه يلزم منه وجود الف الالحاق في المصادر وهو نادر الثالث
انها للتانيث كدعوى وهي واضحة فيحصل في الفه ثلثة اوجه احدها انها بدل من
التنوين في الوقف الثاني انها للالحاق الثالث للتانيث واختلف فيها هل هي مصدر
كدعوى وذكرى او اسم جمع كاسرى وشتى كذا قاله ابو حيان وفيه نظر اذ المشهور ان اسرى
وشتى جمعا تكسير لا اسما جمع وفا وهاتي الاصل واو لانها من المواترة والوتر فقلبت تاء كما قلبت
تلك في توراة وتولج وتيقور وتخمة وتراث وتجاه فانه من الوري والولوج والوقار والوخامة
والوراثة والوجه واختلفوا في مدلولها فعن الاصمعي واحدا بعد واحد وبينهما هنيهة
وقال غيره هي من المواترة وهي التتابع بغير مهلة وقال الراغب والتواتر تتابع الشي
وترا وفرادى قال تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى والوتيرة السجية والطريقة يقال هم
على وتيرة واحدة والترة الذحل والوتيرة الحاجز بين المنخرين قوله كلما جاء امة رسولها
كذبوه اي انهم سلكوا في تكذيب انبيائهم مسلك من تقدم ذكره ممن اهلكه الله بالغرق
والصيحة ولذلك قال فاتبعنا بعضهم بعضا بالاهلاك قوله وجعلناهم احاديث
قيل جمع حديث ولكنه شاذ والمعنى سمرا وقصصا يحدث من بعدهم بامرهم ولم تبق منهم عين
ولا اثر الا الحديث الذي يعتبر به وقيل بل هو جمع احدوثة كاضحوكة واعجوبة وهو ما يتحدث
به الناس تلهيا وتعجبا وقال الاخفش لا يقال ذلك الا في الشر ولا يقال في الخير وقد شذت
العرب في الفاظ فجمعوها على صيغة مفاعيل كاباطيل واقاطيع وقال الزمخشري الاحاديث
تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو حيان
وافاعيل ليس من ابنية اسم الجمع فاما ذكره النحاة فيما شذ عن الجموع كقطيع واقاطيع واكاذ
عناريد قد حملوا عليه بانه جمع تكسير مع انهم لم يلفظوا له بواحد فاجري احاديث وقد
لفظ له بواحد وهو حديث فاتضح انه جمع تكسير له لا اسم جمع لما ذكرنا ثم قال تعالى فبعدا
لقوم لا يومنون وهذا دعاء وذم وتوبيخ وذلك وعيد شديد قوله تعالى ثم ارسلنا
موسى واخاه هرون الاية يجوز ان يكون هرون بدلا وان يكون بيانا وان يكون منصوبا
باضمار اعني واختلفوا في الايات فقال ابن عباس هي الايات التسع وهي العصا واليد
والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر والسنين ونقص الثمرات وقال الحسن بايا تنا
اي بدينا واحتج بان المراد لو كان الايات وهي المعجزات وقال السلطان المبين هو ايضا
المعجز لزم منه عطف الشي على نفسه والاول اقرب لان لفظ الايات اذا ذكر مع الرسل فالمراد
به المعجزات واما احتجاجه فالجواب عنه من وجوه الاول ان المراد بالسلطان المبين يجوز
ان يكون اشرف معجزاته وهي العصا لانه قد تعلق بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما صنع
السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة مثمرة
ودلوا ورشا فلما حصل هذه الفضايل فيها افردت كقوله وجبريل وميكال والثاني يجوز ان يكون

المراد

المراد بالايات نفس تلك المعجزات وبالسلطان المبين كيفية دلالتها على الصدق لانها وان
شاركت ايات سايرالانبيا في كونها ايات فقد فارقتها في قوة دلالتها على قول موسى عليه السلام
الثالث ان يكون المراد بالسلطان المتين استيلا موسى عليه السلام في الاستدلال على وجود الصانع
واثبات النبوة وانه ما كان يقيم لهم قدرا ولا وزنا واعلم ان الاية تدل على ان معجزات موسى كانت
معجزات هرون ايضا وان النبوة مشتركة بينهما وكذلك المعجزات ثم قال الى فرعون وملايه فاستكبروا
تعظموا عن الايمان وكانوا قوما عالين متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم قوله لبشرين لبشر
يقع على الواحد والمثنى والمجموع والمذكر والمونث قال تعالى ما انتم الا بشر وقد يطابق ومنه
هذه الاية واما افراد مثلنا فلانه يجري مجرى المصادر في الافراد والتذكير ولا يونث اصلا
وقد يطابق ما هو له تثنية كقوله مثليهم راي العين وجمعا كقوله ثم لا يكونوا امثالكم وقيل
اريد المماثلة في البشرية لا الكمية وقيل اكتفى بالواحد عن الاثنين وقومهما لنا عابدون جملة
حالية **فصل** قالوا يعني فرعون وقومه انومن لبشرين يعنون موسى وهرون
وقومهما لنا عابدون اي مطيعون متذللون قال ابو عبيدة والعرب تسمي كل من دان
الملك عابدا له ويحتمل ان يقال انه كان يدعي الالهية وان طاعة الناس له عبادة ولما خطر
ببالهم هذه الشبهة صرحوا بالتكذيب ولما كان التكذيب كالعلة لهلاكهم لاجرم رتبه عليه
بفا التعقيب فقال فكذبوهما فكانوا من المهلكين اي بالغرق حكم الله تعالى عليهم اي فيمن
حكم عليهم بالغرق فان الغرق لم يحصل عقيب التكذيب فقال فكذبوهما انما حصل عقيب التكذيب
حكم الله تعالى عليهم بالغرق في الوقت اللايق به قوله ولقد اتينا موسى الكتاب قيل
اراد قوم موسى فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وكذلك اعاد الضمير من قوله لعلهم
عليهم وفيه نظر اذ يجوز عود الضمير على القوم من غير تقدير اضافتهم الى موسى ويكون
هدايتهم حرمتة على ايتاء التورية لموسى قال الزمخشري لا يجوز ان يرجع الضمير في لعلهم الى
فرعون وملايه لان التورية انما اوتيت بنو اسرايل بعد اغراق فرعون بدليل قوله تعالى
ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى المعنى الصحيح ولقد اتينا موسى
الكتاب لعلهم يهتدون بشرايعها ومواعظها فذكر موسى والمراد موسى كما يقال هاشم وثقيف
والمراد قومهم قوله وجعلنا ابن مريم وامه اية والمراد عيسى عليه السلام وامه اية دالة
على قدرتنا ولم يقل ايتين قيل معناه جعلنا شانهما اية وقيل المعنى كل واحد اية كقوله كلتا
الجنتين اتت اكلها قال المفسرون معنى كون عيسى وامه اية انه خلق من غير ذكر وانطقه في المهد
في الصغر واجرى على يده ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى واما مريم فلانها حملت من غير
ذكر وقال الحسن تكلمت مريم في صغرها كما تكلم عيسى وهو قولها هو من عند الله ان الله
يرزق من يشاء بغير حساب ولم تلقم ثديا قط قال ابن الخطيب والاقرب ان جعلهما اية هو
نفس الولادة لانه ولد من غير ذكر وولدته من دون ذكر فاشتركا جميعا في هذا الامر العجيب
الخارق للعادة ويدل على هذا وجهان الاول قوله وجعلنا ابن مريم وامه اية لان نفس
المعجز ظهر فيهما لا انه ظهر على يديهما لان الولادة فيه وفيها بخلاف الايات التي ظهرت على يده
الثاني قوله اية ولم يقل ايتين وحمل هذا اللفظ على الامر الذي لا يتم الا بمجموعهما اولى وذلك
هو الولادة لا المعجزات التي كانت لعيسى قوله واويناهما الى ربوة الربوة والرباوة في راءها
الحركات الثلاث وهي الارض المرتفعة قال عطا عن ابن عباس هي بيت المقدس وهو قول
قتادة وابي العالية وكعب قال كعب هي اقرب الارض الى السما بثمانية عشر ميلا وقال ابو هريرة
هي الرملة وقال السدي ارض فلسطين وقال عبد الله بن سلام هي دمشق وهو قول سعيد
ابن المسيب ومقاتل والضحاك وقال الكلبي وابن زيد هي مصر والقرار المستقر من الارض مستوية
منبسطة وقال قتادة ذات ثمار وماء اي لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها قوله ومعين صفة
لموصوف محذوف اي وماء معين وفيه قولان احدهما ان ميمه زايدة واصله معيون اي مبصر بالعين
فاعل اعلال مبيع ونابه وهو مثل قولهم كبدته اي ضربت كبده ورايسته اي اصبت راسه وعنته اي
ادركته بعيني ولذلك ادخله الخليل في مادة ع ي ن والثاني ان الميم اصلية ووزنه فعيل
مشتق من المعن واختلف في المعن فقيل هو الشي القليل ومنه الماعون وقيل هو من معين

الشي معانه اي كثر قال جرير

ان الذين غدوا بلبك غادروا • وشلا بعينك لا يزال معينا •

وقال الراغب هو من معين الما جري وسمي مجاري الما معينات وامعن الفرس تباعد في عدوه وامعن بحقي ذهب به وفلان معن في حاجته يعني سريعا فكلمه راجع الي معنى الجري والسرعة وفي المعين قولان احدهما انه مفعول لانه لظهوره مدرك بالعين من عانه اذا ادركه بعينه وقال الفرا والزجاج ان سبب جعلته فعيلا من الماعون ويكون اصله من المعن والماعون ما سهل على معطيه قالوا وسبب الايوا انها فرت بابنها عيسى الي الربوة وبقيت بها اثني عشر سنة وانما ذهب بها ابن عمها يوسف ثم رجعت الي اهلها بعد ما مات ملكهم قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات الاية اعلم ان هذا الخطاب مع كل الرسل وذلك غير ممكن لان الرسل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة فلهذا اتاولوه على وجوه فقيل معناه الاعلام بان كل رسول نودي في زمانه بهذا المعنى ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يوخذ به ويعمل عليه وقال الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي وجماعة اراد به محمد عليه السلام وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجماعة كقولك للواحد ايها القوم كفوا عنا اذاكم ولانه ذكر ذلك بعد انقضا اخبار الرسل وقال ابن جرير المراد عيسى عليه السلام لانه انما ذكره فكانه الجامع للطعام والشراب ولانه روي ان عيسى عليه السلام كان ياكل من غزل امه والاول اقرب لانه اوفق للفظ ولانه روي عن ام عبد الله اخت شداد بن اوس انها بعثت الي رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح لبن في شدة الحر عند فطره وهو صايم فرده الرسول اليها وقال من اين لك هذا فقالت من شاة لي فقال من اين هذه الشاة فقالت اشتريتها بمالي فاخذه ثم انها جاته فقالت يا رسول الله لم رددته فقال عليه السلام بذلك امرت الرسل ان لا تاكل الا طيبا ولا تعمل الا صالحا واختلفوا في الطيب فقيل هو الحلال وقيل هو المستطاب المستلذ من الماكل قوله واعملوا صالحا يجوز ان يكون صالحا نعتا لمصدر محذوف اي واعملوا عملا صالحا من غير نظر الي ما تعملونه كقولهم يعطي ويمنع ويجوز ان يكون مفعولا به وهو واقع على نفس المعمول اني بما تعملون عليم وهذا تحذير من مخالفة ما امرهم به واذا كان ذلك تحذيرا للرسل مع علو شانهم فبان يكون تحذيرا لغيرهم اولى قوله وان هذه امتكم امة واحدة قرا ابن عامر وحده وان هذه بفتح الهمزة وتخفيف النون والكوفيون بكسرها والتثقيل والباقون بفتحها والتثقيل فاما قراة ابن عامر فهي المخففة من الثقيلة وسياتي توجيه الفتح في الثقيلة فتتضح معنى قراته واما قراة الكوفيين فعلي الاستيناف واما قراة الباقين ففيها ثلاثة اوجه احدها انها على حذف اللام اي ولان هذه فلما حذف الجر جرى الخلاف المشهور وهذه اللام تتعلق بـ اتقون والكلام في الفا كالكلام في قوله اياي فارهبون الثاني انها منسوقة على بما تعملون اي اني عليم بما تعملون وبان هذه فهذه داخلة في حيز المعلوم الثالث ان في الكلام حذفا تقديره واعلموا ان هذه امتكم ونعتذر فتقطعوا امرهم بينهم زبرا وما قيل فيهما

فصل والمعنى ان هذه ملتكم وشريعتكم التي انتم عليها امة واحدة اي ملة واحدة وهي الاسلام فان قيل لما كانت شرايعهم مختلفة فكيف يكون دينهم واحدا فالجواب ان المراد من الدين ما لا يختلفون فيه من اصول الدين من معرفة ذات الله وصفاته واما الشرايع بان الاختلاف فيها لا يسمى اختلافا في الدين فكما يقال في الحايض والطاهر من النسا ان دينهن واحد وان افترق تكليفهما فكذا هنا وقيل المعنى امرتكم بما امرت به المرسلين قبلكم وامركم واحد وانا ربكم فاتقون فاحذرون فتقطعوا امرهم دينهم بينهم اي تفرقوا فصاروا فرقا يهودا ونصارى ومجوسا زبرا اي فرقا وقطعا مختلفة واحدها زبور وهو الفرقة والطايفة ومثلها الزبرة وجمعها زبر ومنه زبر الحديد وقرا بعض الشام زبرا بفتح البا وقال مجاهد وقتادة زبرا اي كتبا وان كل فريق بكتاب غير الكتاب الذي دان به الاخر وقيل جعلوا كتبهم قطعا امنوا بالبعض وكفروا بالبعض وحرفوا البعض كل حزب بما لديهم فرحون بما عندهم من الدين معجبون مسرورون ولما ذكر تفرقهم في دينهم اتبعه

بالوعيد

بالوعيد وقال فذرهم في غمرتهم وهذا خطاب لنبينا عليه السلام اي دع هولا الكفار في جهلهم قوله في غمرتهم مفعول ثان لذرهم اي اتركوهم مستقرين في غمرتهم ويجوز ان يكون ظرفا للترك والمفعول الثاني محذوف والغمرة في الاصل الما الذي يغمر القامة والغمر الما الذي يغمر الارض ثم استعير ذلك للجهالة فقيل فلان في غمرة والمادة تدل على الغطا والاستتار ومنه الغمر بالضم لمن لم يجرب الامور وغمار الناس وخمارهم زحامهم والغمر بالكسر الحقد لانه يغطي القلب والغمرات الشدايد والغامر الذي يلقي نفسه في المهالك وقال الزمخشري الغمرة الما الذي يغمر القامة فضربت لهم مثلا لما هم فيه من جهلهم وعمايتهم او شبهوا باللاعبين في غمر الما لما عليه من الباطل كقوله • كانني ضارب في غمرة لعب •

وقرا امير المومنين وابو حيوة وابو عبد الرحمن غمراتهم بالجمع لان لكل منهم غمرة تخصه وقراة العامة لا تابي هذا المعنى فانه اسم جنس مضاف قوله تعالى حتى حين اي الي ان يموتوا وقيل الي حين المعاينة وقيل الي حين العذاب ولما كان القوم في نعم عظيمة في الدنيا جاز ان يظنوا ان تلك النعم كالثواب المعجل لهم على اديانهم فبين سبحانه ان الامر بخلاف ذلك فقال ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين اي انما نعطيهم ونجعله مددا لهم من المال والبنين في الدنيا نسارع لهم في الخيرات ونقدمها ثوابا باعمالهم لمرضاتنا عنهم بل لا يشعرون ان ذلك استدراج لهم قوله انما نمدهم في هذه ثلاثة اوجه احدها انها بمعنى الذي وهي اسم ان ونمدهم به صلتها وعايدها ومن مال حال من الموصول او بيان له فيتعلق بمحذوف ونسارع خبران والعايد من هذه الجملة الي اسم ان محذوف تقديره نسارع لهم به او فيه الا ان حذف مثله قليل وقيل الرابط بين هذه الجملة باسم ان هو الظاهر الذي قام مقام المضمر في قوله في الخيرات اذ الاصل نسارع لهم فيه فاوقع الخيرات موقعه تعظيما وتنبيها على كونه من الخيرات وهذا يمشي على مذهب الاخفش اذ يرى الربط بالاسما الظاهرة وان لم يكن بلفظ الاول فيجيز زيد الذي قام ابو عبد الله اذا كان ابو عبد الله كنية زيد وتقدمت منه امثلة قال ابو البقا ولا يجوز ان يكون الخبر من مال لانه كان من مال فلا يعاب عليهم اعتقادهم ان تلك الاموال خير لهم الثاني ان تكون ما مصدرية فينسبك منها وما بعدها مصدر هو اسم ان ونسارع هو الخبر وعلى هذا فلا بد من حذف ان المصدرية قبل نسارع ليصح الاخبار تقديره ان نسارع فلما حذفت ان ارتفع المضارع بعدها والتقدير ايحسبون ان امدادنا لهم من كذا مسارعة منا لهم في الخيرات الثالث انها مهيئة كافة قال الكسايي في هذه الاية وحينئذ يوقف على وبنين لانه قد حصل بعد فعل الحسبان نسبة من مسند ومسند اليه نحو حسبت انما ينطلق عمرو وانما نقوم انت وقرا يحيى بن وثاب انما بكسر الهمزة على الاستيناف ويكون حذف مفعول الحسبان اقتصارا واختصارا وابن كثير في رواية يمدهم بالياء وهو الله تعالى وقياسه ان يقرا يسارع بالياء ايضا وقرا السلمي وابن ابي بكرة يسارع بالياء وكسر الراء وفي فاعله وجهان احدهما الباري تعالى والثاني ضمير ما الموصولة ان جعلناها بمعنى الذي او على المصدر ان جعلناها مصدرية وحينئذ يكون نسارع لهم الخبر فعلى الاول يحتاج الي تقدير عايد اي يسارع الله لهم به او فيه وعلى الثاني لا يحتاج اذ الفاعل ضمير ما الموصولة وعن ابي بكرة المتقدم ايضا يسارع بالياء مبنيا للمفعول وفي الخيرات هو القايم مقام الفاعل والجملة خبران والعايد محذوف على ما تقدم وقرا الحسن نسرع بالنون من اسرع مقام الفاعل وهي كنسارع فيما تقدم وبل لا يشعرون اضراب عن الحسبان المستفهم عنه استفهام تقريع وهو اضراب انتقال والمعنى انهم اشباه البهايم لا شعور لهم حتى يتفكروا في ذلك الامداد هو استدراج ام مسارعة في الخير روى زيد بن ميسرة قال اوحى الله تعالى الي نبي من الانبيا ايفرح عبدي ان ابسط له الدنيا وهو ابعد له مني ويجزع ان اقبض عنه الدنيا وهي اقرب له مني ثم تلى ايحسبون انما نمدهم قوله تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون الايات لما ذم من تقدم بقوله ايحسبون انما نمدهم ثم قال بل لا يشعرون بين بعده صفات من يسارع في الخيرات فقال ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والاشفاق يتضمن الخشية مع زيادة رقة وضعف وقيل جمع بينهما للتاكيد ومنهم من حمل الخشية على العذاب والمعنى ان الذين هم من عذاب ربهم مشفقون اي خايفون من عقابه قوله من خشية فيه وجهان احدهما انها لبيان الجنس قال ابن عطية هي لبيان جنس الاشفاق قال شهاب الدين

وهي عبارة قلقة والثاني انها متعلقة بمشفقون قاله الحوفي وهو واضح قوله والذين هم بايات ربهم يومنون بصدقون وايات الله هي المخلوقات الدالة على وجوده والذين هم بربهم لا يشركون وليس المراد منه الايمان بالتوحيد ونفي الشريك لله تعالى لان ذلك داخل في قوله والذين هم بايات ربهم يومنون بل المراد منه نفي الشرك الخفي وهو ان يكون مخلصا في العبادة لا يقدم عليها الا لوجه الله وطلب رضوانه قوله تعالى والذين يوتون ما اتوا العامة على انه من الايتاء اي يعطون ما اعطوا وقرات عايشة وابن عباس والحسن والاعمش ياتون ما اتوا من الاتيان اي يفعلون ما فعلوا من الطاعات واقتصر ابو البقاء في ذكر الخلاف على اتوا فقط وليس بجيد لانه يوهم ان من قرا اتوا بالقصر قرا يوتون من الرباعي وليس كذلك قوله تعالى وقلوبهم وجلة هذه الجملة حال من فاعل يوتون قالوا والمعنى يعطون ما اعطوه ويدخل فيه كل حق يلزم ايتاوه سواء كان من حقوق الله كالزكوات والكفارات وغيرها او من حقوق الادميين كالودايع والديون واصناف الانصاف والعدل وبين ان ذلك انما ينفع اذا فعلوه وقلوبهم وجلة اي انهم يقدمون على العبادة على وجل من تقصير واخلال بنقصان روي ان عايشة سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق وهو على ذلك يخاف الله قوله انهم يجوز ان يكون التقدير وجلة من انهم اي خايفة من رجوعهم الى ربهم ويجوز ان لا يكون لانهم اي بسبب الوجل الرجوع الى ربهم قوله اولئك يسارعون هذه الجملة خبران الذين وقرا الاعمش انهم بالكسر على الاستيناف فالوقف على وجلة تام او كاف وقرا الحسن يسرعون من اسرع قال الزجاج يسارعون ابلغ من حيث ان المفاعلة تدل على قوة الفعل لاجل المغالبة قوله وهم لها سابقون في الضمير في لها اوجه اظهرها انه يعود على الخيرات لتقدمها في اللفظ وقيل يعود على الجنة وقال ابن عباس الى السعادة وقال الكلبي سبقوا الامم الى الخيرات والظاهر ان سابقون هو الخبر ولها متعلق به قدم للفاصلة وللاختصاص واللام قيل بمعنى الى يقال سبقت له واليه بمعنى ومفعول سابقون محذوف تقديره سابقون الناس اليها وقيل اللام للتعليل اي سابقون الناس لاجلها وتكون هذه الجملة موكدة للجملة قبلها وهي يسارعون في الخيرات لانها تفيد معنى اخر وهو الثبوت والاستقرار بعدما دلت الاولى على التجدد وقال الزمخشري اي فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها قال ابو حيان وهذان القولان عندي واحد قال شهاب الدين ليسا بواحد اذ مراده بالتقدير الاول ان لا يقدر السبق مفعول البتة وانما الغرض الاعلام بوقوع السبق منهم من غير نظر الى من سبقوه كقوله يحيي ويميت وكلوا واشربوا يعطي ويمنع وغرضه في الثاني تقدير مفعول حذف للدلالة واللام للعلة في التقديرين وقال الزمخشري ايضا او اياها سابقون اي ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا قال شهاب الدين يعني ان لها هو المفعول سابقون وتكون اللام قد زيدت في المفعول وحسن زيادتها شيان كل منهما لو انفرد لاقتضى الجواز كون العامل فرعا وكونه متقدما عليه معموله قال ابو حيان ولا يدل لفظ لها سابقون على هذا التفسير لان سبق الشي الشي يدل على تقدم السابق على المسبوق فكيف يقول وهم يسبقون الخيرات هذا لا يصح قال شهاب الدين ولا ادري عدم الصحة من اي جهة وكانه تخيل ان السابق يتقدم على المسبوق فكيف يتلاقيان لكنه كان ينبغي ان يقول فكيف يقول وهم ينالون الخيرات وهم لا يجامعونها لتقدمهم عليها الا ان تكون قد سبقه القلم فكتب بدل وهم ينالون وهم يسبقون وعلى كل تقدير فاين عدم الصحة وقال الزمخشري ايضا ويجوز ان يكون وهم لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها معنى قوله انت لها احمد من بين البشر يعني ان هذا الوصف الذي وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة فتحصل في اللام ثلاثة اقوال احدها انها بمعنى الى والثاني انها للتعليل على بابها والثالث انها مزيدة وفي الخبر المبتدا قولان احدهما انه سابقون وهو الظاهر والثاني انه الجار كقوله انت لها احمد من بين البشر وهذا قد رجحه الطبري وهو مروي عن ابن عباس ولا نكلف نفسا الا وسعها

الاية

الاية لما ذكر كيفية اعمال المومنين المخلصين ذكر حكمين من احكام اعمال العباد فالاول قوله ولا نكلف نفسا الا وسعها قال المفضل الوسع الطاقة وقال مقاتل والضحاك والكلبي والمعتزلة هو دون الطاقة لان الوسع انما سمي وسعا لانه يتسع عليه فعله ولا يصعب ولا يضيق فبين ان اوليك المخلصين لم يكلفوا اكثر مما عملوا قال مقاتل من لم يستطع الجلوس فليوم ايماء ومن لم يستطع الصوم فليفطر قوله ولدينا كتاب ينطق بالحق ينطق صفة لكتاب وبالحق يجوز ان يتعلق بينطق وان يتعلق بمحذوف حالا من فاعله اي ينطق ملتبسا بالحق ونظيره هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق يشبه الكتاب بمن يصدر عنه البيان فان الكتاب لا ينطق لكنه يعرب بما فيه كما يعرب وينطق الناطق اذا كان محقا فان قيل هولاء الذين يعرضون عليهم ذلك الكتاب اما ان يكونوا محيلين للكذب على الله او مجوزين ذلك عليه فان احالوه عليه فانهم يصدقونه في كل ما يقول سواء وجد الكتاب او لم يوجد وان جوزوه عليه لم يحصل لهم بذلك الكتاب يقين لتجويزهم انه سبحانه كتب فيه خلاف ما حصل وعلى التقديرين لا فايدة في ذلك الكتاب فالجواب يفعل الله ما يشا وعلى انه لا يبعد ان يكون ذلك مصلحة للمكلفين من الملايكة قوله وهم لا يظلمون لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيياتهم ونظيره ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا قالت المعتزلة الظلم اما ان يكون بالزيادة في العقاب او بالنقصان من الثواب او بان يعذب على ما لم يعمل او بان يكلفهم فتكون الاية دالة على كون العبد موجدا لفعله والا لكان تعذيبه عليه ظلما ويدل على انه سبحانه لا يكلف لا يطاق واجيب بانه لما كلف ابا لهب ان يومن والايمان يقتضي تصديق الله في كل ما اخبر به ومما اخبر ان ابا لهب لا يومن فقد كلفه بان يومن بانه لا يومن قوله بل قلوبهم في غمرة اي في غفلة وجهالة يعني الكفار في غفلة من هذا اي القران اي من هذا الذي بيناه في القران او من هذا الكتاب الذي ينطق بالحق او من هذا الذي هو وصف المشفقين ولهم اي لهولاء الكفار اعمال من دون ذلك اي اعمال خبيثة من المعاصي من دون ذلك اي سوى جهلهم وكفرهم وقيل دون ذلك يعني من دون اعمال المومنين التي ذكرها الله عز وجل قال بعضهم اراد اعمالهم في الحال وقيل بل اراد المستقبل لقوله هم لها عاملون وانما قال هم لها عاملون لانها مثبتة في علم الله تعالى في اللوح المحفوظ فوجب ان يعملوها ليدخلوا بها النار لما سبق لهم من الشقاوة وقال ابو مسلم هذه الايات من صفات المشفقين كانه قال بعد وصفهم ولا نكلف نفسا الا وسعها ونهايته ما اتى به هولاء المشفقون ولدينا كتاب يحفظ اعمالهم ينطق بالحق فلا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا هو ايضا وصف لهم بالحيرة كانه قال وهم مع ذلك الوجل والخوف كالمتحيرين في ان اعمالهم مقبولة او مردودة ولهم اعمال من دون ذلك اي لهم ايضا من النوافل ووجوه البر سوى ما هم عليه اما اعمالا قد عملوها في الماضي او سيعملوها في المستقبل ثم انه تعالى رجع بقوله حتى اذا اخذنا مترفيهم الى وصف الكفار وهذا قول قتادة قال ابن الخطيب وقول ابي مسلم اولى لانه اذا امكن رد الكلام الى ما يتصل به كان اولى من رده الى ما بعد خصوصا وقد يرغب المرء في فعل الخيرات بان يذكر ان اعمالهم محفوظة كما يحذر بذلك من الشر وقد يوصف المرء لشدة فكره في امر اخرته بان قلبه في غمرة ويراد انه قد استولى عليه الفكر في قبوله او رده وفي انه هل ادى عمله كما يجب او قصر فان قيل فما المراد بقوله من هذا وهو اشارة الى ماذا قلنا اشارة الى اشفاقهم ووجلهم بين انهما مستوليان على قلوبهم قوله هم لها عاملون كقوله هم لها سابقون قوله حتى اذا حتى هذه اما حرف ابتدا والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها واذا الثانية فجايية هي جواب الشرطية واما حرف جر عند بعضهم وتقدم تحقيقه وقال الحوفي حتى غاية وهي عاطفة واذا ظرف مضاف لما بعده فيه معنى الشرط واذا الثانية في موضع جواب الاولى ومعنى الكلام عامل في اذا والمعنى جاروا والعامل في الثانية اخذنا وهو كلام لا يظهر وقال ابن عطية وحتى حرف ابتدا لا غير واذا الثانية التي هي جواب يمنعان من ان تكون حتى غاية لعاملون قال شهاب الدين يعني ان الجملة الشرطية وجوابها لا يظهر ان يكون غاية لعاملون وظاهر كلام مكي انها غاية لعاملون فانه قال اي لكفار قريش اعمال من الشر دون اعمال اهل البر لها عاملون الى ان ياخذ الله اهل النعمة والبطر منهم اذا يضجون والجوار الصراخ

مطلقا وانشد الجوهري • بروّاح من صلوات المليك فطورا سجودا وطورا وجوارا •
وتقدم مستوفى في النحل فصل قال الزمخشري حتى هذه هي التي يبتدا بعدها
الكلام والكلام الجملة الشرطية واعلم ان الضمير في مترفيهم راجع الى من تقدم ذكره من الكفار
لان العذاب لا يليق الا بهم والمراد بالمترفين روساهم قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقال
الضحاك يعني الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطاتك
على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الكلاب والجيف
وقيل اراد عذاب الاخرة ثم بين تعالى انهم اذا نزل بهم هذا يجارون اي يرتفع اصواتهم
بالاستغاثة والصحيح لشدة ما نالهم ويقال لهم على وجه التبكيت لا تجاروا اليوم انكم منا
لا تنصرون وهذا مثل يضرب لمن يتباعد عن الحق كل التباعد فهو كقوله وكنتم على اعقابكم
تنكصون اي ترجعون القهقري وتتاخرون عن الايمان وتنفرون عن تلك الايات وعن
من يتلوها كما يذهب الناكص على عقبيه بالرجوع الى ورايه قوله على اعقابكم فيه وجهان
احدهما انه متعلق بتنكصون كقوله نكص على عقبيه والثاني انه متعلق بمحذوف لانه حال من
فاعل تنكصون قاله ابو البقا وقرا امير المومنين تنكصون بضم الكاف وهي لغة قوله مستكبرين
حال من فاعل تنكصون وبه فيه قولان احدهما انه متعلق بمستكبرين والثاني انه متعلق بـ
بسامرا وعلى الاول فالضمير للقران لانهم كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكان عامة
سمرهم ذكر القران وتسميته سحرا وشعرا وقيل كانوا يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم
وكانوا يفتخرون به لا يفهمون لانه القايمون به وقيل الضمير في به للرسول عليه السلام
او للنكوص المدلول عليه بتنكصون كقوله اعدلوا هو اقرب والبا في هذا كله للسببية لانهم
استكبروا بسبب القران لما تلي عليهم وبسبب البيت لانهم كانوا يقولون هو لنا دون غيرنا
او بالنكوص لانه سبب الاستكبار وقيل ضمن الاستكبار معنى التكذيب فلذلك عدي بالبا
وهذا يتاتى على ان يكون الضمير للقران او للرسول واما على الثاني وهو تعلقه بسامرا
فيجوز ان يكون الضمير عايدا على ما عاد عليه فيما تقدم الا النكوص لانهم كانوا يسمرون
بالقران وبالرسول اي يجعلونهما حديثا لهم يخوضون في ذلك كما يسمر بالاحاديث وكانوا
يسمرون في البيت فالباء ظرفية على هذا وسامرا نصب على الحال اما من فاعل تنكصون واما
من الضمير في مستكبرين وقرا ابن مسعود وابن عباس وابو حيوة ويروى عن ابي عمرو سمرا
بضم الفا وفتح العين مشددة وزيد بن علي وابو رجا وابن عباس ايضا سمارا كذلك الا انه
بزيادة الف بين الميم والرا وكلاهما جمع لسامر وهما جمعان مقيسان لفاعل الصفة نحو ضرب
وضراب في ضارب والافصح الافراد لانه يقع على ما فوق الواحد بلفظ الافراد يقول قوم سامر
ونظيره يخرجكم طفلا والسامر ماخوذ من السمر وهو سهر الليل ماخوذ من السمر وهو ما يقع
على الشجر من ضوء القمر فيجلسون اليه يتحدثون مستانسين به قال •
• كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر •
وقال الراغب السامر الليل المظلم ولا اتيك ما سمر ابنا سمير يعنون الليل والنهار قال الراغب
ويقال سامر وسمار وسمر وسامرون وسمرت الشي والمسمرة اي مهملة والسامري منسوب
الى رجل انتهى والسمرة احد الالوان والسمرا يكنى بها عن الحنطة قوله تعالى تهجرون قرا
العامة بفتح التا وضم الجيم وهي تحتمل وجهين احدهما انها من الهجر بسكون الجيم وهو القطع
والصد اي تهجرون ايات الله ورسوله وتزهدون فيهما ولا تصلونهما والثاني انها من الهجر
بفتحها وهو الهذيان يقال هجر المريض هجرا اي هذى فلا مفعول له ونافع وابن محيصن
بضم التا وكسر الجيم من اهجر اهجارا اي افحش في منطقه قال ابن عباس يعني كانوا يسبون
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وقرا زيد بن علي وابن محيصن وابو نهيك بضم التا
وفتح الها وكسر الجيم مشددة مضارع هجر بالتشديد وهو محتمل لان يكون تضعيفا للهجر
او للهجر او للهجر وقرا ابن ابي عاصم كالعامة الا انه باليا من تحت وهو التفات قوله افلم يدبروا
القول اي يتدبروا القول يعني ما جاءهم من القول وهو القران من حيث انه كان مباينا
لكلام العرب في الفصاحة ومبرا من التناقض مع طوله فيعرفوا ما فيه من الدلالات على صدق محمد

صلى الله عليه وسلم ومعرفة الصانع والوحدانية فيتركوا الباطل ويرجعون الى الحق ام جاءهم
ما لم يات اباهم الاولين واعلم ان اقدامهم على كفرهم وجهلهم لا بد وان يكون لاحد امور اربعة الاول
ان لا يتاملوا دليل نبوته والمراد من قوله افلم يدبروا القول وهو القران يعني انه كان معروفا لهم
والثاني ان يعتقدوا ان مجي الرسل على خلاف العادة وهو المراد من قوله ام جاءهم ما لم يات اباهم
وذلك انهم عرفوا بالتواتر مجي الرسل الى الامم السالفة وكانت الامم بين مصدق ناج وبين مكذب
هالك افما دعاهم ذلك الى تصديق الرسل وقال بعضهم ام هاهنا بمعنى بل والمعنى بل جاءهم ما لم
يات اباهم والثالث ان لا يكونوا عالمين بديانته وحسن خصاله قبل ادعا النبوة وهو المراد من
قوله ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون والمعنى انهم كانوا يعرفونه قبل ان يدعي الرسالة وكونه
في نهاية الامانة والصدق وغاية الفرار عن الكذب والاخلاق الذميمة وكانوا يسمونه الامين
فكيف كذبوه بعد ان اتفقت كلمتهم على تسميته بالامين والرابع ان يعتقدوا فيه الجنون فيقولوا
انما حمله على ادعا الرسالة جنونه وهو المراد بقوله ام يقولون به جنة وهذا ايضا ظاهر الفساد
لانهم كانوا يعلمون بالضرورة انه اعقل الناس فالمجنون كيف يمكنه ان ياتي بمثل ما اتى به من الدلايل
القاطعة والشرايع الكاملة وفي كونهم سموه بذلك وجهان احدهما انهم نسبوه الى ذلك من حيث كان
يطمع في انقيادهم له وكان ذلك من ابعد الامر عندهم فنسبوه الى الجنون لذلك والثاني انهم قالوا
ذلك وانها ما لعوامهم لئلا ينقادوا له فذكروا ذلك استحقارا له ثم انه تعالى بعد ان عد هذه الوجوه
ونبه على فسادها قال بل جاءهم بالحق اي بالصدق والقول الذي لا يخفى صحته على عاقل واكثرهم
للحق كارهون لانهم تمسكوا بالتقليد وعلموا انهم لو اقروا لبطلت رياستهم ومناصبهم فلذلك
كرهوه فان قيل قوله واكثرهم للحق كارهون يدل على ان اقلهم لا يكرهون الحق فالجواب انه كان
منهم من ترك الايمان انفة من توبيخ قومه وان يقولوا ترك دين ابايه لا كراهة للحق قوله
ولو اتبع الحق اهواهم الجمهور على كسر الواو لالتقا الساكنين وابن وثاب بضمها تشبيها بواو الضمير
كما كسرت واو الضمير تشبيها بها فصل قال ابن جريج ومقاتل والسدي وجماعة الحق
هو الله اي لو اتبع الله مرادهم فيما يفعل وقيل لو اتبع مرادهم فسمى لنفسه شريكا وولدا كما
يقولون لفسدت السموات والارض وقال الفرا والزجاج المراد بالحق القران اي انزل القران
بما يحبون من جعل الشريك والولد على ما يعتقدون لفسدت السموات والارض ومن فيهن وهو
كقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا قوله بل اتيناهم بذكرهم العامة على اسناد الفعل الى
ضمير المتكلم المعظم نفسه والمراد اتيتهم رسلنا وقرا ابو عمرو في رواية اتيناهم بالمد بمعنى اعطيناهم
فيحتمل ان يكون المفعول الثاني غير مذكور ويحتمل ان يكون بذكرهم والبا مزيدة فيه وابن
ابي اسحاق وعيسى بن عمر وابو عمرو ايضا اتيتهم بتا المتكلم وحده وابو البرهسم وابو حيوة والجحدري
وابو رجا اتيتهم بتا الخطاب وهو الرسول عليه السلام وعيسى بذكراهم بالف التانيث وقتادة
نذكرهم بنون المتكلم المعظم نفسه مكان الجر مضارع ذكر المشدد ويكون نذكرهم جملة حالية وتقدم
الكلام في خرجا وخراج في الكهف فصل قال ابن عباس بل اتيناهم بذكرهم بما فيه فخرهم
وشرفهم يعني القران فهو كقوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم اي شرفكم وانه لذكر لك اي شرف
لك ولقومك فهم عن ذكرهم معرضون وقيل الذكر هو الوعظ والتحذير ام تسالهم على ما جيتهم
به خرجا اجرا وجعلا فخراج ربك خير اي ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير وهو خير
الرازقين وتقدم الكلام على نظيره قوله وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وهو الاسلام وان
الذين لا يومنون بالاخرة عن الصراط عن دين الحق لناكبون لعادلون عن هذا الطريق لان طريق
الاستقامة واحد وما خالفه فكثير قوله عن الصراط متعلق بناكبون ولا يمنع لام الابتدا من ذلك
على راي تقدم تحقيقه والنكوب والنكب العدول والميل ومنه النكبا للريح بين ريحين سميت
بذلك لعدولها عن المهاب ونكبت حوادث الدهر اي هبت هبوب النكبا والمنكب مجتمع ما بين
العضد والكتف والانكب المايل المنكب ولفلان نكابة في قومه اي نقابة فيحتمل ان يكون
الكاف بدلا من القاف ويقال نكب ونكب مخففا ومثقلا قوله ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم
من ضر قحط وجدب وقيل ضر القتال والسبي وقيل مضار الاخرة وعذابها قوله للجوا
جواب لو وقد توالى فيه لامان وفيه تضعيف لقول من قال ان جوابها اذا نفي بلم ونحوها

مما صدر به حرف النفي بلام انه لا يجوز دخول اللام لو قلت لو قام زيد لكرمتك بقم عمرو ولم يجز
قال لئلا تتوالى اللامات وهذا موجود في ان يجاب كهذه الاية ولم يمتنع والا فما الفرق بين النفي
والاثبات في ذلك واللجاج التمادي في العناد في تعاطي الفعل المزجور عنه ومنه اللجة بالفتح
لتردد الصوت كقوله في لجة امسك فلانا عن فل ولجة البحر لتردد امواجه ولجة الليل لتردد
ظلامه والمجلجة تردد الكلام وهو تكرير لج ويقال لج والتج ومعنى الاية لتمادوا في طغيانهم
وضلالهم متحيرون ولم ينزعوا عنه قوله ولقد اخذناهم بالعذاب قال المفسرون لما
اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة عن اهل مكة ودعا النبي صلى الله
عليه وسلم على قريش ان يجعل عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم القحط حتى اكلوا العلهز جاء ابو
سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة
للعالمين فقال بلى فقال قد قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع فادع الله يكشف عنا هذا
القحط فدعا فكشف عنهم فانزل الله هذه الاية والمعنى اخذناهم بالجوع فما اطاعوا وقال
الاصم العذاب هو ما نالهم يوم بدر من القتل والاسر يعني ان ذلك مع شدته ما دعاهم الى
الايمان وقيل المراد من عذب من الامم الخالية فما استكانوا اي مشركوا العرب قوله فما
استكانوا تقدم في ال عمران وجاء الاول ماضيا والثاني مضارعا ولم يجيئا ماضيين ولا
مضارعين ولا جاء الاول مضارعا والثاني ماضيا لافادة الماضي وجود الفعل وتحققه
وهو بالاستكانة اليق بخلاف التضرع فانه اخبر عنهم بنفي ذلك في الاستقبال واما الاستكانة
فقد توجد منهم وقال الزمخشري فان قلت هلا قيل وما تضرعوا فما يستكينون قلت
لان المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء ان يستكينوا
ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد فظاهر هذا ان حتى غاية لنفي الاستكانة
والتضرع لنفي الاستكانة ومعنى الاستكانة طلب السكون اي ما خضعوا وما ذلوا الى ربهم
وما تضرعوا الى ربهم وما تضرعوا بل مضوا على تمردهم قوله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا
عذاب شديدا قرئ فتحنا بالتشديد قال ابن عباس ومجاهد يعني القتل يوم بدر
وقيل الموت وقيل قيام الساعة وقيل الجوع اذا هم فيه مبلسون ايسون من كل خير وقرا
السلمي مبلسون بفتح اللام من ابلسه اي ادخله في الابلاس وتقدم الكلام في اذا واوه
قوله تعالى وهو الذي انشا لكم السمع والابصار الاية العطف لا يحسن الا مع المجانسة
فاي مناسبة بين قوله وهو الذي انشا لكم السمع والابصار وبين ما قبله والجواب كانه
تعالى لما بين مبالغة الكفار في الاعراض عن سماع الادلة والاعتبار وتامل الحقايق قال
للمؤمنين هو الذي اعطاكم هذه الاشياء ووفقكم لها تنبيها على ان من لم يعمل هذه الاعضاء
فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كقوله فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم
من شيء وافرد السمع والمراد الاسماع ثم قال قليلا ما تشكرون قال ابو مسلم وليس المراد
ان لهم شكرا وان قل لكنه كما يقال الكفور والجاحد للنعمة ما اقل شكر فلان ثم قال
وهو الذي ذراكم في الارض اي خلقكم قال ابو مسلم ويحتمل بسطكم فيها ذرية بعضكم
من بعض حتى كثرتم كقوله ذرية من حملنا مع نوح اي هو الذي جعلكم في الارض
متناسلين ويحشركم يوم القيامة الى دار لا حاكم فيها سواه فجعل حشرهم الى ذلك الموضع
حشرا اليه لا بمعنى المكان ثم قال وهو الذي يحيي ويميت اي نعمة الحياة وان كانت من
اعظم النعم فهي منقطعة وانه سبحانه وان انعم بها فالمقصود منها الانتقال الى دار
الانتقال الى دار الثواب ثم قال وله اختلاف الليل والنهار اي تدبير الليل والنهار
في الزيادة والنقصان ووجه النعمة بذلك معلوم قال الفراء جعلهما مختلفين يتعاقبان
ويختلفان في السواد والبياض ثم قال افلا تعقلون ما ترون قرا ابو عمرو في رواية
يعقلون بالغيبة على الالتفات والمعنى افلا تعقلون ما ترون من صنعه فتعتبرون
قوله تعالى بل قالوا مثل ما قال الاولون اي كذبوا كما كذب الاولون قالوا ائذا متنا
وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون لمحشورون قالوا ذلك منكرين متعجبين واعلم انه
سبحانه لما اوضح دلايل التوحيد عقيبه بذكر المعاد فذكر انكارهم البعث مع وضوح

ادلته

ادلته وذكر ان انكارهم ذلك كانهم تقليد للاولين وذلك يدل على فساد القول بالتقليد
ثم حكى قولهم لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل كانهم قالوا ان هذا الوعد كما وقع منه عليه
السلام فقد وقع قديما من ساير الانبياء ثم لم يوجد مع طول العهد فظنوا ان الاعادة تكون
في الدنيا ثم قالوا لما لم يكن ذلك فهو من اساطير الاولين والاساطير جمع اسطار وهي جمع
سطر اي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له او جمع اسطورة قوله قل لمن الارض ومن فيها
الاية اعلم انه يمكن ان يكون المقصود من هذه الايات الرد على منكري الاعادة وان يكون
المقصود الرد على عبدة الاوثان لان القوم كانوا مقرين بالله وقالوا نعبد الاصنام
ليقربونا الى الله زلفى فقال تعالى قل يا محمد مجيبا لهم يعني اهل مكة لمن الارض ومن
فيها من الخلق ان كنتم تعلمون خالقها ومالكها سيقولون لله فلا بد لهم من ذلك لانهم
يقرون انها مخلوقة فقل لهم اذا اقروا بذلك افلا تذكرون فتعلمون ان من قدر على خلق
الارض ومن فيها ابتداء يقدر على احيائهم بعد الموت وفي قوله ان كنتم تعلمون سؤال يأتي
في قوله وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ووجه الاستدلال به على نفي عبادة
الاوثان من حيث ان عبادة من خلقهم وخلق الارض وكل من فيها هي الواجبة دون عبادة
ما لا يضر ولا ينفع وقوله افلا تذكرون معناه الترغيب في التدبر ليعلموا بطلان ما هم
عليه قوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله ووجه الاستدلال
بها على الامرين كما تقدم وانما قال افلا تتقون اي تحذرون تنبيها على ان اتقاء عذاب الله
لا يحصل الا بترك عبادة الاوثان والاعتراف بجواز الاعادة قوله سيقولون الله قرا
ابو عمرو سيقولون الله في الاخيرتين من غير لام جر ورفع الجلالة جوابا على اللفظ لقوله
من قوله سيقولون الله قل افلا تتقون سيقولون الله قل فاني تسحرون لان المسؤول
به مرفوع المحل وهو من فجاء جوابه مرفوعا مطابقا له لفظا وكذلك رسم الموضعان في مصاحف
البصرة والباقون لله في الموضعين باللام وهو جواب على المعنى لانه لا فرق بين قولك
من رب السموات والارض وبين قوله لمن السموات ولا بين قولك من بيده ولا لمن له الاحسان
وهذا كقولك من رب هذه الدار فيقال زيد وان شئت لزيد لان قولك من ربه ولمن هو
في معنى واحد لان السؤال لا فرق فيه بين ان يقال لمن هذه الدار ومن ربها واللام مرسومة
في مصاحفهم فوافق كل مصحفه ولم يختلف في الاول انه لله لانه مرسوم باللام وجاء الجواب
باللام كما في السؤال ولو حذفت من الجواب لجاز لانه لا فرق بين لمن الارض ومن رب الارض
الا انه لم يقرا به احد قوله قل من بيده ملكوت كل شيء لما ذكر الارض اولا والسماء ثانيا
عم الحكم ههنا فقال من بيده ملكوت كل شيء ويدخل في الملكوت الملك والتاء فيه
على سبيل المبالغة وهو يجير اي يؤمن من يشاء ولا يجار عليه اي لا يؤمن من اخافه الله يقال
اجرت فلانا على فلان اذا منعته منه قوله ان كنتم تعلمون فيه سؤال وهو كيف قال
ان كنتم تعلمون ثم حكى عنهم سيقولون الله وفيه تناقض والجواب لا تناقض لان قوله
ان كنتم تعلمون لا ينفي علمهم بذلك وقد يقال مثل ذلك في الحجاج على وجه التاكيد لعلمهم
والبعث على اعترافهم بما يورد من ذلك وقوله فانى تسحرون اي تصرفون عن توحيده
وطاعته والمعنى كيف يخيل لكم الحق باطلا بل اتيناهم بالحق بالصدق وانهم لكاذبون
فيما يدعون من الشرك والولد وقرئ هنا ببعض ما قرئ به في نظيره وقرا ابن ابي اسحاق
اتيتهم بتاء الخطاب وغيره وبتاء المتكلم قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه
من اله الاية وهذه الاية كالتنبيه على الرد على الكفار الذين يقولون الملائكة بنات
الله وقوله وما كان معه من اله رد على اتخاذهم الاصنام الهة ويحتمل ان يريد به ابطال
قول النصارى والثنوية ثم انه تعالى ذكر الدليل على ذلك بقوله اذا لذهب كل اله بما
خلق ولعلا بعضهم على بعض اي لانفرد كل واحد من الالهة بما خلقه ولم يرض ان يضاف
خلقه الى غيره ومنع الاله الاخر عن الاستيلاء على ما خلق ولعلا بعضهم على بعض اي طلب
بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم وحين لم تروا ذلك فاعلموا انه اله واحد
قوله اذا جواب وجزاء قال الزمخشري فان قلت اذا لا تدخل الا على كلام هو جواب

وجزا فكيف وقع قوله لذهب جوابا وجزا ولم يتقدم شرط ولا سوال سايل قلت الشرط محذوف
تقديره لو كان معه الهة حذف لدلالة وما كان معه من اله هذا راي الفرا وقد تقدم في الاسرا
في قوله واذن لا تخذوك خليلا ثم انه تعالي نزه نفسه فقال سبحان الله عما يصفون من اثبات
الولد والشريك قري تصفون بتا الخطاب وهو التفات قوله عالم الغيب قرا ابن كثير وابو
عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم بالجر على البدل من الجلالة وقال الزمخشري صفة لله كانه
محض الاضافة فيعرف المضاف والباقون بالرفع على القطع خبر مبتدا محذوف ومعنى الاية انه
مختص بعلم الغيب والشهادة فغيره وان علم الشهادة لكن لم يعلم الغيب لان الشهادة لا يتكامل
بها النفع الامع العلم بالغيب وذلك كالوعيد لهم فلذلك قال فتعالى الله عما يشركون قوله
فتعالى عطف على معنى ما تقدم كانه قال علم الغيب فتعالى كقولك زيد شجاع فعظمت منزلته
اي شجع فعظمت او يكون على اضمار القول اي اقول فتعالى الله قوله قل رب اما تريني اي
ان ترني ما يوعدون اي ما اوعدتهم من العذاب قرا العامة تريني بصريح اليا والضحاك ترئني
بالهمز عوض اليا وهذا كقراته فاما ترين لترون بالهمز وهو بدل شاذ قوله رب فلا تجعلني
جواب الشرط ورب نداء معترض بين الشرط وجزايه وذكر الرب مرتين مرة قبل الشرط ومرة
قبل الجزا مبالغة في التضرع فان قيل كيف يجوز ان يجعل الله نبيه مع الظالمين حتى يطلب
ان لا يجعله معهم فالجواب يجوز ان يسال العبد ربه ما علم انه يفعله وان يستعيذ به مما
علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه قوله وانا على ان نريك هذا الجار متعلق
بلقادرون او بمحذوف على خلاف سبق في ان هذه اللام تمنع ما بعدها ان يعمل فيما قبلها
والمعنى انهم كانوا ينكرون الوعد بالعذاب فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد في الدنيا
وقيل المراد عذاب الاخرة قوله ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح والاعراض
والصبر على اذاهم قال الزمخشري قوله ادفع بالتي هي احسن السيئة ابلغ من ان يقال بالحسنة
السيئة لما فيه من التفضيل والمعنى الصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى
اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الطاقة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء السيئة قيل
هذه الاية نسخت باية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تود الى نقص في
دين او مروة ثم قال نحن اعلم بما يصفون اي يقولون من الشرك قوله تعالى وقل رب
اعوذ بك من همزات الشياطين الاية ادب رسوله بقوله ادفع بالتي هي احسن ابتعه بما يقوي
على ذلك وهو الاستعاذة بالله من امرين احدهما من همزات الشياطين والهمزات جمع همزة
وهي النخسة والدفعة بيد وغيرها وهو كالهز والاز ومنه مهماز الرايض والمهماز مفعال من
ذلك كالمحراث من الحرث والهماز الذي يعيب الناس كانه يدفع بلسانه وينخس به

فصل

معنى اعوذ بك امتنع واعتصم بك من همزات الشياطين نزغاتهم وقال الحسن وساوسهم
وقال مجاهد نفخهم ونفثهم وقال اهل المعاني دفعهم بالاغوا الى المعاصي قال الحسن
كان عليه السلام يقول بعد استفتاح الصلوة لا اله الا الله ثلثا الله اكبر ثلثا اللهم اني اعوذ
بك من همزات الشياطين همزه ونفثه ونفخه فقيل يا رسول الله ما همزه قال الموتة الذي
ياخذ ابن ادم اي الجنون قيل فما نفثه قال الشعر قيل فما نفخه قال الكبر والثاني قوله
واعوذ بك رب ان يحضرون اي في شي من اموري وانما ذكر الحضور لان الشيطان اذا حضر
وسوس قوله تعالى حتى اذا جا احدهم الموت الاية في حتى هذه اوجه احدها انها غاية
لقوله بما يصفون والثاني انها غاية لكاذبون وبيين هذين الوجهين قول الزمخشري
حتى يتعلق بيصفون اي لا يزالون على سو الذكر الى هذا الوقت والاية فاصلة بينهما على
وجه الاعتراض والتاكيد ثم قال او على قوله وانهم لكاذبون قال شهاب الدين قوله
او على قوله كذا كلام محمول على المعنى اذ التقدير حتى معلقة على يصفون او على قوله لكاذبون
وفي الجملة فعبارة مشكلة الثالث قال ابن عطية حتى في هذه المواضع حرف ابتدا ويحتمل
ان تكون غاية مجردة بتقدير كلام محذوف والاول ابين لان ما بعدها هو المعنى به المقصود
ذكره قال ابو حيان فتوهم ابن عطية ان حتى اذا كانت حرف ابتداء لا تكون غاية وهي وان
كانت حرف ابتدا فالغاية معنى لا يفارقها ولم يبين الكلام المحذوف المقدر وقال ابو البقا حتى

غاية في معنى العطف وقال ابو حيان والذي يظهر لي ان قبلها جملة محذوفة تكون حتى غاية
لها يدل عليها ما قبلها التقدير فلا اكون كالكفار الذين يهمزهم الشياطين ويحضرونهم حتى اذا جا
ونظير حذفها قول الشاعر • فيا عجبا حتى كليب يسبني •
اي يسبني الناس كلهم حتى كليب الا ان في البيت دل ما بعدها عليها بخلاف الاية الكريمة قوله
رب ارجعون وقوله ارجعون بخطاب الجمع ثلاثة اوجه اجودها انه على سبيل التعظيم كقوله
• وان شيت حرمت النساء سواكم • وان شيت لم اطعم نقاخا ولا بردا •
وقال اخر • الا فارحمون يا اله محمد • وقد يوخذ من هذا البيت ما يرد على ابن مالك
حيث قال انه لم يعلم احدا جاز للداعي ان يقول يا رحيمون قال لئلا يوهم خلاف التوحيد
وقد اخبر تعالى عن نفسه بهذه الصفة وشبهها للتعظيم في مواضع من كتابه الكريم كقوله تعالى
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون الثاني انه نادى ربه ثم خاطب ملايكة ربه بقوله
ارجعون ويجوز على هذا الوجه ان يكون على حذف مضاف اي يا ملايكة ربي فحذف
المضاف ثم التفت اليه في عود الضمير كقوله وكم من قرية اهلكناها ثم قال او هم قايلون
التفاتا لاهل المحذوف الثالث ان ذلك يدل على تكرير الفعل كانه قال ارجعون ارجعون ارجعون
نقله ابو البقا وهو يشبه ما قالوه في قوله القيا في جهنم انه بمعنى الق الق ثني الفعل
للدلالة على ذلك وانشدوا • قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل •
اي قف قف فصل اعلم انه تعالى اخبر ان هولاء الكفار الذين ينكرون البعث يسالون
الرجعة الى الدنيا عند معاينة الموت فقال حتى اذا جا احدهم الموت قال رب ارجعون
ولم يقل ارجعني وهو يسال الله وحده الرجعة لما تقدم في الاعراب وقال الضحاك كنت
جالسا عند ابن عباس فقال من لم يزك ولم يحج سال الرجعة عند الموت فقال رجل انما يسال
ذلك الكفار فقال ابن عباس انا اقرا عليك به قرانا وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم
الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق وقال عليه السلام اذا حضر الانسان
الموت جمع كل شي كان يمنعه من حقه بين يديه فعنده يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا
فيما تركت واختلفوا في وقت مسيلة الرجعة فالاكثرون على انه يسال حال المعاينة وقيل
عند معاينة النار في الاخرة وهذا القايل انما ترك ظاهر هذه الاية لما اخبر الله تعالى عن
اهل النار في الاخرة انهم يسالون الرجعة قوله تعالى لعلي اعمل صالحا فيما تركت اي ضيعت
اي اقول لا اله الا الله وقيل اعمل بطاعة الله تعالى وقيل اعمل صالحا فيما قصرت فيدخل
فيه العبادات البدنية والمالية وهذا اقرب لانهم تمنوا الرجعة ليصلحوا ما افسدوه فان قيل قوله
لعلي اعمل صالحا كيف يجوز ان يسال الرجعة مع الشك فالجواب ليس المراد بلعل الشك فانه
في هذا الوقت باذل للجهد في العزم على الطاعة وان اعطي ما سال فهو مثل من قصر في حق
نفسه وعرف سو عاقبة ذلك التقصير فيقول مكنوني من التدارك لعلي اتدارك فيقول
هذه الكلمة مع كونه جازما بانه سيتدارك ويحتمل ايضا ان الامر المستقبل اذا لم يعرفوه واوردوا
الكلام الموضوع للترجي والظن دون اليقين فقد قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
قوله كلا كلمة ردع وزجر اي لا نرجع معناه المنع مما طلبوا كما يقال لطالب الامر المستبعد هيهات
ويحتمل ان يكون ذلك اخبارا بانهم يقولون ذلك وان الخبر حق فكانه قال حقا انها كلمة هو
قايلها والاول اقرب قوله انها كلمة من باب اطلاق الجزء وارادة الكل كقوله اصدق كلمة
قالها شاعر كلمة لبيد يعني قوله • الا كل شي ما خلا الله باطل •
وتقدم طرف من هذا في ال عمران وهو قايلها صفة لكلمة والمراد بالكلمة سواله الرجعة كلمة هو
قايلها ولا ينالها وقيل معناه لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلا الحسرة قوله تعالى ومن ورايهم
اي امامهم وبين ايديهم برزخ البرزخ الحاجز بين المتنافيين وقيل الحجاب بين الشيين ان يصل
احدهما الى الاخر وهو بمعنى الاول وقال الراغب اصله برزة بالهاء فعرب وهو في القيامة الحايل
بين الانسان وبين المنازل الرفيعة والبرزخ قبل البعث المنع بين الانسان وبين الرجعة التي
يتمناها قال مجاهد حجاب بينهم وبين الرجوع الى الدنيا قال قتادة بقية الدنيا قال الضحاك
البرزخ ما بين الموت الى البعث وقيل هو القبر وهم فيه الى يوم القيامة يبعثون قوله تعالى

فاذا نفخ في الصور الاية لما قال ومن ورائهم برزخ الي يوم يبعثون ذكر احوال ذلك اليوم
تقال فاذا نفخ في الصور قراء العامة بضم الصاد وسكون الواو وهو الذي اذا نفخ فيها ظهر صوت
عظيم جعله الله علامة لخراب الدنيا ولاعادة الاموات قال عليه السلام انه قرن ينفخ فيه
وقرا ابن عباس والحسن بفتح الواو جمع صورة والمعنى فاذا نفخ في الصور ارواحها وقرا ابو رزين
بفتح الصاد وفتح الواو وهو شاذ وهذا عكس لحي بضم اللام جمع لحية بكسرها وقيل ان النفخ
في الصور استعارة والمراد منه البعث والحشر قوله تعالى فلا انساب جمع نسب وهو
القرابة من جهة الولادة ويعبر به عن التواصل وهو في الاصل مصدر قال

• لا نسب اليوم ولا خلة • اتسع الخرق على الراقع •

يجوز تعلقه بنفس انساب وكذلك يومئذ اي فلا قرابة بينهم في ذلك اليوم ويجوز ان يتعلق
قوله بينهم بمحذوف على انه صفة لانساب والتنوين في يومئذ عوض من جملة تقديره
يومئذ ينفخ في الصور **فصل** من المعلوم انه تعالى اذا اعادهم فالانساب ثابتة
لان المعاد هو الولد والوالد فلا يجوز ان يكون المراد نفي النسب حقيقة بل المراد نفي حكمه
وذلك من وجوه احدها ان من حق النسب ان يقع به التعاطف والتراحم كما يقال في الدنيا
اسالك بالله والرحم ان يفعل كذا فنفي سبحانه ذلك من حيث ان كل احد من اهل النار يكون
مشغولا بنفسه وذلك يمنعه من الالتفات الي النسب كما ان الانسان في الدنيا اذا وقع في
الام عظيمة ينسى ولده ووالده وثانيها ان من حق النسب ان يحصل به التفاخر في الدنيا
وان يسال البعض عن احوال البعض وفي الاخرة لا يتفرغون لذلك وثالثها ان ذلك
عبارة عن الخوف الشديد فكل امر مشغول بنفسه عن نسبه واخيه وفصيلته التي تؤويه
قال ابن مسعود يوخذ العبد والامة يوم القيمة على روس الخلايق ينادي مناد الا ان
هذا فلان فمن له عليه حق فليات الي حقه فيفرح المرء يومئذ ان يثبت له الحق على امه او
اخيه او ابيه ثم قرا ابن مسعود فلا انساب بينهم اي لا يتفاخرون في الدنيا ولا يتساءلون
يومئذ ولا يتساءلون وروى عطا عن ابن عباس انها النفخة الثانية فلا انساب بينهم
اي لا يتفاخرون في الدنيا ولا يتساءلون سوال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا من انت
ومن اي قبيل انت ولم يرد ان الانساب تنقطع فان قيل اليس قد جاء في الحديث كل سبب
ونسب ينقطع الا سببي ونسبي قيل معناه لا ينفع يوم القيمة سبب ولا نسب الا سببه ونسبه
وهو الايمان والقران فان قيل قد قال ههنا ولا يتساءلون وقال ولا يسال حميم حميما وقال
واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فالجواب روي ابن عباس ان للقيمة احوالا ومواطن
ففي مواطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الامر عن التساؤل فلا يتساءلون وفي موطن
يفيقون افاقة فيتساءلون وقيل اذا نفخ في الصور نفخة واحدة شغلوا بانفسهم عن التسايل
فاذا نفخ فيه اخرى اقبل بعضهم وقالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقيل المراد انه لا يتساءلون
بحقوق النسب وقيل لا يتساءلون صفة للكفار لشدة خوفهم واما قوله واقبل بعضهم على
بعض يتساءلون فهو صفة اهل الجنة اذا دخلوها وعن الشعبي قالت عايشة يا رسول الله
اما نتعارف يوم القيمة اسمع الله يقول فلا انساب بينهم يومئذ فقال عليه السلام ثلث
مواطن عند رؤية القيمة تذهل فيها كل مرضعة عما ارضعت وعند الموازين وعلى جسر جهنم
قوله فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون لما ذكر القيمة شرح احوال السعدا والاشقيا
قيل المراد بالموازين الاعمال فمن اتي بما له قدر وخطر فهو الفايز المفلح ومن اتي بما لا وزن له
ولا قدر فهو الخاسر قال ابن عباس قال الموازين جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال
الصالحة التي لها وزن وقدر عند الله من قوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا اي قدرا وقيل
ميزان له لسان وكفتان توزن به الحسنات في احسن صورة والسيات في اقبح صورة
وتقدم ذلك في سورة الانبيا قوله ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم
قال ابن عباس غبنوها بان صارت منازلهم للمومنين وقيل امتنع انتفاعهم بانفسهم
لكونهم في العذاب قوله في جهنم خالدون يجوز ان يكون خالدون خبرا ثانيا لاولئك وان
يكون خبر مبتدا مضمر اي هم خالدون وقال الزمخشري في جهنم خالدون بدل من خسروا

انفسهم

انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها قال ابو حيان جعل في جهنم بدلا من
خسروا انفسهم وهذا بدل غريب وحقيقته ان يكون البدل الفعل الذي تعلق به في جهنم اي
استقروا في جهنم وهو بدل شي من شي لان من خسر نفسه استقر في جهنم قال شهاب الدين
فجعل الشيخ الجار والمجرور البدل دون خالدون والزمخشري جعل جميع ذلك بدلا بدليل قوله
بعد ذلك او خبرا بعد خبر لاولئك او خبر مبتدا محذوف وهذان انما يليقان بخالدون واما في
جهنم فيتعلق به فيحتاج كلام الزمخشري الي جواب وايضا فيصيرون خالدون مفلتا وجوز
ابو البقا ان يكون الموصول نعتا لاسم الاشارة وفيه نظر اذ الظاهر كونه خبرا له قوله تلفح
يجوز استينافه ويجوز حاليته ويجوز كونه خبرا اخر لاولئك واللفح اصابة النار الشي بوهجها
واحراقها له وهو اشد من النفح وقد تقدم النفح في الانبيا قوله وهم فيها كالحون الكلوح
تشمير الشفة العليا واسترخا السفلى قال عليه السلام وهم فيها كالحون قال تشويه
النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ
سرته وقال ابو هريرة يعظم الكافر في النار مسيرة سبع ليال ضرسه مثل احد وشفاههم
عند سررهم سود زرق خنق مقبوحون ومنه كلوح الاسد اي تكشيره عن انيابه ودهر كالح
وبرد كالح اي شديد وقيل الكلوح تقطيب الوجه وبسوره وكلح الرجل يكلح كلوحا وكلاحا
قوله تعالى الم تكن اياتي تتلى عليكم يعني القران تخوفون بها فكنتم بها تكذبون
قالت المعتزلة دلت الاية على انهم عذبوا بسوء افعالهم ولو كان فعل العبد بخلق الله
لما صح ذلك والجواب ان القادر على الطاعة والمعصية ان صدرت المعصية عنه لا لمرجح
البتة كان صدورها عنه اتفاقيا لا اختياريا فوجب ان لا يستحق العقاب وان كان لمرجح
فذلك المرجح ليس من فعله والا لزم التسلسل فحينئذ يكون صدور تلك الطاعة عنه
اضطراريا لا اختياريا فوجب ان لا يستحق الثواب قوله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا
الاية لما قال سبحانه الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ذكر ما يجري مجرى الجواب
عنه من وجهين الاول قولهم ربنا غلبت علينا شقوتنا قرا الاخوان شقاوتنا بفتح الشين
والف بعد القاف والباقون بكسر الشين وسكون القاف وهما مصدران بمعنى واحد فالشقاوة
كالقساوة وهي لغة فاشية والشقوة كالفطنة والنعمة وانشد الفرا

• كلف من عنايه وشقوته • بنت ثماني عشرة من حجته •

وهي لغة الحجاز قال ابو مسلم الشقوة من الشقا كجرية الما والمصدر الجري وقد يجي لفظ فعلة
والمراد به الهيئة والحال فيقول جلسة حسنة وركبة وقعدة وذلك من الهيئة وتقول
عاش فلان عيشة طيبة ومات ميتة كريمة وهذا هو الحال والهيئة فعلى هذا المراد من الشقوة
حال الشقا وقرا قتادة والحسن في رواية كالاخوين الا انهما كسرا الشين وشبل في اختياره كالباقين
الا انه فتح الشين قال الزمخشري غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه
منك والشقاوة سوء العاقبة **فصل** قال الجبائي المراد ان طلبنا اللذات المحرمة
وخروجنا عن العمل الحسن ساقنا الي هذه الشقاوة فاطلق اسم المسبب على السبب ليس وهذا
باعتذار فيه لان علمهم بان لا عذر لهم فيه ثابت عندهم ولكنه اعتراف بقيام الحجة عليهم
في سوء صنيعهم واجيب بانك حملت الشقاوة على طلب تلك اللذات المحرمة وطلب تلك
اللذات حصل باختيارهم او لا باختيارهم فان حصل باختيارهم فذلك الاختيار محدث
فان استغنى عن المؤثر فلا يجوز في كل الحوادث ذلك وحينئذ ينسد عليك باب اثبات الصانع
وان افتقر الي محدث فمحدثه اما العبد او الله فان كان هو العبد فذلك باطل لوجوه احدها ان
قدرة العبد صالحة للفعل والترك فان توقف صدور تلك الارادة عنه الي مرجح اخر عاد الكلام
فيه ولزم التسلسل وان لم يتوقف على المرجح فقد جوزت رجحان احد طرفي الممكن على الاخر وذلك
يسد باب اثبات الصانع وثانيها ان العبد لا يعلم كمية تلك الافعال ولا كيفيتها والجاهل بالشي لا
يكون محدثا له والا لبطلت دلالة الاحكام والاتقان على العلم وثالثها ان احدا في الدنيا لا يرضى
بان يختار الجهل بل لا يقصد الا تحصيل العلم فالكافر ما قصد الا تحصيل العلم فان كان هو الموجد
لفعله وجب ان لا يحصل الا ما قصد ايقاعه لكنه لم يقصد الا تحصيل العلم فكيف حصل الجهل فثبت ان

الموجد للدواعي والبواعث هو الله ثم ان الداعية ان كانت سابقة الى الخير كانت سعادة وان
كانت سابقة الى الشر كانت شقاوة وقال القاضي قولهم ربنا غلبت علينا شقوتنا دليل على انه
لا عذر لهم لاعترافهم فلو كان كفرهم من خلقه وارادته وعلموا ذلك لكان ذكرهم ذلك اولى واقرب
الى العذر والجواب قد بينا ان الذي ذكروه ليس الا ذلك ولكنهم مقرون ان لا عذر لهم فلا جرم
قيل اخسئوا فيها والوجه الثاني لهم في الجواب قولهم وكنا قوما ضالين اي عن الهدى وهذا
الضلال الذي جعلوه كالعلة في اقدامهم على التكذيب ان كان هو نفس التكذيب لزم تعليل
الشي بنفسه وهو باطل فلم يبق الا ان يكون ذلك الضلال عبارة عن شي آخر ترتب عليه فعلهم
وما ذاك الا خلق الداعي الى الضلال ثم ان القوم لما اعتذروا بهذين العذرين قالوا ربنا اخرجنا
منها اي من النار فان عدنا لما انكرنا فانا ظالمون فعند ذلك اجابهم الله تعالى فقال اخسئوا
فيها ولا تكلمون فان قيل كيف يجوز ان يطلبوا الخروج وقد علموا ان عقابهم دائم قلنا يجوز
ان يلحقهم السهو عن ذلك في احوال شدة العذاب فيسالون الرجعة ويحتمل ان يكون مع علمهم
بذلك يسالون على وجه الغوث والاستراح قوله اخسئوا فيها ابعدوا فيها كما يقال للكلب
اذا طرد اخسا اي انزجروا كما ينزجر الكلاب فاذا زجرت يقال خسا الكلب وخسا بنفسه ولا تكلمون
في رفع العذاب فاني لا ارفعه عنكم وليس هذا نهيا لانه لا تكليف في الاخرة قال الحسن هو
آخر كلام يتكلم به اهل النار ثم لا يتكلمون بعدها الا الشهيق والزفير ويصير لهم عوا كعواء
الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون قوله تعالى انه كان فريق من عبادي الاية العامة على كسر
همزة انه استئنافا وابي والعتكي بفتحها اي لانه والهاء ضمير الشان قال العكبري الهاء في انه
عماد ويسمى المجهولة ايضا قوله فاتخذتموهم سخريا قرا الاخوان ونافع هنا وفي ص بكسر
السين والباقون بضمها في الموضعين وسخريا مفعول ثان للاتخاذ واختلفت في معناهما فقال
الخليل وسيبويه والكسائي وابو زيد هما بمعنى واحد نحو دري ودري ولجي ولجي بضم اللام
وكسرها وقال يونس ان اريد الخدمة والسخرة فالضم لا غير وان اريد الهزء فالضم والكسر ورجح
ابو علي وتبعه مكي قراءة الكسر قال لان ما بعدها اليق لها لقوله وكنتم منه تضحكون ولا حجة
فيه لانهم جمعوا بين الامرين سخروهم في العمل وسخروا منهم استهزاء والسخرة بالتاء الاستخدام
وسخريا بالضم منها والسخر بدونها الهزء والمكسور منه قال الاعشى

انا اتاني حديث لا اسر به • من علو لا كذب فيه ولا سخر

ولم تختلف السبعة في ضم ما في الزخرف لان المراد الاستخدام وهو يقوي قول من فرق بينهما
الا ان ابن محيصن وابن مسلم واصحاب عبد الله كسروه ايضا وهي مقوية لقول من جعلهما بمعنى
والياء في سخريا وسخريا للنسب زيدت للدلالة على قوة الفعل فالسخري اقوى من السخر كما قيل
في الخصوص خصوصية دلالة على قوة ذلك قال معناه الزمخشري **فصل** اعلم انه تعالى
قرعهم بامر يتصل بالمؤمنين قال مقاتل ان رؤوس قريش مثل ابي جهل وعتبة وابي بن خلف
كانوا يستهزئون باصحاب محمد ويضحكون بالفقراء منهم كبلال وخباب وعمار وصهيب والمعنى
اتخذتموهم هزوا حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري وكنتم منهم تضحكون ونظيره
ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون ثم انه تعالى ذكر ما يوجب اسفهم وحسرتهم بان
وصف ما جازى به اوليك فقال اني جزيتهم اليوم بما صبروا اي جزيتهم الجزاء الوافر قوله انهم
هم الفائزون قرا الاخوان بكسر الهمزة استئنافا والباقون بالفتح وفيه وجهان اظهرهما انه تعليل
فيكون نصبا باضمار الخافض اي لانهم هم الفائزون وهي موافقة للاولى فان الاستئناف يعلل به
ايضا والثاني قاله الزمخشري ولم يذكر غيره انه مفعول ثان لجزيتهم اي بانهم اي فوزهم وعلى الاول
يكون المفعول الثاني محذوفا قوله تعالى قال كم لبثتم قرا الاخوان قل كم لبثتم قل ان لبثتم
بالامر في الموضعين وابن كثير كالاخوين في الاول فقط والباقون قال في الموضعين على الاخبار
عن الله او الملك والفعلان مرسومان بغير الف في مصاحف الكوفة وبالف في مصاحف مكة
والمدينة والشام والبصرة فحمزة والكسائي وافقا مصاحف الكوفة وخالفها عاصم او وافقها
على تقدير حذف الالف من الرسم واراد بها وابن كثير وافق في الثاني مصاحف مكة وفي الاول
غيرها او اباها على تقدير حذف الالف واراد بها واما الباقون فوافقوا مصاحفهم في الاول

والثاني فعلى الامر معنى الاية قولوا ايها الكافرون فاخرج الكلام مخرج الواحد والمراد منه الجماعة
اذا كان معناه مفهوما ويجوز ان يكون الخطاب لكل واحد منهم اي قل ايها الكافر واما على الخبر اي قال
الله عز وجل للكفار يوم البعث كم لبثتم في الارض اي في الدنيا او في القبور وكم في موضع نصب على
ظرف الزمان اي كم سنة وعدد بدل من كم قاله ابو البقا وقال غيره ان عدد سنين تمييز لكم وهذا
هو الصحيح وقرا الاعمش والمفضل عن عاصم عددا منونا وفيه اوجه احدها ان يكون عددا مصدرا
اقيم مقام الاسم فهو نعت مقدم على المنعوت قاله صاحب اللوامح يعني ان الاصل سنين عددا اي
معدودة لكنه يلزم تقديم النعت على المنعوت فصوابه ان يقول فانتصب حالا هذا مذهب البصريين
والثاني ان لبثتم بمعنى عددتم فيكون نصب عددا على المصدر وسنين بدل منه وقال صاحب
اللوامح ايضا وفيه بعد لعدم دلالة اللبث على العدد والثالث ان عددا تمييز لكم وسنين بدل منه
فصل الغرض من هذا السؤال التبكيت والتوبيخ لانهم كانوا ينكرون لبثا في الاخرة اصلا
ولا يعدون اللبث الا في دار الدنيا ويظنون ان بعد الموت يدوم الفناء ولا اعادة فلما حصلوا في النار
وايقنوا دوامها وخلودهم فيها سالهم كم لبثتم في الارض منبها لهم على ما ظنوه دائما طويلا وهو
يسير بالاضافة الى ما انكروه فحينئذ يحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدونه في الدنيا من حيث
تيقنوا خلافه وهذا هو الغرض من السؤال فان قيل فكيف يصح ان يقولوا في جوابهم لبثنا يوما
او بعض يوم ولا يقع الكذب من اهل النار فالجواب لعلهم نسوا لكثرة ما هم فيه من الاهوال
وقد اعترفوا بهذا النسيان وقالوا فاسال العادين قال ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب
بين النفختين وقيل مرادهم بقولهم لبثنا يوما او بعض يوم تصغير لبثهم وتحقيره بالاضافة الى ما
وقعوا فيه من العذاب وقيل ارادوا ان لبثهم في الدنيا يوما او بعض يوم من ايام الاخرة لان يوم
القيمة مقداره خمسين الف سنة **فصل** اختلفوا في ان السؤال عن اي لبث فقيل
عن لبثهم احياء في الدنيا فاجابوا بان قدر لبثهم كان يسيرا بناء على ان الله اعلمهم ان الدنيا متاع قليل
وان الاخرة في دار القرار وقيل المراد اللبث في حال الموت لان قوله في الارض يفيد الكون في
الارض اي في القبر والحي انما يقال فيه انه على الارض وهذا ضعيف لقوله ولا تفسدوا في الارض
واستدلوا ايضا بقوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ثم قالوا فاسال
العادين اي الملائكة الذين يحفظون اعمال بني ادم ويحصونها عليهم وهذا قول عكرمة وقيل
الملائكة الذين يعدون ايام الدنيا قيل المعنى سل من يعرف عدد ذلك فانا نسيناه وقرئ العادين
بالتخفيف وهي قراءة الحسن والكسائي في رواية جمع عاد اسم فاعل من عدا اي الظلمة فانهم يقولون
مثل ما قلنا وقيل العادين القدماء المعمرين فانهم سيستقصونها قاله ابو البقا كقولك هذه بير
عادية اي سل من بعدنا وحذف احدى يائي النسب كما قالوا الاشعرون وحذف الاخرى لالتقاء
الساكنين قال شهاب الدين المحذوف اولا هي الياء الثانية لانها المتحركة وبحذفها يلتقي ساكنان
ويؤيد ما ذكره ابو البقا ما نقله الزمخشري قال وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم يستقصونها
فكيف بمن دونهم وقال ابن خالويه ولغة اخرى العاديين يعني بياء مشددة جمع عادية بمعنى القدماء
فصل احتج من انكر عذاب القبر بهذه الاية فقال قوله كم لبثتم في الارض يتناول زمان
كونهم احياء فوق الارض وزمان كونهم امواتا في بطن الارض فلو كانوا معذبين في القبر لعلموا ان
مدة مكثهم في الارض طويلة فلم يقولوا لبثنا يوما او بعض يوم والجواب من وجهين الاول ان
الجواب لا بد وان يكون بحسب السؤال وانما سيلوا عن موت لا حياة بعده الا في الاخرة وذلك لا
يكون الا بعد عذاب القبر والثاني يحتمل ان يكونوا سيلوا عن قدر اللبث الذي اجتمعوا فيه فلا
مدخل في تقدم موت بعضهم على بعض فيصح ان يكون جوابهم لبثنا يوما او بعض يوم عند
انفسنا قوله ان لبثتم اي ما لبثتم الا قليلا فكانه قيل لهم صدقتم ما لبثتم فيها الا قليلا لانها
في مقابلة ايام الاخرة قوله لو انكم جوابها محذوف تقديره لو كنتم تعلمون مقدار لبثكم
من الطول ما اجبتم بهذه المدة وانتصب قليلا على النعت لزمن محذوف او لمصدر محذوف اي الا
زمنا قليلا او الا لبثا قليلا قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا الاية في نصب عبثا وجهان احدهما
انه مصدر واقع موقع الحال اي عابثين والثاني انه مفعول من اجله اي لاجل العبث والعبث
اللعب وما لا فايدة فيه اي لتعبثوا وتلعبوا كما خلقت البهايم لا ثواب لها ولا عقاب وكل ما ليس

له غرض صحيح يقال عبث يعبث عبثا اذا خلط عمله بلعب واصله من قولهم عبثت الاقط اي خلطته والعبيث طعام مخلوط بشي ومنه العوبثاني لتمر وسويق وسمن مختلط قوله وانكم يجوز ان يكون معطوفا على انما خلقناكم لكون الحسبان منسحبا عليه وان يكون معطوفا على عبثا اذا كان مفعولا من اجله قال الزمخشري ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولتركك غير مرجوعين وقدم الينا على ترجعون لاجل الفواصل قوله لا ترجعون هو خبر انكم وقرا الاخوان ترجعون مبنيا للفاعل والباقون مبنيا للمفعول وقد تقدم ان رجع يكون لازما ومتعديا وقيل لا يكون الا متعديا والمفعول محذوف **فصل** لما شرح صفات القيمة استدل على وجودها بانه لولا القيمة لما تميز المطيع عن العاصي والصديق عن الزنديق وحينئذ يكون خلق هذا العالم عبثا وهو كقوله ايحسب الانسان ان يترك سدا والمعنى انما خلقناكم للعبادة واقامة اوامر الله عز وجل روي ان رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرقاه في اذنيه افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون حتى ختمها فبرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا رقيته في اذنه فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو ان رجلا موقنا قراها على جبل لزال ثم نزه نفسه تعالى عما يصفه به المشركون فقال فتعالى الله الملك الحق والملك هو المالك للاشيا الذي لا يزول ملكه وقدرته والحق هو الذي يحق له الملك لان كل شي منه واليه والثابت الذي لا يزول ملكه لا اله الا هو رب العرش الكريم قرا العامة الكريم مجرورا نعتا للعرش وصف بذلك لتنزل الخيرات منه والبركة والرحمة او لنسبته الى اكرم الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان سكانه كراما وقرا ابو جعفر وابن محيصن واسمعيل عن ابن كثير وابان بن تغلب بالرفع وفيه وجهان احدهما انه نعت للعرش ايضا ولكنه قطع عن اعرابه لاجل المدح على خبر مبتدا مضمر وهذا جيد لتوافق القراتين في المعنى والثاني انه نعت لرب **فصل** قال المفسرون العرش السرير الحسن وقيل المرتفع وقال ابو مسلم العرش هنا السموات بما فيها من العرش الذي تطوف به الملايكة ويجوز ان يراد به الملك العظيم والاكثرون على انه العرش حقيقة قوله ومن يدع شرط وفي جوابه وجهان اصحهما انه قوله فانما حسابه وعلى هذا ففي الجملة المنفية وهي قوله لا برهان له به وجهان احدهما انها صفة لالها وهي صفة لازمة اي لا يكون الاله المدعو من دون الله الا كذا فليس لها مفهوم لفساد المعنى ومثله ولا طاير يطير بجناحيه لا يفهم ان ثم الها اخر مدعوا من دون الله له برهان وان ثم طايرا يطير بغير جناحيه والثاني انها جملة اعتراض بين الشرط وجوابه والى الوجهين اشار الزمخشري بقوله وهي صفة لازمة يطير بجناحيه جي بها للتوكيد لا ان يكون في الالهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزا كقولك من احسن الى زيد لا احد احق بالاحسان منه فالله مثيبه والثاني من الوجهين الاولين ان جواب الشرط قوله لا برهان له به كانه فر من مفهوم الصفة لما يلزم من فساده فوقع في شي لا يجوز الا في ضرورة شعر وهو حذف فا الجزا من الجملة الاسمية كقوله

• من يفعل الحسنات الله يشكرها • والشر بالشر عند الله سيان •

وقد تقدم كون لا برهان له على الصفة ولا اشكال لانها صفة لازمة او على انها جملة اعتراض **فصل** لما بين انه الملك الحق لا اله الا هو اتبعه بان من ادعى الها اخر فقد ادعى باطلا لانه لا برهان له به لا حجة ولا بينة له لانه لا حجة في دعوى الشرك وهذا يدل على صحة النظر وفساد التقليد ثم قال فانما حسابه اي جزاؤه عند ربه يجازيه بعمله كان عليه حسابهم كانه قال ان عقابه بلغ الى حيث لا يقدر على حسابه الا الله قوله انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين فاتحة السورة وخاتمتها قرا الجمهور بكسر همزة انه على الاستيناف المفيد للعلة وقرا الحسن وقتادة انه بالفتح وخرجه الزمخشري على ان يكون خبر حسابه قال ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون انتهى ويجوز ان يكون ذلك على حذف حرف العلة اي انه لا يفلح وقرا الحسن لا يفلح بفتح اليا واللام مضارع فلح بمعنى افلح فعل وافعل فيه بمعنى والله اعلم المعنى لا يسعد من جحد وكذب

ثم امر الرسول بان يقول رب اغفر وارحم ويثني عليه بانه خير الراحمين وقد تقدم بيان كونه ارحم الراحمين فان قيل كيف اتصال هذه الخاتمة بما قبلها فالجواب انه سبحانه لما شرح احوال الكفار في جهلهم في الدنيا وعذابهم في الاخرة امر بالانقطاع الى الله والالتجا الى غفرانه ورحمته فانهما العاصمان عن كل الافات والمخافات روي ان اول سورة قد افلح واخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث ايات من اولها واتعظ باربع من اخرها فقد نجا وافلح وروى الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المومنين بشرته الملايكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت

• سورة النور مدنية •

وهي اربع وستون اية والف وستماية وستة عشر كلمة وخمسة الاف وستماية وثمانون حرفا

• بسم الله الرحمن الرحيم •

قوله تعالى سورة انزلناها وفرضناها الاية قرا العامة سورة بالرفع وفيه وجهان احدهما ان يكون مبتدا والجملة بعدها صفة لها وذلك هو المسوغ للابتدا بالنكرة وفي الخبر وجهان احدهما انه الجملة من قوله الزانية والزاني والى هذا نحا ابن عطية فانه قال ويجوز ان يكون مبتدا والخبر الزانية والزاني وما بعد ذلك والمعنى السورة المنزلة والمفروضة كذا وكذا اذ السورة عبارة عن ايات مسرودة لها بدا وختم والثاني ان الخبر محذوف اي فيما يتلى عليكم سورة او فيما انزلنا سورة والوجه الثاني من الوجهين الاولين ان يكون خبر المبتدا مضمر اي هذه سورة وقال ابو البقا سورة بالرفع على تقدير هذه سورة او فيما يتلى عليك سورة فلا يكون سورة مبتدا لانها نكرة وهذه عبارة مشكلة على ظاهرها كيف يقول لا يكون مبتدا مع تقديره فيما يتلى عليك سورة وكيف يعلل المنع بانها نكرة مع تقديره لخبرها جارا مقدما عليها وهو مسوغ للابتدا بالنكرة وقرا الحسن بن عبد العزيز وعيسى الثقفي وعيسى الكوفي ومجاهد وابو حيوة وطلحة بن مصرف في اخرين سورة بالنصب وفي اوجه احدها انها منصوبة بفعل مقدر غير مضمر بما بعده تقديره اتل سورة او اقرا سورة والثاني انها منصوبة بفعل مضمر يفسره ما بعده والمسالة من الاشتغال تقديره انزلنا سورة انزلناها والفرق بين الوجهين ان الجملة بعد سورة في محل نصب على الاول ولا محل لها على الثاني الثالث انها منصوبة على الاغرا اي دونك سورة قاله الزمخشري ورده ابو حيان بانه لا يجوز حذف اداة الاغرا واستشكل ابو حيان ايضا على وجه الاشتغال جواز الابتدا بالنكرة من غير مسوغ ومعنى ذلك انه ما من موضع يجوز النصب على الاشتغال الا ويجوز ان يرفع على الابتدا وهنا لو رفعت سورة بالابتدا لم يجز اذ لا مسوغ فلا يقال رجلا ضربته لامتناع رجل ضربته ثم اجاب بانه اعتقد حذف وصف جاز اي سورة معظمة او موضحة انزلناها فيجوز ذلك الرابع انها منصوبة على الحال من ها في انزلناها والحال من المكني يجوز ان يتقدم عليه قاله الفرا وعلى هذا فالضمير في انزلناها ليس عايدا على سورة بل على الاحكام كانه قيل انزلنا الاحكام سورة من سور القران فهذه الاحكام ثابتة بالقران بخلاف غيرها فانه قد يثبت بالسنة وتقدم معنى الانزال قوله وفرضناها قرا ابن كثير وابو عمرو بالتشديد والباقون بالتخفيف فالتشديد اما للمبالغة في الايجاب وتوكيده واما لتكثير المفروض عليهم واما لتكثير الشي المفروض والتخفيف بمعنى اوجبناها وجعلناها مقطوعا بها وقيل الزمناكم العمل بها وقيل قدرنا ما فيها من الحدود والفرض التقدير قال تعالى فنصف ما فرضتم اي قدرتم لان الذي فرض عليك القران ثم ان السورة لا يمكن فرضها لانها قد دخلت في الوجود وتحصيل الحاصل محال فوجب ان يكون المراد فرضنا ما بين فيها من الاحكام ثم قال وانزلنا فيها ايات بينات واضحات لعلكم تذكرون تتعظون واراد بالايات ما ذكر في السورة من الاحكام والحدود ودلايل التوحيد وقري تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها الذال وتقدم معنى لعل في سورة البقرة قال القاضي لعل بمعنى كي فان قيل الانزال يكون من صعود الى نزول وهذا

علي الله تعالي في جمعة فالجواب ان جبريل كان يحفظها من اللوح ثم ينزلها علي النبي صلى الله
عليه وسلم فنقيل انزلناها توسعا وقيل ان الله تعالى انزلها من ام الكتاب الى السما الدنيا دفعة
واحدة ثم انزلها بعد ذلك علي لسان جبرائيل عليه السلام وقيل مع انزلناها اعطيناها الرسول
كما يقول العبد اذا كلم سيده رفعت اليه حاجتي كذلك يكون من السيد الي العبد الانزال قال
الله تعالي اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قوله الزانية والزاني في رفعهما
وجهان مذهب سيبويه انه مبتدا وخبره محذوف اي فيما يتلي عليكم حكم الزانية ثم بين
ذلك بقوله فاجلدوا الي اخره والثاني وهو مذهب الاخفش وغيره انه مبتدا والخبر جملة
الامر ودخلت الفا لشبه المبتدا بالشرط وتكون الالف واللام بمعني الذي تقديره من زنا
فاجلده والذي زنت والذي زنا فاجلدوهما وتقدم الكلام علي هذه المسيلة في قوله
واللذان ياتيانها منكم فاذوهما وعند قوله والسارق والسارقة فاغنى عن اعادته وقرا
عيسى الثقفي ويحيى بن يعمر وعمرو بن فايد وابو جعفر وابو شيبة ورويس بالنصب على
الاشتغال قال الزمخشري وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر وقري والزاني
بلاياء ومعنى فاجلدوا فاضربوا كل واحد منهما مائة جلدة يقال جلده اذا ضرب جلده كما يقال
راسه وبطنه اذا ضرب راسه وبطنه وذكر بلفظ الجلد لئلا يبرح ولا يضرب بحيث يبلغ
اللحم قوله ولا تاخذكم بهما رافة رحمة ورقة قرا العامة هنا وفي الحديد بسكون همزة
رافة وابن كثير بفتحها وقرا ابن جريج وقري ايضا عن ابن كثير وعاصم راافة بالف
بعد الهمزة بزنة سحابة وكلها مصادر لراف به يروف وتقدم معناه واشهر المصادر
الاول ونقل ابو البقا فيها لغة رابعة وهي ابدال الهمزة الفا وهذا ظاهر وقرا العامة تاخذ
بتاء التانيث مراعاة للفظ وعلي بن ابي طالب والسلمي ومجاهد باليا من تحت لان التانيث
مجازي وللفصل بالمفعول والجار وبهما يتعلق بتاخذكم او بمحذوف على سبيل البيان
ولا يتعلق برافة لان المصدر لا يتقدم عليه معموله وفي دين الله متعلق بالفعل قبله
ايضا وهذه الجملة دالة على جواب الشرط بعدها او هي الجواب عند بعضهم **فصل**
الزنا حرام وهو من الكباير لان الله تعالى قرنه بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون
وقال ولا تقربوا الزنا وقال عليه السلام يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست
خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الاخرة اما التي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر
وينقص العمر واما اللاتي في الاخرة فسخط الله وسوء الحساب وعذاب النار وقال بعض
العلما في حد الزنا انه عبارة عن ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم قطعا واختلف
العلما في اللواط هل يسمي زنا ام لا فقيل نعم لقوله عليه السلام اذا اتى الرجل الرجل فهما
زانيان ولدخوله في حد الزنا المتقدم وقيل لا يسمي زنا لانه في العرف لا يسمى زانيا ولو حلف
لا يزني فلاط لم يحنث ولان الصحابة اختلفوا في حكم اللواط وكانوا عالمين باللغة واما
الحديث فمحمول على الاثم بدليل قوله عليه السلام اذا اتت المراة المراة فهما زانيتان وقوله
عليه السلام اليدان تزنيان والعينان تزنيان واما دخوله في مسمى الفرج لما فيه من الانفراج
فبعيد لان العين والفم منفرجان ولا يسميان فرجا وسمي النجم نجما لظهوره وما سموا كل ظاهر
نجما وسموا الجنين جنينا لاستتاره وما سموا كل مستتر جنينا واختلف في حد اللواط فقيل
حد الزنا ان كان محصنا رجم وان كان غير محصن جلد وغرب وقيل يقتل الفاعل والمفعول
مطلقا واختلفوا في كيفية قتله فقيل تضرب رقبته كالمرتد لقوله عليه السلام من عمل عمل
قوم لوط فاقتلوه وقيل يرجم بالحجارة وقيل يهدم عليه جدار وقيل يرمى من شاهق لان
الله تعالى عذب قوم لوط بكل ذلك وقيل يعزر الفاعل واما المفعول فعليه القتل ان قلنا
يقتل الفاعل وان قلنا على الفاعل حد الزنا فعلى المفعول جلد مائة وتغريب عام محصنا
كان او غير محصن وقيل ان كانت امراة محصنة فعليها الرجم **فصل** واجمعت الامة
علي حرمة اتيان البهيمة واختلفوا في حده فقيل حد الزنا وقيل يقتل مطلقا لقوله عليه
السلام من اتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه وقيل التعزير وهو الصحيح واما السحق
واتيان الميتة والاستمنا باليد فلا يشرع فيه الا التعزير **فصل** تقدم الكلام في

حد الزنا في سورة النسا واما اثباته فلا يحصل الا بالاقرار او بالبينة اما الاقرار فقال الشافعي
يثبت بالاقرار مرة واحدة لقصة العسيف وقال ابو حنيفة واحمد لا بد من الاقرار اربع مرات
لقصة ماعز ولقوله عليه السلام انك شهدت علي نفسك اربع مرات ولو كانت المرة الواحدة مثل
الاربع في ايجاب الحد لكان هذا الكلام لغوا ولقول ابي بكر رضي الله عنه لماعز بعد اقراره الثالثة
لو اقررت الرابعة لرجمك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بريدة الاسلمي كنا معشر اصحاب محمد
نتحدث لو لم يقر ماعز اربع مرات ما رجمه رسول الله وايضا فكما لا يقبل في الشهادة علي الزنا الا
اربع شهادات فكذا في الاقرار وكان الزنا لا يثبت الا باربع شهادات لقوله تعالي فاستشهدوا
عليهن اربعة منكم **فصل** قال بعض العلما لا خلاف انه يجب علي القاضي ان يمتنع
عن القضا بعلم نفسه كما اذا ادعى رجل علي اخر حقا واقام عليه بينة والقاضي يعلم انه قد
ابراه او ادعى انه قتل اباه وقت كذا وقد راه القاضي حيا بعد ذلك او ادعى نكاح امراة وقد سمعه
القاضي طلقها لا يجوز له ان يقضي به ولو اقام عليه شهودا وهل يجوز له ان يقضي بعلم نفسه مثل
ان ادعى عليه الفا وقد راه القاضي اقرضه او سمع المدعى عليه يقر به فقال ابو يوسف ومحمد
والمزني يجوز له ان يقضي بعلمه لانه لما جاز له ان يحكم بشهادة الشهود وهي انما تفيد الظن فلان
يجوز بما هو منه علي علم اولى قال الشافعي اقضي بعلمي وهو اقوى من شاهدين او شاهد
وامراتين وهو اقوى من شاهد ويمين وهو اقوى من المنكول ورد اليمين وقيل لا يحكم بعلمه
لان انتفاء التهمة شرط في القضا ولم يوجد هذا في الاموال فاما العقوبات فان كانت العقوبة
من حقوق العباد كالقصاص وحد القذف فهو مثل المال ان قلنا لا يقضي فيما هنا اولى والا
فقولان والفرق بينهما ان حقوق الله تعالي مبنية علي المساهلة والمسامحة ولا فرق علي
القولين ان يحصل العلم للقاضي في بلد ولايته وزمان ولايته او في غيره وقال ابو حنيفة ان
حصل له العلم في بلد ولايته في زمان ولايته له ان يقضي بعلمه والا فلا **فصل** لا
يقيم الحد الا الامام او نايبه وللسيد ان يقيم الحد علي رقيقه لقوله عليه السلام اذا زنت امة احدكم
فليجلدها وقيل بل يرفعه الي الامام ويجلد المحصن مع ثيابه ولا يجرد ولكن ينبغي ان يكون
بحيث يصل الم الضرب اليه واما المراة فلا يجوز تجريدها بل يربط عليها ثيابها حتى لا تنكشف
ويلي ذلك امراة ويضرب بسوط لا حديد يجرح ولا خلق لا يولم ولا يمد ولا يربط بل يترك حتى
يتقي بيديه ويضرب الرجل قايما والمراة جالسة وتفرق السياط علي اعضايه ولا يجمعها في موضع
واحد ويتقي المهالك كالوجه والبطن والفرج قال الشافعي يضرب علي الراس وقال ابو حنيفة
لا يضرب علي الراس **فصل** ولا يقام الحد علي الحامل حتى تضع ولدها ويستغني عنها
لحديث الجهنية واما المريض فان كان يرجى زوال مرضه اخر حتى يبرا ان كان الحد جلدا وان
كان رجما اقيم عليه الحد لان المقصود قتله وان كان مرضه لا يرجى زواله لم يضرب بالسياط
بل يضرب بضغث فيه عيدان بعدد ما يجب عليه لقصة ايوب عليه السلام واولة جميع ما
تقدم مذكورة في كتب الفقه **فصل** لو فرق السياط تفريقا لا يحصل به التنكيل مثل
ان ضرب كل يوم سوطا او سوطين لم يحسب وان ضرب كل يوم عشرين واكثر حسبت **فصل**
ويقام الحد في وقت اعتدال الهوى فان كان في وقت شدة حر او برد نظرنا ان كان الحد رجما
اقيم عليه كما يقام في المرض لان المقصود قتله وقيل ان كان الرجم ثبت باقراره واخر الي
اعتدال الهوى وزوال المرض ان كان يرجى زواله لانه ربما رجع عن اقراره في خلال الرجم
وقد اثر الرجم في جسمه فيعين شدة الحر والبرد والمرض على اهلاكه وان ثبت بالبينة لا يوخر
لانه لا يسقط وان كان الحد جلدا لم يجز اقامته في شدة الحر والبرد كما لا تقام في المرض **فصل**
معنى قوله ولا تاخذكم بهما رافة قال مجاهد وعكرمة وعطا وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي
لا تاخذكم بهما رافة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها وقيل ولا تاخذكم رافة فتخففوا ولكن
اوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهري ويجتهد في حد الزنا والفرية
ويخفف في حد الشرب وقال قتادة يخفف في الشرب والفرية ويجتهد في الزنا ومعنى في دين
الله اي في حكم الله روي ان عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها
ورجليها فقال له ابنه ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله فقال يا بني ان الله لم يامرني بقتلها وقد

ضربت فان جعلت **فصل** اذا ثبت الزنا باقراره ثم رجع ترك وقع به بعض الحد او لم يقع لان ماعزا لما مسته الحجارة هرب فقال عليه السلام هلا تركتموه وقيل لا يقبل رجوعه ويحفر للمراة الي صدرها ولا يحفر للرجل واذا مات في الحد غسل وكفن وصلي عليه ودفن في مقابر المسلمين قوله ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر معناه ان المومن لا تاخذه الرافة اذا جا امر الله قوله وليشهد عذابهما اي وليحضر عذابهما احدهما اذا اقيم عليهما طايفة من المومنين قال النخعي ومجاهد اقله رجل واحد لقوله تعالي فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة وكل ثلاثة فرقة والخارج عن الثلاثة واحد او اثنان والاحتياط يوجب الاخذ بالاكثر وقال الزهري وقتادة ثلاثة فصاعدا لان الطايفة هي الفرقة التي تكون حافة حول الشي وهذه الصورة اقل ما لا بد في حصولها الثلاثة وقال ابن عباس ايضا اربعة عدد شهود الزنا وهو قول مالك وابن زيد وقال الحسن البصري عشرة لانها العدد الكامل واعلم ان قوله وليشهد امر فظاهره للوجوب لكن الفقها قالوا يستحب حضور الجمع والمقصود من اعلان اقامة الحد لما فيه من الردع ورفع التهمة وقيل اراد بالطايفة الشهود يجب حضورهم ليعلم بقاوهم علي الشهادة وقال الشافعي ومالك يجوز للامام ان يحضر رجمه وان لا يحضر وكذا الشهود لا يلزمهم الحضور وقال ابو حنيفة ان ثبت بالبينة وجب علي الشهود ان يبدوا بالرمي ثم الامام ثم الناس وان ثبت بالاقرار بدا الامام ثم الناس واحتج الشافعي بان النبي صلي الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية ولم يحضر رجمهما واما تسميته عذابا فانه يدل علي انه عقوبة ويجوز ان يسمي عذابا لانه يمنع المعاودة كما يسمي نكالا لذلك قوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك علي المومنين قرا ابو البرهشم وحرم مبنيا للفاعل مسندا الي زيد بن علي حرم بزنة كرم

واختلفوا في معني الاية وحكمها فقال مجاهد وعطا بن ابي رباح وقتادة والزهري والشعبي ورواية العوفي عن ابن عباس قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقرا لا مال لهم ولا عشاير وبالمدينة نسا بغايا يكرين انفسهن وهن يوميذ اخصب اهل المدينة فرغب ناس من فقرا المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم فاستاذنوا رسول الله صلي الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وحرم علي المومنين ان يتزوجوا تلك البغايا لانهن كن مشركات وقال عكرمة نزلت في نسا بمكة والمدينة منهن تسع لهن رايات كرايات البيطار يعرفن بها منهن ام مهزول جارية السايب بن ابي السايب المخزومي وكان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية يتخذها ماكلة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن علي تلك الجهة فاستاذن رجل من المسلمين النبي صلي الله عليه وسلم في نكاح ام مهزول واشترطت له ان تنفق عليه فانزل الله هذه الاية فان قيل قوله تعالي الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك ظاهره خبر وليس الامر كذلك لان الزاني قد ينكح المومنة العفيفة والزانية قد ينكحها المومن العفيف وايضا فقوله وحرم ذلك علي المومنين ليس كذلك فان المومن يحل له التزوج بالمراة الزانية فالجواب من وجوه احدها وهو احسنها ما قاله القفال ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الاعم الاغلب لان الفاسق الخبيث الذي من شانه الزنا لا يرغب في نكاح المراة الصالحة وانما يرغب في فاسقة مثله او في مشركة والفاسقة لا ترغب في نكاح الرجل الصالح بل تنفر عنه وانما ترغب فيمن هو من جنسها من الفسقة والمشركين فهذا علي الاعم الاغلب كما يقال لا يفعل الخير الا الرجل التقي وقد يفعل الخير من ليس بتقي فكذا هاهنا واما قوله وحرم ذلك علي المومنين فالجواب من وجهين الاول ان نكاح المومن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها محرم عليه لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسو المقالة فيه والغيبة ومجالسة الخطايين فيها التعرض لاقتراف الاثام فكيف بمزاوجة الزواني والفجار وثانيها ان صرف الرغبة بالكلية الي الزواني وترك الرغبة في الصالحات محرم علي المومنين لان قوله الزاني لا ينكح الا زانية معناه ان الزاني لا يرغب الا في زانية فهذا محرم علي المومنين ولا يلزم من حرمة هذا الحصر حرمة التزوج بالزانية فهذا هو المعتمد في تفسير الاية الوجه الثاني ان الالف واللام في قوله الزاني

وفي

وفي قوله المومن وان كان للعموم ظاهرا لكنه مخصوص بالاقوام الذين نزلت فيهم كما قدمناه انفا الوجه الثالث ان قوله الزاني لا ينكح الا زانية وان كان خبرا في الظاهر لكن المراد منه النهي والمعني كل من كان زانيا فلا ينبغي ان ينكح الا زانية وحرم ذلك علي المومنين هكذا كان الحكم في ابتدا الاسلام وعلي هذا الوجه ذكروا قولين احدهما ان ذلك الحكم باق الي الان حتي يحرم علي الزاني والزانية التزوج بالعفيفة والعفيف وبالعكس وهذا مذهب ابي بكر وعمر وعلي وابن مسعود ثم في هولا من يسوي بين الابتدا والدوام فيقول كما لا يحل للمومن ان يتزوج بالزانية فكذلك لا يحل له اذا زنت تحته ان يقيم عليها ومنهم من يفصل لان في جملة ما يمنع من التزويج ما لا يمنع من دوام النكاح كالاحرام والعدة والقول الثاني ان هذا الحكم صار منسوخا واختلفوا في ناسخه فقال الجبايي ان ناسخه هو الاجماع وعن سعيد بن المسيب انه منسوخ بعموم قوله تعالي فانكحوا ما طاب لكم من النساء وانكحوا الايامي منكم قال المحققون هذان الوجهان ضعيفان اما قول الجبايي فلانه ثبت في اصول الفقه ان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به وايضا فالاجماع الحاصل عقيب الخلاف لا يكون حجة والاجماع في هذه المسيلة مسبوق بخلاف ابي بكر وعمر وعلي فكيف يصح واما قوله فانكحوا ما طاب لكم من النسا فلا يصلح ان يكون ناسخا لانه لا بد من ان يشترط فيه ان لا يكون هناك مانع من النكاح من سبب او نسب او غيرهما وللقايل ان يقول لا يدخل فيه تزويج الزانية من المومنين كما لا يدخل فيه تزويجها من الاخ وابن الاخ وان للزنا تاثيرا في الفرقة ما ليس لغيره الا تري انه اذا قذفها يتبعها بالفرقة علي بعض الوجوه ولا يجب مثل ذلك في ساير ما يوجب الحد ولان الزنا يورث العار ويوثر في الفراش فافترق غيره واحتج من ادعي النسخ بان رجلا سال النبي صلي الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امراتي لا ترد يد لامس قال طلقها قال اني احبها وهي جميلة قال استمتع بها وفي رواية فامسكها اذن وروي ان عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامراة في زنا وحرص ان يجمع بينهما فابي الغلام وبان ابن عباس سيل عن رجل زنا بامراة فهل له ان يتزوجها فاجازه ابن عباس وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلي الله عليه وسلم انه سيل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال الوجه الرابع ان يحمل النكاح علي الوطي والمعني ان الزاني لا يطا حين يزني الا زانية او مشركة وكذا الزانية وحرم ذلك علي المومنين اي وحرم الزنا علي المومنين وهذا تاويل ابي مسلم وهو قول سعيد بن جبير والضحاك ابن مزاحم ورواية الوالبي عن ابن عباس قال الزجاج وهذا التاويل فاسد من وجهين الاول انه ما ورد النكاح في كتاب الله الا بمعني التزويج ولم يرد البتة بمعني الوطي الثاني ان ذلك يخرج الكلام عن الفايدة لانا لو قلنا المراد ان الزاني لا يطا الا الزانية فالاشكال عايد لانا نري الزاني قد يطا العفيفة حين يتزوج بها ولو قلنا المراد ان الزاني لا يطا الا الزانية حين يكون وطيه زنا فهذا الكلام لا فايدة فيه فان قيل اي فرق بين قوله الزاني لا ينكح الا زانية وبين قوله الزانية لا ينكحها الا زان فالجواب ان الكلام الاول يدل علي ان الزاني لا يرغب الا في نكاح الزانية بخلاف الزانية فقد ترغب في نكاح غير الزاني فلا جرم بين ذلك بالكلام الثاني فان قيل لم قدم الزانية علي الزاني في اول السورة وهاهنا بالعكس فالجواب سيقت تلك الاية علي عقوبتهما علي جنايتهما فالمراة هي المادة في الزنا واما هاهنا فمسوقة لذكر النكاح والرجال اصل فيه لانه هو الراغب الطالب **قوله** تعالي والذين يرمون المحصنات الاية هي كقوله الزانية والزاني فاجلدوا فيعود فيه ما تقدم بحاله وقوله المحصنات فيه وجهان احدهما ان المراد به النسا فقط وانما خصهن بالذكر لان قذفهن اشنع والثاني ان المراد بهن النسا والرجال وعلي هذا فيقال كيف غلب المونث علي المذكر والجواب انه صفة لشي محذوف يعم الرجال والنسا اي الانفس المحصنات وهو بعيد او يقول ثم معطوف محذوف لفهم المعني وللاجماع علي ان حكمهم حكمهن اي والمحصنين قوله باربعة شهدا العامة علي اضافة اسم العدد للمعدود وقرا ابو زرعة وعبد الله بن مسلم بالتنوين في العدد واستفصح الناس هذه القراة حتي تجاوز بعضهم الحد كابن جني فنفضلها علي قراة العامة قال لان المعدود متي كان صفة فالاجود الاتباع دون الاضافة تقول عندي ثلاثة ضاربون وتضعف ثلاثة ضاربين وهذا غلط لان الصفة التي جرت مجري الاسما تعطي حكمها فيضاف اليها العدد وشهدا من ذلك فانه كثر حذف موصوفه قال تعالي من كل امة بشهيد واستشهدوا شهيدين ويقول عندي ثلاثة اعبد وكل ذلك صفة في الاصل

ونقل ابن عطية عن سيبويه انه لا يجيز تنوين العدد الا في شعر وليس كما نقله عنه انما قال
سيبويه ذلك في الاسماء نحو ثلاثة رجال واما الصفات ففيها التفصيل المتقدم وفي شهداء على
هذه القراءة ثلاثة اوجه احدها انه تمييز وهذا فاسد لان من ثلاثة الى عشرة يضاف لمميزه
ليس الا وغير ذلك ضرورة الثاني انه حال وهو ضعيف ايضا لمجيها من النكرة من غير مخصص
الثالث انها مجرورة نعتا لاربعة ولم تنصرف لالف التانيث **فصل** ظاهر الاية لا يدل
على الشي الذي به رموا المحصنات وذكر الرمي لا يدل على الزنا او قد رميها بسرقة او شرب خمر
بل لابد من قرينة دالة على التعيين واتفق العلما على ان المراد الرمي بالزنا وفي دلالة الاية
عليه وجوه الاول تقدم ذكر الزنا والثاني انه تعالى ذكر المحصنات وهن العفايف فدل ذلك
على ان المراد رميها بضد العفاف الثالث قوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء يعني على صحة ما رموا به
وكون الشهود اربعة من شروط الزنا الرابع الاجماع على انه لا يجب الحد بالرمي بغير الزنا فوجب
ان يكون المراد هو الرمي بالزنا **فصل** شروط الاحصان خمسة الاسلام والعقل
والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى ان من زنا اول مرة اول بلوغه ثم تاب وحسنت حالته
منذ عمره فقذفه قاذف لا حد عليه فان اقر المقذوف على نفسه بالزنا او اقام القاذف اربعة
من الشهود على زناه سقط الحد عن القاذف لان الحد للفرية وقد ثبت صدقه **فصل**
والفاظ القذف صريح وكناية وتعريض فالصريح ان يقول يا زانية او زنيت او زنا قبلك
او دبرك فان قال زنا يدك فقيل كناية لان حقيقة الزنا من الفرج والصريح انه صريح
لان الفعل يصدر بكل البدن والفرج الة والكناية ان يقول يا فاسقة يا فاجرة يا خبيثة
يا مواجرة يا ابن الحرام او لا ترد يد لامس فلا يكون قذفا الا بالنية وكذا لو قال لعربي يا نبطي
او بالعكس فان اراد القذف فهو قذف لام المقول والا فلا فان قال عنيت نبطي الدار واللسان
وادعت ام المقول له ارادة القذف فالقول قوله مع يمينه والتعريض ليس بقذف وان
نواه كقوله يا ابن الحلال اما انا ما زنيت ولست اي بزانية لان الاصل براءة الذمة فلا يجب
بالشك والجديد اما البشهات وقال مالك يجب فيه الحد وقال احمد واسحاق هو قذف
في حال الغضب دون الرضا **فصل** اذا قذف شخصا واحدا مرارا فان اراد بالكل
زنية واحدة وجب حدا واحدا لان هلال بن امية قذف امراته لشريك بن سحما فقال
عليه السلام البينة او حد في ظهرك فلم يوجب على هلال الا حدا واحدا مع انه قذف زوجته
وقيل لكل واحد حد وان كان بكلمات فلكل واحد حد **فصل** اذا قذف الصبي
والمجنون امراته او اجنبية فلا حد عليه ولا لعان لا في الحال ولا بعد البلوغ لقوله عليه السلام
رفع القلم عن ثلاث ولكن يعزران للتاديب ان كان لهما تمييز والاخرس ان فهمت اشارته
او كتابته وقذف بالاشارة او بالكتابة لزمه الحد وكذلك يصح لعانه بالاشارة والكتابة
واما العبد اذا قذف الحر فقيل يلزمه نصف الحد وقيل الحد كله واما الكافر اذا قذف المسلم
فعليه الحد لدخوله في عموم الاية وان كان المقذوف غير محصن لم يوجب الحد بل يوجب
التعزير الا ان يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد هناك ولا تعزير قوله ثم لم
ياتوا باربعة شهدا اي يشهدون على زناهن فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة
ابدا واوليك هم الفاسقون قوله واوليك هم الفاسقون يجوز ان تكون هذه الجملة مستانفة
وهو الاظهر وجوز ابو البقا فيها ان تكون حالا وقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا
فان الله غفور رحيم اعلم ان في هذا الاستثنا خلافا هل يعود لما تقدم من الجمل ام الى
الجملة الاخيرة فقط وتكلم عليها من النحاة ابن مالك والمهاباذي فاختار ابن مالك عوده
الى الجمل المتقدمة والمهاباذي الى الاخيرة وقال الزمخشري وشهادة القاذف معلق
عند ابي حنيفة رحمه الله باستيفا الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفايه قبل
شهادته فاذا استوفي لم تقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقيا وعند
الشافعي رحمه الله يتعلق رد شهادته بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان يرجع عنه
عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالاية فابو حنيفة رحمه الله جعل جزاء الشرط الذي
هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التابيد وكانوا مردودي الشهادة عنده

في

في ابدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله واوليك هم الفاسقون كلاما مستانفا غير داخل في حيز
جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضا الجملة الشرطية والا الذين تابوا استثنا من
الفاسقين ويدل عليه قوله فان الله غفور رحيم والشافعي رحمه الله جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا
غير انه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة عن القذف وجعل الاستثنا متعلقا
بالجملة الثانية انتهى واعلم ان الاعراب متوقف على ذكر الحكم ومحل المستثنى فيه ثلاثة اوجه
احدها انه منصوب على اصل الاستثنا والثاني انه مجرور بدلا من الضمير في لهم وقد اوضحه
الزمخشري ذلك بقوله وحق المستثنى عنده اي الشافعي ان يكون مجرورا بدلا منهم في لهم وحقه
عند ابي حنيفة ان يكون منصوبا لانه عن موجب والذي تقتضيه ظاهر الاية ونظمها ان تكون الجمل
الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم
اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم
فينقلبون غير مجلودين ولا مفسقين قال ابو حيان وليس ظاهر الاية يقتضي عود الاستثنا
الى الجمل الثلاث الظاهر هو ما يقتضيه كلام العرب وهو الرجوع الى الجملة التي تليها والوجه
الثالث انه مرفوع بالابتدا وخبره الجملة من قوله فان الله غفور رحيم واعترض بخلوها من
رابط واجيب بانه محذوف اي غفور لهم واختلفوا ايضا في هذا الاستثنا هل هو متصل او
منقطع والثاني ضعيف جدا **فصل** الاقرار بالزنا يثبت بشهادة رجلين بخلاف
فعل الزنا لان الفعل يعسر الاطلاع عليه وقيل لا يثبت الا باربعة كفعل الزنا **فصل**
اذا شهدوا على فعل الزنا يجب ان يذكروا الزاني والمزني بها لانه قد يراه على جارية ابنه فيظن
انه زنا ويجب ان يشهدوا انا رايناه ذكره يدخل في فرجها دخول الميل في المكحلة فلو شهدوا
مطلقا انه زنا لم يثبت بخلاف ما لو قذف انسانا وقال زنيت يجب الحد ولا يستفسر ولو اقر على
نفسه بالزنا فقيل يجب ان يستفسر كالشهود وقيل لا يجب كما في القذف **فصل** لا فرق
بين ان يجي الشهود مجتمعين او متفرقين وقال ابو حنيفة اذا شهدوا متفرقين لا يثبت وعليهم
حد القذف وحجة الاول ان الاتيان باربعة شهداء قدر مشترك بين الاتيان بهم مجتمعين ومتفرقين
وايضا فكل حكم ثبت بشهادة الشهود اذا جاوا متفرقين كساير الاحكام بل هذا اولى لان مجيهم
متفرقين ابعد من التهمة ومن تلقف بعضهم من بعض وكذلك اذا وقعت ريبة للقاضي في
شهادة الشهود فرقهم وايضا فانه لا يشترط ان يشهدوا معا في حالة واحدة بل اذا اجتمعوا
عند القاضي قدم واحدا بعد واحد ويشهد وكذا اذا اجتمعوا على بابه يدخل واحد بعد واحد
واحتج ابو حنيفة بان الشاهد الواحد لما شهد فقد قذفه ولم يات باربعة من الشهدا فيجب
عليه الحد للاية اقصى ما في الباب انهم عبروا عن القذف بلفظ الشهادة وذلك لا عبرة به لانه
يودي الى اسقاط حد القذف راسا لان كل قاذف يمكن ان يقذف بلفظ الشهادة ويتوسل بذلك
الى اسقاط الحد عن نفسه ويحصل مقصوده وايضا فلان المغيرة بن شعبة شهد عليه بالزنا
اربعة عند عمر بن الخطاب ابو بكرة وشبل بن معبد ونافع ونفيع قال زياد وقال رابعهم
رايت استا تنبو ونفسا يعلو ورجلاها على عاتقه كاذني حمار ولا ادري ما وراء ذلك فجلد
عمر الثلاثة ولم يسال هل معهم شاهد اخر فلو قبل ذلك شهادة غيرهم لتوقف اداء الحد عليه
فصل لو شهد على الزنا اقل من اربعة لم يثبت وهل يجب حد القذف على الشهود
فقيل يجب عليهم حد القذف لما تقدم انفا وقيل لا يجب لانهم جاوا مجي الشهود ولانا لو حددنا لانسد
باب الشهادة على الزنا لان كل احد لا يامن ان يوافقه صاحبه فيلزمه الحد **فصل** لو
اتى القاذف باربعة فساق فشهدوا على المقذوف بالزنا قال ابو حنيفة يسقط الحد عن القاذف
ولا يجب الحد على الشهود وقال الشافعي في احد قوليه يحدون واحتج ابو حنيفة بانه اتى باربعة
شهداء فلا يلزمه الحد والفاسق من اهل الشهادة فقد وجدت شرايط الشهادة الا انه لم يقبل
شهادتهم للتهمة واحتج الشافعي بانهم ليسوا من اهل الشهادة قوله فاجلدوهم ثمانين جلدة
وهذا خطاب للامام او لمالك او لرجل صالح اذا فقد الامام ويخص من هذا العموم صور الاولى
الوالد اذا قذف ولده او ولد ولده وان سفل لا يجب عليه الحد كما لا يجب عليه القصاص بقتله
الثانية القاذف اذا كان عبدا فالواجب جلده اربعين وكذا المكاتب وام الولد ومن بعضه حر

فقيل كالرقيق وقيل بالحساب الثالثة من قذف رقيقه او من زنت قديما ثم تابت فهي محصنة ولا يجب الحد بقذفهما

فصل قالوا اشد الضرب في الحدود ضرب حد الزنا ثم ضرب حد الخمر ثم ضرب القاذف لان سبب عقوبته محتمل الصدق والكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض

فصل قال مالك والشافعي حد القذف يورث وكذلك اذا كان الواجب بقذفه التعزير يورث عنه وقيل لا يورث الا ان يطالب المقذوف قبل موته فان قذف بعد موته ثبت لوارثه الحد وعند ابي حنيفة الحد لا يورث ويسقط بالموت حجة الشافعي انه حق ادمي يسقط بعفوه ولا يستوفي الا بطلبه ويحلف فيه المدعي عليه اذا انكر واذا كان حق ادمي وجب ان يورث لقوله عليه السلام من مات عن حق فلورثته وحجة ابي حنيفة لو كان موروثا لورثه الزوج والزوجة ولانه حق ليس فيه معنى المال فلا يورث كالوكالة والمضاربة واجيب بانا لا نسلم ان الزوج والزوجة لا يرثانه وان سلم فالفرق بينهما ان الزوجية تنقطع بالموت ولان المقصود من الحد دفع العار عن النسب وذلك لا يلحق الزوج والزوجة

فصل اذا قذف انسانا بين يدي الحاكم او قذف امراته برجل بعينه والرجل غائب فعلى الحاكم ان يبعث الى المقذوف ويخبره ان فلانا قذفك ويثبت لك حد القذف عليه كما لو ثبت له مال على اخر وهو لا يعلم يجب عليه اعلامه ولهذا بعث النبي صلى الله عليه وسلم انيسا ليخبرها ان فلانا قذفها بابنه ولم يبعثه ليتفحص عن زناها وليس للامام اذا رمي رجل بزنا ان يبعث اليه يساله عن ذلك قوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا قال اكثر الصحابة والتابعين اذا تاب قبلت شهادته وهو قول الشافعي وقال ابو حنيفة واصحابه والثوري والحسن بن صالح لا تقبل شهادة المحدود في القذف اذا تاب وادلة المذهبين مذكورة في كتب الفقه وههنا مبنية على ان الاستثنا هل يرجع الى الجملة الاخيرة او الى كل الجملة المتقدمة فلذلك اختلف العلما في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثنا فذهب قوم الى ان القاذف ترد شهادته بنفس القذف واذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته قبلت شهادته سواء تاب بعد اقامة الحد عليه او قبله لقوله تعالى الا الذين تابوا وقالوا الاستثنا راجع الى الشهادة والى الفسق فبعد التوبة تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق يروي ذلك عن عمر وابن عباس وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطا وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم الى ان الشهادة المحدود في القذف لا تقبل ابدا وان تاب وقالوا الاستثنا يرجع الى قوله واوليك هم الفاسقون وهو قول النخعي وشريح واصحاب الراي وقالوا بنفس القذف ترد شهادته ما لم يحد قال الشافعي هو قبل ان يحد شر منه حين يحد لان الحدود كفارات فكيف تردون شهادته في احسن حاله وتقبلونها في شر حالته وذهب الشعبي الى ان حد القذف يسقط بالتوبة فان قيل وقالوا الاستثنا يرجع الى الكل وعامة العلما على انه لا يسقط بالتوبة الا ان يعفو عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة فان قيل اذا قبلتم شهادته بعد التوبة فما معنى قوله ابدا قيل معناه لا تقبل شهادته ابدا ما دام مصرا على قذفه لان ابد كل انسان على ما يليق بحاله كما يقال لا تقبل شهادة الكافر ابدا يراد ما دام كافرا

فصل اختلفوا في كيفية التوبة بعد القذف فقيل التوبة منه اكذابه نفسه بان يقول اكذبت فلا اعود الى مثله وقيل لا يقول كذبت لانه ربما يكون صادقا فيكون قوله كذبت كذبا والكذب معصية واتيان المعصية لا يكون توبة عن معصية اخرى بل يقول القذف باطل ندمت على ما قلت ورجعت عنه ولا اعود اليه ولا بد من مضي مدة عليه بعد التوبة يحسن حاله فيها حتى يقبل شهادته وقدر تلك المدة سنة حتى يمر عليه الفصول الاربعة التي يتغير فيها الاحوال والطباع كاجل العنين وقد علق الشرع احكاما بالسنة من الزكوة والجزية وغيرهما وهذا معنى قوله واصلحوا ثم قال فان الله غفور رحيم اي يقبل التوبة قوله تعالى والذين يرمون ازواجهم الايات لما ذكر احكام قذف الاجنبيات عقبه باحكام قذف الزوجات

قال ابن عباس لما نزل قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا قال عاصم ابن عدي الانصاري ان دخل رجل منا بيته فراي رجلا على بطن امراته فان جا باربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وخرج وان قتله قتل به وان قال وجدت فلانا مع تلك المراة ضرب وان سكت سكت على غيظ اللهم افتح وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر وله امراة يقال لها خولة بنت قيس فاتى عويمر عاصما فقال لقد رايت شريك بن سحما على بطن امراتي خولة فاسترجع عاصم واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما اسرع ما ابتليت بهذا في اهل بيتي فقال رسول الله وما ذاك فقال اخبرني عويمر ابن عمي انه راي شريك بن سحما على بطن امراته خولة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم جميعا فقال لعويمر اتق الله في زوجتك وابنة عمك ولا تقذفها فقال يا رسول الله تالله لقد رايت شريكا على بطنها واني ما قربتها منذ اربعة اشهر وانها حبلى من غيري فقال لها رسول الله اتقي الله ولا تخبري الا بما صنعت فقالت يا رسول الله ان عويمر رجل غيور وانه راي شريكا يطيل النظر ويتحدث فحملته الغيرة على ما قال فانزل الله هذه الاية فامر رسول الله بان يوذن الصلاة جامعة وصلى العصر ثم قال لعويمر قم وقل اشهد بالله ان خولة لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية اشهد اني رايت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة اشهد بالله انها حبلى من غيري واني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة قل اشهد بالله انها زانية واني ما قربتها منذ اربعة اشهر واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين ثم قال اقعد وقال لخولة قومي فقامت وقالت اشهد بالله ما انا بزانية وان زوجي لمن الكاذبين وقالت في الثانية اشهد بالله ما راي شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين وقالت في الثالثة اشهد بالله ما انا حبلى منه وانه لمن الكاذبين وقالت في الرابعة اشهد بالله انه ما راني على فاحشة قط وانه من الكاذبين وقالت في الخامسة غضب الله على خولة ان كان عويمر من الصادقين في قوله ففرق النبي صلى الله عليه وسلم بينهما وفي رواية عكرمة عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف امراته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحما فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة والا حد في ظهرك فقال يا رسول الله اذا راي احدنا على امراته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة والا حد في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني صادق ولينزلن الله ما يبري ظهري من الحد فنزل جبريل عليه السلام فانزل عليه والذين يرمون ازواجهم فقرا حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليهما فجا هلال فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تايب ثم قامت فشهدت فلما كان عند الخامسة وقفوها وقالوا انها موجبة قال ابن عباس فتلكات ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا افضح قومي سائر اليوم فمضت وقال النبي صلى الله عليه وسلم ابصروها فان جات به اكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحما فجات به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله عز وجل لكان لي ولها شان وفي رواية عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الاية قال سعد بن عبادة لو اتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي ان اهيجه حتى اتي باربعة شهدا فوالله ما كنت لاتي باربعة شهدا حتى يفرغ من حاجته ويذهب وان قلت ما رايت ان في ظهري لثمانين جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار الا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه فانه رجل غيور ما تزوج امراة قط الا بكرا ولا طلق امراة له واجترا رجل منا ان يتزوجها فقال سعد يا رسول الله بابي انت وامي والله اني لاعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك فقال عليه السلام فان الله يابا الا ذلك فقال صدق الله ورسوله ثم قال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جا ابن عم له يقال له هلال بن امية بن حذيفة وهو احد الثلاثة الذين تاب الله عليهم فراي رجلا مع امراته يزني بها فامسك حتى اصبح فلما اصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع اصحابه فقال يا رسول الله اني جيت اهلي عشيا فوجدت رجلا مع امراتي رايت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جا به وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال والله يا رسول الله اني لاري الكراهة في

وجهك مما ابتليتك به والله يعلم اني لصادق وما قلت الا حقا واني لارجو ان يجعل الله لي فرجا
فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد
يجلد هلال وتبطل شهادته فانهم لكذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يامر بضربه
اذ انزل عليه الوحي فامسك اصحابه عن كلامه حين عرفوا ان الوحي قد نزل حتى فرغ فانزل
الله والذين يرمون ازواجهم الى اخر الايات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشر
يا هلال فان الله قد جعل لك فرجا فقال قد كنت ارجوا ذلك من الله عز وجل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليها فجاءت فكذبت هلال فقال عليه السلام ان الله يعلم ان
احدكما كاذب فهل منكما تايب وامر بالملاعنة وشهد هلال اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين
فقال عليه السلام له عند الخامسة اتق الله يا هلال فان عذاب الدنيا اهون من عذاب
الاخرة فقال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله وشهد الخامسة
ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتشهدين
فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين ثم قال لها عند الخامسة ووقفها اتق الله
فانها الخامسة الموجبة وان عذاب الله اشد من عذاب الناس فتلكات ساعة وهمت
بالاعتراف ثم قالت والله لا افضح قومي فشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان
من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لاب
ولا يرمي ولدها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها
وان جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه فجاءت به غلاما كانه جمل اورق على الشبه
المكروه وكان بعد اميرا بمصر ولا يدري من ابوه **فصل** اذا رمي الرجل امراته
بالزنا يجب عليه الحد ان كانت محصنة والتعزير ان لم تكن محصنة كما في رمي الاجنبي الا ان
قذف الاجنبي لا يسقط الحد عن القاذف الا باقرار المقذوف او ببينة اربعة يشهدا على الزنا
وفي قذف الزوجة يسقط الحد عنه باحد هذين الامرين وباللعان وانما اعتبر الشارع
اللعان في الزوجات دون الاجنبيات لانه لا معيرة عليه في زنا الاجنبية والاولى له ستره
واما في الزوجة فيلحقه العار والنسب الفاسد فلا يمكنه الصبر عليه **فصل** اذا
قذف زوجته ونكل عن اللعان لزمه حد القذف فاذا لاعن ونكلت عن اللعان لزمها حد
الزنا وقال ابو حنيفة يحبس الناكل منهما حتى يلاعن حجة القول الاول قوله تعالى والذين
يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا فاجلدوهم ثمانين جلدة ثم عطف عليه حكم الازواج
فقال والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهدا الا انفسهم الاية فكما ان مقتضى قذف
الاجنبيات الاتيان بالشهود او الجلد فكذا موجب قذف الزوجات الاتيان باللعان والحد
وايضا قوله ويدرؤ عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات والالف واللام في العذاب للمعهود
السابق وهو الحد وليسا للعموم لانه لم يجب عليها جميع انواع العذاب ومما يدل على بطلان
الحبس في حق المراة ان تقول ان كان الرجل صادقا فحدوني وان كان كاذبا فخلوني وليس
حبسي في كتاب الله وسنة رسوله ولا الاجماع ولا القياس واحتج ابو حنيفة بان المراة ما
فعلت سوي انها تركت اللعان وهذا الترك ليس ببينة على الزنا ولا اقرار منها به فوجب
ان لا يجوز رجمها لقوله عليه السلام لا يحل دم امرء مسلم الحديث واذا لم يجب الرجم اذا كانت
محصنة لم يجب الجلد في غير المحصن لانه لا قايل بالفرق وايضا فالنكول ليس بصريح الاقرار
لم يجز اثبات الحد به كاللفظ المحتمل للزنا ولغيره **فصل** من صح يمينه صح لعانه
فيجري اللعان بين الرقيقين والذميين والمحدودين وكذا اذا كان احدهما رقيقا وكان الزوج
مسلما والمراة ذمية فان قيل اللعان شهادة فوجب ان لا يصح الا من اهل الشهادة وانما قلنا
اللعان شهادة لقوله تعالى ولم يكن لهم شهدا الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات
سمي اللعان شهادة كقوله واستشهدوا شهيدين ولان النبي صلى الله عليه وسلم امرهما
باللعان بلفظ الشهادة ولم يقتصر على لفظ اليمين واذا ثبت اللعان شهادة وجب ان لا
يقبل من المحدودين في القذف لقوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واذا ثبت ذلك في المحدود
ثبت في العبد والكافر اما للاجماع على انهما ليسا من اهل الشهادة او لانه لا قايل بالفرق فالجواب

اذ

ان اللعان ليس شهادة في الحقيقة بل هو يمين مخصوصة لانه لا يجوز ان يشهد الانسان لنفسه
ولانه لو كان شهادة لكانت المراة تاتي بثمان شهادات لانها على النصف من الرجل ولانه يصح من
الاعمي والفاسق ولا يجوز شهادتهما فان قيل الفاسق والفاسقة قد يتوبان قلنا وكذلك العبد
قد يعتق فتجوز شهادته **فصل** قال عثمان البتي اذا لاعن الزوجان لم يقع الفرقة
لان اللعان ليس بصريح ولا كناية عن الفرقة فلا يفيد الفرقة كساير الاقوال التي لا اشعار لها
بالفرقة ولان اكثر ما فيه ان يكون الزوج صادقا في قوله وهذا لا يوجب تحريما الا ترى انه لو قامت
البينة عليها لم يوجب ذلك تحريما فاذا كان كاذبا والمراة صادقة فاولي ان لا يوجب تحريما وايضا
لو تلاعن فيما بينهما لم يوجب الفرقة فكذا عند الحاكم وايضا فاللعان قايم مقام الشهود في قذف
الاجنبيات فكما انه لا فايدة في احضار الشهود هناك الا اسقاط الحد فكذا اللعان لا تاثير له
الا اسقاط الحد وايضا فلو اكذب الزوج نفسه في قذفه اياها ثم حد لم يوجب ذلك فرقة فكذا
اذا لاعن لان اللعان قايم مقام درء الحد واما تفريق النبي صلى الله عليه وسلم في قصة العجلاني
وكان قد طلقها ثلاثا بعد اللعان فلذلك فرق بينهما وقال اصحاب الراي لا تقع الفرقة بفراغهما
من اللعان حتى يفرق الحاكم بينهما لما روي سهل بن سعد في قصة العجلاني مضت السنة في المتلاعنين
ان يفرق بينهما ولان في قصة عويمر انهما لما فرغا قال كذبت عليها يا رسول الله ان امسكتها هي طالق
ثلاثا قبل ان يامرها ولو وقعت الفرقة باللعان بطل قوله كذبت عليها ان امسكتها لان
امساكها غير ممكن ولان اللعان شهادة ولا يثبت حكمه الا عند الحاكم فوجب ان لا يوجب الفرقة
الا بحكم الحاكم كما لم يثبت المشهود به الا بحكم الحاكم وقال مالك والليث وزفر اذا فرغا من اللعان
وقعت الفرقة وان لم يفرق الحاكم بينهما لانهما لو تراضيا على البقاء على النكاح لم يخليا بل فرق بينهما
فدل على ان اللعان قد اوجب الفرقة وقال الشافعي اذا اكمل الزوج الشهادة فقد زال
فراش امراته ولا تحل له ابدا لقوله تعالى ويدرؤ عنها العذاب الاية فدل هذا على انه لا تاثير
للعان المراة الا في دفع العذاب عن نفسها وان كل ما يجب باللعان من الاحكام فقد وقع بلعان
الزوج ولان لعان الزوج مستقل بنفي الولد فوجب ان يكون الاعتبار بقوله في الالحاق
لا بقولها **فصل** في كيفية اللعان وهو مذكور في الاية صريحا قال العلما يقام الرجل
حتى يشهد والمراة قاعدة وتقام المراة حتى تشهد والرجل قاعد ويامر الامام من يضع يده
على فيه حتى عند الانتهاء الى اللعنة في الغضب ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا ويكون
اللعان عند الحاكم فان كان بمكة كان بين المقام والركن وان كان بالمدينة عند المنبر وبيت
المقدس في مسجده وفي المواضع المعظمة ولعان المشرك في الكنيسة واما في الزمان فيوم الجمعة
بعد العصر ولا بد من حضور جماعة واقلهم اربعة وهذا التغليظ قيل واجب وقيل مستحب
فصل معني الاية والذين يرمون ازواجهم اي يقذفون نساهم ولم يكن لهم شهداء
يشهدون على صحة ما قالوا الا انفسهم اي غير انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات انه لمن الصادقين
قوله ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم في رفع انفسهم وجهان احدهما انه بدل من شهدا ولم يذكر الزمخشري
في غضون كلامه غيره والثاني انه نعت له على ان الا بمعني غير قال ابو البقا ولو قري بالنصب
لجاز على ان يكون خبر كان او منصوبا على الاستثنا وانما كان الرفع هنا اقوى لان الا هنا صفة
للنكرة كما ذكرنا في سورة الانبيا قال شهاب الدين وعلى قراءة الرفع يحتمل ان يكون كان ناقصة
وخبرها الجار وان يكون تامة اي ولم يوجد لهم شهداء وقراءة العامة يكن بالياء من تحت وهو
الفصيح لانه اذا اسند الفعل لما بعد الا على سبيل التفريغ وجب عند بعضهم التذكير في الفعل
نحو قام الا هند ولا يجوز ما قامت الا في ضرورة كقوله
• وما بقيت الا الضلوع الجراشع •
او في شذوذ كقراءة الحسن لا تري الا مساكنهم وقري ولم تكن بالتاء من فوق وقد عرف ما فيه
قوله فشهادة احدهم في رفعها ثلاثة اوجه احدها ان يكون مبتدا وخبره يقدر التقديم اي فعليهم
شهادة او مؤخر اي فشهادة احدهم كافية او واجبة الثاني ان يكون خبر مبتدا مضمر اي فالواجب
شهادة احدهم الثالث ان يكون فاعلا بفعل مقدر اي فيكفي والمصدر هنا مضاف للفاعل
وقراءة العامة اربع شهادات بالنصب على المصدر والعامل فيه شهادة فالناصب للمصدر مصدر

مثله كما تقدم في قوله فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وقرأ الاخوان وحفص برفع اربع
على انها خبر المبتدا وهو قوله فشهادة ويتخرج على القراءتين تعلق الجار في قوله بالله
فعلى قراءة النصب يجوز فيه ثلاثة اوجه احدها ان يتعلق بشهادات لانه اقرب اليه
والثاني انه متعلق بقوله فشهادة اي فشهادة احدهم بالله ولا يضر الفصل باربع لانها
معمولة للمصدر فليست اجنبية الثالث ان المسئلة من باب التنازع فان كلا من شهادة
وشهادات يطلبه من حيث المعنى وتكون المسئلة من اعمال الثاني للحذف من الاول وهو
مختار البصريين وعلى قراءة الرفع يتعين تعلقه بشهادات اذ لو علقت بشهادة لزم الفصل
بين المصدر ومعموله بالخبر فلا يجوز لانه اجنبي ولم يختلف في اربع الثانية وهي قوله
ان تشهد اربع شهادات انها منصوبة للتصريح بالعامل فيها وهو الفعل قوله تعالى
والخامسة اتفق السبعة على رفع الخامسة الاولى واختلفوا في الثانية فنصبها حفص
ونصبها معا الحسن والسلمي وطلحة والاعمش فالرفع على الابتدا وما بعده من ان وما
في حيزها الخبر واما نصب الاولى فعلى قراءة من نصب اربع شهادات يكون النصب للعطف
على المنصوب قبلها وعلى قراءة من رفع يكون النصب بفعل مقدر اي وتشهد الخامسة
واما نصب الثانية فعطف على ما قبلها من المنصوب وهو اربع شهادات والنصب هنا
اقوى منه في الاولى لقوة النصب فيما قبلها كما تقدم تقديره ولذلك لم يختلف فيه
واما ان وما في حيزها فعلى قراءة الرفع يكون في محل رفع خبرا للمبتدا كما تقدم وعلى قراءة
النصب يكون على اسقاط الخافض ويتعلق الخافض بذلك الناصب للخامسة اي
ويشهد الخامسة بان لعنة الله وبان غضب الله وجوز ابو البقا ان يكون بدلا من الخامسة
قوله ان لعنة الله عليه قرا العامة بتشديد ان في الموضعين وقرا نافع بتخفيفها
في الموضعين الا انه يقرا غضب الله بجعل غضب فعلا ماضيا والجلالة فاعله كذا نقل
ابو حيان عنه التخفيف في الاولى ايضا ولم ينقله غيره فعلى قراءته يكون اسم ان ضمير
الشان في الموضعين ولعنة الله مبتدا وعليه خبرها والجملة خبر ان وفي الثانية يكون
غضب الله جملة فعلية في محل خبر ان ايضا ولكنه يقال يلزمكم احد امرين وهو اما
عدم الفصل بين المخففة والفعل الواقع خبرا واما وقوع الطلب خبرا في هذا الباب
وهو ممتنع تقرير ذلك ان خبر المخففة متى كان فعلا متصرفا غير مقرون بقد وجب
الفصل بينهما بما تقدم في سورة المائدة فان اجيب بانه دعا اعترض بان الدعا طلب
وقد نصوا على ان الجملة الطلبية لا تقع خبرا الا ان حتى تاولوا قوله

• ان الرياضة لا تنصبك للشيب • وقوله •

• ان الذين قتلتم امس سيدكم • لا تحسبوا ليلهم عن ليلكم ناما •

على اضمار القول ومثله ان بورك من في النار وقرا الحسن وابو رجا وقتادة والسلمي
وعيسى بتخفيف ان وغضب الله بالرفع على الابتدا والجار بعده خبره والجملة خبر ان
وقال ابن عطية وان الخفيفة على قراءة الرفع في قوله ان غضب قد وليها الفعل قال
ابو علي واهل العربية يستقبحون ان يليها الفعل الا ان يفصل بينهما وبينه بشي نحو قوله
علم ان سيكون افلا يرون الا يرجع فاما قوله وان ليس للانسان فذلك لعلة تمكن ليس
في الافعال واما قوله ان بورك من في النار فبورك في معنى الدعا فلم يجي دخول الفاصل
المعنى فظاهر هذا ان غضب ليس دعا بل هو خبر عن غضب الله عليها والظاهر انه دعا كما
ان بورك كذلك وليس المعنى على الاخبار فيهما فاعتراض ابي علي وابي محمد ليس بمرضي قوله
ولولا فضل الله جواب لولا محذوف اي لهلكتما ولعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم
ورفع عنكم الحد باللعان وان الله تواب يعود على من يرجع عن المعاصي بالرحمة حكيم
فيما فرض من الحدود قوله تعالى ان الذين جاوا بالافك عصبة منكم الاية في خبر
ان وجهان احدهما انه عصبة ومنكم صفته قال ابو البقا وبه افاد الخبر والثاني ان الخبر
الجملة من قوله لا تحسبوه ويكون عصبة بدلا من فاعل جاوا قال ابن عطية التقدير ان فعل
الذين وهذا انسق في المعنى واكثر فائدة من ان يكون عصبة خبر ان كذا اورده عنه ابو

حيان

حيان غير معترض عليه والاعتراض عليه واضح من حيث انه اوقع خبر ان جملة طلبية وقد
تقدم انه لا يجوز وان ورد منه شي في الشعر اول كالبيتين المتقدمين وتقدير ابن عطية
ذلك المضاف قبل الموصول ليصح به التركيب الكلامي اذ لو لم يقدر لكان التركيب لا تحسبوهم
ولا يعود الضمير في لا تحسبوه على قول ابن عطية على الافك لئلا تخلو الجملة من رابط يربطها
بالمبتدا وفي قول غيره يجوز ان يعود على الافك او على القذف او على المصدر المفهوم من
جاوا او على ما نال المسلمين من الغم **فصل** سبب نزول هذه الاية ما روى الزهري
عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن ابي وقاص وعبيد الله بن عبد الله
ابن عتبة بن مسعود وكلهم روا عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه قالت فاقرع بيننا
في غزوة غزاها قبل بني المصطلق فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد نزول اية الحجاب فحملت في هودج فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من غزوته تلك وقفل دنونا من المدينة قافلين نزل منزلا ثم اذن بالرحيل فقمت حين اذنوا
ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقدي
من جزع ظفار قد انقطع فرجعت والتمست عقدي فحبسني ابتغاوه واقبل الرهط الذي كانوا
يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون اني فيه لخفتي وكان النسا
اذ ذاك خفافا لم يهبلهن ولم يغشهن اللحم انما ياكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة
الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فظنوا اني في الهودج وذهبوا بالبعير
ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجيت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فتيممت
منزلي الذي كنت فيه وظننت انهم سيفقدوني ويعودون في طلبي فبينا انا جالسة في
منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من ورا الجيش يتبع
امتعة الناس يحمله الى المنزل الآخر لئلا يذهب شي فلما راني عرفني وكان راني قبل
الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا بكلمة
ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطي على يديها فقمت
اليها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول
وافتقدني الناس حتى نزلوا وماج الناس بينا الناس كذلك اذ هجمت عليهم فتكلم القوم
وخاضوا في حديثي قالت فهلك من هلك وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله بن ابي سلول
قال عروة لم يسم من اهل الافك الا حسان بن ثابت ومسطح ابن اثاثة وحمنة بنت جحش في
اناس اخرين لا علم بهم غير انهم عصبة كما قال الله عز وجل قال عروة وكانت عايشة تكره

• ان يسب عندها حسان وتقول انه هو الذي قال •

• فان ابي ووالده وعرضي • لعرض محمد منكم وقاء •

قالت عايشة وقدم رسول الله المدينة ولم ارمنه عليه السلام ما عهدته من اللطف الذي كنت
اعرف منه والناس يفيضون في قول اصحاب الافك ولا اشعر بشي من ذلك فاشتكيت حتى
قدمت شهرا وهو يريبني في وجعي اني لا ارى من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف
الذي كنت ارى منه حين اشتكي انما يدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول
كيف تيكم ثم ينصرف فذلك يريبني ولا اشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت فخرجت مع ام مسطح
قبل المناصع وكانت متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا
من بيوتنا وامرنا امر العرب الاول في البرية قبل الغايط فكنا نتاذى بالكنف ان نتخذها
عند بيوتنا قالت فانطلقت انا وام مسطح وهي بنت ابي رهم ابن المطلب بن عبد مناف
وامها ابنة صخر بن عامر خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وابنها مسطح بن اثاثة بن
عبد بن المطلب فاقبلت انا وام مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شاننا فعثرت ام مسطح في
مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بيس ما قلت اتسبين رجلا شهد بدرا فقالت اي هنتاه
اولم تسمعي ما قال فقلت وما قال فاخبرتني بقول اهل الافك وقالت اشهد بالله انك من المومنات
الغافلات فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم قال كيف تيكم فقلت له اتاذن لي ان اتي ابوي قالت واريد ان استيقن الخبر من قبلهما قالت
فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامي يا اماه ماذا يتحدث الناس قالت
يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امراة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضراير الا كثرن
عليها فقلت سبحان الله اولقد تحدث الناس بها فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقا لي
دمع ولا اكتحل بنوم فدخل علي ابي وانا ابكي فقال لامي ما يبكيها قالت لم تكن علمت ما قيل
فيها فاقبل يبكي قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب واسامة بن
زيد حين استلبث الوحي يسالهما ويستشيرهما في فراق اهله فقال اسامة يا رسول الله هم
اهلك ولا نعلم الا خيرا واما علي فقال لم يضيق الله عليك والنسا سواها كثير وسل الجارية
تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اي بريرة هل رايت من شي يريبك
قالت له بريرة والذي بعثك بالحق نبيا ما رايت عليها امرا قط اغمصه اكثر من انها جارية
حديثة السن تنام عن عجين اهلها فياتي الداجن فياكله قالت فقام نبي الله خطيبا على
المنبر فقال يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ اذاه في اهلي يعني عبد الله بن
ابي فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على
اهلي الا معي فقال سعد بن معاذ اخو بني عبد الاشهل فقال انا يا رسول الله اعذرك فان
كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا الخزرج فامرتنا فعلناه فقال سعد بن
عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن اخذته الحمية وكانت ام حسان بنت عمه
من فخذه فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا يقدر على قتله فقام اسيد بن حضير وهو
ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه وانك لمنافق تجادل عن
المنافقين فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا قالت فبكيت يومي ذلك كله وليلتي لا يرقا لي دمع ولا
اكتحل بنوم فاصبح ابواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما حتى اني لاظن ان البكا فالق كبدي
فبينا ابواي جالسان عندي وانا ابكي فاستاذنت علي امراة من الانصار فاذنت لها فجلست
تبكي معي فبينا نحن على ذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فسلم ثم جلس قالت ولم
يجلس عندي منذ قيل في ما قيل وقد لبث شهرا لا يوحى اليه في شاني بشي فتشهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال اما بعد يا عايشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة
فسيبريك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف ثم تاب
تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما احس
منه قطرة فقلت لابي اجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال فقال والله لا ادري ما اقول
لرسول الله صلى فقلت لامي اجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت امي والله لا ادري ما اقول
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وانا جارية حديثة السن لا اقرا من القران كثيرا اني والله
لقد علمت انكم قد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في انفسكم وصدقتم به فلين قلت لكم اني بريئة لا
تصدقوني ولين اعترفت لكم بامر والله يعلم اني منه بريئة لتصدقنني فوالله لا اجد لي ولكم
مثلا الا ابا يوسف حين قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت واضطجعت
على فراشي وانا اعلم والله يعلم اني حينيذ بريئة وان الله مبريي ببراءتي ولكن والله ما كنت ان الله
منزل في شاني وحيا يتلى ولشاني في نفسي كان احقر من ان يتكلم الله في بامر ولكني كنت
ارجوا ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رويا يبريني الله بها فوالله ما قام رسول الله
من مجلسه ولا خرج من اهل البيت احد حتى انزل الله على نبيه فاخذه ما كان ياخذه من البرحا
من الوحي حتى انه ليتحدر منه العرق مثل الجمان في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي انزل عليه
قالت فسري عن رسول الله وهو يضحك وكان اول كلمة تكلم بها ان قال يا عايشة اما والله فقد براك
الله قالت فقالت لي امي قومي اليه فقلت والله لا اقوم اليه فاني لا احمد الا الله قالت وانزل
الله ان الذين جاوا بالافك عصبة منكم العشر ايات فقال ابو بكر والله لا انفق على مسطح بعدها
وكان ينفق عليه لقرابته منه فانزل الله ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله غفور رحيم
فلما سمع ابو بكر قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم قال ابو بكر والله اني لاحب ان يغفر الله لي

فرجع

فرجع الى النفقة على مسطح وقال والله لا انزعها منه ابدا قال فلم يزل عذري قائم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلى القران فلما نزل ضرب عبد الله بن
ابن ابي ومسطح وحسان وحمنة الحد **فصل** الافك ابلغ ما يكون من الكذب
والافترا وهو اسوا الكذب وسمي افكا لكونه مصروفا عن الحق من قوله افك الشي اذا قلبه
عن وجهه وقيل هو البهتان واجمع المسلمون على ان المراد ما افك به على عايشة وانما وصف
الله ذلك الكذب بكونه افكا لان المعروف من حال عايشة خلافه وذلك من وجوه الاول
ان كونها زوجة المعصوم يمنع من ذلك لان الانبيا مبعوثون الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم
فيجب ان لا يكون معهم ما ينفرهم وكون زوجة الانسان مسافحة من اعظم المنفرات فان
قيل كيف جاز ان تكون امراة الرسول كافرة كامراة نوح ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة
وايضا لو لم يجز لكان الرسول اعرف الناس بامتناعه ولو عرف ذلك لما ضاق ولما سال عايشة
عن كيفية الواقعة فالجواب عن الاول ان الكفر ليس من المنفرات بخلاف الفجور فانه من المنفرات
والجواب عن الثاني انه عليه السلام كثيرا ما يكون يضيق قلبه من اقوال الكفار مع علمه
بفساد ذلك كما قال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فهذا من ذاك الباب
الثاني ان المعروف من عايشة قبل تلك الواقعة انما هو الصون والبعد عن مقدمات الفجور
ومن كان كذلك كان اللايق احسان الظن به الثالث ان القاذفين كانوا من المنافقين واتباعهم
وكلام المفتري ضرب من الهذيان فلمجموع هذه كان ذلك القول معلوم الفساد قبل نزول الوحي
فصل العصبة قيل الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة وهم عبد الله
ابن ابي راس المنافقين وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش
ومن ساعدهم قوله كبره العامة على كسر الكاف وضمها في قراية الحسن والزهري وابو رجا وابو البرهسم
وابن ابي عبلة ومجاهد وعمرة بنت عبد الرحمن عن ابي عمرو والكسايي فقيل هما لغتان في مصدر
كبر الشي اي عظم لكن غلب في الاستعمال ان المضموم في السن والمكان يقال هو كبر القوم بالضم
اي اكبرهم سنا او مكانة وفي الحديث في قصة محيصة وحويصة الكبر الكبر وقيل بالضم معظم الافك
وبالكسر البداة منه وقيل بالكسر الاثم قوله منكم معناه ان الذين اتوا بالكذب في امر عايشة
جماعة منكم ايها المومنون لان عبد الله كان من جملة من حكم له بالايمان ظاهرا قوله لا تحسبوه
شرا لكم بل هو خير لكم هذا شرح حال المقذوف وليس خطاب مع القاذفين فان قيل هذا مشكل
من وجهين احدهما انه لم يتقدم ذكرهم والثاني ان المقذوفين هم عايشة وصفوان فكيف يحمل
عليهما صيغة الجمع في قوله لا تحسبوه شرا لكم فالجواب عن الاول انه تقدم ذكرهم في قوله
منكم وعن الثاني ان المراد من لفظ الجمع كل من تاذى بذلك الكذب ومعلوم انه صلى الله
عليه وسلم تاذى بذلك وكذلك ابو بكر ومن يتصل به فان قيل فمن اي جهة يصير خيرا لهم
مع انه مضرة فالجواب لوجوه احدها انهم صبروا على ذلك الغم طلبا لمرضات الله فاستوجبوا
به الثواب وهذه طريقة المومنين وثانيها لولا اظهارهم الافك كان يجوز ان يبقى الهم كامنا
في صدور البعض وعند الاظهار انكشف كذب القوم وثالثها صار خيرا لهم لما فيه من شرفهم
وبيان فضلهم من حيث نزلت ثماني عشرة اية كل واحدة منها مستقلة ببراة عايشة وشهد الله
بكذب القاذفين ونسبهم الى الافك واوجب عليهم اللعن والذم وهذا غاية الشرف والفضل
ورابعها صيرورتها بحال تعلق الكفر بقذفها فان الله لما نص على كون تلك الواقعة افكا وبالغ
في شرحه فكل من شك فيه كان كافرا قطعا وهذه درجة عالية وقال بعضهم قوله تعالى لا تحسبوه
شرا لكم خطاب مع القاذفين وجعله الله خيرا لهم من حيث كان هذا الذكر عقوبة معجلة كالكفارة
ومن حيث تاب بعضهم عنده وهذا القول ضعيف لانه تعالى خاطبهم بالكاف ولما وصف اهل
الافك خاطبهم بالهاء بقوله لكل امري منهم ما اكتسب من الاثم ومعلوم ان نفس ما اكتسبوه لا يكون
عقوبة فالمراد لهم جزاء ما اكتسبوه من العقاب في الاخرة والمذمة في الدنيا والمعنى ان قدر العقاب
يكون مثل قدر الخوض قوله والذي تولى كبره الذي قام باشاعة هذا الحديث وهو عبد الله بن
ابي بن سلول والعذاب العظيم هو النار في الاخرة روي عن عايشة في حديث الافك قالت
ثم ركبت واخذ صفوان بالزمام فمررنا بملا من المنافقين وكانت عادتهم ان ينزلوا منتبذين من

الناس فقال عبد الله بن ابي ربيعه من هذه قالوا عايشة قال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امراة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جا يقود بها وشرع في ذلك ايضا حسان بن ثابت ومسطح وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بنت عبيد الله فهم الذين تولوا كبره والاقرب انه عبد الله بن ابي فكانه كان منا فقا يطلب ما يقدح في الرسول قال مسروق دخلت على عايشة وعندها حسان بن ثابت ينشد شعرا يشبب بابيات له وقال •

• حصان رزان ما تزن بريبة • وتصبح غرثى من لحوم الغوافل •

فقالت له عايشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها لم تاذنين له ان يدخل عليك وقد قال الله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت واي عذاب اشد من العمى وروي ان عايشة ذكرت حسان وقالت ارجو له الجنة فقيل اليس هو الذي تولى كبره فقالت اذا سمعت شعره في مدح الرسول رجوت له الجنة وقال عليه السلام ان الله يويد حسان بروح القدس في شعره وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالذين رموا عايشة فجلدوا الحد جميعا **فصل** المراد من اضافة الكبر اليه انه كان مبتديا بذلك القول فلا جرم حصل له من العقاب ما حصل لكل من قال ذلك لقوله عليه السلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة وقال ابو مسلم سبب تلك الاضافة وشدة الرغبة في اشاعة تلك الفاحشة **قوله** لولا اذ سمعتموه لولا هنه تخفيفية اي هلا وذلك كثير في اللغة اذا كانت تلي الفعل كقوله لولا اخرتني وقوله فلولا كانت فاما اذا ولي الاسم فليس كذلك لقوله لولا انتم لكنا مومنين ولولا فضل الله عليكم واذ منصوب بظن والتقدير لولا ظن المومنون بانفسهم اذ سمعتموه وفي هذا الكلام التفات قال الزمخشري فان قلت هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر قلت ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق احد قاله في اخيه وان لا يظن بالمسلمين الا خيرا وقوله ولم عدل عن الخطاب يعني في قوله وقالوا فانه كان الاصل وقلتم فعدل عن هذا الخطاب الى الغيبة في وقالوا وقوله وعن الضمير يعني ان الاصل كان ظننتم فعدل عن ضمير الخطاب الى لفظ المومنين **فصل** المعنى هلا اذ سمعتموه ظن المومنون والمومنات بانفسهم باخوانهم خيرا قال الحسن باهل دينهم لان المومنين كنفس واحدة كقوله ولا تقتلوا انفسكم فسلموا على انفسكم المعنى بامثالكم المومنين وقيل جعل المومنين كالنفس الواحدة فيما يجري عليها من الامور فاذا جرى على احدهم مكروه فكانه جرى على جميعهم كما قال عليه السلام مثل المسلمين في تواصلهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا وجع بعضه وجع كله بالسهر والحمى وقال عليه السلام المومنون كالبنيان يشد بعضه بعضا وقوله هذا افك مبين اي كذب بين لولا جاوا هلا جاوا عليه باربعة شهدا اي على ما زعموا يشهدون على معاينتهم ما رموها به فاذ لم ياتوا بالشهدا ولم يقيموا بينة على ما قالوا فاولئك عند الله اي في حكمه هم الكاذبون فان قيل كيف يصيرون عند الله كاذبين اذا لم ياتوا بالشهدا ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء اتى بالشهدا او لم يات فالجواب معناه كذبوهم بامر الله وقيل هذا في حق عايشة خاصة فانهم كانوا عند الله كاذبين وقيل المعنى في حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف ان لم يات بالشهود فانه يجب زجره فلما شابه الكاذب في الزجر اطلق عليه انه كاذب مجازا قوله تعالى فاذ لم ياتوا اذ منصوب بالكاذبون في قوله فاولئك عند الله هم الكاذبون وهذا الكلام في قوة شرط وجزا قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم فيه من الافك عذاب عظيم وهذا زجر ولولا هنا لامتناع الشي لوجود غيره ويقال افاض في الحديث واندفع وخاض والمعنى ولولا اني قضيت ان الفضل عليكم في الدنيا بالنعم التي من جملتها الامهال وان ترحم عليكم في الاخرة بالعفو لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك وقيل المعنى ولولا فضل الله عليكم لمسكم العذاب في الدنيا والاخرة معا فيكون فيه تقديم وتاخير وهذا الفضل هو حكم الله من تاب وقال ابن عباس المراد بالعذاب العظيم اي عذاب لا انقطاع له يعني في الاخرة

لانه

لانه ذكر عذاب الدنيا من قبل فقال والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقد اصابه فانه جلد وحد قوله اذ تلقونه منصوب بمسكم او بافضتم وقرا العامة تلقونه والاصل تتلقونه بحذف احدى التائين كتنزل ومعناه يتلقاه بعضكم من بعض قال الكلبي وذلك ان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقيا قال الزجاج يلقيه بعضهم الى بعض والبزي على اصله في انه يشدد التا وصلا وتقدم تحقيقه في البقرة نحو ولا تيمموا وهو هناك سهل لان ما قبله حرف لين بخلاف هنا وابو عمرو والكساي وحمزة على اصولهم في ادغام الذال في التا وقرا ابي تتلقونه بتائين وتقدم انها الاصل وقرا ابن السميفع في رواية عنه تلقونه بضم التا وسكون اللام وضم القاف مضارع القى القاه وقرا هو في رواية اخرى تلقونه بفتح التا وسكون اللام وفتح القاف مضارع لقي وقرا ابن عباس وعايشة وعيسى وابن يعمر وزيد بن علي بفتح التا وكسر اللام وضم القاف من ولق الرجل اذا كذب قال ابن سيدة جاوا بالمتعدي شاهدا على غير المتعدي وعندي انه اراد تلقون فيه فحذف الحرف ووصل الفعل للضمير معنى انهم جاوا بتلقونه وهو متعدي مفسرا بتكذبون وهو غير متعد ثم حمله على ما ذكر وقال الطبري وغيره ان هذه اللفظة ماخوذة من الولق وهو الاسراع بالشي بعد الشي كعدد في اثر عدد وكلام في اثر كلام يقال ولق في سيره اي اسرع واشد • جات به عيس من الشام تلق • وقال ابو البقا اي يسرعون فيه واصله من الولق وهو الجنون وقرا زيد بن اسلم وابو جعفر تالقونه بفتح التا وهمزة ساكنة ولام مكسورة وقاف مضمومة من الالق وهو الكذب وقرا يعقوب تيلقونه بكسر التا من فوق بعدها يا ساكنة ولام مفتوحة وقاف مضمومة وهو مضارع ولق بكسر اللام كما قالوا تيجل مضارع وجل وقوله بافواهكم كقوله يقولون بافواههم وقد تقدم **فصل** اعلم ان الله تعالى وصفهم بارتكاب ثلاثة اثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها تلقي الافك بالسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل يقول له ما وراك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع واشتهر ولم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه فكانهم سعوا في اشاعة الفاحشة وذلك من العظايم وثانيها انهم كانوا يتكلمون بما لا علم لهم به وذلك يدل على انه لا يجوز الاخبار الا مع العلم ونظيره ولا تقف ما ليس لك به علم وثالثها انهم كانوا يستصغرون ذلك وهو عظيمة من العظايم وتدل الاية على ان القذف من الكباير لقوله وهو عند الله عظيم ويدل على ان الواجب على المكلف في كل محرم ان يستعظم الاقدام عليه وينبه بقوله وتحسبونه هينا على ان عمل المعصية لا يختلف بظن فاعله وحسابه بل ربما كان ذلك موكدا لعظمه فان قيل ما معنى قوله بافواهكم والقول لا يكون الا بالفم فالجواب معناه ان الشي المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه باللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري على السنتكم من غير ان يحصل في القلب علم به كقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم **قوله** ولولا اذ سمعتموه قلتم كقوله ولولا اذ سمعتموه ظن ولكن لا التفات فيه قال الزمخشري فان قلت كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم بالظرف قلت للظروف شان ليس لغيرها لانها لا تنفك عنها ما يقع فيها فلذلك امتنع فيها قال ابو حيان وهذا يوهم اختصاص ذلك بالظروف وهو جار في المفعول به يقول لولا زيدا ضربت ولولا عمرا قتلت وقال الزمخشري ايضا فان قلت اي فايدة في تقديم الظرف حتى اوقع فاصلا قلت الفايدة فيه بيان انه كان الواجب عليهم ان يحترزوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب تقديمه فان قلت ما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا ان نتكلم بهذا قلت معناه ينبغي ويصح اي ما ينبغي وما يصح كقوله ما يكون لي ان اقول **فصل** قوله لولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا اللفظ معناه التعجب هنا هذا بهتان عظيم اي كذب عظيم يبهت ويتحير من عظمته روي ان ام ايوب قالت لابي ايوب الانصاري اما بلغك ما يقول الناس في عايشة فقال ابو ايوب سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الاية على وفق قوله **قوله** يعظكم الله ان تعودوا الاية وهذا من باب الزواجر اي يعظكم الله بهذه المواعظ التي بها تعرفون عظم هذا الذنب وان فيه الحد والنكال في الدنيا والعذاب في الاخرة لكي لا تعودوا الى مثل هذا الفعل ابدا

قوله ان تعودوا فيه ثلثة اوجه احدها انه مفعول من اجله اي يعظكم كراهة ان تعودوا
والثاني انه على حذف في ان تعودوا والمعنى وعظت فلانا في كذا فتركه الثالث انه ضمن معنى
فعل يتعدى بعن ثم حذفت اي يزجركم بالوعظ عن العود وعلى هذين القولين يجي القولان
في محل ان بعد نزع الخافض قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقال مجاهد ينهاكم الله ان
تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين ويبين الله لكم الايات في الامر والنهي والله عليم بامر عايشة
وصفوان حكيم ببراءتهما واعلم ان العليم الحكيم هو الذي لا يامر الا بما ينبغي ولا يهمل جزاء المستحق
فلهذا ذكرها تين الصفتين وخصهما بالذكر **فصل** استدلت المعتزلة بقوله ان كنتم
مومنين على ان ترك القذف من الايمان لان المعلق على الشرط عدم عند عدم الشرط واجيبوا
بان هذا معارض بقوله ان الذين جاوا بالافك عصبة منكم اي منكم ايها المومنون فدل
ذلك على ان القذف لا يوجب الخروج عن الايمان واذا ثبت التعارض حملنا هذه الاية
على التهييج في الاتعاظ والانزجار **فصل** قالت المعتزلة دلت هذه الاية على
انه تعالى اراد من جميع من وعظه مجانبة مثل ذلك في المستقبل وان كان فيهم من لا يطيع
لان هذا الوجه يدل على انه يريد منهم كلهم الطاعة وان عصوا ولان قوله يعظكم الله ان
تعودوا اي لكي لا تعودوا لمثله وذلك يدل على الارادة وتقدم الجواب عنه مرارا فان قيل
هل يجوز ان يسمي الله واعظا لقوله تعالى يعظكم الله فالاظهر انه لا يجوز كما لا يجوز ان يسمي
الله معلما لقوله الرحمن علم القران قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة
الاية لما بين ما على الافك وعلى من سمع منه وما ينبغي ان يتمسكوا به من اداب الدين اتبعه
بقوله ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة ليعلم ان من احب ذلك فقد شارك في هذا
كما شارك فيه من فعله والاشاعة الانتشار يقال في هذا العقار سهم شايع اذا كان في
الجميع ولم يكن منفصلا وشاع الحديث اذا ظهر في العامة والمعنى ان الذين يحبون ان يظهر
ويذيع الزنا في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة يعني عبد الله بن ابي واصحابه
المنافقين والعذاب في الدنيا الحد وفي الاخرة النار وظاهر الاية يتناول كل من كان بهذه
الصفة والاية انما نزلت في قذفة عايشة الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ثم
قال والله يعلم وانتم لا تعلمون وهذا احسن الموقع في هذا الموضع لان محبة القلب كامنة
ونحن لا نعلمها الا بالامارة واما الله سبحانه فانه لا يخفى عليه وهذا غاية في الزجر لان من
احب اشاعة الفاحشة وان بالغ في اخفا تلك المحبة فهو يعلم ان الله يعلم ذلك منه ويعلم
قدر الجزا عليه وهذه الاية تدل على ان العزم على الذنب العظيم ذنب وان ارادة الفسق فسق
لانه تعالى علق الوعيد بمحبة اشاعة الفاحشة **فصل** قالت المعتزلة ان الله
بالغ في ذم من احب اشاعة الفاحشة فلو كان تعالى هو الخالق لافعال العباد لما كان مشيع
الفاحشة الا هو فكان يجب ان لا يستحق الذم على اشاعة الفاحشة الا هو لانه هو الذي
فعل تلك الاشاعة وغيره لم يفعل شيا وتقدم الكلام على نظيره قوله تعالى ولولا فضل الله
عليكم ورحمته وان الله روف رحيم جواب لولا محذوف اي لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس
يريد مسطحا وحسان وحمنة ويجوز ان يكون الخطاب عاما وقيل جوابه في قوله ما زكى منكم
من احد وقيل جوابه لكانت الفاحشة تشيع فتعظم المضرة وهو قول ابي مسلم والاقرب ان جوابه
محذوف لان قوله من بعد ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم كالمنفصل من الاول فلا
يكون جوابا للاول خصوصا وقع بين الكلامين كلام اخر قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تتبعوا خطوات الشيطان الاية قرا خطوات بضم الطا وسكونها والخطوات جمع خطوة
وهو من خطا الرجل يخطو خطوا فاذا اردت الواحدة قلت خطوة مفتوحة الاول والمراد
بذلك السيرة والمعنى لا تتبعوا اثار الشيطان ولا تسلكوا مسالكه في اشاعة الفاحشة والله
تعالى وان خص بذلك المومنين فهو نهي لكل المكلفين لان قوله ومن يتبع خطوات الشيطان
فانه يامر بالفحشا منع لكل المكلفين من ذلك والفحشا ما افرط قبحه والمنكر ما تنكره النفوس
فتنفر عنه ولا ترتضيه قوله فانه يامر في هذه الها ثلثة اوجه احدها انه ضمير الشان وبه
بدا ابو البقا والثاني انها ضمير الشيطان وهذان الوجهان انما يجوزان على راي من لا يشترط

عود ضمير على اسم الشرط من جملة الجزا والثالث انه عايد على من الشرطية قوله ما زكى
العامة على تخفيف الكاف يقال زكا يزكو وفي الفه الامالة وعدمها وقرا الاعمش وابن محيصن
وابو جعفر بتشديدها وكتبت الفه ياء وهو شاذ لانه من ذوات الواو وكتبوا وانما حمل على لغة من
امال او على كتابة المشدد فعلى قراءة التخفيف يكون من احد فاعلا وعلى قراءة التشديد يكون
مفعولا ومن مزيدة على كلا التقديرين والفاعل هو الله تعالى **فصل** قال مقاتل
ما زكى ما صلح وقال ابن قتيبة ما طهر وقيل من بلغ في الطاعة به مبلغ الرضا يقال زكا الزرع
فاذا بلغ المومن في الصلاح في الدين ما يرضاه تعالى سمي زكيا فلا يقال زكى الا اذا وجد زكيا
كما لا يقال لمن ترك الهدى هداه الله مطلقا بل يقال هداه الله فلم يهتد ودلت الاية على ان
الله تعالى هو الخالق لافعال العباد لان التزكية كالتسويد والتحمير فكما ان التسويد تحصيل
السواد فكذا التزكية تحصيل الزكا في المحل والمعتزلة حملوه هنا على فعل الالطاف او على الحكم
بكون العبد زكيا وهو خلاف الظاهر ولان الله تعالى قال ولكن الله يزكي من يشا علق التزكية
على الفضل والرحمة وخلق الالطاف واجبا فلا يكون معلقا بالفضل والرحمة واما الحكم بكونه زكيا
فذلك واجب لانه لولا الحكم به لكان كذبا والكذب على الله محال فكيف يجوز تعليقه بالمشية فصل
قال ابن عباس في رواية عطا هذا خطاب للذين خاضوا في الافك ومعناه ما طهر من هذا الذنب
ولا صلح امره بعد الذي فعل اي ما قبل منكم توبة احد ابدا ولكن الله يزكي يطهر من يشا من الذنب
بالرحمة والمغفرة والله سميع عليم اي سميع اقوالكم في القذف واقوالكم في البراءة وعليم بما في قلوبكم
من محبة اشاعة الفاحشة او من كراهتها واذا كان كذلك وجب الاحتراز عن معصيته قوله تعالى ولا
ياتل اولوا الفضل منكم الاية يجوز ان يكون ياتل يفتعل من الالية وهي الحلف كقوله
• والت حلفة لم تحلل • ونصر الزمخشري هذا بقراءة الحسن ولا يتال من الالية كقوله من تالى على الله يكذبه
ويجوز ان يكون يفتعل من الوت اي قصرت كقوله تعالى لا يالونكم خبالا قال •
• وما المرء ما دامت حشاشة نفسه • بمدرك اطراف الخطوب ولا ال •
وقال ابو البقا وقرى ولا يتال على يتفعل وهو من الالية ايضا ومنه •
• تالى ابن اوس حلفة ليردني • الى نسوة كانهن مفايد •
قوله ان يوتوا هو على اسقاط الجار وتقديره على القول الاول ولا ياتل اولوا الفضل على
ان لا يحسنوا وعلى الثاني ولا يقصر اولوا الفضل في ان يحسنوا وقرا ابو حيوة وابو البرهسم وابن
قطيب تؤتوا بتا الخطاب وهو التفات موافق لقوله الا تحبون وقرا الحسن وسفين بن
الحسين ولتعفوا ولتصفحوا بالخطاب وهو موافق لما بعده **فصل** المشهور ان معنى
الاية لا يحلف اولوا الفضل فيكون افتعالا من الالية قال ابو مسلم وهذا ضعيف لوجهين احدهما
ان ظاهر الاية على هذا التاويل يقتضي المنع من الحلف على الاعطا وهم ارادوا المنع على ترك
الاعطا فهذا المتاول قد اقام النفي مكان الايجاب وجعل المنهي عنه مامورا به الثاني انه قل
ما يوجد في الكلام افتعلت مكان افعلت وانما يوجد مكان فعلت وهنا اليت من الالية
افعلت فلا يقال فعلت من الزمت التزمت ومن اعطيت اعتطيت ثم قال في ياتل ان اصله يا تلي
ذهبت الياء للجزم لانه نهي وهو من قولك ما الوت فلانا نصحا ولم ال في امري جهدا اي ما قصرت
ولم يال والمراد لا يقصروا في ان يحسنوا اليهم ويوجد كثيرا افتعلت مكان افعلت يقول كسبت واكتسبت
وصنعت واصطنعت وهذا التاويل مروي عن ابي عبيدة قال ابن الخطيب وهذا هو الصحيح
دون الاول واجاب الزجاج عن الاول بان لا تحذف في اليمين كثيرا قال الله تعالى ولا تجعلوا
الله عرضة لايمانكم ان تبروا وقال امرو القيس • فقلت يمين الله ابرح قاعدا •
اي لا ابرح واجابوا عن السوال الثاني ان جميع المفسرين الذين كانوا قبل ابي مسلم فسروا اللفظ
باليمين وقول واحد منهم حجة في اللغة فكيف الكل ويعضده قراءة الحسن ولا يتال **فصل**
قال المفسرون معناه ولا يحلف اولوا الفضل والسعة اي اولوا الغنا يعني ابا بكر الصديق ان
يوتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله يعني مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا
ابن خالة ابي بكر حلف ابو بكر لا ينفق عليه وليعفوا وليصفحوا عنهم خوضهم في امر عايشة
الا تحبون يخاطب ابا بكر قال بلى اني احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته التي كان ينفق

عليه وقال والله لا انزعها منه ابدا وقال ابن عباس والضحاك اقسم ناس من الصحابة فيهم
ابو بكر ان لا يتصدقوا على رجل تكلم بشيء من الافك ولا ينفعوهم فانزل الله هذه الاية **فصل**
اجمع المفسرون على ان المراد من قوله اولوا الفضل ابو بكر وهذا يدل على انه كان افضل الناس
بعد الرسول لان الفضل المذكور في الاية اما في الدنيا واما في الدين والاول باطل لانه تعالى
ذكره في معرض المدح له والمدح من الله بالدنيا غير جائز ولانه لو جاز ذلك لكان قوله والسعة
تكريرا فتعين ان يكون المراد منه الفضل في الدين فلو كان غيره مساويا له في الدرجة في الدين
لم يكن هو صاحب الفضل لان المساوي لا يكون فاضلا فلما اثبت الله له الفضل غير مقيد لشخص
دون شخص وجب ان يكون افضل الخلق تركنا العمل به في حق الرسول عليه السلام فيبقى
معمولا به في حق الغير واجمعت الامة على ان الافضل اما ابو بكر او علي فاذا ثبت انه ليس المراد
عليا تعينت الاية في ابي بكر ولانه تعالى وصفه بانه من اولي السعة وان عليا رضي الله عنه
لم يكن من اولي السعة في الدنيا في ذلك الوقت فثبت ان المراد منه ابو بكر قطعا **فصل**
اجمعوا على ان مسطحا كان من البدريين وصح عنه عليه السلام انه قال لعل الله اطلع الى اهل
بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فكيف صدرت الكبيرة منه بعد ان كان بدريا والجواب
انه لا يجوز ان يكون المراد منه افعلوا ما شئتم من المعاصي فانا نعلم بالضرورة ان هذا
التكليف كان باقيا عليهم ولو حملناه على ذلك لافضى الى زوال التكليف عنهم ولو كان كذلك
لما جاز ان يحد مسطح على ما فعل فوجب حمله على احد امرين الاول انه تعالى علم توبة اهل
بدر فقال افعلوا ما شئتم من النوافل من قليل او كثير فقد غفرت لكم واعطيتكم الدرجات
العالية في الجنة والثاني ان يكون المراد انهم يوافون بالطاعة فكانه تعالى قال قد غفرت
لكم لعلمي بانكم تموتون على التوبة والانابة فذكر حالهم في الوقت واراد العاقبة **فصل**
دلت الاية على ان الايمان على الامتناع من الخير غير جائز وانما يجوز اذا حصلت داعية صارفة
عنه **فصل** مذهب الجمهور ان من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها انه ينبغي له ان
ياتي الذي هو خير ثم يكفر عن يمينه وقال بعضهم انه ياتي بالذي هو خير وذلك كفارته لان
الله تعالى امر ابا بكر بالحنث ولم يوجب عليه كفارة ولقوله عليه السلام من حلف على يمين فراى
غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وذلك كفارته واحتج الجمهور بقوله تعالى ولكن يواخذكم
بما عقدتم الايمان فكفارته وقوله ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم وقوله لايوب عليه السلام
وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وقد علمنا ان الحنث كان خيرا من تركه ولو كان الحنث
فيها كفارتها لما امر بضربها بل كان يحنث بلا كفارة وقال عليه السلام من حلف على يمين
فراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر عن يمينه واما قولهم ان الله تعالى لم يذكر
الكفارة في قصة ابي بكر فان حكمها كان معلوما عندهم واما قوله عليه السلام وليات الذي
هو خير وذلك كفارته فمعناه تكفير الذنب لا انه الكفارة المذكورة في الكتاب **فصل**
روي عن عايشة انها قالت فضلت ازواج النبي بعشر خصال تزوج رسول الله بي بكرا دون
غيري وابواي مهاجران وجاء جبريل بصورتي وامره ان يتزوج بي وكنت اغتسل معه في اناء
وجبريل ينزل عليه وانا معه في لحاف وتزوج بي في شوال وبنى بي في ذلك الشهر وقبض
بين سحري ونحري وانزل الله عذري من السما ودفن في بيتي وكل ذلك لم يساوني فيه
غيري قال بعضهم لقد برا الله اربعة باربعة برا يوسف وشهد شاهد من اهلها وبرا موسى
من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرا مريم بانطاق ولدها وبرا عايشة بهذه الايات
في كتابه المتلو على وجه الدهر **قوله** تعالى ان الذين يرمون المحصنات العفايف
الغافلات عن الفواحش المومنات والغافلة عن الفاحشة اي لا يقع في مثلها وكانت
عايشة كذلك فقال بعضهم الصيغة عامة فيدخل فيه قذفة عايشة وغيرها وقيل المراد
قذفة عايشة قالت عايشة رميت وانا غافلة وانما بلغني بعد ذلك فبينما رسول الله
صلى الله عليه وسلم عندي اذ اوحي اليه قال ابشري وقرا ان الذين يرمون المحصنات
الغافلات المومنات وقيل المراد جملة ازواج رسول الله وانهن لشرفهن خصصن بان من
قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واحتج هولاء بامور الاول ان قاذف ساير المحصنات تقبل

توبته لقوله في اول السورة والذين يرمون المحصنات الى قوله الا الذين تابوا واما القاذف في
هذه الاية فانه لا تقبل توبته لقوله تعالى لعنوا في الدنيا والاخرة ولم يذكر استثنا وايضا فهذه
صفة المنافقين في قوله ملعونين اينما ثقفوا الثاني ان قاذف ساير المحصنات لا يكفر والقاذف في
هذه الاية كافر لقوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وذلك صفة الكفار والمنافقين لقوله ويوم
يحشر اعداء الله الى النار الايات الثالث انه قال ولهم عذاب عظيم والعذاب العظيم هو عذاب
الكفر فدل على ان عذاب هذا القاذف عقاب الكفر وعقاب قاذف ساير المحصنات لا يكون عقاب
الكفر وروي ان ابن عباس كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسال عن تفسير القران فسيل عن
تفسير هذه الاية فقال من اذنب ذنبا ثم تاب قبلت توبته الا من خاض في امر عايشة واجاب
الاولون بان الوعيد المذكور في هذه الاية لا بد وان يكون مشروطا بعدم التوبة لان الذنب
سوا كان كفرا او فسقا فاذا تاب عنه صار مغفورا وقيل هذه الاية نزلت في مشركي مكة حين كان
بينهم وبين رسول الله عهد فكانت المراة اذا خرجت الى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من اهل
مكة وقالوا انها خرجت لتفجر فنزلت فيهم قوله تعالى يوم تشهد ناصبة الاستقرار الذي
تعلق به لهم وقيل بل ناصبة عذاب ورد بانه مصدر موصوف واجيب بان الظرف يتسع فيه
ما لا يتسع في غيره وقرا الاخوان يشهد بالياء من تحت لان التانيث مجازي وقد وقع الفصل
والباقون بالتاء مراعاة اللفظ **قوله** يومئذ التنوين في اذ عوض من الجملة تقديره يومئذ
تشهد وقد تقدم خلاف الاخفش فيه وقرا زيد بن علي يوفيهم مخففا من اوفى وقرا العامة
بنصب الحق نعتا لدينهم وابو حيوة وابو روق ومجاهد وهي قراة ابن مسعود برفعه نعتا لله
تعالى **فصل** يوم تشهد عليهم السنتهم قال المفسرون هذا قبل ان يختم على ايديهم
وافواههم وارجلهم يروى انه يختم على الافواه فتتكلم الايدي والارجل بما عملت في الدنيا وقيل تشهد
السنة بعضهم على بعض وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فيومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاهم
الواجب وقيل حسابهم العدل ويعلمون ان الله هو الحق المبين يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم
في الدنيا وانما سمى الله بالحق لان عبادته هي الحق دون عبادة غيره وقيل سمي بالحق ومعناه
الموجود لان نقيضه الباطل وهو المعدوم ومعنى المبين المظهر **قوله** تعالى الخبيثات للخبيثين
الاية قال اكثر المفسرين الخبيثات من القول والكلام للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس
للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات
من القول والمعنى الخبيث من القول لا يليق الا بالخبيث من الناس والطيب لا يليق الا بالطيب
فعايشة رضي الله عنها لا يليق بها الخبيثات من القول لانها طيبة فيضاف اليها طيبات الكلام من
الثنا الحسن وما يليق بها وقال الزجاج معناه لا يتكلم بالخبيثات الا الخبيث من الرجال والنسا
ولا يتكلم بالطيبات الا الطيب من الرجال والنسا وهذا ذم للذين قذفوا عايشة ومدح للذين
براوها بالطهارة وقال ابن زيد معناه الخبيثات من النسا للخبيثين من الرجال والخبيثون
من الرجال للخبيثات من النسا امثال عبد الله بن ابي والشاكين في الدين والطيبات من النسا
للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النسا يريد عايشة طيبها الله لرسوله
الطيب صلى الله عليه وسلم اوليك مبرون يعني عايشة وصفوان ذكرهما بلفظ الجمع كقوله فان
كان له اخوة اي اخوان وقيل اوليك مبرون يعني الطيبين والطيبات منزهون مما يقولون وقيل
الرمي تعلق بالنبي عليه السلام وبعايشة وصفوان فبرا الله كل واحد منهم وقيل المراد كل ازواج
الرسول براهن الله تعالى من هذا الافك ثم قال لهم مغفرة يعني براة من الله وقيل العفو عن
الذنوب والرزق الكريم الجنة **قوله** لهم مغفرة يجوز ان تكون جملة مستانفة وان تكون في
محل رفع خبرا ثانيا ويجوز ان يكون لهم خبرا اوليك ومغفرة فاعله **قوله** تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم الاية لما ذكر حكم الرمي والقذف ذكر ما يليق به لان اهل الافك
انما توصلوا الى بهتانهم لوجود الخلوة فصار كانهم طريق التهمة فاوجب الله تعالى ان لا يدخل
المرء بيت غيره الا بعد الاستيذان والسلام لان الدخول على غير هذا الوجه يوقع التهمة وفي
ذلك من المضرة ما لا خفا به **قوله** تستانسوا يجوز ان تكون من الاستيناس لان الطارق
يستوحش من انه هل يوذن له او لا فيزال استيحاشه وهو رديف الاستيذان فوضع موضعه

وقيل من الايناس وهو الابصار اي حتى تستكشفوا الحال وفسره ابن عباس حتى تستاذنوا وليست
قراة وما ينقل عنه انه قال تستانسوا خطا من الكاتب انما هو تستاذنوا وليست قراة وما فني مفتري
عليه وضعفه بعضهم بان هذا يقتضي الطعن في القران الذي نقل بالتواتر ويقتضي صحة
القران الذي لم ينقل بالتواتر وفتح هذين البابين يطرق الشك الى كل القران وانه باطل وروي
عن الحسن البصري انه قال ان في الكلام تقديما وتاخيرا والمعنى حتى تسلموا على اهلها وتستانسوا
وهذا ايضا خلاف الظاهر وفي قراة عبد الله حتى تسلموا وتستاذنوا وهو ايضا خلاف
الظاهر واعلم ان هذا نظير ما تقدم في الرعد افلم ييأس الذين امنوا وتقدم القول فيه والاستئناس
الاستعلام قال كان رحل قد زال النهار بنا يوم الخليل على مستانس وحد وقيل هو من
الانس بكسر الهمزة اي يتعرف هل فيها انسي ام لا وحكى الطبري انه بمعنى وتونسوا انفسكم
قال ابن عطية وتصريف الفعل يابى ان يكون من انس **فصل** قال الخليل
الاستيناس والاستكشاف من انس الشي اذا ابصره كقوله اني انست نارا والمعنى حتى يستعلموا
الحال هل يراد دخولكم في الاستبصار من قوله انست نارا اي ابصرت وقيل هو ان يتكلم
بتسبيحة او تكبيرة او يتنحنح يوذن اهل البيت وحكم الاية انه لا يدخل بيت الغير الا بعد
السلام والاستيذان واختلفوا هل يقدم الاستيذان او السلام فقيل يقدم الاستيذان
فيقول ادخل سلام عليكم لقوله حتى تستانسوا اي تستاذنوا وتسلموا على اهلها والاكثرون
على انه يقدم السلام فيقول سلام عليكم ادخل وروى ابن عمر ان رجلا استاذن عليه
فقال ادخل فقال ابن عمر لا فامر بعضهم الرجل ان يسلم فسلم فاذن له وقيل ان وقع بصره
على انسان قدم السلام والا قدم الاستيذان ثم يسلم والحكمة في ايجاب تقديم الاستيذان ان
يهجم على ما لا يحل له ان ينظر اليه من عورة او على ما لا يحب القوم ان يعرفوه من الاحوال فصل
عدد الاستيذان ثلثا لما روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاستيذان ثلثا الاولى يستصتون والثانية يستصلحون والثالثة يستاذنوا ويردون
وعن ابي سعيد الخدري قال كنت جالسا في مجلس الانصار فجا ابو موسى فزعا فقلنا له
ما افزعك فقال امرني عمر ان اتيه فاتيته فاستاذنت ثلثا فلم يوذن لي فرجعت فقال
ما منعك ان تاتيني فقلت قد جئت فاستاذنت ثلثا فلم يوذن لي وقد قال عليه السلام
اذا استاذن احدكم ثلثا فلم يوذن فليرجع فقال لتاتيني على هذا بالبينة او لاعاقبنك
فقال ابو سعيد لا يقوم معك الا اصغر القوم قال فقام ابو سعيد فشهد له وفي بعض
الروايات ان عمر قال لابي موسى لم اتهمك ولكن خشيت ان يتقول الناس على رسول الله وعن
قتادة الاستيذان ثلاثة الاول ليسمع الحي والثاني ليتهيا والثالث ان شا اذن وان
شا رد وهذا من محاسن الاداب لانه في اول كرة ربما منعهم بعض الاشغال من الاذن
وفي الثانية ربما كان هناك ما يمنع فاذا لم يجب في الثالثة يستدل بعدم الاذن على مانع
ويجب ان يكون بين كل واحدة والاخرى وقت ما فاما قرع الباب بعنف والصياح بصاحب
الدار فذاك حرام لانه ايذاء وكذا قصة بني اسد وما نزل فيهم من قوله ان الذين ينادونك
من ورا الحجرات اكثرهم لا يعقلون **فصل** في كيفية الوقوف على الباب روى ابو سعيد
قال استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مستقبل الباب فقال عليه
السلام لا تستاذن وانت مستقبل الباب وروى انه عليه السلام كان اذا اتى باب قوم لم
يستقبل الباب من تلقا وجهه ولكن من ركنه الايمن او الايسر فيقول السلام عليكم وذلك
ان الدور لم يكن عليها يومئذ ستور **فصل** كلمة حتى للغاية والحكم بعد الغاية
يكون بخلاف ما قبلها فقوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا يقتضي جواز الدخول
بعد الاستيذان وان لم يكن من صاحب البيت اذن والجواب ان الله تعالى جعل الغاية
الاستيناس ولا يحصل الا بعد الاذن وايضا فانا علمنا بالنص ان الحكمة في الاستيذان
ان لا يدخل الانسان على غيره بغير اذنه فان ذلك مما يسوءه وهذا المقصود لا يحصل الا بعد
الاذن وايضا قوله فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يوذن لكم فمنع الدخول
الا مع الاذن تدل على ان الاذن شرط في اباحة الدخول في الاية الاولى واذا ثبت هذا فنقول

لابد

لا بد من الاذن او ما يقوم مقامه لقوله عليه السلام اذا دعي احدكم فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن
وقال بعضهم ان من جرت العادة له باباحة الدخول فهو غير محتاج الى الاستيذان واعلم ان ظاهر
الاية يقتضي قبول الاذن مطلقا سوا كان الاذن صبيا او امراة او عبدا او ذميا فانه لا يعتبر في هذا
الاذن صفات الشهادة وكذلك قبول اخبار هولاء في الهدايا ونحوها **فصل** ويستاذن
على المحارم لما روي ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال استاذن على اختي فقال عليه السلام
نعم اتحب ان تراها عريانة وسال رجل حذيفة استاذن على اختي فقال ان لم تستاذن عليها رايت ما
يسوءك ولعموم قوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا الا ان ترك الاستيذان على المحارم وان
كان غير جائز ايسر لجواز النظر الى شعرها وصدرها وساقها ونحوه **فصل** اذا اطلع انسان
في دار انسان بغير اذنه ففقا عينه فهي هدر لقوله عليه السلام من اطلع في دار قوم بغير اذنهم ففقؤوا
عينه فقد هدرت عينه وقال ابو بكر الرازي هذا الخبر ورد على خلاف قياس الاصول فانه لا خلاف
انه لو دخل داره بغير اذنه ففقا عينه كان ضامنا وكان عليه القصاص ان كان عامدا والارش ان كان
مخطيا والداخل قد اطلع وزاد على الاطلاع فظاهر الحديث مخالف لما حصل عليه الاتفاق فان صح فمعناه
من اطلع في دار قوم ونظر الى حرمهم فمنع فلم يمتنع فذهبت عينه في حال الممانعة فهي هدر فاما اذا لم يكن
الا النظر ولم يقع فيه ممانعة ولا نهي ثم جا انسان ففقا عينه فهذا جاني يلزمه حكم جنايته لظاهر قوله
تعالى العين بالعين الى قوله والجروح قصاص واجيب بان التمسك بقوله العين بالعين ضعيف
لانا اجمعنا على ان هذا النص مشروط بما اذا لم تكن العين مستحقة فانه لو كانت مستحقة واما قوله
انه لو دخل لم يجز فقي عينه فكذا اذا نظر فالفرق بينهما انه اذا دخل علم القوم بدخوله عليهم فاحترزوا
عنه وتستروا فاما اذا نظر فقد لا يكونوا عالمين بذلك فيطلع منهم على ما لا يجوز الاطلاع عليه فلا
يبعد في حكمة الشرع ان يبالغ في الزجر حسما لهذه المفسدة وايضا فحديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم بهذا القدر من الكلام غير جائز **فصل** اذا عرض امر في دار من
حريق او هجوم سارق او ظهور منكر فهل يجب الاستيذان فقيل كل ذلك مستثنى بالدليل واعلم ان
السلام هو من سنة المسلمين التي امروا بها وهو تحية اهل الجنة ومجلبة للمودة ونافي للحقد والضغا
قال عليه السلام لما خلق الله ادم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فحمد الله باذن الله فقال
له الله يرحمك ربك يا ادم اذهب الى هولاء الملائكة وملا منهم جلوس فقل السلام عليكم فلما فعل
ذلك رجع الى ربه فقال هذه تحيتك وتحية ذريتك وعن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حق المسلم على المسلم ست يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه وينصح له
بالغيب ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات وعن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سركم ان يسل الغل من صدوركم فافشوا السلام بينكم قوله
ذلكم خير لكم اي ان فعل ذلك خير لكم واولى بكم من الهجوم بغير اذن لعلكم تذكرون اي لتتذكروا
هذا التاديب فتتمسكوا به فان لم تجدوا فيها اي فان لم تجدوا في البيوت احدا ياذن لكم في دخولها
فلا تدخلوها حتى يوذن لكم لجواز ان يكون هناك احوال مكتومة وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا
وذلك انه كما يكون الدخول قد يكرهه صاحب الدار فكذا الوقوف على الباب قد يكرهه فلا جرم
كان الاولى له ان يرجع هو ازكى لكم اي الرجوع هو اطهر واصلح لكم قال قتادة واذا لم يوذن
له فلا يقعد على الباب فان للناس حاجات واذا حضر فلم يستاذن وقعد على الباب منتظرا
جاز كان ابن عباس ياتي الانصار لطلب الحديث فيقعد على الباب حتى يخرج ولا يستاذن فيخرج
الرجل ويقول يا ابن عم رسول الله لو اخبرتني فيقول هكذا امرنا ان نطلب العلم واذا وقف
فلا ينظر من شق الباب اذا كان الباب مردودا لما روي ان رجلا اطلع على النبي صلى الله
عليه وسلم من ستر الحجرة وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم مدرى فقال لو علمت ان هذا ينظرني
حتى اتيه لطعنت بالمدرى في عينه وهل جعل الاستيذان الا من اجل البصر قوله والله بما
تعملون عليم اي من الدخول بالاذن وغير الاذن ولما ذكر الله تعالى حكم الدور المسكونة
ذكر بعده حكم الدور التي هي غير مسكونة فقال ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير
مسكونة قال المفسرون لما نزلت اية الاستيذان قالوا كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة
والشام وعلى ظهر الطريق ليس فيها ساكن فانزل الله عز وجل ليس عليكم جناح ان تدخلوا

بيوتا غير مسكونة اي بغير استيذان فيها متاع لكم اي منفعة لكم قال محمد بن الحنفية انها
الخانات والرباطات وحوانيت البياعين وقال ابن زيد هي بيوت التجار وحوانيتهم التي
بالاسواق يدخلها للبيع والشرا وهو المنفعة قال ابراهيم النخعي ليس على حوانيت السوق
اذن وكان ابن سيرين اذا جا الى حانوت السوق يقول السلام عليكم ادخل ثم يلج وقال
عطا هي البيوت الخربة والمتاع هو قضا الحاجة فيها من البول والغايط وقيل هي جميع البيوت
التي لا ساكن لها وقيل هي الحمامات وروي ان ابا بكر قال يا رسول الله ان الله قد انزل عليك اية
في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت هذه
الاية والاصح انه لا يمتنع دخول الجميع تحت الاية لان الاستيذان انما جا لئلا يطلع على عورة فان
لم يخف ذلك فله الدخول لانه ماذون فيها عرفا والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وهذا وعيد
للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من اهل الريبة قوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم
الاية الغض اطباق الجفن بحيث يمنع الروية قال

• فغض الطرف انك من نمير • فلا كعبا بلغت ولا كلابا •

ومن اربعة اوجه احدها انها للتبعيض لانه يعفى عن الناظر اول نظرة تقع من غير قصده
والثاني لبيان الجنس قاله ابو البقا وفيه نظر من حيث انه لم يتقدم مبهم يكون مفسرا لهن الثالث
انها لابتدا الغاية قاله ابن عطية الرابع قال الاخفش انها مزيدة **فصل** قال
الاكثرون المراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل فان قيل كيف دخلت من في غض
البصر دون حفظ الفرج فالجواب ان ذلك دليل على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم
لا باس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وكذا الجواري المستعرضات واما امر الفروج
فضيق وقيل معنى يغضوا من ابصارهم اي ينقصوا من نظرهم بالبصر اذا لم يمكن من عمله فهو
مغضوض وعلى هذا من ليست زايدة ولا هي للتبعيض بل هي صلة للغض يقال غضضت
من فلان اذا انقصت منه **فصل** العورات تنقسم اربعة اقسام عورة الرجل
مع الرجل وعورة المراة مع المراة وعورة المراة مع الرجل وعورة الرجل مع المراة اما الرجل
مع الرجل فيجوز له ان ينظر الى جميع بدنه الا العورة وهي ما بين السرة والركبة والسرة والركبة
ليستا بعورة وعند ابي حنيفة الركبة عورة وقال مالك الفخذ ليس بعورة وهو مردود بقوله
عليه السلام غط فخذك فانها من العورة وقوله لعلي لا تبرز فخذك ولا تنظر الى فخذ حي ولا
ميت فان كان امرد لم يحل النظر الى وجهه ولا الى شي من سائر بدنه بشهوة ولا يجوز للرجل
مضاجعة الرجل وان كان كل واحد منهما في جانب من الفراش لقوله عليه السلام لا يفضي الرجل
الى الرجل في فراش واحد ولا تفضي المراة الى المراة في ثوب واحد وتكره معانقة الرجل
للرجل وتقبيله الا لولده وشفقة لما روي انس قال قال رجل يا رسول الله الرجل منا
يلقى اخاه او صديقه اينحني له قال لا قال ايلتزمه ويقبله قال لا قال افيأخذ بيده
فيصافحه قال نعم ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المكامعة والمكاعمة وهي
معانقة الرجل للرجل وتقبيله واما عورة المراة مع المراة فهي كالرجل مع الرجل فيما ذكرنا
سواء والذمية هل يجوز لها النظر الى بدن المسلمة فقيل هي كالمسلمة مع المسلمة والصحيح
انه لا يجوز لها النظر لانها اجنبية في الدين لقول الله تعالى او نسائهن وليست الذمية
من نسائنا واما عورة المراة مع الرجل فاما ان تكون اجنبية او ذات محرم او مستمتعة فان
كانت اجنبية فاما ان تكون حرة او امة فان كانت حرة فجميع بدنها عورة الا الوجه
والكفين لانها تحتاج الى ابراز الوجه للبيع والشرا والى اخراج الكف للاخذ والعطا والمراد
الكف الى الكوع واعلم ان النظر الى وجهها ينقسم ثلاثة اقسام اما ان لا يكون فيه غرض
ولا فتنة واما ان يكون فيه غرض ولا فتنة واما ان يكون لشهوة فان كان لغير غرض فلا
يجوز النظر الى وجهها فان وقع بصره عليها بغتة غض بصره لقوله تعالى قل للمؤمنين
يغضوا وقيل يجوز مرة واحدة اذا لم يكن فتنة وبه قال ابو حنيفة ولا يجوز تكرار النظر
لقوله عليه السلام لا تتبعوا النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الاخيرة وقال جابر
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاة فامرني ان اصرف بصري فان كان

فيه

فيه غرض ولا فتنة فهو امور احدها ان يريد نكاح امراة فينظر الى وجهها وكفيها لقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي ساله ان يتزوج امراة من الانصار انظر اليها فان في اعين
الانصار شيا وقال عليه السلام اذا خطب احدكم المراة فلا جناح عليه ان ينظر اليها اذا كان انما
ينظر اليها للخطبة وقال المغيرة بن شعبة خطبت امراة فقال عليه السلام انظرت اليها فقلت
لا قال فانظر فانه احرى ان يدوم بينكما وذلك يدل على جواز النظر بشهوة الى الوجه والكفين
اذا اراد ان يتزوجها ولقوله تعالى لا يحل لك النسا من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو
اعجبك حسنهن ولا يعجبه حسنهن الا بعد روية وجههن وثانيها اذا اراد شرا جارية فله ان ينظر
منها الى ما ليس بعورة وثالثها عند المبايعة ينظر الى وجهها متاملا حتى يعرفها عند الحاجة
ورابعها ينظر اليها عند تحمل الشهادة ولا ينظر الى غير الوجه فان كان النظر لشهوة فهو محرم
لقوله عليه السلام العينان تزنيان واما النظر الى بدن الاجنبية فلا يجوز الا في صور احدها
يجوز للطبيب الامين ان ينظر للمعالجة وللختان ان ينظر الى فرج المختون للضرورة وثانيها
ان يتعمد النظر الى فرج الزانيين ليشهد على الزنا وكذلك ان ينظر الى فرجها ليشهد على الولادة
والى ثدي المرضعة ليشهد على الرضاع وقال بعض العلما لا يجوز للرجل ان يقصد النظر في
هذه المواضع لان الزنا مندوب الى ستره وفي الولادة والرضاع تقبل شهادة النسا فلا حاجة
الى نظر الرجال لو وقعت في غرق او حرق فله ان ينظر الى بدنها لتخليصها فان كانت الاجنبية
امة فقيل عورتها ما بين السرة والركبة وقيل عورتها ما لا يبين في المهنة فخرج منها عنقها وساعدها
ونحوها ولا يجوز لمسها ولا لها لمسه بحال الا لحاجة لان اللمس اقوى من النظر لان الانزال باللمس
يفطر الصايم وبالنظر لا يفطره **فصل** فان كانت المراة ذات محرم بنسب او
رضاع فعورتها مع الرجل المحرم كعورة الرجل مع الرجل وقيل عورتها ما لا يبدو عند المهنة
وهو قول ابي حنيفة وستاتي بقية التفاصيل ان شا الله تعالى في تفسير الاية **فصل**
فان كانت المراة مستمتعة كالزوجة والامة التي يحل وطيها فيجوز للزوج والسيد ان
ينظر الى جميع بدنها حتى الفرج الا انه يكره النظر الى فرجها ولا فرق فيه بين ان تكون الامة
قنة او مدبرة او ام ولد او مرهونة فان كانت مجوسية او مرتدة او وثنية او مشتركة بينه وبين
غيره او مزوجة او مكاتبة فهي كالاجنبية لقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا زوج احدكم جاريته
عبده او اجيره فعورته معها ما بين السرة والركبة **فصل** فاما عورة الرجل مع المراة
فلا يجوز لها قصد النظر عند خوف الفتنة ولا تكرير النظر الى وجهه لما روت ام سلمة انها كانت
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة اذ قبل ابن ام مكتوم فقال احتجبا منه فقالت
يا رسول الله اليس هو اعمى لا يبصرنا فقال عليه السلام افعمياوان انتما الستما تبصرانه وان
كان محرما لها فعورته ما بين السرة والركبة وان كان زوجها او سيدها الذي له وطيها فلها ان
تنظر الى جميع بدنه غير انه يكره النظر الى الفرج كهو معها **فصل** ولا يجوز للرجل
ان يجلس عاريا في بيت خال وله ما يستر عورته لانه عليه السلام سيل عنه فقال الله احق
ان يستحيا منه وقال عليه السلام اياكم والتعري فان معكم من لا يفارقكم الا عند الغايط وحين
يفضي الرجل الى اهله قوله ويحفظوا فروجهم اي عما لا يحل وقال ابو العالية كل ما في القران
من حفظ الفرج فهو عن الزنا والحرام الا في هذا الموضع فانه اراد به الاستتار حتى لا يقع
بصر الغير عليه وهذا ضعيف لانه تخصيص من غير دليل والذي يقتضيه الظاهر حفظ الفروج
عن سائر ما حرم عليهم من الزنا والمس والنظر قوله ذلك ازكى لهم اي غض البصر وحفظ
الفرج ازكى لهم اي خير لهم واطهر ان الله خبير بما يصنعون عليم بما يفعلون قوله وقل للمؤمنات
يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن والكلام فيه كما تقدم وقدم غض البصر على حفظ
الفرج لان النظر بريد الزنا والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراز منه قوله
ولا يبدين زينتهن اي لا يظهرن زينتهن لغير محرم والمراد بالزينة الخفية وهما زينتان خفية
وظاهرة فالخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط والقلايد
فلا يجوز لها اظهارها ولا للاجنبي النظر اليها والمراد من الزينة موضع الزينة وقيل المراد
بالزينة محاسن الخلق التي خلقها الله وما تزين به الانسان من فضل لباس لان كثيرا من

النسا يشفوں بجلقهن من سابرما يعد زينة فاذا حملناه علي الخلقة وجب العموم حقه ولا يمنع
دخول ما عدا الخلقة فيه ولان قوله وليضربن بخمرهن علي جيوبهن يدل علي ان المراد من
الزينة ما يعم الخلقة وغيرها فكانه تعالي منعهن من اظهار محاسن خلقهن موجبا سترها
بالخمار وقوله الا ما ظهر منها اما الذين حملوا الزينة علي الخلقة فقال القفال معني الاية
الا ما يظهره الانسان في العادة وذلك من النسا الوجه والكفان ومن الرجال الوجه واليدين
والرجلين فرخص لهم في كشف ما اعتيد كشفه وادت الضرورة الي اظهاره وامرهم بستر
ما لا ضرورة في كشفه ولما كان ظهور الوجه والكفين ضرورة لا جرم اتفقوا علي انهما ليسا
بعورة واما القدم فليس ظهوره ضروري فلا جرم اختلفوا فيه هل هو من العورة ام لا
والصحيح انه عورة وفي صوتها وجهان اصحهما ليس بعورة لان نسا النبي عليه السلام كن
يروين الاخبار للرجال واما الذين حملوا الزينة علي ما عدا الخلقة قالوا انه تعالي ذكر الزينة
لانه لا خلاف في انه يحل النظر اليها حال انفصالها عن اعضا المراة فلما حرم الله النظر اليها
حال اتصالها ببدن المراة كان ذلك مبالغة في حرمة النظر الي اعضا المراة وعلي هذا
القول يحل النظر الي زينة وجهها من الوسمة والغمرة وزينة يدها من الخضاب والخواتيم
والثياب لان سترها فيه حرج ولان المراة لا بد لها من مزاولة الاشيا بيديها والحاجة الي
كشف وجهها للشهادة والمحاكمة والنكاح قال سعيد بن جبير والضحاك والاوزاعي الزينة
الظاهرة التي استثنى الله الوجه والكفان وقال ابن مسعود هي الثياب لقوله تعالي
خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال الحسن الوجه والثياب وقال ابن عباس الكحل والخاتم
والخضاب فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الاجنبي النظر اليها ان لم يخف فتنة
وشهوة فان خاف شيا منها غض البصر

فصل واتفقوا علي تخصيص قوله
ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها بالحراير دون الاما والمعني فيه ظاهر لان الامة قال فلا بد
من الاحتياط في بيعها وشرايها وذلك لا يمكن الا بالنظر اليها علي الاستقصا قوله وليضربن
ضمن يضربن معني يلقين فلذلك عداه بعلي وقرا ابو عمرو في رواية بكسر لام الامر وقرا طلحة
بخمرهن بسكون الميم وتسكين فعل في الجمع اولي من تسكين المفرد وكسر الجيم من جيوبهن ابن
كثير والاخوان وابن ذكوان والخمر جمع خمار وفي القلة يجمع علي اخمرة قال امرو القيس

وترى السحر في ربقه كروس قطعت فيها الخمر

والجيب ما في طوق القميص يبدو منه بعض الجسد **فصل** قال المفسرون ان نساء
الجاهلية كن يسدلن خمرهن من خلفهن وان جيوبهن كانت من قدام وكان ينكشف هل
نحورهن وقلايدهن فامرن ان يضربن مقانعهن علي الجيوب ليغطي بذلك اعناقهن ونحورهن
قالت عايشة رحم الله نسا المهاجرات الاول لما انزل الله وليضربن بخمرهن علي جيوبهن شققن
مروطهن فاختمرن بها قوله ولا يبدين زينتهن يعني الزينة الخفية التي لم يبح لهن كشفها
في الصلاة ولا للاجانب وهو ما عدا الوجه والكفين الا لبعولتهن قال ابن عباس ومقاتل
يعني لا يضعن الجلباب والخمار الا لازواجهن او ابايهن او ابا بعولتهن او ابنايهن او ابنا بعولتهن
او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن فلك يجوز لها ولا ان ينظروا الي الزينة الباطنة
ولا ينظروا الي ما بين السرة والركبة الا الزوج فانه يجوز له ان ينظر الي جميعها علي ما تقدم وهو
محارم فان قيل ايحل لذي المحرم في المملوكة والكافرة ما لا يحل له في المومنة فالجواب اذا ملك
المراة من محارمه فله ان ينظر منها الي بطنها وظهرها لا علي وجه الشهوة فان قيل لم لم يذكر الله
في العم والخال فالجواب ان الظاهر انهما كساير المحارم في جواز النظر وهو قول الحسن البصري
قال لان الاية لم يذكر فيها الرضاع وهو كالنسب وقال في سورة الاحزاب لا جناح عليهن في
ابايهن الاية ولم يذكر فيها البعولة وقد ذكرهم هنا وقال الشعبي انما لم نذكرهم لئلا يصفها
العم عند ابنه والخال كذلك والمعني ان ساير القرابات يشترك مع الاب والابن في المحرمية
الا العم والخال وابناهما واذا راها الاب وصفها لابنه وليس بمحرم وهذا من الدلالات البليغة
في وجوب الاحتياط عليهن في النسب

فصل والسبب في اباحة نظرهولا الي زينة
المراة وهو الحاجة الي مداخلتهن ومخالطتهن واحتياج المراة الي صحبتهم في الاسفار في النزول

والركوب

والركوب **فصل** او نسايهن قال اكثر المفسرين المراد اللاتي علي دينهن قال ابن عباس ليس
للمسلمة ان يتجرد بين نسا اهل الذمة ولا تبدي للكافرة الا ما تبدي للاجانب الا ان يكون امة لها
وكتب عمر الي ابي عبيدة ان يمنع نسا اهل الكتاب من دخول الحمام مع المومنات وقيل المراد
بنسايهن جميع النسا وهذا هو الاولي وقول السلف محمول علي الاستحباب قوله او ما ملكت
ايمانهن وهذا يشمل العبيد والاما واختلفوا في ذلك فقال قوم عبد المراة محرم يجوز له
الدخول عليها اذا كان عفيفا وان ينظر الي بدن مولاته الا ما بين السرة والركبة كالمحارم وهو
ظاهر القران وهو مروي عن عايشة وام سلمة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي فاطمة بعبد
قد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ راسها
فلما راي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وعن
مجاهد كن امهات المومنين لا يحتجبن عن مكاتبهن ما بقي عليه درهم وكانت عايشة تمتشط والعبد
ينظر اليها وقال ابن مسعود والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب لا ينظر العبد الي شعر مولاته وهو
قول ابي حنيفة وقال ابن جريج المراد من الاية الاما دون العبيد وان قوله او نسايهن او ما ملكت
ايمانهن انه لا يحل لامراة مسلمة ان تتجرد بين يدي امراة مشركة الا ان تكون تلك المشركة امة لها قوله
او التابعين غير اولي الاربة من الرجال قرا ابن عامر وابو بكر غير نصبا وفيه وجهان احدهما انه استثنا
وقيل علي القطع لان التابعين معرفة وغير نكرة والثاني انه حال والباقون غير بالجر نعتا او بدلا

فصل او التابعين غير اولي الاربة من الرجال حال من اولي
الاربة والاربة الحاجة وتقدم اشتقاقها في طه قوله من الرجال حال من اولي
المراد بالتابعين غير اولي الاربة قال مجاهد وعكرمة والشعبي هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا
من فضل طعامهم لا همة لهم الا ذلك ولا حاجة لهم في النسا وعن ابن عباس انه الاحمق العنين وقال
الحسن هو الذي لا ينتشر ولا يستطيع غشيان النسا ولا يشتهيهن وقال سعيد بن جبير المعتوه
وقال عكرمة المجبوب وقيل هو المخنث وقال مقاتل هو الشيخ الهم والعنين والخصي والمجبوب
ونحوه واعلم ان الخصي والمجبوب ومن يشا كلهما قد لا يكون له اربة في نفس الجماع ويكون له اربة
فيما عداه من التمتع وذلك يمنع من ان يكون هو المراد فيجب ان يحمل المراد علي من لا اربة له في
ساير وجوه التمتع لما روت عايشة قالت كان رجل مخنث يدخل علي ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم فكانوا يعدونه من غير اولي الاربة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض
نسايه وهو ينعت امراة فقال انها اذا اقبلت اقبلت باربع واذا ادبرت ادبرت بثمان فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا اري هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن هذا فحجبوه وفي رواية عن زينب بنت
جحش ام سلمة عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها مخنث فاقبل علي اخي
ام سلمة فقال يا عبد الله ان فتح الله غدا لكم الطايف دللتك علي بنت غيلان فانها تقبل باربع
وتدبر بثمان فقال عليه السلام لا يدخلن عليكم هذا فاباح رسول الله صلى الله عليه وسلم دخوله
عليهن فلما عرف انه يعرف احوال النسا واوصافهن علم انه من اولي الاربة فحجبه وفي الخصي
المخنث والمجبوب ثلاثة اوجه احدها استباحة الزينة الباطنة والثاني تحريمها والثالث تحريمها
علي الخصي دون المجبوب قوله او الطفل الذين لم يظهروا تقدم في الحج ان الطفل يطلق علي المثنى
والمجموع فلذلك وصف بالجمع وقيل لما قصد به الجنس روعي فيه الجمع كقولهم اهلك الناس الدينار
الحمر والدرهم البيض وعورات جمع عورة وهو ما يريد الانسان ستره من بدنه وغلب في السوءتين
والعامة علي عورات بسكون الواو وهي لغة عامة العرب سكنوها تخفيفا لحرف العلة وقرا ابن عامر
في رواية عورات بفتح العين ونقل ابن خالويه انها قراءة ابن ابي اسحاق والاعمش وهي لغة هذيل
ابن مدركة قال الفرا وانشدني بعضهم

اخو بيضات رايح متاوب • رفيق بمسح المنكبين سبوح

فصل وجعلها ابن مجاهد لحنا وخطا يعني من طريق الرواة والا فهي لغة ثابتة الظهور
علي الشي يكون بمعنى العلم به كقوله تعالي انهم ان يظهروا عليكم اي يشعروا بكم ويكون بمعنى الغلبة
عليه كقوله فاصبحوا ظاهرين فلهذا قال مجاهد وابن قتيبة معناه لم يطلعوا علي عورات النسا ولم
يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وقال الفرا والزجاج لم يبلغوا ان يطيقوا اتيان النسا وقيل
لم يبلغوا حد الشهوة

فصل فاما المراهق فيلزم المراة ان تستر منه ما بين سرتها وركبتها

وفي لزوم سترما عداه وجهان الاول لا يلزم لان القلم غير جار عليه والثاني يلزم كالرجل لانه مشتهى
والمراة قد تشتهيه واسم الطفل شامل له الى ان يحتلم واما الشيخ فان بقيت له شهوة فهو كالشاب
وان لم يبق له شهوة ففيه وجهان احدهما ان الزينة الباطنة معه مباحة والعورة معه ما بين السرة
والركبة والثاني ان جميع البدن معه عورة الا الزينة الظاهرة وههنا اخر الصور التي استثناها
الله تعالى والرضاع كالنسب قوله ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قال ابن
عباس وقتادة كانت المراة تمر بالناس وتضرب برجلها فتقعقع خلخالها فنهين عن ذلك لان
الذي يغلب عليه شهوة النسا اذا سمع صوت الخلخال يصير ذلك داعية له زايدة الى مشاهدتهن
وعلل تعالى ذلك بقوله ليعلم ما يخفين من زينتهن وفي الاية فوايد الاولى لما نهي عن استماع
الصوت الدال على وجود الزينة فلان يدل على المنع من اظهار الزينة اولى الثانية ان المراة منهية
عن رفع صوتها بالكلام بحيث يسمع ذلك الاجانب اذ كان صوتها اقرب الى الفتنة قوله وتوبوا
الى الله جميعا ايها المومنون قال ابن عباس توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون
في الدنيا والاخرة وقيل توبوا من التقصير الواقع منكم في امره ونهيه وقيل راجعوا طاعة الله
فيما امركم ونهاكم من الاداب المذكورة وفي هذه السورة قوله ايها المومنون العامة على فتح
الها واثبات الف بعد الها وهي ها التي للتنبيه وقرا ابن عامر هنا وفي الزخرف يا ايها الساحر وفي
الرحمن ايه الثقلان بضم الها وصلة فاذا وقف سكن ووجهها انه لما حذفت الالف لالتقا الساكنين
استحقت الفتحة على حرف خفي فضمت الها اتباعا وقد رسمت هذه المواضع الثلاثة دون
الف فوقف ابو عمرو والكسايي بالف والباقون بدونها اتباعا للرسم ولموافقة الخط للفظ وثبتت
في غير هذه المواضع حملا لها على الاصل نحو يا ايها الناس يا ايها الذين امنوا وبالجملة فالرسم سنة
متبعة قوله وانكحوا الايامى منكم لما امر تعالى بغض الابصار وحفظ الفروج وبين بعده
ان الذي امر به انما هو فيما لا يحل ثم ذكر بعد ذلك طريق الحل فقال وانكحوا الايامى منكم الايامى
جمع ايم زنة فيعل يقال منه ام يئيم كباع يبيع قال الشاعر

كل امري ستئيم منه العرس او منها يئيم

وقياس جمعه ايايم كسيد وسيايد وايامى فيه وجهان اظهرهما من كلام سيبويه انه جمع على
فعالى غير مقلوب وكذلك يتامى وقيل ان الاصل ايايم ويتايم في ايم ويتيم فقلبا والايم
من الازواج له ذكرا كان او انثى قال النضر بن شميل الايم في كلام العرب كل ذكر لا انثى معه
وكل انثى لا ذكر معها وهو قول ابن عباس في رواية الضحاك يقول زوجوا اياماكم بعضكم من
بعض وخصه ابو بكر الخفاف بمن فقدت زوجها فاطلاقه على البكر مجاز وقال الزمخشري
تايمت المراة مرة بكرا كانت او ثيبة وانشد

فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعوذ بك من العيمة والغيمة والايمة والكرم والقرم
العيمة بالمهملة شدة شهوة اللبن وبالمعجمة شدة العطش والايمة طول العطش والكرم شدة
شهوة الاكل والقرم شدة شهوة اللحم ومنكم حال وكذا من عبادكم

فصل

قوله وانكحوا امر وظاهر الامر للوجوب فدل على ان الولي يجب عليه تزويج موليته اولان المولية لو فعلت
ذلك لفوتت على الولي تمكنه من ادا هذا الواجب وانه غير جايز ولم يطابق قوله عليه السلام
اذا اتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض قال ابو بكر
الرازي هذه الاية وان اقتضت الايجاب الا انه اجمع السلف على انه لم يرد الايجاب ويدل عليه
امور احدها انه لو كان ذلك واجبا لنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف مستفيضا لعموم
الحاجة اليه فلما علمنا ان ساير الاعصار كانت فيهم ايامى من الرجال والنسا ولم ينكروا ذلك ثبت
انه لم يرد الايجاب وثانيها اجمعنا على ان الايم الثيب لو ابت التزويج لم يكن للولي اجبارها عليه
وثالثها اتفاق الكل على انه لا يجب على السيد تزويج امته وعبده وهو معطوف على الايامى
فدل على انه غير واجب في الجميع بل ندب في الجميع ورابعها ان اسم الايامى يشمل الرجال والنسا
وهو في الرجال ما اريد به الاوليا دون غيرهم كذلك في النسا والجواب ان جميع ما ذكرته تخصيصا
تطرقت الى الاية والعام بعد التخصيص حجة فيوجب اذا التمست المراة الايم من الولي التزويج وجب

وحينئذ ينتظم الكلام

فصل

قال الشافعي الاية تقتضي جواز تزويج البكر البالغة
بدون رضاها لان الاية والحديث يدلان على امر الولي بتزويجها ولولا قيام الدلالة على انه لا تزوج
الثيب الكبيرة بغير رضاها لكان جايزا له تزويجها ايضا لعموم الاية

فصل

الناس في
النكاح قسمان الاول من يتوق نفسه للنكاح فيستحب له ان ينكح ان وجد اهبته سوا كان مقبلا
على العبادة او لم يكن ولكن لا يجب وان لم يجد اهبته يكسر شهوته بالصوم لقوله عليه السلام يا معشر الشباب
من استطاع منكم الباة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فليصم فان الصوم
له وجاء الثاني من لا يتوق نفسه الى النكاح فان كان لعلة من كبر او مرض او عجز فيكره له لانه
يلتزم ما لا يمكنه القيام به وكذلك اذا كان لا يقدر على النفقة وان لم يكن به عجز وكان قادرا على
القيام بحقه لم يكره له النكاح لكن الافضل ان يتخلى للعبادة ولان الله تعالى مدح يحيى بكونه حصورا
والحصور الذي لا ياتي النسا مع القدرة عليهن ولا يقال هو الذي لا ياتي النسا مع العجز لان مدح الانسان
بما يكون عيبا غير جايز واذا كان مدحا في حق يحيى وجب ان يشرع في حقنا لقوله تعالى فبهداهم اقتده
ولا يحمل الهدى على الاصول لان التقليد فيها غير جايز فوجب حمله على الفروع وقال عليه السلام
اعلموا ان خير اعمالكم الصلاة وقال عليه السلام افضل اعمال امتي قراة القران وقال ابو حنيفة
النكاح افضل لقوله عليه السلام احب المباحات الى الله النكاح ولان النكاح يتضمن صون النفس
واجيب بان يحمل الاحب على الاصلح في الدنيا لينقطع التناقض بين كونه احب وبين كونه مباحا والمباح
ما يستوي طرفاه في الثواب والعقاب والمندوب ما ترجح وجوده على عدمه فتكون العبادة افضل
وبقية المباحث مذكورة في كتب الفقه قوله منكم اي وزوجوا ايها المومنون من لا زوج له من احرار
رجالكم ونسايكم وقيل اراد الحرية والاسلام وقوله والصالحين من عبادكم وامايكم ظاهره يقتضي الامر
بتزويج هذين الفريقين اذا كانوا صالحين وخص الصالحين بالذكر ليحصن دينهم ويحفظ عليهم
صلاحهم ولان الصالحين منهم هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في المودة فكانوا
مظنة للتوصية والاهتمام بهم ومن ليس بصالح فحاله على العكس من ذلك وقيل اراد الصلاح لامر
النكاح حتى يقوم العبد بما يلزمها وتقوم الامة بما يلزم للزوج وقيل اراد بالصلاح ان لا يكون
صغيرة لا يحتاج الى النكاح

فصل

ظاهر الاية يدل على ان العبد لا يتزوج بنفسه
وانما يتزوج بتزويج مولاه لكن ثبت بالدليل انه اذا امره بان يتزوج جاز ان يتولى تزويج نفسه
فيكون توليته باذنه بمنزلة تولي السيد فاما الاما فان المولى يتولى تزويجهن خصوصا على قول
من لا يجوز النكاح الا بولي وقال عليه السلام ايما امراة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل فان
كان اصابها فلها المهر بما استحل من فرجها فان اشتجروا فالسلطان ولي قوله ان يكونوا فقرا يغنهم
الله من فضله الاصح ان هذا ليس وعدا بالغنا من يتزوج بل المعنى لا تنظروا الى فقر من يخطب اليكم
او فقر من تريدون تزويجها ففي فضل الله ما يغنيهم والمال غاد ورايح وليس في الفقر ما يمنع من الرغبة
في النكاح فهذا معنى صحيح وليس فيه ان الكلام قصد به وعد الغنا حتى لا يجوز ان يقع فيه خلاف
وروي عن قدما الصحابة ما يدل على ان ذلك وعد فروي عن ابي بكر قال اطيعوا الله فيما امركم
به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى وعن عمر وابن عباس مثله وشكى رجل الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم الحاجة فقال عليك بالباه وقال طلحة بن مصرف تزوجوا فانه اوسع لكم في رزقكم
واوسع في اخلاقكم ويزيد الله في مروتكم فان قيل فنحن نرى من كان غنيا فتزوج فيصير فقيرا
فالجواب من وجوه احدها ان هذا الوعد مشروط بالمشية في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم
الله من فضله ان شا والمطلق يحمل على المقيد وثانيها ان اللفظ وان كان عاما الا انه يختص
ببعض المذكورين دون البعض وفي الايامى الاحرار الذين يملكون فيستغنون بما يكون وثالثها
المراد بالغنى العفاف فيكون الغنا هنا معناه الاستغنا بالنكاح عن الوقوع في الزنا

فصل

استدل بعضهم بهذه الاية على ان العبد والامة يملكان لان ذلك راجع الى كل من تقدم فاقتضى
ان العبد قد يكون فقيرا وغنيا وذلك يدل على الملك فثبت انهما يملكان والمفسرون تاولوه على
الاحرار خاصة فقالوا هو راجع الى الايامى وان فسرنا الغنى بالعفاف سقط استدلالهم وقوله
والله واسع عليم اي يوسع عليهم من افضاله عليم بمقادير ما يصلحهم من الافضال والرزق قوله
وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا لما ذكر تزويج الحراير والاما ذكر حال من يعجز عن ذلك فقال

وليستعفف اي وليجتهد في العفة كان المستعفف طالب من نفسه العفاف وقوله لا يجدون نكاحا
اي لا يتمكنون من الوصول اليه يقال لا يجد المرء الشي اذا لم يتمكن منه قال تعالى فمن لم يجد فصيام
شهرين ويقال هو غير واجد للماء وان كان موجودا اذا لم يمكنه ان يستعمله ويجوز ان يراد بالنكاح ما
ينكح به من المال فبين تعالى ان من لا يتمكن من ذلك فليطلب التعفف ولينتظر ان يغنيه الله من
فضله ثم يصل الى بغيته من النكاح فان قيل فليس ملك اليمين يقوم مقام النفس النكاح قلنا لكن
من لم يجد المهر والنفقة فبان لا يجد ثمن الجارية اولى قوله والذين يبتغون الكتاب الاية
لما بعث السيد على تزويج الصالحين من العبيد والاماء مع الرزق رغبهم في ان يكاتبوهم اذا طلبوا
ذلك ليصيروا احرارا فيتصرفون في انفسهم كالاحرار فقال والذين يبتغون الكتاب يجوز في الذين
الرفع على الابتداء والخبر الجملة المقترنة بالفا لما تضمنه المبتدا من معنى الشرط ويجوز نصبه بفعل
مقدر على الاستغفال كقولك زيدا فاضربه وهو ارجح لمكان الامر والكتاب والكتابة كالعتاب
والعتابة وفي اشتقاق لفظ الكتابة وجوه احدها ان اصل الكلمة من الكتب وهو الضم والجمع
ومنه سميت الكتابة لانها تضم النجوم بعضها الى بعض وتضم ماله الى ماله وثانيها ماخوذ من
الكتاب ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي لي بذلك لما يقع فيه من التاجيل بالمال المعقود
عليه لانه لا يجوز ان يقع على مال هو في يد العبد حين يكاتب لان ذلك مال لسيده اكتسبه في حال
ما كانت يد السيد غير مقبوضة عن كسبه فلا يجوز لهذا المعنى ان يقع هذا العقد حالا بل يقع
موجلا ليكون متمكنا من الاسباب ثم من اداب الشرع ان يكتب على من عليه المال الموجل كتاب
فلهذا المعنى سمي هذا العقد كتابا لما فيه من الاجل قال تعالى لكل اجل كتاب **فصل**
قال بعض العلما الكتابة ان تقول المملوكه كاتبتك على كذا وتسمي مالا معلوما يوديه في نجمين
او اكثر وتبين عدد النجوم وما يودي في كل نجم ويقول اذا اديت ذلك المال فانت حر وينوي
ذلك بقلبه ويقول العبد قبلت فان لم يقل بلسانه او لم ينو بقلبه اذا اديت ذلك المال فانت حر
لم يعتق وقال مالك وابو حنيفة واصحابه لا حاجة الى ذلك لان قوله تعالى وكاتبوهم ليس فيه
شرط فتصح الكتابة دون هذا الشرط واذا صحت الكتابة وجب ان يعتق بالاداء للاجماع واحتج
الاولون بان الكتابة ليست عقد معاوضة محضة لان ما في يد العبد ملك للسيد وان سان
لا يبيع ملكه بملكه بل قوله كاتبتك كناية في العتق فلا بد فيه من لفظ التعليق او نيته فصل
لا تجوز الكتابة الحالة لان العبد ليس له ملك يوديه في الحال واذا عقدت حالة توجهت
المطالبة عليه في الحال فاذا عجز عن الاداء لم يحصل مقصود العقد كما لو اسلم في شي لا يوجد
عند المحل لا يصح بخلاف ما لو اسلم الى معسر فانه يجوز لانه يتصور ان يكون له ملك في الباطن
فالعجز لا يتحقق وقال ابو حنيفة يجوز لقوله تعالى فكاتبوهم وهو مطلق يتناول الكتابة
الحالة والموجلة وايضا فمال الكتابة بدل عن الرقبة فهو بمنزلة اثمان السلع المبيعة فيجوز
حالة وايضا فاجمعوا على جواز العتق معلقا على مال حال فالكتابة مثله لانه بدل عن
العتق في الحالين الا ان في احدهما العتق معلق على شرط الاداء وفي الاخر معجل فوجب ان لا
يختلف حكمهما **فصل** لا تجوز الكتابة على اقل من نجمين لانه يروى عن علي
وعثمن وابن عمر روي ان عثمان غضب على عبده فقال لاضيقن عليك ولاكاتبنك على
نجمين ولو جاز على اقل من ذلك لكاتبه على الاقل لان التضييق فيه اشد وانما شرطنا التنجيم
لانه عقد ارفاق ومن شرط الارفاق التنجيم ليتيسر عليهم الادا قال ابو حنيفة تجوز الكتابة على
نجم واحد لان ظاهر قوله كاتبوهم ليس فيه تقييد **فصل** يشترط ان يكون المكاتب
بالغا عاقلا فان كان صبيا او مجنونا لم تصح كتابته لقوله تعالى والذين يبتغون الكتاب
والابتغا لا يتصور من الصبي والمجنون وقال ابو حنيفة تجوز كتابة الصبي ويقبل عنه المولى
فصل ويشترط ان يكون السيد مكلفا مطلقا فان كان صبيا او محجورا عليه لسفه
لم تصح كتابته كما لا يصح بيعه لان قوله فكاتبوهم خطاب فلا يتناول غير المكلف وقال ابو
حنيفة يصح كتابة الصبي باذن الولي **فصل** واختلفوا في قوله تعالى فكاتبوهم هل
هو امر ايجاب او ندب فقيل امر ايجاب فيجب على السيد ان يكاتب مملوكه اذا ساله ذلك بقيمته
او اكثر اذا علم فيه خيرا فان ساله بدون قيمته لم يلزمه وهذا قول ابن دينار وعطا واليه ذهب

داود

داود بن علي ومحمد بن جرير لظاهر الاية وايضا فان سبب نزولها انها نزلت في غلام لحويطب بن
عبد العزي يقال له صبيح سال مولاه ان يكاتبه فابى عليه فنزلت الاية فكاتبه على ماية دينار
ووهب له منها عشرين دينارا وروي ان عمر امر انسا بان يكاتب سيرين ابا محمد بن سيرين فابى فرفع
عليه الدرة وضربه وقال فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وحلف عليه ليكاتبنه ولو لم يكن واجبا
لكان ضربه بالدرة ظلما ولم ينكر عليه احد من الصحابة فجرى ذلك مجرى الاجماع وقال اكثر الفقها
انه امر استحباب وهو ظاهر قول ابن عباس والحسن والشعبي واليه ذهب مالك وابو حنيفة والشافعي
والثوري واحمد لقوله عليه السلام لا يحل مال امري مسلم الا عن طيب نفس ولانه فرق بين ان يطلب
الكتابة او يطلب بيعه ممن يعتقه في الكفارة فكما لا يجب ذلك فكذا الكتابة فان قيل كيف يصح
ان يبيع ماله بماله فالجواب اذا ورد الشرع به جاز كما اذا علق عتقه على مال يكتسبه فيوديه او
يودي عنه صار سببا لعتقه فان قيل هل يستفيد العبد بعقد الكتابة ما لا يملكه لولا الكتابة
فالجواب نعم لانه لو دفع اليه الزكوة قبل الكتابة لم يحل له اخذها واذا صار مكاتبا حل له اخذها
سواء ادى فعتق او عجز فعاد الى الرق واستفاد ايضا ان الكتابة تبعثه على الاجتهاد في الكسب
ولولاها لم يكن ليفعل ذلك ويستفيد المولى الثواب لانه اذا باعه فلا ثواب واذا كاتبه فالولاء له
فورد الشرع بجواز الكتابة لهذه الفوايد قوله ان علمتم فيهم خيرا قال عليه السلام ان علمتم
لهم حرفة ولا تدعوهم كلا على الناس وقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والثوري
وقال عطا والحسن ومجاهد والضحاك الخير المال لقوله تعالى ان ترك خيرا اي مالا قال
عطا بلغني ذلك عن ابن عباس ويروى ان عبدا لسلمان الفارسي قال له كاتبني قال لك مال
قال لا قال تريد ان تطعمني اوساخ الناس ولم يكاتبه قال الزجاج لو اراد به المال لقال ان
علمتم لهم خيرا وايضا فلان العبد لا مال له بل المال لسيده وقال ابراهيم النخعي ابن يزيد
وعبيدة صدقا وامانة وقال طاوس وعمرو بن دينار مالا وامانة وقال الحسن صلاحا
في الدين قال الشافعي واظهر معاني العبيد الاكتساب مع الامانة واحب ان لا يمتنع من الكتابة
اذا كان هكذا لان مقصود الكتابة قلما يحصل الا بهما فانه ينبغي ان يكون كسوبا يحصل المال
ويكون امينا يصرفه في نجومه ولا يضيعه قوله واتوهم من مال الله الذي اتاكم قيل هذا
خطاب للموالي يجب على المولى ان يحط عن مكاتبه من مال الكتابة شيا وهو على قول عثمان ه
والزبير وجماعة وبه قال الشافعي وهولا اختلفوا في قدره فقيل يحط عنه ربع مال الكتابة
وهو قول علي ورواه بعضهم عن علي مرفوعا وعن ابن عباس يحط الثلث وقيل ليس له حد بل يختلف
بكثرة المال وقلته وهو قول الشافعي لان ابن عمر كاتب غلاما له على خمسة وثلاثين الف درهم
فوضع من اخر كتابته خمسة الاف درهم وقيل يحط عنه قدرا يحصل الاستغنا به قال سعيد
ابن جبير كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيا من اول نجومه مخافة ان يعجز فيرجع اليه
صدقته ووضع من اخر كتابته ما احب وكاتب عمر عبدا فجاءه بنجمه فقال اذهب فاستعن على
اداء مال الكتابة فقال المكاتب لو تركته الى اخر نجم فقال اني اخاف ان لا ادرك ذلك وقيل هو
امر استحباب لقوله عليه السلام المكاتب عبد ما بقي عليه درهم وقوله عليه السلام ايما عبد
كاتب على ماية فاداها الا عشرة فهو عبد ولو كان الحط واجبا سقط عنه بقدره وايضا فلو كان
الايتا واجبا لكان وجوبه متعلقا بالعقد فيكون العقد موجبا له ومسقطا له وذلك محال لتنافي
الاسقاط والايجاب وايضا فلو كان الحط واجبا لما احتاج الى ان نضع عنه بل كان يسقط القدر
المستحق كمن له على انسان دين ثم لزمه الاخر على الاول مثله فانه يصير قابضا له وايضا فلو كان
واجبا لكان قدر الايتا اما ان يكون معلوما او مجهولا فان كان معلوما وجب ان تكون الكتابة
بثلاثة ارباع المال على قول من يجعله الربع فيعتق اذا ادى ثلاثة الاف اذا كان العقد على
اربعة الاف وذلك باطل لان اداء جميعها شرط فلا يعتق باداء البعض لقوله عليه السلام المكاتب
عبد ما بقي عليه درهم وان كان مجهولا صارت الكتابة مجهولة لان الباقي بعد الحط مجهول فلا
يصح كما لو كاتب عبده على الف درهم الا شي وقال قوم المراد بقوله واتوهم اي سهمهم الذي
جعله الله لهم من الصدقات المفروضات بقوله وفي الرقاب وهو قول الحسن وزيد بن اسلم
ورواية عطا عن ابن عباس وعلى هذا الخطاب لغير السادة لانهم اجمعوا على انه لا يجوز للسيد

ان يدفع كاتبه الى مكاتبه وقال الكلبي وعكرمة وابراهيم هو خطاب لجميع الناس وحث على معونة المكاتب لقوله عليه السلام من اعان مكاتبا في فك رقبته اظله الله في ظل عرشه **فصل** اذا مات المكاتب قبل اداء النجوم فقيل يموت رقيقا وترتفع الكتابة سوا ترك مالا او لم يترك كما لو تلف المبيع قبل القبض يرتفع البيع وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهري وقتادة واليه ذهب الشافعي واحمد وقيل ان ترك وفاء لما بقي عليه من الكتابة كان حرا وان كان فيه فضل فالزيادة لاولاده الاحرار وهو قول طاوس والنخعي والحسن وبه قال مالك والثوري واصحاب الراي **فصل** ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق باداء المال لان عتقه معلق بالاداء وقد وجد ويتبعه الاولاد والاكساب كما في الكتابة الصحيحة ويفترقان في بعض الاحكام وهي ان الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها ما لم يعجز المكاتب عن اداء النجوم ولا تبطل بموت المولى ويعتق بالابراء من النجوم والكتابة الفاسدة يملك المولى فسخها قبل اداء المال حتى لو ادي المال بعد الفسخ لا يعتق وتبطل بموت المولى ولا يعتق بالابراء من النجوم واذا عتق المكاتب باداء المال لا يثبت التراجع في الكتابة الصحيحة ويثبت في الكتابة الفاسدة فيرجع المولى عليه بقيمة رقبته وهو يرجع على المولى بما دفع اليه ان كان مالا قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغا الاية لما بين ما يلزم من تزويج العبيد والاماء وكتابتهم اتبع ذلك بالمنع من اكراه الاماء على الفجور اعلم ان العرب تقول للمملوك فتى وللمملوكة فتاة قال تعالى فلما جاوزا قال لفتاه وقال تراود فتاها وقال مما ملكت ايمانكم من فتياتكم وقال عليه السلام ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي والبغا الزنا مصدر بغت المراة تبغي بغاء اي زنت وهو مختص بزنا النسا **فصل** قال المفسرون نزلت في عبد الله بن ابي المنافق كان له ست معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على البغا وضرب عليهن ضرايب ياخذها وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يواجرون اماءهم فلما جاء الاسلام قالت معاذة لمسيكة ان هذا الامر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يكن خيرا فقد استكثرنا منه وان يك شرا فقد ان لنا ان ندعه فشكيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية وروي انه جاءت احدى الجاريتين يوما ببرد وجاءت الاخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لا نفعل وقد جاء الاسلام وحرم الزنا فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكيا اليه فانزل الله عز وجل هذه الاية وروي ان عبد الله بن ابي اسر رجلا فاراد الاسير جارية عبد الله وكانت الجارية مسلمة فامتنعت الجارية لاسلامها واكرهها سيدها على ذلك رجاء ان تحمل من الاسير فيطلب فداء ولده فنزلت الاية وروى ابو صالح عن ابن عباس قال جاء عبد الله بن ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جارية من اجمل النسا تسمى معاذة وقال يا رسول الله هذه لايتام فلان افلا نامرها بالزنا فيصيبون من منافعها فقال عليه السلام لا فاعاد الكلام فنزلت الاية **فصل** الاكراه انما يحصل بالتخويف بما يقتضي تلف النفس ومعنى قوله ان اردن تحصنا اي اذا اردن وليس معناه الشرط لانه لا يجوز اكراههن على الزنا ان لم يردن تحصنا كقوله عز وجل وانتم الاعلون ان كنتم مومنين اي اذ كنتم مومنين وقيل انما شرط ارادة التحصين لان الاكراه انما يكون عند ارادة التحصين فان لم ترد التحصين بغت طوعا لانه متى لم توجد ارادة التحصن لم تكن كارهة للزنا وكونها غير كارهة للزنا يمتنع اكراهها فامتنع الاكراه لامتناعه في نفسه وقيل هذا الشرط لا مفهوم له لانه خرج مخرج الغالب لان الغالب ان الاكراه لا يحصل الا عند ارادة التحصن كما ان الخلع يجوز في غير حالة الشقاق ولكن لما كان الغالب وقوع الخلع في حالة الشقاق لا حرام لم يكن لقوله فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ومنه قوله تعالى واذا ضربتم في سبيل الله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا والقصر لا يختص بحال الخوف ولكنه اخرجه على الغالب فكذا ههنا وقال بعض العلما في الاية تقديم وتاخير تقديره وانكحوا الايامى منكم ان اردن تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم على البغا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا اي لتطلبوا من اموال الدنيا

يريد

يريد من كسبهن وبيع اولادهن والتحصن التعفف قوله ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي غفور رحيم للمكرهات والوزر على المكره وكان الحسن اذا قرا هذه الاية قال لهن والله لهن وقال ابن الخطيب فيه وجهان احدهما غفور لهن لان الاكراه والعقوبة عن المكره وفيما فعل والثاني غفور رحيم بالمكره بشرط التوبة وهذا ضعيف لانه يحتاج الى الاضمار والاول لا يحتاج اليه وفي هذا نظر لانه لا بد من ضمير يعود على اسم الشرط عند الجمهور كما تقدم تحقيقه قوله فان الله جملة وقعت جوابا للشرط والعايد على اسم الشرط محذوف تقديره غفور لهم وقدره الزمخشري في احد تقديراته وبن عطية وابو البقا فان الله غفور لهن اي للمكرهات فعريت جملة الجزا عن رابط يربطها باسم الشرط ولا يقال ان الرابط هو الضمير المقدر الذي هو فاعل المصدر اذ هو التقدير من بعد اكراهه لهن فليكتف بهذا الرابط المقدر لانهم لم يعدوا ذلك من الروابط يقول هند عجبت من ضربها زيدا فهذا جايز ولو قلت هند عجبت من ضرب زيد اي من ضربها لم يجز لخلوها من الرابط وان كان مقدرا ولما قدر الزمخشري لهن اورد سوالا فقال فان قلت لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف المكره غير اثمة قلت لعل الاكراه غير ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل او بما يخاف منه التلف او فوات عضو حتى يسلم من الاثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون اثمة قوله تعالى ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات الاية لما ذكر الاحكام وصف القران بصفات ثلاث احدها قوله ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات اي مفصلات وقرا حمزة والكسائي وابن عامر مبينات بكسر اليا اي انها تبين للناس الحلال والحرام كقوله تعالى بلسان عربي مبين وتقدم الكلام في مبينات كسرا وفتحا وثانيها قوله ومثلا من الذين خلوا من قبلكم قال الضحاك يريد بالمثل ما في التورية والانجيل من اقامة الحدود فانزل الله في القران مثله وقال مقاتل قوله ومثلا اي شبها من حالهم بحالكم في تكذيب الرسل يعني بينا لكم ما احللنا بهم من العقاب لتمردهم على الله فجعلنا ذلك مثلا لكم وهذا تخويف لهم فقوله ومثلا عطف على ايات اي وانزلنا مثلا من امثال الذين من قبلكم وثالثها قوله وموعظة للمتقين اي الوعيد والتحذير ولا شك انه موعظة للكل وخص المتقين بالذكر لما تقدم في قوله هدى للمتقين **قوله** تعالى الله نور السموات والارض الاية هذه جملة من مبتدا وخبر اما على حذف مضاف اي ذو نور السموات والمراد بالنور عدله ويويد هذا قوله مثل نوره واضاف النور لهذين الظرفين اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض واما لارادة اهل السموات والارض واما الارادة اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به ويجوز ان يبالغ في العبارة على سبيل المدح كقولهم فلان شمس البلاد وقمرها قال النابغة

• فانك شمس والملوك كواكب • اذا طلعت لم يبد منهن كوكب •

وقال • قمر القبايل خالد بن يزيد •

ويجوز ان يكون المصدر واقعا موقع اسم الفاعل اي منور السموات ويويد هذا الوجه قراءة امير المومنين وزيد بن علي وابي جعفر وعبد العزيز المكي نور فعلا ماضيا وفاعله ضمير الباري تعالى السموات مفعوله وكسر نصب والارض بالنصب نسق عليه وشرح الحسن فقال الله منور السموات **فصل** قال ابن عباس هادي اهل السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون وقال الضحاك منور السموات والارض يقال نور الله السما بالملايكة ونور الارض بالانبيا وقال مجاهد مدبر الامور في السموات والارض وقال ابي بن كعب والحسن وابو العالية مزين السموات والارض زين السما بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبيا والعلما والمومنين وقيل بالنبات والاشجار وقيل معناه الانوار كلها منه كما يقال فلان رحمة اي منه الرحمة وقد يذكر مثل هذا اللفظ على طريق المدح كقول القايل • اذا سار عبد الله من مرو ليلة • فقد سار منها نورها وجمالها قوله مثل نوره كمشكاة مبتدا وخبر وهذه الجملة ايضاح وتفسير لما قبلها فلا محل لها وثم مضاف محذوف اي كمثل مشكاة قال الزمخشري اي صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة

كمشكاة اي كصفة مشكاة واختلفوا في الضمير في نوره فقيل هو الله تعالى اي مثل نور
الله عز وجل في قلب المومن وهو النور الذي يهتدي كما قال فهو على نور من ربه وكان ابن مسعود
يقرا مثل نوره في قلب المومن وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل نوره الذي اعطى المومن
وعلى هذا المراد بالنور الايمان والايات البينات وقيل يعود على المومنين او المومن او من امن به
اي مثل نور قلب المومن وكان ابي يقرا بهذه الالفاظ كلها واعاد الضمير على ما قرا به والمراد بالنور
الايمان والقران لقوله تعالى قد جاكم من الله نور وكتاب مبين يعني القران وقال سعيد بن
جبير والضحاك الضمير يعود على محمد صلى الله عليه وسلم ولم يتقدم لهذه الاشيا ذكر واما عوده
على المومنين في قراة ابي ففيه اشكال من حيث الافراد قال مكي يوقف على الارض في هذه الاقوال
الثلثة وقيل اراد بالنور الطاعة سمى طاعة الله نورا واضاف هذه الانوار الى نفسه تفضيلا

فصل واختلفوا في هذا التشبيه هل تشبيه مركب اي انه قصد فيه تشبيه جملة
بجملة من غير نظر الى مقابلة جزء بجزء بل قصد تشبيه هداه واتقان صنعته في كل مخلوق على
الجملة بهذه الجملة من النور الذي تتخذونه وهو ابلغ صفات النور عندكم او تشبيه غير مركب
اي قصد مقابلة جزء بجزء ويترتب الكلام فيه بحسب الاقوال في الضمير في نوره والمشكوة الكوة
غير النافذة وهل هي عربية ام حبشية معربة خلاف وقال مجاهد هي القنديل وقيل هي الحديدة
او الرصاصة التي يوضع فيها الذبال وهو الفتيل ويكون في جوف الزجاجة وقيل هي العمود الذي
يوضع على راسه المصباح وقيل ما يعلق فيه القنديل من الحديدة واما المشكوة الدوري عن الكساي
لتقدم الكسرة وان وجد فاصل ورسمت بالواو كالزكوة والصلوة والمصباح السراج الضخم واصله
من الضوء ومنه الصبح والزجاجة واحدة الزجاج وهو جوهر معروف وفيه ثلاث لغات فالضم
لغة الحجاز وبها قرا العامة والكسر والفتح لغة قيس وبالفتح قرا ابن ابي عبلة ونصر ابن عاصم في
رواية ابن مجاهد وبالكسر قرا نصر بن عاصم في رواية عنه وابو رجا وكذلك الخلاف في قوله الزجاجة
والجملة من قوله فيها مصباح صفة لمشكوة ويجوز ان يكون الجار وحده هو الوصف ومصباح مرتفع
به فاعلا قوله دري قرا ابو عمرو والكساي بكسر الدال وياء بعدها همزة وقرا حمزة وابو بكر عن عاصم
بضم الدال وتشديد اليا من غير همز وهذه الثلاثة في السبع وقرا زيد بن علي والضحاك وقتادة
بفتح الدال وتشديد اليا وقرا الزهري بكسرها وتشديد اليا وقرا ابان بن عثمن وابن المسيب وابو
رجا وقتادة ايضا دري بفتح الدال ويا بعدها همزة فاما الاولى فقراة واضحة لانه بنا كثير يوجد في
الاسما نحو سكين وفي الصفات نحو سكير واما القراة الثانية فهي من الدر بمعنى الدفع اي يدفع
بعضها بعضا او يدفع ضوها خفاها قيل ولم يوجد شي وزنه فعيل الا مريقا اي مريقا للعصفر وسرية
على قولنا انه من السر وروايه ابدل من احدى المضعفات ياء وادغمت فيها ياء فعيل ومريخا للذي في
داخل القرن اليابس ويقال بكسر الميم ايضا وعلية ودري في هذه القراة ودرية ايضا في قول وقال
بعضهم وزن دري في هذه القراة فعول كسبوح قدوس فاستثقل توالي الضم فنقل الى الكسر وهذا
منقول ايضا في سرية وذرية واما القراة الثالثة فيحتمل وجهين احدهما ان يكون اصلها الهمز كقراة
حمزة الا انه ابدل من الهمز ياء وادغم فيتحد معنى القراتين ويحتمل ان يكون نسبة الى الدر لصفايها
وظهور اشراقها وان كان الكوكب اكثر ضوا من الدر لكنه يفضل الكواكب بضيايه كما يفضل الدر
ساير الحب واما قراة تشديد اليا مع فتح الدال وكسرها فالذي يظهر انه منسوب الى الدر والفتح
والكسر في الدال من باب تغييرات النسب واما فتح الدال مع المد والهمز ففيها اشكال قال ابو الفتح
وهو بناء عزيز لم يحفظ منه الا السكينة بفتح الفاء وتشديد العين قال شهاب الدين وقد حكى
الاخفش فعلية السكينة والوقار وكوكب دري من درانه قوله توقد قرا ابن كثير وابو عمرو
توقد بزنة تفعل فعلا ماضيا فيه ضمير فاعله يعود على المصباح ولا يعود على كوكب لفساد المعنى
والاخوان وابو بكر توقد بضم التاء من فوق وفتح القاف مضارع اوقد وهو مبني للمفعول
والقايم مقام الفاعل ضمير يعود على زجاجة فاستتر في الفعل وباقي السبعة كذلك الا انه بالياء من
تحت والضمير المستتر يعود على المصباح وقرا الحسن والسلمي وابن محيصن ورويت عن عاصم من
طريق المفضل كذلك الا انه ضم الدال جعله مضارع توقد والاصل تتوقد بتاءين فحذف احدهما
كتذكر والضمير ايضا للزجاجة وقرا عبد الله وقد فعلا ماضيا بزنة قتل مشددا اي المصباح وقرا

الحسن

الحسن وسلام ايضا يوقد بالياء من تحت وضم الدال مضارع توقد والاصل يتوقد بياء من تحت وتاء من فوق
فحذف التاء من فوق هذا شاذ اذ لم يتوال مثلان ولم يبق في اللفظ ما يدل على المحذوف بخلاف تنزل وتذكر
وبابه فان فيه تاءين والباقي يدل على ما فقد وقد يحتمل لصحته وجه من القياس وهو انهم قد حملوا اعد
ونعد ويعد على تعد في حذف الواو لوقوعها بين ياء وكسرة فلذلك حملوا يتوقد بالياء والتاء على تتوقد
بتاءين وان لم يكن الاستثقال موجودا في الياء والتاء قوله من شجرة من لابتداء الغاية ثم مضاف محذوف
اي من زيت شجرة وزيتونة فيها لان اشهرها انها بدل من شجرة والثاني انها عطف بيان وهذا مذهب
الكوفيين وتبعهم ابو علي وتقدم هذا في قوله من ماء صديد قوله لا شرقية صفة لشجرة ودخلت لا
لتفيد النفي وقرا الضحاك بالرفع على اضمار مبتدا اي لا هي شرقية والجملة ايضا في محل جر نعتا لشجرة
قوله ولو لم تمسسه نار جوابها محذوف اي لاضات لدلالة ما تقدم عليه والجملة حالية وتقدم تحرير
هذا في قوله ردوا السايل ولو جاء على فرس وانها لاستقصا الاحوال حتى في هذه الحال وقرا ابن عباس
والحسن يمسسه بالياء لان التانيث مجازي ولانه قد فصل بالمفعول ايضا **فصل** في كيفية
هذا التمثيل قال جمهور المتكلمين معناه ان هداية الله قد بلغت في الظهور والجلا الى اقصى الغايات
وصارت كذلك بمنزلة المشكاة التي يكون فيها زجاجة صافية وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ
النهاية في الصفا فان قيل لما شبهه بذلك مع ان ضوء الشمس اعظم منه فالجواب انه تعالى اراد ان
يصف الضوء الكامل الذي يلوح وسط الظلمة لان الغالب على اوهام الخلق وخيالاتهم انما هو الشبهات
التي هي كالظلمات وهذا المقصود لا يحصل من ضوء الشمس لان ضوءها اذا ظهر امتلا العالم من النور
الخالص واذا غاب امتلا العالم من الظلمة الخالصة فلا جرم كان هذا المثل اليق واوفق

فصل اعلم ان الامور التي اعتبرها الله تعالى في هذا المثل توجب كمال الضوء فاولها ان المصباح اذا لم يكن
في المشكاة تفرقت اشعته اما اذا وضع في المشكاة اجتمعت اشعته فكانت اشد انارة وتحقيق
ذلك ان المصباح ينعكس شعاعه من بعض جوانب الزجاجة الى البعض لما في الزجاجة من
الصفا والشفافة فيزداد بسبب ذلك الضوء والنور والذي يحقق ذلك ان شعاع الشمس اذا
وقع على الزجاجة الصافية تضاعف الضوء الظاهر حتى انه يظهر فيما يقابله مثل ذلك الضوء
فاذا انعكست تلك الاشعة من كل جانب من جوانب الزجاجة الى الجانب الاخر كثرت الانوار
والاضواء وبلغت النهاية وثانيها ان ضوء المصباح يختلف بحسب اختلاف ما يتقد فيه فاذا
كان الدهن صافيا خالصا كانت حاله بخلاف حاله اذا كان كدرا وليس في الادهان التي توقد
ما يظهر فيه من الصفا مثل الذي يظهر في الزيت فربما بلغ في الصفا والرقة مبلغ الماء مع ما فيه
زيادة بياض فيه وشعاع يتردد في اجزايه وثالثها ان الزيت يختلف باختلاف شجرته فاذا كانت
لا شرقية ولا غربية بمعنى انها كانت بارزة للشمس تؤثر في ذلك فاذا اجتمعت هذه الامور وتعاونت
صار ذلك الضوء خالصا كاملا فيصلح ان يجعل مثلا لهداية الله تعالى **فصل** قال
بعضهم هذه الاية من المقلوب والتقدير مثل نوره كمصباح في مشكوة لان المشبه به هو الذي
يكون معدنا للنور ومنبعا له وذلك هو المصباح لا المشكاة **فصل** قال مجاهد المشكاة
القنديل والمعنى كمصباح في مشكاة المصباح في زجاجة يعني القنديل قال الزجاج انما ذكر الزجاجة
لان النور وضوء النار فيها ابين من كل شي وضوءه يزيد في الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال
الزجاجة كانها كوكب دري والدري الدفع لان الكوكب تدفع الشياطين من السما وشبهه حالة
الدفع لانه يكون في تلك الحالة اضوء وانور وقيل دري اي طالع يقال درا النجم اذا طلع وارتفع
ويقال هو من درا الكوكب اذا اندفع منقضا فيتضاعف ضوءه في ذلك الوقت ويقال درا علينا فلان
اي طلع فظهر وقيل الدري اي ضخم مضي ودراري النجوم عظامها وقيل الكوكب الدري واحد من
الكواكب الخمسة العظام وهي زحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد وقيل الكواكب المضيئة
كالزهرة والمشتري والثوابت التي في العظم الاول فان قيل لم شبهه بالكوكب ولم يشبهه بالشمس
والقمر فالجواب لان الشمس والقمر يلحقهما الخسوف والكواكب لا يلحقها الخسوف توقد يعني المصباح
اي اتقد ويقال توقدت النار اي اتقدت يعني نار الزجاجة لان الزجاجة لا توقد هذا على قراة
من ضم التاء وفتح القاف واما على قراة الاخرين فتوقد يعني المصباح من شجرة مباركة اي من زيت
شجرة مباركة فحذف المضاف بدليل قوله يكاد زيتها يضيء واراد بالشجرة المباركة الزيتون وهي

كثيرة البركة والنفع لان الزيت يسرج به وهو اضوا واصفا الادهان وهو ادام وفاكهة ولا يحتاج
في استخراجه الي عصار بل كل احد يستخرجه وقيل اول شجرة نبتت بعد الطوفان وبارك فيها سبعون
نبيا منهم الخليل وجا في الحديث انه مصحه من الباسور وهي شجرة تورق من اعلاها الي اسفلها وقال
عليه السلام كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة وقيل المراد زيتون الشام لانه في الارض
المباركة فلهذا جعل الله هذه الشجرة بانها لا شرقية ولا غربية واستدلوا علي ذلك بوجوه احدها
ان الشام وسط الدنيا فلا توصف شجرها بانها شرقية او غربية وهذا ضعيف لان من قال الارض
كروية لم يثبت المشرق والمغرب موضعين معينين بل لكل بلد مشرق ومغرب علي حدة لان المثل
مضروب لكل من يعرف وقد يوجد في غير الشام كوجود فيه وثانيها قال الحسن لانها من شجر الجنة
لو كانت من شجر الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية وهذا ايضا ضعيف لانه تعالي انما ضرب
المثل بما شاهدوه وهم ما شاهدوا شجر الجنة وثالثها انها شجرة يلتف بها ورقها التفافا شديدا
ولا تصل الشمس اليها سوا كانت الشمس شرقية او غربية وليس في الشجر ما يورق غصنه من اوله
الي اخره مثل الزيتون والرمان وهذا ايضا ضعيف لان الغرض صفا الزيت وذلك لا يحصل الا بكمال
نضج الزيتون وذلك انما يحصل في العادة بوصول اثر الشمس اليه لا بعدم وصوله ورابعها قال
ابن عباس المراد الشجرة التي تبرز علي جبل عالي او صحرا واسعة فتطلع الشمس عليها حالتي الطلوع
والغروب وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة وقال الفرا والزجاج لا شرقية وحدها ولا غربية
وحدها ولكنها شرقية وغربية كما يقال فلان لا مسافر ولا مقيم اذا كان لا يسافر ويقيم اي تصيبها
الشمس عند طلوعها وعند غروبها فيكون شرقية غربية ياخذ حظها من الامرين فيكون
زيتها اضوا كما يقال فلان ليس باسود ولا ابيض يريد ليس باسود خالص ولا بابيض خالص بل
اجتمع فيه الامران وهذا الرمان ليس بحلو ولا حامض اي اجتمع فيه الحلاوة والحموضة وهذا
قول المختار لان الشجرة اذا كانت كذلك كان زيتها في نهاية الصفا وحينئذ يكون مقصود
التمثيل اتم وقيل المراد بالمشكاة صدر محمد والزجاجة قلب محمد والمصباح ما في قلب محمد من الدين
توقد من شجرة مباركة يعني واتبع ملة ابراهيم والشجرة ابراهيم ثم وصف ابراهيم بقوله لا شرقية
ولا غربية اي لا يصلي قبل المشرق ولا قبل المغرب كاليهود والنصاري بل كان عليه السلام يصلي
الي الكعبة ثم قال يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار لان الزيت اذا كان خالصا صافيا ثم راي
من بعيد يري كان له شعاعا فاذا مسه النار ازداد ضوا علي ضوئه كذلك قال ابن عباس يكاد
قلب المومن يعمل بالهدي قبل ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد نورا علي نور وهدي علي
هدي وقال الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحي قال عبد الله بن رواحة لو لم تكن
فيه ايات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر وقال محمد بن كعب القرظي المشكاة ابراهيم والزجاجة
اسماعيل والمصباح محمد صلي الله عليه وسلم سماه الله مصباحا كما سماه سراجا فقال وسراجا منيرا
توقد من شجرة مباركة وهي ابراهيم عليه السلام وسماه مباركا لان اكثر الانبيا من صلبه
لا شرقية ولا غربية اي لم يكن ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود
تصلي قبل المغرب والنصاري قبل المشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار تكاد محاسن
محمد صلي الله عليه وسلم تظهر للناس من قبل ان يوحي اليه نور علي نور نبي من نسل نبي
نور محمد علي نور ابراهيم قوله نور علي نور خبر مبتدا مضمر اي ذلك نور علي نور صفة
النور والمعني ان القران نور من الله عز وجل لخلقه مع ما اقام لهم من الدلايل والاعلام قبل
نزول القران فازدادوا بذلك نورا علي نور يهدي الله لنوره من يشا قال ابن عباس لدين
الاسلام وهو نور البصيرة وقيل القران قال ان المومن يتقلب في خمسة انوار قوله نور
وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الي النور واستدل اهل السنة بهذه الاية
علي صحة مذهبهم فقالوا انه تعالي بعد ان بين ان هذه الدلايل التي بلغت في الظهور والوضوح
الي هذا الحد الذي لا يمكن الزيادة عليه قال يهدي الله بايضاح هذه الادلة لنوره من
يشا اي وضوح هذه الدلايل لا يكفي ولا ينفع ما لم يخلق الله الايمان قوله ويضرب الله
الامثال للناس يبين الله الاشياء للناس اي للمكلفين تقريبا لافهامهم وتسهيلا لسبل
الادراك والله بكل شي عليم وهذا كالوعيد لمن لا يعتبر ولا يتفكر في امثاله ولا ينظر في ادلته

فيعرف وضوحها وبعدها عن الشبهات قالت المعتزلة قوله تعالي ويضرب الله الامثال للناس
ذكره في معرض النعمة وانما يكون نعمة عظيمة لو امكنهم الانتفاع به وتقدم جوابه قوله تعالي
في بيوت اذن الله ان ترفع الاية الثاني انه صفة المصباح اي المصباح في بيوت تضمر وتكسر لغة واعلم ان
قوله في بيوت يقتضي محذوفا يكون فيها وذكروا فيه ستة اوجه احدها ان قوله في بيوت صفة
لمشكاة اي كمشكاة في بيوت اي في بيت من بيوت الله وهذا اختيار اكثر المحققين واعترض عليه ابو
مسلم بن بحر الاصفهاني من وجهين الاول المقصود من ذكر المصباح المثل وكون المصباح في بيت اذن
الله لا يزيد في هذا المقصود لان ذلك لا يزيد المصباح انارة واضاءة والثاني ان الذي تقدم ذكره
فيه وجوه يقتضي كونه واحدا كقوله كمشكاة وقوله فيها مصباح وقوله في زجاجة وقوله كانها كوكب
دري ولفظ البيوت جمع ولا يصح كون هذا الواحد في كل البيوت واجيب عن الاول ان المصباح الموضوع
في الزجاجة الصافية اذا كان في المساجد كان اعظم واضخم فكان التمثيل به اتم واكمل وعن الثاني
انه لما كان القصد بالمثل هو الذي له هذا الوصف فيدخل تحت كل مشكاة فيها مصباح في زجاجة
يتوقد من الزيت فتكون الفايدة في ذلك ان ضوءه يظهر في هذه البيوت بالليالي عند الحاجة الي
عبادة الله تعالي كقولك الذي يصلح لخدمتي رجل يرجع الي علم وقناعة يلزم بيته لكان وان ذكر
بلفظ الواحد فالمراد النوع فكذا هاهنا الوجه الثالث صفة لزجاجة الرابع انه يتعلق بتوقد اي
توقد في بيوت والبيوت هي المساجد قال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال المساجد بيوت الله
في الارض وهي تضي لاهل السما كما تضي النجوم لاهل الارض وعلي هذه الاقوال الاربعة لا يوقف
علي عليم الخامس انه متعلق بمحذوف كقوله في تسع ايات اي سبحوه في بيوت السادس انه متعلق بيسبح
اي يسبح رجال في بيوت وفيها تكرير للتوكيد كقوله ففي الجنة خالدين فيها وعلي هذين القولين
يوقف علي عليم قوله اذن الله في محل جر صفة لبيوت وان ترفع علي حذف الجار اي في ان ترفع
ولا يجوز تعلق في بيوت بقوله ويذكر لانه عطف علي ما في خبر ان وما بعد ان لا يتقدم عليها

فصل

قال المفسرون المراد بالبيوت هاهنا المساجد وقال عكرمة هي البيوت كلها والاول اولي لان في
البيوت ما لا يوصف بان الله اذن ان ترفع وايضا فان الله تعالي وصفها بالذكر والتسبيح والصلاة
وذلك لا يليق الا بالمساجد ثم القايلون بانها المساجد قال بعضهم بانها اربع مساجد لم يبنها الا
نبي الكعبة بناها ابراهيم واسماعيل فجعلاها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما
السلام ومسجد المدينة بناه النبي عليه السلام ومسجد قبا اسس علي التقوي بناه رسول الله صلي
الله عليه وسلم قاله ابن بريدة وعن الحسن ان ذلك بيت المقدس يسرج فيه عشرة الاف قنديل
وهذا تخصيص بغير دليل وقال ابن عباس المراد جميع المساجد كما تقدم قوله ان ترفع قال
مجاهد يبني كقوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وهو مروي عن ابن عباس وقال الحسن
والزجاج تعظم وتطهر عن الانجاس ولغو الافعال وقيل مجموع الامرين ويذكر فيها اسمه قال
ابن عباس يتلي فيها كتابه وقيل عام في كل ذكره قوله يسبح له فيها قرا ابن عامر وابو بكر
بفتح البا مبنيا للمفعول والقايم مقام الفاعل احد المجرورات الثلاث والاولي منها بذلك الاولي
لاحتياج العامل الي مرفوعه فالذي يليه اولي ورجال علي هذه القراة مرفوع علي احد وجهين
اما بفعل مقدر لتعذر اسناد الفعل اليه وكانه جواب سوال مقدر كانه قيل من يسبحه فقيل
يسبحه رجال وعليه في احد الوجهين قول الشاعر

ليبك يزيد ضارع لخصومة • ومختبط مما تطيح الطوايح

كانه قيل من يبكيه فقيل يبكيه ضارع الا ان في اقتباس هذا خلافا منهم من جوزه وقاس عليه
ضربت هند زيد اي ضربها زيد ومنهم من منعه والوجه الثاني في البيت ان يزيد منادي حذف
منه حرف الندا اي يا يزيد وهو ضعيف جدا الثاني ان رجال خبر مبتدا محذوف اي المسبح رجال
وعلي هذه القراة يوقف علي الاصال وباقي السبعة بكسر البا مبنيا للفاعل والفاعل رجال
فلا يوقف علي الاصال وقرا ابن وثاب وابو حيوة تسبح بالتا من فوق وكسر البا لان جمع التكسير
يعامل معاملة المونث في بعض الاحكام وهذا منها وقرا ابو جعفر كذلك الا انه فتح البا وخرجها
الزمخشري علي اسناد الفعل الي الغدو والاصال علي زيادة البا كقولهم صيد عليه يومان اي
وحشها وخرجها غيره علي ان القايم مقام الفاعل علي ضمير التسبيحة اي تسبح التسبيحة علي

المجاز المسوغ لاسناده الي الوقتين كما جرجوا قراءة ابي جعفر ايضا ليجزي قوما بل هذا اولي من
ابه لجانبه اذ ليس هنا مفعول صريح **فصل** اختلفوا في هذا التسبيح فالاكثرون
حملوه علي الصلوة المفروضة وهولاء منهم من حمله علي صلاة الصبح والعصر فقال كانتا واجبتين
في ابتداء الحال ثم زيد فيهما وقال عليه السلام من صلي صلاة البردين دخل الجنة وقيل اراد به
الصلاة المفروضة فالتي تودي بالغداة صلاة الفجر والتي تودي بالاصال صلاة الظهر والعصر
والعشائين لان اسم الاصيل يجمعها والاصال جمع اصيل وهو العشا وانما وحد الغدو لانه مصدر
في الاصل لا يجمع والاصيل اسم يجمع قال الزمخشري بالغدو اي باوقات الغدو اي بالغدوات
وقيل صلاة الضحي قال عليه السلام من مشي الي صلاة مكتوبة وهو متطهر فاجره كاجر
الحاج المحرم ومن مشي الي تسبيح الضحي لا ينصبه الا اياه فاجره كاجر المعتمر وصلاة علي اثر صلاة
لا لغو بينهما كتاب في عليين وقال ابن عباس ان صلاة الضحي لفي كتاب الله يور لهذه الاية
وقيل المراد منه تنزيه الله تعالي عما لا يليق به في ذاته وفعله لانه قد عطف علي ذلك الصلوة
والزكاة فقال عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وهذا الوجه اظهر وقري بالغدو
والايصال وهو الدخول في الاصل **قوله** لا تلهيهم في محل رفع صفة لرجال خص الرجال
بالذكر في هذه المساجد لانه ليس علي النسا جمعة ولا جماعة في المسجد لا تلهيهم تشغلهم تجارة
فقيل خص التجارة بالذكر لانها اعظم ما يشتغل به الانسان عن الصلاة والطاعات قال الحسن
اما والله انهم كانوا يتجرون ولكن اذا جات فرايض الله لم يلهم عنها شي فقاموا بالصلاة
والزكاة فان قيل البيع داخل في التجارة فلم اعاد البيع فالجواب من وجوه الاول ان التجارة
جنس تدخل تحتها انواع الشرا والبيع وانما خص البيع بالذكر لان الالتهاء به اعظم لكن الربح الحاصل
من البيع معين ناجز والربح الحاصل من الشرا مشكوك مستقبل الثاني ان البيع تبديل العرض
بالنقدين والشرا بالعكس والرغبة في تبديل النقد اكثر من العكس الثالث قال الفرا التجارة
لاهل الجلب يقال تجر فلان في كذا اذا جلبه من غير بلده والبيع ما باعه علي يديه الرابع
اراد بالتجارة الشرا وان كان اسم التجارة يقع علي البيع والشرا جميعا لانه ذكر البيع بعده كقوله
تعالي واذا راوا تجارة او لهوا يعني الشرا قوله عن ذكر الله عن حضور المساجد لاقامة
الصلاة فان قيل فما معني قوله واقام الصلاة فالجواب قال ابن عباس المراد باقام
الصلاة اقامتها لمواقيتها لان من اخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة ويجوز
ان يكون قوله الصلاة تفسير الذكر الله فهم يذكرون قبل الصلاة قال الزجاج وانما حذفت
الها لانه يقال اقمت الصلاة اقامة وكان الاصل اقواما ولكن قلبت الواو الفا فاجتمعت الفان
فحذفت احديهما لالتقا الساكنين فبقي اقمت الصلاة اقاما فادخلت الها عوضا من المحذوف
وقامت الاضافة ههنا في التعويض مقام الها المحذوفة وهذا اجماع من النحويين **فصل**
المراد بالصلوة المفروضة لما روي سالم عن ابن عمر انه كان في السوق فاقيمت الصلاة
فقام الناس واغلقوا حوانيتهم فدخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت هذه الاية
رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وقوله وايتاء الزكاة يريد
المفروضة قال ابن عباس اذا حضر وقت ادا الزكاة لم يحبسوها وروي عن ابن عباس
ايضا المراد من الزكاة طاعة الله والاخلاص وهذا ضعيف لانه تعالي علق الزكاة بالايتا
وهذا لا يحمل الا علي ما يعطي من حقوق المال قوله يخافون يوما يجوز ان يكون نعتا ثانيا
لرجال وان يكون حالا من مفعول تلهيهم ويوما مفعول به لا ظرف علي الاظهر وتتقلب
صفة ليوما قوله تتقلب فيه القلوب والابصار تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا
من الشرك والكفر وتنفتح الابصار من الاغطية بعد ان كانت مطبوعة عليها لا تبصر وكلهم
انقلبوا من الشك الي اليقين كقوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقوله لقد
كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقيل تتقلب القلوب
تطمع في النجاة وتخشي الهلاك وتتقلب الابصار من اي ناحية تؤخذون من ناحية اليمين او
من ناحية الشمال يعطون كتابهم من قبل اليمين ام من قبل الشمال والمعتزلة لا يرضون
بهذا التاويل لكنهم قالوا ان اهل الثواب لا خوف عليهم البتة واهل العقاب لا يرجون العفو

وقيل

وقيل ان القلوب تزول من اماكنها فتبلغ الحناجر والابصار تصير زرقا وقيل تقلب البصر
شخوصه من هول الامر وشدته تغيرهما بسبب ما نالها من العذاب قال ويجوز ان يريد به
تقليبها علي جمر جهنم كقوله وتقلب افيدتهم وابصارهم كما لم يومنوا به اول مرة قوله ليجزيهم
يجوز تعلقه بيسبح اي يسبحون لاجل الجزا ويجوز تعلقه بمحذوف اي فعلوا ذلك ليجزيهم وظاهر
كلام الزمخشري انه من باب الاعمال فانه قال والمعني يسبحون ويخافون ليجزيهم ويكون علي اعمال
الثاني لحذفه من الاول وقوله احسن ما عملوا اي ثواب احسن او احسن جزا ما عملوا وما مصدرية
او بمعني الذي او نكرة **فصل** المراد بالاحسن الحسنات اجمع وهي الطاعات فرضها ونفلها
قال مقاتل انما ذكر الاحسن لانه لا يجازيهم علي مساوي اعمالهم بل يغفرها لهم وقيل يجزيهم
جزا احسن ما عملوا علي الواحد عشرا الي سبعمائة ثم قال ويزيدهم من فضله اي ما لم يستحقوه
باعمالهم فان قيل هذا يدل علي ان لفعل الطاعة اثرا في استحقاق الثواب لانه تعالي ميز الجزاء
عن الفضل وانتم لا تقولون بذلك فان عندكم العبد لا يستحق علي ربه شيا قلنا نحن نثبت الاستحقاق
بالوعد فذلك القدر هو الذي يستحق والزايد عليه هو الفضل ثم قال والله يرزق من يشاء
بغير حساب وذلك تنبيه علي كمال قدرته وكمال وجوده وسعة احسانه فكانه تعالي لما وصفهم
بالجد والاجتهاد في الطاعة وهم مع ذلك في نهاية الخوف فالحق سبحانه يعطيهم الثواب المعظم علي
طاعاتهم ويزيدهم الفضل الذي لا حد له في مقابلة خوفهم **قوله** تعالي والذين كفروا اعمالهم
كسراب بقيعة الاية لما بين حال المومن انه في الدنيا يكون في النور وبسببه يكون متمسكا بالعمل الصالح
ثم بين انه يكون في الاخرة فايزا بالنعيم المقيم والثواب العظيم اتبع ذلك ببيان ان الكافر يكون
في الاخرة في ابتداء الخسران وفي الدنيا اعظم انواع الظلمات وضرب لكل واحد منهم مثلا اما
المثل الدال علي حسرته فقوله والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة قال الازهري السراب ما يتراي
للعين وقت الضحي في الفلوات شبيها بالما الجاري وليس بما ولكن الذي ينظر اليه من بعيد
يظنه ما جاريا يقال سرب الما يسرب سروبا اذا جري فهو سارب وقيل السراب ما يتراي للانسان
في القفر في شدة الحر مما يشبه الما وقيل ما يتكاثف من قعور القيعان قال الشاعر

فلما كففت الحرب كانت عهودهم • كلمع سراب في الفلا متالق •

يضرب به المثل لمن يظن بشي خيرا فيخلف ظنه وقيل هو الشعاع الذي يري نصف النهار في شدة
الحر في البراري يخيل للناظر انه الما السارب اي الجاري فاذا قرب منه انفش فلم ير شيا والال
ما ارتفع من الارض وهو شعاع يري بين السما والارض بالغدوات شبه الملاة يرفع الشخوص
يري فيها الصغير كبيرا والقصير طويلا والرقراق يكون بالعشايا وهو ما يرقرق من السراب اي جا
وذهب قوله بقيعة فيه وجهان احدهما انه متعلق بمحذوف علي انه صفة لسراب والثاني
انه ظرف والعامل فيه الاستقرار العامل في كاف التشبيه والقيعة بمعني القاع قال الزمخشري
وهو المنبسط من الارض وتقدم في طه وقيل بل هي جمعه كجار وجيرة قاله الفرا وقرا مسلمة بن
محارب بقيعات بتا ممطوطة وروي عنه بقيعة بتا مدورة ووقف عليها بالها وفيها اوجه احدها ان يكون بمعني
قيعة كالعامة وانما اشبع الفتحة فتولد منها الف كقوله مخرنبق لينباع قاله صاحب اللوامح
والثاني انه جمع قيعة وانما وقف عليها بالها ذهابا به مذهب لغة طي في قولهم الاخوه والاخواه
ودفن البناه من المكرماه اي والاخوات والبنات والمكرمات وهذه القراة تويد ان قيعة جمع قاع
الثالث قال الزمخشري وقد جعل بعضهم بقيعاه بتا مدورة كرجل عزهاه فظاهر هذا انه
جعل هذا بنا مستقلا ليس جمعا ولا اشباعا **قوله** يحسبه الظمان جملة في محل الجر صفة لسراب
ايضا وحسن ذلك لتقدم الجار علي الجملة هذا ان جعلنا الجار صفة والضماير المرفوعة في جاه ولم
يجده ووجد والضماير في عنده وفي وفاه وفي حسابه كلها ترجع الي الظمان لان المراد به الكافر
المذكور اولا وهذا قول الزمخشري وهو حسن وقيل بل الضميران في جاه ووجد عايدان علي الظمان
والباقية عايدة علي الكافر وانما افرد الضمير علي هذا وان تقدمه جمع وهو قوله والذين كفروا
حملا علي المعني اذ المعني كل واحد من الكفار والاول اولي لاتساق الضماير وقرا ابو جعفر وروي عن
نافع الظمان بالف مركة الهمزة علي الميم **فصل** قال الزجاج الظمان قد يخفف همزته
وهو الشديد العطش ثم وجه التشبيه ان الذي ياتي به الكافر ان كان من افعال البر فهو لا يستحق

عليه ثوابا مع انه يعتقد ان له ثوابا عليه وان كان من افعال الاثم فهو يستحق عليه العقاب مع انه
يعتقد انه ثوابا فكيف كان فهو يعتقد ان له ثوابا عند الله تعالى فاذا وافا عرصة القيمة ولم
يجد الثواب بل وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهي غمه فيشبه حاله حال الظمان الذي
تشتد حاجته الى السراب ويتعلق قلبه به ويرجوا النجاة ويقوي طمعه فاذا جاءه وايس مما كان
يرجوه عظم ذلك عليه قال مجاهد السراب عمل الكافر واتيانه اياه موته ومفارقته الدنيا
فان قيل قوله حتى اذا جاءه يدل على كونه شيا وقوله لم يجده شيا مناقض له فالجواب من
وجوه الاول معناه لم يجد شيا نافعا كما يقال فلان ما عمل شيا وان كان قد اجتهد الثاني
اذا جاءه اي جاء موضع السراب لم يجد السراب لان السراب يري من بعيد بسبب الكثافة كانه ضباب
وهبا فاذا اقترب منه رق وانتشر وصار كالهواء قوله ووجد الله عنده اي وجد عقاب
الله عنده الذي توعد به الكافر وقيل وجد الله عنده اي عند عمله اي وجد الله بالمرصاد
وقيل قدم على الله فوفاه حسابه اي جزاء عمله قيل نزلت في عتبة بن ابي ربيعة بن امية
كان قد تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام قوله والله سريع
الحساب لانه تعالى عالم بجميع المعلومات فلا يشق عليه الحساب وقال بعض المتكلمين
معناه لا يشغله محاسبة احد عن اخر لنحن ولو كان يتكلم بالة كما تقول المشبهة لما صح ذلك
قوله او كظلمات هذا مثل اخر ضربه الله تعالى لاعمال الكفار وفي هذا العطف اوجه
احدها انه نسق على كسراب على حذف مضاف واحد تقديره او كذي ظلمات ودل على هذا
المضاف قوله اذا اخرج يده لم يكد يراها فالكناية تعود الى المضاف المحذوف وهو قول
ابي علي الثاني انه على حذف مضاف فيه تقديره او كاعمال ذي ظلمات فتقدر ذي ليصح
عود الضمير اليه في قوله اذا اخرج يده ويقدر اعمال ليصح تشبيه اعمال الكفار باعمال صاحب
الظلم اذ لا معنى لتشبيه العمل بصاحب الظلمة الثالث انه لا حاجة الى حذف البتة والمعنى انه
شبه اعمال الكفار في خلوها عن نور الحق بالظلمات لتراكمها من الجهل وضلالتها وتحيرهم فيها
وشبهها في ذلك بالظلمة واما الضميران في اخرج
يده فيعودان على محذوف دل المعنى اي اذا اخرج يده من فيها واو هنا للتنويع لا للشك
وقيل بل هي للتخيير اي شبهوا اعمالهم بهذا او بهذا وقرا سفين بن حسين او كظلمات بفتح الواو
جعلها عاطفة دخلت عليها همزة الاستفهام التي معناه التقرير وقد تقدم ذلك في قوله
او امن اهل القرى قوله في بحر لجي في بحر صفة لظلمات فيتعلق بمحذوف واللجي منسوب
الى اللج وهو معظم البحر قاله الزمخشري وقال غيره منسوب الى اللجة بالتاء وهي ايضا معظمه
فاللجي هو العميق الكثير الماء وفيه لغتان كسر اللام وضمها قوله يغشاه موج صفة اخرى لبحر
هذا اذا اعدنا الضمير في يغشاه على بحر وهو الظاهر وان قدرنا مضافا محذوفا اي او كذي
ظلمات كما فعل بعضهم كان الضمير في يغشاه عايدا عليه وكانت الجملة حالا منه لتخصيصه بالاضافة
او صفة له قوله من فوقه موج يجوز ان تكون هذه جملة من مبتدا وخبر صفة لموج الاول
ويجوز ان يجعل الوصف الجار والمجرور فقط وموج فاعل به لاعتماده على الموصوف قوله من
فوقه سحاب فيه الوجهان المذكوران فيما قبله من كون الجملة صفة لموج الثاني او الجار فقط
قوله ظلمات قرا العامة بالرفع وفيه وجهان اجودهما ان يكون خبر مبتدا مضمر تقديره
هذه او تلك ظلمات الثاني ان يكون ظلمات مبتدا والجملة من قوله بعضها فوق بعض خبره
ذكره الحوفي وفيه نظر لانه لا مسوغ للابتدا بهذه النكرة اللهم الا ان يقال انها موصوفة تقديرا
اي ظلمات كثيرة متكاثفة كقولهم السمن منوان بدرهم وقرا ابن كثير ظلمات بالجر الا ان البزي
روي عنه حينئذ حذف التنوين من سحاب فقرا البزي عنه سحاب ظلمات باضافة سحاب
لظلمات وروي قنبل عنه التنوين في سحاب كالجماعة مع جره ظلمات فاما رواية البزي فقال
ابو البقا جعل الموج المتراكم بمنزلة السحاب واما رواية قنبل فانه جعل ظلمات بدلا من ظلمات
الاولى او جعل بعضها فوق بعض جملة من مبتدا وخبر في موضع رفع او جر على حسب القراءتين في
ظلمات قبلها لانها صفة لها وجوز الحوفي على قراءة رفع ظلمات في بعضها ان يكون بدلا من ظلمات
ورد عليه من حيث المعنى على الاخبار بانها ظلمات وان بعض تلك الظلمات فوق بعض وصفا
لها بالتراكم لان المعنى ان بعض تلك الظلمات فوق بعض من غير اخبار بان تلك الظلمات السابقة

ظلمات متراكمة وفيه نظر اذ لا فرق بين قولك بعض الظلمات فوق بعض وبين قولك الظلمات
بعضها فوق بعض وان تخيل ذلك في بادي الراي قوله اذا اخرج يده لم يكد يراها تقدم الكلام في كاد
وان بعضهم زعم ان نفيها اثبات واثباتها نفي وتقدمت ادلة ذلك في البقرة عند قوله وما كادوا يفعلون
وقال الزمخشري هنا لم يكد يراها مبالغة في لم يرها اي لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها ومنه قول ذي الرمة

اذا غير النأي المحبين لم يكد ✽ رسيس الهوي من حب مية يبرح ✽

اي لم يقرب من البراح فما باله يبرح وقال ابو البقا اختلف الناس في تاويل هذا الكلام ومنشا الاختلاف
فيه ان موضوع كاد اذا نفيت وقوع الفعل واكثر المفسرين على ان المعنى انه لا يري يده فعلى هذا في التقدير
ثلاثة اوجه احدها ان التقدير لم يرها ولم يكد ذكره جماعة من النحويين وهذا خطا لان قوله لم يرها
جزم بنفي الروية وقوله لم يكد اذا اخرجها على مقتضي الباب كان التقدير ولم يكد يراها كما هو مصرح به في
الاية فان اراد هذا القايل انه لم يكد يراها وانه راها بعد جهد تناقض لانه نفي الروية ثم اثبتها وان كان
معني لم يكد يراها البتة على خلاف الاكثر هذا الباب فينبغي ان يحمل عليه من غير ان يقدر لم يرها والوجه
الثاني قال للفراء ان كاد زايدة وهو بعيد الثالث ان كاد خرجت هاهنا على معني قارب والمعني لم
يقارب رويتها واذا لم يقاربها باعدها وعليه جاء قول ذي الرمة في البيت المتقدم اي لم يقارب
البراح ومن هنا حكي عن ذي الرمة انه لما روجع في هذا البيت قال لم اجد بدل لم يكد والمعني الثاني
انه راها بعد جهد والتشبيه على هذا صحيح لانه مع شدة الظلمة اذا احد نظره الى يده وقربها من عينه
راها انتهى اما الوجه الاول وهو ما ذكره انه قول الاكثرين انه يكون نفيها اثباتا فقد تقدم انه غير صحيح
وليس هو قول الاكثر وانما غرهم في ذلك اية البقرة وما انشد بعضهم وهو احجي هذا العصر ما هي لفظة
البيتين واما ما ذكره من زيادة كاد فهو قول ابي بكر وغيره ولكنه مردود عندهم واما ما ذكره من المعني
الثاني وهو انه راها بعد جهد فهو مذهب الفرا والمبرد والعجب كيف يعدل عن المعني الذي ابتدا به
الزمخشري وهو المبالغة في نفي الروية وقال ابن عطية ما معناه اذا كان الفعل بعد كاد منفيا دل على
ثبوته نحو كاد زيد لا يقوم او مثبتا دل على نفيه نحو كاد زيد يقوم وتقول كاد النعام لطير فهذا
يقتضي نفي الطيران عنه فاذا قلت كاد النعام ان لا يطير وجب الطيران له واذا تقدم النفي على كاد
احتمل ان يكون موجبا وان يكون منفيا تقول المفلوح لا يكاد يسكن فهذا يتضمن نفي السكون وتقول
رجل متصرف لا يكاد يسكن فهذا تضمن ايجاب السكون بعد جهد

فصل

اعلم ان الله تعالى
بين ان اعمال الكفار ان كانت حسنة فمثلها السراب وان كانت قبيحة فهي الظلمات وفيه وجه اخر وهو
ان اعمالهم اما كسراب بقيعة وذلك في الاخرة واما كظلمات في بحر وذلك في الدنيا وقيل ان الاية الاولى
في ذكر اعمالهم وانهم لا يحصلون منها على شي والاية الثانية في ذكر عقايدهم فانها تشبه الظلمات كما قال
يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الكفر الى الايمان يدل عليه قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا
فما له من نور

فصل

واما تقرير المثل فهو ان البحر اللجي يكون قعره مظلما جدا بسبب
غمور الما فاذا ترادفت عليه الامواج ازدادت الظلمة فاذا كانت فوق الامواج سحاب بلغت الظلمة
النهاية القصوي فالواقع في قعر هذا البحر اللجي في نهاية شدة الظلمة ولما كانت العادة في اليد انها
من اقرب ما يراها وابعد ما يظن انه لا يراها فقال تعالى اذا اخرج يده لم يكد يراها فبين سبحانه
بهذا بلوغ تلك الظلمة التي هي اقصي النهايات ثم شبه الكافر في اعتقاده وهو ضد المومن في قوله
تعالى نور على نور وفي قوله يسعي نورهم بين ايديهم وبايمانهم ولهذا قال ابي بن كعب الكافر
ينقلب في خمس من الظلم كلامه ظلم وعمله ظلم ومدخله ظلم ومخرجه ظلم ومصيره الى الظلمات الى
النار وفي كيفية هذا التشبيه وجوه الاول وقال الحسن ان الله تعالى ذكر ثلاثة انواع من الظلمات
ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب كذا الكافر له ظلمات ثلاث ظلمة الاعتقاد وظلمة القول
وظلمة العمل الثاني قال ابن عباس شبه قلبه وسمعه وبصره بهذه الظلمات الثلاث الثالث ان
الكافر لا يدري ولا يدري انه لا يدري ويعتقد انه يدري فهذه المراتب الثلاث شبه تلك الظلمات
الثلاث الرابع قلب مظلم في صدر مظلم في جسد مظلم الخامس ان هذه الظلمات متراكمة فكذا الكافر
لشدة اصراره على كفره قد تراكمت عليه الضلالات حتى لو ذكر عنده اظهر الدلايل لم يفهمه قوله ومن
لم يجعل الله له نورا فما له من نور قال ابن عباس من لم يجعل الله له دينا وايمانا فلا دين له وقيل من
لم يهده الله فلا ايمان له ولا يهديه احد قال اهل السنة انه تعالى لما وصف هداية المومن بانها في

نهاية الجلا والظهور عقبها بان قال يهدي الله لنوره من يشا ولما وصف اضلاله الكافرين بانها
في نهاية الظلمة عقبه بقوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور والمراد من ذلك ان يعرف الانسان
ان ظهور الدلايل لا يفيد الايمان وظلمة الطريق لا تمنع منه فان الكل مربوط بخلق الله وهدايته
وتكوينه قال القاضي من قوله ومن لم يجعل الله له نورا اي في الدنيا بالالطاف فما له من نور
اي لا يهتدي فيتحير وتقدم الكلام عليه قوله تعالى الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض
الاية لما وصف انوار قلوب المومنين وظلمات قلوب الجاهلين اتبع ذلك بدلايل التوحيد والمعنى
الم تعلم لان التسبيح لا يرى بالبصر بل يعلم بالقلب وهذا استفهام والمراد به التقرير والبيان قال
ابن الخطيب اما ان يكون المراد من هذا التسبيح دلالة بخلق هذه الاشيا على كونه تعالى منزها
عن النقايص موصوفا بنعوت الجلال او يكون المراد منه في حق البعض الدلالة على التنزيه وفي حق
الباقين النطق باللسان والاول اقرب لان القسم الثاني متعذر لان في الارض من لا يكون مكلفا
لا يسبح بهذا المعنى والمكلفون منهم من لا يسبح ايضا بهذا المعنى كالكفار واما القسم الثاني وهو
ان يقال ان في السموات وهم الملايكة يسبحون باللسان واما الذين في الارض فمنهم من يسبح
على سبيل الدلالة فهذا مقتضى استعمال اللفظ الواحد في الحقيقة والمجاز معا وهو غير جايز فلم يبق
الا القسم الاول وهو ان هذه الاشيا مشتركة في ان اجسامها وصفاتها دالة على تنزيه الله تعالى
وقدرته والاهيته وتوحيده وعدله فسمي ذلك تنزيها توسعا فان قيل فالتسبيح بهذا المعنى
حاصل لجميع المخلوقات فما وجه تخصيصه هنا بالعقلا قلنا لان خلقة العقلا اشد دلالة
على وجود الصانع سبحانه لان العجايب والغرايب في خلقهم اكثر وهي العقل والنطق والفهم قوله
والطير قرا العامة والطير رفعا صافات نصبا فالرفع عطف على من والنصب على الحال وقرا الاعرج
والطير نصبا على المفعول معه وصافات حال ايضا وقرا الحسن وخارجة عن نافع والطير صافات
برفعهما على الابتدا والخبر ومفعول صافات محذوف اي اجنحتها قوله كل قد علم صلاته في هذه
الضماير اقوال احدها انها كلها عايدة على كل اي كل قد علم هو صلاة نفسه وتسبيحها وهذا اولى
لتوافق الضماير الثاني ان الضمير في علم عايد على الله تعالى وفي صلاته وتسبيحه عايد على
كل وعدل عليه قوله والله عليم بما يفعلون الثالث بالعكس اي علم كل صلاة الله وتسبيحه اي
الذين امر بهما وبان يفعلا كاضافة الخلق الى الخالق وعلى هذا قوله والله عليم استيناف ورجح
ابو البقا ان لا يكون الفاعل ضمير كل قال لان القراة برفع كل على الابتدا فيرجع ضمير الفاعل
اليه ولو كان فيه ضمير اسم الله لكان الاولى نصب كل لان الفعل الذي بعدها قد نصب ما هو
من سببها فيصير كقولك زيدا ضرب عمرو غلامه فتنصب زيدا بفعل دل عليه ما بعده وهو اقوى
من الرفع والاخر جايز قال شهاب الدين وليس كما ذكر من ترجيح النصب على الرفع في هذه
السورة ولا في هذه السورة بل نص النحويون على ان مثل هذه الصورة يرجح رفعها بالابتدا
على نصبها على الاشتغال لانه لم يكن ثم قرينة من القراين التي جعلوها مرجحة للنصب والنصب
يحوج الى اضمار والرفع لا يحوج اليه فكان ارجح وقرات فرقة علم صلوته وتسبيحه بالرفع وبنا الفعل
للمفعول الذي لم يسم فاعله ذكرها ابن حاتم **فصل** وجه اتصال هذا بما قبله انه
تعالى لما ذكر ان اهل السموات والارض يسبحون ذكر ان المستقرين في الهوا الذي هو بين السما
والارض وهم الطير يسبحون وذلك ان اعطا الجرم الثقيل القوة التي بها يقوى على الوقوف
في جو السما صافة باسطة اجنحتها بما فيهما من القبض والبسط من اعظم الدلايل على قدرة الصانع
المدبر سبحانه وجعل طيرانها سجودا منها له سبحانه وذلك يويد ان المراد من التسبيح دلالة
هذه الامور على التنزيه لا النطق اللساني وقال ابو ثابت كنت جالسا عند ابو جعفر الباقر
فقال لي اتدري ما يقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قال فانهن يقدسن
ربهن ويسالنه قوت يومهن واستبعد المتكلمون ذلك فقالوا الطير لو كانت عارفة بالله لكانت
كالعقلا الذين يفهمون كلامنا واشارتنا لكنها ليست كذلك فانا نعلم بالضرورة بانها اشد
نقصانا من الصبي الذي لا يعرف هذه الامور فبان يمتنع ذلك فيها اولى واذا ثبت انها لا تعرف
الله استحال كونها مسبحة له بالنطق فثبت انها لا تسبح الله الا بلسان الحال كما تقدم قال
بعض العلما انا نشاهد من الطيور وساير الحيوانات اعمالا لطيفة يعجز عنها اكثر العقلا واذا كان

كذلك فلا يجوز ان يلهمها معرفته وتسبيحه وبيان انه سبحانه الهمها الاعمال اللطيفة وجوه احدها
ان الدب يرمي بالحجارة وياخذ العصا ويرمي الانسان حتى يتوهم انه مات فيتركه وربما عاد ويشمه ويتحسس
نفسه ويصعد الشجر اخف صعود ويهشم الجوز بين كفيه تعريضا بالواحدة وصدمة بالاخرى ثم ينفخ
فيه فيذر قشره ويتغذى به ويحكى عن الفار في سرقته امورا عجيبة وثانيها امر النحل وما لها من
الرياسة والبيوت المسدسة التي لا يتمكن من بنايها افاضل المهندسين وثالثها انتقال الكركي
من طرف من اطراف العالم الى الطرف الاخر طلبا لما يوافقها من الاهوية ويقال من خواص الخيل
ان كل واحد يعرف صوت الفرس الذي قاتله وقتاما والفهد اذا سقي او شرب من الدوا المعروف
بخانق الفهد عمد الى زبل الانسان ليا كله والتماسيح تفتح افواهها لطاير يقع عليها يقال له
القطقاط وينظف ما بين اسنانها وعلى راس ذلك الطاير كالشوكة فاذا هم التمساح بالتقام ذلك
الطير تاذى من تلك الشوكة فيفتح فاه فيخرج ذلك الطاير والسلحفاة تتناول بعد اكل الحية
صعترا جبليا ثم تعود منه ذلك وحكى بعض الثقات المجربين للصيد انه شاهد الحباري تقاتل
الافعى وتنهزم عنها الى بقلة تتناول منها ثم تعود ولا تزال كذلك وكان ذلك الشخص قاعدا في كن
وكانت البقلة قريبة من مسكنه فلما اشتغل الحباري قلع البقلة فعاد الحباري الى منبتها فلم يجدها
واخذ يدور حول منبتها دورانا متتابعا حتى خر ميتا فعلم الشخص انه يعالج باكلها من اللسعة وتلك
البقلة هي الجوز البري وبن عرس يستظهر في الحية باكل السذاب فان النكهة السذابية تنفر عنها
الافعي والكلاب اذا دودت بطونها اكلت سنبل القمح واذا اخرجت الايائل بعضها بعضا داوت
الجراحة بالصعتر الجبلي والقنا فذ تحس بالشمال والجنوب قبل الهبوب فتغير المدخل الى جحرها
وكان رجل بالقسطنطينية قد اثرى بسبب انه ينذر بالرياح قبل هبوبها وينتفع الناس بانذاره
وكان السبب فيه قنفذ في داره يفعل الصنع المذكور فيستدل به والخطاف صانع في اتخاذ العش
من الطين وقطع الخشب فان اعوزه الطين ابتل وتمرغ في التراب لتحمل جناحاه قدرا من الطين
واذا فرخ بالغ في تعهد الفراخ وتاخذ ذرقها بمنقارها وترميها عن العش واذا دنا الصايد من
مكان فراخ القبجة ظهرت له القبجة وقربت مطمعة له ليتبعها ثم تذهب الى جانب اخر سوى جانب
الفراخ وناقر الخشب قلما يقع على الارض بل على الشجر ينقد الموضع ليعلم ان فيه دودا والغرانيق
تصعد في الجو عند الطيران فان حجب بعضها عن بعض سحاب او ضبابات اخذت عن اجنحتها
خفيفا مسموعا يتبع به بعضهم بعضا واذا باتت على جبل فانها تضع روسها تحت اجنحتها الا
العايد فانه ينام مكشوف الراس فيسرع انتباهه اذا سمع جرسا صاح وحال النمل في الذهاب
الى مواضعها على خط مستقيم يحفظ بعضها بعضا امر عجيب واذا كشف عن بيوتهم الساتر الذي
كان يستره وكان تحته بيض لهم فان كل نملة تاخذ ببيضة في فمها وتذهب في اسرع وقت والاستقصا
في هذا الباب مذكور في كتاب طبايع الحيوان والمقصود من ذلك ان الفضلا من العقلا يعجزون
عن امثال هذه الحيل واذا كان كذلك فلم لا يجوز ان يقال انها تسبح الله وتثني عليه وان كانت
غير عارفة بساير الامور التي يعرفها الناس ويويد هذا قوله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم
ثم قال والله عليم بما يفعلون قرا الجمهور بالياء تحت على المبالغة في وصف قدرة الله تعالى
وعلمه بخلقه وقرا عيسى والحسن بالتاء من فوق وفيه المعنى المذكور وزيادة الوعيد والتخويف
من الله تعالى وفي مصحف ابي وابن مسعود والله بصير بما تفعلون قوله تعالى ولله ملك
السموات والارض ينبه على ان الكل منه لان كل ما سواه ممكن ومحدث والممكن والمحدث لا
يوجد الا عند الانتها الى القديم الواجب ويدخل هذا في جميع الاجرام والاعراض وافعال
العباد واحوالهم وخواطرهم وقوله والى الله المصير وهذا دليل على المعاد وانه لا بد من
مصير الكل اليه قوله تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا الاية هذه الروية بصرية والازجا
السوق قليلا قليلا ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل احد وازجا السير في الابل
الرفق بها حتى تسير سيرا قوله بينه انما دخلت بين على مفرد وهي انما تدخل على مثنى
فما فوقه لانه اما ان يراد بالسحاب الجنس فعاد الضمير عليه على حكمه واما ان يراد حذف مضاف
اي بين قطعه فان كل قطعة سحابة قال ابن عطية بين مفترق والسحاب لان مفهوم السحاب
يقتضي ان بينه مرا وجا وورش عن نافع لا يهمز يولف وقالون عن نافع والباقون يهمزون يولف

قوله ثم يجعله ركاما اي متراكما يركب بعضها على البعض ويتكاثف والعرب تقول ان الله تعالى
اذا جعل السحاب ركاما بالريح عصفر بعضه بعضا فيخرج الودق منه ومن ذلك قوله تعالى وانزلنا
من المعصرات ماء ثجاجا ومن ذلك قول حسان بن ثابت كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة ارخاهما
للمفصل وروي للفصل بكسر الميم وفتح الصاد فالمفصل واحد المفاصل والمفصل اللسان وروي
بالقاف اراد حسان الخمر والما الذي مزجت اي من عصير العنب وهذه من عصير السحاب نقله
ابن عطية وقال اهل الطبايع ان يكون السحاب والمطر والثلج والبرد والطل والصقيع
في اكثر الامر تكون من تكاثف البخار وفي الاقل من تكاثف الهوا فاما الاول فالبخار الصاعد
ان كان قليلا وكان في الهوا من الحرارة ما يحلل ذلك البخار فحينئذ يتحلل وينقلب هواء وان كان
البخار كثيرا ولم يكن في الهوا من الحرارة ما يحلله فتلك الابخرة المتصاعدة واما ان يبلغ في صعودها
الى الطبقة الباردة من الهوا او لا يبلغ فان بلغت فاما ان يكون البرد قويا او لا يكون فان لم
يكن البرد هناك قويا تكاثف ذلك البخار بذلك القدر من البرد واجتمع وتقاطر فالبخار المجتمع
هو السحاب والمتقاطر هو المطر والديمة او الوابل انما يكون من امثال هذه الغيوم وان كان
البرد شديدا فلا يخلو اما ان يصل البرد الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها وانحلالها حبات
كبارا او بعد صيرورتها كذلك فان كان على الوجه الاول نزل ثلجا وان كان على الوجه الثاني
نزل بردا فان لم يبلغ الابخرة الى الطبقة الباردة فاما ان تكون كثيرة او قليلة فان كانت كثيرة
فقد تنعقد سحابا ماطرا وقد لا تنعقد اما الاول فلاسباب خمسة احدها اذا منع هبوب
الرياح عن تصاعد تلك الابخرة وثانيها ان تكون الرياح اتاها الى الاجتماع بسبب وقوف جبال
قدام الريح وثالثها ان يكون هناك رياح متقابلة متضادة فتعود الابخرة حينئذ ورابعها
ان يعرض للبخار المتقدم وقوف لثقله وبطء حركته فيلتصق به ساير الاجزاء الكثيرة المدد وخامسها
لشدة برد الهوى القريب من الارض وقد تشاهد البخار يصعد في بعض الجبال صعودا يسيرا
حتى كانه مكبة موضوعة على وهده ويكون الناظر اليها فوق تلك الغمامة والذين يكونون تحت
الغمامة يمطرون والذين يكونون فوقها يكونون في الشمس فان كانت الابخرة القليلة الارتفاع
قليلة لطيفة فاذا ضربها برد الليل وكثفها فانها تصير ماء محسوسا ينزل نزولا متفرقا لا يحس به
الا عند اجتماع شي يعتد به فان لم يجمد كان طلا وان جمد كان صقيعا ونسبة الصقيع الى الطل نسبة
الثلج الى المطر والجواب انا دللنا على حدوث الاجسام وتوسلنا بذلك الى كونه قادرا مختارا يمكنه
ايجاد الاجسام فلا نقطع بما ذكرتموه وايضا فهب الامر كما ذكرتم ولكن الاجسام بالاتفاق ممكنة
في ذواتها فلا بد لها من موثر ثم انها متماثلة فاختصاص كل واحد منها بصفته المعينة من الصعود
والهبوط واللطافة والكثافة والحرارة والبرودة لا بد له من مخصص فاذا كان هو سبحانه خالقا
لتلك الطبايع فتلك الطبايع في هذه الاحوال لا بد لها من سبب وخالق السبب خالق المسبب
فكان سبحانه هو الذي يزجي سحابا لانه هو الذي خلق تلك الطبايع المحركة لتلك الابخرة
من باطن الارض الى جو الهوى ثم تلك الابخرة ترادفت في صعودها والتصق بعضها بالبعض
فهو سبحانه هو الذي جعلها ركاما فعلى جميع التقديرات توجه الاستدلال بهذه الاشيا على
القدرة والحكمة قوله فترى الودق يخرج من خلاله تقدم الخلاف في خلال هل هو مفرد
كحجاب ام جمع كجبال جمع جبل ويويد الاول قراة ابن مسعود والضحاك وتروى عن ابي عمرو
ايضا من خلله بالافراد وقرا عاصم والاعرج وينزل على المبالغة والجمهور على التخفيف
والودق قيل هو المطر ضعيفا كان او شديدا قال • ولا ارض ابقل ابقالها •
وقيل هو البرق وانشد • اثرن عجاجة وخرجن منها • خروج الودق من خلل السحاب •
والودق في الاصل مصدر يقال ودق السحاب يدق ودقا يخرج حال لان الروية بصرية قوله
من السما من جبال فيها من برد من الاولى لابتداء الغاية اتفاقا لان ابتداء الانزال من السما واما
الثانية ففيها ثلاثة اوجه احدها انها لابتداء الغاية ايضا فهي ومجرورها بدل من الاولى باعادة
العامل والتقدير وينزل من جبال السما اي من جبال فيها فهو بدل اشتمال الثاني انها للتبعيض
قاله الزمخشري وابن عطية لان جنس تلك الجبال من جنس فعلى هذا هي ومجرورها في موضع
مفعول الانزال كانه قال وينزل بعض جبال الثالث انها زايدة اي ينزل من السما جبالا

وقال

وقال الحوفي من جبال بدل من الاولى ثم قال وهي للتبعيض ورده ابو حيان بانه لا يستقيم البدلية
الا بتوافقهما معنى لو قلت خرجت من بغداد من الكرخ لم تكن الاولى والثانية الا لابتداء الغاية واما
الثالثة ففيها اربعة اوجه الثلاثة المتقدمة والرابع انها لبيان الجنس قاله الحوفي والزمخشري فيكون
التقدير على قولهما وينزل من السماء بعض جبال التي هي البرد فالمنزل برد لان بعض البرد برد ومفعول
ينزل برد من جبال كما تقدم تقديره وقال الزمخشري او الاوليان للابتداء والثالثة للتبعيض يعني
ان الخلاف بدل من الاولى كما تقدم تقديره وحينئذ يكون مفعول ينزل هو الثالثة مع مجرورها
لتقديره وينزل بعض برد من السما من جبالها واذا قيل بان الثانية والثالثة زايدتان فهل مجرورهما
في محل نصب والثاني بدل من الاول والتقدير وينزل من السما جبالا بردا فيكون بدل كل من كل او
بعض من كل او الثاني في محل نصب مفعولا لينزل والثالث في محل رفع على الابتدا وخبره الجار قبله
خلاف الاول قول الاخفش والثاني قول الفرا وتكون الجملة على قول الفرا صفة لجبال محكوم على
موضعها بالجر اعتبارا باللفظ او بالنصب اعتبارا بالمحل ويجوز ان يكون فيها وحده هو الوصف ويكون
من برد فاعلا لاعتماده اي استقر فيها برد وقال الزجاج معناه وينزل من السما من جبال
برد فيها كما تقول هذا خاتم في يدي من حديد اي خاتم حديد في يدي وانما جيت في هذا وفي
الاية بمن لما فرغت ولانك اذا قلت هذا خاتم من حديد وخاتم حديد كان المعنى واحدا انتهى فيكون
من برد في موضع جر صفة لجبال كما كان من حديد صفة لخاتم ويكون مفعول ينزل من جبال
ويلزم من كون الجبال بردا ان يكون المنزل بردا وقال ابو البقا والوجه الثاني ان التقدير شيا من
جبال فحذف الموصوف واكتفى بالصفة وهذا الوجه هو الصحيح لان قوله فيها من برد يحوجك الى
مفعول الضمير اليه فيكون تقديره وينزل من جبال السما جبالا فيها برد وفي ذلك زيادة حذف
وتقديره مستغنى عنه وفي كلامه نظر لان الضمير له شي يعود عليه وهو السماء فلا حاجة الى تقدير
شي اخر لانه مستغنى عنه وليس ثم مانع يمنع من عوده على السما وقوله اخرا وتقديره مستغنى عنه
بنا في قوله وهذا الوجه هو الصحيح والضمير في به يجوز ان يعود على البرد وهو الظاهر ويجوز ان
يعود على الودق والبرد معا جريا بالضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل فيصيب بذلك وقد تقدم
نظيره **فصل** قال ابن عباس اخبر الله ان في السما جبالا من برد ثم ينزل منها ما يشا
وهو قول اكثر المفسرين وقيل المراد بالسما هو الغيم المرتفع سمي بذلك لسموه وارتفاعه وانه تعالى
انزل الغيم الذي هو سما البرد واراد بقوله من جبال السحاب العظام لانها اذا عظمت شبهت بالجبال
كما يقال فلان يملك جبالا من مال ووصف بذلك توسعا وذهبوا الى ان البرد ما جامد خلقه الله في
السحاب ثم انزل الى الارض وقال بعضهم انما سمي ذلك الغيم جبالا لانه سبحانه خلقها من البرد
وكل جسم متحجر فهو من الجبال ومنه قوله تعالى خلقكم والجبلة الاولين قال المفسرون والاول
اولى لان السما اسم لهذا الجسم المخصوص فتسمية السحاب سما بالاشتقاق مجاز وكما يصح ان يجعل
الما في السحاب ثم ينزله بردا فقد يصح في القدرة جعل هذين الامرين في السما فلا وجه لترك
الظاهر فيصيب به من يشا اي بالبرد من يشا فيهلك زرعه وامواله ويصرفه عمن يشا اي يصرف
ضرره عمن يشا بان لا يسقطه عليه قوله يكاد سنا برقه العامة على قصر سنا وهو الضو وهو
من ذوات الواو ويقال سنا يسنو سنا اي اضا يضي قال امرؤ القيس •
• يضي سناه او مصابيح راهب • والسنا بالمد الرفعة قال •
وسن كسنق سناء وسنما وقرا ابن وثاب سناء برقه بالمد وبضم البا من برقه وفتح الراء وروي عنه
ضم الراء ايضا فاما قراة المد فانه شبه المحسوس من البرق لارتفاعه في الهوى بغير المحسوس من
الانسان فاما برقه فجمع برقة وهي المقدار من البرق كغرفة وغرف ولقمة ولقم واما ضم الراء فاتباع
كظلمات بضم اللام اتباعا لضم الظاء وان كان اصلها السكون وقرا العامة ايضا يذهب بفتح الياء والهاء
وابو جعفر بضم الياء وكسر الهاء من اذهب وقد خطا هذه القراءة الاخفش وابو حاتم قالا لان البا
تعاقب الهمزة وليس ردهما بصواب لانها تتخرج على ما خرج ما قرئ به في المتواتر تنبت بالدهن من
ان البا مزيدة وان المفعول محذوف والبا بمعنى من تقديره يذهب النور من الابصار كقوله •
• شرب النزيف ببرد ماء الحشرج •
المعنى يكاد ضوء برق السحاب يذهب بالابصار من شدة ضوئه واعلم ان البرق الذي صفته

كذلك لابد وان يكون نارا عظيمة خالصة والنار ضد الماء والبرد وظهوره يقتضي ظهور الضد
من الضد وذلك لا يمكن الا بقدرة قادر حكيم ثم قال يقلب الله الليل والنهار يصرفهما في اختلافهما
وتعاقبهما ياتي بالليل ويذهب بالنهار وياتي بالنهار ويذهب بالليل قال عليه السلام قال
الله تعالى يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار وقيل
المراد ولوج احدهما في الاخر وقيل المراد تغير احوالهما في الحر والبرد وغيرهما ان في ذلك
لعبرة لاولي الابصار اي ان في الذي ذكرت من هذه الاشيا لعبرة لاولي الابصار اي دلالة لاهل
العقول على قدرة الله وتوحيده قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء الاية لما استدل
اولا باحوال السما والارض وثانيا بالاثار العلوية استدل ثالثا باحوال الحيوانات قال ابن
عطية قرا حمزة والكسائي والله خالق كل دابة على الاضافة فان قيل لم قال فالله خلق كل
دابة من ماء مع ان كثيرا من الحيوانات لم يخلق من الما كالملائكة خلقوا من النور وهم اعظم الحيوانات
عددا وكذلك الجن وهم مخلوقون من النار وخلق ادم من التراب لقوله خلقه من تراب
وخلق عيسى من الريح لقوله فنفخنا فيها من روحنا ونرى كثيرا من الحيوانات يتولد لا عن
نطفة فالجواب من وجوه احسنها ما قال القفال ان من ماء صلة كل دابة وليس هو من صلة
خلق والمعنى ان كل دابة متولدة من الما فهي مخلوقة لله تعالى وثانيها ان اصل جميع المخلوقات
الما على ما روي اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة وصارت ماء ثم من ذلك الماء
خلق النار والهوا والنور والمقصود من هذه الاية بيان ان اصل الخلقة الما فلهذا ذكره الله
تعالى وثالثها ان المراد من الدابة التي تدب على وجه الارض ومسكنهم هناك فيخرج الملائكة
والجن ولما كان الغالب من هذه الحيوانات كونهم مخلوقين من الما اما لانها متولدة من النطفة
واما لانها لا تعيش الا بالما لا جرم اطلق عليه لفظ الكل تنزيلا للغالب منزلة الكل وقيل
الجار في قوله من ما متعلق بخلق اي خلق من ما كل دابة ومن لابتدا الغاية ويرد على
هذا السوال المتقدم فان قيل لما نكر الما في قوله من ما وعرفه في قوله من الما كل شي حي
فالجواب جا هاهنا منكرا لان المعنى خلق كل دابة من نوع من الما مختصا بتلك الدابة وعرفه
في قوله من الما كل شي حي لان المقصود هناك كونهم مخلوقين من هذا الجنس وهاهنا بيان
ان ذلك الجنس ينقسم الى انواع كثيرة قوله فمنهم من يمشي انما اطلق من على غير العاقل
لاختلاطه بالعاقل في المفصل بمن وهو كل دابة وكان التعبير بمن اولى لتوافق اللفظ وقيل
لما وصفهم بما يوصف به العقلا وهو المشي اطلق عليهما من وفيه نظر لان هذه الصفة
ليست خاصة بالعقلا بخلاف قوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق وقوله

• اسرب القطا هل من يعير جناحه •

البيت وقد تقدم خلاف القرا في خلق كل دابة في سورة ابراهيم واستعير المشي للزحف
على البطن كما استعير المشفر للشفة وبالعكس كما قالوا في العكس المستمر قد مشى هذا
الامر ويقال فلان ما يمشي له امر فان قيل لم حصر القسمة في هذه الثلاثة انواع من
المشي وقد نجد من يمشي على اكثر من اربع كالعناكب والعقارب والرتيلا والحيوان الذي
له اربعة واربعون رجلا فالجواب هذا القسم الذي لم يذكر كالنادر فكان ملحقا بالعدم
وايضا قال النقاش انه اكتفى بذكر ما يمشي على اربع عن ذكر ما يمشي على اكثر لان جميع
الحيوان انما اعتماده على اربع وهي قوام مشيه وكثرة الارجل لبعض الحيوان زيادة في
الخلقة لا يحتاج ذلك الحيوان في مشيه الى جميعها قال ابن عطية والظاهر ان تلك الارجل
الكثيرة ليست باطلا بل هي محتاج اليها في نقل الحيوان وهي كلها تتحرك في تصرفه وجواب
اخر وهو ان قوله تعالى يخلق الله ما يشا كالتنبيه على سائر الاقسام وفي مصحف ابي بن
كعب ومنهم من يمشي على اكثر فعم بهذه الزيادة جميع الحيوان ولكنه قران لم يثبت بالاجماع
قوله يخلق الله ما يشا ان الله على كل شي قدير لانه القادر على الكل والعالم بالكل
فهو المطلع على احوال هذه الحيوانات فاي عقل يقف عليها واي خاطر يصل الى ذرة من
اسرارها بل هو الذي يخلق ما يشا كما يشا ولا يمنعه منه مانع قوله لقد انزلنا ايات
مبينات والى وجملة على كل الادلة وقيل المراد القران لانه كالمشتمل على كل الادلة والعبر

والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم وتقدم الكلام في نظاير هذه الاية بين اهل السنة والمعتزلة
قوله تعالى ويقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا الاية لما ذكر دلايل التوحيد اتبعه بذم قوم
اعترفوا بالدين بالسنتهم ولكنهم لم يقبلوه بقلوبهم قال مقاتل نزلت هذه الاية في بشر المنافق
وكان قد خاصم يهوديا في ارض فقال اليهودي نتحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق
نتحاكم الى كعب بن الاشرف فان محمدا يحيف علينا فانزل الله هذه الاية وقد مضت قصتهما في سورة
النسا وقال الضحاك نزلت في المغيرة بن وايل وكان بينه وبين علي بن ابي طالب ارض تقاسماها
فوقع الى علي ما لا يصيبه الما الا بمشقة فقال المغيرة بعني ارضك فباعها اياه وتقابضا فقيل
للمغيرة اخذت سبخة لا ينالها الما فقال لعلي اقبض ارضك فانما اشتريتها ان رضيتها ولم ارضها
فقال علي بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها وعرفت حالها لا اقبلها منك ودعاه الى ان يخاصمه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة اما محمد فلا اتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف
ان يحيف علي فنزلت الاية وقال الحسن نزلت هذه في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان
ويسرون الكفر **فصل** المعنى ويقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا يعني المنافقين
بقوله ثم يتولى يعرض عن طاعة الله ورسوله فريق منهم من بعد ذلك اي من بعد قولهم امنا ويدعو
الى غير حكم الله ثم قال وما اوليك بالمومنين فان قيل انه تعالى حكى عن كلهم انهم يقولون امنا ثم
حكى عن فريق منهم التولي فكيف يصح ان تقول في جميعهم وما اوليك بالمومنين مع ان المتولي
فريق منهم فالجواب ان قوله وما اوليك بالمومنين راجع الى الذين تولوا لا الى الجملة الاولى
وايضا فلو رجع الى الاولى لصح ويكون معنى قوله ثم يتولى فريق منهم اي يرجع هذا الفريق الى
الباقين فيظهر بعضهم لبعض الرجوع كما اظهروه ثم بين تعالى انهم اذا دعوا الى الله ورسوله
ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وهذا ترك للرضا بحكم الرسول لقوله تعالى وان يكن لهم
الحق ياتوا اليه مذعنين منقادين اي اذا كان الحق لهم على غيرهم اسرعوا الى حكمه لعلمهم انه
لا يحكم عليهم بالحق يحكم لهم ايضا بالحق وهذا يدل على انهم انما يعرضون متى عرفوا الحق لغيرهم
او شكوا واما اذا عرفوه لانفسهم عدلوا عن الاعراض وسارعوا الى الحكم واذعنوا ببذل الرضا
قوله ليحكم افرد الضمير وقد تقدمه اسمان وهما الله ورسوله فهو كقوله والله ورسوله احق ان
يرضوه لان حكم رسوله هو حكمه قال الزمخشري كقولك اعجبني زيد وكرمه اي كرم زيد ومنه

• ومنهل من الفلا في اوسطه • غلسته قبل القطا وفرطه •

اي قبل فرط القطا يعني قبل تقدم القطا وقرا ابو جعفر الجحدري وخالد بن الياس والحسن ليحكم
بينهم هنا والتي بعدها مبنيا للمفعول والظرف قايم مقام الفاعل قوله اذا فريق اذا هي الفجايية
وهي جواب اذا الشرطية اولا وهذا احد الادلة على منع ان يعمل في اذا الشرطية جوابها فان ما بعد
الفجايية لا يعمل فيما قبلها كذا ذكره ابو حيان وتقدم تحرير هذا وجواب الجمهور عنه قوله اليه
يجوز ان يتعلق بياتوا لان اتى وجا قد جاما معديين بالى ويجوز ان يتعلق بمذعنين لانه بمعنى مسرعين
في الطاعة وصححه الزمخشري قال لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص ومذعنين حال والاذعان
الانقياد يقال اذعن فلان لفلان اي انقاد له وقال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة قوله
ام ارتابوا ام يخافون ام فيهما منقطعة فتقدر عند الجمهور بحرف الاضراب وهمزة الاستفهام تقديره
بل ارتابوا بل يخافون ومعنى الاستفهام هنا التقرير والتوقيف ويبالغ به تارة في الذم كقوله

• الستم من القوم الذين تعاهدوا • على اللوم والفحشا في سالف الدهر •

وتارة في المدح كقول جرير • الستم خير من ركب المطايا • واندى العالمين بطون راح •

وان يحيف مفعول الخوف والحيف الميل والجور في القضا يقال حاف في قضايه اي مال قوله
تعالى افي قلوبهم من نفاق ام ارتابوا شكوا وهو استفهام ذم وتوبيخ اي هم كذلك ام يخافون ان
يحيف الله عليهم ورسوله اي يظلم بل اوليك هم الظالمون لانفسهم باعراضهم عن الحق قال
الحسن بن ابي الحسن من دعا خصمه الى حكم من حكام المسلمين فلم يجب فهو ظالم فان قيل اذا خافوا
ان يحيف الله عليهم ورسوله فقد ارتابوا في الدين واذا ارتابوا ففي قلوبهم مرض فالكل واحد فاي
فايدة في التعديد فالجواب قوله افي قلوبهم مرض اشارة الى النفاق وقوله ام ارتابوا اشارة الى
انهم بلغوا في حب الدنيا الى حيث يتركون الدين بسببه فان قيل هذه الثلاثة متغايرة ولكنها متلازمة

فكيف ادخل عليها كلمة ام فالجواب الاقرب انه تعالي ابهمهم عن كل واحدة من هذه الاوصاف
فكان في قلوبهم مرض وهو النفاق وكان فيهما شك وارتياب وكانوا يخافون الحيف من الرسول
اوكل واحد من ذلك كفر ونفاق ثم بين تعالي بقوله واوليك هم الظالمون بطلان ماهم عليه
لان الظلم يتناول كل معصية كما قال تعالي ان الشرك لظلم عظيم قوله تعالي انما كان قول
المومنين العامة علي نصب قول خبر الكان والاسم ان المصدرية وما بعدها وقرا امير المومنين
والحسن وابن ابي اسحاق برفعه علي انه الاسم وان وما في خبرها الخبر وهي عندهم مرجوحة
لانه متي اجتمع معرفتان فالاولي جعل الاعرف للاسم وان كان سيبويه خير في ذلك بين
كل معرفتين ولم يفرق هذه التفرقة وتقدم تحقيق هذا في ال عمران **فصل**
انما كان قول المومنين اذا دعوا الي الله اي الي كتاب الله ورسوله ليحكم بينهم وهذا ليس
علي طريق الخبر ولكنه تعليم ادب الشرع بمعني ان المومنين ينبغي ان يكونوا هكذا ان يقولوا
سمعنا واطعنا اي سمعنا الدعا واطعنا بالاجابة واوليك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله
قال ابن عباس فيما ساه وسره ويخش الله فيما صدر عنه من الذنوب في الماضي ويتقه
فيما بقي من عمره فاوليك هم الفايزون الناجون قوله ويتقه القرا فيه بالنسبة الي
القاف علي مرتبتين الاولي تسكين القاف ولم يقرا بها الا حفص والباقون بكسرها واما
بالنسبة الي هاء الكناية فانهم فيها علي خمس مراتب الاولي تحريكها مفصولة قولا واحدا وبها
قرا ورش وابن ذكوان وخلف وبن كثير والكساي الثانية تسكينها قولا واحدا وبها قرا ابو عمرو
وابو بكر عن عاصم الثالثة اسكان الها او وصلها بياء وبها قرا خلاد الرابعة تحريكها من
غير صلة وبها قرا قالون وحفص الخامسة تحريكها موصولة او مقصورة وبها قراء هشام فاما
اسكان الها وقصرها واشباعها فقد مر تحقيقه مستوفي واما تسكين القاف فانهم حملوا
المنفصل علي المتصل وذلك انهم يسكنون عين فعل فيقولون كبد وكتف وصبر في كبد وكتف
وصبر لانها كلمة واحدة ثم اجري ما اشبه ذلك من المنفصل مجري المتصل فان يتقه صار منه
تقه بمنزلة كتف فسكن كما يسكن ومنه • قالت سليما اشتر لنا سويقا •
بسكون الراء كما سكن الاخر • وبات منتصبا وما تكردسا • وقول الاخر
• عجبت لمولود وليس له اب • وذي ولد لم يلده ابوان •
يريد منتصبا ولم يلده وتقدم في اول البقرة تحرير هذا الضابط في قوله فهي كالحجارة وهي
وهو ونحوها وقال مكي كان يجب علي من سكن القاف ان يضم الها لان هاء الكناية اذا سكن
ما قبلها ولم يكن الساكن يا ضمت نحو منه وعنه ولكن لما كان سكون القاف عارضا لم يعتد
به وابقي الها علي كسرتها التي كانت عليها مع كسر القاف ولم يصلها بيا لان اليا المحذوفة قبل الها
مقدرة منوية فبقي الحذف الذي في اليا قبل الها علي اصله وقال الفارسي الكسرة في الهاء
لالتقاء الساكنين وليست الكسرة التي قبل الصلة وذلك ان هاء الكناية ساكنة في قراته ولما
اجري تقه مجري كتف وسكن القاف التقي ساكنان ولما التقيا اضطر الي تحريك احدهما فاما
ان يحرك الاول والثاني لا سبيل الي تحريك الاول لانه يعود اليه ما فر منه وهو ثقل فعل فحرك ثانيهما
باصل التقا الساكنين فلذلك كسر الها ويويده قوله لم يلده ابوان وذلك ان اصله لم يلده بكسر
اللام وسكون الدال للجزم ثم لما سكن اللام التقي ساكنان فلو حرك الاول لعاد الي ما فر منه
فحرك ثانيهما وهو الدال وحركها بالفتح وان كان علي خلاف اصل التقا الساكنين مراعاة لفتحة
اليا وقد رد ابو القاسم بن فيرة قول الفارسي وقال لا يصح قوله انه كسر الها لالتقاء الساكنين
لان حفصا لم يسكن الها في قراته قط وقد رد ابو عبد الله شارح قصيدته هذا الرد وقال
وعجبت من نفيه الاسكان عنه مع ثبوته عنه في ارجه وفالقه واذا قراه في ارجه وفالقه
احتمل ان يكون يتقه عنده قبل سكون القاف كذلك وربما يرجح ذلك بما ثبت عن عاصم
من قراته اياه بسكون الها مع كسر القاف قال شهاب الدين لم يعن الشاطبي بانه لم يسكن
الها فقط الهاء من حيث هي هي وانما عني هاء يتقه خاصة وكان الشاطبي ايضا يعترض التوجيه
الذي تقدم عن مكي ويقول تعليله حذف الصلة بان اليا المحذوفة قبل الها مقدرة منوية
فبقي في حذف الصلة بعد الها علي اصله غير مستقيم من قبل انه قرا يوده ونصله بالصلة

ولو

ولو كان يعتبر ما قاله من تقدير اليا قبل الها لم يصلها قال ابو عبد الله هو وان قرا يوده ونصله
بالصلة فانه قرا يرضه بغير صلة فالحق مكي يتقه بيرضه وجعله مما خرج فيه عن نظايره لاتباع
الاثر والجمع بين اللغتين ويترجح ذلك عنده لان اللفظ عليه ولما كانت القاف في حكم المكسورة بدليل
كسر الها بعدها صار كانه يتقه بكسر القاف والهاء من غير صلة كقراة قالون وهشام في احد وجهيه
فعلله بما يعلل به قراتهما والشاطبي يرجح عنده جملة علي الاكثر مما قرا به لا علي ما قل وندر فاقتضي
تعليله بما ذكر قوله تعالي واقسموا بالله جهد ايمانهم في جهد ايمانهم وجهان احدهما انه
منصوب علي المصدر بدلا من اللفظ بفعله اذ اصله اقسم بالله جهد اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا
فحذف الفعل وقدم المصدر موضوعا موضعه مضافا الي المفعول كضرب الرقاب قاله الزمخشري
والثاني انه حال تقديره مجتهدين في ايمانهم كقولهم افعل ذلك جهدك وطاقتك وقد خلط
الزمخشري الوجهين فجعلهما وجها واحدا فقال بعدما تقدم عنه وحكم هذا المنصوب حكم الحال
كانه قيل جاهدين ايمانهم وتقدم الكلام علي جهد ايمانهم في المايدة **فصل** قال
مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله
صلي الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك لين خرجت خرجنا وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد
جاهدنا فقال الله تعالي قل لهم لا تقسموا لا تحلفوا وههنا تم الكلام ولو كان قسمهم لما يجب
لم يجز النهي عنه لان من حلف علي القيام بالبر والواجب لا يجوز ان ينهي عنه فثبت ان قسمهم
كان لنفاقهم وكان باطنهم بخلاف ظاهرهم ومن نوي الغدر لا الوفا فقسمه قبيح قوله
طاعة معروفة في رفعها ثلاثة اوجه احدها انه خبر مبتدا مضمر تقديره امرنا طاعة او المطلوب
طاعة والثاني انها مبتدا والخبر محذوف اي امثل او اولي وتقدم ان الخبر متي كان في الاصل
مصدرا بدلا من اللفظ بفعله وجب حذف مبتداه كقوله صبر جميل ولا يبرز الا اضطرارا كقوله
• فقالت علي اسم الله امرك طاعة • وان كنت قد كلفت ما لم اعود •
علي خلاف في ذلك والثالث ان يكون فاعله بفعل محذوف اي ولتكن طاعة ولتوجد طاعة
واستضعف ذلك بان الفعل لا يحذف الا اذا تقدم مشعر به كقوله يسبح له فيها بالغدو والاصال
في قراة من بناه للمفعول اي يسبحه رجال او يجاب به نفي كقولك بلي زيد لمن قال لم يقم احد او
استفهام كقوله • الا هل اتي ام الحويرث مرسل • نعم خالد ان لم تعقه العوايق •
وقرا زيد بن علي واليزيدي طاعة بنصبها بفعل مضمر وهو الاصل قال ابو البقا ولو قري بالنصب
لكان جايزا في العربية وذلك علي المصدر اي اطيعوا طاعة وقولوا قولا وقد دل عليه قوله
بعدها قل اطيعوا الله قال شهاب الدين قوله ولو قري بالنصب لكان جايزا انه تقدم النقل
لقراته واما قوله وقولوا قولا فكانه سبق لسانه الي اية القتال وهي فاولي لهم طاعة وقول
معروف ولكن النصب هناك ممتنع او بعيد **فصل** المعني هذه طاعة بالقول باللسان
دون الاعتقاد وهي معروفة اي امر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون قاله
مجاهد وقيل طاعة معروفة بنية خالصة افضل وامثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل
وقال مقاتل بن سليمان ليكن منكم طاعة معروفة هذا علي قراة الرفع واما علي قراة النصب فالمعني
اطيعوا الله طاعة والله خبير بما تعملون اي لا يخفي عليه شي من سرايركم والله خبير بما تعملون
فانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم علي نفاقكم ثم قال قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا اي عن
طاعة الله ورسوله فانما عليه اي علي الرسول ما حمل كلف وامر به من تبليغ الرسالة وعليكم
ما حملتم من الاجابة والطاعة وقرا نافع في رواية فانما عليه ما حمل بفتح الحا والتخفيف اي فعليه
اثم ما حمل من المعصية وان تطيعوه تهتدوا اي تصيبوا الحق وان عصيتموه فما علي الرسول الا البلاغ
المبين والبلاغ بمعني التبليغ والمبين الواضح قوله فان تولوا يجوز ان يكون ماضيا وتكون
الواو ضمير الغايبين ويكون في الكلام التفات من الخطاب الي الغيبة وحسن الالتفات هنا كون
ما لم يواجههم بالتولي والاعراض وان يكون مضارعا حذفت احدي تايه والاصل تتولوا ويرجح
هذا قراة وبرجحه ايضا الخطاب في قوله وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا ودعوي الالتفات
من الغيبة الي الخطاب ثانيا بعيد قوله تعالي وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
الاية تقدير النظم بلغ ايها الرسول واطيعوا ايها المومنون فقد وعد الله الذين امنوا منكم اي

الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ان يستخلفهم في الارض فيجعلهم الخلفا والغالبين
والمالكين كما استخلف عليها من قبلهم في زمن داود وسليمان عليهما السلام وغيرهما وانه
يمكن لهم دينهم وتمكينه ذلك بان يوتيدهم بالنصر والاعزاز ويبدلهم من بعد خوفهم من
العدو امنا بان ينصرهم عليهم فيقتلوهم ويامنوا بذلك شرهم قال ابو العالية مكث النبي
صلى الله عليه وسلم بعد الوحي بمكة عشر سنين مع اصحابه وامروا بالصبر علي اذي الكفار
فكانوا يصبحون ويمسون خايفين ثم امروا بالهجرة الي المدينة وامروا بالقتال وهم علي
خوفهم لا يفارق احد منهم سلاحه فقال رجل منهم اما ياتي علينا يوم نامن فيه
ونضع السلاح فانزل الله هذه الاية وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
ادخل اللام لجواب اليمين المضمر يعني والله ليستخلفنهم في الارض ليورثنهم ارض الكفار
من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وسكانها كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرايل
حيث اهلك الجبابرة بمصر والشام واورثهم ارضهم وديارهم روي عدي بن حاتم قال
بينا انا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ اتاه اليه رجل فشكي اليه الفاقة ثم اتاه اخر
فشكي اليه قطع السبل فقال يا عدي هل رايت الحيرة قلت لم ارها وقد انبيت عنها قال
فان طالت بك حياة فلترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف
احدا الا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فاين دعار طي الذين قد سعروا البلاد ولين
طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسري قلت كسري بن هرمز ولين طالت بك حياة لترين
الرجل يخرج ملء كفه من ذهب او فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد احدا يقبله منه وليلقين
الله احدكم يوم القيمة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له وليقولن الم ابعث اليك رسولا
فيبلغك فيقول بلي فيقول الم اعطك مالا وافضل عليك فيقول بلي فينظر عن يمينه
فلا يري الا جهنم وينظر عن يساره فلا يري الا جهنم قال عدي سمعت رسول الله صلي الله
عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة قال عدي فرايت
الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله وكنت فيمن فتح كنوز كسري
بن هرمز ولين طالت بكم حياة لترون ما قال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل
ملء كفه ذهبا قوله تعالي ليستخلفنهم فيه وجهان احدهما هو جواب قسم مضمر اي اقسم
ليستخلفنهم ويكون مفعول الوعد محذوفا تقديره وعدهم الاستخلاف لدلالة قوله ليستخلفنهم
عليه والثاني ان يجري وعد مجري القسم لتحققه فلذلك اجيب بما يجاب به القسم قوله
كما استخلف اي استخلافا كاستخلافهم والعامة علي بنا استخلف للفاعل وابو بكر بناه
للمفعول فالموصول منصوب علي الاول ومرفوع علي الثاني قوله وليبدلنهم قرا ابن
كثير وابو بكر وليبدلنهم بسكون البا وتخفيف الدال من ابدل وتقدم توجيههما في الكهف
في قوله ان يبدلهما ربهما قوله يعبدونني فيه سبعة اوجه احدها انه مستانف اي جواب
لسوال مقدر كانه قيل ما بالهم يستخلفون ويومنون فقيل يعبدونني الثاني انه خبر
مبتدا مضمر اي هم يعبدونني والجملة ايضا استينافية تقتضي المدح الثالث انه حال من
مفعول وعد الله الرابع انه حال من مفعول ليستخلفنهم الخامس ان يكون حالا من فاعله
السادس ان يكون حالا من مفعول ليبدلنهم السابع ان يكون حالا من فاعله قوله لا يشركون
يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا من مفعول من فاعل يعبدونني اي يعبدونني
موحدين وان يكون بدلا من الجملة التي قبله الواقعة حالا وتقدم ما فيها **فصل**
دل قوله وعد الله علي انه تعالي متكلم لان الوعد نوع من انواع الكلام والموصوف بالنوع
موصوف بالجنس ولانه تعالي ملك مطاع والملك المطاع لا بد وان يكون بحيث يمكنه وعد
اوليايه ووعيد اعدايه فثبت انه سبحانه متكلم **فصل** ودلت الاية علي انه سبحانه
يعلم الاشيا قبل وقوعها خلافا لهشام بن الحكم فانه قال لا يعلمها قبل وقوعها ووجه الاستدلال
انه تعالي اخبر عن وقوع شي في المستقبل اخبارا علي التفصيل وقد وقع الخبر مطابقا للخبر
ومثل هذا الخبر لا يصح الا مع العلم **فصل** ودلت الاية علي انه تعالي حي قادر
علي جميع الممكنات لقوله ليستخلفنهم في الارض وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضي لهم وليبدلنهم

من

من بعد خوفهم امنا وقد فعل كل ذلك وصدور هذه الاشيا لا يصح الا من القادر علي كل المقدورات
فصل ودلت الاية علي انه سبحانه هو المستحق للعبادة لانه قال يعبدونني وقالت
المعتزلة الاية تدل علي ان فعل الله تعالي معلل بالغرض لان المعني لكي يعبدونني وقالوا ايضا
الاية تدل علي انه سبحانه يريد العبادة من الكل لان من فعل فعلا لغرض فلا بد وان يكون
مريدا لذلك الغرض **فصل** ودلت الاية علي انه سبحانه منزه عن الشريك لقوله لا يشركون
بي شيا وذلك يدل علي نفي الاله الثاني وعلي انه لا يجوز عبادة غير الله سبحانه **فصل**
قال ابن الخطيب ودلت الاية علي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن الغيب بقوله
ليستخلفنهم في الارض وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضي لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا
وقد وجد هذا المخبر موافقا للخبر ومثل هذا الخبر معجز والمعجز دليل الصدق فدل علي
صدق محمد عليه السلام **فصل** دلت الاية علي ان العمل الصالح خارج عن مسمي الايمان
خلافا للمعتزلة لانه عطف العمل الصالح علي الايمان والمعطوف خارج عن المعطوف عليه **فصل**
دلت الاية علي امامة الايمة الاربعة لانه تعالي وعد الذين امنوا وعملوا الصالحات من الحاضرين
في زمان محمد عليه السلام بقوله منكم فانه يستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم
وان يمكن لهم دينهم المرضي وان يبدلهم بعد الخوف امنا ومعلوم ان المراد بهذا الوعد بعد
الرسول هولا لان استخلاف غيره لا يكون الا بعده ومعلوم ان لا نبي بعده لانه خاتم الانبيا
فاذن المراد بهذا الاستخلاف طريقة الامامة ومعلوم ان بعد الرسول لم يحصل هذا الاستخلاف
الا في ايام ابي بكر وعمر وعثمان لان في ايامهم كانت الفتوح العظيم وحصل التمكن وظهور الدين
والامن ولم يحصل ذلك في ايام علي كرم الله وجهه لانه لم يتفرغ للجهاد لاشتغاله بمحاربة من خالفه
من اهل الصلاة فثبت بهذا دلالة الاية علي صحة خلافة هولا فان قيل الاية متروكة الظاهر
لانها تقتضي حصول الخلافة لكل من امن وعمل صالحا ولم يكن الامر كذلك تركنا عنه ولكن لم
لا يجوز ان يكون المراد من قوله ليستخلفنهم هو انه تعالي اسكنهم في الارض ومكنهم من التصرف
لان المراد خلفا الله ويدل عليه قوله كما استخلف الذين من قبلهم واستخلاف من كان قبلهم
لم يكن بطريق الامامة فوجب ان يكون الامر في حقهم ايضا كذلك تركنا عنه لكن ها هنا ما يدل
علي انه لا يجوز حمله علي خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم لان من مذهبكم انه عليه السلام
لم يستخلف احدا وروي عن علي رضي الله عنه انه قال انزلتكم كما نزل بني الله فعبر عنه بلفظ
الجمع علي سبيل التعظيم كقوله تعالي انا انزلناه في ليلة القدر وقال في حق علي رضي الله عنه
الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة وهم راكعون تركنا عنه ولكن نحمله علي الايمة الاثني
عشر والجواب عن الاول ان كلمة من للتبعيض فقوله منكم يدل علي ان المراد من هذا الخطاب
بعضهم وعن الثاني ان الاستخلاف بالمعني الذي ذكرتموه حاصل لجميع الخلق والمذكور هاهنا
في معرض البشارة فلا بد وان يكون مغايرا له واما قوله تعالي كما استخلف الذين من قبلهم
فالذين كانوا قبلهم قد كانوا خلفا تارة بسبب النبوة وتارة بسبب الملك فالخلافة حاصلة
في الصورتين وعن الثالث انه وان كان من مذهبنا انه عليه السلام لم يستخلف احدا بالتعيين ولكن
قد استخلف بذكر الوصف والامر والاختيار فلا يمتنع في هولا انه تعالي استخلفهم وان الرسول
استخلفهم وعلي هذا الوجه قالوا في ابي بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله والذي قيل انه
عليه السلام لم يستخلف اريد به علي وجه التعيين واذا قيل استخلف فالمراد علي طريقة الوصف
والامر وعن الرابع انه حمل لفظ الجمع علي الواحد مجاز وهو خلاف الاصل وعن الخامس انه باطل
لوجهين احدهما قوله تعالي منكم يدل علي ان هذا الخطاب كان مع الحاضرين وهو الايمة ما كانوا
حاضرين الثاني انه تعالي وعدهم القوة والشوكة والبقا في العالم ولم يوجد ذلك فيهم فثبت
بهذا صحة امامة الايمة الاربعة وبطل قول الرافضة الطاعنين علي ابي بكر وعمر وعثمان وعلي
بطلان قول الخوارج والطاعنين علي عثمان وعلي قوله ومن كفر بعد ذلك اراد كفران النعمة
ولم يرد الكفر بالله تعالي فاوليك هم الفاسقون العاصون لله عز وجل قال المفسرون اول من
كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله ما بهم وادخل عليهم
الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا روي حميد بن هلال قال قال عبد الله بن

سلام في عثمان ان الملائكة لم تزل محيطة بمدينتكم هذه منذ قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى اليوم فوالله لئن قتلتموه لتذهبون ثم لا تعودون ابدا فوالله لا يقتله رجل منكم الا لقي الله
اجذم لا يد له وان سيف الله لم يزل مغمودا عنكم والله لئن قتلتموه ليسلنه الله عز وجل ثم لا يغمده عنكم
اما قال ابدا واما قال الى يوم القيمة فما قتل نبي قط الا قتل به سبعون الفا ولا خليفة الا قتل به
خمسة وثلاثون الفا وروي علي بن الجعد قال اخبرني حماد هو ابن سلمة عن بن دينار عن سعيد
ابن جمهان عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة ثلاثون
سنة ثم يكون ملكا ثم قال امسك خلافة ابي بكر سنتين وخلافة عمر عشرة وعثمان اثنتي عشرة
وعلي ست قال علي قلت لحماد سفينة القايل لسعيد امسك قال نعم قوله تعالى واقيموا
الصلاة فيه وجهان احدهما انه معطوف على اطيعوا الله والرسول وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف
والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه قاله الزمخشري
قال شهاب الدين وقوله لان حق المعطوف الى اخره لا يظهر علة للحكم الذي ادعاه والثاني
ان قوله واقيموا من باب الالتفات من الغيبة الى الخطاب وحسنه الخطاب في قوله قبل ذلك منكم
ثم قال واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون اي افعلوها على رجاء الرحمة قوله لا تحسبن قرا العامة
لا تحسبن بتاء الخطاب والفاعل ضمير المخاطب اي لا تحسبن ايها المخاطب ويمتنع او يبعد جعله
الرسول عليه السلام لان مثل هذا الحسبان لا يتصور منه حتى ينهى عنه وقرا حمزة وابن عامر
لا يحسبن بياء الغيبة وهي قراءة حسنة واضحة فان الفاعل فيها مضمر يعود على ما دل السياق عليه
اي لا يحسبن حاسب او احد واما على الرسول لتقدم ذكره ولكنه ضعيف للمعنى المتقدم خلافا
لمن لحن قاري هذه القراءة كابي حاتم وابي جعفر والفرا قال النحاس ما علمت احدا من اهل
العربية بصريا ولا كوفيا الا وهو يلحن قراءة حمزة فمنهم من يقول هي لحن لانه لم يات الا بمفعول
واحد ليحسبن وقال الفرا هو ضعيف واجازه على حذف المفعول الثاني التقدير لا يحسبن الذين
كفروا انفسهم معجزين قال شهاب الدين وسبب تلحينهم هذه القراءة انهم اعتقدوا ان الذين
فاعل ولم يكن في اللفظ الا مفعول واحد وهو معجزين فلذلك قالوا ما قالوا والجواب عن ذلك
من وجوه احدها ان الفاعل مضمر يعود على ما تقدم او على ما يفهم من السياق كما سبق تحريره
الثاني ان المفعول الاول محذوف تقديره لا يحسبن الذين كفروا انفسهم معجزين الا ان حذف
احد المفعولين ضعيف عند البصريين ومنه قول عنترة

ولقد نزلت فلا تظني غيره ... مني بمنزلة المحب المكرم

اي تظني غيره واقعا ولما نحا الزمخشري الى هذا الوجه قال وان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين
كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل
والمفعولين لما كانت لشيء واحد قنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث فقدر المفعول الاول
ضميرا متصلا قال ابو حيان وقد رددنا هذا التخريج في اواخر ال عمران في قوله لا يحسبن الذين
يفرحون بما اتوا في قراءة من قرا بالغيبة وجعل الفاعل الذين يفرحون وملخصه ان هذا
ليس من الضماير التي يفسرها ما بعدها فلا يتقدر لا يحسبنهم اذ لا يجوز ظنه زيد قايما على رفع
زيد بظنه وقد تقدم رد هذا الرد في الموضع المذكور الثالث ان المفعولين هما قوله معجزين
في الارض قاله الكوفيون ولما نحا اليه الزمخشري قال والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا
يعجز الله في الارض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد قال شهاب الدين
قيل هو خطأ لان الظاهر تعلق في الارض بمعجزين فجعله مفعولا ثانيا كالتهيئة للعمل والقطع
عنه وهو نظير ظننت قايما في الدار قوله وماواهم النار فيه ثلاثة اوجه احدها ان هذه
الجملة عطف على جملة النهي قبلها من غير تاويل ولا اضمار وهو مذهب سيبويه اعني عطف
الجمل بعضها على بعض وان اختلفت انواعها خبرا وطلبا وانشا وقد تقدم تحقيقه في اول
الكتاب الثاني انها معطوفة عليها ولكن بتاويل جملة النهي بجملة خبرية والتقدير
الذين كفروا لا يفوتون الله وماواهم النار قاله الزمخشري كانه يرى تناسب الجمل شرطا
في العطف هذا ظاهر حاله الثالث انها معطوفة على جملة مقدرة قال الجرجاني لا يحتمل
ان يكون وماواهم متصلا بقوله لا يحسبن ذاك نهي وهذا ايجاب فهو اذن معطوف بالواو

علي

على مضمر قبله تقديره لا يحسبن الذين كفروا معجزين في الارض بل هم مقهورون وماواهم النار قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم الاية قال ابن عباس وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه
فدخل فراى عمر بحالة كره عمر رويته ذلك فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل نزلت في اسما مرثد
كان لها غلام كبير فدخل في وقت كرهته فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا
وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها فانزل الله يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم اللام للامر ملكت
ايمانكم يعني العبيد والاماء قال القاضي هذا الخطاب وان كان ظاهره للرجال فالمراد به الرجال
والنسا لان التذكير يغلب على التانيث قال ابن الخطيب والاولى عندي ان الحكم ثابت في النسا
بقياس جلي لان النسا في باب العورة اشد حالا من الرجال فهو كتحريم الضرب بالقياس على حرمة
التافيف وقال ابن عباس في الرجال والنسا يستاذنون على كل حال في الليل والنهار واختلف
العلما في هذا الامر فقيل للندب وقيل للوجوب وهو الاظهر قوله والذين لم يبلغوا الحلم
منكم اي من الاحرار وليس المراد الاطفال الذين لم يظهروا على عورات النسا بل الذين عرفوا
امر النسا ولكن لم يبلغوا واتفق الفقها على ان الاحتلام بلوغ واختلفوا في بلوغ خمس عشرة
سنة اذا لم يوجد احتلام قال ابو حنيفة لا يكون بالغا حتى يبلغ ثماني عشرة سنة ويستكملها
الغلام والجارية يستكمل سبع عشرة سنة وقال الشافعي وابو يوسف ومحمد في الغلام والجارية
خمس عشرة سنة اذا لم يحتلم لما روي ابن عمر انه عرض على النبي يوم احد وهو ابن اربع عشرة سنة
فلم يجزه وعرض عليه يوم الخندق وله خمس عشرة سنة فاجازه قال ابو بكر الرازي هذا الخبر
مضطرب لان احدا كان في سنة ثلاث والخندق في سنة خمس فكيف يكون بينهما سنة ثم مع ذلك
فان الاجازة في القتال لا تعلق لها بالبلوغ فقد لا يوذن للبالغ لضعفه ويوذن لغير البالغ
لقوته ولطاقته لحمل السلاح ولذلك لم يساله النبي عليه السلام عن الاحتلام والسن واختلفوا
في الانبات هل يكون بلوغا فاصحاب الراي لم يجعلوه بلوغا لقوله عليه السلام وعن الصبي حتى يحتلم
وقال الشافعي هو بلوغ لان النبي عليه السلام امر بقتل من انبت من بني قريظة قال الرازي
الانبات يدل على القوة البدنية فالامر بالقتل لذلك لا للبلوغ

فصل

قال ابو بكر
الرازي دلت هذه الاية على ان من لم يبلغ وقد عقل يومر بفعل الشرايع وينهى عن ارتكاب القبايح
فان الله تعالى امرهم بالاستيذان في هذه الاوقات وقال عليه السلام مروهم ابنا سبع واضربوهم
وهم ابنا عشر وقال ابن عمر يعلم الصبي الصلاة اذا عرف يمينه من شماله وقال ابن مسعود اذا بلغ
الصبي عشر سنين كتبت له حسناته ولا يكتب عليه سيئاته حتى يحتلم واعلم انه انما يومر بذلك
تمرينا ليعتاده ويسهل عليه بعد البلوغ

فصل

قال الاخفش الحلم من حلم الرجل
بفتح اللام ومن الحلم حلم بضم اللام يحلم بكسر اللام قوله ثلاث مرات فيه وجهان احدهما انه
منصوب على الظرف الزماني اي ثلاثة اوقات ثم فسر تلك الاوقات بقوله من قبل صلاة
الفجر وحين تضعون ومن بعد صلاة العشا والثاني انه منصوب على المصدرية اي ثلاثة
استيذانات لانك اذا قلت ضربت ثلاث مرات لا يفهم منه الا ثلاث ضربات ويؤيده قوله
عليه السلام الاستيذان ثلاث قال شهاب الدين مسلم ان الظاهر كذا ولكن الظاهر هنا
متروك للقرينة المذكورة وهي التفسير بثلاثة الاوقات المذكورة وقرا الحسن وابو عمرو في
رواية الحلم بسكون العين وهي تميمية قوله من قبل صلاة فيه ثلاثة اوجه احدها انه
بدل من قوله ثلاث فيكون في محل نصب الثاني انه بدل من عورات فيكون في محل جر الثالث
انه خبر مبتدا مضمر اي هي من قبل اي تلك المرات فيكون في محل رفع وقوله وحين تضعون
عطف على محل من قبل صلاة الفجر قوله من الظهيرة فيه ثلاثة اوجه احدها ان من
لبيان الجنس اي حين ذلك الذي هو الظهيرة وقوله ومن الحر الثاني انها بمعنى في اي تضعونها
في الظهيرة الثالث انها بمعنى اللام اي من اجل حر الظهيرة وقوله ومن بعد صلاة العشا عطفه
على ما قبله والظهيرة شدة الحر وهو انتصاف النهار قوله ثلاث عورات بحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه وكذا قدره الحوفي والزمخشري وابو البقا ويحتمل انه جعل نفس ثلاث
المرات نفس ثلاث العورات مبالغة فلا يحتاج الى حذف مضاف وعلى هذا الوجه اعني وجه

البدل لا يجوز الوقف على ما قبل ثلاث عورات لانه بدل منه وتابع له ولا يوقف على المتبوع دون تابعه
الثاني ان ثلاث عورات بدل من الاوقات المذكورة قاله ابو البقا يعني قوله من قبل صلاة الفجر
وما عطف عليه ويكون بدلا على المحل فلذلك نصب الثالث ان ينتصب باضمار فعل فقدره ابو البقا
اعني واحسن من هذا التقدير اتقوا او احذروا ثلاث واما الثانية فثلاث خبر مبتدا محذوف تقديره
هن ثلاث عورات فحذف المبتدا والمضاف قال شهاب الدين وقد لا يحتاج اليه على جعل العورات
نفس الاوقات مبالغة وهو المفهوم من كلام الزمخشري وان كان قد قدر مضافا كما تقدم عنه قال
الزمخشري وسمي كل واحد من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل تسترهم فيها وتحفظهم فيها
والعورة الخلل ومنه اعور الفارس واعور المكان والاعور المختل العين فهذا منه يوذن بعدم
تقدير اوقات مضاف لعورات بخلاف كلامه اولا فيوخذ من مجموع كلاميه وجهان وعلى
قراءة الرفع وعلى الوجهين قبلها في تخريج قراءة النصب يوقف على ما قبل ثلاث عورات لانها
ليست تابعة لما قبلها وقرا الاعمش عورات بفتح الواو وهي لغة هذيل وبني تميم يفتحون
عين فعلات واوا وياء وانشد اخو بيضات رايح متاوب رفيق بمسح المنكبين سبوح

فصل المعنى يستاذنوا في ثلاثة اوقات من قبل صلاة الفجر ووقت القيلولة
ومن بعد صلاة العشا وخص هذه الاوقات لانها ساعات الخلوة ووضع الثياب فربما يبدو
من الانسان ما لا يحب ان يراه احد من العبيد والصبيان فامرهم بالاستيذان في هذه الاوقات
فاما غيرهم فيستاذنون في جميع الاوقات وسميت هذه الاوقات عورات لان الانسان يضع فيها
ثيابه فتبدو عورته

فصل قال بعضهم ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا
تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها يدل على ان الاستيذان واجب في كل
حال نسخ بهذه الاية في غير هذه الاحوال الثلاثة قال ابن عباس لم يكن للقوم ستور
ولا حجاب وكان الخدم والولايد يدخلون فربما يرون منهم ما لا يحبون فامروا بالاستيذان وقد
بسط الله الرزق واتخذ الناس الستور فراى ان ذلك اغنى عن الاستيذان وقال اخرون
الاية الاولى اريد بها المكلف لانه خطاب لمن امن والمراد بهذه الاية غير المكلف لا يدخل في بعض
الاحوال الا باذن وفي بعضها بغير اذن ولا منافي للفسخ فان قيل فقوله الذين ملكت ايمانكم
يدخل فيه من بلغ فالنسخ لازم فالجواب ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا
غير بيوتكم حتى تستانسوا لا يدخل تحته العبيد والاماء فلا يجب النسخ قال ابو عبيد لم يصر
احد من العلما الى ان الامر بالاستيذان منسوخ وروى عطا عن ابن عباس انه قال ثلاث
ايات من كتاب الله تركهن الناس ولا ارى احدا يعمل بهن قال عطا حفظت اثنتين ونسيت
واحدة قرا هذه الاية وقوله يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وذكر سعيد بن جبير ان الاية
الثالثة قوله واذا حضر القسمة اولوا القربى الاية وسيل الشعبي عن قوله ليستاذنكم الذين
ملكت ايمانكم منسوخة هي قال لا والله قيل له ان الناس لا يعملون بها قال الله المستعان وقال
سعيد بن جبير في هذه الاية ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به
الناس قوله ليس عليكم هذه الجملة يجوز ان يكون لها محل من الاعراب وهو الرفع نعتا
لثلاث عورات في قراءة من رفعها كانه قيل هن ثلاث عورات مخصوصة بعدم الاستيذان وان
لا يكون لها محل بل هي كلام مقرر للامر بالاستيذان في تلك الاحوال خاصة وذلك في قراءة
من نصب ثلاث عورات قوله بعدهن قال ابو البقا التقدير بعد استيذانهم فيهن ثم حذف
حرف الجر والفاعل فبقي بعد استيذانهم ثم حذف المصدر يعني بالفاعل الضمير المضاف اليه
الاستيذان فانه فاعل معنوي بالمصدر وهذا غير ظاهر بل الذي يظهر ان المعنى ليس عليكم
جناح ولا عليهم اي العبيد والاماء والصبيان جناح في عدم الاستيذان بعد هذه الاوقات
المذكورة ولا حاجة الى التقدير الذي ذكره قوله طوافون خبر مبتدا مضمر تقديره هم طوافون
وعليكم متعلق به قوله بعضكم على بعض في بعضكم ثلاثة اوجه احدها انه مبتدا وعلى بعض
الخبر فقدره ابو البقا يطوف على بعض وتكون هذه الجملة بدلا مما قبلها ويجوز ان تكون موكدة
مبينة يعني انها افادت افادة الجملة التي قبلها فكانت بدلا او موكدة ورد ابو حيان هذا بانه
كون مخصوص فلا يجوز حذفه والجواب عنه ان الممتنع الحذف اذا لم يدل عليه دليل وقصد اقامة

الجار والمجرور مقامه وهنا عليه دليل ولم يقصد اقامة الجار مقامه ولذلك قال الزمخشري خبره على
بعض على معنى طايف على بعض وحذف لدلالة طوافون عليه الثاني ان يرتفع بدلا من طوافون قاله
ابن عطية قال ابو حيان ولا يصح ان قدر الضمير ضمير غيبة لتقدير المبتدا لانه يصير التقدير هم يطوف
بعضكم على بعض وهو لا يصح فان جعلت التقدير انتم يطوف بعضكم على بعض فيه بعد انه قوله عليكم
يدل على انهم هم المطوف عليهم وانتم طوافون يدل على انهم طايفون فتعارضا قال شهاب الدين يختار
ان التقدير انتم ولا يلزم محذور وقوله فيه بعد الى اخره لا تعارض فيه لان المعنى كل منكم ومن عبيدكم
طايف على صاحبه وان كان طواف احد النوعين غير طواف الاخر لان المراد الظهور على احوال الشخص
ويكون بعضكم بدلا من طوافون وعلى بعض بدلا من عليكم باعادة العامل فابدلت مرفوعا من
مرفوع ومجرورا من مجرور ونظيره قوله

فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه • ببعض ابت عيدانه ان تكسرا

فبعضه بدل من النبع المنصوب وببعض بدل من المجرور بالبا الثالث انه مرفوع بفعل مقدر اي
يطوف بعضكم على بعض حذف لدلالة طوافون عليه قاله الزمخشري وقرا ابن ابي عبلة طوافين
بالنصب على الحال من ضمير عليهم

فصل المعنى ليس عليكم ولا عليهم يعني العبيد والاماء
والصبيان جناح في الدخول عليكم بغير استيذان بعدهن اي بعد هذه الاوقات الثلاثة طوافون
عليكم اي العبيد والخدم يطوفون عليكم يترددون ويدخلون ويخرجون في اشغالهم بغير اذن
بعضكم على بعض فان قيل هل يقتضي ذلك اباحة كشف العورة لهم فالجواب لا لانه انما اباح تعالى ذلك
من حيث كانت العادة لا يكشف العورة في غير تلك الاوقات فمتى كشفت عورته فعلى من دخول الخدم فذلك
محرم عليها فان كان الخادم مكلفا حرم عليه الدخول اذا ظن هناك كشف عورة فان قيل اليس في الناس
من جوز للبالغ من المماليك ان ينظر الى شعر مولاته فالجواب من جوز ذلك فالشعر عنده ليس بعورة
في حق المالك كما هو في حق الرحم اذ العورة تنقسم اقساما وتختلف بالاضافات

فصل هذه الاية
مقصورة على الخدم دون غيرهم وقوله ليس عليكم جناح هذا الحكم مختص بالصغار دون البالغين لقوله
بعد ذلك واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم قوله واذا بلغ الاطفال
منكم الحلم اي الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا فليستاذنوا اي يستاذنون في جميع الاوقات في الدخول
عليكم كما استاذن الذين من قبلهم من الاحرار الكبار وقيل يعني الذين كانوا مع ابراهيم وموسى وعيسى
عليهم السلام كذلك يبين الله لكم اياته دلالاته وقيل احكامه والله عليم بامور خلقه حكيم بما دبر لهم
قال سعيد بن المسيب يستاذن الرجل على امه فانما انزلت هذه الاية في ذلك وسيل حذيفة ايستاذن
الرجل على والدته قال نعم فان لم تفعل رايت منها ما تكره قوله والقواعد من النسا القواعد جمع قاعد
من غير تا تانيث ومعناه القواعد من النكاح او عن الحيض او عن الاستمتاع او عن الحبل او عن الجميع ولولا
تخصيصهن بذلك لوجبت التا نحو ضاربة وقاعدة من القعود المعروف وقوله من النسا وما بعده بيان
لهن والقواعد مبتدا ومن النسا حال واللاتي صفة للقواعد لا للنسا وقوله فليس عليهن الجملة خبر المبتدا
وانما دخلت الفا لان المبتدا موصوف بموصول لو كان ذلك الموصول مبتدا لجاز دخولها في خبره ولذلك
منعت ان تكون اللاتي صفة للنسا اذ لا يبقى مسوغ لدخول الفا في خبر المبتدا وقال ابو البقا ودخلت
الفا في المبتدا لما في المبتدا من معنى الشرط لان الالف واللام بمعنى الذي وهذا مذهب الاخفش وتقدم تحقيقه في
المايدة ولكن هنا ما يغني عن ذلك وهو وصف المبتدا بالموصول المذكور وغير متبرجات حال من عليهن
والتبرج وهو البنا الظاهر والتبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شي والتبرج
اظهار ما يجب اخفاوه بان تكشف المراة للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها وبزينة متعلق به قوله
وان يستعففن مبتدا بتاويل استعفافهن وخير خبره

فصل قال المفسرون القواعد هن
اللواتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر ولا يطمع لهن في الازواج ان لا يعتبر قعودهن عن الحيض لان
ذلك ينقطع والرغبة فيهن باقية والمراد قعودهن عن الازواج ولا يكون ذلك الا عند بلوغهن الى حيث
لا يرغب فيهن الرجال لكبرهن قال ابن قتيبة سميت المراة قاعدا اذا كبرت لانها تكثر القعود وقال
ربيعة هن العجز اللواتي اذا راهن الرجل استقذرهن فاما من كانت فيها بقية من جمال وهي محل الشهوة
فلا تدخل في هذه الاية فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن عند الرجال يعني يضعن بعض ثيابهن
وهي الجلباب والردا الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار فاما الخمار فلا يجوز وضعه لما فيه من

كشف العورة وقرا عبد الله بن مسعود وابي بن كعب ان يضعن من ثيابهن وروي عن ابن عباس انه
قرا ان يضعن جلابيبهن وعن السدي عن شيوخه ان يضعن خمرهن عن رؤسهن وانما خصهن الله
بذلك لان التهم مرتفعة عنهن وقد بلغن هذا المبلغ فلو غلب على ظنهن خلاف ذلك لم يحل لهن وضع
الثياب ولذلك قال وان يستعففن خير لهن وانما جعل ذلك افضل لانه ابعد عن الظنة فعند الظنة
يلزمهن ان لا يضعن ذلك كما يلزم الشابة والله سميع عليم **قوله** تعالى ليس على الاعمى حرج
الاية قال ابن عباس لما انزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
تحرج المسلمون عن مواكلة المرضى والزمنى والعمى والعرج وقالوا الطعام افضل الاموال وقد
نهانا الله عز وجل عن اكل المال بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن
من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفي الطعام
فانزل الله هذه الاية وعلى هذا التاويل يكون على بمعنى في اي ليس في الاعمى يعني ليس عليكم
في مواكلة الاعمى والاعرج والمريض حرج وقال سعيد بن جبير والضحاك وغيرهما كان العرجان
والعميان والمرضى يتنزهون عن مواكلة الاصحاء لان الناس يتقذرون منهم ويكرهون مواكلتهم
ويقول الاعمى ربما اكل اكثر ويقول الاعرج ربما اخذ مكان اثنين فنزلت هذه الاية وقال مجاهد
نزلت هذه الاية ترخيصا لهؤلاء في الاكل من بيوت من سمى الله في هذه الاية لان هؤلاء كانوا يدخلون
على الرجل لطلب الطعام فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت ابائهم وامهاتهم او بعض
من سمى الله عز وجل في هذه الاية فكان اهل الزمانة يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا
الى بيت غيره فانزل الله هذه الاية وقال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا غزوا خلفوا زمناهم
ويدفعون اليهم مفاتيح ابوابهم ويقولون قد احللنا لكم ان تاكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون
من ذلك ويقولون لا ندخلها وهم غيب فانزل الله هذه الاية رخصة لهم وقال الحسن نزلت
الاية رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد وقال تم الكلام عند قوله ولا على المريض حرج وقوله
تعالى ولا على انفسكم كلام منقطع عما قبله وقيل لما نزل قوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
قالوا لا يحل لاحد منا ان ياكل عند احد فانزل الله عز وجل ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم
اي لا حرج عليكم ان تاكلوا من بيوتكم فان قيل اي فائدة في اباحة اكل الانسان طعامه في بيته
فالجواب قيل اراد من اموال عيالكم وازواجكم وبيت المراة كبيت الزوج وقال ابن قتيبة اراد
من بيوت اولادكم نسب بيوت الاولاد الى الاباء كقوله عليه السلام انت ومالك لابيك **فصل**
دلت هذه الاية بظاهرها على اباحة الاكل في هذه المواضع بغير استيذان وهو منقول عن قتادة
وانكر الجمهور ثم اختلفوا فقيل كان ذلك في صدر الاسلام فنسخ بقوله عليه السلام لا يحل مال امرء
مسلم الا عن طيب نفس منه ويدل على هذا النسخ قوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن
لكم الى طعام غير ناظرين اناه وكان في ازواج الرسول من لهن الاباء والاخوات فعمم بالنهي عن دخول
بيوتهن الا باذن في الاكل فان قيل انما اذن الله تعالى في هذه الاية لان المسلمين لم يكونوا يمنعون
قراباتهم هؤلاء من ان ياكلوا في بيوتهم حضروا او غابوا فجاز ان يرخص في ذلك فالجواب لو كان
الامر كذلك لم يكن لتخصيص هؤلاء الاقارب بالذكر معنى لان غيرهم لهم في ذلك وقال ابو مسلم
المراد من هؤلاء الاقارب اذا لم يكونوا مومنين لانه تعالى نهى من قبل هذا عن مخالطتهم بقوله لا تجد
قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ثم انه تعالى اباح في هذه
الاية ما حظر هناك قال ويدل عليه ان في هذه السورة امر ان يسلموا على انفسهم فالمقصود
من هذه الاية اثبات الاباحة في الجملة لا اثبات الاباحة في جميع الاوقات وقيل لما علم بالعادة
ان هؤلاء القوم تطيب نفوسهم باكل من يدخل عليهم والعادة كالاذن فيجوز ان يقال خصهم الله
بالذكر لان هذه العادة في الاصل توجد منهم ولذلك ضم اليها الصديق ولما علمنا ان هذه
الاباحة انما حصلت لاجل حصول الرضا فيها فلا حاجة الى النسخ **قوله** او بيوت ابائكم او
بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت
اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه قال ابن عباس عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه
في ضيعته وماشيته لا باس عليه ان ياكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا
يدخر وملك المفتاح كونه في يده وحفظه قال المفضل المفاتح واحدها مفتح بفتح الميم وواحد

المفاتيح مفتح بالكسر وقال الضحاك يعني من بيوت عبيدكم ومماليككم لان السيد يملك منزل عبده
والمفاتيح الخزائن لقوله وعنده مفاتح الغيب ويجوز ان يكون الذي يفتح به وقال عكرمة اذا ملك
الرجل المفتاح فهو خازن فلا باس ان يطعم الشيء اليسير وقال السدي الرجل يولي طعامه غيره
يقوم عليه فلا باس ان ياكل منه وقيل او ما ملكتم مفاتحه ما خزنتموه عندكم قال مجاهد وقتادة
من بيوت انفسكم مما اخترتم وملكتم وما ملكتم مفاتحه العامة على فتح الميم واللام مخففة وابن
جبير بضم الميم وكسر اللام مشددة اي ملككم غيركم والعامة على مفاتحه دون ياء جمع بفتح وابن جبير
بضم الميم وكسر مفاتيحه بالياء بعد التاء جمع مفتاح وجوز ابو البقاء ان يكون جمع مفتح بالكسر وهو
الالة وان يكون جمع مفتح بالفتح وهو المصدر بمعنى الفتح والاول اقيس وقرا ابو عمرو في رواية
هرون عنه مفتاحه بالافراد وهي قراءة قتادة قوله او صديقكم العامة على فتح الصاد وحميد
الخزاز روي كسرها اتباعا لكسرة الدال والصديق يقع للواحد والجمع كالخليط والقطين وشبههما
فصل الصديق الذي صدقك في المودة قال ابن عباس نزلت في الحرث بن عمرو خرج
غازيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على اهله فلما رجع وجده مجهودا
فساله عن حاله فقال تحرجت عن اكل طعامك بغير اذنك فانزل الله هذه الاية وكان الحسن
وقتادة يريان دخول الرجل بيت صديقه والتحرم بطعامه من غير استيذان منه في الاكل
بهذه الاية والمعنى ليس عليكم جناح ان تاكلوا من منازل هؤلاء اذا دخلتموها وان لم يحضروا من
غير ان تتزودوا وتحملوا يحكى ان الحسن دخل داره واذا حلقة من اصدقائه وقد اخرجوا سلالا من
تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة مكبون عليها ياكلون فتهلك اسارير وجهه سرورا
وضحك وقال هكذا وجدناهم الصحابة وعن ابن عباس الصديق اكبر من الوالدين لان اهل جهنم
لما استغاثوا لم يستغيثوا بالاباء والامهات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وحكي ان اخا
الربيع بن خثيم دخل منزله في حال غيبته فانبسط الى جاريته حين قدمت اليه ما اكل فلما قدم
اخبرته بذلك فانبسط لذلك وقال ان صدقت فانت حرة **فصل** احتج ابو حنيفة
بهذه الاية على ان من سرق من ذي رحم محرم انه لا يقطع لان الله تعالى اباح لكم الاكل من
بيوتهم ودخولها بغير اذنهم فلا يكون ماله محرزا منهم فان قيل فيلزم ان لا يقطع اذا سرق من
مال صديقه فالجواب من اراد سرقة ماله لا يكون صديقا له قوله ليس عليكم جناح ان
تاكلوا جميعا او اشتاتا قال الاكثرون نزلت في بني ليث بن عمرو وحي من كنانة كان الرجل منهم
لا ياكل وحده يمكث يومه حتى يجد ضيفا ياكل معه فان لم يجد من يواكله لم ياكل شيئا وربما
قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من
البانها حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل هذا قول قتادة والضحاك وابن جريج
وقال عطا الخراساني عن ابن عباس كان الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه
الى طعامه فيقول والله اني لا جنح اي اتحرج ان اكل معك وانا غني وانت فقير فنزلت هذه الاية
وقال عكرمة وابو صالح نزلت في قوم من الانصار كانوا لا ياكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم
فرخص لهم في ان ياكلوا كيف شاوا جميعا مجتمعين او اشتاتا متفرقين وقال الكلبي كانوا اذا اجتمعوا
لياكلوا طعاما عزلوا للاعمى طعاما على حدة وكذلك للزمن والمريض فبين الله لهم ان ذلك غير
واجب قوله جميعا حال من فاعل تاكلوا واشتاتا عطف عليه وهو جمع شت وشتى جمع شتيت
وشتان تثنية شت قال المفضل وقيل الشت مصدر بمعنى التفرق ثم يوصف ويجمع قوله فاذا
دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اي ليسلم بعضكم على بعض جعل انفس المسلمين كالنفس الواحدة كقوله
تعالى ولا تقتلوا انفسكم قال ابن عباس فان لم يكن احد فعلى نفسه ليقل السلام علينا من قبل ربنا
قال جابر وطاووس والزهري وقتادة والضحاك وعمرو بن دينار اذا دخل الرجل بيت نفسه ليسلم
على اهله ومن في بيته قال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على اهلك فهم احق من سلمت عليهم واذا
دخلت بيتا لا احد فيه فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا ان الملائكة ترد عليه وعن
ابن عباس في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين قال القفال وان كان في البيت اهل الذمة فليقل السلام على من اتبع
الهدى قوله تحية منصوب على المصدر من معنى فسلموا فهو من باب قعدت جلوسا كانه قال

تحيوا تحية ونقدم وزن التحية ومن عند الله يجوزان يتعلق بمحذوف صفة لتحية وان يتعلق
بنفس تحية اي التحية صادرة من جهة الله ومن لابتداء الغاية مجازا الا انه يعكر على الوصف
تاخر الصفة الصريحة عن المؤولة وتقدم ما فيه **فصل** تحية من عند الله اي بما امركم
الله به قال ابن عباس من قال السلام عليكم معناه اسم الله عليكم مباركة طيبة قال ابن
عباس من قال السلام عليكم حسنة جميلة وقال الضحاك معنى البركة فيه تضعيف الثواب
كذلك يبين الله لكم الايات اي يفصل الله شرايعه لعلكم تعقلون عن الله امره ونهيه قال
انس وقعت على راس النبي صلى الله عليه وسلم اصب الماء على يديه فرفع راسه وقال الا اعلمك
ثلاث خصال تنتفع قلت بابي انت وامي يا رسول الله بلى قال من لقيت من امتي فسلم عليهم
يطل عمرك واذا دخلت بيتا فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الاوابين
قوله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه اي مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم على امر جامع يجمعهم من حرب حضرت او صلاة جمعة او عيد او جماعة او تشاور في امر نزل
فقوله امر جامع من الاسناد المجازي لانه لما كان سببا في جمعهم نسب الفعل اليه مجازا وقرا اليماني
على امر جميع فيحتمل ان يكون صيغة مبالغة بمعنى مجمع وان لا يكون والجملة الشرطية من قوله
وجوابها عطف على الصلة من قوله امنوا والامر الجامع هو الذي يعم ضرره او نفعه والمراد به
الخطب الجليل الذي لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ارباب التجارب والاراء ليستعين
بتجاربهم فمفارقة احدهم في هذه الحالة مما يشق على قلبه **فصل** قال الكلبي كان النبي
صلى الله عليه وسلم يعرض في خطبته بالمنافقين ويعيبهم فينظر المنافقون يمينا وشمالا فاذا لم
يرهم احد تسللوا وخرجوا ولم يصلوا وان ابصرهم احد ثبتوا وصلوا خوفا فنزلت هذه الاية فكان
المومنون بعد نزول هذه الاية لا يخرج لحاجته حتى يستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان المنافقون يخرجون بغير اذن **فصل** قال العلما كل امر اجتمع عليه المسلمون
مع الامام لا يخالفونه ولا يعنه من المقام بان يكونوا في المسجد فتحيض منهم امراة او يجنب رجل او
يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستيذان **فصل** قال الجبائي دلت الاية على ان
استيذانهم الرسول من ايمانهم ولولا ذلك لجاز ان يكونوا كاملي الايمان والجواب هذا بنا على ان
كلمة انما للحصر وايضا فالمنافقون انما تركوا الاستيذان استخفافا وذلك كفر قوله ان الذين
يستاذنوك تعظيما لك ورعاية للادب اولئك الذين يومنون بالله ورسوله اي يعملون بموجب
الايمان ومقتضاه قال الضحاك ومقاتل المراد عمر بن الخطاب وذلك انه استاذن في غزوة
تبوك في الرجوع الى اهله فاذن له وقال انطلق فوالله ما انت بمنافق يريد ان يسمع المنافقين
ذلك الكلام فلما سمعوا ذلك قالوا ما بال محمد اذا استاذنه اصحابه اذن لهم واذا استاذناه
ابى فوالله ما نراه يعدل قال ابن عباس ان عمر استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في
العمرة فاذن له ثم قال يا ابا حفص لا تنسنا في صالح دعائك قوله لبعض شانهم تعليل اي
لاجل بعض حاجتهم واظهر العامة الضاد عند الشين وادغمها ابو عمرو فيها لما بينهما من التقارب
لان الضاد من اقصى حافة اللسان والشين من وسطه وقد استضعف جماعة من النحويين هذه
الرواية واستبعدوها عن ابي عمرو راس الصناعة من حيث ان الضاد اقوى من الشين ولا يدغم
الاقوى في الاضعف واساء الزمخشري على راويها السوسي وقد اجاب الناس عنه فقليل وجه
الادغام ان الشين اشد استطالة من الضاد وفيها تفش ليس في الضاد فقد صارت الضاد انقص
منها وادغام الانقص في الازيد جايز قال ويويد هذا ان سيبويه حكى عن بعض العرب
اضطجع في اضطجع واذا جاز ادغامها في الطا فادغامها في الشين اولى والخصم لا يسلم جميع
ما ذكر ومستند المنع واضح قوله تعالى فاذا استاذنوك لبعض شانهم امرهم فاذن لمن
شئت منهم بالانصراف اي ان شئت فاذن وان شئت فلا تاذن واستغفر لهم الله وهذا
تنبيه على ان الاولى ان لا يستاذنوا وان اذن لان الاستغفار يكون عن ذنب ويحتمل ان
يكون امره بالاستغفار لهم مقابلة على تمسكهم باذن الله تعالى في الاستيذان **فصل**
قال مجاهد قوله فاذن لمن شئت منهم نسخت هذه الاية وقال قتادة نسخت هذه الاية
بقوله لم اذنت لهم في الاية تدل على انه تعالى فوض الى رسوله بعض امر الدين ليجتهد فيه

رايه قوله لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال سعيد بن جبير وجماعة
كثيرة معناه لا تنادونه باسمه فتقولون يا محمد ولا بكنيته فتقولون يا ابا القاسم بل نادوه
وخاطبوه بالتوقير يا رسول الله يا نبي الله وعلى هذا يكون المصدر مضافا لمفعوله وقال المبرد
والقفال لا تجعلوا دعاه اياكم كدعاء بعضكم لبعض فتتباطؤن كما يتباطا بعضكم عن بعض اذا دعاه
لامر بل يجب عليكم المبادرة لامره ويويده قوله فليحذر الذين يخالفون عن امره وعلى هذا
يكون المصدر مضافا للفاعل وقال ابن عباس احذروا دعا الرسول عليكم اذا اسخطتموه
فان دعاه موجب ليس كدعا غيره وروي عنه ايضا لا ترفعوا اصواتكم في دعايه وهو المراد
من قوله ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله وقول المبرد اقرب الى نظم الاية وقراه
الحسن نبيكم بتقديم النون على البا المكسورة بعدها مشددة مخفوضة بنبيكم الطرف في قراة
العامة وفيها ثلاثة اوجه احدها انه بدل من الرسول الثاني انه عطف بيان له لان النبي
باضافته الى المخاطبين صار اشهر من الرسول الثالث انه نعت لا يقال انه لا يجوز لان هذا كما
قررتم اعرف والنعت لا يكون اعرف من المنعوت بل اما اقل او مساوي لان الرسول صار علما
بالغلبة على محمد صلى الله عليه وسلم فقد تساويا تعريفا قوله قد يعلم الله قد تدل على التقليل
مع المضارع الا في افعال الله فيدل على التحقيق كهذه الاية وقد ردها بعضهم الى التقليل لكن الى
متعلق العلم يعني ان الفاعلين لذلك قليل فالتقليل ليس في العلم بل في متعلقه قوله لواذا
فيه وجهان احدهما انه منصوب على المصدر من معنى الفعل الاول اذ التقدير يتسللون منكم تسللا
او يلاوذون لواذا والثاني انه مصدر في موضع الحال اي ملاوذين واللواذ مصدر لاوذ وانما
صحت الواو وان انكسر ما قبلها ولم يقلب يا كما قلبت في قيام وصيام لانها صحت في الفعل نحو لاوذ
فلو اعلت في الفعل اعلت في المصدر نحو القيام والصيام لقلبها الفا في قام وصام واما مصدر
لاذ بكذا يلوذ به فمعتل نحو لاذ لياذا مثل صام صياما وقام قياما واللواذ والملاوذة التستر
يقال لاوذ فلان بكذا اذا استتر به واللوذ ما يطيف بالجبل وقيل اللواذ الروغان من شي الى
شي في خفية ووجه المفاعلة ان كلا منهم يلوذ بصاحبه فالمشاركة موجودة وقرا زيد بن قطب
لواذا بفتح اللام وهي محتملة لوجهين احدهما ان يكون مصدر لاذ ثلاثيا فيكون مثل طاف
طوافا والثاني ان يكون مصدر لاوذ الا انه فتحت الفا اتباعا لفتحة العين وهو تعليل
ضعيف يصلح لمثل هذه القراة **فصل** المعنى قال المفسرون ان المنافقين كانوا
يخرجون متسترين بالناس من غير استيذان حتى لا يروا قال ابن عباس كان المنافقين يثقل
عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض
اصحابه فيخرجون من المسجد في استتار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفين وقيل
يعرضون عن الله وعن كتابه وعن ذكره وعن نبيه قوله فليحذر الذين فيه وجهان اشهرهما
وهو الذي لا يعرف النحاة غيره ان الموصول هو الفاعل وان تصيبهم مفعوله اي فليحذر المخالفون
عن امره اصابتهم فتنة والثاني ان فاعل فليحذر ضمير مستتر والموصول مفعول به ورد هذا
بوجوه منها ان الاضمار خلاف الاصل وفيه نظر لان هذا الاضمار في قوة المنطوق به فلا يقال
هو خلاف الاصل الا ترى ان نحو قم وليقم فاعله مضمر ولا يقال في شي منه هو خلاف الاصل
وانما الاضمار خلاف الاصل فيما كان حذفا نحو واسئل القرية ومنها ان هذا الضمير لا مرجع له
اي ليس له شي يعود عليه فبطل ان يكون الفاعل ضميرا مستترا واجيب بان الذي يعود
عليه الضمير هو الموصول الاول اي فليحذر المتسللون المخالفين عن امره فيكونون قد امروا
بالحذر منهم اي امروا باجتنابهم كما يومر باجتناب الفساق ورد وا هذا بوجهين احدهما ان الضمير
مفرد يعود على جمع ففاتت المطابقة التي هي شرط في تفسير الضماير الثاني ان المتسللين هم
المخالفون فلو امروا بالحذر عن الذين يخالفون لكانوا قد امروا بالحذر عن انفسهم وهو لا يجوز
لانه لا يمكن ان يومروا بالحذر عن انفسهم ويمكن ان يجاب عن الاول بان الضمير وان كان مفردا
فانما عاد على جمع باعتبار ان المعنى فليحذر هو اي من ذكر مثل ذلك وحكى سيبويه ضربني
وضربت قومك اي ضربني من ثم ومن ذكر وهي مسالة معروفة في النحو ويكون التقدير فليحذر
كل واحد من المتسللين وعن الثاني بانه يجوز ان يومر الانسان بالحذر عن نفسه مجازا يعني انه

لا يطاوعها على سهو ابها وما يسول له من السوء كانه قيل فليحذر المخالفون انفسهم فلا يطيعوها فيما تامرهم به ولهذا يقال امر نفسه ونهاها وامرته نفسه باعتبار المجاز ومنها انه يصير قوله ان يصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم مفعولا صريحا اي يحذر بتعدي لواحد وقد اخذه على زعمكم وهو الذي يخالفون ولا يتعدى الى اثنين حتى يقولوا ان تصيبهم فتنة في محل مفعوله الثاني فيبقى ضايعا وفيه نظر لانه لا يسلم ضياعه لانه مفعول من اجله واعترض على هذا بانه لم يستكمل شروط النصب لاختلاف الفاعل لان فاعل الحذر غير فاعل الاصابة وهو ضعيف لان حذف حرف الجر يطرد مع ان وان فيقول مسلم شروط النصب غير موجودة وهو مجرور باللام تقديرا وانما حذفت اللام مع ان لطولها بالصلة ويخالفون يتعدى بنفسه نحو خالفت امر زيد وبالى نحو خالفت الى كذا فكيف تعدى هذا بحرف المجاورة وفيه اوجه احدها انه ضمن معنى صدوا واعترض اي صد عن امره واعرض عنه مخالفا له والثاني قال ابن عطية معناه يقع خلافهم بعد امره كما يقول كان المطر عن ريح كذا وعن لما عدا الشيء الثالث انها مزيدة اي يخالفون امره واليه نحا الاخفش وابو عبيدة والزيادة خلاف الاصل وقرئ يخلفون بالتشديد ومفعوله محذوف اي يخلفون انفسهم **فصل** المعنى فليحذر الذين يخالفون اي يعرضون عن امره او يخالفون امره وينصرفون عنه بغير اذنه ان يصيبهم فتنة اي لئلا يصيبهم فتنة قال مجاهد بلاء في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم وجيع في الاخرة والضمير في امره يرجع الى الرسول وقال ابو بكر الرازي الاظهر انه لله تعالى لانه يليه **فصل** الاية تدل على ان الامر للوجوب لان تارك المامور مخالف للامر ومخالف الامر يستحق العقاب ولا معنى للوجوب الا ذلك قوله تعالى الا ان لله ما في السموات والارض اي ملكا وعبيدا وهذا تنبيه على كمال قدرته تعالى عليهما وعلى ما بينهما وفيهما قوله قد يعلم ما انتم عليه قال الزمخشري ادخل قد ليولد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ويرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله

فان تمس مهجور الفناء فربما ۞ اقام به بعد الوفود وفود

ونحو من ذلك قول زهير

اخي ثقة لا يهلك الخمر ماله ۞ ولكنه قد يهلك المال نائله

قال ابو حيان وكون قد اذا دخلت على المضارع افادت التكثير وقول بعض النحاة وليس بصحيح وانما التكثير مفهوم من السياق والصحيح ان رب لتقليل الشيء او لتقليل نظيره وان فهم تكثير فمن السياق لا منها قوله ويوم يرجعون في يوم وجهان احدهما انه مفعول به لا ظرف لعطفه على قوله ما انتم عليه اي يعلم الذي انتم عليه من جميع احوالكم ويعلم يوم يرجعون كقوله ان الله عنده علم الساعة وقوله لا يجليها لوقتها الا هو والثاني انه ظرف لشيء محذوف قال ابن عطية ويجوز ان يكون التقدير والعلم الظاهر لكم او نحو هذا يوم فيكون النصب على الظرف انتهى وقرا العامة يرجعون مبنيا للمفعول وابو عمرو في اخرين مبنيا للفاعل وعلى كلتي القراءتين فيجوز وجهان احدهما ان يكون في الكلام التفات من الخطاب في قوله ما انتم عليه الى الغيبة في قوله يرجعون والثاني ان ما انتم عليه خطاب عام لكل احد والضمير في يرجعون للمنافقين خاصة فلا التفات حينئذ **فصل** المعنى يعلم ما انتم عليه من الايمان والنفاق وقد صلة ويوم يرجعون اليه يعني يوم البعث فينبئهم بما عملوا من الخير والشر والله بكل شيء عليم روي عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل وسورة النور وروى الثعلبي عن ابي امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مومن فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية

وهي سبع وسبعون اية وثمانمائة واثنان وتسعون كلمة وعدد حروفها ثلاثة الاف وسبعمائة وثمانون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده الاية اعلم انه تعالى تكلم في هذه السورة في التوحيد والنبوة واحوال القيامة ثم ختمها بذكر العباد المخلصين المومنين قال الزجاج تبارك تفاعل من البركة والبركة كثرة الخير وزيادته وفيه معنيان احدهما تزايد خيره وتكاثره قال ابن عباس معناه جاء بكل بركة قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والثاني قال الضحاك تعظم الذي نزل الفرقان اي القران على عبده وقيل الكلمة تدل على البقاء وهو ماخوذ من بروك البعير ومن بروك الطير على الماء وسميت البركة بركة لثبوت الماء فيها والمعنى انه سبحانه باق في ذاته ازلا وابدا ممتنع التغير وباق في صفاته ممتنع التبدل فان قيل كلمة الذي موضوعة في اللغة للاشارة الى الشيء عند محاولة تعريفه بقضية معلومة واذا كان كذلك فالقوم ما كانوا عالمين بانه سبحانه الذي نزل الفرقان معجزا فالجواب انه لما ظهر الدليل على كونه من عند الله فلقوة الدليل وظهوره اجراه سبحانه مجرى المعلوم **فصل** وصف القران بالفرقان لانه فرق بين الحق والباطل في نبوة محمد عليه السلام وبين الحلال والحرام او لانه فرق في النزول كقوله وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث وهذا اقرب لانه قال نزل الفرقان على عبده ولفظه نزل يدل على التفريق ولفظه انزل تدل على الجمع ولهذا قال في سورة ال عمران نزل عليك الكتاب بالحق وانزل التوراة والانجيل والمراد بالعبد هاهنا محمد صلى الله عليه وسلم قوله ليكون اللام متعلقة بنزل وفي اسم يكون ثلاثة اوجه احدها انه ضمير يعود على الذي نزل اي ليكون الذي نزل الفرقان نذيرا الثاني انه يعود على الفرقان وهو القران نذيرا اضاف الانذار اليه كما اضاف الهداية اليه في قوله ان هذا القران يهدي وهذا بعيد لان المنذر والنذير من صفات الفاعل للتخويف ووصف القران به مجاز وحمل الكلام على الحقيقة اولى الثالث انه يعود على عبده اي ليكون عبده محمد صلى الله عليه وسلم نذيرا وهذا احسن الوجوه معنى وصناعة لقربه مما يعود عليه والضمير يعود على اقرب مذكور وللعالمين متعلق بنذيرا وانما قدم لاجل الفواصل ودعوى افادة الاختصاص بعيدة لعدم تاتيها هنا ورجح ابو حيان عوده على الذي قال لانه العمدة المسند اليه الفعل وهو من وصفه تعالى كقوله انا كنا منذرين ونذيرا الظاهر فيه انه بمعنى منذر وجوز ان يكون مصدرا بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار ومنه فكيف كان عذابي ونذر فان قيل قوله تبارك يدل على كثرة الخير والبركة فالمذكور عقيبه لا بد وان يكون سببا لكثرة الخير والمنافع والانذار يوجب الغم والخوف فكيف يليق ذكره بهذا الموضع فالجواب ان الانذار يجري مجرى تاديب الوالد لانه كلما كانت المبالغة في تاديب الولد اكثر كان رجوع الخلق الى الله اكثر وكانت السعادة الاخروية اتم واكثر وهذا كالتنبيه على انه لا التفات الى المنافع العاجلة لانه تعالى لما وصف نفسه بانه معطي الخيرات الكثيرة لم يذكر الا منافع الدين ولم يذكر منافع الدنيا البتة قوله الذي له ملك يجوز في الذي الرفع نعتا للذي الاول او بيانا او بدلا او خبر المبتدا محذوف او النصب على المدح وما بعد بدل من تمام الصلة فليس اجنبيا فلا يضر الفصل به بين الموصول الاول والثاني اذا جعلنا الثاني تابعا له **فصل** الذي له ملك السموات والارض اشارة الى احتياج هذه المخلوقات اليه سبحانه حال حدوثها وانه سبحانه هو المتصرف فيها كيف يشاء ولم يتخذ ولدا اي هو الفرد ابدا ولا يصح ان يكون غيره معبودا او وارثا للملك عنه وهذا رد على النصارى ولم يكن له شريك في الملك اي هو المنفرد بالالهية واذا عرف العبد ذلك انقطع رجاؤه عن كل ما سواه ولم يشغل قلبه الا برحمته واحسانه وفيه رد على الثنوية والقايلين بعبادة النجوم والاوثان قوله وخلق كل شيء الخلق هنا عبارة عن الاحداث والتهيئة لما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت قد يجيء قوله فقدره تقديرا معنى اذ لو حملنا خلق كل شيء على معناه الاصلي من التقدير لصار الكلام وقدر كل شيء فقدره **فصل** قوله خلق كل شيء يدل على انه تعالى خالق الاعمال من وجهين الاول ان قوله كل شيء يتناول جميع الاشياء ومن جملتها افعال العباد والثاني انه تعالى نفى الشريك فكانه قال هاهنا اقوام معترفون بنفي الشركاء والانداد ومع ذلك يقولون بخلق افعال انفسهم

تذكر الله تعالى هذه الاية ردا عليهم قال القاضي الاية لا تدل عليه لوجوه احدها انه تعالى صرح
بكون العبد خالقا فقال واذ تخلق من الطين كهيئة الطير وقال فتبارك الله احسن الخالقين
يمدح بانه قدره تقديرا ولا يجوز ان يريد به الا الحسن والحكمة دون غيره فظاهر الاية لا تدل الا
على التقدير لان الخلق عبارة عن التقدير فلا يتناول الا ما يظهر فيه التقدير وهو الاجسام لا الاعراض
فالجواب ان قوله واذ تخلق وقوله احسن الخالقين معارض بقوله الله خالق كل شيء وبقوله
هل من خالق غير الله وقولهم لا يجوز التمدح بخلق الفساد فالجواب لم لا يجوز ان يتمدح به من
حيث نفاد القدرة قوله تعالى واتخذوا يجوز ان يعود الضمير على الكفار الذي تضمنهم لفظ
العالمين وان يعود على من ادعى لله شريكا وولدا لدلالة قوله لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك
وان يعود على المنذرين لدلالة نذيرا عليهم قوله لا يخلقون صفة لالهة وغلب العقلاء على غيرهم
لان الكفار كانوا يعبدون العقلاء كعزير والمسيح والملائكة وغيرهم كالكواكب والاصنام ومعنى
لا يخلقون لا يقدرون على التقدير والخلق يوصف به العباد قال زهير

ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

ويقال خلقت الاديم اي قدرته هذا اذا اريد بالخلق التقدير فان اريد به الايجاد فلا
يوصف به غير الباري تعالى وقد تقدم وقيل بمعنى يختلقون كقوله وتخلقون افكا **فصل**
لما وصف نفسه بصفات الجلال والعزة والعلو ارد فه بتزييف مذهب عبدة الاوثان من
وجوه منها انها ليست خالقة للاشيا والالٰه يجب ان يكون قادرا على الخلق والايجاد ومنها
انها مخلوقة والمخلوق محتاج والالٰه يجب ان يكون غنيا ومنها انها لا تملك لانفسها ضرا ولا
نفعا ومن كان كذلك لا يملك موتا ولا حياة ولا نشورا اي لا يقدر على الاحيا والاماتة الا في زمن
التكليف ولا في زمن المجازاة ومن كان كذلك كيف يسمى الها وكيف يستحق العبادة **فصل**
احتج اهل السنة بقوله لا يخلقون شيئا على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لانه عاب هولاء الكفار
من حيث عبدوا ما لا يخلق شيئا وذلك يدل على ان من خلق يستحق ان يعبد فلو كان العبد خالقا
لكان معبودا الها واجاب الكعبي بانا لا نطلق اسم الخالق الا على الله تعالى المعمر رجل يشوت
بعالي وصف الاصنام فيدل على ان كل من له رجل يستحق ان يعبد فاذا قالوا لا فقيل فكذلك
ما ذكرتم وقد قال تعالى فتبارك الله احسن الخالقين هذا كله كلام الكعبي والجواب
قوله لا نطلق اسم الخالق على العبد قلنا بل يجب ذلك لان الخلق في اللغة هو التقدير والتقدير
يرجع الى الظن والحسبان فوجب ان يكون اسم الخالق حقيقة في العبد مجازا في الله فكيف
يمكنهم مع الاطلاق لفظ الخالق على العبد واما قوله تعالى المعمر رجل يمشون بها فالعيب انما
وقع عليهم لاجرم ان من تحقق العجز في حقه من بعض الوجوه لم يحسن عبادته واما قوله
فتبارك الله احسن الخالقين فتقدم الكلام عليه واعلم ان في استدلال اهل السنة بالاية نظر
لاحتمال ان العيب انما حصل بمجموع الامرين وهو كونهم ليسوا بخالقين وكونهم مخلوقون والعبد
وان كان خالقا الا انه مخلوق فلا يلزم ان يكون العبد الها معبودا **فصل** دلت الاية
على البعث لانه تعالى ذكر النشور ومعناه ان المعبود يجب ان يكون قادرا على ايصال الثواب الى
المطيعين والعقاب الى العصاة فمن لا يكون كذلك يجب ان لا يصلح للالهية قوله تعالى وقال
الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه الاية لما تكلموا اولا في التوحيد وثانيا في الرد على عبدة الاوثان
تكلم هنا في مسئلة النبوة وحكى شبه الكفار في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فالشبهة الاولى
قوله وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم اخرون وقال الكلبي ومقاتل
نزلت في النضر بن الحرث هو الذي قال هذا القول واعانه عليه قوم اخرون يعني عامر مولى
حويطب ابن عبد العزى ويسار غلام عامر بن الحضرمي وجبير مولى عامر هولاء الثلاثة
كانوا من اهل الكتاب وكانوا يقرون التوراة فلما اسلموا وكان النبي يتعهدهم فمن اجل ذلك قال
النضر ما قال وقال الحسن عبيد بن الحضرمي في الحبشي الكاهن وقيل جبير ويسار وعداس
عبيد كانوا بمكة من اهل الكتاب فزعم المشركون ان محمدا ياخذ منهم قوله افتراه الها تعود
على افك وقال ابو البقا الها تعود على عبده في اول السورة قال شهاب الدين ولا اظنه
الا غلطا وكانه اراد ان يقول الضمير المرفوع في افتراه فغلط افتراه اختلقه والافترا

افتعال

افتعال من فريت يقال فريت الاديم قوله ظلما فيه اوجه احدها انه مفعول به لان جا
يتعدي بنفسه ولذلك الثاني انه على اسقاط الخافض اي جاوا بظلم قاله الزجاج الثالث
انه في موضع الحال فيجي فيه ما في قولك جا زيد عدلا قال الزمخشري فقد جاوا ظلما وزورا
اي كفرا وظلما وكذبا كقوله لقد جئتم شيئا ادا فانتصب بوقوع المجي اما كونه ظلما فلانهم نسبوا هذا
الفعل الى القبيح الى من كان مبرا عنه فقد وضعوا الشي في غير موضعه وذلك هو الظلم واما كونه
زورا فلانهم كذبوا قال ابو مسلم الظلم تكذيبهم الرسول الشبهة الثانية قوله وقالوا
اساطير الاولين اكتتبها الاية يجوز في اكتتبها ثلاثة اوجه احدها ان يكون حالا من اساطير
والعامل فيها معنى التنبيه والاشارة المقدرة فان اساطير خبر مبتدا محذوف تقديره هذه
اساطير الاولين مكتتبة والثاني ان يكون في موضع خبر ثان لهذه الثالث اساطير مبتدا
واكتتبها خبره واكتتبها الافتعال هنا يجوز ان يكون بمعنى امر بكتابتها كافتصد واحتجم اذا امر
بذلك ويجوز ان يكون بمعنى كتبها وهو من جملة افترايهم عليه لانه كان اميا لا يقرا ولا يكتب
ويكون كقولهم استكبه واصطبه اي سكبه وصبه والافتعال مشعر بالتكلف ويجوز ان يكون
من كتب بمعنى جمع من الكتب وهو الجمع لا من الكتابة بالقلم وقرا طلحة اكتتبها مبنيا للمفعول
قال الزمخشري والمعنى اكتتبها له كاتب لانه كان اميا لا يكتب بيده ثم حذفت اللام فافضى
الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي
هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان منصوبا بارزا وبقي ضمير الاساطير على حاله فصار
اكتتبها كما ترى قال ابو حيان ولا يصح ذلك على مذهب جمهور البصريين لان اكتتبها له كاتب
وصل الفعل فيه لمفعولين احدهما مسرح وهو ضمير الاساطير والاخر مقيد وهو ضميره عليه
السلام ثم اتسع في الفعل فحذف حرف الجر فصار اكتتبها اياه كاتب فاذا بني هذا للمفعول انما
ينوب عن الفاعل المفعول المسرح لفظا وتقديرا لا المسرح لفظا المقيد تقديرا فعلى هذا
كان يكون التركيب اكتتبته لا اكتتبها وعلى هذا الذي قلناه جا السماع قال الفرزدق

ومنا الذي اختير الرجال سماحة ۝ وجودا اذا هب الرياح الزعازع

ولو جا على ما قرره الزمخشري لجا التركيب ومنا الذي اختيره الرجال لان اختير تعدى الى
الرجال باسقاط حرف الجر اذ تقديره اختير من الرجال وهو اعتراض حسن بالنسبة الى مذهب
الجمهور ولكن الزمخشري قد لا يلتزمه ويوافق الاخفش والكوفيين واذا كان الاخفش وهم
يتركون المسرح لفظا وتقديرا ويقيمون المجرور بالحرف مع وجوده فهذا اولى والظاهر ان الجملة
من قوله اكتتبها فهي تملى من تتمة قول الكفار وعن الحسن انها من كلام الباري تعالى وكان
حق الكلام على هذا ان يقرا اكتتبها بهمزة مقطوعة للاستفهام كقوله تعالى وتلك نعمة تمنها
على وقول الاخر

افرح ان ارزا الكرام وان اورث ذودا شصايصا نبلا

يريد اوتلك او افرح فحذف لدلالة الحال وحقه ان يقف على الاولين قال الزمخشري كيف
قيل اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال امليت عليه فهو يكتبها قلت فيه وجهان احدهما انه اراد
اكتتابها وطلبه فهي تملى عليه او كتبت له وهو امي فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتاب يتحفظها
لان صورة الالقا على الحافظ كصورة الالقا على الكاتب وقرا عيسى وطلحة تتلى بتاين من
فوق من التلاوة وبكرة واصيلا ظرفان للاملا والياء في تملى بدل من اللام كقوله فليملل
وقد تقدم **فصل** المعنى ان هذا القران ليس من الله انما هو مما سطره الاولون
كاحاديث رستم واسفنديار جمع اسطار واسطورة كاحدوثة استنسخها محمد من اهل الكتاب
فهي تملى عليه اي تقرا عليه ليحفظها لا ليكتبها بكرة واصيلا غدوة وعشيا قوله قل انزله
الذي يعلم السر الاية وهذا جواب عن شبهتهم وذلك انه عليه السلام تحداهم بالمعارضة واظهر
عجزهم عنها ولو كان عليه السلام اتى بالقران من عند نفسه او استعان باحد لكان من الواجب
عليهم ايضا ان يستعينوا باحد فياتوا بمثل هذا القران فلما عجزوا عنه ثبت انه وحي الله وكلامه
فلهذا قال قل انزله يعني القران الذي يعلم السر في السموات والارض لان القادر على
تركيب الفاظ القران لا بد وان يكون عالما بكل المعلومات ظاهرها وخفيها ولو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ثم قال انه كان غفورا رحيما فذكر العفو في هذا الموضع لوجهين

احدهما قال ابو مسلم انه لما انزله لاجل الانذار وجب ان يكون غفورا رحيما غير مستعجل بالعقوبة
الثاني انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يصب عليهم العقاب صبا ولكن صرف عنهم كونه غفورا
رحيما يمهل ولا يعاجل الشبهة الثالثة قوله تعالى وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام الاية ما
استفهامية مبتداة والجار بعدها خبر وياكل جملة حالية وبها تتم فايدة الاخبار كقوله فما لهم
عن التذكرة معرضين وقد تقدم في النسا ان لام الجر كتبت مفصولة من مجرورها وهو خارج
عن قياس الخط والعامل في الحال الاستقرار العامل في الجار او نفس الجار ذكره ابو البقا قوله
فيكون العامة على نصبه وفيه وجهان احدهما نصب على جواب التخصيص والثاني قال
ابو البقا فيكون منصوب على جواب الاستفهام وفيه نظر لان ما بعد الفا لا يترتب على هذا
الاستفهام وشرط النصب ان ينعقد منهما شرط وجزا وقرى فيكون بالرفع وهو معطوف على
انزل وجاز عطفه على الماضي لان المراد بالماضي المستقبل اذ التقدير لولا ينزل قوله او
يلقى او يكون معطوفا على انزل لما تقدم من كونه بمعنى تنزل ولا يجوز ان يعطفا على فيكون
المنصوب في الجواب لانهما مندرجان في التخصيص في حكم الواقع بعد لولا وليس المعنى على انهما
جواب للتخصيص فيعطفا على جوابه وقرا الاعمش وقتادة او يكون له بالياء من تحت لان
تانيث الجنة مجازي قوله ياكل منها الجملة في موضع الرفع صفة لجنة وقرا الاخوان
ناكل بنون الجمع والباقون بالياء من تحت اي الرسول قوله وقال الظالمون وضع الظاهر
موضع المضمر اذ الاصل وقالوا قال الزمخشري واراد بالظالمين اياهم باعيانهم قال ابو
حيان وقوله ليس تركيبا سايغا بل التركيب العربي ان يقول ارادهم باعيانهم **فصل**
وهذه الشبهة التي ذكروها في نهاية الرذالة فقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام كما ناكل
نحن ويمشي في الاسواق يلتمس المعاش كما نلتمس فمن اين له الفضل علينا وكيف يمتاز عنا
بالنبوة وهو مثلنا في هذه الامور وقالوا لولا انزل اليه ملك هلا انزل اليه ملك فيكون معه
نذيرا يصدقه ويشهد له ويرد على من خالفه او يلقى اليه كنز من السما فينفقه ولا يحتاج الى
التردد لطلب المعاش وكانوا يقولون له لست انت بملك لانك تاكل والملك لا ياكل ولست
بملك لان الملك لا يتسوق وانت تتسوق وتتبذل وما قالوه فاسد لان اكله الطعام لكونه
ادميا ومشيه في الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفة له وقالوا او يكون له جنة ياكل منها
والمعنى ان لم يكن له كنز فلا اقل من ان يكون كواحد من الدهاقين فيكون له بستان ياكل
منه وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق وتقدمت
هذه القصة في اخر بني اسرايل ثم اجابهم الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله انظر كيف
ضربوا لك الامثال يعني الاشباه فضلوا عن الحق فلا يستطيعون سبيلا الى الهدى ومخرجا
عن الضلالة وبيان وجه الجواب كانه تعالى قال انظر كيف اشتغل القوم بضرب هذه
الامثال التي لا فايدة فيها لاجل انهم لما ضلوا وارادوا القدح في نبوتك لم يجدوا الى القدح فيه
سبيلا البتة اذ الطعن عليه انما يكون بما يقدح في المعجزات التي ادعاها لا بهذا الجنس من
القول قوله تعالى تبارك الذي ان شا جعل لك خيرا من ذلك الاية وهذا هو الجواب الثاني
عن تلك الشبه اي تبارك الذي ان شا جعل لك خيرا من ذلك الذي قالوا وافضل من الكنز
والبستان الذي ذكروا اي انه قادر على ان يعطي الرسول كلما ذكروه ولكنه تعالى يعطي
عباده بحسب المصالح او على وفق المشية ولا اعتراض لاحد عليه في شي من افعاله قال ابن
عباس خيرا من ذلك اي مما عيروك بفقد الجنة الواحدة وهو سبحانه قادر على ان يعطيك جنات
كثيرة وقال في رواية عكرمة خيرا من ذلك اي من المشي في الاسواق وابتغا المعاش وقوله
ان شا معناه انه قادر على ذلك لا انه شاك لان الشك لا يجوز على الله وقيل ان ههنا بمعنى
قد اي قد جعلنا لك في الاخرة جنات ومساكن وانما ادخل ان تنبيها للعباد على انه لا ينال
ذلك الا برحمته وانه معلق على محض مشيته وليس لاحد من العباد حق على الله لا في الدنيا
ولا في الاخرة قوله جنات يجوز ان يكون بدلا من خيرا وان يكون عطف بيان لذلك الخير
عند من يجوزه في النكرات وان يكون منصوبا باضمار اعني وتجري من تحتها الانهار صفة
قوله ويجعل لك قرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر برفع يجعل والباقون بادغام لام يجعل

في لام

في لام لك واما الرفع ففيه وجهان احدهما انه مستانف والثاني انه معطوف على جواب الشرط قال
الزمخشري لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جوابه الجزم والرفع كقوله

• وان اتاه خليل يوم مسغبة • يقول لا غايب مالي ولا حرم •

قال الزمخشري وليس هذا مذهب سيبويه بل مذهبه ان الجواب محذوف وان هذا المضارع
منوي به التقديم ومذهب المبرد والكوفيين انه جواب على حذف الفا ومذهب اخرين انه جواب
لا على حذف فما بل لما كان الشرط ماضيا ضعف تاثيره فارتفع فالزمخشري في قوله على هذين المذهبين
ثم قال ابو حيان وهذا التركيب جايز فصيح وزعم بعض اصحابنا انه لا يجي الا في ضرورة واما القراة
الثانية فيحتمل وجهين احدهما ان سكون اللام للجزم عطفا على محل جعل لانه جواب الشرط والثاني
انه مرفوع وانما سكن لاجل الادغام قاله الزمخشري وغيره وفيه نظر من حيث ان من جملة من
قرا بذلك وهو نافع والاخوان وحفص ليس من اصولهم الادغام حتى يدعى لهم في هذا المكان
نعم ابو عمرو اصله الادغام وهو يقرا هنا بسكون اللام فيحتمل ذلك على قراته وهذا من محاسن
علم النحو والقراات معا وقال الواحدي وبين القراتين فرق في المعنى فمن جزم فالمعنى
ان شا يجعل لك قصورا في الدنيا ولا يحسن الوقف على الانهار ومن رفع حسن الوقف على الانهار
واستانف ويجعل لك قصورا في الاخرة وقرا ابن سليمان وطلحة بن سليمان ويجعل بالنصب
وذلك باضمار ان على جواب الشرط واستضعفها ابن جني ومثل هذه القراة

• فان يهلك ابو قابوس يهلك • ربيع الناس والبلد الحرام •
• ونأخذ بعده بذناب عيش • اجب الظهر ليس له سنام •

بالتثليث في ناخذ **فصل** القصور جماعة القصر وهو المسكن الرفيع قال المفسرون
القصر هي البيوت المشيدة والعرب تسمي كل بيت مشيد قصرا ويحتمل ان يكون لكل جنة قصر فيكون
مسكنا ومتنزها ويجوز ان يكون القصور مجموعة والجنات مجموعة وقال مجاهد ان شا جعل لك جنات
في الاخرة وقصورا في الدنيا روي انه عليه السلام قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحا مكة
ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما وقال ثلاثا او نحو هذا فاذا جعت تضرعت
اليك ودعوتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وروت عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو شيت لسارت معي جبال الذهب جاني ملك فقال ان ربك يقرا عليك السلام ويقول ان
شيت نبيا عبدا وان شيت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل عليه السلام فاشار الي ان ضع نفسك
فقلت نبيا عبدا قالت فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا ياكل متكيا ويقول اكل كما ياكل
العبد واجلس كما يجلس العبد وعن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس
وجبريل عليه السلام معه فقال جبريل هذا ملك قد نزل من السما استاذن ربه في زيارتك
فلم يلبث الا قليلا حتى جا الملك وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله يخيرك
ان يعطيك مفاتيح كل شي لم يعط احدا قبلك ولا يعطيه احدا بعدك من غير ان ينقصك مما اوتيت
شيا فقال عليه السلام بل يجمعها لي جميعا في الاخرة فنزل تبارك الذي ان شا الاية قوله
بل كذبوا بالساعة اي بالقيمة فلا يرجون ثوابا ولا عقابا فلا يتكلفون النظر والفكر ولهذا لا
ينتفعون بما يورد عليهم من الدلايل واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا قال ابو مسلم اعتدنا اي
جعلناها عتيدا ومعدا لهم والسعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن انه اسم من اسما
جهنم **فصل** احتج اهل السنة على ان الجنة مخلوقة بقوله تعالى اعدت للمتقين وعلى
ان النار التي هي دار العقاب مخلوقة بهذه الاية قال الجبايي يحتمل في قوله واعتدنا ان المراد
منه نار الدنيا وبها يعذب الكفار والمنافق في قبورهم ويحتمل نار الاخرة ويكون المعنى واعتدنا
اي سنعدها كقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار وهذا الجواب ساقط لان المراد من السعير
اما نار الدنيا او نار الاخرة فان كان الاول فاما ان يكون المراد انه تعالى يعذبهم في الدنيا بنار
الدنيا او يعذبهم في الاخرة بنار الدنيا والاول باطل لانه تعالى ما عذبهم بالنار في الدنيا والثاني
ايضا باطل لانه لم يقل احد من الامة انه تعالى يعذب الكفرة في الاخرة بنيران الدنيا فثبت ان
المراد نار الاخرة وانها معدة واما حمل الاية على ان الله تعالى سيجعلها معدة فترك للظاهر
من غير دليل قوله اذا راتهم هذه الجملة الشرطية في موضع نصب صفة لسعير لانه مونث بمعنى

النار فقوله تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا فان قيل التغيظ لا يسمع فالجواب من ثلاثة اوجه احدها انه على حذف مضاف اي صوت تغيظها والثاني على حذف تقديره سمعوا وراوا تغيظا وزفيرا فيرجع كل واحد الى ما يليق به اي راوا تغيظا وسمعوا زفيرا والثالث ان يضمن سمعوا معنى يشمل الشيئين اي ادركوا لها تغيظا وزفيرا وهذان الوجهان الاخيران منقولان من قوله • ورايت زوجك في الوغا متقلدا سيفا ورمحا • ومن قوله • علفتها تبنا وماء باردا • اي ومعتقلا رمحا وسقيتها ماء ويضمن متقلدا معنى متسلحا وعلفتها معنى طعمتها تبنا وماء باردا

فصل معنى اذا راتهم من مكان بعيد قال الكلبي والسدي من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كذب علي متعمدا فليتبوا بين عيني جهنم مقعدا قالوا وهل لها من عينين قال نعم الم تسمع قول الله عز وجل اذا راتهم من مكان بعيد وقيل اذا راتهم زبانيتها قال الجبائي ان الله تعالى ذكر النار واراد الخزنة الموكلين بتعذيب اهل النار لان الرؤية تصح منهم ولا تصح من النار فهو كقوله واسئل القرية واراد اهلها وقوله واذا القوا منها مكانا ضيقا مكانا منصوب على الظرف ومنها في محل نصب على الحال من مكانا لانه في الاصل صفة له ومقرنين حال من مفعول القوا وثبورا مفعول به فيقولون يا ثبوراه ويجوز ان يكون مصدرا من معنى دعوا وقيل منصوب بفعل من لفظه مقدر تقديره ثبرنا ثبورا وقرا معاذ بن جبل مقرنون بالواو ووجهها ان يكون بدلا من مفعول القوا وقرا عمرو بن محمد ثبورا بفتح الثا والمصادر التي على فعول بالفتح قليلة جدا وينبغي ان يضم هذا اليها وهي مذكورة في البقرة عند قوله وقودها الناس

فصل قال ابن عباس تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج على الرمح وهو منقول ايضا عن ابن عمر وسيل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يحطهم الداخلون فيزدحمون في تلك الابواب قال الزمخشري الكرب مع الضيق كما ان الفرج مع السعة وكذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض وقوله مقرنين اي مصفدين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم في الاغلال وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل كل كافر مع شيطان فعندما يشاهدوا هذا العذاب دعوا بالويل والثبور قال ابن عباس يقولون ويلا وقال الضحاك هلاكا فيقولون واثبوراه فهذا حينك وزمانك فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا اي هلاككم اكثر من ان تدعوا مرة واحدة فادعوا ادعية كثيرة قال الكلبي نزل هذا كله في ابي جهل والكفار الذين ذكروا تلك الشبهات قوله تعالى اذلك خير ام جنة الخلد الاية لما وصف العقاب المعد للمكذبين بالساعة اتبعه بما يوكد الحسرة والندامة فقال اذلك خير فان قيل كيف يقال العذاب خير ام جنة الخلد وهل يجوز ان يقول العاقل السكر احلى ام الصبر فالجواب هذا يحسن في معرض التقريع كما اذا اعطى السيد عبده مالا فتمرد واباه واستكبر فضربه ويقول له هذا خير ام ذلك

فصل قال ابو مسلم جنة الخلد هي التي لا ينقطع نعيمها والخلد والخلود سوا كالشكر والشكور قال تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فان قيل الجنة اسم لدار مخلدة فاي فايدة في قوله جنة الخلد فالجواب الاضافة قد تكون للتمييز وقد تكون لبيان صفات الكمال كقوله تعالى الله الخالق البارى وهذا من هذا الباب

فصل احتج المعتزلة بهذه الاية على اثبات الاستحقاق من وجهين الاول ان اسم الجزا لا يتناول الا المستحق فاما الموعود بمحض التفضيل فلا يسمى جزاء والثاني لو كان المراد بالجزا ما صيرتم اليه بمجرد الوعد فلا يبقى بين قوله جزاء وبين قوله مصيرا تفاوت فيصير ذلك تكريرا من غير فايدة والجواب انه لا نزاع في كونه جزا انما النزاع في ان كونه جزاء ثبت بالوعد او بالاستحقاق وليس في الاية ما يدل على التعيين فان قيل ان الجنة ستصير للمتقين جزاء ومصيرا لكنها بعد ما صارت كذلك فلم قال انه كانت له جزاء ومصيرا فالجواب من وجهين الاول ان ما وعده فهو في تحققه كانه قد كان ولانه قد كان مكتوبا في اللوح المحفوظ قبل ان يخلقهم الله بازمنة متطاولة ان الجنة جزاوهم ومصيرهم قوله لهم فيها ما يشاؤون هو نظير قوله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم وفيها ما تشتهيه الانفس فان قيل اهل الدرجات النازلة

اذا شاهدوا الدرجات العالية لا بد وان يريدوها فاذا سالوها ربهم فان اعطاها لم يبق بين الناقص والكامل تفاوت في الدرجة وان لم يعطها قدح ذلك في قوله لهم فيها ما يشاؤون وايضا فالاب اذا كان ولده في دركات النيران واشد العذاب فلو اشتهى ان يخلصه الله تعالى من ذلك العذاب فان فعل قدح ذلك في ان عذاب الكافر مخلد وان لم يفعل قدح ذلك في قوله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم وفي قوله لهم فيها ما يشاؤون خالدين والجواب ان الله تعالى يزيل هذا الخاطر عن قلوب اهل الجنة ويشتغلون بما هم فيه من اللذات عن الالتفات الى حال غيرهم قوله خالدين منصوب على الحال اما من فاعل يشاؤون واما من فاعل لهم لوقوعه خبرا والعايد على ما محذوف اي لهم فيها الذي يشاؤونه حال كونهم خالدين قوله كان على ربك في اسم كان وجهان احدهما انه ضمير ما يشاؤون ذكره ابو البقا والثاني ان يعود على الوعد المفهوم من قوله وعد المتقون ومسولا على المجاز اي يسال هل وفي بك ام لا او يسالك من وعد به

فصل قوله كان على ربك وعدا مسئولا يدل على ان الجنة حصلت بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق كما تقدم وقوله مسولا اي مطلوبا قيل ان المومنين سالوا ربهم في الدنيا فقالوا ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك وقال محمد بن كعب القرظي الملايكة سالوا ربهم للمومنين بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وقيل ان المكلفين سالوه بلسان الحال لانهم لما تحملوا المشقة الشديدة في طاعة الله كان ذلك قايما مقام السوال قال المتنبي • وفي النفس حاجات وفيك فطانة • سكوتي كلام عندها وخطاب • وقيل وعدا مسئولا اي واجبا وان لم يسال قاله الفرا وقيل مسولا اي من حقه ان يكون مسولا لانه حق واجب اما بحكم الاستحقاق على قول المعتزلة او بحكم الوعد على قول اهل السنة قوله تعالى ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله الاية قرا ابن عامر نحشرهم فنقول بالنون فيهما وابن كثير وحفص باليا من تحت فيهما والباقون بالنون في الاول وباليا في الثاني وهن واضحات وقرا الاعرج نحشرهم بكسر الشين في جميع القران قال ابن عطية هي قليلة في الاستعمال قوية في القياس لان يفعل بكسر العين في المتعدي انقس من يفعل بضم العين وقال ابو الفضل الرازي وهو القياس في الافعال الثلاثية المتعدية لان يفعل بضم العين قد يكون من اللازم الذي هو فعل بضمها في الماضي قال ابو حيان وليس كما ذكر بل فعل المتعدي الصحيح جميع حروفه اذا لم تكن للمغالبة ولا حلقي عين ولا لام فانه جا على يفعل ويفعل كثيرا فان شهر احد الاستعمالين اتبع والا فكلا حتى ان بعض اصحابنا خير فيهما سمعا للكلمة او لم يسمعا قال شهاب الدين الذي خير في ذلك هو ابن عصفور فيخيران يقول زيد يفعل بكسر العين ويضرب بكسر الراء مع سماع الضم في الاول والكسر في الثاني وسبقه الى ذلك ابن درستويه الا ان النحاة على خلافه قوله وما يعبدون عطف على مفعول نحشرهم ويضعف نصبه على المعية وغلب غير العاقل عليه فاتى بما دون من

فصل ظاهر قوله وما يعبدون انها الاصنام لان ما لما لا يعقل وظاهر قوله فنقول اانتم اضللتم انه من عبد من الاحيا كالملايكة والمسيح وعزير وغيرهم لان الاضلال وجد منهم فلهذا اختلفوا فقال مجاهد اراد الملايكة والجن والمسيح وعزيرا وقال عكرمة والضحاك والكلبي يعني الاصنام فقيل لهم كيف يخاطب الله تعالى الجماد فاجابوا بوجهين احدهما انه يخلق الحياة فيها ويخاطبها والثاني ان يكون ذلك بالكلام النفساني لا بالقول اللساني بل بلسان الحال كما ذكر بعضهم في تسبيح الموات وكلام الايدي والارجل وكما قيل سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك فان لم يجبك حوارا اجابتك اعتبارا وقال الاكثرون المراد الملايكة وعيسى وعزير عليهم السلام قالوا ويؤكده هذا القول بقوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملايكة اهولاء اياكم كانوا يعبدون فان قيل لفظة ما لا يستعمل في العقلاء فالجواب من وجهين الاول لا نسلم ان كلمة ما لا تستعمل لمن لا يعقل لانهم قالوا من لمن لا يعقل في قوله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع الثاني انه اريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم وقال تعالى والسما وما بناها ولا انتم عابدون ما اعبد وهذا لا يستقيم الا على احد هذين الوجهين

فصل قالت المعتزلة دلت هذه الاية على بطلان قول القايلين بان الله يضل عباده في الحقيقة لانه لو كان الامر كذلك لكان الجواب الصحيح ان يقولوا الهنا ههنا قسم ثالث غيرهما هو الحق وهو انك اضللتهم فلما لم يقولوا ذلك بل نسبوا اضلالهم الى انفسهم علمنا انه تعالى لا يضل احدا من عباده فان قيل لا نسلم ان المعبودين ما

تعرضوا لهذا القسم بل ذكروه وقالوا ولكن متعتهم واباهم حتى نسوا الذكر وهذا تصريح
بان ضلالهم انما حصل لاجل ما فعل الله بهم وهو انه تعالى متعهم واباهم بنعيم الدنيا
قلنا لو كان الامر كذلك لكان بلزم ان يصير الله محجوجا مفحما معلوما واجاب اهل السنة بان
القدرة على الضلال ان لم تصلح للاهتدا والاضلال فمن الله تعالى وان صلحت له لم يترجح
اقتدارها للضلال على اقتدارها على الاهتدا الا لمرجح من الله تعالى وعند ذلك يزول
السوال واما ظاهر هذه الاية وان كان لهم لكنه معارض بسائر الظواهر المطابقة لقولنا
قوله هولاء يجوز ان يكون نعتا لعبادي او بدلا او بيانا قوله ضلوا السبيل على حذف حرف
الجر وهو عن كما صرح به في قوله يضل عن سبيله ثم اتسع فيه فحذف نحو هذا فانه يتعدى بالى
وقد يحذف اتساعا وضل مطاوع اضل فان قيل انه تعالى كان عالما في الازل بحال المسول
عنه فما فايدة هذا السوال فالجواب هذا سوال تقريع للمشركين كما قيل لعيسى انت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فان قيل فما فايدة انتم وهم وهلا قيل اضللتم
عبادي هولاء ام هم ضلوا السبيل فالجواب هذا سوال عن الفاعل فلا بد من ذكره حتى يعلم انه
المسيول عنه وقوله انتم اضللتم ام هم ضلوا لما تقدم في قوله انت قلت للناس وقوله ينبغي
العامة على بنايه للفاعل وابو عيسى الاسود القاري ينبغي مبنيا للمفعول قال ابن خالويه
زعم سيبويه ان ينبغي لغة قوله ان نتخذ فاعل ينبغي او مفعول قايم مقام الفاعل في
قراة الاسود وقرا العامة نتخذ مبنيا للفاعل ومن اوليا مفعوله وزيدت فيه من ويجوز
ان يكون مفعولا اولا على ان اتخذ متعديه لاثنين ويجوز ان لا يكون المتعدية لاثنين بل لواحد
فعلى هذا من دونك متعلق بالاتخاذ او بمحذوف على انه حال من اوليا وقرا ابو الدرداء وزيد
ابن ثابت وابو رجا والحسن وابو جعفر في اخرين نتخذ مبنيا للمفعول وفيه اوجه احدها
انها المتعدية لاثنين فالاول هم ضمير المتكلمين والثاني قوله من اوليا ومن للتبعيض اي ما
كان ينبغي ان نتخذ بعض اوليا قاله الزمخشري الثاني ان من اوليا هو المفعول الثاني ايضا
الا ان من مزيدة في المفعول الثاني وهذا مردود بان من لا تزاد في المفعول الثاني انما تزاد
في الاول قال ابن عطية ويضعف هذه القراة دخول من في قوله من اوليا اعترض بذلك سعيد
ابن جبير وغيره قال الزجاج خطا من قرا بفتح الخا وضم النون لان من انما تدخل في هذا الباب
في الاسما اذا كانت مفعولة اولا ولا تدخل على مفعول الحال تقول ما اتخذت من احد وليا ولا
يجوز ما اتخذت احدا من ولي الثالث ان يكون من اوليا في موضع الحال قاله ابن جني الا انه
قال ودخلت من لزيادة لمكان النفي المتقدم كقولك ما اتخذت زيدا من وكيل فظاهر هذا
انه جعل الجار والمجرور في موضع الحال وحينئذ يستحيل ان يكون من مزيدة ولكنه يريد ان
هذا المجرور وهو الحال نفسه ومن مزيدة فيه الا انه لا يحفظ زيادة من في الحال وان كانت
منفية وانما حفظ زيادة البا فيها على خلاف في ذلك فان قيل هذه القراة غير جايزة لانه
لا مدخل لهم في ان يتخذهم غيرهم اوليا قلنا المراد انا لا نصلح لذلك فكيف ندعوهم الى
عبادتنا وقرا الحجاج نتخذ من دونك فبلغ عاصما فقال مقت المخدج او ما علم ان فيها من
فصل اجابوا بقولهم سبحانك وفيه وجوه احدها انه تعجب منهم تعجبوا مما قيل
لهم لانهم ملايكة والانبيا معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس
وجنوده وثانيها انهم نطقوا بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون الموسومون بذلك فكيف
يليق بحالهم ان يضلوا عباده وثالثها قصدوا بالتسبيح تنزهه عن الانداد سوا كان المسبح
وثنا او نبيا او ملكا ورابعها قصدوا تنزيهه ان يكون مقصوده من هذا السوال استفادة
علم او ابرا من كان بريا من الجرم بل انما سالهم تقريعا للكفار وتوبيخا لهم وقولهم ما كان
ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اوليا ومعناه اذا كان لا يرى ان نتخذ من دونك وليا فكيف
ندعوا غيرنا الى ذلك اي ما كان لنا ان نامرهم بعبادتنا ونحن نعبدك وقيل ما كان ينبغي
لنا ان يكون امثال الشياطين وقيل ما كان لنا ان نتخذ من دون رضاك من اوليا اي انا لما
علمنا انك لا ترضى بهذا ما فعلنا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل قالت
الملايكة انا وهم عبيدك ولا ينبغي لعبيدك ان يتخذوا من دونك وليا ولا حبيبا فضلا

عن

عن ان يتخذ عبدا اخر الها وقيل قالت الاصنام انا لا نصلح منا ان نكون من العابدين فكيف يمكننا
ادعا انا من المعبودين قوله ولكن متعتهم لما تضمن كلامهم انا لم نضلهم ولم نحملهم على الضلال
حسن هذا الاستدراك وهو انه ذكروا سببه اي انعمت عليهم وتفضلت فجعلوا ذلك ذريعة الى ضلالهم
عكس القضية والمعنى متعتهم واباهم في الدنيا بطول العمر والصحة والنعمة حتى نسوا الذكر تركوا
الموعظة والايمان بالقران وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه قوله وكانوا قوما بورا اي هلكى غلب
عليهم الشقا والخذلان وبورا يجوز فيه وجهان احدهما انه جمع بائر كعائذ وعوذ والثاني انه مصدر في
الاصل كالزور فيستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمونث وهو من البوار وهو الهلاك وقيل
من الفساد وهي لغة الازد يقولون بارت بضاعته اي فسدت وامرنا بائر اي فاسد وهذا معنى قولهم
كسدت البضاعة وقال الحسن هو من قولهم ارض بور اي لا نبات بها وهذا يرجع الى معنى الهلاك والفساد
قوله تعالى فقد كذبوكم هذا خطاب مع المشركين اي كذبكم المعبودون في قولكم انهم الهة وانهم
اضلوكم وقيل خطاب للمومنين في الدنيا اي فقد كذبوكم ايها المومنون الكفار بما تقولون من التوحيد
في الدنيا وهو معنى قوله بما يقولون وهذه الجملة من كلام الله تعالى اتفاقا فهي على اضمار القول
والالتفات قال الزمخشري هذه المفاجاة بالاحتجاج والالزام حسنة رايعة وخاصة اذا انضم اليها
الالتفات وحذف القول ونحوها قوله عز وجل يا اهل الكتاب قد جاكم رسولنا يبين لكم على فترة من
الرسل ان تقولوا ما جانا من بشير ولا نذير وقول القايل

• قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا • ثم القفول فقد جينا خراسانا •

انتهى يريد ان الاصل في الاية الكريمة فقلنا قد كذبوكم وفي البيت فقلنا قد جينا وقرا ابو حيوة وقنبل
في رواية ابن ابي الصلت عنه بالياء من تحت اي فقد كذبوكم الالهة بما يقولون من الافترا عليكم قوله
فما يستطيعون قرا حفص بتاء الخطاب والمراد عبادها والمعنى فما تستطيعون انتم يا كفار صرف
العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة وقرا الباقون بتاء الغيبة والمراد الالهة التي كانوا
يعبدونها من عاقل وغيره ولذلك غلب العاقل واتى بواو الضمير والمعنى فما يستطيع الهتكم ان يصرفوا
عنكم العذاب وان يحتالوا لكم قوله ومن يظلم منكم نذقه قرا العامة نذقه بنون العظمة وقري
بالياء وفي الفاعل وجهان اظهرهما انه الله تعالى لدلالة قراة العامة على ذلك والثاني انه ضمير الظلم المفهوم
من الفعل وفيه تجوز باسناد اذاقة العذاب الى سببها وهو الظلم والمعنى ومن يشرك منكم نذقه عذابا
كبيرا **فصل** تمسك المعتزلة بهذه الاية ان الفاسق لا يعفى عنه بل يعذب لا محالة والجواب
انا لا نسلم ان كلمة من في معرض الشرط للعموم والكلام فيه مذكور في اصول الفقه سلمنا انه للعموم
لكن قطعا ام ظاهرا ودعوى القطع ممنوعة فانا نرى في العرف العام والاستعمال المشهور استعمال
صيغ العموم مع ارادة الاكثر او لان المراد اقوام معينون ويدل عليه قوله تعالى ان الذين كفروا سوا
عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون ثم ان كثيرا من الذين كفروا قد امنوا فلا دافع ان يقال قولنا
الذين كفروا كان يفيد العموم لكن المراد منه اما الغالب او المراد منه اقوام مخصوصون وعلى التقديرين
ثبت ان استعمال الفاظ العموم في الاغلب ظاهر واذا كان كذلك كانت دلالة هذه الصيغ على العموم
دلالة ظاهرة لا قاطعة وذلك لا ينفي تجويز العفو سلمنا دلالته قطعا لكن اجمعنا على ان قوله ومن
يظلم منكم مشروط بان لا يزيل ذلك الظلم بتوبة او بطاعة هي اعظم من ذلك الظلم فيرجع حاصل الامر
الى ان قوله يظلم منكم مشروط بان لا يعلجل ما يزيله وعند هذا فنقول هذا مسلم لكن لم قلتم انه لم
يوجد ما يزيله فان العفو عندنا احد الامور الثلاثة التي تزيله وذلك هو اول المسلة سلمنا دلالته
على ما قال ولكنه معارض بايات الوعد كقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس
نزلا فان قيل ايات الوعيد اولى لان السارق يقطع على سبيل التنكيل واذا ثبت انه مستحق للعقاب
ثبت ان استحقاق الثواب محبط لما بينا ان الجمع بين الاستحقاقين محال قلنا لا نسلم ان السارق
يقطع على سبيل التنكيل الا ترى انه لو تاب فانه يقطع على سبيل التنكيل نزلنا عن هذه المقامات
ولكن قوله تعالى ومن يظلم منكم خطاب مع قوم مخصوصين معينين فهب انه لا يعفوا عنهم فلم قلت
انه لا يعفو عن غيرهم قوله تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الاية هذا جواب عن قولهم مال
هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق اي هذه عادة مستمرة من الله تعالى في كل رسله فلا
وجه لهذا الطعن قوله الا انهم لياكلون حق الكلام ان يقال الا انهم بفتح الالف لانه متوسط والمكسورة

لا تليق الا بالانبيا فلهذا ذكروا في هذه الجملة ثلاثة اوجه احدها انها في محل نصب صفة لمفعول
محذوف فقدره الزجاج والزمخشري وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا اكلين وماشين
وانما حذف لان في قوله من المرسلين دليلا عليه نظيره قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم بمعنى
ما منا احد وقدره ابن عطية رجالا او رسلا والضمير في انهم وما بعده عايد في هذا الموصوف
المحذوف والثاني قال الفرا انها لا محل لها من الاعراب وانما هي صلة لموصول محذوف هو
المفعول الا ارسلنا تقديره الا من انهم فالضمير في انهم وما بعده عايد على معنى من المقدرة
واكتفى بقوله من المرسلين عنه كقوله وان منكم الا واردها اي الا من يردها فعلى قول الزجاج
الموصوف محذوف وعلى قول الفرا الموصول هو المحذوف ولا يجوز حذف الموصول وتبقية الصلة
عند البصريين الا في مواضع تقدم التنبيه عليها في البقرة الثالث ان الجملة محلها النصب على
الحال واليه ذهب ابن الانباري قال التقدير الا وانهم يعني انها حالية فقدر معها الواو
بيانا للحالية فكسر بعد استيناف ورد بكون ما بعد الا صفة لما قبلها وقدره ابو البقا ايضا
والعامة على كسر ان لوجود اللام في خبرها وكون الجملة حالا على الراجح قال ابو البقا وقيل
لو لم تكن اللام لان الجملة حالية اذ المعنى الا وهم اي ما جعلناهم رسلا الى الناس الا لكونهم
مثلهم وقرا العامة يمشون خفيفة وامير المومنين علي بن ابي طالب وعبد الله يمشون مشددا
مبنيا للمفعول اي يمشيهم حوايجهما والناس وقرا عبد الرحمن يمشون بالتشديد مبنيا للفاعل
وهي بمعنى يمشون وقال الشاعر

ومشى باعضان المباه وابتغي • قلا يص منها صعبة وركوب

قال الزمخشري ولو قرئ يمشون لكان اوجه لولا الرواية يعني بالتشديد قال شهاب الدين
قد قرا بها السلمي ولله الحمد **فصل** روي الضحاك عن ابن عباس قال لما عير
المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق
انزل الله عز وجل هذه الاية يعني ما انا الا رسولا وما كنت بدعا من الرسل وهم كانوا ياكلون
الطعام ويمشون في الاسواق كما قال في موضع اخر ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك
وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اي بلية فالغني فتنة للفقير يقول مالي لم اكن مثله والصحيح
فتنة للمريض والشريف فتنة للوضيع قال ابن عباس اي جعلت بعضكم بلا لبعض لتصبروا
على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعون الهدى وقال الكلبي والزجاج والفرا نزلت
في روسا المشركين وفقرا الصحابة فاذا راي الشريف الوضيع قد اسلم قبله انف ان يسلم فاقام
على كفره ليلا يكون للوضيع السابقة والفضل عليه ويدل عليه قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا
اليه وقيل هذا عام في جميع الناس روي ابو الدردا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ويل للعالم
من الجاهل وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان وويل للمالك من المملوك
وويل للشديد من الضعيف وللضعيف من الشديد بعضهم لبعض فتنة وقرا هذه الاية
وروي عن ابن عباس والحسن هذا في اصحاب البلا والعافية والخلق والخلق وفي العقل
وفي العلم وفي الرزق وفي الاجل وقيل هذا احتجاج عليهم في تخصيص محمد بالرسالة مع مساواته
لهم في البشرية وصفاتها فالمرسلون يتاذون من المرسل اليهم بانواع الاذى على ما قال
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا والمرسل اليهم
يتاذون ايضا من الرسل بحسب الحسد وصيرورته مكلفا بالخدمة وبذل النفس والمال بعد
ان كان رئيسا مخدوما والاولى حمل الاية على الكل لان بين الجميع قدرا مشتركا قال عليه
السلام اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والجسم فلينظر الى من دونه في المال والجسم
قوله اتصبرون وكان ربك بصيرا اتصبرون المعادل محذوف اي ام لا تصبرون وهذه الجملة
استفهام والمراد منه التقرير فان موقعه بعد الفتنة موقع ايكم بعد الابتلا في قوله ليبلوكم
ايكم احسن عملا بمعنى انها معلقة لما فيها من معنى فعل القلب فيكون منصوبة المحل على اسقاط
الخافض والمعنى اتصبرون على البلا فقد علمتم ما وعد الصابرين وكان ربك بصيرا اي عالما بمن
يصبر وبمن لا يصبر فيجازي كلا منهم بما يستحقه من ثواب وعقاب قوله تعالى وقال
الذين لا يرجون لقانا الاية هذه هي الشبهة الرابعة لمنكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

لم تنزل الملايكة حتى تشهد وان محمدا محق في دعواه او نرى ربنا حتى يخبرنا بانه ارسله الينا فصل
قال الفرا قوله تعالى الذين لا يرجون لقانا اي لا يخافون لقانا فوضع الرجا موضع الخوف
لغة تهامية اذا كان معه جحد ومنه قوله ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون له عظمة قال
القاضي لا وجه لذلك لان الكلام متى امكن حمله على الحقيقة لم يجز حمله على المجاز والمعلوم من
حال عبادة الاصنام انهم كانوا لا يخافون العقاب لتكذيبهم بالمعاد فلذلك لا يرجون الثواب
فمثل ذلك فقوله لا يرجون لقانا محمول على الحقيقة وهو انهم لا يرجون لقانا وما وعدنا على الطاعة
من الثواب والجنة ومعلوم ان من لا يرجوا ذلك لا يخاف العقاب ايضا فالخوف تابع للرجا
فصل دلت ظاهر الاية على جواز الرؤية لان اللقا جنس تحته انواع احد انواعه
الرؤية والاخر الاتصال والمماسة وههنا باطلان فدل على جواز الرؤية لان الرائي يصل برؤيته
الى حقيقة المرئي فسمى الرؤية لقا وقالت المعتزلة تفسير اللقا برؤية البصر جهل باللغة لانه
يقال في الدعا لقاك الله الخير ويقول القايل لم الق الامير وان راه من بعيد اذا حجب عنه
ويقال في الضرير لقي الامير اذا اذن له ولم يحجب وقد تلقاه في الليلة الظلما ولا يراه بل المراد
من اللقا ههنا المصير الى حكمه حيث لا حكم لغيره في يوم لا تملك نفس لنفس شيا لا انه رؤية
البصر قال ابن الخطيب وهذا الكلام ضعيف لان اللفظ الموضوع لمعنى مشترك بين معاني
كثيرة ينطلق على كل واحد من تلك المعاني فيصح قوله لقاك الله الخير ويصح قول الاعمى
لقيت الامير ويصح قول البصير لقيته بمعنى ما وصلت اليه واذا ثبت هذا فنقول قوله وقال
الذين لا يرجون لقانا مذكور في معرض الذم لهم فوجب ان يكون رجا اللقا حاصلا ويسمى اللقا
مشترك بين الوصول المكاني وبين الوصول بالرؤية وقد بطل الاول فتعين الثاني وتوهم
المراد من اللقا الوصول الى حكمه صرف للفظ عن ظاهره بغير دليل فثبت دلالة الاية على صحة
الرؤية على وجوبها بل على ان انكار الرؤية ليس الا من دين الكفار قوله لولا انزل اي هلا
انزل علينا الملايكة فيخبرونا ان محمدا صادقا او نرى ربنا فيخبرنا بذلك لقد استكبروا في انفسهم
بهذه المقالة قال الكلبي ومقاتل نزلت الاية في ابي جهل والوليد واصحابهما المنكرين للنبوة
والبعث قوله عتوا مصدر وقد صحح هنا وهو الاكثر واعلى في مريم في عتيا لمناسبة ذكرت هناك
وهي تواخي روس الفواصل **فصل** قال مجاهد عتوا طغوا وقال مجاهد عتوا علوا في
القول والعتو اشد الكفر وافحش الظلم وعتوهم طلبهم روية الله حتى يومنوا به وقوله في انفسهم
لانهم الاستكبار في قلوبهم واعتقدوه كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وعتوا تجاوزوا
الحد في الظلم **فصل** وهذا جواب عن شبهتهم وبيانه من وجوه احدها ان القران لما
ظهر كونه معجزا فقد تمت دلالة نبوة محمد عليه السلام فعند ذلك يكون اقتراح امثال هذه الايات
لا تكون الا محض التعنت والاستكبار وثانيها ان نزول الملايكة لو حصل لكان ايضا من جملة المعجزات
فلا يدل على الصدق لخصوص كونه نزول الملك بل لعموم كونه معجزا فيكون قبول ذلك المعجز ورد
المعجز الاخر ترجيحا لاحد المثلين على الاخر من غير مزيد فايدة ومرجح وهو محض الاستكبار والتعنت
وثالثها انهم بتقدير ان يروا الرب ويسالوه عن صدق محمد عليه السلام وهو سبحانه يقول نعم هو
رسولي فذلك لا يزيد في التصديق على اظهار المعجز على يد محمد عليه السلام لان ابانة المعجزة
تقوم مقام التصديق بالقول اذ لا فرق وقد ادعى النبوة بين ان يقول اللهم ان كنت صادقا
فاحي هذا الميت فيحييه الله تعالى والعادة لم تجز بمثله وبين ان يقول له صدقت واذا كان
التصديق بالقول والتصديق الحاصل بالمعجز سيان في كونه تصديقا للمدعي كان تعيين احدهما
محض استكبار وتعنت ورابعها يمكن ان يكون المراد ان الله تعالى قال لو علمت انهم ما ذكروا هذا
السوال لاجل الاستكبار والعتو الشديد لاعطيتهم مقترحهم ولكني علمت انهم ذكروا هذا الاقتراح
لاجل الاستكبار والتعنت فلو اعطيتهم مقترحهم لما انتفعوا به فلا جرم لا اعطيهم ذلك وخامسها
لعلهم سمعوا من اهل الكتاب ان الله لا يرى وانه تعالى لا ينزل الملايكة في الدنيا على عوام الخلق ثم
انهم علقوا ايمانهم على ذلك على سبيل الاستهزا **فصل** استدل المعتزلة بهذه الاية على
عدم الرؤية لان رؤيته لو كانت جايزة لما كان سوالها عتوا واستكبارا فالوا فقوله لقد استكبروا
في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا ليس الا لاجل سوال الرؤية واستعظم في اية اخرى قولهم لن نومن لك حتى

يري الله جهرة فاخذتهم الصاعقة فثبت ان الاستكبار والعتو هنا انما حصل لاجل سوال الرؤية
وتقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة ونقول ههنا انا بينا ان قوله وقال الذين لا يرجون لقانا
على الرؤية واما الاستكبار والعتو فلا يدل ذلك على ان الرؤية مستحيلة لان من طلب شيا محالا لا
لا يقال انه عتا واستكبر الا ترى قولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة لم يثبت لهم بطلب هذا المحال عتوا
واستكبارا بل قال انكم قوم تجهلون ومما يدل على ذلك ان موسى عليه السلام لما قال رب ارني انظر
اليك ما وصفه الله بالاستكبار والعتو لانه عليه السلام طلب الرؤية شوقا وهولاء لما طلبوها
امتحانا وتعنتا لاجرم وصفهم بذلك قوله يوم يرون فيه اوجه احدها انه منصوب باضمار
فعل يدل عليه قوله لا بشرى اي يمنعون البشرى يوم يرون الثاني انه منصوب باذكر فيكون مفعولا
به الثالث انه منصوب بيعذبون مقدرا ولا يجوز ان يعمل فيه نفس البشرى لوجهين احدهما
انه مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله والثاني انها منفية بلا وما بعد لا يعمل فيما قبلها قوله
لا بشرى هذه الجملة معمولة لقول مضمر اي يرون الملائكة يقولون لا بشرى فالقول حال من
الملائكة وهو نظير التقدير في قوله والملائكة يدخلون الى قوله سلام عليكم قال ابو
حيان واحتمل بشرى ان يكون مبنيا مع لا واحتمل ان يكون في نية التنوين منصوب اللفظ ومنع
من الصرف للتانيث اللازم فان كان مبنيا مع لا احتمل ان يكون يومئذ خبرا وللمجرمين خبر بعد
خبر او نعتا للبشرى او متعلقا بما تعلق به الخبر وان يكون يومئذ صفة لبشرى والخبر للمجرمين
ويجي خلاف سيبويه والاخفش هل الخبر لنفس لا او الخبر للمبتدا الذي هو مجموع لا وما بني معها
وان كان في نية التنوين وهو معرب جاز ان يكون يومئذ وللمجرمين خبرين وجاز ان يكون
يومئذ خبرا وللمجرمين صفة والخبر اذا كان الاسم ليس مبنيا لنفس لا باجماع قال شهاب الدين
قوله واحتمل ان يكون في نية التنوين الى اخره لا يتاتى الا على قول ابي اسحاق وهو انه
يرى ان اسم لا النافية للجنس معرب ويعتذر عن حذف التنوين بكثرة الاستعمال ويستدل عليه
بالرجوع اليه في الضرورة وينشد الا رجلا جزاه الله خيرا دينا ولذا البصريون على اضمار الا
تروني رجلا وكان يمكن الشيخ ان يجعله معربا كما ادعى بطريق اخرى وهي ان يجعل بشرى عاملة
في يومئذ وفي للمجرمين فينتصب من قبيل المطول والمطول معرب لكنه لم يتم بذلك وسياتي شي
من هذا في كلام ابي البقا رحمه الله تعالى ويجوز ان يكون بشرى معربا منصوبا بطريق اخرى
وهي ان تكون منصوبة بفعل مقدر اي لا يبشرون بشرى كقوله تعالى لا مرحبا بهم لا اهلا ولا
سهلا الا ان كلام الشيخ لا يمكن تنزيله على هذا لقوله جاز ان يكون يومئذ وللمجرمين خبر
فقد حكم ان لها خبرا واذا جعلت منصوبة بفعل مقدر لا يكون للا حينئذ خبر لانها داخلة
على ذلك الفعل المقدر وهذا موضع حسن قوله يومئذ للمجرمين قد تقدم في يومئذ
اوجه وجوز ابو البقا ان يكون منصوبا ببشرى قال اذا قدرت انها منونة غير مبنية مع لا
ويكون الخبر للمجرمين وجوز ايضا هو والزمخشري ان يكون يومئذ تكريرا ليوم يرون ورده ابو
حيان سوا اريد بالتكرير التوكيد اللفظي ام اريد به البدل قال لان يوم منصوب بما تقدم
ذكره من اذكر او من يعدمون البشرى وما بعد لا العاملة في الاسم لا يعمل فيه ما قبلها وعلى تقدير
ما ذكراه يكون العامل فيه ما قبل لا وما ورده ليس بظاهر لان الجملة المنفية معمولة للقول المضمر
الواقع حالا من الملائكة والملائكة معمولة ليرون ويرون معمول ليوم خفضا بالاضافة
فلا وما في حيزها من تتمة الظرف الاول من حيث انها معمولة ليرون لبعض ما في حيزه فليست
باجنبية ولا ما نفته من ان يعمل ما قبلها فيما بعدها والعجب له كيف تخيل هذا وغفل عما تقدم
فانه واضح مع التامل وللمجرمين من وضع الظاهر موضع المضمر شهادة عليهم بذلك والضمير
في يقولون يجوز عوده للكفار وللملائكة وحجرا من المصادر الملتزم اضمار ناصبها ولا ينصرف
فيه نحو معاذ الله ومعدل وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو وهجوم نازلة
ونحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل للرجل اتفعل كذا فيقول
حجرا وهي من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه ولا يلحقه وكان المعنى اسال
الله ان يمنعه منعا ويحجره حجرا والعامة على كسر الحا والضحاك والحسن وابو رجا على ضمها وهو
لغة فيه قال الزمخشري ومجيه على فعل او فعل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه

بموضع

بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وانشد لبعض الرجاز قالت وفيها حيد وذعر عوذ بر
منكم وحجر وهو الذي انشده الزمخشري يقتضي تصرف حجرا وقد تقدم نص سيبويه على انه لا
يلتزم النصب وحكى ابو البقا فيه لغة ثالثة وهي الفتح قال وقد قري بها فيكمل هذا فيه
ثلاث لغات محترو بهن ومحجورا صفة موكدة للمعنى كقولهم ذيل ذايل والذيل الهوان وموت
مايت والحجر العقل لانه يمنع صاحبه قوله يوم يرون الملائكة عند الموت قاله ابن عباس وقال
الباقون يريد يوم القيمة لا بشرى يومئذ للكافرين قالت المعتزلة الاية تدل على القطع
بوعيد الفساق وعدم العفو لان قوله لا بشرى للمجرمين نكرة في سياق النفي فيعم جميع انواع
البشرى في جميع الاوقات بدليل من اراد تكذيب هذه القضية قال له بشرى في الوقت الفلاني
فلما كان ثبوت البشرى في وقت من الاوقات يذكر لتكذيب هذه القضية علمنا ان قوله لا بشرى يقتضي
نفي جميع البشرى في كل الاوقات وشفاعة الرسول لهم من اعظم البشرى فوجب ان لا يثبت ذلك
لاحد من المجرمين والكلام على التمسك بصيغ العموم وقد تقدم مرارا **فصل** اختلفوا في
القايلين حجرا محجورا انهم من هو فقال ابن جريج كانت العرب اذا نزلت بهم شدة وراوا ما يكرهون
قالوا حجرا محجورا فهم يقولونه اذا عاينوا الملائكة قال مجاهد يعني عوذا معاذا فيستعيذون
من الملائكة وقال ابن عباس تقول الملائكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله
قال مقاتل اذا خرج الكفار من قبورهم قالت لهم الملائكة حجرا محجورا اي حرام محرم عليكم
ان يكون لكم البشرى قوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل اي وعمدنا الى عملهم قوله فجعلناه هبا
منثورا الهبا والهبوة التراب الدقيق قاله ابن عرفة قال الجوهري يقال فيه هبا يهبو اذا ارتفع
واهبته انا اهبا وقال الخليل والزجاج هو مثل الغبار الداخل في الكوة يترايا مع ضوء الشمس
فلا يمس بالايدي ولا يرى في الظل وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقيل الهبا ما تطاير من شرر
النار اذا اضرمت والواحدة هباة على حد تمر وتمرة ومنثورا اي مفرقا نثرت الشي فرقته والنثرة
لنجوم متفرقة والنثر الكلام غير المنظوم على المقابلة بالشعر قال ابن عباس وقتادة وسعيد
ابن جبير وهو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر وقال مقاتل هو ما يسطع من
حوافر الدواب عند المسير وفايدة الوصف به ان الهبا تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته تفرق فجي
بهذه الصفة ليفيد ذلك وقال الزمخشري او مفعول ثالث لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة الهبا
والتناثر كقوله كونوا قردة خاسين اي جامعين للمسخ والخسي قال ابو حيان وخالف ابن درستويه
فخالف النحويين في منعه ان يكون لكان خبران وان يدوقياس قوله في جعل ان يمنع ان يكون لها خبر
ثالث قال شهاب الدين مقصوده ان كلام الزمخشري مردود قياسا على ما منعه ابن درستويه من
تعدد خبر كان قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا اي من هولاء المشركين المستكبرين
واحسن مقيلا موضع قايلة وفي افعل هاهنا قولان احدهما انها على بابها من التفضيل والمعنى ان
المومنين خير في الاخرة مستقرا من مستقر الكفار واحسن مقيلا من مقيلهم لو فرض ان يكون لهم
ذلك او على انهم خير في الاخرة منهم في الدنيا والثاني ان يكون لمجرد الوصف من غير مفاضلة فصل
قال المفسرون يعني ان اهل الجنة لا يمر بهم يوم القيمة الا قدر النهار من اوله الى قدر القايلة حتى
يسكنوا مساكنهم من الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيمة حتى يقيل اهل الجنة في الجنة
واهل النار في النار وقرا ثم ان مقيلهم لالى الجحيم وهكذا كان يقرا وقال ابن عباس في هذه الاية
الحساب ذلك اليوم في اوله وقال قوم حين قالوا في منازلهم قال الازهري القيلولة والقيل
استراحة نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال واحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها
وروي ان يوم القيامة يقصر على المومنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس قوله ويوم
تشقق العامل في يوم اما اذكر واما ينفرد الله بالملك يوم تشقق لدلالة قوله الملك يومئذ الحق
للرحمن عليه وقرا الكوفيون وابو عمرو هنا وفي ق تشقق بالتخفيف والباقون بالتشديد وهما
واضحتان حذف الكوفيون تا المضارعة او تا التفعل على خلاف في ذلك والباقون ادغموا تا التفعل
في الشين لما بينهما من المقاربة وهما كتظاهرون وتظاهرون حذفا وادغاما وقد مضى في البقرة قوله
بالغمام في هذه البا ثلاثة اوجه احدها على السببية اي بسبب الغمام يعني بسبب طلوعه منها ونحوه السما
منفطر به كانه الذي تنشق به السما الثاني انها للحال اي ملتبسة بالغمام الثالث انها بمعنى عن اي

عن الغمام كقوله يوم تشقق الارض عنهم **قوله** ونزل الملايكة فيها اثنتا عشرة قراة ثنتان في
المتواتر وتسع في الشاذ فقرا ابن كثير من السبعة وننزل بنون مضمومة ثم اخري ساكنة وزاي خفيفة
مكسورة مضارع انزل والملايكة بالنصب مفعول به وكان من حق المصدر ان يجي بعد هذه القراة علي
انزال قال ابو علي لما كان انزل ونزل يجريان مجري واحدا جا مصدر احدهما عن مصدر الاخر وانشد
وقد تطويت انطوا الحضب لان تطويت وانطويت بمعني وشله وتبتل اليه تبتيلا وقرا الباقون من
السبعة ونزل بضم النون وكسر الزاي المشددة وفتح اللام ماضيا مبنيا للمفعول الملايكة بالرفع لقيامه
مقام الفاعل وهي موافقة لمصدرها وقرا ابن مسعود وابو رجا ونزل بالتشديد ماضيا مبنيا للفاعل
وهو الله تعالي الملايكة مفعول به وعنه ايضا وانزل مبنيا للفاعل عداه بالتضعيف مرة وبالهمزة اخري
والاعتذار عن مجي مصدره علي التفعيل كالاعتذار عن ابن كثير وعنه ايضا وانزل مبنيا للمفعول وقرا
هارون عن ابي عمرو وتنزل الملايكة بالتاء من فوق وتشديد الزاي ورفع اللام مضارعا مبنيا للفاعل
الملايكة بالرفع مضارع نزل بالتشديد وعلي هذه القراة فالمفعول محذوفا اي وتنزل الملايكة ما
امرت ان تنزله وقرا الخفاف عنه وجناح بن حبيش ونزل مخففا مبنيا للفاعل الملايكة بالرفع وخارجة
عن ابي عمرو ايضا وابو معاذ ونزل بضم النون وتشديد الزاي ونصب الملايكة والاصل بنونين وتشديد
الزاي وقرا ابي ونزلت بالتشديد مبنيا للمفعول وتنزلت بزيادة تاء في اوله وتاء التانيث فيهما وقراه
ابو عمرو في طريقة الخفاف عنه ونزل بضم النون وكسر الزاي خفيفة مبنيا للمفعول قال صاحب اللوامح
فان صحت هذه القراة فانه حذف منها المضاف واقيم المضاف اليه مقامه تقديره ونزل نزول الملايكة
فحذف النزول ونقل اعرابه الي الملايكة بمعنى نزل نازل الملايكة لان المصدر يجي بمعنى الاسم وهذا مما
يجي علي مذهب سيبويه ترتيب بنا اللازم للمفعول به لان الفعل يدل علي مصدره قال شهاب الدين
وهذا تمحل لتبرد عت اليه ضرورة الصناعة وقال ابن جني وهذا غير معروف لان نزل لا يتعدي الي
مفعول بني هنا للملايكة ووجهه ان يكون مثل زكم الرجل وجن فانه لا يقال الا ازكمه واجنه الله
وهذا باب سماع لا قياس ونظير هذه القراة ما تقدم في سورة الكهف في قراة من قرا فلا نقوم له يوم
القيمة وزنا بنصب وزن من حيث تعديه القاصر وتقدم ما فيها **فصل** الغمام هو الابيض
الرقيق مثل الضباب ولم يكن الا لبني اسرايل في تيههم والالف واللام في الغمام ليس للعموم بل للمعهود
وهو ما ذكره في قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام قال ابن عباس تشقق سما الدنيا
فينزل اهلها وهم اكثر ممن في الارض من الجن والانس ثم تشقق السما الثانية فينزل اهلها وهم اكثر ممن
في السما الدنيا ومن الجن والانس ثم كذلك حتى تشقق السما السابعة واهل كل سما يزيدون علي اهل السما
التي قبلها ثم ينزل الكروبيون ثم حملة العرش فان قيل نسبة الارض الي سما الدنيا كحلقة
في فلاة فكيف بالقياس الي الكرسي والعرش فلا بد لهذه المواضع من مقر للملايكة **قوله** الملك يوميذ فيه
اوجه احدها ان يكون الملك مبتدا والخبر الحق ويوميذ متعلق بالملك وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف علي
التبيين او بمحذوف علي انه صفة للحق الثاني ان الخبر يوميذ والحق نعت للملك وقيل ويجوز نصب الحق
باضمار اعني **فصل** المعنى ان الملك الذي هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيمة قال ابن عباس
يريد ان يوم القيمة لا ملك يقضي غيره ومضى وصفه بكونه حقا انه لا يزول ولا يتغير فان قيل مثل
هذا الملك لمن يكن قط الا للرحمن فما الفايدة في قوله يوميذ فالجواب لان في ذلك اليوم لا مالك له سواه
لا في الصورة ولا في المعنى فتخضع له الملوك وتعنوا له الوجوه وتذل له الجبابرة بخلاف ساير الايام
وكان يوما علي الكافرين عسيرا اي شديدا وهذا الخطاب يدل علي انه لا يكون علي المومنين عسيرا جا في
الحديث انه يهون يوم القيمة علي المومن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا قوله
ويوم يعض الظالم يوم معمول لمحذوف او معطوف علي يوم تشقق ويعض مضارع عض ووزنه فعل
بكسر العين بدليل قولهم عضضت اعض وحكى الكسايي فتحها في الماضي فعلى هذا يقال اعض بالكسر
في المضارع والعض هنا كناية عن شدة الندم ومثله حرق نابه قال

• ابي الضيم والنعمان يحرق نابه • عليه فامضى والسيوف معاقله •

وهذه الكناية ابلغ من تصريح المكني عنه **فصل** الـ في الظالم يحتمل العهد والجنس علي
خلاف في ذلك فالقايلون بالعهد اختلفوا علي قولين الاول قال ابن عباس اراد بالظالم عقبة بن ابي
معيط بن امية بن عبد شمس كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودعا الجيران واشراف قومه وكان

يكثر مجالسة النبي صلي الله عليه وسلم ويعجبه حديثه فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما
ودعا الناس ودعا الرسول فلما قرب الطعام قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما انا باكل
طعامك حتى تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله فقال عقبة اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله فاكل الرسول من طعامه وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فلما اتي ابي بن
خلف قال له يا عقبة صبات قال لا والله ما صبات ولكن دخل علي رجل فابي ان ياكل طعامي الا ان
اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما انا بالذي ارضى منك
ابدا الا ان تاتيه وتبصق في وجهه وتطا علي عنقه ففعل ذلك عقبة فقال عليه السلام لا القاك
خارجا من مكة الا علوتك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا واما ابي بن خلف فقتله النبي صلي
الله عليه وسلم بيده يوم احد قال الضحاك لما بزق عقبة في وجه رسول الله صلي الله عليه وسلم
عاد بصاقه في وجهه فاحترق خداه فكان اثر ذلك فيه حتى الموت وقال الشعبي كان عقبة بن ابي
معيط خليل امية بن خلف فاسلم عقبة فقال امية وجهي من وجهك حرام ان بايعت محمدا فكفر
وارتد فانزل الله عز وجل ويوم يعض الظالم علي يديه يعني عقبة يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول
سبيلا اي ليتني اتبعت محمدا فاتخذت معه سبيلا الي الهدي وقرا ابو عمرو يا ليتني اتخذت بفتح اليا
والاخرون باسكانها الثاني قالت الرافضة الظالم هو رجل بعينه وان المسلمين غيروا اسمه وكتموه
وجعلوا فلانا بدلا من اسمه وذكروا فاضلين من اصحاب الرسول ومن حمل الالف واللام علي العموم
لانها اذا دخلت علي الاسم المفرد افادت العموم بالقرينة وهي ان ترتيب الحكم علي الوصف مشعر بعلية
الوصف فدل علي ان المؤثر في العض علي اليدين كونه ظالما فيعم الحكم لعموم علته وهذا القول اولي
من التخصيص بصورة واحدة ونزوله في واقعة خاصة بل تدخل فيه تلك الصورة وغيرها والمقصود
من الاية زجر الكل عن الظلم وذلك لا يحصل الا بالعموم **فصل** قال الضحاك ياكل
يديه الي المرفق ثم تنبت ولا يزال هذا كلما اكلها نبتت وقال المحققون هذه اللفظة للتحسر
والغم يقال عض اناملة وعض علي يديه قوله يقول هذه الجملة حال من فاعل يعض وجملة
التمني بعد القول محكية به وتقدم الكلام في مباشرة يا ليت في النسا قوله يا ويلتا قرا الحسن يا ويلتي
بكسر التا وياء صريحة بعدها وهي الاصل وقرا الدوري بالامالة قال ابو علي وترك الامالة احسن لان
اصل هذه اللفظة اليا فبدلت الكسرة فتحة والياء الفا فرارا من اليا فمن امال رجع الي الذي منه
فر اولا وهذا منقوض بنحو باع فان اصله اليا ومع ذلك اما لوه وقد اما لوا يا حسرتا علي ما فرطت ويا اسفي
وهما كيا ويلتي في كون الفهما عن يا المتكلم وفلان كناية عن علم من يعقل وهو متصرف وقيل كناية
عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة عمن يعقل من الاناث والفلان والفلانة بالالف واللام
من غير العاقل ويختص فل وفله بالندا الا في ضرورة كقوله • في لجة امسك فلانا عن فل •
وليس فل مرخما من فلان خلافا للفرا وزعم ابو حيان ان ابن عصفور وابن مالك وابن العلج
وهموا في جعلهم فل كناية عن علم من يعقل كفلان ولام فل وفلان فيها وجهان احدهما انها واو والثاني
انها يا **فصل** وتقدم الكلام في يا ويلتي في هود ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني ابي بن
خلف لقد اضلني عن الذكر عن الايمان والقران بعد اذ جاني يعني الذكر مع الرسول وكان الشيطان
وهو كل متمرد عات من الجن والانس وكل من صد عن سبيل الله فهو شيطان وقيل اشار الي
خليله وقيل اراد ابليس فانه الذي حمله علي ان صار خليلا لذلك المضل ومخالفة الرسول
ثم خذله وهو معني قوله للانسان خذولا اي تاركا يتركه ويتبرا منه عند نزول البلا والعذاب
وقوله وكان الشيطان يحتمل ان يكون هذه الجملة من مقول الظالم فتكون منصوبة المحل
بالقول وان يكون من مقول الباري تعالي فلا محل لها لاستينافها **قوله** تعالي وقال الرسول
يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا قال اكثر المفسرين ان هذا القول وقع من الرسول
وقال ابو مسلم بل المراد ان الرسول يقوله في الاخرة كقوله فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد
وجينا بك علي هولاء شهيدا والاول اولي لان قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
تسلية للرسول ولا يليق ذلك الا اذا وقع القول منه ومهجورا مفعول ثان لاتخذوا وحال
وهو مفعول من الهجر بفتح الها وهو الترك والبعد اي جعلوه متروكا بعيدا لم يومنوا به ولم
يقبلوه واعرضوا عن استماعه وقيل هو من الهجر بالضم اي مهجورا فيه ثم حذف الجار بدليل قوله

مستكبرين به سامرا تهجرون وهجرهم فيه قولهم فيه انه شعر وسحر واساطير الاولين
وكذب وهجراي هذيان قال عليه السلام من تعلم القران وعلق مصحفا ولم يتعاهده ولم
ينظر فيه جا يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض
بيني وبينه وجعل الزمخشري مفعولا هنا مصدرا بمعنى الهجر قال كالمحلود والمعقول قال
شهاب الدين وهو غير مقيس ضبطه اهل اللغة في الفاظ فلا يتعدى الا بنقل قوله تعالى
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا الاية ذكر ذلك تسلية للرسول وان له اسوة بساير الرسل فليصبر
على ما يلقاه من قومه كما صبروا اولوا العزم من الرسل وكفى بربك هاديا ونصيرا قال المفسرون
البا زايدة بمعنى كفى ربك وهاديا ونصيرا منصوبان على الحال وقيل على التمييز هاديا الى
مصالح الدين والدنيا ونصيرا على الاعدا **فصل** احتج اهل السنة بهذه الاية على
انه تعالى خلق الخير والشر لان قوله جعلنا لكل نبي عدوا يدل على ان تلك العداوة من جعل
الله تعالى وتلك العداوة كفر قال الجبائي المراد من الجعل التبيين لانه تعالى لما بين انهم اعداه
فقد جعل انهم اعداه كما اذا بين الرجل ان فلانا لص فقد جعله لصا وكما يقال في الحاكم انه
عدل فلانا وفسق فلانا وجرحه وقال الكعبي انه تعالى لما امر بعداوة الكفار وعداوتهم
للكفار يقتضي عداوته لهم فلهذا جاز ان يقول وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
لانه سبحانه هو الذي حمله ودعاه الى ما استعقب تلك العداوة وقال ابو مسلم يحتمل في
العدو انه البعيد لا الغريب اذ المعاداة المباعدة كما ان النصرة قرب من الظاهرة وقد باعد الله
بين المومنين والكافرين والجواب عن الاول ان التبيين لا يسمى البته جعلا لان من بين
لغيره وجود الصانع وقدمه لا يقال انه جعل الصانع وجعل قدمه والجواب عن الثاني ان
الذي امر الله تعالى هل له تاثير في وقوع العداوة في قلوبهم اوليس له فيه تاثير فان كان
الاول فقد تم الكلام لان عداوتهم للرسول كفر فاذا امر الله الرسول بما له اثر في تلك العداوة
فقد امر بما له اثر في وقوع الكفر وان لم يكن له فيه تاثير البته كان منقطعا عنه بالكلية
فيمتنع اسناده اليه وهذا هو الجواب عن قول ابي مسلم فان قيل قوله عليه السلام يا رب
ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا في المعنى كقول نوح عليه السلام اني دعوت قومي ليلا
ونهارا فلم يزدهم دعاي الا فرارا فكما ان المقصود من هذا انزال العذاب فكذا هنا فكيف
يليق هذا بمن وصفه الله بالرحمة في قوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فالجواب ان نوحا
عليه السلام لما ذكر ذلك دعا عليهم واما محمد عليه السلام لما ذكر هذا ما دعا عليهم بل انتظر
فلما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كان ذلك كالامر له بالصبر على ذلك وترك الدعا
عليهم فافترقا فان قيل قوله جعلنا صيغة التعظيم والعظيم اذا ذكر نفسه في معرض التعظيم
وذكر انه يعطي فلا بد وان يكون تلك العطية عظيمة كقوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني
والقران العظيم وقوله انا اعطيناك فكيف يليق بهذه الصيغة ان تكون تلك العطية هي
العداوة التي هي منشا الضرر في الدين والدنيا فالجواب خلق العدو وتسبب لازدياد المشقة
التي هي موجبة لمزيد الثواب قوله تعالى وقال الذين كفروا لولا انزل عليه القران الاية
هذه شبهة لمنكري النبوة فان اهل مكة قالوا تزعم انك رسول من عند الله فهلا تاتينا
بالقران جملة كما اتى موسى بالتورية جملة وكما اتى عيسى بالانجيل جملة وداود بالزبور قال
ابن جريج من اوله الى اخره في ثنتين او ثلاث وعشرين سنة وجملة حال من القران اذ هي
في معنى مجتمعا قوله كذلك الكاف اما مرفوعة المحل اي الامر كذلك ولنثبت علة لمحذوف
اي لنثبت فعلنا ذلك واما منصوبة على الحال اي انزل مثل ذلك او على النعت لمصدر محذوف
ولنثبت متعلق بذلك الفعل المحذوف وقال ابو حاتم هي جواب قسم وهذا قول مرجوح
نحا اليه الاخفش وجعل منه ولتصغى وقد تقدم في الانعام وقرا عبد الله ليثبت باليا اي الله
تعالى **فصل** هذا جواب عن شبهتهم وبيانه من وجوه احدها انه عليه السلام لم
يكن من اهل القراة والكتابة فلو نزل ذلك عليه جملة واحدة كان لا يضبط ويجاز عليه فيه
الخطا والغلط وثانيها ان من كان الكتاب عنده فربما اعتمد على الكتاب وتساهل في الحفظ
فالله تعالى ما اعطاه الكتاب جملة واحدة بل كان ينزل عليه وظيفة ليكون حفظه له اكمل

فيكون ابعد عن المساهلة وقلة التحصيل وثالثها انه تعالى لو انزل الكتاب جملة واحدة لنزلت
الشرايع باسرها دفعة على الخلق فكان يثقل عليهم ذلك فيما نزل مفرقا منجما نزلت التكاليف
قليلا قليلا فكان تحملها اسهل ورابعها انه اذا شاهد جبريل حالا بعد حال يقوى قلبه بمشاهدته
على ادا ما حمل وعلى الصبر على عوارض النبوة وعلى احتمال الاذى وعلى التكاليف الشاقة وخامسها
انه لما شرط الاعجاز فيه مع كونه منجما ثبت كونه معجزا فانه لو كان ذلك مقدورا للبشر لوجب ان
ياتوا بمثله منجما مفرقا ولما عجزوا عن معارضته بجومه المفرقة فعن معارضة الكل اولى وسادسها
كان القران ينزل بحسب اسولتهم ووقايعهم فكانوا يزدادون بصيرة وكان ينضم الى الفصاحة
الاخبار عن الغيوب وسابعها ان السعادة بين الله وبين انبيايه وتبليغ كلامه الى الخلق منصب
عظيم فيحتمل ان يقال انه تعالى لو انزل القران على محمد دفعة واحدة لبطل المنصب على جبريل
عليه السلام فلما انزله مفرقا منجما بقي ذلك المنصب العالي عليه فلذلك جعله الله تعالى منجما
قوله كذلك يحتمل ان يكون من تمام كلام المشركين اي جملة واحدة كذلك اي كالتوراة والانجيل
ويحتمل ان يكون من كلام الله تعالى ذكره جوابا لهم اي كذلك انزلناه مفرقا فان قيل كذلك
اشارة الى شي تقدمه والذي تقدمه هو انزاله جملة فكيف فسر بكذلك انزلناه مفرقا فالجواب
ان الاشارة ليسيره دون قطع النفس ومنه ثغر رتل ومرتل اي مفلج الاسنان بين اسنانه
فرج يسيرة قال الزمخشري ونزل هنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر والا تدافعا يعني ان
نزل بالتشديد يقتضي بالاصالة التنجيم والتفريق فلو لم يجعل بمعنى انزل الذي لا يقتضي ذلك
لتدافع مع قوله جملة لان الجملة تنافي التفريق وهذا بناء منه على معتقده وهو ان التضعيف
يدل على التفريق وقد نص على ذلك في مواضع من الكشاف في سورة البقرة واول ال عمران
واخر الاسرا وحكي هناك عن ابن عباس ما ينوي ظاهره صحة قوله **فصل** ورتلناه ترتيلا
قال ابن عباس بيناه بيانا والترسل التبيين في ترسل وتثبت وقال السدي فصلناه تفصيلا
وقال مجاهد بعضه في اثر بعض وقال النخعي والحسن وقتادة فرقناه تفريقا اية بعد اية
قوله ولا ياتونك يعني المشركين بمثل يضربونه في ابطال امرك الا جيناك بالحق الذي يدفع
ما جاوا به من المثل ويبطله كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق
فسمى ما يوردون من الشبه حقا قوله الا جيناك بالحق هذا الاستثنا مفرغ والجملة في محل نصب
على الحال اي لا ياتونك بمثل الا في حال ايتاينا اياك كذا والمعنى ولا ياتونك بسوال عجيب الا
جيناك بالامر الحق واحسن تفسيرا اي بيانا وتفصيلا وتفسيرا تمييز والمفضل عليه محذوف
تفسيرا من مثلهم والتفسير تفعيل من الفسر وهو كشف ما قد غطي ثم ذكر مال هولا المشركين فقال
الذين يحشرون على وجوههم يساقون ويجرون الى جهنم وروي انهم يمشون في الاخرة مقلوبين
على وجوههم على القفا وارجلهم الى فوق وقال عليه السلام ان الذي امشاهم على ارجلهم قادر
على ان يمشيهم على وجوههم والاول اولى لانه ورد ايضا قوله الذين يحشرون يجوز رفعه خبر
مبتدا محذوف اي هم الذين ويجوز نصبه على الذم ويجوز ان يرتفع بالابتدا وخبره الجملة من
قوله اوليك شر مكانا ويجوز ان يكون اوليك بدلا او بيانا للموصول وشر مكانا خبر الموصول
قوله اوليك شر مكانا منزلا ومصيرا من اهل الجنة واضل سبيلا واخطا طريقا وههنا سوال
كما تقدم في قوله اصحاب الجنة يوميذ خير مستقرا ولما تكلم في التوحيد ونفي الانداد واثبات
النبوة واحوال القيمة شرع في ذكر القصص على الطريقة المعلومة قوله تعالى ولقد اتينا
موسى الكتاب الاية ولما قال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وذكر ذلك في معرض
التسلية له ذكر جماعة من الانبيا وعرفه عضده باخيه هارون قال تكذيب اممهم والمعنى لست
يا محمد باول من ارسلنا فكذب فقد اتينا موسى الكتاب وقوينا عضده باخيه هارون فان
قيل كون هارون وزيرا كالمنافي لكونه شريكا بل يجب ان يقال انه لما صار حرج عن كونه
وزيرا فالجواب لا منافاة بين الصنفين لانه لا يمتنع ان يشركه في النبوة ويكون وزيرا وظهيرا
ومعينا له فلا وجه لقول من قال في قوله فقلنا اذهبا انه خطاب لموسى عليه السلام وحده
بل يجري مجرى قوله اذهبا الى فرعون انه طغى قوله هرون بدل او بيان او منصوب على
القطع ووزيرا مفعول ثان وقيل حال والمفعول الثاني قوله معه قال الزجاج الوزير في

اللغة الذي يرجع اليه ويعمل برايه والوزر ما يعتصم به ومنه كلا لا وزر لا منجا ولا ملجا قال
القاضي ولذلك لا يوصف تعالي بان له وزير قوله فقلنا اذهبا الي القوم الذين كذبوا
باياتنا يعني القبط قوله فدمرناهم العامة علي فدمرنا فعلا ماضيا معطوفا علي محذوف اي
فذهبا فكذبوهما فدمرناهم تدميرا اهلكناهم اهلاكا وقرا علي كرم الله وجهه فدمراهم امر الموسي
وهرون وعنه ايضا فدمرانهم كذلك ايضا ولكنه موكد بالنون الشديدة وعنه ايضا فدمرا بهم
بزيادة با الجر بعد فعل الامر وهي تشبه القراة قبلها في الخط ونقل عند الزمخشري فدمرتهم
بتاء المتكلم فان قيل الفا للتعقيب والاهلاك لم يحصل عقيب بعث موسي وهرون اليهم بل
بعده بمدة مديدة فالجواب فالتعقيب محمولة هنا علي الحكم بالاهلاك لا علي الوقوع وقيل
انه تعالي اراد اختصار القصة فذكر المقصود منها اولها واخرها والمراد الزام الحجة ببعثة الرسل
واستحقاق التدمير بتكذيبهم واعلم ان قوله كذبوا باياتنا ان حملنا تكذيب الايات علي
تكذيب الايات الالهية فلا اشكال وان حملناه علي تكذيب ايات النبوة فاللفظ وان كان
للماضي فالمراد به المستقبل قوله تعالي وقوم نوح الاية يجوز ان يكون قوم منصوبا
عطفا علي مفعول دمرناهم ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مضمر يفسره قوله اغرقناهم ويرجح
هذا بتقدم جملة فعلية فنبه هذا اذا قلنا ان لما ظرف زمان واما اذا قلنا انها حرف وجوب
لوجوب فلا يتاتي ذلك لان اغرقناهم حينئذ جواب لما وجوابها لا يفسر ويجوز ان يكون
منصوبا بفعل مقدر لا علي سبيل الاشتغال اي اذكر قوم نوح **فصل** انما قال كذبوا
الرسل اما لانهم كانوا من البراهمة المنكرين لكل الرسل او لان تكذيبهم لواحد تكذيب للجميع
لان من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل وقوله اغرقناهم قال الكلبي امطرنا عليهم
السما اربعين يوما واخرج ما الارض ايضا في تلك الاربعين فصارت الارض بحرا واحدا
وجعلناهم اي جعلنا اغراقهم وقصتهم للناس اية للظالمين اي لكل من سلك سبيلهم واعتدنا
للظالمين في الاخرة عذابا اليما قوله تعالي وعادا وثمودا واصحاب الرس الاية وعادا فيه
ثلاثة اوجه ان يكون معطوفا علي قوم نوح وان يكون معطوفا علي مفعول جعلناهم وان
يكون معطوفا علي محل للظالمين لانه في قوة وعدنا الظالمين بعذاب قوله واصحاب
الرس فيه وجهان احدهما من عطف المغاير وهو الظاهر والثاني انه من عطف بعض الصفات
علي بعض والمراد باصحاب الرس ثمود لان الرس البير التي لم تطو عن ابي عبيد وثمود اصحاب
ابار وقيل الرس نهر بالمشرق وكانت قري اصحاب الرس علي شاطي النهر فبعث الله اليهم
نبيا من اولاد يهودا بن يعقوب فكذبوه فلبث فيهم زمانا يشتكي الي الله منهم فحفروا بيرا وارسلوه
فيها وقالوا نرجوان يرضي عنا الهتنا وكانوا عامة يومهم يسمعون انين نبيهم وهو يقول
سيدي تري ضيق مكاني وشدة كربي وضعف ركني وقلة حيلتي فعجل قبض روحي حتي مات
فارسل الله ريحا عاصفة شديدة الحر وصارت الارض من تحتهم حجر كبريت فتوقده واظلتهم
سحابة سودا فذابت ابدانهم كما يذوب الرصاص ويقال انهم ناس عبدة اصنام قتلوا نبيهم
وهو حنظلة ورسوه فيها اي في بير اي دسوه فيها وقال قتادة والكلبي الرس بير بفلج اليمامة
قتلوا نبيهم وهو حنظلة بن صفوان وقيل هم بقية ثمود قوم صالح وهم اصحاب البير التي ذكر
الله في قوله تعالي وبير معطلة وقصر مشيد وقال كعب ومقاتل والسدي البير بانطاكية
قتلوا فيها حبيب النجار ورسوه فيها وهم الذين ذكرهم الله تعالي في سورة يس وقيل هم
اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود الذي حفروه وقال عكرمة هم قوم رسوا نبيهم في بير
وقيل الرس المعدن وجمعه رساس وروي عن علي رضي الله عنه انهم قوم كانوا يعبدون
شجرة الصنوبر وسموا اصحاب الرس لانهم رسوا نبيهم في الارض وروي ابن جرير عن النبي
صلي الله عليه وسلم ان الله بعث نبيا الي اهل قرية فلم يومن به من اهل القرية احد الا عبد
اسود ثم انهم حفروا للرسول بيرا والقوه فيها ثم طبقوا عليها حجرا ضخما وكان ذلك الرجل الاسود
يحتطب ويشتري له طعاما وشرابا ويرفع الصخرة ويدليه اليه فكان ذلك ما شا الله فاحتطب
يوما فلما اراد ان يحملها وجد نوما فاضطجع وضرب الله علي اذنه سبع سنين ثم هب واحتمل حزمته
واشتري طعاما وشرابا وذهب الي الحفرة فلم يجد احدا وكان قومه قد استخرجوه فامنوا به وصدقوه

وكان

وكان ذلك النبي يسالهم عن الاسود ويقول لهم انه اول من يدخل الجنة قوله وقرونا اي واهلكنا
قرونا كثيرا بين عاد واصحاب الرس والقرون جمع قرن قال علي رضي الله عنه القرن اربعون سنة
وهو قول النخعي وقيل مائة وعشرون سنة وقيل غير ذلك وتقدم الكلام عليه في سورة سبحان
عند قوله وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح قوله بين ذلك اشارة الي من تقدم ذكرهم وهم جماعات
فلذلك حسن دخول بين عليه وقد يذكر الذاكر شيئا مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا
متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت اي ذلك المحسوب او المعدود قوله وكلا يجوز نصبه بفعل
يفسره ما بعده اي وحذرنا او ذكرنا لانها في معني ضربنا له الامثال ويجوز ان يكون معطوفا علي
ما تقدم وضربنا بيان لسبب اهلاكهم واما كلا الثانية فمفعول مقدم قوله ضربنا له الامثال
اي الاشباه في اقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم لا بعد الانذار وقيل بينا لهم وازحنا عللهم فلما كذبوا
تبرناهم تتبيرا اهلكناهم اهلاكا وقال الاخفش كسرنا تكسيرا قال الزجاج كل شي كسرته
وفتته فقد تبرته قوله تعالي ولقد اتوا علي القرية التي امطرت الاية اراد بالقرية قريات
لوط وكانت خمس قري فاهلك الله منها اربعا وبقيت واحدة وهي صغر كان اهلها لا يعملون
العمل الخبيث يعني ان قريشا مروا مرورا كثيرا الي الشام علي تلك القرية التي امطرت مطر السو
اي اهلكت بالحجارة من السما افلم يكونوا يرونها في مرورهم وينظرون الي اثار عذاب الله ونكاله
فيعتبروا ويتذكروا قوله مطر السوء فيه ثلاثة اوجه احدها انه مصدر علي حذف الزوايد
اي امطار السوء الثاني انه مفعول ثان اذ المعني اعطيتها واوليتها مطر السوء الثالث انه نعت
مصدر محذوف اي امطارا مثل مطر السوء وقرا زيد بن علي مطرت ثلاثيا مبنيا للمفعول ومطر
متعد قال • كمن بواديه بعد المحل ممطور •
وقرا ابو السماك مطر السوء بضم السين وتقدم الكلام علي السوء والسوء في قراة وقوله اتوا علي
القرية انما عدي اتي بعلي لانه ضمن معني مر قوله بل كانوا لا يرجون نشورا في هذا الرجا
ثلاثة اوجه اقواها ما قاله القاضي وهو انه محمول علي حقيقة الرجا لان الانسان
لا يتحمل متاعب التكليف الا لرجا ثواب الاخرة فاذا لم يومن بالاخرة لم يرج ثوابها فلا يتحمل تلك المشاق
وثانيها معناه لا يتوقعون نشورا فوضع الرجا موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يومن
وثالثها معناه لا يخافون علي اللغة التهامية وهو ضعيف قوله واذا راك الذين كفروا الاية لما
بين مبالغة المشركين في انكار نبوته بايراد الشبهات بين بعد ذلك انهم اذا راوا الرسول اتخذوه
هزوا ولم يقتصروا علي ترك الايمان به بل زادوا عليه بالاستهزا والاستخفاف ويقول بعضهم لبعض
اهذا الذي بعث الله رسولا قوله ان يتخذونك ان الاولي نافية والثانية مخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة بينهما وهذا مفعول ثان ويحتمل ان يكون التقدير موضع هزوا ان يكون مهزوا
بك وهذه الجملة المنفية يحتمل وجهين احدهما انها جواب اذا الشرطية واختصت اذا بان جوابها
متي كان منفيا بما او ان او لا لا يحتاج الي الفاء بخلاف غيرها من ادوات الشرط فعلي هذا يكون
قوله اهذا الذي في محل نصب بالقول المضمر وذلك القول المضمر في محل نصب علي الحال اي ان
يتخذونك قائلين ذلك والثاني انها جملة معترضة بين اذا وجوابها هو ذلك القول المضمر
المحكي به اهذا الذي والتقدير واذا راوك قالوا اهذا الذي بعث فاعترض بجملة النفي ومفعول
بعث محذوف هو عايد الموصول اي بعثه ورسولا علي بابه من كونه صفة فينتصب علي الحال وقيل
هو مصدر بمعني رسالة فيكون علي حذف مضاف اي ذا رسول بمعني ذا رسالة او يجعل نفسه
المصدر مبالغة او بمعني مرسل وهو تكلف قوله ان كاد ليضلنا تقدم نظيره في سبحان قوله لولا
ان صبرنا جوابها محذوف اي اضللنا عن الهتنا قال الزمخشري ولولا في هذا الكلام جار من حيث
المعني لا من حيث الصيغة يجري التقييد للحكم **فصل** قال المفسرون ان ابا جهل كان
اذا مر باصحابه علي رسول الله صلي الله عليه وسلم قال مستهزا اهذا الذي بعث الله رسولا ان
كان قد كاد ليضلنا اي قد قارب ان يضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها انصرفنا عنها وسوف
يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا من اخطا طريقا واعلم ان الله تعالي اخبر عن المشركين
انهم متي راوا الرسول عليه السلام اتوا بنوعين من الافعال احدهما الاستهزا فيقولون اهذا
الذي بعث الله رسولا وذلك جهل عظيم لان الاستهزا اما ان يكون لصورته او بحقيقته والاول

باطل لانه عليه السلام كان احسن منهم وبتقدير انه لم يكن كذلك لكنه عليه السلام ما كان يدعي التميز
عنهم بالصورة بل بالحجة والثاني باطل لانه عليه السلام ادعى التميز عنهم بظهور المعجز عليه دونهم
وانهم ما قدروا على القدح في حجته فهم في الحقيقة هم الذين يستحقون ان يهزا بهم ثم انهم بوقاحتهم قلبوا
القضية واستهزوا بالرسول وذلك يدل على ان المبطل ليس له الا السفاهة والوقاحة والنوع الثاني
قولهم ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها سموا ذلك ضلالا وذلك يدل على انهم كانوا
مبالغين في تعظيم الهتهم ويدل على جده واجتهاده في صرفهم عن عبادة الاوثان فلهذا قالوا
ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها وذلك يدل على انهم كانوا مقهورين بالحجة ولم يكن
في ايديهم الا مجرد الوقاحة قوله من اضل جملة الاستفهام معلقة ليعلمون فهي سادة مسد
مفعولها ان كانت على بابها ومسد واحد ان كانت بمعنى عرف ويجوز فيمن ان تكون موصولة واضل
خبر مبتدا مضمر هو العايد على من تقديره ومن هو اضل وانما حذف للاستطالة بالتمييز كقولهم
ما انا الذي قايل لك سوا وهذا ظاهر ان كانت متعدية لواحد وان كانت متعدية لاثنين يحتاج
الى تقدير ثان ولا حاجة اليه **فصل** لما وصفوه بالاضلال في قولهم ان كاد ليضلنا
بين تعالى انه سيظهر لهم من المضل ومن الضال عند مشاهدة العذاب الذي لا محيص لهم
منه فقال وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا وهذا وعيد شديد على
التعامي والاعراض عن الاستدلال والنظر قوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه الاية
ارايت كلمة تصلح للاعلام والسوال وههنا تعجب ممن هذا وصفه ونعته وقوله من اتخذ الهه
هواه مفعولا الاتخاذ من غير تقديم ولا تاخير لاستوايهما في التعريف وقال الزمخشري فان
قلت لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها قلت ما هو الا تقديم المفعول الثاني على الاول
للعناية به كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق قال ابو حيان وادعا القلب
يعني ان التقديم ليس بجيد لانه من ضرايرالاشعار قال شهاب الدين قد تقدم فيه ثلاثة
مذاهب على ان هذا ليس من القلب المذكور في شي انما هو تقديم وتاخير فقط وقرا ابن
هرمز الاهة هواه على وزن فعالة والالاهة بمعنى المالوه والها للمبالغة كعلامة ونسابة
والالاهة مفعول ثان قدم لكونه نكرة ولذلك صرف ونقل الالاهة هي الشمس ورد هذا بانه كان
ينبغي ان يمتنع من الصرف للعلمية والتانيث واجيب بانها تدخل عليها ال كثيرا فلما نزعت
منها صارت نكرة جارية مجرى الاوصاف ويقال الالاهة بضم الهمزة وايضا اسما للشمس وقرا
بعض المدنيين الهة هواه جمع الهة وهو ايضا مفعول مقدم وجمع باعتبار الانواع فقد كان
الرجل يعبد الهة شتى ومفعول ارايت الاول من والثاني الجملة الاستفهامية **فصل**
قال ابن عباس الهوى اله يعبد وقال سعيد بن جبير كان الرجل من المشركين يعبد الحجر
فاذا راى حجرا احسن منه طرح الاول واخذ الاخر وعبده افانت تكون عليه وكيلا اي حافظا
تحفظه من اتباع هواه اي لست كذلك ونظيره لست عليهم بمسيطر وما انت عليهم بجبار لا اكراه
في الدين قال الكلبي نسختها اية القتال ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون يسمعون ما تقول
سماع طالب الافهام او يعقلون ما يعاينون من الحجج والاعلام وام هنا منقطعة بمعنى بل ان هم
الا كالانعام في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم تدبرهم وتفكرهم بل هم اضل سبيلا لان
البهايم تهتدي لمراعيها ومشاربها وتنقاد لاربابها التي تتعهدها وتطلب ما ينفعها وتجتنب
ما يضرها وقلوب الانعام خالية عن العلم وعن الاعتقاد الفاسد وهولاء قلوبهم خالية عن
العلم ومليئة من الاعتقاد الباطل وعدم علم الانعام لا يضر باحد وجهل هولاء منشا للضرر
العظيم لانهم يصدون الناس عن سبيل الله والبهايم لا تستحق عقابا على عدم العلم وهولاء
يستحقون على عدم العلم اعظم العقاب وهولاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم
الذي خلقهم ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح لله وهولاء الكفار لا يفعلون فان قيل لم قال
ام تحسب ان اكثرهم فحكم بذلك على الاكثر دون الكل فالجواب لانه كان فيهم من يعرف الله ويعقل
الحق الا انه ترك الاسلام لحب الرياسة لا للجهل فان قيل انه تعالى لما نفى عنهم السمع والعقل فكيف
ذمهم على الاعراض على الدين وكيف بعث الرسول اليهم فان من شرط التكليف العقل فالجواب
ليس المراد انهم لا يعقلون بل المراد انهم لم ينتفعوا بذلك العقل فهو كقول الرجل لغيره اذا لم يفهم

انما

انما انت اعمى واصم قوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل الاية لما بين جهل المعرضين عن دلايل
التوحيد وبين فساد طريقتهم ذكر انواعا من الدلايل الدالة على وجود الصانع فاولها الاستدلال بحال
الظل في زيادته ونقصانه وتغير احواله قوله الم تر فيه وجهان احدهما انه من روية العين والثاني
انه من روية القلب بمعنى العلم فان حملناه على روية العين فالمعنى الم تر الى الظل كيف مده ربك
وان حملناه على العلم وهو اختيار الزجاج فالمعنى الم تعلم وهذا اولى لان الظل اذا جعلناه من
المبصرات فتاثير قدرة الله في تمديده غير مري بالاتفاق ولكن هو معلوم من حيث ان كل مبصر فله
موثر فحمل هذا اللفظ على روية القلب اولى من هذا الوجه وهذا الخطاب وان كان ظاهره للرسول
فهو عام في المعنى لان المقصود بيان نعم الله بالظل وجميع المكلفين مشتركون في تنبيههم لهذه النعم
وكيف منصوبة بمد وهي معلقة لترى فهي في موضع نصب وقد تقدم القول في الم تر **فصل**
الظل عبارة عن عدم الضوء مما من شانه ان يضي وهو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله ممدودا
لانه ظل لا شمس معه كما قال في ظل الجنة وظل ممدود اذ لم يكن معه شمس ولو شا لجعله ساكنا دايما
ثابتا لا يزول ولا تذهبه الشمس قال ابو عبيدة الظل ما نسخته الشمس وهو بالغداة والفي ما
نسخ الشمس وهو بعد الزوال وسمي فيا لانه فا من جانب المغرب الى جانب المشرق ثم جعلنا الشمس
عليه دليلا اي على الظل دليلا ومعنى دلالتها عليه انه لو لم تكن الشمس لما عرفت الظل ولولا النور
ما عرفت الظلمة والاشيا تعرف باضدادها قال الزمخشري فان قلت في هذين الموضعين كيف
موقعها قلت موقعها لبيان تفاضل الامور الثلاث كان الثاني اعظم من الاول والثالث اعظم
منهما تشبيها لتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بينهما في الوقت قوله ثم قبضناه يعني الظل الينا
قبضا يسيرا بالشمس التي تاتي عليه والقبض جمع المنبسط من الشي معناه ان الظل يعم جميع الارض
قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزا فجزا قبضا يسيرا اي خفيا وقيل المراد
من قبضها يسيرا قبضها عند قيام الساعة وذلك بقبض اسبابها وهي الاجرام التي تلقي الظلال
وقوله يسيرا كقوله حشر علينا يسير قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا الاية هذا هو
النوع الثاني شبه الليل من حيث يستر الكل ويغطي باللباس الساتر للبدن ونبه على ما لنا فيه من
النفع قوله والنوم سباتا والسبات هو الراحة اي راحة لابدانكم وقطعا لعملكم واصل السبت
القطع والنايم مسبوت لانه انقطع عمله وحركته قال ابو مسلم السبات الراحة ومنه يوم السبت
لما جرت به العادة من الاستراحة فيه ويقال للعليل اذا استراح من تعب العلة مسبوت وقال
الزمخشري السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة قال وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم
بالليل وانما قلنا ان تفسيره بالموت اولى من تفسيره بالراحة لان النشور في مقابلته وجعل النهار نشورا
قال ابو مسلم هو بمعنى الانتشار والحركة كما سمى تعالى نوم الانسان وفاة فقال يتوفى الانفس حين
موتها والتي لم تمت في منامها كذلك وفق بين القيام من النوم والقيام من الموت في التسمية بالنشور
قوله تعالى وهو الذي ارسل الرياح نشرا الاية هذا هو النوع الثالث وقد تقدم الكلام على
نظيرها في الاعراف بين يدي رحمته يعني المطر وانزلنا من السما ما طهورا قال الزمخشري فان
قلت انزال الما موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحيا والسقي يوذن بان الطهارة شرط في صحة ذلك
كما يقول حملني الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش قلت لما كان سقي الاناسي من جملة
ما انزل له الما وصف بالطهارة اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وطهور يجوز ان يكون صفة مبالغة
منقولا من طاهر كقوله تعالى شرابا طهورا وقال

الى رجح الاكفال عيد من الظبا • عذاب الثنايا ريقهن طهور

وان يكون اسم ما يتطهر به كالسحور لما يتسحر به والفطور لما يفطر به قال عليه السلام في البحر
هو الطهور ماوه الحل ميتته اراد به المطهر فالما مطهر لانه يطهر الانسان من الحدث والنجاسة
كما قال في اية اخرى وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به فثبت ان التطهير مختص بالما وذهب
اصحاب الراي الى ان الطهور هو الطاهر حتى جوزوا ازالة النجاسة بالمايعات كالخل وما الورد
والمرق ولو جاز ازالة النجاسة بها لجاز رفع الحدث بها وقال عليه السلام التراب طهور المسلم
ولو لم يجد الما عشر حجج ولو كان معنى الطهور هو الطاهر لكان معناه التراب طاهر المسلم وحينئذ لا
ينتظم الكلام وكذا قوله عليه السلام طهور انا احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا ولو كان الطهور

هو الطاهر لكان معناه طهروا انا احدكم وحينئذ لا ينتظم الكلام ويجوز ان يكون مصدرا كالقبول
والولوغ فيه لنحيي به فيه وجهان اظهرهما انه متعلق بالانزال والثاني وهو ضعيف انه متعلق
بطهور ووصف بلدة بميت وهي صفة للمذكر لانها بمعنى البلد قوله ونسقيه العامة على
ضم النون وقرا ابو عمرو وعاصم في رواية عنهما وابو حياة وابن ابي عبلة بفتحها وقد تقدم
انه قرئ بذلك في النحل والمومنين وتقدم الكلام على ذلك قوله مما خلقنا يجوز ان يتعلق
من بنسقيه وهي لابتداء الغاية ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انها حال من انعاما ونكرت
الانعام والاناسي قال الزمخشري لان عامة الناس وجلهم مجتمعون بالاودية والانهار فبهم
غنية عن سقي الماء واعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه
قوله واناسي فيه وجهان احدهما وهو مذهب سيبويه انه جمع انسان والاصل اناسين
واناسين فابدلت النون يا وادغم فيها اليا قبلها نحو ظربان وظرابي والثاني وهو قول الفرا
والزجاج والمبرد انه جمع انسي وفيه نظر لان فعالي انما يكون جمعا لما فيه يا مشددة لا تدل
على نسب نحو كرسي وكراسي فلو اريد بكرسي النسب لم يجز جمعه على كراسي ويبعد ان يقال
ان اليا في انسي ليست للنسب وكان حقه ان يجمع على اناسيه نحو مهالبة في المهلبي وازارقة
في الازرقي وقرا يحيى بن الحارث الذماري والكسائي في رواية واناسي بتخفيف اليا قال الزمخشري
بحذف يا افاعيل كقولك اناعم في اناعيم قال الزمخشري فان قلت لم قدم احيا الارض
وسقي الانعام على سقي الاناسي قلت لان حياة الاناسي بحياة ارضهم وحياة انعامهم فقدم
ما هو سبب حياتهم ولانهم اذا ظفروا بسقيا ارضهم وسقي انعامهم لم يعدموا سقياهم فان قيل
لم خص الانسان والانعام ههنا بالذكر دون الطير والوحش مع انتفاع الكل بالما فالجواب
لان الطير والوحش تبعد في طلب الما فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام لان حوايج الاناسي
ومنافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي انعامهم كالانعام عليهم بسقيهم وقال اناسي
كثيرا ولم يقل كثيرين لانه قد جا فعيل مفردا ويراد به الكثرة كقوله وقرونا بين ذلك كثيرا
وحسن اولئك رفيقا قوله تعالى ولقد صرفناه في هذه الها ثلاثة اوجه احدها قال
الجمهور انها ترجع الى المطر ثم هو لا قال بعضهم المعنى صرفنا نزول الما من وابل وطل وجود
وطش ورذاذ وغير ذلك وقال بعضهم صرفناه اجريناه في الانهار حتى انتفعوا بالشرب وبالزراعات
وانواع المعاش به وقال اخرون معناه انه تعالى ينزله في مكان دون مكان في عام ثم في العام
الثاني يقع بخلاف ما وقع في العام الاول قال ابن عباس ما عام باكثر مطرا من عام ولكن الله
يصرفه في الارض ثم قرا هذه الاية وروي ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من
عام بامطر من عام ولكن اذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف
الله ذلك الى الفيافي الثاني قال ابو مسلم الضمير راجع الى المطر والسحاب والاظلال وساير
ما ذكره الله من الادلة الثالث ان هذا القول صرفناه بين الناس في القران وفي ساير الكتب
والصحف التي انزلت على الرسل وهو ذكر انشا السحاب وانزال المطر ليتفكروا ويستدلوا به
على الصانع وقرا عكرمة صرفناه بتخفيف الراء وقيل التصريف راجع الى الريح ليذكروا ويتفكروا في
قدرة الله تعالى فابى اكثر الناس الا كفورا جحودا وكفرانهم هو انهم اذا امطروا قالوا مطرنا بنو
كذا روي زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح
بالحديبية في اثر سما كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ما قال
ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي مومن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله
ورحمته فذاك مومن بي وكافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنو كذا وكذا فذاك كافر بي مومن
بالكوكب **فصل** قال الجبائي قوله ليذكروا يدل على انه تعالى يريد من الكل ان يذكروا
ويشكروا ولو اراد منهم ان يكفروا ويعرضوا لما صح ذلك وذلك يبطل قول من قال ان الله مريد
لكفر من يكفر قال ويدل قوله فابى اكثر الناس الا كفورا على قدرتهم على فعل هذا التذكر
اذ لو لم يقدروا لما جاز ان يقال ابوا ان يفعلوه كما لا يقال في الزمن ابى ان يسعى وقال الكعبي
قوله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا حجة على من زعم ان القران وبال على الكافرين وانه لم يرد
بانزاله ان يومنوا لان قوله ليذكروا عام في الكل وقوله تعالى اكثر الناس يقتضي ان يكون

الاكثر

الاكثر داخلا في ذلك العام لانه لا يجوز ان يقال انزلناه على قريش ليومنوا فابى اكثر بني تميم الا كفورا
والجواب قد تقدم مرارا قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا رسولا ينذرهم والمراد من
ذلك تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه احدها انه تعالى بين انه مع القدرة على بعثه نذيرا
ورسولا في كل قرية خصه بالرسالة وفضله بها على الكل ولذلك اتبعه بقوله فلا تطع الكافرين
اي لا توافقهم وثانيها المراد ولو شئنا لخففنا عنك اعبا الرسالة الى كل العالمين ولبعثنا في كل
قرية نذيرا ولكنا قصرنا الامر عليك واجللناك وفضلناك على ساير الرسل فقابل هذا الاجلال
بالتشدد في الدين وثالثها ان الاية تقتضي مزج اللطف بالعنف لانها تدل على القدرة على
ان يبعث في كل قرية نذيرا رسولا مثل محمد وانه لا حاجة بالحضرة الالهية الى محمد البتة وقوله
ولو شئنا يدل على انه تعالى لا يفعل ذلك والمعنى ولكن بعثناك الى القرى كلها وحملناك ثقل
نذارة جميعها لتستوجب بصبرك عليه ما اعتدنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة فلا تطع
الكافرين فيما يدعونك اليه من موافقتهم وهذا يدل على ان النهي عن الشي لا يقتضي كون المنهي
عنه مشتغلا به قوله وجاهدهم به اي بالقران او بترك الطاعة المدلول عليه بقوله فلا
تطع او بما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى او بالسيف
والاقرب الاول لان السورة مكية والامر بالقتال ورد بعد الهجرة بزمان فالمراد بذل الجهد في الدعا
وجهادا كبيرا شديدا قوله تعالى وهو الذي مرج البحرين الاية هذا النوع الرابع في مرج
قولان احدهما بمعنى خلط ومرج ومنه مرج الامر اي اختلط قال ابن عرفة وقيل مرج اجرى وامرج
لغة فيه وقيل مرج لغة الحجاز وامرج لغة نجد وفي كلام بعض الفصحا •

• بحران احدهما بالاخر ممروج • وما العذب منهما بالاجاج ممزوج •

وقيل ارسلهما في مجاريهما وخلاهما كما ترسل الخيل في المرج قال ابن عباس واصل المرج الخلط والارسال
يقال مرجت الدابة وامرجتها اذا ارسلتها في المرعى وخليتها تذهب حيث تشا قوله هذا عذب فرات
وهذا ملح اجاج هذه الجملة لا محل لها لانها مستانفة جواب لسوال مقدر كان قايلا قال كيف
مرجهما فقيل هذا عذب وهذا ملح ويجوز على ضعف ان تكون حالية والفرات المبالغ في الحلاوة
والتا فيه اصلية لام الكلمة ووزنه فعال وبعض العرب تقف عليها ها وهذا كما تقدم في التابوت
ويقال سمي الما الحلو فراتا لانه يفرت العطش اي يشقه ويقطعه والاجاج المبالغ في الملوحة
وقيل في الحرارة وقيل في المرارة وهذا من احسن المقابلة حيث قال تعالى عذب فرات وملح اجاج
وانشد بعضهم • فلا والله لا انفك ابكي • الى ان تلتقي شعثا عرانا •

• الى ان نزحت اجاج عيني • على جدث حوى العذب الفراتا •

ما احسن ما كنى عن دمعه بالاجاج وعن المبكي عليه بالعذب الفرات وكان سبب انشاد هذين البيتين
ان بعضهم لحن قايلهما في قوله عراتا كيف يقف على تا التانيث المنونة بالالف فقيل له انها لغة
مستفيضة يجعلون التا كغيرها فيبدلون تنوينها بعد الفتح الفا حكي عن العرب اكلت تمرتا نحو اكلت
زيتا وقرا طلحة وقتيبة عن الكسائي ملح بفتح الميم وكسر اللام وكذا في سورة فاطر وهو مقصور
من مالح كقولهم برد في بارد قال وصليانا بردا وما مالح لغة شاذ وقال ابو حاتم هذه قراة منكرة
قوله بينهما برزخا يجوز ان يكون الظرف متعلقا بالجعل وان يتعلق بمحذوف على انه حال من
برزخا والاول اظهر ومعنى برزخا اي حاجزا بقدرته لئلا يختلط احدهما بالاخر قوله وحجرا محجورا
الظاهر عطفه على برزخا وقال الزمخشري فان قلت وحجرا محجورا ما معناه قلت هي الكلمة التي يقولها
المتعوذ وقد فسرناها وهي هنا واقعة على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين يتعوذ لصاحبه حجرا
محجورا كانه يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان وهي من احسن الاستعارات
فعلى ما قاله يكون منصوبا بفعل مضمر فان قيل لا وجود للبحر العذب فكيف ذكره الله تعالى هنا
لا يقال هذا مدفوع من وجهين احدهما ان المراد منه الاودية العظام كالنيل وجيحون الثاني
لعله حصل في البحار موضع يكون احد جانبيه عذبا والاخر ملحا لانا نقول اما الاول فضعيف
لان هذه الاودية ليس فيها مالح والبحار ليس فيها عذب فلم يحصل البتة موضع التعجب واما
الثاني فضعيف لان موضع الاستدلال لا بد وان يكون معلوما واما بحض التجويز فلا يحسن
الاستدلال والجواب انا نقول المراد من البحر العذب هذه الاودية ومن البحر الاجاج البحار

الكبار وجعل بينهما برزخا اي حاجزا من الارض ووجه الاستدلال ههنا ان العذوبة والملوحة ان كانت بسبب طبيعة الارض والما فلا بد من الاستوا وان لم يكن كذلك فلا بد من قادر حكيم يخص كل واحد من الاجسام بصفة خاصة ويمكن الجواب بطريق اخر وهو انا راينا نيل مصر داخلا في بحر الملح ابيض لونه مغايرا للون بحر الملح ولا يختلط به ويوخذ منه ويشرب قوله تعالى وهو الذي خلق من الما بشرا الاية هذا نوع خامس وفي هذا الما قولان احدهما انه النطفة والثاني انه الما الذي يسقى به الارض فتتولد منه الاغذية وتتولد من الاغذية النطفة كما تقدم في قوله وجعلنا من الما كل شي حي قوله من الما يجوز ان يتعلق بخلق وان يتعلق بمحذوف حالا من ما ومن لابتدا الغاية او للتبعيض قوله فجعله نسبا وصهرا اي جعله ذا نسب وصهر قال الخليل لا يقال لاهل بيت المراة الا اصهار ولا لاهل بيت الرجل الا اختان قال ومن العرب من يطلق الاصهار على الجميع وهذا هو الغالب وقيل النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه والنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها والصحيح ان النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة وهو النسب المحرم للنكاح وقد تقدم ان الله تعالى حرم بالنسب سبعا وبالسبب سبعا في قوله عز وجل حرمت عليكم امهاتكم وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة نوعين من البشر الذكر والانثى قوله تعالى ويعبدون من دون الله الاية لما ذكر دلايل التوحيد عاد الى تهجين سيرتهم فقال ويعبدون من دون الله اي هولا المشركون ما لا ينفعهم ان عبدوه ولا يضرهم ان تركوه وكان الكافر على ربه ظهيرا اي معينا للشيطان على ربه بالمعاصي قال الزجاج يعاون الشيطان على معصية الله لان عبادتهم الاصنام معاونة للشيطان فان قيل كيف يصح في الكافر ان يكون معاونا للشيطان على ربه بالعداوة فالجواب انه تعالى ذكر نفسه واراد رسوله فقال ان الذين يوذون الله وقيل معناه وكان الكافر على ربه هينا ذليلا كما يقول الرجل لمن يستهين به جعلني بظهر اي جعلني هينا ويقال ظهرت به اذا جعلته خلف ظهرك كقوله واتخذتموه وراكم ظهريا قال ابو مسلم وقياس العربية ان يقال مظهور اي مستخف به متروك ورا الظهر فقيل فيه ظهير بمعنى مظهور ومعناه هين على الله ان يكفر الكافر وهو تعالى مستهين بكفره والمراد بالكافر قيل ابو جهل لان الاية نزلت فيه والاولى حمله على العموم لان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ قيل ويجوز ان يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما الصديق والخليط فعلى هذا يكون المراد بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفا نور الله قال تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي قوله على ربه يجوز ان يتعلق بظهيرا وهو الظاهر وان يتعلق بمحذوف على انه خبر كان وظهير احال والظهير المعاون قوله وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا اي منذرا ووجه تعلقه بما تقدم ان الكفار يطلبون العون على الله ورسوله والله تعالى بعث رسوله لنفعهم لانه بعثه ليبشرهم على الطاعة وينذرهم على المعصية فيستحقوا الثواب ويحترزوا عن العقاب فلا جهل اعظم من جهل من استفرغ جهده في ايذا شخص استفرغ جهده في اصلاح مهماته دينا ودنيا ولا يسالهم البتة على ذلك اجرا قوله الا من شا فيه وجهان احدهما انه منقطع اي لكن من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل والثاني انه متصل على حذف مضاف يعني الا اجر من اي الاجر الحاصل على دعايه الى الايمان وقبوله لانه تعالى ياجرني على ذلك حكاه ابو حيان وفيه نظر لانه لم يسند السوال المنفي في الظاهر الى الله تعالى انما اسنده الى المخاطبين فكيف يصح هذا التقدير

فصل

المعنى ما اسالكم على تبليغ الوحي من اجر فتقولوا انما يطلب محمد اموالنا بما يدعونا اليه فلا نتبعه وقوله الا من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا استثنا منقطع معناه لكن من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا بانفاق ماله في سبيله فعل ذلك والمعنى لا اسالكم لنفسي اجرا ولكن لا امنع من انفاق المال في طلب مرضات الله واتخاذ السبيل الى جنته قوله وتوكل على الحي الذي لا يموت لما بين ان الكفار يتظاهرون على ايذايه وامره ان لا يطلب منهم اجرا امره بان يتوكل عليه في دفع جميع المضار وفي جلب جميع المنافع وانما قال على الحي الذي لا يموت لان من توكل على الحي الذي يموت فاذا مات المتوكل عليه صار المتوكل ضايعا واما الله تعالى فهو حي لا يموت فلا يضيع المتوكل عليه وسبح بحمده قيل المراد بالتسبيح الصلاة وقيل قل سبحان الله والحمد لله وكفى به بذنوب عباده خبيرا عالما وهذه كلمة يراد بها المبالغة فيقال كفى بالعلم جمالا وكفى بالادب

مالا

مالا وهو يعني حسبك اي لا تحتاج معه الى غيره لانه خبير باحوالهم قادر على مكافاتهم وهذا وعيد شديد قوله تعالى الذي خلق السموات والارض الاية لما امر الرسول بان يتوكل عليه وصف نفسه بامور منها انه حي لا يموت وانه عالم بجميع المعلومات بقوله وكفى به بذنوب عباده خبيرا ومنها انه قادر على كل الممكنات وهو قوله الذي خلق السموات والارض وهذا متصل بقوله الحي الذي لا يموت لانه سبحانه لما كان خالقا للسموات والارض ولكل ما بينهما ثبت انه هو القادر على جميع المنافع ودفع المضار وان النعم كلها من جهته فحينئذ لا يجوز التوكل الا عليه والذي خلق يجوز ان يكون مبتدا والرحمن خبره وان يكون خبر مبتدا مقدر اي هو الذي خلق وان يكون منصوبا بفعل مضمر وان يكون صفة للحي الذي لا يموت او بدلا او بيانا هذا على قوله الرحمن بالرفع ومن قراه بالجر فيتعين ان يكون الذي خلق صفة للحي فقط قوله في ستة ايام فيه سوال وهو ان الايام عبارة عن حركة الشمس في السموات وقبل السموات لا ايام فكيف قال خلقها في ستة ايام والجواب في مدة مقدارها لا يقال الشي الذي يتقدر بمقدار محدود ويقبل الزيادة والنقصان والتجزية لا يكون عدما محضا بل لا بد وان يكون موجودا فيلزم من وجوده وجود مدة قبل وجود العالم وذلك يقتضي قدم الزمان لانا نقول هذا معارض بنفس الزمان لان المدة المتوهمة المحتملة لعشرة ايام لا تحتمل خمسة ايام والمدة المتوهمة المحتملة لخمسة ايام لا تحتمل عشرة ايام فيلزم ان يكون للمدة مدة اخرى فلما لم يلزم من هذا قدم الزمان لم يلزم مما قلتموه وعلى هذا القول لعل الله سبحانه خلق المدة اولا ثم خلق السموات والارض فيها بمقدار ستة ايام وقيل في ستة ايام من ايام الاخرة كل يوم مقداره الف سنة وهو بعيد لان التعريف لا بد وان يكون بامر معلوم لا بامر مجهول فان قيل لم قدر الخلق والايجاد بهذا المقدار فالجواب على قول اهل السنة المشية والقدرة كافية للتخصيص وقالت المعتزلة لا بد من حكمة وهو ان التخصيص بهذا المقدار اصلح وهذا بعيد لوجهين الاول ان حصول تلك الحكمة اما ان تكون واجبا لذاته او جايزا فان كان واجبا وجب ان لا يتغير فيكون حاصلا في كل الازمنة فلا يصلح ان يكون سببا لزمان معين وان كان جايزا افتقر حصول تلك الحكمة في ذلك الوقت الى مخصص اخر ولزم التسلسل الثاني ان التفاوت بان واحد لا يصل اليه عقل المكلف فحصول ذلك التفاوت لما لم يكن مشعورا به كيف يقدح في حصول المصالح واعلم انه يجب على المكلف على كل قول ان يقطع الطمع عن امثال هذه المسئلة فانه بحر لا ساحل له كتقدير ملائكة النار بتسعة عشر وحملة العرش بثمانية والمشهور بانهم عشر والسموات بالسبع وعدد الصلوات ومقادير النصب في الزكوات وكذا الحدود والكفارات فالاقرار بكل ما قاله الله حق هو الدين والواجب ترك البحث عن هذه الاشيا وقد نص الله على ذلك في قوله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب ايضا في انه لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل ثم خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين قوله ثم استوى على العرش لا يجوز حمله على الاستيلا والقدرة لان اوصاف الله لم تزل فلا يصح دخول ثم فيه ولا على الاستقرار لانه يقتضي التغير الذي هو دليل الحدوث ويقتضي التركيب وكل ذلك على الله محال بل المراد انه خلق العرش ورفعه فان قيل يلزم ان يكون خلق العرش بعد خلق السموات وليس كذلك لقوله تعالى وكان عرشه على الما فالجواب كلمة ثم ما دخلت على خلق العرش بل على رفعه على السموات قوله الرحمن قرا العامة بالرفع وفيه اوجه احدها انه خبر الذي خلق او خبر مبتدا مضمر اي هو الرحمن ولهذا اجاز الزجاج وغيره الوقف على العرش ثم يبتدي الرحمن اي هو الرحمن الذي لا ينبغي السجود والتعظيم الا له او يكون بدلا من الضمير في استوى او يكون مبتدا وخبره الجملة من قوله فاسال على راي الاخفش كقوله • وقايلة خولان فانكح فتاتهم •
او يكون صفة للذي خلق اذا قلنا انه مرفوع وقرا زيد بن علي الرحمن بالجر فيتعين ان يكون نعتا للذي خلق والذي خلق صفة للحي فقط لئلا يفصل بين النعت ومنعوته باجنبي قوله فاسال به في البا قولان احدهما هي على بابها وهي متعلقة بالسوال والمراد بالخبير الله تعالى ويكون من التجريد كقولك لقيت به اسدا والمعنى فاسال الله الخبير بالاشيا قال الزمخشري او فاسال بسواله خبيرا كقولك رايت

بها اسرا اي بروبته انني قال الكلبي فاسال به خبيرا فقوله به يعود الى ما ذكر من خلق
السموات والارض والاستوا على العرش والبا من صلة الخبير وذلك الخبير هو الله تعالى لانه لا دليل
في العقل على كيفية خلق السموات والارض ولا يعلمها احد الا الله فخبيرا مفعول سل على هذا او منصوب
على الحال المؤكدة واستضعفه ابو البقا قال ويضعف ان يكون خبيرا حالا من فاعل اسال لان الخبير
لا يسال الا على جهة التوكيد كقوله وهو الحق مصدقا قال ويجوز ان يكون حالا من الرحمن اذا رفعته
باستوى والثاني ان يكون البا بمعنى عن اما مطلقا واما مع السوال خاصة كهذه الاية الكريمة وكقول
علقمة بن عبدة • فان تسالوني بالنسا فانني • خبير بادوا النسا طبيب •
والضمير في عنه لله تعالى وخبيرا من صفات الملك وهو جبريل قال ابن عباس ان ذلك الخبير هو
جبريل عليه السلام وانما قدم لروس الاي وحسن النظم وهذا قول الزجاج والاخفش ويجوز على
هذا اي كون خبيرا من صفات جبريل ان تكون البا على بابها وهي متعلقة بخبيرا والتقدير اي فاسال
الخبير به وقال ابن جرير البا في به صلة والمعنى فاساله خبيرا وخبيرا نصب على الحال وقيل قوله
به يجري مجرى القسم كقوله واتقوا الله الذي تسالون به قوله تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن
الاية قال اكثر المفسرين الرحمن اسم من اسما الله مكتوب في الكتب المتقدمة والعرب ما عرفوه قال
مقاتل ان ابا جهل قال ان الذي يقول محمد شعر فقال عليه السلام الشعر غير هذا ان هذا الا كلام
الرحمن فقال ابو جهل بخ بخ لعمري والله انه لكلام الرحمن الذي باليمامة هو يعلمك فقال عليه السلام
الرحمن الذي في السما ومن عنده ياتيني الوحي فقال يا ال غالب من يعذرني من محمد يزعم ان الله
واحد وهو يقول الله يعلمني والرحمن الستم تعلمون انهما الهان قال القاضي والاقرب ان
مرادهم انكار الله لا الاسم لان هذه اللفظة عربية وهم كانوا يعلمون انها تفيد المبالغة في الانعام
ثم قلنا انهم كانوا منكرين لله كان قولهم وما الرحمن سوال عن الحقيقة كقول فرعون وما رب
العالمين وان قلنا انهم كانوا مقرين بالله لكنهم جهلوا كونه تعالى يسمى بهذا الاسم كان قولهم وما
الرحمن سوال عن هذا الاسم قوله انسجد لما تامرنا قرا الاخوان يامرنا بيا الغيب يعنون محمدا
كان بعضهم قال لبعض انسجد لما يامرنا محمد او يامرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو والباقون
بالخطاب يعني لما تامرنا انت يا محمد وما يجوز ان يكون بمعنى الذي والعايد محذوف لانه متصل
لان امر يتعدى الى الثاني باسقاط الحرف ولا حاجة الى التدريج الذي ذكره ابو البقا وهو ان
الاصل لما تامرنا بالسجود له ثم بسجوده ثم تامرنا كذا قرره ثم قال هذا على مذهب ابي الحسن واما
على مذهب سيبويه فحذف ذلك من غير تدريج قال شهاب الدين وهذا ليس مذهب سيبويه ويجوز
ان تكون موصوفة والكلام في عايدها موصوفة كهي موصولة ويجوز ان تكون مصدرية وتكون
اللام للعلة اي انسجد من اجل امرك وعلى هذا يكون المسجود له محذوفا اي انسجد للرحمن لما تامرنا
وعلى هذا لا تكون ما واقعة على العالم وفي الوجهين الاولين يحتمل ذلك وهو المتبادر للفهم قوله
وزادهم نفورا فقول القايل لهم اسجدوا للرحمن نفورا عن الدين والايمان ومن حقه ان يكون باعثا
على الفعل والقبول قال الضحاك سجد الرسول وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعثمان بن مظعون
وعمرو بن عبسة ولما راهم المشركون يسجدون تباعدوا في ناحية المسجد مستهزئين من هذا وهو
المراد من قوله وزادهم نفورا اي فزادهم سجودهم نفورا قوله تعالى تبارك الذي جعل في السما
بروجا الاية لما حكى مزيد نفور الكفار عن السجود وذكر وانهم لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود
والعبادة للرحمن فقال تبارك الذي جعل في السما بروجا تقدم القول في تبارك قال الحسن
ومجاهد وقتادة ورواه عن ابن عباس البروج هي النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها لان اشتقاق
البرج من التبرج وهو الظهور وقال عطية العوفي البروج هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب
كالمنازل لسكانها وهذا اولى لقوله تعالى وجعل فيها اي في البروج فان قيل لم لا يجوز ان يكون قوله
فيها راجعا الى السما دون البروج فالجواب لان البروج اقرب فعود الضمير اليها اولى وروي
عطا عن ابن عباس هي البروج الاثنا عشر قوله وجعل فيها سراجا قرا الجمهور بالافراد والمراد به
الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا ويؤيده ايضا ذكر القمر بعده والاخوان سرجا بضمتين
جمعا كخمر في خمار وجمع باعتبار الكواكب النيرات وانما ذكر القمر تشريفا له كقوله وجبريل وميكال
بعد انتظامها في الملايكة وقرا الاعمش والنخعي وعاصم في رواية وقمرا بضمة وسكون وهو جمع

قمر كحمر في حمرا والمعنى وذا قمر منيرا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ثم التفت الى
المضاف بعد حذفه فوصفه بمنيرا ولو لم يعتبره لقال منيرة ونظيره مراعاته بعد حذفه قول حسان
• يسقون من ورد البريص عليهم • بردى يصفق بالرحيق السلسل •
الاصل ما بردى فحذف ثم راعاه في قوله يصفق بالياء تحت ولو لم يراع ذلك لقال تصفق بالتا
من فوق على ان بيت حسان يحتمل ان يكون كقوله ولا ارض ابقل ابقالها مع ان ابن كيسان يجيزه
سعة وقال بعضهم لا يبعد ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد قوله تعالى وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفة الاية في خلفة وجهان احدهما انه مفعول ثان والثاني انه حال بحسب
المفعولين في جعل وخلفة يجوز ان يكون مصدرا من خلفه يخلفه اذا جا مكانه وان يكون اسم
هيئة منه كالركبة وان يكون من الاختلاف كقوله •
• ولها بالماطرون اذا • اكل النمل الذي جمعا •
• خلفة حتى اذا ارتفعت • سكنت من جلق بيعا •
• في بيوت وسط دسكرة • حولها الزيتون قد ينعا •
ومثله قول زهير • بها العين والارام يمشين خلفة •
قال ابو البقا لان المعنى يخلف احدهما الاخر فلا يتحقق هذا الا منهما قال ابن عباس جعل كل
واحد منهما يخلف صاحبه فيما يحتاج ان يعمل فيه فمن فرط في عمل في احدهما قضاه في الاخر جاء
رجل الى عمر بن الخطاب فقال فاتتني الصلاة الليلة فقال ادرك ما فاتك من ليلتك في نهارك
فان الله عز وجل جعل الليل والنهار خلفة وقال مجاهد وقتادة والكسائي يقال لكل شيئين
اختلفا هما خلفان فقوله خلفة اي مختلفين هذا اسود وهذا ابيض وهذا طويل وهذا قصير
والاول اقرب قوله لمن اراد ان يذكر قرا العامة بالتشديد وقرا حمزة بالتخفيف وعن ابي بن
كعب يتذكر والمعنى لينظر الناظر في اختلافهما فيعلم انه لا بد في انتقالهما من حال الى حال من
ناقل ومغير فيتعظ او اراد شكورا قال مجاهد اي شكر نعمة ربه فيهما والشكور بالضم مصدر
شكر شكورا بمعنى الشكر وبالفتح صيغة مبالغة قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون عباد
الرحمن رفع بالابتدا وفي خبره وجهان احدهما الجملة الاخيرة في اخر السورة اولئك يجزون وبه
بدا الزمخشري والذين يمشون وما بعده صفات للمبتدا والثاني ان الخبر يمشون والعامة
على عباد واليماني عباد بضم العين وتشديد البا جمع عابد والحسن عبد بضمتين والعامة
يمشون بالتخفيف مبنيا للفاعل واليماني والسلمي بالتشديد مبنيا للمفعول **فصل**
هذه الاضافة للتخصيص والتفضيل والا فالخلق كلهم عباد الله قوله هونا اما نعت
مصدر اي مشيا هونا واما حال اي هينين والهون اللين والرفق اي يمشون بالسكينة والوقار
متواضعين ولا يضربون اقدامهم اشرا وبطرا ولا يتبخترون خيلا وقال الحسن علما حلما وقال
محمد بن الحنفية اصحاب وقار وعفة لا يسفهون وان سفه عليهم حلموا واذا خاطبهم الجاهلون
يعني السفها بما يكرهونه قالوا سلاما قال مقاتل قولا يسلمون فيه من الاثم وقيل المعنى لا
نجاهلكم وقيل المراد حلمهم في مقابلة الجهل وقال الاصم قالوا سلاما اي سلام توديع لا تحية
كقول ابراهيم عليه السلام لابيه سلام عليك قال الكلبي وابو العالية نسختها اية القتال
قوله سلاما يجوز ان ينتصب على المصدر بفعل مقدر اي نسلم سلاما او نسلم تسليما منكم لا نجاهلكم
فاقيم السلام مقام التسليم ويجوز ان ينتصب على المفعول به اي قالوا هذا اللفظ قال الزمخشري
اي قالوا سلاما سدادا من القول يسلمون فيه من الاذى والمراد سلامهم من السفه كقوله
• الا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا •
ورجح سيبويه ان المراد بالسلام السلامة لا التسليم لان المومنين لم يومروا قط بالتسليم على الكفرة
وانما امروا بالمسالمة ثم نسخ ذلك ولم يذكر سيبويه في كتابه نسخا الا في هذه الاية قوله والذين
يبيتون لربهم سجدا وقياما لما ذكر وصفهم بالنهار من وجهين احدهما ترك الايذا بقوله يمشون على
الارض هونا والثاني تحمل الاذى بقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما شرح صفتهم في
الليل قال الزجاج كل من ادركه الليل بات وان لم ينم كما يقال بات فلان قلقا والمعنى يبيتون
لربهم سجدا على وجوههم وقياما على اقدامهم قال ابن عباس من صلى بعد العشا ركعتين فقد بات

ساجدا وقايما وروي عثمان بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشا
في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة قوله سجدا خبر يبيتون
ويضعف ان تكون تامة اي دخلوا في البيات وسجدا حال ولربهم متعلق بسجدا وقدم السجود
على القيام وان كان بعده في الفعل لاتفاق الفواصل وسجدا جمع ساجد كضراب في ضارب
وقرا ابو البرهاشم سجود بزنة قعود ويبيت هي اللغة الفاشية وازد الشراه وبجيلة يقولون
يبات وهي لغة العوام اليوم قوله والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم قال ابن
عباس يقولون في سجودهم وقيامهم هذا القول قوله غراما اي لازما دايما وعن الحسن كل غريم
يفارق غريمه الا غريم جهنم وانشد بشر بن ابي حازم

• يوم النسار ويوم الجفار • كانا عذابا وكان غراما • وقول الاعشى
• ان يعاقب يكن غراما وان • يعط جزيلا فانه لا يبالي •

فغراما بمعنى شرا لازما وقيل خسرانا ملحا لازما ومنه الغريم لالحاجه والزامه ويقال فلان مغرم
بالنسا اذا كان مولعا بهن وسال ابن عباس نافع بن الازرق عن الغرام فقال هو الوجع قوله
انها سات مستقرا ومقاما يجوز ان يكون سات بمعنى احزنت فتكون منصرفة ناصبة للمفعول وهو
هنا محذوف اي انها يعني جهنم احزنت اصحابها ومستقرا يجوز ان يكون تمييزا وان تكون حالا
ويجوز ان يكون سات بمعنى بيست فتعطي حكمها ويكون المخصوص بالذم محذوفا وفي سات
ضمير مبهم يفسره مستقرا ومستقرا يتعين ان يكون تمييزا اي سات هي فهي مخصوص وهو الرابط
بين هذه الجملة وبين ما وقعت خبرا عنه وهو انها كذا قدره ابو حيان وقال ابو البقا ه
ومستقرا تمييز وسات بمعنى بيس فان قيل يلزم من هذا اشكال وذلك انه يلزم تانيث فعل
الفاعل المذكور غير مسوغ لذلك فان الفاعل في سات على هذا يكون ضميرا عايدا على ما بعده
وهو مستقرا ومقاما وهما مذكران فمن اين جا التانيث والجواب ان المستقر عبارة عن جهنم
فلذلك جا تانيث فعله ومثله قوله •

• اوحرة عيطل ثبجا مجفرة • دعايم الزور نعمت زورق البلد •

ومستقرا ومقاما قيل مترادفان وعطف احدهما على الاخر لاختلاف لفظيهما وقيل بل هما مختلفا
المعنى فالمستقر للعصاة فانهم يخرجون والمقام للكفار فانهم مخلدون فان قيل انهم سالوا الله
ان يصرف عنهم عذاب جهنم لعلتين احداهما ان عذابها كان غراما والثانية انها سات مستقرا
ومقاما فما الفرق بين الوجهين فالجواب قال المتكلمون عقاب الكافر يجب ان يكون مضرة
خالصة عن شوايب النفع وقوله انها سات مستقرا ومقاما اشارة الى كونه دايما فحصلت المغايرة
وقرات فرقة مقاما بفتح الميم اي مكان القيام وقراة العامة هي المطابقة للمعنى اي مكان اقامة
وثوى وقوله انها سات مستقرا يحتمل ان يكون من كلامهم فيكون منصوبة المحل بالقول وان
يكون من كلام الله تعالى قوله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قرا الكوفيون
بفتح اليا وضم التا من يقتروا وابن كثير وابو عمرو بالفتح والكسر ونافع وابن عامر بالضم والكسر
من اقتر وعليه وعلى المقتر قدره وانكر ابو حاتم اقتر وقال لا يناسب هنا فان اقتر بمعنى افتقر
ومنه وعلى المقتر قدره ورد عليه بان الاصمعي وغيره حكوا اقتر بمعنى ضيق وقرا العلا بن سيابه
واليزيدي بضم اليا وفتح القاف وكسر التا مشددة من قتر بمعنى ضيق وكلها لغات والقتر
والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد في النفقة فضل
المراد من الاية القصد بين الغلو والتقصير كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط وسال ابن الورد بعض العلما ما البنا الذي لا سرف فيه قال ما سترك
عن الشمس واكنك من المطر وقال له فما الطعام الذي لا سرف فيه فقال ما سد الجوعة وقال
له في اللباس ما ستر عورتك وادفاك من البرد وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك
الاسراف في النفقة في معصية الله تعالى والاقتار منع حق الله تعالى قال مجاهد لو
انفق الرجل مثل قبيس ذهبا في طاعة الله لم يكن سرفا وانشدوا •

• ذهاب المال في حمد واجر • ذهاب لا يقال له ذهاب •

وقيل السرف مجاوزة الحد في التنعم والتوسع وان كان من حلال لانه يودي الى الخيلا وكسر

قلوب الفقرا قوله وكان بين ذلك قواما في اسم كان وجهان اشهرهما انه ضمير يعود على الانفاق
المفهوم من قوله انفقوا اي وكان انفاقهم مستويا قصدا لا اسرافا ولا تقتيرا وفي خبرها وجهان احدهما
هو قواما وبين ذلك اما معمول له واما لكان عند من يرى اعمالها في الظرف واما بمحذوف على انه حال
من قواما ويجوز ان يكون بين ذلك قواما خبرين لكان عند من يرى ذلك وهم الجمهور خلافا لابن درستويه
والثاني ان الخبر بين ذلك وقواما حال موكدة والثاني من الوجهين الاولين ان يكون اسمها بين ذلك
وبني لاضافته الى غير متمكن وقواما خبرها قاله الفرا قال الزمخشري وهو من جهة الاعراب لا باس
به ولكنه من جهة المعنى ليس بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي
هو معتمد الفايدة فايدة قال شهاب الدين وهو يشبه قولك كان سيد الجارية مالكها قال ثعلب
القوام بالفتح العدل والاستقامة وبالكسر ما يدوم عليه الامر ويستقر وقال الزمخشري القوام
العدل بين الشيين لاستقامة الطرفين واعتدالهما وبالكسر ما يقام به الشي لا يفضل عنه ولا ينقص
وقرا حسان بن عبد الرحمن قواما بكسر القاف فقيل هما بمعنى وقيل بالكسر اسم ما يقام به الشي وقيل
بمعنى سدادا وملاكا قوله والذين لا يدعون الاية قال ابن عباس ان ناسا من اهل الشرك كانوا
قد قتلوا واكثروا وزنوا فاكثروا فاتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعو اليه
لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت هذه الاية ونزل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا
تقنطوا من رحمة الله وروي ان رجلا قال يا رسول الله اي الذنب اكبر عند الله قال ان تدعو
لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال ثم ان تقتل ولدك مخافة ان تطعم معك قال ثم اي قال
ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقها هذه الاية فان قيل ان الله تعالى ذكر ان من
صفات عباد الرحمن الاحتراز عن الشرك والقتل والزنا فلو كان الترتيب بالعكس لكان اولى
فالجواب ان الموصوف بتلك الصفات السالفة قد تكون متمسكا بالشرك تدينا ويقتل الموودة
تدينا ويزني تدينا فبين تعالى ان المرء لا يصير بتلك الخصال وحدها من عباد الرحمن حتى تجنب
هذه الكباير واجاب الحسن فقال المقصود من ذلك التنبيه على الفرق بين سيرة المسلمين
وسيرة الكفار كانه قال وعباد الرحمن هم الذين لا يدعون مع الله الها اخر وانتم تدعون ولا
يقتلون وانتم تقتلون الموودة ولا يزنون وانتم تزنون قوله الا بالحق يجوز ان يتعلق البا
بنفس يقتلون اي لا يقتلونها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق وان تتعلق بمحذوف على انها
صفة للمصدر اي قتلا ملتبسا بالحق او على انها حال اي الا ملتبسين بالحق فان قيل من حل قتله
لا يدخل في النفس المحرمة فكيف يصح هذا الاستثنا فالجواب ان المقتضي لحرمة القتل قايم
ابدا وجواز القتل انما ثبت بمعارض فقوله حرم الله اشارة الى المقتضي وقوله الا بالحق اشارة
الى المعارض والسبب المبيح للقتل هو الردة والزنا بعد الاحصان وقتل النفس المحرمة قوله
ومن يفعل ذلك هذه اشارة الى جميع ما تقدم لانه بمعنى ما ذكر فلذلك وحد قوله يلق قراة
العامة مجزوما على جزا الشرط بحذف الالف وقرا عبد الله وابو رجا يلقا باثباتها كقوله فلا تنسى
على احد القولين وكقراة لا تخف دركا ولا تخشى في احد القولين ايضا وذلك بان تقدر علامة الجزم
حذف الضمة المقدرة وقرا بعضهم يلق بضم اليا وفتح اللام وتشديد القاف من لقاه كذا والاثام
مفعول على قراة الجمهور ومفعول ثان على قراة هولا والاثام العقوبة قال •

• جزى الله ابن عروة حيث امسى • عقوقا والعقوق له اثام •

اي عقوبة وقيل هو الاثم نفسه اي يلق جزا اثمه قال ابو مسلم والاثام والاثم واحد والمراد هاهنا
جزا الاثام فاطلق اسم الشي على جزايه وقال الحسن الاثام اسم من اسما جهنم وقال مجاهد اسم واد
في جهنم وقيل بير فيها وقرا ابن مسعود اياما جمع يوم يعني شدايد فالعرب تعبر عن ذلك بالايام
يقال يوم ذو ايام اليوم العصيب قوله يضاعف قرا ابن عامر وابو بكر برفع يضاعف ويخلد على احد
وجهين اما على الحال واما على الاستيناف والباقون بالجزم فيهما بدلا من يلق بدل اشتمال ومثله قوله

• متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا •

فابدل من الشرط كما ابدل هنا من الجزا وابن كثير وابن عامر مع ابن كثير وذكره مع الجماعة على ما تقدم
لما في البقرة من القصر والتضعيف في العين ولم يذكر ابو حيان ابن عامر مع ابن كثير وذكره مع الجماعة
في قراتهم وقرا ابو جعفر وشيبة نضعف بالنون مضمومة وتشديد العين العذاب نصبا على المفعول

به وطلحة يضاعف مبنيا للفاعل اي الله العذاب نصبا وطلحة بن سليمان وتخلد بتا الخطاب
على الالتفات وابو حيوة وتخلد مشددا مبنيا للمفعول وروي عن ابي عمرو كذلك الا انه بالتخفيف
ومهانا حال وهو اسم مفعول من اهانه بجبينه اي اذله واذاقه الهوان **فصل** قال
القاضي بين الله تعالى المضاعفة والزيادة يكون حالها في الزيادة كحال الاصل فقوله ويخلد فيه
اي ويخلد في ذلك التضعيف وذلك انما حصل بسبب العقاب على المعاصي فوجب ان يكون عقاب
هذه المعاصي في حق الكافر دايما واذا كان كذلك وجب ان يكون في حق المومن كذلك لان حاله
فيما يستحق به لا يتغير سوا فعل مع غيره او منفردا والجواب لم لا يجوز ان يكون للاتيان بالشي
مع غيره اثر في مزيد القبح الا ترى ان الشيين قد يكون كل واحد منهما في نفسه حسنا وان كان الجميع
قبيحا وقد يكون كل واحد منهما قبيحا ويكون الجمع بينهما اقبح وسبب تضعيف العذاب ان المشرك
اذا ارتكب المعاصي مع الشرك فيعذب على الشرك وعلى المعاصي فتضاعف العقوبة لمضاعفة
المعاقب عليه وهذا يدل على ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام قوله الا من تاب فيه وجهان
احدهما وهو الذي لم يعرف الناس غيره انه استثنا متصل لانه من الجنس والثاني انه منقطع قال
ابو حيان ولا يظهر يعني الاتصال لان المستثنى منه محكوم عليه بانه يضاعف له العذاب فيصير
التقدير الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فلا يضاعف له العذاب ولا يلزم من انتفا التضعيف
انتفا العذاب غير المضعف قال ولي عندي ان يكون استثنا منقطعا اي لكن من تاب وامن
وعمل عملا صالحا فاوليك يبدل الله سياتهم حسنات واذا كان كذلك فلا يلقى عذابا البتة قال
شهاب الدين والظاهر قول الجمهور واما ما قاله فلا يلزم لان المقصود الاخبار بان من فعل كذا
فانه يحل به ما ذكر الا ان يتوب واما اصابة اصل العذاب وعدمها فلا تعرض في الاية له واعلم
ان البحث الذي ذكره ابو حيان ذكره ايضا ابن الخطيب فقال دلت الاية على ان التوبة مقبولة
والاستثنا لا يدل على ذلك لانه اثبت انه يضاعف له العذاب ضعفين فيكفي لصحة الاستثنا ان لا
يضاعف للتايب العذاب ضعفين وانما يدل عليه قوله فاوليك يبدل الله سياتهم حسنات
فصل نقل عن ابن عباس انه قال توبة القاتل لا تقبل وزعم ان هذه الاية
منسوخة بقوله تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا وقالوا نزلت الغلظة بعد اللينة بمدة يسيرة
وعن الضحاك ومقاتل بثمان سنين وتقدم في سورة النسا فان قيل العمل الصالح يدخل فيه
التوبة والايمان فذكرهما قبل العمل الصالح حشو فالجواب افردهما بالذكر لعلو شانهما ولما كان
لا بد معهما من ساير الاعمال لا جرم ذكر عقيبهما العمل الصالح قوله فاوليك يبدل الله سياتهم حسنات
قال ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير والسدي ومجاهد وقتادة التبديل انما يكون في الدنيا
فيبدل الله تعالى قبايح اعمالهم في الشرك بمحاسن الاعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا
وبقتل المومنين قتل المشركين وبالزنا احصانا وعفة وقيل يبدل الله سياتهم التي عملوها
في الاسلام حسنات قال الزجاج السيية بعينها لا تصير حسنة فالتاويل ان السيية تمحى بالتوبة
وتكتب الحسنة مع التوبة والكافر يحبط الله عمله وتثبت عليه السيات قوله سياتهم هو المفعول
الثاني للتبديل وهو المقيد بحرف الجر وانما حذف لفهم المعنى وحسنات هو الاول المفتوح وهو
الماخوذ والمجرور بالبا هو المتروك وقد صرح بهذا في قوله تعالى بدلناهم بجنتيهم جنتين وقال
تضحك مني اخت ذات النحيين • ابدلك الله بلون لونين • سواد وجه وبياض عينين •
وتقدم تحقيق هذا في البقرة عند قوله ومن يبدل نعمة الله قوله ومن تاب وعمل صالحا
الاية قال بعض العلما هذا في التوبة عن غير ما سبق ذكره في الاية الاولى من القتل والزنا
اي تاب من الشرك وادى الفرايض ممن لم يقتل ولم يزن فانه يتوب الى الله يعود اليه بعد
الموت متابا حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنا فالتوبة الاولى وهي قوله ومن تاب رجوع
عن الشرك والثاني رجوع الى الله للجزا والمكافاة وقيل هذه التوبة ايضا عن جميع السيات
ومعناه من اراد التوبة وعزم عليها فليتب لوجه الله فقوله يتوب الى الله خبر بمعنى الامر
اي ينبغي ان يتوب الى الله وقيل معناه وليعلم ان توبته ومصيره الى الله قوله والذين لا يشهدون
الزور في الزور وجهان احدهما انه مفعول به اي لا يحضرون الزور وفسر بالصم واللهو وقال
اكثر المفسرين بعني الشرك والثاني انه مصدر والمراد شهادة الزور بحذف المضاف واقام

المضاف

المضاف اليه مقامه قال علي بن ابي طالب وقال ابن جريج الكذب وقال مجاهد اعياد المشركين وقيل
النوح وقال قتادة لا يساعدون اهل الباطل على باطلهم وكل هذه الوجوه محتملة واصله الزور
تحسين الشي ووصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم انه حق قوله واذا مروا باللغو مروا كراما
قال مقاتل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا
عنه وقال الحسن والكلبي اللغو المعاصي كلها مما يجب ان يلغى ويترك مروا كراما مسرعين معرضين
يقال تكرم فلان عما يشينه اذا تنزه واكرم نفسه عنها قوله والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم
يخروا عليها صما وعميانا النفي متسلط على القيد وهو الصم والعمي اي انهم يخرون عليها لكن لا على
هاتين الصفتين قال الزمخشري فقوله لم يخروا عليها ليس بنفي للخرور وانما هو اثبات له ونفي
للصم والعمي كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقا والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا
عليها حرصا على استماعها واقبلوا على الذكر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون باذان واعية ومبصرون
بعيون واعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكرهم بها مظهرين للحرص
الشديد على استماعها وهم كالصم والعميان حيث لا يفهمونها ولا يبصرون ما فيها وفيه تعريض
بالمنافقين قوله والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا يجوز ان يكون من لابتدا
الغاية اي هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح وان يكون للبيان قاله الزمخشري
وجعله من التجريد اي هب لنا قرة اعين من ازواجنا كقولك رايت منك اسدا وقرا ابو عمرو
والاخوان وابو بكر ذريتنا بالتوحيد والباقون بالجمع سلامة وقرا ابو هريرة وابو الدردا وابن
مسعود قرات بالجمع وقال الزمخشري اتى هنا باعين صيغة القلة دون عيون صيغة الكثرة
ايذانا بان عيون المتقين قليلة بالنسبة الى عيون غيرهم ورده ابو حيان بان اعينا تطلق على
العشرة فما دونها وعيون المتقين كثيرة فوق العشرة وهذا تحمل عليه لانه انما اراد القلة
بالنسبة الى كثرة غيرهم ولم يرد قدرا مخصوصا **فصل** ارادوا قرة اعين لهم في الدين
لا في الدنيا من الجمال والمال قال الزجاج يقال اقر الله عينك اي صادف فوادك ما يحبه وقال
المفضل في قرة العين ثلاثة اقوال احدها برد دمعتها وهي التي تكون مع السرور ودمعة
الحزن حارة الثاني فرحها لانه يكون مع ذهاب الحزن والوجع الثالث قال الازهري حصول
الرضى قوله واجعلنا للمتقين اماما في اماما وجهان احدهما انه مفرد وجاء به مفردا ارادة
للجنس وحسنه كونها راس فاصلة قال الفرا قال اماما ولم يقل ايمة كما قال للاثنين انا رسول
رب العالمين وقيل اراد به ايمة كقوله فانهم عدو لي والمراد اجعل كل واحد منا اماما كما قال
يخرجكم طفلا واما لاتحادهم واتفاق كلمتهم واما لانه مصدر في الاصل كصيام وقيام الثاني
انه جمع ام كحال وحلال او جمع امامة كقلادة وقلاد قال القفال وعندي ان الامام اذا
ذهب به مذهب الاسم وحد كانه قيل اجعلنا حجة للمتقين ومثله البينة يقال هولاء بينة
فلان قال الحسن يقتدي بالمتقين ويقتدي بنا المتقون وقال ابن عباس اجعلنا ايمة هداة
كما قال وجعلناهم ايمة يهدون ولا تجعلنا ايمة ضلالة كقوله وجعلناهم ايمة يدعون الى النار
وقيل هذا من المقلوب اي واجعل المتقين لنا اماما واجعلنا موتمين مقتدين بهم قاله مجاهد
فصل قيل نزلت الاية في العشرة المبشرين بالجنة قال بعضهم هذه الاية تدل على
وجوب طلب الرياسة في الدين والرغبة فيها قال ابراهيم عليه السلام واجعل لي لسان صدق
في الاخرين واحتج اهل السنة بهذه الاية على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لان الامامة في
الدين لا تكون الا بالعلم والعمل والعلم والعمل انما يكون بجعل الله وخلقه قال القاضي المراد
من هذا السوال الالطاف التي اذا كثرت صاروا مختارين لهذه الاشيا فيصيرون ايمة والجواب
ان تلك الالطاف مفعولة لا محالة فيكون سوالها عبثا واعلم انه تعالى لما بين صفات المتقين
المخلصين بين بعده احسانه اليهم وهو قوله اوليك يجزون الغرفة اي يثابون الغرفة
وهي الدرجة العالية والغرفة مفعول ثان ليجزون والغرفة كل بنا مرتفع عال والجمع غرف
قوله بما صبروا اي بصبرهم اي بسببه او بسبب الذي صبروه والاصل صبروا عليه ثم حذف بالتدريج
والبا للسببية كما تقدم وقيل للبدل كقوله فليت لي بهم قوما ولا حاجة الى ذلك وذكر الصبر ولم
يذكر المصبور عنه ليعم جميع انواع المشاق ولا وجه لقول من يقول المراد الصبر على الفقر خاصة

قوله ويلقون فيها قرا الاخوان وابو بكر بفتح اليا وسكون اللام من لقي يلقى والباقون
بضمها وفتح اللام وتشديد القاف على بنائه للمفعول كقوله ولقاهم نضرة وسرورا والتحية
الدعا بالتعمير اي بقاء دايما وقيل الملك والسلام الدعا بالسلامة او يسلم بعضهم على بعض وهذه
التحية والسلام يمكن ان يكون من الله كقوله سلام قولا من رب رحيم ويمكن ان يكون من الملايكة
كقوله والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ويمكن ان يكون من بعضهم على بعض قوله
خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما وصف ذلك بالدوام بقوله خالدين فيها وقوله حسنت مستقرا
ومقاما اي موضع قرار واقامة وهذا في مقابلة قوله سات مستقرا ومقاما اي ما اسوا ذلك واحسن
هذا قوله تعالى قل ما يعبا بكم ربي قال مجاهد وابن زيد اي ما يصنع وما يفعل بكم وقال
ابو عبيدة يقال ما عبات به شيا اي لم اعده موجوده وعدمه سوا وقال الزجاج معناه لا
وزن لكم عندي والعبو في اللغة الثقل وقال ابو عمرو بن العلا ما يبالي ربكم ويقال ما
عبات بك اي ما اهتممت ولا اكترثت ويقال عبات الجيش وعباته اي عباته واعددته قوله
لولا دعاوكم جوابها محذوف لدلالة ما تقدم اي لولا دعاوكم ما عباتكم ولا اكترث وما يجوز ان
يكون نافية وهو الظاهر وقيل استفهامية بمعنى النفي ولا حاجة الى التجوز في شي يصح ان يكون
حقيقة بنفسه ودعاوكم يجوز ان يكون مضافا للفاعل اي لولا تضرعكم اليه ويجوز ان يكون
مضافا للمفعول اي لولا دعاوه اياكم الى الهدى **فصل** في معنى هذا الدعا وجوه
الاول لولا دعاوكم اياه في الشدايد كما قال فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
الثاني لولا شكركم له على احسانه كقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم الثالث لولا عبادتكم
الرابع لولا ايمانكم وقيل المعنى ما خلقتكم ولي اليكم حاجة الا ان تسالوني فاعطيكم وتستغفروني
فاغفر لكم وقيل المعنى كل ما يعبا بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم اياه يعني انه خلقكم
لعبادته كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قاله ابن عباس ومجاهد وقيل معناه
ما يبالي بمغفرتكم ربي لولا دعاوكم معه الهة او ما يفعل الله بعذابكم لولا شرككم كما قال ما يفعل
الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم قوله فقد كذبتم ايها الكافرون يخاطب اهل مكة يعني ان الله
دعاكم بالرسول الى توحيده وعبادته فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوه وقرى فقد كذب الكافرون
قوله فسوف يكون لزاما اي فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم وهذا عقاب الاخرة ونظيره ان يقول
الملك لمن استعصى عليه ان من عاداني ان احسن الي من يعصيني فقد عصيت فسوف ترى ما احل
بك بسبب عصيانك قوله لزاما قرى بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت قال ابن عباس
موتا وقال ابو عبيدة هلاكا وقال ابن زيد قتالا والمعنى يكون التكذيب لازما لمن كذب فلا
يعطى التوبة حتى يجازى بعمله وقال ابن جريج عذابا دايما لازما وهلاكا مفنيا يلحق بعضكم
ببعض قال ابن مسعود وابي بن كعب ومجاهد ومقاتل هو يوم بدر قتل بهم عذاب الاخرة
لزاما لهم قال عبد الله بن مسعود خمس قد مضين الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام فسوف
يكون لزاما روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفرقان
بعثه الله يوم القيمة وهو يومن ان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ودخل
الجنة بغير حساب

سورة الشعرا مكية

الا قوله والشعرا يتبعهم الغاوون الى اخرها فانها مدنية وهي مايتان وسبعة وعشرون اية
والف ومايتان وسبع وتسعون كلمة وخمسة الاف وخمسماية واثنان واربعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله طسم تلك ايات الكتاب المبين اظهر حمزة نون سين قبل الميم كانه ناوي الوقف والا
فادغام مثله واجب والباقون يدغمون وتقدم اعراب الحروف المقطعة وفي مصحف عبد الله طس م
مقطوعها من بعضها قيل وهي قراة ابي جعفر يعنون انه يقف على كل حرف وقفة يميز بها كل حرف
والا لم يتصور ان يلفظ بها على صورتها في هذا الرسم وقرا عيسى وتروى عن نافع بكسر الميم هنا
وفي القصص على البنا وامال الطا الاخوان وابو بكر وقد تقدم وروى عكرمة عن ابن عباس قال

طسم عجزت العلما عن علم تفسيرها وروى علي بن ابي طلحة الوالبي عن ابن عباس انه قسم وهو من
اسما الله تعالى وقال قتادة اسم من اسما القران وقال مجاهد اسم للسورة وقال محمد بن كعب
القرظي قسم بطوله وسناه وملكه تلك ايات اي هذه الايات ايات الكتاب المبين قوله لعلك باخع
نفسك قرا قتادة باخع نفسك على الاضافة والمعنى قاتل نفسك ان لا يكونوا مومنين اي ان لم
يكونوا مومنين وذلك حين كذبه اهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحرص على ايمانهم فانزل الله
هذه الاية وهذا تسلية للرسول اي لا تبالغ في الحزن والاسف قصيره وعزاه وعرفه ان غمه
وحزنه لا ينفع كما ان وجود الكتاب ووضوحه لا ينفع قوله ان نشا ننزل العامة على نون
العظمة فيهما وروي عن ابي عمرو باليا فيهما اي ان يشا الله ينزل وان اصلها ان تدخل على المشكوك
او المحقق المبهم زمانه والاية من هذا الثاني قوله فظلت عطف على ننزل فهو في محل جزم
ويجوز ان يكون مستانفا غير معطوف على الجزا ويويد الاول قراة طلحة فتظلل بالمضارع مفكوكا
قوله خاضعين فيه وجهان احدهما انه خبر عن اعناقهم واستشكل جمعه جمع سلامة لانه مختص
بالعقلا واجيب عنه باوجه احدها ان المراد بالاعناق الروسا كما قيل لهم وجوه وصدور قال
في محفل من نواصي الخيل مشهود الثاني انه على حذف مضاف اي فظل اصحاب الاعناق ثم
حذف وبقي الخبر على ما كان عليه قبل حذف المخبر عنه مراعاة للمحذوف وتقدم ذلك قريبا عند
قراة وقمرا منيرا الثالث انه لما اضيف الى العقلا اكتسب منهم هذا الحكم كما يكتسب التانيث
بالاضافة لمونث في قوله • كما شرقت صدر القناة من الدم •
الرابع ان الاعناق جمع عنق من الناس وهم الجماعة فليس المراد الجارحة البتة ومنه قوله
ان العراق واهله عنق اليك فهيت هيتا وهذا قريب من معنى الاول الا ان هذا القايل يطلق
الاعناق على جماعة الناس مطلقا روسا كانوا او غيرهم الخامس قال الزمخشري اصل الكلام
فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله كقولهم ذهبت
اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور قال شهاب الدين وفي التنظير بقوله ذهبت اهل اليمامة
نظر لان اهل ليس مقحما البتة لانه المقصود بالحكم واما التانيث فلاكتسابه التانيث السادس
انها عوملت معاملة العقلا لما اسند اليهم ما يكون فعل العقلا كقوله ساجدين وطايعين في
يوسف والسجدة وقيل انما قال خاضعين لموافقة روس الاي والثاني انه منصوب على الحال
من الضمير في اعناقهم قاله الكسائي وضعفه ابو البقا قال لان خاضعين يكون جاريا على غير
ظلت فاعل ظلت فيفتقر الى ابراز ضمير الفاعل فكان يجب ان يكون خاضعين هم قال شهاب
الدين ولم يجر خاضعين في اللفظ والمعنى الا على من هو له وهو الضمير في اعناقهم والمسيلة التي
قالها هي ان يجري الوصف على غير من هو له في اللفظ دون المعنى فكيف يلزم ما الزمه به على انه
لو كان كذلك لم يلزم ما قاله لان الكسائي والكوفيين لا يوجبون ابراز الضمير في هذه المسيلة اذا
امن اللبس فهو يلتزم ما الزمه به ولو ضعفه بمجي الحال من المضاف اليه لكان اقرب على انه
لا يضعف لان المضاف جز من المضاف اليه كقوله ما في صدورهم من غل اخوانا قوله وما
ياتيهم من ذكر وعظ وتذكر من الرحمن محدث في التنزيل قال الكلبي كلما
نزل من القران شي بعد شي فهو احدث من الاول ومعنى معرضين اي عن الايمان به قوله فقد
كذبوا اي بلغوا النهاية في رد ايات الله فسياتيهم اي فسوف ياتيهم انبا الاخبار وعواقب ما كانوا
به يستهزيون وذلك اما عند نزول العذاب عليهم في الدنيا او عند المعاينة في الاخرة كقوله تعالى
ولتعلمن نباه بعد حين قوله اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج اي صنف والكريم
صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا كان مرضيا في حسنه وجماله وكتاب كريم
اذا كان مرضيا في فوايده ومعانيه والنبات الكريم هو المرضي في منافعه مما ياكل الناس والانعام
يقال نخلة كريمة اذا طاب حملها وناقة كريمة اذا كثر لبنها قال الشعبي الناس مثل نبات
الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لييم قوله كم انبتنا كم للتكثير فهي خبرية
وهي منصوبة بما بعدها على المفعول به اي كثيرا من الازواج انبتنا ومن كل زوج تمييز وجوز
ابو البقا ان يكون حالا ولا معنى له قال الزمخشري فان قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو
قيل انبتنا فيها من كل زوج قلت قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل

دكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط في الكثرة قوله ان في ذلك الذي ذكرت لاية دلالة على وجودي وتوحيد
وكمال قدرتي وقوله للمومنين كقوله هدي للمتقين لانهم المنتفعون بذلك وما كان اكثرهم مومنين
مصدقين اي سبق علمي فيهم ان اكثرهم لا يومنون وقال سيبويه كان هاهنا صلة مجازه وما كان اكثرهم
مومنين وان ربك لهو العفور الرحيم وانما قدم ذكر العزيز على ذكر الرحيم لانه لو لم يقدمه لكان ربما
قيل انه رحيم لعجزه عن عقوبتهم فازال هذا الوهم بذكر العزيز وهو الغالب القاهر ومع ذلك فانه
رحيم بعباده فان الرحمة اذا كانت عن القدرة الكاملة كانت اعظم وقعا فان قيل حين ذكر الازواج
دل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكان لا يحصيها الا عالم الغيب فكيف قال ان في ذلك لاية وهلا
قال لايات فالجواب من وجهين احدهما ان يكون ذلك مشارا به الي مصدر انبتنا فكانه قال ان في
ذلك الانبات لاية والثاني ان يراد ان في كل واحد من تلك الازواج لاية قوله تعالى واذ نادي
ربك موسي الاية العامل في اذ نادي مضمر فقدره الزجاج اتل وقدره غيره اذكر واختلف في الندا الذي
سمعه موسي عليه السلام من الله تعالى فقيل هو الكلام القديم فكما ان ذاته تعالى لا تشبه ساير
الذوات مع ان الدليل دل على انها معلومة ومرئية فلذا كلامه منزه عن مشابهة الحرف والصوت
مع انه مسموع وقيل كان ندا من جنس الحروف والاصوات وقالت المعتزلة كان ذلك الندا حروفا
واصوات اعلم به موسي من قبل الله تعالى فصار معجزا علم به موسي ان الله تعالى مخاطبا له فلم يحتج
مع ذلك الي واسطة قوله ان ايت القوم الظالمين يجوز ان يكون ان مفسرة وان تكون مصدرية
اي بان قوله قوم فرعون بدل او عطف بيان للقوم الظالمين وقال ابو البقا انه مفعول تتقون
على قراة من قرا تتقون بالخطاب وفتح النون كما سياتي ويجوز على هذه القراة ان يكون منادي
قوله الا يتقون العامة على اليا في يتقون وفتح النون والمراد قوم فرعون والمفعول محذوف
اي تتقون عقابي والتقدير يا قوم فرعون وقرا بعضهم يتقون باليا من تحت وكسر النون وفيها
تخريجان احدهما ان تتقون مضارع ومفعوله يا المتكلم اجتزي عنها بالكسرة والثاني جوزه
الزمخشري ان يكون يا للندا وا تقون فعل امر كقوله الا يا اسجدوا اي يا قوم اتقون او يا ناس اتقون
وسياتي تحقيق مثل هذا في السورة تحتها وهذا تخريج بعيد وفي هذه الجملة وجهان احدهما انها
مستانفة لا محل لها من الاعراب وجوز الزمخشري ان يكون حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون
غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال وخطاه ابو حيان من وجهين احدهما
انه يلزم منه الفصل بين الحال وعاملها باجنبي منهما فانه اعرب قوم فرعون عطف بيان للقوم
الظالمين والثاني انه على تقدير تسليم ذلك لا يجوز ايضا لان ما بعد الهمزة لا يعمل فيه ما قبلها
قال وقولك جيت مسرعا ان جعلت مسرعا معمولا لجيت لم يجز فان اضمرت عاملا جاز والظاهر
ان الا للعرض وقال الزمخشري انها لا النافية دخلت عليها همزة الانكار وقيل هي للتنبيه
فصل نادي ربك موسي حين راي الشجرة والنار ان ايت القوم الظالمين يعني
الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعصية فحكم عليهم بالظلم من وجهين الاول ظلموا انفسهم بكفرهم
والثاني ظلمهم بني اسرايل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب قوم فرعون عطف قوم فرعون على
القوم الظالمين فهما بدلان لفظا على معني واحد الا يتقون اي الا يصرفون عن انفسهم عقوبة
الله بطاعته ومن قرا تتقون بالخطاب فعلى الالتفات اليهم وضرب وجوههم بالانكار والغضب
عليهم كمن يشكو من جنابة والجاني حاضر فاذا اندفع في الشكاية وحمي غضبه قطع بانه يخاطب
صاحبه واقبل على الجاني يوبخه ويعنفه ويقول له الم تتق الله الم تستحي من الناس فان
قيل فما الفايدة في هذا الالتفات والخطاب مع موسي عليه السلام في وقت المناجاة والملتفت
اليهم غايبون لا يشعرون قلنا اجري ذلك في تكليم الرسل اليهم معني اجرايه بحضرتهم والقايه
الي مسامعهم لانه مبلغه وله فيه لطف وحث على زيادة التقوي وكم من اية نزلت في الكافرين
وفيها اوفر نصيب للمومنين تدبرا بها واعتبارا بموارد ها قوله قال رب اني اخاف ان يكذبون
لما امر موسي عليه السلام ان يبعث معه هارون عليه السلام ثم ذكر الامور الداعية الي ذلك السوال
فقوله ان يكذبون مفعول اخاف اي اخاف تكذيبهم اياي قوله ويضيق صدري ولا ينطلق
الجمهور على الرفع وفيه وجهان احدهما انه مستانف اخبر بذلك والثاني انه معطوف على خبر ان
وقرا زيد بن علي وطلحة وعيسي والاعمش بالنصب فيهما والاعرج بنصب الاول ورفع الثاني

فالنصب صلة عطف على صلة ان فتكون الافعال الثلاثة يكذبون ويضيق ولا ينطلق داخلة
في حيز الخوف قال الزمخشري والفرق بينهما اي الرفع والنصب ان الرفع فيه يفيدان فيه
ثلاث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على ان خوفه متعلق
بهذه الثلاثة فان قلت في النصب تعليق الخوف بالامور الثلاثة وفي جملتها نفي انطلاق
اللسان وحقيقة الخوف انما تلحق الانسان لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف
به قلت قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زايدة على
ما كان به على ان تلك الحبسة التي كانت به زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة فان قلت
اعتذارك هذا يرده الرفع لان المعني اني خايف ضيق الصدر غير منطلق اللسان قلت يجوز ان
يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز ان يريد القدر اليسير الذي بقي قوله فارسل
اي فارسل جبريل او الملك فحذف المفعول به اي ليوازرني ويظاهرني على تبليغ الرسالة قيل
ان الله تعالى ارسل موسي قال السدي ان موسي عليه السلام سار باهله الي مصر والتقي
بهارون وهو لا يعرفه فقال انا موسي فتعارفا وامره ان ينطلق معه الي فرعون لاداء الرسالة
وقيل ارسل جبريل اليه كما يرسل الي الانبيا عليهم السلام فلما كان متعينا لهذا الامر حذف ذكر
المرسل لكونه معلوما قوله ولهم علي ذنب اي دعوي ذنب وهو قتل القبطي اي لهم علي ذنب
في زعمهم فاخاف ان يقتلون اي يقتلوني فقال الله تعالى كلا اي لن يقتلوك قوله فاذهبا
عطف على ما دل عليه حرف الردع من الفعل كانه قيل ارتدع عما تظن فاذهب انت واخوك باياتنا
انا معكم مستمعون سامعون ما تقولون قال معكم بلفظ الجمع وهما اثنان اجراهما مجري الجمع
وقيل اراد معكما ومع بني اسرايل نسمع ما يجيبكم فرعون قوله فاتيا فرعون فقولا انا رسول
رب العالمين انما افرد رسول اما لانه مصدر بمعني رسالة والمصدر يوحد ومن مجي رسول بمعني
رسالة قوله
لقد كذب الواشون ما فهت عندهم • بسر ولا ارسلتهم برسول •
اي برسالة واما لانهما ذوو شريعة واحدة فنزلا منزلة رسول واما لان المعني كل واحد منا رسول
واما لانه من وضع الواحد موضع التثنية لتلازمهما فصارا كالتبيين المتلازمين كالعينين واليدين
وحيث لم يقصد هذه المعاني طابق في قوله انا رسولا ربك وقال ابو عبيدة يجوز ان يكون
الرسول بمعني الاثنين والجمع تقول العرب هذا رسولي ووكيلي وهذان رسولي ووكيلي وهولا
رسولي ووكيلي وكما قال وهم لكم عدو قوله ان ارسل يجوز ان تكون مفسرة لرسول اذ قيل
بانه بمعني الرسالة شرحا للرسالة بهذا وبيانا به ويجوز ان تكون لقولك ارسل البازي قوله
الم نربك فينا وليدا اعلم ان في الكلام حذفا وهو انهما اتياه وقالا ما امرا الله به فعند ذلك قال
فرعون ما قال روي انهما انطلقا الي باب فرعون فلم يوذن لهما سنة حتي قال البواب ان هنا
انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ايذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف
موسي فعدد عليه نعمه اولا ثم اساة موسي اليه اما النعم فهي قوله الم نربك فينا وليدا والوليد
الصبي لقرب عهده من الولادة وهو فعيل بمعني مفعول قوله ولبثت فينا من عمرك سنين قرا
ابو عمرو في رواية بسكون ميم عمرك تخفيفا لفعل ومن عمرك حال من سنين قيل لبث عندهم
ثلاثين سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن اثني عشرة سنة قوله وفعلت فعلتك قرا الشعبي
فعلتك بالكسر على الهيئة لانها نوع من القتل وهي الوكزة وانت من الكافرين يجوز ان يكون
حالا قال ابن عباس اي وانت من الكافرين لنعمتي اي وانت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد
افتري عليه او جهل امره لانه كان يعاشرهم بالتقية فان الكفر غير جايز على الانبيا قبل النبوة
وان يكون مستانفا ومعناه وانت ممن عادته كفران النعم ومن كانت هذه حاله لم يستبعد منه
قتل خواص ولي نعمه وقيل من الكافرين بفرعون والاهيته او من الذين يكفرون في دينهم
فقد كانت لهم الهة يعبد ونها بدليل قوله ويذرك والهتك قوله قال فعلتها اذا وانا من
الضالين اذن هنا حرف جواب فقط قال الزمخشري انها جواب وجزا معا قال فان قلت
اذن حرف جواب وجزا معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزا قلت قول فرعون وفعلت
فعلتك فيه معني انك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسي نعم فعلتها مجازيا لك تسليما
لقوله كان نعمته كانت عنده جديرة بان تجازي بنحو ذلك الجزا قال ابو حيان وهذا مذهب

سيبويه يعني انها للجزا والجواب معا قال ولكن شراح الكتاب فهموا انه قد يتخلف عن الجزا
والجواب معني لا زمها **فصل** اعلم ان فرعون عدد عليه نعمه من تربيته وتبليغه
مبلغ الرجال ووبخه بما جري على يده من قتل اجناده وعظم ذلك بقوله وفعلت فعلتك
التي فعلت ولما ذكر فرعون التربية وذكر القتل وكانت تربية معلومة ما انكرها موسي
عليه السلام وقد تقرر في العقول ان الرسول الي الغير اذا كان معه معجز وحجة لم يتغير حاله
بان يكون المرسل اليه انعم عليه اولم ينعم وصار قول فرعون غير موثر فالاعراض عنه اولي
ولكن اجاب عن القتل بما لا شي ابلغ منه في الجواب فقال فعلتها اذن وانا من الضالين اي من
الجاهلين اي لم يأتني من عند الله شي او من الجاهلين بان ذلك يودي الي قتله لانه وكزه تاديبا
ومثل ذلك ربما حسن وقيل من المخطيين فبين انه فعله على وجه لا يجوز المواخذة به فيعد
كافر النعمة قوله ففررت منكم لما خفتكم العامة على تشديد ميم لما وهي لما التي هي حرف
وجوب عند سيبويه او بمعني حين عند الفارسي وروي عن حمزة بكسر اللام وتخفيف الميم
اي لتخوفي منكم وما مصدرية وهذه القراة تشبه قراته في ال عمران لما اتيتكم وقد تقدمت
مستوفاة قال الزمخشري انما جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده في تمنها وعبدت لان الخوف
والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملايه المويترين بقتله كقوله ان الملا يأتمرون
بك ليقتلوك واما الامتنان والتعبيد فمنه وحده **فصل** والمعني اني فعلت ذلك
الفعل وانا ذاهل عن كونه مهلكا وكان مني في حكم السهو فلم استحق التخويف الذي يوجب
الفرار ومع ذلك فررت منكم لما خفتكم عند قولكم ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فبين بذلك
ان لا نعمة له عليه في الفعلة بل بان يكون مسيا فيه اقرب **فصل** وقد ورد الفرار
على اربعة اوجه الاول بمعني الهرب كهذه الاية ومثله قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت
او القتل الثاني بمعني الكراهية قال تعالي قل ان الموت الذي تفرون منه اي تكرهونه
الثالث بمعني اشتغال المرء بنفسه قال تعالي يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه اي لا
يلتفت اليهم لاشتغاله بنفسه الرابع بمعني التباعد قال تعالي فلم يزدهم دعاي الا فرارا اي
تباعدا ثم بين نعم الله عليه بعد الفرار فقال اساتم واحسن الله الي بان وهب لي حكما
قرا عيسي حكما بضم الكاف اتباعا والمراد بالحكم العلم والفهم قاله مقاتل وقيل النبوة
والاول اقرب لان المعطوف غير المعطوف عليه والنبوة مفهومة من قوله وجعلني من المرسلين
قوله تعالي وتلك نعمة فيه وجهان احدهما انه خبر على سبيل التهكم اي ان كان ثم نعمة
فليست الا انك جعلت قومي عبيدا لك والثاني انه استفهام وحرف الاستفهام محذوف لفهم المعني اي او تلك
وهذا مذهب الاخفش وجعل من ذلك • افرح ان ارزا الكرام •
وقد تقدم هذا مشبعا في النسا عند قوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وفي غيره قال
الزمخشري فان قلت تلك اشارة الي ماذا قلت اشارة الي خصلة شنعا مبهمة لا يدري
ما هي الا بتفسيرها قوله ان عبدت فيه اوجه احدها انها في محل رفع عطف بيان لتلك
كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولا مقطوع الثاني انها في محل نصب مفعولا من
اجله الثالث انها بدل من نعمة الرابع انها بدل من ها تمنها الخامس انها مجرورة بيا
مقدرة اي بان عبدت السادس انها خبر مبتدا مضمر اي هي ان عبدت السابع انها منصوبة
باضمار اعني والجملة من تمنها صفة لنعمة وتمن يتعدي بالبا فقيل هي محذوفة اي تمن
بها وقيل ضمن تمن معني تذكر ويقال عبدت الرجل واعبدته وتعبدته واستعبدته
اذا اتخذته عبدا **فصل** اختلفوا في تاويل ان عبدت فحملها بعضهم على
الاقرار وبعضهم على الانكار وعلى كلا القولين فهو جواب لقوله الم نربك فينا وليدا
فمن قال هو اقرار قال عدها موسي نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل
ساير غلمان بني اسرايل ولم يستعبده كما استعبد بني اسرايل اي بلي وتلك نعمة تمنها
علي ان عبدت بني اسرايل وتركتني فلم تستعبدني ومن قال هو انكار قال قوله وتلك
نعمة هو على طريق الاستفهام كما تقدم في اعرابها يعني اوتلك نعمة فحذف الف الاستفهام
كقوله فهم الخالدون وقال الشاعر •

• تروح من الحي ام تبتكر • وماذا يضرك لو تنتظر •
اي اتروح من الحي وقال عمر بن عبد الله بن ابي ربيعة
• لم انس يوم الرحيل وقفتها • وطرفها في دموعها غرق •
• وقولها والركاب واقفة • تتركني هكذا وتنطلق •
اي اتتركني يقول تمن علي ان ربيتني وتنسي جنايتك على بني اسرايل بالاستعباد والمعاملة
القبيحة او يريد كيف تمن علي بالتربية وقد استعبدت قومي ومن اهين قومه ذل
فتعبدك بني اسرايل قد احبط احسانك الي وقال الحسن انك استعبدت بني اسرايل واخذت
اموالهم وانفقت منها علي فلا نعمة لك بالتربية وقيل ان الذي تولي تربيتي هم الذين
استعبدتهم فلا نعمة لك علي لان التربية كانت من قبل امي ومن قومي ليس لك الا مجرد الاسم
وهذا انما يعد انعاما وقيل معناه تمن علي بالتربية وانت لولا استعبادك بني اسرايل وقتلك
اولادهم لما رفعت اليك حتي ربيتني وكفلتني فانه كان لي من اهلي من يربيني ويكفلني ولم
يلقوني في اليم فاي نعمة لك علي وقيل معناه انك تدعي ان بني اسرايل عبيدك ولا منة للمولي على
العبد في تربيته قوله تعالي قال فرعون وما رب العالمين اعلم ان اني بما دون من لانها
يسال بها عن طلب الماهية كقولك ما العنقا ولما كان جواب هذا السوال لا يمكن عدل موسي
عليه السلام الي جواب ممكن فاجاب بصفاته تعالي وخص تلك الصفات لانه لا يشاركه
فيها احد وفيه ابطال لدعواه انه اله وقيل جهل السوال فاتي بما دون من وليس بشي وقيل
انما سال عن الصفات ذكره ابو البقا وليس بشي لان اهل البيان نصوا على انها يتطلب بها الماهيات
وقد جا من في قوله فمن ربكما يا موسي **فصل** اعلم ان فرعون لم يقل وما رب
العالمين الا وقد دعاه موسي الي طاعة رب العالمين ويدل على ذلك قوله تعالي فاتيا فرعون
فقولا انا رسول رب العالمين فلا بد من انهما قالا ذلك حين دخلا عليه فعند ذلك قال
فرعون وما رب العالمين يقول اي شي رب العالمين الذي تزعم انك رسوله الي يستوصفه
الالهه الذي ارسله اليه وهو سوال عن جنس الشي والله منزه عن الجنسية فاجابه موسي
عليه السلام بذكر افعاله التي تعجز الخلق عن الاتيان بمثلها فقال رب السموات والارض
وما بينهما ان كنتم موقنين انه خلقها قال اهل المعاني كما توقنون هذه الاشيا التي تعاينوها
فايقنوا ان اله الخلق هو الله عز وجل قوله وما بينهما عاد ضمير التثنية على جمعين اعتبارا
بالجنسين كما فعل ذلك في قوله • بين رماحي مالك ونهشل •
ولما ذكر موسي عليه السلام هذا الجواب الحق تحير فرعون في جواب موسي فقال لمن حوله
من اشراف قومه قال ابن عباس كانوا خمسماية الا تستمعون على سبيل التعجب من جواب
موسي يعني انا اطلب منه الماهية وهو يجيبني بالفاعلية وقيل استبعد جواب موسي وقال
الا تستمعون لانهم كانوا يعتقدون ان الهتهم ملوكهم فزادهم موسي بيانا فقال ربكم ورب
ابايكم الاولين فعدل عن التعريف بخالقية السموات والارض الي التعريف بكونه تعالي خالقا
لنا ولابايئنا وذلك لانه يمكن ان يعتقد ان السموات والارضين واجبة لذواتها فهي غنية
عن الخالق ولا يمكن ان يعتقد في نفسه وفي ابايه واجداده كونهم واجبين لذواتهم
لان المشاهدة دلت على انهم وجدوا بعد العدم وعدموا بعد الوجود وما كان كذلك استحال
ان يكون واجبا لذاته واستحال وجوده الا بالموثر فكان التعريف بهذا الاثر اظهر فلهذا عدل
موسي عليه السلام اليه فقال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني ان المقصود
من سوالنا طلب الماهية والحقيقة والتعريف بهذه الاثار الخارجية لا يفيد البتة تلك
الخصوصية فهذا الذي يدعي الرسالة مجنون لا يفهم السوال فضلا عن ان يجيب عنه فقال
موسي عليه السلام رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون فعدل الي طريق ثالث
اوضح من الثاني وذلك انه اراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار واراد بالمغرب غروب
الشمس وزوالها والامر ظاهر لان التدبير المستمر على الوجه العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر وهذا
بعينه طريقة ابراهيم عليه السلام مع نمرود فانه استدل اولا بالاحيا والاماتة وهو الذي
ذكره موسي عليه السلام بقوله ربكم ورب ابايكم الاولين فاجابه نمرود وانا احيي واميت

فقال ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر وهو الذي ذكره
موسى عليه السلام بقوله رب المشرق والمغرب واما قوله ان كنتم تعقلون فكانه عليه
السلام قال ان كنت من العقلا عرفت انه لا جواب عن سوالك الا ما ذكرت لانك طلبت
منى تعريف حقيقته ولا يمكن تعريف حقيقته بنفس حقيقته ولا باجزا حقيقته فلم يبق الا ان
اعرف حقيقته باثار حقيقته وقد عرفت حقيقته باثار حقيقته فمن كان عاقلا يقطع بانه
لا جواب عن سوالك الا ما ذكرته واعلم ان حقيقته غير معقولة للبشر فيستحيل من موسى
عليه السلام ان يذكر ما يعرف الحقيقة الا ان عدم العلم بتلك الخصوصية لا يقدح في صحة
الرسالة فلما انقطع فرعون عن الجواب لزمته الحجة تكبر عن الحق وعدل الى التخويف وقال
لين اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين قال الكلبي كان سجنه اشد من القتل لانه
كان ياخذ الرجل فيطرحه في مكان وحده فردا لا يسمع ولا يبصر فيه شيا يهوي به في الارض
وقال لاجعلنك من المسجونين ولم يقل لاسجننك وهو اخص منه لان فيه مبالغة ليست
في ذاك اذ معناه لاجعلنك ممن عرفت حاله في سجوني فعند ذلك ذكر موسى كلاما مجملا
ليتعلق قلبه به فيعدل عن وعيده فقال او لو جيتك بشي مبين اي هل يحسن ان تدركه هذا
مع اقتداري على ان اتيك بدليلين يدلان على وجود الله وعلى اني رسوله فعند ذلك قال
فات به ان كنت من الصادقين وانما قال موسى ذلك لان من اخلاق الناس السلوك الى
الانصاف والاجابة الى الحق بعد البيان فقال فرعون فات به فانا لن نسجنك حينئذ ان كنت
من الصادقين فان قيل كيف قطع الكلام بما لا يتعلق له بالاول وهو قوله اولو جيتك بشي
مبين اي باية بينة والمعجز لا يدل على الله لدلالة سابر ما تقدم فالجواب بل يدل علما اراد
ان يظهر من انقلاب العصا حية على الله وعلى توحيده وعلى انه صادق في ادعا الرسالة
فالذي ختم به كلامه اقوى من كلما تقدم والواو في قوله اولو جيتك والحال دخلت
عليها همزة الاستفهام والمعنى اتفعل بي ذلك ولو جيتك بشي مبين اي جايا بالمعجزة
وقال الحوفي هي واو العطف وتقدم تحرير هذا عند قوله اولو كان اباوهم في البقرة وغالب
الجمل هنا تقدم اعرابها **قوله** تعالى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده
فاذا هي بيضاء للناظرين اعلم ان قوله اولو جيتك بشي مبين يدل على ان الله تعالى عرفه
قبل القا العصا انها تصير ثعبانا فلذلك قال ما قال فلما القى عصاه صارت ثعبانا
روي انها لما انقلبت حية ارتفعت في السما قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون يقول
يا موسى مرني بما شيت ويقول فرعون اسالك بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها فعادت
عصا فان قيل كيف قال ثعبان مبين وفي اية اخرى فاذا هي حية تسعى وفي اية ثالثة
كانها جان والجان مايل الى الصغر والثعبان الى الكبر فالجواب ان الحية اسم الجنس ثم لكبرها
صارت ثعبانا وشبهها بالجان لخفتها وسرعتها فصح الكلامات ويحتمل انه شبهها بالشيطان
لقوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم ويحتمل انها كانت صغيرة كالجان ثم عظمت
فصارت ثعبانا ثم ان موسى عليه السلام لما اراه اية العصا قال فرعون هل غيرها قال نعم
فاراه يده ثم ادخلها جيبه ثم اخرجها فاذا هي بيضا يضي الوادي من شدة بياضها من غير
برص لها شعاع كشعاع الشمس فعند هذا اراد فرعون تعمية هذه الحجة على قومه فذكر
امورا احدها قال لهم ان هذا الساحر عليم وكان زمانهم زمان السحر فاوهم ان هذا اكبر
من السحرة وثانيها قال يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وهذا موجب للتنفير عنه لييلا
تقبلوا قوله والمعنى يفرق جمعكم بما يلقيه من العداوة بينكم ومفارقة الوطن اصعب
الامور وهذا نهاية ما يفعله المضل المنفر عن المحق وثالثها قوله فماذا تامرون اي ما
رايكم فيه فاظهر من نفسه اني متبع لرايكم ومثل هذا يوجب جذب القلوب والانصراف
عن العدو قوله حوله حال من الملا ومفعول القول قوله ان هذا الساحر عليم وقيل
صلة للملا فانه بمعنى الذي وقيل الموصول محذوف وهما قولان للكوفيين قال الزمخشري
فان قلت قوله تعالى للملا حوله ما العامل في حوله قلت هو منصوب نصبين نصب في
اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما تقدم في الظرف والعامل في النصب

المحلي

المحلي هو النصب على الحال قوله ارجيه وارجه بالهمز والتخفيف لما قال لهم فرعون تلك
الكلمات اتفقوا على جواب واحد وهو قولهم ارجيه قرى ارجيه وارجه بالهمز والتخفيف
وهما لغتات يقال ارجاته وارجيته اذا اخرته والمعنى اخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل
احبسه وابعث في المداين حاشرين يا توك بكل سحار عليم اشاروا عليه بانفاذ حاشرين يجمعون السحرة
ظنا منهم بانهم اذا كثروا غلبوه وكشفوا حاله وعارضوا قوله ان هذا لساحر عليم بقولهم بكل سحار عليم
فجاوا بكلمة الاحاطة وبصيغة المبالغة ليطيبوا قلبه قوله فجمع السحرة لميقات يوم معلوم اليوم
المعلوم يوم الزينة قال ابن عباس وافق ذلك يوم السبت في اول يوم من السنة وهو يوم النيروز
وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقت لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله
موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى قوله وقيل للناس هل انتم مجتمعون والمعنى انهم
بعثوا على الحضور ليشاهدوا ما يكون من الجانبين لمن تكون الغلبة وكان موسى عليه السلام يطلب
ذلك ليظهر حجته عليهم عند الخلق العظيم قوله لعلنا نتبع السحرة اي نرجوا ان تكون الغلبة
لهم ان كانوا هم الغالبين لموسى وقيل انما قالوا ذلك على طريق الاستهزا وارادوا بالسحرة موسى
وهرون وقومهما فلما جا السحرة قالوا لفرعون اين لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم
وانكم اذا لمن المقربين فابتدوا بطلب الجزا وهو اما المال واما الجاه فبذل لهم ذلك واكده بقوله
وانكم اذن لمن المقربين لان غاية مطلوبهم البذل ورفع المرتبة قوله قال لهم موسى القوا
ما انتم ملقون اعلم انهم لما اجتمعوا كان لا بد من ان يبتدا موسى او يبتدا يهم ثم انهم تواضعوا فقدموه
على انفسهم وقالوا له اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين فلما تواضعوا له تواضع هو ايضا
لهم فقدمهم على نفسه وقال القوا ما انتم ملقون فان قيل كيف جاز لموسى عليه السلام ان
يامر السحرة بالقا الحبال والعصي وذلك سحر وتلبيس وكفر والامر بمثله لا يجوز فالجواب ليس
ذلك بامر لان مراد موسى عليه السلام منهم ان يومنوا به ولا يقدموا على ما يجري مجرى المقاتلة
واذا ثبت ذلك وجب تاويل صيغة الامر وفيه وجوه احدها ان ذلك الامر كان مشروطا والتقدير
القوا ما انتم ملقون ان كنتم محقين كقوله فاتوا بسورة من مثله اي ان كنتم قادرين وثانيها
لما تعين ذلك طريقا الى كشف الشبهة صار جايزا وثالثها ان هذا ليس بامر بل هو تهديد اي ان
فعلتم ذلك اتينا بما يبطله كقول القايل لين ارميتني لافعلن ولاصنعن ثم يفوق له السهم فيقول
له ارم فيكون ذلك منه تهديدا ورابعها انهم لما تواضعوا وقدموه على انفسهم فقدمهم على نفسه
رجا ان يصير تواضعه سببا لقبول الحق ولقد حصل ببركة ذلك التواضع ذلك المطلوب قوله
فالقوا حبالهم وعصيهم روي عن ابن عباس قال كانت الحبال مطلية بالزيبق والعصي مجوفة مملوة
من الزيبق فلما حميت اشتدت حركتها فصارت كانها حيات تدب من كل جانب من الارض قوله
بعزة فرعون يجوز ان يكون قسما وجوابه انا لنحن الغالبون ويجوز ان يتعلق بمحذوف اي نغلب
بسبب عزته يدل عليه ما بعده ولا يجوز ان يتعلق بالغالبون لان ما في خبر ان لا يتقدم عليها
قوله فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون تقدم خلاف القرا في تلقف وقال ابن
عطية هنا وقرا البزي وابن فليح بشد التا وفتح اللام وبشد القاف ويلزم على هذه القراة اذا
ابتدا ان تجتلب همزة الوصل وهمزة الوصل لا تدخل على الافعال المضارعة كما لا تدخل على اسما
الفاعلين قال ابو حيان كانه يخيل اليه انه لا يمكن الابتدا بالكلمة الا باجتلاب همزة الوصل
وهذا ليس بلازم كثيرا ما يكون الوصل مخالفا للوقف والوقف مخالفا للوصل ومن له تمرن في
القراات عرف ذلك قال شهاب الدين يريد قوله فاذا هي تلقف فان البزي يشدد التا اذا لا ادغم
تتلقف بتايين فادغم فاذا وقف على هي وابتدا بتلقف خففه ان يقف ولا يدغم ليلا يبتدا بساكن
وهو غير ممكن وقول ابن عطية ويلزم على هذه القراة الى اخره تضعيف للقراة لما ذكره هو من
ان همزة الوصل لا تدخل على الفعل المضارع ولا يمكن الابتدا بساكن فمن ثم ضعفت وجواب الشيخ
يمنع الملازمة حسن الا انه كان ينبغي ان يبدل لفظة الوقف بالابتدا لانه هو الذي وقع الكلام
فيه اعني الابتدا بكلمة تلقف قوله فالقى قال الزمخشري فان قلت فاعل الالقا ما هو لو صرح
به قلت هو الله عز وجل ثم قال ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا بمعنى خروا وسقطوا قال ابو
حيان وهذا ليس بشي لانه لا يبنى الفعل للمفعول الا وله فاعل ينوب المفعول به عنه اما انه لا يقدر

له فاعل فقول ذاهب عن الصواب **فصل** تقدم الكلام على نظير هذه الاية واعلم ان
السحرة لما شاهدوا امرا خارجا عن حد السحر لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم الي الارض ساجدين وقالوا
امنا برب العالمين قوله رب موسي وهارون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان
يدعي الربوبية فاراد عزله ومعني اضافته اليهما في ذلك المقام انه الذي دعي موسي وهارون
عليهما السلام اليه قوله امنتم له قبل ان اذن لكم الايات لما امنوا باجمعهم لم يامن فرعون
ان يقول قومه ان هولاء السحرة على كثرتهم وبصيرتهم لم يامنوا الا عن معرفة بصحة امر موسي
عليه السلام فيسلكون طريقهم فلبس على قومه وبالغ في التنفير عن موسي من وجوه احدها قوله
قبل ان اذن لكم والمعني ان مسارعتكم الي الايمان به دال على ميلكم اليه فتطرق التهمة اليهم
فلعلهم قصروا في السحر حياله وثانيها قوله انه لكبيركم الذي علمكم السحر وهذا تصريح بما رمز به
اولا وتعريض منهم بانهم فعلوا ذلك عن مواطاة بينهم وبين موسي وقصروا في السحر ليظهر امر
موسي والا ففي قوة السحرة ان يفعلوا مثل ما فعل وهذه شبهة شديدة ورابعها قوله لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين وهذا الوعيد المفصل وليس في الاهلاك اقوى منه
ثم انهم اجابوا عن هذه الكلمات من وجهين الاول قوله لا ضير انا الي ربنا لمنقلبون الضير والضر
واحد وليس المراد ان ذلك ان وقع وانما عنوا بالاضافة الي ما عرفوه من دار الجزا والجواب الثاني
قوله انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا وهو اشارة منهم الي الكفر والسحر وغيرهما والطمع في هذا
الموضع يحتمل اليقين كقول ابراهيم عليه السلام والذي اطمع ويحتمل الظن لان المرء لا يعلم ما سيختم له
من بعد قوله ان كنا قرا العامة بفتح ان اي لان كنا ابتدا القول بالايمان وقرا ابان بن تغلب
وابو معاذ بكسر الهمزة وفيه وجهان احدهما انها شرطية والجواب محذوف لفهم المعني او متقدم
عند من يجيزه والثاني انها المخففة من الثقيلة واستغني عن اللام الفارقة لارشاد المعني
الي الثبوت دون النفي كقوله • وان مالك كانت كرام المعادن •
وفي الحديث ان كان رسول الله يحب العسل اي ليحبه والمعني على الاول لان كنا اول المومنين
من الجماعة الذين حضروا ذلك الموقف او يكون المراد من السحرة خاصة او من رعية فرعون او
من اهل زمانهم قوله واوحينا الي موسي ان اسر بعبادي قرئ اسر بقطع الهمزة ووصلها لما ظهر
من امر موسي عليه السلام ما شاهدوه امره الله ان يخرج ببني اسرايل لما كان في المعلوم من
تدبير الله وتخليصه من القوم وتمليكه بلادهم واموالهم ولم يامن وقد جرت تلك الغلبة
الظاهرة ان يقع من فرعون ببني اسرايل ما يودي الي الاستيصال فلذلك امره الله تعالي ان
يسري ببني اسرايل ما يودي الي الاستيصال فلذلك امره الله تعالي ان يسري بهم الذين امنوا
وكانوا من قوم موسي عليه السلام واعلم ان في الكلام حذفا وهو انه اسري بهم كما امره الله تعالي
ثم ان قوم موسي قالوا لقوم فرعون ان لنا في هذه الليلة عيدا ثم استعاروا منهم حليهم بهذا السبب
ثم خرجوا بتلك الاموال في الليل الي جانب البحر فلما سمع فرعون ذلك ارسل في المداين حاشرين
يحشرون الناس يعني الشرطة ليجمعوا السحرة وقيل ليجمعوا له الجيش روي انه كان له الف مدينة
واثنا عشر الف قرية وحاشرين مفعول ارسل ثم انه قوي نفسه ونقص قومه بان وصف قومه
موسي بالذم ووصف قومه نفسه بالمدح اما وصفه قوم موسي بالذم فقال ان هولاء لشرذمة معمول
لقول مضمر اي قال ان هولاء وهذا القول يجوز ان يكون حالا اي ارسلهم قايلا ذلك ويجوز ان
يكون مفسرا لارسل والشرذمة الطايفة من الناس وقيل كل بقية من شي خسيس يقال لها شرذمة
ويقال ثوب شراذم اي اخلاق قال •
• جا الشتا وقميصي اخلاق • شراذم يضحك منه الخلاق •
وانشد ابو عبيد في شراذم لفعال وجمع الشرذمة شراذم فذكرهم بالاسم الدال على القلة
ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي
هو جمع القلة ويجوز ان يريد بالقلة الذلة لا قلة العدد اي انهم لقلتهم لا يبالي بهم قال
ابن عباس كان الشرذمة الذين قللهم فرعون ستماية الف مقاتل لا شباب فيهم دون عشرين
سنة ولا شيخ يوفي على الستين سوي الحشم وفرعون يقللهم لكثرة من معه وهذا الوصف
قد استعمل في الكثير عند الاضافة الي ما هو اكثر منه فروي ان فرعون خرج على فرس ادهم حصان

وفي عسكره على لون فرسه ثمان ماية الف قوله وانهم لنا لغايظون يقال غاظه واغاظه
وغيظه اذا اغضبه والغيظ الغضب والمعني انهم يفعلون افعالا تغيظنا واختلفوا في تلك الافعال
فقيل اخذهم الحلي وغيره وقيل خروجهم عن عبوديته وقيل خروجهم بغير اذنه وقيل مخالفتهم
له في الدين وقيل لانهم لم يتخذوا فرعون الها واما وصف قومه فهو قوله وانا لجميع حذرون
قرا الكوفيون وابن ذكوان حاذرون بالف والباقون بغيرها فقال ابو عبيدة والزجاج هما
بمعني واحد يقال رجل حذر وحذر وحاذر بمعني وقيل بل بينهما فرق فالحذر المتيقظ والحاذر
الخايف وقيل الحذر المخلوق مجبولا على الحذر والحاذر ما عرض له ذلك وقيل الحذر المسلح الذي له
شوكة سلاح وانشد سيبويه في اعمال حذر على انه مثال مبالغة محول من حاذر قوله •
• حذر امورا لا تضير وامن • ما ليس منجيه من الاقدار •
وزعم بعضهم ان سيبويه لما ساله هل تحفظ شيا في اعمال فعل صنع له هذا البيت فعيب على سيبويه
كيف ياخذ الشواهد الموضوعة وهذا غلط فان هذا الشخص قد اقر على نفسه بالكذب فلا يقدح
قوله في سيبويه الذي ادعي انه صنع البيت هو الاخفش وحذر يتعدي بنفسه قال تعالي
يحذر الاخرة وقال العباس بن مرداس •
• واني حاذر اعني سلاحي • الي اوصال ذيال منيع •
وقرا ابن السميقع وابن ابي عمار حادرون بالدال المهملة من قولهم عين حدرة اي عظيمة كقوله
وعين لها حدرة بدرة والمعني عظما وقيل الحادر القوي الممتلي وحكي رجل حادر اي ممتلي
غيظا ورجل حادر اي احمق كانه ممتلي من الحمق قال •
• احب الغلام السوء من اجل امه • وابغضه من بغضها وهو حادر •
ويقال ايضا رجل حدر بزنة يقظ مبالغة في حادر من هذا المعني فصار يقال حذر وحذر
وحاذر بالذال المعجمة والمهملة والمعني مختلف واعلم ان الصفة اذا كانت جارية على الفعل وهو
اسم الفاعل واسم المفعول كالضارب والمضروب افادت الحدوث واذا لم يكن كذلك وهي المشبهة
ذهب الي معني انا قوم من عادتنا الحذر واستعمال الحذر ومن قرا حاذرون ذهب الي معني انا
قوم ما عهدنا ان نحذر الا عصرنا هذا ومن قرا حادرون بالدال المهملة فكانه ذهب الي نفي الحذر اصلا
لان الحادر هو السمين فاراد انا قوم اقويا اشدا واراد انا شاكون في السلاح والغرض من هذه
التقادير ان لا يتوهم اهل المداين انه منكسر من قوم موسي او خايف منهم قوله فاخرجناهم اي
خلقنا في قلوبهم داعية الخروج فاستلزمت الداعية الفعل فكان الفعل مضافا الي الله تعالي
لا محالة وقوله من جنات وعيون وكنوز اي اخرجناهم من بساتينهم التي فيها عيون الما وكنوز
الذهب والفضة قال مجاهد سماها كنوزا لانه لم يعط حق الله منها وما لم يعط حق الله منه فهو
كنز وان كان ظاهرا قوله ومقام قرا العامة بفتح الميم وهو مكان القيام وقتادة والاعرج
بضمها وهو مكان الاقامة والمراد بالكريم الحسن قال المفسرون هي مجالس الامرا والروسا التي
كانت تحفها الاتباع وقيل المواضع التي كانوا يتنعمون فيها قوله كذلك فيه ثلاثة اوجه
قال الزمخشري يحتمل ثلاثة اوجه النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا
والجر على انه وصف لمقام اي ومقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر
لمبتدا محذوف اي الامر كذلك قال ابو حيان فالوجه الاول لا يسوغ لانه يوول الي تشبيه الشي
بنفسه وكذلك الوجه الثاني لان المقام الذي كان لهم هو المقام الكريم فلا يشبه الشي بنفسه
قال شهاب الدين وليس في ذلك تشبيه الشي بنفسه لان المراد في الاول اخرجناهم اخراجا مثل
الاخراج المعروف المشهور وكذلك الثاني قوله واورثناها عطف على فاخرجناهم اي واورثناها
بهلاكهم بني اسرايل وذلك ان الله تعالي رد بني اسرايل الي مصر بعد ما اغرق فرعون وقومه
واعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال والمساكن قوله فاتبعوهم قرا العامة بقطع
الهمزة من اتبعه اي الحقه نفسه فحذف الثاني وقيل يقال اتبعه بمعني اتبعه بوصل الهمزة اي
لحقه وقرا الحسن والحارث الذماري بوصلها وتشديد التا وهي بمعني اللحاق وقوله مشرقين
اي داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت كاصبح وامسي اي دخل في هذين
الوقتين وقيل داخلين نحو المشرق كانجدوا واتهم ومشرقين منصوب على الحال والظاهر انه من

الفاعل وقيل مشرقين بمعنى مضيئين وفي التفسير ان بني اسرايل كانوا في نور والقبط في ظلمة فعلى
هذا يكون مشرقين حالا من المفعول قال شهاب الدين وعندي انه يجوز ان يكون حالا من
الفاعل والمفعول اذا جعلنا مشرقين داخلين في وقت الشروق او في مكان الشرق لان كلا منهما
الفيلقين كان داخلا في ذلك الزمان او في ذلك المكان قوله فلما ترايى الجمعان قرا العامة ترآءي
بتحقيق الهمزة مخففة بين هذه لا بالابدال المحض لئلا يجتمع ثلاث الفات الاولى الزايدة بعد
الرا والثانية المبدلة من الهمزة والثالثة لام الكلمة لكن الثالثة لا ثبت وصلا لحذفها لالتقاء
الساكنين ثم اختلف القرا في امالة هذا الحرف فيقول هذا الحرف اما ان يوقف عليه او لا فان وقف
عليه فحمزة يميل الفه الاخيرة لانها طرف منقلبة عن يا ومن ضرورة امالتها امالة فتحة الهمزة
المسهلة لانه اذا وقف على مثل هذه سهلها على مقتضى مذهبه وامال الالف الاولى اتباعا لامالة
فتحة الهمزة ومن ضرورة امالتها امالة فتحة الرا قبلها فهذا هو الامالة لامالة وغيره من
القرا لا يميل شيا من ذلك وقياس مذهب الكسائي ان يميل الالف الاخيرة وفتحة الهمزة قبلها
ولذا نقله ابن الباذش عنه وعن حمزة وان وصل فان الالف الاخيرة تذهب لالتقا الساكنين
ولذهابها تذهب امالة فتحة الهمزة وتبقى امالة الالف الزايدة وامالة فتح الرا قبلها عنده
اعتدادا بالالف المحذوفة وعند ذلك يقال حذف السبب وبقي المسبب لان امالة الالف الاولى
انما كان لامالة الالف الاخيرة كما تقدم تقريره وقد ذهبت الاخيرة فكان ينبغي ان لا تمال الاولى
لذهاب المقتضي لذلك ولكنه راعى المحذوف وجعله في قوة المنطوق ولذلك تجرا عليه ابو حاتم
فقال وقراة هذا الحرف بالامالة محال وقد تقدم في الانعام عند راى القمر وراى الشمس ما يشبه
هذا العمل قوله لمدركون العامة على سكون الدال اسم مفعول من ادرك اي لملحقون وقرا
الاعرج وعبيد بن عمير بفتح الدال مشددة وكسر الرا قال الزمخشري المعنى متتابعون في الهلاك
على ايديهم ومنه بيت الحماسة • ابعد بني امي الذين تتابعوا • ارجي الحياة ام من الموت اجزع •
يعني ان ادرك على افتعل لازم بمعنى فني واضمحل يقال ادرك الشي يدرك فهو مدرك اي فني
متتابعا ولذلك كسرت الرا ومن نص على كسرها ابو الفضل الرازي قال وقد تكون ادرك على افتعل
بمعنى افعل متعديا ولو كانت القراة من هذا الوجب فتح الرا ولم يبلغني عنهما يعني عن الاعرج وعبيد
الا الكسر

فصل

المعنى فلما تراآى الجمعان اي راى كل فريق صاحبه وقرب فلما ترا ءات
الفيتان قال اصحاب موسى انا لمدركون وقالوا يا موسى اوذينا من قبل ان تاتينا كانوا يذبحون
ابناءنا ومن بعد ما جيتنا يدركوننا في هذه الساعة فيقتلوننا ولا طاقة لنا بهم فعند ذلك قال
موسى ثقة لوعد الله اياه كلا وذلك كالمنع مما توهموه اي لن يدركونا ان معي ربي سيهدين يدلني
على طريق النجاة قوله فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر لما قال موسى ان معي ربي
سيهدين بين تعالى كيف هداه ونجاه واهلك اعداه فقال واوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك
البحر فانفلق ولا بد قبله من جملة محذوفة اي فضرب فانفلق وزعم ابن عصفور ان المحذوف
انما هو ضرب وفا انفلق وان الفا الموجودة هي فا فضرب فابقي من كل بعض ما يدل على المحذوف
ابقا الفا من فضرب لتدل على ضرب وابقي انفلق لتدل على الفا المتصلة به قوله فكان كل فرق
اختلف القرا في ترقيق را فرق فروي عن ورش الترقيق لاجل القاف وقري فلق بلام بدل الرا
لموافقة فانفلق والطود للجبل العظيم المتطاول في السما قوله قال ابن جريج لما انتهى موسى
الى البحر هاجت الريح والبحر ترمي بموج كالجبال قال يوشع يا مكلم الله اين امرت فقد غشينا فرعون
والبحر امامنا فقال موسى ههنا فخاض يوشع الما وجاز البحر ما يواري حافر دابته الما وقال الذي
يكتم ايمانه يا مكلم الله اين امرت قال ههنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقيه ثم اقحمه
البحر فارتسب في الما وصنع القوم مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدري كيف يصنع فاوحى الله
اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده
وهذا معجز عظيم من وجوه احدها ان تفرق ذلك الما معجز وثانيها ان اجتماع ذلك الما فوق كل فرق
منه حتى صار كالجبل معجز ايضا وثالثها انه ثبت في الخبر انه تعالى ارسل على فرعون وقومه
من الرياح والظلمة ما حيرهم فاحتبسوا القدر الذي تكامل معه عدد بني اسرايل وهذا معجز ثالث
ورابعها ان جعل الله في تلك الجدران المائية كوى ينظر بعضهم الى بعض وهذا معجز رابع وخامسها

ان بقي الله تلك المسالك حتى قرب آل فرعون فطمعوا ان يتخلصوا من البحر كما تخلص موسى عليه
السلام فهو معجز خامس قوله وازلفنا اي قربنا من النجاة وثم ظرف مكان للبعيد والاخرين هم
موسى واصحابه وقرا الحسن وابو حياة وزلفنا ثلاثيا قال ابو عبيدة ازلفنا جمعنا ومنه ليلة
المزدلفة اي ليلة الجمع وفي القصة ان جبريل كان بين بني اسرايل وقوم فرعون وكان يسوق
بني اسرايل ويقول ليلحق اخركم باولكم ويستقبل القبط ويقول رويدكم ليلحق اخركم وقرا ابي
وابن عباس وعبد الله بن الحرث بالقاف اي ازللنا والمراد بالاخرين في هذه القراة فرعون
وقومه والمعنى جعلنا طريقهم في البحر زلقا على خلاف ما جعله لبني اسرايل يبسا فيزلقهم
فيه قوله وانجينا موسى ومن معه اجمعين لانه لما تكامل دخولهم في البحر انطبق الما عليهم
فغرقوا والمعنى انه تعالى جعل البحر يبسا في حق موسى ومن معه حتى خرجوا عنه واغرق
فرعون ومن معه اجمعين لانه لما تكامل دخولهم في البحر انطبق الما عليهم فغرقوا قوله
ان في ذلك لاية اي ان الذي حدث في البحر اية عجيبة من الايات العظام الدالة على قدرة
الله تعالى لان احدا من البشر لا يقدر عليه وعلى حكمته وان وقوعه مصلحة في الدين والدنيا
وعلى صدق موسى لكونه معجزة له وعلى التحذير عن مخالفة امر الله ورسوله وفيه تسلية
للنبي عليه السلام لانه قد يغتم بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات عليه فنبهه الله تعالى بهذا
الذكر على ان له اسوة بموسى وغيره ثم قال وما كان اكثرهم مومنين اي من اهل مصر قيل لم
يكن امن من اهل مصر الا اسية امراة فرعون وحزقيل المومن ومريم بنت ناموشا التي دلت
على عظام يوسف عليه السلام وان ربك لهو العزيز في الانتقام من اعدايه الرحيم بعباده
لانه تعالى افاض عليهم اصناف نعمه وكان قادرا على ان يهلكهم فدل على كمال رحمته وسعة
جوده وفضله قوله تعالى واتل عليهم نبا ابراهيم الايات اعلم انه تعالى ذكر في اول
السورة شدة حزن محمد عليه السلام ثم ذكر قصة موسى ليعرف محمد ان مثل تلك المحنة كانت
حاصلة لموسى ثم ذكر عقيبها قصة ابراهيم ليعرف محمد ان حزن ابراهيم بهذا السبب كان اشد
من حزنه قوله اذ قال العامل في اذ نبا او اتل قاله الحوفي وهذا لا يتاتى الا على كون اذ
مفعولا به وقيل اذ بدل من نبا بدل اشتمال وهو يوول الى ان العامل فيه اتل بالتاويل المذكور
قوله وقومه الهاء تعود على ابراهيم لانه المحدث عنه وقيل تعود على ابيه لانه اقرب
مذكور اي قال لابيه وقوم ابيه ويويده اني اراك وقومك حيث اضاف القوم اليه قوله
ما تعبدون اي شي تعبدون وهو يعلم انهم عبدة الاصنام ولكنه سالهم ليريهم ان ما يعبدونه
لا يستحق العبادة كما يقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم يقول الرقيق جمال
وليس بمال قوله نعبد اصناما اتوا في الجواب بالتصريح بالفعل ليعطفوا عليه قولهم فنظل
افتخارا بذلك وابتهاجا به والا فكان قولهم نعبد اصناما كافيا كقوله تعالى قل العفو قالوا
خيرا قوله فنظل لها عاكفين العكوف الاقامة على الشي قال بعض العلما انما قالوا فنظل
لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل يقال ظل فلان يفعل كذا اذا فعل بالنهار فقال
ابراهيم عليه السلام منبها على فساد مذهبهم هل يسمعونكم لا بد من محذوف اي يسمعون دعاكم
او يسمعونكم تدعون فعلى الاول هي متعدية لواحد اتفاقا وعلى الثاني هي متعدية لاثنين
قامت الجملة المقدرة مقام الثاني وهو قول الفارسي وعند غيره الجملة المقدرة حال وتقدم
تحقيق القولين وقرا قتادة ويحيى بن يعمر بضم اليا وكسر الميم والمفعول الثاني محذوف اي
يسمعونكم الجواب قوله اذ تدعون منصوب بما قبله فما قبله وما بعده ماضيان بمعنى
وان كانا مستقبلين لفظا لعمل الاول في اذ ولعمل اذ في الثاني وقال بعضهم اذ هنا بمعنى اذا
وقال الزمخشري انه على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال التي كنتم تدعونها
فيها هل سمعوكم اذ اسمعوا وهو ابلغ في التبكيت وقد تقدم انه قري بادغام ذال اذ واظهارها
في التا وقال ابن عطية ويجوز فيه قياس مذكور ونحوه ولم يقرا به احد والقياس ان يكون
اللفظ به اذ دعون والذي منع من هذا اللفظ اتصال الدال الاصلية في الفعل فكثرت
المتماثلات يعني فيكون اللفظ بدال مشددة مهملة ثم بدال ساكنة مهملة ايضا قال ابو حيان
وهذا لا يجوز لان هذا الابدال انما هو في تا الافتعال بعد الذال والدال والزاي نحو ادهن

وادكروا وازدجر وبعد جيم شذ وذا نحو احد معوا في اجتمعوا وفي تا الضمير بعد الدال والزاى
نحو فزد في فزت وجلد في جلدت او تا تولج قالوا فيها دولج وتا المضارعة ليس شيا مما ذكر وقوله
والذي منع الي اخره يقتضي جوازه لولم يوجد ما ذكر فعلي مقتضي قوله يجوز ان يقول في اذ تخرج
ادجرج ولا يقول ذلك احد بل يقولون اتخرج بيد عموت الدال في التا **فصل** تقرير
هذه الحجة التي ذكرها ابراهيم عليه السلام ان من عبد غيره لا بد ان يلتجي اليه في المسيلة ليعرف
مراده او يسمع دعاه ثم يستجيب له في بذل منفعة او دفع مضرة فقال لهم اذا كان الذي
تعبدونه لا يسمع دعاكم حتي يعرف مقصودكم ولو عرف ذلك لما صح ان يبذل النفع او يدفع الضر
فكيف تعبدون ما هذا كيفيته فعند هذه الحجة الباهرة لم يجدوا ما يدفعون به حجته الا التقليد
فقالوا وجدنا اباانا كذلك يفعلون وهذا من اقوي الدلايل علي فساد التقليد ووجوب
التمسك بالاستدلال اذ لو قلبنا الامر فمدحنا التقليد وذممنا الاستدلال لكان ذلك مدحا
لطريقة الكفار التي ذمها الله وذما لطريقة ابراهيم التي مدحها الله قوله كذلك منصوب
بيفعلون اي يفعلون مثل فعلنا ويفعلون في محل نصب مفعولا ثانيا لوجدنا قوله افرايتم
ما كنتم تعبدون انتم واباوكم الاقدمون اراد به ان الباطل لا يتغير بان يكون قديما او حديثا
ولا بان يكون في فاعليه قلة او كثرة قوله فانهم عدو لي اللغة الغالبة افراد عدو وتذكيره
قال تعالي هم العدو وانما فعل به ذلك تشبيها بالمصادر نحو الولوغ والقبول وقد يقال
اعدا وعدوة وقوله عدو لي علي اصله من غير تقدير مضاف ولا قلب لان العدو والصديق
يجيان في معني الوحدة والكثرة قال الشاعر

وقوم علي ذوي ميرة • اراهم عدوا وكانوا صديقا

وتقدم الكلام في نظيره عند قوله انا رسول وقيل المعني فانهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيمة
كقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقيل الاصنام لا تعادي لانها جماد فالتقدير
فان عبادهم عدو لي فان قيل فلم لم يقل انه من يعبد الاصنام عدو لي ليكون الكلام حقيقة
فالجواب لان الذي تقدم ذكره هو ما عبدوه دون العابدين وقيل بل في الكلام قلب تقديره
فاني عدو لهم وهذان مرجوحان لاستقامة الكلام بدونهما فان قيل لم قال فانهم عدو لي
ولم يقل فانها عدو لكم فالجواب انه عليه السلام صور المسيلة في نفسه بمعني اني فكرت في
امري فرايت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها واراهم انها نصيحة نصح بها نفسه فاذا تفكروا
قالوا ما نصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه فيكون ذلك ادعي الي القبول قوله الا رب العالمين
فيه وجهان احدهما انه منقطع اي لكن رب العالمين ليس بعدو لي وقال الجرجاني فيه تقديم
وتاخير اي افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباوكم الاقدمون الا رب العالمين فانهم عدو لي
والا بمعني دون وسوي والثاني انه متصل وهو قول الزجاج لانهم كانوا يعبدون الله
والاصنام فقال ابراهيم كل من تعبدون اعدا لي الا رب العالمين وقال الحسن بن الفضل معناه
الا من عبد رب العالمين وقيل معناه فانهم غير معبود لي الا رب العالمين ثم وصف معبوده
وهو قوله الذي خلقني يجوز فيه اوجه النصب علي النعت لرب العالمين او البدل او عطف
البيان او علي اضمار اعني والرفع علي خبر مبتدا مضمر اي هو الذي خلقني او علي الابتدا وفهو
يهدين جملة اسمية في محل رفع خبر له قاله الحوفي ودخلت الفا لما تضمنه المبتدا من معني
الشرط وهذا مردود لان الموصول معين ليس عاما ولان الصلة لا يمكن فيها التجدد فلم تشبه
الشرط وتابع ابو البقا الحوفي ولكنه لم يتعرض للفا فان عني ما عناه الحوفي فقد تقدم ما فيه
وان لم يعنه فيكون تابعا للاخفش في تجويزه زيادة الفا في الخبر مطلقا نحو زيد فاضربه وقد
تقدم تحريره واعلم ان ابراهيم عليه السلام لما استثني رب العالمين وصفه بما يستحق العبادة
لاجله باوصاف احدها قوله الذي خلقني فهو يهدين وذلك لان الله تعالي اثني علي نفسه
بهذين الامرين في قوله الذي خلق فسوي والذي قدر فهدي وقال خلقني بلفظ الماضي
لان خلق الذات لا يتجدد في الدنيا بل لما وقع بقي الي الامد المعلوم وقال فهو يهدين بلفظ
المستقبل لان الهداية مما يتكرر كل حين واوان سوا كانت تلك الهداية من المنافع الدنياوية
بتمييز المنافع عن المضار او من المنافع الدينية بتمييز الحق من الباطل والخير والشر قوله

والذي

والذي هو يطعمني ويسقين يجوز ان يكون مبتدا وخبره محذوف وكذلك ما بعده ويجوز ان يكونوا
اوصافا للذي خلقني ودخول الواو جايز وقد تقدم تحقيقه في اول البقرة كقوله

الي الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم •

واثبت ابن ابي اسحاق ويروي عن عاصم ايضا يا المتكلم في يسقين ويشفين ويحيين •
المعني يرزقني ويغذوني بالطعام والشراب وينبه بذكر الطعام والشراب علي ما عداهما قوله واذا
مرضت فهو يشفين اضاف المرض الي نفسه وان كان المرض والشفا كله من الله استعمالا لحسن الادب
كما قال الخضر فاردت ان اعيبها وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما واجاب ابن الخطيب باجوبة اخر
منها ان اكثر اسباب المرض تحدث بتفريط الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قال الحكما
لو قيل لاكثر الموتي ما سبب اجالكم لقالوا التخم ومنها ان الشفا محبوب وهو من اصول النعم والمرض
مكروه وليس من النعم وكان مقصود ابراهيم عليه السلام تعديد النعم ولما لم يكن المرض من النعم لاجرم
لم يضفه الي الله فان نقضت بالاماتة فجوابه ان الموت ليس بضرر لان شرط كونه ضررا وقوع الاحساس
به وحال حصول الموت لا يحصل الاحساس به انما الضرر في مقدماته وذلك هو عين المرض ولان الارواح
اذا كملت في المعلوم والاخلاق كان بقاوها في هذه الاجساد عين الضرر وخلاصها عنها عين السعادة
بخلاف المرض قوله والذي يميتني ثم يحيين والمراد منه الاماتة في الدنيا والتخلص عن افاتها والمراد
من الاحيا المجازاة ولذلك ادخل ثم هاهنا للتراخي اي يميتني في الدنيا ويحيين في الاخرة قوله والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين قرا العامة خطيئتي بالافراد والحسن خطاياي جمع تكسير فان قيل
لم قال والذي اطمع والطمع عبارة عن الظن والرجا وهو عليه السلام كان قاطعا بذلك فالجواب
هذا الجواب يستقيم علي مذهب اهل السنة حيث قالوا لا يجب علي الله لاحد شي وانه يحسن منه كل
شي ولا اعتراض لاحد عليه في فعله واجاب الجبايي عنه من وجهين الاول ان قوله والذي اطمع ان
يغفر لي اراد به ساير المومنين لانهم الذين يطمعون ولا يقطعون به والثاني المراد من الطمع اليقين
وهو المروي عن الحسن واجاب الزمخشري بانه انما ذكره علي هذا الوجه تعليما لامته كيف الدعا
قال ابن الخطيب وهذه وجوه ضعيفة اما الاول فان الله تعالي حكي الثنا اولا والمدح ثانيا ومن
اول المدح الي اخر الدعا كلام ابراهيم عليه السلام فجعل الشي الواحد وهو قوله والذي اطمع ان
يغفر لي خطيئتي يوم الدين كلام غيره مما يبطل نظم الكلام ويفسده واما قوله ان الطمع هو اليقين علي
خلاف اللغة واما الثالث وهو ان المراد تعليم الامة فباطل ايضا لان حاصله يرجع الي انه كذب علي
نفسه لغرض تعليم الامة وانه باطل ايضا فان قيل لم اسند الي نفسه الخطيئة مع ان الانبيا منزهون
عن الخطايا فالجواب من وجوه احدها قال مجاهد هي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا
وقوله لسارة هذه اختي وزاد الحسن قوله للكواكب هذا ربي قال ابن الخطيب وهذا ضعيف
لان نسبة الكذب اليه غير جايز وثانيها انه ذكره علي سبيل التواضع وهضم النفس قال ابن
الخطيب وهذا ضعيف لانه ان كان صادقا في هذا التواضع فقد لزم الاشكال وان كان كاذبا فيه
فحينئذ يرجع حاصل الجواب الي الحاق المعصية به وهو منزه عن المعصية قال وثالثها وهو الجواب
الصحيح ان يحمل ذلك علي ترك الاولي وقد يسمي ذلك خطا فان من ملك جوهرة امكنه ان يبيعها
بالف الف دينار فباعها بدينار قيل انه اخطا وترك الاولي علي الانبيا جايز فان قيل ما فايدة
قوله ليغفر لي فالجواب من وجوه الاول ان الاب اذا عفا عن ولده والسيد عن عبده والزوج عن
زوجته فانما يكون ذلك طلبا للثواب او لحسن الثنا والمحمدة او دفعا للالم الحاصل من الرقة الجنسية
واذا كان كذلك لم يكن عفوه الا رعاية جانب نفسه اما لتحصيل ما ينبغي او لدفع ما لا ينبغي واما الله
سبحانه فانه كامل لذاته فيستحيل ان تحدث له صفات كمال لم تكن او يزل عنه نقصان كان واذا كان
كذلك لم يكن عفوه الا رعاية لجانب المعفو عنه فقوله يغفر لي معناه ان غفرانه لي ولاجلي لا لاجل
امر عايد اليه البتة وثانيها كانه قال خلقتني لالي فانك حين خلقتني لم اكن موجودا فاذا لم
كان ذلك العفو لاجلي فلما خلقتني اولا مع اني ما كنت محتاجا الي ذلك الخلق فلان تغفر لي وتعفو
عن حالي ما اكون في اشد الحاجة الي العفو والمغفرة كان اولي وثالثها ان ابراهيم عليه السلام
كان مع شدة استغراقه في المعرفة شديد الفرار عن الوسايط ولذلك لما قال له جبريل الك
حاجة قال اما اليك فلا فهاهنا قال اطمع ان يغفر لي خطيئتي اي بمجرد عبوديتي واحتياجي

اليك تغفرلي خطيئتي لا ان تغفرها بواسطة شفاعة شافع فان قيل لم علق غفران الخطيئة بيوم
الدين وانما تغفرلي في الدنيا فالجواب لان اثرها يظهر يوم الدين وهو الان خفي لايعلم قوله
تعالي رب هب لي حكما والحقني بالصالحين لما حكي عن ابراهيم عليه السلام ثناه علي الله تعالي ذكر
بعد ذلك دعاه ومسالته وذلك تنبيه علي ان تقديم الثنا علي الدعا من المهمات فان قيل
لم لم يقتصر ابراهيم علي الثنا ولاسيما يروي عنه انه قال حسبي من سوالي علمه بحالي
فالجواب انه عليه السلام انما ذكر ذلك حين اشتغاله بدعوة الخلق لانه قال فانهم عدو
لي الا رب العالمين ثم ذكر الثنا ثم ذكر الدعا لما ان الشارع لابد له من تعليم الشرع فاما حين
خلا بنفسه ولم يكن غرضه تعليم الشرع اقتصر علي قوله حسبي من سوالي علمه بحالي واعلم
ان قوله رب هب لي حكما والحقني بالصالحين اجابه الله تعالي بقوله وانه في الاخرة لمن
الصالحين والمراد بالحكم ادراك الحق والعلم لان النبوة كانت حاصلة له وتحصيل الحاصل
محال وهذا قول مقاتل وقال ابن عباس معرفة حدود الله واحكامه وقال الكلبي النبوة
والحقني بالصالحين من قبلي من النبيين في المنزلة والدرجة قوله واجعل لي لسان صدق
في الاخرين اي ثنا حسنا وذكرا جميلا وقبولا عاما في الامم التي تجي بعدي قال ابن عباس
اعطاه الله بقوله وتركنا عليه في الاخرين فاهل الاديان يتولونه ويثنون عليه قال
القتيبي وضع اللسان موضع القول علي الاستعارة لان القول يكون به وقيل المراد منه
ان يجعل في ذريته في اخر الزمان من يكون داعيا الي الله تعالي وذلك هو محمد عليه السلام
فالمراد من قوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين بعثة محمد صلي الله عليه وسلم قوله
واجعلني من ورثة جنة النعيم من ورثة اما ان يكون مفعولا ثانيا اي مستقرا وكائنا من
ورثة واما ان يكون صفة لمحذوف هو المفعول الثاني اي وارثا من ورثة واعلم انه لما
طلب سعادة الدنيا طلب بعدها سعادة الاخرة وهي جنة النعيم وشبهها بما يورث لانه
الذي يغتنم في الدنيا فشبه غنيمة الاخرة بغنيمة الدنيا قوله واغفر لابي انه كان من
الضالين لما فرغ من طلب السوالات الدنيوية والاخروية لنفسه طلبها لاشد الناس التصاقا
به وهو الابوة وفيه وجهان الاول ان المغفرة مشروطة بالاسلام وطلب المشروط متضمن
لطلب الشرط فقوله واغفر لابي كانه دعا له بالاسلام الثاني ان اباه وعده بالاسلام لقوله
وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فدعا له قبل ان يتبين له انه
عدو لله تبرا منه كما سبق في سورة التوبة وقيل له ان اباه قال له انه علي دينه باطنا
وعلي دين نمروذ ظاهرا تقية وخوفا فدعا له لاعتقاده ان الامر كذلك فلما تبين له خلاف
ذلك تبرا منه ولذلك قال في دعايه انه كان من الضالين فلولا اعتقاده فيه انه في الحال
ليس بضال لما قال ذلك قوله ولا تخزني يوم يبعثون قال الزمخشري الاخزا من الخزي
وهو الهوان ومن الخزاية وهي الحيا وهذه الاية تدل علي انه لايجب علي الله شي كما تقدم في
قوله والذي اطمع ان يغفرلي خطيئتي يوم الدين فان قيل لما قال اولا واجعلني من ورثة
جنة النعيم كان كافيا عن قوله ولا تخزني يوم يبعثون وايضا فقد قال الله تعالي ان الخزي
اليوم والسو علي الكافرين فما كان نصيب الكفار فقط كيف يخافه المعصوم فالجواب ان حسنات
الابرار سيئات المقربين فكذا درجات الابرار خزي المقربين وخزي كل واحد بما يليق
به قال الزمخشري في يبعثون ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين قوله يوم لا ينفع مال
ولا بنون الاية يوم لا ينفع بدل من يوم قبله وجعل ابن عطية هذا من كلام الله تعالي الي
اخر الايات مع اعرابه يوم لا ينفع بدلا من يوم قبله وجعل ابن يبعثون ورد ابو حيان بان العامل
في البدل هو العامل في المبدل منه او اخر مثله مقدر وعلي كلا هذين القولين لا يصح لاختلاف
المتكلمين واعلم ان الله تعالي قد اكرمه بهذا الوصف حيث قال وان من شيعته لابراهيم اذ جاء
ربه بقلب سليم قوله الا من اتي الله فيه اوجه احدها انه منقطع اي لكن من اتي الله بقلب
سليم فانه ينفعه ذلك وقال الزمخشري ولابد لك مع ذلك من تقدير مضاف وهو الحال المراد
بها السلامة وليست من جنس المال والبنين حتي يول المعني الي ان المال والبنين لا ينفعان
وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر مضافا لم يتحصل للاستثنا معني قال ابو حيان ولا ضرورة

تدعو

تدعوا الي حذف المضاف كما ذكر قال شهاب الدين انما قدر المضاف ليتوهم دخول المستثني والمستثني
منه لانه متي لم يتوهم ذلك لم يقع الاستثنا ولهذا منعوا صهلت الخيل الا هذا الشخص الثاني من الاوجه
الثاني انه مفعول به لقوله لا ينفع اي لا ينفع المال والبنون الا هذا الشخص فانه ينفعه ماله
المصروف في وجوه البر وبنوه الصلحا لانه علمهم واحسن اليهم الثالث انه بدل من المفعول المحذوف
او مستثني منه اذ التقدير لا ينفع مال ولا بنون احدا من الناس الا من كانت هذه صفته والمستثني
منه يحذف كقوله • ولم ينج الا جفن سيف ومئزرا •
اي ولم ينج بشي الرابع انه بدل من فاعل ينفع فيكون مرفوعا قال ابو البقا وغلب من يعقل فيكون
التقدير الا مال من او بنو من فانه ينفع نفسه وغيره بالشفاعة قال شهاب الدين وابو البقا خلط
وجها بوجه وذلك انه اذا اردنا ان نجعله بدلا من فاعل ينفع قلنا فيه طريقان احدهما طريقة
التغليب اي غلبنا البنين علي المال فاستثني من البنين فكانه قيل لا ينفع البنون الا من اتي من
البنين بقلب سليم فانه ينفع نفسه بصلاحه وغيره بالشفاعة والطريقة الثانية ان يقدر مضافا
محذوفا قبل من اي الا مال من او بنو من فصارت الاوجه خمسة ووجه الزمخشري اتصال الاستثنا
بوجهين احدهما الا حال من اتي الله بقلب سليم وهو من قولهم • تحية بينهم ضرب وجيع •
وما ثوابه الا السيف ومثاله ان يقال هل لزيد مال وبنون فيقال ماله وبنوه سلامة قلبه يريد
نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة قلبه بدلا عن ذلك والثاني قال فان شئت حملت الكلام
علي المعني وجعلت المال والبنين في معني الغني كانه قيل يوم لا ينفع غني الا غني من اتي الله لان غني
الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه **فصل** وفي السليم
ثلاثة اوجه قال ابن الخطيب اصحها ان المراد منه سلامة النفس عن الجهل والاخلاق الرذيلة
وقيل السليم الخالص من الشرك والشك فاما الذنوب فليس يسلم منها احد وهذا قول اكثر
المفسرين وقال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المومن لان قلب الكافر
والمنافق مريض قال الله تعالي في قلوبهم مرض وقيل السليم هو اللديغ من خشية الله وقيل
السليم هو الذي سلم واسلم وسالم واستسلم قوله وازلفت الجنة للمتقين اي ان الجنة تكون قريبة
من موقف السعدا ينظرون اليها ويفرحون بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين اي اظهرت
وقرا مالك بن دينار وبرزت بفتح البا والرا خفيفة مبنيا للفاعل مسندا للجحيم فلذلك رفع والمراد
بالغاوين الكافرين وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم بمنعونكم من
العذاب بنصرهم او ينفعون انفسهم بانتصارهم قوله فكبكبوا اي القوا وقلب بعضهم علي بعض
قال الزمخشري الكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا علي التكرير في المعني وقال
ابن عطية نحوا منه قال وهو الصحيح لان تكرير الفعل بين نحو صر وصرصر وهذا هو مذهب الزجاج
وفي مثل هذا البنا ثلاثة مذاهب احدها هذا والثاني وهو مذهب البصريين ان الحروف كلها
اصول والثالث وهو قول الكوفيين ان الثالث مبدل من مثل الثاني فاصل كبكب كبب بثلاث
باات ومثله لملم وكفكف هذا اذا صح المعني بسقوط الثالث فاما اذا لم يصح المعني بسقوطه كانت
كلها اصولا من غير خلاف نحو سمسم وحمحم واو كبكبوا قيل للاصنام اجراها مجري العقلا وقيل
لعابديها **فصل** قال ابن عباس اجمعوا وقال مجاهد دهوروا وقال مقاتل قذفوا
وقال الزجاج طرح بعضهم علي بعض وقال القتيبي القوا علي روسهم هم والغاوون يعني الشياطين
قاله قتادة ومقاتل وقال الكلبي كفرة الجن وجنود ابليس اجمعون اتباعه من الجن والانس
وقيل ذريته قوله وهم فيها يختصمون جملة حالية معترضة بين القول ومعموله ومعموله
الجملة القسمية قوله ان كنا لفي مذهب البصريين ان ان مخففة واللام فارقة ومذهب الكوفيين
ان نافية واللام بمعني الا **فصل** المعني قال الغاوون للشياطين والمعبودين وهم
فيها يختصمون مع المعبودين ويجادل بعضهم بعضا تالله ان كنا لفي ضلال مبين يذكرون ذلك
حين يرون صورها علي وجه الاعتراف والخطا العظيم علي وجه الندامة لا علي وجه المخاطبة لانها جماد
لا تخاطب وايضا فلا ذنب لها بان عبدها غيرها ومما يدل علي ان ذلك ليس بخطاب لها في الحقيقة
قوله وما اضلنا الا المجرمون قوله اذ نسويكم اذ منصوب اما بمبين واما بمحذوف اي ضللنا في وقت
تسويتنا لكم بالله في العبادة ويجوز علي ضعف ان يكون معمولا لضلال والمعني عليه الا ان ضعفه

صناعي وهو ان المصدر الموصوف لا يعمل بعد وصفه قوله تسويكم نعدلكم برب العالمين فنعبدكم
وما اضلنا دعانا الي الضلال الا المجرمون قال مقاتل يعني الشياطين وقال الكلبي الا اولونا الذين
الذين اقتدينا بهم قوله فما لنا من شافعين اي من يشفع لنا كما نري المومنين لهم شفعا من الملايكة
والنبيين والمومنين ولا صديق وهو الصادق في المودة بشرط الدين قال جابر بن عبد الله سمعت
رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه في
الجحيم فيقول الله تعالي اخرجوا له صديقه الي الجنة فيقول من بقي فما لنا من شافعين ولا
صديق حميم قال الحسن استكثروا من الاصدقا المومنين فان لهم شفاعة يوم القيمة والحميم
القريب من قولهم حامة فلان اي خاصته وقال الزمخشري الحميم من الاحتمام وهو الاهتمام
او من الحامة وهي الخاصة وهو الصديق الخالص والنفي هنا يحتمل نفي الصديق من اصله
او نفي صفته فقط فهو من باب علي لاحب لا يهتدي بمناره والصديق يحتمل ان يكون مفردا
وان يكون مستعملا للجمع كما يستعمل العدو له فيقال هم صديق وهم عدو وقد تقدم وانما جمع
الشافعين ووحد الصديق لكثرة الشفعا في العادة وقلة الصديق قوله فلو ان لنا
كرة لو يجوز ان تكون المشربة معني التمني فلا جواب لها علي المشهور وتكون نصب فيكون جوابا
للتمني الذي افهمته لو ويجوز ان يكون علي بابها وجوابها محذوف اي لوجدنا شفعا واصدقا
او لعملنا صالحا وعلي هذا انتصب الفعل بان مضمرة عطفا علي كرة اي لو لو ان لنا كرة كقولها
للبس عباة وتقر عيني **فصل** قال الجبائي قولهم فنكون من المومنين ليس بخبر
عن ايمانهم لكنه خبر عن عزمهم لانه لو كان خبرا عن ايمانهم لوجب ان يكون صدقا لان الكذب
لا يقع من اهل الاخرة وقد اخبر الله تعالي بخلاف ذلك في قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
وقد تقدم في سورة الانعام بيان فساد هذا الكلام قوله ان في ذلك لاية اي فيما ذكره
من قصة ابرهيم عليه السلام لاية لمن يريد ان يستدل بذلك ثم قال وما كان اكثرهم
مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم اي انه قادر علي تعجيل الانتقام لكنه رحيم بالامهال
لكي يومنوا **قوله** تعالي كذبت قوم نوح المرسلين الايات لما قص علي محمد صلي الله عليه
وسلم خبر موسي وابراهيم عليهما السلام تسلية له مما يلقاه من قومه قص عليه ايضا
نبا نوح فقد كان نباه اعظم من نبا غيره لانه دعاهم الف سنة الا خمسين عاما ومع ذلك
كذبه قومه قوله كذبت انما انث فعل القوم لانه مونث بدليل تصغير القوم علي قويمه
وقيل لان القوم بمعني امة ولما كانت احاده عقلا ذكورا وانا ثا عاد الضمير عليه باعتبار
تغليب الذكور فقيل لهم اخوهم وحكي عنهم انهم كذبوا المرسلين لوجهين احدهما انهم وان
كذبوا نوحا لكن تكذيبه في المعني يتضمن تكذيب غيره لان طريقة معرفة الرسل لا تختلف
من حيث المعني فكذلك حكي عنهم انهم كذبوا المرسلين وثانيهما ان قوم نوح كذبوا جميع رسل
الله اما لانهم كانوا من الزنادقة او من البراهمة قوله اخوهم لانه كان منهم من قول العرب
يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم فهو اخوهم في النسب لا في الدين الا تتقون اي عقاب الله
فحذف مفعول تتقون اني لكم رسول امين اي علي الوحي وكان مشهورا فيهم بالامانة كمحمد
صلي الله عليه وسلم في قريش فكانه قال كنت امينا من قبل فكيف تتهموني اليوم ثم قال
فاتقوا الله بطاعته وعبادته واطيعون فيما امرتكم به من الايمان والتوحيد وما اسالكم
عليه من اجر اي علي ما انا فيه من ادعا الرسالة لئلا يظن به انه دعاهم رغبة في الدنيا
ثم قال فاتقوا الله واطيعون فان قيل فلم ذكر الامر بالتقوي فالجواب لانه في الاول اراد
الا تتقون مخالفتي وانا رسول الله وفي الثاني الا تتقون مخالفتي ولست اخذ منكم اجرا فهو
في المعني مختلف ولا تكرار فيه وقد يقول الرجل لغيره الا تتقي الله في عقوقي وقد ربيتك صغيرا
الا تتقي الله وقد علمتك كبيرا وانما قدم الامر بتقوي الله علي الامر بطاعته لان تقوي الله
علة لطاعته فقدم العلة علي المعلول قوله انومن لك واتبعك الارذلون واتبعك جملة
حالية من كاف لك قال الزمخشري والواو للحال وحقها ان يضمر بعدها قد وقرا ابن مسعود
وابن عباس وابو حياة واتباعك مرفوعا جمع تابع كصاحب واصحاب او تبيع كشريف واشراف
او تبع كبرم وابرام وفي رفعه وجهان احدهما انه مبتدا والارذلون خبره والجملة حالية ايضا

والثاني انه عطف علي الضمير المرفوع في نومن وحسن ذلك الفصل بالجار والارذلون صفة
وقرا اليماني واتباعك بالجر عطفا علي الكاف في ذلك وهو ضعيف او ممنوع عند البصريين
وعلي هذا فيرتفع الارذلون علي خبر ابتدا مضمر اي هم الارذلون وقد تقدم مادة الارذل في
هود **فصل** الرذالة الخسة والذلة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم
من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الخسيسة كالحياكة والحجامة وهذه الشبهة في غاية
الركاكة لان نوحا عليه السلام بعث الي الخلق كافة فلا يختلف الحال بسبب الفقر والغنا وشرف
المكاسب وخستها فاجابهم نوح عليه السلام بالجواب الحق وهو قوله وما علمي بما كانوا يعملون اي ما اعلم
اعمالهم وصنايعهم وليس علي من دناة مكاسبهم واحوالهم شي انما كلفت ان ادعوهم الي الله ولي
منهم ظاهر امرهم قوله وما علمي يجوز في ما وجهان اظهرهما انها استفهامية في محل رفع بالابتدا وعلمي
خبرها والبا متعلقة به والثاني انها نافية والبا متعلقة بعلمي ايضا قاله الحوفي ويحتاج الي اضمار
خبر ليصير الكلام به جملة قوله ان حسابهم الا علي ربي ان نافية اي ما حسابهم الا علي ربي ومعناه
لا يعتبر الا الظاهر من امرهم دون ما يخفي قوله لو تشعرون جوابها محذوف ومفعول تشعرون
ايضا والمعني لو تشعرون تعلمون ذلك ما عيبتموهم بصنايعهم قال الزجاج الصناعات لا تضر في
الديانات وقيل معناه اني لم اعلم ان الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم ويخذلكم وقرا الاعرج وابو زرعة
لو يشعرون بيا الغيبة وهو التفات ولا يحسن عوده علي المومنين قوله وما انا بطارد المومنين
وذلك كالدلالة علي ان القوم سالوه ابعادهم فبين ان الذي يمنعه عن طردهم وقد امنوا به
وبين ان الغرض من تحمل الرسالة لكونه نذيرا فقال ان انا الا نذير مبين اي اني اخوف من كذبني
ولم يقبل مني فمن قبل فهو القريب ومن رد فهو البعيد فلما اجابهم بهذا الجواب لم يكن منهم الا التهديد
فقالوا لين لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال مقاتل والكلبي من المقتولين بالحجارة
وقال الضحاك من المشتومين فعند ذلك حصل الياس لنوح من فلاحهم وقال رب ان قومي
كذبون وليس الغرض منه اخبار الله تعالي بالتكذيب لعلمه بانه عالم الغيب والشهادة ولكنه
اراد لا ادعوك عليهم لما اذوني وانما ادعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوك في وحيك ورسالتك
فافتح بيني وبينهم فتحا اي فاحكم بيني وبينهم وفتحا يجوز ان يكون مفعولا به بمعني المفتوح وان
يكون مصدرا موكدا والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق والمراد انزال العقوبة
عليهم لقوله عقيبه ونجني ولولا ان المراد انزال العقوبة لما كان لذكر النجاة بعده معني قوله
ونجني المنجي منه محذوف لفهم المعني اي مما يحل بقومي ومن المومنين بيان لقوله من معي
قوله فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون قال الزمخشري الفلك السفينة واحدها
فلك قال الله تعالي وتري الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد
والمشحون المملو الموقر يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا والشحنا العداوة لانها تملا الصدور
احنا والفلك هنا مفرد بدليل وصفه بالمفرد وقد تقدم الكلام عليه في البقرة **فصل**
دلت الاية علي ان الذين نجوا معه كان فيهم كثرة وان الفلك امتلا بهم وبما صحبهم من الحيوان
ثم انه تعالي بعد ان نجاهم اغرق الباقين فقال ثم اغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لاية وما
كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم **قوله** تعالي كذبت عاد المرسلين الايات
الكلام في فاتحة هذه القصة كالكلام في فاتحة قصة نوح وقوله المرسلين الايات تعبثون
جملة حالية من فاعل تبنون والريع بكسر الرا وفتحها جمع ريعة وهو في اللغة المكان المرتفع
قال ذو الرمة • طراق الخوافي مشرف فوق ريعة • ندي ليلة في ريشه يترقرق •
قال ابو عبيدة هو الطريق وانشد للمسيب بن علس يصف ظعنا •
• في الال يخفضها ويرفعها • ريع يلوح كانه سحل •
والريع بالفتح ما يحصل من الخراج **فصل** قال الوالبي عن ابن عباس الريع كل
شرف وقال الضحاك ومقاتل كل طريق وهو رواية العوفي عن ابن عباس وعن مجاهد قال
هو الفج بين جبلين وعنه ايضا انه المنظر والاية العلم قال ابن عباس كانوا يبنون بكل ريع
عليا يعبثون فيه بمن يمر في الطريق الي هود عليه السلام وقيل كانوا يبنون الاماكن المرتفعة
ليعرف بذلك غناهم فنهوا عنه ونسبوا الي العبث وقال سعيد بن جبير ومجاهد هي بروج

الحمام لانهم كانوا يلعبون الحمام قوله وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون قال مجاهد قصورا
مشيدة وقال الكلبي هي الحصون وقال قتادة ماجل الما يعني الحياض واحدها مصنع لعلكم
تخلدون العامة علي تخفيفه مبنيا للفاعل وقتادة بالتشديد مبنيا للمفعول ومنه قول امرء القيس

وهل ينعمن الا سعيد مخلد • قليل الهموم ما يبيت باوجال •

ولعل هنا علي بابها وقيل للتعليل ويؤيده قراة عبد الله كي تخلدون وقيل للاستفهام قاله
زيد بن علي وبه قال الكوفيون وقيل معناها التشبيه اي كانكم تخلدون ويؤيده ما في حرف
ابي كانكم تخلدون بضم التا مخففا ومشددا وقري كانكم خالدون ولم نعلم من نص عليها انها
تكون للتشبيه والمعنى كانكم تبقون فيها خالدون قوله واذا بطشتم اي واذا اردتم واغا
احتجنا الي تقدير الارادة ليلا يتحد الشرط والجزا وجبارين حال واعلم ان اتخاذ الابنية
العالية يدل علي حب الدنيا واتخاذ المصانع يدل علي حب البقا والجبارية تدل علي حب التفرد
بالعلو وهذه صفات الالهية وهي ممتنعة الحصول للعبد ولما ذكر هو هذه الاشيا قال
فاتقوا الله واطيعون زيادة في دعايهم الي الاخرة وزجرا لهم عن حب الدنيا والاشتغال
بالسرف والتجبر ثم وصف هذا الوعظ بما يولد القبول بان نبههم علي نعم الله تعالي عليهم
فقال واتقوا الذي امدكم بما تعلمون ثم فصل ذلك الاعطا فقال امدكم بانعام وبنين وجنات
وعيون اي بساتين وانهار اني اخاف عليكم قال ابن عباس ان عصيتموني عذاب يوم عظيم
قوله امدكم بانعام فيه وجهان احدهما ان الجملة الثانية بيان للاولي وتفسير لها والثاني
ان بانعام بدل من قوله بما تعلمون باعادة العامل كقوله اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم
قال ابو حيان والاكثرون لا يجعلون هذا ابدالا وانما يجعلونه تكريرا باخيك ولا يقولون مررت
بزيد مررت باخيك علي البدل قوله ام لم تكن من الواعظين معادل لقوله اوعظت وانما
اتي بالمعادلة بكذا دون قوله ام لم تعظ لتواخي الفواصل وابدي له الزمخشري معنى فقال
وبينهما فرق لان المعنى سوا علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من
اهله ومباشرته وقطع فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ وقرا العامة
اوعظت باظهار الظا قبل التا وروي عن ابي عمرو والكسايي وعاصم وبها قرا الاعمش وابن
محيصن بالادغام وهي ضعيفة لان الظا اقوي ولا يدغم الاقوي في الاضعف علي انه قد
جا من هذا في القران العزيز اشيا متواترة يجب قبولها نحو زحزح عن ولين بسطت **فصل**
لما وعظهم ورغبهم وخوفهم اجابوه بقولهم سوا علينا اي مستو عندنا اوعظت ام لم تكن
من الواعظين اظهروا قلة اكتراثهم وسكوت الامر بكلامه ثم قالوا ان هذا الا خلق الاولين
قرا ابن كثير وابو عمرو والكسايي بفتح الخا وسكون اللام اي اختلاق الاولين وكذبهم كقوله
وتخلقون افكا والباقون بضمتين فقيل معناهما الاختلاق وهو الكذب وكذا قرا ابن
مسعود وقيل عادة الاولين من قبلنا حياة وموت هو خلق الاولين وعادتهم وروي الاصمعي
عن نافع وبها قرا ابو قلابة ضم الخا وسكون اللام وهي تخفيف المضمومة ثم قالوا وما نحن
بمعذبين اظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من انكار المعاد فقد هذا بين الله
تعالي انه اهلكهم وقد سبق بيان كيفية الهلاك قوله تعالي كذبت ثمود المرسلين تقدم نظيره
قوله اتتركون فيما هاهنا اي اتظنون انكم تتركون في دياركم امنين وتطمعون في انه
لا دار للمجازاة وقوله فيما ههنا اي في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره قوله
في جنات بدل من فيما ههنا باعادة العامل فصل بعدما اجمل كما في القصة قبلها وما موصولة
وظرف المكان صلتها وقوله ونخل يجوز ان يكون من باب ذكر الخاص بعد العام لان الجنات
تشمل النخل ويجوز ان يكون تكريرا للشي الواحد بلفظ اخر فانهم يطلقون الجنة ولا يريدون
الا النخل قال زهير • كان عيني في غربي مقتلة • من النواضح تسقي جنة سحقا •
وسحقا جمع سحوق ولا يوصف به الا النخل وقيل المراد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ
يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل والطلع الكفري وهو عنقود التمر قبل خروجه من
الكم وقال الزمخشري الطلع الذي يطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو
والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه والهضيم قال ابن عباس هو اللطيف

ومنه قولهم كشح هضيم وروي عطية عنه يانع نضيج وقال عكرمة اللين وقيل المتراكب
قال الضحاك ومقاتل قد ركب بعضه بعضا حتى هضم بعضه بعضا اي كسره وقال اهل المعاني
هو المنضم بعضه الي بعض في وعايه قبل ان يظهر قال الازهري الهضيم هو الداخل بعضه
في بعض من النضج والنعامة وقيل هضيم اي هاضم يهضم الطعام وكل هذا للطافته قوله
وتنحتون العامة على الخطاب وكسر الحا والحسن وعيسى وابو حيوة بفتحها وعن الحسن ايضا
تنحاتون بالف الاشباع وعنه وعن ابي حيوة ينحتون بالياء من تحت وتقدم ذلك كله في الاعراف
قوله فرهين قرا الكوفيون وابن ذكوان فارهين بالالف كاقرا واحاذرون بها والباقون
فرهين بدون الف كاقرا واحذرون بدونها والفراهة النشاط والقوة وقيل الحذق يقال
دابة فارهة ولا يقال فارهة وقد فره يفره فراهة وفرهين حال من الناحتين **فصل**
من قرا فرهين قال ابن عباس اشرين بطرين وقال عكرمة ناعمين وقال مجاهد شرهين وقال
قتادة معجبين بصنيعكم وقال السدي متجبرين وقال الاخفش فرحين والعرب تعاقب بين
الحا والها مثل مدحته ومدهته وقال الضحاك كيسين فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر
المسرفين قال ابن عباس المشركين وقال مقاتل هم التسعة الذين عقروا الناقة وهم الذين
يفسدون في الارض بالمعاصي ولا يصلحون اي ولا يطيعون الله فيما امرهم به فان قيل ما فايدة
قوله ولا يصلحون مع قوله يفسدون في الارض فالجواب ان فسادهم خالص ليس فيه شي من
الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح ثم ان القوم اجابوه بقولهم
انما انت من المسحرين قال مجاهد وقتادة من المسحورين من المخدوعين اي ممن سحر مرة بعد
مرة وروي ابو صالح عن ابن عباس اي من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب قال المورخ
المسحر المخلوق بلغة ربيعة بجيلة تريد انك تاكل الطعام والشراب اي لست بملك بل انت
بشر مثلنا والمعنى من المسحرين اي ممن له سحر وكل دابة تاكل فهي مسحرة والسحر اعلى البطن وعن
الفرا المسحر من له جوف ارادوا انك تاكل الطعام والشراب ما انت الا بشر مثلنا فكيف تكون
نبيا فات باية على صحة ما تقول ان كنت من الصادقين انك رسول ربك الينا فقال صالح
هذه ناقة الله اليكم لها شرب يجوز ان يكون لها شرب صفة لناقة ويجوز ان يكون الوصف
وحده الجار والمجرور وهو قوله لها وشرب فاعل به لاعتماده وقرا ابن ابي عبلة شرب بالضم
فيهما والشرب بالكسر النصيب من الما كالسقي وبالضم المصدر **فصل** روي انهم قالوا
نريد ناقة عشرا تخرج من الصخرة فتلد سقبا فتفكر صالح فقال له جبريل عليه السلام صل
ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم وحصل لها سقب مثلها
في العظم ثم قال لهم صالح هذه ناقة لها شرب حظ ونصيب من الما ولكم شرب يوم معلوم
قال قتادة كانت يوم شربها تشرب ماهم كلهم وشربهم اليوم الذي لا تشرب هي ولا تمسوها بسو
بعقر او ضرب او غيرهما فياخذكم عذاب يوم عظيم روي ان مسطحا الجاها الي مضيق فرماها
بسهم فسقطت ثم ضربها قدار فعقروها فاصبحوا نادمين على عقرها فان قيل لم اخذهم
العذاب وقد ندموا فالجواب ان ندمهم كان عند معاينة العذاب حين لا ينفع الندم وقيل
لم يكن ندمهم ندم الخايف من العقاب العاجل فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم **قوله** تعالي كذبت قوم لوط المرسلين الايات قوله
من العالمين يحتمل عوده الي الاتي اي انتم من جملة العالمين مخصوصون بهذه الصفة وهي اتيان
الذكران ويحتمل عوده الي الماتي اي انتم اخترتم الذكران من العالمين لا الاناث منهم قوله
من ازواجكم يصلح ان يكون بيانا وان يكون للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح منهن وكانوا
يفعلون مثل ذلك بنسايهم بل انتم قوم عادون معتدون متجاوزون الحلال الي الحرام والعادي المتعدي
في ظلمه والمعنى اتركبون هذه المعصية علي عظمها بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي قالوا
لين لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين اي من جملة من اخرجناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون
من اخرجوه على اسوا الاحوال قوله لعملكم كقولك اني لكما لمن الناصحين وقد تقدم وقيل من
القالين متعلق بمحذوف هذا الجار متعلق به اي اني قال لعملكم من القالين المبغضين
والقلي البغض كانه بغض يقلي الفواد والكبد وقوله من القالين ابلغ من ان يقول اني لعملكم

قال كما يقول فلان من العلماء ابلغ من قولك فلان عالم ويجوز ان يراد من الكاملين في قلة كم
ثم دعا فقال نجني واهلي مما يعملون من العمل الخبيث قال الله تعالى فنجيناه واهله من عقوبة
عملهم الا عجوزا في الغابرين وهي امراة لوط بقيت في الهلاك والعذاب فان قيل في الغابرين
صفة لها كانه قيل الا عجوزا غابرة وان لم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم فالجواب معناه الا
عجوزا مقدرا غبورها قيل انما هلكت مع من خرج من القرية بما امطر من الحجارة ثم دمرنا
الاخرين اي اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين والمخصوص بالذم محذوف
اي مطرهم قال وهب بن منبه الكبريت والنار ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم **فصل** قال القاضي عبد الجبار في تفسير قوله وتذرون
ما خلق لكم ربكم من ازواجكم دليل على بطلان الجبر من وجوه الاول انه لا يقال تذرون
الا مع القدرة على خلافه ولذلك لا يقال للمرء لم تذر الصعود الى السماء كما يقال لم تذر الخروج
الثاني انه قال ما خلق لكم ولو كان الفعل لله تعالى لكان الذي خلقه لهم ما خلقه فيهم
واوجبه لا ما لم يفعلوه الثالث قوله تعالى بل انتم قوم عادون فان كان تعالى خلق فيهم
ما كانوا يعملون فكيف ينسبون الى انهم تعدوا وهل يقال للاسود انك متعد في لونك واجيب
بان حاصل هذه الوجوه الى ان العبد لو لم يكن موجدا الافعال نفسه لما توجه المدح والذم
والامر والنهي عليه وليس لهذه الاية في هذا المعنى خاصية اذ بدهما ورد من الامر والنهي
والمدح والذم في قصة ابراهيم وموسى ونوح وساير القصص فكيف خص هذه القصة بهذه
الوجوه دون ساير القصص واذا ثبت ان هذه الوجوه هي ذلك الوجه المشهور فالجواب عنها
هو الجوابان المشهوران الاول ان الله تعالى لما علم وقوع هذه الاشيا فعدمها محال لان
عدمها يستلزم انقلاب العلم جهلا وهو محال والمفضي الى المحال محال وان كان عدمها محالا كان
التكليف بالترك تكليفا بالمحال الثاني ان القادر لما كان قادرا على الضدين امتنع ان يرجح
احد المقدورين على الاخر الا لمرجح والمرجح هو الداعي والارادة وذلك المرجح محدث فله
موثر وذلك الموثر ان كان هو العبد لزم التسلسل وهو محال وان كان هو الله تعالى فزال
الجبر على قولك فثبت لهذين البرهانين القاطعين سقوطها قاله **قوله** تعالى كذب اصحاب
الايكة المرسلين قرا نافع وابن كثير وابن عامر ليكة بلام واحدة وفتح التاء جعلوه اسما غير معرف
بال مضافا اليه اصحاب هنا وفي ص خاصة والباقون الايكة معرفا بال موافقة لما اجمع عليه
في الحجر وفي ق وقد اضطربت اقوال الناس في القراءة الاولى وتجرا بعضهم على قاريها ووجهها
على ما قال ابو عبيد ان ليكة اسم للقرية التي كانوا فيها والايكة اسم للبلد كله قال ابو عبيد
لا احب مفارقة الخط في شي من القران الا ما يخرج من كلام العرب وهذا ليس بخارج عن كلامها
مع صحة المعنى في هذه الحروف وذلك انا وجدنا في بعض التفاسير الفرق بين ليكة والايكة
فقيل ليكة اسم للقرية التي كانوا فيها والايكة البلاد كلها فصار الفرق بينهما شبيها بما بين
مكة وبكة ورايتهن مع هذا في الذي يقال انه الامام مصحف عثمان مفترقات فوجدت التي
في الحجر والتي في ق الايكة ووجدت التي في الشعراء والتي في ص ليكة ثم اجتمعت عليها مصاحف
الامصار بعد فلا نعلمها اختلفت فيها وقرا اهل المدينة على هذا اللفظ الذي قصصنا يعني
بغير الف ولام ولا اجراء انتهى ما قاله ابو عبيد قال ابو شامة بعد نقله كلام ابي عبيد هذه
عبارته وليست بسديدة فان اللام موجودة في ليكة وصوابه بغير الف وهمزة قال شهاب
الدين بل هي سديدة فانه يعني بغير الف ولام معرفة ولا تطلق لام في الجملة وقد تعقبوا قول
ابي عبيد وانكروا عليه فقال ابو جعفر اجمع القراء على خفض التي في الحجر وق فيجب ان يرد ما
اختلف فيه الى ما اتفق عليه اذا كان المعنى واحدا فاما ما حكاه ابو عبيد من ليكة اسم القرية
وان الايكة اسم للبلد كله فشي لا يثبت ولا يعرف من قاله ولو عرف لكان فيه نظر لان اهل العلم
جميعا من المفسرين والقايلين بكلام العرب على خلافه ولا نعلم خلافا بين اهل اللغة ان الايكة
الشجر الملتف فاما احتجاج بعض من احتج لقراءة من قرا في هذين الموضعين لانه في السواد
ليكة فلا حجة فيه والقول فيه ان اصله الايكة ثم خففت الهمزة فالقيت حركتها على اللام
فسقطت واستغنت عن الف الوصل لان اللام قد تحركت فلا يجوز على هذا الا الخفض كما

فنقول

تقول مررت بالاحمر على تحقيق الهمزة ثم تخففها فتقول بلحمر فان شيت كتبت في الخط على ما
كتبت اولا وان شيت كتبت بالحذف ولم يجز الا الخفض فلذلك لا يجوز في الايكة الا الخفض قال
سيبويه واعلم ان كل ما لم ينصرف اذا دخلته الالف واللام او اضفته انصرف ولا نعلم احدا خالف
سيبويه في هذا وقال المبرد في كتاب الخط كتبوا في بعض المواضع كذب اصحاب ليكة بغير الف
لان الالف تذهب في الوصل ولذلك غلط القاري بالفتح فتوهم ان ليكة اسم شي وان اللام اصل
فقرا اصحاب ليكة وقال الفراء نرى والله اعلم انها كتبت في هذين الموضعين بترك الهمز فسقطت
الالف لتحريك اللام قال مكي تعقب ابن قتيبة على ابي عبيد فاختار الايكة بالالف والهمز والخفض
وقال انها كتبت بغير الف على تخفيف الهمز قال وقد اجمع الناس على ذلك يعني في الحجر وق
فوجب ان يلحق ما في الشعراء وص بما اجمعوا عليه فما اجمعوا عليه شاهد لما اختلفوا فيه قال
ابو اسحاق القراءة بجر ليكة وانت تريد الايكة اجود من ان تجعلها ليكة وتفتحها لانها لا تنصرف
لان ليكة لا تصرف وانما هي ايكة للواحد وايك للجمع مثل اجمة واجم والايك الشجر الملتف فاجود
القراءة فيها الكسر واسقاط الهمزة لموافقة المصحف ولا اعلمه الا قد قري به وقال الفارسي قول
من قال ليكة بفتح التاء مشكل لانه فتح مع لحاق التاء الكلمة وهذا في الامتناع كقول من قال
مررت بلحمر فيفتح الاخر مع لحاق لام المعرفة وانما كتبت ليكة على تخفيف الهمزة والفتح لا يصح
في العربية لانه فتح حرف الاعراب في موضع الجر مع لام المعرفة فهو على قياس قول من قال مررت
بلحمر ويبعد ان يفتح نافع ذلك مع ما قال عنه ورش يعني ان ورشا نقل عن نافع نقل حركة
الهمزة الى الساكن قبلها حيث وجد بشروط مذكورة ومن جملة ذلك ما في سورة الحجر وق من
لفظ الايكة فقرا على قاعدته في السورتين بنقل الحركة وطرح الهمز وخفض التاء فكذلك ينبغي
ان يكون الحكم في هذين الموضعين ايضا وقال الزمخشري قري اصحاب الايكة بالهمز وتحقيقها
وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرا بالنصب وزعم ان ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه
خط المصحف وانما كتبت على حكم لفظ اللافظ كما تكتب اصحاب لاان ولاولي على هذه الصورة لبيان
لفظ المخفف وقد كتبت في ساير القران على الاصل والقصة واحدة على ان ليكة اسم لا يعرف
وروي ان اصحاب الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو شجر المقل يعني ان
مادة ليك مفقودة في لسان العرب كذا قال الثقات ممن تتبع ذلك قال وهذا كما نصوا على ان
الخاء والذال المعجمتين لم يجامعا الجيم في لغة العرب ولذلك لم يذكرها صاحب الصحاح مع ذكره
التفرقة المتقدمة عن ابي عبيد ولو كانت موجودة في اللغة لذكرها مع ذكره التفرقة المتقدمة
لشدة الاحتياج اليها وقال الزجاج ايضا اهل المدينة يفتحون على ما جاء في التفسير ان اسم
المدينة التي كان فيها شعيب ايكة قال ابو علي لو صح هذا فلم اجمع القراء على الهمز في قوله وان
كان اصحاب الايكة في الحجر والايكة التي ذكرت هاهنا هي الايكة التي ذكرت هناك وقد قال ابن
عباس الايكة الغيضة ولم يفسرها بالمدينة ولا البلد قال شهاب الدين وهولاء كلهم كانهم زعموا ان
هولاء الايمة الاثبات انما اخذوا هذه القراءة من خط المصاحف دون افواه الرجال وكيف يظن
مثل اسن القراء واعلاهم اسنادا والاخذ للقران عن جملة من الصحابة ابي الدرداء وعثمان بن عفان
وغيرهما وبمثل امام مكة شرفها الله تعالى وبمثل امام المدينة وكيف ينكر على ابي عبيد قوله او يتهم
في نقله ومن حفظ حجة على من لم يحفظ والتواتر قطعي فلا يعارض بالظني واما اختلاف القراءة
مع اتحاد القصة فلا يضر ذلك عبر عنها تارة بالقرية خاصة وتارة بالمصر الجامع للقرى كلها الشامل
حولها واما تفسير ابن عباس فلا ينافي ذلك لانه عبر عنها بما كثر فيها قوله تعالى اذ قال لهم
شعيب ولم يقل اخوهم لانه لم يكن من اصحاب الايكة في النسب فلما ذكر مدين قال اخاهم لانه كان منهم
وكان الله تعالى بعثه الى قومه اهل مدين والى اصحاب الايكة وفي الحديث ان شعيبا اخا مدين
ارسل اليهم والى اصحاب الايكة قوله اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين الناقصين لحقوق
الناس بالكيل والوزن واعلم ان الكيل على ثلاثة اضرب واف وطفيف وزايد فامر بالواجب
الذي هو الوفا بقوله اوفوا الكيل ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف بقوله ولا تكونوا من المخسرين
ولم يذكر الزايد لانه ان فعله فقد احسن وان لم يفعله فلا اثم عليه ثم لما امر بالايفا بين كيف يفعل
فقال وزنوا بالقسطاس المستقيم قري بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل

القرسطون ولا تبخسوا الناس اشياهم يقال بخسه حقه اذا انقصه اياه وهذا عام في كل حق ولا
تعثوا في الارض مفسدين وقد تقدم قوله والجبلة العامة علي كسر الجيم والبا وشد اللام وابو
حصين والاعمش والحسن بضمها وشد اللام والسلمي بفتح الجيم اوكسرها مع سكون البا وهذه لغات
في هذا الحرف ومعناه الخلق المتجسد الغليظ ماخوذ من الجبل قال الشاعر

والموت اعظم حادث • مما يمر علي الجبلة

وقال الهروي الجبل والجبل والجبل لغات وهو الجمع الكثير العدد من الناس وقيل الجبلة من
قولهم جبل علي كذا اي خلق وطبع عليه وسياتي في يس ان شا الله تعالي تمام الكلام علي ذلك
عند قوله جبلا كثيرا والمراد بالجبلة الاولين الامم المتقدمين اي انه المتفرد بخلقهم وخلق من تقدمهم
قوله قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا جاء في قصة هود وما انت بغير واو وههنا
بالواو فقال الزمخشري اذا دخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مخالف للرسالة عندهم التسخير
والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ولا بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معني واحدا
وهو كونه مسحرا ثم قدره بكونه بشرا ثم قالوا وان نظنك لمن الكاذبين ومعناه ظاهر ثم ان شعيبا عليه
السلام كان يتوعدهم بالعذاب ان لم يومنوا فقالوا فاسقط علينا كسفا من السما وقد تقدم الكلام
في كسفا واشتقاقه في الاسرا وانما طلبوا ذلك لاستبعادهم وقوعه فقال شعيب ربي اعلم بما تعملون
اي من نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم باعمالكم وليس العذاب علي وما علي الا الدعوة فلم يدع
عليهم بل فوض الامر فيه الي الله تعالي الشراب فيجد ولها اشد حرا فخرجوا فاظلهم سحابة وهي الظلة
فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا فان قيل لم لا يجوز ان يقال ان العذاب النازل بعاد
وثمود وقوم لوط وغيرهم ما كان بسبب كفرهم بل بسبب تاثيرات الكواكب واتصالاتها علي ما اتفق
عليه المنجمون واذا قام هذا الاحتمال لم يحصل الاعتبار بهذه القصص لان الاعتبار انما يحصل اذا علمنا
ان نزول العذاب كان بسبب كفرهم وايضا فيحتمل ان ينزل العذاب محنة للكافرين كما قال ولنبلوكم
حتي نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقد ابتلي المومنون بالبلا العظيم في مواضع كثيرة واذا
كان كذلك لم يدل نزول البلا بهم علي كونهم مبطلين والجواب هذا سوال باطل لانه يقال ما الاتصالات
التي اوجبت نجاة بني اسرايل من البحر واغرقت فرعون وقومه في ساعة واحدة وما الاتصالات
التي اوجبت الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم علي القبط دون بني اسرايل وهم معهم
في بلد واحد وما الاتصالات التي نجت لوطا ومن معه واهلكت قومه وهم قريب منهم وما الاتصالات
التي اوجبت حمل الطير الابابيل حجارة من سجيل ورمت بها اصحاب الفيل دون غيرهم وما الاتصالات
التي فرقت البحر اثنتي عشر فرقا بعدد اسباط بني اسرايل وقلبت العصي حية تسعي وتلقفت
ما صنعته السحرة ونتقت الجبل فوق بني اسرايل كانه ظلة واخرجت الناقة من الحجر واطفات
نار ابراهيم وكل ذلك ثابت بالتواتر لا يمكن انكاره وايضا فان الله تعالي انزل هذه القصص علي
محمد عليه السلام تسلية له وازالة للحزن عن قلبه فلما اخبر الله تعالي محمدا انه هو الذي انزل
العذاب عليهم جزا علي كفرهم علم ان الامر كذلك وحينئذ حصل له التسلي قوله تعالي وانه
لتنزيل رب العالمين الها تعود علي القران وان لم يجر له ذكر للعلم به وتنزيل بمعني منزل او علي
حذف مضاف اي ذو تنزيل وقوله نزل قرا نافع وابن كثير وابو عمرو وحفص نزل مخففا والروح
الامين مرفوعان علي اسناد الفعل للروح والامين نعته والمراد به جبريل وباقي السبعة بالتشديد
مبنيا للفاعل وهو الله تعالي الروح الامين منصوبان علي المفعول به والامين صفته ايضا وقرئ
نزل مشددا مبنيا للمفعول والروح الامين مرفوعان مالم يسم فاعله وبه اما متعلق بنزل او بمحذوف
علي انه حال قوله علي قلبك لتكون قال ابو حيان الظاهر يتعلق علي قلبك ولتكون بنزل ولم
يذكرما يقابل هذا الظاهر واكثرما يتخيل انه يجوز ان يتعلقا بتنزيل اي وانه لتنزيل رب العالمين
علي قلبك لتكون ولكن فيه ضعف من حيث الفصل بين المصدر ومعموله بجملة نزل به الروح
وقد يجاب عنه بوجهين احدهما ان هذه الجملة اعتراضية وفيها تاكيد وتسديد فليست باجنبية
والثاني الاغتفار في الظرف وعديله وعلي هذا فلا يبعد ان يجي في المسلة باب الاعمال
فان كلا من تنزيل ونزل يطلب هذين الجارين **فصل** لما ذكر قصص الانبيا لمحمد
عليه السلام اتبعه بما يدل علي نبوته فقال وانه لتنزيل رب العالمين لانه لفصاحته معجز

فيكون

فيكون من رب العالمين وايضا فلانه اخبار عن الامم الماضية من غير تعلم البتة وذلك لا يكون الا
بوحي من الله تعالي وايضا فقوله وانه لفي زبر الاولين موكد لما ذكرنا لان ذكر هذه القصص علي ما هي
في زبر الاولين من غير تفاوت اصلا مع انه لم يشتغل بالتعلم والاستفادة دليل علي انه ليس الا من
عند الله نزل به الروح الامين علي قلبك يا محمد اي فهمك اياه واثبته في قلبك لا تنساه كقوله سنقريك
فلا تنسي لتكون من المنذرين المخوفين وسمي جبريل روحا لانه خلق من الروح وقيل لانه نجاة
الخلق في باب الدين فهو كالروح الذي يستتبع الحياة وقيل لانه روح كله لا كالناس في ابدانهم روح
وسماه امينا لانه مومن علي ما يوديه للانبيا عليهم السلام **فصل** روي ان جبريل عليه
السلام نزل علي ادم عليه السلام اثنتا عشرة مرة وعلي ادريس اربع مرات وعلي نوح خمسين مرة
وعلي ابراهيم اثنين واربعين مرة وعلي موسي اربعماية مرة وعلي عيسي عشر مرات وعلي محمد عليه
السلام اربعة وعشرين الف مرة فان قيل لم قال علي قلبك وهو انما انزل عليه فالجواب ليوكد
ان ذلك المنزل محفوظ والرسول متمكن من قلبه لا يجوز عليه التغيير ولان القلب هو المخاطب في
الحقيقة لانه موضع التمييز والاختيار واما ساير الاعضا فمسخرة له ويدل علي ذلك القران والحديث
والمعقول اما القران فقوله تعالي نزله علي قلبك نزل به الروح الامين علي قلبك ان في ذلك لذكري
لمن كان له قلب واستحقاق الجزا ليس الا علي ما في القلب قال تعالي لا يواخذكم الله باللغو في
ايمانكم ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم لن ينال الله لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوي منكم والتقوي
في القلب لقوله تعالي اوليك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوي وقوله وحصل ما في الصدور وحكي
عن اهل النار قولهم لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير والعقل في القلب والسمع منفذ
اليه وقال ان السمع والبصر والفواد كل اوليك كان عنه مسولا والسمع والبصر لا يستفادمنهما
الا ما يوديانه الي القلب وقال يعلم خاينة الاعين وما تخفي الصدور ولم تخن الاعين بما تضمر
القلوب الي غير ذلك من الايات واما الحديث فقوله عليه السلام الا وان في الجسد مضغة اذا اصلحت
صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب واما المعقول فان القلب اذا غشي عليه
فاذا قطع ساير الاعضا لم يحصل به الشعور واذا افاق القلب شعر بجميع ما ينزل بالاعضا من الافات
وايضا فاذا فرح القلب او حزن فانه يتغير حال الاعضا عند ذلك وايضا فان القلب منبع المشيات
الباعثة علي الافعال الصادرة عن ساير الاعضا قوله بلسان يجوز ان يتعلق بالمنذرين اي
لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان العربي وهم هود وصالح وشعيب واسماعيل ومحمد صلي الله عليه
وسلم ويجوز ان يتعلق بنزل اي نزل باللسان العربي لتنذر به لانه لو نزل بالاعجمي لقالوا لم نزل علينا
ما لا نفهمه وجوز ابو البقا ان تكون بدلا من به باعادة العامل قال اي نزل بلسان عربي اي برسالة
او لغة قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه قوله وانه لفي زبر الاولين اي وان القران
وقيل وان محمدا ونعته لفي زبر الاولين اي كتب الاولين وقيل المراد وجوه التخويف لان ذكر هذه
الاشيا باسرها قد تقدم وفيه التفات اذ لو جري علي ما تقدم لقيل وانك لفي زبر وقرا الاعمش
زبر بسكون البا وهي مخففة من المشهورة قوله اولم يكن لهم اية قرا ابن عامر تكن بالتاء من فوق اية
بالرفع والباقون يكن بالياء من تحت اية بالنصب وابن عباس تكن بالتاء من فوق اية بالنصب فاما
قراة ابن عامر فتكون يحتمل ان تكون تامة وان تكون ناقصة فان كانت تامة جاز ان تكون لهم متعلقا
بها واية فاعلا بها وان يعلمه اما بدل من اية واما خبر مبتدا مضمر اي اولم تحدث لهم علامة علم علما بني
اسرايل وان كانت ناقصة جاز فيها اربعة اوجه احدها ان يكون اسمها مضمرا فيها بمعني القصة واية
ان يعلمه جملة قدم فيها الخبر واقعة موقع خبر تكن الثاني ان يكون اسمها مضمر ضمير القصة ايضا
ولهم خبر مقدم واية مبتدا موخر والجملة خبر تكن وان يعلمه اما بدل من اية واما خبر مبتدا مضمر
اي هي ان يعلمه الثالث ان يكون لهم خبر تكن مقدما علي اسمها واية اسمها وان يعلمه علي الوجهين
المتقدمين البدلية وخبر ابتدا مضمر الرابع ان يكون اية اسمها وان يعلمه خبرها وقد اعترض هذا
بانه يلزم جعل الاسم نكرة والخبر معرفة وقد نص بعضهم علي انه ضرورة كقوله

• ولا يك موقف منك الوداعا • وقوله • يكون مزاجها عسل وماء •

وقد اعتذر عن ذلك بان اية قد تخصصت بقوله لهم فانه حال منها والحال صفة وبان تعريف
الخبر ضعيف لعمومه وهو اعتذار باطل ولا ضرورة تدعو الي هذا التخريج بل التخريج ما تقدم

واما قراة الباقين فواضحة جدا فاية خبر مقدم واية يعلمه اسمها موخر ولهم متعلق باية
حال من اية واما قراة ابن عباس فلقراة تم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا وكقول لبيد
• فمضى وقدمها وكانت عادة • منه اذا هي عردت اقدامها •
اما لتانيث الاسم واما لانه بمعنى المونث الا ترى ان ان يعلمه في قوة المعرفة والا ان قالوا
في قوة مقالتهم واقدامها باقدامتها وقرا الجحدري ان تعلمه بالتا من فوق شبه البنين بجمع
التكسير في تغير واحده صورة فعامل فعله المسند اليه معاملة فعله في لحاق علامة التانيث
وهذا كقوله • قالت بنو عامر خالوا بنوا اسد • يا بوس للجهل ضرار الاقوام •
وكتبوا في الرسم الكريم علموا بواو بين الميم والالف قيل هو على لغة من يميل الالف نحو
الواو وهذا كما فعل في الصلاة والزكاة فصل المعنى اولم تكن لهولاء المنكرين
علم بني اسرايل علامة ودلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان العلما الذين كانوا من
بني اسرايل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم كعبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة
واسد واسيد قال ابن عباس بعث اهل مكة الى اليهود بالمدينة فسالوهم عن محمد
صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا لزمانه وانا لنجد في التوراة نعته وصفته فكان
ذلك اية على صدقه قوله ولو نزلناه على بعض الاعجمين قال صاحب التحرير الاعجمين
جمع اعجمي بالتخفيف ولولا هذا التقدير لم يجز ان يجمع جمع سلامة قال شهاب الدين
وكان سبب منع جمعه انه من باب افعل فعلا كاحمر حمرا البصريون لا يجيزون جمعه جمع
سلامة الا ضرورة كقوله • حلايل اسودينا واحمرينا •
فلذلك قدره منسوبا مخفف اليا وقد جعله ابن عطية جمع اعجم فقال الاعجمون جمع
اعجم وهو الذي لا يفصح وان كان عربي النسب يقال له اعجم وذلك يقال للحيوانات ومنه
قول النبي صلى الله عليه وسلم جرح العجما جبار واسند الطبري عن عبد الله بن مطيع
انه كان واقفا بعرفة وتحته جمل فقال جملي هذا اعجم ولو انه انزل عليه ما كانوا يومنون
والعجمي هو الذي نسبته في العجم وان كان افصح الناس وقال الزمخشري الاعجم الذي
لا يفصح وفي لسانه عجمة او استعجام والاعجمي مثله الا ان فيه زيادة النسب توكيدا وتقدم
نحو من هذا في سورة النحل وقد صرح ابو البقا بمنع ان يكون الاعجمين جمع اعجم وانما
هو جمع اعجمي مخففا من اعجمي كالاشعرون في الاشعري قال الاعجمين الاعجميين بحذف
ياء النسب كما قالوا الاشعرون اي الاشعريون وواحده اعجمي ولا يجوز ان يكون جمع اعجم
لان مونثه عجما ومثل هذا لا يجمع جمع التصحيح قال شهاب الدين وفيما قاله ابن عطية
نظر واما الزمخشري فليس في كلامه انه جمع اعجم مخففا او غير مخفف وان كان ظاهره انه
جمع اعجم من غير تخفيف ولكن الذي قاله ابن عطية تبع فيه الفرا فانه قال الاعجمين جمع
اعجم او اعجمي على حذف ياء النسب كما قالوا الاشعرين وواحدهم اشعري وانشد الكميت
• ولو جهزت قافية شرودا • لقد دخلت بيوت الاشعرينا •
لكن الفرا لا يضره ذلك فانه من الكوفيين وقد تقدم عنهم انهم يجيزون جمع افعل فعلا وقرا
الحسن وابن مقسم الاعجميين بياي النسب وهي مويدة لتخفيفه منه في قراة العامة فصل
ولو نزلناه يعني القران على رجل ليس بعربي اللسان فقراه عليهم بغير لغة العرب ما كانوا
به مومنين وقالوا ما نفقه قولك وجعلوه عذرا لجحودهم ونظيره ولو جعلناه قرانا اعجميا
لقالوا لولا فصلت اياته وقيل معناه ولو نزلنا على رجل ليس من العرب لما امنوا به انفة
من اتباعه قوله كذلك سلكناه اي مثل ذلك او الامر كذلك والضمير في سلكناه عايد على
القران وهو الظاهر اي سلكناه في قلوب المومنين كما سلكناه في قلوب المجرمين ومع ذلك
لم ينجع فيهم وقال ابن عباس والحسن ومجاهد ادخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المومنين
وهذه الاية تدل على ان الكل بقضا الله وخلقه قال الزمخشري اراد به انه صار ذلك
التكذيب متمكنا في قلوبهم اشد التمكن فصار ذلك كالشي الجبلي والجواب انه اما ان يكون
قد فعل الله تعالى فيهم ما يقتضي الترجيح ام لا فان كان الاول فقد دللنا في سورة الانعام
على ان الترجيح لا يتحقق ما لم ينته الى حد الوجوب وحينئذ يحصل المقصود وان لم يفعل

فيهم

فيهم ما يقتضي الترجيح البتة امتنع قوله كذلك سلكناه قوله لا يومنون به في الجملة وجهان
احدهما الاستيناف على جهة البيان والايضاح لما قبله والثاني انها حال من الضمير في سلكناه
اي سلكناه غير مومن به ويجوز ان يكون حالا من المجرمين لان المضاف جزو من المضاف اليه
حتى يروا العذاب الاليم يعني عند الموت قوله فياتيهم ويقولوا عطف على يروا وقرا العامة
بالياء من تحت والحسن وعيسى بالتاء من فوق انث ضمير العذاب لانه في معنى العقوبة وقال الزمخشري
انث على ان الفاعل ضمير الساعة قال الزمخشري فان قلت ما معنى التعقيب في قوله فياتيهم
قلت ليس المعنى التعقب في الوجود بل المعنى ترتبها في الشدة كانه قيل لا يومنون بالقران
حتى يكون رويتهم العذاب اشد منها ومثال ذلك ان يقول ان اسات مقتك الصالحون فما تنقضا
لا تقصدان مقت الله بعد مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسي وقرا
الحسن بغتة بفتح الغين فصل المعنى ياتيهم العذاب بغتة اي فجاة وهم لا يشعرون
به في الدنيا فيقولوا هل نحن منظرون اي لنومن ونصدق يتمنون الرجعة والنظرة وانما يقولون
ذلك استرواحا عند تعذر الخلاص لانهم يعلمون في الاخرة ان لا ملجا لهم قال مقاتل لما اوعدهم
النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا الى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب قال الله
تعالى افبعذابنا يستعجلون قوله افرايت تقدم تحقيقه وقد تنازع افرايت وجاهم في قوله
ما كانوا يوعدون فان اعملت الثاني وهو جاهم رفعت به ما كانوا فاعلا به ومفعول ارايت
الاول ضميره ولكنه حذف والمفعول الثاني هو الجملة الاستفهامية في قوله ما اغنى عنهم ولا بد
من رابط بين هذه الجملة وبين المفعول الاول المحذوف وهو مقدر تقديره افرايت ما كانوا
يوعدونه ما اغنى عنهم تمتعهم حين حل اي الموعود به ودل على ذلك قراة الكلام وان اعملت
الاول نصبت به ما كانوا يوعدون واضمرت في جاهم ضميره فاعلا به والجملة الاستفهامية مفعول
ثان ايضا والعايد مقدر على ما تقرر في الوجه قبله والشرط معترض وجوابه محذوف وهذا
كله مفهوم مما تقدم في سورة الانعام وانما ذكرناه هنا لانه تقدير عسر يحتاج الى تامل وهذا
كله انما يتاتى على قولنا ان ما استفهامية ولا يضر تفسيرهم لها بالنفي فان الاستفهام قد يرد بمعنى
النفي واما اذا جعلتها نافية حرفا كما قاله ابو البقا فلا يتاتى ذلك لان مفعول ارايت الثاني
لا يكون الا جملة استفهامية كما تقرر فصل افرايت ان متعناهم سنين كثيرة في الدنيا
يعني كفار مكة ولم نهلكهم ثم جاهم ما كانوا يوعدون يعني العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون
في تلك السنين اي انهم وان طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا اتاهم العذاب لم يغن طول التمتع
عنهم شيا ويكون كانهم لم يكونوا في نعيم قط قوله ما اغنى يجوز ان تكون ما استفهامية في محل
نصب مفعولا مقدما وما كانوا هو الفاعل وما مصدرية بمعنى اي شي اغنى عنهم كونهم متمتعين
وان تكون نافية والمفعول محذوف اي لم يغن عنهم تمتعهم شيا وقري يمتعون باسكان وقري
يمتعون باسكان الميم وتخفيف التا من امتع الله زيدا بكذا قوله الا لها منذرون يجوز ان تكون
الجملة صفة لقرية وان تكون حالا منها وسوغ ذلك سبق النفي وقال الزمخشري فان قلت
كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها في قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب
معلوم قلت الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف
كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم قال ابو حيان ولو قدرنا لها منذرون جملة لم يجز ان تجي صفة
بعد الا ومذهب الجمهور انه لا تجي الصفة بعد الا معتمدة على اداة الاستثنا نحو ما جاني احد الا راكب
وان اسمع مثل هذا خرجوه على البدل اي الا رجل راكب ويدل على صحة هذا المذهب ان العرب
تقول ما مررت باحد الا قايما ولا يحفظ عنهم الا قايم يعني بالجر فلو كانت الجملة صفة بعد الا لسمع
الجر في هذا وايضا فلو كانت الجملة صفة للنكرة لجاز ان يقع صفة المعرفة بعد الا يعني نحو ما
مررت بزيد الا العاقل ثم قال فان كانت الصفة غير معتمدة على الاداة جاءت الصفة بعد الا نحو
ما جاني احد الا زيد خير من عمرو والتقدير ما جاني احد خير من عمرو الا زيد واما كون الواو تزاد
لتاكيد وصل الصفة بالموصوف فغير معهود في عبارة النحويين لو قلت جاني رجل وعاقل
اي رجل عاقل لم يجز وانما تدخل الواو في الصفات جوازا اذا عطف بعضها على بعض وتغاير
مدلولها نحو مررت بزيد الشجاع والشاعر واما وثامنهم كلبهم فتقدم الكلام عليه قال شهاب الدين

اماكون الصفة لاتقع بعد الا معتمدة فالزمخشري يختار غير هذا فانها مسئلة خلافية واما كونه
لم يقبل الا قايما بالنصب دون قايم بالجر فدال على احد الجايزين وليس فيه دليل على المنع من
قسيمه واما قوله فغير معهود في كلام النحويين فممنوع هذا ابن جني نص عليه في بعض كتبه
واما الزامه انها لو كانت الجملة صفة بعد الا للنكرة لجاز ان تقع صفة المعرفة بعد الا فغير لازم
لان ذلك مختص بكون الصفة جملة واذا كانت جملة تعذر كونها صفة للمعرفة وانما اختص ذلك
بكون الصفة جملة لانها لتاكيد وصل الصفة والتاكيد لا يليق بالجمل واما قوله لو قلت جاني رجل
وعاقل لم يجز فنسلم ولكن انما امتنع ذلك في الصفة المفردة كيلا يلتبس ان الجاي اثنان رجل واخر
عاقل بخلاف كونها جملة فان اللبس منتف وقد تقدم سبعة وثامنهم قوله ذكرى يجوز فيها
اوجه احدها انها مفعول من اجله واذا كانت مفعولا من اجله ففي العامل فيها وجهان احدهما
منذرون على ان المعنى منذرون لاجل الموعظة والتذكرة الثاني اهلكنا قال الزمخشري والمعنى
وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعدما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم لتكون تذكرة
وعبرة لغيرهم فلا يعصون مثل عصيانهم ثم قال وهذا الوجه عليه المعول قال ابو حيان وهذا لا معول
عليه فان مذهب الجمهور ان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها الا ان يكون مستثنى او مستثنى منه او تابعا
له غير معتمد على الاداة نحو ما مررت باحد الا زيد خير من عمرو والمفعول له ليس واحدا من هذه وتخرج
مذهبه على مذهب الكسائي والاخفش وان كانا لم ينصا على المفعول له بخصوصيته قال شهاب
الدين والجواب ما تقدم قبل ذلك من انه يختار مذهب الاخفش الثاني من الاوجه الاول انها
في محل رفع خبر المبتدا محذوف اي هذه ذكرى وتكون الجملة اعتراضية الثالث انها صفة لمنذرون
اما على المبالغة واما على الحذف اي منذرون ذوو ذكرى او على وقوع المصدر وقوع اسم الفاعل اي منذرون
مذكرون وتقدم تقريره الرابع انها في محل نصب على الحال اي مذكرين او ذوي ذكرى او جعلوا نفس
الذكرى مبالغة الخامس انها منصوبة على المصدر المؤكد وفي العامل فيها حينئذ وجهان احدهما
لفظ منذرون لانه من معناها فهما كقعدت جلوسا والثاني انه محذوف من لفظها اي يذكرون
ذكرى وذلك المحذوف صفة لمنذرون قوله وما كنا ظالمين في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة
عليهم واعذرنا اليهم او وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين قوله وما تنزلت به الشياطين
العامة على الياء ورفع النون وهو جمع تكسير وقرا الحسن البصري وابن السميقع والاعمش بالواو
مكان الياء والنون مفتوحة اجراء له مجرى جمع السلامة وهذه القراءة قد ردها جمع كثير من النحويين
قال الفراء غلط الشيخ ظن انها النون التي على هجاين فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج
بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه يعني محمد بن السميقع مع انا نعلم
انهما لم يقرآ به الا وقد سمعا فيه وقال النحاس هو غلط عند جميع النحويين وقال المهدوي
هو غير جايز في العربية وقال ابو حاتم هي غلط منه او عليه وقد اثبت هذه القراءة جماعة من
اهل العلم ودفعوا عنها الغلط فان القاري بها من العلم بمكان مكين واجابوا عنها باجوبة صالحة
فقال النضر بن شميل قال يونس بن حبيب سمعت اعرابيا يقول دخلت بساتين من وراءها بساتون
فقلت ما اشبه هذا بقراءة الحسن وخرجها بعضهم على انها جمع شياط بالتشديد مثال مبالغة
مثل ضراب وقتال على ان يكون مشتقا من شاط يشيط اي احترق ثم جمع جمع سلامة مع تخفيف
الياء فوزنه فعالون مخففا من فعالين بتشديد العين ويدل على ذلك انهما وغيرهما قرآوا بذلك
اعني بتشديد الياء وهذا منقول عن مؤرج السدوسي ووجهها اخرون بان اخره لما كان يشبه
يبرين وفلسطين اجرى اعرابه تارة على النون وتارة بالحرف كما قالوا هذه يبرين وفلسطين
ويبرون وفلسطون وتقدم القول في ذلك في البقرة والهاء في به تعود على القران وجاءت
هذه الجمل الثلاثة منفية على احسن ترتيب نفى اولا تنزيل الشياطين به لان النفي في الغالب
يكون في الممكن وان كان الامكان هنا منتفيا ثم نفى ثانيا ابتغاء ذلك اي ولو فرض الامكان لم
يكونوا اهلا له ثم نفى ثالثا نفي الاستطاعة والقدرة ثم ذكر علة ذلك وانتفاهم عن السماع
من الملا الاعلى لانهم يرجمون بالشهب لو سمعوا **فصل** لما احتج على صدق محمد عليه
السلام بكون القران تنزيل رب العالمين لوقوعه في الفصاحة القصوى ولاشتماله على قصص
المتقدمين من غير تفاوت مع انه عليه السلام لم يتعلم من احد وكان الكفار يقولون هذا من

القا

القا الجن والشياطين كساير ما تنزل به على الكهنة فاجاب الله تعالى بان ذلك لا يتسهل للشياطين
لانهم معزولون عن استماع كلام اهل السماء برجمهم بالشهب فان قيل العلم بكون الشياطين ممنوعين
عن ذلك لا يحصل الا بخبر النبي الصادق فاذا اثبتنا كون محمد عليه السلام صادقا بفصاحة القران
واخباره عن الغيب ولا يثبت كون الفصاحة والاخبار عن الغيب معجزا الا اذا ثبت كون الشياطين
ممنوعين عن ذلك فلزم الدور فالجواب لا نسلم ان العلم بكون الشياطين ممنوعين من ذلك لا يستفاد
الا من قول النبي صلى الله عليه وسلم لانا نعلم بالضرورة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يلعن الشياطين
ويامر الناس بلعنهم فلو كان ذلك انما حصل من القا الشياطين لكان الكفار اولى بان يحصل لهم مثل
هذا العلم فيجب ان يكون اقتدار الكفار على مثله اولى ولما لم يكن كذلك علمنا ان الشياطين ممنوعون
لانهم معزولون عن تعرف الغيوب ثم انه تعالى لما ذكر هذا الجواب خاطب الرسول عليه السلام فقال
فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين قال ابن عباس يحذر به غيره يقول انت اكرم الخلق
علي ولو اتخذت الها غيري لعذبتك وقوله فيكون منصوب في جواب النهي قوله وانذر عشيرتك
الاقربين روى عبد الله بن عباس عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الاية
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانذر عشيرتك الاقربين دعاني رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا علي ان الله امرني ان انذر عشيرتك الاقربين وضقت بذلك ذرعا وعرفت اني متى
اناديهم بهذا الامر اري منهم ما اكره فصمت عليها حتى جاني جبريل فقال يا محمد الا تفعل ما تومر
يعذبك ربك فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملا لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني
عبد المطلب حتى ابلغهم ما امرت به ففعلت ما امرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ اربعون رجلا يزيدون
رجلا او ينقصونه فيهم اعمامه ابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام
الذي صنعت فجيت به فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فنتفها
باسنانه ثم القاها في نواحي الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فاكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وايم
الله ان كان الرجل الواحد منهم لياكل مثل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجيتهم بذلك العس
فشربوا حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما اراد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يكلمهم بدره ابو لهب فقال سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال الغد يا علي ان هذا الرجل قد سبقني الى ما سمعت من القول فتفرق القوم
قبل ان اكلمهم فعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقدمته
ففعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب
اني قد جيتكم بخير الدنيا والاخرة وقد امرني الله ان ادعوكم اليه فايكم يوازرني على امري ويكون اخي
ووصيي وخليفتي فيكم فاحجم القوم عنها جميعا فقلت وانا احدثهم سنا انا يا نبي الله اكون وزيرك
عليه قال فاخذ برقبتي ثم قال ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم
يضحكون ويقولون لابي طالب قد امرك ان تسمع لعلي وتطيع وعن ابن عباس قال لما نزلت وانذر
عشيرتك الاقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا
من هذا فاجتمعوا اليه فقال ارايتم ان اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا
ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك ما جمعتنا الا لهذا
ثم قام فنزلت تبت يدا ابي لهب قوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين
واعلم ان الطاير اذا اراد ان يحط كسر جناحه وخفضه واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه
فجعل خفض الجناح كناية عن التواضع ولين الجانب قوله فان عصوك في هذه الواو وجهان
احدهما انها ضمير الكفار اي فان عصاك الكفار في امرك لهم بالتوحيد والثاني انها ضمير المومنين
اي فان عصاك المومنون في فروع الاسلام وبعض الاحكام بعد تصديقك والايمان برسالتك
وهذا في غاية البعد فقل اني بريء مما تعملون من الكفر وعبادة غير الله **فصل** قال
الجبائي هذا يدل على انه عليه السلام كان بريا من معاصيهم وذلك يوجب ان الله تعالى ايضا بريء
من عملهم كالرسول والا كان مخالفا لله كما لو رضي عن شخص فان الله راض عنه واذا كان تعالى بريا
من عملهم فلا يكون فاعلا له والجواب انه تعالى بريء من المعاصي بمعنى انه ما امر بها بل نهى عنها
فاما بمعنى انه لا يريدها فلا نسلم بدليل انه علم وقوعها وكل ما كان معلوم الوقوع فهو واجب

الوقوع والا لانقلب علمه جهلا وهو محال والمفضي الى المحال محال وعلم ما هو واجب الوقوع لارادة عدمه ووقوعه فثبت قولنا قوله وتوكل قرا نافع وابن عامر بالفا والباقون بالواو فاما قراءة الفا فانه جعل فيها ما بعد الفا كالجزا لما قبلها مترتبا عليه وقراءة الواو لمجرد عطف جملة على اخرى والتوكل عبارة عن تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره ثم قال على العزيز الرحيم ليكفيك كيد الاعدا بعزته وينصرك عليهم برحمته قوله الذي يراك يجوز ان يكون مرفوع المحل خبر المبتدا محذوف او منصوبه على المدح او مجروره على النعت او البدل او البيان قال اكثر المفسرين معناه يراك حين تقوم الى صلاتك وقال مجاهد يراك اين ما كنت وقيل حين تقوم لدعائهم قوله وتقلبك عطف على مفعول يراك اي ويرى تقلبك وهذه قراءة العامة وقرا جناح بن حبيش بالياء من تحت مضمومة وكسر اللام ورفع البا جعله فعلا مضارع قلب بالتشديد وعطفه على المضارع قبله وهو يراك اي الذي يقلبك

فصل معنى تقلبه اي تقلبك في صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك قال عكرمة وعطية عن ابن عباس في الساجدين اي في المصلين وقال مقاتل والكلبي اي مع المصلين في الجماعة اي يراك حين تقوم وحدك للصلاة ويراك اذا صليت مع المصلين جماعة وقال مجاهد يرى تقلب بصرك في المصلين فانه كان يبصر من خلفه كما يبصر امامه قال عليه السلام والله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم واني لاراكم من وراء ظهري وقال الحسن تقلبك في الساجدين اي تصرفك وذهابك ومجيئك في اصحابك المومنين وقال سعيد بن جبير يعني وتصرفك في احوالك كما كانت الانبياء من قبلك والساجدون هم الانبياء وقال عطا عن ابن عباس اراد وتقلبك في اصلاب الانبياء من نبي الى نبي حتى اخرجتك في هذه الامة انه هو السميع العليم السميع لما تقوله العليم بما تنويه قوله تعالى هل انبئكم الاية اعاد الشبهة المتقدمة واجاب عنها من وجهين الاول قوله تنزل على كل افاك اثيم كما تقدم من ان الكفار يدعون الى طاعة الشيطان ومحمد يدعو الى لعن الشيطان والبراة منه والثاني قوله يلقون السمع واكثرهم كاذبون ومعناه انهم كانوا يقيسون حال النبي صلى الله عليه وسلم على حال الكهنة قوله على من متعلق بتنزل بعده وانما قدم لان له صدر الكلام وهو معلق لما قبله من فعل التنبيه لانها بمعنى العلم ويجوز ان تكون هنا متعدية لاثنين فتسد الجملة المشتملة على الاستفهام مسد الثاني لان الاول ضمير المخاطبين وان تكون متعدية لثلاثة فتسد مسد اثنين وقرا البزي على من تنزل الشياطين تنزل بتشديد التا من تنزل في الموضعين والاصل تتنزل بتائين فادغم والادغام في الثاني سهل لتحرك ما قبل المدغم وفي الاول صعوبة لسكون ما قبله وهو نون من وتقدم تحقيق هذا في البقرة عند قوله ولا تيمموا الخبيث قوله يلقون يجوز ان يعود الضمير على الشياطين فيجوز ان تكون الجملة من يلقون حالا وان يكون مستانفة ومعنى القائهم السمع انصاتهم الى الملا الاعلى ليسترقوا شيا او يلقون الشي المسموع الى الكهنة ويجوز ان يعود على كل افاك اثيم من حيث انه جمع في المعنى فتكون الجملة اما مستانفة واما صفة لكل افاك ومعنى الالقا ما تقدم وقال ابو حيان حال عود الضمير على الشياطين وبعد ما ذكر المعنيين المتقدمين في القا السمع قال فعلى معنى الانصات يكون يلقون استئناف اخبار وعلى القا المسموع الى الكهنة يحتمل الاستئناف بالمعنى الاول واحتمل الحال من الشياطين اي تنزل على كل افاك اثيم ملقين ما سمعوا انتهى وفي تخصيصه للاستئناف بالمعنى الاول وتجويزه الوجهين في المعنى الثاني نظر لان جواز الوجهين جار في المعنيين فيحتاج في ذلك الى دليل فان قيل كيف قال واكثرهم كاذبون بعد ما حكم عليهم ان كل واحد منهم افاك فالجواب ان الافاكين هم الذين يكثرون الكذب لا انهم الذين لا ينطقون الا بالكذب فاراد ان هولا الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني واكثرهم مفتر عليه قوله والشعرا يتبعهم الغاوون تقدم ان نافعا يقرا بتخفيف التا ساكنة وفتح البا في سورة الاعراف عند قوله لا يتبعوكم والفرق بين المخفف والمثقل وسكن الحسن العين وروي عن ابي عمرو وليست ببعيده عند كينصركم وبابه وروى هرون عن بعضهم نصب العين وهي غلط والقول بان الفتحة للاتباع خطا والعامة على رفع الشعرا بالابتدا والجملة بعده الخبر وقرا عيسى بالنصب على الاشتغال

فصل لما قال الكفار لم لا يجوز ان يقال الشياطين تنزل بالقران

على

على محمد كما انهم ينزلون بالكهانة على الكهنة وعلى الشعرا بالشعر ثم انه تعالى فرق بين محمد عليه السلام وبين الكهنة ذكر ههنا ما يدل على الفرق بينه وبين الشعرا بان الشعرا يتبعهم الغاوون وهم الضالون ثم بين ان ذلك لا يمكن القول به لامرين الاول انهم في كل واد يهيمون والمراد منه الطريق المختلفة كقولك انا في واد وانت في واد وذلك بانهم قد يمدحون الشي بعد ان ذموه وبالعكس وقد يعظمونه بعد ما يستحقرونه وبالعكس وذلك يدل على انهم لا يطلبون بشعرهم الحق ولا الصدق بخلاف امر محمد عليه السلام فانه من اول امره الى اخره بقي على طريق واحد وهو الدعوة الى الله والترغيب في الاخرة والاعراض عن الدنيا والثاني انهم يقولون ما لا يفعلون وذلك ايضا من علامات الغواية فانهم يرغبون في الجود ويرغبون عنه وينفرون عن البخل ويصيرون اليه ويقدحون في الناس بادنى شي صدر عنهم وعن واحد من اسلافهم ثم انهم لا يرتكبون الا الفواحش وذلك يدل على الغواية والضلالة واما محمد عليه السلام فانه بدا بنفسه ولا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين ثم بالاقرب فالاقرب فقال وانذر عشيرتك الاقربين وكل ذلك خلاف طريقة الشعرا فظهر بهذا البيان ان حال محمد عليه السلام لم يشبه حال الشعرا قوله يهيمون يجوز ان تكون هذه الجملة خبر ان وهذا هو الظاهر لانه محط الفايدة وفي كل واد متعلق به ويجوز ان يكون في كل واد هو الخبر ويهيمون حال من الضمير في الخبر والعامل ما تعلق به هذا الخبر او نفس الجار كما تقدم في نظيره ويجوز ان تكون الجملة خبرا بعد خبر عند من يرى تعدد الخبر مطلقا وهذا من باب الاستعارة البليغة والتمثيل الرابع شبه جولانهم في افانين القول وطرايق المدح والذم والتشبيب وانواع الشعر بهيم الهايم في كل وجه وطريق وقيل اراد بكل واد اي على كل حرف من حروف الهجا يصوغون قافية والهايم الذي يخبط في سيره ولا يقصد موضعا معينا هام على وجهه اي ذهب والهايم العاشق من ذلك والهيمان العطشان والهيام داء ياخذ الابل من العطش وجمل اهيم وناقة هيما والجمع فيهما هيم قال تعالى شرب الهيم والهيام من الرمل اليابس فانهم يتخيلون فيه معنى العطش

فصل قال المفسرون اراد شعرا الكفار وكانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر مقاتل اسماهم فقال منهم عبد الله بن الزبعري السهمي وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وامية بن ابي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول كما قال محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة من قومهم يسمعون اشعارهم حين يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ويروون عنهم ذلك فذلك قوله يتبعهم الغاوون وهم الرواة الذين يروون هجا المسلمين وقال قتادة هم الشياطين ثم انه تعالى لما وصف شعرا الكفار بهذه الاوصاف استثنى شعرا المسلمين الذين كانوا يجيبون شعرا الجاهلية ويهجون الكفار وينافحون عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات روي عن كعب بن مالك انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد انزل في الشعر ما انزل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المومن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكانما ترمونهم به نضح النبل وفي رواية قال اهجهم فوالذي نفسي بيده هو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل فان روح القدس معك واعلم ان الله تعالى وصفهم بامور الاول الايمان وهو قوله الا الذين امنوا وثانيها العمل الصالح وهو قوله وعملوا الصالحات وثالثها ان يكون شعرهم في التوحيد والنبوة ودعوة الخلق وهو قوله وذكروا الله كثيرا ورابعها ان لا يذكروا هجوا الا على سبيل الانتصار ممن يهجوهم وهو قوله وانتصروا من بعد ما ظلموا قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر حكمة وقالت عايشة الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح وقال الشعبي كان ابو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي اشعر الثلاثة وروي عن ابن عباس انه كان ينشد الشعر في المسجد ويستنشده وقوله وذكروا الله كثيرا اي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله وانتصروا من بعد ما ظلموا اي انتصروا من المشركين لانهم بدوا بالهجا ثم اوعد شعرا المشركين فقال وسيعلم الذين ظلموا اشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

اي منقلب ينقلبون اي مرجع يرجعون بعد الموت قال ابن عباس الي جهنم والسعير قوله
اي منقلب منصوب علي المصدر والناصب له ينقلبون وقدم لتضمنه معني الاستفهام وهو معلق
لسيعلم سادا مسد مفعوليها وقال ابو البقا اي منقلب صفة لمصدر محذوف اي ينقلبون
انقلابا اي منقلب ولا يعمل فيه سيعلم لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وهذا مردود بان ايا
الواقعة صفة لا تكون استفهامية وكذلك الاستفهامية لا تكون صفة لشي بل كل منهما قسم براسه
واي ينقسم الي اقسام كثيرة وهي الشرطية والاستفهامية والموصولة والصفة والموصوفة عند
الاخفش خاصة والمناداة نحو يا هذا والموصلة لندا ما فيه ال نحو يا ايها الرجل عند غير الاخفش
والاخفش يجعلها في الندا موصولة وقرا ابن عباس والحسن اي منفلت ينفلتون بالفا والتاء
من فوق من الانفلات روي الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس ان النبي صلي الله عليه وسلم
قال اعطيت السورة التي يذكر فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من
الواح موسي واعطيت فواتح القران وخواتيم السورة التي يذكر فيها البقرة من تحت العرش
واعطيت المفصل نافلة وعن انس ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ان الله تعالي
اعطاني السبع مكان التوراة واعطاني الطواسين مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل
ما قراهن نبي وعن ابي امامة عن ابي بن كعب قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا
سورة الشعرا كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب بهود وشعيب
وصالح وابراهيم وبعدد من كذب بعيسي وصدق بمحمد صلي الله عليه وسلم

سورة النمل مكية

وهي ثلاث وتسعون اية والف ومائة وتسع واربعون كلمة واربعة الاف وسبعمائة وتسعة
وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالي طس تلك ايات القران وكتاب مبين تلك اشارة الي ايات السورة اي هذه
ايات القران وقوله وكتاب العامة علي جره عطفا علي القران وهل المراد به نفس القران فيكون
من عطف بعض الصفات علي بعض والمدلول واحد او اللوح المحفوظ او نفس السورة وقيل القران
والكتاب علمان للمنزل علي نبينا صلي الله عليه وسلم فهما كالعباس وعباس يعني فيكون ال فيهما
للمح الصفة وهذا خطا اذ لو كانا علمين لما وصفا بالنكرة وقد وصف قران بها في قوله تلك ايات
الكتاب وقران مبين في الحجر ووصف بها كتاب كما في هذه الاية الكريمة والذي يقال انه نكرهما
لافادة التفخيم كقوله في مقعد صدق وقرا ابن ابي عبلة وكتاب مبين برفعهما عطفا علي ايات
المخبر بها عن تلك فان قيل كيف صح ان يشار لاثنين احدهما مونث والاخر مذكر باسم اشارة المونث
ولو قلت تلك هند وزيد لم يجز فالجواب من ثلاثة اوجه احدها ان المراد بالكتاب هو الايات
لان الكتاب عبارة عن ايات مجموعة فلما كانا شيا واحدا صحت الاشارة اليهما باشارة الواحد
المونث الثاني انه علي حذف مضاف اي وايات كتاب مبين الثالث انه لما ولي المونث ما تصح الاشارة
به اليه اكتفي به وحسن ولو اولي المذكر لم يحسن الا تراك تقول جاءتني هند وزيد ولو حذفت هندا
واخرتها لم يجز تانيث الفعل قوله هدي وبشري يجوز فيهما اوجه احدها ان يكونا منصوبين
علي المصدر بفعل مقدر من لفظهما اي يهدي هدي ويبشر بشري الثاني ان يكونا في موضع الحال
من ايات والعامل فيهما ما في تلك من معني الاشارة الثالث ان يكونا في موضع الحال من القران
وفيه ضعف من حيث كونه مضافا اليه الرابع ان يكون حالا من كتاب في قراءة من رفعه ويضعفه
في قراءة من جره لما تقدم من كونه في حكم المضاف اليه لعطفه عليه الخامس انهما حالان من الضمير
المستتر في مبين سواء قرئ بجره ام برفعه السادس ان يكونا بدلين من ايات السابع ان يكونا خبرا بعد
خبر الثامن ان يكونا خبري ابتدا مضمر اي هي هدي وبشري للمومنين **فصل** المراد
يهديهم الي الجنة وبشري لهم كقوله تعالي يبشرهم ربهم برحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما
وهذا خص به المومنين وقيل المراد بالهدي الدلالة وانما خصه بالمومنين لانه ذكر مع الهدي
البشري والبشري انما تكون للمومنين او لانهم تمسكوا به لقوله انما انت منذر من يخشاها او لانه يزيد

في

في هداهم كقوله تعالي ويزيد الله الذين اهتدوا هدي قوله الذين يقيمون الصلاة يجوز
ان يكون مجرور المحل نعتا للمومنين او بدلا او بيانا او منصوبه علي المدح او مرفوعه علي تقدير
مبتدا اي هم الذين والمراد بها الصلوات الخمس وكذا القول في الزكاة فانها الواجبة لان
التعريف بالالف واللام يقتضي ذلك واقامة الصلاة ان يوتي بها بشرائطها والزكاة بوضعها
في مواضعها قوله وهم بالاخرة هم يوقنون هم الثاني تكرير للاول علي سبيل التوكيد اللفظي وفهم
الزمخشري منه الحصر اي لا يوقن بالاخرة حق الايقان الا هولا المتصفون بهذه الصفات ويدل
عليه انه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدا الذي هو هم حتي صار معناها وما يوقن بالاخرة
حق الايقان الا هولا الجامعون من الايمان والعمل الصالح لان التوكيد وهذه الجملة يحتمل ان
خوف العاقبة يحملهم علي تحمل المشاق وبالاخرة متعلق بيوقنون ولا يضر الفصل بينهما بالتوكيد
وهذه الجملة يحتمل ان تكون معطوفة علي الصلة داخلة في حيز الموصول وحينئذ يكون قد
غاير بين الصلتين لمعني وهو انه لما كان اقامة الصلاة وايتا الزكاة مما يتكرر ويتجدد اتي بالصلتين
جملة فعلية فقال يقيمون ويوتون ولما كان الايقان بالاخرة امرا ثابتا مطلوبا دوامه اتي
بالصلة جملة اسمية مكررا فيها المسند اليه مقدما فيها الموقن به الدال علي الاختصاص ليدل
علي الثبات والاستقرار وجا بخبر المبتدا في هذه الجملة فعلا مضارعا دلالة علي ان ذلك يتجدد
كل وقت غير منقطع ويحتمل ان تكون مستانفة غير داخلة في حيز الموصول قال الزمخشري
ويحتمل ان تتم الصلة عنده اي عند قوله وهم قال وتكون الجملة اعتراضية يريد ان الصلة
تمت عند المذكور فتجوز في ذلك والا فكيف يصح اذا اخذنا بظاهر كلامه ان الصلة تمت
عند قوله وهم وتسميته هذا اعتراضا يعني من حيث المعني وسياق الكلام والا فالاعتراض
في الاصطلاح انما يكون بين متلازمين من مبتدا وخبر وشرط وجزا وقسم وجوابه وتابع
ومتبوع وصلة وموصول وليس هنا شي من ذلك فان قيل ان المومنين الذين يقيمون
الصلاة ويوتون الزكاة لا بد وان يكونوا متيقنين الاخرة فما وجه ذكره مرة اخري فالجواب
من وجهين الاول ان الذي يستفاد منه طرق النجاة هو معرفة المبدا ومعرفة المعاد والعمل
الصالح واشرفه الطاعة بالنفس والطاعة بالمال فقوله للمومنين اي الذين يومنون بالغيب
وهو اشارة الي معرفة المبدا وقوله الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة اشارة الي الطاعة
بالنفس والمال وقوله وبالاخرة هم يوقنون اشارة الي علم المعاد فكانه تعالي جعل معرفة
المبدا طرفا اولا ومعرفة المعاد طرفا اخيرا وجعل الطاعة بالنفس والمال متوسطا بينهما الثاني
ان المومنين الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة منهم من هو جازم بالحشر والنشر ومنهم
من يكون شاكا فيه الا انه ياتي بهذه الطاعات احتياطا فيقول ان كنت مصيبا فيها فقد فزت
بالسعادة وان كنت مخطيا فيها لم يفتني الا خيرات قليلة في هذه المدة اليسيرة فمن اتي بالصلاة
والزكاة علي هذا الوجه لم يكن في الحقيقة مهتديا بالقران واما من كان جازما بالاخرة كان مهتديا
به فلهذا ذكر هذا القيد قوله ان الذين لا يومنون بالاخرة الاية لما بين ما للمومنين من البشري
اتبعه بما للكفار من سوء العذاب فقال ان الذين لا يومنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم القبيحة
حتي راوها حسنة فهم يعمهون يترددون فيها متحيرين فان قيل كيف اسند تزيين اعمالهم
الي ذاته مع انه اسنده الي الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فالجواب اما اهل
السنة فاجروا الاية علي ظاهرها لان الانسان لا يفعل شيا البتة الا اذا دعاه الداعي الي الفعل
والمعقول من الداعي هو العلم او الاعتقاد او الظن بكون الفعل مشتملا علي منفعة وهذا
الداعي لا بد وان يكون من فعل الله تعالي لوجهين الاول انه لو كان لافتقر فيه الي داع اخر
ولزم التسلسل وهو محال الثاني ان العلم اما ان يكون ضروريا او كسبيا فان كان ضروريا
فلا بد من تصوير به والتصور يمتنع ان يكون مكتسبا لان المكتسب ان كان شاعرا به فهو
متصور له وتحصيل الحاصل محال وان لم يكن متصورا كان غافلا عنه والغافل عن الشي يمتنع
ان يكون طالبا له فان قيل هو مشعور به من وجه قلنا فالمشعور به غير ما هو مشعور
به فيعود التقسيم المتقدم في كل واحد من هذين الوجهين واذا ثبت ان التصور غير مكتسب
البتة والعلم الضروري هو الذي يكون مكتسبا علي كل واحد من تصوره كافيا في حصول

التصديق والتصورات غير كسبية فهي مستلزمة التصديقات فاذن متى حصلت التصورات البديهية كان التصديق بها بديهيا وليس كسبيا ثم ان التصديقات البديهية ان كانت مستلزمة التصديقات النظرية لم يكن التصديقات النظرية كسبية لان لازم الضروري ضروري وان لم تكن مستلزمة لها لم تكن تلك الاشيا التي فرضناها علوما نظريه لذلك بل هي اعتقادات تقليدية لانه لا معني لاعتقاد المقلد الا اعتقاد يحصل بمجرد الابتداء من غير ان يكون له موجب فثبت بهذا ان العلوم باسرها ضرورية وثبت ان مبادي الافعال هي العلوم وافعال العباد باسرها ضرورية فالانسان مضطر في صورة مختار فثبت ان الله تعالي هو الذي زين لكل عامل عمله والمراد من التزيين هو الذي يخلق في قلبه العلم بما فيه من المضار والافات فثبت بهذه الدلايل العقلية القاطعة وجوب اجرا الاية علي ظاهرها واما المعتزلة فتاولوها بوجوه احدها ان المراد بتنا لهم امر الدين وما يلزمهم ان يتمسكوا به وزيناه بان بينا حسنه وما لهم فيه من الثواب لان التزيين من الله تعالي للعمل ليس الا وصفه بانه حسن واجب وحميد العاقبة وهو المراد من قوله وحبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وقوله فهم يعمهون يدل علي ذلك اذ المراد فهم يعدلون ويتحيرون عما زينا من اعمالهم وثانيها انه تعالي لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق جعلوا انعام الله عليهم بذلك ذريعة الي اتباع شهواتهم وعدم الانقياد لما يلزمهم من التكاليف فكانه تعالي زين بذلك اعمالهم ولذلك اشارت الملايكة عليهم السلام بقولهم بل متعت هولاء واباءهم حتي نسوا الذكر وثالثها ان امهاله الشيطان وتخليته حتي يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه والجواب عن الاول ان قوله تعالي زينا لهم اعمالهم صيغة عموم فوجب ان يكون الله تعالي قد زين لهم كل اعمالهم حسنا كان العمل او قبيحا وعن الثاني ان الله تعالي لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق فتلك الامور هل ترجح فاعلية المعصية علي تركها اثرا وليس لها اثر فيه فان كان الاول فقد دللنا علي ان الترجيح متي حصل فلا بد وان ينتهي الي حد الوجوب والاستلزام وحينئذ يحصل الغرض وان لم يكن له فيه اثر صارت هذه الاشيا بالنسبة الي اعمالهم كصرير الباب ونعيق الغراب بالنسبة الي اعمالهم وذلك يمنع من اسناد فعلهم اليها وهذا بعينه هو الجواب عن التاويل الثالث الذي ذكروه قوله اوليك الذين لهم سوء العذاب اي القتل والاسر يوم بدر وقيل المراد مطلق العذاب سوا كان في الدنيا او في الاخرة وسوء العذاب شدته قوله الاخسرون في افعل قولان اظهرهما انها علي بابها من التفضيل وذلك بالنسبة الي الكفار من حيث اختلاف الزمان والمكان يعني انهم اكثر خسرانا في الاخرة منهم في الدنيا اي ان خسرانهم في الاخرة اكثر من خسرانهم في الدنيا وقال جماعة منهم الكرماني هي هنا للمبالغة لا للشركة لان المومن لا خسران له في الاخرة البته وقد تقدم جواب ذلك وهو ان الخسران راجع الي شي واحد باعتبار اختلاف زمانه ومكانه وقال ابن عطية الاخسرون جمع اخسر لان افعل صفة لا تجمع الا ان تضاف فتقوي رتبته في الاسما وفي هذا نظر قال ابو حيان ولا نظر في انه يجمع جمع سلامة او جمع تكسير اذا كان بال بل لا يجوز فيه الا ذلك اذا كان قبله ما يطابقه في الجمعية فيقول الزيدون هم الافضلون والافاضل والهندات هن الفضليات والفضل واما قوله لا يجمع الا ان يضاف فلا يتعين اذ ذاك جمعه بل اذا اضيف الي نكرة لم يجوز جمعه وان اضيف الي معرفة جاز فيه الجمع والافراد قوله وانك لتلقي القران بالتشديد يتعدي لواحد وبالتضعيف يتعدي لاثنين فاقيم اولهما هنا مقام الفاعل والثاني القران وقول من قال ان اصله تلقي بالنون تفسير معنى فلا يتعلق به متعلق باب النون ابدلت حرف علة قوله من لدن اي حكيم واي عليم وهذا معنى

فصل

المعني لتوتاه وتلقنه من عند اي حكيم واي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الاية تمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من القصص كانه قال علي اثر ذلك خذ من اثار حكمته وعلمه قصة موسي فان قيل الحكمة اما ان يكون نفس العلم واما ان يكون العلم داخلا فيها فبعد ذكر الحكمة لم ذكر العلم فالجواب ان الحكمة هي العلم بالامور العملية فقط والعلم اعم منه لان العلم قد يكون عمليا وقد يكون نظريا والعلوم النظرية اشرف من العلوم العملية فذكر الحكمة المشتملة علي العلوم العملية ثم ذكر العليم وهو البالغ في

كمال

كمال العلم وكمال العلم من جهات ثلاثة وحدتها وعموم تعلقها بكل المعلومات وبقاوها مصونة عن كل التغيرات وما حصلت هذه الكمالات الثلاثة الا في علمه تعالي قوله تعالي اذ قال موسي لاهله الاية يجوز ان يكون اذ منصوبا باضمار اذكر او بعليم مقدرا او بالا عليه بعليم او بعليم وفيه ضعف لتقييد الصفة بهذا الظرف

فصل

او قال موسي لاهله في مسيره من مدين الي مصر قيل انه لم يكن مع موسي عليه السلام غير امراته ابنة شعيب عليه وقد كني الله عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب بلفظ الجمع وهو قوله امكثوا اني انست ابصرت نارا وذلك انهما كانا يسيران ليلا وقد اشتبه الطريق عليهما والوقت وقت برد وفي مثل هذا الحال تقوي النفس بمشاهدة نار من بعد لما يرجي فيها من زوال الحيرة في امر الطريق ومن الانتفاع بالنار للاصطلا فلذلك بشرها فقال انست نارا سآتيكم منها بخبر والخبر ما يخبر عن حال الطريق لانه كان قد ضله في الكلام حذف وهو انه لما ابصر النار توجه اليها وقال سآتيكم منها بخبر يعرف به الطريق قوله او اتيكم بشهاب قبس قرا الكوفيون بتنوين شهاب علي ان قبس بدل من شهاب او صفة له لانه بمعني مقبوس كالقبض والنقض والباقون بالاضافة علي البيان لان الشهاب يكون قبسا وغيره والشهاب الشعلة والقبس القطعة منها تكون في عود وغير عود وعلي بابها من التنويع والطاي يصطلون بدل من تا الافتعال لانه من صلي بالنار فان قيل قال هاهنا سآتيكم منها بخبر وفي موضع اخر لعلها كالمتدافعين لان احدهما ترجي والاخر تيقن والجواب قد يقول الراجي اذا قوي رجاوه سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة فان قيل كيف جاء بسين التسويف فالجواب عدة لاهله انهم ياتيهم به وان ابطا او كانت المسافة بعيدة وادخل او لان بين الامرين المقصودين بني الرجا علي انه ان لم يظفر بهذين المقصودين ظفر باحدهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة منه بعادة الله تعالي لانه لا يكاد يجمع بين حرمانين علي عبده لعلكم تصطلون تستدفئون من البرد قوله نودي في القايم مقام الفاعل ثلاثة اوجه احدها انه ضمير موسي وهو الظاهر وفي ان حينئذ ثلاثة اوجه احدها انها المفسرة لتقدم ما هو بمعني القول والثاني انها الناصبة للمضارع ولكن وصلت هنا بالماضي وتقدم تحقيق ذلك وذلك علي اسقاط الخافض اي نودي موسي بان بورك الثالث انها المخففة واسمها ضمير الشان وبورك خبرها ولم يحتج هنا الي فاصل لانه دعا وقد تقدم نحوه في النور في قوله ان غضب في قراته فعلا ماضيا قال الزمخشري فان قلت هل يجوز ان تكون المخففة من الثقيلة والتقدير بانه بورك والضمير ضمير الشان والقصة قلت لا لانه لا بد من قد فان قلت فعلي اضمارها قلت لا يصح لانها علامة ولا تحذف انتهي فمنع ان يكون مخففة لما ذكر وهذا بناه علي ان بورك خبر لا دعا اما اذا قلنا انه دعا كما تقدم في النور فلا حاجة الي الفاصل كما تقدم وقد تقدم فيه استشكال وهو ان الطلب لا يقع خبرا في هذا الباب فكيف وقع هنا خبرا لان المخففة وهو دعا الثاني من الاوجه الاول ان القايم مقام الفاعل نفس ان بورك علي حذف حرف الجر اي بان بورك وان حينئذ اما ناصبة في الاصل واما مخففة الثالث انه ضمير المصدر المفهوم من الفعل اي نودي النداء ثم فسرها بعده ومثله ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه قوله تعالي من في النار من قايم مقام الفاعل لبورك وبارك يتعدي بنفسه ولذلك بني للمفعول يقال باركك الله وبارك عليك وبارك فيك وبارك لك

وقال الشاعر • فبوركت مولودا وبوركت ناشيا • وبوركت عند الشيب اذ انت اشيب •

وقال عبد الله بن الزبير • فبورك في بنيك وفي بنيهم • اذا ذكروا ونحن لك الفداء •

وقال اخر • فبورك في الميت الغريب كما • بورك نبع الرمان والزيتون •

والمراد بمن اما الباري تعالي وهو حذف مضاف اي من قدرته وسلطانه في النار وقيل المراد به موسي والملايكة وكذلك بمن حولها وقيل المراد بمن غير العقلا وهو النور والامكنة التي حولها الاول مروي عن ابن عباس وروي مجاهد عنه انه قال معناه بوركت النار وروي سعيد بن جبير عن ابن عباس ايضا قال سمعت ابيا يقرا ان بوركت النار ومن حولها ومن قد تاتي بمعني ما كقوله ومنهم من يمشي علي بطنه وما قد تكون صلة في الكلام كقوله جند ما هنالك ومعناه بورك من في النار ومن حولها مكانها ومكانها هي البقعة

التي حصلت فيها وهي البقعة المذكورة في قوله من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة
ويدل عليه قراة ابي بتاركت الارض ومن حولها قوله وسبحان الله فيه اوجه احدها
انه من تتمة النداء اي نودي بالبركة وتنزيه رب العزة اي نودي بمجموع الامرين الثاني
انه من كلام الله تعالي مخاطبا لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام وهو على هذا اعتراض
بين اثنا القصة الثالث ان معناه وبورك من سبح الله يعني انه حذف من وصلتها وابقي
معمول الصلة اذ التقدير بورك من في النار ومن حولها ومن قال سبحان الله ومن قال
وسبحان في الحقيقة ليس معمولا لقال بل لفعل من لفظه وذلك الفعل هو المنصوب بالقول

فصل روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن في قوله بورك من في
النار قدس يعني من في النار وهو الله عني به نفسه على معنى انه نادي موسي منها
واسمعه كلامه من جهتها كما روي انه مكتوب في التوراة جا الله من سينا واشرق من
ساعير واستعلا من جبال فاران فمجيئه من سينا بعثة موسي منها ومن ساعير بعثته
للمسيح ومن جبال فاران بعثته للمصطفى منها وفاران مكة وهل كان ذلك نوره عز وجل
قال سعيد بن جبير كانت النار بعينها والنار احدي حجب الله تعالي كما جا في الحديث
حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهي اليه بصره من خلقه والسبب الذي
لاجله بوركت البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث هذا الامر العظيم فيها وهو
تكليم الله موسي وجعله رسولا واظهار المعجزات عليه ولهذا جعل الله ارض الشام موسومة
بالبركات في قوله ونجيناه ولوطا الي الارض التي باركنا فيها وحقت ان يكون كذلك
فهي مبعث الانبيا عليهم السلام ومهبط الوحي وكفا تهم احيا وامواتا ولما نزه نفسه وهو
المنزه من كل سوء وعيب تعرف الي موسي بصفاته قوله ياموسي انه انا الله العزيز
الحكيم في اسم ان وجهان اظهرهما انه ضمير الشان وانا الله مبتدا وخبره والعزيز الحكيم
صفتان لله والثاني انه ضمير راجع الي ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله
بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للبيان قاله الزمخشري قال ابو حيان واذا حذف
الفاعل وبني الفعل للمفعول فلا يجوز ان يعود الضمير على ذلك المحذوف اذ قد غير
الفعل عن بنايه وعزم على ان لا يكون محدثا عنه فعود الضمير اليه مما ينافي ذلك اذ يصير
معتنى به قال شهاب الدين وفيه نظر لانه قد يلتفت اليه وقد تقدم ذلك في البقرة
عند قوله فمن عفي له ثم قال واداء اليه قيل الي الذي عفي وهو ولي الدم على ما تقدم
تحريره وليس سلم ذلك فالزمخشري لم يقل انه عايد على ذلك الفاعل انما قال راجع الي ما
دل عليه ما قبله يعني من السياق وقال ابو البقا ويجوز ان يكون ضمير رب اي ان الرب
انا الله فيكون انا فصلا او توكيدا او خبران والله بدل منه وقيل الها في قوله انه عماد
وليست بكناية فان قيل هذا النداء قد يجوز ان يكون من عند غير الله فكيف علم موسي انه
من الله فالجواب لاهل السنة فيه طريقان الاول انه سمع الكلام المنزه عن مشابهة
كلام المخلوق فيعلم بالضرورة انه صفة الله الثاني قول ايمتنا ورا النهر وهو انه
عليه السلام سمع الصوت من الشجرة فيقول انما عرف ان ذلك من الله تعالي لامور
احدها ان النداء اذا حصل في النار والشجرة علم انه من قبل الله تعالي لان احدا منا
لا يقدر عليه وهذا ضعيف لاحتمال ان الشيطان دخل في النار والشجرة ثم نادي والثاني
يجوز في نفس النداء ان يكون قد بلغ في العظم مبلغا لا يكون الا معجزا وهو ايضا ضعيف
لانا لا نعرف مقادير قوي الملايكة والشياطين فلا قدر الا ويجوز صدوره منهم وثالثها
انه قد يقترن به معجز دل على ذلك وقيل ان النار كانت مشتعلة في شجرة خضرا لم تحترق
فصار ذلك كالمعجزة وهذا ايضا في غاية الضعف والبعد لانه كيف تنادي النار والشجرة
وتقول ياموسي اني انا ربك واني انا الله رب العالمين قوله والق عطف على ما قبله
من الجملة الاسمية الخبرية وقد تقدم ان سيبويه لا يشترط تناسب الجمل وانه يجيز جاء زيد
ومن ابوك وتقدمت ادلته اول البقرة وقال الزمخشري فان قلت علام عطف قوله
والق عصاك قلت على قوله بورك لان المعنى نودي ان بورك وقيل له الق عصاك والدليل

على

على ذلك قوله وان الق عصاك بعد قوله ان ياموسي اني انا الله على تكرير حرف
التفسير كما تقول كتبت اليه ان حج وان اعتمر وان شيت ان حج وان اعتمر قال ابو حيان وقوله
انه معطوف على بورك مناف لتقديره وقيل له الق عصاك لان هذه جملة معطوفة على بورك
وليس جزوها الذي هو معمول وقيل معطوفا على بورك وانما احتاج الي تقدير وقيل له
الق لتكون جملة خبرية مناسبة للجملة الخبرية التي عطفت عليها كانه يري في العطف تناسب
الجمل المتعاطفة والصحيح انه لا يشترط ذلك ثم ذكر مذهب سيبويه قوله فلما راها تهتز
كانها جان وهي الحية الصغيرة التي يكثر اضطرابها سميت جانا لانها تستتر عن الناس وقرا
الحسن والزهري وعمر بن عبيد جأن بهمزة مكان الالف وتقدم تقرير هذا عند ولا الضالين
على لغة من يهرب من التقا الساكنين فتقول شأبة ودأبة ولي مدبرا هرب من الخوف ولم يعقب
لم يرجع يقال عقب فلان اذا رجع وكل راجع معقب وقال قتادة ولم يلتفت فقال الله
ياموسي لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون يريد اذا امنتهم لا يخافون وقيل المراد اني اذا امرتهم
باظهار معجزات لا يخافوا فيما يتعلق باظهار ذلك والا فالمرسل قد يخاف لا محالة لان الخوف الذي
هو شرط الايمان لا يفارقهم قال النبي صلى الله عليه وسلم انا اخشاكم لله قوله تهتز جملة
حالية من ها راها لان الروية بصرية وقوله كانها جان يجوز ان يكون حالا ثانية وان يكون
حالا من ضمير تهتز فيكون حالا متداخلة وقوله ولم يعقب يجوز ان يكون عطفا على ولي وان
يكون حالا اخري والمعنى ولم يرجع على عقبه كقوله

فما عقبوا اذ قيل هل من معقب • ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا •

قوله الا من ظلم فيه وجهان احدهما انه استثنا منقطع لان المرسلين معصومون من المعاصي
وهذا هو الظاهر الصحيح والمعنى لكن من ظلم من ساير الناس فانه يخاف فان تاب وبدل
حسناته بعد سو فاني غفور رحيم والثاني انه متصل وللمفسرين فيه عبارات قال الحسن
ان موسي ظلم بقتل القبطي ثم تاب فقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وقال ابن جريج
قال الله لموسي اخفتك لقتلك النفس وقال معنى الاية لا يخيف الله الانبيا الا بذنب يصيبه
احدهم فان اصابه اخافه حتى تتوب وقيل محمول على ما يصدر من الانبيا من ترك الافضل وقال
بعض النحويين الا هنا بمعنى ولا ومعنى لا يخاف لدي المرسلون ولا المذنبون التايبون كقوله
تعالي ليلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا يعني ولا الذين ظلموا وعن الفرا انه متصل
لكن من جملة محذوفة تقديره وانما يخاف غيرهم الا من ظلم ورده النحاس بانه لو جاز هذا
لجاز لا اضرب القوم الا زيدا اي وانما اضرب غيرهم الا زيدا وهذا ضد البيان والمجي بما لا يعرف
معناه وقدره الزمخشري بلكن وهي علامة على انه منقطع وذكر كلاما طويلا فعلى الانقطاع
يكون منصوبا فقط على لغة الحجاز وعلى لغة تميم يجوز فيه النصب والرفع على البدل من
الفاعل قبله واما على الاتصال فيجوز فيه الوجهان على اللغتين ويكون الاختيار البدل
لان الكلام غير موجب وقرا ابو جعفر وزيد بن اسلم الا بفتح الهمزة وتخفيف اللام جعلها
حرف تنبيه ومن شرطية وجوابها فاني غفور والعامة على تنوين حسنا ومحمد بن عيسى
الاصبهاني غير منون جعله فعلى مصدرا كرجعي فمنعها الصرف لالف التانيث وابن مقسم بضم
الحا والسين منونا ومجاهد وابو حياة وروي عن ابي عمرو بفتحهما وتقدم تحقيق القراتين
في البقرة قوله تخرج الظاهر انه جواب لقوله ادخل اي ان ادخلها تخرج على هذه الصفة
وقيل في الكلام حذف تقديره وادخل يدك تدخل واخرجها تخرج فحذف من الثاني ما اثبته
في الاول ومن الاول ما اثبته في الثاني وهذا تقدير ما لا حاجة اليه قوله بيضا حال من
فاعل تخرج ومن غير سو يجوز ان يكون حالا اخري او من الضمير في بيضا او صفة لبيضا والمراد
بالجيب جيب القميص قال المفسرون كانت عليه مدرعة من صوف لا كم لها ولا ازرار فادخل
يده في جيبه واخرجها فاذا هي تبرق مثل البرق قوله في تسع فيه اوجه احدها انه حال
ثالثة قاله ابو البقا يعني من فاعل تخرج اي انه في تسع ايات كذا قدره الثاني انها متعلقة
بمحذوف اي اذهب في تسع وقد تقدم اختيار الزمخشري لذلك عند ذكره البسملة ونظره بقول
الاخر فقلت الي الطعام فقال منهم فريق يحسد الانس الطعاما وقولهم بالرفا والبنين وجعل هذا التقدير اعرب

واحسن الثالث ان يتعلق بقوله والق عصاك وادخل قال الزمخشري ويجوز ان يكون
المعنى والق عصاك وادخل يدك في تسع ايات في جملة تسع ايات ولقايل ان يقول كانت
الايات احدي عشرة منها اثنتان اليد والعصى والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم والطمسة والجدب في بوادبهم والنقصان من مزارعهم انتهي وعلي هذا
يكون في بمعني مع اي هذه اية مع تسع ايات انت مرسل بهن الي فرعون وقومه لان اليد
والعصا حينئذ خارجتان من التسع وكذا فعل ابن عطية اعني انه جعل في بمعنى متصلة
بالق وادخل الا انه جعل اليد والعصا من جملة التسع وقال تقديره تمهد لك ذلك
وتيسر في تسع وجعل الزجاج ان في بمعني من قال كما تقول خذلي من الابل عشرا فيها
فحلان اي منها فحلان قوله الي فرعون هذا متعلق بما تعلق به في تسع اذا لم تجعله
حالا فان جعلناه حالا علقناه بمحذوف فقدره ابو البقاء مرسلا الي فرعون وفيه نظر
لانه كون مقيد وسبقه الي هذا التقدير الزجاج وكانهما ارادا تفسير المعنى دون
الاعراب وجوز ابو البقاء ايضا ان يكون صفة لايات وقدره واصله الي فرعون وفيه
ما تقدم قوله مبصرة حال ونصب الابصار اليها مجازا لان بها يبصر وقيل بل هي من
ابصر المنقول بالهمزة من بصر اي انها تبصر غيرها لما فيها من الظهور ولكنه مجاز اخر
غير الاول وقيل بمعني مفعول نحو ماء دافق اي مدفوق وقرا علي بن الحسين وقتادة بفتح
الميم والصاد اي علي وزن ارض مسبعة ذات سباع ونصبها علي الحال ايضا وجعلها
ابو البقاء في هذه القراءة مفعولا من اجله وقد تقدم ذلك ومعني مبصرة بينة واضحة
قالوا هذا سحر مبين ظاهر قوله وجحدوا بها اي انكروا الايات ولم يقروا انها من عند
الله قوله واستيقنتها انفسهم يجوز ان تكون هذه الجملة معطوفة علي الجملة قبلها ويجوز
ان يكون حالا من فاعل جحدوا وهو ابلغ في الذم واستفعل هنا بمعنى تفعل نحو استعظم
واستكبر والمعني انهم علموا انها من عند الله وفائدة ذكر الانفس انهم جحدوا بانفسهم
واستيقنوها في قلوبهم وضمايرهم والاستيقان ابلغ من الايقان قوله ظلما وعلوا يجوز
ان يكونا في موضع الحال اي ظالمين عالين وان يكونا مفعولا من اجلهما اي الحامل علي ذلك
الظلم والعلو وقرا عبد الله وابن وثاب والاعمش وطلحة وعليا بكسر العين واللام وقلب
الواو ياء وتقدم تحقيقه في عتيا في مريم وروي الاعمش وابن وثاب ضم العين كما في عتيا
وقري وغلوا بالغين معجمة وهو قريب من هذا المعنى واي ظلم افحش من ظلم من استيقن انها
ايات بينة من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا والعلو الترفع علي الايمان والشرك وعدم
الايمان بما جاء به موسى كقوله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
قوله كيف كان عاقبة كيف خبر مقدم وعاقبة اسمها والجملة في محل نصب علي اسقاط
الخافض لانها معلقة لانظر بمعنى تفكر **قوله** تعالي ولقد اتينا داود وسليمان علما
الاية والمراد بالعلم اي علم القضاء ومنطق الطير والدواب وتسبيح الجبال والمعنى طايفة من
العلم او علما سنيا عزيزا قوله وقالا قال الزمخشري فان قلت اليس هذا موضع الفاء دون
الواو كقولك اعطيته فشكر ومنعته فصبر قلت بلي ولكن عطفه بالواو اشعار بان ما قالاه
بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم ومن مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قال ولقد
اتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفاه حق معرفته وقالا الحمد لله انتهي وانما نكر علما تعظيما
لداي علما سنيا اوَ ولانه علي التبعيض لانه قليل جدا بالنسبة الي علمه تعالي **فصل**
المعنى وقالا الحمد لله الذي فضلنا بالنبوة والكتاب وتسخير الشياطين والجن والانس علي
كثير من عباده المومنين ولم يفضلوا انفسهم على الكل وذلك يدل علي حسن التواضع قوله
وورث سليمان داود قال الحسن المال لان النبوة عطية مبتداة لا تورث وقال غيره بل
النبوة والعلم والملك دون ساير اولاده ولو تامل الحسن لعلم ان المال لا يورث من الانبيا
لقوله عليه السلام نحن معاشر الانبيا لا نورث ما تركنا صدقة وايضا فان المال اذا ورثه
الولد فهو ايضا عطية مبتداة من الله تعالي ولذلك يرثه الولد اذا كان مومنا ولا يرثه
اذا كان كافرا او قاتلا ولا كذلك النبوة لان النبوة لا تكون سبب النبوة الولد وكان لداود تسعة

عشر ابنا واعطي سليمان ما اعطي داود من الملك وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين
قال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا من داود واقضي منه وكان داود اشد تعبدا من سليمان
وكان سليمان شاكرا لنعم الله وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير يعني صوته سمي صوت
الطير منطقا لحصول الفهم منه كما يفهم من كلام الناس روي عن كعب قال صاح ورشان عند
سليمان عليه السلام فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب
وصاحت فاختة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا
وصاح طاوس فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول كما تدين تدان وصاح
هدهد فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاحت
طيطوي فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال فانه تقول كل حي ميت وكل جديد بالي وصاح
خطاف فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال فانه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة
فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول سبحان ربي الاعلي قال والغراب يدعوا
علي العشار والحداة تقول كل شي هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغا تقول
ويل لمن الدنيا همه والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والبازي يقول سبحان ربي وبحمده
وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول
الرحمن علي العرش استوي قوله واوتينا من كل شي يوتي الانبيا والملوك قال ابن عباس من
امر الدنيا والاخرة وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الجن والشياطين والريح ان هذا
لهو الفضل المبين والمراد بقوله اوتينا من كل شي كثرة ما اوتي لان كثرة المشاركة سبب لجواز
الاستعارة فلا جرم يطلق لفظ الكل علي الكثرة كقوله واوتيت من كل شي وقوله ان هذا لهو
الفضل المبين اي الزيادة الظاهرة علي ما اعطي غيرنا روي ان سليمان اعطي ملك مشارق
الارض ومغاربها فملك سبعمائة وستة اشهر ملك جميع الدنيا من الجن والانس والدواب والطير
والسباع واعطي علي ذلك منطق كل شي وفي زمانه صنعت الصنايع العجيبة فقوله ان هذا لهو
الفضل المبين تقرير لقوله الحمد لله الذي فضلنا والمقصود منه الشكر والمحمدة كما قال عليه
السلام انا سيد ولد ادم ولا فخر فان قيل كيف قال علمنا واوتينا وهو كلام المتكبر فالجواب من وجهين
الاول ان يريد نفسه واباه والثاني ان هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا
قوله وحشر لسليمان وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير في مسير له فقوله من الجن وما
بعده بيان لجنوده فيتعلق بمحذوف ويجوز ان يكون هذا الجار حالا فيتعلق بمحذوف ويجوز ان
يكون هذا الجار ايضا قوله فهم يوزعون اي يمنعون ويكفون والوزع الكف والحبس يقال
وزعه يزعه فهو وازع وقال عثمان رضي الله عنه ما يزع السلطان اكثر مما يزع القران وعن لابد
للقاضي من وزعة وقال الشاعر • ومن لم يزعه لبه وحياؤه • فليس له من شيب فوديه وازع •
وقوله اوزعني ان اشكر بمعنى الهمني من هذا لان تحقيقه اجعلني بحيث ازع نفسي عن الكفر فقوله
فهم يوزعون معناه يحبسون وهذا لا يكون الا اذا كان في كل قبيل منها وازع متسلط علي من يرده ويكفه
قال قتادة كان علي كل صنف من جنوده وزعة يردوا اولاها علي اخراها لئلا يتقدموا في المسير والوازع
الحابس والنقيب وقال مقاتل يوزعون يساقون وقال السدي يوقفون وقيل يجمعون قوله
حتى اذا في المعنى بحتى وجهان احدهما هو يوزعون لانه مضمن معني فهم يسيرون ممنوعا بعضهم من
مفارقة بعض حتى اذا والثاني انه محذوف اي فساروا حتى وتقدم الكلام في حتى الداخلة علي اذا هل
هي حرف ابتدا او حرف جر قوله علي واد متعلق باتوا وانما عدي بعلي لان الواقع كذا لانهم كانوا
محمولين علي الريح فهم مستعلون وقيل هو من قولهم اتيت عليه اي استنفدته الي اخره والمعنى
انهم قطعوا الوادي كله وبلغوا اخره ووقف القراء كلهم علي واد دون ياء اتباعا للرسم ولانها محذوفة
لفظا لالتقاء الساكنين في الوصل ولانها قد حذفت حيث لم تحذف لالتقاء الساكنين نحو جابوا
الصخر بالواد فحذفها وقفا وقد عهد حذفها دون التقاء الساكنين فحذفها عند التقاء الساكنين
اولي الا الكسائي فانه وقف بالياء قال لان الموجب للحذف انما هو التقاء الساكنين بالوصل وقد
زال فعادت اللام واعتذر عن مخالفة الرسم بقوة الاصل والنمل اسم جنس معروف واحده
نملة ويقال نملة بضم النون وسكون الميم ونملة ونمل بضمها ونمله بالفتح والضم بوزن

سمره ونمل بوزن رجل واشتقاقه من التنمل لكثرة حركته ومنه قيل للواشي المنمل
يقال انمل بين القوم ينمل اي وشي ونم لكثرة تردده وحركته في ذلك قال

• ولست بذي نيرب فيهم • ولا منمش فيهم منمل •

ويقال ايضا نمل ينمل فهو نمل ويقال وتنمل القوم تفرقوا للجمع تفرق النمل وفي المثل
اجمع من نملة والنملة ايضا قرحة تخرج في الجنب تشبيها بها في الهيئة والنملة ايضا شق في
الحافر ومنه فرس منمول القوايم والانملة طرف الاصبع من ذلك لدقتها وسرعة حركتها
والجمع انامل **فصل** قال كعب كان سليمان اذا اسا ربعسكره حملته الريح فهوي
بهم فسار من اصطخر الي اليمن فمر علي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان
هذه دار هجرة نبي الله في اخر الزمان طوبي لمن امن به وطوبي لمن اتبعه وراي حول
البيت اصناما تعبد من دون الله فلما جاوز سليمان البيت بكي البيت فاوحي الله الي
البيت ما يبكيك قال يارب ان هذا نبي من انبيايك وقوم من اوليايك مروا علي فلم يهبطوا
ولم يصلوا عندي والاصنام تعبد حولي من دونك فاوحي الله اليه لا تبك فاني سوف
املاك وجوها سجدا وانزل فيك قرانا جديدا وابعث منك في اخر الزمان احب انبيايي الي
واجعل فيك عمارا من خلقي يعبدونني وافرض علي عبادي فريضة يزفون اليك زفيف
النسور الي اوكارها ويحنون اليك حنين الناقة الي ولدها والحمامة الي بيضها واطهرك من
الاوثان وعبدة الاصنام الشياطين ثم مضي سليمان حتي مر بوادي السدير من الطايف فاتي
علي وادي النمل هكذا قال كعب انه واد بالطايف وقال مقاتل انه واد بالشام كثير النمل
وقيل واد كان يسكنه الجن واوليك النمل مراكبهم قوله قالت نملة هذه النملة هنا مونثة
حقيقة بدليل لحاق علامة التانيث فعلها لان نملة تطلق علي الذكر وعلي الانثي فاذا
اريد تمييز ذلك قيل نملة ذكر ونملة انثي نحو حمامة ويمامة وحكي الزمخشري عن ابي حنيفة
رحمه الله انه وقف علي قتادة وهو يقول سلوني فامر من ساله عن نملة سليمان هل كانت
ذكرا او انثي فلم يجب فقيل لابي حنيفة في ذلك فقال كانت انثي واستدل بلحاق العلامة
قال الزمخشري وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها علي الذكر والانثي فيميز
بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثي وهو وهي انتهي وقد رد هذا ابو حيان فقال
ولحاق التاء في قالت لا يدل علي ان النملة مونثة بل يصح ان يقال في المذكر قالت نملة لان
نملة وان كانت بالتاء هو مما لا يتميز فيه المذكر من المونث وما كان كذلك كاليمامة والقملة
مما بينه في الجمع وبين واحده تاء التانيث من الحيوان فانه يخبر عنه اخبار المونث ولا يدل
كونه يخبر عنه اخبار المونث علي انه ذكر او انثي لان التاء دخلت فيه للفرق لا للدلالة علي
التانيث الحقيقي بل دالة علي الواحد من هذا الجنس قال وكان قتادة بصيرا بالعربية
وكونه افحم يدل علي معرفته باللسان اذ علم ان النملة يخبر عنها اخبار المونث وان كانت
تنطلق علي الانثي والذكر اذ لا يتميز فيه احد هذين ولحاق العلامة لا يدل فلا يعلم التذكير
والتانيث الا بوحي من الله قال وانما استنباط تانيثه من كتاب الله بقالت ولو كانت ذكرا
لقيل قال فكلام النحاة علي خلافه وانه لا يخبر عنه الا اخبار المونث سواء كان ذكرا ام انثي
قال واما تشبيه الزمخشري النملة بالحمامة والشاة فبينهما قدر مشترك يتميز فيهما المذكر
من المونث فيمكن ان يقول حمامة ذكر وحمامة انثي فتميزه بالصفة واما تمييزه بهو وهي فانه
لا يجوز لا تقول الا اخبار الا التانيث وحكمه حكم المونث بالتاء من الحيوان نحو المراة او غير
العاقل كالدابة الا ان وقع فصل بين الفعل وبين ما اسند اليه من ذلك فيجوز ان يلحق
العلامة وان لا تلحقها علي ما تقرر في علم العربية انتهي قال شهاب الدين اما ما ذكره ففيه
نظر من حيث ان التانيث اما لفظي او معنوي واللفظي لا يعتبر في لحاق العلامة البتة بدليل
انه لا يجوز قامت ربعة وانت تعني رجلا وكذلك لا يجوز قامت طلحة ولا حمزة علمي مذكر فتعين
ان يكون اللحاق انما هو للتانيث المعنوي وانما يعتبر لفظ التانيث والتذكير في باب العدد
علي معني خاص ايضا وهو انا ننظر الي ما عاملت العرب ذلك اللفظ به من تذكير او تانيث
من غير نظر الي مدلوله فهناك له هذا الاعتبار وتحقيقه هنا يخرجنا عن المقصود وانما

بمتنك

بمتنك علي القدر المحتاج اليه واما قوله واما النملة والقملة فلا يتميز يعني لا يتوصل لمعرفة
الذكر منهما ولا الانثي بخلاف الحمامة والشاة فان الاطلاع علي ذلك ممكن فهو ايضا ممنوع قد
يمكن الاطلاع علي ذكورته النملة والقملة ومنعه ايضا ان يقال هو الشاة وهو الحمامة ممنوع
وقرا الحسن وطلحة ومعمر بن سليمان النمل وبحله بضم الميم وفتح النون بزنة رجل وسمره
وسليمان التيمي بضمتين فيهما وتقدم ان ذلك لغات في الواحد والجمع قوله لا يحطمنكم فيه
وجهان احدهما انه نهي مستانف لا تعلق له بما قبله من حيث الاعراب وانما هو للجنود في
اللفظ وفي المعني للنمل اي لا تكونوا بحيث يحطمونكم كقوله لا اريتك هنا والثاني انه بدل
من جملة الامر قبله وهي ادخلوا وقد تعرض الزمخشري لذلك فقال فان قلت لا يحطمنكم
ما هو قلت يحتمل ان يكون جوابا للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوز ان يكون نهيا
بدلا من الامر لانه في معني لا يكونوا حيث انتم يحطمنكم علي طريقة لا اريتك هنا اراد لا يحطمنكم
جنود سليمان فجاء بما هو ابلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن اشفاقها قال ابو حيان اما تخريجه
علي انه جواب الامر فلا يكون ذلك الا علي قراة الاعمش فانه مجزوم مع انه يحتمل ان يكون
استيناف نهي يعني ان الاعمش قرا لا يحطمكم بجزم الميم دون نون توكيد قال واما مع وجود نون
التوكيد فلا يجوز ذلك الا ان كان في شعر واذا لم يجز ذلك في جواب الشرط الا في الشعر فاحري
ان لا يجوز في جواب الامر الا في الشعر وكونه جواب الامر متنازع فيه علي ما قرر في علم النحو
مثال مجي النون في جواب الشرط قول الشاعر

• نبتم نبات الخيزرانة في الثري • حديثا متي ياتك الخير ينفعا •

وقول الاخر

• فمهما تشا منه فزارة يعطكم • ومهما تشا منه فزارة يمنعا •

قال سيبويه وهو قليل في الشعر شبهوه بالنهي حيث كان مجزوما غير واجب قال واما
تخريجه علي البدل فلا يجوز لان مدلول لا يحطمنكم مخالف لمدلول ادخلوا واما قوله لانه بمعني
لا تكونوا حيث انتم يحطمكم فتفسير معني لا اعراب والبدل من صفة الالفاظ نعم لو كان اللفظ
القراني لا تكونوا حيث لا يحطمنكم لتخيل فيه البدل لان الامر بدخول المساكن نهي عن كونهم
بظاهر الارض واما قوله انه اراد لا يحطمنكم جنود سليمان الي اخره فيسوغ زيادة الاسماء وهي
لا تجوز بل الظاهر اسناد الحكم الي جنوده وهو علي حذف مضاف اي خيل سليمان وجنوده
او نحو ذلك مما يصح تقديره انتهي اما منعه كونه جواب الامر من اجل النون فقد سبقه اليه ابو
البقا فقال وهو ضعيف لان جواب الشرط لا يوكد بالنون في الاختيار واما منعه البدل
بما ذكر فلا نسلم تغاير المدلول بالنسبة لما يول اليه المعني واما قوله فيسوغ زيادة الاسماء
لم يسوغ ذلك وانما فسر المعني وعلى تقدير ذلك فقد قيل به شا بيا وجا الخطاب في قولها
ادخلوا كخطاب العقلا لما عوملوا معاملتهم وقرا ابي ادخلن مساكنكم لا يحطمنكم بالنون
الخفيفة جا به علي الاصل وقرا شهر بن حوشب مسكنكم بالافراد وقرا الحسن وابو رجا وقتادة
وعيسي الهمداني بضم اليا وفتح الحا وتشديد الطا والنون مضارع حطمه بالتشديد
وقرا الحسن ايضا قراة بفتح اليا وتشديد الطا مع سكون الحا وكسرها والاصل لا يحتطمنكم
فادغم واسكان الحا مشكل تقدم نظيره في لا يهدي ونحوه وقرا ابن ابي اسحاق ويعقوب وابو
عمرو في رواية بسكون نون التوكيد والحطم الكسر يقال منه حطمته حطما ثم استعمل لكل
كسر متناه والحطام ما تكسر يبسا وغلب علي الاشيا التافهة والحطم السايق السريع كانه يحطم
الابل قال

• قد لفها الليل بسواق حطم • ليس براعي ابل ولا غنم • ولا بجزار علي ظهر وضم •

والحطمة من دركات النار ورجل حطمة للاكول تشبيها لبطنه بالنار لقوله كانما في جوفه تنور
وقوله وهم لا يشعرون جملة حالية **فصل** قال الشعبي كانت تلك النملة ذات
جناحين فنادت يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم ولم يقل ادخلن لانها لما جعل لهم قولا كالادميين
خوطبوا بخطاب الادميين لا يحطمنكم لا يكسرنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فسمع سليمان
قولها وكان لا يتكلم خلق الا حملت الريح ذلك فالقته في مسامع سليمان فان قيل كيف يتصور
الحطم من سليمان وجنوده وكانت الريح تحمل سليمان وجنوده علي بساط بين السماء والارض
قيل كانت جنوده ركبانا وفيهم مشاة علي الارض تطوي بهم وقيل يحتمل ان يكون هذا قبل

لتسخير الله الريح لسليمان قال المفسرون علم النمل ان سليمان نبي ليس فيه جبرية وظلم
ومعنى الاية انكم لو لم تدخلوا مساكنكم وطيوكم ولم يشعروا بكم وروي ان سليمان لما
بلغ وادي النمل حبس جنده حتى دخل النمل بيوتهم قال اهل المعاني في كلام هذه النملة
انواع من البلاغة • نادت • ونبهت • وسمت • وامرت • ونصت • وحذرت •
وخصت • وعمت • واشارت • واعتذرت • ووجهه نادت يا • نبهت ها • سمت النمل •
امرت ادخلوا • نصت مساكنكم • حذرت لا يحطمنكم • خصت سليمان • عمت وجنوده • •
اشارت وهم • اعتذرت لا يشعرون • قوله ضاحكا قيل هي حال موكدة لانها مفهومة
من تبسم وقيل بل هي حال مقدرة فان التبسم ابتداء الضحك وقيل لما كان التبسم قد يكون
للغضب ومنه تبسم تبسم الغضبان اي تضاحكا مبينا له قال عنترة •
• لما راني قد قصدت اريده • ابدى نواجذه لغير تبسم •
وتبسم تفعل بمعنى بسم المجرد قال •
• ويبسم عن المى كان منورا • تخلل حر الرمل دعص له ندي •
وقال بعض المولدين • كانما تبسم عن لولو • منضد او برد او اقاح •
وقرا ابن السميفع ضحكا مقصورا وفيه ثلثة اوجه احدها انه مصدر موكد لمعنى تبسم
لانه بمعناه والثاني انه في موضع الحال فهو في المعنى كالذي قبله الثالث انه اسم فاعل
كفرح وذلك لان فعله على فعل بكسر العين وهو لازم فهو كفرح وبطر قوله ان اشكر
مفعول ثان لاوزعني لان معناه الهمني وقيل معناه اجعلني ازع شكر نعمتك اي الفه
وامنعه حتى لا ينفلت مني فلا ازال شاكرا وتفسير الزجاج له بامنعني ان اكفر نعمتك من
باب تفسير المعنى باللازم فصل قال الزجاج اكثر ضحك الانبيا التبسم
وقوله ضاحكا اي متبسما قيل كان اوله التبسم واخره الضحك قال مقاتل كان ضحك
سليمان من قول النملة تعجبا لان الانسان اذا راي ما لا عهد له به تعجب وضحك وانما
ضحك لامرين احدهما اعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وعلى شهرة
حاله وحالهم في التقوي وهو قولها وهم لا يشعرون والثاني سروره بما اتاه الله مما لم
يوت احدا من سمع كلام النملة واحاطته بمعناه ثم حمد سليمان ربه بما انعم عليه فقال
رب اوزعني الهمني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وهذا يدل على ان دخول الجنة برحمته وفضله
لا باستحقاق العبد والمعنى ادخلني في جملتهم واثبت اسمي في اسمائهم واحشرني في زمرتهم
قال ابن عباس يريد مع ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين فان
قيل درجات الانبيا افضل من درجات الاوليا والصالحين فما السبب في ان الانبيا يطلبون
جعلهم من الصالحين وقال ابراهيم توفني مسلما والحقني بالصالحين وقال سليمان
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين فالجواب الصالح الكامل هو الذي لا يعصي
الله ولا يهم بمعصية وهذه درجة عالية قوله تعالى وتفقد الطير الاية تفقد الطير
طلبها وبحث عنها والتفقد طلب ما فقد والمعنى طلب ما فقد من الطير واختلفوا فيما
تفقده لاجله فقيل لانه اخل بالنوبة التي كان ينوبها وقيل لان هندسة الما كانت اليه
وكان يري الما تحت الارض كما يري في الزجاجة وكان يعرف قربه وبعده في عمق الارض
قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال له نافع الازرق يا وصاف انظر ما تقول
ان الصبي منا يضع الفخ ويحثوا عليه التراب فيجي الهدهد ولا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه
فقال له ابن عباس ويحك اذا نزل القضا والقدر ذهب اللب وعمي البصر وهذا الفوك
فيه نظر لان الجن اعرف بالارض من الهدهد فانهم سكانها وقيل لانه كان يظله من الشمس
قوله مالي لا اري الهدهد هذا استفهام توقيفي ولا حاجة الى ادعا القلب وان الاصل ما للهدهد
لا اراه لان المعنى قوي دونه والهدهد معروف وتصغيره على هديهد وهو القياس وزعم
بعض النحويين انه تقلب يا التصغير الفا فيقال هداهد وانشد •
• كهداهد كسر الرماة جناحه • يدعو بقارعة الطريق هديلا •

كما قالوا دوابه وشوابه في دويبه وشويبه ورده بعضهم بان الهداهد الحمام الكثير رجع
الصوت تزعم العرب ان جارحا في زمن الطوفان اختطف فرخ حمامة يسمى الهديل قالوا فكل
حمامة تبكي فانما تبكي على الهديل قوله ام كان هذه ام المنقطعة وتقدم الكلام فيها وقال
ابن عطية قوله مالي لا اري الهدهد مقصد الكلام الهدهد غاب ولكنه اخذ اللازم عن
مغيبه وهو ان لا يراه فاستفهم على جهة التوقف عن اللازم وهذا ضرب من الايجاز والاستفهام
الذي في قوله مالي ناب مناب الالف التي تحتاجها ام قال ابو حيان فظاهر كلامه ان ام متصلة
وان الاستفهام الذي في قوله مالي ناب مناب الالف الاستفهام فمعناه اغاب عني الان فلم
اره حال التفقد ام كان ممن غاب قبل ولم اشعر بغيبته قال شهاب الدين ولا يظن بابي
محمد ذلك فانه لا يجهل ان شرط المتصلة تقدم همزة الاستفهام او التسوية لا مطلق الاستفهام
قوله عذابا اي تعذيبا فهو اسم مصدر او مصدر على حذف الزوايد كانبتكم من الارض نباتا
وقد كتبوا اولا اذبحنه بزيادة الف بين لام الف والذال ولا يجوز ان يقرا بها وهذا كما تقدم انهم
كتبوا ولا اوضعوا خلالكم بزيادة الف بين لام الف والواو قوله اوليأتيني قرا ابن كثير
بنونا التوكيد المشددة بعدها نون الوقاية وهذا هو الاصل واتبع مع ذلك رسم مصحفه
والباقون بنون مشددة فقط والاظهر انها نون التوكيد الشديدة توصل بكسرها ليا المتكلم
وقيل بل هي نون التوكيد الخفيفة ادغمت في نون الوقاية وليس بشي لمخالفة الفعلين قبله
وعيسى بن عمر بنون مشددة مفتوحة لم يصلها باليا فصل قال المفسرون معنى
الاية ما للهدهد لا اراه تقول العرب مالي اراك كئيبا فقال مالي لا اري الهدهد على تقدير
انه مع جنوده وهو لا يراه ثم ادركه الشك في غيبته فقال ام كان من الغايبين يعني اكان من
الغايبين والميم صلة وقيل ام بمعنى بل ثم اوعد على غيبته فقال لاعذبنه عذابا شديدا
فقيل بنتف ريشه ووضعه لهوام الارض وقيل بحبسه في القفص وقيل بان يفرق بينه
وبين الفه وقيل بحبسه مع ضده اولاذبحنه اوليأتيني بسلطان مبين حجة ظاهرة قوله
فمكث قرا عاصم بفتح الكاف والباقون بضمها وهما لغتان الا ان الفتح اشهر ولذلك جات الصفة
على ماكث دون مكيث واعتذر عنه بان فاعلا قد جا لفعل بالضم نحو حمض فهو حامض وخثر
فهو خاثر وفره فهو فاره قوله غير بعيد يجوز ان يكون صفة للمصدر اي مكثا غير بعيد
وللزمان اي زمانا غير بعيد وللمكان اي مكانا غير بعيد والظاهر ان الضمير في مكث للهدهد
وقيل لسليمان عليه السلام فقال احطت بما لم تحط به والاحاطة العلم بالشي من جميع جهاته
يقول علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغه انت ولا جنودك قوله من سبا قرا البزي وابو عمرو بفتح
الهمزة جعلاه اسما للقبيلة او البقعة فمنعاه من الصرف للعلمية والتانيث وعليه قوله •
• من سبا الحاضرين مارب اذ • يبنون من دون سيله العرما •
وقرا قنبل بسكون الهمزة كانه نوي الوقف واجري الوصل مجراه والباقون بالجر والتنوين جعلوه
اسما للحي او المكان وعليه قوله •
• الواردون وتيم في ذرى سبا • قد عض اعناقهم جلد الجواميس •
وهذا الخلاف فجار بعينه في سورة سبا وقوله من سبا بنبا فيه من البديع التجانس وهو
تجنيس التصريف وهو عبارة عن انفراد كل كلمة من الكلمتين عن الاخرى بحرف كهذه الاية
ومثله تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون وفي الحديث الخيل معقود بنواصيها
الخير وقال اخر • لله ما صنعت بنا • تلك المعاجر والمحاجر •
وقال الزمخشري وقوله من سبا بنبا من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو
من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط ان يجي مطبوعا او بصيغة عالم بجوهر الكلام
يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جا هنا زايدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى
انه لو وضع مكان بنبا بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جا اصح لما في النبا من الزيادة التي يطابقها
وصف الحال يريد بالزيادة ان النبا احض من الخبر لانه لا يقال الا فيما له شان من الاخبار بخلاف
الخبر فانه يطلق على ما له شان وعلى ما لا شان له فكل نبا خبر من غير عكس وبعضهم يعبر عن نحو
من سبا بنبا في علم البديع بالترديد قاله صاحب التحرير وقال غيره ان الترديد عبارة عن

رد اعجاز البيوت علي صدورها اورد كلمة من النصف الاول الي النصف الثاني فمثال الاول قوله
• سريع الي ابن العم يلطم وجهه • وليس الي داعي الخنا بسريع •
ومثال الثاني قوله • والليالي اذا نايتم طوال • والليالي اذا دنوتم قصار •
وقرا ابن كثير في رواية من سبا مقصورا منونا وعنه ايضا من سبا بسكون البا وفتح الهمزة
جعله علي فعلى ومنعه من الصرف لما تقدم وعن الاعمش من سبا بهمزة مكسورة غير منونة
وفيها اشكال اذ لا وجه للبنا والذي يظهر ان تنوينها لا بد وان يقلب ميما وصلا صورة
ملا فانه للبا فسمعها الراوي فظن انه كسر من غير تنوين وروي عن ابي عمرو من سبا بالالف
صريحة لقولهم تفرقوا ايدي سبا وكذلك قري بنبا بالف خالصة وينبغي ان تكونا للقاري
واحد وسبا في الاصل اسم رجل من قحطان واسمه عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان
وسبا لقب له وانما لقب به لانه اول من سبا قوله اني وجدت امراة تملكهم لما قال الهدهد
وجئتك من سبا بنبا يقين قال سليمان وما ذاك فقال اني وجدت امراة تملكهم وكان
اسمها بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن من نسل يعرب بن قحطان وكان
ملكا عظيم الشان وكان يقول لملوك الاطراف ليس احد منكم كفوا لي وابي ان يتزوج منهم
فتزوج امراة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها
وفي الحديث ان احد ابوي بلقيس كان جنيا وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير
في تملكهم يرجع الي سبا فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان اريد به المدينة فمعناه ملكت
اهلها قوله واوتيت من كل شيء يجوز ان يكون معطوفا علي تملكهم وجاز عطف الماضي
علي المضارع بمعناه اي ملكتهم ويجوز ان يكون في موضع نصب علي الحال من مرفوع تملكهم
وقد معها مضمرة عند من يري ذلك وقوله من كل شيء عام مخصوص بالعقل لانها لم توت ما
اوتيه سليمان قوله ولها عرش يجوز ان تكون هذه جملة مستقلة بنفسها سيقت للاخبار
بها وان تكون معطوفة علي اوتيت وان يكون حالا من مرفوع اوتيت والاحسن ان يجعل
الحال الجار وعرش مرفوع به وبعضهم يقف علي عرش ويبتدي عن بعد قال الزمخشري
ومن نوكي القصاص من يقف علي قوله ولها عرش ثم يبتدي عظيم وجدتها يريد امر عظيم ان
وجدتها فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي نسخ كتاب الله قال شيخنا اثير الدين
النوكي الحمقي جمع انوك وهذا الذي ذكره من امر الوقف نقله الداني عن نافع وقدره وابو بكر
ابن الانباري ورفعه الي بعض اهل العلم فلا ينبغي ان يقال نوكي القصاص وخرجه الداني
علي ان يكون عظيم مبتدا ووجدتها الخبر وهذا خطا كيف يبتدا بنكرة من غير مسوغ ويخبر
عنها بجملة لا رابط بينها وبينه والاعراب ما قاله الزمخشري من ان عظيم صفته لمحذوف خبرا
مقدما ووجدتها مبتدا موخرا مقدرا معه حرف مصدري اي امر عظيم وجداني اياها وقومها
غير عباد الله قوله وجدتها هي التي بمعني لقيت واصبت فتتعدي لواحد فيكون يسجدون
حالا من مفعولها وما عطف عليه فان قيل كيف استعظم الهدهد عرشها مع ما كان يري من ملك
سليمان وايضا فكيف سوي بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظم فالجواب عن الاول
يجوز ان يستصغر حالها الي حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز ان يكون لسليمان
مع جلالته مثله كما قد تكون لبعض الامرا شي لا يكون مثله للسلطان وعن الثاني انه وصف
عرشها بالعظم بالنسبة الي ساير ما خلق الله من السموات والارض عرش ابنا جنسها من الملوك
ووصف عرش الله بالعظم تعظيما له بالنسبة الي ساير ما خلق الله من السموات والارض قال
المفسرون العرش السرير الضخم كان مضروبا من الذهب مكللا بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد
الاخضر وقوايمه من الياقوت والزمرد وعليه سبعة ابواب علي كل بيت باب مغلق قال ابن
عباس كان عرشها ثلاثين ذراعا في ثلاثين ذراعا وطوله في السما ثلاثون ذراعا واعلم
ان قوله الله لا اله الا هو رب العرش العظيم ان قلنا انه من كلام الهدهد فالهدهد قد استدرك
علي نفسه واستقل عرشها بالنسبة الي عظمة عرش الله وان قلنا انه من كلام الله تعالي فهو
رد عليها استعظامه لعرشها

فصل طعنت الملحدة في هذه القصة من وجوه احدها
ان هذه الايات اشتملت علي ان النملة والهدهد تكلما بكلام لا يصدر ذلك الا من العقلا وذلك

يجري

يجري السفسطة فانا لو جوزنا ذلك لما امنا من النملة التي نشاهدها في زماننا هذا ان يكون
اعلم بالهندسة من اقليدس وبالنحو من سيبويه وكذا القول في القملة والصبيان ولجوزنا ان يكون
فيهم الانبيا والمعجزات والتكاليف ومعلوم ان من جوزه كان الي الجنون اقرب وثانيها ان سليمان
عليه السلام كان بالشام فكيف طار الهدهد في تلك اللحظة اللطيفة من الشام الي اليمن ثم رجع
اليه وثالثها كيف خفي علي سليمان عليه السلام تلك المملكة العظيمة مع ان الجن والانس كانوا
في طاعته وانه عليه السلام كان ملك الدنيا كلها وكان تحت طاعة بلقيس علي ما يقال اثني عشر
الف تحت يد كل واحد منهم ماية الف مع ما يقال انه لم يكن بين سليمان وبين بلدة بلقيس حال
طيران الهدهد الا مسيرة ثلاثة ايام ورابعها من اين حصل للهدهد انكار سجودهم للشمس
واضافته للشيطان وتزيينه والجواب عن الاول ان ذلك الاحتمال قايم في اول العقل وانما
يدفع ذلك بالاجماع وعن البواقي ان الايمان بافتقار العالم الي القادر المختار يزيل هذه الشكوك

فصل قالت المعتزلة قوله يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان
اعمالهم يدل علي ان فعل العبد من جهته لان الله تعالي اضاف ذلك الي الشيطان بعد اضافته
اليهم واورده مورد الذم وبين انهم لا يهتدون والجواب من وجوه احدها ان هذا قول الهدهد
فلا يكون حجة وثانيها انه متروك الظاهر فانه قال فصدهم عن السبيل وعندكم الشيطان
ما صد الكافر عن السبيل اذ لو صده الشيطان عن السبيل لكان معذورا ممنوعا فيسقط عنه
التكليف فلم يبق الا التمسك بالمدح والذم وجوابه قد تقدم قوله الا يسجدوا قرا
الكسائي بتخفيف الا والباقون بتشديدها فاما قراة الكسائي فالا فيها تنبيه واستفتاح
ويا بعدها حرف ندا او تنبيه ايضا علي ما سياتي واسجدوا فعل امر وكان حق الخط علي هذه
القراة ان تكون يا اسجدوا ولكن الصحابة اسقطوا الالف يا وهمزة الوصل من اسجدوا واخطا
لما سقطا لفظا ووصلوا اليا بسين اسجدوا فصارت صورته يسجدوا كما تري فاتحدت القراتان
لفظا وخطا واختلفا تقديرا واختلف النحويون في يا هذه هل هي حرف تنبيه او للندا
والمنادي محذوف تقديره يا هولا اسجدوا وقد تقدم ذلك عند قوله في سورة النسا يا ليتني
والمرجح ان يكون للتنبيه لئلا يودي الي حذف كثير من غير بقا ما يدل علي المحذوف الا تري ان
جملة الندا حذفت فلو ادعيت حذف المنادي كثر الحذف ولم يبق معمول يدل علي عامله
بخلاف ما اذا جعلتها للتنبيه ولكن عارضنا هنا ان قبلها حرف تنبيه اخر وهو الا وقد اعتذر
عن ذلك بانه جمع بينهما تاكيدا واذا كانوا قد جمعوا بين حرفين عاملين للتاكيد كقوله •
فاصبحن لا يسالنني عن بما به • فغير العاملين اولي وايضا فقد جمعوا بين حرفين عاملين متحدي اللفظ
والمعني كقوله • فلا والله لا يلفي لما بي • ولا للما بهم ابدا دواء •
فهذا اولي وقد كثر مباشرة يا الفعل الامر وقبلها الا التي للاستفتاح كقوله •
• الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي • ثلاث تحيات وان لم تكلم •
وقوله • الا يا اسلمي يا دارمي علي البلا • ولا زال منهلا بجرعايك القطر •
وقوله • الا يا اسلمي ذات الدماليج والعقد • وذات الثنايا الغر والفاحم الجعد •
وقوله • الا يا اسلمي يا هند هند بني بكر • وان كان حيانا عدا اخر الدهر •
وقوله • الا يا اسقياني قبل خيل ابي بكر • لعل منايانا قربن ولا ندري •
وقوله • الا يا اسقياني قبل غارة سنجال •
وقوله • فقالت الا يا اسمع اعظك بخطبة • فقلت سمعنا فانطقي واصيبي •
وقد جا ذلك وان لم يكن قبلها الا كقوله •
• يا دار هند يا اسلمي ثم اسلمي • بسمسم او عن يمين سمسم •
فعلم ان قراة الكسائي قوية لكثرة دورها في لغتهم وقد سمع ذلك في النثر سمع بعضهم يقول
الا يا ارحموني الا يا تصدقوا علينا واما قوله •
• يا لعنة الله والاقوام كلهم • والصالحين علي سمعان من جار •
فيحتمل ان تكون يا للندا والمنادي محذوف وان تكون للتنبيه وهو الارجح لما مر واعلم ان الوقف
عند الكسائي علي يهتدون تام وله ان يقف علي الا يا معا ويبتدي اسجدوا بهمزة مضمومة وله ان

يقف علي الا وحدها وعلي يا وحدها لانهما حرفان منفصلان وهذان الوقفان وقفا الاختبار
لانهما حرفان لا يتم معناهما الا بما يتصلان به وانما فعله القرا امتحانا وبيانا فهذا توجيه قراة
الكساي والخطب فيها سهل واما قراة الباقين فتحتاج الي امعان نظر وفيها اوجه كثيرة احدها
ان الا اصلها ان لا فان ناصبة للفعل بعدها ولذلك سقطت نون الرفع ولا بعدها حرف نفي وان
وما بعدها في موضع مفعول يهتدون علي اسقاط الخافض اي الي ان لا يسجدوا ولا مزيدة كزيادتها
في ليلا يعلم اهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون الي ان يسجدوا والثاني انه بدل من اعمالهم وما
بينهما اعتراض تقديره وزين لهم الشيطان عدم السجود لله الثالث انه بدل من السبيل علي زيادة
لا ايضا والتقدير فصدهم عن السجود لله الرابع ان لا يسجدوا مفعول له وفي متعلقه وجهان
احدهما انه زين اي زين لهم لاجل ان لا يسجدوا وفي لا حينيذ وجهان احدهما انها ليست مزيدة بل
باقية علي معناها من النفي والثاني انها مزيدة والمعنى وزين لهم لاجل توقعه سجودهم اولاجل
خوفه من سجودهم وعدم الزيادة اظهر الخامس انه خبر مبتدا مضمر وهذا المبتدا اما ان يقدر
ضميرا عايدا علي اعمالهم التقدير هي ان لا يسجدوا فكيف تكون لا علي بابها من النفي واما ان يقدر
ضميرا عايدا علي السبيل التقدير هو ان لا يسجدوا فتكون لا مزيدة علي ما تقدم ليصح المعنى وعلى
الاوجه الاربعة المتقدمة لا يجوز الوقف علي يهتدون لان ما بعده اما معمول له او لما قبله من زين
وصد او بدل مما قبله ايضا من اعمالهم او من السبيل علي ما قرر بخلاف الوجه الخامس انه مبني
علي مبتدا مضمر وان كان ذلك الضمير مفسرا بما سبق قبله وقد كتبت الا موصولة غير مفصولة فلم
تكتب ان منفصلة من لا فمن ثم امتنع ان يوقف لهولا في الابتلا والامتحان علي ان وحدها
لاتصالها بلا في الكتابة بل يوقف لهم علي الا بجملتها كذا قال القراوا لنحويون متي سيلوا عن
مثل ذلك وقفوا لاجل البيان علي كل كلمة علي احد بها لضرورة البيان وكونها كتبت متصلة بلا
عيرما نع من ذلك ثم قول القرا متصلة فيه تجوز وتسامح لان حقيقة هذا ان يبينوا صورة نون
ويصلوها بلا فيكتبوها الا ولكن لما ادغمت فيما بعدها لفظا وذهب لفظها الي لفظ ما بعدها
قالوا ذلك تسامحا وقد رتب ابواسحاق علي القراتين حكما وهو وجوب سجود التلاوة وعدمه
فاوجبه مع قراة الكساي كانه لاجل الامر به ولم يوجبه في قراة الباقين لعدم وجود الامر فيها
الا ان الزمخشري لم يرتضه فانه قال فان قلت اسجدة التلاوة واجبة في القراتين جميعا
او في واحدة منهما قلت هي واجبة فيهما واحدي القراتين امر بالسجود والاخري ذم للتارك
وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه قال
شهاب الدين وكان الزجاج اخذ بظاهر الامر وظاهره الوجوب وهذا لو خلينا والاية لكان السجود
واجبا ولكن دلت السنة علي استحبابه دون وجوبه علي انا نقول هذا مبني علي نظر اخر وهو ان
هذا الامر من كلام الله تعالي او من كلام الهدهد محكيا عنه فان كان من كلام الله تعالي فيقال
يقتضي الوجوب الا ان يجي دليل يصرفه علي ظاهره وان كان من كلام الهدهد وهو الظاهر ففي
انتهاضه دليلا نظر وهذا الذي ذكروه ليس بشي لان المراد بالسجود ههنا عبادة الله لا عبادة
الشمس وعبادة الله واجبة وليس المراد من الاية سجود التلاوة وان كانت التلاوة في زمن
سليمان عليه السلام ولم يكن ثم قران وقرا الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزة هاء مع تشديد لا وتخفيفها
وكذا هي في مصحف عبد الله وقرا عبد الله تسجدون بتا الخطاب ونون الرفع وقري كذلك بالتا
من تحت فمن اثبت نون الرفع فالا بالتشديد او التخفيف للتحضيض وقد تكون المخففة للعرض ايضا
كقوله الا تنزل عندنا فتحدث وفي حرف عبد الله ايضا الا هل يسجدون بالخطاب قوله الذي يخرج
الخبا يجوز ان يكون مجرور المحل نعتا لله او بدلا منه او بيانا او منصوبا على المدح ومرفوعه على
خبر ابتدا مضمر والخبء مصدر خبات الشي اخبوه خبا اي سترته ثم اطلق علي الشي المخبو ونحوه
هذا خلق الله قال المفسرون الخبا في السموات المطر وفي الارض النبات والخابية من هذا الا انهم
التزموا فيها ترك الهمزة كالبرية والذرية عند بعضهم وقيل الخب الغيب اي يعلم غيب السموات
والارض وقرا ابي وعيسى الخب بنقل حركة الهمزة الي البا وحذف الهمزة فتصير نحو رايت الاب
وقرا عبد الله وعكرمة ومالك بن دينار الخبا بالف صريحة ووجهها انه ابدل الهمزة الفا فلزم
تحريك البا وذلك علي لغة من يقف من العرب بابدال الهمزة حرفا يجانس حركتها فيقول هذا الخبو

ورايت الخبا ومررت بالخبي ثم اجري الوصل مجري الوقف وقيل انه لما اجري نقل حركة الهمزة
الي الساكن قبلها لم يحذ فها بل تركها فسكنت بعد فتحة فدبرت بحركة ما قبلها وهي لغة ثابتة
يقولون المراة والكماة بالالف مكان الهمزة بهذه الطريقة وقد طعن ابو حاتم علي هذه
القراة فقال لا يجوز في العربية لانه ان حذفت الهمزة بهذه الطريقة التي حركتها علي البا فقال
الخبا وان حولها قال الخبا بسكون البا وبا بعدها قال المبرد كان ابو حاتم دون اصحابه في النحو
لم يلحق بهم الا انه اذا خرج من بلدهم لم يلق اعلم منه قوله في السموات فيه وجهان احدهما
انه متعلق بالخبا اي المخبو في السموات والثاني انه متعلق بيخرج علي ان معني في بمعنى من اي
يخرجه من السموات ومن وفي يتعاقبان تقول العرب لاستخرجن العلم فيكم اي منكم قاله الفرا
وقرا عبد الله يخرج الخب من السموات قوله ما يخفون قرا الكساي وحفص بالتا من فوق فيهما
والباقون باليا من تحت فالخطاب ظاهر علي قراة الكساي لان ما قبله امرهم بالسجود وخاطبهم
به والغيبة علي قراة الباقين غير حفص ظاهرة ايضا لتقدم الضماير الغايبة في قوله لهم واعمالهم
وصدهم وفهم واما قراة حفص فتاويلها انه خرج الي خطاب الحاضرين بعد ان اتم قصة اهل سبا
ويجوز ان يكون التفاتا علي انه نزل الغايب منزلة الحاضر فخاطبه ملتفتا اليه وقال ابن عطية
القراة بيا الغيبة تعطي ان الاية من كلام الهدهد وتا الخطاب تعطي انها من خطاب الله لامة محمد
صلى الله عليه وسلم وقد تقدم ان الظاهر من كلام الهدهد مطلقا ولذلك الخلاف في قوله الله
لا اله الا هو هل هو من كلام الهدهد استدراكا منه لما وصف عرش بلقيس بالعظم او من كلام الله
تعالي ردا عليه في وصفه عرشها بالعظم والعامة علي جر العظيم تابعا للجلالة وابن محيصن
بالرفع وهو يحتمل وجهين ان يكون نعتا للرب وان يكون مقطوعا عن تبعية العرش الي الرفع
باضمار مبتدا **فصل** دل قوله يخرج الخبا في السموات والارض علي كمال القدرة وسمي
المخبو بالمصدر ليتناول جميع الارزاق والاموال فدل قوله ويعلم ما يخفون وما يعلنون علي
كمال العلم واذا كان قادرا علي كل المقدورات عالما بكل المعلومات وجب ان يكون الها والشمس
ليست كذلك فلا يكون الها واذا لم تكن الها لم تستحق العبادة فان قيل ان ابراهيم وموسي
عليهما السلام قدما دلالة الانفس علي دلالة الافاق قال ابراهيم قال ربي الذي يحيي
ويميت ثم قال ان الله ياتي بالشمس من المشرق وموسي عليه السلام قال ربكم ورب ابايكم
الاولين ثم قال رب المشرق والمغرب وهاهنا قدم خبا السموات علي خبا الارض فجوابه ان
ابراهيم وموسي ناظرا من ادعي الالهية البشر فابتدا بابطال الالهية البشر ثم انتقل الي الالهية
السماء وهاهنا الكلام مع من ادعي الالهية الشمس لقوله رايتها وقومها يسجدون للشمس من دون
الله فلا جرم ابتدا بذكر السماويات ثم بالارضيات قوله اصدقت ام كنت الجملة الاستفهامية
في محل نصب بننظر لانها معلقة لها وام هنا متصلة وقوله ام كنت من الكاذبين ابلغ من قوله
ام كذبت وان كان هو الاصل لان المعنى من الذين اتصفوا وانخرطوا في سلك الكاذبين وقوله
سننظر من النظر الذي هو التامل قوله هذا يجوز ان يكون صفة لكتابي او بدلا منه او بيانا له
قال المفسرون ان سليمان عليه السلام كتب كتابا فيه من عبد سليمان بن داود الي بلقيس ملكة
سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام علي من اتبع الهدي اما بعد ان لا تعلوا علي واتوني مسلمين
قال ابن جريج لم يزد سليمان علي ما قصه الله في كتابه ثم ختمه بخاتمه ثم قال للهدهد اذهب
بكتابي هذا فالقه اليهم قوله فالقه قرا ابو عمرو وحمزة وابو بكر باسكان الها وقالون بكسرها
فقط من غير صلة بلا خلاف عنه وهشام عنه وجهان القصر والصلة والباقون بالصلة بلا
خلاف وتقدم توجيه ذلك في ال عمران والنسا وغيرهما عند يوده اليك ونوله ما تولي وقرا مسلم
ابن جندب بضم الها موصولة بواو فالقهو اليهم وقد تقدم ان الضم الاصل وقال اليهم علي لفظ
الجمع لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس والمعنى فالقه الي الذين هذا دينهم قوله ثم
تول عنهم زعم ابو علي وغيره ان في الكلام تقديما وان الاصل فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم
ولا حاجة الي هذا لان المعنى بدونه صحيح اي تنح قريبا منهم انتظر ماذا يكون قوله ماذا يرجعون
ان جعلنا انظر بمعنى تامل وتفكر كانت ما استفهامية وفيها حينيذ وجهان احدهما ان تجعل
مع ذا بمنزلة اسم واحد وتكون مفعولة بيرجعون تقديره اي شي يرجعون والثاني ان تجعل

ما مبتدا وذا بمعنى الذي وترجعون صلتها وعايدها محذوف تقديره اي بشي الذي ترجعونه
وهذا الموصول خبرما الاستفهامية وعلى التقديرين فالجملة الاستفهامية معلقة لانظر فمحلها
النصب على اسقاط الخافض اي انظر في كذا وفكر فيه وان جعلناه بمعنى انتظر من قوله انظرونا
نقتبس من نوركم كانت ماذا بمعنى الذي وترجعون صلته والعايد مقدر كما تقرر وهذا الموصول
مفعول به اي انتظر الذي ترجعون وقال ابو حيان وماذا ان كان بمعنى انظر معنى التامل
بالفكر كان انظر معلقا وماذا اما ان تكون كلمة استفهام في موضع نصب واما ان يكون ما استفهاما
وماذا موصولة بمعنى الذي فعلى الاول يكون يرجعون خبرا عن ماذا وعلى الثاني يكون ذا هو
الخبر ويرجعون صلة انتهى وهذا اغلاط امامي الكاتب وامامي غيره وذلك ان قوله فعلى
الاول يعنى به ان ماذا كلمة استفهام في موضع نصب يمنع قوله يرجعون خبرا عن ماذا كيف
يكون خبرا عنه وهو منصوب به كما تقرر وقد صرح هو بانه منصوب يعني بما بعده ولا يعمل فيه
ما قبله وهذا نظير ما تقدم في اخر السورة قبلها في قوله وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون
في كون اسم الاستفهام معمولا لما بعده وهو معلق لما قبله فلما حلت على الجملة من ينقلبون وما
اشتملت عليه من اسم الاستفهام المعمول لها بالنصب على سبيل التعليق كذلك تحكم على يرجعون
فكيف تقول انها خبر قوله انه من سليمان وانه العامة على كسر الهمزتين على الاستيناف
جوابا لسوال قومها كانهم قالوا ممن الكتاب وما فيه فاجابتهم بالجوابين وقرا عبد الله وانه
من سليمان بزيادة واو عاطفة انه من سليمان على قوله اني القي الي وقرا عكرمة وابن ابي
عبلة بفتح الهمزتين صرح بذلك الزمخشري وغيره ولم يذكر ابو البقا الا الكسر في انه من سليمان
وكانه سكت عن الثانية لانها معطوفة على الاولى وفي تخريج الفتح فيهما اوجه احدها انه
بدل من كتاب بدل اشتمال او بدل كل من كل كانه قيل القي الي انه من سليمان وانه كذا وكذا
وهذا هو الاصح والثاني انه مرفوع بكريم ذكره ابو البقا الثالث انه على اسقاط حرف العلة
قال الزمخشري ويجوز ان يريد لانه من سليمان ولانه كانها عللت كرمه بكونه من سليمان
وتصديره باسم الله وقال مكي واجاز الفرا الفتح فيهما في الكلام كانه لم يطلع على انها قراءة
وقرا ابي ان من سليمان وان بسم الله بسكون النون فيهما وفيها وجهان اظهرهما ان ان المفسرة
لتقدم ما هو بمعنى القول والثاني انها المخففة واسمها محذوف وهذا لا يتمشى على اصول
البصريين لان اسمها لا يكون الا ضمير شان وضمير الشان لا يفسر الا بجملة مصرح بجزئيها **فصل**
قال المفسرون اخذ الهدهد الكتاب واتى به الى بلقيس وكانت بارض يقال لها مارب
من صنعا فرمى الكتاب اليها فاخذته بلقيس وكانت قارية ومن ثم اخذ الناس البطايق فلما
رات الخاتم ارعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذي ارسل الكتاب
اعظم ملكا منها لطاعة الطير وهيبة الخاتم فقرات الكتاب وتاخر الهدهد غير بعيد فقعدت
على سرير ملكها وجمعت الملا من قومها وقالت لهم اني القي الي كتاب كريم قال عطا والضحاك
سمته كريما لانه كان مختوما وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرمه ختمه
وقال مقاتل والزجاج كريم اي حسن ما فيه وروي عن ابن عباس اي شريف لشرف
صاحبه وقيل سمته كريما لانه مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم ثم بينت ممن الكتاب فقالت انه
من سليمان وبينت المكتوب فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم فان قيل لم قدم سليمان اسمه
على قوله بسم الله الرحمن الرحيم فالجواب حاشاه من ذلك بل ابتداء الكتاب ببسم الله الرحمن
الرحيم وانما كتب اسمه عنوانا بعد ختمه لان بلقيس انما عرفت كونه من سليمان بقراءة عنوانه
كما هو المعهود ولذلك قالت انه بسم الله الرحمن الرحيم اي ان الكتاب فالتقديم واقع في
حكاية الحال واعلم ان قوله بسم الله الرحمن الرحيم مشتمل على اثبات الصانع سبحانه واثبات
كونه عالما قادرا حيا مريدا حكيما رحيما **فصل** وقد استنبط الشيخ الامام العالم
شرف الدين محمد بن سعيد الشهير بالبوصيري من اسرار البسملة ما ابطل به مذهب النصارى
فقال بلغني ان بعض النصارى انتصر لدينه وانتزع من البسملة الشريفة دليلا على تقوية
اعتقاده وصحة يقينه • فقلب حروفها • ونكر معروفها • وفرق مالوفها • وقدم فيها واخر
وفكر وقدر • فقتل كيف قدر • ثم عبس وبسر • ثم ادبر واستكبر • فقال قد انتظم من البسملة

المسيح ابن الله المحرر • وظن ان ذلك سر في قلب البسملة مضمر • وعلى جبين الكتاب العزيز
مسطرا • فنظرت الى ما عزاه الى البسملة • واستخرجه من حروفها المعجمة والمهملة • فاذا هو
لا اما المسيح ابن الله محرر • فاسقط في يديه ونكص على عقبيه • وقامت حجته من لسانه عليه
ثم عاد الى رسوله بجبران الذي صح له نظمه • وثبت عنده منها حكمه • الم المسيح ابن الله محررا
فقلت ورسل الله كلهم الوا وانبياوه • فاي خصوصية لربك بالبنوة • واي رتبة زدت بها
على النبوة • فقال اردت بالالهية اثبات ما انكرته من الصلب • ونفيته عنه من الم الطعن
والضرب • وقد شهدت به كتب الله المنزلة • وشافهتك به حروف البسملة • فقلت وهل
شهدت لك الا بالنقيض • ورحت منها باخيب قداح المفيض • وحيث رضيت البسملة بيننا
وبينك حكما • وجوزت فيها احكاما عليك وحكما • فلتنصرن البسملة الاخيار رغما على الاشرار
ولتفضلن اصحاب الجنة على اصحاب النار • وحيث كان مقصودك من ذكر الالم الافصاح
عما اردته من الصلب • والطعن والضرب والثلب • وسقيه من الخل الممزوج بالمرار بئس
الشراب • فخذ الجواب عنه والله الموفق للصواب • اما دعواك البنوة فقد قالت لك
البسملة بلسان حالها • لا اما المسيح ابن الله محرر • ولحقته بقولها • للحلم ربح راس مال
لحمانة الايمان • الحلم ربح مراس ماله الايمان • ليس برا من احل ما حرم الله • المسلم لا يبيح حرم
الراح • المسلم حرم الراح لنبيه • سلم بالله من يحرم الراح • لا يبيح مسلم حرم الراح • المسلم
للرحمانية راجح • لا ارحمة للئام ابنا السحر • رحم حر مسلم اناب الى الله • انما الله رب للمسيح
مراح • ورحمت الله ربك فقالت • حرم من لا رب له الا المسيح • وقالت ايضا النحر لا مم
لها المسيح رب • وقلت انه حل الله فقالت • اسمي الله بن الحجر حملا • وقالت • ما اسلم
الرب حمله ليبحر وقالت • الا يحرس الرب حمله من الم • وقلت انه الم فقالت • المحير من
ربه حل الالم • وقالت • سل خمرنا اربهم يحل الالم وقالت حرم حمار ينسب لله الالم وقلت
انه طعن بالحربة مسمرا فقالت • من راى المسيح الم الحربة • وقالت ان ربا حال الجسم لحليم
وقالت احالك ربنا الحليم مسمر • وقالت احالك الرب الحي من سمر • وقلت انه اله يحلل ويحرم
فقالت ابن سبيل رحم لا الله محرم وقالت • سل ابن مريم احل له الحرام وقالت • المحلل لما
حرمه رب الناس وان قلت انه رسول صدقتك وقالت • ابل ارسل الرحمة من بلحم وترجمة ايل
اسم من اسما الله تعالى بلسان كتبهم وترجمة بلحم بيت لحم الذي ولد فيه المسيح وقلت انه ركب
الحمار فقالت سلم ان الرب لا يحمله حمار • وقالت للناس رب لم يحمله حمار • وباهتها ببسملتك
التي كفتتها الفلك سقفة للاساقفة فقالت لم نر احبار الملة المسيح • وقالت احبار الملة محل
مرسلين وقالت • ما حرم الابا للمسيح الامانة • وقلت ان النصارى لا تمسهم النار فقالت
حر لهب النار لام المسيح • وكرهت الاسلام فقالت • للاسلام محرما احل بميره الاسلام
بحرحنا لا منهم • حلا الاسلام لمحرره بايمان • وقالت من حرم الاسلام لا ربح له وقالت ان المسلم
لحري بالرحمة وقالت ما برح الله راحم المسلمين وقالت ان ملة الاسلام لحرم رحيب وقالت
لا راحة لمحارب المسلمين وقالت الاسلام حرم لا راي لمحاربه • وقالت المسلم حرب للنار
الحامية • وقالت حن المسلم الى رحمة الرب وقالت الاحبار رحمة للمسلمين • وقالت المحراب
راحة للمسلمين ونعمت قيام الدين بالسيف فقالت • ام الحسام للنبي الرحمة واثنت البسملة
على نفسها فقالت البسملة لا رحم الراحمين • وقالت الحربا الرحمة ما بسمل • فانظر الى البسملة
قد لاحت لك بارقة من انوارها وحلت لك عقدة من ازرار اسرارها تخبران من وراءها حلوة
ولونا • ومن دون طلبها سيولا وعيونا واما بسملتك فلو كانت على اصل ثابت او لم تغرس
من الكفر على اخبث المنابت لهززت اليك بجذعها واستدللت على طيب اصلها بخبر فرعها
لكني وجدتها شجرة خبيثة • وغرة لا تسوغها القديمة ولا الحديثة • الفاظها تصم الاسماع
ومعانيها تحل عقود الاجماع • والنظر فيها يصدي الاوهام والعقول • ويعلم كل غايب ما
يقول • ولذلك ضربت عن ذكرها صفحا • وعددت الاعراض عنها غنيمة وربحا • فكفرها قايم
وقاعد • والمعترف بها سواء والجاحد والتثليث الالهة فيها يوصفون بالواحد واما بسملة
المسلمين فان الله اودعها من العلوم والحكم ما فضلهم به على ساير الامم واعلم ان منها الفا

اختصرت وبين الهجا مواضعها نحا بت او حصرت وقد استعملت بعضها في بعض المواضع لا بين حكمها
واجي رسمها وصرفتها للمسا لتين وصارت كعبة فضلها للقبلتين وتارة توافق حروفها
في العدد المعادة وتارة تقضي على الفات الوصل بالزيادة وما اخطات بحمد الله واحدة منها
صوابا ولا عييت جوابا ولا اخرجت من عدها كتابة ولا احصاها ولا تحسبني استحسنت كلمتك البارح
فنسجت على منوالها وقابلت الواحدة منها بعشرة امثالها وما كان ذلك الهذيان مما يجاب لولا
ما بدا خلك من التيه والاعجاب فتظن انك جئت بشي عجاب او حكمة كلمك الله بها وحيا او من
وراء حجاب وتقول لاخوانك الذي يمدونك في الغي ويحسبون انك على شي قد افحمت بمسائلي
المسلمين واسكت بكلمتي فضلا المتكلمين فتذر قومك في طغيانهم وتغرهم على هنا دائما فهم
ولا انت ممن يجري بمحاكاة كفرك قلمي ولا احرك به لساني ولا افعرته فمي وقد اتيتك بما يغنيك
فيهتك ويسمعك ما يصمك عن الاجابة ويصمتك على اسلوب رايته في كتب انبيائك وتفاسير
علمائك تعلم به ان هذه البسملة مستقر لسائر العلوم والفنون ومستودع لجوهر سرها المكنون
الا ترى ان البسملة اذا حصلت جملتها كان عدده سبعماية وستة وثمانين

ب	س	م	ا	ل	ل	ه	ا	ل	ر	ح	م	ن	ا	ل	ر	ح	ي	م
٢	٦٠	٤٠	١	٣٠	٣٠	٥	١	٣٠	٢٠٠	٨	٤٠	٥٠	١	٣٠	٢٠٠	٨	١٠	٤٠

واذا قلت ان مثل عيسى لكادم وافق جملتها سبعماية وستة وثمانين وان باهيتها
ببسملتك التي تزعم من كفرها الفرائض ويجوز بالبهتان ما لا يجوز على احد من النقايص ردت
عليه وقالت ليس لله من شريك جملتها سبعماية وستة وثمانين بحساب الالف التي بعد
لامي الجلالة وقالت ولا اشرك بربي احدا سبعماية وستة وثمانين وقالت ما لهم من العلوم الفلسفة
انواهداية سبعماية وستة وثمانين وقالت يهدي الله لنوره من يشا سبعماية وستة
وثمانين باسقاط الف الجلالة ولو استشهدت ببسملتك لشهدت لي بالحق عليك وشكت
الي الله والي الناس ما نسبت من الافك والبهتان اليك اذ الفاظها وحاي الكفر لبسن
بكافرتنا في المعقول والمنقول وتنادي بسم الاب والابن وروح القدس اله واحد وباطنها
يقول ما سبح الابن والاله القدوس واحد وتقول ببهلوا بالقران ووحدوا الله بلا
حمد فهي كافرة الظاهر مومنة الباطن كسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله
العذاب ونظرت في محصلها من العدد فاذا جملته ستماية وتسعة وتسعون فاذا قلت
افلها بسملة ما نزل الله بها من سلطان وافقت المعنى وطابقت العدد وكانت ستماية
وتسعة وتسعون وكذلك ما عطفته عليها من الكلام وهو وبئس الاسم الفسوق بعد
الايمان موافق للمعنى مطابق للعدد ستماية وستة وتسعون وكذلك قولك لا بسملة
تحق كبسملة المسلمين ستماية وستة وتسعون وقد اجابتك البسملة بما لم تحط به خبرا وحاتك
بما لم تستطع عليه صبرا على الاسلوب الذي تضمنه كتب شريعتكم فاني رايت في انجيلك وقد
سالت بنو اسرايل المسيح ان يريهم اية ليومنوا به وهو في بيت المقدس فقال تهدمون
هذا الهيكل وانا اقيمه في ثلاثة ايام فقالوا بيت بني في خمسة واربعين سنة تقيمه في
ثلاثة ايام وعلله في الانجيل انه اشار الي هيكل نفسه الذي هو هيكل ادم وجمله خمسة
واربعون وفي هذا رد عليهم ليس هذا موضعه ورايت في التوراة في البشارة باسماعيل
بعد قوله واكثره وانميه بماد ماد ومعناه جدا جدا لسايل اشار بها الي اسم محمد صلى الله
عليه وسلم بطريق الجمل اذ هو اثنان وتسعون في الموضعين وفي قصة يعقوب اذ قال لبنيه
ما تعبدون من بعدي فقالوا له اعلم اسرايل الله احد فطابت نفسه وعلم ان بنيه الاثني
عشر سبطا يعبدون الله وحده لانهم عدلوا عن قولهم الله واحدا الي قولهم الله احد اذ جملتها
ثلاثة عشر وهي اشارة الي ان الاثني عشر سبطا يعبدون الله الواحد وفيه ان المصلي اذا دخل
في الصلاة يكون على راسه طيلسان تسمى صيصيت وفي طرفه خمس خيوط وثمان عقد ليجمع
له من جمل صيصيت وهو ستماية ومن خمس خيوط وثمان عقد ثلاثة عشر لتتمة ما عليهم
من الفرائض وهو ستماية وثلاثة عشر فريضة ليتذكروا بها ما كتب الله عليهم من الفرائض
والتزموا بها ولنرجع الي الاعراب والتفسير قوله ان لا تعلوا فيه اوجه احدها ان مفسرة

٨

كما تقدم في احد الاوجه في ان قبلها في قراة عكرمة ولم يذكر الزمخشري غيره وهو وجه حسن
لما في المشاكلة وهو عطف الامر عليه وهو قوله واتوني الثاني انها مصدرية في محل رفع بدلا من
كتاب كانه قيل القي الي ان لا تعلوا على الثالث انها في موضع رفع على خبر ابتدا مضمر اي هو ان لا
تعلوا الرابع انها على اسقاط الخافض اي بان لا تعلوا فيجي موضعها القولان المشهوران والظاهر
ان لا في هذه الاوجه الثلاثة للنهي وقد تقدم ان ان المصدرية توصل بالتصرف مطلقا وقال ابو
حيان وان في قوله وان لا تعلوا في موضع رفع على البدل من كتاب وقيل في موضع نصب على بان لا
تعلوا وعلى هذين التقديرين تكون ان ناصبة للفعل فظاهر هذا انها نافية اذ لا يتصور ان تكون
نافية بعد ان الناصبة للمضارع ويويد هذا ما حكاه عن الزمخشري فانه قال وقال الزمخشري
وان في ان لا تعلوا مفسرة قال فعلى هذا تكون لا في لا تعلوا للنهي وهو حسن لمشاكلة عطف الامر
عليه فنقول فعلى هذا الي اخره صريح بانها على غير هذا يعني الوجهين المتقدمين ليست للنهي فيهما
ثم القول بانها للنفي لا يظهر اذ يصير المعنى على الاخبار منه عليه السلام بانهم لا يعلون عليه وليس
هذا مقصودا وانما المقصود انه نهاهم عن ذلك وقرا ابن عباس والعقيلي تغلوا بالغين المعجمة
من الغلو وهو مجاوزة الحد **فصل** قال ابن عباس لا تتكبروا علي وقيل لا تتعظموا
ولا ترتفعوا علي اي لا تمتنعوا من الاجابة فان ترك الاجابة من الغلو والتكبر واتوني مسلمين
مومنين طايعين قيل هو من الاسلام وقيل من الاستسلام فان قيل النهي عن الاستعلا والامر
بالانقياد قبل اقامة الدلالة على كونه رسولا حقا يدل على الاكتفا بالتقليد فالجواب معاذ الله
ان يكون هناك تقليد وذلك لان رسول سليمان الي بلقيس الهدهد ورسالة الهدهد معجزة
والمعجز يدل على وجود الصانع وصفاته ويدل على صدق المدعي للرسالة فلما كانت تلك الرسالة
دلالة تامة على التوحيد والنبوة لاجرم لم يذكر في الكتاب دليل اخر قوله يا ايها الملا افتوني
في امري اشيروا علي فيما عرض لي واجيبوني فيما اشاوركم والفتوى هي الجواب في الحادثة استفتت
على طريق الاستعارة من الفتى في السن اي اجيبوني في الامر الفتي وقصدت بذلك استطلاع
رايهم وتطيب قلوبهم ما كنت قاطعة قاضية وفاصلة امرا حتى تشهدون تحضرون قالوا مجيبين
لها نحن اولوا قوة في القتال واولوا باس شديد في الحرب قال مقاتل ارادوا بالقوة كثرة العدد
وبالباس الشديد الشجاعة والباس النجدة والبلا في الحرب وهذا تعريض منهم بالقتال ان
امرتهم بذلك ثم قالوا والامر اليك ايتها الملكة في القتال وتركه قوله ماذا تامرين ماذا هو
المفعول الثاني لتامرين والاول محذوف تقديره تامريننا والاستفهام معلق للنظر ولا يخفى
حكمه مما تقدم قبله والمعنى فانظري من الراي ماذا تامرين نحن بنا لامرك لما يعين قالت مجيبة
لهم عن التعريض بالقتال ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها خربوها وجعلوا اعزة اهلها
اذلة تذكرت لهم عاقبة الحرب وحذرتهم سير سليمان اليهم ودخوله بلادهم قوله وكذلك
يفعلون اي مثل ذلك الفعل يفعلون وهل هذه الجملة من كلامها وهو الظاهر فتكون هي
منصوبة بالقول او من كلام الله تعالى فهي استينافية لا محل لها من الاعراب وهي معترضة بين
قولها قوله واني مرسلة اليهم بهدية الهدية ما تحف على وجه الاكرام وهي اسم المهدي فيحتمل
ان تكون اسما صريحا ويحتمل ان تكون في الاصل مصدرا اطلق على اسم المفعول وليست مصدرا
اطلق على اسم المفعول وليست مصدرا قياسيا لان الفعل منها اهدى رباعيا فقياس مصدره
اهدا **فصل** اعلم ان بلقيس كانت امراة لبيبة قد سيست وساست فقالت للملاء
من قومها اني مرسلة اليهم اي لسليمان وقومه بهدية اصانعه بها على ملكي واختبره بها املك
ام نبي فان يكن ملكا قبل الهدية وانصرف وان يكن نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا ان
نتبعه على دينه فذلك قولها فناظرة بم يرجع المرسلون قوله فناظرة عطف على مرسلة
وبم متعلق بيرجع وتوهم الحوفي فجعلها متعلقة بناظرة وهذا لا يستقيم لان اسم الاستفهام
له صدر الكلام وبم يرجع متعلق لناظرة قوله فلما جا سليمان اي فلما جا الرسول اضمره
لدلالة قولها مرسلة فانه يستلزم رسولا والمراد به الجنس لا حقيقة رسول واحد بدليل
خطابه لهم بالجمع في قوله اتمدونني الي اخره ولذلك قرا عبد الله فلما جاوا فقرا ارجعوا اليهم
اعتبارا بالاصل المشار اليه قوله اتمدونني استفهام انكار وقرا حمزة بادغام نون الرفع في

بالقرح

نون الوقاية واما اليا فانه يحذفها وقفا ويثبتها وصلا على قاعدته في الرواية والباقون بنونين
على الاصل واما اليا فان نافعا وابا عمرو وحمزة يثبتونها وصلا ويحذفونها وقفا وابن كثير يثبتها
في الحالين وروي عن نافع انه يقرا بنون واحدة فتكملت ثلاث قراات كما في تامروني اعبد قال
الزمخشري ما الفرق بين قولك اتمدونني بمال وانا اغنى منكم وبين ان تقوله بالفا قلت اذا قلته
بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنا وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا قلته
بالفا فقد جعلته ممن خفي عليه حالي وانا اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كاني
اقول انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد قوله فما اتاني الله انتهى وفي هذا الفرق
نظر اذ لا يفهم ذلك بمجرد الواو والفا ثم انه لم يجب عن السوال الاول وهو انه لم عدل عن قوله
وانا اغنى منكم الى قوله فما اتاني الله وجوابه انه اسند ايتا الغنا الى الله اظهارا للنعمة عليه
ولو قال وانا اغنى منكم كان فيه افتخار من غير ذكر نعمة الله عليه فاظهر بهذا الكلام قلة
الاكتراث بذلك المال قوله بل انتم اضراب انتقال قال الزمخشري فان قلت فما وجه
الاضراب قلت لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم
عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضى الا ما يهدي اليهم من حظوظ الدنيا التي لا يعرفون غيرها والهدية
يجوز اضافتها الى المهدي والى المهدى اليه وهي هنا محتملة للامرين قال ابو حيان وهي هنا
مضافة للمهدى اليه وهذا هو الظاهر ويجوز ان تكون مضافة الى المهدي اي بل انتم بهديتكم
هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار قال شهاب الدين كيف يجعل الاول هو الظاهر ولم
ينقل ان سليمان صلى الله عليه وسلم ارسل اليهم هدية في هذه الحالة حتى يضيفها اليهم بل الذي
يتعين اضافتها الى المهدي ومعنى الاية بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم اهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة
بها تفرحون باهدا بعضكم لبعض واما انا فلا افرح بها وليست الدنيا من حاجتي لان الله تعالى قد
مكنني فيها واعطاني منها ما لم يعط احدا ومع ذلك اكرمني بالدين والنبوة قوله ارجع الظاهر
ان الضمير يعود على الرسول وتقدمت قراة عبد الله ارجعوا وقيل يعود على الهدهد فلنأتينهم
بجنود وهذا جواب قسم مقدر وكذلك قوله ولنخرجنهم قوله لا قبل صفة لجنود اي لا طاقة وحقيقته
لا مقابلة والضمير في لهم عائد على جنود لانه جمع تكسير فيجري مجرى المونثة الواحدة كقولهم الرجال
واعضادها وقرا عبد الله بهم على الاصل ولنخرجنهم منها اي من بلادهم وارضهم سبا اذلة حال
والذل ان يذهب عنهم ما كان عندهم من العز والملك قوله وهم صاغرون حال ثانية والظاهر
انها موكدة لان اذلة تغني عنها فان قيل قوله فلنأتينهم ولنخرجنهم قسم فلا بد ان يقع فالجواب
انه معلق على شرط حذف لفهم المعنى اي ان لم ياتوني مسلمين والصغار ان يقعوا في اسر واستعباد

فصل قال ابن عباس لما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان قالت قد عرفت
والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى
انظر ما امرك وما تدعو اليه من دينك ثم اذنت بالرحيل الى سليمان فلما قربت منه على فرسخ فراى
سليمان رهجا قريبا فقال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت منا بهذا المكان قال ابن عباس وكان
بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فاقبل سليمان حينئذ على جنوده فقال يا ايها الملأ ايكم ياتيني
بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين قال ابن عباس طايعين واختلفوا في السبب الذي لاجله امر
سليمان باحضار عرشها فقال اكثرهم لان سليمان علم انها ان اسلمت يحرم عليه مالها فاراد ان
ياخذ سريرها قبل ان يحرم عليه اخذه باسلامها وقيل ليريها قدرة الله تعالى وعظم سلطانه
في معجزة ياتي بها في عرشها وقال قتادة لانه اعجبه صفته لما وصفه الهدهد فاحب ان يراه وقال
ابن زيد اراد ان يامر بتنكيرها وتغييرها فيختبر بذلك عقلها ويويد ذلك قوله تعالى نكروا
لها عرشها ننظر اتهتدي قوله قال عفريت من الجن العامة على كسر العين وسكون الفا
بعدها تا مجبورة وقرا ابو حيوة بفتح العين وابو رجا وابو السمال ورويت عن ابي بكر الصديق
عفرية بيا مفتوحة بعدها تا التانيث المنقلبة ها وقفا وانشدوا قول ذي الرمة

• كانه كوكب في اثر عفرية • مصوب في سواد الليل منقضب •

وقرات طايفة عف بحذف اليا والتا فهذه اربع قراات قد قرئ بهن وفيه لغتان اخريان وهما
عفارية وطي وتميم يقولون عفرى بالف التانيث كذكرى واشتقاقه من العفر وهو التراب يقال

عافر

عافر فعفره اي صارعه فصرعه والقاه في العفر وهو التراب وقيل من العفر وهو القوة والعفريت
من الجن المارد الخبيث ويقال عفريت نفريت وهو اتباع كشيطان ليطان وحسن بسن ويستعار للمارد
من الانس ولاشتهار هذه الاستعارة وصف في الاية بكونه من الجن تمييزا له وقال ابن قتيبة العفرية
الموثق الخلق وعفرية الديك والحباري للشعر الذي على راسهما وعفري للقوي ورجل عفر بتشديد الرا
للمبالغة مثل شمر قيل ان الشياطين اقوى من الجن وان المردة اقوى من الشياطين وان العفريت
اقوى منهما قال بعض المفسرين العفريت من الرجال الخبيث المنكر وقال ابن عباس العفريت الداهية
قال الربيع الغليظ وقال الفرا القوي الشديد قوله انا اتيك به يجوز ان يكون فعلا مضارعا
فوزنه افعل نحو اضرب والاصل ااتيك بهمزتين فابدلت الثانية الفا وان يكون اسم فاعل ووزنه
فاعل والالف زايدة والهمزة اصلية عكس الاول وامال حمزة اتيك في الموضعين من هذه السورة بخلاف
عن خلاد **فصل** قوله قبل ان تقوم من مقامك اي مجلسك الذي تقضي فيه قال ابن عباس
كان له كل غداة مجلس يقضي فيه الى انتصاف النهار واني عليه على حمله لقوي امين به على ما فيه من
الجواهر فقال سليمان اريد اسرع من هذا فقال الذي عنده علم من الكتاب فقيل هو جبريل عليه
السلام وقيل ملك من الملايكة ايد الله به نبيه سليمان عليه السلام وقال اكثر المفسرين هو اصف
ابن برخيا وكان وزير سليمان وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم اذا دعا به اجيب وقيل بل هو
سليمان نفسه والمخاطب هو العفريت الذي كلمه واراد سليمان عليه السلام اظهار معجزة فتحداهم
اولا ثم بين للعفريت انه يتاتى له من سرعة الاتيان بالعرش ما لا يتهيا للعفريت قال ابن الخطيب
وهذا القول اقرب لوجوه الاول ان لفظة الذي موضوعة في اللغة للاشارة الى شخص معين
عند محاولة تعريفه بقضية معلومة والشخص المعروف بان عنده علم من الكتاب هو عليه السلام
فوجب انصرافه اليه اقصى ما في الباب ان يقال كان اصف كذلك ايضا لكنا نقول ان سليمان كان
اعرف بالكتاب منه لانه هو النبي فصرف اللفظ الى سليمان اولى الثاني ان احضار العرش في
تلك الساعة اللطيفة درجة عالية فلو حصلت لاصف دون سليمان لاقتضى ذلك قصور حال
سليمان في اعين الخلق الثالث ان سليمان قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر
فظاهره يقتضي ان يكون ذلك المعجز قد اظهره الله بدعا سليمان **فصل** واختلفوا في
الكتاب فقيل هو اللوح المحفوظ والذي عنده علم الكتاب جبريل عليه السلام وقيل كتاب
سليمان او كتاب بعض الانبيا وفي الجملة ان ذلك مدح وان لهذا الوصف تاثيرا في نقل ذلك
العرش ولذلك قيل انه اسم الله الاعظم وان عنده وقعت الاجابة من الله تعالى في اسرع
الاوقات قوله قبل ان يرتد اليك طرفك فيه وجهان احدهما انه الجفن عبر به عن سرعة الامر
كما تقول لصاحبك افعل ذلك في لحظة وهذا قول مجاهد وقال الزمخشري هو تحريكك اجفانك
اذا نظرت فوضع موضع النظر الثاني انه بمعنى المطروف اي الشي الذي تنظره والاول هو الظاهر
لان الطرف قد وصف بالارسال في قوله

• وكنت اذا ارسلت طرفك رايدا • لقلبك يوما اتعبتك المناظر •
• رايت الذي لا كله انت قادر • عليه ولا عن بعضه انت صابر •

فصل قال سعيد بن جبير من قبل ان يرتد اي من قبل ان يرجع اليك اقصى من
ترى وهو ان يصل اليك من كان منك على مد بصرك وقال مجاهد يعني ادامة النظر حتى
يرتد الطرف خاسيا وقال وهب تمد عينيك فلا ينتهي طرفك الى مداه حتى امثله بين يديك
فان قيل هذا يقتضي اما القول بالطفرة وحصول الجسم الواحد دفعة واحدة في مكانين
فالجواب ان المهندسين قالوا كرة الشمس مثل كرة الارض مائة واربعة وستين مرة ثم ان زمان
طلوعها زمان قصير فاذا قسمنا زمان طلوع تمام القرص على زمان البعد الذي بين الشام
واليمن كانت اللمحة كثيرة فلما ثبت عقلا امكان وجود هذه الحركة السريعة وثبت انه تعالى
قادر على كل الممكنات زال السوال قوله فلما راه يعني سليمان العرش مستقرا عنده محمولا اليه
من مارب الى الشام في قدر ارتداد الطرف فمستقرا حال لان الروية بصرية وعنده معمول له لا
يقال اذا وقع الظرف حالا وجب حذف متعلقه فكيف ذكر عنده لان الاستقرار هنا ليس هو
ذلك الحصول المطلق بل المراد به هنا الثابت الذي لا يتقلقل قاله ابو البقا وقد جعله ابن

عطيته هو العامل في الظرف الذي كان يجب حذفه فقال وظهر العامل في الظرف من قوله
مستقرا وهذا هو المقدر ابدا مع كل ظرف جا هنا مظهرا وليس في كتاب الله مثله وما قاله ابو
البقا احسن على انه قد ظهر العامل المطلق في قوله • ثانت الذي بجبوحة الهون كاين •
وتقدم ذلك محققا في اول الفاتحة قوله الشكر معلق ليبلوني وام متصلة ولذلك قوله
ينظر اتهتدي ام تكون قوله ومن شكر ومن كفر يحتمل ان تكون من شرطية او موصولة مضمنة
معنى الشرط فلذلك دخلت الفا في الخبر والظاهر ان جواب الشرط الثاني او خبر الموصول
قوله فان ربي غني كريم ولا بد حينئذ من ضمير يعود على من تقديره غني عن شكره وقيل
الجواب محذوف تقديره فانما كفره عليه لدلالة مقابله وهو قوله فانما يشكر لنفسه عليه
فصل تقدم معنى الابتلا وقوله ااشكر نعمته ام اكفرها فلا اشكرها ومن شكر فانما
يشكر لنفسه اي يعود نفع شكره اليه وهو ان يستوجب به تمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد
النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ومن كفر فان ربي غني عن شكره كريم بالافضال على
من يكفر نعمه قوله نكروا لها عرشها اي غيروا لها سريرها الى حال تنكره اذا راته وذلك انه
اذا ترك على حاله عرفته لا محالة واذا غيرت دلت معرفتها على فضل عقل قوله ننظر العامة على
جزمه جوابا للامر وقتله وابو حيوة بالرفع جعله استينافا فصل روي انه جعل
اسفله اعلاه واعلاه اسفله وجعل مكان الجوهر الاحمر اخضر ومكان الاخضر احمر ننظر
اتهتدي الى عرشها فتعرفه ام تكون من الجاهلين الذين لا يهتدون اليه وقيل اتعرف به
نبوة سليمان ولذلك قال ام تكون من الذين لا يهتدون وذلك كالذم ولا يليق الا بطريق الدلالة
فكانه عليه السلام احب ان ينظر اتعرف به نبوته حيث صار منتقلا من المكان البعيد الى هناك
وذلك يدل على كمال قدرة الله تعالى وعلى صدق سليمان عليه السلام وتعرف بذلك ايضا فضل
عقلها لانه روي انه القي اليه نقصان عقلها لكي لا يتزوجها كما ذكر وهب ومحمد بن كعب
وغيرهما ان الشياطين خافت ان يتزوجها سليمان فتفشي اليه اسرار الجن وذلك ان امها
كانت جنية واذا ولدت له ولدا لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فاساوا الثنا
عليها ليزهدوه فيها وقالوا ان في عقلها شيا وان رجلها كحافر الحمار وانها شعرا الساقين
فاراد سليمان ان يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببنا الصرح قوله اهكذا
ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة ففصل بحرف الجر بين حرف التنبيه
واسم الاشارة والاصل اكهذا اي امثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا ولا يجوز ذلك في غير
الكاف لو قلت اهبذا مررت واهذا فعلت لم يجز ان يفصل بحرف الجر بين ها وذا فتقول
اها بذا مررت واهاذا فعلت قوله قالت كانه هو قال مقاتل عرفته ولكنها شبهت عليهم
كما شبهوا عليها وقال عكرمة كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من ان تكذب ولم تقل لا خوفا
من التكذيب قالت كانه هو فعرف سليمان كمال عقلها حيث توقفت في محل التوقف فقيل لها
فانه عرشك فما اغنى عنك اغلاق الابواب عليه وكانت قد اغلقت الابواب عليه واخذت
مفاتيحها قوله واوتينا العلم من قبلها فيه وجهان احدهما انه من كلام بلقيس فالضمير
في قبلها راجع للمعجزة والحالة الدال عليهما السياق والمعنى واوتينا العلم بنبوة سليمان من
قبل ظهور هذه المعجزة او من قبل هذه الحالة وذلك لما رات قبل ذلك من امر الهدهد ورد
الهدية والرسل من قبلها من قبل الاية في العرش وكنا مسلمين منقادين طايعين لامر
سليمان والثاني انه من كلام سليمان واتباعه فالضمير في قبلها عايد على بلقيس فكان
سليمان وقومه قالوا انها قد اصابت في جوابها وهي عاقلة وقد رزقت الاسلام ثم
عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته مثل علمها وغرضهم من ذلك
شكر الله تعالى في ان خصهم بمزيد التقدم في الاسلام قاله مجاهد قوله وصدها ما كانت
تعبد في فاعل صد ثلاثة اوجه احدها ضمير الباري والثاني ضمير سليمان اي منعها
ما كانت تعبد من دون الله وهو الشمس وعلى هذا فما كانت تعبد منصوب على اسقاط
الخافض اي وصدها الله او سليمان عن ما كانت تعبد من دون الله قاله الزمخشري
مجوزا له وفيه نظر من حيث ان حذف الجار ضرورة كقوله • تمرون الديار فلم تعوجوا •

كذا قاله ابو حيان وقد تقدم ابيات كثيرة من هذا النوع الثالث ان الفاعل هو ما كانت اي صدها
ما كانت تعبد عن الاسلام والظاهر ان الجملة من قوله وصدها معطوفة على قوله واوتينا وقيل
هي حال من قوله ام تكون من الذين وقد مضمرة وهذا بعيد جدا وقيل هو مستانف اخبار من الله تعالى
بذلك قوله انها كانت من قوم كافرين يعبدون الشمس والعامة على كسر انها استينافا وهو تعليل
وقرا سعيد بن جبير وابو حيوة بالفتح وفيها وجهان احدهما انها بدل مما كانت تعبد اي وصدها
انها كانت والثاني انها على اسقاط حرف العلة اي لانها فهي قريبة من قراءة العامة قوله قيل لها
ادخلي الصرح تقدم الخلاف في الظرف الواقع بعد دخل هل هو منصوب على الظرف وشذ ذلك
مع دخل خاصة كما قاله سيبويه او مفعول به كهدمت البيت كما قاله الاخفش والصرح القصر وصحن
الدار او بلاط متخذ من زجاج واصله من التصريح وهو الكشف وكذب صراح اي ظاهر مكشوف
ولوم صراح والصريح مقابل الكناية لظهوره واستتار ضده وقيل الصريح الخالص من قولهم
لبن صريح بين الصراحة والصروحة وقال الراغب الصرح بيت عال مزوق سمي بذلك اعتبارا
بكونه صرحا عن البيوت اي خالصا قوله ساقيها العامة على الفصيح وقنبل روي همزها
عن ابن كثير وضعفها ابو علي وكذلك فعل قنبل في جمع ساق في ص وفي الفتح همز واوه فقرا بالسوق
والاعناق فاستوى على سوقه بهمزة مكان الواو وعنه وجه اخر السووق وسووقه بزيادة واو
بعد الهمزة وروي عنه انه كان يهمز مفردا في قوله يكشف عن ساق فاما همزة الواو ففيها اوجه
احدها ان الواو الساكنة المضموم ما قبلها يقلبها بعض العرب همزة وتقدم تحقيق هذا اول
البقرة عند يوقنون وانشد عليه • احب الموقدين الى موسى •
وكان ابو حية النميري يهمز كل واو في القران هذا وصفها الثاني ان ساقا على فعل كاسد فجمع على
فعل بضم العين كاسد والواو المضمومة تقلب همزة نحو وجوه ووقتت ثم بعد الهمز سكنت
الثالث ان المفرد سمع همزه كما سياتي تقريره فجا جمعه عليه واما سووق بالواو بعد الهمزة
فان ساقا جمع على سووق بواو فهمزت الاولى لانضمامها وهذه الرواية غريبة عن قنبل واما ساقيها
فوجه الهمز احد اوجه اما لغة من يقلب الالف همزة وعليه لغة العجاج في العالم والخاتم وانشد
وخندف هامة هذا العالم وسياتي تقريره في مسانه ان شا الله تعالى وتقدم طرف منه في
الفاتحة واما على التشبيه براس وكاس كما قالوا حلات السويق حملا على حلا ته عن الما اي طردته
واما حملا للمفرد على المثنى على جمعها وقد تقرر في جمعها الهمز فصل لما حكى تعالى اقامتها
على الكفر مع الدلايل المتقدمة ذكر ان سليمان اظهر امرا اخر دعاها الى الاسلام فامر الشياطين
فبنوا صرحا اي قصرا من زجاج كانه الما بياضا واجرى تحته الما والقى فيه كل شي من دواب البحر
من السمك والضفادع وغيرها ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن
والانس وقيل اتخذ صحنا من قوارير وجعل تحتها تماثيل من الحيتان والضفادع مكان الواحد اذا راه
ظنه ما فلما جلس على السرير دعا بلقيس فلما جاءت قيل لها ادخلي الصرح فلما راته حسبته لجة وهي
معظم الما وكشفت عن ساقيها لتخوضه الى سليمان فقيل كان المقصود من بنا الصرح تهويل
المجلس وتعظيمه وحصل كشف الساق على سبيل التبع وقيل ان سليمان اراد ان ينظر الى ساقيها
من غير ان يسالها كشفها لما قالت الشياطين له ان رجلها كحافر الحمار وهي شعرا الساقين فنظر سليمان
فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها كانت شعرا الساقين فلما راى سليمان ذلك صرف بصره
عنها وناداها انه صرح ممرد اي مملس ومنه الامرد لملاسة وجهه من الشعر وبرية مردا لخلوها من
النبات ورملة مردا لا تنبت شيا والمارد من الشياطين من تعرى من الخير وتجرد منه ومارد حصن
معروف وفي امثال الزبا تمرد مارد وعز الابلق قالتها في حصنين امتنع فتحهما عليها والقوارير جمع
قارورة وهي الزجاج الشفاف ومن قوارير صفة ثانية لصرح قوله قالت رب اني ظلمت
نفسي قال مقاتل لما رات السرير والصرح علمت ان ملك سليمان من الله فقالت رب اني ظلمت
نفسي بعبادة غيرك واسلمت مع سليمان لله رب العالمين اخلصت له التوحيد وقيل انما لما بلغت
الصرح وظنته لجة قالت في نفسها ان سليمان يريد ان يغرقني وكان القتل اهون من هذا فقولها
ظلمت نفسي يعني ذلك الظن واختلفوا هل تزوجها سليمان ام لا وانه تزوجها في هذه الحال ومن
قبل ان يكشف عن ساقيها والاظهر من كلام الناس انه تزوجها وروي عن ابن عباس انها لما

اسلمت قال لها اختاري من قومك من يتزوجك فقالت مثلي لا ينكح الرجال مع سلطانك
فقال النكاح من الاسلام فقالت ان كان كذلك فزوجني بتبع ملك همدان فزوجها اياه ثم
ردها الى اليمن وروي ان الملك وصل الى سليمان وهو ابن ثلاث عشرة وماتت وهو ابن ثلاث
وخمسين سنة قوله مع سليمان متعلق بمحذوف على انه حال ولا يتعلق باسلمت لان اسلامها
سابق اسلامها بزمان وهو وجه لطيف وقال ابن عطية ومع ظرف بني على الفتح واما اذا اسكنت
العين فلا خلاف انه حرف وقد تقدم القول في ذلك فقال مكي هنا بخلاف قول ابن عطية

قوله تعالى ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا الاية قوله ان اعبدوا الله اي وحدوه
ويجوز في ان يكون مفسرة وان تكون مصدرية اي بان اعبدوا فيجي في محلها القولان قوله
فاذا هم فريقان تقدم الكلام في اذا الفجائية والمراد بالفريقين قوم صالح وانهم انقسموا فريقين
مومن وكافر وقد صرح بذلك في الاعراف في قوله قال الذين استكبروا للذين استضعفوا
لمن امن وجعل الزمخشري الفريق الواحد صالح وحده والاخر جميع قومه وحمله على ذلك
العطف بالفا فانه يوذن انه بمجرد ارساله صاروا فريقين ولا يصير قومه فريقين الا بعد
زمان ولو قليلا ويختصمون صفة لفريقان على المعنى كقوله هذان خصمان اختصموا وان
طايفتان من المومنين اقتتلوا واختير هنا مراعاة للجمع لكونها فاصلة قوله يا قوم لم تستعجلون
اي قال لهم صالح يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالبلاء والعقوبة اي ان الله قد مكنكم من
التوصل الى رحمته وثوابه فلماذا تعدلون عنه الى استعجال عذابه وقيل انهم كانوا يقولون
ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا فحينئذ يقبل الله
توبتنا ويدفع العذاب عنا فخاطبهم صالح على حسب اعتقادهم فقال هلا تستغفرون الله
قبل نزول العذاب فان استعجال الخير اولى من استعجال الشر ووصف العذاب بانه سيئة
مجاز الا ان العقاب من لوازمه او لانه يشبهه في كونه مكروها واما وصف الرحمة بانها حسنة
فقيل حقيقة وقيل مجاز ثم ان صالحا عليه السلام لما قرر هذا الكلام الحق اجابوه بكلام فاسد
فقالوا اطيرنا بك اي تشاءمنا بك لان الذي يصيبنا من شدة وقحط فهو بشومك وشوم
من معك وقري تطيرنا بك وهو الاصل وادغم وتقدم تقريره قال الزمخشري كان الرجل
يخرج مسافرا فيمر بطاير فيزجره فان مر بجروان مر بارحا تشام فلما نسبوا الخير والشر
الى الطاير استعير لما كان للخير والشر وهو قضا الله وقدره وقسمته فاجاب صالح عليه
السلام بقوله طايركم عند الله اي السبب الذي يجي منه خيركم وشركم عند الله وهو قضاه
وقدره وهو مكتوب عليكم سمي طايرا لسرعة نزوله بالانسان فانه لا شي اسرع من قضا محتوم
قال ابن عباس الشوم اتاكم من عند الله بكفركم وقيل طايركم عملكم عند الله سمي طايرا لسرعة
صعوده الى السما قيل انما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل لانه امسك عنهم المطر في ذلك الوقت
وقحطوا قوله تفتنون جا الخطاب مراعاة لتقدم الضمير ولو روعي ما بعده لقيل يفتنون
بيا الغيبة وهو جايز وكثير صوح ويقول انت رجل يفعل ويفعل باليا والتا ونحن قوم
نقرا ويقراون والمراد من هذا الكلام ان صالحا عليه السلام بين لهم بهذا الكلام جهلهم بقوله
بل انتم قوم تفتنون فيحتمل ان غيرهم دعاهم الى هذا القول ويحتمل ان المراد ان السلطان
يفتنكم بوسوسته وقال ابن عباس تختبرون بالخير والشر كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة
وقال محمد بن كعب تعذبون قوله وكان في المدينة تسعة رهط يعني مدينة ثمود والاكثر
ان تمييز العدد مجرور بمن كقوله اربعة من الطير وفي المسيلة مذاهب احدها انه لا يجوز الا في
قليل الثاني انه يجوز ولكن لا ينقاس الثالث التفصيل بين ان يكون للقلة كرهط ونفر فيجوز
او للكثرة فقط او لهما والقلة فلا يجوز نحو تسعة قوم ونص سيبويه على امتناع ثلاثة
غنم قال الزمخشري وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجمع كانه قيل تسعة انفس
قال ابو حيان وتقدير غيره تسعة رجال هو الاولى لانه من حيث اضاف الى انفس كان ينبغي
ان يقول تسع انفس على تانيث النفس اذ الفصيح فيها التانيث الا تراهم عدوا من الشذوذ
قول الشاعر • ثلاثة انفس وثلاث ذود •
قال شهاب الدين وانما اراد تفسير المعنى وقال ابن الخطيب والاقرب ان يكون المراد

تسعة

تسعة جمع اذ الظاهر من الرهط الجماعة لا الواحد ثم يحتمل انهم كانوا قبايل ويحتمل انهم دخلوا تحت
العدد لاختلاف صفاتهم واحوالهم لا لاختلاف النسب قوله يفسدون يجوز ان يكون نعتا للمعدود
او العدد فيكون موضع جر او رفع قوله ولا يصلحون قيل موكد للاول وقيل ليس موكدا لان
بعض المفسدين قد يصلح في وقت ما فاخبر عن هولاء بانتفا توهم ذلك وهم الذين اتفقوا على
عقر الناقة وهم غواة قوم صالح وراسهم قدار بن سالف وهو عاقر الناقة قوله قالوا تقاسموا
يجوز في تقاسموا ان يكون امرا اي قال بعضهم لبعض احلفوا على كذا ويجوز ان يكون فعلا
ماضيا وحينئذ يجوز ان يكون مفسرا لقالوا كانه قيل ما قالوا فقيل تقاسموا ويجوز ان يكون حالا
على اضمار قد اي قالوا ذلك متقاسمين واليه ذهب الزمخشري فانه قال يحتمل ان يكون امرا
وخبرا في محل الحال باضمار قد قال ابو حيان اما قوله وخبرا فلا يصح لان الخبر احد قسمي الكلام
لانه ينقسم الى الخبر والانشا وجميع معانيه اذا حققت راجعة الى هذين القسمين قال شهاب
الدين ولا ادري عدم الصحة مماذا لانه جعل الماضي خبرا لاحتماله الصدق والكذب معا بلا
للامر الذي لا يحتملهما اما كون الكلام لا ينقسم الا الى خبر وانشا وان معانيه اذا حققت ترجع
اليهما فاي مدخل لهذا في الرد على الزمخشري ثم قال ابو حيان والتقييد بالحال ليس الا من
باب نسبة التقييد لا من نسبة الكلام التي هي الاسناد فاذا اطلق عليها الخبر كان ذلك على
تقدير انها لو لم تكن حالا لجاز ان يستعمل خبرا ولذلك قوله في الجملة الواقعة صلة هي خبرية
فهو مجاز والمعنى انها لو لم تكن صلة لجاز ان يستعمل خبرا وهذا فيه غموض قال شهاب الدين
مسلم ان الجملة ما دامت حالا او صلة لا يقال لها خبرية بمعنى انها تستقل بافادة الاسناد لانها
سيقت مساق القيد في الحال ومساق جز الكلمة في الصلة وكان ينبغي ان يذكر ايضا الجملة
الواقعة صفة فان الحكم فيها كذلك قال واما اضمار قد فلا يحتاج اليه لكثرة وقوع الماضي
حالا دون قد فذكره ينبغي والقياس عليها قال شهاب الدين الزمخشري مشي مع الجمهور فانه
مذهبهم انه لا بد من قد ظاهرة او مضمرة لتقربه من الحال وقرا ابن ابي ليلى تقسموا دون الف
مع تشديد السين والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر قوله بالله ان جعلت تقاسموا
امرا تعلق به الجار قولا واحدا وان جعلته ماضيا احتمل ان يتعلق به ولا يكون داخلا تحت
القول والمقول هو لنبيتنه الى اخره واحتمل ان يتعلق بمحذوف وفعل القسم وجوابه لنبيتنه
فعلى هذا يكون مع ما بعده داخلا تحت القول قوله لنبيتنه قرا الاخوان بتاء الخطاب
المضمومة وضم التا والباقون بنون التكلم وفتح التاء لتقولن قرا الاخوان بتاء الخطاب
المفتوحة وضم اللام والباقون بنون التكلم وفتح اللام ومجاهد وابن وثاب والاعمش كقراءة
الاخوين من السبعة في الثاني فاما قراة الاخوين فان جعلت تقاسموا فعل امر فالخطاب
واضح رجوعا باخر الكلام الى اوله وان جعلناه ماضيا فالخطاب على حكاية خطاب بعضهم
لبعض بذلك واما قراة بقية السبعة ان جعلناه ماضيا او امرا فالامر فيها واضح وهو حكاية
اخبارهم عن انفسهم واما قراة الغيبة فيها فظاهره على ان يكون تقاسموا ماضيا رجوعا باخر
الكلام الى اوله في الغيبة وان جعلناه امرا كان لنبيتنه جوابا لسوال مقدر كانه قيل كيف تقاسموا
فقيل لنبيتنه واما غيبة الاول والتكلم في الثاني فتعليله ماخوذ مما تقدم في تعليل القراتين
وقال الزمخشري وقري لنبيتنه بالتا والبا والنون فتقاسموا مع التا والنون يصح فيه
الوجهان يعني يصح في تقاسموا ان يكون امرا وان يكون خبرا قال ومع اليا لا يصح الا ان يكون
خبرا قال شهاب الدين وليس كذلك لما تقدم من انه يكون امرا وتكون الغيبة فيما بعده جوابا
لسوال مقدر وقد تابع الزمخشري ابو البقا على ذلك فقال تقاسموا فيه وجهان احدهما
هو امر اي امر بعضهم بذلك بعضا فعلى هذا يجوز في لنبيتنه النون بتقديره قولوا لنبيتنه والتا
على خطاب الامر المامور ولا يجوز اليا والثاني هو فعل ماض وعلى هذا يجوز الاوجه الثلاثة
يعني بالاوجه النون والتا واليا قال وعلى هذا تفسير اي وتقاسموا على كونه ماضيا مفسر لنفس
قالوا وقد سبقهما الى ذلك مكي رحمه الله وتقدم توجيه ما منعوه ولله الحمد وتنزيل هذه الاوجه
بعضها على بعض مما يضعف استخراجه من كلام القوم وتقدم الكلام في مهلك اهله في الكهف

فصل من جعل تقاسموا امرا فموضع تقاسموا جزم على الامر اي احلفوا ومن جعله

فلاماضيا بحله لضيف اي تحالفوا وتوا فقوا لنبيته لنقتلنه بياتا اي ليلا واهله اي قومه
الذين اسلموا معه ثم لنقولن لوليه اي لولي دمه ما شهدنا فما حضرنا مهلك اهله اهلاكهم ولا
ندري من قتله ومن فتح الميم فمعناه هلاك اهله وانا لصادقون في قولنا ما شهدنا ذلك
قوله ومكروا مكرا غدروا غدرا حين قصدوا تبييت صالح والفتك به ومكرنا مكرا جازيناهم
على مكرهم بتعجيل عقوبتهم وهم لا يشعرون فشبه اهلاكهم من حيث لا يشعرون بمكر الماكر على سبيل
الاستعارة وقيل ان الله تعالى اخبر صالحا بمكرهم فتحرز عنهم فذاك مكر الله في حقهم قوله
فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم قرا الكوفيون بفتح انا والباقون بالكسر فالفتح
من اوجه احدها ان يكون على حذف حرف الجر اي لانا دمرناهم وكان تامة وعاقبة فاعلها
وكيف حال الثاني ان يكون بدلا من عاقبة اي كيف كان تدميرنا اياهم بمعنى كيف حدث الثالث
ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هي انا دمرناهم اي العاقبة تدميرنا اياهم ويجوز مع هذه الاوجه
الثلاثة ان يكون كان ناقصة ويجعل كيف خبرها فتصير الاوجه ستة ثلاثة مع تمام كان
وثلاثة مع نقصانها وتزيد مع الناقصة وجها اخر وهو ان يجعل عاقبة اسمها وانا دمرناهم
خبرها وكيف حال فهذه سبعة اوجه والثامن ان يكون كان زايدة وعاقبة مبتدا وخبره
كيف وانا دمرناهم بدل من عاقبة او خبر مبتدا مضمر وفيه تعسف التاسع انها على حذف الجار
ايضا الا انه الباء اي بانا دمرناهم ذكره ابو البقا العاشر انها بدل من كيف وهذا وهم من قايله
لان البدل من اسم الاستفهام يلزم معه اعادة حرف الاستفهام نحو كم مالك اعشرون ام ثلاثون
وقال مكي ويجوز في الكلام نصب عاقبة ويجعل انا دمرناهم اسم كان انتهى بل كان هذا هو
الارجح كما كان النصب في قوله فما كان جواب قومه الا ان قالوا ونحوه ارجح لما تقدم من شبهه
بالمضمر لتاويله بالمصدر وتقدم تحقيق هذا وقرا ابي ان دمرناهم وهي ان المصدرية التي
يجوز ان تنصب المضارع والكلام فيها كالكلام على انا دمرناهم واما قراة الباقين فعلى
الاستيناف وهو تفسير للعاقبة وكان يجوز التمام والنقصان والزيادة وما في حيزها
في محل نصب على اسقاط الخافض لانه معلق للنظر واجمعين تاكيد للمعطوف والمعطوف عليه
فصل قال ابن عباس ارسل الله الملايكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فاتى
التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملايكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون
الملايكة فقتلتهم وقال مقاتل نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضا ليا توا دار صالح فجثم
عليهم الجبل فاهلكهم واهلك الله قومهم بالصيحة قوله فتلك بيوتهم خاوية العامة على
نصب خاوية حالا والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرا عيسى خاوية بالرفع اما على خبر تلك
وبيوتهم بدل من تلك واما خبر ثان وبيوتهم خبر اول واما على خبر مبتدا محذوف اي هي خاوية
وهذا اضمار مستغنى عنه وبما ظلموا متعلق بخاوية اي بسبب ظلمهم وخاوية اي خالية بما
ظلموا بظلمهم وكفرهم ان في ذلك لاية لعبرة لقوم يعلمون قدرتنا وانجينا الذين امنوا وكانوا
يتقون قيل كان الناجون منهم اربعة الاف **قوله** تعالى ولوطا اذ قال لقومه الاية
لوطا اما منصوب عطفا على صالحا اي وارسلنا لوطا واما عطفا على الذين امنوا اي وانجينا
لوطا واما باذكر مضمرة واذ قال بدل اشتمال من لوطا وتقدم نظيره في مريم وغيرها اتاتون
الفاحشة استفهام على وجه الانكار والتوبيخ بمثل هذا اللفظ ابلغ والفاحشة الفعلة
القبيحة قوله وانتم تبصرون جملة حالية من فاعل تاتون او من الفاحشة والعايد
محذوف اي وانتم تبصرونها لستم عميا عنها جاهلين بها وهو اشنع وقيل المعنى يرى بعضكم
بعضا وكانوا لا يستترون عتوا منهم فان قيل اذا فسرت تبصرون بالعلم وبعده بل انتم قوم
تجهلون فكيف يكون علما جهلا فالجواب يفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم
بذلك او يجهلون العاقبة واراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها قوله شهوة
مفعول من اجله وفي موضع الحال وقد تقدم قوله فما كان جواب قومه خبر مقدم والا
ان قالوا في موضع الاسم وقرا الحسن وابن ابي اسحاق برفعه اسما والا ان قالوا خبرا وهو
ضعيف لما تقدم تقريره وتقدم قرا تا قدرنا تشديدا وتخفيفا والمخصوص بالذم محذوف
في قوله فساء مطر المنذرين اي مطرهم **فصل** لما بين تعالى جهلهم بين انهم اجابوا

بما لا يصلح ان يكون جوابا فقال وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم
انهم اناس يتطهرون اي يتنزهون من هذا الصنع الفاحش وقيل قالوا ذلك على وجه الهزو
فانجيناه واهله الا امراته قدرناها علينا قضينا عليها وجعلناها بتقديرنا من الغابرين اي الباقين
في العذاب وامطرنا عليهم مطرا وهي الحجارة فساء فبيس مطر المنذرين قوله تعالى قل الحمد لله
الاية العامة على اللام قل لالتقاء الساكنين وابو السماك بفتحها تخفيفا وكذا في قوله قل الحمد
لله سيريكم اياته وسلام مبتدا سوغ الابتدا به كونه دعا **فصل** المعنى الحمد لله على هلاكهم
وهذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امره ان يحمد الله على هلاك كفار الامم الخالية وسلام
على عباده الذين اصطفى بان ارسلهم ونجاهم وقيل هذا الكلام مبتدا فانه تعالى لما ذكر احوال الانبيا
عليهم السلام وكان محمد عليه السلام كالمخالف لمن قبله في العذاب لانه عذاب الاستيصال مرتفع
عن قومه امره الله تعالى بان يشكر ربه على ما خصه به من هذه النعم وبان يسلم على الانبيا
الذين صبروا على مشاق الرسالة قوله وسلام على عباده الذين اصطفى قال مقاتل هم
الانبيا والمرسلون بدليل قوله تعالى وسلام على المرسلين وقال ابن عباس في رواية ابي
مالك وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي هم امة محمد وقيل هم كل المومنين من السابقين
واللاحقين قوله ام ما ام هذه متصلة عاطفة لاستكمال شروطها والتقدير ايهما خير وخير اما
تفضيل على زعم الكفار والزام الخصم او صفة لا تفضيل فيها وما في ام ما بمعنى الذي وقيل مصدرية
وذلك على حذف مضاف اي من الاول اي ا توحيد الله خير ام شرككم وقرا ابو عمرو وعاصم ام ما يشركون
بالغيبة حملا على ما قبله من قوله وامطرنا عليهم وما بعده من قوله بل اكثرهم والباقون على
الخطاب وهو التفات للكفار بعد خطاب نبيه عليه السلام وهذا تبكيت للمشركين بحالهم لانهم
اثروا عبادة الاصنام على عبادة الله تعالى ولا يوثر عاقل شيا على شي الا لزيادة خير ومنفعة
فقيل لهم هذا الكلام تنبيها لهم على نهاية ضلالهم وجهلهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان اذا قراها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم قوله ام من خلق ام هذه منقطعة
لعدم تقدم همزة الاستفهام ولا تسوية ومن خلق مبتدا وخبره محذوف فقدره الزمخشري
خير اما يشركون فقدر ما اثبته في الاستفهام الاول وهو حسن وقدره ابن عطية يكفر بنعمته
ويشرك به ونحو هذا من المعنى وقال ابو الفضل الرازي لا بد من اضمار جملة معادلة وصار
ذلك المضمر كالمنطوق لدلالة الفحوى عليه وتقدير تلك الجملة ام من خلق السموات والارض
كمن لم يخلق وكذلك اخواتها وقد اظهر في غير هذه المواضع ما اضمر فيها كقوله افمن يخلق كمن لا
يخلق وقال ابو حيان وتسمية هذا المقدر جملة ان اراد انها جملة من جهة الالفاظ فصحيح
وان اراد الجملة المصطلح عليها في النحو فليس بصحيح بل هو مضمر من قبيل المفرد وقرا الاعمش
امن بتخفيف الميم جعلها من الموصولة داخلة عليها همزة الاستفهام وفيها وجهان احدهما ان
يكون مبتداه والخبر محذوف وتقديره ما تقدم من الاوجه قاله ابو حيان والثاني انها بدل
من الله كانه قيل ام من خلق السموات والارض خير اما يشركون ولم يذكر الزمخشري غيره
ويكون قد فصل بين البدل والمبدل منه بالخبر وبالمعطوف ازيد وفي جواز مثل هذا نظر قوله
فانبتنا هذا التفات من الغيبة الى التكلم لتاكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان
بان انبات الحدايق المختلفة الالوان والطعوم مع سقيها بما واحد لا يقدر عليه الا هو وحده
ولذلك رشحه بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها فان الانسان ربما يقول انا الذي القي البذر
في الارض واسقيها الما واسعى في تشميسها وفاعل السبب فاعل المسبب فاذن انا المنبت للشجرة
فلما كان هذا الاحتمال قايما ازاله الله تعالى هذا الاحتمال فرجع من لفظ الغيبة الى
لفظ التكلم والحدايق جمع حديقة وهي البستان وقيل القطعة من الارض ذات الما قال الراغب
سميت بذلك تشبيها بحدقة العين في الهيئة وحصول الما فيه وقال غيره سميت بذلك لاحداق
الجدران بها وليس بشي لانها تطلق عليها ذلك مع عدم الجدران ووقف القرا على ذات من ذات
بهجة بالتا مجودة والكسائي بالها لانها تا تانيث وقيل ذات لانه بمعنى جماعة حدايق ذات بهجة
كما يقال النسا ذهبت والبهجة الحسن لان حسن الناظر يبتهج به وقرا ابن ابي عبلة ذوات بهجة
بالجمع وفتح الها بهجة قوله ما كان لكم ان تنبتوا ان تنبتوا اسم كان ولكم خبر مقدم والجملة المنفية

يجوز ان تكون صفة هل معبود سواه اعانه على صنعه بل ليس معه اله وقرى الهًا مع الله اي
تدعون او تشركون بل هم قوم يعدلون كقارمكة يعدلون يشركون اي يعدلون بالله سواه وقيل
يعدلون عن هذا الحق الظاهر ونظير هذه الاية اول سورة الانعام قوله ام من جعل الارض
قرارا قال الزمخشري ام من وما بعده من ام من خلق وحكمها حكمه ومعنى قرارا لا تميد باهلها
فانها لو كانت متحركة لما استقر احد بالسكنى على الارض قوله خلالها يجوز ان تكون ظرفا
لجعل بمعنى خلق المتعدية لواحد وان تكون في محل المفعول الثاني على انها بمعنى صير وخلالها
وسطها انهارا واعلم ان المياه المنبعثة في الارض اربعة الاول مياه العيون السيالة قال
ابن الخطيب وهي تنبعث من ابخرة كثيرة المادة قوية الاندفاع تفجر الارض بقوة التالي ما
العيون الراكده وهي تحدث من ابخرة بلغت قوتها الى وجه الارض ولم يبلغ من قوتها وكثرة
مادتها ان تطرد التالث ما القنى والانهار وهو متولدة من ابخرة نا قصة القوة عن ان
تشق الارض فاذا ازيل وجهها ثقل التراب صار حينئذ لتلك الابخرة منفذا يندفع اليه
بادنى حركة الرابع مياه الابار وهي منبعثة كمياه الانهار الا انه لم يحصل لها ميل الى موضع
تسيل اليه ونسبة القنى الى الابار نسبة العيون السيالة الى العيون الراكده قوله وجعل
لها رواسي وهي الجبال ثوابت قوله بين البحرين يجوز فيه ما جاز في خلالها والحاجز
الفاصل حجزهم يحجز اي منع وفصل والمراد بالبحرين العذب والملح االه مع الله قرى االهة
بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية وادخال الف بينهما تخفيفا وتسهيلا وهذا كله معروف
من اول هذا الكتاب بل اكثرهم لا يعلمون توحيد ربهم قوله ام من يجيب المضطر اذا دعاه
المضطر اسم مفعول ماخوذ من اضطر ولا يستعمل الا مبنيا للمفعول وانما كرر الجعل هنا ولم
يشرك بين المجعولات في عامل واحد لان كل واحدة من هذه منة مستقلة فابرزها في جملة
مستقلة بنفسها قال الزمخشري الضرورة الحالة المحوجة الى اللجا والاضطرار افتعال
منها فيقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطران فان قيل هذا يعم المضطرين وكم
من مضطر يدعو فلا يجاب فالجواب انه ثبت في اصول الفقه ان المفرد المعرف لا يفيد العموم
وانما يفيد الماهية فقط والحكم المثبت للماهية يكفي في صدقه ثبوته في فرد واحد من
افراد الماهية فقط فانه تعالى وعد بالاستجابة ولم يذكر انه يستجيب في الحال قوله
ويكشف السوء كالتفسير للاستجابة فانه لا يقدر احد على دفع كشف ما دفع اليه من فقر
الى غنى ومرض الى صحة الا القادر الذي لا يعجز والقاهر الذي لا ينازع ويجعلكم خلفاء
الارض اي توارثكم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن واراد بالخلافة الملك والتسليط
قوله قليلا ما تذكرون قرا ابو عمرو وهشام يذكرون بالغيبة والباقون بالخطاب وهما واضحتان
وابو حياة تتذكرون بتاءين قوله ام من يهديكم في ظلمات البر والبحر يهديكم بالنجوم في السما
والولايات في الارض اذا اسافرتم بالليل في البر والبحر ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي
رحمته وهي المطر وتقدم الكلام في نشرا في الاعراف االه مع الله تعالى الله عما يشركون
قوله ام من يبدا الخلق ثم يعيده لما عدد نعم الدنيا ابتع ذلك بنعم الاخرة وهي لا تتم
الا بالاعادة بعد الابتدا والابلاغ الى حد التكليف فقد تضمن الكلام كل نعم الدنيا والاخرة
وهي لا تتم الا بالارزاق فلذلك قال ومن يرزقكم من السما والارض من السما المطر ومن
الارض النبات االه مع الله قل هاتوا برهانكم حجتكم على قولكم ان مع الله الها اخر ان كنتم
صادقين ولا برهان لكم فاذن انتم مبطلون فان قيل كيف قيل لهم ام من يبدا الخلق
ثم يعيده وهم ينكرون الاعادة فالجواب كانوا معترفين بالابتدا ودلالة الابتدا على
الاعادة دلالة ظاهرة قوية فلما كان الكلام مقرونا بالدلالة الظاهرة صاروا كانهم لم يبق
لهم عذر في الانكار **قوله** تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله لما
بين انه مختص بالقدرة بين انه المختص بعلم الغيب واذا ثبت ذلك ثبت انه الاله المعبود
وفي هذا الاستثنا اوجه احدها انه فاعل يعلم ومن مفعوله والغيب بدل من من في السموات
اي لا يعلم غيب من في السموات والارض الا الله اي الاشيا الغايبة التي تحدث في العالم
وهو وجه غريب ذكره ابو حيان الثاني انه مستثنى متصل من من ولكن لا بد من الجمع بين

الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة على هذا الوجه وبيانه ان الظرفية المستفادة من من في حقيقة
بالنسبة الى غير الله تعالى بمعنى ان علمه في السموات والارض فيندرج من في السموات والارض
بهذا الاعتبار وهو مجاز وغيره من مخلوقاته في السموات والارض حقيقة فبذلك الاندراج
المأول استثني من من وكان الرفع على البدل اولى لان الكلام غير موجب قال مكي الرفع في اسم
الله عز وجل على البدل من من ورد الزمخشري هذا بانه جمع بين الحقيقة والمجاز واوجب ان تكون
منقطعا فقال فان قلت لم رفع اسم الله والله يتعالى ان يكون ممن في السموات والارض قلت
جا على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كان احدا لم يذكر ومنه
قوله • عشية ما تغني الرماح مكانها • ولا النبل الا المشرفي المصمم •
وقولهم ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا اخوانه فان قلت ما الداعي الى اختيار المذهب
التميمي على الحجازي قلت دعت اليه نكتة سرية حيث اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد
قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون
الغيب يعني ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت
ان كانت اليعافير اناسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها من الانيس فان قلت هلا زعمت ان
الله ممن في السموات والارض لما يقول المتكلمون ان الله في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن
كلها فكان ذاته فيها حتى لا تحمل على مذهب بني تميم قلت يابى ذلك ان كونه في السموات والارض
مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيح على ان قولك
من في السموات والارض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات
مزالة عنه وعن صفاته الا ترى كيف قال عليه السلام لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بيس
خطيب القوم انت فقد رجح الانقطاع واعتذر عن ارتكاب مذهب التميميين بما ذكر واكثر العلما
انه لا يجمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة وقد قال به الشافعي **فصل** نزلت
هذه الاية في المشركين حيث سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة وما
يشعرون صفة لاهل السموات والارض نفى ان يكون لهم علم بالغيب وذكر في جملة الغيب متى البعث
بقوله ايان يبعثون وايان بمعنى متى وهي كلمة مركبة من اي والان وهي الوقت وقرى ايان
بكسر الهمزة قرا بها السلمي وهي لغة قومه بني سليم وهي منصوبة بيبعثون ومعلقة ليشعرون
فهي وما بعدها في محل نصب باسقاط البا اي ما يشعرون بكذا قوله ادرك قرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو وادرك كاكرمك والباقون من السبعة ادارك بهمزة وصل وتشديد الدال المفتوحة
بعدها الف والاصل تدارك وبه قرا ابي فاريد ادغام التاء في الدال فابدلت دالا وسكنت
وتعذر الابتدا بها لسكونها فاجتلبت همزة الوصل فصار ادارك كما ترى وتقدم تحقيق هذا
في قوله فاداراتم فيها وقراة ابن كثير قيل يحتمل ان يكون افعل فيها بمعنى تفاعل فتتحد القراتان
وقيل ادراك بمعنى بلغ وانتهى وقرا سليمان وعطا بن يسار بل ادرك بفتح لام بل وتشديد
الدال دون الف بعدها وتخريجها ان الاصل ادرك على وزن افتعل فابدلت تاء الافتعال
دالا لوقوعها بعد الدال قال ابو حيان فصار فيه قلب الثاني للاول كقولهم اثرد واصله
اثترد من الثرد انتهى قال شهاب الدين ليس هذا مما قلب فيه الثاني للاول لاجل الادغام
كاثرد في اثترد لان تاء الافتعال تبدل دالا بعد احرف منها الدال نحو ادان في افتعل من
الدين فالابدال لاجل كون الدال فاء لا للادغام فليس مثل اثرد في شي فتامله فانه حسن فلما
ادغمت الدال في الدال دخلت همزة الاستفهام فسقطت همزة الوصل فصار اللفظ ادرك بهمزة قطع
مفتوحة ثم نقلت حركة هذه الهمزة الى لام بل فصار اللفظ بل درك وقرا ابو رجا وشيبة والاعمش
والاعرج وابن عباس وروي عن عاصم كذلك الا انه بكسر لام بل على اصل التقا الساكنين فانهم
لم ياتوا بهمزة استفهام وقرا عبد الله وابن عباس والحسن وابن محيصن اادرك بهمزة ثم الف
بعدها واصلها همزتان ابدلت ثانيتهما الفا تخفيفا وانكرها ابو عمرو وقد تقدم اول البقرة
انه قرى اانذرتهم بالالف صريحة فلهذه بها اسوة وقال ابو حاتم لا يجوز الاستفهام بعد بل
لان بل ايجاب والاستفهام في هذا الموضع انكار بمعنى لم يكن كقوله تعالى اشهدوا خلقهم
اي لم يشهدوا فلا يصح وقوعهما معا للتنافي الذي بين الايجاب والانكار قال شهاب الدين

وفي منع هذا نظر لان بل لاضراب الانتقال فقد اضرب عن الكلام الاول واخذ في استفهام
ثان وكيف انكر هذا والنحويون يقدرون ام المنقطعة ببل والهمزة وعجبت من الشيخ يحيى ابا
حيان كيف قال هنا وقد اجاز بعض المتاخرين الاستفهام بعد بل وشبهه بقول القايل اخبزا
اكلت بل اماً شربت على ترك الكلام الاول والاخذ في الثاني انتهى فتخصيصه ببعض المتاخرين
دون سائر المتقدمين وبعض المتاخرين يمنعونه وليس كذلك لما حكيت عنهم في ام المنقطعة
وقرا ابن مسعود بل ادرك بتحقيق الهمزتين وقرا ورش في رواية بل ادرك بالنقل وقرا ابن
عباس ايضا بلى ادرك بحرف الايجاب اخت نعم وبلى ادرك بالف بين همزتين وقرا ابي ومجاهد
ام تدارك بدل بل وهي مخالفة للسواد قوله في الاخرة فيه وجهان احدهما ان في على بابها وادرك
وان كان ماضيا لفظا فهو مستقبل معنى لانه كاين قطعا كقوله اتى امر الله وعلى هذا ففي
متعلق بادرك والثاني ان في بمعنى الباء اي بالاخرة وعلى هذا فيتعلق بنفس علمهم كقولك
علمي بزيد كذا واما قراءة من قرا بلى فقال الزمخشري لما جاء بلى بعد قوله وما يشعرون
كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك علمهم في الاخرة على سبيل التهكم
الذي معناه المبالغة في نفي العلم ثم قال واما قراءة بلى اادرك على الاستفهام فمعناه
بلى يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور
بوقت كونها لان العلم موقت كاين تابع للعلم بكون الكاين ثم قال فان قلت ما معنى
هذه الاضرابات الثلاثة قلت ما هي الا تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانه لا يشعرون وقت
البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كاينة ثم انهم يخبطون في شك ومرية انتهى فان قيل
عمي يتعدى بعن تقول عمي فلان عن كذا فلم عدي بمن في قوله منها عمون فالجواب انه
جعل الاخرة مبدا عماهم ومنشاه **فصل** المعنى على قراءة ابن كثير ادرك اي بلغ
ولحق كما يقول ادركه اذا لحقه وبلغه يريد ما جهلوا في الدنيا وسقط علمه عنهم علموه في
الاخرة قال مجاهد يدرك علمهم في الاخرة ويعلمونها اذا عاينوه حين لا ينفعهم علمهم
وقال مقاتل بل علموا في الاخرة حين عاينوها ما شكوا وعموا عنه في الدنيا كقوله بل هم
في شك منها اي هم اليوم في شك من الساعة وعلى قراءة ادارك اي تتابع علمهم في الاخرة
انها كاينة وهم في شك في وقتهم وقيل استفهام معناه هل تدارك وتتابع بذلك في الاخرة
ام لم يتتابع وضل وغاب علمهم به فلم يبلغوه ولم يدركوه لان في الاستفهام ضربا من الجحد وقال
علي بن عيسى بل هاهنا لو ادركوا في الدنيا ما ادركوا في الاخرة لم يشكوا بل هم منها عمون
جمع عم وهو الاعمى القلب قوله وقال الذين كفروا يعني مشركي مكة ابدا تقدم الكلام
في الاستفهامين اذا اجتمعا في سورة الرعد والعامل في اذا محذوف يدل عليه لمخرجون
تقديره نبعث ونخرج ولا يجوز ان يعمل فيها مخرجون لثلاثة موانع الاستفهام وان ولام
الابتداء وفي لام الابتداء في خبر ان خلاف وذكر الزمخشري هنا عبارة حلوة فقال لان بين
يدي عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي همزة الاستفهام وان ولام الابتداء وواحدة منها
كاف فكيف اذا اجتمعن وقال ايضا فان قلت لم قدم في هذه الاية هذا على نحن واباونا
وفي اية اخرى قدم نحن واباونا على هذا قلت التقديم دليل على ان المقدم هو المعنى
المعتمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الايتين دل على اتخاذ البعث هو
الذي تعمد بالكلام وفي الاخرى على اتخاذ المبعوث بذلك الصدد واباونا عطف على اسم
كان وقام الفصل بالخبر مقام الفصل بالتاكيد **فصل** قوله انا لمخرجون من قبورنا
احيا لقد وعدنا هذا نحن واباونا من قبل اي من قبل محمد وليس ذلك بشيء ان هذا
ما هذا الا اساطير الاولين احاديثهم واكاذيبهم التي كتبوها قل سيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المجرمين فان قيل لم لم يقل كيف كان عاقبة المجرمين فالجواب
ان تانيثها غير حقيقي ولان المعنى كيف كان اخر امرهم فان قيل لم لم يقل عاقبة الكافرين
فالجواب ان بهذا يحصل التخويف لكل العصاة ثم انه تعالى صبر رسوله صلى الله عليه
وسلم على ما يناله من الكفار فقال ولا تحزن عليهم على تكذيبهم اياك ولا تكن في ضيق
مما يمكرون نزلت في المستهزيين الذين اقتسموا عقاب مكة والضيق الحرج يقال ضاق الشي

ضيقا وضيقا بالفتح والكسر ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ذكروا ذلك على
سبيل السخرية فاجاب الله تعالى بقوله عسى ان يكون ردف قوله ردف لكم فيه اوجه
اظهرها ان ردف ضمن معنى فعل يتعدى باللام اي دنا وقرب وازف ولهذا فسره ابن عباس
وبعض الذي فاعل به وقد عدي بمن ايضا على تضمنه معنى دنا قال
فلما ردفنا من عمير وصحبه • تولوا سراعا والمنية تعتق •
اي دنونا من عمير والثاني ان مفعوله محذوف واللام للعلة اي ردف الخلق لاجلكم وبسوئكم
الثالث ان اللام مزيدة في المفعول تاكيدا كزيادتها في قوله • اتخنا للحلا كل فارقينا •
وكزيادتها في قوله لربهم يرهبون وكزيادة الباء في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم وعلى هذه
الاوجه الوقف على يستعجلون الرابع ان فاعل ردف ضمير الوعد اي ردف الوعد اي قرب ودنا
مقتضاه ولكم خبر مقدم وبعض مبتدا مؤخر والوقف على هذا على ردف وهذا فيه تفكيك
للكلام والخامس ان الفعل محمول على مصدره اي الردافة لكم وبعض على تقديره اذاقة
بعض بعين حتى يتطابق الخبر والمخبر عنه وهذا اضعف مما قبله وقرا الاعرج ردف بفتح
الدال وهي لغة والكسر اشهر بعض الذي يستعجلون من العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر قوله
ان ربك لذو فضل على الناس قال مقاتل على اهل مكة حيث لم يعجل عليهم العذاب
والفضل الافضال ومعناه انه متفضل وهذه الاية تبطل قول من قال انه لا نعمة لله على
الكفار وقوله لا يشكرون يجوز ان يكون مفعوله محذوفا اي لا يشكرون نعمه ويجوز ان لا
يقدر بمعنى لا يعترفون بنعمه فعبر عن انتفا معرفتهم بالنعمة بانتفا ما يترتب على معرفتها
وهو الشكر قوله وان ربك ليعلم ما تكن العامة على ضم التا المضارعة من اكن قال تعالى
او اكننتم وابن محيصن وابن السميفع وحميد بفتحها وضم الكاف يقال كننته واكننته بمعنى
اخفيت وسترت قوله وما من غايبة في هذه التا قولان احدهما انها للمبالغة كراوية وعلامة
وقولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه تعالى قال وما من شيء شديد العيبوبة والخفا
الا وقد علمه الله والثاني انها كالتاء الداخلة على المصادر نحو العاقبة والعافية قال
الزمخشري ونظيرها الذبيحة والنطيحة والرمية في انها اسما غير صفات الا في كتاب مبين
اي في اللوح المحفوظ والمبين الظاهر المبين لمن ينظر فيه من الملايكة قوله ان هذا القران
الاية لما تم الكلام في اثبات المبدا والمعاد ذكر بعده ما يتعلق بالنبوة ولما كانت العمدة الكبرى
في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هي القران لا جرم بين الله تعالى اولا كونه معجزا من وجوه
احدها ان الاقاصيص المذكورة في القران موافقة لما هو مذكور في التوراة والانجيل مع العلم
بانه عليه السلام كان اميا ولم يخالط العلما ولم يشتغل بالاستفادة والتعلم فاذا لا يكون ذلك
الا من قبل الله تعالى واراد ما اختلفوا فيه وتباينوا وقيل ما حرم على بعضهم وقيل اخبار
الانبيا وثانيها قوله وانه لهدى ورحمة للمومنين وذلك لانا تاملنا في القران فوجدنا فيه
من الدلايل العقلية على التوحيد والحشر والنشر والنبوة وشرح صفات الله ما لم نجده في
كتاب من الكتب ووجدناه مبرا عن التناقض والتهافت فكان هدى ورحمة من هذه الوجوه
ووجدنا القوى البشرية قاصرة عن جمع كتاب على هذا الوجه فعلمنا انه ليس الا من عند الله
تعالى فكان القران معجزا من هذه الجهة وثالثها انه لهدى ورحمة للمومنين لبلوغه في الفصاحة
الى حيث عجزوا عن معارضته وذلك معجزة قوله بحكمه العامة على ضم الحا وسكون الكاف وجناح
بن حبيش بكسرها وفتح الكاف جمع حكمة اي يقضي بين المختلفين في الدين يوم القيمة بحكمه
الحق وهو العزيز المنيع فلا يرد له امر العليم باحوالهم فلا يخفى عليه شيء فان قيل القضا والحكم
شيء واحد فقوله يقضي بحكمه كقوله تقضي بقضايه ويحكم بحكمه فالجواب معنى قوله بحكمه
اي بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل او اراد بحكمه على القراة بكسر الحا قوله فتوكل
على الله انك على الحق المبين اي البين انك لا تسمع الموتى يعني الكفار انما حسن جعله سببا
للامر بالتوكل لان الانسان ما دام يطمع في احد شيئا فانه لا يقوى قلبه على اظهار مخالفته فاذا
قطع طمعه عنه قوي قلبه على اظهار مخالفته فالله تعالى قطع طمع محمد عليه السلام بان
بين انهم كالموتى وكالصم والعمي فلا يسمعون ولا يفهمون ولا يبصرون ولا يلتفتون الى شيء من

الدلايل وهذا سبب لقوة قلبه عليه السلام على اظهار الدين كما ينبغي قوله ولا يسمع الصم
الدعا قرا ابن كثير لا يسمع بالياء مفتوحة وفتح الميم الصم رفع وكذلك في سورة الروم وقرا الباقون
بالتاء وضمها وكسر الميم الصم نصب اذا ولوا مدبرين معرضين فان قيل ما معنى قوله ولوا مدبرين
واذا كانوا صما لا يسمعون سواء ولوا او لم يولوا قيل ذكره تاكيد او مبالغة وقيل الاصم اذا كان حاضرا
قد يسمع برفع الصوت ويفهم بالاشارة فاذا ولى مدبرا لم يسمع ولم يفهم قال قتادة الاصم اذا ولى
مدبرا ثم ناديته لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع ما يدعى اليه من الايمان والمعنى انه لفرط اعراضهم
عما يدعون اليه كالميت الذي لا سبيل الى اسماعه والاصم الذي لا يسمع قوله وما انت بهادي العمي
على هادي مضافا للعمي وحمزة تهدي فعلا مضارعا والعمي نصب على المفعول به وكذلك التي
في الروم ويحيى بن الحرث وابو حياة بهاد منونا العمي منصوب به وهو الاصل واتفق القرا على ان
يقفوا على هاد في هذه السورة بالياء لانها رسمت في المصحف ثابتة واختلفوا في الروم
لوقف الاخوان عليها بالياء ايضا كهذه اما حمزة فلانه يقراها تهدي فعلا مضارعا مرفوعا
فياوه ثابتة قال الكسائي من قرا تهدي لزمه ان يقف بالياء وانما لزمه ذلك لان الفعل لا يدخله
تنوين في الوصل يحذف له الياء فيكون في الوقف كذلك كما يدخل التنوين على هاد ونحوه
فتذهب الياء في الوصل فيجري الوقف على ذلك لمن وقف بغير ما انتهى ويلزم على ذلك
ان يوقف على تقضي الحق ويدع الانسان باثبات الياء والواو ولكن يلزم حمزة مخالفة
الرسم دون القياس واما الكسائي فانه يقراها بهادي اسم فاعل كالجماعة فاثباته للياء بالحمل
على هادي في هذه السورة وفيه مخالفة الرسم السلفي قوله عن ضلالتهم فيه وجهان
احدهما انه متعلق بيهتدي وعدي بعن لتضمنه معنى تصرفهم والثاني انه متعلق بالعمي لان

فصل

المعنى ما انت بمرشد من اعماه الله فانك تقول عمي عن كذا ذكره ابو البقا
عن الهدى واعمى قلبه عن الايمان ان تسمع ما تسمع الا من يومن باياتنا الا من يصدق بالقران
انه من الله فهم مسلمون مخلصون لله في قراة من اسلم وجهه لله يعني سلما لله خالصا
لله قوله واذا وقع عليهم القول اي مضمون القول او اطلق المصدر على المفعول اي
المقول ومعنى وقع القول عليهم وجب العذاب عليهم وقال قتادة اذا غضب الله عليهم
اخرجنا لهم دابة من الارض قوله تكلمهم العامة على التشديد وفيه وجهان اظهرهما
انه من الكلام والحديث ويويده قراة ابي تنبيهم وقراة يحيى بن سلام تحدثهم وهما تفسيران
لها والثاني تجرحهم ويدل عليه قراة ابن عباس وابن جبير ومجاهد وابي زرعه والجحدري
تكلمهم بفتح التاء وسكون الكاف وضم اللام من الكلم وهو الجرح وقد قري تجرحهم وجا في
الحديث انها تسم الكافر قوله ان الناس قرا الكوفيون بفتح ان والباقون بالكسر فاما
الفتح فعلى تقدير الباء اي بان الناس ويدل عليه التصريح بها في قراة عبد الله بان الناس
ثم هذه الباء يحتمل ان تكون معدية وان تكون سببية وعلى التقديرين يجوز ان يكون
تكلمهم بمعنييه من الحديث والجرح اي تحدثهم اي بان الناس او بسبب ان الناس او تجرحهم
بان الناس اي تسمهم بهذا اللفظ او تسمهم بسبب انتفاء الايمان واما الكسر فعلى الاستيناف
ثم هو يحتمل لان يكون من كلام الله تعالى وهو الظاهر وان يكون من كلام الدابة فيعكر عليه
باياتنا ويجاب عنه اما باختصاصها مع اضافة الايات اليها كقولك اتباع الملوك دوابنا
وخيلنا وهي لملكهم واما على حذف مضاف اي بايات ربنا وتكلمهم ان كان من الحديث فيجوز
ان يكون اما الاجرا تكلمهم مجرى تقول لهم واما على اضمار القول اي فتقول كذا وهذا القول

فصل

تفسير لتكلمهم قال السدي تكلمهم ببطلان الاديان سوى دين الاسلام
وقيل يقول للواحد هذا مومن وهذا كافر وقيل كلامها ما قال ان الناس كانوا باياتنا
لا يوقنون يخبر الناس ان اهل مكة لم يومنوا بالقران والبعث قال ابن عمر وذلك حين لا
يومر بمعروف ولا ينهى عن منكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال ستا
طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان والدابة وخاصة احدكم وامر العامة وقال
عليه السلام ان اول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس
ضحى فايهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها وقال عليه السلام يكون للدابة ثلاث

خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية
يعني مكة ثم تمكث زمانا طويلا ثم يخرج خرجة اخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها بالبادية ويدخل
ذكرها القرية يعني مكة ثم بينا الناس يوما في اعظم المساجد على الله حرمة واكرمها على الله عز
وجل يعني المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو قال الراوي ما بين الركن
الاسود الى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فارفض الناس عنها وثبتت لها
عصابة عرفوا انهم لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض راسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم
حتى تركتها كانها الكواكب الدرية ثم ولت في الارض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل
ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتاتيه من خلفه فتقول يا فلان الان تصلي فيقبل عليها بوجهه
فتسمه في وجهه فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في اسفارهم ويشتركون في الاموال
يعرف الكافر من المومن فيقال للمومن يا مومن وللكافر يا كافر وقال عليه السلام تخرج الدابة
ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه المومن بالعصى وتخطم انف الكافر بالخاتم
حتى ان اهل الخوان يجتمعون فيقول هذا يا مومن ويقول هذا يا كافر وروي عن علي قال
ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كانه يشير الى انه رجل والاكثرون على انها دابة لما روي
ابن جرير عن ابي الزبير انه وصف الدابة فقال راسها راس الثور وعينها عين الخنزير واذنها
اذن فيل وقرنها قرن ايل وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر
وذنبها ذنب كبش وقوايمها قوايم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا معها عصى موسى وخاتم
سليمان وذكرنا في الحديث وروي حذيفة بن اليمان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الدابة قلت يا رسول الله من اين تخرج قال من اعظم المساجد حرمة على الله بينما
عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم وتنشق الصفا مما يلي المشعر
وتخرج الدابة من الصفا اول ما يبدو منها راسها ملمعة ذات وبر وريش لم يدركها طالب ولا
يفوتها هارب تسم الناس مومنا وكافرا اما المومن فتترك وجهه كانه كوكب دري وتكتب
بين عينيه مومن واما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سودا وتكتب بين عينيه كافر
وروي عن ابن عباس انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي
هذه وروي ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بيس الشعب شعب جياد مرتين
او ثلاثا قال ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من
بين الخافقين قال وهب وجهها وجه الرجل وساير خلقها خلق الطير فتخبر من امرها ان
اهل مكة كانوا بمحمد والقران لا يوقنون قوله ويوم نحشر من كل امة اي من كل قرن جماعة ومن
كل امة يجوز ان يكون متعلقا بالحشر ومن لابتداء الغاية وان يتعلق بمحذوف على انه حال من
فوجا لانه يجوز ان تكون صفة له في الاصل والفوج الجماعة كالقوم وتقدم الراغب فقال
الجماعة المارة المسرعة وكان هذا هو الاصل ثم اطلق وان لم يكن مرور وله اسراع والجمع افواج
وفووج وممن يكذب صفة له ومن في من كل تبعيضية وفي ممن يكذب تبيينية قوله فهم
يوزعون اي يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى النار حتى اذا جاوا يوم القيمة
قال لهم الله اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما ولم تعرفوها حق معرفتها والواو في ولم تحيطوا
يجوز ان تكون العاطفة وان تكون الحالية وعلما تمييز قوله اما ماذا ام هنا منقطعة وتقدم
حكمها وماذا يجوز ان يكون برمته استفهاما منصوبا بتعملون الواقع خبرا عن كنتم وان يكون ما استفهاما مبتدا
وذا موصول خبره والصلة كنتم تعملون وعايده محذوف اي اي شي الذي كنتم تعملونه
وقرا ابو حياة اما بتخفيف الميم جعل همزة الاستفهام داخلة على اسمه تاكيدا كقوله
اهل راونا بوادي القف ذي الاكم

فصل

اماذا كنتم تعملون حين لم تتفكروا
فيها لانه قال ما لم تشتغلوا بذلك العمل المهم فاي شي كنتم تعملونه بعد ذلك ثم قال ووقع
القول عليهم اي وجب العذاب الموعود عليهم بما ظلموا اي بسبب ظلمهم وتكذيبهم بايات الله وبعضهم
جعل ما بمعنى الذي فهم لا ينطقون قال قتادة كيف ينطقون ولا حجة لهم نظيره قوله تعالى
هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون وقيل لا ينطقون لان افواههم مختومة ثم انه
تعالى لما خوفهم باحوال القيمة ذكر كلاما يصلح ان يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر وعلى النبوة

مبالغة في الارشاد الى الايمان والمنع من الكفر فقال اولم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه
والنهار مبصرا مضيا يبصرون فيه فقوله ليسكنوا فيه فيه حذف من الاول ما اثبت نظيره
في الثاني ومن الثاني ما اثبت نظيره في الاول اذ التقدير جعلنا الليل مظلما لتسكنوا فيه
والنهار مبصرا لتتصرفوا فيه فحذف مظلما لدلالة مبصرا ولتتصرفوا لدلالة لتسكنوا وقوله مبصرا
كقوله اية النهار مبصرة وتقدم تحقيقه في الاسرا وقال الزمخشري فان قلت ما للتقابل لم يراع
في قوله لتسكنوا ومبصرا حيث كان احدهما علة والاخر حالا قلت هو مراعي من حيث المعنى وهكذا
النظم المطبوع غير المتكلف يريد لم لا قال والنهار لتتصرفوا فيه واجاب غيره بان السكون
في الليل هو المقصود لانه وسيلة الى جلب المنافع الدينية والدنيوية ان في ذلك لايات
لقوم يومنون ليصدقون فيعتبرون وخص المومنين بالذكر وان كانت الادلة للكل لان المومنين
هم المنتفعون كقوله هدي للمتقين قوله ويوم ينفخ في الصور هذه العلامة الثانية
لقيام القيامة والصور قرن ينفخ فيه اسرافيل فاذا سمع الناس ذلك الصوت يصعقون ثم
يموتون وهذا قول الاكثرين وقال الحسن الصور هو الصور واول بعضهم كلامه ان الارواح
تجمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الارواح الى الاجساد فتحيى الاجساد قوله ففزع من في
السموات ومن في الارض قال ففزع بلفظ الماضي ولم يقل فيفزع لتحققه وثبوته وانه
كان لا محالة لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل كقوله اتى امر الله والمعنى يلقي عليهم
الفزع الى ان يموتوا قيل ينفخ اسرافيل في الصور ثلث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق
ونفخة القيام لرب العالمين قوله الا من شا الله فالمراد الامن ثبت الله قلبه من الملايكة
قالوا هم جبريل وميكاييل واسرافيل وملك الموت وجا في الحديث انهم الشهدا يتقلدون اسيافهم
حول العرش قال سعيد بن جبير وعطا عن ابن عباس هم الشهدا لانهم احيا عند ربهم وعن
الضحاك هم رضوان والحور وخزنة النار وحملة العرش وكل اتوه اي الذين احيوا بعد الموت
قوله اتوه قرا حمزة وحفص اتوه فعلا ماضيا ومفعوله الها والباقون اتوه اسم فاعل مضافا
للها وهذا حمل على معنى كل وهي مضافة تقديرا اي وكلهم وقرا قتادة اتاه ماضيا مسندا الضمير
كل على اللفظ ثم حمل على معناها فقرا داخرين والاحسن والاعرج وحريت بغير الف اي صاغرين
قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة هذه العلامة الثالثة لقيام القيمة وهو قوله تعالى
ويوم نسير الجبال جامدة قايمة واقفة وتحسبها جامدة هذه الجملة حالية من فاعل ترى او من
مفعوله لان الروية بصرية قوله وهي تمر الجملة حالية ايضا وهكذا الاجرام العظيمة تراها
واقفة وهي مارة قال النابغة الجعدي يصف جيشا كثيفا •

• بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج •

ومر السحاب مصدر تشبيهي قوله صنع الله مصدر موكد لمضمون الجملة السابقة عامله
مضمر اي صنع الله ذلك صنعا ثم اضيف بعد حذف عامله وجعله الزمخشري موكدا للعامل في
يوم ينفخ في الصور وقدره ويوم ينفخ وكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المسيين في
كلام طويل جريا على مذهبه وقيل منصوب على الاغرا اي انظروا صنع الله وعليكم به والاتقان
الاتيان بالشي على اكمل حالاته وهو من قولهم تقن ارضه اذا ساق اليها الما الخاثر بالطين
لتصلح للزراعة وارض تقنة والتقن فعل ذلك بها والتقن ايضا ما رمي به في الغدير من ذلك
او الارض ومعنى اتقن كل شي اي احكمه انه خبير بما يفعلون قرا ابن كثير وابو عمرو وهشام بالغيبة
جريا على قوله وكل اتوه والباقون بالخطاب جريا على قوله وترى لان المراد النبي صلى الله
عليه وسلم وامته قوله من جا بالحسنة فله خير منها فى خير وجهان احدهما انها للتفضيل
باعتبار زعمهم او على حذف مضاف اي خير من قدرها واستحقاقها فمنها في محل نصب وان لا
تكون للتفضيل فتكون منها في موضع رفع صفة لها قوله وهم من فزع يوميذ قرا اهل الكوفة
من فزع بالتنوين كانه فزع دون فزع وبفتح اهل المدينة الميم من يوميذ وتقدم في هود
فتح يوم وجره واذ مضافة للجملة حذفت وعوض عنها التنوين والاحسن ان تقدير يوميذ
جا بالحسنة وقيل يوميذ ترى الجبال وقيل يوميذ ينفخ في الصور والاول اولى لقربه فاقدر
منه لما تكلم في علامات القيمة شرح بعد ذلك احوال المكلفين بعد قيام

القيمة والمكلف اما ان تكون مطيعا او عاصيا اما المطيع فهو الذي جا بالحسنة وهي كلمة الاخلاص
قال ابو معشر يحلف ما استثنى ان الحسنة لا اله الا الله وقيل كل طاعة فله خير منها قال ابن عباس
يعني له من تلك الحسنة خير يوم القيمة وهو الامن من العذاب اما ان يكون له شي خير من الايمان فلا فانه
ليس شي خير من قول لا اله الا الله وقيل خير منها يعني رضوان الله قال تعالى ورضوان من الله
اكبر وقال محمد بن كعب وعبد الرحمن بن زيد خير منها يعني الاضعاف اعطاه الله بالواحدة عشرا
فصاعدا وهذا احسن لان للاضعاف خصايص وقيل ان الثواب خير من العمل لان الثواب دايم
والعمل منقض ولان العمل فعل العبد والثواب فعل الله تعالى وهم من فزع يوميذ امنون اي
امنون من كل فزع فان قيل اليس قال في اول الاية ففزع من في السموات ومن في الارض فكيف
نفى الفزع ههنا فالجواب ان الفزع الاول هو ما لا يخلو عنه احد عند الاحساس لشدة تقع او هول
يفجا وان كان المحسن يامن وصول ذلك الضرر اليه واما الثاني فهو الخوف من العذاب واما من قرا
من فزع بالتنوين فهو يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العذاب واما ما يلحق الانسان
من الرعب عند مشاهدته فلا ينفك منه احد فان قيل الحسنة لفظة مفردة معرفة وقد ثبت
انها لا تفيد العموم بل يكفي في تحققها حصول فرد من افرادها واذا كان كذلك فلنحملها على اكمل الحسنات
شانا واعلاها درجة وهو الايمان ولهذا قال ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة وهذا يوجب
القطع بانه لا يعاقب اهل الايمان فالجواب ذلك الخبر هو ان لا يكون عقابه مخلدا ومن يتعدي
بالجار وبنفسه كقوله تعالى افامنوا مكر الله قوله ومن جا بالسيية يعني الاشراك فكبت وجوههم
في النار يجوز ان يكون ذكر الواحدة ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين يقال كبت
الرجل اذا القيته على وجهه فاكب وانكب قوله هل تجزون على اضمار قول وهذا القول حال
مما قبله اي كبت وجوههم مقولا لهم ذلك القول قوله انما امرت اي قل يا محمد انما امرت اي امرت
ان اخص الله وحده بالعبادة ثم انه تعالى وصف نفسه بامرين احدهما انه رب هذه البلدة
والمراد مكة وانما خصها من بين ساير البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واكرمها عليه
واشار اليها اشارة تعظيم لها دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه قوله الذي حرمها هذه
قراة الجمهور صفة للرب وابن مسعود وابن عباس التي صفة للبلدة والسياق انما هو للرب
لا للبلدة فلذلك كانت العامة واضحة والمعنى جعلها الله حرما امنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد
ولا يصطاد صيدها ولا يختلا خلاها وله كل شي خلقا وملكا وانما ذكر ذلك لان العرب كانوا تفتخر في
بكون مكة محرمة وعلموا ان تلك الفضيلة ليست من الاصنام بل من الله فكانه قال لما علمت وعلمتم
انه سبحانه هو المولي لهذه النعم وجب علي ان اخصه بالعبادة وامرت ان اكون من المسلمين قوله
وان اتلو القران العامة على اثبات الواو بعد اللام وفيها تاويلان اظهرهما انه من التلاوة وهي
القراة وما بعده يلايمه والثاني من المتلو وهو الاتباع كقوله واتبع ما يوحي اليك وقرا عبد الله
واتل امر له عليه السلام فان يجوز ان تكون المفسرة وان تكون المصدرية وصلت بالامر وتقدم
ما فيه فصل المعنى وامرت ان اتلو القران ولقد قام بذلك صلوات الله عليه
وسلامه اتم قيام فمن اهتدي فيما تقدم من المسايل وهي التوحيد والحشر والنبوة فانما يهتدي
لنفسه اي منفعة اهتدايه راجعة اليه ومن ضل عن الايمان واخطا طريق الهدي فقل انما
انا من المنذرين المخوفين فليس علي الا البلاغ نسختها اية القتال قوله ومن ضل يجوز
ان يكون الجواب قوله فقل انا ولا بد من حذف عايد على اسم الشرط اي من المنذرين له لما تقدم
في البقرة وان يكون الجواب محذوفا اي فوباله ضلاله عليه قوله وقل الحمد لله على ما اعطاني
من نعمة العلم والحكمة والنبوة او على ما وفقني من القيام باداء الرسالة والانذار سيريكم اياته
القاهرة فتعرفونها يعني يوم بدر من القتل والسبي وضرب الملايكة وجوههم وادبارهم
نظيره قوله تعالى ساريكم اياتي فلا تستعجلون وقال مجاهد سيريكم اياته في السما والارض
وفي انفسكم كما قال سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم فتعرفونها اي تعرفون الايات
والدلالات وما ربك بغافل عما يعملون قري بالتا واليا وهذا وعيد لهم بالجزاء على اعمالهم
روي ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا طس النمل كان له من الاجر عشر
حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم عليهم السلام ويخرج من قبره وهو

ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية

الا قوله عزوجل الذين اتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين وفيها اية نزلت بين
مكة والمدينة وهي قوله ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد وهي ثمان وثمانون اية
والف واربعمائة واحدى واربعون كلمة وخمسة الاف وثمانماية حرف ولقايل ان يقول لم لا
سميت سورة موسى لاشتمالها على قصة موسى فقط من حين ولد الى ان اهلك الله فرعون
وخسف بقارون كما سميت سورة نوح وسورة يوسف لاشتمالهما على قصتيهما ولا يقال سميت
بذلك لذكر القصص فيها في قوله فلما جاءه وقص عليه القصص لان سورة يوسف فيها ذكر
القصص مرتين الاولى نحن نقص عليك احسن القصص والثانية قوله لقد كان في قصصهم
عبرة فكانت سورة يوسف اولى بهذا الاسم وايضا فكانت سورة هود اولى بهذا الاسم
يعني بسورة القصص لانه ذكر فيها قصص سبعة انبيا وهذه ليس فيها الا قصة واحدة
فكان ينبغي العكس وان يسمي سورة هود سورة القصص وهذه سورة موسى

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلوا عليك يجوز ان يكون مفعول نتلو محذوفا
دل عليه صفته وهي من نبا موسى تقديره نتلوا عليك شيئا من نبا موسى ويجوز ان يكون
من مزيدة على راي الاخفش اي نتلوا عليك نبا موسى قوله بالحق يجوز ان يكون حالا من
فاعل نتلوا او من مفعوله اي نتلوا عليك بعض خبرهما ملتبسين او ملتبسا بالحق او متعلق
بنفس نتلو اي نتلوه بسبب الحق ولقوم متعلق بفعل التلاوة اي لاجل هولاء ويومنون
يصدقون وخصهم بالذكر لانهم قبلوا وانتفعوا قوله ان فرعون هذا هو المتلو وجي به في
جملة مستانفة موكدة وقري فرعون بضم الفا وكسرها والكسر احسن وهو القسطاس علا
في الارض استكبر وتجبر وجعل اهلها شيعا وفرقا واصنافا في الخدمة والتسخير يتبعونه على
ما يريد ويطيعونه قوله يستضعف يجوز فيه ثلثة اوجه احدها انه مستانف بيان لحال
الاهل الذين جعلهم فرقا واصنافا الثاني انه حال من فاعل جعل اي جعلهم كذا حال
كونه مستضعفا طايفة منهم الثالث انه صفة لطايفة قوله يذبح يجوز فيه الثلثة
الاوجه الاستيناف تفسيرا ليستضعف او الحال من فاعله او صفة ثانية لطايفة والعامة
على التشديد في يذبح للتكثير وابو حيوة وابن محيصن يذبح مفتوح اليا والبا مضارع
ذبح مخففا **فصل** المراد بالطايفة بنوا اسرايل ثم فسر الاستضعاف فقال
يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم سمي هذا استضعافا لانهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن
انفسهم انه كان من المفسدين وذكروا في سبب ذبح الابنا وجوها قيل ان كاهنا قال
لفرعون يولد مولود في بني اسرايل في ليلة كذا يذهب ملكك على يده فولد تلك الليلة اثنا عشر
غلاما فقتلهم وبقي هذا العذاب في بني اسرايل سنين كثيرة قال وهب قتل من القبط في
طلب موسى تسعين الفا من بني اسرايل وقال السدي ان فرعون راى في منامه ان نارا
اقبلت من بيت المقدس الى مصر فاحرقت القبط دون بني اسرايل فسال عن روياه فقيل له
يخرج من هذا البلد من بني اسرايل رجل يكون هلاك مصر على يده فامر بقتل الذكور وقيل
ان الانبيا الذين كانوا قبل موسى عليه السلام بشروا بمجيئه فسمع فرعون ذلك فامر بذبح ابنا
بني اسرايل قوله ونريد ان نمن فيه وجهان اظهرهما انه عطف على قوله ان فرعون علا عطف
فعلية على اسمية لان كليهما تفسير للنبا والثاني انه حال من فاعل يستضعف وفيه ضعف
من حيث الصناعة ومن حيث المعنى اما الصناعة فلكونه مثبتا فحقه ان يتجرد من الواو
واضمار مبتدا قبله اي ونحن نريد كقوله • نجوت وارهنتهم مالكا •
وهذا تكلف لا حاجة اليه واما المعنى فكيف يجتمع استضعاف فرعون وارادة المنة من
الله لا تمن من الله عليهم بتقدر استضعاف فرعون اياهم وقد اجيب عن ذلك بانه لما
كانت المنة بخلاصهم من فرعون سريعة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم

قوله

قوله ونجعلهم ايمة قال مجاهد دعاة الى الخير وقال قتادة ولاة وملوكا لقوله تعالى
وجعلكم ملوكا وقيل يقتدي بهم في الخير ونجعلهم الوارثين يعني لملك فرعون وقومه يخلفونهم
في مساكنهم قوله ونمكن العامة على ذلك من غير لام علة والاعمش لنمكن بلام العلة ومتعلقها
محذوف اي ولنمكن فعلنا ذلك والمعنى نوطي لهم في الارض مصر والشام ونجعلها لهم مكانا يستقرون
فيه وينبذ اموالهم ويطلق ايديهم يقال مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه ووطاه ومهده
قوله ونري فرعون وهامان وجنودهما قرا الاخوان ويري بفتح اليا والرا مضارع راي
مسندا الى فرعون وما عطف عليه فلذلك رفعوا والباقون بضم النون وكسر الرا مضارع اري
فلذلك نصب فرعون وما عطف عليه مفعولا اول وما كانوا هو الثاني ومنهم متعلق بفعل
الرؤية لا الارادة لانه لا يحذرون لان ما بعد الموصول لا يعمل فيما قبله ولا ضرورة بنا الى ان نقول
استرخي فيه والحذر هو التوقي من الضرر والمعنى ما كانوا خايفين منه قوله ان ارضعيه
يجوز ان تكون المفسرة والمصدرية وقرا عمر بن عبد العزيز وعمر بن عبد الواحد بكسر النون
على التقا الساكنين كانه حذف همزة القطع على غير قياس فالتقى ساكنان فكسر اولهما فصل
واوحينا الى ام موسى وحي الهام لا وحي نبوة قال قتادة قذفنا في قلبها واسمها يوخابذ وقيل
اياذخا وقيل اباذخت قاله ابن كثير بنت لاوي بن يعقوب ان ارضعيه قيل ارضعيه ثمانية
اشهر وقيل اربعة اشهر وقيل ثلاثة اشهر كانت ترضعه في حجرها وهو لا يبكي ولا يتحرك فاذا
خفت عليه يعني من الذبح فالقيه في اليم واليم البحر واراد هنا النيل ولا تخافي ولا تحزني
قيل لا تخافي عليه من الغرق وقيل من الضيعة ولا تحزني على فراقه فانا رادوه اليك لتكوني
انت المرضعة وجاعلوه من المرسلين الى اهل مصر والشام قال المفسرون انها لما خافت عليه
من الذبح وضعته في تابوت والقته في النيل ليلا قال ابن كثير وقيل انها ربطت التابوت
في حبل وكانت دارها على حافة النيل فكانت ترضعه واذا خشيت من احد وضعته في ذلك
التابوت وارسلته في البحر وامسكت طرف الحبل عندها فاذا ذهبوا استرجعته اليها فكان
لفرعون قوابل منهم رجال يطوفون على الحوامل فمن وضعت ذكرا ذبحوه فارسلت ام موسى
التابوت يوما وذهلت عن ربطه فذهب مع النيل قال ابن عباس وغيره وكان لفرعون
يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان لها برص فقال له الاطبا
انها لا تبرا الا من قبل البحر يوخذ منه شبه الانسي فيوخذ من ريقه فيلطخ به
برصها فتبرا من ذلك وذلك يوم كذا وساعة كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك
اليوم غدا فرعون في مجلس له كان على شفير النيل ومعه اسية بنت مزاحم بن عبيد بن
الريان بن الوليد بن الذي كان فرعون في زمن يوسف الصديق وهي امراة فرعون وقيل
كانت من بني اسرايل من سبط موسى وقيل كانت عمته حكاه السهيلي واقبلت بنت فرعون
في جواريها حتى جلست على شاطي النيل اذ اقبل النيل بتابوت تضرب به الامواج تعلق
بشجرة فقال ايتوني به فابتدروه بالسفن من كل جانب ووضعوه بين يديه فعالجوا فتحه
فلم يقدروا عليه فنظرت اسية فرات نورا في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته
فاذا هو صبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه فالقى الله محبته في قلوب القوم وعمدت
ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبريت فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن
ان هذا هو الذي تحذر منه رمي في البحر فرقا منك فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته
امراة فرعون فترك قتله وقوله فالتقطه ال فرعون اي جواريه قوله ليكون في اللام الوجهان
المشهوران العلة المجازية بمعنى ان ذلك لما كان نتيجة فعلهم وثمرته شبه بالداعي الذي
يفعل الفاعل الفعل لاجله والصيرورة وقوله وحزنا قرا العامة بفتح الحا والزاي وهي
لغة قريش والاخوان بضم وسكون وهما لغتان بمعنى واحد كالعدم والعدم ان فرعون الخ
وهامان وجنودهما كانوا خاطيين العامة على الهمز ماخوذ من الخطا ضد الصواب وقري بيا
دون همز فيحتمل ان يكون كالاول ولكن خفف وان يكون من خطا يخطو اي يجاوز الصواب
قوله قرة عين لي ولك فيه وجهان اظهرهما انه خبر مبتدا مضمر اي هو قرة عين والثاني
وهو بعيد جدا ان يكون مبتدا والخبر لا تقتلوه وكان هو القائل حقه ان يذكر فيقول لا تقتلوها

الا انه لما كان المراد مذكرا ساغ ذلك والعامة من القرا والمفسرين واهل العلم يقفون على
ذلك ونقل ابن الانباري بسنده الى ابن عباس عنه انه وقف على لا اي هو قرة عين لي
فقط ولك لا اي ليس هو لك قرة عين ثم يبتدي بقوله تقتلوه وهذا لا ينبغي ان يصح عنه
وكيف يبقى تقتلوه من غير نون رفع ولا مقتضى لحذفها ولذلك قال الفرا هو لحن قوله عسى
ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها قال فرعون
اما انا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال يومئذ هو قرة عين
لي كما هو لك لهداه الله كما هداها فقالوا لاسيه سميه قالت سميته موسى لانا وجدناه في الما
والشجر من غير طلب قوله وهم لا يشعرون جملة حالية وهل هي من كلام الباري تعالى وهو
الظاهر او من كلام امراة فرعون كانها لما رات ملاه اشاروا بقتله قالت له كذا اي افعل انت
ما اقول لك وقومك لا يشعرون انا التقطناه قاله الكلبي وجعل الزمخشري الجملة من قوله
وقالت امراة فرعون معطوفة على فالتقطه والجملة من قوله ان فرعون وهامان الى
خاطئين معترضا بين المتعاطفين وجعل متعلق الشعور من جنس الجملة المعترضة اي لا
يشعرون انهم على خطا في التقاطه وان هلاكهم على يديه قال ابو حيان ومتى امكن
حمل الكلام على ظاهره من غير فصل كان احسن قوله واصبح فواد ام موسى فارغا قال
الحسن فارغا من كل هم الا هم موسى وقال ابو مسلم فراغ الفواد هو الخوف والاشفاق
كقوله وافيده تم هواه وقال الزمخشري فارغا صفرا من العقل والمعنى انها حين سمعت
بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والخوف وقال الحسن ومحمد بن اسحاق فارغا
من الوحي الذي اوحينا اليها ان القيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك فجاءها
الشيطان وقال لها كرهت ان يقتل فرعون ولدك فيكون لك اجره وثوابه وتوليت انت قتله
فالقيتيه في البحر واغرقتيه فلما اتاها خبر موسى انه وقع في يد فرعون فانساها عظم البلا
ما كان من عهد الله اليها وقال ابو عبيده فارغا من الحزن لعلمها بانه لا يقتل اعتمادا على
تكفل الله بمصلحته قال ابن قتيبة وهذا من العجايب كيف يكون فوادها فارغا من الحزن
والله تعالى يقول لولا ان ربطنا على قلبها وهل يربط الا على قلب الجازع المحزون ويمكن
ان يجاب عنه بانه لا يمتنع انها لشدة ثقتها بوعد الله جازع عند اظهار عدم الحزن وابقت
الها وان اظهرت ذلك فانه يسلم لاجل ذلك الموعد الا انه كان في المعلوم ان اظهارها يعتبر بربط
الله على قلبها وقال المبرد فارغا خبرا اصبح اي فارغا من العقل او من الصبر او من الحزن
وهو ابعدها ويرده قراات تخالفه فقرا فضالة والحسن فزعا بالزاي من الفزع وابن عباس
فرغا بالقاف وكسر الرا وسكونها من قرع راسه اذا انحسر شعره والمعنى خلا من كل شي وانحسر
عنه كل شي الا ذكر موسى وقيل الساكن الرا مصدر قرع يقرع اي اصيب وقري فزغا
بكسر الفا وسكون الزاي الغين معجمة اي هدرا كقوله

فان يك قتلي قد اصيبت نفوسهم • فلن يذهبوا فزغا بقتل حبال

فزعا حال من يقتل وقرا الخليل فزغا بضم الفا والراو اعجام الغين من هذا المعنى ويقولون
دماهم بينهم فزغ اي هدر قوله ان كادت لتبدي ان اما مخففة واما نافية واللام اما
فارقة واما بمعنى الا والهاء في به راجعة الى موسى اي ان كادت لتبدي به انه ابنها من شدة
وجدها وقال عكرمة عن ابن عباس كادت تقول واابناه حين رات الموج يرفع التابوت
ويضعه وقال الكلبي كادت تظهر انه ابنها حين سمعت الناس يقولون انه ابن فرعون
وقال السدي لما اخذ من الما كادت تقول هو ابني فعصمها الله وقال بعضهم الهاء عايدة
الى الوحي اي كادت تبدي بالوحي الذي اوحى الله اليها انه يرده عليها قوله لولا ان ربطنا
جوابها محذوف اي لابدت كقوله وهم بها لولا ان راى برهان ربه والمعنى لولا ان ربطنا
على قلبها بالعصمة والصبر والتثبت ولتكون من المومنين متعلق بربطنا والمعنى لتكون
من المومنين المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك قوله وقالت لاخته قصيه
اي قصي اثر موسى تتبعي اثره حتى تعلمي خبره وكانت اخته لابيه وامه واسمها مريم قوله
فبصرت به اي ابصرته وقرا قتادة بصرت بفتح الصاد وعيسى بكسرها قال المبرد ابصرته

وبصرت

وبصرت به بمعنى ونفذ ومعناه في طه وعن جنب في موضع الحال اما من الفاعل اي بصرت به
مستخفية كاينة عن جنب واما من المجرور اي بعيدا منها وقرا العامة جنب بضمتين وهو صفة لمحذوف
اي عن مكان بعيد وقال ابو عمرو بن العلا اي عن شوق وهي لغة جذام يقولون جنبت اليك
اي اشتقت وقرا قتادة والحسن والاعرج وزيد بن علي بفتح الجيم وسكون النون وعن قتادة
ايضا بفتحهما وعن الحسن جنب بالضم والسكون وعن سالم عن جانب وكلها بمعنى ومثله الجناب والجنابة
قوله وهم لا يشعرون جملة حالية ومتعلق الشعور محذوف اي انها تقصه او انه سيكون لهم
عدوا وحزنا او انها اخته او انها ترقبه قوله وحرمنا عليه المراضع قيل يجوز ان يكون جمع مرضع وهي
المراة وقيل جمع مرضع بفتح الجيم والضاد ثم جوزوا فيه ان يكون مكانا اي مكان الارضاع وهو
الثدي وان يكون مصدرا اي الارضاعات اي انواعها ومن قبل اي من قبل قصها اثره او من قبل
مجي اخت موسى ومن قبل ولادته في حكمنا وقضاينا والمراد من التحريم المنع لان التحريم بالنهي
تعبد وذلك لا يصح فلا بد من حمل سواه ويحتمل انه تعالى غير طبعه عن لبن ساير النسا فلذلك
لم يرتضع او احدث في لبنهن طعما ينفر عنه طبعه او وضع في لبن امه لذة تعود بها فكان يكره لبن
غيرها **فصل** قال ابن عباس ان امراة فرعون كان همها من الدنيا ان تجد له مرضعة فكلما
اتوه بمرضعة لم ياخذ ثديها فذلك قوله عز وجل وحرمنا عليه المراضع فلما رات اخت موسى التي ارسلتها
امه في طلبه ذلك قالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه اي يرضعونه لكم وهي امراة قد قتل
ولدها فاحب شي اليها ان تجد صغيرا ترضعه قوله وهم له ناصحون الظاهر انه ضمير موسى
وقيل لفرعون قال ابن جريج والسدي لما قالت اخت موسى وهم له ناصحون استنكروا احالها
وتفرسوا انها قرابته فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فتخلصت منهم وهذا يسمى عند اهل
البيان الكلام الموجه ومثله لما سيل بعضهم وكان بين اقوام بعضهم يحب عليا دون غيره وبعضهم
ابا بكر وبعضهم عمر وبعضهم عثمان فقيل له ايهم احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
من كانت ابنته تحته وقيل لما تفرسوا انها قرابته قالت انما قلت هذا رغبة في سرور الملك
واتصالنا به وقيل انها لما قالت هل ادلكم على اهل بيت قالوا لها من قالت امي قالوا ولامك
ابن قالت نعم هارون وكان هارون ولد في سنة لا يقتل فيها قالوا صدقت فاتينا بها فانطلقت
الى امه فاخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليه فلما وجد الصبي ريح امه قبل ثديها وجعل يمصه
حتى امتلا جنباه ريا والنصح اخلاص العمل من ساير الفساد قوله فرددناه الى امه كي تقر
عينها برد موسى اليها ولا تحزن عطف على تقر ودمعة الفرح قارة ودمعة الترح حارة قال ابو تمام

فاما عيون العاشقين فاسخنت • واما عيون الشامتين فقرت •

وتقدم تحقيق هذا في مريم ولتعلم ان وعد الله حق برده اليها وقد كانت عالمة بذلك ولكن
ليس الخبر كالمعاين فتحققت وجود الموعود ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله وعدها رده اليها
قال الضحاك لما قبل ثديها قال هامان انك لامه قالت لا قال فما بالك قبل ثديك من
بين النسوة قالت ايها الملك اني امراة طيبة الريح حلوة اللبن فما شم ريحي صبي الا اقبل على
ثديي قالوا صدقت فلم يبق احد من ال فرعون الا اهدى اليها واتحفوها بالذهب والجواهر
قوله ولما بلغ اشده تقدم الكلام عليه واستوى اي بلغ اربعين سنة قاله ابن عباس
وقيل استوى انتهى شبابه بنيا وكذلك نجزي المحسنين وهذا يدل على انه ليس المراد
بالحكم النبوة لانه جعل ايتاه الحكم والعلم مجازاة على احسانه والنبوة لا يكون جزاء على العمل
قوله ودخل المدينة اي ودخل موسى المدينة قال السدي مدينة منف من ارض مصر وقال
مقاتل قرية تدعى حانين على راس فرسخين من مصر وقيل عين شمس قوله على حين
غفلة في موضع الحال اما من الفاعل اي كاينا على حين غفلة اي مستخفيا واما من المفعول
وقرا ابو طالب الفارسي على حين بفتح النون وتكلف ابو حيان تخريجها على انه حمل المصدر
على الفعل في انه اذا اضيف الظرف اليه جاز بناوه على الفتح كقوله

على حين عاتبت المشيب على الصبا •

ومن اهلها صفة لغفلة اي صادرة من اهلها **فصل** اختلفوا في السبب الذي
لاجله دخل موسى على فرعون ويلبس مثل ملابسه فركب فرعون يوما وليس عنده موسى

فلما جا موسي قيل له ان فرعون قد ركب فركب في اثره فادركه المقيل بارض منف فدخلها نصف النهار وليس في طرقها احد فذلك علي حين غفلة من اهلها وقال ابن اسحاق كان لموسي شيعة من بني اسرايل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق فارق فرعون وقومه وخالفهم في دينهم حتي ذكر ذلك منه واخافوه وخافهم فكان لا يدخل قرية الا خايفا مستخفيا وقال ابن زيد ان موسي ضرب راس فرعون ونتف لحيته فاراد فرعون قتله فقالت امراته هو صغير فجيئت بجمرة فاخذها فطرحها في فيه فبها عقد لسانه فقال فرعون لا اقتله ولكن اخرجوه عن الدار والبلد فاخرج ولم يدخل عليهم حتي كبر فدخل علي حين غفلة قوله يقتتلان صفة لرجلين وقال ابن عطية حال منهما وسيبويه وان كان جوزها من النكرة مطلقا الا ان الاكثر يشترطون فيها ما يسوغ الابتدا بها وقرا نعيم وابن ميسرة يقتلان بالادغام نقل فتحة التا الاولي الي القاف وادغم قوله هذا من شيعته مبتدا وخبر في موضع الصفة لرجلين او الحال من الضمير في يقتتلان وهو بعيد لعدم انتقالها وقوله هذا وهذا علي حكاية الحال الماضية فكانهما حاضران اي اذا نظر الناظر اليهما قال هذا من شيعته وهذا من عدوه وقال المبرد العرب تشير بهذا الي الغايب وانشد لجرير

• هذا ابن عمي في دمشق خليفة • لو شيت ساقكم الي قطينا •

فصل هذا من شيعته من بني اسرايل وهذا من عدوه من القبط قال مقاتل كانا كافرين الا ان احدهما من القبط والاخر من بني اسرايل لقول موسي عليه السلام له انك لغوي مبين والمشهور ان الاسرايلي كان مسلما قيل انه السامري والقبطي طباخ فرعون قال سعيد بن جبير عن ابن عباس لما بلغ موسي اشده لم يكن احد من ال فرعون يخلص الي احد من بني اسرايل بظلم حتي امتنعوا كل الامتناع وكان بنوا اسرايل قد عزوا بمكان موسي لانهم كانوا يعلمون انه منهم قوله فاستغاثه هذه قراة العامة من الغوث اي طلب غوثه ونصره وقرا سيبويه وابن مقسم والزعفراني بالعين المهملة والنون من الاعانة قال ابن عطية هي تصحيف وقال ابن جباره صاحب الكامل الاختيار قراة ابن مقسم لان الاعانة اولي في هذا الباب قال شهاب الدين نسبة التصحيف الي هولا غير محمودة كما ان تعاطي الهذلي في اختيار الشاذة غير محمود قوله فوكزه موسي اي دفعه بجميع كفه والفرق بين الوكز واللكز ان الاول بجميع الكف والثاني باطراف الاصابع وقيل بالعكس وقيل اللكز في الصدر والوكز في الظهر واللكز كالكلز قال •

• يا ايها الجاهل ذو التنزي • لا توعدني حية بالنكز •

وقرا ابن مسعود فلكزه وفنكزه بالنون للام والنون قوله فقضي اي موسي والله تعالي او ضمير الفعل اي الوكز فقضي عليه اي اماته وقتله وفرغ من امره وكل شي فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه فندم موسي ولم يكن قصده القتل فدفنه في الرمل وقال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين فقوله هذا اشارة الي القتل الصادر منه ومن عمل الشيطان اي من وسوسته وتسويله

فصل احتج بهذه الاية من طعن في عصمة الانبيا من وجوه احدها ان ذلك القبطي اما ان يكون مستحق القتل او لم يكن كذلك فان استحق القتل فلم قال هذا من عمل الشيطان ولم قال ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له وقال في سورة اخري فعلتها اذن وانا من الضالين وان لم يستحق القتل كان قتله معصية وذنبا وثانيها ان قوله وهذا من عدوه يدل علي انه كان كافرا حربيا فكان دمه مباحا فلم استغفر عنه والاستغفار من الفعل المباح غير جايز لانه يوهم في المباح كونه حراما وثالثها ان الوكز لا يحصل منه القتل ظاهرا فكان ذلك قتل خطا فلم استغفر منه والجواب عن الاول لم لا يجوز ان يقال انه لكفره مباح الدم واما قوله هذا من عمل الشيطان ففيه وجوه الاول ان الله تعالي وان اباح قتل الكفار الا انه كان الاولي تاخير قتله الي زمان اخر فلما قتل فقد ترك ذلك المندوب وهو قوله هذا من عمل الشيطان الثاني ان قوله هذا اشارة الي عمل المقتول لا الي عمل نفسه يعني انه من حزب الشيطان وجنده يقال فلان من عمل الشيطان وجنده اي من

احزابه واما قوله رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فعلي قول ادم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا والمراد احد وجهين اما علي سبيل الانقطاع الي الله والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب قط او من حيث حرم نفسه الثواب بترك المندوب واما قوله فاغفر لي اي فاغفر لي ترك هذا المندوب وفيه وجه اخر وهو ان يكون المراد رب اني ظلمت نفسي حيث قتلت هذا الملعون فان فرعون لو عرف ذلك لقتلني به فاغفر لي فاستره علي ولا توصل خبره الي فرعون فغفر له اي ستره عن الوصول الي فرعون ويدل علي هذا قوله رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين فلما كانت اعانة المومن هنا سببا للمعصية لما قال ذلك واما قوله فعلتها اذن وانا من الضالين فلم يقل اني صرت بذلك ضالا بل اعترف انه كان ضالا اي متحيرا لا يدري ما يجب عليه واما قوله ان كان كافرا حربيا فلم استغفر من قتله قلنا كون الكافر مباح الدم امر يختلف باختلاف الشرايع فلعل قتلهم كان حراما في ذلك الوقت وان كان مباحا لكن الاولي تركه علي ما قررناه واما قوله كان قتله خطا قلنا لا نسلم فلعل الرجل كان ضعيفا وموسي عليه السلام كان في غاية الشدة فوكزه كان قاتلا قطعا ثم ان سلمنا ولكنه عليه السلام كان يمكنه ان يخلص الاسرايلي من يده بدون الوكز الذي كان الاولي تركه فلهذا اقدم علي الاستغفار علي انا وان سلمنا دلالة هذه الاية علي صدور المعصية لكنا بينا انه لا دلالة البتة فيه لانه لم يكن رسولا في ذلك الوقت فيكون ذلك قبل النبوة وذلك لا نزاع فيه

فصل قالت المعتزلة الاية تدل علي بطلان قول من نسب المعاصي الي الله لانه عليه السلام قال هذا من عمل الشيطان فلو كانت بخلق الله لكانت من الله لا من الشيطان وهو كقول يوسف عليه السلام من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي وقول فتي موسي وما انسانيه الا الشيطان وقوله تعالي لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة وتقدم الكلام علي ذلك قوله بما انعمت يجوز في البا ان تكون قسما والجواب مقدر لاتوبن وتفسيره فلن اكون قال القفال كانه اقسم بما انعم الله عليه ان لا يظاهر مجرما اي بنعمتك علي وان تكون متعلقة بمحذوف ومعناها السببية اي اعصمني بسبب ما انعمت علي ويترتب عليه قوله فلن اكون ظهيرا وما مصدرية او بمعني الذي والعايد محذوف وقوله فلن بقي علي حقيقته وهذا يدل علي انه قال لما انعمت علي بهذا الانعام فاني لا اكون معاونا لاحد من المجرمين بل اكون معاونا للمسلمين وهذا يدل علي ان ما اقدم عليه من اعانة الاسرايلي علي القبطي كان طاعة لا معصية اذ لو كان معصية لنزل الكلام منزلة قوله انك لما انعمت علي بنوبتي من تلك المعصية وقال الكسايي والفرا انه خبر ومعناه الدعا وان لن واقعة موقع لا كانه قال ولا تجعلني ظهيرا قال الفرا وفي حرف عبد الله ولا تجعلني ظهيرا وقال الشاعر •

• لن تزالوا كذاكم ثم لا زلت • لهم خالدا خلود الجبال •

قال شهاب الدين وليس في الاية والبيت دلالة علي وقوع لن موقع لا لظهور النفي فيهما من غير تقدير دعا

فصل قال ابن عباس بما انعمت علي بالمغفرة فلن اكون ظهيرا عونا للمجرمين اي للكافرين وهذا يدل علي ان الاسرايلي الذي اعانه موسي كان كافرا وهو قول مقاتل وقال قتادة لن اعين بعدها علي خطيئة قال ابن عباس لم يستثن فابتلي به في اليوم الثاني قوله فاصبح في المدينة التي قتل فيها القبطي خايفا الظاهر انه خبر اصبح وفي المدينة مفعول به ويجوز ان يكون حالا والخبر في المدينة وضعف بتمام اصبح اي دخل في الصباح قوله يترقب يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا ثانية وان يكون بدلا من الحال الاولي او الخبر الاول او حالا من الضمير في خايفا فيكون متداخلة ومفعول يترقب محذوف اي يترقب المكروه او الفرج او الخبر هل وصل لفرعون ام لا قوله فاذا الذي اذا فجايية والذي مبتدا وخبره اما اذا يستصرخه فاذا فضلة علي بابها وبالامس معرب لانه متي دخلت عليه ال او اضيف اعرب ومتي عري منهما فحاله معروف الحجاز يبنونه والتميميون يمنعونه الصرف كقوله • لقد رايت عجبا مذ امسا • علي انه قد بني مع ال نذورا كقوله

• واني حبست اليوم والامس قبله • الي الشمس حتي كادت الشمس تغرب •

يروي بكسر السين قوله قال له موسي قيل للاسرايلي لانه كان سببا في الفتنة الاولي وقيل

للقبطي وذلك ان موسى لما اصبح خايفا من قتل القبطي يترقب ينتظر سوا والترقب انتظار
المكروه وقال الكلبي منتظر متى يوخذ به فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه يستغيثه
ويصيح به من بعد قال ابن عباس اي فرعون فقيل له ان بني اسرايل قتلوا منا رجلا فخذ لنا
بحقنا فقال ابغوا لي قاتله ومن يشهد عليه فلا ينبغي ان اقضي بغير بينة فبينما هم يطوفون
لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فراي ذلك الاسرايلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه على
الفرعوني فصادف موسى وقد تقدم على ما كان منه من الامس من قتل القبطي فقال له
موسى للاسرايلي انك لغوي مبين اي ظاهر الغواية قال اهل اللغة الغوي يجوز ان يكون
فعيلا بمعنى مفعل اي انك لمغوي فاني وقعت بالامس فيما وقعت فيه بسببك ويجوز ان يكون
بمعنى الغاوي قاتلت رجلا بالامس فقتلته بسببك وتقاتل اليوم اخر وتستغيثني عليه
وقيل انما قال موسى للفرعوني انك لغوي مبين بظلمك والاكثرون على الاول قوله
فلما ان اراد ان يبطش الظاهر ان الضمير لموسى وقيل للاسرايلي والعدو هو القبطي
والضمير في قال يا موسى للاسرايلي كانه توهم من موسى مخاشنة من ثم قال ذلك وهذا
نشا خبره وكان مشكوكا في قاتله وان تطرد زيادتها في موضعين احدهما بعد لما كهذه
والثاني قبل لو مسبوقة بقسم كقوله • اما والله لو ان كنت حرا • وقوله
• فاقسم ان لو التقينا وانتم • لكان لنا يوما من الشر مظلم •
والعامة على يبطش بالكسر وضمها ابو جعفر وقيل ان القايل يا موسى هو القبطي وكان قد
عرف القصة من الاسرايلي قال ابن الخطيب وهذا هو الظاهر لقوله فلما ان اراد ان يبطش
بالذي هو عدو لهما قال يا موسى فهذا القول منه لا من غيره وايضا فقوله ان تريد الا
ان تكون جبارا في الارض لا يليق الا بقول الكافر والجبار هو الذي يفعل ما يريده من
الضرب والقتل بظلم ولا ينظر في العواقب وقيل المعظم وما تريد ان تكون من المصلحين
قال المفسرون فلما سمع القبطي قول الاسرايلي علم ان موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني
فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك فامر فرعون بقتل موسى قال ابن عباس ارسل فرعون
الذباحين لقتل موسى فاخذوا الطريق الاعظم قوله وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى
اي من اخر المدينة اسمه حزقيل مومن ال فرعون وقيل اسمه شمعون وقيل شمعان يسعى
قال الزمخشري يسعى يجوز ارتفاعه وصفا لرجل وانتصابه حالا لانه قد تخصص
بالوصف بقوله من اقصى المدينة فان جعلت من اقصى المدينة متعلقا بجا فيسعى صفة
ليس الا وهذا بناه على مذهب الجمهور وقد تقدم ان سيبويه يجيز ذلك من غير شرط
وفي اية يس قدم من اقصى على رجل لانه لم يكن من اقصاها وانما جا منه وهنا وصفه
بانه من اقصاها وهما رجلان مختلفان وقضيتان متباينتان قوله ياتمرون اي يتوامرون
بمعنى يتشاورون كقول النمر بن تولب •
• اري الناس قد احدثوا شيمة • وفي كل حادثة موتمر •
وعن ابن قتيبة يامر بعضهم بعضا اخذه من قوله تعالى واتمروا بينكم بمعروف قوله فاخرج
اي من المدينة اني لك من الناصحين في الامر بالخروج فقوله لك يجوز ان يتعلق بما يدل
الناصحين عليه اي ناصح لك من الناصحين في الامر بالخروج او بنفس الناصحين للاتساع
في الظرف او على جهة البيان اي اعني لك فخرج منها موسى خايفا يترقب هدايته وعونه الله
اياه قال رب نجني من القوم الظالمين الكافرين وهنا يدل على ان قتله لذلك القبطي لم
يكن ذنبا والا لكان هو الظالم لهم وما كانوا ظالمين له بسبب طلبهم له ليقتلوه قصاصا
قوله ولما توجه تلقا مدين اي قصد نحوها ماضيا اليها يقال داره تلقا دار فلان اذا
كانت محاذيتها واصله من اللقا قال الزجاج اي سلك الطريق الذي تلقا مدين فيها
قال ابن عباس خرج وما قصد مدين ولكنه سلم نفسه الى الله ومشى من غير معرفة فاوصله
الله الى مدين وقيل وقع في نفسه ان بينهم وبينه قرابة لانهم من ولد مدين بن ابراهيم وكان
من بني اسرايل سميت البلدة باسمه فخرج ولم يكن له علم بالطريق بل اعتمد على فعل الله وقيل
جاءه جبريل عليه السلام وعلمه الطريق قال ابن اسحاق خرج من مصر الى مدين حافيا بلا زاد

ولا ظهر وبينهما مسيرة ثمانية ايام ولم يكن له طعام الا ورق الشجر قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل
اي قصد الطريق الى مدين قوله ولما ورد ما مدين وهو الما الذي يسقون منه وهو بير
وورود مجيئه والوصول اليه وجد عليه اي على شفيره امة جماعة كثيفة العدد من الناس مختلفين
يسقون منها مواشيهم ووجد من دونهم اي سوى الجماعة وقيل في مكان اسفل من مكانهم قوله
امراتين تذودان فتذودان صفة لامراتين لا مفعول ثاني لان وجد بمعنى لقي والذود الطرد
والدفع قال • فقام يذود الناس عنها بسيفه •
وقيل حبس ومفعوله محذوف اي يذودان الناس عن غنمهما او غنمهما عن مزاحمة الناس وقال
الزمخشري لم ترك المفعول غير مذكور في يسقون وتذودان ولا نسقي قلت لان الغرض هو الفعل
لا المفعول وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعا المقصود منه السقي لا المسقي قوله ما خطبكما
تقدم في طه وقال الزمخشري هنا وحقيقته ما مخطوبكما اي ما مطلوبكما من الزياد سمي المخطوب
خطبا كما سمي المشوون شانا في قولك ما شانك يقال شانت شانه اي قصدت قصده وقال
ابن عطية السوال بالخطب انما هو في مصاب او مضطهد او من يشفق عليه او ياتي بمنكر من الامر
وقرا شمر خطبكما بالكسر اي ما زوجكما اي لم تسقيان ولم تسق زوجكما وهي شاذة جدا قوله
حتى يصدر الرعا قرا ابو عمرو وابن عامر وابو جعفر بفتح اليا وضم الدال من صدر يصدر وهو قاصر
اي حتى يرجع الرعا او يرجعون بمواشيهم والباقون بضم اليا وكسر الدال من اصدر معدي
بالهمزة والمفعول محذوف اي يصدرون مواشيهم والعامة على كسر الرا من الرعا وهو جمع تكسير
غير مقيس لان فاعلا الوصف المعتل اللام كقاض قياسه فعلة نحو قضاة ورماة وقال الزمخشري
واما الرعا بالكسر فقياس كصيام وقيام وليس كما ذكر لما ذكرناه وقرا ابو عمرو في رواية بفتح الرا قال
ابو الفضل هو مصدر اقيم مقام الصفة فلذلك استوي فيه الواحد والجمع او على حذف مضاف
وقري بضمها وهو اسم جمع كرخال وثنا وقرا ابن مصرف لا نسقي بضم النون من اسقى وتقدم الفرق
بين سقى واسقى في النحل والمعنى لا نسقي حتى يرجع الرعا عن الما والرعا جمع راع مثل تاجر
وتجار اي نحن امراتان لا نطيق ان نزاحم الرجال فاذا صدروا سقينا مواشينا ما افضلت مواشيهم
في الحوض وابونا شيخ كبير لا يقدر ان يسقي مواشيه ولذلك احتجنا نحن الى سقي الغنم

فصل

قال مجاهد والضحاك والسدي والحسن ابوهما هو شعيب صلى الله عليه وسلم وقال وهب
وسعيد بن جبير هو يثرون ابن اخي شعيب وكان شعيب قد مات قبل ذلك بعد ما كف بصره
فدفن بين المقام وزمزم وقيل رجل ممن امن بشعيب قالوا فلما سمع قولهما رحمهما فاقتلع صخرة
من راس بير اخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس قال ابن اسحاق ان موسى
زاحم القوم ونحاهم عن راس البير فسقى غنم المراتين وروي ان القوم لما رجعوا باغنامهم غطوا
راس البير بحجر لا يرفعه الا عشرة نفر فجا موسى فرفع الحجر وحده وسقى غنمهما ويقال انه نزع
ذنوبا واحدا ودعا فيه بالبركة فروي منه جميع الغنم قوله فسقى لهما مفعوله محذوف
اي غنمهما لاجلهما ثم تولى الى الظل اي الى ظل شجرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جايع قال
الضحاك لبث سبعة ايام لم يذق طعاما الا بقل الارض قوله لما انزلت متعلق بفقير قال
الزمخشري عدي فقير باللام لانه ضمن معنى سايل وطالب ويحتمل اني فقير من الدنيا لاجل
ما انزلت الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين يعني ان افتقر يتعدى بمن فاما ان تجعله
من باب التضمين واما ان متعلقه محذوف وانزلت قيل ماض على اصله ويعني بالخير ما تقدم من
خير الدين وقيل بمعنى المستقبل قال اهل اللغة اللام بمعنى الى يقال هو فقير له وفقير اليه فان
قيل كيف ساغ لنبي الله شعيب ان يرضى لبنتيه السقي بالماشية فالجواب ان الناس اختلفوا
فيه هل هو شعيب او غيره كما تقدم وان سلمنا انه شعيب لكن لا مفسدة فيه لان الدين لا يا باه
واحوال اهل البادية غير احوال اهل الحضر لا سيما اذا كانت الحالة حالة ضرورة

فصل

قال ابن عباس سال الله تعالى فلقة خبز يقيم بها صلبه قال الباقر لقد قالها وانه
لمحتاج الى شق تمرة وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس لقد قال موسى رب اني لما انزلت
الي من خير فقير وهو اكرم خلقه عليه ولقد افتقر الى شق تمرة وقيل انما قال ذلك في نفسه
مع ربه وهو اللايق بموسى عليه السلام فلما رجعا الى ابيهما سريعا قبل الناس واغنامهما حفل

بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحيما فسقى لنا اغنامنا فقال
لاحداهما اذهبي فادعيه الي قوله فجاته احداهما تمشي على استحيا قرا ابن محيصن فجاته
حديها بحذف الهمزة تخفيفا على غير قياس كقولهم يابا فلان وقوله

يابا المغيرة رب امر معضل • فرجته بالمكر عني والدها •

ويلمه اي ويل لامه قال • ويلمها خالة لو انها صدقت •

وتمشي حال وعلي استحيا حال اخري اما من جات واما من تمشي **فصل** قال عمر
ابن الخطاب لبست بسلفع من النسا خراجه ولاجه ولكن جات مستترة وضعت كم درعها على
وجهها استحيا وقالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا مرحت بهذا اليلة بوهم كلامها
ريبة وهذا من تمام حيايها وصيانتها وقيل ما تعنيه على بعد مايلة عن الرجال وقال عبد
العزيز بن ابي حازم علي اجلاله ومنهم من يقف على قوله تمشي ثم يبتدي على استحيا
قالت ان ابي يدعوك يعني الفاعلي الاستحيا قالت هذا القول لان الكريم اذا دعاه غيره
الي الضيافة يستحي لاسيما المراة قال ابن اسحاق اسم الكبري صفورا والصغري لبنا
وقيل ليا وقال غيره صورا وصفيرا وقال الضحاك صافورا وقال الاكثرون التي جات
الي موسي الكبري وقال الكلبي هي الصغري قال ابن الخطيب وفي الاية اشكالات احدها
كيف ساغ لموسي عليه السلام ان يعمل بقول امراة وهي اجنبية فان ذلك يورث التهمة العظيمة
قال صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم وثانيها انه سقي اغنامها تقربا الي الله تعالى
فكيف يليق به اخذ الاجرة عليه وذلك غير جايز في الشريعة وثالثها انه عرف فقرهن وفقر
ابيهن وانه عليه السلام كان في نهاية القوة بحيث يمكنه الكسب باقل سعي فكيف يليق بمروة
مثله طلب الاجرة على ذلك القدر من الشيخ الفقير والمراة الفقيرة ورابعها كيف يليق
بالنبي شعيب عليه السلام ان يبعث ابنته الشابة الي رجل شاب قبل العلم بكون الرجل
عفيفا او فاسقا والجواب عن الاول اما العمل بقول امراة فان الخبر يعمل فيه بقول
الواحد حرا كان او عبدا ذكرا كان او انثي وهي ما كانت الا مخبرة عن ابيها واما المشي مع المراة
فلا باس به مع الاحتياط والتورع وعن الثاني ان المراة لما قالت ذلك فموسي عليه السلام
ما ذهب اليهم طلبا للاجرة بل للتبرك بذلك الشيخ لما روي انه لما دخل على شعيب اذا هو
بالعشا مهيا فقال اجلس يا شاب فتعش فقال موسي اعوذ بالله فقال شعيب ولم ذلك
الست بجايع فقال بلي ولكن اخاف ان يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا
نطلب علي عمل من اعمال الاخرة عوضا من الدنيا وفي رواية لا نبيع ديننا بالدنيا ولا ناخذ
بالمعروف ثمنا فقال شعيب لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعادة ابائي نقري الضيف
ونطعم الطعام فجلس موسي فاكل وايضا فليس بمنكر ان الجوع قد بلغ الي حيث ما كان يطيق
حمله فيقبل ذلك اضطرارا وهو الجواب عن الثالث فان الضرورات تبيح المحظورات
وعن الرابع لعله عليه السلام كان قد علم بالوحي طهارتها وبراءتها فكان يعتمد عليهما
فصل قال عمر بن الخطاب فقام يمشي والجارية امامه فهبت الريح فوصفت
ردفها فكره موسي ان يري ذلك منها فقال موسي عليه السلام اني من عنصر ابراهيم فكوني
خلفي حتي لا ترفع الريح ثيابك فاري ما لا يحل وفي رواية كوني خلفي ودليني على الطريق
برمي الحصا لان صوت المراة عورة فان قيل لم خشي موسي عليه السلام ان يكون ذلك اجرة
له من عمله ولم يكره مع الخضر ذلك حين قال لو شيت لتخذت عليه اجرا فالجواب ان اخذ
الاجرة على الصدقة لا يجوز واما الاستيجار ابتدا فغير مكروه قوله فلما جاءه وقص عليه
القصص القصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص قال الضحاك قال له من انت يا عبد الله
قال انا موسي بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وذكر له جميع امره من لدن
ولادته وامر القوابل والمراضع والقذف في اليم وقتل القبطي وانهم يطلبونه ليقتلوه فقال
شعيب عليه السلام لا تخف نجوت من القوم الظالمين اي لا سلطان له بارضنا فان قيل ان
المفسرين قالوا ان فرعون يوم ركب خلف موسي ركب في الف الف وستماية الف والملك
الذي هذا شانه كيف يعقل ان لا يكون في مملكته قرية على بعدها بينها ايام من دار مملكته

فالجواب

فالجواب هذا وان كان نادرا الا انه ليس بمحال قوله قالت احداهما يا ابت استاجره اتخذه
اتخذه اجيرا ليرعي اغنامنا ان خير من استاجرت القوي الامين اي خير من استعملت من قوي
على العمل وادي الامانة وانما جعل خير من استاجرت اسما والقوي الامين خبرا مع ان العكس
اولي لان العناية سبب للتقديم فان قيل القوة والامانة لا يكفيان في حصول المقصود
ما لم ينضم اليهما امر الفطنة والكتابة فلم اهمل امر الكتابة فالجواب هذا وان كان نادرا الا
انه ليس بمحال وقوله قالت احداهما يا ابت استاجره اتخذه اجيرا ليرعي اغنامنا ان خير من
استاجرت القوي الامين اي خير من استعملت من قوي على العمل وادي الامانة وانما جعل خير من
استاجرت اسما والقوي الامين خبرا مع ان العكس اولي لان العناية سبب للتقديم فان قيل القوة
والامانة لا يكفيان في حصول المقصود ما لم ينضم اليهما امر الفطنة والكتابة فلم اهمل امر الكتابة
فالجواب انهما داخلان في الامانة قال ابن مسعود افرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب
يوسف وابو بكر وعمر فقال لها ابوها وما علمك بقوته وامانته قالت اما قوته فانه رفع حجرا
من راس البير لا يرفعه الا عشرة وقيل الا اربعون واما امانته فانه قال لي امشي خلفي حتي لا يصف
الريح بدنك قال شعيب عند ذلك اني اريد ان انكحك احدي ابنتي هاتين قال اكثر المفسرين
انه زوجه الصغري منهما وقال وهي التي ذهبت لطلب موسي واسمها صفوره قوله اني انكحك احدي
ابنتي روي عن ابي عمرو انكحك حدي بحذف همزة احدي وهذه شبيهة قراة ابن محيصن فجاته احداهما
وتقدم التشديد في نون هاتين في سورة النسا قوله على ان تاجرني في محل نصب على الحال
اما من الفاعل او من المفعول اي مشروطا علي او عليك ذلك وتاجرني مضارع اجرته كنت له اجيرا
ومفعوله الثاني محذوف اي تاجرني نفسك وثماني حجج ظرف له ونقل ابو حيان عن الزمخشري انها
هي المفعول الثاني قال شهاب الدين الزمخشري لم يجعلها مفعولا ثانيا على هذا الوجه واما
جعلها مفعولا ثانيا على وجه اخر واما على هذا الوجه فلا يجعلها غير ظرف وهذا نصه ليتبين لك
قال تاجرني من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثماني حجج ظرف او من اجرته
اذا اثبته ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم اجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول به ومعناه
رعية ثماني حجج فنقل الشيخ عنه الوجه الاول من المعنيين المذكورين في تاجرني فقط وحكي عنه
انه اعرب ثماني حجج مفعولا به وكيف يستقيم ذلك او يتجه وانظر الي الزمخشري كيف قدر مضافا ليصح
المعني به اي رعي ثماني حجج لان العمل هو الذي تقع به الاثابة لا نفس الزمان فكيف يتوجه الاجارة
علي الزمان قوله فمن عندك يجوز ان يكون في محل رفع خبر المبتدا محذوف تقديره فهي
من عندك او نصب اي فقد زدتها او تفضلت بها من عندك **فصل** معني الاية اريد ان
انكحك احدي ابنتي هاتين على ان تكون اجيرا لي ثماني سنين قال الفراء يجعل ثوابي من
تزويجها ان ترعي غنمي ثماني حجج تقول العرب اجرك الله باجرك اي اثابك والحجج السنون واحدها
حجة فان اتممت عشرا اي عشر سنين فمن عندك اي ذلك تفضل منك وتبرع ليس بواجب عليك
واعلم ان هذا اللفظ وان كان على الترديد فلا شبهة انه عند التزويج عين ولا شبهة في ان
العقد وقع على اقل الاجلين والزيادة كالتبرع ودلت الاية على ان العمل قد يكون مهرا كالمال
وعلي ان الحاق الزيادة بالثمن والمثمن جايز ولكنه شرع من قبلنا ودلت ايضا على انه يجوز ان
يشترط للولي وعلى ان عقد النكاح لا يفسده الشروط التي لا يوجبها العقد قوله وما اريد ان
اشق عليك اي الزمك بتمام العشر وان اشق مفعول اريد وحقيقة قوله شق عليه اي شق ظنه
نصفين فتارة يقول اطيق وتارة لا اطيق وهو من احسن مجاز قوله ستجدني ان شا الله من
الصالحين قال عمر اي في حسن الصحبة والوفا ولين الجانب وقيل اراد الصلاح على العموم وانما
قال ان شا الله للاتكال على توفيقه ومعونته فان قيل كيف ينعقد العقد بهذا الشرط ولو
قلت انت طالق ان شا الله لا تطلق فالجواب هذا مما يختلف بالشرايع قوله ذلك مبتدا
والاشارة به الي ما تعاقدا عليه والظرف خبره واضيف بين لمفرد لتكررها عطفا بالواو ولو قلت
المال بين زيد فعمرو لم يجز فاما قوله بين الدخول فحومل فكان الاصمعي يا باها ويروي وحومل
بالواو والصحيح بالفا واول البيت على ان الدخول وحومل مكانان كل منهما مشتمل على اماكن نحو
قولك داري بين مصر لانه يريد به المكان الجامع والاصل ذلك بيننا نفرق بالعطف قوله

ايما الاجلين اي شرطية وجوابها فلا عدوان علي وفي ما هذه قولان اشهرهما انها زايدة كلما دتها في اخواتها من ادوات الشرط والثاني انها نكرة والاجلين بدل منها وقرا الحسن وابو عمرو في رواية ايما بتخفيف اليا كقوله

• تنظرت نسرا والسماكين ايهما • علي من الغيث استهلت مواطره •

وقرا عبد الله اي الاجلين ما قضيت باقحام ما بين الاجلين وقضيت قال الزمخشري فان قلت بين موقعي زيادة ما في الموضعين قلت وقعت في المستفيضة مؤكدة لابهام اي زايدة في شياعها وفي الشاذة تاكيدا للقضا كانه قال اي الاجلين صممت علي قضايه وجردت عزيمتي له وقرا ابو حيوة وابن قطيب عدوان قال الزمخشري فان قلت تصور العدوان انما هو في احدي الاجلين الذي هو اقصرهما وهو المطالبة بتتمة العشر فما معني تعلق العدوان بهما جميعا قلت معناه كما اني ان طولت بالزيادة علي العشر لا شك فيه فكذلك ان طولت بالزيادة علي الثماني اراد بذلك تقرير امر الخيارة انه ثابت مستقر وان الاجلين علي السوا اما هذا واما هذا ويكون اختيار الاقل والزايد موكولا الي رايه من غير ان يكون لاحدهما عليه اجبار ثم قال وقيل معناه فلا اكون متعديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة قال ابو حيان وجوابه الاول فيه تكثير قال شهاب الدين كان يجيبه الثاني والثاني لم يرتضه الزمخشري لانه ليس جوابا في الحقيقة فان السوال باق ايضا وكذلك نقله عن غيره وقال المبرد وقد علم انه لا عدوان عليه في اتمهما ولكن جمعهما ليجعل الاول كالاتم في الوفا

فصل قال المفسرون المعني اي الاجلين قضيت اتممت وفرغت منه الثماني او العشر فلا عدوان علي لا اطلب باكثر والله علي ما نقول وكيل قال ابن عباس ومقاتل شهيد فيما بيني وبينك وقيل حفيظ ولما استعمل الوكيل بمعني الشاهد عدي بعلي قال سعيد بن جبير سالني يهودي من اهل الحيرة اي الاجلين قضي موسي قلت لا ادري حتي اقدم علي حبر العرب فاساله فقدمت فسالت ابن عباس فقال قضي اكثرهما واطيبهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال فعل وروي عن ابي ذر مرفوعا اذا سيلت اي الاجلين قضي موسي فقل خيرهما وابرهما واذا سيلت اي المراتين تزوج موسي فقل اصغرهما وهي التي جات فقالت يا ابت استاجره فتزوج صغراهما وقضي اوفاهما وقال وهب انكحه الكبري ولما تعاقدا العقد بينهما امر شعيب ابنته ان تعطي موسي عصي يدفع بها السباع عن غنمه واختلفوا في تلك العصي فقال عكرمة خرج بها ادم من الجنة فاخذها جبريل بعد موت ادم فكانت معه حتي لقي بها موسي ليلا فدفعها اليه وقيل كانت من اس الجنة حملها ادم من الجنة فتوارثها الانبيا وكان لا ياخذها غير نبي الا اكلته فصارت من ادم الي نوح ثم الي ابراهيم حتي وصلت الي شعيب وكانت عصي الانبيا عنده فاعطاها موسي وقال السدي كانت تلك العصا استودعها اياه ملك في صورة رجل فامر ابنته ان تاتيه بعصي فدخلت فاخذت العصي فاتته بها فلما راها شعيب قال لها ردي هذه العصا واتيه بغيرها فدخلت والقتها وارادت ان تاخذ غيرها فلا يقع في يدها الا هي حتي فعلت ذلك ثلاث مرات فاعطاها موسي فاخرجها موسي معه ثم ان الشيخ ندم وقال كانت وديعة فذهب في اثره وطلب ان يرد العصي فابي موسي ان يعطيه وقال هي عصاي فرضيا ان يجعلا بينهما اول رجل يلقاهما فلقيهما ملك في صورة رجل فحكم ان يطرح العصي فمن حملها فهي له فطرح موسي العصي فعالجها الشيخ ليأخذها فلم يطقها فاخذها موسي بيده فرفعها فتركها له الشيخ ثم ان موسي لما اتم الاجل وسلم شعيب ابنته اليه قال مجاهد لما قضي موسي الاجل مكث بعد ذلك عند صهره عشرا اخري فاقام عنده عشرين سنة ثم استاذنه في العود الي مصر فاذن له فخرج باهله الي جانب الطور انس اي ابصر من جانب الطور نارا وكان في البرية في ليلة مظلمة شديدة البرد واخذ امراته الطلق فقال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر عن الطريق لانه كان قد اخطا الطريق قوله او جذوة قرا حمزة بضم الجيم وعاصم بالفتح والباقون بالكسر وهي لغات في العود الذي في راسه نار هذا هو المشهور قال السلمي

• حمي حب هذي النار حب خليلتي • وحب الغواني فهو دون الحباحب •

• وبدلت بعد المسك والبان شقوة • دخان الجذا في راس اشمط شاحب •

وقيده بعضهم فقال في راسه نار من غير لهب قال ابن مقبل

• باتت حواطب ليلى يلتمسن لها • جزل الجذا غير خوار ولا دعر •

الخوار الذي يتقصف والدعر الذي فيه لهب وقد ورد ما يقتضي وجود اللهب فيه قال الشاعر

• والقي علي قبس من النار جذوة • شديدا عليها حميها والتهابها •

وقيل الجذوة العود الغليظ سوا كان في راسه نار او لم يكن وليس المراد هنا الا ما في راسه نار قوله من النار صفة لجذوة ولا يجوز تعلقها باتيكم كما تعلق به منها لان هذه النار ليست النار المذكورة والعرب اذا تقدمت نكرة وارادت اعادتها اعادتها مضمرة او معرفة بال العهدية وقد جمع الامران هنا لعلكم تصطلون تستدفيون قوله من شاطي من لابتدا الغاية والايمن صفة للشاطي او للوادي والايمن من اليمن وهو البركة او من اليمين المعادل لليسار من العضو ومعناه علي هذا بالنسبة الي موسي اي الذي يلي يمينك دون يسارك والشاطي صفة الوادي والنهر اي حافته وطرفه وكذلك الشط والسيف والساحل كلها بمعني وجمع الشاطي اشطا قاله الراغب وشاطات فلانا ماشيته علي الشاطي قوله في البقعة متعلق بنودي او بمحذوف علي انه حال من الشاطي وقرا العامة بضم البا وهي اللغة العالية وقرا مسلمة والاشهب العقيلي بفتحها وهي لغة حكاها ابو زيد قال سمعتهم يقولون هذه بقعة طيبة قوله من الشجرة هذا بدل من شاطي باعادة العامل وهو بدل اشتمال لان الشجرة كانت نابتة علي الشاطي كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة قوله ان يا موسي هي المفسرة وجوز فيها ان تكون هي المخففة واسمها ضمير الشان وجملة الندا مفسرة له وفيه بعد قوله اني انا الله العامة علي الكسر علي اضمار القول او علي تضمين الندا معناه وقري بالفتح وفيه اشكال لانه ان جعلت ان تفسيرية وجب كسر اني للاستيناف المفسر للندا بما ذا كان وان جعلتها مخففة لزم تقديرها بمصدر والمصدر مفرد وضمير الشان لا يفسر بمفرد والذي ينبغي ان يخرج عليه هذه القراة ان تكون ان تفسيرية واني معمولة لفعل مضمر تقديره ان يا موسي اعلم اني انا الله واعلم ان الله تعالي قال في سورة النمل نودي ان بورك من في النار ومن حولها وقال هنا نودي اني انا الله رب العالمين وقال في سورة طه نودي اني انا ربك ولا منافاة بين هذه الاشيا فهو تعالي ذكر الكل الا انه تعالي حكي في كل سورة بعض ما اشتمل عليه بعض ذلك الندا قوله وان الق عصاك تقدم الكلام علي ذلك وقوله واسلك يدك في جيبك تخرج بيضا من غير سو فقد عبر عن هذا المعني بثلاث عبارات احداها هذه وثانيها واضمم يدك الي جناحك وثالثها وادخل يدك في جيبك قوله من الرهب متعلق باحد اربعة اشيا اما بولي واما بمدبرا واما باضمم ويظهر هذا الثالث اذا افسرنا الراهب بالكم واما بمحذوف اي كاين من الرهب وقرا حفص بفتح الرا واسكان الها والاخوان وابن عامر وابو بكر بالضم والاسكان والباقون بفتحتين والحسن وعيسي والجحدري وقتادة بضمتين وكلها لغات بمعني الخوف وقيل هو بفتحتين الكم بلغة حمير وحنيفة قال الزمخشري هو من بدع التفاسير قال وليت شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من الثقات الاثبات التي ترتضي عربيتهم ام ليت شعري كيف موقعه في الاية وكيف تطبيقه المفصل لساير كلمات التنزيل علي ان موسي صلوات الله عليه ليلة المناجاة ما كان عليه الا زرمانقة من صوف لا كمي لها الزرمانقة المدرعة قال ابو حيان هذا مروي عن الاصمعي وهو ثقة سمعتهم يقولون اعطني ما في رهبك اي كمك واما قوله كيف موقعه فقالوا معناه اخرج يدك من كمك قال شهاب الدين كيف يستقيم هذا التفسير يفسرون اضمم بمعني اخرج وقال الزمخشري فان قلت قد جعل الجناح وهو اليد في احد الموضعين مضموما وفي الاخر مضموما اليه وذلك قوله واضمم اليك جناحك وقوله واضمم يدك الي جناحك فما التوفيق بينهما قلت المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمني وبالجناح المضموم اليه هو اليد اليسري وكل واحدة من يمني اليدين ويسراهما جناح

فصل قال الزمخشري في قوله واضمم اليك جناحك من الرهب معنيان احدهما ان موسي عليه السلام لما قلب الله له العصي حية فزع واضطرب والقاها بيده كما يفعل الخايف من الشي فقيل له ان اتقاك بيدك فيه غضاضة عند الاعدا فاذا القيتها وقد انقلبت حية فادخل يدك

مكان اتقاك بها ثم اخرجها بيضا ليحصل الامران اجتناب ما منه غضاضة عليك واظهار معجزة
اخرى والمراد بالجناح اليد لان يد الانسان بمنزلة جناح الطاير اذا ادخل يده اليمنى تحت عضد
اليسرى فقد ضم جناحه اليه الثاني ان يريد بضم جناحه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند
انقلاب العصى حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطاير لانه اذا خاف نشر جناحيه
وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مستقران ومعنى قوله من الرهب اي من اجل الرهب اذا اصابك
الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك وقوله اسلك يدك على احد التفسيرين واحد وانما
خولف بين العبارتين وكرر المعنى لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض في احدهما خروج اليد
بيضا وفي الثاني اخفا الرهب وقال البغوي المعنى اذا هالك امر يدك وما ترى من شعاعها
فادخلها في جيبك تعد الى حالها الاولى والجناح اليد كلها وقيل العضد وقال عطا عن ابن
عباس امره الله ان يضم يده الى صدره فذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية وقال
ما من خايف بعد موسى الا اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقال مجاهد كل من فزع
فضم جناحه اليه ذهب عنه الفزع وقيل المراد من ضم الجناح السكون اي سكن روعك
واحفظ عليك جناحك لان من شان الخايف ان يضطرب عليه قلبه وترتعد يداه ومثله
قوله واخفض لهما جناح الذل يريد الرفق وقوله واخفض جناحك لمن اتبعك اي ارفق بهم
والن جانبك لهم وقال الفرا اراد بالجناح العصا معناه واضمم اليك عصاك قوله فذانك
تقدم قراة التخفيف والتثقيل في النسا وقرا ابن مسعود وعيسى وشبل وابو نوفل بيا بعد
نون مكسورة وهي لغة هذيل وقيل تميم وروى شبل عن ابن كثير بيا بعد نون مفتوحة
وهذا على لغة من يفتح نون التثنية كقوله •

• على احوذيين استقلت عشية • فما هي الا لمحة وتغيب •

واليا بدل من احدى النونين لتطيب وقرا عبد الله بتشديد النون ويا بعدها ونسبت
لهذيل قال المهدوي بل لغتهم تخفيفا وكان الكسرة هنا اشباع كقراة هشام افيدة من الناس
وذانك اشارة الى العصا واليد وهما مونثتان وانما ذكرا اشير بهما اليهما لتذكير خبرهما وهو
برهانان كما انه قد تونث لتانيث خبره كقراة ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا فيمن انث ونصب
فتنتهم وكذا قوله • وقد خاب من كانت سريرته الغدر •

وتقدم ايضاح هذا في الانعام والبرهان تقدم اشتقاقه وهو الحجة وقال الزمخشري
هنا فان قلت لم سميت الحجة برهانا قلت لبياضها وانارتها من قولهم للمراة البيضا برهرهة
بتكرير العين واللام والدليل على زيادة النون قولهم ابره الرجل اذا جا بالبرهان ونظيره
تسميتهم اياها سلطانا من السليط وهو الزيت لانارته قوله الى فرعون متعلق بمحذوف
فقدره ابو البقا مرسلا الى فرعون وغيره اذهب الى فرعون وهذا المقدر ينبغي ان يكون
حالا من برهانان اي مرسلا بهما الى فرعون والعامل في هذا الحال ما في اسم الاشارة قوله
قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون اعلم انه تعالى لما قال فذانك برهانان
من ربك الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين تضمن ذلك ان يذهب موسى بهذين
البرهانين الى فرعون وقومه فعند ذلك طلب من يقوي قلبه فقال رب اني قتلت
منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي هارون هو افصح مني لسانا لانه كان في لسانه
حبسة اما في اصل الخلقة واما لانه وضع الجمرة في فيه عندما تبقظ فرعون قوله
هو افصح الفصاحة لغة الخلوص ومنه فصح اللبن وافصح فهو فصيح ومفصح اي خلص
منه الرغوة ومنه قولهم • وتحت الرغوة اللبن الفصيح •

ومنه فصح الرجل جادت لغته وافصح تكلم بالعربية وقيل بالعكس وقيل الفصيح الذي
ينطق والاعجم الذي لا ينطق ومن هذا استعير افصح الصبح اي بدا ضوءه وافصح النصارى
دنا فصحهم بكسر الفا وهو عيد لهم واما في الاصطلاح اهل البيان فهو خلوص الكلمة من
التنافر الحروف كقوله يرعى الغنم واما الغرابة كقوله وموسنا مسرجا ومن مخالفة القياس
اللغوي كقوله العلي الاجلل وخلوص الكلام من ضعف التاليف كقوله

• جزى ربه عني عدي بن حاتم • ومن تنافر الكلمات كقوله •

وفيه

• وقبر حرب بمكان قفر • وليس قرب قبر حرب قبر •

ومن التعقيد وهو اما اخلال نظم الكلام فلا يدري كيف يتوصل الى معناه كقوله •

• وما مثله في الناس الا مملكا • ابو امه حي ابوه يقاربه •

واما عدم انتقال الذهن من المعنى الاول الى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهرا كقوله

• ساطلب بعد الدار عنكم لتقربوا • وتسكب عيناي الدموع لتجمدا •

وخلوص المتكلم النطق بجميع ذلك فصارت الفصاحة توصف بها ثلاثة اشيا الكلمة والكلام
والمتكلم بخلاف البلاغة فانه لا يوصف بها الا الاخيران فقط وهذا ليس موضع ايضاحه وانما
ذكرنا بينهما على اصله ولسانا تمييز قوله ردا منصوب على الحال والردا القران وهو فعل
بمعنى مفعول كالدف بمعنى المدفو به وردانه على عدوه اعنته عليه وردات الحايط دعمته
بخشبة لئلا يسقط وقال النحاس يقال ردانه واردانه وقال سلامة بن جندل •

• وردي كل ابيض مشرفي • شحيذ الحد ابيض ذي فلول •

وقال اخر • الم تران اصرم كان ردي • وخير الناس في قل ومال •

وقرا نافع بغير همز ردا بالنقل وابو جعفر كذلك الا انه لم ينونه كانه اجرى الوصل مجرى الوقف
ونافع ليس من قاعدته النقل في كلمة الا هنا وقيل ليس فيه نقل وانما هو من اردى على كذا اي
زاد قال • واسمر خطيا كان كعوبه • نوى القسب قد اردى ذراعا على العشر •

اي زاد وانشده الجوهري قد ارمى وهو بمعناه قوله يصدقني قرا حمزة وعاصم بالرفع على
الاستيناف او الصفة لردا او الحال من ها ارسله او من الضمير في ردا اي مصدقا والباقون بالجزم
جوابا للامر وزيد بن علي وابي يصدقوني اي فرعون وملاه قال ابن خالويه هذا شاهد لمن
جزم لانه لو كان رفعا لقال يصدقونني يعني بنونين وهذا سهو من ابن خالويه لانه متى اجتمعت
نون الرفع مع نون الوقاية جازت اوجه احدها الحذف فهذا يجوز ان يكون مرفوعا وحذفت نونه
من رفع القاف فالتقدير ردا يصدقني ومن جزم كان على معنى الجزا يعني ان ارسلته صدقني
ونظيره فهب لي من لدنك وليا يرثني وروى السدي عن بعض شيوخه ردا كيما يصدقني والصدق
لهارون في قول الجميع وقال مقاتل لكي يصدقني فرعون اني اخاف ان يكذبون يعني فرعون
وقومه قال ابن الخطيب ليس الغرض بتصديق هرون ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق
موسى وانما هو ان يلخص بلسانه الفصيح وجوه الدلايل ويجيب عن الشبهات ويجادل به الكفار
فهذا هو التصديق المفيد الا ترى الى قوله واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله وفايدة
الفصاحة انما تظهر فيما ذكرناه لا في مجرد قوله صدقت

فصل

قال السدي نبيين
اثنين اقوى من نبي واحد وايه واحدة قال القاضي والذي قاله من جهة العادة اقوى فاما
من حيث الدلالة فلا فرق بين معجز ومعجزين قوله عضدك العامة على فتح العين وضم الضاد
والحسن وزيد بن علي بضمها وعن الحسن بضمة وسكون وعيسى بفتحها وبعضهم بفتح العين
وكسر الضاد وفيه لغة سادسة بفتح العين وسكون الضاد وهذا كناية عن التقوية له باخيه
وكان هرون يوميذ بمصر قوله ونجعل لكما سلطانا اي حجة وبرهانا فلا يصلون اليكما
فان قيل بين تعالى ان السلطان هو بالايات فكيف لا يصلون اليهما لاجل الايات اوليس فرعون
قد وصل الى صلب السحرة فان كانت هذه الايات ظاهرة فالجواب ان الاية التي هي قلب العصا
حية كما انها معجزة فهي ايضا تمنع من وصول ضرر فرعون الى موسى وهرون لانهم علموا انه متى
القاها صارت حية عظيمة وان اراد ارسالها عليهم اهلكتهم زجرهم ذلك عن الاقدام عليهما فصارت
مانعة من الوصول اليهما بالقتل وغيره وصارت اية ومعجزة وجمعت بين الامرين واما صلب
السحرة ففيه خلاف فقيل انهم ما صلبوا وليس في القران ما يدل على ذلك وان سلم بوصول الضرر
لغيرهما لا يقدح في عدم الوصول اليهما قوله باياتنا يجوز فيه اوجه ان تتعلق بنجعل او يصلون
او بمحذوف اي اذهبا او على البيان فيتعلق بمحذوف ايضا او بالغالبون على ان ال ليست موصولة
او موصولة واتسع فيه ما لا يتسع في غيره او قسم وجوابه متقدم وهو فلا يصلون او من لغو
القسم قاله الزمخشري ورد عليه ابو حيان بان جواب القسم لا يدخله الفا عند الجمهور ويريد
بلغو القسم ان جوابه محذوف اي وحق اياتنا لتغلبن ثم قال انتما ومن اتبعكما الغالبون

اي لكماولا بتابعكما الغلبة قوله فلما جا موسي باياتنا بينات واضحات وقد تقدم كيفية اطلاق
لفظ الايات وهو جمع على العصي واليد في سورة طه قالوا ماهذا الا سحر مفتري مختلق
ثم ضموا اليه مايدل على جهلهم وهو قولهم وما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين اي ما حدثنا
بهذا الذي تدعونا اليه قوله وقال موسي هذه قراة العامة باثبات واو العطف وابن
كثير حذفها وكل وافق مصحفه فانها ثابتة في المصاحف غير مصحف مكة واثباتها وحذفها
واضح وهو الذي في تسمية اهل البيان الوصل والفصل قوله ربي اعلم بمن جا بالهدي
من عنده بالمحق من المبطل قوله ومن تكون قرا العامة بلون بالتانيث وله خبرها وعاقبة
اسمها ويجوز ان يكون اسمها ضمير القصة والتانيث لاجل ذلك وله عاقبة الدار جملة في موضع
الخبر وقري باليا من تحت على ان تكون عاقبة اسمها والتذكير للفصل ولانه تانيث
مجازي ويجوز ان يكون اسمها ضمير الشان والجملة خبرها تقدم ويجوز ان يكون تامة وفيها
ضمير يرجع الى من والجملة موضع الحال ويجوز ان تكون ناقصة اسمها ضمير من والجملة خبرها
ومعني من تكون له عاقبة الدار اي العقبي المحمودة في الدار الاخرة كقوله تعالى اولئك
لهم عقبي الدار جنات عدن والمراد من الدار الدنيا وعاقبتها ان تختم للعبد بالرحمة
والرضوان نحو لا يفلح الظالمون اي الكافرون قوله وقال فرعون يا ايها الملا
ما علمت لكم من اله غيري فتضمن كلامه نفي الالهية غيره واثبات الالهية لنفسه فاوقد لي
يا هامان على الطين فاطبخ لي الاجر قيل انه اول من اتخذ الاجر وبني به فاجعل لي صرحا
اي قصرا عاليا وقيل منارة واختلفوا في ذلك فقيل انه بناه حتى بلغ مالم يبلغه بنيان
احد من الخلق وانه صعد ورمي بسهم وان السهم عاد اليه ملطخا بدم وبعث الله جبريل
عليه السلام فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقيل انه لم يبن الصرح لانه يبعد في
العقل انهم بصعود الصرح يقربون من السما لعلمهم بان من علا اعلا الجبال الشاهقة يري
السما كما كان يراها وهي في قرار الارض ومن شك في ذلك خرج عن حد العقل وهكذا
القول في انه رمي السهم الى السماوات من حاول ذلك كان من المجانين ولا يليق بالعقل
وانما كان ذلك على سبيل التهكم قوله لعلي اطلع الى اله موسي اتطلع اليه والطلوع
والاطلاع واحد يقال طلع الجبل واطلع واحد واني لاظنه يعني موسي من الكاذبين
في زعمه ان للارض والخلق الها غيري وانه رسوله واستكبر هو وجنوده في الارض بغير
الحق واعلم ان الاستكبار بالحق انما هو الله تعالى وهو المتكبر في الحقيقة قال عليه
السلام فيما حكاه عن ربه الكبريا ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته
في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق قوله بغير الحق حال اي استكبروا
ملتبسين بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون قرا نافع والاخوان ويعقوب يرجعون
مبنيا للفاعل والباقون للمفعول قوله فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهذا
من الكلام المفخم الذي يدل على عظمة شانه وكبريا سلطانه شبههم استحقارا لهم
واستقلالا لعددهم وان كانوا الجم الغفير بحصيات اخذهن احد في كفه وطرحهن
في البحر ونحو ذلك وجعلنا فيها رواسي شامخات وحملت الارض والجبال فدكتا دكة
واحدة وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويات بيمينه وليس الغرض منه الا تصوير ان كل مقدور وان عظم فهو حقير بالنسبة
الى قدرته فانظر كيف كان عاقبة الظالمين قوله وجعلناهم اي صيرناهم وقال
الزمخشري دعوناهم كانه فر من نسبة ذلك الى الله تعالى اعني التصيير لانه لا يوافق
مذهبهم ويدعون صفة لائمة وقال الجبائي وجعلناهم اي بيناه ذلك من حالهم وسميناهم
به ومنه قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا قال ابو مسلم معني الامامة
التقدم فلما عجل لهم العذاب صاروا متقدمين لمن وراهم من الكفار الكافرين ومعني
دعوتهم الى النار دعوتهم الى موجباتها من الكفر والمعاصي فان احدا لا يدعو الى النار
البتة وانما جعلهم الله ائمة في هذا الباب لانهم بلغوا في هذا الباب الى اقصى النهايات
ومن كان كذلك استحق ان يكون اماما يقتدي به في ذلك الباب قوله ويوم القيمة

لا ينصرون لا يمنعون من العذاب كما تنصر الائمة الدعاة الى الجنة واتبعوا في هذه الدنيا لعنة
حزنا وعذابا قوله ويوم القيمة هم فيه اوجه احدها ان يتعلق بالمقبوحين على ان لست
موصولة او موصولة او اتسع فيه وان يتعلق بمحذوف يفسره المقبوحين كانه قال وقبحوا
يوم القيمة نحو لكم لمن القالين او يعطف على موضع في الدنيا اي واتبعناهم لعنة يوم
القيمة او معطوفة على لعنة على حذف مضاف اي ولعنة يوم القيمة والوجه الثاني اظهرها
والمقبوح المطرود وقبحه الله طرده قال

الا قبح الله البراجم كلها • وجدع يربوعا وعفر دارما •

وسمي ضد الحسن قبحا لان العين تنبو عنه فكانها تطرده ويقال قبح قباحة وقيل من
المقبوحين من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجوه والقبيح ايضا عظم
الساعد مما يلي النصف منه الى المرفق وقال ابو عبيدة من المقبحين من المهلكين قوله ولقد
اتينا موسي الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم والمراد
بالكتاب التوراة بين تعالى ان الذي يجب التمسك به ما جا به موسي ووصفه بانه بصاير للناس
من حيث يستبصر به في باب الدين قوله بصاير يجوز ان يكون مفعولا له وان يكون حالا اما
على حذف مضاف اي ذا بصاير او على المبالغة وهدي من حيث يستدل به ومن حيث ان المتمسك
به يفوز بطلبته من الثواب ووصفه بانه رحمة لانه من نعم الله على من تعبد به روي ابو
سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اهلك الله قرنا من القرون بعذاب من
السما ولا من الارض منذ انزل التوراة غير اهل القرية التي مسخها الله قردة وقوله لعلهم يتذكرون
ما فيه من المواعظ والبصاير قوله وما كنت بجانب الغربي قال قتادة والسدي وما كنت
يا محمد بجانب الجبل الذي الغربي فيكون من حذف الموصوف واقامة صفته مقامه وان يكون
من اضافة الموصوف لصفته وهو مذهب الكوفيين ومثله بقلة الحمقا ومسجد الجامع قوله
اذ قضينا الى موسي الامر اي عهدنا اليه واحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون وقومه والمعني
وما كنت الحاضر المكان الذي اوحينا فيه الى موسي ولا كنت من جملة الشاهدين الوحي اليه او
على الوحي اليه وهم نقباوه الذين اختارهم للميقات فان قيل لما قال وما كنت بجانب الغربي
ثبت انه لم يكن شاهدا لان الشاهد لابد وان يكون حاضرا والفايدة في اعادة قوله وما كنت
من الشاهدين فالجواب قال ابن عباس التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت ما شهدت
تلك المواضع او الوقايع فانه يجوز ان يكون هناك ولا يشهد ولا يري قوله ولكنا انشانا قرونا
وجه الاستدراك ان المعني وما كنت شاهدا لموسي وما جري عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر
سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله في اختصاراته فاذن
هذا الاستدراك هو شبيه بالاستدراكين بعده قاله الزمخشري وهذا تنبيه على المعجز فانه قال
ان في اخبارك عن هذه الاشيا من غير حضور ومشاهدة ولا تعلم من اهله دلالة ظاهرة
على نبوتك كقوله اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى قوله وما كنت ثاويا اي مقيما يقال
ثوي يثوي ثواء وثويا فهو ثاو ومثوي قال ذو الرمة

• لقد كان في حول ثواء ثويته • تقضي لبانات ويسام سايم •

وقال • طال الثواء على رسول المنزل • وقال العجاج •

وبات حيث يدخل الثوي يعني الضيف المقيم قوله تتلو يجوز ان يكون حالا من الضمير
في ثاويا وان يكون خبرا ثانيا وان يكون هو الخبر وثاويا حال وجعله الفرا منقطعا عما قبله
اي مستانفا كانه قيل وها انت تتلو على امتك وفيه بعد المعني ولكنا انشانا قرونا خلقنا
امما من بعد موسي فتطاول عليهم العمر اي طالت عليهم المهلة فنسوا عهد الله وتركوا امره وذلك
ان الله عهد الى موسي وقومه عهودا في محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به فلما طال عليهم العمر
وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفا بها وما كنت مقيما في اهل مدين
كمقام موسي وشعيب فيهم تتلوا عليهم اياتنا تذكرهم بالوعد والوعيد وقال مقاتل يقول لم
تشهد اهل مدين فتقرا على اهل مكة خبرهم ولكنا كنا مرسلين في كل زمان رسولا يعني ارسلناك
رسولا وانزلنا عليك كتابا فيه هذه الاخبار فتتلوها عليهم ولولا ذلك ما علمتها ولم تخبرهم بها

وماكنت بجانب الطور بناحية الجبل الذي كلم الله عليه موسى اذ نادينا اي نادينا موسى خذ
الكتاب بقوة وقال ابن عباس اذ نادينا امتك في اصلاب ابايهم يا امة محمد اجبتكم قبل ان
تدعوني واعطيتكم قبل ان تسالوني وغفرت لكم قبل ان تستغفروني قال وانما قال ذلك حين
اختار موسى سبعين رجلا لميقات ربه وقال وهب لما ذكر الله لموسى فضل امة محمد قال موسى
يا رب ارني محمدا قال انك لن تصل الى ذلك وان شئت ناديت امته واسمعتك صوتهم قال
بلى يا رب ارني محمدا قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب ابايهم قوله ولكن رحمة
من ربك اي ارسلناك رحمة واعلمناك بذلك رحمة اي ولكن رحمناك رحمة بارسالك والوحي
اليك واطلاعك على الاخبار الغايبة عنك وقرا عيسى بن عمر وابو حيوة رحمة بالرفع اي انت
رحمة قوله ما اتاهم من نذير في موضع الصفة لقوما والمعنى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير
من قبلك يعني اهل مكة لعلهم يتذكرون قوله ولولا ان تصيبهم هي الامتناعية وان وما في
حيزها في موضع رفع بالابتدا اي ولولا اصابتهم المصيبة وجوابها محذوف فقدره الزجاج
ما ارسلنا اليهم رسلا يعني ان الحامل على ارسال الرسل ازاحة عللهم بهذا القول فهو كقوله
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقدره ابن عطية لعاجلناهم ولا معنى لهذا
فيقولوا عطف على تصيبهم ولولا الثانية تحضيض وفتتبع جوابه فلذلك نصب باضمار
ان قال الزمخشري فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب لا القول
لدخول حرف الامتناع عليه دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا للارسال
ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها
سبب للارسال بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجي بالقول معطوفا عليها بالفا المعطية
معنى السببية ويول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن
اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما الجيوا به الى
العلم اليقيني ببطلان دينهم لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا بل انما يقولون اذا نالهم العقاب
وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التاسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم
وهو كقولهم ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه قوله فلما جاهم يعني محمدا بالحق من عندنا قالوا
يعني كفار مكة لولا اهلا اوتي محمد مثل ما اوتي موسى من الايات كاليد البيضا والعصى وفلق
البحر وتظليل الغمام وانفجار البحر والما والمن والسلوى وكلام الله وغيرها وقيل مثل ما اوتي
موسى كتابا جملة واحدة قال الله عز وجل اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل واختلفوا في
الضمير في قوله اولم يكفروا فقيل ان اليهود امروا ان يسالوا محمدا مثل ما اوتي موسى عليه السلام
فقال تعالى اولم يكفروا اي هولاء اليهود بما اوتي موسى مع تلك الايات الباهرة وقيل ان الذين
اقترحوا هذا هم كفار مكة والذين كفروا بموسى هم الذين كانوا في زمن موسى الا ان الله تعالى جعله
كالشي الواحد وقال الكلبي ان مشركي مكة بعثوا رهطا الى يهود المدينة يسالونهم عن محمد
وشانه فقالوا انا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط واخبروهم بقول اليهود
قالوا انه كان ساحرا كما ان محمدا ساحر فقال تعالى في حقهم اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل
وقال الحسن كان للعرب اصل في ايام موسى عليه السلام فمعناه على هذا اولم يكفر اباوهم وقالوا
موسى وهرون ساحران وقال قتادة اولم يكفر اليهود في عصر محمد بما اوتي موسى من قبل من
البشارة بعيسى ومحمد فقالوا ساحران وقيل ان كفار قريش كانوا منكرين لجميع النبوات ثم انهم
لما طلبوا من الرسول معجزات موسى عليه السلام قال الله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل
بل بما اوتي جميع الانبيا من قبل اي لا غرض لهم من هذا الاقتراح الا التعنت ثم حكى كيفية كفرهم
بما اوتي موسى وهو قولهم ساحران تظاهرا قوله من قبل اما ان يتعلق بيكفروا او باوتي اي من
قبل ظهورك قوله ساحران قرا الكوفيون ساحران اي هما اي القران والتوراة او موسى وهرون
وذلك على المبالغة جعلوهما نفس السحر او على حذف مضاف اي ذوو سحرين ولو صح هذا لكان
ينبغي ان يفرد سحر ولكنه ثني تنبيها على التنويع وقيل المراد موسى ومحمد عليهما السلام او التوراة
والانجيل والباقون ساحران اي موسى وهرون او موسى ومحمد كما تقدم قوله تظاهرا العامة
على تخفيف الظا فعلا ماضيا صفة لسحران او ساحران اي تعاونا وقرا الحسن ويحيى بن الحرث

الدماري وابو حياة والزبيري بتشديدها وقد لحنهم الناس قال ابن خالويه تشديده لحن
لانه فعل ماض وانما يشدد في المضارع وقال الهذلي لا معنى له وقال ابو الفضل لا اعرف
وجهه وهذا عجيب من هولا وقد حذفت نون الرفع في مواضع حتى في الفصيح كقوله عليه
السلام لا تدخلوا الجنة حتى تومنوا ولا تومنوا حتى تحابوا ولا فرق بين كونها بعد واو والف
او يا وهذا اصله يتظاهران فادغم وحذفت نونه تخفيفا وقرا الاعمش وطلحة وكذا في مصحف
عبد الله اظاهرا بهمزة وصل وشد الظا واصلها تظاهرا كقراة العامة فلما اريد الادغام سكن
الاول فاجتلبت همزة الوصل واختار ابو عبيدة القراة بالف لان المظاهرة بالناس وافعالهم
اشبه منها بان المراد بالكتابين لكن لما كان كل واحد من الكتابين يقوي الاخر لم يبعد ان يقال
على سبيل المجاز تعاونا كما يقال تظاهرت الاخبار قوله وقالوا انا بكل كافرون اي بما انزل على
محمد وموسى وساير الانبيا وهذا الكلام لا يليق الا بالمشركين لا باليهود ثم قال لهم يا محمد فاتوا
بكتاب من عند الله هو اهدى منهما يعني من التوراة والقران وهذا مويد لقراة سحران او من
كتابيهما على حذف مضاف وهو مويد لقراة ساحران اتبعه وهذا تنبيه على عجزهم عن الاتيان
بمثله قوله اتبعه جواب للامر وهو فاتوا وقرا زيد بن علي اتبعه بالرفع استينافا اي فانا
اتبعه قوله فان لم يستجيبوا لك فاستجاب بمعنى اجاب قال ابن عباس يريد فان لم يومنوا
بما جيت به من الحجج وقال مقاتل فان لم يمكنهم ان ياتوا بكتاب افضل منهما وهذا اشبه بالاية
قال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين فعل الاستجابة في الاية وبينه في قوله فلم يستجبه
عند ذاك مجيب حيث عدي بغير لام قلت هذا الفعل يتعدى الى الدعا بنفسه والى الداعي
باللام ويحذف الدعا اذا عدي الى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاه او استجاب
له ولا يكاد يقال استجاب له دعاه واما البيت فمعناه فلم يستجب دعاه على حذف المضاف وقد
تقدم تقرير هذا في البقرة وان استجاب بمعنى اجاب والبيت الذي اشار اليه هو

وداع دعا يا من يجيب الى الندا • فلم يستجبه عند ذاك مجيب

والناس يشددونه على تعديه بنفسه فان قيل الاستجابة تقتضي دعا فاين الدعا ههنا
قيل فاتوا بكتاب امر والامر دعا الى الفعل وقال فاعلم انما يتبعون اهواهم اي صاروا ملزمين
طريقة ولم يبق شي الا اتباع الهوى ثم زيف طريقتهم بقوله ومن اضل ممن اتبع هواه بغير
هدى وهذا من اعظم الدلايل على فساد التقليد وانه لا بد من الحجة والاستدلال ان الله لا يهدي
القوم الظالمين قوله ولقد وصلنا لهم القول العامة على تشديد وصلنا اما من الوصل
ضد القطع اي تابعنا بعضه ببعض قال الفرا انزلنا ايات القران يتبع بعضها بعضا واصله
من وصل الحبل قال

فقل لبني مروان ما بال ذمتي • بحبل ضعيف لا تزال توصل

واما جعلناه اوصالا اي انواعا من المعاني قاله مجاهد وقرا الحسن بتخفيف الصاد وهو قريب
مما تقدم قال ابن عباس ومقاتل وصلنا بينا لكفار مكة بما في القران من اخبار الامم
الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقال ابن زيد وصلنا لهم القول خبر الدنيا بخبر الاخرة حتى
كانهم عاينوا الاخرة في الدنيا لعلهم يتذكرون ثم لما اقام الدلالة على النبوة اكد ذلك بقوله
الذين اتيناهم الكتاب قوله الذين اتيناهم مبتدا وهم مبتدا ثان ويومنون خبره والجملة
خبر الاول وبه متعلق بيومنون وقد تهكم على الزمخشري وغيره من اهل البيان حيث
قالوا التقديم يفيد الاختصاص وهنا لا يتاتى ذلك لانهم لو خصوا ايمانهم بهذا الكتاب
فقط لزم كفرهم بما عداه وهو عكس المراد وقد ابدى اهل البيان هذا في قوله امنا به وعليه
توكلنا فقالوا لو قدم به لاوهم الاختصاص بالايمان بالله وحده دون ملايكته وكتبه
ورسله واليوم الاخر وهذا بعينه جار ههنا والجواب ان الايمان بغيره معلوم فانصب الغرض
الى الايمان بهذا **فصل** الذين اتيناهم الكتاب من قبله اي من قبل محمد صلى الله
عليه وسلم وقيل من قبل القران هم به يومنون قال قتادة نزلت في مومني اهل الكتاب
عبد الله بن سلام واصحابه وقال مقاتل هم اصحاب السفينة الذين قدموا من الحبشة
اربعين رجلا من اهل الانجيل وامنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن جبير قدموا
مع جعفر من الحبشة على النبي صلى الله عليه وسلم فلما راوا ما بالمسلمين من الخصاصة قالوا يا نبي

الله ان لنا اموالا فان اذنت لنا انصرفنا فجئنا باموالنا فواسينا المسلمين بها فاذن لهم فانصرفوا
فاتوا باموالهم فواسوا بها المسلمين فنزل بهم الذين اتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم
ينفقون وعن ابن عباس قال نزلت في ثمانين من اهل الكتاب اربعون من نجران واثنان
وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام وقال رفاعة نزلت في عشرة انا احدهم ووصفهم الله
فقال واذا يتلى يعني القران عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل اي كنا من قبل القران
مسلمين مخلصين لله التوحيد مومنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبي حق قوله اولئك يوتون
اجرهم مرتين منصوب على المصدر وبما صبروا اما مصدرية والبا تتعلق بيوتون او بنفس الاجر
ومعنى مرتين اي بايمانهم بمحمد قبل بعثته وبعد بعثته وقيل يوتون اجرهم مرتين لايمانهم بالكتاب
الاول وبالكتاب الاخر وقيل لايمانهم بالانبيا الذين كانوا قبل محمد عليه السلام ومرة بايمانهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل لما امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم شتمهم المشركون
فصفحوا عنهم فلهم اجران اجر على الصفح واجر على الايمان وقوله بما صبروا اي على دينهم
قال مجاهد نزلت في قوم من اهل الكتاب اسلموا فاوذوا قوله ويدرون بالحسنة السيئة
اي بالطاعة المعصية المتقدمة قال ابن عباس يدفعون بشهادة ان لا اله الا الله الشرك وقال
مقاتل يدفعون ما سمعوا من الاذى والشتم من المشركين بالصفح والعفو ومما رزقناهم ينفقون
في الطاعة قوله واذا سمعوا اللغو وهو القبيح من القول اعرضوا عنه وذلك ان المشركين كانوا
يسبون مومني اهل الكتاب ويقولون تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم
وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لنا ديننا ولكم دينكم سلام عليكم ليس المراد سلام التحية ولكنه
سلام التارك ومعناه سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم والقبيح ونظيره واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما ثم اكد تعالى ذلك بقوله حاكيا عليهم لا نبتغي الجاهلين اي دين الجاهلين اي لا نحب
دينكم الذي انتم عليه وقيل لا نريد ان نكون من اهل الجهل والسفه وقيل نسخ ذلك بالامر
بالقتال وهو بعيد لان ترك المسافهة مندوب وان كان القتال واجبا والله اعلم قوله تعالى
انك لا تهدي من احببت اي احببت هدايته وقيل احببته لقرابته قال المفسرون نزلت في
ابي طالب قال له النبي صلى الله عليه وسلم قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيمة قال
لولا ان تعيرني قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله هذه الاية

فصل قال في هذه الاية انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا
وقال في اية اخرى وانك لتهدي الى صراط مستقيم ولا تنافي بينهما فان الذي اثبته واضافه
اليه الدعوة والذي نفى عنه هداية التوفيق وشرح الصدر وهو نور يقذف في القلب
فيحيى به القلب كما قال سبحانه او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس

فصل احتج اهل السنة بهذه الاية في مسئلة الهدى والضلال فقالوا قوله
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا يقتضي ان تكون الهداية في الموضعين بمعنى
واحد لانك لو كان المراد من الهداية في قوله انك لا تهدي شيا وفي قوله ولكن الله يهدي
من يشا شيا اخر لاختل النظم ثم اما ان يكون المراد من الهداية بيان الادلة والدعوة الى
الجنة او تعريف طريق الجنة او خلق المعرفة على سبيل الالجا وخلق المعرفة في القلب لا على
سبيل الالجا لا جايز ان يكون المراد منه الهداية التي نفى الله عمومها وكذا القول في الهداية
بمعنى الدعوة الى الجنة واما الهداية بمعنى تعريف طريق الجنة فهي ايضا غير مرادة لانه تعالى
علق هذه الهداية على المشية فمن وجب عليه ادا عشرة دنانير لا يقول اعطي عشرة دنانير
ان شيت واما الهداية بمعنى الالجا والقسر فغير جايز لان ذلك عندهم قبيح من الله تعالى في
حق المكلف وفعل القبيح مستلزم للجهل او للحاجة وهما محالان ومستلزم المحال محال فذلك
محال من الله والمحال لا يجوز تعليقه على المشية ولما بطلت الاقسام لم يبق الا ان المراد انه
تعالى يخص البعض بخلق الهداية والمعرفة ويمنع البعض منها لا يسال عما يفعل واذا اورد
الكلام على هذا الوجه سقط ما اورده القاضي عذرا عن ذلك قوله وهو اعلم بالمهتدين
اي انه المختص بعلم الغيب فيعلم من يهتدي ومن لا يهتدي ثم انه تعالى حكى عنهم شبهة اخرى

متعلقة باحوال الدنيا وهي قولهم ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا قال المبرد الخطف
الانتزاع بسرعة نزلت في الحارث بن نوفل بن عبد مناف قال للنبي صلى الله عليه وسلم
انا لنعلم ان الذي تقوله حق ولكنا ان اتبعناك على دينك خفنا ان تخرجنا العرب من ارضنا
مكة فاجاب الله عنه من وجوه الاول قوله اولم نمكن لهم حرما امنا اي اعطاكم مسكنا لا خوف لكم
فيه اما لان العرب كانوا يحترمون الحرم ولم يتعرضوا لسكانه فانه يروى ان العرب خارج الحرم
كانوا لا يتعرضون لسكان الحرم قوله نتخطف العامة على الجزم جوابا للشرط والمنقري بالرفع
على حذف الفا كقوله • من يفعل الحسنات الله يشكرها •
وكقراة يدرككم بالرفع او على التقديم وهو مذهب سيبويه قوله اولم نمكن لهم حرما قال ابو
البقا عداه بنفسه لانه بمعنى جعل وقد صرح به في قوله اولم يروا انا جعلنا حرما ومكن متعد
بنفسه من غير ان يضمن معنى جعل لقوله مكناهم وتقدم تحقيقه في الانعام وامنا قيل بمعنى
مومن اي يومن من دخله وقيل هو على حذف مضاف اي امنا اهله وقيل فاعل بمعنى النسب
اي ذا امن قوله يجبى قرا نافع بتا التانيث مراعاة للفظ ثمرات والباقون باليا للفصل ولان
تانيثه مجازي والجملة صفة لحرما ايضا وقرا العامة ثمرات بفتحتين وابان بضمتين جمع ثمر
بضمتين وبعضهم بفتح وسكون قوله رزقا ان جعلته مصدرا جاز انتصابه على المصدر المؤكد
لان معنى يجبى اليه يرزقهم وان تنصب على المفعول له والعامل محذوف اي يسوقه اليه رزقا
وان يكون في موضع الحال من ثمرات لتخصيصها بالاضافة وان جعلته اسما للمرزوق انتصب على
الحال من ثمرات ومعنى يجبى اي يجلب ويجمع يقال جبيت الما في الحوض اي جمعته قال مقاتل يحمل
الى الحرم ثمرات كل شي رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ما يقوله حق قوله وكم اهلكنا
من قرية اي من اهل قرية بطرت معيشتها قال الزمخشري البطر سو احتمال الغنى وهو ان لا
يحفظ حق الله تعالى فيه وانتصب معيشتها اما بحذف الجار واتصال الفعل كقوله واختار موسى
قومه او بتقدير حذف ظرف الزمان واصله بطرت ايام معيشتها واما بتضمين بطرت معنى كفرت
او خسرت او على التمييز او على التشبيه بالمفعول به وهو قريب من سفه نفسه قال عطا
عاشوا في البطر فاكلوا رزق الله وعبدوا غيره قوله فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا
قليلا قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافرون ومار الطريق يوما او ساعة معناه لم تسكن من
بعدهم الا سكونا يسيرا قليلا وقيل لم يعمرها الا اقلها واكثرها خراب فقوله لم تسكن جملة حالية
والعامل فيها معنى تلك ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والا قليلا اي الا سكنى قليلا او الا زمنا
قليلا وكنا نحن الوارثين كقوله انا نحن نرث الارض ومن عليها قوله وما
كان ربك مهلك القرى بظلم يعني القرى الكافرة اهلها حتى يبعث في امها رسولا اي في اكبرها
واعظمها رسولا ينذرهم وخص الاعظم ببعثة الرسول فيها لان الرسول يبعث الى الاشراف
والاشراف يسكنون المداين والمواضع التي هي ام ما حولها وهذا بيان لقطع عذرهم لان عدم
البعثة يجري مجرى العذر للقوم فوجب ان لا يجوز اهلاكهم الا بعد البعثة وقوله يتلو عليهم
اياتنا اي يودي ويبلغ قال مقاتل يخبرهم الرسول ان العذاب نازل بهم ان لم يومنوا وما كنا
مهلكي القرى الا واهلها ظالمون مشركون اي اهلكهم بظلمهم واهل مكة ليسوا كذلك فان
بعضهم قد امن وبعضهم قد علم الله منهم انهم وان لم يومنوا لكنه يخرج من نسلهم من يومن قوله
وما اوتيتم من شي فمتاع الحيوة الدنيا اي فهو متاع وقرى فمتاعا الحياة بنصب متاعا على
المصدر اي يتمتعون متاعا والحياة نصب على الظرف والمعنى يتمتعون بها ايام حياتكم ثم هي
الى فنا وانقضا وما عند الله خير وابقى وهذا جواب عن شبهتهم فانهم ان قالوا تركنا الدين
لئلا تفوتنا الدنيا فبين تعالى ان ذلك خطا عظيم لان ما عند الله خير وابقى من وجهين
الاول ان المنافع هناك اعظم والثاني انها خالصة عن الشوايب ومنافع الدنيا مشوبة
بالمضار بل المضار فيها اكثر واما انها ابقى فلانها دايمة غير منقطعة ومتى قوبل المتناهي
بغير المتناهي كان عدما فظهر بهذا ان منافع الدنيا لا نسبة لها الى منافع الاخرة فلا جرم نبه
على ذلك فقال افلا تعقلون ان الباقي خير من الفاني يعني ان من لا يرجح منافع الاخرة
على منافع الدنيا كانه يكون خارجا عن حد العقل ورحم الله الشافعي حيث قال من اوصى

بتلك مالا لا يعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان اعقل
الناس من اعطى القليل واخذ الكثير وما هم الا المشتغلون بالطاعة فكانه رحمه الله انما
اخذه من هذه الاية وقرا ابو عمرو افلا تعقلون بالياء من تحت التفاتا والباقون بالخطاب
جريا على ما تقدم قوله افمن وعدناه قرا طلحة امن وعدناه بغير فا وعدا حسنا يعني
الجنة فهو لاقيه مصيبه ومدركه وصاير اليه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا وتزول عن
قريب ثم هو يوم القيمة من المحضرين النار قرا الكسائي وقالون ثم هو بسكون الها اجرا له
مجرى الواو والفا والباقون بالضم على الاصل وتخصيص لفظ المحضرين بالذين احضروا
للعذاب امر عرف من القران قال تعالى لكنت من المحضرين فانهم لمحضرون وفي اللفظ
اشعار به لان الاحضار يشعر بالتكليف والالزام وذلك لا يليق بمجالس اللذة وانما يليق
بمجالس المكاره قوله ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون
في الدنيا انهم شركاي وتزعمون انها تشفع فتخلصكم من هذا الذي نزل بكم وتزعمون
مفعولاه محذوفان اي تزعمونه شركاه قال الذين حق عليهم القول اي وجب عليهم العذاب
وهم روس الضلالة وقيل الشياطين قوله هولاء الذين اغوينا فيه وجهان احدهما ان
هولاء مبتدا والذين اغوينا صفته والعايد محذوف اي اغويناهم والخبر اغويناهم وكما غوينا
نعت لمصدر محذوف ذلك المصدر مطاوع لهذا الفعل اي فغووا غيا كما غوينا قال
الزمخشري فان قلت فقد وصل بقوله كما غوينا وفيه زيادة وهذا الوجه منعه ابو علي قال
لانه ليس في الخبر زيادة فايدة على ما في صفته قال فان قلت قد وصل بقوله كما غوينا
وفيه زيادة قلت الزيادة في الظرف لا تصيره اصلا في الجملة لان الظروف صلات ثم
اعرب هو هولاء مبتدا والذين اغوينا خبره واغويناهم مستانف واجاب ابو البقا وغيره
عن الاول بان الظرف قد يلزم كقولك زيد عمرو في داره **فصل** المعنى هولاء
الذين دعوناهم الى الغي وهم الاتباع اغويناهم كما غوينا اضللناهم كما ضللنا تبرانا اليك
منهم قوله ما كانوا ايانا يعبدون ايانا مفعول يعبدون قدم لاجل الفاصلة وفي ما وجهان
احدهما هي نافية والثانية مصدرية ولا بد من تقدير حرف جر اي تبرانا من ما كانوا اي من
عبادتهم ايانا وفيه بعد قوله وقيل ادعوا شركاكم اي وقيل للكافرين ادعوا شركاكم اي
الاصنام لتخلصكم من العذاب فدعوهم فلم يستجيبوا لهم لم يجيبوهم والاقرب ان هذا على سبيل
التقريع لانهم يعلمون انه لا فايدة في دعايهم لهم قوله لو انهم كانوا جوابها محذوف اي لما راوا
العذاب او لدفعوه قال الضحاك ومقاتل يعني المتبوع والتابع يرون العذاب ولو انهم
كانوا يهتدون في الدنيا ما ابصروه في الاخرة وقيل لو انهم كانوا مهتدين في الدنيا لعلموا ان
العذاب حق وقيل لو كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل لدفعوا به العذاب وقيل قد
ان لهم ان يهتدوا لو انهم كانوا يهتدون اذا راوا العذاب ويوكد ذلك قوله لا يومنون به حتى
يروا العذاب الاليم قال ابن الخطيب وعندي ان الجواب غير محذوف وفي تقديره وجوه
احدها ان الله تعالى لما خاطبهم بقوله ادعوا شركاكم فهنا يشتد الخوف عليهم ويصيرون
بحيث لا يبصرون شيا فقال تعالى وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون شيا ولما صاروا
من شدة الخوف لا يبصرون شيا لا جرم ما راوا العذاب وثانيها انه تعالى لما ذكر عن الشركا
وهم الاصنام الذين لا يجيبون الذين دعوهم قال في حقهم وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون
مشاهدين العذاب وكانوا من الاحيا لاهتدوا ولكنها ليست كذلك فلا جرم ما رات العذاب
فان قيل قوله وراوا العذاب لا يليق الا بالعقلا فكيف يصح عوده للاصنام قلنا هذا
كقوله فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وانما ورد ذلك على حسب اعتقاد القوم فكذا ههنا وثالثها
ان يكون المراد من الروية روية القلب اي والكفار علموا حقية هذا العذاب في الدنيا
لو كانوا يهتدون قال وهذه الوجوه عندي خير من الوجوه المبنية على ان جواب لو محذوف
فان ذلك يقتضي تفكيك نظم الاية قوله ويوم يناديهم اي يسال الله الكفار ماذا
اجبتم المرسلين فعميت العامة على تخفيفها وقرا الاعمش وجناح بن حبيش بضم العين
وتشديد الميم وتقدمت القراتان للسبعة في هود والمعنى خفيت واشتبهت عليهم الانبا

وهي الاخبار والاعذار وقال مجاهد الحجج يومئذ فلا يكون لهم عذر ولا حجة فهم لا يتسالون
لا يجيبون وقال قتادة لا يحتجون وقيل يسكتون لا يسال بعضهم بعضا وقرا طلحة لا يتسالون
بتشديد السين على ادغام التا في السين كقراءة يسالون به والارحام **فصل** قال
القاضي هذه الاية تدل على بطلان قول الجبرية لان فعلهم لو كان خلقا من الله ويجب وقوعه
بالقدرة والارادة لما عميت عليهم الانبا ولقالوا انما كذبنا الرسل من جهة خلقك فينا تكذيبهم
والقدرة الموجبة لذلك فكانت حجتهم على الله تعالى ظاهرة وكذلك القول فيما تقدم لان
الشيطان كان له ان يقول انما اغويت لخلقك في الغواية والجواب ان علم الله بعدم الايمان
مع وجوده متنافيان لذاتهما فمع العلم بعدم الايمان اذا امرنا بادخال الايمان في الوجود فقد
امرنا بالجمع بين الضدين واعلم ان القاضي لا يترك اية من الايات المشتملة على المدح والذم
والعقاب الا ويعيد استدلاله بها فكما انه وجد استدلاله في الكل هذا الحرف فكذا وجه جوابنا
حرف واحد وهو ما ذكرنا قوله فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين
لما بين حال المعذبين اتبعه بذكر من يتوب منهم في الدنيا ترغيبا في التوبة وزجرا عن الثبات
على الكفر وفي عسى وجوه احدها انه من الكرام حقيق والله اكرم الاكرمين وثانيها انها لترجي
التايب وطمعه كانه قال فليطمع في الفلاح وثالثها عسى ان يكونوا كذلك اذا داموا على
التوبة والايمان لجواز ان لا يدوموا قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار نزلت هذه الاية
جوابا للمشركين حين قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم يعني الوليد بن
المغيرة او عروة بن مسعود الثقفي اخبر الله تعالى انه لا يبعث الرسل باختيارهم قوله
ما كان لهم الخيرة فيه اوجه احدها ان ما نافية فالوقف على يختار والثاني ان ما مصدرية
اي يختار اختيارهم والمصدر واقع فيه موقع المفعول به اي مختارهم الثالث ان يكون
بمعنى الذي والعايد محذوف اي ما كان لهم الخيرة فيه كقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم
الامور اي منه وجوز ابن عطية ان تكون كان تامة ولهم الخيرة جملة مستانفة قال ويتجه
عندي ان يكون ما مفعولة اذا قدرنا كانت تامة اي ان الله يختار كل كاين ولهم الخيرة مستانف
معناه تعديد النعم عليهم في اختيار الله لهم لو قبلوا وجعل بعضهم في كان ضمير الشان وانشد

امن سمية دمع العين تذريف ... لو كان ذا منك قبل اليوم معروف

ولو كان ذا اسمها لقال معروفا وابن عطية منع ذلك في الاية قال لان تفسير الامر والشان
لا يكون بجملة فيها محذوف كانه يريد ان الجار متعلق بمحذوف وضمير الشان لا يفسر الا بجملة
مصرح بجزايها الا ان في هذا نظرا لانه اراد لان هذا الجار قايم مقام الخبر ولا اظن احدا يمنع
هو السلطان في البلد وهي عند في الدار والخيرة من التخير كالطيرة من التطير فيستعملان
استعمال المصدر قال الزمخشري ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار
ما يشا ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيرة لله في افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فيها ليس
لاحد من خلقه ان يختار عليه قال شهاب الدين لم يزل الناس يقولون ان الوقف على يختار
والابتدا بما كان على انها نافية هو مذهب اهل السنة ونقل ذلك عن جماعة كابي جعفر وغيره
وان كونها موصولة متصلة بيختار غير موقوف عليه مذهب المعتزلة وهذا الزمخشري قد
قرر كونها نافية وحصل غرضها في كلامه وهو موافق لكلام اهل السنة ظاهرا وان كان لا يريده
وهذا الطبري من كبار اهل السنة منع ان تكون نافية قال لئلا يكون المعنى انه لم يكن لهم الخيرة
فيما مضى وهي لهم فيما يستقبل وايضا فلم يتقدم نفي وهذا الذي قاله ابن جرير يروى عن ابن
عباس وقال بعضهم ويختار لهم ما يشاء من الرسل فما على هذا واقعة على العقلا **فصل**
ان قيل ما للاثبات فمعناه ويختار الله ما كان لهم الخيرة اي يختار ما هو الاصلح والخير وان قيل
ما للنفي اي ليس اليهم الاختيار او ليس لهم ان يختاروا على الله كقوله وما كان لمومن ولا مومنة
اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم ثم قال منزها نفسه سبحان الله وتعالى عما
يشركون اي ان الخلق والاختيار والاعزاز والاذلال مفوض اليه ليس لاحد فيه شركة ومنازعة
ثم اكد ذلك بانه يعلم ما تكن صدورهم من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يعلنون من
مطاعنهم فيه وقوله هلا اختير غيره في النبوة ولما بين علمه بما هم عليه من الغل والحقد والسفاهة

قال وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولي والاخرة وهذا تنبيه علي كونه قادرا علي الممكنات عالما بكل المعلومات منزه عن النقايص والافات له الحمد في الاولي والاخرة وهذا ظاهر علي مذهب اهل السنة لان الثواب غير واجب عليه بل يعطيه فضلا واحسانا فله الحمد في الاولي والاخرة ويوكد قول اهل الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وله الحكم فصل القضا بين الخلق قال ابن عباس حكم لاهل طاعته بالمغفرة ولاهل المعصية بالشقا واليه ترجعون اي الي حكمه وقضايه **قوله** تعالي قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الاية لما بين بقوله وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولي والاخرة وله الحكم واليه ترجعون فصل عقيب ذلك ببعض ما يجب ان يحمد عليه مما لا يقدر عليه سواه فقال قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا نبه بذلك علي كون الليل والنهار نعمتان متعاقبتان علي الزمان ووجهه ان المرء في الدنيا مضطر الي ان يتعب لتحصيل ما يحتاج اليه ولا يتم ذلك الا براحة وسكون بالليل ولا بد منهما والحالة هذه فاما في الجنة فلا نصب ولا تعب ولا حاجة بهم الي الليل ولذلك يدوم لهم الضيا واللذات فنبه بذلك ان القادر علي ذلك ليس الا الله فقال هل ارايتم اخبروني يا اهل مكة ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الي يوم القيمة لا نهار معه من اله غير الله ياتيكم بضيا بنهار تطلبون فيه المعيشة فلا تسمعون سماع فهم وبقول قوله ارايتم وجعل تنازعا في الليل واعمل الثاني ومفعول ارايتم هي جملة الاستفهام بعده والعايد منها علي الليل محذوف تقديره بضيا بعده وجواب الشرط محذوف وتقدم تحريرهذا في الانعام وسرمدا مفعول ثان ان كان الجعل تصييرا او حال ان كان خلقا وانشا والسرمد الدايم الذي لا ينقطع قال طرفة

• لعمرك ما امري علي لغمة • نهاري ولا ليلي علي بسرمد •

والظاهر ان ميمه اصلية ووزنه فعلل كجعفر وقيل هي زايدة واشتقاقه من السرد وهي تتابع الشي علي الشي ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلثة سرد وواحد فرد الا ان زيادة الميم وسطا واخرا لا تنقاس نحو دلامص وزرقم من الدلاص والزرقة قوله الي يوم متعلق بجعل او بسرمدا او بمحذوف علي انه صفة لسرمدا وانما قال افلا تسمعون افلا تبصرون لان الغرض من ذلك الانتفاع بما يسمعون ويبصرون من جهة التدبر فلما لم ينتفعوا انزلوا منزلة من لا يسمع ولا يبصر قال المفسرون افلا تسمعون سماع فهم افلا تبصرون ما انتم عليه من الخطا والضلال قال الزمخشري فان قيل هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه قلنا ذكر الضيا وهو ضو الشمس لان المنافع التي يتعلق بها متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة وانما قرن بالضيا افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوايده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يدرك من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه قوله لتسكنوا فيه اي في الليل ولتبتغوا من فضله اي في النهار وهذا من باب اللف والنشر ومنه • كان قلوب الطير رطبا ويابسا • لدي وكرها العناب والحشف البالي •

وقوله لعلكم تشكرون اي نعم الله وقيل اراد الشكر علي المنفعتين معا واعلم انه وان كان السكون في النهار ممكنا الا انه اليق بالليل واحد منهما ما ذكره الله تعالي فلهذا احضر به وقوله ويوم يناديهم كرر ذلك النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ قوله ونزعنا احرجنا من كل امة شهيدا يعني رسولهم الذي ارسل اليهم كما قال فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد اي ليشهد عليهم بانهم بلغوا القوم الدلايل واوضحوها لهم ليعلم ان التقصير منهم فيزيد ذلك في غمهم وقيل المراد الشهدا الذين يشهدون علي الناس ويدخل في جملتهم الانبيا فقلنا هاتوا برهانكم حجتكم بان معي شريكا فعلموا حينئذ ان الحق التوحيد لله وضل عنهم غاب عنهم ما كانوا يفترون من الباطل والكذب **قوله** تعالي ان قارون كان من قوم موسي الاية قال المفسرون كان ابن عمه لانه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي ابن يعقوب وموسي بن عمران بن قاهث وقال ابن اسحاق كان قارون عم موسي كان اخا عمران وهما ابنا يصهر ولم يكن في بني اسرايل اقرا للتوراة من قارون ولكنه نافق كما نافق السامري وكان يسمي النور لحسن صورته وعن ابن عباس انه كان ابن خالته فبغي عليهم قيل كان عاملا لفرعون علي بني اسرايل وكان يبغي عليهم ويظلمهم وقال قتادة بغي عليهم بكثرة المال ولم يرع لهم حق الايمان بل استخف بالفقرا وقال الضحاك

بغي عليهم بالشرك وقال القفال طلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت يده وقال ابن عباس تكبر عليهم وتجبر وقال الكلبي حسد هارون علي الحبورة روي ان موسي عليه السلام لما قطع الله له البحر واغرق فرعون جعل الحبورة لهارون فحصلت له النبوة والحبورة وكان له القربان والمذبح وكان لموسي الرسالة فوجد قارون لذلك في نفسه وقال يا موسي لك الرسالة ولهارون الحبورة ولست في شي الا اصبرانا علي هذا فقال موسي والله ما صنعت ذلك لهرون بل جعله الله له فقال قارون له فوالله لا اصدقك ابدا حتي تاتيني بحجة يعرف بها ان جعل ذلك لهرون قال فامر موسي روسا بني اسرايل ان يجي كل رجل منهم بعصاه فجاوا بها فالقاها موسي عليه السلام في قبة له وكان ذلك بامر الله ودعا موسي ربه ان يريهم بيان ذلك فباتوا يحرسون عصيهم فاصبحت عصي هارون تهتز لها ورق وكانت من شجر اللوز فقال موسي لقارون الا تري ما صنع الله لهارون فقال والله ما هذا باعجب مما تصنع من السحر فاعتزل قارون ومعه ناس كثير وولي هارون الحبورة والمذبح والقربان وكانت بنوا اسرايل ياتون بهداياهم الي هرون فيضعها في المذبح وتنزل نار من السما فتاكلها واعتزل قارون باتباعه وكان كثير المال والتبع من بني اسرايل فما كان ياتي موسي ولا يجالسه وروي عن النبي صلي الله عليه وسلم ان قارون كان من السبعين المختارة الذين سمعوا كلام الله قوله واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه ما موصولة بمعني الذي صلتها ان وما في حيزها ولهذا كسرت ونقل الاخفش الصغير عن الكوفيين منع الوصل بان وكان ذلك يستقبح عنهم يعني لوجوده في القران والمفاتح جمع مفتح بفتح الميم وهو الذي يفتح به الباب قاله قتادة ومجاهد وجماعة وقيل مفاتحه خزاينه كقوله وعنده مفاتح الغيب اي خزاينه قوله لتنوا بالعصبة فيه وجهان احدهما ان البا للتعدية كالهمزة ولا قلب في الكلام والمعني لتني المفاتح العصبة الاقويا كما تقول اجاته وجيت به واذهبته وذهبت به ومعني ناء نتكبد انهض به بثقل قال

• تنوا باخراها فلاتا قيامها • وتمشي د عن قريب فتبهر •

وقال ابو زيد نوت بالحمل اي نهضت به قال

• اذا وجدنا خلفا بيس الخلف • عبدا اذا ما ناء بالحمل وقف •

وشرح الزمخشري بان نثقل قال يقال ناء به الحمل حتي اثقله واماله وعليه ينطبق المعني اي لتثقل المفاتح العصبة والثاني قال ابو عبيدة ان في الكلام قلبا والاصل لتنوء العصبة بالمفاتح اي لتنهض بها كقولهم عرضت الناقة علي الحوض وتقدم الكلام في القلب وان فيه ثلاثة مذاهب وقرا بديل بن ميسرة لينوء بالياء من تحت والتذكير لان راعي المضاف المحذوف اذ التقدير حملها او ثقلها وقيل الضمير في مفاتحه لقارون فاكتسب المضاف من المضاف اليه التذكير كقولهم ذهبت اهل اليمامة قاله الزمخشري يعني كما اكتسب اهل التانيث اكتسب هذا التذكير والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها قال مجاهد ما بين العشرة الي الاربعين كقول اخوة يوسف ونحن عصبة وكانوا عشرة لان يوسف واخاه لم يكونا معهم وقيل اربعون رجلا وقيل سبعون روي عن ابن عباس كان يحمل مفاتحه اربعون رجلا اقوي ما يكون من الرجال وروي جرير عن منصور عن خيثمة قال وجدت في الانجيل ان مفاتح خزاين قارون وقر ستين بغلا ما يزيد مفتاح منها علي اصبع لكل مفتاح منها كنز وطعن بعضهم في هذا القول من وجهين الاول ان مال الرجل الواحد لا يبلغ هذا المبلغ ولو انا قدرنا بلدة مملوة من الذهب والجواهر لكان لها اعداد قليلة من مفاتيح فاي حاجة الي تكثير هذه المفاتيح الثاني ان الكنوز هذه الاموال المدخرة في الارض فلا يجوز ان يكون لها مفاتيح واجيب عن الاول ان المال اذا كان من جنس النقد جاز ان يبلغ في الكثرة الي هذا الحد وايضا ان قولهم تلك المفاتيح بلغت ستين حملا ليس مذكورا في القران فلا نقبل هذه الرواية وعن الثاني ان الكنز وان كان من جهة العرف ما قالوا فقد يقع علي المال المجموع في المواضع التي عليها اغلاق وحمل ابن عباس والحسن المفاتيح علي نفس المال وهذا ابين قال ابن عباس كانت خزاينه يحملها اربعون رجلا اقويا وقال ابو مسلم المراد من المفاتح العلم والاحاطة كقوله تعالي وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو والمراد اتيناه من الكنوز بكثرتها واختلاف اصنافها ما يتعب القايمين ان يحفظوها قوله اذ قال

فيه اوجه ان يكون معمولا للنتوء قال الزمخشري او لبغي قاله ابن عطية وردهما ابو حيان
بان المعنى ليس على التقييد بهذا الوقت او لا يبتاه قاله ابو البقا ورده ابو حيان بانه لا يتالم
يكن ذلك الوقت او لمحذوف قدره ابو البقا بغى عليهم وهذا ينبغي ان يرد بما رد به قول ابن
عطية وقدره الطبري اذكر وقدره ابو حيان اظهر الفرح وهو مناسب واعلم انه كان في قومه
من وعظه باموراحدها قوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وقري الفارحين حكاها عيسى
الحجازي والمراد لا يلحقه من البطر والتمسك بالدنيا ما يلهيه عن امر الاخرة قال بعضهم انه
لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمان اليها فاما من يعلم انه سيفارق الدنيا عن قريب لم يفرح
وما احسن قول المتنبي • اشد الغم عندي في سرور • تيقن عنه صاحبه انتقالا •
وقال لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم قال ابن عباس كان فرحه ذلك شركا
لانه ما كان يخاف معه عقوبة الله تعالى وثانيها قوله وابتغ فيما اتاك الله يجوز ان يتعلق
فيما اتاك بابتغ وان يتعلق بمحذوف على انه حال اي متقلبا فيما اتاك وما مصدرية او بمعنى
الذي والمراد ان يصرف المال الى ما يوديه الى الجنة والظاهر انه كان مقرا بالاخرة وثالثها قوله
ولا تنس نصيبك من الدنيا قال مجاهد وابن زيد لا تترك ان تعمل في الدنيا للاخرة وقال
السدي بالصدقة وصلة الرحم وقال علي لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك ان تطلب بها
الاخرة قال عليه السلام لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك
قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك قوله واحسن كما
احسن الله اليك اي احسانا كاحسانه اليك اي احسن بطاعة الله كما احسن اليك بنعمته وقيل
احسن الى الناس كما احسن الله اليك واعلم انه لما امره بالاحسان بالمال امره بالاحسان مطلقا
ويدخل فيه الاعانة بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن اللقا وقوله ولا تبغ الفساد
في الارض ولا تطلب الفساد في الارض وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الارض وقيل المراد
ما كان عليه من الظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين قيل ان هذا القايل هو موسى عليه السلام
وقيل بل مومنوا قومه قوله على علم حال من مرفوع اوتيته وقوله عندي اما ظرف لاوتيته
واما صلة للعلم

فصل

قال قارون انما اوتيته على علم عندي اي على فضل
وخير علمه الله عندي فراني اهلا لذلك ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره وقال
سعيد بن المسيب والضحاك كان موسى عليه السلام يعلم علم الكيميا فعلم يوشع بن نون ثلث
ذلك العلم وعلم كالب بن يوفنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى
علمه وكان ذلك سبب امواله وقيل على علم عندي بالتصرف في التجارات والزراعات
وانواع المكاسب ثم اجاب الله عن كلامه بقوله اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون
الكافرة من هو اشد منه قوة واكثر جمعا للاموال او اكثر جماعة وعددا فقوله اولم يعلم يجوز
ان يكون هذا استيناف لعلمه بان الله قد اهلك قبله من القرون من هو اقوى منه واغنى
لانه قراه في التوراة واخبره به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ كانه قيل اولم يعلم في جملة
ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز ان يكون نفيا لعلمه بذلك لانه
لما قال اوتيته على علم عندي فتصلف بالعلم وتعظم به قيل اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه
وراى نفسه به مستوجبا لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه والمعنى انه
تعالى اذا اراد اهلاكهم لم ينفعهم ذلك ولا ما يزيد عليه اضعافا قوله من هو اشد من موصولة
او نكرة موصوفة وهي في موضع المفعول باهلك ومن قبله متعلق به ومن القرون يجوز
فيه ذلك ويجوز ان يكون حالا من من هو اشد قوله ولا يسال هذه قراها العامة على
البنا للمفعول وبالياء من تحت ورفع الفعل وقرا ابو جعفر ولا تسال بالتاء من فوق والجزم
وابن سيرين وابو العالية كذلك الا انه مبني للفاعل وهو المخاطب قال ابن ابي اسحاق لا يجوز
ذلك حتى تنصب المجرمين قال صاحب اللوامح هذا هو الظاهر الا انه لم يبلغني فيه شي
فان تركاه مرفوعا فيحتمل وجهين احدهما ان يكون المجرمون خبر مبتدا محذوف اي هم المجرمون
والثاني ان يكون بدلا من اصل الهاء والميم في ذنوبهم لانهما مرفوعان المحل يعني ان ذنوبا
مصدر مضاف لفاعله قال حمل المجرمون على الاصل كما تقدم في قراءة مثلا ما بعوضة بجر

بعوضة

بعوضة وكان قد خرجها على ان الاصل بضرب مثل بعوضة وهذا تعسف كثير ولا ينبغي ان يقرا
ابن سيرين وابو العالية الا المجرمين بالياء فقط وانما ترك نقلها لظهوره قوله تعالى ولا يسال
عن ذنوبهم المجرمون قال قتادة يدخلون النار بغير حساب ولا سوال وقال مجاهد يعني لا تسال
الملايكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم وقال الحسن لا يسالون سوال استعلام وانما يسالون سوال
تقريع وتوبيخ وقيل المراد ان الله تعالى اذا عاقب المجرمين فلا حاجة به الى ان يسالهم عن كيفية
ذنوبهم وكميتها لانه تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة الى السوال فان قيل كيف الجمع بينه وبين
قوله فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون فالجواب يحمل ذلك على ما قررناه وقال ابو
مسلم السوال قد يكون للمحاسبة وقد يكون للتقريع والتوبيخ وقد يكون للاستعتاب واليق
الوجوه بهذه الاية الاستعتاب لقوله ثم لا يوذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون هذا يوم لا ينطقون
ولا يوذن لهم فيعتذرون قوله في زينته اما متعلق بخرج واما بمحذوف على انه حال من فاعل
خرج

فصل

دلت الاية على انه خرج باظهر زينته واكملها وليس في القران الا هذا
القدر والناس ذكروا وجوها مختلفة والاولى ترك هذه التقديرات لانها متعارضة ثم ان الناس
لما راوه على تلك الزينة قال من كان منهم يرغب في الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ
عظيم من المال وهولاء الراغبون يحتمل ان يكونوا من الكفار وان يكونوا من المسلمين الذين يحبون
الدنيا واما الذين اوتوا العلم وهم اهل الدين قال ابن عباس يعني الاحبار من بني اسرايل وقال
مقاتل اوتوا العلم بما وعد الله في الاخرة فقالوا للذين تمنوا ويلكم ثواب الله خير من هذه النعم
اي ما عند الله من الجزا والثواب خير لمن امن وصدق بتوحيد الله وعمل صالحا لان الثواب منافع
عظيمة خالصة عن شوايب المضار دايمة وهذه النعم على الضد في هذه الصفات قوله ويلكم
منصوب بمحذوف اي الزمكم الله ويلكم قال الزمخشري ويلك اصله الدعا بالهلاك ثم استعمل في الزجر
والردع والبعث على ترك ما يضر قوله ولا يلقاها اي هذه الخصلة وهي الزهد في الدنيا والرغبة
فيما عند الله وقيل الضمير يعود الى ما دل عليه قوله امن وعمل صالحا يعني هذه الاعمال لا يوتاها
الا الصابرون وقال الزجاج ولا يلقى هذه الكلمة وهي قولهم ثواب الله خير الا الصابرون على
ادا الطاعات والاحتراز عن المحرمات وعلى الرضا بقضا الله في كل ما قسم من المنافع والمضار
قوله فخسفنا به وبداره الارض المشهور كسرها الكناية في به وبداره لاجل كسر ما قبلها وقري
بضمها وقد تقدم انها الاصل وهي لغة الحجاز

فصل

قيل لما اشر وبطر وعتى خسف الله به
وبداره الارض جزا على عتوه وبطره والفا تدل على ذلك لان الفا تشعر بالعلية وقيل ان قارون
كان يوذي نبي الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة •
فصالحه عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على درهم وعن كل الف شاة على شاة
فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرايل وقال ان موسى يريد ان ياخذ اموالكم فقالوا انت
كبيرنا فمرنا بما شيت فقال ايتوا بفلانة البغي فنجعل لها جعلا حتى تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت
ذلك خرج عليه بنو اسرايل ورفضوه فدعوها فجعل لها قارون طشتا من ذهب مملوا من ذهبا
وقال لها اني اتولك واخلطك بنساي على ان تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرايل
فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرايل ثم اتي موسى فقال ان بني اسرايل ينتظرونك ان تخرج
وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم في براح من الارض فقام فيهم فقال يا بني اسرايل من سرق قطعنا يده
ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنا وليست له امراة جلدناه مائة ومن زنا وله امراة رجمناه
حتى يموت فقال له قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرايل يزعمون انك فجرت
بفلانة قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة انا فعلت بك ما
يقول هولاء وناشدها بالذي فلق البحر وانزل التوراة ان تصدق فتداركها الله فقالت في نفسها
احدث اليوم توبة افضل من ان اوذي رسول الله فقالت لا كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على
ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان
مر الارض بما شيت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرايل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون
فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا ولم يبق مع قارون الا رجلان
قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه

يتضرعون الي موسي ويناشدونه بالله والرحم وهو لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاوحي الله الي موسي ما افظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم اما وعزتي لو دعوني مرة واحدة لوجدوني قريبا فاصبحت بنو اسرايل يتناجون بينهم انما دعي موسي علي قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتي خسف بداره وامواله ثم ان قارون يخسف به كل يوم قامة قال القاضي اذا هلك بالخسف فسوا نزل عن ظاهر الارض الي الارض السابعة او دون ذلك وان كان لا يمتنع علي وجه المبالغة في الزجر واما قوله الله تعالي قال لو استغاثوا بي لاغثتهم فان صح حمل علي استغاثة مقرونة بالتوبة فاما وهو ثابت علي ما هو عليه مع الله تعالي هو الذي حكم بذلك الخسف لان موسي ما فعله الا عن اذن فبعيد وقولهم انهم يتجلجلون في الارض فبعيد لانه لا بد من نهاية وكذا القول فيما ذكر من عدد القامات والذي عنده في امثال هذه الحكايات انها قليلة الفايدة لانها من باب اخبار الاحاد فلا تفيد اليقين وليست المسالة عملية حتي يكفي فيها الظن ثم انها في اكثر الامر متعارضة مضطربة فالاولي طرحها والاكتفا بما دل عليه نص القران وتفويض ساير التفاصيل الي عالم الغيب قوله من فية يجوز ان يكون اسم كان ان كانت ناقصة وله الخبر او ينصرونه وان تكون فاعلة ان كانت تامة وينصرونه صفة لفية فيحكم علي موضعها بالجر لفظا وبالرفع معني لان من مزيدة فيها ثم قال وما كان من المنتصرين اي الممتنعين مما نزل به من الخسف يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه فامتنع قوله واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس اي صاروا وليك الذين تمنوا مكانه بالامس ما رزق من المال والزينة يتندمون علي ذلك التمني والعرب تعبر عن الصيرورة بصبح وامسي واضحي تقول اصبح فلان عالما واضحي معدما وامسي حزينا والمعني صار ذلك زاجرا لهم عن حب الدنيا ومخالفة موسي وداعيا الي الرضي بقضا الله وتسمية قوله ويكان الله فيه مذاهب منها ان وي كلمة براسها وهي اسم فعل معناه اعجب اي انا والكاف للتعليل وان وما في حيزها مجرورة بها اي اعجب لانه لا يفلح الكافرون وسمع كانه لا يعلم عمر الله له وقياس هذا القول ان يوقف علي وي وحدها وقد فعل ذلك الكسايي الا انه ينقل عنه انه يعتقد في الكلمة ان اصلها ويلك كما سياتي وهذا بنا في وقفه وانشد سيبويه

• وي كان من يكن له نشب يحبب • ومن يفتقر يعش عيش ضر •

الثاني قال بعضهم كان هنا للتشبيه الا انه ذهب منها معناه وصارت للخبر واليقين وانشد

• كانني حين امسي لا يكلمني • متيم يشتهي ما ليس موجودا •

وهذا ايضا يناسبه الوقف علي وي الثالث ان ويك كلمة براسها والكاف حرف خطاب وان معموله لمحذوف اي اعلم انه لا يفلح قاله الاخفش وعليه قوله

• الا ويك المسرة لا تدوم • ولا يبقي علي البوس النعيم •

وقال عنترة • ولقد شفي نفسي وابرا سقمها • قول الفوارس ويك عنتر اقدم •

وحقه ان يقف علي ويك وقد فعله ابو عمرو بن العلا الرابع ان اصلها ويلك فحذفت واليه ذهب الكسايي ويونس وابو حاتم فحذف اللام وانما جاز هذا الحذف لكثرتها في الكلام وجعل انه مفتوحة بفعل مضارع مضمر كانه قال ويلك اعلم وحقهم ان يقفوا علي الكاف كما فعل ابو عمرو ومن قال بهذا استشهد بالبيتين المتقدمين فانه يحتمل ان يكون الاصل فيهما ويلك فحذف ولم يرسم في القران الا ويكان ويكانه متصلة في الموضعين فعامة القرا اتبعوا الرسم والكسايي وقف علي وي وابو عمرو علي ويك وهذا كله في وقف الاختبار دون الاختيار كنظاير تقدمت الخامس ان ويكان كلها كلمة مستقلة بسيطة ومعناها الم تر وربما نقل ذلك عن ابن عباس ونقل الكسايي والفرا انها بمعني اما تري الي صنع الله قال الفرا هي كلمة تقرير وذكر انه اخبره من سمع اعرابية تقول لزوجها اين ابنك قال ويكانه ورا البيت يعني اما ترينه ورا البيت وحكي ابن قتيبة انها بمعني رحمة لك في لغة حمير قوله لولا ان من الله قرا الاعمش لولا من بحذف ان وهي مراده لان لولا هذه لا يليها الا المبتدا وعنه من برفع النون وجر الجلالة وهي واضحة قوله لخسف قرا حفص لخسف مبنيا للفاعل اي الله تعالي والباقون بينايه للمفعول وبنا هو القايم مقام الفاعل وعبد الله وطلحة لا نخسف بنا اي المكان وقيل بنا هو القايم مقام الفاعل كقولك انقطع بنا وهي عبارة ردية وقيل الفاعل ضمير المصدر اي لا نخسف الانخساف وهي عي ايضا وعن عبد الله لتخسف بنا من فوق

وتقدير

وتقديره السين مبنيا للمفعول وبنا قايم مقامه **فصل** ويكان كلمة مستعملة عند التنبه للخطا واظهار الندم فلما قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون ثم شاهدوا الخسف تنبهوا لخطايهم ثم قالوا كانه يبسط الرزق لمن يشا من عباده بحسب مشيته وحكمته لا لكرامته عليه ويضيق علي من يشا لا لهوان من يضيق عليه بل لحكمته وقضايه ابتلا وفتنة قال سيبويه سالت الخليل عن هذا الحرف فقال وي مفصولة من كان وان القوم تنبهوا وقالوا متندمين علي ما سلف منهم قوله تعالي تلك الدار مبتدا وصفته وتجعلها هو الخبر ويجوز ان تكون الدار هو الخبر وتجعلها خبرا اخر او حال والاول احسن وهذا تعظيم لها وتفخيم لشانها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا وكرر لا ليفيدان كلا منهما مستقل في بابه لا مجموعهما والعاقبة للمتقين قوله من جا بالحسنة فله خير منها لما بين ان الدار الاخرة ليست الا للمتقين بين بعد ذلك ما يحصل لهم فقال من جا بالحسنة فله خير منها والمعني انهم يزادون علي ثوابهم وقوله ومن جا بالسيية فلا يجزي الذين عملوا السيات الا ما كانوا يعملون وظاهره انهم لا يزادون علي ما يستحقون فقوله فلا يجزي الذين من اقامة الظاهر مقام المضمر تشنيعا عليهم وقوله الا ما كانوا اي الا مثل ما كانوا قال الزمخشري انما كرر ذكر السيات لان في اسناد عمل السيية اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيية الي قلوب السامعين وهذا من فضله العظيم انه لا يجزي بالسيية الا مثلها ويجزي الحسنة بعشر امثالها فان قيل قال تعالي ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها كرر ذكر الاحسان واكتفي في ذكر الاساة بمرة واحدة فما السبب فالجواب ان هذا المقام مقام ترغيب في الدار الاخرة فكانت المبالغة في النهي عن المعصية مبالغة في الدعوي الي الاخرة واما الاية الاخري فهي شرح حالهم فكانت المبالغة في ذكر محاسنهم اولي فان قيل كيف قال لا تجزي السيية الا مثلها مع ان المتكلم بكلمة الكفر اذا مات في الحال عذب ابد الاباد فالجواب لانه كان علي عزم انه لو عاش ابدا لقال ذلك فعومل بمقتضي عزمه قوله ان الذي فرض عليك القران قال ابو علي فرض عليك احكامه وفرايضه لرادك بعد الموت الي معاد وتنكير المعاد لتعظيمه كانه قال معاد واي معاد اي ليس لغيرك من البشر مثله وقيل المراد به مكة وترداده اليها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت في ذلك اليوم معادا له شان عظيم لاستيلا رسول الله صلي الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها واظهار عز الاسلام واذلال حزب الكفرة والسورة مكية فكان الله تعالي وعده وهو بمكة حين اوذي وهو في غلبة من اهلها انه يهاجر منها ويعيده اليها ظاهرا ظافرا وقال مقاتل انه صلي الله عليه وسلم خرج من الغار وسار في غير الطريق الي مكة واشتاق اليها وذكر مولده ومولد ابيه مخافة الطلب فلما رجع الي الطريق نزل بالجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الي مكة واشتاق اليها وذكر مولده ومولد ابيه فنزل جبريل فقال اتشتاق الي بلدك ومولدك فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم نعم فقال جبريل ان الله تعالي يقول ان الذي فرض عليك القران لرادك الي معاد يعني مكة ظاهرا عليهم قال المحققون وهذا احد ما يدل علي نبوته لانه اخبر عن الغيب ووقع ما اخبر به فيكون معجزا قوله من جا بالهدي منصوب بمضمر اي يعلم او باعلم ان جعلنا ها بمعني عالم واعملنا ها اعماله ووجه تعلقه بما قبله ان الله تعالي لما وعد رسوله صلي الله عليه وسلم الرد الي معاد قال قل للمشركين ربي اعلم من جا بالهدي يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في المعاد والاعزاز بالاعادة الي مكة ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العذاب في معادهم قوله وما كنت ترجوا ان يلقي اليك الكتاب اي يوحي اليك القران الا رحمة من ربك قال الفرا هذا استثنا منقطع اي لكن رحمة من ربك فاعطاك القران وقيل متصل قال الزمخشري هذا كلام محمول علي المعني كانه قيل وما القي اليك الكتاب الا رحمة فيكون استثنا من الاحوال او من المفعول له فلا تكونن ظهيرا للكافرين اي معينا لهم علي دينهم قال مقاتل وذلك حين دعا الي دين ابايه فذكره الله نعمه ونهاه عن مظاهرتهم علي ما هم عليه قوله ولا يصدنك عن ايات الله قرا العامة بفتح اليا وضم الصاد من صده يصده وقري بضم اليا وكسر الصاد من اصده بمعني صده حكاها ابو زيد عن كلب قال

• اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم • صدود السواقي عن انوف الحوايم •

واصل يصدنك يصدوننك فحذف فيه ما فعل في ليقولن ما يحبسه والمعني لا تلتفت الي هولا ولا تركن الي قولهم فيصدوك عن اتباع ايات الله يعني القران بعد اذ انزلت اليك وادع الي ربك اي

الى دين ربك والى معرفته وتوحيده ولا تكونن من المشركين قال ابن عباس الخطاب في الظاهر
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به اهل دينه اي لا تظاهروا الكفار ولا توافقوهم ولا تدع مع الله
الها اخر وهذا وان كان واجبا على الكل الا انه تعالى خاطبه به خصوصا لاجل التعليم فان قيل
الرسول كان معلوما منه انه لا يفعل شيا من ذلك البتة فما فايدة ذلك النهي فالجواب ان الخطاب
وان كان معه لكن المراد غيره ويجوز ان يكون المعنى لا تعتمد على غير الله ولا تتخذ غيره وكيلا في
امورك فان وثق بغير الله فكانه لم يكمل طريقه في التوحيد ثم بين انه لا اله الا هو اي لا نافع ولا
ضار ولا معطي ولا مانع الا هو كقوله رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا فلا يجوز اتخاذ
اله سواه قوله كل شي هالك الا وجهه من جعل شيا ينطلق على الباري تعالى وهو الصحيح
قال هذا استثنا متصل والمراد بالوجه الذات وانما جرى على عادة العرب في التعبير بالاشرف
عن الجملة ومن لم يطلقه عليه جعله متصلا ايضا وجعل الوجه ما عمل لاجله او الجاه الذي بين
الناس او يجعله منقطعا اي لكن هو تعالى لم يهلك **فصل** استدلت المعتزلة على ان
الجنة والنار غير مخلوقتين بان هذه الاية تقتضي فنا الكل فلو كانتا مخلوقتين لكان هذا مناقضا
قوله تعالى في صفة الجنة اعدت للمتقين وفي صفة النار وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين
ثم اما ان يحمل قوله كل شي هالك على الاكثر كقوله واوتيت من كل شي او يحمل على الفنا القليل كقوله
اكلها دايم على ان فناهما لما كان قليلا بالنسبة الى زمان بقايهما لا جرم اطلق لفظ الدوام عليهما
قوله واليه ترجعون اي في الاخرة والعامة على بنايه للمفعول وعيسى على بنايه للفاعل روى
الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا طسم القصص لم يبق
ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان مصدقا ان كل شي هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

سورة العنكبوت مكية

الا عشر ايات من اولها الى قوله تعالى وليعلمن المنافقين قال الشعبي مدنية فانها نزلت
بمكة وهي تسع وستون اية والف وتسعماية واحدى وثمانون كلمة واربعة الاف وماية وخمسون
وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الم احسب الناس ان يتركوا الاية نزلت في منكري الحشر يقولون لا فايدة في
التكاليف فانها مشاق في الحال ولا فايدة لها في المال اذ لا معاد ولا مرجع بعد الهلاك والزوال
فلما بين الله تعالى انهم اليه يرجعون في اخر السورة التي قبلها بين ان الامر ليس على ما حسبوه
بل حسن التكليف لانه يجزي الشكور ويعذب الكفور التي قبلها بين الناس ان يتركوا غير
مكلفين من غير عمل يرجعون به الى ربهم **فصل** في حكمة افتتاح هذه السورة
بحروف التهجي ولنذكر كلاما كليا في افتتاح السورة بالحروف اعلم ان الحكيم اذا خاطب من
يكون محل الغفلة او من يكون مشغول البال بشغل يقدم على الكلام المقصود شيا
غيره ليلتفت المخاطب اليه بسببه ويقبل بقلبه عليه ثم يشرع في المقصود واعلم ان ذلك
المتقدم على المقصود قد يكون كلاما له معنى مفهوم كقول القايل ازيد ويا زيد والا يا زيد
اذا كان غافلا على المقصود وقد يكون المقدم صوتا غير مفهوم كمن يصفر خلف انسان ليلتفت
اليه وقد يكون ذلك الصوت بغير الفم كتصفيق الانسان بيديه ليقبل السامع عليه ثم ان موقع
الغفلة كلما كان اتم والكلام المقصود كان اهم كان المقدم على الكلام المقصود اكثر ولهذا
ينادي القريب بالهمزة فيقال ازيد والبعيد بيا فيقال يا زيد والغافل ينبه بالا فيقال
الا يا زيد فاذا تقرر ذلك فنقول النبي صلى الله عليه وسلم وان كان يقظان الجنان لكنه
انسان يشغله شان عن شان فحسن من الحكيم ان يقدم على الكلام المقصود حروفا هي
كالمنبهات وتلك الحروف المفهومة اذا لم يفهم معناها تكون اتم في افادة المقصود الذي هو
التنبيه من تقديم الحروف المفهومة المعنى لان الحروف اذا كانت مفهومة المعنى وذكرت لاقبال
السامع على المتكلم لكي يسمع ما بعد ذلك فربما يظن السامع انه كل المقصود ولا كلام له بعد
ذلك فيقطع الالتفات عنه اما اذا سمع صوتا بلا معنى فانه يقبل عليه ولا يقطع نظره عنه ما لم

يسمع

يسمع غيره لجزمه بان ما سمعه هو المقصود فاذن تقديم الحروف التي لا يفهم معناها على الكلام
المقصود فيه حكمة بالغة فان قيل ما الحكمة في اختصاص بعض السور بهذه الحروف فالجواب
قال ابن الخطيب عقل البشر يعجز عن ادراك الاشيا الكلية على تفاصيلها لكن نذكرها بتوفيق الله
له فنقول كل سورة في اوايلها حروف التهجي فان في اوايلها ذكر الكتاب او التنزيل او القران كقوله
تعالى الم ذلك الكتاب الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب المص كتاب انزل
اليك يس والقران ص والقران ق والقران الم تنزيل الكتاب حم تنزيل الكتاب الا ثلاث كهيعص
الم احسب الناس الم غلبت الروم والحكمة في افتتاح السور التي فيها القران والتنزيل والكتاب
بالحروف هي ان القران عظيم والانزال له ثقيل كما قال تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا فلذلك
قدم عليها تنبيه يوجب ثبات المخاطب لاستماعه لا يقال كل السور قران واستماعها استماع للقران
سوا كان فيها ذكر الكتاب او التنزيل او القران كل السور قران واستماعها استماع او لم يكن فيجب ان يكون
في اول كل سورة منبه وايضا فقد وردت سور فيها ذكر الانزال والكتاب وليس فيها حروف كقوله
تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب سورة انزلناها تبارك الذي نزل الفرقان انا انزلناه
في ليلة القدر لانا نقول جوابا عن الاول لا ريب في ان اول كل سورة من القران لكن السورة التي فيها
ذكر القران والكتاب مع انها من القران فيها تنبيه على كل القران فيصير مثاله فان قوله تعالى
طه ما انزلنا عليك القران لتشقى مع انها بعض القران ذكر فيها جميع القران فيصير مثاله مثال
كتاب يرد من ملك على مملوكه يشغل بنا وكتاب اخر يرد منه عليه فيه انا كتبنا اليك كتابا فيه
امرنا فامتثله فلا شك ان هذا الكتاب الاخر اكثر ثقلا من الاول وعن الثاني ان قوله الحمد لله
وتبارك الذي تسبيحات مقصودة وتسبيح الله لا يغفل عنه العبد فلا يحتاج الى منبه بخلاف
الاوامر والنواهي واما ذكر الكتاب فيها فقد بيان وصف عظمة من له التسبيح وسورة انزلناها فقد
بينا انها بعض من القران فيها ذكر انزالها في السورة التي ذكرناها جميع القران فهو اعظم
واثقل واما قوله انا انزلناه فهذا ليس ورود على مشغول القلب بشي غيره بدليل انه ذكر الكناية
فيها وهي ترجع الى مذكور سابق او معلوم عند النبي صلى الله عليه وسلم فكان منبها له فلم ينبه
واعلم ان التنبيه قد حصل في القران بغير الحروف التي لا يفهم معناها كقوله تعالى يا ايها الناس
اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شي عظيم وقوله يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي لم تحرم لانها اشيا
هايلة عظيمة فان تقوى الله حق تعلق به امر عظيم فقدم عليها النداء الذي يكون للغافل عنها
واما هذه السورة افتتحت بالحروف وليس فيها الابتدا بالكتاب والقران وذلك لان ثقل القران
هو بما فيه من التكاليف والمعاد وهذه السورة فيها ذكر جميع التكاليف حيث قال احسب الناس
ان يتركوا ان يقولوا امنا يعني لا يتركون بمجرد ذلك بل لا بد وان يومنوا بانواع التكاليف فيها
المعنى الذي في السورة التي ذكر فيها القران المشتمل على الاوامر والنواهي فان قيل فهذا المعنى
ورد في سورة التوبة وهو قوله ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يقدم
عليه حروف التهجي فالجواب ان هذا ابتدا كلام ولهذا وقع الاستفهام بالهمزة فقال احسب وذلك
وسط كلام بدليل وقوع الاستفهام تاما والتنبيه يكون في اول الكلام لا في اثنايه واما الم غلبت
الروم فيجي في موضعه ان شا الله قوله ان يتركوا سد مسد مفعولي حسب عند الجمهور ومسد
احدهما عند الاخفش قوله ان يقولوا فيه اوجه احدها انه بدل من ان يتركوا ابدل المصدر المؤول
من مثله والثاني انها على اسقاط الخافض وهو الباء واللام اي بان يقولوا ولان يقولوا قال
ابن عطية وابو البقا واذا قدرت البا كان حالا قال ابن عطية والمعنى في البا واللام مختلف
وذلك انه في البا كما تقول تركت زيدا بحاله وهي في اللام بمعنى من اجل اي احسبوا ان ايمانهم
علة للترك انتهى وهذا تفسير معنى ولو سرك الاعراب لقال احسبانهم الترك لاجل تلفظهم بالايمان
وقال الزمخشري فان قلت فاين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان قلت
هو في قوله ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره احسبوا تركهم غير مفتونين
امنا فالترك اول مفعولي حسب ولقولهم امنا هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك
الذي هو بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه الا ترى انك قبل المجي بالحسبان تقدر
ان يقول غير مفتونين قلت يصح ان يقع خبر مبتدا قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه

للتاديب وقد كان التاديب والمخافة في قولك خرجت للشر وضربته تاديبا يعللين وتقول
ايضا حسن خروجه لمخافة الشر وطيب ضربه للتاديب فتجعلهما مفعولين له جعلتهما خبر مبتدا
وخبرا قال ابو حيان وهذا كلام فيه اضطراب ذكر اولا تقديره غير مفتونين ثم جعله يعني انه حال
لانه سبك ذلك من قوله وهم لا يفتنون وهي جملة حالية ثم ذكر ان يتركوا هنا من الترك الذي هو
تصيير ولا يصح لان المفعول الثاني لا يستقيم ان يكون لقولهما ويصير التقدير ان تصيروا
لقولهم وهم لا يفتنون وهذا كلام لا يصح واما مثله به من البيت فانه يصح ان تكون جزر السباع
مفعولا ثانيا لترك بمعنى صير بخلاف ما قدر في الاية واما تقديره تركهم غير مفتونين لقولهم
على تقدير حاصل ومستقر وقبل اللام فلا يصح اذا كان تركهم بمعنى تصيرهم وكان غير مفتونين حالا
اذ لا ينعقد من تركهم بمعنى تصيرهم ولقولهم مبتدا وخبر لاحتياس تركهم بمعنى تصيرهم الى مفعول
ثان لان غير مفتونين عنده حال لا مفعول ثان واما قوله فان قلت ان يقولوا الى اخره فيحتاج
الى فضل وذلك ان قوله ان يقولوا هو علة تركهم فليس كذلك لانه لو كان علة له لكان به متعلقا
كما يتعلق بالفعل ولكنه علة للخبر المحذوف الذي هو مستقر او كائن والخبر غير المبتدا ولو كان
لقولهم علة للترك لكان من تمامه فكان يحتاج الى خبر واما قوله كما يقول خروجه لمخافة الشر
فلمخافة ليس علة للخروج بل للخبر المحذوف الذي هو مستقر او كائن والخبر غير المبتدا ولو كان
لقولهم علة للترك لكان من تمامه فكان يحتاج الى خبر واما قوله كما يقول انتهى قال شهاب الدين
واجاب الزمخشري انما نظر الى جانب المعنى وكلامه عليه صحيح واما قوله ليس علة للخروج ونحو
ذلك يعني في اللفظ واما في المعنى فهو علة له قطعا ولولا المخافة لم يخرج فات المقصود

فصل

معنى الاية احسب الناس ان يتركوا بغير اختبار ولا ابتلاء ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وهم
لا يبتلون في اموالهم وانفسهم كلا لنختبرنهم ليتبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب
واختلفوا في سبب نزول هذه الاية قال الشعبي نزلت في ناس كانوا بمكة قد اقروا بالاسلام
فكتب اليهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يقبل منكم اقرار باللسان حتى تهاجروا فخرجوا عامدين
الى المدينة فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فقتل بعضهم ونجا بعضهم فانزل الله هاتين الايتين
وقال ابن عباس نزلت في الذين امنوا بمكة وكانوا يعذبون سلمة بن هشام وعياش بن ربيعة
والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم وقال مقاتل نزلت في مهجع بن عبد الله مولى عمر
كان اول قتيل من المسلمين يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو
اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع ابواه وامراته فانزل الله فيه هذه الاية
وقيل وهم لا يفتنون بالاوامر والنواهي وذلك ان الله تعالى امرهم في الابتداء بمجرد الايمان
ثم فرض عليهم الصلاة والزكاة وساير الشرايع فشق على بعض فانزل الله هذه الاية ثم عزاهم
فقال ولقد فتنا الذين من قبلهم يعني الانبياء والمومنين فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من
قتل وابتلي بنو اسرايل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب قوله فليعلمن الله الذين
صدقوا العامة على فتح الياء مضارع علم المتعدي به لواحد كذا قالوا وفيه اشكال مقدم وهو
انها اذا تعدت لمفعول كانت بمعنى عرف وهذا المعنى لا يجوز اسناده الى الباري تعالى لانه
يستدعي سبق جهل ولانه متعلق بالذات فقط دون ما هي عليه من الاحوال وقرا علي وجعفر
بن محمد بضم الياء مضارع اعلم ويحتمل ان يكون من علم بمعنى عرف فلما جي بهمزة النقل اكسبها
مفعولا اخر فحذف ثم هذا المفعول يحتمل ان يكون هو الاول اي ليعلمن الله الناس الصادقين
وليعلمهم الكاذبين اي بشهرة يعرف بها هولاء من هولاء وان يكون الثاني اي ليعلمن هولاء
منازلهم وهولاء منازلهم في الاخرة ويحتمل ان يكون من العلامة وهي السمة فلا يتعدى الا
لواحد اي ليجعلن لهم علامة يعرفون بها وقرا الزهري الاولى كالمشهورة والثانية كالشاذة

فصل

المعنى فليعلمن الله الذين صدقوا في قولهم امنا وليعلمن الكاذبين قال
المفسرون ظاهر الاية يدل على تجدد العلم لله تعالى عالم بهم قبل الاختبار ومعنى الاية
فليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه قال مقاتل فليرين الله وقيل ليميزن
الله كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب وقال ابن الخطيب الاية محمولة على ظاهرها وذلك
ان علم الله صفة يظهر فيها كل ما هو واقع كما هو واقع فقبل التكليف كان الله تعالى يعلم

ان زيدا

ان زيدا مثلا سيطيع وعمرو سيعصي ثم وقت التكليف والاتيان يعلم انه مطيع والاخر عاص وبعد
الاتيان يعلم انه اطاع والاخر عصى ولا يتغير علمه في شي من الاحوال وانما المتغير المعلوم ومثال
ذلك في المحسوس ان المراة الصافية الصقيلة اذا علقت في موضع وقوبل بوجهها جهة ثم عبر
عليها زيد لابسا ثوبا ابيض فظهر فيها زيد بثوب ابيض واذا عبر عليها عمرو في ثوب اصفر يظهر
فيها كذلك فهل يقع في ذهن احد ان المراة في كونها حديدا تغيرت او يقع له انها تدورت او تبدلت
او انها في صفاتها اختلفت او يخطر بباله انها عن مكانها انتقلت لا يقع لاحد شي من هذه
الاشيا ويقطع بان المتغير انما هو الخارجات فعلم الله من هذا المثال بل اعلا من هذا المثال فان
المراة يمكنها التغير وعلم الله غير ممكن التغير فقوله فليعلمن الله الذين صدقوا يعني يعلم من علمه
الله انه ياتي بالطاعة فيعلم انه مطيع بذلك العلم وليعلمن الكاذبين يعني من قال انا مومن وكان
كاذبا فيعرض العبادات عليه يظهر منه ذلك ويعلم وفي قوله الذين صدقوا بصيغة الفعل وفي قوله
الكاذبين فايدة مع ان الاختلاف في اللفظ ادل على الفصاحة وهي ان اسم الفاعل يدل في كثير
من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه والفعل الماضي لا يدل عليه كما يقال فلان
شرب الخمر وفلان شارب الخمر وفلان نفذ امره وفلان نافذ الامر لا يفهم من
صيغة الفعل التكرار والرسوخ ويفهم من اسم الفاعل ذلك اذا ثبت هذا فيقول وقت نزول
الاية كانت الحكاية عن قوم قريب العهد بالاسلام في اوايل ايجاب التكاليف وعن قوم قد بقي
الكفر مستمرين فيه فقال في حق المومنين الذين صدقوا بصيغة الفعل اي وجد منهم الصدق
وقال في حق الذين كفروا الكاذبين بالصيغة المنبهة للثبات والدوام ولهذا قال يوم ينفع
الصادقين صدقهم بلفظ اسم الفاعل لان في يوم المذكور يكون الصدق قد رسخ في المومن وهو
اليوم الاخر قوله ام حسب الذين يعملون السيات ام هذه منقطعة فتقدر ببل والهمزة عند
الجمهور والاضراب انتقال لا ابطال وقال ابن عطية ام معادلة للالف في قوله احسب وكانه
عز وجل قرر الفريقين قرر المومنين على انهم لا يفتنون وقرر الكافرين انهم يسبقون نقمات الله
قال ابو حيان ليست معادلة اذ لو كانت كذلك لكانت متصلة ولا جايز ان تكون متصلة لفقد
شرطين احدهما ان ما بعدها ليس مفردا ولا ما في قوته والثاني انه لم يكن هنا ما يجاب به من احد
شيئين او اشيا وجوز الزمخشري في حسب هذه ان يتعدى لاثنين وجعل ان وما في حيزها سد
مسدهما كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة وان يتعدى لواحد على انها مضمنة معنى قدر
الا ان التضمين لا ينقاس قوله ساء ما يحكمون يجوز ان يكون ساء بمعنى بيس فيكون ما اما
موصولة بمعنى الذي ويحكمون صلتها وهي فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف اي حكمهم ويجوز
ان يكون ما مصدرية وهو قول ابن كيسان فعلى هذا يكون التمييز محذوفا والمصدر المؤول
مخصوص بالذم اي ساء حكما حكمهم وقد تقدم حكم ما اذا اتصلت ببيس مشبعا في البقرة ويجوز ان
يكون ساء بمعنى قبح فيجوز في ما ان تكون مصدرية وبمعنى الذي ونكرة موصوفة وهي بيحكمون
دون حكموا اما للتنبيه على ان هذا ديدنهم واما لوقوعه موقع الماضي لاجل الفاصلة

فصل

لما بين حسن التكليف بقوله احسب الناس ان يتركوا بين ان من كلف بشي ولم يات به يعذب
وان لم يعذبه في الحال فسيعذبه في الاستقبال ولا يفوت الله شي في الحال ولا في المال
فقوله ام حسب الذين يعملون السيات يعني الشرك اي يسبقونا اي يعجزونا ويفوتونا فلا نقدر
على الانتقام منهم ساء ما يحكمون بيس ما حكموا حين ظنوا ذلك قوله من كان
يرجو يجوز ان تكون من شرطية وان تكون موصولة ودخلت الفا لشبهها بالشرطية فان قيل
المعلق بالشرط عدم عند عدم الشرط فمن لا يرجو لقا الله لا يكون اجل الله ات وهذا باطل لان
اجل الله ات لا محالة من غير تقييد بشرط فالجواب ان قوله فان اجل الله لات ليس بجواب بل
الجواب محذوف اي فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا كما قد صرح به وقال ابن
الخطيب المراد من ذكر اتيان الاجل وعد المطيع بما بعده من الثواب اي من كان يرجو لقا الله
فان اجل الله لات بثواب اي يثاب على طاعته ومن لا يرجو لقا الله لا يكون اجل الله اتيا له
بما وجه الثواب

فصل

قال ابن عباس ومقاتل من كان يخشى البعث والحساب
والرجا بمعنى الخوف وقال سعيد بن جبير من كان يطمع في ثواب الله فان اجل الله يعني ما وعد

الله من الثواب والعقاب وقال مقاتل يعني ان يوم القيمة لكاين والمعنى ان من يخشى
الله ويامله فليستعد له وليعمل لذلك اليوم كقوله فمن كان يرجو لقاء ربه الاية كما تقدم
وهو السميع العليم ولم يذكر صفة غيرهما لانه سبق القول في قوله احسب الناس ان يتركوا ان
يقولوا امنا وسبق القول وهم لا يفتنون وبقوله فليعلمن الله الذين صدقوا وقوله ام حسب
الذين يعملون السيات ولا شك ان القول يدرك بالسمع والعمل منه ما يدرك بالبصر ومنه
ما لا يدرك به والعلم يشملهما فقال وهو السميع العليم اي يسمع ما قالوه ويعلم من صدق فيما
قال ومن كذب او عليم بما يعمل فيثيب ويعاقب قوله ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه اي له
ثوابه والجهاد وهو الصبر على الشدة ويكون ذلك في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس
فان قيل هذه الاية تدل على ان الجزا على العمل واجب فان قوله فانما يجاهد لنفسه يفهم منه ان
من جاهد ربح بجهاده ما لولاه لما ربح فالجواب هو كذلك ولكن بحكم الوعد لا بالاستحقاق
فان قيل قوله فانما يقتضي القصر فيكون جهاد المرء لنفسه فقط فيكون جهاد المرء لنفسه فقط
ولا ينتفع به غيره وليس كذلك فان من جاهد ينتفع به هو ومن يريد نفعه حتى ان الوالد والولد
ببركة المجاهد وجهاده ينتفعون به فالجواب ان ذلك نفع له فان انتفع الولد انتفاع للاب
والحصر هنا معناه ان جهاده لا يصل الى الله منه ويدل عليه قوله ان الله لغني عن العالمين اي عن
اعمالهم وعبادتهم قوله والذين امنوا يجوز ان يكون مرفوعا بالابتدا والخبر جملة القسم المحذوفة
وجوابها اي والله لنكفرنا ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مضمر على الاشتغال اي وليخلص الذين
امنوا من سياتهم والتكفير اذهاب السيئة بالحسنة والمعنى لنذهبن سياتهم حتى تصير بمنزلة
من لم يعمل فان قيل قوله فلنكفرن لهم سيئاتهم فالجواب ما من مكلف الا وله سيئة اما غير الانبيا
فظاهر واما الانبيا فلان ترك الافضل منهم كالسيئة من غيرهم ولهذا قال تعالى عفى الله عنك
لم اذنت لهم قوله احسن الذي كانوا قيل على حذف مضاف اي ثواب والمراد بالحسن هنا مجرد
الوصف قيل لئلا يلزم ان يكون جزاؤهم بالحسن مسكوتا عنه قال المفسرون معناه يجزيهم باحسن
اعمالهم وهو الطاعة وقيل نعطيهم اكثر مما عملوا واحسن كما قال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها

قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه الاية لما بين احسن التكليف وبين ثواب المطيع
وحض المكلف على الطاعة ذكر ما يمنع المكلف من اتباعه فقال ان الانسان ان انقاد لاحد
ينبغي ان ينقاد لابويه ومع هذا لو امروه بالمعصية لا يجوز قوله حسنا فيه اوجه احدها انه
نعت مصدر محذوف اي ايصاء حسنا اما على المبالغة جعل نفس الحسن واما على حذف مضاف
اي ذا حسن الثاني انه مفعول به قال ابن عطية وفي ذلك تجوز والاصل ووصينا الانسان
بالحسن في فعله مع والديه ونظير هذا قول الشاعر

• عجبت من دهماء اذ تشكونا • ومن ابي دهماء اذ يوصينا •
• خيرا بها كانما خافونا • ومثله قول الحطيئة •
• وصيت من برة قلبا حرا • بالكلب خيرا والحماة شرا •

وعلى هذا فيكون الاصل ووصيناه بحسن في بر والديه ثم احل الوالدين بالبا فانتصب حسنا وكذلك
الثاني وآلها في الاية والبيت في هذه الحالة للظرفية الثالث ان بوالديه هو المفعول
الثاني فنصب حسنا باضمار فعل اي يحسن حسنا فيكون مصدرا موكدا كذا قيل وفيه نظر
لان عامل المؤكد لا يحذف الرابع انه مفعول به على التضمين اي الزمناه حسنا الخامس انه
على اسقاط الخافض اي بحسن وعبر صاحب التحرير عن ذلك بالقطع السادس ان بعض الكوفيين
قدر ووصينا الانسان ان يفعل بوالديه حسنا وفيه حذف المصدر وابقا معموله ولا يجوز
عند البصريين السابع ان التقدير ووصيناه بر والديه حسنا وفيه حذف المصدر وابقا معموله ولا
يجوز الثامن انه منصوب انتصاب زيدا في قولك لمن رايته متهيئا للضرب زيدا اي اضرب زيدا
والتقدير هنا اولهما حسنا او فعل بهما حسنا قاله الزمخشري وقرا عيسى والجحدري حسنا بفتحتين
وهما لغتان كالبخل والبخل وقد تقدم ذلك في اوايل البقرة وقرا احسانا من قوله تعالى
وبالوالدين احسانا **فصل** معنى احسانا اي برا بهما وعطفا عليهما والمعنى ووصينا
الانسان ان يفعل بوالديه ما يحسن نزلت هذه الاية والتي في سورة لقمان والاحقاف في سعد

ابن ابي وقاص وهو سعد بن مالك ابو اسحاق الزهري وامه حمنة بنت ابي سفيان بن امية
ابن عبد شمس لما اسلم وكان من السابقين الاولين وكان بارا بامه قالت امه ما هذا الدين الذي
احدثت والله لا اكل ولا اشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه او اموت فتعير بذلك ابد الدهر ويقال
يا قاتل امه ثم مكثت يوما وليلة لم تاكل ولم تشرب ولم تستظل فاصبحت قد جهدت ثم مكثت يوما اخر لم
تاكل ولم تشرب فجا سعد اليها وقال يا اماه لو كانت مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني فكلي
وان شئت فلا تاكلي فلما ايست منه اكلت وشربت فانزل الله هذه الاية وامره بالبر بوالديه والاحسان
اليهما واعلم انه انما امر بالاحسان للوالدين لانهما سبب وجود الولد بالولادة وسبب بقايه بالتربية
المعتادة والله تعالى سبب له في الحقيقة بالارادة وسبب بقايه بالاعادة للسعادة فهو اولى
بان يحسن العبد حاله معه قوله وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما قال
عليه السلام لا طاعة لمخلوق في معصية الله ثم اوعده بالمصير اليه فقال الي مرجعكم فانبيكم بما كنتم
تعملون اجزيكم بصالح اعمالكم وسيها فاحذروا عملها كانه تعالى يقول لا تظنوا اني غايب عنكم
وابائكم حاضرون فتوافقون الحاضرين في الحال اعتمادا على غيبتي وعدم علمي بمخالفتكم اياي فاني
حاضر معكم اعلم ما تفعلون ولا انسى فانبيكم بجميعه قوله والذين امنوا يجوز فيه الرفع على الابتدا
والنصب على الاشتغال وقوله لندخلنهم في الصالحين اي نجعلهم منهم وندخلهم في اعدادهم كما
يقول الفقيه داخل في العلما والمعنى نجعلهم من جملة الصالحين وهم الانبيا والاوليا وقيل
في مدخل الصالحين وهو الجنة فان قيل فما الفايدة في اعادة الذين امنوا وعملوا الصالحات
فالجواب انه ذكر الذين امنوا وعملوا الصالحات اولا لبيان حال المهتدي وثانيا لبيان حال
الهادي لانه قال اولا لنكفرن عنهم سياتهم وقال ثانيا لندخلنهم في الصالحين والصالحين
هم الهداة لانها مرتبة الانبيا ولهذا قال ابراهيم عليه السلام الحقني بالصالحين قوله ومن الناس
من يقول امنا بالله المكلفون ثلاثة اقسام مومن ظاهر بحسن اعتقاده وكافر مجاهر بكفره وعناده
ومذبذب بينهما يظهر الايمان بلسانه ويضمر الكفر بالله تعالى لما بين القسمين الاولين بقوله فليعلمن
الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وبين احوالهما بقوله ام حسب الذين يعملون السيات
الى قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات بين القسم الثالث وهو المنافق فقال ومن الناس
من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله اصابه بلا من الناس افتتن وجعل فتنة الناس كعذاب
الله اي جعل اذى الناس وعذابهم كعذاب في الاخرة اي جزع من اذى الناس ولم يصبر عليه فاطاع
الناس كما يطيع الله من يخاف عذابه قال السدي وابن زيد هذا في المنافق اذا اوذي في
الله رجع عن الدين وكفر واعلم انه قال فتنة الناس ولم يقل عذاب الناس لان فعل العبد
ابتلا من الله وفتنة سلط بعض الناس على من اظهر كلمة الايمان ليوذيه فتبين منزلته كما جعل
التكاليف ابتلا وامتحانا وهذا اشارة الى ان الصبر على البلية الصادرة من الانسان كالصبر
على العبادات فان قيل هذا يقتضي منع المومن من اظهار كلمة الكفر بالاكراه لان من اظهر كلمة
الكفر بالاكراه احترز عن التعذيب العاجل يكون قد جعل فتنة الناس كعذاب الله فالجواب ليس
كذلك لان من اكره على الكفر وقلبه مطمين بالايمان لم يجعل فتنة الناس كعذاب الله لان عذاب
الله يوجب ترك ما يعذب عليه ظاهرا وباطنا بل في باطنه الايمان قوله ولين جا نصر من ربك
ولم يقل ولين جاءكم ولين حال والنصر لو جاءهم ما كانوا يقولون انا معكم وهذا يقتضي ان يكونوا
قايلين انا معكم اذا جا النصر لكن النصر لا يجي الا للمومنين كما قال تعالى وكان حقا علينا نصر
المومنين ولان عليه الكافر على المسلم ليس بنصر لان النصر ما يكون عاقبته سليمة بدليل ان احد
الجيشين اذا انهزم في الحال ثم كر المنهزم كرة اخرى وهزموا الغالبين لا يطلق اسم النصر الا على
من كان له العاقبة فكذلك المسلم وان كسر في الحال فالعاقبة للمتقين والنصر هو في الحقيقة
فان قيل قال ولين جا نصر من ربك ولم يقل من الله مع ان ما تقدم كله بذكر الله كقوله اوذي
في الله وقوله كعذاب الله فما الحكمة في ذلك فالجواب لان الرب اسم مدلوله الحاضر به الشفقة
والرحمة وعند العذاب ذكر اللفظ الدال على العظمة قوله ليقولن العامة على ضم اللام اسند
الفعل لضمير جماعة حملا على معنى من بعد ان حمل على لفظها ونقل ابو معاذ النحوي انه قرا
ليقولن بالفتح جريا على مراعاة لفظها ايضا وقراة العامة احسن لقوله انا كنا **فصل**

المعنى ان المنافقين لما قالوا انا معكم اي على عدوكم وكنا مسلمين وانما اكرهنا حتى قلنا ما قلنا فكذبهم الله وقال اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين من الايمان والنفاق ولما بين انه اعلم بما في قلوب العالمين بين انه يعلم المومن المحقق وان لم يتكلم والمنافق وان لم يتكلم فقال وليعلمن الله الذين امنوا اصبروا فثبتوا فثبتوا على الاسلام عند البلا وليعلمن المنافقين بترك الاسلام عند البلا وتقدم الكلام على نظير ذلك قال عكرمة عن ابن عباس نزلت في الذين اخرجهم المشركون معهم الى بدر وهم الذين نزلت فيهم ان الذين توفاهم الملايكة ظالمي انفسهم وقال مجاهد نزلت في اناس كانوا يومنون بالسنتهم فاذا اصابهم بلا من الناس او مصيبة في انفسهم افتتنوا وقال قتادة نزلت في القوم الذين ردهم المشركون الى مكة قوله وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا قال مجاهد هذا قول كفار مكة لمن امن منهم وذلك ان الكافر يقول للمومن تصبر في الذل وعلى الايذا الاي شي ولم لا ترفع عن نفسك الذل والعذاب بموافقتنا فيجيبه المومن بان يقول خوفا من عذاب الله على خطيئة مذهبكم فقالوا لا خطيئة فيه وان كان فيه خطيئة فعلينا قوله ولنحمل امر في معنى الخبر قال الزمخشري هو في معنى قول من يريد اجتماع امرين في الوجود فيقول ليكن منك في العطا وليكن مني الدعا فقوله ولنحمل اي ليكن منا الحمل وليس هو في الحقيقة امر طلب وايجاب وقرا الحسن وعيسى بكسر اللام الامر وهي بلغة الحجاز قال الزمخشري وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن امن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل قال ابو حيان هذا تركيب عجمي من جهة ادخال حرف الشرط وهي جامدة واستعمالها من غير اسم ولا خبر وايلاها كان وقرا العامة خطاياكم جمع تكسير وداود بن ابي هند من خطيئتهم جمع سلامة وعنه ايضا خطيئتهم بالتوحيد والمراد الجنس وهذا نشبه بقراءة واحاطت به خطيئته وخطيا منه وعنه ايضا خطيتهم بفتح الطا وكسر اليا يعني بكسر الهمزة القريبة من اليا لاجل تسهيلها من شي ومن شي هو مفعول بحاملين ومن خطاياهم حال منه لما تقدم عليه انتصب حالا

فصل

معنى الاية اتبعوا سبيلنا اي ديننا وملة ابائنا ونحن الكفلا بكل تبعة من الله تصيبكم وهو قولهم ولنحمل خطاياكم نظير هذه الصيغة فليلقه اليم بالساحل ثم كذبهم الله تعالى فقال وما هم بحاملين من خطاياهم من شي انهم لكاذبون فيما قالوا فان قيل قال وما هم بحاملين من خطاياهم من شي وقال بعده وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فنفى الحمل اولا واثبت الحمل ثانيا فكيف الجمع بينهما فالجواب ان قول القايل حمل فلان عن فلان يريد ان حمل فلان خف فاذا لم يخف حمله فلا يكون قد حمل عنه شيا فقوله وما هم بحاملين من خطاياهم يعني لا يرفعون عنهم خطيئة بل يحملون اوزار انفسهم واوزارا بسبب اضلالهم كقوله عليه السلام من سن سنة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من وزره شي والمعنى وليحملن اوزار اعمالهم التي عملوها بانفسهم واثقالا مع اثقالهم واوزارا مثل اوزار من اضلوا مع اوزارهم كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وليسالن يوم القيمة عما كانوا يفترون سوال توبيخ وتقريع وذلك الافترا يحتمل ثلاثة اوجه احدها قولهم ولنحمل خطاياكم كان لاعتقادهم ان لا خطيئة في الكفر يوم القيمة يظهر لهم خلاف ذلك يسالون عن ذلك الثاني افتراوهم بينها ان قولهم ولنحمل خطاياكم كان لاعتقادهم ان لا حشر فاذا جا يوم القيمة ظهر خلاف ذلك فيسالون ويقال لهم ما قلتم ان لا حشر ونبيا انهم لما قالوا نحمل خطاياكم يوم القيمة يقال لهم فاحملوا خطاياهم فلا يحملون ويسالون فيقال لهم فلم افتريتم قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه الاية لما بين التكليف وذكر اقسام المكلفين ووعد المومن الصادق بالثواب العظيم واوعد الكافر والمنافق بالعذاب الاليم وكانه قال هذا التكليف ليس مختصا بالنبي واصحابه وامته حتى يبعث عليهم بل من قبله كان كذلك كما قال تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم فذكر من الذين كلفوا قبله نوح عليه السلام وقومه وابراهيم عليه السلام وغيرهما قوله الف سنة منصوب على الظرف الا خمسين عاما منصوب على الاستثنا وفي وقوع الاستثنا من اسما العدد خلاف وللنحاة فيه عندنا جواب عن هذه الاية وقد روعيت هنا نكتة لطيفة وهو

ان عابر من يميز العددين فقال في الاول سنة وفي الثاني عاما لئلا يثقل اللفظ ثم انه خص لفظ العام بالخمسين ايذانا بان نبي الله صلى الله عليه وسلم لما استراح منهم بقي في زمن حسن والعرب تعبر عن الخصب بالعام وعن الجدب بالسنة

فصل

قال بعضهم ان الاستثنا في العدد تكلم بالباقي فاذا قال القايل لفلان علي عشرة الا ثلاثة فكانه قال علي سبعة اذا علم هذا فقوله الف سنة الا خمسين عاما كقوله تسعماية وخمسين سنة فما الفايدة في العدول عن هذه العبارة الى غيرها فقال الزمخشري فيه فايدتان احدهما ان الاستثنا يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فان من قال عاش فلان الف سنة يمكن ان يتوهم انه يقول الف سنة تقريبا لا تحقيقا فاذا قال الا شهرا او الا سنة يزول ذلك التوهم ويفهم منه التحقيق الفايدة الثانية هي ان ذكر لبث نوح عليه السلام في قومه كان لبيان انه صبر كثيرا فالنبي عليه السلام اولى بالصبر مع قصر مدته قوله فاخذهم الطوفان فغرقوا وهم ظالمون قال ابن عباس مشركون وفيه اشارة الى ان الله تعالى لا يعذب على مجرد وجود الظلم ولا يعذب من ظلم وتاب لان الظلم وجد منه وانما يعذب على الاصرار على الظلم فقوله وهم ظالمون يعني اهلكهم وهم متلبسون بالظلم قوله فانجيناه واصحاب السفينة يعني من الغرق وجعلناها يعني السفينة اية اي عبرة للعالمين وفي كونها اية وجوه احدها كانت باقية على الجودي مدة مديدة وثانيها ان نوحا امر باخذ قومه معه ورفع قدر من الزاد والبحر العظيم لا يتوقع احد نضوبه ثم ان الما غيض قبل نفاد الزاد ولولا ذلك لما حصل النجاة فهو بفضل الله لا بمجرد السفينة وثالثها ان الله سلم السفينة من الرياح المزعجة والحيوانات الموذية ولولا ذلك لما حصلت النجاة وقيل الها في جعلناه راجعة الى الواقعة او الى النجاة او العقوبة بالغرق

فصل

قال ابن عباس بعث نوح لاربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا وكان عمره الفا وخمسين سنة وروي عن ابن عباس انه بعث وهو ابن اربعماية سنة وعاش بعد الطوفان ثلثماية وخمسين سنة فان كان هذا محفوظا عن ابن عباس فيضاف الى لبثه في قومه وهو تسعماية وخمسون سنة فيكون قد عاش الف سنة وسبعماية وثمانون سنة واما قبره عليه السلام فروى ابن جرير والازرقي حدثنا مرسلا ان قبر نوح عليه السلام بالمسجد الحرام وقيل ببلده بالبقاع يعرف اليوم بكرك نوح وهناك جامع قد بني بسبب ذلك والاول اقوى واشهر قوله وابراهيم اي وارسلنا ابراهيم والعامة على نصبه عطفا على نوحا او باضمار اذكر او عطفا على ها انجيناه والنخعي وابو جعفر وابو حنيفة وابراهيم رفعا على الابتدا والخبر مقدر اي ومن المرسلين ابراهيم وقوله اذ قال بدل من ابراهيم بدل اشتمال فان قلنا هو ظرف ارسلنا اي ارسلنا ابراهيم اذ قال لقومه ففيه اشكال لان قوله لقومه اعبدوا الله دعوة والارسال يكون قبل الدعوة فكيف يفهم من قوله وارسلنا ابراهيم حين قال لقومه مع انه يكون مرسلا قبل ذلك فالجواب هذا كقول القايل وقفت للامير اذ خرج من الدار وقد يكون الوقوف قبل الخروج لكن لما كان الوقوف يمتد الى ذلك الوقت صح ذلك

فصل

معنى اعبدوا الله واتقوه واطيعوا الله وخافوه وقيل اعبدوا الله اشارة الى الاتيان بالواجبات واتقوه اشارة الى الامتناع عن المحرمات ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون اي عبادة الله وتقواه خير لان خلاف عبادة الله تعطيل وخلاف تقواه شرك وكلاهما شر انما تعبدون من دون الله اوثانا اصناما ولا تستحق العبادة لكونها اصناما منحوتة لا شرف لها قوله وتخلقون افكا العامة على فتح التا وسكون الخا وفتح اللام مضارع خلق وافكا بكسر الهمزة وسكون الفا اي وتختلقون كذبا او تتخذون اصناما وعلي بن ابي طالب وزيد بن علي والسلمي وقتادة بفتح الخا واللام مشددة وهو مضارع تخلق والاصل تتخلقون بتاءين فحذفت احدهما كتنزل ونحوه وروي عن زيد بن علي ايضا تخلقون بضم التا وتشديد اللام مكسورة مضارع خلق مضعفا وقرا ابن الزبير وفضيل بن ورقان افكا بفتح الهمزة وكسر الفا وهو مصدر كالكذب معنى ووزنا وجوز الزمخشري في الافك بالكسر والسكون وجهين احدهما ان يكون مخففا من الافك بالفتح والكسر كالكذب واللعب واصلهما الكذب واللعب وان يكون صفة على فعل اي خلقا افكا قال شبابه الدين وتقديره مضافا فاسد لانه مع جعله لصفة غير محتاج اليه وانما كان

يحتاج اليه لو جعله مصدرا قوله ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا لا يقدرون
ان يرزقوكم وهذا اشارة الى عدم المنفعة في الحال والمال قوله رزقا يجوز ان يكون منصوبا
على المصدر وناصبه لا يملكون لانه في معناه وعلى اصول الكوفيين يجوز ان يكون الاصل لا يملكون
ان يرزقوكم رزقا فان يرزقوكم هو مفعول يملكون ويجوز ان يكون بمعنى المرزوق فينتصب مفعولا
به فابتغوا فاطلبوا عند الله الرزق وهذا اشارة الى استحقاق عبوديته لذاته فان قيل قال
لا يملكون لكم رزقا نكر الرزق وقال فابتغوا عند الله الرزق فعرفه فما الفايدة قال الزمخشري
نكرة في معرض النفي اي لا رزق عندهم اصلا وعرفه عند الاثبات عند الله تعالى اي كل الرزق
عنده فاطلبوه منه وفيه وجه اخر وهو ان الرزق من الله معروف بقوله وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها والرزق من الاوثان غير معلوم فقال لا يملكون رزقا لعدم حصول العلم
به وقال فابتغوا عند الله الرزق اي الموعود به ثم قال واعبدوه واشكروا له اعبدوه لكونه
مرجعا عنه بتوقع الخير لا من غيره قوله وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم في المخاطب بهذه الاية
وجهان الاول انه قوم ابراهيم لان القول لابراهيم فكان ابراهيم قال لقومه ان تكذبوا فقد كذب امم
من قبلكم واذا اتيت بما علي من التبليغ فان الرسول ليس عليه الا البلاغ والبيان فان قيل ان ابراهيم
لم يسبقه الا قوم نوح وهم امة واحدة فالجواب ان قبل نوح ايضا كان اقوام كقوم ادريس وقوم شيث
وادم وايضا فان نوحا عاش اكثر من الف سنة وكان القرن يموت ويحيى اولاده والابا يوصون
الابنا بالامتناع عن الاتباع فكفى بقوم نوح امما الثاني ان الاية خطاب مع قوم محمد صلى الله
عليه وسلم لان هذه القصص اكثرها المقصود منه تذكير قومه بحال من مضى حتى يمتنعوا من
التكذيب ويرتدعوا خوفا من التعذيب فقال في اثناء حكاياتهم يا قوم ان تكذبوا فقد كذب قبلكم
اقوام هلكوا فان كذبتم فاني اخاف عليكم ان يقع بكم ما وقع بغيركم وهذه الاية تدل على انه لا يجوز
تاخير البيان عن وقت الحاجة لان الرسول اذا بلغ شيا ولم يبينه فلم يات بالبلاغ المبين قوله
اولم يروا كيف قرا الاخوان وابو بكر بالخطاب على خطاب ابراهيم لقومه بذلك والباقون بالغيبة
ردا على الامم المكذبة قوله كيف يبدي العامة على ضم اليا من ابدا والزبيري وموسى وابو عمرو
بخلاف عنه يبدا مضارع وقد صرح بما بينه هنا حيث قال كيف بدا الخلق وقرا الزهري كيف
بدا الخلق وقرا الزهري كيف بدا بالف صريحة وهو تخفيف على غير قياس وقياسه بين بين وهو
وهو في المسند دو لقوله فارعى قراته لا هنا ان المربع **فصل** المعنى اولم يروا كيف
خلقهم الله ابتدا نطفة ثم علقة ثم مضغة فان قيل متى راى الانسان بدا الخلق حتى يقال
اولم يروا كيف يبدي الله الخلق فالجواب ان المراد بالروية العلم الواضح الذي كالروية والعاقل
يعلم ان البدا من الله لان الخلق الاول لا يكون من مخلوق والا لما كان الخلق الاول خلقا اولا
فهو من الله هذا ان قلنا ان المراد اثبات نفس الخلق وان قلنا ان المراد بالبدا خلق الادمي
اولا وبالاعادة خلقه ثانيا فيقول العاقل لا يخفى عليه ان خالق نفسه ليس الا قادر حكيم يصور
الاولاد في الارحام والخلقة من نطفة في غاية من الاتقان والاحكام فذاك الذي خلق اولا
معلوم ظاهر فاطلق على ذلك العلم لفظ الروية وقال اولم يروا اي يعلموا اولم يعلموا علما ظاهرا واضحا
كيف يبدا الله الخلق وهو من هذا هو من ما وتراب يجمعه فكذلك يجمع اجزاءه من التراب وينفخ
فيه روحه بل هو اسهل بالنسبة اليكم فان من نحت حجارة حتى صارت اصناما ثم كسرها وفرقها
فان وضعه شيا عقب شي في هذه النوبة اسهل لان الحجارة منحوتة معلومة مواضعها فان قيل
علق الروية بالكيفية لا بالخلق ولم يقل اولم يروا ان الله خلق او بدا الخلق والكيفية غير معلومة
فالجواب هذا القدر من الكيفية معلوم وهو انه خلقه ولم يك شيا مذكورا وانه خلقه من
نطفة هي من غذا هو من ما وتراب وهذا القدر كاف في حصول العلم بامكان الاعادة فان قيل
قال ثم يعيده ان ذلك على الله يسير ابرز اسمه مرة اخرى ولم يقل ان ذلك عليه يسير كما قال ثم يعيده
من غير ابراز فالجواب ان مع اقامة البرهان على انه يسير اكده باظهار اسمه فانه يوجب المعرفة ايضا
بكون ذلك يسيرا فان الانسان اذا سمع لفظ الله وفهم معناه انه الحي القادر بقدرة كاملة لا يعجزه
شي محيط بذرات كل جسم نافذ الارادة يقطع بجواز الاعادة قوله قل سيروا في الارض
فانظروا كيف بدا الخلق اي انظروا الى ديارهم واثارهم كيف بدا لخلقهم فان قيل امور اسم الله

في الاية

في الاية الاولى عند البدء فقال كيف يبدي الله واضمر عند الاعادة وههنا اضمر عند البدا
وابرزه عند الاعادة فقال ثم الله ينشئ فالجواب انه في الاية الاولى لم يسبق ذكر الله بفعل حتى
يسند اليه البدء فقال كيف يبدي الله الخلق ثم يعيده كقولك ضرب زيد عمرا ثم ضرب بكرا ولا يحتاج
الى اظهار اسم زيد اكتفا بالاول وفي الثانية كان ذكر البدء مسندا الى الله فاكتفى به ولم يبرزه واما
اظهاره عند الانشا ثانيا فقال ثم الله ينشئ مع انه كان يقول ثم ينشئ النشاة الاخرة لحكمة بالغة
وهي انه مع اقامة البرهان على امكان الاعادة اظهر اسمه حتى يفهم المسمى به صفات كماله ونعوت
جلاله فيقطع بجواز الاعادة ثم قال ثم الله مظهر النفع في ذهن الانسان من اسمه كمال قدرته
وشمول علمه ونفوذ ارادته فيعترف بوقوع بدائه وجواز اعادته فان قيل فلم لم يقل ثم الله يعيده
بعين ما ذكرت من الحكمة فنقول لوجهين احدهما ان الله كان مظهرا مبرزا بقرب منه في قوله
يبدا الله الخلق لم يكن بينهما الا لفظ الخلق واما هنا فلم يذكر عند البدا فاظهره وثانيهما ان الدليل
هنا تم على جواز الاعادة لان الدليل منحصر في الافاق كما قال تعالى سبحانه سنريهم اياتنا في
الافاق وفي انفسهم ففي الاية الاولى اشار الى الدليل الحاصل للانسان من نفسه وفي الثانية
اشار الى الدليل الحاصل من الافاق لقوله سيروا في الارض فانظروا وعندها تم الدليلان فاكده
باظهار اسمه واما الدليل الاول فاكده بالدليل الثاني فلم يقل ثم الله يعيده فان قيل قال
في الاولى اولم يروا كيف يبدا الله الخلق بلفظ المستقبل وههنا قال فانظروا كيف بدا بلفظ
الماضي فما الحكمة فالجواب ان الدليل الاول هو الدليل النفسي الموجب للعلم وهو يوجب العلم
ببدا الخلق واما الدليل الثاني فمعناه ان كان ليس لكم علم بان الله يبدا الخلق فانظروا
الى الاشيا المخلوقة فيحصل لكم العلم بان الله بدا خلقا ويحصل من هذا العلم بان الله ينشئ
فان قيل قال في هذه الاية ان الله على كل شي قدير وقال تعالى في الاولى ان ذلك على
الله يسير فما فايدته فالجواب فيه فايدتان احداهما ان الدليل الاول هو الدليل النفسي وهو
وان كان موجبا للعلم التام ولكن عند انضمام الدليل الافاقي اليه يحصل العلم التام لانه
بالنظر في نفسه علم حاجته الى غيره ووجوده منه فتم علمه بان كل شي من الله فقال عند
تمام الدليل ان الله على كل شي قدير وقال عند الدليل الواحد ان ذلك وهو الاعادة على
الله يسير الفايدة الثانية ان العلم الاول اتم وان كان الثاني اعم وكون الامر يسيرا على
الفاعل اتم من كونه مقدورا له بدليل قولك لمن يحمل مائة من انه قادر عليه ولا تقول انه قادر
عليه ولا تقول انه سهل عليه فاذا سيلت عن حمله عشرة امنا تقول ذلك سهل يسير فنقول
كان التقدير ان لم يحصل لكم العلم التام بان هذه الامور عند الله سهل يسير فسيروا في الارض
لتعلموا انه مقدور ونفس كونه مقدورا كاف في امكان الاعادة قوله تعالى ثم الله ينشئ
النشاة قرا ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد هنا وفي النجم والواقعة والباقون بالقصر مع سكون
الشين وهما لغتان كالرافة والراءفة وانتصابهما على المصدر المحذوف الزوايد والاصل الانشاة
او على حذف العامل اي ينشئ فينشون انشاة وهي مرسومة بالالف وهو يقوي قراءة المد والمعنى
ثم الله الذي خلقها ينشيها نشاة ثانية بعد الموت فكما لم يتعذر عليه احداثها مبديا لا يتعذر عليه
انشاوها معيدا وقوله تعالى ثم يعيده ثم الله ينشئ مستانفان من اخبار الله تعالى فليس الاول
داخلا في حيز الروية ولا الثاني في حيز النظر ان الله على كل شي قدير قوله تعالى يعذب من
يشاء ويرحم من يشاء قدم التعذيب في الذكر على الرحمة مع ان رحمته سابقة كما قال صلى الله
عليه وسلم عنه تعالى سبقت رحمتي غضبي لان السابق ذكر الكفار فذكر العذاب لسبق ذكر مستحقه
بحكم الايعاد وعقبه بالرحمة فذكر الرحمة وقع تبعا لئلا يكون العذاب مذكورا وحده وهذا
تحقيق قوله صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه عنه تعالى سبقت رحمتي غضبي وذلك ان
الله تعالى حيث كان المقصود ذكر العذاب لئلا لم يخصه بالذكر بل ذكر الرحمة معه فان قيل
ان كان ذكر هذه الاية لتخويف العاصي وتفريح المومن فلو قال يعذب الكافر ويرحم المومن
لكان ادخل في تحصيل المقصود وقوله عز وجل يعذب من يشا لا يرهب الكافر لجواز ان يقول
لعلي لا اكون ممن يشا الله عذابي فالجواب هذا ابلغ في التخويف لان الله تعالى اثبت بهذا نفاذ
مشيته وانه اذا اراد تعذيب شخص فلا يمنعه منه مانع ثم كان من المعلوم للعباد بحكم الوعد

والابعاد انه ان شا تعذيب الكافر فلزم منه الخوف التام بخلاف ما لو قال يعذب العاصي
فانه لا يدل على كمال مشيته لانه لا يبعد انه لو شا عذب المومن لعذبه واذا لم يبعد هذا فنقول
الكافر اذا لم يحصل مراده في تلك الصورة يمكن ان لا يحصل في صورة اخري ومثاله اذا قيل ان
الملك يقدر على ضرب كل من في بلاده وقال ان من خالفني اضربه يحصل الخوف التام لمن يخالفه
واذا قيل انه قادر على ضرب المخالفين ولا يقدر على ضرب المطيع فاذا قال من خالفني اضربه
تقع في وهم المخالف انه لا يقدر على ضرب المطيع فلا يقدر ايضا علي لكوني مثله وفيه فايدة
اخري وهو الخوف العام والرجا العام لان الامن الكلي من الله تعالي يوجب الجراة فيفضي الي
صيرورة المطيع عاصيا قوله تعالي واليه تقلبون اي تردون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في
السما والخطاب مع الادميين وهم ليسوا في السما قال الفرا رحمه الله معناه ولا من في السما
بمعجز عصي كقول حسان بن ثابت • فمن يهجو رسول الله منكم • ويمدحه وينصره سواء •
اراد ومن يمدحه وينصره فاضمر من يريد لا يعجز اهل الارض في الارض ولا اهل السما في السما
يعني ان من في السموات عطف على انتم بتقدير ان يعصي قال الفرا وهذا من غوامض العربية
قال شهاب الدين وهذا على اصله حيث يجوز حذف الموصول الاسمي ويبقي صلته قال
قطرب ما انتم بمعجزين في الارض ولا في السما لو كنتم فيها كقول القايل ما تفوتني فلان ههنا
ولا في البصرة اي ولا بالبصرة لو كان بها كقوله تعالي ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات
اي على تقدير ان يكونوا فيها وابعد من ذلك قدر موصولين محذوفين اي وما انتم بمعجزين
في الارض من الانس والجن ولا من في السما من الملايكة فكيف يعجزون خالقها وعلى قول الجمهور
يكون المفعول محذوفا اي وما انتم بمعجزين اي فايتين ما يريد الله بكم **فصل**
اعلم ان اعجاز المعذب عن التعذيب اما بالهرب منه او بالثبات ومدافعته فذكر الله تعالي
القسمين فقال وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السما يعني بالهرب لو صعدتم الي السماء
او هبطتم الي تخوم الارضين لا تخرجوا من قبضته قدرة الله عز وجل فلا تطمع في الاعجاز بالهرب
واما بالثبات فلذلك لان الاعجاز بالثبات اما ان يكون بالاستناد الي ركن شديد يشفع ولا
يمكن المعذب مخالفته فيفوته المعذب ويعجز عنه او بالانتصار بقوي يدافعه وكلاهما
محال فلهذا قال وما لكم من دون الله من ولي يشفع ولا نصير يدفع فان قيل ما الحكمة في
قوله ما انتم بمعجزين ولم يقل لا يعجزون بصيغة الفعل فالجواب لان نفي الفعل لا يدل على
نفي الصلاحية فاذا قال ان فلانا لا يخيط لا يدل على ما يدل عليه قوله انه ليس بخايط
وقدم الارض على السما والولي على النصير لان هربهم الممكن في الارض فان كان يقع منهم
هرب فانه يكون في الارض ثم ان فرضنا لهم قدرة غير ذلك فيصعدون في السماء واما الدفع
فان الماقل يرى امكنه الدفع فاجمل الطرق فيه الشفاعة لان يعامن احد في الشاهد الا ويكون
له شفيع يتكلم في حقه عند ملك وليس لكل احد ناصر يعادي الملك فلذلك قدم الارض على
السما والولي على النصير قوله تعالي والذين كفروا بايات الله ولقايه اي بالقران والبعث
اوليك ييسوا من رحمتي جنتي واوليك لهم عذاب اليم يوم القيمة فان قيل هل لا اكتفي
بقوله اوليك مره وحده فالجواب ان ذلك لفايدة وهي انه لو قال اوليك ييسوا ولهم عذاب
اليم ذهب ذاهب الي ان هذا المجموع مخصص منهم فلا يوجد المجموع الا فيهم ولكن واحد
منهما وحده لا يوجد الا فيهم واضاف الرحمة الي نفسه في قوله تعالي ييسوا من رحمتي
واضاف الياس اليهم بقوله ييسوا اعلاما لعباده بعموم رحمته ولزومها له قوله تعالي
فما كان جواب قومه العامة على نصبه والحسن وسالم الافطس برفعه وتقدم تحقيق هذا
هذه الايات في تذكير اهل مكة وتحذيرهم وهي معترضة في قصة ابراهيم صلوات الله
عليه ثم عاد الي قصة ابراهيم فقال تعالي فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او
حرقوه لما اقام ابراهيم صلوات الله عليه البرهان على الاصول الثلاثة لم يجيبوه الا
بقولهم اقتلوه او حرقوه فان قيل كيف سمي قولهم اقتلوه جوابا مع انه ليس بجواب
فالجواب عنه من وجهين احدهما انه خرج مخرج كلام المتكبر كما يقول الملك لرسول خصمه
جوابكم السيف مع ان السيف ليس بجواب وانما معناه لا اقابل بالجواب وانما اقابل بالسيف

وثانيهما

وثانيهما ان الله تعالي اراد بيان ضلالتهم وانهم ذكروا ما ليس بجواب في معرض الجواب فبين انهم
لم يكن لهم جواب اصلا وذلك ان من لا يجيب غيره وسكت لا يعلم انه قد يقدر على الجواب ام لا لجواز
ان يكون سكوته لعدم الالتفات واما اذا اجاب بجواب فاسد علم انه قصد الجواب وما قدر
عليه **فصل** او تذكر لامرين الثاني منهما لا ينفك عن الاول كما يقال زوج او فرد ويقال
هذا انسان او حيوان يعني ان لم يكن انسانا فهو حيوان ولا يصح ان يقال هذا حيوان او انسان
اذ يفهم منه ان يقول هذا حيوان فان لم يكن حيوانا فهو انسان وهذا فاسد واذا كان لذلك
فالتحريق مشتمل على القتل فقولهم اقتلوه او حرقوه كقولك هذا حيوان او انسان والجواب
عن هذا من وجهين احدهما ان الاستعمال على خلاف ما ذكرتم شايع كقولك اعطه دينارا او دينارين
قال الله تعالي قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه فكذا ههنا قال
اقتلوه او زيدوا على القتل لان التحريق قتل وزيادة الثاني سلمنا ما ذكرتم والامر هنا
كذلك لان التحريق فعل مفض الي القتل وقد يتخلف عنه القتل فان من القي في النار حتي
احترق جلده باسره واخرج منها حيا يصح ان يقال احترق فلان واحرق وما مات فلذلك ههنا
قال اقتلوه ولا تعجلوا قتله وعذبوه بالنار فان تركه مقالته تخلوا سبيله وان اصر فاتركوه
في النار قوله تعالي فانجاه الله من النار قيل بردت النار وقيل خلق في ابراهيم صلوات
الله عليه كيفية استبرد معها النار وقيل ترك ابراهيم ما كان عليه والنار على ما كانت عليه
ومنع اذا النار عنه والكل ممكن والله قادر عليه قوله تعالي ان في ذلك لايات لقوم
يومنون بصدق فان قيل قال ما الحكمة في قوله هناك اية للعالمين في انجاء نوح
صلوات الله عليه واصحاب السفينة جعلناها اية وقال ههنا الايات بالجمع فما الحكمة فالجواب
ان انجاء السفينة شي يسع له العقول فلم يكن فيه من الاية الا اعلام الله تعالي اياه بالانجا
وقت الحاجة بسبب ان الله تعالي صان السفينة عن المهلكات كالرياح واما الانجا من النار
فعجيب فقال فيه لايات فان قيل ما الحكمة في قوله تعالي هناك اية للعالمين وقال ههنا
لقوم يومنون تخص الايات بالمومنين فالجواب ان السفينة بقيت اعواما حتي مر عليها الناس
وراوها فحصل العلم بها لكل احد واما تبريد النار فلم يبق ولم يظهر لمن بعده الا بطريق الايمان
والتصديق وفيه لطيفة وهو ان الله تعالي لما برد النار على ابراهيم بسبب اهتدايه في نفسه
وهدايته لابنا جنسه وقد قال الله تعالي للمومنين بان لهم اسوة في ابراهيم تحصل للمومنين
بشارة بان الله تبارك وتعالي يبرد عنه النار يوم القيمة فقال ان في ذلك التبريد لايات
لقوم يومنون فان قيل لم قال هناك جعلناها وما قال هنا جعلناه فالجواب لان السفينة
ما صارت اية في نفسها ولولا خلق الله الطوفان لبقي فعل نوح سفها فالله تعالي جعل السفينة
بعد وجودها اية واما تبريد النار فهو في نفسه اية اذا وجدت لا يحتاج الي شي اخر كخلق الطوفان
حتي يصير اية قوله تعالي انما اتخذتم في ما هذه ثلاثة اوجه احدها انها موصولة بمعني الذي
والعايد محذوف وهو المفعول الاول واوثانا مفعول ثان والخبر موده في قراة من رفع كما
سياتي والتقدير ان الذي اتخذتموه اوثانا موده اي ذو موده او جعل نفس المودة ومحذوف
على قراة من نصب مودة اي الذي اتخذتموه اوثانا لاجل المودة لا ينفعكم او يكون عليكم لدلالة
قوله ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض والثاني ان يجعلها كافة واوثانا مفعول به والاتخاذ
هنا متعد لواحد او لاثنين والثاني هو من دون الله فمن رفع مودة كانت خبر مبتدا مضمر
اي هي مودة اي ذات مودة او جعلت نفس المودة مبالغة والجملة حينئذ صفة لاوثانا او
مستانفة ومن نصب كانت مفعولا له او باضمار اعني الثالث ان يجعلها مصدرية وحينئذ ان
يقدر مضافا من الاول اي ان سبب اتخاذكم اوثانا مودة فيمن رفع مودة ويجوز ان لا يقدر
بل يجعل نفس الاتخاذ هو المودة مبالغة وفي قراة من نصب يكون الخبر محذوفا على ما مر في
الوجه الاول وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسايي برفع مودة غير منونة وجر بينكم ونافع وابن
عامر وابو بكر بنصب منونة ونصب بينكم وحمزة وحفص بنصب مودة غير منونة وجر بينكم
فالرفع قد تقدم والنصب ايضا تقدم فيه وجهان ويجوز وجه ثالث وهو ان يجعل مفعولا
ثانيا على المبالغة والاضافة للاتساع في الظرف كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومن

نصبه فعلي اصله ونقل عن عاصم انه رفع موده غير منونة ونصب بينكم وخرجت على اضافة
مودة للظرف وانما بني لاضافته الي غير متمكن كقراة لقد تقطع بينكم بالفتح اذا جعلنا بينكم
فاعلا واما في الحيوة ففيه اوجه احدها انه هو وبينكم متعلقان بموده اذا نونت وجاز تعلقهما
بعامل واحد لاختلافهما الثاني ان يتعلقا بمحذوف على انهما صفتان لموده الثالث ان يتعلق
بينكم بموده وفي الحيوة صفة لمودة ولا يجوز العكس لئلا يلزم اعمال المصدر الموصوف والمفرق
بينه وبين الاول ان الاول عمل فيه المصدر قبل ان يوصف وهذا عمل فيه بعد ان وصف على ان
ابن عطية جوز ذلك هو وغيره وكانهم اتسعوا في الظرف فهذا وجه رابع الخامس ان يتعلق
في الحيوة بنفس بينكم لانه بمعنى الفعل اذ التقدير اجتماعكم ووصلكم السادس ان يكون حالا
من نفس بينكم السابع ان يكون بينكم صفة لمودة وفي الحيوة حال من الضمير المستكن فيه الثامن
ان يتعلق في الحيوة باتخذتم على ان يكون ما كافة ومودة منصوبة قال ابو البقا رحمه الله
لئلا يودي الي الفصل بين الموصول وما في الصلة بالخبر

فصل

وقال يعني
ابراهيم صلوات الله عليه انما اتخذتم من دون الله اوثانا وهي مودة بينكم قراه رفع
موده وحفص بينكم بالاضافة يكون المعني اتخذتم من دون الله اوثانا وهي مودة بينكم
في الحيوة الدنيا ثم تنقطع ولا ينفع في الاخرة ومن حفص موده من غير تنوين على الاضافة
ترفوع الي تحاذ عليها ومن نصب موده ونونها ونصب بينكم فالمعنى انكم انما اتخذتم هذه
الاوثان مودة بينكم في الحيوة الدنيا تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا
ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا تتبرا الاوثان من عابديها وتتبرا القادة
من الاتباع ويلعن الاتباع القادة وماواكم النار جميعا العابدون والمعبودون وما لكم
من ناصرين فان قيل قال قبل هذا وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير على لفظ الواحد
وقال هنا ما لكم من ناصرين على لفظ الجمع فما الحكمة فيه فالجواب انه لما ارادوا احراق
ابراهيم صلوات الله عليه قالوا نحن ننصر الهتنا كما قال تعالي عنهم حرقوه وانصروا
الهتكم فقال انتم اذ زعمتم ان لهولاء ناصرين فما لكم كلكم اي الاوثان وعبدتها من ناصرين
واما هناك فلم يسبق منهم دعوي النصر فنفي الجنس بقوله ولا نصير قوله تعالي فامن
له لوط اي صدقه وهو اول من صدق ابراهيم وكان ابن اخيه وقال ابراهيم اني مهاجر
الي ربي الي حيث امرني ربي بالتوجه اليه من كوثي وهي من سواد الكوفة الي حران ثم الي
الشام ومعه لوط وامراته سارة وهو اول من هاجر قال مقاتل هاجر ابراهيم صلوات
الله عليه وهو ابن خمس وسبعين سنة ثم قال تعالي انه هو العزيز الحكيم عزيز
يمنع اعداي عن ايذاي بعونه وحكيم لا يامرني الا بما يوافق الحكمة فان قيل قوله
تعالي فامن له لوط اي بعد ما راي منه المعجز القاهر ودرجة لوط كانت عالية وبقاوه
الي هذا الوقت مما ينقص من الدرجة الا ترى ان ابا بكر رضي الله عنه لما قبل دين محمد
صلى الله عليه وسلم كان بقوله قبل الكل من غير سماع تكلم الحصا ولا روية انشقاق القمر
فالجواب ان لوطا لما راي معجزته امن برسالته واما بالوحدانية فامن حيث سمع مقالته
ولهذا قال فامن له لوط ولم يقل فامن لوط فان قيل ما وجه تعلق قوله وقال اني
مهاجر الي ربي بما تقدم فيقول لما بالغ ابراهيم صلوات الله عليه في الارشاد ولم يهتد قومه
وحصل الياس الكلي حيث راي القوم الاية الكبري ولم يومنوا وجبت المهاجرة لان الهادي
اذا هدي قومه ولم ينتفعوا فبقاوه فيهم مفسدة لانه ان دام على الارشاد كان اشتغالا
بما لا ينفع في علمه فيصير كمن يقول للحجر صدق وهو عبث والسكوت دليل الرضا فيقول
الله صار منا ورضي بافعالنا واذا لم يبق للاقامة وجه وجبت المهاجرة فان قيل ما الحكمة
في قوله اني مهاجر الي ربي ولم يقل مهاجر الي حيث امرني ربي مع ان المهاجرة الي الرب توهم
الجهة فالجواب ان قوله مهاجر الي حيث امرني ربي ليس في الاخلاص كقوله الي ربي لان
الملك اذا اصدر منه امر بتوجه الاجناد الي موضع ثم ان واحدا منهم سار الي ذلك الموضع
لغرض نفسه فقد هاجر الي حيث امره الملك لا مخلصا لوجهه فقال مهاجر الي ربي يعني
توجهي الي الجهة المامور بالهجرة اليها ليس طلبا للجهة انما هو طلب لله قوله تعالي ووهبنا له

اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب قيل ان الله تعالي لم يبعث نبيا بعد
ابراهيم الا من نسله واتيناه اجره في الدنيا وهو الثنا الحسن وكل اهل الاديان يتولونه
وقال السدي هو الولد الصالح وقيل انه راي مكانه في الجنة وانه في الاخرة لمن الصالحين
انه في زمرة الصالحين قال ابن عباس رضي الله عنه مثل ادم ونوح صلي الله عليه وسلم وفي
هذه الاية لطيفة وهي ان الله تعالي بدل جميع احوال ابراهيم في الدنيا باضدادها لما عذبه
قومه بالنار كان وحيدا فريدا فبدل الله وحدته بالكثرة حتى ملا الدنيا من ذريته ولما كانت
القريبة ضالين مضلين من جملتهم ازر بدل الله اقاربه باقارب مهتدين هادين وهم ذريته
الذين جعل فيهم النبوة والكتاب وكان اولا لا جاه له ولا مال وهما غاية اللذة في الدنيا اتاه
الله اجره من المال والجاه وكثر ماله حتى كان له من المواشي ما علم الله عدده حتى قيل انه كان
له اثنا عشر الف كلب حارس باطواق من ذهب واما الجاه فصار بحيث يقرن الصلاة عليه بالصلاة
على ساير الانبيا صلوات الله عليهم الي يوم القيمة وصار معروفا وشيخ المرسلين بعد ان كان
خاملا حتى قال قايلهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وهذا الكلام لا يقال الا في مجهول
من الناس فان قيل ان اسماعيل كان من اولاده الصالحين وكان قد اسلم لامر الله بالذبح وانقاد
لحكم الله ولم يذكر فالجواب هو مذكور في قوله تعالي وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب
ولكن لم يصرح باسمه لانه كان بين فضله مع هبة الاولاد والاحفاد فذكر من الاولاد واحد
كما يقول ان السلطان في خدمته الملوك والامرا الملك الفلاني والامير الفلاني ولا يعدد الكل
لانه ذكر ذلك الواحد لبيان الجنس لا لخصوصه ولولا ذكر غيره لفهم منه التعديد واستيعاب
الكل بالذكر فيظن انه ليس معه غير المذكور فان قيل ان الله تعالي جعل في ذريته النبوة
اجابة لدعايه والواجب له يجب ان يسوي بين ولده فكيف صارت النبوة في ولد اسحاق اكثر من
النبوة في اولاد اسماعيل فالجواب ان الله تعالي قسم الزمان من وقت ابراهيم الي يوم القيمة
قسمين والناس اجمعين فالقسم الاول من الزمان بعث الله تعالي فيه انبيا فيهم فضايل جمة
وجاوا تترى واحدا بعد واحد ومجتمعين في عصر واحد كلهم من ذرية اسحاق صلوات الله عليه
ثم في القسم الثاني من الزمان اخرج من ذرية ولده اسماعيل واحدا اجتمع فيه ما كان فيهم وارسله
الي كافة الخلق وهو محمد صلوات الله وسلامه عليه وجعله خاتم النبيين وقد دام الخلق على
دين اسماعيل اكثر من اربعة الاف سنة ولا يبعد ان يبقي الخلق على دين ذرية اسماعيل مثل
ذلك المقدار قوله تعالي ولوطا اعرابه كاعراب ابراهيم اذ قال ائنكم قرا ابو عمرو وحمزة والكسائي
وابو بكر ائنكم بالاستفهام وقرا الباقون بلا استفهام واتفقوا على استفهام الثانية لتاتون الفاحشة
وهو اتيان الرجال ما سبقكم يجوز ان تكون استينافية جوابا لمن سال عن ذلك وان تكون حالية
اي مبتدعين لها فان قيل قال ابراهيم لقومه اعبدوا الله وقال لوط لقومه ههنا انكم لتاتون
الفاحشة ولم يامرهم بالتوحيد فما الحكمة فالجواب انه لما ذكر الله تعالي لوطا عند ذكر ابراهيم
كان لوط في زمن ابراهيم فلم يذكر عن لوط انه امر قومه بالتوحيد مع ان الرسول لا بد ان يقول
ذلك وحكاية لوط وغيرها ههنا ذكرها الله على سبيل الاختصار فاقتصر على ما اختص به لوط وهو
المنع من الفاحشة ولم يذكر عنه الامر بالتوحيد وان كان قد قاله في موضع اخر حيث قال اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره لان ذلك قد اتي به ابراهيم وسبقه فصار كالمختص به واما المنع من عمل قوم
لوط فكان مختصا بلوط فذكر كل واحد بما اختص به وسبق به غيره

فصل

دلت الاية
على وجوب الحد في اللواطة لانه تعالي سماها فاحشة وقد ثبت ان اتيان الفاحشة يوجب الحد
وايضا فان الله تعالي جعل عذاب من اتي بها امطار الحجارة عليه عاجلا وهو الرجم وتقدم الكلام
على قوله ما سبقكم بها من احد قوله تعالي اينكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل قيل كانوا
يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين فترك الناس الممر بهم وقيل يقطعون سبيل النسل
باتيان الرجال كقوله اتاتون الرجال شهوة من دون النسا وتاتون في ناديكم المنكر قال ابو
العباس المقري ورد لفظ النادي في القران باز معنيين الاول النادي مجلس القوم للتحدث
منه هذه الاية والثاني بمعنى الناصر كقوله تعالي فليدع ناديه اي ناصره يعني ابا جهل واعلم ان النادي
والندي والمنتدي مجلس القوم ومتحدثهم روي ابو صالح مولي ام هاني بنت ابي طالب قالت سالت

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وتأتون في ناديكم المنكر قلت ما المنكر
الذي كانوا يأتون قال كانوا يحذفون أهل الطرق ويسخرون منهم وروي أنهم كانوا يجلسون
في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فإذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فأيهم أصابه
كان أولى به وقيل إنه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاض بذلك
وقال القاسم بن محمد كانوا يتضارطون في مجالسهم وقال مجاهد كان يجامع بعضهم بعضا
في مجالسهم وعن عبد الله بن سلام رحمه الله يبزق بعضهم على بعض وعن مكحول رحمه الله
قال كان من أخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الأصابع بالحناء وحل الأزرار والصفير
والحذف واللوطية قوله تعالى فما كان جواب قومه لما أنكر عليهم لوط ما تأتونه من القبائح
إلا أن قالوا له استهزاء ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين أن العذاب نازل بنا فعند ذلك
قال لوط رب انصرني على القوم المفسدين بتحقيق قولي في العذاب فإن قيل قال قوم إبراهيم
اقتلوه أو حرقوه وقال قوم لوط ائتنا بعذاب الله وما هددوه مع أن إبراهيم كان أعظم
من لوط فإن لوطا كان من قومه فالجواب أن إبراهيم كان يقدح في دينهم ويشتم آلهتهم ويعدد
صفات نقصهم بقوله لا يبصر ولا يسمع ولا ينفع ولا يغني والقدح في الدين صعب فجعلوا جزاءه
القتل والتحريق ولوط كان ينكر عليهم فعلهم وينسبهم إلى ارتكاب المحرم وهم ما كانوا يقولون
إن هذا واجب من الدين فلم يصعب عليهم مثل ما صعب على قوم إبراهيم كلام إبراهيم فقالوا
إنك تقول إن هذا حرام والله يعذب عليه ونحن نقول لا يعذب فإن كنت صادقا فائتنا بالعذاب
فإن قيل إن الله تعالى قال في موضع آخر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا فكيف الجمع
فالجواب أن لوطا كان ثابتا على الإرشاد مكررا على النهي والوعيد فقالوا أولا ائتنا ثم لما كثر
منه ذلك ولم يسكت عنهم قالوا أخرجوه ثم إن لوطا لما يئس منهم طلب النصرة من الله وذكرهم
بما لا يحب الله فقال رب انصرني على القوم المفسدين حتى ينجز النصر واعلم أن كل نبي من
الأنبياء صلوات الله عليه ما طلب هلاك قومه إلا إذا علم أن عدمهم خير من وجودهم كما قال
نوح إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا يعني أن المصلحة إما أن تكون فيهم
حالا أو بسببهم مآلا ولا مصلحة فيهما فإنهم ضالون في الحال وفي المآل فإنهم يوصون أولادهم من
صغرهم بالامتناع من الاتباع ولذلك لوط لما رأى أنهم يفسدون في الحال واشتغلوا بما لا يرجى
منهم ولد صالح يعبد الله فطلب المصلحة حالا ومآلا فعدمهم صار خيرا فطلب العذاب قوله
تعالى ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى من الله بإسحاق ويعقوب قالوا إنا مهلكوا أهل هذه
القرية يعني قوم لوط إن أهلها كانوا ظالمين قال إبراهيم إن فيها لوطا قالت الملائكة نحن
أعلم بمن فيها ويأتي بقية الكلام على ذلك قوله تعالى ولما أن جاءت تقدم نظيرها إلا أن هنا
زيدت أن وهو مطرد تأكيدا اعلم أنه لما دعا لوط على قومه بقوله رب انصرني استجاب الله دعاءه
وأمر ملائكته بإهلاكهم وأرسلهم مبشرين ومنذرين لكن البشارة أثر الرحمة والإنذار بالإهلاك
أثر الغضب ورحمته سبقت غضبه فقدم البشارة على الإنذار وقال جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى
ثم قال قالوا إنا الثانية حين ذكروا البشرى ما عللوا وقالوا إنا نبشرك لأنك رسول أو لأنك مهلكوا
مؤمن أو لأنك عادل وحين ذكروا الإهلاك عللوا وقالوا إن أهلها كانوا ظالمين لأن ذا الفضل
يكون فضله بعوض والعادل لا يكون عذابه إلا على جرم فإن قيل قال في قوم نوح فأخذهم
الطوفان وهم ظالمون وقيل إن ذلك إشارة إلى أنهم كانوا على ظلمهم حين أخذهم ولم يقل فأخذهم
وكانوا ظالمين وهاهنا قال إن أهلها كانوا ظالمين ولم يقل وهم ظالمون فالجواب لا فرق في الموضعين
في كونهم مهلكين وهم مصرون على الظلم لكن هناك الإخبار من الله عن الماضي حيث قال فأخذهم
وهم عند الوقوع في العذاب ظالمون وهاهنا الإخبار من الملائكة عن المستقبل حيث قالوا إنا
مهلكوا والملائكة ذكروا ما يحتاجون إليه في إبانة حسن الأمر من الله تعالى بالإهلاك فقالوا
إنا مهلكوا أهل هذه القرية لأن الله أمرنا وحال أمرنا كانوا ظالمين فحسن أمر الله عند كل أحد وأما
نحن فلا نخبر بما لا حاجة لنا إليه فإن الكلام عن الملك بغير إذنه سوء أدب فنحن ما احتجنا إلا إلى
هذا القدر وهو أنهم كانوا ظالمين في وقتنا هذا وكونهم يبقون كذلك فلا حاجة لنا إليه ثم إن
إبراهيم لما سمع كلامهم قال لهم إن فيها لوطا إشفاقا عليه ليعلم حاله قالت الملائكة نحن أعلم بمن

فيها لننجينه قرأ حمزة والكسائي ويعقوب لننجينه بالتخفيف وقرأ الأخوان بالتشديد وأهله
إلا امرأته كانت من الغابرين أي الباقين في العذاب وفي استعمال الغابر في المهلك وجهان لأن الغابر
لفظ مشترك في الماضي وفي الباقي يقال فيما غبر من الزمان أي فيما مضى وقال صلوات الله عليه
لما سئل عن الماء وما ينوبه من السباع فقال ولنا ما غبر طهور أي ما بقي فعلى الأول أن ذكر الظالمين
سبق في قولهم إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين ثم جرى ذكر لوط وقول الملائكة إنها
من الغابرين أي الماضين ذكرهم لا من الذين نحن منهم أو يقول المهلك يمضي ويمضي زمانه والناجي هو
الباقي فقالوا إنها من الغابرين أي من الرائحين الماضين لا من الباقين المستمرين وأما على الثاني
لما قضى الله تعالى على القوم بالهلاك كان الكل في الهلاك إلا من ينجي منه فقالوا إلا ننجي لوطا وأهله
وأما امرأته فهي من الباقين في الهلاك قوله تعالى ولما أن جاءت رسلنا لوطا أي أنهم من عند إبراهيم
جاءوا إلى لوط على صورة البشر فظنهم بشرا فخاف عليهم من قومه لأنهم كانوا في أحسن صورة والقوم كما
عرف حالهم سيء بهم أي جاءه ما ساءه وخاف ثم عجز عن تدبيرهم فحزن وضاق بهم ذرعا كناية عن العجز
في تدبيرهم قال الزمخشري يقال طال ذرعه وذراعه للقادر وضاق للعاجز وذلك لأن من طال
ذراعه يصل إلى ما لا يصل إليه قصير الذراع والاستعمال يحتمل وجها آخر معقولا وهو أن الخوف والحزن
يوجبان انقباض الروح ويتبعه اشتمال القلب عليه فينقبض هو أيضا والقلب هو المعتبر من
الإنسان فكأن الإنسان انقبض واجتمع وما يكون كذلك يقل ذرعه ومساحته ويضيق فقال
في الحزين ضاق ذرعه والغضب والفرح يوجب انبساط الروح فينبسط مكانه وهو القلب ويتسع
فيقال طال ذرعه ثم إن الملائكة لما رأوا خوفه في أول الأمر وحزنه بسبب تدبيرهم في ثاني الأمر
قالوا لا تخف من قومك علينا ولا تحزن بإهلاكنا إياهم إنا منجوك وأهلك وإنا منزلون عليهم العذاب
حتى يتبين له أنهم ملائكة فيطول ذرعه ويزول روعه قوله تعالى إنا منجوك في الكاف وما أشبهها
مذهبان مذهب سيبويه أنها في محل جر فعلى هذا في نصب وأهلك وجهان أنها رفع والعطف
على المحل ومذهب الأخفش وهشام أنها في محل نصب وحذف التنوين والنون لشدة اتصال الضمير
وقد تقدمت قراءتا التخفيف والتثقيل في لننجينه ومنجوك في الحجر قوله تعالى إنا منزلون قرأه
ابن عامر بالتشديد والآخرون بالتخفيف وقرأ ابن محيصن رجزا بضم الراء والأعمش وأبو حيوة
يفسقون بالكسر فإن قيل قال هاهنا إنا منجوك وقال لإبراهيم صلوات الله عليه لننجينه بصيغة
الفعل فما الحكمة فيه فالجواب ما من حرف ولا حركة في القرآن إلا وفيه فائدة ثم إن العقول البشرية
تدرك بعضها ولا تصل إلى أكثرها وما أوتي البشر من العلم إلا قليلا والذي يظهر هاهنا أن هناك
لما قال لهم إبراهيم إن فيها لوطا وعدوه بالتنجية ووعد الكريم حتم وهاهنا لما قالوا للوط وكان
ذلك بعد سبق الوعد مرة قالوا إنا منجوك لقوله لا تخف ولا تحزن كان خوفه ما كان على نفسه
فالجواب أن لوطا لما خاف عليهم وحزن لأجلهم قالوا له لا تخف علينا ولا تحزن لأجلنا فإنا ملائكة
ثم قالوا له يا لوط خفت علينا وحزنت لأجلنا ففي مقابلة خوفك وقت الخوف نزيل خوفك وننجيك
وفي مقابلة حزنك نزيل حزنك ولا نتركك تفجع في أهلك فقالوا إنا منجوك وأهلك فإن
قيل القوم عذبوا بسبب ما صدر منهم من الفاحشة وامرأته لم يصدر منها ذلك فكيف كانت من الغابرين
معهم فالجواب أن الدال على الشر كفاعله كما أن الدال على الخير كفاعله وهي كانت تدل القوم على
ضيوف لوط حتى كانوا يقصدونهم فبالدلالة صارت كأحدهم ثم إنهم بعد بشارة لوط بالتنجية
ذكروا أنهم منزلون على أهل هذه القرية العذاب واختلفوا في ذلك فقيل حجارة وقيل نار وقيل
خسف وعلى هذا يكون قولهم رجزا من السماء يعني أن الأمر بالخسف من السماء والقضاء به من السماء
واعلم أن كلام الملائكة مع لوط جرى على نمط كلامهم مع إبراهيم صلوات الله عليه فقدموا البشارة
على إنزال العذاب فقالوا إنا منجوك ثم قالوا إنا منزلون ولم يعللوا التنجية فلم يقولوا إنا منجوك
لأنك نبي أو عابد وعللوا الإهلاك فقالوا بما كانوا يفسقون كقولهم هناك إن أهلها كانوا ظالمين
قوله تعالى ولقد تركنا منها آية بينة فيه وجهان أحدهما أن بعضها باق وهو آية باقية إلى اليوم والمعنى
تركنا من قريات لوط آية بينة عبرة ظاهرة الثاني أن من مزيدة وإليه نحا الفراء أي تركناها آية
كقوله أمهرت منها حسه وبسا أي أمهرتها وهذا يجيء على رأي الأخفش أي ولقد تركنا القرية والقرية
معلومة وفيها الماء الأسود وهي بين القدس والكرك فإن قيل كيف جعل الآية في نوح وإبراهيم

صلوات الله عليهما بالنجاة فقال تعالى فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها اية وقال
فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات وجعل ههنا الهلاك اية فالجواب ان الاية في ابراهيم كانت
في النجاة لان في ذلك الوقت لم يكن اهلاك واما في نوح فلان الانجا من الطوفان الذي علا على الجبال
باسرها امر عجيب الهي وما به النجاة وهو السفينة كان باقيا والغرق لم يبق له بعده اثر فجعل الباقي
في اية واما ههنا فنجاة لوط لم يكن بامر يبقى اثره للحس والهلاك اثره محسوس في البلاد فجعل
الاية الامر الباقي ههنا البلاد وهناك السفينة وههنا لطيفة وهي ان الله تعالى اية قدرته
موجودة في الانجا والاهلاك وذكر من كل باب اية وقدم ايات الانجا لانها اثر الرحمة واخر
ايات الاهلاك لانها اثر الغضب ورحمته سابقة فان قيل ما الحكمة في قوله في السفينة جعلناها
اية ولم يقل بينة وقال ههنا اية بينة فالجواب ان الانجا بالسفينة امر يسع له كل عقل وقد يقع
في ذهن جاهل ان الانجا بالسفينة لا يفتقر الى امر اخر واما الاية ههنا الخسف وجعل ديارهم
المعمورة عاليها سافلها وهو ليس بمعتاد وانما ذلك بارادة قادر يخصصه بمكان دون مكان
وفي زمان دون زمان فهي بينة لا يمكن لجاهل ان يقول هذا امر يكون لذلك وكان له ان يقول
في السفينة امرها يكون كذلك ويقال له فلو دام الماحتى ينفد زادهم كيف كان يحصل لهم النجاة
ولو سلط الله عليهم الريح العاصفة كيف يكون احوالهم فان قيل ما الحكمة في قوله هناك
للعالمين وقوله ههنا لقوم يعقلون فالجواب ان السفينة موجودة معلومة في جميع اقطار
العالم فعند كل قوم مثال السفينة يتذكرون بها حال نوح واذا ركبوها يطلبون من الله النجاة
لا يثق احد بمجرد السفينة بل يكون دايما مرتجف القلب متضرعا الى الله تعالى طالبا للنجاة واما
اثر الهلاك في بلاد لوط ففي موضع مخصوص لا يطلع عليها الا من مر بها ويصل اليها ويكون له
عقل يعلم ان ذلك من الله تعالى وارادته بسبب اختصاصه بمكان دون مكان ووجوده في
زمان دون زمان قال ابن عباس رضي الله عنه الاية البينة انارسالهم الخربة وقال
قتادة هي الحجارة التي اهلكوا بها ابقاها الله تعالى حتى ادركها اوايل هذه الامة وقال
مجاهد هي ظهور الماء الاسود على وجه الارض قوله تعالى والى مدين اي وارسلنا او بعثنا
الى مدين اخاهم شعيبا بدل او بيان او باضمار اعني قيل مدين اسم رجل في الاصل وحصل له ذرية
فاشتهر في القبيلة كتميم وقيس وغيرهما وقيل اسم ما نسب القوم اليه فاشتهر في القوم والاول
اظهر لان الله تعالى اضاف الى مدين بقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ولو كان اسم الماء لكانت
الاضافة غير صحيحة او غير حقيقية والاصل في الاضافة المغايرة حقيقة وقوله اخاهم قيل
لان شعيبا كان منهم نسبا فان قيل قال الله تعالى في نوح ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
قدم نوحا في الذكر وعرف القوم بالاضافة اليه وكذلك في ابراهيم ولوط وههنا ذكر القوم اولا
واضاف اليهم اخاهم شعيبا فما الحكمة فالجواب ان الاصل في الجميع ان يذكر القوم ثم يذكر رسولهم
لان الرسل لا يبعث الى غير معينين وانما يبعث الرسل الى قوم محتاجين الى الرسل فيرسل اليهم
من يختاره غير ان قوم نوح وابراهيم ولوط صلوات الله عليهم لم يكن لهم اسم خاص ولا نسبة مخصوصة
يعرفون بها فعرفوا بالنبي فقيل قوم نوح وقوم لوط فاما قوم شعيب وهود وصالح فكان لهم
نسب معلوم اشتهروا به عند الناس فجرى الكلام على اصله وقال الله والى مدين اخاهم شعيبا
والى عاد اخاهم هودا فان قيل لم يذكر عن لوط انه امر قومه بالعبادة والتوحيد وذكر عن
شعيب ذلك فالجواب قد تقدم وهو ان لوطا كان من قوم ابراهيم وفي زمانه وكان ابراهيم
سبقه بذلك واجتهد فيه حتى اشتهر الامر بالتوحيد عند الخلق من ابراهيم فلم يحتج لوط الى
ذكره وانما ذكر ما اختص به من المنع من الفاحشة وغيرها وان كان هو ابدا يامر بالتوحيد
اذ ما من رسول الا ويكون اكثر كلامه في التوحيد واما شعيب فكان بعد انقراض ذلك الزمان
وذلك القوم فكان هو اصلا في التوحيد فبدا به وقال اعبدوا الله قوله تعالى وارجوا اليوم
الاخر قال الزمخشري معناه افعلوا فعل من يرجوا اليوم الاخر كقول القايل لغيره كن عاقلا
ويكون معناه افعل فعل من يكون عاقلا بقوله وارجوا اليوم الاخر بعد قوله اعبدوا الله يدل على
التفضل لا على الوجوب قوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين تقدم الكلام عليه ونصب
مفسدين على المصدر كقول القايل اجلس قعودا قوله تعالى فكذبوه فاخذتهم الرجفة فان

قيل

قيل ما حكاه الله عن شعيب امر ونهي والامر لا يكذب ولا يصدق فان من قال لغيره اعبد الله
لا يقال كذبت فالجواب كان شعيب صلوات الله عليه يقول الله واحد فاعبدوه والحشر كاين
فارجوه والفساد محرم فلا تفسدوه وهذه فيها اخبارات فكذبوه فيما اخبر به فان قيل قال ههنا
وفي الاعراف فاخذتهم الرجفة وقال في هود فاخذتهم الصيحة والحكاية واحدة فالجواب لا تعارض
بينهما فان الصيحة كانت سببا للرجفة قيل ان جبريل صلوات الله عليه صاح فتزلزلت الارض من
صيحته فرجفت قلوبهم والاضافة الى السبب لا تنافي الاضافة الى سبب السبب فان قيل ما الحكمة
في انه حيث قال فاخذتهم الصيحة قال في ديارهم وحيث قال فاخذتهم الرجفة قال في دارهم
فالجواب ان المراد من الدار هو الديار والاضافة الى الجمع يجوز ان يكون بلفظ الجمع وان يكون
بلفظ الواحد اذا امن الالتباس وانما اختلف اللفظ للطيفة وهي ان الرجفة هايلة في نفسها
فلم يحتج الى تهويل بها واما الصيحة فغير هايلة في نفسها لكن تلك الصيحة لما كانت عظيمة حتى
احدثت الزلزلة في الارض ذكر الديار بلفظ الجمع حتى يعلم هيبتها والرجفة بمعنى الزلزلة عظيمة
عند كل احد فلم يحتج لاسرها وقيل ان الصيحة كانت اعظم حيث عمت الارض والجو والزلزلة
لم تكن الا في الارض فذكر الديار وهذا ضعيف لان الدار والديار موضع الجثوم
لا موضع الصيحة والرجفة فهم ما اصبحوا جاثمين الا في ديارهم او دارهم قوله تعالى وعادا
وثمود انتصب باهلكنا تقديرا وعطف على مفعول فاخذتهم او على مفعول فتنا اول السورة وهو
قول الكسائي وفيه بعد كثير وتقدم تنوين ثمود وعدمه في هود وقرا ابن وثاب وعاد وثمود
بالخفض عطفا على مدين عطف لمجرد الدلالة والا لزم ان يكون شعيبا مرسلا اليهما وليس
كذلك قوله تعالى وقد تبين لكم من مساكنهم اي ما حل بهم وقرا الاعمش مساكنهم بالرفع على
الفاعلية بحذف من ثم بين سبب ما جرى عليهم فقال وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم
عن السبيل اي عن سبيل الحق وهي عبادة الله وكانوا مستبصرين قال مقاتل والكلبي وقتادة
كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم يحسبون انهم على هدى وهم على الباطل والمعنى انهم كانوا
عند انفسهم مستبصرين وقال الفرا كانوا عقلاء ذوي بصاير وقيل كانوا مستبصرين بواسطة
الرسل يعني لم يكن لهم في ذلك عذر لان الرسل اوضحوا السبل قوله تعالى وقارون وفرعون
وهامان عطف على عادا وثمودا او على مفعول فصدهم او باضمار اذكر ولقد جاءهم موسى
بالبينات بالدلالات كما قال في عاد وثمود وكانوا مستبصرين اي بالرسل فاستكبروا في الارض
اي عن عبادة الله فقوله في الارض اشارة الى قلة عقلهم في استكبارهم لان من في الارض
اضعف اقسام المكلفين ومن في السما اقواهم ثم ان من في السما لا يستكبرون على الله بالعبادة
فكيف من في الارض وما كانوا سابقين اي فايتين من عقابنا قوله تعالى فكلا منصوب
باخذنا وبذنبه اي بسبب او مصاحبا لذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا وهم قوم لوط والحاصب
الريح التي تحمل الحصبا وهي الحصا الصغار وقيل كان بحجارة محماة تقع على واحد منهم
وتنفذ من الجانب الاخر ومنهم من اخذته الصيحة يعني ثمود ومنهم من خسفنا به الارض
وهم قارون واصحابه ومنهم من اغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وقومه وقوله من اغرقنا
عايده محذوف لاجل تشبه الفاصلة ثم قال تعالى وما كان الله ليظلمهم يعني لم يظلمهم بالهلاك
وانما ظلموا انفسهم بالاشراك قوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء
يعني الاصنام ويرجون نصرها ونفعها كمثل العنكبوت اتخذت لنفسها بيتا تاوي اليه وان
بيتها في غاية الضعف والوهاء لا يدفع عنها حرا ولا بردا لذلك الاوثان لا تملك لعابدها نفعا
ولا ضرا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت نسجه بيتا ولم يمثله بنسجه لان نسجه له فيه
فايدة لولاه لما حصل وهو اصطياد الذباب من غير ان يفوته ما هو اعظم منه واتخاذهم الاوثان
بعدهم ما هو اقل من الذباب من متاع الدنيا ولكن يفوتهم ما هو اعظم منها وهو الدار الاخرة
التي هي خير وابقى فليس اتخاذهم كنسج العنكبوت وقوله تعالى ان اوهن البيوت لبيت العنكبوت
لو كانوا يعلمون اشارة الى ما بينا ان كل بيت ففيه اما فايدة الاستظلال او غير ذلك وبيته
يضعف عن افادة ذلك لانه يخرب بادنى شي ولا يبقى منه عين ولا اثر فلذلك عملهم لو كانوا
يعلمون والعنكبوت معروف ونونه اصلية والواو والتاء مزيدتان بدليل جمعه على عناكب

وتصغيره عنيكب ويذكر ويونث فمن التانيث قوله اتخذت ومن التذكير قوله

على هطالهم منهم بيوت كان العنكبوت هو ابتناها

وهذا مطرد في اسما الاجناس يذكر ويونث قوله تعالى لو كانوا يعلمون جوابه محذوف اي لما اتخذوا من يضرب له بهذه الامثال لحقارته ومتعلق يعلمون لا يجوز ان يكون من جنس قوله وان اوهن البيوت لان كل احد يعلم وانما متعلقه مقدر من جنس ما يدل عليه السياق اي لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون قرا ابو عمرو وعاصم يدعون بيا الغيبة والباقون بالخطاب وما يجوز فيها ان تكون موصولة منصوبة بيعلم اي يعلم الذين يدعونهم ويعلم احوالهم ومن شي مصدر وان تكون استفهامية وحينئذ يجوز فيها وجهان ان تكون هي وما عمل فيها معترضا بين قوله يعلم وبين قوله وهو العزيز الحكيم كانه قيل اي شي يدعون من دونه والثاني ان تكون متعلقة ليعلم فتكون في موضع نصب بها واليه ذهب الفارسي وان تكون نافية ومن في من شي مزيدة في المفعول به كانه قيل ما يدعون من دونه ما يستحق ان يطلق عليه شي قال الزمخشري هذا زيادة توكيد على التمثيل حيث انهم لا يدعون من دونه من شي يعني ما يدعون ليس بشي وهو عزيز حكيم فكيف يجوز للعاقل ان يترك القادر الحكيم ويشتغل بعبادة ما ليس بشي اصلا وهذا يفهم منه انه جعل ما نافية والوجه فيها حينئذ ان تكون الجملة معترضة كالاول من وجهي الاستفهامية وان تكون مصدرية قال ابو البقا وشي مصدر وفي هذا انظواد يصير التقدير يعلم دعاكم من شي من الدعا قوله تعالى وتلك الامثال نضربها يجوز ان تكون نضربها خبر تلك والامثال نعت او بدل او عطف بيان وان تكون الامثال خبرا ونضربها حال وان تكون خبرا ثانيا **فصل** وتلك الامثال الاشباه والمثل كلام سائر يتضمن تشبيه الاخر بالاول يريد امثال القران الذي شبه بها احوال كفار هذه الامة باحوال كفار المتقدمة نضربها تبينها للناس قال مقاتل لكفار مكة وما يعقلها الا العالمون اي ما يعقل الامثال الا العلما الذين يعقلون عن الله روى جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الاية وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه **فصل** روي ان الكفار قالوا كيف يضرب خالق الارض والسموات الامثال بالهوام والحشرات كالبعوض والذباب والعنكبوت فقيل الامثال نضربها للناس ان لم تكونوا كالانعام يحصل لكم منه ادراك ما يوجب نفرتكم مما انتم فيه لان التشبيه يوثر في النفس تاثيرا مثل ما يوثر الدليل فاذا قال الحكيم لمن يغتاب بالغيبة كانك تاكل لحم ميت لانك وقعت في هذا الرجل وهو غايب لا يفهم ما يقول ولا يسمع حتى يجيبك كمن يقع في ميت ياكل منه كما ينفر اذ قال له انه يوجب العقاب ويوثر العتاب قوله تعالى خلق الله السموات والارض بالحق واظهار الحق ان في ذلك في خلقها لاية لدلالة للمومنين على قدرته وتوحيده فان قيل كيف خص الاية في خلق السموات والارض بالمومنين مع ان في ذلك خلقها اية لكل عاقل كما قال تعالى ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لقوم يعقلون فالجواب خلق السموات والارض اية لكل عاقل وخلقهما بالحق اية للمومنين حسب ويدل على النقل والعقل اما النقل فقوله تعالى ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون اخرج اكثر الناس عن العلم بكونه خلقهما بالحق مع انه اثبت علم الكل بانه خلقهما بقوله ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله واما العقل فهو ان العاقل اول ما ينظر الى خلق السموات والارض يعلم ان لها خالقا وهو الله تعالى ثم من يهديه الله لا يقطع النظر عنهما عند مجرد ذلك بل يقول انه خلقهما متقنا محكما وهو المراد من قوله بالحق لان ما لا يكون محكما يفسد ويبطل فيكون باطلا واذا علم ان خالقهما متقنا يقول انه قادر كامل حيث خلق فاحكم وعالم علمه شامل حيث اتقن فيقول لا يعزب عن علمه اجزاء الموجودات في الارض ولا في السموات ولا يعجز عن جميعها كما جمع اجزاء الكائنات والمبدعات فيجوز بعث من في القبور وبعثه الرسل وهما بالحق موجودان فيحصل له الايمان بتمامه من خلق ما خلقه على احسن نظامه قوله تعالى اتل ما اوحي اليك من الكتاب يعني القران ليعلم ان نوحا ولوطا

وعزهما كانوا على ما انت عليه بلغوا الرسالة وبالغوا في اقامة الدلالة ولم ينقذوا قومهم من الضلالة وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر الفحشا ما قبح من الاعمال والمنكر ما لا يعرف في الشرع قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله عز وجل فمن لم تامره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشا والمنكر فصلاته وبال عليه وروى انس بن مالك رضي الله عنه قال كان رجل من الانصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم ثم لا يدع شيا من الفواحش الا ركبه فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاله فقال ان صلاته تنهاه يوما فلم يلبث ان تاب وحسن حاله وقال ابن عون معنى الاية ان الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشا والمنكر ما دام فيها وقيل المراد بالصلاة القران كما قال تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها اي بقراتك واراد انه يقرا القران في الصلاة فالقران ينهاه عن الفحشا والمنكر قوله تعالى ولذكر الله اكبر اي ذكر الله افضل الطاعات قال صلوات الله وسلامه عليه الا انبيكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير من اعطى الذهب والفضة وان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله تعالى وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي العبادة افضل درجة عند الله عز وجل يوم القيمة قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله كثيرا افضل منه وروى ابو هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات وقيل معنى قوله تعالى ولذكر الله اكبر اي ذكر الله اياكم افضل من ذكركم اياه روي ذلك عن عبد الله وهو قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وروي مرفوعا عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عطا في قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر ولذكر الله اكبر من ان يبقى معه معصية والله يعلم ما تصنعون قال عطا لا يخفى عليه شي قوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن اي بالقران والدعا الى الله باياته والتنبيه على حججه واراد من قبل الجزية منهم لما بين طريقة ارشاد المشركين بين طريقة ارشاد اهل الكتاب قوله تعالى الا الذين ظلموا استثنا متصل وفيه معنيان احدهما الا الظلمة فلا تجادلوهم البتة بل جادلوهم بالسيف اي ان ابوا ان يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا او يعطوا الجزية ومجاز الاية الا الذين ظلموكم لان جميعهم ظالم بالكفر والثاني جادلوهم بغير التي هي احسن اي اغلظوا لهم كما اغلظوا عليكم قال سعيد بن جبير هم اهل الحرب ومن لا عهد له وقال قتادة ومقاتل نسخت بقوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله وقرا ابن عباس الا حرف تنبيه اي فجادلوهم قوله تعالى وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم وهذا تبيين لمجادلتهم بالتي هي احسن يريد اذا اخبركم واحد منهم ممن قبل الجزية بشي مما في كتبهم فلا تجادلوهم عليه ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون روى ابو هريرة رضي الله عنه قال كان اهل الكتاب يقرون التورية بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما انزل الينا الاية وروى معمر عن الزهري ان ابا نملة الانصاري اخبره انه بينا هو جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل من اليهود ومر بجنازة فقال يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوه وان كان حقا لم تكذبوه قوله تعالى وكذلك انزلنا اي كما انزلنا اليهم الكتاب انزلنا اليك الكتاب فالذين اتيناهم الكتاب يومنون به يعني مومني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه ومن هولاء يعني اهل مكة من يومن به وهم مومنو اهل مكة وما يجحد باياتنا الا الكافرون وذلك ان اليهود عرفوا ان محمدا نبي والقران حق فجحدوا وقال قتادة الجحود انما يكون بعد المعرفة وهذا تنفير لهم عما هم عليه يعني انكم امنتم بكل شي

وامترتم على المشركين فضيلة الا هذه المسيلة الواحدة وبانكارها ملتحقون بهم وتبطلون مزاياكم
فان الجاحد بانه يكون كافرا قوله تعالى وما كنت تتلوا من قبله اي من قبل ما انزلنا اليك الكتاب
وقوله من كتاب مفعول تتلوا ومن زايدة ومن قبله حال من كتاب او متعلق بنفس تتلوا ولا
تخطه بيمينك اي ولا تكتبه اي لم تكن تقرا ولا تكتب قبل الوحي قوله تعالى اذا لارتاب جواب
وجزا اي لو تلوت كتابا قبل القران او كنت ممن يكتب لارتاب المبطلون اي لشك المشركون من اهل
مكة وقالوا انه يقراه من كتب الاولين وينسخه منها وقال قتادة ومقاتل المبطلون هم اليهود
والمعنى لشكوا فيك واتهموك وقالوا ان الذي نجد نعته في التورية امي لا يقرا ولا يكتب وليس
هذا على ذلك النعت قوله تعالى بل هو ايات بينات قرا قتادة اية بالتوحيد قال الحسن
يعني القران ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم يعني المومنين الذين حملوا القران وقال
ابن عباس وقتادة بل هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ذو ايات بينات في صدور الذين اوتوا
العلم من اهل الكتاب لانهم يجدونه بنعته وصفته في كتبهم وما يجحد باياتنا الا الظالمون
فان قيل ما الحكم في قوله تعالى ههنا المبطلون ومن قبل قال الكافرون فالجواب انهم
قبل بيان المعجزة قيل لهم ان لكم المزايا فلا تبطلوها بانكار محمد صلى الله عليه وسلم فتكونوا
كافرين فلفظ الكافر هناك ابلغ فمنعهم عن ذلك لاستنكافهم عن الكفر ثم بعد بيان المعجزة قالوا
لهم ان جحدتم هذه الايات لزمكم انكار ارسال الرسل فتلتحقون في اول الامر بالمشركين حكما
وتلتحقون عند جحد هذه الايات بالمشركين فتكونوا ظالمين اي مشركين كما قال تعالى ان
الشرك لظلم عظيم فهذا اللفظ ههنا ابلغ قوله تعالى وقالوا لولا انزل عليه ايات من ربه
كما انزل على الانبيا من قبل قرا الاخوان وابن كثير وابو بكر رضي الله عنهم اية بالافراد لان غالب
ما جا في القران كذلك والباقون ايات بالجمع لان بعده قل انما الايات بالجمع اجماعا والرسم محتمل
له

فصل

اعلم انهم قالوا انك تقول انه انزل اليك كتاب كما انزل الى موسى وعيسى
وليس كذلك لان موسى اوتي تسع ايات بينات علم بها كون الكتاب من عند الله عز وجل
وانت ما اوتيت شيا منها ثم انه تعالى ارشد نبيه الى اجوبة هذه الشبهة منها قوله تعالى
قل انما الايات عند الله وهو القادر على ارسالها اذا شا ارسلها وانما انا نذير مبين انذر
اهل المعصية بالنار وليس انزال الايات بيدي قوله تعالى اولم يكفهم هذا جواب لقولهم
لولا انزل عليه ايات من ربه قل اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ففاعل يكفهم
هو قوله تعالى انا انزلنا والمعنى ان كان انزال الايات شرطا في صحة الرسالة فلا يشترط
الا انزال اية وقد انزلنا القران وهو اية معجزة ظاهرة كافية فقوله اولم يكفهم عبارة
تنبي عن كون القران اية فوق الكفاية وبيان ان القران اتم من كل معجزة لوجوه احدها
ان تلك المعجزات وجدت وما دامت فان قلب العصا ثعبانا واحيا الميت لم يبق لنا منه
اثر فلو انكره احد لم يمكن اثباته معه بدون الكتاب واما القران فهو باق لو انكره واحد
فيقال له فات باية من مثله الثاني ان قلب العصا ثعبانا كان في آن واحد ولم يره من لم
يكن في ذلك المكان واما القران فقد وصل الى المشرق والمغرب وسمعه كل احد وههنا لطيفة
وهي ان ايات النبي صلى الله عليه وسلم كانت اشيا لا تختص بمكان دون مكان لان من جملتها
انشقاق القمر وهو يعم الارض لان الخسوف اذا وقع عم وذلك لان نبوته كانت عامة لا تختص
بقطر دون قطر وغاض بحر ساوه في قطر وسقط ايوان كسرى في قطر واتحدت الكنيسة
بالروم في قطر اخر اعلاما بانه يكون امرا عاما الثالث ان غير هذه المعجزة يقول الكافر
المعاند هذا سحر وعمل بدوا والقران لا يمكن هذا القول فيه ثم قال تعالى ان في ذلك لرحمة
اي في انزال القران لرحمة وذكرى لقوم يومنون اي تذكيرا وعظة لمن امن وعمل صالحا قوله
تعالى قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا الى رسوله وهذا القران وهو كما يقول الصادق اذا كذب
واتى بكل ما يدل على صدقه ولم يصدقه المعاند الله يعلم صدقي وتكذيبك ايها المعاند وهو
على ما اقول شهيد يحكم بيني وبينك كل ذلك انذار وتهديد ثم بين كونه كافيا بكونه عالما
بجميع الاشيا فقال سبحانه يعلم ما في السموات والارض فان قيل ما الحكمة في انه اخر
شهادة اهل الكتاب في اخر الرعد في قوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى

بالله

بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وههنا قدم شهادة اهل الكتاب فقال عز
وجل فالذين اتيناهم الكتاب يومنون به ومن هولا من يومن به اي من اهل الكتاب فالجواب
ان الكلام هناك مع المشركين فاستدل عليهم بشهادة غيرهم ثم ان شهادة الله اقوى في الزامهم من
شهادة غير الله وههنا الكلام مع اهل الكتاب وشهادة المرء على نفسه هو اقراره وهو اقوى الحجج
عليه فقدم ما هو الزم عليهم ثم انه تعالى لما بين الطريقين في ارشاد الفريقين المشركين واهل الكتاب
عاد الى الكلام الشامل لهما والانكار العام فقال سبحانه والذين امنوا بالباطل قال ابن عباس
رضي الله عنه يعني بغير الله وكفروا بايات الله اوليك هم الخاسرون فان قيل قوله تعالى اوليك
هم الخاسرون يقتضي الحصر اي من اتى بالايمان بالباطل والكفر بالله فهو الخاسر فمن ياتي باحدهما
دون الاخر ينبغي ان لا يكون خاسرا فالجواب انه يستحيل ان يكون الاتي باحدهما لا يكون اتيا بالاخر
لان المومن بما سوى الله مشرك لانه جعل غير الله مثله وغير الله عاجز ممكن باطل فيكون امن بذلك
ومن كفر بالله وانكره فيكون قايلا بان العالم ليس له اله موجود فوجود العالم من نفسه فيكون قايلا
بان العالم واجب الوجود والواجب اله فيكون قايلا بان غير الله اله فيكون اثباتا لغير الله وايمانا
به فان قيل اذا كان الايمان بما سواه كفرا به فيكون كل من امن بالباطل فقد كفر بالله تعالى فهل
لهذا العطف فايدة غير التاكيد الذي في قول القايل قم ولا تقعد واقترب مني ولا تبعد فالجواب
فيه فايدة غيرها وهو انه ذكر الثاني لبيان قبح الاول لقول القايل اتقول بالباطل وتترك
الحق لبيان ان القول بالباطل قبيح قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب نزلت في النضر بن الحرث حين
قال فامطر علينا حجارة من السما ولولا اجل مسمى قال ابن عباس رضي الله عنه ما وعدتك اني
لا اعذب قومك ولا استاصلهم واوخر عذابهم الى يوم القيمة كما قال بل الساعة موعدهم وقيل يوم
بدر ولولا ذلك الاجل المسمى الذي اقتضته حكمته لجاهم العذاب وقيل الاجل بغتة وهم لا يشعرون
باتيانه وقوله وهم لا يشعرون يحتمل وجهين احدهما تاكيد معنى قوله بغتة كما يقول القايل اتيته
على غفلة منه بحيث لم يدر فقوله بحيث لم يدر اكد معنى الغفلة والثاني انه يفيد فايدة مستقلة
وهي ان العذاب ياتيهم بغتة وهم لا يشعرون هذا الامر ويظنون ان العذاب لا ياتيهم اصلا قوله
تعالى يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ذكر هذا للتعجيب لان من توعد بامر فيه
ضرر يسير كلطمة او لكمة فيرى من نفسه الجلد ويقول بسم الله هات واما من توعد باغراق او احراق
ويقطع بان الموعد قادر لا يخلف الميعاد ولا يخطر بباله الا قبل ان يقول له هات ما توعدني به
فقال ههنا يستعجلونك بالعذاب والعذاب بنار جهنم المحيطة بهم فقوله يستعجلونك اولا اخبار
عنهم وثانيا تعجبا منهم وقيل اعادة تاكيدا ثم ذكر كيفية احاطة جهنم فقال سبحانه يوم يغشاهم
العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم فان قيل لم اخص الجانبين ولم يذكر اليمين والشمال وخلف
وقدام فالجواب ان المقصود ذكر ما يتميز به نار جهنم عن نار الدنيا ونار الدنيا تحيط بالجوانب
الاربعة فان من دخلها تكون الشعلة قدامه وخلفه ويمينه ويساره واما النار من فوق فلا تنزل
وانما تصعد من اسفل في العادة وتحت الاقدام لا تبقى الشعلة بل تنطفي بالدوس والشعلة التي
تحت القدم ونار جهنم تنزل من فوق ولا تنطفي بالدوس موضع القدم فان قيل ما الحكمة في قوله
تعالى من فوقهم ومن تحت ارجلهم ولم يقل من فوق روسهم ولا قال من فوقهم ومن تحتهم بل ذكر
المضاف اليه عند ذكر تحت ولم يذكره عند ذكر فوق فالجواب ان نزول النار من فوق سوا كان
من سمت الراس او من موضع اخر لان طبع النور الصعود الى فوق فلهذا لم يخصه بالروس واما بقا
النار تحت القدم فهو عجيب والا فمن جوانب القدم في الدنيا تكون الشعلة فذكر العجيب وهو ما
تحت الارجل حيث لم ينطفي بالدوس واما فوق فعلى الاطلاق قوله تعالى ويقول ذوقوا
نافع واهل الكوفة ويقول بيا الغيبة اي الله تعالى او الملك الموكل بعذابهم والباقي في السبعة بالنون
اي جماعة الملايكة او نون العظمة لله تعالى وابو البرهشم بالتا من فوق اي جهنم لقوله تعالى
وتقول هل من مزيد وعبد الله وابن ابي عبلة ويقال مبنيا للمفعول وقوله ما كنتم تعملون اي
جزا ما كنتم تعملون لما بين عذاب اجسامهم وهو ان يقال لهم على سبيل التنكيل والاهانة ذوقوا
ما كنتم تعملون حصل ذلك من ما كانوا يعملون مبالغة بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب
فان عملهم كان سببا لعذابهم وهذا كثير في الاستعمال قوله تعالى يا عبادي الذين امنوا ان

ارضي واسعة لما ذكر حال المشركين على حده وحال اهل الكتاب على حده وجمعهما في الانذار
وجعلهما من اهل النار اشتد عنادهم وزاد فسادهم وسعوا في ايذاء المومنين ومنعهم من العبادة
قال مقاتل والكلبي رضي الله عنهما نزلت في ضعفا مسلمي مكة يقول ان كنتم في ضيق بمكة من
اظهار الايمان فاخرجوا منها ان ارضي المدينة واسعة امنة قال مجاهد ان ارضي واسعة فهاجروا
وجاهدوا فيها وقال سعيد بن جبير اذا اعمل في ارضي بالمعاصي فاخرجوا منها فان ارضي واسعة
وقال عطا اذا امرتم بالمعاصي فاهربوا فان ارضي واسعة ولذلك يجب على كل من كان في بلد
يعمل فيها المعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى حيث يتهيا له العباده وقيل نزلت في قوم تخلفوا
عن الهجرة بمكة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله هذه الاية ولم يعذرهم
بترك الخروج وقال مطرف بن عبد الله رضي الله عنه ان ارضي واسعة رزقي لكم واسع فاخرجوا

فصل قوله تعالى يا عبادي لا يدخل فيه الكافر لوجوه احدها قوله ان عبادي ليس
لك عليهم سلطان والكافر يجب سلطنة السلطان فلا يدخل في قوله يا عبادي وثانيها قوله
تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وثالثها ان العباد ماخوذ من
العبادة والكافر لا يعبد الله فلا يدخل في قوله يا عبادي وانما يختص بالمومنين الذين يعبدونه
ورابعها الاضافة بين الله والعبد يقول العبد الهي ويقول الله عبدي فان قيل اذا كان عباده
لا يتناول الا المومنين فما الفايدة في قوله الذين امنوا مع ان الوصف انما يذكر لتميز الموصوف كما يقال
يا ايها المكلفون المومنون يا ايها الرجال العقلا تمييزا بين الكافر والجاهل فالجواب ان الوصف يذكر
لا للتميز بل لمجرد بيان ان فيه الوصف كما يقال الانبيا المكرمون والملايكة المطهرون مع ان كل نبي
مكرم وكل ملك مطهر وانما يقال لبيان ان فيهم الاكرام والطهارة ومثله قولنا الله العظيم فههنا
ذكر لبيان انهم مومنون فان قيل قوله تعالى يا عبادي يفهم منه كونهم عابدين فما الفايدة بالامر
بالعبادة بقوله عز وجل فاعبدون فالجواب فيه فايدتان احديهما المداومة اي يا من عبدتموني
في الماضي اعبدوني في المستقبل والثانية الاخلاص اي يا من يعبد لي اخلص العمل لي ولا تعبد
غيري فان قيل الفا في قوله عز وجل فاياي يدل على انه جواب شرط فما ذاك فالجواب قوله جل
وعز ان ارضي واسعة اشارة الى عدم المانع من عبادته فكانه قال اذا كان لا مانع من عبادتي
فاياي فاعبدون فهو لترتيب المقتضي على المقتضي كما يقال هذا عالم فاكرموه فلذلك ههنا
لما اعلم نفسه بقوله فاياي وهو لنفسه مستحق العبادة فقال فاعبدون قال الزمخشري
هذا جواب شرط مقدر وجعل تقديم المفعول عوضا من حذفه مع افادته للاختصاص وقد تقدم
منازعة ابي حيان له في نظيره قوله تعالى كل نفس ذايقة الموت ثم الينا ترجعون وافقه
ابو عمرو في الروم فقط والباقون بالخطاب فيهما وقري ترجعون مبنيا للفاعل

فصل
لما امر الله تبارك وتعالى المومنين بالمهاجرة صعب عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان
فخوفهم بالموت ليهون عليهم الهجرة اي كل احد ميت اينما كان فلا تقيموا بدار الشرك خوفا من
الموت فان كل نفس ذايقة الموت فالاولى ان يكون ذلك في سبيل الله فيجازيكم عليه فان الى
الله مرجعكم فيجازيكم باعمالكم وفيه وجه اخر دقيق وهو ان قوله تعالى كل نفس ذايقة الموت
اي اذا كانت متعلقة بغيرها فهو للموت ثم الى الله ترجع فلا تموت كما قال تعالى لا يذوقون فيها
الموت واذا كان كذلك فمن يريد ان لا يذوق الموت لا يبقى مع نفسه فان النفس ذايقته بل يتعلق
بغيره وذلك الغير ان كان غير الله تعالى فهو ذايق الموت لقوله تعالى كل نفس ذايقة الموت
وكل شي هالك الا وجهه فاذن التعلق بالله فقال تعالى اياي فاعبدون اي تعلقوا ولا تتبعوا
النفس فانها ذايقة الموت ثم الينا ترجعون اي اذا فعلتم ذلك فموتكم رجوع الي وليس بموت
لقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا وقال صلى الله عليه وسلم
وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم المومنون لا يموتون بل ينقلون من دار الى دار وقوله تعالى
والذين امنوا وعملوا الصالحات يجوز في الذين الوجهان المشهوران الابتدا والاشتغال وقوله
لنبوينهم قرا الاخوان بثا مثلثة ساكنة بعد النون ويا مفتوحة بعد الواو من الثوا وهو
الاقامة يقال ثوى الرجل اذا اقام واثويته اذا انزلته منزلا يقيم فيه والباقون بيا موحدة
مفتوحة بعد النون وهمزة مفتوحة بعد الواو من المباه وهي الانزال اي لننزلنهم من الجنة

غرفا علالي قوله تعالى غرفا على القراة الاولى اما مفعول به على تضمين ابوي انزل فيتعدى
لاثنين لان ثوى قاصر واكسبته الهمزة التعدي لواحد واما على تشبيه الظرف المختص بالمبهم كقوله
لاقعدن لهم صراطك واما على اسقاط الخافض اتساعا اي في غرف واما في القراة الثانية فمفعول ثان
لان بوا يتعدى لاثنين قال تعالى تبوي المومنين مقاعد للقتال ويتعدى باللام قال تعالى
واذ بوانا لابراهيم وقري لنثوينهم بالتشديد مع الثا المثلثة عدي بالتضعيف كما عدي بالهمزة
وتجري صفة لغرفا خالدين فيها نعم اجر العاملين وهذا في مقابلة قوله تعالى للكفار ذوقوا
ما كنتم تعملون قوله تعالى الذين صبروا يجوز فيه الجر والنصب والرفع كنظايره تقدمت والمعنى
الذين صبروا على الشدايد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم وعلى ربهم يتوكلون يعتمدون قوله
تعالى وكاين من دابة لا تحمل رزقها جوز ابو البقا رحمه الله في كاين وجهين احدهما انها مبتدا ولا تحمل
صفتها والله يرزقها خبره ومن دابة تبيين والثاني ان تكون في موضع نصب باضمار فعل يفسره يرزقها
ويقدر بعد كاين يعني لان لها صدر الكلام وفي الثاني نظر لان من شرط المفسر العمل وهذا المفسر
لا يعمل لانه لو عمل لحل محل المفعول لكنه لا يحل محله لان الخبر متى كان فعلا رافعا لضمير مفرد امتنع
تقديمه على المبتدا واذا اردت معرفة هذه القاعدة فعليك بسورة هود عند قوله الا يوم ياتيهم
ليس مصروفا **فصل** لما ذكر الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ذكر ما يعين على التوكل
وهو بيان حال الدواب التي لا تدخر شيا لغد وياتيها رزقها كل يوم واعلم ان في كاين اربع لغات
غير هذه كاء على وزن زاع وكائي على وزن رعي وكي على وزن ربع وكاء على وزن راع ولم يقرا
الا كاين وكا قراة ابن كثير **فصل** كاين كلمة مركبة من كاف التشبيه واي التي تستعمل
استعمال من وما ركبتا وجعل المركب بمعنى كم ثم لم يكتب الا بالنون ليفصل بين المركب وغير المركب لان
كاي يستعمل غير مركب كما يقول القايل وانت رجلا لا كاي رجل يكون وحينيذ لا يكون كاي مركبا واذا
كان ههنا مركبا كتبت بالنون للتمييز كما يكتب ثمة بالتا موصلة لا للفرق بالتا تمييزا بينها وبين ثمه
فصل روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للمومنين الذين كانوا بمكة واذاهم المشركون
هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا
فانزل الله وكاين من دابة اي وكم من دابة ذات حاجة الى غذا لا تحمل رزقها اي لا ترفع رزقها معها
ولا تدخر شيا لغد مثل البهايم والطير وقيل لا تحمل رزقها لضعفها كالقمل والبرغوث والدود الله
يرزقها واياكم حيث ما كنتم وهو السميع لاقوالكم لانجدما ينفق بالمدينة العليم بما في قلوبكم قال
سفين ليس شي مما خلق الله يخبا الا الانسان والفارة والنملة روي ابن عمر رضي الله عنه قال
دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حايطا من حوايط الانصار فجعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يلتقط الرطب بيده وياكل فقال كل يا ابن عمر قلت لا اشتهيها يا رسول الله قال لكني اشتهيه
وهذه صبح رابعة لم اطعم طعاما ولم اجده فقلت انا لله الله المستعان فقال يا ابن عمر لو سالت
ربي لاعطاني مثل ملك كسرى وقيصر اضعافا مضاعفة ولكني اجوع يوما واشبع يوما
فكيف بك يا ابن عمر اذا عمرت وبقيت في حثالة الناس يخبون رزق سنة ويضعف اليقين فنزلت
وكاين من دابة لا تحمل رزقها الاية وقال صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق
توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا قوله تعالى ولين سالتهم يعني كفار
مكة من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فاني يوفكون اي هم يعتقدون
هذا فكيف يصدفون عن عبادة الله مع ان من علم عظمته وجب خدمته ولا عظمة فوق السموات
والارض ولا حقارة فوق حقارة الجماد لان الجماد دون الحيوان والحيوان دون الانسان والانسان
دون مكان السموات فكيف يتركون عبادة اعظم الموجودات ويشتغلون بعبادة احس الموجودات
فصل لما بين امر المشرك بخاطبا معه ولم ينتفع به واعرض عنه وخاطب المومن بقوله
يا عبادي واتم الكلام معه ذكر معه ما يكون ارشادا للمشرك بحيث يسمعه وهذا طريق في غاية الحسن
فان السيد اذا كان له عبدان او الوالد اذا كان له ولدان واحدهما رشيد والاخر مفسد ينصح اولا
المفسد فان لم يسمع يلتفت الى الرشيد ويعرض عن المفسد ويقول ان هذا لا يستحق الخطاب فاسمع
انت ولا تكن مثل هذا المفسد فتضمن هذا الكلام نصيحة الرشيد وزجر المفسد فان قوله هذا
لا يستحق الخطاب يوجب نكاية في قلبه ثم اذا ذكر مع المصلح في اثنا الكلام يسمعه ان هذا الخاك

العجيب منه انه يعلم قبح فعله ويعرف الفساد من الصلاح وسبيل الرشاد والصلاح ويشتغل بضده
يكون هذا الكلام ايضا داعيا الى الرشاد ومانعا له من الفساد فلذلك قال الله تعالى للمؤمن
العجب منهم انهم ان سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم لا يؤمنون

فصل

ذكر في السموات والارض الخلق وفي الشمس والقمر التسخير لان مجرد خلق الشمس والقمر
ليس حكمه فان الشمس لو كانت مخلوقة بحيث تكون في موضع واحد لا تتحرك ما حصل الليل
والنهار ولا الصيف والشتا فاذن الحكمة في تحريكهما وتسخيرهما واعلم ان في لفظ التسخير دون
التحريك فايده وهي ان التحريك يدل على وجود الحركة وليس مجرد الحركة كافية لانها لو كانت
تتحرك مثل حركتنا لما كانت تقطع الفلك في الزمن اليسير فالحكمة في تسخيرها تحريكهما في قدر
ما يتنفس الانسان الا وامن الفراسخ ثم لم يجعل لهما حركة واحدة بل حركات احدها حركتهما من
المشرق الى المغرب في كل يوم وليلة مرة والاخرى حركتهما من المغرب الى المشرق ويدل عليهما
ان الهلال يرى في جانب المغرب على بعد مخصوص من الشمس ثم يبعد منها الى جانب المشرق
حتى يرى القمر في نصف الشهر في مقابلة الشمس والشمس على افق المغرب والقمر على افق
المشرق وايضا حركة الاوج وحركة المايل والتدوير في القمر ولولا الحركة التي من المغرب الى
المشرق لما حصلت الفصول واعلم ان اصحاب الهيئة قالوا الشمس مركوزة في الفلك والفلك
يدبرها بدورانه وانكره المفسرون الظاهريون واعلم انه لا بعد في ذلك ان لم يقولوا بالطبيعة
فان الله تعالى فاعل مختار ان اراد ان يحركهما بحركة الفلك وهما ساكنان يجوز ولم يرد عنه نص
قاطع او ظاهر واعلم ان الله تعالى ذكر ايجاد الذوات بقوله خلق السموات والارض وذكر ايجاد
الصفات بقوله تعالى وسخر الشمس والقمر ثم قال الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
لما ذكر الخلق ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه وبقاء الانسان بالرزق فقال المعبود اما
ان يعبد لاستحقاقه العبادة والاصنام ليست كذلك والله مستحقها واما لكونه عظيم الشان والله
الذي خلق السموات عظيم الشان جلي البرهان فله العباده واما لكونه ولي الاحسان والله
يرزق الخلق فله الفضل والاحسان والامتنان فله العبادة ان الله بكل شي عليم يعلم مقادير
الحاجات والارزاق ولما قال الله يبسط الرزق لمن يشاء ذكر اعترافهم بذلك فقال تعالى ولين
سالتهم من نزل من السماء ما فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله يعني هذا سبب الرزق وموجد
السبب موجد المسبب فالرزق من الله قوله تعالى قل الحمد لله على اقرارهم ولزوم الحجة عليهم
بل اكثرهم لا يعقلون ينكرون التوحيد مع اقرارهم بانه خالق لهذه الاشيا فقل الحمد لله على ظهور
تناقضهم واكثرهم لا يعقلون هذا التناقض وقيل هذا الكلام معترض في اثنا كلام كانه قال
فاحيا به الارض من بعد موتها بل اكثرهم لا يعلمون فذكر في اثنا الكلام الحمد لذكر النعمة لقوله
ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان قوله تعالى وما هذه الحيوة الدنيا الا
لهو ولعب اللهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا واللعب العبث سميت بهما لانها فانية وقيل
اللهو عن الاعراض عن الحق واللعب الاقبال على الباطل فان قيل قال في الانعام وما
الحيوة الدنيا ولم يقل وما هذه الحيوة وقال ههنا وما هذه الحيوة فما فايدته فالجواب ان المذكور
من قبل ههنا امر الدنيا حيث قال فاحيا به الارض من بعد موتها فقال هذه والمذكورة قبلها
هناك الاخرة حيث قال يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم فلم تكن
الدنيا في ذلك الوقت في خاطرهم فقال وما الحيوة الدنيا فان قيل ما الحكمة في تقديمه هناك
الاخرة واظهارهم للحسرة ففي ذلك الوقت يبعد الاستغراق في الدنيا بل نفس الاشتغال بها فاخذ
الابعد وههنا لما كان المذكورين قبل وهي خداعة تدعوا النفوس الى الاقبال عليها والاستغراق
فيها اللهم الا لمانع يمنع من الاستغراق فيشتغل بها من غير استغراق فيها او لعاصم يعصمه فلا
يشتغل بها اصلا فكان الاستغراق اقرب من عدمه فقدم اللهو فان قيل ما الحكمة في قوله
هناك وللدار الاخرة خير وقال ههنا وان الدار الاخرة لهي الحيوان فالجواب لما كان الحال
هناك حال اظهار الحسرة وما كان المكلف يحتاج الى وازع قوي فقال الاخرة خير ولما كان
الحال هنا حال الاشتغال بالدنيا احتاج الى وازع قوي فقال لا حياة الا حياة الاخرة
قوله تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان قدر ابو البقا وغيره قبل المبتدا مضافا اي وان

حياة الدار الاخرة وانما قدروا ذلك ليطابق المبتدا والخبر والمبالغة احسن وواو الحيوان عن
يا عند سيبويه واتباعه وانما ابدلت واوا شذوذا ولذا في حيوة علما وقال ابو البقا لئلا يلتبس
بالتثنية يعني لو قيل حييان قال ولم يقلب الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها لئلا يحذف احدى
الالفين وغير سيبويه حمل ذلك على ظاهره فالحيوة عنده لامها واو ولا دليل لسيبويه في حي
لان الواو متى انكسر ما قبلها قلبت يا نحو عدي ودعي ورضي ومعنى الاية وان الدار الاخرة لهي
الحيوان اي الحيوة الدايمة الباقية والحيوان بمعنى الحياة اي فيها الحياة الدايمة لو كانوا يعلمون
اي لو كانوا يعلمون انها الحيوان لما اثروا عليها الدنيا فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى في
الانعام افلا تعقلون وقال ههنا لو كانوا يعلمون فالجواب ان المثبت هناك كون الاخرة
خيرا ولانه ظاهر لا يتوقف الا على العقل والمثبت هنا ان لا حياة الا حيوة الاخرة وهذا دقيق
لا تعرف الا بعلم نافع قوله تعالى فاذا ركبوا قال الزمخشري رحمه الله فان قلت بم اتصل قوله
فاذا ركبوا في الفلك قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه هم على ما وصفوا به
من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك قوله تعالى دعوا الله معناه فاذا خافوا الغرق دعوا الله
مخلصين له الدين وتركوا الاصنام وهذا اشارة الى ان المانع من التوحيد هو الحيوة الدنيا لانهم اذا
انقطع رجاهم عن الدنيا رجعوا الى الفطرة الشاهدة بالتوحيد ووحدوا واخلصوا واذا نجاهم وارجاهم
عادوا الى ما كانوا عليه من حب الدنيا واشركوا لقوله تعالى فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وهذا اخبار
عنهم بانهم عند الشدايد يقرون ان القادر على كشفها هو الله عز وجل وحده واذا زالت عادوا الى
كفرهم قال عكرمة كان اهل الجاهلية اذا ركبوا البحر حملوا معهم الاصنام فاذا اشتدت عليهم الريح القوها
في البحر وقالوا يا رب يا رب قوله تعالى ليكفروا فيه وجهان اظهرهما ان اللام لام كي اي يشركوا ليكون
اشراكهم كفرا بنعمة الانجا وليتمتعوا بسبب الشرك فسوف يعلمون وبال عملهم والثاني ان يكون لام
الامر ومعناه التهديد والتوعيد كقوله تعالى اعملوا ما شيتم اي ليجحدوا نعمة الله في انجائه اياهم فسيعلمون
فساد ما يعملون قوله تعالى وليتمتعوا قرا ابو عمرو وابن عامر وعاصم وورش بكسرها وهي محتملة
للامرين المتقدمين والباقون بسكونها وهي ظاهرة في الامر فان كانت اللام الاولى للامر فقد عطف
امرا على مثله وان كانت للعلة فيكون قد عطف كلاما على كلام فيكون المعنى لا فايدة لهم في الاشراك
الا الكفر والتمتع بما يستمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الاخرة وقرا عبد الله فتمتعوا فسوف
يعلمون وابو العالية فيتمتعوا بالياء من تحت مبنيا للمفعول قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا
وجه تعلقه بما قبله ان الانسان يكون في البحر على اخوف ما يكون وفي بيته يكون على امن ما يكون
لا سيما اذا كان بيته في بلد حصين فلما ذكر الله حال المشركين عند الخوف الشديد وراوا انفسهم في
تلك الحالة راجعة الى الله ذكرهم حالهم عند الامن العظيم وهي كونهم في مكة فانها مدينتهم وبلدهم وفيها
سكناهم ومولدهم وهي حصين بحصن الله حيث كل من دخلها يمتنع من قتال من حصل فيها والحصول فيها
يدفع الشرور عن القتل يعني انكم في اخوف ما انتم دعوتم الله تعالى وفي امن ما حصلتم عليه كفرتم
بالله وهذا متناقض لان دعاكم في ذلك الوقت على سبيل الاخلاص ما كان الا لقطعكم بان النعمة من الله
لا غير وهذه النعمة العظيمة التي حصلت وقد اعترفتم بانها لا تكون الا من الله فكيف تكفرون بها والاصنام
التي قدمتم في حال الخوف ان لا امن لها كيف امنتم بها في حال الامن ثم قال تعالى افبالباطل يؤمنون
قرا العامة يؤمنون ويكفرون بيا الغيبة والحسن والسلمي بتا الخطاب فيهما والمعنى افبالاصنام
والشياطين يؤمنون وبنعمة الله محمد والاسلام تكفرون قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا فزعم ان له شريكا والظلم وضع الشي في غير موضعه فاذا وضعه في موضع لا يمكن ان يكون ذلك في
موضعه يكون اظلم لان عدم الامكان اقوى من عدم الحصول قوله تعالى او كذب بالحق لما جاءه اي
بمحمد والقران لما جاءه اليس في جهنم وهذا استفهام تقرير كقوله

الستم خير من ركب المطايا • واندى العالمين بطون راح

والمعنى اما لهذا الكافر المكذب ماوي في جهنم قوله تعالى والذين جاهدوا فينا يجوز فيه ما جاز في قوله
والذين امنوا اول السورة وفيه رد على ثعلب حيث زعم ان جملة القسم لا تقع خبرا للمبتدي والمعنى
والذين جاهدوا المشركين لنصرة ديننا لنهدينهم سبلنا لنثبتهم على ما قاتلوا عليه وقيل لنزيدنهم
هدى كما قال تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وقيل لنهدينهم لاصابة الطريق المستقيمة

والطريق المستقيمة هي التي توصل الى رضى الله عز وجل وقال سفيان بن عيينة اذا اختلف
الناس فانظروا ما عليه اهل الثغور فان الله تعالى قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل
المجاهدة هي الصبر على الطاعات قال الحسن افضل الجهاد مخالفة الهوى وقال الفضيل بن
عياض والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به وقال سهل بن عبد الله والذين
جاهدوا في اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة قوله تعالى لمع المحسنين من اقامة الظاهر
مقام المضمر اظهارا لشرفهم والمعنى لمع المحسنين بالنصر والمعونة في دنياهم وبالثواب والمغفرة في عقباهم
روى ابو امامة عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المومنين والمنافقين صدق النبي صلوات الله وسلامه عليه

سورة الروم مكية

وهي ستون اية وثمان ماية وتسع عشر كلمة وثلاثة الاف وخمسماية واربعة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الم غلبت الروم وجه تعلق هذه السورة بما قبلها ان الله تعالى لما قال ولا تجادلوا
اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وكان يجادل المشركين بنسبتهم الى عدم العقل كما في قوله تعالى صم
بكم عمي فهم لا يعقلون وكان اهل الكتاب يوافقون النبي في الاله كما قال والهنا والهكم واحد وكانوا
يومنون بكثير مما يقوله بل كثير منهم كانوا مومنين به كما قال عز وجل والذين اتيناهم الكتاب
يومنون به ابغض المشركون اهل الكتاب وتركوا مراجعتهم وكانوا من قبل يراجعونهم في الامور
وكان بين فارس والروم قتال والمشركون يودون ان تغلب فارس الروم لان اهل فارس
كانوا مجوسا اميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم اهل كتاب فبعث كسرى
جيشا الى الروم استعمل عليهم رجلا يقال له شهريار وبعث قيصر جيشا واستعمل عليهم رجلا يدعا
يحنس فالتقيا باذرعات وبصرى وقال عكرمة رضي الله عنه اذرعات وكسكر وقال مجاهد
ارض الجزيرة وقال مقاتل الاردن وفلسطين وهي ادنى الشام الى ارض العرب والعجم فغلبت
فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق ذلك عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم
اهل كتاب والنصارى اهل كتاب ونحن اميون وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم
من الروم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله تعالى هذه الايات لبيان ان الغلبة لا
تدل على الحق بل الله قد يزيد في ثواب المومن فيبتليه ويسلط عليه الاعادي وقد يختار
تعجيل العذاب الادنى دون العذاب الاكبر قبل يوم الميعاد **فصل** قد تقدم ان كل
سورة افتتحت بحروف التهجي كان في اولها ذكر الكتاب او التنزيل او القران كقوله تعالى
الم ذلك الكتاب المص كتاب طه ما انزلنا عليك القران الم تنزيل الكتاب حم تنزيل من الرحمن
الرحيم يس والقران ق والقران الا هذه السورة وسورتين اخرتين ذكرناهما في العنكبوت
وذكرنا الحكمة فيهما هناك واما ما يتعلق بهذه السورة فنقول ان السور التي في اوايلها التنزيل
والكتاب والقران في اوايلها ذكر ما هو معجزة فقدم عليها الحروف على ما تقدم بيانه في العنكبوت
وفي اوايلها ذكر ما هو معجزة وهو الاخبار عن الغيب فقدمت الحروف التي لا يعلم معناها ليتنبه
السامع فيقبل بقلبه على الاستماع ثم يرد عليه المعجزة ويفرغ للاستماع قوله تعالى في ادنى
الارض وعم بعضهم ان العوض من الضمير وان الاصل في ادنى ارضهم وهو قول كوفي وهذا على
قول ان العرب كان من جهة بلادهم وامن يقول انه من جهة بلاد العرب فلا يتاتى ذلك وقرا
العامة غلبت مبنيا للمفعول وعلي بن ابي طالب وابو سعيد الخدري وابن عمر واهل الشام
رضي الله عنهم ببنايه للفاعل قوله تعالى وهم من بعد غلبهم اي الروم من بعد غلب
فارس اياهم والغلب والغلبة لغتان فعلى القراة الشهيرة تكون المصدر مضافا لمفعوله ثم هذا
المفعول اما ان يكون مرفوع المحل على ان المصدر المضاف اليه ماخوذ من مبني للمفعول على خلاف
ذلك واما منصوب المحل على ان المصدر من مبني للفاعل والفاعل محذوف تقديره من بعد ان
غلبهم عدوهم وهم فارس واما على القراة الثانية فهو مضاف لفاعله بل نقل بعضهم الاجماع

على سيغلبون مبنيا للفاعل فعلى الشهيرة واضح اي من بعد ان غلبتهم فارس سيغلبون فارس
واما على القراة الثانية فاخبر انهم سيغلبون ثانيا بعد ان غلبوا اولا وروي عن ابن عمر انه
قرا ببنايه للمفعول وهذا مخالف لما ورد في سبب الاية وما ورد في الاحاديث وقد يلايم
هذا بعض ملايمة من قرا غلبت مبنيا للفاعل وقد تقدم ان ابن عمر ممن قرا بذلك وقد خرج
النحاس قراة عبد الله بن عمر على تخريج حسن وهو ان المعنى وفارس من بعد غلبهم للروم
سيغلبون الا ان فيه اضمارا لم يذكر ولا جرى سبب ذكره قوله تعالى في بضع متعلق بما
قبله وتقدم تفسير البضع واشتقاقه في يوسف وقال الفرا الاصل في غلبهم غلبتهم
بتاء التانيث فحذفت للاضافة كاقامة الصلوة وغلطه النحاس بان اقام الصلاة قد
يقال فتمام ذلك لا علة لها واما هنا فلا ضرورة تدعو اليه وقرا ابن السميفع وابو حيوة
غلبهم بسكون اللام فيحتمل ان تكون تخفيفا شاذا وان تكون لغة في المفتوح كالظعن والظعن
فصل قوله تعالى في ادنى الارض اي ارض العرب لان الالف واللام للعهد والمعهود
عندهم ارضهم فان قيل اي فايدة في ذكر قوله من بعد غلبهم لان قوله سيغلبون بعد قوله
غلبت الروم لا يكون الا من بعد الغلبة فالجواب فايدته اظهار القدرة وبيان ان ذلك بامر
الله لان من غلب بعد غلبه لا يكون الا ضعيفا فلو كان غلبتهم بشوكتهم لكان الواجب ان يغلبوا
قبل غلبهم فاذا غلبوا بعد ما غلبوا دل على ان ذلك بامر الله فقال من بعد غلبهم ليتفكروا في
ضعفهم ويتذكروا انه ليس بقوتهم وانما ذلك بامر الله فقال من بعد غلبهم هو من الله وقوله
في ادنى الارض لبيان شدة ضعفهم اي انتهى ضعفهم الى ان وصل عدوهم الى طرف الحجاز وكسروهم
وهم في بلادهم ثم غلبوا حتى وصلوا الى المداين وبنوا هناك الرومية لبيان ان هذه الغلبة العظيمة
بعد ذلك الضعف العظيم باذن الله تعالى **فصل** قال في بضع سنين وهو ما
بين الثلاثة والعشرة فابهم الوقت مع ان المعجزة في تعيين الوقت اتم لان السنة والشهر واليوم
والساعة كلها معلومة عند الله وبينها لنبيه وما اذن له في اظهاره لان الكفار كانوا معاندين
والامور التي تقع في البلاد النايية تكون معلومة الوقوع بحيث لا يمكن انكارها لكن وقتها
يمكن الاختلاف فيه فالمعاند كان يتمكن من ان يرجف بوقوع الواقعة قبل الوقوع ليحصل
الخلاف في كلامه ولما نزلت الاية خرج ابو بكر رضي الله عنه الى الكفار فقال فرحتم بظهور
اخوانكم فلا تفرحوا فوالله ليظهرن الروم على فارس اخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم
فقام اليه ابي بن خلف الجمحي فقال كذبت فقال انت اكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا اجلا
اناحبك عليه والمناحبة المراهنة على عشر قلايص مني وعشر قلايص منك فان ظهرت الروم على
فارس غرمت وان ظهرت فارس غرمت وجعلوا الاجل ثلاث سنين فجا ابو بكر رضي الله عنه الى
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وذلك قبل تحريم القمار فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادده في الاجل فجعلها
ماية قلوص وماية قلوص الى تسع سنين قال قد فعلت وهذا يدل على علم النبي صلى الله عليه
وسلم بوقت الغلبة ثم ان ابي بن خلف خشي ان يخرج ابو بكر رضي الله عنه من مكة فاتاه فلزمه
وقال اني اخاف ان تخرج من مكة فاقم لي كفيلا فكفل له ابنه عبد الله بن ابي بكر رضي الله عنه
فلما اراد ابي بن خلف ان يخرج الى احد اتاه عبد الله بن ابي بكر فلزمه وقال والله لا ادعك
حتى تعطيني كفيلا فاعطاه كفيلا ثم خرج الى احد ثم رجع ابي بن خلف فمات بمكة من جراحته
التي جرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية
وذلك عند راس سبع سنين من مناحبتهم وقيل كان يوم بدر لم تمض تلك المدة التي عقدوا المناحبة
بينهم اهل مكة وصاحب قمارهم ابي بن خلف والمسلمون وصاحب قمارهم ابو بكر الصديق رضي الله
عنه وذلك قبل تحريم القمار حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمداين وبنوا الرومية
فقمر ابو بكر ابيا واخذ مال الخطر من ورثته وجاء به يحمله الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم تصدق به قوله تعالى من قبل ومن بعد العامة على بنايهما ضما لقطعهما عن
الاضافة واريد بهما اي من قبل الغلب ومن بعده او من قبل كل امر ومن بعده وانما بنيا على الضمة
لما قطعت عن الاضافة لان غير الضمة من الفتحة والكسرة يشبه ما يدخل عليهما وهو النصب والجر

اما النصب فنحو قولك جيت قبله او بعده واما الجر فنحو قولك من بعده ومن قبله فبني عليه الضمة لعدم
دخول مثلهما عليه في الاعراب وهو الرفع وحكى الفرا كسرهما من غير تنوين وغلطه النحاس وقال انما
يجوز من قبل ومن بعد يعني مكسورا منونا قال شهاب الدين رحمه الله وقد قرى بذلك ووجهه
انه لم ينو اضافتهما فاعربهما كقوله • فساغ لي الشراب وكنت قبلا اكاد اغص بالماء الفراح •
وقوله • ونحن قتلنا الاسد اسد خفية فما شربوا بعدا على لذة خمرا •
وحكي من قبل بالتنوين والجر ومن بعد بالبنا على الضم وقد خرج بعضهم ما حكاه الفرا على انه
قدر ان المضاف اليه موجود فترك الاول بحاله وانشد • بين ذراعي وجبهة الاسد • والفرق لائح
فان في اللفظ مثل المحذوف على خلاف في تقدير البيت ايضا **فصل** وعلى قراة عبد
الله بن عمر وابي سعيد الخدري والحسن وعيسى بن عمر رضي الله عنهم غلبت الروم بفتح الغين
واللام سيغلبون بضم اللام قالوا انزلت حين اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن غلبة الروم فارسا
والمعنى الم غلبت الروم فارسا في ادنى الارض اليكم وهم من بعد غلبهم سيغلبون المسلمين في بضع
سنين وهذا انقضا هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم والاول قول اكثر المفسرين وهو الاصح
لله الامر من قبل ومن بعد اي من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فاي الفريقين كان لهم
الغلبة فهو بامر الله وقضائه وقدره قوله تعالى ويومئذ اي اذ يغلب الروم فارسا والناصب
ليوم يفرح وقوله بنصر الله بنصر من التحسن وقد تقدم اخر الكهف وقوله بنصر الله الظاهر تعلقه
بيفرح وجوز ابو البقا ان يتعلق بينصر وهذا فيه تفكيك للنظم **فصل** المعنى ويومئذ
يفرح المومنون بنصر الله الروم على فارس قال السدي فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمومنون
بظهورهم على المشركين يوم بدر وظهور اهل الكتاب على اهل الشرك ينصر من يشا وهو العزيز الغالب
الرحيم بالمومنين قوله تعالى وعد الله مصدر موكد ناصبه مضمر اي وعدهم الله ذلك وعدا بظهور
الروم على فارس لا يخلف الله وعده وهذا مقرر لمعنى هذا المصدر ويجوز ان يكون قوله لا يخلف الله
وعده وهذا مقرر لمعنى هذا المصدر ويجوز ان يكون قوله لا يخلف الله وعده حالا من المصدر
فيكون كالمصدر الموصوف فهو مبين للنوع كانه قيل وعد الله وعدا غير مخلف ولكن اكثر الناس
لا يعلمون قوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا يعني معايشهم كيف يكتسبون ويتجرون
ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وكيف يبنون ويعرسون قال الحسن ان احدهم لينقر
الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه فلا يخطي وهو لا يحسن يصلي والمعنى ان علمهم منحصر في الدنيا بل لا
يعلمون الدنيا كما هي وانما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها وهو مضارها
ومتاعبها ولا يعلمون فناها وهم عن الاخرة غافلون ساهون جاهلون بها لا يتفكرون فيها
وذكرهم الثانية ليفيد ان الغفلة منهم والا فاسباب التذكير حاصلة قوله تعالى اولم يتفكروا
في انفسهم فقوله في انفسهم ظرف للتفكر حاصله وهي انفسهم لو تفكروا فيها لعلموا وحدانية الله تعالى
وصدقوا بالحشر اما الوحدانية فلان الله تعالى خلقهم في احسن تقويم ومن تفكر في الانسان
وحواسه راى في ذلك حكما كل واحدة منها كافية في كون الله فاعلا مختارا فاذا قادرا كاملا عالما
ومن يكون كذلك يكون واحدا والا لكان عاجزا عند ارادة شريكه ضد ما اراده واما دلالة الانسان
على الحشر فلانه اذا تفكر في نفسه يرى قواه صايرة الى الزوال واجزاءه مايلة الى الانحلال فله فنا
ضروري فلو لم يكن له حياة اخرى لكان خلقه على هذا الوجه عبثا واليه الاشارة بقوله تعالى
افحسبتم انما خلقناكم عبثا وهذا ظاهر لان من يفعل شيئا للعبث فلو بالغ في احكامه لضحك منه
فاذن خلقه لذلك للبقا ولا بقا دون اللقا بالاخرة فاذن لا بد من البعث ثم ان الله تعالى ذكر بعد
دليل الانفس دليل الافاق فقال ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى
فقوله الا بالحق اشارة الى وجه دلالتها على الوحدانية وقد بينا ذلك في قوله تعالى خلق
السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية للمومنين قوله تعالى ما خلق ما نافية وفي هذه
الجملة وجهان احدهما انها مستانفة لا تعلق لها بما قبلها والثاني انها معلقة للتفكر فتكون
في محل نصب على اسقاط الخافض ويضعف ان تكون استفهامية بمعنى النفي وفيه الوجهان المذكوران
والباء في بالحق اما سببية واما حالية قيل لاقامة الحق وقوله واجل مسمى تذكير بالاصل الاخر
الذي انكروه اي لوقت معلوم اذا انتهت اليه فنيت وهو يوم القيمة وان كثيرا من الناس بلقاء

ربهم لكافرون لا يعلمون انه لا بد بعد هذه الحيوة من لقاء وبقاء قوله بلقاء متعلق بالكافرون
واللام لا تمنع من ذلك لكونها في خبر ان فان قيل ما الحكمة في تقديمه هنا دلايل الانفس على دلايل
الانفس في قوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم فالجواب ان المفيد اذا افاد فايدة يذكرها
على وجه جيد يختاره فان فهمه السامع المستفيد فذاك والا يذكرها على وجه ابين منه وينزل درجة
فدرجة واما المستفيد فانه يفهم اولا الابين ثم يرتقي الى فهم ذلك الاخفى الذي لم يكن فهمه فيفهمه بعد
فهم الابين المذكور اخرا فالمذكور من المفيد اخرا مفهوم عند السامع اولا اذا علم هذا فنقول هنا الفعل
كان منسوبا الى السامع حيث قال اولم يتفكروا فقال في انفسهم يعني فيما فهموه اولا ولم يرتقوا الى ما فهموه
ثانيا واما في قوله سنريهم اياتنا في الافاق الامر منسوبا الى المفيد المسمع فذكر اولا الافاق فان لم
يفهموه فالانفس لان دلايل الانفس لا ذهول للانسان عنها واما دلايل الافاق فيمكن الذهول عنها
وهذا الترتيب مراعى في قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يعلمون الله
بدلايل الانفس في سائر الاحوال ويتفكرون في خلق السموات والارض بدلايل الافاق **فصل**
وجه دلالة الخلق بالحق على الوحدانية ظاهر واما وجه دلالته على الحشر فلان تخريب السموات
وعدمها لا يعلم بالعقل الا امكانه واما وقوعه فلا يعلم الا بالسمع لان الله تعالى قادر على ابقا الحوادث
ابدا كما انه يبقي الجنة والنار بعد احداثهما ابدا والخلق دليل امكان العدم لان المخلوق لم يجب له القدم
فجاز عليه العدم فاذا اخبر الصادق عن امر ممكن وجب على العاقل التصديق والاذعان لان العالم
لما كان خلقه بالحق ينبغي ان يكون بعد هذه الحيوة حيوة اخرى باقية لان هذه الحيوة ليست لعبا
ولهوا كما تبين بقوله وما هذه الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وخلق السموات والارض للهو واللعب
عبث والعبث ليس بحق فخلق السموات والارض بالحق يدل على انه لا بد بعد هذه الحيوة الدنيا من
حياة فان قيل ما الفايدة في قوله تعالى هاهنا كثيرا من الناس وقال من قبل ولكن اكثر الناس فالجواب
فايدته انه من قبل لم يذكر دليلا على الاصلين وهاهنا ذكر الدلايل الراسخة والبراهين اللايحة
ولا شك في ان الايمان بعد الدليل اكثر من الايمان قبل الدليل فبعد الدليل لا بد ان يومن من ذلك
الاكثر جمع فلا يبقى الاكثر كما هو فقال بعد اقامة الدليل وان كثيرا وقال قبله ولكن اكثر الناس
الاية بعد الدليل الذي لا يمكن الذهول عنه وهو السموات والارض لان من البعيد ان يذهل الانسان
عن السماء التي فوقه والارض التي تحته فلهذا ذكرها يقع الذهول عنه وهو امر امثالهم وحكاية
اشكالهم فقال تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وقال في الدلايل
المتقدمين اولم يروا اولم يتفكروا اذ لا حاجة هناك الى السير لحضور النفس والسما والارض وقال هنا اولم
يسيروا فينظروا واذكرهم بحال امثالهم ومال اشكالهم ثم ذكر انهم اولى بالهلاك لان من تقدم من عاد وثمود كانوا
اشد منهم قوة ولم ينفعهم قواهم واثاروا الارض حرثوها وقلبوها للزراعة ومنه البقرة تثير الارض
وقيل منه سمي ثورا واثم لا حراثة لكم وعمروها اكثر مما عمروها اهل مكة وقوله اكثر مما نعت مصدر محذوف
اي عمارة اكثر من عمارتهم وقرى واثاروا بالف بعد الهمزة وهي اشباع لفتحة الهمزة قوله وجاتهم رسلهم
بالبينات فلم يومنوا فاهلكهم الله فما كان الله ليظلمهم بنقص حقوقهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ببخس
حقوقهم قوله تعالى وكانوا اكثر مالا وعمارة ولم يمنعهم من الهلاك اموالهم وحصونهم قوله تعالى عاقبة
الذين قرا نافع وابن كثير وابو عمرو بالرفع والباقون بالنصب فالرفع على انها اسم كان وذكر الفعل لان
التانيث مجازي وفي الخبر حينئذ وجهان احدهما السواى اي الفعلة السوى او الخصلة السوى والثاني
ان كذبوا اي كان اخر امرهم التكذيب فعلى الاول يكون في ان كذبوا وجهان احدهما انه على اسقاط الخافض
اما لام العلة اي لان كذبوا واما باء السببية اي بان كذبوا فلما حذف الحرف جرى القولان المشهوران بين
الخليل وسيبويه في محل ان والثاني انه بدل من السوى اي ثم كان عاقبتهم التكذيب وعلى الثاني يكون
السوى مصدرا لاساوا او يكون نعتا لمفعول محذوف اي اساوا الفعلة السوى والسوى تانيث للاسوا
وجوز بعضهم ان يكون خبر كان محذوفا للابهام والسوى اما مصدر واما مفعول كما تقدم اي اقترفوا الخطية
السوى اي كان عاقبتهم الدمار واما النصب فعلى خبر كان وفي الاسم وجهان احدهما اي ان كانت الفعلة السوى
عاقبة المسيين وان كذبوا على ما تقدم والثاني ان الاسم ان كذبوا والسوى على ما تقدم المعنى ثم كان عاقبة
الذين اساوا السوى بمعنى الخلة التي تسوهم وهي النار وقيل السوى اسم لجهنم كما ان الحسنى اسم للجنة ان
كذبوا اي لان كذبوا وقيل تفسير السوى ما بعده وهو قوله ان كذبوا يعني ثم كان عاقبة المسيين التكذيب

حلهم تلك البليات على ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزءون قوله تعالى يبدا الله الخلق ثم
يعيده اي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت احيا ولم يقل يعيدهم رده الى الخلق ثم اليه يرجعون فيجزيهم
باعمالهم قرا ابو بكر وابو عمرو يرجعون بالياء والاخرون بالتاء قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يبلس
المجرمون قراءة العامة يبلس ببنائه للفاعل وهو المعروف يقال ابلس الرجل اي انقطعت حجته فسكت
فهو قاصر لا يتعدى قال العجاج • يا صاح هل تعرف رسما مكرسا • قال نعم اعرفه وابلسا •
وقرا السلمي يبلس مبنيا للمفعول وفيه بعد لان ابلس لا يتعدى وقد خرجت هذه القراءة على ان القائم
مقام الفاعل مصدر الفعل ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه اذ الاصل يبلس ابلاس المجرمين
ويبلس هو الناصب ليوم تقوم ويومئذ مضاف لجملة تقديرها يومئذ تقوم وهذا لانه تاكيد لفظي
اذ يصير التقدير يبلس المجرمون يوم تقوم الساعة **فصل** قال قتادة رحمه الله تعالى
والكلبي المعنى ييئس المشركون من كل خير وقال الفرا ينقطع كلامهم وحججهم وقال مجاهد يفتضحون
ولم يكن لهم من اصنامهم التي عبدوها ليشفعوا لهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين متبرئين يتبرؤن منها
ويتبرا منهم قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي يتميز اهل الجنة من اهل النار
وقال مقاتل رحمه الله يتفرقون بعد الحساب الى الجنة والنار فلا يجتمعون ابدا كما قال تعالى
فريق في الجنة وفريق في السعير قوله تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة
وهي البستان الذي في غاية النضارة وقوله يحبرون قال ابن عباس رضي الله عنه يكرمون
وقال قتادة ومجاهد ينعمون وقال مجاهد وابو عبيدة يسرون والحبر والحبور السرور وقيل
الحبرة في اللغة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين يقال هو حسن الحبر والحبر بكسر الحاء والسين وفتحها
وفي الحديث حبرته لك تحبيرا اي حسنت صوتي اليك بالقران تحسينا وجا في الحديث يخرج من النار
رجل ذهب حبره وسبره فالمفتوح مصدر والمكسور اسم والروضة الجنة وقيل ولا تكون روضة الا وفيها
نبت وقيل الا وفيها ما وقيل فيها ما كانت منخفضة والمرتفعة يقال لها ترعة وقيل لا يقال لها
روضة الا وهي في مكان غليظ مرتفع قال الاعشى ما روضة من رياض الحزن معشبة خضرا جاد
عليها مسبل هطل واصل رياض رواض فقلبت الواو ياء على حد حوض وحياض ونكر الروضة للتعظيم
وقال ههنا يحبرون بصيغة الفعل ولم يقل محبورون وقال في الاخرى محضرون بصيغة الاسم
ولم يقل يحضرون لان الفعل يدل على التجدد والاسم لا يدل عليه فقوله يحبرون يعني كل ساعة
ياتيهم ما يسرون به وقوله محضرون اي الكفار في العذاب يبقون فيه محضرون قوله تعالى
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون اي سبحوا الله ومعناه صلوا لله حين تمسون تدخلون
في المسا وهو صلاة المغرب والعشا اي تدخلون في الصباح وهو صلاة الصبح وله الحمد في السموات
والارض قال ابن عباس رضي الله عنه يحمده اهل السموات والارض ويصلون وعشيا اي صلوا
لله عشيا يعني صلاة العصر وحين تظهرون تدخلون في الظهيرة وهي صلاة الظهر قال نافع
الازرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القران قال نعم وقرا هاتين الايتين وقال
جمعت الاية الصلوات الخمس ومواقيتها وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل
زبد البحر وقال صلوات الله وسلامه عليه من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده
مائة مرة لم يات احد يوم القيامة افضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه وقال صلى
الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان
الله وبحمده سبحان الله العظيم قوله تعالى تمسون وتصبحون تامان اي يدخلون في المسا
والصباح كقولهم اذا سمعت ببركي الغمد فاعلم بانه مصبح اي مقيم في الصباح والعامة على اضافة
الظرف الى الفعل بعده وقرا عكرمة رحمه الله حينا بالتنوين والجملة بعده صفة له والعائد حينئذ
محذوف اي تمسون فيه كقوله عز وجل واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده والناصب لهذا الظرف
سبحان لانه ناب عن عامله قوله تعالى وعشيا عطف على حين وما بينهما اعتراض وفي السموات
يجوز ان يتعلق بنفس الحمد اي ان الحمد يكون في هذين الظرفين قوله تعالى يخرج الحي من الميت
ويخرج الميت من الحي قد تقدم خلاف القرا في تخفيف الميت وتثقيله وكذا قوله يخرجون في
سورة الاعراف وكذلك نعت مصدر محذوف اي ومثل ذلك الاخراج العجيب يخرجون واعلم ان وجه

تعلق

تعلق اخراج الحي من الميت والميت من الحي بما قبله هو ان عند الاصباح يخرج الانسان من سنة
الموت الى وهو النوم الى سنة الوجود وهي اليقظة وعند العشا يخرج الانسان من اليقظة الى
النوم واختلف المفسرون في قوله تعالى يخرج الحي من الميت فقال اكثرهم يخرج الدجاجة من البيضة
والبيضة من الدجاجة وكذلك الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان وقيل يخرج المومن من
الكافر والكافر من المومن ثم قال عز وجل ويحيي الارض بعد موتها وفي هذا معنى لطيف وهو ان
الانسان بالموت تبطل حواسه واما نفسه الناطقة فتفارقه وتبقى بعده كما قال تعالى ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا لكن الحيوان تام متحرك حساس لكن النائم لا يتحرك ولا يحس والارض
الميتة لا تكون فيها نما ثم النائم بالانتباه يتحرك ويحس والارض الميتة بعد موتها ينمو نباتها فكما
ان تحريك ذلك الساكن وانما هذا الواقف سهل على الله كذلك احيا الميت سهل على الله والى هذا
اشار بقوله تعالى وكذلك تخرجون قوله تعالى ومن اياته ان خلقكم مبتدا وخبر اي ومن جملة علامات
توحيده وهو ادم من تراب او انه خلقنا من نطفه والنطفة من الغذا والغذا انما يتولد من الماء
والتراب على ما تقدم شرحه ثم اذا انتم بشر تنتشرون في الارض والترتيب والمهلة هنا ظاهران
فانهم انما يصيرون بشرا بعد اطوار كثيرة وتنتشرون حال واذا هي الفجائية الا ان الفجائية اكثر ما تقع
بعد الفا لانها تقتضي التعقيب ووجه وقوعها مع ثم بالنسبة الى ما يليق بالحالة الخاصة اي بعد
تلك الاطوار التي قصها علينا في مواضع اخر من كوننا نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما مجردا ثم
عظما مكسوا لحما فاجا البشرية والانتشار قوله تعالى ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا من
انفسكم يعني من بني ادم وقيل خلق حوى من ضلع ادم لتسكنوا اليها والصحيح ان المراد من جنسكم
كما قال تعالى لقد جاكم رسول من انفسكم ويدل عليه قوله عز وجل لتسكنوا اليها يعني ان الجنسين
المختلفين لا يسكن احدهما الى الاخر اي لا يثبت نفسه معه ولا يميل قلبه اليه وجعل بينكم مودة ورحمة
قيل مودة بالمجامعة ورحمة للولد تمسكا بقوله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا وقيل جعل بين الزوجين
المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان وما من شي احب الى احد من الاخر من غير رحم بينهما ان في
ذلك يحتمل ان يكون المراد منه ان في خلق الازواج لايات ويحتمل ان يقال ان في جعل المودة
والرحمة بينهم ايات لقوم يتفكرون في عظمة الله وقدرته قوله تعالى ومن اياته خلق السموات
والارض لما بين دلائل الانفس ذكر دلائل الافاق واظهرها خلق السموات والارض ثم لما اشار
الى دلائل الانفس والافاق ذكر ما هو من صفات الانفس وهو قوله تعالى واختلاف السنتكم اي
لغاتكم من عرب وعجم مع تنوع كل من الجيلين الى انواع شتى لا سيما العجم فان لغاتهم مختلفة وقيل
المراد بالالسنة الجوارح وقيل المراد بالالسن اختلاف الاصوات واما اختلاف الالوان فالمراد
ابيض واسود واحمر وانتم ولد رجل واحد وامراة واحدة وقيل المراد باختلاف الالوان الذي
بين الوان الانسان فان واحدا منهم مع كثرة عددهم وصغر حجم خدودهم لا يشتبه بغيره والسموات
مع كبرها وقلة عددها مشتبهات في الصورة ان في ذلك لايات للعالمين قرا حفص بكسر اللام جعله
جمع عالم ضد الجاهل ونحوه وما يعقلها الا العالمون والباقون بفتحها لانها ايات لجميع الناس وان
كان بعضهم يغفل عنها وقد تقدم اول الفاتحة الكلام في العالمين قيل هو جمع او اسم جمع قوله تعالى
ومن اياته منامكم بالليل والنهار لما ذكر الاعراض اللازمة وهي الاختلاف ذكر الاعراض المفارقة من
جملتها النوم بالليل والحركة بالنهار طلبا للرزق فقيل في الاية تقديم وتاخير ليكون كل واحد مع ما يلائمه
والتقدير ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله بالنهار فحذف حرف الجر لاتصاله
بالليل وعطفه لان حرف العطف قد يقوم مقام الجار والاحسن ان يجعل على حاله النوم بالنهار
مما كانت العرب تعده نعمة من الله ولا سيما في اوقات القيلولة في البلاد الحارة وقوله وابتغاؤكم
من فضله اي فيهما فان كثيرا ما يكتسب الانسان بالليل ويدل على الاول قوله تعالى وجعلنا اية
النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم وقوله تعالى جعلنا الليل لباسا والنهار معاشا ثم قال عز
وجل ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار وقال تعالى ههنا لقوم يسمعون ومن قبل
لقوم يتفكرون وقال للعالمين لان المنام بالليل والابتغاء لا يظهر للجاهل والعاقل انهما مما يقتضيه طبع
الحيوان فلا يظهر لكل احد كونهما من نعم الله عز وجل فلم يقل ايات للعالمين ولان الامرين الاولين وهو
اختلاف الالسنة والالوان من اللوازم والمنام والابتغا من الامور المفارقة فالنظر اليهما لا يدوم

لزوالهما في بعض الاوقات ولا لذلك اختلاف الالسنة والالوان فانهما بدومان بدوام الانسان
فجعلهما ايات عامة واما قوله عز وجل لقوم يتفكرون فان من الاشيا ما يعلم من غير تفكر ومنها
ما يكفي فيه مجرد الفكرة ومنها ما يحتاج الي موقف يوقف عليه ومرشد يرشد اليه فيفهمه اذا سمعه
من ذلك المرشد ومنها ما يحتاج بعض الناس في تفهمه الي امثلة حسية كالاشكال الهندسية لان
خلق الارواح لا يقطع لاحداثه بالطبع الا اذا كان جامد الفكر فاذا تفكر علم كون ذلك الخلق ايه
واما المنام والابتغا فقد يقع لكثير انها من افعال العباد وقد يحتاج الي مرشد بعين فكره فقال
تعالي لقوم يسمعون ويجعلون بالمهوم كلام المرشد قوله تعالي ومن اياته يريكم البرق خوفا
وطمعا لما ذكر العرضيات اللازمة لا تنفك والمفارقة ذكر العرضيات التي تنفك فان قوله تعالي
يريكم البرق فيه اوجه اظهرها الموافق لاخواته ان تكون جملة من مبتدا وخبر الا انه حذف الحرف
المصدري ولما حذف بطل عمله والاصل ومن اياته ان يريكم لقوله الا ايها ذا الزاجري احضر
الوغي الثاني ان من اياته متعلق بيريكم او بمحذوف علي انه حال من البرق والتقدير ويريكم
البرق من اياته فيكون قد عطف جملية علي جملة اسمية والثالث ان يريكم البرق صفة لموصوف
محذوف اي ومن اياته انه يريكم بها او فيها البرق فحذف الموصوف والعايد عليه ومثله وما
الدهر الا تارتان فمنهما اموت اي فمنهما تارة اموت فيها الرابع ان التقدير ومن اياته سحاب
او شي يريكم فيريكم صفة لذلك المقدر وفاعل يريكم ضمير يعود عليه بخلاف الوجه قبله فان
الفاعل ضمير الباري **فصل** المعنى يريكم البرق خوفا للمسافر من الصواعق وطمعا
للمقيم والمطر وينزل من السما ما فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون
فصل قدم لوازم الانس على العوارض المفارقة حيث ذكر ولا اختلاف الالسنة
والالوان ثم المنام والابتغا وقدم في الافاق العوارض المفارقة على اللوازم حيث قال
تعالي يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل عليكم وذلك لان الانسان متغير الحال فالعوارض
له غير بعيده واما اللوازم فغريبه واما السموات والارض فقليلة التغير فالعوارض فيها
اغرب من اللوازم فقدم ما هو عجيب لكونه ادخل في كونه ايه وايضا فان الانسان يتغير
حاله بالكبر والصغر والصحة والسقم وله صوت يعرف به لا يتغير وله لون يتميز به عن
غيره وهو يتغير بذلك في الاحوال وذلك لا يتغير وهوايه عجيبة والسما والارض ثابتان
لا يتغيران ثم ترى في بعض الاحوال امطارها هاطلة وبروقها بايلة والسما كما كانت والارض
كما كانت وذلك ايه تدل على فاعل مختار يديم امرا مع تغير المحل ويزيل امرا مع ثبات المحل
فصل كما قدم السما على الارض قدم ما هو من السما وهو البرق والمطر على ما هو
من الارض وهو الانبات والاحيا وكما ان في انزال المطر وانبات الشجر منافع لذلك في
تقديم الرعد والبرق على المطر منفعة وهي ان البرق اذا لاح فالذي لا يكون تحت كن
يخاف الابتلال فيستعد له والذي له صهريج او مصنا يحتاج الي الما او زرع يسوي مجاري
الما وايضا اهل البوادي لا يعلمون البلاد المعشبة ان لم يكن قدرا والبرق اللايح من جانب
دون جانب واعلم ان دلايل فوايده وان لم يظهر للمقيمين في البلاد فهي ظاهرة للبادين
فلهذا جعل تقديم البرق على تنزيل الما من السما نعمة واية اما كونه اية فلان الذي في
السحاب ليس الاما وهوا وخروج النار منهما بحيث تحرق الجبال في غاية البعد فلا بد
له من خالق هو الله الذي لا اله الا هو قالت الفلاسفة السحاب فيه كثافة ولطافة
بالنسبة الي الهوا والما فالهوي الطف منه والما اكثف فاذا هبت ريح قوية تحرك السحاب
تعنف فيحدث صوت الرعد ويخرج منه النار كما ان النار تخرج من وقع الحجر على الحديد
فان قيل الحديد والحجر جسمان صلبان والسحاب والريح جسمان لينان فيقول لكن حركة
يد الانسان ضعيفة وحركة الريح قوية تقلع الاشجار فيقول لهم الرعد والبرق امران
حادثان لا بد لهما من سبب وقد علم بالبرهان كون كل حادث من الله فهما من الله تعالى
ثم نقول هب ان الامر كما تقولون فهبوب تلك الريح القوية من الامور الحادثة العجيبة فلا
بد لها من سبب وينتهي الي واجب الوجود فهو اية للعاقل على قدرة الله تعالى لقوم
يتفكرون كيف ما فرضتم فان قيل ما الحكمة في قوله ههنا ايات لقوم يعقلون وقوله تعالى

فيما تقدم لقوم يتفكرون فالجواب لما كان حدوث الولد من الوالد امرا عاديا مطردا دليل الاختلاف
كان يتطرق الي الاوهام العامية ان ذلك بالطبيعة لان المطرد اقرب الي الطبيعة من المختلف
والبرق والمطر ليس امرا مطردا غير مختلف بل يختلف اذ يقع ببلدة دون بلدة وفي وقت
دون وقت وتارة تكون قويا وتارة يكون ضعيفا فهو اظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار
فقال هو اية لمن له عقل وان لم يتفكر تفكرا تاما قوله تعالى ومن اياته ان تقوم السما والارض
بامره قال ابن مسعود رضي الله عنه قامتا على غير عمد بامره واعلم انه ذكر من لوازم السما
والارض قيامها فان الارض لثقلها يتعجب الانسان من وقوفها وعدم نزولها وكون السما في
علوها يتعجب وثباتها من غير عمد وهذا من اللوازم فان الارض لا تخرج عن مكانها الذي هي
فيه فان قيل بانها تتحرك في مكانها كالرحا ولكن اتفق العقلا على انها في مكانها لا تخرج عنه
وهذا ايه ظاهرة لان كونهما في الموضع الذي هما فيه وعلى الموضع الذي هما عليه من الامور
الممكنة وكونهما في غير ذلك الموضع جايز فكان يمكن ان يخرجا منه فلما لم يخرجا كان ذلك ترجيحا
للجايز على غيره وذلك لا يكون الا بفاعل مختار وقالت الفلاسفة كون الارض في المكان الذي
هي فيه طبيعي لها لانها اثقل الاشيا والثقيل يطلب المركز والخفيف يطلب المحيط وكون كل
السما في مكانها ان كانت ذات مكان فلذاتها فقيامها فيه لطبعها واجيبوا بانكم وافقتمونا بان
ما جاز على احد المثلين جاز على المثل الاخر لكن مقعرا لفلك لا يخالف محدبه في الطبع فيجوز
حصول مقعره في موضع محدبه وذلك بالخروج والزوال فاذن يتطرق الزوال اليه عن المكان
ممكن لا سيما على السما الدنيا فانها ليست محدده للجهات على مذهبكم ايضا والارض كانت تجوز
عليها الحركة الدورية كما تقولون على السما فعدمها وسكونها ليس الا بفاعل مختار **فصل**
ذكر الله تعالى من كل باب امرين اما من الانفس فقوله تعالى خلقكم وخلق لكم واستدل بخلق
الزوجين ومن الافاق السما والارض فقال عز وجل خلق السموات والارض ومن لوازم اللسان
واختلاف الالوان ومن عوارض الافاق البرق والامطار ومن لوازمها قيام السما والارض لان
الواحد يكفي للاقرار بالحق والثاني يفيد الاستقرار ومن هذا اعتبر شهادة شاهدين فان قول
احدهما يفيد الظن وقول الاخر يفيد تاكيده ولهذا قال ابراهيم صلوات الله عليه بلى ولكن ليطمئن
قلبي **فصل** قوله تعالى بامره اي بقوله قوما او بارادته قيامها لان الامر عند المعتزلة
موافق للاراده وعندنا ليس كذلك ولكن لا نزاع في امر التكليف لا في امر التكوين فانا لا ننازعهم
في ان قوله كن وكوني وكونوا موافق للارادة فان قيل ما الفايدة في قوله ههنا ومن اياته ان
تقوم وقال قبله ومن اياته يريكم ولم يقل ان يريكم ليصير كالمصدر بان فالجواب ان القيام لما كان
غير متجدد اخرج الفعل بان عن الفعل المستقبل ولم يذكر معه الحروف المصدرية فان قيل ما الحكمة
في انه ذكر ست دلايل وذكر في اربعة منها ان في ذلك لايات ولم يذكر في الاول وهو قوله تعالى
ومن اياته ان خلقكم من تراب ولا في الاخر وهو قوله تعالى ومن اياته ان تقوم السما والارض
فالجواب اما الاول فلان قوله بعده ومن اياته ان خلق لكم ايضا دليل الانفس فخلق الانفس
وخلق الازواج من باب واحد على ما تقدم من انه تعالى ذكر من كل باب امرين للتقرير والتوكيد
فلما قال تعالى في الثانية ان في ذلك لايات كان كان عايدا اليهما واما في قيام السما والارض
فلانه ذكر في الايات السماوية انها اية للعالمين ولقوم يعقلون وذلك لظهورها فلما كان في
اول الامر ظاهرا فني اخر الامر بعد سرد الدلايل يكون اظهر فلم يميز احدا في ذلك عن الاخر ثم انه تعالى
لما ذكر الدليل على القدرة والتوحيد ذكر مدلوله وهو قدرته على الاعادة فقال سبحانه ثم اذا
دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون وجه العطف بثم وبم تعلق فمعناه انه تعالى اذا بين
لكم كمال قدرته بهذه الايات بعد ذلك يخبركم ويعلمكم انه اذا قال للعظام الرميمة اخرجوا من
الاجداث يخرجون احيا قوله تعالى من الارض فيه اوجه اظهرها انه متعلق بدعاكم الثاني
انه متعلق بمحذوف صفة لدعوة الثالث انه متعلق بمحذوف يدل عليه يخرجون اي خرجتم من
الارض ولا جايز ان يتعلق بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها **فصل** قول
القايل دعا فلان فلانا من الجبل يحتمل ان يكون الدعا من الجبل كما يقول القايل فلان اصعد الي
الجبل فيقال دعاه من الجبل ولا يخفى على العاقل ان الدعا لا يكون من الارض اذا كان الداعي

ويحتمل ان يكون المدعو يدعى من الجبل كما يقول القايل يا فلان انزل من الجبل فيقال دعاه من الجبل ولا يخفى على العاقل ان الدعا لا يكون من الارض اذا كان الداعي هو الله تعالى والمدعو يدعى من الارض بمعنى انكم في الارض فيدعوكم منها فتخرجون واذا هي الفجائية قال اكثر العلما معنى الاية ثم اذا دعاكم دعوة اذا انتم تخرجون من الارض

فصل

قال ههنا اذا انتم تخرجون وقال تعالى في خلق الانسان اولا اذا انتم بشر تنتشرون لان هناك يكون خلق وتقدير وتدريج وتراخي حتى يصير التراب قابلا للحيوة فينفخ فيه روحه فاذا هو بشر واما في الاعادة فلا يكون تدريج وتراخي بل يكون نداء وخروج فلم يقل ههنا ثم قوله تعالى وله من في السموات والارض كل له قانتون قال ابن عباس رضي الله عنه كل له مطيعون في الحياة والفنا والموت والبعث وان عصوا في العبادة وقال الكلبي هذا خاص لمن كان منهم مطيعا ولما ذكر الايات التي تدل على القدرة على الحشر الذي هو الاصل الاخر والوحدانية التي هي الاصل الاول اشار اليهما بقوله تعالى وله من في السموات والارض ونفس السموات والارضين له وملكه فكل له منقادون قانتون والشريك يكون منازعا فلا شريك له اصلا ثم ذكر المدلول الاخر فقال تعالى وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده يخلقهم اولا ثم يعيدهم بعد الموت للبعث قوله تعالى وهو اهون عليه في اهون قولان احدهما انها للتفضيل على بابها وعلى هذا يقال كيف يتصور التفضيل والاعادة والبداة بالنسبة الى الله تعالى على حد سواء وفي ذلك اجوبة احدها ان ذلك بالنسبة الى اعتقاد البشر باعتبار المشاهدة من ان اعادة الشي اهون من اختراعه لاحتياج الابتدا الى اعمال فكر غالبا وان كان هذا منتفيا عن الباري فخوطبوا بحسب ما الفوه الثاني ان الضمير في عليه ليس عايدا على الله تعالى انما يعود على الخلق اي والعود اهون على الخلق اي اسرع لان البداة فيها تدريج من طور الى طور الى ان صارت اناسا والاعادة لا تحتاج الى هذه التدريجات فكانه قيل وهو اقصر عليه وايسر واقل انتقالا وهي رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه وقد يجي افعل بمعنى الفاعل كقول الفرزدق

ان الذي سمك السما بنا لنا • بيتا دعايمه اعز واطول

اي عزيزة طويلة الثالث ان الضمير في عليه يعود على المخلوق بمعنى والاعادة اهون على المخلوق اي اعادته شيا بعدما انشاه هذا في عرف المخلوقين فكيف ينكرون ذلك في جانب الله تعالى والثاني ان اهون ليست للتفضيل بل هي صفة بمعنى هين كقولهم الله اكبر اي الكبير والمعنى تعودون بصيحة واحدة فتكونون اهون عليهم من ان تكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا الى ان يصيروا رجالا ونساء وهي رواية الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه والظاهر عود الضمير في عليه على الباري تعالى ليوافق الضمير في قوله تعالى وله المثل قال الزمخشري فان قلت لم اخرت الصلة في قوله وهو اهون عليه وقدمت في قوله تعالى هو علي هين قلت هنالك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا عندك ان يولد بين هم وعاقر فلذلك على هين لا على غيري واما هنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر مبني على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتدا فلو قدمت الصلة لتغير المعنى قال ابو حيان ومبنى كلامه على ان التقديم يفيد الاختصاص وقد تقدم منعه قال شهاب الدين رحمه الله الصحيح انه يفيده وتقدم جميع ذلك قوله تعالى وله المثل الاعلى يجوز فلا يجوز ان يكون مرتبطا بما قبله وهو قوله وهو اهون عليه اي قد ضربه لكم مثلا فيما يسهل ويصعب واليه نحا الزجاج او بما بعده من قوله عز وجل ضرب لكم مثلا من انفسكم وقيل المثل الوصف اي الصفة العليا قال ابن عباس رضي الله عنه انه ليس كمثله شي وقال قتادة هي انه لا اله الا هو وقوله تعالى في السموات يجوز ان يتعلق بالاعلى اي انه على في هاتين الجهتين ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الاعلى او من المثل او من الضمير في الاعلى فانه يعود على المثل وهو العزيز في ملكه الحكيم في خلقه قوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم اي اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شي منكم وهو انفسكم ثم بين المثل فقال عز وجل هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركا فيما رزقناكم من المال والمعنى ان من يكون له مملوك لا يكون شريكا له في ماله فكيف يجوز ان يكون عباد الله شركا له وكيف يجوز ان تكون لهم عظمة الله

تعالى

تعالى حتى يعبدوا وقوله تعالى من شركا مبتدا ومن مزيدة فيه لوجود شرطي الزيادة وفي خبره وجهان احدهما الجار الاول وهو لكم ومما ملكت يجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من شركا لانه في الاصل نعت نكرة قدم عليها والعامل فيه العامل في هذا الجار الواقع خبرا والخبر مقدر بعد المبتدا وفيما رزقناكم متعلق بشركا وما في مما بمعنى النوع تقديره لكم هل شركا فيما رزقناكم كاينون من النوع الذي ملكته ايمانكم مستقرون لكم فكاينون هو الوصف المتعلق به مما ملكت ولما تقدم صار حالا ومستقرون هو الخبر الذي تعلق به لكم والثاني ان الخبر مما ملكت ولكم متعلق بما تعلق به الخبر او بمحذوف على انه حال من شركا او بنفس شركا كقولك لك في الدنيا محب فلك متعلق بمحب وفي الدنيا هو الخبر قوله تعالى فانتم فيه سوا هذه الجملة جواب للاستفهام الذي بمعنى النفي وفيه متعلق بسوا قوله تعالى تخافونهم فيه وجهان احدهما انه خبر ثان لانتم تقديره فانتم مستوون معهم فيما رزقناكم خايفوهم كخوف بعضكم بعضا ايها السادة والمراد نفي الاشيا الثلاثة اعني الشركة والاستوا مع العبيد وخوفهم اياهم وليس المراد ثبوت الشركة ونفي الاستوا والخوف كما هو احد الوجهين في قولك ما تاتينا فتحدثنا بمعنى ما تاتينا محدثا بل تاتينا ولا تحدثنا بل المراد نفي الجميع كما تقدم وقال ابو البقا رحمه الله فانتم فيه سوا الجملة في موضع نصب على جواب الاستفهام اي هل لكم فتستووا انتهى وفيه نظر كيف يجعل اسمية حالة محل جملة فعلية ويحكم على موضع الاسمية بالنصب باضمار ناصب هذا ما لا يجوز ولو انه فسر المعنى وقال ان الفعل لو حل بعد الفا لكان منصوبا باضمار ان لكان صحيحا ولا بد ان يبين ايضا ان النصب على المعنى الذي قدمته من نفي الاشيا الثلاثة والوجه الثاني ان تخافونهم في محل نصب على الحال من ضمير الفاعل في سوا اي فتساووا خايفا بعضكم من بعض مشاركته له في المال اي اذا لم ترضوا ان يشارككم عبيدكم في المال فكيف يشركون بالله من هو مصنوع له قاله ابو البقا وقال ابن الخطيب معنى حسنا وهو ان بين المثل والممثل به مشابهة ومخالفة فالمشابهة معلومة والمخالفة من وجوه احدها قوله تعالى من انفسكم اي من نفسكم مع حقارة الانفس ونقصها وعجزها وقاس نفسه عليكم مع جلالتها وعظمتها وقدرتها وكمالها وثانيها قوله تعالى مما ملكت ايمانكم اي عبيدكم لكم عليهم ملك اليمين والملك طار قابل للنقل والزوال اما النقل فبالبيع وغيره واما الزوال فبالعتق ومملوكه تعالى لا خروج له عن الملك فاذا لم يجز ان يكون مملوك يمينكم شريكا لكم مع انه يجوز ان يصير مثلكم من جميع الوجوه بل هو في الحال مثلكم في الادمية حالة الرق حتى انكم ليس لكم تصرف في روحه وادميته بقطع وقتل وليس لكم منعهم من العبادة وقضا الحاجة فكيف يجوز ان يكون مملوك الله الذي هو مملوكه من جميع الوجوه وهو مباين له بالكلية شريكا له وثالثها قوله عز وجل مما رزقناكم يعني الذي لكم هو في الحقيقة ليس لكم بل هو لله ومن رزقه حقيقة فاذا لم يجز ان يكون لكم شريك فيما هو لكم من حيث الاسم فكيف يجوز ان يكون له شريك فيما هو له من حيث الحقيقة ورابعها قوله تعالى فانتم فيه سوا اي هل انتم ومماليكم في شي مما تملكون انتم ليس كذلك فلا يكون لله شريك في شي لان كل شي هو لله واما تدعون الالهية لا يملك شيا اصلا ولا مثقال ذرة من خردل فلا يعبد لعظمته ولا لمنفعة تعبل اليكم منه وايضا فانتم ومماليكم سوا ليس كذلك لان المملوك ليس له عندكم حرمة الاحرار واذا لم يكن للمملوك مع مساواته اياكم في الحقيقة والصفة عندكم حرمة فكيف يكون حال المماليك الذين لا مساواة بينهم وبين المالك بوجه من الوجوه والى هذا اشار بقوله تخافونهم كخيفتكم انفسكم انتهى وانما ذكرت هذا المعنى مبسوطا لانه مبين لما ذكرته من وجوه الاعراب قوله تعالى كخيفتكم اي خيفة مثل خيفتكم والعامة على نصب انفسكم لان المصدر مضاف لفاعله وقرا ابن ابي عبلة بالرفع على اضافة المصدر لمفعوله واستقبح بعضهم هذا اذا وجد الفاعل وقال بعضهم ليس بقبيح بل يجوز اضافته الى كل منهما اذا وجد وانشد

افنى تلادي وما جمعت من نشب • قرع القوازير افواه الاباريق

بنصب الافواه ورفعها قوله تعالى كذلك نفصل اي مثل ذلك التفصيل البين نفصل وقرا ابو عمرو في رواية يفصل بيا الغيبة ردا على قوله ضرب لكم والباقون بالتكلم ردا على قوله رزقناكم والمعنى نبين بالايات والدلايل والبراهين القطعية والامثلة لقوم يعقلون ينظرون الى هذه

الدلايل بعقولهم والامر لا يخفى بعد ذلك الا على من لا يكون له عقل قوله تعالى بل اتبع الذين
ظلموا اهواهم اي لا يجوز ان يشرك مالك مملوكه ولكن الذين ظلموا اي اشركوا اتبعوا اهواءهم
في الشرك من غير علم اي من غير دليل جهلا بما يجب عليهم ثم بين ان ذلك بارادة الله عز وجل بقوله
فمن يهدي من اضل الله اي هولا اضلهم الله فلا هادي لهم فلا يحزنك قولهم ثم قال عز وجل
وما لهم من ناصرين ما نعين يمنعونهم من عذاب الله تعالى قوله تعالى فاقم وجهك للدين
حنيفا اي اخلص دينك لله قال سعيد بن جبير رضي الله عنه واقامة الوجه اقامة الدين
وقال غيره سدد عملك والوجه ما يتوجه اليه وقيل اقبل بكلك على الدين عبر عن الذات بالوجه
كقوله تعالى كل شي هالك الا وجهه اي ذاته بصفاته قوله تعالى حنيفا حال من فاعل اقم
او من مفعوله او من الدين ومعنى حنيفا اي مايلا اليه مستقيما عليه وقيل عن كل شي لا يكون في
قلبك شي اخر وهذا قريب من معنى قوله تعالى ولا تكونن من المشركين قوله تعالى فطرة الله
فيه وجهان احدهما انه مصدر موكد لمضمون الجملة كقوله تعالى صبغة الله وصنع الله والثاني
انه منصوب باضمار فعل قال الزمخشري اي الزموا فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة
لقوله تعالى منيبين اليه وهو حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا
معطوف على هذا المضمر ثم قال او عليكم فطرة الله ورده ابو حيان بان كلمة الاغرا لا تضمر اذ هي
عوض عن الفعل فلو حذفها لزم حذف العوض والمعوض عنه وهو اجحاف قال شهاب الدين
رحمه الله هذا راي البصريين واما الكسايي واتباعه فيجيزون ذلك فصل ومعنى
فطرة الله دين الحق وهو التوحيد فان الله فطر الناس عليه حيث اخرجهم من ظهور ادم
صلوات الله عليه وسالهم الست بربكم قالوا بلى وقال صلوات الله عليه وسلامه ما من
مولود الا وهو يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فقوله على الفطرة
يعني على العهد الذي اخذه عليهم بقوله تعالى الست بربكم قالوا بلى وكل مولود في العالم
على ذلك الاقرار وهي الحنيفية التي وقعت الخلقة عليها وان عبد غيره قال الله تعالى ولين
سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ولكن لا عبرة
بالايمان الفطري في احكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعي المامور به وهذا قول ابن
عباس وجماعة من المفسرين وقيل الاية مخصوصة بالمومنين وهم الذين فطرهم الله على
الاسلام روي عن عبد الله بن المبارك قال معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرته
اي على خلقته التي جبل عليها في علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صاير في
العاقبة الى ما فطر عليها وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن امارات الشقا ان يولد
بين يهوديين او نصرانيين فيحمله لشقايه على اعتقاده دينهما وقيل معنى الحديث ان كل
مولود يولد في مبدا الخلقة على الفطرة اي على الجبلة السليمة والطبع المتهيي لقبول
الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لان هذا الدين موجود حسنه في العقول وانما يعدل
عنه من يعدل الى غيره لانه من النشو والتقليد فمن يسلم من تلك الافات لم يعتقد غيره
ذكر هذه المعاني ابو سليمان الخطابي في كتابه قوله تعالى لا تبديل لخلق الله فمن حمل
الفطرة على الدين قال معناه لا تبديل لدين الله فهو خبر بمعنى النهي اي لا تبدلوا دين الله
قاله مجاهد وابراهيم رضي الله عنهما والمعنى الزموا فطرة الله اي دين الله واتبعوه ولا تبدلوا
التوحيد بالشرك وقيل هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن الحزن حيث لم يومن قومه
فقال هم خلقوا للشقاوة ومن كتب شقيا لا يسعد وقال عكرمة ومجاهد معناه تحريم اخصا
البهايم ثم قال ذلك الدين القيم المستقيم الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان
ذلك هو الدين المستقيم قوله تعالى منيبين حال من فاعل الزموا المضمر كما تقدم او من فاعل
اقم على المعنى لانه ليس يراد به واحد بعينه وانما المراد الجميع وقيل حال من الناس اذا اريد بهم
المومنون وقال الزجاج بعد قوله وجهك معطوف محذوف تقديره فاقم وجهك وامتك
فالحال من الجميع وجاز حذف المعطوف لدلالة منيبين عليه كما جاز حذفه في قوله تعالى يا ايها
النبي اي والناس لدلالة قوله ولا تكونوا فصل معنى منيبين اليه اي مقبلين
عليه بالتوبة والطاعة واتقوه اي اذا اقبلتم عليه وتركتم الدنيا فلا تامنوا فتتركوا عبادكم

بل

بل خافوه وداموا على العبادة واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين اي لا تشركوا بعد
الايمان او لا تقصدوا بذلك غير الله عز وعلا قوله تعالى من الذين بدل من المشركين
باعادة العامل وتقدم قراتا فرقوا وفارقوا وتفسير الشيع ايضا قوله تعالى فرحون الظاهر
انه خبر كل حزب وجوز الزمخشري ان يرتفع صفة لكل قال ويجوز ان يكون من
الذين منقطعا ومعناه من المفارقين لدينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحين وصفا لكل
قوله • وكل خليل غيرها ضم نفسه • قال ابو حيان قدرا ولا فرحين مجرورا صفة لرجل وهو
الاكثر كقوله • جادت عليه كل عين ثرة • فتركن كل حديقة كالدرهم •
وجاز الرفع نعتا لكل قوله • وهت عليه كل معصفة هوجا ليس لسى للهتامر •
برفع هوجا صفة لكل انتهى وهو تقرير حسن قوله تعالى واذا مس الانسان ضر مخطوشة
دعوا ربهم منيبين اليه مقبلين اليه بالدعا لما بين التوحيد التوحيد بالدليل وبالمثل بين ان
لهم حالة يعرفون به وان كانوا ينكرونه في وقت وهي حالة الشدة ثم اذا اذاقهم منه رحمة
خصبا ونعمة يعني اذا خلصنا هم من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون وقوله منه اي
من الضر لان الرحمة غير مطلقة لهم انما هي عن ذلك الضر وحده واما الضر الموخر فلا بد وقوت
منه رحمه ويحتمل ان يكون الضمير في منه عايدا الى الله تعالى والتقدير ثم اذا اذاقهم الله من فضله
رحمة خلصهم بها من ذلك الضر قوله تعالى اذا فريق هذه اذا الفجاية وقعت جواب
الشرط لانها كالفا في التعقيب ولا يقع اول كلام وقد يجامعها الفا زايدة فان قيل ما الحكمة
في قوله ههنا اذا فريق منهم وقال في موضع فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ولم يقل فريق
فالجواب ان المذكور هناك غير معين وهو ما يكون من هول البحر والمتخلص منه بالنسبة
الى الخلق قليل منهم والذي لا يشرك منهم بعد الخلاص فرقة منهم فهم في غاية القلة فلم يجعل
المشركين فريقا لقلة من خرج من الشرك واما المذكور ههنا الضر مطلقا فيتناول ضر البحر
والامراض والاهوال والتخلص من انواع الضر خلق كثير بل جميع الناس يكونون قد وقعوا
في ضر ما فتخلصوا منه والذي لا يبقى بعد الخلاص مشركا من جميع الانواع اذن جمع وهو خلق
عظيم وهم جميع المسلمين فانهم تخلصوا من ضر ولم يبقوا مشركين واما المسلمون فلم يتخلصوا من
ضر البحر باجمعهم فلما كان الناجي من الضر المومن جمعا كثيرا سمي الباقي فريقا قوله تعالى
ليكفروا يجوز ان تكون لام كي وان تكون لام الامر ومعناه التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شيتم
ثم خاطب هولاء الذين فعلوا هذا الخطاب تهديد فقال تعالى فتمتعوا قرا العامة بالخطاب
فيه وفي تعلمون وابو العالية باليا فيهما والاول مبني للمفعول وعنه ايضا فيتمتعوا بيا قبل
التا وعن عبد الله فليتمتعوا بلام الامر والمعنى فسوف تعلمون حالكم في الاخرة قوله
تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا اي برهانا وحجة فان جعلناه حقيقة كان تكلم مجازا
وان جعلناه على حذف مضاف اي ذا سلطان كان تكلم حقيقة وقال ابو البقا هنا وقيل
هو جمع سليط كرغيف ورغفان انتهى قال شهاب الدين وهذا لا يجوز لانه كان ينبغي
ان يقال فهم يتكلمون وهو يتكلم جواب الاستفهام الذي تضمنتها ام المنقطعة وهذا استفهام
بمعنى الانكار اي ما انزلنا بما يقولون سلطانا وقال ابن عباس حجة وعذرا وقال قتادة
كتابا يتكلم بما كانوا به يشركون اي ينطق بشركهم قوله تعالى واذا اذقنا الناس رحمة
اي الخصب وكثرة المطر فرحوا بها يعني فرح بطر لما بين حال المشرك الظاهر شركه بين حال
المشرك الذي دونه وهو من يكون عبادته للدنيا فاذا اعطاه رضي واذا منعه سخط وقنط
ولا ينبغي ان يكون العبد كذلك بل ينبغي ان يعبد الله عز وجل في الشدة والرخا فان قيل
الفرح بالرحمة مامور به قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وههنا ذمهم
على الفرح بالرحمة فالجواب هناك قال افرحوا برحمة الله من حيث انها مضافة الى الله
تعالى وههنا فرحوا بنفس الرحمة حتى لو كان المطر من غير الله لكان فرحهم به مثل فرحهم
اذا كان من الله تعالى قوله تعالى وان تصبهم سيية اي الجدب وقلة المطر وقيل الخوف
والبلا بما قدمت ايديهم من السيات اذا هم يقنطون ييأسون من رحمة الله تعالى وهذا
خلاف وصف المومنين فانهم يشكرون عند النعمة ويرجونه عند الشدة قوله تعالى

اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي الم يعلموا ان الكل من الله تعالى فالمحي ينبغي
ان لا يكون نظره الي ما يوجد بل الي من يوجد وهو الله فلا يكون له تبدل حال وانما يكون عنده
الفرح الدايم ولذلك قال عز وجل ان في ذلك لايات لقوم يومنون قوله تعالى فات ذا القربي
حقه من البر والصلة والمسكين بان الثلاثة بالذكر دون بقية الاصناف الثمانية المذكورة
في الصدقات لانه اراد ههنا بيان من يجب الاحسان اليه على كل من له مال سواء كان زكويا او لم يكن
وسواء كان قبل الحول او بعده لان المقصود هنا الشفقة العامة وهولاء الثلاثة يجب الاحسان
اليهم وان لم يكن للانسان مال زايد اما القريب فتجب نفقته عليه اذا كان له مال وان لم يحل
عليه الحول والمسكين كذلك فان من لا شي له اذا وقع في الحاجة حتى بلغ الشدة يجب على القادر
دفع حاجته وان لم يكن عليه زكوة والفقير داخل في المسكين لان من اوصي للمساكين بشي يصرف
الي الفقرا ايضا واذا نظرت الي الباقين من الاصناف رايتهم لا يجب صرف المال اليهم الا على الذين
وجبت الزكوة عليهم وقدم القريب لان دفع حاجته واجب سواء كان في مخمصة او لم يكن فلذلك
قدم على من لا يجب دفع حاجته من غير مال الزكوة الا اذا كان في شدة واما المسكين فحاجته
ليست مختصة بموضع فقدم على من حاجته مختصة بموضع دون موضع قوله تعالى ذلك خير
يحتمل ان يراد خير من غيره وان يكون ذلك خير في نفسه للذين يريدون وجه الله اي يطلبون
ثواب الله بما يعملون واوليك هم المفلحون فان قيل كيف قال واوليك هم المفلحون مع ان للافلاح
شرايط اخري مذكورة في قوله تعالى قد افلح المومنون فالجواب كل وصف مذكور هناك يفيد
الافلاح ولذا الذي اتي المال لوجه الله يفيد الافلاح الا اذا وجد مانع من ارتكاب
محظور او ترك واجب فان قيل لم لم يذكر غيره من الافعال كالصلوة وغيره فالجواب الصلوة
مذكورة من قبل وكذا غيرها في قوله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا وقوله تعالى منيبين
اليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين فان قيل قوله عز وجل في البقرة واوليك
هم المفلحون اشارة الي ان من اقام الصلوة واتي الزكاة وامن بما انزل على الرسول وما انزل من
قبل وبالاخرة فهو المفلح واذا كان المفلح منحصرا في اوليك فهذا خارج عنهم فكيف يكون مفلحا
فالجواب هذا هو ذاك لان قوله تعالى فاقم وجهك للدين امر بذلك فاذا اتي بالصلاة واتي
المال واراد وجه الله ثبت انه من مقيمي الصلوة ومويتي الزكوة ومعترف بالاخرة قوله تعالى
وما اتيتم من ربا قرا ابن كثير اتيتم مقصورا وقرا الاخرون بالمد اي اعطيتم ومن قصر فمعناه
جيتم من ربا ومجيكم ذلك على وجه الاعطا كما تقول اتيت خطا واتيت صوابا وهو مول في
المعني الي قول من مد قوله تعالى ليربوا العامة على اليا من تحت مفتوحة اسند الفعل
لضمير الربا اي ليزداد وقرا نافع ويعقوب بتاء من فوق مضمومة خطابا للجماعة قالوا وعلى
الاول لام الكلمة وعلى الثاني كلمة ضمير لغائبين **فصل** ذكر هذا تحريضا يعني انكم
اذا طلب منكم واحد باثنين ترغبون فيه وتوثرونه وذلك لا يربوا عند الله فاختطاف
اموال الناس والزكوة تنموا عند الله تعالى كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدقة
تقع في يد الرحمن فتربوا حتى تصير مثل الجبل فينبغي ان يكون قدامكم على الزكوة اكثر واختلفوا
في معني الاية فقال سعيد بن جبير ومجاهد وطاووس وقتادة والضحاك واكثر المفسرين
هو يعطي عبده العطية ليثيب اكثر منها فهذا جايز حلال ولكن لا يثاب عليه في القيمة
فهو معني قوله تعالى فلا يربوا عند الله وكان هذا حراما على النبي صلى الله عليه وسلم
خاصة لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تعط وتطلب اكثر مما اعطيت وقال النخعي هو
الرجل يعطي صديقه او قريبه ليكثر ماله ولا يريد به وجه الله عز وجل وقال الشعبي
هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيحصل له ربح ماله التماس عونه لا لوجه
الله تعالى فلا يربوا عند الله تعالى لانه لم يرد به وجه الله تعالى وما اتيتم من زكاة
اعطيتم من صدقة يريدون وجه الله عز وجل قوله تعالى فاوليك هم المضعفون اي اصحاب
الاضعاف قال الفرا نحو مسمن ومعطش اي ذا ابل سمان وابل عطاش ويقول العرب القوم
مهزلون ومسمنون اذا هزلت وسمنت ابلهم فالمضعف ذو الاضعاف من الحسنات وقرا ابي
بفتح العين جعله اسم مفعول وقوله فاوليك هم قال الزمخشري التفات حسن كانه للملئكة

فاوليك

فاوليك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون والمعني هم المضعفون به
لانه لابد من ضمير يرجع الي ما انتهي يعني ان اسم الشرط متي كان غير ظرف وجب عود ضمير
من الجواب عليه وتقدم ذلك في البقرة عند قوله قل من كان عدوا لجبريل ثم قال وجه اخر
وهو ان يكون تقديره بموتوه فاوليك هم المضعفون والحذف لما في الكلام من الدليل عليه
وهذا اسهل ماخذا والاول املا بالفايدة قوله تعالى الله الذي خلقكم يجوز في خبر الجلالة
وجهان اظهرهما انه الموصول بعدها والثاني انه الجملة من قوله هل من شركايكم من يفعل والموصول
صفة للجلالة وقدر الزمخشري الرابط بين المبتدا والجملة الواقعة خبرا فقال وقوله من ذلكم
هو الذي ربط الجملة بالمبتدا لان معناه من افعاله قال ابو حيان رحمه الله والذي ذكره النحويون
ان اسم الاشارة يكون رابطا اذا اشير به الي المبتدا واما ذلكم هنا فليس باشارة الي المبتدا لكنه
شبيه بما اجازه الفرا من الرابط بالمعنى وخالفه الناس وذلك في قوله عز وجل والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا يتربصن قال التقدير يتربص ازواجهم فقدر الرابط بمضاف الي ضمير
الذين فحصل به الربط لذلك قدر الزمخشري من ذلكم من افعاله بمضاف الي الضمير العايد الي المبتدا
فصل الله الذي خلقكم اوجدكم ورزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركايكم من يفعل
جمع في هذه الاية بين الحشر والتوحيد اما الحشر فقوله تعالى يحييكم واما الدليل فقدرته على
الخلق ابتداء واما التوحيد فقوله عز وجل هل من شركايكم من يفعل من ذلكم من شي ثم قال
سبحانه وتعالى عما يشركون اي سبحوه تسبيحا نزهوه ولا تصفوه بالاشراك وقوله تعالى اي
لا يجوز ذلك عليه قوله تعالى من شركايكم خبر مقدم ومن للتبعيض ومن يفعل هو المبتدا
ومن ذلكم متعلق بمحذوف لانه حال من شي بعده فانه في الاصل صفة له ومن الثالثة
مزيدة في المفعول به لانه في خبر النفي المستفاد من الاستفهام والتقدير ما الذي يفعل شيا
من ذلكم من شركايكم وقال الزمخشري ومن الاولي والثانية كل واحدة مستقلة تاكيد لتعجيز
شركايهم وتجهيل عبدتهم قال ابو حيان ولا ادري ما اراد بهذا الكلام وقرا الاعمش تشركون
بالخطاب قوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر وجه تعلق الاية بما قبلها ان الشرك سبب
الفساد كما قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا واذا كان المشرك سببه جعل الله اظهارهم
الشرك مورثا لظهور الفساد ولو فعل بهم ما يقتضيه قولهم لفسدت السموات والارض كما قال
تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا
ولهذا اشار بقوله تعالى لنذيقهم بعض الذي عملوا واختلفوا في قوله في البر والبحر فقيل
المراد خوف الطوفات في البر والبحر وقيل عدم انبات بعض الارض وملوحية مياه البحار
وقيل المراد قحط المطر وقلة النبات واراد بالبر البوادي والمفاوز وبالبحر المداين والقري
التي على المياه الجارية وقال عكرمة رضي الله عنه العرب تسمي المصر بحرا تقول اجدب البر
وانقطعت مادة البحر قوله تعالى بما كسبت اي بسبب كسبهم والبا متعلقة بظهر او بنفس الفساد
وفيه بعد والمعني بشوم ذنوبهم وقال عطية البر ظهر الارض الامصار وغيرها والبحر
هو البحر المعروف والفساد قلة المطر يوثر في البر والبحر اما تاثيره في البر فهو القحط واما تاثيره
في البحر فتخلو اجواف الاصداف لان الصدف اذا جاء المطر يرتفع الي وجه البحر ويفتح فاه فما
يقع فيه من المطر صار لولوا وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد رضي الله عنهم الفساد في
البر قتل احد بني ادم اخاه وفي البحر غصب الملك الجاير السفينة وقال الضحاك كانت الارض
خضرة مونقة لا ياتي ابن ادم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ما البحر عذبا وكان لا يقصد الاسد
البقر والغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ما البحر ملحا زعاقا
وقصد الحيوان بعضه بعضا وقال قتادة هذا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم امتلات
الارض ظلما وضلالة فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم رجع راجعون من الناس بما كسبت
ايدي الناس من المعاصي يعني كفار مكة قوله تعالى ليذيقهم اللام للعلة متعلقة بظهر
وقيل بمحذوف اي عاقبهم بذلك ليذيقهم وقيل اللام للصيرورة وقرا قنبل لنذيقهم بنون
العظمة والباقون بيا الغيبة والمعني ليذيقهم عقوبة بعض الذي عملوا من الذنوب لعلهم
يرجعون عن الكفر واعمال الخبيثة قوله تعالى قل سيروا في الارض لما بين حالهم بظهور

الفساد في احوالهم بسبب فساد اقوالهم بين لهم ضلال امثالهم واشكالهم الذين كانت
افعالهم كافعالهم فقال تعالى قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل
اي قوم نوح وعاد وثمود ليروا اماكنهم ومساكنهم خاوية كان اكثرهم مشركين اي كانوا مشركين
فاهلكوا بكفرهم قوله تعالى فاقم وجهك للدين القيم لما نهى الكافر عما هو عليه امر المومنين
بما هو عليه وخاطب النبي صلوات الله وسلامه عليه ليعلم المومن فضيلة ما هو مكلف به فانه
امره باشرف الانبيا والدين القيم اي المستقيم وهو دين الاسلام قوله تعالى من قبل ان ياتي
يوم لا مرد له المرد مصدر رد ومن الله يجوز ان يتعلق بياتي او بمحذوف يدل عليه المصدر اي
لا يرده من الله احد ولا يجوز ان يعمل فيه مرد لانه كان ينبغي ان ينون اذ هو من قبيل المطولات
والمراد يوم القيمة لا يقدر احد على رده من الله وغيره عاجز عن رده فلا بد من وقوعه يومئذ
يصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير ثم اشار الى التفرق بقوله عز وجل
من كفر فعليه كفره اي وبال كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون تقديم الجارين يفيد الاختصاص
يعني ان ضرر كفره هذا ومنفعة عمل هذا لا يتعداه ووحد الكناية في قوله فعليه وجمعها في قوله
فلانفسهم اشارة الى ان الرحمة اعم من الغضب فتشمله واهله وذريته واما الغضب فمسبوق
[illegible]اسا وقال فعليه كفره ولمن يتبين وقال في المومن فلانفسهم يمهدون تحقيقا لكمال
المرحمة فانه عند الخيرتبي بشارة وعند غيره اشارة اليه اشارة قوله تعالى ليجزي في متعلقه
اوجه احدها يمهدون والثاني يصدعون والثالث محذوف قال ابن عطية تقديره ذلك
ليجزي ويكون الاشارة الى ما تقرر من قوله من كفر ومن عمل وجعل ابو حيان قسيم قوله
الذين امنوا وعملوا محذوفا قال لدلالة قوله انه لا يحب الكافرين عليه هذا اذا علقت اللام
بيصدعون او بذلك المحذوف قال تقديره ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله
والكافرين بعدله **فصل** قال ابن عباس ليجزي الذين ليثيبهم الله اكثر من ثواب
اعمالهم انه لا يحب الكافرين قوله ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات لما ذكر سبحانه ظهور
الفساد والهلاك بسبب الشرك ذكر ظهور الصلاح ولم يذكر انه بسبب العمل الصالح لان الكريم لا
يذكر لاحسانه عوضا ويذكر لاضراره سببا لئلا يتوهم به الظلم فقال تعالى يرسل الرياح
مبشرات قيل بالمطر كما قال تعالى نشرا بين يدي رحمته اي قبل المطر وقيل مبشرات بصلاح
الاهوية والاحوال فان الرياح لو لم تهب لظهر الوبا والفساد وقرا العامة الرياح جمعا لاجل
مبشرات والاعمش بالافراد واراد الجنس لاجل مبشرات قوله تعالى وليذيقكم اما عطف
على معنى مبشرات لان الحال والصفة يفهمان العلة فكان التقدير ليبشر وليذيقكم واما ان
يتعلق بمحذوف او وليذيقكم ارسلها واما ان تكون الواو مزيدة على راي فيتعلق اللام بان
يرسل **فصل** وليذيقكم من رحمته نعمته بالمطر والخصب ولتجري الفلك لما اسند
الفعل الى الفلك عقبه بقوله تعالى بامره اي الفعل ظاهر عليه ولكنه بامر الله والمعنى ولتجري
الفلك في البحر بهذه الرياح بامره ولذلك لما قال ولتبتغوا اسنده الى العباد ذكر بعده من
فضله اي لا استقلال لغيره بشي والمعنى لتطلبوا من رزقه بالتجارة في البحر ولعلكم
تشكرون هذه النعم **فصل** قال تعالى في ظهر الفساد ولنذيقهم بعض الذي عملوا
وقال تعالى هنا ليذيقكم من رحمته فخاطبهم هاهنا تشريفا ولان رحمة قريب من المحسنين
والمحسن قريب فيخاطب والمسي مبعد فلم يخاطب وقال هناك بعض الذي عملوا فاضاف
ما اصابهم الى انفسهم واضاف ما اصاب المومن الى رحمته فقال من رحمته لان الكريم لا يذكر
لرحمته واحسانه عوضا فلا يقول اعطيتك لانك فعلت كذا بل يقول هذا لك مني واما ما فعلته
من الحسنة فجزاوه بعد عندي وايضا فلو قال ارسلت بسبب فعلكم لا تكون بشارة عظيمة
واما اذا قال من رحمته كان غاية البشارة وايضا فلو قال بما فعلتم لكان ذلك موهما لنقصان
ثوابهم في الاخرة واما في حق الكفار فاذا قال فعلتم انبا عن نقصان عقابهم وهو كذلك
وقال هناك لعلهم يرجعون وقال ههنا ولعلكم تشكرون فالواو اشارة الى توفيقهم للشكر
في النعم عطف على النعم قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات
لما بين الاصلين بالبراهين ذكر الاصل الثالث وهو النبوة فقال عز وجل ولقد ارسلنا من

قبلك

قبلك رسلا اي ارسلنا لهم دليل رسالتك فانهم لم يكن لهم شغل غير شغلك ولم يظهر عليهم غير ما
اظهر عليك ومن امن بهم كان لهم الانتصار ومن كذبهم اصابهم البوار وفي تعلق الاية وجه اخر
وهو ان الله تعالى لما بين بالبراهين ولم تنتفع بها الكفار سلى قلب النبي صلى الله عليه وسلم
وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم وقال حالك كحال من تقدمك كان كذلك وجاوا ايضا بالبينات
اي بالدلالات الواضحات على صدقهم وكان في قومهم كافر ومومن كما في قومك فانتقمنا من الذين
اجرموا عذبنا الذين كذبوهم ونصرنا المومنين قوله تعالى وكان حقا وقف بعضهم على حقا
وابتدا بما بعده فجعل اسم كان مضمرا فيها وحقا خبرها اي وكان الانتقام حقا قال ابن عطية
وهذا ضعيف لانه لم يدر قدر ما عرضه في نظم الاية يعني الوقف على حقا منصوبا على المصدر
واسم كان ضمير الامر والشان وعلينا خبر مقدم ونصر اسم موخر وجعل بعضهم حقا منصوبا على
المصدر ايضا وعلينا خبر مقدم ونصر اسم موخر والصحيح ان نصر اسمها وحقا خبرها وعلينا متعلق بحقا
او بمحذوف صفة له فعلى الاول يكون بشارة للمومنين الذين امنوا بمحمد المصطفى صلوات الله وسلامه
عليه اي علينا نصركم ايها المومنون ونصرهم النجاة وهو من العذاب وعلى الثاني معناه وكان حقا
علينا اي نصر المومنين كان حقا علينا قوله تعالى الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا
اي ينشره ويبسطه في السما كيف يشا مسيرة يوم او يومين واكثر على ما يشا ويجعله كسفا قطعا متفرقة
فترى الودق المطر يخرج من خلاله وسطه فاذا اصاب به الودق من يشا من عباده اذا هم يستبشرون
يفرحون بالمطر قوله تعالى وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم اي وقد كانوا من قبل ان ينزل عليهم
وقيل وما كانوا الا مبلسين اي ايسين قوله تعالى من قبله فيه وجهان احدهما انه تكرير لمن
قبل الاولى على سبيل التوكيد والثاني ان يكون غير مكرر وذلك ان يجعل الضمير في قبله للسحاب
وجاز ذلك لانه اسم جنس يجوز تذكيره وتانيثه او للريح فيتعلق من الثانية بينزل وقيل يجوز عود
الضمير على كسفا كذا اطلق ابو البقا وابو حيان وهذه بقراة من سكن السين وقد تقدمت قراات
كسفا في سبحان وقد ابدى الزمخشري وابن عطية فايدة التاكيد المذكور فقال ابن عطية افاد
الاعلام بسرعة تقلب قلوب البشر من الابلاس الى الاستبشار وذلك ان قوله من قبل ان ينزل
عليهم يحتمل الفسحة في الزمان اي من قبل ان ينزل بكثير كالايام ونحوه فجا قوله من قبله بمعنى ان
ذلك متصل بالمطر فهو تاكيد مفيد وقال الزمخشري ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم
بالمطر قد بعد فاستحكم ياسهم وتمادى ابلاسهم فكان استبشارهم على قدر اغتمامهم بذلك وهو
كلام حسن الا ان ابا حيان لم يرتضه منهما فقال ما ذكراه من فايدة التاكيد غير ظاهر وانما هو
لمجرد التوكيد ويفيد رفع المجاز فقط انتهى قال شهاب الدين رحمه الله ولا ادري عدم الظهور
لماذا وقال قطرب وان كانوا من قبل التنزيل من قبل المطر وقيل التقدير من قبل انزال
المطر من قبل ان يزرعوا ودل المطر على الزرع لانه يخرج بسبب المطر ودل على ذلك قوله عز
وجل فراوه مصفرا يعني الزرع ان يتعلق بمبلسين لان حرفي جر لا يتعلقان بعامل واحد الا
بواسطة حرف العطف او البدل وليس هنا عطف والبدل لا يجوز اذ انزال الغيث ليس هو الزرع
ولا الزرع بعضه وقد يتخيل فيه بدل الاشتمال بتكلف اما لاشتمال الانزال على الزرع بمعنى
ان الزرع يكون ناشيا عن الانزال فكان الانزال مشتملا عليه وهذا على مذهب من يقول الاول
مشتمل على الثاني وقال المبرد الثاني السحاب لانهم لما راوا السحاب كانوا راجين المطر انتهى
يريد من قبل روية السحاب ويحتاج ايضا الى حرف عطف ليصح تعلق الحرفين بمبلسين وقال
الرماني من قبل الارسال وقال الكرماني من قبل الاستبشار لانه قرنه بالابلاس ولانه من عليهم
بالاستبشار ويحتاج قولهما الى حرف العطف ليس بالسهل فان فيه خلافا بعضهم يقيسه وبعضهم
لا يقيسه هذا كله في المفردات اما اذا كان في الجمل فلا خلاف في اقتباسه وفي حرف عبد الله
ابن مسعود وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم لمبلسين غير مكرر قوله تعالى فانظروا الى اثر
قرا ابن عامر والاخوان وحفص بالجمع والباقون بالافراد وسلام بكسر الهمزة وسكون الثا وهي
لغة فيه وقرا العامة كيف يحيي بيا الغيبة اي اثر الرحمة فيمن قرا بالافراد ومن قرا بالجمع فالفعل
مسند لله تعالى وهو محتمل في الافراد ايضا والجحدري وابو حيوة وابن السميفع تحيي بتا التانيث
وفيها تخريجان اظهرهما ان الفاعل عايد على الرحمة والثاني قاله ابو الفضل عايد على اثر واجيب

وانث اثر لاكتسابه بالاضافة التانيث كتطايرله تفرمت ورد عليه بان شرط ذلك كون المضاف
بعض المضاف اليه او من سببه لا اجنبيا وهذا اجنبي وكيف يجي معلق لا انظر فهو في محل نصب
علي اسقاط الخافض وقال ابو الفتح الجملة من كيف يحيي في موضع نصب علي الحال حملا
علي المعنى انتهي وكيف يقع جملة الطلب حالا وارادبرحمة الله هنا المطر اي انظر الي حسن
تاثيره في الارض كيف يحيي الارض بعد موتها قوله تعالى ان ذلك لمحيي الموتى يعني ان
ذلك الذي يحيي الارض لمحيي الموتى فاتي باللام المؤكدة لاسم الفاعل قوله تعالى ولئن
ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لما بين انهم عند توقف الخير يكونون مبلسين آيسين وعند
ظهوره يكونون مستبشرين بين ان تلك الحالة ايضا لا يدومون عليها بل لو اصاب زرعهم
ريح مفسد لكفروا فهم منقلبون غير تامين نظرهم الي الحال لا الي المال وسمى النافعة رياحا
والضارة ريحا لوجوه احدها ان النافعة كثيرة الانواع كثيرة الافراد فجمعها لان في كل يوم
وليلة تهب نفحات من الرياح النافعة ولا تهب الريح الضارة في اعوام بل الضارة لا تهب في
الدهور الثاني ان النافعة لا تكون الا رياحا واما الضارة فتقتل كريح السموم الثالث جاء
في الحديث ان ريحا هبت فقال صلوات الله وسلامه عليه اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا
اشارة الي قوله تعالى يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وقوله تعالى يرسل الرياح مبشرات
واشارة الي قوله تعالى فارسلنا عليهم الريح العقيم وقوله تعالى ريحا صرصرا تنزع الناس

فصل معنى الاية ولئن ارسلنا ريحا اي مضرة افسدت الزرع فراوه مصفرا بعد
الخضرة لظلوا لصاروا من بعد اصفرار الزرع يكفرون يجحدون ما سلف من النعمة يعني انهم
يفرحون عند الخصب ولو ارسلت عذابا علي زرعهم جحدوا سالف نعمتي قوله تعالى فراوه
اي فراوا النبات لدلالة السياق عليه او علي الاثر لان الرحمة هي الغيث واثرها هو النبات
وهذا ظاهر علي قراءة الافراد واما علي قراءة الجمع فيعود علي المعنى وقيل الضمير للسحاب
وقيل للريح وقرا جناح بن حبيش مصفارا بالف ولظلوا جواب القسم الموطا له بلئن وهو
ماض لفظا مستقبل معنى كقوله عز وجل ما تبعوا قبلتك والضمير في من بعده يعود علي
الاصفرار المدلول عليه بالصفة كقوله • اذا نهي السفيه جرى اليه •
اي السفه لدلالة السفيه عليه قوله تعالى انك لا تسمع الموتى لما علم رسوله صلوات
الله وسلامه عليه وجوه الادلة ووعدوا وعد ولم يزدهم دعاؤه الا فرارا وكفرا واصرارا
قال انك لا تسمع الموتى وقد تقدم الكلام علي نحو فانك لا تسمع الي اخره في الانبيا وفي النمل
واعلم ان ارشاد الميت محال والمحال ابعد من الممكن ثم ارشاد الاصم صعب فانه لا يسمع الكلام
وانما يفهم بالاشارة والافهام بالاشارة صعب ثم ارشاد الاعمى ايضا صعب فانك اذا قلت
له الطريق علي يمينك يدور الي يمينه لكنه لا يبقى عليه بل يحيد عن قريب وارشاد الاصم اصعب
ولهذا تكون المعاشرة مع الاعمى اسهل من المعاشرة مع الاصم الذي لا يسمع لان غاية الافهام
بالكلام وليس كلما يفهم بالكلام يفهم بالاشارة فان المعدوم والغايب لا اشارة اليه فقال
انك لا تسمع الموتى ثم قال ولا الاصم ولا تهدي العمي وقال في الاصم اذا ولوا مدبرين ليكون
ادخل في الامتناع لان الاصم وان كان يفهم فانما يفهم بالاشارة فاذا ولى لا يكون نظره الي
المشير فامتنع افهامه بالاشارة ايضا ثم قال سبحانه وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم
ان تسمع الا من يؤمن باياتنا لما نفى اسماع الميت والاصم واثبت اسماع المؤمن باياته لزم
ان يكون حيا سميعا وهو كذلك لان المؤمن ينظر في البراهين ويسمع زواجر الوعظ فتظهر
منه الافعال الحسنة ويفعل ما يجب عليه فهم مسلمون مطيعون كما قال تعالى عنهم قالوا
سمعنا واطعنا قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف لما اعاد دليل الافاق بقوله عز
وجل الله الذي يرسل الرياح اعاد دليلا من دلايل الانفس ايضا وهو خلق الادمي وذكر
احواله فقال خلقكم من ضعف اي ماء ذي ضعف لقوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين وقرئ
ضعف بضم الضاد وفتحها فالضم لغة قريش والفتح لغة تميم من ضعف اي من نطفة
وتقدم الكلام في القراءتين والفرق بينهما في الانفال ثم جعل من بعد ضعف قوة اي من
بعد ضعف الطفولية شبابا وهو وقت القوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا هرما وشيبة

والشيبة

والشيبة هي تمام الضعف يخلق ما يشاء من الضعف والقوة والشباب والشيبة وهو العليم بتدبير
خلقه القدير علي ما يشاء سبحانه فان قيل ما الحكمة في قوله ههنا وهو العليم القدير فقدم العلم علي
القدرة وقوله من قبل وهو العزيز الحكيم والعزة اشارة الي كمال القدرة والحكمة اشارة الي كمال
العلم فقدم القدرة هناك علي العلم فالجواب ان المذكور هناك الاعادة بقوله وهو اهون عليه
وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم لان الاعادة بقوله عز وجل كن فيكون
فالقدرة هناك اظهر وههنا المذكور الابدا وهو اطوار واحوال والعلم بكل حال حاصل فالعلم ههنا
اظهر ثم ان قوله تعالى وهو العليم القدير فيه تبشير وانذار لانه اذا كان عالما باحوال الخلق
يكون عالما واذا اعلم الشر عاقب ولما كان باحوال المخلوق فان عملوا خيرا علمه وان عملوا شرا علمه
ثم اذا كان قادرا وعلم الخير اثاب واذا اعلم الشر عاقب ولما كان العلم بالاحوال قبل الاثابة والعقاب
اللذين هما بالقدرة والعلم قدم العلم واما الاية الاخرى فالعلم بتلك الاحوال قبل العقاب فقال
وهو العزيز الحكيم قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون يحلف المشركون ما لبثوا
في الدنيا غير ساعة اي الا ساعة لما ذكر الابدا والاعادة اذكره بذكر احوالها ووقتها قوله تعالى
ما لبثوا جواب قوله يقسم وهو علي المعنى اذ لو حكي قولهم بعينه لقيل ما لبثنا والمعنى انهم
استقلوا اجل الدنيا لما عاينوا الاخرة وقال مقاتل والكلبي ما لبثوا في قبورهم غير ساعة
كما قال سبحانه كانهم يوم يرونها وقوله عز وجل يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار
قوله تعالى كذلك اي مثل ذلك الافك كانوا يوفكون اي يصرفون عن الحق في الدنيا قال مقاتل
والكلبي كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا ان لا بعث والمعنى ان الله تعالى اراد ان
يفضحهم فحلفوا علي شي يتبين لاهل الجمع انهم كاذبون ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم فقال تعالى
وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله اي فيما كتب الله لكم في سابق علمه
من اللبث في القبور وقيل في كتاب الله اي في حكم الله اي فيما وعد به في كتابه من الحشر
والبعث فيكون في كتاب الله متعلقا بلبثتم وقال مقاتل وقتادة فيه تقديم وتاخير
معناه وقال الذين اوتوا العلم بكتاب الله والايمان لقد لبثتم الي يوم البعث وفي ترد بمعنى
الباء والعامة علي سكون عين البعث والحسن بفتحها وقرئ بكسرها فالمكسور اسم والمفتوح
مصدر قوله تعالى فهذا يوم البعث في الفاء قولان اظهرهما انها عاطفة هذه الجملة علي لقد
لبثتم وقال الزمخشري هي جواب شرط مقدر كقوله • فقد جينا خراسانا •
كانه قيل ان صح ما قلتم ان خراسان اقصى ما يراد بكم وآن لنا ان نخلص ولذلك ان كنتم
منكرين للبعث فهذا يوم البعث ويشير الي البيت المشهور قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا
قلنا القفول فقد جينا خراسانا قوله تعالى لا يعلمون اي البعث اي ما يراد بكم او لا يقدر
له مفعول اي لم يكونوا من اولي العلم وهو ابلغ فصل اعلم ان الموعود بوعد اذا ضرب
له اجل يستقبل المدة ويريد تاخيرها فالمجرم اذا حشر وعلم ان مصيره الي النار يستقل مدة
اللبث ويختار تاخير الحشر والابقاء في القبر والمؤمن اذا حشر علم ان مصيره الي الجنة فيستكثر
المدة ولا يريد تاخرها فيختلف الفريقان ويقول احدهما ان مدة لبثنا قليل واليه الاشارة
بقوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الي يوم البعث وهذا
يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون وقوعه في الدنيا يعني ان طلبكم التاخير لانكم كنتم لا تعلمون
البعث ولا تعترفون به فصار مصيركم الي النار فتطلبون التاخير ولا ينفعكم العلم به الان
قوله تعالى فيومئذ اي اذ يقع ذلك ويقول الذين اوتوا العلم تلك المقالة لا ينفع هو الناصب
ليومئذ قبله وقرا الكوفيون هنا وفي غافر بالياء من تحت وافقهم نافع علي ما في غافر لان التانيث
مجازي ولانه قد فصل ايضا والباقون بالتانيث فيهما مراعاة للفظ قوله تعالى ولا هم يستعتبون
قال الزمخشري من قولك استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته وذلك اذا كان
جانيا عليه وحقيقة اعتبته ازلت عتبه الا ترى الي قوله •
• غضبت تميم ان تقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم •
كيف جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اي ازيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال
لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون

فان قلت جعلوا غير راضين بما هم فيه فتشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم [منهم] فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فان يستعتبوا الله اي يسالوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين انتهى وقال ابن عطية ويستعتبون بمعنى يعتبون كما تقول تملك وستملك والباب في استفعل طلب الشي وليس هذا منه لان المعنى كان يفسد اذ كان المفهوم منه ولا يطلب منهم عتبى قال شهاب الدين رحمه الله وليس فاسدا لما تقدم في قول الزمخشري قوله تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل وهذا اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية من الانذار وانه لم يبق من جانب الرسول تقصير فان طلبوا شيا اخر فذلك عناد محض لان من كذب دليلا لا يصعب عليه تكذيب الدلايل بل لا يجوز للمستدل ان يشرع في دليل اخر بعد ذكره دليلا اخر جيدا مستقيما ظاهرا لا اشكال عليه وعانده الخصم لانه اما ان يعترف بورود سوال الخصم عليه او لا يعترف فان اعترف يكون انقطاعا وهو يقدح في الدليل والمستدل اما ان يكون الدليل فاسدا واما ان المستدل جاهل بوجه الدلالة والاستدلال وكلاهما لا يجوز الاعتراف به من العالم فكيف من النبي صلى الله عليه وسلم وان لم يعترف يكون الشروع في غيره يوهم ان للخصم معاندة فيحترز عن العناد في الثاني اكثر فان قيل فالانبيا صلوات الله عليهم ذكروا انواعا من الدلايل فنقول سردوها سردا ثم قرروا فردا كمن يقول الدليل عليه من وجوه الاول كذا والثاني كذا والثالث كذا وفي مثل هذا الواجب عدم الالتفات الى عناد المعاند لانه يريد تضييع الوقت كي لا يتمكن المستدل من الاتيان بجميع ما وعد من الدليل فتنحط درجته والى هذا اشار بقوله تعالى ولين جيتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون اي ما انتم الا على باطل ووحد في قوله جيتهم وجمع في قوله ان انتم لنكتة وهي انه تعالى اخبر في موضع اخر فقال تعالى ولين جيتهم بكل اية اي جاءت بها الرسل فقال الكفار ما انتم ايها المدعون الرسالة كلكم الا كذا قوله تعالى كذلك يطبع اي مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون توحيد الله فان قيل من لا يعلم شيا اي فايده في الاخبار عن الطبع على قلبه فالجواب معناه ان من لا يعلم الان فقد طبع الله على قلبه من قبل ثم انه تعالى سلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال جل وعز فاصبر ان وعد الله حق في نصرتك واظهارك على عدوك وتثبيت صدقك قوله تعالى ولا يستخفنك العامة من الاستخفاف بخاء معجمة وقاف ويعقوب وابن ابي اسحاق بحاء مهملة وقاف من الاستحقاق بخاء معجمة وابن ابي عبلة ويعقوب بتخفيف نون التوكيد والنهي من باب لا ارينك ههنا **فصل** المعنى ولا يستجهلنك اي لا يحملنك الذين لا يوقنون على الجهل واتباعهم في الغي وقيل لا يستخفن رايك وحلمك الذين لا يومنون بالبعث والحساب وهذا اشارة الى وجوب مداومة النبي صلى الله عليه وسلم على الدعا الى الايمان فانه لو سكت لقال الكافرون انه متقلب الراي لا ثبات له روى ابو امامة عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله بين السما والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته رواه الثعلبي في تفسيره والله اعلم بالصواب

سورة لقمان مكية

وهي اربع وثلاثون اية وخمسماية وثمان واربعون كلمة والفان ومائة وعشرة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الم تلك ايات الكتاب الحكيم تلك اشارة الى غايب والمعنى ايات القران ايات الكتاب الحكيم والحكيم قيل فعيل بمعنى مفعل وهذا قليل قالوا اعقدت اللبن فهو عقيد اي معقد او بمعنى فاعل او بمعنى ذي الحكمة او اصله الحكيم قايله ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وهو الضمير المجرور فانقلب مرفوعا فاستتر في الصفة قاله الزمخشري وهو حسن الصناعة قوله تعالى هدي ورحمة العامة على النصب على الحال من ايات والعامل ما في اسم الاشارة من معنى الفعل او المدح وحمزة على خبر مبتدا مضمر وجوز بعضهم ان يكون

هدي منصوبا على الحال حال رفع رحمة قال ويكون رفعها على خبر ابتدا مضمر اي وهي رحمة وفيه بعد **فصل** قال في البقرة ذلك الكتاب ولم يقل الحكيم وهنا قال الحكيم لانه لما زاد ذكر وصف في الكتاب زاد ذكر امر احواله فقال هدي ورحمة وقال هناك هدي للمتقين فقوله هدي في مقابلة قوله الكتاب وقوله رحمة في مقابلة قوله الحكيم ووصف الكتاب بالحكيم على معنى ذو الحكمة كقوله تعالى في عيشة راضية اي ذات رضى وقال هناك للمتقين وقال هنا للمحسنين لانه لما ذكر انه هدي ولم يذكر شيا اخر قال للمتقين اي يهدي به من يتقي الشرك والعناد وهنا زاد قوله ورحمة فقال للمحسنين لان رحمة الله قريب من المحسنين وقال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة فناسبت زيادة قوله ورحمة ولان المحسن متقي وزيادة قوله تعالى الذين يقيمون صفة او بدل او بيان لما قبله او منصوب او مرفوع على القطع وعلى كل تقدير فهو تفسير للاحسان وسيل الاصمعي عن الالمعي فانشد الالمعي

الذي يظن بك الظن • قد راي وقد سمعا

يعني ان الالمعي هو الذي اذا ظن شيا كان كمن راه وسمعه لذلك المحسنون هم الذين يعملون هذه الطاعات ومثله وسيل بعضهم عن الهلوع فلم يزد ان تلا اذا مسه الخير منوعا واذا مسه الشر جزوعا **فصل** قال في البقرة الذين يومنون بالغيب لان المتقي هو التارك للكفر ويلزم منه ان يكون مومنا والمحسن هو الاتي بحقيقة الايمان ويلزمه ان لا يكون كافرا فلما كان المتقي دالا على المومن بالالتزام مدح بالايمان هناك ولما كان المحسن دالا على الايمان بالتنصيص لم يصرح بالايمان وتقدم الكلام على نظير قوله يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة الى قوله تعالى مفلحون قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث لما بين ان القران يشتمل على ايات حكيمة بين حال الكفار انهم يتركون ذلك ويشتغلون بغيره قال الكلبي ومقاتل رحمهما الله نزلت في النضر بن الحرث بن كلدة كان يتجر فياتي الحيرة ويشتري اخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار واخبار الاكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القران فانزل الله تعالى هذه الاية وقال مجاهد يعني شرى القيان والمغنين ووجه الكلام على هذا التاويل من يشتري ذات او ذا لهو الحديث قال صلوات الله عليه وسلامه لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن واثمانهن حرام وفي مثل هذا انزلت الاية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وما من رجل يرفع صوته بالغنا الا بعث الله تعالى عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب والاخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت قال النحويون قوله لهو الحديث من باب الاضافة بمعنى من لان اللهو يكون حديثا وغيره فهو كثياب خز وهذا ابلغ من حذف المضاف قوله تعالى ليضل قرا ابن كثير وابو عمرو وليضل بفتح حرف المضارعة والباقون بضمه من اضل غيره فمفعول محذوف وهو مستلزم للضلال لان من اضل فقد ضل من غير عكس وقد تقدم ذلك في ابراهيم صلوات الله عليه قال الزمخشري رحمه الله فان قلت القراة بالرفع بينة لان النضر كان غرضه باشترا اللهو ان يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القران ويضلهم عنه فما معنى القراة بالفتح قلت معنيان احدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فان المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني ان يوضع ليضل موضع ليضل من قبل ان من اضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف **فصل** روي عن عبد الله بن مسعود وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا اللهو الحديث هو الغنا والاية نزلت فيه ومعنى قوله تعالى يشتري لهو الحديث اي يستبدل ويختار الغنا والمزامير والمعازف على القران وقال ابن جريج هو الطبل وقال الضحاك هو الشرك وقال قتادة حسب المرء من الضلالة ان يختار حديث الباطل على حديث الحق قوله تعالى بغير علم حال اي يشتري بغير علم باحوال التجارة حيث اشترى ما يخسر قيمة الدارين قوله تعالى ويتخذها قرا الاخوان وحفص بالنصب اي بنصب الذال عطفا على ليضل فهو علة كالذي قبله والباقون بالرفع عطفا على يشتري فهو صلة وقيل الرفع على الاستيناف من غير عطف على الصلة والضمير المنصوب يعود على الايات المتقدمة والسبيل لانه يونث او الاحاديث الدال عليها الحديث لانه اسم جنس قوله تعالى اولئك لهم حمل اولا على لفظ من فافرد ثم على معناها فجمع على لفظها فافرد في قوله عز وجل واذا تتلى عليه ولذلك نظاير تقدم التنبيه عليها في المائدة عند قوله من

لعنة الله وعضب عليه قال ابوحيان ولا نعلم جاء في القران ما حمل علي اللفظ ثم علي المعنى
ثم علي اللفظ غيرها تين الايتين قال شيخنا بدر الدين رحمه الله وجد غيرها كما تقدم التنبيه
عليه في المايدة وقوله عذاب مهين اي وايم وقوله تعالي واذا تتلي عليه اياتنا ولي مستكبرا
اي يشتري لحديث الباطل ويابيه لحق الصراح مجانا فيعرض عنه وقوله تعالي ولي مستكبرا
حال من فاعل ولي او من ضمير مستكبرا وقوله كان في اذنيه وقرا حال تاكيدا او بدل مما قبلها او حال
من فاعل يسمعها او يتبين لما قبلها وجوز الزمخشري ان يكون جملة التشبيه استينافية **فصل**
كان لم يسمعها شغل المتكبر الذي لا يلتفت الي الكلام ويجعل نفسه كانه غافلة وقوله كان في
اذنيه وقرا ادخل في الاعراض فبشره بعذاب اليم اي مولم ووصفه اولا بانه مهين وهو اشارة الي
الدوام فكانه قال مولم دايم وقوله تعالي ان الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية لما بين
المعرض عن سماع الايات بين حال من يقبل علي تلك الايات بان له جنات النعيم وكذلك عذاب
مهين ووحد العذاب وجمع الجنات اشارة الي ان الرحمة واسعة اكثر من الغضب ونكر العذاب
وعرف الجنات اشارة الي ان الرحمة تبين النعمة وتعرفها ولم يبين النقمة وانما نبه عليها تنبيها
قوله تعالي خالدين حال وخبران الجملة من قوله لهم جنات والاحسن ان يجعل لهم هو الخبر
وحده وجنات فاعل به وقرا زيد بن علي خالدون بالواو فيجوز ان يكون هو الخبر والجملة
او الجار وحده حال ويجوز ان يكون خالدون خبرا ثانيا قوله تعالي وعد الله مصدر موكد
لنفسه لان قوله لهم جنات في معني وعدهم الله ذلك وحقا مصدر موكد لغيره اي لمضمون تلك
الجملة الاولي وعاملهما مختلف فيقدر الاولي وعد الله ذلك وعدا وتقدير الثاني احق ذلك
حقا وهو العزيز الحكيم العزيز في اقتداره الحكيم في افعاله قوله تعالي خلق السموات بغير
عمد وهذا العزته وحكمته وقد تقدم الكلام علي نظيرها في الرعد واعلم ان اكثر المفسرين قال
ان السموات مبسوطة كصحف مستوية لقوله تعالي يوم نطوي السما كطي السجل للكتب وقال
بعضهم انها مستديرة وهو قول جميع المهندسين والغزالي رحمه الله قال ونحن نوافقهم في
ذلك فان لهم عليها دليلا من المحسوسات ومخالفة الحس لا تجوز وان كان في الباب خبر
نوول بما يحتمله فضلا من ان ليس في القران والخبر ما يدل علي ذلك صريحا بل وفيه ما يدل علي
الاستدارة كقوله تعالي كل في فلك يسبحون والفلك اسم لشي مستدير بل الواجب ان يقال
ان السما سوا كانت مستديرة او صفحة مستقيمة هو مخلوق بقدرة الله لا بايجاب وطبع وتقدم
الكلام علي نظير الاية الي قوله كريم والكريم الحسن او ذو كرم لانه ياتي كثيرا من غير حساب او
مكرم مثل بقبض للمقبض قوله تعالي هذا خلق الله يعني هذا الذي ذكرت مما تعاينون خلق
الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه من الهتكم التي تعبدونها وتقدم تحقيق الاستفهام في
قوله تعالي ماذا في البقرة بل الظالمون في ضلال مبين اي بين اوبيس للعاقل انه ضلال
والمراد بالظالمين المشركين الواصفين العبادة في غير موضعها قوله تعالي ولقد اتينا
لقمان الحكمة لقمان قيل اعجمي وهو الظاهر فمنعه للتعريف والعجمة وقيل عربي مشتق
من اللقم وهو حينيذ مرتجل لانه لم يسبق له وضع في النكرات ومنعه حينيذ للتعريف وزيادة
الالف والنون والعامل في اذ مضمر قال ابن اسحاق لقمان هو باعور بن ناحور بن تارخ
وهو ازر وقال وهب كان ابن اخت ايوب وقال مقاتل ذكر انه كان ابن خالة ايوب وقال
الواقدي كان قاضيا في بني اسرايل واتفق العلما علي انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه
قال كان نبيا وتفرد بهذا القول وقال بعضهم خير لقمان بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة
روي انه كان نايما نصف النهار فنودي يا لقمان هل لك ان يجعلك الله خليفة في الارض تحكم
بين الناس بالحق فاجاب الصوت وقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم اقبل البلا وان عزم
علي فسمعا وطاعة فاني اعلم ان فعل بي ذلك اعانني وعصمني فقالت الملايكة بصوت لا يراهم
يا لقمان قال لان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان يعن فبالحري ان
ينجو وان اخطا اخطا طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا فنام فوهبت له
الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهوى
في الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازره بالحكمة قال خالد الربعي كان لقمان

عبدا

عبدا حبشيا نجارا وقال سعيد بن المسيب كان خياطا وقيل كان يرعى غنم فروي انه لقيه رجل
وهو يتكلم بالحكمة فقال الست فلانا الراعي فبم بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث واداء الامانة
وترك ما لا يعنيني وقال مجاهد رضي الله عنه كان عبدا اسود عظيم الشفتين مشقق القدمين
وقال الحسن اعتزل لقمان الناس فنزل ما بين الرملة وبيت المقدس لا يخالطهم وقال ابو جعفر
كان لقمان الحبشي عبد الرجل فجا به الي السوق ليبيعه فكان كلما جا انسان يشتريه قال له لقمان
ما تصنع بي قال اصيرك بوابا فيقول له اصنع بك كذا وكذا فيقول حاجتي اليك ان لا تشتريني حتى
جا رجل فقال ما تصنع بي قال اصيرك بوابا علي بابي فقال اشترني فاشتراه وجا به الي داره
قال وكان لمولاه ثلاث بنات يبغين في القرية واراد ان يخرج الي ضيعة له فقال له اني ادخلت
اليهن طعامهن وما يحتجن اليه فاذا خرجت فاغلق الباب واقعد من ورايه ولا تفتحه حتى احضر
قال ففعل فخرجن اليه كما كن يخرجن فقلن له افتح الباب فابا عليهن فشججنه فغسل الدم وجلس
فلما قدم مولاه لم يخبره ثم عاد مولاه بعد ذلك يخرج وقال اني لقد ادخلت اليهن ما يحتجن اليه فلا
تفتحن الباب فاغلق الباب فجين اليه فقلن له افتح الباب فابا فشججنه ورجعن فغسل الدم وجلس
فلما جا مولاه فلم يخبره قال فقالت الكبري ما بال هذا العبد الحبشي اولي بطاعة الله مني والله
لاتوبن فتابت فقالت الوسطي ما بال هاتين الصغري ما بال هذا العبد الحبشي وهذه الكبري
اولي بطاعة الله عز وجل مني والله لاتوبن فتابت فقالت الوسطي ما بال هاتين وهذا العبد
الحبشي اولي بطاعة الله مني والله لاتوبن فتابت فتبن الي الله تعالي وكن عوابد القرية فقال
غواة القرية ما بال هذا العبد الحبشي وبنات فلان اولي بطاعة الله عز وجل منا فتابوا وعن
مكحول ان لقمان كان عبدا حبشيا لرجل من بني اسرايل وكان مولاه يلعب بالنرد ويخاطر عليه وكان
علي بابه نهر جار فلعب يوما بالنرد علي ان من قمر صاحبه شرب الما الذي في النهر كله او افتدي منه
فقمر سيد لقمان فقال له القامر اشرب ما في النهر كله والا فافتد منه فقال سلني الفدا فقال
عينيك افقاهما او جميع ما تملك قال امهلني يوما قال لك ذلك فامسى كيبا حزينا فكلمه لقمان
فاعرض عنه فاعاد عليه القول فاعرض عنه فقال اخبرني فلعل لك عندي فرجا فاخبره فقال
اذا قال لك الرجل اشرب ما في النهر فقل له اشرب ما بين حفتي النهر او المد فانه يقول لك ما بين حفتي
النهر فقل له احبس عني المد حتى اشرب ما بين الحفتين فانه لا يستطيع وتكون قد خرجت مما ضمنته
له فعرف الرجل انه قد صدق فطابت نفسه فلما اصبح الرجل فقال اوف لي شرطي فقال له نعم اشرب
ما بين الصفتين او المد فقال ما بين الصفتين قال فاحبس عني المد قال كيف استطيع فخصمه
قال فاعتقه مولاه فاكرمه الله تعالي وكان يختلف الي داود صلوات الله عليه يقتبس فاختلف
اليه سنة وداود يتخذ درعا لا يساله لما هذا ولم يخبره داود حتى فرغ منها ولبسها علي نفسه فقال
عند ذلك الصمت حكمة **فصل** لما بين الله تعالي فساد اعتقاد المشركين في عبادة
من لا يخلق شيا بقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه وبين ان المشرك ظالم
ضال ذكر ما يدل علي ان ضلالهم وظلمهم يقتضي الحكمة ان لم يكن هناك نبوة وذكر حكاية لقمان
فقال تعالي ولقد اتينا لقمان الحكمة والحكمة عبارة عن توفيق العمل بالعلم فان اريد تحديدها
بما يدخل فيه حكمة الله فنقول حصول العلم علي وفق المعلوم قوله تعالي ان اشكر لله ان
المفسرة فسر ايتا الحكمة بقوله ان اشكر لله ثم بين ان الشكر لا ينفع الا الشاكر بقوله ومن يشكر
فانما يشكر لنفسه ومبين ان من كفر لا يتضرر غير الكافر فقال ومن كفر فان الله غني حميد اي غير
محتاج الي شكر وقدم الشكر علي الكفران ههنا وقال في الروم من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا
فلانفسهم يمهدون لان الذكر في الروم كان للترهيب ولذلك قال عز وجل يات يوم لا مرد له فتقدم
التخويف وههنا الذكر للترغيب لان وعظ الاب للابن يكون بطريق اللطف والوعد قوله تعالي
واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه هذا عطف علي ما تقدم والتقدير اتينا لقمان الحكمة حين جعلناه
شاكرا في نفسه وحين جعلناه واعظا لغيره قوله تعالي يا بني قرا ابن كثير باسكان اليا وفتحها
حفص والباقون بالكسر لا تشرك بالله بدا في الوعظ بالاهم وهو المنع من الاشراك وقال ان
الشرك لظلم عظيم اما انه ظلم فلانه وضع النفس الشريفة المكرمة في عبادة الخسيس فوضع العبادة
في غير موضعها قوله تعالي ووصينا الانسان بوالديه حسنا لما منعه من العبادة لغير الله والخدمة

وقريب منها في الصورة بين انها غير ممتنعة بل هي واجبة لغير الله تعالى في بعض الصور كخدمة
الابوين ثم بين السبب فقال حملته امه يعني لله على العبد نعمة الابتداء بالخلق ونعمة الابقا
بالرزق اي صارت بقدرة الله سبب وجوده فانها حملته وبرضاعه حصلت التربية والبقا
قوله تعالى وهنا على وهن يجوز ان ينتصب على الحال من امه اي ضعفا على ضعف او من مفعول
حملته اي علقة ثم نطفة ثم مضغة قال الضحاك ضعفا على ضعف وقال ابن عباس رضي
الله عنه شدة بعد شدة وقال مجاهد مشقة بعد مشقة وقال الزجاج المراة اذا حملت
توالى عليها الضعف والمشقة وقيل الحمل ضعف والوضع ضعف وقيل منصوب على اسقاط
الخافض اي في وهن قاله ابو البقا وعلى وهن صفة لوهنا وقرا الثقفي وابو عمرو في رواية وهنا
على وهن بفتح الها فيهما فاحتمل ان تكونا لغتين كالشعر والشعر واحتمل ان يكون المفتوح
مصدرا وهن بالكسر يوهن وهنا قوله تعالى وفصاله قرا الجحدري وقتادة وابو رجا
والحسن وفصله دون الف اي وفطامه في عامين فان قيل وصى الله تعالى بالوالدين
وذكر السبب في حق الام مع ان الاب وخدمته اكثر من الام لانه حمله في صلبه سنين ورباه
بكسبه سنين فهو ابلغ فالجواب ان المشقة الحاصلة للام اعظم فان الاب حمله خفا لكونه
من جملة جسده والام حملته ثقلا ادميا مودع فيها وبعد وضعه وتربيته ليلا ونهارا وبينهما
ما لا يخفى من المشقة قوله تعالى ان اشكر في ان وجهان احدهما انها مفسرة والثاني انها
مصدرية في محل نصب بوصينا قال الزجاج لما كان الوالدان سبب وجود الولد والموجد في
الحقيقة للولد والوالدين هو الله امر بان يشكر لهما ثم بين الفرق فقال الي المصير اي المرجع
قال سفيان بن عيينة في هذه الاية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين قوله
تعالى وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم يعني ان خدمتهما واجبة وطاعتهما
لازمة ما لم يكن فيهما ترك طاعة الله تعالى فان افضى اليه فلا تطعهما وتقدم تفسير الاية
في العنكبوت وقوله معروفا صفة لمصدر محذوف اي صحابا معروفا وقيل الاصل بمعروف
قوله تعالى واتبع سبيل من اناب الي اي دين من اقبل الى طاعتي وهو النبي المصطفى
صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه قال عطا عن ابن عباس يريد ابا بكر رضي الله عنه
وذلك انه حين اسلم اتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف
وقالوا له قد صدقت هذا الرجل وامنت به قال نعم هو صادق فامنوا به ثم حملهم الى النبي
صلى الله عليه وسلم حتى اسلموا فهولاء لهم سابقة الاسلام اسلموا بارشاد ابي بكر رضي الله عنه
وعن الصحابة اجمعين قال الله تعالى واتبع سبيل من اناب الي يعني ابا بكر رضي الله عنه
قوله تعالى الي متعلق باناب ثم الي متعلق بمحذوف لانه خبر مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون
قيل نزلت هاتان الايتان في سعد بن ابي وقاص وامه وقيل الاية عامة قوله تعالى يا بني
انها هذا الضمير يرجع الى الخطيئة وذلك ان ابن لقمان قال لابيه يا ابت ان عملت الخطيئة حيث
لا يراني احد كيف يعلمها الله عز وجل فقال يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل قوله
تعالى ان تك ضمير القصة والجملة الشرطية مفسرة للضمير وتقدم ان نافعا يقرا مثقال بالرفع
على ان كان تامة وهو فاعلها وعلى هذا فيقال لم الحقت فعله تا التانيث فقيل لاضافته الى
مونث ولانه بمعنى زنة حبة وجوز الزمخشري في ضمير انها ان تكون للحبة من السيات والاحسان
في قراءة من نصب مثقال وقيل الضمير يعود على ما يفهم من سياق الكلام اي ان التي سالت عنها
ان تك قال المفسرون انه سال اباه ارايت الحبة تقع في مغاص البحر يعلمها الله تعالى فتكن
القالا فائدة الاجماع يعني ان كانت صغيرة ومع صغرها تكون خفية في موضع حريز كالصخرة
لا تخفى على الله لانها الفا للاتصال بالتعقيب وقرا عبد الكريم الجحدري فتكن بكسر الكاف
وتشديد النون مفتوحة اي فتستقر وقرا محمد بن ابي محمد البعلبكي فتكن كذلك الا انه مبني
للمفعول وقتادة فتكن بكسر الكاف وتخفيف النون مضارع وكن اي استقر في وكنه ووكره

فصل الصخرة لا بد وان تكون في السموات او في الارض فما الفائدة في ذكرها قال
بعض المفسرين المراد بالصخرة صخرة عليها الثور وهي لا في الارض ولا في السما وقال الزمخشري
فيه اضمار وتقديره ان تكن في صخرة او في موضع اخر في السموات او في الارض وقيل هذا من تقديم

الخاص

الخاص على العام وهو جائز في مثل هذا التقسيم وقيل خفا الشي يكون بطرق منها ان يكون في غاية
الصغر ومنها ان يكون بعيدا ومنها ان يكون في ظلمة ومنها ان يكون وراء حجاب فان امتنعت هذه
الامور فلا يخفى في العادة فاثبت الله الروية والعلم مع انتفاء الشرائط بقوله ان تك مثقال حبة من
خردل اشارة الى الصغر وقوله فتكن في صخرة اشارة الى الحجاب وقوله او في السموات اشارة الى البعد
فانها ابعد الابعاد وقوله او في الارض اشارة الى الظلمات فان جوف الارض اظلم الاماكن وقوله يات
بها الله ابلغ من قول القائل يعلمه الله لان من يظهر له شي ولا يقدر على اظهاره لغيره يكون حاله
في العلم دون حال من يظهر له الشي ويظهره لغيره فقوله يات بها الله اي يظهرها للاشهاد ان الله لطيف
فاند القدرة خبير عالم ببواطن الامور روي في بعض الكتب ان هذه اخر كلمة تكلم بها لقمان ه
فانشقت مرارته من هيبتها فمات قال الحسن معنى الاية هو الاحاطة بالاشيا صغيرها وكبيرها قوله
تعالى يا بني اقم الصلوة لما منعه من الشرك وخوفه بعلم الله وقدرته امره بما يلزم من التوحيد وهو
الصلوة وهي العبادة لوجه الله مخلصا وبهذا يعلم ان الصلوة كانت في ساير الملل غير ان هياتها
اختلفت وقوله وامر بالمعروف وانه عن المنكر اي اذا كملت انت في نفسك بعبادة الله فكمل غيرك
فان شغل الانبيا وورثتهم من العلما هو ان يكملوا في انفسهم ويكملوا غيرهم واصبر على ما اصابك
يعني من الاذى لان من يامر بالمعروف وينهى عن المنكر يوذى فامره بالصبر عليه فان قيل كيف
قدم في وصيته لابنه الامر بالمعروف على النهي عن المنكر وحين امر ابنه قدم النهي عن المنكر على
الامر بالمعروف فقال لا تشرك بالله ثم قال اقم الصلوة فالجواب انه كان يعلم ان ابنه معترف بوجود
الاله فما امره بهذا المعروف بل نهاه عن المنكر الذي يترتب على هذا المعروف واما ابنه فامره امرا
مطلقا والمعروف مقدم على المنكر وقوله تعالى من عزم الامور يجوز ان يكون عزم بمعنى مفعول اي
من معزومات الامور او بمعنى عازم كقوله فاذا عزم الامر وهو مجاز بليغ وزعم المبرد ان العين تبدل
حا فيقال حزم وعزم والصحيح انهما مادتان مختلفتان اتفقتا في المعنى والمراد من الاية ان الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الاذى فيهما من الامور الواجبة التي امر الله تعالى بها ويعزم
عليها لوجوبها قوله تعالى ولا تصعر قرا ابن كثير وابن عامر وعاصم تصاعر بالف وتخفيف العين والباقون
بلا الف وتشديد العين والرسم يحتملهما فانه رسم بغير الف وهما لغتان لغة الحجاز التخفيف وتميم
التثقيل في التثقيل قوله • وكنا اذا الجبار صعر خده • اقمنا له من ميله فتقوم •
ويقال ايضا يصعر قال • اقمنا له من خده المتصعر • وهو من الميل وذلك ان المتكبر
يميل بخده تكبرا كقوله عز وجل ثاني عطفه قال ابو عبيدة اصله من الصعر داء ياخذ الابل في اعناقها
فتميل وتلتوي يقال صعر وجهه وصاعر اذا امال واعرض تكبرا ورجل اصعر اي مائل العنق وتفسير
اليزيدي له بانه التشدق في الكلام لا يوافق الاية هنا قال ابن عباس يقول لا يتكبر فتحتقر الناس
وتعرض عنهم وجهك اذا كلموك وقال مجاهد هو الرجل يكون بينك وبينه احنة فتلقاه فيعرض عنك بوجهه
وقال عكرمة هو الذي اذا اسلم عليه لوى عنقه تكبرا وقال الربيع بن انس وقتادة ولا تحتقر الفقرا
ليكون الغني والفقير عندك سوا واعلم انه لما امره بان يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره فكان يخشى
بعدهما من امرين احدهما التكبر على الغير لكونه مكملا له والثاني التبختر في المشي لكونه كاملا في نفسه
فقال ولا تصعر خدك تكبرا ولا تمش في الارض مرحا اي خيلا ان الله لا يحب كل مختال في مشيته فخور على
الناس بنفسه قوله تعالى واقصد هذا فاصر بمعنى اقتصد واسلك الطريقة الوسطى بين ذلك قواما
اي ليكن مشيك قصدا لا تخيلا ولا اسراعا وقال عطا امش بالوقار والسكينة لقوله عز وجل يمشون
على الارض هونا وقرئ واقصد بهمزة وقطع من اقصد اذا سدد سهمه للرمية قوله تعالى واغضض
من صوتك من تبعيضية وعند الاخفش يجوز ان يكون مزيدة ويويده قوله عز وجل يغضون اصواتهم
وقيل من صوتك صفة لموصوف محذوف اي شيا من صوتك وكانت الجاهلية يتمدحون برفع الصوت
قال جهير الكلام جهير العطاس جهير الرواء جهير النعم والمعنى انقص من صوتك وقال مقاتل اخفض
من صوتك فان قيل لم ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة المشي فالجواب ان رفع
الصوت يوذي السامع ويقرع الصماخ بقوته وربما يخرق الغشا الذي داخل الاذن واما سرعة
المشي فلا يوذي وان اذت فلا يوذي غير من في طريقه والصوت يبلغ من على اليمين وعلى اليسار ولان
اللمس يوذي اله اللمس والصوت يوذي الة السمع والة السمع على باب القلب فان الكلام ينتقل من

السمع الي القلب ولا كذلك السمع وايضا فلان قبيح القول اقبح من قبيح الفعل وحسنه احسن لان اللسان ترجمان القلب قوله تعالى ان انكر قيل انكر مبني من مبني للمفعول نحو اشغل من ذات النحيين وهو مختلف فيه ووحد صوت لانه يراد به الجنس ولاضافته لجمع وقيل يحتمل ان يكون انكر من باب اطوع له من بنانه ومعناه اشد طاعة فان افعل لا يجي في مفعل ولا في مفعول ولا في باب العيوب الا ما شذ كقولهم اطوع من كذا للتفضيل على المطيع واشغل من ذات النحيين واحمق من فلان من باب العيوب وهذا فهو من باب افعل كاشغل في باب مفعول فيكون التفضيل على المنكر او يقول هلهي باب اشغل ماخوذ من نكر الشي فهو منكر وهذا انكر منه وعلى هذا فله معنى لطيف وهو ان كل حيوان يفهم من صوته بانه يصيح من ثقل او تعب كالبعير او لغير ذلك والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح وفي اوقات عدم الحاجة يصيح وينهق بصوت منكر فيمكن ان يقال هو من نكير كاحد من حديد فان قيل كيف يفهم كونه انكر الاصوات مع ان حز المنشار بالمبرد ودق النحاس بالحديد اشد صوتا فالجواب من وجهين الاول ان المراد انكر اصوات الحيوانات صوت الحمير فلا يرد السوال الثاني ان الامر بمصلحة وعبادة لا ينكر صوته بخلاف صوت الحمير **فصل** قال مقاتل المعنى اخفض من صوتك ان انكر الاصوات اقبح الاصوات لصوت الحمير اوله زفير واخره شهيق وهما صوت اهل النار قال موسي بن اعين سمعت سفين الثوري يقول في قوله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير قال هي العطسة القبيحة المنكرة قال وهب تكلم لقمان باثني عشر الف كلمة من الحكمة ادخلها الناس في كلامهم ومن حكمه قال خالد الربعي كان لقمان عبدا حبشيا فدفع مولاه اليه شاة قال اذبحها واتني باطيب مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب فساله مولاه فقال ليس شي اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا قوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم الاية اي سخر لاجلكم ما في السموات والقمر والنجوم مسخرات بامر الله سبحانه وفيها فوايد لعباده وسخر ما في الارض لاجل عباده قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه قرا نافع وابو عمرو وحفص نعمه جمع نعمة مضافا لها الضمير فظاهرة حال منها والباقون نعمة بسكون العين وتنوين تا التانيث اسم جنس يراد به الجمع كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فظاهرة نعت لها وقرا ابن عباس ويحيي بن عمارة واصبغ بابدال السين صادا وهي لغة كلب يفعلون ذلك مع العين والخا والقاف وتقدم نظير هذه الجمل كلها في البقرة **فصل** قال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه النعمة الظاهرة الاسلام والقران والباطنة ما ستر عليك من الذنوب ولم يعجل عليك بالنقمة وقال الضحاك الظاهرة حسن الصورة وتسوية الاعضا والباطنة المعرفة وقال مقاتل الظاهرة تسوية الخلق والرزق والاسلام والباطنة ما ستر عليك من الذنوب وقال الربيع الظاهرة الجوارح والباطنة القلب وقيل الظاهرة تمام الرزق والباطنة حسن الخلق وقال عطا الظاهرة تخفيف الشرايع والباطنة الشفاعة وقال مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعدا والباطنة الامداد بالملايكة صلوات الله عليهم وقيل الظاهرة الامداد بالملايكة والباطنة القا الرعب في قلوب الكفار وقال سهل بن عبد الله الظاهرة اتباع الرسول صلوات الله وسلامه عليه والباطنة محبته قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحرث وابي بن خلف واشباههم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله وفي صفاته بغير علم ولا هدي ولا كتاب منير اي بغير هدي ارسلناه اليه وحيا ولا بكتاب يتلى عليه وعظا واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباونا يعني ان مجادلتهم مع كونها من غير علم فهي في غاية القبح فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى كلام الله تعالى وهم ياخذون بكلام ابايهم وبين كلام الله وكلام العلما بون عظيم فكيف ما بين كلام الله وكلام الجهال ثم قال اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير جواب لو محذوف ومجازه يدعوهم فيتبعونه اي يتبعون الشيطان وان كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير والمعنى ان الله يدعوهم الى الثواب والشيطان يدعوهم الى العذاب وهم مع هذا يتبعون الشيطان وقد تقدم الكلام على اولو ونحوه قوله تعالى ومن يسلم وجهه الى الله قرا علي والسلمي يسلم بالتشديد لما بين حال المشرك والمجادل في الله بين حال المسلم المستسلم لامر الله وقوله عز وجل وهو محسن اي لله يعني يخلص دينه لله ويفوض امره اليه وهو محسن في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى اي اعتصم بالعهد الاوثق الذي

لايخاف

لا يخاف انقطاعه لانه اوثق العرى جانب الله عز وجل فان كل ما عداه هالك منقطع وهو باق لا انقطاع له والى الله عاقبة الامور يعني فقد استمسك بالعروة التي توصله الى الله لان عاقبة كل شي اليه فان قيل كيف قال ههنا ومن يسلم وجهه الى الله فعداه بالى وقال في البقرة بلى من اسلم وجهه لله فعداه باللام فقال الزمخشري اسلم لله اي الى الله يعني ان اسلم يتعدي تارة باللام وتارة بالى كما يتعدي ارسل تارة باللام وتارة بالى قال تعالى وارسلناك للناس وقال كما ارسلنا الى فرعون رسولا ثم قال ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبيهم بما عملوا لما بين حال المسلم رجع الى بيان حال الكافر وقال من كفر فلا يحزنك اي لا تحزن اذا كفر كافر فان من يكذب وهو مقطوع بان صدقه تبين عن قرب لا يحزن بل قد يتوب المكذب عن تكذيبه واما اذا كان لا يرجو ظهور صدقه فانه يتالم من التكذيب فقال سبحانه لا يحزنك كفره فان المرجع الي فانبيهم بما عملوا فيخجلون ثم قال ان الله عليم بذات الصدور وراي لا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم فينبيهم بما اسروه في صدورهم قوله تعالى نمتعهم قليلا اي نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا قليلا الى انقضا اجالهم ثم نضطرهم نلجيهم ونردهم في الاخرة الى عذاب غليظ وهو عذاب النار قوله تعالى ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله الاية لما استدل بخلق السموات بغير عمد وبنعمه الظاهرة والباطنة بين انهم يعترفون بذلك ولا ينكرونه وهذا يقتضي ان الحمد كله لله لان خالق السموات والارض يحتاج اليه كل من في السموات والارض وكون الحمد كله لله يقتضي ان لا يعبد غيره لكنهم لا يعلمون هذا وجه اخر وهو ان الله تعالى لما سلي قلب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فلا يحزنك كفرهم الينا مرجعهم فننبيهم بما عملوا اي لا تحزن على تكذيبهم فان صدقك وكذبهم يتبين عن قريب وهو رجوعهم الينا مرجعهم بل لا يتاخر الى ذلك اليوم بل يتبين قبل يوم القيمة بانهم يعترفون بان خالق السموات والارض هو الله تعالى ثم قال في دعوى الوحدانية ويتبين كذبهم في الاشراك قل الحمد لله على ظهور صدقك وكذبهم بل اكثرهم لا يعلمون استعمال للفعل مع القطع عن المفعول بالكلية كما يقال فلان يعطي ويمنع ولا يكون في ضميره ما يعطي بل يريد ان له عطا ومنعا فكذلك ههنا قال لا يعلمون اي ليس لهم علم وعلى الاول يكون لا يعلمون له مفعول مفهوم وهو انهم لا يعلمون ان الحمد كله لله وعلى الثاني هو كقول القايل فلان لا اعلم له بكذا دون قوله لا اعلم له وكذا قوله فلان لا ينفع زيدا ولا يضره دون قوله فلان لا يضر ولا ينفع قوله تعالى لله ما في السموات والارض ذكر ما يلزم وهو ان تكون لله ما فيهما ان الله هو الغني الحميد اي ان الكل لله وهو غير محتاج اليه غير منتفع به وخالق منافعها لكم فهو غني لعدم حاجته حميد مشكور لدفعه حوايجكم بها قوله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الاية لما قال الله تعالى ما في السموات والارض اوهم تناهي ملكه لانحصار ما في السموات والارض فيهما وحكم العقل الصريح بتناهيهما بين ان قدرته وعلمه عجايب لا نهاية لها فقال ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام يكتب بها والبحر مدادا لا تفنى عجايب صنع الله عز وجل قال المفسرون نزلت بمكة قوله تعالى ويسالونك عن الروح الى قوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه احبار اليهود فقالوا يا محمد بلغنا انك تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا افعنيتنا ام قومك فقال صلوات الله عليه كلا قد عنيت قالوا الست تتلو فيما جاءك انا اوتينا التوراة وفيها علم كل شي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد اتاكم ما ان عملتم به انتفعتم قالوا يا محمد كيف تزعم هذا وانت تقول ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير فانزل الله تعالى هذه الاية قال قتادة ان المشركين قالوا ان القران وما ياتي به محمد يوشك ان ينفد فينقطع فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام ووحد الشجرة وجمع الاقلام ولم يقل ولو ان ما في الارض من الاشجار اقلام ولم يقل من شجرة قلم اشارة الى التكثير يعني لو ان بعدد كل شجرة اقلاما قال الزمخشري فان قلت قيل من شجرة بالتوحيد قلت اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر واحدة الا قد بريت اقلاما قال ابو حيان وهو من وقوع المفرد موقع الجمع والنكرة موقع المعرفة كقوله ما ننسخ من اية قال شهاب الدين وهذا يذهب بالمعنى الذي ابداه الزمخشري قوله تعالى والبحر قراه ابو عمرو بالنصب والباقون بالرفع فالنصب من وجهين احدهما العطف على اسم ان اي ولو ان البحر ويمده الخبر والثاني النصب بفعل مضمر يفسره يمده والواو حينيذ للحال والجملة حالية ولم

يحتج الى ضمير رابط بين الحال وصاحبها للاستغنا عنه بالواو والتقدير ولو ان الذي في الارض
حال كون البحر يمده وابكذا واما الرفع فمن وجهين احدهما العطف على ان وما في خبرها وقد تقدم
في ان الواقعة بعد لو ومذهبان مذهب سيبويه يكون تقديرا لعطف ولو ان البحر الا ان ابا حيان
قال انه لا يلي لو المبتدا اسما صريحا الا في صورة كقوله • لو بغير الما حلقي شرق
وهذا القول يودي الى ذلك ثم اجاب بانه يغتفر في المعطوف ما لا يغتفر في المعطوف عليهم كقولهم
رب رجل واخيه يقولان ذلك وعلى مذهب المبرد يكون تقديره ولو ثبت البحر وعلى التقديرين يكون
يمده جملة حالية من البحر والثاني ان البحر مبتدا ويمده الخبر والجملة حالية كما تقدم في جملة
الاشتغال والرابط الواو وقد جعله الزمخشري سوالا وجوابا وانشد وقد اهتدي والطير
في وكناتها ومن شجرة حال اما من الموصول او من الضمير المستتر في الجار الواقع صلة واقلام خبر ان
قال ابو حيان وفيه دليل على من يقول كالزمخشري ومن تعصب له من العجم على ان خبر ان الواقعة
بعد لو لا يكون اسما البته لا جامدا ولا مشتقا بل يتعين ان يكون فعلا قال وهو باطل وانشد •

• ولو انها عصفورة لحسبتها • مسومة تدعوا عبيدا وازنما • وقال

• ما طيب العيش لو ان الفتى حجر • تنبوا الحوادث عنه وهو ملموم •

وقال • ولو ان حيا فايت الموت فاته • اخو الحرب فوق القارح العدوان •

قال وهو كثير في كلامهم قال شهاب الدين رحمه الله وقد تقدم ان هذه الاية ونحوها يبطل ظاهر
قول المتقدمين في لو انها حرف امتناع لامتناع اذ يلزم محذور عظيم وهو ان ما بعدها اذا كان منفيا
لفظا فهو مثبت معنى وبالعكس وقوله ما نفدت منفي لفظا فلو كان مثبتا معنى فسد المعنى فعليك
بالالتفات الى اول البقرة وقرا عبد الله وبحر بالتنكير وفيه وجهان معروفان وسوغ الابتدا
بالنكرة وقوعها بعد واو الحال وهو معدود من مسوغات الابتدا بالنكرة وانشدوا •

• سرينا ونجم قد اضا فمذ بدا • محياك اخفى ضوءه كل شارق •

وبهذا يظهر فساد قول من قال ان في هذه القراة يتعين القول بالعطف على ان كانه توهم انه
ليس ثم مسوغ وقرا عبد الله وابي تمده بالتاء من لاجل سبعه والحسن وابن هرمز وابن مصرف
يمده بالياء من تحت مضمومه وكسر الميم من امده وقد تقدم اللغتان في اخر الاعراف واوايل
البقرة والالف واللام في البحر لاستغراق الجنس اي وكل بحر مداد **فصل** المعنى والبحر
يمده اي يزيده وينصب فيه من بعده اي من بعد خلقه سبعة ابحر وهذا اشارة الى بحار غير
موجودة يعني لو مدت البحار الموجودة سبعة ابحر اخرى وقوله سبعة ليس لانحصارها في سبعة
وانما الاشارة الى المدد والكثرة ولو بالف بحر وانما خصصت السبعة بالذكر من بين الاعداد
لانها عدد كثير يحصر المعدودات في العادة ويدل على ذلك وجوه الاول ان المعلوم عند كل
احد لحاجته اليه هو الزمان والمكان فالزمان منحصر في سبعة ايام والمكان منحصر في سبعة
اقاليم ولان الكواكب السيارة سبعة والمنجمون ينسبون اليها امورا فصارت السبعة كالعدد
الحاصر للكثرات الواقعة في العادة فاستعملت في كل كثير الثاني ان في السبعة معنى يخصها ولذلك
كانت السموات سبعا والارضين سبعا وابواب جهنم سبعا وابواب الجنة ثمانية لانها الحسنى
وزيادة فالزيادة هي الثامن لان العرب يزيدون واوا تقول الثلاثة والثمانية وليس ذلك
الا للاستيناف لان العدد تم بالسبعة واعلم ان في الكلام اختصارا تقديره ولو ان ما في الارض
من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر يكتب بها كلام الله ما نفدت كلمات الله قوله
تعالى كلمات الله قال الزمخشري فان قلت الكلمات جمع قلة والموضع موضع تكثير فهلا قيل
كلم قلت معناه ان كلماته لا تفي بكتبها البحار فكيف بكلمه يعني انه من باب التنبيه بطريق الاولى
ورده ابو حيان بان جمع السلامة متى عرف بال غير العهدية او اضيف عم قال شهاب الدين رحمه
الله خلاف في ال هل تعم اولا وقد يكون الزمخشري ممن لا يرى العموم ولم يزل الناس يشكون في
حديث حسان رضي الله عنه • لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى •
ويقولون كيف اتى بجمع القلة في مقام المدح ولم يقل الجفان وهو تقرير لما قاله الزمخشري
واعتراف بان ال لا تؤثر في جميع القلة تكثيرا ثم قال تعالى ان الله اي كامل القدرة لا نهاية لقدرته
حكيم كامل العلم لا نهاية لمعلوماته وهذه الاية على قول عطا ابن يسار مدنيه وعلى قول غيره مكيه

قوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة لما بين كمال قدرته وعلمه ذكر ما يبطل استبعادهم
للحشر فقال خلقكم وبعثكم كنفس واحدة فقوله الا كنفس خبر ما خلقكم والتقدير الا كخلق نفس
واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شي ان الله سميع بصير سميع لما تقولون بصير بما يعملون فاذا كان
قادرا على البعث ومحيطا بالاقوال والافعال وجب الاحتراز الكامل قوله تعالى الم تر ان الله
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل في النظم وجهان الاول ان الله تعالى سبحانه لما قال
الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض على وجه العموم ذكر منها بعض ما فيها على
الوجه المخصوص بقوله يولج الليل في النهار وقوله تعالى وسخر الشمس والقمر اشارة الى ما في
السموات وقوله بعد هذا الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله اشارة الى ما في الارض الثاني
ان الله تعالى لما ذكر البعث فكان من الناس من يقول وما يهلكنا الا الدهر والدهر هو بالليالي
والايام فقال الله تعالى هذه الليالي والايام التي ينسبون اليها الموت والحيوة هي بقدرة الله
تعالى فقال سبحانه الم تر ان الله يولج الليل في النهار ثم قال ان ذلك باختلاف سير الشمس فتارة
يكون القوس التي هي فوق الارض اكبر من التي تحت الارض فيكون الليل اقصر والنهار اطول
وتارة يكون بالعكس فيكون بالعكس وتارة يتساويا فيتساويا فقال تعالى وسخر الشمس والقمر
يعني ان كنتم لا تعرفون بان هذه الاشيا كلها من الله فلا بد من الاعتراف بانها باسرها عايده الى
الله تعالى فالاجال ان كانت بالمدد والمدد بسير الكواكب فسير الكواكب ليس الا بالله وقدرته
سبحانه **فصل** قال يولج بصيغة المستقبل وقال في الشمس والقمر وسخر بصيغة
الماضي لان ايلاج الليل في النهار امر يتجدد كل يوم وتسخير الشمس والقمر امر مستمر كما قال سبحانه
حتى عاد كالعرجون القديم وقال سبحانه هنا الى اجل وفي الزمر لاجل لان المعنيين لايقان بالحرفين
فلا عليك في ايهما وقع قال الاكثرون هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل
وعظم والمومنين وقيل عام ثم قال الجل وعز قايل سبحانه وان الله بما تعملون خبير اي لما
كان الليل والنهار محل الافعال بين ان ما يقع في هذين الزمانين اللذين هما بتصرف الله لا يخفى
على الله عز وجل وقرا ابو عمرو في رواية وان الله بما يعملون بيا الغيبة والباقون بتا الخطاب
قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق اي ذلك الذي ذكرت لتعلموا ان الله هو الحق وان ما
يدعون من دونه الباطل اي الزايل يقال بطل ظله اذا زال وان الله هو العلي الكبير اي في ذاته
قوله تعالى ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله سبحانه لما قال الم تر ان الله يولج الليل في النهار
وسخر الشمس والقمر ذكر اية سماوية واشار الى السبب والمسبب ذكر بعده اية ارضية واشار الى
السبب والمسبب بقوله الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله اي الريح التي بامر الله ليريكم من
اياته يعني يريكم باجرايها بنعمة الله بعض اياته عجايبه ان في ذلك لايات لكل صبار على امر الله شكور
لنعمه قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل لما قال سبحانه ان في ذلك لايات ذكر ان الكل معترفون
به غير ان البصير يدركه اولا ومن في بصيرته ضعف لا يدركه اولا فاذا غشيه موج وقع في شدة اعترف
بان الكل من الله سبحانه ودعاه مخلصا وقوله عز وجل كالظلل قال مقاتل كالجبال وقال الكلبي
كالسحاب والظلل جمع ظله شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها وجعل الموج وهو واحد كالظلل
وهو جمع لان الموج ياتي منه شي بعد شي وقوله تعالى دعوا الله مخلصين له الدين اي تركوا
كل من دعوهم فلما نجاهم الى البر اي نجاهم من تلك الشدة فمنهم من يبقى على تلك الحالة وهو المراد
بقوله تعالى فمنهم مقتصد اي عدل موف في البر بما عاهد عليه في البحر من التوحيد له يعني على
ثبت على ايمانه قيل نزلت في عكرمة بن ابي جهل هرب عام الفتح الى البحر فجاءهم ريح عاصف
فقال عكرمة لين انجاني الله من هذا الامر لارجعن الى محمد ولا ضعن يدي في يده فسكنت الريح
فرجع عكرمة الى مكة فاسلم وحسن اسلامه وقال مجاهد مقتصد في القول اي من الكفار
لان بعضهم كان اشد قولا واعلى في الافترا من بعض فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى في العنكبوت
فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وقال هنا فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد فالجواب لما ذكر ههنا
امرا عظيما وهو الموج الذي كالجبال بقي اثر ذلك في قلوبهم فخرج منهم مقتصد اي في الكفر وهو
الذي انزجر بعض الانزجار ومقتصد في الاخلاص فبقي معه شي منه ولم يبق على ما كان عليه
من الاخلاص وهناك لم يذكر ركوب البحر معاينة مثل ذلك الامر فذكر اشراكهم حيث لم يبق عندهم اثر

قوله تعالى وما يجحد باياتنا في مقابلة قوله تعالى ان في ذلك لايات يعني يعترف بها الصبار
والشكور ويجحدها الختار الكفور فالصبار في موازنة الختار لفظا ومعنى والكفور في موازنة
الشكور اما لفظا فظاهر واما معنى فلان الختار هو الغدار الكثير الغدر او شديد الغدر ومنه
مبالغة من الختر وهو اشد الغدر قال الاعشى

فابلق الفرد من تيما منزلة • حصن حصين وجار غير ختار

وقال عمرو بن معدي كرب

فانك لو رايت ابا عمير • ملات يديك من غدر وختر

والغدر لا يكون الا من قلة الصبر لان الصبور ان لم يعهد مع احد لا يعهد منه الاضرار فانه يصبر
ويفوض الامر الى الله سبحانه وتعالى واما الغدار فيعاهدك ولا يصبر على العهد فينقضه واما
ان الكفور في مقابلة الشكور معنى فظاهر قوله سبحانه وتعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم لما ذكر
الدلايل من اول السورة الى اخرها وعظ بالتقوى فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا
يوما لا يجزي لا يقضي ولا يغني والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيا قال ابن عباس
رضي الله عنه كل امرء تهمه نفسه واعلم انه تعالى ذكر شخصين في غاية المشفقة والحنو وهو
الوالد والولد فاستدل بالادنى على الاعلى فذكر الوالد والولد جميعا لان من الامور ما يبادر
الاب الى تحمله عن الولد كدفع المال وتحمل الالام والولد لا يبادر الى تحمله عن الوالد مثل ما
يبادر الوالد الى تحمله عن الولد ومنها ما يبادر الولد اليه كالاهانة فان من يريد احضار
والد اخر عند والي او قاض يهون على الابن ان يدفع الاهانة عن والده ويحضر هو بدله واذا
انتهى الامر الى الايلام يهون على الاب ان يدفع الالم عن ابنه ويتحمله هو بنفسه فقوله سبحانه
لا يجزي والد عن ولده في دفع الالام ولا مولود هو جاز عن والده شيا في دفع الاهانة ثم قال
سبحانه ان وعد الله حق اي ان هذا اليوم الذي هذا شانه هو كاين لان الله تعالى وعد
به ووعده حق وقيل وعد الله حق بانه لا يجزي والد عن ولده لانه وعد بان لا تزر وازرة
وزر اخرى ووعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا اي لا تغتروا بالدنيا فانها زايلة لوقوع
اليوم المذكور بالوعد الحق ولا يغرنكم بالله الغرور يعني الشيطان يزين في عينه الدنيا ويومله
ويقول انك تحصل بها الاخرة او تلتذ بها ثم تتوب فتجتمع لك الدنيا والاخرة فنهاهم عن
الامرين قوله تعالى ولا مولود جوز وافيه وجهين احدهما انه مبتدا وما بعده الخبر والثاني
انه معطوف على والد وتكون الجملة صفة له وفيه اشكال وهو انه نفى عنه ان يجزي ثم وصفه
بانه جاز وقد يجاب عنه بانه وان كان جازيا عنه في الدنيا فليس جازيا عنه يوم القيمة
فالحالان باعتبار زمنين وقد منع المهدوي ان يكون مبتدا قال لان الجملة بعده صفة له فيبقى
بلا خبر ولا مسوغ غير الوصف وهو سهو لان النكرة متى اعتمدت على نفي ساغ الابتدا بها وهذا
من اشهر مسوغاته وقال الزمخشري رحمه الله فان قلت قوله سبحانه ولا مولود هو جاز
عن والده شيا هو وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه قلت الامر
لذلك لان الجملة الاسمية اكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود قال
ومعنى التوكيد في لفظ المولود ان الواحد منهم لو شفع للوالد الادنى الذي ولد منه لم يقبل منه
فضلا ان يشفع لمن فوقه من اجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود
فانه للذي ولد منك قال والسبب في مجيئه على هذا السنن ان الخطاب للمومنين وعليتهم
قبض اباهم على الكفر فاريد حسم اطماعهم واطماع الناس فيهم والجملة من قوله سبحانه لا يجزي
صفة ليوم والعايد محذوف اي فيه فحذف برمته او على التدريج وقرا عكرمة لا يجزي مبنيا
للمفعول وابو السماك وابو السوار لا يجزي بالهمز من اجزا عنه اي اغنى قوله تعالى شيا
منصوب على المصدر وهو من الاعمال لان يجزي وجازيا طلبانه والعامل على ما هو المختار
المحذوف من الاول قوله تعالى فلا يغرنكم العامة على تشديد النون وابن ابي اسحاق وابن
ابي عبلة ويعقوب بالخفيفة والسماك بن حرب الغرور بالضم وهو مصدر والعامة بالفتح
صفة مبالغة كشكور وفسر بالشيطان على انه يجوز ان يكون المضموم مصدرا واقعا وصفا
للشيطان قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة الاية نزلت في الوارث بن حارثة بن

محارب بن حصفة اتى النبي صلى الله عليه وسلم من البادية فساله عن الساعة في وقتها وقال
ان ارضنا اجدبت فمتى ينزل الغيث وتركت امراتي حبلى فمتى تلد وقد علمت اين ولدت فباي ارض
تموت فانزل الله هذه الاية روي ان النبي المصطفى صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه قال
مفاتيح الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس
ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير قال ابن الخطيب رحمه الله قال
بعض المفسرين ان الله تعالى نفى علم امور خمسة عن غيره بهذه الاية وهو كذلك لكن المقصود ليس ذلك
لان الله يعلم الجوهر الفرد والطوفان ويقلب الريح من المشرق الى المغرب كم مرة ويعلم اين هو ولا
يعلمه غيره ويعلم انه ذرة في برية لا يسلكها احد ولا يعلمه غيره فلا وجه لاختصاص هذه الاشيا
بالذكر وان الحق فيه ان يقول لما قال اخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده وذكر انه كاين بقوله عز
وجل ان وعد الله حق كان قايلا قال فمتى يكون هذا اليوم فاجيب بان هذا العلم مما لم يحصل لغير
الله تعالى ولكن هو كاين قوله تعالى ماذا تكسب غدا يجوز ان تكون ما استفهامية فتعلق الدراية
وان تكون موصولة فينتصب بها وقد تقدم حكم ماذا اول الكتاب وتكرر في عضونه قوله تعالى
باي ارض متعلق بتموت وهو متعلق للدراية فهو في محل نصب وقرا ابي بن كعب وموسى الاهوازي
باية ارض تموت ايتها وهي لغة ضعيفة كتانيث كل حيث قالوا كلتهن والمشهور باي ارض لان الارض
ليس فيها من علامات التانيث شي وقيل اراد بالارض المكان نقله البغوي وان الظرفية بمعنى
في ارض نحو زيد بمكة اي فيها ثم قال سبحانه ان الله عليم خبير لما خصص اولا علمه بالاشيا المذكورة
بقوله ان الله عنده علم الساعة ذكر ان علمه غير مختص به بل هو عليم مطلقا بكل شي وليس
علمه علما بظاهر الاشيا فقط بل هو خبير بظواهر الاشيا وبواطنها روى الثعلبي عن ابي بن كعب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيمة
واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة السجدة مكية

وهي ثلثون اية وثمانون كلمة والف وخمسماية وثمانية عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه في تنزيل خمسة اوجه احدها انه خبر الم لان الم يراد به
السورة وبعض القران وتنزيل بمعنى منزل والجملة من قوله لا ريب فيه حال من الكتاب والعامل
فيها تنزيل لانه مصدر ومن رب متعلق به ايضا ويجوز ان يكون حالا من الضمير في فيه لوقوعه
خبرا والعامل فيه الظرف او الاستقرار الثاني ان يكون تنزيل مبتدا ولا ريب فيه خبره ومن رب
العالمين حال من الضمير في فيه ولا يجوز حينئذ ان يتعلق بتنزيل لان المصدر قد اخبر عنه فلا
يعمل ومن يتسع في الجار لا يبالي بذلك الثالث ان يكون تنزيل مبتدا ايضا ومن رب خبره ولا ريب
حال او معترض الرابع ان يكون لا ريب فيه ومن رب العالمين خبران لتنزيل الخامس ان يكون
تنزيل خبر مبتدا مضمر ولذلك لا ريب ولذلك من رب فيكون كل جملة مستقلة براسها ويجوز ان يكونا
حالين من تنزيل وان يكون من رب العالمين متعلقا بتنزيل قال على التقديم والتاخير ورده
ابو حيان بانا اذا قلنا لا ريب فيه اعتراض لم يكن تقديما وتاخيرا ولو تاخر لم يكن اعتراضا وجوز
ايضا ان يكون متعلقا بلا ريب اي لا ريب فيه من جهة رب العالمين وان وقع شك الكفرة فذلك
لا يراعي قال مقاتل لا شك فيه انه تنزيل من رب العالمين قوله تعالى ام يقولون فذلك لا يراعي
قال مقاتل لا هي المنقطعة والاضراب للانتقال لا للابطال او قيل الميم صلة اي يقولون افتراه
وقيل فيه اضمار مجازه يومنون ام يقولون افتراه وقوله بل هو الحق اضراب ثان ولو قيل بانه اضراب
ابطال لنفس افتراه وحده لكان صوابا وعلى هذا يقال كلما في القران اضراب فهو انتقال الا هذا
فانه يجوز ان يكون ابطالا لانه ابطال لقولهم اي ليس هو كما قالوا مفترى بل هو الحق وفي كلام الزمخشري
ما يرشد الى هذا فانه قال والضمير في لو جاهته ام يقولون افتراه لان قولهم هذا مفترى انكار
لان يكون من رب العالمين ولذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقريرانه من عند الله وهذا

اسلوب صحيح محكم قوله تعالى من ربك حال من الحق والعامل فيه محذوف على القاعدة وهو
العامل في لتنذر ايضا ويجوز ان يكون العامل في لتنذر غيره اي انزله لتنذر قوله تعالى قوما
ما اتاهم الظاهر ان المفعول الثاني للانذار محذوف وقوما هو الاول اذ التقدير لتنذر قوما
العقاب وما اتاهم جملة منفية في محل نصب صفة لقوما يريد الذين في الفترة بين عيسى ومحمد
عليهما الصلاة والسلام وجعله الزمخشري رحمه الله كقوله تعالى لتنذر قوما ما انذر اباوهم
فعلى هذا يكون من نذير هو فاعل اتاهم ومن مزيدة فيه ومن قبلك صفة لنذير ويجوز ان
يتعلق من قبلك باتاهم وجوز ابو حيان ان يكون ما موصولة في الموضعين والتقدير لتنذر
قوما العقاب الذي اتاهم من نذير من قبلك ومن نذير متعلق باتاهم اي اتاهم على لسان نذير
من قبلك ولذلك لتنذر قوما ما انذر اباوهم اي العقاب الذي انذره اباوهم فما مفعول في الموضعين
وانذر يتعدى الى اثنين قال تعالى فقل انذرتكم صاعقة وهذا القول جار على ظواهر القران
قال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير ان يقولوا ما جانا من بشير ولا نذير فقد جاكم بشير
ونذير وهذا الذي قاله ظاهر ويظهر ان في الاية الاخرى وجها اخر وهو ان تكون ما مصدرية
تقديره لتنذر قوما انذارا مثل انذار اباىهم لان الرسل كلهم متفقون على كلمة الحق **فصل**
المعنى بل هو يعني القران الحق من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك قال قتادة كانوا
امة امية لم ياتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس ومقاتل ذلك في الفترة التي
كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لعلهم يهتدون قوله تعالى الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام لما ذكر الرسالة وبين ما على الرسول صلوات الله عليه من الدعا الى التوحيد
واقامة الدليل فقال تعالى خلق السموات والارض والله مبتدا وخبره الذي خلق يعني الله هو
الذي خلق السموات ولم يخلقها الا واحد فلا اله الا واحد وقد تقدم الكلام ومعنى قوله ستة
ايام وقوله تعالى ثم استوى على العرش اختلف العلما في هذه الاية ونظايرها على قولين احدهما
ترك التعرض الى بيان المراد والثاني التعرض اليه فقد يخطى فيعتقد خلاف ما هو عليه والاول
اسلم لان صفة الاستوا مما لا يجب العلم بها فمن لم يتعرض اليه واجبا ومن تعرض اليه فالاول غاية
ما يلزمه انه لا يعلم والثاني يكاد يقع في ان يكون جاهلا وعدم العلم والجهل المركب كالسكوت والكذب
ولا شك ان السكوت خير من الكذب وايضا فانه اقرب الى الحكمة لان من يطالع كتابا صنفه انسان
وكتب له شرحا والشارح دون المصنف فالظاهر انه لا ياتي على جميع ما اتى عليه المصنف ولهذا
كثيرا ما نرى ان الانسان يورد الاشكالات على المصنف المتقدم ثم يجي من بيض كلام المصنف ويقول
لم يرد المصنف هذا وانما اراد له كذا وكذا واذا كان حال الكتب الحادثة التي يكتب عن علم قاصر هكذا
فما ظنك بالكتاب العظيم الذي فيه كل حكمة كيف يجوز ان يدعي جاهل اني علمت كل سر في هذا
الكتاب ولو ادعى عالم اني علم كل ما في كتاب الله وليس لقايل ان يقول فيه بان الله بين كلما انزله
لان تاخير البيان الى وقت الحاجة جايز ولعل في القران ما لا يحتاج اليه احد غيره لا يعلم وهذا اقرب
الى ذلك الذي لا يعلم المتشابه البالغ الذي فيه قوله تعالى ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا
يتذكرون لما ذكر ان الله خالق السموات والارض قال بعضهم نحن معترفون بان خالق السموات
والارض واحد هو اله السموات والارض واحد هو اله السموات والارض وهذه الاصنام صور كواكب
منها نصرتنا وقوتنا وقال اخرون هذه صورة مليكة شفعا لنا عند الله تعالى فقال تعالى
لا اله غير الله ولا نصر من غيره ولا شفاعة الا باذن الله فعبادتكم هذه الاصنام باطلة خايبة هذه
ثم قال تعالى افلا تتذكرون ما علمتموه من ان الله خالق السموات والارض وخالق هذه الاجسام العظام
لا يقدر على مثل هذه الاصنام حتى ينصروكم ويكون لها شفاعة قوله تعالى يدبر من السما الى الارض
لما بين الخلق بين الامر كما قال تعالى سبحانه الا له الخلق والامر والامر حكم القضا والقدر من السما
الى الارض وقيل بنزول الوحي مع جبريل صلوات الله عليه بالامر قوله تعالى ثم يعرج اليه العامة
على بنايه للفاعل وابن ابي عبلة على بنايه للمفعول والاصل يعرج ثم حذف الجار فارتفع الضمير
واستتر وهو شاذ يصلح لتوجيه مثلها والمعنى ان امره من السما على عباده ويعرج اليه اعمالهم
الصالحة الصادرة على موافقة ذلك الامر قوله تعالى في يوم كان مقداره الف سنة اي في يوم
واحد يعني نزول الامر وعروج العمل في مسافة الف سنة مما تعدون وهو ما بين السما والارض فان

مسافة خمس ماية سنة فينزل في مسيرة خمس ماية سنة ويعرج في خمس ماية سنة فهو مقدار
الف سنة يقول لو سار احد من بني ادم لم يقطعه الا في الف سنة والملايكة يقطعونه في يوم واحد هذا
في وصف عروج الملك من الارض الى السما واما قوله عز وجل تعرج الملايكة والروح اليه في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة اراد مدة المسافة من الارض الى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل صلوات الله
عليه يسير جبريل والملايكة الذين معه من اهل مقامه مسيرة خمسين الف سنة في يوم واحد من ايام الدنيا
قاله مجاهد والضحاك وقيل ان ذلك اشارة الى امتداد نفاذ الامر وذلك لان من نفذ امره غاية النفاذ
في يوم او يومين وانقطع لا يكون مثل من ينفذ امره في سنين متطاولة فقوله تعالى في يوم كان مقداره
الف سنة يعني يدبر الامر في زمان يوم منه الف سنة فلم يكون شهر منه ولم يكون سنة منه وكم يكون
دهر منه وعلى هذا فلا فرق بين هذا وبين قوله مقداره خمسين الف سنة لان ذلك اذا كان اشار الى
دوام نفاذ الامر يستوي بغير الف سنة او بخمسين الف سنة لا تتفاوت الا ان المبالغة بالخمسين اكثر
وسياتي بيان فايدتها في موضعها ان شا الله تعالى قوله تعالى مما تعدون العامة على الخطاب والحسن
والسلمي وابن وثاب والاعمش بالغيبة وهذا الجار صفة لالف او لسنة وقيل الف سنة وخمسون الف
سنة كلها في القيمة يكون على بعضهم اطول وعلى بعضهم اقصر معناه يدبر الامر من السما الى الارض مدة ايام
الدنيا ثم يعرج اي يرجع الامر والتدبير اليه بعد فنا الدنيا وانقطاع امر الامرا وحكم الحكام في يوم مقداره
الف سنة وهو يوم القيمة فاما قوله تعالى خمسين الف سنة فانه اراد على الكافر يجعل الله ذلك اليوم
عليه مقدار خمسين الف سنة وعلى المومن دون ذلك حتى جا في الحديث انه يكون على المومن كقدر صلاة
مكتوبة صلاها في الدنيا وقال ابراهيم التيمي لا يكون على المومن الا كما بين الظهر والعصر ويجوز ان
يكون هذا اخبارا عن شدته ومشقته وهوله وقال ابن ابي مليكة دخلت انا وعبد الله بن فيروز
على ابن عباس فسالناه عن هذه الاية وعن قوله خمسين الف سنة فقال ابن عباس ايام سماها الله
تعالى لا ادري ما هي اكره ان اقول في كتابه الله ما لا اعلم قوله تعالى ذلك عالم العامة على رفع عالم
والعزيز والرحيم على ان يكون ذلك مبتدا وعالم خبره والعزيز الرحيم خبران او نعتان او العزيز الرحيم
مبتدا وصفته والذي احسن خبره او العزيز الرحيم خبر مبتدا مضمر وقرا زيد بن علي بجر الثلاثة
وتخريجها على اشكالها ان يكون ذلك اشارة الى الامر المدبر ويكون فاعلا ليعرج والاوصاف الثلاثة
بدل من الضمير في اليه كانه قيل ثم يعرج الامر المدبر اليه عالم الغيب اي الى عالم الغيب وابو زيد برفع
عالم وخفض العزيز الرحيم على ان يكون ذلك عالم مبتدا وخبرا والعزيز الرحيم بدلا من الها في اليه ايضا
وتكون الجملة بينهما اعتراضا قوله تعالى الذي احسن يجوز ان يكون تابعا لما قبله في قراتي الرفع
والخفض وان يكون خبرا اخر وان يكون خبر مبتدا مضمر وان يكون منصوبا على المدح قوله تعالى خلقه
قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فسكون اللام والباقون بفتحها فاما الاولى ففيها اوجه احدها ان
يكون خلقه بدلا من كل شي بدل اشتمال من كل شي والضمير عايد على كل شي وهذا هو المشهور الثاني
انه بدل كل من ضمير على هذا عايد على الباري تعالى ومعنى احسن حسن لانه ما من شي خلقه الا وهو
مرتب على ما تقتضيه الحكمة فالمخلوقات كلها حسنة الثالث ان يكون كل شي مفعولا اول وخلقه
مفعولا ثانيا على ان يضمن احسن معنى اعطى والهم قال مجاهد اعطى كل جنس شكله والمعنى خلق
كل شي على شكله الذي خصه به الرابع ان يكون كل شي مفعولا ثانيا قدم وخلقه مفعولا اول اخر
على ان يضمن احسن معنى الهم وعرف قال الفرا الهم كل شي خلقه فيما يحتاجون اليه فيكون اعلمهم
ذلك وابو البقا ضمن احسن معنى عرف واعرب على نحو ما تقدم الا انه لا بد ان يجعل الضمير لله تعالى
ويجعل الخلق بمعنى المخلوق اي عرف مخلوقاته كل شي يحتاجون اليه فيوول المعنى الى معنى قوله
تعالى اعطى كل شي خلقه ثم هدى الخامس ان تعود الها على الله تعالى وان يكون خلقه منصوبا
على المصدر المؤكد لمضمون الجملة كقوله صنع الله وهو مذهب سيبويه اي خلقه خلقا ورجح على
بدل الاشتمال بان فيه اضافة المصدر الى فاعله وهو اكثر من اضافته الى المفعول وبانه ابلغ في الامتنان
لانه اذا قال تعالى احسن كل شي كان ابلغ من احسن خلق كل شي لانه قد يحسن الخلق وهو المجادلة
ولا يكون الشي في نفسه حسنا واذا قال احسن كل شي اقتضى ان كل شي خلقه حسن بمعنى انه وضع
كل شي في موضعه واما القراءة الثانية فخلق فيها فعل ماض والجملة صفة للمضاف او المضاف اليه
فيكون منصوبة المحل او مجرورته قوله تعالى وبدا العامة على الهمز وقرا الزهري بدا بالف خالصة

وهو خارج عن قياس تخفيفها اذ قياسه بين بين على ان الاخفش حكى قريب وجوز ابو حيان ان تكون من لغة الانصار يقولون في بدا بدي يكسرون الدال ويعدها ياء كقول عبد الله بن رواحة الانصاري

• باسم الاله وبه بدينا • ولو عبدنا غيره شقينا •

قال وطي تقول في بقي بقا قال فاحتمل ان يكون قراءة الزهري من هذه اللغة اصله بدي ثم صار بدا قال شهاب الدين رحمه الله فتكون القراءة مركبة من لغتين فان قيل ذلك عالم الغيب والشهادة يعني ذلك الذي صنع ما ذكر من خلق السموات والارض عالم ما غاب عن الخلق وما حضر العزيز الرحيم لما بين انه عالم ذكر انه عزيز قادر على الانتقام من الكفرة رحيم واسع الرحمة على البررة الذي احسن كل شيء خلقه اي احسن خلق كل شيء قال ابن عباس رضي الله عنه اتقنه واحكمه وقال مقاتل علم كيف يخلق كل شيء من قولك فلان يحسن كذا اذا كان يعلمه وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان كامل في خلقه حسن وكل عضو من اعضائه مقدر بما يصلح معاشه واعلم ان الله تعالى لما ذكر الدليل على الوحدانية من الافاق بقوله خلق السموات والارض وما بينهما اتبعه بذكر الدليل الدال عليها من الانفس فقال الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين يعني ادم صلوات الله عليه ويمكن ان يقال الطين ماء وتراب مجتمعان والادمي اصله مني والمني اصله غذاء والاغذية اما حيوانية واما نباتية والحيوانية ترجع الى نباتية والنبات وجوده بالماء والتراب الذي هو الطين ثم جعل نسله من سلالة اي جعل ذريته من نطفة سميت سلالة لانها تسل من الانسان هذا على التفسير الاول لان ادم كان من طين ونسله من سلالة من ماء مهين هو النطفة وعلى التفسير الثاني هو ان اصله من طين ثم يوجد من ذلك الاصل سلالة هي ماء مهين اي ضعيف وهو نطفة الرجل ثم سواه سوى خلقه ونفخ فيه من روحه يعني ادم صلوات الله عليه لان كلمة ثم للتراخي فتكون التسوية بعد جعل النسل من سلالة وذلك بعد خلق ادم صلوات الله عليه ثم عاد الى ذريته فقال جل وعز وجعل لكم السمع والابصار اي جعل لكم بعد ان كنتم نطفا السمع والابصار والافيدة قليلا ما تشكرون يعني لا تشكرون رب هذه النعم فتوحدونه سبحانه وتعالى فقوله وجعل لكم هذا التفات من ضمير غائب مفرد في قوله نسله الى اخره الى خطاب جماعة وفي هذا الخطاب لطيفة وهي ان الخطاب يكون مع الحي فلما قال ونفخ فيه من روحه خاطبه من بعد وقال وجعل لكم فان قيل الخطاب واقع قبل ذلك كما في قوله تعالى ومن اياته ان خلقكم من تراب فالجواب هناك لم يذكر الامور المرتبة وهي كون الانسان طينا ثم ماء مهينا ثم خلقا مسوى بانواع القوى فخاطبه في بعض المراتب دون بعض فان قيل ما الحكمة في ذكره المصدر في السمع وفي البصر والفواد الاسم ولهذا جمع الابصار والافيدة ولم يجمع السمع لان المصدر لا يجمع فالجواب ان السمع قوة واحدة ولها محل واحد وهو الاذن ولا اختيار لها فيه فان الصوت من اي جانب كان يصل اليه ولا قدرة لها على تخصيص السمع بادراك البعض دون البعض واما الابصار فمحله العين ولها فيها اختيار فانها تتحرك الى جانب المودي دون غيره ولذلك الفواد محل الادراك وله نوع اختياري يلتفت الى ما يريد دون غيره واذا كان لذلك فلم يكن للمحل في السمع تاثير والقوة مستبدة فذكر القوة في العين والفواد لان للمحل نوع اختيار فذكر المحل لان الفعل يسند الى المختار الا ترى انك تقول سمع زيد وراى عمرو ولا تقول سمع اذن زيد ولا راى عين عمرو الا نادرا لان المختار هو الاصل وغيره التة فالسمع اصل دون محله لعدم الاختيار والعين كالاصل وقوة الابصار التة والفواد كذلك وقوة الفهم التة فذكر في السمع المصدر الذي هو القوة وفي الابصار والافيدة الاسم الذي هو محل القوة ولان السمع قوة واحدة لها محل واحد ولهذا لا يسمع الانسان في زمان واحد كلامين على وجه ويرى في زمان واحد صورتين فاكثر ويتبينهما قوله تعالى ايذا ضللنا تقدم خلاف القراء في الاستفهامين والواو للعطف على ما سبق منهم فانهم قالوا محمد ليس برسول والله ليس بواحد وقالوا الحشر ليس بممكن والعامل في اذا محذوف تقديره نبعث او نخرج لدلالة خلق جديد عليه ولا يعمل فيه خلق جديد لان ما بعد ان والاستفهام لا يعمل فيما قبلهما وجواب اذا محذوف اذا جعلتها شرطية وقراءة العامة ضللنا بضاد معجمة ولام مفتوحة بمعنى ذهبنا وضعنا من

قولهم

قولهم ضل اللبن في الماء وقيل غبنا قال النابغة

• فآب مضلوه بعين جلية • وغودر بالجولان حزم ونايل •

والمضارع من هذا يضل بكسر العين وهو كثير وقرا يحيى بن معمر وابن محيصن وابو رجاء بكسر اللام وهي لغة العالية والمضارع من هذا يضل بالفتح وقرا علي وابو حيوة ضللنا بضم الضاد وكسر اللام المشددة من ضلله بالتشديد وقرا علي ايضا وابن عباس والحسن والاعمش وابان بن سعيد صللنا بصاد مهملة ولام مفتوحة وعن الحسن ايضا صللنا بكسر اللام وهما لغتان يقال صل اللحم يصل ويصل بفتح الصاد وكسرها المجي الماضي مفتوح العين ومكسورها ومعنى صل اللحم انتن وتغيرت رايحته ويقال ايضا اصل بالالف قال

• يلجلج مضغة فيها انيض • اصلت فهي تحت الكشح داء •

وقال النحاس لا نعرف في اللغة صللنا ولكن يقال صل اللحم واصل وخم واخم وقد عرفها ابو جعفر

فصل

قال في تكذيبهم بالرسالة لم يكن قبل وجوده وانما كان حال وجوده فقال يقولون يعني هم فيه واما انكار الحشر فكان سابقا صادرا منهم ومن ابائهم فقال وقالوا وصرح بقولهم في الرسالة فقال ام تقولون وفي الحشر فقال وقالوا اذا ضللنا ولم يصرح بقولهم في الوحدانية لانهم كانوا مصرين في جميع الاحوال على انكار الحشر والرسالة واما الوحدانية فكانوا يعترفون بها في بعض الاحوال في قوله تعالى ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلم يقل قالوا ان الله ليس بواحد وان كانوا قالوا في الظاهر فان قيل ان الله ذكر الرسالة من قبل وذكر دليلها وهو التنزيل الذي لا ريب فيه وذكر الوحدانية وذكر دليلها وهو خلق السموات والارض وخلق الانسان من طين ولما ذكر انكارهم الحشر لم يذكر الدليل فالجواب انه ذكر دليله ايضا وهو ان خلقه الانسان ابتداء دليل على قدرته على الاعادة ولهذا استدل تعالى على امكان الحشر بالخلق الاول كما قال سبحانه ثم يعيده وهو اهون عليه وقوله قل يحييها الذي انشاها اول مرة وايضا خلق السموات والارض كما قال تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وقوله تعالى ابنا لفي خلق جديد استفهام انكار اي انا كاينون في خلق جديدا او نفوت فيه بل هم بلقاء ربهم كافرون اضرب عن الاول اعني ليس انكارهم لمجرد الخلق ثانيا بل يكفرون بجميع احوال الاخرة حتى لو صدقوا بالخلق الثاني لما اعترفوا بالعذاب والثواب او يكون المعنى لم ينكروا البعث لنفسه بل لكفرهم بلقاء الله فانهم كرهوه فانكروا المفضي اليه ثم بين لهم ما يكون من الموت الى العذاب فقال تعالى قل يتوفاكم يقبض ارواحكم ملك الموت الذي وكل بكم اي وكل بقبض ارواحكم وهو عزرايل صلوات الله عليه والتوفي استيفاء العدد معناه انه يقبض ارواحهم حتى لا يبقى احد من العدد الذي كتب عليه الموت

فصل

روي ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد ياخذ منها صاحبها ما احب من غير مشقة فهو يقبض انفس الخلق من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان من ملايكة الرحمة واعوان من ملايكة العذاب وقال ابن عباس رضي الله عنه خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت الارض مثل طست يتناول منها حيث يشاء قوله تعالى ثم الى ربكم ترجعون اي يصيرون اليه احياء فيجزيكم باعمالكم وقرا العامة ترجعون ببنايه للمفعول وزيد بن علي ببنايه للفاعل قوله تعالى ولو ترى في لو هذه وجهان احدهما انها لما كان سيقع لوقوع غيره وعبر عنها الزمخشري رحمه الله بامتناع لامتناع وقد تقدم تحقيقه في اول البقرة وعلى هذا جوابها محذوف اي لرايت امرا فظيعا والثاني انها للتمني قال الزمخشري كانه قيل وليتك ترى وفيها اذا كانت للتمني خلاف هل يقتضي جوابا ام لا وظاهر تقدير الزمخشري هنا انه لا جواب لها قال ابو حيان والصحيح ان لها جوابا وانشد

• فلو نبش المقابر عن كليب • فيخبر بالذنايب اي زير •

• بيوم الشعثمين لقر عينا • وكيف لقاء من تحت القبور •

قال الزمخشري ولو تجي في معنى التمني كقولك لو تاتيني فتحدثني كما تقول ليتك تاتيني فتحدثني قال ابن مالك ان اراد به الحذف اي وددت لو تاتيني فتحدثني فصحيح او لو كانت موضوعة له لم يجمع بينهما وبينه كما لم يجمع بين ليت واتمنى ولا لعل واترجى ولا الا واستثنى ويجوز ان يجمع بين لو واتمنى تقول تمنيت لو فعلت كذا والمخاطب يحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم شفاء للصدر فانهم كانوا

يؤذونه بالتكذيب ويحتمل ان يكون عاما واذ على بابها من المعنى لان لو تصرف المضارع للمعنى
وانما جيء ههنا ماضيا لتحقق وقوعه نحو اتى امر الله وجعله ابو البقاء مما وقع فيه اذ موقع اذا ولا
حاجة اليه والمراد بالمجرمين المشركون قوله تعالى ناكسوا العامة على انه اسم فاعل مضاف
لمفعوله تخفيفا وزيد بن علي نكسوا فعلا ماضيا رؤوسهم مفعول به والمعنى مطاطئوا رؤوسهم
قوله تعالى ربنا على اضمار القول وهو حال اي قائلين ذلك وقدره الزمخشري يستغيثون
بقولهم واضمار القول اكثر قوله تعالى ربنا ابصرنا وسمعنا يجوز ان يكون المفعول مقدرا
اي ابصرنا ما كنا نكذب وسمعنا ما كنا ننكر ويجوز ان لا يقدر اي صرنا بصراء سميعين فارجعنا
الى الدنيا نعمل صالحا يجوز ان يكون صالحا مفعولا به وان يكون نعت مصدر وقولهم انا
موقنون اي انا امنا في الحال ويحتمل ان يكون المراد منه انهم مشركون ينكرون الشرك كقولهم
والله ربنا ما كنا مشركين قوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها رشدها وتوفيقها
للايمان وهذا جواب عن قولهم ربنا ابصرنا وسمعنا وذلك لان الله تعالى قال اي لو رجعتكم
الى الايمان لهديتكم في الدنيا ولما لم اهدكم تبين اني ما اردت وما شئت ايمانكم فلا اردكم
وهذا صريح فالدلالة على صحة مذهب اهل السنة حيث قالوا ان الله تعالى ما اراد الايمان
من الكافر وما شاء منه الا الكفر قوله تعالى ولكن حق القول مني وجب القول مني وهو
قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فذوقوا بما نسيتم قال مقاتل
اذا دخلوا النار قالت الخزنة فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا اي تركتم الايمان به في
الدنيا قوله تعالى لقاء يومكم يجوز فيه اوجه احدها انه من التنازع لان ذوقوا
مطلب لقاء يومكم يجوز فيه اوجه احدها ونسيتم تطلبه ايضا اي ذوقوا عذاب لقاء يومكم
هذا بما نسيتم عذاب لقاء يومكم هذا ويكون من اعمال الثاني عند البصريين ومن اعمال
الاول عند الكوفيين والاول اصح للحذف من الاول اذ لو عمل الاول لاضمر في الثاني
ان مفعول ذوقوا محذوف اي ذوقوا العذاب بسبب نسيانكم لقاء يومكم وهذا ينبو
عنه الظاهر قال ابن الخطيب هذا يحتمل ثلاثة اوجه ان تكون اشارة الى اللقاء وان تكون
اشارة الى اليوم وان تكون اشارة الى العذاب ثم قال انا نسيناكم تركناكم غير ملتفت
اليكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون من الكفر والتكذيب قوله تعالى انما يؤمن
بآياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا اسقطوا على وجوههم ساجدين وسبحوا
بحمد ربهم قيل صلوا بامر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده وهم لا يستكبرون عن الايمان به
والسجود له قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يجوز في تتجافى ان تكون مستأنفا
وان تكون حالا ولذلك يدعون حالا احتمل ان يكون حالا ثانية وان تكون حالا من
الضمير في جنوبهم لان المضاف جزؤه والتجافي الارتفاع وعبر به عن ترك النوم قال ابن
رواحة يبيت يجافي جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالمشركين المضاجع والمعنى ترتفع وتنبو
جنوبهم عن المضاجع جمع المضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفراش وهم المتهجدون
بالليل الذين يقيمون الصلاة قال انس رضي الله عنه نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي
المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس ايضا قال
نزلت في اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلاة المغرب الى
صلاة العشاء وهو قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر وقال هي صلاة الاوابين وهو مروي
عن ابن عباس رضي الله عنه وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر
في جماعة وقال صلوات الله وسلامه عليه من صلى العشاء في جماعة كان كقيام ليله والمشهور
ان المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة لقوله صلوات
الله وسلامه عليه افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلوات بعد
الفريضة صلاة الليل وقال صلوات الله وسلامه عليه ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من
باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله تعالى لمن الان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام
وصلى بالليل والناس نيام قوله تعالى خوفا وطمعا اما مفعول من اجله واما حال
واما مصدر لعامل مقدر قال ابن عباس رضي الله عنه خوفا من النار وطمعا في الجنة ومما

رزقناهم

رزقناهم ينفقون قيل اراد به الصدقة المفروضة وقيل عام في الواجب والتطوع قوله تعالى
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم قرأ حمزة اخفي فعلا مضارعا مسندا لضمير المتكلم فلذلك سكنت ياؤه
لانه مرفوع ويؤيدها قراءة ابن مسعود ما نخفي بنون العظمة والباقون اخفي ماضيا مبنيا للمفعول
فمن ثم فتحت ياؤه وقرأ محمد بن كعب اخفى ماضيا مبنيا للفاعل وهو الله سبحانه وتعالى ويؤيده قراءة
الاعمش ما اخفيت مسندا للمتكلم وما يجوز ان تكون موصولة اي لا تعلم الذي اخفاه الله تعالى وفي
الحديث ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وان تكون استفهامية معلقة لتعلم فان
كانت متعدية لاثنين سدت مسدهما او لواحد سدت مسده قوله تعالى من قرة اعين قرأ عبد الله
وابو الدرداء وابو هريرة من قرات اعين جمعا بالالف والتاء وجزاء مفعول له او مصدر مؤكد لمعنى الجملة
قبله واذا كانت ما استفهامية فعلى قراءة من قرأ ما بعدها فعلا ماضيا تكون في محل رفع بالابتداء
والفعل بعدها الخبر وعلى قراءة من قرأ مضارع تكون مفعولا مقدما ومن قرأه حال من ما والمعنى ما
يقر الله به اعينهم جزاء بما كانوا يعملون قوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا نزلت في علي بن
ابي طالب كرم الله وجهه والوليد بن عقبة بن ابي معيط اخي عثمان لامه وذلك انه كان بينهما تنازع
فقال الوليد بن عقبة لعلي اسكت فانك صبي وانا والله ابسط منك لسانا واشجع منك جنانا
واملأ منك حشوا في الكتيبة فقال علي اسكت فانك فاسق فانزل الله عز وجل افمن كان مؤمنا كمن
كان فاسقا لا يستوون ولم يقل لا يستويان لانه لم يرد مؤمنا واحدا ولا فاسقا واحدا بل اراد جميع
المؤمنين وجميع الفاسقين وقوله لا يستوون مستأنف روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتمد
الوقف على وقف على قوله عز وجل فاسقا ثم يبتدي لا يستوون قوله تعالى اما الذين امنوا
وعملوا الصالحات لما ذكر ان المؤمن والفاسق لا يستويان بطريق الاجمال بين عدم استوائهما على سبيل
التفصيل فقال سبحانه اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى قرأ طلحة جنة المأوى
بالافراد والعامة بالجمع اي التي تأوي اليها المؤمنون وقرأ ابو حيوة نزلا بضم وسكون وتقدم تحقيقه
اخر ال عمران واما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا
عذاب النار وهذا اشارة الى حال الكافر اعلم ان العمل الصالح لدمع الايمان تأثير فلذلك قال
سبحانه امنوا وعملوا الصالحات واما الكفر فلا التفات الى الاعمال معه فلهذا لم يقل واما الذين
فسقوا وعملوا الصالحات واما الكفر فلا التفات للسيئات لان المراد من فسقوا كفروا ولو جعل العقاب
في مقابلة الكفر والعمل لظن ان مجرد الكفر لا عقاب عليه قوله تعالى الذي كنتم به صفة لعذاب
وجوز ابو البقاء ان يكون صفة للنار وقال وذكر على معنى الجحيم والحريق قوله تعالى ولنذيقنهم
من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر قال ابي بن كعب والضحاك والحسن وابراهيم العذاب الادنى
مصائب الدنيا واسقامها وهو رواية الوالبي عن ابن عباس رضي الله عنه وقال عكرمة الحد وقال
مقاتل الجوع سبع سنين بمكة حتى اكلوا الجيف والعظام والكلاب وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف
يوم بدر وهو قول قتادة والسدي واما العذاب الاكبر فهو عذاب الاخرة فان عذاب الدنيا لا نسبة
له الى عذاب الاخرة فان قيل ما الحكمة في مقابلة الادنى بالاكبر والادنى انما هو في مقابلة الاقصى
والاكبر انما هو في مقابلة الاصغر فالجواب انه حصل في عذاب الدنيا امران احدهما انه قريب
والاخر انه قليل صغير وحصل في عذاب الاخرة ايضا امران احدهما انه بعيد والاخر انه عظيم
كبير لكن العرف في عذاب الدنيا هو انه الذي يصلح للتخويف به فان العذاب العاجل وان كان
قليلا فلا يحترز عنه بعض الناس اكثر مما يحترز من العقاب الشديد اذا كان اجلا وكذا الثواب
العاجل قد يرغب فيه بعض الناس ويستبعد الثواب العظيم الاجل واما في عذاب الاخرة فالذي
يصلح للتخويف به هو العظيم والكبير لا البعيد لما بينا فقال سبحانه في عذاب الدنيا العذاب
الادنى ليتحرز العاقل عنه ولو قال ولنذيقنهم من العذاب الاصغر ما كان يحترز عنه لصغره وعدم
فهم كونه عاجلا وقال في عذاب الاخرة الاكبر لذلك المعنى ولو قال لهم العذاب الابعد الاقصى لما
حصل التخويف مثل ما يحصل بوصفه بالكبر قوله تعالى لعلهم يرجعون الى الايمان يعني من بقي
منهم بعد بدر فان قيل ما الحكمة في هذا الترجي وهو على الله تعالى محال فالجواب فيه وجهان
احدهما معناه ولنذيقنهم اذاقة الراجين لقوله سبحانه انا نسيناكم يعني تركناكم كما يترك الناسي حيث
لا يلتفت اليه اصلا لذلك هنا والثاني نذيقهم العذاب اذاقة يقول القائل لعلهم يرجعون بسببه

قوله تعالى ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه من ذكر بايات الله من النعم اولا والنقم ثانيا ولم يومنوا فلا اظلم منهم احد قوله تعالى ثم اعرض هذه لبعد ما بين الرتبتين جعبين وسبهما الزمخشري بقوله • وما يكشف الغماء الا ابن حرة • يرى غمرات الموت ثم يزورها •
استبعد ان يزور غمرات الموت بعد ان راها وعرفها واطلع على شدتها قوله تعالى انا من المجرمين يعني من المشركين منتقمون قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب لما قرر الاصول الثلاثة عاد الى الاصل الذي بدا به وهو الرسالة المذكورة في قوله تعالى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير وقال انك لست بدعا من الرسل بل كان قبلك رسل مثلك وذكر موسى صلوات الله عليه لقربه من النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم ووجود من كان على دينه الزاما لهم وانما لم يختر عيسى صلوات الله عليه للذكر والاستدلال لان اليهود ما كانوا يوافقون على نبوته واما النصارى فكانوا يعترفون بنبوة موسى صلوات الله عليه فتمسك بالمجمع عليه قوله تعالى فلا تكن في مرية قرا الحسن بالضم وهي لغة وقوله تعالى من لقايه فيها اقوال احدها انها عايدة الى موسى والمصدر مضاف لمفعوله اي من لقايك موسى ليلة الاسرا وامتحن المبرد الزجاج في هذه المسيلة فاجاب بما ذكر قال ابن عباس وغيره المعنى فلا تكن في شك من لقا موسى فانك تراه وتلقاه روي عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت ليلة اسري بي موسى رجلا ادم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى رجلا مربوعا الى الحمرة والبياض سبط الراس ورايت مالكا خازن النار والدجال في ايات اراهن الله اياه الثاني ان الضمير يعود على الكتاب وحينيذ يجوز ان تكون الاضافة للفاعل اي من لقا الكتاب لموسى او المفعول اي من لقا موسى الكتاب لان اللقا يصح ان نسبته الى كل منهما لان من لقيك فقد لقيته قال السدي رحمه الله المعنى فلا تكن في مرية من لقايه اي تلقي موسى كتاب الله عز وجل بالرضا والقبول الثالث انه يعود على الكتاب على حذف مضاف اي من لقا مثل كتاب موسى الرابع انه عايد على تلك الموت لتقدم ذكره الخامس عوده على الرجوع المفهوم من قوله الى ربكم ترجعون اي لانك في مرية من لقا الرجوع السادس انه يعود على ما يفهم من سياق الكلام مما ابتلي به موسى من البلاء والامتحان قاله الحسن اي لا بد ان يلحق ما لقي موسى من قومه فاختار موسى صلوات الله عليه لحكمه وهي ان احدا من الانبيا لم يوذه من قومه الا الذين لم يومنوا واما الذين امنوا به فلم يخالفوه غير قوم موسى صلوات الله عليه فان من لا امن به اذاه كفرعون وغيره ومن امن به من بني اسرايل ايضا اذاه بالمخالفة وطلب اشيا مثل روية الله جهرة وكقوله اذهب انت وربك فقاتلا واظهر هذه الاقوال ان الضمير اما لموسى واما للكتاب ثم بين ان له هداية غير عارية عن المنفعة كما انه لم يخل هداية موسى حيث جعل الله كتاب موسى هدى وجعل منهم يهدون لذلك يجعل كتابا هدى ويجعل من امتك صحابة يهدون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ثم بين ان ذلك يحصل بالصبر فقال تعالى لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون قوله تعالى لما صبروا قرا الاخوان بكسر اللام وتخفيف الميم على انها لام الجر وما مصدرية والجار متعلق بالجعل اي جعلناهم لذلك لصبرهم ولا نقاهم والباقون بفتحها وتشديد الميم وهي لما التي تقتضي جوابا وتقدم فيها قولا سيبويه والفارسي والمعنى حين صبروا على دينهم وعلى البلا من عدوهم بمصر قوله سبحانه وتعالى ان ربك يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون هنا يصلح ان يكون جوابا لسوال وهو انه سبحانه وتعالى وجعلنا منهم ايمة يهدون فكان لقايل ان يقول كيف كانوا يهدون وهم اختلفوا وصاروا فرقا والحق واحد فقال الله عز وجل يبين المبتدع من المتبع كما بين المومن من الكافر يوم القيمة قوله تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم لما اعاد ذكر الرسالة اعاد ذكر التوحيد وقال تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم وقوله تعالى يمشون في مساكنهم اي مساكن المهلكين دلالة على حالهم وانتم تمشون فيها وتبصرونها ان في ذلك لايات افلا يسمعون ايات الله وعظاته واعتبر السمع لانهم ما كان لهم قوة الادراك بانفسهم والاستنباط بعقولهم فقال تعالى افلا يسمعون يعني ليس لكم درجة المتعلم الذي يسمع الشي ويفهمه قوله تعالى اولم يروا انا نسوق

الما الى الارض الجرز قرئ الجرز بسكون الرا وتقدم اول الكهف وهي الارض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها قال ابن عباس رضي الله عنه هي ارض باليمن وقال مجاهد هي ارض بابين والجرز هو القطع فكانها المقطوع عنها الما والنبات لما بين الاهلاك وهو الاماتة بين الاحيا ليكون اشارة الى ان الضر والنفع بيد الله عز وعلا ثم قال تعالى فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم من العشب والتبن وانفسهم من الحبوب والاقوات وقدم الانعام على الانفس في الاكل لوجوه الاول ان الزرع اول ما ينبت يصلح للدواب ولا يصلح للانسان الثاني ان الزرع غذا للدواب لا بد منه واما غذا الانسان قد يصلح للحيوان فكان الحيوان ياكل الزرع ثم الانسان ياكل من الحيوان قوله تعالى افلا يبصرون قرا العالية بالغيبة وابن مسعود بالخطاب التفاتا وقال يبصرون لان الامر مري بخلاف حال الماضين فانها كانت مسموعة ثم لما بين الرسالة والتوحيد بين الحشر فقال تعالى ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قيل اراد بيوم الفتح يوم القيمة الذي فيه الحكم بين العباد قال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم للكفار ان لنا يوما ننعم فيه ونستريح ويحكم الله بيننا وبينكم فقالوا استهزا متى هذا الفتح اي القضا والحكم وقال الكلبي يعني فتح مكة وقال السدي يوم بدر لان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون لهم ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح قوله تعالى يوم الفتح منصوب بلا ينفع ولا عبرة بما بعدها من ذلك وقد تقدم فيها مذاهب والمعنى يوم الفتح يوم القيمة يوم لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ومن حمل الفتح على فتح مكة والقتل يوم بدر قال معناه لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا ولا هم ينظرون اي لا يمهلون بالاعادة الى الدنيا ليومنوا ثم لما بين لهم الدلايل لم تنفعهم قال سبحانه فاعرض عنهم قال ابن عباس رضي الله عنه نسختها اية القتال قوله تعالى وانتظر انهم منتظرون العامة على كسر الظا من منتظرون اسم فاعل والمفعول من انتظر ومن منتظرون محذوف اي انتظر ما يحل بهم انهم منتظرون على زعمهم ما يحل بك وقرا اليماني منتظرون اسم مفعول **فصل** قيل المعنى انتظر موعدي لك بالنصر انهم منتظرون بك حوادث الزمان وقيل انتظر عذابنا فيهم انهم منتظرون ذلك وعلى هذا فلا فرق بين الانتظارين وقيل انتظر عذابهم بتيقنك انهم منتظرونه بلفظهم استهزاء كما قالوا فاتنا بما تعدنا **فصل** روى ابو هريرة رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم لا ينام حتى يقرا تبارك والم تنزيل ويقول هما يفضلان على كل سورة في القران بسبعين حسنة ومن قراهما كتب له سبعون حسنة ومحي عنه سبعون سيية ورفع له سبعون درجة وروى الثعلبي رضي الله عنه عن ابن عباس عن ابي بن كعب رضي الله عنه ان النبي صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه وعلى جميع الانبيا والمرسلين قال من قرا سورة الم تنزيل اعطي من الاجر كمن احيا ليلة القدر والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة الاحزاب مدنية

وهي ثلث وسبعون اية ومايتان وثمانون كلمة وخمسة الاف وسبع ماية وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله سبحانه وتعالى يا ايها النبي اتق الله اعلم ان الفرق بين نداء المنادي يا رجل ويا ايها الرجل ان قوله يا رجل يدل على النداء وقوله يا ايها الرجل يدل على ذلك وينبي عن خطر خطب المنادى له او غفلة المنادى فقوله يا ايها لا يجوز حمله على غفلة النبي صلى الله عليه وسلم لان قوله النبي ينافي الغفلة لان النبي صلى الله عليه وسلم خبير فلا يكون غافلا فيجب حمله على خطر الخطب فان قيل الامر بالشي لا يكون الا عند عدم اشتغال المامور بالمامور به اذ لا يصلح ان يقال للجالس اجلس وللساكت اسكت تسلم والنبي صلى الله عليه وسلم كان متقيا فالوجه في قوله تعالى اتق الله فالجواب انه امر بالمداومة فانه يصح ان يقال للجالس اجلس ههنا الى ان اتيك ويقال للساكت قد اصبت فاسكت تسلم اي دم على ما انت عليه وايضا من جهة العقل ان الملك يتقى منه عباده على ثلث اوجه بعضهم يخاف من عقابه وبعضهم يخاف من قطع ثوابه وثالث يخاف من احتجابه فالنبي صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه لم يومر بالتقوي بالاول ولا بالثاني واما الثالث فالمخلص لا يامنه ما دام

في الدنيا فكيف والامور البدنية شاغلة فالادمي في الدنيا تارة مع الله تعالى والاخرى مقبل
بجماله بدمثه وان كان معه الله والى هذا اشار بقوله انما انا بشر مثلكم يوحى الي يعني برفع الحجاب
عني وقت الوحي ثم اعود اليكم كاني منكم فامر بتقوى يوجب استدامة الحضور وقال المفسرون نزلت
في ابي سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابي الاعور عمرو بن سفيان السلمي وذلك انهم قدموا المدينة
فنزلوا على عبد الله بن ابي راس المنافقين بعد قتال احد وقد اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم
الامان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح وطعمة بن ابيرق فقالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومناة
وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق على النبي صلى الله عليه وسلم قولهم فقال
عمر يا رسول الله ائذن لي في قتلهم فقال اني قد اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله
وغضبه وامر النبي صلى الله عليه وسلم عمر رضي الله عنه وعن الصحابة اجمعين ان يخرجهم من
المدينة فانزل الله تعالى يا ايها النبي اتق الله اي دم على التقوى كما يقول الرجل لغيره وهو
قائم قم قائما اي اثبت قائما وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد الامة وقال
الضحاك معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم قوله تعالى ولا تطع الكافرين
اي من اهل مكة يعني ابا سفيان وعكرمة وابا الاعور والمنافقين من اهل المدينة عبد الله بن
ابي وطعمة ان الله كان عليما بخلقه قبل ان خلقهم حكيما فيما دبره لهم فان قيل لم خص الكافر
والمنافق بالذكر مع ان النبي صلى الله عليه وسلم ينبغي ان لا يطيع احدا غير الله فالجواب من وجهين
الاول ان ذكر الغير لا حاجة اليه لان غيرهما لا يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم الاتباع ولا
يتوقع ان يصير النبي صلى الله عليه وسلم مطيعا له بل يقصد اتباعه ولا يكون عنده الاطاعة
الثاني ان الله تعالى لما قال لا تطع الكافرين والمنافقين منعه من طاعة الكل لان كل من
طلب من النبي صلى الله عليه وسلم طاعته فهو كافر او منافق لان من يامر النبي صلى الله عليه وسلم
بامر ايجاب معتقدا انه لو لم يفعله يعاقبه يحق يكون كافرا قوله تعالى واتبع ما يوحى اليك
من ربك وهذا يقرر ما ذكرنا اولا من ان الله عليم حكيم فاتباعه واجب قوله تعالى بما تعملون خبيرا
وعد بقليل بما يعملون بصيرا قراهما ابو عمرو بياء الغيبة والباقون بتاء الخطاب اما الغيبة
فالاول فلقوله الكافرين والمنافقين واما الخطاب فلقوله تعالى يا ايها النبي لان المراد هو
وامته او خوطب بالجمع تعظيما لقوله • فان شئت حرمت النساء سواكم •
وجوز ابو حيان ان تكون التفاتا يعني الناس من الكافرين والمنافقين وهو بعيد واما
الغيبة في الثاني فلقوله اذ جاءتكم جنود واما الخطاب فلقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
قوله تعالى وتوكل على الله اي ثق بالله يعني ان توهمت من احد فتوكل على الله فانه
كافيك وكفى بالله وكيلا حافظا لك وقيل كفيلا برزقك قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين
في جوفه نزلت في ابي معمر الفهري وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ ابو معمر
هذه الاشياء الا وله قلبان وكان يقول قلبان اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد صلى الله
عليه وسلم فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم ابو معمر فلقيه ابو سفيان واحدى نعليه بيده والاخرى
في رجله فقال له يا ابا معمر ما حال الناس قال انهزموا قال فما لك احدى نعليك في يدك والاخرى
في رجلك قال ابو معمر ما شعرت الا انهما في رجلي فعلموا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسي نعله
في يده وقال الزهري ومقاتل هذا مثل ضربه الله تعالى للمظاهر من امراته والمتبني ولد غيره
يقول فكما لا يكون لرجل قلبان فكذلك لا يكون امراة المظاهر امه حتى يكون لها ابنان ولا يكون
ولد واحد لرجلين قال الزمخشري قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائي تظهرون منهن
امهاتكم اي ما جعل الله لرجل قلبين كما لم يجعل لرجل امين ولا لابن ابوين قوله تعالى وما جعل
ازواجكم اللائي قرا الكوفيون وابن عامر اللائي ههنا وفي سورة الطلاق بياء ساكنة بعد
همزة مكسورة وهذا هو الاصل في هذه اللفظة لانه جمع التي معنى وابو عمرو والبزي اللاي
بياء ساكنة وصلا بعد الف محضة في احد وجهيهما ولهما وجه آخر سياتي ووجه هذه القراءة
انهما حذفا الياء بعد الهمزة تخفيفا ثم ابدلا الهمزة ياء وسكناها لصيرورتها ياء مكسورا ما قبلها
كالقاضي والقاري الا ان هذا ليس بقياس وانما القياس جعل الهمزة بين بين قال ابو علي

لا يقدم على مثل هذا البدل الا ان يسمع قال شهاب الدين قال ابو عمرو بن العلاء انها لغة
قريش التي امر الناس ان يقرؤوا بها وقال بعضهم لم يبدلوا وانما كتبوا فعبر عنهم القراء بالابدال
وليس بشيء وقال ابو علي او غيره اظهار ابي عمرو واللاي ييئسن يدل على انه يسهل ولم يبدل وهذا غير
لازم لان البدل عارض فلذلك لم يدغم وقراهما ايضا ورش بهمزة مسهلة بين بين وهذا الذي
زعم بعضهم انه لم يصح عنهم غيره وهو تخفيف قياسي واذا وقفوا اسكنوا الهمزة ومتى سكنوها استحال
تسهيلها بين بين لزوال حركتها فتقلب ياء لوقوعها بعد كسرة وليس من مذهبهم تخفيفها فتقر
همزة وقرا قنبل وورش بهمزة مكسورة دون ياء حذفا الياء واجتزاء عنها بالكسرة وهذا الخلاف
بعينه جار في المجادلة ايضا والطلاق قوله تعالى تظاهرون بضم التاء وكسر الهاء بعد الف
مضارع ظاهر وابن عامر تظاهرون بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء مضارع تظاهر والاصل
تتظاهرون بتاءين فادغم والاخوان كذلك الا انهما خففا الظاء والاصل ايضا بتاءين الا انهما حذفا
احداهما وهما طريقان في تخفيف هذا النحو اما الادغام واما الحذف وقد تقدم تحقيقه في نحو
يذكرون تذكرون مخففا ومثقلا ويقدم نحوه في البقرة ايضا والباقون تظاهرون بفتح التاء والهاء
وتشديد الظاء والهاء دون الف والاصل تتظهرون بتاءين فادغم نحو تذكرون وقرا الجميع في
المجادلة كقراءتهم هنا في قوله تعالى الذين تظهرون من نسائهم الا الاخوين فانهما خالفا
اصلهما هنا فقرآ في المجادلة بتشديد الظاء كقراءة ابن عامر والظهار مشتق من الظهر واصله
ان يقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي وانما لم يقرا الاخوان بالتخفيف في المجادلة لعدم المسوغ
له وهو الحذف لان الحذف انما كان لاجتماع مثلين وهما التاءان وفي المجادلة تاء من تحت وياء
من فوق فلم يجتمع مثلان فلا حذف فاضطر الى الادغام هذا ما قرئ به متواترا وقرا ابن
وثاب تظهرون بضم التاء وسكون الهاء وكسر الهاء مضارع اظهر وعنه ايضا تظهرون بفتح التاء
والظاء مخففة وتشديد الهاء والا تتظهرون مضارع تظهر مشددا والحذف احدى التاءين
وقرا الحسن تظهرون بضم التاء وفتح الظاء مخففة وتشديد الهاء مكسورة مضارع ظهر مشددا
وعن ابي عمرو تظهرون بفتح التاء والهاء وسكون الظاء مضارع ظهر مخففا وقرا ابي وهي في مصحفه
كذلك تتظهرون بتاءين فهذه تسع قراءات اربع متواترة وخمس شاذة واخذ هذه الافعال
من لفظ الظهر كاخذ لبى من التلبية واف من اف وانما عدي لانه ضمن معنى التباعد كانه قيل
يتباعدون من نسائهم بسبب الظهار كما تقدم في تعديه الايلاء بمن في البقرة

فصل

الظهار ان يقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي فقال الله تبارك وتعالى ما جعل الله نساءكم
اللاي يقولون لهن هذا في التحريم كامهاتكم ولكنه منكر وزور وفيه كفارة ياتي ذكرها ان
شاء الله تعالى في سورة المجادلة قوله تعالى وما جعل ادعياءكم ابناءكم يعني ما جعل من تتبنوه
ابناءكم نسخ التبني وذلك ان الرجل في الجاهلية كان يتبنى الرجل فيجعله كالابن يدعوه الناس اليه
ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم اعتق زيد بن حارثة من شراحيل الكلبي وتبناه
قبل الوحي وآخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امراة ابنه وهو
ينهى الناس عن ذلك فانزل الله هذه الاية ونسخ التبني واعلم ان الظهار في الجاهلية كان
طلاقا حتى كان للزوج ان يتزوج بها من جديد قوله تعالى ذلكم قولكم مبتدا وخبر اي دعاؤكم
الادعياء ابناء مجرد قول لسان من غير حقيقة والادعياء جمع دعي بمعنى مدعو فعيل بمعنى مفعول
واصله دعيو فادغم ولكن جمعه على ادعياء غير مقيس لان افعلاء انما يكون جمعا لفعيل المعتل
اللام اذا كان بمعنى فاعل نحو تقي واتقياء وغني واغنياء وهذا وان كان فعيلا معتل اللام الا انه
بمعنى مفعول فكان قياس جمعه على فعلى كقتيل وقتلى وجريح وجرحى ونظير هذا في الشذوذ
قولهم اسير واسراء والقياس اسرى وقد سمع فيه الاصل واعلم ان الله تبارك وتعالى قال ههنا
ذلكم قولكم بافواهكم وقال في قوله عز وعلا وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم
يعني لنسبة الشخص الى غير الاب قول لا حقيقة له ولا يخرج من قلب ولا يدخل ايضا في قلب فهو
قول بالفم مثل اصوات البهائم قوله تعالى والله يقول الحق اي قوله الحق وهو يهدي السبيل اي
يرشد الى سبيل الحق وهذا اشارة الى انه ينبغي للعاقل ان يكون قوله اما عن عقل او شرع

فاذا قال فلان ابن فلان ينبغي ان يكون عن حقيقة او عن شرع بان يكون ابنه شرعا وان لم
تعلم الحقيقة كمن تزوج بامراة فولدت لستة اشهر ولدا وكانت الزوجة من قبل زوجة شخص
اخر يحتمل ان يكون الولد منه فانا نلحقه بالزوج الثاني لقيام الفراش ونقول انه ابنه شرعي وفي
الدعي لم توجد الحقيقة ولا ورد الشرع به لانه لا يقول الا الحق وهذا خلاف الحق لان اباه مشهور
ظاهر واشار فيه من وجه اخر الي ان قولهم هذه زوجة الابن فتحرم فقال الله هي لك حلال
فقولهم لا اعتبار له فانه بافواههم كاصوات البهايم وقوله الحق فيجب اتباعه وهو يهدي
السبيل فيجب اتباعه لكونه حقا ولكونه هاديا قوله تعالى ادعوهم لابايهم اي الذين
ولدوهم هو اقسط عند الله اي اعدل قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه ان زيد بن حارثة
مولي رسول الله صلي الله عليه وسلم ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد صلي الله عليه وسلم حتي نزل
القران ادعوهم لابايهم هو اقسط عند الله واعلم ان قوله تعالي هو اقسط اي دعاوهم لابايهم
فهو مصدر قاصر لدلالة فعله كقوله اعدلوا هو اقرب قال ابن الخطيب رحمه الله وهو يحتمل
وجهان احدهما ان يكون ترك الاضافة للعموم اي اعدل كل كلام كقولك الله اكبر الثاني ان
يكون ما تقدم منويا عنده كانه قال ذلك اقسط من قولكم هو ابن فلان ثم تمم الارشاد فقال
سبحانه فان لم تعلموا اباهم فاخوانكم في الدين اي قولوا لهم اخواننا فان كانوا محررين فقولوا
موالي فلان ثم قال سبحانه وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به اي قبل النهي فنسبتموه الي
غير ابيه قوله تعالي ولكن ما تعمدت قلوبكم يجوز في ما وجهان احدهما ان تكون مجرورة
المحل عطفا علي ما المجرورة قبلها بفي والتقدير ولكن في ما تعمدت والثاني انها مرفوعة
المحل بالابتدا والخبر محذوف تقديره تواخذون به او عليكم فيه الجناح ونحوه قوله سبحانه
وكان الله غفورا رحيما المغفرة هي ان يستر القادر قبيح من تحت قدرته حتي ان العبد اذا
ستر عيب سيده مخافة عقابه لا يقال غفر له والرحمة هي ان يميل بالاحسان الي المرحوم
لا لعوض فان مال الي انسان قادرا للسلطان لا يقال رحمه ولذلك من احسن الي غيره
رجاء في خيره او عوضا عما صدر منه انعاما من الاحسان لا يقال رحمه اذا علم هذا فالمغفرة
اذا ذكرت قبل الرحمة تكون معناها انه ستر عيبه ثم راه مفلسا عاجزا فرحمه واعطاه ما كفاه
واذا ذكرت المغفرة بعد الرحمة وهو قليل يكون معناها انه مال اليه لعجزه فترك عقابه
ولم يقتصر عليه بل ستر ذنوبه قوله تعالي النبي اولي بالمومنين من انفسهم اي من بعضهم
ببعض في نفوذ حكمه ووجوب طاعته عليهم وقال ابن عباس وعطا يعني اذا دعاهم النبي
صلي الله عليه وسلم ودعتهم انفسهم الي شي كانت طاعة النبي صلي الله عليه وسلم اولي بهم
من طاعة انفسهم وقال ابن زيد النبي اولي بالمومنين من انفسهم فيما قضي بينهم كما انت
اولي بعبدك فيما قضيت عليه وقيل اولي بهم في الحمل علي الجهاد وبذل النفس دونه وقيل
كان النبي صلي الله عليه وسلم يستلهما يخرج الي الجهاد فيقول قوم نذهب فنستاذن من
ابايناوامهاتنا فنزلت الاية وروي ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم
قال ما من مومن الا وانا اولي به في الدنيا والاخرة اقروا ان شيتم النبي اولي بالمومنين من
انفسهم فايما مومن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ومن ترك دينا او ضياعا فلياتني
فانا مولاه قوله تعالي وازواجه امهاتهم اي مثل امهاتهم في الحكم ويجوز ان يساوي التشبيه
ويجعلون امهاتهم مبالغة وفي حرف ابي وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وهن امهات المومنين
في تعظيم حقهن وتحريم نكاحهن علي التابيد لا في النظر اليهن والخلوة بهن فانه حرام في
حقهن كما في حق الاجانب قال الله تعالي واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من ورا حجاب
ولا يقال لبناتهن هن اخوات المومنين ولا لاخوانهن واخواتهن اخوال المومنين وخالاتهم
وقال الشافعي رضي الله عنه تزوج الزبير اسما بنت ابي بكر رضي الله عنه وهي اخت ام المومنين
واختلفوا في انهن هل كن امهات النسا المومنات فقيل كن امهات المومنين جميعا وقيل كن امهات
المومنين دون النسا روي الثعلبي عن مسروق ان امراة قالت لعايشة رضي الله عنها يا امه
فقالت لست لك بام انما انا ام رجالكم فدل هذا علي ان معني هذه الامومية تحريم
نكاحهن **فصل** قال ابن الخطيب هذا تقرير اخر وذلك لان زوجة النبي صلوات

الله البر الرحيم وسلامه عليه ما جعلها الله تعالي في حكم الام الا لقطع نظر الامة عما تعلق
به غرض النبي صلي الله عليه وسلم فاذا تعلق خاطره بامراة شاركت وجاته في التعلق فحرمت
مثل ما حرمت ازواجه علي غيره فان قيل كيف قال وازواجه امهاتهم وقال من قبل وما جعل
ازواجكم اللاي تظهرون منهن امهاتكم فاشار الي ان غير من ولدت لا تصير اما بوجه ولذلك
قال في موضع اخر ان امهاتهم الا اللاي ولدنهم فالجواب ان قوله تعالي في الاية المتقدمة
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل جواب عن هذا والمعني ان الشرع مثل الحقيقة ولهذا يرجع
العاقل عند تعذر اعتبار الحقيقة الي الشريعة كما ان امراتين اذا ادعت كل واحدة ولدا ولا بينة
ولم يكن لهما بينه وحلفت احداهما دون الاخري حكم لها بالولد فعلم ان عند عدم الوصول الي
الحقيقة يرجع الي الشرع بل في بعض المواضع علي المذهب تغلب الشريعة علي الحقيقة فان
الزاني لا يجعل ابا لولد الزنا وان كان ولده في الحقيقة واذا كان لذلك فالشارع له الحكم
فقول القايل هذه اي قول نعم لا عن حقيقة ولا يترتب عليه حقيقة واما قول الشارع فهو
حق فله ان يتصرف في الحقايق كيف شا الا تري ان الام ما صارت اما الا بخلق الله الولد في رحمها
ولو خلقه في جوف غيرها لكانت الام غيرها فاذا كان الذي يجعل الام الحقيقة اما فله ان يسمي امراة
اما ويعطيها حكم الامومية واما من جهة المعقول في جعل ازواجه امهاتنا هو ان الله تعالي
جعل زوجة الاب محرمة علي الابن لان الزوجية تحصل الغيره فان تزوج الابن بمن كانت تحت
الاب يفضي الي قطع الرحم والعقوق ولكن النبي صلي الله عليه وسلم اشرف واعلا درجة من
الاب واولي بالارضا فان الاب يربي في الدنيا حسب والنبي صلي الله عليه وسلم يربي في الدنيا
والاخرة فوجب ان يكون زوجاته مثل زوجات الابا فان قيل فلم لم يقل ان النبي ابوكم
ويحصل هذا المعني او لم لم يقل ازواج ابيكم فالجواب ان الحكمة فيه هو ان النبي بما بينا انه
اذا اراد زوجة واحد من الامة وجب عليه تركها ليتزوج بها النبي صلي الله عليه وسلم فلو قال
انت ابوهم لحرم عليه زوجات المومنين علي التابيد ولانه لما جعل اولي بهم من انفسهم والنفس
مقدمة علي الاب لقوله صلي الله عليه وسلم ابدا بنفسك ثم بمن تعول ولذلك فان المحتاج الي
القوت لا يجب عليه صرفه الي الاب ويجب عليه صرفه الي النبي صلي الله عليه وسلم ثم ان ازواجه
لهم حكم ازواج الاب حتي لا يحرم اولادهن علي المومنين ولا اخواتهن ولا امهاتهن وان كان الكل يحرمن
في الام الحقيقة والرضاعة قوله تعالي واولوا الارحام بعضهم اولي ببعض في كتاب الله يعني
الميراث قال قتادة كان المسلمون يتوارثون بالهجرة قال الكلبي اخا رسول الله صلي الله عليه
وسلم بين الناس كان يواخي بين رجلين فاذا مات احدهما ورثه الاخر دون عصبته حتي نزلت
هذه الاية واولوا الارحام بعضهم اولي ببعض في كتاب الله في حكم الله من المومنين الذي اخا
رسول الله صلي الله عليه وسلم بينهم والمهاجرين يعني ذوي القرابات بعضهم اولي بميراث بعض
من ان يرثوا بالايمان والهجرة فنسخت هذه الاية الموارثة بالمواخاة والهجرة وصارت بالقرابة
وبعضهم يجوز فيه وجهان احدهما ان يكون بدلا من اولوا والثاني انه مبتدا وما بعده خبره
والجملة خبر الاول قوله تعالي في كتاب الله يجوز ان يتعلق باولوا لان افعل التفضيل يعمل في
الظرف ويجوز ان يتعلق بمحذوف علي انه حال من الضمير في اولوا والعامل فيها اولوا لانه
شبيه بالظرف ولا يجوز ان يكون حالا من اولوا للفصل بالخبر ولانه لا عامل فيها قوله تعالي
من المومنين يجوز فيه وجهان احدهما انها من الجارة للمفضول كهي في زيد افضل من عمرو والمعني
واولوا الارحام اولي بالارث من المومنين والمهاجرين الاجانب والثاني انها للبيان جي بها بيانا
لاولي الارحام فيتعلق بمحذوف اي اعني والمعني واولوا الارحام من المومنين اولي بالارث
من الاجانب قوله تعالي الا ان تفعلوا هذا استثنا من غير الجنس وهو مستثني من معني الكلام
ونحواه اذ التقدير اولوا الارحام بعضهم اولي ببعض في الارث وغيره لكن اذا فعلتم مع غيرهم
من اوليايكم خيرا كان لكم ذلك وعدي تفعلوا بالي لتضمنه معني تدخلوا واراد بالمعروف الوصية
للذين يتولونه من المعاقدين يعني ان اوصيتم لغير الوارثين اولي وان لم توصوا فالوارثون اولي
بميراثكم وذلك ان الله تعالي لما نسخ التوارث بالحلف والهجرة اباح ان يوصي لمن يتولاه بما احب
من ثلثه قال مجاهد اراد بالمعروف النصرة وحفظ الحرمة بحق الايمان والهجرة يعني واولوا

الارحام من المومنين والمهاجرين بعضهم اولي ببعض اي لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر
وغير المهاجر الا ان تفعلوا الي اوليايكم معروفا اي الا ان توصوا لذوي قراباتكم بشي وان كانوا من غير
اهل الايمان والهجرة وهذا قول عطا وقتادة وعكرمة فان قيل اي تعلق للميراث والوصية بما تقدم
فالجواب قال ابن الخطيب وجوابه من وجهين احدهما ان غير النبي صلى الله عليه وسلم في حال حياته
لا يصير له مال الغير وبعد وفاته لا يصير ماله لغير ورثته والنبي صلى الله عليه وسلم في حال حياته
كان يصير له مال الغير اذا اراده ولا يصير ماله لورثته بعد وفاته لكان الله تعالى عوض النبي صلى
الله عليه وسلم عن قطع ميراثه بقدره بان له تملك مال الغير وعوض المومنين بان ما تركه النبي صلى
الله عليه وسلم رجع اليهم حتى لا يكون حرج على المومنين في ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد شيا
يصير له ثم يموت ويبقى لورثته فيفوت عليهم ولا يرجع اليهم فقال الله تعالى واولوا الارحام
بعضهم اولي ببعض يعني ان التوارث بينكم فيصير مال احدكم لغيره بالارث والنبي صلى الله عليه
وسلم لا توارث بينه وبين اقاربه فينبغي ان يكون له بدل هذا وهو انه اولي في حياته بما في
ايديكم الثاني ان الله تعالى ذكر دليلا على ان النبي صلى الله عليه وسلم اولي بالمومنين وهو ان اولي
الارحام بعضهم اولي ببعض ثم ان اراد احد بر صديقه فيوصي له بشي فيصير اولي من قريبه
فكانه بالوصية قطع الارث وقال هذا مالي لا ينتقل عني الا الي من اريده فكذلك جعل الله تعالى الصديقية
من الدنيا ما اراده ثم ما يفضل منه يكون لغيره ثم قال تعالى كان ذلك في الكتاب مسطورا اي مكتوبا
قال القرطبي اراد بالكتاب التورية وقيل القران وهو اية المواريث والوصية وقيل اللوح المحفوظ
قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم الاية وجه تعلق هذه الاية بما قبلها هو ان
الله تعالى لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بالاتقا وقال سبحانه يا ايها النبي اتق الله واكده
بالحكاية التي خشي فيها الناس لكي لا يخشي احدا غيره وبين انه لم يرتكب امرا يوجب الخشية بقوله
سبحانه النبي اولي بالمومنين من انفسهم واكده بوجه اخر فقال سبحانه واذ اخذنا كانه قال
اتق الله ولا تخف احدا واذكر ان الله اخذ ميثاق النبيين في انهم يبلغون رسالات الله ولا يمنعهم
من ذلك خوف ولا طمع والمراد من الميثاق الماخوذ من النبيين ارسالهم وامرهم بالتبليغ وان يصدق
بعضهم بعضا قال مقاتل رحمه الله اخذنا ميثاقهم على ان يعبدوا الله سبحانه وتعالي ويدعوا الي
عبادته ويصدق بعضهم بعضا وينصحوا القوم قوله تعالى واذ يجوز فيه وجهان احدهما ان
يكون منصوبا باذكر اي واذكر اذ اخذنا والثاني ان يكون معطوفا على محل في الكتاب فيعمل فيه
مسطورا اي كان هذا الحكم مسطورا في الكتاب ووقت اخذنا قوله تعالى ومنك ومن نوح وابراهيم
وموسي وعيسي بن مريم خص هولا الخمسة بالذكر من بين النبيين لانهم اصحاب الكتب والشرايع
واولوا العزم من الرسل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم لقوله صلوات الله وسلامه عليه كنت اول
النبيين في الخلق واخرهم في البعث قال قتادة رضي الله عنه وذلك قول الله عز وجل واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح به فبدا به صلى الله عليه وسلم قال ابن الخطيب وخص
بالذكر اربعة من الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين وهم نوح وابراهيم وموسي وعيسي لان موسي
وعيسي كان لهم في زمان نبينا قوم وامة فذكرهما احتجاجا على قومهما وابراهيم كانت العرب يقولون
بفضله وكانوا يتبعونه في الشعاير ونوحا لانه كان اصلا ثانيا للناس حيث وجد الخلق منه
بعد الطوفان وعلى هذا لو قال قايل فادم صلوات الله عليه كان اولي بالذكر من نوح فيقول
خلق ادم صلوات الله عليه كان للعمارة ونبوته كانت مثل الارشاد للاولاد ولهذا لم يكن في زمانه
اهلاك قوم ولا تعذيب واما نوحا فكان مخلوقا للنبوة وارسل للانزال ولهذا اهلك قومه واغرقوا
واما ذكر عيسي بقوله عيسي بن مريم والمسيح بن مريم فهو اشارة الي انه لا اب له اذ لو كان لوقع
التعريف به قوله تعالى ميثاقا غليظا هو الاول وانما كرر لزيادة صفته وايذانا بتوكيده قال
المفسرون عهدا شديدا على الوفا بما حملوا قوله تعالى ليسال فيها وجهان احدهما انها لام كي
اي اخذنا ميثاقهم ليسال المومنين عن صدقهم والكافرين عن تكذيبهم فاستغني عن الثاني بذكر
سببه وهو قوله تعالى واعد ومفعول صدقهم محذوف اي صدقهم عهدهم ويجوز ان يكون صدقهم
في معني تصديقهم ومفعوله محذوف ايضا اي عن تصديقهم الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين
قوله تعالى واعد يجوز فيه وجهان احدهما ان يكون معطوفا على ما دل عليه ليسال الصادقين اذ

التقدير

التقدير فاثاب الصادقين واعد للكافرين والثاني انه معطوف على اخذنا لان المعني ان الله
تعالى اكد على الانبيا الدعوة الي دينه لاثابة المومنين واعد للكافرين وقيل انه قد حذف من
الثاني ما اثبت مقابله في الاول ومن الاول ما اثبت مقابلته في الثاني والتقدير ليسال الصادقين
عن صدقهم فاثابهم ويسال الكافرين عما اجابوا به رسلهم واعد لهم عذابا اليما **فصل**
قال المفسرون المعني اخذنا ميثاقهم لكي يسال الصادقين عن صدقهم يعني النبيين عن تبليغهم
الرسالة والحكمة في سوالهم انهم صادقون تبكيت من ارسلوا اليهم وقيل ليسال الصادقين عن
علمهم لله عز وجل وقيل ليسال الصادقين بافواههم عن صدقهم بقلوبهم قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم الاية وهذا تحقيق لما سبق من الامر بتقوي الله بحيث لا
يبقي معه خوف من احد وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام الخندق
واجتمع الاحزاب واشتد الامر على الاصحاب حيث اجتمع المشركون باسرهم واليهود باجمعهم
ونزلوا على المدينة وعمل النبي صلى الله عليه وسلم الخندق وكان الامر في غاية الشدة والخوف
بالغا الي الغاية والله سبحانه وتعالى دفع القوم عنهم من غير قتال وامنهم من الخوف فينبغي
ان لا يخاف العبد غير ربه فانه القادر على كل الممكنات فكان قادرا على ان يقهر المسلمين
بالكفار مع انهم ضعفا كما قهر الكافرين بالمومنين مع قوتهم وشوكتهم قوله تعالى اذ جاتكم
يجوز ان يكون منصوبا بنعمة اي النعمة الواقعة في ذلك الوقت ويجوز ان يكون منصوبا
باذكروا على ان يكون بدلا من نعمة بدل اشتمال والمراد بالجنود الاحزاب وهم قريش وغطفان
وبنو قريظة والنضير فارسلنا عليهم ريحا وهي الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة
الاحزاب انطلقي ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسري بالليل
فكانت الريح التي ارسلت عليهم الصبا وروي مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور قوله تعالى وجنودا لم تروها
قرا الحسن رضي الله عنه الجنود بفتح الجيم والعامة بضمها وجنودا عطف على ريحا ولم تروها صفة
لهم وروي عن ابي عمرو وابي بكر رضي الله عنهما لم يروها بالياء الغيبة وهم الملايكة صلوات الله
عليهم ولم تقاتل الملايكة يوميذ فبعث الله تعالى عليهم تلك الليلة ريحا باردة فقلعت
الاوتاد وقطعت اطناب الفساطيط واطفات النيران واكفات القدور وجالت الخيل بعضها
في بعض وكثر تكبير الملايكة في جوانب عسكرهم حتى كان كل سيد حي يقول يا بني فلان هلموا الي
فاذا اجتمعوا عنده قال النجا النجا اتيتم لما بعث الله عليهم من الرعب فانهزموا من غير قتال
وكان الله بما يعملون بصيرا وهذا اشارة الي ان الله تعالى علم التجاكم اليه ورجاكم بفضله فنصركم
على الاعدا عند الاستعداد والقصة مشهورة قوله تعالى اذ جاوكم بدل من اذ الاولي والحناجر
جمع حنجرة وهي راس الغلصمة والغلصمة منتهي الحلقوم والحلقوم مجري الطعام والشراب وقيل
الحلقوم مجري النفس والمري مجري الطعام والشراب وهو تحت الحلقوم وقال الراغب راس الغلصمة
من خارج قوله تعالى الظنونا قرا نافع وابن عامر وابو بكر باثبات الف بعد نون الظنون
ولام الرسول في قوله تعالى واطعنا الرسولا ولام السبيل في قوله فاضلونا السبيلا وصلا ووقفا
موافقة للرسم لانهن رسمن في المصحف كذلك وايضا فان هذه الالف تشبه ها السكت لبيان الحركة
وها السكت تثبت وقفا للحاجة اليها وقد تثبت وصلا اجرا للوصل مجري الوقف كما تقدم في البقرة
والانعام فلذلك هذه الالف وقرا ابو عمرو وحمزة بحذفها في الحالين لانها لا اصل لها وقولهم اجريت
الفواصل مجري القوافي غير معتد به لان القوافي تلتزم الوقف عليها غالبا والفواصل لا يلتزم
ذلك فيها فلا تشبه بها الف الاطلاق كقوله • استاثر الله بالوفا وبالعدل • وولي الملامة الرجلا
وقوله • اقلي اللوم عاذل والعتابا • وقولي ان اصبت لقد اصابا •
ولا لحقها ها السكت وهي تثبت وقفا وتحذف وصلا قال شهاب الدين رحمه الله كذا يقولون
تشبيها للفواصل بالقوافي وانا لا احب هذه العبارة فانها منكرة لفظا لا خلاف في قوله وهو
يهدي السبيل انه بغير الف في الحالين **فصل** المعني اذ جاوكم من فوقكم اي من فوق
الوادي من قبل المشرق وهم اسد وغطفان عليهم مالك بن عوف النضري وعيينة بن حصن
الفزاري من الف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الاسدي في بني اسد وحيي بن اخطب في

يهود بني قريظة ومن اسفل منكم اي من بطن الوادي من قبل المغرب وهم قريش وكنانة عليهم
ابو سفين بن حرب ومن معه وابو الاعور بن سفين السلمي من قبل الخندق وكان الذي جر غزوة
الخندق فيما قيل اجلا اجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير من ديارهم واذ زاغت
الابصار مالت وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل شي فلم ينظر الا الي عدوها وبلغت القلوب
الحناجر فزالت عن اماكنها حتى بلغت الحلوق من الفزع وهذا علي التمثيل عبر به عن شدة الخوف
قال الفرا معناه انهم جبنوا وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه ان تنتفخ ريته فاذا الريه رفعت
القلب الي الحنجرة ولهذا قال انتفخ سحره لان القلب عند الغضب يندفع وعند الخوف يجتمع فيتقلص
بالحنجرة وقد يفضي الي ان يسد مخرج النفس فلا يقدر المرء يتنفس ويموت من الخوف وتظنون بالله
الظنونا وهو اختلاف الظنون فظن المنافقون استيصال محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وظن
المومنون النصر والظفر لهم فان قيل المصدر لا يجمع فما الفايدة في جمع الظنون فالجواب لا شك
انه منصوب علي المصدر ولكن الاسم قد يجعل مصدرا كما يقال ضربته سياطا وادبته مرارا فكانه
قال ظننتم ظنا بعد ظن اي ما ثبتم علي ظن وفايدته ان الله تعالى لو قال تظنون ظنا جاز ان
يكون مصيبين فاذا قال ظنونا بين ان فيهم من كان ظنه كاذبا لان الظنون قد تكذب كلها وقد
يكذب بعضها اذا كانت في امر واحد كما اذا راي جمع جسما من بعيد وظن بعضهم انه زيد واخرون
انه عمرو واخرون انه بكر ثم ظهر لهم الحق قد يكونوا كلهم مخطيين والمري شجرا وحجرا وقد يكون احدهم
مصيبا ولا يمكن ان يكونوا كلهم مصيبين في ظنونهم فقوله الظنونا افاد ان في ظنهم من اخطا
الظن ولو قال تظنون بالله ظنا ما كان يفيد هذا والالف واللام في الظنون يمكن ان يكون
للاستغراق مبالغة بمعنى يظنون كل ظن لان الامر العظيم كل احد يظن شيا ويمكن ان يكون
الالف واللام للعهد اي ظنونهم المعهودة لان المعهود من المومن ظن الخير بالله تعالى كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم ظنوا بالله خيرا ومن الكافر الظن السوء كقوله تعالى ذلك ظن الذين
كفروا وقوله تعالى ان يتبعون الا الظن قوله تعالى هنالك منصوب بابتلي وقيل تظنون
واستضعفه ابن عطية وفيه وجهان اظهرهما انه ظرف مكان بعيد اي في ذلك المكان الدحض وهو
الخندق والثاني انه ظرف زمان واسند بعضهم علي ذلك
• واذا الامور تعاظمت وتشاكلت • فهناك تعترفون اين المفزع •
قوله تعالى وزلزلوا قرا العامة بضم الزاي الاولي وكسر الثانية علي اصل ما لم يسم فاعله وروي
عن واحد عن ابي عمرو كسر الاولي وروي الزمخشري عنه اشمامها كسرا ووجه هذه القراة ان تكون
اتبع الزاي الاولي للثانية في الكسر ولم يعتد بالساكن لكونه غير حصين كقولهم منتن بكسر الميم
والاصل ضمها قوله تعالى زلزالا مصدر مبين للنوع بالوصف والعامة علي كسر الزاي وعيسى
والجحدري فتحاها وهما لغتان في المصدر الفعل المضعف اذا جاء علي فعلال يجوز الزلزال وقلما
وصلصال وقد يراد بالمفتوح اسم الفاعل نحو صلصال بمعنى مصلصل وزلزال بمعني مزلزل
فصل قال المفسرون معنى ابتلي المومنون اختبر المومنون بالحصر والقتال ليتبين
المخلص من المنافق والابتلا من الله تعالى ليس لانه الامر له بل لحكمة اخري وهي ان الله
تعالى عالم بما هم عليه لكن اراد اظهار الامر لغيره من الملايكة والانبيا كما ان السيد اذا اعلم من عبده
المخالفة وعزم علي معاقبته علي مخالفته وعنده غيره من العبيد او غيرهم فيامره بامر عالما
بانه مخالف لكي يتبين الامر عند الغير فتقع المعاقبة علي احسن الوجوه حيث لا يقع لاحد انه يظلم
وقوله تعالى وزلزلوا زلزالا شديدا اي ازعجوا وحركوا حركة شديدة فمن ثبت منهم كان من
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ثم قال عز وجل واذ يقول المنافقون معتب بن قشير وقيل
عبد الله بن ابي واصحابه والذين في قلوبهم مرض شك وضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله
الا غرورا وهذا تفسير للظنون وبيان لها فظن المنافقون ان ما قال الله ورسوله كان زورا
ووعدهما كان غرورا حيث ظنوا بان الغلبة واقعة لهم يعدنا محمد صلى الله عليه وسلم فتح قصور
الشام وفارس واحدنا لا يستطيع ان يجاوز رحله هذا والله الغرور وقوله تعالى واذ قالت
طايفة منهم اي من المنافقين وهم اوس بن قيظي واصحابه يا اهل يثرب يعني المدينة قال ابو عبيد
يثرب اسم ارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في ناحية منها وفي بعض الاخبار ان النبي صلى

الله عليه وسلم نهى ان يسمى المدينة يثرب وقيل هي طابه كانه كره هذه اللفظة وقال اهل اللغة
يثرب اسم المدينة وقيل اسم البقعة التي فيها المدينة وامتناع صرفها اما العلمية والوزن او للعلمية
والتانيث واما يثرب بالتا المثناة وفتح الرا فموضع اخر باليمين قال الشاعر
• وعدت وكان الخلف منك سجية • مواعيد عرقوب اخاه بيثرب •
وقال • وقد وعدتك موعدا لو فيت • مواعيد عرقوب اخاه بيثرب •
قوله تعالى لا مقام لكم قرا حفص وابو عبد الرحمن السلمي بضم الميم ونافع وابن عامر ميمه ايضا
في الدخان في قوله عز وجل ان المتقين في مقام ولم يختلف في الاول انه بالفتح وهو مقام كريم
والباقون بفتح الميم في الموضعين والضم والفتح مفهومان من سورة مريم عند قوله تعالى خير
مقاما فمعنى الفتح لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه ومعنى الضم لا اقامة لكم فارجعوا الي منازلكم
عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال الي منازلكم ويستاذن فريق منهم النبي وهم بنو
حارثة وبنو سلمة يقولون ان بيوتنا عورة اي خالية ضايعة وهي مما يلي العدو ويخشى عليها
السراق قوله تعالى عورة اي ذات عورة وقيل منكشفة اي قصيرة الجدران للسارق قال الشاعر
• له الشدة الاولي اذا القرن اعورا •
وقرا ابن عباس وابن يعمر وقتادة وابو رجا وابو حيوة واخرون عورة بكسر الواو وكذلك وما
هي بعورة وهي اسم فاعل يقال عور المنزل يعور عورا وعورة فهو عور وبيوت عورة قال ابن
جني تصحيح الواو شاذ يعني حيث تحركت وانفتح ما قبلها ولم تقلب الفا وفيه نظر لان شرط
ذلك في الاسم الجاري علي الفعل ان يعتل فعله نحو مقام ومقال واما هذا ففعله صحيح نحو عور
واعاصح الفعل وان كان فيه مقتضي الاعلال لمدرك اخر وهو انه في معنى ما لا يعل وهو اعور
ولذلك لم يتعجب من عور وبابه واعور المنزل بدت عورته واعور الفارس بدا منه خلل للضرب
قال الشاعر • متي تلقهم لم تلق في البيت معورا • ولا الضيف مسجورا ولا الجار مرسلا •
ثم كذبهم الله تعالى فقال وما هي بعورة ان يريدون ما يريدون الا فرارا قوله تعالى ولو دخلت
عليهم من اقطارها اي لو دخل عليهم المدينة او البيوت يعني هولا الجيوش الذين يريدون
قتالهم وهم الاحزاب من اقطارها جوانبها ونواحيها والاقطار جمع قطر بضم القاف وهو الناحية
وفيه لغة قتر وقتار والقطر الجانب ايضا ومنه قطرته اي القيته علي قطره فتقطر اي وقع عليه
قال • قد علمت سلمى وجاراتها • ما قطر الفارس الا انا •
وفي المثل الانفاض يقطر الجلب تفسيره ان القوم اذا انفضوا اي فني زادهم احتاجوا الي جلب
الابل ويسمى القطر قطرا لسقوطه قوله تعالى ثم سيلوا قرا مجاهد سوييلوا بواو ساكنة ثم يا مكسورة
كقوتلوا وحكي ابو زيد هما يتساولان بالواو والحسن سولوا بواو ساكنة فقط فاحتملت وجهين
احدهما ان يكون اصلها سيلوا كالعامة ثم خففت الكسرة فسكنت كقولهم في ضرب بالكسر ضرب
بالسكون فسكنت الهمزة بعد ضمه فقلبت واوا نحو بوس في بوس والثاني ان يكون من لغة
الواو ونقل عن ابي عمرو انه قرا سيلوا بيا ساكنة بعد كسره نحو قيلوا قوله تعالى لاتوها قراه
نافع وابن كثير بالقصر بمعنى لجاوها وغشيوها والباقون بالمد بمعنى لاعطوها ومفعوله الثاني
محذوف تقديره لاتوها السايلين والمعنى ولو دخلت البيوت من جميع نواحيها ثم سيلت اهلها
الفتنة لم يمتنعوا من اعطايها وقراة المد تستلزم قراة القصر من غير عكس بهذا المعنى الخاص قوله
تعالى الا يسيرا الا تلبثا والا زمانا يسيرا ولذلك قوله الا قليلا الا تمتعا او الا زمانا قليلا
فصل دلت الاية علي ان ذلك الفرار والرجوع ليس لحفظ البيوت لان من يفعل
فعلا لغرض فاذا فاته الغرض لا يفعله فقال تعالى هم قالوا بان رجوعنا عنك لحفظ بيوتنا
ولو دخلها الاحزاب واخذوها منهم لرجعوا ايضا فليس رجوعهم عنك الا بسبب كفرهم وحبهم
الفتنة وهي الشرك وما تلبثوا بها اي ما تلبثوا بالمدينة او البيوت الا يسيرا وان المومنين يخرجونهم
قاله الحسن وقيل ما تلبثوا اي ما احتبسوا عن الفتنة وهي الشرك الا يسيرا ولاسرعوا الاجابة الي
الشرك طيبة به انفسهم وهذا قول اكثر المفسرين قوله تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل
اي من قبل غزوة الخندق لا يولون الادبار عدوهم اي لا ينهزمون قال يزيد بن رومان هم
بنو حارثة هموا يوم الخندق ان يقتتلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ان لا يعودوا

لمثلها وقال قتادة هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة وقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله إليهم ذلك وقال مقاتل والكلبي هم سبعون رجلا جاؤوا يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وقالوا اشترط لنفسك ولربك ما شئت فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم وأولادكم وإذا فعلنا ذلك فما لنا يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم لكم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة قالوا قد فعلنا فذلك عهدهم وهذا القول ليس بمرضي لأن الذين بايعوا ليلة العقبة كانوا سبعين لم يكن فيهم شاك ولا من يقول مثل هذا القول وإنما الآية في قوم عاهدوا الله تعالى أن يقاتلوا ولا يفروا فنقضوا العهد وهذا بيان لفساد سرائرهم وقبح سرائرهم لنقضهم العهود فإنهم قبل ذلك تخلفوا وأظهروا عذرا وندما ثم هددهم بقوله عز وجل وكان عهد الله مسؤولا أي مسؤولا عنه قوله تعالى لا يولون جواب لقوله عاهدوا لأنه في معنى أقسموا وجاء على حكاية اللفظ فجاء بلفظ الغيبة ولو جاء على حكاية المعنى لقيل لا نولي والمفعول الأول محذوف أي لا يولون العدو الأدبار وقال أبو البقاء ويقرأ بتشديد النون وحذف الواو على تأكيد جواب القسم قال شهاب الدين رحمه الله ولا أظن هذا إلا غلطا منه وذلك أنه إما أن يقرأ مع ذلك بلا النافية أو بلام التأكيد فالأول لا يجوز لأن المضارع المنفي بلا لا يؤكد بالنون إلا ما ندر مما لا يقاس عليه والثاني فاسد المعنى قوله تعالى إن فررتم جوابه محذوف لدلالة النفي قبله عليه أو متقدم عند من يرى ذلك قوله تعالى وإذا لا تمتعون إذن جواب وجزاء وقعت بعد عاطف جاءت على الأكثر وهو عدم إعمالها ولم يشذ هنا ما شذ في الشواذ فلم يقرأ بالنصب والعامة على الخطاب في تمتعون وقرئ بالغيبة فصل المعنى قل لهم لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل الذي كتب عليكم لأن من حضر أجله مات أو قتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا أي لا تمتعون بعد الفرار إلا مدة آجالكم وهي قليل وهذا إشارة إلى أن الأمور مقدرة لا يمكن الفرار مما قدره الله تعالى لأنه كائن لا محالة فلو فررتم لما دمتم بل لا تمتعون إلا قليلا وهو ما بقي من آجالكم فالعاقل لا يرغب في شيء قليل يفوت عليه شيئا كثيرا قوله تعالى من ذا الذي تقدم في البقرة قال الزمخشري فإن قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة إلا من السوء قلت معناه أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر وأجري مجرى قوله

متقلدا سيفا ورمحا

أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع قال أبو حيان أما الوجه الأول ففيه حذف جملة لا ضرورة تدعو إلى حذفها والثاني هو الوجه لا سيما إذا قدر مضاف محذوف أي يمنعكم من مراد الله قال شهاب الدين وأي الثاني من الأول ولو كان معه حذف جمل فصل المعنى من ذا الذي يمنعكم من الله إن أراد بكم سوءا هزيمة أو أراد بكم رحمة نصرة وهذا بيان لما تقدم من قوله تعالى لن ينفعكم الفرار قوله تعالى ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تقرير لقوله تعالى من ذا الذي يعصمكم من الله أي ليس لكم ولي يشفع أي قريب ينفعكم ولا نصير ينصركم ويدفع عنكم السوء إذا أتاكم قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم المثبطين الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ارجعوا إلينا ودعوا محمدا فلا تشهد معه الحرب فإنا نخاف عليكم الهلاك قال قتادة هم ناس من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون لإخوانهم إن محمدا وأصحابه لو كانوا لحما لالتهمهم أي استأصلهم أبو سفيان وأصحابه دعوا الرجل فإنه هالك وقال مقاتل نزلت في المنافقين وذلك أن اليهود أرسلوا إلى المنافقين قالوا ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه فإنهم إن قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدا وإنا نشفق عليكم أنتم إخواننا وجيراننا هلم إلينا فأقبل عبد الله بن أبي وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان ومن معه قالوا لئن قدروا عليكم لم يستبقوا منكم أحدا ما ترجون من محمد ما عنده خير ما هو إلا أن يقتلنا ها هنا انطلقوا إلى إخواننا يعني اليهود فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين إلا إيمانا واحتسابا قوله تعالى هلم تقدم الكلام فيه أول الأنعام وهو هنا لازم وهناك متعد لنصبه مفعوله وهو شهداءكم بمعنى أحضروهم وهنا بمعنى احضروا وتعالوا وكلام الزمخشري هنا مؤذن

بأنه متعد أيضا وحذف مفعوله فإنه قال وهلموا إلينا أي قربوا أنفسكم إلينا قال وهي صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب وفي تسميته إياه صوتا نظر إذ أسماء الأصوات ليس هذا منها ولا يجمع في لغة الحجاز ويجمع في غيرها فيقال للجماعة هلموا وللنساء هلممن قوله تعالى ولا يأتون البأس الحرب إلا قليلا رياء وسمعة أي لا يقاتلون معكم ويتعللون عن الاشتغال بالقتال وقت الحضور معكم ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا قوله تعالى أشحة العامة على نصبه وفيه وجهان أحدهما أنه منصوب على الشتم والثاني على الحال وفي العامل فيه أوجه أحدها ولا يأتون قاله الزجاج الثاني هلم إلينا قاله الطبري رحمه الله الثالث يعوقون مضمرا قاله الفراء الرابع المعوقين الخامس القائلين ورد هذان الوجهان الأخيران بأن فيهما الفصل بين أبعاض الصلة بأجنبي وفي الرد نظر لأن الفاصل بين أبعاض الصلة من متعلقاتها وإنما يظهر الرد على الوجه الرابع لأنه قد عطف على الموصول قبل تمام صلته فتأمله فإنه حسن وأما ولا يأتون فمعترض والمعترض لا يمنع من ذلك وقرأ ابن أبي عبلة أشحة بالرفع على خبر ابتداء مضمر أي هم أشحة وأشحة جمع شحيح وهو جمع لا ينقاس إذ قياس فعيل الوصف الذي عينه ولامه من واد واحد أن يجمع على أفعلاء نحو خليل وأخلاء وظنين وأظناء وضنين وأضناء وقد سمع أشحاء وهو القياس والشح البخل وتقدم في آل عمران فصل المعنى أشحة عليكم بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصرة وقال قتادة بخلاء عند الغنيمة ووصفهم الله بالبخل والجبن فقال تعالى فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم في الرؤوس من الخوف والجبن كالذي يغشى عليه من الموت أي كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت وذلك أن من قرب من الموت وغشيته أسبابه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف واعلم أن البخل سبب للجبن فلما ذكر البخل بين سببه وهو الجبن لأن الجبان يبخل بماله ولا ينفقه في سبيل الله لأنه لا يتوقع الظفر فلا يرجو الغنيمة فيقول هذا إنفاق لا بدل له فيتوقف فيه وأما الشجاع فيتيقن الظفر والاغتنام فيهون عليه إخراج المال في القتال طمعا فيما هو أضعاف ذلك قوله تعالى ينظرون في محل حال من مفعول رأيتهم لأن الرؤية بصرية قوله تعالى تدور حال ثانية وإما حال من ينظرون قوله تعالى كالذي يغشى يجوز فيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون حالا من أعينهم أي تدور أعينهم حال كونها مشبهة عين الذي يغشى عليه من الموت الثاني أنه نعت مصدر مقدر كقوله ينظرون تقديره ينظرون إليك نظرا مثل نظر الذي يغشى عليه من الموت ويؤيده الآية الأخرى ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت الثالث أنه نعت لمصدر مقدر أيضا لتدور أي دورانا كدوران عين الذي وهو على الوجه مصدر تشبيهي قوله تعالى فإذا ذهب الخوف سلقوكم أي آذوكم ورموكم في حالة الأمن بالسنة حداد ذربة جمع حديد يقال للخطيب الفصيح الذرب اللسان مسلق ومصلق وسلاق وصلاق قال الشاعر

فصلقنا في مراد صلقة • وصداء ألحقتهم بالثلل

وقال ابن عباس رضي الله عنه سلقوكم أي عضهوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة وقال قتادة بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة ويقولون أعطونا فإنا شهدنا معكم القتال ولستم بأحق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة أشح قوم وعند البأس أجبن قوم فصل يقال سلقه أي اجترأ عليه في خطابه وخاطبه مخاطبة بليغة وأصله البسط ومنه سلق امرأته أي بسطها وجامعها قال مسيلمة لسجاح لعنهما الله تعالى ألا هيا إلى المضجع فإن شئت سلقناك وإن شئت على أربع والسليقة الطبيعة المباينة والسليق المطمئن من الأرض وأشحة نصب على الحال من فاعل سلقوكم وابن أبي عبلة بالرفع على ما تقدم في أختها وقوله على الخير قيل الخير المال أي عند الغنيمة يشاحون المؤمنين ويمكن أن يقال معناه أنهم قليلو الخير في الحالين كثيرو الشر في اليومين في الأول يبخلون وفي الآخر كذلك قوله تعالى أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم أي لم يؤمنوا حقيقة وإن أظهروا الإيمان لفظا فأحبط الله أعمالهم التي كانوا يأتوا بها مع المسلمين وقال مقاتل أبطل الله جهادهم وكان ذلك على الله يسيرا وهذا إشارة إلى ما يكون في نظر الناظر كقوله تعالى وهو أهون عليه قوله تعالى يحسبون يجوز أن يكون مستأنفا أي هم من الخوف بحيث إنهم لا يصدقون أن الأحزاب قد ذهبوا عنهم ويجوز أن يكون حالا من أحد الضمائر المتقدمة إذا صح المعنى بذلك ولو بعد العامل قاله أبو البقاء فصل المعنى

يحسبون اي هولاء المنافقين يحسبون الاحزاب يعني قريشا وغطفان واليهود لم يذهبوا لم ينصرفوا عن قتالهم من غاية الجبن عند ذهابهم كانوا غايبون حيث لا يقاتلون كقوله تعالى ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا وان يات الاحزاب اي يرجعون اليهم للقتال بعد الذهاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب اي يتمنوا لو كانوا في باديه مع الاعراب من الخوف والجبن قوله تعالى بادون هذه قراة العامة جمع باد وهو المقيم بالبادية يقال بدا يبدو وابداوة اذا احرج الي البادية وقرا عبد الله وابن عباس وطلحة وابن يعمر رضي الله عنهم بدي بضم البا وتشديد الدال المفصور كغاز وغزي وسار وسري وليس بقياس وانما قياسه في التكسير بداه كقاض وقضاه ولكن حمل علي الصحيح كقولهم ضرب وروي عن ابن عباس ايضا قراه ثانيه بدي بزنه عدي وثالثه بدوا فعلا ماضيا قوله تعالى يسالون يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا من فاعل يحسبون والعامة علي سكون السين بعدها همزة ونقل ابن عطية عن ابي عمرو وعاصم بنقل حركة الهمزة الي السكون كقوله تعالى سل بني اسرايل وهذه ليست بالمشهورة عنهما ولعلها نقلت عنهما شاذة وانما هي معروفة بالحسن والاعمش وقرا زيد بن علي والجحدري وقتادة والحسن يسالون بتشديد السين والاصل يتسالون فادغم اي يسال بعضهم بعضا

فصل يسالون عن انبايكم اخباركم وما ال اليه امركم ولو كانوا يعني هولاء المنافقين فيكم ما قاتلوا الا قليلا اي يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم فيقولون قد قاتلنا قال الكلبي الا قليلا اي رميا بالحجارة وقال مقاتل الا ريا وسمعة من غير احتساب قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة قرا عاصم اسوة بضم الهمزة وحيث وقعت هذه اللفظة والباقون بكسرها وهما لغتان كالعدوة والعدوة والقدوة والقدوة والاسوة بمعنى الاقتدا اي قدوة صالحة وهي اسم وضع موضع المصدر وهو الايتسا فالاسوة من الايتسا كالقدوة من الاقتدا واسي فلان بفلان اي اقتدي به واسوه اسم كان وفي الخبر وجهان احدهما هو لكم فيجوز في الجار الاخر وجوه التعلق مما يتعلق به الخبر او بمحذوف علي انه حال من اسوه انه لو تاخر لكان صفة او مكان علي مذهب من يراه الثاني ان الخبر هو في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكم علي ما تقدم في رسول الله او يتعلق بمحذوف علي التبيين اعني لكم قوله تعالى لمن كان يرجوا فيه اوجه احدها انه بدل من الكاف في لكم قاله الزمخشري ومنعه ابو البقا وتابعه ابو حيان قال ابو البقا وقيل هو بدل من ضمير المخاطب باعادة الجار ومنع منه الاكثرون لان ضمير المخاطب لا يبدل منه وقال ابو حيان قال الزمخشري بدل من لكم لقوله للذين استضعفوا لمن امن منهم قال ولا يجوز علي مذهب جمهور البصريين ان يبدل من ضمير المتكلم ولا من ضمير المخاطب بدل شي من شي وهما لعين واحدة واجاز ذلك الكوفيون والاخفش وانشد

بكم قريش قد كفينا كل معضلة • وام نهج الهدي من كان ضليلا •

قال شهاب الدين رحمه الله لا نسلم ان هذا بدل شي من شي وهما لعين واحدة بل بدل بعض من كل باعتبار الواقع لان الخطاب في قوله لكم اعم من من كان يرجوا لقا الله وغيره ثم خصص ذلك العموم لان المتاسي به صلى الله عليه وسلم في الواقع انما هم المومنون ويدل علي ما قلته ظاهر تشبيه الزمخشري هذه الاية باية الاعراف واية الاعراف فيها بدل كل من كل ويجاب بانه انما قصد التشبيه في مجرد اعادة العامل والثاني ان يتعلق بمحذوف علي انه صفة لحسنة الثالث ان يتعلق بنفس حسنة قالها ابو البقا ومنع ان يتعلق باسوة قال لانها قد وصفت وكثيرا اي ذكرا كثيرا

فصل لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اي قدوة صالحة ان ينصروا دين الله ويوازروا الرسول صلوات الله عليه وسلامه ولا يتخلفوا عنه ويصبروا علي ما يصيبكم كما فعل هو صلى الله عليه وسلم اذ كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه واوذي بضروب من الاذي فواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا انتم كذلك ايضا واستنوا بسنته لمن كان يرجوا الله وهذا تخصيص بعد التعميم للمومنين ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر قال ابن عباس رضي الله عنه يرجوا ثواب الله وقال مقاتل يخشى الله واليوم الاخر اي يخشى يوم البعث الذي فيه جزا الاعمال وذكر الله كثيرا في جميع المواطن علي السرا والضرا ثم وصف حال المومنين عند لقا

الاحزاب فقال سبحانه ولما راي المومنون الاحزاب لما بين حال المنافقين ذكر حال المومنين وهو انهم لما راوا الاحزاب قالوا تسليما لامر الله وتصديقا بوعده وهو قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله اي من الابتدا ثم قالوا وصدق الله ورسوله في مقابلة قولهم وما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقولهم وصدق الله ليس اشارة الي ما وقع فانهم كانوا يعرفون صدق الله قبل الوقوع وانما هو اشارة الي بشارة وهو انهم قالوا هذا ما وعدنا الله وقد وقع وصدق الله في جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس ما زادهم الا ايمانا وتسليما عند وجوده ووعد الله اياهم ما ذكر في سورة البقرة ام حسبتم ان تدخلوا الجنة الي قوله سبحانه الا ان نصر الله قريب فالاية تتضمن ان المومنين يلحقهم مثل ذلك البلا فلما راوا الاحزاب وما اصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما اي تصديقا لله وتسليما لامر الله قوله تعالى وصدق الله ورسوله من تكرير الظاهر تعظيما كقوله

اري الموت لا يسبق الموت شي

ولو انه لو اعادهما مضمرين لجمع بين اسم الباري تعالى واسم رسوله صلى الله عليه وسلم في لفظة واحدة فكان يقال وصدقا والنبي صلى الله عليه وسلم قد كره ذلك ورد علي من قاله حيث قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوي فقال له بيس خطيب القوم انت قل ومن يعص الله ورسوله قصدا الي تعظيم الله وقيل انما رد عليه لانه وقف علي يعصيهما وعلي الاول استشكل بعضهم قوله حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما فقد جمع بينهما في ضمير واحد واجيب بان النبي صلى الله عليه وسلم اعرف بقدرة الله منا فليس لنا نقول كما نقول قوله تعالى وما زادهم فاعل زادهم ضمير الوعد اي وما زادهم وعد الله او الصدق وقال مكي ضمير النظر لان قوله لما راي بمعنى لما نظر وقال ايضا وقيل ضمير الروية وانما ذكر لان تانيثها غير حقيقي ولم يذكر غيرهما وهذا عجيب منه حيث جمد واسما مع العنية عنه وقرا ابن ابي عبلة وما زادوهم بضمير الجمع ويعود للاحزاب لان النبي صلى الله عليه وسلم اخبرهم ان الاحزاب تاتيهم بعد عشر او تسع قوله تعالى من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ووفوا به قوله تعالى صدقوا يتعدي لاثنين لثانيهما بحرف الجر ويجوز حذفه ومنه المثل صدقني سن بكره اي في سن والاية يجوز ان يكون من هذا والاول محذوف اي صدقوا الله فيما عاهدوا الله عليه ويجوز ان يتعدي لواحد كقولك صدقني زيد وكذبني عمرو اي قال لي الصدق وقال لي الكذب ويكون المعاهد عليه مصدوقا مجازا فانهم قالوا للشي المعاهد عليه لنومنن بك وقد فعلوا وما بمعنى الذي ولذلك عاد عليها الضمير في عليه وقال مكي ما في موضع نصب بصدقوا وهي والفعل مصدر وتقديره صدقوا العهد اي وفوا به وهذا يرده عود الضمير الا ان الاخفش وابن السراج يذهبان الي اسمية ما المصدرية عود الضمير قوله تعالى فقضي نحبه النحب ما التزمه الانسان واعتقد الوفا به قال

• عشية فر الحارثون بعدما • قضي نحبه في ملتقي القوم هوبر •

وقال

• بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا • عشية بسطام جرين علي نحب •

اي علي امر عظيم ولهذا يقال نحب فلان اي انذر نذرا التزمه ويعبر به عن الموت كقولهم قضي اجله لما كان الموت لا بد منه جعل كالشي الملتزم والنحيب البكا معه صوت والنحال السعال

فصل قال المفسرون معنى صدقوا ما عاهدوا الله عليه اي وفوا بعهدهم الذي عاهدوا الله فمنهم من قضي نحبه اي فرغ من نذره ووفا بعهده فصبر علي الجهاد وقاتل حتى قتل والنحب النذر وقال مقاتل قضي نحبه اجله فقتل علي الوفا يعني حمزة واصحابه رضي الله عنهم وقيل قضي نحبه اي بذل جهده في الوفا بالعهد من قول العرب نحب فلان في سيره يومه وليلته اجمع اذا امد فلم ينزل ومنهم من ينتظر الشهادة يعني من بقي من المومنين ينتظرون احدا من اما الشهادة او النصر وما بدلوا تبديلا بخلاف المنافقين فانهم قالوا لا نولي الادبار وبدلوا قولهم وولوا ادبارهم قوله تعالى ليجزي الله المنافقين فيها وجهان احدهما انها لام العلة والثاني انها لام الصيرورة وفيما يتعلق به اوجه اما بصدقوا واما بزادهم واما بما بدلوا وعلي هذا قال الزمخشري جعل المنافقون كانهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الي عاقبته من الثواب

والعقاب فكانهما استويا في طلبهما والسعي لتحصيلها والمعنى ليجزي الله الصادقين بصدقهم
اي جزا صدقهم وهو الوفا بالعهد ويعذب المنافقين ان شا اي الذين كذبوا واخلفوا
وقوله سبحانه ان شا ذلك فيمنعهم من الايمان او يتوب عليهم ان ارادوا وجواب ان شا مقدر
ولذلك مفعول اي ان شا تعذيبهم عذبهم فان قيل عذابهم متحتم فكيف يصح تعليقه على المشيئة
وهو شا تعذيبهم اذا ماتوا على النفاق فاجاب ابن عطية بان تعذيب المنافقين ثمرة ادامتهم
الاقامة على النفاق الى موتهم والتوبة موازية لتلك الاقامة وثمرة التوبة تركهم دون
عذاب فهما درجتان اقامة على نفاق او توبة منه وعنهما ثمرتان تعذيب او رحمة فذكر تعالى
على جهة الايجاز واحدة من هاتين وواحدة من هاتين ودل ما ذكر على ما ترك ذكره ويدل على
ان معنى قوله ليعذب ليديم على النفاق قوله تعالى ان شا ومعادلته بالتوبة وحرف او وقال
ابو حيان وكان ما ذكر يؤول الى ان التقدير ليقيموا على النفاق فيموتوا عليه ان شاء
فيعذبهم او يتوب عليهم فيرحمهم فحذف سبب التعذيب واثبت المسبب وهو التعذيب واثبت
سبب الرحمة والغفران وقال ابن الخطيب انما قال ذلك حيث لم يكن قد حصل ما بين النبي
صلى الله عليه وسلم عن ايمانهم وامن بعد ذلك منهم ناس وكان الله غفورا حيث ستر ذنبهم
ورحيما حيث رحمهم ورزقهم الايمان فيكون هذا فيما من بعده او يقول ويعذب المنافقين
مع انه كان غفورا رحيما لكثرة ذنوبهم وقوة جرمهم ولو كان دون ذلك لغفر لهم ثم بين
بعض ما جزاهم الله على صدقهم فقال تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم وهم قريش
وغطفان بغيظهم لم تشف صدورهم بنيل ما ارادوا ولم ينالوا خيرا ظفرا وكفى الله المؤمنين
القتال بالملائكة والريح اي لم يحوجهم الى قتال وكان الله قويا في ملكه غير محتاج الى قتالهم
عزيزا في انتقامه قادرا على استيصال الكفار قوله تعالى بغيظهم يجوز ان يكون البا
سببية وهو الذي عبر عنه ابو البقا بالمفعول اي انها معدية وان تكون للمصاحبة
فيكون حالا اي مغيظين قوله تعالى لم ينالوا خيرا حال ثانية او حال من الحال الاولى فهي
متداخلة ويجوز ان يكون حالا من الضمير المجرور بالاضافة وجوز الزمخشري رحمه الله فيها
ان تكون بيانا للحال الاولى او مستانفة ولا يظهر البيان الا على البدل والاستئناف بعيد قوله
تعالى وانزل الذين اي وانزل الله الذين ظاهروهم اي عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان
على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وهم بنو قريظة قوله تعالى من اهل الكتاب
بيان للموصول فيتعلق بمحذوف ويجوز ان يكون حالا ومن صياصيهم متعلق بانزل ومن
لابتدا الغاية والصياصي جمع صيصية وهي الحصون والقلاع والمعاقل ويقال لكل ما
يمتنع به ويتحصن ومنه قيل لقرن الثور ولشوكة الديك صيصية كوقع الصياصي في النسيج
الممدد قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب حتى سلموا انفسهم للقتل واولادهم ونساهم
للسبي قوله تعالى فريقا تقتلون فريقا منصوب بما بعده وكذلك فريقا منصوب
بما قبله والجملة مبينة ومقررة لقذف الله الرعب في قلوبهم والعامة على الخطاب في الفعلين
وابن ذكوان رحمه الله في رواية بالغيبة فيهما واليماني بالغيبة في الاول فقط وابو حيوة
تاسرون بضم السين فان قيل ما فائدة تقديم المفعول الاول حيث قال تعالى فريقا تقتلون
وتاخيره حيث قال سبحانه وتاسرون فريقا فالجواب قال ابن الخطيب ان القايل يبدا
بالاهم فالاهم والاقرب فالاقرب والرجال كانوا مشهورين وكان القتل واردا عليهم
والاسرا كانوا هم النسا والذراري ولم يكونوا مشهورين والسبي والاسر اظهر من القتال
لانه يبقى فيظهر لكل احد انه اسير فقدم من المحلين ما هو اشهر على الفعل القائم به ومن
الفعلين ما هو اشهر قدمه على المحل الخفي ووجه اخر وهو ان قوله تعالى فريقا تقتلون
فعل ومفعول والاصل في الجمل الفعلية تقديم الفعل على المفعول والفاعل اما انها جملة
فعلية فلانها لو كانت اسمية لكان الواجب في فريق الرفع كانه يقول فريق منهم يقتلونهم
فلما نصب كان ذلك بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره تقتلون فريقا تقتلون والحامل على
مثل هذا الكلام شدة الاهتمام ببيان المفعول وههنا لذلك لانه تعالى لما ذكر حال الذين
ظاهروهم وانه قذف في قلوبهم الرعب فلو قال تقتلون اوهم ان يسمع السامع مفعول يقتلون

يكون زمان وقد يمنعه مانع فيفوته فلا نعلم انهم هم المقتولون فاما اذا قال فريقا سبق في قلوبهم
الرعب الى سمعهم فيستمع الى تمام الكلام وايضا كان الاول فعلا ومفعولا قدم المفعول لفائدة عطف
الجملة الثانية عليها على الاصل بتقديم الفعل لزوال الموجب للتقديم اذ عرف حالهم وما يجي بعده
يكون مصروفا اليهم فلو قال بعد ذلك فريقا تاسرون فمن سمع فريقا ربما يظن انه يقال فيهم يطلقون
او لا يقدرون عليهم فكان تقديم الفعل ههنا اولى وكذا الكلام في قوله وانزل الذين وقوله وقذف
فان قذف الرعب قبل الانزال لان الرعب صار بسبب الانزال ولكن لما كان الفرح في انزالهم اكثر قدم
الانزال على قذف الرعب والله اعلم **فصل** فريقا تقتلون هم الرجال قيل كانوا ستمائة
وتاسرون فريقا هم النسا والذراري قيل كانوا سبعمائة وخمسين وقيل تسعمائة واورثكم ارضهم
وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤوها بعد قال ابن زيد ومقاتل يعني خيبر وقال قتادة كنا
نحدث انها مكة وقال الحسن فارس والروم وقيل القلاع وقال عكرمة كل ارض تفتح الى يوم
القيمة قوله تعالى لم تطؤوها الجملة صفة لارضا والعامة على همزة مضمومة ثم واو ساكنة مضارع وطي
وزيد بن علي تطوها بواو بعد طاء مفتوحة ووجهها انه ابدل الهمزة الفا على غير قياس كقوله
ان الاسود لتهتدي في مرابضها فلما اسنده للواو التقى ساكنان فحذف اولهما نحو لم تروها وهذا
احسن من ان يقول ثم اجري الالف المبدلة من الهمزة مجرى الالف المتاصلة فحذفها جزما لان الاحسن
هناك ان لا يحذف اعتدادا باصلها واستشهد بعضهم على الحذف بقول زهير

جري متى يظلم يعاقب بظلمه • سريعا والا يبد بالظلم يظلم

قوله تعالى وكان الله على كل شي قديرا هذا يؤكد قول من قال ان المراد من قوله تعالى وارضا
لم تطؤوها ما سيوجد بعد بني قريظة لان الله تعالى لما ملكهم تلك البلاد ووعدهم بغيرها دفع
استبعاد من لا يكون قوي الاتكال على الله تعالى وقال الذي اسلمكم هذه فهو على كل شي قدير
يملككم غيرها روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل
وعظم كان يقول لا اله الا الله وحده اعز جنده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلا شي بعده
قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا الاية وجه التعلق هو ان مكارم
الاخلاق منحصرة في شيئين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله والى هذا اشار صلى الله عليه
وسلم بقوله الصلاة وما ملكت ايمانكم فالله تعالى لما ارشد نبيه صلى الله عليه وسلم الى ما يتعلق
بجانب التعظيم لله بقوله عز وجل يا ايها النبي اتق الله ذكر ما يتعلق بجانب الشفقة وبدا بالزوجات
فانهن اولى الناس بالشفقة ولهذا قدمهن في النفقة **فصل** قال المفسرون سبب نزول
هذه الاية ان نسا النبي صلى الله عليه وسلم سالنه من عرض الدنيا شيا وطلبن منه زيادة في النفقة
واذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى ان لا يقربهن شهرا ولا
يخرج الى اصحابه فقالوا ما شانه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساه فقال
عمر لاعلمن لكم شانه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اطلقتهن
قال لا فقلت يا رسول الله اني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم نساه افانزل فاخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت فقمت على باب المسجد فناديت باعلى
صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساه ونزلت هذه الاية واذا جاءهم امر من الامن او
الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه فكنت انا استنبطت
ذلك الامر وانزل الله تعالى اية التخيير وكانت تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة
خمس من قريش عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وام سلمة بنت ابي امية
وسودة بنت زمعة وغير القرشيات زينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحرث وميمونة بنت
الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية وجويرية بنت الحرث المصطلقية فلما نزلت
اية التخيير بدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها وكانت احبهن اليه فخيرها وقرا
عليها القران فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة وروي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتابعنها على ذلك قال قتادة فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال
لا يحل لك النسا من بعد وعن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بكر رضي الله عنه ليستاذن على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لاحد منهم قال فاذن لابي بكر رضي

الله عنه ثم اقبل عمر رضي الله عنه فاستاذن فاذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساوه واجما ساكتا قال فقال لاقولن شيا اضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رايت بنت خارجة سالتني النفقة فقمت اليها فوجات عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر الى عايشة يجا عنقها وقام الى حفصه يجا عنقها كلاهما يقول تسالن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا او تسعا وعشرين يوما ثم نزلت هذه الاية يا ايها النبي قل لازواجك حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما قال فبدا بعايشة فقال يا عايشة اني اعرض عليك امرا لا احب ان تعجلي فيه حتى تستشيري ابويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الاية فقالت افيك يا رسول الله استشير ابوي بل اختار الله ورسوله والدار الاخرة واسالك ان لا تخبر امراة من نسايك ما الذي قلت قال لا تسالني امراة فيهن الا اخبرتها ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما مبشرا وروى الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم اقسم ان لا يدخل على ازواجه شهرا قال الزهري فاخبرني عروة عن عايشة رضي الله عنها قالت فلما مضت تسع وعشرون اعدهن دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت بداني فقلت يا رسول الله انك اقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين اعدهن فقال صلى الله عليه وسلم ان الشهر تسع وعشرون

فصل اختلف العلما في هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس الاختيار ام لا فذهب الحسن وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما خيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن ويدل عليه انه لم يكن جوابهن على الفور فانه قال لعايشة لا تعجلي حتى تستشيري ابويك وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب اخرون الى انه كان تفويض طلاق ولو اخترن انفسهن كان طلاقا واختلف العلما في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس اذا خير الرجل امراته فاختارت زوجها لا يقع شي ولو اختارت نفسها تقع طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفين والشافعي واصحاب الراي رضي الله عنهم الا ان عند اصحاب الراي يقع طلقة باينة اذا اختارت نفسها وعند الاخرين رجعية وقال زيد بن ثابت اذا اختارت الزوج يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن ورواية عن مالك رضي الله عنه وروي عن علي ايضا انها اذا اختارت زوجها لا يقع شي والعطا روت عايشة رضي الله عنها قالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترنا الله ورسوله فلم يعد ذلك شيا فقوله تعالى امتعكن واسرحكن العامة على جزمهما وفيه وجهان احدهما انه مجزوم على جواب الشرط وما بين الشرط وجزايه معترض ولا يضر دخول الفا على جملة الاعتراض ومثله في دخول الفا قوله

• واعلم فعلم المرء ينفعه • ان سوف ياتي كل ما قدرا •

يريد واعلم ان سوف ياتي والثاني ان الجواب قوله تعالى فتعالين وامتعكن جواب لهذا الامر وقرا زيد بن علي امتعكن بتخفيف التاء من امتعه وقرا حميد الخزاز امتعكن واسرحكن بالرفع فيهما على الاستيناف وسراحا قايم مقام التسريح

فصل قال ابن الخطيب وههنا مسايل منها هل كان هذا التخيير واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم ام لا والجواب ان التخيير كان قولا واجبا من غير شك لانه ابلاغ للرسالة لان الله تعالى لما قال له قل لهم صار من الرسالة واما التخيير معنى فبني على ان الامر للوجوب ام لا والظاهر انه للوجوب ومنها ان واحدة منهن لو اختارت الفراق هل كان يصير اختيارها فراقا والظاهر انه لا يصير فراقا وانما تبين المختارة نفسها فانه من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا ومنها ان واحدة لو اختارت نفسها وقلنا انها لا تبين الا بايانه فهل كان يجب على النبي صلى الله عليه وسلم الطلاق ام لا الظاهر نظرا الى منصب النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لا يجب لان الخلف في الوعد من النبي صلى الله عليه وسلم غير جايز بخلاف احدنا فانه لا يلزمه شرعا الوفا بما يعد ومنها ان المختارة بعد البينونة هل كانت تحرم على غيره ام لا والظاهر انها لا تحرم والا لم يكن التخيير ممكنا لها من التمتع بزينة الدنيا ومنها ان من اختارت الله ورسوله هل كان يحرم على النبي صلى الله عليه وسلم طلاقها ام لا الظاهر الحرمة نظرا الى منصب الرسول صلوات الله وسلامه عليه على معنى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يباشره اصلا لا بمعنى انه لو اتى به لعوقب او عوتب قوله

تعالى نفسك ما الله مبديه وروى سفين بن عيينة عن علي بن جدعان قال سالني علي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنهما ما يقول الحسن في قوله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه قال قلت يقول لما جا زيد الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اني اريد ان اطلق زينب فاعجبه ذلك قال امسك عليك زوجك واتق الله فقال علي ابن الحسين ليس كذلك كان الله قد اعلمه انها ستكون من ازواجه وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبيا وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى اعلم انه يبدي ويظهر ما اخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال سبحانه زوجناكها فلو كان الذي اضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها او ارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز ان يخبر انه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفا ما اعلمه الله انها ستكون زوجة له وانما اخفاه استحيا ان يقول لزيد ان التي تحتك في نكاحك ستكون امراتي وهذا قول حسن وان كان الاخر وهو انه اخفى محبتها او نكاحها لو طلقها لا يقدح في حال الانبيا لان العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشيا ما لم يقصد فيه الماثم لان الود وميل النفس من طبع البشر وقوله تعالى امسك عليك زوجك واتق الله امر بالمعروف وهو خشية الاثم فيه وقوله والله احق ان تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه صلى الله عليه وسلم قد قال انا اخشاكم لله واتقاكم له ولكن المعنى الله احق ان تخشاه وحده ولا تخشى احدا معه وانت تخشاه وتخشى الناس ايضا فلما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله احق بالخشية في عموم الاحوال وفي جميع الاشيا قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وطرا مفعول قضى والوطر الشهوة والمحبة قاله المبرد وانشد

• وكيف ثوى بالمدينة • قضى وطرا منها جميل بن معمر •

وقال ابو عبيدة الوطر الارب والحاجة وانشد للمصح الفزاري

• ودعنا قبل ان نودعه • لما قضى من شبابنا وطرا •

وقرا العامة زوجناكها وقرا علي وابناه الحسنان رضي الله عنهم وارضاهم زوجتكها بتا المتكلم وتكيلا مفعول متعلق بزوجناكها وهي هنا ناصبة فقط لدخول الجار عليها واتصل الضمير بالفعل لاختلافهما رتبة

فصل المعنى فلما قضى منها حاجته من نكاحها زوجناكها وذكر قضا الوطر ليعلم ان زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها اذا طلقت وانقضت عدتها لان الزوجة ما دامت في نكاح الزوج فهي تدفع حاجته وهو محتاج اليها فلم يقض منها الوطر بالكلية ولم يستغن عنها وكذلك اذا كانت في العدة له بها تعلق فقضى منها الوطر قال انس رضي الله عنه كانت زينب تفتخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث ما من نسايك امراة تدل بهن جدي وجدك واحد واني انكحنيك الله تعالى في السما وان السفير لجبريل صلوات الله عليه قوله تعالى لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم اذا قضوا منهن وطرا فالادعيا جمع الدعي وهو المتبنى اي زوجناك زينب وهي امراة زيد الذي تبنيته لتعلم ان زوجة المتبنى حلال للمتبني وان كانت قد دخل بها المتبنى بخلاف امراة ابن الصلب لا تحل للاب وكان امر الله مفعولا اي قضا الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى في زينب ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له اي فيما احل الله له قوله تعالى سنة الله منصوب على المصدر كصنع الله ووعد الله او اسم وضع موضع المصدر او منصوب بجعل او بالاغرا اي فعليه سنة الله قاله ابن عطية ورده ابو حيان بان عامل الاغرا لا يحذف وبان فيه اغرا الغايب وما ورد منه مؤول على ندوره نحو عليه رجلا ليسني قال شهاب الدين رحمه الله وقد ورد قوله صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه والا فعليه بالصوم فقيل هو اغرا وقيل ليس به وانما هو مبتدا وخبر والبا زايدة وهو تخريج فاسد المعنى لان الصوم ليس واجبا على ذلك وقال البغوي رحمه الله نصب بنزع الخافض اي كسنة الله

فصل المراد بسنة الله في الذين خلوا من قبل اي في الانبيا الماضين انه لا يواخذهم بما احل لهم قال الكلبي ومقاتل اراد داود حين جمع بينه وبين المراة التي هويها فكذلك جمع بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين زينب وقيل اراد بالسنة النكاح فانه من سنة الانبيا صلوات الله عليهم وكان امر الله قدرا مقدورا قضا مقضيا كاينا ماضيا واعلم ان في قوله تعالى اولا وكان امر الله مفعولا وقوله سبحانه وتعالى

تابيا وكان امر الله قدرا مقدورا لطيفة وهي ان الله تعالى لما قال زوجناكها قال جل جلاله
وكان امر الله مفعولا اي تزويجنا زينب اياك كان مقصودا شرعيا مقتضيا امرا ولما قال سبحانه
سنة الله في الذين خلوا اشار الى قصة داود صلوات الله عليه حيث افتتن بامراة اوريا قال
وكان امر الله قدرا مقدورا اي كان ذلك حكما تبعيا قوله تعالى الذين يبلغون يجوز ان يكون
تابعا للذين خلوا وان يكون مقطوعا عنه رفعا ونصبا على اضمار هم او اعني او امدح فصل
المعنى ان الذين يبلغون رسالات الله كانوا ايضا رسلا مثلك ثم ذكر حالهم بانهم جردوا الخشية
ووحدوها فيخشون الله ولا يخشون احدا سواه فصار كقوله عز وجل فبهداهم اقتده ولا تخش
قالة الناس فانهم لسيوا بمهتمين فيما احل الله لهم وفرض عليهم وكفى بالله حسيبا حافظا لاعمال
خلقه ومحاسبتهم فلا تخش غيره قوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول
الله لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب قال الناس ان محمدا صلى الله عليه وسلم تزوج
امراة ابنه فانزل الله عز وجل ما كان محمد ابا احد من رجالكم يعني زيد بن حارثة اي ليس
ابا احد من رجالكم الذين لم يلده فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه اياها فان قيل اليس انه
كان له ابنا القسم والمطهر وابراهيم والطيب ولذا الحسن قال صلى الله عليه وسلم للحسن ان ابني
هذا سيد فالجواب هولاء كانوا صغارا ولم يكونوا رجالا والصحيح انه اراد ابا احد من رجالكم
الذين لم يلده قوله تعالى ولكن رسول الله العامة على تخفيف لكن ونصب رسول ونصبه اما
على اضمار كان لدلالة كان السابقة عليها اي ولكن كان واما بالعطف على ابا احد والاول اليق
لان لكن ليست عاطفة لاجل الواو فالاليق بها ان يدخل على الجمل كبل التي ليست عاطفة وقرا
ابو عمرو في رواية بتشديدها على ان رسول الله اسمها وخبرها محذوف للدلالة اي ولكن رسول
الله هو اي محمد وحذف خبرها سايغ وانشد

• فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي • ولكن زنجيا عظيم المشافر •

اي انت وهذا البيت يروونه ايضا ولكن زنجي بالرفع شاهدا على حذف اسمها اي ولكنك وقرا
زيد بن علي وابن ابي عبلة بتخفيفها ورفع رسول على الابتداء والخبر مقدر اي هو او بالعكس
اي ولكن هو رسول الله كقوله

• ولست الشاعر السفساف فيهم • ولكن مدرة الحرب العوان •

اي ولكن انا مدرة قوله تعالى وخاتم النبيين قرا عاصم بفتح التاء والباقون بكسرها
فالفتح اسم للالة التي يختم بها كالطابع والقالب لما يطبع به ويقلب فيه هذا هو المشهور
وذكر ابو البقاء رحمه الله اوجها اخر منها انه في معنى المصدر قال كذا ذكر في بعض الاعاريب
قال شهاب الدين وهو غلط محض كيف وهو يحوج الى تجوز او اضمار ولو حكي هذا في خاتم
بالكسر لكان اقرب لانه قد يجي المصدر على فاعل وفاعلة وسيأتي ذلك قريبا ومنها انه اسم
بمعنى اخر ومنها انه فعل ماض مثل قاتل فتكون النبيين مفعولا به قال شهاب الدين رحمه
الله وقراه عبد الله ختم النبيين وقال بعضهم هو بمعنى المفتوح يعني بمعنى اخرهم لانه ختم
النبيين فهو خاتمهم فصل قال ابن عباس رضي الله عنه لو لم اختم به النبيين
لجعلت له ابنا يكون من بعده نبيا وروي عطاء عن ابن عباس ان الله تعالى لما حكم انه لا نبي
بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا وقيل من لا نبي بعده يكون اشفق على امته واهدى لهم
اذ هو كالوالد لولد ليس له غيره وكان الله بكل شي عليما اي علمه بكل شي دخل فيه ان لا نبي بعده
فعلم ان من الحكمة اكمال شرع محمد صلى الله عليه وسلم زوجه بزوجة دعيه تكميلا للشرع وذلك
من حيث ان قول النبي صلى الله عليه وسلم يفيد شرعا لكن اذا امتنع عنه يبقى في بعض النفوس
نفرة الا ترى انه ذكر بقوله ما فهم منه حل اكل الضب ثم لما لم ياكله بقي في النفوس شي ولما
اكل لحم الجمل طاب اكله مع انه في بعض الملل لا يوكل وكذلك الارنب روى ابو هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثلي ومثل الانبيا كمثل قصر احكم بنيانه ترك
منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه الا موضع تلك اللبنة لا يعيبون
سواها فكنت انا موضع تلك اللبنة ختم بي البنيان وختم بي الرسل وقال صلى الله عليه وسلم
ان لي اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر يحشر الله الناس على

قرعي

قدمي وانا العاقب والعاقب ليس بعده نبي قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله
ذكرا كثيرا قال ابن عباس رضي الله عنه لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة الا جعل
لها حدا معلوما ثم عذر اهلها في حال العذر غير الذكر فانه تعالى لم يجعل له حدا ينتهي اليه
ولم يعذر اهله في تركه الا مغلوبا على عقله وامرهم به في الاحوال كلها فقال عز وجل
فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال جل ذكره سبحانه اذكروا الله ذكرا كثيرا
اي بالله والنهار والبر والبحر والصحة والسقم في السر والعلانية وقال مجاهد الذكر
الكثير ان لا تنساه ابدا وسبحوه بكرة واصيلا صلوة الظهر والعصر والعشاين وقال مجاهد رضي
الله عنه قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله فعبر
بالتسبيح عن اخوانه وقيل المراد من قوله تعالى ذكرا كثيرا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب
والمحدث قوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الصلوة من الله الرحمة ومن الملائكة
الاستغفار للمومنين فذكر صلاته تحريضا للمومنين على الذكر والتسبيح قال السدي قالت
بنو اسرايل لموسى ايصلي ربنا فكبر هذا الكلام على موسى فاوحى الله اليه قل لهم اني اصلي
وان صلاتي رحمتي وقد وسعت رحمتي كل شي وقيل الصلاة من الله اشاعة الذكر الجميل له
في عباده وقيل الثنا عليه قال انس رضي الله عنه لما نزلت ان الله وملائكته يصلون
على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه قال ابو بكر رضي الله عنه ما خصك الله يا رسول الله
صلى الله عليك وسلم بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزل الله عز وجل هذه الاية
قوله تعالى وملائكته اما عطف على فاعل يصلي واغنى الفصل بالجار عن التاكيد
بالضمير وهذا عند من يرى الاشتراك او القدر المشترك او المجاز لان صلوة الله غير صلاتهم
واما مبتدا وخبره محذوف اي وملائكته يصلون وهذا عند من يرى شيا مما تقدم جايزا الا
ان فيه بحثا وهو انهم نصوا على انه اذا اختلف مدلولا الخبرين فلا يجوز حذف احدهما
لدلالة الاخر عليه وان كان بلفظ واحد فلا يقول زيد ضارب وعمرو يعني وعمرو ضارب
في الارض اي مسافر فصل الصلوة من الله رحمته ومن الملائكة الاستغفار فقيل
ان اللفظ المشترك يجوز استعماله في معنييه معا وكذلك الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ
جايز قال ابن الخطيب وينسب هذا القول للشافعي رحمه الله وهو غير بعيد وذلك لان
الرحمة والاستغفار مشتركان في العناية بحال المرحوم والمستغفر له والمراد هو القدر المشترك
فتكون الدلالة تضمنية ثم قال سبحانه ليخرجكم من الظلمات الى النور اي من ظلمة الكفر الى
نور الايمان يعني انه برحمته وهدايته ودعا الملائكة لكم اخرجكم من ظلمة الكفر الى نور الايمان
وكان بالمومنين رحيما وهذا بشارة لجميع المومنين واشار بقوله عز وجل يصلي عليكم ان
هذا غير مختص بالسامعين وقت الخطاب قوله تحيتهم يجوز ان يكون مصدرا مضافا
لمفعوله وان يكون مضافا لفاعله ومفعوله على معنى ان بعضهم يحيي بعضا فيصح ان يكون
الضمير للفاعل باعتبارين لا انه يكون فاعلا ومفعولا من وجه واحد وهو كقول من قال
وكنا لحكمهم شاهدين انه مضاف للفاعل والمفعول فصل المعنى تحية المومنين
يوم يلقونه اي يرون الله سلام اي يسلم الله عليهم ويسلمهم من جميع الافات وروي عن البرا
ابن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني ملك الموت يقبض روح كل مومن الا سلم
عليه وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال اذا جا ملك الموت ليقبض روح المومن قال ربك
يقريك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة يبشرهم حين يخرجون من قبورهم ثم قال عز وجل
واعد لهم اجرا كريما يعني الجنة وتقدم ذكر الكريم في الرزق فان قيل الاعداد انما يكون ممن
لا يقدر عند الحاجة الى الشي عليه واما الله تعالى فغير محتاج ولا عاجز بحيث تلقاه يوتيه
ما يرضى به وزيادة فما معنى الاعداد من قبل فالجواب ان الاعداد للاكرام لا للحاجة قوله
تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا اي شاهدا للرسل بالتبليغ ومبشرا لمن امن
بالجنة ونذيرا لمن كذب بالنار فشاهدا حال مقدرة او مقارنة لقرب الزمان وداعيا الى الله
الى توحيده وطاعته وقوله باذنه حال اي ملتبسا بتسهيله ولا يريد حقيقة الاذن لانه مستفاد
من ارسلناك قوله تعالى وسراجا يجوز ان يكون عطفا على ما تقدم اما على التشبيه واما على حذف

مضاف اي ذا سراج وجوز الفراء ان يكون الاصل وتاليا سراجا ويعني بالسراج القران وعلى هذا فيكون من عطف الصفات وهي لذات واحدة لان التالي هو الرسل وجوز الزمخشري ان يعطف على مفعول ارسلناك وفيه نظر لان السراج هو القران لا يوصف بالارسال بل بالانزال الا ان يقال انه حمل على المعنى كقوله • علفتها تبنا وماء باردا •

وايضا فيغتفر في الثواني ما لا يغتفر في الاوايل وقوله تعالى منيرا لانه يهتدي به كالسراج يستضاء به في الظلمة واعلم ان قوله وسراجا ولم يقل انه شمس مع ان الشمس اشد اضاءة من السراج فايدة وهي ان نور الشمس لا يوخذ منه شي والسراج يوخذ منه انوار كثيرة اذا انطفا الاول يبقى الذي اخذ منه ولذلك ان غاب النبي صلى الله عليه وسلم كان كل صحابي لذلك سراجا يوخذ منه نور الهداية كما قال صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وفي هذا الخبر لطيفة وهي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل اصحابه كالسرج وجعلهم كالنجوم لان النجم لا يوخذ منه نور بل له في نفسه نور اذا اغرب لا يبقا نور مستفاد منه فكذلك الصحابي اذا مات فالتابعي يستنير بنور النبي صلى الله عليه وسلم ولا ياخذ الا قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله فانوار المجتهدين كلهم من النبي صلى الله عليه وسلم ولو جعلهم كالسرج والنبي صلى الله عليه وسلم كان سراجا كان للمجتهدان يستنير بمن اراد منهم وياخذ النور ممن اختار وليس لذلك فان مع نص النبي صلى الله عليه وسلم لا يعمل بقول الصحابي بل يوخذ النور من النبي صلى الله عليه وسلم ولا يوخذ من الصحابي فلم يجعله سراجا قوله تعالى وبشر المومنين عطف على مفهوم تقديره انا ارسلناك شاهدا ومبشرا فاشهد وبشر ولم يذكر فاشهد للاستغنا عنه واما البشارة فذكرت اشارة للكرم ولانها غير واجبة لولا الامر وقوله عز وجل بان لهم من الله فضلا كبيرا لقوله تعالى اعد لهم اجرا عظيما والعظيم والكبير متقاربان قوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين تقدم تفسيره اول السورة وهو اشارة الى الانذار يعني خالفهم ورد عليهم قوله تعالى ودع اذاهم يجوز ان اذاهم مضافا لمفعوله اي اترك اذاك لهم اي عقابك اياهم قال الزجاج لا تجازهم عليه وهذا منسوخ باية السيف ويجوز ان يكون مضافا لفاعله اي اترك ما اذوك به فلا تواخذهم حتى تومر اي دعه الى الله فانه يعذبهم بايديكم وبالنار وبين هذا قوله تعالى وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا اي حافظا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات الاية وجه تعلق الاية بما قبلها هو ان الله تعالى ذكر في هذه السورة مكارم الاخلاق وادب نبيه على ما تقدم والله تعالى امر عباده المومنين بما امر به نبيه فكلما ذكر لنبيه مكرمة وعلمه ادبا ذكر للمومنين ما يناسبه ولما بدا الله تعالى في تاديب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر ما يتعلق بجانب الله بقوله يا ايها النبي اتق الله وثنى بما يتعلق بجانب من هو تحت يده من ازواجه بقوله بعده يا ايها النبي قل لازواجك وثلث بما يتعلق بجانب العامة بقوله يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا كذلك بدا في ارشاد المومنين بما يتعلق بجانب الله فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ثم ثنى بما يتعلق بجانب من تحت ايديهم بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم كما ثلث في تاديب النبي صلى الله عليه وسلم بجانب الامة ثلث في حق المومنين بما يتعلق بهم فقال بعد هذا يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي وبقوله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه فان قيل اذا كان هذا ارشادا الى ما يتعلق بجانب من هو من خواص المرء فلم خص المطلقات اللاتي طلقن قبل المسيس فالجواب هذا ارشاد اعلى درجات المكرمات ليعلم منها وبا ينات المراة اذا طلقت قبل المسيس لم يحصل بينهما تاكد العهد ولهذا قال تعالى في حق الممسوسة وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا فاذا امر الله تعالى بالتمتع والاحسان مع من لا مودة بينه وبينها فما ظنك بمن حصلت المودة بالنسبة اليها بالافضا او حصل تاكدها بحصول الولد بينهما وهذا كقوله تعالى ولا تقل لهما اف لو قال لا تضربهما ولا تشتمهما ظن انه حرام لمعنى يختص بالضرب او الشتم فاما اذا قال لا تقل لهما اف علم منه معان كثيرة فكذلك هاهنا لما امر بالاحسان مع من لا مودة معها علم منه الاحسان مع الممسوسة ومن لم تطلق بعد ومن ولدت عنده منه قوله

تعالى ثم

تعالى ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فايدة بالاتيان بثم وحكم من طلقت على الفور بعد العقد كذلك فالجواب انه جرى على الغالب وقال الزمخشري نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها قريبة العهد بالنكاح وبين ان يبعد عهدها بالنكاح وتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم طلقها قال ابو حيان واستعمل عسى صلة لمن وهو لا يجوز قال شهاب الدين يخرج قوله على ما خرج عليه قول الاخر •

• واني لرام نظرة قبل التي • لعلي وان شطت نواها ازورها •

وهو اضمار القول وفي هذه الاية دليل على ان تعليق الطلاق قبل النكاح لا يصح لان الله تعالى سبحانه رتب الطلاق على النكاح بكلمة ثم وهي للتراخي حتى لو قال لاجنبية اذا نكحتك فانت طالق او كل امراة اتزوجها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق وهو قول علي وابن مسعود وجابر ومعاذ وعايشة رضي الله عنهم وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطا بن يسار والشعبي وقتادة واكثر اهل العلم وبه قال الشافعي واحمد رضي الله عنهم اجمعين وروي عن ابن مسعود انه قال يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعي واصحاب الراي وقال ربيعة ومالك والاوزاعي ان عين امراة يقع وان عم فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كذبوا على ابن مسعود ان كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهي طالق يقول الله تبارك وتعالى اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن ولم يقل سبحانه اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن وروى عطا عن جابر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل النكاح قوله تعالى من قبل ان تمسوهن تجامعوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها اي تحصونها وتستوفونها بالاقراء والاشهر فتعتدونها صفة لعدة وتعتدونها تفتعلونها اما من العد واما من الاعتداد اي تحتسبونها او تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها اي استوفي عددها نحو كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه وقرا ابن كثير في رواية واهل مكة بتخفيف الدال وفيها وجهان احدهما انها من الاعتداد وانما كرهوا تضعيفه فخففوه قاله الرازي قال ولو كان من الاعتداء الذي هو الظلم لضعف لان الاعتداء يتعدى بعلى قيل ويجوز ان يكون من الاعتداء وحذف حرف الجر اي تعتدون عليها اي على العدة مجازا ثم تعتدونها كقوله •

• تحن فتبدي ما بها من صبابة • واخفي الذي لولا الاسا لقضاني •

اي لقضى علي وقال الزمخشري وقري تعتدونها مخففا اي تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء ما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا يعني انه حذف حرف الجر كما حذف في قوله

• ويوم شهدناه سليما وعامرا • قليل سوى الطعن النهال نوافله •

وقيل معنى تعتدونها اي تعتدون عليهن فيها وقد انكر ابن عطية القراة عن ابن كثير وقال غلط ابن ابي بزة عنه وليس كما قال والثاني انها من العدوان والاعتداء وقد تقدم شرحه واعتراض ابي الفضل عليه بانه كان ينبغي ان يتعدى بعلى وتقدم جوابه وقرا الحسن تعتدونها بسكون العين وتشديد الدال وهو جمع بين ساكنين على غير حديهما فصل دلت هذه الاية على ان العدة حق الزوج فيها غالب وان كان لا يسقط باسقاطه لما فيه من حق الله تعالى ثم قال فمتعوهن اي اعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا اذا لم يكن سمي لها صداقا فلها المتعة وان كان قد فرض لها صداقا فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال قتادة هذه الاية منسوخة بقوله تعالى فنصف ما فرضتم وقيل انه عام وعلى هذا فهل هو امر وجوب او امر استحباب فقيل للوجوب فتجب المتعة مع نصف المهر وقيل للاستحباب فيستحب ان يمتعها مع الصداق بشي ثم قال تعالى وسرحوهن سراحا جميلا اي خلوا سبيلهن بالمعروف من غير ضرار وقيل السراح الجميل ان لا يطالبها بما اتاها قوله تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن اي مهورهن وما ملكت يمينك وقوله تعالى مما افا الله عليك رد عليك من الكفار بان تسبي فتملك وهذا بيان لما ملكت وليس هذا قيدا بل لو ملكت يمينه بالشرا كان الحكم كذا وانما خرج مخرج الغالب واعلم انه ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم ما هو اولى فان الزوجة التي اوتيت مهرها اطيب قلبا من التي لم تؤت والمملوكة التي سباها الرجل بنفسه اطهر من التي اشتراها الرجل لانه لا يدري

كيف حالها ومن هاجرت من اقارب النبي صلى الله عليه وسلم معه اشرف ممن لم يهاجر وقال بعضهم
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجب عليه اعطا المهر ولا لان المراة لها الامتناع الى ان تاخذ مهرها
والنبي صلى الله عليه وسلم ما كان يستوفي ما لا يجب له والوطي قبل ايتا الصداق غير مستحق وان
كان حلالا لنا وكيف والنبي صلى الله عليه وسلم اذا طلب شيا حرم الامتناع على المطلوب والظاهر
ان الطالب في المراة الاولى انما هو الرجل لحبا المراة فلو طلب النبي صلى الله عليه وسلم من المراة التمكين
قبل المهر للزم ان يجب وان لا يجب وهو محال ولا كذلك اخرنا ويوكد هذا قوله تعالى وامراة مومنة
ان وهبت نفسها للنبي يعني حينئذ لا يبقى لها صداق فتصير كالمستوفية مهرها واعلم ان اللاي ملكت
يمينه مثل صفية وجويرية ومارية وبنات عمك وبنات عماتك يعني نسا قريش وبنات خالك
وبنات خالاتك يعني نسا بني زهرة اللاتي هاجرن معك الى المدينة فمن لم يهاجر معه منهن لم يجز له
نكاحها وروي ابو صالح عن ام هاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة خطبني فانزل
الله هذه الاية فلم احل له لاني لم اكن من المهاجرات وكنت من الطلقا ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل
قوله تعالى وامراة العامة على النصب وفيه وجهان احدهما انه عطف على مفعول احللنا واحللنا
لك امراة موصوفة بهذين الشرطين قال ابو البقا وقد رد هذا قوم وقالوا احللنا ماض وان وهبت
وهو صفة المراة مستقبل فاحللنا في موضع جوابه وجواب الشرط لا يكون ماضيا في المعنى قال
وهذا ليس بصحيح لان معنى الاحلال ههنا الاعلام بالحل اذا وقع الفعل على ذلك كما يقول
ابحت لك ان تكلم فلانا ان سلم عليك والثاني انه ينتصب بمقدر تقديره ويحل لك امراة قوله
قوله تعالى ان وهبت ان اراد هذا من اعتراض الشرط على الشرط والثاني هو قيد في الاول ولذلك
نعربه حالا لان الحال قيد ولهذا اشترط الفقها ان يتقدم الثاني على الاول في الوجود فلو
قال ان اكلت ان ركبت فانت طالق فلا بد ان يتقدم الركوب على الاكل وهذا التحقيق للحالية
والتقييد كما ذكرنا اذ لو يتقدم لخلا جزء من الاكل غير مقيد بركوب فلهذا اشترطنا تقدم الثاني
وقد تقدم تحقيق هذا وانه يشترط ان لا يكون ثم قرينة تمنع من تقدم الثاني على الاول كقوله
ان تزوجتك ان طلقتك فعبدي حر لا يتصور هنا تقديم الطلاق على التزويج قال شهاب الدين
رحمه الله فقد عرض لي اشكال على ما قاله الفقها بهذه الاية وذلك ان الشرط الثاني هنا لا يمكن
تقدمه في الوجود بالنسبة الى الحكم الخاص بالنبي صلى الله عليه وسلم لا انه لا يمكن عقلا وذلك ان
المفسرين فسروا قوله تعالى ان اراد بمعنى قبل الهبة لان بالقبول منه عليه الصلاة والسلام يتم نكاحه
وهذا لا يتصور تقدمه على الهبة اذ القبول متاخر وايضا فان القصة كانت على ما ذكرته
من تاخر ارادته عن هبتها وهو مذكور في التفسير وابو حيان لما جا الى ههنا جعل الشرط الثاني
مقدما على الاول على القاعدة العامة ولم يستشكل شيا مما ذكرته وقد عرضت هذا الاشكال
على جماعة من اعيان زماننا فاعترفوا به ولم يظهر عنه جواب الا ما قدمته من انه ثم قرينة مانعة
من ذلك كما مثلته انفا وقرا ابو حيوة وامراة بالرفع على الابتدا والخبر مقدر اي احللناها لك
ايضا وفي قوله تعالى ان اراد النبي التفات من الخطاب الى الغيبة بلفظ الظاهر تنبيها على ان
سبب ذلك النبوة ثم رجع الى الخطاب فقال خالصة لك وقرا ابي والحسن وعيسى ان بالفتح وفيه
وجهان احدهما انه بدل من امراة بدل اشتمال قاله ابو البقا كانه قيل واحللنا لك هبة المراة نفسها
والثاني انه على حذف لام العلة لان وهبت وزيد بن علي اذ وهبت وفيه معنى العلة قوله
تعالى خالصة العامة على النصب وفيه اوجه احدها انه منصوب على الحال من فاعل وهبت
اي حال كونها خالصة لك دون غيرك الثاني انها حال من امراة لانها وصفت فتخصصت وهو
بمعنى الاول واليه ذهب الزجاج الثالث انها نعت مصدر مقدر اي هبة خالصة فنصبها
بوهبت الرابع انها مصدر موكد كوعد الله قال الزمخشري والفاعل والفاعلة في المصادر
غير عزيزين كالخارج والقاعد والكاذبة والعافية يريد بالخارج ما في قول الفرزدق
ولا خارجا من في زور كلام وبالقاعد ما في قولهم اقاعدا وقد سار الركب وبالكاذبة
ما في قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة وقد انكر ابو حيان عليه قوله غير عزيزين وقال بل هما
عزيزان وما ورد متاول وقري خالصة فان كانت خالصة حالا قدر المبتدا هي اي المبتداه
الواهبة وان كانت مصدرا قدر فذلك الحال لك خالصة ولك على البيان اي اعني لك نحو سقيا

لك

لك **فصل** المعنى احللنا لك امراة مومنة وهبت نفسها لك بغير صداق فاما غير
المومنة فلا تحل له اذا وهبت نفسها منه واختلفوا في انه هل كان يحل للنبي صلى الله عليه وسلم نكاح
اليهودية والنصرانية فذهب اكثرهم الى انه كان لا يحل له ذلك لقوله وامراة مومنة واول بعضهم
الهجرة في قوله هاجرن معك يعني على الاسلام اي اسلمن معك فيدل ذلك على انه لا يحل له
نكاح غير المسلمة وكان النكاح ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر وكان ذلك
من خصايصه صلوات الله وسلامه عليه لقوله تعالى خالصة لك من دون المومنين كالزيادة على
الاربع ووجوب تاخير النسا من خصايصه لا مشاركة لاحد معه واختلفوا في انعقاد النكاح
بلفظ الهبة في حق الامة فقال سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطا لا ينعقد الا بلفظ الانكاح
او التزويج وبه قال ربيعة ومالك والشافعي رضي الله عنهم ومعنى الاية ان اباحة الوطي بالهبة
وحصول التزويج بلفظها من خواصه صلوات الله وسلامه عليه وقال النخعي وابو حنيفة رضي
الله عنهما واهل الكوفة ينعقد بلفظ الهبة والتمليك وان معنى الاية ان تلك المراة صارت
خالصة لك زوجة من امهات المومنين لا تحل لغيرك ابدا بالتزويج واجيب بان هذا التخصيص
بالواهبة لا فايدة فيه فان ازواجه كلهن خالصات له وما ذكرناه فالتخصيص فايدة **فصل**
اختلفوا في التي وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل كانت عنده امراة منهن فقال عبد
الله بن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امراة وهبت نفسها ولم يكن عنده
امراة الا بعقد نكاح او ملك يمين وقوله وهبت نفسها على طريق الشرط والجزا وقيل بل كانت
موهوبة واختلفوا فيها فقال الشعبي رحمه الله هي زينب بنت خزيمة الهلالية يقال لها ام
المساكين وقال قتادة هي ميمونة بنت الحرث وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي ام
شريك بنت جابر من بني اسد وقال عروة بن الزبير هي خولة بنت حكيم من بني سليم قوله تعالى
قد علمنا ما فرضنا اوجبنا على المومنين في ازواجهم من الاحكام ان لا يتزوجوا اكثر من اربع ولا
يتزوجوا الا بولي وشهود ومهر وما ملكت ايمانهم اي ما اوجبنا من الاحكام في ملك اليمين
وانما ذكر هذا ليدل على ان حكمه واحكام المومنين نفسه على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم
فان له في النكاح خصايص ليست لغيره وكذلك في السراري قوله تعالى لكيلا متعلق بخالصة
وما بينهما اعتراض ومن دون متعلق بخالصة كما تقول خلص من كذا **فصل** قال
المفسرون هذا يرجع الى اول الاية اي احللنا لك ازواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لكيلا
يكون عليك حرج ضيق وكان الله غفورا رحيما يغفر الذنوب جميعا ويرحم العبيد قوله تعالى
ترجي اي توخر من تشا منهن وتوي اليك من تشا اي تضم اليك من تشا واختلف المفسرون
في معنى الاية فاشهر الاقاويل انه في القسم بينهن وذلك ان التسوية بينهن في القسم كانت
واجبا عليه فلما نزلت هذه الاية سقط عنه وصار الاختيار اليه فيهن قال ابو رزين وابن
زيد نزلت هذه الاية حين غار بعض امهات المومنين على النبي صلى الله عليه وسلم وطلب
بعضهن زيادة النفقة فهجرهن النبي صلى الله عليه وسلم شهرا حتى نزلت اية التخيير فامره الله عز
وجل ان يخيرهن بين الدنيا والاخرة وان يخلي سبيل من اختارت الدنيا ويمسك من اختارت
الله ورسوله على انهن امهات المومنين فلا تنكحهن ابدا وعلى انه يوي اليه من يشا منهن ويرجي
من يشا فيرضين به قسم لهن او لم يقسم او قسم لبعض دون بعض او فضل بعضهن في النفقة
والقسمة فيكون الامر في ذلك اليه يفعل كيف يشا وكان ذلك من خصايصه فرضين بذلك
واخترنه على هذا الشرط وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى امته نسبة السيد
المطاع والرجل وان لم يكن نبيا فالزوجة في ملك نكاحه والنكاح عليها رق فكيف زوجات النبي
صلى الله عليه وسلم بالنسبة اليه فاذن هن كالمملوكات له ولا يجب القسم بين المملوكات والارجا
التاخير والايوا الضم واختلفوا في انه هل اخرج احدا منهن عن القسم فقيل لم يخرج احدا
بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوي بينهن في القسم
الا سودة فانها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت نوبتها لعايشة رضي الله عنها وقيل
اخرج بعضهن روي جرير عن منصور عن ابي رزين قال لما نزلت اية التخيير اشفقن ان
يطلقهن فقلن يا رسول الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شيت ودعنا على حالنا فنزلت

هذه الاية فارجا رسول الله صلى الله عليه وسلم واوي اليهن بعضهن فكان ممن اوي عايشة
وحفصة وزينب وام سلمة وكان يقسم بينهن سوا وارجا منهن خمسا ام حبيبة وميمونة وسودة
وصفية وجويرية فكان يقسم لهن ما شا وقال مجاهد ترجي من تشا منهن يعني تعزل من
تشا منهن بغير طلاق وتؤوي اليك من تشا بعد العزل بلا تجديد عقد وقال ابن عباس رضي
الله عنه تطلق من تشا منهن وتمسك من تشا وقال الحسن تترك نكاح من شيت وتنكح من
شيت من نسا امتك قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امراة لم يكن لغيره خطبتها
حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من تشا من المومنات اللاتي يهبن
انفسهن لك فتؤويها اليك وتترك من تشا فلا تقبلها روي هشام عن ابيه قال كانت
خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عايشة اما تستحي
المراة ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجي من تشا منهن قلت يا رسول الله ما اري ربك الا يسارع
في هواك قوله تعالى ومن ابتغيت يجوز في من وجهان احدهما انها شرطية في محل نصب بما
بعدها وقوله تعالى فلا جناح عليك جوابها والمعنى من طلبتها من النسوة اللاتي عزلتهن
فليس عليك في ذلك جناح والثاني ان يكون مبتداه والعايد محذوف وعلى هذا فيجوز
في من ان تكون موصولة وان تكون شرطية وفلا جناح عليك خبر او جواب اي والتي ابتغيتها
ولا بد حينئذ من ضمير راجع الى اسم الشرط من الجواب اي في ابتغائها وطلبها وقيل في الكلام
حذف معطوف تقديره ومن ابتغيت ممن عزلت ومن لم تعزل سوا لا جناح عليك كما تقول من
لقيك ممن لم يلقك جميعهم لك شاكر يريد من لقيك ومن لم يلقك وهذا فيه الغاز وقوله تعالى
ذلك اي التفويض الى مشيتك ادنى ان تقر اعينهن اي اقرب الى قرة اعينهن والعامة تقر
مبنيا للفاعل مسندا الى اعينهن وابن محيصن تقر من اقر رباعيا وفاعله ضمير المخاطب اعينهن
نصب على المفعول به وقري تقر مبنيا للمفعول اعينهن رفع لقيامه مقام الفاعل وتقدم
معنى قرة العين في مريم قوله تعالى كلهن العامة على رفعه توكيدا لفاعل يرضين وابو
اياس بالنصب توكيدا لمفعول اتيتهن **فصل** قال المفسرون لا جناح عليك لا اثم
عليك اذا لم تقسم لهن حتى انه ليرجي من يشا في نوبتها ويطا من يشا منهن في غير
نوبتها ويرد الى فراشه من عزلها تفضيلا له على ساير الرجال ذلك ادنى ان تقر اعينهن
ولا يحزن اي ذلك التخيير الذي خيرتك في صحبتهن اقرب الى رضاهن واطيب لانفسهن
واقل لحزنهن اذا علمن ان ذلك من الله عز وجل ويرضين بما اتيتهن اعطيتهن من تقريب
وارجا وعزل وايوا والله يعلم ما في قلوبكم من امر النسا والميل الى بعضهن وكان الله عليما
حليما اي ان اخفيتن خلاف ما اظهرتن فالله يعلم ضماير القلوب فانه عليم وان لم يعاجلهن
في الحال فلا يغترن فانه حليم لا يعجل قوله تعالى لا تحل لك النسا من بعد قرا ابو عمرو
لا تحل لك النسا قرا ابو عمرو ولا تحل بالتانيث اعتبارا باللفظ والباقون بالياء لانه جنس
وللفصل ايضا وقوله من بعد اللاتي نصصنا لك على احلالهن كما تقدم وقيل من بعد
اباحة النسا المسلمات دون الكتابيات **فصل** قال المفسرون من بعد اي
من بعدهن قال ابن الخطيب والاولى ان يقال لا تحل لك النسا من بعد اختيارهن الله
ورسوله ورضاهن بما يوتيهن من الوصل والهجران وقال ابن عباس وقتادة من بعد
هولا التسع حين اخترنك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خيرهن فاخترن الله
ورسوله شكر الله لهن وحرم عليه النسا سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن
واختلفوا في انه هل ابيح له النسا من بعد قالت عايشة رضي الله عنها ما مات رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النسا وقال انس مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
على التحريم وقال عكرمة معنى الاية لا تحل لك النسا الا اللاتي احللنا لك ازواجك الاية
ثم قال لا تحل لك النسا من بعد اللاتي احللنا لك بالصفة التي تقدم ذكرها وقيل لابي بن
كعب لو مات نسا النبي صلى الله عليه وسلم اكان يحل له ان يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل
قوله عز وجل لا تحل لك النسا من بعد قال انما احل الله ضربا من النسا فقال يا ايها النبي
انا احللنا لك ازواجك ثم قال لا تحل لك النسا من بعد قال ابو صالح امران لا تتزوج اعرابية

ولا

ولا عربية ويتزوج من نسا قومه من بنات العم والعمة والخال والخالة ان شا ثلاث مائة
وقال مجاهد معناه لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات ولا ان تبدل رضي
الله عنها ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم
يخرجوا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت معه حتى اذا بلغ عتبة حجرة عايشة رضي الله
عنها فظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب النبي صلى الله
عليه وسلم بيني وبينه بالستر وانزل الله عز وجل الحجاب وقال ابو عثمان واسمه الجعد عن
انس رضي الله عنه قال فدخل يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وارخى الستر واني
لفي الحجرة وهو يقول يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الى قوله تعالى
والله لا يستحيي من الحق وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في ناس من المسلمين
كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام الى ان يدرك ثم
ياكلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتاذى بهم فنزلت الاية يا ايها
الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الاية وروي بن شهاب عن عروة عن عايشة ان ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد افيح فكان عمر
يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل
فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشا وكانت
امراة طويلة فناداها عمر رضي الله عنه قد عرفناك يا سودة حرصا على ان ينزل اية
الحجاب فانزل الله الحجاب وعن انس قال قال عمر وافقني ربي في ثلاثة قلت يا رسول
الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فانزل الله عز وجل واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى
وقلت يا رسول الله انه تدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المومنين بالحجاب
فانزل الله اية الحجاب قال وبلغني ما اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم نساوه قال
فدخلت عليهن فجعلت استقريهن واحدة واحدة قلت والله لتنتهن او ليبدلنه الله ازواجا
خيرا منكن حتى اتيت على زينب فقالت يا عمر ما كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ
نساوه حتى تعظهن انت قال فخرجت فانزل الله تعالى عسى ربه ان طلقكن ان يبدله
ازواجا خيرا منكن الاية قوله تعالى الا ان يوذن لكم فيه اوجه احدها انها في موضع نصب
على الحال تقديره الا مصحوبين بالاذن الثاني انها على اسقاط باء السبب تقديره الا بسبب
الاذن لكم كقوله فاخرج به اي بسببه الثالث انه منصوب على الظرف قال الزمخشري
الا ان يوذن في معنى الظرف تقديره الا وقت ان يوذن لكم وغير ناظرين حال من لا
تدخلوا وقع الاستثنا على الحال والوقت معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت
الاذن ولا تدخلوا الا غير ناظرين اناه ورد ابو حيان الاول بان النحاة نصوا على ان
ان المصدرية لا تقع موقع الظرف لا يجوز اتيتك ان تصيح الديك وان جاز ذلك في المصدر
الصريح نحو اتيتك صياح الديك ورد الثاني فانه لا يقع بعد الا في الاستثنا الا المستثنى او المستثنى
منه او صفته ولا يجوز فيما عدا هذا عند الجمهور واجاز ذلك الكسائي والاخفش اجاز اما قام
القوم الا يوم الجمعة ضاحكين والى طعام متعلق بيوذن لانه بمعنى الا ان تدعوا الى طعام
وقرا العامة غير ناظرين بالنصب على الحال كما تقدم فعند الزمخشري ومن تابعه العامل
فيه يوذن وعند غيرهم العامل فيه مقدر تقديره ادخلوا غير ناظرين وقرا ابن ابي عبلة
غير بالجر صفة لطعام واستضعفها الناس من اجل عدم بروز الضمير لجريانه على غير من هو
له فكان من حقه ان يقال غير ناظرين اناه انتم وهذا راي البصريين والكوفيين
يجيزون ذلك ان لم يلبس كهذه الاية وقد تقدمت هذه المسالة وفروعها وما قيل فيها
وهل ذلك يختص بالاسم او يجري في الفعل خلاف مشهور قل من يضبطه قوله تعالى
اناه قرا العامة اناه مفردا اي نضجه يقال اني الطعام اني كقولاه قلى اي غير منتظرين
ادراكه ووقت نضجه ويقال اني الحميم اذا انتهى حره واني ان يفعل كذا اي حان انى بكسر
الهمزة مقصورة وقرا الاعمش اناه جمعا على افعال فابدلت الهمزة الثانية الفا والياء
همزة لتطرفها بعد الف زايدة وصار في اللفظ كاناء من قوله ومن اناء الليل وان كان الغني

مختلفا قال البغوي اذا فتحت الهمزة مددت فقلت الاناء وفيه لغتان اني يأني وآن يئين
مثل حان يحين **قوله** تعالى ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا واخرجوا
من منزله **فصل** قال ابن الخطيب قوله تعالى الا ان يؤذن لكم الى طعام اما ان يكون تقديم
وتاخير تقديره ولا تدخلوا الى طعام الا ان يؤذن لكم فلا يكون منعا من الدخول في غير وقت
الطعام بغير الاذن واما ان لا يكون تقديم وتاخير فيكون معناه ولا تدخلوا الا ان يؤذن لكم
الى طعام فيكون الاذن مشروطا بكونه الى طعام فان لم يؤذن الى طعام فلا يجوز الدخول فلو
اذن لواحد في الدخول لاستماع كلام لا لاجل طعام لا يجوز فنقول المراد هو الثاني ليعم النهي
عن الدخول واما كونه لا يجوز الا باذن الى طعام فلما تقدم في سبب النزول ان الخطاب مع قوم
كانوا يتحينون حين الطعام ويدخلون من غير اذن فمنعوا من الدخول في وقتهم بغير اذن
والاولى ان يقال المراد هو الثاني لان التقديم والتاخير خلاف الاصل وقوله الى طعام من
باب التخصيص بالذكر فلا يدل على نفي ما عداه لاسيما اذا علم ان غيره مثله فان من جاز دخول
بيته باذنه الى طعامه جاز دخوله الى غير طعامه فان غير الطعام يمكن وجوده مع الطعام فان
من الجائز ان يتكلم معه وقت ما تدعوه الى الطعام ويستقضيه في حوائجه ويعلمه مما عنده من
العلوم مع زيادة الطعام فان رضي بالكل فرضاه بالبعض اقرب الى العقل فيصير من باب
ولا تقل لهما اف وقوله غير ناظرين اناه اي لا تنتظروا وقت الطعام فانه ربما لا يتهيا **فصل**
لا يشترط في الاذن التصريح به بل اذا حصل العلم بالرضا جاز الدخول ولهذا قال الا ان يؤذن
من غير بيان فاعل فالاذن ان كان الله او النبي او العقل المويد بالدليل جاز والنقل دال
عليه حيث قال او صديقكم فلو جاء الرجل وعلم ان لا مانع في البيت من تكشف او حضور غير
محرم وعلم خلو الدار من الاهل وهي محتاجة الى اطفاء حريق فيها او غير ذلك جاز الدخول
وفي معنى البيت موضع مباح اختاره شخص لعبادته او اشتغاله بشغل فيأتيه احد ويطيل
المكث عنده قوله تعالى ولا مستانسين يجوز ان يكون منصوبا عطفا على غير اي لا تدخلوها
غير ناظرين ولا مستانسين وقيل معطوف على حال مقدرة اي لا تدخلوها هاجمين ولا مستانسين
وان يكون مجرورا عطفا على ناظرين اي غير ناظرين وغير مستانسين والمعنى ولا طالبين
الانس للحديث وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون طويلا فنهوا عن ذلك قوله تعالى
لحديث يحتمل ان يكون لام العلة اي مستانسين لاجل ان يحدث بعضكم وان يكون المقوية
للعامل لانه فرع اي ولا مستانسين حديث اهل البيت او غيرهم قوله تعالى ان ذلكم اي انتظاركم
واستيناسكم فاشير اليهما اشارة الواحد كقوله تعالى عوان بين ذلك اي ان المذكور وقوله
تعالى فيستحيي منكم قرئ لا يستحي بياء واحدة والاخرى محذوفة واختلف فيها هل هي
الاولى او الثانية وتقدم ذلك في البقرة والجفار رواية عن ابن كثير وهي لغة تميم يقولون
استحى يستحي مثل استقى يستقي قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق اي لا يترك تاديبكم
وهذا اشارة الى ان ذلك حق وادب ثم ذكر ادبا اخر فقال واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن
من وراء حجاب اي من وراء ستر وبعد اية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى امراة من نساء رسول
الله صلى الله عليه وسلم متنقبة كانت او غير متنقبة ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الريب
لان العين روزنة القلب فاذا لم تر العين لا يشتهي القلب فاما ان رات العين فقد يشتهي
القلب وقد لا يشتهي فالقلب عند عدم الروية اطهر وعدم الفتنة حينئذ اظهر قوله تعالى
ان يؤذوا هو اسم كان ولكم الخبر ولا ان تنكحوا عطف على اسم كان وابدا ظرف واعلم انه تعالى
لما بين للمومنين الادب اكده بما يحملهم على محافظته فقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله وكل ما منعتم عنه موذ فامتنعوا عنه وليس لكم اذاه في شيء من الاشيا قوله
تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا نزلت في رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم قال لئن قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لانكحن عايشة قال مقاتل بن
سليمان هو طلحة بن عبيد الله فاخبر الله عز وجل ان ذلك محرم وقال ان ذلكم كان عند
الله عظيما وروى معمر عن الزهري ان العالية بنت ظبيان التي طلق النبي صلى الله عليه وسلم
تزوجت رجلا وولدت له وذلك قبل تحريم ازواج النبي صلى الله عليه وسلم على الناس قوله تعالى

ان تبدوا

ان تبدوا شيئا او تخفوه الاية نزلت فيمن اضمر نكاح عايشة بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل قال رجل من الصحابة ما بالنا نمنع من الدخول على بنات اعمامنا فنزلت هذه
الاية ولما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب ونحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب فانزل
الله عز وجل لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن
اي لا اثم عليهن في ترك الاحتجاب عن هولاء ولا نسائهن قيل اراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز
للكتابيات الدخول عليهن وقيل هو عام في المسلمات والكتابيات وانما قال ولا نسائهن لانهن
من اجناسهن وقدم الاباء لان اطلاع الاباء على بناتهم اكثر وكيف وهم قد راوا جميع بدن البنات
في حال صغرهن ثم الابناء ثم الاخوة وذلك ظاهر انما الكلام في بني الاخوة حيث قدمهم الله على
بني الاخوات لان بني الاخوات اباؤهم ليسوا بمحارم خالات ابنائهم وبني الاخوة اباؤهم محارم
ايضا ففي بني الاخوات مفسدة وهي ان الابن ربما يحكي خالته عند ابيه وهو ليس بمحرم ولا كذلك
في بني الاخوة فان قيل لم يذكر الله من المحارم الاعمام والاخوال فلم يقل ولا اعمامهن ولا اخوالهن
فالجواب من وجهين احدهما ان ذلك معلوم من بني الاخوة وبني الاخوات لان من علم ان
بني الاخ للعمات محارم ان بنات الاخ للاعمام محارم وكذلك الخال في امر الخال وثانيهما ان
الاعمام ربما يذكرون بنات الاخ عند ابنائهم وهم غير محارم وكذلك الخال في ابن ابن الخال
قوله تعالى ولا ما ملكت ايمانهن وقيل المراد من كان لها ذكر هذا بعد الكل فان المفسدة
في التكشف لهم ظاهرة واختلفوا في عبد المراة هل يكون محرما لها فقيل يكون محرما لها لقوله
ولا ما ملكت ايمانهن وقيل المراد من كان دون البلوغ قوله تعالى واتقين عطف على محذوف
اي امتثلن ما امرتن به واتقين الله ان تراكن غير هولاء وقوله تعالى ان الله كان على كل شيء شهيدا
في غاية الحسن في هذا الموضع لان ما سبق الى اشارة الى جواز الخلوة بهم والتكشف لهم فقال
ان الله شاهد عند اختلاء بعضكم ببعض فخلوتكم مثل ملاكم بشهادة الله فاتقوه فانه شهيد
على اعمال العبد **قوله** تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي العامة على نصب الملايكة
نسقا على اسم ان ويصلون هل هو خبر عن الله وملايكته او عن الملايكة فقط وخبر الجلالة
محذوف لتغاير الصلاتين خلاف تقدم قريبا وقرا ابن عباس ورويت عن ابي عمرو وملايكته
رفعا فيحتمل ان يكون عطفا على محل اسم ان عند بعضهم وان يكون مبتدا والخبر محذوف وهو
مذهب البصريين وقد تقدم فيه بحث نحو زيد ضارب وعمرو اي ضارب في الارض **فصل**
لما امر بالاستيذان وعدم النظر الى نسائه احتراما له كمل بيان حرمته وذلك ان حالته منحصرة
في حالتين حالة خلوة فذكر ما يدل على احترامه في تلك الحالة بقوله لا تدخلوا بيوت النبي وحالة
تكون في ملا والملا اما الملا الاعلى واما الملا الادنى اما احترامه في الملا الاعلى فان الله
وملايكته يصلون عليه واما احترامه في الملا الادنى فقوله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا
عليه وسلموا تسليما **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه اراد ان الله يرحم النبي
والملايكة يدعون له وعن ابن عباس ايضا يصلون يبركون وقيل الصلاة من الله الرحمة
ومن الملايكة الاستغفار وقال ابو العالية صلوة الله ثناؤه عليه عند الملايكة وصلاة
الملايكة الدعا وروى عبد الرحمن بن ابي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال الا اهدي لك هدية
سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت بلى فاهدها لي قال قلنا يا رسول الله قد
علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على
ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد وروى ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف
نصلي عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته
كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ال ابراهيم انك حميد مجيد
وروى ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بي يوم القيمة
اكثرهم صلاة علي وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
صلى علي صلاة واحدة صلى الله بها عشرا وروى عبد الله بن ابي طلحة عن ابيه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه جاء ذات يوم والبشر في وجهه فقال انه جاءني جبريل فقال اما
يرضيك يا محمد ان لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك

الا صليت عليه عشرا وروي عامر بن ربيعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى
علي صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقل العبد من ذلك او ليكثر وروي عبد الله بن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغون
عن امتي السلام **فصل** دلت الاية على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
لان الامر للوجوب ولا يجب في غير التشهد فيجب في التشهد وكذلك قوله تعالى وسلموا تسليما
امر فيجب السلام ولم يجب في غير الصلوة فيجب فيها وهو قولنا في التشهد سلام عليك ايها النبي
وذكر في السلام المصدر للتاكيد ولم يوكد الصلاة لانها كانت موكدة بقوله ان الله وملائكته
يصلون على النبي فان قيل اذا صلى الله وملائكته عليه فاي حاجة به الى صلاتنا فالجواب
ان الصلاة عليه ليس لحاجة اليها والا فلا حاجة الى صلاة الملائكة مع صلاة
الله عليه وانما هو لاظهاره وتعظيمه كما ان الله تعالى اوجب علينا ذكر نفسه ولا حاجة له اليه
وانما هو لاظهار تعظيمه منا شفقة علينا ليثيبنا عليه ولهذا قال صلوات الله عليه من صلى
علي واحدة صلى الله عليه عشرا قوله تعالى ان الذين يوذون الله فيه اوجه اي يقولون فيه
ما صورته اذى وان كان تعالى لا يلحقه ضرر وذلك حيث وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الانداد
ونسبة الولد والزوجة اليه قال ابن عباس رضي الله عنه هم اليهود والنصارى والمشركون قال
صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى سبحانه شتمني عبدي يقول اتخذ الله ولدا وانا
الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن لي كفوا احد وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
يوذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار وقيل يوذون الله يلحدون
في اسمائه وصفاته وقال عكرمة هم اصحاب التصاوير وروي ابو هريرة رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى ومن اظلم ممن يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة
او ليخلقوا حبة او شعيرة ويحتمل ان يكون على حذف مضاف اي اولياء الله كقوله تعالى واسئل
القرية اي اهل القرية قال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من عادى لي وليا فقد اذنته
بالحرب وقال عز وجل من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة امر
الله عز وجل وارتكاب معاصيه ذكره على ما يتعارفه الناس بينهم والله عز وجل منزه عن ان
يلحقه اذى من احد وقال بعضهم اتى بالجلالة تعظيما والمراد يوذون رسولي لقوله انما يبايعون
الله واما ايذاء الرسول فقال ابن عباس هو انه شج في وجهه وكسرت رباعيته وقيل ساحر
شاعر معلم مجنون ثم قال لعنهم الله في الدنيا والاخرة واللعن الطرد وهذا اشارة الى بعد
لا رجاء للقرب معه لان البعيد في الدنيا يرجو القرب في الاخرة فاذا خاب في الاخرة فقد
خاب وخسر ثم انه تعالى لم يحصر جزاءه في الابعاد بل اوعد بالعذاب المهين فقال تعالى واعد
لهم وهذا يفيد التاكيد لان السيد اذا اعذب عبده حالة الغضب من غير اعداد يكون دون
ما اعد له قيدا وغلا قوله تعالى والذين يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا اي
من غير ما عملوا ما اوجب اذاهم وقال مجاهد يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم وقيل ان
من جلد مائة على شرب الخمر او حدا وبعين على لعب النرد فقد اوذي بغير ما اكتسب قوله تعالى
فقد احتملوا اخبر والذين ودخلت الفاء لشبه الموصول بالشرط وقوله تعالى بهتانا واثما
مبينا قال مقاتل نزلت في علي بن ابي طالب رضي الله عنه كانوا يوذونه ويسمعونه وقيل
نزلت في شان عائشة رضي الله عنها وقال الضحاك والكلبي نزلت في الزناة الذين
كانوا يمشون في طريق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيغمزون
المراة فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن كانوا
لا يعرفون الحرة من الامة لان زي الكل كان واحدا يخرجن في درع وخمار الحرة والامة
فشكوا ذلك الى ازواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية والذين
يوذون المومنين والمومنات الاية ثم نهى الحرائر ان يتشبهن بالاماء فقال عز وجل يا ايها النبي
قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن فان قيل البهتان هو
الزور وهو لا يكون الا في القول والايذاء قد يكون بغير القول فمن اذى مومنا بالضرب او اخذ
ماله لا يكون قد احتمل بهتانا فالجواب ان المراد والذين يوذون المومنين والمومنات بالقول

اظهار

لان الله تعالى اراد شرف المومنين لانه لما ذكر تعالى ان من اذى الله ورسوله لعن وايذاء الله
ورسوله ان ينكر وجوده او يشرك به من لا يبصر ولا يسمع وذلك قول فذكر ايذاء المومنين بالقول
وعلى هذا خص ايذاء القول بالذكر لانه اعم لان الانسان لا يقدر ان يوذي الله بما يولمه من
ضرب او اخذ مال ويوذيه بالقول وكذا الغايب لا يمكن ايذاوه بالفعل ويمكن ايذاوه بالقول
بان يقول فيه ما يصل اليه فيتاذى ووجه اخر في الجواب بان يقال قوله بعد ذلك واثما
مبينا كانه استدرك ما كان قوله احتمل بهتانا ان كان بالقول واثما مبينا كيف ما كان الايذاء قوله
تعالى يدنين كقوله تعالى قل لعبادي ومن للتبعيض والجلابيب جمع الجلباب وهي الملاءة التي
تشتمل بها المراة فوق الدرع والخمار قال ابن عباس وعبيدة امر نساء المومنين ان يغطين روسهن
ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة ليعلم انهن حرائر قوله تعالى ذلك ادنى اي ادنى الجلابيب
اقرب الى عرفانهن اي ادنى ان يعرفن انهن حرائر فلا يوذين لا يتعرض لهن ويمكن ان يقال المراد
يعرفن انهن لا يزنين لان من تستر وجهها مع انه ليس بعورة لا يطمع فيها انها تكشف عورتها
فيعرفن انهن مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن وكان الله غفورا رحيما قال انس رضي الله عنه
مرت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه جارية مقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع اتتشبهين بالحرائر
القي القناع قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض لما ذكر حال المشرك الذي
يوذي الله ورسوله والمجاهر الذي يوذي المومنين ذكر حال المسر الذي يظهر الحق ويضمر الباطل
وهو المنافق ولما كان المذكورين قبل اقواما ثلاثة نظرا الى امور ثلاثة وهم الموذون لله
والموذون للرسول صلى الله عليه وسلم والموذون للمومنين ذكر المسرين ثلاثة نظرا الى
اعتبار امور ثلاثة احدها المنافق الذي يوذي الله سرا والثاني الذي في قلبه مرض وهو
الذي يوذي المومن باتباع نسائه والثالث المرجف الذي يوذي النبي صلى الله عليه وسلم
بالارجاف بقوله غلب محمد وسيخرج من المدينة وسيوخذ وهولاء وان كانوا قوما واحدا الا
ان لهم ثلاث اعتبارات وهذا كقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات حيث
ذكر اصنافا عشرة وكلهم موجد في واحد بالشخص لكنه كثير بالاعتبار فقال لئن لم ينته المنافقون
اي عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض يعني الزناة والمرجفون في المدينة بالكذب وذلك
ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون في الناس انهم
قتلوا وهزموا ويقولون قد اتاكم العدو ونحوه وقال الكلبي كانوا يحبون ان تشيع الفاحشة
في الذين امنوا ويفشوا الاخبار قوله تعالى لنغرينك بهم اي لنحرشنك بهم ولنسلطنك عليهم
لتخرجهم من المدينة ثم لا يجاورونك فيها لا يساكنونك فيها اي في المدينة الا قليلا حتى يخرجوا
منها وقيل لنسلطنك عليهم بقتلهم وتخلي منهم المدينة قوله تعالى الا قليلا اي الا زمانا قليلا
او الا جوارا قليلا وقيل قليلا نصب على الحال من فاعل يجاورونك اي الا قلالا اذلا يعني قليلين
وقيل قليلا منصوب على الاستثناء اي لا يجاورك الا القليل منهم على اذل حال واقله قوله تعالى
ملعونين حال من فاعل يجاورونك قاله ابن عطية والزمخشري وابو البقا قال ابن عطية لانه
بمعنى منتفون منها ملعونين وقال الزمخشري دخل حرف الاستثنا على الحال والظرف معا كما مر في
قوله سبحانه الا ان يوذن لكم الى طعام غير ناظرين بحث ابي حيان معه وهو عايد هنا وجوز
الزمخشري ان ينتصب على الشتم وجوز ابن عطية ان يكون بدلا من قليلا على انه حال كما تقدم
تقريره ويجوز ان يكون منصوبا باخذوا الذي هو جواب الشرط وهذا عند الكسائي والفرا
فانهما يجيزان تقديم معمول الجواب على اداة الشرط نحو خيرا ان تاتني تصب وقد منع الزمخشري
من ذلك فقال ولا يصح ان ينتصب باخذوا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وهذا منه
مشي على الجادة وقوله ما بعد كلمة الشرط يشمل فعل الشرط والجواب فاما الجواب فتقدم حكمه
واما الشرط فاجاز الكسائي ايضا تقديم معموله على الاداة نحو زيدا ان تضرب اهنك فتلخص في
المسئلة ثلاثة مذاهب المنع مطلقا الجواز مطلقا التفصيل يجوز تقديم معمول الجواب ولا يجوز
تقديم معمول الشرط وهو راي الفرا قوله تعالى وقتلوا العامة على التشديد وقري بالتخفيف
وهذه يردها مجي المصدر على التفعيل الا ان يقال جاء على غير صدره قوله تعالى سنة
الله تقدم نظيرها **فصل** ملعونين مطرودين من باب الله وبابك واذا خرجوا

لا ينفكون عن الذلة ولا يجدون ملجأ بل اينما يكونون يطلبون ويؤخذون ويقتلون
وهذا ليس ببدع بل هو سنة جارية وعادة مستمرة بفعل المكذبين ولن تجد لسنة الله
تبديلا اي ليست هذه السنة مثل الحكم الذي يتبدل وينسخ فان النسخ يكون في الاقوال
اما الافعال اذا وقعت والاخبار لا تنسخ قوله تعالى يسالك الناس عن الساعة قل انما
علمها عند الله اي ان وقت القيمة علمه عند الله لما بين حالهم في الدنيا انهم يلعنون ويهانون
ويقتلون اراد ان يبين حالهم في الاخرة فذكرهم بالقيمة وما يكون لهم فيها فقال
يسالك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله اي ان وقت القيمة علمه عند الله لا يبين
لهم فان الله اخفاها لحكمة وهي امتناع المكلف عن الاجترا وخوفهم منها في كل وقت قوله
تعالى وما يدريك لعل الساعة الظاهر ان لعل يتعلق كما تعلق التمني وقريبا خبر كان على
حذف موصوف اي شيا قريبا وقيل التقدير قيام الساعة وروعيت الساعة في تانيث يكون
وروعي المضاف المحذوف في تذكير قريبا وقيل قريبا كثر استعماله استعمال الظروف
فهو هنا ظرف في موضع الخبر وقال ابن الخطيب فعيل يستوي فيه المذكر والمونث قال
تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ولعل الساعة تكون قريبة

فصل

المعنى اي شي يعلمك امر الساعة ومتى يكون قيامها اي انت لا تعرفه لعل الساعة تكون قريبا
وهذا اشارة الى التخويف ثم قال ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا اي كما انهم
ملعونين في الدنيا عندكم فلذلك هم يلعنون عند الله واعد لهم سعيرا كما قال لعنهم الله في
الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا خالدين فيها ابدا مطيلين المكث فيها مستمرين وقوله
فيها اي في السعير لانها مونثة او لانه في معنى جهنم ولا يجدون حال ثانية او من خالدين
لا يجدون وليا ولا نصيرا اي لا صديق يشفع لهم ولا ناصر يدفع عنهم قوله تعالى يوم معمول
لخالدين او لمحذوف او لنصيرا او لاذكر وليقولون بعده وقرا العامة تقلب مبنيا للمفعول
وجوههم رفع على ما لم يسم فاعله وقرا الحسن وعيسى والرواسي بفتح التا اي تتقلب وجوههم
فاعل به وابو حيوة نقلب بالنون اي نحن وجوههم بالنصب وعيسى تقلب بضم التاء وكسر
اللام اي تقلب السعير او الملائكة وجوههم بالنصب على المفعول به يقولون ويا ليتنا
محكى

فصل

تقليب وجوههم في النار ظهرا لبطن كانوا يسحبون عليها يقولون
اطعنا الله واطعنا الرسول في الدنيا قوله تعالى سادتنا قرا ابن عامر في الاحزاب بالجمع
بالالف والتا قال البغوي على جمع الجمع والباقون سادتنا على انه جمع تكسير غير مجموع
بالف وتاء ثم سادة يجوز ان يكون جمعا لسيد ولكن لا ينقاس لان فعيلا لا يجمع على فعلة
وسادة فعلة اذ الاصل سودة ويجوز ان يكون جمعا لسايد نحو فاجر وفجرة وكافر وكفرة
وهو اقرب الى القياس مما قبله وابن عامر جمع هذا ثانيا بالالف والتا وهو غير مقيس
ايضا نحو بيوتات وجمالات

فصل

لما بين انه لا شفيع لهم يدفع عنهم العذاب
بين ان بعضا عطايه ايضا لا يدفع العذاب عن البعض بخلاف عذاب الدنيا فان
الانسان يدفع عن وجهه الضربة اتقا بيده فان من يقصد راسه ووجهه يجعل يده جنة
لوجهه ووقاية له يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول في الدنيا فيندمون حيث
لا ينفعهم الندامة ثم يقولون ربنا انا اطعنا سادتنا اي اطعنا السادة بدل طاعة الله
وطاعة الرسول فاضلونا السبيل ربنا اتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كثيرا قرا عاصم
كبيرا بالبا الموحدة والباقون بالمثلثة وتقدم معناها في البقرة والمراد بضعفين من
العذاب اي ضعفي عذاب غيرهم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين
اذوا موسى الاية لما بين ان من يوذي الله ورسوله يلعن ويعذب وكان ذلك اشارة الى
ان الايذا كفر ارشد المومنين الى الامتناع من الايذا لمن هو دونه وهو لا يورث كفرا وهو
من لم يرض بقسمة النبي صلى الله عليه وسلم وحكمه فقال لا تكونوا كالذين اذوا موسى قال
بعضهم ايذاوهم لموسى نسبته عيب في بدنه وقيل ان قارون قال لامراة قولي ان موسى
قد وقع في فاحشة والايذا المذكور في القران كاف وهو قولهم اذهب انت وربك
فقاتلا وقولهم لن نصبر على طعام واحد الى غير ذلك فقال للمومنين لا تكونوا امثالهم

اذا طلبكم الرسول صلى الله عليه وسلم للقتال لا تقولوا اذهب انت وربك فقاتلا واذا امركم
الرسول بشي فاتوا منه ما استطعتم وبتراه نبراه الله مما قالوا على الاول ظاهر لانه ابرز
جسمه لقومه فراوه وعلموا فساد اعتقادهم ونطقت المراة بالحق وامر ملا بكته حتى عبروا
بهارون فراوه غير مجروح فعلموا براه موسى صلوات الله عليهم عن ما رموه به وعلى الثاني
نبراه الله مما قالوا اي اخرجه عن عهدة ما طلبوا باعطايه البعض اياهم واظهاره عدم جواز البعض
وقطع حجتهم ثم ضرب عليهم الذلة والمسكنة وغضب عليهم قوله تعالى عند الله العامة على
عند الظرفية المجازية وابن مسعود والاعمش وابو حيوة عبدا من العبودية لله جار ومجرور
وهي حسنة قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في رمضان فسمعته يقرا بقراءة ابن
مسعود هذه قال شهاب الدين وكان مولعا بنقل الشاذة وما في مما قالوا اما مصدرية واما
بمعنى الذي ووجيها كريما ذا جاه يقال وجه الرجل يوجه وجاهة فهو وجيه اذا كان ذا جاه
وقدر قال ابن عباس رضي الله عنه كان حظيا عند الله لا يسال شيا الا اعطاه وقال الحسن
كان مستجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولا واختلفوا فيما اوذي به موسى فروي ابو هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى
من جلده شي استحيا منه فاذاه من اذاه من بني اسرايل فقالوا ما يستتر هذا الستر الا من عيب بجلده
اما برص واما ادرة واما افة وان الله اراد ان يبريه مما قالوا فخلا يوما وحده فخلع فوضع
ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل الى ثيابه لياخذها وان الحجر عدا بثوبه فاخذ موسى
عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملا من بني اسرايل فراوه
عريانا احسن ما خلق الله وابراه مما يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه واستتر وطفق بالحجر
يضربه بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من اثر ضربه ثلاثا او اربعا او خمسا وقيل لما مات هارون
في التيه ادعوا على موسى انه قتله فامر الله الملائكة حتى مروا به على بني اسرايل فعرفوا انه لم
يقتله ولم يروا ببدنه جرحا وقال ابو العالية ان قارون استاجر امراة لتقذف موسى بنفسها
على راس الملا فعصمه الله سبحانه وتعالى وبرا موسى واهلك قارون وروى ابو وايل قال
سمعت عبد الله قال قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما فقال رجل ان هذه لقسمة ما اريد
بها وجه الله فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فغضب حتى رايت الغضب في وجهه
ثم قال يرحم الله موسى لقد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وقولوا قولا سديدا قال ابن عباس رضي الله عنه صوابا وقال قتادة عدلا
وقال الحسن صدقا وقيل مستقيما وقال عكرمة رضي الله عنه هو قول لا اله الا الله يصلح لكم
اعمالكم قال ابن عباس يتقبل حسناتكم وقال مقاتل يزكي اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن
يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما لان النجاة من العذاب تعظم بعظم العذاب فان من
اراد ان يضرب عبده سوطا ثم نجاه منه لا يقال فاز فوزا عظيما ويحتمل انه اراد بالفوز العظيم
الثواب الكثير الدايم الابدي قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
وهذا اما حقيقة واما تمثيل وتخييل واراد بالامانة الطاعة والفرايض التي فرضها الله عز وجل
على عباده عرضها على السموات والارض والجبال على انهم ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم
قاله ابن عباس وقال ابن مسعود الامانة اداء الصلوات وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج
البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال والميزان واشد من هذا كله الودايع
وقال مجاهد الامانة الفرايض وحدود الدين وقال ابو العالية ما امروا به ونهوا عنه وقال
زيد بن اسلم هي الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من الشرايع وقال عبد الله بن عمرو بن
العاص اول ما خلق الله تعالى فرجه وقال هذه امانة استودعتكها فالفرج امانة والاذن
امانة والعين امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وقيل هي امانات
الناس والوفا بالعهود فحق على كل مومن ان لا يغش مومنا ولا معاهدا في شي قليل ولا
كثير وهذه رواية الضحاك عن ابن عباس وجماعة من التابعين واكثر السلف ان الله تعالى
عرض هذه الامانة على السموات والارض والجبال فقال لهن اتحملن هذه الامانة بما
فيها قلن وما فيها فقال ان احسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن فقلن لا يا رب

نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لله خوفا ان لا
يقوموا بها لا معصية ولا مخالفة وكان العرض عليهن تخييرا لا الزاما ولو الزمهن لم يمتنعن من
حملها والجمادات كلها خاشعة لله عز وجل مطيعة ساجدة له كما قال تعالى للسموات والارض
ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين وقال في الحجارة وان منها لما يهبط من خشية الله وقال
عز وجل الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر
والدواب الاية وقال بعضهم ركب الله عز وجل فيهن العقل والفهم حين عرض الامانة عليهن
حتى عقلن الخطاب واجبن بما اجبن وقيل المراد من العرض على اهل السموات عرضها على من فيها
من الملايكة وقيل المراد المقابلة اي قابلنا الامانة مع السموات فرجحت الامانة وهي الدين
والاول اصح وهو قول اكثر العلما قوله تعالى فابين اي بضمير هذه كضمير الاناث لان جميع
التكسير غير العاقل يجوز فيه ذلك وان كان مذكرا وانما ذكرنا ذلك لييلا يتوهموا انه قد غلب
المونث وهو السموات على المذكر وهو الجبال واعلم انه لم يكن اباهن كاباء ابليس في قوله
تعالى فابا ان يكون مع الساجدين لان السجود هناك فرضا وههنا الامانة كانت عرضا والابا
هناك كان استكبارا وههنا استصغارا لقوله تعالى واشفقن منها اي خفن من الامانة ان
لا يوديها فيلحقن العقاب وحملها الانسان يعني ادم صلوات الله عليه فقال لادم اني عرضت
الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل انت اخذها بما فيها فقال يا رب
وما فيها قال ان احسنت جوزيت وان اسات عوقبت فتحملها ادم صلوات الله عليه وقال
بين اذني وعاتقي فقال الله عز وجل اما اذا تحملت فساعينك اجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت
ان تنظر الى ما لا يحل لك فارخ عليه حجابه واجعل للسانك لحيين وغلقا فاذا خشيت فاغلق
واجعل لفرجك سترا فاذا خشيت فلا تكشفه على ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين ان
تحملها وبين ان اخرج من الجنة الا مقدار ما بين الظهر الى العصر انه كان ظلوما جهولا قال
ابن عباس ظلوما لنفسه جهولا بامر الله وما احتمل من الامانة وقال الكلبي ظلوما حين عصى
ربه جهولا لا يدري ما العقاب في ترك الامانة وقال مقاتل ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة
ما تحمل وذكر الزجاج وغيره من اهل المعاني في قوله تعالى وحملها الانسان قولا فقالوا
ان الله ايتمن ادم واولاده على شي وايتمن اهل السموات والارض والجبال على شي فالامانة
في حق بني ادم ما ذكرنا من الطاعة والقيام بالفرايض والامانة في حق السموات والارض
والجبال هي الخضوع والطاعة لما خلقهن له فابين ان يحملنها اي ادين الامانة فقال
فلان لم يتحمل الامانة اي لم يخن فيها وحملها الانسان اي خان فيها ويقال فلان حمل الامانة
اي اثم فيها بالخيانة قال تعالى وليحملن اثقالهم انه كان ظلوما جهولا حكى عن الحسن
على هذا التاويل انه قال وحملها الانسان يعني الكافر والمنافق حملا الامانة اي
خانا والاول قول السلف قوله تعالى ليعذب متعلق بقوله وحملها فقيل هي لام
الصيرورة لانه لم يحملها لذلك وقيل لام العلة على المجاز لما كانت نتيجة حمله ذلك جعلت
كالعلة الباعثة **فصل** قال مقاتل ليعذب المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات بما خانوا الامانة ونقضوا الميثاق ثم قال تعالى ويتوب الله على
المومنين والمومنات وقرا الاعمش برفع ويتوب على الاستيناف اي يهديهم ويرحمهم بما ادوا
من الامانة وقال ابن قتيبة عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما
الله ويظهر ايمان المومن فيتوب الله عليه اي يعود عليه بالرحمة والمغفرة ان حصل منه تقصير
في الطاعات وعطف المشرك على المنافق ولم يعد اسمه تعالى فلم يقل ويعذب الله المشركين
وعند التوبة اعاد اسمه وقال ويتوب الله على المومنين والمومنات كان المعنى حاصلا
ولكنه اراد تفضيل المومن على المنافق فجعله كالكلام المستانف ويجب هناك ذكر الفاعل
فقال ويتوب الله ثم قال وكان الله غفورا رحيما لما ذكر في الانسان وصفين الظلوم
والجهول ذكر من اوصافه وصفين فقال وكان الله غفورا رحيما اي كان غفورا للظلم رحيما
على الجهول روى الثعلبي عن ابي امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم تسليما كثيرا

سورة سبا مكية

وهي خمس وخمسون اية وثمان ماية وثلاث وثمانون كلمة واربعة الاف وخمساية واثنى عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الحمد لله الذي له ما في السموات اعلم ان السورة المفتتحة بالحمد خمس سورتان منها
في النصف الاول وهما الانعام والكهف وسورتان في النصف الاخر وهما هذه وسورة الملايكة
والخامسة هي فاتحة الكتاب تقرا مع النصف الاول ومع النصف الاخر والحكمة فيها ان نعم الله
مع كثرتها وعدم قدرتنا على احصايها منحصرة في قسمين نعمة الايجاد ونعمة الابقا فان الله تعالى
خلقنا اولا برحمته وخلق لنا ما يقوم به وهذه النعمة توجد مرة اخرى بالاعادة فانه يخلقنا مرة
اخرى ويخلق لنا ما يدوم به فلنا حالتان الابدا والاعادة وفي كل حالة له تعالى علينا نعمتان نعمة
الايجاد ونعمة الابقا فقال في النصف الاول الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات
والنور اشارة الى الشكر على نعمة الايجاد ويدل عليه قوله تعالى الذي خلقكم من طين فاشار الى
الايجاد الاول وقال في السورة الثانية الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما
لينذر فاشار الى الشكر على نعمة الابقا فان الشرايع بها البقا ولولا الشرع لتنفاد له لاتبع كل
احد هواه ووقعت المنازعات وادت الى التقابل والتفاني وقال ههنا الحمد لله الذي له ما في السموات
اشارة الى نعمة الايجاد الثاني بدليل قوله وله الحمد في الاخرة وقال في الملايكة الحمد لله فاطر
السموات والارض اشارة الى نعمة الابقا بدليل قوله تعالى جاعل الملايكة رسلا اي يوم القيمة
يرسلهم الله مسلمين على المسلمين كما قال تعالى وتتلقاهم الملايكة وقال تعالى عنهم سلام عليكم
طبتم فادخلوها خالدين وفاتحة الكتاب لما اشتملت على ذكر نعمتين اشار بقوله الحمد لله رب العالمين
الى النعمة العاجلة واشار بقوله تعالى ملك يوم الدين الى النعمة الاجلة ورتب الافتتاح والاختتام
عليها فان قيل فذكر تمام الحمد ههنا اشارة الى النعم التي في الاخرة فلما ذا ذكر الله السموات والارض
فالجواب ان نعم الاخرة غير مرئية فذكر الله النعم المرئية وهي ما في السموات وما في الارض
ثم قال وله الحمد في الاخرة ليقاس نعم الاخرة بنعم الدنيا ويعلم فضلها بدوامها قوله تعالى الذي
له يجوز فيه ان يكون تابعا وان يكون مقطوعا نصبا او رفعا على المدح فيهما وما في السموات يجوز ان
يكون فاعلا به وهو الاحسن وان يكون مبتدا قوله تعالى في الاخرة يجوز ان يتعلق بنفس الحمد
وان يتعلق بما تعلق به خبره وهو الحكيم يجوز ان يكون معترضا اذا اعربنا تعلم حالا موكده من ضمير
الباري تعالى ويجوز ان يكون يعلم مستانفا وان يكون حالا من الضمير في الخبير **فصل**
له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا وله الحمد في الاخرة كما هو له في الدنيا لان النعم في الدارين
كلها منه وقيل الحمد في الاخرة هو حمد اهل الجنة كما قال تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا
الحزن والحمد لله الذي صدقنا وعده وهو الحكيم الخبير فالحكمة هي العلم الذي يتصل به الفعل
فان من يعلم امرا ولا ياتي بما يناسب علمه لا يقال له حكيم والفاعل الذي فعله على وفق العلم هو
الحكيم الخبير هو الذي يعلم عواقب الامور وبواطنها فقوله تعالى حكيم اي في ابتداء الخلق كما ينبغي
وخبير اي بالانتها يعلم ما يصدر من المخلوق وما لا يصدر وهو حكيم في الابتدا خبير في الانتها ثم
بين كمال خبره بقوله عز وجل يعلم ما يلج في الارض اي يدخل فيها من الما والاموات وما يخرج
منها من النبات والاموات اذا حشروا قوله تعالى وما ينزل العامة على ينزل مفتوح اليا مخفف
الزاي مسندا الى ضميرها وعلي رضي الله عنه والسلمي نضمها وتشديد الزاي اي الله تعالى والمراد
الامطار والملايكة والقران وما يعرج فيها من الكلام الطيب لقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب
والملايكة والاعمال الصالحة لقوله والعمل الصالح يرفعه وقدم ما يلج في الارض على ما ينزل
من السما لان الحبة تبذر اولا ثم تسقى ثانيا وقال وما يعرج فيها ولم يقل ما يعرج اليها اشارة
الى قبول الاعمال الصالحة لان كلمة الى للغاية فلو قال وما يعرج اليها لفهم الوقوف عند السموات
فقال سبحانه وما يعرج فيها ليفهم نفوذها فيها وصعودها منها ولهذا قال في الكلم الطيب اليه

اليه يصعد الكلم الطيب لان الله هو المنتهى ولا مرتبة فوق الوصول اليه ثم قال وهو الرحيم الغفور
رحيم بالانزال حيث ينزل الرزق من السما غفور عندما يعرج اليه الارواح والاعمال ثم بين ان
هذه النعمة التي يستحق الله بها الحمد وهي نعمة الاخرة انكرها قوم فقال وقال الذين كفروا لا تاتينا
الساعة قوله تعالى بلى جواب لقولهم لا تاتينا وما بعدها قسم على ذلك وقرا العامة لتاتينكم
بالتانيث وقرا طلق بالياء فقيل اي البعث وقيل على معنى الساعة اي اليوم قاله الزمخشري ورده
ابو حيان بانه ضرورة كقوله • ولا ارض ابقل ابقالها •
وليس مثله وقيل اي والله يعني امره ويجوز على قياس هذا الوجه ان يكون عالم فاعلا لتاتينكم
في قراة من رفعه قوله تعالى عالم قرا الاخوان علام على صيغة المبالغة وخفضه نعتا لربي او
بدلا منه وهو قليل لكونه مشتقا ونافع وابن عامر عالم بالرفع على هو عالم او على انه مبتدا
وخبره لا يعزب او على ان خبره مضمر اي هو ذكره الحوفي وفيه بعد والباقون عالم بالخفض على
ما تقدم واذا جعل نعتا فلا بد من تقدير تعريفه وقد تقدم ان كل صفة يجوز تعرف بالاضافة
الا الصفة المشبهة وتقدمت قراتا يعزب في يونس اعلم ان الله تعالى رد على منكري الساعة
فقال تعالى قل بلى وربي لتاتينكم فاخبر باتيانها واكدها باليمين فان قيل انهم يقولون
لا رب وان كانوا يقولون به لكن المسئلة الاصولية لا تثبت باليمين فاجاب عن هذا بانه لم
يقتصر على اليمين بل ذكر الدليل وهو قوله تعالى ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات وبيان
كونه دليلا هو ان المسي قد يبقى في الدنيا مدة مديدة في اللذات العاجلة ويموت عليها
والمحسن قد يدوم في الدنيا في الالام الشديدة ويموت فيها فلولا دار يكون الجزاء لكان الامر
على خلاف الحكمة قوله تعالى لا يعزب مثقال ذرة في السموات ولا في الارض فيه لطيفة وهي
ان الانسان له جسم وروح فالاجسام اجزاوها في الارض والارواح في السما فقوله تعالى
لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات اشارة الى علمه بالارواح وقوله ولا في الارض اشارة الى
علمه بالاجسام فاذا علم الروح والاجسام وقدر على جمعها فلا استبعاد في الاعادة قوله تعالى
ولا اصغر العامة على رفع اصغر واكبر وفيه وجهان احدهما الابتداء والخبر قوله الا في كتاب
والثاني النسق على مثقال وعلى هذا فيكون الا في كتاب تاكيدا للنفي في لا يعزب كانه قال
لكنه في كتاب مبين وقرا قتادة والاعمش وروي عن ابي عمرو ونافع ايضا بفتح الرائين وفيها
وجهان احدهما انها لا التبرية بني اسمها معها والخبر قوله الا في كتاب والثاني النسق على ذره
ويقدم في يونس ان حمزة قرا بفتح را اصغر واكبر وهنا وافق على الرفع وتقدم البحث هناك
قال الزمخشري فان قلت هل جاز عطف ولا اصغر على مثقال وعطف ولا اكبر على ذره
قلت يابى ذلك حرف الاستثنا الا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات
قبل ان يكتب في اللوح لان ابانتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى انه لا ينفصل
عن الغيب بشي ولا يزل عنه الا مسطورا في اللوح قال ابو حيان ولا يحتاج الى هذا التاويل
اذا جعلنا الكتاب ليس اللوح المحفوظ وقرا زيد بن علي بخفض را اصغر واكبر وهي مشكلة
جدا وخرجت على انهما في نية الاضافة اذ الاصل ولا اصغره ولا اكبره وما لا ينصرف اذا اضيف
انجر في موضع الجر ثم حذف المضاف اليه ونوي معناه فترك المضاف بحاله وله نظاير كقولهم
• بين ذراعي وجبهة الاسد • ويا تيم تيم عدي • على خلاف •
وقد يفرق بان هنا ما يدل على المحذوف لفظا بخلاف هنا وقد رد بعضهم هذا التخريج
لوجود من لان افعل متى اضيف لم يجامع من واجيب عن ذلك بوجهين احدهما ان من ليست
متعلقة بافعل بل بمحذوف على سبيل البيان لانه لما حذف المضاف اليه ابهم المضاف
فبين بمن ومجرورها اي اعني من ذلك والثاني انه مع تقديره للمضاف اليه نوي طرحه فلذلك
اتي بمن ويدل على ذلك انه قد ورد التصريح بالاضافة مع وجود من قال الشاعر
• نحن بغرس الودي اعلمنا منا بركض الجياد في السدف •
وخرج على هذين الوجهين اما التعلق بمحذوف واما نية اطراح المضاف اليه وهذا كله احتاجوا
الى تاويل الجمع بين ال ومن في افعل كقوله • ولست بالاكثر منهم حصى •
وهذه توجيهات شذوذ ويكفي فيها مثل ذلك **فصل** قوله ولا اصغر من ذلك

اشارة

اشارة الى ان مثقال لم يذكر للتحديد بل الاصغر منه لا يعزب فاي حاجة الى ذكر الاكبر وان
من علم الاصغر من الذره لا بد وان يعلم الاكبر فالجواب لما كان الله تعالى اراد بيان اثبات الامور
في الكتاب فلو اقتصر على الاصغر لتوهم متوهم انه يثبت الصغار لكونها محل النسيان واما
الاكبر فلا ينسى فلا حاجة الى اثباته فقال الاثبات في الكتاب ليس كذلك فان الاكبر ايضا
فيه مكتوب ثم لما بين علمه بالصغاير والكباير ذكر ان جميع ذلك واثباته للجزا فقال ليجزي
الذين امنوا وعملوا الصالحات قوله تعالى ليجزي فيه اوجه احدها انه متعلق بلا يعزب
وقال ابو البقا يعني لا يعزب اي يحصي ذلك ليجزي وهو احسن او بقوله لتاتينكم او بالعامل في
قوله الا في كتاب اي الا استقر ذلك في كتاب مبين ليجزي **فصل** اعلم انه تعالى ذكر
فيهم امرين الايمان والعمل الصالح وذكر لهم امرين المغفرة والرزق الكريم فالمغفرة جزاء الايمان
فكل مومن مغفور له لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله
صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لا اله الا الله ومن في قلبه وزن ذرة من ايمان
والرزق الكريم على العمل الصالح وهذا مناسب فان من عمل لسيد كريم عملا فعند فراغه من
العمل لا بد وان ينعم عليه ويتقدم وصف الرزق بالكريم انه يعني ذا كرم او مكرم او لانه ياتي من
غير طلب بخلاف رزق الدنيا فانه ان لم يطلب ويتسبب اليه لا ياتي فان قيل ما الحكمة في تمييزه
الرزق بوصفه بانه كريم ولم يوصف المغفرة فالجواب لان المغفرة واحدة وهي للمومنين واما
الرزق فمنه شجرة الزقوم والحميم ومنه الفواكه والشراب الطهور فميز الرزق لحصول الانقسام
فيه ولم يميز المغفرة لعدم الانقسام فيها **فصل** قوله تعالى اوليك لهم مغفرة ورزق
كريم يحتمل وجهين احدهما ان يكون ذلك لهم جزاء فيوصله اليهم لقوله تعالى ليجزي الذين امنوا
وثانيهما ان يكون ذلك لهم والله يجزيهم بشي اخر لان قوله اوليك لهم جملة تامة اسمية وقوله
تعالى ليجزي الذين امنوا جملة فعلية مستقلة وهذا ابلغ في البشارة من قول القايل ليجزي
الذين امنوا وعملوا الصالحات رزقا **فصل** اللام في ليجزي للتعليل ومعناه الاخرة
للجزا فان قيل فما وجه المناسبة فالجواب ان الله تعالى اراد ان لا ينقطع ثوابه فجعل للمكلف
دارا باقية يكون ثوابه واصلا اليه فيها دايما ابدا وجعل قبلها دارا فيها الالام والاسقام وفيها
الموت ليعلم المكلف مقدار ما يكون فيه في الاخرة اذا نسبه الى ما قبله قوله تعالى والذين سعو
يجوز فيه وجهان اظهرهما انه مبتدا واوليك وما بعده خبره والثاني انه عطف على الذين قبله ويجزي
الذين سعوا ويكون اوليك الذي بعده مستانفا واوليك الذي قبله وما في خبره معترضا بين
المتعاطفين **فصل** والذين سعوا في اياتنا معجزين اي سعيا ابطال ادلتنا معجزين
يحسبون انهم يفوتوننا وقد تقدم في الحج قراتا معاجزين واعلم انه تعالى لما بين حال المومنين
يوم القيمة بين حال الكافرين والمراد بهم الذين كذبوا باياتنا وقوله معجزين اي سعوا في ابطالها
لان المكذب ات باخفا ايات بينات فيحتاج الى السعي العظيم والجد البليغ ليروج كذبه لعله
يعجز المتمسك به قوله تعالى اوليك لهم عذاب من رجز اليم قرا ابن كثير وحفص هنا وفي
الجاثية اليم بالرفع والباقون بالخفض فالرفع على انه نعت لعذاب والخفض على انه نعت لرجز
الا ان مكيا ضعف قراة الرفع واستبعدها قال لان الرجز هو العذاب فيصير التقدير عذاب اليم
من عذاب وهذا المعنى غير ممكن قال والاختيار خفض اليم لانه اصح في التقدير والمعنى اذ تقديره
لهم عذاب من عذاب اليم اي هذا الصنف من اصناف العذاب لان العذاب بعضه الم من بعض
واجيب بان الرجز مطلق العذاب فكانه قيل لهم هذا الصنف من العذاب من جنس العذاب
وكان ابا البقا لحظ هذا حيث قال وبالرفع صفة لعذاب والرجز مطلق العذاب **فصل**
قال قتادة الرجز اسوا العذاب فيكون من لبيان الجنس كقولك خاتم من فضة قال ابن الخطيب
رحمه الله قال هناك لهم رزق كريم ولم يقابله بمن التبعيضية فلم يقل لهم نصيب من رزق ولا
رزق من جنس كريم وقال ههنا لهم عذاب من رجز اليم بلفظة صالحة للتبعيض وذلك اشارة
الى سعة الرحمة وقلة الغضب وقال هناك مغفرة ثم قال ورزق كريم وههنا لم يقل الا لهم عذاب
فزادهم هناك الرزق الكريم وههنا لم يزدهم على العذاب وفيما قاله نظر لقوله تعالى في موضع
اخر زدناهم عذابا فوق العذاب قوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم فيه وجهان احدهما

انه عطف على ليجزي قال الزمخشري اي وليعلم الذين اوتوا العلم عند مجي الساعة
وانما قيده بقوله عند مجي الساعة لانه علق ليجزي بقوله لتاتينكم فبني هذا عليه وهو من
احسن ترتيب والثاني انه مستانف اخبر عنهم بذلك والذي انزل هو المفعول وهو فصل
والحق مفعول ثان لان الروية علمية وقرا ابن ابي عبلة الحق بالرفع على انه خبر هو والجملة
في موضع المفعول الثاني وهو لغة تميم يجعلون ما هو فصل مبتدا وخبر ومن ربك حال على
القراتين **فصل** لما بين حال من سعى في التكذيب في الاخرة بين حاله في الدنيا
وهو ان سعيه باطل فان من اوتي علما لا يعتبر تكذيبه وهو يعلم ان ما انزل الي محمد صلوات
الله البر الرحيم وسلامه عليه حق وصدق فقوله تعالى هو الحق يفيد الحصر اي ليس الحق
الا ذلك واما قول المكذب فباطل بخلاف ما اذا تنازع خصمان والنزاع لفظي فيكون قول
كل واحد حقا في المعنى قال المفسرون ويري الذين اوتوا العلم يعني مومني اهل الكتاب
عبد الله بن سلام واصحابه الذي انزل اليك من ربك هو الحق يعني القران هو الحق يعني
انه من عند الله قوله تعالى ويهدي فيه اوجه احدها انه مستانف وفي فاعله احتمالان
اظهرهما انه ضمير الذي انزل وهو القران والثاني ضمير اسم الله تعالى ويتعلق هذا القول
الي صراط العزيز الحميد اذ لو كان لذلك لقيل الي صراطه ويجاب انه من الالتفات ومن ابراز
المضمر ظاهرا تنبيها على وصفه بهاتين الصفتين الوجه الثاني انه معطوف على موضع الحق
وان معه مضمرة تقديره هو الحق والهداية الثالث انه عطف على الحق عطف فعل على
اسم لانه في تاويله كقوله تعالى صافات ويقبضن اي وقابضات كما عطف الاسم على الفعل
بمعناه كقوله • فالفيته يوما يبير عدوه • ومجر عطاء يستحق المعابرا •
كانه قيل وليروه الحق وهاديا الرابع ان ويهدي حال من الذي انزل ولا بد من اضمار
مبتدا اي وهو يهدي كقوله • نجوت وارهنهم مالكا •
وهو قليل جدا ثم قال الي صراط العزيز الحميد وهاتان الصفتان يفيدان الرهبة والرغبة
فالعزيز يفيد التخويف والانتقام من المكذب والحميد يفيد الترغيب في الرحمة للمصدق قوله
تعالى وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل لما بين حال المكذب بالساعة ورد عليه بقوله
قل بلي وربي لتاتينكم ثم بين ما يكون بعد اتيانها من جزاء المومن على عمله الصالح وجزا الساعي
في تكذيب الايات بالتعذيب على السيات وبين حال الكافر والمومن بعد قوله صلوات الله
وسلامه عليه بلي وربي لتاتينكم فقال المومن الذي انزل اليك من ربك الحق وقال الكافر
المنكر للبعث متعجبا هل ندلكم على رجل ينبيكم يخبركم يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وهذا
كقول القايل في الاستبعاد جاء رجل يقول ان الشمس تطلع من المغرب الي غير ذلك من المحالات
قوله تعالى اذا مزقتم اذا منصوب بمقدر اي تبعثون وتحشرون وقت تمزيقكم لدلالة انكم لفي
خلق جديد عليه ولا يجوز ان يكون العامل ينبيكم لان التنبية لم يقع ذلك الوقت ولا خلق جديد
لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها ومن توسع في الظرف اجازه هذا اذا جعلنا اذا ظرفا محضا
فان جعلناه شرطا كان جوابها مقدرا اي تبعثون وهو العامل في اذا عند جمهور النحاة وجوز
الزجاج والنحاس ان تكون معمولة لمزقتم وجعله ابن عطية خطا وافسادا للمعنى قال ابو
حيان وليس بخطا ولا افساد وقد اختلف في العامل في اذا الشرطية والصحيح ان العامل فيها
فعل الشرط كاخواتها من اسما الشرط قال شهاب الدين والجمهور على خلافه ثم قال ابو حيان
والجملة الشرطية تحتمل ان تكون معمولة لينبيكم لانه في معنى يقول لكم اذا مزقتم تبعثون ثم
اكد ذلك بقوله تعالى انكم لفي خلق جديد ويحتمل ان يكون انكم لفي خلق معلقا لينبيكم سادا
مسد المفعولين ولولا اللام لفتحت ان وعلى هذا فجملة الشرط اعتراض وقد منع قوم التعليق
في اعلم وبابها والصحيح جوازه قال حذار فقد نبيت انك للذي ستجزي بما تسعى فتسعد
او تشقى وقرا زيد بن علي بابدال الهمزة يا وعند بينكم من ابنا كالكرم وممزق فيه وجهان
احدهما انه اسم مصدر وهو قياس كل ما زاد على الثلاث ان يجي مصدره وزمانه ومكانه
على زنة اسم مفعوله اي كل تمزيق والثاني انه ظرف مكان قال الزمخشري رحمه الله اي
كل مكان تمزيق من القبور وبطون الوحش والطير ومن مجي مفعل بمعنى التفعيل قوله

• الم تعلمي مسرح القوافي • فلا عيا بهن ولا اجتلابا •
اي تسريحي والتمزيق والتقطيع يقال ثوب ممزق وممزوق ويقال مزقته فهو مازق وممزق
ايضا قال • اتاني انهم مزقون عرضي • وقال الممزق العبدي وبه سمي الممزق •
• فان كنت ماكولا فكن خير اكل • والا فادركني ولما امزق •
اي ولما ابل وافني وجديد عند البصريين بمعنى فاعل يقال جد الشي فهو جاد وجديد وعند
الكوفيين بمعنى مفعول من جده اي قطعته **فصل** المعنى ان الكفار قالوا لقومهم
متعجبين اي محمدا صلى الله عليه وسلم يقول انكم اذا متم ومزقتم وتقطعتم كل تقطيع ومزقتم
كل تمزيق وصرتم ترابا انكم لفي خلق جديد اي تخلقون خلقا جديدا قوله تعالى افترى هذه
همزة استفهام وحذفت لاجلها همزة الوصل فلذلك ثبتت هذه الهمزة وصلا وابتداء قال البغوي
رحمه الله هذه الف استفهام دخلت على الف الوصل فلذلك نصبت على الله كذبا وبهذه الاية
استدل الجاحظ على ان الكلام ثلاثة اقسام صدق وكذب ولا صدق ولا كذب ووجه الدلالة
منه على القسم الثالث ان قوله تعالى ام به جنة لا جايز ان يكون كذبا بالاية لانه قسم الكذب
وقسيم غيره ولا جايز ان يكون صدقا لانهم لم يعتقدوه فثبت قسم ثالث واجيب عنه بان المعنى
ام لم تفتر ولكن عبر عن هذا بقولهم ام به جنة لان المجنون لا افترا له والظاهر في ام هذه
انها متصلة لانها تتقدر باي الشيين ويجاب باحدهما كانه قيل اي الشيين واقع افتراوه الكذب
ام كونه مجنونا ولا يضر كونها بعدها جملة لان الجملة بتاويل المفرد كقوله •
• لا ابالي ابث بالحزن بيسي • ام جفاني بظهر غيب لييم •
ومثله قول الاخر • لعمرك ما ادري وان كنت داريا • شعيث بن سهم ام شعيث بن منقر •
لان منقر جبر لا نعت كذا انشده بعضهم مستشهدا على انها جملة وفيه حذف التنوين مما قبل
ابن وليس بصفة وهذا اشارة الي البحث المتقدم في سورة التوبة **فصل** قوله
تعالى افترى على الله كذبا يحتمل ان يكون من تمام قول الكافرين اولا اي من كلام القايلين هل
ندلكم ويحتمل ان يكون من كلام السامع المجيب للقايل هل ندلكم كان السامع لما قيل له هل ندلكم
على رجل قال له هو مفتري على الله كذبا ان كان يعتقد خلافه او به جنة مجنون ان كان
لا يعتقد خلافه وفي هذا لطيفة وهي ان الكافر لا يرضي بان يظهر كذبه ولهذا قسم ولم يجزم
بانه مفتر بل قال مفتر او مجنون احترازا من ان يقول قايل كيف يقول فانه مفتر مع انه جاز ان
يظن ان الحق ذلك وظن الصدق يمنع تسمية القايل مفتريا وكاذبا في بعض المواضع ان ترى
ان من يقول جاء زيد فاذا تبين انه لم يجي وقيل له لم كذبت يقول ما كذبت وانما سمعت من فلان
فظننت انه صادق فيدفع الكذب عن نفسه بالظن فهم احترزوا عن نسبة كذبهم فكل عاقل ينبغي
ان يحترز عن ظهور كذبه عند الناس ولا يكون العاقل ادنى درجة من الكافر ثم انه تعالى
اجابهم مرة اخرى ردا عليهم فقال بل الذين كفروا في العذاب في مقابلة قولهم افتري على
الله كذبا وقوله في الضلال البعيد عن الحق في الدنيا وهذا في مقابلة قولهم به جنة وكلاهما
مناسب اما العذاب فلان نسبة الكذب الي الصادق موذ لانه شهادة عليه بانه يستحق العذاب
فجعل العذاب عليهم حيث نسبوا العذاب الي البري واما المجنون فلان نسبة الجنون الي العاقل
دونه في الايذا فانه لا يشهد عليه بانه يعذب وانما ينسبه الي عدم الهدايه فبين انهم هم
الضالون ثم وصف ضلالهم بالبعد لان من يسمي المهتدي ضالا يكون اضل والنبي صلى الله
عليه وسلم كان هادي كل مهتد صلى الله وسلم عليه قوله تعالى افلم فيه الروايات المشهورات
قرر الزمخشري اعموا فلم يروا وغيره يدعي ان الهمزة مقدمة على حرف العطف قوله تعالى من
السما بيان للموصول فيتعلق بمحذوف ويجوز ان يكون حالا فيتعلق به ايضا فقيل وثم حال
محذوفة تقديره افلم يروا الي كذا مقهورا تحت قدرتنا او محيطا بهم فيعلموا انهم حيث كانوا
فان ارضي وسماي محيطة بهم لا يخرجون من اقطارها وانا القادر عليهم قوله تعالى ان
نشا قرا الاخوان يشا يخسف يسقط بالياء في الثلاثة والباقون بنون العظمة فيها
وهما واضحتان وادغم الكسائي الفاء في الباء واستضعفها الناس من حيث ادغم الاقوي في
الاضعف قال الفارسي وذلك لا يجوز لان الباء اضعف في الصوت من الفاء فلا يدغم فيها

وان كانت البا تدغم فيها نحو اضرب فلانا كما تدغم البا في الميم كقولك اضرب مالكا وان
كانت الميم لا تدغم بالبا نحو اصمم بكرا لان البا حطت عن الميم بفقد الغنة وقال الزمخشري
رحمه الله وليست بالقوية وهذا لا ينبغي لانها تواترت **فصل** لما ذكر الدليل بكونه
عالم الغيب وكونه جازيا على السيات والحسنات ذكر دليلا اخر فيه التهديد والتوحيد
فاما دليل التوحيد فذكر السما والارض فانهما يدلان على الوحدانية كما تقدم مرارا ويدلان
على الحشر والاعادة لانهما يدلان على كمال القدرة لقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم واما التهديد فقوله تعالى ان يشا يخسف بهم الارض
او يسقط عليهم من السما كسفا اي يجعل عين نافعهم ضارهم بالخسف والكسف ثم قال
سبحانه ان في ذلك لاية اي فيما يرون من السماء والارض اية تدل على قدرتنا على البعث
لكل عبد منيب تايب راجع الى الله ثم انه تعالى لما ذكر من ينيب من عباده ذكر منهم من
اناب واصاب ومن جملتهم داود كما قال تعالى عنه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب
قوله تعالى ولقد اتينا داود منا فضلا فقوله منا اشارة الى بيان فضل داود لان قوله
تعالى ولقد اتينا داود فضلا مستقل بالمفهوم وتام كما يقول القايل اتى الملك زيدا
خلعة فاذا قال القايل اتاه منه خلعة يفيد انه كان من خاص ما يكون له فكذلك ايتا
الله الفضل عام لكن النبوة من عنده خاص بالبعض ونظيره قوله تعالى يبشرهم ربهم
برحمة منه ورضوان فان رحمة الله واسعة يصل الى كل احد لكن رحمته في الاخرة على
المومنين رحمة من عنده لخواصه والمراد بالفضل النبوة والكتاب وقيل الملك وقيل
جميع ما اوتي من حسن الصوت وتليين الحديد وغير ذلك مما خص به قوله تعالى يا جبال
يحكي بقول مضمر ثم ان شيت قدرته مصدرا ويكون بدلا من فضلا على جهة تفسيره به كانه
قيل اتيناه فضلا قولنا يا جبال وان شيت قدرته فعلا وحينئذ لك وجهان ان شيت
جعلته بدلا من اتينا معناه اتينا قلنا يا جبال وان شيت جعلته مستانفا قوله تعالى
اوبي العامة على فتح الهمزة وتشديد الواو امرا من التاويب وهو الترجيع وقيل التسبيح
بلغة الحبشة وقال القتيبي اصله من التاويب في السير وهو ان يسير النهار كله وينزل
ليلا كانه قال اوبي النهار كله بالتسبيح معه وقال وهب نوحي معه وقيل سيري معه
والتضعيف يحتمل ان يكون للتكثير واختار ابو حيان ان يكون للتعدي قال لانهم فسروه
برجعي معه التسبيح ولا دليل فيه لانه تفسير معنى وقرا ابن عباس والحسن وقتادة
وابن ابي اسحاق اوبي بضم الهمزة امرا من آب يووب اي ارجعي معه بالتسبيح قوله تعالى
والطير العامة على نصبه وفيه اوجه احدها انه عطف على محل جبال لانه منصوب تقديرا
الثاني انه مفعول معه قاله الزجاج ورد عليه بان قبله لفظ معه ولا يقتضي العامل
اكثر من مفعول معه واحد الا بالبدل او العطف لا يقال جا زيد مع بكر مع عمرو وقال شهاب
الدين رحمه الله وخله فهم الكسائي في نصبه حالين يقتضي مجيئه هنا الثالث انه
عطف على فضلا قاله الكسائي ولا بد من حذف مضاف تقديره اتينا فضلا وتسبيح الطير
الرابع انه منصوب باضمار فعل اي وسخرنا له الطير قاله ابو عمرو وقرا السلمي والاعرج
ويعقوب وابو نوفل وابو يحيى وعاصم في رواية والطبري بالرفع وفيه اوجه النسق
على لفظ جبال وانشد • الا يا زيد والضحاك سيرا • فقد جاوزتما خمر الطريق •
بالوجهين وفي عطف المعرف بال على المنادى المضموم ثلاثة مذاهب الثاني عطفه على
الضمير المستكن في اوبي وجاز ذلك للفصل بالظرف والثالث الرفع على الابتدا والخبر
مضمر اي والطير كذلك اي يووبه **فصل** لم يكن الموافقين له في التاويب منحصرا
في الطير والجبال ولكن ذكر الجبال لان الصخور للجمود والطير للنفور وكلاهما يستبعد منه
الموافقة فاذا وافقه هذه الاشيا فغيرها اولى ثم من الناس من لم يوافقه وهم القاسية
قلوبهم التي هي اشد قسوة قال المفسرون كان داود صلوات الله عليه اذا نادى بالنياحة
اجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه فصدى الجبال الذي يسمعه
الناس اليوم من ذلك وقيل كان داود اذا تخلل الجبال يسبح الله جعلت الجبال تجاوبه

بالتسبيح نحو ما يسبح وقيل كان داود اذا لحقه فتور اسمعه الله تسبيح الجبال تنشيطا له
قوله تعالى والنا عطف على اتينا وهو من جملة الفضل قال ابن الخطيب ويحتمل ان يعطف على
قلنا في قوله سبحانه يا جبال اوبي والنا **فصل** الان الله تعالى له الحديد حتى كان
في يده كالشمع والعجين يعمل منه ما يشا من غير نار ولا ضرب مطرقة وذلك في قدرة الله يسير
روي انه طلب من الله تعالى ان يغنيه عن اكل بيت المال فالان له الحديد وعلمه صنعة لبوس
وهو الدرع وانه اول من اتخذها وانما اختار الله له ذلك لانه وقاية للروح التي هي من امره
ويحفظ الادمي المكرم عند الله من القتل فالزراد خير من القواس والسياف وغيرهما لان
القوس والسيف وغيرهما من السلاح ربما يستعمل في قتل النفس المحرمة بخلاف الدرع قال صلى
الله عليه وسلم كان داود لا ياكل الا من عمل يده قوله تعالى ان اعمل فيها وجهان اظهرهما انها
مصدرية على حذف حرف الجر اي لان والثاني قاله الحوفي وغيره انها مفسرة لقوله تعالى والنا
اي النا له الحديد ليعمل سابغات ورد هذا بان شرطها تقدم ما هو بمعنى القول ولم يتقدم الا
النا واعتذر بعضهم عن هذا بان قدر ما هو بمعنى القول اي وامرناه ان اعمل ولا ضرورة تدعوا
الى ذلك وقري صابغات لاجل الغين وتقدم تقريره في لقمان عند واسبغ عليكم نعمه **فصل**
معنى سابغات اي كوامل واسعات طوالا تسحب في الارض وذكر الصفة ويعلم منها الموصوف
قوله تعالى وقدر في السرد والسرد نسج الدروع يقال لصانعه السراد والزراد والمعنى قدر
المسامير في حلق الدروع اي لا يجعل المسامير غلاظا فتنكسر الحلق ولا دقاقا فتتقلقل فيها ويقال
السرد المسمار في الحلقة يقال درع مسرودة اي مسمورة الحلق وقدر في السرد اي اجعله على
القصد وقدر الحاجة ويحتمل ان يقال السرد هو عمل الزرود وقوله عز وجل وقدر في السرد
اي انك غير مامور به امر ايجاب انما هو اكتساب والكسب يكون بقدر الحاجة وباقي الايام
والليالي للعبادة فقدر في ذلك العمل ولا تشغل جميع اوقاتك بالكسب بل حصل به القوت
فحسب ويدل عليه قوله تعالى واعملوا صالحا اي لستم مخلوقين الا للعمل الصالح فاعملوا ذلك
واكثروا منه والكسب فقدروا فيه ثم اكد طلب العمل الصالح بقوله اني بما تعملون بصير يريد
بهذا داود واله ثم لما ذكر المنيب الواحد ذكر منيبا اخر وهو سليمان لقوله تعالى والقينا على
كرسيه جسدا ثم اناب ثم ذكر ما استفاد من الانابة وهو قوله تعالى ولسليمن الريح العامة
على النصب باضمار فعل اي وسخرنا لسليمن وابو بكر بالرفع على الابتدا والخبر في الجار قبله او
محذوف وجوز ابو البقا ان يكون فاعلا معنى بالجار وليس بقوي لعدم اعتماده وكان وانفرد
في الانبيا عنه وقرا العامة الريح بالافراد والحسن وابو حيوة وخالد بن الياس الرياح جمعا
وتقدم في الانبيا ان الحسن يقرا مع ذلك بالنصب وهنا لم ينقل له ذلك فان قيل الواو في
قوله تعالى ولسليمن العطف فعلى قراة الرفع يصير عطفا للجملة الاسمية على فعلية وهو لا
يجوز ولا يحسن فالجواب انه لما بين حال داود فكانه قال لما ذكرنا لداود ولسليمن الريح واما
على النصب فعلى قوله والنا له الحديد كانه قال والنا لداود الحديد وسخرنا لسليمان الريح
قوله تعالى غدوها شهر مبتدا وخبر ولا بد من حذف مضاف اي غدوها مسيرة شهر او مقدار
غدوها شهر ولو نصب لجاز الا انه لم يقرا بها فيما علمنا وقرا ابن ابي عبلة غدوتها وروحتها على
المرة والجملة اما مستانفة واما في محل الحال **فصل** المعنى غدو تلك الريح المسخرة
له مسيرة شهر وسير رواحها شهر فكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين قال الحسن كان
يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما
مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند فان قيل ما الحكمة في قوله
في الجبال مع داود في الانبيا وفي هذه السورة فقال تعالى يا جبال اوبي معه وقال عز وجل
في الريح هناك وههنا لسليمان باللام فالجواب ان الجبال لما سبحت شرفت بذكر الله فلم يضفها
الى داود بلام الملك بل جعلها معه كالمصاحب والريح لم يذكر تسبيحها فجعلها كالمملوكة له قوله
تعالى وارسلنا له عين القطر اي اذبنا له عين النحاس والقطر النحاس قال المفسرون اجريت
له عين النحاس ثلاثة ايام بلياليهن كجري الما وكان بارض اليمن وانما ينتفع الناس اليوم بما اخرج
الله لسليمان صلوات الله عليه قوله تعالى من يعمل يجوز ان يكون مرفوعا بالابتدا

وخبره في الجار قبله اي من الجن من يعمل وان يكون في موضع نصب بفعل مقدر اي وسخرنا
له من يعمل من الجن يتعلق بهذا المقدر او بمحذوف على انه حال او بيان وباذن حال
اي ميسر باذن ربه والاذن مصدر مضاف لفاعله وقري ومن يزغ بضم اليا من ازاغ
ومفعوله محذوف اي يزغ نفسه اي يميلها ومن عذاب لابتدا الغاية او للتبعيض •

فصل قال ابن عباس رضي الله عنه سخر الله الجن لسليمان وامرهم
بطاعته فيما يامرهم ومن يزغ يعدل منهم من الجن عن امرنا به من طاعة سليمان نذقه
من عذاب اليم في الاخرة وقيل في الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده
سوط من نار فمن زاغ منهم عن امر سليمان ضربه ضربة احرقته قوله تعالى
يعملون ما يشا مفسر لقوله من يعمل ومن محاريب بيان لما يشا والمراد بالمحاريب المساجد
والابنية المرتفعة وكان مما عملوا له بيت المقدس ابتدا داود ورفعه قامة رجل فاوحى
الله اليه اني لم اقض ذلك على يدك ولكن ابن لك اسمه سليمان اقضي تمامه على يده
فلما توفاه الله استخلف سليمان صلوات الله عليه فاحب اتمام بنا بيت المقدس فجمع
الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال فخص كل طايفة منهم بعمل يستصلحه له فارسل
الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها الابيض من معادنه وامر ببنا المدينة بالرخام
والصفاح وجعلها اثني عشر ربضا وانزل على كل ربض منها سبطا من الاسباط وكانوا
اثني عشر سبطا فلما فرغ من بنا المدينة ابتدا في بنا المسجد فوجه الشياطين فرقا
يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدر الصافي من البحر وفرقا
يقلعون الجواهر من الحجارة من اماكنها وفرقا ياتون بالمسك والعنبر وساير الطيب
من اماكنها فاتي من ذلك بشي لا يحصيه الا الله عز وجل ثم احضر الصناع وامرهم بنحت
تلك الحجارة المرتفعة وتصييرها الواحا واصلاح تلك الجواهر وثقب الياقوت واللالي
فبنا المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده باساطين المها الصافي وسقفه
بالواح الجواهر الثمينة ونصص سقوفه وحيطانه باللالي واليواقيت وساير الجواهر
وبسط ارضه بالواح الفيروزج فلم يكن يومئذ في الارض بيت ابهى ولا انور من ذلك
المسجد كان يضي في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع احبار بني اسرايل
واعلمهم انه بناه لله وان كل شي فيه خالص لله واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ فيه
عيدا روي عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لما فرغ سليمان من بنا البيت المقدس سال ربه ثلاثا فاعطاه اياه وسال
ملكا لا ينبغي لاحد من بعده اثنين وانا ارجو ان اعطاه الثالثة سال حكما يصادف
حكمه فاعطاه اياه وساله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاعطاه وساله ان لا ياتي هذا
البيت احد يصلي ركعتين الا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وانا ارجو ان يكون قد
اعطاه ذلك قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزاه بخت نصر
فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد واخذ ما كان في سقوفه وحيطانه من الذهب
والفضة والدر والياقوت وساير الجواهر الى دار مملكته من ارض العراق وبنى الشياطين
لسليمان باليمن حصونا كثيرة عجيبة من الصخر قوله تعالى وتماثيل وهي النقوش التي
تكون في الابنية وقيل صورا من نحاس وصفر وشبه وزجاج ورخام وقيل كانوا يصورون
السباع والطيور وقيل كانوا يتخذون صور الملايكة والانبيا والصالحين في المساجد
ليراها الناس فيزدادوا عبادة ولعلها كانت مباحة في شريعتهم كما ان عيسى صلوات
الله عليه كان يتخذ صورا من طين فينفخ فيها فتكون طيرا قوله تعالى وجفان كالجوابي اي
كالجفان القصاع وقرا ابن كثير باثبات يا الجوابي وصلا ووقفا وابو عمرو وورش باثباتها
وصلا وحذفها وقفا والباقون بحذفها في الحالين وكالجواب صفة لجفان والجفان
جمع جفنة والجوابي جمع جابية كضاربة وضوارب والجابية الحوض العظيم سميت بذلك
لانه يجبى اليها الما اي يجمع واسناد الفعل اليها مجاز لانه يجبى فيها كما قيل خابية لما يخبا
فيها قال الشاعر • بجفان تعتري نادينا • من سديف حين هاج الصنبر •

كالجوابي

كالجوابي لا تني مترعه • لقري الاضياف او للمحتضر • وقال الاعشى
• نفى الذم عن ال المحلق جفنة • كجابية الشيخ العراقي تفهق •
وقال الافوه • وقدور كالربا راسية • وجفان كالجوابي مترعه •
قيل كان يقعد على الجفنة الواحدة الف رجل ياكلون منها قوله تعالى وقدور راسيات
ثابتات لها قوايم لا يحركن عن اماكنها ولا يبدلن ولا يعطلن وكان يصعد عليها بالسلاليم
وكانت باليمن قوله تعالى اعملوا ال داود شكرا يجوز في شكرا اوجه احدها انه مفعول به اي
اعملوا الطاعة سميت الصلوة ونحوها شكرا لسدها مسده والثاني انه مصدر من معنى اعملوا
كانه قيل اشكروا شكرا بعملكم او اعملوا عمل شكر الثالث انه مفعول من اجله اي لاجل الشكر
لقولك جيتك طمعا وعبدت الله رجاء غفرانه الرابع انه مصدر واقع موقع الحال اي شاكرين
الخامس انه منصوب بفعل مقدر من لفظه تقديره واشكروا شكرا السادس انه صفة لمصدر
اعملوا تقديره اعملوا عملا شكرا اي ذا شكر قال المفسرون معناه اعملوا يا ال داود بطاعة الله
شكرا له على نعمه واعلم انه كما قال عقيب قوله تعالى ان اعمل سابغات اعملوا صالحا قال عقيب
ما نعمله الجن له اعملوا ال داود شكرا اشارة الى ما تقدم من انه لا ينبغي ان يجعل الانسان نفسه
مستغرقة في هذه الاشيا وانما يجب الاكثار من العمل الصالح الذي يكون شكرا قوله تعالى وقليل
خبر مقدم ومن عبادي صفة له والشكور مبتدا والمعنى ان العامل بطاعتي شكرا لنعمتي قليل
قيل المراد من ال داود داود نفسه وقيل داود وسليمن صلوات الله عليهما واهل بيته فصل
قال جعفر بن سليمان سمعت ثابتا يقول كان داود نبي الله صلى الله عليه وسلم قد جزا ساعات
الليل والنهار على اهله فلم يكن ياتي ساعة من ساعات الليل والنهار الا وانسان من ال
داود قايم يصلي قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان قال اهل العلم كان
سليمان صلوات الله عليه يتحرر في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل
من ذلك واكثر يدخل فيه طعامه وشرابه فادخله في المرة التي مات فيها وكان بدو ذلك انه
كان لا يصبح يوما الا نبتت في محرابه ببيت المقدس شجرة فيسالها ما اسمك فتقول كذا وكذا فيامر
بها فتقطع فان كانت نبتت لغرس غرسها وان كانت لدوا كتبه حتى نبتت الخروبة فقال لها ما
انت قالت الخروبة قال لاي شي نبتت قالت لخراب مسجدك فقال سليمان ما كان الله ليخربه
وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حايط له ثم قال
اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم
يعلمون من الغيب اشيا ويعلمون ما في غد ثم دخل المحراب فقام يصلي متكيا على عصاه فمات
قايما وكان للمحراب كوى بين يديه وخلفه فكانت الجن يعملون تلك الاعمال الشاقة التي كانوا
يعملونها في حياته وينظرون الى سليمان فيرونه قايما متكيا على عصاه فيحسبونه حيا
فلا ينكرون خروجه الى الناس لطول صلوته فمكثوا يداتبون له بعد موته حولا كاملا
حتى اكلت الارضة عصى سليمان فخر ميتا فعلموا موته قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة
فهم ياتونها بالما والطين في جوف الخشب فذلك قوله تعالى ما دلهم على موته الا دابة
الارض وهي الارضة تاكل منساته اي عصاه قوله تعالى تاكل اما حال او مستانفة وقراه
ابن ذكوان منساته بهمزة ساكنة ونافع وابو عمرو بالف محضة والباقون بهمزة مفتوحة
والمنساة العصا اسم اله من نساه اي اخره كالمكسحة والمكنسة من نسات الغنم اي زجرتها
وسقتها ومنه نسا الله في اجله اي اخره وفيها الهمزة وهو لغة تميم وانشد •

• امن اجل حبل لا اباك ضربته • بمنساة قد جر حبلك احبلا •

والالف وهو لغة الحجاز وانشد

• اذا دببت على المنساة من كبر • فقد تباعد عنك اللهو والغزل •

فاما بالهمزة المفتوحة فهي الاصل لان الاشتقاق يدل بشهد له والفتح لاجل بنا مفعلة
كمكنسة واما سكونها ففيه وجهان احدهما انه ابدل الهمزة الفا كما ابدلها نافع وابو عمرو
وسياتي ثم ابدل هذه الالف همزة على لغة من يقول العالم والخاتم وقوله وخندف
هذا العالم ذكره ابن مالك قال شهاب الدين وهذا لا ادري ما حمله عليه كيف يعتقد

انه هرب من شي ثم يعود اليه وايضا فانهم نصوا على انه اذا ابدل من الالف همزة فان كان
لتلك الالف همزة اصل حركت هذه الهمزة بحركة اصل الالف وانشد ابن عصفور على ذلك
ولي نعام بني صفوان زوزأة قال الاصل زوزاه واصل هذا زوزوة فلما ابدل من الالف همزة
حركها بحركة الواو واذا عرف هذا فكان ينبغي ان يبدل هذه الالف همزة مفتوحة لانها عن اصل
متحرك وهو الهمزة المفتوحة فتعود الي الاول وهذا لا يقال الثاني انه سكن الفتحة تخفيفا
والفتحة قد سكنت في مواضع تقدم التنبيه عليها وشواهدها وحسنه هنا ان الهمزة تشبه
حرف العلة وحرف العلة تستثقل عليه الحركة من حيث الجملة وان كان لا يستثقل الفتحة لخفتها
وانشدوا على تسكين همزتها • صريع خمر قام من وكاته • كقومة الشيخ الي منساته •
وقد طعن قوم على هذه القراة ونسبوا رواتها الى الغلط قالوا لان قياس تخفيفها انما هو
تسهيلها بين بين وبه قرا ابن عامر وصاحباه فظن الراوي انهم سكنوا وضعفها ايضا بعضهم
بانه يلزم سكون ما قبل تا التانيث وما قبلها واجب الفتح الا الالف واما قراة الابدال
فقيل هي غير قياسية تعنون انها ليست على قياس تخفيفها الا ان هذا مردود بانها لغة
الحجاز ثابتة فلا يلتفت لمن طعن وقد قال ابو عمرو وكفى به انا لا اهمزها لاني لا اعرف
لها اشتقاقا فان كانت مما لا يهمز فقد اخطات وان كانت تهمز فقد يجوز لي ترك الهمز فيما
يهمز وهذا الذي ذكره ابو عمرو احسن ما يقول في هذا ونظايره وقرئ منساته بفتح الميم
مع تحقيق الهمزة وابدالها الفا وحذفها تخفيفا وقرئ منساته بزنة مفعالة كقولهم ميضاه
وميضاه وكلها لغات وقرا ابن جبير من ساته فصل من وجعلها حرف جر وجعل ساته
مجرورة بها والساة والسية هنا العصا واصلها يد القوس العليا والسفلى يقال ساة
القوس مثل شاه وسيتها فسميت العصا بذلك على وجه الاستعارة والمعنى تاكل من طرف
عصاه ووجه ذلك كما جا في التفسير انه اتكا على عصي خضرا من خروب والعصا خضرا متى
اتكى عليها تصير كالقوس في الاعوجاج غالبا وساه فعله وسيه فلة نحو شجه وقحة
والمحذوف لامها وقال ابن جني سمي العصا ساه لانها تسو وهي فله والعين محذوفة قال
شهاب الدين وهذا يقتضي ان تكون القراة بهمزة ساكنة والمنقول ان هذه القراة بالف
صريحة ولابي الفتح ان يقول اصلها الهمزة ولكن ابدلت قوله تعالى دابة الارض فيه وجهان
اظهرهما ان الارض هذه المعروفة والمراد بدابة الارض الارضة دويبة تاكل الخشب والثاني
ان الارض مصدر لقولك ارضت الدابة الخشبة تارضها ارضا اي اكلتها فكانه قيل دابة
الاكل يقال ارضت الدابة تارضها ارضا فارضت بالكسر تارض هي بالفتح ارضا بالفتح ايضا
نحو اكلت القوادح الاسنان تاكلها اكلا بالفتح ونحوه ايضا جدعت انفه جدعا فجدع هو
جدعا بفتح عين المصدر وقرا ابن عباس والعباس بن الفضل بفتح الراو هي مقوية المصدرية
في القراة المشهورة وقيل الارض بالفتح ليس مصدرا بل هو جمع ارضة وعلى هذا يكون
من باب اضافة العام الى الخاص لان الدابة اعم من الارضة وغيرها من الدواب قوله تعالى
فلما خر اي سقط الظاهر ان فاعله ضمير سليمان صلوات الله عليه وقيل عايد على الباب
لان الدابة اكلته فوقع وقيل بل اكلت عتبة الباب وهي الخارة وينبغي ان لا يصح اذ كان
يكون التركيب خرت بتا التانيث وابقل ابقالها صورة او بادروتا وبلها بمعنى العود
الذي منه قوله تعالى تبينت العامة على بنايه للفاعل مسندا للجن وفيه تاويلان احدها
انه على حذف مضاف تقديره تبين امر الجن اي ظهر وبان وتبين ياتي بمعنى لازما كقوله
• تبينت لي ان القماة ذلة • وان اعزا الرجال طيالها •
فلما حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وكان مما يجوز تانيث فعله لحقت علامة
التانيث وقوله ان لو كانوا بتاويل المصدر مرفوعا بدلا من الجن والمعنى ظهر كون الجن لو
علموا الغيب ما لبثوا في العذاب اي ظهر جهلهم الثاني ان تبين بمعنى بان وظهر ايضا والجن
فاعل ولا حاجة الى حذف مضاف وان لو كانوا بدل كما تقدم والمعنى ظهر الجن جهلهم للناس
لانهم كانوا يوهمون الناس بذلك كقولك بان زيد جهله الثالث ان تبين هنا متعدي
بمعنى ادرك وعلم وحينئذ يكون المراد بالجن ضعفتهم وبالضمير في كانوا كبارهم ومردتهم

وان لو كانوا مفعول به وذلك ان المردة والرؤسا كانوا يوهمون ضعفاهم انهم يعلمون الغيب فلما
خر سليمان ميتا ومكثوا بعده عاما في العمل تبينت السفلة من الجن ان الرؤسا منهم لو كانوا يعلمون
الغيب كما ادعوا ما مكثوا في العذاب ومن مجي تبين متعديا بمعنى ادرك قوله
• افاطم اني ميت فتبيني • ولا تجزعي كل الانام يموت •
اي تبيني ذلك وفي كتاب ابي جعفر ما يقتضي ان بعضهم قرا الجن بالنصب وهي واضحة اي تبينت
الانس الجن وان لو كانوا بدل ايضا من الجن قال البغوي قرا ابن مسعود وابن عباس رضي
الله عنهما تبينت الانس ان لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين اي علمت الانس
وايقنت ذلك وقرا ابن عباس ويعقوب تبينت الجن على البنا للمفعول وهي مؤيدة لما نقله النحاس
وفي الاية قراات كثيرة اضربت عنها لمخالفتها السواد وان في ان لو الظاهر انها مصدرية مخففة
من الثقيلة واسمها ضمير الشان ولو فاصلة بينها وبين خبرها الفعلي وتقدم تحقيق ذلك كقوله
تعالى وان لو استقاموا وان لو نشا اصبناهم وقال ابن عطية وذهب سيبويه الى ان ان لا موضع
لها من الاعراب انما هي موذنة بجواب ما ينزل منزلة القسم من الفعل الذي معناه التحقيق واليقين
لان هذه الافعال التي هي تحققت وتيقنت وعلمت ونحوها تحل محل القسم فالبثوا جواب القسم
لا جواب لو وعلى الاقوال الاول يكون جوابها قال شهاب الدين وظاهر هذا انها زايدة لانهم
نصوا على اطراد زيادة ما قبل لو في خبر القسم وللناس خلاف هل الجواب للواو للقسم والذي
يقتضيه القياس ان يجاب اسبقهما كما في اجتماعه مع الشرط الصريح ما لم يتقدمهما ذو خبر كما تقدم
بيانه وتقدم الكلام والقراات في سبا في سورة النمل **فصل** المعنى ان سليمن لما سقط
ميتا تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين اي في التعب والشقا مسخرين
لسليمان وهو ميت صلوات الله عليه يظنونه حيا اراد الله بذلك ان يعلم الجن انهم لا يعلمون
الغيب لانهم كانوا يظنون انهم يعلمون الغيب لغلبة الجهل وذكر الزهري رحمه الله ان معنى تبينت
الجن اي ظهرت وانكشفت الجن للانس اي ظهر لهم امرهم انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا قد شبهوا
على الانس ذلك ويويد هذا قراة ابن مسعود وابن عباس المتقدمة وقوله تعالى ما لبثوا في
العذاب المهين يدل على ان المومنين من الجن لم يكونوا في التسخير لان المومن لا يكون في زمان
النبي في العذاب المهين **فصل** روي ان سليمان صلوات الله عليه كان عمره ثلاثا
وخمسين سنة ومدة ملكه اربعون سنة وملك يوم ملك وهو ابن ثلاث عشرة وابتدا في بنا
بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه قوله تعالى لقد كان لسبا في مساكنهم اية قرا حمزة
وحفص مسكنهم بفتح الكاف مفردا والكسائي كذلك الا انه كسر الكاف والباقون مساكنهم جمعا
فاما الافراد فلعدم اللبس لان المراد الجمع كقوله • كلوا في بعض بطنكم تعفوا •
والفتح هو القياس لان الفعل متى ضمت عين مضارعه او فتحت جا المفعل منه زمانا ومكانا
ومصدرا بالفتح والكسر مسموع على غير قياس وقال ابو الحسن كسر الكاف لغة فاشية وهي لغة
الناس اليوم والكسر لغة الحجاز وهي قليلة وقال الفرا لغة يمانية فصيحة ومسكنهم يحتمل ان
يراد به المكان وان يراد به المصدر اي السكنى ورجح بعضهم الثاني قال لان المصدر يشمله
الكل فليس فيه وضع مفرد موضع جمع بخلاف الاول فان فيه وضع المفرد موضع الجمع كما تقدم
لكن سيبويه يا باه الا ضرورة كقوله • قد عض اعناقهم جلد الجواميس •
اي جلود واما الجمع فهو الظاهر لان كل واحد مسكن ورسم في المصاحف دون الف بعد الكاف
فلذلك احتمل القراات المذكورة **فصل** لما بين الله تعالى حال الشاكرين لنعمه بذكر
داود وسليمان بين حال الكافرين لانعمه بحكاية اهل سبا وقرئ سبا بالفتح على انه اسم
بقعة وبالجر مع التنوين على انه اسم قبيلة وهو الاظهر لان الله جعل الاية لسبا والظاهر
هو العاقل لا المكان فلا يحتاج الى اضمار الاهل وقوله اية اي من فضل ربهم دلالة على وحدانيتنا
وقدرتنا وكانت مساكنهم بمارب من اليمن واسم سبا عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان
وسمي سبا قيل لانه اول من سبا في العرب قال السهيلي رحمه الله ويقال انه اول من تتوج
وذكر بعضهم انه كان مسلما وكان له شعر يبشر فيه بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم
• سيملك بعدنا ملكا عظيما • نبي لا يرخص في الحرام •

يعني سليمان صلوات الله عليه

ويملك بعده منهم ملوك ۞ يدينون العباد بغير ذام
ويملك بعدهم منا ملوك ۞ يصير الملك فينا باقتسام
ويملك بعد قحطان نبي ۞ تقي مخبت خير الانام
يسمى احمدا يا ليت اني ۞ اعمر بعد مبعثه بعام
فاعضده واحبوه بنصري ۞ بكل مدجج وبكل رام
متى يظهر فكونوا ناصريه ۞ ومن يلقاه يبلغه سلامي

روي ابن عباس رضي الله عنه قال سال فروة بن مسيك الغطيفي النبي صلى الله عليه وسلم عن سبا ما هو اكان رجلا او امراة او ارضا قال بل هو رجل من العرب ولد عشرة من الولد فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم اربعة فاما الذين تيامنوا فمذحج وكندة والازد والاشعريون وانمار وحمير فقال رجل وما انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة واما الذين تشاموا فلخم وجذام وعاملة وغسان ولما هلكت اموالهم وخربت بلادهم تفرقوا في غور البلاد ونجدها اي شذر مذر فلذلك يقال لكل متفرقين بعد اجتماع تفرقوا ايادي سبا فنزلوا طوايف منهم الحجاز فمنهم خزاعة نزلوا ظاهر مكة ومنهم الاوس والخزرج نزلوا يثرب فكانوا اول من سكنها ثم نزلت عندهم ثلاث قبايل من اليهود بنوا قينقاع وبنوا قريظة والنضير فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا عندهم ونزلت طوايف اخر منهم الشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة وبهرا ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبا يجمع هذه القبايل كلها والجمهور على ان جميع العرب ينقسمون الي قسمين قحطانية وعدنانية فالقحطانية شعبان سبا وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر واما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم نسبها الي قحطان وبعضهم الي عدنان قيل ان قحطان اول من قيل له انعم صباحا وابيت اللعن قال بعضهم ان جميع العرب ينتسبون الي اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهما وليس بصحيح فان اسماعيل نشا بين جرهم بمكة وكانوا عربا والصحيح ان العرب العاربة كانوا قبل اسماعيل صلوات الله عليه منهم عاد وثمود وطسم وجديس واميم وجرهم والعماليق يقال ان اهم كان ملكا يقال اندا اول من سقف البيوت بالخشب المنشور وكانت الفرس تسميه ادم الاصغر وبنوه قبيلة يقال لها دبار وهلكوا بالرمل انثال عليهم فاهلكهم وطم مناهلهم وفي ذلك يقول بعض الشعرا

وكر دهر على دبار ۞ فهلكت عنوة وبار

قوله تعالى جنتان فيه ثلاثة اوجه الرفع على البدل من اية وابدل مثنى من مفرد لان هذا المفرد يصدق على هذا المثنى وتقدم مثله في قوله عز وجل وجعلنا ابن مريم وامه اية الثاني انه خبر مبتدا مضمر وضعف ابن عطية الاول ولم يبينه ولا يظهر ضعفه بل قوته وكانه توهم انهما مختلفان افرادا وتثنية فلذلك ضعف البدل عنده والله اعلم الثالث والبه نحا ابن عطية ان تكون جنتان مبتدا وخبره عن يمين وشمال ورده ابو حيان بانه ابتدا بنكرة من غير مسوغ واعتذر عنه بانه قد يعتقد حذف صفته اي جنتان لهم او جنتان عظيمتان فيصح ما ذهب اليه وقرا ابن ابي عبلة جنتين بالياء نصبا على خبر كان واسمها اية فان قيل اسم كان كالمبتدا ولا مسوغ للابتداء به حتى يجعل اسم كان والجواب انه تخصص بالحال المقدمة عليه وهي صفته في الاصل الا ترى انه لو تاخر لكان صفة لاية في هذه القراءة قوله تعالى عن يمين اما صفة لجنتان او خبر مبتدا مضمر اي هما عن يمين قال المفسرون اي عن يمين الوادي وشماله وقيل عن يمين من اتاها وشماله وكان لهم واد قد احاطت الجنتان بذلك الوادي قال الزمخشري اية اية في جنتين مع ان بعض بلاد العراق فيها الف من الجنان واجاب بان المراد ان لكل واحد جنتين او عن يمين ايديهم وشمالهم جماعتان من الجنان ولاتصال بعضها ببعض جعلها جنة واحدة قوله تعالى كلوا على اضمار القول اي قال الله او الملك كلوا من رزق ربكم وهذا اشارة الي تكميل النعمة عليهم واشكروا له على ما رزقكم من النعمة المعتبرة اي اعملوا له بطاعته قوله تعالى بلدة اي بلدتكم بلدة وربكم رب غفور والمعنى ان ارض سبا بلدة طيبة ليست بسبخة قال ابن زيد لم ير في بلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب ولا وبا ولا

وكان

وكان الرجل يمر ببلدتهم وفي ثيابه القمل فتموت القمل كلها من طيب الهوا فذلك قوله عز وجل بلدة طيبة اي طيبة الهوا ورب غفور قال مقاتل رحمه الله وربكم ان شكرتم فيما رزقكم رب غفور للذنوب وقيل رب غفور اي لا عقاب عليه ولا عذاب في الاخرة وقرا رويس بنصب بلدة ورب على المدح او اسكنوا واعبدوا وجعله ابو البقا مفعولا به والعامل فيه اشكروا وفيه نظر اذ يصير التقدير اشكروا لربكم ربا غفورا ثم انه تعالى لما بين ما كان من جانبه ذكر ما كان من جانبهم فقال فاعرضوا من كمال ظلمهم الاعراض بعد ابانة الاية كقوله تعالى ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها قال وهب ارسل الله الي سبا ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الي الله وذكروهم نعم الله عليهم وانذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله عز وجل علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا ان استطاع فذلك قوله عز وجل فاعرضوا ثم ذكر كيفية الانتقام منهم كما قال تعالى انا من المجرمين منتقمون وكيفيته انه تعالى ارسل عليهم سيلا غرق اموالهم وخرب دورهم قوله تعالى سيل العرم فيه اوجه احدها انه من باب اضافة الموصوف لصفته في الاصل اذ الاصل السيل العرم والعرم الشديد واصله من العرامة وهي الشراسة والصعوبة وعرم فلان فهو عارم وعرم وعرام الجيش منه الثاني انه من باب حذف الموصوف واقامة صفته مقامه تقديره فارسلنا عليهم سيل المطر العرم اي الشديد الكثير الثالث ان العرم اسم للبنا الذي يجعل سدا وانشد

من سبا الحاضرين اذ يبنون من دونه سيل العرما ۞

اي البنا القوي قال البغوي العرم والعرم جمع عرمة وهي السكر الذي يحبس الما الرابع ان العرم اسم للوادي الذي كان فيه الما نفسه وقال ابن الاعرابي العرم السيل الذي لا يطاق وقيل كان ما احمر ارسله الله عليهم من حيث شا الخامس انه اسم للجرذ وهو الفار وقيل هو الخلد وانما اضيف اليه لانه تسبب عنه اذ يروي في التفسير انه قرض السكر الي ان انفتح عليهم فغرقوا به وعلى هذه الاقوال الثلاثة تكون الاضافة اضافة صحيحة معرفة نحو غلام زيد اي سيل البنا او سيل الوادي الفلاني او سيل الجرذ وهولاء هم الذين ضربت بهم العرب في المثل للفرقة فقال تفرقوا ايدي سبا وقد تقدم **فصل** قال ابن عباس ووهب وغيرهما كان ذلك السد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ما واديهم فامرت بواديهم فسد بالعرم وهو المسناة بلغة حمير فسدت ما بين الجبلين بالصخور وجعلت له ابوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدة انهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الي الما واذا استغنوا سدوها فاذا جاء المطر اجتمع اليه ماء اودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فامرت بالباب الاعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث الاسفل فلا ينفد الما حتى يثوب الما من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم جرذا يسمى الخلد فنقب السد من اسفله فغرق الما جناتهم وخرب ارضهم قوله تعالى بجنتيهم جنتين قد تقدم في البقرة ان المجرور بالبا هو الخارج والمنصوب هو الداخل ولهذا اغلط من قال من الفقها فلو ابدل ضادا بظاء بطلت صلوته بل الصواب انه يقول ظاء بضاد قوله تعالى اكل خمط قرا ابو عمرو والكوفيون بضم كاف اكل غير مضاف لضمير المونثة وان نافعا وابن كثير يسكنونها فتفصل هناك تقدم تحريره فتكون القرا هنا على ثلاث مراتب الاولى لابي عمرو اكل خمط بضم كاف الاكل مضافا لخمط الثانية لنافع وابن كثير بسكون كافه وتنوينه الثالثة للباقين ضم كافه وتنوينه فمن اضاف جعل الاكل بمعنى الجنى والثمر والخمط قيل شجر الاراك وثمره يقال له البرير هذا قول اكثر المفسرين وقيل كل شجر ذي شوك وقال المبرد والزجاج كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله فهو خمط وقال ابن الاعرابي الخمط ثمرة شجرة يقال لها فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع به قال البغوي فمن جعل الخمط اسما للماكول فالتنوين في اكل حسن ومن جعله اصلا وجعل الاكل ثمرة فالاضافة فيه ظاهرة والتنوين سايغ تقول العرب في بستان فلان اعناب كرم واعناب كرم يترجم الاعناب بالكرم لانها منه قوله تعالى واثل وشيء من سدر

معطوفان على اكل لا على خمط لان الخمط لا اكل له وقال مكي لما لم يجز ان يكون الخمط نعتا
للاكل لان الخمط اسم شجر بعينه ولا بدلا لانه ليس الاول ولا بعضه وكان الجنى والثمر من الشجر
اضيف على تقدير من قولك هذا ثوب خز ومن نون فيحتمل وجها الاول انه جعل خمطا وما
بعده اما صفة لاكل قال الزمخشري رحمه الله او وصف الاكل بالخمط كانه قيل ذواتي اكل
بشع قال ابو حيان والوصف بالاسما لا يطرد وان كان قد جا منه
شي كقولهم مررت بقاع عرفج كله الثاني البدل من اكل قال ابو البقا وجعل خمطا اكلاه
لمجاورته اياه وكونه سببا له الا ان الفارسي رد كونه بدلا قال لان الخمط ليس بالاكل نفسه
وقد تقدم جواب ابي البقا واجاب بعضهم عنه وهو منتزع من كلام الزمخشري انه على حذف
مضاف تقديره ذواتي اكل اكل خمط قال والمحذوف هو الاول في الحقيقة الثالث انه
عطف بيان وجعله ابو علي احسن ما في الباب قال كانه بين ان الاكل هذه الشجرة الا ان
عطف البيان لا يجيزه البصريون في النكرات انما يخصونه بالمعارف والاثل هو الطرفا وقيل
شجر يشبه الطرفا وقيل نوع من الطرفا ولا يكون عليه ثمر الا في بعض الاوقات يكون عليه
شي كالعفص اصغر منه في طعمه وطبعه والسدر شجر معروف وهو شجر النبق ينتفع بورقه
لغسل اليد ويغرس في البساتين ولم يكن هذا من ذلك بل كان سدرا بريا لا ينتفع به ولا يصلح
ورقه لشي وقال بعضهم السدر سدران سدر له ثمرة عفصة لا توكل ولا ينتفع بورقه في
الاغتسال وهو الضال وسدر له ثمر يوكل وهو النبق ويغتسل بورقه والمراد بالاية الاول
وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره الله من شر الشجر باعمالهم قوله تعالى قليل نعت لسدر
وقيل نعت لاكل وقال ابو البقا ويجوز ان يكون نعتا لخمط واثل وسدر وقري واثلا وشيا
بنصبهما عطفا على جنتين ثم بين الله تعالى ان ذلك كان مجازاة لهم على كفرانهم فقال ذلك جزيناهم
بما كفروا وهل نجازي بذلك الجزا الا الكفور قوله تعالى وهل يجازي قرا الاخوان وحفص وهل
نجازي بنون العظمة وكسر الزاي لقوله جزيناهم اي نحن الا الكفور مفعول به والباقون
يجازى بضم اليا وفتح الزاي مبنيا للمفعول الا الكفور رفع على ما لم يسم فاعله اي وهل يجازى مثل
هذا الجزا ومسلم بن جندب يجزى مبنيا للمفعول الا الكفور رفعا على ما تقدم وقري يجزي
مبنيا للفاعل وهو الله تعالى الكفور نصبا على المفعول به **فصل** قال مجاهد يجازى
اي يعاقب ويقال في العقوبة يجازى وفي المثوبة يجزا قال الفرا رحمه الله المومن يجزى ولا
يجازى اي يجزى الثواب بعمله ولا يكافا بسياته وقال بعضهم المجازاة تقال في النقمة لكن قوله
تعالى ذلك جزيناهم يدل على ان يجزي في النقمة ولعل من قال ذلك اخذه من المجازاة مفاعلة
وهي في اكثر الامر يكون ما بين اثنين يوخذ من كل واحد جزا في حق الاخر وفي النعمة لا تكون
مجازاة لان الله تعالى مبتدي بالنعم قوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها
بالما والشجر وهي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة اي يظهر بعضها لبعض يرى سواد القرية
من القرية الاخرى لقربها منها فكان متجرهم من اليمن الى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون
باخرى وكانوا لا يحتاجون الى حمل زاد من سبا الى الشام فان قيل هذا من النعم والله تعالى
اراد بيان تبديل نعمهم بقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين فكيف عاد مرة اخرى الى بيان النعمة
بعد النقمة فالجواب انه ذكر حال خارج بلادهم وذكر عمارتها بكثرة القرى ثم ذكر تبديله ذلك
بالمفاوز والبوادي بقوله عز وجل باعد بين اسفارنا وقد فعل ذلك ويدل عليه قراة من قرا
ربنا بعد بين اسفارنا على المبتدا والخبر قوله تعالى وقدرنا فيها السير اي قدرنا سيرهم من
هذه القرى وكان سيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم وصلوا
الى قرية ذات مياه واشجار قال قتادة كانت المراة تخرج ومعها مغزلها وعلى راسها مكتلها
فتمتهن بمغزلها فلا تاتي بيتها حتى يمتلي مكتلها من الثمار وكان ما بين اليمن الى الشام كذلك
قوله تعالى سيروا اي وقلنا لهم سيروا وقيل هو امر بمعنى الخبر اي مكناهم من السير فكانوا يسيرون
فيها ليالي واياما اي بالليالي والايام اي وقت شيتم امنين لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا
عطشا وقيل معنى قوله ليالي واياما انكم تسيرون فيه ان شيتم ليالي وان شيتم اياما لعدم
الخوف بخلاف المواضع المخوفة فان بعضها يسلك ليلا لئلا يعلم العدو بسيرهم وبعضها يسلك

نهارا لئلا يقصدهم العدو واذا كان العدو غير مجاهر بالقصد والعداوة فبطروا وطغوا ولم يصبروا
على العافية وقالوا لو كان جنا جنا ثمارنا ابعد مما هي كان اجدر ان نشتهيه فقالوا ربنا بعد بين اسفارنا
فاجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ونتزود فيها الازواد وقال مجاهد
بطروا النعمة وسيموا الراحة كما طلبت اليهود الثوم ويحتمل ان يكون ذلك لفساد اعتقادهم وشدة
اعتمادهم على ان ذلك لا يعدم كما يقول القايل لغيره احرقني اشارة الى انه لا يقدر عليه ويحتمل
ان يكون قولهم ربنا باعد بلسان الحال اي لما كفروا فقد طلبوا ان يبعد بين اسفارهم ويخرب
المعمور من ديارهم وقوله تعالى وظلموا يكون بيانا لذلك قوله تعالى ربنا العامة بالنصب على
النداء وابن كثير وابو عمرو وهشام رحمهم الله بعد بتشديد العين فعل طلب والباقون باعد
طلبا ايضا من المفاعلة بمعنى الثلاثي وقرا ابن الحنفية وسفيان بن حسين وابن السميقع بعد بضم
العين فعلا ماضيا والفاعل المسير اي بعد المسير وبين ظرف وسعيد بن ابي الحسن كذلك الا انه
ضم نون بين جعله فاعل بعد فاخرجه عن الظرفية كقراة تقطع بينكم رفعا فالمعنى على القراة
المتضمنة لطلب انهم اشروا وبطروا فلذلك طلبوا بعد الاسفار وعلى القراة المتضمنة للخبر الماضي
يكون شكوى من بعد الاسفار التي طلبوها اولا وقرا جماعة كثيرة منهم ابن عباس وابن الحنفية
ويعقوب وعمرو بن فايد ربنا رفعا على الابتدا بعد بتشديد العين فعلا ماضيا خبره وابو رجا
والحسن ويعقوب كذلك الا انه باعد بالالف والمعنى على هذه القراة شكوى بعد اسفارهم على
قربها ودنوها لتعنتا منهم وقري بوعد مبنيا للمفعول واذا انصبت بين بعد فعل متعد من هذه
المادة في احدى هذه القراات سوا كان امرا ام ماضيا فجعله ابو حيان منصوبا على المفعول به
لا ظرفا قال الا ترى الى قراة من رفع كيف جعله اسما قال شهاب الدين ابقاوه على ظرفيته اولى
ويكون المفعول محذوفا تقديره بعد المسير بين اسفارنا ويدل على ذلك قراة بعد بضم العين بين
بالنصب فكما يضمر هنا الفاعل وهو ضمير السير لذلك ينبغي هنا بين على بها وينوي السير وكان هذا
اولى لان حذف المفعول كثير جدا لا نزاع فيه واخراج الظرف غير المتصرف عن ظرفيته فيه نزاع
كثير وتقدم تحقيق هذا والاعتذار عن رفع بينكم في الانعام وقرا العامة اسفارنا جمعا وابن يعمر
سفرنا مفردا قوله تعالى فجعلناهم احاديث عبرة لمن بعدهم يتحدثون بامرهم وشانهم ومزقناهم
كل ممزق وفرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق وهذا بيان لجعلهم احاديث قال الشعبي
لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد اما غسان فلحقوا بالشام ومر الازد على عمان وخزاعة الى تهامة
ومر الى جذيمة الى العراق والاوس والخزرج الى يثرب وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر
وهو جد الاوس والخزرج قوله تعالى ان في ذلك لايات اي فيما ذكرنا من حال الشاكرين ووبال
الكافرين لعبرة ودلالات لكل صبار عن معاصي الله شكور لنعمه قال مقاتل رحمه الله يعني المومن
من هذه الامة صبور على البلا شكور للنعما قال مطرف هو المومن اذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر
قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه قرا الكوفيون صدق بتشديد الدال والباقون بتخفيفها
فاما الاولى فظنه مفعول به والمعنى ظن ابليس ذهب الى شي فوافق فصدق هو ظنه على المجاز
والاتساع ومثله كذبت ظني وكذبتني نفسي وصدقتهما وصدقاني وكذباني وهو مجاز شايع اي ظن
شيا فوقع واصله من قوله ولاغوينهم ولاضلنهم وقوله عز وجل فبعزتك لاغوينهم اجمعين ولا تجد
اكثرهم شاكرين فصدق ظنه وحققه بفعله ذلك بهم واتباعهم اياه واما الثانية فانتصب ظنه
على ما تقدم من المفعول به كقولهم اصبت ظني واخطات ظني او على المصدر بفعل مقدر اي يظن ظنه
او على اسقاط الخافض اي في ظنه وزيد بن علي والزهري ظنه كقول الشاعر فان يك ظني صادقا فهو
صادق جعل ظنه صادقا فيما ظنه مجازا واتساعا وروي عن ابي عمرو برفعهما وهي واضحة جعل ظنه
بدل اشتمال من ابليس والظاهر ان الضمير في عليهم عايد على اهل سبا والا فريقا استثنا من فاعل
اتبعوه ومن المومنين صفة فريقا ومن للبيان لا للتبعيض لئلا يفسد المعنى اذ يلزم ان يكون بعض
من امن اتبع ابليس **فصل** قال المفسرون صدق عليهم اي على اهل سبا وقال مجاهد على
الناس كلهم الا من اطاع الله فاتبعوه الا فريقا من المومنين قال السدي عن ابن عباس رحمهما الله
يعني المومنين كلهم لان المومنين لم يتبعوه في اصل الدين وقد قال سبحانه ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان يعني المومنين وقيل هو خاص في المومنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة

ان ابليس عليه لعنة الله سال النظرة فانظره الله تعالى قال لاغوينهم ولاضلنهم لم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة ان ما قاله فيهم يتم وانما قاله ظنا فلما اتبعوه واطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم قوله تعالى وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم هذا استثنا مفرغ من العلل العامة تقديره وما كان له عليهم من سلطان لاستيلا لشي من الاشيا الا لهذا وهو تمييز المحق من الشاك قوله تعالى منها متعلق بمحذوف على معنى البيان اي اعني منها وبسببها وقيل من بمعنى في وقيل هو حال من شك وقوله ممن يومن يجوز في من وجهان احدها انها استفهامية تتسد مسد مفعولي العلم كذا ذكره ابو البقا وليس بظاهر لان المعنى الا لنميز ويظهر للناس من يومن ممن لا يومن فعبر عن مقابله بقوله ممن هو منها في شك لانه من نتايجه ولوازمه والثاني انها موصولة وهذا هو الظاهر على ما تقدم تفسيره قال ابن الخطيب رحمه الله ان علم الله من الازل الى الابد محيط بكل معلوم وعلمه لا يتغير وهو في كونه عالما لا يتغير ولكن يتغير تعلق علمه فان العلم صفة كاشفة يظهر فيها كل في نفس الامر فعلم الله في الازل ان العالم سيوجد فاذا وجد علمه موجودا بذلك العلم واذا اعدم علمه معدوما ومالذلك المراة المصقولة الصافية فيها صورة زيد ان قابلها ثم اذا قابلها عمرو يظهر فيها صورته والمراة لم تتغير في ذاتها ولا تبدلت في صفاتها وانما التغيير في الخارجات فلذلك ههنا قوله الا لنعلم اي ليقع في العلم صدور الكفر من الكافر والايمان من المومن وكان علمه فيه ان سيكفر زيد ويومن عمرو وقال البغوي المعنى الا لنميز المومن من الكافر واراد علم الوقوع والظهور وقد كان معلوما عنده بالغيب وقوله تعالى وربك على كل شي حفيظ حقق ذلك اي الله سبحانه قادر على منع ابليس منهم عالم بما سيقع فالحفظ يدخل في مفهومه العلم والقدرة اذ للجاهل بالشي لا يمكنه حفظه ولا العاجز قوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم مفعول زعمتم الاول محذوف هو عايد الموصول والثاني ايضا محذوف قامت صفته مقامه اي زعمتموهم شركا من دون الله ولا جايز ان يكون من دون هو المفعول الثاني اذ لا ينعقد منه مع ما قبله كلاما لو قلت هم من دون الله اي من غيره موصوف لم يجز ولولا قيام الوصف مقامه ايضا لم لم يحذف لا تحذفه اختصارا قليل على ان بعضهم منعه **فصل** لما بين الله تعالى حال الشاكرين وحال الكافرين وذكرهم ممن مضى عاد الى خطابهم فقال لرسوله صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه دايما ابدا قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم من دون الله وفي الكلام حذف اي ادعوهم ليكشفوا الضر الذي نزل بكم في سني الجوع ثم وصفها فقال لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض من خير وشر ونفع وضر وما لهم اي الالهة فيهما اي في السموات والارض من شرك اي شركه وما له اي وما لله منهم من ظهير عون قوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له اللام في لمن فيها اوجه احدها ان اللام متعلقة بنفس الشفاعة قال ابو البقا رحمه الله كما تقول شفعت له الثاني ان يتعلق بتنفع قاله ابو البقا وفيه نظر وهو انه يلزم احد امرين اما زيادة اللام في المفعول في غير موضعها واما حذف مفعول تنفع وكلاهما خلاف الاصل الثالث انه استثنا مفرغ من مفعول الشفاعة المقدر اي لا تنفع الشفاعة لاحد الا لمن اذن له ثم المستثنى منه المقدر يجوز ان يكون هو المشفوع له وهو الظاهر والشافع ليس مذكورا انما دل عليه الحوي والتقدير لا تنفع الشفاعة لاحد من المشفوع لهم الا لمن اذن تعالى للشافعين ان يشفعوا فيه ويجوز ان يكون هو الشافع والمشفوع له ليس مذكورا التقديره لا تنفع الشفاعة الا لشافع اذن له ان يشفع وعلى هذا فاللام في له لام التبليغ لا لام العلة الرابع انه استثنا مفرغ ايضا لكن من الاحوال العامة تقديره لا تنفع الشفاعة الا كاينة لمن اذن له وقرره الزمخشري فقال يقول الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع كما يقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما يقول القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له ان يكون على احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة الا كاينة لمن اذن له من الشافعين ومطلقة له او لا تنفع الشفاعة الا كاينة لمن اذن له اي لشفيعه او هي اللام الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله فكانه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه انتهى فقوله الكرم لزيد وقوله اذن لزيد لعمرو معنى ان الاولى للتبليغ والثانية لام العلة وقرا الاخوان وابو عمرو واذن مبنيا للمفعول والقايم مقام الفاعل الجار والمجرور والباقون

مبينا

مبينا للفاعل اي اذن الله وهو المراد في القراءة الاخرى وقد صرح به في قوله الا من بعد ان ياذن الله الا لمن اذن له الرحمن **فصل** ومعنى الاية الا لمن اذن له ان له الشفاعة قاله تكذيبا لهم حيث قالوا هولاء شفعاونا عند الله ويجوز ان يكون المعنى الا لمن اذن الله في ان يشفع له قوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم هذه غاية لابد لها من مغيا وفيه اوجه احدها انه قوله فاتبعوه على ان يكون الضمير في عليهم من قوله صدق عليهم وفي قلوبهم غاية على جميع الكفار ويكون التفريع حالة مفارقة الحياة او يجعل اتباعهم اياه مستصحبا لهم الى يوم القيامة مجازا والجملة من قوله قل ادعوا الى اخرها معترضة بين الغاية والمغيا ذكره ابو حيان وهو حسن والثاني انه محذوف قال ابن عطية رحمه الله كانه قيل ولا هم شفعا كما تحبون انتم بل هم عبده او مسلمون اي منقادون حتى اذا فزع عن قلوبهم انتهى وجعل الضمير في قلوبهم عايدا على الملايكة وقرر ذلك وضعف قول من جعله عايدا على الكفار او جميع العالم وقوله قالوا ماذا هو جواب اذا وقوله قالوا الحق جواب لقوله ماذا قال ربكم والحق منصوب بقال مضمرا اي قالوا قال ربنا الحق اي القول الحق الا ان ابا حيان رد هذا فقال وما قدره ابن عطية لا يصح لان ما بعد الغاية مخالف لما قبلها هم منقادون عنده دايما لا ينفكون عن ذلك لا اذا فزع عن قلوبهم ولا اذا لم يفزع الثالث انه قوله زعمتم اي زعمتم الكفر الى غاية التفريع ثم تركتم ما زعمتم وقلتم قال الحق وعلى هذا يكون في الكلام التفات من خطاب في قوله زعمتم الى الغيبة في قوله قلوبهم الرابع انه ما فهم من سياق الكلام قال الزمخشري فان قلت باي شي اتصل قوله حتى اذا فزع ولاي شي وقع حتى غاية قلت بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظار للاذن وتوقفا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة هل يوذن لهم او لا يوذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص ودل على هذه الحال قوله عز من قايل رب السموات والارض الى قوله الا من اذن له الرحمن وقال صوابا فكانه قيل يتربصون ويتوقفون مليا فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسال بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا الحق اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وقرا ابن عامر فزع مبنيا للفاعل فان كان الضمير في قلوبهم للملايكة فالفاعل في فزع ضمير اسم الله تعالى لتقدم ذكره وان كان للكفار فالفاعل ضمير مغويهم كذا قال ابو حيان والظاهر انه يعود على الله مطلقا وقرا الباقون مبنيا للمفعول والقايم مقام الفاعل الجار بعده وفعل بالتشديد معناه السلب هنا نحو قردت البعير اي ازلت قراده كذا هنا اي ازال الفزع عنها اي كشف الفزع واخرج عن قلوبهم فالتفريع لازالة الفزع كالتمريض والتقريد وقرا الحسن فزع مبنيا للمفعول مخففا كقولك ذهب بزيد والحسن ايضا وقتادة ومجاهد فزع مشددا مبنيا للفاعل من الفراغ وعن الحسن ايضا بتخفيف الراء وعنه ايضا وعن ابن عمر وقتادة مشددا الراء مبنيا للمفعول والفراغ الفنا والمعنى حتى اذا افنى الله الرجل او انتفى بنفسه او نفى الرجل والخوف عن قلوبهم فلما بني للمفعول قام الجار مقامه وقرا ابن مسعود وابن عمر افرنقع من الافرنقاع وهو التفرق قال الزمخشري رحمه الله والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب فطر من حروف القطع مع زيادة الراء قال ابو حيان فان عنى ان العين من حروف الزيادة وكذا الرا وهو ظاهر كلامه فليس بصحيح لان العين والرا ليسا من حروف الزيادة وان عنى ان الكلمة فيها حروف ما ذكر وزاد الى ذلك العين والرا والمادة فوقع وقطر فهو صحيح انتهى وهذه قراءة مخالفة للسواد ومع ذلك هي لفظة غريبة ثقيلة اللفظ نص اهل البيان عليها ومثلوا بها وحكوا عن عيسى بن عمر انه غشي عليه ذات يوم فاجتمع عليه النظارة فلما افاق قال ما لكم تكاكاتم علي تكاكوكم على ذي جنة افرنقعوا عني اي اجتمعتم على اجتماعكم على المجنون تفرقوا عني فعابها الناس عليه حيث استعمل مثل هذه الالفاظ الثقيلة المستغربة وقرا ابن ابي عبلة الحق بالرفع على انه خبر مبتدا مضمر اي قالوا قوله الحق **فصل** اختلفوا في الموصوفين بهذه الصفة فقيل هم الملايكة ثم اختلفوا في ذلك فقال بعضهم انما يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله عز وجل لما روي ابو هريرة رضي الله عنه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر ضربت الملايكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وقال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله ان يوحي بالامر تكلم بالوحي اخذت السموات منه رجفة وقال رعدة شديدة خوفا من الله تعالى فاذا سمع بذلك اهل السموات

خضعوا وخروا لله سجدا فيكون اول من يرفع راسه جبريل صلوات الله عليه فيكلمه من وحيه بما
اراد ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسما سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل الحق
وهو العلي الكبير قال فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي حيث امره الله سبحانه
وقيل انما يفزعون حذرا من قيام الساعة قال مقاتل والسدي كانت الفترة بين عيسى ومحمد
صلوات الله وسلامه عليهما خمس مائة وخمسين سنة وقيل ستمائة سنة لم تسمع الملائكة فيها وحيا
فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل صلوات الله عليه بالرسالة الى محمد صلى الله عليه
وسلم فلما سمعت الملائكة ظنوا انها الساعة لان محمدا صلى الله عليه وسلم عند اهل السموات
من اشراط الساعة فصعقوا لما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر على اهل
كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قال الحق يعني الوحي
وهو العلي الكبير وقيل الموصوف بذلك المشركون قال الحسن وابن زيد حتى اذا كشف الفزع
عن قلوب المشركين عند نزول الموت اقامة للحجة عليهم قالت الملائكة ماذا قال ربكم في الدنيا
قالوا الحق فاقروا به حين لم ينفعهم الاقرار قوله تعالى وهو العلي الكبير فقوله الحق اشارة
الى انه كامل وقوله وهو العلي الكبير اشارة الى انه فوق الكاملين في ذاته وصفاته قوله تعالى
قل من يرزقكم من السموات المطر ومن الارض النبات قل الله يعني ان لم يقولوا رازقنا الله فقل
انت ان رازقكم الله قوله تعالى وايا كم عطف على اسم ان وفي الخبر اوجه احدها ان الملفوظ به
الاول وحذف خبر الثاني للدلالة عليه اي وانا لعلى هدى او في ضلال والثاني العكس اي حذف
الاول والملفوظ به خبر الثاني وهو خلاف مشهور وتقدم تحقيقه عند قوله عز وجل والله
ورسوله احق ان يرضوه وهذان الوجهان لا ينبغي ان يحملا على ظاهرهما قطعا لان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يشك انه على هدى ويقين وان الكفار على ضلال وانما هذا الكلام جار على ما تخاطب
به العرب من استعمال الانصاف في محاوراتهم على سبيل الفرض والتقدير ويسميه اهل البيان
الاستدراج وهو ان يذكر المخاطب امرا يسلمه وان كان بخلاف ما يذكر حتى يصغي الى ما يلقيه
اليه اذ لو بداه بما يكره لم يصغ ونظيره قولهم اخزى الله الكاذب مني ومنك ومثله قول الاخر

فاني ما وايك كان شرا • فسيق الى المقامة لا يراها • وقال حسان رضي الله عنه

اتهجوه ولست له بكفوء • فشركما لخيركما الفداء •

مع العلم لكل احد انه صلى الله عليه وسلم خير خلق الله كلهم الثالث انه من باب اللف والنشر والتقدير
وانا لعلى هدى وانكم لفي ضلال مبين ولكن لف الكلامين واخرجهما لذلك لعدم اللبس وهذا لا
يتاتى الا ان يكون او بمعنى الواو وهي مسألة خلاف ومن مجيء او بمعنى الواو قوله •

قوم اذا سمعوا الصريخ رايتهم • ما بين ملجم مهره او سافع •

وتقدم تقرير هذا وهذا الذي ذكرناه منقول عن ابي عبيدة رحمه الله الرابع قال ابو حيان
واو هنا على موضوعها لكونها لاحد الشيئين وخبرانا او اياكم هو لعلى هدى او في ضلال مبين
ولا يحتاج الى تقدير حذف اذ معناه احد هذين في احد هذين وقيل الخبر محذوف ثم ذكر
ما تقدم الى اخره وهذا الذي ذكره تفسير معنى لا تفسير اعراب والناس نظروا الى تفسير الاعراب
فاحتاجوا الى ما ذكرنا وذكر في الهدى كلمة على وفي الضلال كلمة في لان المهتدي كانه مطلع
مرتفع فذكره بكلمة التعالي والضال منغمس في الظلمة غريق فيها فذكره بكلمة في قوله تعالى قل لا تسالون
عما اجرمنا اضاف الاجرام الى النفس وقال في حقهم ولا نسال عما تعملون ذكر بلفظ العمل لئلا يحصل
الاغضاب المانع من الفهم قوله تعالى قل يجمع بيننا ربنا يعني يوم القيامة ثم يفتح يقضي بيننا
بالحق وهو الفتاح العليم وهاتان صفتا مبالغة وقرا عيسى بن عمر الفاتح اسم فاعل قوله تعالى
اروني فيها وجهان احدهما انها علمية متعدية قبل النقل الى اثنين فلما جيء بهمزة النقل تعدت لثلاثة
اولها ياء المتكلم ثانيها الموصول ثالثها شركاء وعائد الموصول محذوف اي الحقتموهم والثاني انها
بصرية متعدية قبل النقل لواحد وبعده لاثنين اولها ياء المتكلم ثانيهما الموصول وشركاء نصب على
الحال من عائد الموصول اي بصروني الملحقين به حال كونهم شركاء قال ابن عطية في هذا الثاني
ولا غناء له اي لا منفعة فيه يعني ان معناه ضعيف قال ابو حيان وقوله لا غناء له ليس بجيد بل في
ذلك تبكيت لهم وتوبيخ ولا يريد حقيقة الامر بل المعنى الذين هم شركاء الله على زعمكم هم ممن ان يتوهم

انفضحتم

انفضحتم لانهم خشب وحجر وغير ذلك **فصل** الضمير في به اي بالله اي اروني الذين الحقتم
بالله شركاء في العبادة معه هل يخلقون وهل يرزقون كلا لا يخلقون ولا يرزقون قوله تعالى بل هو
الله سبحانه في هذا الضمير قولان احدهما انه ضمير عائد على الله تعالى اي ذلك الذين الحقتم به شركاء هو
الله والعزيز الحكيم صفتان والثاني انه ضمير الامر والشان والله مبتدا والعزيز الحكيم خبران والجملة خبر هو
والعزيز هو الغالب على امره الحكيم في تدبيره لخلقه فاني يكون له شريك في ملكه قوله تعالى كافة فيه
اوجه احدها انه حال من كاف ارسلناك والمعنى الا جامعا للناس في الابلاغ والكافة بمعنى الجامع والهاء فيه
للمبالغة كهي في علامة وراوية قاله الزجاج رحمه الله وهذا بناء منه على انه اسم فاعل من كف يكف قال ابو
حيان اما قول الزجاج ان كافة بمعنى جامعا والهاء فيه للمبالغة فان اللغة فيه لا تساعده على ذلك لان
كف ليس معناه محفوظا بمعنى جمع يعني ان المحفوظ معناه منع يقال كف يكف اي منع والمعنى الا مانعا لهم
من الكفر وان يبعدوا من تبليغك ومنه الكف لانها تمنع خروج ما فيه الثاني ان كافة مصدر جاءت على
الفاعلة كالعافية والعاقبة وعلى هذا فوقوعها حالا اما على المبالغة واما على حذف مضاف اي ذا كافة
للناس الثالث ان كافة صفة لمصدر محذوف تقديره الا ارسالة كافة قال الزمخشري الا ارسالة عامة
لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم قال ابو حيان اما كافة بمعنى عامة
فالمنقول عن النحويين انها لا تكون الا حالا ولم يتصرف فيها بغير ذلك فجعلها صفة لمصدر محذوف خروج
عما نقلوه ولا يحفظ ايضا استعمالها صفة لموصوف محذوف الرابع ان كافة حال من للناس اي للناس كافة
الا ان هذا قد رده الزمخشري فقال ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد اخطأ لان تقدم حال
المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب مثل هذا الخطأ ثم لا يقنع به
حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطأ الاول الا بالخطأ الثاني فيرتكب الخطأين معا
قال ابو حيان اما قوله كذا فهو مختلف فيه ذهب الجمهور الى انه لا يجوز وذهب ابو علي وابن كيسان وابن
برهان وابن ملكون الى جوازه قال وهو الصحيح قال ومن امثلة ابي علي زيد خير ما يكون خير
منك التقدير زيد خير منك خير ما يكون فجعل خير ما يكون حالا من الكاف في منك وقدمها عليها
وانشد

اذا المرء اعيته المروة ناشيا • فمطلبها كهلا عليه شديد •

اي فمطلبها عليه كهلا وانشد ايضا • تسليت طرا عنكم بعد بينكم • بذكراكم حتى كانكم عندي •

اي عنكم طرا وقد جاء تقدم الحال على صاحبها المجرور وعلى ما يتعلق به قال الشاعر •

• لئن كان برد الماء هيمان صاديا • الي حبيبا انها لحبيب •

وقد صنعوا ذاك حتى ميز الاشياء فاسترجعوا الا الكثيرا

بك قد شغفت وانما • حتم الفراق فما اليك سبيل •

اي قد شغفت بك مشغوفة وقال الاخر • غافلا يعرض المنية للمر • فيدعى ولات حين اباء •

اي تعرض المنية للمرء غافلا قال واذا جاز تقديمها على صاحبها وعلى العامل فيه فتقديمها على صاحبها وحده
اجوز قال ومن جعله على الحال ابن عطية فانه قال قدمت للاهتمام والمنقول عن ابن عباس رضي
الله عنه قوله الى العرب والعجم وساير الامم وتقديره الى الناس كافة قال وقول الزمخشري لا يستوي له
الخطأ الاول الى اخره شنيع لان القائل بذلك لا يحتاج الى جعل اللام بمعنى الى لان ارسل يتعدى باللام
قال تعالى وارسلناك للناس رسولا وارسل مما يتعدى باللام وبالى وايضا فقد جاءت اللام بمعنى
الى والى بمعناها قال شهاب الدين رحمه الله اما ارسلناك للناس فلا دلالة فيه لاحتمال ان يكون اللام
لام العلة الجارية واما كونها بمعنى الى والعكس فالبصريون لا يتجوزون في الحروف وبشيرا ونذيرا حالان
ايضا **فصل** لما بين مسألة التوحيد شرع في الرسالة فقال تعالى وما ارسلناك الا كافة
اي الرسالة كافة اي تكف الناس انت من الكفر ويمنعهم عن الخروج عن الانقياد لها او تكف الناس انت عن
الكفر والهاء للمبالغة على ما تقدم وللناس اي عامة احمرهم واسودهم بشيرا ونذيرا اي مبشرا ومنذرا تحثهم
بالوعد وتزجرهم بالوعيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك لا لخفائه ولكن لغفلتهم قال صلى الله عليه وسلم
كان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت للناس عامة قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين يعني يوم القيامة لما ذكر الرسالة بين الحشر قوله تعالى لكم ميعاد مبتدا وخبر والميعاد يجوز
اوجه احدها انه مصدر مضاف لظرفه والميعاد يطلق على الوعد والوعيد وقد تقدم ان الوعد
في الخير والوعيد في الشر غالبا الثاني اسم اقيم مقام المصدر والظاهر الاول قال ابو عبيدة والوعد
والوعيد والميعاد بمعنى الثالث انه هنا ظرف زمان قال الزمخشري الميعاد ظرف الوعد من مكان
او زمان وهو هنا ظرف زمان والدليل عليه قراءة من قرا ميعاد يوم يعني برفعهما منونين فابدل منه اليوم

واما الاضافة فاضافة بتبيين كقولك سحق ثوب وبعير سانية قال ابو حيان ولا يتعين ما قال
لاحتمال ان يكون التقدير لكم ميعاد ميعاد يوم فلما حذف المضاف اعرب المضاف اليه باعرابه قال
شهاب الدين رحمه الله والزمخشري لو فعل مثل ذلك لسمع به وجوز الزمخشري في الرفع وجها اخر
وهو الرفع على التعظيم يعني على اضمار مبتدا وهو الذي يسمى القطع وسياتي هذا قريبا وقرا ابن ابي
عبلة والزيدي ميعاد يوما بتنوين الاول ونصب يوما منونا وفيه وجهان احدهما انه منصوب على الظرف
والعامل فيه مضاف مقدر تقديره لكم انجاز وعد في يوم صفته كيت وكيت الثاني ان ينتصب باضمار
فعل قال الزمخشري واما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار تقديره اعني يوما ويجوز ان يكون الرفع
على هذا اعني التعظيم وقرا عيسى بتنوين الاول ونصب يوم مضافا للجملة بعده وفيه الوجهان
المتقدمان النصب على التعظيم او الظرف قوله تعالى لا تستاخرون عنه يجوز في هذه الجملة ان
تكون صفة للميعاد وان عاد الضمير في عنه عليه او لليوم ان عاد فينبغي ان يعود الضمير في عنه على ميعاد
ليس الا لانهم نصوا على ان الظرف اذا اضيف يشذ لعام ولدت فيه اذا اضيف الى جملة لم يعد منها اليه
ضمير الا في ضرورة كقوله • مضت سنة لعام ولدت فيه • وعشر بعد ذاك وحجتان •
فصل تقدم الكلام في سورة الاعراف ان قوله لا تستاخرون يوجب الانذار لان معناه
عدم المهلة عن الاجل ونكى الاستقدام ما وجهه وقد تقدم ونذكرها هنا انهم لما طلبوا الاستعجال
بين انه لا استعجال فيه كما لا امهال وهذا يفيد عظم الامر وخطر الخطب لان الامر الحقير اذا طلبه
طالب من غيره لا يؤخره ولا يوقفه على وقت بخلاف الامر الخطير والمراد باليوم يوم القيمة قال الضحاك
يوم الموت لا يتاخرون عنه ولا يتقدمون بان يزاد في اجلكم او ينقص منه قوله تعالى وقال الذين
كفروا لن نؤمن بهذا القرآن لما بين التوحيد والرسالة والحشر وكانوا بالكل كافرين بين كفرهم العام
بقوله عز وجل وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن وذلك لان القرآن مشتمل على الكل وقوله
ولا بالذي بين يديه يعني التورية والانجيل وعلى هذا فالمراد بالذين كفروا هم المشركون المنكرون
للثواب والحشر ويحتمل ان يكون المراد بالذين كفروا العموم ويكون المراد بقوله تعالى القرآن ولا
بالذي بين يديه ان لا نؤمن بالقرآن انه من الله ولا بالذي بين يديه اي ولا بما فيه من الاخبارات
والايات والدلايل وذلك لان اهل الكتاب لم يؤمنوا بالقرآن انه من الله عز وجل ولا بالذي فيه
من الرسالة وتفاصيل الحشر فان قيل اليس هم مؤمنين بالوحدانية والحشر فالجواب انه اذا لم يصدق
واحدا في كتاب من الامور المختصة به يقال فيه انه لم يؤمن بشيء منه وان امن ببعض ما فيه لكونه
في غيره فيكون ايمانه لا بما فيه كمن يكذب رجلا فيما يقوله فاذا اخبره بان النار حارة لا يكذبه فيه
ولكن لا يقال بانه صدقه لانه انما صدق نفسه فانه كان عالما به من قبل وعلى هذا فقوله بين يديه
الذي هو مشتمل عليه من حيث انه وارد فيه قوله تعالى ولو ترى مفعول ترى وجواب لو محذوفان
للفهم اي لو ترى حال الظالمين وقت وقوفهم راجعا بعضهم الى بعض القول لرايت حالا فظيعة وامرا
منكرا ويرجع حال من ضمير موقوفون والقول منصوب بيرجع لانه يتعدى قال تعالى فان رجعك الله
وقوله يقول الذين استضعفوا الى اخره تفسير لقوله يرجع فلا محل له وانتم بعد لولا مبتدا على اصح
المذاهب وهذا هو الافصح اعني وقوع ضماير الرفع بعد لولا مبتدا على اصح المذاهب وهذا هو الافصح
اعني وقوع ضماير الرفع بعد لولا خلافا للمبرد حيث جعل خلاف هذا لحنا وانه لم يرد الا في قول زياد
وكم موطن لولاي وقد تقدم تحقيقه والاخفش جعل انه ضمير نصب او جر قام مقام ضمير الرفع وسيبويه
جعله ضمير جر فصل لما وقع اليأس من ايمانهم في هذه الدار بقولهم لن نؤمن فانه لتابيد
النفي وعد النبي صلى الله عليه وسلم بانه يراهم على اذل حال موقوفين للسؤال يرجع بعضهم الى بعض
القول اي يرد بعضهم الى بعض القول في الجدال كما يكون عليه حاله جماعة اخطوا في امر يقول
بعضهم لبعض يقول الذين استضعفوا استحقروا وهم الاتباع للذين استكبروا وهم القادة والاشراف
لولا انتم لكنا مؤمنين اي انتم منعتمونا عن الايمان بالله ورسوله وهذا اشارة الى ان كفرهم كان لمانع
لان بعد المقتضي لا يمكنهم ان يقولوا ما جاءنا رسول ولا ان يقولوا نظر الرسول لان الرسول صلى الله
عليه وسلم لو اهمل شيئا لما كانوا يقولون لولا المستكبرون ثم اجابهم المستكبرون وهم المتبوعون في الكفر
للذين استضعفوا ردا لما قالوا ان كفرنا كان لمانع انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم يعني المانع
ينبغي ان يكون راجحا على المقتضي حتى يعمل عمله والذي جاء به هو الهدى والذي صدر من المستكبرين

لم يكن شيئا يوجب الامتناع من قبول ما جاء به فلم يصح تعلقكم بالمانع بل كنتم مجرمين بترك الايمان
فبين ان كفرهم كان اجترامًا من حيث ان المعذور لا يكون معذورا الا لعدم المقتضي او لقيام المانع ولم
يوجد شيء منهما قال تعالى سبحانه وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار
اذ تامروننا ان نكفر بالله لما قال المستكبرون انا ما صددناكم وما صدر ما يصلح مانعا وصار اعترف المستضعفون
به وقالوا بل مكر الليل والنهار اي مكركم بنا في الليل بل صددناكم في هذين الوقتين الثاني ان يكون
مبتدا خبره محذوف اي مكر الليل صدنا الثالث العكس اي سبب كفرنا مكركم وهو المتقدم في التفسير
واضاف المكر الى الليل والنهار اما على الاسناد المجازي كقولهم ليل ماكر والعرب تضيف الفعل الى الليل
والنهار على توسع الكلام كقول الشاعر • ونمت وما ليل المطي بنائم •
فيكون مصدرا مضافا لمفعوله واما على الاتساع في الظرف فجعل كالمفعول به فيكون مضافا للمضروبه
وهذا احسن من قول من قال ان الاضافة بمعنى في اي في الليل لان ذلك لم يثبت في غير محل النزاع
وقيل مكر الليل والنهار طول السلامة وطول الامل فيهما كقوله تعالى فطال عليهم الامد فقست
قلوبهم وقرا العامة مكر خفف الراء ساكن الكاف مضافا لما بعده وابن يعمر وقتادة بتنوين مكر
وانتصاب الليل والنهار ظرفين وقرا ايضا وسعيد بن جبير وابو رزين بفتح الكاف وتشديد
الراء مضافا لما بعده اي كرور الليل والنهار واختلافهما من كر يكر اذا جاء وذهب وقرا ابن جبير ايضا
وطلحة وراشد القاري وهو الذي كان يصحح المصاحف ايام الحجاج بامره كذلك الا انه ينصب الراء
وفيها اوجه اظهرها ما قاله الزمخشري وهو الانتصاب على المصدر قال بل مكرون الاغواء مكرا دائما
لا يفترون عنه الثاني النصب على الظرف باضمار فعل اي بل صددتمونا الليل والنهار اي دائما
الثالث انه منصوب بتامروننا قاله ابو الفضل الرازي وهو غلط لان ما بعد المضاف لا يعمل فيما
قبله الا في مسألة واحدة وهي غير اذا كانت بمعنى لا كقوله •
• اني امرؤ احضي عهدا مودته • على التنائي لعندي غير مكفور •
وتقدم تقرير هذا اخر الفاتحة وجاء قوله قال الذين استكبروا بغير عاطف لانه جواب لقول
الضعفاء فاستؤنف بخلاف قوله تعالى وقال الذين استضعفوا فانه لما لم يكن جوابا عطف والضمير
في واسروا الندامة للجميع للاتباع والمتبوعين فصل لما اعترف المستضعفون وقالوا
بل مكر الليل والنهار منعنا ثم قالوا لهم انكم وان كنتم ما اتيتم بالصارف القطعي والمانع القوي
ولكن انضم امركم ايانا بالكفر الى طول الامد وامتداد المد فكفرنا فكان قولكم جزء السبب وقولهم
اذ تامروننا ان نكفر بالله اي ننكره ونجعل له اندادا وهذا يبين ان المشرك بالله مع انه في الصورة
مثبت لكنه في الحقيقة منكر لوجود الله لان من يساويه بالمخلوق المنحوت لا يكون مؤمنا به فصل
قوله ولا يرجع بعضهم الى بعض القول بقول الذين استضعفوا بلفظ المستقبل وقوله عز وعلا
في الايتين الاخيرتين وقال الذين استكبروا وقال الذين استضعفوا بلفظ الماضي مع ان السؤال
والمراجعة في القول لم يقع اشارة الى ان ذلك لا بد منه ووقوعه فان الامر الواجب الوقوع كانه
وقع كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون واما الاستقبال فعلى الاصل قوله تعالى واسروا الندامة
لما راوا العذاب اي انهم يتراجعون القول ثم اذا جاءهم العذاب الشاغل يسرون ذلك التراجع
الدال على الندامة وقيل معنى الاسرار الاظهار وهو من الاضداد اي اظهروا الندامة ويحتمل ان
يقال بانهم لما تراجعوا في القول رجعوا الى الله بقولهم ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا
واجيبوا بان لا مرد لكم فاسروا ذلك القول وقوله تعالى وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا
اي الاتباع والمتبوعين جميعا في النار قوله تعالى وهذا اشارة الى كيفية عذابهم هل يجزون
الا ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي في الدنيا قوله تعالى وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال
مترفوها اغنياؤها ورؤساؤها وقوله الا قال مترفوها جملة حالية من قرية وان كانت نكرة
لانها في سياق النفي قوله تعالى بما ارسلتم به وانما قدم للاهتمام وحسن تواخي الفواصل وهذا
تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم بان ايذاء الكفار للانبياء ليس ببدع بل ذلك عادة جرت
من قبل وانما نسب القول الى المترفين مع ان غيرهم ايضا قالوا ذلك القول لان المترفين هم
الاصل في ذلك القول كقول المستضعفين للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين ثم استدلوا على
كونهم مصيبين في ذلك بكثرة الاموال والاولاد فقالوا نحن اكثر اموالا واولادا اي بسبب

لزومنا الدين وما ولم يكن الله راضيا ما نحن عليه من الدين والعمل لم خولنا الاموال والاولاد وما
نحن بمعذبين اي ان الله احسن الينا بالمال فلا يعذبنا ثم ان الله تعالى بين خطاياهم بقوله
عز وجل قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني ان الرزق في الدنيا لا يدل سعته وضيقه
على حال المحق والمبطل فكم من موسر شقي ومعسر تقي بقوله ويقدر اي يضيق بدليل مقابلته
لبسط وهذا هو الطباق البديعي وقرا الاعمش ويقدر بالتشديد في الموضعين ثم قال ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ان قلة الرزق وضنك العيش وكثرة المال وحفظ العيش بالمشيئة
من غير اختصاص بالفاسق والصالح ثم بين فساد استدلالهم بقوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى يعني ان قولكم نحن اكثر اموالا واولادا فنحن احسن حالا عند الله
ليس استدلالا صحيحا فان المال لا يقرب الى الله عز وعلا وانما المفيد العمل الصالح بعد
الايمان وذلك ان المال والدين يشغل عن الله تعالى فيبعد عنه فكيف يقرب منه والعمل الصالح
اقبال على الله واشتغال بالله ومن توجه الى الله وصل ومن طلب من الله شيئا حصل قوله
تعالى بالتي تقربكم صفة للاموال والاولاد لان جمع التكسير غير العاقل يعامل معاملة
المونثة الواحدة وقال الفراء والزجاج انه حذف من الاول لدلالة الثاني عليه فالاول والتقدير
وما اموالكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ولا اولادكم بالتي تقربكم وهذا لا حاجة اليه ايضا ونقل
عن الفراء ما تقدم من ان التي صفة للاموال والاولاد معا وهو الصحيح وجعل الزمخشري التي
صفة لموصوف محذوف قال ويجوز ان يكون هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها
اي ليست اموالكم واولادكم بتلك الموصوفة عند الله بالتقريب قال ابو حيان ولا حاجة الى هذا
الموصوف قال شهاب الدين ولحاجة اليه بالنسبة الى المعنى الذي ذكره داعية وزلفى
مصدر من معنى الاول اذ التقدير يقربكم قربى وقرا الضحاك زلفا بفتح اللام وتنوين الكلمة
على انها جمع زلفى نحو قربة وقرب جمع المصدر لاختلاف انواعه وقال الاخفش زلفى اسم
مصدر كانه قال بالتي تقربكم عندنا تقريبا قوله تعالى الا من امن فيه اوجه احدها انه
استثناء منقطع فهو منصوب المحل والمعنى لكن من امن وعمل صالحا قال ابن عباس رضي الله
عنه يريد ايمانه وعمله يقربه مني الثاني انه في محل جر بدلا من الضمير في اموالكم قاله الزجاج
وغلطه النحاس بانه بدل من ضمير المخاطب قال ولو جاز هذا لجاز رايتك زيدا وقول ابي
اسحاق هذا هو قول الفراء انتهى قال ابو حيان ومذهب الاخفش والكوفيين انه يجوز البدل
من ضمير المخاطب والمتكلم الا ان البدل في الاية لا يصح الا انه لا يصح تفريغ الفعل الواقع صلة
لما بعد الا لو قلت ما زيد بالذي يضرب الا خالدا وتخيل الزجاج ان الصلة وان كانت من حيث
المعنى منفية انه يجوز البدل وليس بجائز الا ان يصح التفريغ له قال شهاب الدين ومنعه
قولك ما زيد بالذي يضرب الا خالدا فيه نظر لان النفي اذا كان منسحبا على الجملة اعطي حكم
ما لو باشر ذلك الشي الا ترى ان النفي في قولك ما ظننت احدا يفعل ذلك الا زيد سوغ البدل
في زيد من ضمير يفعل وان لم يكن النفي متسلطا عليه قالوا ولكنه لما كان في حيز النفي صح فيه ذلك
فهذا مثله والزمخشري ايضا تبع الزجاج والفراء في ذلك من حيث المعنى الا انه لم يجعله بدلا
بل منصوبا على اصل الاستثناء فقال الا من امن استثناء من كم في تقربكم والمعنى ان الاموال
لا تقرب احدا الا المومن الذي ينفقها في سبيل الله والاولاد لا تقرب احدا الا من علمهم الخير
وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح ورد عليه ابو حيان بنحو ما تقدم فقال لا يجوز ما زيد
بالذي يخرج الا اخوه ولا ما زيد بالذي يضرب الا عمرا والجواب عنه ما تقدم وايضا فالزمخشري
لم يجعله بدلا بل استثناء صريحا ولا يشترط الاستثناء التفريغ اللفظي بل الاسناد المعنوي
الا ترى انك تقول قام القوم الا زيدا ولو فرغته لفظا لامتنع لانه مثبت وهذا الذي ذكره
الزمخشري هو الوجه الثالث في المسالة الرابع ان من امن في محل رفع على الابتدا والخبر قوله
تعالى فاولئك لهم جزاء الضعف وقال الفراء هو في موضع رفع تقديره ما هو المقرب الا من
امن وهذا ليس بجيد وعجيب من الفراء كيف يقول قوله تعالى اولئك لهم جزاء الضعف بما
عملوا قرا العامة جزاء الضعف مضافا على انه مصدر مضاف لمفعوله اي ان يجازيهم الضعف
وقدره الزمخشري مبنيا للمفعول اي يجزون الضعف ورده ابو حيان بان الصحيح منعه

وقراء

وقراءة قتادة برفعهما على ابدال الضعف من جزاء وعنه ايضا وعن يعقوب بنصب جزاء على الحال
منونا والعامل فيها الاستقرار وهذه كقوله عز من قائل فله جزاء الحسنى فيمن قرا بنصب جزاء في
الكهف قوله تعالى وهم في الغرفات امنون قرا حمزة الغرفة بالتوحيد على ارادة الجنس ولعدم
اللبس لانه معلوم ان لكل احد غرفة تخصه وقد اجمع على التوحيد في قوله تعالى يجزون الغرفة
ولان لفظ الواحد اخف فوضع موضع الجمع مع من امن اللبس والباقون الغرفات جمع سلامة وقد
اجمع على الجمع في قوله سبحانه لنبوئنهم من الجنة غرفا والرسم يحتمل للقراءتين وقرا الحسن بضم راء
غرفات على الاتباع وبعضهم بفتحها وتقدم تحقيق ذلك اول البقرة وقرا ابن وثاب الغرفة بضم الراء
والتوحيد والمعنى يضعف الله سبحانه حسناتهم فيجزي بالحسنة الواحدة عشرا الى سبعماية لان
الضعف لا يكون الا في الحسنة وفي السيئة لا تكون الا المثل ثم زاد وقال وهم في الغرفات امنون
اشارة الى دوام النعيم وتابيدها ثم بين حال المسيء فقال والذين يسعون في اياتنا معجزين اي
يسعون في ابطال حججنا معجزين معاندين يحسبون انهم يعجزوننا ويفوتوننا وقد تقدم تفسير
اولئك في العذاب محضرون وهذا اشارة الى الدوام ايضا كقوله سبحانه وما هم عنها بغائبين ثم
قال تعالى مرة اخرى قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له اشارة الى ان
نعيم الاخرة لا ينافي نعمة الدنيا بل الصالحون قد يحصل لهم في الدنيا النعيم مع القطع بحصول النعيم
في العقبى بناء على الوعد قطعا لقول من يقول اذا كانت العاجلة لنا والاجلة لهم فالنقد اولى
فقال هذا النقد غير مختص بكم فان كثيرا من الاشقياء مفلسون وكثير من الاتقياء مموسرون
ولهذا المعنى ذكر هذا الكلام مرتين مرة لبيان ان كثرة اموالهم واولادهم غير دالة على حسن احوالهم
ومرة لبيان انه غير مختص بهم كانه قال وجود الرزق لا يدل على الشرف ثم ان سلمنا انه غير مختص
بهم كانه قال وجود الرزق لا يدل على الشرف لذلك لكن المومنون سيحصل لهم ذلك فان الله سبحانه
يملكهم دياركم واموالكم ويدل على ذلك ان الله سبحانه لم يذكر اولا لمن يشاء من عباده بل قال لمن
يشاء وقال ثانيا لمن يشاء من عباده فالكافر رزقه مقطوع وماله الى الزوال وماله الى الوبال
واما المومن فانه ينفقه يخلفه الله تعالى قوله تعالى وما انفقتم يجوز ان يكون ما موصولة في
محل رفع بالابتدا والخبر قوله فهو يخلفه ودخلت الفاء لشبهه بالشرط ومن شيء بيان كذا قيل
وفيه نظر لابهام شيء فاي شيء تبين فيه ويجوز ان يكون ما شرطية فيكون في محل نصب مفعولا مقدما
وفهو يخلفه جواب الشرط

فصل

المعنى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه اي يعطي خلفه
قال سعيد بن جبير ما كان في غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه وقال الكلبي رحمه الله ما
تصدقتم من صدقة وانفقتم في الخير من نفقة فهو يخلفه على المنفق اما ان يعجل له في الدنيا
واما ان يدخر له في الاخرة وهو خير الرازقين خير من يعطي ويرزق روى ابو هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال انفق انفق عليك وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا ينزل فيه ملكان فيقول احدهما اللهم اعط
منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا وانما جمع الرازقين من حيث الصورة لان الانسان
يرزق عياله من رزق الله سبحانه والرازق للكل في الحقيقة انما هو الله الذي لا اله الا هو واعلم
ان خير الرازقين يكون لامور ان لا يوخره عن وقت الحاجة وان لا ينقص من قدر الحاجة وان لا ينكده
بالحساب وان لا يكدره بطلب الثواب والله تعالى كذلك فان قيل قوله تعالى خير الرازقين
ينبي عن كثرة الرازقين ولا رازق الا الله عز وجل فالجواب ان يقال الله خير الرازقين الذين
يظنونهم رازقين وكذا في قوله تعالى احسن الخالقين وايضا فان الصفات منها ما هو لله
وللعبد حقيقة كالعلم فان الله تعالى واحد فان الله يعلم انه واحد حقيقة ومنها ما يقال لله
حقيقة وللعبد حقيقة مجازا مثل الرازق والخالق فان العبد اذا اعطى غيره شيئا فالله هو
المعطي في الحقيقة ولكن لما وجدت صورة العطاء من العبد سمي معطيا وهو اخذ قوله تعالى
ويوم يحشرهم جميعا ثم نقول قد تقدم انه يقرا بالنون والياء في الانعام قوله تعالى اهولاء اياكم
كانوا يعبدون اياكم منصوب بخبر كان قدم لاجل الفواصل وللاهتمام واستدل به على جواز تقديم
خبر كان عليها اذا كان خبرها جملة فان فيه خلافا فاجازه ابن السراج ومنعه غيره ولذلك اختلفوا
في توسطه اذا كان جملة قال ابن السراج القياس جوازه ولكن لم يسمع قال شهاب الدين قد

تقدم في قوله ما كان يصنع فرعون ونحوه انه يجوز ان يكون من تقديم الخبر وان لا يكون
ووجه الدلالة هنا ان تقديم المعمول يوذن بتقديم العامل وتقدم تحقيق هذا في هود
في قوله تعالى الا يوم ياتيهم ليس مصروفا ومنع هذه القاعدة **فصل** لما بين ان
حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم كحال من تقدمه من
الانبيا صلوات الله عليهم وحال قومه حال من تقدم من الكفار وبين بطلان استدلالهم
بكثرة اموالهم واولادهم بين ما يكون عاقبة حالهم فقال جل وعز سبحانه ويوم يحشرهم
جميعا يعني المكذبين بك ومن يقدمك ثم يقول للملايكة الذين يدعون انهم يعبدونهم
فان غاية ما يرتقي اليه منزلتهم انهم يقولون نحن نعبد الملايكة والكواكب قال قتادة
هذا استفهام تقرير كقوله تعالى لعيسى صلوات الله عليه انت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين فيقول اهولاء اياكم كانوا يعبدون فتتبرا منهم الملايكة فيقولوا سبحانك تنزيها
لك انت ولينا من دونهم اي نحن نتولاك ولا نتولاهم يعني كونك ولينا بالعبودية اولى واحب
الينا من كونهم اولياءنا بالعبادة فقالوا بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين فهم في الحقيقة
كانوا يعبدون الجن وكنا كالقبلة لهم فان قيل فهم كانوا يعبدون الملايكة فما وجه
قولهم يعبدون الجن قيل ارادوا ان الشياطين زينوا لهم عبادة الملايكة فهم كانوا يطيعون
الشياطين في عبادة الملايكة فقوله يعبدون اي يطيعون الجن والعبادة هي الطاعة
اكثرهم بهم مومنون اي مصدقون الشياطين فان قيل جميعهم كانوا متابعين للشياطين فما
وجه قوله تعالى اكثرهم بهم فانه يدل على ان بعضهم لم يومن بهم ولم يطعهم فالجواب من وجهين
احدهما ان الملايكة احترزوا عن دعوى الاحاطة بهم فقالوا اكثرهم لان الذين راوهم
واطلعوا على احوالهم كانوا يعبدون الجن ويومنون بهم ولعل في الوجود من لم يطلع الله
الملايكة من الكفار الثاني هو ان العبادة عمل ظاهر والايمان عمل باطن فقالوا بل كانوا
يعبدون الجن لاطلاعهم على اعمالهم وقالوا اكثرهم بهم مومنون عند عمل القلب لئلا يكونوا
مدعين اطلاعهم على ما في القلوب فان القلب لا يطلع على ما فيه الا الله عز وجل كما قال
سبحانه انه عليم بذات الصدور ثم بين ان ما كانوا يعبدونه لا ينفعهم فقال سبحانه
فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا وهذا الخطاب يحتمل ان يكون مع الملايكة
لسبق قوله عز وعلا اهولاء اياكم كانوا يعبدون وعلى هذا يكون تنكيلا للكافرين حيث
بين لهم ان معبودهم لا ينفع ولا يضر ويصحح هذا قوله عز وجل لا يملكون الشفاعة
الا لمن ارتضى ولقوله بعده ونقول للذين ظلموا ذوقوا ولو كان المخاطب هم الكفار لقال
ذوقوا ويحتمل ان يكون الكفار داخلين في الخطاب حتى يصح معنى قوله بعضكم لبعض
اي الملايكة للكفار الحاضرين ويحتمل ان يكون معهم الجن اي لا يملك بعضكم لبعض
ايها الملايكة والجن واذا لم تملكوها لانفسكم فلا تملكوها لغيركم ويحتمل ان يكون المخاطب
هم الكفار لان ذكر اليوم يدل على حضورهم وعلى هذا فقوله ونقول للذين ظلموا انما ذكره
تاكيدا لبيان حالهم في الظلم فان قيل قوله نفعا مفيد للحسرة فما فايدة ذكر الضر مع
انهم لو كانوا يملكون الضر لما نفع الكافرين ذلك فالجواب لما كانت العبادة نفع لدفع ضرر
المعبود كما يعبد الجبار ويخدم مخافة شره بين انهم ليس فيهم ذلك الوجه الذي يحسن لاجله
عبادتهم فان قيل قوله هنا التي كنتم بها صفة للنار وفي السجدة وصف العذاب فجعل
المكذب هنا النار وجعل المكذب في السجدة العذاب وهم كانوا يكذبون بالكل فما فايدته
فالجواب قيل لانهم هناك كانوا ملتبسين بالعذاب مترددين فيه بدليل قوله كلما ارادوا ان
يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون فوصف
لهم ما لابسوه وهنا لم يلابسوه بعد لانه عقيب حشرهم وسوالهم فهو اول ما راوا النار فقيل
لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا
ما هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباوكم فعارضوا
البرهان بالتقليد وقالوا ما هذا الا افك مفترى يعنون القران وقيل القول بالوحدانية
افك مفترى كقوله تعالى في صفتهم ائفكا الهة دون الله تريدون وكقولهم للرسول صلوات

الله البر الرحيم وسلامه عليه اجئتنا لتافكنا عن الهتنا وعلى هذا يكون قوله تعالى وقال
الذين كفروا بدلا من قوله وقالوا للحق لما جاءهم هذا انكار للتوحيد وكان مختصا بالمشركين واما
انكار القران والمعجزة فكان متفقا عليه بين المشركين واهل الكتاب فقال تعالى وقال
الذين كفروا للحق على العموم قوله تعالى وما اتيناهم يعني هولاء المشركين من كتب يدرسونها
العامة على التخفيف مضارع درس مخففا اي حفظ وابو حيوة يدرسونها بفتح الدال مشددة
وكسر الراء من التدريس والمعنى يقرونها وقوله تعالى وما ارسلنا اليهم قبلك اي الى هولاء المعاصرين
لك لم نرسل اليهم اي لم يات العرب قبلك نبي ولا نزل عليهم كتاب ولا اتاهم نذير يشافههم بالنذارة
غيرك فلا تعارض بينه وبين قوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اذ المراد هناك اثار
النذير ولا شك ان هذا كان موجودا بمذهب النبي صلى الله عليه وسلم ونبيهم ثم بين
انهم كالذين من قبلهم كذبوا مثل عاد وثمود وغيرهم قوله تعالى وما بلغوا الظاهر ان الضمير
في بلغوا وفي اتيناهم للذين من قبلهم ليناسق قوله تعالى فكذبوا رسلي يعني انهم لم يبلغوا
في شكر النعمة وجزاء المنة معشار ما اتيناهم من النعم والاحسان اليهم وقيل بل ضمير الرفع لقريش
والنصب للذين من قبلهم وهو قول ابن عباس رضي الله عنه على معنى انهم كانوا اكثر اموالا وقيل
بالعكس على معنى ما اعطينا قريشا من الايات والبراهين ما لم نعط من قبلهم واختلف في المعشار
فقيل هو بمعنى العشر بني مفعال من لفظ العشر كالمرباع ولا ثالث لهما من الفاظ العدد لا يقال
مسداس ولا مخماس وقيل هو عشر العشر الا ان ابن عطية انكره وقال ليس بشي وقال الماوردي
المعشار هنا هو عشر العشير والعشير هو عشر العشر فيكون جزءا من الف قال وهو الاظهر لان المراد
به المبالغة **فصل** المعنى ان هولاء المشركين ما بلغوا معشار ما اعطينا الامم الخالية من
القوة والنعمة وطول العمر فكذبوا رسلي فكيف كان نكير اي انكاري ويعتبري عليهم بجز كفار
هذه الامة عذاب الامم الماضية وقيل المراد وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما اتيناهم
اي الذين من قبلهم ما بلغوا معشار ما اتينا محمدا صلى الله عليه وسلم من البيان والبرهان وذلك
لان كتاب محمد صلى الله عليه وسلم اكمل من ساير الكتب واوضح ومحمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم افضل من جميع الرسل وافصح وبرهانه اوفى وبيانه اشفى صلى الله عليه وسلم ثم ان المتقدمين
لما كذبوا بما جاءهم من الكتب ومن اتاهم من الرسل انكر عليهم فكيف لا ينكر عليهم وقد كذبوا بافصح الرسل
واوضح السبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويويد هذا قوله تعالى وما اتيناهم من كتب يدرسونها
يعني غير القران ما اتيناهم كتابا وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير فلما كان المولي في الاية الاولى هو
الكتاب فحمل الاية الثانية على ايتاء الكتاب اولى قوله تعالى فكذبوا فيه وجهان احدهما انه
معطوف على كذب الذين من قبلهم والثاني انه معطوف على وما بلغوا واوضحهما الزمخشري فقال
فان قلت ما معنى فكذبوا رسلي وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم قلت لما كان معنى
قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا
عنه ونظيره ان يقول القايل اقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يعطف
على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فيفضل عليه ونكير مصدر مضاف لفاعله اي
انكاري وتقدم حذف يايه واثباتها قوله تعالى قل انما اعظكم بواحدة اي امركم واوصيكم بواحدة
اي بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال ان تقوموا لله اي لاجل الله سبحانه وتعالى قوله
تعالى ان تقوموا فيه اوجه احدها انها مجرورة المحل بدلا من واحدة على سبيل البيان قاله الفارسي
رحمه الله الثاني انها عطف بيان لواحدة قاله الزمخشري وهو مردود لتخالفهما تعريفا وتنكيرا وقد
تقدم هذا عند قوله تعالى فيه ايات بينات مقام ابراهيم الثالث انها منصوبة باضمار اعني الرابع
انها مرفوعة على خبر ابتدا مضمر اي هي ان تقوموا مثنى وفرادى حال وتقدم تحقيق القول في مثنى
وبابه في سورة النسا ومعنى القول في فرادى في الانعام ومعنى مثنى اي اثنين اثنين واحدا واحدا
قوله تعالى ثم تتفكروا عطف على ان تقوموا اي قيامكم ثم تفكركم والوقف عند اي حاتم على هذه الاية
ثم يبتدي ما بصاحبكم وقال مقاتل تم الكلام عند قوله ثم تتفكروا اي في خلق السموات والارض فتعلموا
ان خالقها واحد لا شريك له فقال ما بصاحبكم من جنة وفي ما هذه قولان احدهما انها نافية والثاني
انها استفهامية لكن لا يراد به حقيقة الاستفهام فيعود الى النفي واذا كانت نافية فهل هي معلقة او

مستانفة او جواب القسم الذي يتضمنه معنى تتفكروا لانه فعل تحقيق كتبيين وبابه ثلاثة اوجه
نقل الثالث ابن عطية وربما نسبه لسيبويه واذا كانت استفهامية جاز فيها الوجهان الاولان دون
الثالث ومن جنة يجوز ان يكون فاعلا او التمييز **فصل** قوله مثنى وفرادى اشارة الى
جميع الاحوال فان الانسان اما ان يكون مع غيره فيدخل في قوله مثنى وان كان وحده دخل في قوله
فرادى فكانه قال يقوموا لله مجتمعين ومنفردين لا يمنعكم الجمعية من ذكر الله تعالى ولا يحوجكم
الا نفرادا الى معين يعينكم على ذكر الله ثم تتفكروا في حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلموا ما بصاحبكم
من جنة جنون وليس المراد من القيام القيام الذي هو ضد الجلوس وانما هو القيام بالامر الذي هو
طلب الحق كقوله تعالى وان تقوموا لليتامى بالقسط قال ابن الخطيب رحمه الله وقوله ما بصاحبكم
من جنة يفيد كونه رسولا صلى الله عليه وسلم وان كان لا يلزم في كل من لا يكون به جنتان يكون
رسولا لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظهر منه اشيا لا تكون مقدورة للبشر وغير البشر ممن يظهر منه
العجايب اما الجن واما الملك فاذا لم يكن الصادر من النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة الجن بل بقدرة
الله تعالى من غير واسطة وعلى التقديرين فهو رسول صلى الله عليه وسلم وهذا من احسن الطرق
وهو ان تثبت الصفة التي هي اشرف الصفات في البشر بنفي اخس الصفات فانه لو قال اولا هو رسول
كانوا يقولون فيه النزاع فاذا قال ما هو مجنون لم يسعهم انكار ذلك لعلمهم بعلو شانه وحاله
في قوة لسانه فاذا ساعدوا على ذلك لزمتهم المسيلة ولهذا قال بعده ان هو الا نذير لكم يعني اما
هو به جنة او هو رسول صلى الله عليه وسلم لكن تبين انه ليس به جنة فهو نذير صلى الله
عليه وسلم وقوله بين يدي عذاب شديد اشارة الى قرب العذاب كانه قال ينذركم بعذاب
حاضر يمسكم عن قريب قوله تعالى قل ما سالتكم من اجر فيما وجهان احدهما انها شرطية فيكون
مفعولا مقدما وهو جوابها والثاني انها موصولة في محل رفع بالابتدا والعايد محذوف
اي سالتكموه والخبر فهو لكم ودخلت الفا لشبه الموصول بالشرط والمعنى يحتمل انه لم يسالهم اجرا
البتة كقولك ان اعطيتني شيا فخذه مع علمك انه لم يعطك شيا وقول القايل ما لي من هذا فقد
وهبته لك يريد ليس لي فيه شي ويويده ان اجري الا على الله ويحتمل انه سالهم شيا نفعه عايد
عليهم وهو المراد بقوله الا المودة في القربى ان اجري ما ثوابي الا على الله وهو على كل شي
شهيد قوله تعالى قل ان ربي يقذف بالحق يجوز ان يكون يقذف بالحق مفعوله محذوفا لان
القذف في الاصل الرمي وعبر به هنا عن الالقا اي يلقي الوحي الى انبيايه صلوات الله عليهم
بالحق بسبب الحق او ملتبسا بالحق ويجوز ان يكون التقدير يقذف الباطل بالحق اي يدفعه ويطرحه
به كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل ويجوز ان يكون البا زايدة اي يلقي الحق كقوله
تعالى ولا تلقوا بايديكم او مضمن يقذف معنى يقضي ويحكم والقذف الرمي بالسهم او بالحصاة
او الكلام قال المفسرون معناه ياتي بالحق بالوحي ينزله من السما فيقذفه الى الانبيا صلوات الله
عليهم قوله تعالى علام الغيوب العامة على رفعه وفيه اوجه اظهرها انه خبر ثان لان او خبر
مبتدا مضمر او بدل من الضمير في يقذف او نعت له على راي الكساي لانه يجيز نعت الضمير الغايب
وقد صرح به هنا وقال الزمخشري رفع على محل ان واسمها او على المستكن في يقذف يعني بقوله
محمول على محل ان واسمها يعني به النعت الا ان ذلك ليس مذهب البصريين لانهم لم يعتبروا المحل
الا في العطف بالحرف بشروط عند بعضهم ويريد بالحمل على الضمير في يقذف انه بدل منه لا انه
نعت له لان ذلك انفرد به الكساي رحمه الله وقرا زيد بن علي وعيسى بن عمر وابن ابي اسحاق
بالنصب نعتا لاسم ان او بدلا منه على قلة الابدال بالمشتق او منصوب على المدح وقرئ الغيوب
بالحركات الثلاث في الغين فالضم والكسر تقدما في بيوت وبابه واما الفتح فصيغة مبالغة كالشكور
والصبور وهو الشي الغايب الخفي **فصل** قال ابن الخطيب في يقذف بالحق وجهان
احدهما يقذف بالحق في قلوب المحقين وعلى هذا تعلق الاية بما قبلها من حيث ان الله تعالى
لما بين رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ان هو الا نذير واكده بقوله قل
ما سالتكم من اجر فهو لكم وكان من عادة المشركين استبعاد تخصيص واحد منهم بانزال
الذكر عليه كما حكى عنهم قولهم اانزل عليه الذكر من بيننا ذكر ما يصلح جوابا لهم فقال تعالى
قل ان ربي يقذف بالحق في القلوب اشارة الى ان الامر بيده يفعل ما يريد ويعطي ما يشا

لمن يشا ثم قال علام الغيوب اشارة الى جواب سوال فاسد يذكر عليه وهو ان من فعل شيا كما
يريد من غير اختصاص محل الفعل بشي لا يوجد في غيره لا يكون عالما فانما ذلك فعل اتفاقي كما يصيب
السهم موضعا دون غيره مع تسوية المواضع في المحاذاة فقال سبحانه يقذف بالحق كيف شا وهو
عالم بما يفعله وعالم بعواقب ما يفعله اذ هو علام الغيوب فهو يفعل ما يريد لا كما يفعل الهاجم الغافل
عن العواقب الوجه الثاني ان المراد منه انه يقذف بالحق على الباطل فيدمغه وعلى هذا تعلق
الاية بما قبلها من حيث ان براهين التوحيد لما ظهرت وشبهتهم داحضة قال ان ربي يقذف بالحق
اي يبطل باطلكم وعلى هذا الوجه فقوله تعالى علام الغيوب هو ان البرهان الباهر المعقول لم يقع
الا على التوحيد والرسالة واما الحشر فلم برهان على وقوعه الا اخبار الله تعالى عنه وعن احواله
واهواله ولولا بيان الله بالقول لما بان لاحد بخلاف التوحيد والرسالة فلما قال يقذف بالحق اي
على الباطل اشار به الى ظهور البراهين على التوحيد والرسالة فلما قال يقذف بالحق اي على الباطل
والنبوة ثم قال علام الغيوب اي ما يخبره عن الغيب وهو قيام الساعة واحوالها فهو لا خلف فيه
فان الله علام الغيوب ويحتمل الاية وجها اخر وهو ان يقال ربي يقذف بالحق اي ما يقذفه
يقذفه بالحق لا بالباطل وهو ان يقال ربي يقذف بالحق اي ما يقذفه يقذفه بالحق لا بالباطل
والبا على الوجهين الاولين متعلق بالمفعول به والحق مقذوف على الوجهين الاولين وعلى هذا
البا في قوله بالحق كالبا في قوله تعالى فاحكم بين الناس بالحق والمعنى على هذا الوجه هو ان الله تبارك
وتعالى قذف ما قذف في قلب الرسل صلوات الله عليهم وهو علام الغيوب يعلم ما في قلوبهم وما
في قلوبكم قوله تعالى قل جا الحق يعني القران وقيل المعجزات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل المراد من جا الحق اي ظهر الحق لان كلما جا فقد ظهر قوله تعالى وما يبدي يجوز في ما
ان يكون نفيا وان يكون استفهاما ولكن يوول معناه الى النفي ولا مفعول ليبدي ولا ليعيد اذ المراد
لا يوقع هذين الفعلين كقوله • اقفر من اهله عبيد • اصبح لا يبدي ولا يعيد •
وقيل مفعوله اي ما يبدي لاهله خيرا ولا يعيده وهو تقدير الحسن والمعنى ذهب الباطل وزهق
فلم يبق منه بقية يبدي شيا او يعيد كقوله عز وجل بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه وهو قول
فيدمغه قال قتادة الباطل هو ابليس عليه لعنة الله اي ما يخلق ابليس احدا ولا يبعثه وهو قول
مقاتل والكلبي وقيل الباطل الاصنام قوله تعالى ان ضللت العامة على فتح لامه في الماضي وكسرها
في المضارع ويكن ينقل الى الساكن قبلها والحسن وابن وثاب بالعكس وهو لغة تميم وتقدم ذلك
فصل قال المفسرون ان كفار مكة كانوا يقولون انك ضللت حين تركت دين ابايك
فقال الله تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسي اي اثم ضلالي على نفسي وان اهتديت فبما
يوحي الي ربي من القران والحكمة انه سميع قريب قوله تعالى فبما يوحي يجوز ان يكون ما مصدرية
اي بسبب ايحا ربي وان تكون موصولة اي بسبب الذي يوحيه فعايده محذوف وقوله سميع اي يسمع
اذا ناديته واستعنت به عليكم قريب ياتيكم من غير تاخير ليس كمن يسمع من بعيد ولا يلحق الداعي
قوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا قال قتادة عند البعث حين يخرجون من قبورهم فلا فوت اي
فلا يفوتوني كقوله ولات حين مناص وقيل اذ فزعوا عند الموت فلا فوت فلا نجاة ولو ترى جوابه
محذوف اي ترى عجبا قوله تعالى فلا فوت العامة على بنايه على الفتح واخذوا فعلا ماضيا مبنيا
للمفعول معطوفا على فزعوا وقيل على معنى فلا فوت اي فلم يفوتوا واخذوا وقرا عبد الرحمن مولى
هاشم وطلحة رضي الله عنهم فلا فوت واخذ منونين والى الفتح فوت ورفع اخذ ورفع
فوت على الابتدا او على اسم لا التبرية ومن رفع واخذ رفعه بالابتدا والخبر محذوف اي واخذ
هناك او على خبر ابتدا مضمر اي وحالهم اخذ ويكون من عطف الجمل عطف مثبتة على منفية **فصل**
واخذوا من مكان قريب قال الكلبي من تحت اقدامهم وقيل اخذوا من بطن الارض الى ظهرها وحيث
ما كانوا فهم من الله قريب لا يفوتونه وقيل من مكان قريب يعني عذاب الدنيا قال الضحاك هو يوم
بدر وقال ابن ابزي خسف بالبيدا وجواب لو ترى محذوف اي لرايت امرا تعتبر به قوله تعالى
وقالوا امنا به اي عند الياس والضمير في به لله او للرسول صلى الله عليه وسلم او للقران او للعذاب
او للبعث وانى لهم التناوش من اين لهم اي كيف مقدرون على الظفر بالمطلوب وذلك لا يكون الا في
الدنيا وهم في الاخرة والدنيا من الاخرة بعيدة فان قيل فكيف قال في كثير من المواضع ان

الاخرة من الدنيا قريبة وسمى الله عز وجل الساعة قريبة فقال تعالى اقتربت الساعة اقترب للناس حسابهم لعل الساعة قريب فالجواب ان الماضي كالامس الدابر وهو ابعد ما يكون اذ لا وصول اليه والمستقبل وان كان بينه وبين الحاضر سنين فانه ات فيوم القيمة الدنيا بعيدة منه لمضيها ويوم القيمة في الدنيا قريب لاتيانه قوله تعالى التناوش مبتدا واني خبره اي كيف لهم التناوش ولهم حال ويجوز ان يكون لهم رافعا للتناوش لاعتماده على الاستفهام تقديره كيف استقر لهم التناوش وفيه بعد والتناوش مهموز في قراءة الاخوين وابي عمرو وابي بكر وبالواو في قراءة غيرهم فيحتمل ان يكونا مادتين مستقلتين مع اتحاد معناهما وقيل الهمزة عن الواو لانضمامها كوجوه واجوه ووقتت واقتت واليه ذهب جماعة كثيرة كالزجاج والزمخشري وابن عطية والحوفي وابي البقا قال الزجاج كل واو مضمومة ضمة لازمة فانت فيها بالخيار وتابعه الباقون قريبا من عبارته ورد ابو حيان هذا الاطلاق وقيده بانه لابد ان يكون الواو غير مدغم فيها تحرزا من التعود وان يكون غير مصححة في الفعل فانها متى صحت في الفعل لم تبدل همزة نحو ترهوك ترهوكا وتعاون تعاونا وبهذا القيد الاخير يبطل قولهم لانها صحت في تناوش يتناوش ومتى سلم له هذان القيدان او الاخير منهما ثبت رده والتناوش الرجوع قال •

• تمنى ان يؤوب الى مي • وليس الى تناوشها سبيل •

اي الى رجوعها وقيل هو التناول يقال ناش كذا اي تناوله ومنه تناوش القوم بالسلاح كقوله • ظلت سيوف بني ابيه تنوشه • لله ارحام هناك تشقق •

وقال اخر • فهي تنوش الحوض نوشا من علا • نوشا به يقطع اجواز الفلا •

وفرق بعضهم بين المهموز وغيره فجعل المهموز بمعنى التاخر قال الفراء ناشت اي تاخرت وانشد • تمنى نئيشا ان يكون مطاعنا • وقد حدثت بعد الامور امور •

وقال اخر • قعدت زمانا عن طلابك للعلا • وجئت نئيشا بعد ما فاتك الخبر •

وقال الفرا ايضا هما متقاربان يعني الهمز وتركه مثل ذمت الرجل وذامته اي عبته وانتاش انتياشا كتناوش تناوشا قال • كانت تنوش العنق انتياشا •

وهذا مصدر على غير المصدر ومن مكان متعلق بالتناوش **فصل** المعنى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا في الدنيا فضيعوه وعلى هذا قراءة من لم يهمز واما من همز فقيل معناه هذا ايضا وقيل التناوش بالهمز من النئيش وهي حركة في ابطاء يقال جاء نئيشا اي مبطيا متاخرا والمعنى من اين لهم الحركة فيما لا حيلة لهم فيه قال ابن عباس رضي الله عنه يسالون الرد فيقال واني لهم الرد الى الدنيا من مكان بعيد اي من الاخرة الى الدنيا قوله تعالى وقد كفروا به جملة حالية وقوله به اي بالقران وقيل بالله او بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالعذاب او البعث ومن قبل اي من قبل نزول العذاب وقيل من قبل ان عاينوا اهوال القيمة ويجوز ان يكون الجملة مستانفة والاول اظهر قوله تعالى ويقذفون يجوز فيها الاستيناف والحال وفيه بعد عكس الاول لدخول الواو على مضارع مثبت وقرا ابو حيوة ومجاهد ومحبوب عن ابي عمرو ويقذفون مبنيا للمفعول اي ترجمون بما يسوءهم من جزاء اعمالهم من حيث لا يحتسبون

فصل ويقذفون قال مجاهد يرمون محمدا صلى الله عليه وسلم بالظن لا باليقين وهو قولهم ساحر وشاعر وكاهن ومعنى الغيب وهو الظن لانه غاب علمه عنهم والمكان بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون محمدا صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وقال قتاده اي يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار قوله سبحانه وتعالى وحيل تقدم فيه الاشمام والكسر اول البقرة والقايم مقام الفاعل ضمير المصدر اي وحيل هو اي الحول ولا يقدره مصدرا مؤكدا بل مختصا حتى يصح قيامه وجعل الحوفي القايم مقام الفاعل بينهم واعترض عليه بانه كان ينبغي ان يرفع واجيب عنه بانه انما بني على الفتح لاضافته الى غير متمكن ورده ابو حيان بانه لا يبنى المضاف الى غير متمكن مطلقا فلا يجوز قام غلامك ولا مررت بغلامك بالفتح قال شهاب الدين رحمه الله وقد تقدم في قوله تعالى لقد تقطع بينكم ما يغني عن اعادته ثم قال ابو حيان وما يقول قايل ذلك في قول الشاعر وقد حيل بين العير والنزوان فانه نصب بين مضافه الى معرف وخرج ايضا على ذلك قول الاخر •

وقالت

• وقالت متى يبخل عليك ويعتلل • يسوك وان يكشف غرامك تدرب •

اي يعتلل هواي الاعلال **فصل** وحيل بينهم وما يشتهون يعني الايمان والتوبة والرجوع الى الدنيا وقيل نعيم الدنيا وزهرتها كما فعل باشياعهم بنظايرهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار من قبل لم يقبل منهم الايمان في وقت الباس انهم كانوا في شك من البعث ونزول العذاب بهم ومن قبل متعلق بفعل او باشياعهم اي الذين شايعوهم قبل ذلك الحين قوله تعالى مريب قد تقدم انه اسم فاعل من اراب اي اتى بالريب او دخل فيه واربته اوقعته في الريب ونسبة الارابة الى الشك مجاز وقال الزمخشري هنا الا انها ههنا فيها وهو ان المريب من المتعدي منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى ومن اللازم منقول من صاحب الشك الى الشك كما يقول شعر شاعر وهي عبارة حسنة مفيدة واين هذا من قول بعضهم ويجوز ان يكون اردفه على الشك ليتناسق اخر الاية بالتي قبلها من مكان قريب وقول ابن عطية الشك المريب اقوى ما يكون من الشك واشده وتقدم تحقيق الريب اول البقرة وتشنيع الراغب على من يفسره بالشك والله اعلم روي ابو امامة عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم من قرا سورة سبا لم يبق نبي ولا رسول الا كان له رفيقا ومصافحا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة الملايكة عليهم السلام مكية

وهي ست واربعون اية وسبع ماية وسبعة والسبعون كلمة وثلاثة الاف وماية وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله سبحانه وتعالى الحمد لله فاطر السموات والارض قد تقدم ان الحمد يكون على النعمة في اكثر الامر ونعم الله قسمان عاجلة واجلة والعاجلة وجود وبقاء والاجلة كذلك ايجاد مرة اخرى وابقا قوله تعالى فاطر ان جعلت اضافته محضة كان نعتا لله وان جعلتها غير محضة كان بدلا وهو قليل من حيث انه مشتق وهذه قراءة العامة فاطر اسم فاعل والزهري والضحاك فطر كذا قدره ابو الفضل ولا يليق بمذهب البصريين لان حذف الموصول الاسمي لا يجوز وقد تقدم هذا الخلاف مستوفى في البقرة الثاني انه حال على اضمار قد قاله ابو الفضل ايضا الثالث انه خبر مبتدا مضمر اي هو فطر وقد حكى الزمخشري قراءة تؤيد ما ذهب اليه الرازي فقال وقرئ الذي فطر وجعل فصرح بالموصول **فصل** معنى فاطر السموات والارض اي خالقها ومبدعها على غير مثال قال ابن عباس رضي الله عنه وقيل فاطر السموات والارض اي شاقهما لنزول الارواح من السماء وخروج الاجساد من الارض ويدل عليه قوله تعالى جاعل الملايكة رسلا فان في ذلك اليوم تكون الملايكة رسلا قوله تعالى جاعل العامة ايضا على جره نعتا او بدلا والحسن بالرفع والاضافة وروي عن ابي عمرو كذلك الا انه لم ينون ونصب الملايكة وذلك على حذف التنوين لالتقاء الساكنين كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وابن يعمر وخليد بن بسيط جعل فعلا ماضيا بعد قراءة فاطر بالجر وهذا كقراءة فالق الاصباح وجعل الليل والحسن وحميد رسلا بسكون السين وهو لغة تميم وجاعل يجوز ان يكون بمعنى مصيرا وبمعنى خالق فعلى الاول يجري الخلاف هل نصب الثاني باسم الفاعل او باضمار فعل هذا اذا اعتقدنا ان جاعلا غير ماض اما اذا كان ماضيا تعين ان ينتصب باضمار فعل وتقدم تحقيق ذلك في الانعام وعلى الثاني ينتصب على الحال ومثنى وثلاث ورباع صفة لاجنحة واولي صفة لرسلا وتقدم تحقيق الكلام في مثنى واخوتها في سورة النسا قال ابو حيان وقيل اولي اجنحة معترض ومثنى حال والعامل فعل محذوف يدل عليه رسلا اي يرسلون مثنى وثلاث ورباع وهذا الاسمي اعتراضا لوجهين احدهما ان اولي صفة لرسلا والصفة لا يقال فيها معترضة والثاني انها ليست حالا من رسلا بل من محذوف فكيف يكون ما قبله معترضا ولو جعله حالا من الضمير في رسلا لانه مشتق لسهل ذلك بعض شي ويكون الاعتراض بالصفة مجازا من حيث انه فاصل في الصورة قوله تعالى يزيد ما يشاء هو المفعول الثاني للزيادة والاول لم يقصد فهو محذوف اقتصارا لان قوله في الخلق يغني عنه **فصل** قال قتادة ومقاتل اولي اجنحة بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة اجنحة وبعضهم له اجنحة يزيد فيها

ما يشاء وهو قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله
عز وجل لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل صلوات الله عليه في صورته له ستمائة جناح
وقال ابن شهاب في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء قال حسن الصوت وعن قتادة هو الملاحة
في العينين وقيل هو العقل والتمييز ان الله على كل شيء قدير قوله تعالى ما يفتح الله للناس من
رحمة فلا ممسك لها لما بين كمال القدرة ذكر بيان نفوذ المشيئة ونفاذ الامر وقال ما يفتح الله
يعني ان رحم الله فلا مانع له وان لم يرحم فلا باعث له عليها وفي الآية دليل على سبق رحمته غضبه
من وجوه احدها التقديم حيث قدم بيان فتح ابواب الرحمة في الذكر وثانيها انه انث الكناية فقال
سبحانه فلا ممسك لها وتحوز من حيث العربية ان يقال له عود الى ما ولكن قال الله تعالى
ذلك ليعلم ان المفتوح ابواب الرحمة فهي واصلة الى من رحمه وقال عز وجل عند الامساك وما يمسك
فلا مرسل له بالتذكير ولم يقل لها فلم يصرح بانه لا مرسل للرحمة بل ذكره بلفظ يحتمل ان يكون الذي
يرسل هو غير الرحمة فان قوله تعالى وما يمسك عام من غير بيان وتخصيص وثالثها قوله من بعده
اي من بعد الله فاستثنى هاهنا وقال لا مرسل له الا الله وعند الامساك قال جل من قائل لا ممسك
لها ولم يقل غير الله لان الرحمة اذا جاءت لا ترتفع فان من رحمه الله في الآخرة لا يعذب بعدها
ولا غيره ومن يعذبه الله فقد يرحمه الله بعد العذاب كالفساق من اهل الايمان قوله تعالى
من رحمة تبيين او حال من اسم الشرط ولا يكون صفة لما لان اسم الشرط لا يوصف قال الزمخشري
وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه قيل اي رحمة كانت سماوية او ارضية قال ابو حيان
والعموم مفهوم من اسم الشرط ومن رحمة بيان لذلك العام من اي صنف هو وهو مما اجتزي فيه
بالنكرة المفردة عن الجمع المعرف المطابق في العموم لاسم الشرط وتقديره من الرحمات ومن في موضع
الحال انتهى قوله تعالى وما يمسك يجوز ان يكون على عمومه اي اي شيء امسكه من رحمة او غيرها
فعلى هذا التذكير في قوله له ظاهر لانه عايد على ما يمسك ويجوز ان يكون قد حذف المبين من
الثاني لدلالة الاول عليه تقديره وما يمسك من رحمة فعلى هذا التذكير في قوله له على لفظ
ما وفي قوله تعالى اولا فلا ممسك لها التانيث فيه حمل على معنى ما لان المراد به الرحمة فحمل
اولا على المعنى وفي الثاني على اللفظ والفتح والامساك استعارة حسنة وهو العزيز فيما
امسك اي ولا ينفع ذا الجد منك الجد قوله تعالى يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم لما بين ان
الحمد لله وبين بعض وجوه النعمة التي تستوجب الحمد على سبيل التفصيل بين النعمة على سبيل
الاجمال فقال تعالى اذكروا نعمة الله عليكم وهي مع كثرتها منحصرة في قسمين نعمة الايجاد ونعمة
الابقاء فقال عز وجل هل من خالق غير الله قرأ الاخوان غير بالجر نعتا لخالق على اللفظ ومن
خالق مبتدأ مزاد فيه من وفي خبره قولان احدهما هو الجملة من قوله عز وجل يرزقكم والثاني
انه محذوف تقديره لكم ونحوه وفي يرزقكم على هذا وجهان احدهما انه صفة ايضا لخالق فيجوز
ان يحكم على موضعه بالجر اعتبارا باللفظ وبالرفع اعتبارا بالموضع والثاني انه مستانف وقرا
الباقون بالرفع وفيه ثلاثة اوجه احدها انه خبر المبتدا والثاني انه صفة لخالق على الموضع
والخبر اما محذوف واما يرزقكم والثالث انه مرفوع باسم الفاعل على جهة الفاعلية لان اسم الفاعل
قد اعتمد على اداة الاستفهام الا ان ابا حيان توقف في مثل هذا من حيث ان اسم الفاعل وان
اعتمد الا انه لم يحفظ فيه زيادة من قال فيحتاج مثله الى سماع ولا يظهر التوقف فان شروط
الزيادة والعمل موجودة وعلى هذا الوجه فيرزقكم اما صفة او مستانف وجعل ابو حيان
استئنافه اولى قال لانتفاء صدق خالق على غير الله بخلاف كونه صفة فان الصفة يقيد فيكون
ثم خالق غير الله لكنه ليس برازق وقرأ الفضل بن ابراهيم النحوي غير بالنصب على الاستثناء والخبر
يرزقكم او محذوف ويرزقكم مستانف او صفة

فصل قال المفسرون هنا استفهام
على طريق التكرير كانه قال لا خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض اي من السماء المطر
ومن الارض النبات لا اله الا هو مستانف فانى تؤفكون اي فانى تصرفون عن هذا الظاهر
فكيف تشركون بمن له الملكوت ثم لما بين الاصل الاول وهو التوحيد ذكر الاصل الثاني وهو
الرسالة فقال تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك تسلي نبيه المصطفى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم بين من حيث الاجمال ان المكذب في العذاب وان المكذب له الثواب

بقوله

بقوله تعالى والى الله ترجع الامور ثم بين الاصل الثالث وهو الحشر فقال عز وجل يا ايها الناس
ان وعد الله حق يعني وعد القيامة فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور اي الشيطان وقرا
العامة بفتح الغرور وهو صفة مبالغة كالصبور والشكور وابو السماك وابو حيوة بضمها اما جمع
غار كقاعد وقعود واما مصدر كالجلوس قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو كما قال تعالى ولا يغرنكم
بالله الغرور ذكر ما يمنع العاقل من الاغترار وقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ولا تسمعوا
قوله وقوله فاتخذوه عدوا اي اعملوا ما يسوءه وهو العمل الصالح ثم قال عز من قائل انما يدعو حزبه
اي اشياعه ليكونوا من اصحاب السعير وفي الآية اشارة الى معنى لطيف وهو ان يكون له عدو فاما
ان يعاديه مجازاة له واما ان يوصيه فلما قال تعالى ان الشيطان لكم عدو امرهم بالعداوة واشار
الى ان الطريق ليس الا هذا واما الارضا فلا فائدة فيه لانكم ان ارضيتموه واتبعتموه فهو لا يوديكم
الا الى السعير واعلم ان من علم ان له عدوا لا مهرب له منه وجزم بذلك فانه يقف له ويصير معه على
قتاله الى ان يظفر به ولكن الشيطان لا يقدر الانسان يهرب منه فانه يقف معه ولا يزال
ثابتا على الجادة والاتكال على العبادة ثم بين تعالى ما حال حزبه وحال حزب الله وهو قوله
تعالى الذين كفروا يجوز رفعه ونصبه وجره فرفعه من وجهين اظهرهما ان يكون مبتدا والجملة
بعده خبره والاحسن ان يكون لهم هو الخبر وعذاب فاعله والثاني انه بدل من واو ليكونوا
ونصبه من اوجه البدل من حزبه والنعت له او اضمار فعل اذم ونحوه وجره من وجهين النعت او
البدلية من اصحاب واحسن الوجوه الاول لمطابقة التقسيم واللام في ليكونوا اما للعلة على المجاز
من اقامة المسبب مقام السبب واما للصيرورة ثم قال تعالى لهم عذاب شديد وهذا حال حزب
الشيطان والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير فالايمان في مقابلته المغفرة فلا يوبد
مومن في النار والعمل الصالح في مقابلته الاجر الكبير قوله تعالى افمن زين له سوء عمله من موصول
مبتدا وما بعده صلته والخبر محذوف فقدره الكسائي رحمه الله فذهب نفسك عليهم حسرات لدلالة
فلا تذهب عليه وقدره الزجاج واضله الله كمن هداه وقدره غيرهما كمن لم يزين له وهو احسن
لموافقته لفظا ومعنى ونظيره افمن كان على بينة من ربه كمن هو اعمى افمن يعلم انما انزل من ربك
الحق كمن هو اعمى والعامة على زين مبنيا للمفعول سوء رفع وعبيد بن عمير زين مبنيا للفاعل
وهو الله لا اله الا هو سوء نصب به وعنه اسوأ بصيغة التفضيل منصوبا وطلحة امن بغير فاء قال
ابو الفضل الهمزة للاستخبار بمعنى العامة للتقرير ويجوز ان يكون بمعنى حرف النداء فحذف التمام
كما حذف من المشهور الجواب يعني انه يجوز في هذه القراءة ان تكون الهمزة للنداء وحذف التمام
اي ما يودي لاجله كانه قيل يا من زين له سوء عمله ارجع الى الله وتب اليه وقوله كما حذف الجواب
يعني به خبر المبتدا الذي تقدم تقديره

فصل قال ابن عباس رضي الله عنه نزلت
في ابي جهل ومشركي مكة وقال سعيد بن جبير نزلت في اصحاب الاهواء والبدع قال قتادة منهم
الخوارج الذين يستحلون دما المسلمين واموالهم فاما اهل الكبائر فليسوا منهم لانهم لا يستحلون الكبائر
ومعنى زين له سوء عمله اي قبح عمله فراه حسنا زين له الشيطان ذلك بالوسواس شبهه له ومموه عليه
وحسن له سوء عمله اي قبح عمله فراه حسنا زين له الشيطان ذلك بالوسواس وفي الآية حذف مجازه
افمن زين له سوء عمله فراى الباطل حقا كمن هداه الله تعالى فراى الحق حقا والباطل باطلا فان
الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وذلك لان اشخاص الناس متساوية في الحقيقة والاساءة والاحسان
والسيئة والحسنة يمتاز بعضها عن بعض فاذا عرفهما البعض دون البعض لا يكون ذلك باستقلال
منهم فلا بد من الاسناد الى ارادة الله تعالى ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث حزن على
اصرارهم بعد اتيانه بكل اية وحجة قاهرة فقال جل وعلا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كقوله تعالى
فلعلك باخع نفسك على آثارهم اي لا تغتم بكفرهم وهلاكهم ان لم يومنوا قوله تعالى فلا تذهب العامة
على فتح التاء والهاء مسندا لنفسك من باب لا ارينك هاهنا اي لا تتعاط اسباب ذلك وقرا ابو جعفر وقتادة
والاشهب بضم التاء وكسر الهاء مسندا لضمير المخاطب نفسك مفعول به قوله تعالى حسرات فيه وجهان
احدهما انه مفعول من اجله اي لاجل الحسرات والثاني انه في موضع الحال على المبالغة كان كلها صارت
حسرات لفرط التحسر كما قال • مشوا الهواجر لحمهن مع السرى • حتى ذهبن كلاكلا وصدورا •
يريد رجعن كلاكلا وصدورا اي لم يبق الا كلاكل وصدور وحال قول سيبويه رحمه الله وجعلهما

المرو يتين بن منقولين من الفاعلية والحسرة شدة الحزن على ما فات من الامور ثم قال تعالى ان الله عليم بما يصنعون اي الله عالم بفعلهم يجازيهم على ما يصنعونه ثم عاد الى البيان وقال الله الذي ارسل الرياح وهبوب الرياح دليل ظاهر على الفاعل المختار لان الهوى قد يسكن وقد يتحرك وعند حركته قد يتحرك الى اليمين وقد يتحرك الى الشمال وفي حركاته المختلفة قد ينشي السحاب وقد لا ينشي فهذه الاختلافات دليل على مسخر مدبر مؤثر مقدر وقوله تعالى فتثير عطف على ارسل لان ارسل بمعنى المستقبل فلذلك عطف عليه واتى بارسل للتحقق وقوعه وتثير لتصور الحال واستحضار الصورة البديعة كقوله تعالى انزل من السماء ما فتصبح الارض مخضرة وكقول تابط شرا

الا من مبلغ فتيان فهم	بما لاقيت عند رحا فطات
باني قد رايت الغول تهوي	بسهب كالصحيفة صحصحان
فقلت لها كلانا نضو ارض	اخو سفر فخلي لي مكاني
فشدت شدة نحوي فاهوت	لها كفي بمصقول يماني
فاضربها بلا دهش فخرت	صريعا لليدين وللجران

حيث قال فاضربها ليصور لقومه حالة وشجاعته وجراته وقوله عز وجل فسقناه واحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو داخل في الاختصاص وادل عليه وقوله فقال ارسل بلفظ الماضي وقال تعالى فتثير سحابا بلفظ المستقبل لانه لما اسند فعل الارسال الى الله وما يفعله الله بقوله كن فلا يبقى في العدم لا زمانا ولا جزءا من الزمان فلم يقل بلفظ المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة كونه كانه كان ولانه فرغ عن كل شيء فهو قدر الارسال في الاوقات المعلومة والى المواضع المعينة ولما اسند فعل الاثارة الى الريح وهي تؤلف في زمان فقال تثير اي على هيئتها وقال سقنا اسند الفعل الى المتكلم ولذلك في قوله فاحييناه لانه في الاول عرف نفسه بفعل من الافعال وهو الارسال ثم لما عرف قال انا الذي بعثت السحاب واحييت الارض ففي الاول كان تعريفا بالفعل العجيب وفي الثاني كان تذكيرا بالنعمة فان كمال نعمة الرياح والسحاب بالسوق والاحيا وقوله سقنا واحيينا بصيغة الماضي يؤيد ما ذكرنا من الفرق بين قوله ارسل وبين قوله تثير ثم قال كذلك النشور اي من القبور ووجه التشبيه من وجوه احدها ان الارض الميتة لما قبلت الحياة اللايقة بها كذلك الاعضا تقبل الحياة وثانيها كما ان الريح تجمع القطع السحابية كذلك تجمع اجزا الاعضا وابعاض الاشيا وثالثها كما انا نسوق الريح والسحاب الى البلد الميت كذلك نسوق الروح الى الجسد الميت فان قيل ما الحكمة في اختيار هذه الاية من بين الايات مع ان الله تعالى له في كل شي اية تدل على انه واحد فالجواب ان الله تعالى لما ذكر كونه فاطر السموات والارض وذكر من الامور السماوية الارواح وارسالها بقوله عز وجل جاعل الملائكة رسلا ذكر من الامور الارضية الرياح قوله تعالى من كان يريد شرط جوابه مقدر ويختلف تقديره باختلاف التفسير في قوله تعالى من كان يريد العزة فقال مجاهد رحمه الله معناه من كان يريد العزة بعبادة الاوثان فيكون تقديره فليطلبها وقال قتادة من كان يريد العزة وطريقة القويم ويحب نيلها على وجهها فيكون تقديره على هذا فليطلبها وقال الفراء من كان يريد علم العزة فيكون التقدير فلينسب ذلك الى الله تعالى وقيل من كان يريد العزة التي لا يعقبها ذل فيكون التقدير فهو لا ينالها ودل على هذه الاجوبة قوله تعالى فلله العزة وانما قيل ان الجواب محذوف وليس هو هذه الجملة لوجهين احدهما ان العزة لله مطلقا من غير ترتبها على شرط ارادة احد والثاني انه لا بد في الجواب من ضمير يعود على اسم الشرط اذا كان غير ظرف ولم يوجد هنا وجميعا حال والعامل الاستقرار قال قتادة من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله عز وجل ومعناه الدعا الى طاعة من له العزة اي فليطلب العزة من عند الله بطاعته كما يقال من كان يريد المال فالمال لفلان اي فليطلبه من عنده وذلك ان الكفار عبدوا الاصنام وطلبوا بها التعزز كما قال الله تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا وقال الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا قوله تعالى اليه يصعد العامة على بنايه للفاعل من صعد ثلاثيا الكلم الطيب برفعهما فاعلا ونعتا وعلي وابن مسعود يصعد من اصعد الكلم الطيب منصوبان على المفعول والنعت وقرئ يصعد بضم اليا لكنه لم يبين كونه مبنيا للفاعل او المفعول فصل قال المفسرون الكلم الطيب قول

لا اله الا الله وقيل هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن ابن مسعود قال اذا حدثتكم حديثا انباتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا للقايلين حتى يجي بهن وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله تبارك وتعالى قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب وقيل الكلم الطيب ذكر الله وعن قتادة رضي الله عنه اليه يصعد الكلم الطيب اي يقبل الله الكلم الطيب فيكون صاعدا ويرفعه على هذا استينافا اخبار من الله بانه يرفعهما وانما وحد الضمير وان كان المراد الكلم والعمل ذهابا بالضمير مذهب اسم الاشارة كقوله تعالى عوان بين ذلك وقيل لاشتراكهما في صفة واحدة وهي الصعود والثاني انه مبتدا ويرفعه الخبر ولكن اختلفوا في فاعل يرفع ثلاثة اوجه احدها انه ضمير الله تبارك الله تعالى اي والعمل الصالح يرفعه الله اليه والثاني انه ضمير العمل الصالح وضمير النصب على هذا فيه وجهان احدهما انه يعود على صاحب العمل اي يرفع صاحبه والثاني انه ضمير الكلم الطيب اي العمل الصالح يرفع الكلم الطيب ونقل هذا عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وعكرمة واكثر المفسرين رضي الله عنهم الا ان ابن عطية منع هذا عن ابن عباس وقال لا يصح لان مذهب اهل السنة ان الكلم الطيب وان كان صاحبه عاصيا والثالث ان ضمير الرفع للكلم والنصب للعمل اي الكلم يرفع العمل وقرا ابن ابي عبلة وعيسى بنصب العمل الصالح على الاشتغال والضمير المرفوع للكلم او لله والمنصوب للعمل فصل قال الحسن وقتادة الكلم ذكر الله والعمل الصالح اداء فرايضه فمن ذكر الله ولم يود فرايضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل لقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا قولا وعملا الا بنية ومن قال الها في قوله يرفعه راجعة الى العمل الصالح اي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عمل الا ان يكون صادرا عن التوحيد وهذا معنى قول الكلبي ومقاتل وقال سفين ابن عيينة العمل الصالح هو الخالص يعني ان الاخلاص سبب قبول الخيرات من الاقوال والافعال لقوله تعالى فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا فجعل نقيض الصالح الشرك والريا قوله تعالى والذين يمكرون السيات يمكرون اصله قاصر وعلى هذا ينتصب السيات على نعت مصدر محذوف اي المكرات السيات او نعت لمضاف الى المصدر مفعول به قال الزمخشري ويحتمل ان يقال استعمل المكر استعمال العمل فعداه لتعديته كما قال تعالى الذين يعملون السيات فعلى هذا يحتمل ان يكون السيات وصفا لمصدر تقديره الذين يعملون العملات السيات وعلى هذا يكون في مقابلة قوله عز وجل والعمل الصالح يرفعه وقال الكلبي معناه يعملون السيات قال مقاتل رحمه الله يعني الشرك وقال ابو العالية يعني الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة كما قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك قوله تعالى ومكر اولئك هو يبور هو مبتدا ويبور خبره والجملة خبر قوله ومكر اولئك وجوز الحوفي وابو البقا ان يكون هو فصلا بين المبتدا وخبره وهذا مردود بان الفصل لا يقع قبل الخبر اذا كان فعلا الا ان الجرجاني جوز ذلك وجوز ابو البقا ايضا ان يكون هو توكيدا وهذا مردود بان الضمير لا يؤكد الظاهر ومعنى يبور يهلك ويبطل في الاخرة قوله تعالى والله خلقكم من تراب الاية قد تقدم ان الدلايل مع كثرتها منحصرة في قسمين دلايل الافاق ودلايل الانفس كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم فلما ذكر دلايل الافاق من السموات وما يرسل منها من الرياح شرع في دلايل الانفس وتقدم ذكره مرارا وتقدم ان قوله من تراب اشارة الى خلق ادم صلوات الله عليه ثم من نطفة اشارة الى خلق اولاده وتقدم ان الكلام غير محتاج الى هذا التاويل بل خلقكم خطاب مع الناس بالاخرة الى الما والتراب فهو من تراب صار نطفة ثم جعلكم ازواجا ذكرانا واناثا قوله تعالى من انثى من مزيدة في انثى ولذلك في من معمر الا ان الاول فاعل وهذا مفعول قام مقامه والا بعلمه حال اي الا ملتبسة بعلمه قوله تعالى من عمره في هذا الضمير قولان احدهما انه يعود على معمر اخر لان المراد بقوله تعالى من معمر الجنس فهو يعود عليه لفظا لا معنى لانه بعد ان فرض كونه معمرا استحال ان ينقص من عمر نفسه كقوله

وكل اناس قاربوا قيد فحلهم • ونحن خلعنا قيده فهو سارب

ومنه عندي درهم ونصفه اي ونصف درهم اخر والثاني انه يعود على معمر لفظا ومعنى والمعنى انه

اذا امضى من عمره حول احصى وكتب ثم حول اخر لذلك فهذا هو النقص واليه ذهب ابن عباس وابن جبير
وابو مالك ومنه قول الشاعر ٭ حياتك انفاس تعد فكلما ٭ مضى نفس منك انتقصت به جزاه ٭
وقرا يعقوب وسلام ويروي عن ابي عمرو ولا ينقص مبنيا للفاعل وقرا الحسن من عمره بسكون الميم فصل
معنى وما يعمر من معمر ولا يطول عمره ولا ينقص من عمره اي من عمر اخر كما يقال لفلان عندي درهم ونصفه
اي نصف درهم اخر الا في كتاب وقيل قوله عز وجل ولا ينقص من عمره ينصرف الى الاول قال سعيد
ابن جبير رضي الله عنه مكتوب في ام الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب اسفل من ذلك ذهب
يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة ايام حتى ينقطع عمره وقال كعب الاحبار رضي الله عنه حين حضر
عمر رضي الله عنه الوفاة والله لو دعا عمر ربه ان يوخر اجله الاخر فقيل له ان الله عز وجل يقول فاذا
جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فقال اذا احضر الاجل فاما قبل ذلك فيجوز ان يزاد
وينقص وقرا هذه الاية **فصل** قوله تعالى وما تحمل من انثى ولا تضع اشارة الى كمال قدرته
فان ما في الارحام قبل التخليق بل بعده ما دام في البطن لا يعلم حاله احد كيف والام الحاملة لا تعلم منه
شيا فلما ذكر بقوله خلقكم من تراب كمال قدرته بين بقوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه كمال علمه
ثم بين نفوذ ارادته بقوله عز وجل وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فبين انه هو
القادر العليم والمريد والاصنام لا قدرة لها ولا علم ولا ارادة فكيف يستحق شي منها العبادة ثم قال
ان ذلك على الله يسير اي الخلق من التراب ويحتمل ان يكون المراد ان التعمير والنقصان على الله يسير
ويحتمل ان يكون المراد ان العلم بما تحمله الانثى والكل على الله يسير والاول اشبه لان استعمال اليسير
في الفعل الليق قوله تعالى وما يستوي البحران يعني العذب والملح ثم ذكرهما فقال تبارك اسمه هذا عذب
فرات طيب سايغ شرابه جايز في الحلق هني وهذا ملح اجاج شديد الملوحه وقال الضحاك هو المر
قوله تعالى سايغ شرابه يجوز ان يكون مبتدا وخبرا والجملة خبر ثان وان يكون سايغ خبرا وشرابه فاعلا
به لانه اعتمد وقرا عيسى ويروي عن ابي عمرو وعاصم سيغ مثل سيد وميت وعن عيسى بتخفيف يايه
كما تخفف هين وميت وقرا طلحة وابو نهيك ملح بفتح الميم وكسر اللام فقيل هو مقصور من مالح ومالح
لغيد شاذه وقيل ملح بالفتح والكسر لغة في ملح بالكسر والسلوت **فصل** قال اكثر المفسرين
ان المراد من الاية ضرب المثل في حق الكفر والايمان او الكافر والمومن فالايمان لا يشبه بالكفر كما لا يشبه
البحر العذب الفرات بالبحر الملح الاجاج ثم على هذا فقوله عز وجل ومن كل تاكلون لحما طريا فالبيان ان حال
المومن والكافر والكفر والايمان دون حال البحرين لان الاجاج يشارك الفرات في خير ونفع اذ اللحم
الطري يوجد فيهما والحلية يوخذ منهما والفلك تجري فيهما ولا يقع في الكفر والكافر وعلى هذا نسق قوله
تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل وقوله كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار
وان منها لما يشقق فيخرج منه الما قال ابن الخطيب رحمه الله والاظهر ان المراد منه ذكره دليل اخر
على قدرة الله تعالى وذلك من حيث ان البحرين يستويان في الصورة ويختلفان في الماء فان احدهما
فرات والاخر ملح اجاج ولولا ذلك ايجاب موجب لما اختلف المتساويان ثم انهما بعد اختلافهما يوجد
منهما امور متشابهة فان اللحم الطري يوجد فيهما والحلية توخذ منهما ومن يوجد في المتشابهين اختلافا
ومن المختلفين اشتباها لا يكون الا قادرا مختارا بقوله تعالى وما يستوي البحران اشارة الى عدم
استوايهما دليل على كمال قدرته ونفوذ ارادته **فصل** قال اهل اللغة لا يقال في ماء
البحر مالحا ويواخذ قايله به وهو اصح مما يذهب اليه القوم وذلك لان الماء العذب اذا القي ملح حتى
ملح لا يقال له الا مالح وما ملح الذي صار من اصل خلقته كذلك لان المالح شي فيه ملح ظاهر في
الذوق والماء الملح ليس ماء وملحا بخلاف الطعام المالح فالماء العذب الملقي فيه الملح ما فيه ملح ظاهر
في الذوق بخلاف ما هو من اصل خلقته كذلك فالماء الغير الملح اجزاء ارضية سبخة يصير بها ماء
البحر ملحا فراعى فيه الاصل فانه جعله ماء جاور ملحا واهل اللغة حيث قالوا في البحر ماء وملح جعلوه
كذلك من اصل الخلقة والاجاج المر كما تقدم قوله تعالى ومن كل تاكلون لحما طريا من الطير والسمك
من العذب والملح جميعا وتستخرجون يعني من الملح دون العذب حلية تلبسونها من اللولو والمرجان
وقيل نسب اللولو اليهما لانه قد يكون في البحر الاجاج عيون عذبة تمتزج بالمالح فيكون اللولو
من ذلك وترى الفلك فيه مواخر اي ماخرات تشق البحر بالجريان ان تشق جواري مقبلة
ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا من فضله بالتجارة ولعلكم تشكرون الله تبارك وتعالى على

نعمه

نعمه وهذا يدل على ان المراد من الاية الاستدلال بالبحرين وما فيهما على وجود الله ووحدانيته
وكمال قدرته تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهذا استدلال اخر باختلاف الازمنة
وقوله وسخر الشمس والقمر جواب لسوال يذكره المشركون وهو انهم قالوا اختلاف الليل والنهار بسبب اختلاف
القسي الواقعة فوق الارض وتحتها فان في الصيف تكون الشمس على سمت الروس في بعض البلاد المايلة الافاق
وحركة الشمس هناك مايلة فتقع تحت الارض اقل من نصف دايره فيقل زمان مكثها تحت الارض فينقص
الليل وفي الشتا بالضد فيقصر النهار فقال الله تبارك وتعالى وسخر الشمس والقمر يعني سبب الاختلاف
وان كان ما ذكرتم لكن سير الشمس والقمر بارادة الله وقدرته فهو الذي فعل ذلك كل يجري لاجل مسمى
قوله تعالى ذلكم الله ربكم ذلكم مبتدا والله خبره وربكم خبر ثان او نعت لله وقال الزمخشري ويجوز
في حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم خبر لولا ان المعنى ياباه ورده
ابو حيان بان الله علم لا جنس فلا يوصف به ورد قوله ان المعنى ياباه فقال لانه يكون قد اخبر عن المشار
اليه بتلك الصفات والافعال انه مالككم ومصلحكم **فصل** المعنى ذلك الذي فعل هذه
الاشيا من فطر السموات والارض وارسال الرياح والارواح وخلق الانسان من التراب وغيره ذلك
له الملك كله ولا معبود الا هو واذا كان له الملك كله فله العباد كلهم ثم بين ما ينافي صفة الالهية فقال
عز وجل والذين يدعون من دونه يعني الاصنام ما يملكون من قطمير قوله تعالى والذين تدعون العامة
على الخطاب في تدعون لقوله ربكم وعيسى وسلام ويعقوب ويروى عن ابي عمرو بيا الغيبة اما على الالتفات
واما على الانتقال الى الاخبار والفرق بينهما انه يكون في الالتفات المراد بالضميرين واحدا بخلاف
الثاني فانهما غيران وما يملكون هو خبر الموصول ومن قطمير مفعول به ومن فيه مزيدة والقطمير
المشهور فيه انه لفافة النواة وهو مثل في القلة كقوله ٭
٭ وابوك يخصف نعله متوركا ٭ ما يملك المسكين من قطمير ٭
وقيل هو القمع وقيل ما بين القمع والنواة وقد تقدم ان في النواة اربعة اشيا يضرب بها المثل في القلة
الفتيل وهو ما في شق النواة والقطمير وهو اللفافة والنقير وهو ما في ظهرها والثفروق وهو ما بين
القمع والنواة قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاكم يعني الاصنام ولو سمعوا ما استجابوا لكم وهذا ابطال
لما كانوا يقولون ان عبادة الاصنام عزة من حيث القرب منها والنظر اليها وعرض الحوايج عليها والله
لا يرى ولا يصل اليه احد فقال عز وجل مجيبا لهم ان هولا لا يسمعون دعاكم والله سبحانه وتعالى اليه
يصعد الكلم الطيب فيسمع ويقبل ثم تنازلهم وقال هب انهم يسمعون بانها بجسد لان ذلك انكار
للمحسوس فقال ولو سمعوا ما يظنون ما استجابوا لكم قوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم اي
يتبرون منكم ومن عبادتكم اياها ويقولون ما كنتم ايانا تعبدون واعلم انه تعالى لما بين عدم النفع
فيهم في الدنيا بين عدم النفع منهم في الاخرة ووجود الضرر منهم في القيمة بقوله ويوم القيمة
يكفرون بشرككم اي باشراككم بالله غيره وهذا مصدر مضاف لفاعله ثم قال سبحانه ولا ينبيك مثل
خبير يعني بنفسه اي لا ينبيك احد مثلي خبير عالم بالاشيا وهذا الخطاب يحتمل وجهين احدهما ان يكون
خطابا للنبي المصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم ووجهه ان الله
تعالى لما اخبر بان الخشب والحجر يوم القيمة ينطق ويكذب عابده وذلك ما لا يعلم بالعقل المجرد لولا اخبار
الله تعالى عنه بقوله يكفرون بهم يوم القيمة فهذا القول مع كون المخبر عنه امرا عجيبا قال ان المخبر
عنه خبير والثاني ان ذلك الخطاب غير مختص باحد اي هذا الذي ذكره هو كما ذكر ولا ينبيك ايها
السامع كاينا من كنت مثل خبير قوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله اي الى فضل
الله والفقير هو المحتاج والله هو الغني عن خلقه الحميد اي المحمود في احسانه اليهم واعلم
انه لما كثر الدعا من النبي المصطفى صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه والاصرار من الكفار
قالوا ان الله لعله محتاج الى عبادتنا حتى يامرنا بها امرا بالغا ويهددنا على تركها مبالغا فقال
الله انتم الفقرا الى الله والله الغني فلا يامركم بالعبادة لاحتياجه اليكم وانما هو لاشفاقه
عليكم **فصل** التعريف في الخبر قليل والاكثر ان يكون الخبر نكرة والمبتدا معرفة لان المخبر
لا يخبر في الاكثر الا بامر لا يعلمه المخبر وفي لحن المتكلم ان السامع لا علم له به ثم ان المبتدا لابد وان
يكون معلوما عند السامع حتى يقول له ايها السامع الامر الذي تعرفه انت فيه المعنى الفلاني
كقول القايل زيد قايم او قام اي زيد الذي تعرفه ثبت له قيام لا علم عندك به فان كان الخبر

معلوما عند السامع والمبتدا لذلك ويبقى الخبر تنبيها لا تفهيما فانه يحسن تعريف الخبر كقول القايل
الله ربنا ومحمد نبينا حيث عرف كون الله ربنا وكون محمد نبينا وههنا لما كان كون الناس فقرا امرا
ظاهرا لا يخفى على احد قال انتم الفقرا وقوله الى الله اعلام بان لا افتقار الا اليه ولا اتكال الا
عليه وهذا يوجب عبادته لكونه مفتقرا اليه وعدم عبادة غيره لعدم الافتقار الى غيره ثم قال
والله هو الغني اي هو مع استغنايه يدعوكم كل الدعا وانتم مع احتياجكم لا تجيبونه قوله تعالى
ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وهذا بيان لغناه وفيه بلاغة كاملة لان قوله تعالى ان
يشا يذهبكم اي ليس اذهابكم موقوفا الا على مشيته بخلاف الشي المحتاج اليه فان المحتاج الى الشي
لا يقال فيه انشا فلان هدم داره وانما يقال لولا حاجة السكنى الى الدار لبعتها ثم انه تعالى
زاد على بيان الاستغنا بقوله تعالى ويات بخلق جديد يعني ان كان يتوهم متوهم ان هذا
الملك كمال وعظمة فلو اذهبه لزال ملكه وعظمته فهو قادر ان يخلق خلقا جديدا احسن
من هذا واجمل وما ذلك على الله بعزيز اي الاذهاب والاتيان واعلم ان لفظة العزيز استعمله
الله تعالى تارة في القايم بنفسه فقال في حق نفسه وكان الله قويا عزيزا وقال في هذه
السورة واستعمله تارة في القايم بغيره فقال جل ذكره وما ذلك على الله بعزيز وقال سبحانه
عزيز عليه ما عنتم فهل هما بمعنى واحد او بمعنيين فيقول العزيز في اللغة هو الغالب والفعل
اذا كان لا يطيقه شخص فيقال هو مغلوب بالنسبة الى ذلك الفعل فقوله جل ذكره وما ذلك
على الله بعزيز اي ذلك الفعل لا يغلبه قوله تعالى ولا تزر وازرة اي نفس وازرة فحذف
الموصوف للعلم ومعنى تزر تحمل اي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى قوله تعالى وان تدع
مثقلة اي نفس مثقلة بالذنوب نفسا الى حملها فحذف المفعول به للعلم به والعامة لا تحمل
مبنيا للمفعول وشي قايم مقام الفاعل وابو السماك وطلحة وتروي عن الكسايي بفتح التا من
فوق وكسر الميم اسند الفعل الى ضمير النفس المحذوفة التي هي مفعوله لتدع اي لا تحمل تلك النفس
المدعوة شيا مفعول بلا تحمل قوله تعالى ولو كان ذا قربى اي ولو كان المدعو ذا قربى وقيل
التقدير ولو كان الداعي ذا قربى والمعنيان حسنان وقرى ذو بالرفع على انها التامة اي ولو
حضر ذو قربى نحو قد كان من مطر وان كان ذو عسرة قال الزمخشري رحمه الله ونظم الكلام
احسن ملايمة للناقصة لان المعنى على ان المثقلة اذا دعت احدا الى حملها لا يحمل منه ولو
كان مدعوها ذا قربى وهو ملتيم ولو قلت ولو وجد لقربى لخرج عن التيامه قال ابو حيان
وهو ملتيم على المعنى الذي ذكرناه قال شهاب الدين رحمه الله والذي قاله هو اي ولو
حضر اذ ذاك ذو قربى ثم قال وتفسيره كان وهو مبني للفاعل بوجد وهو مبني للمفعول تفسير
معنى والذي يفسره النحوي به كان التامة نحو حدث وحضر ووقع **فصل** المعنى ان
تدع مثقلة بذنوبها غيرها الى حملها اي تحمل ما عليه من الذنوب لا تحمل منه شي ولو كان
المدعو اقرابه له ابنه او اباه او امه او اخاه قال ابن عباس رضي الله عنه يلقى الاب او الام
ابنه فيقول يا بني احمل عني بعض ذنوبي فيقول لا استطيع حسبي ما علي قوله تعالى انما تنذر
الذين يخشون ربهم يخافون ربهم بالغيب ولم يروه قال الاخفش تاويله انذارك انما ينفع
الذين يخشون ربهم بالغيب قوله تعالى بالغيب حال من الفاعل اي يخشونه غايبين
او من المفعول اي غايبا عنهم وقوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلاة
كقوله عز وجل الذين امنوا وعملوا الصالحات كقوله سبحانه الذين يومنون بالغيب ويقيمون
الصلاة في المعنى قوله تعالى ومن تزكى قرا العامة تزكى تفعل وعن ابي عمرو ومن يزكى فانما
يزكى والاصل فيهما يتزكى فادغمت التا في الزاي كما ادغمت في الدال نحو يذكرون يتذكرون
وابن مسعود وطلحة ومن ازكى والاصل يتزكى فادغم باجتلاب همزة الوصل فانما يزكى
اصله يتزكى فادغم كابي عمرو وفي غير المشهور عنه **فصل** معنى ومن يزكى صلح
وعمل خيرا فانما يتزكى لنفسه لها ثوابه والى الله المصير اي التزكي ان لم تظهر فايدته عاجلا
فالمصير الى الله يظهر عنده في يوم القيمة في دار البقا والوازر ان لم يظهر تبعة وزره في
الدنيا فهي تظهر في الاخرة اذ المصير الى الله تعالى ثم لما بين الهدى والضلال لم يهتدي
الكافر وهدى الله المومن ضرب له مثلا بالبصير والاعمى فالمومن بصير حيث ابصر الطريق الواضح

والكافر

والكافر اعمى قوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير استوى من الافعال التي لا يكتفى فيها بواحد لو
قلت استوى زيد لم يصح فمن ثم لزم العطف على الفاعل او تعدده ولا في قوله ولا الظلمات الى اخره مكررة
لتاكيد النفي وقال ابن عطية دخول لا انما هو على نية التكرار كانه قال ولا الظلمات والنور ولا النور
والظلمات فاستغنى بذكر الاوايل عن الثواني ودل مذكورا الكلام على متروكه قال ابو حيان وهذا يحتاج
اليه لانه اذا نفي استواهما اولا فاي فايدة في نفي استوايهما ثانيا وهو كلام حسن الا ان ابا حيان هنا قال
فدخول لا في النفي لتاكيد معنى فقوله تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيية وللناس في هذه الاية قولان
احدهما ما ذكروا الثاني انها غير موكدة اذ يراد بالحسنة الجنس ولذلك السيية فكل واحد منهما متفاوت جنسه
لان الحسنات درجات متفاوته ولذلك السيات وسياتي تحقيق هذا ان شا الله تعالى فعلى هذا امكن
ان يقال بهذا هنا وهو ان المراد بنفي استوا الظلمات ونفي استوا جنس النور الا ان هذا غير مراد هنا في
الظاهر اذ المراد مقابلة هذه الاجناس بعضها ببعض لا مقابلة بعض افراد كل جنس على حدته ويرجح هذا
الظاهر التصريح بهذا في قوله اولا وما يستوي الاعمى والبصير حيث لم يكررها وهذا من المواضع الحسنة المفيدة
والحرور شدة حر الشمس وقال الزمخشري الحرور والسموم الا ان السموم بالنهار والحرور فيه وفي الليل
قال شهاب الدين وهذا مذهب الفرا وغيره وقيل السموم بالنهار والحرور بالليل خاصة نقله ابن
عطية عن روبة وقال ليس بصحيح بل الصحيح ما قاله الفرا وهذا عجيب منه كيف رد على اصحاب اللسان
بقول من ياخذ عنهم وقرا الكسايي في رواية زاذان عنه وما يستوي الاحيا بالتاء منقوطة على معنى الجماعة
وهذه الاشيا جي بها على سبيل الاستعارة والتمثيل فالاعمى والبصير الكافر والمومن والظلمات والنور
الكفر والايمان والظل والحرور الحق والباطل والاحيا والاموات لمن دخل في الاسلام ومن لم يدخل
فيه وجا ترتيب هذه المنفيات على احسن الوجوه فانه تعالى لما ضرب الاعمى والبصير مثلين للكافر
والمومن عقبه بما كل منهما فيه فالكافر في ظلمة والمومن في نور لان البصير وان كان حديد النظر لا بد
له من ضوء يبصر فيه وقدم الاعمى لان البصير فاصلة فحسن تاخيره ولما تقدم الاعمى في الذكر ناسب
تقديم ما هو فيه فلذلك قدمت الظلمات على النور ولان النور فاصلة ثم ذكر ما لكل منهما
فللمومن الظل وللكافر الحرور واخر الحرور لاجل الفاصلة كما تقدم وقولنا لاجل الفاصلة هنا
وفي غيره من الاماكن احسن من قول بعضهم لاجل السجع لان القران ينزه عن ذلك وقد منع الجمهور
ان يقال في القران سجع وانما كرر الفعل في قوله وما يستوي الاحيا مبالغة في ذلك لان المنافاة
بين الحياة والموت اتم من المنافاة المتقدمة وقدم الاحيا لشرف الحياة ولم يعد لا تاكيدا في قوله
الاعمى والبصير وكررها في غيره لان منافاة ما بعده اتم فان الشخص الواحد قد يكون بصيرا ثم يصير
اعمى فلا منافاة الا من حيث الوصف بخلاف الظل والحرور والظلمات والنور فانها متنافية ابدا
لا يجتمع اثنان منها في محل فالمنافاة بين الظل والحرور وبين الظلمة والنور دايمة فان قيل الحياة
والموت بمنزلة العمى والبصر فان الجسم يكون متصفا بالحياة ثم يتصف بالموت فالجواب ان المنافاة
بينهما اتم من المنافاة بين الاعمى والبصير يشتركان في ادراكات كثيرة ولا كذلك الحي والميت فالمنافاة
بينهما اتم وافرد الاعمى والبصير لانه قابل الجنس بالجنس اذ قد يوجد في افراد العميان ما يساوي
بعض افراد البصرا كاعمى ذكر له بصيرة يساوي بصيرا بليدا فالتفاوت بين الجنسين مقطوع به لا بين
الافراد وجمع الظلمات لانها عبارة عن الكفر والضلال وطرقهما كثيرة متشعبة ووحد النور
لانه عبارة عن التوحيد وهو واحد فالتفاوت بين كل فرد من افراد الظلمة وبين هذا الفرد
الواحد والمعنى الظلمات كلها لا تجد فيها ما يساوي هذا الواحد قال شهاب الدين رحمه الله كذا
قيل وعندي انه ينبغي ان يقال ان هذا الجمع لا يساوي هذا الواحد فيعلم انتفا مساواة فرد
منه لهذا الواحد بطريق اولى وانما جمع الاحيا والاموات لان التفاوت بينهما اكثر اذ ما من ميت
يساوي في الادراك حيا فذكر ان الاحيا لا يساوون الاموات سوا قابلت الجنس بالجنس ام
الفرد بالفرد **فصل** قال ابن الخطيب قدم الاشرف في المثلين وهو الظل والحي واخره
في مثلين وهو البصير والنور وفي مثل هذا يقول المفسرون انه لتواخي اواخر الايات وهذا ضعيف
لان تواخي الاواخر راجع الى السجع ومعجزة القران في المعنى لا في مجرد اللفظ فالشاعر يقدم ويوخر
للسجع فيكون اللفظ حاملا له على تغيير المعنى واما القران فحكمه بالغة المعنى فيه صحيح واللفظ
فصيح فلا تقدم ويوخر اللفظ بلا معنى فيقول الكفار قبل النبي صلى الله عليه وسلم كانوا في ضلالة

كانوا كالعمي وطريقهم كالظلمة ثم لما جا النبي صلى الله عليه وسلم وبين الحق واهتدي به منهم قوم
فصاروا بصيرين وطريقهم كالنور فقال لا يستوي من كان قبل البعث على الكفر ومن اهتدي
بعده الي الايمان فلما كان الكفر قبل الايمان في زمان محمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا وايما
ابدا والكافر قبل المومن قدم المقدم ثم لما ذكر المال والمرجع قدم ما يتعلق بالرحمة على ما يتعلق
بالغضب لقوله صلى الله عليه وسلم في الالهيات سبقت رحمتي غضبي ثم ان الكافر المصر بعد
البعث صار اضل من الاعمي وشابه الاموات في عدم ادراك الحق من جميع الوجوه فقال جل
من قايل سبحانه تبارك وتعالى وما يستوي الاحيا اي المومنين الذين امنوا بما انزل الله
والاموات الذين ثبتت عليهم الايات البينات ولم ينتفعوا بها وهولاء كانوا بعد الايمان من
امن واخرهم عن المومنين لوجود حياة المومنين قبل ممات الكافرين المعاندين وقدم
الاعمي على البصير لوجود الكفار الضالين قبل البعث على المومنين المهتدين بعدها فصل
قال المفسرون وما يستوي الاعمي والبصير يعني الجاهل والعالم وقيل الاعمي عن الهدي
والبصير بالهدي اي المومن والمشرك ولا الظلمات ولا النور يعني الكفر والايمان ولا الظل ولا
الحرور يعني الجنة والنار وما يستوي الاحيا ولا الاموات يعني المومنين والكفار وقيل
العلما والجهال ان الله يسمع من يشا حتي يتعظ ويجيب وما انت بمسمع من في القبور يعني
الكفار شبههم بالاموات في القبور حين لم يجيبوا ان انت الا نذير ما انت الا منذر تخوفهم
بالنار قوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا لما قال ان انت الا نذير بين انه ليس
نذيرا من تلقا نفسه انما نذير باذن الله وارساله قوله تعالى بالحق يجوز فيه اوجه احدها
انه حال من الفاعل اي ارسلناك محقين او من المفعول اي محقا او نعت لمصدر محذوف اي
ارسالا ملتبسا بالحق او متعلق ببشير ونذير قال الزمخشري رحمه الله على بشيرا بالوعد الحق
ونذيرا بالوعيد الحق قال ابو حيان ولا يمكن ان يتعلق بالحق هذا ببشير ونذير معا بل ينبغي
ان يتاول كلامه على انه اراد ان ثم محذوفا والتقدير بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق
قال شهاب الدين قد صرح الرجل بهذا قوله تعالى وان من امة اي وما من امة فيما مضى
وقوله تعالى الا خلا فيها نذير نبي من الله ومعنى خلا اي سلف فيها نذير اي نبي منذر
وحذف من هذا ما اثبته في الاول اذ التقدير الا خلا فيها نذير وبشير قوله تعالى وان يكذبوك
فقد كذب الذين من قبلهم جاتهم رسلهم بالبينات وبالزبر اي الكتب وبالكتاب المنير الواضح
وكرر ذلك الكتاب بعد ذكر الزبور على طريق التوكيد وقيل البينات بالمعجزات والزبر هي
الكتب التي فيها مواعظ وشبهات لا تحمل النسخ والمراد بالكتاب المنير الشريعة والاحكام الموافقة
المحكمة الالهية وهي المحمل للنسخ وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حيث يعلم ان غيره كان
مثله كان مثله محملا لاذى القوم وان غيره ايضا اتاهم بمثل ذلك فكذبوه واذوه وصبروا
على تكذيبهم ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير وهذا سوال تقرير فانهم علموا شدة انكاره
عليهم واستيصالهم قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السما ما قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم وفيه حكمة وهي ان الله تبارك وتعالى لما ذكر الدلايل ولم ينتفعوا قطع الكلام معهم والتفت
الي غيرهم كما ان السيد اذا نصح بعض عبيده ولم ينزجر يقول لغيره اسمع ولا تكن مثل هذا
ونكرر معه ما ذكره للاول ويكون فيه اشعار بان الاول فيه نقيصة لا تصلح للخطاب فينتبه له
ويدفع عن نفسه تلك النقيصة وايضا فلا يخرج الي كلام اجنبي عن الاول بل يا بجتمعا يقاربه ليلا
يسمع الاول كلاما اخر فيترك التفكر فيما كان من النصيحة قوله تعالى فاخرجنا هذا التفات من
الغيبة الي التكلم وانما كان ذلك لان المنه بالاخراج ابلغ من انزال الما ومختلفا نعت لثمرات والوانها
فاعل به ولولا ذلك لانث مختلفا ولكنه لما اسند الي جمع تكسير غير عاقل جاز تذكيره ولو انث
فقيل مختلفة كما يقول اختلفت الوانها لجاز وبه قرا زيد بن علي قوله تعالى ومن الجبال جدد
العامة على ضم الجيم وفتح الدال جمع جدة وهي الطريقة قال ابن بحر قطع من قولك جددت
الشي قطعته وقال ابو الفضل هي ما يخالف من الطرايق لون ما يليها ومنه جدة للحمار للخط الذي
في ظهره وقرا الزهري رحمه الله جدد بضم الجيم والدال جمع جديده يقال جديده وجدد وجدايد
قال ابو ذويب • جون السراة له جدايد اربع •

نحو

نحو سفينة وسفن وسفاين وقال ابو الفضل جمع جديد بمعنى اثار جديدة واضحة الالوان وعنقه
[illegible] بعضها وقد رد ابو حاتم هذه القراة من حيث الاثر والمعنى وقد صححها غيره وقال الجدد الطريق
الواضح البين الا انه وضع المفرد موضع الجمع اذ المراد الطرايق والخطوط قوله تعالى مختلف الوانها مختلف
صفة لجدد ايضا والوانها فاعل به كما تقدم في نظيره ولا جايز ان يكون مختلف خبرا والوانها مبتدا موخر
والجملة صفة اذ كان يجب ان يقال مختلفة لتحملها ضمير المبتدا وقوله الوانها يحتمل معنيين احدهما ان البياض
والحمرة يتفاوتان بالشدة والضعف فرب ابيض اشد من ابيض واحمر اشد من احمر فنفس البياض مختلف
ولذلك الحمرة فلذلك جمع الوانها فيكون من باب المشكل والثاني ان الجدد كلها على لونين بياض وحمرة
فالبياض والحمرة وان كانا لونين الا انهما جمعا باعتبار محالهما قوله تعالى وغرابيب سود فيه ثلاثة اوجه
احدها انه معطوف على حمر عطف على ذي لون الثاني انه معطوف على بيض الثالث انه معطوف على جدد
قال الزمخشري معطوف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون
واحد ثم قال ولا بد من تقدير حذف مضاف في قوله عز وجل ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد
بيض وحمر وسود حتى يوول الي قولك ومن الجبال مختلف الوانها كما قال ثمرات مختلفا الوانها ولم يذكر
بعد غرابيب سود مختلف الوانها كما ذكر ذلك بعد بيض وحمر لان الغربيب هو المبالغ في السواد فصار
لونا واحدا غير متفاوت بخلاف ما تقدم وغرابيب جمع غربيب وهو الاسود المتناهي في السواد فهو تابع
للاسود كقاني وناصع وناصر ويقق فمن ثم زعم بعضهم انه في نية التاخير ومن مذهب هولاء يجوز
تقديم الصفة على موصوفها وانشدوا • والمومن العايذات الطير يمسحها •
يريد والمومن الطير العايذات وقول الاخر • وبالطويل العمر عمرا حيدرا •
يريد وبالعمر الطويل والبصريون لا يرون ذلك ويخرجون هذا وامثاله على ان الثاني بدل من الاول
ثم سود والطير والعمر ابدال مما قبلها وخرجه الزمخشري وغيره على انه حذف الموصوف وقامت صفته مقامه
وان المذكور بعد الوصف دال على الموصوف قال الزمخشري رحمه الله الغربيب تاكيد للاسود ومن
حق التوكيد ان يتبع الموكد كقولك اصفر فاقع وابيض يقق ووجهه ان يضمر الموكد قبله فيكون الذي بعده
تفسيرا لما اضمر كقوله والمومن العايذات الطير وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد
من طريقي الاظهار والاضمار يعني فيكون الاصل وسود غرابيب سود والمومن الطير قال ابو حيان
وهذا لا يصح الا على مذهب من يجوز حذف الموكد ومن النحويين من منعه وهو اختيار ابن مالك قال
شهاب الدين ليس هذا هو التوكيد المختلف في حذف موكده لان هذا من باب الصفة والموصوف ومعنى
تسمية الزمخشري له تاكيدا من حيث انها لا تفيد معنى زايدا انما تفيد المبالغة والتوكيد في ذلك
اللون والنحويون قد سموا الوصف اذا لم يفد غير الاول تاكيدا فقالوا وقد يجي لمجرد التوكيد نحو نفخة
واحدة والهين اثنين الصاعي ومذهب سيبويه جوازه اجاز مررت باخوتك انفسهم بالنصب والرفع
على تقدير اعنيهم او هم انفسهم فاين هذا من ذاك الا انه يشكل على الزمخشري هذا المذكور بعد
غرابيب ونحوه بالنسبة الي انه جعله مفسرا لذلك المحذوف وهذا انما عهد في الجمل لا في المفردات الا في
باب البدل وعطف البيان فباي شي يسميه والاولي فيه ان يسمي توكيدا لفظيا اذ الاصل سود غرابيب
سود قوله تعالى مختلف الوانه مختلف نعت لمنعوت محذوف هو مبتدا والجار قبله خبره اي ومن
الناس صنف او نوع مختلف ولذلك عمل اسم الفاعل كقوله • كناطح صخرة يوما ليفلقها •
وقرا ابن السميفع الوانها وهو ظاهر وقرا الزهري رحمه الله والدواب خفيفة البا هربا من التقاء
الساكنين كما حرك اولها في الضالين وجان

فصل

قال ابن الخطيب في هذه الاية لطايف
الاولي قوله انزل وقال اخرجنا وفايدته ان قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السما ما فان كان
جاهلا يقول نزول الما بالطبع لثقله فيقال له فالاخراج لا يمكنك ان تقول فيه انه بالطبع فهو
بارادة الله عز وجل فلما كان ذلك اظهر اسنده الي المتكلم وايضا فان الله تعالى لما قال ان الله انزل
علم الله بالدليل وقرب المتفكر فيه الي الله تعالى وصار من الحاضرين فقال اخرجنا لقربه وايضا
فالاخراج اتم نعمة من الانزال لفايدة الاخراج فاسند الاتم الي نفسه بصيغة المتكلم وما دونه
بصيغة الغايب الثانية قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر كان قايلا قال اختلاف
الثمرات لاختلاف البقاع الا ترى ان بعض النباتات لا تنبت ببعض البلاد كالزعفران فقال
تعالى اختلاف البقاع ليس الا بارادة الله تعالى والا فلم صار بعض الجبال فيه مواضع حمر

ومواضع بيض فان قيل الواو في ومن الجبال ما تقديرها فقول هي يحتمل وجهين احدهما ان يكون
للاستيناف كانه تعالي قال اخرجنا بالما ثمرات مختلفة الالوان وفي الجبال جدد بيض دالة علي
القدرة الدالة علي من ينكر الارادة في اختلاف الوان الثمار ثانيهما ان يكون للعطف والتقدير
وخلق من الجبال جدد قال الزمخشري اراد وجدد الثالثة ذكر الجبال ولم يذكر الاية في الارض
كما قال تعالي في موضع اخر وفي الارض قطع متجاورات مع ان هذا الدليل مثل ذلك وذلك لان الله
تعالي لما ذكر في الاول اخرجنا به ثمرات كان نفس اخراج الثمار دليلا علي القدرة ثم زاد عليه بيانا
وقال مختلفا لذلك في الجبال في نفسها دليل القدرة والارادة لكن كون الجبل في بعض نواحي الارض
دون بعضها وكون بعضها اخفض وبعضها ارفع دليل القدرة والارادة ثم زاد بيانا وقال
جدد بيض اي دلالتها بنفسها وهي دالة باختلاف الوانها الظاهرات الاختلاف راجع الي كل لون
اي بيض مختلف الوانها وحمر مختلف الوانها لان الابيض قد يكون علي لون الجص وقد يكون علي لون
التراب الابيض وبالجملة فالابيض يتفاوت درجاته في البياض وكذلك الاحمر يتفاوت درجاته
في الحمرة ولو كان المراد البيض والحمر مختلف الالوان لكان لمجرد التاكيد والاولى اولي وعلي هذا ذكر
مختلفا الوانها في البيض والحمر واخر السود الغرابيب لان الاسود لما ذكره مع المؤكد وهو الغرابيب
يكون بالغا غاية السواد فلا يكون فيه اختلاف قوله تعالي ومن الناس والدواب والانعام استدلال
اخر قدرة الله تعالي وارادته فكانه تعالي قسم دلائل الخلق في هذا العالم وهو عالم المركبات
قسمين حيوان وغير حيوان وهو اما نبات واما معدن والنبات اشرف فاشار اليه بقوله عز وجل
فاخرجنا به ثمرات ثم ذكر المعدن بقوله ومن الجبال ثم ذكر الحيوان وبدا بالاشرف منها وهو الانسان
فقال تعالي ومن الناس ثم ذكر الدواب لان منافعها في حياتها والانعام منفعتها في الاكل مما
اولان الدابة في العرف تطلق علي الفرس وهو بعد الانسان اشرف من غيره وقوله مختلف الوانه
القول فيه كما تقدم كما انها في انفسها دلائل كذلك باختلافها دلائل وقوله مختلف الوانه ذكر لكون
الانسان من جملة المذكورين فكان التذكير اولي قوله تعالي كذلك فيه وجهان اظهرهما انه متعلق
بما قبله اي مختلف اختلافا مثل الاختلاف في الثمرات والجدد والوقف علي كذلك والثاني
انه متعلق بما بعده والمعنى مثل ذلك المطر والاعتبار في مخلوقات الله واختلاف الوانها يخشى
الله العلماء والي هذا نحا ابن عطية وهو فاسد من حيث ان ما بعدها انما يمنع من العمل فيما قبلها
وقد نص ابو عمرو الداني علي ان الوقف علي كذلك تام ولم يحك فيه خلافا قوله تعالي انما يخشى
الله العلماء علي نصب الجلالة ورفع العلماء وهي الواضحة وقرا عمر بن عبد العزيز وابو حنيفة
رحمهما الله فيما نقل الزمخشري وابو حيوه فيما نقل الهذلي في كامله بالعكس وتؤولت علي معني
التعظيم اي انما يعظم الله من عباده العلماء وهذه القراءة شبيهة بقراءة واذ ابتلي ابراهيم ربه برفع
ابراهيم ونصب ربه **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه يريد انما يخافني من خلقي
من علم جبروتي وعزتي وجلالي وسلطاني واعلم ان الخشية بقدر معرفة المخشي والعالم يعرف الله
فيخافه ويرجوه وهذا دليل علي ان العالم اعلا درجة من العابد لقوله تعالي ان اكرمكم عند
الله اتقاكم بين ان الكرامة بقدر التقوي والتقوي بقدر العلم لا بقدر العمل قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم والله اني لاعلمكم بالله واشدكم له خشية وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم
وشرف وكرم وبجل ومجد وعظم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال مسروق
كفي بخشية الله علما وكفي بالاغترار به جهلا ثم قال سبحانه ان الله عزيز غفور اي عزيز في ملكه
غفور لذنوب عباده فذكرها يوجب الخوف والرجا فكونه عزيزا ذا انتقام يوجب الخوف التام
وكونه تعالي غفورا لما دون ذلك يوجب الرجا البالغ وقراءة من قرا بنصب العلماء ورفع الجلالة
تقدم معناه قوله تعالي يتلون في خبران وجهان احدهما الجملة من قوله تعالي يرجون اي
ان التالين يرجون ولن تبور صفة تجارة وليوفيهم متعلق بيرجون او بيبور او بمحذوف
اي فعلوا ذلك ليوفيهم وعلي الوجهين الاولين يجوز ان تكون لام العاقبة والثاني ان الخبر انه
غفور شكور جوزه الزمخشري علي حذف العايد اي غفور لهم وعلي هذا فيرجون حال من
انفقوا اي انفقوا ذلك راجين **فصل** المراد بالذين يتلون كتاب الله اي قرا القرآن
لما بين العلماء بالله وخشيتهم وكرامتهم بسبب خشيتهم ذكر العالمين بكتاب الله العاملين بما فيه

فقوله يتلون كتاب الله اشارة الي الذكر وقوله تعالي واقاموا الصلاة اشارة الي العمل البدني
وقوله عز وجل انفقوا مما رزقناهم اشارة الي العمل المالي وفي الاية حكمة بالغة وهي قوله عز وجل
انما يخشى الله اشارة الي عمل القلب وقوله الذين يتلون اشارة الي عمل اللسان وقوله تعالي
واقاموا الصلاة اشارة الي عمل الجوارح ثم ان هذه الاشيا الثلاثة متعلقة بجانب تعظيم الله تعالي
وقوله وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يعني الشفقة علي خلقه وقوله سرا وعلانية حث علي الانفاق
كيف ما تهيا سرا ان ذاك والا فعلانية ولا يمنعه ظنه ان يكون ريا فان ترك الخير مخافة ذلك هو عين
الريا ويمكن ان يكون المراد بالسر الصدقة المطلقة وبالعلانية الزكاة فان الاعلان بالزكاة كالاعلان
بالفرض وهو مستحب يرجون تجارة وهي ما وعد الله تعالي من الثواب ويزيدهم من فضله قال ابن
عباس رضي الله عنه يعني سوي الثواب ما لم تر عين ولم تسمع اذن ويحمل ان يزيدهم النظر اليه كما جاد
في تفسير الزيادة انه غفور شكور قال ابن عباس يغفر الذنب العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من
اعمالهم وقيل غفور عند اعطا الاجر شكور عند اعطا الزيادة قوله تعالي والذي اوحينا اليك من
الكتاب يعني القرآن وقيل اللوح المحفوظ لما بين الاصل الاول وهو وجود الله الواحد بالدلايل
في قول الله الذي يرسل الرياح وقوله الله الذي خلقكم وقوله الم تر ان الله انزل من السما ماء ذكر الاصل
الثاني وهو الرسالة وقال والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق قوله تعالي من الكتاب
يجوز ان يكون للبيان كما يقال ارسل الي فلان من الثياب جملة وان يكون للجنس وان يكون لابتداء
الغاية كما يقال جاني كتاب من الامير وعلي هذا فالكتاب يمكن ان يراد به اللوح المحفوظ يعني
الذي اوحينا من اللوح المحفوظ اليك حق ويمكن ان يكون المراد به القرآن يعني الارشاد والتبيين
الذي اوحينا اليك من القرآن ويمكن ان يكون للتبعيض وهذا فصل او مبتدا ومصدقا حال مؤكدة
فصل هو الحق اكد من قول القايل الذي اوحينا حق اليك من وجهين احدهما ان التعريف
للخبر يدل علي الامر في غاية الظهور لان الخبر في الاكثر يكون منكرا الثاني ان الاخبار في الغالب
يكون اعلاما بثبوت امر لا يعرفه السامع كقولنا زيد قام فان السامع ينبغي ان يكون عارفا بزيد ولا
يعلم قيامه فيخبره به فاذا كان الخبر معلوما فيكون الاخبار للتنبيه فيعرفان باللام كقولنا ان زيدا
العالم في هذه المدينة اذا كان علمه مشهورا وقوله تعالي مصدقا لما بين يديه من الكتب وهذا تقرير
لكونه وحيا لان رسول الله صلي الله عليه وسلم لما لم يكن قاريا كاتبا واتي ببيان ما في كتاب الله
تعالي لا يكون ذلك الا بوحي من الله تعالي ويقال ان هذا مصدق لما تقدم لان الوحي لو لم يكن موجودا
لكذب موسي وعيسي صلوات الله عليهما في انزال التوراة والانجيل فاذا وجد الوحي ونزل علي
محمد صلوات الله وسلامه عليه علم جوازه وصدق ما تقدم وفي هذا لطيفة وهي انه تعالي جعل
القرآن مصدقا لما مضي لان ما مضي ايضا مصدق له لان القرآن كونه معجزة يكفي في تصديقه بانه
وحي واما ما تقدم فلا بد فيه من معجزة تصدقه ثم قال ان الله بعباده لخبير بصير خبير بالبواطن
بصير بالظواهر فلا يكون الوحي من الله باطلا لا في الباطن ولا في الظاهر ويمكن ان يكون جوابا
لقولهم ان القرآن لم ينزل علي رجل من القريتين عظيم فقال سبحانه ان الله بعباده خبير يعلم بواطنهم
وبصير يري ظواهرهم فاختار محمدا صلي الله عليه وسلم ولم يختر غيره كقوله عز وعلا الله اعلم حيث
يجعل رسالاته قوله تعالي ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا مفعولا اورثنا
والكتاب هو الثاني قدم لشرفه اذ لا لبس واكثر المفسرين علي ان المراد بالكتاب القرآن وقيل
المراد جنس الكتاب يعني الي الذين اصطفينا من عبادنا ويجوز ان يكون ثم بمعني الواو اي واورثنا
كقوله تعالي ثم كان من الذين امنوا اي وكان من الذين امنوا ومعني واورثنا اعطينا لان الميراث عطا
قاله مجاهد وقيل اورثنا اخرنا ومنه الميراث لانه اخر عن الميت ومعناه اخر القرآن من الامم السالفة
واعطيناكموه واهلناكم له قوله تعالي من عبادنا يجوز ان يكون للبيان علي معني ان المصطفين هم
عبادنا الا كلهم وقرا ابو عمران الجوني ويعقوب وابو عمرو رضي الله عنهم ورواية سباق مثال
مبالغة **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه يريد بالعباد امة محمد صلي الله عليه وسلم
ثم قسمهم ورتبهم فقال سبحانه فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وروي
اسامة بن زيد في هذه الاية رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم كلهم من هذه
الامة وروي ابو عثمان النهدي قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرا علي المنبر ثم اورثنا

الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الاية فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق
سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وروي ابو الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية ثم اورثنا الكتاب الاية وقال اما السابق بالخيرات
فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه فيحبس في المقام
حتى يدخله الهم ثم يدخل الجنة ثم قرا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال
عقبة بن صهبان رضي الله عنه سالت عايشة رضي الله عنها عن قول الله عز وجل ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا الاية فقالت يا بني كلهم في الجنة اما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم واما المقتصد فمن اتبع
اثره من اصحابه حتى لحق به واما الظالم فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها معنا وقال مجاهد والحسن
وقتادة فمنهم ظالم لنفسه هم اصحاب المشامة ومنهم مقتصد اصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات
السابقون المقربون من الناس كلهم وعن ابن عباس قال السابق المومن المخلص والمقتصد المرائي
والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة وقيل الظالم هو الراجح
السيات والمقتصد هو الذي تساوت سياته وحسناته والسابق هو الذي رجحت حسناته وقيل
الظالم هو الذي ظاهره خير من باطنه والمقتصد من تساوي ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير
من ظاهره وقيل الظالم هو الموحد بلسانه الذي تخالفه جوارحه والمقتصد هو الموحد الذي يمنع
جوارحه من المخالفة بالتكليف والسابق هو الموحد الذي ينسيه التوحيد غير التوحيد وقيل
الظالم صاحب الكبيرة والمقتصد صاحب الصغيرة والسابق المعصوم وقيل الظالم التالي القران
غير العالم به والعامل به والمقتصد التالي العالم والسابق التالي العالم العامل وقيل الظالم الجاهل
والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقال جعفر الصادق رضي الله عنه بدا بالظالم اخبارا انه
لا يتقرب اليه الا بكرمه وان الظلم لا يوثر في الاصطفا ثم ثنى بالمقتصد لانه بين الخوف والرجا ثم
ختم بالسابق لئلا يامن احد مكره وكلهم في الجنة وقال ابو بكر الوراق رحمه الله رتبهم على مقامات
الناس لان احوال العبد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فاذا عصي دخل في حيز الظالم
واذا تاب دخل في جملة المقتصدين فاذا صحت له التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل في
عداد السابقين وقيل غير ذلك واما من قال المراد بالكتاب جنس الكتاب لقوله تعالى جاتهم
رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير فالمعنى انا اعطيناك الكتاب الذين اصطفينا وهم
الانبيا صلوات الله عليهم لان لفظ المصطفى انما يطلق في الاكثر على الانبيا لا على غيرهم ولان
قوله من عبادنا يدل على ان العباد الكاثر مكرمون لانه اضافهم اليه ثم المصطفين منهم اشرف
ولا يليق بمن يكون اشرف من الشرفا ان يكون ظالما مع ان لفظ الظالم اطلقه الله في كثير من
المواضع على الكافر وسمى الشرك ظلما فان قيل كيف قال في حق من ذكر في حقه انه من عباده
وانه مصطفى ظالم مع ان الظالم يطلق على الكافر في كثير من المواضع فالجواب ان المومن عند
المعصية يضع نفسه في غير موضعها فهو ظالم لنفسه حال المعصية قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن الحديث وقال ادم صلوات الله عليه مع كونه مصطفى
ربنا ظلمنا انفسنا واما الكافر فيضع قلبه الذي به اعتماد الجسد في غير موضعه فهو ظالم على
الاطلاق واما قلب المومن فمطمين بالايمان لا يضعه في غير التفكر في الا الله ووجه اخر وهو
ان قوله سبحانه منهم غير راجع الى الانبيا المصطفين بل المعنى ان الذي اوحينا اليك هو الحق
وانت المصطفى كما اصطفينا رسلنا واتيناهم كتبا ومنهم اي من قومك ظالم كفر بك وبما انزل
اليك ومقتصد امن به ولم يات بجميع ما امر به فيه وسابق امن وعمل صالحا وقال الكلبي
المراد بالظالم لنفسه هو الكافر وقيل المراد منه المنافق وعلى هذا لا يدخل الظالم في قوله
تعالى جنات عدن يجوز ان يكون يدخلونها وحمل هذا القايل الاصطفا على الاصطفا في الخلقة
وارسال الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم وانزال الكتاب والذي عليه عامة اهل العلم
ان المراد من جميعهم المومنون **فصل** معنى سابق بالخيرات اي سابق الى الجنة والى
رحمة الله بالخيرات اي بالاعمال الصالحة باذن الله اي بامر الله وارادته ذلك هو الفضل
الكبير يعني ايراثهم الكتاب ثم اخبر بثوابهم فقال تعالى جنات عدن يدخلونها يعني الاصناف

الثلاثة

الثلاثة قوله تعالى جنات عدن يجوز ان يكون مبتدا والجملة بعدها الخبر وان يكون بدلا من
الفضل قاله الزمخشري رحمه الله وابن عطية الا ان الزمخشري اعترض واجاب فقال فان قلت
كيف جعلت جنات عدن بدلا من الفضل الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك قلت لما كان السبب
في نيل الثواب نزل منزلة السبب كانه هو الثواب فابدل عنه جنات عدن وقرا زر والزهري جنة مفردا
والجحدري جنات بالنصب على الاشتغال وهي تويد رفعها بالابتدا وجوز ابو البقا ان يكون جنات [illegible]
بالرفع خبرا ثانيا لاسم الاشارة وان يكون خبر مبتدا محذوف وتقدمت قراة الاقسام الثلاثة وهذا على
قولنا بانهم اقسام المومنين وقيل الذين يتلون كتاب الله عز وجل وقيل هم السابقون يدخلونها مبنيا
للفاعل والمفعول وما في الاية في الحج **فصل** قيل المراد بالداخلين الاقسام الثلاثة وهذا
على قولنا بانهم اقسام المومنين وقيل الذين يتلون كتاب الله عز وجل وقيل هم السابقون وهو اقوى
لقرب ذكرهم ولانه ذكر اكرامهم بقوله تبارك الله يحلون والمكرم هو السابق فان قيل تقديم الفاعل
على الفعل وتاخير المفعول غير موافق لترتيب المعنى اذا كان المفعول حقيقيا كقولنا الله الذي خلق
السموات وقول القايل زيد بنى الجدار فان الله جل جلاله موجود قبل كل شي ثم له فعل هو الخلق ثم
حصل به المفعول وهو السموات وكذا زيد قبل البناء والجدار من البناء واذا لم يكن المفعول حقيقيا كقولنا
دخل الداخل الدار وضرب عمرا فان الدار في الحقيقة ليس مفعولا للداخل وانما فعله متحقق بالنسبة
الى الدار وكذلك عمرو فعل زيد تعلق به فسمي مفعولا ولكن الاصل تقديم الفعل على المفعول ولهذا
يعاد الفعل المقدم بالضمير فيقول عمرا ضربه زيد فتوقعه بعد الفعل بالهاء العايدة اليه وحينئذ يطول
الكلام فلا يختاره الحكيم الا لفايدة فما الفايدة في تقديم الجنات على الفعل الذي هو الدخول واعادة
ذكرها بالهاء في يدخلونها وما الفرق بين هذا وبين قول القايل يدخلون جنات عدن فالجواب ان
السامع اذا علم ان له مدخلا من المداخل وله دخول ولم يعلم عين المدخل فاذا قيل له انت تدخل فالى
ان تسمع الدار او السوق تبقى متعلق القلب بانه في اي المداخل يكون فاذا قيل له الدار تدخلها
فبذكر الدار يعلم مدخله وبما عنده من العلم السابق بان له دخولا يعلم الدخول فلا يبقى متعلق القلب
ولاسيما الجنة والنار فان بين المدخلين بونا بعيدا فقوله تعالى يحلون فيها اشارة الى سرعة
الدخول فان التحلية لو وقعت خارجا لكان فيه تاخير الدخول فقال يدخلونها وفيها يقع
تحليتهم وقوله عز وجل من اساور يحتمل الجمع فانه جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب ولولو وقوله
جل وعز ولباسهم اي ليس كذلك لان الاكثار من اللباس يدل على حاجة من دفع برد او غيره والاكثار
من الزينة لا يدل على الغنى وذكر الاساور من بين سائر الحلي في مواضع كثيرة كقوله تعالى وحلوا
اساور من فضة وذلك لان التحلي بمعنيين احدهما اظهار كون المتحلي غير مستعمل في الاشغال لان
التحلي لا يكون حالة الطبخ والغسل وثانيهما اظهار الاستغناء عن الاشيا واظهار القدرة على
الاشيا لان التحلي اما باللالي والجواهر واما بالذهب والفضة والتحلي باللالي والجواهر يدل على
ان المتحلي لا يعجز عن الوصول الى الاشيا الكثيرة عند الحاجة حيث لم يعجز عن الوصول الى الاشيا
العزيزة الوجود لا الحاجة والتحلي بالذهب والفضة يدل على انه غير محتاج حاجة اصلية والا لصرف
الذهب والفضة الى دفع حاجته فاذا عرف فمحمول الاساور ومحلها الايدي واكثر الاعمال باليد فاذا
حليت بالاساور علم الفراغ من الاعمال قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن قرا
العامة الحزن بفتحتين وجناح بن حبيش بضم الحا وسكون الزاي وتقدم معنى ذلك اول القصص
والمعنى يقولون اذا دخلوا الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن قرا العامة الحزن بفتحتين وجناح
والحزن والحزن واحد كالبخل والبخل قال ابن عباس رضي الله عنه حزن النار وقال قتادة حزن
الموت وقال مقاتل لانهم كانوا لا يدرون ما يصنع بهم وقال عكرمة حزن السيات والذنوب
وخوف رد الطاعات وقال القاسم حزن زوال النعم وخوف العاقبة وقيل حزن اهوال يوم القيمة
وقال الكلبي ما كان يحزنهم في الدنيا من امر يوم القيمة وقال سعيد بن جبير هم الخبز في الدنيا
وقيل هم المعيشة وقال الزجاج اذهب الله عن اهل الجنة كل الاحزان ما كان منها لمعاش او معاد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في
منشرهم وكاني باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن روسهم ويقولون الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن ثم قالوا ان ربنا لغفور شكور ذكر الله تعالى عنهم امورا كلها تفيد الكرامة الاول ان

الحمد لله فان الحامد مثاب الثاني قولهم ربنا فان الله تبارك الله اذا نودي بهذا اللفظ استجاب
لمنادي اللهم الا ان يكون المنادي يطلب ما لا يجوز الثالث قولهم غفور شكور والغفور اشارة الي
ما غفر لهم في الاخرة بحمدهم في الدنيا والشكور الي ما يعطيهم الله ويزيدهم بسبب حمدهم في الاخرة
قوله تعالى الذي احلنا انزلنا دار المقامة مفعول ثان لاحلنا ولا يكون ظرفا لانه مختص فلو كان
ظرفا لتعدي اليه الفعل بفي والمقامة الاقامة والمفعول قد يجي بالمصدر يقال له معقول اي عقل
قال تعالى مدخل صدق ومزقناهم كل ممزق ولذلك المستخرج للاخراج لان المصدر هو المفعول
في الحقيقة فانه هو الذي فعل **فصل** في قوله دار المقامة اشارة الي ان الدنيا
منزلة ينزلها المكلف ويرتحل عنها الي منزلة القبور ومن القبور الي منزلة العرصة التي فيها الجمع
ومنها التفريق وقد يكون النار لبعضهم منزلة اخري والجنة دار البقا وكذا النار لاهلها
قوله تعالى من فضله متعلق باحلنا ومن اما للعلة واما لابتداء الغاية ومعنى فضله
اي بحكم وعده لا بايجاب من عنده قوله تعالى لا يمسنا حال من مفعول احلنا الاول
والثاني لان الجملة مشتملة علي ضمير كل منهما وان كان الحال من الاول اظهر والنصب التعب
والمشقة واللغوب الفتور الناشي عنه وعلي هذا فيقال اذا انتفي السبب نفي المسبب
فاذا قيل لم اكل فعلم انتفا الشبع فلا حاجة الي قوله ثانيا فلم اشبع بخلاف العكس الا تري
انه يجوز لم اشبع ولم اكل والاية الكريمة علي تقرير نفي السبب ثم نفي المسبب فما فايدته
وقد اجاب ابن الخطيب بانه بين مخالفة الجنة لدار الدنيا فان اماكنها علي قسمين موضع
يمس فيه المشاق كالبراري وموضع يمس فيه الاعيا كالبيوت والمنازل التي في الاسفار
فقيل لا يمسنا فيها نصب بانها ليست مظان المتاعب لدار الدنيا ولا يمسنا فيها لغوب
اي ولا نخرج منها الي مواضع نتعب ونرجع اليها فيمسنا فيها الاعيا وهذا الجواب ليس بذاك
والذي يقال ان النصب هو تعب البدن واللغوب هو تعب النفس وقيل اللغوب الوجع
وعلي هذين فالسوال زايل وقرا علي والسلمي بفتح لام لغوب وفيه اوجه احدها انه مصدر
علي فعول كالقبول والثاني اسم لما يلغب به كالفطور والسحور قاله الفرا والثالث انه
صفة لمصدر مقدر اي لا يمسنا لغوب لغوب نحو شعر شاعر وموت مايت وقيل صفة
لشي غير مقدر اي امر لغوب قوله تعالى والذين كفروا لهم نار جهنم عطف علي قوله
تعالى ان الذين يتلون كتاب الله وما بينهما كلام متعلق بالذين كتاب الله علي ما تقدم
قوله تعالى فيموتوا العامة علي نصبه بحذف النون جوابا للنفي وهو علي احد معنى
نصب ما تاتينا فتحدثنا اي ما يكون منك اتيان ولا حديث انتفي السبب وهو الاتيان
فانتفي مسببه وهو الحديث والمعنى الثاني اثبات الاتيان ونفي الحديث اي ما تاتينا
محدثا بل تاتينا غير محدث وهذا لا يجوز في الاية البتة وقرا عيسى والحسن فيموتون
باثبات النون قال ابن عطية هي ضعيفة قال شهاب الدين وقد وجهها المازني علي
العطف علي لا يقضى اي لا يقضى عليهم فلا يموتون وهو احد الوجهين في معنى الرفع في
قولك ما تاتينا فتحدثنا اي انتفى الامرين معا كقوله تبارك وتعالى ولا يوذن لهم
فيعتذرون اي فلا يعتذرون وعليهم قايم مقام الفاعل ولذلك عنهم بعد يخفف ويجوز
ان يكون القايم من عذابها وعنهم منصوب المحل ويجوز ان يكون من مزيدة عند الاخفش
فتعين لقيامه مقام الفاعل لانه هو المفعول به وقرا ابو عمرو في رواية ولا يخفف بسكون
الفا شبه المنفصل بعضد كقوله فاليوم اشرب غير مستحقب **فصل** لا يقضى عليهم
فيموتوا اي لا يهلكون فيستريحوا لقوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه اي قتله لا يقضى
عليهم الموت فيموتوا كقوله عز وجل ونادوا يا مالك ليقضي علينا ربك اي الموت فيستريح
بل العذاب دايم ولا يخفف عنهم من عذابها اي من عذاب النار وفي الاية لطايف الاولى
ان العذاب في الدنيا ان دام وان لم يقتل يعتاده البدن ويصير مزاجا فاسدا لا يحس به
المعذب فقال عذاب نار الاخرة ليس كعذاب الدنيا اما ان يفنى واما ان يالفه البدن بل
هو في كل زمان شديد والمعذب فيه دايم الثانية وصف العذاب بانه لا يفتر ولا ينقطع
ولا يا قوي الاسباب وهو الموت حتى يتمنوه ولا يجابوه كما قال تعالى ونادوا يا مالك ليقضي

علينا

علينا ربك الثالثة ذكر في المعذبين الاشقيا بانه لا ينقص عذابهم ولم يقل يزيدهم عذابا وفي
المثابين قال يزيدهم من فضله قوله تعالى كذلك اما مرفوع المحل اي الامر كذلك واما منصوبه
اي مثل ذلك الجزا نجزي وقرا ابو عمرو ويجزي مبنيا للمفعول كل رفع به والباقون نجزي بنون العظمة
مبنيا للفاعل كل مفعول به والكفور الكافر قوله تعالى وهم يصطرخون يستغيثون ويصيحون
فيها وهو يفتعلون من الصراخ وهو الصياح فابدلت التاء صادا لوقوعها قبل الطاء يقولون ربنا
اخرجنا منها من النار فقوله ربنا علي اضمار القول وذلك القول ان شيت قدرته فعلا مفسرا ليصطرخون
اي يقولون في صراخهم كما تقدم وان شيت قدرته حالا من فاعل يصطرخون اي قايلين ربنا قوله
تعالى صالحا غير الذي كنا نعمل يجوز ان يكونا بمعنى مصدر محذوف اي عملا صالحا غير الذي كنا نعمل
وان يكونا بمعنى مفعول به محذوف اي نعمل شيا صالحا غير الذي كنا نعمل وان يكون صالحا نعتا لمصدر
وغير الذي كنا نعمل هو المفعول به وقال الزمخشري فان قلت فهلا اكتفي بصالحا كما اكتفي به في قوله
عز وجل فارجعنا نعمل صالحا وما فايدة زيادة غير الذي كنا نعمل علي انه يوهم انهم يعملون صالحا اخر غير
الصالح الذي عملوه قلت فايدته زيادة التحسر علي ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به كما قال تعالى
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله قوله
تعالى اولم نعمركم اي فيقول لهم توبيخا اولم نعمركم اي عمرناكم مقدارا يمكن التذكر فيه قوله تعالى ما يتذكر
جوزوا في ما هذه وجهين لحدهما ولم يحك ابو حيان غيره انها مصدرية ظرفية قال اي مدة تذكر
وهذا غلط لان الضمير في فيه يمنع من ذلك العوده علي ما ولم يقل باسمية ما المصدرية الا الاخفش
وابن السراج والثاني انها نكرة موصوفة اي تعميرا يتذكر فيه او زمانا يتذكر فيه وقرا الاعمش ما يذكر
بالادغام من اذكر قال ابو حيان بالادغام واجتلاب همزة الوصل ملفوظا بها في الدرج وهذا غريب
حيث اثبت همزة الوصل مع الاستغنا عنها الا ان يكون حافظ علي سكون من وبيان بعدها **فصل**
معنى قوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر قيل هو البلوغ وقال عطا وقتادة والكلبي رحمهم
الله ثماني عشرة سنة وقال الحسن اربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة وروي ذلك عن علي
رضي الله عنه وعنهم وهو العمر الذي اعذر الله الي ابن ادم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعذر
الله الي امري اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد
وبجل وعظم اعمار امتي ما بين الستين الي السبعين واقلهم من يجوز ذلك قوله تعالى وجاكم عطف علي
اولم نعمركم لانه في معنى قد عمرناكم كقوله الم نربك ثم قال ولبثت الم نشرح لك ثم قال ووضعنا اذ هما في معنا
ربيناك وشرحنا والمراد بالنذير سيدنا الكامل المكمل محمد صلى الله عليه وسلم في قول اكثر المفسرين
وقيل القران وقال عكرمة وسفين بن عيينة ووكيع رضي الله عنهم هو الشيب والمعنى اولم نعمركم
حتى شبتم ويقال الشيب نذير الموت وفي الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدي فقد قرب
وقري النذر جميعا قوله تعالى فذوقوا امر اهانة فما للظالمين الذين وضعوا اعمالهم واقوالهم في غير
موضعها من نصير في وقت الحاجة ينصرهم ومن نصير يجوز ان يكون فاعلا بالجار لاعتماده وان يكون
مبتدا مخبرا عنه بالجار قبله قوله تعالى ان الله عالم غيب السموات قرا العامة عالم غيب علي الاضافة
تخفيفا وجناح بن حبيش بتنوين عالم ونصب غيبه انه عليم بذات الصدور وهذا تقرير لدوامهم
في العذاب وذلك من حيث ان الله تعالى لما قال ان جزاء السية سية مثلها ولا نزاد عليها فلو قال
قايل الكافر ما كفر بالله الا اياما معدودة فكان ينبغي ان لا يعذب الا مثل تلك الايام فقال تبارك
وتعالى ان الله لا يخفى عليه غيب السموات والارض فلا يخفى عليه ما في الصدور وكان يعلم من الكافر
ان في قلبه تمكن الكفر او دام الي الابد لما اطاع الله قوله تعالى هو الذي جعلكم خلايف في الارض
اي يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم امة واحدة خلفت من قبلها ورات في من قبلها ما ينبغي ان يعتبر
به فجعلكم خلايف في الارض اي خليفة بعد خليفة يعلمون حال الماضين ويرضون بحالهم فمن كفر
بعد هذا كله فعليه كفره اي وبال كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا اي غضبا لان الكافر
السابق كان ممقوتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا اي الكفر لا ينفع عند الله حيث لا يزيد الا المقت
ولا ينفعهم في انفسهم حيث لا يفيدهم الا الخسار لان العمر كراس مال من اشتري به رضى الله ربح ومن
اشتري سخط الله خسر قوله ارايتم فيها وجهان احدهما انها الف استفهام علي بابها ولم تتضمن هذه
الكلمة معنى اخبروني بل هو استفهام حقيقي وقوله اروني امر تعجيز والثاني ان الاستفهام غير مراد وقوله

عنه مراد وانها ضمنت معنى اخبروني فعلى هذا يتعدي لاثنين احدهما شركاءكم والثاني الجملة الاستفهامية
من قوله ماذا خلقوا واروني يحتمل ان تكون جملة اعتراضية والثاني ان تكون المسئلة من باب الاعمال
فان ارايتم يطلب ماذا خلقوا مفعولا ثانيا واروني ايضا تطلبه معلقا له وتكون المسئلة من باب اعمال
الثاني على مختار البصريين واروني هنا بصرية تعدت للثاني بهمزة النقل والبصرية قبل النقل تعلق
بالاستفهام كقولهم اما ترى اي برق هنا وقد تقدم الكلام على ارايتم في الانعام وقال ابن عطية هنا
ارايتم ينزل عند سيبويه منزلة اخبروني ولذلك لا يحتاج الى مفعولين وهذا غلط بل يحتاج كما
تقدم تقريره وجعل الزمخشري الجملة من قوله تعالى اروني بدلا من قوله ارايتم قال لان معنى ارايتم
اخبروني ورده ابو حيان بان البدل اذا دخلت عليه اداة الاستفهام يلزم اعادتها في المبدل ولم
تعد هنا وايضا فابدال جملة من جملة لم يعهد في لسانهم قال شهاب الدين والجواب عن الاول ان
الاستفهام فيه غير مراد قطعا فلم تعد اداته لعدم ارادته واما قوله لم يوجد في لسانهم فقد وجد ومنه

• متى تاتنا تلمم بنا • ان على الله ان تبايعا • تؤخذ كرها وتجيء طائعا •

وقد نص النحويون على انه متى كانت الجملة في معنى الاول ومبينة ابدلت منها **فصل** هذه الاية
تقرير للتوحيد وابطال للاشراك والمعنى جعلتموهم شركاء بزعمكم يعني الاصنام اروني اخبروني
ماذا خلقوا من الارض فقوله شركاءكم فاضافهم اليهم من حيث ان الاصنام في الحقيقة لم يكن شركاء لله
وانما هم الذين جعلوها شركاء فقال شركاءكم اي الشركاء بجعلكم ويحتمل ان يقال معنى شركاءكم اي انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ويحتمل ان يكون معنى ارايتم اي اعلمتم هذه الاصنام التي
تدعونها هل لها قدرة ام لا فان كنتم تعلمونها عاجزة فكيف تعبدونها وان كنتم تعلمون ان لها
قدرة فاروني قدرتها في اي شيء اهي في الارض كما قال بعضهم ان الله اله السماء وهؤلاء الهة الارض
وهم الذين قالوا امور الارض من الكواكب والاصنام صورها ام هي في السموات كما قال بعضهم ان
الملائكة خلقت باستعانة بالملائكة فالملائكة شركاء في خلق السموات كما قال وهذه الاصنام
صورها ام قدرتها في الشفاعة لكم كما قال بعضهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فهل معهم
كتاب من الله عز وجل قال مقاتل هل اعطينا كفار مكة كتابا فهم على بينة منه قوله تعالى اتيناهم
نهم الاحسن في هذا الضمير ان يعود على الشركاء لتناسق الضمائر وقيل يعود على المشركين كقول
مقاتل فتكون التفاتا من خطاب الى غيبة وقرا ابو عمرو وحمزة وابن كثير وحفص بينة بالافراد
والباقون بينات بالجمع اي دلائل واضحة منه مما في ذلك الكتاب من ضروب البيان قوله تعالى
بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا وغرهم الشيطان وزين لهم
عبادة الاصنام والغرور وما يغر الانسان مما لا اصل له قال مقاتل يعني ما يعد الشيطان كفار
بني ادم من شفاعة الالهة لهم في الاخرة غرور وباطل قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا لما بين انه لا خلق للاصنام ولا قدرة لها بين ان الله قادر بقوله تبارك وتعالى ان الله
يمسك السموات والارض ويحتمل ان يقال لما بين شركهم قال مقتضى شركهم زوال السموات والارض
كقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا
ويؤيد هذا قوله تعالى في اخر الاية انه كان حليما غفورا حليما ما ترك تعذيبهم الا حلما منه
والا كانوا يستحقون اسقاط السماء وانطباق الارض عليهم وانما اخر ازالة السموات لقيام الساعة
حلما ويحتمل ان يقال ان ذلك من باب التسليم واثبات المطلوب كانه تعالى قال شركاؤكم ما خلقوا
من الارض شيئا ولا من السماء جزءا ولا قدرة لهم على الشفاعة فلا عبادة لهم وهب انهم فعلوا شيئا
من الاشياء فهل يقدرون على امساك السموات والارض ولا يمكنهم القول بانهم يقدرون لانهم ما كانوا
يقولون ذلك كما قال تعالى عنهم ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ويؤيد هذا
قوله ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده فاذن تبين ان لا معبود الا الله من حيث ان غيره
لم يخلق شيئا من الاشياء وان قال كافر ان غيره خلق فما خلق مثل ما خلق فلا شريك له قوله
تعالى ان تزولا يجوز ان يكون مفعولا من اجله اي كراهة ان تزولا كذا قدره ابو اسحاق ويجوز
ان يكون بدل اشتمال اي يمنع زوالهما قوله تعالى ان امسكهما جواب القسم الموطا له بلام القسم
وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب القسم ولذلك كان فعل الشرط ماضيا وقول الزمخشري
انه لو سد مسدهما لكان له موضع من الاعراب من حيث انه سد مسد جواب الشرط ولا موضع له من

حيث انه سد مسد جواب القسم والشيء الواحد لا يكون معمولا غير معمول ومن احد من مزيدة
لتاكيد الاستغراق ومن بعده من لابتداء الغاية والمعنى احد سواه انه كان حليما غفورا حيث لم
يعجل في اهلاكهم بعد اصرارهم على اشراكهم غفورا لمن تاب ويرحمه وان استحق العقاب فان قيل
ما معنى ذكر الحليم ههنا قيل لان السموات والارض همت بما همت من عقوبة الكفار فامسكهما الله
عز وجل عن الزوال لحلمه وغفرانه ان يعاجلهم بالعقوبة قوله تعالى واقسموا بالله يعني كفار مكة
لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم
واقسموا بالله وقالوا لو اتانا رسول لنكونن اهدى دينا منهم وذلك قبل مبعث النبي صلى الله
عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كذبوه فانزل الله عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن جاءهم نذير رسول لنكونن اهدى من احدى الامم يعني اليهود والنصارى وقيل المعنى
اهدى مما نحن عليه وعلى هذا فقوله من احدى الامم للتبيين كما يقال زيد من المسلمين ويؤيده
قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا اي صاروا اضل مما كانوا يقولون يكونون اهدى
وقيل المراد اهدى من احدى الامم كقولك زيدا ولحي عمرو وقيل المراد باحدى الامم العموم
اي احدى الامم واعلم انه لما بين انكارهم للتوحيد من تكذيبهم للرسول ومبالغتهم فيه حيث كانوا
يقسمون على انهم لا يكذبون الرسل اذا تبين لهم كونهم رسلا وقالوا انما نكذب محمدا صلى الله عليه
وسلم لكونه كاذبا ولو تبين لنا كونه رسولا لامنا كما قال تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن
جاءتهم اية ليؤمنن بها وهذا مبالغة منهم في التكذيب قوله تعالى لنكونن جواب للقسم المقدر
والكلام فيه كما تقدم وقوله لئن جاءهم حكاية لمعنى كلامهم لا للفظه اذ لو كان لذلك لكان التركيب
لئن جاءنا لنكونن قوله تعالى من احدى الامم اي من الامة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها
كقولهم هو احدى الاحدين قال

• حتى استثاروا بي احدى الاحد • ليثا هزبرا ذي سلاح معتد •

قوله تعالى ما زادهم جواب لما وفيه دليل على انها حرف لا ظرف اذ لا يعمل ما بعد ما النافية فيما
قبلها وتقدمت له نظائر واسناد الزيادة والنذير مجاز لانه سبب في ذلك كقوله فزادتهم رجسا
الى رجسهم **فصل** معنى فلما جاءهم اي صح لهم مجيئه بالمعجزة وهو محمد صلى الله عليه وسلم
ما زادهم الا نفورا اي ما زادهم مجيئه الا تباعدا عن الهدى قوله تعالى استكبارا يجوز ان يكون
مفعولا له اي لاجل الاستكبار وان يكون بدلا من نفورا وان يكون حالا كونهم مستكبرين قاله
الاخفش قوله تعالى ومكر السيء فيه وجهان اظهرهما انه عطف على استكبارا والثاني انه عطف
على نفورا وهذا من اضافة الموصوف الى صفته في الاصل والمكر السيء والبصريون يؤولونه على
حذف موصوف اي العمل السيء وقرا العامة بخفض همزة السيء وحمزة والاعمش بسكونها وصلا وقد
تجرا النحاة وغيرهم على هذه القراءة ونسبوها للحن ونزهوا الاعمش عن ان يكون قراها قالوا
وانما وقف مسكنا فظن انه واصل فغلط عليه وقد احتج لها قوم بانه اجرى الوصل مجرى الوقف او
اجرى المنفصل مجرى المتصل وحسنه كون الكسرة على حرف ثقيل بعد ياء مشددة مكسورة وقد
تقدم ان ابا عمرو يقرا الى باريكم بسكون الهمزة فهذا اولى لزيادة الثقل هنا وقد
تقدم هناك امثلة وشواهد وروي عن ابن كثير ومكر السايء بهمزة ساكنة بعد السين ثم ياء مكسورة
وخرجت على انها مقلوبة من السيء والسيء مخفف من السيء كالميت من الميت قال الحماسي

• فلا يجزون من حسن بسيء • ولا يجزون من غلظ بلين •

وقد كثر في قراءته القلب نحو ضياء وتاييسوا ولا يايس كما تقدم تحقيقه وقرا عبد الله ومكرا سيئا بالتنكير
وهو موافق لما قبله وقرى ولا يحيق بضم الياء المكر السيء بالنصب على ان الفاعل ضمير الله تعالى
اي لا يحيط الله المكر السيء الا باهله **فصل** المراد بالمكر السيء اي القبيح اضيف المكر
الى صفته قال الكلبي رحمه الله هو اجتماعهم على الشرك وقتل النبي صلى الله عليه وسلم وقال
ابن الخطيب هذا من اضافة الجنس الى نوعه كما يقال علم الفقه وحرف الحداد وحاصله ومكروا
مكرا سيئا ثم عرف لظهور مكرهم ثم ترك التعريف باللام واضيف الى السيء لكون السيء ابين الامور
ويحتمل ان يقال بان المكر استعمال العمل كما ذكرنا في قوله تعالى والذين يمكرون السيئات اي
يعملون السيئات وقوله ولا يحيق المكر اي لا يحل ولا يحيط وقوله يحيق بمعنى على الاحاطة التي

يجري فوق المحوق فان قيل كثيرا ما نرى الماكر يمكر ويفيده المكر ويغلب الخصم بالمكر والاية تدل
على عدم ذلك فالجواب من وجوه احدها ان يكون المكر المذكور في الاية هو المكر الذي مكروه
مع النبي صلى الله عليه وسلم من العزم على القتل والاخراج ولم يحق الا بهم حيث قتلوا يوم بدر
وغيره وثانيها ان يقول المكر السيئ عام وهو الاصح فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المكر واخبر
بقوله لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول جل ذكره ولا يحيق المكر السيئ الا باهله
وعلى هذا فذلك الرجل الماكر يكون اهلا فلا يرد نقضا وثالثها ان الاعمال بعواقبها ومن مكر
غيره ونفذ فيه المكر عاجلا في الظاهر فهو في الحقيقة هو الفائز والماكر هو الهالك كمثل راحة
الكافر ومشقة المسلم في الدنيا ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى فهل ينظرون الا سنة الاولين يعني
ان كان لمكرهم في الحال رواج فالعاقبة للتقوى والامور بخواتيمها قوله تعالى سنة الاولين مصدر
مضاف لمفعوله وسنة الله مضاف لفاعله لانه سنها بهم فصحت اضافتها الى الفاعل والمفعول
وهذا لجواب عن سؤال وهو ان الاهلاك ليس سنة الاولين انما هو سنة الله في الاولين والجواب
عن هذا السؤال من وجهين احدهما ان المصدر الذي هو المفعول المطلق يضاف الى الفاعل
والمفعول لتعلقه بهما من وجه دون وجه فيقال فيما اذا اضرب زيد عمرا عجبت من ضرب عمرو
وكيف ضرب مع ما له من القوم والقوة وعجبت من ضرب عمرو وكيف ضرب مع ما له من العلم
والحكم فكذلك سنة الله بهم اضافها اليهم لانها سنة سنت بهم واضافها الى نفسه بعدها بقوله
تعالى ولن تجد لسنة الله لانها سنة من الله فعلى هذا يقول اضافها في الاول اليهم حيث قال
جل ذكره سنة الاولين لان سنة الله الاهلاك بالاشراك والاكرام على الاسلام فلا يعلم المقدم
ينتظرون ايهما فاذا قال سنة الاولين تميزت وفي الثاني اضافها الى الله تعالى لانها
لما علمت فالاضافة الى الله تعظيما وتبيين انها امر واقع ليس لها من دافع وثانيهما ان المراد
من سنة الاولين استمرارهم على الانكار واستكبارهم عن الاقرار وسنة الله استيصالهم باصرارهم
فكانه قال انتم تريدون الاتيان بسنة الاولين والله ياتي بسنة لا تبديل لها ولا تحويل عن
مستحقها فان قيل ما الحكمة في تكرار التبديل والتحويل فالجواب انه بقوله فلن تجد لسنة الله
تبديلا حصل العلم بان العذاب لا يبدل بغيره وبقوله عز وجل ذكره ولن تجد لسنة الله تحويلا حصل
العلم بان العذاب مع انه لا يبدل بالثواب لا يتحول عن مستحقه الى غيره فيتم تهديد المسيء فصل
المعنى فهل ينتظرون الا ان ينزل بهم العذاب كما نزل بمن مضى من الكفار والمخاطب بقوله فلن
تجد عام كانه قال لا تجد ايها السامع وقيل الخطاب مع الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم لما ذكر انه سنة الاولين وسنته في اهلاكهم
نبههم بتذكير حال الاولين فانهم كانوا مروا على ديارهم ويرون اثارهم واملهم كان فوق املهم
وعملهم كان دون عملهم وكانوا اطول اعمارا منهم واشد اقتدارا ومع هذا لم يكذبوا مثل محمد
صلى الله عليه وسلم وانتم يا اهل مكة كذبتم محمدا صلى الله عليه وسلم ومن تقدمه قوله
تعالى وكانوا اشد منهم قوة جملة في موضع نصب على الحال ونظيرها في الروم كانوا [illegible] وعلى انها مستانفة
فالمقصودان يختلفان وقال ابن الخطيب الفرق بينهما ان قول القائل اما رايت زيدا كيف اكرمني
هو اعظم منك يفيد ان القائل يخبره بان زيدا اعظم واذا قال اما رايته كيف اكرمني وهو اعظم
منك يفيد انه يقرر ان المعنيين حاصلات عند السامع كانه راه اكرمه وراه اكرم منه ولا شك
في ان هذه العبارة الاخيرة تفيد كون الامر الثاني في الظهور مثل الاول بحيث لا يحتاج الى
اعلام من المتكلم ولا اخبار واذا علم هذا فنقول المذكور ههنا كونهم اشد منهم قوة لا غير ولعل
ذلك كان ظاهرا عندهم فقال بالواو اي نظركم كما يقع على عاقبة امرهم يقع على قوتهم واما
هناك فالمذكور اشياء كثيرة فانه قال عز وجل ذكره كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها
اكثر وموضع اخر قال سبحانه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثارا في الارض ولعل علمهم لم يحصل باثارهم في الارض او بكثرتهم
ولكن نفس القوة [illegible] كان معلوما عندهم فان كل طائفة تعتقد فيمن تقدمها انه اقوى
منه والاباء ارفع منه قوله تعالى وما كان الله ليعجزه اي ليفوت عنه وهذا يحتمل شيئين احدهما
ان يكون المراد بيان ان الاولين مع شدة قوتهم ما عجزوا الله وما فاتوه فهم اولى بان لا يعجزوه

والثاني

والثاني ان يكون قطعا لاعتقاد الجهال فان قايلا لو قال هب ان الاولين كانوا اشد قوة من
واطول اعمارا لكنا نستخرج بذكائنا ما نزيد على قواهم ونستعين بامور ارضية لها خواص او كواكب
سماوية لها اثار فقال تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض وكان الله عالما
بافعالهم واقوالهم قديرا على اهلاكهم واستيصالهم قوله تعالى ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا من
الجرايم ما ترك على ظهرها من دابة يعني على ظهر الارض كناية عن غير مذكور وتقدم نظيرها في النحل
الا ان هناك لم يجر للارض ذكر بل عاد الضمير عليها لفهمها من السياق وهنا قد صرح بها في قوله
في السموات ولا في الارض فيعود الضمير اليها لانها اقرب وايضا فلقوله من دابة والدواب انما يكون
على وجه الارض وهنا قال جل ذكره على ظهرها استعارة من ظهر الدابة دلالة على التمكن والتقلب عليها
والمقام هنا يناسب ذلك لانه حث على السير للنظر والاعتبار قوله تعالى من دابة اي كما كان في زمن
نوح صلوات الله عليه اهلك الله ما على ظهر الارض الا من كان في السفينة مع نوح صلوات الله عليه
فان قيل اذا كان الله تعالى يواخذ الناس بما كسبوا فما بال الدواب يهلكون فالجواب من وجوه احدها
ان خلق الدواب نعمة فاذا كفر الناس يزيل الله النعم والدواب اقرب النعم لان المفرد اولا ثم
المركب والمركب اما ان يكون معدنا واما ان يكون ناميا والنامي اما ان يكون حيوانا او نباتا والحيوان
اما انسان او غير انسان فالدواب اعلى درجات المخلوقات في عالم العناصر للانسان الثاني ان
ذلك بيان لشدة العذاب وعمومه فان نماءه بالانسان كما يقال للانسان بالاشيا لان الانسان
يدبر الاشيا ويصلحها فيبقى الاشيا ثم ينتفع بها الانسان فاذا كان الاهلاك عاما لا يبقى من الانسان
من يعمر فلا تبقى الابنية والزروع فلا يبقى الخيرات الالهية فان نماها يحفظ الانسان اياها عن
التلف والاهلاك بالسقي والقلب الثالث ان انزال المطر انعام من الله جل وعز في حق العباد
فاذا لم يستحقوا الانعام قطعت الامطار عنهم فيظهر الجفاف على وجه الارض فيموت جميع الحيوان
فان قيل كيف يقال لما عليه الخلق من الارض وجه الارض وظهر الارض مع ان الظهر مقابلة
الوجه فهو كالتضاد فيقال من حيث ان الارض كالدابة الحاملة للاثقال والحمل يكون على
الظهر واما وجه الارض فلان الظاهر من باب والباطن من باب فوجه الارض ظهر لانه
هو الظاهر وغيره منها باطن وبطن قوله تعالى ولكن يوخرهم الى اجل مسمى قيل هو يوم القيمة
وقيل يوم لا يوجد فيه في الخلق مومن وقيل لكل امة اجل ولكل اجل كتاب واجل قوم امة محمد
صلى الله عليه وسلم ايام القتل والاسر كيوم بدر وغيره قوله تعالى فاذا جاء اجلهم فان الله كان
بعباده بصيرا تسلية للمومنين لانه تعالى ما ترك على ظهرها من دابة وقال جل ذكره لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة فقال فاذا جاء الهلاك فالله بالعباد بصير قال ابن عباس رضي
الله عنه بصيرا باهل طاعته واهل معصيته روى ابو امامة عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملائكة دعته يوم القيمة ثمانية ابواب
الجنة ان ادخل من اي الابواب شئت صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وعظم

سورة يس مكية

وهي ثلث وثمانون اية وسبع ماية وسبع وعشرون كلمة وثلثة الاف حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

يس قرا العامة يس بسكون النون وادغم النون في الواو بعدها ابن كثير وابو عمرو وحمزة
وحفص وقالون وورش بخلاف عنه وكذلك النون من نون والقلم واظهرها الباقون
فمن ادغم فللخفة ولانه لما وصل والتقى متقاربان من كلمتين اولهما ساكن وجب الادغام
كالمثلين ومن اظهر فللمبالغة في تفكيك هذه الحروف بعضها من بعض لانه بنية الوقف وهذا
اجري على القياس في الحروف المقطعة وكذلك التقى فيها الساكنان وصلا ونقل اليها حركة
همزة الوصل على راي نحو الم الله كما تقدم تقريره واما الياء من يس فالاخوان وابو بكر لانها
اسم من الاسماء كما تقدم تقريره اول البقرة قال الفارسي واذا اما لوا يا وهو حرف نداء
فلان يا من يس اجدر وقرا عيسى وابن ابي اسحاق بفتح النون اما على البناء على الفتح تخفيفا

كابن وكيف واما علي انه مفعول باتل واما علي انه مجرور بحرف القسم وهو علي الوجهين غير
منصرف للعلمية والتانيث ويجوز ان يكون منصوبا علي اسقاط حرف القسم كقوله امانة الله
الثريد وقرا الكلبي بضم النون فقيل علي انها خبر مبتدا مضمر اي هذه يس ومنعت من الصرف
لما تقدم وقيل بل هي حركة بناء كحيث فيجوز ان خبرا كما تقدم وان يكون مقسما بها نحو عبد الله
لافعلن وقيل لانها منادي فبنيت علي الضم ولهذا فسرها الكلبي رحمه الله القاري لها بيا
انسان قال وهي لغة طي قال الزمخشري ان صح معناه فوجهه ان يكون اصله يا انيسين
فكثر النداء به علي السنتهم حتى اقتصروا علي شطره كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله قال
ابو حيان والذي نقل عن العرب في تصغير انسان لان التصغير يرد الاشيا الى اصولها ولا
نعلم انهم قالوا في تصغيره انيسين وعلى تقدير انه يصغر كذلك فلا يجوز الا ان يبني علي
الضم لانه منادي مقبل عليه ومع ذلك فلا يجوز لانه تحقير ويمتنع ذلك في حق النبوة قال
شهاب الدين اما الاعتراض الاخير فصحيح نصوا علي ان التصغير لا يدخل في الاسما المعظمة
شرعا وذلك محكي ان ابن قتيبة لما قال في المهيمن انه مصغر من مومن والاصل مويمن
فابدلت الهمزة ها قيل له هذا ما قرب من الكفر فليتق الله تعالى قايله وقد تقدمت هذه
الحكاية في المايدة وما قيل فيها وقد تقدم للزمخشري في طه ما يقرب من هذا البحث
وتقدم كلام الشيخ معه وقرا ابن ابي اسحاق ايضا وابو السمال يس بكسر النون وذلك
اصل التقا الساكنين ولا يجوز ان تكون حركة اعراب والقران اما قسم مستانف ان لم يجعل
ما تقدم قسما واما عطف علي ما قبله ان كان مقسما به وقد تقدم الكلام عن الخليل في ذلك
اوايل البقرة فاعتبره هنا فانه حسن جدا **فصل** قد تقدم في سورة العنكبوت ذكر
حروف التهجي كان في اوايلها وان كل سورة بدا الله فيها بحروف التهجي كان في اوايلها الذكر
والكتاب او القران ولنذكر ههنا ان في ذكر هذه الحروف اوايل السور امور تدل علي انها غير
خالية عن الحكمة لكن علم الانسان لا يصل اليها والذي يدل علي ان فيها حكمة من حيث
الجملة هو ان الله سبحانه وتعالى ذكر من الحروف نصفها وهي اربعة عشر حرفا وهي نصف
ثمانية وعشرين حرفا هي جميع الحروف التي في لسان العرب علي قولنا الهمزة الف متحركة ثم
انه سبحانه قسم الحروف ثلاثة اقسام تسعة احرف من الالف الي الذال والتسعة الاخيرة
من الفا الي اليا وعشرة في الوسط من الرا الي الغين وذكر من القسم الاول حرفين الالف والحا
وترك سبعة وترك من القسم الاخير حرفين هما الالف واللام وذكر سبعة ولم يترك من
القسم الاول من حروف الحلق والصدر الا واحدا لم يذكره وهو الخا ولم يذكر من القسم الاخير من
حروف الشفه الا واحدا لم يتركه وهو الميم والعشرة الوسط ذكر منه حرفا وترك حرفا فترك
الزاي وذكر الراء وذكر السين وترك الشين وذكر الصاد وترك الضاد وذكر الطا وترك
الظا وذكر العين وترك الغين وليس هذا امرا يقع اتفاقا بل هو ترتيب مقصود فهو لحكمة
لكنها غير معلومة وهب ان واحدا يدعي فيه شيا فماذا يقول في كون بعض السور مفتتحة بحرف
نون وق وص وبعضها باربعة احرف كسورة المر والمص وبعضها بخمسة كسورة حمعسق وكهيعص
وهب ان قايلا يقول ان هذه اشارة بان الكلام اما حرف واما فعل واما اسم والحرف كثيرا ما جا
علي حرف كواو العطف وفا التعقيب وهمزة الاستفهام وكاف التشبيه وبا الالصاق وغيرها
وجا علي حرفين كمن للتبعيض او للتخيير وام للاستفهام المتوسط وان للشرط وغيرها والفعل
والاسم والحرف جا علي ثلاثة احرف كالي وعلي في الحرف والي وعلا في الاسم والايا لوا وعلا
يعلو في الفعل والاسم والفعل جا علي اربعة احرف والاسم خاصة جا علي ثلاثة احرف واربعة
وخمسة كعجل وسبحل وجردحل فما جا في القران اشارة الي ان تركيب العربية من هذه الحروف
علي هذه الوجوه فماذا يقول هذا القايل في تخصيص بعض السور بالحرف الواحد والبعض بالكثر
فلا يعلم ما السر الا الله عز وجل سبحانه ومن اعلمه الله به واذا علم هذا فالعبادة منها قلبية
ومنها لسانية ومنها خارجية وكل واحد منها قسمان قسم عقل معناه وحقيقته وقسم لم يعقل
اما القلبية مع انها ابعد عن الشك والجهل ففيها ما لم يعقل دليله عقلا وانما وجب الايمان به
والاعتقاد سمعا كالصراط الذي هو ادق من الشعر واحد من السيف ويمر عليه المومن كالبرق الخاطف

والميزان

والميزان الذي يوزن به الاعمال الذي لا ثقل لها في نظر الناظر وكيفية الجنة والنار فان هذه
الاشيا وجودها لم يعلم بدليل عقلي وانما المعلوم بالعقل امكانها ووقوعها معلوم مقطوع به بالسمع
ومنها ما علم كالتوحيد والنبوة وقدرة الله وصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه وكذلك في العبادات
الخارجية ما علم معناه وما لم يعلم كمقادير النصب وعدد الركعات والحكمة في ذلك ان العبد اذا اتي بما
امر به من غير ان يعلم ما فيه من الفايدة لا يكون الا لاتيان الامحض العبادة بخلاف ما لو علم الفايدة فربما
ياتي للفايدة وان لم يومر كما قال السيد لعبده انقل هذه الحجارة من هنا ولم يعلمه بما في النقل فنقلها
ولو قال انقلها فان تحتها كنزا هو لك فانه ينقلها وان لم يومر واذا علم هذا فكذلك في العبادات
اللسانية الذكرية يجب ان يكون ما لم يفهم معناه اذا تكلم به العبد علم انه لا يعقل غير الانقياد لامر
المعبود الالهي فاذا قال حم يس طس علم انه لا يذكر ذلك لمعنى يفهمه بل يتلفظ به امتثالا لما امر به
فصل قال ابن عباس رضي الله عنه يس قسم وروي عنه ان معناه يا انسان بلغة طي
قيل لان تصغير انسان يس انيسين كما تقدم عن الزمخشري فكانه حذف الصدر منه واخذ العجز وقال
ياسين اي يا انيسين قال اكثر المفسرين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قاله الحسن وسعيد بن جبير
وجماعة وقال ابو العالية يا رجل وقال ابو بكر الوراق رضي الله عنه يا سيد البشر وقوله جل ذكره
والقران الحكيم اي ذي الحكمة كعيشة راضية اي ذات رضى او انه ناطق بالحكمة فهو كالحي المتكلم قوله
تعالى انك جواب القسم وعلى صراط يجوز ان يكون متعلقا بالمرسلين يقول ارسلت عليه كذا قال
تعالى وارسل عليهم طيرا وان يكون متعلقا بمحذوف على انه حال من الضمير المستكن في لمن المرسلين
لوقوعه خبرا وان يكون حالا من المرسلين وان يكون خبرا ثانيا لانك **فصل** اقسم
بالقران على ان محمدا صلى الله عليه وسلم من المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا فان
قيل المطلب يثبت بالدليل لا بالقسم فما الحكمة بالاقسام فالجواب من وجوه الاول ان العرب
كانوا يتقون الايمان الفاجرة وكانوا يقولون بان الايمان الفاجرة توجب خراب العالم وصحح النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع ثم انهم كانوا يقولون ان النبي صلى
الله عليه وسلم يصيبه عذاب من الهتهم وهي الكواكب والنبي صلى الله عليه وسلم يحلف بامر الله وانزال
كلامه عليه باشيا مختلفة وما كان يصيبه عذاب بل كان كل يوم ارفع شانا فكان ذلك يوجب
اعتقاد انه ليس بكاذب صلى الله عليه وسلم الثاني ان المتناظرين اذا وقع بينهما كلام وغلب احدهما
الاخر بتمشية دليله واسكته يقول المغلوب انك قررت هذا بقوة جدالك وانت خبير في نفسك بضعف
مقالتك وتعلم ان الامر ليس كما تقول وان اقمت عليه الدليل صورة وعجزت انا عن القدح فيه وهذا كثير
الوقوع بين المتناظرين فعند هذا لا يجوز ان ياتي هو بدليل اخر لان الساكت المنقطع يقول في الدليل
الاخر ما قاله في الاول فلا يجد امرا الا اليمين فيقول والله اني لست مكابرا وان الامر على ما ذكرته ولو
علمت خلافه لرجعت اليه فهنا يتعين اليمين فلذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقام البراهين وقالت
الكفرة ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباوكم وقالوا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين
فالتمسك بالايمان لعدم فايدة الدليل الثالث انه هذا ليس مجرد الحلف بل دليل خرج في صورة اليمين
لان القران معجزة ودليل كونه صلى الله عليه وسلم مرسلا هو المعجزة والقران كذلك فان قيل لم يذكر
في صورة الدليل وما الحكمة في ذكر الدليل في صورة ابتدايه على صورة اليمين واليمين لا يقع ولا سيما من
العظيم الاعلى الا في امر عظيم والامر العظيم يتوفر الدواعي على الاصغا اليه فلصورة اليمين يقبل عليه الاسماع
لكونه دليلا شافيا يبريه الفواد فيقع في السمع وفي القلب قوله تعالى على صراط مستقيم اي انك على
صراط مستقيم والمستقيم اقرب الطرق الموصلة الى المقصد والدين كذلك فانه يوصل الى الله وهو المقصد
قوله تعالى تنزيل العزيز الرحيم قرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابو بكر برفع تنزيل على انه خبر مبتدا
مضمر اي هو تنزيل ويجوز ان يكون خبر المبتدا اذا جعلت يس اسما للسورة اي هذه السورة المسماة
يس تنزيل وهذه الاحرف المقطعة تنزيل والجملة القسمية على هذا اعتراض والباقون بالنصب على
المصدر كانه قال نزل تنزيل العزيز الرحيم لتنذر او على انه مفعول بفعل منوي كانه قال والقران الحكيم
اعني تنزيل العزيز الرحيم انك لمن المرسلين لتنذر وهذا اختيار الزمخشري وهو المراد بقوله او على المدح
وهو في المعنى كالرفع على خبر ابتدا مضمر وتنزيل مصدر مضاف لفاعله وقيل هو بمعنى منزل وقرا ابو
حيوة واليزيدي وابو جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة تنزيل بالجر على النعت للقران او البدل منه كانه

قال تعالى والقران الحكيم تنزيل العزيز الرحيم انك لمن المرسلين وقوله العزيز الرحيم اشارة الي ان
الملك اذا ارسل رسولا فالمرسل اليهم اما ان يخالفوا المرسل و يهينوا المرسل وحينئذ لا يقدر الملك
علي الانتقام منهم الا اذا كان عزيزا و يخافوا المرسل ويكرموا المرسل وحينئذ يرحمهم الملك او يقال
المرسل يكون معه في رسالته منع عن اشيا واطلاق الاشيا والمنع يوكده العزه والاطلاق يدل
علي الرحمة قوله تعالى لتنذر يجوز ان يتعلق بتنزيل او بمعنى المرسلين يعني باضمار فعل يدل عليه
هذا اللفظ اي ارسلناك لتنذر وقوله تعالى ما انذر اباوهم يجوز ان تكون ما هذه بمعنى الذي وان
تكون نكرة موصوفة والعايد علي الوجهين مقدر اي ما انذره اباوهم فيكون ما وصلتها او صفتها
في محل نصب مفعولا ثانيا لقوله لتنذر كقوله تعالى انا انذرناكم عذابا والتقدير لتنذر قوما الذي
انذره اباوهم من العذاب او لتنذر قوما عذابا انذره اباوهم ويجوز ان تكون مصدرية اي انذار
اباهم اي مثله ويجوز ان تكون نافية وتكون الجملة المنفية صفة لقوما اي قوما غير منذر اباوهم
ويجوز ان تكون زايدة اي قوما ما انذر اباوهم والجملة المثبتة ايضا صفة لقوما قاله ابو البقا وهو
مناف للوجه الذي قبله فعلى قولنا انها نافية فالمعنى ما انذر اباوهم الادنون وان قلنا للاثبات
فالمعنى لينذر بما انذر به اباوهم الاولون وقوله جل ذكره فهم غافلون اي عن الايمان والرشد
قوله تعالى لقد حق القول وجب العذاب علي اكثرهم فهم لا يومنون وهذا كقوله ولكن حقت كلمة
العذاب علي الكافرين وفي الاية وجوه اشهرها ان المراد من القول هو قوله تعالى لقد حق القول
مني لاملان جهنم منك وممن تبعك والثاني ان معناه لقد سبق في علمه تعالى جل ثناه وتقدست
اسماه ان هذا يومن وهذا لا يومن فحق القول اي وجد وثبت بحيث لا يبدل بغيره ولا يبدل
القول لدي الثالث المراد لقد حق القول الذي قال الله عز وجل علي لسان الرسل من التوحيد
وغيره وبان برهانه فانهم لما لم يومنوا عندما حق القول واستمروا كانوا يريدون شيا اوضح من
البرهان فهو العناد وعند العناد لا يفيد الايمان وقوله علي اكثرهم علي هذا الوجه معناه ان
من لم يبلغه الدعوة والبرهان قليلون فحق القول علي اكثرهم وهو من لم يوجد منه الايمان وعلى
الاول والثاني ظاهر لان اكثر الكفار ماتوا علي الكفر قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا
نزلت في ابي جهل وصاحبيه وذلك ان ابا جهل كان قد حلف لين راي محمدا صلى الله عليه وسلم
يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده الي عنقه
ولزق الحجر بيده فلما رجع الي اصحابه واخبرهم بما راي سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم
انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فاعمى الله عز وجل بصره فجعل يسمع صوته
ولا يراه فرجع الي اصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت فقال ما رايته ولقد سمعت
كلامه وحال بيني وبينه كالفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لاكلني فانزل الله تعالى انا جعلنا
في اعناقهم اغلالا ووجه المناسبة لما تقدم انه لما قال لقد حق القول علي اكثرهم وقد تقدم ان
المراد به البرهان قال بعد ذلك بل عاينوا وابصروا ما يقرب من الضرورة حيث التزقت يده
بعنقه ومنع من ارسال الحجر وهو مضطر الي الايمان ولم يومن علم انه لا يومن اصلا وقال
الفرا معناه حبسناهم عن ان ينفقوا في سبيل الله كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الي عنقك
معناه لا تمسكها عن النفقة الثالث قال ابن الخطيب رحمه الله وهو الاقوى واشد مناسبة
لما تقدم ان ذلك كناية عن منع الله اياهم عن الهدى واما مناسبة قول الفرا لما تقدم ان
قوله تعالى فهم لا يومنون يدخل فيه انهم لا يصلون كقوله تعالى ليضيع ايمانكم اي صلاتكم
عند بعض المفسرين والزكوة مناسبة للصلوة فكانه قال لا يصلون ولا يزكون قوله تعالى فهي
الي الاذقان في هذا الضمير وجهان اشهرهما انه عايد علي الاغلال لانها هي المحدث عنها ومعنى
هذا الترتيب بالفا ان الغل لغلظه وعرضه يصل الي الذقن لانه يلبس العنق جميعه قال
الزمخشري والمعنى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ثقالا غلاظا بحيث يبلغ الي الاذقان فلم
يتمكن المغلول معها من ان يطاطي راسه الثاني ان الضمير يعود على الايدي لان الغل لا يكون
الا في العنق واليدين ولذلك سمي جامعة ودل على الايدي وان لم يذكر للملازمة المفهومة
من هذه الالة اعني الغل واليه ذهب الطبري الا ان الزمخشري قال جعل الاقماح نتيجة قوله
عز وعلا فهي الي الاذقان ولو كان للايدي لم يكن معنى السبب في الاقماح ظاهرا علي ان هذا

الاضمار

الاضمار فيه ضرب من التعسف وترك للظاهر وفي هذا الكلام قولان احدهما ان جعل الاغلال
حقيقة والثاني انه استعارة وعلى كل من القولين جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم
اجمعين وقال الزمخشري مثل تصميمهم علي الكفر وانه لا سبيل الي ارعوايهم بان جعلهم كالمغلولين
المقمحين في انهم لا يلتفتوا الي الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطيون روسهم له وكالحاصلين
بين سدين لا يبصرون ما قدامهم وما خلفهم في ان لا تامل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن ايات
الله تعالى وقال غيره هذا استعارة لمنع الله اياهم من الايمان وحوله بينهم وبينه قال ابن
عطية وهذا ارجح الاقوال لانه تعالى لما ذكر انهم لا يومنون لما سبق لهم في الازل عقب ذلك
بان جعل لهم من المنع واحاطة الشقاوة ما حالهم معه حال المغلولين وتقدم تفسير الاذقان وقال
ابن الخطيب المانع اما ان يكون في النفس فهو الغل واما من الخارج فالسد فلا يقع نظرهم علي
انفسهم فيرون الايات التي في انفسهم كما قال ذكره تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وذلك
لان المقمح لا يري نفسه ولا يقع بصره علي بدنه ولا يقع نظرهم علي الافاق فلا يتبين لهم الايات التي
في الافاق وعلى هذا فقوله انا جعلنا في اعناقهم وجعلنا من بين ايديهم اشارة الي عدم هدايتهم
لايات الله في الانفس والافاق قوله تعالى فهم مقمحون هذه الفا احسن ترتيب لانه لما وصلت
الاغلال الي الاذقان لعرضها لزم عن ذلك ارتفاع روسهم الي فوق او لما جمعت الايدي الي الاذقان
وصارت تحتها لزم من ذلك رفعها الي فوق فترتفع روسهم والاقماح رفع الراس الي فوق كالاقناح
وهو من قمح البعير راسه اذا رفعها بعد الشرب اما لبروده الما واما لكراهة طعمه قموحا وقماحا بكسر
القاف وضمها واقمحته انا اقماحا والجمع قماح وانشد

• ونحن علي جوانبها قعود • نغض الطرف كالابل القماح •

يصف نفسه وجماعة كانوا في سفينة فاصابهم الميد قال الزجاج قيل للكانونين شهرا قماح
لان الابل اذا وردت الما رفعت روسها لشدة البرد وانشد ابو زيد الهذلي

• فتى ما ابن الاعراء اذا شتونا وحب الزاد في شهري قماح •

كذا رواه بضم القاف وابن السكيت بكسرها وهما لغتان في المصدر كما تقدم وقال الليث رحمه الله
القموح رفع البعير راسه اذا شرب الما الكريه ثم يعود وقال ابو عبيده اذا رفع راسه عن الحوض ولم
يشرب والمشهور انه رفع الراس الي السما كما تقدم تحريره وقال الحسن القامح الطامح ببصره الموضع
قدمه وهذا ينبو عنه اللفظ والمعنى وزاد بعضهم مع رفع الراس غض البصر مستدلا بالبيت المتقدم
بغض الطرف كالابل القماح وزاد مجاهد مع ذلك وضع اليد علي الفم وسال الناس امير المومنين
كرم الله وجهه عن هذه الاية فجعل يديه تحت لحيته ورفع راسه وهذه الكيفية ترجح قول
الطبري في عود هي على الايدي قوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم
سدا تقدم خلاف القراء في فتح السين وضمها والفرق بينهما مستوفى في اخر الكهف والحمد
لله واما فايدة السد من بين الايدي فانهم في الدنيا سالكون فينبغي ان يسلكوا الطريقة
المستقيمة وبين ايديهم سد فلا يقدرون على السلوك واما فايدة السد من خلفهم فهو ان الانسان
له فطرية والكافر ما ادركها فكانه تعالى يقول جعلنا من بين ايديهم سدا فلا يسلكون طريق الاهتدا
التي هي نظرية وجعلنا من خلفهم سدا فلا يرجعون الي الهداية الجبلية التي هي فطرية وايضا
فان الانسان مبداه من الله ومصيره اليه فيعمى الكافر لا يبصر ما بين يديه من المصير الي الله
وما خلفه من الدخول في الوجود بخلق الله وايضا فان السالك اذا لم يكن له بد من سلوك
طريق فان استد الطريق الذي قدامه يفوته المقصد ولكنه يرجع واذا استد الطريق من
خلفه ومن قدامه والموضع الذي هو فيه لا يكون موضع اقامة يهلك فقوله تعالى وجعلنا
من بين ايديهم سدا اشارة الي هلاكهم فصار بمنزلة من بني عليه الحايط وهو واقف قوله
تعالى فاغشيناهم العامة علي الغين المعجمة اي اغطينا ابصارهم فهو علي حذف مضاف وابن عباس
وعمر بن عبد العزيز والحسن وابن يعمر وابو رجا رضي الله عنهم في اخرين بالعين المهملة وهو ضعف
البصر يقال عشي بصره واعشيته انا وهذا يحتمل الحقيقة والاستعارة فصل قوله
تعالى فاغشيناهم عرف الفا يقتضي ان يكون الاغشا مرتبا علي جعل السد فما وجهه فيقال
من وجهين احدهما ان ذلك بيان لامور مرتبة ليس بعضها سببا في البعض فكانه تعالى قال

تالسا

انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فلا يبصرون انفسهم لاقماحهم وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم
سدا فلا يبصرون ما في الافاق وحينئذ يمكن ان يروا السما وما على يمينهم وشمالهم فقال بعد هذا
كله جعلنا على ابصارهم غشاوة فلا يبصرون شيا اصلا والثاني ان ذلك بيان لكون السد قريبا منهم
بحيث يصير ذلك كالغشاوة على ابصارهم فان من جعل من خلفه وقدامه سدين ملتزقين به
بحيث يبقى بينهما ملتزقا بهما تبقى عينه على سطح السد فلا يبصر شيا لان شرط المرئي ان لا يكون قريبا
من العين جدا فان قيل ذكر السد بين الايدي ومن خلف ولم يذكر من اليمين والشمال فما الحكمة فيه
فالجواب ان قلنا انه اشارة الى الهداية الفطرية والنظرية فظاهر واما على غير ذلك فيقال انه حصل
العموم بما ذكروا المنع من انتهاج المناهج المستقيمة لانهم اذا قصدوا السلوك الى جانب اليمين او جانب
الشمال صاروا متوجهين الى شي ومولين عن شي فصار ما اليه توجههم ما بين ايديهم فيجعل الله السد
هناك فيمنعه من السلوك فكيف ما توجه الكافر يجعل الله تعالى بين ايديه سدا وايضا فانا لما بينا
ان جعل السد سببا لاستتار بصره فكان السد ملتزقا به وهو ملتزق بالسدين فلا قدرة له على
الحركة يمنة ولا يسرة فلا حاجة الى السد عن اليمين وعن الشمال قوله تعالى فاغشيناهم فهم لا يبصرون اي
لا يبصرون شيا او لا يبصرون سبيل الحق لان الكافر صد وعمي عن سبيل الهدى قوله تعالى سوا عليهم
ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون تقدم الكلام اول البقرة بين ان الانذار لا ينفعهم مع ما فعل الله بهم من الغل
والسد والاغشا والاعمى بقوله تعالى ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون اي الانذار وعدمه سيان
بالنسبة الى ايمانهم **قوله** تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب قال تعالى من قبل
لتنذر قوما وذلك يقتضي الانذار العام وقال جل ذكره انما تنذر وهو يقتضي التخصيص فكيف
الجمع بينهما وطريقه من وجوه الاول ان قوله تبارك وتعالى لتنذر اي كيف ما كان سوا كان مفيدا
او لم يكن وقوله سبحانه انما تنذر اي الانذار المفيد لا يكون الا بالنسبة لمن يتبع الذكر ويخشى الثاني
ان الله تبارك وتعالى لما بين الارسال او الانزال للانذار وذكر ان الانذار وعدمه سيان بالنسبة
الى اهل العناد قال تنبيه المختار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليس انذارك غير مفيد من جميع
الوجوه فانذر على سبيل العموم وانما ينذر بذلك الانذار العام من يتبع الذكر كانه يقول يا محمد بانذارك
ويتبع بذكرك الان لك ان يقول لتنذر اولا فاذا انذرت وبالغت واشتهر البعض وتولى واستكبر
تبعد ذلك انما تنذر الذين اتبعوك والمراد بالذكر القران لتعريف الذكر بالالف واللام وقد تقدم
ذكر القران في قوله تعالى والقران الحكيم وقبلها في القران من الايات لقوله والقران ذي الذكر فا
جعل القران نفس الذكر والمعنى انما تنذر العلما الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله جل ذكره
وخشي الرحمن بالغيب صالحا لقوله جل ذكره فبشره بمغفرة واجر كريم وهذا اجزاء العمل كقوله
والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والمراد بالغيب ما غاب وهو احوال القيمة
وقيل الوحدانية وقوله تعالى فبشره اشارة الى الرسالة فان النبي صلى الله عليه وسلم بشير ونذير
وقوله تعالى بمغفرة على التنكير اي بمغفرة واسعة تستر من جميع الجوانب واجر كريم اي ذاكرم كقوله
تعالى ورزق كريم والمراد به الجنة قوله تعالى انا نحن نحيي الموتى عند البعث لما بين الرسالة
وهو اصل من الاصول الثلاثة التي يصير بها المكلف مومنا مسلما ذكر اصلا اخر وهو الحشر ووجه
اخر وهو ان الله تبارك وتعالى لما ذكر الانذار والبشارة بقوله فبشره بمغفرة ولم يظهر ذلك بكماله
في الدنيا فقال ان لم ير في الدنيا فالله يحيي الموتى ويجزي المنذرون والمبشرون ووجه اخر
وهو انه تعالى لما ذكر خشية الرحمن بالغيب ذكر ما يؤكده وهو احيا الموتى **فصل** انا نحن
يحتمل وجهين احدهما ان يكون مبتدا وخبرا كقوله • انا ابو النجم وشعري شعري •
ومثل هذا يقال عند الشهرة العظيمة وذلك لان من لا يعرف يقال من انت فيقول انا ابن فلان
فيعرف ومن يكون مشهورا اذا قيل له من انت يقول انا ولا معرفة لي اظهر من نفسي فقال انا نحن
معروفون باوصاف الكمال واذا عرفنا بانفسنا فلا تنكر قدرتنا على احيا الموتى والثاني ان الخبر
نحيي كانه قال تعالى جل ذكره انا نحن نحيي الموتى ونحن يكون توكيدا وفي قوله انا نحن نحيي اشارة
الى التوحيد لان الاشتراك يوجب التمييز فان زيدا اذا شاركه غيره في الاسم فلو قال انا زيد
لا يحصل التعريف التام وللسامع ان يقول اي زيد فيقول ابن عمرو فلما قال الله تعالى انا نحن
اي ليس غيرنا احد شاركنا حتى يقول انا لذ قمثار وحينئذ تصير الاصول الثلاثة مذكورة

الرسالة والتوحيد والحشر قوله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم العامة على بنايه للفاعل فيكون ما قدموا
مفعولا به وآثارهم عطف عليه وزر ومسروق قراءه مبنيا للمفعول وآثارهم بالرفع عطفا
على ما قدموا القيامه مقام الفاعل **فصل** المعنى ما قدموا واخروا فاكتفى باحدهما
لدلالته على الاخر كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد وقيل المعنى ما اسلفوا من
الاعمال صالحة كانت او فاسدة كقوله تعالى بما قدمت ايديهم اي بما قدمت في الوجود واوجدته
وقيل نكتب نياتهم فانها قبل الاعمال وآثارهم اي اعمالهم وفي آثارهم وجوه احدها ما سنوا
من سنة حسنة وسيئة فالحسنة كالكتب المصنفة والقناطر المبنية والسيئة كالظلامات
المستمرة التي وضعها ظالم والكتب المضلة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام
سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له اجرها ومثل اجر من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم
شيا ومن سن في الاسلام سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها
من غير ان ينقص من اوزارهم شيا وقيل نكتب آثارهم اي خطاهم الى المسجد لما روي ابو
سعيد الخدري قال شكت بنو سلمة بعد منازلهم من المسجد فانزل الله تعالى ونكتب
ما قدموا وآثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يكتب خطواتكم ويثيبكم
عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الناس اجرا في الصلاة ابعدهم ممشى والذي
ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام اعظم اجرا من الذي يصلي ثم ينام فان قيل الكتابة
قبل الاحيا فكيف اخر في الذكر حيث قال جل ذكره نحيي ونكتب ولم يقل نكتب ما قدموا ونحييهم
فالجواب ان الكتابة معظمة لامر الاحيا لان الاحيا ان لم يكن للحساب لا يعظم والكتابة
في نفسها ان لم يكن احيا واعادة لا يبقى لها اثر اصلا والاحيا هو المعتبر والكتابة مؤكدة معظمة
لامره فلهذا قدم الاحيا ولانه تعالى قال انا نحن وذلك يفيد العظمة والجبروت والاحيا العظيم
يختص بالله والكتابة دونه تقرير الامر العظيم وذلك مما تعظم ذلك الامر العظيم قوله
تعالى وكل شي احصيناه العامة على نصب كل على الاشتغال وابو السماك قراه مرفوعا بالابتدا
والارجح قراءة العامة لعطف جملة الاشتغال على جملة فعلية **فصل** احصيناه حفظناه
واثبتناه في امام مبين قوله تعالى احصيناه ابلغ من كتبناه لان من كتب شيا مفرقا يحتاج الى جمع
عدده فقال تعالى نحصي فيه وامام جا جمعا في قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم اي بائمتهم
وحينئذ فامام اذا كان فردا فهو ككتاب وحجاب واذا كان جمعا كجبال والمبين هو المظهر للامور
لكونه مظهرا للملائكة ما يفعلون وللناس ما يفعل بهم وهو الفارق بين احوال الخلق
فيجعل فريقا في الجنة وفريقا في السعير وسمي الكتاب اماما لان الملائكة ياتمون به ويتبعونه
وهو اللوح المحفوظ وهذا بيان لكون ما قدموا وآثارهم امرا مكتوبا عليهم لا يبدل فان القلم
جف بما هو كائن فلما قال جل ذكره نكتب ما قدموا بين ان قبل ذلك كتابة اخرى فان الله
تعالى كتب عليهم انهم سيفعلون كذا وكذا ثم اذا فعلوا كتب عليهم انهم فعلوه وقيل ان ذلك مؤكد
لمعنى قوله ونكتب لان من يكتب شيا في اوراق ويرميها قد لا يجدها فكانه لم يكتب فقال نكتب
ونحفظ ذلك في امام مبين وهو كقوله تعالى علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى
وقيل ان ذلك تعميم بعد التخصيص كانه تعالى نكتب ما قدموا وآثارهم وليست الكتابة مقتصرة
عليه بل كل شي محصي في امام مبين وهذا يفيد ان شيا من الافعال والاقوال لا يعزب عن علم
الله تعالى ولا يفوته وهو كقوله تعالى وكل شي فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير يعني ليس ما في
الزبر منحصرا فيما فعلوه بل كل شي مكتوب قوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية تقدم الكلام
على نظيره في البقرة والنحل والمعنى واضرب لاجلهم مثلا او واضرب لاجل نفسك اصحاب القرية مثلا
اي مثلهم عند نفسك باصحاب القرية فعلى الاول لما قال تعالى انك لمن المرسلين وقال جل ذكره
لتنذر قوما قال قل لهم ما انا بدعا من الرسل بل قبلي بقليل جا اصحاب القرية مرسلون وانذروهم
بما انذرتكم وذكروا التوحيد وخوفوا بالقيمة وبشروا بنعيم دار الاقامة وعلى الثاني لما قال
تعالى ان الانذار لا ينفع من اضله الله وكتب عليه انه لا يؤمن قال للنبي صلى الله عليه وسلم فلا
تاس واضرب لنفسك ولقومك مثلا اي مثل لهم عند نفسك مثلا باصحاب القرية حيث جاءهم
ثلاثة رسل ولم يؤمنوا وصبر الرسل على القتل والايذا وانت جئتهم واحدا وقومك اكثر من قوم الثلاثة

فانهم جاوا قرية وانت بعثت الي العالم قوله تعالي اصحاب القرية اي واضرب لهم مثلا
مثل اصحاب القرية فترك المثل واقيم الاصحاب مقامه في الاعراب كقوله تعالي واسيل
القرية قاله الزمخشري رحمه الله وقيل لاحاجة الي الاضمار بل المعنى اجعل اصحاب القرية
لهم مثلا او مثل اصحاب القرية بهم قال المفسرون المراد بالقرية انطاكيه قوله تعالي اذ جاءها
بدل اشتمال قال الزمخشري اذ منصوبة لانها بدل من اصحاب القرية كانه تعالي قال واضرب
لهم وقت مجي المرسلين ومثل ذلك الوقت بوقت محمد صلي الله عليه وسلم وقيل منصوب بقوله
اجعل الضرب كانه حين مجيهم وواقع فيه والمرسلون من قوم عيسي صلوات الله عليه وهم
اقرب مرسل ارسل الي قوم الي زمان محمد صلي الله عليه وسلم وهم ثلاثة قوله تعالي اذ
ارسلنا بدل من اذ الاولي كانه قال اضرب لهم مثلا اذ ارسلنا الي اصحاب القرية اثنين
قال ابن الخطيب والاصح الاوضح ان يكون اذ ظرفا والفعل الواقع فيه جاءها اي جاءها المرسلون
حين ارسلنا هم اليهم وانما جاوهم حيث امروا وهذا فيه لطيفة وهي ان في القصة ان الرسل
كانوا مبعوثين من جهة عيسي صلوات الله عليه ارسلهم الي انطاكيه فقال تعالي ارسال
عيسي صلوات الله عليه هو ارسالنا ورسول رسول الله رسول الله باذن الله ورسوله الله فلا يقع
لك يا محمد ان اولئك كانوا رسل الرسل وانما هم رسل الله فان تكذيبهم كتذيبك فتتم التسلية
بقوله اذ ارسلنا ويويد هذا مسيلة فقهية وهي ان وكيل الوكيل باذن الموكل وكيل الموكل
لا وكيل الوكيل حتي لا ينعزل بعزل الوكيل اياه وينعزل اذا عزله الموكل الاول وهذا علي
قولنا واضرب لهم مثلا اضرب المثل لاجل محمد صلي الله عليه وسلم ظاهر وقوله اذ ارسلنا اليهم
اثنين في بعثة الاثنين حكمة بالغة وهي الي عيسي صلوات الله عليه والاتيان بما امر الله والله
عالم بكل شي لا يحتاج الي شاهد باذن الله فكان عليهما انها الامر الي عيسي صلوات الله عليه
والاتيان بما امر الله والله عالم بكل شي لا يحتاج الي شاهد يشهد عنده واما عيسي صلوات
الله عليه فهو بشر فامره الله بارسال اثنين ليكون قولهما علي قومها عند عيسي حجة تامة فصل
قال ابن كثير روي ابن اسحاق عن ابن عباس وكعب الاحبار ووهب بن منبه وروي عن
بريدة بن الحصيب وعكرمة وقتادة والزهري رضي الله عنهم ان هذه القرية انطاكيه وكان
اسم ملكها انطيخس ابن انطيخس بن انطيخس وكان يعبد الاصنام فبعث الله اليه ثلاثة من الرسل
وهم صادق وصدوق وشلوم فكذبهم وهذا ظاهر انهم رسل الله عز وجل وزعم قتادة انهم كانوا
رسلا من عند المسيح وكان اسم الرسولين شمعون ويوحنا واسم الثالث بولص والقرية انطاكيه
وهذا القول ضعيف جدا لان اهل انطاكيه لما بعث اليهم المسيح ثلاثة من الحواريين كانوا اول
مدينة امنت بالمسيح في ذلك الوقت ولهذا كانت احدي المدن الاربع التي يكونوا فيها بتاركة
النصاري وهن انطاكيه والقدس واسكندرية ورومية بعدها قسطنطينية ولم يهلكوا واهل
هذه القرية المذكورة في القران اهلكوا لقول الله تعالي ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم
خامدون لكن ان كانت الرسل الثلاثة المذكورون في القران بعثوا الي اهل انطاكيه قديما فكذبوهم
فاهلكهم الله تعالي ثم عمرت بعد ذلك فلما كان في زمن المسيح امنوا برسله اليهم فيجوز والله تعالي
اعلم قوله تعالي فعززنا قرا ابو بكر رحمه الله بتخفيف الزاي بمعنى غلبنا ومنه وعزني في الخطاب
ومنه قولهم من عز بز اي صار له بزوا لباقون بالتشديد بمعني قوينا يقال عزز المطر الارض
اي قواها ولبدها ويقال لتلك الارض العزاز وكذا كل ارض صلبه ويتعزز لحم الناقه اي صلب وقوي
وعلي كلتا القرايتين المفعول محذوف اي فقوينا بثالث او فغلبناهما بثالث لان المقصود من
البعثة نصرة الحق لا نصرهما والكل كانوا مقوين الدين بالبرهان وقرا عبد الله بالثالث بالف
ولام قوله تعالي انا اليكم مرسلون جرد خبران هذه من لام التوكيد وادخلها في خبر الثانية
لانهم في الاولي استعملوا لمجرد الانكار فقابلهم الرسل بتوكيد واحد وهو ان وفي الثانية
بالغوا في الانكار فقابلتهم بزيادة التاكيد فاتوا بان وباللام قال اهل البيان الاخبار ثلاثة
اقسام ابتداي وطلبي وانكاري فالاول يقال لمن لم يتردد في نسبة احدي الطرفين الي الاخر
نحو زيد عارف والثاني لمن هو متردد في ذلك طالب له بعض انكار فيقال له ان زيدا عارف
والثالث لمن يبالغ في انكاره فيقال له ان زيدا العارف ومن احسن ما يحكي ان رجلا جاء الي

ابي

ابي العباس الكندي فقال يا ابا العباس اني اجد في كلام العرب حشوا قال وما ذاك قال
يقولون زيد قايم وان زيدا قايم وان زيدا لقايم فقال كلا بل المعاني مختلفة فقيد الله
قايم اخبار بقيامه وان عبد الله قايم جواب لسوال سايل وان عبد الله لقايم جواب عن
انكار منكر وهذا هو الكندي الذي اشتغل ان يعارض القران ففتح المصحف فراي سورة المايدة
وتقدمت حكايته في اول المايدة وقال ابو حيان وجا اولا مرسلون بغير لام لانه ابتدا اخبار
فلا يحتاج الي توكيد وبعد المجاوزة لمرسلون بلام التوكيد لانه جواب عن انكار وقال شهاب الدين
رضي الله عنه وهذا قصور عن فهم ما قاله اهل البيان فانه جعل المقام الثاني وهو الطلبي مكان
المقام الاول وهو الابتداي قوله تعالي ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شي جعلوا كونهم
بشرا مثلهم دليلا علي عدم الارسال وهذا عام في المشركين قالوا في حق محمد صلي الله عليه وسلم اانزل
عليه الذكر من بيننا وانما ظنوه دليلا بنا علي انهم لم يعتقدوا في الله الاختيار وانما قالوا انه موجب
بالذات وقد استوينا في البشرية فلا يمكن الرجحان فرد الله تعالي عليهم بقوله سبحانه جل ذكره
الله اعلم حيث يجعل رسالاته وبقوله تعالي الله يجتبي اليه من يشا الي غير ذلك ثم قالوا وما انزل
الرحمن من شي وهذا يحتمل وجهين احدهما ان يكون متمما لما ذكروه فتكون الكل شبهة واحدة والمعنى
وما انزل الله اليكم احدا فكيف صرتم مثلا رسلا والثاني ان يكون هذا شبهة اخري بشر مثلنا مستقلة
وهي انهم لما قالوا انتم بشر مثلنا فلا يجوز رجحانكم علينا ذكروا الشبهة في جهة النظر الي المرسلين
ثم قالوا شبهة اخري من جهة المرسل وهو انه تعالي ليس بمنزل شيا في هذا العالم العلوي فان الله لم
ينزل شيا من الاشيا في الدنيا فكيف انزل اليكم وقوله تعالي الرحمن اشارة الي الرد عليهم لان الله
تعالي لما كان رحمن الدنيا والارسال رحمه فكيف لا ينزل رحمته وهو رحمن ثم قال تعالي ان انتم
الا تكذبون اي ما انتم الا كاذبين فيما تزعمون **فصل** اذ ارسلنا اليهم اثنين قال وهب
اسمهما يحيى ويولس فكذبوهما فعززنا برسول ثالث وهو شمعون وقال كعب الرسولان صادق
وصدوق والثالث سلوم وانما اضاف الله الارسال اليه لان عيسي صلوات الله عليه انما بعثهم
بامره عز وجل قوله تعالي قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وهذا اشارة الي انهم بمجرد
التكذيب لم يساموا ولم يتركوا بل اعادوا ذلك لهم وكرروا القول عليهم واكدوه باليمين وقالوا
ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون واكدوه باللام لان علم الله يجري مجري القسم لقوله تعالي الله اعلم
حيث يجعل رسالاته اي عالم بالامور وما علينا الا البلاغ المبين وذلك تسلية لانفسهم اي نحن
خرجنا عن عهده ما علينا وهو البلاغ وقوله المبين اي المبين للحق عن الباطل وهو الفارق
بالمعجزة والبرهان او البلاغ المظهر لما ارسلنا الي الكل اي لا يكفي ان يبلغ الرسالة الي شخص او
شخصين او المظهر للحق بكل ما يمكن فاذا لم يقبلوا الحق فهنالك الهلاك فلما كان جوابهم بعد
هذا الا قولهم انا تطيرنا بكم اي تشامنا بكم وذلك ان المطر حبس عنهم فقالوا اصابنا هذا بشومكم
لين لم تنتهوا لنرجمنكم لنقتلنكم قال قتادة بالحجارة وقيل لنشتمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم
فان فسرنا الرجم بالحجارة فيكون قولهم وليمسنكم منا عذاب اليم كانوا قالوا لا نكتفي برجمكم بحجر
او حجرين بل نديم ذلك عليكم الي الموت وهو العذاب الاليم او يكون المراد وليمسنكم بسبب الرجم
منا عذاب اليم اي مولم وان قلنا الرجم الشتم فكانهم قالوا ولا يكفينا الشتم بل شتم
يودي الي الضرب والايلام الحسي واذا فسرنا اليم بمعنى مولم فالفعيل بمعنى مفعل قليل ويحتمل
ان يقال هو من باب قوله تعالي عيشة راضية اي ذات رضي اي عذاب ذو الم فيكون فعيل
بمعنى فاعل وهو كثير ثم اجابهم المرسلون فقالوا طايركم اي شومكم معكم اي بكفركم قوله تعالي
طايركم العامة علي طاير اسم فاعل اي ما طار لكم من الخير والشر ويعبر عن الحظ والنصيب وقرا
الحسن فيما روي عند الزمخشري اطيركم مصدر الطير الذي اصله تطير فلما اريد ادغامه
بدلت التا طاء وسكنت واجتلبت همزة الوصل فصار اطير فيكون مصدره اطيرا ولما ذكر ابو
حيان هذا لم يرد عليه وكان هو في بعض ما رد به علي ابن مالك في شرح التسهيل في باب
المصادر ان مصدر تطير وتدارا اذا ادغما وصار اطير وادارا لا يجي مصدرهما عليهما بل علي
اصلها فيقال اطير تطيرا وادارا تدارا ولكن هذه القراة ترده ان صحت وهو بعيد وقد روي
عنه طيركم بياء ساكنة ويغلب علي الظن انها هذه وانما تصحفت علي الراوي فحسبها مصدرا

وظن ان الف قالوا همزة وصل قوله تعالى اين ذكرتم قرا السبعة بهمزة استفهام بعدها ان
الشرطية وهم على اصولهم من التسهيل والتحقيق وادخال الف بين الهمزتين وعدمه في سورة
البقرة واختلف سيبويه ويونس اذا اجتمع استفهام وشرط ايهما يجاب فذهب سيبويه الى اجابة
الاستفهام ويونس الى اجابة الشرط فالتقدير عند سيبويه اين ذكرتم تتطيرون وعند يونس
تطيروا والجواب للشرط على القولين محذوف وقد تقدم هذا في سورة الانبيا وقرا
ابو جعفر وطلحة وزر بهمزتين مفتوحتين الا ان زرا لم يسهل الثانية كقوله •

• اان كنت داود بن احوى مرحلا • فلست براع لابن عمك محرما •

وروي عن ابي عمرو وزر ايضا كذلك الا انهما فصلا بالف بين الهمزتين وقرا الماجشون
بهمزة واحدة مفتوحة ويخرج هذه القراة الثلاث على حذف لام العلة اي الان ذكرتم
تطيرتم فتطيرتم هو المعلول وان ذكرتم علته والاستفهام منسحب عليهما في قراة الاستفهام
وفي غيرها تكون اخبارا بذلك وقرا الحسن بهمزة واحدة مكسورة وهي شرطية غير استفهام
وجوابه محذوف ايضا وقرا الاعمش والهمداني رحمهما الله اين بصيغة الظرف وهي اين
الشرطية وجوابها محذوف عند جمهور البصريين اي اين ذكرتم فطايركم معكم او صحبكم طايركم
لدلالة ما تقدم من قوله طايركم معكم ومن يجوز تقديم الجواب لا يحتاج الى حذف وقرا الحسن
وابو جعفر وابو حاتم والاصمعي عن نافع ذكرتم بتخفيف الكاف **فصل** قوله اين
ذكرتم جواب عن قولهم لنرجمنكم اي اتفعلون بنا ذلك وان ذكرتم اي وعظتم بالله وسمعتم
كلام الامر بالمعجزة والبرهان بل انتم قوم مسرفون مشركون مجاوزون الحد حيث تجعلون ما يتبرك
به تشاوما وتقصدون ايلام من يجب اكرامه او مسرفون حيث يكفرون ثم يصرون بعد
ظهور الحق بالمعجزة والبرهان فان قيل بل للاضراب في الامر المضروب عنه فالجواب يحتمل
ان يقال قوله اين ذكرتم وارد على تكذيبهم فانهم قالوا نحن كاذبون وان جينا بالبرهان
لا بل انتم قوم مسرفون ويحتمل ان يقال نحن مشومون وان جينا ببيان صحة ما نحن عليه
لا بل انتم قوم مسرفون ويحتمل ان يقال انحن مستحقون الرجم والايلام وان بينا صحة ما اتينا
به لا بل انتم قوم مسرفون **فصل** ذكر المفسرون ان عيسى صلوات الله عليه بعث
رجلين الى اهل انطاكية يدعيانهم الى توحيد الله سبحانه وتعالى واظهر المعجزة من ابرا الاكمه
والابرص واحيا الميت فحبسهم الملك فارسل بعدهما شمعون فاتى الملك ولم يدع الرسالة
وقرب نفسه من الملك بحسن التدبير ثم قال اني اسمع ان في الحبس رجلين يدعيان امرا بديعا
افلا يحضران حتى تسمع كلامهما فقال الملك بلى فاحضروا وذكرا مقالتهما الحقة فقال شمعون
وهل لكما بينة قالا نعم فابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى فقال شمعون ايها الملك ان
شئت ان تغلبهم فقل للالهة التي تعبد ونحن نفعل شيا من ذلك انت لا يخفى عليك الها لا تسمع
ولا تبصر ولا تعلم فقال شمعون فاذن ظهر الحق من جانبهم فامن الملك وقوم وكفر اخرون
وكانت الغلبة للمكذبين قوله تعالى وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى في تعلقه بما قبله
وجهان احدهما انه بيان لكونهم اتوا بالبلاغ المبين حيث امن بهم الرجل الساعي وعلى هذا فقوله
من اقصى المدينة فيه بلاغة باهرة لانه لما جاء من اقصى المدينة رجل وهو قد امن دل على ان انذارهم
والابلاغ بلغ الى اقصى المدينة والثاني ان ضرب المثل لما كان لتسلية قلب سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم ذكر بعد الفراغ من ذكر الرسل سعي المومنين في تصديق انبيائهم وصبرهم
على ما اوذوا ووصول الجزاء الجزيل اليهم ليكون ذلك تسلية لقلب اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم قوله تعالى رجل يسعى في تنكير الرجل مع انه كان معروفا معلوما عند الله عز وجل
فايدتان الاولى ان يكون تعظيما لشانه اي رجل كامل في الرجولية الثاني ان يكون مفيدا
لظهور جانب المرسلين امر رجل من الرجال لا معرفة لهم به فلا يقال انهم تواطيوا والرجل
هو حبيب النجار كان ينحت الاصنام وقال السدي كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير
وكان سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان منزله عند اقصى باب في المدينة وكان مومنا وامن
بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل وجوده حين صار من العلما بكتاب الله وراى فيه وقت محمد
صلى الله عليه وسلم وبعثته وقوله يسعى تبصير للمسلمين وهداية لهم ليبذلوا جهدهم في النصح

قوله

قوله تعالى قال يا قوم اتبعوا المرسلين تقدم الكلام في فايدة قوله يا قوم عند قول موسى
يا قوم انكم ظلمتم انفسكم فان قيل هذا مثل مومن ال فرعون وقال اتبعوني وهذا قال
اتبعوا المرسلين فما الفرق فالجواب هذا الرجل جاهم وفي اول مجيئه نصحهم ولم يعلموا سيرته
فقال اتبعوا هولاء الذين اظهروا لكم الدليل واوضحوا لكم السبيل واما مومن ال فرعون فكان
فيهم ونصحهم مرارا فقال اتبعوني في الايمان بموسى وهرون صلوات الله عليهما واعلموا
انه لو لم يكن خيرا لما اخترته لنفسي وانتم تعلمون اني اخترته ولم يكن للرجل الذي جاء
من اقصى المدينة ان يقول انتم تعلمون اتباعي لهم واعلم انه جمع بين اظهار النصيحة
واظهار ايمانه بقوله اتبعوا نصيحة وقوله المرسلين اظهار ايمانه وقدم اظهار النصيحة
على اظهار الايمان لانه كان ساعيا في النصيحة واما الايمان فكان قد امن من قبل وقوله
يسعى يدل على ارادته للنصح قوله تعالى من لا يسالكم اجرا بدل من المرسلين باعادة العامل الا
ان ابا حيان قال النحاة لا يقولون ذلك الا اذا كان العامل حرف جر والا فلا يسمونه
بدلا بل تابعا وكان يريد التوكيد اللفظي بالنسبة الى العامل **فصل** هذا الكلام
في غاية الحسن لانه لما قال اتبعوا المرسلين كانهم منعوا كونهم مرسلين فنزل درجة وقال لا
شك ان الخلق في الدنيا سالكون طريقة الاستقامة والطريق اذا كان فيه دليل وجب
اتباعه والاستماع من الدليل لا يحسن الا عند احد امرين اما لطلب الدليل الاجرة واما
عدم الاعتماد على اهتدايه ومعرفته الطريق لكن هولاء لا يطلبون اجرة وهم مهتدون عالمون
بالطريق المستقيم الموصلة الى الحق فهب انهم ليسوا بمهتدين فاتبعوهم قوله تعالى وما لي
لا اعبد الذي فطرني اصل الكلام وما لكم لا تعبدون ولكنه صرف الكلام عنهم ليكون الكلام
اسرع قبولا ولذلك جا قوله واليه ترجعون دون واليه ارجع وقوله ااتخذ مبني على كلامه
الاول وهذه الطريقة احسن من ادعا الالتفات وقرا حمزة ويعقوب ما لي باسكان اليا
والاخرون بفتحها واعلم ان في قوله تعالى وما لي اي اي مانع من جانبي وهذه اشارة الى
ان الامر من جهة المعبود ظاهر لا خفا فيه فمن يمتنع من عبادته يكون من جانبه مانع ولا
مانع من جانبي فلا جرم عبدته وفي العدول من مخاصمة القوم الى حال نفسه حكمة اخرى
وهي انه لو قال ما لكم لا تعبدون الذي فطركم لم يكن في البيان مثل قوله ما لي لانه لما قال
ما لي واحد لا يخفى عليه حال نفسه علم كل احد انه لا يطلب العلة وبيانها من احد لانه اعلم
بحال نفسه فهو مبين عدم المانع واما لو قال ما لكم جاز ان يفهم منه انه يطلب بيان العلة
لكون غيره اعلم بحال نفسه وقوله الذي فطرني اشارة الى وجود المقتضي فان قوله ما لي
اشارة الى عدم المانع ولا يوجد الفعل ما لم يوجد المقتضي فقوله الذي فطرني دليل المقتضي
فان الخالق ابتدا مالك والمالك يجب على المملوك اكرامه وتعظيمه ومنعم بالايجاد والمنعم
يجب على المنعم عليه شكر نعمته وقدم بيان عدم المانع على بيان وجود المقتضي مع ان المستحسن
تقديم المقتضي لان المقتضي لظهوره كان مستغنيا عن البيان فلا اقل من تقديم ما هو اولى
بالبيان للحاجة اليه واختار من الايات فطرني نفسه لان خالق عمرو يجب على زيد عبادته لان
من خلق عمرا لا يكون الا كامل القدرة واجب الوجود فهو مستحق العبادة بالنسبة الى كل مكلف
لكن العبادة على زيد بخلق زيد اظهر ايجابا **فصل** اضاف الفطرة الى نفسه والرجوع
اليهم لان الفطرة اثر النعمة وكان عليه اظهر وفي الرجوع معنى الزجر وكان بهم اليق روي انه
لما قال اتبعوا المرسلين اخذوه ورفعوه الى الملك فقال له افانت تتبعهم فقال وما لي لا اعبد
الذي فطرني اي اي شي يمنعني ان اعبد خالقي واليه ترجعون تردون عند البعث فيجزيكم
باعمالكم ومعنى فطرني خلقني اختراعا ابتدا وقيل جعلني على الفطرة كما قال سبحانه وتعالى
فطرت الله التي فطر الناس عليها قوله تعالى ااتخذ استفهام بمعنى الانكار اي لا اتخذ من
دونه الهة ومن دونه يجوز ان يتعلق باتخذ على انها متعدية لواحد وهو الهة ويجوز ان
يتعلق بمحذوف على انه حال من الهة وان يكون مفعولا ثانيا قدم على انها المتعدية لاثنين
فصل في قوله من دونه الهة لطيفة وهي انه لما بين تعبد الذي فطره بين ان من
دونه لا يجوز عبادته لان الكل محتاج مفتقر حادث وقوله تعالى اتخذوا اشارة الى ان غيره

لبس بالله لان المتخذ لا يكون الها قوله تعالى ان يردني شرط جوابه لا تغن عني والجملة
الشرطية في محل نصب صفة لالهة وفتح طلحة السلماني وقيل طلحة بن مصرف يا المتكلم وقال
الزمخشري رحمه الله وقري ان يردني الرحمن بضر بمعنى اي يوردني ضرا اي يجعله موردا
للضر قال ابو حيان وهذا والله اعلم راي في كتب القراات بفتح اليا فتوهمها انها يا المضارعة
جعل الفعل متعديا باليا المتعدية كالهمزة فلذلك ادخل همزة التعدية فنصب به اثنين والذي
في كتب القراات السبع انها يا الاضافة المحذوفة خطا ونطقا لالتقا الساكنين قال شهاب
الدين وهذا رجل ثقة قد نقل هذه القراءة فيقبل منه فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى
ان يردني الرحمن بضر ولم يقل ان يردني الرحمن بضر ولذلك قوله جل ذكره ان ارادني الله
بضر هل هن كاشفات ضره ولم يقل ان اراد الله بي ضرا فالجواب ان الفعل اذا كان متعديا
الى مفعول واحد تعدى الى مفعولين بالحرف كالامر تعدى بحرف في قولهم ذهب به وخرج
به ثم ان المتكلم البليغ يجعل المفعول بغير حرف اولى بوقوع الفعل عليه ويجعل الاخر مفعولا
بحرف فاذا قال القايل مثلا كيف حال فلان يقول اختصه الملك بالكرامة والنعمة فاذا
قال كيف كرامة الملك يقول اختصها بزيد فيقول المسول مفعول بغير حرف لانه هو المقصود
واذا تقرر هذا فالمقصود فيما نحن فيه بيان كون العبد تحت تصرف الله يقلبه كيف يشا
في البوس والرجا وليس الضر مقصود بيانه كيف والقايل مومن يرجوا الرحمة والنعمة بنا
على ايمانه بحكم وعد الله ويويد هذا قوله من قبل الذي فطرني حيث جعل نفسه مفعول
الفطرة فلذلك جعلها مفعول الارادة ووقع الضد تبعا وكذا القول في قوله سبحانه ان
ارادني الله بضر المقصود بيان انه يكون كما يريده الله عز وجل وليس الضر بخصوصه مقصودا
بالذكر ويويده ما تقدم حيث قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده يعني
هو تحت ارادته فان قيل ما الحكمة في قوله تبارك وتعالى هنا ان يردني الرحمن بصيغة المضارع
وقال جل ذكره في الزمر ان ارادني الله بصيغة الماضي وذكر المريد باسم الرحمن وذكر المريد هناك
باسم الله تعالى فالجواب ان الماضي والمستقبل مع الشرط يصير الماضي مستقبلا لان المذكور
هنا من قبل بصيغة الاستقبال في قوله اتخذ وقوله وما لي لا اعبد والمذكور هناك من قبل
بصيغة الماضي في قوله ارايتم وقوله لا تغن عني شفاعتهم شيا اي ان يمسني الله بضر اي بسوء
ومكروه لا تغن عني شفاعتهم شيا اي لا شفاعة لها فتغني ولا ينقذون من ذلك المكروه او لا
ينقذون من العذاب لو عذبني الله ان فعلت ذلك قوله تعالى اني اذا لفي ضلال مبين
اي خطا ظاهر ان فعلت ذلك فانا ضال ضلالا بينا والمبين مفعل بمعنى فعيل وعكسه فعيل
بمعنى مفعول في قوله اليم بمعنى مولم قوله تعالى اني امنت بربكم فيه وجوه احدها انه خاطب
المرسلين قال المفسرون اقبل القوم عليه يريدون قتله فاقبل هو للمرسلين وقال اني امنت
بربكم فاسمعوا قولي واشهدوا والثاني هم الكفار لما نصحهم وما نفعهم قال امنت بربكم فاسمعون
الثالث بربكم ايها السامعون فاسمعون على العموم كقول الواعظ يا مسكين ما اكثر املك يريد
كل سامع يسمعه وفي قوله فاسمعون فوايد منها انه كلام متفكر حيث قال ان بينه القوم ويقول
اخبرتكم بما فعلت حتى لا يقولوا لم اخفيت عنا امرك ولو اظهرته لامنا معك فان قيل قال من
قبل ما لي لا اعبد الذي فطرني وقال هنا امنت بربكم ولم يقل امنت بربي فالجواب ان قلنا
الخطاب مع الرسل فالامر ظاهر لانه لما قال امنت بربكم ظهر عند الرسل انه قبل قولهم وامن
بالرب الذي دعوه اليه وقال بربكم وان قلنا قال امنت بربكم فهم انه يقول ربي وربكم واحد
وهو الذي فطرني وهو بعينه ربكم بخلاف ما لو قال امنت بربي فيقول الكافر وانا ايضا امنت
بربي قوله تعالى فاسمعون العامة على كسر النون وهي نون الوقاية حذفت بعدها يا الاضافة
مجتزا عنها بكسرة النون وهي اللغة الغالبة وقرا عصمة عن عاصم بفتحها وليست هذه الا غلطا
على عاصم اذ لا وجه وقد وقع لابن عطية وهم فاحش في ذلك فقال وقرا الجمهور فاسمعون
بفتح النون قال ابو حاتم هذا خطا فلا يجوز لانه امر فاما حذف النون واما كسرها على جهة
اليا يعني يا المتكلم وقد يكون قوله الجمهور سبق قلم منه او من النساخ وكان الاصل وقرا غير
الجمهور فسقط لفظة غير وقال ابن عطية حذف من الكلام ما تواترت الاخبار والروايات به

وهو

وهو انهم قتلوه فقيل له عند موته ادخل الجنة بعد القتل وقيل له ادخل الجنة عطف على قوله امنت
بربكم فعلى الاول يكون قوله يا ليت قومي يعلمون بعد موته واستاخر بقوله وعلى الثاني قال ذلك
في حياته وكانه سمع الرسل يقولون انه من الداخلين الجنة وصدقهم وقطع قوله تعالى قال
يا ليت قومي يعلمون كما علمت فيومنون كما امنت وقال الحسن رضي الله عنه حرقوا احرقا في حلقه
وعلقوه في سور المدينة وقبره بانطاكية فادخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق فذلك قوله
عز وجل قيل ادخل الجنة فلما افضى الى الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من
المكرمين قوله تعالى بما غفر لي يجوز في ما هذه ثلاثة اوجه احدها المصدرية كما تقدم والثاني انها
بمعنى الذي والعايد محذوف اي بالذي غفره لي ربي واستضعف هذا من حيث انه يبقى معناه انه
تمنى ان يعلم قومه بذنوبه المغفورة وليس المعنى على ذلك انما المعنى على تمني علمهم بغفران ربه
ذنوبه والثالث انها استفهامية واليه ذهب الفرا ورده الكسايي بانه كان ينبغي حذف الفها
لكونها مجرورة وهو رد صحيح وقال الزمخشري رحمه الله الاجود طرح الالف والمشهور من
مذهب البصريين وجوب حذف الفها كقوله

علام يقول الرمح يثقل عاتقي • اذا انا لم اطعن اذا الخيل كرت • الا في ضرورة كقوله
على ما قام يشتمني لييم • كخنزير تمرغ في رماد

وقري من المكرمين بتشديد الرا قوله تعالى وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السما
لما تمنى ان يعلم قومه ان الله غفر له واكرمه ليرغبوا في دين الرسل فلما قتل حبيب رحمه الله غضب
الله له وعجل لهم النقمة وامر جبريل صلوات الله عليه فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن اخرهم
فذلك قوله تعالى وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السما يعني الملايكة قوله تعالى وما
كنا منزلين في ما هذه ثلاثة اوجه احدها انها نافية كالتي قبلها فتكون الجملة الثانية جارية مجرى
التاكيد للاولى والثاني انها مزيدة قال ابو البقا اي وقد كنا منزلين وهذا لا يجوز البتة لفساده
لفظا ومعنى الثالث انها اسم معطوف على جند قال ابن عطية اي من جند ومن الذي كنا منزلين
ورده ابو حيان فان من مزيدة وهذا التقدير يودي الى زيادتها في الموجب جاره المعرفة ومذهب
البصريين غير الاخفش ان يكون الكلام غير موجب وان يكون المجرور نكرة قال شهاب الدين فالذي
ينبغي عندي ان يقول بذلك ان تقدرها بنكرة اي ومن عذاب كنا منزلينه والجملة بعدها صفة لها
واما قوله ان هذا التقدير يودي الى زيادتها في الموجب فليس بصحيح البتة وتعجبت كيف يلزم
ذلك قال هنا وما انزلنا باسناد الفعل الى النفس وقال في بيان حال المومن وقيل ادخل
الجنة باسناد القول الى غير مذكور لان العذاب من باب الهيبة فقال بلفظ التعظيم واما ادخال
الجنة فقال قيل ليكون كالمهنا يقول الملايكة ويقول كل صالح يراه ادخل الجنة خالدا كالتهنية
له وكثيرا ما ورد في القران قوله تعالى وقيل ادخلوا اشارة الى ان الدخول يكون دخولا باكرام
لما اضاف القوم اليه مع ان الرسل اولى يكون الجمع قوما لهم لان الرسول كونه مرسلا يكون جمع الخلق
او جميع من ارسل اليهم قوما لهم فالجواب ليبين الفرق بينه وبينهم لانهما من قبيلة واحدة اكرم
احدهما غاية الاكرام بسبب الايمان واهين الاخر غاية الاهانة بسبب الكفر ونسبهما من قبيلة واحدة
وايضا فالعذاب كان مختصا بهم وهم اقاربه لان غيرهم من قوم الرسل امنوا بهم فلم يصبهم العذاب
فقيل لما خصص عدم الانزال بما بعده والله تعالى لم ينزل عليهم جندا قبله ايضا فما فايدة التخصيص
فالجواب ان استحقاقهم العذاب كان بعده حيث اصروا واستكبروا فبين حال الاهلاك قال من السما وهو
تعالى لم ينزل عليهم ولا ارسل اليهم جندا من الارض فما فايدة التقييد فالجواب من وجهين احدهما
ان يكون المراد ما انزلنا عليهم جندا بامر من السما فيكون للعموم الثاني ان العذاب نزل عليهم
من السما فبين ان النازل لم يكن جند وانما كان بصيحة اخذتهم وخربت ديارهم فان قيل اي فايدة
في قوله وما كنا منزلين مع قوله وما انزلنا وهو يستلزم ان لا يكون من المنزلين فالجواب ان قوله
وما كنا اي ما كان ينبغي ان ننزل لان الامر كان يتم بدون ذلك والمعنى وما انزلنا وما كنا محتاجين الى
الانزال او وما انزلنا وما كنا منزلين في مثل تلك الواقعة جندا في غير تلك الواقعة اي وما
انزلنا على قومه من بعده اي على قوم حبيب من بعد قتله من جند وما كنا منزلين ما ننزله على
الامم اذا اهلكناهم كالطوفان والصاعقة والريح فان قيل كيف انزل الله جنودا في يوم بدر

وفي غير ذلك حيث قال تعالى فانزل الله ريحا وجنودا لم تروها فالجواب ان ذلك تعظيما لمحمد صلى
الله عليه وسلم والا لكان تحريك ريشة من جناح ملك كافيا في استيصالهم ولم تكن رسل عيسى صلوات
الله عليه في درجة محمد صلى الله عليه وسلم ثم بين الله تعالى عقوبتهم فقال ان كانت الا صيحة
واحدة قوله تعالى ان كانت الا صيحة العامة على النصب ان كان فاقصة واسمها ضمير الاخذة لدلالة
السياق عليها وصيحة خبرها وقرا ابو جعفر وشيبة ومعاذ القارى برفعها على انها التامة اي ان
وقع حدث وكان ينبغي ان لا يلحق تا التانيث للفصل بالا لان الواجب في غير ندور واضطرار حذفه
التا نحو ما قام الا هند وقد شذ الحسن وجماعة فقروا لا ترى الا مساكنهم كما سيأتي ان شا
الله تعالى وقوله • وما بقيت الا الضلوع الجراشع • وقوله
• ما برئت من ريبة وذم • في حربنا الا بنات العم •
قال الزمخشري اصله ان كان شي الا صيحة فكان الاصل ان تذكر لكنه تعالى انث لما بعده من
المفسر وهو الصيحة وقوله واحدة تاكيد لكون الامر هينا عنده وقوله جل ذكره فاذا هم خامدون
اشارة الى سرعة الهلاك فان خمودهم كان مع الصيحة في وقتها لم يتاخر ووصفهم بالخمود في غاية
الحسن لان الحي فيه الحرارة الغريزية وكلما كانت الحرارة اوفر كانت القوة الغضبية والشهوانية
اتم وهم كانوا كذلك اما الغضب فانهم قتلوا مومنا كان ينصحهم واما الشهوة فلانهم احتملوا العذاب
الدائم بسبب استيفا اللذات الخالية فاذن كانوا كالنار الموقدة لانهم كانوا جبارين ومستكبرين
كالنار ومن خلق منها فقال جل ذكره فاذا هم خامدون قال المفسرون اخذ جبريل صلوات
الله عليه بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة فاذا هم خامدون ميتون قوله
تعالى يا حسرة العامة على نصبها وفيه وجهان احدهما انها منصوبة على المصدر والمنادي
محذوف تقديره يا هولا تحسروا حسرة والثاني انها منونة لانها منادى منكر فنصبت على
اصلها كقوله • فيا راكبا اما عرضت فبلغا • نداماي من نجران ان لا تلاقيا •
ومعنى النداهنا على المجاز كانه قيل هذا اوانك فاحضري وقرا قتادة وابي في احد وجهيه
يا حسرة بالضم جعلها مقبلة عليها وابي ايضا وابن عباس وعلي بن الحسين يا حسرة العباد
بالاضافة فيجوز ان تكون الحسرة مصدرا مضافا لفاعله اي يتحسرون على غيرهم لما يرون من
عذابهم وان يكون مضافا بالهما المبدلة من تا التانيث وصلا وكانهم اجروا الوصل مجرى الوقف
ولذلك يرسمونها بالها وقرا ابو الزناد صاحب اللوامح وتقدم تمامه في المحتسب تحسرة بعني التاهه بمعنى
التاوه ثم وصلوا على تلك الحال وقرا ابن عباس رضي الله عنه ايضا يا حسرة بفتح التا من غير
تنوين ووجهها ان الاصل يا حسرتا فاجتزي بالفتحة عن الالف كما اجتزي بالكسرة عن اليا ومنه
• ولست براجع ما فات مني • بلهف ولا بليت ولا لو اني •
اي بلهفا يعني لهفي وقرا يا حسرتا بالالف كالتي في الزمر وهي شاهدة لقراة ابن عباس ويكون
التاسف تعالى وذلك على سبيل المجاز دلالة على فرط هذه الحسرة والا فالله تعالى لا يوصف
بذلك قوله تعالى ما ياتيهم هذه الجملة لا محل لها لانها مفسرة بسبب الحسرة عليهم وقيل المراد
بالعباد الرسل الثلاثة كان الكافرين يقولون عند ظهور الباس يا حسرة عليهم يا ليتهم كانوا
حاضرين لنومن بهم تابعا وهم قوم وقوله الا كانوا جملة حالية من مفعول تاتيهم **فصل**
الالف واللام في العباد قيل للعهد وهم وهذا الضمير يجوز ان يكون عايدا الى قوم حبيب اي ما
تاتيهم من رسول من الرسل الثلاثة ويجوز ان يعود الى الكفار المصرين وفي المتحسر وجوه الاول
لا متحسر اصلا في الحقيقة اذ المقصود بيان ان ذلك وقت طلب الحسرة حيث تحققت الندامة
عند تحقق العذاب وههنا بحث لغوي وهو ان المفعول قد يرفض كثيرا اذا كان الغرض غير
متعلق به يقال فلان يعطي ويمنع ولا يكون هناك شي معطى ولا شخص معطى اذ المقصود ان
له المنع والاعطا ورفض المفعول كثير ومما نحن فيه رفض الفاعل وهو قليل والوجه فيه ان ذكر
المتحسر غير مقصود وانما المقصود ان الحسرة متحققة في ذلك الوقت الثاني ان القايل يا حسرة
هو الله سبحانه على الاستعارة تعظيما للامر وتهويلا له وحينئذ يكون كالالفاظ التي وردت
في حق الله تبارك وتعالى كالضحك والنسيان والسخرية والتعجب والتمني ويقال ليس معنى
قوله يا حسرة او يا ندامة ان القايل متحسر او نادم بل المعنى انه مخبر عن وقوع الندامة ولا يحتاج

الى التجوز في كونه تعالى قايلا يا حسرة بل نخرجه على حقيقته الا في الندا فان الندا مجاز والمراد الاخبار
الثالث ان المتلهفين من المسلمين والملايكة كما حكي عن حبيب رحمه الله انه حين القتل كان يقول
اللهم اهد قومي وبعد ما قتلوه وادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون فيجوز ان يتحسر المسلم للكافر
ويتندم له وعليه وقوله جل ذكره ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون هذا سبب الندامة
فصل قال الزهري الحسرة لا تدعا ودعاوها تنبيه للمخاطبين وقيل العرب تقول
يا حسرتا ويا عجبا على طريق المبالغة والندا عندهم بمعنى التنبيه فكانه يقول ايها العجب هذا وقتك
وايها الحسرة هذا اوانك وحقيقة المعنى ان هذا زمان الحسرة والتعجب قوله تعالى الم يروا كم
اهلكنا كم هنا خبرية فهي مفعول باهلكنا تقديره كثيرا من القرون اهلكنا وهي معلقة ليروا
ذهابا بالخبرية مذهب الاستفهامية وقيل بل يروا عامل وكم استفهامية كما سياتي بيانه وانهم
اليهم لا يرجعون فيه اوجه احدها انه بدل من كم قال ابن عطية وكم هنا خبرية وانهم بدل
منها والروية بصرية قال ابو حيان وهذا لا يصح لانها اذا كانت خبرية كانت في موضع نصب
باهلكنا ولا يسوغ فيها الا ذلك واذا كانت كذلك امتنع ان يكون انهم بدل منها لان البدل على
نية تكرار العامل ولو سلطت اهلكنا على انهم لم يصح الا ترى انك لو قلت اهلكنا انتفا رجوعهم
او اهلكنا كونهم لا يرجعون لم يكن كلاما لكن ابن عطية توهم ان يروا مفعوله كم فتوهم ان قوله
انهم اليهم لا يرجعون بدل منه لانه يسوغ ان يسلط عليه فيقول الم يروا انهم اليهم لا يرجعون وهذا
وامثاله دليل على ضعفه في علم العربية قال شهاب الدين وهذا الذي نحا عليه تحامل عليه لانه
لقايل ان يقول كم قد جعلنا خبرية والخبرية يجوز ان تكون معمولة لما قبلها عند قوم فيقولون
ملكت كم عبد فلم يلزم الصدر فيجوز ان يكون بنا هذا التوجيه على هذه اللغة وجعل كم منصوبة
بيروا وانهم بدل منها وليس هو ضعيفا في العربية حينئذ الثاني ان انهم بدل من الجملة قبله قال
الزجاج هو بدل من الجملة والمعنى الم يروا ان القرون التي اهلكنا اليهم لا يرجعون لان عدم
الرجوع والهلاك بمعنى قال ابو حيان وليس بشي لانه ليس بدلا صناعيا وانما فسر المعنى ولم يلحظ
صناعة النحو وقال شهاب الدين بل هو بدل صناعي لان الجملة في قوة المفرد اذ هو ساد مسد مفعولي
يروا فانها معلقة لها كما تقدم الثالث قال الزمخشري الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن العمل
في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها سوا كانت للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام الا ان معناها
نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم يروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه وانهم اليهم لا يرجعون
بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير
راجعين اليهم قال ابو حيان قوله لان كم لا يعمل فيها ما قبلها كانت للاستفهام او للخبر ليس على اطلاقه
لان العامل اذا كان حرف جر او اسما مضافا فانه يعمل فيها نحو على كم جذع بيتك وابن كم رئيس
صحبت وعلى كم فقير تصدقت ارجو الثواب وابن كم شهيد في سبيل الله احسنت اليه وقوله والخبرية
الخبرية فيها لغتان الفصيحة كما ذكر لا يتقدمها عامل الا ما ذكرنا من الجار واللغة الاخرى حكاها
الاخفش يقولون ملكت كم غلام اي ملكت كثيرا من الغلمان فكما يجوز تقدم العامل على كثير كذلك
يجوز على كم لانها بمعناها وقوله لان اصلها الاستفهام والخبرية ليس اصلها الاستفهام بل كل واحدة
اصل بنفسها وتكتها الالفاظ مشتركا بين الاستفهام والخبرية وقوله لان معناها نافذ في الجملة يعني
معنى يروا نافذ في الجملة لانه جعلها معلقة وشرح يروا بيعلموا وقوله كما نفذ في قولك الم يروا ان زيدا
لمنطلق يعني انه لو كان معمولا من حيث اللفظ لامتنع دخول اللام ولفتحت ان فان ان التي في خبرها
اللام من الادوات المعلقة للافعال وقوله وانهم اليهم الى اخر كلامه لا يصح ان يكون بدلا لا على اللفظ
ولا على المعنى اما على اللفظ فانه زعم ان يروا معلقة فتكون كم استفهامية فهي معمولة لاهلكنا واهلكنا
لا يتسلط على انهم اليهم لا يرجعون كما تقدم واما على المعنى فلا يصح ايضا لانه قال تقديره اي على المعنى
الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم فكونهم غير كذا ليس كثرة الاهلاك فلا
يكون بدل كل من كل ولا يكون بدل اشتمال لان بدل الاشتمال يصح ان يضاف الى ما ابدل منه وكذلك
بدل بعض من كل وهذا لا يصح هنا لا تقول الم يروا انتفا رجوع كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم وفي
بدل الاشتمال نحو اعجبتني الجارية ملاحتها وسرق زيد ثوبه يصح اعجبتني ملاحة الجارية وسرق
ثوب زيد الرابع ان يكون انهم بدلا من موضع كم اهلكنا والتقدير الم يروا انهم اليهم قاله ابو البقا ورده

ابو حيان بان كم اهلكنا معمول ليروا قال شهاب الدين رحمه الله وقد تقدم انها معمولة لها على معنى انها معلقة لها الخامس وهو قول الفرا ان يكون يروا عاملا في الجملتين من غير ابدال ولم يبين كيفية العمل وقول الجملتين يجوز لان انهم ليس بجمله لتا ويله بالمفرد الا انه مشتمل على مسند ومسند اليه السادس ان انهم معمول لفعل محذوف دل عليه السياق والمعنى تقديره قضينا وحكمنا انهم اليهم لا يرجعون ويدل على صحة هذا قراة ابن عباس والحسن رضي الله عنهما انهم بكسر الهمزة على الاستيناف والاستيناف قطع لهذه الجملة عما قبلها وهو معنى ان يكون معموله لفعل محذوف يقتضي انقطاعها عما قبلها والضمير في انهم عايد على معنى كم وفي اليهم عايد على ما عاد عليه واو يروا وقيل بل الاول عايد على ما عاد عليه او يروا والثاني عايد على المهلكين

فصل

المعنى الم يخبروا اهل مكة كم اهلكنا قبلهم من القرون والقرن اهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم في الوجود انهم اليهم لا يرجعون اي لا يعودون الي الدنيا فلا يعتبرون وقيل لا يرجعون اي الباقون لا يرجعون الي المهلكين بسبب ولا ولادة اي اهلكناهم وقطعنا نسلهم ولا شك ان الهلاك الذي يكون قطع النسل اتم واعم والاول اشهر نقلا والثاني اظهر عقلا وان كل لما جميع تقدم في هود تشديدها وتخفيفها والكلام في ذلك وقال ابن الخطيب في مناسبة وقوع لما المشددة موقع الا ان لما كانها حرفا نفي جمعا وهما لم وما فتاكد النفي والا كانها حرفا نفي ان ولا فاستعمل احدهما مكان الاخر انتهي وهذا يجوز ان يكون اخذه من قول الفرا في الا في الاستثنا انها مركبة من ان ولا الا ان الفرا جعل ان مخففة من الثقيلة وجعلها نافية وهو قول ركيك رد عليه النحويون وقال الفرا ايضا ان لما هذه اصلها لمما خفف بالحذف وتقدم هذا كله موضحا وكل مبتدا وجميع خبره ومحضرون خبر ثان لا يختلف ذلك سوا شددت لما ام خففتها لا يقال ان جميعا تاكيد لاجل ان جميعا هنا فعيل بمعنى مفعول اي مجموعون فكل يدل على الاحاطة والشمول وجميع يدل على الاجتماع فمعناها حمل على لفظها كما في قوله تعالى جميع منتصر وقدم جميع في الموضعين لاجل الفواصل ولدينا متعلق بمحضرون فمن شدد فلما بمعني الا وان نافية كما تقدم والتقدير وما كل الا جميع ومن خفف فان مخففة واللام فارقة وما مزيدة هذا قول البصريين والكوفيون يقولون ان نافية واللام بمعنى الا كما تقدم مرارا

فصل

لما بين الاهلاك بين ان من اهلكه ليس بتاركه بل بعده جمع وحساب وحبس وعقاب ولو ان من اهلك ترك لكان الموت راحة ونعم ما قال القايل •ولو انا اذا متنا تركنا• لكان الموت راحة كل حي•

• ولكنا اذا متنا بعثنا • ونسال بعدها عن كل شي •

قال الزمخشري رحمه الله ان قال قايل كل وجميع بمعنى واحد فكيف جعل جميعا خبر الكل حيث ادخل اللام عليه اذ التقدير وان كل لجميع نقول معنى جميع مجموع ومعنى كل اي كل فرد مجموع مع الاخر مضموم اليه ويمكن ان يقال محضرون يعني عما ذكره وذلك لانه لو قال وان جميع لجميع محضرون لكان كلاما صحيحا قال ابن الخطيب ولم يوجد ما ذكره من الجواب بل الصحيح ان محضرون كالصفة للجميع فكانه قال جمع جميع محضرون كما يقول الرجل رجل عالم والنبي نبي مرسل والواو في وان كل يعطف على الحكاية كانه يقول بينت لك ما ذكرت وابين ان كله لدينا محضرون قوله تعالى واية خبر مقدم ولهم صفتها او متعلقة باية لانها بمعنى علامة والارض مبتدا وتقدم تخفيف الميتة وتشديدها في اول ال عمران ومنع ابو حيان ان يكون لهم صفة لاية ولم يبين وجهه ولا وجه له واعرب ابو البقا اية مبتدا ولهم الخبر والارض الميتة مبتدا وصفته واحييناها خبره والجملة مفسرة لاية وبهذا بدا ثم قال وقيل فذكر الوجه الاول ولذلك حكى مكي اعني ان يكون اية ابتدا ولهم الخبر وجوز مكي ايضا ان يكون اية مبتدا والارض خبره وهذا ينبغي ان لا يجوز لانه لا يترك المعرفة من ان يبتدا بها ويبتدا بالنكرة الا في مواضع للضرورة قوله تعالى احييناها تقدم انه يجوز ان يكون خبر الارض ويجوز ايضا ان يكون حالا من الارض انا جعلناها مبتدا واية خبر مقدم وجوز الزمخشري في احييناها وفي نسلخ ان يكون صفتين للارض والليل وان كانا معرفين بال لانه تعريف بال الجنسية فهما في قوة النكرة قال كقوله • ولقد امر على اللئيم يسبني • لانه لم يقصد لئيما بعينه ورده ابو حيان الحمل على الحال اي الارض محياة والليل منسلخا منه النهار واللئيم شاتما لي قال شهاب الدين وقد اعتبر النحاة ذلك في مواضع فاعتبروا معنى المونث بالجنسية دون لفظه موضوعه بالنكرة الصريحة نحو ما رجل خير منك على احد الاوجه

وقوله

وقوله الا الذين نعران الانسان وقوله او الطفل الذين لم يظهروا واهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض كل هذا اما روعي فيه المعنى دون اللفظ وان اختلف نوع المراعاة ويجوز ان يكون احييناها استينافا يبين به كونها اية

فصل

وجه التعلق بما قبله من وجهين احدهما انه لما قال وان كل لما جميع كان ذلك اشارة الي الحشر فذكر ما يدل على امكانه قطعا لانكارهم واستبعادهم واصرارهم وعنادهم فقال جل ذكره واية لهم الارض الميتة احييناها كذلك يحيي الموتي وثانيهما انه لما ذكر حال المرسلين واهلاك المكذبين وكان شغلهم التوحيد ذكر ما يدل عليه وبدا بالارض لكونها مكانا لهم لا مفارقة لهم منها عند الحركة والسكون فان قيل الارض اية مطلقا فلم خصها بهم حيث قال تعالى واية فالجواب الاية تعدد وتسرد لمن يعرف الشي بابلغ الوجوه اما من عرف الشي بطريق الروية لا يذكر له دليل فالنبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم وعباد الله المخلصين عرفوا الله قبل الارض والسما فليست الارض معرفة لهم وهذا كما قال الله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتي يتبين لهم وقال تعالى اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد يعني انت كفاك الله معرفا به عرفت كل شي فهو شهيد لك على كل شي واما هؤلا يتبين لهم الحق في الافاق والنفس وكذلك ههنا الارض اية لهم فان قيل ان قلنا الاية مذكورة للاستدلال على جواز احيا الموتي فيكفي قوله جل ذكره احييناها ولا حاجة الي قوله واخرجنا منها حبا وغير ذلك وان قلنا انه للاستدلال على وجود الاله ووحدانيته فلا فايدة في قوله تعالى واخرجنا منها الارض الميتة فقوله الميتة احييناها كان في التوحيد فما فايدة في قوله واخرجنا منها حبا فالجواب هي مذكورة للاستدلال عليهما ولكل ما ذكره الله تعالى فايدة اما فايدة قوله تعالى واخرجنا منها حبا فهو بالنسبة الي بيان احيا الموتي لانه لما احيى الارض واخرج منها حبا كان ذلك احيا تاما لان الارض المخضرة التي لا ينبت الزرع ولا يخرج الحب دون ما ينبته في الحياة فكانه تعالى جل ذكره وتقدست اسماوه ولا اله غيره قال الذي احيا الارض احياء كاملا منبتا للزرع يحيي الموتي احيا كاملا بحيث يدري الامور واما النسبة الي التوحيد فلان فيه تقرير النعم كانه يقول اية لهم الارض فانها مكانهم ومهدهم الذي فيه تحركهم واسكانهم والامر الضروري الذي عنده وجودهم وامكانهم وسوا كانت ميتة او لم تكن فهي مكان لهم لا بد لهم منها فهي نعمة ثم احياوها نعمة ثانية فانها تصير احسن وانزه ثم اخرج الحب منها نعمة ثالثة فان قوتهم تصير في مكانهم وكان يمكن ان يجعل رزقهم في السما او في الهوا فلا يحصل لهم الوثوق ثم جعل الحياة منها نعمة رابعة لان الارض تنبت الحب في كل سنة والاشجار بحيث يوخذ منها الثمار فيكون بعد الحب وجودا ثم فجر فيها العيون ليحصل لهم الاعتماد بالحصول ولو كان ماوها من السما لحصل ولكن لم يعلم انها اين تغرس واين يقطع المطر

فصل

المعنى احييناها بالمطر واخرجنا منها حبا يعني الحنطة والشعير وما اشبههما فمنه ياكلون اي من الحب وجعلنا جنات بساتين من نخيل واعناب وفجرنا فيها في الارض من العيون لياكلوا من ثمره الحاصل بالما قوله تعالى وفجرنا العامة على التشديد تكثيرا لانها مخففة متعدذة وقرا جناح بن حبيش بالتخفيف والمفعول محذوف على كلتي القراتين اي ينبوعا كما في ابة سبحان قوله تعالى من ثمره قيل الضمير على النخيل لانه اقرب مذكور وكان من حق الضمير ان يثني على هذا التقدم بشيي وهما الاعناب والنخيل الا انه اكتفى بذكر احدهما وقيل يعود على جنات وعاد بلفظ المفرد ذهابا بالضمير مذهب اسم الاشارة كقول روبة •

• فيها خطوط من سواد وبلق • كانه في الجلد توليع البهق •

فقيل له فقال اردت كان ذاك وتلك وقيل عايد على الما المدلول عليه بعيون وقيل بل عاد عليه لانه مقدر اي من العيون ويجوز ان يعود على العيون ويعتذر عن افراده بما تقدم في عوده على جنات ويجوز ان يعود على الاعناب والنخيل معا ويعتذر عنه بما تقدم ايضا وقال الزمخشري واصله من ثمرنا لقوله تعالى وجعلنا وفجرنا وابدينا فنقل الكلام من المتكلم الي الغيبة على طريق الالتفات والمعنى لياكلوا مما خلقه الله من الثمر فعلى هذا يكون الضمير عايدا على الله عز وجل ولذلك فسر معناه بما ذكر وتقدمت القرات في هذه اللفظة في سورة الانعام قوله

تعالى وما عملته ايديهم في ما هذه اربعة اوجه احدها انها موصولة اي ومن الذي عملته ايديهم
من الغرس والمعالجة وفيه تجوز على هذا والثاني انها نافية اي لم يعملوه هم بل الفاعل له هو الله
جل جلاله سبحانه اي وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها وهو قول مقاتل والضحاك وقيل اراده
العيون والانهار التي لم تعملها يد خلق مثل الدجلة والفرات والنيل ونحوها وقرا الاخوان وابو
بكر بحذف الها والباقون وما عملته باثباتها وان كانت ما موصولة فعلى قراة الاخوين وابي بكر
حذف العايد كما حذف في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا بالاجماع وعلى قراة غيرهم جي به
على الاصل وان كانت نافية فعلى قراة الاخوين وابي بكر لا ضمير مقدر ولكن المفعول محذوف
اي ما عملت ايديهم شيا من ذلك وعلى قراة غيرهم الضمير يعود على ثمره وهي مرسومة بالها في غير
مصاحف الكوفة وبحذفها فيما عداها فالاخوان وابو بكر رحمهم الله وافقوا مصاحفهم والباقون
غير حفص وافقوها مصاحفهم ايضا وحفص خالف مصحفه وهذا يدل على ان القراة متلقاة من
افواه الرجال فيكون عاصم قد اقراها لابي بالها ولحفص بدونها الثالث انها نكرة موصوفة
والكلام فيها كالكلام في الموصولة والرابع انها مصدرية اي ومن عمل ايديهم والمصدر واقع
موقع المفعول به فيعود المعنى الى معنى الموصولة او الموصوفة **فصل** اذا قلنا ما موصولة
يحتمل ان يكون المعنى وما عملته ايديهم بالتجارة كانه ذكر نوعي ما ياكل الانسان وهما الزراعة
والتجارة او من النبات ما يوكل من غير عمل الايدي كالعنب والثمر وغيرهما ومنه ما يعمل فيه عمل
فيوكل كالاشيا التي لا توكل الا مطبوخة وكالزيتون الذي لا يوكل الا بعد اصلاح لما عدد النعم
اشار الى الشكر بقوله سبحانه جل ذكره افلا يشكرون وذكر بصيغة الاستفهام لما تقدم في فوايد
الاستفهام قوله جل ذكره سبحان الذي خلق الازواج كلها اي الاصناف وسبحان علم دال على
التسبيح تقديره سبح تسبيح الذي خلق الازواج ومعنى سبح نزه ووجه تعلق الاية بما قبلها
هو انه تعالى جل ذكره لما قال افلا يشكرون وشكر الله بالعبادة وهم تركوها وعبدوا غيره
واشركوا فقال سبحان الذي خلق الازواج كلها وغيره لم يخلق شيا او يقال لما بين انهم انكروا
الايات ولم يشكروا بين ما ينبغي ان يكون عليه العامل فقال سبحان الذي خلق تنزه عن ان
يكون له شريك او يكون عاجزا عن احيا الموتى قوله جل ذكره تعالى مما تنبت الارض من الثمار
والحبوب والمعادن ونحوها ومن انفسهم يعني الذكور والاناث والدلايل النفيسة ومما لا يعلمون
يدخل ما في اقطار السموات وتخوم الارضين قوله سبحانه جل ذكره واية لهم الليل لقوله سبحانه
واية لهم الارض ونسلخ استعارة بديعة شبه انكشاف ظلمة الليل بكشط الجلد عن الشاة
لما استدل تعالى جل ذكره باحوال الارض وهو المكان الكلي استدل بالليل والنهار وهو
الزمان الكلي فان دلالتهما الزمان والمكان متناسبة لان المكان لا يستغني عنه الجواهر والزمان
لا يستغني عنه الاعراض لان كل عرض فهو في زمان فان قيل اذا كان المراد منه الاستدلال
بالزمان فلم خص الليل فالجواب انه لما استدل بالمكان المظلم وهو الارض استدل بالزمان
المظلم وهو الليل ووجه اخر وهو ان الليل فيه سكون الناس وهدو الاصوات وفيه النوم وهو
الموت الاصغر فيكون بعد طلوع الفجر كالنفخ في الصور فتتحرك الناس فذكر الموت كما قال
في الارض واية لهم الارض الميتة وذكر من الزمان اشبهها بالموت كما ذكر من المكان اشبهها بالموت
فان قيل الليل بنفسه اية فاي حاجة الى قوله سبحانه عز وجل نسلخ منه النهار فالجواب
ان الشي يتبين بضده منافعه ومحاسنه ولهذا لم يجعل الله الليل وحده اية في موضع من
المواضع الا وذكر اية النهار معها قوله تعالى فاذا هم مظلمون اي داخلون في الظلام كقوله تعالى
مصبحين واذا للمفاجاة اي ليس لهم بعد ذلك امر ولا بد لهم من الدخول فيه قوله تعالى والشمس
تجري والقمر قدرناه فهي كلها اية وقوله والشمس تجري اشارة لمستقرها يحتمل ان تكون الواو
للعطف على الليل تقديره واية لهم الليل نسلخ والقمر قدرناه فهي كلها اية وقوله والشمس تجري
اشارة الى سبب سلخ النهار فانها تجري لمستقرها بامر الله فتغرب الشمس سالخ النهار فذكر
السبب من صحة الدعوى ويحتمل ان يقال بان قوله تجري لمستقرها اشارة الى نعمة النهار بعد
الليل كانه يقال لما قال واية لهم الليل نسلخ منه النهار ذكر ان الشمس تجري فتطلع عند انقضا
الليل فيعود النهار بمنافعه فان المفسرون ان الاصل هي الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت

الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة قوله تعالى لمستقر قيل في الكلام حذف مضاف
تقديره تجري لجري مستقر لها وعلى هذا للعلة اي لاجل جري مستقر لها والصحيح انه لا حذف وان
اللام بمعنى الى ويدل على ذلك قراة بعضهم الى مستقر وقرا عبد الله وابن عباس وعكرمة وزين العابدين
وابنه الباقر والصادق بن الباقر لا مستقر بلا النافية للجنس وبنا مستقر على الفتح ولها الخبر
وابن ابي عبلة لا مستقر بلا العاملة عمل ليس فمستقر اسمها ولها في محل نصب خبرها كقوله
تعز فلا شي على الارض باقيا ولا وزر مما قضى الله واقيا
والمراد بذلك انها لا تستقر في الدنيا بل هي دايمة الجريان وذلك اشارة الى جريها المذكور فصل
قيل المراد بالمستقر يوم القيمة فعنده تستقر ولا يبقى لها حركة وقيل حتى تنتهي الى ابعد مغاربها فلا
تتجاوز ثم ترجع وقيل الليل وقيل نهاية ارتفاعها في الصيف ونهاية هبوطها في الشتا وروى ابو
ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي ذر حين غربت الشمس تدري اين
تذهب قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستاذن فيوذن لها ويوشك
ان تسجد فلا يقبل منها وتستاذن فلا يوذن لها يقال لها ارجعي من حيث جيت فتطلع من مغربها فذلك
قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس
رضي الله عنه والشمس تجري لا مستقر لها اي لا قرار لها ولا وقوف وهي جارية ابدا قوله تعالى ذلك
اشارة الى الشمس اي ذلك الجري تقدير الله ويحتمل ان تكون اشارة الى المستقر اي ذلك المستقر تقدير
الله والعزيز الغالب والعليم الكامل العلم اي قادر على اجرايها على الوجه الانفع وذلك من وجوه الاول
ان الشمس كل يوم تمر على مسامتة شي لم تمر في مسامتها عليه في سنة اشهر الا مرة فلو قدر الله تبارك
وتعالى مرورها كل يوم على مسامتة واحدة لاحترقت الارض التي تسامتها مرورها عليها كل يوم وبقي
الجمود مستوليا على اماكن الاخر فقدر الله لها بعدا لتجتمع الرطوبات في باطن الارض والاشجار
في زمن الشتا ثم قدر قربها بتدريج ليخرج النبات والثمار من الارض والشجر وينضج ويجف الثاني
تدرجها في كل يوم طلوعا وفي كل ليلة غروبا ليلة تكل القوى والابصار بالسهر والتعب وليله يخرب
العالم بترك العمارة بسبب الظلمة الدايمة الثالث جعل سيرها ابطى من سير القمر واسرع من سير زحل
لانها كاملة النور فلو كانت بطية السير لدامت الثمار في بقعة واحدة قوله تعالى والقمر قدرناه قراه
نافع وابن كثير وابو عمرو برفع القمر والباقون بنصبه فالرفع على الابتدا والنصب باضمار فعل على الاشتغال
والوجهان مستويان لتقدم جملة ذات وجهين وهي قوله والشمس تجري فان راعيت صدرها رفعت
لتعطف جملة اسمية على مثلها وان راعيت عجزها نصبت لتعطف فعلية على مثلها وبهذه الاية يبطل
قول الاخفش انه لا يجوز النصب في الاسم الا اذا كان في جملة الاشتغال ضمير يعود على الاسم الذي
تضمنت جملة ذات وجهين قال لان المعطوف على الخبر خبر فلا بد من ضمير يعود على المبتدا فيجوز زيد
قام وعمرا اكرمته في داره ولو لم يقل في داره لم يجز ووجه الرد من هذه الاية ان اربعة من السبعة نصبوا
وليس في جملة الاشتغال ضمير يعود على الشمس وقد اجمع على النصب في قوله تعالى والسماء رفعها
بعد قوله والنجم والشجر يسجدان قوله تعالى منازل فيه اوجه احدها انه مفعول ثان لان قدرنا
بمعنى صيرنا الثاني انه حال ولا بد من حذف مضاف قبل منازل تقديره ذا منازل قال الزمخشري
لا بد من تقدير لفظ يتم به معنى الكلام لان القمر لم يجعل نفسه منازل الثالث انه ظرف اي قدرنا
مسيره في منازله وتقدم نحوه اول يونس قوله تعالى حتى عاد كالعرجون العامة على ضم العين
والجيم وفي وزنه وجهان احدهما انه فعلول فنونه اصلية وهذا هو المرجح والثاني وهو قول الزجاج
ان نونه مزيدة ووزنه فعلون مشتقا من الانعراج وهو الانعطاف وقرا سليمان التيمي بكسر العين
وفتح الجيم وهما لغتان كالبزيون والبزيون والعرجون عود العذق ما بين الشماريخ الى منبته
من النخلة وهو تشبيه بديع شبه به القمر في ثلاثة اشيا دقته واستقواسه واصفراره لان
العذق الذي هو عليه الشماريخ اذا قدم وعتق دق وتقوس واصفر والقديم ما تقادم عهده بحكم
العادة ولا يشترط في جواز اطلاق لفظ القديم عليه مدة بعينها بل انما تعتبر العادة حتى لا يقال
المدينة بنيت من سنة او سنتين لبنايها قديم او هي قديمة ويقال لبعض الاشيا انه قديم وان لم
يكن لم سنة ولهذا جاز ان يقال بيت قديم وبنا قديم ولم يجز ان يقال في العالم انه قديم لان القدم
في البيت والبناية بحكم تقادم العهد ومرور السنين عليه واطلاق القديم على العالم يتمادي

الازمنة عند من لا يعتقد انه لا اول له ولا سابق عليه قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك
القمر اي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو معنى
قوله تعالى ولا الليل سابق النهار اي يتعاقبان بحساب معلوم لا يجي احدهما قبل وقته وقيل
لا يدخل احدهما في سلطان الاخر لا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء فاذا اجتمعا
وادرك كل واحد منهما صاحبه قامت القيامة وقيل لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر لا يجتمع معه
في فلك واحد ولا الليل سابق النهار اي لا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل فان قيل ما الفايدة
في قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر بصيغة الفعل وقوله ولا الليل سابق بصيغة
اسم الفاعل ولم يقل ولا الليل يسبق ولا قال ولا الشمس مدركة للقمر فالجواب ان حركة الشمس
التي لا تدرك بها القمر مختصة بالشمس فجعلها كالصادرة منها فذكر بصيغة الفعل لان صيغة
الفعل لا تطلق على من لا يصدر منه الفعل فلا يقال يخيط ولا يكون يصدر منه الخياطة واما
حركة القمر فليست مختصة بكوكب من الكواكب بل الكل فيها مشترك بسبب حركة فلك لا يختص
بكوكب فالحركة ليست كالصادرة منه فاطلق عليه اسم الفاعل لانه لا يستلزم صدور الفعل يقال
فلان خياط وان لم يكن يخيط فان قيل قوله يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا يدل على ان
الليل سابق فالجواب ان المراد من الليل ههنا سلطان الليل وهو القمر ولا يسبق الشمس بالحركة
اليومية السريعة والمراد من الليل هناك نفس الليل وكل واحد لما كان في عقب الاخر
فكانه طالبه فان قيل قد ذكرتم ههنا سابق النهار وقال هناك يطلبه ولم يقل طالبه فالجواب
لما بينا ان المراد في هذه السورة من الليل كواكب الليل وحركاتها حركة الفلك كانها
لا حركة لها فلا سبق ولا من شانها الطالبة والمراد هناك نفس الليل والنهار وهما زمانان
والزمان لا قرار له فهو يطلب حثيثا الصدر المتقضي منه فان قيل ما الحكمة في اطلاق الليل
وارادة سلطانه وهو القمر وما ذا يكون لو قال ولا القمر سابق الشمس فالجواب لو قال
ولا القمر سابق الشمس ما كان يفهم ان الاشارة الى الحركة اليومية فكان يتوهم المناقض
بان الشمس اذا كانت لا تدرك القمر والقمر اسرع ظاهرا واذا قال ولا القمر سابق يظن ان القمر
لا يسبق فليس باسرع فقال الليل والنهار ليعلم ان الاشارة الى الحركة التي بها تتم الدورة في
يوم وليلة مرة وان جميع الكواكب لها طلوع وغروب في الليل والنهار وقوله تعالى ولا الليل
سابق النهار قرى بنصب النهار وحذف التنوين لالتقاء الساكنين قال المبرد سمعته يقرؤها
فقلت ما ذا فقال اردت سابق بتنوين بالتنوين فخففت قوله تعالى وكل في فلك يسبحون اي
يجرون وهذا يحتمل ان الكل طلوع في يوم وليلة لا يسبق بعضها بعضا بالنسبة الى هذه الحركة
والتنوين في قوله كل عوض عن الاضافة والمعنى كل واحد واسقاط التنوين للاضافة
حتى لا يجتمع التعريف والتنكير في شي واحد فلما اسقط المضاف اليه لفظا رد التنوين عليه
لفظا وفي المعنى معرف بالاضافة فان قيل فهل يختلف الامر عند الاضافة لفظا وتركها
فالجواب نعم لان قول القايل كل واحد من الناس كذا لا يذهب الفهم الى غيرهم فيبتدا اقتصار
الفهم عليه فاذا قال كل كذا يدخل في الفهم عموم اكثر من العموم عند الاضافة وهذا كما قيل
وبعدا اقلت افعل مثل كذا فاذا حذفت المضاف وقلت افعل مثل ما فادهم العقل مثل كل
شي فان قيل هل بين قولنا كل منهم وبين كلهم وبين كل فرق فالجواب نعم قولك كلهم يثبت
الامر لا اقتصار عليهم وقولك كل منهم يثبت الامر اولا للعموم ثم استدركت بالتخصيص فقلت
منهم وقولك كل يثبت الامر على العموم وتركت عليه فان قيل اذا كان كل بمعنى كل واحد
منهم والمذكور الشمس والقمر فكيف قال يجري ويسبحون فالجواب ان قوله كل للعموم فكانه
اخبر عن كل كوكب في السماء سيار وايضا فلفظ كل يجوز ان يوحد نظرا الى كون لفظه موحدا
غير مثنى ولا مجموع ويجوز ان يجمع لكون معناه جمعا واما التثنية فلا تدل على اللفظ ولا على
المعنى فعلى هذا يحسن ان يقال زيد وعمرو كل جا وكلاهما جا ولا يقال كل جا ابالتثنية وجواب اخر ان
قوله تعالى ولا الليل سابق المراد من الليل الكواكب فقال تعالى يسبحون **فصل**
الفلك هو الجسم المستدير او السطح المستدير او الدائرة لان اهل اللغة اتفقوا على ان فلكة
المغزل سميت فلكة لاستدارتها وفلكة الخيمة هي الخشبة المسطحة المستديرة التي توضع على

راس

راس العمود لئلا يمزق العمود الخيمة وهي صفحة مستديرة فان قيل فعلى هذا تكون السماء
مستديرة وقد اتفق اكثر المفسرين على ان السماء مبسوطة لها اطراف على جبال وهي كالسقف
المستوي ويدل عليه قوله تعالى والسقف المرفوع قال ابن الخطيب رحمه الله ليس في النصوص
دلالة قاطعة على كون السماء مبسوطة غير مستديرة بل دل الدليل الحسي على كونها مستديرة فو
جب المصير اليه والسقف المقبب لا يخرج عن كونه سقفا وكذلك كونه على جبال واما الدليل
الحسي فوجوه الاول ان من امعن في النظر في جانب الجنوب تظهر له الكواكب مثل سهيل وغيره
ظهورا ابديا ولو كان السماء سطحا مستويا لبان الكل للكل بخلاف ما اذا كان مستديرا فان بعضه
حينئذ يستتر باطراف الارض فلا يرى الثاني ان الشمس اذا كانت مقارنة للحمل مثلا فاذا غربت
ظهر لنا كواكب في منطقة البروج من الحمل الى الميزان ثم في كل قليل تستتر الكواكب الذي يكون
طلوعه بعد طلوع الشمس وبالعكس وهذا دليل ظاهر وان بحث فيه بصير وقطعه الثالث ان
الشمس مثل طلوعها وبعد غروبها يظهر ضوءها ويستنير الجو بعض الاستنارة ثم يطلع ولولا ان
بعض السماء مستتر بالارض وهو محل الشمس فلا يرى جرمها وينتشر نورها والا لما كان كذلك بل
كان عند اعادة تعالى السماء يظهر الكل احد جرمها ونورها لكون السماء مستوية حينئذ مكشوفة
كلها للكل احد الرابع لو كانت السماء مستوية لكان القمر عند ما يكون فوق رووسنا على المسامتة
اقرب ما يكون الينا وعند ما يكون على الافق ابعد منا لان العمود اصغر من القطر والوتر
وكذلك في الشمس والكواكب وكان يجب ان يرى القريب اكبر لان القريب ترى اكبر وليس كذلك
الخامس لو كانت السماء مستوية لكان ارتفاعها اول النهار ووسطه واخره مستويا وليس
كذلك والوجوه كثيرة وفي هذا كفاية **فصل** قال المنجمون قوله جل ذكره تعالى
يسبحون يدل على انها احياء لان ذلك لا يطلق الا على العاقل قال ابن الخطيب رحمه الله
ان اراد وا القدر الذي يكون منه التسبيح فنقول به لان كل شي يسبح بحمده وان اراد وا شيا
اخر فلم يثبت ذلك والاستعمال لا يدل كما في قوله تعالى في حق الاصنام ما لكم لا تنطقون وقوله
تعالى الا تاكلون قوله تعالى واية لهم انا حملنا ذريتهم [illegible] الحيوانات
بين ان ادم لا يقتصر عليه بل بين للانسان طريقا تتخذ من الجو يسير فيها كما يسير في البر وهي
كقوله تعالى وحملناكم في البر والبحر وبعد هذا قوله تعالى وخلقنا لهم من مثله ما يركبون
اذا امر بان المراد منه الابل فانها سفن البر وجه اخر وهو ان الله تعالى لما بين سباحة الكواكب
في الافلاك ذكر ما هو مثله وهو سباحة الفلك في البحار ووجه اخر وهو ان الامور التي انعم الله
تعالى بها على عباده منها ضرورية ومنها نافعة فالاول الحاجة والثاني الزينة فخلق الله
الارض واحياها وهي المكان الاول [illegible] ولولا الحاجة
لما عاش الانسان والليل والنهار في قوله تعالى واية لهم الليل [illegible]
الزمان الذي لولاه لما حدث الانسان والشمس والقمر وحركتهما لولم يكن لما عاش الانسان
ثم انه تعالى لما ذكر من القبيل الاول ايتين ذكر من القبيل الثاني وهو الزينة ايتين احدهما
الفلك التي تجري في البحر فتستخرج من البحر ما تتزين به كما قال تعالى ومن كل تاكلون لحما
طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر وثانيهما الدواب التي هي في البر
كالفلك في البحر في قوله تعالى وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فان الدواب زينة كما
قال تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة قوله تعالى انا حملنا مبتدا واية
خبر مقدم وجوز ابو البقا ان يكون انا حملنا خبر مبتدا محذوف تنبيها على انه ليس مبتدا
وخبر كلاما مستقلا بنفسه لما تقدم في نظيره والظاهر ان الضمير في لهم وذريتهم لشي واحد
ويراد بالذرية اباوهم المحمولين في سفينة نوح صلوات الله عليه او يكون الضميران مختلفين
اي ذرية القرون الماضية وجه الامتنان عليهم انهم في ذلك مثل الذرية من حيث انهم
ينتفعون بها كالانتفاع اولئك وقوله تعالى في الفلك المشحون يحتمل ان يكون من جنس الفلك
ان اريد بالفلك سفينة نوح صلوات الله عليه خاصة وان يكون من جنس اخر كالابل ونحوها
وهذا سميتها العرب سفن البر فقوله تعالى من مثله اي من مثل الفلك ومن مثل ما ذكر
من خلق الازواج من قوله تعالى وازواجا من مثله ازواج والضمير في لهم يحتمل ان يكون عائدا

الي الذرية اي حملنا ذريتهم وخلقنا شكله ازواجهم والضمير في لهم يحتمل للمحمولين ما يركبون
ويحتمل ان يعود الي العباد الذين عاد اليهم قوله تعالي واية لهم وهو الظاهر لعود
الضماير الي شي واحد ومن يحتمل ان يكون صلة اي خلقنا لهم مثله وان يكون للبيان
لان المخلوق كان اشيا فقال من مثل الفلك للبيان وتقدم اشتقاق الذرية في البقرة
واختلاف القرا فيها في الاعراف **فصل** قال المفسرون المراد بالذرية الابا
والاجداد واسم الذرية يقع علي الابا كما يقع علي الاولاد اي حملنا اباكم في الفلك
والالف واللام للتعريف اي فلك نوح وهو مذكور في قوله تعالي واصنع الفلك والالف
واللام وهو معلوم عند العرب وقال الاكثرون الذرية لا تطلق الا علي الولد وعلي
هذا فالمراد اما ان يكون الفلك المعين الذي كان لنوح واما ان يكون المراد الجنس
كقوله تعالي وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون وقوله تعالي وتري الفلك فيه
مواخر وقوله جل ذكره فاذا ركبوا في الفلك الي غير ذلك من استعمال لام التعريف في
الفلك لبيان الجنس فان كان المراد سفينة نوح صلوات الله عليه ففيه وجوه الاول
ان المراد حملنا اولادهم الي يوم القيمة في ذلك الفلك ولولا ذلك لما بقي للاب نسل
ولا عقب وعلي هذا فقوله عز وجل حملنا ذريتهم اشارة الي كمال النعمة اي لم تكن النعمة
مقتصرة عليكم بل متعدية الي اعقابكم الي يوم القيمة وهذا قول الزمخشري ويحتمل ان
يقال انه تعالي انما خص الذريات بالذكر لان الموجودين كانوا كفارا لا فايدة في وجودهم
فقال تعالي حملنا ذريتهم اي لم يكن الحمل حملا لهم وانما كان حملا لما في اصلابهم
من المومنين كمن حمل صندوقا لا قيمة له وفيه جواهر فقيل انه لم يحمل الصندوق انما حمل
ما فيه الثاني ان المراد بالذرية الجنس اي حملنا اجناسهم لان ذلك الحيوان من جنسه
ونوعه والذرية تطلق علي الجنس وكذلك تطلق علي النسا كنهي النبي صلي الله عليه وسلم
عن قتل الذراري اي النسا لان المراة وان كانت صنفا غير صنف الرجل لكنها من جنسه
ونوعه فقال ذراريا اي امثالا الثالث ان الضمير في قوله تعالي واية لهم عايد علي
العباد حيث قال جل ذكره يا حسرة علي العباد وقال بعد ذلك واية لهم الارض وقال
تعالي واية لهم الليل وقال لهم انا حملنا ذريتهم واذا علم هذا فكانه تعالي قال واية للعباد
انا حملنا ذريات العباد ولا يلزم ان يكون المراد بالضمير في الموضعين اشخاصا معينين كقوله
تعالي ولا تقتلوا انفسكم ونذيق بعضكم باس بعض وكذلك اذا تقاتل قوم ومات الكل
في القتال يقال هولا القوم هم قتلوا انفسهم فهم في الموضعين يكون عايدا الي القوم
ولا يكون المراد اشخاصا معينين بل المراد ان بعضهم قتل بعضهم فكذلك قوله تعالي اية
لهم اي لكل بعض منهم انا حملنا ذرية بعض منهم او ذرية بعض منهم وان قلنا المراد
جنس الفلك وهو الاظهر لان سفينة نوح لم تكن بحضرتهم ولم يعلمون من حمل فيها فاما جنس
الفلك فاية ظاهرة لكل احد وقوله تعالي في سفينة نوح وجعلناها اية للعالمين اي يوجد
جنسها ومثلها ويويده قوله تعالي الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من اياته
ان في ذلك لايات لكل صبار شكور وان قيل المراد سفينة نوح صلوات الله عليه فوجه
المناسبة انه ذكرهم بحال نوح وان المكذبين هلكوا والمومنين فازوا فكذلك هم ان امنوا
نجوا وان كذبوا هلكوا والاول اظهر وهو ان المراد بالفلك الموجود في زمانهم ويويده
قوله تعالي وان نشا نغرقهم فان قيل لم قال حملنا ذريتهم ولم يقل حملناهم ليكون اعم كما قال
تعالي واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون ولم يقل ياكل ذريتهم
فالجواب قوله تعالي حملنا ذريتهم اي ذريات العباد ولم يقل حملناهم لان سكني الارض
عام لكل احد يسكنها فقال جل ذكره واية لهم الارض الميتة الي ان قال تعالي فمنه ياكلون
لان الاكل عام واما الحمل في السفينة فمن الناس من لا يركبها في عمره ولا يحمل فيها ولكن ذرية
العباد لا بد لهم من ذلك فان فيهم من يحتاج اليها فيحمل فيها فان قيل ما الحكمة في كونه جمع
الفلك في قوله وتري الفلك فيه مواخر وافرده في قوله في الفلك المشحون فالجواب فيه
تدقيق مليح من علم اللغة وهو ان الفلك قد يكون حركتها مثل حركة تلك الكلمة في الصورة

والحركات

والحركات مختلفتان في المعني مثاله قوله سجد يسجد سجودا للمصدر وهم قوم سجود في جمع
ساجد يظن انها كلمة واحدة لمعنيين وليس كذلك بل السجود عند كونه مصدرا حركته اصلية اذا
قلنا ان الفعل مشتق من المصدر وحركة السجود عند كونه للجمع حركة معتبرة من حيث ان الجمع
يشتق من الواحد وينبغي ان يلحق المشتق تغيير في حرف او حركة او في مجموعهما فساجد لما اردنا
ان نشتق منه لفظ جمع غيرناه وجينا بلفظ السجود فان السجود للمصدر والجمع ليس من قبيل
الالفاظ المشتركة التي وضعت بحركة واحدة لمعنيين واذا عرف هذا فنقول الفلك عند كونه
واحدا مثل قفل وبرد وعند كونه جمعا مثل خشب اوبرد او غيرها فان قيل فاذا احملته جمعا فاذن
ما يكون واحدها فالجواب يقول جاز ان يكون واحدها فلكا او غيرها مما لم يستعمل كواحد النسا
حيث لم يستعمل وكذا القول في امام مبين امام كزمام وكتاب عند قوله تعالي كل اناس بامامهم
اي بايمتهم امام كرام وجان وهذا من دقيق التصريف واما من جهة المعني نفيه سوالات السوال
الاول قال تعالي ههنا حملنا ذريتهم من عليهم بحمل ذرياتهم وقال جل ذكره سبحانه وتعالي انا
لما طغي الما حملناكم في الجارية من عليهم هناك بحمل انفسهم فالجواب ان من ينفع المتعلق بالغير
يكون قد نفع ذلك الغير ومن يدفع الضرر عن المتعلق بالغير لا يكون قد دفع الضرر عن ذلك الغير بل يكون
قد نفعه كمن احسن الي ولد انسان وفرحه فرح بفرحه ابوه واذا دفع الالم عن ولد انسان يكون قد
فرح اباه ولا يكون في الحقيقة ازال الالم عن ابيه فعند طغيان الما كان الضرر يلحقهم فقال دفعت
عنكم الضرر ولو قال دفعت عن اولادكم الضرر لما حصل بيان دفع الضرر عنهم وههنا اراد بيان المنافع
فقال جل ذكره حملنا ذرياتهم لان النفع حاصل بنفع الذرية ويدل علي هذا قوله تعالي في الفلك
المشحون فان امتلا الفلك من الاموال يحصل بذكره بيان المنفعة واذا دفع المضرة فلا لان الفلك
كلما كان اثقل كان الخلاص بها ابطا وهنالك السلامة فاختار هنالك ما يدل علي الخلاص من الضرر
وهو الجري وههنا ما يدل علي كمال المنفعة وهو الشحن فان قيل قال تبارك وتعالي وحملناكم في البر
والبحر فقال سبحانه وحملنا ذريتكم مع ان المقصود في الموضعين بيان النعمة لا دفع النقمة نقول
لما قال في البر والبحر عم الخلق لان ما من احد الا وحمل في البر والبحر واما الحمل في البحر فلم يعم فقال
ان كنا ما حملناكم بانفسكم فقد حملنا من يهمكم امره من الاولاد والاقارب والاخوان والاصدقا فصل
وفي قوله تعالي المشحون فايدة اخري وهي ان الادمي يرسب في الما ويغرق فحمله في الفلك واقع
بقدرته لكن من الطبيعيين من يقول الخفيف لا يرسب في الما لانه يطلب جهة فوق فقال الفلك
المشحون اثقل من الثقال التي ترسب في الما لانه يطلب جهة فوق فقال الفلك المشحون ومع هذا
حملنا الانسان فيه مع ثقاله فان قيل ما الحكمة في قوله عز وجل ذكره واية لهم الارض واية لهم
الليل ولم يقل واية لهم الفلك جعلناها بحيث تحملهم فالجواب ان حملهم في الفلك هو العجيب اما نفس
الفلك فليس بعجيب لانه كبيت مبني من خشب واما نفس الارض فعجيب ونفس الليل عجيب
لا قدرة لاحد عليها الا الله سبحانه وتعالي لا اله الا هو وقوله تعالي وان نشا نغرقهم قرا الحسن
رحمه الله بتشديد الرا وهذه الاية تدل علي ان المراد بقوله من مثله الفلك الموجودة في زمانهم
وليس المراد الابل كما قال بعض المفسرين بان المراد الابل لانها سفن البر لان ذلك يودي الي ان يكون
قوله جل ذكره وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فاصلا بين متصلين ويحتمل ان يقال الضمير في مثله
يعود الي معلوم غير مذكور وتقديره ان يقال وخلقنا لهم من مثل ما ذكر من المخلوقات كما في قوله
عز وجل لياكلوا من ثمره ان الهاء عايدة الي ما ذكرنا اي من ثمرنا **فصل** في قوله عز وجل
وان نشا نغرقهم فايدتان احديهما ان في حال النعمة ينبغي ان لا يومن عذاب الله والثانية ان ذلك
جواب عن سوال مقدر وهو ان الطبيعي يقول السفينة تحمل بمقتضي الطبيعة والمجوف لا يرسب
فقال ليس كذلك بل لو شا الله اغراقهم لاغرقهم وليس ذلك بمقتضي الطبيعة ولو صح كلامه الفاسد
لكان لقايل ان يقول الست توافق ان من السفن ما ينقلب وينكسر ومنها ما يثقبه ثاقب فيرسب
وكل ذلك بمشية الله فان شا الله اغراقهم اغرقهم من غير شي من هذه الاسباب كما هو مذهب اهل
السنة او بشي من تلك الاسباب التي سلمتها انت قوله تعالي فلا صريخ لهم فعيل بمعني فاعل اي لا مغيث
لهم وقيل فلا مستغيث وقال الزمخشري فلا اغاثة جعله مصدرا من اصرخ قال ابو حيان ويحتاج
الي نقل ان صريخا يكون مصدرا اعني اصرخ والعامة علي فتح صريخ وحكي ابو البقا انه قري بالرفع

والتنوين قال ووجهه على ما في قوله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فصار معناه لا مغيث لهم يمنع عنهم الغرق ولا هم ينقذون اذا ادركهم الغرق لان الخلاص من العذاب اما ان تكون بدفع العذاب من اصله او برفعه بعد وقوعه فقال لا صريخ لهم يدفع ولا هم ينقذون بعد الوقوع فيه وهو كقوله تعالى لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون وفيه فايدة اخرى غير الحصر وهي انه تعالى قال لا صريخ لهم ولم يقل ولا منقذ لهم لان من لا يكون من شانه ان ينصر لا يسرع في النصرة مخافة ان يغلب ويذهب ما وجهه وانما ينصر ويغيث من كان من شانه ان يغيث فقال لا صريخ لهم واما من لا يكون من شانه ان ينقذ اذا راى من يعز عليه في ضر يسوغ في الانقاذ وان لم يثق من نفسه في الانقاذ ولا يغلب ظنه وانما يبذل المجهود فقال ولا هم ينقذون ولم يقل ولا منقذ لهم ثم استثنى وقال جل ذكره الا رحمة منا ومتاعا الى حين وهو يفيد امرين احدهما انقسام الانقاذ الى قسمين الرحمة والمتاع اي فمن علم انه يومن فينقذه الله رحمة ومن علم انه لا يومن فليتمتع زمانا ويزداد اثمه وثانيهما انه بيان لكون الانقاذ غير مفيد للدوام بل الزوال في الدنيا لا بد منه فينقذه الله رحمة ويمتعه الى حين ثم يميته فاذن الزوال لازم ان يقع قال ابن عباس المراد بالحين انقضاء اجالهم يعني الا ان نرحمهم ونمتعهم الى حين اجالهم قوله تعالى الا رحمة منصوب على المفعول له وهو استثناء مفرغ وقيل استثناء منقطع وقيل على المصدر بفعل مقدر وعلى اسقاط الخافض اي الا برحمة والفاء في قوله تعالى فلا صريخ رابطة لهذه الجملة بما قبلها فالضمير في لهم عايد على المغرقين وجوز ابن عطية هذا ووجها اخر وجعله احسن منه وهو ان يكون استيناف اخبار عن المسافرين في البحر ناجين كانوا او مغرقين فهم بهذه الحالة لا نجاة لهم الا برحمة الله وليس قوله عز وجل فلا صريخ لهم مربوطا بالمغرقين انتهى وليس جعله هذا الاحسن بالحسن لئلا يخرج الفا عن موضوعها والكلام عن التيامه قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا جوابها محذوف اي اعرضوا يدل عليه قوله تعالى بعده الا كانوا عنها معرضين وعلى هذا فلفظ كانوا ابدا قال ابن عباس رضي الله عنه ما بين ايديكم يعني الاخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين ايديكم وقايع الله فيمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم عذاب الاخرة قاله قتادة ومقاتل رحمهما الله لعلكم ترحمون قوله تعالى وما تاتيهم من اية من ايات ربهم اي دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم الا كانوا عنها معرضين وهذا الاستثناء في محل الا كانوا به يستهزءون اي حال كما تقدم في نظايره وهذه الاية متعلقة بقوله تعالى يا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون اي اذا جاءتهم الرسل كذبوا واذا اتوا بالايات اعرضوا وقوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا لما عدد الايات بقوله عز وجل واية لهم الارض واية لهم الليل واية لهم انا حملنا وكانت الايات تفيد اليقين والقطع ولم يفدهم اليقين قال فلا اقل من ان يجوزوا وقوع العذاب فان من جوز وقوع العذاب يتقيه احتياطا وان لم يقطع بصدق المخبر فقال تعالى اذا ذكر لهم الدليل القاطع لا يعترفون به واذا قيل لهم اتقوا لا يتقوا فهم في غاية الجهل ونهاية الغفلة لا مثل العلماء الذين يبنون الامر على الاحوط ويدل على ذلك قوله تعالى لعلكم ترحمون بحرف التمني اي ان من يخفى عليه البرهان لا يترك الاحتراز والاحتياط قوله تعالى واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله اي اعطاكم الله وهذا اشارة الى انهم يخلوا بجميع التكاليف لان المكلف يجب عليه التعظيم لجانب الله والشفقة على خلق الله وهم تركوا التعظيم حيث قيل لهم اتقوا فلم يتقوا وتركوا الشفقة على خلق الله حيث قيل لهم انفقوا ولم ينفقوا فان قيل ما الحكمة في حذف الجواب في قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا وههنا اجاب واتى باكثر من الجواب ولو قال واذا قيل لهم انفقوا قالوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه لكان كافيا فما الفايدة في قوله تعالى قال الذين كفروا للذين امنوا فالجواب ان الكفار كانوا يقولون بان الاطعام من الصفات الحميدة وكانوا يفتخرون باطعمة الاضياف فاراد وا ذلك على المومنين معتقدين بان افعالنا منا ولولا اطعامنا لما اندفعت حاجة الضيف وانتم تقولون ان الهكم يرزق من يشاء فلم تقولون لنا انفقوا فلما كان غرضهم الرد على المومنين لا

الامتناع

الامتناع من الاطعام قال تعالى عنهم قال الذين كفروا للذين امنوا اشارة الى الرد واما قوله جل ذكره اتقوا ما بين ايديكم فلم يكن رد على المومنين فاعرضوا فاعرض عن ذكر اعراضهم لحصول العلم به

فصل قال المفسرون ان المومنين قالوا لكفار مكة انفقوا على المساكين مما زعمتم انه لله من اموالكم وهو ما جعلوا لله من حروثهم وانعامهم قالوا انطعم الرزق من لو يشاء الله رزقه ثم لم يرزقه مع قدرته فنحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله وهذا مما يتمسك به البخلاء يقولون لا نعطي من حرمه الله وهذا الذي يزعمون باطل لان الله تعالى اغنى بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير بخلا وامر الغني بالانفاق لا حاجة الى ماله ولكن ليبلو الغني بالفقير فيما فرض له في مال الغني ولا اعتراض لاحد على مشيئة الله وحكمه في خلقه عز وجل فان قيل ما الفايدة في تغيير اللفظ في جوابهم حيث لم يقولوا انفق من لو يشاء الله رزقه وذلك انهم امروا بالانفاق في قوله تعالى واذا قيل لهم انفقوا فكان جوابهم ان يقولوا انفق فلم قالوا انطعم فالجواب ان في هذا بيان غاية مخالفتهم لانهم اذا امروا بالانفاق والانفاق يدخل فيه الاطعام وغيره فلم ياتوا بالانفاق ولا باقل منه وهو الاطعام وهذا كقول القايل لغيره اعط زيدا دينارا فيقول لا اعطيه درهما مع ان المطابق هو ان يقول لا اعطيه دينارا ولكن المبالغة في هذا الوجه اتم فلذلك ههنا فان قيل قولهم من لو يشاء الله اطعمه كلام حق فلماذا ذكر في معرض الذم فالجواب لان مرادهم كان الانكار لقدرة الله او لعدم جواز الامر بالانفاق مع قدرة الله وكلاهما فاسد فبين الله ذلك بقوله مما رزقكم الله فانه يدل على قدرته ويصحح امره بالاعطاء لان من كان له في يد الغير مال وله في خزانته مال فهو مخير ان اراد اعطى مما في خزانته وان اراد امر من عنده المال بالاعطاء ولا يجوز ان يقول من في يده ماله في خزانتك اكثر مما في يدي اعطه منه قوله تعالى من لو يشاء الله اطعمه مفعول انطعم واطعمه جواب لو وجا على احد الجايزين وهو تجرده من اللام والافصح ان يكون بلام نحو لو نشاء لجعلناه حطاما قوله تعالى ان انتم الا في ضلال مبين يقول الكافر للمومنين ما انتم الا في خطا بين في اتباعكم محمدا صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم وترك ما نحن عليه وهذا اشارة الى انهم قطعوا المومنين بهذا الكلام وان امرهم بالانفاق مع قولهم بقدرة الله ظاهر الفساد واعتقادهم هو الفاسد اعلم ان ان وردت للنفي بمعنى ما وكان الاصل في ان ان يكون للشرط والاصل في ما ان يكون للنفي لكنهما اشتركا من بعض الوجوه فتقارضا واستعمل ما في الشرط واستعمل ان في النفي اما وجه اشتراكهما فهو ان كل واحد منهما حرف مركب من حرفين متقاربين فان الهمزة يقرب من الالف والميم من النون ولا بد من ان يكون المعنى الذي يدخل عليه ما ان لا يكون ثابتا اما في ما فظاهر واما في ان فلانك اذا قلت ان جاز زيد اكرمه ينبغي ان لا يكون له في الحال مجي فاستعمل ان مكان ما وقيل ان زيد قايم اي ما زيد بقايم واستعمل ما في الشرط تقول ما تصنع اصنع والذي يدل على ما ذكرنا ان ما النافية تستعمل حيث لا تستعمل ان لانك تقول ما ان جلس زيد فتجعل ان صلة ولا تقول اما جلس زيد بمعنى النفي وبمعنى الشرط تقول اما ترين فتجعل ان اصلا وما صلة فدلنا هذا على ان ان في الشرط اصل وما دخيل فيه وما في النفي بالعكس

فصل قوله تعالى ان انتم الا يفيد ما لا يفيد قوله انتم الا في ضلال لان الاول يفيد الحصر وانهم ليسوا في غير الضلال ووصف الضلال بالمبين اي انه لظهوره مبين نفسه انه ضلال اي في ضلال لا يخفى على احد انه ضلال وقوله في ضلال يفيد كونهم راكبين متن الطريق المستقيم قادرين عليه

فصل انما وصفوا المومنين بانهم في ضلال مبين لظنهم ان كلام المومنين متناقض ومن تناقض كلامه يكون في غاية الضلال قال ابن الخطيب ووجه ذلك انهم قالوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه وهذا اشارة الى ان الله ان شاء ان يطعمهم فهو يطعمهم فكان الامر باطعامهم امرا بتحصيل الحاصل وان لم يشا اطعامهم لا يقدر احد على اطعامهم لامتناع وقوع ما لم يشا الله فلا قدرة لنا على الاطعام فكيف تامروننا بالاطعام ووجه اخر وهو انهم قالوا ان اراد الله تجويعهم فلو اطعمناهم يكون ذلك سعيا في ابطال فعل الله وانه لا يجوز وانتم تقولون اطعموهم فهو ضلال واعلم انه لم يكن في الضلال الا هم حيث نظروا الى المراد ولم ينظروا الى الطلب والامر وذلك لان العبد اذا امره السيد بامر لا ينبغي الاطلاع على المقصود الذي لاجله امره به مثاله اذا اراد الملك الركوب للهجوم على عدوه بحيث لا يطلع

عليه احد وقال للعبد احضر المركوب فلو تطلع واستكشف المقصود الذي لاجله المركوب تسبب الى
انه يريد ان يطلع عدوه على الحذر منه وكشف سره فالادب في الطاعه هو احتثال الامر لا تتبع المراد
فالله تبارك وتعالى اذا قال انفقوا مما رزقكم الله لا يجوز ان يقال لم لم يطعمهم الله مما في خزاينه
قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد اي يوم القيمة والبعث ان كنتم صادقين وهذا اشارة
الى ما اعتقدوا ان التقوي المامور بها في قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا والانفاق المذكور في قوله
عز وجل واذا قيل لهم انفقوا الا فايدة فيه لان الوعد لا حقيقة له وتوهم متى هذا الوعد اي متى
يقع الموعود به **فصل** ان للشرط وهي تستدعي جزاء ومتى للاستفهام لا تصلح جوابا
فيه فالجواب قيل هو في صورة الاستفهام وهو في المعنى انكار كانهم قالوا ان كنتم صادقين في
وقوع الحشر فقولوا متى يكون **فصل** الظاهر ان هذا الخطاب مع الانبيا صلوات الله
عليهم لانهم لما انكروا الرسالة قالوا ان كنتم ايها المدعون للرسالة صادقين فاخبرونا متى يكون
ما تعدوننا به فان قيل ليس في هذا الموضع وعد فالاشارة بقوله هذا الوعد الى اي وعد فالجواب
هو ما في قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم من قيام الساعة او يقول هو معلوم
وان لم يكن مذكورا لكون الانبيا مقيمين على تذكيرهم بالساعة والحساب والثواب والعقاب
قوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة قال ابن عباس رضي الله عنه ما ينظرون الا الصيحة
المعلومة يريد النفخة الاولى والتنكير للتكثير فان قيل هم ما كانوا ينتظرون بل كانوا يجزمون
بعدمها فالجواب المراد بالانتظار فعلهم لانهم كانوا يفعلون ما يستحق به فاعله البوار وتعجيل
العذاب وتقريب الساعة لولا حكم الله وعلمه بانهم لا يؤمنون او يقال لما لم يكن قولهم متى استفهاما
حقيقيا قال ينتظرون انتظارا غير حقيقي لان القايل متى يفهم منه الانتظار نظرا الى قوله **فصل**
ذكر في الصيحة امورا تدل على عظمها احدها التنكير وثانيها قوله واحدة اي لا يحتاج معها الى
ثانية وثالثها تاخذهم اي تعمهم بالاخذ وتصل الى من في الارض مشارقها ومغاربها قوله تعالى
وهم يخصمون قرا حمزة بسكون الخا وتخفيف الصاد من خصم يخصم والمعنى يخصم بعضهم بعضا
فالمفعول محذوف وابو عمرو وقالون باخفا فتحة الخا والباقون بكسر الخا وتشديد الصاد والاصل
في القراات الثلاث يختصمون فادغمت التا في الصاد ونافع وابن كثير وهشام نقلوا فتحتها الى
الساكن قبلها نقلا كاملا وابو عمرو وقالون اختلسا حركتها تنبيها على ان الخا اصلها السكون
والباقون حذفوا حركتها فالتقى ساكنان لذلك فكسروا اولهما فهذه اربع قري بها في المشهور وروي
عن ابي عمرو وقالون سكون الخا وتشديد الصاد والنحاة يستشكلونها للجمع بين ساكنين على
غير حديهما وقرا جماعة يخصمون بكسر اليا والخا وتشديد الصاد وكسروا اليا اتباعا وقرا ابي
يختصمون على الاصل وقال ابو حيان رحمه الله وروي عنهما اي عن ابي عمرو وقالون سكون
الخا وتخفيف الصاد من خصم قال شهاب الدين هذه قراة حمزة ولم يحكها هو عنه وهذا اشبه
قوله تعالى جل ذكره يخطف ابصارهم في البقرة ولا يهدي في يونس وقرا ابن محيصن يرجعون
مبنيا للمفعول **فصل** قال رسول الله صلوات الله الرحيم وسلامه عليه
لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة
وقد رفع الرجل اكلته الى فيه فلا يطعمها قوله تعالى فلا يستطيعون توصية اي لا يقدرون
على الايصا قال مقاتل اي اعجلوا عن الوصية فماتوا ولا الى اهلهم يرجعون ينقلبون اي ان الساعة
لا تمهلهم لشي واعلم ان قول القايل فلان في هذه الحالة لا يوصي دونه قوله لا يستطيع التوصية
لان من لا يوصي قد يستطيعها والتوصية بالقول والقول يوجد اسرع ما يوجد الفعل فقال لا
يستطيعون كلمة فكيف الذي يحتاج الى زمن طويل من ادا الواجبات ورد المظالم واعتبار
الوصية من بين ساير الكلمات يدل على انه لا قدرة له على اهم الكلمات فان وقت الموت الحاجة
الى التوصية امس والتنكير في التوصية للتعميم اي لا يقدر على توصية ما ولو كانت بكلمة يسيرة
ولان الوصية قد تحصل بالاشارة فالعاجز عنها عاجز عن غيرها وقوله تعالى ولا الى اهلهم يرجعون
بيان لشدة الحاجة الى التوصية ثم بين ما بعد الصيحة الاولى فقال جل وعز ذكره ونفخ في الصور
اي نفخ فيه اخرى لقوله تعالى ونفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقرا الاعرج ونفخ في
الصور بفتح الواو وهذه هي نفخة البعث وبين النفختين اربعون سنة قوله تعالى فاذا هم من

الاجداث

الاجداث وهي القبور واحدها جدث وقري من الاجداف بالفا وهي لغة في الاجداث يقال
جدث وجدف كثم وفم وثوم فان قيل اين يكون ذلك الوقت اجداث وقد زلزلت الصيحة
الجبال فالجواب ان الله سبحانه وتعالى يجمع اجزا الميت في الموضع الذي اقبر فيه فيخرج من
ذلك الموضع وهو جدثه قوله تعالى الى ربهم ينسلون اي يخرجون من القبور احيا وقرا
ابن ابي اسحاق وابو عمرو في رواية ينسلون بضم السين يقال نسل الثعلب ينسل وينسل اي
اسرع في عدوه ومنه قيل للولد نسل لخروجه من ظهر ابيه وبطن امه فان قيل المسي اذا
توجه الى من احسن اليه تقدم رجلا وتوخر اخري والنسلان سرعة المشي فكيف يوجد منهم
ذلك فالجواب ينسلون من غير اختيارهم والمعنى انه اراد ان يبين كمال قدرته ونفوذ ارادته
حيث ينفخ في الصور فيكون في وقته جمع واحيا وقيام وعدو في زمان واحد فقوله جل ذكره
اذا هم ينسلون اي في زمان واحد ينتهون الى هذه الدرجة وهي النسلان الذي لا يكون الا بعد
مراتب فان قيل قال في اية فاذا هم قيام ينظرون وقال تعالى ههنا فاذا هم من الاجداث
الى ربهم ينسلون والقيام غير النسلان وقوله جل ذكره في الموضعين اذا هم يقتضي ان يكون
معا فالجواب من وجهين الاول ان القيام لا ينافي المشي السريع لان الماشي قايم ولا ينافي
النظر الثاني ان لسرعة الامور كان الكل في زمان واحد كقول القايل مكر مفر مقبل مدبر معا
واعلم ان النفختين يورثان تزلزلا وانتقالا للاجرام فعند اجتماع الاجرام تفرقها وهو المراد
بالنفخة الاولى وعند تفرق الاجرام يجمعها وهو النفخة الثانية قوله تعالى يا ويلنا العامة
على الاضافة الى ضمير المتكلمين دون تانيث وهو ويل مضاف لما بعده ونقل ابو البقا عن الكوفيين
ان وي كلمة براسها ولنا جار ومجرور انتهى قال شهاب الدين ولا معنى لهذا الا بتاويل بعيد
وهو ان يكون يا عجبا لنا لان وي تفسر بمعنى اعجب منا زعا وابن ابي ليلى يا ويلتنا بتا التانيث
وعنه ايضا يا ويلتا بتا التانيث وعنه ايضا يا ويلتي بابدال التا الفا وتاويل هذه ان كل واحد
منهم يقول يا ويلتي قوله تعالى من بعثنا العامة على فتح ميم من وبعثنا فعلا ماضيا خبرا
لمن الاستفهامية قبله وابن عباس والضحاك وابو نهيك بكسر الميم على انها حرف جر وبعثنا
مصدر مجرور بمن فمن الاولى تتعلق بالويل والثانية تتعلق بالبعث والمرقد يجوز ان يكون
مصدرا اي من رقادنا وان يكون مكانا وهو مفرد اقيم مقام الجمع والاول احسن اذ المصدر
يفرد مطلقا **فصل** قال ابي بن كعب وابن عباس وقتادة انما يقولون هذا لان
الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد النفخة الاخيرة وعاينوا
القيمة دعوا بالويل وقال اهل المعاني ان الكفار اذا عاينوا جهنم وانواع عذابها صار عذاب
القبر في جنبها كالنوم فقالوا من بعثنا من مرقدنا فان قيل لو قيل فاذا هم من الاجداث الى
ربهم ينسلون يقولون يا ويلنا كان اليق قال ابن الخطيب نقول معاذ الله وذلك لان قوله
اذا هم من الاجداث ينسلون اشارة الى انه تعالى في اسرع زمان يجمع اجزاءهم ويولفها ويحييها
ويحركها بحيث يقع نسلانهم في وقت النفخ مع ان ذلك لا بد له من الجمع والتاليف فلو قال
يقولون لكان ذلك مثل الحال لينسلون اي ينسلون قايلين يا ويلنا وليس كذلك فان قولهم
يا ويلنا قبل ان ينسلوا وانما ذكر النسلان لما ذكرنا من الفايدة فان قيل ما وجه تعلق من بعثنا
من مرقدنا بقولهم يا ويلنا فالجواب لما بعثوا تذكروا ما كانوا يسمعون من الرسل فقالوا يا ويلنا
ابعثنا الله البعث الموعود به ام كنا نياما فنبهنا كما اذا كان انسان موعودا بان ياتيه عدو ولا يطيقه
ثم يرى رجلا هايلا يقبل عليه فيرتجف في نفسه ويقول اهذا ذاك ام لا ويدل على هذا قولهم
من مرقدنا حيث جعلوا القبور موضع الرقاد اشارة الى انهم شكوا في انهم كانوا نياما فنبهوا
او كانوا موتى فبعثوا وكان الغالب على ظنهم هو البعث فجمعوا بين الامرين وقالوا من
بعثنا اشارة الى ظنهم انه بعثهم الموعود به وقالوا من مرقدنا اشارة الى توهمهم احتمال الانتباه
قوله تعالى ما وعد الرحمن في هذا وجهان اظهرهما انه مبتدا وما بعده خبره ويكون الوقف
تاما على قوله من مرقدنا وهذه الجملة حينئذ فيها وجهان احدهما انها مستانفة اما من قول الله
عز وجل او من قول الملايكة او من قول المومنين للكفار الثاني انها من كلام الكفار فتكون في
محل نصب بالقول الثاني من الوجهين الاولين ان هذا صفة لمرقدنا وما وعد منقطع عما قبله ثم

أما وجهان احدهما انه في محل رفع بالابتدا والخبر مقدر اي الذي وعده الرحمن وصدق فيه
المرسلون من عليكم واليه ذهب الزجاج والزمخشري والثاني انه خبر مبتدا مضمر اي هذا
وعد الرحمن وقد تقدم في اول الكهف ان حفصا يقف على مرقدنا وقفة لطيفة دون قطع
نفس لئلا يتوهم ان اسم الاشارة تابع لمرقدنا وهذان الوجهان تقويات ذلك المعنى المذكور
الذي يعهد الوقف لاجله وما يصح ان تكون موصولة اسمية او حرفية كما تقدم ومفعولا الوعد
والصدق محذوفان اي وعدناه الرحمن وصدقناه المرسلون والاصل صدقنا فيه ويجوز حذف
الخافض وقد تقدم ذلك نحو صدقني سن بكره اي في سنه قوله تعالى ان كانت الاصيحة واحدة
فقدمت قرا تا صيحة واحدة نصبا ورفعا اي ما كانت النفخة الاصيحة واحدة ويدل على ان النفخة
قوله تعالى ونفخ في الصور ويحتمل ان يقال ان كانت الواقعة وقربت الصيحة مرفوعة على ان
كان هي التامة بمعنى ما وقعت الاصيحة قال الزمخشري رحمه الله لو كانه كذلك لكان الاحسن
ان يقال ان كان لان المعنى حينئذ ما وقع شي الا صيحة لكن التانيث جايز احالة على الظاهر
ويمكن ان يقول الذي قرا بالرفع ان قوله تعالى اذا وقعت الواقعة تانيث بتاويل ومبالغة بدليل
قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة فانها للمبالغة فكذلك ها هنا قال ان كانت الاموتتنا الاولى
تانيث بتاويل ولهذا جات اسما يوم الحشر كلها مونثة كالقيامة والقارعة والحاقة والطامة
والصاخة الى غيرها والزمخشري يقول كاذبة بمعنى ليس لوقعتها كاذبة وتانيث اسما الحشر سببه
بالقيامة وقوله محضرون دليل على ان كونهم ينسلون اجباري لا اختياري ثم بين ما يكون في ذلك
اليوم فقال جل ذكره فاليوم لا تظلم نفس شيا فاليوم منصوب بلا تظلم وشيا اما مفعول ثان
واما مصدر فقوله لا تظلم نفس لبيان المومن ولا يجزون الا ما كنتم تعملون لبيان المجرم الكافر
فان قيل ما الفايدة في الخطاب عند الاشارة الى باس المجرم وترك الخطاب في الاشارة الى
امان المومن فالجواب ان قوله لا تظلم نفس شيا يفيد العموم وهو كذلك فانه لا يظلم احدا واما
لا تجزون فيختص بالكافر ان الله يجزي المومن وان لم يفعل لان لله فضلا مختصا بالمومن
وعدلا عاما وفيه بشارة ثم بين حال المحسن فقال تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون
فقوله جل ذكره في شغل يجوز ان يكون خبر الان وفاكهون خبر ثان وان يكون فاكهون ثم قوله
جل ذكره هو الخبر وفي شغل متعلق به وان يكون حالا وقرا الكوفيون وابن عامر شغل بضمتين
والباقون بضم وسكون وهما لغتان للحجازيين قاله الفرا ومجاهد وابو السماك بفتحتين
ويزيد النحوي وابن هبيرة بفتحة وسكون وهما لغتان ايضا والعامة على رفع فاكهون
على ما تقدم والاعمش وطلحة فاكهين نصبا على الحال والجار الخبر والعامة ايضا على فاكهين
بالالف بمعنى اصحاب فاكهة كلابن وتامر ولاحم والحسن وابو جعفر وابو حيوة وابو رجا وشيبة
وقتادة ومجاهد فكهون بغير الف بمعنى طربون فرحون من الفكاهة بالضم وقيل الفاكه
والفكه بمعنى المتلذذ والمتنعم لان كلا من الفاكهة والفكاهة مما يتلذذ به ويتنعم كحاذر
وحذر وفزى فكهين بالقصر اليا على ما تقدم وفكهون بالقصر وضم الكاف يقال رجل فكه وفكه
كرجل بدس وبدس وحذر وحذر

فصل اختلفوا في الشغل فقال ابن عباس
رضي الله عنه في افتضاض الابكار وقال وكيع بن الجراح في السماع وقال الكلبي في شغل
عن اهل النار وما هم فيه لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم وقال ابن كيسان في زيارة بعضهم
بعضا وقيل في ضيافة الله تعالى فاكهون وقيل في شغل عن هذا اليوم فاخذ ما اتاهم
الله من الثواب فما عندهم خبر من عذاب ولا حساب وقوله تعالى فاكهون منهما لبيان ه
سلامتهم فانه لو قال في شغل جاز ان يقال هم في شغل اعظم من التفكر في اليوم
واهواله فان من يصيبه فتنة عظيمة ثم يعرض عليه امر من اموره ويخبر بخسران وقع في ماله
يقول انا مشغول عن هذا باهم منه فقال جل ذكره فاكهون اي شغلوا عنه باللذة والسرور
لا بالويل والثبور وقال ابن عباس فاكهون فرحون قوله تعالى هم وازواجهم يجوز في هم
ان تكون موكدا للضمير المستكن في فاكهون وازواجهم عطف على المستكن ويجوز ان تكون تاكيدا
للضمير المستكن في شغل اذا جعلناه خبرا وازواجهم عطف عليه ايضا كذا ذكره ابو حيان وفيه
نظر من حيث الفصل بين الموكد والموكد بخبر ان ونظيره ان يقول ان زيدا في الدار قايم هو وعمرو

علي

على ان يجعل هو تاكيد اللضمير في قولك في الدار وعلى هذين الوجهين يكون قوله متكيون خبرا
اخر لان وفي ظلال متعلق به او حال وعلى الارايك متعلق به ويجوز ان يكون هم مبتدا ومتكيون
خبره والجاران على ما تقدم وجوز ابو البقا ان يكون في ظلال هو الخبر قال وعلى الارايك
مستانف وهي عبارة موهمة غير الصواب ويريد بذلك ان متكيون خبر مبتدا مضمر وعلى الارايك
متعلق به فهذا وجه استينافه لا انه خبر مقدم ومتكيون مبتدا موخر اذ لا معنى له وقرا عبد
الله متكين نصبا على الحال وقرا الاخوان في ظلل بضم الظا والقصر وهو جمع ظلة نحو غرفة
وحله وحلل وهي عبارة عن الفرش والستور والباقون بكسر الظا والالف جمع ظلة ايضا كحلة
وحلال وبرمه وبرام او جمع ظل بالكسر اذ يقال ظله وظله بالضم والكسر فهو كلقحة ولقاح الا
ان فعالا لانقياس فيها او جمع ظل نحو ذيب وذياب وريح ورياح

فصل الارايك
هي السرر في الحجال واحدها اريكة قال ثعلب لا يكون اريكة حتى عليها حجلة متكيون ذو وانكا
وهو اشارة الى الفراغ وقوله جل ذكره هم وازواجهم اشارة على عدم الوحشة لهم فيها فاكهة
ولهم ما يدعون اشارة الى دفع جميع حوايجهم وقوله تعالى لهم فيها فاكهة اشارة الى ان لا
جوع هناك لان التفكه لا تكون لدفع الم الجوع قوله تعالى ولهم ما يدعون في ما هذه ثلاثة
اوجه موصولة اسمية نكرة موصوفة والعايد على هذين محذوف مصدرية ويدعون مضارع
ادعى افتعل من دعا يدعوا واشرب معنى التمني قال ابو عبيدة العرب تقول ادع على ما شيت
اي تمن وفلان في خير ما ادعى اي ما يتمنى وقال الزجاج هو من الدعا اي ما يدعونه اهل الجنة
ياتيهم من دعوت غلامي فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى
الرحل وقيل افتعل بمعنى تفاعل اي ما يتداعونه كقولهم ارتعوا وترامو بمعنى وما مبتدا وفي
خبرها وجهان اظهرهما انه الجار قبلها والثاني انه سلام اي مسلم خالص او ذو سلامة قوله
تعالى سلام العامة على رفعه وفيه اوجه احدها ما تقدم من كونه خبر ما يدعون الثاني انه
انه بدل منها قاله الزمخشري قال ابو حيان واذا كان بدلا كان ما يدعون خصوصا والظاهر انه
عموم في كل ما يدعونه واذا كان عموما لم يكن بدلا منه الثالث انه صفة لما وهذا اذا جعلتها نكرة
موصوفة اما اذا جعلتها بمعنى الذي او مصدرية تعذر ذلك لتخالفهما تعريفا وتنكيرا الرابع انه
خبر مبتدا مضمر اي هو سلام الخامس انه مبتدا خبره الناصب لقولا اي سلام يقال لهم قولا
وقيل تقديره سلام عليكم السادس انه مبتدا وخبره من رب وقولا مصدر موكد لمضمون الجملة
وهو مع عامله معترض بين المبتدا والخبر وقرا ابي وعبد الله وعيسى سلاما بالنصب وفيه
وجهان احدهما انه حال قال الزمخشري اي لهم مرادهم خالصا والثاني انه مصدر يسلمون ه
سلاما اما من التحية واما من السلامة وقولا اما مصدر موكد واما منصوب على الاختصاص
قال الزمخشري وهو الاوجه ومن رب اما صفة لقولا واما خبر سلام كما تقدم وقرا القرظي سلم
بالكسر والسكون وتقدم الفرق بينهما في البقرة

فصل اذا قيل بان سلام بدل من ما
يدعون فكانه عز من قايل قال لهم ما يدعون وبينه ببدله فقال لهم سلام فيكون مبتدا وخبره
الجار والمجرور كما يقال في الدار رجل ولزيد مال وان كان في النحو ليس كذلك بل هو بدل وبدل
النكرة من المعرفة جايز فيكون ما بمعنى الذي معرفه وسلام نكره ويحمل على هذا ان يقال ما في
قوله تعالى ما يدعون لا موصوفة ولا موصولة بل هي نكرة تقديره لهم شي يدعون ثم بين بذكر
البدل فقال سلام والاول اصح وان قيل سلام خبر ما ولهم لبيان الجهة فتقديره ما يدعون
سلام لهم اي خالص لهم والسلام بمعنى السالم والسليم يقول عبد سلام اي سليم من العيوب
كما يقال لزيد الشرف متوفر فالجار والمجرور يكون لبيان من له ذلك والشرف هو المبتدا ومتوفر
خبره وان قيل سلام منقطع عما قبله وهو مبتدا وخبره محذوف فتقديره سلام عليهم ويكون
ذلك اخبارا من الله سبحانه وتعالى جل ذكره لا اله الا هو في يومنا هذا كانه تعالى حكى لنا
وقال جل من قايل ان اصحاب الجنة اليوم في شغل ثم لما بين كمال حالهم قال سلام عليهم كقوله
تعالى سلام على نوح وسلام على المرسلين فيكون الله تعالى احسن الى عباده المومنين
كما احسن الى عباده المرسلين او يقال تقديره سلام عليكم ويكون التفاتا حيث قال تعالى لهم
كذا وكذا ثم قال سلام عليكم

فصل اذا قيل ان قولا منصوب على المصدر فتقديره

على قولنا ان المراد لهم سلام هو ان يقال لهم سلام بقوله الله عز وجل قولا او بقول الملايكة قولا وعلى قولنا ما يدعون سلام لهم فتقديره قال الله سبحانه جل ذكره ذلك قولا ووعدهم ان لهم ما يدعون سلام وعدا وعلى قولنا سلام عليهم فتقديره اقوله قولا وقوله من رب رحيم يكون لبيان ان السلام منه اي سلام عليهم من رب رحيم اقوله قولا ويحتمل ان يقال على هذا انه مميز لان السلام قد يكون قولا وقد يكون فعلا فان من يدخل على الملك فيطاطي راسه يقال سلمت على الملك فهو حينيذ كقول القايل موجود حكما لا حسا **فصل** روي جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا روسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله جل وعز سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شي من النعيم ما داموا ينظرون اليه سبحانه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم وقيل يسلم عليهم الملايكة من ربهم لقوله تعالى والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اي يقولون سلام عليكم يا اهل الجنة من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة قوله تعالى وامتازوا على اضمار قول مقابل لما قيل للمومنين اي ويقال للمجرمين امتازوا اي انعزلوا من مازه يميزه قال المفسرون ان المجرم يرى منزلة المومن ورفعته ويرى ذلة نفسه فيتحسر فيقال لهم امتازوا اليوم وقيل المعنى ادخلوا امساكنكم من النار وقال ابو العالية تميزوا وقال السدي كونوا على حدة وقال الزجاج انفردوا عن المومنين والمجرم هو الذي ياتي بالجريمة وقيل ان قوله جل ذكره تعالى وامتازوا امر تكويني فحين يقول امتازوا اليوم فيتميزون بسيماهم ويظهر على جباههم او في وجوههم سواد كما قال جل جلاله سبحانه يعرف المجرمون بسيماهم قوله تعالى الم اعهد اليكم العامة على فتح الهمزة على الاصل في حرف المضارعة وطلحة والهذيل بن شرحبيل الكوفي بكسرها وتقدم ان ذلك لغة في حرف المضارعة بشروط ذكرت في الفاتحة وقرا ابن وثاب احد بحا مشددة قال الزمخشري رحمه الله وهي لغة تميم ومنه دحا محا اي دعها معها فقلبت الهاء حاء ثم العين حاء حين اريد الادغام والاحسن ان يقال ان العين ابدلت حاء وهي لغة هذيل فلما ادغم قلب الثاني للاول وهو عكس باب الادغام وقد مضى تحقيقه اخر ال عمران وقال ابن خالويه وابن وثاب والهذيل الم اعهد بكسر الميم والهمزة وفتح الهاء وهي على لغة من كسر اول المضارع سوى اليا وروي عن ابن وثاب اعهد بكسر الهاء يقال عهد وعهد ابني يعني بكسر الميم والهمزة ان الاصل في هذه القراة ان يكون كسر حرف المضارعة ثم نقل حركته الى الميم فكسرت لان الكسر موجود في الميم فلما ذكر من انه سمع في الماضي عهد بفتحها وقوله سوى اليا وكذا قال الزمخشري هو المشهور وقد نقل عن بعض كلب انهم يكسرون اليا فيقولون يعلم وقال الزمخشري فيه وقد جوز الزجاج ان يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب يعني ان تخريجه على احد الوجهين اما بالشذوذ فيما اتخذ فيه فعل يفعل بالكسر فيهما كنعم ينعم وحسب يحسب وييس ييبس وهي الفاظ معدودة في البقرة واما انه سمع في ما ضيه الفتح كضرب كما حكاه ابن خالويه وحكى الزمخشري انه قرى احهد بابدال العين حا وقد تقدم انها لغة هذيل وهذه تقوي ان اصل احد احهد فادغم كما تقدم قوله تعالى ان لا تعبدوا وان اعبدوني يجوز في ان ان تكون مفسرة لتقدم العهد بنهي وامر وان تكون مصدرية اي الم اعهد اليكم في عدم عبادة الشيطان وفي عبادتي **فصل** في معنى هذا العهد وجوه اقواها المراوص اليكم واختلفوا في هذا العهد فقيل هو العهد الذي كان مع ادم صلوات الله عليه في قوله تبارك وتعالى ولقد عهدنا الى ادم وقيل هو الذي كان مع ذرية ادم حين اخرجهم وقال الست بربكم قالوا بلى وقيل مع كل قوم على لسان رسولهم وهو الاظهر وقوله تعالى لا تعبدوا الشيطان اي لا تطيعوا الشيطان والطاعة قد تطلق على العبادة ثم قال جل ذكره انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة ووجه عداوته انه لما اكرم الله عز وجل ادم صلوات الله وسلامه عليه عاداه ابليس لعنة الله عليه فان قيل اذا كان الشيطان عدوا للانسان فما بال الانسان يقبل على ما يرضيه من الزنا والشرب ويكره ما يسخطه من المجاهدة والعبادة فالجواب استعانة الشيطان باعوان من عند الانسان وترك استعانة الانسان بالله فيستعين

بشهوته التي خلقها الله فيه لمصالح بقايه وبقا نوعه ويجعلها سببا لفساد حاله ويدعوه بها الى مسالك المهالك ولذلك يستعين ببعضه المغضي خلقه الله فيه لدفع المفاسد عنه ويجعلها سببا لوباله وفساد احواله وميل الانسان الى المعاصي كميل المريض الى المضار وذلك حيث ينحرف المزاج عن الاعتدال فترى المحموم يريد الما البارد وهو يزيد في مرضه ومن معدته فاسدة لا يهضم القليل من الغذا يميل الى الاكل الكثير ولا يشبع بشي وهو يزيد فساد معدته وصحيح المزاج لا يشتهي الا ما ينفعه قوله تعالى وان اعبدوني وحدوني هذا صراط مستقيم لما منع من عبادة الشيطان حمل على عبادة الرحمن ثم ذكر ما فيه لعداوة الشيطان بقوله عز وجل ولقد اضل منكم جبلا كثيرا اي خلقا كثيرا قوله تعالى جبلا قرا نافع وعاصم بكسر الجيم والبا وتشديد اللام وابو عمرو وابن عامر بضمة وسكون والباقون بضمتين واللام مخففة في كلتيهما وابن ابي اسحاق والزهري وابن هرمز بضمتين وتشديد اللام والاعمش بكسرتين وتخفيف اللام والاشهب العقيلي واليماني وحماد بن سلمة بكسرة وسكون وهذه لغات في هذه اللفظة وتقدم معناها اخر الشعرا وقري جبلا بكسر الجيم وفتح اليا جمع جبلة كفطر جمع فطرة وقرا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه جيلا باليا من اسفل تثنان وهي واضحة قال ابن الخطيب الجيم والبا واللام لا يخلوا عن معنى الاجتماع الجبل فيه اجتماع الاجسام الكثيرة وحبل الطين فيه اجتماع اجزاء الما والتراب وشاة لجبا اذا كانت مجتمعة اللبن الكثير ولا يقال البلجة تقض لما ذكرتم فانها تبنى على التفرق فان البلج خلاف المقرون لانا نقول هي لاجتماع الاماكن الخالية التي تتسع المتمكنات فان البلجة والبلدة بمعنى والبلد سمي بلدا للاجتماع لا لتفرق الجمع العظيم حتى قيل ان دون العشرة الاف لا يكون بلدا وان لم يكن صحيحا قوله تعالى افلم يكونوا تعقلون قرا العامة بالخطاب لبني ادم وطلحة وعيسى رحمهما الله بيا الغيبة والضمير للجبل ومن حقهما ان يقرا التي كانوا يوعدون لولا ان يعتذروا بالالتفات **فصل** في كيفية هذا الاضلال وجهان الاول بتوليه عن المقصد وخد يعته فالشيطان يامر بترك عبادة الله عز وجل وبعبادة غيره فهو توليه فان لم يقدر يحيد بامر غيره كذلك من ريا وسمعة وجاه وغيرهما وهو يفضي الى التوليه لان مقصوده لو حصل لترك الله واقبل على ذلك الغير فيحصل التولية ثم قال افلم تكونوا تعقلون ما اتاكم من هلاك الامم الخالية بطاعة ابليس ويقال لهم لما دنوا من النار هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا اصلوها اليوم اي ادخلوها اليوم بما كنتم تكفرون وفي هذا الكلام ما يوجب شدة ندامتهم وحزنهم من ثلاثة اوجه احدها قوله تعالى اصلوها امر تنكيل واهانة كقوله ذق انك انت العزيز الكريم الثاني قوله جل ذكره يعني العذاب حاضر ولذاتك قد مضت وبقي اليوم العذاب الثالث قوله تعالى بما كنتم تكفرون فان الكفر والكفران ينبي عن نعمة كانت فكفر بها وحيا الكفور من المنعم من اشد الالام كما قيل

اليس بكاف لذي همة • حيا المسي من المحسن •

قوله تعالى اليوم نختم اليوم ظرف لما بعده وقري يختم مبنيا للمفعول والجار بعده قايم مقام فاعله وقري وتتكلم بتاين من فوق وقري ولتتكلم ولتشهد بلام الامر وقرا طلحة ولتكلمنا ولتشهد بلام كي ناصبة للفعل ومتعلقها محذوف اي للتكلم وللشهادة ختمنا وبما كانوا اي بالذي كانوا او بكونهم كاسبين **فصل** في الترتيب وجهان الاول انهم حين يسمعون قوله تعالى بما كنتم تكفرون يريدون ينكرون كفرهم كما قال عنهم ما اشركنا وقالوا امنا به فيختم الله على افواههم فلا يقدرون على الانكار وينطق الله تعالى جوارحهم غير لسانهم فيعترفون بذنوبهم الثاني لما قال تعالى لهم الم اعهد اليكم لم يكن لهم جواب فسكتوا وخرسوا وتكلمت اعضاوهم غير اللسان وفي الختم على الافواه وجوه اقواها ان الله تعالى سكت السنتهم وتنطق جوارحهم يشهدون عليهم وانه في قدرة الله تعالى يسير واما الاشكال فانه فلا خفا فيه واما الانطاق فلان اللسان عضو متحرك بحركة مخصوصة كما جاز تحرك غيره بمثلها والله سبحانه عز ذكره قادر على كل الممكنات والوجه الاخر انهم لا يتكلمون بشي لانقطاع اعذارهم وانهتاك استارهم فيقفون ناكسوا الروس لا يجدون عذرا فيعتذرون ولا مجال توبة فيستغفرون وتكلم الايدي هو ظهور الامور بحيث لا يسع معه الانكار كقول القايل الحيطان تبكي على صاحب الدار اشارة على ظهور الحزن والصحيح الاول لما ثبت في الصحيح ان الله تبارك وتعالى يقول

للعبد كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال
لاركانه انطقي قال فتنطق باعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن
كنت اناضل وقال صلى الله عليه وسلم اول من يسال من احدكم فخذه وكفه فان قيل ما الحكمة
في اسناده الختم على نفسه وقال نختم واسند الكلام والشهادة الى الارجل والايدي
فالجواب انه لو قال عز وعلا اليوم نختم على افواههم وتنطق ايديهم لاحتمل ان يكون ذلك
جبرا منهم وقهرا والاقرار بالاجبار غير مقبول فقال عز من قايل تكلمنا ايديهم وتشهد
ارجلهم باختيارها بعدما يقدرها الله تعالى على الكلام ليكون ادل على صدور الذنب
منهم فان قيل ما الحكمة في جعل الكلام للايدي وجعل الشهادة للارجل فالجواب لان الافعال
تستند الى الايدي قال تعالى وما عملته ايديهم اي ما عملوه وقال تعالى ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة اي لا تلقوا بانفسكم فاذن للايدي كالعاملة والشاهد على العامل ينبغي ان يكون
غيره فجعل الارجل والجلود من الشهود لبعد اضافة الافعال اليهم فان قيل ان يوم القيمة من
يقبل شهادته من المقربين والصديقين كلهم اعدا المجرمين وشهادة العدو على العدو غير
مقبولة وان كان عدلا وغير الصديقين من الكفار والفساق لا يقبل شهادتهم والايدي
والارجل صدرت الذنوب منها فهي فسقة فينبغي ان لا تقبل شهادتها فالجواب ان الايدي
والارجل ليسوا من اهل التكليف ولا ينسب اليها عدالة ولا فسق انما المنسوب من ذلك الى العبد
المكلف لا الى اعضايه ولا يقال ان العين تزني وان الفرج ليزني وان اليد كذلك لان معناه
ان المكلف يزني بها لا انها تزني وايضا فانا نقول في رد شهادتها قبول شهادتها لانها ان
كذبت في مثل ذلك اليوم مع ظهور الامور لا بد ان يكون مذنبا في الدنيا وان صدقت في ذلك
اليوم فقد صدر منها الذنب في الدنيا هذا كمن قال لفاسق ان كذبت في نهار هذا اليوم
فعبدي حر فقال الفاسق كذبت في نهار هذا اليوم عتق العبد لانه ان صدق في قوله كذبت
في نهار هذا اليوم فقد وجد الشرط ونزل الجزا وان كذب في قوله كذبت فقد كذب في نهار
ذلك اليوم فوجد الشرط ايضا بخلاف ما لو قال في اليوم الثاني كذبت في نهار اليوم الذي
علقت عتق عبدك على كذبي فيه قوله تعالى ولو نشا لطمسنا على اعينهم اي اذهبنا
اعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق وهو معنى الطمس كقوله تعالى ولو نشا
الله لذهب بسمعهم وابصارهم يقول سبحانه اذا عمينا قلوبهم لو نشا اعمينا ابصارهم الظاهرة
قوله تعالى فاستبقوا عطف على لطمسنا وهذا على سبيل الفرض والتقدير وقرا عيسى
فاستبقوا امرا وهو على اضمار القول اي فيقال لهم استبقوا والصراط ظرف فكان مختص
عند الجمهور فلذلك تاولوا وصول الفعل اليه اما بانه مفعول به مجازا جعله مسبوقا لا مسبوقا
اليه وبضمن استبقوا معنى بادروا واما على حذف الجار اي الى الصراط وقال الزمخشري
منصوب على الظرف وهو ماش على قول ابن الطراوة فان الصراط والطريق ونحوهما ليست
عنده مختصة الا ان سيبويه على ان قوله •
• لدن بهز الكف يعسل متنه • فيه كما عسل الطريق الثعلب •
ضرورة لنصبه الطريق وقرا ابو بكر مكاناتهم جمعا وتقدم في الانعام والعامة على مضيا بضم
الميم وهو مصدر على فعول اصله مضوي فادغم وكسرها قبل اليا ليصح نحو لقيا وقرا ابو
حيوة ورويت عن الكساي بكسر الميم ابتاعا لحركة العين نحو عتيا وصليا وقرى بفتحها وهو
من المصادر التي وردت على فعيل كالرسيم والذميل المعنى اذا عمينا قلوبهم لو نشا اعمينا
ابصارهم الظاهرة فاستبقوا الصراط فتبادروا الى الطريق فاني يبصرون كيف يبصرون وقد
اعمينا اعينهم يعني لو نشا لاضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق
حينيذ هذا قول الحسن والسدي وقال ابن عباس ومقاتل وعطا وقتادة رضي الله عنهم
معناه لو نشا لفقانا اعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من الضلالة الى
الهدى فابصروا رشدهم فاني يبصرون ولم افعل ذلك بهم ولو نشا لمسخناهم على مكانتهم اي
مكانهم اي لو نشا جعلناهم قردة وخنازير في منازلهم وقيل لو نشا لجعلناهم حجارة وهم قعود
في منازلهم لا ارواح لهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون الى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على

ذهاب

ذهاب ولا رجوع قوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق قرا عاصم وحمزة ننكسه بضم النون
الاولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة من نكسه مبالغة والباقون بفتح الاولى وتسكين
الثانية وضم الكاف خفيفة من نكسه وهي محتملة للمبالغة وعدمها وقد تقدم في الانعام ان نافعا
وابن ذكوان قرا تعقلون والباقون بالغيبة **فصل** معنى ننكسه نرده الى ارذل العمر شبه
الصبي في اول الخلق وقيل ننكسه في الخلق اي ضعف جوارحه بعد قوتها ونقصانها بعد زيادتها
افلا تعقلون فيعتبرون ويعلمون ان الذي قدر على تصرف احوال الانسان يقدر على البعث بعد
الموت قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له قال الكلبي ان كفار مكة قالوا ان محمدا صلى الله عليه
وسلم شاعر وما يقوله شعر فانزل الله تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما ينبغي له اي ما يتسهل له
ذلك وما كان يتزن له بيت شعر حتى اذا تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا روي الحسن رضي
الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت • كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا •
فقال ابو بكر رضي الله عنه يا نبي الله صلى الله عليك وسلم تسليما يقول الله تعالى جل ذكره
وما علمناه الشعر وما ينبغي له وعن ابي شريح قال قلت لعايشة رضي الله عنها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم يتمثل شيا من الشعر قالت كان حبيب الله
صلى الله عليه وسلم يتمثل من شعر عبد الله بن رواحة قالت وربما قال ويايتك بالاخبار من لم تزود
وفي رواية قالت كان الشعر ابغض الحديث اليه قالت ولم يتمثل بشي من الشعر الا ببيت اخي بني
قيس طرفه • ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا • ويايتك بالاخبار من لم تزود •
فجعل يقول ويايتك من لم تزود بالاخبار فقال ابو بكر رضي الله عنه ليس هكذا يا رسول الله صلى
الله عليك وسلم فقال صلى الله عليه وسلم اني لست بشاعر ولا ينبغي لي وقيل معناه ما كان يتاتى له قال
ابن الخطيب رحمه الله وفيه وجه احسن من ذلك وهو ان يحمل ما ينبغي له على مفهومه الظاهر وهو ان
الشعر ما كان يليق به ولا يصلح له لان الشعر يدعو الى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن والشارع
يكون اللفظ منه تبعا للمعنى والشاعر يكون المعنى منه تبعا للفظ لانه يقصد لفظا به يصح به
وزن الشعر او قافيته فيحتاج الى التخييل لمعنى ياتي به لاجل ذلك اللفظ وعلى هذا فيقول الشعر
هو الكلام الموزون الذي قصد الى وزنه قصدا اوليا واما من يقصد المعنى فيصدر موزونا لا يكون
شاعرا الا ترى ان قوله تعالى جل ذكره لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ليس بشعر والشاعر
اذا صدر منه هذا الكلام فيه متحركات وساكنات بعدد ما في الاية تقطيعه فعلاتن فاعلات
فاعلاتن ويكون شعرا لانه قصد الاتيان بالفاظ حروفها متحركة وساكنة كذلك والمعنى تبعه والحكيم
قصد المعنى فجا على تلك الالفاظ وعلى هذا يحصل الجواب من قول من يقول ان النبي المصطفى صلى
الله عليه وسلم ذكر بيت شعر وهو قوله عليه صلوات الله وسلامه عليه •
• انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب •
او تبين لانا نقول ذلك ليس بشعر لعدم قصده الى الوزن والقافية وعلى هذا لو صدر من النبي صلى
الله عليه وسلم كلام كثير موزون مقفى لا يكون شعرا لعدم قصده اللفظ قصدا اوليا ويؤيد ما ذكرنا
انك اذا تتبعت كلام الناس في الاسواق تجد فيه ما يكون موزونا واقعا في بحر الشعر ولا يسمى المتكلم
به شاعرا ولا الكلام شعرا لفقد القصد الى اللفظ اولا **فصل** وجه الترتيب ما تقدم
من ان الله تعالى في كل موضع ذكر اصلين من الاصول الثلاثة وهي الوحدانية والرسالة والحشر
ذكر الاصل الثالث منها وههنا ذكر اصلين الوحدانية والحشر اما الوحدانية ففي قوله تعالى الم اعهد
اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان وفي قوله تعالى سبحانه اصلوها اليوم وبقوله سبحانه
جل ذكره اليوم نختم الى غير ذلك فلما ذكرهما وبينهما ذكر الاصل الثالث وهو الرسالة فقال جل قايل
سبحانه وبحمده وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقران مبين فقوله سبحانه جل وعلا وما
علمناه الشعر اشارة الى انه معلم من عند الله فعلمه ما اراد ولم يعلمه ما يريد فان قيل لم خص الشعر
بنفي التعليم مع ان الكفار كانوا ينسبون الى النبي المختار صلى الله عليه وسلم اشيا من جملتها السحر
والكهانة ولم يقل جل جلاله وما علمناه السحر وما علمناه الكهانة فالجواب اما الكهانة فكانوا
ينسبون سيدنا عدنان صلى الله عليه وسلم اليها عندما كان يخبر عن الغيوب ويكون كما يقول واما
السحر فكانوا ينسبونه صلى الله عليه وسلم اليه عندما كان يفعل ما لا يقدر عليه

الغير كشق القمر وتكلم الحجر والجذع وغير ذلك واما الشعر فكانوا ينسبونه اليه صلى الله عليه
وسلم عندما كان يتلوا القران عليهم لكنه صلى الله عليه وسلم ما كان يتحدى الا بالقران كما قال
سبحانه وتعالى ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى غير ذلك ولم
يقل ان كنتم في شك من رسالتي فاقطعوا الجذوع واسمعوا الخلق العظيم او اخبروا بالغيوب
فلما كان تحديه صلى الله عليه وسلم بالكلام وكانوا ينسبونه الى الشعر عند الكلام خص الشعر
بنفي التعليم قوله تعالى ان هو اي ان القران دل على السياق او ان المعلم الا ذكر يدل عليه
وما علمناه والضمير في له للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل للقران قوله تعالى الا ذكر موعظة
وقران مبين فيه الفرايض والحدود والاحكام قوله تعالى لينذر قرا نافع وابن عامر
هنا وفي الاحقاف لتنذر خطابا والباقون بالغيبة بخلاف عن البزي في الاحقاف والغيبة
تحتمل ان يكون الضمير فيها للنبي صلى الله عليه وسلم وان يكون للقران وقرا الجحدري واليماني
لتنذر مبنيا للمفعول وابو السماك واليماني ايضا لتنذر بفتح التا والذال من نذر بكسر الذال
اي علم فيكون من فاعله **فصل** المعنى لينذر القران من كان حيا يعني مومنا حي القلب
لان الكافر كالميت في انه لا يتدبر ولا يتفكر قال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وقيل من كان
حيا اي عاقلا ذكره الزمخشري رحمه الله في ربيع الابرار ويحق القول ويجب العذاب على الكافرين
ثم انه تعالى اعاد الوحدانية والدلايل الدالة عليها فقال جل ذكره تعالى من قايل اولم يروا انا
خلقنا لهم مما عملت ايدينا اي من جملة ما عملت ايدينا اي ما عملناه من غير معين ولا ظهير بل عملناه
بقدرتنا وارادتنا انعاما فهم لها مالكون ضابطون قاهرون اي لم يخلق الانعام وحشية نافرة
من بني ادم لا يقدرون على ضبطها بل هي مسخرة لهم لقوله عز وجل وذللناها لهم سخرناها لهم فمنها
ركوبهم اي ما يركبون وهي الابل ومنها ياكلون من لحمانها قوله تعالى ركوبهم اي مركوبهم كالحلوب
والحصور بمعنى المفعول وهو لا ينقاس وقرا ابي وعايشة رضي الله عنهما ركوبتهم وقد
عد بعضهم دخول التا على هذه الزنة شاذا وجعلها الزمخشري في قول بعضهم جمعا يعني
اسم جمع والا فلم يرد في ابنية التكسير هذه الزنة وقد عد ابن مالك ايضا ابنية اسما المجموع
فلم يذكر فيها فعولة وقرا الحسن وابو البرهشم والاعمش ركوبهم بضم الرا ولا بد من حذف مضاف
اما من الاول اي فمنها ذو ركوبهم واما من الثاني اي ذو ركوبهم قال ابن خالويه رحمه الله
العرب تقول ناقة ركوب وحلوب وركوبة حلوبة ركباة حلباة وركبوت حلبوت وركبي حلبي
وركبوتا حلبوتا وركبانة حلبانة وانشد

ركبانة حلبانة زفوف . تخلط بين وبر وصوف .

فصل لما بين الركوب والاكل ذكر غير ذلك فقال عز وجل ولهم فيها منافع ومشارب
والمراد بالمنافع اصوافها واوبارها واشعارها ونسلها وبالمشارب البانها والمشارب جمع
مشرب بالفتح مصدرا او مكانا ثم قال جل وعز افلا يشكرون رب هذه النعم واتخذوا من دون
الله الهة اشارة الى بيان زيادة ضلالهم لانه كان الواجب عليهم عبادة الله شكرا لانعمه
فتركوها واقبلوا على عبادة من لا يضر ولا ينفع لعلهم ينصرون اي لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون
ذلك والضمير في قوله تعالى لا يستطيعون اما للالهة واما لعابدها ولذلك الضماير بجملته
قال ابن عباس رضي الله عنه لا يقدر الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب وهم لهم جند
محضرون اي الكفار جند الاصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق اليهم
خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في الاخرة يوتي بكل معبود من دون الله ومعه اتباعه
الذين عبدوه كانهم جند محضرون في النار وهذا اشارة الى الحشر بعد تقرير التوحيد
وهذا كقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقوله جل ذكره تعالى
احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم
قوله تعالى فلا يحزنك قد تقدم قراة يحزن ويحزن قولهم يعني قول الكفار في تكذيبك
وهذا اشارة الى الرسالة لان الخطاب معه بما يوجب تسلية قلبه انا نعلم ما يسرون
وما يعلنون ما يسرون في ضمايرهم وما يعلنون من عبادة الاصنام او ما يعلنون
بالسنتهم من الاذى قوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة لما ذكر دليلا من

الآفاق

الافاق على وجوب عبادته بقوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة لما ذكر دليلا
قيل المراد بالانسان ابي بن خلف الجمحي خاصم النبي صلى الله عليه وسلم في انكار البعث واتاه بعظم
قد بلي ففته بيده وقال اترى يحيي الله هذا العظم بعدما رم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم نعم ويبعثك ويدخلك النار فانزل الله تعالى هذه الايات
قال ابن الخطيب وقد ثبت في اصول الفقه ان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الا ترى
قوله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها نزلت في واحدة واراد الحكم في الكل فكذلك
كل انسان ينكر الله او الحشر هذه الاية رد عليه وقوله سبحانه وبحمده فاذا هو خصيم مبين اي جدله
بالباطل مبين بين الخصومة يعني انه مخلوق من نطفة فكيف يخاصم وكيف لا يتفكر في بدء خلقه
حتى يدع الخصومة وفي الاية لطيفة وهي ان اختلاف صور اعضايه مع تشابه اجزا النطفة اية
ظاهرة ومع ذلك فهنا ما هو اظهر وهو نطقه وفهمه لان النطفة جسم فهب ان جاهلا يقول
انه استحال جسما اخر لكن القوة الناطقة والقوة الفاهمة من اين تقتضيها النطفة فابداع النطق
والفهم اعجب واغرب من ابداع الخلق والجسم وهو الى ادراك القوة والاختيار عنده اقرب فقوله
تعالى خصيم اي ناطق وانما ذكر الخصيم مكان الناطق لانه اعلا احوال الناطق فان الناطق مع
نفسه لا يبين كلامه مثل ما يبينه وهو يتكلم مع غيره والمتكلم مع غيره اذا لم يكن خصما لا يبين ولا
يجتهد مثل ما يجتهد اذا كان كلامه مع خصمه قوله تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قرا
زيد بن علي رضي الله عنه ونسي خالقه بزنة اسم الفاعل **فصل** المعنى ونسي خلقه
اي بدو امره قال من يحيي العظام وهي رميم قيل فعيل بمعنى فاعل وقيل بمعنى مفعول فعلى الاول
عدم التا غير مقتضى وقال الزمخشري الرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات
فلا يقال لم لم يونث وقد وقع خبر المونث ولا هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول وقال البغوي رحمه
الله ولم يقل رميمة لانه معدول من فاعله فكل ما كان معدولا عن وجهه ووزنه كان مصروفا
عن اعرابه كقوله عز وجل وما كانت امك بغيا اسقط الها لانها مصروفة عن باغية **فصل**
هذه الاية وما بعدها اشارة الى بيان الحشر واعلم ان المنكرين للحشر منهم من لم يذكر فيه دليلا
ولا شبهة بل اكتفى بمجرد الاستبعاد وهم الاكثرون كقولهم وقالوا ايذا ضللنا في الارض انا لفي
خلق جديد ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما اينا لمبعوثون قال من يحيي العظام وهي رميم
على طريق الاستبعاد فابطل استبعادهم بقوله تعالى ونسي خلقه اي نسي انا خلقناه من تراب
ومن نطفة متشابهة الاجزا ثم جعلنا لهم من النواصي الى الاقدام اعضا مختلفة الصور وما
اكتفينا بذلك حتى اودعناهم ما ليس من قبيل هذه الاجرام وهو النطق والعقل الذي بهما
استحقوا الاكرام فان كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد فهلا يستبعدون خلق الناطق العاقل
من نطفة قذرة لم تكن محلا للحيوة اصلا ويستبعدون اعادة النطق والعقل الى محل كانا
فيه واختاروا العظم بالذكر لانه ابعد عن الحياة لعدم الاحساس فيه ووصفوه بما يقوي جانب
الاستبعاد من البلى والتفتت والله تعالى دفع استبعادهم من جهة ما في العبد من القدرة
والعلم فقال جل وعز ضرب لنا مثلا اي جعل قدرتنا كقدرتهم ونسي خلقه العجيب وبداه الغريب
ومنهم من ذكر شبهة وان كان في اخرها يعود الى مجرد الاستبعاد وهي على وجهين الاول انه بعد
العدم لم يبق شيا فكيف يصح على العدم الحكم بالوجود فاجاب الله سبحانه وتعالى عن
هذه الشبهة بقوله تعالى الذي انشاها اول مرة يعني كما خلق الانسان ولم يكن شيا مذكورا
كذلك نعيده ولم يبق شيا مذكورا الثاني ان من تفرقت اجزاوه في مشارق العالم ومغاربه
وصار بعضه في ابدان السباع وبعضه في حواصل الطير وبعضا في جدارات الارباح كيف
يجمع وابعد من هذا لو اكل انسان انسانا وصار اجزا الماكول في اجزاء الاكل فان اعيدت
اجزا الاكل فلا يبقى للماكول اجزا يتخلق منها اعضا واما ان تعاد الى بدن الماكول فلا يبقى
للاكل اجزا فابطل الله عز وجل هذه الشبهة بقوله تعالى وهو بكل خلق عليم ووجهه ان
في الاكل اجزا اصلية واجزا فضلية وفي الماكول كذلك فاذا اكل انسان انسانا صار الاصلي
من اجزا الماكول فضليا من اجزا الاكل والاجزاء الاصلية للاكل هي ما كان قبل الاكل فالله
بكل خلق عليم يعلم الاصل من الفضل فيجمع الاجزاء الاصلية للاكل ويجمع الاجزاء الفضلية

للماكول وينفخ فيه روحه وكذلك يجمع اجزاه المتفرقة في البقاع المتبددة بحكمته وقدرته
ثم انه تعالى عاد الى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم وابطال انكارهم فقال جل ذكره تعالى
الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا هذه قراءة العامة وقرئ الخضرا اعتبارا بالمعنى وقد تقدم
انه يجوز تذكير اسم الجنس وتانيثه قال تعالى نخل منقعر ونخل خاوية وتقدم ان بني تميم
ونجد يذكرونه والحجاز يونثونه الا الفاظا استثنيت **فصل** قال ابن عباس رضي الله
عنهما شجرتان يقال لاحدهما المرخ وللاخرى العفار فمن اراد منهما النار قطع منهما غصنين
مثل السواكين وهما خضراوان يقطران الما فيسحق المرخ على العفار فيخرج منهما النار باذن
الله تعالى وتقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وقال الحكما في كل شجر نار
الا العناب فاذا انتم منه توقدون اي تقدحون وتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر
ما هو اعظم من خلق الانسان فقال جل ذكره تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم هذه قراءة العامة وقرأ الجحدري
وابن ابي اسحاق والاعرج يقدر فعلا مضارعا والضمير في مثلهم قيل عايد على الناس
لانهم هم المخاطبون وقيل على السموات والارض لتضمنهم من يعقل ثم قال عز وجل بلى اي قل
بلى هو قادر على ذلك وهو الخلاق العليم نحو خلقا بعد خلق العليم بجميع ما خلق وبلى
جواب للنفي وان دخل عليها الاستفهام المصير لها ايجابا والعامة على الخلاق صيغة مبالغة
والجحدري والحسن ومالك بن دينار رضي الله عنهم الخالق اسم فاعل قوله سبحانه انما امره
اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون قد تقدم الخلاف في فيكون نصبا ورفعا وتوجيه ذلك
في البقرة قوله تعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء قرأ طلحة والاعمش ملكة بزنة
شجرة مملكة بزنة مفعلة وقرئ ملك والملكوت ابلغ الجميع والعامة على يرجعون مبنيا
للفاعل وزيد بن علي مبنيا للفاعل وتقدم الكلام على قوله سبحان والتسبيح هو التنزيه
والملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والرهبوت فعلول او فعلوت فيه كلام قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اقروا على موتاكم سورة يس وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لكل شيء قلب وان قلب القران يس ومن قرأ يس كتب الله بقراتها قراءة القران
عشر مرات وعن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في
القران سورة يشفع قاريها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس وعن ابي بكر الصديق رضوان
الله عليه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يس تدعى المعمة قيل يا رسول الله
صلى الله عليك وسلم وما المعمة قال صلى الله عليه وسلم تعم صاحبها خير الدنيا والاخرة
وتدعى الدافعة القاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة ومن قراها عدلت
له عشرين حجة ومن سمعها كان له الف دينار في سبيل الله تعالى ومن كتبها وشربها ادخلت
جوفه الف دواء والف يقين والف رافة ونزع منه كل داء وغل وعن ابي امامة عن ابي بن
كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ يس يريد بها وجه الله
عز وجل غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القران اثنى عشر مرة وايما مريض قرئ
عنده سورة يس نزل عليه بعدد كل حرف عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا فيصلون
عليه ويستغفرون له ويشهدون قبضه وغسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه
ويشهدون دفنه واي مامريض قرأ سورة يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت
روحه حتى يجيه رضوان خازن الجنان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيموت
وهو ريان ويحاسب وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبيا صلوات الله عليهم
حتى يدخل الجنة وهو ريان وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة يس في ليلة اصبح مغفورا له وعن انس بن مالك رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف عنهم
يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات وعن يحيى بن ابي كثير قال بلغنا انه من قرأ سورة
يس حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي ومن قراها حين يمسي لم يزل في فرح حتى
يصبح وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دايما ابدا الى يوم الدين

سورة والصافات مكية

وهي مائة واثنتان وثمانون اية وثمان مائة وستون كلمة وثلاثة الاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والصافات صفا قرأ ابو عمرو وحمزة بادغام التا من الصافات والزاجرات
والتاليات في صاد صفا وزاي زجرا وذال ذكرا وكذلك فعلا في الذاريات ذروا وفي
الملقيات ذكرا وفي العاديات صبحا بخلاف عن خلاد في الاخيرين وابو عمرو جار على اصله
في ادغام المتقاربين كما هو المعروف من اصله وحمزة خارج عن اصله والفرق بين مذهبيهما
ان ابا عمرو يجيز الروم وحمزة لا يجيزه وهذا كما اتفقا في ادغام بيت طايفة في سورة النسا
وان كان من اصل حمزة ادغام مثله وقرأ الباقون باظهار جميع ذلك قال الواحدي ادغام التا
في الصاد حسن لمقاربة الحرفين الا ترى انهما من طرف اللسان واصول الثنايا يسمعان في الهمس
والمدغم فيه يزيد على المدغم بالاطباق والصفير وادغام الانقص في الازيد حسن ولا يجوز ان
يدغم الازيد صوتا في الانقص وايضا ادغام التا في الزاي في قوله تعالى فالزاجرات زجرا
احسن لان التا مهموسة والزاي مجهورة وفيها زيادة صفير كما كان في الصاد وايضا حسن ادغام
التا في الذال في قوله تعالى فالتاليات لاتفاقهما في انهما من طرف اللسان واصول الثنايا واما
من قرأ بالاظهار فلاختلاف المخارج ومفعول الصافات والزاجرات غير مراد اذ المعنى الفاعل
لذلك واعرب ابو البقا صفا مفعولا به على انه قد يقع على المصفوف وهذا ضعيف وقيل هو
مراد والمعنى والصافات انفسها وهم الملايكة او المجاهدون او المصلون او الصافات اجنحتها وهي
الطير كقوله تعالى والطير صافات والزاجرات السحاب او العصاة ان اريد بهم العلما والزجر الدفع
بقوة وهو قوة التصويت وانشد • زجر ابي عروة السباع اذا • اشفق ان يختلطن بالغنم •
وزجرت الابل والغنم اذا افزعتها من صوتك واما والتاليات فيجوز ان يكون ذكرا مفعوله والمراد
بالذكر القران وغيره من تسبيح وتحميد ويجوز ان يكون ذكرا مصدرا ايضا من معنى التاليات وهذا
اوفق لما قبله قال الزمخشري الفا في فالزاجرات فالتاليات اما ان تدل على ترتب معانيها في
الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالايب اي الذي صبح فغنم فآب واما
على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل
واما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقولك رحم الله المحلقين فالمقصرين فاما هنا فان وجدت
الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل فاذا كان الموحد الملايكة فيكون الفضل
صف ثم للزجر ثم للتلاوة وعلى العكس وان ثنيت الموصوف فترتب الفضل فيكون الصافات
ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس يعني بالعكس في الموضعين
انك ترتقي من افضل الى فاضل الى مفضول او تبدا بالادنى ثم بالفاضل ثم بالافضل والواو في
هذه للقسم والجواب قوله ان الهكم لواحد وقد ذكرنا الكلام في الواو والتي بعدها والثالثة هل
للقسم او للعطف **فصل** قال ابن عباس والحسن وقتادة والصافات صفا هم
الملايكة في السما يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلوة وقال صلى الله عليه وسلم الا تصفون
كما تصف الملايكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملايكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المقدمة
ويتراصون في الصف وقيل هم الملايكة تصف اجنحتها في الهوى واقفة يامرها الله بما يريد
وقيل هي الطير لقوله تعالى والطير صافات فالزاجرات زجرا يعني الملايكة تزجر السحاب وتسوقه
وقال قتادة هي زواجر القران تنهى وتزجر عن القبيح فالتاليات ذكرا هم الملايكة يتلون ذكر
الله وقيل هم جماعة قرا القران وهذا كله قسم وقيل فيه اضمار اي ورب الصافات والزاجرات
والتاليات **فصل** قال ابو مسلم الاصفهاني لا يجوز حمل هذه الالفاظ على الملايكة
لانها مشعرة بالتانيث والملايكة مبرون عن هذه الصفة واجيب بوجهين الاول ان الصافات
جمع الجمع فانه يقال جماعة صافة ثم يجمع على صافات والثاني انهم مبرون عن التانيث المعنوي
واما التانيث اللفظي فلا وكيف وهم يسمون بالملايكة مع ان علامة التانيث حاصلة فصل

اختلف الناس ههنا فالمقسم به على قولين احدهما ان المقسم به خالق هذه الاشيا لنهيه
صلى الله عليه وسلم عن الحلف بغير الله تعالى ولان الحلف في مثل هذا الموضع تعظيم للمحلوق
به ومثل هذا التعظيم لا يليق الا بالله تعالى ومما يوكد هذا انه تعالى صرح به في قوله
والسما وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها الثاني ان المقسم به هو هذه
الاشيا لظاهر اللفظ فالعدول عنه خلاف الدليل واما قوله تعالى وما بناها فانه علق
لفظ القسم بالسما ثم عطف عليه القسم بالباني للسما ولو كان المراد من القسم بالسما من بنا
السما لزم التكرار في موضع واحد وانه لا يجوز وايضا لا يبعد ان تكون الحكمة في قسم الله
تعالى بهذه الاشيا التنبيه على شرف ذواتها فان قيل ذكر الحلف في هذا الموضع غير لايق
وبيانه من وجوه ان المقصود من هذا القسم اما اثبات هذا القسم اما اثبات هذا المطلوب
عند المومن او عند الكافر والاول باطل لان المومن مقر به من غير حلف والثاني باطل
لان الكافر لا يقر به سوا حصل الحلف او لم يحصل فهذا الحلف عديم الفايدة على كل تقدير
الثاني انه تعالى اقسم في اول هذه السورة على ان الاله واحد واقسم في اول سورة
الذاريات على ان القيمة حق فقال جل ذكره والذاريات ذروا الى قوله انما توعدون
لصادق وان الدين لواقع واثبات هذه المطالب العالية الشريفة على المخالفين من
الدهرية وامثالهم بالحلف لا يليق بالعقلا فالجواب من وجوه الاول انه تعالى قرر
التوحيد وصحة البعث والقيمة في ساير السور بالدلايل اليقينية فلما تقدم ذكر تلك
الدلايل لم يبعد تقريرها بذكر القسم تاكيدا لما تقدم لاسيما والقران انزل بلغة العرب
واثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة مالوفة عند العرب الثاني انه تعالى لما اقسم
بهذه الاشيا على صحة قوله تعالى ان الهكم ذكر عقيبه ما هو الدليل اليقيني في كون الاله
واحدا وهو قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق وذلك لانه تعالى
بين في قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ان انتظام احوال السموات والارض يدل على
الاله واحد فههنا لما قال سبحانه ان الهكم لواحد اردفه بقوله رب السموات والارض وما
بينهما ورب المشارق كانه قيل بينا ان النظر في انتظام هذا العالم يدل على كون الاله واحدا
فتاملوا ليحصل لكم العلم بالتوحيد الثالث ان المقصود من هذا الكلام الرد على عبدة الاصنام
في قولهم بانها الهة فكانه قيل ان هذا المذهب قد بلغ في السقوط والركاكة الى حيث
يكفي في ابطاله مثل هذه الحجة قوله تعالى رب السموات يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان
يكون بدلا من لواحد وان يكون خبر مبتدا مضمر وجمع المشارق والمغارب باعتبار جميع
السنة فان للشمس ثلثمايه وستين مشرقا وثلثمايه وستين مغربا واما قوله عز وجل
رب المشرقين ورب المغربين فباعتبار الصيف والشتا وقيل المراد بالمشارق مشارق
الكواكب لان لكل كوكب مشرقا ومغربا واراد المشارق والمغارب كما قال تعالى في موضع اخر
فلا اقسم برب المشارق والمغارب فان قيل لم اكتفى بذكر المشارق فالجواب من وجهين
الاول انه اكتفى بذكر المشارق كقوله تعالى تقيكم الحر والثاني ان الشروق اقوى حالا
من الغروب وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه الشمس
فهو مغرب كانه اراد جميع ما شرقت عليه الشمس وغربت وقيل اكثر نفعا من الغروب فذكر
المشرق تنبيها على كثرة احسان الله تعالى على عباده ولهذه الدقيقة استدل ابراهيم الخليل
صلوات الله وسلامه عليه بالمشرق فقال ان الله ياتي بالشمس من المشرق دل قوله تعالى
رب السموات والارض وما بينهما على كونه تعالى خالقا لاعمال العباد لان اعمال العباد موجوده
فيما بين السموات والارض وهذه الاية دلت على كون ما حصل بين السموات والارض فالله
ربه ومالكه وهذا يدل على ان فعل العبد حصل بخلق الله فان قيل الاعراض لا يصح وصفها
بانها حصلت بين السموات والارض لان هذا الوصف انما يكون حاصلا في حيز وجهة والاعراض
ليست كذلك قلنا انها لما كانت حاصلة في الاجسام الحاصلة بين السما والارض فهي ايضا
حاصلة بين السموات والارض قوله تعالى انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب قرا عاصم برواية
ابي بكر بزينة منونة ونصب الكواكب وفيه وجهان احدهما ان تكون الزينة مصدرا وفاعله

محذوف

محذوف تقديره بان زين الله الكواكب في كونها مضية حسنة في انفسها والثاني ان الزينة اسم
لما يزان به كالليقة اسم لما تلاق به الدواة فتكون الكواكب على هذا منصوبة باضمار اعني او يكون
بدلا من سما الدنيا بدل اشتمال اي كواكبها او من محل بزينة وحمزة وحفص كذلك الا انهما خفضا
الكواكب على ان يراد بزينة ما يزان به والكواكب بدل او بيان للزينة وهي قراة مسروق بن الاجدع
قال الفرا وهو رد معرفة على نكرة كقوله بالناصية ناصية فرد نكرة على معرفة وقال الزجاج
الكواكب بدل من الزينة لانها هي كقولك مررت بابي عبد الله زيد والباقون باضافة زينة الى
الكواكب وهي تحتمل ثلثة اوجه احدها ان تكون اضافة اعم الى اخص فتكون للبيان نحو ثوب خز
الثاني انها مصدر مضاف لفاعله اي بان زينت الكواكب السما بضوها والثالث انه مضاف لمفعوله
اي بان زينها الله بان جعلها مشرقة مضية في نفسها وقرا ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما
بتنوينها ورفع الكواكب فان جعلتها مصدرا ارتفع الكواكب به وان جعلتها اسما لما يزان به فعلى
هذا ترتفع الكواكب باضمار مبتدا اي هي الكواكب وهي في قوة البدل ومنع الفرا اعمال المصدر المنون
وزعم انه لم يسمع وهو غلط لقوله تعالى او اطعام في يوم كما سياتي ان شا الله تعالى قوله تعالى
وحفظا منصوب على المصدر باضمار فعل اي حفظناها حفظا واما على المفعول من اجله على
زيادة الواو والعامل فيه زينا وعلى ما يكون مقدرا اي لحفظها زيناها او على الحمل على المعنى
المتقدم اي انا خلقنا السما الدنيا زينة وحفظا ومن كل متعلق بحفظا ان لم يكن مصدرا موكدا وبالمحذوف
ان جعل مصدرا موكدا او يجوز ان يكون صفة لحفظا قال المبرد اذا ذكرت فعلا ثم عطفت عليه
مصدر فعل اخر نصبت المصدر لانه قد دل على فعل كقولك افعل وكرامة لما قال افعل علم ان الاسما
لا تعطف على الافعال فكان المعنى افعل ذاك واكرمك كرامة **فصل** قال ابن عباس
رضي الله عنه زينا السما الدنيا بضو الكواكب وحفظناها من كل شيطان مارد اي متمرد يرمون
بها وتقدم الكلام على المارد عند قوله تعالى مردوا على النفاق واعلم انه تعالى بين انه زين
السما لمنفعتين احديهما تحصيل الزينة والثاني الحفظ من الشيطان المارد فان قيل انه ثبت في علم
الهيية ان هذه الكواكب الثوابت مركوزة في الكرة الثامنة وان السيارات مركوزة في الكرات
الستة المحيطة بسما الدنيا فكيف يصح قوله جل ذكره انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب فالجواب ان
الناس الساكنين على سطح كرة الارض اذا نظروا الى السما فانهم يشاهدونها مزينة بهذه الكواكب
مركوزة في الفلك الثامن لم يتم دليل الفلاسفة عليه فان قيل هذه الشهب التي يرمى بها هل هي
من الكواكب التي زين الله السما بها ام لا والاول باطل لان هذه الشهب تبطل وتضمحل فلو كانت هذه
الشهب تلك الكواكب الحقيقية لوجب ان يظهر نقصان كثير في اعداد كواكب السما ولم يوجد ذلك
فان اعداد كواكب السما باقية لم تتغير البتة وايضا فجعلها رجوما للشياطين مما يوجب وقوع النقصان
في زينة السما فكان الجمع بين هذين المقصودين كالمتناقض وان كانت هذه الشهب جنس اخر غير
الكواكب المركوزة في الفلك فهو ايضا مشكل لانه تعالى قال في سورة الملك ولقد زينا السما الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فالضمير في قوله وجعلناها عايد الى المصابيح فوجب ان
يكون تلك المصابيح هي الرجوم باعيانها فالجواب ان هذه الشهب غير تلك الكواكب الثابتة واما
قوله تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فنقول كل نير يحصل
في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض الا ان تلك المصابيح منها باقية على وجه الدهر امنة
من التغير والفساد ومنها ما لا يكون كذلك وهي هذه الشهب التي يحدثها الله تعالى ويجعلها
رجوما للشياطين الى حيث يعلمون وبهذا يزول الاشكال فان قيل كيف يجوز ان يذهب الشياطين
ولا يصلون الى مقصودهم البتة وهل يمكن ان يصدر مثل هذا الفعل من عاقل فكيف من الشياطين
الذين لهم مزية في معرفة الحيل الدقيقة فالجواب ان حصول هذه الحالة ليس له موضع معين والا
لم يذهبوا اليه وانما يمنعون من المصير الى مواضع الملايكة ومواضعها مختلفة فربما صاروا الى
موضع تصيبهم الشهب وربما صاروا الى غيره ولا صادفوا الملايكة ولا تصيبهم الشهب فلما هلكوا
في بعض الاوقات وسلموا في بعض الاوقات جاز ان يصيروا الى مواضع تغلب على ظنونهم انهم
لا تصيبهم الشهب فيها كما يجوز فيمن سلك البحر ان يسلكه في موضع يغلب على ظنه حصول
النجاة هذا ما ذكره ابو علي الجبايي في الجواب عن هذا السوال في تفسيره وفي هذا الجواب

يظن فان السموات ليس فيها موضع خال من الملايكة كقوله اطت السما وحق لها ان تئط
ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك قايم او راكع او ساجد قال ابن الخطيب رحمه الله ولقايل
ان يقول انهم اذا صعدوا فاما ان يصلوا الى مواضع الملايكة او الى غير تلك المواضع فان وصلوا
الى مواضع الملايكة احترقوا وان وصلوا الى غير مواضع الملايكة لم يفوزوا بمقصود اصلا
وعلى كلا التقديرين فالمقصود غير حاصل واذا كان الفوز بالمقصود محالا وجب ان يمتنعوا
عن هذا الفعل وان لا يقدموا عليه اصلا بخلاف حال المسافر في البحر فان الغالب عليهم
السلامة والفوز بالمقصود واما هاهنا فالشيطان الذي يسلم من الاحراق انما يسلم اذا لم
يصل الى مواضع الملايكة واذا لم يصل الى ذلك الموضع لم يفز بالمقصود فوجب ان لا يعودوا الى
هذا العمل البته والاقرب في الجواب ان يقال هذه الواقعة انما يتفق في الندرة فلعلها لا
تشتهر بسبب ندورها فيما بين الشياطين والله اعلم فان قيل دلت التواريخ المتواترة على ان
حدوث الشهب كان حاصلا قبل مجي النبي صلى الله عليه وسلم بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا
في سبب حدوثه واذا ثبت ان ذلك كان موجودا قبل مجي النبي صلى الله عليه وسلم امتنع حمله على مجي النبي
صلى الله عليه وسلم اجاب القاضي بان الاقرب ان هذه الحالة كانت موجودة قبل النبي صلى
الله عليه وسلم لكنها كثرت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وصارت بسبب الكثرة معجزة فان
قيل الشيطان مخلوق من النار كما حكى عن قول ابليس لعنه الله خلقتني من نار وقال جل
ذكره والجان خلقناه من قبل من نار السموم ولهذا السبب يقدر على الصعود الى السموات
واذا كان كذلك فكيف يعقل احراق النار بالنار فالجواب يحتمل ان الشياطين وان كانوا من
النيران الا انها نيران ضعيفة ونيران الشهب اقوى حالا منهم لاجرم صار الاقوى مبطلا
للاضعف الا ترى ان السراج الضعيف اذا وضع في النار القوية فانه ينطفي فكذلك هاهنا
قوله تعالى لا يسمعون قرا الاخوان وحفص بتشديد السين والميم والاصل يتسمعون فادغم
والباقون بالتخفيف فيهما واختار ابو عبيد الاولى وقال لو كان مخففا لم يتعد بالى واجيب
عنه بان معنى الكلام لا يسمعون الى الملا وقال مكي لانه جرى مجرى مطاوعه وهو يتسمعون
فكما كان يتسمع يتعدى بالى تعدي سمع بالى وفعلت وافتعلت في التعدي سوا فتسمع
مطاوع سمع واستمع ايضا مطاوع سمع فيتعدى سمع تعدي مطاوعه وهذه الجملة منقطعة
عما قبلها ولا يجوز فيها ان تكون صفة لشيطان على المعنى اذ يصير التقدير من كل شيطان
مارد غير سامع او مستمع وهو فاسد ولا يجوز ايضا ان يكون جوابا لسوال سايل لم يحفظ
من الشياطين اذ يفسد معنى ذلك وقال بعضهم اصل الكلام لئلا يسمعوا فحذفت اللام
وان فارتفع الفعل وفيه تعسف وقد وهم ابو البقا فجوز ان تكون صفة وان يكون
حالا وان تكون مستانفة قال ولان ظاهر الفساد والثالث ان عني به الاستيناف البياني
فهو فاسد ايضا وان اراد الانقطاع على ما تقدم فهو صحيح **فصل** واحتجوا القراة
التخفيف بقوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون وروي مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهم
ان الشياطين يسمعون الى الملا الاعلى ثم يمنعون ولا يسمعون ولك ولمن ان يحتجوا فيقولوا
التنصيص على كونهم معزولين عن السمع لا يمنعوا من كونهم معزولين ايضا عن السمع بدلالة
هذه الاية بل هذا اقوى في ردع الشياطين ومنعهم من استماع اخبار السما فان الذي
منع من الاستماع بان يكون ممنوعا عن السمع اولى واعلم ان الفرق بين قولك سمعت
حديث فلان وبين قولك سمعت الى حديثه ان قولك سمعت حديثه يفيد الادراك
وسمعت الى حديثه يفيد الاصغا مع الادراك وفي قوله لا يسمعون الى الملا الاعلى قولان
اشهرهما ان تقدير الكلام لئلا يسمعوا فلما حذف الناصب صار كقوله جل ذكره تعالى يبين
الله لكم ان تضلوا وقوله تعالى رواسي ان تميد بكم قال الزمخشري حذف اللام وان كل
واحد منهما جايز بانفراده اما اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب صون القرات عنها قال
الزمخشري انه كلام منقطع عما قبله وهو حكاية المسترقين السمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا
الى كلام الملايكة سكان السموات ومعنى يقذفون يرمون من كل جانب من افاق
السما قوله عز وجل دحورا العامة على ضم الدال وفي نصبه اوجه احدها المفعول له اي لاجل

الطرد الثاني مصدر ليقذفون اي يدحرون دحورا او يقذفون قذفا فالتجوز اما في
الاول واما في الثاني الثالث انه مصدر لمقدر اي يدحرون دحورا الرابع انه في موضع
الحال اي ذوي دحور او مدحورين وقيل هو جمع داحر نحو قاعد وقعود فيكون حالا
بنفسه من غير تاويل قال مجاهد دحورا مطرودين وروي عن ابي عمرو انه قرا ويقذفون
مبنيا للفاعل وقرا علي والسلمي وابن ابي عبلة دحورا وهو كالصبور بفتح الدال وفيها
وجهان احدهما انه صفة لمصدر مقدر اي قذفا دحورا وهو كالصبور والشكور والثاني
انه مصدر كالقبول والولوغ وقد تقدم انه محصور في الفاظ والدحور قال المبرد
اشد الصغار والذل وقال ابن قتيبة دحرته دحرا ودحورا اي دفعته وطردته وتقدم
في سورة الاعراف عند قوله عز وجل مذموما مدحورا قوله تعالى ولهم عذاب واصب
دايم قال مقاتل دايم الى النفخة الاولى وتقدم في سورة النحل في قوله عز وجل وله
الدين واصبا قوله تعالى الا من خطف فيه وجهان احدهما انه مرفوع المحل بدلا من ضمير
لا يسمعون وهو احسن لانه غير موجب والثاني انه منصوب على اصل الاستثنا والمعنى
ان الشياطين لا يسمعون الملايكة الا من خطف قال شهاب الدين ويجوز ان يكون من شرطية
وجوابها فاتبعه او موصولة وخبرها فاتبعه وهو استثنا منقطع وقد نصوا على ان مثل
هذه الجملة يكون استثنا منقطعا لقوله عز وجل لست عليهم بمسيطر الا من تولى والخطفة
مصدر معرف بال الجنسية او العهدية وقرا العامة خطف بفتح الخا وكسر الطا مخففة وقتادة
والحسن رضي الله عنهما بكسرهما وتشديد الطا وهي لغة تميم بن مر وبكر بن وايل وعنهما
ايضا وعن عيسى بفتح الخا وكسر الطا مشددة وعن الحسن ايضا خطف كالعامة واصل
القراتين اختطف فلما اريد الادغام سكنت التا وقبلها الخا ساكنة فكسرت الخا لالتقا
الساكنين ثم كسرت الطا اتباعا لحركة الخا وهذه واضحة واما الثانية فمشكلة جدا لان
كسر الطا انما كان لكسر الخا وهو مفقود وقد وجه على التوهم وذلك انهم لما ارادوا
الادغام نقلوا حركة التا الى الخا ففتحت وهم يتوهمون انها مكسورة لالتقا الساكنين
كما تقدم تقريره فاتبعوا الطا لحركة الخا المتوهمة واذا كانوا قد فعلوا ذلك في مقتضيات
الاعراب فلان يفعلوه في غيره اولى وبالجملة فهو تعليل شذوذ وقرا ابن عباس خطف
بكسر الخا والطا خفيفة وهو اتباع لقولهم نعم بكسر النون والعين وقرى فاتبعه بالتشديد
فصل ومعنى الخطف اي اختلس الكلمة من كلام الملايكة مسارقة فاتبعه شهاب
ثاقب كوكب مضي قوي لا يخطيه يقتله او يحرقه وقيل سمي ثاقبا لانه يثقب بنوره الهوى
قال ابن عباس رضي الله عنه قوله عز وجل والنجم الثاقب قال انه زحل سمي بذلك لانه
يثقب بنوره سبع سموات وقال عطا سمي النجم الذي يرمي به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم
وانما يعودون الى استراق السمع مع علمهم انهم لا يصلون اليه طمعا في السلامة وسبيل المراد
كراكب البحر قوله تعالى فاستفتهم يعني كفار مكة اي سلهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا يعني
السموات والارض والجبال وهو استفهام بمعنى التقرير اي هذه الاشيا اشد خلقا كقوله
تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله عز وجل اانتم اشد خلقا ام السما
بناها وقيل معنى ام من خلقنا يعني من الامم الخالية لان من يذكر لمن يعقل والمعنى ان هولا
ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد اهلكناهم بذنوبهم فالذي يومن هولا من العذاب
قوله تعالى ام من خلقنا العامة على تشديد الميم الاصل ام من وهي ام المتصلة عطفت من على
هم وقرا الاعمش بتخفيفها وهو استفهام ثان فالهمزة للاستفهام ايضا ومن مبتدا وخبره
محذوف اي الذي خلقناهم اشد فهما جملتان مستقلتان وغلب من يعقل على غيره فلذلك
اتى بمن قوله تعالى انا خلقناهم من طين لازب اي جيد حر لاصق يعلق باليد واللازم
بمعنى وقد قرى لازم لانه يلزم اليد وقيل اللازب اللزج وقال مجاهد والضحاك منتن
واكثر اهل اللغة على ان البا في اللازب بدل من الميم **فصل** وجه النظم انه قد
تقرر ان المقصود الاعظم من القران اثبات الاصول الاربعة وهي الالهيات والمعاد والنبوة
واثبات القضا والقدر فافتتح تعالى هذه السورة باثبات ما يدل على وجود الصانع على علمه

وقدرته وحكمته ووحدانيته وهو خالق السموات والارض وما بينهما ورب المشارق
والمغارب ثم فرع عليها اثبات الحشر والنشر والقيمة وهو ان قدر على ما هو اصعب واشق
وجب ان يقدر على ما هو دونه وهو قوله تعالى فاستفتهم اهم اشد خلقا امن خلقنا
فمن قدر على ما هو اشد واصعب فبان يكون قادرا على اعادة الحيوة في هذه الاجساد
كان اولى وايضا فقوله تعالى انا خلقناهم من طين لازب يعني ان هذه قابلة للحيوة اذ لو
لم يكن قابله للحيوة لما صارت حية في المرة الاولى والمراد بقوله تعالى انا خلقناهم من
طين لازب يعني اصلهم وهو ادم صلوات الله وسلامه عليه روي ان القوم قالوا كيف
يعقل تولد الانسان لامن ابوين ولامن نطفة فكانه تعالى قال لهم انكم لما اقررتم بحدوث
العالم واعترفتم بان السموات والارض وما بينهما انما حصل بتخليق الله عز وجل سبحانه
وتعالى وتكوينه فلا بد ان يعترفوا بان الانسان الاول انما حدث لامن الابوين فان اعترفتم
به فقد سقط قولكم ان الانسان كيف يحدث من غير نطفة ومن غير الابوين وايضا فقد
اشتهر عند الجمهور ان ادم صلوات الله عليه مخلوق من طين لازب ومن قدر على خلق الحيوة
من الطين اللازب كيف يعجز عن اعادة الحيوة الى هذه الذوات ويمكن ان يكون المراد بقوله
تعالى انا خلقناهم من طين لازب اي كل الناس ووجهه ان الحيوان انما يتولد من المني
ودم الطمث والمني انما يتولد من الدم فالحيوان انما يتولد من الدم والدم انما يتولد من الغذا
والغذا اما حيواني واما نباتي اما تولد الحيوان الذي صار غذا فالكلام في كيفية تولده
كالكلام في مولد الانسان فثبت ان الاصل في الاغذية هو النبات والنبات انما يتولد
من امتزاج الارض بالما وهو الطين اللازب فظهر ان كل الخلق متولدون من الطين اللازب
وهو قابل للحيوة والله سبحانه وتعالى قادر عليها وهذه القابلية والقادرية واجبة
البقا فوجب بقا هذه الصفة في كل الاوقات وهذه بيانات ظاهر قوله تعالى بل عجبت
قرا الاخوان بضم التا والباقون بفتحها فالفتح ظاهر وهو ضمير الرسول او كل من يصح منه
ذلك واما الضم فعلى صرفه للمخاطب اي قل يا محمد بل عجبت انا او على اسناده للباري تعالى
جل ذكره على ما يليق به وقد تقدم تحرير هذا في البقرة وما ورد منه في الكتاب والسنة
وعن شريح انه انكرها وقال ان الله عز وجل لا يعجب فبلغت ابراهيم النخعي فقال ان شريحا
كان معجبا برايه قراها من هو اعلم منه يعني عبد الله بن مسعود وابن عباس والعجب من الله
تعالى ليس كالتعجب من الادميين كما قال عز وجل فيسخرون منهم سخر الله منهم وقال سبحانه
نسوا الله فنسيهم فالعجب من الادميين انكاره وتعظيمه والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى
الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضى كما جاء في الحديث عجب ربكم من شاب
ليس له صبوة وقوله عجب ربكم الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وسيل جنيد رضي الله عنه
عن هذه الاية فقال ان الله تعالى لا يعجب من شي ولكن الله عز وجل وافق رسوله
صلى الله عليه وسلم لما عجب رسوله صلى الله عليه وسلم وقال عز من قايل تعالى سبحانه
ان تعجب فعجب قولهم اي هو كما يقوله فقوله تعالى ويسخرون يجوز ان يكون استينافا
وهو الاظهر وان يكون حالا والمعنى اي عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك
وقال قتادة عجب نبي الله صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه من هذا القران حين
انزل وضلال بني ادم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يستمع القران
يومن به فلما سمع المشركون القران سخروا منه ولم يومنوا عجب النبي صلى الله عليه وسلم
من ذلك فقال الله تعالى بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون اي اذا وعظوا
بالقران لا يتعظون وقال جناح بن حبيش ذكروا مخففا واذا راوا اية قال ابن
عباس ومقاتل يعني انشقاق القمر يستسخرون يسخرون ويستهزءون وقيل يستدعي
بعضهم من بعض السخرية وقري يستحرون بالحا المهملة وقالوا ان هذا سحر مبين اي
سحر بين يعني اذا راوا اية معجزة سخروا منها لاعتقادهم انها من باب السحر فصل
قال ابن الخطيب والذي عندي في هذا الباب ان يقال القوم كانوا يستبعدون الحشر
والقيمة ويقولون من مات وصار ترابا وتفرقت اجزاوه في العالم كيف يعقل عوده

بعينه وبلغوا في هذا الاستبعاد الى حيث كانوا يسخرون ممن يذهب الى هذا المذهب واذا كان
كذلك ولا طريق الى ازالة هذا الاستبعاد عنهم الا من وجهين احدهما ان يذكر لهم الدليل على
صحة الحشر والنشر مثل ان يقال لهم هل يعلمون ان القادر على الاصعب الاشق يجب ان يكون
قادرا على الاسهل فهذا الدليل وان كان جليا قويا الا ان اوليك المنكرين اذا عرض على قلوبهم
هذه المقدمات لا يفهمونها ولا يقفون عليها واذا ذكروا لم يتذكروها لشدة بلادتهم وجهلهم
فلا جرم لم ينتفعوا بهذا الدليل والطريق الثاني ان يثبت الرسول صلى الله عليه وسلم صحة رسالته
بالمعجزات ثم يقول لما ثبت بالمعجزة كوني رسولا صادقا من عند الله تعالى فانا اخبركم بان
البعث والقيمة حق ثم ان اوليك المنكرين لا ينتفعون بهذا الطريق ايضا لانهم اذا راوا معجزة
قاهرة واية باهرة حملوها على انها سحر وسخروا منها واستهزوا بها وهذا هو المراد من قوله
تعالى واذا راوا اية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين قوله تعالى ايذا متنا وكنا ترابا
وعظاما اينا لمبعوثون وهذا بيان للسبب الذي حملهم على الاستهزا بجميع المعجزات وهو اعتقادهم
ان من مات وتفرقت اجزاوه في العالم فما فيه من الارض اختلط بتراب الارض وما فيه من
المايية والهوايية اختلط ببخارات العالم فهذا الانسان كيف يعقل عوده بعينه حيا ثابتا ثم
انه تعالى لما حكى عنهم هذه الشبهة قال تعالى قل يا محمد نعم وانتم داخرون اي نعم تبعثون
وانتم صاغرون والدخور اشد الصغار وانما اكتفى جل وتعالى بهذا القدر من الجواب لانه
ذكر في الاية المتقدمة البرهان القطعي على انه امر ممكن واذا ثبت الجواز القطعي فلا سبيل الى القطع
بالوقوع الا بالاخبار المخبر الصادق فلما قامت المعجزات على صدق محمد صلى الله عليه وسلم
كان واجب الصدق فان مجرد قوله نعم دليل قاطع على الوقوع قوله تعالى او اباونا قرا ابن
عامر وقالون بسكون الواو وعلى انها او العاطفة المقتضية للشك والباقون بفتحها على انها همزة
استفهام دخلت على واو العطف وهذا الخلاف جار ايضا في الواقعة وقد تقدم مثل هذا في الاعراف
في قوله تعالى او امن اهل القرى فمن فتح الواو ففي اباونا وجهان احدهما ان يكون معطوفا
على محل ان واسمها والثاني ان يكون معطوفا على الضمير المستتر في لمبعوثون واستغني بالفصل بهمزة
الاستفهام ومن سكنها تعين فيه الاول دون الثاني على قول الجمهور لعدم الفاصل وقد اوضح هذا
الزمخشري حيث قال او اباونا معطوف على محل ان واسمها او على الضمير في لمبعوثون والذي جوز
العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام قال ابو حيان اما قوله معطوف على محل ان واسمها فمذهب
سيبويه خلافه فان قولك ان زيدا قايم وعمرو فيه مرفوع بالابتدا وخبره محذوف واما قوله
او على الضمير في لمبعوثون الى اخره فلا يجوز ايضا لان همزة الاستفهام لا تدخل الا على الجمل لا على
المفرد لانه اذا عطف على المفرد وكان الفعل عاملا في المفرد بواسطة حرف العطف وهمزة الاستفهام
لا يعمل ما قبلها فيما بعدها فقوله تعالى جل ذكره سبحانه لا اله الا هو او اباونا مبتدا محذوف
الخبر تقديره او اباونا مبعوثون يدل عليه ما قبله فاذا قلت اقام زيد وعمرو فعمرو مبتدا محذوف
الخبر لما ذكرنا قال شهاب الدين رحمه الله اما الرد الاول فلا يلزم لانه لا يلتزم مذهب سيبويه
واما الثاني فان الهمزة موكدة للاولى فهي داخلة في الحقيقة على الجملة الا انه فصل بين الهمزتين
بان واسمها وخبرها ويدل على هذا ما قاله هو في سورة الواقعة فانه قال دخلت همزة الاستفهام
على حرف العطف فان قلت كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تاكيد بنحن قلت حسن
للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما اشركنا ولا اباونا لفصل الموكدة بالنفي انتهى فلم يذكر
هنا غير هذا الوجه وتشبيهه بقوله لفصل الموكدة للنفي لان لا موكدة للنفي المتقدم بما الا ان هذا
مشكل بان الحرف اذا كرر للتوكيد لم يعد في الامر العام الا باعادة ما اتصل به او لا او بضميره وقد
مضى القول فيه ويحصل في رفع اباونا ثلاثة اوجه العطف على محل ان واسمها والعطف على
الضمير المستكن في لمبعوثون والرفع على الابتدا والخبر مضمر والعامل في اذا محذوف اي انبعث
اذا متنا هذا اذا جعلتها ظرفا غير متضمن لمعنى الشرط فان جعلتها شرطية كان جوابها عاملا
فيها اي اذا متنا بعثنا او حشرنا وقري اذا دون استفهام وقد مضى القول فيه في الوعد قوله
تعالى وانتم داخرون جملة حالية العامل فيها الجملة القايمة مقامها نعم اي تبعثون وانتم
صاغرون اذلا قال ابو حيان وقرا ابن وثاب نعم بكسر العين وتقدم ان الكساي قراها

كذلك جيت وقعت وكلامه هنا موهم ان ابي ونات منفرد بها قوله تعالى فانما هي قال
الزمخشري فانما هي جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما هي الا زجرة واحدة قال
ابو حيان وكثيرا ما تضمن جملة الشرطية قبل فما اذا شاع تقديره ولا ضرورة تدعوا الي ذلك
ولا يحذف الشرط ويبقى جوابه الا اذا انجزم الفعل في الذي يطلق عليه انه جواب للامر والنهي
وما ذكر معهما اما ابتدا فلا يجوز حذفه قوله تعالى هي ضمير البعثة المدلول عليها بالسياق
لما كانت بعثتهم ناشية عن الزجرة جعلت اياها مجازا وقال الزمخشري هي مبهمة يوضحها خبرها
قال ابو حيان وكثيرا ما يقول هو وابن مالك ان الضمير يفسره خبره ووقف ابو حاتم على ويلنا
وجعل ما بعده من قول الباري تعالى وبعضهم جعل هذا يوم الدين من كلام الكفرة فيقف عليه
وقول هذا يوم الفصل من قول الباري تعالى وقيل الجمع من كلامهم وعلى هذا فيكون قوله
تكذبون اما التفاتا من التكلم الي الخطاب واما مخاطبة بعضهم لبعض **فصل** لما بين
في الايات المتقدمة ما يدل على انكار البعث والقيمة واردفه بما يدل على وقوع القيمة ذكر
في هذه الايات بعض تفاصيل احوال القيمة فمنها قوله تعالى فانما هي زجرة واحدة اي قضية
البعث والقيمة زجرة واحدة اي صيحة واحدة وهي نفخة البعث فاذا هم ينظرون اي احيا
ينظر بعضهم الي بعض وقيل ينتظرون ما يحدث لهم او ينظرون الي البعث الذي كذبوا به
والزجرة هي الصيحة التي يزجر بها كالزجرة بالنعم والابل عند الحث ثم كثير استعمالها حتى
صارت بمعنى الصيحة قال ابن الخطيب ولا يبعد ان يقال تلك الصيحة انما سميت زجرة لانها
تزجر الموتى عن الرقود في القبور ويحثهم على القيام من القبور الي الحضور في موقف
القيمة فان قيل ما الفايدة في هذه الصيحة للاموات وهذه النفخة جارية مجري السبب
لحياتهم فيكون متقدمة على حياتهم فلزم ان هذه الصيحة انما تكون حال كونهم امواتا فتكون
الصيحة عديمة الفايدة فهي عبث والعبث لا يجوز في فعل الله فالجواب على قول اهل السنة
يفعل الله ما يشا واما المعتزلة فقال القاضي فيه وجهان الاول ان تعتبر بها الملايكة والثاني
ان يكون فايدتها التخويف والارهاب **فصل** وهذه الصيحة لا تاثير لها في الحياة
بدليل ان الصيحة الاولي استعقبها الموت والثانية الحيوة وذلك يدل على ان الصيحة لا اثر
لها في الموت ولا في الحيوة بل خالق الموت والحياة هو الله تبارك وتعالى كما قال الذي خلق
الموت والحيوة روي ان الله تعالى يامر اسرافيل فينادي ايتها العظام النخرة والجلود البالية
والاجزا المتفرقة اجتمعوا باذن الله تعالى الحالة الثانية من تفاصيل احوال القيمة قولهم
بعد القيام من القبور يا ويلنا هذا يوم الدين اي يوم الحساب ويوم الجزا قال الزجاج الويل
كلمة يقولها القايل وقت الهلكة ويحتمل ان يكون المراد بقولهم هذا يوم الدين اي اليوم المذكور
في قوله تعالى مالك يوم الدين اي لا مالك في ذلك اليوم الا الله تعالى واما قوله عز وجل هذا يوم
الفصل الذي كنتم به تكذبون تقدم الكلام على قايله هل هو من كلام الله تعالى او من الملايكة
او من كلام المومنين او من كلام الكفار وقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وهذا من كلام الملايكة والمراد
احشروا الذين اشركوا الي الموقف للحساب والجزا فان قيل ما معنى احشروا مع انهم قد حشروا من قبل
وحضروا محفل القيمة وقالوا هذا يوم الدين وقالت الملايكة لهم بل هذا يوم الفصل اجاب
القاضي عنه وقال المراد احشروهم الي دار الجزا وهي النار ولذلك قال بعده فاهدوهم الي صراط
الجحيم اي دلوهم على ذلك الطريق ثم سال نفسه وقال كيف يصح ذلك وقد قال بعده وقفوهم
انهم مسيولون ومعلوم ان حشرهم الي الجحيم انما يكون بعد المسايلة فاجاب بانه ليس في العطف بحرف
الواو ترتيب ولا يمتنع ان يقال احشروهم وقفوهم انا بقولنا نعلم ان الوقوف كان قبل الحشر الي
النار قال ابن الخطيب رحمه الله وعندي فيه وجه اخر وهو انه يقال انهم اذا قاموا من قبورهم لم
يبعد ان يقفوا هناك لحيرة تلحقهم لمعاينتهم اهوال القيمة ثم ان الله تعالى يقول للملايكة
احشروا الذين ظلموا واهدوهم الي صراط الجحيم اي سوقوهم الي طريق جهنم وقفوهم هناك ويحصل
السوال هناك ثم من هناك يساقون الي النار قوله تعالى وازواجهم العامة على نصبه وفيه
وجهان احدهما العطف على الموصول والثاني انه مفعول معه قال ابو البقا وهو في المعنى اقوي
وانما قال في المعنى لانه في الصناعة ضعيف لانه امكن العطف فلا يعدل عنه وقرا عيسى بن سليمان

الجحازي بالرفع عطفا على ضمير ظلموا وهو ضعيف لعدم الفاصل وقوله تعالى وما كانوا يعبدون
ولا يجوز فيه هذا الا انه لا ينسب اليهم ظلم ان لم يرد بهم الشياطين وان اريد بهم ذلك جاز فيه الرفع
ايضا على ما تقدم قوله تعالى انهم مسيولون العامة على الكسر على الاستيناف المفيد للعلة وقري
بفتحها على حذف لام العلة اي قفوهم لاجل سوال الله اياهم **فصل** المراد بالازواج
اشباههم وامثالهم واتباعهم قال قتادة والكلبي كل من عمل مثل عملهم فاهل الخمر مع اهل الخمر
واهل الزنا مع اهل الزنا واليهود مع اليهود والنصاري مع النصارى لقوله تعالى وكنتم ازواجا
ثلاثة اي اشكالا واشباها ويقول عندي من هذا ازواج اي امثال ويقول زوجات من الخف لان
كل واحد منهما نظير الاخر وكذلك الرجل والمراة يسميان زوجين لكونهما متشابهين وكذلك العدد
الزوج وقال الضحاك ومقاتل قرناوهم من الشياطين كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقال الحسن
ازواجهم المشركات وما كانوا يعبدون من دون الله في الدنيا يعني الاوثان والطواغيت وقال
مقاتل يعني ابليس وجنوده لعنه الله عليهم لقوله عز وجل الا يعبدوا الشيطان فاهدوهم الي صراط
الجحيم قال ابن عباس دلوهم الي طريق النار وقال ابن كيسان والاصم قدموهم والعرب تسمي
السابق هاديا قال الواحدي وهذا وهم لانه يقال هدي اذا تقدم ومنه الهادية والهوادي
وهاديات الوحش ولا يقال هدي بمعنى قدم وقفوهم احبسوهم قال وقفت الدابة اقفها وقفا فوقفت
هي وقوفا قال المفسرون لما سيقوا الي النار عند الصراط لان السوال عند الصراط فقال جل ذكره
قفوهم انهم مسيولون قال ابن عباس عن اقوالهم وافعالهم وقيل تسالهم الخزنة الم ياتكم نذير
رسل منكم رسل بالبينات قالوا بلي ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ويجوز ان يكون
هذا السوال هو قوله بعد ذلك ما لكم لا تناصرون قال ابن عباس رضي الله عنه لا ينصر بعضكم
بعضا كما كنتم في الدنيا وذلك ان ابا جهل قال يوم بدر نحن جميع منتصر فقيل لهم يوم القيمة ما لكم
لا تناصرون وقيل يقال للكفار ما لشركايكم لا يمنعونكم من العذاب قوله تعالى ما لكم يجوز ان
يكون منقطعا عما قبله والمسيول عنه غير مذكور ولذلك قدره بعضهم عن اعمالهم ويجوز ان
يكون هو المسيول عنه في المعنى فيكون معلقا للسوال ولا تناصرون جملة حالية العامل فيها
الاستقرار في لكم وقيل بل هي على حذف حرف الجر وان الناصبة فلما حذفت ان ارتفع الفعل
والاصل في ان لا وتقدمت قراة البزي لا تناصرون بتشديد التا وقري تتناصرون على الاصل
قوله تعالى بل هم اليوم مستسلمون قال ابن عباس خاضعون وقال الحسن منقادون يقال
استسلم للشي اذا انقاد له وخضع والمعني هم اليوم لا منقادون لا حيلة في دفع تلك المضار
قوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قيل الروسا والاتباع يتساءلون يتخاصمون وقيل
هم والشياطين يقولون انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من قبل الدين فتضلوننا عنه قاله
الضحاك وقال مجاهد عن الصراط الحق واليمين عبارة عن الدين والحق كما اخبر الله عز وجل عن
ابليس لعنه الله عليه ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم فمن اتاه
الشيطان من قبل اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق واليمين هنا استعارة عن
الخيرات والسعادات لان الجانب الايمن افضل من الجانب الايسر اجماعا ولا يباشر الاعمال الشريفة
الا بالايمان باليمين ويتفالون بالجانب الايمن ويسمونه البارح وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يحب التيامن في شانه كله وكاتب الحسنات من الملايكة على اليمين ووعد النبي المحسن ان يعطيه
الكتاب باليمين وقيل ان الروسا كانوا يحلفون للمستضعفين ان ما يدعونهم اليه هو الحق فو
ثقوا بايمانهم وقيل عن اليمين اي عن القوة والقدرة كقوله تعالى لاخذنا منه باليمين قوله
تعالى عن اليمين حال من فاعل تاتوننا واليمين اما الجارحة عبر بها عن القوة واما الحلف لان
المتعاقدين بالحلف يمسح كل منهما يمين الاخر فالتقدير على الاول تاتوننا اقويا وعلى الثاني
مقسمين حالفين قوله تعالى بل لم تكونوا مومنين وهذا جواب الروسا للاتباع اي ما كنتم موصوفين
بالايمان حتى يقال انا ازللناكم عنه وانما الكفر من قبلكم وما كان لنا عليكم من سلطان من قوة
وقدرة حتى نقهركم ونجبركم بل كنتم قوما طاغين ضالين فحق علينا وجب علينا جميعا قول ربنا
يعني كلمة العذاب وهو قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين قوله تعالى انا
لذايقون الظاهر انه من اخبار الكفرة المتبوعين او الجن بانهم ذايقون العذاب ولا عدوان

في هذا الكلام وقال الزمخشري ولزمنا قول ربنا انا لذايقون يعني وعيد الله بانا لذايقون لعذابه لا محالة ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذايقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قول القايل • لقد علمت هوازن قل مالي • ولو حكى قولها لقال • قل مالك ومنه قول المحلف للحالف احلف لاخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية الحالف والتاء لاقبال المحلف على المحلف قوله تعالى فاغويناكم انا كنا غاوين اي انما اقدمنا على اغوايكم لانا كنا موصوفين في انفسنا بالغواية وفيه دقيقة اخرى كانهم قالوا ان اعتقدتم ان غوايتكم بسبب اغوائنا فغوايتنا ان كانت بسبب اغواينا لزم التسلسل وذلك محال فعلمنا ان حصول الغواية والرشاد ليس من قبلنا بل من قبل غيرنا وذلك الغير هو الذي ذكره فيما قبل وهو قوله تعالى فحق علينا قول ربنا ثم قال تعالى بعده فانهم يومئذ في العذاب مشتركون يعني الرؤسا والاتباع يومئذ بتساءلون ويراجعوا الكلام فيما بينهم ثم قال تعالى انا كذلك نفعل بالمجرمين اي الكفار قال ابن عباس رضي الله عنه الذين جعلوا لله شركا ثم وصفهم بانهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقرا ابن كثير اينا لتاركوا بهمزة وبيا بعدها خفيفة والف ساكنة بلا مد وقرا نافع في رواية قالون وابو عمرو كذلك وعدان والباقون بهمزتين بلا مد ثم انه تعالى كذبهم في ذلك الكلام بقوله بل جا الحق اي جا بالدين الحق قوله تعالى وصدق المرسلين اي صدقهم محمد صلى الله عليه وسلم يعني صدقهم في مجيئهم بالتوحيد وقراه عبد الله صدق خفيف الدال المرسلون فاعل به اي صدقوا فيما جاوا به ثم التفت من الغيبة الى الحضور فقال سبحانه وتعالى انكم لذايقوا العذاب الاليم قوله تعالى لذايقوا العذاب العامة على حذف النون والجر وقرا بعضهم باثباتها والنصب وهو الاصل وقرا ابان بن تغلب عن عاصم وابو السماك في رواية بحذف النون والنصب اجري النون مجرى التنوين في حذفها لالتقا الساكنين كقوله تعالى احد الله الصمد ولا ذاكر الله الا قليلا وقال ابو البقا وقري شاذا بالنصب وهو سهو من قاريه لان اسم الفاعل يحذف منه النون وينصب اذا كان فيه الالف واللام قال شهاب الدين رحمه الله وليس بسهو لما تقدم وقرا ابو السماك ايضا لذايق بالافراد والتنوين العذاب نصبا وتخريجه على حذف اسم جمع هذه صفته اي انكم لفريق او لجمع ذايق ليتطابق الاسم والخبر في الجمعية ثم كانه قيل فكيف يليق بالرحيم الكريم المتعالي عن النفع والضرار ان يعذب عباده فاجاب بقوله عز وجل وما تجزون الا ما كنتم تعملون اي الا جزا ما كنتم تعملون قوله تعالى الا عباد الله استثنا منقطع اي لكن عباد الله المخلصين الموحدين وقوله اوليك بيان لحالهم وقد تقدم في فتح اللام وكسرها من المخلصين قراتان فمن قرا بالفتح فالمعنى ان الله تبارك وتعالى اخلصهم واصطفاهم بفضله والكسر هو انهم اخلصوا الطاعة لله تعالى والرزق المعلوم قيل بكرة وعشيا لقوله تبارك سبحانه وتعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فيكون المراد منه معلوم الصفة اي مخصوصا بصفات من طيب طعم ولذة وحسن منظر وقيل معناه انهم يتيقنون دوامه لا كرزق الدنيا الذي لا يعلم متى يحصل ومتى ينقطع وقيل معلوم القدر الذي يستحقونه باعمالهم من ثواب الله عز وجل وقد بين انه تعالى يعطيهم غير ذلك تفضلا قوله تعالى فواكه يجوز ان يكون بدلا من رزق وان يكون خبر مبتدا مضمر اي ذلك الرزق فواكه وفي الفواكه قولان احدهما انها عبارة عما يوكل للتلذذ لا للحاجة وارزاق اهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات فان اجسامهم محكومة مخلوقة للابد على الاعلى اي لما كانت الفواكه حاضرة ابدا كان الماكول للغذا اولى بالحضور قوله تعالى وهم مكرمون قرا العامة مكرمون خفيفة الرا وابو مقسم بتشديدها والمعنى وهم مكرمون بثواب الله في جنات النعيم لما ذكرها كولهم ذكر مساكنهم وقوله تبارك وتعالى في جنات يجوز ان يتعلق بمكرمون وان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا قوله تعالى على سرر العامة على ضم الرا وابو السماك بفتحها وهي لغة بني كلب وتميم يفتحون عين فعل جمعا اذا كان اسما مضاعفا واما الصفة نحو ذلك ففيها خلاف والصحيح انه لا يجوز لان السماع ورد في الجوامد دون الصفات وعلى سرر متقابلين حال ويجوز ان يتعلق على سرر بمتقابلين ويطاف صفة لمكرمون او حال

من الضمير في متقابلين او من الضمير في احد الجارين اذا جعلناه حالا ومعنى متقابلين لا يري بعضهم قفا بعض ولما ذكر الماكول والمسكن ذكر بعده صفة المشرب فقال جل وعز يطاف عليهم بكاس من معين والكاس من الزجاج ما دام فيه شراب والا فهو قدح وقد يطلق الكاس على الخمر نفسها وهو مجاز سايغ وانشد • وكاس شربت على لذة • واخرى تداويت منها بها •
ومن معين صفة لكاس والمعين معناه الخمر الجارية في الانهار اي ظاهرة تراها العيون وتقدم الكاس في معين وعن الاخفش كل كاس في القران فهي الخمر وقوله تعالى من معين اي من شراب معين اومن نهر معين ماخوذ من عين الما اي يخرج من العيون كما يخرج الما وسمي عينا لظهوره يقال عان الما اذا ظهر جاريا يلعب فهو مفعول من العيون نحو مبيع ومكيل وقيل سمي معينا لانه يجري ظاهرا للعين كما تقدم ويجوز ان يكون فعيلا من المعين وهذا الما الشديد الجري ومنه امعن في السير اذا اشتد فيه قوله تعالى بيضا صفة لكاس وقال ابو حيان صفة للكاس او للخمر قال شهاب الدين لم يذكر الخمر اللهم الا ان يعني بالمعين الخمر وهو بعيد جدا ويمكن ان يجاب بان الكاس انما سميت كاسا اذا كان فيها الخمر وقرا عبد الله صفرا وهي مخالفة للسواد الا انه تدرجا وصفها بهذا اللون وانشد لبعض المتولدين •
• صفرا لا تنزل الاحزان ساحتها • لو مسها حجر مسته سرا •
ولذة صفة ايضا وصفت بالمصدر مبالغة كانها نفس اللذة وعينها كما يقال فلان جود وكرم اذا ارادوا المبالغة وقال الزجاج او على حذف المضاف اي ذات لذة او على تانيث لذ بمعنى لذيذ فيكون وصفا على فعل كصعب يقال لذ الشيء يلذ لذا فهو لذ ولذيذ ولذ وانشد •
• بحديثها اللذ لو كلمت • اسد الفلاة به اتين سراعا • وقال اخر
• ولذ كطعم الصرخدي تركته • بارض العدي من خشية الحدثان •
واللذيذ كل شي يستطاب وانشد • يلذ لطعمه وتخال فيه • اذا نبهتها بعد المنام •
وللشاربين صفة للذة وقال الليث اللذة واللذيذ يجريان مجرى واحد في النعت يقال شراب لذ ولذيذ قال تعالى بيضا لذة للشاربين وقال تعالى من خمر لذة للشاربين وعلى هذا لذة بمعنى لذيذة قوله تعالى لا فيها غول صفة ايضا وبطل عمل لا وتكررت لتقدم خبرها وتقدم اول البقرة فايدة تقديم مثل هذا الخبر والبحث مع ابي حيان قال الفرا رحمه الله العرب تقول ليس فيها غيلة وغايلة وغول سوا وقال ابو عبيدة الغوال ان تغتال عقولهم وانشد قول مطيع بن اياس • وما زالت الكاس تغتالهم • وتذهب بالاول فالاول •
وقال الليث رحمه الله الغول الصداع والمعنى ليس فيها صداع كما في خمر الدنيا وقال الواحدي الغول حقيقته الاهلاك يقال غاله غولا واغتاله اي اهلكه والغول والغايل المهلك وسمي الموضع غولا لانه يودي الى الهلاك والغول كلما اغتالك اي اهلكك ومنه الغول بالضم شي توهمته العرب ولها فيه اشعار كالعنقا يقال غالته كذا ومنه الغيلة في القتل والرضاع قال معنى • اولونا ماعين لعيشهم • جميعا وغالتني بمكة غول •
فالغول اسم لجميع الاذى وقال الكلبي لا فيها اثم وقال قتادة وجع البطن وقال اهل المعاني الغول فساد يلحق امرا في خفية وخمر الدنيا يحصل فيها انواع من الفساد منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن والصداع والقي والبول ولا يوجد شي من ذلك في خمر الجنة قوله تعالى ولا هم عنها ينزفون قرا الاخوان ينزفون هنا وفي الواقعة بضم اليا وكسر الزاي ووافقهما عاصم على ما في الواقعة فقط والباقون بضم اليا وفتح الزاي وابن ابي اسحاق بالفتح والكسر والضم فالقراة الاولى من انزف الرجل كذا اذا ذهب عقله من السكر فهو نزيف ومنزوف وكان قياسه منزف كمكرم ونزف الرجل الخمرة فانزف هو فلا بنية متعد وربما عبث بالهمز قاصر وهو نحو كببته فاكب وقشعت الريح السحاب فاقشع اي دخلا في الكب والقشع وقال الاسود
• لعمري لين انزفتم او صحوتم • لبيس الندامى انتم ال ابجرا •
ويقال انزف ايضا نفذ شرابه واما الثانية فمن نزف الرجل فلاثيا مبنيا للمفعول بمعنى سكر وذهب عقله ايضا ويجوز ان تكون هذه القراة من انزف ايضا بالمعنى المتقدم وقيل هو من قولهم نزفت الركية اي نزحت ماوها والمعنى لا تذهب خمورهم بل هي باقية ابدا وضمن

ينزفون معنى يصدون عنها بسبب التزيف واما القراتان الاخيرتان فيقال نزف الرجل ونزف بالكسر والضم بمعنى ذهب عقله بالسكر ولما ذكر تعالى صفة مشربهم ذكر عقيبه صفة منكوحهم فقال عز وجل وعندهم قاصرات الطرف عين فقوله جل ذكره قاصرات الطرف يجوز ان من باب اضافة الصفة المشبهة اي قاصرات اطرافهن لمنطق اللسان وان يكون من باب اسم الفاعل على اصله فعلى الاول المضاف اليه مرفوع المحل وعلى الثاني منصوبه اي قصرت اطرافهن على ازواجهن وهو مدح عظيم قال امرؤ القيس •

• من القاصرات الطرف لو دب محول • من الذر فوق الاتب منها لاثرا •

ومعنى القصر في اللغة الحبس ومنه قوله تعالى مقصورات في الخيام والمعنى انهن يحبسن نظرهن ولا ينظرن الى غير ازواجهن والعين جمع عينا وهي الواسعة العين والذكر اعين قال الزجاج كبار الاعين حسانها يقال رجل اعين وامرأة عينا ورجال ونسا عين قوله تعالى كانهن بيض مكنون والبيض جمع بيضة وهو معروف والمراد هنا بيض النعام المكنون المصون المستور من كنفته اي جعلته في كن والعرب تشبه المراة بها في لونها وهو بياض مشوب ببعض صفرة والعرب تحبه قال امرؤ القيس

• وبيضة خدر لا يرام خباؤها • تمتعت من لهو بها غير معجل •

• كبكر مقاناة البياض بصفرة • غذاها نمير الما غير المحلل •

وقال ذو الرمة • بيضا في برج صفرا في غنج • كانها فضة قد مسها ذهب •

وقال في راي العين مشبهة للاحري وهو في غاية المدح وقد لحظ هذا بعض الشعرا حيث قال

• تناسبت الاعضا فيها فلا ترى • بهن اختلافا بل اتين على قدر •

وجمع البيض على بيوض قال •

• بتيهاء قفر والمطي كانها • قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها •

قال الحسن شبههن ببيض النعام تكنها بالريش من الريح والغبار فلونها ابيض في صفرة يقال هذا احسن الوان النسا تكون المراة بيضا مشربة بصفرة وانما ذكر المكنون والبيض جمع مونث لانه رده الى اللفظ قوله فاقبل بعضهم على بعض وهذا عطف على قوله تعالى يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب قال •

• وما بقيت من اللذات الا • محادثة الكرام على المدام •

واتى بقوله فاقبل ماضيا لتحقق وقوعه كقوله عز وجل ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار وقوله تعالى يتساءلون حال من فاعل اقبل والمعنى ان اهل الجنة يسال بعضهم بعضا عن حاله في الدنيا قوله تعالى قال قايل منهم اني كان لي قرين اي في الدنيا ينكر البعث ويقول اانك لمن المصدقين اي كان يوبخني على التصديق بالبعث والقيمة ويقول تعجبا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما اانا لمدينون اي لمحاسبون ومجازون والمعنى ان ذلك القرين كان يقول هذه الكلمات على سبيل الاستكبار واعلم انه تعالى لما ذكر ان اهل الجنة يتساءلون عند اجتماعهم على الشرب ويتحدثون كانت من جملة كلماتهم انهم يتذكرون ما كان قد حصل لهم في الدنيا مما يوجب الوقوع في عذاب الله ثم انهم تخلصوا عنه وفازوا بالسعادة الابدية قال مجاهد كان ذلك القرين شيطانا وقيل كان من الانس وقال مقاتل كانا اخوين وقيل كانا شريكين حصل لهما ثمانية الاف دينار فتقاسماها واشترى احدهما دارا بالف دينار فاراها صاحبه وقال ترى كيف حسنها فقال ما احسنها ثم خرج فتصدق بالف دينار وقال اللهم ان صاحبي قد ابتاع هذه الدار بالف دينار واني اسالك دارا من دور الجنة ثم ان صاحبه تزوج امراة حسنا بالف دينار فتصدق صاحبه بالف دينار لاجل ان يزوجه الله تعالى من الحور العين ثم ان صاحبه اشترى بساتين بالفي دينار فتصدق هذا بالفي دينار ثم ان الله تعالى اعطاه ما طلب في الجنة وقيل كان احدهما كافرا اسمه بطروس والاخر مومن اسمه يهوذا وهما اللذان قص الله خبرهما في الكهف واضرب لهم مثلا رجلين قوله تعالى لمن المصدقين العامة على تخفيف الصاد من التصديق اي لمن المصدقين بلقا الله وقرئ بتشديدها من الصدقة واختلف القراء في هذه الاستفهامات الثلاثة وهي قوله عز وجل انك لمن المصدقين اذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمدينون فقرا نافع الاولى والثانية بالاستفهام بهمزة غير ممدودة والثالث بكسر الالف من غير استفهام ووافقه الكسائي

الا انه يستفهم الثانية بهمزتين وابن عامر الاول والثالث بالاستفهام بهمزتين والثانية بكسر الالف من غير استفهام والباقون بالاستفهام في جميعها ثم اختلفوا فابن كثير يستفهم بهمزة واحدة غير مطولة وبعده ساكنة خفيفة وابو عمرو مطولة وعاصم ثم ان ذلك الرجل يقول لجلسائه يدعوهم الى كمال السرور بالاطلاع الى النار لمشاهدة ذلك القرين ومخاطبته هل انتم مطلعون الى النار فيقول اهل الجنة انت اعرف به منا فاطلع انت قال ابن عباس ان في الجنة كوى ينظر اهلها الى النار وقوله تعالى مطلعون قرا العامة بتشديد الطا مفتوحة وبفتح النون فاطلع ماضيا مبنيا للفاعل افتعل من الطلوع وقرا ابن عباس رضي الله عنه في اخرين ورد عن ابي عمرو بسكون الطا وفتح النون فاطلع بقطع همزة مضمومة وكسر اللام ماضيا مبنيا للمفعول ومطلعون على هذه القراءة يحتمل ان يكون قاصرا اي مقبلون اطلع علينا فلان اي اقبل وان يكون متعديا ومفعوله محذوف اي اصحابكم وقرا ابو البرهسم وحماد بن ابي عمار مطلعون خفيفة الطا مكسورة النون فاطلع مبنيا للمفعول ورد ابو حاتم وغيره هذه القراءة من حيث الجمع بين النون وضمير المتكلم اذ كان قياسها مطلعي والاصل مطلعوي فابدل فادغم نحو جا مسلمي العاقلون وقوله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم وقد وجهها ابن جني على انها اجرى فيها اسم الفاعل مجرى المضارع يعني في اثبات النون مع الضمير وانشد الطبري على ذلك •

• وما ادري وظني كل ظن • امسلمني الى قومي شراحي •

واليه نحا الزمخشري فقال او شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتاخي بينهما كانه قال يطلعون وهو ضعيف لا يقع الا في شعر وذكر فيها توجيها اخر فقال اراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله • هم الفاعلون الخير والامرونه •

ورده ابو حيان بان هذا ليس من مواضع المنفصل حتى يدعي ان المتصل وقع موقعه لا يجوز هند زيد ضارب اياها ولا زيد ضارب اياي قال شهاب الدين انما لم يجز ما ذكر لانه اذا قدر على المتصل لم يعدل الى المنفصل ولقايل ان يقول لا اسلم انه يقدر على المتصل حالة ثبوت النون او التنوين قبل الضمير بل يصير الموضع موضع الضمير المنفصل فيتضح ما قاله الزمخشري وللنحاة في اسم الفاعل المنون قبل يا المتكلم نحو البيت المتقدم وقول الاخر

• فهل فتى من سراة القوم يحملني • وليس حاملي الا ابن حمال •

وقول الاخر • وليس بمعييني وفي الناس ممتع • صديق وقد اعيى على صديق •

قولان احدهما انه تنوين وانه شذ ثبوته مع الضمير وان قلنا ان الضمير بعده في محل نصب والثاني انه ليس تنوينا وانما هو نون وقاية واستدل ابن مالك على هذا بقوله وليس بمعييني وبقوله ايضا • وليس بمواتيني وفي الناس ممتع • صديق اذا اعيى على صديق •

ووجه الدلالة من الاول انه لو كان تنوينا لكان ينبغي ان يحذف اليا قبله لانه منقوص منون والمنقوص المنون تحذف ياوه رفعا وجرا لالتقا الساكنين ووجهها من الثاني ان الالف واللام لا تجامع التنوين والذي يرجح القول الاول ثبوت النون في قوله والامرونه وفي قول الاخر • ولم يرتفق والناس محتضرونه • جميعا وايدي المعتفين رواهقه •

فان النون قايمة مقام التنوين تثنية وجمعا على حدها وقال ابو البقا ويقرا وان كانت نون الجمع فلا تثبت في الاضافة وهذا لتزويده صحيح لولا ما تقدم من الجواب عنه مع تكلف فيه وخروج عن القواعد وقرئ مطلعون بالتشديد كالعامة فاطلع مخففا ماضيا ومخففا مضارعا منصوبا على ما تقدم يقال طلع علينا فلان واطلع كاكرم واطلع بالتشديد بمعنى واحد واما قراءة من بنى الفعل للمفعول ففي القايم مقام الفاعل ثلاثة اوجه احدها انه مصدر الفعل اي اطلع الاطلاع الثاني الجار المقدر الثالث وهو الصحيح انه ضمير القايل لاصحابه لما قال لانه يقال طلع زيد واطلعه غيره فالهمزة فيه للتعدية واما الوجهان الاولان فذهب اليهما ابو الفضل الرازي في لوامحه فقال طلع واطلع اذا بدا وظهر واطلع اطلاعا اذا جاء واقبل ومعنى ذلك هل انتم مقبلون فاقبل وانما اقيم المصدر مقام الفاعل بتقدير فاطلع الاطلاع او بتقدير حرف الجر المحذوف اي اطلع به لان اطلع لازم كما ان اقبل كذلك ورده عليه ابو حيان هذين الوجهين فقال قد ذكرنا ان اطلع بالهمزة معدى بها من طلع

اللازم واما قوله او حرف الجر المحذوف اي اطلع به فهذا لا يجوز لان مفعول ما لم يسم فاعله
لا يجوز حذفه لانه نايب عنه فكما ان الفاعل لا يجوز حذفه دون عامله فكذلك هذا ولو قلت
زيد ممرور او مغضوب ثم تريد به او عليه لم يجز قال شهاب الدين ابو الفضل لا يدعي ان النايب
عن الفاعل محذوف وانما قال بتقدير حرف الجر المحذوف ومعنى ذلك انه لما حذف حرف الجر
اتساعا انقلب الضمير مرفوعا فاستتر في الفعل كما يدعي ذلك في حذف عايد الموصول المجرور
عند عدم شروط الحذف ويسمى الحذف على التدريج وقوله فراه عطف على فاطلع وسواء
الجحيم وسطها واحسن ما قيل فيه ما قاله ابن عباس سمي بذلك لاستواء المسافة منه الى الجوانب
وعن عيسى بن عمر رضي الله عنه انه قال لابي عبيدة كنت اكتب حتى ينقطع سواي قوله
تعالى تالله قسم فيه تعجب وان مخففة او نافية واللام في لتردين فارقة او بمعنى الا وعلى
التقديرين وهو جواب القسم اعني ان وما في حيزها **فصل** قال المفسرون انه ذهب
الى اطراف الجنة فاطلع عندها الى النار فراه في سواء الجحيم اي في وسط الجحيم فقال له
توبيخا تالله ان كدت لتردين اي والله لقد كدت ان تهلكني وقال مقاتل والله لقد
كدت ان تغويني ومن اغوى انسانا فقد اهلكه والردى الهلاك اي لتهلكني بدعايك
اياي الى انكار البعث والقيمة ولولا نعمة ربي اي رحمة ربي وانعامه علي بالاسلام لكنت
من المحضرين معك في النار ولما تم الكلام مع قرينه الذي هو في النار عاد الى مخاطبة
جلسايه من اهل الجنة وقال افما نحن بميتين قال بعضهم ان اهل الجنة لا يعلمون في اول
دخولهم الجنة انهم لا يموتون فاذا جي بالموت على صورة كبش املح وذبح يقول اهل الجنة للملايكة
افما نحن بميتين فيقول الملايكة لا فعند ذلك يعلمون انهم لا يموتون وعلى هذا فالكلام حصل
قبل ذبح الموت وقيل ان الذي تكاملت سعادته اذا عظم تعجبه بها يقول ذلك والمعنى
اهذا الي على جهة الحديث بنعمة الله عليه وقيل يقوله المومن لقرينه توبيخا له بما كان ينكره
قوله تعالى بميتين قرا زيد بن علي بمايتين وهما مثل ضيق وضايق كما تقدم وقوله افما
فيه الخلاف المشهور فقدره الزمخشري انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين وغيره يجعل
الهمزة متقدمة على الفا قوله تعالى الا موتتنا منصوب على المصدر والعامل فيه
الوصف قبله ويكون استثناء مفرغا وقيل هو استثناء منقطع اي لكن الموتة الاولى كانت لنا
في الدنيا وهذا قريب في المعنى من قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وفي
فيما هناك بحث حسن قوله تعالى ان هذا لهو الفوز العظيم وهذا قول اهل الجنة عند
فراغهم من هذه المحادثات وقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون قيل انه من بقية
كلامهم وقيل انه ابتدا كلام من الله تعالى اي لمثل هذا النعيم الذي ذكرناه قوله تعالى
اذلك خير نزلا اي اذلك الذي ذكره لاهل الجنة خير نزلا ام شجرة الزقوم فنزلا تمييز لخير والخيرية
بالنسبة الى ما اختاره الكفار على غيره والزقوم شجرة مسمومة يخرج لها لبن متى مس جسم
احد تورم فمات والتزقم البلع بشدة وجهد للاشيا الكريهة وقول ابي جهل وهو من
العرب العربا لا نعرف الزقوم الا التمر بالزبد من العناد والكذب البحت **فصل** لما
ذكر ثواب اهل الجنة ووصفها وذكر ماكل اهل الجنة ومشاربهم وقال عز وجل لمثل هذا
فليعمل العاملون اتبعه فقال يا محمد اذلك خير ام شجرة الزقوم ليبصر ذلك زاجرا لهم عن
الكفر وذكر ماكل اهل النار ومشاربهم والنزل الفضل الواسع في الطعام يقال طعام كثير
النزل واستعير للحاصل من الشي ويقال ارسل الامير فلان نزلا وهو الشي الذي يحصل
حال من نزل بيشيه واذا عرف فحاصل الرزق المعلوم لاهل الجنة اللذة والسرور وحاصل شجرة
الزقوم الالم والغم ومعلوم انه لا نسبة لاحدهما الى الاخر في الخيرية الا انه جا هذا الكلام
اما على سبيل السخرية بهم او لاجل ان المومنين لما اختاروا ما اوصلهم الى الرزق الكريم والكافرين
اختاروا ما اوصلهم الى العذاب الاليم قيل لهم ذلك توبيخا لهم على اختيارهم قال الكلبي
لما نزلت هذه الاية قال ابن الزبعري اكثر الله في بيوتكم الزقوم فان اهل اليمن يسمون
التمر والزبد بالزقوم فقال ابو جهل لجاريته زقمينا فاتته بزبد وتمر وقال تزقموا قال
الواحدي ومعلوم ان الله تعالى لم يرد بالزقوم ههنا التمر والزبد قال ابن دريد لم يكن

للزقوم

للزقوم اشتقاق من التزقم وهو الافراط في اكل الشي حتى يكره ذلك يقال بات فلان يتزقم وظاهر
لفظ القران يدل على انها شجرة كريهة الطعم منتنة الرايحة شديدة الخشونة موصوفة بصفات
رديئة وانه تعالى يكره اهل النار على اكلها قوله تعالى انا جعلناها فتنة للظالمين اي الكافرين
وذلك ان الكفار لما سمعوا هذه الاية قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فاجيبوا بان
خالق النار قادر على ان يمنع النار من احراق الشجر لانه اذا جاز ان يكون في النار زبانية والله
تعالى يمنع النار عن احراقهم فلم لا يجوز مثله في هذه الشجرة فمعنى كون شجرة الزقوم فتنة للظالمين
هو انهم لما سمعوا هذه الاية وبقيت تلك الشبهة في قلوبهم وصارت سببا لتماديهم في الكفر فهو
المراد من كونها فتنة لهم او يكون المراد صيرورة هذه الشجرة فتنة لهم في النار لانهم اذا كلفوا تناولها
شق ذلك عليهم فحينئذ يصير ذلك فتنة في حقهم او يكون المراد من الفتنة الامتحان والاختبار فان
هذا شي بعيد عن العرف والعادة واذا ورد على سمع المومن فوض علمه الى الله تعالى واذا ورد على
الزنديق توسل به الى الطعن في القران والنبوة ثم انه تعالى وصف هذه الشجرة بصفات الاولى
قوله عز وجل انها شجرة تخرج في اصل الجحيم قال الحسن اصلها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها
الصفة الثانية قوله سبحانه طلعها اي ثمرها سمي طلعا لطلوعه قال الزمخشري الطلع للنخلة
فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية او معنوية قال ابن قتيبة سمي
طلعا لطلوعه كل سنة فلذلك قيل طلع النخل الاول ما يخرج من ثمره قوله تعالى رؤوس الشياطين
فيه وجهان احدهما انها حقيقة وان رؤوس الشياطين شجرة معينة بناحية اليمن ويسمى الاستن قال النابغة

• تحيد من استن سود اسافله • مشي الاماء الغوادي تحمل الحزما •

وهو شجر منكر الصورة سمته العرب بذلك تشبيها برؤوس الشياطين في القبح ثم صار اصلا يشبه
به وقيل الشياطين صنف من الحيات ولهن اعراف قال

• عجيز تحلف حين احلف • كمثل شيطان الحماط اعرف •

وقيل شجر يقال له الصوم ومنه قول ساعدة بن جويه

• موكل بشدوف الصوم يرقبها • من المعارف مخطوف الحشا زرم •

فعلى هذا قد خوطبت العرب بما تعرفه وهذه الشجرة موجودة فالكلام حقيقة والثاني انه من
باب التخييل والتمثيل وذلك انه كل ما يستنكر ويستقبح في الطباع والصورة يشبه بما يتخيله الوهم
وان لم يره والشياطين وان كانوا موجودين غير مرئيين للعرب الا انه خاطبهم بما الفوه من الاستعارات
التخييلية كقول امري القيس

• اتقتلني والمشرفي مضاجعي • ومسنونة زرق كانياب اغوال •

ولم يروا انيابها بل ليست موجودة البتة قال ابن الخطيب وهذا هو الصحيح وذلك ان الناس لما اعتقدوا
في الملايكة كمال الفضل في الصورة والسيرة واعتقدوا في الشياطين نهاية القبح في الصورة والسيرة
فكما حسن التشبيه بالملك عند ارادة الكمال والفضيلة في قول النسا ان هذا الا ملك فلذلك حسن
التشبيه برؤوس الشياطين بالقبح وتشويه الخلقة ويوكد هذا ان العقلا اذا راوا شيا شديد الاضطراب
منكر الصورة قبيح الخلقة قالوا انه شيطان واذا راوا شيا حسنا قالوا انه ملك من الملايكة قال
ابن عباس رضي الله عنه هم الشياطين باعيانهم شبه بها القبح قوله تعالى فانهم لاكلون منها
فمالئون منها البطون والملو حشو الوعا بما لا يحتمل الزيادة عليه فان قيل كيف ياكلونها مع نهاية
خشونتها ونتنها ومرارة طعمها فالجواب ان المضطر ربما استروح من الضرر بما يقاربه في الضرر
فاذا جوعهم الله الجوع الشديد فزعوا الى ذلك للجوع بتناول هذا الشي او يقال ان الزبانية
يكرهونهم على الاكل من تلك الشجرة تكميلا لعذابهم قوله تعالى ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم
قرا العامة بفتح الشين وهو مصدر على اصله وقيل يراد به اسم المفعول ويدل له قراة شيبان النحوي
لشوبا بالضم قال الزجاج المفتوح مصدر والمضموم اسم بمعنى المشوب كالنقض بمعنى المنقوض
وعطف بثم لاحد معنيين اما لانه يوخر ما يظنونه يرويهم من عطشهم زيادة في عذابهم فلذلك اتى
بثم المقتضية للتراخي واما لان العادة تقتضي بتراخي الشرب من الاكل فعمل على ذلك المنوال
واما ملء البطن فيعقب الاكل فلذلك عطف على ما قبله بالفا قال الزجاج الشوب اسم عام في
كل ما خلط بغيره والشوب الخلط والمزج ومنه شاب اللبن يشوبه اي خلطه ومزجه والحميم الما
الحار المتناهي في الحرارة ومن حميم صفة لشوبا واعلم ان الله تعالى وصف شرابهم في القران باشيا

منها عساقا ومنها وسقوا ماءحميما فقطع امعاهم ومنها المذكور في هذه الاية ولما ذكر الطعام بتلك
الشناعة والكراهية وصف الشراب بما هو اشنع منه وسماه شوبا اي خلطا ومزجا من حميم من ماء
حار فاذا اكلوا الزقوم شربوا عليه الحميم فيشوب الحميم في بطونهم الزقوم فيصير شوبا له قوله
تعالى ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قال مقاتل اي بعد اكل الزقوم وشرب الحميم وهذا يدل على انهم
عند شرب الحميم لم يكونوا في الجحيم وذلك بان يكون الحميم في موضع خارج عن الجحيم فهم يوردون
الحميم لاجل الشرب كما تورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويدل عليه قوله تعالى يطوفون بينها
وبين حميم ان وقرا ابن مسعود ثم ان منقلبهم لالى الجحيم انهم الفوا وجدوا اباهم ضالين فهم على اثارهم
يهرعون قال الفرا رحمه الله الاهراع الاسراع يقال هرع واهرع اذا استحث والمعنى انهم يتبعون اباهم
في سرعة كانهم يزعجون الى اتباع اباهم وقال الكلبي يعملون مثل عملهم ثم انه تعالى ذكر لرسوله صلوات
الله البر الرحيم وسلامه عليه ما يسليه في كفرهم وتكذيبهم فقال تعالى ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين
من الامم الخالية ولقد ارسلنا فيهم منذرين فبين تعالى ان ارسال الرسل قد تقدم والتكذيب
لهم قد سلف فوجب ان يكون له صلى الله عليه وسلم اسوة بهم حتى يصبر كما صبروا ويستمر على الدعا
الى الله تعالى وان تولوا فليس عليه الا البلاغ ثم قال سبحانه فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
الكافرين اي كان عاقبتهم العذاب وهذا الخطاب وان كان ظاهره مع الرسول صلى الله عليه وسلم
الا ان المقصود منه خطاب الكفار لانهم سمعوا بالاخبار ما جرى على قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم
من انواع العذاب فان لم يعلموا ذلك فلا اقل من ظن وخوف لانه يحتمل ان يكون زاجرا لهم عن كفرهم
قوله عز وجل الا عباد الله استثنا من المنذرين استثنا منقطعا لانه وعيد وهم لم يدخلوا في هذا الوعيد
وقيل استثنا من قوله ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين والمراد بالمخلصين الموحدين نجوا من العذاب
وتقدم الكلام على الاخلاص في سورة الحجر عند قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين قوله تعالى
ولقد نادانا نوح الاية لما قال سبحانه جل ذكره ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين وقال تعالى فانظر
كيف كان عاقبة المنذرين اتبعه بشرح وقايع الانبيا صلوات الله عليهم فالقصة الاولى حكاية
حال نوح صلوات الله عليه فقال تعالى ولقد نادانا نوح اي نادى ربه ان ينجيه مع من نجا من
الغرق وقيل نادى ربه اي استنصره على كفار قومه فاجاب الله دعاه قوله تعالى فلنعم المجيبون
جواب لقسم مقدر اي فوالله ومثله • لعمري لنعم السيدان وجدتما •
والمخصوص بالمدح محذوف اي نحن اجبنا دعاه واهلكنا قومه ونجيناه واهله من الكرب العظيم
بصيغة الجمع فقال سبحانه ولقد نادانا نوح والقادر العظيم لا يليق به الا الاحسان العظيم
وثانيها انه جل ذكره اعاد صيغة الجمع في قوله سبحانه فلنعم المجيبون من ذلك ايضا يدل على تعظيم
تلك النعمة لاسيما وقد وصف تلك الاجابة بانها نعمت الاجابة وثالثها ان الفا في قوله
تعالى فلنعم المجيبون يدل على ان حصول هذه الاجابة مرتب على ذلك الندا والحكم المرتب
على الوصف المناسب يقتضي كونه معللا به وهذا يدل على ان الندا بالاخلاص سبب لحصول
الاجابة ثم انه تعالى لما بين انه نعم المجيب بين ان الانعام حصل في تلك الاجابة بقوله عز وجل
ونجيناه واهله من الكرب العظيم والكرب هو الخوف الحاصل من الغرق والكرب الحاصل من اذى قومه
وجعلنا ذريته هم الباقين وذلك يفيد الحصر وذلك يدل على كل من سواه وسوى ذريته فقد
فنوا قال ابن عباس رضي الله عنه ذريته بنوه الثلثه سام وحام ويافث فسام ابو العرب
وفارس وحام ابو السودان ويافث ابو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج قال ابن عباس رضي
الله عنه لما خرج نوح من السفينة صلوات الله عليه مات من كان معه من الرجال والنسا الا ولده
ونساهم قوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين اي ابقينا له ثنا حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من
الانبيا والامم الى يوم القيمة قوله تعالى سلام على نوح مبتدا وخبر وفيه اوجه احدها انه مفسر
لتركنا والثاني انه مفسر لمفعوله اي تركنا عليه ثنا وهو هذا الكلام وقيل ثم قول مقدر اي فقلنا
سلام وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقيل سلط تركنا على ما بعده قال الزمخشري رحمه الله وتركنا
عليه في الاخرين هذه الكلمة وهي سلام على نوح يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو
من الكلام المحكي كقولك قرات سورة انزلناها وهذا الذي قاله قول الكوفيين جعلوا الجملة
في محل نصب مفعولا بتركنا لانه ضمن معنى القول بل هو على معناه بخلاف الوجه قبله وهو ايضا

من

من اقوالهم وقرا عبد الله سلاما وهو مفعول به بتركنا وكذلك نعت مصدر او حال من ضمير
كما تقدم تحريره **فصل** المعنى سلام عليه منا في العالمين وقيل تركنا عليه في الاخرين
ان يصلي عليه الى يوم القيمة انا كذلك نجزي المحسنين اي انا خصصنا نوحا صلوات الله
عليه بهذه التشريفات الرفيعة من جعل الدنيا مملوة من ذريته ومن تبقية ذكره الحسن في
السنة العالمين لاجل كونه محسنا ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مومنا القصة الثانية
قصة ابراهيم صلوات الله عليه قوله تعالى وان من شيعته اي من اهل دينه وسنته
وفي الضمير وجهان اظهرهما انه يعود على نوح اي ممن كان يشايعه اي يتابعه على دينه
والتصلب في امر الله تعالى والثاني انه يعود على محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول
الكلبي رحمه الله والشيعة قد تطلق على المتقدم كقوله •
• ومالي الا ال احمد شيعة • ومالي الا مشعب الحق مشعب •
فجعل ال احمد وهم متقدمون عليه وهو تابع لهم شيعة له قال الفرا والمعروف ان الشيعة
تكون في المتاخر قالوا كان بين نوح وابراهيم نبيان هود وصالح صلوات الله عليهم وروى
الزمخشري انه كان بين نوح وابراهيم الفان وستماية واربعون سنة قوله تعالى اذ جاء
في العامل فيه وجهان احدهما اذكر مقدرا وهو المتعارف والثاني قال الزمخشري ما في
الشيعة من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه قال
ابو حيان لا يجوز فيه الفصل بين العامل والمعمول باجنبي وهو لابراهيم لانه اجنبي من شيعته
اذ وزاد المنع ان قدره ممن شايعه حين جاء لابراهيم لانه قدر ممن شايعه فجعل العامل قبله
صلة لموصول وفصل بينه وبين اذ باجنبي وهو لابراهيم وايضا فلام الابتدا تمنع ان يعمل ما
قبلها فيما بعدها لو قلت ان ضاربا لقادم علينا زيدا تقديره ان ضاربا زيدا قادم علينا
لم يجز **فصل** قال مقاتل والكلبي المعنى انه سليم من الشرك لانه انكر على قومه
الشرك لقوله اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون وقال الاصوليون معناه انه عاش ومات
على طهارة القلب من كل معصية قوله تعالى اذ قال بدل من اذ الاولى او ظرف لسليم اي سلم
عليه في وقت قوله كيت وكيت او ظرف لجا ذكره ابو البقا وقوله تعالى ماذا تعبدون استفهام
توبيخ وتعجيب لتلك الطريقة وتقبيحها قوله تعالى ايفكا فيه اوجه احدها انه مفعول من اجله
اي اتريدون الهة دون الله افكا فالهة مفعول به ودون ظرف لتريدون وقدمت معمولات
الفعل اهتماما به وحسنه كون العامل راس فاصلة وقدم المفعول من اجله على المفعول به
اهتماما به لانه مكافح لهم بانهم على افك وباطل وبهذا الوجه بدا الزمخشري الثاني ان يكون مفعولا
به بتريدون ويكون الهة بدلا منه جعلها نفس الافك مبالغة فابدلها عنه وفسرها ولم يذكر
ابن عطية غيره الثالث انه حال من فاعل تريدون اي اتريدون الهة افكين او ذوي افك والبه
نحا الزمخشري قال ابو حيان وجعل المصدر حالا لا يطرد الا مع اما نحو اما علما فعالم والافك
اسوا الكذب قوله تعالى فما ظنكم برب العالمين اي تظنون برب العالمين انه جوز جعل هذه
الجمادات مشاركة له في العبودية او تظنون برب العالمين انه من جنس هذه الاجسام
حتى جعلتموها مساوية له في العبودية فنبههم بذلك على انه ليس كمثله شي او فما ظنكم
برب العالمين اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره انه يصنع بكم قوله تعالى فنظر نظرة في النجوم
فقال اني سقيم قال ابن عباس رضي الله عنه كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم
على مقتضى عادتهم وذلك انه اراد ان يكايدهم في اصنامهم ليلزمهم الحجة في انها غير معبودة
وكان لهم من الغد يوم عيد يخرجون اليه فاراد ان يتخلف عنهم ليبقى خاليا في بيت الاصنام
فيقدر على كسرها فان قيل النظر في علم النجوم غير جايز فكيف اقدم ابراهيم عليه وايضا
لم يكن سقيما فكيف اخبرهم بخلاف حاله فالجواب من وجوه الاول ان نظره في النجوم اي
في اوقات الليل والنهار وكانت تاتيه الحمى في بعض ساعات الليل والنهار فنظر هل هي
تلك الساعة فقال اني سقيم فجعله عذرا في تخلفه عن العيد الذي لهم فكان صادقا
فيما قال لان السقم كان ياتيه في ذلك الوقت الثاني انهم كانوا اصحاب النجوم يعظمونها
ويقضون بها على امورهم فلذلك نظر ابراهيم في النجوم اي في علم النجوم كما يقول نظر فلان

في الفقه اي في علم الفقه فاراد ابراهيم ان يوهمهم انه نظر في علمهم وعرف منه ما يعرفونه
حتى اذا قال اني سقيم سكنوا الى قوله واما قوله اني سقيم فمعناه سأسقم كقوله انك ميت
اي ستموت الثالث ان نظره في النجوم هو قوله تعالى فلما جن عليه الليل راى كوكبا الى
اخر الايات فكان نظره ليتعرف احوال هذه الكواكب هل هي قديمة او محدثة وقوله اني سقيم
القلب اي غير عارف بربي وكان ذلك قبل البلوغ الرابع قال ابن زيد كان له نجم مخصوص
وكلما طلع على صفة مخصوصة مرض ابراهيم فلهذا الاستقراء لما راه في تلك الحالة المخصوصة
قال اني سقيم اي هذا السقم واقع لا محالة الخامس ان قوله اني سقيم اي مريض القلب
بسبب اطباق ذلك الجمع العظيم على الكفر والشرك كقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فلعلك
باخع نفسك السادس انا لا نسلم ان النظر في علم النجوم والاستدلال بها حرام لان من
اعتقد ان الله تعالى خص كل واحد من هذه الكواكب بطبع وخاصية لاجلها يظهر منه اثر
مخصوص فهذا العلم على هذا الوجه ليس بباطل واما الكذب فغير لازم لان قوله اني
سقيم على سبيل التعريض بمعنى ان الانسان لا ينفك في اكثر حاله عن حصول حالة مكروهة
اما في بدنه واما في قلبه وكل ذلك سقم السابع قال ابن الخطيب رحمه الله قال بعضهم ذلك
القول عن ابراهيم صلوات الله عليه كذبة واوردوا فيه حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما كذب ابراهيم الا ثلاث كذبات قلت لبعضهم هذا الحديث لا ينبغي ان يقبل لان
فيه نسبة الكذب الى ابراهيم فقال ذلك الرجل فكيف يحكم بكذب الراوي العدل فقلت
لما وقع التعارض بين نسبة الكذب الى الراوي وبين نسبة الكذب الى الخليل صلوات الله
عليه كان من المعلوم بالضرورة ان نسبته الى الراوي اولى ثم نقول لم لا يجوز ان يكون المراد
من قوله فنظر نظرة في النجوم اي في نجوم كلامهم ومتفرقات اقوالهم بان الاشيا التي تحدث
قطعة قطعة يقال انها منجمة اي متفرقة ومنه نجوم الكتابة والمعنى انه لما سمع كلماتهم
المتفرقة نظر فيها حتى يستخرج منها حيلة يقدر بها على اقامة عذر لنفسه في التخلف
عنهم فلم يجد عذرا احسن من قوله اني سقيم والمراد انه لا بد من ان اصير سقيما كما يقول
لمن رايته يتجهز للسفر انك مسافر ولما قال اني سقيم تولوا عنه مدبرين وتركوه وعذروه
في عدم الخروج الى عيدهم قوله تعالى فراغ اي مال في خفية واصله من روغان الثعلب
وهو تردده وعدم ثبوته بمكان ولا يقال راغ يكون صاحبه مخفيا لذهابه ومجيئه
فقال استهزاء بها الا تاكلون يعني الطعام الذي كان بين ايديهم ما لكم لا تنطقون قاله
ايضا استهزاء فراغ عليهم مال عليهم مستخفيا قوله تعالى ضربا مصدر واقع موقع الحال
اي فراغ عليهم ضاربا او مصدر لفعل ذلك الفعل حال تقديره فراغ يضرب ضربا او ضمن
راغ معنى يضرب وهو بعيد وباليمين متعلق بضربا ان لم يجعله مؤكدا والا فلعامله
واليمين يجوز ان يراد بها احدى اليدين وهو الظاهر وان يراد بها القوة فالباء على
هذا للحال اي ملتبسا بالقوة وان يراد بها الحلف وفاء بقوله وتالله لاكيدن اصنامكم
والباء على هذا للسبب وعدي راغ الثاني بعلى لما كان مع الضرب المستولي عليهم من
فوقهم الى اسفلهم بخلاف الاول فانه مع توبيخ لهم واتى بضمير العقلاء في قوله عليهم
جريا على ظن عبدتها انها كالعقلاء قوله تعالى يزفون بضم حال من فاعل فاقبلوا
والى يجوز تعلقه بما قبله او بما بعده وقرا حمزة يزفون بضم اليا من ازف وله معنيان
احدهما انه من ازف يزف اي دخل في الزفيف وهو الاسراع او زفاف العروس وهو المشي
على هينة لان القوم كانوا في طمانينة من امرهم كذا قيل وهذا الثاني ليس بشي اذ المعنى
انهم لما سمعوا بذلك بادروا مسرعين فالهمزة على هذا ليست للتعدية والثاني انه من
ازف غيره اي حمله على الزفيف وهو الاسراع او على الزفاف وقد تقدم ما فيه وبا في
السبعة بفتح اليا من زف الظليم يزف اي عدا بسرعة واصل الزفيف للنعام وقرا مجاهد
وعبد الله بن يزيد والضحاك وابن ابي عبلة يزفون من وزف يزف اي اسرع الا ان الكسائي
والفرا قالا لا نعرفها بمعنى زف وقد عرفها غيرهما قال مجاهد وهو بعض من قرا بها الوزيف
النسلان وقرى يزفون مبنيا للمفعول ويزفون كيرمون من زفاه بمعنى حداه كان بعضهم

يزفوا بعض الناس زعمهم اليه وبين قوله فاقبلوا وقوله فراغ عليهم جمل محذوفة يدل عليها
الفحوى اي فبلغهم الخبر فرجعوا من عيدهم ونحو هذا قال ابن عرفة من قرا بالنصب فهو من
زف يزف ومن قرا بالضم فهو من ازف يزف قال الزجاج يزفون يسرعون واصله من زفيف
النعامة وهو من اسند عدوها قوله تعالى اتعبدون ما تنحتون لما عابوا ابراهيم على كسر
الاصنام ذكر لهم الدليل الدال على فساد عبادتها فقال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم
وما تعملون ووجه الاستدلال ان الخشب والحجر قبل النحت والاصلاح ما كان معبودا البتة فاذا
نحته وشكله على الوجه المخصوص لم يحدث فيه الا اثار تصرفه فلو صار معبودا عند ذلك
لكان معناه ان الشي الذي لم يكن معبودا اذا حصلت اثار تصرفاتي فيه صار معبودا لي
وفساد ذلك معلوم ببديهة العقل قوله تعالى وما تعملون في ما هذه اربعة اوجه اجودها
انها بمعنى الذي اي وخلق الذي تصنعونه فالعمل هنا التصوير والنحت نحو عمل الصائغ
السوار الذي صاغه ويرجح كونها بمعنى الذي تقدم ما قبلها فانها بمعنى الذي اي تعبدون
الذي تنحتون والله خلقكم وخلق ذلك الذي تعملونه بالنحت والثاني انها مصدرية اي
خلقكم واعمالكم وجعلها الاشعرية دليلا على خلق افعال العباد لله تعالى وهو الحق الا ان
دليل ذلك من هنا غير قوي لما تقدم من ظهور كونها بمعنى الذي وقال مكي يجب ان يكون
ما والفعل مصدرا جي به ليفيد ان الله خالق الاشيا كلها وقال ايضا وهذا اليق لقوله من شر
ما خلق اجمع القرا على الاضافة فدل على انه خالق الشر وقد فارق عمرو بن عبيد الناس
فقرا من شر بالتنوين ليثبت مع الله خالقين وشنع الزمخشري على القايل هنا بكونها
مصدرية والثالث انها استفهامية وهو استفهام توبيخ اي واي شي تعملون الرابع انها نافية
اي ان العمل في الحقيقة ليس لكم فانتم لا تعملون شيا والجملة من قوله والله خلقكم حال ومعناها
حسنا اي تعبدون الاصنام على حالة تنافي ذلك وهي ان الله خالقكم وخالقهم جميعا ويجوز
ان تكون مستانفة **فصل** دلت الاية على فعل العبد مخلوق لله تعالى لان النحويين
اتفقوا على ان لفظ ما مع ما بعده في تقدير المصدر بقوله وما تعملون معناه وعملكم وعلى
هذا فيصير معنى الاية والله خلقكم وخلق عملكم فان قيل هذه الحجة عليكم من وجوه الاول
انه تعالى قال اتعبدون ما تنحتون اضاف العبادة والنحت اليهم اضافة الفعل الى الفاعل
ولو كان ذلك واقعا بتخليق الله تعالى لاستحال كونه فعلا للعبد الثاني انه تعالى انما
ذكر هذه الاية توبيخا لهم على عبادة الاصنام لانه تعالى لما ذكر هذه الاية بين انه خالقهم
وخالق لتلك الاصنام والخالق هو المستحق للعبادة دون المخلوق فلما تركوا عبادته
سبحانه وتعالى لا اله الا هو وهو خالقهم وعبدوا الاصنام لا جرم انه سبحانه وبخهم على
هذا الخطا العظيم فقال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ولو لم يكونوا
فاعلين لافعالهم لما جاز توبيخهم عليها سلمنا ان هذه الاية ليست حجة عليكم ولكن لا نسلم انها
حجة لكم فقوله لفظ ما مع ما بعدها في تقدير المصدر قلنا ممنوع لان سيبويه والاخفش
اختلفا هل يجوز ان يقال اعجبني ما قمت اي قيامك فجوزه سيبويه ومنعه الاخفش وزعم
ان هذا لا يجوز الا في الفعل المتعدي وذلك يدل على ان ما مع ما بعده في تقدير المفعول
عند الاخفش سلمنا ان ذلك قد يكون بمعنى المصدر لكنه ايضا قد يكون بمعنى لكنه ايضا قد
يكون بمعنى المفعول ويدل عليه وجوه الاول قوله جل ذكره اتعبدون ما تنحتون المراد بقوله
ما تنحتون المنحوت لا النحت لانهم ما عبدوا النحت وانما عبدوا المنحوت فوجب ان يكون
المراد بقوله ما تعملون المعمول لا العمل حتى يكون كل واحد من هذين اللفظين مطابقا لمدلول
الاخر الثاني انه تعالى قال فاذا هي تلقف ما يافكون وليس المراد انها تلقف نفس الافك
بل اراد العصي والحبال التي هي متعلقات ذلك الافك فكذا ههنا الثالث ان العرب تسمي محل
العمل عملا يقال في الباب والخاتم هذا عمل فلان والمراد محل عمله فثبت بهذه الوجوه ان لفظ
ما مع ما بعده كما يجي بمعنى المصدر قد يجي ايضا بمعنى المفعول فكان حمله ههنا على المفعول
اولى لان المقصود في الاية تزييف مذهبهم في عبادة الاصنام لا بيان انهم لا يوجدون افعال
انفسهم لان الذي جرى ذكره من اول الاية الى هذا الموضع هو مسالة عبادة الاصنام لا خلق

الاعمال قال ابن الخطيب وهذه سؤالات قوية فالاول قول الاستدلال بعدة الاوجه
قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا لما اورده عليهم من الحجة القوية ولم يقدروا على الجواب
عدلوا الى طريقة الايذا فقالوا ابنوا له بنيانا قال ابن عباس رضي الله عنه بنوا حايطا من
حجر طوله في السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه نارا وطرحوه فيها وذلك هو
قوله تعالى فالقوه في الجحيم وهي النار العظيمة قال الزجاج كل نار بعضها فوق بعض فهي
جحيم والالف واللام في الجحيم يدل على الكناية والمعنى انه في وقت الحاجة حصلت الغلبة له
وعندما القوه في النار وصرف الله عنه ضرر النار وصار هو الغالب عليهم واراد وا به كيدا
اي شرا وهوان يحرقوه فجعلناهم الاسفلين المقهورين حيث سلم الله تعالى ابراهيم صلوات الله
عليه ورد كيدهم ولما انقضت هذه الواقعة قال ابراهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين ونظيره
قوله تعالى وقال اني مهاجر الى ربي والمعنى اهجر دار الكفر اي اذهب الى مواضع دين ربي
وقال الكلبي ذاهب الى معادي الى ربي وقوله تعالى سيهدين اي الى حيث امرني بالمصير اليه
وهو الشام وهذا يدل على الهداية لا تحصل الا من الله تعالى ولا يمكن حمله على وضع الادلة
وازواجه الاعذار لان ذلك كان حاصلا في الزمان الماضي قال مقاتل لما قدم الارض المقدسة
سال ربه الولد فقال رب هب لي من الصالحين اي هب لي ولدا صالحا لان لفظ الهبة
غلب في الولد وان كان قد جاء في الاخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون
نبيا فبشرناه بغلام حليم قيل غلام في صغره حليم في كبره ففيه بشارة انه ابن وانه يعيش
وينتهي الى سن يوصف بالحلم واي حلم اعظم من انه عرض عليه ابوه الذبح قال ستجدني ان شاء
الله من الصابرين قوله تعالى فلما بلغ معه السعي معه متعلق بمحذوف على سبيل البيان كان
قايلا قال مع من بلغ السعي فقيل مع ابيه ولا يجوز تعلقه ببلغ لانه يقتضي بلوغهما معا حد
السعي ولا يجوز تعلقه بالسعي لان صلة المصدر لا يتقدم عليه فتعين ما تقدم قال معناه
الزمخشري ومن يتسع في الظرف يجوز تعلقه بالسعي **فصل** قال ابن عباس
وقتادة معنى بلغ معه السعي اي المشي معه الى الجبل قال مجاهد عن ابن عباس رضي الله
عنه لما شب حتى بلغ سعيه سعي ابراهيم والمعنى بلغ ان يتصرف معه ويعينه في عمله قال
الكلبي يعني العمل لله وهو قول الحسن ومقاتل بن حيان وابن زيد رضي الله عنهم قالوا
هو العبادة لله واختلفوا في سنه فقيل كان ابن ثلاث عشر سنة وقيل ابن سبع سنين قوله
تعالى اني ارى في المنام اني اذبحك قال المفسرون لما بشر ابراهيم صلوات الله عليه بالولد
قبل ان يولد له قال هو اذن لله ذبيح فقيل لابراهيم قد نذرت نذرا فاوف بنذرك فلما
اصبح قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك وقيل راى في ليلة التروية في منامه كان
قايلا يقول ان الله يامرك بذبح ابنك فلما اصبح تروى في ذلك من الصباح الى الرواح امن
الله او من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما راى ايضا مثل ذلك عرف انه من الله تعالى
فسمي به يوم عرفة ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي يوم النحر وهذا قول اكثر
المفسرين وهو يدل على انه راى في المنام ما يوجب ان يذبح ابنه في اليقظة وعلى هذا
فتقدير اللفظ ارى في المنام ما يوجب اني اذبحك **فصل** اختلفوا في الذبيح
فقيل اسحاق وهو قول عمر وعلي وابن مسعود والعباس ابن عبد المطلب وكعب الاحبار
وقتادة وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم وقالوا كانت هذه القصة بالشام
وقيل انه اسماعيل وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي ومجاهد
والكلبي والربيع بن انس ومحمد بن كعب القرظي وهي رواية عطا بن ابي رباح ويوسف بن
ماهك عن ابن عباس وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج القايلون
بانه اسماعيل بقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين وقال له اعرابي يا ابن الذبيحين
فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم فسيل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بير زمزم نذر ان
سهل الله له امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له افد
ابنك بماية من الابل والذبيح الثاني اسماعيل ونقل الاصمعي انه قال سالت ابا عمرو بن
العلا عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عقلك ومتى كان اسحاق بمكة وانما كان اسماعيل بمكة

وهو الذي بنا البيت مع ابيه والمنحر بمكة وقد وصف الله اسماعيل بالصبر دون اسحاق في قوله
تعالى واسماعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه ايضا
بصدق الوعد فقال جل ذكره انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح
فقال ستجدني ان شا الله من الصابرين وقال تعالى فبشرناها باسحاق وانه سيولد
له يعقوب ثم يومر بذبح اسحاق وهو صغير قبل ان يولد له هذا يناقض البشارة المتقدمة
وقال الامام احمد رضي الله عنه الصحيح ان الذبيح هو اسماعيل وعليه جمهور العلما من السلف
والخلف قال ابن عباس رضي الله عنه وزعمت اليهود انه اسحاق وكذبت اليهود لعنهم
الله تعالى وروي ابن عباس رضي الله عنه انه هبط عليه الكبش من ثبير فذبحه وهو الكبش
الذي قربه ابن ادم فتقبل منه فذبحه بمنى وقيل بالمقام وروي انه كان وعلا وقيل تيسا
من الاروى وقال سفيان لم يزل قرنا الكبش في البيت حتى احرق البيت فاحترقا وروي
ابن عباس ان راس الكبش لم يزل معلقا عند ميزاب الكعبة حتى يبس وارسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن طلحة فقالت امراة عثمان رضي الله عنه لم دعاك رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال قال اني كنت رايت قرني الكبش حين دخلت البيت فنسيت ان امرك
ان تخمرها فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شي يشغل المصلي وهذا يدل على ان الذبيح كان
اسماعيل لانه الذي كان مقيما بمكة واسحاق نبيا من الصالحين قال ابن كثير ومن قال
انه اسحاق فانما اخذه والله اعلم من كعب الاحبار او من صحف اهل الكتاب وليس في ذلك
حديث صحيح عن المعصوم حتى يترك لاجله ظاهر الكتاب العزيز قوله تعالى ماذا ترى يجوز
ان يكون ماذا مركبة مغلبا فيها الاستفهام فتكون منصوبة بترى وهي وما بعدها في محل نصب
بانظر لانها معلقة له وان يكون ما استفهامية وذا موصولة فيكون مبتدا وخبرا والجملة
معلقة ايضا وان تكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي فيكون معمولا لانظر وقرا الاخوان ترى
بالضم والكسر والمفعولان محذوفان اي ترني اياه من صبرك واحتمالك وباقي السبعة ترى
بفتحتين من الراي وقرا الاعمش والضحاك ترى بالضم والفتح بمعنى ما يخيل اليك ويسنح
لخاطرك قوله تعالى ما تومر يجوز ان يكون ما بمعنى الذي والعايد مقدر اي تومر به وليس
حذف الجار مطردا فلم يحذف العايد الا وهو منصوب المحل فليس حذفه هنا كحذفه في قولك
جا الذي مررت وان تكون مصدرية قال الزمخشري او امرك على اضافة المصدر للمفعول
وتسميته المامور به امرا يعني بقوله المفعول اي الذي لم يسم فاعله الا ان في تقدير المصدر
بفعل مبني للمفعول خلافا مشهورا قوله تعالى ستجدني ان شا الله من الصابرين لما تومر
انما علق المشيه الله تعالى على سبيل التبرك والتيمن فانه لا حول عن معصية الله الا بعصمة
الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله عز وجل **فصل** اختلف الناس في
ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان مامورا بهذا وهذا الاختلاف يتفرع عليه مسيلة
اصولية وهي انه هل يجوز نسخ الحكم قبل حضور وقت الامتثال فقال بعضهم انه يجوز وقالت
المعتزلة وبعض الشافعية والحنفية انه لا يجوز فعلى الاول ان الله تعالى امر بالذبح ثم ان
الله تعالى نسخ هذا التكليف قبل حضور وقته وعلى الثاني انه تعالى ما امره بالذبح
وانما امره بمقدمات الذبح واحتج الاولون بقصة ابراهيم صلوات الله عليه وقول الولد لابيه
افعل ما تومر وقالت المعتزلة لا نسلم انه امر بذبح ولده بل انما امر بمقدمات الذبح وهي اضجاع
ووضع السكين على حلقه والعزم الصحيح في الاتيان بذلك الفعل ثم ان الله تعالى اخبر عنه
انه اتى بما امر به لقوله تعالى يا ابراهيم قد صدقت الرويا فدل على انه تعالى انما امره بمقدمات
الذبح لا بنفس الذبح وايضا فان الذبح عبارة عن قطع الحلقوم لا انه كلما قطع جزءا اعاد
الله تاليفه فلهذا السبب لم يحصل الموت وايضا فانه تعالى لو امر شخصا معينا بايقاع فعل
معين في وقت معين فهذا يدل على ان ايقاع ذلك الفعل في ذلك الوقت حسن فلو حصل
النهي عقيب ذلك الامر لزم احد امرين اما ان يكون عالما بحال ذلك الفعل فيلزم ان يقال انه امر
بالقبيح او نهى عن الحسن وان لم يكن عالما به لزم جهل الله وانه محال والجواب عن الاول انه
تعالى انما امره بالذبح لظاهر الاية واما قولهم كلما قطع ابراهيم صلوات الله عليه جزءا اعاد الله

تالبفه هذا باطل لان ابراهيم صلوات الله عليه لوابى بكل ما امر به واما قولهم بالجزم اما الامر
بالقبيح واما الجهل فيقول هذا بنا على ان الله تعالى لا يامر الا بما يكون حسنا في ذاته ولا ينهى
الا عن ما يكون قبيحا في ذاته فذلك مبني على تحسين العقل وتقبيحه وهو باطل وان سلمنا
ذلك فلم لا يجوز ان يكون الامر بالشي تارة حسنا لكون المامور به حسنا في ذلك الوقت لمصلحه
من المصالح وان لم يكن المامور به حسنا كما اذا اراد السيد اختبار طاعة العبد فيقول له افعل
الفعل الفلاني يوم الجمعة ويكون ذلك الفعل شاقا ويكون مقصود السيد ليس ان ياتي العبد
بذلك الفعل بل ان يوطن العبد نفسه على الانقياد والطاعة ثم ان السيد اذا علم منه توطين
نفسه على الطاعة فقد يزيل ذلك التكليف عنه فكذا ههنا **فصل** احتجوا بهذه
الاية على ان الله تعالى قد يامر بما لا يريد وقوعه لانه تعالى لو وقع الذبح لا محالة **فصل**
في الحكمة في ورود هذا التكليف في النوم لا في اليقظة وذلك من وجوه الاول انه جعل هذا
التكليف في نهاية المشقة على الذابح والمذبوح فورد اولا في النوم حتى يصير ذلك كالمنبه لورود
هذا التكليف الشاق ثم يتاكد ذلك باحوال اليقظة لكيلا يهجم هذا التكليف الشاق على النفس
دفعة واحدة بل على التدريج الثاني ان الله تعالى جعل رويا الانبيا صلوات الله عليهم حقا قال
تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق وقال عن يوسف صلوات الله عليه اني رايت احد
عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين وقول ابراهيم صلوات الله عليه اني ارى في المنام
اني اذبحك والمقصود من ذلك تقوية الدلالة على كونهم صادقين فاذا تظافرت الحالتان
على الصدق دل ذلك على نهاية كونهم محقين صادقين في كل الاحوال **فصل** والحكمة
في مشاورة الابن في هذا الامر ليظهر له صبره في طاعة الله فيكون فيه قرة عين لابراهيم حيث يراه
قد بلغ في الحكمة الى هذا الحد العظيم في الصبر على اشد المكاره الى هذه الدرجة العالية ويحصل
للابن الثواب العظيم في الاخرة والثنا الحسن في الدنيا قوله تعالى فلما اسلما في جوابها
ثلاثة اوجه اظهرها انه محذوف اي ناديته الملائكة او ظهر صبرهما او اجزلنا لهما اجرهما وقدره بعضهم
بعد الرويا اي كان ما كان مما ينطق به الحال والوصف مما لا يدرك كنهه ونقل ابن عطية ان
التقدير فلما اسلما وتله فاك كقوله فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن حقف ذي قفاف عقنقل
اي فلما اجزنا اجزنا وانتحى ويعزى هذا لسيبويه وشيخه الخليل وفيه نظر من حيث اتحاد الفعلين
الجاريين مجرى الشرط والجواب الا ان يقال جعل التغاير في الاية بالعطف على الفعل وفي
البيت بعمل الثاني في ساحة وبالعطف عليه ايضا والظاهر ان مثل هذا لا يكفي في التغاير
الثاني انه وتله للجبين والواو زايدة وهو قول الكوفيين والاخفش والثالث انه وناديناه
والواو زايدة ايضا كقوله تعالى واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب واوحينا اليه فنودي من
الجلال يا ابراهيم قد صدقت الرويا ثم الكلام ههنا ثم ابتدا ان كذلك وقرا علي وعبد الله وابن
عباس سلما وقري استسلما وتله اي صرعه واضجعه على شقه وقيل هو الرمي بقوة واصله
من رمايه على التل وهو المكان المرتفع او من التليل وهو العنق اي رماه على عنقه ثم قيل
لكل اسقاط وان لم يكن على تل ولا على عنق والتل الرمح الذي يتل به والجبين ما انكشف من
الجبهة من هنا ومن هنا وشذ جمعه على اجبن وقياسه في القلة اجبنة كارغفة وفي الكثرة
جبن وجبنان كرغيف ورغف ورغفان **فصل** المعنى سلم لامر الله واسلم واستسلم
بمعنى واحد اي انقاد وخضع والمعنى اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك
استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وقوله تعالى
وتله للجبين اي صرعه على عنقه فوقع احد جنبيه على الارض وللوجه جبينان والجبهة
بينهما قال ابن الاعرابي التليل والمتلول المصروع والتل الذي يتل به اي يصرع والمعنى
انه صرعه على جنبه وقال مقاتل كبه على جبهته وهذا خطا لان الجبين غير الجبهة وناديناه
ان يا ابراهيم قد صدقت الرويا قال المفسرون لما اضجعه للذبح نودي من الجبهة يا ابراهيم
قد صدقت الرويا فان قيل لم قال قد صدقت الرويا كان قد راى الذبح ولم يذبح فلم جعله
مصدقا لانه قد اتى بما امكنه والمطلوب اسلامهما لامر الله وقد فعلاه وقيل كان قد راى في النوم
معالجة الذبح ولم ير اراقة الدم وقد فعل في اليقظة ما راى في النوم ولذلك قال قد صدقت

الرويا قال المحققون السبب في هذا التكليف كمال طاعة ابراهيم لتكاليف الله فلما كلفه الله بهذا
التكليف الشاق الشديد وظهر منه كمال الطاعة وظهر من ولده كمال الطاعة والانقياد لا جرم
قال الله تعالى قد صدقت الرويا وقوله عز وجل انا كذلك نجزي المحسنين ابتدا اخبار من
الله والمعنى انا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزي من احسن في طاعتنا قال مقاتل جزاه الله
باحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه ان هذا لهو البلا المبين اي الاختبار المبين الذي
تميز فيه المخلصون من غيرهم والمحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها وقال
مقاتل رحمه الله البلا ههنا النعمة وهو ان فدى ابنه بالكبش وقوله تعالى وفديناه بذبح
عظيم الذبح مصدر ذبحت والذبح ايضا ما يذبح وهو المراد في هذه الاية وسمي عظيما لعظمه
وسمنه وقال سعيد بن جبير حق له ان يكون عظيما لعظم قدره حيث قبله الله تعالى فدا
وتقدم الكلام على نظيره بقية القصة قوله تعالى وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين
نبيا نصب على الحال وهي حال مقدرة قال ابو حيان ان كان الذبيح اسحاق فيظهر كونها
حالا مقدرة وان كان اسماعيل هو الذبيح وكانت هذه البشارة بشارة بولادة اسحاق فقد
جعل الزمخشري ذلك محل سوال فان قلت فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين
وذلك ان المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين
الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به
اوجب عدم حاله لان الحال حلية لا تقوم الا بالمحل وهذا المبشر به الذي هو اسحاق حين وجد
لم يوجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة طويلة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال
صفة للفاعل والمفعول عند وجود الفعل منه او به فالخلود وان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة
فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون موجوده
او مقدرة وقت وجود البشارة باسحاق لعدم اسحاق قلت هذا السوال دقيق السلك ضيق المسلك
والذي يحل الاشكال انه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قوله تعالى وبشرناه بوجود اسحاق
نبيا اي بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير
قوله تعالى فادخلوها خالدين انتهى وهو كلام حسن قوله تعالى من الصالحين يجوز ان يكون
صفة لنبيا وان يكون حالا من الضمير في نبيا فتكون حالا متداخلة ويجوز ان يكون حالا ثانيه
قال الزمخشري وردوها على سبيل الثنا والتقريظ لان كل نبي لا بد ان يكون من الصالحين قوله
تعالى وباركنا عليه يعني على ابراهيم في اولاده وعلى اسحاق بان اخرج جميع انبيا بني اسرايل
من صلبه وقيل هو الثنا الحسن على ابراهيم واسحاق الى يوم القيمة ومن ذريتهما محسن اي مومن
وظالم لنفسه اي كافر مبين ظاهر وفي ذلك تنبيه على انه لا يلزم من كثرة فضايل الاب فضيلة
الابن لئلا تصير هذه الشبهة سببا لمفاخرة اليهود ودخل تحت قوله محسن الانبيا والمومنون
وتحت قوله وظالم الكافر والفاسق قوله تعالى ولقد مننا على موسى وهرون انعمنا عليهما بالنبوة
ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم اي الغم العظيم الذي كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم
وقيل من الغرق قوله ونصرناهم الضمير يعود على موسى وهرون وقومهما وقيل عايد على الاثنين
بلفظ الجمع تعظيما كقوله • فان شئت حرمت النسا سواكم •
يا ايها النبي اذا طلقتم قوله تعالى فكانوا هم يجوز في هم ان يكون تاكيدا وان يكون بدلا وان
يكون فصلا وهو الاظهر **فصل** المعنى فكانوا هم الغالبين على القبط او في كل الاحوال
اما في اول الامر فبظهور الحجة واما في اخر الامر فبالدولة والرفعة واتيناهما الكتاب المستبين
المستنير المشتمل على جميع العلوم المحتاج اليها في مصالح الدين والدنيا كما قال تعالى انا انزلنا
التورية فيها هدى ونور وهديناهما الصراط المستقيم اي دللناهما على طريق الحق عقلا وسمعا
وتركنا عليهما في الاخرين تقدم الكلام عليه الى اخر القصة قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين
قرا العامة الياس بهمزة مكسورة وهمزة قطع وابن ذكوان يوصلها ولم ينقلها عنه ابو حيان
بل نقلها عن جماعة غيره ووجه القراتين انه اسم اعجمي تلاعبت به العرب فقطعت همزته تارة
ووصلتها اخرى وقالوا فيه الياسين كجبرائين وقيل يحتمل قراة الوصل ان يكون اسمه ياس ثم
دخلت عليه ال المعرفة كما دخلت على يسع وقد تقدم والياس هذا قيل هو ابن الياسين المذكور

بعد من ولد هرون اخي موسي وقال ابن عباس هو ابن عم اليسع قال ابن اسحاق هو الياس بن
بشير بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران وروي عن عبد الله بن مسعود قال الياس
هو ادريس وفي مصحفه وان ادريس لمن المرسلين وبها قرا عبد الله والاعمش وابن وثاب وهذا
قول عكرمة وقري ادراس كابراهيم وابراهام وفي مصحف ابي وقرابه وان ايليس بهمزة مكسورة
ثم يا ساكنة منقوطتين من تحت ثم لام مكسورة ثم يا منقطتين من تحت ساكنة ثم سين مهملة مفتوحة
قوله تعالي اذ قال ظرف لقوله لمن المرسلين او التقدير اذكر يا محمد لقومك اذ قال لقومه الا تتقون
اي الا تخافون الله ولما خوفهم علي سبيل الاجمال ذكر ما هو السبب لذلك التخويف فقال اتدعون
بعلا وتذرون احسن الخالقين قوله بعلا القراء علي تنوينه منصوبا وهو الرب بلغة اليمن سمع
ابن عباس رضي الله عنه رجلا منهم ينشد ضالة فقال آخر انا بعلها فقال الله اكبر وتلا الاية
ويقال من بعل هذه الدار اي من ربها وسمي الزوج بعلا لهذا المعني قال تعالي وبعولتهن
احق بردهن وقال وهذا بعلي شيخا فعلي هذا التقدير المعني اتعبدون بعض البعول
وتتركون عبادة الله تعالي وقيل هو علم الصنم بعينه وقيل هو علم لامراة بعينها اتتهم بضلال
فاتبعوها ويويده قراة من قرا بعلا بزنة حمرا قوله تعالي وتذرون يجوز ان يكون حالا علي
اضمار مبتدا وان يكون عطفا علي تدعون فيكون داخلا في حيز الانكار قوله تعالي الله ربكم
ورب قرا الاخوان وحفص بنصب الثلاثة من ثلاثة اوجه النصب علي المدح او البدل او البيان
ان قلنا ان اضافة افعل اضافة محضة والباقون بالرفع اما علي خبر ابتدا مضمر اي هو الله
او علي ان الجلالة مبتدا وما بعده الخبر روي عن حمزة انه كان اذا وصل نصب واذا وقف رفع
وهو حسن جدا وفيه جمع بين الروايتين **فصل** قال المفسرون لما قبض الله حزقيل
صلوات الله عليه عظمت الاحداث في بني اسرايل وظهر فيهم الفساد والشرك وعبدوا الاوثان
من دون الله عز وجل فبعث الله اليهم الياس نبيا وكانت الانبيا من بني اسرايل يبعثون من بعد
موسي بتجديد ما نسوا من التوراة وبنوا اسرايل كانوا متفرقين في ارض الشام وسبب ذلك
ان يوشع بن نون لما فتح الشام بواها بني اسرايل وقسمها بينهم فاحل سبطا منهم بعلبك ونواحيها
وهم السبط الذين كان منهم الياس فبعثه الله اليهم نبيا وعليهم يوميذ ملك يقال له اجب قد اضل
قومه واجبرهم علي عبادة الاصنام وكان يعبد هو وقومه صنما يقال له بعل وكان طوله عشرون
ذراعا وله اربعة اوجه فجعل الياس يدعوهم الي الله عز وجل وهم لا يسمعون منه الا ما كان من
الملك فانه صدقه وامن به ثم ذكروا قصة طويلة وذكروا في اخرها ان الياس رفع الي السما
وكساه الله الريش وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فكان انسيا ملكا ارضيا سماويا قال ابن ابي رواد
ان الخضر والياس يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام وقيل ان
الياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار ثم قال تعالي فكذبوه فانهم لمحضرون اي لمحضرون
النار غدا الا عباد الله المخلصين من قومه اي الذي اتوا بالتوحيد الخالص فانهم لا يحضرون
وتركنا عليه في الاخرين قوله تعالي الا عباد الله استثنا متصل من فاعل فكذبوه وفيه دلايل
علي ان في قومه من لم يكذبه فلذلك استثنوا ولا يجوز ان يكونوا مستثنين من ضمير لمحضرون لانه
يلزم ان يكونوا مندرجين فيمن كذب لكنهم لم يحضروا لكونهم عباد الله المخلصين وهو بين الفساد
لا يقال هو مستثني منه استثنا منقطعا لانه يصير المعني لكن عباد الله المخلصين من غير هولاء
لم يحضروا ولا حاجة الي هذا الوجه اذ به يفسد به نظم الكلام قوله تعالي علي الياسين قرا
نافع وابن عامر علي ال ياسين باضافة ال بمعني اهل الي ياسين والباقون بكسر الهمزة وسكون
اللام موصولة بياسين كانه جمع الياس جمع سلامة فاما الاولي فانه اراد بالال الياس ولد ياسين
كما تقدم واصحابه وقيل المراد بياسين هذا الياس المتقدم فيكون له اسمان مثل اسماعيل واسماعين
وميكاييل وميكايين وآله رهطه وقومه المومنون وقيل المراد بياسين محمد بن عبد الله صلي
الله عليه وسلم وقيل المراد بياسين اسم القران كانه قيل سلام علي من امن بكتاب الله الذي هو
يس واما القراة الثانية فقيل هي جمع الياس المتقدم وجمع باعتبار اصحابه كالمهلبين والاشعثين
في المهلب وبنيه والاشعث وقومه وهو في الاصل جمع المنسوب الي الياس والاصل الياسي
كالاشعري ثم استثقل تضعيفها فحذفت احدي يايي النسب فلما جمع جمع سلامة التقي ساكنان احدي

الياين ويا الجمع فحذفت اولاهما لالتقا الساكنين وصار الياسين كما تري ومثله الاشعريون
والخبيبون قال قدني من نصر الخبيبين قد وتقدم طرف من هذا اخر الشعرا عند قوله الاعجمين
الا ان الزمخشري قد رد هذا بانه لو كان علي ما ذكر لوجب تعريفه بال فكان يقال علي الياسين قال
شهاب الدين رحمه الله لانه متي جمع العلم جمع سلامة او ثني لزمته الالف واللام لانه تزول علميته
فيقال الزيدان الزيدون الزينبات ولا يلتفت الي قولهم جماديان وعمايتان علمي شهرين وجبلين
لندورهما وقرا الحسن وابو رجا علي الياسين بوصل الهمزة علي انه جمع الياس وقومه المنسوبين اليه
بالطريق المذكورة وهذه واضحة لوجود ال المعرفة فيه كالزيدين وقرا عبد الله علي ادراسين لانه
قرا في الاول وان ادريس وقرا ابي علي ايليسين لانه قري في الاول وان ايليس كما تقدم عنه
وهاتان تدلان علي ان الياسين جمع الياس وتقدم الكلام علي نظيرها في القصة قوله تعالي وان
لوطا لمن المرسلين تقدم الكلام علي نظيره وقوله مصبحين حال وهو من اصبح التامة بمعني داخلين
في الصباح ومنه اذا سمعت بسري القين فاعلم بانه مصبح اي مقيم في الصباح وتقدم ذلك في سورة
الروم وبالليل عطف علي الحال قبلها اي وملتبسين بالليل والمعني ان اوليك القوم كانوا يمرون
الي الشام والمسافر في اكثر الامر انما يمشي في الليل او في اول النهار فلهذا السبب عبر تعالي عن هذين
الوقتين ثم قال افلا تعقلون اي اليس فيكم عقول تعتبرون بها قوله تعالي وان يونس لمن المرسلين
قرا يونس بضم النون وكسرها قاله الزمخشري قال ابن الخطيب وانما صارت هذه القصة اخر القصص
لانه لما لم يصبر علي اذي قومه وابق الي الفلك وقع في تلك الشدايد فصار هذا سببا لصبر النبي صلي
الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم علي اذي قومه قال المفسرون بعث الله يونس
صلوات الله عليه الي اهل نينوي من ارض الموصل فدعاهم الي الله عز وجل فكذبوه وعادوا علي
كفرهم فلما طال ذلك عليه خرج من بين اظهرهم ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث كما سياتي
قوله تعالي اذ ابق ظرف للمرسلين اي هو من المرسلين حتي في هذه الحالة وابق اي هرب يقال
ابق العبد يابق اباقا فهو ابق والجمع اباق كضراب وفيه لغة ثانية ابق بالكسر يابق بالفتح وابق
الرجل سببه في الاستتار وقول الشاعر • قد احكمت حكمات القد والابقا •
قيل هو القنب قوله تعالي فساهم اي فغالبهم في المساهمة وهي الاقتراع واصله ان يخرج السهم
علي من غلب فكان من المدحضين اي المغلوبين يقال ادحض الله حجته فدحضت اي ازالها فزالت
واصل الكلمة من الدحض وهو الزلق يقال دحضت رجل البعير اذا زلقت **فصل** قال
ابن عباس ووهب كان يونس وعد قومه العذاب فلما تاخر عنهم خرج كالمستور منهم فقصد
البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون هنا عبد ابق من سيده فاقترعوا
فوقعت القرعة علي يونس فاقترعوا ثلاثا فوقعت علي يونس فقال يونس انا الابق وزج نفسه
في الما قوله تعالي فالتقمه الحوت وهو مليم الملم الذي اتي بما يلام عليه قال •
• وكم من مليم لم يصب بملامة • ومتبع بالذنب ليس له ذنب •
يقال الام فلان اي فعل ما يلام عليه وقوله تعالي وهو مليم حال وقري مليم بفتح الميم من لام يلوم
وهي شاذة جدا اذ كان قياسها ملوم لانها من ذوات الواو كمقول ومصوغ وكانه اخذت من ليم
علي كذا مبنيا للمفعول ومثله في ذلك مشيب البيض فهو مشيب ومدعي والقياس مشوب
ومدعو لانهما من يشوب ويدعوا **فصل** وروي ابن عباس رضي الله عنه ان يونس
صلوات الله عليه كان يسكن مع قومه فلسطين فغزاهم ملك وسبي منهم تسعة اسباط ونصف
وبقي سبطان ونصف وكان قد اوحي الي بني اسرايل اذا اسركم عدوكم واصابتكم مصيبة فادعوني
استجب لكم فلما نسوا ذلك واسروا اوحي الله تبارك وتعالي بعد حين الي نبي من انبيايهم ان اذهب
الي ملك هولاء الاقوام وقل له يبعث الي بني اسرايل نبيا فاختار يونس صلوات الله عليه لقوته
وامانته قال يونس الله امرك بهذا قال لا ولكن امرت ان ابعث قويا امينا وانت كذلك فقال
يونس وفي بني اسرايل من هو اقوي مني فلم لا تبعثه فالح الملك عليه فغضب يونس منه وخرج
حتي اتي بحر الروم فوجد سفينة مشحونة فحملوه فيها فلما اشرفت علي لجة البحر اشرفوا علي الغرق
فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل في السفينة ما نراه وقال التجار قد جربنا مثل هذا
فاذا رايناه نقترع فمن خرج عليه نغرقه فلان يغرق واحد خير من غرق الكل فخرج من بينهم

يونس فقال يا هؤلا انا العاصي وتلفف في كسا ورمى نفسه فالتقمه الحوت واوحى الله تعالى الى الحوت لا تكسر منه عظما ولا تقطع منه وصلا ثم ان السمكة خرجت الى نيل مصر ثم الى بحر فارس ثم الى البطايح ثم دجله وصعدت به ومنه في ارض نصيبين بالعرا وهو كالفرخ المنتوف لا شعر ولا لحم فانبت الله تعالى عليه شجرة من يقطين فكان يستظل بها ويا كل من ثمرها حتى اشتد ثم ان الارضه اكلتها فحزن يونس لذلك حزنا شديدا فقال يا رب كنت استظل تحت هذه الشجرة من الشمس والريح وامص من ثمرها وقد سقطت فقيل يا يونس تحزن على شجرة انبتت في ساعة وبليت في ساعة ولا تحزن على مائة الف او يزيدون تركتهم فانطلق اليهم فانطلق اليهم قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين من الذاكرين الله قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس رضي الله عنه من المصلين وقال وهب من العابدين وقال الحسن ما كانت له صلوة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا وقال سعيد بن جبير هو قوله في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قوله تعالى في بطنه الظاهر انه متعلق بلبث وقيل حال اي مستقرا وكان بطنه قبرا له الى يوم البعث قال الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطن الحوت وقال بعضهم التقمه بكرة ولفظه عشية وقال مقاتل بن حيان ثلثة وعن عطا سبعة ايام وعن الضحاك عشرين يوما وقيل شهرا وقيل اربعين قال ابن الخطيب ولا ادري باي دليل عينوا هذه المقادير وروي ابو بردة رضي الله عنه عن النبي المصطفى صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه انه قال سبح يونس صلوات الله عليه في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة فقال الله عز وجل ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له فامر الحوت فقذفه بالساحل وروي ان يونس لما ابتلعه الحوت ابتلع الحوت حوتا اخر اكبر منه فلما استقر في جوف الحوت حسب انه قد مات فحرك جوارحه فتحركت فاذا هو حي فخر لله ساجدا وقال يا رب اتخذت لك مسجدا لم يعبدك احد في مثله قوله تعالى فنبذناه اضاف النبذ الى نفسه مع ان ذلك النبذ انما حصل بفعل الحوت وهذا يدل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى وقوله بالعراء اي في العراء نحو زيد بمكة والعرا الارض الواسعة التي لا نبات بها ولا معلم اشتقاقا من العري وهو عدم الستر وسميت الارض الجرداء بذلك لعدم استتارها بشي والعرا بالقصر الناحية ومنه اعتراه اي قصد عراه واما الممدود فهو كما تقدم الارض الفضا قال

ورفعت رجلا لا اخاف عثارها ● ونبذت بالمتن العراء ثيابي

قوله تعالى وانبتنا عليه اي له وقيل عنده شجرة من يقطين اليقطين تفعيل من قطن بالمكان اذا اقام فيه لا يبرح قال المبرد والزجاج اليقطين كل ما لم يكن له ساق من عود كالقثا والقرع والبطيخ والحنظل وهو قول الحسن ومقاتل قال البغوي رحمه الله المراد هنا القرع فقال ومن جعل القرع من بين الشجر يقطينا كل ورق انشقت وشربت فهو يقطين واعلم ان في قوله شجرة ما يرد قول بعضهم ان الشجرة في كلامهم ما كان لها ساق من عود بل الصحيح انها اعم ولذلك بينت بقوله من يقطين واما قوله تعالى والنجم والشجر فلا دليل فيه لانه استعمال اللفظ العام في احد مدلولاته وقيل بل انبت الله اليقطين الخاص على ساق معجزة له فجا على اصله قال الواحدي الاية تقتضي شيئين لم يذكرها المفسرون احدهما ان هذا اليقطين لم يكن فانبته الله لاجله والاخر ان اليقطين معروشا ليحصل له ظل ولو كان منبسطا على الارض لم يمكن ان يستظل به قال مقاتل بن حيان كان يونس يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشيا حتى اشتد لحمه ونبت شعره فان قيل قال ههنا فنبذناه بالعراء وقال جل ذكره في موضع اخر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهذا يدل على انه لم ينبذ فالجواب لولا هناك يرجع الى الذم معناه لولا نعمة من ربه لنبذناه بالعراء وهو مذموم ولكنه تداركه النعمة فنبذه وهو غير مذموم

فصل

قال شهاب الدين رحمه الله ولو بنيت من الوعد مثل يقطين لقلت لا يقال بحذف الواو لوقوعها بين ياء وكسرة كيعد مضارع وعد لان شرط تلك اليا ان تكون للمضارعة

وهذه

وهذه مما يختص بها اهل التصريف بعضهم بعضا قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يحتمل ان يكون المراد وارسلناه قبل ما التقمه وعلى هذا فالارسال وان ذكر بعد الالتقام فالمراد به التقديم والواو معناها الجمع ويحتمل ان يكون المراد الارسال قال ابن عباس كان ارسال يونس بعد ما نبذه الحوت وعلى هذا التقدير يجوز انه ارسل الى قوم اخرين سوى القوم الاول ويجوز ان يكون ارسل الى الاولين ثانيا بشريعة فامنوا بها قوله تعالى او يزيدون في او هذه سبعة اوجه تقدم تحقيقها اول البقرة عند قوله تعالى او كصيب فالشك بالنسبة الى المخاطبين اي ان الرائي يشك عند رؤيتهم والابهام بالنسبة الى ان الله تعالى ابهم امرهم والاباحة اي ان الناظر اليهم يباح له ان يحزرهم بهذا القدر او بهذا القدر ولذلك التخيير اي هو مخير بين ان يحزرهم كذا او كذا او الاضراب ومعنى الواو واضحات قوله تعالى فامنوا فمتعناهم الى حين قال قتادة ارسل الى اهل نينوى من ارض الموصل قبل الالتقام كما تقدم وقيل بعد الالتقام وقيل الى قوم اخرين وتقدم الكلام على او قال ابن عباس انها بمعنى الواو وقال مقاتل والكلبي بمعنى بل وقال الزجاج على الاصل بالنسبة الى المخاطبين واختلفوا في مبلغ الزيادة قال ابن عباس ومقاتل كانوا عشرين الفا ورواه ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن بضعا وثلثين الفا وقال سعيد بن جبير سبعين الفا فامنوا يعني الذين ارسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب فامنوا فمتعناهم الى حين انقضا اجالهم قوله تعالى فاستفتهم قال الزمخشري معطوف على مثله في اول السورة وان تباعدت قال ابو حيان واذا كانوا قد عدوا الفصل بجملة نحو كل لحما واضرب زيدا وخبزا من اقبح التركيب فكيف بجمل كثيرة وقصص متباينة قال شهاب الدين ولقايل ان يقول ان الفصل وان كثر بين الجمل المتعاطفة مغتفر واما المثال الذي ذكره من قبيل المفردات الا ترى كيف عطف خبزا على لحما فعلى الاول انه تعالى لما ذكر اقاصيص الانبيا صلوات الله عليهم عاد الى شرح مذاهب المشركين وبيان قبحها ومن جملة اقوالهم الباطلة انهم اثبتوا الاولاد لله سبحانه وتعالى ثم زعموا انها من جنس الاناث لا من جنس الذكور فقال جل ذكره فاستفتهم اهم اشد خلقا وذلك انه تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض الى ان امره بان يستفتيهم في انهم لم يثبتوا لله سبحانه وتعالى البنات ولانفسهم البنين ونقل الواحدي رحمه الله عن المفسرين انهم قالوا ان قريشا واجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح قالوا الملائكة بنات الله تعالى الله وهذا الكلام يشتمل على امرين احدهما اثبات البنات لله وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنت والشي الذي يستنكف منه المخلوق كيف يمكن اثباته للخالق والثاني اثبات الملائكة اناث وهذا ايضا باطل لان طريق العلم اما الحس واما الخبر واما النظر اما الحس فمفقود لانهم لم يشاهدوا كيف خلق الله الملائكة وهو المراد من قوله تعالى ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون واما الخبر فمفقود ايضا لان الخبر انما يفيد العلم اذا علم كونه صدقا قطعا وهؤلاء الذين يخبرون عن هذا الحكم كذابون افاكون لم يدل على صدقهم دليل وهذا هو المراد من قوله الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون واما النظر فمفقود من وجهين الاول ان دليل العقل يقتضي فساد هذا المذهب لانه تعالى اكمل الموجودات والاكمل لا يليق به اصطفا البنات على البنين يعني اسناد الافضل الى الافضل اقرب الى العقل من اسناد الاخس الى الافضل فان كان حكم العقل معتبرا في هذا الباب كان قولكم باطلا الثاني ان نترك الاستدلال على فساد مذهبهم بل نطالبهم باثبات الدليل الدال على صحة مذهبهم فاذا لم يجدوا دليلا ظهر بطلان مذهبهم وهذا هو المراد بقوله تعالى ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين فقوله تعالى فاستفتهم فسل يا محمد اهل مكة وهو سوال توبيخ الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون حاضرون وهذه جملة حالية من الملائكة والرابط الواو وهي هنا واجبة لعدم رابط غيرها قال شهاب الدين ويحتمل ان يكون جملة حالية من المسولين قوله تعالى الا انهم من افكهم كذبهم ليقولون ولد الله العامة على ولد فعلا ماضيا مسندا للجلالة اي اتي بالولد تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وقرئ ولد الله باضافة الولد اليه اي يقولون الملائكة ولده فحذف المبتدا للعلم به وابقى خبره والولد فعل بمعنى مفعول كالقبض فلذلك يقع خبرا عن

المفرد والمثنى والمجموع تذكيرا وتأنيثا تقول هذا ولدي وهم ولدي قوله تعالى اصطفى
العامة على فتح الهمزة على انها همزة استفهام بمعنى الانكار والتقريع وقد حذف معها
همزة الوصل استغناء عنها وقرأ نافع في رواية وابو جعفر وشيبة والاعمش بهمزة وصل
تثبت ابتداء وتسقط درجا وفيه وجهان احدهما انه على نية الاستفهام وانما حذف للعلم
به ومنه قول عمر بن ابي ربيعة • ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد الرمل والحصى والتراب •
اي أتحبها والثاني ان هذه الجملة بدل من الجملة المحكية بالقول وهي ولد الله اي يقولون
كذا ويقولون اصطفى هذا الجنس على هذا الجنس قال الزمخشري رحمه الله وقد قراها
حمزة والاعمش وهذه القراءة وان كان هذا محتلها فهي ضعيفة والذي اضعفها ان هذه
الجملة قد اكتنفها الانكار من جانبيها وذلك قوله جل ذكره وانهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون
فمن جعلها للاثبات فقد اوقعها دخيلة بين نسيبين قال ابو حيان وليست دخيلة بين
نسيبين لان لها مناسبة ظاهرة مع قولهم ولد الله واما قوله جل ذكره وانهم لكاذبون فهي
جملة اعتراض بين مقالتي الكفرة جاءت للتشديد والتأكيد في كون مقالتهم تلك من افكهم
ونقل ابو البقاء انه قرئ اصطفى بالمد قال وهو بعيد جدا قوله تعالى ما لكم كيف تحكمون
جملتان استفهاميتان ليس لاحداهما تعلق بالاخرى من حيث الاعراب استفهم اولا عما استقر
لهم وثبت استفهام انكار وثانيهما استفهام تعجب من حكمهم بهذا الحكم الجائر وهو انهم نسبوا
اخس الجنسين وما يتطيرون منه ويتوارى احدهم من قومه عند بشارته به الى ربهم واحسن
الجنسين اليهم والمعنى ما لكم كيف تحكمون لله بالبنات ولكم بالبنين افلا تذكرون اي تتعظون ام
لكم سلطان مبين برهان بين على ان لله ولدا فأتوا بكتابكم الذي لكم فيه حجة ان كنتم صادقين
في قولكم قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال مجاهد وقتادة اراد بالجنة الملائكة
سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار وقال ابن عباس حي من الملائكة يقال لهم الجن منهم ابليس
لعنة الله عليه وقيل هم خزان الجنة قال ابن الخطيب وهذا القول عندي مشكل لانه تعالى
ابطل قولهم الملائكة بنات الله ثم عطف عليه قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا
والعطف يقتضي كون المعطوف مغايرا للمعطوف عليه فوجب ان يكون المراد من الاية غير
ما تقدم وقال مجاهد رحمه الله قالت كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم ابو بكر
الصديق رضي الله عنه فمن امهاتهم قالوا سروات الجن وهذا ايضا بعيد لان المصاهرة
لا تسمى نسبا قال ابن الخطيب وقد روينا في تفسير قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن
ان قوما من الزنادقة يقولون ان الله تعالى وابليس اخوان فالله هو الحر الكريم وابليس
عليه لعنة الله هو الاخ الشرير فقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا المراد منه
هذا المذهب وهذا القول عندي هو اقرب الاقاويل وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان
واهرمن ثم قال جل ذكره ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي علمت الجنة انهم لمحضرون
العذاب فعلى الاول الضمير عائد الى القائل وعلى الثاني عائد الى نفس الجنة ثم انه سبحانه
نزه نفسه عما قالوا من الكذب فقال جل ذكره سبحان الله عما يصفون قوله تعالى الا عباد
الله في هذا الاستثناء وجوه احدها انه مستثنى منقطع والمستثنى منه اما فاعل جعلوا اي
جعلوا بينه وبين الجنة نسبا الا عباد الله الثاني انه فاعل يصفون اي لكن عباد الله يصفونه
بما يليق به سبحانه وتعالى الثالث انه ضمير محضرون اي لكن عباد الله ناجون وعلى هذا
فيكون جملة التسبيح معترضة وظاهر كلام ابي البقاء انه يجوز ان يكون استثناء متصلا لانه
قال مستثنى من جعلوا او محضرون ويجوز ان يكون منفصلا وظاهر هذه العبارة ان الوجهين
الاولين هو فيهما متصل لا منفصل وليس ببعيد كانه قيل وجعل الناس ثم استثنى منهم هؤلاء
وكل من لم يجعل بين الله وبين الجنة نسبا فهو عند الله مخلص من الشرك قوله تعالى
فانكم وما تعبدون في المعطوف وجهان احدهما انه معطوف على اسم ان وما نافية وانتم
اسمها او مبتدأ وانتم فيه تغليب المخاطب على الغائب اذ الاصل فانكم ومعبودكم ما انتم
وهو فغلب الخطاب وعليه متعلق بقوله بفاتنين والضمير عائد على ما تعبدون بتقدير
حذف مضاف وضمن فاتنين معنى حاملين بالفتنة والتقدير فانكم والهتكم ما انتم وهم

حاملين

حاملين على عبادته الا الذي سبق في علمه انه من اهل صلي الجحيم فمن مفعول بفاتنين والاستثناء
مفرغ الثاني انه مفعول معه وعلى هذا فيحسن السكوت على تعبدون كما يحسن في قولك ان كل رجل
وضيعته وحكى الكسائي ان كل ثوب لو ثمنه والمعنى انكم مع معبودكم مقرونون كما يقدر ذلك في كل
رجل وضيعته فيتقاربان وقوله تعالى ما انتم عليه بفاتنين مستانف اي ما انتم على ما تعبدون
بفاتنين او بحاملين على الفتنة الا من هو صال منكم قالهما الزمخشري الا ان ابا البقاء ضعف
الثاني وتابعه ابو حيان في تضعيفه بعد تبادره الى الفهم قال شهاب الدين رحمه الله الظاهر
انه معطوف واستئناف ما انتم عليه بفاتنين غير واضح والحق احق ان يتبع وجوز الزمخشري
ان يعود الضمير في عليه على الله تعالى قال فان قلت كيف يفتنونهم على الله قلت يفسدونهم
عليه باغوائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول افسدها عليه وخببها عليه ومن هو
يجوز ان تكون موصولة او موصوفة وقرأ العامة صال الجحيم بكسر اللام لانه منقوص مضاف
حذفت لامه لالتقاء الساكنين وحمل على لفظ من فافرد كما افرد هو وقرأ الحسن وابن ابي عبلة
بضم اللام مع واو بعدها فيما نقله الهذلي عنهما وابن عطية عن الحسن وقرآ بضمها مع عدم واو
بعدها فيما نقله الهذلي ابن خالويه عنهما وعن الحسن فقط فيما نقله الزمخشري وابو الفضل
فاما مع الواو فانه جمع سلامة بالواو والنون ويكون قد حمل على لفظ من اولا فافرد في قوله هو
وعلى معناها ثانيا فجمع في قوله صالوا وحذفت النون للاضافة ومما حمل فيه على اللفظ والمعنى
في جملة واحدة وهي صلة للموصول قوله تعالى الا من كان هودا او نصارى فافرد في كان وجمع
في هودا ومثله قول الاخر وايقظ من كان منكم نياما واما مع عدم الواو فيحتمل ان يكون جمعا ايضا
وانما حذفت الواو خطا كما حذفت لفظا وكثيرا ما يفعلون هذا يسقطون في الخط ما يسقط في اللفظ
ومنه يقض الحق في قراءة من قرأ بالضاد المعجمة رسم بغير ياء وكذلك واخشون اليوم ويحتمل ان
يكون مفردا وحقه على هذا كسر اللام فقط لانه عين منقوص وعين المنقوص مكسورة ابدا وحذفت
اللام وهي الياء لالتقاء الساكنين نحو هذا قاضي البلد وقد ذكروا فيه توجيهين احدهما انه مقلوب
اذ الاصل صالي ثم صايل قدموا اللام الى موضع العين فوقع الاعراب على العين ثم حذفت لام
الكلمة بعد القلب فصار اللفظ كما ترى ووزنه على هذا فاع فيقال على هذا جاء صال ورأيت
صالا ومررت بصال فيصير في اللفظ كقولك هذا باب ورأيت بابا ومررت بباب ونظيره في مجرد
القلب شاك ولاث في شائك ولائث ولكن شائك ولائث قبل القلب صحيحان فصارا به معتلين
منقوصين بخلاف صال فانه قبل القلب معتل منقوصا فصار به صحيحا والثاني ان اللام حذفت
استثقالا من غير قلب وهذا اسهل مما قبله لانهم يتناسون اللام المحذوفة ويجعلون الاعراب
على العين وقد قرئ وله الجوار برفع الراء وجنى الجنتين دان برفع النون تشبيها بجناح وجان
وقالوا ما باليت به بالة والاصل بالية كعافية وقد تقدم طرف من هذا عند قوله ومن فوقهم
غواش فيمن قرأه برفع الشين **فصل** قال المفسرون المعنى فانكم يقول لاهل مكة
وما تعبدون من الاصنام ما انتم عليه على ما تعبدون بفاتنين بمضلين احدا الا من هو صال
الجحيم اي الا من قدر الله انه سيدخل النار اي من سبق له في علم الله الشقاوة واعلم انه لما
ذكر الدلائل الدالة على فساد مذاهب الكفار اتبعه بما ينبه به على ان هؤلاء الكفار لا
يقدرون على اضلال احد الا اذا كان قد سبق حكم الله في حقه بالعذاب والوقوع في النار
واحتج اهل السنة بهذه الاية على انه لا تاثير لايحاء الشيطان ووسوسته قوله تعالى وما
منا الا له مقام معلوم فيه وجهان احدهما ان منا صفة لموصوف محذوف هو مبتدأ والخبر الجملة من قوله
الا له مقام معلوم تقديره ما احد منا الا له مقام وحذف المبتدأ مع من جيد فصيح والثاني ان
المبتدأ محذوف ايضا والا له مقام قال الزمخشري حذف الموصوف واقام الصفة مقامه
كقوله • انا ابن العلا وطلاع الثنايا • ترمي بكفي كان من ارمى البشر •
ورده ابو حيان فقال ليس هذا من حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه لان المحذوف
مبتدأ والا له مقام خبره ولانه لا ينعقد كلام من قوله وما منا احد وقوله الا له مقام معلوم
محط الفائدة وان تخيل ان الا له مقام معلوم في موضع الصفة فقد نصوا على ان الا لا تكون
صفة اذا حذف موصوفها وانها فارقت غيرا اذا كانت صفة في ذلك التمكن غير في الوصف وعدم

لما تقدم وكذلك قرا قاف ونون بالفتح فيهما وهما كما تقدم ولم يحفظ التنوين مع الفتح والضم

فصل قيل هذا قسم وقيل اسم للسورة كما ذكر في الحروف المقطعة في اوايل السور
وقال كعب القرظي مفتاح اسم الصمد وصادق الوعد وقال الضحاك معناه صدق الله تعالى
وروي عن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه ان القران مركب من هذه
الحروف وانتم قادرون عليها ولستم قادرين على معارضته فان قيل قوله والقران ذي الذكر
قسم فاين المقسم عليه فالجواب من وجوه احدها قال الزجاج رحمه الله والكوفيون غير
الفرا هو قوله ان ذلك لحق قال الفرا لا نجده مستقيما لتاخيره جدا عن قوله والقران
قال ثعلب والفرا هو قوله وكم اهلكنا والاصل لكم اهلكنا فحذف اللام كما حذف في قوله تعالى
قد افلح من زكاها بعد قوله والشمس لما طال عليه الكلام الثالث قال الاخفش هو قوله تعالى
ان كل الا كذب الرسل كقوله تعالى تالله ان كنا كقوله تعالى والسما والطارق ان كل الرابع
قوله جل وعلا ان هذا لرزقنا الخامس هو قوله سبحانه ص لان المعنى والقران لقد صدق
محمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا قاله الفرا وثعلب ايضا وهذا بنا منهما على جواز تقديم جواب
القسم وان هذا الحرف مقتطع من جملة دال هو عليها وكلاهما ضعيف السادس انه محذوف
واختلفوا في تقديره فقال الحوفي تقديره لقد جاكم الحق ونحوه وقدره ابن عطية ما الامر
كما تزعم ودل على هذا المحذوف قوله عز وجل بل الذين كفروا والزمخشري انه لمعجز وابو حيان
انك لمن المرسلين قال لانه نظير يس والقران الحكيم وللزمخشري عبارة بشعة جدا قال
فان قلت قوله تعالى ص والقران ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره
متناف غير منتظم فما وجه انتظامه قلت فيه وجهان احدهما ان يكون قد ذكر اسم هذا
الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز كما مر في اول الكتاب ثم اتبعه
القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كانه قال والقران ذي الذكر انه لكلام معجز
والثاني ان يكون ص خبر مبتدا محذوف على انها اسم للسورة كانه قال هذه ص يعني
هذه السورة التي اعجزت العرب والقران ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد
هو المشهور بالسخا والله ولذلك اذا اقسم بها كانه قال اقسمت بص والقران ذي
الذكر انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الاذعان لذلك
والاعتراف وشقاق لله ولرسوله واذا جعلتها مقسما وعطفت عليها والقران ذي الذكر جاز
لك ان تريد بالقران التنزيل كله وان تريد السورة بعينها ومعناه اقسم بالسورة الشريفة
والقران ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير
الرجل وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره بل الذين كفروا في عزة وشقاق والقران ذي
الذكر اي ذي الشرف وقال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقال جل ذكره لقد انزلنا اليكم
كتابا فيه ذكركم كما تقول لفلان ذكر في الناس ويحتمل ان يكون معناه ذو البنا اي اخبار
الاولين والاخرين وبيان العلوم الاصلية والفرعية قوله تعالى بل الذين كفروا
اضراب انتقال من قصة الى اخرى وقرا الكسائي في رواية سورة وحماد بن الزبرقان وابو
جعفر والجحدري في غرة بالغين المعجمة والرا وقد نقل ان حمادا الراوية قراها لذلك تصحيفا
فلما ردت عليه قال ما ظننت ان الكافرين في عزة وهو وهم منه لان الغرة المشار اليها
حمية الجاهلية والتكبر في عزة وشقاق دلالة على شدتهما وتناهيهما **فصل** قالت
المعتزلة دل قوله ذي الذكر على انه محدث ويؤيده وانه لذكر لك ولقومك وهذا ذكر مبارك
ان هو الا ذكر وقران مبين والجواب انا نصرف دليلكم الى ما نقراه نحن ونتلفظ به فصل
قال القشيري بل للتدارك كلام ونفي اخر ومجاز الاية ان الله اقسم بص والقران ذي الذكر ان
الذين كفروا من اهل مكة في عزة حمية جاهلية وتكبر عن الحق وشقاق خلاف وعداوة
لمحمد صلى الله عليه وسلم قال مجاهد في عزة معازين قوله تعالى كم اهلكنا كم مفعول اهلكنا
ومن قرن تمييز ومن قبلهم لابتدا الغاية والمعنى كم اهلكنا من قبلهم من قرن يعني من الامم
الخالية فنادوا واستغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة وقيل نادوا بالايمان والتوبة
عند معاينة العذاب قوله تعالى ولات حين هذه الجملة في محل نصب على الحال من فاعل

نادوا اي استغاثوا والحال انه لا مهرب ولا منجا وقرا العامة حين ولات بفتح التاء وحين
بالنصب وفيها اوجه احدها وهو مذهب سيبويه ان لا نافية بمعنى ليس والتاء مزيدة فيها
كزيادتها في رب وثم كقولهم ربت وثمت واصلها ها وصلت بلا فقالوا لاه كما قالوا ثمه ولا تعمل
الا في الازمان خاصة نحو لات حين ولات اوان كقوله

طلبوا صلحنا ولات اوان • فاجبنا ان ليس حين بقاء

وقول الاخر

ندم البغاة ولات ساعة مندم • والبغي مرتع مبتغيه وخيم

والاكثر حينئذ حذف مرفوعها تقديره ولات الحين حين مناص وقد يحذف المنصوب ويبقى المرفوع
وقد قرا هنا بذلك بعضهم كقوله

من صد عن نيرانها • فانا ابن قيس لا براح

اي لا براح لي ولا تعمل في غير الاحيان على المشهور وقد تمسك باعمالها في غير الاحيان في قوله

حنت نوار ولات هنا حنت • وبدا الذي كانت نوار اجنت

فان هنا من ظروف الامكنة وفيه شذوذ من ثلاثة اوجه احدها عملها في اسم وهو معرفة
ولا تعمل الا في النكرات الثاني كونه لا يتصرف الثالث غير زمان وقد رد بعضهم هذا بان
هنا قد خرجت عن المكانية واستعملت في الزمان كقوله تعالى هنالك ابتلي المومنون
وقوله فهناك معرفون اين المفزع كما تقدم في سورة الاحزاب الا ان الشذوذ بين الاحرفين
باقيين وتاول بعضهم البيت ايضا بتاويل اخر وهو ان لات هنا مهملة لا عمل لها وهنا ظرف خبر
مقدم وحنت مبتدا بتاويل حرف ان المصدرية تقديره ان حنت نحو تسمع بالمعيدي خير من ان
تراه وفي هذا تكلف وبعد الا ان فيه الاستراحة من الشذوذات المذكورات والشذوذين
وفي الوقف عليها مذهبان اشهرهما عند العرب وجماهير القرا السبعة بالتا المجبودة اتباعا
لمرسوم الخط والكساي وحده من السبعة بالها والاول مذهب الخليل وسيبويه والزجاج
والفرا وابن كيسان والثاني مذهب المبرد واغرب ابو عبيد فقال الوقف على والتا متصلة
بحين فيقولون لا تحين ومنه لات حين كانه كذا فعلت كذا وقال رايتها في الامام كذا ولاتحين
متصلة وانشد على ذلك ايضا قول ابي وجزة السعدي

العاطفون تحين ما من عاطف • والمطعمون زمان لا من مطعم

ومن حديث ابن عمر وساله رجل عن عثمان فذكر مناقبه فقال اذهب تلان الى اصحابك يريد
الان والمصاحف انما هي لات حين وحمل العامة ما راه على انه مما شذ عن قياس الخط كنظاير
له مرت واما البيت فقيل فيه انه شاذ لا يلتفت اليه وقيل ان الاصل العاطفون حين
لات حين لا من عاطف فحذف حين الاول ولا وحدها كما انه صرح باضافة حين اليها في قول الاخر وذلك
حين لات اوان حلم ذكر هذا الوجه ابن مالك وهو متعسف جدا وقد يقدر اضافة حين اليها
من غير حذف لها كقوله

يذكر حب ليلى لات حينا

اي حين لات وايضا فكيف يصنع ابو عبيد بقوله

ولات ساعة مندم

ولات اوان فانه قد وجدت التا مع لا دون حين الوجه الثاني من الاوجه السابقة انها
عاملة عمل ان يعني انها نافية للجنس فيكون حين مناص اسمها وخبرها مقدر تقديره ولات
حين مناص لهم كقولك لا غلام سفر لك واسمها معرب لكونه مضافا الثالث ان بعدها فعل
مقدرا ناصب لحين مناص بعدها اي لات اري حين مناص لهم بمعنى لست اري ذلك ومثله لا مرحبا
بهم ولا اهلا ولا سهلا اي لا اتوا مرحبا ولا وطيوا سهلا ولا لقوا اهلا وهذان الوجهان ذهب
اليهما الاخفش وهما ضعيفان وليس اضمار الفعل هنا نظير اضماره في قوله الا رجلا جزاه
الله خيرا لضرورة ان اسمها المفرد النكرة مبني على الفتح فلما رايناه هنا معربا قدرنا له فعلا
خلافا للزجاج فانه يجوز تنوينه في الضرورة ويدعي ان فتحته للاعراب وانما
حذف التنوين للتخفيف ويستدل بالبيت المذكور وقد تقدم تحقيق هذا الرابع ان لات
هذه ليست هي لا مزادا فيها تا التانيث وانما هي ليس فابدلت السين تا وقد ابدلت منها في
مواضع قالوا النات يريد الناس ومنه ست واصله سدس وقال

يا قاتل الله بني السعلات • عمرو بن يربوع شرار النات • ليسوا باجيار ولا اكيات •
وقري شاذا قل اعوذ برب النات اي الناس يريد شرار الناس ولا اكياس فابدل ولما ابدل
السين تا خاف من التباسها بحرف التمني فقلب التا الفا فبقيت لات وهو من الاكتفا بحرف
العلة لان حرف العلة لا يبدل الفا الا بشروط منها ان يتحرك وان ينفتح ما قبله فيكون حين
مناص خبرها والاسم محذوف على ما تقدم والعمل هنا بحق الاصالة لا الفرعية وقرا عيسى بن
عمر ولات حين مناص بكسر التا وجر حين وهي قراة مشكلة جدا زعم الفرا ان لات يجر بها وانشد
ولتندمن ولات ساعة مندم • وانشد غيره • طلبوا صلحنا ولات اوان •
البيت وقال الزمخشري ومثله قول ابي زبيد الطاي طلبوا صلحنا البيت قال فان قلت ما وجه
الجر في اوان قلت شبه باذ في قوله وانت اذ في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض منه
التنوين لان الاصل ولات صحيح وان صلح فان قلت فما يقول في حين مناص والمضاف اليه
قايم قلت نزل قطع المضاف اليه من مناص لان اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين
لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من المضاف المحذوف ثم بني الحين لكونه
مضافا الى غير متمكن انتهى وخرجه ابو حيان على اضمار من والاصل ولات من حين مناص ه
فحذفت من وبقي عملها نحو قولهم على كم جذع بنيت بيتك اي من جذع في اصح القولين وفيه
قول اخر ان الجر بالاضافة ومثله قوله • الا رجل جزاه الله خيرا •
انشدوه بجر رجل اي الا من رجل وقد يتايد بظهورها في قوله وقال الا من سبيل الى هند
قال ويكون موضع من حين مناص رفعا على انه اسم لات بمعنى ليس كما يقول ليس من رجل قايما
والخبر محذوف وهذا على قول سيبويه وعلى انه مبتدا والخبر محذوف على قول الاخفش وخرج
الاخفش ولات اوان على حذف مضاف يعني انه حذف المضاف وبقي المضاف اليه مجرورا على ما كان
والاصل ولات حين اوان وقد رد هذا الوجه مكي بانه كان ينبغي ان يقوم المضاف اليه مقامه
في الاعراب فيرفع قال شهاب الدين رحمه الله فرجا ببقا المضاف اليه على جره وهو قسمان
قليل وكثير فالكثير ان يكون في اللفظ مثل المضاف نحو قوله •
• اكل امر تحسبين امرا • ونار توقد بالليل نارا •
اي وكل نار والقليل ان لا يكون كقراة من قرا والله يريد الاخرة بجر الاخرة فليكن هذا منه
على ان المبرد رواه بالرفع على اقامته مقام المضاف وقال الزجاج الاصل ولات اواننا فحذف
المضاف اليه فوجب ان لا يعرب وكسر لالتقا الساكنين قال ابو حيان وهذا هو الوجه الذي
قرره الزمخشري اخذه من ابي اسحاق يعني الوجه الاول وهو قوله ولات وان صلح هذا ما يتعلق
بجر حين واما كسر تا ولات فعلى اصل التقا الساكنين كجير الا انه لا يعرف تا تانيث الا مفتوحة
وقرا عيسى ايضا بكسر التا فقط ونصب حين كالعامة وقرا ايضا ولات حين بالرفع مناص
بالفتح وهذه قراة مشكلة جدا لا تبعد عن الغلط من راويها عن عيسى فانه بمكانه من العلم
المانع له من مثل هذه القراة وقد خرجها ابو الفضل الرازي في لوامحه على التقديم والتاخير
وان حين مجرى قبل وبعد في بنايه على الضم عند قطعه عن الاضافة بجامع ما بينه وبينهما
من الظرفية الزمانية ومناص اسمها مبني على الفتح فصل بينه وبينها بحين المقطوع عن
الاضافة والاصل ولات مناص حين كذا ثم حذف المضاف اليه حين وبني على الضم وقدم فاصلا
بين لات واسمها قال وقد يجوز ان يكون لذلك معنى لا اعرفه وقد روي في تا لات الفتح والكسر
والضم قوله تعالى فنادوا ولا مفعول له لان القصد فعلوا النداء من غير قصد منادى وقال
الكلبي كانوا اذا قاتلوا فاضطر نادى بعضهم لبعض مناص اي عليكم بالفرار فلما اتاهم
العذاب قالوا مناص فقال الله لهم ولات حين مناص قال القشيري فعلى هذا يكون التقدير
فنادوا مناص فحذف لدلالة ما بعده عليه قال شهاب الدين فيكون قد حذف المنادى
وهو بعضا وما ينادون به وهو مناص اي نادوا بعضهم بهذا اللفظ وقال الجرجاني رحمه
الله اي فنادوا حين لا مناص اي ساعة لا منجا ولا فوت فلما قدم لا واخر حين اقتضى ذلك
الواو كما يقتضي الحال اذا جعل ابتدا وخبرا مثل ما تقول جا زيد راكبا ثم تقول جا وهو راكب
فحين ظرف لقوله فنادوا قال ابو حيان وكون اصل هذه الجملة فنادوا حين لا مناص وان حين

ظرف لقوله فنادوا ادعوى اعجمية في نظم القران والمعنى على نظمه في غاية الوضوح قال شهاب
الدين الجرجاني لا يعني ان حين ظرف لنادوا في التركيب الذي عليه القران الان انما يعني بذلك
في اصل المعنى والتركيب كما يشبه ذلك بقوله جا زيد راكبا ثم جا زيد وهو راكب فراكبا في التركيب
الاول حال وفي الثاني خبر مبتدا لذلك حين كان في الاصل ظرفا للنداء ثم صار خبرا للات او اسمها
على حسب الخلاف المتقدم والمناص مفعل من ناص ينوص اي هرب فهو مصدر يقال ناصه
ينوصه اذا فاته فهذا استعد وناص ينوص اي تاخر ومنه ناص عن قرنه اي تاخر عنه جبنا
قاله الفرا وانشد قول امري القيس • امن ذكر سلمى ان نايتك تنوص • فتقصر عنها خطوة وتبوص
وقال ابو جعفر النحاس ناص ينوص اي تقدم فيكون من الاضداد واستناص طلب المناص
قال حارثة بن زيد • غمر الجراء اذا قصرت عنانه • بيدي استناص ورام جري المسحل •
ويقال ناص الى كذا ينوص نوصا اذا التجا اليه قال بعضهم المناص المنجا والفوت يقال
ناصه ينوصه اذا فاته قال ابن عباس رضي الله عنه كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا
في الحرب قال بعضهم لبعض مناص اي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا
مناص فانزل الله تعالى ولات حين مناص اي ليس حين هذا القول قوله تعالى وعجبوا ان
جاهم اي من ان فيهما الخلاف المشهور وقال الكافرون من باب وضع الظاهر موضع المضمر شهادة
عليهم بهذا الوصف القبيح **فصل** لما حكى عن الكفار كونهم في عزة وشقاق اتبعه بشرح
كلماتهم الفاسدة فقال وعجبوا ان جاهم منذر منهم وفي قوله منهم وجهان الاول انهم قالوا ان
محمدا مساوي لنا في الخلقة الظاهرة والاخلاق الباطنة والنسب والشكل والصورة فكيف
يعقل ان يختص من بيننا بهذا المنصب العالي والثاني ان الغرض من هذه الكلمة التنبيه على
كمال جهلهم لانهم جاهم رجل يدعوهم الى التوحيد والترغيب في الاخرة ثم ان هذا الرجل من
اقاربهم يعلمون انه كان بعيدا عن الكذب والتهمة وكل ذلك مما يوجب الاعتراف بتصديقه ثم
انهم لحماقتهم يتعجبون له من قوله ونظيره قوله عز وجل ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون
وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشي عجاب مبالغة في عجيب
كقولهم رجل طوال وامر سراع هما ابلغ من طويل وسريع وقرا علي والسلمي وعيسى وابن مقسم
عجاب بتشديد الجيم وهي ابلغ مما قبلها فهي مثل رجل كريم وكرام بالتخفيف وكرام بالتشديد
قال مقاتل وعجاب يعني بالتخفيف لغة ازد شنوه وهذه القراة اعني بالتشديد كقوله
عز وجل ومكروا مكرا كبارا هو ابلغ من كبار وكبار ابلغ من كبير او قوله اجعل اي اصيرها الها
واحدا في قوله وزعمه قوله تعالى وانطلق الملا منهم اي من قريش انطلقوا عن مجلس ابي
طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم بالجواب
البعيد قايلين بعضهم لبعض ان امشوا واصبروا على الهتكم وذلك ان عمر بن الخطاب رضي
الله عنه اسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المومنون فقال الوليد بن المغيرة للملا من
قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا اكبرهم سنا الوليد بن المغيرة
قال لهم امشوا الى ابي طالب فاتوا ابا طالب وقالوا له انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل
هولاء السفها وانا قد اتيناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فارسل ابو طالب الى النبي صلى الله
عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم فدعا به فقال يا ابن اخي هولاء قومك يسالونك
السوا فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يسالوني فقالوا
ارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال النبي صلوات الله والرحيم وسلامه عليه اتعطوني
كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل لله ابوك لنعطينكها وعشر
امثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم قولوا لا اله
الا الله فنفروا من ذلك وقالوا اجعل الالهة الها واحدا كيف يسع الخلق كلهم اله واحد ان هذا
لشي عجاب اي عجيب قوله تعالى ان امشوا يجوز ان تكون ان مصدرية اي انطلقوا بقولهم
ان امشوا وان تكون مفسرة اما لانطلق لانه ضمن معنى القول قاله الزمخشري رحمه الله
لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم انتهى وقيل
بل هي مفسرة لجملة محذوفة في محل حال تقديره وانطلقوا يتحاورون ان امشوا ويجوز ان

تكون مصدرية لهذا المقدر وقيل الا ينطلق هنا الا بزفاع في القول والكلام نحو انطلق
لسانه فان معمولة مفسرة له من غير تضمين ولا حذف والمبني الظاهر انه هو المتعارف
وقيل بل هو دعا بكثرة الماشية وهذا فاسد لفظا ومعنى اما اللفظ فلانه انما يقال
من هذا المعنى امشى الرجل اذا كثرت ماشيته بالالف اي صارت اماشية فكان ينبغي على
هذا ان يقرا امشوا بقطع الهمزة مفتوحة واما المعنى فليس مرادا البته واي معنى على
ذلك الا ان الزمخشري ذكر وجها صحيحا من حيث الصناعة واقرب معنى مما تقدم فقال
ويجوز انهم قالوا امشوا اي اكثروا واجتمعوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية
للتفاول انتهى واذا وقف على ان وابتدي بما بعدها فليبتدا بكسر الهمزة لا بضمها لان الثالث
مكسور تقديرا اذ الاصل امشيوا ثم اعل بالحذف وهذا كما يبتدا بضم الهمزة في قولك اغزي
وان كانت الزاي مكسورة لانها مضمومة في الاصل اذ الاصل اغزوي كاخرجي فاعل بالحذف
فصل لما اسلم عمر وحصل للمسلمين قوة بمكانه قال المشركون ان هذا الذي نراه من
زيادة اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لشي يراد بنا وقيل يراد باهل الارض وقيل يراد بمحمد
ان يملك علينا وقيل ان دينكم لشي يراد ان يطلب ليوجد منكم قوله ما سمعنا بهذا في الملة
اي ما سمعنا بهذا الذي يقوله محمد من التوحيد في الملة الاخرة قال ابن عباس رضي
الله عنهم يعنون ملة قريش دينهم الذي هم عليه قوله تعالى في الملة فيه وجهان احدهما
انه متعلق بسمعنا اي لم نسمع في الملة الاخرة بهذه الذي جيت به والثاني انه متعلق بمحذوف
على انه حال من هذا اي ما سمعنا بهذا كاينا في الملة الاخرة اي لم نسمع من الكهان ولا من اهل
الكتاب انه يحدث توحيد الله في الملة الاخرة وهذا من فرط كفرهم قوله تعالى ان هذا
الا اختلاق اي افتعال وكذب انزل عليه الذكر قد تقدم حكم ها بين الهمزتين في اوايل ال
عمران وان الوارد منه في القران ثلاثة اماكن والاعرابات في هذه الاية واضحة وام منقطعة
فصل المعنى انزل عليه الذكر اي القران من بيننا وليس باكبرنا ولا اشرفنا
وهذا استفهام على سبيل الانكار فاجابهم الله تعالى بقوله بل هم في شك من ذكري اي وحي
وما انزلت وقيل بل هم في شك من ذكري اي من الدلايل التي لو نظروا فيها لزال هذا
الشك عنهم بل لما يذوقوا عذاب ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول وقيل معنى بل هم في شك
من ذكري هو ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم من عذاب الله لو اصروا على الكفر ثم
انهم اصروا على الكفر ولم ينزل عليهم العذاب فصار ذلك سببا لشكهم في صدقه وقالوا اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة قوله تعالى ام عندهم خزاين رحمة ربك
يعني مفاتيح نعمة ربك وهي النبوة يعطونها من شاوا ونظيره اهم يقسمون رحمة ربك اي
نبوة ربك العزيز في ملكه الكامل القدرة الوهاب اي وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما لما قال ام عندهم خزاين رحمة ربك
فخزاين الله تعالى غير متناهية كما قال تعالى جل ذكره وان من شي الا عندنا خزاينه
ومن جملة تلك الخزاين السموات والارض فلما ذكر الخزاين اولا على العموم اردفها بذكر
السموات والارض وما بينهما يعني ان هذه الاشيا احد انواع خزاين الله فاذا كانوا
عاجزين عن هذا القسم فبان يكونوا عاجزين عن كل خزاين الله اولى قوله تعالى فليرتقوا
قال ابو البقا هذا الكلام محمول على المعنى اي ان زعموا ذلك فليرتقوا فجعلها جوابا للشرط
مقدر وكثيرا ما يفعل الزمخشري ذلك ومعنى الكلام ان ادعوا شيا من ذلك فليصعدوا
في الاسباب التي توصلهم الى السما فليا توا منها بالوحي الى من يختارون قال مجاهد اراد
بالاسباب ابواب السما وطرقها من سما الى سما وكل ما يوصلك الى شي من باب او طريق فهو
سببه وهذا امر توبيخ وتعجيز واستدل حكما الاسلام بقوله تعالى فليرتقوا في الاسباب
على الاجرام الفلكية وما اودع الله فيها من القوى والخواص اسباب لحوادث العالم
السفلي لان الله تعالى سمى الفلكيات اسبابا وذلك يدل على ما ذكرنا قوله جند يجوز
فيه وجهان اظهرهما انه خبر مبتدا مضمر اي هم جند وما فيها وجهان احدهما انها مزيدة
والثاني انها صفة لجند على سبيل التعظيم للهزء بهم او للتحقير فان ما الصفة تستعمل

لهذين المعنيين ومثله قول امري القيس وحديث ما على قصره وقد تقدم هذا في اوايل
البقرة وهنالك يجوز فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون خبر الجند وما مزيدة ومهزوم نعت
لجند ذكره مكي الثاني ان يكون صفة لجند الثالث ان يكون منصوبا بمهزوم ومهزوم يجوز فيه
ايضا وجهان احدهما انه خبر ثان لذلك المبتدا المقدر والثاني انه صفة لجند الا ان الاحسن
على هذا الوجهان لا يجعل هنالك صفة بل متعلقا به يلزم تقدم الوصف غير الصريح على الصريح
وهنالك مشار به الى موضع التقاول والمحاورة بالكلمات السابقة وهو مكة اي سيهزمون
بمكة وهو اخبار بالغيب وقيل مشار به الى نصرة الاصنام وقيل الى حفر الخندق يعني الى مكان
ذلك الثاني من الوجهين الاولين ان يكون جند مبتدا وما مزيدة وهنالك نعت ومهزوم خبره
قاله ابو البقا قال ابو حيان وفيه بعد لتفلته عن الكلام الذي قبله قال شهاب الدين رحمه
الله وهذا الوجه المنقول عن ابي البقا سبقه مكي قوله تعالى من الاحزاب يجوز ان يكون صفة
لجند وان يكون صفة لمهزوم وجوز ابو البقا ان يكون متعلقا به وفيه بعد لان المراد بالاحزاب
هم المهزومون **فصل** المعنى ان الذين يقولون هذا القول جند هنالك وما صلة
مهزوم مغلوب من الاحزاب اي من جملة الاجناد يعني قريشا قال قتادة اخبر الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين فقال جل ذكره سيهزم الجمع ويولون
الدبر فجاتاويلها يوم بدر وهنالك اشارة الى بدر ومصارعهم وقيل يوم الخندق قال ابن
الخطيب والاصح عندي حمله على يوم فتح مكة لان المعنى انهم جند سيصيرون منهزمين في الموضع
الذي ذكروا فيه هذه الكلمات وذلك الموضع هو مكة فوجب ان يكون المراد انهم سيصيرون
منهزمين في مكة وما ذاك الا يوم الفتح وقوله من الاحزاب اي من جملة الاحزاب اي هم من القرون
الماضية الذين تحزبوا واجتمعوا على الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين بالتكذيب فقهروا واهلكوا
ثم قال جل وعز سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم تسليا معزيا له كذبت قبلهم قوم نوح وعاد
وفرعون ذو الاوتاد قال ابن عباس ومحمد بن كعب ذو البنا المحكم وقيل اراد ذو الملك الشديد
الثابت وقال القتيبي تقول العرب هم في عز ثابت الاوتاد يريد ون انه دايم شديد وقال
الضحاك ذو القوة والبطش وقال عطية ذو الجنود والجموع الكثيرة وسميت الاجناد اوتادا
لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في اسفارهم وهي رواية عطية العوفي عن ابن
عباس انهم كانوا يقوون امره ويشدون ملكه كما يقوي الوتد الشي وهذه استعارة بليغة
حيث شبه الملك ببيت الشعر وبيت الشعر لا يثبت الا بالاوتاد والاطناب كما قال الاودي

والبيت لا ينبني الا على عمد ❊ ولا عماد اذا لم ترس اوتاد

فاستعيرت لثبات العز والملك واستقرار الامر كقول الاسود بن يعفر

ولقد غنوا فيها فانعم عيشة ❊ في ظل ملك ثابت الاوتاد

والاوتاد جمع وتد وفيه لغات وتد بفتح الواو وكسر التا وهي الفصحى ووتد بفتحتين وود
بادغام التا في الدال قال ❊ يخرج الود اذا ما اشجذت ❊ وتواريه اذا ما تشتكر

ودت بابدال الدال تا ثم ادغام التا فيها وهذا شاذ لان الاصل ابدال الاول للثاني لا العكس
وقد تقدم نحو من هذا في ال عمران عند قوله تعالى فمن زحزح عن النار ويقال وتد واتد اي
قوي ثابت وهو مثل مجاز قولهم شغل شاغل انشد الاصمعي لاق على المايد واتد ولم يلف
يخلفها المواعدا وقيل الاوتاد هنا حقيقة لا استعارة قال الكلبي ومقاتل الاوتاد جمع
الوتد وكان له اوتاد يعذب الناس عليها فكان اذا غضب على احد مده مستلقيا على قفاه مستلقيا
على الارض ثم يشد يديه ورجليه وراسه على الارض بالاوتاد وقال السدي كان يمد الرجل
بين اربعة اوتاد يشد كل يد وكل رجل منه الى سارية ويتركه كذلك في الهوا بين السما والارض
حتى يموت وقال مجاهد ومقاتل بن حيان كان يمد الرجل ويشده بالاوتاد ويرسل عليه
العقارب والحيات وقال قتادة وعطا كانت له اوتاد وارسان وملاعب يلعب عليها بين
يديه ثم قال وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة تقدم الخلاف في الايكة في سورة الشعرا قوله
تعالى اوليك الاحزاب يجوز ان يكون مستانفة لا محل لها وان يكون خبرا والمبتدا قال ابو البقا
من قوله وعاد وان يكون من ثمود وان يكون من قوله وقوم لوط قال شهاب الدين رحمه الله

الظاهر عطف عاد وما بعده على قوم نوح واستيناف الجملة بعده وكان يسوغ على ما قاله
ابو البقا ان يكون المبتدا وحده واصحاب الايكة **فصل** المعنى ان هولا الذين
ذكرناهم من الامم هم الذين تحزبوا على انبيايهم فاهلكناهم ولذلك قومك هم من جنس
الاحزاب المتقدمين وقيل المعنى اوليك الاحزاب مع كمال قوتهم لما كان عاقبتهم مبالغة
في وصفهم بالقوة كما يقال فلان هو الرجل اي اوليك الاحزاب مع كمال قوتهم لما كان عاقبتهم
هي الهلاك والبوار فكيف حال هولا الضعفا المساكين قوله تعالى ان كل الا كذب
الرسل ان نافية ولا عمل لها هنا البتة ولو على لغة من قال • ان هو مستوليا على احد •
وعلى قراة ان الذين تدعون من دون الله عبادا الانتقاض النفي بالا فان انتقا صنه
مع الاصل وهي ما مبطل فكيف بفرعها وقد تقدم انه يجوز ان يكون جوابا للقسم **فصل**
المعنى كل هذه الطوايف لما كذبوا انبياهم في الترغيب والترهيب لاجرم نزل العقاب
عليهم وان كان ذلك بعد حين والمقصود منه زجر السامعين ثم بين تعالى ان هولا
المكذبين وان تاخر هلاكهم فكانه واقع بهم فقال وما ينظر هولا اي وما ينتظر هولا
يعني كفار مكة الا صيحة واحدة وهي نفخة الصور الاولى كقوله سبحانه ما ينظرون
الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون
المعنى انهم وان لم يذوقوا عذابي في الدنيا فهو معد لهم يوم القيمة فجعلهم منتظرين
لها على معنى قربها منهم كالرجل الذي ينتظر الشي فهو ماد الطرف اليه يقطع كل ساعة
في حضوره وقيل المراد بالصيحة عذاب يفجاهم ويجيبهم دفعة واحدة كما يقال صاح
الزمان بهم اذا اهلكوا قال • صاح الزمان بال قومك صيحة • خروا لشدتها على الاذقان •
ونظيره قوله سبحانه وتعالى جل ذكره فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم
قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين قوله تعالى ما لها من فواق يجوز ان يكون لها رافعا
لمن فواق بالفاعلية لاعتماده على النفي وان يكون جملة من مبتدا وخبر وعلى التقديرين
فالجملة المنفية في محل نصب صفة لصيحة ومن مزيدة وقرا الاخوان فواق بضم الفا والباقون
بفتحها قال الكسايي والفرا وابو عبيدة هما لغتان بمعنى واحد وهما الزمان التي بين حلبتي
الحالب ورضعتي الراضع والمعنى ما لها من توقف قدر فواق ناقة وفي الحديث العيادة
قدر فواق ناقة وهذا في المعنى كقوله عز وجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة
وقال ابن عباس رضي الله عنه ما لها من رجوع من افاق المريض اذا رجع الى صحته
وافاقة الناقة ساعة ترجع اللبن الى ضرعها يقال افاقت الناقة تفيق افاقة رجعت
واجتمعت الفيقة في ضرعها والفيقة اللبن الذي يجتمع بين الحلبتين ويجمع على افواق
واما افاويق فجمع الجمع ويقال ناقة مفيق ومفيقة وقال الفرا وابو عبيد ومورخ السدوسي
الفواق بالفتح الافاقة والاستراحة كالجواب من الاجابة وهو قول ابن زيد والسدي
واما المضموم فاسم لا مصدر اي اسم لما بين الحلبتين والمشهور انهما بمعنى واحد كقصاص
الشعر وقصاصه وحمام الملوك وحمامه فالفتح لغة قريش والضم لغة تميم قال الواحدي
الفواق والفواق اسمان من الافاقة والافاقة معناها الرجوع والسكون كما في افاقة
المريض الا ان الفواق بالفتح يجوز ان يقام مقام المصدر والفواق بالضم اسم لذلك الزمان
الذي يعود فيه اللبن وروي الواحدي في البسيط عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال في هذه الاية يامر الله تبارك وتعالى اسرافيل فينفخ نفخة الفزع قال فيمدها
ويطولها وهي التي تقول ما لها من فواق ثم قال الواحدي في البسيط وهذا يحتمل معنيين
احدهما ما لها من سكون والثاني ما لها رجوع والمعنى ما تسكن تلك الصيحة ولا ترجع
الى السكون ويقال لكل من بقي على حالة واحدة بانه لا يفيق منه ولا يستفيق قوله
تعالى قطنا اي نصيبنا وحظنا واصله من قط الشي اي قطعه ومنه قط القلم والمعنى
قطعة مما وعدتنا به ولهذا اطلق على الصحيفة والصك قط الشي لانهما قطعتان ويقال
للجايزة ايضا قط لانها قطعة من العطية قال الاعشى

• ولا الملك النعمان يوم لقيته • بغبطته يعطي القطوط ويافق •

واكثر استعماله في الكتاب قال امية بن ابي الصلت •
• قوم لهم ساحة ارض العراق وما • يجبي اليهم بها والقط والقلم •
ويجمع على قطوط كما تقدم وعلى قططة نحو قرد وقرود وقردة وفي القلة على اقطه واقطاط
كقدح واقدحة واقداح الا ان افعله في فعل شاذ **فصل** قال سعيد بن جبير عن
ابن عباس رضي الله عنهما يعني كتابنا والقط الصحيفة التي احصت كل شي قال الكلبي لما
نزل قوله جل ذكره في الحاقة فاما من اوتي كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه بشماله قالوا
استهزا عجل لنا قطنا كتابنا في الدنيا قبل يوم الحساب وقال سعيد بن جبير يعنون
حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول وقال الحسن وقتادة ومجاهد والسدي يعني عقوبتنا
ونصيبنا من العذاب قال عطا قاله النضر بن الحرث وهو قوله ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السما وعن مجاهد قطنا حسابنا يقال لكتاب الحساب قط
وقال ابو عبيدة والكسايي القط الكتاب بالجوايز واعلم ان القوم تعجبوا من امور ثلاثة
اولها من امر النبوات وانبائها فقال تعالى وعجبوا ان جاهم منذر منهم فقال الكافرون
هذا ساحر كذاب وثانيها تعجبهم من الالهيات فقالوا اجعل الالهة الها واحدا وثالثها
تعجبهم من المعاد والحشر والنشر فقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب قالوا ذلك استهزا
فامره الله تعالى بالصبر على سفاهتهم فقال اصبر على ما يقولون فان قيل اي تعلق بين
قوله اصبر على ما يقولون وبين قوله تعالى اذكر عبدنا داود فالجواب هذا التعليق من
وجوه الاول كانه قيل ان كنت شاهدت من هولا الجهال جراتهم على الله وانكارهم
للحشر والنشر فاذكر قصة داود حتى تعرف شدة خوفه من الله تعالى ومن يوم الحشر
فان بقدر ما يزداد احد الضدين شرفا يزداد الاخر نقصا الثاني كانه قيل لمحمد صلى الله
عليه وسلم لا يضيق صدرك بسبب انكارهم لقولك ودينك فانهم وان خالفوك فالاكابر من
الانبيا صلوات الله عليهم وافقوك الثالث ان للناس في قصة داود قولان منهم من
قال انها لا تدل عليه فمن قال بالاول كان وجه المناسبة فيه كانه قيل لمحمد صلى الله عليه
وسلم ان حزنك ليس الا لان الكفار كذبوك واما حزن داود صلوات الله عليه فكان بسبب
وقوع ذلك الذنب ولا شك ان حزنه اشد فتامل في قصة داود وما كان فيه من الحزن
ومن قال بالثاني قال الخصمان اللذان دخلا على داود كانا من البشر وانما دخلا عليه لقصد
قتله فخاف منهما داود ومع ذلك فلم يتعرض لايذايهما ولا دعا عليهم بسوء بل استغفر لهما
فاقتد بهذه الطريقة فلا جرم امر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقتدي به في حسن
الخلق الخامس ان قريشا انما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم واستخفوا به لقولهم انه يتيم
وفقير ثم انه تعالى قص على محمد صلى الله عليه وسلم ما كان في مملكة داود ثم بين بعد ذلك انه
ما سلم من الاحزان والغموم ليعلم ان الخلاص من الحزن لا سبيل اليه في الدنيا السادس ان
قوله تعالى اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ولم يقتصر على قصة داود بل ذكر
عقيب قصة داود قصص انبيا كثيرة فكانه تعالى قال فاصبر على ما يقولون واعتبر بحال
ساير الانبيا ليعلمه ان كل واحد منهم كان مشغولا بهم خاص فيعلم حينيذ ان الدنيا لا تنفك
عن الهموم والاحزان وان استحقاق الدرجات العالية عند الله تعالى لا يحصل الا بتحمل
المشاق والمتاعب في الدنيا قال ابن الخطيب وههنا وجه اخر اقوى واحسن من كل هذه الوجوه
وسياتي ذكره ان شا الله تعالى عند الانتها الى تفسير قوله سبحانه وتعالى كتاب انزلناه
اليك مبارك الاية قوله تعالى داود بدل او عطف بيان او منصوب باضمار اعني وذا الايد
والايد القوة يقال رجل ايد وايد وقال ابن عباس رضي الله عنه اي القوة في العبادة
وقيل القوة في الملك واعلم ان قوله عبدنا داود فوصفه بكونه عبدا له وعبر عن نفسه
بصيغة الجمع الدال على نهاية التعظيم وذلك يدل على غاية التشريف الا ترى انه تعالى
لما اراد ان يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم ليلة المعراج
قال تعالى سبحانه جل ذكره سبحان الذي اسرى بعبده وايضا فان وصف الانبيا بالعبودية
مشعر بانهم قد حصلوا معنى العبودية بسبب الاجتهاد في الطاعة والمراد بالايد القوة في

الطاعة والاحتراز عن المعاصي لان مدحه بالقوة يوجب ان تكون تلك القوة موجبة
للمدح العظيم وليست الا القوة على فعل ما امره الله به وترك ما نهى عنه والايد المذكورة
هنا كالقوة المذكورة في قوله سبحانه جل ذكره يا يحيى خذ الكتاب بقوة وقوله تعالى
وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة اي باجتهاد وتشدد
في القيام بالدعوة وترك اظهار الوهن والضعف والايد والقوة سواء ومنه قوله تعالى
هو الذي ايدك بنصره وقوله تعالى وايدناه بروح القدس والسماء بنيناها بايد وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الصيام الى الله تعالى جل ذكره صيام داود صلوات
الله عليه واحب الصلاة الى الله عز وجل صلاة داود وكان يصوم يوما ويفطر يوما وكان
ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه قوله تعالى انه اواب اي رجاع الى الله عز
وجل بالتوبة عن كل ما يكره والاواب فعال من آب يؤوب اذا رجع قال تعالى ان الينا ايابهم
وهذا بناء مبالغة كما يقال قتال وضراب وهو ابلغ من قاتل وضارب وقال ابن عباس
رضي الله عنه مطيع وقال سعيد بن جبير مسبح بلغة الحبشة قوله تعالى انا سخرنا
الجبال معه يسبحن فقوله عز وجل يسبحن جملة حالية من الجبال واتى بها فعلا مضارعا
دون اسم فاعل فلم يقل مسبحات دلالة على التجدد والحدوث شيئا بعد شيء كقول الاعشى

• لعمري لقد لاحت عيون كثيرة • الى ضوء نار في يفاع تحرق •

اي يحرق شيئا فشيئا ولو قال محرقة لم يدل على هذا المعنى **فصل** المعنى يسبحن
تسبيحه وفي كيفية تسبيح الجبال وجوه الاول ان الله تعالى يخلق في جسم الجبل حياة وعقلا
وقدرة ونطقا وحينئذ يصير الجبل مسبحا لله تعالى الثاني قال القفال ان داود صلوات
الله عليه اوتي من شدة الصوت وحسنه ما كان له في الجبال دوي حسن وما يصغي
الطير اليه لحسنه فيكون دوي الجبال وتصويت الطير معه واصغاؤها اليه تسبيحا روى
محمد بن اسحاق ان الله تبارك وتعالى لم يعط احدا من خلقه مثل صوت داود حتى انه كان
اذا قرأ الزبور دنت منه الوحوش حتى توخذ باعناقها الثالث ان الله تبارك وتعالى
سخر الجبال حتى انها كانت تسير الى حيث يريده داود فجعل ذلك السير تسبيحا لانه يدل
على كمال قدرة الله وحكمته قوله تعالى بالعشي والاشراق قال الكلبي غدوة وعشيا
والاشراق هو ان تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها قال الزجاج رحمه الله فقال شرقت
الشمس اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت وقيل هما بمعنى والاول اكثر تقول العرب شرقت الشمس
ولما تشرق وفسره ابن عباس بصلاة الضحى قال ابن عباس كنت امر بهذه الاية لا ادري
ما هي حتى حدثتني ام هانئ بنت ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها
فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى وقال يا ام هانئ هذه صلاة الاشراق وروى طاوس
عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأ انا سخرنا الجبال
معه يسبحن بالعشي والاشراق قال وكانت صلاة يصليها داود صلوات الله عليه لم يزل
في نفسي من صلاة الضحى شيء حتى طلبتها وجدتها في قوله تعالى يسبحن بالعشي والاشراق
قوله تعالى والطير محشورة العامة على نصبها عطف مفعولا على مفعول وحالا على حال كقولك
ضربت زيدا مكتوفا وعمرا مطلقا واتى بالحال اسما لانه لم يقصد ان الفعل وقع شيئا فشيئا لان
حشرها دفعة واحدة ادل على القدرة والحاشر الله وقرأ ابن ابي عبلة والجحدري برفعهما
جعلاها جملة مستقلة من مبتدا وخبر والمعنى وسخرنا الطير محشورة قال ابن عباس كان
داود صلوات الله عليه اذا سبح جاوبته الجبال واجتمعت اليه الطير فسبحت معه واجتماعها
اليه هو حشرها فيكون على هذا حاشرها هو الله تعالى فان قيل كيف يصدر تسبيح الله
عن الطير مع انه لا عقل لها فالجواب انه لا يبعد ان يخلق الله تعالى لها عقولا حتى تعرف
الله فتسبحه حينئذ ويكون ذلك معجزة لداود وقال الزمخشري قوله محشورة في مقابلة
يسبحن الا انه ليس في الحشر مثل ما كان في التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد
شيء فلا جرم اتى به اسما لا فعلا وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على تقدير
ان الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لانه تعالى

حشرهم جملة واحدة قوله تعالى كل له اواب اي كل من الجبال والطير لداود اي لاجل تسبيحه
مسبح فوضع اواب موضع مسبح وقيل الضمير في له للباري تعالى والمراد كل من داود والجبال
والطير مسبح ورجاع لله تعالى قوله عز وجل وشددنا ملكه العامة على تخفيف شددنا اي
قويناه كقوله عز وجل سنشد عضدك باخيك وابن ابي عبلة والحسن شددنا بالتشديد
وهي مبالغة كقراءة العامة ومعنى الكلام قويناه بالحرس والجنود قال ابن عباس كان اشد
ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون الف رجل قوله تعالى
وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب اما الحكمة فهي النبوة وقيل العلم والعمل قال تعالى ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما فصل الخطاب فقال بعض المفسرين ان داود صلوات
الله عليه اول من قال في كلامه اما بعد وقيل المراد منه معرفة الامور التي بها يفصل بين
الخصوم وهو طلب البينة واليمين قال ابن الخطيب وهذا بعيد لان فصل الخطاب عبارة عن
كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال ويحضر في الخيال بحيث لا يخلط شيئا بشيء وبحيث
يفصل كل مقام عن ما يخالفه وهذا معنى عام يتناول فصل الخصومات ويتناول الدعوة
الى الدين الحق ويتناول جميع الاقسام والله اعلم وروى ابن عباس ان رجلا من بني اسرائيل
استعدى على رجل من عظمائهم عند داود ان هذا غصبني بقرا فسأله فجحد فقال للآخر
البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى انظر في امركما فاوحى الله تعالى الى داود
في منامه ان يقتل الذي استعدي عليه فقال هذه رؤيا ولست اعجل حتى اتثبت فاوحى اليه
جل ذكره مرة ثانية فلم يفعل فاوحى الله اليه الثالثة ان تقتله او تاتيه العقوبة فارسل
داود اليه فقال ان الله عز وجل اوحى الي ان اقتلك فقال تقتلني بغير بينة فقال داود
نعم والله لانفذن امر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل حتى اخبرك اني والله
ما اخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته ولذلك اخذت فامر به داود
فقتل فاشتدت هيبة داود عند ذلك في قلوب بني اسرائيل واشتد به ملكه فذلك
قوله عز وجل وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة يعني النبوة والاصابة في الامور وفصل الخطاب
قال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن والكلبي ومقاتل علم الحكمة
والبصر بالقضاء وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه هو ان البينة على المدعي واليمين على
من انكر لان كلام الخصوم منقطع وينفصل به ويروى ذلك عن ابي بن كعب قال فصل الخطاب
الشهود والايمان وقال مجاهد وعطاء بن ابي رباح ويروى عن الشعبي فصل الخطاب هو قول
الانسان بعد حمد الله والثناء عليه اما بعد اذا اراد الشروع في كلام آخر قوله تعالى
وهل اتاك نبأ الخصم قد تقدم ان الخصم في الاصل مصدر فلذلك يصلح للمفرد والمذكر
وضديهما وقد يطابق ومنه لا تخف خصمان هذان خصمان والمراد بالخصم هنا جمع بدليل
قوله اذ تسوروا وقوله اذ دخلوا قال الزمخشري وهو يقع للواحد والجمع كالضيف قال
تعالى حديث ضيف ابراهيم المكرمين لانه مصدر في اصله يقال خصمه يخصمه خصما
كما تقول ضافه ضيفا فان قلت هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك قلت
معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من قرأ بغى بعضهم على بعض ويجوز
قوله تعالى هذان اختصموا فان قلت فما تصنع بقوله ان هذا اخي وهو دليل على
الاثنين قلت هذا قول البعض المراد به بعضنا على بعض فان قلت لقد جاء في الرواية
انه بعث اليه ملكان قلت معناه ان التحاكم بين ملكين لا يمنع ذلك ان يصحبهما آخرون
فان قلت كيف سماهم جميعا خصما في قوله نبأ الخصم وخصمان قلت لما كان صحب كل واحد
من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به قوله تعالى اذ تسوروا في العامل في
اذ اوجه احدها انه معمول للنبأ اذا لم يرد به القصة واليه ذهب ابن عطية وابو البقاء ومكي
اي هل اتاك الخبر الواقع في وقت تسورهم المحراب وقد رد بعضهم هذا بان النبأ الواقع في
ذلك الوقت لا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اريد بالنبأ القصة لم يكن
ناصبا قاله ابو حيان الثاني ان العامل فيه اتاك ورد بما رد به الاول وقد صرح الزمخشري
بالرد على هذين الوجهين فقال فان قلت بم انتصب اذ قلت لا يخلو اما ان ينتصب باتاك

اوبالبنا اوبمحذوف فلا يسوغ انتصابه باتاك لان اتيان البنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يقع الا في عهد داود فلا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اردت
بالبنا القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي ان يكون منصوبا بمحذوف وتقديره وهل اتاك
بنا تحاكم الخصم اذ فاختار ان يكون معمولا لمحذوف الرابع ان ينتصب بالخصم لما فيه من معنى
الفعل قوله تعالى اذ دخلوا فيه وجهان احدهما انه بدل من اذ الاولى الثاني انه
منصوب بتسوروا ومعنى تسوروا علوا اعلا السور وهو الحايط غير مهموز كقولك تسنم
البعير اي بلغ سنامه والضمير في تسوروا ودخلوا راجع على الخصم لانه جمع في المعنى على
ما تقدم او على انه مثنى والمثنى جمع في المعنى وتقدم تحقيقه قوله تعالى خصمان خبر
مبتدا مضمر اي نحن خصمان ولذلك جا بقوله بعضنا ومن قرا بعضهم بالغيبة يجوز ان يقدره
لذلك ويكون قد راعي لفظ خصمان ويجوز ان يقدرهم خصمان ليتطابق وروي عن الكسائي
خصمان بكسر الخا وقد تقدم انه قراها لذلك في الحج قوله تعالى بغي بعضنا جملة يجوز ان
تكون مفسرة لحالهم وان يكون خبرا ثانيا فان قيل كيف قالا بغي بعضنا على البعض وهما
ملكان على قول بعضهم والملكان لا يبغيان قيل معناه ارايت خصمين بغي احدهما على
الاخر وهذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغي من احدهما قوله تعالى فاحكم بيننا
بالحق ولا تشطط العامة على ضم التا وسكون الشين وضم الطا الاولى من اشطط يشطط
اشطاطا اذا تجاوز الحق قال ابو عبيدة شططت في الحكم واشططت فيه اذا جرت فهو مما
اتفق فيه فعل وافعل وانما فكه على احد الجايزين كقوله تعالى من يرتدد وتقدم تحقيقه
وقرا الحسن وابو رجا وابن ابي عبلة تشطط بفتح التا وضم الطا من شط يعني اشطط
كما تقدم وقرا قتادة تشط من اشط رباعيا الا انه ادغم وهو احد الجايزين كقراة من قرا
من يرتد منكم وعنه ايضا تشطط بفتح الشين وكسر الطا مشددة من شطط يشطط
والتثقيل فيه للتكثير وقرا زر بن حبيش تشاطط من المفاعلة واصل الكلمة من شطت
الدار واشطت اذا بعدت واهدنا الى سوا الصراط ارشدنا الى طريق الصواب فقال
لهما داود تكلما فقال احدهما ان هذا اخي على ديني وطريقتي له تسع وتسعون نعجة يعني
امراة ولي نعجة واحدة امراة واحدة قوله تعالى تسع وتسعون العامة على كسر التا وهي
اللغة الفاشية وزيد بن علي والحسن بفتحها فيهما وهي لغة وقرا العامة نعجة بفتح النون
والحسن وابن هرمز بكسرها قيل وهي لغة لبعض بني تميم وكثير في كلامهم الكناية بها عن المراة
قال ابن عون • انا ابوهن ثلاث هن • رابعة في البيت صغراهن • ونعجتي خمسا توفيهنه
وقال هما نعجتان من نعاج تبالة لدي جوذرين او كبعض دمي مكر قال الحسين بن
الفضل هذا تعريض للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن هناك نعاج ولا بغي وهو كقولهم ضرب
زيد عمرا واشترى بكر دارا ولا ضرب هناك ولا شرا قال الزمخشري اخي بدل من هذا وقرا
عبد الله تسعة وتسعون نعجة انثى وهذا تاكيد كقوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين
اثنين قال الليث رحمه الله النعجة الانثى من الضان والبقر الوحشي والشاه والجمع
النعاج قوله تعالى فقال اكفلنيها قال ابن عباس اعطنيها وقال مجاهد انزل
لي عنها وحقيقته ضمها الي واجعلني كافلها وهو الذي يعولها وينفق عليها والمعنى طلقها
لاتزوجها قوله تعالى وعزني اي غلبني قال
• قطاة عزها شرك فباتت • تجاذبه وقد علق الجناح •
يقال عزه يعزه بضم العين وتقدم تحقيقه في يس عند قوله تعالى فعززنا بثالث وقرا
طلحة وابو حياة وعزني بالتخفيف قال ابن جني حذف الزا الواحدة تخفيفا كما قال
الشاعر • احسن به فهن اليه شوش •
يريد احسسن فحذف ويروي هذه قراة عن عاصم وقرا عبد الله والحسن وابو وايل ومسروق
والضحاك وعازني بالف مع تشديد الزاي اي غالبني قوله تعالى بسوال نعجتك
مصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف اي بان سالك نعجتك وضمن السوال معنى
الاضافة والانضمام اي باضافة نعجتك على سبيل السوال ولذلك عدي بالي

قال

قال ابن الخطيب للناس في هذه القصة ثلاثة اقوال احدها ان هذه القصة دلت على
صدور الكبيرة عنه وثانيها دلالتها على الصغيرة وثالثها لا تدل على كبيرة ولا صغيرة اما
القول الاول فقالوا ان داود احب امراة اوريا فاحتال في قتل زوجها ثم تزوج بها ثم
ارسل الله تعالى ملكين في صورة المتخاصمين في واقعة تشبه واقعته وعرضا تلك الواقعة
عليه فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنبا ثم تنبه لذلك فاشتغل بالتوبة قال
ابن الخطيب رحمه الله والذي ادين به واذهب اليه ان ذلك باطل لوجوه الاول ان هذه
الحكاية لا تناسب داود لانها لو نسبت الى افسق الناس واشدهم فجورا لاستنكف منها والذي
نقل هذه القصة لو نسب الى مثل هذا العمل البالغ في تنزيه نفسه ورعا ولعن من نسبه اليها
فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصية اليه الثاني ان حاصل القصة ترجع الى امرين الى السعي
في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع في زوجته اما الاول فامر منكر قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من سعى في دم مسلم ولو بشطر كلمة جا مكتوب عليه بين عينيه ايس من رحمة
الله واما الثاني فمنكر عظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من
لسانه ويده وان اوريا لم يسلم من داود لا في روحه ولا في منكوحته الثالث ان الله تعالى
وصف داود صلوات الله عليه بصفات تنافي كونه صلوات الله عليه موصوفا بهذا الفعل
المنكر فالصفة الاولى انه تعالى جل ذكره امر محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقتدي بداود في
المصابرة مع المكابرة فلو قلنا ان داود صلوات الله عليه لم يصبر على مخالفة النفس بل سعى
في اراقة دم مسلم لغرض شهوته فكيف يليق باحكم الحاكمين يامر محمدا صلى الله عليه وسلم
وهو افضل الرسل بان يقتدي بداود في الصبر على طاعة الله واما الصفة الثانية فانه
وصفه بكونه عبدا له وقد بينا ان المقصود من هذا الوصف بيان كون ذلك الموصوف كاملا
في وصف العبودية اما في القيام باداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات فلو قلنا ان داود
اشتغل بتلك الاعمال الباطلة فحينئذ ما كان داود كاملا الا في طاعة الهوى والشهوة
واما الثالثة وهو قوله ذا الايدي ذا القوة ولا شك ان المراد منه القوة في الدين لان القوة
في غير الدين كانت موجودة في ملوك الكفار ولا معنى للقوة في الدين الا القوة الكاملة في
اداء الواجبات والاجتناب عن المحظورات واي قوة لمن لم يملك نفسه عن القتل والرغبة
في زوجة المسلم الصفة الرابعة كونه اوابا كثير الرجوع الى الله تعالى فكيف يليق هذا بمن قلبه
مشغوفا بالقتل والفجور الصفة الخامسة قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن افترى
انه سخرت له الجبال ليتخذه وسيله الى القتل والفجور الصفة السادسة قوله تعالى والطير
محشورة قيل انه كان محرما عليه صيد شي من الطير فكيف يعقل ان يكون الطير امنا منه ولا
يجوز امن الرجل المسلم عن زوجته ومنكوحته الصفة السابعة قوله تعالى وشددنا ملكه
ومحال ان يكون المراد انه تعالى شد ملكه باسباب الدنيا بل المراد بانا ملكناه تقوى الدين
واسباب سعادة الاخرة او المراد تشديد ملكه في الدين والدنيا ومن لا يملك نفسه عن
القتل والفجور كيف يليق به ذلك الصفة الثامنة قوله تعالى واتيناه الحكمة وفصل
الخطاب والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي علما وعملا فكيف يجوز ان يقال انا اتيناه الحكمة
وفصل الخطاب مع اصراره على ما يستنكف عنه الشيطان من مزاحمة اخص اصحابه في الزوج
والمنكوح فهذه الصفات التي وصف بها قبل شرح القصة واما الصفات المذكورة بعد
ذكر القصة فاولها قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن ماب وهذا الكلام انما يناسب
لو دلت القصة المتقدمة على قوته في طاعة الله اما لو كانت القصة المتقدمة دالة على سعيه
في القتل والفجور لم يكن قوله وان له عندنا لزلفى وحسن ماب لايقا وثانيها قوله تعالى يا داود
انا جعلناك خليفة في الارض وهذا يدل على كذب تلك القصة من وجوه الاول ان الملك
الكبير اذا حكي عن عبده انه قصد دما الناس واموالهم وازواجهم فعند فراغه من شرح قصته
على الناس يقبح منه ان يقول عقيبه ايها العبد اني فوضت اليك خلافتي ونيابتي لان ذكر
تلك القبايح والافعال المنكرة تناسب الزجر والحجر فاما جعله نايبا وخليفة لنفسه فذلك
مما لا يليق البتة الثاني انه ثبت في اصول الفقه ان ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على

كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف المناسب بذلك الوصف فلما حكى الله عنه تلك القصة
الواقعة القبيحة ثم قال بعده انا جعلناك خليفة في الارض اشعر هذا بان الموجب لتفويض
هذه الخلافة هو اتيانه بتلك الافعال المنكرة ومعلوم ان هذا فاسد اما لو ذكرنا مقدمة
الاية والذي على مدح داود صلوات الله عليه وتعظيمه وموخره ايضا دالا على ذلك فلو كانت
الواسطة دالة على القبايح والمعايب لجرى مجرى ان يقال فلان عظيم الدرجة عالي المرتبة
في طاعة الله تعالى يقتل ويزني ويسرق وقد جعله الله تعالى خليفة له في ارضه وصوب
احكامه فكما ان هذا الكلام مما لا يليق بالعاقل فكذا ههنا ومن المعلوم ان ذكر العشق والسعي
في القتل من اعظم ابواب العيوب ورابعها ان بعض القايلين ذكر في هذه الاية ان داود صلوات
الله عليه تمنى ان يحصل له في الدين كما حصل للانبيا المتقدمين من المنازل العالية مثل ما
حصل للخليل من الالقا في النار وحصل للذبيح من الذبح وحصل ليعقوب من الشدايد
الموجبة لكثرة الثواب فاوحى الله تعالى اليه انما وجدوا تلك الدرجات لانهم لما ابتلوا
صبروا فعند ذلك سال داود صلوات الله عليه الابتلا فاوحى الله تعالى اليه انك مبتلى في
يوم كذا فبالغ في الاحتراز ثم وقعت الواقعة فنقول ان حكايتهم تدل على ان الله تعالى يبتليه
بالبلاء الذي يزيد في منقبته ويكمل مراتب اخلاصه فالسعي في قتل النفس بغير الحق والافراط
في العشق كيف يليق بهذه الحالة بحيث ان الحكاية التي ذكروها تناقض اولها اخرها وخامسها
ان داود صلوات الله عليه قال وان كثيرا من الخلطا ليبغي بعضهم على بعض الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات وقليل ما هم استثنى الذين امنوا من البغي فلو قلنا انه كان موصوفا بالبغي لزم
ان يقال انه حكم بعدم الايمان على نفسه وذلك باطل وسادسها حضرت في مجلس وفيه بعض
اكابر المسلمين وكان يريد ان يتعصب لتقرير ذلك القول الفاسد والقصة الخبيثة لسبب اقتضى
ذلك فقلت له لا شك ان داود صلوات الله عليه كان من اكابر الانبيا والرسل وقال الله تعالى الله
اعلم حيث يجعل رسالاته ومن مدحه الله تعالى بمثل هذا المدح العظيم لم يجز لنا ان نبالغ في
الطعن فيه وايضا فبتقدير انه ما كان نبيا فلا شك انه كان مسلما وقال صلى الله عليه وسلم
لا تذكروا موتاكم الا بخير على تقديرنا لا يلتفت الى شي من هذه الدلايل الا انا نقول ان من المعلوم
بالضرورة ان بتقدير ان تكون القصة التي ذكرتموها في حقه صحيحة فان روايتها وذكرها
لا يوجب شيا من الثواب لان اشاعة الفاحشة ان لم توجب العقاب فلا اقل من ان لا توجب الثواب
واما بتقدير ان تكون هذه القصة باطلة فاسدة فان ذكرها يستحق به اعظم انواع
العقاب والواقعة التي هذا شانها وصفتها فان صريح العقل يوجب السكوت عنها فثبت ان
الحق ما ذهبنا اليه وان شرح تلك القصة محرم محظور فلما سمع ذلك الملك الشديد هذا الكلام
سكت ولم يذكر شيا السابع ان ذكر هذه القصة وذكر قصة يوسف صلوات الله عليه تقتضي
اشاعة الفاحشة في الذين امنوا الثامن لو سعى داود في قتل ذلك الرجل لدخل تحت قوله
من سعى في دم امرء مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه ايس من رحمة
الله وايضا لو فعل ذلك لكان ظالما وكان يدخل تحت قوله عز وجل الا لعنة الله على الظالمين
التاسع عن سعيد بن المسيب ان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال من حدثكم بحديث داود
على ما يرويه القصاص فاجلدوه مائة وستين وهو حد الفرية على الانبيا صلوات الله عليهم
ومما يقوي هذا انهم قالوا ان المغيرة بن شعبة زنا وشهد ثلثة من عدول الصحابة بذلك واما
الرابع فانه لم يقل اني رايت ذلك بعيني فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كذب اولئك الثلثة
وجلد كل واحد منهم ثمانين جلدة لاجل انهم قذفوا فاذا كان الحال في واحد من احاد الصحابة
كذلك فكيف الحال مع داود صلوات الله عليه مع انه كان من اكابر الانبيا صلوات الله عليهم
العاشر روي ان بعضهم ذكر هذه القصة على ما في كتاب الله عز وجل فما ينبغي ان يزاد عليها
وان كانت الواقعة على ما ذكرت ثم انه تعالى لم يذكرها سترا لتلك الواقعة على داود صلوات الله
عليه فلا يجوز للعاقل ان يسعى في هتك ستر ستره الله الف سنة او اقل او اكثر فقال عمر
رضي الله عنه سماعي هذا الكلام احب الي مما طلعت عليه الشمس فثبت بهذه الوجوه التي
ذكرناها ان القصة التي ذكروها باطلة فاسدة فان قال قايل ان كثيرا من اكابر المحدثين

المفسرين ذكروا هذه القصة فكيف الحال فيها فالجواب الحقيقي انه لما وقع التعارض بين الدلايل
القاطعة وبين خبر واحد من اخبار الاحاد كان الرجوع الى الدلايل القاطعة اولى وايضا فلما
تعارض ذكر التحريم والتحليل كان جانب التحريم اولى وايضا طريقة الاحتياط توجب ترجيح
قولنا وايضا فنحن نعلم بالضرورة ان بتقدير وقوع هذه الواقعة لا يقول لنا الله سبحانه
وتعالى جل ذكره يوم القيمة لم لم تسعوا في تشهير هذه الواقعة اما بتقدير كونها باطلة فانه
يوجب ان لا يجوز الشهادة بها وايضا كل المفسرين لم يتفقوا على هذا القول بل الاكثرون والمحققون
يردونه ويحكمون عليه بالكذب واذا تعارضت اقوال المفسرين والمحدثين تساقطت وبقي الرجوع
فيه الى الدلايل التي ذكرناها الاحتمال الثاني ان يحمل هذه القصة على حصول الصغيرة لا على
حصول الكبيرة وذلك من وجوه الاول ان هذه المراة خطبها اوريا فاجابوه ثم خطبها داود صلوات
الله عليه فاثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المومن مع كثرة نسايه الثاني قالوا
انه وقع بصره عليها فمال قلبه اليها وليس له في هذا ذنب البتة اما وقوع بصره عليها من غير قصد
فليس بذنب واما حصول الميل عقيب النظر فليس ايضا ذنبا لان الميل ليس في وسعه فلا يكون
مكلفا به بل لما اتفق ان قتل زوجها لا على انه طمع ان يتزوج بتلك المراة فحصلت بسبب هذا المعنى
وهو انه لم يتق عليه قتل ذلك الرجل الثالث انه كان اهل زمان داود صلوات الله عليه يسال
بعضهم بعضا ان يطلق زوجته حتى يتزوجها وكان عادتهم مالوفة معهودة في هذا المعنى
فاتفق ان عين داود صلوات الله عليه وقعت على تلك المراة فاحبها وساله النزول فاستحيا
ان يرده ففعل وهي ام سليمان فقيل له هذا وان كان جايزا في ظاهر الشريعة الا انه لا يليق بك
فان حسنات الابرار سيات المقربين فهذه وجوه ثلثة لو حملنا هذه القصة على واحد منها لم
يلزم في حق داود صلوات الله عليه الا ترك الافضل والاولى الاحتمال الثالث ان نحمل هذه القصة
على وجه لا يلزم منه ايجاب كبيرة ولا صغيرة لداود صلوات الله عليه بل يوجب الحاق اعظم انواع
المدح والثنا به وهو ان نقول روي ان جماعة من الاعدا طمعوا في ان يقتلوا نبي الله داود
صلوات الله عليه وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة في ذلك
اليوم وتسوروا المحراب فلما دخلوا عليه وجدوا عنده اقواما يمنعونهم منه فخافوا ووضعوا كذبا
وقالوا خصمان بغى بعضنا على بعض الى اخر القصة وليس في لفظ القران ما يمكن ان يحتج به في
الحاق الذنب بداود صلوات الله عليه الا الفاظ اربعة احدها قوله تعالى وظن داود انما
فتناه وثانيها فاستغفر ربه وثالثها قوله واناب ورابعها قوله فغفرنا له ذلك ثم نقول
هذه الالفاظ لا يدل شي منها على ما ذكروه من وجوه الاول انهم لما دخلوا عليه لطلب قتله بهذا
الطريق وعلم داود صلوات الله عليه دعاه الغضب الى ان يشتغل بالانتقام منهم الى انه مال
الى الصفح والتجاوز عنهم طلبا لمرضات الله تعالى فكانت هي الفتنة لانها جارية مجرى الابتلا والامتحان
ثم انه استغفر ربه مما هم به من الانتقام منهم وتاب عن ذلك الهم واناب فغفر له ذلك القدر
من الهم والعزم الثاني انه وان غلب على ظنه انهم دخلوا عليه ليقتلوه الا انه ندم على ذلك
وقال لم يقم دلالة ولا امارة على ان الامر كذلك فليس مما عملت حيث ظننت فيهم هذا الظن الردي
فكان هذا هو المراد من قوله تعالى وظن داود انما فتناه ثم انه استغفر ربه واناب منه فغفر
الله له ذلك الثالث دخولهم عليه كان فتنة لداود صلوات الله عليه الا انه صلوات الله عليه
استغفر لذلك العازم على قتله كقوله تعالى في حق محمد صلى الله عليه وسلم واستغفر لذنبك
وللمومنين والمومنات فداود صلوات الله عليه استغفر لهم واناب اي رجع الى الله تعالى في طلب
المغفرة لذلك الرجل الداخل القاصد القتل وقوله فغفرنا له ذلك اي فغفرنا لاجله ذلك الذنب لاجل
احترام داود وتعظيمه كما قال بعض المفسرين في قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر ان معناه ان الله يغفر لك ولاجلك ما تقدم من ذنب امتك الرابع هب انه عاتب داود
صلوات الله عليه عن زلة صدرت منه لكن لا نسلم ان تلك الزلة وقعت بسبب المراة ولم لا يجوز
ان يقال ان تلك الزلة انما حصلت لانه قضى لاحد الخصمين قبل ان يسمع كلام الخصم الثاني
لانه لما قال لقد ظلمك بسوال نعجتك حكم عليه بكونه ظالما بمجرد دعوى الخصم بلا بينة لكون
هذا الحكم مخالفا للصواب فعند هذا اشتغل بالاستغفار والتوبة الا ان هذا من باب ترك

الاوقتل والاولى فيثبت بهذا البيانات انا اذا حملنا هذه الايات على هذا الوجه فانه لايلزم اسناد
بيّي من الذنوب الى داود صلوات الله عليه بل ذلك يوجب اسنادا اعظم الطاعات اليه ثم نقول
وحمل الاية عليه اولى لوجوه الاول في حال المسلم المبعد عن المناهج لاسيما وهو رجل من اكابر
الانبيا والرسل الثاني انه احوط الثالث انه تعالى قال في اول الاية لمحمد صلوات الله الرحيم
وسلامه عليه اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود فان قوم محمد صلى الله عليه وسلم لما
اظهروا السفاهة حيث قالوا انه ساحر كذاب واستهزوا به حيث قالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم
الحساب فقال تعالى في اول الاية اصبر على ما يقولون يا محمد وعلى سفاهتهم وتحمل ولا تظهر
الغضب واذكر عبدنا داود فهذا الذكر انما يحسن اذا كان داود ذو حلم ولم يظهر الطيش والغضب
وهذا المعنى انما يحصل اذا حملنا الاية على ما ذكرناه واما اذا حملناها على ما ذكروه صار الكلام متناقضا
الرابع ان تلك الرواية انما تمشي اذا قلنا ان الخصمين كانا ملكين واذا كانا ملكين ولم يكن بينهما خصومة
ولم يبغ احدهما على الاخر كان قولهما خصمان بغى بعضنا على بعض كذب فهذه الرواية لا تتم الا بشيئين
احدهما اسناد الكذب الى الملايكة والثاني اسناد افحش القبايح الى رجل كبير من اكابر الانبيا واما
اذا حملنا الاية على ما ذكرناه استغنينا عن اسناد الكذب الى الملايكة وعن اسناد القبيح الى الانبيا
صلوات الله عليهم فكان قولنا اولى **فصل** قال المفسرون قوله تعالى وعزني اي
قهرني وغلبني في الخطاب اي في القول قال الضحاك يقول ان تكلم كان افصح مني وان حارب
كان ابطش مني وحقيقة المعنى ان الغلبة كانت له لضعفي في يده وان كان الحق معي فقال
داود لقد ظلمك بسوال نعجتك الى نعاجه اي بسوال نعجتك ليضمها الى نعاجه فان قيل كيف
قال لقد ظلمك ولم يكن سمع قول صاحبه فالجواب قيل ان معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك
قال ابن اسحاق لما فرغ الخصم الاول من كلامه نظر داود الى الخصم الذي لم يتكلم وقال لين صدق
لقد ظلمه وقال ابن الانباري لما ادعى احد الخصمين اعترف الثاني فحكم داود عليه ولم يذكر الله
ذلك الاعتراف لدلالة الكلام عليه وقيل التقدير ان الخصم الذي هذا شانه قد ظلمك ثم قال
وان كثيرا من الخلطا ليبغي بعضهم على بعض مع ان عنز الخلطا ليبغي بعضهم على بعض قال
الليث رحمه الله خليط الرجل مخالطه وقال الزجاج الخلطا الشركا فان قيل لم خص الخلطا ببغي
بعضهم على بعض مع ان غير الخلطا يفعلون ذلك فالجواب ان المخالطة توجب كثرة المنازعة والمخاصمة
لانهما اذا اختلطا اطلع كل واحد منهما على احوال الاخر فكل ما يملكه من الاشيا النفيسة اذا اطلع
عليه عظمت رغبته فيه فيفضي ذلك الى زيادة المخاصمة والمنازعة فلهذا احض داود صلوات
الله عليه الخلطا بزيادة البغي والعدوان ثم استثنى عن هذا الحكم الذين امنوا وعملوا الصالحات
لان مخالطة هولا تكون لاجل الدين وهذا استثنا متصل من قوله بعضهم قوله تعالى وقليل ما هم
خبر مقدم وما مزيدة للتعظيم وهم مبتدا قال الزمخشري وما في قوله وقليل ما هم للابهام وفيه تعجب
من قلتهم قال فان اردت ان تتحقق فايدتها وموقعها فاطرحها من قول امري القيس وحديث
ما على قصره وانظر هل بقي لها معنى قط قوله تعالى فظن داود انما فتناه اي امتحناه قرا العامة
فتناه بالتخفيف واسناده الى ضمير المتكلم المعظم نفسه وعمر بن الخطاب والحسن وابو رجا فتّناه
بتشديد التا وهي مبالغة وقرا الضحاك افتناه يقال فتنه وافتنه اي حمله على الفتنة ومنه
قوله ليت فتنتني لهي بالامس افتنت وقرا قتادة وابو عمرو في رواية فتناه بالتخفيف وفتّناه
بالتشديد والالف ضمير الخصمين وركعا حال مقدرة قاله ابو البقا وفيه نظر لظهور المقارنة
فصل قال المفسرون ان الظن هنا بمعنى العلم لان داود صلوات الله عليه لما قضى
بينهما نظر احدهما الى صاحبه فضحك ثم صعدا الى السما حيال وجهه فعلم داود ان الله ابتلاه
بذلك فثبت ان داود علم ذلك وانما جاز حمل لفظ الظن على العلم لان العلم الاستدلالي يشبه
الظن مشابهة عظيمة والمشابهة علة تجوز المجاز قال ابن الخطيب هذا الكلام انما يلزم اذا
قلنا الخصمان كانا ملكين اما اذا لم يقل ذلك لا يلزم منا حمل الظن على العلم بل لقايل ان يقول
انه لما غلب على ظنه حصول الابتلا من الله تعالى اشتغل بالاستغفار والانابة قوله تعالى
فاستغفر ربه اي سال الغفران من ربه ثم ههنا وجهان ان قلنا انه صدرت منه زلة حملنا هذا
الاستغفار عليها وان لم يقل به قلنا فيه وجوه الاول ان القوم لما دخلوا عليه يريدون قتله

وانه كان سلطانا شديد القهر عظيم القوة مع انه مع القدرة الشديدة على الانتقام ومع حصول
الفزع في قلبه عفا عنهم ولم يقل لهم شيا فقرب الامر من ان يدخل قلبه شي من العجب فاستغفر ربه
من تلك الحالة واناب الى الله واعترف بان اقدامه على ذلك الخير ما كان الا بتوفيق الله تعالى فغفر
له وتجاوز عنه بسبب طريان ذلك الخاطر الثاني لعله هم بايذا القوم ثم قال انه لم يدل دليل قاطع
على ان هولا قصدوا الشر فعفى عنهم ثم استغفر من ذلك الهم الثالث لعل القوم تابوا الى الله
تعالى وطلبوا منه ان يستغفر الله لهم ولاجل ان يقبل توبتهم بسبب شفاعتهم ودعايه وهذه
كلها وجوه محتملة ظاهرة والقران مملو من امثال هذه الوجوه واذا كان اللفظ محتملا لما ذكرناه
ولم يقم دليل قطعي ولا ظني على التزام ما ذكروه من المنكرات فالذي دل على التزامه والقول
به ويويده ما ذكرنا انه تعالى ختم هذه القصة بقوله عز وجل وان له عندنا لزلفى وحسن ماب
ومثل هذه الخاتمة انما تحصل في حق من صدر عنه امتثال الاوامر في الخدمة والطاعة وتحمل
انواع من الشدايد في الموافقة والانقياد قوله تعالى وخر راكعا واناب يدل على حصول
الركوع واما السجود فقد ثبت بالاخبار ولذلك البكا الشديد في مدة اربعين يوما ثبت في
الاخبار واستدل ابو حنيفة رضي الله عنه بهذه الاية على ان سجود التلاوة وعلى ان الركوع
يقوم مقام السجود قوله تعالى ذلك الظاهر انه مفعول غفرنا وجوز ابو البقا فيه ان يكون خبر
مبتدا مضمر اي الامر ذلك ولا حاجة الى هذا والمشهور ان الاستغفار انما كان بسبب قصة النعجة والنعاج
وقيل بسبب انه حكم لاحد الخصمين قبل ان يسمع كلام الثاني وذلك غير جايز قوله تعالى يا داود انا
جعلناك خليفة في الارض اي تدبر امور العباد بامرنا واعلم انه لما تم الكلام في شرح القصة
اردفها ببيان ان الله تعالى فوض الى داود خلافة الارض وهذا من اقوى الدلايل
على فساد القول المشهور في القصة لانه من البعيد جدا ان يوصف الرجل بكونه ساعيا في سفك
دما المسلمين راغبا في انتزاع ازواجهم منهم ثم يذكر عقيبه ان الله تعالى فوض خلافة الارض
اليه ثم في تفسير كونه خليفة وجهان الاول جعلناك تخلف من تقدمك من الانبيا في الدعا
الى الله تعالى وفي سياسة الناس لان خليفة الرجل من يخلفه وذلك انما يعقل في حق من
يصح عليه الغيبة وذلك على الله محال الثاني انا جعلناك ممكنا في الناس نافذ الحكم فيهم
فبهذا التاويل يسمى خليفة ومنه يقال خليفة الله في ارضه وحاصله ان خليفة الرجل
يكون نافذ الحكم في رعيته وحقيقة الخلافة ممتنعة في حق الله تعالى فلما امتنعت الحقيقة
جعلت اللفظة للزوم نفاذ الحكم في تلك الحقيقة قوله تعالى فاحكم بين الناس بالحق اي بالعدل
لان الاحكام اذا كانت مطابقة للشريعة الحقيقية الالهية انتظمت مصالح العالم واتسعت ابواب
الخيرات واذا كانت الاحكام على وفق الاهوية وتحصيل مقاصد الانفس افضى الى تخريب العالم
ووقوع الهرج فيه والمرج في الخلق وذلك يفضي الى هلاك ذلك الحاكم ولذلك قال ولا تتبع
الهوى فيضلك عن سبيل الله لان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله والضلال
عن سبيل الله يوجب سوء العذاب قوله تعالى فيضلك فيه وجهان اظهرهما انه منصوب في جواب
النهي الثاني انه عطف على تتبع فهو مجزوم وانما فتحت اللام لالتقا الساكنين وهو نهي عن كل
واحد على حدته والاول فيه النهي عن الجمع بينهما وقد يترجح الثاني لهذا المعنى وقد تقدم تقرير
ذلك في البقرة في قوله وتكتموا الحق وفاعل فيضلك يجوز ان يكون الهوى ويجوز ان يكون ضمير
المصدر المفهوم من الفعل اي فيضلك اتباع الهوى قوله تعالى ان الذين يضلون قرا العامة
بفتح يا يضلون وقرا ابن عباس والحسن وابو حيوة بضمها اي يضلون الناس وهي مستلزمة
للقراة الاولى فانه لا يضل غيره الا ضال بخلاف العكس قوله تعالى بما نسوا ما مصدرية والجار
يتعلق بالاستقرار الذي تضمنه لهم ولهم عذاب يجوز ان يكون جملة خبرا لان ويجوز ان يكون الخبر
وحده الجار وعذاب فاعل به وهو الاحسن لقربه من المفرد **فصل** قيل معناه بما تركوا
الايمان بيوم الحساب وقال الزجاج بتركهم العمل لذلك اليوم وقال عكرمة والسدي في الاية
تقديم وتاخير تقديره لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا اي تركوا القضا بالعدل قوله
تعالى وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا قال ابن عباس رضي الله عنه اي لا ثواب
ولا عقاب احتج الجبائي بهذه الاية على انه تعالى لا يجوز ان يكون خالقا لاعمال العباد قال لانها

مشتملة على الكفر والفسق وكلها اباطيل فلما بين تعالى انه ما خلق السموات والارض وما
بينهما باطلا دل هذا على انه لم يخلق اعمال العباد وايضا قوله تعالى وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما باطلا وعند المجبرة انه خلق الكافر لاجل ان يكفر والكفر باطل فقد خلق
الباطل ثم اكد تعالى ذلك بان قال ذلك ظن الذين كفروا اي كل من قال هذا القول فهو كافر
فهذا تصريح بان مذهب المجبرة من الكفرة واحتج اهل السنة بان هذه الاية تدل على انه تعالى
خلق اعمال العباد لان الاية دلت على انه تعالى خلق كل ما بين السماء والارض واعمال العباد
ما بين السماء والارض فوجب ان يكون تعالى خالقها **فصل** دلت الاية على
صحة القول بالحشر والنشر لانه تعالى لما خلق الخلق في هذا العالم فاما ان يكون خلقهم للاضرار
او للانتفاع او لا لشيء والاول باطل لان ذلك لا يليق بالرحيم الكريم والثالث ايضا باطل لان هذه
الحالة حاصلة حين كانوا معدومين فلم يبق الا ان يقال خلقهم للانتفاع فذلك الانتفاع
اما ان يكون في حياة الدنيا او في حيوة الاخرة والاول باطل لان منافع الدنيا قليلة ومضارها
كثيرة وتحمل الضرر الكثير لوجدان المنفعة القليلة لا يليق بالحكمة ولما بطل هذا القول ثبت القول
بوجود حياة اخرى بعد هذه الحيوة الدنيا وذلك هو القول بالحشر والنشر والقيمة قوله تعالى
باطلا يجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف او حالا من ضميره اي خلقا باطلا ويجوز ان يكون حالا من
فاعل خلقنا او مبطلين او ذوي باطل ويجوز ان يكون مفعولا من اجله اي للباطل وهو العبث قوله
تعالى ذلك ظن الذين كفروا يعني اهل مكة هم الذين ظنوا انهما خلقا لغير شيء وانه لا بعث ولا حساب
فويل للذين كفروا من النار لان من انكر الحشر والنشر كان شاكا في حكمة الله تعالى في خلق السما
والارض وهذا هو المراد من قوله ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار
قوله تعالى ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام في الموضعين
منقطعة وقد تقدم ما فيها قال مقاتل قال كفار قريش للمومنين انا نعطى في الاخرة من الخير
ما تعطون فنزلت هذه الاية ام نجعل المتقين كالفجار اي المومنين كالكفار وقيل اراد بالمتقين
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى كتاب انزلناه يجوز ان يكون نعتا ثانيا الا انه
لا يتقدم عند الجمهور غير الصريح ومنه ذلك استدل بظاهرها وقد تقدم تحرير هذا في المايدة
قوله تعالى ليدبروا متعلق بانزلناه وقرى مباركا على الحال اللازمة لان البركة لا تفارقه وقرا
علي رضي الله عنه ليتدبروا وهي اصل قراة العامة فادغمت التاء في الدال وابو جعفر وروية عن
عاصم والكسائي لتدبروا بتاء الخطاب وتخفيف الدال واصلها لتتدبروا بتاءين فحذفت احديهما
وفيها الخلاف المشهور هل هي الاولى او الثانية قال الحسن رضي الله عنه تدبر اياته اتباعه ولتتذكر
ولتتعظ اولوا الالباب اي العقول قوله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد المخصوص
بالمدح محذوف اي نعم العبد سليمان وقيل داود لانه وصفه بهذا المعنى قد تقدم حيث قال
داود ذا الايد انه اواب والاصل والاظهر لانه هو المسوق للحديث عنه وقرى بكسر العين وهي
الاصل كقوله نعم الساعون في الامر المشتطر **فصل** قوله عز وجل انه اواب يدل
على انه انما كان نعم العبد لانه كان اوابا كثير الرجوع الى الله تعالى في اكثر اوقاته ومهماته
قوله تعالى اذ عرض في ناصبه اوجه احدها نعم وهو اضعفها لانه لا تتقيد مدحه بوقت ولعدم
تصرفه قال ابن الخطيب التقدير نعم العبد هو اذ كان من اعماله انه فعل كذا الثاني اواب
وفيه تقييد وصفه بذلك بهذا الوقت الثالث اذكر مقدرا وهو اسلمها والعشي من العصر الى
اخر النهار والصافنات جمع صافن وفيه خلاف بين اهل اللغة فقال الزجاج هو الذي يقف
على احدى يديه ويقف على طرف سنبكه وقد يفعل ذلك باحدى رجليه وهي علامة الفراهة
فيه وانشد • الف الصفون فلا يزال كانه • مما يقوم على الثلاث كسيرا •
وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما واما الذي يقف على سنبكه فاسمه المتحم قال ابو عبيد
وقيل هو القايم مطلقا اي سوا كان من الخيل ام من غيرها قاله القتيبي واستدل بقوله صلوات
الله عليه من سره ان يقوم الناس له صفوفا فليتبوا مقعده من النار اي يديمون له القيام
وحكاه قطرب ايضا وجا في الحديث فنا صفوفا اي صافنا قيس اقدامنا وقيل هو القيام مطلقا
سوا وقفت على طرف سنبك ام لا قال الفراء هذا رايت اشعار العرب انتهى وقال النابغة

لناجته

• لناجته مضروبة بقنابها • عتاق المهاري والجياد الصوافن •
والجياد امامن الجودة يقال جاد الفرس يجود جوده وجودة بالفتح والضم فهو جواد للذكر والانثى
والجمع جياد واجواد واجاويد وقيل جمع لجود بالفتح كثوب وثياب وقيل جمع جيد واما من
الجيد وهو العنق والمعنى طويله الاجياد وهو دال على فراهتها قوله حب الخير فيه اوجه احدها
هو مفعول احببت لانه بمعنى اثرت وعن على هذا بمعنى على اي على ذكر ربي لا انه روي انه عرض
الخيل حتى شغلته عن صلاة العصر اول الوقت حتى غربت الشمس وقال ابو حيان وكانه منقول
عن الفرا انه ضمن احببت معنى اثرت حتى نصب حب الخير مفعولا به وفيه نظر لانه متعد بنفسه
وانما يحتاج الى التضمين ان لو لم يكن متعديا الثاني ان حب مصدر على حذف الزوايد والناصب
له احببت الثالث انه مصدر تشبيهي اي حبا مثل حب الخير الرابع انه قيل ضمن معنى ابثت فلذلك
تعدى بعن الخامس ان احببت بمعنى لزمت قال ابن الخطيب ان الانسان قد يحب شيا واحب
ان يحبه فذلك غاية المحبة فقوله احببت حب الخير اي احببت حبي للخير السادس ان احببت من
احب البعير اذا سقط وبرك من الاعيا والمعنى قعدت عن ذكر ربي فيكون حب الخير على هذا مفعولا
من اجله والمراد بقوله عن ذكر ربي قيل عن صلاة العصر وقيل عن كتاب ربي وهو التورية لان
ارتباط الخيل كما انه في القران ممدوح فكذلك في التورية ممدوح وقوله ذكر ربي يجوز ان يكون مضاف
للمفعول اي عن ان اذكر ربي وان يكون مضافا للفاعل اي عن ان ذكر ربي والمراد بالخير الخيل
والعرب تعاقب بين الراء واللام تقول ختلت الرجل وخترته اي خدعته وسميت الخيل خيرا لانه
معقود بنواصيها الخير الاجر والمغنم قوله تعالى حتى توارت في الفاعل وجهان احدهما هو
الصافنات والمعنى حتى دخلت اصطبلها فتوارت وغابت والثاني انه الشمس اضمرت لدلالة
السياق عليها وقيل لدلالة العشي عليها فانها تشعر بها وقيل يدخل عليها الاشراق في قصة
داود وما بعده قوله تعالى ردوها هذا الضمير للصافنات وقيل للشمس وهو غريب جدا قال
ابن الخطيب وهذا بعيد لوجوه منها ان الصافنات مذكورة بالصريح والشمس غير مذكورة وعود
الضمير الى المذكور اولى من عوده الى المقدر ومنها انه لو اشتغل بالخيل حتى غربت الشمس وفاتته
صلاة العصر كان ذلك ذنبا عظيما ومن كان هذه حاله فطريقه التضرع والبكاء والمبالغة في اظهار
التوبة فاما ان يقول على سبيل العظمة لرب العالمين مثل هذه الكلمة العارية عن كل جهات الادب
عقيب ذلك الجرم العظيم لا يصدر عن ابعد الناس عن الخير فكيف يجوز اسناده للرسول المطهر
المكرم ومنها ان القادر على تحريك الافلاك والكواكب هو الله تعالى فكان يجب ان يقول ردها
علي ولا يقول ردوها لان هذا اللفظ مشعر باعظم انواع الاهانة فكيف يليق بهذا اللفظ غاية
التعظيم ومنها ان الشمس لو رجعت بعد الغروب لصار ذلك مشاهدا لاهل الدنيا ولو كان لذلك
لتوفرت الدواعي على نقله وحيث لم ينقل علمنا فساده قوله تعالى فطفق مسحا نصب مسحا
بفعل مقدر هو خبر طفق اي فطفق يمسح مسحا لان خبر هذه الافعال لا يكون الا مضارعا
في الامر العام وقال ابو البقا وبه بدا مصدر في موضع الحال وهذا ليس بشي لان طفق لابد
لها من خبر وقرا زيد بن علي مساحا بزنة قتال والباء في بالسوق مزيدة مثلها في قوله فامسحوا
برؤسكم وحكى سيبويه مسحت راسه وبراسه بمعنى واحد ويجوز ان يكون للالصاق كما تقدم
ويقدم همز السوق وعدمه في النمل وجعل الفارسي الهمز ضعيفا وليس كما قال لما تقدم من
الادلة وقرا زيد بن علي بالساق مفردا اكتفا بالواحد لعدم اللبس كقوله • واما جلدها فصليب
وقوله • كلوا في بعض بطنكم تعفوا • وقوله • في حلقكم عظما وقد شجينا •
وقال الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله ردوها علي قلت بمحذوف تقديره قال ردوها
فاضمر واضمر ما هو جواب له كان قايلا قال فماذا قال سليمان لانه موضع مقتضي للسوال
اقتضا ظاهرا قال ابو حيان وهذا لا يحتاج اليه لان هذه الجملة مندرجة تحت حكاية
القول وهو فقال اني احببت **فصل** قال المفسرون انه صلوات الله وسلامه عليه
لما فاتته صلاة العصر لاشتغاله بالنظر الى تلك الخيل استردها وعقر سوقها واعناقها تقربا
الى الله تعالى وبقي منها ماية فالخيل التي في ايدي الناس اليوم من نسل تلك الماية قال الحسن
فلما عقر الخيل ابدله الله خيرا منها واسرع وهي الريح تجري بامره كيف شا قال ابن الخطيب

وهذا عندي بعيد لوجوه الاول انه لو كان مسح السوق والاعناق قطعها لكان معنى فامسحوا برؤسكم اي اقطعوها وهذا لا يقوله عاقل بل لو قيل مسح راسه بالسيف فربما فهم منه ضرب العنق اما اذا لم يذكر لفظ السيف لم يفهم منه البتة من المسح العقر والذبح الثاني ان القائلين بهذا القول جمعوا على سليمان صلوات الله عليه انواعا من الافعال المذمومة فاولها ترك الصلاة وثانيها انه استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا حتى نسي الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة وثالثها انه بعد الاتيان بهذا الذنب العظيم لم يشتغل بالتوبة والانابة البتة ورابعها انه اتبع هذه المعاصي بعقر الخيل في سوقها واعناقها وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذبح الحيوان الا لماكله وهذه انواع من الكباير ينسبونها الى سليمان صلوات الله عليه مع ان لفظ القران لم يدل على شيء منها وخلاصتها ان هذه القصص انما ذكرها الله تعالى عقيب قوله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وان الكفار لما بلغوا في السفاهة الى هذا الحد قال الله عز وجل لمحمد صلوات الله وسلامه عليه اصبر يا محمد على سفاهتهم واذكر عبدنا داود ثم ذكر عقيبه قصة سليمان فكان التقدير انه تعالى قال لمحمد صلوات الله عليه يا محمد اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا سليمان وهذا الكلام انما يليق اذا قلنا ان سليمان صلوات الله عليه في هذا الموضع انه قدم على الكباير العظيمة التي في هذه القصة بالاعمال الفاضلة والاخلاق الحميدة وصبر على طاعة الله تعالى واعرض عن الشهوات واللذات فلو كان المقصود من قصة سليمان صلوات الله عليه في هذا الموضع انه اقدم على الكباير العظيمة والذنوب لم يكن ذكر هذه القصة لائقا والصواب ان يقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما هو في دين محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان سليمان صلوات الله عليه احتاج الى الغزو فجلس وامر باحضار الخيل وامر باجرائها وذكر اني لا احبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما احبها لامر الله تعالى وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله عن ذكر ربي ثم انه صلوات الله عليه امر باجرائها وسيرها حتى توارت بالحجاب اي غابت عن بصره ثم انه امر الرايضين بان يردوها فردوا تلك الخيل اليه فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها والغرض من ذلك امور الاول تشريفا لها وابانة لعزتها لكونها من اعظم الاعوان في دفع العدو والثاني انه اراد ان يظهر انه في ضبط السياسة والملك يتضع الى حيث يباشر اكثر الامور بنفسه الثالث انه كان اعلم باحوال الخيل وامراضها وعيوبها فكان يمسحها ويمسح سوقها واعناقها حتى يعلم هل فيهما ما يدل على المرض فهذا التفسير هو الذي ينطبق عليه لفظ القران ولا يلزمنا نسبة شيء من تلك المنكرات الى سليمان صلوات الله عليه والعجب منهم كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة مع ان العقل والنقل يردها وليس لهم في اثباتها شبهة فضلا عن حجة فان قيل فالجمهور فسروا الاية بتلك الوجوه فالجواب ان يقول لفظ الاية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي يذكرونها لما ذكرنا وايضا فان الدليل الكثير قام على عصمة الانبيا صلوات الله عليهم ولم يدل على صحة هذه الحكايات دليل قطعي ورواية الاحاد لا تصلح معارضة للدلايل القوية فكيف الحكايات عن اقوام لا يلتفت الى اقوالهم والذي ذهب اليه قول الزهري وابن كيسان رحمة الله عليهما قوله تعالى ولقد فتنا سليمان قال بعض المفسرين ان سليمان صلوات الله عليه بلغه خبر مدينة في بعض جزاير البحر يقال لها صيدون فخرج اليها بجنوده فاخذها وقتل ملكها واخذ بنتا له اسمها جرادة من احسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت فاحبها وكانت تبكي على ابيها فامر سليمان الشيطان فمثل لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته وكانت تذهب الى تلك الصورة بكرة وعشيا مع جواريها يسجدون لها فاخبر اصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة وخرج وحده الى فلاة وفرش الرماد وجلس عليه تايبا لله تعالى وكانت له ام ولد يقال لها الامينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة وضع خاتمه عندها وكان ملكه فيه فوضعه عندها يوما فاتاها الشيطان صاحب البحر واسمه صخر على صورة سليمان وقال لها يا امينة خاتمي فناولته الخاتم فتختم به وجلس على كرسي سليمان فعكفت عليه الطير والجن والانس وتغيرت هيئة سليمان فاتى الامينة لطلب الخاتم فانكرته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه فاخذ ينقل السمك للسماكين فيعطونه كل يوم سمكتين

فمكث

فمكث على هذه الحالة اربعين يوما عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر اصف وعظماء بني اسرايل حكم الشيطان وسال اصف نساء سليمان فقلن ما يدع امراة في دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل نفذ حكمه في كل شيء الا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا لله تعالى ورجع اليه ملكه واخذ ذلك الشيطان فحبسه في صخرة والقاها في البحر وقيل ان تلك المراة عبدت تلك الصورة افتتن سليمان فكان يسقط من يده ولا يتماسك فيها فقال اصف انك لمفتون بذنبك فتب الى الله تعالى وقيل ان سليمان قال لبعض الشياطين كيف تفتنون الناس فقال ارني خاتمك اخبرك فلما اعطاه اياه نبذه في البحر فذهب ملكه وقعد هذا الشيطان على كرسيه ثم ذكر الحكاية الى اخرها فقالوا المراد من قوله عز وجل ولقد فتنا سليمان ان الله تعالى ابتلاه وقوله والقينا على كرسيه جسدا هو جلوس ذلك الشيطان على كرسيه عقوبة له قال ابن الخطيب واستبعد اهل التحقيق هذا الكلام من وجوه الاول ان الشيطان لو قدر على ان يتشبه في الصورة والخلقة بالانبيا فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من ذلك فلعل هؤلاء الذين راهم الناس على صورة محمد وعيسى وموسى صلوات الله وسلامه عليهم ما كانوا اولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة لاجل الاغوا والاضلال وذلك يبطل الدين بالكلية الثاني ان الشيطان لو قدر ان يعامل نبي الله سليمان مثل هذه المعاملة لوجب ان يقدر على مثلها مع جميع العلما والزهاد وحينئذ يجب ان يقتلهم ويمزق تصانيفهم ويخرب ديارهم ولما بطل ذلك في حق احاد العلما فلان يبطل في حق اكابر الانبيا اولى الثالث كيف يليق بحكمة الله عز وجل واحسانه ان يسلط الشيطان على ازواج سليمان ولا شك انه قبيح الرابع لو قلنا ان سليمان اذن لتلك المراة في عبادتها تلك الصورة فهذا الكفر منه واما اهل التحقيق فذكروا وجوها الاول ان فتنة سليمان انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش صار مسلطا مثل ابيه فسبيلنا ان نقتله فعلم سليمان ذلك فكان يربيه في السحاب فبينا هو مشتغل بمهماته اذ القي ذلك الولد ميتا على كرسيه فتنبه على خطايه في انه لم يثق ويتوكل على الله جل ذكره فاستغفر ربه وتاب الثاني روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امراة كل امراة تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شا الله تعالى لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعين فذلك قوله جل ذكره فاستغفر ربه وتاب ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا وذلك لشدة المرض والعرب تقول في الضعيف انه لحم على وضم وجسم بلا روح ثم اناب اي رجع الى حال الصحة فاللفظ محتمل لهذه الوجوه ولا حاجة الى حمله على تلك الوجوه الركيكة الثالث لا يبعد ايضا ان يقال انه ابتلاه الله تعالى بتسليط خوف او توقع بلا من بعض الجهات حتى صار بسبب قوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف الملقى على ذلك الكرسي ثم ان الله تعالى ازال عنه ذلك الخوف واعاده الى ما كان عليه من القوة وطيب القلب قوله تعالى جسدا فيه وجهان اظهرهما انه مفعول به لالقينا والثاني انه حال وصاحبها اما سليمان لانه يروى انه مرض حتى صار كالجسد الذي لا روح فيه واما ولده قالهما ابو البقا ويكون جسد جامد فلا بد من تاويله بمشتق اي ضعيفا او فارغا قوله تعالى قال رب اغفر لي تمسك به من حمل الكلام المتقدم على صدور الزلة لانه لولا تقدم الذنب لما طلب المغفرة ويمكن ان يجاب بان الانسان لا ينفك عن ترك الافضل والاولى وحينئذ يحتاج الى طلب المغفرة لان حسنات الابرار سيات المقربين ولانه ابدا في مقام هضم النفس واظهار الذلة والخضوع كما قال صلوات الله وسلامه عليه اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة مع انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فلا يبعد ان يكون المراد من هذه الكلمة هذا المعنى قوله تعالى وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي دلت هذه الاية على انه يجب تقديم مهم الدين على مهم الدنيا لان سليمان طلب المغفرة اولا ثم طلب المملكة بعده ودلت الاية ايضا على ان طلب المغفرة من الله تعالى سبب لانفتاح ابواب الخيرات في الدنيا لان سليمان طلب المغفرة اولا ثم توسل به الى طلب المملكة ونوح صلوات الله عليه قال فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك فان قيل قول سليمان صلوات الله عليه هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي مشعر بالحسد فالجواب على ان الشيطان ان القايلين بان الشيطان استولى على مملكته قالوا

معناه هو ان يعطيه الله ملكا لا يقدر الشيطان على ان يقوم فيه مقامه البتة واما المنكرون
فاجابوا بوجوه الاول ان الملك هو القدرة فكان المراد اقدرني على اشيا لا يقدر عليها غيري
البتة ليصير اقتداري عليها معجزة فدل على صحة نبوتي ورسالتي ويدل على صحة هذا قوله
تعالى عقيبه له الريح تجري بامره رخا حيث اصاب فكون الريح جارية بامره قدرة عجيبة وملك
عجيب دال على صحة نبوته لا يقدر احد على معارضته الثاني انه صلوات الله وسلامه عليه لما
مرض ثم عاد الى الصحة عرف ان خيرات الدنيا صايرة الى التغيرات فسال ربه ملكا لا يمكن ان ينتقل
عني الى غيري الثالث ان الاحتراز عن طيبات الدنيا مع القدرة عليها اشق من الاحتراز عنها
حال عدم القدرة فكانه قال يا الهي اعطني مملكة فايقة على ممالك البشر بالكلية حتى احترز مع القدرة
عليها ليصير ثوابي اكمل وافضل الرابع سال ذلك ليكون علما على قبول توبته حيث اجاب الله دعاه
ورد عليه ملكه وزاده فيه قوله تعالى فسخرنا له الريح تجري بامره رخا لينة اي رخوة لينة وهي
من الرخاوة والريح اذا كانت لينة لا تزعزع فان قيل قد قال في اية اخري ولسليمان الريح عاصفة
تجري بامره فالجواب من وجهين الاول لا منافاة بين الاثنين فان المراد ان تلك الريح كانت في
قوة الرياح العاصفة الا انها لما مرت بامره كانت لذيذة طيبة وكانت رخا الثاني ان تلك الريح
كانت لينة مرة وعاصفة اخري فلا منافاة بين الاثنين قوله تعالى حيث اصاب اي حيث طرق لتجري او لتسخرنا
واصاب اراد بلغة حمير وقيل بلغة هجر وحكي الاصمعي رحمه الله عن العرب انهم يقولون اصاب
الصواب فاخطا الجواب وروي ان رجلين خرجا يقصدان روبة ليسالاه عن هذا الحرف
فقال لهما اين تصيبان فعرفاها وقالا هذه بغيتنا وانشد الثعلبي على ذلك •
• اصاب الجواب فلم يستطع • فاخطا الجواب لدي المفصل •
اي اراد الجواب ويقال اصاب الله بك خيرا اي اراده بك وقيل الهمزة في اصاب للتعدية
من صاب يصوب اي نزل قال • تنزل من جو السما يصوب •
والمفعول محذوف اي اصاب جنوده اي حيث وجههم وجعلهم يصوبون صوب المطر والشياطين
نسق على الريح وكل بناء بدل من الشياطين كانوا يبنون له ما شا من الابنية روي ان سليمان
صلوات الله عليه امر الجان فبنت له اصطخر وكان فيها قرار مملكة الترك وبنت له الجان ايضا تدمر
وبيت المقدس وباب جيرون وباب البريد اللذين بدمشق على احد الاقوال وبنوا ثلاث قصور
باليمن غمدان وسالحين وبينون ومدينة صنعا وقوله جل ذكره وغواص نسق على بناء اي يغوصون
له فيستخرجون اللولو واتي بصيغة المبالغة لانه في معرض الامتنان قوله تعالى واخرين
عطف على كل فهو داخل في حكم البدل وتقدم شرح مقرنين في الاصفاد اخر سورة ابراهيم صلوات
الله عليه فصل قال ابن الخطيب رحمه الله دلت هذه الايات على ان الشياطين لها
قوة عظيمة قدروا بها على بناء تلك الابنية العظيمة التي لا يقدر عليها البشر وقدروا على الغوص
في البحار واستخراج اللالي وقيدهم سليمان صلوات الله عليه ولقايل ان يقول هذه الشياطين
اما ان يكون اجسادهم كثيفة او لطيفة فان كانت كثيفة وجب ان يراهم من كان صحيح الحاسة اذ لو جاز
ان لا نراهم مع كثافة اجسادهم فليجز ان يكون بحضرتنا جبال عالية واصوات هايلة ولا نراها ولا
نسمعها وذلك دخول في السفسطة وان كانت اجسادهم وان تتمزق بالرياح العاصفة القوية وان
يموتوا في الحال وذلك يمنع وصفهم بالقوة وايضا فالجن والشياطين ان كانوا موصوفين بهذه
القوة والشدة فلم لا يقتلون العلما والزهاد في زماننا هذا ولم لا يخربون ديار الناس مع ان
المسلمين يبالغون في اظهار لعنتهم وعداوتهم وحيث لم يحس بشي من ذلك علمنا ان القول باثبات
الجن ضعيف قال ابن الخطيب رحمه الله واعلم ان اصحابنا يجوزون ان يكون اجسادهم كثيفة
مع انا لا نراهم وايضا لا يبعد ان يكون اجسادهم لطيفة بمعنى عدم الكون ولكنها صلبة بمعنى انها
لا تقبل التفرق واما الجباي فقد سلم انها كانت كثيفة الاجسام وزعم ان الناس كانوا يشاهدونهم
في زمن سليمان صلوات الله عليه امات الله اوليك الجن والشياطين وخلق انواعا اخر من الجن
والشياطين تكون اجسادهم في غاية الرقة ولا تكون لهم شي من القوة والموجود في زماننا من الجن
والشياطين ليس الا من هذا الجنس والله اعلم قوله تعالى هذا عطاونا اي قلنا له هذا عطاونا
فامنن او امسك قال ابن عباس رحمه الله اعط من شيت وامنع من شيت قوله تعالى بغير

حساب

حساب فيه ثلاثة اوجه احدها انه متعلق بعطاونا اي اعطيناك بغير حساب ولا تقدير
وهو دلالة على كثرة الاعطا الثاني انه حال من عطاونا اي في حال كونه غير محاسب عليه لانه
جم كثير يعسر على الحساب ضبطه الثالث انه متعلق بامنن او امسك ويجوز ان يكون حالا من فاعلهما
اي غير محاسب عليه فصل قال المفسرون معناه لا حرج عليك فيما اعطيت وفيما امسكت
قال الحسن ما انعم الله على احد نعمة الا عليه تبعة الا سليمان فانه ان اعطي اجر وان لم يعط لم يكن
عليه تبعة وقال مقاتل هذا في امر الشياطين يعني خل من شيت منهم وامسك من شيت في وثاقك
لا تبعة عليك فيما تتعاطاه قوله تعالى وان له عندنا لزلفي وحسن ماب تقدم تفسيره والعامة
على نصب وحسن ماب نسقا على اسم ان وهو لزلفي وقرا الحسن وابن ابي عبلة برفعه على الابتدا
وخبره مضمر لدلالة ما تقدم عليه ويقفان على لزلفي ويبتديان بحسن ماب اي وحسن ماب له
ايضا قوله تعالى واذكر عبدنا ايوب كقوله عبدنا داود وفيه الثلاثة الاوجه واذ نادي
بدل منه بدل اشتمال اي باني وقوله اني جا به على حكاية كلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحكه
لقال انه مسه لانه غايب وقرا العامة بفتح الهمزة على انه هو المنادي لهذا اللفظ وعيسي وابن عمر
بكسرها على اضمار القول وعلى اجرا النداء مجراه قوله تعالى بنصب قرا العامة بالضم والسكون فقيل
هو جمع نصب بفتحتين نحو وثن ووثن واسد واسد وقيل هو لغة في النصب نحو رشد ورشد
وحزن وحزن وعدم وعدم وابو جعفر وشيبة وحفص ونافع رحمهم الله في رواية بضمتين
وهو تثقيل نصب بضمة وسكون قال الزمخشري وفيه بعد لما تقرر ان مقتضى اللغة تخفيف
فعل كعنق لا تثقل فعل كقفل وفيه خلاف وقد تقدم في العسر واليسر في البقرة وقرا ابو حيوة
ويعقوب وحفص في رواية بفتح وسكون وكلها بمعني واحد وهو التعب والمشقة فصل
النصب المشقة والضر قال قتادة ومقاتل النصب في الجسد والعذاب في المال واعلم ان داود
وسليمان صلوات الله عليهما كانا ممن افاض الله عليه اصناف الالا والنعما وايوب كان ممن خصه
الله تعالى بانواع البلا والمقصود من جميع هذه القصص الاعتبار كان الله تعالى قال يا محمد
اصبر على سفاهة قومك فانه ما كان في الدنيا اكثر نعمة وجاها من داود وسليمان وما كان اكثر
بلا ولا محنة من ايوب فتامل في احوال هولا لتعرف ان احوال الدنيا لا تنتظم لاحد وان العاقل
لا بد له من الصبر على المكاره فصل قال بعض العلما ان الالام والاسقام الحاصلة في
جسمه انما حصلت بفعل الشيطان وقيل انما حصلت بفعل الله تعالى والعذاب المضاف في هذه
الاية الى الشيطان هو عذاب الوسوسة والقا الخواطر الفاسدة اما تقرير القول الاول فهو
ما روي ان ابليس لعنة الله عليه سال فيه ربه وقال هل في عبيدك من لو سلطتني عليه يمتنع
مني فقال الله تعالى نعم عبدي ايوب فجعل ياتيه بوساوسه وهو يري ابليس لعنة الله عليه
عيانا ولا يلتفت اليه فقال رب انه قد امتنع علي فسلطني على ماله فكان يجيه ويقول له هلك من
مالك كذا وكذا فيقول الله اعطى والله اخذ ثم يحمد الله تعالى فقال يا رب ان ايوب لا يبالي بماله
فسلطني على ولده فجا واخبره به فلم يلتفت اليه فقال يا رب انه لا يبالي بماله وولده فسلطني على
جسده فاذن فيه فنفخ في جلد ايوب فحدث اسقام عظيمة والام شديدة فمكث في ذلك البلا سنين
حتى استقذره اهل بلده فخرج الى الصحرا وما كان يقرب منه احد فجا الشيطان امراته وقال
ان زوجك ان استغاث بي خلصته من هذا البلا فذكرت المراة ذلك لزوجها فحلف بالله تعالى
لين عافاه الله ليجلدنها مايه جلده وعند هذه الواقعة قال اني مسني الشيطان بنصب وعذاب
فاجاب الله دعاه واوحي اليه ان اركض برجلك واظهر الله تعالى من تحت رجله عينا باردة طيبة فاغتسل
منها فاذهب الله تعالى عنه كل داء في ظاهره وباطنه ورد عليه اهله وماله واما القول الثاني ان
الشيطان لا قدرة البتة على ايقاع الناس في الامراض والاسقام ويدل عليه وجوه الاول انا
لو جوزنا حصول الموت والحيوة والصحة والمرض من الشيطان فلعل الواحد منا انما وجد
الحيوة بفعل الشيطان ولعل ما عندنا من الخيرات والسعادات قد حصل بفعل الشيطان وحينيذ
لا سبيل لنا الى معرفة معطي الحيوة والموت والصحة والسقم هو الله تعالى ام الشيطان الثاني ان
الشيطان لو قدر على ذلك فلم لا يسعى في قتل الانبيا والاوليا ولم لا يخرب دورهم ولم لا يقتل اولادهم
الثالث ان الله تعالى حكى عن الشيطان انه قال وما كان لي عليكم من سلطان فلا تلوموني

الا انه دعوتكم فاستجبتم لي فصرح بانه لاقدرة له في حق البشر الا القا الوساوس والخواطر
الفاسدة فدل ذلك على فساد القول بان الشيطان هو الذي القاه في تلك الامراض فان قيل
لم لا يجوز ان يقال ان الفاعل لهذه الاحوال هو الله سبحانه وتعالى جل ذكره لكن على وفق ه
التماس الشيطان قلنا فاذا كان لا بد من الاعتراف بان خالق تلك الالام والاسقام هو الله تعالى
فاي فايدة في جعل الشيطان واسطه في ذلك بل الحق ان المراد من قوله تعالى اني مسني الشيطان
بنصب وعذاب بسبب القا الوساوس الفاسدة كان يلقيه في انواع العذاب والقايلون بهذا
القول اختلفوا في ان تلك الوساوس كيف كانت وذكروا وجوها الاول ان علته كانت شديدة الالم
ثم طالت تلك العلة واستقذره الناس ونفروا عن مجاورته ولم يبق له مال البتة وامراته كانت
تخدم الناس وتحصل قدر القوت ثم بلغت نفرة الناس عنه الى ان منعوا امراته من الدخول عليهم
ومن خدمتهم والشيطان كان يذكره النعم التي كانت والافات التي حصلت وكان يحتال في تلك
الوساوس فلما قويت تلك الوساوس في قلبه خاف وتضرع الى الله تعالى وقال مسني الشيطان
بنصب وعذاب لانه كلما كثرت تلك الخواطر كان تالم قلبه منها اشد الثاني انه لما طالت مدة المرض
جا الشيطان فكان يقنطه مدة ويزلزله ان يجزع فخاف من خاطر القنوط في قلبه فتضرع الى الله
تعالى وقال اني مسني الشيطان الثالث روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بقي ايوب في
البلا ثماني عشرة سنة حتى رفضه القريب والبعيد الا رجلان ثم قال احدهما لصاحبه لقد اذنب
ايوب ذنبا ما اتى به احد من العالمين ولولاه لما وقع في مثل هذا البلا فذكروا ذلك لايوب صلوات
الله عليه فقال لا ادري ما يقولان غير اني كنت امر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى
فارجع الى بيتي فاكفر عنهما كراهية ان يذكرا الله الا في حق الرابع قيل ان امراته كانت تخدم الناس
وتاخذ منهم قدر القوت وتجي به الى ايوب فاتفق انهم لما استخدموها طلب بعض النسا منها قطع
احدى ذوابتيها على ان تعطيها قدر القوت ففعلت ثم في اليوم الثاني فعلت مثل ذلك فلم يبق
لها ذوابة وكان ايوب صلوات الله عليه اذا اراد ان يتحرك على فراشه تعلق بتلك الذوابة فلما
لم يجد الذوابة وقعت الخواطر الردية في قلبه فعند ذلك قال مسني الشيطان بنصب وعذاب
الخامس روي انه عليه السلام قال في بعض الايام يا رب لقد علمت اني ما اجتمع علي امران الا
اثرت طاعتك ولما اعطيتني المال كنت للارامل قيما ولابن السبيل معينا ولليتامى ابا فنودي
يا ايوب ممن كان ذلك التوفيق فاخذ ايوب التراب ووضعه على راسه وقال منك يا رب ثم خاف
من الخاطر الاول فقال مسني الشيطان بنصب وعذاب وذكروا احوالا اخر والله اعلم قوله تعالى
اركض برجلك معناه انه لما اشتكى مس الشيطان فكانه سال ربه ان يزيل عنه تلك البلية فاجابه
الله عز وجل اليه بان قال اركض برجلك والركض هو الدفع القوي بالرجل ومنه ركض الفرس والتقدير
قلنا له اركض برجلك قيل انه ضرب برجله تلك الارض فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب
اي هذا ما يغتسل به فيبرا باطنك وظاهرك وتشرب منه فيبرا باطنك وظاهر اللفظ يدل على ان الله نبعت
له عين واحدة من الما اغتسل منه وشرب منه والمفسرون قالوا انه نبعت له عينان فاغتسل
من احدهما وشرب من الاخرى فذهب الدا من ظاهره ومن باطنه باذن الله تعالى وقيل ضرب
برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت عين باردة فشرب منها قوله
تعالى ووهبنا له اهله ومثلهم معهم قيل هم عين اهله وزيادة مثلهم وقيل غيرهم مثلهم والاول
اولى لانه الظاهر فلا يجوز العدول عنه من غير ضرورة ثم اختلفوا فقيل ازال عنهم السقم فعادوا
اصحا وقيل بل حضروا عنده بعد ان غابوا واجتمعوا بعد ان تفرقوا وقيل بل تمكن منهم وتمتعوا
منه كما يتعلق بالعشرة والخدمة وقوله تعالى ومثلهم معهم الاقرب انه تعالى متعه بصحته وماله
وقواه حتى كثر نسله وصار اهله ضعف ما كانوا واضعاف ذلك وقال الحسن المراد يهب لهم الاهل
الله تعالى احيا بعد ان هلكوا قوله تعالى رحمة منا وذكرى مفعول من اجله اي وهبنا له لاجل
رحمتنا اياه وليتذكروا بحاله اولو الالباب يعني سلطنا البلا عليه اولا فصبر ثم ازلنا عنه البلا
واوصلناه الى الالا والنعم تنبيها لاولي الالباب على ان من صبر ظفر وهو تسلية لمحمد صلى الله
عليه وسلم كما تقدم قالت المعتزلة وهذا يدل على ان افعال الله معللة بالاغراض والمقاصد
والمصالح لقوله عز وجل رحمة منا وذكرى لاولي الالباب قوله تعالى وخذ بيدك ضغثا معطوف

علي

على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش والقضبان وقيل الحزمة الكبيرة من القضبان
وفي المثل ضغث على ابالة والابالة الحزمة من الحطب قال الشاعر

وانقل مني بجهده قدر بطنها ... والقيت ضغثا من خلى متطيب

واصل المادة يدل على جمع المختلطات وقد تقدم هذا في قوله في يوسف اضغاث احلام قوله
تعالى فاضرب به ولا تحنث الحنث الاثم ويطلق على فعل ما حلف على تركه او ترك ما حلف على
فعله لانهما شيان فيه غالبا

فصل

هذا الكلام يدل على تقدم يمين منه وقد روي
انه حلف على اهله واختلفوا في سبب حلفه عليها وبعيد ما قيل انها رغبته في طاعة الشيطان
وبعيد ايضا ما روي انها قطعت ذوايبها لان المضطر يباح له ذلك بل الاقرب انها خالفته في بعض
المهمات وذلك انها ذهبت في بعض المهمات فابطات فحلف في مرضه ليضربنها ماية اذا برا ولما كانت
حسنة الخدمة لا جرم حلل الله يمينه باهون شي عليه وعليها وهذه الرخصة باقية لما روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم اتى برجل ضعيف زنا بامة فقال خذوا عثكالا فيه ماية شمراخ فاضربوه بها ضربة واحدة
قوله تعالى انا وجدناه صابرا فان قيل كيف وجده صابرا وقد شكى اليه فالجواب من وجوه الاول
انه شكى من الشيطان اليه وما شكى لاحد والثاني ان الالم حين كانت على الجسد لم يذكر شيئا
فلما عظمت الوساوس خاف على القلب والدين فتضرع الثالث ان الشيطان عدو والشكاية من
العدو الى الحبيب لا تقدح في الصبر قوله تعالى نعم العبد انه اواب يدل على ان تشريف نعم
العبد انما حصل لكونه اوابا روي انه لما نزل قوله تعالى نعم العبد في حق سليمان تارة وفي حق
ايوب اخرى عظم في قلوب امة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا ان قوله نعم العبد تشريف عظيم فان
احتجنا الى تحمل بلا مثل بلا ايوب لم نقدر عليه فكيف السبيل الى تحصيله فانزل الله عز وجل قوله جل
ذكره نعم المولى ونعم النصير والمراد انك ان لم تكن نعم العبد فانا نعم المولى فان كان منك الفضل فمني
الفضل وان كان منك التقصير فمني الرحمة والتيسير قوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق
ويعقوب قرا ابن كثير عبدنا بالتوحيد والباقون عبادنا بالجمع والرسم يحتملهما فاما قراة ابن
كثير فابراهيم بدل او بيان او باضمار اعني وما بعده على نفس عبدنا الاعلى ابراهيم اذ يلزم ابدال
جمع من مفرد ولقايل ان يقول لما كان المراد بعبدنا الجنس جاز ابدال الجمع منه كقراة ابن عباس رضي
الله عنه واله ابيك ابراهيم في البقرة في احد القولين وقد تقدم واما قراة الجماعة فواضحة لانها موافقة
للاولى في الجمع قال ابن الخطيب لان غير ابراهيم من الانبيا قد اجري عليه هذا الوصف فجا في حق عيسى ان
هو الا عبد انعمنا عليه وفي ايوب نعم العبد وفي نوح انه كان عبدا شكورا والمعنى اصبر يا محمد على
ما يقولون واذكر صبر ايوب على البلا واذكر صبر ابراهيم حين القي في النار وصبر اسحاق حين عرض على
الذبح وصبر يعقوب حين فقد ولده وذهب بصره صلوات الله عليهم اجمعين قوله تعالى اولي الايدي
العامة على ثبوت اليا وهو جمع يد وهي اما الجارحة وكنى بذلك عن الاعمال لان اكثر الاعمال انما تزاول
باليد وقيل المراد بالايدي جمع يد المراد بها النعمة وقرا عبد الله والاعمش والحسن وعيسى الايد بغير يا
فقيل هي الاولى وانما حذفت اليا اجتزا عنها بالكسرة ولان ال تعاقب التنوين واليا تحذف مع التنوين
فاجريت مع ال اجراها معه وهذا ضعيف جدا وقيل الايد القوة الا ان الزمخشري قال وتفسيره بالايد
من التاييد قلق غير متمكن انتهى وكانه انما قلق عنده لعطف الابصار عليه فهو مناسب للايدي
لا للايد من التاييد وقد يقال ان الايدي حقيقة في الجوارح وليس احد لذلك انما المراد الكناية عن العمل
الصالح والتفكر ببصيرته فلم يتعلق حينئذ لعدم حقيقة الابصار وكانه قيل اولي القوة في طاعة
الله والتفكر بالبصيرة وقد نحا الزمخشري الى شي من هذا وقبل ذلك قال ابن عباس اولي القوة
في طاعة الله والابصار في المعرفة بالله اي البصاير في الدين وقال قتادة ومجاهد اعطوا قوة في
العبادة وبصرا في الدين قوله تعالى انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وقرا نافع وهشام بخالصة
ذكرى بالاضافة وفيها اوجه احدها ان يكون اضاف خالصة الى ذكرى للبيان لان الخالصة تكون
ذكرى وغير ذكرى كما في قوله تعالى بشهاب قبس لان الشهاب يكون قبسا وغيره الثاني ان خالصة مصدر
بمعنى اخلاص فيكون مصدرا مضافا لمفعوله والفاعل محذوف اي بان اخلصوا ذكرى الدار وتناسوا
عندها ذكرى الدنيا وقد جا المصدر على فاعله كالعافية ويكون المعنى بانا اخلصنا لهم ذكرى
الدار الثالث انها مصدر ايضا بمعنى الخلوص فتكون مضافة لفاعلها اي بان خلصت لهم ذكرى الدار وقرا

البافوت بالتنوين وعدم الاضافة وفيها اوجه احدها انها مصدر بمعنى الاخلاص
فيكون ذكري منصوبا به وان يكون بمعنى الخلوص فيكون ذكري مرفوعا به كما تقدم
والمصدر يعمل منونا كما يعمل مضافا او تكون خالصة اسم فاعل على بابه وذكري بدل
او بيان لها او منصوب باضمار اعني او مرفوع على اضمار مبتدا والدار يجوز ان يكون
مفعولا به بذكري وان يكون ظرفا اما على الاتساع واما على اسقاط الخافض ذكرهما ابو
البقا وخالصة اذا كانت صفة فهي صفة لمحذوف او بسبب خصلة خالصة **فصل**
من قرا بالاضافة فمعناه اخلصناهم بذكري الدار الاخرة ان لم يعملوا لها والذكري بمعنى
الذكر قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها
واخلصناهم بحب الاخرة وذكرها وقال قتادة كانوا يدعون الى الاخرة والى الله عز
وجل وقال السدي اخلصوا بخوف الاخرة وقيل اخلصناهم بافضل ما في الاخرة قاله
ابن زيد ومن قرا بالتنوين فمعناه بخلة خالصة وهي ذكري الدار فيكون ذكري الدار
بدلا عن الخالصة او جعلناهم مخلصين بما اخبرنا من ذكر الاخرة والمراد بذكري الدار الذكر
الجميل الرفيع لهم في الاخرة وقيل انه ابقى لهم الذكر الجميل في الدنيا وقيل هو دعاؤه
واجعل لي لسان صدق في الاخرين قوله تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار
اي المختارين من ابنا جنسهم والاخيار جمع خير او خير بالتثقيل والتخفيف كاموات
في جمع ميت او ميت واحتج العلما بهذه الاية على اثبات عصمة الانبيا صلوات الله عليهم
لانه تعالى حكم عليهم بكونهم اخيارا على الاطلاق وهذا يعم حصول الخيرية في جميع
الافعال والصفات بدليل صحة الاستثنا منه قوله تعالى واذكر اسماعيل واليسع
وذا الكفل وكل من الاخيار وهم قوم اخرون من الانبيا تحملوا الشدايد في دين الله وقد
تقدم شرح اصحاب هذه الاسما في سورة الانعام قوله تعالى هذا ذكر جملة جي بها
ايذانا بان القصة قد تمت واخذ في اخرى وهذا كما فعل الجاحظ في كتبه يقول فهذا
باب ثم يشرع في اخر ويدل على ذلك انه لما اراد ان يعقب بذكر اهل النار ذكر اهل الجنة
ثم قال هذا وان للطاغين وقيل المراد هذا شرف وذكر جميل لهولا الانبيا يذكرون ابدا
والصحيح الاول قوله تعالى وان للمتقين لحسن ماب اي المرجع لما حكى سفاهة
قريش على النبي صلى الله عليه وسلم بقولهم ساحر كذاب وقولهم له استهزا عجل لنا قطنا
ثم امره بالصبر على سفاهتهم والاقتدا به بالانبيا المذكورين في صبرهم على المكاره والشدايد
بين ههنا ان من اطاع الله تعالى كان له من الثواب كذا وكذا وكل من خالفه كان له من
العقاب كذا وكذا وذلك يوجب الصبر على تكاليف الله تعالى وهذا نظم حسن وترتيب
لطيف قوله تعالى جنات عدن العامة على نصب جنات بدلا من حسن ماب سوا كانت
جنات عدن معرفة ام نكرة لان المعرفة تبدل من النكرة وبالعكس ويجوز ان يكون عطف
بيان ان كانت نكرة ولا يجوز ذلك فيها ان كانت معرفة وقد جوز الزمخشري رحمه الله
ذلك تقدحه واستدلاله على انها معرفة وهذا كما تقدم له في مواضع يجيز عطف البيان
وان تخالفا تعريفا وتنكيرا وقد تقدم هذا في قوله تعالى فيه ايات بينات مقام ابراهيم
ويجوز ان ينتصب جنات عدن باضمار فعل ومفتحة حال من جنات عدن او نعت
لها ان كانت نكرة وقال الزمخشري حال والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل
انتهى وقد علل ابو البقا بعلة في متكين يقتضي منع مفتحة ان يكون حالا وان كانت
العلة غير صحيحة فقال ولا يجوز ان يكون يعني متكين حالا من المتقين لانه اخبر عنهم
قبل الحال وهذه العلة موجودة في جعل مفتحة حالا من المتقين كما ذكره الزمخشري
الا ان هذه العلة ليست صحيحة وهو نظير قولك ان لهند مالا قايمة وايضا فعبارته
يجوز فان للمتقين لم يخبر عنهم صناعة انما اخبر عنهم معنى والا فقد اخبر عن حسن ماب
بانه لهم وجعل الحوفي العامل مقدرا اي يدخلونها مفتحة قوله تعالى الابواب في ارتفاعها
وجهان اشهرهما عند الناس انها مرتفعة باسم المفعول كقوله عز وجل وفتحت ابوابها واعترض
على هذا بان مفتحة اما حال واما نعت لجنات وعلى التقديرين فلا رابط واجيب بوجهين

احدهما قول البصريين وهو ان ثم ضميرا مقدرا تقديره الابواب منها والثاني ان ال قامت
مقام الضمير اذ الاصل ابوابها وهو قول الكوفيين وتقدم تحقيق هذا والوجهان جاريان
في قوله عز وجل فان الجنة هي الماوى الثاني انها مرتفعة على البدل من الضمير في مفتحة العايد
على جنات وهو قول الفارسي لما راى خلوها من الرابط لفظا ادعى ذلك واعترض على هذا
بان هذا من بدل البعض او الاشتمال وكلاهما لا بد فيهما من ضمير فيضطر الى تقديره كما تقدم
ورجح بعضهم الاول بان فيه اضمارا واحدا وفي هذا اضمارات وتبعه الزمخشري فقال
والابواب بدل من الضمير وهو من بدل الاشتمال فقوله بدل الاشتمال انما يعني به الابواب
لان الابواب قد يقال انها ليست بعض الجنات واما ضرب زيد اليد والرجل فهو بعض من
كل ليس الا وقرا زيد بن علي وابو حيوة جنات عدن مفتحة برفعهما اما على انهما جملة من مبتدا
وخبر واما على ان كل واحدة خبر مبتدا مضمر اي هي جنات هي مفتحة قوله تعالى متكين حال
من لهم والعامل فيها مفتحة وقيل العامل يدعون تاخر عنها وقد تقدم منع ابي البقا انها
حال من المتقين وما فيه ويدعون يجوز ان تكون مستانفا وان يكون حالا اما من ضمير
متكين واما حالا ثانية **فصل** اعلم انه تعالى وصف احوال اهل الجنة في هذه
الاية باشيا اولها احوال مساكنهم جنات عدن وذلك يدل على امرين احدهما كونها بساتين
والثاني كونها دايمة ليست منقضية وقوله جل ذكره مفتحة لهم الابواب قيل المراد ان
الملايكة يفتحون لهم ابواب الجنة ويحيونهم بالسلامة كما قال سبحانه وتعالى حتى اذا جاوها
وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقيل المعنى انهم
كلما ارادوا انفتاح الابواب انفتحت لهم وكلما ارادوا انغلاقها انغلقت لهم وقيل المراد من
هذا الفتح وصف تلك المساكن بالسعة وقرت العيون فيها وقوله تعالى متكين فذكر في اية
اخر كيفية ذلك الاتكا فقال في اية على الارايك متكيون وقال في اخرى متكين على رفرف
خضر وقوله جل ذكره يدعون في الجنات بالوان الفاكهة والوان الشراب والتقدير بفاكهة
كثيرة وشراب كثير ولما بين السكن والماكول والمشروب ذكر امر المنكوح فقال جل وعز
وعندهم قاصرات الطرف اي عن غيرهم وقوله اتراب اي على سن واحد قيل بنات ثلاث
وثلاثين سنة واحدها ترب وعن مجاهد رحمه الله متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن
وقيل اتراب للازواج قال القفال والسبب في اعتبار هذه الصفة ان السن والجبلة كان الميل
بينهن على التسوية وذلك يقتضي عدم الغيرة قوله تعالى هذا ما توعدون قرا ابن كثير وابو
عمرو ههنا يوعدون بالغيبة وفي ق ابن كثير وحده والباقون بالخطاب فيهما ووجه الغيبة
هنا وفي ق تقدم ذكر المتقين ووجه الخطاب الالتفات اليهم والاقبال عليهم اي قل للمتقين
هذا ما توعدون ليوم الحساب اي في يوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد اي فنا وانقطاع
وهذا اخبار عن دوام الثواب قوله تعالى من نفاد اما مبتدا واما فاعل ومن مزيدة والجملة
في محل نصب على الحال من رزقنا اي غير فان ويجوز ان يكون خبرا ثانيا قوله تعالى هذا وان
للطاغين يجوز ان يكون هذا مبتدا والخبر مقدر فقدره الزمخشري هذا كما ذكر وقدره ابو علي
هذا للمومنين ويجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي الامر هذا **فصل** لما وصف ثواب المومنين
وصف بعده عقاب الظالمين ليكون الوعيد مذكورا عقيب الوعد والترهيب عقيب الترغيب
فقال جل ذكره هذا وان للطاغين لشر ماب اي مرجع وهذا في مقابلة قوله وان للمتقين لحسن
ماب والمراد بالطاغين الكفار وقال الجبايي هم اصحاب الكباير سوا كانوا كفارا ام لا واحتج
الاولون بقوله تعالى اتخذناهم سخريا ولان هذا ذم مطلق فلا يحمل الا على الكامل في
الطغيان وهو الكافر واحتج الجبايي بقوله تعالى ان الانسان ليطغى ان راه استغنى فدل على ان
الوصف بالطغيان قد يحصل لصاحب الكبيرة لان من تجاوز حد تكاليف الله وتعداها فقد طغى قوله
تعالى جهنم يجوز ان يكون بدلا من شر ماب او منصوبة باضمار فعل وقياس قول الزمخشري في جنات
عدن ان يكون عطف بيان وان يكون منصوبة بفعل تفسره على الاشتغال اي يصلون جهنم
يصلونها والمخصوص بالذم محذوف اي هي قوله تعالى فبيس المهاد هو معنى قوله لهم من جهنم مهاد
ومن فوقهم غواش شبهه الله تعالى ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفرشه النايم قوله تعالى هذا

فليذوقوه في هذا اوجه احدها ان يكون مبتدا وخبره حميم وغساق وقد تقدم ان اسم الاشارة
يكتفى بواحدة في المثنى كقوله تعالى عوان بين ذلك او يكون المعنى هذا جامع بين الوصفين
ويكون قوله فليذوقوه جملة اعتراضية الثاني ان يكون هذا منصوبا بمقدر على الاشتغال والكلام
على مثل هذه الفا قد تقدم وحميم على هذا خبر مبتدا مضمر او مبتدا وخبره مضمر اي منه حميم ومنه
غساق كقوله • حتى اذا ما اضا البرق في غلس • وغودر البقل ملوي ومحصود •
اي منه ملوي ومنه محصود الثالث ان يكون هذا مبتدا والخبر محذوف اي هذا كما ذكر او هذا
للطاغين الرابع انه خبر مبتدا مضمر اي الامر هذا ثم استانف امرا فقال فليذوقوه الخامس ان
يكون مبتدا خبره فليذوقوه وهو راي الاخفش ومنه • وقايلة خولان فانكح فتاتهم •
وتقدم تحقيق هذا عند قوله تعالى والسارق والسارقة وقرا الاخوان وحفص غساق
بتشديد السين هنا وفي عم يتساءلون وخففه الباقون فيهما فاما المثقل فهو صفة كالجبار
والغراب مثال حيا لغة وذلك ان فعالا في الصفات اغلب منه في الاسما ومن وروده في
الاسما الكلا والجبان والفياد لذكر اليوم والعقار والخطار واما المخفف فهو اسم لا صفة
لان فعالا بالتخفيف في الاسما كالعذاب والنكال اغلب منه في الصفات على ان منهم من جعله
صفة بمعنى ذو كذا اي ذي غسق وقال ابو البقا او يكون فعال بمعنى فاعل قال شهاب
الدين رحمه الله وهذا غير معروف **فصل** قيل هذا على التقديم والتاخير والتقدير
هذا حميم وغساق فليذوقوه وقيل التقدير جهنم يصلونها فبيس المهاد هذا فليذوقوه
ثم يبتدى فنقول حميم وغساق اي منه حميم وغساق والغسق السيلان يقال غسقت عينه
اي سالت قال المفسرون انه ما يسيل من صدورهم وقيل غسق اي امتلا ومنه غسقت
عينه اي سالت قال المفسرون انه ما يسيل من صدورهم وقيل غسق اي امتلا ومنه غسقت
عينه اي امتلات بالدمع ومنه الغاسق للقمر لامتلايه وكماله وقيل الغساق ما قتل ببرده
ومنه قيل لليل غاسق لانه ابرد من النهار وقال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما
تحرقهم النار بحرها وقال مجاهد وقتادة هو الذي انتهى برده وقيل الغسق شدة الظلمة
ومنه قيل الليل غاسق ويقال للقمر غاسق اذا كسف لاسوداده والقولان منقولان في
تفسير قوله تعالى ومن شر غاسق وقيل الغساق المنتن بلغة الترك حكى الزجاج لو قطرت
منه قطرة بالمغرب لانتنت اهل المشرق وقال ابن عمر هو القيح الذي يسيل منهم يجتمع فيسقونه
قال قتادة هو ما يغسق اي يسيل من القيح والصديد من جلود اهل النار ولحومهم وفروج
الزناة من قولهم غسقت عينه اذا انصبت والغساق الانصباب وقال كعب الغساق عين
في جهنم تسيل اليها كل ذوب حية وعقرب قوله تعالى واخر قرا ابو عمرو رضي الله عنه
بضم الهمزة على انه جمع وارتفاعه من اوجه احدها انه مبتدا ومن شكله خبره وازواج فاعل
به الثاني ان يكون مبتدا ايضا ومن شكله خبر مقدم وازواج مبتدا والجملة خبره وعلى
هذين فيقال كيف يصح من غير ضمير يعود على اخر فان الضمير في شكله يعود على ما تقدم
اي من شكل المذوق والجواب ان الضمير عايد على المبتدا وانما افرد وذكر لان المعنى من شكل
ما ذكرنا ذكر هذا التاويل ابو البقا وقد منع مكي ذلك لاجل الخلو من الضمير وجوابه ما ذكرنا
الثالث ان يكون من شكله نعتا لاخر وازواج خبر المبتدا اي واخر من شكله المذوق ازواج
الرابع ان يكون من شكله نعتا ايضا وازواج فاعل به والضمير عايد على اخر بالتاويل المتقدم
وعلى هذا فيرتفع اخر على الابتدا والخبر مقدر اي ولهم انواع اخر استقر من شكلها ازواج
الخامس ان يكون الخبر مقدرا كما تقدم اي ولهم اخر ومن شكله وازواج صفتان لاخر وقرا العامة
من شكله بفتح الشين وقرا مجاهد بكسرها وهما لغتان بمعنى المثل والضرب تقول هذا على
شكله اي مثله وضربه واما الشكل بمعنى الفتح فبالكسر لا غير قاله الزمخشري وقرا الباقون واخر
بفتح الهمزة وبعدها الف بصيغة افعل التفضيل والاعراب فيه كما تقدم والضمير في احد الاوجه
يعود عليهم من غير تاويل لانه مفرد الا ان في احد الاوجه يلزم الاخبار عن المفرد بالجمع او وصف
المفرد بالجمع لان من جملة الاوجه المتقدمة ان يكون ازواج خبرا عن اخر ونعتا له كما تقدم وعنه
جوابان احدهما ان التقدير وعذاب اخر او مذوق اخر وهو ضروب ودرجات فكان في قوة

الجمع او يجعل كل جزء من ذلك الاخر مثل الكل وسماه باسمه وهو شايع كثير نحو غليظ الحواجب
وشايب مفارقه على ان لقايل ان يقول ان ازواجا صفة لثلاثة الاشيا المتقدمة اعني
الحميم والغساق واخر من شكله فيلغي السوال قوله تعالى هذا فوج مقتحم معكم مفعول مقتحم
محذوف اي مقتحم النار والاقتحام الدخول في الشي بشدة والقحمة الشدة وقال الراغب
الاقتحام توسط شدة مخيفة ومنه قحم الفرس فارسه اي توغل به ما يخاف منه والمقاحيم
الذين يتقحمون في الامر الذي يتجنب قوله تعالى معكم يجوز ان يكون نعتا ثانيا لفوج
وان يكون حالا منه لانه قد وصف وان يكون حالا من الضمير المستتر في مقتحم قال ابو البقا ولا
يجوز ان يكون ظرفا لفساد المعنى قال شهاب الدين رحمه الله ولم ادر من اي وجه
يفسد والحالية والصفة في المعنى كالظرفية وقوله هذا فوج الى النار يجوز ان يكون من
كلام الروسا بعضهم لبعض بدليل قول الاتباع لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا وان يكون من
كلام الخزنة ويجوز ان يكون هذا فوج من كلام الملايكة والباقي من كلام الروسا وكان القياس
على هذا ان يقال بل هم لا مرحبا بهم لانهم لا يقولون للملايكة ذلك الا انهم عدلوا عن خطاب
الملايكة الى خطاب اعدايهم تشفيا منهم والمعنى هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار كما كانوا قد
اقتحموا معكم في الجهل والضلال والفوج القطيع من الناس وجمعه افواج قوله تعالى لا مرحبا
في مرحبا وجهان اظهرهما انه مفعول بفعل مقدر اي لا اتيتم مرحبا او لا سمعتم مرحبا والثاني
انه منصوب على المصدر قاله ابو البقا اي لا احبتكم داركم رحبا بل ضيقا ثم في الجملة المنفية
وجهان احدهما انها مستانفة سيقت للدعا عليهم وقوله بهم بيان للمدعو عليه والثاني انها
حالية وقد يعترض عليه بانه دعا والدعا طلب والطلب لا يقع حالا والجواب انه على اضمار القول
اي مقولا لهم لا مرحبا قال المفسرون قوله تعالى لا مرحبا دعا منهم على اتباعهم تقول الرجل لمن يدعو
له مرحبا اي اتيت رحبا من البلاد لا ضيقا او رحبت بك الدار رحبا ثم يدخل عليه كلمة لا في دعا
النفي قوله تعالى انهم صالوا النار تعليل لاستيجابه الدعا عليهم ونظير هذه الاية قوله تعالى
كلما دخلت امة لعنت اختها قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم يريدون ان الدعا الذي دعوتم
به علينا ايها الروسا انتم احق به وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا والضمير للعذاب
او الصلال فان قيل ما معنى تقديمهم العذاب لهم فالجواب الذي اوجب التقديم هو عمل
السو لقوله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم الا ان الروسا لما كانوا
هم السبب فيه باغوايهم وكان العذاب جزاهم عليه قيل انتم قدمتموه وقوله تعالى فبيس
القرار اي بيس المستقر والمسكن جهنم قوله تعالى من قدم يجوز ان يكون من شرطية
وفزده جوابها وان تكون استفهامية وقدم خبرها اي اي شخص قدم لنا هذا ثم استانفوا
دعا بقولهم فزده وان تكون موصولة بمعنى الذي وحينيذ يجوز فيها وجهان الرفع
بالابتدا والخبر فزده والفا زايدة تشبيها له بالشرط والثاني انها منصوبة بفعل مقدر على
الاشتغال والكلام في مثل هذه الفا قد تقدم وهذا الوجه يجوز عند بعضهم حال
كونها شرطية او استفهامية اعني الاشتغال الا انه لا يقدر الفعل الا بعدها لان لها صدر الكلام
وضعفا نعت لعذابا اي مضاعفا قوله تعالى في النار يجوز ان يكون ظرفا لزده او نعتا
لعذابا او حالا منه لتخصيصه او حالا من مفعول زده **فصل** قالوا يعني الاتباع
ربنا من قدم لنا هذا اي شرعه وسنه لنا فزده عذابا ضعفا اي مضاعفا في النار ونظيره
قوله تعالى ربنا هولا اضلونا فاتهم عذابا ضعفا في النار وقولهم انا اطعنا سادتنا وكبرانا
فاضلونا السبيل ربنا اتهم ضعفين من العذاب فان قيل كل مقدار يعوض من العذاب فان كان
بقدر الاستحقاق لم يكن مضاعفا وان كان زايدا عليه كان ظلما وانه لا يجوز فالجواب المراد
منه قوله صلوات الله وسلامه عليه من سن سنة سيية فعليه وزرها ووزر من
عمل بها الى يوم القيمة والمعنى انه يكون احد القسمين عذاب الضلال والثاني عذاب
الاضلال والله اعلم وهذا الخبر شرح احوال الكفار مع الذين كانوا احبابا لهم في الدنيا واما
شرح احوالهم مع الذين كانوا اعداهم في الدين فهو قوله تعالى وقالوا ما لنا لا نرى رجالا
كنا نعدهم من الاشرار يعني ان صناديد قريش قالوا وهم في النار ما لنا لا نرى رجالا كنا

نعدهم من الاشرار في الدنيا يعنون فقرا المومنين عمارا وخبابا وصهيبا وبلالا وسلمان
وسموهم اشرارا قوله تعالى اتخذناهم سخريا قرا الاخوان وابو عمرو بوصل الهمزة وهي تحتمل
وجهين احدهما ان يكون خبرا محضا وتكون الجملة في محل نصب صفة ثانية لرجالا كما وقع
كنا نعدهم صفة وان يكون المراد الاستفهام وحذفت اداته لدلالة ام عليها كقوله

• تروح من الحي ام تبتكر • وماذا عليك بان تنتظر •

فام متصلة على هذا وعلى الاول منقطعة بمعنى بل والهمزة لانها لم يتقدمها همزة استفهام
ولا تسويه والباقون بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والظاهر انه لا محل للجملة
حينئذ لانها طلبية وجوز بعضهم فيها ان تكون صفة لكن على اضمار القول اي رجالا مقولا
فيهم اتخذناهم كقوله

• جاوا بمذق هل رايت الذيب قط •

الا ان الصفة في الحقيقة ذلك القول المضمر وقد تقدم الخلاف في سخريا قد افلح المومنون
والمشهوران المكسور من الهزء كقوله

• اني اتاني لسان لا اسر بها • من علو لا كذب فيها ولا سخر •

وتقدم معنى لحاق الياء المشددة في ذلك وام مع الخبر منقطعة فقط كما تقدم ومع الاستفهام
يجوز ان يكون متصلة وان يكون منقطعة كقولك ازيد عندك ام عندك عمرو ويجوز ان يكون
ام زاغت منفصلة بقوله ما لنا لا نرى الا انه استفهام الا انه يتعين انقطاعها لعدم الهمزة ويكون
ما بينهما معترضا على قراءة اتخذناهم بالاستفهام ان لم تجعله صفة على اضمار القول كما تقدم
قال اهل المعاني قراءة الاخوين اولى لانهم علموا انهم اتخذوهم سخريا لقوله تعالى فاتخذتموهم
سخريا حتى انسوكم ذكري فلا يستقيم الاستفهام وتكون ام على هذه القراءة بمعنى بل واجاب
الفراء عن هذا بان قال هذا من الاستفهام الذي معناه التعجب والتوبيخ ومثل هذا الاستفهام
جائز عن الشي المعلوم ومن فتح الالف قال هو على اللفظ لا على المعنى ليعادل ام في قوله
ام زاغت فان قيل فما الجملة المعادلة لقوله ام زاغت على القراءة الاولى فالجواب انها محذوفة
والتقدير ام زاغت عنهم الابصار وقرا نافع سخريا بضم السين والباقون بكسرها فقيل هما بمعنى
وقيل بالكسر الهزؤ وبالضم التذليل والتسخير واما نظم الاية على قراءة الاخبار فالتقدير ما لنا لا نراهم
حاضرين لاجل انهم لحقارتهم تركوا لاجل انهم زاغت عنهم الابصار ووقع التعبير عن حقارتهم
بقولهم اتخذناهم سخريا واما على قراءة الاستفهام فالتقدير لاجل انا قد اتخذناهم سخريا وما كانوا
كذلك فلم يدخلوا النار لاجل انه زاغت عنهم الابصار فصل معنى الاية ما لنا لا نرى
هولا الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار ام دخلوها فزاغت اي مالت عنهم ابصارنا فلم
نرهم حين دخلوا وقيل امرهم في النار ولكن احتجبوا عن ابصارنا وقال ابن كيسان ام كانوا خيرا
منا ونحن لا نعلم فكان ابصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئا قوله تعالى ان ذلك لحق
اي الذي ذكرت لحق اي لا بد وان يتكلموا به ثم بين ذلك الذي حكاه عنهم فقال تخاصم اهل النار
العامة على رفع تخاصم مضافا لاهل وفيه اوجه احدها انه بدل من لحق الثاني انه عطف بيان
الثالث انه بدل من ذلك على الموضع حكاه مكي وهذا يوافق بعض الكوفيين الرابع انه خبر ثان
لان الخامس انه خبر مبتدا مضمر اي هو تخاصم السادس انه مرفوع بقوله لحق الا ان ابا البقاء رحمه
الله قال ولو قيل هو مرفوع بحق لكان بعيدا لانه يصير جملة ولا ضمير فيها يعود على اسم ان وهذا
رد صحيح وقد يجاب عنه بان الضمير مقدر اي لحق تخاصم اهل النار فيه كقوله تعالى ولمن صبر
وغفر ان ذلك لمن عزم الامور اي منه وقرا ابن محيصن بتنوين تخاصم ورفع اهل فرفع تخاصم
على ما تقدم واما رفع اهل فعلى الفاعلية بالمصدر المنون كقولك يعجبني تخاصم الزيدون اي ان
تخاصموا وهذا قول البصريين وبعض الكوفيين خلا الفرا وقرا ابن ابي عبلة تخاصم بالنصب مضافا
لاهل وفيه اوجه احدها انه صفة لذلك على اللفظ قال الزمخشري لان اسما الاشارة توصف
باسما الاجناس وهذا فيه نظر لانهم نصوا على اسما الاشارة ولا يوصف الا بما فيه ال نحو بهذا الرجل
ولا يجوز بهذا غلام الرجل فهذا البعد ولان الصحيح الواقع بعد اسم الاشارة المقارن لال ان كان مشتقا
كان صفة والا كان بدلا وتخاصم ليس مشتقا الثاني انه بدل من ذلك الثالث انه عطف بيان
الرابع على اضمار اعني وقال ابو الفضل ولو نصب تخاصم على انه بدل من ذلك لجاز انتهى كانه لم يطلع

عليها قراءة وقرا ابن السميفع تخاصم فعلا ماضيا اهل فاعل به وهي جملة استئنافية وانما
سمى الله تعالى تلك الكلمات تخاصما لان قول الروسا لا مرحبا بهم وقول الاتباع بل انتم لا مرحبا
بكم من باب الخصومة قوله تعالى قل انما انا منذر لما شرح نعيم اهل الثواب وعقاب
اهل العقاب عاد الى تقرير التوحيد والنبوة والبعث المذكورين اول السورة فقال يا محمد
انما انا منذر مخوف ولا بد من الاقرار بانه ما من اله الا الله الواحد القهار فكونه واحدا يدل
على عدم الشريك وكونه قهارا مشعرا بالترهيب والتخويف ولما ذكر ذلك ارهبه بما يدل على الرجا
والترغيب فقال سبحانه رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار فكونه ربا يشعر
بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا يشعر بان العبد لو اقدم على المعاصي والذنوب
فانه يغفر برحمته وهذا الموصوف هو الذي يجب عبادته لانه هو الذي يخشى عقابه ويرجى ثوابه
ويجوز ان يكون رب السموات خبر مبتدا مضمر وفيه معنى المدح قوله تعالى هو نبا هو يعود
على القران وما فيه من القصص والاخبار وقيل على تخاصم اهل النار وقيل على ما تقدم من
اخباره صلى الله عليه وسلم بانه نذير مبين وبان الله سبحانه اله واحد متصف بتلك الصفات
الحسنى وانتم عنه معرضون صفة لنبا او مستانفة قال ابن عباس ومجاهد وقتادة رضي الله
عنهم المراد بالنبا العظيم القران وقيل القيمة لقوله تعالى عم يتسالون عن النبا العظيم قال ابن
الخطيب هذا النبا العظيم يحتمل وجوها فيمكن ان يكون المراد به القول بان الاله واحد وان يكون
المراد القول باثبات الحشر والقيمة نبا عظيم ويمكن ان يكون المراد كون القران معجزا المتقدم ذكره
في قوله عز وجل كتاب انزلناه مبارك ليدبروا اياته وهولا الاقوام اعرضوا عنه قوله تعالى ما كان
لي من علم بالملا الاعلى يعني الملايكة فقوله بالملا متعلق بقوله من علم وضمن معنى الاحاطة
فلذلك تعدى بالبا وتقدم تحقيقه قوله تعالى اذ يختصمون فيه وجهان احدهما هو منصوب
بالمصدر ايضا والثاني بمضاف مقدر اي بكلام الملا الاعلى اذ قال الزمخشري والضمير في
يختصمون للملا الاعلى هنا هو الظاهر وقيل بقريش اذ يختصمون في الملا الاعلى فبعضهم
يقول بنات الله وبعضهم يقول غير ذلك فالتقدير اذ يختصمون فيهم يعني في شان ادم حين قال
الله تعالى اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها فان قيل الملايكة
لا يجوز ان يقال انهم اختصموا بسبب قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما فالمخاصمة
مع الله عز وجل كفر فالجواب المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق المخاصمة عليه ولما امر الله تعالى
محمدا صلى الله عليه وسلم ان يذكر هذا الكلام على سبيل الرمز امره ان يقول ان يوحى الي الا انما انا
نذير مبين يعني انا ما عرفت هذه المخاصمة الا بالوحي قوله عز وجل الا انما انا العامة على فتح
الهمزة انما وفيها وجهان احدهما انها مع ما في حيزها في محل رفع لقيامها مقام الفاعل اي ما يوحي الي
الا الانذار او كوني نذيرا مبينا والثاني انها في محل نصب او جر بعد اسقاط لام العلة والقايم مقام
الفاعل على هذا الجار والمجرور اي ما يوحي الي الا للانذار او لكوني نذيرا ويجوز ان يكون القايم
مقام الفاعل على هذا ضمير ما يدل عليه السياق اي ما يوحي ذلك الشي الا للانذار وقرا ابو جعفر
بالكسر لان الوحي قول قاله البغوي وهي القايمة مقام الفاعل على سبيل الحكاية كانه قيل ما يوحى
الي الا هذه الجملة المتضمنة لهذا الاخبار وقال الزمخشري على الحكاية اي الا هذا القول وهو
ان اقول لكم انما انا نذير مبين ولا ادعي شيا اخر قال ابو حيان وفي تخريجه تعارض لانه قال
الا هذا القول فظاهره الجملة التي هي انما انا نذير مبين ثم قال وهو ان اقول لكم اني نذير فالمقام
مقام الفاعل هو ان اقول لكم واني وما بعده في موضع نصب وعلى قوله الا هذا القول يكون في
موضع رفع فتعارضا قال شهاب الدين ولا تعارض البتة لانه تفسير معنى في التقدير الثاني
وفي الاول تفسير اعراب فلا تعارض قوله تعالى اذ قال يجوز ان يكون بدلا من اذ الاولى وان
يكون منصوبا باذكر مقدرا قال الاول الزمخشري واطلق ابو البقا الثاني واطلق وفصل ابو حيان
فقال بدل من اذ يختصمون هذا اذا كانت الخصومة في شان من يستخلف في الارض وعلى غيره من
الاقوال يكون منصوبا باذكرا انتهى قال شهاب الدين وتلك الاقوال ان التخاصم اما بين الملا
الاعلى او بين قريش وفيما ذا كانت المخاصمة خلاف قوله تعالى من طين يجوز ان يتعلق بمحذوف
صفة لبشرا وان يتعلق بنفس خالق فصل اعلم ان المقصود من ذكر هذه القصة

المنع من الحسد والكبر لان ابليس لعنة الله عليه انما وقع فيما وقع فيه بسبب الحسد والكبر
والكفار انما نازعوا محمدا صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم بسبب الحسد والكبر
فذكر الله تعالى هذه القصة ههنا ليصير سماعها زاجرا لهم عن هاتين الخصلتين المذمومتين
والمراد بالبشر ههنا ادم صلوات الله عليه قوله تعالى فاذا سويته اي تممت خلقته ونفخت فيه من
روحي فاضاف الروح الى نفسه وذلك يدل على انه جوهر شريف علوي قدسي والفا في قوله تعالى
فقعوا له ساجدين يدل على انه كما تم نفخ الروح في الجسد توجه امر الله عليهم بالسجود وقد تقدم
الكلام في الملايكة المامورين بالسجود هل هم ملايكة الارض او يدخل فيه ملايكة السموات مثل
جبريل وميكاييل والروح الاعظم المذكور في قوله يوم يقوم الروح والملايكة صفا وقال بعض
الصوفية الملايكة الذين امروا بالسجود لادم صلوات الله عليه هم القوى النامية والحيوانية
الحسية والحركية فانها في بدن الانسان حول ذم النفس الناطقة وابليس لعنه الله الذي لم يسجد
هو القوى الوهمية التي هي المنازعة لجوهر العقل قوله تعالى كلهم اجمعون تاكيدان وقال الزمخشري
كل للاحاطة واجمعون للاجتماع فافادا معا انهم سجدوا عن اخرهم ما بقي منهم ملك الا سجد وانهم
سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين وقد تقدم الكلام معه في ذلك في سورة الحجر قوله
تعالى ان تسجد قد يستدل به من يرى ان لا في ان لا تسجد في السورة الاخرى زايدة حيث سقطت
هنا والقصة واحدة وقوله لما خلقت قد يستدل به من يرى جواز وقوع ما على العاقل لان المراد
به ادم صلوات الله عليه وقيل لا دليل فيه لانه كان فخارا غير حيم حساس فاشير اليه في تلك
الحال وهذا ليس بشي لان هذا الخطاب انما كان بعد نفخ الروح فيه لقوله جل وعز فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فلما امتنع من السجود قال ما منعك ان تسجد لما خلقت
وقيل ما مصدرية والمصدر غير مراد فيكون واقعا موقع المفعول به اي لمخلوقي وقرا الجحدري
لما بتشديد الميم وفتح اللام وهي لما الظرفية عند الفارسي وحرف وجوب لوجوب عند سيبويه
والمسجود له على هذا غير مذكور اي ما منعك من السجود لما خلقت اي حين خلقت لمن امرتك بالسجود
له وقرى بيدي بكسر اليا كقراة حمزة بمصرخي وتقدم ما فيها وقرى بيدي بالافراد وقوله تعالى
استكبرت قراة العامة بهمزة الاستفهام وهو استفهام توبيخ وانكار وام متصلة هنا هذا قول جمهور
النحويين ونقل ابن عطية عن بعض النحويين انها لا تكون معادلة للالف مع اختلاف الفعلين
وانما تكون معادلة اذا دخلتا على فعل واحد لقولك اقام زيد ام عمرو وازيد قام ام عمرو واذا اختلف
الفعلان كهذه الاية فليست معادلة وهذا الذي حكاه عن بعض النحاة مذهب فاسد بل جمهور
النحاة على خلافه قال سيبويه وتقول اضربت زيدا ام قتلته فالبدا بالفعل احسن لانك انما
تسال عن احدهما لا تدري ايهما كان ولا تسال عن موضع احدهما كانك قلت اي ذلك كان انتهى فعادل
بها الالف مع اختلاف الفعلين وقرا جماعة منهم ابن كثير وليست مشهورة عنه استكبرت
بالالف الوصل فاحتملت الوجهين احدهما ان يكون الاستفهام مرادا يدل عليه ام كقوله

بسبع رمين الجمار بثمان ● وقوله ● تروح من الحي ام تبتكر ●

فتتفق القراتان في المعنى واحتمل ان يكون خبرا محضا وعلى هذا فام منقطعة لعدم شرطها فصل
المعنى استكبرت الان ام كنت من المتكبرين ابدا اي من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك
منهم فاجاب ابليس بقوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فبين كونه خيرا منه بان اصله
من النار واصل ادم من الطين والنار اشرف من الطين والدليل على ان النار افضل ان الاجرام الفلكية
افضل من الاجرام العنصرية والنار اقرب العناصر من الفلك والارض ابعدها عنه فوجب كون النار
افضل من الارض وايضا فالنار خليفة الشمس والقمر في اضاءة العالم عند غيبتهما والشمس والقمر اشرف
من الارض فخليفتهما في الارض افضل من الارض وايضا فالكيفية الفاعلية الاصلية اما الحرارة او البرودة
والحرارة افضل من البرودة لان الحرارة تناسب الموت وايضا فالنار لطيفة والارض كثيفة واللطافة
اشرف من الكثافة وايضا فالنار مشرقة والارض مظلمة والنور خير من الظلمة وايضا فالنار خفيفة
تشبه الروح والارض كثيفة تشبه الجسد والروح افضل من الجسد فالنار افضل من الارض وذهب
اخرون الى تفضيل الارض على النار فقالوا الارض مصلح فاذا وضعت حبة ردها اليك شجرة مثمرة
والنار خاين مفسد كلما سلمته اليه وايضا فالنار بمنزلة الخادم لما في الارض ان احتيج اليها استدعت

استدعا الخادم وان استغنى عنها طردت وايضا فالارض مستولية على النار فانها تطفي النار
وايضا فاستدلال ابليس لعنه الله بكون اصله خيرا من اصله فهو فاسد لان اصل الرماد النار واصل
البساتين المزهرة والاشجار المثمرة هو الطين ومعلوم بالضرورة ان الاشجار المثمرة خير من الرماد
وايضا هب ان اعتبار هذه الجهة توجب الفضيلة الا ان هذا يمكن ان يعارض بجهة اخرى توجب
الرجحان مثل انسان نسيب عاري عن كل الفضايل فان نسبه يوجب رجحانه الا ان الذي لا يكون
نسيبا قد يكون كثير العلم والزهد فيكون افضل من النسيب بدرجات لا تحصى فكذبت مقدمة ابليس
لعنه الله عليه فان قيل هب ان ابليس اخطا في هذا القياس لكن كيف لزمه الكفر في تلك المخالفة
وتقرير هذا السوال من وجوه الاول ان قوله تعالى اسجدوا امر والامر لا يقتضي الوجوب بل الندب
والمخالفة الندب لا يقتضي العصيان فضلا عن الكفر وايضا فالذين يقولون ان الامر للوجوب فهم
لا ينكرون كونه محتملا للندب احتمالا ظاهرا ومع قيام هذا الاحتمال الظاهر كيف يلزم العصيان فضلا
عن الكفر الثاني هب انها للوجوب الا ان ابليس ما كان من الملايكة فامر الملايكة بالسجود لادم لا يدخل
فيه ابليس الثالث هب انه تناوله الا ان تخصيص العام بالقياس جايز فجاز ان يخصص نفسه من
عموم ذلك الامر بالقياس الرابع هب انه لم يسجد مع علمه بانه كان مامورا به الا ان هذا القدر يوجب
العصيان ولا يوجب الكفر فكيف لزمه الكفر فالجواب ان صيغة الامر لا تدل على الوجوب ولكن يجوز
ان ينضم اليها من القراين ما يدل على الوجوب وههنا حصلت تلك القراين وهي قوله تعالى استكبرت
ام كنت من العالين فلما ابى ابليس عليه لعنة الله بقياسه الفاسد دل ذلك على انه انما ذكر القياس
ليتوسل به الى القدح في امر الله وتكليفه وذلك يوجب الكفر واذا عرف هذا فنقول ان ابليس لعنه
الله لما ذكر هذا القياس الفاسد قال تعالى اخرج منها فانك رجيم وقد ثبت في اصول الفقه ان ذكر
الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف وههنا الحكم بكونه رجيما
ورد عقيب ما حكى عنه انه خصص النص بالقياس فهذا يدل على ان تخصيص النص بالقياس يوجب
هذا الحكم قوله تعالى منها اي من الجنة او من الخلقة لانه كان حسنا فرجع قبيحا وكان نورانيا فعاد
مظلما وقيل من السموات وقال هنا لعنتي وفي غيرها اللعنة وهما وان كانا في اللفظ عاما وخاصا
الا انهما من حيث المعنى عامان بطريق اللازم لان من كانت عليه لعنة الله كانت عليه لعنة كل احد لا محالة
وقال تعالى اوليك عليهم لعنة الله والملايكة والناس اجمعين وبافي الحمل تقدم نظيرها **فصل**
الرجيم المرجوم والرجم ههنا عبارة عن الطرد لان الظاهر ان من طرد فقد يرمى بالحجارة وهو الرجم
فلما كان الرجم من لوازم الطرد جعل الرجم كناية عن الطرد فان قيل الطرد هو اللعن فلو حملنا قوله
رجيم على الطرد لكان قوله بعد ذلك وان عليك لعنتي تكرارا فالجواب من وجهين الاول انا نحمل
الرجم على الطرد من الجنة ومن السموات ونحمل اللعن على الطرد من رحمة الله عز وجل الثاني انا نحمل
الرجم على الطرد ونحمل قوله تعالى عليك لعنتي الى يوم الدين على ان الطرد الى يوم القيمة فتكون
هذا فايدة زايدة ولا يكون تكرارا او قيل المراد بالرجم كون الشياطين مرجومين بالشهب فان قيل
كلمة الى لانتهاء الغاية فقوله تعالى الى يوم الدين يقتضي انقطاع تلك اللعنة عند مجي يوم الدين واجاب
الزمخشري بان اللعنة باقية عليه في الدنيا فاذا جا يوم القيمة حصل مع اللعنة انواع من العذاب
تنسي اللعنة مع حصولها مستمرة واعلم ان ابليس لعنه الله عليه لما صار مغلوبا قال فانظرني الى يوم
يبعثون فقيل انما طلب الانتظار الى يوم البعث لاجل ان يتخلص من الموت لانه اذا انظر الى يوم البعث
لم يمت قبل يوم البعث وعند مجي البعث لا يموت فحينيذ يتخلص من الموت فقال تعالى جل ذكره انك
من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم اي انك من المنظرين الى يوم يعلمه الله ولا يعلمه احد سواه سبحانه
وتعالى الا الله هو فقال ابليس لعنه الله فبعزتك وهو قسم بعزة الله وسلطانه لاغوينهم اجمعين
فههنا اضاف الاغوا الى الله عز وجل على ما هو مذهب الجبرية قال الا عبادك منهم المخلصين قيل ان
غرض ابليس لعنه الله عليه من هذا الاستثنا ان لا يقع في كلامه الكذب لانه لو لم يذكر هذا الاستثنا
وادعى انه يغوي الكل لظهر كذبه حين يعجز عن الاغوا عباد الله المخلصين وعند هذا فقال
ان الكذب يستنكف منه ابليس لعنه الله فكيف يليق بالمسلم وهذا يدل على ان ابليس لعنه الله لا يغوي
عباد الله المخلصين وقد قال تعالى جل ذكره في صفة يوسف صلوات الله عليه انه من عبادنا
المخلصين فتحصل من مجموع الايتين ان ابليس لعنه الله ما اغوى يوسف صلوات الله عليه فدل على كذب

المانوية بما نسبوه إلى يوسف صلوات الله عليه من القبائح قوله تعالى فالحق والحق
قراها العامة منصوبين وفي نصب الاول اوجه احدها انه مقسم به حذف حرف القسم فانتصب
كقوله فذاك امانة الله الثريد وقوله لاملان جهنم جواب القسم قال ابو البقاء رحمه الله
الا ان سيبويه يدفعه لانه لا يجوز حذف حرف القسم الا مع اسم الله تعالى ويكون قوله والحق
اقول معترضا بين القسم وجوابه قال الزمخشري كانه قيل ولا اقول ويعلمون ان الله هو الحق
الا الحق يعني ان تقديم المفعول افاد الحصر والمراد بالحق اما الباري تعالى كقوله تعالى ويعلمون
ان الله هو الحق المبين واما نقيض الباطل والثاني انه منصوب على الاغراء اي الزموا الحق
والثالث انه مصدر موكد لمضمون قوله تعالى لاملان قال الفراء هو على معنى قولك حقا لا شك
ووجود الالف واللام وطرحهما سواء اي لاملان جهنم حقا انتهى وهذا لا يتمشى على قول البصريين
فان شرط نصب المصدر الموكد لمضمون الجملة ان يكون بعد جملة ابتدائية جزاها معرفتان جامدان
جمودا محضا وجوز ابن الصلاح ان تكون الخبر نكرة وايضا فان المصدر الموكد لا يجوز تقديمه على
الجملة الموكد هو لمضمونها وهذا قد تقدم واما الثاني فمنصوب باقول بعده والجملة معترضة
كما تقدم وجوز الزمخشري ان يكون منصوبا على التكرير بمعنى ان الاول والثاني كلاهما منصوبان
باقول وسياتي ايضاح ذلك في عبارته وقرا عاصم وحمزة برفع الاول ونصب الثاني فرفع الاول
من اوجه احدها انه مبتدا وخبره مضمر تقديره فالحق مني او فالحق انا الثاني انه مبتدا خبره لاملان
قاله ابن عطية قال لان المعنى ان املا قال ابو حيان وهذا ليس بشي لان لاملان جواب قسم
ويجب ان يكون جملة فلا يتقدر بمفرد وايضا ليس مصدرا مقدرا بحرف مصدري والفعل حتى
ينحل اليهما ولكنه لما صح له اسنا وما قدره الى المبتدا حكم انه خبر عنه قال شهاب الدين وتاويل
ابن عطية صحيح من حيث المعنى لا من حيث الصناعة الثالث انه مبتدا خبره مضمر تقديره فالحق
قسمي ولاملان جواب القسم كقوله لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون ولكن حذف الخبر هنا ليس بواجب
لانه ليس نصا في اليمين بخلاف لعمرك ومثله قول امري القيس

فقلت يمين الله ابرح قاعدا • ولو قطعوا راسي لديك واوصالي •

واما نصب الثاني فبالفعل بعده اي وانا اقول الحق وقرا ابن عباس ومجاهد والاعمش برفعهما
فرفع الاول على ما تقدم ورفع الثاني بالابتدا وخبره الجملة بعده والعايد محذوف كقوله تعالى
في قراة ابن عامر وكل وعد الله الحسنى وقول ابي النجم •

قد اصبحت ام الخيار تدعي • علي ذنبا كله لم اصنع •

ويجوز ان يرتفع على التكرير عند الزمخشري وسياتي وقرا الحسن وعيسى بجرهما وتخريجها
على ان الاول مجرور بواو القسم مقدرة اي فوالحق والحق عطف عليه كقولك والله والله لاقومن
واقول اعتراض بين القسم وجوابه ويجوز ان يكون مجرورا على الحكاية وهو منصوب المحل باقول
بعده قال الزمخشري ومجرورين اي وقريا مجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه
كقولك الله لافعلن والحق اقول اي ولا اقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد
والتشديد وهذا الوجه جايز في المرفوع والمنصوب ايضا وهو وجه حسن دقيق انتهى يعني
انه اعمل القول في قوله والحق على سبيل الحكاية فيكون منصوبا باقول سوا نصب او رفع او جر
كانه قيل واقول هذا اللفظ المتقدم مقيدا بما لفظ به اولا **فصل** معنى لاملان
جهنم منك اي من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم من ذرية ادم صلوات الله عليه قوله
تعالى اجمعين فيه وجهان اظهرهما انه توكيد للضمير في منك ولمن عطف عليه في قوله وممن تبعك
والمعنى لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين لا اترك منهم احدا وجي باجمعين دون كل وقد
تقدم ان الاكثر خلافه وجوز الزمخشري ان يكون تاكيدا للضمير في منهم خاصة فيقدر لاملان
جهنم من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس قوله تعالى
قل ما اسالكم عليه اي على تبليغ الرسالة من اجر جعل فقوله عليه متعلق باسالكم لا بالاجر لانه
مصدر ويجوز ان يكون حالا منه والضمير اما للقران واما للوحي واما للدعا الى الله تعالى قوله
تعالى وما انا من المتكلفين المتقولين القران من تلقا نفسي وكل من قال شيا من تلقا نفسه فقد
تكلف له وقيل معناه هذا الدين الذي ادعوكم اليه ليس يحتاج في معرفة صحته الى التكليفات الكثيرة

بإهو

بل هو دين يشهد صريح العقل بصحته قوله تعالى ان هو ما هو يعني القران الا ذكر موعظة للعالمين
اي للخلق اجمعين ولتعلمن جواب قسم مقدر ومعناه لتعرفن نباه انتم يا كفار نباه خبر صدقه بعد
حين قال ابن عباس وقتادة بعد الموت وقال عكرمة يعني يوم القيمة وقال الكلبي من بقي علم ذلك
اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت قال الحسن ابن ادم عند الموت ياتيك الخبر اليقين روى
الثعلبي رحمه الله في تفسيره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة ص اعطي من الاجر بعدد كل
جبل سخره الله تعالى لداود صلوات الله عليه عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير صدق رسول الله صلعم

سورة الزمر مكية

الا قوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية وهي خمس وسبعون اية والف ومائة واثنتان وسبعون
كلمة واربعة الاف وسبعمائة وثمانية احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله سبحانه جل ذكره تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم في تنزيل وجهان احدهما انه خبر
مبتدا مضمر تقديره هذا تنزيل وقال ابو حيان واقول انه خبر والمبتدا هو ليعود على قوله عز وجل
ان هو الا ذكر للعالمين كانه قيل وهذا الذكر ما هو فقيل هو تنزيل الكتاب الثاني هو مبتدا والجار
بعده خبره اي تنزيل الكتاب كاين من الله تعالى واليه ذهب الزجاج والفرا قال بعضهم وهذا اولى
من الاول لان الاضمار خلاف الاصل فلا يصار اليه الا لضرورة وايضا فانا اذا قلنا تنزيل الكتاب من
الله جملة تامة من المبتدا والخبر افاد فايدة شريفة وهي تنزيل الكتاب يكون من الله لا من غيره
وهذا الحصر معنى معتبر واذا اضمرنا المبتدا لم يحصل هذه الفايدة وايضا وانا اذا اضمرنا المبتدا صار
التقدير هذا تنزيل الكتاب وحينئذ يلزم مجاز اخر لان هذا اشارة الى السورة منزلة فحينئذ
يحتاج الى ان يتاول المراد منه المفعول وهو مجاز يحملناه لا لضرورة قوله تعالى من الله يجوز فيه اوجه
احدها انه مرفوع المحل خبرا لتنزيل كما تقدم الثاني انه خبر بعد خبر اذا جعلنا تنزيل خبر مبتدا مضمر
الخامس كقولك هذا زيد من اهل العراق الثالث انه خبر مبتدا مضمر الخامس انه متعلق بمحذوف على انه
حال من تنزيل عمل فيه اسم الاشارة المقدر قاله الزمخشري قال ابو حيان ولا يجوز ان يكون حالا عمل
فيها معنى الاشارة لان معاني الافعال لا تعمل اذا كان ما هي فيه محذوفا ولذلك ردوا على ابي العباس
قوله في بيت الفرزدق • واذ ما مثلهم بشر • ان مثلهم منصوب بالخبر المحذوف وهو مقدر
واذ ما في الوجود في حال مماثلتهم بشر السادس انه حال من الكتاب قاله ابو البقا وجاز مجي الحال
من المضاف اليه لكونه مفعولا للمضاف فان المضاف مصدر مضاف لمفعوله والعامة على رفع تنزيل
على ما تقدم وقرا زيد بن علي وعيسى وابن ابي عبلة بنصبه باضمار فعل تقديره الزم او اقرا ونحوهما
فصل احتج القايلون بخلق القران بان الله تعالى وصف القران بكونه تنزيلا
ومنزلا وهذا الوصف لا يليق الا بالمحدث المخلوق قال ابن الخطيب والجواب انا نحمل هذه اللفظة
على الصيغ والحروف قوله تعالى العزيز الحكيم هو القادر الذي لا يغلب والحكيم هو الذي يفعل لداعية
الحكمة وهذا انما يتم اذا كان عالما بجميع المعلومات غنيا عن جميع الحاجات قوله تعالى انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق اعلم ان لفظ تنزيل يشعر بانه تعالى انزله نجما على سبيل التدريج ولفظ الانزال يشعر
بانه تعالى انزله دفعة واحدة وطريق الجمع ان يقال انا حكمنا حكما كليا بان يوصل اليك هذا الكتاب
وهذا هو الانزال ثم انزلنا اليك نجما نجما على وفق المصالح قوله تعالى بالحق يجوز ان يتعلق بالانزال اي بسبب
الحق وان يتعلق بمحذوف على انه حال من الفاعل او المفعول وهو الكتاب اي ملتبسين بالحق او ملتبسا
بالحق والصدق والصواب والمعنى كل ما فيه من اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وانواع التكاليف فهو
حق يجب العمل به وفي قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب تكرير تعظيم بسبب ابرازه في جملة اخرى
مضافا انزاله الى المعظم نفسه قوله تعالى فاعبد الله مخلصا لما بين ان هذا الكتاب مشتمل على الحق
والصدق اردفه ببيان بعض ما فيه من الحق والصدق وهو ان يشتغل الانسان بعبادة الله على سبيل
الاخلاص فقال جل ذكره فاعبد الله مخلصا له الدين فقوله مخلصا حال من فاعل اعبد والدين منصوب باسم
الفاعل والفاء في فاعبد للربط كقولك احسن اليك فلان فاشكره والعامة على نصب الدين وقرا ابن ابي
عبلة برفعه وفيه وجهان احدهما انه مرفوع بالفاعلية رافعه مخلصا وعلى هذا فلا بد من تجوز واضمار

اما التجوز فاستنادا الاخلاص للدين وهو لصاحبه في الحقيقة ونظيره قولهم شعر شاعر
واما الاضمار فهو اضمار عابد على ذي الحال اي مخلصا له الدين منك هذا راي البصريين في مثل
هذا واما الكوفيون فيجوز ان يكون عندهم ال عوضا من الضمير اي مخلصا دينك قال الزمخشري
وحق لمن رفعه ان يقرأ مخلصا بفتح اللام لقوله تعالى واخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله جل
ذكره الا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا ان نصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد
المجازي كقولهم شعر شاعر الثاني ان يتم الكلام على مخلصا وهو حال من فاعل فاعبد وله الدين
مبتدا وخبر وهذا قول الفرا وقد رده الزمخشري وقال فقد جاء باعراب رجع به الكلام الى قولك لله
الدين الا لله الدين الخالص قال شهاب الدين وهذا الذي ذكره الزمخشري لا يظهر فيه رد على هذا الاعراب
فصل المراد بالاخلاص الدين الطاعة الا لله الدين الخالص قال قتادة رحمه الله شهادة
ان لا اله الا الله واعلم ان العبادة فعل او قول او ترك فعل او ترك قول يوتى به لمجرد اعتقاد ان
الامر به عظيم يجب الانقياد له واما الاخلاص فهو ان يكون الداعي الى الاتيان بذلك الفعل او الترك
مجرد الانقياد والامتثال واحتج قتادة بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا اله الا الله
حصني ومن دخل حصني امن من عذابي وهذا قول من يقول لا تضر المعصية مع الايمان كما لا ينتفع
بالطاعة مع الكفر وقال الاكثرون الاية متناولة لكل ما كلف الله به من الاوامر والنواهي لان قوله
تعالى فاعبد الله عام وروي ان امراة الفرزدق لما قربت وفاتها اوصت ان يصلي الحسن البصري
عليها فلما دفنت قال الحسن للفرزدق يا ابا فراس ما الذي اعددت لهذا الامر قال شهادة ان لا اله
الا الله هذا العمود فاين الطنب فبين بهذا اللفظ الوجيز ان عمود الخيمة لا ينتفع به الا مع
الطنب حتى يمكن الانتفاع بالخيمة قال القاضي فاما ما يروي انه صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ
وابي الدرداء وان زنا وان سرق على رغم انف ابي الدرداء فان صح فانه يجب ان يحمل عليه بشرط
التوبة والا لم يقبل هذا الخبر لانه مخالف للقران ولانه يوجب ان لا يكون الانسان مزجورا عن
الزنا والسرقة ويكون اغراء له بفعل القبيح وذلك بنافي حكمة الله عز وجل وهذا يدل على ان
اعتقاد فعل القبيح لا يضر مع التمسك بالشهادتين هذا تمام قول القاضي قال ابن الخطيب فيقال
له اما قولك ان القول بالمغفرة مخالف للقران فليس كذلك بل القران يدل عليه قال تعالى ان
الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقال عز وجل وان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم كما يقال رايت الامير على اكله وشربه اي حين كونه اكلا وشاربا وقال تعالى يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا واما قوله ان ذلك
يوجب الاغرا بالقبيح فيقال له ان كان الامر كذلك وجب ان يقبح غفرانه عقلا وهذا مذهب
البغدادي من المعتزلة وانت لا تقول به لان مذهب البصريين غفران الذنب جايز عقلا وايضا
فيلزمك عليه ان لا يحصل الغفران بالتوبة لانه اذا علم انه اذا اذنب ثم تاب غفر الله له لم ينزجر واما الفرق
الذي ذكره القاضي فبعيد لانه اذا عزم على ان يتوب عنه في الحال علم انه لا يضره ذلك الذنب البتة
ثم نقول مذهبنا انا نقطع بحصول العفو عن الكباير في الجملة الا انه تعالى لم يقطع بحصول هذا
الغفران في حق كل احد بل في حق من يشا واذا كان الامر كذلك كان الخوف حاصلا والله اعلم قوله
تعالى والذين اتخذوا يجوز فيه اوجه احدها ان يكون الذين مبتدا وخبره قول مضمر حذف وبقي
معموله وهو قوله ما نعبدهم والتقدير يقولون ما نعبدهم الثاني ان يكون الخبر قوله ان الله
يحكم ويكون ذلك القول المضمر في محل نصب على الحال اي والذين اتخذوا قايلين كذا ان الله
يحكم بينهم الثالث ان يكون القول المضمر بدلا من الصلة التي هي اتخذوا والتقدير والذين اتخذوا
قالوا ما نعبدهم والخبر ايضا ان الله يحكم بينهم والذين في هذه الاقوال عبارة عن المشركين المتخذين
غيرهم اوليا الرابع ان يكون الذين عبارة عن الملايكة وما عبد من دون الله كعزير واللات والعزى
ويكون فاعل اتخذ عايدا على المشركين ومفعول الاتخاذ الاول محذوف وهو عايد الموصول والمفعول
الثاني هو اوليا والتقدير والذين اتخذهم المشركون اوليا يقول فيهم المشركون ما نعبدهم الا والثاني
ان الخبر هي الجملة من قوله ان الله يحكم بينهم وقري ما نعبدهم بضم النون اتباعا للبا ولا يعتد بالساكن
قوله تعالى زلفى مصدر موكد على غير الصدر ولكنه ملاق لعامله في المعنى والتقدير ليزلفونا
اوليقربونا قربى وجوز ابو البقا ان يكون حالا موكده فصل والذين اتخذوا من

دونه اي من دون الله اوليا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله وهذا الضمير عايد
الى الاشيا التي عبدت وهذا الكلام انما يليق بالعقلا لان الضمير في نعبدهم ضمير العقلا فيحمل
على المسيح وعزير والملايكة لكي يشفعوا لهم عند الله عز وعلا جل ذكره ويمكن ان يحمل على
الاصنام ايضا لان العاقل لا يعبد الصنم من حيث انه خشب او حجر وانما يعبده لاعتقادهم
انها تماثيل الكواكب وتماثيل الارواح السماوية او تماثيل الملايكة او تماثيل الصالحين الذين
مضوا ويكون مقصودهم من عبادتها توجيه تلك العبادات الى اصحاب تلك الصور ولما حكى
الله تعالى مذاهبهم اجاب عنها من وجوه الاول انه اقتصر في الجواب على مجرد التهديد فقال
جل من قايل ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون واعلم ان المبطل اذا ذكر مذهبا باطلا
واصر عليه فعلاجه ان يحتال بحيلة توجب زوال الاصرار عن قلبه فاذا زال الاصرار عن قلبه
فبعد ذلك يذكر له الدليل الدال على بطلانه فيكون هذا الطريق افضى الى المقصود كما يقول الاطبا
لا بد من تقديم المنضج على سقي المسهل بعد ذلك حصل الشفا التام فلذلك ههنا اسماع التهديد
والتخويف اولا يجري مجرى سقي المنضج اولا واسماع الدليل ثانيا يجري مجرى سقي المسهل ثانيا فهذا هو
الفايدة في تقديم هذا التهديد ثم قال تعالى ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار اي من اصر على
الكذب والكفر بقي محروما من الهداية والمراد بهذا الكذب وصفهم للاصنام بانها الهة مستحقة للعبادة
مع علمهم بانها جمادات خسيسة ويحتمل ان يكون المراد بالكفار كفران النعمة لان العبادة نهاية التعظيم
وذلك لا يليق الا لمن يصدر عنه غاية الانعام وهو الله سبحانه وتعالى والاوثان لا مدخل لها في الانعام
فعبادتها توجب كفران نعمة المنعم الحق قوله تعالى كاذب كفار قرا الحسن والاعرج ويروى عن انس
كذاب كفار وزيد بن علي كذوب كفور قوله تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى لاختار مما يخلق
ما يشا يعني الملايكة كما قال لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ثم نزه نفسه فقال سبحانه
تنزيها له عن ذلك وعما لا يليق بطهارته هو الله الواحد القهار والمراد من هذا الكلام اقامة الدلايل
القاهرة على كونه منزها عن الولد بكونه الها واحدا قهارا اي كامل القدرة ذكر عقيبها ما يدل على الاستغنا
وايضا لما ابطل الالهية الاصنام ذكر عقيبها الصفات التي باعتبارها تحصل الالهية وقد تقدم ان
الدلايل التي يذكرها الله تعالى في اثبات الالهية اما ان تكون فلكية او ارضية اما الفلكية فاقسام
احدها خلق السموات والارض وثانيها اختلاف احوال الليل والنهار وهو المراد من ههنا من قوله
يكور الليل على النهار في هذه الجملة وجهان اظهرهما انها مستانفة اخبر تعالى بذلك والثاني انها حال
قاله ابو البقا وفيه ضعف من حيث ان تكوير احدهما على الاخر انما كان بعد خلق السموات والارض
الا ان يقال هي حال مقدرة وهو خلاف الاصل والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على راسه
وكورها ومعنى تكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل على هذا المعنى ان الليل والنهار خلفة
يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشي مكانه فكانما لف عليه والبسه كما يلف اللباس على اللابس
وان كل واحد منهما يغيب الاخر اذا طرا عليه فشبه في تغييبه اياه بشي ظاهر لف عليه ما غيبه عن
مطامح الابصار وان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها على بعض
قاله الزمخشري وهو وفق الاشتقاق من اشيا ذكرت وقال الراغب كور الشي ادارته وضم بعضه الى
بعض ككور العمامة وقوله عز وجل يكور الليل على النهار اشارة الى جريان الشمس في مطالعها وانتقاص
الليل والنهار وازديادهما وكوره اذا القاه مجتمعا واكتار الفرس اذا ادار ذنبه في عدوه وكوارة النحل
معروفة والكور الرحل وقيل لكل مصر كورة وهي البقعة التي يجتمع فيها قرى ومحال قال ابن الخطيب رحمه
الله ان النور والظلمة عسكران عظيمان وفي كل يوم يغلب هذا ذاك وذاك هذا وذلك يدل على ان كل
واحد منهما مغلوبا مقهورا ولا بد من غالب قاهر لهما مكونات تحت تدبيره وقهره وهو الله تعالى والمراد
من هذا التكوير انه يزيد في كل واحد منهما بقدر ما ينقص من الاخر والمراد من تكوير الليل والنهار ما ورد
في الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من النقصان بعد الزيادة وقيل من الادبار بعد الاقبال
قوله تعالى وسخر الشمس والقمر فان الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل واكثر مصالح هذا العالم
مربوطة بهما كل يجري لاجل مسمى اي الى يوم القيمة لا يزالان يجريان الى هذا اليوم فاذا كان يوم القيمة
ذهبا والمراد من هذا التسخير ان هذه الافلاك تدور كدوران المنحور على حد واحد ثم قال الا هو
العزيز الغفار ومعناه ان خلق هذه الاجرام العظيمة وان دل على كونه عزيزا اي كامل القدرة الا انه

غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان فانه لما كان الاخبار عن كونه عظيم القدرة يوجب الخوف
والرهبة فكونه غفارا كثير الرحمة يوجب الرجا والرغبة ثم انه تعالى لما ذكر الدلايل الفلكية اتبعها
ابتعها بذكر الدلايل السفلية فبدا بذكر الانسان فقال جل ذكره خلقكم من نفس واحدة يعني ادم
صلوات الله عليه قوله تعالى ثم جعل منها في ثم هذه اوجه احدها انها على بابها من الترتيب
بمهلة وذلك انه يروى ان الله تعالى اخرجنا من ظهر ادم كالذر ثم خلق حوى بعد ذلك بزمان الثاني
انها على بابها ايضا ولكن لمدرك اخر وهو ان يعطف بها ما بعدها على ما فهم من الصفة في قوله واحدة
اذ التقدير من نفس وجدت اي انفردت ثم جعل منها زوجها الثالث انها للترتيب في الاخبار لا في الزمان
الوجودي كانه قيل كان من امرها قبل ذلك ان جعل منها زوجها الرابع انها للترتيب في الاحوال
والرتب قال الزمخشري فان قلت ما وجه قوله ثم جعل منها زوجها وما تعطيه من التراخي قلت
هما ايتان من جملة الايات التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته بتشعيب هذا الخلق الفايت
للحصر من نفس ادم صلوات الله عليه وخلق حوى من قصيراه الا ان احديهما جعلها الله عادة
مستمرة والاخرى لم تجر بها العادة ولم يخلق انثى غير حوى من قصيرى رجل فكانت ادخل في كونها اية
واجلب لتعجب السامع فعطفها بثم على الاية الاولى للدلالة على مباينتها فضلا ومزية وتراخيها عنها
فيما يرجع الى زيادة كونها اية فهي من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود قال
ابن الخطيب رحمه الله ان كلمة ثم كما يجي لبيان كون احدى الواقعتين متاخرة عن الثانية فكذلك
يجي لبيان تاخر احد الكلامين عن الاخر كقول القايل بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس اعجب
واعطيتك اليوم شيا ثم الذي اعطيتك امس اكثر قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج
عطف على خلقكم والانزال يحمل الحقيقة يروى انه خلقها في الجنة ثم انزلها ويحتمل المجاز وله وجهان
احدهما انها لم تعش الا بالنبات والماء والنبات انما يعيش بالماء والماء ينزل من السحاب اطلق
الانزال عليها وهو في الحقيقة مطلق على سبب السبب كقوله • اسمة الثابال في ربابه •
وقوله • صار الثريد في رؤس العيدان • وقوله
• اذا نزل السماء بارض قوم • رعيناه وان كانوا غضابا •
والثاني ان قضاياه واحكامه منزلة من السماء من حيث كتبها في اللوح المحفوظ وهو ايضا سبب في
ايجادها وقال البغوي معنى الانزال ههنا الاحداث والانشا كقوله تعالى انزلنا عليكم لباسا
وقيل معناه نزل لكم من الانعام جعلها نزلا لكم ورزقا ومعنى ثمانية ازواج اي ثمانية اصناف وهي
الابل والبقر والضان والمعز وتقدم تفسيرها في سورة الانعام قوله تعالى يخلقكم هذه الجملة
استينافية ولا حاجة الى جعلها خبر مبتدا مضمر بل استوعبت للاخبار بجملة فعلية وقد تقدم
خلاف القرا في كسر الهمزة وفتحها وكذا الميم في امهاتكم قوله تعالى خلقا مصدر يخلق وقوله من بعد
خلق صفة له فهو لبيان النوع من حيث انه لما وصف زاد معنى على معنى عامله ويجوز ان يتعلق
من بعد خلق بالفعل قبله فيكون خلقا لمجرد التوكيد قوله تعالى في ظلمات متعلق بخلق الذي
قبله ولا يجوز تعلقه بخلقا المنصوب لانه مصدر موكد وان كان ابو البقا جوزه ثم منعه بما ذكرت
فانه قال وفي يتعلق به اي بخلقا او بخلق الثاني لان الاول موكد فلا يعمل ولا يجوز تعلقه بالفعل
قبله لانه قد تعلق به حرف مثله ولا يتعلق حرفان متحدان لفظا ومعنى الا بالبدلية او العطف
فان جعلت في ظلمات بدلا من في بطون امهاتكم بدل اشتمال لان البطون مشتملة عليها ويكون
بدلا باعادة العامل جاز ذلك اعني تعلق الجارين بيخلقكم ولا يضر الفصل بين البدل والمبدل منه
بالمصدر لانه من تتمة العامل فليس باجنبي

فصل

هذه الحالة مشتركة بين الانسان
وبين الانعام وهي كونها مخلوقة في بطون الامهات وقوله خلقا من بعد خلق معناه ما ذكره
الله تعالى في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين
الايات وقوله عز وجل في ظلمات ثلاث قال ابن عباس رضي الله عنه ظلمة البطن وظلمة الرحم
وظلمة المشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن ووجه الاستدلال بهذه الايات مذكور في قوله تعالى
هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشا قوله تعالى ذلكم الله ربكم يجوز ان يكون الله خبرا لذلكم
وربكم نعت لله او بيان له او بدل منه ويجوز ان يكون الله بدلا من ذلكم وربكم نعت لله او بدل منه
والخبر الجملة من له الملك ويجوز ان يكون الخبر نفس الجار والمجرور وحده والملك فاعل به فهو من باب

الاخبار بالمفرد قوله تعالى لا اله الا هو يجوز ان يكون مستانفا وان يكون خبرا بعد خبر قوله
تعالى له الملك يفيد الحصر اي له الملك لا لغيره ولما ثبت انه لا مالك الا الله وجب القول بانه لا اله الا هو
ولما بين بهذه الدلايل كمال قدرته وحكمته ورحمته زيف طريقة المشركين وقال فانى تصرفون عن طريق
الحق بعد هذا البيان وهذا يدل على انهم لم يصرفوا بانفسهم عن هذه البيانات بل صرفهم عنها غيرهم
وما ذلك الغير الا الله وايضا فدليل العقل يقوي ذلك لان كل احد يريد لنفسه تحصيل الحق والصواب
فلما لم يحصل ذلك وانما حصل الجهل والضلال علمنا انه من غيره لا منه واستدل المعتزلة بهذه الاية ايضا
لان قوله تعالى فانى تصرفون تعجب من هذا الانصراف ولو كان الفاعل لذلك الصرف هو الله تعالى
لم يبق لهذا التعجب معنى قوله تعالى ان تكفروا فان الله غني عنكم اي انه تعالى ما كلف المكلفين ليجر
الى نفسه منفعة او ليدفع عن نفسه مضرة لانه تعالى غني على الاطلاق فيمتنع في حقه جر المنفعة ودفع
المضرة لانه واجب الوجود لذاته وواجب الوجوب لذاته في جميع صفاته يكون غنيا على الاطلاق وايضا
فالقادر على خلق السموات والارض والشمس والقمر والنجوم والعرش والكرسي والعناصر الاربعة
والمواليد الثلاثة يمتنع ان ينتفع بصلاة زيد وصيام عمرو وان يستضر بعدم صلوة هذا وعدم صيام
ذاك ثم قال سبحانه ولا يرضى لعباده الكفر اي وان كان لا ينفعه ايمانهم ولا يضره كفرهم الا انه لا يرضى
بالكفر قال ابن عباس والسدي رحمهما الله ولا يرضى لعباده المومنين الكفر وهم الذين قال الله تعالى
فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فيكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد
الله يريد بعض العباد وقال قتادة لا يرضى لاحد من عباده الكفر اي لا يرضى لعباده ان يكفروا به وهو
قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضي لله عز وجل وان كان بارادته واحتج الجباي بهذه الاية من
وجهين الاول ان المجبرة يقولون ان الله تعالى خلق العباد وافعالهم واقوالهم وكلما خلقه حق وصواب
واذا كان كذلك فقد رضي بالكفر من الوجه الذي خلقه وذلك ضد الاية الثاني لو كان الكفر بقضا
الله تعالى لوجب علينا ان نرضى به لان الرضى بقضاء الله واجب وحيث اجمعت الامة على ان الرضى
بالكفر كفر ثبت انه ليس بقضا الله وليس ايضا برضا الله تعالى واجيب بوجوه احدها ان عادة القران
جارية بتخصيص لفظ العباد بالمومنين كما قدمناه عن ابن عباس رضي الله عنه وثانيها قول السلف
المتقدم واستشهد ابن دريد • رضيت قسرا وعلى القسر رضي • من كان ذا سخط على صرف القضا •
اثبت الرضى مع القسر وثالثها ان الرضى هو الارادة الا ان قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر لقوله
تعالى وما تشاؤن الا ان يشا الله قوله تعالى وان تشكروا اي تومنوا بربكم وتطيعوه يرضه لكم فيثيبكم
عليه قرا ابن كثير والكساي وابن ذكوان يرضهو بالصلة وهي الاصل من غير خلاف وهي قراة واضحة قال
الواحدي من اشبع الهاء حتى الحق فيها واوا لان ما قبل الهاء متحرك فصار بمنزلة ضربه وقرا يرضه بضم الهاء
من غير صلة بلا خلاف نافع وعاصم وحمزة وقرا يرضه باسكان الهاء وصلا من غير خلاف عن ابي عمرو وقرا
بالوجهين اعني الاسكان والصلة الدوري عن ابي عمرو وقرا بالاسكان والتحريك من غير صلة هشام
عن ابن عامر فهذه خمس مراتب للقرا وقد تقدم توجيه الاسكان والقصر والاشباع اول الكتاب
وما انشد عليه ولا يلتفت الى ابي حاتم في تغليطه راو السكون فانها لغة ثابتة عن بني عقيل وبني كلاب
قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى قال الجباي هذا يدل على انه لا يجوز ان يقال ان الله تعالى يعذب
الاولاد بذنوب الابا واحتج به ايضا من انكر وجوب ضرب الدية على العاقلة ثم قال عز وجل ثم
الى ربكم مرجعكم وهذا يدل على اثبات البعث والقيمة فينبئكم بما كنتم تعملون وهذا تهديد للعاصي
وبشارة للمطيع وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور كالعلة لما سبق اي انه انما ينبئكم باعمالكم لانه
عالم بجميع المعلومات فيعلم ما في قلوبكم من الدواعي والصوارف قال صلى الله عليه وسلم وشرف ومجد
وبجل وعظم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم قوله تعالى واذا
مس الانسان ضر دعا ربه لما بين فساد القول بالشرك وبين انه تعالى هو الذي يجب ان يعبد بين
ههنا ان طريقة الكفار متناقضة لانهم اذا مسهم الضر طلبوا دفعه من الله واذا ازال ذلك الضر عنهم
رجعوا الى عبادة الاصنام فكان الواجب عليهم ان يعترفوا بالله تعالى في جميع الاحوال لانه القادر
على ايصال الخير والشر فظهر تناقض طريقتهم والمراد بالانسان الكافر وقيل المراد اقوام معينين ابن
ربيعة وغيره والمراد بالضر جميع المكاره سواء كان في جسمه او ماله او في اهله وولده لان اللفظ
مطلق فلا معنى لتقييده قوله تعالى منيبا حال من فاعل دعا واليه متعلق بمنيبا اي راجعا اليه

في اللغة ذلك الصرولات الافابة الرجوع قوله تعالى ثم اذا خوله اعطاه نعمة منه اي اعطاها اياه
ابتداء من غير مقتضي ولا يستعمل في الجزاء بل في ابتداء العطية قال زهير •
• هنالك ان يستخولوا المال يخولوا • ويروى • يستخبلوا المال يخبلوا وقال ابو النجم
• اعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول •
وحقيقة خول من احد معنيين اما من قولهم هو خايل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام عليه واما
من خال يخول اذا اختال وافتخر ومنه قول العرب • ان الغني طويل الذيل مياس •
وقد تقدم اشتقاق هذه المادة مستوفى في الانعام قوله تعالى منه يجوز ان يكون متعلقا بخول
وان يكون متعلقا بمحذوف على انه صفة لنعمة قوله تعالى نسي اي ترك ما كان يدعوا يجوز في ما هذه
اربعة اوجه احدها ان تكون موصولة بمعنى الذي مرادا بها الضر اي نسي الضر الذي يدعوا الى كشفه
اي ترك دعاه كانه لم يتضرع الى ربه الثاني انها بمعنى الذي مرادا بها الباري تعالى اي نسي الله تعالى
الذي كان يتضرع اليه وهذا عند من يجيز وقوع ما على اولي العلم وقال ابن الخطيب وما بمعنى من كقوله
تعالى وما خلق الذكر والانثى ولا انتم عابدون ما اعبد فانكحوا ما طاب لكم الثالث ان تكون ما مصدرية
اي نسي كونه داعيا الرابع ان تكون ما نافية وعلى هذا فالكلام تام على قوله نسي ثم استانف اخبارا بجملة
منفية والتقدير نسي ما كان فيه لم يكن دعا هذا الكافر خالصا لله تعالى وقوله من قبل اي من قبل
الضر على القول الاخير واما على الاقوال قبله فالتقدير من قبل تخويل النعمة قوله تعالى وجعل لله
اندادا المعنى الاوثان ليضل عن سبيله قرا ابن كثير وابو عمرو ليضل بفتح اليا لنفعل الضلال بنفسه
والباقون بضمها اي لم يقنع بضلاله في نفسه حتى يحمل غيره عليه فمفعوله محذوف وله نظاير تقدمت
واللام يجوز ان تكون للعلة وان تكون لام العاقبة كقوله عز وجل فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا
ثم قال قل يا محمد لهذا الكافر تمتع بكفرك قليلا في الدنيا اي الى انقضا اجلك وليس المراد منه الامر
بل المراد منه الزجر وان يعرف قلة تمتعه في الدنيا ثم مصيره الى النار وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة
وقال مقاتل نزلت في حذيفة بن المغيرة المخزومي وقيل عام في كل كافر قوله تعالى ام من هو قانت
لما شرح الله سبحانه وتعالى صفات المشركين وتمسكهم بغير الله عز وجل اردفه بشرح احوال المحقين
قرا الحرميان نافع وابن كثير بتخفيف الميم والباقون بتشديدها فاما الاولى ففيها وجهان احدهما
انها همزة استفهام دخلت على من بمعنى الذي والاستفهام للتقرير ومقابله محذوف تقديره امن
هو قانت كمن جعل لله اندادا او امن هو قانت لغيره او التقدير اهذا القانت خير ام الكافر المخاطب
بقوله قل تمتع بكفرك قليلا ويدل عليه قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
فحذف خبر المبتدا وما يعادل المستفهم عنه والتقديران الاولان اولى لقلة الحذف ومن حذف
المعادل للدلالة قول الشاعر • دعاني اليها القلب اني لامرها • سميع فما ادري ارشد طلابها •
يريد ام غي الثاني ان تكون الهمزة للنداء ومن منادى ويكون المنادى هو النبي صلى الله عليه وسلم
وهو المامور بقوله قل هل يستوي الذين يعلمون كانه قال يا من هو قانت قل كيت وكيت كقول الاخر
ازيد اخا ورقا ان كنت ثائرا وقد عرضت من بعد ولم يقع في القران نداء بغير يا حتى يحمل هذا عليه وضعف
ابو حيان هذا الوجه بانه اجنبي مما قبله ومما بعده قال شهاب الدين رحمه الله قد تقدم انه ليس
اجنبيا مما قبله لان المنادى هو المامور بالقول وضعفه الفارسي ايضا بقريب من هذا وتجرا على
قاري هذه القراة ابو حاتم والاخفش واما القراة الثانية فهي ام داخلة على من الموصولة ايضا
فادغمت الميم في الميم وفي ام حينئذ قولان احدهما انها متصلة ومعادلها محذوف تقديره الكافر
خير ام الذي هو قانت وهذا معنى قول الاخفش قال ابو حيان ويحتاج حذف المعادل اذا كان اول
الى سماع وقيل تقديره امن يعصي امن هو مطيع يستويان وحذف الخبر لدلالة قوله قل هل يستوي
الذين يعلمون والثاني انها منقطعة فتتقدر ببل والهمزة اي بل امن هو قانت كغيره او كالكافر
المقول له تمتع بكفرك وقال ابو جعفر هي بمعنى بل ومن بمعنى الذي تقديره بل الذي هو قانت افضل
ممن ذكر قبله واعترض عليه هذا التقدير من حيث ان من تقدم ليس له فضيلة البتة حتى يكون
هذا افضل منه والذي ينبغي ان يقدر بل الذي هو قانت من اصحاب الجنة لدلالة القسيم عليه
من قوله تعالى انك من اصحاب النار وقال البغوي رحمه الله من شدد فله وجهان احدهما ان
تكون الميم في ام صلة ويكون معنى الكلام استفهاما وجوابه محذوف ومجازه امن هو قانت كمن هو غير

قانت

قانت من اصحاب الجنة لقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام يعني كمن لم يشرح صدره
والثاني انه عطف على الاستفهام مجازه الذي جعل لله اندادا افضل القانت هو القايم بما يجب
عليه من الطاعة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة صلاة القنوت وهو القيام
فيها ومنه القنوت لانه يدعوا قايما وعن ابن عمر رضي الله عنه انه قال لا اعلم القنوت الا قراءة
القران وطول القيام وتلا امن هو قانت وعن ابن عباس رضي الله عنه القنوت الطاعة كقوله
تعالى كل له قانتون اي مطيعون قوله تعالى اناء الليل انا منصوب على الظرف وتقدم اشتقاقه
والكلام في مفرده والمعنى ساعات الليل وفي هذه الاية دلالة على ان قيام الليل افضل من قيام
النهار وقال ابن عباس في رواية عطا نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقال الضحاك
نزلت في ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وعن ابن عمر رضي الله عنه انها نزلت في عثمان رضي الله عنه
وعن الكلبي انها نزلت في ابن مسعود وعمارة وسلمان رضي الله عنهم قوله تعالى ساجدا حال
وقايما حال ايضا وفي صاحبها وجهان اظهرهما انه الضمير المستتر في قانت والثاني انه الضمير المرفوع بيحذر
قدما على عاملهما والعامة على نصبهما وقرا الضحاك برفعهما على احد وجهين اما النعت لقانت واما
انهما خبر بعد خبر قوله تعالى يحذر يجوز ان يكون حالا من الضمير في قانت وان يكون حالا من الضمير
في ساجدا او قايما وان يكون مستانفا جوابا لسوال مقدر كانه قيل ما شانه تقنت اناء الليل ويتعب
نفسه ويكدها فقيل يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه اي عذاب الاخرة وفي الكلام حذف والتقدير
كمن لا يفعل شيا من ذلك وانما حسن هذا الحذف دلالة ذكر الكافر قبل هذه الاية وذكر بعدها
قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون والتقدير قل هل يستوي الذين لا يعلمون وهم
الذين صفتهم انهم يقنتون اناء الليل ساجدا وقايما والذين لا يعلمون وهم الذين صفتهم عند البلا
والخوف يوحدون وعند الراحة والفراغ يشركون وانما وصف الله الكفار بانهم لا يعلمون لانه تعالى
وان اتاهم الة العلم الا انهم اعرضوا عن تحصيل العلم فلهذا جعلهم الله كانهم ليسوا اولي الالباب من
حيث انهم لم ينتفعوا بعقولهم وقلوبهم قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
قيل الذين يعلمون عمار والذين لا يعلمون ابو حذيفة المخزومي وهذا الكلام تنبيه على فضيلة العلم
قيل لبعض العلما انهم يقولون العلم افضل من المال ثم نرى العلما عند ابواب الملوك ولا نرى الملوك
عند ابواب العلما فاجاب بان هذا ايضا يدل على فضيلة العلم لان العلما علموا ما في المال من المنافع
فطلبوه والجهال لم يعرفوا ما في العلم من المنافع فلا جرم تركوه انما يتذكر اولوا الالباب قرئ انما يذكر
بادغام التا في الذال قوله تعالى قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم لما نفى المساواة بين من
يعلم وبين من لا يعلم امر رسوله صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه ان يخاطب المومنين فقال صلى
الله عليه وسلم قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم اي بطاعته واجتناب معاصيه قال القاضي
امرهم بالتقوى لكي لا يحبطوا ايمانهم باعمالهم لان عند الانقاض الكباير يسلم لهم الثواب وبالاقدام
عليها يحبط فيقال له هذا بان يدل على ضد قولك اولى لانه امر المومنين بالتقوى فدل ذلك على انه يبقى
مومنا مع عدم التقوى وذلك يدل على ان الفسق لا يزيل الايمان واعلم انه تعالى لما امر المومنين بالاتقا
بين لهم ما في هذا الاتقا من الفوايد فقال تعالى جل ذكره للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة قوله
تعالى في هذه الدنيا يجوز ان يتعلق بالفعل قبله وحذفت صفة حسنة اذ المعنى حسنة عظيمة لانه
لا يوعد من عمل حسنة في الدنيا مطلقا بل مقيدة بالعظم وان يتعلق بمحذوف على انه حال من حسنة
كانت صفة لها فلما تقدمت بقيت حالا

فصل

قوله تعالى في هذه الدنيا يحتمل ان
تكون صلة لقوله عز وجل للذين احسنوا اي امنوا واحسنوا العمل في الدنيا حسنة في الاخرة وهو
دخول الجنة والتنكير في حسنة للتعظيم اي حسنة لا يصل العقل الى كنه كمالها قال مقاتل رحمه الله ويحتمل
ان تكون صلة لقوله حسنة وعلى هذا قال السدي معناه في هذه الدنيا حسنة يريد الصحة والعافية
قال ابن الخطيب الاولى ان يحمل على الثلاثة المذكورة في قوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ليس لها نهاية الامن
والصحة والكفاية وقال بعضهم الاول اولى لوجوه احدها ان التنكير يفيد النهاية في التعظيم والرفعة
وذلك لا يليق باحوال الدنيا لانها خسيسة منقطعة وانما يليق باحوال الاخرة وثانيها ان الثواب
للتوحيد والاعمال الصالحة انما يحصل في الاخرة واما الامن والصحة والكفاية فحاصل للكفار اكثر من
حصولها للمومنين كما قال صلوات الله وسلامه عليه الدنيا سجن المومن وجنة الكافر وقال تعالى لجعلنا

لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة وقالهما قوله تعالى للذين احسنوا في هذه الدنيا بقيد
الحصر ومعناه ان حسنة هذه الدنيا لا تحصل الا للذين احسنوا وهذا باطل اما لو حملنا هذه الحسنة
على حسنة الاخرة صح هذا الحصر فكان حمله على حسنة الاخرة اولي قوله تعالى وارض الله واسعة
قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذي تظهر فيه المعاصي ونظيره
قوله تعالى قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها وقيل نزلت في من هاجر الى الحبشة وقال سعيد بن جبير من امر بالمعاصي فليهرب وقال ابو مسلم
لا يمتنع ان يكون المراد من الارض ارض الجنة لانه تعالى امر المومنين بالتقوي وهي حسنة ايتهم ثم بين
انه من اتقى فله في الاخرة الحسنة وهي الخلود في الجنة ثم بين ان ارض الله اي جنته واسعة كقوله
تعالى نتبوا من الجنة حيث نشا وقوله تعالى جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين قال
ابن الخطيب والاول عندي اولي لان قوله عز وجل انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب لا يليق الا
بالاول قوله تعالى انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب اي الذين صبروا على دينهم فلم يتركوه
للاذي وقيل نزلت في جعفر ابن ابي طالب واصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما اشتد بهم البلاء وصبروا
وهاجروا وقوله تعالى بغير حساب اي بغير نهاية لان كل شي دخل تحت الحساب فهو متناهي فما لا
نهاية له كان خارجا عن الحساب قال علي رضي الله عنه كل مطيع يكال له كيلا او يوزن له وزنا الا
الصابرون فانه يحثى لهم حثيا يروي انه يوتي باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان
ويصب عليهم الاجر صبا قال الله تعالى انما يوفي الصابرون اجرهم حتى يتمنى اهل العافية في
الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما ذهب به اهل البلاء من الفضل قوله تعالى قل اني
امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اي مخلصا له التوحيد لا اشرك به شيا وهذا هو النوع الثاني
من البيانات التي امر الله رسوله ان يذكرها قوله تعالى وامرت لان اكون في هذه اللام وجهان
احدهما انها للتعليل تقديره وامرت بما امرت به لان اكون قال الزمخشري فان قلت كيف عطف
امرت على امرت وهما واحد قلت ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه
شيء والامر به ليحرز به قصب السبق في الدين شيء اخر واذا اختلف وجها الشيء وصفتاه بصفتين ينزل
بذلك منزلة شيئين مختلفين الثاني ان يكون اللام مزيدة في ان قال الزمخشري ولك ان تجعل
اللام مزيدة مثلها في قولك اردت لان افعل ولا تزاد الا مع ان خاصة دون الاسم الصريح كانها زيدت
عوضا من ترك الاصل الى ما يقوم مقامه كما عوض السين في استطاع عوضا من ترك الاصل الذي
هو الطوع والدليل على هذا الوجه مجيه بغير لام في قوله تعالى وامرت ان اكون من المسلمين وامرت ان
اكون من المومنين امرت ان اكون اول من اسلم انتهى قوله ولا تزاد الا مع ان فيه نظر من حيث انها تزاد
باطراد اذا كان المعمول متقدما او كان العامل فرعا وبغير اطراد في غير الموضعين ولم يذكر احد من
النحويين هذا التفصيل وقوله كما عوض السين في استطاع هذا على احد القولين والقول الاخر انه
استطاع فحذفت تا الاستفعال وقوله تعالى والدليل عليه مجيه بغير لام وقد يقال ان اصله باللام
وانما حذفت لان حرف الجر يطرد حذفه مع ان وان ويكون المامور به محذوفا تقديره وامرت ان
اعبد لان اكون **فصل** المراد من الكلام ان يكون اول من تمسك بالعبادات التي ارسلت
بها واعلم ان العبادة لها وكان عمل القلب وعمل الجوارح وعمل القلب اشرف من عمل الجوارح فقدم
ذكر الاشرف وهو قوله وهو مخلصا له الدين ثم ذكر عقبيه الادون وهو عمل الجوارح وهو الاسلام
فقال وامرت لان اكون اول المسلمين اي من هذه الامة قوله تعالى قل اني اخاف ان عصيت ربي
وعبدت غيره عذاب يوم عظيم وهذا حين دعي الى دين ابايه والمقصود منه المبالغة في زجر الغير
عن المعاصي ودلت هذه الاية على ان الامر للوجوب لقوله تعالى في اول الاية اني امرت ان اعبد
الله ثم قال تعالى هذه قل اني اخاف ان عصيت ربي فيكون معنى هذا العصيان ترك الامر الذي
تقدم ذكره ودلت الاية ايضا على ان المرتب على المعصية فيكون ليس حصول العقاب بل الخوف من
العقاب قوله تعالى قل الله اعبد قدمت الجلالة لتعظيمه قوله لافادة الاختصاص قال الزمخشري
ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة هنا واخره في الاول فالكلام اولا واقع في الفعل
نفسه وايجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل من اجله فلذلك رتب قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه
قال ابن الخطيب رحمه الله فان قيل ما معنى التكرير في قوله تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا

له الدين وقوله تعالى قل الله اعبد مخلصا له ديني قلنا هذا ليس بتكرير لان الاول اخبار بانه
مامور من جهة الله بالايمان بالعبادة والثاني اخبار بانه امر ان لا يعبد احدا غير الله وذلك لان قوله
عز وجل امرت ان اعبد الله لا يفيد الحصر وقوله تعالى قل الله اعبد يفيد الحصر اي الله اعبد ولا اعبد
احدا سواه ويدل عليه انه لما قال قل الله اعبد قال بعده فاعبدوا ما شئتم من دونه وهذا امر توبيخ
وتهديد والمراد منه الزجر كقوله تعالى اعملوا ما شئتم ثم بين كمال الزجر بقوله تعالى قل ان الخاسرين
الذين خسروا انفسهم اوقعوها في هلاك لا يعقل هلاك اعظم منه وخسروا اهليهم ايضا لانهم ان كانوا من
اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده
البتة وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الاهل ان يفرق بينه وبين اهله ولما شرح الله تعالى
خسرانهم وصف ذلك الخسران بالفظاعة فقال جل ذكره الا ذلك هو الخسران المبين وهذا يدل على غاية
المبالغة من وجوه احدها انه وصفهم بالخسران ثم اعاد ذلك بقوله عز وجل الا ذلك هو الخسران المبين وهذا
التكرير لاجل التاكيد وثانيها ذكره حرف الا وهو للتنبيه وذكر التنبيه يدل على التعظيم كانه قيل بلغ في العظم
الى حيث لا تصل عقولكم اليه فتنبهوا له وثالثها قوله عز وجل هو الخسران ولفظه هو يفيد الحصر كانه قيل
كل خسران يصير في مقابلته كل خسران ورابعها وصفه بكونه خسرانا مبينا وذلك يدل على التهويل قوله
تعالى لهم من فوقهم ظلل يجوز ان يكون الخبر احد الجارين المتقدمين وان كان الظاهر جعل الاول هو
الخبر ويكون من فوقهم اما حالا من ظلل فيتعلق بمحذوف واما متعلقا بما تعلق به الخبر ومن النار
صفة لظلل وقوله ومن تحتهم ظلل كما تقدم وسماها ظللا بالنسبة لمن تحتهم ونظيره قوله تعالى لهم
من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقوله عز وجل يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم والمعنى
ان النار محيطة بهم من جميع الجوانب فان قيل الظلة ما علا الانسان فكيف سمي ما تحته بالظلة فالجواب
من وجوه الاول انه من باب اطلاق اسم احد الضدين على الاخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها الثاني
ان الذي تحته يكون ظلة لغيره لان النار دركات كما ان الجنة درجات الثالث ان الظلة التحتانية اذا
كانت مشابهة للظلة الفوقانية في الحرارة والاحراق والايذا اطلق اسم احدهما على الاخر لاجل المماثلة
والمشابهة قوله تعالى ذلك مبتدا وقوله الذي يخوف الله به خبر او لتقديره ذلك العذاب المعد للكفار
هو الذي يخوف الله به عباده اي المومنين لان لفظ العباد في القران يختص باهل الايمان وقيل تخويف
للكفار والضلال والاول اقرب لقوله تعالى يا عباد فاتقون والظاهر ان المراد منه المومنون قوله
تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت الذين مبتدا والجملة من لهم البشرى الخبر وقيل لهم هو الخبر بنفسه
والبشرى فاعل به وهذا اولى لانه من باب الاخبار بالمفردات والطاغوت قال الزمخشري رحمه الله
فعلوت من الطغيان كالملكوت والرهبوت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين لما ذكر وعيد عبدة الاصنام
ذكر وعد من اجتنب عبادتها واحترز عن الشرك ليكون الوعد مقرونا بالوعيد ابدا فيحصل كمال الترغيب
والترهيب قيل المراد بالطاغوت هنا الشيطان فان قيل انما عبدوا الصنم فالجواب ان الداعي الى عبادة
الصنم هو الشيطان فلما كان الشيطان هو الداعي كانت عبادة الصنم عبادة للشيطان وقيل المراد بالطاغوت
الصنم وسميت طواغيت على سبيل المجاز لانه لا فعل لها والطغاه هم الذين يعبدونها الا انه لما حصل الطغيان
بسبب عبادتها والقرب منها وصفت بذلك اطلاقا لاسم السبب على المسبب بحسب الظاهر وقيل الطاغوت
كل من يعبد ويطاع دون الله سبحانه وتعالى نقل في التواريخ ان الاصل في عبادة الاصنام ان القوم
مشبهة واعتقدوا في الاله نور عظيم وان الملايكة انوار مختلفة في الصغر والكبر فوضعوا تماثيل صور
على وفق تلك الخيالات فكانوا يعبدون تلك التماثيل على اعتقادهم انهم يعبدون الله عز وجل
والملايكة قوله تعالى ان يعبدوها الضمير يعود على الطاغوت لانها تونث وقد تقدم الكلام عليها
مستوفى في البقرة وان يعبدوها في محل نصب على البدل من الطاغوت بدل اشتمال كانه قيل اجتنبوا
عبادة الطاغوت قوله تعالى فبشر عبادي من ايقاع الظاهر موقع المضمر اي فبشرهم اي اولئك المجتنبين
وانما فعل ذلك تصريحا بالموصوف المذكور **فصل** الذين اجتنبوا الطاغوت اي اعرضوا عن
عبوديتها ما سوى الله تعالى وانابوا اي رجعوا بالكلية الى الله تعالى واقبلوا بالكلية على عبادة الله
ثم انه تعالى وعد هولا باشيا احدها قوله تعالى لهم البشرى وهذه البشرى تحصل عند القرب من الموت
وعند الوضع في القبر وعند الخروج من القبر وعند الوقوف في عرصة القيمة وعندما يصير فريق في الجنة
وفريق في السعير ففي كل موضع من هذه المواضع تحصل البشارة بنوع من الخير وهذا البشر يحتمل ان يكون

هم الملائكة عند الموت لقوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم او بعد دخول الجنة لقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويحتمل ان يكون هو الله تعالى لقوله تحيتهم يوم يلقونه سلام ثم قال تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول يعني القرآن فيتبعون احسنه وهم الذين اجتنبوا وانابوا لا غيرهم وهذه الآية تدل على وجوب النظر والاستدلال لانه مدح الانسان الذي اذا سمع اشياء كثيرة يختار منها ما هو الاحسن الاصوب ويتميز الاحسن الاصوب عما سواه لا يتاتى بالسماع وانما يتاتى بحجة العقل واختلفوا في المراد باتباع الاحسن فقيل هو مثل ان يسمع القصاص والعفو فيعفو لان العفو مندوب اليه لقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل يسمع العزايم والرخص فيتبع الاحسن وهو العزايم وقيل يستمعون القرآن وغير القرآن فيتبعون القرآن وروى عطا عن ابن عباس رضي الله عنهما امن ابو بكر رضي الله عنه بالنبي صلى الله عليه وسلم فجاه عثمن وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد فسالوه فاخبرهم بايمانه فامنوا فنزل فيهم فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقال ابن الخطيب انا قبل البحث عن الدلايل وتقريرها والشبهات وتزييفها نعرض تلك المذاهب واضدادها على عقولنا فكل ما حكم به اول العقل فانه افضل واكمل كان اولى بالقبول مثاله ان صريح العقل شاهد بان الاقرار بان اله العالم حي عالم قادر حكيم رحيم اولى من انكار ذلك فكان ذلك المذهب اولى والاقرار بان الله تعالى لا يجري في ملكه وسلطانه الا ما كان على وفق مشيئته اولى من القول بان اكثر ما يجري في سلطان الله على خلاف ارادته والاقرار بان الله تعالى فرد احد صمد منزه عن التركيب والاعضا اولى من القول بكونه منقسما مولفا وايضا القول باستغنايه عن المكان والزمان اولى من القول بانه لا يستغني عنه البتة فكل هذه الابواب داخلة تحت قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه هذا في ابواب الاعتقادات واما ابواب التكاليف فهي قسمان عبادات ومعاملات فاما العبادات فكقولنا الصلاة التي يذكر في تحريمها الله اكبر ويقرا فيها بالفاتحة ويوتي فيها بالطمانينة في المواقف الخمسة ويتشهد فيها ويخرج منها بالسلام فلا شك انها احسن من الصلاة التي لا يراعى فيها شي من هذه الاحوال فوجب على العاقل ان يختار هذه الصلاة دون غيرها وكذا القول في جميع ابواب العبادات واما المعاملات فكما تقدم في القصاص والعفو عنه وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد منه ان الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث باحسن ما سمع ويترك ما سواه قوله تعالى الذين يستمعون الظاهر انه نعت لعبادي او بدل منه او بيان له وقيل يجوز ان يكون مبتدا وقوله تعالى اولئك الذين الى اخره خبره وعلى هذا فالوقف على قوله عبادي والابتدا بما بعده قوله تعالى اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب قال ابن زيد نزلت والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها الآيتان في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا اله الا الله وفي هذه الآية لطيفة وهي ان حصول الهداية زيد بن عمرو وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والاحسن قول لا اله الا الله وفي هذه الآية لطيفة وهي ان حصول الهداية في العقل والروح حادث فلا بد له من فاعل وقابل اما الفاعل فهو الله تعالى وهو المراد من قوله تعالى اولئك الذين هداهم الله واما القابل فاليه الاشارة بقوله عز وجل واولئك هم اولوا الالباب فان الانسان ما لم يكن عاقلا كامل الفهم امتنع حصول هذه المعارف الحقيقية في قلبه قوله تعالى افمن حق عليه في من هذه وجهان اظهرهما انها موصولة في محل رفع بالابتدا وخبره محذوف فقدره ابو البقا كمن نجا وقدره الزمخشري فانت تخلصه قال حذف لدلالة افانت تنقذ عليه وقدره غيره تتاسف عليه وقدره اخرون يتخلص منه اي من العذاب وقدر الزمخشري على عادته جملة بين الهمزة والفا تقديره اانت مالك امرهم فمن حق عليه كلمة العذاب واما غيره فيدعي ان الاصل تقديم الفا وانما اخرت لما تستحقه الهمزة من التصدير وقد تقدم تحقيق هذين القولين الثاني ان تكون من شرطية وجوابها افانت فالفا فا الجواب دخلت على جملة الجزا واعيدت الهمزة لتوكيد معنى الانكار ووقع الظاهر وهو من في النار موقع المضمر اذ كان الاصل افانت تنقذه وانما وقع موقعه شهادة عليه بذلك والى هذا نحا الحوفي والزمخشري قال الحوفي رحمه الله وجي بالف الاستفهام لما طال الكلام توكيدا ولولا طوله لم يجز الاتيان بها لانه لا يصلح في العربية ان ياتي بالف الاستفهام في الاسم والف اخرى في الجزا ومعنى الكلام افانت تنقذه وعلى القول بكونها شرطية

يترتب على قول الزمخشري وقول الجمهور مسئلة وهي انه على قول الجمهور يكون قد اجتمع شرط واستفهام اداة الاستفهام عنده داخلة على جملة محذوفة عطفت عليها جملة الشرط ولم يدخل على جملة الشرط وقوله تعالى افانت تنقذ استفهام توقيف وقدم فيها الضمير اشعارا بانك لست قادرا على انقاذه انما القادر عليه الله عز وجل وحده **فصل** قال ابن عباس معنى الآية من سبق في علم الله انه في النار وقيل كلمة العذاب قوله تعالى لاملان جهنم وقيل هي قوله تعالى هولا للنار ولا ابالي وقوله افانت تنقذ من في النار اي لا تقدر عليه قال ابن عباس يريد ابا لهب وولده **فصل** احتج اهل السنة بهذه الآية في مسئلة الهدى والضلال بقوله تعالى افمن حق عليه كلمة العذاب فاذا حقت كلمة العذاب عليه امتنع حقه فعل الايمان والطاعة والا لزم انقلاب خبر الله الصدق كذبا وانقلاب علمه جهلا وهو محال وايضا فانه تعالى حكم بان حقية كلمة العذاب توجب الاستنكار التام من صدور الايمان والطاعة منه ولو كان ذلك ممكنا ولم يكن حقية كلمة العذاب مانعة منه لم يبق لهذا الاستنكار والاستبعاد معنى **فصل** احتج القاضي بهذه الآية على ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يشفع لاهل الكباير لانه حق عليهم العذاب فتلك الشفاعة تكون جارية مجرى انقاذهم من النار وان الله تعالى حكم عليهم بالانكار والاستبعاد واجيب بانه لا نسلم ان اهل الكباير قد حق عليهم العذاب وكيف يحق عليهم العذاب مع ان الله تعالى قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقال جل ذكره ان الله يغفر الذنوب جميعا قوله تعالى لكن الذين اتقوا استدراك بين شيئين نقيضين او ضدين وهما المومنون والكافرون وقوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف وهذا كالمقابل لما ذكر في وصف الكفار لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل والمعنى لهم منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل ارفع منها فان قيل ما معنى قوله جل ذكره مبنية فالجواب ان المنزل اذا بني على منزل آخر كان الفوقاني اضعف بناء من التحتاني فقوله تعالى مبنية معناه انه وان كان فوق غيره لكنه في القوة والشدة مساو للمنزل الاسفل ثم قال تعالى تجري من تحتها الانهار وذلك معلوم قوله تعالى وعد الله مصدر موكد لمضمون الجملة فهو منصوب لواجب الاضمار لان قوله تعالى لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك وفي الآية دقيقة شريفة وهي انه تعالى في كثير من آيات الوعد يصرح بان هذا وعد الله وانه لا يخلف وعده ولم يذكر في آيات الوعيد البتة مثل هذا التاكيد والتقوية وذلك يدل على ان جانب الوعد راجح من جانب الوعيد بخلاف قول المعتزلة انه قال في جانب الوعيد ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد واجيبوا بان قوله تعالى ما يبدل القول لدي ليس بصريح بجانب الوعيد بل هو عام يتناول القسمين الوعد والوعيد فثبت ان الترجيح الذي ذكرنا حق والله اعلم قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السما ما الآية لما وصف الآخرة بوصف يوجب الرغبة العظيمة فيها وصف الدنيا بصفة توجب استداد النفرة عنها وذلك انه انزل من السما ما وهو المطر وقيل كل ما في الارض فهو من السما ثم انه تعالى ينزله الى بعض المواضع ثم يقسمه فسلكه ينابيع في الارض اي عيونا ومسالك وركايا في الارض ومجاري كالعروق في الاجسام ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك مختلفا اصنافه من بر وشعير وسمسم ثم يهيج اي ييبس فتراه مصفرا لانه اذا تم جفافه جاز له ان ينفصل عن منابته وان لم تتفرق اجزاوه فتلك الاجزا كانها هابت لان تتفرق ثم يصير حطاما فتاتا متكسرا ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب يعني ان من شاهد هذه الاحوال في النبات علم ان احوال الحيوان والانسان كذلك وانه وان طال عمره فلا بد من الانتها الى ان يصير مصفر اللون متحطم الاعضا والاجزا ثم تكون عاقبته الموت فاذا كانت مشاهدة هذه الاحوال في النبات مذكرة حصول مثل هذه الاحوال في نفسه وفي حياته فحينئذ تعظم نفرته عن الدنيا ولذاتها قوله تعالى ثم يجعله العامة على رفع الفعل نسقا على ما قبله وقرا ابو بشر ثم يجعله منصوبا قال ابو حيان قال صاحب الكامل يعني الهذلي وهو ضعيف ولم يبين هو ولا صاحب الكامل وجه ضعفه ولا تخرجه فاما ضعفه فواضح حيث لم يتقدم ما يقتضي نصبه في الظاهر واما تخريجه فذكر ابو البقا فيه وجهين احدهما ان ينتصب باضمار ان ويكون معطوفا على قوله ان الله تعالى انزل من السما ما في اول الآية والتقدير الم تر انزال الله ثم جعله والثاني انه يكون منصوبا بتقدير ترى اي ثم ترى جعله حطاما يعني انه ينتصب بان مضمرة ويكون ان وما في حيزها مفعولا به بفعل مقدر وهو ترى لدلالة الم تر عليه قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام الآية لما بين الدلايل الدالة على وجوب

الاقبال على طاعة الله تعالى ووجوب الاعراض عن الدنيا وكان الانتفاع بهذه البيانات
لا تكمل الا اذا انشرح الصدور وتنور القلب والكلام في قوله تعالى افمن شرح الله وقوله تعالى افمن
يتقي كالكلام في افمن حق والتقدير افمن شرح الله صدره للاسلام كمن قسا قلبه وكالقاسي
المعرض لدلالة فويل للقاسية قلوبهم عليه وكذا التقدير في افمن يتقي اي كمن امن العذاب وهو
تقدير الزمخشري او كالمنعمين في الجنة وهو تقدير ابن عطية **فصل** معنى شرح الله
صدره للاسلام اي وسعه لقبول الحق فهو على نور من ربه كمن اقسى الله قلبه فويل للقاسية
قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين قال مالك بن دينار رحمه الله فان قيل ان ذكر الله
عز وجل سبب لحصول النور والهداية وزيادة الاطمينان قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب
فكيف جعله في هذه الاية سببا لحصول القسوة في القلب فالجواب ان النفس اذا كانت
حينئذ الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن مناسبة الروحانيات شديدة الميل الى الطبايع البهيمية
والاخلاق الذميمة فان سماعها لذكر الله يزيدها قسوة وكدورة مثاله ان الفاعل الواحد
تختلف افعاله بحسب اختلاف القوابل كنور الشمس يسود وجه القصار ويبيض ثوبه وحرارة
الشمس تلين الشمع وتعقد الملح وقد نرى انسانا واحدا يذكر كلاما واحدا في مجلس واحد فيستطيبه
واحد ويستكرهه غيره وما ذاك الا بحسب اختلاف جواهر النفوس ولما نزل قوله تعالى ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين وعمر بن الخطاب رضي الله عنه حاضر وانسان اخر حتى انتهى
رسول الله صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه الى قوله تعالى ثم انشاناه خلقا اخر قالا
كل واحد منهما فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب فكذا انزلت
فازداد عمر ايمانا على ايمان وازداد ذلك الانسان واذا عرف ذلك لم يبعد ان يكون ذكر الله عز
وجل يوجب النور والهداية والاطمينان في النفوس الطاهرة الروحانية ويوجب القسوة والبعد
عن الحق في النفوس الخبيثة الشيطانية قوله تعالى الله نزل احسن الحديث احتج القايلون
بحدوث القران بهذه الاية من وجوه الاول انه تعالى وصفه بكونه حديثا في هذه الاية وفي قوله
تعالى فلياتوا بحديث مثله وفي قوله تعالى افبهذا الحديث انتم مدهنون والحديث لا بد وان
يكون حادثا بل الحديث اقوى في الدلالة على الحدوث من الحادث لانه يصح ان يقال هذا حديث
وليس بعتيق وهذا عتيق وليس بحديث ولا يصح ان يقال هذا عتيق وليس بحادث فثبت ان
الحديث هو الذي يكون قريب العهد بالحدوث وسمي الحديث حديثا لانه مولف من الحروف
والكلمات وتلك الحروف تحدث حالا فحالا وساعة فساعة الثاني قالوا انه تعالى وصفه
بانه نزله والمنزل يكون في محل تصرف الغير وما كان كذلك فهو محدث وحادث الثالث قالوا
ان قوله تعالى احسن الحديث يقتضي ان يكون هو من جنس سائر الاحاديث كما ان قولنا زيد
افضل الاخوة يقتضي ان يكون زيد مشاركا لاولئك الاقوام في صفة الاخوة ويكون من
جنسهم فثبت ان القران من جنس سائر الاحاديث ولما كان سائر الاحاديث حادثة وجب ايضا
ان يكون القران حادثا الرابع قالوا انه تعالى وصفه بكونه كتابا والكتاب مشتق من الكتبة
وهي الاجتماع وهذا يدل على انه مجموع جامع ومحل تصرف ومتصرف فيه وذلك يدل على كونه حادثا
قال ابن الخطيب رحمه الله والجواب انا نحمل هذا الدليل على الكلام المولف من الحروف والالفاظ
والعبارات وذلك الكلام عندنا محدث ومخلوق **فصل** كون القران احسن الحديث
اما ان يكون بحسب اللفظ في الاسلوب وذلك لان القران ليس من جنس الشعر ولا من جنس
الخطب ولا من جنس الرسائل بل هو نوع يخالف الكل مع ان كل طبع سليم يستلذه ويستطيبه واما
ان يكون احسن الحديث لاجل المعنى وهو من وجوه الاول انه كتاب منزه عن التناقض قال
تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ومثل هذا الكتاب اذا خلي عن
التناقض كان ذلك من المعجزات الثاني اشتماله على الغيوب الكثيرة في الماضي والمستقبل الثالث
ان العلوم الموجودة فيه كثيرة جدا وقد شرح ابن الخطيب منها اقساما كثيرة قوله تعالى كتابا فيه
وجهان اظهرهما انه بدل من احسن الحديث والثاني انه حال منه قال ابو حيان لما نقله عن الزمخشري
وكانه بناء على ان احسن الحديث معرفة لاضافته الى معرفة وافعل التفضيل اذا اضيف الى معرفة فيه خلاف
فقيل اضافته محضة وقيل غير محضة قال شهاب الدين وعلى تقدير كونه نكرة يحسن ايضا ان

يكون

يكون حالا لان النكرة متى اضيفت ساغ مجي الحال منها بلا خلاف والصحيح ان اضافة افعل محضة
وقوله متشابها نعت لكتاب وهو المسوغ لمجي الجامد حالا ولانه في قوة مكتوب او تمييزا منقولا من
الفاعلية اي متشابها مثانيه والى هذا ذهب الزمخشري قوله تعالى مثاني قرا العامة مثاني بفتح
الياء صفة ثانية او حالا اخرى وقرا هشام عن ابن عامر وابو بشر بسكونها وفيها وجهان احدهما انه
من تسكين حرف العلة استثقالا للحركة عليه كقراءة اطعمون اهاليكم كان ايديهم ونحوها والثاني انه
خبر مبتدا محذوف اي هو مثاني كذا ذكره ابو حيان وفيه نظر من حيث انه كان ينبغي ان ينون
ويحذف ياوه لالتقاء الساكنين فيقال مثان كما يقول هولاء جوار وقد يقال انه وقف عليه ثم
اجري الوصل مجرى الوقف لكن يعترض عليه بان الوقف على المنقوص المنون بحذف اليا نحو هذا
قاض واثباتها لغة قليلة ويمكن الجواب عنه بانه قد قري بذلك في المتواتر نحو من وال وباقي وهادي
في قراءة ابن كثير **فصل** تقدم تفسير الكتاب عند قوله ذلك وقوله متشابها اي يشبه
بعضه بعضا في الحسن ويصدق بعضه بعضا ليس فيه تناقض ولا اختلاف قال ابن عباس رضي
الله عنهما وقوله مثاني جمع مثنى اي يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والامر والنهي والاخبار والاحكام
او جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير وانما وصف كتاب وهو مفرد بمثاني وهو جمع لان الكتاب
مشتمل على سور وايات او هو من باب برمة اعشار وثوب اخلاق قاله الزمخشري وقيل ثم موصوف
محذوف اي فصولا مثاني حذف للدلالة عليه وقال ابن الخطيب ان اكثر الاشيا المذكورة زوجين
زوجين مثل الامر والنهي والعام والخاص والمجمل والمفصل واحوال السموات والارض والجنة والنار
والطيور والظلمة واللوح والقلم والملايكة والشياطين والعرش والكرسي والوعد والوعيد
والرجا والخوف والمقصود منه ان بيان كل ما سوى الحق زوج يدل على ان كل شي مبتلى بضده ونقيضه
وان الفرد الاحد الحق هو الله تعالى قوله تعالى تقشعر هذه الجملة يجوز ان تكون صفة لكتاب
وان يكون حالا منه لاختصاصه بالصفة وان يكون مستانفة واقشعر جلده اذا انقبض وتجمع من
الخوف وقف شعره والمصدر الاقشعرار والقشعريرة ايضا ووزن اقشعر افعلل ووزن القشع
يره فعليله **فصل** قال المفسرون تقشعر تضطرب وتتحرك منه جلود الذين يخشون
ربهم والاقشعرار تغير في جلد الانسان عند الوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب
اي قلوب الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي لذكر الله جل ذكره سبحانه
قيل اذا ذكرت ايات العذاب اقشعرت جلود الخائفين واذا ذكرت ايات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم
كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وحقيقة المعنى ان قلوبهم تقشعر عند الخوف وتلين عند
الرجا قال صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما تتحات من
الشجرة اليابسة ورقها وقال اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله حرمه الله على النار قال قتادة
هذا نعت اولياء الله تعالى نعتهم بان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم ولم ينعتهم بذهاب عقولهم
والغشيان عليهم انما ذلك في اهل البدع وهو من الشيطان وعن عروة ابن الزبير قال قلت لجدتي
اسما بنت ابي بكر رضي الله عنه كيف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قري عليهم
القران قالت رضي الله عنها كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم قال فقلت
لها ان ناسا اليوم اذا قري عليهم القران خر احدهم مغشيا عليه فقالت اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم وعن ابن عمر رضي الله عنه انه مر برجل من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا
قري عليه القران وسمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر ان
الشيطان يدخل في جوف احدهم ما كان هذا صنع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم **فصل**
قال الزمخشري رحمه الله تركيب لفظ القشعريرة من حروف التقشع وهو الاديم وضموا اليه
حرفا رابعا وهو الرا لتكون رباعيا ودالا على معنى زايد فقال اقشعر جلده من الخوف اذا وقف
شعره وهو في شدة الخوف فان قيل كيف قال تلين الى ذكر الله فعداه بحرف الى فالجواب التقدير
تلين جلودهم وقلوبهم حال وصولها الى حضرته وصولا بحسب الادراك فان قيل كيف قال الى ذكر
الله ولم يقل الى ذكر رحمة الله تعالى فالجواب انه من احب الله لاجل رحمته فهو ما احب الله وانما
احب شيئا غيره واما من احب الله لا لشي سواه فهو المحب الحق وهي الدرجة العالية فلهذا لم يقل
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر رحمة الله وانما قال الى ذكر الله وقد بين الله تعالى هذا بقوله عز وجل

الا بذكر الله تطمئن القلوب فان قيل لم ذكر في جانب الخوف تقشعر منه الجلود فقط وفي جانب الرجا
لين الجلود والقلوب فالجواب لان المكاشفة في مقام الرجا اكمل منها في مقام الخوف فقط لان الخير
مطلوب بالذات والشر مطلوب بالعرض ومحل المكاشفات هي القلوب والارواح والله اعلم ثم انه
تعالى لما وصف القران بهذه الصفات قال سبحانه ذلك هدى الله يهدي به من يشا فقوله ذلك
اشارة الى الكتاب وهو هدى الله وهو الذي شرح صدره اولا لقبول الهداية ومن يضلل الله اي
جعل قلبه قاسيا مظلما فما له من هاد واعلم ان سوالات المعتزلة وجوابها عن مثل هذه الاية قد
تقدم في قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ونظايرها قوله تعالى افمن يتقي
بوجهه سوء العذاب الاية لما حكم على القاسية قلوبهم بحكم في الدنيا وهو الضلال التام حكم عليهم
في الاخرة بحكم اخر وهو العذاب الشديد فقال جل وعز افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة
وتقريره ان اشرف الاعضا الظاهرة هو الوجه لانه محل الصباحة وصومعة الحواس والسعادة
والشقاوة لا تظهر الا فيه قال سبحانه وجوه يومئذ ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها
غبرة ترهقها قترة اوليك هم الكفرة الفجرة ويقال للمقدم القوم يا وجه العرب ويقال للطريق الدال
على حال الشي ان وجهه كذا هو كذا فثبت بما ذكرنا ان اشرف الاعضا هو الوجه واذا وقع الانسان
في نوع من انواع العذاب فانه يجعل يده وقاية لوجهه واذا عرف هذا فنقول اذا كان القادر على
الاتقا يجعل كل ما سوى الوجه وقاء للوجه لا جرم حسن جعل الاتقا بالوجه كناية عن الاتقاء
ونظيره قول النابغة • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتايب •
اي لا عيب فيهم الا هذا وهو ليس بعيب فلا عيب فيهم اذن بوجه من الوجوه فكذا ههنا لا يقدرون
على الاتقا بوجه من الوجوه الا بالوجه وهذا ليس باتقا فلا قدرة لهم على الاتقا البته وقيل انه
يلقى في النار مغلولة يده الى عنقه فلا يتهيا له ان يتقي النار الا بوجهه وتقدم الكلام على الاعراب
وسوء العذاب اشده قال مجاهد رحمه الله يجر على وجهه في النار وقال عطا يرمي به في النار
منكوسا فاول شي تمسه النار وجهه قوله تعالى وقيل للظالمين اي تقول الخزنة للظالمين
ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وباله ولما بين كيفية عقاب القاسية قلوبهم في الاخرة وبين كيفية
وقوعهم في العذاب قال عز وجل كذب الذين من قبلهم اي من قبل كفار مكة كذبوا الرسل فاتاهم
العذاب من حيث لا يشعرون يعني وهم امنون غافلون عن العذاب اي من الجهة التي لا يحتسبون
ولا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها فاذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا وهو الذل والصغار والهوان
ثم قال تعالى ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون يعني ان اوليك وان نزل بهم العذاب والخزي
في الدنيا فالعذاب المدخر لهم يوم القيمة اكبر واعظم من ذلك الذي وقع بهم في الدنيا ولما ذكر الله تبارك
وتعالى هذه الفوايد الكثيرة في هذه المطالب بين ان هذه البيانات بلغت حد الكمال والتمام
فقال تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون يتعظون قالت
المعتزلة دلت الاية على ان افعال الله تعالى واحكامه معللة ودلت ايضا على انه تعالى يريد الايمان
والمعرفة من الكل لان قوله تعالى ولقد ضربنا للناس مشعر بالتعليل وقوله جل ذكره في اخر الاية
لعلهم يتذكرون مشعر بالتعليل ايضا ومشعر بان المراد من ضرب هذه الامثال حصول التذكر
والعلم قوله تعالى قرانا عربيا فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون منصوبا على المدح لانه لما كان نكرة
امتنع اتباعه للقران الثاني ان ينتصب بيتذكرون اي يتذكرون قرانا الثالث ان ينتصب على
الحال من القران على انها حال موكدة وتسمى حالا موطية لان الحال في الحقيقة عربيا وقرانا توطية
له نحو جا زيد رجلا صالحا وقوله تعالى غير ذي عوج نعت لقرانا او حال اخرى قال الزمخشري
رحمه الله فان قلت فهلا قيل مستقيما او غير معوج قلت فيه فايدتان احدهما نفي احدهما
نفي ان يكون فيه عوج قط كما قال تعالى ولم يجعل له عوجا والثاني ان العوج يختص بالمعاني
دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وانشد •
وقد اتاك يقين غير ذي عوج • من الاله وقول غير مكذوب •

فصل اعلم انه تعالى وصف القران بصفات ثلاثة اولها كونه قرانا والمراد كونه متلوا
في المحاريب الى قيام الساعة وثانيها كونه عربيا اي انه اعجز الفصحا والبلغا عن معارضته كما قال
تعالى قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله وثالثها غير ذي عوج

والمراد

والمراد منه التناقض قال ابن عباس رضي الله عنه غير مختلف وقال مجاهد غير ذي
لبس وقال السدي غير مخلوق ويروي ذلك عن مالك بن انس رضي الله عنه وحكى سفين بن
عيينه عن سبعين من التابعين ان القران ليس بخالق ولا مخلوق قوله تعالى لعلهم يتقون الكفر
والتكذيب به وتمسك المعتزلة به في تعليل احكام الله تعالى وقوله عز وجل في الاية الاولى لعلهم
يتذكرون وههنا لعلهم يتقون لان التذكر متقدم على الاتقا والاحتراز والله اعلم قوله تعالى ضرب الله
مثلا رجلا قال الكسايي نصب رجلا لانه تفسير للمثل واعلم انه تعالى لما شرح وعيد الكفار مثل بما يدل
على فساد مذهبهم وقبح طريقتهم فقال جل ذكره ضرب الله مثلا قوله تعالى فيه شركا يجوز ان يكون
هذا جملة من مبتدا وخبر في محل نصب صفة لرجل ويجوز ان يكون الوصف الجار وحده وشركا فاعل به
وهو اولى لقربه من المفرد ومتشاكسون صفة لشركا والتشاكس التخالف واصله سوء الخلق وعسره وهو
سبب التخالف والتحاجر ويقال التشاكس والتشاخس بالخا موضع الكاف وقد تقدم الكلام على نصب
المثل وما بعده الواقعين بعد ضرب وقال الكسايي انتصب رجلا على اسقاط الجار اي لرجل او في رجل
والمتشاكسون المختلفون العسرون يقال شكس يشكس شكوسا وشكسا اذا عسر وهو رجل شكس اي عسر
وشاكس اذا تعاسر قال الليث رحمه الله التشاكس التضاد والاختلاف ويقال الليل والنهار يتشاكسان
اي يتضادان اذا جا احدهما ذهب الاخر وقوله جل ذكره فيه صلة شركا كما تقول اشتركوا فيه اي في رقه
قال شهاب الدين رحمه الله وقال ابو البقا كلاما لا يشبه اي يصدر من مثله بل ولا اقل منه قال
وفيه شركا الجملة صفة لرجل وفي متعلق بمتشاكسون وفيه دلالة على جواز تقديم خبر المبتدا عليه انتهى
اما هذا فلا اشك انه سهو لانه من حيث جعله جملة كيف يقول بعد ذلك ان فيه يتعلق بمتشاكسون
وقد يقال اراد من حيث المعنى وهو بعيد جدا ثم قوله وفيه دلالة الى اخره يناقضه ايضا وليست المسلة
غريبة حتى يقول وفيه دلالة وكانه اراد وفيه دلالة على تقديم معمول الخبر على المبتدا بنا منه على ان
فيه يتعلق بمتشاكسون ولكنه فاسد والفاسد لا يراعى انتهى قوله تعالى سالما لرجل قرا ابن كثير
وابو عمرو سالما بالالف وكسر اللام والباقون سلما بفتح السين واللام وابن جبير بكسر السين وسكون
قال ابن الخطيب ويقال ايضا بفتح السين وسكون اللام فالقراة الاولى اسم فاعل من سلم له
كذا فهو سالم والقراتان الاخيرتان سلما وسلما فهما مصدران وصف بهما على سبيل المبالغة او على
حذف مضاف او على وقوعهما موقع اسم الفاعل فيعود كالقراة الاولى وقري ورجل سالم برفعهما وفيه
وجهان احدهما ان يكون مبتدا والخبر محذوف تقديره وهناك رجل سالم لرجل كذا قدره الزمخشري
الثاني انه مبتدا وسالم خبره وجاز الابتدا بالنكرة لانه موضع تفصيل كذا كقول امري القيس •
• اذا ما بكى من خلفها انصرفت له • بشق وشق عندنا لم يحول •
وقولهم الناس رجلان رجل اكرمت ورجل اهنت قوله تعالى مثلا منصوب على التمييز المنقول من
الفاعلية اذ الاصل هل يستوي مثلهما وافرد التمييز لانه مقتصر عليه اولا في قوله تعالى ضرب الله مثلا
وقري مثلين وطابق حالي الرجلين وقال الزمخشري فيمن قرا مثلين ان الضمير في يستويان للمثلين
لان التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية كما تقول كفى بهما
رجلين قال ابو حيان والظاهر انه يعود الضمير في يستويان على رجلين واما اذا جعلته عايدا الى
المثلين اللذين ذكر ان التقدير مثل رجل ومثل رجل فان التمييز يكون اذ ذاك قد فهم من المميز الذي
هو الضمير اذ يصير التقدير هل يستوي المثلان مثلين قال شهاب الدين وهذا لا يضر اذ التقدير
هل يستوي المثلان مثلين في الوصفية فالمثلان الاولان معهودان والثانيان جنسان مبهمان
كما تقول كفى بهما رجلين فان الضمير في بهما عايد على ما يراد بالرجلين فلا فرق بين المسلتين فما كان جوابا
عن كونهما رجلين يكون جوابا له

فصل تقدير الكلام اضرب لقومك مثلا وقل ما
يقولون في رجل مملوك لشركا بينهم اختلاف وتنازع فيه وكل واحد يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه
حوايجهم وهو متحير في امره وكلما ارضى احدهم غضب الباقون واذا احتاج اليهم فكل واحد منهم يرده
الى الاخر فيبقى متحيرا لا يعرف ايهم اولى ان يطلب رضاه وايهم يعينه في حاجته فهو بهذا السبب في عذاب
دايم واخر له مخدوم واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك المخدوم يعينه على مهماته فاي هذين
العبدين احسن حالا والمراد ان من اثبت الهة اخرى فان اوليك الالهة تكون متنازعة متعالبة
كما قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقال عز وجل ولعلى بعضهم على بعض فيبقى ذلك المشرك

متحراضا لالابدري اي هؤلا الالهة يعبد علي ربوبية ايهم يعتمد ومن يطلب رزقه فيهم متشاع وقلبه
اوزاع اماني لم يثبت الا الها واحدا فهو قايم بما كلفه عارف بما يرضيه ويسخطه فكان حال هذا اقرب
الي الصلاح من حال الاول وهذا المثال في غاية الحسن في تقبيح الشرك وتحسين التوحيد فان قيل هذا
المثال لا ينطبق علي عبادة الاصنام لانها جمادات فليس بينها منازعة ولا تشاكس فالجواب ان عبدة الاصنام
مختلفون منهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الكواكب السبعة فهم في الحقيقة انما يعبدون الكواكب السبعة
وهم يثبتون بينها منازعة ومشاكسة الا ترى انهم يقولون زحل هو النحس الاعظم والمشتري هو السعد
الاعظم ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الارواح الفلكية والقايلون بهذا القول زعموا ان كل نوع من
انواع هذا العالم يتعلق بروح من الارواح السماوية وحينئذ يحصل بين تلك الارواح منازعة ومشاكسة
وحينئذ يكون المثال مطابقا ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الاشخاص من العلما والزهاد شفعا
لهم عند الله تعالى والقايلون بهذا القول يزعم كل طايفة منهم ان المحق هو ذلك الرجل الذي هو علي
دينه وان من سواه مبطل وعلى هذا التقدير ايضا ينطبق المثال قوله تعالى قل الحمد لله يعني انه لما
بطل القول باثبات الشركا والاضداد وثبت انه لا اله الا الواحد الاحد الحق ثبت ان الحمد له لا لغيره ثم
قال بل اكثرهم لا يعلمون ان الحمد له لا لغيره وان المستحق للعبادة هو الله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وقيل لا يعلمون ما يصيرون اليه وقيل المراد انه لما سبقت هذه
الدلايل الظاهرة قال الحمد لله على حصول هذه البيانات وظهور هذه البيانات وان كان اكثر الخلق لا
يعرفونها قال البغوي رحمه الله والمراد بالاكثر الكل قوله تعالى انك ميت اي ستموت وانهم ميتون
اي سيموتون قال الفرا والكسايي الميت بالتشديد من لم يمت وسيموت والميت بالتخفيف من فارقه
الروح ولذلك لم يخفف هاهنا والعامة علي ميت وميتون وقرا ابن محيصن وابن ابي عبلة واليماني
مايت ومايتون وهي صفة مشعرة بحدوثها دون ميت وقد تقدم انه لا خلاف بين القرا في تثقيل مثل
هذا **فصل** والمراد ان هولا اقوام وان لم يلتفتوا الي هذه الدلايل القاهرة لاجل الجهل والتقليد فلا
تبال يا محمد بهذا فانك ستموت وهم ايضا يموتون ثم انكم تحشرون يوم القيمة وتختصمون عند الله
تعالى والعادل الحق يحكم بينهم فيوصل الى كل احد حقه وحينئذ يتميز المحق من المبطل ثم انه تعالى بين
نوعا اخر من قبايح افعالهم وهو انهم يكذبون ويضمون اليه انهم يكذبون القايل المحق اما كذبهم فهو
انهم اثبتوا لله ولدا وشركا واما تكذيبهم الصادق فلانهم يكذبون محمدا صلى الله عليه وسلم بعد قيام
الدلايل القاطعة علي كونه صادقا في ادعا النبوة صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه دايما ابدا
ثم اردفه بالوعيد فقال سبحانه اليس في جهنم مثوى للكافرين اي منزل ومقام للكافرين وهذا
استفهام بمعنى التقرير ولما ذكر من افترى علي الله الكذب او كذب بالحق ذكر مقابله وهو الذي جا بالصدق
وصدق به قوله تعالى والذي جا بالصدق لفظه مفرد ومعناه جمع لانه اريد به الجنس وقيل لانه
قصد به الجزاء وما كان كذلك كثر فيه وقوع الذي موقع الذين ولذلك روعي معناه فجمع في قوله
اوليك هم المتقون كما روعي معنى من في قوله للكافرين فان الكافرين ظاهر واقع موقع المضمر اذ الاصل
مثوى لهم وقيل بل الاصل والذين جا بالصدق فحذفت النون تخفيفا كقوله والذين خاضوا وهذا
وهم اذ لو قصد ذلك لجا بعده ضمير الجمع فكان يقال والذين جاوا كقوله والذي خاضوا ويدل عليه
ان نون التثنيه اذا حذفت عاد الضمير مثنى كقوله

ابني كليب ان عمي اللذا • قتلا الملوك وفككا الاغلالا • وللجمع كقوله
ان الذي حانت بفلج دماوهم • هم القوم كل القوم يا ام خالد •

فصل وقرا عبد الله والذي جاوا بالصدق وصدقوا به وقد تقدم تحقيق نظير هذه
الاية في اوايل البقرة وغيرها وقيل الذي صفة لموصوف محذوف بمعنى الجمع تقديره والفريق او الفوج
ولذلك قال اوليك هم المتقون وقيل المراد بالذي واحد بعينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم
ولكن لما كان المراد هو واتباعه اعتبر ذلك فجمع فقال اوليك هم كقوله عز وجل سبحانه ولقد اتينا
موسى الكتاب لعلهم يهتدون قال الزمخشري وعبارته هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
اراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه وناقشه ابو حيان في ايقاع الضمير المنفصل
موقع المتصل قال واصلاحه ان يقول اراده به كما اراده بموسى وقومه صلوات الله عليه قال
شهاب الدين رحمه الله ولا مناقشة لانه مع تقدم به وبموسى لغرض من الاغراض استعمال اتصال

الضمير

الضمير وهذا كالبحث المتقدم في قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم وقوله
سبحانه يخرجون الرسول واياكم وهو ان بعض الناس زعم انه يجوز الانفصال مع القدرة على الاتصال
وتقدم الجواب بقريب مما ذكر هنا وتقدم بيان حكمة التقديم ثمه وقول الزمخشري ان الضمير في لعلهم
يهتدون لموسى وقومه فيه تطويل الظاهر خصوص الضمير بقومه دونه لانهم هم المطلوب منهم الهداية
واما موسى صلوات الله عليه فمهتد ثابت على الهداية وقال الزمخشري ايضا ويجوز ان يريد والفوج
او الفريق الذي جا بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جا بالصدق وصحابته الذين صدقوا به
قال ابو حيان وفيه توزيع للصلة والفوج هو الموصول فهو كقولك جا الفريق الذي شرف وشرف
والاظهر عدم التوزيع بل المعطوف على الصلة صلة لمن له الصلة الاولى وقرا ابو صالح وعكرمة بن سليمان
ومحمد بن جحادة مخففا بمعنى صدق فيه ولم يغيره بل اداه من غير تحريف وقري وصدق به مشددا
مبنيا للمفعول **فصل** المعنى فمن اظلم ممن كذب على الله فزعم ان له شريكا وكذب بالصدق
بالقران او بمحمد صلى الله عليه وسلم اذ جاه ثم قال والذي جا بالصدق وصدق به قال ابن عباس رضي
الله عنه والذي جا بالصدق يعني محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا اله الا الله وصدق به الرسول
صلى الله عليه وسلم ايضا بلغه الى الخلق وقال السدي والذي جا بالصدق جبريل صلوات الله عليه جا
بالقران وصدق به محمد صلى الله عليه وسلم تلقاه بالقبول وقال ابو العالية والكلبي والذي جا بالصدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به ابو بكر رضي الله عنه وقال قتادة ومقاتل والذي جا بالصدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به هم المومنون لقوله تعالى اوليك هم المتقون وقال عطا
والذي جا بالصدق الانبيا صلوات الله عليهم وصدق به الاتباع وحينئذ يكون الذي بمعنى
الذين كقوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ثم قال سبحانه ذهب الله بنورهم وقال الحسن
رضي الله عنه هم المومنون صدقوا به في الدنيا وجاوا به في الاخرة اوليك هم المتقون لهم ما يشاون
عند ربهم وهذا لا يفيد العندية بمعنى الجهة والمكان بل بمعنى الاخلاص كقوله عز وعلا عند مليك
مقتدر ثم قال سبحانه ذلك جزا المحسنين قالت المعتزلة وهذا يدل على ان هذا الاجر مستحق لهم على
احسانهم في العبادة قوله تعالى ليكفر الله في تعلق الجار وجهان احدهما انها متعلقة بمحذوف اي
يسولهم ذلك ليكفر والثاني انه يتعلق بنفس المحسنين كانه قيل الذين احسنوا اي لاجل التكفير قوله
تعالى اسوا الذي الظاهر انه افعل تفضيل وبه قرا العامة وقيل ليست للتفضيل بل بمعنى سي الذين
عملوا كقولهم الاشج والناقص اعدلا بني مروان اي عادلاهم ويدل على هذا قراة ابن كثير في رواية
اسواي بالف بين الواو والهمزة بزنة اجمال جمع سو وكذا قراه في حم السجدة **فصل** قوله
تعالى لهم ما يشاون عند ربهم يدل على حصول الثواب على اكمل الوجوه ومعنى تكفيرها اي يسترها
عليهم بالمغفرة ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون وقال مقاتل يجزيهم بالمحاسن من اعمالهم
ولا يجزيهم بالمساوي قال ابن الخطيب واعلم ان مقاتل كان شيخ المرجية وهم الذين يقولون
لا يضر شي من المعاصي مع الايمان كما لا ينفع شي من الطاعات مع الكفر واحتج بهذه الاية فقال
انها تدل على ان من صدق الانبيا والرسل صلوات الله عليهم بانه تعالى يكفر عنهم اسوا الذي عملوا
ولا يجوز حمل هذا الاسوا علي الكفر السابق لان ظاهر الاية ان التكفير انما حصل في حال وصفهم بالتبري
من الشرك واذا كان كذلك وجب ان يكون المراد منه الكباير التي ياتي بها بعد الايمان فتكون هذه
الاية نصا على انه تعالى يكفر عنهم بعد ايمانهم ما ياتون به وذلك هو الكباير قوله سبحانه وتعالى
اليس الله بكاف عبده العامة على توحيد عبده والاخوان عباده جمعا وهم الانبيا واتباعهم
وقري بكافي عباده بالاضافة ويكافي مضارع كافي في عباده نصب على المفعول ثم الفاعلة هنا تحتمل
ان يكون بمعنى فعل نحو جازى بمعنى يجزي وبني على لفظ المفاعلة لما تقدم من ان بنا المفاعلة
يشعر بالمبالغة لانه للمغالبة ويحتمل ان يكون اصله يكافي بالهمز من المكافاة بمعنى يجزيهم فخففت
الهمزة وهذا استفهام تقرير قوله تعالى ويخوفونك يجوز ان يكون حالا لان المعنى اليس كافيك
حال تخويفهم اياك بكذا كان المعنى انه كافيه في كل حال حتى في هذه الحال ويجوز ان تكون مستانفة
فصل من قرا بكاف عبده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ومن قرا عباده يعني الانبيا صلوات
الله عليهم وصدهم قومهم بالسو كما قال تعالى وهمت كل امة برسولهم لياخذوه وكفاهم الله شر
من عاداهم وقيل المراد ان الله تعالى كفى نوحا صلوات الله عليه الغرق وابراهيم صلوات الله عليه

الناروبلس ما دفع اليه صلوات الله عليه وهو سبحانه وتعالى كافيك يا محمد كما كفى هولا
الرسل قبلك وقوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه وذلك ان قريشا خوفوا النبي صلى الله
عليه وسلم معاداة الاوثان وقالوا لتكفن الهتنا اوليصيبنك سهم خبل اوجنون فانزل الله عز
وجل هذه الاية ولما شرح الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ختم الكلام بخاتمة هي الفصل الحق
فقال جل ذكره ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اي هذه الدلايل والبينات
لا تنفع الا اذا خص الله العبد بالهداية والتوفيق ثم قال سبحانه وتعالى اليس الله بعزيز ذي
انتقام وهذا تهديد للكفار **فصل** احتج اهل السنة بهذه الاية على مسئلة خلق الاعمال
لان قوله عز وجل ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهدي الله فما له من مضل صريح في ذلك وتمسك
المعتزلة بقوله تعالى اليس الله بعزيز ذي انتقام ولو كان الخالق للكفر فيهم هو الله تعالى لكان
الانتقام والتهديد غير لايق والله اعلم قوله تعالى ولين سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله الاية لما بين وعيد المشركين ووعد الموحدين عاد الى اقامة الدليل على تزييف
طريقة عبدة الاوثان وهذا التزييف مبني على اصلين الاصل الاول ان هولا المشركون مقرون
بوجود الاله القادر العالم الحكيم الرحيم وهو المراد من قوله تعالى ولين سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله قال بعض العلما العلم بوجود الاله القادر الحكيم الرحيم علم متفق عليه بين
جمهور الخلايق لا نزاع بينهم فيه وفطرة العقل شاهده بصحة هذا العلم فان من تامل في عجايب
بدن الانسان وما فيه من انواع الحكم الغريبة والمصالح العجيبة علم انه لابد من الاعتراف بالاله
القادر الحكيم الرحيم والاصل الثاني ان هذه الاصنام لا قدرة لها على الخير والشر وهو المراد من
قوله تعالى قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني
برحمة هل هن ممسكات رحمته فثبت انه لابد من الاقرار بوجود القادر الحكيم وثبت ان هذه
الاصنام لا قدرة لها على الخير والشر واذا كان كذلك كانت عبادة الله كافية والاعتماد عليه كافيا
وهو المراد من قوله سبحانه وتعالى قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون قوله تعالى ارايتم
ما تدعون هي المتعدية لاثنين اولهما ما تدعون وثانيهما الجملة الاستفهامية والعايد على
المفعول منها قوله وانما انثه تحقيرا لما يدعون من دونه ولانهم كانوا يسمونها باسما
الاناث اللات ومناة والعزي وتقدم تحقيق هذا قوله تعالى هل هن كاشفات قرا ابو عمرو
رضي الله عنه كاشفات وممسكات بالتنوين ونصب ضره ورحمته وهو الاصل في اسم الفاعل
والباقون بالاضافة وهو تخفيف **فصل** قال مقاتل لما نزلت هذه الاية سالهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم قل حسبي الله
ثقتي بالله واعتمادي عليه يتوكل المتوكلون يثق الواثقون قوله تعالى قل يا قوم اعملوا
على مكانتكم وهذا امر تهديد اي انكم تعتقدون في انفسكم انكم في نهاية القوة والشدة فاجتهدوا
في انواع مكركم وكيدكم فاني عامل في تقرير ديني فسوف تعلمون ان العذاب والخزي يصيبني
او يصيبكم قوله تعالى انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق الاية اعلم ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يعظم عليه اصرارهم على الكفر كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم وقال
جل ذكره فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال عز وجل لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مومنين
فلما بين الله عز وعلا سبحانه وتعالى في هذه الايات فساد مذاهب المشركين تارة بالدلايل
والبينات وتارة بضرب الامثال وتارة بذكر الوعد والوعيد اردفه بكلام ذلك الخوف العظيم
عن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال عز وجل سبحانه انا انزلنا عليك الكتاب الكامل الشريف
لنفع الناس وهداهم وجعلنا انزاله مقرونا بالحق وهو المعجز الذي يدل على انه من عند الله فمن
اهتدى فيعود نفعه اليه ومن ضل فضرر ضلاله يعود اليه وما انت عليهم بوكيل اي لست
مامورا بان تحملهم على الايمان على سبيل القهر بل القبول وعدم القبول مفوض اليهم وذلك تسلية
للرسول صلى الله عليه وسلم ثم بين تعالى ان الهداية والضلال لا يحصلان الا من الله تعالى لان
الهداية تشبه الحياة واليقظة والضلال يشبه الموت والنوم فكما ان الحياة واليقظة لا يحصلان
الا بتخليق الله تعالى كذلك الهداية لا تحصل الا بتوفيق الله وكما ان الموت والنوم لا يحصلان
الا بتخليق الله تعالى كذلك الضلال لا يحصل الا بامر الله تعالى ومن عرف هذه الدقيقة

فقد

فقد عرف سر الله تعالى في القدر ومن عرف سر الله تعالى في القدر هانت عليه المصايب فيصير
التنبيه على اخر وهو ان الله تعالى ذكر حجة اخرى في اثبات انه اله العالم ليدل على انه بالعبادة احق
من هذه الاصنام قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها اي الارواح حين موتها فيقبضها عند
انقضا اجلها وقوله تعالى حين موتها يريد موت اجسادها والتي لم تمت يريد يتوفى الانفس التي
لم تمت في منامها فالتي تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز ولكل انسان نفسان
احدها نفس الحيوة وهي التي تفارقه عند الموت وتزول بزوالها النفس والاخرى هي النفس التي
تفارقه اذا نام وهو بعد النوم يتنفس فيمسك التي قضى عليها الموت الى اجل مسمى وهو وقت موته
قوله تعالى والتي لم تمت عطف على الانفس اي يتوفى الانفس حين تموت ويتوفى ايضا الانفس التي
لم تمت في منامها ظرف ليتوفى وقرا الاخوان قضي مبنيا للمفعول الموت رفعا لقيامه مقام الفاعل
فصل قيل ان للانسان نفس وروح فعند النوم يخرج النفس ويبقى الروح وعن
علي رضي الله عنه قال يخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد فبذلك يرى الرويا
فاذا انتبه من النوم عاد الروح الى جسده باسرع من لحظه ويقال ان ارواح الاحيا والاموات تلتقي
في المنام فتتعارف ما شا الله فاذا اراد الرجوع الى اجسادها امسك الله تعالى ارواح الاموات عنده
وارسل ارواح الاحياء حتى ترجع الى اجسادها الى انقضا مدة حياتها ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون
لدلالات على قدرته حيث لم يغلط في امساك ما يمسك من الارواح وارسال ما يرسل منها وقال مقاتل
لعلامات لقوم يتفكرون في امر البعث يعني ان توفي نفس النايم وارسالها بعد التوفي دليل على البعث
فان قيل قوله جل ذكره الله يتوفى الانفس يدل على ان المتوفي هو الله تعالى فقط ويؤكده قوله
تعالى الذي خلق الموت والحياة وقوله ربي الذي يحيي ويميت وقال سبحانه في اية اخرى قل
يتوفاكم ملك الموت وقال تعالى في اية اخرى اذا جا احدكم الموت توفته رسلنا فكيف الجمع فالجواب
ان المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى الا ان الله عز وجل فوض كل نوع الى ملك من الملايكة ففوض
قبض الارواح الى ملك الموت وهو الرييس وتحته اتباع وخدم فاضيف التوفي في اية الى الله
تعالى وهي الاضافة الحقيقية وفي اية الى ملك الموت لانه الرييس في هذا العمل وفي اية الى اتباعه
والله سبحانه وتعالى اعلم قوله تعالى ام اتخذوا ام منقطعة فتتقدر ببل والهمزة واعلم ان الكفار
اوردوا على هذا الكلام سوالا قالوا نحن لا نعبد هذه الاصنام لاعتقاد انها تضر وتنفع وانما نعبدها
لاجل انها تماثيل لاشخاص كانوا عند الله من المقربين فنحن نعبدها لتشفع لنا اوليك المقربون
عند الله فاجاب الله تعالى عنه بقوله ام اتخذوا من دون الله شفعا قوله تعالى قل اولو كانوا
تقدم الكلام على نحو اولو وكيف هذا التركيب والمعنى قل يا محمد اولو كانوا اي وان كانوا يعني
الالهة لا يملكون شيا من الشفاعة ولا يعقلون انكم تعبدونهم وجواب هذا محذوف تقديره
وان كانوا بهذه الصفة تتخذونهم قل لله الشفاعة جميعا قال مجاهد رحمه الله لا يشفع احد الا
باذنه له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت
نفرت قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل اي انقبضت عن التوحيد وقال قتادة استكبرت واصل
الاشمئزاز النفور والاستكبار قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة وهذا نوع اخر من اعمال المشركين
القبيحة واذا ذكر الذين من دونه يعني الاصنام اذا هم يستبشرون يعني يفرحون قال مجاهد
ومقاتل وذلك حين قرا النبي صلى الله عليه وسلم سورة النجم فالقى الشيطان في امنيته تلك
الغرانيق العلا ففرح به الكفار قوله تعالى واذا ذكر الذين قال الزمخشري فان قلت ما
العامل في اذا ذكر قلت العامل في اذا المفاجاتية تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجاوا وقت
الاستبشار قال ابو حيان اما قول الزمخشري فلا اعلمه من قول من ينتمي الى النحو وهو ان الظرفين
معمولان لفاجاوا ثم اذا الاولى ينتصب على الظرفية والثانية على المفعول به وقال الحوفي اذا هم
يستبشرون اذا مضافة الى الابتدا والخبر واذا مكررة للتوكيد وحذف ما يضاف اليه والتقدير
اذا كان ذلك هم يستبشرون فيكون هم يستبشرون هو العامل في اذا المعنى اذا كان ذلك هم يستبشرون
استبشروا قال ابو حيان هذا بعيد جدا عن الصواب اذ جعل اذا مضافة الى الابتدا والخبر ثم قال
واذا مكررة للتوكيد وحذف ما يضاف اليه الى اخر كلامه فاذا كانت اذا حذف ما يضاف اليه فكيف
يكون مضافة الى الابتدا والخبر الذي هو هم يستبشرون وهذا كله توجيه عدم الاتقان لعلم النحو

والتحقيق فيه انتهى قال شهاب الدين وفي هذه العبارة تحامل على اهل العلم المرجوع اليهم فيه
واختار ابو حيان ان يكون العامل في اذا الشرطية الفعل بعدها لا جوابها وانها ليست مضافة لما
بعدها وان كان قول الاكثرين وجعل اذا الفجائية معمولة لما بعدها سوا كانت زمانا ام مكانا
اما اذا قيل انها حرف فلا يحتاج الى عامل وهي رابطة لجملة الجزا بالشرط كالفا والاشمئزاز النفور
والتقبض وقال ابو زيد هو الذعر اشمأز فلان اي ذعر ووزنه افعلل كاقشعر قال الشاعر

• اذا عض الثقاف بها اشمأزت • وولته عشوزنة زبونا •

قال الزمخشري ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية في بابه لان الاستبشار
ان يمتلي قلبه سرورا حتى يظهر ذلك السرور في اسرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان يعظم ويغيظه
فينقبض الروح الى داخل القلب فيبقى في اديم الوجه اثر الغبرة والظلمة اللازمة ولما حكى عنهم
هذا الامر العجيب الذي تشهد فطرة العقل بفساده اردفه بذكر الدعا العظيم فقال جل من قائل
تبارك وتعالى قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما
كانوا فيه يختلفون روي ابو سلمة رضي الله عنه قال سالت عايشة رضي الله عنها بم كان يفتتح
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته بالليل قالت كان يقول صلى الله عليه وسلم اللهم رب جبريل
وميكايل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما
كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلفت فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشا الى صراط مستقيم
ولما حكى عنهم المذهب الباطل ذكر في وعيدهم اشيا اولها ان هولا الكفار لو ملكوا كل ما في الارض من
الاموال وملكوا مثله معه جعلوا الكل فدية لانفسهم من العذاب الشديد وثانيها قوله تعالى
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون اي ظهرت لهم انواع من العذاب ما لم يكن في حسابهم وهذا
كقوله صلى الله عليه وسلم في صفة الثواب في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر فلذلك حصل في العقاب مثله وهو قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
وقال مقاتل رحمه الله ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا في الدنيا انه نازل بهم في الاخرة وقال
السدي ظنوا ان اعمالهم حسنات فبدت لهم سيات والمعنى انهم كانوا يتقربون الى الله عز وجل
بعبادة الاصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا وثالثها قوله تعالى وبدا لهم سيات
ما كسبوا اي مساوي اعمالهم من الشرك وظلم اوليا الله وحاق بهم اي احاط بهم من جميع الجوانب
ما كانوا به يستهزءون فنبه تعالى بهذه الوجوه على عظم عقابهم قوله تعالى سيات ما كسبوا
يجوز ان تكون ما مصدرية اي سيات كسبهم وبمعنى الذي اي سيات اعمالهم التي اكتسبوها قوله
تعالى فاذا مس الانسان ضر دعانا الاية وهذه حكاية طريقة اخرى من طرايقهم الفاسدة وهي
انهم عند الوقوع في الضر الذي هو الفقر والمرض يفزعون الى الله تعالى ويرون ان دفع
ذلك البلا لا يكون الا منه سبحانه ثم انه تعالى اذا خوله اعطاه نعمة يقول انما اوتيته على علم
اي على علم من الله تعالى اني له اهل وقيل وان كان سعادة في المال او عافية في النفس
يقول انما حصل له ذلك بجده واجتهاده وان كان مالا يقول انما حصل بكسبي وان كان صحة
قال انما حصل بسبب العلاج الفلاني وهذا تناقض عظيم لانه لما كان عاجزا محتاجا اضاف
الكل الى الله تعالى وفي حال الصحة والسلامة قطعه من الله واسنده الى كسب نفسه وهذا
تناقض قبيح قوله تعالى انما اوتيته يجوز ان تكون ما مهيئة زائدة على ان نحو انما قام
زيد وان تكون موصولة والضمير عايد عليها من اوتيته اي ان الذي اوتيته على علم مني او على علم
من الله في اني استحق ذلك قوله تعالى بل هي الضمير للنعمة ذكرها اولا في قوله انما اوتيته لانها
بمعنى الانعام وقيل تقديره شيا من النعمة وانث هنا اعتبارا بلفظها وقيل بل الحالة او الامانة
وانما عطفت هذه الجملة وهي قوله تعالى فاذا مس الانسان بالفا والتي في اول السورة بالواو
لان هذه مسببة عن قوله تعالى واذا ذكر اي يشمئزون من ذكر الله عز وجل ويستبشرون بذكر
الهتهم فاذا مس احدهم بخلاف الاولى حيث لا سبب فيها فجي بالواو التي لمطلق العطف وعلى هذا
فما السبب والمسبب جمل اعتراضية قال معناه الزمخشري واستبعده ابو حيان من حيث ان ابا علي
يمنع الاعتراض بجملتين فكيف بهذه الجمل الكثيرة ثم قال والذي يظهر في الربط انه لما قال ولو ان
للذين ظلموا الاية كان ذلك اشعارا بما ينال الظالمين من شدة العذاب وانه يظهر لهم يوم

القيمة من العذاب اتبع ذلك بما يدل على ظلمه وبغيه اذ كان اذا مسه ضر دعا الله فاذا احسن اليه
لم ينسب ذلك اليه وقال ابن الخطيب رحمه الله ان السبب في عطف هذه الاية بالفا انه تعالى حكى
عنهم قبل هذه الاية انهم يشمئزون من سماع التوحيد ويستبشرون بسماع ذكر الشركا ثم ذكر بفا
التعقيب انهم اذا وقعوا في الضر والبلا التجاوا الى الله تعالى وحده فكان الفعل الاول مناقضا
للفعل الثاني فذكر بفا التعقيب ليدل به على انهم واقعون في المناقضة الصريحة في الحال
وانه ليس بين الاول والثاني فاصلة مع ان كل واحد منهما مناقض للثاني فهذا فايدة ذكر فا
التعقيب ههنا واما الاية الاولى فليس المقصود منها بيان وقوعهم في التناقض في الحال فلا جرم
ذكره تعالى بحرف الواو لا بحرف الفا ومعنى قوله فتنة اي استدراج من الله تعالى وامتحان وبلية
وقيل بل الكلمة التي قالها فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون انه استدراج وامتحان قوله تعالى قد قالها
اي قال القولة المذكورة وهي قوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة من القول وقري قد قاله اي
هذا القول او الكلام والمراد بالذين من قبلهم قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي
وقومه راضون به فكانهم قالوها ويجوز ان يكون في الامم الماضية من قالها قوله تعالى فما اغنى يجوز ان
تكون هذه نافية واستفهامية مؤولة بالنفي واذا احتجنا الى تاويلها بالنفي فلنجعلها نافية
استراحة من المجاز ومعنى الاية ما اغنى عنهم الكفر من العذاب شيا قوله تعالى فاصابهم سيات
ما كسبوا اي جزاوها يعني العذاب ثم اوعد كفار مكة فقال جل ذكره والذين ظلموا من هولا
سيصيبهم سيات ما كسبوا ثم قال تعالى وما هم بمعجزين اي بفايتين لان مرجعهم الى الله عز وجل
قوله تعالى اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر يعني اولم يعلموا ان الله هو الذي
يبسط الرزق تارة ويقبض اخرى ويدل على ذلك انا نرى الناس مختلفين في سعة الرزق
وضيقه فلا بد لذلك من سبب وذلك السبب ليس هو عقل الرجل وجهله لانا نرى العاقل
القادر في اشد الضيق ونرى الجاهل الضعيف في اعظم السعة وليس ذلك لاجل الطبايع
ولا النجوم والا فلان كان في الساعة التي ولد فيها ذلك الملك الكريم والسلطان القاهر قد ولد
فيها ايضا عالم من الناس وعالم من الحيوانات غير الانسان وتولد ايضا في تلك الساعة عالم
من النبات فلما شاهدنا حدوث هذه الاشيا الكثيرة في تلك الساعة الواحدة مع كونها مختلفة
في السعادة والشقاوة علمنا ان الفاعل لذلك هو الله تعالى سبحانه فصح بهذا البرهان العقلي
القاطع صحة قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر قال الشاعر

• فلا السعد يقضي به المشتري • ولا النحس يقضي علينا زحل •

ولكنه حكم رب السما وقاضي القضاة تعالى وجل قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
الاية لما ذكر الوعيد اردفه بشرح كمال رحمته وفضله وقيل في هذه الاية انواع من المعاني والبيان
حسنة منها اقباله عليهم ونداوه ومنها اضافتهم اليه اضافة تشريف ومنها الالتفات من التكلم
الى الغيبة في قوله تعالى من الله ومنها اضافة الرحمة لاجل اسمايه الحسنى ومنها اعادة الظاهر بلفظه
في قوله ان الله ومنها ابراز الجملة من قوله تعالى انه هو الغفور الرحيم موكدة بان وبالفصل وباعادة
الصفتين اللتين تضمنتهما الاية السابقة **فصل** روي سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي
الله عنهما ان ناسا من اهل الشرك كانوا قتلوا واكثروا وزنوا واكثروا فاتوا النبي صلى الله عليه
وسلم وقالوا ان الذي تدعوا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت هذه الاية وروي عطا
ابن ابي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في وحشي قاتل حمزة حين بعث اليه النبي
صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعوني الى دينك وانت تزعم انه من قتل
او اشرك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة وانا قد فعلت ذلك كله فانزل الله عز وجل
الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فقال وحشي هذا شرط شديد لعلي لا اقدر عليه فهل غير ذلك
فانزل الله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فقال وحشي اراني
بعد في شبهة فلا ادري ايغفر لي ام لا فانزل الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله قال وحشي نعم هذا فجا واسلم فقال المسلمون هذا له خاصة ام للمسلمين
عامة قال بل للمسلمين عامة وروي عن ابن عمر رضي الله عنه قال نزلت هذه الاية في عياش بن
ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد اسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا وكنا نقول

لا يقبل الله من هولاء صرفا ولا عدلا ابدا قد اسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه فانزل
الله هذه الايات فكتبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيده ثم بعث بها الى عياش بن ابي ربيعة
والوليد بن الوليد والى اوليك النفر فاسلموا وهاجروا واعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب **فصل** دلت هذه الاية على انه تعالى يعفو عن الكبائر لان عرف القران جار
بتخصيص اسم العباد بالمومنين قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقال
عينا يشرب بها عباد الله واذا كان لفظ العباد مذكورا في معرض التعظيم وجب ان لا يقع الا على
المومنين واذا ثبت هذا ظهر ان قوله يا عبادي مختص بالمومنين ولان المومن هو الذي يعترف
بكونه عبد الله واما المشركون فانهم يسمون انفسهم بعبد اللات وعبد العزى وعبد المسيح
واذا ثبت ذلك فقوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم عام في جميع المسرفين ثم قال
ان الله يغفر الذنوب جميعا وهذا يقتضي كونه غافرا لجميع الذنوب الصادرة عن المومنين
وهو المطلوب فان قيل هذه الاية لا يمكن اجراوها على ظاهرها والا لزم القطع بكون الذنوب
مغفورة قطعا وانتم لا تقولون به فسقط الاستدلال وايضا فانه تعالى قال جل ذكره
عقيب هذه الاية وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب الاية ولو كان
المراد من الاية انه تعالى يغفر الذنوب جميعا قطعا لما امر عقيبه بالتوبة ولما خوفهم
بنزول العذاب عليهم من حيث لا يشعرون وايضا قال جل ذكره ان تقول نفس يا حسرتا
على ما فرطت في جنب الله الاية وايضا فلو كان المراد ما دل عليه ظاهر الاية لكان ذلك
اغراء بالمعاصي واطلاقا في الاقدام عليها وذلك لا يليق بحكمة الله تعالى واذا ثبت
هذا وجب ان يحمل ان المراد منه التنبيه على انه لا يجوز ان يظن العاصي ان لا مخلص له
من العذاب البتة فان اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله اذ لا احد من العصاة المذنبين
الا ومتى تاب زال عقابه وصار من اهل المغفرة والرحمة فمعنى قوله تعالى ان الله يغفر
الذنوب جميعا اي بالتوبة والانابة فالجواب قوله ان الاية تقتضي كون كل الذنوب
مغفورة قطعا وانتم لا تقولون به قلنا بلى نحن نقول به لان صيغة يغفر للمضارع
وهي للاستقبال وعندنا ان الله يخرج من النار من قال لا اله الا الله محمد رسول الله
وعلى هذا التقدير فصاحب الكبيرة مغفور له قطعا اما قبل دخول النار واما بعد دخولها
فثبت ان دلالة ظاهر الاية عين مذهبنا واما قوله لو صارت الذنوب باسرها مغفورة
لما امر بالتوبة فالجواب ان عندنا التوبة واجبة وخوف العقاب قايم فاذن لا يقطع
بازالة العقاب بالكلية بل نقول لعله يعفو مطلقا ولعله يعذب بالنار مدة ثم
يعفو بعد ذلك وبهذا يخرج الجواب عن بقية الاسوله والله اعلم وروى مقاتل بن
حيان عن نافع عن ابن عمر قال كنا معشر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى او نقول
ليس شيء من حسناتنا الا وهي مقبولة حتى نزلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا
اعمالكم فلما نزلت هذه الاية قلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكباير والفواحش
وكنا اذا راينا من اصاب منها قلنا قد هلك فانزل الله هذه الاية فكففنا عن القول
في ذلك فكنا اذا راينا احدا اصاب منها شيئا خفنا عليه وان لم يصب منها شيئا رجونا
له واراد بالاسراف ارتكاب الكباير وروى ان ابن مسعود رضي الله عنه انه دخل المسجد
فاذا قاص يقص وهو يذكر النار والاغلال فقام على راسه فقال يا مذكر لم تقنط الناس
ثم قرا قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وعن اسما بنت يزيد
رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي وروى ابو هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رجل لم يعمل خيرا قط لاهله اذا
مات فحرقوه ثم ذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لين قدر الله تعالى عليه ليعذبنه
عذابا لا يعذبه احدا من العالمين فلما مات فعلوا ما امرهم فامر الله البحر فجمع ما فيه وامر
البر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب وانت اعلم فغفر له وعن
ضمضم بن حرش قال دخلت مسجد المدينة فناداني شيخ فقال يا يماني تعال وما اعرفه

فقال

فقال لا تقولن لرجل والله لا يغفر الله لك ابدا ولا يدخلك الجنة قلت ومن انت يرحمك
الله قال ابو هريرة قال فقلت ان هذه الكلمة يقولها احدنا لبعض اهله اذا غضب او لزوجه
او لخادمه قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان رجلين كانا في بني اسرايل
متحابين احدهما مجتهد في العبادة والاخر كانه يقول مذنب فجعل يقول اقصر اقصر عما انت فيه
قال فيقول خلني وربي قال حتى وجده يوما على ذنب استعظمه فقال اقصر فقال خلني
وربي ابعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك ابدا ولا يدخلك الجنة ابدا قال فبعث الله
اليهما ملكا فقبض ارواحهما فاجتمعا عنده فقال للمذنب ادخل الجنة برحمتي وقال للاخر اتستطيع
ان تحظر على عبدي رحمتي فقال لا يا رب فقال اذهبوا به الى النار وقال ابو هريرة رضي الله عنه
والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة اوبقت دنياه واخرته قوله عز وجل ان الله يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم قوله تعالى يا عبادي قرا نافع وابن كثير وابن عامر وابن عاصم
يا عبادي بفتح اليا والباقون وعاصم في بعض الروايات بغير فتح وكلهم يقفون عليها باثبات
اليا لانها ثابتة في المصحف الا في بعض رواية ابي بكر عن عاصم انه يقف بغير يا قوله تعالى لا تقنطوا
قرا ابو عمرو والكسائي بكسر النون والباقون بفتحها وهما لغتان قال الزمخشري رحمه الله وفي قراة
ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما يغفر الذنوب جميعا لمن يشا قوله تعالى وانيبوا الى
ربكم قال الزمخشري اي توبوا اليه واسلموا له اي واخلصوا له العمل من قبل ان ياتيكم العذاب
ثم لا تنصرون واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم يعني القران والقران كله حسن والمعنى الاية
ما قال الحسن الزموا طاعته واجتنبوا معصيته فان في القران ذكر القبيح لتجتنبه وذكر الادون
لئلا ترغب فيه وذكر الاحسن لتوثره وقيل الاحسن الناسخ دون المنسوخ لقوله تعالى ما ننسخ
من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها ثم قال تعالى من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا
تشعرون وهذا تهديد وتخويف والمعنى يفاجيكم العذاب وانتم غافلون عنه واعلم انه تعالى لما
خوفهم بالعذاب بين انهم بتقدير نزول العذاب عليهم ماذا يقولون فحكى تعالى عليهم بثلاثة
انواع من الكلام فالاول قوله تعالى ان تقول مفعول من اجله فقدره الزمخشري كراهة ان يقول
وابن عطية ابينوا من اجل ان يقول وابو البقا والحوفي انذرناكم مخافة ان يقول ولا حاجة الى
اضمار هذا العامل مع وجود انيبوا وانما نكر نفسا لان المراد التكثير كقول الاعشى

> ورب بقيع لو هتفت بجوه ⁂ اتاني كريم ينفض الراس مغضبا

يريد اتاني كرام كثيرون لا كريم منزلنا فانه المعنى المقصود ويجوز ان يريد نفسا متميزة من
بين الانفس باللجاج الشديد في الكفر او بالعذاب العظيم قوله تعالى يا حسرتا العامة على الالف
بدلا من يا الاضافة وعن ابن كثير يا حسرتاه بالالف بها السكت وقفا وابو جعفر يا حسرتي على
الاصل وعنه ايضا يا حسرتاي بالالف واليا وفيها وجهان احدهما الجمع بين العوض والمعوض منه
والثاني انه تثنية حسرة مضافة ليا المتكلم واعترض على هذا بانه كان ينبغي ان يقال يا حسرتي
بادغام النصب في يا الاضافة واجيب بانه يجوز ان يكون راعى لغة الحرث بن كعب وغيرهم نحو
رايت الزيدان وقيل الالف بدل من اليا واليا بعدها مزيدة وقيل الالف مزيدة بين المتضايفين
وكلاهما ضعيف قوله تعالى على ما فرطت ما مصدرية اي على تفريطي وثم مضاف اي في جنب طاعة
الله وقيل في جنب الله المراد به الامر والجهة يقال هو في جنب فلان وجانبه اي جهته وناحيته
قال الناس جنب والامير جنب وقال اخر

> افي جنب بكر قطعتني ملامة ⁂ سليمى لقد كانت ملامتها ثنا

ثم اتسع فيه فقيل فرط في جنبه اي في حقه قال اما تتقين الله في جنب عاشق له كبد حرا عليك تقطع
فصل المعنى ان تقول نفس يا حسرتا يعني لان تقول نفس كقوله تعالى والقى في
الارض رواسي ان تميد بكم اي لئلا تميد بكم قال المبرد رحمه الله اي بادروا واحذروا ان تقول
نفس قال الزجاج خوفا ان تصيروا الى حال يقولون يا حسرتا يا ندامتا والتحسر الاغتمام على ما فات
واراد يا حسرتي على الاضافة لكن العرب تحول يا الكناية الفا في الاستغاثة فتقول يا ويلتا ويا ندامتا
وربما الحقوا بها اليا بعد الالف ليدل على الاضافة كقراة ابي جعفر المتقدمة وقيل معنى قوله
يا حسرتا اي يا ايتها الحسرة هذا وقتك على ما فرطت في جنب الله قال الحسن رضي الله عنه فرطت في طاعة

اسد وقال مجاهد رضي الله عنه قال الحسن رضي الله عنه فرطت في الجانب الذي يودي الى رضى
الله والعرب تسمي الجنب جانبا ثم قال وان كنت لمن الساخرين المستهزئين بدين الله سبحانه جل
ذكره قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر باهل طاعته ومحل وان كنت النصب على
الحال كانه قال فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي النوع الثاني من الكلمات التي حكاها
الله تعالى عنهم بعد نزول العذاب عليهم قوله تعالى او يقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين
النوع الثالث او يقول حين يرى العذاب عيانا لو ان لي كرة رجعة الى الدنيا فاكون من
المحسنين الموحدين فتحسروا اولا على التفريط في طاعة الله وثانيا عللوا بفقد الهداية وثالثا
تمنوا الرجعة قوله تعالى فاكون في نصبه وجهان احدهما عطفه على كرة فانها مصدر فعطف مصدر
مؤول على مصدر مصرح به كقولها • للبس عباءة وتقر عيني • احب الي من لبس الشفوف •
وقول الاخر • فما لك منها غير ذكرى وحسرة • وتسال عن ركبانها اين يمموا •
والثاني انه منصوب على جواب التمني المفهوم من قوله سبحانه لو ان لي كرة والفرق بين الوجهين
ان الاول يكون فيه الكون متمنى ويجوز ان تضمر وان تظهر والثاني يكون فيه الكون مترتبا
على حصول المتمنى لا متمنى ويجب ان تضمر ان قوله تعالى بلى حرف جواب وفيما وقعت جوابا
له وجهان احدهما هو نفي مقدر قال ابن عطية وحق بلى ان تجي بعد نفي عليه تقرير كان
النفس قالت لم يتسع لي النظر او لم يبين الامر قال ابو حيان ليس حقها النفي المقرر بل حقها النفي
ثم حمل التقرير عليه ولذلك اجاب بعض العرب النفي المقرر بنعم دون بلى وكذا وقع في عبارة
سيبويه نفسه والثاني ان التمني المذكور وجوابه متضمنان لنفي الهداية كانه قال لم اهتد
فرد الله عليه ذلك قال الزجاج بلى جواب النفي وليس في الكلام لفظ النفي الا انه حصل
فيه معنى النفي لان قوله لو ان الله هداني انه ما هداني فلاجرم حسن ذكر بلى بعده قال
الزمخشري رحمه الله فان قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو ان الله هداني
ولم يفصل بينهما قلت لانه لا يخلو اما ان يقدم على احدى القراين الثلاث فيفرق بينهن واما ان
تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القراين واما الثاني
فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعليل بفقد الهداية ثم
تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو انه حكى اقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم
اجاب من بينها عما اقتضى الجواب قوله تعالى جاءتك قرا العامة بفتح الكاف فكذبت واستكبرت
وكنت بفتح التا خطابا للكافر دون النفس وقرا الجحدري وابو حيوة وابن يعمر والشافعي
عن ابن كثير رضي الله عنهم وروتها ام سلمة عنه صلوات الله وسلامه عليه وبها قرا ابو
بكر وابنته عايشة رضوان الله عليهما بكسر الكاف والتا خطابا للنفس والحسن والاعرج والاعمش
جاءتك بوزن جعتك بهمزة دون الف فتحتمل ان تكون قصر كقراة قنبل ان راه استغنى وان
تكون في الكلمة قلب بان قدمت اللام على العين فالتقى ساكنان فحذفت الالف لالتقايهما نحو
رمت وغزت ومعنى الاية يقال لهذا القايل بلى قد جاءتك اياتي يعني القران فكذبت بها وقلت
ليست من الله واستكبرت اي تكبرت عن الايمان بها وكنت من الكافرين قوله تعالى ويوم
القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة العامة على رفع وجوههم مسودة وهي
جملة من مبتدا وخبر وفي محلها وجهان احدهما النصب على الحال من الموصول لان الروية
بصرية وكذا اعربها الزمخشري ومن مذهبه انه لا يجوز اسقاط الواو من مثلها الا شاذا
تابعا في ذلك الفرا فهذا رجوع منه عن ذلك والثاني انها في محل نصب مفعولا ثانيا لان
الروية قلبية وهو بعيد لان تعلق الروية بالاجسام والوانها اظهر من تعلق القلبية
بها وقري وجوههم مسودة بنصبهما على ان وجوههم بدل بعض من كل ومسودة على ما تقدم
من النصب على الحال او على المفعول الثاني وقال ابو البقا ولو قري وجوههم بالنصب
لكان على بدل الاشتمال قال شهاب الدين قد قري به والحمد لله ولكن ليس كما قال على
بدل الاشتمال بل على بدل البعض وكانه سبق لسان او طغيان قلم وقرا ابي اجوههم بقلب
الواو همزة وهو فصيح نحو اقتت وبابه وقوله عز وجل اليس في جهنم مثوى للمتكبرين
عن الايمان قوله سبحانه وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم قرا الاخوان وابو بكر بمفازاتهم

جمعا

جمعا لما اختلفت انواع المصدر جمع كقوله تعالى وتظنون بالله الظنونا ولان لكل متقي نوعا اخر
من المفازة والباقون بالافراد على الاصل وقيل ثم مضاف محذوف اي بدواعي مفازتهم او باسبابها
والمفازة المنجاه وقيل لا حاجة لذلك اذ المراد بالمفازة الفلاح قال البغوي رحمه الله لان المفازة
بمعنى الفوز اي ينجيهم بفوزهم من النار باعمالهم الحسنة وقال المبرد المفازة مفعلة من الفوز والجمع
حسن كالسعادة والسعادات قوله تعالى لا يمسهم السوء يجوز ان تكون هذه الجملة مفسرة لمفازتهم
كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء فلا محل لها ويجوز ان تكون في محل نصب على الحال من
الذين اتقوا ومعنى الكلام لا يصيبهم مكروه ولا هم يحزنون قوله تعالى الله خالق كل شي الاية
تقدم الكلام على هذه الاية في الانعام وانها تدل على ان اعمال العباد مخلوقة لله تعالى وقال
الكعبي هنا ان الله سبحانه وتعالى مدح نفسه بقوله الله خالق كل شي وليس من المدح ان يخلق
الكفر والقبايح فلا يصح احتجاج المخالف به وايضا فلفظة كل قد لا توجب العموم لقوله تعالى
واوتيت من كل شي يريد كل شي يحتاج الملك اليه وايضا لو كانت اعمال العباد من خلق الله تعالى
لما اضافها اليهم بقوله تعالى كفارا حسدا من عند انفسهم ولما صح قوله سبحانه وتعالى ويقولون
هو من عند الله وما هو من عند الله وقال الجبائي الله خالق كل شي سوى افعال خلقه التي صح
فيها الامر والنهي واستحقوا بها الثواب والعقاب ولو كانت افعالهم خلقا لله لما جاز ذلك فيه كما
لا يجوز في الوانهم وصورهم وقال ابو مسلم رحمه الله الخلق هو التقدير لا الايجاد فاذا اخبر الله
انهم يفعلون الفعل الفلاني فقد قدر ذلك الفعل فصح ان يقال انه تعالى خلقه وان لم يكن
موجدا له والجواب عن هذه الوجوه تقدم في سورة الانعام واما قوله سبحانه وتعالى وهو على
كل شي وكيل اي الاشيا كلها موكولة اليه فهو القايم بحفظها وتدبيرها من غير مشارك وهذا ايضا
يدل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لان فعل العبد لو وقع بخلق العبد لكان ذلك الفعل غير
موكول الى الله تعالى فلم يكن الله وكيلا عليه وذلك ينافي عموم الاية قوله تعالى له مقاليد
السموات والارض له مقاليد جملة مستانفة والمقاليد جمع مقلاد او مقليد ولا واحد له من
لفظه كاساطير واخواته ويقال ايضا اقليد واقاليد وهي المفاتيح والكلمة فارسية معربة
وفي هذا الكلام استعارة بديعة نحو قولك بيد فلان مفتاح هذا الامر وليس ثم مفتاح وانما
هو عبارة عن شدة تمكنه من ذلك الشي قال الزمخشري قيل سال عثمان رضي الله عنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله سبحانه وتعالى له مقاليد السموات والارض فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا عثمان ما سالني عنها احد غيرك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر
وسبحان الله وبحمده استغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن
بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شي قدير وقال قتادة ومقاتل رحمهما الله مفاتيح السموات
والارض بالرزق والرحمة وقال الكلبي خزاين المطر والنبات قوله تعالى والذين كفروا
بايات الله اولئك هم الخاسرون وهذا يقتضي انه لا خاسر الا الكافر وان من لم يكن كافرا فانه
لا بد وان يحصل له حظ من رحمة الله تعالى قال الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله
والذين كفروا بايات الله قلت بقوله تعالى له مقاليد السموات والارض قلت انه اتصل بقوله
عز وجل وينجي الله الذين اتقوا اي ينجي الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون
واعترض ما بينهما انه خالق الاشيا كلها وانه له مقاليد السموات والارض قال ابن الخطيب
وهذا عندي ضعيف من وجهين الاول ان وقوع الفاصل الكبير بين المعطوف والمعطوف
عليه بعيد الثاني ان قوله تعالى وينجي الله الذين اتقوا جملة فعلية وقوله تعالى والذين
كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون جملة اسمية وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية لا يجوز
قال شهاب الدين وهذا الاعتراض معترض اذ لا مانع من ذلك ثم قال ابن الخطيب بل الاقرب
عندي ان يقال انه لما وصف الله تعالى بصفات الالهية والجلال وهو كونه خالقا للاشيا
كلها وكونه مالكا لمقاليد السموات والارض باسرها قال بعده والذين كفروا بهذه الايات
الظاهرة الباهرة هم الخاسرون قوله تعالى قل افغير الله تامروني اعبد فيه ثلاثة اوجه
اظهرها ان غير منصوب باعبد واعبد معمول لتامروني على اضمار ان المصدرية فلما حذفت
بطل عملها وهو احد الوجهين والاصل افتامروني بان اعبد غير الله ثم قدم مفعول اعبد على

تامروني العامل في عامله وقد ضعف بعضهم هذا بأنه يلزم منه تقديم معمول الصلة على الموصول
وذلك أن غير منصوب بأعبد وأعبد صلة لأن وهو لا يجوز وهذا الرد ليس بشيء لأن الموصول لما
حذف لم يراع حكمه فيما ذكر بل إنما يراعى لتصحيح الكلام قال أبو البقاء رحمه الله لو حكمنا بذلك لأفضى
إلى حذف الموصول وإبقاء صلته وذلك لا يجوز إلا في ضرورة شعر وهذا الذي ذكره فيه نظر من
حيث إن هذا مختص بأن دون سائر الموصولات وهو أنها تحذف وتبقى صلتها وهو منقاس
عند البصريين في مواضع تحذف ويبقى عملها وفي غيرها إذا حذفت لا يبقى عملها إلا في ضرورة
أو قليل وينشد بالوجهين • ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى • وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي •
ويدل على إرادة أن في الأصل قراءة بعضهم أعبد بنصب الفعل اعتدادا بأن الثاني أن غير منصوب
بتامروني وأعبد بدل منه بدل اشتمال وأن مضمرة معه أيضا والتقدير أفغير الله تامروني
عبادته والمعنى أتامروني بعبادة غير الله الثالث أنها منصوبة بفعل مقدر تقديره أفتلزموني
غير الله أي عبادة غير الله وقدره الزمخشري تعبدونني وتقولون لي أعبده والأصل تامرونني
أن أعبد فحذف أن ورفع الفعل ألا ترى أنك تقول أفغير الله تقولون لي أعبده وأفغير الله
تقولون لي أعبد فكذلك أفغير الله تقولون لي أعبده وأفغير الله تامروني أن أعبد والدليل
على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ أعبد بالنصب وأما أعبد ففيه ثلاثة أوجه أحدها أنه مع
أن المضمرة في محل نصب على البدل من غير وقد تقدم الثاني أنه في محل نصب على الحال الثالث
أنه لا محل له ألبتة قوله تعالى تامروني قرأ الجمهور تامروني بإدغام نون الرفع في نون الوقاية
وفتح الياء ابن كثير وأرسلها الباقون وقرأ نافع تامروني بنون خفيفة وفتح الياء وابن عامر
تامرونني بالفك وسكون الياء وقد تقدم في سورة الأنعام والحجر وغيرهما أنه متى اجتمع نون
الرفع مع نون الوقاية جاز فيه ثلاثة أوجه وتقدم تحقيق الخلاف في أنها المحذوفة قال
مقاتل وذلك حين قال له المشركون دع دينك واتبع دين آبائك وتؤمن بآلهتنا ونظير
هذه الآية قل أغير الله أتخذ وليا وتقدم في تلك الآية وجه الحكمة في تقديم المفعول ووصفهم
بالجهل لأنه تقدم وصف الإله بكونه خالقا للأشياء كلها وبكونه له مقاليد السموات والأرض
وكون هذه الأصنام جمادات لا تضر ولا تنفع ظاهر فمن أعرض عن عبادة الإله الموصوف بتلك
الصفات المقدسة الشريفة واشتغل بعبادة هذه الأصنام الخسيسة فقد بلغ في الجهل مبلغا لا مزيد
عليه فلهذا قال أيها الجاهلون **قوله** تعالى ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت
ليحبطن عملك الذي عملت قبل الشرك واعلم أن الظاهر أن قوله تعالى لئن أشركت هذه الجملة
هي القائمة مقام الفاعل لأنها هي الموحاة وأصول البصريين تأبى ذلك ويقدرون القائم مقامه
ضمير المصدر لأن الجملة لا تكون فاعلا عندهم والقائم هنا مقام الفاعل الجار والمجرور وهو
إليك وقرئ ليحبطن بضم الياء وكسر الباء أي الله ولنحبطن بنون العظمة وليحبطن على البناء
للمفعول وعملك مفعول به على القراءتين الأوليين ومرفوع على الثالثة لقيامه مقام الفاعل
قال ابن الخطيب واللام الأولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب فإن قيل كيف
أوحي إليه وإلى من قبله حال شركه على التعيين فالجواب تقدير الآية أوحي إليك لئن أشركت
ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك مثله أي أوحي إليك وإلى كل واحد منهم لئن أشركت كما تقول
كسانا حلة أي كل واحد منا فإن قيل كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى أن رسله
لا يشركون ولا تحبط أعمالهم فالجواب أن قوله لئن أشركت ليحبطن عملك قضية شرطية والقضية
الشرطية لا يلزم من صدقها صدق جزأيها ألا ترى أن قولك لو كانت الخمسة زوجا لكانت منقسمة
بمتساويين قضية صادقة مع أن كل واحد من جزأيها غير صادق قال تعالى لو كان فيهما آلهة
إلا الله لفسدتا ولم يلزم من هذا صدق بأن فيهما آلهة وأنهما قد فسدتا قال المفسرون هذا خطاب
مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد منه غيره وقيل هذا أدب من الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم وتهديد لغيره لأن الله عز وجل عصمه من الشرك وقوله جل ذكره ولتكونن من الخاسرين
قال ابن الخطيب كما أن طاعات الأنبياء والرسل أفضل من طاعات غيرهم فكذلك القبائح التي تصدر
عنهم فإنها بتقدير الصدور أقبح لقوله تعالى إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات فكان
المعنى أن الشرك الحاصل منه بتقدير حصوله يكون تأثيره في غضب الله تعالى أقوى وأعظم قوله

تعالى

تعالى بل الله فاعبد الجلالة منصوبة بأعبد وتقدم الكلام في مثل هذه الفاء في البقرة وجعله
الزمخشري جواب شرط مقدر أي إن كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول
عوضا منه ورد أبو حيان عليه بأنه يجوز أن يجيء زيدا فعمرا اضرب فلو كان التقديم عوضا لجمع
بين العوض والمعوض منه وقرأ عيسى بل الله رفعا على الابتداء والعائد أي فاعبده **فصل** لما
قال تعالى قل أفغير الله تامروني أعبد بعد أنهم أمروه بعبادة غير الله فقال الله تعالى له لا تعبد
إلا الله فإن قوله بل الله فاعبد يفيد الحصر وكن من الشاكرين لإنعامه عليك بالهداية قوله
تعالى وما قدروا الله حق قدره قرأ الحسن وأبو حيوة وعيسى قدروا بتشديد الدال حق قدره
بفتح الدال واتفقوا الأعمش على فتح الدال من قدره والمعنى وما عظموه حق عظمته حين أشركوا به
غيره قوله تعالى والأرض جميعا قبضته مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال أي ما عظموه حق تعظيمه
والحال أنه موصوف بهذه القدرة الباهرة لقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم
أي كيف تكفرون بمن هذا وصفه وحال ملكه كذا وجميعا حال وهي دالة على أن المراد بالأرض
الأرضون فإن هذا التأكيد لا يحسن إدخاله إلا على الجمع قال ابن الخطيب ونظيره قوله تعالى كل
الطعام وقوله أو الطفل الذين لم يظهروا وقوله تعالى إن الإنسان لفي خسر ولأن الموضع موضع تفخيم
والعطف لجمع عليها والعامل في هذه الحال ما دل عليه قبضته ولا يجوز أن يعمل فيها قبضته سواء جعلته
مصدرا لأن المصدر لا يتقدم عليه معموله أم مرادا به المقدار قال الزمخشري رحمه الله ومع القصد
إلى الجمع يعني في الأرض وأنه أريد به الجمع وتأكيده بالجمع أتبع الجمع مؤكده قبل مجيء الخبر ليعلم أول
الأمر أن الخبر الذي يرد لا يقع عن أرض واحدة ولكن عن الأرضين كلها وقال أبو البقاء وجميعا
حال من الأرض والتقدير إذا كانت مجتمعة قبضته أي مقبوضة فالعامل في إذا المصدر لأنه
بمعنى المفعول وقال أبو علي في الحجة التقدير ذات قبضته وقد رد عليه ذلك بأن المضاف إليه
لا يعمل فيما قبله وهذا لا يصح لأنه الآن غير مضاف إليه وبعد حذف المضاف لا يبقى حكمه انتهى وهو
كلام فيه إشكال إذ لا حاجة إلى تقدير العامل في إذا التي لم يلفظ بها وقوله قبضته إن قدرنا مضافا
كما قال الفارسي أي ذات قبضته لم يكن فيه وقوع المصدر موقع مفعول وإن لم يقدر ذلك احتمل
أن يكون المصدر واقعا موقعه وحينئذ يقال كيف أنث المصدر الواقع موقع مفعول وهو غير
جائز لا يقال حلة نسجة اليمن بل نسج اليمن أي منسوجته والجواب أن الممتنع دخول التاء الدالة
على التحديد وهذه لمجرد التأنيث كذا أجيب وليس بذاك فإن المعنى على التحديد لأنه أبلغ في
القدرة واحتمل أن يكون أريد بالمصدر مقدار ذلك والقبضة بالفتح المرة وبالضم اسم المقبوض
كالغرفة والغرفة قال تعالى فقبضت قبضة من أثر الرسول والعامة على رفع قبضته والحسن
بنصبها وخرجها ابن خالويه وجماعة على النصب على الظرف أي في قبضته ورد هذا بأنه ظرف
مختص فلا بد من وجود في وهذا هو رأي البصريين وأما الكوفيون فهو جائز عندهم إذ يجيزون
زيد دارك بالنصب أي في دارك وقال الزمخشري جعلها ظرفا تشبيها للموقت بالمبهم فوافق الكوفيين
قوله تعالى والسموات مطويات العامة على رفع مطويات خبرا وبيمينه فيه أوجه أحدها أنه
متعلق بمطويات الثاني أنه حال من الضمير في مطويات الثالث أنه خبر ثان وعيسى والجحدري بنصبها
حالا واستدل بها الأخفش على جواز تقديم الحال إذا كان العامل فيها حرف جر نحو زيد قائما في الدار
وهذه لا حجة فيها له لإمكان تخريجها على وجهين أظهرهما أن تكون السموات نسقا على الأرض وتكون
قد أخبر عن الأرضين والسموات بأن الجميع قبضته وتكون مطويات حالا من السموات كما أن جميعا
حالا من الأرض وبيمينه متعلق بمطويات والثاني أن يكون مطويات منصوبا بفعل مقدر وبيمينه
الخبر ومطويات وعامله جملة معترضة وهو ضعيف **فصل** لما حكى عن المشركين أنهم أمروا
الرسول صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه بعبادة الأصنام ثم إنه تعالى أقام الدلائل على فساد
قولهم وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يعبد الله ولا يعبد سواه بين أنهم لو عرفوا الله حق معرفته
لما جعلوا هذه الأشياء الخسيسة مشاركة له في المعبودية فقال جل ذكره وما قدروا الله حق قدره
أي ما عظموا الله حق عظمته ولما بين أنهم ما عظموه تعظيما لائقا به أردفه بما يدل على كمال عظمته
فقال جل ذكره والأرض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه روى البخاري رحمه
الله أن حبرا من الأحبار أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إنا نجد أن الله تعالى يجعل السموات

عا اصبع والارضين على اصبع والشجر على اصبع والما والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع
ثم يقول انا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم
قرا وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة وروى مسلم رحمه الله قال والجبال
والشجر على اصبع وقال ثم يهزهن فيقول انا الملك انا الله وروى مسلم عن ابن ابي شيبة باسناده
عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوي الله السموات يوم القيمة
ثم ياخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ولما بين سبحانه وتعالى
عظمته قال سبحانه وتعالى عما يشركون **فصل** قال ابن الخطيب وههنا سؤالات
الاول ان العرش اعظم من السموات السبع والارضين السبع ثم انه تعالى قال في وصف العرش ويحمل
عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فاذا وصف الملائكة بكونهم حاملين العرش العظيم فكيف يجوز
تقرير عظمة الله عز وجل بكونه حاملا للسموات والارض السؤال الثاني قوله تعالى والارض جميعا
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه شرح حال لا يحصل الا في القيمة والقوم ما شاهدوا
ذلك فان كان الخطاب مع المصدقين للانبيا صلوات الله عليهم فهم معترفون بانه لا يجوز القول
بجعل الاصنام شركا لله فلا فائدة في ايراد هذه الحجة عليهم وان كان الخطاب مع المكذبين بالنبوة
فهم ينكرون قوله والارض جميعا قبضته يوم القيمة فكيف يمكن الاستدلال به على ابطال
القول بالشرك السؤال الثالث حاصل القول بالقبضة واليمين هو القدرة الكاملة الوافية
بحفظ هذه الاجسام العظيمة فكما ان حفظها وامساكها يوم القيمة ليس الا بقدرة الله سبحانه وتعالى
فكذلك الان فما الفائدة في تخصيص هذه الاحوال بيوم القيمة والجواب عن الاول ان مراتب
التعظيم كثيرة فاولها تقرير عظمة الله بكونه قادرا على حفظ هذه الاجسام العظيمة كما ان حفظها
وامساكها يوم القيمة عظيم ثم بعده تقرير عظمته بكونه قادرا على امساك اولئك الملائكة الذين يحملون
العرش والجواب عن الثاني ان المقصود منه ان المتولي لابقاء السموات والارضين من وجوه العمارة
في هذا الوقت هو المتولي لتخريبها وافنائها يوم القيمة وذلك يدل على حصول قدرة تامة على
الايجاد والاعدام ويدل ايضا على كونه قادرا غنيا على الاطلاق فانه يدل على انه اذا حاول تخريب
الارض فكانه يقبض قبضة صغيرة وذلك يدل على كمال الاستغنا والجواب عن الثالث انه انما
خصص تلك الحالة بيوم القيمة ليدل على انه كما ظهر كمال قدرته في الايجاد عند عمارة الدنيا
يظهر كمال قدرته في الاعدام عند خراب الدنيا والله تعالى اعلم بالصواب قوله تعالى ونفخ في
الصور العامة على سكون الواو وزيد بن علي وقتادة بفتحها جمع صورة وهذه ترد قول ابن
عطية ان الصور هنا يتعين ان يكون القرن ولا يجوز ان يكون جمع صورة وقرئ فصعق مبنيا للمفعول
وهو ماخوذ من قولهم صعقتهم الصاعقة يقال صعقه الله فصعق قوله تعالى الا من شاء الله
متصل والمستثنى اما جبريل وميكائيل واسرافيل واما رضوان والحور والزبانية واما الباري تعالى
قاله الحسن وفيه نظر من حيث قوله من في السموات ومن في الارض فانه لا يصح وعلى هذا يتعين
ان يكون منقطعا قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى يجوز ان يكون اخرى هي القائمة مقام الفاعل
وهي في الاصل صفة لمصدر محذوف اي نفخ فيه نفخة اخرى ويؤيده التصريح بذلك في قوله تعالى
فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة فصرح باقامة المصدر ويجوز ان يكون القائم مقامه الجار
واخرى منصوبة على ما تقدم قوله تعالى فاذا هم قيام العامة على رفع قيام خبرا وزيد بن
علي نصبه حالا وفيه حينئذ اوجه احدها ان الخبر ينظرون وهو العامل في هذه الحال اي فاذا هم
ينظرون قياما والثاني ان العامل في الحال ما عمل في اذا المفاجاة اذا كانت ظرفا فان كانت
مكانية كما قال سيبويه فالتقدير فبالحضرة هم قياما وان كانت زمانية كقول الرياشي فتقديره
ففي ذلك الزمان هم قياما اي وجودهم وانما احتيج الى تقدير مضاف في هذا الوجه لانه لا يخبر
بالزمان عن الجثث الثالث ان الخبر محذوف هو العامل في الحال اي فاذا هم مبعوثون او مجموعون
قياما واذا جعلنا المفاجاة حرفا كقول بعضهم فالعامل في الحال اما ينظرون واما الخبر المقدر
كما تقدم تحقيقه **فصل** لما ذكر كمال قدرته وعظمته بما سبق ذكره اردفه بذكر طرف من
احوال القيامة على كمال عظمته وهو شرح مقدمات يوم القيمة لان نفخ الصور يكون قبل ذلك
اليوم فقال تعالى ونفخ في الصور الاية اختلفوا في الصعقة فقيل انها غير الموت لقوله تعالى

في موسى صلوات الله عليه وخر موسى صعقا وهو لم يمت فهذه النفخة تورث الفزع الشديد وعلى هذا
فالمراد من نفخ الصعقة ومن نفخ الفزع واحد وهو المذكور في سورة النمل في قوله تعالى ونفخ في
الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وعلى هذا القول نفخ في الصور ليس
الا مرتين وقيل الصعقة عبارة عن الموت والقايلون بهذا قالوا المراد بالفزع اي كادوا يموتون
من الفزع وشدة الصوت وعلى هذا التقدير فالنفخة تحصل ثلاث مرات اولها نفخة الفزع وهي
المذكورة في سورة النمل والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام وهما مذكورتان في هذه
السورة وقوله الا من شاء الله قال ابن عباس نفخة الصعق يموت من في السموات ومن في الارض
الا جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يميت الله تعالى ميكائيل واسرافيل ويبقى جبريل وملك
الموت ثم يميت جبريل ثم يميت ملك الموت صلوات الله عليهم وقيل المستثنى هم الشهداء لقوله تعالى بل
احياء عند ربهم يرزقون وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الشهداء
مقلدون اسيافهم حول العرش وقال جابر هو موسى صلوات الله عليه لانه صعق ولا يصعق ثانيا
وقيل هم الحور العين وسكان العرش وقال قتادة الله اعلم بهم وليس في القران والاخبار ما يدل
على انهم من هم قال عز وجل ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وهذا يدل على ان هذه النفخة
متاخرة عن النفخة الاولى لان لفظة ثم للتراخي وروى ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون
سنة قال ابيت قال ثم ينزل الله تعالى من السما ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الانسان شي الا
يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيمة وقوله عز وجل فاذا هم قيام ينظرون
يعني انهم قيام من القبور يحصل عقيب هذه النفخة الاخيرة في الحال من غير تراخ لان الفا في قوله
تعالى فاذا هم يدل على التعقيب وقوله ينظرون اي يقلبون ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا
فاجاه خطب عظيم وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في
مكان لاجل استيلاء الحيرة والدهشة عليهم قوله تعالى واشرقت الارض العامة على بنائه للفاعل
وابن عباس وابو الجوزا وعبيد بن عمير على بنائه للمفعول وهو منقول بالهمزة من شرقت اذا طلعت
وليس من اشرقت بمعنى اضاءت لان ذلك لازم وجعله ابن عطية مثل رجع ورجعته ووقف ووقفته
يعني تكون اشرق لازما ومتعديا **فصل** هذه الارض عرصة القيمة وليست بارضنا الان لقوله
تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وقوله بنور ربها اي خالقها حين الرب لفصل القضا بين خلقه
وقال الحسن والسدي بنور ربها اي بعدل ربها قال صلوات الله وسلامه عليه انكم سترون ربكم
وقال كلا لا تضارون في الشمس في اليوم الصحو وقوله ووضع الكتاب اي كتاب الاعمال لقوله عز وجل
وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وقوله جل وعز
ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ وقوله
تعالى وجيء بالنبيين والشهداء قال ابن عباس رضي الله عنه يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ
الرسالة وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال عطا ومقاتل يعني الحفظة لقوله تعالى وجاءت
كل نفس معها سائق وشهيد وقيل اراد بالشهدا المستشهدون في سبيل الله ثم قال وقضي بينهم
بالحق اي بالعدل وهم لا يظلمون اي لا يزادون في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم ووفيت كل نفس
ما عملت اي ثواب ما عملت واعلم انه تعالى لما بين انه يوصل الى كل احد حقه عبر عن هذا المعنى
باربع عبارات اولها قوله تعالى وقضي بينهم بالحق وثانيها قوله تعالى وهم لا يظلمون وثالثها
قوله تعالى ووفيت كل نفس ما عملت اي جزاء ما عملت ورابعها قوله تعالى وهو اعلم بما يفعلون
يعني انه اذا لم يكن عالما بكيفيات احوالهم فلعله لا يقضي بالحق لاجل عدم العلم اما اذا كان عالما
بمقادير افعالهم وبكيفياتها امتنع دخول الخطا عليه والمقصود من الاية المبالغة في تقرير ان كل
مكلف فانه يصل الى حقه قال عطا يريد اني عالم بافعالهم لا احتاج الى كاتب ولا شاهد قوله
تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا لما شرح احوال اهل القيمة على سبيل الاجمال وقال ووفيت
كل نفس ما عملت بين بعده كيفية احوال العقاب ثم كيفية احوال الثواب فاما شرح احوال
العقاب فهو هذه الاية وهذا السوق يكون بالعنف والدفع بدليل قوله تعالى يوم يدعون الى
نار جهنم دعا اي يدفعون دفعا وقوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا قوله تعالى زمرا جماعات وزمر

جمع زمرة وهي الجماعات في تفرقة بعضها في اثر بعض وتزمروا تجمعوا قال حتى احزالت زمر بعد
زمر هذا قول ابي عبيدة والاخفش وقال الراغب رحمه الله الزمر الجماعة القليلة ومنه شاة
زمرة اي قليلة الشعر ورجل زمر اي قليل المروة وزمرت النعامة تزمر زمارا ومنه اشتق الزمر
والزمارة كناية عن الفاجرة قوله تعالى حتى اذا تقدم الكلام في حتى الداخلة على اذا مرارا وجواب اذا قوله
قوله فتحت وتقدم خلاف القراء في التشديد والتخفيف في سورة الانعام قوله تعالى وقال لهم خزنتها
الم ياتكم قرا ابن هرمز الم تاتكم بتا التانيث لتانيث الجمع ومنكم صفة لرسل او متعلق بالاتيان ويتلون
صفة اخرى وخالدين في الموضعين حال مقدرة

فصل

بين تعالى انهم يساقون الى جهنم
فاذا جاوها فتحت ابوابها وهذا يدل على ان ابواب جهنم تكون مغلقة قبل ذلك وانما تفتح عند
وصول الكفار اليها فاذا دخلوا جهنم قالوا لهم خزنة جهنم الم ياتكم رسل منكم اي من جنسكم يتلون عليكم
ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا فان قيل لم اضيف اليوم اليهم فالجواب اراد لقا وقتكم هذا وهو
وقت دخولهم النار لا يوم القيمة واستعمال لفظ اليوم والايام في اوقات الشدة مستفيض فعند
هذا يقول الكفار بلى اتونا وتلوا علينا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين اي وجبت كلمة العذاب
وهي قوله عز وجل لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهذا صريح في ان السعيد لا ينقلب شقيا
والشقي لا ينقلب سعيدا ودلت الاية على انه لا وجوب قبل مجي الشرع لان الملايكة بينوا انهم ما بقي
لهم عذر ولا علة بعد مجي الانبيا صلوات الله عليهم ولو لم يكن مجي الانبيا شرطا في استحقاق
العذاب لما بقي في هذا الكلام فايدة ثم ان الملايكة اذا سمعوا منهم هذا الكلام قالوا لهم ادخلوا
ابواب جهنم خالدين فيها فبيس مثوى المتكبرين قالت المعتزلة لو كان دخولهم النار لاجل انهم
حقت عليهم كلمة العذاب لم يبق لقول الملايكة فبيس مثوى المتكبرين فايدة واجيبوا بان هذا
الكلام انما يبقى مفيدا اذا قلنا انهم انما دخلوا النار لانهم تكبروا على الانبيا ولم يقبلوا قولهم ولم
يلتفتوا الى دلايلهم وذلك يدل على صحة قولنا والله اعلم قوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم
الى الجنة زمرا فان قيل السوق في اهل النار معقول لانهم لما امروا بالذهاب الى موضع العذاب لابد
وان يساقوا اليه واما اهل الثواب فاذا امروا بالذهاب الى موضع السعادة والراحة فاي حاجة الى
السوق فالجواب من وجوه الاول ان المحبة والصداقة باقية بين المتقين يوم القيمة كما قال تعالى
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فاذا قيل لواحد منهم اذهب الى الجنة فيقول لا ادخلها
الا مع احبابي واصدقاي فيتاخرون لهذا السبب فحينئذ يحتاجون الى السوق الى الجنة الى الجنة
والثاني ان المتقين قد عبدوا الله لا للجنة ولا للنار فيصير شدة استغراقهم في مشاهدة مواقف
الجلال مانعا لهم من الرغبة في الجنة فلا جرم يحتاجون الى ان يساقون الى الجنة والثالث ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال اكثر اهل الجنة البله وعليون للابرار فلهذا السبب يساقون
الى الجنة الرابع ان اهل النار واهل الجنة يساقون الا ان المراد اهل النار طردهم اليها بالهوان
والعنف كما يفعل بالاسير الذي يساق الى الحبس والقتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم
لانه لا يذهب بهم الا راكبين والمراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم
من الوافدين الى الملوك فشتان ما بين السوقين قوله تعالى وفتحت في جواب اذا ثلثة اوجه
احدها قوله تعالى وفتحت والواو زايدة وهو راي الكوفيين والاخفش وانما جي هنا بالواو
دون التي قبلها لان ابواب السجون مغلقة الى ان يجيها صاحب الجريمة فتفتح له ثم تغلق عليه
فناسب ذلك عدم الواو فيها بخلاف ابواب السرور والفرح فانها انتظار لمن يدخلها فعلى هذا
ابواب جهنم تكون مغلقة لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها فاما ابواب الجنة ففتحها يكون متقدما
على دخولهم اليها كما قال تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جي بالواو فكانه قيل حتى
اذا جاوها وقد فتحت ابوابها والثاني ان الجواب قوله وقال لهم خزنتها على زيادة الواو ايضا
اي حتى اذا جاوها قال لهم خزنتها الثالث ان الجواب محذوف قال الزمخشري وحقه ان يقدر
بعد خالدين انتهى يعني لانه يجي بعد متعلقات الشرط وما عطف عليه والتقدير اطمانوا
وقدره المبرد سعدوا وعلى هذين الوجهين فتكون الجملة من قوله وفتحت في محل نصب على
الحال قال البغوي وقال الزجاج القول عندي ان الجواب محذوف تقديره حتى اذا جاوها
وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ادخلوها فحذف ادخلوها

لدلالة الكلام عليه وسمى بعضهم الواو في قوله وفتحت واو الثمانية قال لان ابواب الجنة ثمانية
ولذا قالوا في قوله وثامنهم كلبهم وقيل تقديره حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها يعني ان الجواب
بلفظ الشرط ولكنه بزيادة تقييده بالحال فلذلك صح قوله تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم
طبتم فادخلوها خالدين يريد ان خزنة الجنة يسلمون عليهم ويقولون طبتم قال ابن عباس طاب
لكم المقام وقال قتادة انهم اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من
بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا ادخلوا الجنة فيقول لهم رضوان واصحابه سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين وروي عن علي رضي الله عنه قال سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة
يخرج من تحت ساقها عينان فيغتسل المومن من احدهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه
وتتلقاهم الملايكة على ابواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين فعند ذلك يقول
المتقون الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض اي ارض الجنة وهو قوله تعالى ولقد كتبنا
في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون قوله تعالى يتبوا جملة حالية وحيث
مفعول به ويجوز ان يكون ظرفا على بابها وهو الظاهر قال ابن الخطيب انما عبر عن ارض الجنة
بالارض لوجوه الاول ان الجنة كانت في اول الامر لادم صلوات الله عليه لانه تعالى قال فكلا منها رغدا
حيث شيتما فلما عادت الجنة الى اولاد ادم كانت ذلك سببا للارث الثاني ان هذا اللفظ ماخوذ من قول
القايل هذا القول اورث كذا وهذا العمل اورث كذا فلما كانت طاعاتهم قد افادتهم الجنة لا جرم قالوا
واورثنا الارض والمعنى ان الله تعالى اورثنا الجنة بان وفقنا للاتيان باعمال اورثت الجنة الثالث
ان الوارث يتصرف فيما يرثه كيف يشا من غير منازع وكذلك المومنون المتقون يتصرفون في الجنة
حيث شاوا واوادوا فان قيل هل يتبوا احدهم مكان غيره فالجواب يكون لكل واحد منهم جنة لا يحتاج
معها الى جنة غيره ثم قال عز وجل فنعم اجر العاملين اي ثواب المطيعين قال مقاتل هذا ليس من
كلام اهل الجنة بل الله تعالى لما حكى ما جرى بين الملايكة وبين المتقين من صفة ثواب اهل الجنة
قال بعده فنعم اجر العاملين قوله تعالى وترى الملايكة حافين من حول العرش حافين جمع
حاف وهو المحدق بالشي من حففت بالشي اذا احطت به قال •

• يحف جانبا نيقي ويتبعه • مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد •

وهو ماخوذ من الحفاف وهو الجانب قال الشاعر •

• له لحظات عن حفافي سريره • اذا كرها فيها عقاب ونايل •

وقال الفرا وتبعه الزمخشري لا واحد لحافين وكانهما رايا ان الواحد لا يكون حافا اذ الحفوف هو الاحداق
بالشي والاحاطة به وهذا لا يتحقق الا في جمع

فصل

لما ذكر صفة ثواب البشر ذكر عقيبه ثواب
الملايكة فكما ان ثواب المتقين هو الجنة فلذلك دار ثواب الملايكة جوانب العرش فقال عز وجل حافين
من حول العرش اي محدقين محيطين بالعرش يحفون بجوانبه فقال الليث رحمه الله حف القوم
بسيدهم يحفون حفا اذا طافوا به قوله تعالى من حوله فيه وجهان احدهما وهو قول الاخفش انها مزيدة
والثاني انها للابتدا وقوله جل ذكره يسبحون بحمد ربهم يسبحون حال من الضمير في حافين قيل هذا التسبيح
تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف يزول في ذلك اليوم وهذا يشعر بان ثوابهم هو عين ذلك التسبيح
قوله عز وجل وقضي بينهم هذا الضمير اما للملايكة واما للعباد وقيل قضي بين اهل الجنة والنار بالعدل
وقيل الحمد لله رب العالمين وقيل ان الملايكة صلوات الله عليهم لما قضي بينهم بالحق قالوا الحمد
لله رب العالمين على قضايه بيننا بالحق روي ابو امامة عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم من قرا سورة الزمر لم يقطع رجاه
واعطاه ثواب الخايفين وعن عايشة رضي الله عنها وعن ابيها وعن الصحابة اجمعين قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما يقرا كل ليلة بني اسرايل والزمر رواها الثعلبي في تفسيره والله اعلم

سورة المومن مكية

وهي خمس وثمانون اية والف ومائة وتسع وتسعون كلمة واربعة الاف وستماية وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى حم كقوله الم وبابه وقرا الاخوان وابوبكر وابن ذكوان باماله حا في السور
السبع اماله محضة وورش وابو عمرو بالامالة بين بين والباقون بالفتح والعامة على سكون
الميم كسائر الحروف المقطعة وقرا الزهري برفع الميم على انها خبر مبتدا مضمر او مبتدا والخبر
ما بعدها وابن اسحاق وعيسى بفتحها وهي تحتمل وجهين احدهما انها منصوبة بفعل مقدر
اي اقرا حم وانما منع من الصرف للعلمية والتانيث او للعلمية وشبه العجمة وذلك انه ليس
في الاوزان العربية وزن فاعيل بخلاف الاعجمية نحو قابيل وهابيل والثاني انها حركة بناء
تخفيفا كاين وكيف وفي احتمال هذين الوجهين قول الكميت

وجدنا لكم في آل حاميم آية • تاولها منا تقي ومعرب • وقول شريح بن اوفى
يذكرني حاميم والرمح شاجر • فهلا تلا حاميم قبل التقدم •

وقرا ابو السمال بكسرها وهل يجوز ان يجمع حم على حواميم نقل ابن الجوزي عن شيخه الجواليقي
انه خطا وليس بصواب بل الصواب ان يقول قرات آل حم وفي الحديث عن ابن مسعود عنه
عليه السلام اذا وقعت في آل حم وقعت في روضات اتانق فيهن وقال سعيد بن ابراهيم كن آل
حم يسمين العرايس وقال الكميت وجدنا لكم في آل حم البيت ومنهم من جوزه وروي في ذلك
احاديث منها قوله عليه السلام الحواميم ديباج القران وقوله عليه السلام الحواميم سبع وابواب
جهنم سبع جهنم والحطمة ولظى والسعير وسقر والهاوية والجحيم فتجي كل حم منهن يوم
القيمة على باب من هذه الابواب فتقول لا يدخل النار من كان يومن بي ويقراني وقوله
عليه السلام لكل شي ثمرة وثمرة القران ذوات حاميم هن روضات حسان مخصبات متجاورات
فمن احب ان يرتع في رياض الجنة فليقرا الحواميم وقوله عليه السلام مثل الحواميم في القران
كمثل الحبرات في الثياب وقال ابن عباس لكل شي لباب ولباب القران الحواميم فان صحت هذه
الاحاديث فهي الفصل في ذلك قوله تنزيل اما خبر لحم ان كانت مبتداة واما خبر لمبتدا
مضمر واما مبتدا وخبره الجار بعده قال ابن الخطيب تنزيل والمراد منه المفعول
روي السدي عن ابن عباس قال حم اسم الله الاعظم وروى عكرمة عنه قال الر • وحم • ون
حروف الرحمن مقطعة قاله سعيد بن جبير وقال عطا الخراساني الحا افتتاح اسمايه حليم
حميد • حي • حليم • حنان • والميم افتتاح اسمايه • ملك • مجيد • قال الضحاك والكسائي
معناه قضي ما هو كائن كانهما اشارا الى ان معناه حم بضم الحا وتشديد الميم وقوله من الله
لما ذكر ان حم تنزيل الكتاب وجب بيان ان المنزل من هو فقال من الله ثم بين ان الله تعالى
موصوف بصفات الجلال فقال العزيز العليم فبين انه بقدرته وعلمه انزل القران الذي يتضمن
المصالح والاعجاز ولولا كونه عزيزا عالما لما صح ذلك قوله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
في هذه الاوصاف ثلثة اوجه احدها انها كلها صفات للجلالة كالعزيز العليم وانما جاز وصف
المعرفة بهذه وان كانت اضافتها لفظية لانه يجوز ان يجعل اضافتها معنوية فتتعرف بالاضافة
نص سيبويه على ان كل ما اضافته غير محضة جاز ان يجعل محضة ويوصف به المعارف الا الصفة
المشبهة ولم يستثن غيره شيا وهم الكوفيون يقولون في نحو حسن الوجه انه يجوز ان تصير اضافته
محضة وعلى هذا فقوله شديد العقاب من باب الصفة المشبهة فكيف اجزت جعله صفة
للمعرفة وهو لا يتعرف الا بالاضافة والجواب اما بالتزام مذهب الكوفيين وهو ان الصفة المشبهة
يجوز ان يتمحض اضافتها ايضا فيكون معرفة واما بان شديد بمعنى مشدد كاذين بمعنى موذن
تمحض اضافته الثاني ان يكون الكل ابدالا لان اضافتها غير محضة قاله الزمخشري الا ان
الابدال بالمشتق قليل جدا الا انه يجري فيها جانب الوصفية الثالث ان يكون غافر وقابل نعتين
وشديد بدلا لما تقدم من ان الصفة المشبهة لا تتعرف بالاضافة قاله الزجاج الا ان الزمخشري
قال جعل الزجاج شديد العقاب وحده بدلا من الصفات فيه نبو ظاهر والوجه ان يقال
لما صودف بين هذه المعارف هذه النكرة الواحدة فقد اذنت بان كلها ابدال غير اوصاف ومثال
ذلك قصيدة جاء تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها انها من الرجز فان وقع فيها جزء
واحد على متفاعلن كانت من الكامل ونافسه ابو حيان فقال ولا ينبو في ذلك فان الجري على
القواعد التي قد استقرت وصحت هو الاصل وقوله فقد اذنت بان كلها ابدال تركيب غير عربي

لانه

لانه جعل فقد اذنت جواب لما وليس من كلامهم لما قام زيد فقد قام عمرو وقوله بان كلها ابدال فيه
تكرير للابدال اما بدل البدا عند من اثبته فقد تكررت فيه الابدال واما بدل كل من كل وبدل بعض
من كل وبدل اشتمال فلا نص عند احد من النحويين اعرفه في جواز التكرار فيها او منعه الا ان في كلام
بعض اصحابنا ما يدل على ان البدل لا يكرر وذلك في قول الشاعر

فالى ابن ام اياس ارحل ناقتي • عمرو فتبلغ حاجتي او ترجف •
ملك اذا نزل الوفود ببابه • عرفوا موارد مزبد لا ينزف •

قال فملك بدل من عمرو بدل نكرة من معرفة قال فان قلت لم لا يكون بدلا من ابن ام اياس قلت
لانه قد ابدل منه عمرو فلا يجوز ان يبدل منه مرة اخرى لانه قد طرح انتهى قال ابو حيان فدل هذا
على ان البدل لا يتكرر ويتحد المبدل منه ودل على ان البدل من المبدل جائز قال شهاب الدين وهذا
البحث قد تقدم في قوله غير المغضوب عليهم فليلتفت اليه قال وقوله تفاعيلها هو جمع تفعال
او تفعول او تفعيل فليس شي منها معدودا من اجزاء العروض فان اجزاءه منحصرة ليس فيها شي
من هذه الاوزان فصوابه ان يقول جاءت اجزاؤها كلها على مستفعلن وقال الزمخشري ايضا ولقائل
ان يقول هي صفات وانما حذفت الالف واللام من شديد ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد
غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج فقالوا ما يعرف سحادليه من عنادليه فثنوا ما هو
وتر لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك ان يفعل ذلك وما يحسن
بالرجل خير منك انه على نية الالف واللام كما كان الجما الغفير على نية طرح الالف واللام ومما سهل
ذلك الامن من اللبس وجهالة الموصوف قال ابو حيان ولا ضرورة الى حذف ال من شديد
العقاب وتشبيهه بنادر مغير وهو تثنية الوتر لاجل الشفع وينزه كتاب الله عن ذلك قال
شهاب الدين اما الازدواج وهو المشاكلة من حيث هو فانه واقع في القران وقد مضى منه مواضع
وقال الزمخشري ايضا ويجوز ان يقال قد تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما هو
ادهى منه وامر لزيادة الانذار ويجوز ان يقال هذه النكتة هي الداعية الى اختيار البدل على الوصف
اذا سلكت طريق الابدال انتهى قال مكي يجوز في غافر وقابل البدل على انهما نكرتان لاستقبالهما
والوصف على انهما معرفتان لمضيهما وقال ابن الخطيب لا نزاع في جعل غافر صفة وانما كان كذلك
لانهما يفيدان معنى الدوام والاستمرار فكذلك شديد العقاب يفيد ذلك لان صفاته منزهة
عن الحدوث والتجدد فمعناه كونه بحيث شديد عقابه وهذا المعنى حاصل ابدا لا يوصف بانه
حصل بعد ان لم يكن قال ابو حيان وهذا كلام من لم يقف على علم النحو ولا نظر فيه ويلزمه ان يكون
حليم عليم ومليك مقتدر معارف لتنزيه صفاته عن الحدوث والتجدد ولانها صفات لم تحصل بعد
ان لم تكن ويكون تعريف صفاته بال وتنكيرها سواء وهذا لا يقوله مبتدي في علم النحو بل ان
يصنف فيه ويقدم على تفسير كتاب الله تعالى انتهى وقد سرت هذه الصفات كلها من غير عاطف
الا قابل التوب قال بعضهم وانما عطف لاجتماعهما وتلازمهما وعدم انفكاك احدهما عن الاخر
وقطع شديد عنهما فلم يعطف لانفراده قال ابو حيان وفيه نزعة اعتزالية ومذهب اهل السنة
جواز الغفران للعاصي وان لم يتب الا الشرك قال شهاب الدين وما ابعده عن نزعة الاعتزال ثم
اقول التلازم لازم من جهة انه تعالى متى قبل التوبة فقد غفر الذنب وهو كاف في التلازم قال
الزمخشري فان قلت ما بال الواو في قوله وقابل التوب قلت فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع
للمذنب التايب بين رحمتين بين ان تقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاة
للذنوب كان لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول انتهى وبعد هذا الكلام الانيق واسرار
هذه المعاني الحسنة قال ابو حيان وما اكثر تبجح هذا الرجل وشقشقته والذي افاد ان الواو
للجمع وهذا معروف من ظاهر علم النحو قال شهاب الدين وقد انشدني بعضهم

وكم من عايب قولا صحيحا • وآفته من الفهم السقيم • وآخر
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد • وينكر الفم طعم الماء من السقم •

والتوب يحتمل ان يكون اسما مفردا مرادا به الجنس كالذنب وان يكون جمعا لتوبة كتمر وتمرة وذي
الطول نعت او بدل كما تقدم والطول سعة الفضل ولا اله الا هو يجوز ان يكون مستانفا وان
يكون حالا وهي حال لازمة وقال ابو البقا يجوز ان يكون صفة وهذا على ظاهره فاسد لان الجملة

لا تكون صفة للمعارف ويمكن ان يريد انه صفة لشديد العقاب لانه لم يتعرف عنده بالاضافة
والقول في اليه المصير كالقول في الجملة قبله ويجوز ان يكون حالا من الجملة قبله **فصل**
قال المفسرون غافر الذنب ساتر الذنب وقابل التوب اي التوبة مصدر تاب يتوب توبا
وقيل التوب جمع توبة مثل دومه ودوم وعومه وعوم قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال
لا اله الا الله وقابل التوب لمن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله ذي
الطول ذي الغنى عمن لا يقول لا اله الا الله قال مجاهد ذي الطول ذي السعة والغنى وقال
الحسن ذو الفضل وقال قتادة ذو النعمة وقيل ذو القدرة واصل الطول الانعام الذي يطول
مدته على صاحبه لا اله الا هو اليه المصير والمعنى انه لما وصف نفسه بصفات الرحمة والفضل
لما كانت الحاجة الي عبوديته شديدة فكان الترغيب والترهيب الكاملين حاصلين لسبب
هذا التوحيد وقوله اليه المصير مما يقوي الرغبة في الاقرار بالعبودية قوله ما يجادل في
ايات الله الا الذين كفروا لما قرر ان القران كتاب انزله ليهتدي به في الدين ذكر احوال من
يجادل لغرض ابطاله فقال ما يجادل في ايات الله اي في دفع ايات الله بالتكذيب والانكار الا
الذين كفروا واعلم ان الجدال نوعان جدال في تقرير الحق فهو حرفة الانبيا عليهم السلام قال
تعالي لمحمد عليه السلام وجادلهم بالتي هي احسن وحكي عن قوم نوح قولهم يا نوح قد جادلتنا
فاكثرت جدالنا واما الجدال في تقرير الباطل فهو مذموم وهو المراد بهذه الاية وقال عليه
السلام ان جدالا في القران كفر وروي عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال سمع رسول
الله صلي الله عليه وسلم قوما يتمارون فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا اضربوا كتاب
الله عز وجل بعضه ببعض وانما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه
ببعض فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم فكلوه الي عالمه وقال ما ضربوه لك الا جدلا بل هم
قوم خصمون وقال وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق قوله فلا يغررك قرا العامة
بالفك وهي لغة الحجاز وزيد بن علي وعبيد بن عمر فلا يغرك بالادغام مفتوح الراء وهي لغة
تميم **فصل** جدالهم في ايات الله هو قولهم مرة سحر ومرة هو شعر ومرة انه
قول الكهنة ومرة اساطير الاولين ومرة انما يعلمه بشر وقولهم ما انتم الا بشر مثلنا انزل علينا
الملائكة واشباه هذا ثم قال فلا يغررك تقلبهم في البلاد اي لا تغتر بان امهلتهم وتركتهم
سالمين في ابدانهم واموالهم يتقلبون في البلاد اي يتصرفون فيها للتجارات وطلب المعاش
فاني وان امهلتهم فاني ساخذهم وانتقم كما فعلت بالامم الماضية ثم كشف عن هذا المعنى
فقال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهم الكفار الذين تحزبوا علي
انبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح وهمت كل امة برسولهم لياخذوه وقال ابن عباس
ليقتلوه ويهلكوه وقيل لياسروه وقرا عبد الله برسولها اعاد الضمير علي لفظ امة والجمهور
علي معناها وفي قوله لياخذوه عبارة عن المسبب بالسبب وذلك ان القتل عن الاخذ ومنه
قيل للاسير اخيذ قال • فاما تاخذوني تقتلوني • فكم من اخذ يهوي خلودي
وجادلوا بالباطل ليدحضوا ليبطلوا به الحق الذي جاءت به الرسل فاخذتهم فكيف كان عقاب
اجترا بالكسر عن يا المتكلم وصلا ووقفا لانها راس فاصلة والمعني فانزلت بهم من الهلاك ما هموا
بانزاله بالرسل وارادوا ان ياخذوهم فاخذتهم انا فكيف كان عقابي اياهم اليس كان
مستاصلا فانا افعل بقومك ما فعلت بهولاء ان صروا علي الكفر والجدال في ايات الله قوله
وكذلك حقت يحتمل الكاف ان تكون مرفوعة المحل علي خبر مبتدا مضمر اي والامر كذلك ثم اخبر
بانه حقت كلمة الله عليهم بالعذاب وان يكون نعتا لمصدر محذوف اي مثل ذلك الوجوب
من عقابهم وجب علي الكفرة والمعني كما حقت كلمة العذاب علي الامم المكذبة حقت ايضا علي
الذين كفروا من قومك قوله انهم اصحاب النار يجوز ان يكون علي حذف حرف الجر اي لانهم فحذف
فيجري في محلها القولان قال الاخفش لانهم واو ثم اصحاب النار ويجوز ان يكون في محل رفع بدلا
من كلمة وقد تقدم خلافهم في افراد كلمة وجمعها وان نافعا وابن عامر قرا كلمات علي الجمع والباقون
بالافراد قوله الذين يحملون مبتدا ويسبحون خبره والعامة علي فتح عين العرش وابن عباس
في اخرين بضمها فقيل يحتمل ان يكون جمعا لعرش كسقف في سقف وقوله ومن حوله يحتمل ان يكون

مرفوع المحل عطفا علي الذين يحملون اخبر عن الفريقين بانهم يسبحون وهذا هو الظاهر وان
يكون منصوب المحل عطفا علي العرش يعني انهم يحملون ايضا الملائكة الحافين بالعرش وليس بظاهر
فصل لما بين ان الكفار يبالغون في اظهار العداوة مع المومنين بين ان اشرف طبقات
المخلوقات هم الملائكة الذين هم حملة العرش والحافون حول العرش يبالغون في اظهار المحبة
والنصرة للمومنين فكانه تعالي يقول ان كان هولاء الاراذل يبالغون في العداوة فلا تلتفت اليهم
ولا تقم لهم وزنا فان حملة العرش معك والحافون من حول العرش ينصرونك وهم الكروبيون قال
ابن عباس حملة العرش ما بين كعب احدهم الي اسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام وروي جعفر بن محمد
عن ابيه عن جده انه قال ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع
ثلاثين الف عام وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون الف حجاب من نور وحجاب
من ظلمة وقال وهب بن منبه ان حول العرش سبعون الف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون
بالعرش قوله يسبحون بحمد ربهم قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية واربعة منهم يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد علي حلمك بعد علمك واربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لك الحمد علي عفوك بعد قدرتك قال وكانهم يرون ذنوب بني ادم قوله ويومنون به فيه سوال
وهو ان يقال ما الفايدة في قوله ويومنون به مع ان الاشتغال بالتسبيح والتحميد لا يمكن الا بعد
سبق الايمان بالله واجاب الزمخشري بان المقصود منه التنبيه علي ان الله تعالي لو كان حاضرا
لكان حملة العرش والحافون بالعرش يشاهدونه ويعاينونه ولو كان كذلك لما كان ايمانهم بوجود
الله موجبا للمدح والثنا لان الاقرار بوجود شي مشاهد معاين لا يوجب المدح والثنا الا ترى
ان الاقرار بوجود الشمس وبكونها مضيئة لا يوجب المدح والثنا فلما ذكر الله سبحانه وتعالي ايمانهم
بالله علي سبيل المدح والثنا والتعظيم دل علي انهم انما امنوا به مع انهم ما شاهدوه حاصلا جالسا
هناك قوله ويستغفرون للذين امنوا اعلم ان كمال السعادة بامرين احدهما التعظيم لامر الله
والثاني الشفقة علي خلق الله ويجب ان يكون التعظيم لامر الله مقدما علي الشفقة علي خلق
الله فقوله تعالي يسبحون بحمد ربهم ويومنون به مشعر بالتعظيم لامر الله وقوله ويستغفرون
للذين امنوا مشعر بالشفقة علي خلق الله واحتج كثير من العلما بهذه الاية علي ان الملك افضل
من البشر لانها دلت علي ان الملائكة لما فرغوا من ذكر الله تعالي بالثنا والتقديس اشتغلوا بالاستغفار
لغيرهم وهم المومنون وهذا يدل علي انهم مستغنون بانفسهم اذ لو كانوا محتاجين الي الاستغفار
لاستغفروا لانفسهم اولا لقوله صلي الله عليه وسلم ابدا بنفسك ولقوله تعالي لمحمد عليه السلام
واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات وحكي عن نوح عليه السلام قوله رب اغفر لي ولوالدي
ولمن دخل بيتي مومنا وللمومنين والمومنات وهذا يدل علي ان كل من كان محتاجا الي الاستغفار
فانه يقدم الاستغفار لنفسه علي الاستغفار لغيره والملائكة لو كانوا محتاجين الي الاستغفار
لاستغفروا لانفسهم اولا ثم استغفروا لغيرهم ولما لم يذكر الله تعالي استغفارهم لانفسهم علمنا
انهم لم يكونوا محتاجين الي الاستغفار واما الانبيا عليهم السلام فهم كانوا محتاجين الي الاستغفار
لقوله تعالي لمحمد عليه السلام واستغفر لذنبك فظهر ان الملك افضل من البشر والله اعلم قوله
ربنا معمول لقول مضمر تقديره يقولون ربنا والقول المضمر في محل نصب علي الحال من فاعل
يستغفرون او خبر بعد خبر ورحمة وعلما تمييز منقول من الفاعل اذ اي وسع كل شي رحمتك
وعلمك واعلم ان الدعا في اكثر الامر مذكور بلفظ الرب لان الملائكة قالوا في هذه الاية ربنا
وقال ادم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا وقال نوح عليه السلام رب اني دعوت قومي وقال
رب اغفر لي ولوالدي وقال ابراهيم عليه السلام رب ارني كيف تحيي الموتي وقال ربنا واجعلنا
مسلمين لك وقال يوسف عليه السلام رب قد اتيتني من الملك وقال موسي عليه السلام رب
ارني انظر اليك وقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وحكي عن داود عليه السلام انه استغفر
ربه وخر راكعا وقال سليمان عليه السلام رب هب لي ملكا وحكي عن زكريا عليه السلام انه
نادي ربه نداء خفيا وقال عيسي عليه السلام ربنا انزل علينا مائدة وقال تعالي لمحمد
عليه السلام وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وحكي عن المومنين انهم قالوا ربنا ما خلقت
هذا باطلا الايات فان قيل لفظ الله اعظم من لفظ الرب فلم خص لفظ الرب بالدعا فالجواب

كان العبد يقول كنت في العدم المحض والنفي الصرف فاخرجتني الى الوجود وربيتني فاجعل
تربيتك واحسانك لاجابة دعاي فان قيل قوله ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما فيه سوال
لان العلم وسع كل شي واما الرحمة فما وصلت الى كل شي لان المضرور حال وقوعه في الضرر لا ده
يكون ذلك في حقه رحمة وهذا السوال ايضا مذكور في قوله ورحمتي وسعت كل شي فالجواب
كل موجود فقد نال من رحمة الله نصيبا لان الموجود اما واجب واما ممكن اما الواجب فليس الا الله
سبحانه وتعالى واما الممكن فوجوده من الله تعالى وبايجاده وذلك رحمة فثبت انه لا موجود
غير الله الا وقد حصل له نصيب من الرحمة فلهذا قال ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما وهذه الاية
دلت على انه تعالى عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها من الكليات والجزئيات قوله
فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك دينك وقهم عذاب الجحيم فان قيل لا معنى للغفران الا
اسقاط العذاب وعلى هذا فلا فرق بين قوله فاغفر لهم وبين قولهم وقهم عذاب الجحيم
فالجواب قولهم فاغفر فيه رمز واشارة لاسقاط العذاب فلهذا اردفوه بطلب ايصال الثواب
اليهم فقالوا ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم فان قيل انتم زعمتم ان الشفاعة انما
حصلت للمذنبين وهذه الاية تبطل ذلك لانه تعالى ما وعد المذنبين ان يدخلهم جنات عدن
فالجواب لا نسلم انه ما وعدهم بذلك لان الدلايل الكثيرة دلت على ان لا يخلد اهل لا اله الا الله محمد
رسول الله في النار واذا اخرجهم من النار وجب ان يدخلهم الجنة فكان هذا وعدا من الله
بان يدخلهم جنات عدن اما من غير دخول النار واما بعد ان يدخلهم النار قوله ومن صلح
في محل نصب اما عطفا على مفعول ادخلهم واما على مفعول وعدتهم وقال الفرا والزجاج نصبه
من مكانين ان شئت على الضمير في ادخلهم وان شئت على الضمير في وعدتهم والعامة على
فتح لام صلح يقال صلح فهو صالح وابن ابي عبلة بضمها يقال صلح فهو صليح والعامة على
ذرياتهم جمعا وعيسى وذريتهم افرادا والمراد بقوله ومن صلح من اهل الايمان ثم قالوا انك
انت العزيز الحكيم وانما ذكروا في دعايهم هذين الوصفين لانه لو لم يكن عزيزا بل كان بحيث
يغلب ويمنع لما صح وقوع المطلوب منه ولو لم يكن حكيما لما حصل هذا المطلوب على وفق
الحكمة والمصلحة ثم قالوا بعد ذلك وقهم السيات قال بعض المفسرين المراد منه عذاب
السيات فان قيل فعلى هذا التقدير لا فرق بين قوله وقهم السيات وبين قولهم وقهم
عذاب الجحيم وحينئذ يلزم التكرار الخالي عن الفايدة وهو لا يجوز فالجواب ان التفاوت
حاصل من وجهين الاول ان يكون قوله وقهم عذاب الجحيم دعا مذكورا للاصول وقوله
وقهم السيات دعا مذكورا للفروع وهم الابا والازواج والذريات الثاني ان يكون قوله
وقهم عذاب مقصورا على ازالة عذاب الجحيم وقوله وقهم السيات يتناول عذاب الجحيم
وعذاب موقف القيمة والحساب والسوال وقال بعض المفسرين المراد بقوله وقهم السيات
هو ان الملايكة طلبوا ازالة عذاب النار بقولهم عذاب الجحيم وطلبوا ايصال الثواب اليهم
بقولهم وادخلهم جنات عدن ثم طلبوا بعد ذلك ان يصونهم الله تعالى في الدنيا عن
العقايد الفاسدة بقولهم وقهم السيات ثم قالوا ومن تق السيات يومئذ فقد رحمته
يعني من تقي السيات في الدنيا فقد رحمته في يوم القيمة ثم قالوا وذلك هو الفوز العظيم
حيث وجدوا باعمال منقطعة نعيما لا ينقطع وبافعال حقيرة ملكا لا تصل العقول الى كنه
جلالته والله اعلم قوله يومئذ التنوين عوض عن جملة محذوفة ولكن ليس في الكلام
جملة مصرح بها عوض منها هذا التنوين بخلاف قوله تعالى وانتم حينئذ تنظرون اي حين
اذا بلغت الحلقوم لتقدمها في اللفظ فلا بد من تقدير جملة يكون هذا عوضا منها تقديره
يوم اذ يواخذ بها **فصل** قال مطرف انصح عباد الله للمومنين الملايكة واغش
الخلق للمومنين هم الشياطين قال سعيد بن جبير في تفسير قوله ومن صلح من اباءهم
يدخل المومن الجنة فيقول اين ابي اين ولدي اين زوجتي فيقال لهم انهم لم يعملوا مثل
عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة قوله تعالى ان الذين
كفروا ينادون اي يوم القيمة وهم في النار وقد مقتوا انفسهم حين عرض عليهم سياتهم
وعاينوا العذاب فيقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون

اي

اي لمقت الله اياكم في الدنيا اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم اليوم انفسكم عند
حلول العذاب قاله البغوي واعلم انه تعالى عاد الى شرح احوال الكافرين المجادلين في ايات
الله وهم المذكورون في قوله ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا وبين انهم في القيمة يعترفون
بذنوبهم واستحقاقهم العذاب ويسالون الرجوع الى الدنيا ليتلافوا ما فرط منهم قوله اذ
تدعون منصوب بمقدر يدل عليه هذا الظاهر تقديره مقتكم اذ تدعون وقدره بعضهم
اذكروا اذ تدعون وجوز الزمخشري ان يكون منصوبا بالمقت الاول ورد عليه ابو حيان
فانه يلزم منه الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي وهو الخبر وقال هذا من ظواهر علم النحو
التي لا تكاد تخفى على المبتدي فضلا عمن يدعي من العجم انه شيخ العرب والعجم قال شهاب الدين
ومثل هذا لا يخفى على ابي القسم وانما اراد انه دال على ناصبه وعلى تقدير ذلك فهو مذهب
كوفي قال به او لان الظرف يتسع فيه ما لا يتسع في غيره واي غموض في هذا حتى ينعي عليه هذا
الانحا ولله القايل • حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه • فالقوم اعداء له وخصوم •
• كضراير الحسنا قلن لوجهها • كذبا وزورا انه لذميم •
وهذا الرد قد سبقه اليه ابو البقا فقال ولا يجوز ان يعمل فيه مقت الله لانه مصدر اخبر عنه
وهو قوله اكبر فمن ثم اخذه ابو حيان ولا يجوز ان ينتصب بالمقت الثاني لانهم لم يمقتوا انفسهم
وقت دعايهم الى الايمان انما مقتوها يوم القيمة والظاهر ان مقت الله واقع في الدنيا كما
تقدم في تفسير الاية وجوز الحسن ان يكون في الاخرة وضعفه ابو حيان بانه يبقى اذ تدعون
مفلتا من الكلام لكونه ليس له عامل مقدم ولا ما يفسر عاملا فاذا كان المقت في الدنيا امكن
ان يضمر له عامل تقديره مقتكم قال شهاب الدين وهذا التجري على مثل الحسن يهون عليك
تجريه على الزمخشري ونحوه واللام في لمقت لام ابتدا او قسم ومفعوله محذوف اي لمقت الله
اياكم او انفسكم وهو مصدر مضاف لفاعله كالثاني ولا يجوز ان تكون المسالة من باب التنازع في
انفسكم بين المقتين لئلا يلزم الفصل بالخبر بين المقت الاول ومعموله على تقدير اعماله لكن قد
اختلف النحاة في مسالة وهي التنازع في فعلي التعجب فمن منع اعتل بما تقدم لانه لا يفصل بين
فعل التعجب ومعموله ومن جوز قال يلتزم الثاني حتى لا يلزم الفصل فليكن هنا مثله والحق عدم
الجواز فانه على خلاف قاعدة التنازع **فصل** ذكروا في تفسير مقتهم انفسهم وجوها
الاول انهم اذا شاهدوا القيمة والجنة والنار مقتوا انفسهم على اصرارهم على التكذيب بهذه
الاشيا في الدنيا الثاني ان الاتباع يشتد مقتهم للروسا الذين دعوهم الى الكفر في الدنيا
والروسا ايضا يشتد مقتهم للاتباع فعبر عن مقت بعضهم بعضا بانهم مقتوا انفسهم كقوله
تعالى اقتلوا انفسكم والمراد قتل بعضهم بعضا الثالث قال محمد بن كعب اذا خطبهم ابليس وهم
في النار بقوله ما كان لي عليكم من سلطان الى قوله ولوموا انفسكم ففي هذه الحالة مقتوا انفسهم
واما الذين ينادون الكفار بهذا الكلام فهم خزنة جهنم **فصل** المقت اشد
البغض وذلك في حق الله تعالى محال فالمراد منه ابلغ الانكار والزجر قال الفرا قوله ينادون
لمقت الله معناه ينادون ان مقت الله يقال ناديت ان زيدا قايم وناديت لزيد قايم ثم انه
تعالى بين ان الكفار اذا خوطبوا بهذا الخطاب قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين الاية
اثنتين نعت مصدر محذوف تقديره اماتتين اثنتين قال ابن عباس وقتادة والضحاك كانوا
امواتا في اصلاب ابايهم فاحياهم الله في الدنيا ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم احياهم للبعث يوم
القيمة فهما موتتان وحياتان وهو كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم
يحييكم وقال السدي اميتوا في الدنيا ثم احيوا في قبورهم للسوال ثم اميتوا في قبورهم ثم احيوا
في الاخرة وقوله فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل اي من خروج من النار الى الدنيا
فنصلح اعمالنا ونعمل بطاعتك ونظيره هل الى مرد من سبيل والمعنى انهم لما عرفوا ان الذي
كانوا عليه في الدنيا كان فاسدا باطلا تمنوا الرجوع الى الدنيا ليشتغلوا بالاعمال الصالحة فان
قيل الفا في قوله فاعترفنا يقتضي ان تكون الاماتة مرتين والاحيا مرتين سببا لهذا الاعتراف
فما وجه هذه السببية فالجواب لانهم كانوا منكرين البعث فلما شاهدوا الاحيا بعد الاماتة
مرتين لم يبق لهم عذر في الاقرار بالبعث فلا جرم وقع هذا الاقرار كالمسبب عن تلك الاماتة

والاحيا واعلم انهم لما قالوا فهل الي خروج من سبيل فالجواب الصريح عنه ان يقال لا او نحو
وهو تعالي لم يفعل ذلك بل قال كلاما يدل علي انه لا سبيل لهم الي الخروج وهو قوله ذلكم
بانه اذا دعي الله وحده كفرتم اي ذلكم الذي انتم فيه من العذاب والخلود في النار
وان لا سبيل لكم الي خروج فط انما وقع بسبب كفركم بتوحيد الله اي اذا قيل لا اله الا الله كفرتم
وقلتم اجعل الالهة الها واحدا وان يشرك به غيره تومنوا اي تصدقوا ذلك الشرك قوله
وحده فيه وجهان احدهما انه مصدر في موضع الحال وجاز كونه معرفة لفظا لكونه في
قوة النكرة كانه قيل منفردا والثاني وهو قول يونس انه منصوب على الظرف والتقدير
دعي علي حياله وهي مصدر محذوف الزوايد والاصل اوحدته ايجادا قوله فالحكم لله
حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله العلي الكبير يدل علي الكبريا والعظمة الذي لا اعلا
منه ولا اكبر قوله هو الذي يريكم اياته ليدل علي كمال قدرته وحكمته وانه لا يجوز جعل
هذه الاحجار المنحوتة والخشب المصور شركا لله تعالي في العبودية ثم قال وينزل لكم من
السما رزقا يعني المطر الذي هو سبب الارزاق وقرا ابن كثير وابو عمرو وينزل خفيفة
والباقون بالتشديد واعلم ان اهم المهمات رعاية مصالح الاديان ومصالح الابدان
فالله تعالي راعي مصالح اديان العباد باظهار البينات والايات وراعي مصالح ابدانهم
بانزال الرزق من السما فموقع الايات من الاديان كموقع الارزاق من الابدان وعند
حصولها يحصل الانعام الكامل ثم قال وما يتذكر الا من ينيب اي ما يتعظ بهذه الايات
الا من يرجع الي الله في جميع اموره فيعرض عن غير الله ويقبل بالكلية علي الله تعالي
ولهذا قال فادعوه مخلصين له الدين عن الشرك ولو كره الكافرون قوله رفيع فيه
وجهان احدهما ان يكون مبتدا والخبر ذو العرش ويلقي الروح يجوز ان يكون خبرا ثانيا
وان يكون حال ويجوز ان يكون الثلاثة اخبارا لقوله هو الذي يريكم اياته قال
الزمخشري ثلاثة اخبار يجوز ان تكون مترتبة على قوله هو الذي يريكم اياته او
اخبار مبتدا محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا قال شهاب الدين اما الاول فيضعفه
طول الفصل وتعدد الاخبار وليست في معني خبر واحد وهي مسئلة خلاف ولا يجوز
ان يكون ذو العرش صفة لرفيع الدرجات ان جعلناه صفة مشبهة اما اذا جعلناه مثال
مبالغة اي يرفع درجات المومنين فيجوز ذلك علي ان يجعل اضافته محضة وكذلك عند
من يجوز تمحض اضافة الصفة المشبهة ايضا وقد تقدم وقري رفيع بالنصب علي المدح

فصل لما ذكر من صفات كبريايه كونه مظهر للايات منزلا للارزاق ذكر في هذه
الاية ثلاثة اخري من صفات الجلال والعظمة وهو قوله رفيع الدرجات وهذا يحتمل
ان يكون المراد منه الرافع وان يكون المراد منه المرتفع فان حملناه علي الاول ففيه وجوه
الاول انه تعالي يرفع درجات الانبيا والاوليا في الجنة والثاني يرفع درجات الخلق في
العلوم والاخلاق الفاضلة فجعل لكل احد من الملايكة درجة معينة كما قال وما منا
الا له مقام معلوم وجعل لكل واحد من العلما درجة معينة فقال يرفع الله الذين امنوا
منكم والذين اوتوا العلم درجات وعين لكل جسم درجة معينة فجعل بعضها سفلية كدرة
وبعضها فلكية كوكبية وبعضها من جواهر العرش والكرسي وايضا جعل لكل واحد رتبة
معينة في الخلق والخلق والرزق والاجل فقال هو الذي جعلكم خلايف في الارض
ورفع بعضكم فوق بعض درجات وجعل لكل احد من السعدا والاشقيا في الدنيا درجة
معينة من موجبات السعادة وموجبات الشقاوة وفي الاخرة تظهر تلك الاثار وان
حملنا الرفيع علي المرتفع فهو سبحانه ارفع الموجودات في جميع صفات الكمال والجلال
وقوله ذو العرش اي خالقه ومالكه وهو خبر قوله يلقي الروح اي ينزل الوحي سماه
روحا لانه يحيي به القلوب كما يحيي الابدان بالارواح وقوله من امره متعلق بيلقي ومن
لابتدا الغاية ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف علي انه حال من الروح

فصل قال ابن عباس معني من امره اي من قضايه وقيل من قوله وقال مقاتل بامره علي من
يشا من عباده قوله لينذر العامة علي بنايه للفاعل ونصب اليوم والفاعل هو الله

تعالي او الروح او من يشا او الرسول ونصب اليوم اما علي الظرفية والمنذر به محذوف تقديره
لينذر العذاب يوم التلاق واما علي المفعول به اتساعا في الظرف وقرا ابي وجماعة كذلك
الا انه رفع اليوم علي الفاعلية مجازا اي لينذر الناس العذاب يوم التلاق وقرا الحسن واليماني
لتنذر بالتاء من فوق وفيه وجهان احدهما ان الفاعل ضمير المخاطب وهو الرسول صلى الله عليه
وسلم والثاني ان الفاعل ضمير الروح فانها مونثة علي راي وقرا اليماني ايضا لتنذر مبنيا للمفعول
يوم بالرفع وهي تويد نصبه في قراة الجمهور علي المفعول به اتساعا واثبت يا التلاق وصله ووقفا
ابن كثير واثبتها في الوقف دون الوصل من غير خلاف ورش وحذفها الباقون وصله ووقفا
الا قالون فانه روي عنه وجهان وجه لورش ووجه كالباقين ولذلك هذا الخلاف بعينه جار في
يوم التناد وقد تقدم توجيه هذين الوجهين في الوعد في قوله الكبير المتعال قوله يوم هم
بارزون في يوم اربعة اوجه احدها انه بدل من يوم التلاق بدل كل من كل الثاني ان ينتصب
بالتلاق اي يقع التلاقي في يوم بروزهم الثالث ان ينتصب بقوله لا يخفي علي الله ذكره ابن عطية
وهذا علي احد الاقوال الثلاثة في لا هل يعمل ما بعدها فيما قبلها فانها لها التفصيل بين ان يقع
جواب قسم فيمتنع او لا فيجوز هذا علي قولين من هذه الاقوال الرابع ان ينتصب باضمار اذكر ويوم
ظرف مستقبل كاذا وسيبويه لا يري اضافة الظرف المستقبل الي الجمل الاسمية والاخفش يراه ولذلك
قدر سيبويه في قوله اذا السما انشقت ونحوه فعلا قبل الاسم والاخفش لم يقدره وعلى هذا
فظاهر الاية مع الاخفش ويجاب عن سيبويه بان هم ليس مبتدا بل مرفوعا بفعل محذوف يفسره
اسم الفاعل اي يوم برزوا ويكون بارزون خبر مبتدا مضمر فلما حذف الفعل انفصل الضمير فبقي كما
تري وهذا كما قالوا في قوله لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري

فصل
فان حلقي مرفوع بفعل تفسيره شرق لان لو لا يليها الا الافعال وكذا قوله فهلا نفس ليلي شفيعها
لان هلا لا يليها الا الافعال فالمضمر في هذه المواضع اسما مشتقة وهو نظير ابا زيد اضاربه من
حيث التفسير وحركة يوم هم حركة اعراب علي المشهور ومنهم من جوز بنا الظرف وان اضيف الي فعل
مضارع او جملة اسمية وهم الكوفيون وقد وهم بعضهم فحتم بنا الظرفية المضاف للجمل الاسمية
وقد تقدم انه لا يبني عند البصريين وتقدم هذا مستوفي في اخر المايدة وكتبوا يومهم هنا وفي الذاريات
منفصلا وهو الاصل قوله لا يخفي يجوز ان يكون خبرا ثانيا

فصل قال بعض المفسرين
يوم التلاق هو يوم تلتقي اهل السما واهل الارض وقال قتادة ومقاتل تلتقي الخلق والخالق
وقال ابن زيد تتلاقي العباد وقال ميمون بن مهران يلتقي الظالم والمظلوم وقيل تلتقي
العابدون والمعبودون وقيل يلتقي فيه المرء مع عمله وقيل تلتقي الارواح بالاجساد بعد مفارقتها
اياها يوم هم بارزون خارجون من قبورهم وقيل ظاهرون لا يسترهم شي من جبل او اكمه وقيل بارزون
كناية عن ظهور اعمالهم وانكشاف اسرارهم كما قال تعالي يوم تبلى السراير لا يخفي علي الله منهم شيء
اي من اعمالهم واحوالهم شيء ويقول الله في ذلك اليوم بعد فنا الخلق لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد
فيجيب نفسه فيقول لله الواحد القهار الذي قهر الخلق بالموت فان قيل الله تعالي لا يخفي عليه منهم
شيء في جميع الايام فما معني تقييد هذا العلم بذلك اليوم فالجواب انهم كانوا يتوهمون في الدنيا انهم
اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم ويخفي عليه اعمالهم فهم في ذلك اليوم صايرون من البروز
والانكشاف الي حال لا يتوهمون فيها مثل ما يتوهمونه في الدنيا كما قال تعالي ولكن ظننتم ان الله لا يعلم
كثيرا مما تعملون وقال تعالي يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم وهو خفي قوله
وبرزوا لله الواحد القهار

فصل قال المفسرون اذا هلك كل من في السموات ومن في الارض
فيقول الرب تعالي لمن الملك اليوم يعني يوم القيمة فلا يجيبه احد فهو تعالي يجيب نفسه فيقول
لله الواحد القهار وقال ابن الخطيب قال اهل الاصول هذا القول ضعيف من وجوه الاول انه
تعالي بين انه هذا النداء انما يحصل يوم التلاق يوم هم بارزون ويوم تجزي كل نفس ما كسبت
والثاني في ذلك الوقت احيا فبطل قولهم ان الله تعالي انما ينادي هذا النداء حين يهلك كل من
في السموات ومن في الارض الثاني انه الكلام لا بد فيه من فايدة لان الكلام اما ان يذكر حال حضور
الغير او حال ما لا يحضر الغير والاول باطل ههنا لان القوم قالوا انه تعالي انما يذكر هذا الكلام عند
فنا الكل والثاني ايضا باطل لان الرجل انما يحسن تكلمه حال كونه وحده اما لان يحفظ به شيا

كتكريره على الدرس وذلك على الله تعالى محال فثبت ان قولهم ان الله تعالى يذكر هذا النداء
حال هلاك جميع المخلوقات باطل وقال بعض المفسرين انه في يوم التلاق اذا حضر الاولون
والآخرون وبرزوا لله نادى مناد لمن الملك اليوم فيقول كل الحاضرين في محفل القيمة لله
الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا بهذا الكلام حيث نالوا بهذا الذكر المنزلة الرفيعة
والكفار يقولونه تحسرا وصغارا وندامة على تفويتهم هذا الذكر في الدنيا وقال القائلون
بهذا القول ان صح القول الاول عن ابن عباس وغيره ان هذا النداء بعد هلاك البشر لم يمنع
أن يكون هناك ملائكة يسمعون ذلك النداء ويجيبون بقولهم لله الواحد القهار قال
ابن الخطيب وايضا على هذا القول لا يبعد ان يكون السائل والمجيب هو الله سبحانه وتعالى
ولا يبعد ايضا ان يكون السائل جمعا من الملائكة والمجيب جمعا آخرون ليس على التعيين دليل
قوله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت يجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته لا ظلم اليوم
ان الله سريع الحساب قوله تعالى وانذرهم يوم الآزفة الآية والمقصود بها وصف يوم
القيمة ويوم الآزفة يجوز ان يكون مفعولا به اتساعا وان يكون ظرفا والمفعول محذوف والآزفة
فاعلة من ازف الامر اذا دنا وحضر كقوله في صفة القيمة ازفت الآزفة اي قربت قال النابغة

• ازف الترحل غير ان ركابنا • لما تزل برحالنا وكان قد • وقال كعب بن زهير

• بان الشباب وهذا الشيب قد ازفا • ولا ارى لشباب بائن خلفا •

وقال الراغب وازف وافد يتقاربان لكن ازف يقال اعتبارا بضيق وقتها ويقال ازف
الشخوص والازف ضيق الوقت قال شهاب الدين فجعل بينهما فرقا وروي بيت النابغة
افد والآزفة صفة لمحذوف فيجوز ان يكون التقدير الساعة الآزفة او الطامة الآزفة وقوله
اذ القلوب بدل من يوم الآزفة او من هم في انذرهم بدل اشتمال **فصل** المقصود من
الآية التنبيه على ان يوم القيمة قريب ونظيره قوله تعالى اقتربت الساعة قال الزجاج
انما قيل لها آزفة لانها قريبة وان استبعد الناس مداها وما هو كائن فهو قريب واعلم ان الآزفة
نعت لمحذوف مؤنث فقيل يوم القيمة الآزفة او يوم المجازاة الآزفة قال القفال واسماء القيمة
يجري على التأنيث كالطامة والحاقة ونحوها كانها ترجع معناها على الداهية وقيل المراد
بيوم الآزفة مشارفتهم دخول النار فان عند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها من شدة الخوف
وقال ابو مسلم يوم الآزفة يوم حضور الاجل لانه تعالى وصف يوم القيمة بانه يوم التلاق ويوم
هم بارزون ثم قال بعده وانذرهم يوم الآزفة فوجب ان يكون هذا اليوم غير ذلك اليوم
وايضا فهذه الصفة مخصوصة في سائر الآيات بيوم الموت قال تعالى فلولا اذا بلغت
الحلقوم وقال كلا اذا بلغت التراقي وايضا فوصف يوم الموت بالقرب اولى من وصف يوم القيمة
بالقرب وايضا فالصفات المذكورة بعد قوله يوم الآزفة لائقة بيوم حضور المنية لان الرجل
عند معاينته ملائكة العذاب يعظم خوفه فكانت قلوبهم تبلغ حناجرهم من شدة الخوف ويبقوا
كاظمين ساكتين عن ذكر ما في قلوبهم من شدة الخوف ولا يكون لهم من حميم ولا شفيع يدفع
ما بهم من انواع الخوف والقلق قوله كاظمين نصب على الحال واختلفوا في صاحبها والعامل
فيها فقال الحوفي القلوب مبتدأ ولدى الحناجر خبره وكاظمين حال من الضمير المستكن فيه قال
شهاب الدين ولا بد من جواب عن جمع القلوب جمع من يعقل فقال كاظمين وهو ان يكون لما
اسند اليهم ما يسند للعقلاء جمعت جمعه كقوله رايتهم لي ساجدين وظلت اعناقهم لها خاضعين
ويعضده قراءة من قرأ كاظمون الثاني انها حال من القلوب وفيه السؤال والجواب المتقدمان
والمعنى ان القلوب كاظمة على كرب وغم مع بلوغها الحناجر الثالث انه حال من اصحاب القلوب
على المعنى اذ المعنى اذ قلوبهم لدى الحناجر كاظمين عليها قال شهاب الدين فكانه في قوة ان جعل
ال عوضا من الضمير في حناجر الرابع ان يكون حالا من هم في انذرهم ويكون حالا مقدرة لانهم
وقت الانذار غير كاظمين وقال ابن عطية كاظمين حال مما ابدل منه اذ القلوب او مما يضاف
اليه القلوب اذ المراد اذ قلوب الناس لدى حناجرهم وهذا كقوله تشخص فيه الابصار مهطعين
اراد تشخص فيه ابصارهم قال شهاب الدين ظاهر قوله انه حال مما ابدل منه قوله اذ القلوب
مشكل لانه ابدل من قوله يوم الآزفة وهذا لا يصح البتة وانما يريد بذلك على الوجه الثاني

وهو

وهو ان يكون بدلا من هم في انذرهم بدل اشتمال وحينئذ يصح وقد تقدم الكلام على الكظم
والحناجر في العمران والاحزاب **فصل** قيل المراد بقوله اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين شدة
الخوف والفزع ونظيره قوله وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا وقال فلولا اذا بلغت
الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون وقال الحسن القلوب تنتزع من الصدور لشدة الخوف وبلغت القلوب
الحناجر فلا تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا وقوله كاظمين اي مكروبين والكاظم
الساكت حال امتلائه غما وغيظا والمعنى انهم لا يمكنهم ان ينطقوا وان يشرحوا ما عندهم من الحزن والخوف
وذلك يوجب مزيد القلق والاضطراب قوله ما للظالمين من حميم قريب ينفعهم ولا شفيع يطاع
فيشفع لهم وقوله يطاع يجوز ان يحكم على موضعه بالجر نعتا على اللفظ وبالرفع نعتا على المحل لانه
معطوف على المجرور بمن المزيدة وقوله ولا شفيع يطاع من باب • على لاحب لا يهتدى بمناره •
اي لا شفيع فلا طاعة او ثم شفيع ولكن لا يطاع **فصل** احتجت المعتزلة بهذه الآية في نفي
الشفاعة عن المذنبين فقالوا نفى حصول شفيع لهم يطاع فوجب ان لا يحصل لهم هذا الشفيع واجيبوا
بوجوه الاول انه تعالى نفى ان يحصل لهم شفيع يطاع وهذا لا يدل على نفي الشفيع كقولك ما عندي كتاب
يباع فيقتضي نفي كتاب يباع ولا يقتضي نفي الكتاب قال الشاعر • ولا ترى الضب بها ينجحر •
ولفظ الطاعة تقتضي حصول المرتبة فهذا يدل على انه ليس لهم يوم القيمة شفيع يطيعه الله لانه
ليس في الوجود احد اعلى حالا من الله تعالى حتى يقال ان الله تعالى يطيعه الثاني ان المراد بالظالمين
هنا الكفار لان هذه الآية وردت في زجر الكفار وقال تعالى ان الشرك لظلم عظيم الثالث ان لفظ
الظالمين اما ان يفيد الاستغراق او لا يفيد الاستغراق فان كان المراد من الظالمين مجموعهم فيدخل
في هذا المجموع الكفار وعندنا انه ليس لهذا المجموع شفيع لان بعض هذا المجموع هم الكفار وليس لهم
شفيع فحينئذ لا يكون لهذا المجموع شفيع وان لم يفد الاستغراق كان المراد من الظالمين بعض
الموصوفين بهذه الصفة وعندنا ان بعض الموصوفين بهذه الصفة ليس لهم شفيع وهم الكفار
اجاب المعتزلة عن الاول فقالوا يجب حمل كلام الله تعالى على محمل مفيد وكل احد يعلم انه ليس في
الوجود شيء يطيعه الله لان المطيع ادون حالا من المطاع وليس في الوجود اعلى درجة من الله
حتى يقال ان الله يطيعه واذا كان هذا المعنى معلوما بالضرورة كان حمل الآية عليه اخراجا لها
عن الفائدة فوجب حمل الطاعة على الاجابة ويدل على ان لفظ الطاعة بمعنى الاجابة قول الشاعر

• رب من انضجت غيظا صدره • قد تمنى لي موتا لم يطع •

وعن الثاني بان لفظ الظالمين صيغة جمع دخل عليها حرف التعريف فيفيد العموم اقصى ما في الباب
ان هذه الآية وردت لذم الكفار الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وعن الثالث ان قوله
ما للظالمين من حميم يفيد ان كل واحد من الظالمين محكوم عليه بانه ليس له حميم ولا شفيع يطاع
واجيبوا عن الاول بان القوم كانوا يقولون في الاصنام انها شفعاؤهم عند الله وكانوا يقولون
انها تشفع لهم عند الله من حاجة الى اذن فلهذا السبب رد الله عليهم ذلك بقوله من ذا الذي يشفع
عنده الا باذنه فهذا يدل على ان القوم اعتقدوا انه يجب على الله تعالى اجابة تلك الاصنام في
الشفاعة وهذا نوع طاعة فالله تعالى نفى تلك الطاعة بقوله ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع
وعن الثاني بان قالوا الاصل في حرف التعريف ان ينصرف الى المعهود السابق فاذا دخل حرف التعريف
على صيغة الجمع وكان هناك معهود سابق انصرف اليه وقد حصل في هذه الآية معهود سابق وهم
الكفار الذين يجادلون في آيات الله فوجب ان ينصرف اليهم وعن الثالث بان قالوا قوله ما للظالمين
من حميم ولا شفيع يطاع يحتمل عموم السلب ويحتمل سلب العموم اما الاول فعلى تقدير ان يكون المعنى
ان كل واحد من الظالمين محكوم عليه بانه ليس له حميم ولا شفيع واما الثاني فعلى تقدير ان مجموع
الظالمين ليس له حميم ولا شفيع ولا يلزم من نفي الحكم عن المجموع نفيه عن كل واحد من احاد ذلك المجموع
ويؤيده ما ذكرناه قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقوله
ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون فان حملناه على ان كل واحد منهم محكوم عليه بانه لا يؤمن
لزم وقوع الخلف في كلام الله تعالى لان كثيرا ممن كفر قد آمن بعد ذلك اما لو حملناه على مجموع الذين
كفروا لا يؤمنون سواء آمن بعضهم او لم يؤمن صدق وتخلص عن الخلف فلاجرم حملنا هذه الآية
على سلب العموم لا على عموم السلب وحينئذ يسقط استدلال المعتزلة بهذه الآية قوله يعلم

اربعة اوجه اظهرها انه خبر اخر عن هو في قوله هو الذي يريكم اياته قال الزمخشري فان قلت
ثم اتصل قوله يعلم خائنة الاعين قلت هو خبر من اخبار هو في قوله هو الذي يريكم مثل يلقي الروح
ولكن يلقي قد علل بقوله لينذر ثم استطرد لذكر احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد
لذلك عن اخواته الثاني انه متصل بقوله وانذرهم لما امر بانذاره يوم الازفة وما يعرض فيه من شدة
الغم والكرب وان الظالم لا يجد من يحميه ولا شفيع له ذكر اطلاعه على جميع ما يصدر من الخلق سرا وجهرا
والمعنى انه تعالى عالم لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات والارض والحاكم اذا بلغ في العلم الى هذا
الحد كان خوف المذنب شديدا جدا وعلى هذا فهذه الجملة لا محل لها لانها في قوة التعليل لله مر بالانذار
الثالث انها متصلة بقوله سريع الحساب الرابع انها متصلة بقوله لا يخفى على الله وعلى هذين الوجهين
فيحتمل ان يكون جارية مجرى العلة وان تكون في محل نصب على الحال قوله خائنة الاعين فيه
وجهان احدهما انها مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والعاقبة اي يعلم خيانة الاعين
اي استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب والثاني انها صفة على بابها وهو من باب اضافة
الصفة للموصوف والاصل الاعين الخائنة كقوله • وان سقيت كرام الناس فاسقينا •
وقد رده الزمخشري وقال لا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد
عليه يعني انه لا يناسب ان يقابل المعنى الا بالمعنى وفيه نظر اذ لقائل ان يقول لا نسلم ان ما في قوله
وما تخفي الصدور مصدرية حتى يلزم ما ذكره بل يجوز ان يكون بمعنى الذي وهو عبارة عن نفس
ذلك الشيء المخفي فيكون قد قابل الاسم عن المصدر بمثله والمراد بقوله وما تخفي الصدور اي
بضمير القلوب واعلم ان الافعال قسمين افعال الجوارح وافعال القلوب اما افعال الجوارح واخفاها
خائنة الاعين والله عالم بها فكيف الحال في سائر الاعمال واما افعال القلوب فهي معلومة
لله تعالى لقوله وما تخفي الصدور فدل هذا على كونه عالما بجميع افعالهم قوله والله يقضي
بالحق وهذا ايضا يوجب عظم الخوف لان الحاكم اذا كان عالما بجميع الاحوال وثبت انه لا يقضي
الا بالحق في كل ما دق وجل كان خوف المذنب منه في الغاية القصوى قوله والذين يدعون
قرا نافع وهشام تدعون بالخطاب للمشركين والباقون بالغيبة اخبارا عنهم بذلك اعلم ان الكفار
انما عولوا في دفع العقاب عن انفسهم على شفاعة هذه الاصنام فبين الله تعالى انه لا فايدة
فيها البتة فقال والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ثم قال ان الله هو السميع البصير
اي يسمع من الكفار ثناءهم على الاصنام ولا يسمع ثناءهم على الله ويبصر خضوعهم وسجودهم لهذه
الاوثان ولا يبصر خضوعهم وتواضعهم لله ولما بالغ في تخويفهم باحوال الاخرة اردفه ببيان
تخويفهم باحوال الدنيا فقال اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
والمعنى ان العاقل من اعتبر بغيره فان الذين مضوا من الكفار كانوا اشد قوة من هؤلاء الحاضرين
من الكفار واقوى اثارا في الارض اي حصونهم وقصورهم وعساكرهم فلما كذبوا رسلهم اهلكهم
الله عاجلا حتى ان هؤلاء الجاحدين من الكفار شاهدوا تلك الاثار يحذرهم الله تعالى من
مثل ذلك وقال وما لهم من الله من واق اي لما نزل العذاب بهم لم يجدوا معينا يخلصهم قوله
فينظروا يجوز ان يكون منصوبا في جواب الاستفهام وان يكون مجزوما نسقا على ما قبله كقوله
الم تسال فتخبرك الرسوم رواه بعضهم بالجزم والنصب قوله منهم قوة قرا ابن عامر منكم على
سبيل الالتفات وكذلك هو في مصاحفهم والباقون منهم بضمير الغيبة جريا على ما سبق من
الضماير الغائبة قوله واثارا عطف على قوة وهو في قوة وتنحتون من الجبال بيوتا امنين
وجعله الزمخشري منصوبا بمقدر قال او اراد واكثر اثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا
ولا حاجة الى هذا مع الاستغناء عنه قوله ذلك اي ذلك العذاب الذي نزل بهم بانهم كانت تاتيهم رسلهم
بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب وهذا مبالغة في التحذير والتخويف
قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا لما سلى رسوله بذكر الكفار الذين كذبوا الانبياء قبله
وبمشاهدة اثارهم سلاه ايضا بذكر قصة موسى عليه السلام وانه مع قوته ومعجزته بعثه الى
فرعون وهامان وقارون فكذبوه وقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا اي بتلك
الايات الباهرة والسلطان المبين وهو المعجزات القاهرة قالوا يعني فرعون وقومه اقتلوا ابناء
الذين امنوا معه قال قتادة هذا غير القتل الاول لان فرعون كان قد امسك عن قتل الولدان

فلما

فلما بعث موسى اعاد القتل عليهم فمعناه اعيدوا عليهم القتل لئلا ينشؤوا على دين موسى فيقوى
بهم وهذه العلة مختصة بالبنين دون البنات فلهذا امر بقتل الابناء واستحيوا نساءهم ليصدوهم
بذلك عن متابعة موسى ومظاهرته ثم قال وما كيد الكافرين اي وما مكر فرعون وقومه
واحتيالهم الا في ضلال اي يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريده الله عز وجل قوله وقال فرعون
ذروني اقتل موسى اي وقال فرعون لملائه ذروني اقتل موسى فتح ابن كثير ذروني وسكنها
الباقون وانما قال فرعون ذلك لانه كان في خاصة قوم فرعون من يمنعه من قتل موسى وفي
منعهم من قتله احتمالان الاول انهم منعوه من قتله لوجوه اولها لعله كان فيهم من يعتقد بقلبه
كون موسى صادقا فيتحيل في منع فرعون من قتله وثانيها قال الحسن ان اصحابه قالوا له لا تقتله
فانما هو ساحر ضعيف ولا يمكن ان يغلب سحرتنا وان قتلته ادخلت الشبهة على الناس ويقولوا
انه كان محقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه وثالثها انهم كانوا يحتالون في منعه من قتله لاجل ان يبقى
فرعون مشغول القلب بموسى فلا يتفرغ لتاديب اولئك الاقوام لان من شان الامراء ان يشغلوا
قلب ملكهم بخصم خارجي حتى يصيروا امنين من قلب ذلك الملك الاحتمال الثاني ان احدا ما منع
فرعون من قتل موسى وانه كان يريد قتله الا انه كان خايفا من انه لو حاول قتله لظهرت معجزات
ظاهرات تمنعه من قتله فيفتضح الا انه قال ذروني اقتل موسى وغرضه منه اخفاء خوفه قوله
وليدع ربه اي وليدع موسى ربه الذي يزعم انه ارسله الينا فيمنعه منا ذكر ذلك استهزاء قوله
تعالى اني اخاف ان يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد قرا الكوفيون ويعقوب او ان باو
للابهام ومعناه انه لا بد من وقوع احد الامرين والباقون بواو النسق على تسلط الخوف على التبديل
وظهور الفساد معا وفتح نافع وابن كثير وابو عمرو الياء من اني اخاف وقرا نافع وابو عمرو وحفص
يظهر بضم الياء وكسر الهاء من اظهر وفاعله ضمير موسى عليه السلام الفساد نصبا على المفعول به
والباقون بفتح الياء والهاء من ظهر الفساد رفعا بالفاعلية وزيد بن علي يظهر مبنيا للمفعول
الفساد مرفوع لقيامه مقام الفاعل ومجاهد يظهر بتشديد الظاء والهاء واصلها يتظهر من
تظهر بتشديدها فادغم التاء في الظاء الفساد رفع على الفاعلية **فصل** ذكر فرعون
السبب الموجب لقتل موسى وهو ان الموجب لقتله اما فساد الدين او فساد الدنيا اما فساد الدين
فلان القوم اعتقدوا ان الدين الصحيح هو الذي كانوا عليه فلما كان موسى ساعيا في افساده
اعتقدوا انه ساعي في افساد الدين الحق واما فساد الدنيا فهو انه لا بد وان يجتمع عليه قوم ويصير
ذلك سببا لوقوع الخصومات واثارة الفتن ولما كان حب الناس لاديانهم فوق حبهم لاموالهم
لا جرم بدا فرعون بذكر الدين فقال اني اخاف ان يبدل دينكم ثم اتبعه بذكر فساد الدنيا فقال
وان يظهر في الارض الفساد قوله وقال موسى اني عذت بربي قرا نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي
عذت بادغام الدال والباقون بالاظهار وقوله لا يؤمن صفة لمتكبر **فصل** لما توعد
فرعون موسى بالقتل لم يات في دفع شره الا بان استعاذ بالله واعتمد على فضل الله فلا جرم
صانه الله وحفظه منه واعلم ان الموجب للاقدام على ايذاء الناس امران احدهما كون الانسان متكبرا
قاسي القلب والثاني كونه منكرا للبعث والقيامة لان المتكبر القاسي القلب قد يحمله طبعه على ايذاء
الناس الا انه اذا كان مقرا بالبعث والحساب صار خوفه من الحساب مانعا له عن الجري على موجب
تكبره فاذا لم يحصل له الايمان بالبعث والقيامة كان طبعه داعيا له الى الايذاء لان المانع وهو الخوف
من السؤال والحساب زايل فلا جرم لفظ القسوة والايذاء قوله وقال رجل مؤمن من ال فرعون
اختلفوا في هذا المؤمن قال مقاتل والسدي كان قبطيا ابن عم فرعون وهو الذي حكى الله عنه
وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى وقيل كان اسرائيليا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الصديقون حبيب النجار مؤمن ال ياسين ومؤمن ال فرعون الذي قال اتقتلون رجلا ان
يقول ربي الله والثالث ابو بكر الصديق وهو افضلهم وعن جعفر بن محمد انه قال كان ابو بكر خيرا
من مؤمن ال فرعون لانه كان يكتم ايمانه وقال ابو بكر جهارا اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله
وكان ذلك سرا وهذا جهارا روي عروة بن الزبير قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص اخبرني
باشد ما صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلي بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم

تلوي ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا واقبل ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم
قال ابن عباس واكثر العلما كان اسم الرجل حزبيل وقال ابن اسحاق جبريل وقال حبيب
قوله رجل مومن الاكثرون قرأوا بضم الجيم وقري رجل بكسر الجيم كما يقال عضد في عضد وقرا
الاعمش وعبد الوارث بتسكينها وهي لغة تميم ونجد والاولى هي الفصحى قوله من ال يحتمل
ان يكون متعلقا بيكتم بعده اي يكتم ايمانه من ال فرعون فتنح هذا الاحتمال غير جايز لانه
لا يقال كتمت من فلان كذا انما يقال كتمته كذا قال تعالى ولا يكتمون الله حديثا بل الظاهر
تعلقه بمحذوف صفة لرجل قال ابن الخطيب يجوز ان يكون متعلقا بقوله مومن وان كان
ذلك المومن شخصا من ال فرعون قال شهاب الدين وجاهنا على احسن ترتيب حيث قدم
المفرد ثم ما يقرب منه وهو حرف الجر ثم الجملة وقد تقدم ايضاح هذه المسئلة في المايدة وغيرها
ويترتب على الوجهين هل كان هذا الرجل من قرابة فرعون فعلى الاول لا دليل فيه وعلى
الثاني فيه دليل وقد رد بعضهم الاول بما تقدم وانه لا يقال كتمت من فلان كذا انما يقال
كتمت فلانا كذا فيتعدى لاثنين بنفسه قال تعالى ولا يكتمون الله حديثا وقال الشاعر

كتمتك هما بالجومين ساهرا • وهمين هما مستكنا وظاهرا
احاديث نفس تشتكي ما يريبها • وورد هموم لن يجدن مصادرا

اي كتمتك احاديث نفس وهمين فقدم المعطوف على المعطوف عليه ومحله الشعر قوله ان يقول
ربي اي كراهة ان يقول او لان يقول وقال الزمخشري ولك ان تقدر مضافا محذوفا اي وقت ان
يقول والمعنى اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر وهذا الذي اجازه
رده ابو حيان بان تقدير هذا الوقت لا يجوز الا مع المصدر المصرح به بقول جيتك صياح
الديك اي وقت صياحه ولو قلت اجيك ان صاح الديك او ان يصيح لم يصح نص عليه النحويون
قوله وقد جاءكم جملة حالية يجوز ان يكون من المفعول فان قيل هي نكرة فالجواب انه في
غير الاستفهام وكلما سوغ الابتداء بالنكرة سوغ انتصاب الحال عنها ويجوز ان يكون حالا
من الفاعل **فصل** لما حكى الله تعالى عن موسى عليه السلام انه ما زاد في دفع مكر
فرعون وشره على الاستعاذة بالله بين انه تعالى قيض له انسانا اجنبيا حتى ذب عنه
باحسن الوجوه وبالغ في تسكين تلك الفتنة فقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وهذا
استفهام على سبيل الانكار وذكر في هذا الكلام ما يدل على حسن ذلك الانكار وذلك لانه
ما زاد على ان قال ربي الله وجا بالبينات وذلك لا يوجب القتل البتة فقوله وقد جاءكم
بالبينات من ربكم يحتمل وجهين الاول ان قوله ربي الله اشارة الى التوحيد وقوله وقد جاءكم
بالبينات من ربكم اشارة الى تقرير النبوة باظهار المعجزة الثاني ان قوله ربي الله اشارة
الى الدلايل الدالة على التوحيد ثم ذكر ذلك المومن حجة ثانية على ان الاقدام على قتله غير
جايز وهي حجة مذكورة على طريق التقسيم فقال ان كان هذا الرجل كاذبا كان وبال كذبه
عايدا عليه فاتركوه وان كان صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فعلى كلا التقديرين
الاولى ابقاوه حيا فان قيل الاشكال على هذا الدليل من وجهين الاول ان قوله فان يك
كاذبا فعليه كذبه معناه ان ضرر كذبه مقصور عليه لانه يدعو الناس الى ذلك الدين
الباطل ويغتر به جماعة ويقعون في المذهب الباطل والاعتقاد المسي ثم يقع بينهم وبين
غيرهم الخصومات الكثيرة فثبت ان تقدير كونه كاذبا لم يكن ضرر كذبه مقصورا عليه بل يكون
متعديا الى الكل ولهذا اجمع العلما على ان الزنديق الذي يدعو الناس الى زندقته يجب
قتله وثانيها انه ان كان هذا الكلام حجة له فلكل كذاب ان يتمسك بهذه الطريقة
فيمكن جميع الزنادقة والمبطلة من ادياتهم الباطلة وثانيها ان الكفار الذين انكروا
نبوة موسى عليه السلام يجب ان لا يجوز الانكار عليهم لانه يقال ان كان ذلك المنكر
كاذبا في ذلك الانكار فعليه كذبه وان يك صادقا فانتفعتم بصدقه فثبت ان هذه
الطريق صوبت صدقه وما افضى ثبوته الى عدم صدقه كان فاسدا الوجه الثاني
كان من الواجب ان يقال وان يك صادقا يصبكم كل الذي يعدكم لان الذي يصيبه من

بعض

بعض الذي يعد دون البعض هم الكهان والمنجمون اما الرسول الصادق الذي لا يتكلم الا بالوحي
فانه يجب ان يكون صادقا في كل ما يقول فكان قوله يصبكم بعض الذي يعدكم غير لايق بهذا
المقام والجواب عن الاسولة الثلاثة بان تقدير الكلام ان يقال انه لا حاجة بكم في دفع شره
الى قتله بل يكفيكم ان تمنعوه من اظهار هذه المقالة ثم تتركوا قتله فان كان كاذبا فحينئذ
لا يعود ضرره الا اليه وان كان صادقا فانتم تنتفعون به فالمقصود من ذلك التقسيم انه لا حاجة
بكم الى قتله بل يكفيكم ان تعرضوا عنه وان تمنعوه من اظهار دينه واما الجواب عن الوجه الثاني
وهو قوله كان الاولى ان يقال يصبكم كل الذي يعدكم فهو من وجوه الاول ان مدار هذا
الاستدلال على اظهار الانصاف وترك اللجاج لان المقصود منه انه كان كاذبا كان ضرر كذبه
مقصورا عليه وان كان صادقا فلا اقل من ان يصيبكم بعض ما يعدكم واذا كان المقصود من
الكلام هذا صح ونظيره قوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين الثاني انه عليه السلام
كان يتوعدهم بعذاب الدنيا وبعذاب الاخرة فاذا وصل اليهم في الدنيا عذاب الدنيا فقد
اصابهم بعض الذي وعدهم به الثالث قال الزمخشري بعض على بابها وانما قال ذلك
ليهضم موسى بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا فضلا عن
ان يتعصب له وهذا احسن من قول ابي عبيدة وغيره ان بعض بمعنى كل وانشدوا قول لبيد

تراك امكنة اذا لم ارضها • او يرتبط بعض النفوس حمامها

وانشدوا ايضا قول عمرو بن شييم •

قد يدرك المتاني بعض حاجته • وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقول الاخر • ان الامور اذا الاحداث دبرها • دون الشيوخ ترى في بعضها الخللا

قال شهاب الدين ولا ادري كيف فهموا الكل من البيتين الاخيرين واما الاول ففيه بعض دليل
لان الموت ياتي على الكل قال ابن الخطيب والجمهور على ان هذا القول خطا قالوا واراد لبيد
ببعض النفوس نفسه ومعنى البيت انه وصف نفسه بانه تراك امكنة اي كثير النزول في
اماكن لا يرضاها الا ان يربط نفسه الحمام وهو الحمام وقال الليث بعض ههنا صلة يريد يصبكم
الذي يعدكم ولما حكى الزمخشري قول ابي عبيدة ان بعض بمعنى كل وانشد عنه بيت لبيد قال
ان صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازني في مسئلة العلقى كان اجفى من ان يفقه
ما اقول له قال شهاب الدين ومسئلة المازني معه هي ان ابا عبيدة قال للمازني ما اكذب
النحويين يقولون ها التانيث لا يدخل على الف التانيث وان الالف في علقى ملحقة قال
فقلت له وما انكرت من ذلك فقال سمعت روبة ينشد يخبط في علقى فلم ينونها فقلت ما واحد
علقى قال علقاة قال المازني فاسفت ولم افسر له لانه كان اغلظ من ان يفهم مثل هذا قال
شهاب الدين وانما استغلطه المازني لان الالف التي للالحاق تدخل عليها تا التانيث دالة
على الوحدة فيقال ارطا وارطاة وانما الممتنع دخولها على الف التانيث نحو دعوى وضرعى واما
عدم تنوين علقى فلانه سمى بها شيئا بعينه والف الالحاق حال العلمية تجري مجرى الف
التانيث فيمتنع الاسم الذي هي فيه كما تمتنع فاطمة وينصرف قايمة قوله ان الله لا يهدي من هو
مسرف كذاب وفيه احتمالان الاول ان هذا اشارة الى الرمز والتعريض بعلو شان موسى عليه السلام
والمعنى ان الله تعالى هدى موسى الى الاتيان بالمعجزات الباهرة ومن هداه الى الاتيان بالمعجزات
لا يكون مسرفا كذابا فدل على ان موسى ليس من الكذابين الاحتمال الثاني ان يكون المراد ان فرعون
مسرف في عزمه على قتل موسى كذاب في ادعايه الالهية والله لا يهدي من هذا شانه وصفته بل
يبطله ويهدم امره قوله يا قوم لكم الملك اليوم اعلم ان مومن ال فرعون لما استدل على انه لا يجوز
قتل موسى خوف فرعون وقومه ذلك العذاب الذي توعدهم به في قوله يصبكم بعض الذي يعدكم
فقال يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض ارض مصر يعني قد علوتم الناس وقهرتموهم
فلا تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبي فانه لا مانع من عذاب
الله ان حل بكم وانما قال ينصرنا وجاءنا لانه كان يظهر انه منهم وان الذي ينصحهم به هو مشارك لهم فيه
قوله ظاهرين حال من الضمير في لكم والعامل فيها وفي اليوم ما تعلق به لكم وقال المومن هذا
الكلام قال فرعون ما اريكم الا ما ارى هي من روية الاعتقاد فيتعدى لمفعولين فانيهما الا ما ارى

اي الا ما اري لنفسي وقال الضحاك ما اعلمكم الا ما اعلم **قوله** تعالى وما اهديكم الا سبيل الرشاد
العامة على تخفيف الشين مصدر رشد يرشد وقرا معاذ بن جبل بتشديدها وخرجها ابو الفتح
وغيره على انها صفة مبالغة نحو ضرب فهو ضراب وقال النحاس هو لحن وتوهمه من الرباعي يعني ارشد
ورد على النحاس قوله بانه يحتمل ان يكون من رشد الثلاثي وهو الظاهر وقد جا فعال ايضا من
افعل وان كان لا ينقاس قالوا ادرك فهو دراك واجبر فهو جبار واقصر فهو قصار واسار فهو سار
ويدل على انه صفة مبالغة ان معاذا كان يفسرها بسبيل الله قال ابن عطية ويبعد عندي على
معاذ رضي الله عنه وهل كان فرعون يدعي الا الالهية ويقلق بنا اللفظ على هذا التركيب قال
شهاب الدين يعني ابن عطية انه كيف يقول فرعون ذلك فيقر بان ثم من يهدي الي الرشاد غيره مع
انه يدعي انه اله وهذا الذي عزاه ابن عطية انه كيف يقول فرعون والزمخشري وابن جبارة صاحب
الكامل الي معاذ بن جبل من القراة المذكورة ليس هو في الرشاد الذي هو في كلام فرعون كما توهموا
وانما هو في الرشاد الثاني الذي هو من قول المومن بعد ذلك ويدل على ذلك ما قال ابو الفضل
الرازي في كتاب اللوامح معاذ بن جبل سبيل الرشاد الحرف الثاني بالتشديد وكذلك الحسن وهو
سبيل الله تعالى الذي اوضحه لعباده كذلك فسره معاذ وهو منقول من مرشد كدراك من مدرك
وجبار من مجبر وقصار من مقصر عن الامر ولها نظاير معدودة فاما قصار الثوب فهو من قصرت
الثوب قصارة فعلى هذا يزول اشكال ابن عطية المتقدم ويتضح القراة والتفسير وقال ابو البقا
وهو الذي يكثر منه الارشاد او الرشد يعني انه يحتمل ان يكون من ارشد الرباعي او رشد الثلاثي
والاولى ان يكون من الثلاثي لما عرفت انه ينقاس دون الاول **قوله** يا قوم اني اخاف
عليكم مثل يوم الاحزاب اعلم ان الله تعالى حكى عن ذلك المومن انه كان يكتم ايمانه والذي يكتم ايمانه
كيف يمكنه ان يذكر هذه الكلمات مع فرعون فلهذا السبب حصل ههنا قولان الاول ان فرعون لما
قال ذروني اقتل موسى لم يصرح ذلك المومن بانه على دين موسى بل اوهم انه على دين فرعون الا انه
زعم ان المصلحة تقتضي ابقا موسى لانه لم يصدر عنه الا الدعوة الي الله والاتيان بالمعجزات القاهرة
وهذا لا يوجب القتل فالاقدام على قتله يوجب الوقوع في السنة الناس بقبيح الكلمات بل الاولى
تاخير قتله ومنعه من اظهار دينه لانه ان كان كاذبا فوبال كذبه عليه وان كان صادقا حصل
الانتفاع به من بعض الوجوه ثم اكد ذلك بقوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يعني انه ان كان
صدق فيما يدعيه من اثبات الاله القادر الحكيم فهو لا يهدي المسرف الكذاب فاوهم بقوله ان الله
لا يهدي من هو مسرف كذاب انه يريد به موسى وانما كان يقصد به فرعون لان المسرف الكذاب
هو فرعون والقول الثاني ان مومن ال فرعون كان يكتم ايمانه فلما قال فرعون ذروني اقتل
موسى ازال الكتمان واظهر انه على دين موسى وشافه فرعون بالحق وقال يا قوم اني اخاف عليكم
مثل يوم الاحزاب اي مثل ايام الاحزاب الا انه لما اضاف اليوم الي الاحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد
وثمود وكان لكل حزب يوم في العذاب اقتصر من الجمع على ذكر الواحد لعدم الالتباس **قوله**
مثل داب يجوز ان يكون مثل بدلا او ان يكون عطف بيان والمعنى مثل دابهم في عملهم من الكفر
والتكذيب وساير المعاصي دايما لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزا دابهم والحاصل
انه خوفهم الهلاك في الدنيا ثم خوفهم هلاك الاخرة فقال وما الله يريد ظلما للعباد اي لا يهلكهم
قبل اقامة الحجة عليهم والمقصود التشبيه على عذاب الاخرة يعني ان تدمير اوليك الاحزاب كان
عدلا بانهم استوجبوا بتكذيب الانبيا وتلك العلة قايمة هنا فوجب حصول الحكم هنا قالت المعتزلة
قوله وما الله يريد ظلما للعباد يدل على انه لا يريد ان يظلم العباد ولا يريد الظلم من احد من
العباد البتة ولو خلق الكفر فيهم ثم عذبهم على ذلك الكفر لكان ظالما واذا ثبت انه لا يريد الظلم
البتة ثبت انه غير خالق لافعال العباد لانه لو خلقها لارادها وثبت ايضا انه قادر على الظلم اذ لو لم
يقدر عليه لما حصل التمدح بترك الظلم وهذا الاستدلال قد تقدم مع الجواب **قوله** ويا قوم
اني اخاف عليكم يوم التناد التنادي تفاعل من الندا يقال تنادى القوم اي نادى بعضهم بعضا
والاصل اليا وقد تقدم الخلاف في يايه كيف تحذف وتثبت وهو مصدر تنادى تناديا نحو تقاتل تقاتلا
والاصل وتناديا بضم الدال ولكنهم كسروها لتصح اليا وقرات طايفة بسكون الدال اجرا للوصل
مجرى الوقف وتنادي القوم اي نادى بعضهم بعضا قال تنادوا فقالوا اردت الخيل فارسا فقلنا

عبيد الله ذلكم الردي • وقال اخر • تنادوا بالرحيل غداة وفي ترحالهم نفسي •
وقرا ابن عباس والضحاك والكلبي وابو صالح وابن مقسم والزعفراني في اخرين بتشديدها مصدر
تناد من ند البعير اذا هرب ونفر وهو في معنى قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الاية ويدل على
صحة هذه القراة قوله تعالى بعد ذلك يوم تولون مدبرين قال ابو علي التنادي مخففا من التناد
من قولهم ند فلان اذا هرب وفي الحديث ان للناس جولة يندون يظنون انهم يجدون مهربا وقال امية بن
ابي الصلت • وبث الخلق فيها اذ دحاها • فهم سكانها حتى التنادي •
قوله يوم تولون يجوز ان يكون بدلا من يوم التناد وان يكون منصوبا باضمار اعني ولا يجوز ان
يكون عطف بيان لانه نكرة وما قبله معرفة وقد تقدم في قوله فيه ايات بينات مقام ابراهيم ان
الزمخشري جعله بيانا مع تخالفهما تعريفا وتنكيرا وهو عكس هذا فان الذي نحن فيه الثاني نكرة
والاول معرفة **قوله** ما لكم من الله من عاصم يجوز في من عاصم ان يكون فاعلا بالجار لاعتماده على
النفي وان يكون مبتدا ومن مزيدة على كلا التقديرين ومن الله متعلق بعاصم

فصل

اجمع المفسرون على ان يوم التنادي يوم القيمة وفي تسميته بهذا الاسم وجوه قيل لان اهل النار ينادون
اصحاب الجنة واصحاب الجنة ينادون اصحاب النار كما حكى الله عنهم وقال الزجاج هو قوله تعالى
يوم ندعوا كل اناس بامامهم وقيل ينادي بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور فيقولون يا ويلنا
وقيل ينادون الي المحشر وقيل ينادي المومن هاوم اقروا كتابيه والكافر يا ليتني لم اوت كتابيه
وقيل ينادي باللعنة على الظالمين وقيل يجا بالموت على صورة كبش املح يذبح بين الجنة والنار
ثم ينادي يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت وقيل ينادي بالسعادة والشقاوة
الا ان فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا وفلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد
بعدها ابدا وقوله يوم تولون مدبرين قال الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا ياتون قطرا
من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا فيرجعوا الي مكانهم فذلك قوله والملك على ارجايها وقوله
يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا وقال مجاهد
فارين عن النار غير معجزين ثم اكد التهديد فقال ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه ثم نبه
على قوة ضلالتهم وشدة جهالتهم فقال ومن يضلل الله فما له من هاد **قوله** ولقد جاكم يوسف
من قبل بالبينات يعني يوسف بن يعقوب من قبل موسى بالبينات ونقل الزمخشري انه قيل يوسف
ابن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب اقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون
يوسف بقي حيا الي زمانه وقيل هو فرعون اخر والمقصود من الكل شي واحد وهو ان يوسف
جاهم بالبينات وهي قوله ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار والاولى ان يراد بها المعجزات
واعلم ان مومن ال فرعون لما قال لهم ومن يضلل الله فما له من هاد ذكر هذا المثال وهو ان يوسف
جاهم بالبينات الباهرة فاصروا على التكذيب ولم ينتفعوا بتلك الدلايل وهذا يدل على ان من اضله
الله فما له من هاد ثم قال فما زلتم في شك مما جاكم به قال ابن عباس من عبادة الله وحده
لا شريك له فلم ينتفعوا البتة بتلك البينات **قوله** حتى اذا غاية لقوله فما زلتم في شك فلما
هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا اي اقمتم على كفركم وظننتم ان الله لا يجدد عليكم الحجة وقرى
الن يبعث الله من بعده رسولا بادخال همزة التقرير يقرر بعضهم بعضا **قوله** كذلك اي الامر كذلك
او مثل هذا الضلال يضل الله كل مسرف كذاب في عصيانه مرتاب في دينه فقوله يضل الله مستانف
او نعت مصدر اي مثل اضلال الله اياكم حين لم تقبلوا من يوسف يضل الله من هو مسرف ثم بين تعالى
ما لاجله بقوا في ذلك الشك والاسراف فقال الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم
اي بغير حجة بل اما بنا على التقليد واما بنا على شبهات خسيسة **قوله** الذين يجادلون يجوز فيه
عشرة اوجه احدها انه بدل من قوله من هو مسرف وانما جمع اعتبارا بالمعنى الثاني انه يكون
بيانا له الثالث ان يكون صفة له وجمع على معنى من ايضا الرابع ان ينتصب باضمار اعني الخامس
ان يرتفع خبر مبتدا مضمر اي هم الذين السادس ان يرتفع مبتدا خبره يطبع الله وكذلك خبر مبتدا
مضمر ايضا اي الامر كذلك والعايد من الجملة وهي يطبع على المبتدا محذوف اي على كل قلب متكبر منهم
السابع ان يكون مبتدا والخبر كبر مقتا ولكن لا بد من حذف مضاف ليعود الضمير من كبر عليه والتقدير
حال الذين يجادلون كبر مقتا ويكون مقتا تمييزا وهو منقول من الفاعلية اذ التقدير كبر مقتا حالهم

اي حال المجادلين الثامن ان يكون الذين مبتدا ايضا ولكن لا يقدر حذف مضاف ويكون فاعل
كبر ضميرا عايدا على جدالهم المفهوم من قوله ما يجادل والتقدير كبر جدالهم مقتا ومقتا على ما تقدم
اي كبر مقت جدالهم التاسع ان يكون الذين مبتدا ايضا والخبر بغير سلطان اتاهم قال الزمخشري
ورده ابو حيان بان فيه تفكيك للكلام بعضه من بعض لان الظاهر تعلق بغير سلطان بيجادلون
ولا يتعقل جعله خبرا للذين لانه جار ومجرور فيصير التقدير الذين يجادلون كائنون او مستقرون
بغير سلطان اي في سلطان لان الباء اذ ذاك ظرفية خبر عن الجثث العاشر انه مبتدا وخبره محذوف
اي معاندون ونحوه قال ابو البقا قوله كبر مقتا يحتمل ان يراد به التعجب والاستفهام وان يراد به
الذم كبيس وذلك انه يجوز ان يبنى فعل بضم العين مما يجوز التعجب منه ويجري مجرى نعم وبيس في
جميع الاحكام وفي فاعله ستة اوجه الاول انه ضمير عايد على حال المضاف الى الذين كما تقدم تقريره
الثاني انه ضمير يعود على جدالهم المفهوم من يجادلون كما تقدم تقريره ايضا الثالث انه الكاف في كذلك
قال الزمخشري اوفا على كبر قوله كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستانف ورده
ابو حيان بان فيه تفكيكا للكلام وارتكاب مذهب ليس بصحيح اما التفكيك فلان ما جا في القران
من كذلك نطبع او يطبع انما جا مربوطا بعضه ببعض فكذلك هذا واما ارتكاب مذهب غير صحيح
فانه جعل الكاف اسما ولا يكون اسما الا في ضرورة خلافا للاخفش الرابع ان الفاعل محذوف نقله
الزمخشري قال ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه
قال شهاب الدين القايل بذلك هو الحوفي لكنه لا يريد بذلك تفسير الاعراب انما يريد به تفسير
المعنى وهو معنى ما تقدم من ان الفاعل ضمير يعود على جدالهم المفهوم من فعله فصرح الحوفي
بالاصل وهو الاسم الظاهر ومراده ضمير يعود عليه الخامس ان الفاعل ضمير يعود على ما بعده وهو
التمييز نحو نعم رجلا زيد وبيس غلاما عمرو السادس انه ضمير يعود على من في قوله من هو مسرف واعاد الضمير
من كبر مفردا اعتبارا بلفظها وحينيذ يكون قد راعى لفظ من اولا في قوله من هو مسرف كذاب ثم
معناها ثانيا في قوله الذين يجادلون الى اخره ثم لفظها ثالثا في قوله كبر وهذا كله اذا اعربت
الذين تابعا لمن هو مسرف نعتا او بيانا او بدلا وقد تقدم ان الجملة من قوله كبر مقتا فيها وجهان
احدهما الرفع اذا جعلناها خبر المبتدا والثاني انها لا محل لها اذا لم نجعلها خبرا بل هي جملة استنافية
وقوله عند الله متعلق بكبر وكذلك قد تقدم انه يجوز ان يكون خبر المبتدا محذوف وان يكون
فاعلا وهما ضعيفان والثالث وهو الصحيح انه معمول ليطبع اي مثل ذلك الطبع يطبع الله
ويطبع الله فيه وجهان اظهرهما انه مستانف والثاني انه خبر للموصول كما تقدم قوله قلب
متكبر قرا ابو عمرو وابن ذكوان بتنوين قلب وصفا القلب بالتكبر والجبروت لانهما ناشيان
منه وان كان المراد الجملة كما وصف بالاثم في قوله فانه اثم قلبه وفي قوله ان في صدورهم الا كبر
قال ابن الخطيب وايضا قال قوم الانسان الحقيقي هو القلب والباقون باضافة قلب
الى ما بعده اي على قلب كل شخص متكبر قال ابو عبيدة الاختيار الاضافة لوجوه الاول ان
عبد الله قرا على قلب كل متكبر وهو شاهد لهذه القراءة الثاني ان وصف الانسان بالتكبر والجبروت
اولى من وصف القلب بهما وقدره الزمخشري مضافا في القراءة الاولى اي على كل ذي قلب متكبر
بجعل الصفة لصاحب القلب قال ابو حيان ولا ضرورة تدعو الى اعتقاد الحذف قال
شهاب الدين بلى ثم ضرورة الى ذلك وهو توافق القراءتين فانه يصير الموصوف في القراءتين واحدا
وهو صاحب القلب بخلاف عدم التقدير فانه يصير الموصوف في احدهما القلب وفي الاخرى
صاحبه **فصل** قال الزجاج قوله الذين يجادلون تفسير المسرف المرتاب يعني هم
الذين يجادلون في ايات الله اي في ابطالها بالتكذيب بغير سلطان حجة اتاهم كبر مقتا اي كبر
ذلك الجدال مقتا عند الله وعند الذين امنوا ودلت الاية على انه يجوز وصف الله تعالى
بانه قد مقت بعض عباده لكنها صفة واجبة التاويل في حق الله كالغضب والحيا
والتعجب ثم بين ان هذا المقت كما حصل عند الله فكذلك حصل عند الذين امنوا قال القاضي
مقت الله اياهم يدل على ان فعلهم ليس بخلق الله لان كونه فاعلا للفعل وماقتا له محال
فصل قد تقدم الكلام في الطبع والرين والقسوة قال اهل السنة قوله كذلك
يطبع الله يدل على ان الكل من عند الله وقالت المعتزلة الاية تدل على ان هذا الطبع انما حصل

لانه

لانه كان في نفسه متكبرا جبارا قال ابن الخطيب وعند هذا تصير الاية حجة لكل واحد
من الفريقين من وجه وعليه من وجه اخر والقول الثاني يخرج عليه رجحان مذهبنا
وهو انه تعالى يخلق دواعي الكبر والرياسة في القلب فتصير تلك الدواعي مانعة عن
حصول ما يدعوا الى الطاعة والانقياد لامر الله فيكون القول بالقضا والقدر حقا ويكون
تعليل القلب بكونه متكبرا مجبرا باقيا فثبت ان القول بالقضا والقدر هو الذي ينطبق
عليه لفظ القران من اوله الى اخره **فصل** قال مقاتل الفرق بين المتكبر والجبار
ان المتكبر عن قبول التوحيد والجبار في غير حق قال ابن الخطيب كمال السعادة في امرين
التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فعلى قول مقاتل المتكبر كالمضاد للتعظيم لامر الله
والجبروت كالمضاد للشفقة على خلق الله قوله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا
الاية قال المفسرون ان فرعون قال لوزيره هامان ابن لي صرحا والصرح البنا الظاهر
الذي لا يخفى على الناظر وان بعد واصله من التصريح وهو الاظهار لعلي ابلغ الاسباب واسباب
السموات طرقها فان قيل ما فايدة هذا التكرير ولو قيل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات
كان كافيا فاجاب الزمخشري عنه فقال انه اذا ابهم الشي ثم اوضح كان تفخيما لشانه فلما اراد
تفخيم اسباب السموات ابهمها ثم اوضحها **فصل** اختلف الناس في ان فرعون هل قصد
بنا الصرح ليصعد منه الى السموات ام لا قال ابن الخطيب اما الظاهريون من المفسرين فقد
قطعوا بذلك وذكروا حكاية طويلة في كيفية بنا الصرح والذي عندي ان هذا بعيد والدليل
عليه ان فرعون لا يخلوا اما ان يقال انه كان مجنونا او عاقلا فان كان مجنونا لم يجز من الله عز
وجل ان يذكر حكاية كلامه في القران وان كان عاقلا فيقول ان كل عاقل يعلم ببديهة عقله انه
يتعذر في قدرة البشر وضع ما يكون ارفع من الجبل العالي ويعلم ايضا ببديهة عقله انه لا يتفاوت
البصر من حال السما بين ان ينظر اليها من اسفل الجبال وبين ان ينظر اليها من اعلا الجبال واذا
كان هذان العلمان بديهيان امتنع ان يقصد العاقل وضع بنا يصعد منه الى السما واذا كان
فساده معلوما بالضرورة امتنع اسناده الى فرعون والذي عندي في تفسير هذه الاية ان فرعون
كان من الدهرية وغرضه من هذا الكلام ايراد شبهة في نفي الصانع وتقريره انه قال انا لا نرى
شيا نحكم عليه انه الاله العالم فانه لو كان موجودا لكان في السما ونحن فلا سبيل لنا الى صعود السموات
فكيف يمكننا ان نراه ثم انه لاجل المبالغة في بيان انه لا يمكن الصعود الى السما قال يا هامان ابن لي
صرحا لعلي ابلغ الاسباب والمقصود انه لما عرف كل احد ان هذا الطريق ممتنع كان الوصول الى
معرفة وجود الله بطريق الحس ممتنعا ونظيره قوله تعالى فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض
او وضع سلما الى السما فتاتيهم باية وليس المراد منه ان محمدا صلى الله عليه وسلم طلب نفقا في الارض
او وضع سلما الى السما بل المعنى انه لما عرف ان هذا المعنى ممتنع فقد عرفت انك لا سبيل لك الى تحصيل
ذلك المقصود كذا ههنا غرض فرعون من قوله يا هامان ابن لي صرحا يعني ان الاطلاع الى اله
موسى لما كان لا سبيل اليه الا بهذا الطريق فكان هذا الطريق ممتنعا فحينيذ يظهر منه انه لا سبيل الى
معرفة الاله الذي يثبته موسى واعلم ان هذه الشبهة فاسدة لان طرق العلم ثلاثة الحس والخبر
والنظر ولا يلزم من انتفا طريق واحد في معرفة الله تعالى وهو الحس انتفاء المطلوب وذلك
ان موسى عليه السلام قد بين لفرعون ان الطريق في معرفة الله تعالى انما هو الحجة والدليل
كما قال ربكم ورب ابايكم الاولين رب المشرق والمغرب الا ان فرعون بخبثه ومكره تغافل عن ذكر
الدليل والقى الى الجهال انه لما كان لا طريق الى الاحساس بهذا الاله وجب نفيه قوله اسباب
السموات فيه وجهان احدهما انه تابع لما قبله بدلا او عطف بيان والثاني انه منصوب
باضمار اعني والاول اولى اذ الاصل عدم الاضمار قوله فاطلع العامة على رفعه عطفا على ابلغ
فهو داخل في حيز الترجي وقرا حفص في اخرين بنصبه وفيه ثلاثة اوجه احدها انه جواب
الامر في قوله ابن لي فنصب بان مضمرة بعد الفا في جوابه على قاعدة البصريين كقوله
يا ناق سيري عنقا فسيحا • الى سليمان فنستريحا
وهذا اوفق لمذهب البصريين الثاني انه منصوب قال ابو حيان عطفا على التوهم لان خبر
لعل كثيرا جا مقرونا بان كثيرا في النظم وقليلا في النثر فمن نصب توهم ان الفعل المرفوع ده

الواقع جوابا منصوب بان والعطف على التوهم كثير وان كان لا ينقاس انتهى الثالث انه ينتصب على جواب الترجي في لعل وهو مذهب كوفي استشهد اصحابه بهذه القراءة وبقراءة نافع وما يدريك لعله يزكي او يذكر فتنفعه بنصب فتنفعه جوابا لقوله لعله والى هذا نحا الزمخشري قال تشبيها للترجي بالتمني والبصريون يابون ذلك ويخرجون القراءتين على ما تقدم وفي سورة عبس يجوز ان يكون جوابا للاستفهام في قوله وما يدريك فانه مترتب عليه معنى وقال ابن عطية وابن جبارة الهذلي على جواب التمني وفيه نظر اذ ليس في اللفظ تمن انما فيه ترج وقد فرق الناس بين التمني والترجي بان الترجي لا يكون الا في الممكن عكس التمني فانه يكون فيه وفي المستحيل كقوله • ليت الشباب هو الرجيع على الفتى • والشيب كان هو البدي الاول •
قوله وكذلك زين لفرعون قرئ زين مبنيا للفاعل وهو الشيطان وتقدم الخلاف في وصد عن السبيل في الرعد فمن بناه للفاعل حذف المفعول اي صد قومه عن السبيل وهو الايمان قالوا ومن صده قوله لاقطعن ايديكم وارجلكم الاية ويدل على ذلك قوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وقوله الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام وابن وثاب وصد بكسر الصاد كانه نقل حركة الدال الاولى الى فاء الكلمة بعد توهم سلب حركتها وقد تقدم ذلك في ردت وانه يجوز فيه ثلاث لغات الجائزة في قيل وبيع وابن ابي اسحاق وعبد الرحمن بن ابي بكرة وصد بفتح الصاد ورفع الدال المنونة جعله مصدرا منسوقا على سوء عمله اي زين له الشيطان سوء العمل والصد ثم قال وما كيد فرعون الا في تباب اي وما كيده في ابطال ما جاء به موسى الا في خسار وهلاك والتباب الخسار وقد تقدم في قوله غير تتبيب قوله تعالى وقال الذي امن يا قوم اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد اي طريق الهدى يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع اي متعة ينتفعون بها ثم تنقطع وان الاخرة هي دار القرار التي لا تزول ثم قال من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة تقدم الخلاف في قوله يدخلون الجنة في سورة النساء يرزقون فيها بغير حساب قال مقاتل لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير واختلفوا في تفسير قوله بغير حساب فقيل لما كان لا نهاية لذلك الثواب قيل بغير حساب وقيل لانه تعالى يعطيهم ثواب ايمانهم ويضم الى ذلك الثواب من الفضل ما يخرج عن الحساب وقوله بغير حساب واقع في مقابلة الا مثلها يعني ان جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وغير حساب وهذا يدل على ان جانب الرحمة والفضل راجح على جانب العقاب فاذا عارضنا عمومات الوعيد بعمومات الوعد وجب ان يكون الترجيح لجانب عمومات الوعد وذلك يهدم قواعد المعتزلة **فصل**
احتج اهل السنة بهذه الاية فقالوا قوله ومن عمل صالحا نكرة في معرض الشرط في جانب الاثبات يجري مجرى ان يقال من ذكر كلمة او خطا خطوة كذا او كذا فانه يدخل فيه من اتى بتلك الكلمة وتلك الخطوة مرة واحدة فكذلك ههنا وجب ان يقال كل من عمل صالحا واحدا من الصالحات فانه يدخل الجنة ويرزق فيها بغير حساب والاتي بالايمان والمواظب على التوحيد والتنزيه والتقديس مدة ثمانين سنة قد اتى باعظم الطاعات وباحسن الطاعات فوجب ان يدخل الجنة والخصم يقول انه يدخله في النار ابدا الاباد وذلك مخالف لهذا النص الصريح قالت المعتزلة انه تعالى شرط فيه كونه مؤمنا ومرتكب الكبيرة عندنا ليس بمؤمن فلا يدخل في هذا الوعد والجواب ما تقدم في قوله تعالى يؤمنون بالغيب فان صاحب الكبيرة مؤمن فيسقط كلامهم
فصل دلت هذه الاية على اعتبار المماثلة في الشريعة وان الزائد على المثل غير مشروع وليس في الاية بيان ان تلك المماثلة معتبرة في اي الامور فلو حملناها على رعاية المماثلة في جميع الامور صارت الاية عامة خاصة وقد ثبت في اصول الفقه ان التعارض اذا وقع بين الاجمال والتخصيص كان الاول اولى فوجب ان تحمل هذه الاية على رعاية المماثلة من كل الوجوه الا ما خصه الدليل واذا ثبت ذلك بني عليه احكام كثيرة من الجنايات على النفوس والاعضاء والاموال لانه تعالى بين ان جزاء السيئة مقصور على المثل وبين ان اجزاء الحسنة ليس مقصورا على المثل بل هو خارج عن الحساب قوله ويا قوم قال الزمخشري فان قلت لم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني قلت لان الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير

له فاعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو واما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة اي كلام مباين للاول والثاني فحسن ايراد الواو العاطفة فيه وكرر النداء لان فيه زيادة تنبيه لهم وايقاظ عن سنة الغفلة واظهار ان له بهذا المهم مزيد اهتمام وعلى اولئك الاقوام فرط شفقة قوله وتدعونني الى النار هذه الجملة مستانفة اخبر عنهم بذلك بعد استفهامه عن دعائه ويجوز ان يكون التقدير وما لكم تدعونني الى النار وهو الظاهر ويضعف ان يكون الجملة حالا اي ما لكم ادعوكم الى النجاة حال دعائكم اياي الى النار قوله تدعونني هذه الجملة بدل من تدعونني بجملة فعلية لتدل على ان دعوتهم باطلة لا ثبوت لها وفي قوله وانا ادعوكم بجملة اسمية لتدل على ثبوت دعوته وتقويتها **فصل** معنى قوله ما لكم كقولك ما لي اراك حزينا اي ما لك يقول اخبروني عنكم كيف هذه الحال ادعوكم الى النجاة من النار بالايمان بالله وتدعونني الى النار الى الشرك الذي يوجب النار ثم فسر فقال تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم والمراد بنفي العلم نفي الاله كانه قال واشرك به ما ليس بإله وما ليس باله كيف يعقل جعله شريكا لله ولما بين انهم يدعونه الى الكفر بين انه يدعوهم الى الايمان بالعزيز الغفار العزيز في انتقامه ممن كفر الغفار لذنوب اهل التوحيد فقوله العزيز اشارة الى كونه كامل القدرة واما فرعون فهو في غاية العجز فكيف يكون الها واما الاصنام فانها احجار منحوتة فكيف يعقل كونها الهة وقوله الغفار اشارة الى انه لا يجب ان لا ييأسوا من رحمة الله بسبب اصرارهم على الكفر مدة مديدة فان اله العالم وان كان عزيزا لا يغلب قادرا لا يعارض لكنه غفار يغفر كفر سبعين سنة بايمان ساعة واحدة قوله لا جرم تقدم الخلاف في لا جرم في سورة هود في قوله لا جرم انهم في الاخرة وقال الزمخشري هنا وروي عن بعض العرب لا جرم انه يفعل كذا بضم الجيم وسكون الراء بمعنى لا بد وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وعدم وعدم وشانه على مذهب البصريين ان يجعل ردا لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزها فاعله اي حق ووجب بطلان دعوته او بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا اي بسبب ذلك الدعا اليه بطلان دعوته بمعنى انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز ان يقال ان لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا فعل من التبدية وهو التفريق فكما ان معنى لا بد ان تفعل كذا بمعنى انه لا بد لك من فعله فكذلك لا جرم ان لهم النار اي لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام اي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا **فصل** قال البغوي لا جرم حقا ان ما تدعونني اليه ليس له اي للذين دعوه في الاخرة قال السدي لا يستجيب لاحد في الدنيا ولا في الاخرة يعني ليس له استجابة دعوة تسمى استجابة الدعوة دعوة اطلاقا لاسم احد المضافين على الاخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقيل ليست له دعوة اي عبادة في الدنيا لان الاوثان لا تدعي الربوبية ولا تدعو الى عبادتها وفي الاخرة تتبرا من عابديها ثم قال وان مردنا اي مرجعنا الى الله فيجازي كلا بما يستحقه وان المسرفين اي المشركين هم اصحاب النار قاله قتادة وقال مجاهد السفاكين الدماء ولما بالغ مومن ال فرعون في هذا البيان ختم كلامه بخاتمة لطيفة فقال فستذكرون ما اقول لكم وهذا الكلام مبهم يوجب التخويف وهذا يحتمل ان يكون المراد منه ان هذا الذكر يحصل في الدنيا اي عند الموت وان يكون في القيمة عند مشاهدة العذاب حين لا ينفعكم الذكر قوله وافوض هذه مستانفة وجوز ابو البقاء ان يكون حالا من فاعل اقول وفتح نافع وابو عمرو الياء من امري والباقون بالاسكان **فصل** لما خوفهم بقوله فستذكرون ما اقول لكم توعدوه وخوفوه بالقتل فعول في دفع تخويفهم وكيدهم ومكرهم على الله تعالى بقوله وافوض امري الى الله وهو انما تعلم هذه الطريقة من موسى عليه السلام حين خوفه فرعون بالقتل فرجع موسى في دفع ذلك الشر الى الله فقال اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ثم قال ان الله بصير بالعباد اي عالم باحوالهم يعلم المحق من المبطل قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا وقال مقاتل لما قال هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم الى الجبل فطلبوه فلم يقدروا عليه وقيل المراد بقوله فوقاه الله سيئات ما مكروا انهم قصدوا ادخاله في الكفر وصرفه عن الاسلام فوقاه الله من ذلك والاول اولى لان قوله

بعد ذلك وحاق بآل فرعون سوء العذاب لا يليق بالوجه الاول وقرأ حمزة وحاق بكسر الحاء
وكذلك في كل القرآن والباقون بالفتح قال قتادة بحامع موسي وكان قطبيا وحاق نزل بآل
فرعون سوء العذاب الغرق في الدنيا والنار في الاخرة قوله النار الجمهور علي رفعها وفيه ثلاثة
اوجه احدها انها بدل من سوء العذاب قاله الزجاج الثاني انها خبر مبتدا محذوف اي هو اي سوء
العذاب النار لانه جواب لسؤال مقدر يعرضون علي هذين الوجهين يجوز ان يكون حالا من النار
ويجوز ان يكون حالا من آل فرعون الثالث انه مبتدا وخبره يعرضون وقرئ النار منصوبا وفيه
وجهان احدهما انه منصوب بفعل مضمر يفسره يعرضون من حيث المعنى اي يصلون النار يعرضون عليها
كقوله والظالمين اعد لهم والثاني انه ينتصب علي الاختصاص قاله الزمخشري فعلي الاول لا محل
ليعرضون لكونه مفسرا وعلي الثاني هو حال كما تقدم **فصل** دلت هذه الآية علي اثبات
عذاب القبر لان الآية تقتضي عرض النار عليهم غدوا وعشيا وليس المراد منه يوم القيمة لقوله
بعده ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وليس المراد منه ايضا الدنيا لان
عرض النار عليهم غدوا وعشيا ما كان حاصلا في الدنيا فيثبت ان هذا العرض انما حصل بعد
الموت وقبل القيمة وذلك يدل علي اثبات عذاب القبر في حق هؤلاء واذا ثبت في حقهم ثبت في
حق غيرهم لانه لا قائل بالفرق فان قيل لم لا يجوز ان يكون المراد من عرض النار عليهم غدوا وعشيا
عرض القبائح عليهم في الدنيا لان اهل الدين اذا ذكروا لهم الترغيب والترهيب وخوفوهم بعذاب
الله فقد عرضوا عليهم النار ثم في الآية ما يمنع حمله علي عذاب القبر وبيانه من وجهين احدهما ان ذلك
العذاب يجب ان يكون دائما غير منقطع وقوله يعرضون عليها غدوا وعشيا يقتضي ان لا يحصل ذلك
العذاب الا في هذين الوقتين فثبت ان هذا لا يمكن حمله علي عذاب القبر الثاني ان الغدوة والعشية
انما يحصلان في الدنيا اما في القيمة فلا وجود لهما فثبت انه لا يمكن حمل هذه الآية علي عذاب القبر
والجواب عن الاول ان في الدنيا اذا عرض عليهم الكلمات التي تذكرهم امر النار لم يعرض عليهم نفس
النار وهذا ترك لظاهر الآية وارتكاب للمجاز واما قولهم الآية تدل علي حصول العذاب في هذين
الوقتين وذلك لا يجوز فالجواب لم لا يجوز ان يكتفي في القبر بايصال العذاب اليه في هذين الوقتين
ثم عند قيام القيمة يلقى في النار فيدوم عذابه حينئذ وايضا لا يمتنع ان يكون ذكر الغدوة
والعشية كناية عن الدوام كقوله تعالي لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا واما قولهم انه ليس في القبر
والقيمة غدوة وعشية قلنا لم لا يجوز ان يقال ان عند حصول هذين الوقتين لاهل الدنيا
يعرض عليهم العذاب **فصل** قال ابن مسعود ارواح آل فرعون في اجواف طير سود
يعرضون علي النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الي النار فيقال يا آل فرعون هذه منازلكم وقال
قتادة والسدي والكلبي تعرض روح كل كافر علي النار بكرة وعشيا ما دامت الدنيا وروي ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي
ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار فيقال هذا مقعدك
حتى يبعثك الله اليه يوم القيمة قوله ويوم تقوم فيه ثلاثة اوجه اظهرها انه معمول لقول
مضمر وذلك القول المضمر محكي به الجملة الامرية من قوله ادخلوا والتقدير ويقال لهم يوم تقوم
الساعة ادخلوا الثاني انه منصوب بادخلوا اي ادخلوا يوم تقوم وعلي هذين الوجهين
فالوقف تام علي قوله وعشيا الثالث انه معطوف علي الظرفين قبله فيكون معمولا ليعرضون
والوقف علي هذا علي قوله الساعة وادخلوا معمول لقول مضمر اي يقال لهم كذا وقرأ الكسائي
وحمزة ونافع وحفص ادخلوا بقطع الهمزة وكسر الخاء اي يقال للملائكة ادخلوا امر من ادخل
فآل فرعون مفعول اول واشد العذاب مفعول ثان والباقون ادخلوا بهمزة وصل من دخل
يدخل فآل فرعون منادي حذف حرف النداء منه واشد منصوب به اما ظرفا واما مفعولا به اي
ادخلوا يا آل فرعون في اشد العذاب قال ابن عباس يريد الوان العذاب غير العذاب الذي
كانوا يعذبون منذ غرقوا قوله واذ يتحاجون في العامل فيه ثلاثة اوجه احدها انه
معطوف علي غدوا فيكون معمولا ليعرضون اي يعرضون علي النار في هذه الاوقات كلها قاله
ابو البقاء الثاني انه معطوف علي قوله اذ القلوب لدي الحناجر قاله الطبري وفيه نظر لبعدهما
بينهما ولان الظاهر عود الضمير من يتحاجون علي آل فرعون الثالث انه منصوب باضمار اذكر

قوله تبعا فيه ثلاثة اوجه احدها انه اسم جمع لتابع ونحوه خادم وخدم وغايب وغيب وادم
وادم قال البغوي والتبع يكون واحدا وجمعا في قول اهل البصرة واحده تابع وقال الكوفيون
هو جمع لا واحد له وجمعه اتباع والثاني انه مصدر واقع موقع اسم الفاعل اي تابعين والثالث
انه مصدر ايضا ولكن علي حذف مضاف اي ذوي تبع قوله نصيبا فيه ثلاثة اوجه احدها انه
ينتصب بفعل مقدر يدل عليه قوله مغنون تقديره هل انتم دافعون عنا نصيبا الثاني انه يضمن
مغنون معنى حاملين الثالث ان ينتصب علي المصدر قال ابو البقاء كما كان شيء كذلك الا تري الي
قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فشيئا في موضع غنا فكذلك نصيبا ومن النار صفة
لنصيبا قوله انا كل العامة علي رفع كل ورفعه علي الابتدا وفيها خبره والجملة خبر ان وهذا
كقوله في آل عمران قل ان الامر كله لله في قراءة ابي عمرو وقرأ ابن السميفع وعيسى ابن عمر بالنصب
وفيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون تاكيدا لاسم ان قال الزمخشري توكيد لاسم ان وهو معرفة
والتنوين عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا فيها انتهى يعني فيكون فيها هو الخبر والي كونه
تاكيدا ذهب ابن عطية ايضا ورد ابن مالك هذا المذهب فقال في تسهيله ولا يستغني بنية
اضافته خلافا للزمخشري قال شهاب الدين وليس هذا مذهبا للزمخشري وحده بل هو منقول
عن الكوفيين ايضا الثاني ان يكون منصوبا علي الحال قال ابن مالك والقول المرضي عندي
ان كلا في القراءة المذكورة منصوبة علي الحال من الضمير المرفوع في فيها وفيها هو العامل وقد قدمت
في قراءة من قرأ والسموات مطويات بيمينه وفي قول النابغة

رهط ابن كوز محقبي ادراعهم	فيهم ورهط ربيعة بن حذار

وقول بعض الطائيين

دعا فاجبنا وهو بادي ذلة	لديكم وكان النصر غير بعيدي

يعني بنصب باديا وهذا هو مذهب الاخفش الا ان الزمخشري منع من ذلك قال رحمه الله تعالي
فان قلت هل يجوز ان يكون كلا حالا قد عمل فيه فيها قلت لا لان الظرف لا يعمل في الحال متقدمة
كما تعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد قال ابو حيان وهذا
الذي منعه اجازه الاخفش اذا توسطت الحال نحو زيد قائما في الدار وزيد قائما عندك والمثال
الذي ذكره ليس مطابقا لما في الآية لان الآية تقدم فيها المسند اليه الحكم وهو اسم ان وتوسطت الحال
اذا قلنا انها حال وتاخر العامل فيها واما تمثيله بقوله ولا تقول قائما في الدار زيد فقد تاخر
فيه المسند والمسند اليه وقد ذكر بعضهم ان المنع في ذلك اجماع من النحاة قال شهاب الدين
الزمخشري منعه صحيح لانه ماش علي مذهب الجمهور واما تمثيله بما ذكر فلا يضره لانه في محل المنع
لعدم تجويزه صحيح الثالث ان كلا بدل من نا في انا لان كلا قد وليت العوامل فكانه قيل ان كلا فيها
واذا كانوا قد تاولوا قوله حولا اكتعا وحولا اجمعا علي البدل مع عدم تصرف اكتع واجمع فلان
يجوز ذلك في كل اولي واحري وايضا فان المشهور تعريف كل حال قطعها حكي في الكثير الفاشي مررت
بكل قائما وببعض جالسا وعزاه بعضهم لسيبويه وتنكير كل ونصبها حالا في غاية الشذوذ نحو
مررت بهم كلا اي جميعا فان قيل فيه بدل الكل من الكل في ضمير الحاضر وهو لا يجوز اجيب بوجهين
احدهما ان الكوفيين والاخفش يرون ذلك وانشدوا قوله

انا سيف العشيرة فاعرفوني	حميدا قد تذربت السناما

فحميدا بدل من يا اعرفوني وقد تاوله البصريون علي نصبه علي الاختصاص والثاني ان هذا الذي
نحن فيه ليس محل الخلاف لانه دال علي الاحاطة والشمول وقد قالوا انه متي كان البدل دالا علي
ذلك جاز وانشدوا

فما برحت اقدامنا في مكاننا	ثلاثتنا حتي اريدوا المنايا

ومثله قوله تعالي لنا عيدا لاولنا وآخرنا قالوا ثلاثتنا بدل من نا في مكاننا لانها علي الاحاطة
وكذلك لاولنا وآخرنا بدل من نا في لنا فلان يجوز ذلك في كل التي هي اصل في الشمول والاحاطة
بطريق الاولي هذا كلام ابي حيان في الوجه الثالث وفيه نظر لان المبرد ومكيا نصا علي ان البدل
في هذه الآية لا يجوز فكيف يدعي انه لا خلاف في البدل والحال هذه لا يقال ان في الآية قولا
رابعا وهو ان كلا نعت لاسم ان وقد صرح الكسائي والفراء بذلك فقالا هو نعت لاسم ان لان
الكوفيين يطلقون اسم النعت ومن نص علي هذا التاويل مكي رحمه الله ولان الكسائي انما جوز
نعت ضمير الغايب فقط دون المتكلم والمخاطب **فصل** معنى الآية واذكر يا محمد لقومك

اذ يتحاجون اي يحاج بعضهم بعضا ثم شرح خصومتهم وهي ان الضعفا يقولون للروسا انا كنا لكم تبعا في الدنيا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار اي فهل تقدرون على ان تدفعوا عنا ايها الروسا نصيبا من العذاب ومقصودهم من هذا الكلام المبالغة في تعجيز اوليك الروسا وايلام قلوبهم لانهم يعلمون ان اوليك الروسا لا قدرة لهم على ذلك التخفيف فعند ذلك يقول الروسا انا كل فيها اي انا كلنا واقعون في هذا العذاب فلو قدرنا على ازالة العذاب عنكم لدفعناه عن انفسنا ثم يقولون ان الله قد حكم بين العباد يعني فاوصل الى كل واحد حقه من النعيم او من العذاب فعند هذا يحصل الياس للاتباع من المتبوعين فيرجعون الى خزنة جهنم ويقولون لهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فان قيل لم يقل وقال الذين في النار لخزنتها فالجواب من وجهين الاول ان يكون المقصود من ذكر جهنم التهويل والتفظيع والثاني ان تكون جهنم اسم لموضع من اشد المواضع بعيد القرار من قولهم بير جهنام اي بعيدة القعر وفيها اعظم اقسام الكفار عقوبة وخزنة ذلك الموضع يكون اعظم خزنة جهنم عند الله درجة فاذا عرف الكافر ان الامر كذلك استغاثوا بهم فيقولون لهم اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قوله يوما من العذاب في يوما وجهان احدهما انه ظرف ليخفف ومفعول تخفيف محذوف اي يخفف عنا شيئا من العذاب في يوم ويجوز على راي الاخفش ان تكون من مزيدة فيكون العذاب هو المفعول اي يخفف عنا في يوم العذاب الثاني ان يكون مفعولا به واليوم لا يخفف وانما يخفف مظروفه والتقدير يخفف عذاب يوم وهو قلق لقوله من العذاب والقول بانه صفة موكدة كالحال اقلق منه والظاهر ان من العذاب هو المفعول ليخفف ومن تبعيضية ويوما ظرف سالوا ان يخفف عنهم بعض العذاب لا كله في يوم ما لا في كل يوم ولا في يوم معين

فصل

لما اجابوهم الخزنة بقولهم اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى والمعنى ان لولا ارسال الرسل كان للقوم ان يقولوا ما جانا من نذير وهذه الاية تدل على ان الوجوب لا يتحقق الا بعد مجي الشرع ثم ان اوليك الملايكة يقولون لهم ادعوا انتم فانا لا نتجري على ذلك ولا نشفع الا بشرطين احدهما ان يكون المشفوع له مومنا والثاني حصول الاذن في الشفاعة ولم يوجد من هذين الشرطين لكن ادعوا انتم وليس قولهم فادعوا لرجا المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة وان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاوه فكيف يسمع دعا الكافر ثم صرحوا لهم بانه لا اثر لدعايهم فقالوا وما دعا الكافرين الا في ضلال اي يبطل ويضل ولا ينفعهم فان قيل ان الله تعالى يمتنع عليه ان يتاذى من المجرمين بسبب جرايمهم واذا كان التاذي محال كانت شهوة الانتقام ممتنعة في حقه واذا ثبت هذا فيقول ايصال هذه المضار العظيمة الى اوليك الكفار اضرارا خاليا عن جميع جهات المنفعة فكيف يليق بالرحيم الكريم ان يعذب بتلك الالام ابدا الاباد ودهر الداهرين من غير ان يرحم لحاجتهم ومن غير ان يسمع دعاهم ومن غير ان يلتفت الى تضرعهم وانكسارهم ولو ان اقسى الناس قلبا فعل مثل هذا التعذيب ببعض عبيده لاداه كرمه ورحمته الى العفو عنه مع هذا السيد في محل الحاجة والنفع والضرر فاكرم الاكرمين كيف يليق به هذا الاضرار فالجواب ان افعال الله لا تعلل ولا يسال عما يفعل وهم يسالون فلما جا الحكم الحق به في الكتاب الحق وجب الاقرار به والله اعلم قوله تعالى انا لننصر رسلنا الاية في كيفية النظم وجوه الاول انه تعالى لما ذكر وقاية الله موسى صلوات الله عليه وذلك المومن من مكر فرعون بين في هذه الاية بانه ينصر رسله والذين امنوا معه الثاني لما بين من قبل تخاصم اهل النار وانهم عند الفزع الى خزنة جهنم يقولون الم تك تاتيكم رسلكم بالبينات اتبع ذلك بذكر الرسل وانه ينصرهم في الدنيا والاخرة الثالث قال ابن الخطيب وهو الاقرب عندي ان الكلام في اول السورة انما وقع من قوله ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد واتصل الكلام في الرد على اوليك المجادلين وعلى ان المحقين ابدا مشتغلين بدفع كيد المبطلين وكل ذلك انما ذكره الله تعالى تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتصبيرا على تحمل الاذى من قومه ولما بلغ الكلام في تقرير هذا المطلوب الى الغاية القصوى وعد تعالى بانه ينصر رسله على اعدايه فقال انا لننصر رسلنا في الحياة الدنيا قال ابن عباس بالغلبة والقهر وقال الضحاك بالحجة وفي الاخرة بالانتقام من الاعدا وباعلا درجاتهم في مراتب الثواب

وكل ذلك قد كان للانبيا والمومنين فهم منصورون بالحجة على من خالفهم واهلك اعداهم بعدان قتلوا بالانتقام من اعدايهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فقتل به سبعين الفا قوله ويوم يقوم الاشهاد قرا الجمهور يقوم بالياء من اسفل وابو عمرو في رواية المنقري عنه وابن هرمز واسماعيل بالتاء من تقوم لتانيث الجماعة والاشهاد يجوز ان يكون جمع شهيد كشريف واشراف وهو مطابق لقوله فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وان يكون جمع شاهد كصاحب واصحاب وطاير واطيار قاله المبرد وهو مطابق لقوله انا ارسلناك شاهدا واعلم ان قوله تعالى ويوم يقوم الاشهاد فيه دقيقة لطيفة وهي ان السلطان المعظم اذا خص بعض خواصه بالاكرام العظيم عند حضور الجمع من اهل المشرق والمغرب كان ذلك الذ وابهج والمراد بالاشهاد كل من شهد باعمال العباد يوم القيمة من ملك ونبي ومومن اما الملايكة فهم الكرام الكاتبون يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب واما الانبيا فقال تعالى فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولاء شهيدا واما المومنون فقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس قوله يوم بدل من يوم قبله او بيان له او نصب باضمار اعني وتقدم الخلاف في قوله تنفع الظالمين بالياء والتاء اخر الروم والمعنى لا تنفع الظالمين معذرتهم ان اعتذروا ولهم اللعنة البعد من الرحمة وهذا يفيد الحصر يعني ان اللعنة مقصورة عليهم وهي الاهانة والاذلال ولهم سوء الدار يعني جهنم فان قيل قوله لا تنفع الظالمين معذرتهم يدل على انهم يذكرون الاعذار ولكن تلك الاعذار لا تنفعهم فكيف الجمع بين هذا وبين قوله ولا يوذن لهم فيعتذرون فالجواب قوله لا تنفع الظالمين معذرتهم لا يدل على انهم ذكروا الاعذار بل ليس فيه الا انه ليس عندهم عذر مقبول وهذا لا يدل على انهم ذكروه ام لا وايضا فيوم القيمة يوم طويل فيعتذرون في وقت ولا يعتذرون في وقت اخر قوله تعالى ولقد اتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرايل الكتاب الاية لما بين انه تعالى ينصر الانبيا والمومنين في الدنيا والاخرة ذكر نوعا من انواع تلك النصرة في الدنيا فقال ولقد اتينا موسى الهدى قال مقاتل هدى من الضلالة يعني التورية ويجوز ان يكون المراد الدلايل القاهرة التي اوردها على فرعون واتباعه وكادهم بها ويجوز ان يكون المراد بالهدى النبوة التي هي اعظم المناصب الانسانية واورثنا بني اسرايل الكتاب وهو التوراة هدى وذكرى لاولي الالباب يعني انه تعالى لما انزل التورية على موسى بقي ذلك العلم فيهم وتوارثوه خلف عن سلف وقيل المراد ساير الكتب التي انزلها الله عليهم وهي كتب انبيا بني اسرايل كالتوراة والانجيل والزبور قوله هدى وذكرى فيهما وجهان احدهما انهما مفعول من اجلهما اي لاجل الهدى والذكر والثاني انهما مصدران في موضع الحال والفرق بين الهدى والذكرى ان الهدى ما يكون دليلا على الشي وليس من شرطه الا يذكر شيئا اخر كان معلوما ثم صار منسيا واما الذكرى فهو الذي يكون كذلك فكتب انبيا الله تعالى مشتملة على هذين القسمين بعضها دلايل في انفسها وبعضها مذكرات لما ورد في الكتب الالهية المتقدمة ولما بين تعالى انه ينصر رسله وينصر المومنين في الدنيا والاخرة وضرب المثال في ذلك بحال موسى خاطب بعد ذلك محمدا صلى الله عليه وسلم فقال فاصبر ان وعد الله حق اي فاصبر يا محمد على اذاهم ان وعد الله حق في اظهار دينك واهلاك اعدايك قال الكلبي نسخت اية القتال اية الصبر قوله واستغفر لذنبك قيل المصدر مضاف للمفعول اي لذنب امتك في حقك والظاهر ان الله يقول له ما اراد وان لم يجز لنا نحن ان نضيف اليه عليه السلام ذنبا قال المفسرون هذا تعبد من الله ليزيده به درجة وليصير سنة لمن بعده قوله وسبح بحمد ربك صل شكرا لربك بالعشي والابكار قال الحسن يعني صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس قوله تعالى ان الذين يجادلون في ايات الله واتصل الكلام بعضه ببعض بغير سلطان اتاهم الاية لما ابتدا بالرد على الذين يجادلون في ايات الله واتصل الكلام بعضه ببعض على الترتيب المتقدم الى ههنا نبه تعالى على الداعية التي تحمل اوليك الكفار على تلك المجادلة فقال ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر اي ما يحملهم على هذا العمل الباطل الا الكبر الذي في صدورهم قال ابن عباس والمراد ما في قلوبهم والصدر موضع القلب فكنى به عن القلب لمجاورته قوله تعالى ما هم ببالغيه قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر لان الله عز وجل مذلهم قال ابن قتيبة ان في

صدورهم الا تكبر على محمد وطمعوا ان يغلبوه وما هم ببالغي ذلك وقوله فاستعذ بالله قال المفسرون
نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح ابن داود يعنون الدجال
يخرج في اخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك علينا قال الله تعالى فاستعذ بالله من
فتنة الدجال انه هو السميع العليم وقال ابن الخطيب معنى قوله ما هم ببالغيه يعني انهم يريدون اذاك
ولا يصلون الى هذا المراد بل لا بد وان يصيروا تحت امرك ونهيك ثم قال تعالى فاستعذ بالله اي
فالتجي اليه من كيد من يحسدك انه هو السميع بما يقولون وتقول البصير بما يعملون وتعمل فهو يجعلك
نافذ الحكم عليهم ويصونك عن مكرهم وكيدهم قوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس المصدران
مضافان لمفعولهما والفاعل محذوف وهو الله تعالى ويجوز ان يكون الثاني مضافا للفاعل اي اكبر
مما يخلقه الناس اي يصنعونه ويجوز ان يكونا مصدرين واقعين موقع المخلوق اي مخلوقهما اكبر من
مخلوقهم جرمهما اكبر من جرمهم **فصل** اعلم انه تعالى لما وصف جدالهم في الايات بانه بغير
سلطان ولا حجة ذكر لهذا مثالا فقال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس والقادر على
الاكبر قادر على الاقل لا محالة وتقرير هذا الكلام ان الاستدلال بالشي على غيره ينقسم ثلاثة اقسام
احدها ان يقال لما قدر على الاضعف وجب ان يقدر على الاقوى وهذا فاسد وثانيها ان يقال لما
قدر على الشي قدر على مثله فهذا استدلال صحيح لما ثبت في الاصول ان حكم الشي حكم مثله وثالثها
ان يقال لما قدر على الاقوى الاكمل يقدر على الاقل الارذل اولى وهذا استدلال في غاية الصحة
والقوة ولا يرتاب فيه عاقل البتة ثم ان هولاء القوم يسلمون ان خالق السموات والارض هو
الله سبحانه ويعلمون بالضرورة ان خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وكان من حقهم
ان يقروا بان القادر على خلق السموات والارض يكون قادرا على اعادة الانسان الذي خلقه اولا
فهذا برهان كلي في افادة هذا المطلوب ثم ان هذا البرهان على قوته صار بحيث لا يعرفه اكثر
الناس والمراد منه الذين ينكرون الحشر والنشر فظهر بهذا المثال ان هولاء الكفار يجادلون في
ايات الله بغير سلطان ولا حجة بل بمجرد الحسد والكبر والغضب ثم لما بين الله تعالى ان الجدال
المقرون بالتكبر والحسد والجهل كيف يكون وان الجدال بالحجة والبرهان كيف يكون بينه تعالى
على الفرق بين البابين بذكر مثال فقال وما يستوي الاعمى والبصير يعني وما يستوي المستدل
والجاهل المقلد ثم قال تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسي قليلا ما يتذكرون فالمراد
بالاول التفاوت بين العالم والجاهل والمراد بالثاني التفاوت بين الاتي بالاعمال الصالحات
وبين الاتي بالاعمال السيئة الباطلة ثم قال قليلا ما يتذكرون يعني انهم وان كانوا يعلمون
ان العلم خير من الجهل وان العمل الصالح خير من العمل الفاسد الا انه قليلا ما يتذكرون فيلت
في النوع الاول المعني من الاعتقاد انه علم او جهل وفي النوع الثاني المعني من العمل انه عمل صالح
او فاسد قوله والبصير اعلم ان التقابل يجي على ثلاثة طرق احدها ان يجاور المناسب ما يناسبه
كهذه الاية والثانية ان يتاخر المتقابلات كقوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير
والسميع والثالث ان يتقدم مقابل الاول ويوخر مقابل الاخر كقوله تعالى وما يستوي الاعمى
والبصير ولا الظلمات ولا النور وكل ذلك تفنن في البلاغة وقدم الاعمى في نفي التساوي لمجيئه
بعد صفة الذم في قوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون قوله تعالى ولا المسي لا زايدة للتوكيد
لانه لما طال الكلام بالصلة بعد قسم المومنين اعاد معه لا توكيدا وانما قدم المومنين لمجاورتهم
قوله تعالى يتذكرون قراة الكوفيين بتاء الخطاب والباقون بياء الغيبة فالخطاب على
الالتفات للمذكورين بعد الاخبار عنهم والغيبة نظرا لقوله ان الذين يجادلون وهم الذين
التفت اليهم في قراة الخطاب قوله تعالى ان الساعة يعني القيمة لاتية لا ريب فيها ولكن اكثر
الناس لا يومنون والمراد باكثر الناس الكفار الذين ينكرون البعث والقيمة لما قرر الدليل
على امكان وجود يوم القيمة اردفه بالاخبار عن وقوعها قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب
لكم الاية لما بين ان القول بالقيمة حق وكان من المعلوم بالضرورة ان الانسان لا ينتفع في يوم
القيمة الا بطاعة الله تعالى والتضرع اليه لا جرم كان الاشتغال بالطاعة من اهم المهمات
ولما كان اشرف انواع الطاعات الدعا والتضرع لا جرم امر الله تعالى به فقال وقال ربكم ادعوني
استجب لكم واختلفوا في المراد بقوله ادعوني فقيل المراد منه الامر بالدعا وقيل الامر بالعبادة

بدليل قوله بعده ان الذين يستكبرون عن عبادتي وايضا الدعا بمعنى العبادة كثير في القران
كقوله ان يدعون من دونه الا اناثا واجاب الاولون بان هذا ترك للظاهر فلا يصار اليه الا
بدليل كيف ادعوني استجب لكم وقد يدعي كثيرا فلا يستجاب واجاب الكعبي بان الدعا انما يصح بشرط
ومن دعا كذلك استجيب له وذلك الشرط هو ان يكون المطلوب بالدعا مصلحة وحكمة ثم سال نفسه
فقال ان الله تعالى يفعل ما هو الاصلح بغير دعا فما الفايدة في الدعا واجاب عنه بوجهين الاول
ان فيه الفزع والانقطاع الى الله تعالى والثاني ان هذا ايضا وارد على الكل لانه ان علم انه يفعله
فلا بد وان يفعله فلا فايدة في الدعا وان علم انه لا يفعله فانه البتة لا يفعله فلا فايدة في الدعا
ايضا فكل ما يقولونه ههنا فهو جوابنا قال ابن الخطيب وعندي وجه اخر وهو انه قال ادعوني
استجب لكم وكل من دعا الله وفي قلبه ذرة من الاعتماد على ماله وجاهه واصدقايه واجتهاده فهو
في الحقيقة ما دعى الله الا باللسان واما القلب فانه يعول في تحصيل ذلك المطلوب على غير الله
فهذا الانسان ما دعى ربه الا باللسان اما اذا دعى في وقت لا يكون القلب فيه ملتفتا الى غير الله فالظاهر
انه يستجاب له قوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وهذا
احسان عظيم من الله تعالى حيث ذكر الوعيد الشديد على ترك الدعا وروى ابو هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يدع الله غضب الله عليه فان قيل انه صلى الله عليه وسلم قال
حكاية عن ربه عز وجل من شغله ذكري عن مسيلتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين فهذا
يقتضي ان ترك الدعا افضل وهذه الاية تدل على ان ترك الدعا يوجب الوعيد الشديد فكيف
الجمع بينهما فالجواب لا شك ان العقل اذا كان مستغرقا في الثنا كان ذلك افضل من الدعا لان الدعا
طلب للجنة والاستغراق في معرفة جلال الله افضل من طلب الجنة اما اذا لم يحصل الاستغراق كان
الاشتغال بالدعا اولى لان الدعا يشتمل على معرفة عز الربوبية وذل العبودية قوله تعالى
سيدخلون قرا ابن كثير وابو جعفر سيدخلون بضم اليا وفتح الخا وقرا الاخرون بفتح اليا
وضم الخا داخرين صاغرين ذليلين قوله تعالى الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه اعلم ان تعلقه
بما قبله من وجهين الاول كانه تعالى قال اني انعمت عليك قبل طلبك هذه النعم العظيمة ومن انعم
عليك قبل السوال بهذه النعم العالية فكيف لا ينعم بالاشيا القليلة بعد السوال والثاني انه تعالى
لما امر بالدعا فكانه قيل الاشتغال بالدعا لا بد وان يكون مسبوقا بحصول المعرفة فما الدليل على
وجود الاله القادر فذكر تعالى هذه الدلايل العشرة على وجوده وقدرته وحكمته وقد تقدم
ذكر الدلايل الدالة على وجود الله وقدرته وهي اما فلكية واما عنصرية وان الفلكيات اقسام كثيرة
احدها الليل والنهار وان اكثر مصالح العالم مربوطة بهما فذكرهما الله تعالى ههنا وبين ان الحكمة
في خلق الليل حصول الراحة بالنوم والسكون والحكمة في خلق النهار ابصار الاشيا ليمكن التصرف
فيها على الوجه النافع فان قيل هلا قيل بحسب رعاية النظم هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه والنهار لتبصروا فيه او يقال جعل لكم الليل ساكنا والنهار مبصرا ولكنه لم يقل ذلك فما الفايدة
فيه وما الحكمة في تقديم ذكر الليل فالجواب عن الاول هو ان الليل والنوم في الحقيقة طبيعة
عدمية فهو غير مقصود بالذات واما اليقظة فامور وجودية وهي مقصودة بالذات وقد
بين الشيخ عبد القاهر النحوي في دلايل الاعجاز ان دلالة صيغة الاسم على الكمال والتمام اقوى
من دلالة صيغة الفعل عليهما فهذا هو السبب في الفرق واما الجواب عن الثاني فهو ان الظلمة طبيعة
عدمية والنور طبيعة وجودية والعدم في المحدثات مقدم على الوجود فلهذا السبب قال في اول
سورة الانعام وجعل الظلمات والنور ثم قال تعالى ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر
الناس لا يشكرون والمعنى ان فضل الله تعالى على الخلق كثير جدا ولكنهم لا يشكرونه واعلم ان ترك
الشكر لوجوه الاول ان يعتقد الرجل ان هذه النعم ليست من الله مثل ان يعتقد ان هذه الافلاك
واجبة الوجود لذواتها واجبة الدورات لذواتها فيعتقد ان هذه النعم منها الثاني ان
يعتقد ان كل هذا العالم حصل بتخليق الله وتكوينه الا ان هذه النعم تعاقب الليل والنهار لما دامت
واستمرت نسيها الانسان فاذا ابتلي الانسان بفقدان شي منها عرف قدرها مثل ان يحبس في بير
عميق مظلمة مدة مديدة فحينئذ يعرف ذلك الانسان قدر نعمة الهواء الصافي وقدر نعمة الضوء
وقد كان لبعض الملوك يعذب بعض خدمه بان يامر اقواما يمنعونه عن النوم وعن الاستناد الى

الجدار الثالث ان الانسان وان كان عارفا بهذه النعم الا انه يكون حريصا على الدنيا محبا للمال والجاه فاذا فاته المال الكثير والجاه العريض وقع في كفران هذه النعم العظيمة ولما كان اكثر الخلق واقعون في احد هذه الاودية الثلاثة لاجرم قال تعالى ولكن اكثر الناس لا يشكرون ونظيره قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وقول ابليس ولا تجد اكثرهم شاكرين ولما بين الله تعالى بتلك الدلايل المذكورة وجود الاله القادر قال ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو قال الزمخشري ذلكم المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد هو الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شيء وانه لا ثاني له فانى يوفكون اي فانى تصرفون اي ولم يعدلون عن هذه الدلايل ويكذبون بها قوله خالق كل شيء العامة على الرفع وزيد بن علي بالنصب قال الزمخشري على الاختصاص وقرا طلحة يوفكون بياء الغيبة وقوله كذلك يوفك اي مثل ذلك الافك يعني كما افكتم عن الحق مع قيام الدلالة كذلك يوفك الذين كانوا بايات الله يجحدون يعني كل من جحد بايات الله ولم يتاملها ولم يكن فيه عزم طلب الحق وخوف العاقبة افك كما افكوا قوله تعالى الله الذي جعل لكم الارض قرارا الاية لما تقدم ان دلايل وجود الله تعالى وقدرته اما ان يكون من دلايل الافاق وهي غير الانسان وهي اقسام وذكر منها احوال الليل والنهار كما تقدم ذكر ايضا منها هنا الارض والسما فقال الله الذي جعل لكم الارض قرارا قال ابن عباس قرارا اي منزلا في حال الحياة وبعد الممات والسما بناء اي قايما ثابتا والا وقعت علينا وقيل سقفا كالقبة ثم ذكر دلايل النفس وهي دلالة احوال بدن الانسان على وجود الصانع القادر الحكيم وهو قوله وصوركم فاحسن صوركم قوله فاحسن صوركم قرا ابو رزين والاعمش صوركم بكسر الصاد فرارا من الضمة قبل الواو وقرات فرقة بضم الصاد وسكون الواو وجعلوه اسم جنس لصورة كبسر وبسرة

فصل قال مقاتل خلقكم فاحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن ادم قايما معتدلا ياكل ويتناول بيده وغير ابن ادم يتناول بفيه ورزقكم من الطيبات قيل من غير رزق الدواب ثم قال ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ومعنى تبارك اما الدوام والثبات واما كثرة الخيرات ثم قال هو الحي وهذا يفيد الحصر وانه لا حي الا هو ثم قال هو الحي بنبه على الوحدانية فقال لا اله الا هو ثم امر العباد بالاخلاص في الدعا فقال فادعوه مخلصين له الدين ثم قال الحمد لله رب العالمين والمراد انه لما كان موصوفا بصفات الجلال والعزة استحق لذاته ان يقال له الحمد لله رب العالمين وقال الفرا هو خبر وفيه اضمار الامر ومجازه فادعوه واحمدوه وروى مجاهد عن ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين فذلك قوله فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين قوله اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما اورد على المشركين تلك الادلة الدالة على اثبات الاله العالم امره بهذا القول ليصرفهم عن عبادة الاوثان وبين وجه النهي في ذلك وهو ما جاه من البينات وهو ما تقدم من الدلايل الدالة على ان اله العالم قد ثبت كونه موصوفا بصفات الجلال والعظمة على ما تقدم وصريح العقل يشهد بان العبادة لا تليق الا به وان الاحجار المنحوتة والاخشاب المصورة لا تصلح لان يكون شركا له فقال وامرت ان اسلم لرب العالمين وذلك حين دعي الى الكفر قوله تعالى هو الذي خلقكم من تراب الاية لما استدل على اثبات الالهية بدليل الافاق وذكر منها الليل والنهار والارض والسماء ذكر الدليل على اثبات الاله القادر بخلق الانفس وهو نوعان احدهما حسن الصورة ورزق الطيبات ذكر النوع الثاني وهو كيفية تكوين البدن من ابتداء كونه نطفة وجنينا الى اخر الشيخوخة والموت فقال هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة قيل المراد ادم قال ابن الخطيب وعندي لا حاجة الى ذلك لان كل انسان فهو مخلوق من المني ومن دم الطمث والمني مخلوق من دم فالانسان مخلوق من الدم والدم انما يتولد من الاغذية اما حيوانية واما نباتية والحال في ذلك الحيوان كالحال في تكوين الانسان فكانت الاغذية كلها منتهية الى النبات والنبات انما يكون من التراب والما فثبت ان كل انسان متكون من التراب ثم ان ذلك التراب يصير نطفة ثم علقة ثم بعد كونه علقة مراتب الى ان ينفصل من بطن

واحده

والله تعالى ترك ذكرها هنا لانه ذكرها في ايات اخر ثم قال ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا ثم لتبلغوا اشدكم قال الزمخشري قوله لتبلغوا اشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل ان يصير شيخا او من قبل هذه الاحوال اذا اخرج سقطا ثم قال ولتبلغوا اجلا مسمى اي ولتبلغوا جميعا اجلا مسمى وقتا محدودا لا تجاوزونه وهو وقت الموت وقيل يوم القيمة ولعلكم تعقلون يعني لكي تعقلوا توحيد ربكم وقدرته واستدلوا بهذه الاحوال العجيبة على وحدانية الله تعالى ثم قال هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون والمعنى انه تعالى لما ذكر انتقال الاجسام من كونها ترابا الى ان بلغت الشيخوخة واستدل بهذه التغييرات على وجود الاله القادر قال بعده هو الذي يحيي ويميت اي كما ان الانتقال من صفة الى صفة اخرى من الصفات المتقدمة يدل على الاله القادر فقوله فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فيه وجوه الاول معناه انه لم ينقل هذه الاجسام من صفة الى صفة اخرى بآلة تعينه انما يقول له كن فيكون الثاني انه عبر عن الاحيا والاماتة بقوله كن فيكون فكانه قيل الانتقال من كونه ترابا الى كونه نطفة ثم الى كونه علقة انتقالات تحصل على التدريج قليلا قليلا واما صيرورته حيا فهي انما تحصل بتعلق جوهر الروح وذلك يحدث دفعة واحدة فلهذا عبر عنه بقوله كن فيكون الثالث ان من الناس من يقول ان الانسان انما يتكون من المني والدم في الرحم في مدة معينة بحسب الانتقالات من حال الى حال فكانه قيل له يمتنع ان يكون كل انسان عن انسان اخر لان التسلسل محال ووقوع الحادث في الازل محال فلا بد من الاعتراف بانسان هو اول الناس وحينئذ يكون حدوث ذلك الانسان لا بواسطة المني والدم بل بايجاد الله تعالى ابتدا فعبر الله تعالى عن هذا المعنى بقوله كن فيكون قوله تعالى الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله الاية اعلم انه تعالى عاد الى ذم الذين يجادلون في ايات الله اي في انكار ايات الله ودفعها والتكذيب بها فعجب تعالى منهم بقوله اني يصرفون كيف صرفوا عن دين الحق وهذا كما يقول الرجل لمن لا يسمع نصحه الى اين يذهب بك تعجبا من غفلته قوله تعالى الذين كذبوا يجوز فيه اوجه ان يكون بدلا من الموصول قبله او بيانا له او نعتا او خبر مبتدا محذوف او منصوبا على الذم وعلى هذه الاوجه فقوله فسوف يعلمون جملة مستانفة سيقت للتهديد ويجوز ان يكون مبتدا والخبر الجملة من قوله فسوف يعلمون ودخول الفاء فيه واضح

فصل المعنى هم الذين كذبوا بالكتاب اي بالقران وبما ارسلنا به رسلنا من ساير الكتب قيل هم المشركون وعن محمد بن سيرين وجماعة انها نزلت في القدرية قوله تعالى اذ الاغلال فيه سؤال وهو ان سوف للاستقبال واذ للماضي فقوله فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم مثل قولك سوف اصوم امس والجواب جوزوا في اذ هذه ان يكون بمعنى اذا لان العامل فيها محقق الاستقبال وهو فسوف يعلمون قالوا وكما يقع اذا موقع اذ في قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها كذلك يقع اذ موقعها وقد مضى نحو من هذا في البقرة عند قوله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب قالوا والذي حسن هذا تيقن وقوع الفعل فاخرج في صورة الماضي قال شهاب الدين ولا حاجة الى اخراج اذ عن موضوعها بل هي باقية على دلالتها على المضي وهو منصوب بقوله فسوف يعلمون نصب المفعول به اي فسوف يعلمون يوم القيمة وقت الاغلال في اعناقهم اي وقت سبب الاغلال وهي المعاصي التي كانوا يفعلونها في الدنيا كانه قيل سيعرفون وقت معاصيهم التي تجعل الاغلال في اعناقهم وهو وجه واضح غاية ما فيه التصرف في اذ بجعلها مفعولا بها ولا يضر ذلك فان المعربين غالبا اوقاتهم يقولون منصوب باذكر مقدرا ولا يكون حينئذ الا مفعولا به لاستحالة عمل المستقبل في الزمن الماضي وجوزوا ان يكون منصوبا باذكر مقدرا اي اذكر لهم وقت الاغلال ليخافوا وينزجروا فهذه ثلاثة اوجه خيرها اوسطها قوله تعالى والسلاسل العامة على رفعها وفيه ثلاثة اوجه احدها انه معطوف على الاغلال واخبر عن النوعين بالجار فالجار في نية التاخير والتقدير اذ الاغلال والسلاسل في اعناقهم الثاني انه مبتدا وخبره محذوف لدلالة خبر الاول عليه الثالث انه مبتدا ايضا وخبره الجملة من قوله يسحبون ولا بد من ذكر ضمير يعود عليه منها والتقدير والسلاسل يسحبون بها حذف لقوة الدلالة عليه فيسحبون مرفوع المحل على هذا الوجه واما في الوجهين المتقدمين فيجوز فيه النصب على الحال من الضمير المنوي في الجار ويجوز ان يكون مستانفا وقرا ابن مسعود وابن عباس وزيد بن علي وابن وثاب والمسيبي في اختياره والسلاسل نصبا يسحبون بفتح اليا

مبنيا للفاعل فيكون السلاسل مفعولا مقدما ويكون قد عطف جملة فعلية على جملة اسمية
قال ابن عباس في معنى هذه القراءة اذا كانوا يجرونها فهو اشد عليهم يكلفون ذلك ولا يطيقونه
وقرا ابن عباس وجماعة والسلاسل بالجر يسحبون مبنيا للمفعول وفيها ثلاثة تاويلات
احدها الحمل على المعنى تقديره اذ اعناقهم في الاغلال والسلاسل فلما كان معنى الكلام ذلك
حمل عليه في العطف قال الزمخشري ووجهه انه لو قيل اذ اعناقهم في الاغلال مكان قوله
اذ الاغلال في اعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل
على العبارة الاخرى ونظيره قوله

• مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة • ولا ناعب الا ببين غرابها •

كانه قيل بمصلحين وقرئ بالسلاسل وقال ابن عطية تقديره اذ اعناقهم في الاغلال
والسلاسل فعطف على المراد بالكلام لا على ترتيب اللفظ اذ ترتيبه فيه قلب وهو على حد
قول العرب ادخلت القلنسوة في راسي وفي مصحف ابي وفي السلاسل يسحبون قال ابو
حيان بعد قول ابن عطية والزمخشري المتقدم ويسمى هذا العطف على التوهم الا ان
توهم ادخال حرف الجر على مصلحين اقرب من تغيير تركيب الجملة باسرها والقراءة من تغيير
تركيب الجملة السابقة باسرها ونظير ذلك قوله

• احدك لن ترى بثعيلبات • ولا بيدا ناجية ذمولا •
• ولا متدارك والليل طفل • ببعض نواشغ الوادي حمولا •

التقدير لست براء ولا متدارك وهذا الذي قاله سبقه اليه الفراء فانه قال من جر السلاسل حمله
على المعنى اذ المعنى اعناقهم في الاغلال والسلاسل الوجه الثاني انه عطف على الحميم فقدم على
المعطوف عليه وسياتي تقريره الثالث ان الجر على تقدير اضمار الخافض ويؤيده قراءة ابي
وفي السلاسل وقراءة غيره وبالسلاسل والى هذا نحا الزجاج الا ان ابن الانباري رده وقال
لو قلت زيد في الدار لم يحسن ان تضمر في فتقول زيد الدار ثم ذكر تاويل الفراء وخرج القراءة عليه
ثم قال كما تقول خاصم عبد الله زيد العاقلين بنصب العاقلين ورفعه لان احدهما اذا خاصم
صاحبه فقد خاصمه الاخر وهذه المسالة ليست جارية على اصول البصريين ونصوا على منعها
وانما قال بها من الكوفيين ابن سعدان وقال مكي وقد قرئ والسلاسل بالخفض على العطف
على الاعناق وهو غلط لانه يصير الاغلال في الاعناق وفي السلاسل ولا معنى للاغلال في
السلاسل قال شهاب الدين وقوله على العطف على الاعناق ممنوع بل خفضه على ما تقدم وقال
ايضا وقيل هو معطوف على الحميم وهو ايضا لا يجوز لان المعطوف المخفوض لا يتقدم على
المعطوف عليه لو قلت مررت وزيد بعمرو لم يجز وفي المرفوع يجوز نحو قام وزيد عمرو ويبعد في
المنصوب لا يحسن رايت وزيدا عمرا ولم يجزه في المخفوض احد قال شهاب الدين وظاهر كلامه
انه يجوز في المرفوع مطلقا وقد نصوا على انه لا يجوز الا ضرورة بثلاثة شروط ان لا يقع حرف
العطف صدرا وان يكون العامل متصرفا وان لا يكون المعطوف عليه مجرورا وانشدوا

• عليك ورحمة الله السلام • الى غير ذلك من الشواهد مع تنصيصهم على انه مختص بالضرورة
والسلسلة معروفة قال الراغب وتسلسل الشيء اضطرب كانه تصور منه تسلسل متردد فتردد
لفظه تنبيه على تردد معناه وماء سلسل متردد في مقره والسحب الجر بعنف والسحاب من
ذلك لان الريح تجره او لانه يجر الماء وسجرت التنور اي ملاته نارا وهيجتها ومنه البحر المسجور
اي المملو وقيل المضطرم نارا قال الشاعر

• اذا شاء طالع مسجورة • ترى حولها النبع والساسما •

فمعنى قوله تعالى هنا ثم في النار يسجرون اي توقد بهم لقوله تعالى وقودها الناس والحجارة
والسجير الخليل الذي يسجر في مودة خليله كقولهم فلان يحترق في مودة فلان **فصل**
هذه كيفية عقابهم والمعنى انه يكون في اعناقهم اغلال وسلاسل ثم يسحبون بتلك السلاسل
في الماء المسخن بنار جهنم ثم توقد بهم النار ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله يعني الاصنام
قالوا ضلوا عنا فقدناهم وغابوا عن عيوننا فلا نراهم ثم قالوا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا
انكروا كقولهم في سورة الانعام والله ربنا ما كنا مشركين وقيل معناه لم نكن ندعوا من قبل شيئا

بعض

يعز وينفع وقال الحسين بن الفضل اي لم نكن نصنع من قبل شيئا اي ضاعت عبادتنا لها كما يقول
من ضاع عمله ما كنت اعمل شيئا ثم قال تعالى كذلك يضل الله الكافرين قال القاضي معناه انه
يضلهم عن طريق الجنة ولا يجوز ان يقال يضلهم عن الحجة وقد هداهم في الدنيا اليها وقال
يضل الله الكافرين مثل ضلال الهتهم عنهم يضلهم عن الهتهم حتى انهم لو طلبوا الالهة او طلبوا
الالهة لم يجد احدهما الاخر قوله ذلكم بما كنتم تفرحون تبطرون وتاشرون في الارض
بغير الحق وبما كنتم تمرحون تفرحون وتختالون وقوله تفرحون وتمرحون من باب
التجنيس المحرف وهو ان يقع الفرق بين اللفظين بحرف قوله تعالى ادخلوا ابواب جهنم
اي السبعة المقسومة لكم خالدين فيها وقوله فبئس مثوى المتكبرين المخصوص بالذم
محذوف اي جهنم او مثواكم ولم يقل فبئس مدخل لان الدخول لا يدوم وانما يدوم الثوا فلذلك
خصه بالذم وان كان الدخول ايضا مذموما قوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق لما زيف
طريقة المجادلين في ايات الله امر في هذه الاية رسوله بان يصبر على اذاهم بسبب جدالهم ثم
قال ان وعد الله حق والمراد ما وعد الرسول من نصرته ومن انزال العذاب على اعدائه
قوله تعالى واما نرينك قال الزمخشري اصله فان نرينك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط
ولذلك الحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمني اكرمك ولكن اما تكرمني اكرمك قال
ابو حيان وما ذكره من تلازم النون وما الزائدة ليس مذهب سيبويه وانما هو مذهب المبرد
والزجاج ونص سيبويه على التخيير وقد تقدمت هذه القواعد مستوفاة قوله تعالى فالينا
يرجعون ليس جوابا للشرط الاول بل جوابا لما عطف عليه وجواب الاول محذوف قال الزمخشري
فالينا يرجعون متعلق بقوله نتوفينك وجواب نرينك محذوف تقديره فان نرينك بعض
الذي نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك وان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون
فننتقم منهم اشد الانتقام وقد تقدم مثل هذا في سورة يونس وبحث ابي حيان معه وقال
ابو حيان هنا وقال بعضهم جواب اما نرينك محذوف لدلالة المعنى عليه اي فيقر عينك ولا يصح
ان يكون فالينا يرجعون جوابا للمعطوف عليه والمعطوف لان تركيب فاما نرينك بعض الذي
نعدهم في حياتك فالينا يرجعون ليس بظاهر وهو يصح ان يكون جواب او نتوفينك اي فالينا
يرجعون فننتقم منهم ونعذبهم لكونهم لم يتبعوك ونظير هذه الاية قوله تعالى فاما نذهبن بك
فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون الا انه هنا صرح بجواب الشرط
قال شهاب الدين وهذا بعينه هو قول الزمخشري وقرا السلمي ويعقوب يرجعون بفتح الياء
مبنيا للفاعل وابن مصرف ويعقوب ايضا بفتح تاء الخطاب قوله تعالى منهم من قصصنا يجوز ان
يكون منهم صفة لرسلا فيكون من قصصنا فاعلا به لاعتماده ويجوز ان يكون خبرا مقدما ومن
مبتدا مؤخر والجملة فيها وجهان احدهما الوصف لرسلا وهو الظاهر والثاني الاستئناف **فصل**
معنى الاية انه قال لمحمد انك كالرسل من قبلك وقد ذكرنا حال بعضهم لك ولم نذكر حال الباقين
وليس فيهم احد اعطاه الله ايات ومعجزات الا وقد جادله قومه فيها وكذبوه فصبروا وكانوا ابدا
يقترحون على الانبياء اظهار المعجزات الزائدة على الحاجة عنادا وعبثا وما كان لرسول ان ياتي باية
الا باذن الله والله تعالى علم الصلاح في اظهار ما اظهروه ولم يقدح ذلك في نبوتهم فكذلك الحال
في اقتراح قومك عليك المعجزات الزائدة لما لم يكن اظهارها صلاحا لا جرم ما اظهرناها ثم قال فاذا
جاء امر الله قضي بالحق اي فاذا جاء قضاء الله بين الانبياء والامم قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون
وهم المعاندون الذين يجادلون في ايات الله فيقترحون المعجزات الزائدة على قدر الحاجة تعنتا
وعبثا قوله تعالى الله الذي جعل لكم الانعام الاية لما ذكر الوعيد عاد الى ذكر ما يدل على وجود
الاله القادر الحكيم والى ذكر ما يصلح ان يعد انعاما على العباد قال الزجاج الانعام الابل خاصة
وقال القاضي هي الازواج الثمانية قوله تعالى منها ومنها من الاولى يجوز ان تكون للتبعيض اذ ليس
كلها تركب ويجوز ان تكون لابتداء الغاية اذ المراد بالانعام شيء خاص وهي الابل قال الزجاج لانه
لم يعهد الركوب غيرها واما الثانية فكالاولى وقال ابن عطية هي لبيان الجنس قال لان الخيل
منها ولا توكل فان قيل ما السبب في ادخال لام الغرض على قوله لتركبوا وعلى قوله لتبلغوا ولم يدخل
على البواقي فالجواب قال الزمخشري الركوب في الحج والغزو اما ان يكون واجبا او مندوبا وايضا

ركوبها لاجل حاجتهم وهي الانتقال من بلد الى بلد اخر لطلب علم او اقامة دين يكون اما واجبا
او مندوبا فهذان القسمان اغراض الدينية فلا جرم ادخل عليها حرف التعليل نظيره قوله تعالى
والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة فادخل حرف التعليل على التعليل ولم يدخله على الزينة
قوله تعالى لتركبوا منها اي بعضها ومنها تاكلون ولكم فيها منافع اي في اصوافها واوبارها واشعارها
والبانها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بحمل اثقالكم من بلد الى بلد قوله تعالى وعليها وعلى
الفلك تحملون اي على الابل في البر وعلى السفن في البحر فان قيل لم لم يقل وفي الفلك كما قال قلنا
احمل فيها من كل زوجين اثنين فالجواب كلمة على للاستعلاء فالشي الذي يوضع على الفلك كما صح
ان يقال وضع فيه صح ان يقال وضع عليه ولما صح الوجهان كانت لفظة على اولى حتى تتم المزاوجة
في قوله وعليها وعلى الفلك تحملون وقال بعضهم ان لفظه في هناك اليق لان سفينة نوح على
ما قيل كانت مطبقة عليهم وهي محيطة بهم كالوعا واما غيرها فالاستعلا فيه واضح لان الناس
على ظهرها قوله تعالى ويريكم اياته دلايل قدرته وقوله فاي ايات الله منصوب بتنكرون
وقدم وجوبا لان له صدر الكلام قال مكي ولو كان مع الفعل ها لكان الاختيار الرفع في اي بخلاف
الف الاستفهام تدخل على الاسم وبعدها فعل واقع على ضمير الاسم فالاختيار النصب نحو قولك
ازيدا ضربته هذا مذهب سيبويه فرق بين الالف وبين اي يعني انك اذا قلت ايهم ضربته
كان الاختيار الرفع لانه لا يحوج الى اضمار مع ان الاستفهام موجود وفي ازيدا ضربته يختار
النصب لاجل الاستفهام فكان مقتضاه اختيار النصب ايضا فيما اذا كان الاستفهام بنفس الاسم
والفرق عسر وقال الزمخشري فاي ايات جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فايه ايات الله قليلة
لان التفرقة بين المذكر والمونث في الاسما غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهو في اي اغرب
لابهامه قال ابو حيان ومن قلة تانيث اي قوله

باي كتاب ام باية سنة • ترى حبهم عارا علي وتحسب

وقوله وهو في اي اغرب ان عنى ايا على الاطلاق فليس بصحيح لان المستفيض في النداء ان يونث
في نداء المونث كقوله تعالى يا ايتها النفس المطمينة ولا نعلم احدا ذكر تذكيرها فيه فيقول يا ايها المراة
الا صاحب البديع في النحو وان عنى غير المناداة فكلامه صحيح يقل تانيثها في الاستفهام وموصولة
وشرطية قال شهاب الدين واما اذا وقعت صفة لنكرة او حالا لمعرفة فالذي ينبغي ان يجوز الوجهان
كالموصولة ويكون التانيث اقل نحو مررت بامراة اية امراة وجاءت هند اية امراة وكان ينبغي لابي حيان
ان ينبه على هذين الفرعين **فصل** معنى قوله فاي ايات الله تنكرون اي هذه الايات التي
عددناها كلها ظاهرة باهرة ليس في شي منها ما يمكن انكاره قوله تعالى افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم الاية معناه ان هولاء الكفار الذين يجادلون في ايات
الله وحصل الكبر العظيم في صدورهم انما كان السبب في ذلك طلب الرياسة والتقدم على الغير
في المال والجاه ومن ترك الانقياد الى الحق طلبا لهذه الاشيا فقد باع الاخرة بالدنيا وهذه
طريقة فاسدة لان الدنيا فانية ذاهبة واحتج بقوله تعالى افلم يسيروا في الارض الاية يعني
لو ساروا في اطراف الارض لعرفوا ان عاقبة المتكبرين والمتمردين ليس الا الهلاك والبوار مع
انهم كانوا اكثر عددا ومالا وجاها من هولاء المتاخرين فلما لم يفدهم تلك المكنة العظيمة الا
الخيبة والخسار فكيف حال هولاء الفقراء المساكين قوله فما اغنى عنهم يجوز في ما ان تكون
نافية واستفهامية بمعنى النفي ولا حاجة اليه وقوله ما كانوا يجوز ان تكون ما مصدرية ومحلها
الرفع اي مكسوبهم او كسبهم ويجوز ان يكون بمعنى الذي فلا عايد على الاول وعلى الثاني هو محذوف
اي يكسبونه وهي فاعل باغنى على التقديرين قوله بما عندهم من العلم فيه اوجه احدها انه
تهكم بهم والمعنى ليس عندهم علم الثاني ان ذلك جاء على زعمهم ان عندهم علما ينتفعون به
الثالث ان من بمعنى بدل اي بما عندهم من الدنيا بدل العلم وعلى هذه الاوجه فالضميران
للكفار الرابع ان يكون الضميران للرسل اي فرح الرسل بما عندهم من العلم الخامس ان الاول
للكفار والثاني للرسل ومعناه فرح الكفار فرح ضحك واستهزا بما عند الرسل من العلم اذ لم
ياخذوه بقبول ويمتثلوا اوامر الوحي ونواهيه وقال الزمخشري ومنها اي من الوجوه ان يوضع
قوله فرحوا بما عندهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لاقصى الفرح والمسرة مع تهكم

بفرط خلوهم من العلم وجهلهم قال ابو حيان ولا يعبر بالجملة الظاهر كونها مثبتة عن الجملة
المنفية الا في قليل من الكلام نحو شر اهر ذا ناب على خلاف فيه ولما آل امره الى الاثبات المحصور
جاز واما في الاية فينبغي ان لا يحمل على القليل لان في ذلك تخليطا لمعاني الجمل المتباينة فصل
قال المفسرون الضمير في قوله فرحوا يحتمل ان يكون عايدا الى الكفار وان يكون عايدا الى الرسل
فان عاد الى الكفار فذلك العلم الذي فرحوا به قيل هو الاشيا التي كانوا يسمونها علما وهي
الشبهات المحكية عنهم في القران كقولهم ما يهلكنا الا الدهر وقولهم لو شا الله ما اشركنا ولا اباونا
وقولهم من يحيي العظام وهي رميم ولين رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فكانوا يفرحون
بذلك ويدفعون به علوم الانبيا كما قال كل حزب بما لديهم فرحون وقيل المراد علوم الفلاسفة
فانهم كانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علوم الانبيا عن علومهم كما روي عن سقراط انه
سمع بمجي بعض الانبيا عليهم السلام فقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهتدون فلا حاجة بنا
الى من يهدينا وقيل المراد علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة
الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جات الرسل بعلوم الديانات ومعرفة
الله تعالى ومعرفة المعاد وتطهير النفس من الرذايل لم يلتفتوا اليها واستهزوا بها واعتقدوا انه
لا علم انفع واجلب للفوايد من علمهم ففرحوا به وان عاد الضمير الى الانبيا ففيه وجهان الاول انه
يفرح الرسل اذا راوا من قومهم جهلا كاملا واعراضا عن الحق وعلموا سو عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة
على جهلهم واعراضهم يفرحوا بما اوتوا من العلم ويشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزايهم
الثاني ان المراد ان الرسل فرحوا بما عندهم من العلم فرح ضحك واستهزاء قوله تعالى فلما راوا باسنا
اي عذابنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين اي تبرانا مما كنا نعدل بالله كالباس شدة
العذاب وقوله تعالى بنيس قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم يجوز رفع ايمانهم اسما لكان وينفعهم جملة
خبرا مقدما ويجوز ان يرتفع بانه فاعل ينفعهم وفي كان ضمير الشان وقد تقدم هذا محققا في قوله
ما كان يصنع فرعون وانه ليس من باب التنازع ودخل حرف النفي على الكون لا على النفع لانه
بمعنى لا يصح ولا ينبغي كقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد واعلم ان المراد بالوقت الذي لا ينفعهم
الايمان فيه هو وقت معاينة نزول ملايكة الرحمة وملايكة العذاب لان في ذلك الوقت
يصير المرء ملجا الى الايمان فذلك الايمان لا ينفع قوله تعالى سنة الله يجوز انتصابها على المصدر
المؤكد لمضمون الجملة يعني ان الله فعل بهم سنة سابقة من الله ويجوز انتصابها على
التحذير اي احذروا سنة الله في المكذبين التي قد خلت في عباده وتلك السنة انهم اذا عاينوا
العذاب امنوا ولا ينفعهم ايمانهم وخسر هنالك الكافرون هنالك في الاصل مكان فقيل واستعير
هنا للزمان ولا حاجة له فالمكانية فيه ظاهرة اي وخسر هنالك الكافرون بذهاب الدارين قال
الزجاج الكافر خاسر في كل وقت وانما يتبين لهم خسرانهم اذا راوا العذاب فصل قال ابن سيرين راى
رجل في المنام سبع جوار حسان في مكان واحد لم ير احسن منهن فقال لهن لمن انتن فقلن لمن قرا الحم

سورة حم السجدة مكية

وهي اربع وخمسون اية وسبع ماية وتسعة وتسعون كلمة وثلاثة الاف وثلثماية وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى حم تنزيل من الرحمن الرحيم يجوز ان يكون تنزيل خبر حم على القول بانها اسم للسورة
ويجوز ان يكون تنزيل خبر ابتدا مضمر اي هذا تنزيل وقال الاخفش تنزيل رفع بالابتدا
وكتاب خبره قوله كتاب قد تقدم انه يجوز ان يكون خبر التنزيل ويجوز ان يكون خبرا
ثانيا وان يكون بدلا من تنزيل وان يكون فاعلا بالمصدر وهو تنزيل اي نزل كتاب قال ابو
البقا وفصلت اياته صفة لكتاب قوله قرانا في نصبه ستة اوجه احدها هو حال بنفسه
وعربيا صفته او حال موطية والحال في الحقيقة عربيا وهي حال غير منتقلة وصاحب الحال اما
كتاب لوصفه بفصلت واما اياته او منصوب على المصدر اي يقروه قرانا او على الاختصاص
والمدح او مفعول ثان لفصلت او منصوب بتقدير فعل اي فصلناه قرانا قوله لقوم فيه

ثلاثة اوجه احدها ان يتعلق بفصلت اي فصلت لهولاء وبينت لهم لانهم هم المنتفعون
بها وان كانت مفصلة في نفسها لجميع الناس الثاني ان يتعلق بمحذوف صفة لقرانا اي
كاينا لهولاء خاصة لما تقدم من المعنى الثالث ان يتعلق بتنزيل وهذا اذا لم تجعل من الرحمن
صفة له لانك ان جعلت من الرحمن صفة له فقد اعملت المصدر الموصوف واذا لم يكن كتاب
خبرا عنه ولا بدلا منه لئلا يلزم الاخبار عن الموصول او البدل منه قبل تمام صلته ومن يتسع
في الظرف وعدله لم يبال بشي من ذلك واما اذا جعلت من الرحمن متعلقا به وكتاب فاعلا به
فلا يضر ذلك لانه من تمامه وليس باجنبي **فصل** اعلم ان الله تعالى حكم على هذه السورة
باشيا اولها كونها تنزيلا والمراد المنزل والتعبير عن المفعول بالمصدر مجاز مشهور كقوله
هذا بنا الامير اي مبنيه وهذا الدرهم ضرب السلطان اي مضروبه ومعنى كونها منزلا ان
الله تعالى كتبها في اللوح المحفوظ وامر جبريل عليه السلام ان يحفظ الكلمات ثم ينزل بها على
محمد صلى الله عليه وسلم ويوديها اليه فلما حصل تفهيم هذه الكلمات بواسطة نزول جبريل
عليه السلام سمي بذلك تنزيلا وثانيها كون ذلك التنزيل من الرحمن الرحيم وذلك يدل على ان
ذلك التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى لان الفعل المقرون بالصفة لابد وان يكون مناسبا
لتلك الصفة فكونه تعالى رحمانا رحيما صفتان دالتان على كمال الرحمة فالتنزيل المضاف الى
هاتين الصفتين لابد وان يكون دالا على اعظم وجوه الرحمة والنعمة والامر كذلك لان الخلق
في هذا العالم كالمرضى والمحتاجين والقران مشتمل على كل ما يحتاج اليه المرضى من الادوية وعلى
ما يحتاج اليه الاصحا من الاغذية فكان اعظم النعم من الله تعالى على اهل هذا العالم انزال
القران عليهم وثالثها كونه كتابا وتقدم ان هذا الاسم مشتق من الكتب وهو الجمع فسمي كتابا
لانه جمع فيه علم الاولين والاخرين ورابعها قوله فصلت اياته اي ميزت وجعلت تفاصيل
في معان مختلفة فبعضها وصف ذات الله تعالى وصفات التنزيه والتقديس وشرح كمال
علمه وقدرته ورحمته وحكمته وعجايب احوال خلقه من السموات والكواكب وتعاقب الليل
والنهار وعجايب احوال النبات والحيوان والانسان وبعضها في المواعظ والنصايح وبعضها
في تهذيب الاخلاق ورياضة النفس وبعضها في قصص الانبيا وتواريخ الماضين وبالجملة
فمن انصف علم انه ليس في يد الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة مثل ما في القران
وخامسها قوله قرانا وقد سبق توجيه هذا الاسم وسادسها قوله عربيا اي انما نزل بلغة
العرب ويوكده قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وسابعها لقوم يعلمون اي
جعلناه قرانا لاجل انا انزلناه على قوم عرب بلغتهم ليفهموا منه المراد وثامنها وتاسعها قوله
تعالى بشيرا ونذيرا يجوز ان يكونا نعتين لقرانا وان يكونا حالين اما من كتاب واما من اياته
واما من الضمير المنوي في قرانا وقرا زيد بن علي برفعهما على النعت لكتاب او على خبر ابتدا مضمر
اي هو بشير ونذير ومعناه بشيرا للمطيعين بالثواب ونذيرا للمجرمين بالعقاب قال ابن
الخطيب والحق ان القران بشارة ونذارة الا انه اطلق اسم الفاعل عليه للتنبيه على كونه
كاملا في هذه الصفة كما يقال شعر شاعر وكلام قايل وعاشرها كونهم معرضين عنه فلا يسمعونه
ولا يلتفتون اليه فهذه الصفات العشرة التي وصف الله تعالى القران بها فان قيل احتج
القايلون بخلق القران بهذه الاية من وجوه الاول انه وصف القران بكونه منزلا وتنزيلا
والمنزل والتنزيل مشعر بالتغيير من حال الى حال فوجب ان يكون مخلوقا الثاني ان
التنزيل مصدر والمصدر هو المفعول المطلق باتفاق النحويين الثالث المراد بالكتاب
اما الكتابة وهي المصدر الذي هو المفعول المطلق واما المكتوب الذي هو المفعول الرابع
ان قوله فصلت اياته يدل على انه متصرف يتصرف فيه بالتفصيل وذلك لا يليق بالقديم
الخامس انما سمي قرانا لانه قرن بعض اجزايه ببعض وذلك يدل على كونه مفعول فاعل
ومجعول جاعل السادس وصفه بكونه عربيا وانما صحت هذه النسبة لان هذه الالفاظ انما
دلت على هذه المعاني بحسب وضع العرب واصطلاحاتهم وما حصل بجعل جاعل وفعل فاعل
فلا بد وان يكون محدثا ومخلوقا والجواب ان كل هذه الوجوه المذكورة عايدة الى اللغات
والى الحروف والكلمات وهي حادثة **فصل** ذهب قوم الى ان في القران من ساير

اللغات كالاستبرق والسجيل فانهما فارسيان والمشكاة فانها حبشية والقسطاس فانه
من لغة الروم وهذا فاسد لقوله تعالى قرانا عربيا وقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه **فصل** قالت المعتزلة الايمان والكفارة والصلاة والزكاة والصوم والحج
الفاظ شرعية لا لغوية بمعنى ان الشرع نقل هذه الالفاظ عن مسمياتها اللغوية الاصلية
الى مسميات اخرى وهذا باطل وليس للشرع تصرف في هذه الالفاظ الا من وجه واحد وهو
انه خصص هذه الاسما بنوع معين من انواع مسمياتها كما ان الايمان عبارة عن التصديق والصلوة
عبارة عن الدعا فخصصه الشرع بنوع معين من الدعا وكذا القول في البواقي ويدل على هذا قوله
تعالى قرانا وقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه **فصل** تمسك القايلون بان
افعال الله تعالى معللة بالمصالح والحكمة بهذه الاية فقالوا انها تدل على انه انما جعله قرانا عربيا
لاجل ان يعلموا المراد منه فدل ذلك على ان تعليل افعال الله واحكامه جايزة **فصل** قال
قوم القران كله معلوم لقوله تعالى قرانا عربيا لقوم يعلمون يعني انما جعلناه عربيا ليصير
معلوما والقول بانه غير معلوم يقدح فيه قوله تعالى فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون لا يصغون
تكبرا وهذه الاية تدل على انه لا يهتدي الا من هداه الله ولا يضل الا من اضله الله ولما وصف
الله تعالى القران بانهم اعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه بين انهم صرحوا بهذه النفرة وذكروا ثلاثة
اشيا احدها قوله تعالى في اكنة قال الزمخشري فان قلت هلا قيل على قلوبنا اكنة كما قيل
وفي اذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد قلنا هو على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى بين
قولك قلوبنا في اكنة وعلى قلوبنا اكنة والدليل عليه قوله تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة ولو
قيل جعلنا قلوبهم في اكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يرون الطباق والملاحة الا في
المعاني قال ابو حيان وفي هنا ابلغ من على لانهم قصدوا الافراط في عدم القبول بحصول قلوبهم
في اكنة احتوت عليها احتوا الظرف على المظروف فلا يمكن ان يصل اليها شي كما تقول المال في
الكيس بخلاف قولك المال على الكيس فانه لا يدل على الحصر وعدم الوصول دلالة الوعا واما وجعلنا
فهو من اخبار الله تعالى فلا يحتاج الى مبالغة وتقدم تفسير الاكنة والوقر وقرا طلحة ابن
مصرف وقر بكسر الواو وتقدم الفرق بينهما قوله تعالى مما تدعونا من في مما وفي ومن بيننا لابتدا
الغاية والمعنى ان الحجاب ابتدا منا وابتدا منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة
بالحجاب لا فراغ فيها فلو لم تات من لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين والمقصود المبالغة
بالتباين المفرط فلذلك جي بمن قاله الزمخشري وقال ابو البقا هو محمول على المعنى لان المعنى
في اكنة محجوبة عن سماع ما تدعونا اليه ولا يجوز ان يكون نعتا لاكنة لان الاكنة الاغشية
وليست الاغشية مما تدعونا اليه **فصل** وقالوا يعني مشركي مكة قلوبنا في اكنة اغطية
والاكنة جمع كنان كالاغطية جمع غطا والكنان هو الذي يجعل فيه السهام والمعنى لا نفقه ما تقول
وفي اذاننا وقر اي صمم فلا نسمع ما تقول والمعنى انا في ترك القبول عنك بمنزلة من لا يفهم
ولا يسمع ومن بيننا وبينك حجاب خلاف في الدين فلا نوافقك على ما تقول فاعمل انت على
دينك انا عاملون على ديننا قوله تعالى قل انما انا بشر قرا ابن وثاب والاعمش قال فعلا ماضيا
خبرا عن الرسول والرسم يحتملها وقد تقدم مثل هذا في الانبيا واخر المومنين وقرا الاعمش والنخعي
يوحي بكسر الحا اي الله تعالى والمعنى انما انا بشر مثلكم اي كواحد منكم لولا الوحي ما دعوتكم
انما الهكم اله واحد قال الحسن علمه الله التواضع قوله تعالى فاستقيموا اليه عدي بالى
لتضمنه معنى توجهوا والمعنى وجهوا استقامتكم اليه بالطاعة ولا تميلوا عن سبيله واستغفروه
من ذنوبكم قوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكاة قال ابن عباس الذين لا يقولون
لا اله الا الله وهي زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وهو ماخوذ من
قوله ونفس وما زكاها وقال الحسن وقتادة لا يقرون بالزكاة ولا يرون ايتاها واجبا وكان
يقال الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقال الضحاك ومقاتل لا
ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم وهم بالاخرة هم كافرون
فصل احتج من قال ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام بهذه الاية فقالوا انه
تعالى توعدهم بامرين احدهما كونهم مشركين والثاني لا يوتون الزكاة فوجب ان يكون لكل

واحد من هذين تاثير عظيم في حصول الوعيد وذلك يدل على ان لعدم ايتا الزكاة من المشرك تاثير عظيم في زيادة الوعيد وهو المطلوب **فصل** احتج بعضهم على ان مانع الزكوة كافر بهذه الاية فقال ان الله تعالى لما ذكر هذه الصفة ذكر قبلها ما يوجب الكفر وهو قوله وويل للمشركين وذكر بعدها ما يوجب الكفر وهو قوله وهم بالاخرة هم كافرون فلو لم يكن منع الزكاة كفرا لكان ذكره فيما بين الوصفين الموجبين للكفر قبيحا لان الكلام انما يكون فصيحا اذا كانت المناسبة مرعية بين اجزايه ثم اكدوا ذلك بان ابا بكر الصديق رضي الله عنه حكم بكفر مانعي الزكاة قال ابن الخطيب والجواب انه ثبت بالدليل ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان وهما حاصلان عند عدم ايتاء الزكاة فلم يلزم حصول الكفر بسبب عدم ايتاء الزكاة والله اعلم **قوله** تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون قال ابن عباس غير مقطوع من قولك مننت الحبل اي قطعته ومنه قولهم قد منه السفر اي قطعته وانشدوا

• فضل الجواد على الخيل البطا فلا • يعطى بذلك ممنونا ولا نزها •

وقال مقاتل غير منقوص ومنه المنون لانه ينقص منه الانسان وقوته وانشد والذي الاصبع العدواني

• اني لعمرك ما بابي بذي غلق • على الصديق ولا خيري بممنون •

وقيل غير ممنون به عليهم لان عطا الله لا يمن به انما يمن المخلوق وقال مجاهد غير محسوب قال السدي نزلت هذه الاية في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون فيه روي عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به اكتب له مثل عمله اذا كان طليقا حتى اطلقه او اكفته الي **قوله** تعالى قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الاية قرا ابن كثير اينكم لتكفرون بهمزة وبعدها يا خفيفة ساكنة بلا مد والباقون بهمزتين وهو استفهام بمعنى الانكار اي كيف تكفرون بالله وكيف يجوز جعل هذه الانداد الخسيسة اندادا لله مع انه تعالى خلق الارض في يومين وهما يوم الاحد ويوم الاثنين وتمم بقية مصالحها في يومين اخرين وخلق السموات باسرها في يومين اخرين فمن قدر على خلق هذه الاشيا العظيمة كيف يعقل الكفر به وانكار قدرته على الحشر والنشر فان قيل من استدل بشي على اثبات شي فذلك الشي المستدل به يجب ان يكون مسلما عند الخصم حتى يصح الاستدلال به وكونه تعالى خالقا للارض في يومين امر لا يمكن اثباته بالعقل المحض انما يمكن اثباته بالسمع ووحي الانبيا والكفار كانوا منازعين في الوحي والنبوة فلا يعقل تقرير هذه المقدمة عليهم واذا امتنع تقريرها عليهم امتنع الاستدلال بها على فساد مذاهبهم فالجواب اثبات كون السموات والارض مخلوقة بالعقل ممكن واذا امكن ذلك امكن الاستدلال به على وجود الاله القادر القاهر العظيم وحينئذ يقال للكافر كيف يعقل التسوية بين الاله الموصوف بهذه القدرة القاهرة وبين الصنم الذي هو جماد لا يضر ولا ينفع في العبودية والالهية بقي ان يقال فحينئذ لا يبقى في الاستدلال بكونه تعالى خالقا للارض في يومين اثر قال ابن الخطيب بل له اثر في هذا الباب وذلك ان التوراة مشتملة على هذا المعنى فكان ذلك في غاية الشهرة بين اهل الكتاب وكفار مكة كانوا يعتقدون في اهل الكتاب انهم اصحاب العلوم والظاهر انهم كانوا قد سمعوا من اهل الكتاب هذه المعاني واعتقدوا كونها حقا واذا كان الامر كذلك حسن ان يقال لهم ان الاله الموصوف بالقدرة على خلق هذه الاشيا العظيمة في هذه المدة اللطيفة كيف يليق بالعقل جعل الخشب المنجور والحجر المنحوت شريكا له في العبودية والالهية فبهذا التقدير حسن الاستدلال قوله تعالى وتجعلون عطف على لتكفرون فهو داخل في حيز الاستفهام وقوله ذلك رب العالمين اي ذلك الموجود الذي علمت من صفته وقدرته انه خلق الارض في يومين اخبر انه اتى بثلاثة انواع من الصنع العجيب والفعل البديع بعد ذلك فالاول قوله تعالى وجعل فيها رواسي وهذا استئناف ولا يجوز عطفه على صلة الموصول للفصل بينهما باجنبي وهو قوله وتجعلون فانه معطوف على لتكفرون كما تقدم والمراد بالرواسي الجبال فان قيل ما الفايدة في قوله من فوقها ولم يقتصر على قوله وجعل فيها رواسي كما اقتصر على قوله وجعلنا

فيها رواسي شامخات وقوله وجعلنا في الارض رواسي وقوله وجعل فيها رواسي فالجواب انه تعالى لو جعل لها رواسي من تحتها لاوهم ذلك ان تلك الاساطين التحتانية هي التي امسكت هذه الارض الثقيلة عن النزول ولكنه تعالى قال خلقت هذه الجبال الثقال فوق الارض ليري الانسان بعينه ان الارض والجبال اثقال على اثقال وكلها مفتقرة الى ممسك وحافظ وما ذاك الحافظ المدبر الا الله سبحانه وتعالى النوع الثاني قوله تعالى وبارك فيها اي في الارض بما خلق من البحار والانهار والاشجار والثمار وقال ابن عباس يريد شق الانهار وخلق الجبال وخلق الاشجار والنار وخلق اصناف الحيوانات وكلما يحتاج اليه من الخيرات النوع الثالث قوله تعالى وقدر فيها اقواتها قيل المعنى وقدر فيها اقوات اهلها ومعايشهم وما يصلحهم وقال محمد بن كعب قدر اقوات الابدان قبل ان يخلق الابدان وقال مجاهد قدر فيها اقواتها من المطر وعلى هذا فالاقوات للارض لا للسكان والمعنى ان الله عز وجل قدر لكل ارض حظها من المطر وقيل المراد من اضافة القوت الى الارض كونها متولدة في تلك الارض وحادثة فيها لان النحاة قالوا يكفي في حسن الاضافة ادنى سبب فالشي يضاف الى فاعله تارة والى محله اخرى فقوله وقدر فيها اقواتها اي قدر الاقوات التي تختص حدوثها بها وذلك لانه تعالى جعل لكل بلدة معدنا للنوع من الاشيا المطلوبة حتى ان اهل هذه البلدة يحتاجون الى الاشيا المتولدة في تلك البلدة وبالعكس فصار هذا المعنى سببا لرغبة الناس في التجارات واكتساب الاموال قوله تعالى في اربعة ايام تقديره في تمام اربعة ايام باليومين المتقدمين قال الزجاج في تتمة اربعة ايام يريد بالتتمة اليومين وقال الزمخشري في اربعة ايام فذلك المدة خلق الله الارض وما فيها كانه قال كل ذلك في اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان وقال شهاب الدين وهذا كقولك بنيت بيتي في يوم واكملته في يومين اي بالاول وقال ابو البقا في تمام اربعة ايام ولولا هذا التقدير لكانت الايام ثمانية يومان في الاول وهو قوله خلق الارض في يومين ويومان في الاخرة وهو قوله فقضاهن سبع سموات في يومين واربعة في الوسط وهو قوله في اربعة ايام فان قيل انه تعالى لما ذكر خلق الارض في يومين فلو ذكر انه خلق هذه الانواع الثلاثة الباقية في يومين اخرين كان ابعد عن الشبهة وعن الغلط فلم ترك التصريح وذكر الكلام المجمل فالجواب ان قوله في اربعة ايام سوا فيه فايدة زايدة على ما اذا قال خلقت هذه الثلاثة في يومين لانه لو قال خلقت هذه الاشيا في يومين لم يفد هذا الكلام كون اليومين مستغرقين بتلك الاعمال لانه قد يقال عملت هذا العمل في يومين مع ان اليومين ما كانا مستغرقين بذلك العمل اما لما ذكر خلق الارض وخلق هذه الاشيا ثم قال في اربعة ايام سوا دل على ان هذه الايام الاربعة صارت مستغرقة في تلك الاعمال من غير زيادة ولا نقصان قوله سوا العامة على النصب وفيه اوجه احدها انه منصوب على المصدر بفعل مقدر اي استوت استواء قاله مكي وابو البقا والثاني انه حال من ها في اقواتها ومن ها في فيها العايدة على الارض او من الارض قاله ابو البقا وفيه نظر لان المعنى انما هو وصف الايام بانها سواء لا وصف الارض بذلك وعلى هذا جا التفسير ويدل على ذلك قراة سواء بالجر صفة للمضاف او المضاف اليه وقال السدي وقتادة سوا معناه سوا لمن سال عن الامر واستفهم عن حقيقته ووقوعه واراد العبرة فيه فانه يجده كما قال تعالى الا ان ابن زيد وجماعة قالوا شيا يقرب من المعنى الذي ذكره ابو البقا فانهم قالوا معناه مستو مهيا امر هذه المخلوقات ونفعها للمحتاجين اليها من البشر فعبر بالسايلين عن الطالبين وقرا زيد بن علي والحسن وابن ابي اسحاق وعيسى ويعقوب وعمرو بن عبيد سوا بالخفض على ما تقدم وابو جعفر بالرفع وفيه وجهان احدهما انه على خبر ابتدا مضمر اي هي سوا لا تزيد ولا تنقص وقال مكي هو مرفوع بالابتدا وخبره للسايلين وفيه نظر من حيث الابتدا بنكرة من غير مسوغ ثم قال يعني مستويات لمن سال فقال في كم خلقت وقيل للسايلين لجميع الخلق لانهم يسالون الرزق وغيره من عند الله تعالى قوله للسايلين فيه ثلاثة اوجه احدها انه متعلق بسوا بمعنى مستويات للسايلين الثاني انه متعلق بقدر اي قدر فيها اقواتها لاجل الطالبين لها المحتاجين المقتاتين الثالث ان يتعلق بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سال في كم خلقت الارض وما فيها قوله ثم استوى الى

السماء وهي دخان اي عمد الي خلق السماء قال ابن الخطيب من قولهم استوى الي مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلتفت معه الي عمل اخر وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونظيره قولهم استقام واليه وامتد اليه قال تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الي خلق السموات بعد خلق الارض وما فيهما من صارف يصرفه عن ذلك والدخان هو ما ارتفع من لهب النار واستعار لما يرى من بخار الارض عند جدبها وقياس جمعه في القلة ادخنة وفي الكثرة دخنان نحو غراب واغربة وغربان وشذ واني جمعه على دواخن قيل هو جمع داخنة تقديرا على سبيل الاسناد المجازي ومثله عثان وعواثن وقوله وهي دخان من باب التشبيه الصوري لان صورتها صورة الدخان في راي العين **فصل** قال المفسرون هذا الدخان بخار الماء وذلك ان عرش الرحمن كان على الماء قبل خلق السموات والارض كما قال تعالى وكان عرشه على الماء ثم ان الله تعالى احدث في ذلك الماء اضطرابا فازبد وارتفع وخرج منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق منه اليبوسة واحدث منه الارض واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات فان قيل قوله تعالى ثم استوى الي السماء وهي دخان يشعر بان تخليق السماء حصل بعد تخليق الارض وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها يشعر بان تخليق الارض حصل بعد تخليق السماء وذلك يوجب التناقض فالجواب المشهور ان يقال انه تعالى خلق الارض اولا ثم خلق بعده السماء ثم بعد خلق السماء دحا الارض وبهذه الطريق يزول التناقض قال ابن الخطيب وهذا الجواب عندي مشكل من وجوه الاول انه تعالى خلق الارض في يومين ثم انه في اليوم الثالث جعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها وهذه الاحوال لا يمكن ادخالها في الوجود الا بعد ان صارت الارض منبسطة وقوله تعالى وبارك فيها مفسر بخلق الاشجار والنبات والحيوان فيها وذلك لا يمكن الا بعد صيرورتها منبسطة ثم انه تعالى قال بعد ذلك ثم استوى الي السماء فهذا يقتضي انه تعالى خلق السماء بعد خلق الارض وبعد ان جعلها مدحوة وحينئذ يعود السؤال الثاني انه ورد ان الدليل الهندسية دلت على ان الارض كرة فهي اول حدوثها ان قلنا انها كرة والان بقيت كرة ايضا فهي منذ خلقت كانت مدحوة وان قلنا انها غير كرة ثم جعلت كرة فيلزم ان يقال انها كانت مدحوة قبل ذلك ثم ازيل عنها هذه الصفة وذلك باطل الثالث ان الارض جسم في غاية العظم والجسم الذي يكون كذلك فانه من اول دخوله في الوجود يكون مدحوا فالقول بانها كانت غير مدحوة ثم صارت مدحوة قول باطل والذي جاء في الكتب التواريخ ان الارض خلقت من موضع الصخرة بيت المقدس فهو كلام مشكل لانه اذا كان المراد انها على عظمها خلقت من ذلك الموضع ثم خلق بقية اجزائها واضيفت الي تلك الاجزاء التي خلقت اولا فهذا يكون اعترافا بان تخليق الارض وقع متاخرا عن تخليق السماء الرابع انه لما حصل تخليق ذات الارض في يومين وتخليق ساير الاشيا الموجودة في الارض في يومين وتخليق السموات في يومين اخرين كان مجموع ذلك ستة ايام فاذا حصل دحو الارض بعد ذلك فقد حصل هذا الدحو في زمان اخر بعد الايام الستة فحينئذ يقع تخليق السموات والارض في اكثر من ستة ايام وذلك باطل الخامس انه لا نزاع في ان قوله تعالى بعد هذه الاية ثم قال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها كناية عن ايجاد السموات والارض فلو تقدم ايجاد الارض على ايجاد السماء لكان قوله تعالى ايتيا طوعا او كرها يقتضي ايجاد الموجودات وانه محال باطل هذا تمام البحث عن هذا الجواب ونقل الواحدي في البسيط عن مقاتل انه قال خلق السماء قبل الارض وتاول قوله ثم استوى الي السماء ثم كان قد استوى الي السماء وهي دخان قبل ان يخلق الارض فاضمر فيه كان كما قال تعالى قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل معناه ان يكن سرق وقال تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا والمعنى فكان قد جاءها هذا ما نقله الواحدي قال ابن الخطيب وهذا عندي ضعيف لان تقدير الكلام ثم كان قد استوى الي السماء وهذا جمع بين الضدين لان كلمة ثم تقتضي التاخير وكلمة كان تقتضي التقديم والجمع بينهما يفيد التناقض وانما يجوز تاويل كلام الله بما لا يؤدي الي وقوع التناقض والركاكة فيه والمختار عندي ان يقال خلق السماء تقدم على خلق الارض وتاويل الاية ان نقول الخلق ليس عبارة

على التكوين والايجاد والدليل عليه قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فلو كان الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين لصار تقدير الاية اوجده من تراب ثم قال له كن فيكون وهذا محال فثبت ان الخلق ليس عبارة عن الايجاد والتكوين بل هو عبارة عن التقدير والتقدير في حق الله تعالى هو كلمته بانه سيوجده واذا ثبت هذا فنقول قوله خلق الارض في يومين معناه انه قضى بحدوثه في يومين وقضاء الله انه سيحدث كذا في مدة كذا لا يقتضي حدوث ذلك الشيء في الحال فقضاء الله بحدوث الارض في يومين قد تقدم على احداث السماء وحينئذ يزول السؤال قوله تعالى ثم قال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين قرا العامة ايتيا امرا من الاتيان قالتا اتينا منه ايضا وقرا ابن عباس وابن جبير ومجاهد ايتيا قالتا اتينا بالمد فيهما وفيه وجهان احدهما انه من المواتاة وهي الموافقة اي لتوافق كل منكما الاخرى لما يليق بها واليه ذهب الرازي والزمخشري فوزن ايتيا فاعلا كقاتلا واتينا وزنه فاعلنا كقاتلنا والثاني انه من الايتاء بمعنى الاعطاء فوزن ايتيا افعلا كاكرما ووزن اتينا افعلنا كاكرمنا فعلى الاول يكون قد حذف مفعولا وعلى الثاني يكون قد حذف مفعولين اذ التقدير اعطيا الطاعة من انفسكما من امركما قالتا اعطيناه الطاعة وقد منع ابو الفضل الرازي الوجه الثاني فقال اتينا بالمد على فاعلنا من المواتاة بمعنى سارعنا على حذف المفعول به ولا يكون من الايتاء الذي هو الاعطاء لبعد حذف مفعوليه قال شهاب الدين وهذا هو الذي منع الزمخشري ان يجعله من الايتاء قوله تعالى طوعا او كرها مصدران في موضع الحال اي طائعين او مكرهتين وقرا الاعمش كرها بالضم وتقدم الكلام على ذلك في النساء قوله تعالى قالتا اي قالت السماء والارض وقال ابن عطية اراد الفرقتين المذكورتين جعل السموات سماء والارضين ارضا كقوله

• الم يحزنك ان حبال قومي • وقومك قد تباينتا انقطاعا •

عبر عنهما بتباينتا قال ابو حيان وليس كما ذكر لانه لم يتقدم الا ذكر الارض مفردة والسماء مفردة فلذلك حسن التعبير بالتثنية واما البيت فكانه قال حبلي قومي وقومك وانث في تباينتا على المعنى لانه عني بالحبال المودة قوله تعالى طائعين في مجيئه مجيء جمع المذكرين العقلاء وجهان احدهما ان المراد باتينا من فيهما من العقلاء وغيرهم فلذلك غلب العقلاء على غيرهم وهو راي الكسائي والثاني انه لما عاملهما معاملة العقلاء في الاخبار عنهما والامر لهما جمعهما جمعهم كقوله رايتهم لي ساجدين وهل هذه المحاورة حقيقة او مجاز واذا كانت مجازا فهل هو تمثيل او تخييل خلاف **فصل** ظاهر هذا الكلام يقتضي ان الله تعالى امر السماء والارض بالاتيان فاطاعوا وهذا ليس بمستبعد كما ان الله تعالى انطق الجبال مع داود عليه السلام فقال يا جبال اوبي معه والطير وانطق الايدي والارجل فقال يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقوله وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء واذا كان كذلك فكيف يستبعد ان يخلق الله تعالى في ذات السموات والارض حياة وعقلا ثم يوجه الامر والتكليف عليهما ويؤكد هذا وجوه الاول ان الاصل حمل اللفظ على ظاهره الا ان يمنع منه مانع وههنا لا مانع الثاني انه تعالى جمعهما جمع العقلاء فقال قالتا اتينا طائعين الثالث قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وهذا يدل على كونها عارفة بالله عالمة بتوجيه تكليف الله عليها واجاب ابن الخطيب عن هذا القول بان المراد من قوله ايتيا طوعا او كرها الاتيان الي الوجود والحدوث والحصول فعلى هذا التقدير فحال توجه هذا الامر كانت السموات والارض معدومة اذ لو كانت موجودة فذلك لا يجوز فثبت ان حال توجه هذا الامر عليها كانت المعدومة واذا كانت معدومة لم تكن فاهمة ولا عارفة للخطاب فلم يجز توجه الامر عليها فان قيل روي مجاهد وطاوس عن ابن عباس انه قال قال الله للسموات اخرجا ما فيكما من المنافع لحصول لمصالح العباد اما انت يا سماء فاطلعي شمسك وقمرك ونجومك وانت يا ارض فشققي انهارك واخرجي ثمارك ونباتك وقال لهما افعلا ما امرتكما طوعا والا الجاتكما الي ذلك حتى تفعلاه فنقول فعلى هذا التقدير لا يكون المراد من قوله اتينا طائعين حدوثهما في ذاتهما بل يصير المراد من هذا الامر ان يظهرا ما كان مودعا فيهما وهذا باطل لانه تعالى قال فقضاهن سبع سموات في يومين وذلك يدل على ان حدوث السماء انما حصل بعد قوله ايتيا طوعا او كرها

فصل اعلم ان المقصود من هذا الكلام اظهار كمال القدرة والتقدير ايتيا شيتما
ذلك اوابيتما كما تقول للجبار لما تحت يده لتفعلن هذا شئت اوابيت ولتفعلنه طوعا او
كرها وقيل انه تعالى ذكر السما والارض ثم ذكر الطوع والكره فوجب ان ينصرف الطوع الى
السما والكره الى الارض وتخصص السما بالطوع لوجوه احدها ان السما في دوام حركتها
على نهج واحد لا يختلف يشبه حيوانا مطيعا لله عز وجل بخلاف الارض فانها مختلفة
الاحوال تارة تكون ساكنة وتارة تضطرب وثانيها ان الموجود في السما ليس الا الطاعة
قال تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يومرون واما اهل الارض فليس
كذلك وثالثها ان السما موصوفة بكمال الحال فيقال انها افضل الالوان وشكلها افضل
الاشكال وهو المستدير ومكانها افضل الامكنة وهو العلو وسكانها افضل الاجرام وهي
الكواكب المنيرة بخلاف الارض فانها مكان الظلمة والكثافة واختلاف الاحوال وتغيير
الذاتية والصفات فلا جرم عبر عن تكوين السما بالطوع وعن تكوين الارض بالكره قوله
تعالى فقضاهن سبع سموات في نصب سبع اربعة اوجه احدها انه مفعول ثان لقضاهن
لانه ضمن معنى صيرهن بقضا به سبع سموات والثاني انه منصوب على الحال من مفعول
قضاهن اي قضاهن معدودة وقضى بمعنى صنع كقول ابي ذويب •
• وعليهما مسرودتان قضاهما • داود او صنع السوابغ تبع •
اي صنعهما الثالث انه تمييز قال الزمخشري ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع
سموات على التمييز يعني بقوله مبهما انه لا يعود على السما لا من حيث اللفظ ولا من حيث
المعنى بخلاف كونه حالا او مفعولا ثانيا الرابع انه بدل من هن في فقضاهن قاله مكي
وقال ايضا السما تذكر وتونث وعلى التانيث جا القران ولو جا على التذكير لقيل سبع
سموات وتقدم تحقيق تذكيره وتانيثه في اوايل البقرة **فصل** قال اهل الاثر
ان الله تعالى خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق سايرما في الارض يوم الثلاثا
والاربعا وخلق السموات وما فيها في يوم الخميس والجمعة وفرغ في اخر ساعة يوم
الجمعة فخلق فيها ادم وهي الساعة التي تقوم فيها القيمة فان قيل اليوم عبارة عن
النهار والليل وذلك انما يحصل بطلوع الشمس وغروبها وقبل حدوث السموات والشمس
والقمر كيف يعقل حصول اليوم فالجواب معناه انه مضى من المدة ما لو حصل هناك فلك
وشمس لكان المقدار مقدرا بيوم وقضا الشي اتمامه والفراغ منه قوله تعالى واوحى
في كل سما امرها قال عطا عن ابن عباس خلق في كل سما خلقها من الملايكة وما فيها من
البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله وقال قتادة والسدي يعني خلق فيها شمسها
وقمرها ونجومها وقال مقاتل واوحى الى كل سما ما اراد من الامر والنهي وذلك يوم الخميس
والجمعة قال السدي ولله في كل سما بيت يحج اليه ويطوفون به الملايكة كل واحد منها
مقابل للكعبة بحيث لو وقعت منه حصاة لوقعت على الكعبة قوله تعالى وزينا السما
الدنيا بمصابيح وهي النيرات التي خلقها الله في السموات وخص كل واحد بضو معين وسر
معين وطبيعة معينة لا يعرفها الا الله تعالى قوله تعالى وحفظا في نصبه وجهان احدها
انه منصوب على المصدر بفعل مقدر اي وحفظناها بالثواقب من الكواكب حفظا والثاني
انه مفعول من اجله على المعنى فان التقدير خلقنا الكواكب زينة وحفظا قال ابو حيان
وهو تكلف وعدول عن السهل البين **فصل** المعنى وحفظناها من كل الشياطين الذين
يسترقون السمع ثم قال ذلك اي الذي ذكر من صنعة العزيز في ملكه العليم بخلقه فالعزيز
اشارة الى كمال القدرة والعليم اشارة الى كمال العلم قوله تعالى فان اعرضوا فقل
انذرتكم صاعقة الاية هذا التفات من خطابهم بقوله قل اينكم الى الغيبة لفعلهم الاعراض
اعرض عن خطابهم وهو تناسب حسن والمعنى ان الحجة قد تمت على الكل الوجوه فان
بقوا مصرين على الجهل لم يبق حينيذ علاج في حقهم الا انزال العذاب عليهم فلهذا قال
فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اي هلاكا مثل هلاكهم
والانذار التخويف قال المبرد والصاعقة المرة المهلكة لاي شي كان وقرا الجمهور صاعقة

مثل

مثل صاعقة بالالف فيهما وابن الزبير والنخعي والسلمي وابن محيصن صعقة مثل صعقة
بحذف الالف وسكون العين وتقدم الكلام في ذلك في اوايل البقرة يقال صعقته الصاعقة فصعق
وهذا مما جا فيه فعلته بالفتح ففعل بالكسر ومثله جذعته فجذع قال الزمخشري والصعقة
المرة من الصعق قوله تعالى اذ جاتهم فيه اوجه احدها انه ظرف لانذرتكم نحو لقيتك اذ كان كذا
الثاني انه منصوب بصاعقة لانها بمعنى العذاب اي انذرتكم العذاب الواقع في وقت مجي رسلهم
الثالث انه صفة لصاعقة الاولى الرابع انه حال من صاعقة الثانية قالهما ابو البقا وفيهما نظر اذ
الظاهر ان الصاعقة جثة وهي قطعة نار تنزل من السما فتحرق كما تقدم تفسيرها فلا يقع الزمان
صفة لها ولا حالا عنها وتاويلها بمعنى العذاب اخراج لها عن مدلولها من غير ضرورة واما
جعلها وصفا للاولى لانها نكرة وحالا من الثانية لانها معرفة لاضافتها الى علم ولو جعلها حالا من
الاولى لانها تخصصت بالاضافة لجاز فتعود الاوجه خمسة قوله تعالى من بين ايديهم ومن
خلفهم الظاهر ان الضميرين عايدان على عاد وثمود وقيل الضمير في خلفهم يعود على الرسل واستبعد
هذا من حيث المعنى اذ يصير التقدير جاتهم الرسل من خلف الرسل اي من خلف انفسهم وقد يجاب
عنه بانه من باب درهم ونصفه اي زمن خلف رسل اخرين قوله تعالى ان لا تعبدوا يجوز في ان
ثلاثة اوجه احدها ان تكون المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان محذوف والجملة
النهيية بعدها خبر كذا اعربه ابو حيان وفيه نظر من وجهين احدهما ان المخففة لا يقع بعدها
فعل الا من افعال اليقين والثاني ان الخبر في باب ان واخواتها لا يكون طلبا فان ورد منه شي
اول ولذلك تاولوا • ان الذين قتلتم امس سيدهم • لا تحسبوا ليلهم عن ليلكم ناما •
وقوله • ولو اصابت لقالت وهي صادقة • ان الرياضة لا تنصبك للشيب على اضمار
القول الثاني انها الناصبة للمضارع والجملة النهيية بعدها صلتها وصلت بالنهي كما توصل
بالامر في كتبت اليه بان قم وقد مر في وصلها بالامر اشكال ياتي مثله في النهي الثالث ان تكون
مفسرة لجيتهم لانه يتضمن قولا ولا في هذه الاوجه كلها ناهية ويجوز ان تكون نافية على الوجه
الثاني ويكون الفعل منصوبا بان بعد لا النافية فان لا النافية لا تمنع العامل ان يعمل
فيما بعدها نحو جيت بلا زيد ولم يذكر الحوفي غيره قوله تعالى لو شا قدر الزمخشري مفعول
شا لو شا ارسال الرسل لانزل ملايكة قال ابو حيان تتبعت القران وكلام العرب فلم اجد
حذف مفعول شا الواقع بعد لو الا من جنس جوابها نحو ولو شا الله لجمعهم على الهدى اي لو
شا جمعهم على الهدى لجمعهم عليه لو نشا لجعلناه حطاما لو نشا جعلناه اجاجا ولو شا ربك
لامن ولو شا ربك ما فعلوه لو شا الله ما عبدنا من دونه وقال الشاعر •
• فلو شا ربي كنت قيس بن خالد • ولو شا ربي كنت قيس بن مرثد •
وقال الاخر • والذي لو شا كنت صخرا • او جبلا اشم مشمخرا •
قال فعلى ما تقدم لا يكون المحذوف ما قدره الزمخشري وانما التقدير لو شا ربنا انزال
ملايكة بالرسالة منه الى الانس لانزلهم بها اليهم وهذا ابلغ في الامتناع من ارسال البشر اذ علقوا
ذلك بانزال الملايكة وهو لم يشا ذلك فكيف يشا ذلك في البشر قال شهاب الدين وتقدير ابي
القاسم اوقع معنى واخلص من ايقاع الظاهر موقع المضمر اذ يصير التقدير لو شا انزال ملايكة
لانزل ملايكة قوله تعالى بما ارسلتم به هذا خطاب لهود وصالح وغيرهم من الانبيا عليهم السلام
وغلب المخاطب على الغايب يجوز انت وزيد تقومان وما يجوز ان تكون موصولة بمعنى الذي
وعايدها به وان تكون مصدرية اي بارسالكم فعلى هذا يكون به يعود على ذلك المصدر
المووّل ويكون من باب التاكيد كانه قيل كافرون بارسالكم به **فصل** معنى جاتهم
الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم اي ان الرسل المبعوثون اليهم اتوهم من كل جانب واتوا بجميع وجوه
الدلالات فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان قوله لاتينهم من بين
ايديهم ومن خلفهم اي من كل جهة وقيل المعنى ان الرسل جاتهم من قبلهم اي ارسلوا الى ابايهم ومن
خلفهم يعني الذين ارسلوا فان قيل كيف يمكن وصفهم بانهم جاوهم فالجواب قد جاهم هود وصالح
داعين الى الايمان بهما وبجميع الرسل وبهذا التقدير فكان جميع الرسل قد جاوهم وامروهم بالتوحيد
ونفي الشرك فقالوا لو شا ربنا لانزل ملايكة وجعلوا عدم انزال الملايكة دليلا على تكذيب

الرسل والمعنى ان الله تعالى لو شاء ارسال الرسل الى البشر لجعل رسله ملائكة لان الملائكة افضى الى
المقصود من بعثة الرسل الى البشر فالوا فانا بما ارسلتم به كافرون وتقدم الجواب عن هذه
الشبهة في سورة الانعام واعلم ان قولهم ارسلتم به ليس اقرارا بان اولئك الانبياء رسل وانما
ذكروه حكاية لكلام الرسل او على سبيل الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون

فصل روي ان ابا جهل قال في ملأ من قريش التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا
عالما بالشعر والسحر والكهانة فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عيينة بن حصين والله لقد علمت
الشعر والسحر والكهانة وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال له يا محمد انت خير ام هاشم
انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فلم تشتم الهتنا وتضلل اباءنا فان كنت تريد الرياسة
عقدنا لك اللواء فكنت رئيسا وان اردت الباءة زوجناك اعز نسوة تختارهن من اي بنات قريش
شئت وان كنت تريد المال جمعنا لك ما تستغني به على ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت
فلما فرغ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم او فرغت قال نعم قال فاسمع ثم ان النبي صلى الله عليه
وسلم تعوذ ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته الى ان
بلغ قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عيينة على فيه
وناشده بالرحم الا ما سكت ثم رجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عيينة
الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عيينة ما حبسك عنا الا انك قد صبات الى محمد واعجبك طعامه
فان كانت لك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب واقسم لا يكلم محمدا ابدا
ثم قال والله لقد علمتم اني اكثر قريش مالا ولكني اتيته وقصصت عليه القصة فاجابني بشيء والله
ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرا السورة ولما بلغ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه
وناشدته بالرحم حتى سكت ولقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل العذاب
قوله تعالى فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق قيل هذا الاستكبار اظهار العجب والتيه
وعدم الالتفات الى الغير وقيل الاستعلاء على الناس واستخدامهم ثم ذكر تعالى سبب ذلك
الاستكبار وهو قولهم من اشد منا قوة وكانوا ذوي اجسام طوال وقوة شديدة ثم انه تعالى ذكر
ما يدل على انهم لا يجوز لهم ان يغتروا بشدة قوتهم فقال اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد
منهم قوة فان كانت الزيادة في القوة توجب كون الناقص في طاعة الكامل فيجب عليهم الانقياد
لله تعالى والخضوع لاوامره ونواهيه فان قيل صيغة افعل التفضيل انما تجري بين شيئين
لاحدهما نسبة الى الاخر لان قدرة العبد متناهية وقدرة الله لا نهاية لها والمتناهي لا نسبة
له الى غير المتناهي فما معنى قوله ان الله هو اشد منهم قوة فالجواب هذا ورد على قانون قولنا
الله اكبر ثم قال وكانوا باياتنا يجحدون والمعنى انهم يعرفون انها حق ولكنهم يجحدونها كما يجحد
المودع الوديعة واعلم ان نظم الكلام ان يقال اما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وكانوا
باياتنا يجحدون واما قولهم وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد
منهم قوة اعتراض وقع في البين لتقرير السبب الداعي لهم الى الاستكبار قوله تعالى فارسلنا
عليهم ريحا صرصرا الصرصر الريح الشديدة فقيل هي الباردة من الصر وهو البرد وقيل هي الشديدة
السموم وقيل هي المصوتة من صر الباب اي سمع صريره والصرة الصيحة ومنه فاقبلت امراته في صرة
قال ابن قتيبة صرصر يجوز ان يكون من الصر وهو البرد وان يكون من صر الباب وان يكون من
الصرة وهي الصيحة ومنه فاقبلت امراته في صرة وقال الراغب صرصر لفظه من الصر وذلك يرجع
الى الشد لما في البرودة من التعقد وقوله تعالى في ايام نحسات قرا الكوفيون وابن عامر
بكسر الحاء والباقون بسكونها فاما الكسر فهو صفة على فعل وفعله فعل بكسر العين ايضا كفعل
نحس فهو نحس كفرح فهو فرح واشر فهو اشر واما الليث عن الكسائي الفه لاجل الكسرة ولكنه
غير مشهور عنه حتى نسبه الداني للوهم واما قراءة الاسكان فيحتمل ثلاثة اوجه احدها ان
يكون مخففا من فعل في القراءة المتقدمة وفيه توافق القراءتين الثاني انه مصدر وصف
به كرجل عدل الا ان هذا يضعفه الجمع فان الفصيح في المصدر الموصوف به ان يوحد وكان
المسوغ للجمع اختلاف انواعه في الاصل الثالث انه صفة مستقلة على فعل بسكون العين
ولكن اهل التصريف لم يذكروا في الصفة الحاصلة من فعل بكسر العين الا اوزانا محصورة ليس

فيها

فيها فعل بالسكون فتذكروا فرح فهو فرح وحور فهو احور وشبع فهو شبعان وسلم فهو سالم
وبلي فهو بال وفي معنى نحسات قولان احدهما انها مشومات قال السدي اي مشائيم من
النحس المعروف والثاني انها شديدة البرد واستشهدوا على الاول بقول الشاعر

يومين غيمين ويوما شمسا • نجمين سعدين ونجما نحسا

وعلى المعنى الثاني

كان سلافة عرضت لنحس • يحيل شفيفها الماء الزلالا

ومنه

قد اغتدي قبل طلوع الشمس • للصيد في يوم قليل النحس

وقيل يريد به في هذا البيت الغبار اي قليل الغبار وقد قيل بذلك في الاية لفظا ان غبار ونحسات
نعت لايام وجمع بالالف والتاء مطرد في صفة ما لا يعقل كايام معدودات كما تقدم تحقيقه في البقرة
الصرصر العاصفة التي تصرصر في هبوبها وروي عن عبد الله بن عباس انه قال
الرياح ثمان اربع منها عذاب وهي العاصفة والصرصر والعقيم والقاصف واربع منها رحمة وهي
الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات وعن ابن عباس ان الله تعالى ما ارسل على عباده
من الريح الا قدر خاتمي قال الضحاك امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين وتوالت الرياح عليهم من
غير مطر

فصل استدل الاحكاميون من المنجمين بهذه الاية على ان بعض الايام قد
يكون نحسا وبعضها سعدا واجاب المتكلمون بان المراد بهذه النحسات اي ذات غبار وتراب ثائر
لا يكاد يبصر فيه ولا يتصرف فيه وقالوا ايضا معنى كون هذه الايام نحسات ان الله اهلكهم فيها
واجاب الاحكاميون بان النحسات في وضع اللغة هي المشومات لان النحس يقابله السعد والهوا
الكدر يقابله الصافي وايضا فانه تعالى اخبر عن ايقاع ذلك العذاب في تلك الايام النحسات
فوجب ان تكون تلك الايام نحسة مغايرة لذلك العذاب الذي وقع فيها قوله تعالى لنذيقهم عذاب
الخزي في الحياة الدنيا اي عذاب الهوان والذل مقابلة لذلك الاستكبار ولعذاب الاخرة اخزى
اي اشد اهانة وهم لا ينصرون اي لا يكون لهم ناصر يدفع عنهم ذلك الخزي قوله تعالى واما ثمود الجمهور
على رفعه ممنوع الصرف والاعمش وابن وثاب مصروفا وكذلك كلها في القران الا قوله واتينا ثمود
الناقة قالوا لان الرسم ثمود بغير الف وقرا ابن عباس وابن ابي اسحاق والاعمش في رواية وعاصم
في رواية ثمود منصوبا مصروفا والحسن وابن هرمز وعاصم ايضا منصوبا غير منصرف فاما الصرف وعدمه
فقد تقدم توجيههما في هود واما الرفع فعلى الابتداء والجملة بعده الخبر وهو متعين عند الجمهور
لان اما لا يليها الا المبتدا فلا يجوز فيما بعدها الاشتغال الا في قليل لهذه القراءة واذا قدرت الفعل
الناصب فتقدره بعد الاسم المنصوب واما ثمود هديناهم فهديناهم قالوا لان اما لا يليها
الافعال

فصل قال الزمخشري وقرئ بضم الثاء قال مجاهد هديناهم دعوناهم وقال
ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على طريق الخير والشر كقوله هديناه السبيل فاستحبوا
العمى على الهدى اي فاختاروا الكفر على الايمان وذكر الزمخشري في تفسير الهدى في قوله تعالى
هدى للمتقين ان الهدى عبارة عن الدلالة الموصلة الى البغية وهذه الاية تبطل قوله لانها
تدل على ان الهدى قد حصل مع ان الافضاء الى البغية لم يحصل فان قيل قالت المعتزلة دلت هذه الاية
على ان الله تعالى نصب الدلائل وازاح الاعذار الا ان الايمان انما يحصل من العبد لان قوله تعالى
فهديناهم يدل على انه تعالى نصب لهم الدلائل وقوله فاستحبوا العمى على الهدى يدل على انهم من عند
انفسهم اتوا بذلك العمى وهذا يدل على ان الكفر والايمان يحصلان من العبد والجواب من وجهين
الاول انما صدر عنهم ذلك العمى لانهم احبوا تحصيله فلما وقع في قلوبهم هذه المحبة دون محبة
ضده فان حصل هذا الترجيح لا لمرجح فهو باطل وان كان لمرجح فان كان المرجح هو العبد عاد
الطلب وان كان المرجح هو الله فقد حصل المطلوب الثاني انه تعالى قال فاستحبوا العمى على
الهدى ومن المعلوم بالضرورة ان احدا لا يحب العمى والجهل مع العلم بكونه عمى وجهلا بل ما لم يظن
في ذلك العمى والجهل كونه تبصرة وعلما لا يرغب فيه فاقدامه على اختياره على ذلك الجهل الثاني
ان كان باختياره لزم التسلسل وهو محال فلا بد من انتهاء تلك الجهالات الى جهل يحصل فيه لا باختياره
وهو المطلوب قوله تعالى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون وصاعقة العذاب
اي المهلكة والعذاب الهون اي ذي الهوان وهو الذي يهينهم بما كانوا يكسبون من
شركهم وتكذيبهم صالحا ثم قال ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون يعني يتقون الاعمال التي

كانوا يأتون بها عاد وثمود فإن قيل كيف يجوز للرسول صلى الله عليه وسلم أن ينذر قومه
مثل صاعقة عاد وثمود مع العلم بأن ذلك لا يقع في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقد صرح
الله تعالى بذلك في قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وجاء في الحديث الصحيح أن الله
تعالى رفع عن هذه الأمة هذه الأنواع فالجواب أنهم لما عرفوا كونهم مشاركين لعاد وثمود
في استحقاق مثل تلك الصاعقة وأن السبب الموجب للعذاب واحد ربما يكون العذاب النازل
بهم من جنس ذلك العذاب وإن كان أقل درجة وهذا القدر يكفي في التخويف قوله تعالى ويوم
يحشر أعداء الله إلى النار الآية لما بين كيفية عقوبتهم في الآخرة ليحصل تمام الاعتبار في الزجر
والتحذير فقال ويوم يحشر في العامل في هذا الظرف وجهان أحدهما محذوف دل عليه ما بعده
من قوله فهم يوزعون تقديره يساق الناس يوم يحشر وقدره أبو البقاء يمنعون يوم يحشر
الثاني أنه منصوب باذكر أي اذكر يوم وقرأ نافع نحشر بنون العظمة وضم الشين أعداء نصبا أي
نحشر نحن والباقون بياء الغيبة مضمومة والشين مفتوحة على ما لم يسم فاعله وأعداء رفعا
لقيامه مقام الفاعل ووجه الأول أنه معطوف على ونجينا فيحسن أن يكون على وفقه في اللفظ
وقوله يوم نحشر المتقين وحشرناهم وحجة الثانية أن قصة ثمود قد تمت وقوله ويوم يحشر ابتداء
كلام آخر وأيضا الحاشرون لهم هم المأمورون بقوله احشروا الذين ظلموا وهم الملائكة
وأيضا موافقة لقوله فهم يوزعون وأيضا فتقدير القراءة الأولى أن الله تعالى قال
ويوم يحشر أعداء الله فكان الأولى على هذا التقدير أن يقال ويوم نحشر أعداءنا إلى النار وكسر
الأعرج شين يحشرهم قال فهم يوزعون أي يساقون ويدفعون إلى النار وقال قتادة والسدي
يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا أي يوقف سوابقهم حتى يصل إليهم تواليهم قوله تعالى حتى
إذا ما جاؤوها حتى غاية لحشر والمعنى حتى إذا جاؤوا النار فتكون ما صلة وقيل فيها فائدة
زائدة وهي تأكيد أن عند مجيئهم لا بد وأن تحصل هذه الشهادة كقوله أثم إذا ما وقع آمنتم به
أي لا بد لوقت وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم به **فصل** في كيفية تلك الشهادة ثلاثة
أقوال الأول أن الله تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فيشهد كما يشهد الرجل على ما يعرف
والثاني أنه تعالى يخلق في تلك الأعضاء الأصوات والحروف الدالة على تلك المعاني الثالث
أن يظهر في تلك الأعضاء أحوال تدل على صدور تلك الأعمال من ذلك الإنسان وتلك الأمارات
تسمى شهادات كما يقال يشهد هذا العالم بتغيرات أحواله على حدوثه **فصل** قال
ابن الخطيب والسبب في تخصيص هذه الأعضاء الثلاثة بالذكر أن الحواس الخمس وهي السمع
والبصر والشم والذوق واللمس وآلة اللمس هي الجلد فالله تعالى ذكر ههنا ثلاثة أنواع من
الحواس وهي السمع والبصر واللمس وأهمل ذكر نوعين وهما الذوق والشم فالذوق داخل في
اللمس من بعض الوجوه لأن إدراك الذوق إنما يتأتى بأن يصير جلدة اللسان مماسة لجرم
الطعام وكذلك الشم لا يتأتى حتى تصير جلدة الحنك مماسة لجرم المشموم فكانا داخلين
في جنس اللمس وإذا عرف هذا فنقول نقل عن ابن عباس أنه قال المراد من شهادة الجلود شهادة
الفروج وهذا من باب الكنايات كما قال لا تواعدوهن سرا أراد النكاح وقال أو جاء أحد منكم
من الغائط والمراد قضاء الحاجة وقال عليه السلام أول ما يتكلم من الآدمي فخذه وكفه
وعلى هذا التقدير فتكون هذه الآية وعيدا شديدا في إتيان الزنا لأن مقدمة الزنا إنما
تحصل بالفخذ وقال مقاتل تنطق جوارحهم بما كتمت الألسن من عملهم قوله تعالى وقالوا
يعني الكفار الذين يحشرون إلى النار لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي
أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون هذا من جواب الجلود ومعناه أن القادر
على خلقكم وإنطاقكم في المرة الأولى حال كونكم في الدنيا ثم على خلقكم وإنطاقكم في المرة الثانية
وهي حال القيامة والبعث كيف يستبعد منه إنطاق الجوارح والأعضاء قوله تعالى وما
كنتم تستترون أي تستخفون عند الإقدام على الأعمال القبيحة وقال مجاهد تتقون
وقال قتادة تظنون قوله تعالى أن يشهد يجوز فيه أوجه أحدها من أن يشهد الثاني
خيفة أن تشهد الثالث لأجل أن تشهد وكلاهما بمعنى المفعول له الرابع عن أن يشهد
أي ما كنتم تمتنعون ولا يمكنكم الاختفاء عن أعضائكم والاستتار عنها الخامس أنه ضمن

معنى الظن وفيه بعد **فصل** معنى الكلام أنهم كانوا يستترون عند الإقدام على
الأعمال القبيحة لأن استتارهم ما كان لأجل خوفهم من أن يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم
لأنهم كانوا منكرين البعث والقيامة وذلك الاستتار لأجل أنهم كانوا يظنون أن الله لا يعلم
الأعمال التي يخفونها روي عن ابن مسعود قال كنت مستترا بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر
ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال أحدهم أترون
أن الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إذا أخفينا فذكرت ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فأنزل الله وما كنتم تستترون الآية قيل الثقفي عبد يا ليل وختناه القرشيان
ربيعة وصفوان بن أمية قوله تعالى وذلكم ظنكم فيه أوجه أحدها أن ذلكم رفع بالابتداء
وظنكم خبره والذي ظننتم نعته وأرداكم حال وقد معه مقدرة على رأي الجمهور خلافا
للأخفش ومنع مكي الحالية للخلو من قد وهو ممنوع لما تقدم الثاني أن يكون ظنكم بدلا
أو بيانا والموصول خبره وأرداكم حال أيضا الثالث أن يكون الموصول خبرا ثانيا الرابع أن
يكون ظنكم بدلا أو بيانا والموصول هو الخبر وأرداكم خبر ثان الخامس أن يكون ظنكم بدله
والموصول والجملة من أرداكم أخبار إلا أن أبا حيان رد على الزمخشري قوله وظنكم وأرداكم
خبران قال لأن قوله وذلكم إشارة إلى ظنهم السابق فيصير التقدير وظنكم بربكم أنه لا يعلم
ظنكم بربكم فاستفيد من الخبر ما استفيد من المبتدأ وهو لا يجوز وهذا نظير ما منعه النحاة
من قولك سيد الجارية مالكها وقد منع ابن عطية كون أرداكم حالا لعدم وجود قد وتقدم
الخلاف في ذلك **فصل** قال المفسرون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أن الله لا يعلم
كثيرا مما تعملون أرداكم أهلككم قال ابن عباس طرحكم في النار فأصبحتم من الخاسرين وهذا
نص صريح في أن من ظن أنه يخرج شيء من المعلومات عن علم الله فإنه يكون من الهالكين
الخاسرين قال المحققون الظن قسمان أحدهما حسن والآخر فاسد فالحسن أن يظن بالله
عز وجل الرحمة والفضل والإحسان قال عليه السلام حكاية عن الله تعالى أنا عند ظن عبدي
بي وقال عليه السلام لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بالله والظن القبيح أن يظن أنه
تعالى يعزب عن علمه بعض هذه الأحوال وقال قتادة والظن نوعان منجي ومردي
فالمنجي قوله إني ظننت أني ملاق حسابيه وقوله الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم والمردي
هو قوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم قوله فإن يصبروا فالنار مثوى لهم أي مسكن لهم
يعني إن أمسكوا عن الاستغاثة لفرج ينتظرونه لم يجدوا ذلك وتكون النار مثوى لهم أي مقاما
لهم قوله وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين العامة على فتح الياء من يستعتبوا وكسر التاء الثانية
مبنيا للفاعل فما هم من المعتبين بكسر التاء اسم فاعل ومعناه وإن طلبوا العتبى وهي الرضا فما هم
ممن يعطاها والمعتب الذي قبل عتابه وأجيب إلى ما سأل يقال أعتبني فلان أي أرضاني
بعد إسخاطه إياي واستعتبته طلبت منه أن يعتب أي يرضى وقيل المعنى وإن طلبوا زوال
ما يعتبون فيه فما هم من المجابين إلى إزالة العتب وأصل العتب المكان النابي بنازله ومنه
قيل لأسكفة الباب والمرقاة عتبة ويعبر بالعتب عن الغلظة التي يجدها الإنسان في صدره
على صاحبه وعتبت فلانا أبرزت له الغلظة وأعتبته أزلت عتباه كأشكيته وقيل حملته على
العتب وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وإن يستعتبوا مبنيا للمفعول فما هم من المعتبين اسم فاعل
بمعنى أنه يطلب منهم أن يرضوا فما هم فاعلون ذلك لأنهم فارقوا دار التكليف وقيل معناه
أن يطلب ما لا يعتبون عليه فما هم ممن يزيل العتبى وقال أبو ذؤيب

أمن المنون وريبه تتوجع • والدهر ليس بمعتب من يجزع

قوله وقيضنا لهم بعثنا ووكلنا وقال مقاتل هيأنا وقال الزجاج سببنا لهم وأصل التقييض
التيسير والتهيئة قيضته للأمر هيأته له ويسرته وهذان ثوبان قيضان أي كل منهما مكافئ
للآخر في الثمن والمقايضة المعارضة وقوله نقيض له شيطانا أي نسهل ليستولي عليه استيلاء
القيض على البيض والقيض في الأصل قشر البيض الأعلى قال الجوهري يقال قايضت الرجل
مقايضة أي عارضته بمتاع وهما قيضان كما يقال بيعان وقيض الله فلانا لفلان أي جاءه به
ومنه قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء والمراد بالقرناء النظراء من الشياطين حتى أضلوهم فزينوا لهم ما بين

ايديهم وما خلفهم من امر الدنيا حتى اثروا على الاخرة وما خلفهم من امر الاخرة فدعوهم
الى التكذيب وانكار البعث وقال الزجاج زينوا لهم ما بين ايديهم من امر الاخرة
انه لا بعث ولا جنة ولا نار وما خلفهم من امر الدنيا وان الدنيا قديمة ولا صانع الا الطبع
والافلاك وقيل ما بين ايديهم اعمالهم التي يعملونها وما خلفهم ما يعزمون ان يعملوه وقال
ابن زيد ما بين ايديهم ما مضى من اعمالهم الخبيثة **فصل** دلت هذه الاية على
انه تعالى يريد الكفر من الكافر لانه تعالى قيض لهم قرناء فزينوا لهم الباطل وهذا يدل
على انه تعالى اراد منهم الكفر واجاب الجبائي بانه قال لو اراد المعاصي لكانوا بفعلها مطيعين
لان الفاعل لما يريده غيره يجب ان يكون مطيعا له واجاب ابن الخطيب بانه لو كان من
فعل ما اراده غيره مطيعا له لوجب ان يكون الله مطيعا لعباده اذا فعل ما ارادوه فهذا الزام
للشيء على نفسه وان اردت غيره فلا بد من بيانه حتى ينظر فيه هل يصح ام لا قوله في امم
نصب على الحال من الضمير في عليهم والمعنى كائنين في جملة امم وهذا كقوله ان يك عن احسن
الصنيعة مافوكا ففي اخرين قد افكوا اي في جملة قوم اخرين وقيل في بمعنى مع **فصل**
احتج اهل السنة بانه تعالى اخبر ان هولاء حق عليهم القول فلو لم يكونوا كفارا لانقلب هذا
الخبر الحق باطلا وهذا العلم جهلا وهذا الخبر الصدق كذبا وكل ذلك محال ومستلزم المحال
محال فثبت ان صدور الايمان منهم وعدم صدور الكفر عنهم محال قوله تعالى وقال الذين
كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه الاية اعلم ان الكلام ابتدا من قوله تعالى وقالوا قلوبنا
في اكنة الى قوله اننا عاملون واجاب الله تعالى عن تلك الشبهة واتصل الكلام الى هذا الموضع
ثم انه تعالى حكى عنهم شبهة اخرى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه
العامة على فتح الغين وهي تحتمل وجهين احدهما ان يكون من لغي بالكسر يلغى وفيها معنيان احدهما
من لغي اذا تكلم باللغو وهو ما لا فائدة فيه والثاني انه من لغي بكذا اي رمي به فيكون في بمعنى
الباء اي ارموا به وابذوه والثاني من الوجهين الاولين ان يكون من لغا بالفتح ايضا حكاه الاخفش
وكان قياسه الضم كغزا يغزو ولكنه فتح لاجل حرف الحلق وقرا قتادة وابو حيوة وابو السمال
والزعفراني وابن ابي اسحاق وعيسى بضم الغين من لغا بالفتح يلغو اكد عا يدعو وفي الحديث
فقد لغوت وهذا موافق لقراءة غير الجمهور **فصل** قال ابن عباس يعني الغطوا فيه
كان بعضهم يوصي بعضا اذا رايتم محمدا يقرا فعارضوه بالرجز والشعر واللغو قال مجاهد
والغوا فيه بالمكاء والصفير وقال الضحاك اكثروا الكلام فيختلط عليه ما يقول وقال
السدي صيحوا في وجهه لعلكم تغلبون على قراءته وهذا جهل منهم لانهم في الحال اقروا بانهم
مشتغلين باللغو والباطل من العمل والله تعالى ينصر محمدا بفضله ولما ذكر الله تعالى ذلك
هددهم بالعذاب الشديد وقال فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا وهذا تهديد
شديد لان لفظ الذوق انما يذكر في القدر القليل الذي يوتى به لاجل التجربة ثم انه
تعالى ذكر ان ذلك الذوق عذاب شديد فاذا كان القليل منه عذابا شديدا فكيف
يكون حال الكثير منه ثم قال ولنجزينهم اسوا الذي كانوا يعملون قال اكثر العلماء المراد
بالاسوا اي اقبح اعمالهم وهو الشرك وقال الحسن المراد منه انه لا يجازيهم على محاسن
اعمالهم لانهم احبطوها بالكفر فضاع عنهم اعمالهم الحسنة ولم يبق معهم الا الاعمال القبيحة
فلا جرم لم يحصلوا الا على جزاء السيئات قوله ذلك فيه وجهان احدهما انه مبتدا وجزاء
خبره والثاني انه خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك وجزاء اعداء الله النار جملة مستقلة
مبينة للجملة قبلها قوله النار فيه ثلاثة اوجه احدها انه بدل من جزاء وفيه نظر
اذ البدل يحل محل المبدل منه فيصير التقدير ذلك النار الثاني انها خبر مبتدا مضمر
الثالث انها مبتدا وما لهم فيها دار الخلد الخبر ودار يجوز ارتفاعها بالفاعلية او الابتدا
وقوله فيها دار الخلد يقتضي ان تكون دار الخلد غير النار وليس الامر كذلك بل النار
هي نفس دار الخلد واجيب عن ذلك بانه قد يجعل الشيء ظرفا لنفسه باعتبار متعلقه
على سبيل المبالغة لان ذلك المتعلق صار مستقرا له وهو ابلغ من نسبته المتعلق اليه على
سبيل الاخبار به عنه ومثله قول الاخر ● وفي الله ان لم تنصفوا حكم عدل

وقوله

وقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والرسول هو نفس الاسوة كذا
اجابوا وفيه نظر اذ الظاهر وهو معنى صحيح منقول ان في النار دارا تسمى دار الخلد والنار
محيطة بها قوله جزاء في نصبه ثلاثة اوجه احدها انه منصوب بفعل مقدر وهو مصدر
موكد اي يجزون جزاء الثاني ان يكون منصوبا بالمصدر الذي قبله وهو جزاء اعداء الله والمصدر
ينصب بمثله كقوله فان جهنم جزاؤكم جزاء الثالث ان ينتصب على انه مصدر واقع موقع الحال
وبما متعلق بجزاء الثاني ان لم يكن موكدا وبالاول ان كان وبآياتنا متعلق بيجحدون **فصل**
لما قال ولنجزينهم اسوا الذي كانوا يعملون بين ان ذلك الاسوا الذي جعل جزاء اعداء الله
هو النار ثم قال لهم فيها دار الخلد اي لهم في جملة النار دار معينة وهي دار العذاب الخالد
جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون اي يلغون في القراءة وسماه جحدا لانهم لما علموا ان القران بالغ
الى حد الاعجاز خافوا من انه لو سمعه الناس لآمنوا به فاستخرجوا تلك الطريقة الفاسدة وذلك
يدل على انهم علموا كونه معجزا وانهم جحدوا حسدا قال الزمخشري اي بما كانوا يلغون فذكر الجحود
لانه سبب اللغو يعني انه من باب اقامة السبب مقام المسبب وهو مجاز سايغ قوله
وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا الاية تقدم الخلاف في ارنا وفي نون اللذين
وقال الخليل اذا قلت ارني ثوبك بالكسر فمعناه بصرنيه وبالسكون اعطنيه **فصل**
لما بين ان الذي حملهم على الكفر الموجب للعقاب الشديد مجالسة قرناء السوء بين ان الكفار
في النار يقولون ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس ومعناه ان الشيطان على نوعين جني
وانسي قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال الذي يوسوس
في صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقابيل بن ادم الذي قتل اخاه لان
الكفر سنة ابليس والقتل بغير حق سنة قابيل فهما سنا المعصية نجعلهما تحت اقدامنا في
النار ليكونا من الاسفلين قال مقاتل يكونون اسفل منا في النار وقال الزجاج ليكونا في
الدرك الاسفل وقال بعض الحكماء المراد باللذين يضلان الشهوة والغضب والمراد بجعلهما تحت
اقدامهم كونهما مسخرين للنفس مطيعين لها وان لا يكونا مستولين عليها قاهرين لها قوله تعالى
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية لما ذكر الوعيد اردفه بذكر الوعد كما هو الغالب واعلم
ان ثم لتراخي الرتبة في الفضيلة سيل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن الاستقامة فقال ان
لا يشرك بالله شيا وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الاستقامة ان يستقيم على الامر والنهي
ولا تروغ روغان الثعلب وقال عثمان رضي الله عنه اخلصوا العمل لله وقال علي رضي الله عنه
ادوا الفرايض وقال ابن عباس استقاموا على اداء الفرايض وقال الحسن استقاموا على امر الله
بطاعته واجتنبوا معصيته وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى لحقوا
بالله وقال قتادة كان الحسن اذا تلا هذه الاية قال اللهم ربنا ارزقنا الاستقامة قوله تتنزل
عليهم الملائكة قال ابن عباس عند الموت وقال قتادة ومقاتل اذا قاموا من قبورهم وقال
وكيع بن الجراح البشرى تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث قوله ان لا تخافوا
يجوز في ان ان تكون المخففة او المفسرة او الناصبة ولا ناهية على الوجهين الاولين ونافية على
الثالث وقد تقدم ما في ذلك من الاشكال والتقدير بان لا تخافوا اي بانتفاء الخوف وقال
ابو البقاء التقدير بان لا تخافوا او قائلين ان لا تخافوا فعلى الاول هو حال اي نزلوا بقولهم
لا تخافوا وعلى الثاني الحال محذوفة قال شهاب الدين يعني ان الباء المقدرة حالية فالحال
غير محذوفة وعلى الثاني الحال هو القول المقدر وفيه تسامح والا فالحال محذوفة في الموضعين
وكما قام القول مقام الحال كذلك قام الجار مقامها وقرا عبد الله لا تخافوا باسقاط ان وذلك
على اضمار القول اي يقولون لا تخافوا على ما تقدمون عليه من امر الاخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم
من اهل وولد فانا نخلفكم في ذلك كله وقال عطاء بن ابي رباح لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم
فانا نغفرها لكم قوله وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون فان قيل البشارة عبارة عن الخبر الاول
بحصول المنافع فاما اذا اخبر الرجل بحصول المنفعة ثم اخبر ثانيا بحصولها كان الاخبار الثاني
اخبارا ولا يكون بشارة والمومن قد يسمع بشارات الخير فاذا سمع المومن هذا الخبر من الملائكة
وجب ان يكون هذا اخبارا ولا يكون بشارة فما السبب في تسمية هذا الخبر بشارة فالجواب

ان المومن قد يسمع بشارات الخير بان له الجنة اما اذا المراد به انه من اهل الجنة فاذا سمع هذا
الكلام من الملايكة كان اخبارا بنفع عظيم مع انه هو الخبر الاول فكان ذلك بشارة واعلم
ان هذا الكلام يدل على ان المومن عند الموت وفي القبر وعند البعث يكون فارغا من الاهوال
والفزع الشديد قوله نحن اولياوكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة وهذا في مقابلة ما ذكره
في وعيد الكفار حيث قال وقيضنا لهم قرنا قال السدي تقول الملايكة نحن الحفظة الذين
كنا معكم في الدنيا ونحن اولياوكم في الاخرة اي لا نفارقكم حتى تدخلوا
الجنة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم من الكرامات واللذات ولكم فيها ما تدعون اي ما تتمنون فان
قيل على هذا التفسير لا فرق بين قوله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم وبين قوله ولكم فيها ما تدعون
قال ابن الخطيب والاقرب عندي ان قوله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم اشارة الى الجنة الروحانية
المذكورة في قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم الاية قوله نزلا فيه اوجه احدها انه منصوب
على الحال من الموصول او من عايده والمراد بالنزل الرزق المعد للنازل كانه قيل ولكم فيها
الذي تدعونه حال كونه معدا الثاني انه حال من فاعل تدعون او من الضمير في لكم على ان يكون
نزلا جمع نازل كصابر وصبر وشارف وشرف الثالث انه مصدر موكد وفيه نظر لان مصدر نزل
النزول لا النزل وقيل هو مصدر انزل قوله من غفور يجوز تعلقه بمحذوف على انه صفة لنزلا
وان يتعلق بتدعون اي تطلبونه من جهة غفور رحيم وان يتعلق بما تعلق به الظرف في لكم
من الاستقرار اي استقر لكم من جهة غفور رحيم قال ابو البقا فيكون حالا من ما قال شهاب
الدين وهذا البناء ليس بواضح بل هو متعلق بالاستقرار فضلة كساير الفضلات وليس حالا
من ما قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الاية قال ابن سيرين والسدي هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم دعا الى شهادة لا اله الا الله وقال الحسن هو المومن الذي اجاب الله في
دعوته ودعا الناس الى ما اجاب اليه وعمل صالحا في اجابته وقال انني من المسلمين وقالت
عايشة اراها هذه الاية نزلت في المؤذنين وقال عكرمة هو المؤذن وقال ابو امامة الباهلي وعمل
صالحا ركعتين بين الاذان والاقامة وقال قيس بن ابي حازم هو الصلاة بين الاذان والاقامة
قوله وقال انني العامة على انني بنونين وابن ابي عبلة وابن نوح بنون واحدة قوله ولا
السيئة في لا هذه وجهان احدهما انها زايدة للتوكيد كقوله ولا الظل ولا الحرور وكقوله ولا
المسيء لان استوى لا يكتفي بواحد والثاني انها موسسة غير موكدة اذ المراد بالحسنة والسيئة
الجنس اي لا تستوي الحسنات في انفسها فانها متفاوتة ولا تستوي السيات ايضا فرب واحدة
اعظم من اخرى وهو ماخوذ من كلام الزمخشري وقال ابو حيان فان اخذت الحسنة والسيئة جنسا
لم تكن زيادتها كزيادتها في الوجه الذي قبل هذا قال شهاب الدين فقد جعلها في المعنى الثاني
زايدة وفيه نظر لما تقدم **فصل** قال المفسرون المراد بالحسنة الصبر وبالسيئة الغضب
وقيل الحلم والجهل وقيل العفو والاساءة قال ابن الخطيب لما حكى الله تعالى عنهم قولهم
قلوبنا في اكنة واصرارهم الشديد على دينهم وعدم التاثير بدلايل محمد صلى الله عليه وسلم
ثم اطنب في الجواب عن شبهاتهم ثم رغب محمدا صلى الله عليه وسلم في ان لا يترك الدعوة الى الله بقوله
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلهم الثواب العظيم ثم ترقى من تلك الدرجة الى درجة
اخرى وهي ان الدعوة الى الله اعظم الدرجات ثم كان سايلا قال ان الدعوة الى الله وان
كانت طاعة عظيمة الا ان الصبر على سفاهة هولاء الكفار شديد فذكر الله تعالى ما يصلح لان يكون
دافعا لهذا الاشكال فقال ولا تستوي الحسنة ولا السيئة والمراد بالحسنة دعوة الرسول صلى
الله عليه وسلم الى الدين الحق والصبر على جهالة الكفار وترك الانتقام منهم والمراد بالسيئة
ما اظهروه من خلافه من قولهم قلوبنا في اكنة وقولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه
فكانه قال يا محمد فعلك حسنة وفعلهم سيئة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة انك اذا اتيت
بهذه الحسنة استوجبت التعظيم في الدنيا والثواب في الاخرة وهم بالضد من ذلك فلا
ينبغي ان يكون اقدامهم على تلك السيئة مانعا لك من الاشتغال بهذه الحسنة ثم قال ادفع
بالتي هي احسن يعني ادفع سفاهتهم وجهالتهم بالطريق التي هي احسن الطرق قال ابن عباس
امر بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند الاساءة والمعنى انك اذا صبرت على

سوء

سوء اخلاقهم مرة بعد اخرى ولم يقابل سفاهتهم بالغضب استحيوا من تلك الاخلاق المذمومة
وتركوا افعالهم القبيحة وانقلبوا من العداوة الى المحبة ومن البغضاء الى المودة فقال فاذا الذي
بينك وبينه عداوة يعني اذا فعلت ذلك خضع لك عدوك وصار الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم اي كالصديق القريب قال مقاتل بن حيان نزلت في ابي سفيان بن حرب وذلك
لانه لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي صلى الله عليه
وسلم ثم اسلم فصار وليا بالاسلام وحميما بالقرابة قوله كانه ولي في هذه الجملة التشبيهية وجهان
احدهما انها في محل نصب على الحال والموصول مبتدا واذا الذي للمفاجاة خبره والعامل في هذا
الظرف من الاستقرار هو العامل في هذه الحال ومحط الفايدة في هذا الكلام هي الحال والتقدير
فبالحضرة المعادي مشبها القريب الشفوق والثاني ان الموصول مبتدا ايضا والجملة بعده
خبره واذا معمولة لمعنى التشبيه والظرف يتقدم على عامله المعنوي هذا ان قيل انها ظرف وان
قيل انها حرف فلا عامل قوله وما يلقاها العامة على يلقاها من التلقية وابن كثير في رواية
وطلحة بن مصرف يلاقاها من الملاقاة والضمير للخصلة او الكلمة او الجنة او شهادة التوحيد
فصل لما ارشدنا الله تعالى الى الطريق النافع في الدين والدنيا قال وما يلقاها
الا الذين صبروا قال الزجاج وما يلقى هذه الفعلة الا الذين صبروا على تحمل المكاره وتجرع
الشدايد وكظم الغيظ وترك الانتقام وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الفضايل النفسانية
وقال قتادة الحظ العظيم الجنة اي وما يلقاها الا من وجبت له الجنة قوله واما ينزغنك من
الشيطان نزغ الاية تقدم تفسيرها في اخر سورة الاعراف قال الزمخشري النزغ والنسغ بمعنى
واحد وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي والمعنى
وان صرفك الشيطان عما شرع لك من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره انه هو السميع
لاستعاذتك واقوالك العليم بافعالك واحوالك قوله تعالى ومن اياته الليل والنهار الاية
لما بين تعالى في الاية المتقدمة ان احسن الاعمال والاقوال هو الدعوة الى الله تعالى وهي
عبارة عن تنوير الدلايل الدالة على ذات الله وصفاته ومن جملتها العالم بجميع اجزايه فبدا ههنا
بذكر الفلكيات وهي الليل والنهار والشمس والقمر وقدم ذكر الليل على ذكر النهار تنبيها على ان
الظلمة عدم والنور وجود والعدم سابق على الوجود وهذا كالتنبيه على وجود الصانع وتقدم
شرحه مرارا ولما بين ان الشمس والقمر محدثان وهما دليلان على وجود الاله القادر قال لا تسجدوا
للشمس ولا للقمر يعني انهما عبدان ودليلان على وجود الاله والسجود عبارة عن نهاية التعظيم
وهو لا يليق الا بمن كان اشرف الموجودات فقال لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما عبدان مخلوقان
واسجدوا لله الخالق القادر الحكيم قوله خلقهن في هذا الضمير ثلاثة اوجه احدها انه يعود على
الليل والنهار والشمس والقمر وفي مجي الاناث كما قال الزمخشري ان جمع ما لا يعقل حكمه حكم الانثى
والاناث نحو الاقلام بريتها وبريتهن وناقشه ابو حيان من حيث انه لم يفرق بين جمع القلة
والكثرة في ذلك لان الافصح في جميع القلة ان يعامل معاملة الاناث وفي جميع الكثرة ان يعامل
معاملة الانثى فالافصح ان يقال الاجذاع كسرتهن والجذوع كسرتها والذي تقدم في هذه الاية
ليس بجمع قلة اعني بلفظ واحد ولكنه ذكر اربعة متعاطفة فتنزلت منزلة الجمع المعبر به عنها
بلفظ واحد قال شهاب الدين والزمخشري ليس في مقام بيان الفصيح والافصح بل في مقام كيفية
مجي الضمير ضمير اناث بعد تقدم ثلاثة اشيا مذكرات وواحد مونث فالقاعدة تغلب المذكر على
المونث او لما قال ومن اياته كن في معنى الايات فقيل خلقهن ذكره الزمخشري ايضا انه يعود على
لفظ الايات وهذا هو الوجه الثاني الثالث انه يعود على الشمس والقمر لان الاثنين جمع والجمع
مونث ولقولهم شموس واقمار وقال البغوي انما قال خلقهن بالتانيث لانه اجراها على طريق
جمع التكسير ولم يجر على طريق التغليب للمذكر على المونث قوله ان كنتم اياه تعبدون قيل كان
ناس يسجدون انهم يقصدون بالسجود لها السجود لله وهو على هذه الواسطة وامروا ان لا يسجدوا
الا الله الذي خلق هذه الاشيا قوله فان استكبروا اي عن السجود فالذين عند ربك يعني الملايكة
يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون لا يملون فان قيل ان الذين يسجدون للشمس والقمر
يقولون نحن اقل واذل من ان يحصل لنا اهلية لعبادة الله تعالى ولكنا عبيد الشمس والقمر وهما

عبدان لله تعالى واذا كان قولهم هكذا فكيف يليق بهم انهم استكبروا عن السجود لله تعالى فالجواب
ليس المراد من الاستكبار ههنا ما ذكرتم بل المراد استكبارهم عن قبول قولك يا محمد بالنهي عن
السجود للشمس والقمر **فصل** قال ابن الخطيب ليس المراد بهذه العندية قرب
المكان بل يقال عند الملك من الجند كذا وكذا ويدل عليه قوله انا عند ظن عبدي بي وانا
عند المنكسرة قلوبهم من اجلي في مقعد صدق عند مليك مقتدر ويقال عندنا الشافعي ان
المسلم لا يقتل بالذمي **فصل** دلت هذه الاية على ان الملك افضل من البشر لانه
انما يستدل بحال الاعلى على الادنى فيقال هولاء القوم ان استكبروا عن طاعة فلان فالاكابر
يخدمونه فان قيل وصف الملايكة بانهم يسبحون له بالليل والنهار وهذا يدل على مواظبتهم
على التسبيح لا ينفكون عنه لحظة واحدة كما قال يسبحون الليل والنهار لا يفترون فاشتغالهم
بهذا العمل على سبيل الدوام يمنعهم من الاشتغال بساير الاعمال لكنهم ينزلون الى الارض
كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقال ونبيهم عن ضيف ابراهيم وقال
عليها ملايكة غلاظ شداد وقال عن الذين قاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم بدر يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملايكة مسومين فالجواب ان الذين ذكرهم الله
ههنا بكونهم مواظبين على التسبيح اقوام معينون من الملايكة **فصل** اختلفوا في
مكان السجدة فقال الشافعي رضي الله عنه هو عند قوله تعالى اياه تعبدون وقال ابو
حنيفة هو عند قوله تعالى وهم لا يسامون قوله ومن اياته اي ومن دلايل قدرته
انك ترى الارض خاشعة اي يابسة غبرا لا نبات فيها فاذا انزلنا عليها الما اهتزت
وربت اي تحركت بالنبات وربت انتفخت لان النبت اذا قرب ان يظهر ارتفعت له الارض
وانتفخت ثم تصدعت عن النبات واعلم انه تعالى لما ذكر الدلايل الاربعة الفلكية اتبعها
بذكر الدلايل الارضية وهي هذه الاية ثم قال ان الذي احياها لمحيي الموتى يعني ان
القادر على احيا الارض بعد موتها هو القادر على احيا هذه الاجساد بعد موتها
ثم قال انه على كل شي قدير وهذا هو الدليل الاصلي وتقدم تقريره مرارا قوله تعالى
ان الذين يلحدون في اياتنا الاية لما بين ان الدعوة الى دين الله تعالى اعظم المناصب
واشرف المراتب ثم بين ان الدعوة انما تحصل بذكر دلايل التوحيد والعدل وصحة البعث
والقيمة عاد الى تهديد من ينازع في تلك الايات ويجادل بالقا الشبهات فيها فقال
ان الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا يقال لحد الحافر والحد اذا مال عن الاستقامة
فحفر في شق فالملحد هو المنحرف ثم اختص في العرف بالمنحرف عن الحق الى الباطل قال
مجاهد يلحدون في اياتنا بالمكا والتصدية واللغو واللغط وقال قتادة يكذبون في
اياتنا وقال السدي يعاندون ويشاقون لا يخفون وهذا كقول الملك المهيب ان الذين
ينازعون في ملكي اعرفهم فان ذلك يكون تهديدا ثم قال افمن يلقى في النار خير ام من
ياتي امنا يوم القيمة وهذا استفهام بمعنى التقرير والغرض منه التنبيه على ان الملحدين
في الايات يلقون في النار وان المومنين بالايات ياتون امنين يوم القيمة قال
المفسرون المراد حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر ثم قال اعملوا ما شيتم وهذا امر
تهديد ووعيد وايضا انه بما تعملون بصير اي عالم باعمالكم فيجازيكم قوله ان الذين
كفروا في خبرها ستة اوجه احدها انه مذكور وهو قوله اولئك ينادون وقد سيل بلال
ابن ابي بردة عن ذلك في مجلسه فقال لا اجد لها نفاذا فقال له ابو عمرو بن العلا انه منك
لقريب اولئك ينادون ولقد استبعد هذا من وجهين احدهما كثرة الفواصل والثاني
تقدم من تصح الاشارة اليه بقوله اولئك وهو قوله والذين لا يومنون واسم الاشارة
يعود على اقرب مذكور الثاني انه محذوف لفهم المعنى فقدره معذبون او مهلكون او
معاندون وقال الكساي سد مسده ما تقدم من الكلام قبل ان وهو قوله افمن
يلقى في النار يعني في الدلالة عليه والتقدير يخلدون في النار وقال البغوي يجازون
بكفرهم وسال عيسى بن عمر عمرو بن عبيد عن ذلك فقال معناه في التفسير ان الذين
كفروا بالذكر لما جاهم كفروا به فقدر الخبر من جنس الصلة وفيه نظر من حيث اتحاد الخبر

والمخبر

والمخبر عنه في المعنى من غير زيادة فايدة نحو سيد الجارية مالكها الثالث ان الذين الثانية
بدل من ان الذين الاولى والمحكوم به على المبدل منه فيلزم ان يكون الخبر لا يخفون علينا وهو
منتزع من كلام الزمخشري الرابع ان الخبر قوله لا ياتيه الباطل والعايد محذوف تقديره
لا ياتيه الباطل منهم نحو السمن منوان بدرهم اي منوان منه او يكون ال عوضا من الضمير في راي
الكوفيين تقديره ان الذين كفروا بالذكر لا ياتيه باطلهم الخامس ان الخبر قوله تعالى ما يقال
لك والعايد محذوف ايضا تقديره ان الذين كفروا بالذكر ما يقال لك في شانهم الا ما قد قيل
للرسل من قبلك وهذان الوجهان ذهب اليهما ابو حيان السادس قال بعض الكوفيين انه قوله
وانه لكتاب عزيز وهذا غير متعقل قوله وانه لكتاب عزيز جملة حالية وقوله لا ياتيه
الباطل صفة لكتاب وتنزيل خبر مبتدا محذوف او صفة لكتاب على ان لا ياتيه معترض او صفة
كما تقدم على راي من يجوز تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح وتقدم تحقيقه في
المايدة ومن حكيم صفة لتنزيل او متعلق به والباطل اسم فاعل وقيل مصدر كالعافية والعاقبة
فصل لما بالغ في تهديد الملحدين في ايات القران اتبعه ببيان تعظيم القران فقال
وانه لكتاب عزيز قال الكلبي عن ابن عباس اي كريم على الله وقال قتادة اعزه الله تعالى
لا يجد الباطل اليه سبيلا قال قتادة والسدي الباطل هو الشيطان لا يستطيع ان يغيره او يزيد
فيه او ينقص منه وقال الزجاج معناه انه محفوظ من ان ينقص منه فياتيه الباطل من بين
يديه او يزاد فيه فياتيه الباطل من خلفه وعلى هذا فمعنى الباطل هو الزيادة والنقصان
وقال مقاتل لا ياتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا ياتي بعده كتاب فيبطله وقال
الزمخشري هو تمثيل والمقصود ان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات
حتى يصل اليه **فصل** اعلم ان لابي يوسف الاصفهاني ان يحتج بهذه الاية على انه لم يوجد
النسخ فيه لان النسخ ابطال فلو دخل النسخ فيه لكان قد اتاه الباطل من خلفه وهذا خلاف
الاية ثم قال تنزيل من حكيم حميد اي حكيم في جميع افعاله حميد الى جميع خلقه بسبب كثرة نعمه
قوله ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك الاية لما هدد الملحدين في ايات الله ثم بين
شرف ايات الله وعلو درجة كتاب الله رجع الى امر رسوله بان يصبر على اذى قومه وان لا يضيق
قلبه بسبب ما حكاه عنهم في اوايل السورة وهو قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه الى قوله
فاعمل اننا عاملون فقال ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي انهم قالوا للانبيا قبلك
ساحر وكذبوهم كما كذبت وقيل المراد ما قال لك الا مثل ما قال لساير الرسل وهو انه امرك وامرهم
بالصبر على سفاهة الاقوام قوله ان ربك لذو مغفرة قيل هو مفسر للمقول كانه قيل للرسل ان
ربك لذو مغفرة وقيل هو مستانف ومعناه لذو مغفرة لمن تاب وامن بك وذو عقاب اليم لمن اصر على
التكذيب قوله ولو جعلناه اي جعلنا هذا الكتاب الذي تقروه على الناس قرانا اعجميا بغير
لغة العرب لقالوا لولا فصلت اياته اي هلا بينت اياته بالعربية حتى نفهمها قوله االعجمي قرا
الاخوان وابو بكر بتحقيق الهمزة وهشام باسقاط الاولى والباقون بتسهيل الثانية بين بين
واما المد فقد عرف حكمه من قوله اانذرتهم في اول الكتاب فمن استفهم قال معناه اكتاب اعجمي
ورسول عربي وقيل ومرسل اليه عربي وقيل معناه ابعضه اعجمي وبعضه عربي ومن لم يثبت همزة
استفهام فيحتمل انه حذفها لفظا وارادها معنى وفيه توافق القراتين الا ان ذلك لا يجوز عند
الجمهور الا ان كان في الكلام ام نحو • بسبع رمين الجمار ام بثمان •
فان لم يكن ام لم يجز الا عند الاخفش وتقدم ما فيه ويحتمل ان يكون جملة خبرا محضا ويكون
معناه هلا فصلت اياته فكان بعضها اعجميا يفهمه العجم وبعضها عربيا يفهمه العرب والاعجمي من لا
يفصح وان كان من العرب وهو منسوب الى صفته كاحمري ودواري فالياء فيه للمبالغة في الوصف
وليس النسب فيه حقيقيا وقال الرازي في لوامحه فهو كياء كرسي وبختي وفرق ابو حيان بينهما
فقال ليست كياء كرسي فان ياء كرسي وبختي بنيت الكلمة عليها بخلاف ياء اعجمي فانهم يقولون رجل
اعجم واعجمي وقرا عمرو بن ميمون اعجمي بفتح العين وهو منسوب الى العجم والياء فيه للنسب حقيقة
يقال رجل عجمي وان كان فصيحا وقد تقدم الكلام في الفرق بينهما في سورة الشعرا وفي رفع
اعجمي ثلاثة اوجه احدها انه مبتدا والخبر محذوف تقديره اعجمي وعربي يستويان والثاني انه

خبر مبتدا محذوف اي هو اي القران اعجمي والمرسل به عربي الثالث انه فاعل فعل مضمر اي ايستوي
اعجمي وعربي وهذا ضعيف اذ لا يحذف الفعل الا في مواضع تقدم بيانها **فصل** قال
المفسرون هذا استفهام على وجه الانكار لانهم كانوا يقولون المنزل عليه عربي والمنزل اعجمي وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي وكان يهوديا اعجميا
يكنى ابا فكيهة فقال المشركون انما يعلمه يسار فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا فقال يسار
هو يعلمني فانزل الله هذه الاية وقال ابن الخطيب نقلوا في نزول هذه الاية ان الكفار
لاجل التعنت قالوا هلا نزل القران بلغة العجم فنزلت هذه الاية وعندي ان امثال هذه
الكلمات فيها حيف عظيم على القران لانه يقتضي ورود ايات لا تعلق للبعض فيها بالبعض
وانه يوجب اعظم انواع الطعن فكيف يتم مع التزام مثل هذا الطعن ادعا كونه كتابا منتظما
فضلا عن ادعا كونه معجزا بل الحق عندي ان هذه السورة من اولها الى اخرها كلام واحد على
ما حكى الله عنهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر وهذا الكلام متعلق
به ايضا وجواب له والتقدير انا لو انزلنا هذا القران بلغة العجم لكان لهم ان يقولوا كيف
ارسلت الكلام العجمي الى القوم العرب ويصح لهم ان يقولوا قلوبنا في اكنة من هذا الكلام وفي
اذاننا وقر منه لانا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه اما لما نزل هذا الكتاب بلغة العرب وبالفاظهم وانتم
من اهل هذه اللغة فكيف يمكنكم ادعا ان قلوبكم في اكنة منها وفي اذانكم وقر منها فظهر
انا اذا جعلنا هذا الكلام جوابا عن هذا الكلام بقيت هذه السورة من اولها الى اخرها على
احسن وجوه النظم واما على الوجه الذي يذكره الناس فهو عجيب جدا قوله قل هو للذين
امنوا هدى وشفا اي قل يا محمد هو يعني القران للذين امنوا هدى وشفا هدى من
الضلالة وشفا لما في القلوب وقيل شفا من الاوجاع قال ابن الخطيب هذا متعلق بقولهم
وقالوا في اكنة مما تدعونا اليه الاية كانه تعالى يقول ان هذا الكلام ارسلناه اليكم بلغتكم
لا بلغة اجنبية عنكم فلا يمكنكم ان تقولوا قلوبنا في اكنة منه بسبب جهلنا هذه اللغة فكل من
اعطاه الله طبعا مايلا الى الحق وقلبا داعيا الى الصدق وهمة تدعوه الى بذل الجهد في طلب
الدين فان هذا القران يكون في حقه هدى وشفا اما كونه هدى فانه اذا امكنه الاهتدا فقد
حصل الهدى وذلك شفاهم من مرض الكفر والجهل واما من غرق في بحر الخذلان وشغف
بمتابعة الشيطان فكان هذا القران عليهم عمى كما قال ومن بيننا وبينك حجاب فاولئك ينادون
من مكان بعيد بسبب ذلك الحجاب الحايل بينه وبين الانتفاع ببيان القران وكل من انصف
ولم يتعسف علم ان التفسير على هذا الوجه الذي ذكرناه اولى مما ذكروه لان السورة تصير من
اولها الى اخرها كلاما واحدا منتظما مسوقا نحو غرض واحد قوله والذين لا يومنون فيه ثلاثة
اوجه احدها ان يكون مبتدا وفي اذانهم خبره ووقر فاعل او في اذانهم خبر مقدم ووقر مبتدا
موخر والجملة خبر الاول الثاني ان وقر خبر مبتدا مضمر والجملة خبر الاول والتقدير
والذين لا يومنون هو وقر في اذانهم لما اخبر عنه بانه هدى لاوليك اخبر عنه انه وقر في اذان
هولاء وعمى عليهم قال معناه الزمخشري ولا حاجة الى الاضمار مع تمام الكلام بدونه الثالث
ان يكون الذين لا يومنون عطفا على الذين امنوا ووقر عطف على هدى وهذا من باب
العطف على معمولي عاملين وفيه مذاهب تقدم تحريرها قوله عمى العامة على فتح الميم
المنونة وهو مصدر لعمي يعمى عمى نحو صدي يصدى صدى وهوي يهوى هوى وقرا ابن
عباس وابن عمر وابن الزبير وجماعة عم بكسرها منونة اسما منقوصا وصف بذلك مجازا وقرا
عمرو بن دينار ورويت عن ابن عباس عمي بكسر الميم وفتح اليا فعلا ماضيا وفي الضمير
وجهان اظهرهما انه للقران والثاني انه للوقر والمعنى يا باه وفي اذانهم ان لم يجعله خبرا
تعلق بمحذوف على انه حال منه لانه صفة في الاصل ولا يتعلق به لانه مصدر فلا يتقدم
معموله عليه وقوله وهو عليهم عمى كذلك في قراة العامة واما في القراتين المتقدمتين
فيتعلق على ما بعده اذ ليس بمصدر قال ابو عبيد والاولى هي الوجه لقوله هدى وشفا
وكذلك عمى وهو مصدر مثلهما ولو كان المذكور انه هاد وشاف لكان الكسر في عمى اجود
فيكون نعتا لها **فصل** قال قتادة عموا عن القران وصموا عنه فلا ينتفعون

به اولئك ينادون من مكان بعيد قال ابن عباس يريد مثل البهيمة التي لا تفهم الا دعا ونداء
وقيل من دعي من مكان بعيد لم يسمع وان سمع لم يفهم فكذا حال هولاء وهذا مثل لقلة انتفاعهم
بما يوعظون به قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه وجه تعلقه بما قبله كانه
قيل انا لما اتينا موسى الكتاب فقبله بعضهم ورده اخرون فكذلك اتيناك هذا الكتاب فقبله
بعضهم وهم اصحابك ورده اخرون وهم الذين يقولون قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم قال
ولولا كلمة سبقت من ربك يعني في تاخير العذاب عنهم الى اجل مسمى وهو يوم القيمة لقضي بينهم
يعني المصدق والمكذب بالعذاب الواقع اي لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم وانهم لفي شك
منه مريب وكنا بك مريب موقع لهم الريبة فلا ينبغي ان يعظم استيحاشك من قولهم قلوبنا
في اكنة مما تدعونا اليه ثم قال من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها يعني خفف عن نفسك اعراضهم
فانهم ان امنوا فنفع ايمانهم يعود عليهم وان كفروا فضرر كفرهم يعود عليهم والله سبحانه يوصل
الى كل احد ما يليق بعمله من الجزاء وما ربك بظلام للعبيد قوله فلنفسه يجوز ان يتعلق
بفعل مقدر اي فلنفسه عمله وان يكون خبر مبتدا مضمر اي فالعمل الصالح لنفسه وقوله فعليها
مثله ثم قال وما ربك بظلام للعبيد والكلام على نظيره قد تقدم في سورة ال عمران عند قوله
وان الله ليس بظلام للعبيد قوله اليه يرد علم الساعة لما هدد الكفار بقوله من عمل صالحا
فلنفسه ومن اسا فعليها ومعناه ان جزاء كل احد يصل اليه يوم القيمة فكان سايلا قال
ومتى يكون ذلك اليوم فقال تعالى انه لا سبيل للخلق الى معرفة ذلك اليوم ولا يعلمه الا الله
فقال اليه يرد علم الساعة وهذه الكلمة تفيد الحصر اي لا يعلم وقت الساعة بعينه الا الله
وكذلك العلم بحدوث الحوادث المستقبلة في اوقاتها المعينة ليس الا عند الله ثم ذكر من امثلة
هذا الباب مثالين احدهما قوله وما تخرج من ثمرة من اكمامها والثاني قوله وما تحمل من
انثى ولا تضع الا بعلمه قوله وما تخرج من ثمرة ما هذه يجوز ان تكون نافية وهو الظاهر وان
تكون موصولة جوز ذلك ابو البقا ولم يبين وجهه وبيانه انها تكون مجرورة المحل عطفا
على الساعة اي علم الساعة وعلم التي تخرج ومن ثمرة على هذا حال او تكون من للبيان ومن
الثانية لابتداء الغاية واما الثالثة فنافية فقط قال ابو البقا لانه عطف عليها ولا تضع
ثم نقض النفي بالا ولو كانت بمعنى الذي معطوفة على الساعة لم يجز ذلك وقرا نافع وابن
عامر ثمرات وبقوية الجمع سمت بالتا الممطوطة والباقون ثمرة بالافراد والمراد بها الجنس فان
كانت ما نافية كانت من مزيدة في الفاعل وان كانت موصولة كانت للبيان كما تقدم والاكمام
جمع كم بكسر الكاف كذا اضبطه الزمخشري وهو ما يغطي الثمرة كجف الطلع وقال الراغب الكم
ما يغطي اليدين القميص وما يغطي الثمرة وجمعه اكمام وهذا يدل على انه مضموم الكاف اذ جعله
مشتركا بين كم القميص وكم الثمرة ولا خلاف في كم القميص انه بالضم فيجوز ان يكون في وعا الثمرة
لغتان دون كم القميص جمعا بين قوليهما واما اكمة فواحدها كمام كازمة وزمام قال ابو
عبيدة اكمامها اوعيتها وهي ما كانت فيه الثمرة واحدها كم وكمة قال ابن عباس يعني الكفري قبل
ان ينشق وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اي اليه يرد علم الساعة كما يرد اليه علم الثمار والنتاج
قوله ويوم يناديهم اين شركاي اي بحسب زعمكم واعتقادكم فيخ بن كثير يا شركاي قال اذناك
قال ابن عباس اسمعناك كقوله واذنت لربها يعني سمعت وقال الكلبي اعلمناك قال ابن
الخطيب وهذا بعيد لان اهل القيمة يعلمون ان الله تعالى يعلم الاشيا علما واجبا فالاعلام
في حقه محال قوله ما منا من شهيد هذه الجملة المنفية معلقة لاذناك لانها بمعنى اعلمناك قال
اذنتنا ببينها اسماء • رب ثاو يمل منه الثواء
وتقدم الخلاف في تعليق اعلم ومن للغاية والصحيح وقوعه سماعا من العرب وجوز ابو حاتم
ان يوقف على اذناك وعلى ظنوا ويبتدا بالنفي بعدهما على سبيل الاستيناف وما خبر مقدم
ومن شهيد مبتدا ويجوز ان يكون من شهيد فاعلا بالجار قبله لاعتماده على النفي **فصل**
في معنى الاية وجوه قيل ليس احد منا يشهد بان لك شريكا لما عاينوا العذاب تبروا من الاصنام
وقيل معناه ما منا احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم الهتهم فلا يبصرونها في ساعة
التوبيخ وقيل هذا كلام الاصنام كان الله يحييها ثم انها تقول ما منا من احد يشهد بصحة ما اضافوا

الينا من الشركة وعلى هذا التقدير فيعني ضلاله عنهم انهم لا ينفعونهم فكانهم ضلوا عنهم
فهو معنى قوله وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل قوله وظنوا ما لهم من محيص كقوله
ما منا من شهيد ومعناه انهم ايقنوا انهم لا محيص لهم عن النار اي مهرب وهذا ابتدا كلام من الله
تعالى قوله تعالى لا يسأم الانسان من دعاء الخير الاية لما بين تعالى من حال هولاء الكفار
انهم بعد ان كانوا مصرين على القول باثبات الشركا والاضداد لله في الدنيا يتبرؤن عن تلك
الشركا في الاخرة بين ان الانسان في جميع الاوقات متغير الاحوال فان احس بخير وقدرة
تعاظم وان احس ببلاء ومحنة ذل والمعنى ان الانسان في حال الاقبال لا ينتهي الى درجة الا
ويطلب الزيادة عليها وفي حال الادبار والحرمان يصير ايسا قانطا وفي قوله يؤس قنوط مبالغة
من وجهين احدهما من طريق فعول والثاني من طريق التكرير واليأس من صفة القلب والقنوط
ان يظهر اثار اليأس في الوجه والاحوال الظاهرة ثم بين تعالى ان الذي صار ايسا قانطا
لو عاودته النعمة والدولة وهو قوله ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته فانه يأتي بثلاثة
انواع من الاقاويل الفاسدة الموجبة للكفر والبعد عن الله فالاول قوله ليقولن هذا لي وهو
جواب القسم لسبقه الشرط وجواب الشرط محذوف كما تقدم تقريره وقال ابو البقا ليقولن جواب
الشرط والفا محذوفة قال شهاب الدين وهذا لا يجوز الا في الشعر كقوله

• من يفعل الحسنات الله يشكرها • حتى ان المبرد منعه في الشعر ويروي البيت
• من يفعل الخير فالرحمن يشكره •

فصل معنى قوله هذا لي اي هذا حقي وصل الي لاني
استوجبته بعلمي وعملي ولا يعلم المسكين ان احدا لا يستحق على الله شيا لانه ان كان عاريا من
الفضائل فكلامه ظاهر الفساد وان كان موصوفا بشيء من الفضائل والصفات الحميدة فهي انما حصلت
بفضل الله واحسانه فثبت بهذا فساد قوله انما حصلت بفضل الله واحسانه هذه الخيرات بسبب
استحقاقي النوع الثاني من كلامه الفاسد قوله وما اظن الساعة قائمة والمعنى انه يكون
شديد الرغبة في الدنيا عظيم النفرة عن الاخرة فاذا آل الامر الى احوال الدنيا يقول انها لي
واذا آل الامر الى الاخرة يقول وما اظن الساعة قائمة النوع الثالث من كلامه الفاسد قوله
ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي ان هذا الكافر يقول لست على يقين من البعث
وان كان الامر على ذلك ورددت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي الجنة كما اعطاني في الدنيا سيعطيني
في الاخرة ولما حكى الله عنهم هذه الاقوال الثلاثة الفاسدة قوله فلننبئن الذين كفروا
بما عملوا قال ابن عباس لنقفنهم على مساوي اعمالهم ولنذيقنهم من عذاب غليظ وهذا في
مقابلة قولهم ان لي عنده للحسنى ولما حكى الله تعالى اقوال الذي انعم عليه بعد وقوعه
في الافات حكى افعاله ايضا فقال واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه اي اعرض عن
التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ونأى بجانبه اي تعاظم ثم ان مسه الضر والفقر اقبل
على دوام الدعا واخذ في الابتهال والتضرع ومعنى عريض كثير والعرب تستعمل الطول والعرض
في الكثرة يقال اطال فلان الكلام والدعا واعرض اي اكثر قوله قل ارايتم تقدم الكلام
عليها ومفعولها الاول هنا محذوف تقديره ارايتم انفسكم والثاني هو الجملة الاستفهامية

فصل ومعنى الاية انكم لما سمعتم هذا القران اعرضتم عنه وما تاملتم فيه وبالغتم
في النفرة حتى قلتم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن المعلوم بالضرورة انه
ليس العلم بكون القران باطلا وليس العلم بفساد القول بالتوحيد والنبوة علما بديهيا
فقبل الدليل يحتمل ان يكون صحيحا وان يكون فاسدا فبتقدير ان يكون صحيحا كان اصراركم على
دفعه من اعظم موجبات العقاب فيجب عليكم ان تتركوا هذه النفرة وان ترجعوا الى النظر
والاستدلال فان دل الدليل على صحته قبلتموه وان دل على فساده تركتموه وقبل الدليل فالاصرار
على الدفع والاعراض بعيد عن العقل وقوله ممن هو في شقاق بعيد موضوع موضع بيان حالهم
وصفتهم ولما ذكر هذه الوجوه الكثيرة في تقرير التوحيد والنبوة اجاب عن شبهات المشركين
فقال سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم الافاق جمع افق وهو الناحية نقل النووي
في التهذيب قال اهل اللغة الافاق النواحي الواحد افق بضم الهمزة والفا وافق باسكان
الفا قال الشاعر • لو نال حي من الدنيا بمنزلة • افق السما لنالت كفه الافقا •

وهو كاعناق في عنق ابدلت همزته الفا ونقل الراغب انه يقال افق بفتح الهمزة والفا فيكون
كجبل واجبال وافق فلان اي ذهب في الافاق والافق الذي بلغ نهاية الكرم تشبيها في ذلك
بالذاهب في الافاق والنسب الى الافق افقي بفتحهما ويحتمل انه نسبة الى المفتوح واستغنوا به
بذلك عن النسبة الى المضموم وله نظاير قال النووي قالوا والنسبة اليها افقي بضم الهمزة والفا
وبفتحهما لغتان مشهورتان

فصل قال ابن عباس معنى قوله سنريهم اياتنا في
الافاق اي منازل الامم الخالية وفي انفسهم بالبلاء والامراض وقال قتادة يعني وقايع الله
في الامم الخالية وفي انفسهم يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدي في الافاق ما يفتح الله من
القرى على محمد عليه السلام والمسلمين وفي انفسهم فتح مكة فان قيل حمل الاية على هذا الوجه
بعيد لان اقصى ما في الباب ان محمدا صلى الله عليه وسلم استولى على البلاد المحيطة بمكة ثم استولى
على مكة الا ان الاستيلا على بعض البلاد لا يدل على كون المستولي محقا فانا نرى بعض الكفار
قد يستولي على بلاد المسلمين وعلى ملوكهم وذلك لا يدل على كونهم محقين فالجواب انا لا نستدل
بمجرد استيلا محمد عليه السلام على تلك البلاد على كونه محقا في ادعا النبوة بل نستدل به من
حيث انه صلى الله عليه وسلم اخبر عن انه سيستولي عليها ويقهر اهلها وهذا اخبار عن الغيب وقد
وقع مخبره مطابقا لخبره فيكون هذا اخبارا صدقا عن الغيب فيكون معجزا فبهذا الطريق يستدل
بحصول هذا الاستيلا على كون هذا الدين حقا وقال عطا وابن زيد في الافاق يعني اقطار
السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم وايات الليل والنهار والاضواء والظلال والظلمات
والنبات والاشجار والانهار وفي انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة في كيفية تكوين الاجنة
في ظلمات الارحام وحدوث الاعضا العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله وفي انفسكم افلا تبصرون
يعني نريهم هذه الدلايل حتى يتبين لهم انه الحق من عند الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وانه
مرسل من عند الله فان قيل هذا الوجه ضعيف لان قوله تعالى سنريهم اياتنا يقتضي انه تعالى
ما اطلعهم على تلك الايات الى الان وسيطلعهم عليها بعد ذلك والايات الموجودة في العالم الاعلى
والاسفل قد اطلعهم عليها قبل ذلك فيتعذر حمل هذا اللفظ على هذا الوجه فالجواب ان القوم
وان كانوا قد راوا هذه الاشيا الا ان العجايب التي اودعها الله تعالى في هذه الاشيا مما لا نهاية
لها وهو تعالى يطلعهم على تلك العجايب زمانا فزمانا لان كل احد راي بنية الانسان وشاهدها
الا ان العجايب التي ابدعها الله تعالى في تركيب هذا البدن كثيرة واكثر الناس لا يعرفونها والذي وقف
على شيء منها كلما ازداد وقوفا على تلك العجايب ازداد يقينا وتعظيما وكذلك التركيبات الفلكية
ايضا والاولى ان يقال ان كان المراد بقوله حتى يتبين لهم انه الحق هو الرسول فقول مجاهد
اولى وان كان المراد به الدين والتوحيد فهذا اولى قوله اولم يكف بربك فيه وجهان احدهما
ان البا مزيدة في الفاعل وهذا هو الراجح والمفعول محذوف اي اولم يكفك ربك وفي قوله انه على كل
شيء شهيد وجهان احدهما انه بدل من بربك فيكون مرفوع المحل مجرور اللفظ كمتبوعه والثاني ان
الاصل بانه ثم حذف الجار فيجري الخلاف الثاني من الوجهين الاولين ان يكون بربك هو المفعول
وانه وما بعده هو الفاعل اي اولم يكف ربك شهادته وقري انه على كل بالكسر وهو على اضمار
القول او على الاستيناف

فصل اعلم ان قوله بربك في موضع الرفع على انه فاعل كفي
كما تقدم ومعناه اولم يكفهم ان ربك على كل شيء شهيد اي شهيد على الاشيا لانه خلق الدلايل الدالة
عليها وقال مقاتل اولم يكف بربك شاهدا ان القران من الله عز وجل قال معنى الكفاية هنا ان الله
عز وجل قد بين من الدلايل ما فيه كفاية قوله الا انهم في مرية من لقاء ربهم اي في شك من البعث والقيامة
وقرا ابو عبد الرحمن والحسن في مرية بضم الميم وقد تقدم انها لغة في المكسورة الميم ثم قال الا انه
بكل شيء محيط اي عالم بكل المعلومات التي لا نهاية لها فيعلم بواطن الكفار وظواهرهم ويجازي
كل واحد على فعله فان قيل الاحاطة مشعرة بالنهاية فهذا يقتضي ان تكون معلومة متناهيا
فالجواب ان قوله بكل شيء محيط يقتضي ان يكون علمه بكل شيء محيطا اي بكل واحد من الاشيا
وهذا يقتضي ان يكون واحد منها متناهيا لا كون مجموعها متناهيا والله اعلم روي الثعلبي في
تفسيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا حم السجدة اعطاه الله من الاجر بكل حرف
منها عشر حسنات صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم

سورة الشورى مكية

وهي ثلاث وخمسون اية وثمانماية وست وستون كلمة وثلاثة الاف وخمسماية وثمانية وثمانون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى حم عسق تقدم الكلام في امثال هذه الفواتح وسيل الحسن بن الفضل لم قطع حم عسق
ولم يقطع كهيعص فقال لانها سور اوايلها حم فجرت مجرى نظايرها فكان حم مبتدا وعسق خبره ولانهما
عدا آيتين واخواتها مثل كهيعص والمص والمر عدت اية واحدة وقيل لان اهل التاويل لم
يختلفوا في كهيعص واخواتها انها حروف التهجي لا غير واختلفوا في حم فاخرجها بعضهم من
حيز الحروف وجعلها فعلا وقيل معناها حم اي قضي ما هو كاين روي عكرمة عن ابن عباس انه قال
ح حلمه • م مجده • ع علمه • س سناوه • ق قدرته اقسم الله بها وقال شهر بن حوشب وعطا
ابن ابي رباح ح حرب يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز في قريش • م ملك يتحول من قوم الى قوم
ع • عدو لقريش يقصدهم • س سبي يكون فيهم • ق • قدرة الله النافذة في خلقه وروي عن
ابن عباس انه قال ليس من نبي صاحب كتاب الا وقد اوحيت اليه حم عسق فلذلك قال يوحي
اليك والى الذين من قبلك وعلى هذا فقوله الله العزيز الحكيم يتبين للفاعل كانه قال من يوحي
فقيل الله العزيز الحكيم كما سياتي وقرا ابن عباس وابن مسعود حم سق قوله كذلك يوحي القرا
على نوحي بالياء من اسفل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى والعزيز الحكيم نعتان والكاف منصوبة
المحل اما نعتا لمصدر او حالا من ضميره اي يوحي ايحاء مثل ذلك الايحاء وقرا ابن كثير وتري عن ابن
عمرو يوحي بفتح الحاء مبنيا للمفعول وفي القايم مقام الفاعل ثلاثة اوجه احدها ضمير مستتر يعود
على كذلك لانه مبتدا والتقدير مثل ذلك الايحا يوحي هو اليك فمثل ذلك مبتدا ويوحي هو اليك
خبره الثاني ان القايم مقام الفاعل اليك والكاف منصوبة المحل على الوجهين المتقدمين
الثالث ان القايم مقامه الجملة من قوله الله العزيز اي يوحي اليك هذا اللفظ واصول البصريين
لا تساعد عليه لان الجملة لا تكون فاعلة ولا قايمة مقامه وقرا ابو حيوة والاعمش نوحي بالنون
وهي موافقة للعامة ويحتمل ان تكون الجملة من قوله الله العزيز منصوبة المحل مفعوله بنوحي
اي نوحي اليك هذا اللفظ الا ان فيه حكاية الجمل بغير القول الصريح ويوحي على اختلاف قراآته
يجوز ان يكون على بابه من الحال والاستقبال فيتعلق قوله والى الذين من قبلك بمحذوف
لتعذر ذلك تقديره واوحي الى الذين وان يكون بمعنى الماضي وجي به على صورة المضارع
لغرض وهو تصوير الحال قوله الله العزيز يجوز ان يرتفع بالفاعلية في قراءة العامة وان
يرتفع بفعل مضمر في قراءة ابن كثير كانه قيل من يوحيه فقيل الله يسبح له فيها بالغدو والاصال
رجال وقوله • ليبك يزيد ضارع لخصومة • وتقدم وان يرتفع بالابتدا
وما بعده خبره والجملة قايمة مقام الفاعل على ما مر وان يكون العزيز الحكيم خبرين او نعتين
والجملة من قوله له ما في السموات خبرا اول او ثانيا على حسب ما تقدم في العزيز الحكيم وجوز
ابو البقا ان يكون العزيز مبتدا والحكيم خبره او نعته وله ما في السموات خبره وفيه نظر اذ
الظاهر تبعيتهما للجلالة وانت اذا قلت جا زيد العاقل الفاضل لا تجعل العاقل مرفوعا
على الابتدا **فصل** الكاف في كذلك معناه المثل وذا للاشارة الى شي سبق ذكره فيكون
المعنى مثل حم عسق يوحي اليك والى الذين من قبلك وعند هذا حصل قولان احدهما ما نقل
عن ابن عباس انه قال لا نبي صاحب كتاب الا وقد اوحي اليه حم عسق كما تقدم قال ابن الخطيب
وهذا عندي بعيد والثاني ان يكون مثل الكتاب المسمى بحم عسق يوحي الله اليك والى الذين
من قبلك وهذه المماثلة المراد منها المماثلة في الدعوة الى التوحيد والنبوة والمعاد وتقبيح
احوال الدنيا والترغيب في امور الاخرة قال الزمخشري لم يقل اوحي اليك ولكن قال يوحي
اليك على لفظ المضارع ليدل على ان ايحا مثله عادة وكونه عزيزا يدل على كونه قادرا على
ما لا نهاية له وكونه حكيما يدل على كونه عالما بجميع المعلومات غنيا عن جميع الحاجات كما تقدم
بيانه في اول سورة حم المومن وقوله له ما في السموات وما في الارض يدل على كونه موصوفا

بالقدرة الكاملة النافذة في جميع اجزاء السموات والارض على عظمها وسعتها بالايجاد والاعدام
وان ما في السموات وما في الارض ملكه وملكه وهو العلي اي المتعالي عن مشابهة الممكنات
العظيم بالقدرة والقهر والاستعلا قوله تكاد السموات يتفطرن منه تقدم الكلام
فيه مشبعا في مريم الا ان الزمخشري زاد هنا وروي يونس عن ابي عمرو قراءة غريبة تتفطرن
بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روي في نوادر ابن الاعرابي الابل تتشمس وقال ابو حيان
والظاهر ان هذا وهم منه لان ابن خالويه قال في شاذ القرآن ما نصه تتفطرن بالتا
والنون يونس عن ابي عمرو وقال ابن خالويه وهذا حرف نادر لان العرب لا تجمع بين
علامتي التانيث لا يقال النساء تقمن ولكن يقمن والوالدات يرضعن ولا يقال ترضعن وقد
كان ابو عمرو الزاهد روي في نوادر ابن الاعرابي الابل تتشمن فانكرناه فقد قواه الا ان هذا
قال ابو حيان فان كانت نسخ الزمخشري متفقة على قوله بتاءين مع النون فهو وهم
وان كان في بعضها بتا مع النون كان موافقا لقول ابن خالويه وكان بتاءين تحريفا من
النساخ وكذلك كتبهم تتفطرن وتتشمن بتاءين انتهى قال شهاب الدين كيف يستقيم ان تكون
كتبهم تتشمن بتاءين وهما وذلك لان ابن خالويه اورده في معرض الندرة والانكار حتى يقوى
عنده بهذه القراءة وانما يكون نادرا منكرا بتاءين فانه حينئذ يكون مضارعا مسندا لضمير
الابل فكان من حقه ان يكون حرف مضارعته يا منقطعة من اسفل نحو النساء يقمن فكان
ينبغي ان يقال الابل يتشمن بالياء من تحت ثم بالتاء من فوق فلما جا بتاءين كلاهما من فوق ظهر
شذوذه وانكاره ولو كان على ما قال ابو حيان ان كتبهم بتاءين وهما بل كان ينبغي كتبه بتاء
واحدة لما كان فيه شذوذ ولا انكار لانه نظير النسوة تدحرجن فانه ماض مسند لضمير
الاناث وكذا لو كتبت بياء من تحت وتاء من فوق لم يكن فيه شذوذ ولا انكار وانما يجي الشذوذ
والانكار اذا كان بتاءين منقوطتين من فوق لانه سوا قري تتفطرن بتاءين او بتاء ونون
فانه نادر لما ذكره ابن خالويه وهذه القراءة لم يقرا بها في نظيرتها في سورة مريم قوله من
فوقهن في هذا الضمير ثلاثة اوجه احدها انه عايد على السموات اي كل واحدة منها تتفطر
فوق التي تليها من قول المشركين اتخذ الله ولدا كما في سورة مريم اي يبتدي انفطارهن من
هذه الجهة فمن لابتداء الغاية متعلقة بما قبلها الثاني انه يعود على الارضين لتقدم ذكر
الارض الثالث انه يعود على فرق الكفار والجماعات الملحدين قاله الاخفش الصغير وانكره
مكي وقال لا يجوز ذلك في المذكور من بني ادم وهذا لا يلزم الاخفش فانه قال على الفرق
والجماعات فراعي ذلك المعنى **فصل** قال الزمخشري كلمة الكفر انما جاءت من الذين
تحت السموات فكان القياس ان يقال يتفطرن من تحتهن اي من الجهة التي تحت جاءت الكلمة
لكن بولغ في ذلك فجعلت موثرة من جهة الفوق فكانه قيل يكدن يتفطرن من الجهة التي
فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره في المبالغة قوله تعالى فيصب من فوق رؤوسهم الحميم
يصهر به ما في بطونهم والجلود فجعل موثرا في اجزايهم الباطنة وقال ابن الخطيب معنى من فوقهن
اي من فوق الجهة التي حصلت هذه السموات فيها وتلك الجهة هي فوق فقوله من فوقهن اي من
الجهة الفوقانية التي هن فيها قوله والملايكة يسبحون بحمد ربهم والتسبيح عبارة عن تنزيه
الله تعالى عما لا ينبغي والتحميد عبارة عن وصفه بكونه مفيضا لكل الخيرات قوله ويستغفرون
لمن في الارض اي من المومنين كما حكى عنهم في سورة المومن فقال ويستغفرون للذين امنوا فان
قيل قوله ويستغفرون لمن في الارض عام فيدخل فيهم الكفار وقد لعنهم الله فقال اولئك
عليهم لعنة الله والملايكة والناس اجمعين فكيف يكونون لاعنين لهم ومستغفرين لهم قال ابن
الخطيب والجواب من وجوه الاول انه عام مخصوص باية المومن كما تقدم الثاني ان قوله لمن في
الارض لا يفيد العموم لانه يصح ان يقال انهم استغفروا لكل من في الارض وان يقال انهم
استغفروا لبعض من في الارض دون البعض ولو كان صريحا في العموم لما صح ذلك الثالث
يجوز ان يكون المراد من الاستغفار ان لا يعاجلهم بالعقاب كما في قوله تعالى ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا الى ان قال انه كان حليما غفورا الرابع يجوز ان يقال انهم يستغفرون
لكل من في الارض اما في حق الكفار فبطلب الايمان لهم واما في حق المومنين فبالتجاوز عن سياتهم

فانا نقول اللهم اهل الكفار وزين قلوبهم بنور الايمان وازل عن خواطرهم وحشة
الكفر وهذا استغفار لهم في الحقيقة **فصل** قال ابن الخطيب قوله ويستغفرون
لمن في الارض يدل على انهم لا يستغفرون لانفسهم ولو وجد منهم معصية لاستغفروا لانفسهم
قبل استغفارهم لمن في الارض فحيث لم يذكر الله عز وجل استغفارهم لانفسهم علمنا
انهم مبرؤون عن كل الذنوب والانبيا عليهم السلام لهم ذنوب والذين لا ذنب لهم البتة
افضل ممن له ذنب وايضا فقوله ويستغفرون لمن في الارض يدل على انهم يستغفرون للانبيا
عليهم السلام لانهم من جملة من في الارض واذا كانوا مستغفرين للانبيا عليهم السلام كان الظاهر
انهم افضل منهم ثم قال تعالى الا ان الله هو الغفور الرحيم وهذا تنبيه على ان الملائكة
وان كانوا يستغفرون للبشر الا ان المغفرة المطلقة لله تعالى وهذا يدل على انه تعالى يعطي
المغفرة التي طلبوها ويضم اليها الرحمة قوله والذين اتخذوا من دونه اوليا اي جعلوا
له شركا وانداد الله حفيظ عليهم اي رقيب عليهم يحفظ اعمالهم واقوالهم ويحصيها ليجازيهم
وما انت يا محمد عليهم بوكيل لم يوكل بهم ولا امرهم اليك انما انت منذر قوله وكذلك اوحينا
اليك قرانا عربيا في قرانا وجهان اظهرها انه مفعول اوحينا والكاف للمصدر نعتا او حالا
الثاني انه حال من الكاف والكاف هي المفعول لاوحينا اي اوحينا مثل ذلك الايحا وهو قران
عربي واليه نحا الزمخشري وكون الكاف اسما في الس مذهب الاخفش **فصل** قال
ابن الخطيب قوله وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا يقتضي تشبيه وحي الله بالقران بشي
سبق ذكره وليس ههنا شي سبق ذكره يمكن تشبيه وحي القران به الا قوله والذين اتخذوا
من دونه اوليا الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل يعني كما اوحينا اليك انك لست حفيظا
عليهم ولست وكيلا عليهم وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا لتكون نذيرا لهم قوله لتنذر
ام القرى اي اهل ام القرى لان البلد لا تعقل وقوله ومن حولها عطف على اهل المقدر وقيل ام
القرى والمفعول الثاني محذوف اي العذاب وقرى لينذر بالياء من تحت اي القران وام
القرى اصل القرى يعني مكة وسميت بهذا الاسم اجلالا لان فيها البيت ومقام ابراهيم
والعرب تسمي اصل كل شي امه حتى يقال هذه القصيدة من امهات قصايد فلان ومعنى
ومن حولها اي قرى الارض كلها من اهل البدو والحضر واهل المدر والوبر والانذار
التخويف قوله وتنذر يوم الجمع اي تنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيمة يجمع الله فيه
الاولين والاخرين واهل السموات والارض وقيل المراد تجمع الارواح بالاجساد
وقيل يجمع بين العامل وعمله وقيل يجمع بين الظالم والمظلوم قوله لا ريب فيه اخبار
فهو مستانف فيكون صفة ليوم الجمع ويجوز ان يكون حالا من يوم الجمع وجعله الزمخشري
اعتراضا وهو غير ظاهر صناعة اذ لم يقع بين متلازمين قوله فريق العامة على رفعه
باحد وجهين اما الابتدا وخبره الجار بعده وساغ هذا في النكرة لانه مقام تفصيل كقوله
فثاب نسي وثوب اجر ويجوز ان يكون الخبر مقدرا تقديره منهم فريق وساغ الابتدا
بالنكرة لشيين تقديم خبرها جارا ومجرورا ووصفها بالجار بعدها والثاني انه خبر ابتدا مضمر
اي هم اي المجموعون دل على ذلك قوله يوم الجمع وقرا زيد بن علي على فريقا وفريقا نصبهما
على الحال من جملة محذوفة اي افترقوا اي المجموعون وقال مكي واجاز الكسايي
والفرا النصب في الكلام في فريقا على معنى تنذر فريقا في الجنة وفريقا في السعير يوم
الجمع فكانه لم يطلع على انها قراة وظاهر نقله عن هذين الامامين انهما لم يطلعا عليه
وجعل فريقا مفعولا اول لتنذر ويوم الجمع مفعولا ثانيا وهو في ظاهره اشكال وهو ان
الانذار لا يقع للفريقين وهما في الجنة وفي السعير انما يكون الانذار قبل استقرارهما فيهما
ويمكن ان يجاب عنه بان المراد من هو من اهل الجنة ومن اهل السعير وان لم يكن حاصلا
فيهما وقت الانذار وفي الجنة صفة لفريقا او متعلق بذلك المحذوف الانذار وفي الجنة
صفة لفريقا او متعلق بذلك المحذوف فان قيل يوم الجمع يقتضي كون القوم مجتمعين
والجمع بين الصفتين محال فالجواب انهم يجتمعون اولا ثم لا يصيرون فريقين قوله
ولو شا الله لجعلهم امة واحدة قال ابن عباس على دين واحد وقال مقاتل على ملة

الاسلام

الاسلام كقوله ولو شا الله لجمعهم على الهدى ولكن يدخل من يشا في رحمته اي في دين الاسلام
والظالمون الكافرون ما لهم من ولي يدفع عنهم العذاب ولا نصير يمنعهم من النار وهذا تقرير
لقوله الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل اي لا انت لا تقدر ان تحملهم على الايمان فلو شا
الله لفعله لانه اقدر منك لكنه جعل البعض مومنا والبعض كافرا قوله ام اتخذوا من دونه
اوليا الاية هذه ام المنقطعة فتقدر ببل التي للانتقال وبهمزة الانكار او بالهمزة فقط او ببل
فقط واعلم انه تعالى لما حكى عنهم اولا انهم اتخذوا من دونه اوليا ثم قال بعده لمحمد عليه السلام
لست عليهم بوكيل اي لا يجب عليك ان تحملهم على الايمان فان الله لو شا لفعله اعاد ذلك الكلام
على سبيل الاستنكار ثم قال فالله هو الولي قال ابن عباس وليك يا محمد وولي من اتبعك والفا
جواب شرط مقدر كانه قال ان ارادوا اوليا بحق فالله هو الولي لا ولي سواه لانه يحيي الموتى وهو
على كل شي قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شي قاله الزمخشري وقيل الفا
عاطفة ما بعدها على ما قبلها قوله وما اختلفتم فيه من شي فحكمه الى الله وجه النظم انه
تعالى كما منع الرسول صلى الله عليه وسلم ان يحمل الكفار على الايمان قهرا فكذلك منع المومنين
ان يشرعوا معهم في الخصومات والمنازعات فقال وما اختلفتم فيه من شي من امر الدين فحكمه الى
الله يقضي فيه ويحكم يوم القيمة بالفصل الذي يزيل الريب وقيل وما اختلفتم فيه من شي وتنازعتم
فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا توثروا حكومة غيره على حكومته وقيل ما وقع
بينكم فيه خلاف من الامور التي لا يحصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كما قال
تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي **فصل** قوله فحكمه الى الله اما ان
يكون المراد فحكمه مستفاد من نص الله عليه والمراد فحكمه مستفاد من القياس على ما نص الله عليه
والثاني باطل لانه يقتضي كون كل الاحكام مثبتة بالنص وذلك ينفي العمل بالقياس فان قيل
لم لا يجوز ان يكون المراد فحكمه معروف من بيان الله تعالى سوا كان ذلك البيان بالنص او القياس
فالجواب ان المقصود من التحاكم الى الله قطع الاختلاف والرجوع الى القياس يقوي حكم الاختلاف
ولا يرفعه فوجب ان يكون الواجب هو الرجوع الى نص الله تعالى قوله ذلكم الله اي الذي
يحكم بين المختلفين هو ربي عليه توكلت في دفع كيد الاعدا وفي طلب كل خير واليه انيب
اي ارجع اليه في كل المهمات وهذا يفيد الحصر اي لا اتوكل الا عليه قوله فاطر العامة على رفعه
خبر الذلكم او نعتا لربي على محض اضافته وعليه توكلت معترض على هذا او مبتدا وخبره
جعل لكم او خبر مبتدا مضمر اي هو وقرا زيد بن علي فاطر بالجر نعتا للجلالة في قوله الى الله وما
بينهما اعتراض او بدلا من الها في عليه او اليه وقال مكي واجاز الكسايي النصب على الندا وقال غيره
على المدح ويجوز في الكلام الخفض على البدل من الها في عليه كانه لم يطلع على انها قراة زيد بن
علي قوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا قيل معناه جعل لكم من انفسكم
ازواجا اي مثل خلقكم وازواجا اي حلايل وقيل يعني من انفسكم انه خلق حوا من ضلع
ادم ومن الانعام ازواجا اي اصنافا ذكورا واناثا قوله يذروكم اي يكثركم وقوله فيه يجوز
ان يكون في على بابها والمعنى يكثركم في هذا التدبير وهو ان جعل للناس والانعام ازواجا
حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والضمير في يذروكم للمخاطبين والانعام الا انه غلب فيه
العقلا من وجهين احدهما انه غلب فيه جانب العقلا على غير العقلا والثاني انه غلب جانب
المخاطبين على الغايبين قاله الزمخشري وهي من الاحكام ذات العلتين قال ابو حيان وهو
اصطلاح غريب يعني ان الخطاب يغلب على الغيبة اذا اجتمعا ثم قال الزمخشري فان قلت ما معنى
يذروكم في هذا التدبير وهلا قيل يذروكم به قلت جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث
والتكثير الا تراك تقول للحيوان في خلق الازواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حياة
وقيل الفا للسببية كالبا اي يكثركم بسببه والضمير يعود للجعل او للمخلوق وقيل يذروكم فيه
اي يخلقكم في الرحم وقيل في البطن قوله ليس كمثله شي في هذه الاية اوجه اشهرها ان الكاف
زايدة في خبر ليس وشي اسمها والتقدير ليس شي مثله قالوا ولولا ادعا زيادتها للزم ان يكون
له مثل وهو محال اذ يصير التقدير على اصالة الكاف ليس مثل مثله شي فينفي المماثلة عن
مثله فيثبت ان له مثلا لا مثل لذلك المثل وهذا محال تعالى الله عن ذلك وقال ابو البقا

ولولم تكن زايدة لافضى ذلك الى المحال اذ كان يكون المعنى له مثلا وليس لمثله مثل وفي
ذلك تناقض لانه اذا كان له مثل فلمثله مثل وهو هو مع ان اثبات المثل لله تعالى محال
وهذه طريقة حسنة في تقدير زيادة الكاف وفيها حسن صناعة الثاني ان مثل هي الزايدة
كزيادتها في قوله تعالى بمثل ما امنتم به قال الطبري • وصاليات ككما يوثفين • وفي قوله
فصيروا مثل كعصف ماكول وهذا ليس بجيد لان زيادة الاسما ليست بجايزة وايضا يصير
التقدير ليس كهو شي ودخول الكاف على الضماير لا يجوز الا في شعر الثالث ان العرب
تقول مثلك لا يفعل كذا يعنون المخاطب نفسه لانهم يريدون المبالغة في نفي الوصف
على المخاطب فينفونها في اللفظ عن مثله فيثبت انتفاوها عنه بدليلها ومنه

قول الشاعر • على مثل ليلى يقتل المر نفسه • وان بات من ليلى على الناس طاويا •
وقال اوس بن حجر • ليس كمثل الفتى زهير • خلق يوازيه في الفضايل •
وقال اخر • وقتلى كمثل جذوع النخل • يغشاهم مسبل منهمر •
وقال اخر • سعد بن زيد اذا ابصرت فضلهم • فما كمثلهم في الناس من احد •

قال ابن قتيبة العرب تقيم المثل مقام النفس فتقول مثلي لا يقال له هذا اي انا لا يقال
لي مثل ونسبة المثل الى من لا مثل له قولك فلان يده مبسوطة تريد انه جواد ولا نظر في الحقيقة
الى اليد حتى تقول ذلك لمن لا يد له كقوله بل يداه مبسوطتان الرابع ان يراد بالمثل الصفة
وذلك ان المثل بمعنى المثل والمثل الصفة كقوله مثل الجنة فيكون المعنى ليس مثل صفته تعالى
شي من الصفات التي لغيره **فصل** قال ابن عباس معناه ليس له نظير وهو السميع
البصير اي سامعا للمسموعات بصيرا للمرئيات فان قيل قوله وهو السميع البصير يفيد الحصر فما
معنى هذا الحصر مع ان العباد ايضا موصوفون بكونهم سميعين بصيرين فالجواب السميع البصير
لفظان مشعران بحصول هاتين الصفتين على سبيل الكمال والكمال حاصل في كل الصفات ليس الا
لله فهذا هو المراد من هذا الحصر قوله له مقاليد السموات والارض اي مفاتيح الرزق
في السموات والارض قال المفسرون مفاتيح السموات الامطار ومقاليد الارض النبات وتقدم
الكلام على المقاليد في الزمر يبسط الرزق لمن يشا ويقدر تقدم الكلام لان مفاتيح الارزاق
بيده انه على كل شي من البسط والتقدير عليم قوله شرع لكم من الدين الاية لما عظم وحيه
الى محمد عليه السلام بقوله كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ذكر في هذه
الاية تفصيل ذلك فقال شرع لكم من الدين ما وصي به نوحا اي بين لكم من الدين يا اصحاب
محمد ما وصي به نوحا وهو اول انبيا الشريعة قال مجاهد اوصيناك واياه يا محمد دينا واحدا
والذي اوحينا اليك من القران وشرايع الاسلام وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى وانما خص
هولا الانبيا الخمسة بالذكر لانهم اكابر الانبيا واصحاب الشرايع العظيمة والاتباع الكثيرة واختلفوا
في الموصي به فقال قتادة تحليل الحلال وتحريم الحرام وقال الحكم تحريم الامهات والبنات
والاخوات وقال مجاهد لم يبعث الله نبيا الا وصاه باقام الصلاة وايتا الزكاة والاقرار لله
بالطاعة فذلك دينه الذي شرع لهم وقيل هو التوحيد والبراة من الشرك وقيل هو ما ذكر
من بعد في قوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه بعث الانبيا كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة
وترك الفرقة والمخالفة **فصل** قال ابن الخطيب في لفظ الاية اشكالات احدها
قال في اول الاية ما وصي به نوحا وفي اخرها وما وصينا به ابراهيم وفي الوسط والذي اوحينا
اليك فما فايدة هذا التفاوت وثانيها ذكر نوحا على سبيل الغيبة فقال ما وصي به نوحا
فقال وما وصينا به ابراهيم وثالثها تقدير الاية شرع الله لكم من الدين الذي اوحينا
اليك وهذا يقتضي الجمع بين خطاب الغيبة وخطاب الحضور في الكلام الواحد بالاعتبار
الواحد وهو مشكل وهذه مضايق يجب البحث عنها والعموم ما دار واحوالها بالجملة واعلم
ان المقصود من الاية ان يقال شرع لكم من الدين دينا تطابقت الانبيا على صحته فيجب
ان يكون المراد من هذا الدين شيا مغايرا للتكاليف والاحكام لانها مختلفة متفاوتة
قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فوجب ان يكون المراد منه الامور التي
لا تختلف باختلاف الشرايع وهو الايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر

واصول

واصول الدين **فصل** استدل بعضهم بقوله شرع لكم من الدين ما وصي به نوحا
على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في اول الامر كان متعبدا بشريعة نوح عليه السلام واجيب
بانه عطف عليه ساير الانبيا فدل ذلك على ان المراد هو الاخذ بالشريعة المتفق عليها بين الكل
قوله ان اقيموا يجوز فيه اوجه احدها ان تكون مصدرية في محل رفع على انه خبر ابتداء
مضمر كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين المشروع توحيد الله الثاني انها في محل
نصب بدلا من الموصول كانه قيل شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا توحيد الله الثالث انها في
محل جر بدلا من الدين الرابع انها في محل جر ايضا بدلا من الها الخامس ان تكون مفسرة لانه قد
تقدمها ما هو بمعنى القول قوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه من التوحيد ورفض الاوثان
قوله الله يجتبي اي يصطفي اليه من يشا ويهدي اليه من يشا يصطفي لدينه من عباده من يشا
ويهدي اليه من ينيب يقبل الى طاعته والاجتبا يدل على الضم ومنه جبر الخراج واجتبا الما في الحوض
فقوله الله يجتبي اي يضم اليه ويقربه منه تقريب الاكرام والرحمة **فصل** احتج نفاة
القياس بهذه الاية فقالوا انه تعالى اخبر بان اكابر الانبيا اطبقوا على انه يجب اقامة الدين بحيث
لا يفضي الى الاختلاف والنزاع والله تعالى ذكر في معرض المنة على عباده ان ارشدهم الى الدين
الخالي عن التفرق والمخالفة ومعلوم ان فتح باب القياس يفضي الى اعظم انواع التفرق
والمنازعة فان الحس شاهد بان هولا الذين بنوا دينهم على القياس تفرقوا تفرقا لا رجا
في حصول الاتفاق بينهم الى قيام القيمة فوجب ان يكون ذلك محرما **فصل** اعلم انه
تعالى لما بين انه امر كل الانبيا والامم بالاخذ بالدين المتفق عليه كان لقايل ان يقول فلما ذا
نجدهم متفرقين فاجاب بقوله وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم يعني انهم ما
تفرقوا الا من بعد ما ان علموا ان الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وطلب الرياسة
فحملتهم الحمية النفسانية الطبيعية على ان ذهبت كل طايفة الى مذهب ودعوا الناس اليه
وقبحوا ما سواه طلبا للذكر والرياسة فصار ذلك سببا لوقوع الاختلاف ثم اخبر تعالى انهم
استحقوا العذاب بسبب هذا الفعل الا انه تعالى اخر عنهم ذلك العذاب لان لكل عذاب
عنده اجلا مسمى اي وقتا معلوما وهذا معنى قوله ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى
لقضي بينهم والاجل المسمى قد يكون في الدنيا وقد يكون في الاخرة واختلفوا في الذين
ارادوا بهذه الصفة فقال ابن عباس والاكثرون هم اليهود والنصارى لقوله تعالى في
ال عمران وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقوله في
سورة لم يكن وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وقيل هم العرب
وهذا باطل لما تقدم ولا قوله تعالى بعد هذه الاية وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم
المراد بهم اهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله من بعدهم
اي من بعد انبيايهم وقيل من بعد الامم الخالية لفي شك منه اي من كتابهم وقيل من محمد
صلى الله عليه وسلم مريب صفة لشك اي لا يومنون به حق الايمان قوله اورثوا قرا
زيد بن علي ورثوا بالتشديد مبنيا للمفعول قوله فلذلك فادع في اللام وجهان احدهما
ان يكون بمعنى الى اي فالى ذلك الدين فادع واستقم وهو الاتفاق على الملة الحنيفية واستقم
عليها اي اثبت على الدين الذي امرت به كما امرك الله ولا تتبع اهواهم المختلفة الباطلة
والثاني انها للعلة اي لاجل هذا التفرق والاختلاف ادع للدين القيم وقل امنت بما انزل
الله من كتاب اي باي كتاب صح ان الله انزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة قوله وامرت
لاعدل يجوز ان يكون التقدير وامرت بذلك لاعدل بينكم في الحكم وقيل وامرت ان اعدل
فاللام مزيدة وفيه نظر لانك بعد زيادة اللام تحتاج الى تقدير حرف جر اي بان اعدل
فصل قال القفال معناه ان ربي امرني ان لا افرق بين نفسي ونفسك بان امرك
بما لا اعلمه او اخالفكم الى ما انهاكم عنه لكني اسوي بينكم وبين نفسي وكذلك اسوي بين
اكابركم واصاغركم في الحكم وقيل معناه لا احيف عليكم باكثر مما فرض الله عليكم من الاحكام
قوله الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني الاله واحد وان اختلفت اعمالنا
فكل مجازى بعمله لا حجة لا خصومة بيننا وبينكم نسختها اية القتال واذا امر بالقتال

وامر بالدعوة لم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة قال ابن الخطيب معنى الاية ان الله
الكل واحد وكل واحد مخصوص بعمل نفسه فوجب ان يشتغل كل واحد في الدنيا بنفسه
فان الله يجمع بين الكل يوم القيمة ويجازيه على عمله فان قيل كيف يليق بهذه المتاركة
ما فعل بهم من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والاجلا فالجواب هذه المتاركة
كانت مشروطة بشرط ان تقبلوا الدين المتفق على صحته بين كل الانبيا ودخل فيه التوحيد
وترك عبادة الاصنام والاقرار بنبوة الانبيا وبصحة البعث والقيمة فلما لم يقبلوا هذا
الدين فحينئذ فات الشرط ويفوت المشروط واعلم ان قوله تعالى لا حجة بيننا وبينكم يجري
مجرى محاجتهم بدليل ان هذا الكلام مذكور في معرض المحاجة فلو كان المراد من هذه
الاية تحريم المحاجة لم يكونوا محرمة لنفسها وهو متناقض وايضا لولا الادلة لما
توجه التكليف وايضا ان الدليل يفيد العلم وذلك لا يمكن تحريمه بل المراد ان القوم عرفوا
بالحجة صدق محمد صلى الله عليه وسلم وانما تركوا التصديق عنادا فبين تعالى انه حصل
الاستغناء عن محاجتهم لانهم عرفوا صدقه فلا حاجة معهم الى المحاجة البتة ومما يقوي
عدم تحريم المحاجة قوله وجادلهم بالتي هي احسن وقوله ادع الى ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وقوله ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وقوله يا نوح قد جادلتنا
فاكثرت جدالنا وقوله وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه قوله والذين يحاجون
مبتدا وحجتهم مبتدا ثان وداحضة خبر الثاني والثاني وخبره خبر الاول واعرب مكي
حجتهم بدلا من الموصول بدل اشتمال والهاء في له تعود على الله وعلى الرسول عليه السلام
اي من بعد ما استجاب الناس لله او من بعد ما استجاب الله لرسوله حين دعا على قومه
وقال ابن الخطيب تعود على الدين او من بعد ما استجاب الله لذلك الدين **فصل**
المعنى والذين يخاصمون في دين الله نبيه قال قتادة هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم
ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم من بعد ما استجاب له الناس فاسلموا
ودخلوا في دينه لظهور معجزته حجتهم داحضة خصومتهم باطلة عند ربهم قال
ابن الخطيب تلك المخاصمة هي ان اليهود قالوا الستم تقولون ان الاخذ بالمتفق عليه
اولى بالاخذ من المختلف فيه فنبوة موسى عليه السلام وحقيقة التوراة معلومة بالاتفاق
ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ليست متفقا عليها فوجب الاخذ باليهودية فبين تعالى
فساد هذه الحجة وذلك لان اليهود اجمعوا على انه انما وجب الايمان لموسى عليه السلام
لاجل المعجزات على قومه وههنا ظهرت المعجزات على وفق قول محمد صلى الله عليه وسلم
واليهود شاهدوا تلك المعجزات فان كان ظهور المعجزة يدل على الصدق فههنا يجب
الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان كان لا تدل على الصدق وجب في حق موسى
ان لا يقروا بنبوته بظهور المعجزات لانه يكون متناقضا ولما قرر تعالى هذه الدلايل خوف
المنكرين بعذاب يوم القيمة فقال وعليهم غضب ولهم عذاب شديد في الاخرة
قوله الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان قال قتادة ومجاهد ومقاتل سمي العدل
ميزانا لان الميزان الة الانصاف والتسوية قال ابن عباس امر الله تعالى بالوفا
ونهى عن البخس ومعنى الاية انه تعالى انزل الكتاب المشتمل على الدلايل والبينات
وانزل الميزان هو الفصل الذي هو القسطاس المستقيم وانهم لا يعلمون ان القيمة حق
فجاتهم ومتى كان الامر كذلك وجب على العاقل ان يجتهد في النظر والاستدلال ويترك
طريقة اهل الجهل والتقليد ولما كان الرسول عليه السلام يهددهم بيوم القيمة ولم يروا
لذلك اثرا قالوا على سبيل السخرية متى تقوم الساعة وليتها قامت حتى يظهر لنا الحق
اهو الذي نحن عليه ام الذي عليه محمد واصحابه قوله لعل الساعة قريب انما ذكر
قريب وان كان صفة لمونث لان الساعة في معنى الوقت او البعث او على معنى النسب
اي ذات قرب او على حذف مضاف اي مجي الساعة وقيل للفرق بينها وبين قرابة النسب
وقيل لان تانيثها مجازي نقله مكي وليس بشي اذ لا يجوز الشمس طالع ولا القدر فاير
وجملة الترجي او الاشفاق معلقة للدراية وتقدم مثله اخر الاحزاب

قال

قال مقاتل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا
مستهزئين متى تكون الساعة فانزل الله هذه الاية يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها
ظنا منهم انها غير اتية والذين امنوا مشفقون خايفون منها ويعلمون انها الحق اي انها
اتية لا ريب فيها ثم قال الا ان الذين يمارون يخاصمون وقيل تدخلهم المرية والشك في وقوع
الساعة لفي ضلال بعيد لان استيفا حق المظلوم من الظالم واجب في العدل فلو لم تحصل القيمة
لزم اسناد الظلم الى الله عز وجل وهذا من امحل المحالات فلا جرم كان انكار القيمة ضلالا
بعيدا قوله تعالى الله لطيف بعباده قال ابن عباس حفي بهم وقال عكرمة بار بهم
وقال السدي رفيق بهم وقال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم
بدليل قوله يرزق من يشا فكل من رزقه الله من مومن وكافر وذي روح فهو ممن يشا الله
ان يرزقه قال جعفر الصادق اللطيف في الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقك من
الطيبات والثاني انه لم يدفعه اليك مرة واحدة وهو القوي القادر على كل ما يشا العزيز
الذي لا يغالب **فصل** انما حسن ذكر هذا الكلام ههنا لانه انزل عليهم الكتاب
المشتمل على هذه الدلايل اللطيفة فكان ذلك من لطف الله بعباده وايضا فالمتفرقون
استوجبوا العذاب الشديد ثم انه تعالى اخر عنهم ذلك العذاب فكان ذلك ايضا من لطف
الله تعالى فلما سبق ايصال اعظم المنافع اليهم ودفع اعظم المضار عنهم لا جرم حسن
ذكره ههنا قوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه الاية الحرث في اللغة الكسب
اي من كان يريد بعمله الاخرة نزد له في حرثه بالتضعيف بالواحدة عشرة الى ما شا الله
من الزيادة قاله مقاتل وقيل معناه انا نزيد في توفيقه واعانته وتسهيل سبل
الخيرات والطاعات عليه وقال الزمخشري انه تعالى سمى ما يعمله العامل مما يطلب به
الفايدة حرثا على سبيل المجاز واعلم انه قد تقدم ان كون الشرط ماضيا والجزا مضارعا
مجزوما لا يختص مجيئه بكان خلافا لابي الحكم مصنف كتاب الاعراب فانه قال لا يجوز ذلك
الا مع كان الا في ضرورة شعر واطلق النحويون جواز ذلك وانشدوا بيت الفرزدق
• دست رسولا بان القوم ان قدروا • عليك يشفوا صدورا ذات توغير •
وقوله ايضا • تعش فان عاهدتني لا تخونني • نكن مثل من يا ذيب يصطحبان •
وقرا ابن مقسم والزعفراني ومحبوب يزد ونوته بالياء من تحت اي الله تعالى وقرا
سلام نوته بضم هاء الكناية وهو الاصل وهو لغة الحجاز وتقدم خلاف القراء في ذلك
فصل قال قتادة معنى قوله ومن كان يريد حرث الدنيا اي يريد بعمله حرث
الدنيا نوته منها اي نوته بقدر ما قسم له كما قال عجلنا له فيها ما نشا وما له في الاخرة
من نصيب لانه لم يعمل للاخرة قال عليه السلام بشر هذه الامة بالسنا والرفعة والنصر
والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الاخرة للدنيا لم يكن له في الاخرة نصيب واعلم انه تعالى
قال في طالب الاخرة انه نزد له في حرثه ولم يذكر انه يعطيه الدنيا ام لا بل سكت عنه نفيا
واثباتا واما طالب الدنيا فبين انه لا يعطيه شيا من نصيب الاخرة على النص وهذا
يدل على التفاوت العظيم كانه يقول الاخرة اصل والدنيا تبع فواجد الاصل يكون واجدا
للتبع بقدر الحاجة الا انه لم يذكر الاخرة وايضا بين ان طالب الاخرة يزاد في مطلوبه
وطالب الدنيا يعطى بعض مطلوبه ولا يحصل له في الاخرة من نصيب البتة فبين ان طالب
الاخرة يكون حاله ابدا في التزايد وان طالب الدنيا يكون حاله في النقصان والبطلان
في الاخرة وذلك يدل على تفضيل طلب الاخرة وايضا فانه تعالى بين ان منافع الاخرة
ومنافع الدنيا ليست حاضرة ناجزة بل لا بد فيهما من الحرث والحرث لا يتاتى الا بتحمل المشاق
في البذر ثم السقي والتنمية ثم الحصد ثم التنقية فلما سمى الله كلا القسمين حرثا علمنا
ان كل واحد منهما لا يحصل الا بتحمل المشاق والمتاعب ثم بين تعالى ان مصير الاخرة الى
الزيادة والكمال وان مصير الدنيا الى النقصان والفنا فكانه قيل اذا كان لا بد في
القسمين من متاعب الحراثة من السقي والتنمية والحصد والتنقية فصرف هذه
المتاعب الى ما يكون في التزايد الباقي اولى من صرفها الى ما يكون في التناقص والانقضا

فصل قال ابن الخطيب فان قيل ظاهر اللفظ يدل على انه من صلي لاجل طلب الثواب او لاجل دفع العقاب فانه تصح صلاته واجمعوا على انها لا تصح فالجواب انه تعالى قال من كان يريد حرث الاخرة والحرث لا يتاتي الا بالقا البذر الصحيح في الارض والبذر الصحيح الجامع للخيرات والسعادات ليس الا عبودية الله سبحانه وتعالى **فصل** اذا اوصينا بعبرتيه لم تصح لانه لم يرد حرث الاخرة وذلك لا يحصل بالوصول العاري عن النية قوله تعالى ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين الاية لما بين القانون الاعظم في اعمال الاخرة والدنيا اردفه ببيان ما هو الاصل في باب الضلالة والشقاوة فقال ام لهم شركاء شرعوا لهم ومعنى الهمزة في ام للتقرير والتقريع والضمير في شرعوا يجوز ان يكون عايدا على الشركاء والضمير في لهم على الكفار ويجوز العكس انهم جعلوا لهم ايضا والمعنى شركاء وهم اي شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم وانما اضيفت اليهم لانهم هم الذين اتخذوها شركا لله ولما كانت سببا لضلالتهم جعلت شارعة لدين ضلالتهم كما قال ابراهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس قال المفسرون يعني كفار مكة اي الهتهم سنوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله قال ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام قوله ولولا كلمة الفصل اي لولا القضا السابق بتاخير الجزاء او ولولا الوعد بان الفصل يكون بينهم يوم القيمة لقضي بينهم اي بين الكافرين والمومنين او بين المشركين وشركائهم قوله وان الظالمين العامة بكسر ان على الاستيناف ومسلم بن جندب والاعرج بفتحها عطفا على كلمة الفصل وفصل بين المتعاطفين بجواب لولا تقديره ولولا كلمة واستقرار الظالمين في العذاب لقضي بينهم في الدنيا وهو نظير ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى ثم انه تعالى ذكر احوال اهل العقاب واحوال اهل الثواب اما الاول فهو قوله ترى الظالمين مشفقين اي ترى المشركين يوم القيمة خايفين وجلين مما كسبوا من السيات وهو واقع بهم اي جزاء كسبهم واقع بهم سواء شفقوا او لم يشفقوا واما الثاني وهو احوال اهل الثواب فهو قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات قال ابو حيان اللغة الكثيرة تسكين واو روضات ولغة هذيل فتح الواو اجراها مجرى الصحيح نحو جفنات ولم يقرا احد فيما علمناه بلغتهم قال شهاب الدين ان عني لم يقرا احد بلغتهم في هذا الباب من حيث هو فليس كذلك لما تقدم في سورة النور ان الاعمش قرا ثلاث عورات بفتح الواو وان عني انه لم يقرا في روضات بخصوصها فقريب لكن ليس هو ظاهر عبارته **فصل** اعلم ان روضة الجنة اطيب بقعة فيها وفيه تنبيه على ان الفساق من اهل الصلاة كلهم من اهل الجنة لانه خص الذين امنوا وعملوا الصالحات بانهم في روضات الجنات وفي البقاع الشريفة من الجنة فالبقاع التي دون تلك الروضات لا بد وان تكون مخصوصة بمن كان دون الذين امنوا وعملوا الصالحات ثم قال لهم ما يشاؤون عند ربهم وهذا يدل على ان تلك الاشيا حاضرة عنده مهياة والعندية مجاز وعند ربهم يجوز ان يكون ظرفا ليشاؤون قاله الحوفي او للاستقرار العامل في لهم قاله الزمخشري ثم قال ذلك هو الفضل الكبير وهذا يدل على ان الجزا المرتب على العمل انما حصل بطريق الفضل من الله تعالى لا بطريق الوجوب والاستحقاق قوله ذلك الذي يبشر الله عباده كقوله كالذي خاضوا وقد تقدم تحقيقه وتقدمت القراات في يبشر وقرا مجاهد وحميد بن قيس يبشر بضم اليا وسكون البا وكسر الشين من ابشر منقولا من بشر بالكسر لا من بشر بالفتح لانه متعد والتشديد في بشر للتكثير لا للتعدية لانه متعد بدونها ونقل ابو حيان قرا يبشر بفتح اليا وضم الشين عن حمزة والكساي من السبعة ولم يذكر غيرهما من السبعة وقد وافقهما على ذلك ابن كثير وابو عمرو وذلك مبتدا والموصول بعده خبره وعايده محذوف على التدريج المذكور في قوله كالذي خاضوا اي يبشره على الاتساع واما على راي يونس فلا يحتاج الى عايد لانها عنده مصدرية وهو قول الفرا ايضا اي ذلك تبشير الله عباده وذلك اشارة الى ما اعده الله لهم من الكرامة وقال الزمخشري

اوذلك التبشير الذي يبشر الله عباده قال ابو حيان وليس بظاهر اذ لم يتقدم في هذه السورة لفظ البشرى ولا ما يدل عليها من بشره او يبشره **فصل** هذه الايات دالة على تعظيم حال الثواب من وجوه الاول ان الملك الذي هو اعظم الموجودات واكرمهم اذا رتب على اعمال شاقة جزاء دل ذلك على ان ذلك الجزا قد بلغ الى حيث لا يعلم كنهه الا الله تعالى الثاني ان قوله تعالى لهم ما يشاؤون يدخل في باب غير المتناهي لانه لا درجة الا والانسان يريد ما هو اعلا منها الثالث انه تعالى قال ذلك هو الفضل الكبير والذي يحكم بكبره من له الكبريا والعظمة على الاطلاق يكون في غاية الكبر واعلم انه تعالى لما اوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب الشريف واودع فيه اقسام الدلايل والتكاليف ورتبه على الطاعة والثواب وامر بتبليغه الى الامة امره بان يقول لا اطلب منكم بسبب هذا التبليغ نفعا حاضرا فقال قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى في هذا الاستثنا قولان احدهما انه منقطع اذ ليست المودة من جنس الاجر والثاني انه متصل اي لا اسالكم عليه اجرا الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتي ولم يكن هذا اجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المودة قاله الزمخشري وقال ايضا فان قلت هلا قيل الا مودة القربى او الا المودة للقربى قلت جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في ال فلان مودة وليست في صلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها وقال ابو البقا وقيل متصل اي لا اسالكم شيا الا المودة قال شهاب الدين وفي تاويله متصلا بما ذكر نظر لمجيئه بشي الذي هو عام وما من استثنا منقطع الا ويمكن تاويله بما ذكر الا ترى الى قولك ما جاني احد الا حمارا ان يصح ما جاني شي الا حمارا وقرا زيد بن علي مودة دون الف ولام **فصل** في الاية ثلاثة اقوال الاول قال الشعبي اكثر الناس علينا في هذه الاية فكتبنا الى ابن عباس نسايله عن ذلك فكتب ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وسط النسب من قريش ليس بطن من بطونهم الا وقد ولده وكان له فيهم قرابة فقال الله عز وجل قل لا اسالكم عليه اجرا على ما ادعوكم اليه الا ان تودوني لقرابتي اي تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة والمعنى انكم قومي واحق من اجابني واطاعني فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى وصلوا رحمي ولا توذوني والى هذا ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدي والضحاك الثاني روى الكلبي عن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كانت تنوبه نوايب وحقوق وليس في يده سعة فقالت الانصار ان هذا الرجل هداكم وهو ابن اختكم وجاركم في بلدكم فاجمعوا له طايفة من اموالكم ففعلوا ثم اتوه بها فردها عليهم ونزل قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى اي على الايمان الا ان تودوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم قاله سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب الثالث قال الحسن معناه الا ان تودوا الله وتتقربوا اليه بالطاعة والعمل الصالح ورواه ابن ابي نجيح عن مجاهد فالقربى على القول الاول القرابة التي بمعنى الرحم وعلى الثاني بمعنى الاقارب وعلى الثالث فعلى من القرب والتقرب فان قيل طلب الاجر على تبليغ الوحي لا يجوز لوجوه احدها انه تعالى حكى عن اكثر الانبيا التصريح بنفي طلب الاجر فقال في قصة نوح عليه السلام وما اسالكم عليه من اجر الاية وكذا في قصة هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام ورسولنا افضل الانبيا فبان لا يطلب الاجر على النبوة والرسالة اولى وثانيها انه عليه السلام صرح بنفي طلب الاجر فقال قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقال قل ما سالتكم من اجر فهو لكم وثالثها ان التبليغ كان واجبا عليه قال تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك الاية وطلب الاجر على ادا الواجب لا يليق باقل الناس فضلا عن اعلم العلما ورابعها ان النبوة افضل من الحكمة وقد قال تعالى ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ووصف الدنيا بانها متاع قليل فقال قل متاع الدنيا قليل فكيف يحسن بالعقل مقابلة اشرف الاشيا باخس الاشيا وخامسها ان طلب الاجر يوجب التهمة وذلك ينافي القطع بصحة النبوة فثبت بهذه الوجوه انه لا يجوز من النبي صلى الله عليه وسلم ان يطلب اجرا البتة على التبليغ والرسالة وههنا قد ذكر ما يجري مجرى طلب الاجر وهو المودة في القربى

فالجواب انه لا نزاع في انه لا يجوز طلب الاجر على التبليغ واما قوله الا المودة في القربى فالجواب
عنه من وجهين الاول ان هذا من باب قوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ❊ بهن فلول من قراع الكتايب

يعني انا لا اطلب منكم الا هذا وهذا في الحقيقة ليس اجرا لان حصول المودة بين المسلمين امر
واجب قال تعالى والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض وقال عليه السلام المومنون كالبنيان يشد بعضه بعضا والايات والاخبار في هذا كثيرة واذا كان حصول المودة بين
المسلمين واجب فحصولها في حق اشرف المسلمين اولى فقوله الا المودة في القربى تقديره والمودة
في القربى ليست اجرا فرجع الحاصل الى انه لا اجر البتة الثاني ان هذا استثنا منقطع وتم الكلام
عند قوله لا اسيلكم عليه اجرا ثم قال الا المودة في القربى اي اذكركم قرابتي منكم فكانه في اللفظ اجر وليس
باجر

فصل اختلفوا في قرابته فقيل هم فاطمة وعلي وابناهما رضوان الله تعالى عليهم
وفيهم نزل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وروي زيد بن ارقم عن
النبي صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله سبحانه وتعالى واهل بيتي اذكركم الله
في اهل بيتي قيل لزيد بن ارقم رضي الله عنه من اهل بيته قال هم ال علي وال عقيل وال جعفر
والعباس رضي الله عنهم وروي عن عمر بن ابي بكر رضي الله عنهما قال ارقبوا محمدا صلى الله عليه
وسلم في اهل بيته وقيل هم الذين تحرم عليهم الصدقة من اقاربه ويقسم فيهم الخمس وهم بنو هاشم
وبنو المطلب الذين لم يفترقوا في جاهلية ولا اسلام وقيل هذه الاية منسوخة واليه ذهب الضحاك
ابن مزاحم والحسين بن الفضل قال البغوي وهذا قول غير مرضي لان مودة النبي صلى الله عليه
وسلم وكف الاذا عنه ومودة اقاربه والتقرب الى الله بالطاعة والعمل الصالح من فرايض الدين
قوله تعالى ومن يقترف حسنة اي من يكتسب طاعة نزد له فيها حسنا العامة على نزد بالنون
وزيد بن علي وعبد الوارث عن ابي عمرو يزد بالياء من تحت اي يزد الله والعامة حسنا بالتنوين
مصدر على فعل نحو شكر وهو مفعول وعبد الوارث عن ابي عمرو حسنى بالف التانيث على وزن
بشرى ورجعى وهو مفعول به ويجوز ان تكون صفة كفضلى فيكون وصف المحذوف اي خصلة
حسنى قيل نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق رضي الله عنه والظاهر العموم في اي حسنة
كانت الا انها لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القربى دل ذلك على ان المقصود التاكيد في تلك
المودة ثم قال سبحانه وتعالى ان الله غفور شكور للقليل حتى يضاعفها والشكور في حق
الله تعالى مجاز والمعنى انه تعالى يحسن للمطيعين في ايصال الثواب اليهم وفي ان يزيد
عليه انواعا كثيرة من التفضيل قوله تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا اعلم ان الكلام
ابتدا من اول هذه السورة في تقرير ان هذا الكتاب انما حصل بوحي الله تعالى فقال
كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم واتصل الكلام في تقرير هذا
المعنى وتعلق بعضه ببعض الى ههنا فحكى ههنا شبهة القوم وهي قولهم ان هذا ليس وحيا
من الله تعالى ام يقولون افتراه قال الزمخشري رحمه الله ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه
للتوبيخ والمعنى ايقع في قلوبهم ويجري في السنتهم ان ينسبوا مثله الى الافترا على الله
الذي هو افحش الانواع وافحشها ثم اجاب عنه بان قال فان يشا الله يختم على قلبك
قال مجاهد يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم وقولهم انه مفتر كذاب
وقال قتاده يعني يطبع على قلبك فينسيك القرءان وما اتاك فاخبرهم انه لو افترى على
الله كذبا لفعل به ما اخبر في هذه الاية اي انه لا يجتري على افترا الكذب الا من كان في هذه
الحالة والمقصود من هذا الكلام المبالغة في تقرير الاستبعاد ومثاله ان ينسب رجل
بعض الامنا الى الخيانة فيقول الامين ذلك لعل الله خذلني لعل الله اعمى قلبي وهو لا يريد
اثبات الخذلان وعمى القلب لنفسه وانما يريد استبعاد صدور الخيانة عنه قوله تعالى
ويمح الله الباطل هذا استانف غير داخل في جزا الشرط لانه تعالى يمحو الباطل مطلقا
وسقطت الواو منه لفظا لالتقا الساكنين في الدرج وخطا حملا للخط على اللفظ كما
كتبوا سندع الزبانية عليه ولكن ينبغي ان لا يجوز الوقوف على هذا لانا ان وقفنا عليه
بالاصل وهو الواو خالفنا خط المصحف وان وقفنا بغيرها موافقة للرسم خالفنا الاصل

وتقدم

وتقدم بحث مثل هذا وقد منع مكي الوقف على نحو ومن نون السيات وقال الكسايي فيه تقديم
وتاخير مجازه والله يمحو الباطل وهو في محل رفع ولكنه حذفت منه الواو في المصحف على اللفظ
كما حذفت من قوله ويدع الانسان وسندع الزبانية

فصل اخبر تعالى ان ما يقولونه
باطل يمحوه الله ويحق الحق اي الاسلام بكلماته اي بما انزل من كتاب وقد فعل الله ذلك محى باطلهم
واعلى كلمة الاسلام انه عليم بما في صدرك وصدورهم قال ابن عباس رضي الله عنه لما نزلت
قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقع في قلوب قوم منها شي وقالوا يريد ان يحثنا على
اقاربه من بعده فنزلت جبريل فاخبره انهم اتهموه فانزل الله هذه الاية فقال القوم يا رسول الله
فانا نشهد انك صادق فنزل وهو الذي يقبل التوبة عن عباده قال ابن عباس يريد اولياه
واهل طاعته قال الزمخشري يقال قبلت منه الشي وقبلته عنه عزلته عنه وابنته عنه

فصل
قيل التوبة ترك المعاصي نية وفعلا والاقبال على الطاعة نية وفعلا وقال سهل بن عبد الله
التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة وقيل الندم على الماضي والترك
في الحال والعزم على ان لا يعود اليه في المستقبل روي جابر ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له علي
رضي الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين فقال يا امير المومنين ما التوبة
قال اسم يقع على ستة اشيا على الماضي من الذنوب والندامة ولتضييع الفرايض والاعادة
ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما انميتها في المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما
اذقتها حلاوة المعصية والبكا بدل على ضحك ضحكته قالت المعتزلة يجب على الله تعالى عقلا
قبول التوبة وقال اهل السنة لا يجب على الله تعالى شي وكلما يفعله فهو كرم وفضل واحتجوا
بهذه الاية فقالوا انه تعالى يمدح بقبول التوبة ولو كان ذلك القبول واجبا لما حصل
المدح العظيم الا ترى ان من مدح نفسه بان لا يضرب الناس ظلما كان ذلك مدحا قوله
تعالى ويعفوا عن السيات اما ان يكون المراد منه ان يعفوا عن الكباير بعد التوبة او
المراد منه ان يعفوا عن الصغاير او المراد ان يعفوا عن الكباير قبل التوبة والاول باطل والا
لصار قوله تعالى ويعفوا عن السيات عين قوله وهو الذي يقبل التوبة عن عباده والتكرار
خلاف الاصل والثاني ايضا باطل لان ذلك واجب واداء الواجب لا يمدح به فبقي القسم
الثالث فيكون المعنى انه تارة يعفوا بواسطة قبول التوبة وتارة يعفوا ابتداء من غير
توبة

فصل روي انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الله اشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم كان هو وراحلته بارض فلاة
فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع في ظلها قد ايس من
راحلته فبينما هو كذلك اذ هو بها قايمة عنده فاخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح
اللهم انت عبدي وانا ربك اخطا من شدة الفرح قوله تعالى ويعلم ما يفعلون قرا الاخوان
وحفص يفعلون بالياء من تحت نظرا الى قوله عن عباده وقال بعده ويزيدهم من فضله
والباقون بالخطاب اقبالا على الناس عامة وهو خطاب للمشركين قوله تعالى ويستجيب
الذين امنوا يجوز ان يكون الموصول فاعلا اي يجيبون ربهم اذا دعاهم كقوله تعالى استجيبوا
لله وللرسول اذا دعاكم واستجاب كاجاب ومنه

وداع دعا يا من يجيب الى الندا ❊ فلم يستجبه عند ذاك مجيب

ويجوز ان يكون الموصول مفعولا به والفاعل مضمر يعود على الله بمعنى ويجيب الله الذين
امنوا اي دعاهم وقيل ثم لام مقدرة اي ويستجيب الله للذين امنوا فحذفها للعلم بها كقوله
تعالى واذا كالوهم قال عطا عن ابن عباس رضي الله عنه معناه ويثيب الله الذين امنوا
وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله سوى ثواب اعمالهم تفضلا منه وروي ابو صالح عنه
يشفعهم ويزيدهم من فضله قال في اخوان اخوانهم والكافرون لهم عذاب شديد قوله
تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده الاية قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه الاية
وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع وتمنيناها فانزل الله عز وجل
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض قال ابن عباس رضي الله عنه بغيهم

طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس ولكن ينزل ارزاقهم بقدر ما يشا
كما يشا نظرا منه لعباده وقرا ابن كثير وابو عمرو وينزل مشددة والباقون مخففة انه بعباده
خبير بصير روي انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل صلوات
الله عليه عن الله عز وجل في حديث طويل وفيه قال يقول الله عز وجل ما ترددت في شي انا
فاعله ترددي في قبض روح عبد المومن يكره الموت واكره مساته ولا بد له منه وان من عبادي
المومنين لمن يسالني الباب من العبادة فاكفه عنه لا يدخله العجب ويفسده ذلك وان من
عبادي المومنين لمن صالحي لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لفسده ذلك وان من عبادي
المومنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادي المومنين لمن لا يصلح
ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي المومنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم
ولو اصححته لافسده ذلك وذلك اني ادبر امر عبادي بعلمي بقلوبهم انه عليم خبير **فصل**
وجه انه تعالى لما قال في الاية الاولى انه يجيب دعا المومنين ورد عليه سوال وهو ان المومن
قد يكون في شدة وبلية وفقر ثم يدعو فلا يظهر اثر الاجابة فكيف الجمع بينه وبين قوله
تعالى ويستجيب الذين امنوا فاجاب تعالى عنه بقوله عز وجل ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا في الارض ولاقدموا على المعاصي فلذلك وجب ان لا يعطيهم ما طلبوه ويويده الحديث
المتقدم **فصل** قال الجبائي هذه الاية تدل على فساد قول المجبرة من وجهين
الاول انه تعالى لو بسط الرزق لبغوا في الارض والبغي في الارض غير مراد فعلمنا انه تعالى
لا يريد البغي في الارض وذلك يوجب فساد قول المجبرة الثاني انه تعالى انما لم يرد بسط
الرزق لانه يفضي الى المفسدة فلما بين تعالى انه لا يريد ما يفضي الى المفسدة فبان لا تكون
مريدا للمفسدة وكان اولى واجيب بان الميل الى البغي والقسوة والقهر صفة حدثت
بعد ان لم يكن فلا بد لها من فاعل وفاعل هذه الاحوال اما العبد او الله عز وجل والاول
باطل لانه انما يفعل هذه الاحوال لو مال طبعه اليها ويعاد السوال في انه من المحدث
لذلك الميل الثاني ويلزم التسلسل وايضا فالميل للظلم والقسوة وعيوب ونقصانات
والعاقل لا يرضى بتحصيل موجبات النقصان لنفسه ولما بطل هذا ثبت ان محدث هذا
الميل والرغبة هو الله تعالى ثم اورد الجبائي على نفسه سوالا فقال فان قيل اليس قد
بسط الله الرزق لبعض عباده مع انه يبغي واجاب عنه بان الذي يبسط له الرزق اذا
بغي كان معلوم من حاله انه يبقى على كل حال سوا اعطي ذلك الرزق او لم يعط قال ابن
الخطيب هذا الجواب فاسد ويدل عليه القران والعقل اما القران فقوله تعالى كلا ان
الانسان ليطغى ان راه استغنى حكم مطابق لكون حصول الغنى سبب لحصول الطغيان
واما العقل فهو ان النفس اذا كانت مائلة الى الشر فمع حصول الغنا يميل الى الشر اكثر
فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان **فصل** في كون بسط الرزق موجبا
للطغيان وجوه الاول ان الله تعالى لو سوى في الرزق بين الكل لامتنع كون البعض
محتاجا الى البعض وذلك يوجب خراب العالم وتعطيل المصالح الثاني ان هذه الاية
مختصة بالعرب فانه كلما اتسع رزقهم وجد وامن ما المطر ما يروي نعمهم ومن الكلا والعشب
ما يشبعهم اقدموا على النهب والغارة الثالث ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى
والقدرة وعاد الى مقتضى خلقته الاصلية وهو التكبر واذا وقع في شدة وبلية ومكروه
انكسر وعاد الى التواضع والعادة قوله وهو الذي ينزل الغيث اي المطر من بعد ما
قنطوا من بعد ما ييس الناس منه وانزال الغيث بعد القنوط ادعى الى الشكر لان الفرح
بحصول النعمة بعد البلية ثم قال الزمخشري قرى قنطوا بفتح النون وكسرها قال مقاتل
الله حبس المطر عن اهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم انزل الله المطر فذكرهم الله نعمه
قوله تعالى وينشر رحمته يبسط مطره كما قال تعالى وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين
يدي رحمته وهو الولي الحميد الولي الذي يتولى عباده باحسانه الحميد المحمود على ما يوصل
الى الخلق من الرحمة وقيل الولي لاهل طاعته الحميد عند خلقه قوله تعالى ومن
اياته خلق السموات والارض والحيوانات على وجود الاله الحكيم فان قيل كيف يجوز اطلاق

لفظ الدابة على الملايكة فالجواب فيه وجوه الاول انه قد يضاف الفعل الى جماعة
وان كان فاعله واحد منهم كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله واحد منهم ومنه قوله
عز وجل يخرج منهما اللولو والمرجان الثاني ان الدابة عبارة عما فيه والحركة والملايكة
لهم الروح والحركة الثالث لا يبعد ان يقال انه تعالى خلق في السموات انواعا من الحيوانات
يمشون مشي الاناس على الارض وروي العباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم راى فوق السما السابعة بحر بين اسفله واعلاه كما بين السما والارض ثم ذلك ثمانية
اوعال بين ركبتين واظلافهن كما بين السمائين فوق ذلك العرش الحديث قوله تعالى وما بث
يجوز ان تكون مجرورة المحل عطفا على السموات او مرفوعة عطفا على خلق على حذف مضاف
اي وخلق ما بث قاله ابو حيان وفيه نظر لانه يوول الى اجرة بالاضافة لخلق المقدر فلا
تعدل عنه فان قيل سبحانه اذا يشا مطوية بجمعهم الا بتقدير قال ابو البقا لان ذلك
يودي الى ان يصير ذا المعنى وهو على جمعهم اذا يشا فتتعلق القدرة بالمشية وهو محال قال
شهاب الدين ولا ادري ما وجه كونه محالا على مذهب اهل السنة فان كان يقول بقول وهو ان
القدرة تتعلق بما لم يشا الله مشى كلامه ولكنه مذهب ردي لا يجوز اعتقاده ونقول يجوز تعلق
الظرف به ايضا قال الزمخشري اذا تدخل المضارع كما تدخل على الماضي قال تعالى والليل
اذا يغشى ومنه اذا يشا تدبيره والمقصود انه تعالى خلقها لا للعجز ولكن للمصلحة ولهذا قال
سبحانه وتعالى جل ذكره وهو على جمعهم اذا يشا قدير يعني للجمع والحشر والمحاسبة فصل
احتج الجبائي بقوله سبحانه وتعالى جل ذكره قديمة لم يكن لتخصيصها بذلك الوقت المستقبل
فايدة ولما دل قوله سبحانه وتعالى جل ذكره اذا يشا على هذا التخصيص علمنا ان مشية
الله سبحانه وتعالى محدثة واجيب بان هاتين الكلمتين كما دخلتا على المشية فقد
دخلتا ايضا على لفظ القدير فلزم على هذا ان تكون قدرته سبحانه وتعالى جل ذكره
صفة محدثة ولما كان هذا باطلا فكذا القول في المشية قوله تعالى وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم قرا نافع وابن عامر بما كسبت بغير فا والباقون بالفا فاما
الاقراءة الاولى فالظاهر انها موصولة بمعنى الذي والخبر الجار من قوله تعالى فبما كسبت
وقال قوم منهم ابو البقا انها شرطية حذفت منها الفا قال ابو البقا كقوله تعالى فان
اطعتموهم انكم لمشركون وقول الاخر • من يفعل الحسنات الله يشكرها •
وهذا ليس مذهب الجمهور وانما قال به الاخفش وبعض البغداديين واما قوله عز وجل
انكم لمشركون فليس جوابا للشرط انما جواب لقسم مقدر حذفت لامه الموطية قبل اداة
الشرط واما القراة الثانية فالظاهر انها فيها شرطية وقال ابو البقا انه ضعيف ولا يلتفت
الى ذلك ويجوز ان تكون الموصولة والفا داخلة في الخبر تشبيها للموصول بالشرط بشروط
مذكورة في هذا الكلام وقد وافق نافع وابن عامر مصاحفهما فان الفا ساقطة من
مصاحف المدينة والشام ولذلك الباقون فالفا ثابتة في مصاحف مكة والعراق
فصل اختلفوا فيما يحصل في الدنيا من الالام والاسقام والقحط والغرق
والمصايب هل هي عقوبات على ذنوب سلفت ام لا فمنهم من انكر ذلك لوجوه الاول قوله
تعالى اليوم تجزي كل نفس ما كسبت بين تعالى ان ذلك انما يحصل يوم القيمة وقال تعالى
مالك يوم الدين اي يوم الجزا واجمعوا ان الجواد هنا يوم القيمة الثاني مصايب الدنيا
يشترك فيها الزنديق والصديق فيمتنع ان تكون عقوبة على الذنوب بل حصول المصايب
للصالحين والمتقين اكثر منه للمومنين ولهذا قال صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه
خص البلا بالانبيا ثم الاوليا ثم الامثل فالامثل الثالث ان الدنيا دار تكليف فلو حصل
الجزا فيها لكانت دار تكليف ودار جزا معا وهو محال وقال اخرون هذه المصايب قد تكون
اجزية على ذنوب متقدمة لهذه الاية ولما روي الحسن قال لما نزلت هذه الاية قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج
عرق الا بذنب وما يعفوا الله عنه اكثر وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الا اخبركم
بافضل اية في كتاب الله تعالى حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اصابكم

من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير قال صلى الله عليه وسلم وسامنها لكم
على ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم والله عز وجل اكرم من ان
يثني عليكم العقوبة في الاخرة وما عفى الله عز وجل عنه في الدنيا فالله احلم من ان يعود بعد
عفوه وتمسكوا ايضا بقوله تعالى بعد هذه الاية او يوبقهن بما كسبوا وذلك تصريح بان ذلك
الاهلاك بسبب كسبهم واجاب الاولون رضي الله عنهم بان حصول هذه المصايب تكون من
باب الامتحان في التكليف لامن باب العقوبة كما في حق الانبيا والاوليا ويحمل قوله فبما
كسبت ايديكم على ان الاصلح عند اتيانكم بذلك الكسب انزال هذه المصايب عليكم **فصل**
هذه الاية تقتضي اضافة الكسب الى اليد والكسب لا يكون باليد بل بالقدرة القايمة باليد
فوجب ان يكون المراد من لفظ اليد ههنا القدرة واذا كان هذا المجاز مشهورا مستعملا كان لفظ
اليد الوارد في حق الله عز وجل يجب حمله على القدرة تنزيها لله تعالى عن الاعضاء وقوله
تعالى ويعفوا عن كثير اي قد يترك الكثير بفضله ورحمته قال الواحدي رحمه الله بعد ان
روى حديث علي المتقدم وهذه ارجا اية في كتاب الله تعالى لان الله تعالى جعل ذنوب
المومنين صنفين صنف كفره عنهم بالمصايب وصنف عفا عنه في الدنيا وهو سبحانه وتعالى
كريم لا يرجع في عفوه فهذه سنة الله مع المومنين واما الكافر فانه عز وجل لا يعجل له عقوبة
ذنبه حتى يوافي به يوم القيمة قال وما انتم بمعجزين اي بفايتين في الارض هربا اي لا
تعجزونني حيث ما كنتم ولا تسبقوني وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والمراد به من
يعبد الاصنام بين انه لا فايدة فيها البتة بل النصير هو الله عز وجل فلا جرم هو الذي يحسن
عبادته قوله تعالى ومن اياته الجواري الاية قرا نافع وابو عمرو والجواري بيا في الوصل
واما الوقف فاثباتها على الاصل وحذفها للتخفيف وهي السفن واحدها جارية وهي
السايرة في البحر فان قيل الصفة متى لم تكن خاصة بموصوفها امتنع حذف الموصوف لا تقول
مررت بماش لان المشي عام وتقول مررت بمهندس وكاتب والجري ليس من الصفات الخاصة
فما وجه ذلك فالجواب ان قوله في البحر قرينة دالة على الموصوف ويجوز ان تكون هذه
صفة غالبة كالابطح والابرق فوليت العوامل دون موصوفها وفي البحر متعلق بالجواري
اذا لم يجري مجرى الجوامد فان جرى مجراه كان حالا منه وكذا قوله جل ذكره كالاعلام وهي
الجبال قالت الخنسا • وان صخرا لتاتم الهداة به • كانه علم في راسه نار •
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم استنشد قصيدتها هذه فلما وصل الراوي هذا البيت
قال صلى الله عليه وسلم تسليما قاتلها الله ما رضيت بتشبيهه بالجبل حتى جعلت في راسه نارا
وقال مجاهد الاعلام القصور واحدها علم وقال الخليل بن احمد كل شي مرتفع عند
العرب فهو علم وسمع هذه الجوار وفي الجوار وركبت الجوار بالاعراب على الراء تناسيا للمحذوف
وتقدم هذا في قوله ومن فوقهم غواش في الاعراف **فصل** اعلم ان المقصود
من ذكر هذه الاية امران احدهما ان يستدل به على وجود الاله القادر الحكيم الثاني ان
يعرف ما فيه من النعم العظيمة لله تعالى على العباد اما وجه الاول فان هذه السفن
العظيمة التي كالجبال تجري على وجه البحر عند هبوب الرياح على اسرع الوجوه وعند
سكون الرياح وقد تقدم في سورة النحل ان محرك الرياح ومسكنها هو الله تعالى اذ لا
يقدر احد من البشر على تحريكها ولا على تسكينها وذلك يدل على وجود الاله القادر ومع
ان تلك السفينة في غاية الثقل ومع ثقلها بقيت على وجه الما ايضا واما دلالتها على
النعم العظيمة وهو ما فيها من المنافع فانه تعالى خص كل جانب من الارض بنوع من
الامتعة فاذا انتقل متاع هذا الجانب الى الجانب الاخر في السفن وبالعكس حصلت
المنافع العظيمة بالتجارة فلهذه الاسباب ذكر الله تعالى حال هذه السفن قوله
تعالى ان يشا يسكن الريح التي تجري بها فيظللن رواكد قرا ابو عمرو والجمهور بهمز ان
يشا لان سكون الهمزة علامة للجزم وروش عن نافع بلا همزة وقرا نافع يسكن الرياح
على الجمع والباقون الريح على التوحيد قوله تعالى فيظللن العامة على فتح اللام
التي هي عين الكلمة وهو القياس لان الماضي بكسرها تقول ظللت قايما وقرا قتادة بكسرها

وهو

وهو شاذ نحو حسب يحسب واخواته وقد تقدمت اخر البقرة وقال الزمخشري قري بفتح
اللام وكسرها من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل قال ابو حيان وليس كما ذكر لان يضل
بفتح العين من ضللت بكسرها في الماضي ويضل بالكسر من ضللت بالفتح وكلاهما مقيس
يعني ان كلا منهما له اصل يرجع اليه بخلاف ظل فان ماضيه مكسور العين فقط والنون
اسما ورواكد خبرها ويجوز ان يكون ظل ههنا بمعنى صار لان المعنى ليس على وقت الظلول
وهو النهار فقط وهو نظير ابن بانت بيده من هذه الحيثية والركود الثبوت والاستقرار
قال • وقد ركدت وسط السما نجومها • ركودا بوادي الربرب المتفرق •
والمعنى فيظللن رواكد اي ثوابت على ظهر البحر لا تجري ان في ذلك لايات لكل صبار على بلاء
الله شكور على نعمايه قوله تعالى او يوبقهن عطف على يسكن قال الزمخشري لان المعنى
ان يشا يسكن الريح فيركدن او يعصفها فيغرقن بعصفها قال ابو حيان ولا يتعين ان يكون
التقدير او يعصفها فيغرقن لان اهلاك السفن لا يتعين ان يكون بعصف الريح بل قد يهلكها
بقلع لوح او خسف قال شهاب الدين والزمخشري لم يذكر ان ذلك متعين وانما ذكر شيا
مناسبا لان قوله يسكن الريح مقابله يعصفها فهو في غاية الحسن والطباق **فصل**
معنى قوله يوبقهن اي يهلكهن ويغرقهن بما كسبوا اي بما كسبت ركابها من الذنوب ويعفوا عن
كثير من ذنوبهم فلا يعاقب عليها يقال اوبقه اي اهلكه كما يقال للمجرم اوبقته ذنوبه
اي اهلكته فان قيل ما معنى ادخال العفو في حكم الايباق حيث جعل مجزوما مثله فالجواب
معناه ان يشا يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم واما من قرا ويعفو فقد استانف
الكلام والعامة على الجزم عطفا على جواب الشرط واستشكله القشيري وقال لان المعنى ان
يشا يسكن الريح فتبقى تلك السفن رواكد ويهلكها بذنوب اهلها فلا يحسن عطف ويعف
على هذا لان المعنى يصير ان يشا يعف وليس المعنى على ذلك بل المعنى الاخبار عن العفو
من غير شرط المشية فهو عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى قال ابو حيان
وما قاله ليس بجيد اذ لم يفهم مدلول التركيب والمعنى الا انه تعالى ان يشا اهلك ناسا
وانجى ناسا على طريق العفو عنهم وقرا الاعمش ويعفوا بالواو وهي يحتمل ان يكون المجزوم
وثبتت الواو في الجزم كثبوت اليا في من يتقي ويصبر ويحتمل ان يكون الفعل مرفوعا اخبر
تعالى انه يعفوا عن كثير من السيات وقرا بعض اهل المدينة بالنصب باضمار ان بعد الواو
كنصبه في قول النابغة • فان يهلك ابو قابوس يهلك • ربيع الناس والبلد الحرام •
• ونأخذ بعده بذناب عيش • اجب الظهر ليس له سنام •
بنصب ونأخذ ورفعه وجزمه وهذا كما ترى بالاوجه الثلاثة بعد الفا ويكون قد عطف
هذا المصدر المؤول من ان المضمرة والفعل على مصدر متوهم من الفعل قبله تقديره او
يقع ايباق وعفو عن كثير فقراة النصب كقراة الجزم في المعنى الا ان في هذه عطف مصدر
مؤول على مصدر متوهم وفي تلك عطف فعل على مثله قوله تعالى ويعلم الذين يجادلون
قرا نافع وابن عامر برفعه والباقون بنصبه وقري بجزمه ايضا فاما الرفع فواضح جدا وهو
يحتمل وجهين الاستيناف بجملة فعلية والاستيناف بجملة اسمية فيقدر قبل الفعل
مبتدا اي وهو يعلم الذين فالذين على الاول فاعل وعلى الثاني مفعول واما قراة النصب
ففيها اوجه احدها قال الزجاج على الصرف قال ومعنى الصرف صرف العطف عن اللفظ
الى العطف على المعنى قال وذلك لانه لما لم يحسن عطف ويعلم مجزوما على ما قبله اذ يكون
المعنى ان يشا يعلم عدل الى العطف على مصدر الفعل الذي قبله ولا يتاتى ذلك الا باضمار
ان وقال البغوي قرا بالنصب على الصرف والجزم اذا صرف عنه معطوفه نصب كقوله ويعلم
الصابرين فقد صرف من حال الجزم الى النصب استخفافا وكراهية لتوالي الجزم الثاني قول الكوفيين
انه منصوب بواو الصرف يعنون ان الواو نفسها هي الناصبة لا باضمار ان وتقدم معنى الصرف
الثالث قال الفارسي ونقله الزمخشري عن الزجاج ان النصب على اضمار ان لان قبلها جزاء
تقول ما يصنع اصنع واكرمك وان شيت واكرمك على وانا اكرمك وان شيت واكرمك جزما
قال الزمخشري وفيه نظر لما اورده سيبويه في كتابه قال واعلم ان النصب بالواو والفا

بالفا

ان تاتني اتك واعطيك ضعيف وهو نحو من قوله • والحق بالحجاز فاستريحا •
فهذا لا يجوز لانه ليس بحد الكلام ولا وجهه الا انه في الجزا صار اقوي قليلا لانه ليس
بواجب انه يفعل الا ان يكون من الاول فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه
اجازوا فيه هذا على ضعفه قال الزمخشري ولا يجوز ان تحمل القراءة المستفيضة على
وجه ليس بجيد الكلام ولا وجهه وان كانت من هذا الباب لما اخلاه سيبويه مما كتابه
وقد ذكر نظايرها من الايات المشكلة الرابع ان ينتصب عطفا على تعليل محذوف
تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير
عزيز في القران ومنه ولنجعله اية للناس وخلق الله السموات والارض بالحق
ولتجزي قاله الزمخشري قال ابو حيان ويبعد تقديره لينتقم منهم لا ترتيب على
الشرط اهلاك قوم ونجاة قوم فلا يحسن لينتقم منهم واما الايتان فيمكن ان تكون
اللام متعلقة بفعل محذوف تقديره ولنجعله اية للناس فعلنا ذلك ولتجزي كل نفس
فعلنا ذلك وهو كثيرا تقدره هذا الفعل مع هذه اللام اذ لم يكن فعل يتعلق به
قال شهاب الدين بل يحسن تقديره لينتقم لانه يعود في المعنى على اهلاك قوم
المترتب على الشرط واما الجزم فقال الزمخشري فان قلت كيف يصح المعنى على
جزم ويعلم قلت كانه قيل ان يشا يجمع بين ثلثة امور اهلاك قوم ونجاة قوم
وتحذير اخرين واذا قري بالجزم فتكسر الميم لالتقا الساكنين وقوله تعالى ما لهم
من محيص في محل نصب لسدها مسد مفعولي العلم **فصل** المعنى وليعلم الذين
يجادلون اي يكذبون بالقران اذا صاروا الى الله عز وجل بعد البعث لا مهرب لهم من
عذاب الله كما انه لا مخلص لهم اذا وقعت السفن واذا عصفت الرياح ويكون ذلك
سببا لاعترافهم بانه لا النافع الضار ليس الا الله قوله تعالى وما اوتيتم من
شي فمتاع الحيوة الدنيا الاية لما ذكر دلايل التوحيد اردفها بالتنفير عن الدنيا
وتحقيرها لان المانع من قبول الدليل هو الرغبة في الدنيا فقال وما اوتيتم
ما شرطية وفي محل نصب مفعولا ثانيا لاوتيتم والاول هو ضمير المخاطب قام مقام
الفاعل وانما قدم الثاني لان له صدر الكلام وقوله من شي بيان لما الشرطية لما فيها
من ما موصولة مبتداة وخير خبرها وللذين متعلق بابقي **فصل** المعنى وما
اوتيتم من شي من رياش الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا ليس من زاد المعاد وسماه متاعا
تنبيها على قلته وحقارته وجعله من متاع الدنيا تنبيها على انقراضه واما الاخرة
فانها خير وابقى والباقي خير من الخسيس الفاني ثم بين ان هذه الخيرية انما تحصل
لمن كان موصوفا بصفات منها ان يكون من المومنين فقال للذين امنوا وعلى
ربهم يتوكلون وهذا يرد على زعم ان الطاعة توجب الثواب لانه متكل على عمل نفسه
لا على الله فلا يدخل تحت الاية الصفة الثانية قوله تعالى والذين يجتنبون
نسق على الذين الاولي وقال ابو البقا الذين يجتنبون في موضع جر بدلا من للذين
امنوا ويجوز ان يكون في موضع نصب باضمار اعني او في موضع رفع على تقديرهم وهذا
وهم منه في التلاوة كانه اعتقد ان القران وعلى ربهم يتوكلون الذين يجتنبون
فبني عليه الثلاثة اوجه وهو بنا فاسد قوله تعالى كباير الاثم قرا الاخوان
هنا وفي النجم كبير الاثم بالافراد والباقون كباير بالجمع في السورتين والمفرد هنا في
معنى الجمع والرسم الكريم يحتمل القراتين **فصل** تقدم معنى كباير الاثم في سورة
النسا قال ابن الخطيب نقل الزمخشري عن ابن عباس رضي الله عنه ان كبير الاثم
هو الشرك وهو عندي ضعيف لان شرط الايمان مذكور وهو يغني عن عدم الشرك
وقيل كباير الاثم ما يتعلق بالبدع واستخراج الشبهات واما الفواحش فقال
السدي يعني الزنا وقال مقاتل ما يوجب الحد قوله تعالى واذا ما غضبوا هم اذا
معضوبة بيغفرون ويغفرون خبرهم والجملة باسرها عطف على الصلة وهي يجتنبون
والتقدير والذين هم يغفرون عطف اسمية على فعلية ويجوز ان يكون هم توكيدا

للفاعل في قوله غضبوا وعلى هذا فيغفرون جواب الشرط وقال ابو البقا هم
مبتدا ويغفرون الخبر والجملة جواب اذا قال شهاب الدين رحمه الله وهذا غير
صحيح لانه لو كان جوابا لاذا لاقترن بالفا تقول اذا جا زيد فعمرو ينطلق ولا يجوز عمرو
ينطلق وقيل هم مرفوع بفعل مقدر يفسره يغفرون بعده ولما حذف الفعل انفصل الضمير
ولم يستبعده ابو حيان وقال ينبغي ان يجوز ذلك في مذهب سيبويه لانه اجازه في
الاداة الجازمة تقول ان ينطلق زيد ينطلق تقديره ينطلق زيد ينطلق فينطلق
واقع جوابا ومع ذلك فسر الفعل فكذلك هذا وايضا فذلك جاير في فعل الشرط بعدها نحو
اذا السما انشقت فليجز في جوابها ايضا **فصل** قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون يحلمون
ويكظمون الغيظ وخص الغضب بلفظ الغفران لان الغضب على طبع النار واستيلاؤه
شديد ومقاومته صعبة فلهذا خصه الله بهذا اللفظ قوله تعالى والذين استجابوا
لربهم اي اجابوه الى ما دعاهم اليه من طاعته وقال ابن الخطيب المراد منه تمام الانقياد
فان قيل اليس انه لما حصل الايمان فيه شرطا فقد دخل في الايمان اجابة الله قال
ابن الخطيب والجواب ان يحمل هذا على الرضا بقضا الله من صميم القلب وان لا يكون في
قلبه منازعة ثم قال واقاموا الصلاة اي الواجبة لان هذا هو الشرط في حصول الثواب
قوله تعالى وامرهم شورى بينهم اي يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون والشورى
مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم ينفقون قوله تعالى والذين اذا اصابهم
البغي اي الظلم والعدوان هم ينتصرون اي ينتقمون من ظالمهم من غير ان يعتدوا قال
قال ابن زيد جعل الله المومنين صنفين صنف يعفون عن ظالمهم فبدا بذكرهم وهو
قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم المذكورون
في هذه الاية كانوا يكرهون ان يستذلوا فاذا قدروا عفوا وقال عطا هم المومنون الذين
اخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله في الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم وعن
النخعي انه كان اذا قراها قال كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجتري عليهم السفها فان
قيل هذه الاية مشكلة لوجهين الاول انه لما ذكر قبله واذا ما غضبوا هم يغفرون كيف يليق
ان يذكر معه ما يجري مجري الضد له وهم الذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون الثاني
ان جميع الايات دالة على ان العفو احسن قال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوي وقال
واذا مروا باللغو مروا كراما وقال خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولين صبرتم لهو خير للصابرين فالجواب ان
العفو على قسمين احدهما ان يصير العفو سببا لتسكين الفتنة ورجوع الجاني عن جنايته
والثاني ان يصير العفو سببا لمزيد جراة الجاني وقوة غيظه وغضبه فايات العفو محمولة
على القسم الاول وهذه الاية محمولة على القسم الثاني وحينيذ يزول التناقض روي ان
زينب اقبلت على عايشة تشتمها فنهاها النبي صلى الله عليه وسلم عنها فلم تنته فقال
النبي صلى الله عليه وسلم سبيها وايضا فانه تعالى لم يرغب في الانتصار بل بين انه مشروع
فقط ثم بين ان مشروعيته مشروطة برعاية المماثلة فقال وجزا سيية سيية مثلها ثم
بين ان العفو اولي بقوله فمن عفي واصلح فاجره على الله فزال السوال قوله هم ينتصرون
اعرابه كاعراب واذا ما غضبوا هم يغفرون وفيه ما تقدم الا انه يزيد هنا انه يجوز ان
يكون هم توكيدا للضمير المنصوب في اصابهم اكد بالضمير المرفوع وليس فيه الا الفصل بين
المؤكد والمؤكد بالفاعل والظاهر انه غير ممنوع قوله وجزا سيية سيية مثلها الاية
لما قال والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون بين بعده ان ذلك الانتصار يجب ان يكون
مقيدا بالمثل فان العدل هو المساواة وسمي الجزا سيية وان كان مشروعا ماذونا فيه
قال الزمخشري كلتا الفعلتين الاولي وجزاوها سيية لانها تسوء من تنزل به قال تعالى
وان تصبهم سيية يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوءهم من المصايب والبلايا واجاب غيره
بانه لما جعل في مقابلة الاخر اطلق اسم احدهما على الاخر مجازا والاول اظهر وقال اخرون
انما سمي الجزا سيية وان لم يكن سيية لتشابههما في الصورة **فصل** قال مقاتل

يعني القصاص في الجراحات والدما وقال مجاهد والسدي هو جواب القبيح اذا قال
اخزاك الله يقول اخزاك الله واذا شتمك فاشتمه بمثلها من غير ان تعتدي قال
سفين بن عيينة قلت لسفين الثوري ما قوله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها قال
ان يشتمك رجل فتشتمه او يفعل بك فتفعل به فلم اجد عنده شيا فسالت هشام بن حجير
عن هذه الاية فقال الجارح اذا جرح يقتص منه وليس هو ان يشتمك فتشتمه **فصل**
دلت هذه الاية على ان المسلم لا يقتل بالذمي وان الحر لا يقتل بالعبد لان المماثلة شرط
لجريان القصاص وهي مفقودة في المسئلتين وايضا فان الحر اذا قتل العبد يكون قد
اتلف على مالك العبد شيا يساوي عشرة دنانير بهذه الاية واذا وجب الضمان وجب ان
لا يجب القصاص لانه لا قايل بالفرق فوجب ان لا يجري القصاص بينهما والدليل على ان المماثلة
شرط لوجوب القصاص هذه الاية وقوله من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها وقوله وان
عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وقوله تعالى والجروح قصاص وقوله تعالى كتب
عليكم القصاص في القتلى والقصاص عبارة عن المساواة والمماثلة فهذه النصوص تقتضي
مقابلة الشي بمثله ودلت الاية ايضا على ان الايدي تقطع باليد الواحدة لان كل القطع
او بعضه صدر عن كل اوليك القاطعين او عن بعضهم فوجب ان يشرع في حق اوليك
القاطعين مثله بهذه النصوص فان قيل فيلزم استيفا الزيادة من الجاني وهو ممنوع
فالجواب انه لما وقع التعارض بين جانب الجاني وبين جانب المجني عليه كان جانب
المجني عليه بالرعاية اولى ودلت الاية ايضا على مشروعية القصاص في حق شريك الاب
لانه صدر عنه الجرح فوجب ان يقابل بمثله ودلت الاية ايضا على ان من حرق حرقناه
ومن غرق غرقناه وعلى ان شهود القصاص اذا رجعوا وقالوا تعمدنا الكذب يلزمهم
القصاص لانهم بتلك الشهادة اهدروا دمه فوجب ان يهدر دمهم ودلت ايضا على ان المكره
يجب عليه القود لانه صدر عنه القتل ظلما فوجب مثله اما صدور القتل فالحس يدل
عليه واما انه قتل ظلما فلاجماع المسلمين على انه مكلف بان لا يقتل فوجب ان يقابله
بمثله ودلت ايضا على ان منافع الغصب مضمونة لان الغاصب فوت على المالك منافع
تقابل في العرف بدينار مثلا فوجب ان يفوت على الغاصب مثله من المال قوله فمن
عفى واصلح بالعفو بينه وبين ظالمه فاجره على الله قال الحسن اذا كان يوم القيمة
نادى مناد من كان له عند الله اجر فليقم فلا يقوم الا من عفا ثم قرا هذه الاية انه لا يحب
الظالمين قال ابن عباس الذين يبدون بالظلم وفيه تنبيه على ان المجني عليه
لا يجوز له الزيادة والتعدي في الاستيفا خصوصا في حال الحرد والتهاب الحمية فربما
صار المظلوم عند الاستيفا ظالما وفيه ايضا دقيقة وهو انه تعالى لما حث على العفو
عن الظالم واخبر انه لا يحب الظالم واذا كان لا يحبه وندب غيره الى العفو عنه فالمومن
الذي يحبه الله بسبب ايمانه اولى ان يعفو الله عنه قوله ولمن انتصر هذه لام الابتدا
وجعلها الحوفي وابن عطية للقسم وليس بجيد اذ جعلنا من شرطية كما سياتي لانه
كان ينبغي ان يجاب السابق وهنا لم يجب الا الشرط ومن يجوز ان يكون شرطية وهو
الظاهر والفا في فاوليك جواب الشرط وان تكون موصولة ودخلت الفا لشبه الموصول
بالشرط وظلمه مصدر مضاف للمفعول وايدها الزمخشري بقراة من قرا بعدما ظلم
مبنيا للمفعول **فصل** معنى الاية ولمن انتصر بعد ظلم الظالم اياه فاوليك المنتصرين
ما عليهم من سبيل لعقوبة ومواخذة لانهم فعلوا ما ابيح لهم من الانتصار واحتجوا بهذه
الاية على ان سراية القود مهدرة لانه فعل ماذون فيه مطلقا فيدخل تحت هذه الاية
قوله انما السبيل على الذين يظلمون الناس اي يبدون بالظلم ويبغون في الارض
بغير الحق يعملون فيها بالمعاصي اوليك لهم عذاب اليم قوله ولمن صبر الكلام في اللام
كما تقدم فان جعلناها شرطية فان جواب القسم المقدر وحذف جواب الشرط للدلالة
عليه وان كانت موصولة كان قوله ان ذلك هو الخبر وجوز الحوفي وغيره ان يكون من شرطية
وان ذلك جوابها على حذف الفا على حد حذفها في قوله من يفعل الحسنات وفي الرابط قولان

احدها

احدها هو اسم الاشارة اذا اريد به المبتدا ويكون حينيذ على حذف مضاف تقديره ان ذلك
لمن ذوي عزم الامور والثاني انه ضمير محذوف تقديره لمن عزم الامور منه اوله وقوله ولمن
صبر عطف على قوله ولمن انتصر والجملة من قوله انما السبيل اعتراض **فصل** المعنى ولمن
صبر وغفر فلم ينتصر وتجاوز ان ذلك الصبر والتجاوز من عزم الامور حقها وحزمها قال
مقاتل من الامور التي امر الله بها وقال الزجاج الصابر يوتى بصبره الثواب والرغبة في
الثواب اتم عزما قوله ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده اي فليس له ناصر يتولاه من
بعد اضلال الله اياه وليس له من يمنعه من عذاب الله وهذا صريح في جواز ان الاضلال
من الله وان الهداية ليست في مقدور احد سوى الله قال القاضي المراد ومن يضلل الله عن
الجنة لجنايته فما له من ولي من بعده ينصره واجيب بان تقييد الاضلال بهذه الصورة المعينة
خلاف الدليل وايضا فان الله تعالى ما اضله عن الجنة في قولكم بل هو اضل نفسه عن الجنة
قوله وترى الظالمين لما راوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل اي يطلبون الرجوع
الى الدنيا لعظم ما شاهدوا من العذاب ثم ذكر حالهم عند عرض النار قوله يعرضون حال
لان الروية بصرية وخاشعين حال والضمير في عليها يعود على النار لدلالة العذاب عليها
وقرا طلحة من الذل بكسر الذال وقد تقدم الفرق بين الذل والذل ومن الذل يتعلق بخاشعين
اي من اجل وقيل هو متعلق بينظرون وقوله من طرف يجوز في من ان تكون لابتداء الغاية
وان تكون تبعيضية وان تكون بمعنى البا والطرف قيل يراد به العضو وقيل يراد به المصدر
يقال طرفت عينه تطرف طرفا اي ينظرون نظرا خفيا **فصل** اعلم انه ذكر حالهم
عند عرضهم على النار فقال خاشعين اي خاضعين حقيرين بسبب ما لحقهم من الذل
ينظرون من طرف خفي النظر لما عليهم من الذل يسارقون النظر الى النار خوفا منها
وذلة في انفسهم كما ينظر المقتول الى السيف فلا يقدر يملا عينه منها ولا يفتح عينه انما ينظر
ببعضها واذا كانت من بمعنى البا اي بطرف خفي ضعيف من الذل فان قيل انه قال في صفة
الكفار انهم يحشرون عميا فكيف قال هاهنا انهم ينظرون من طرف خفي فالجواب لعلهم يكونون
في الابتدا هكذا ثم يصيرون عميا او لعل هذا في قوم وذاك في قوم اخرين وقيل معنى ينظرون
من طرف خفي اي ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفي ولما
وصف الله تعالى حال الكفار حكى ما تقوله المومنون فيهم فقال وقال الذين امنوا ان
الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة قيل خسروا انفسهم بان صاروا الى النار
واهليهم بان صاروا لغيرهم في الجنة وهذا القول يحتمل ان يكون واقعا في الدنيا وان
ان يقولوه يوم القيمة اذا راوهم على تلك الصفة ثم قال الا ان الظالمين في عذاب مقيم
اي دايم قال القاضي هذا يدل على ان الكافر والفاسق يدوم عذابهما والجواب ان
لفظ الظالم المطلق في القران مخصوص بالكافر قال تعالى والكافرون هم الظالمون
والذي يوكد هذا قوله تعالى بعد هذه الاية وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون
الله والمعنى ان الاصنام التي كانوا يعبدونها لا تشفع لهم عند الله تعالى ما اتوا بتلك
الشفاعة وهذا لا يليق الا بالكافر قوله ينصرونهم صفة لاوليا فيجوز ان يحكم على
موضعها بالجر اعتبارا بلفظ موصوفها وبالرفع اعتبارا بمحله فانه اسم لكان وقوله من
سبيل اما فاعل واما مبتدا والمعنى فما له من سبيل الى الحق في الدنيا والجنة في العقبى
وقد انسد عليهم طريق الخير قوله وقال الذين امنوا يجوز ان يكون ماضيا على حقيقته
ويكون يوم القيمة مفعولا لخسروا ويجوز ان يكون بمعنى نقول فيكون يوم القيمة معمولا له
قوله استجيبوا لربكم الاية لما ذكر الوعد والوعيد ذكر بعده ما هو المقصود فقال
استجيبوا لربكم اي اجيبوا داعي ربكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من قبل ان ياتي يوم
لا مرد له من الله اي لا يقدر احد على دفعه وهو يوم القيمة قوله من الله يجوز تعلقه
بياتي اي ان ياتي من الله يوم لا مرد له وان يتعلق بمحذوف يدل عليه لا مرد له اي لا يرد ذلك
اليوم ما حكم الله به فيه وجوز الزمخشري ان يتعلق بلا مرد ورده ابو حيان بانه يكون
مطولا فكان ينبغي ان يعرب فينتصب منونا واختلفوا في المراد بذلك اليوم فقيل هو

ورود الموت وقيل يوم القيمة قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون معنى قوله لا مرد له اي لا يقبل
التقديم ولا التاخير وان يكون معناه انه لا مرد فيه الي حال التكليف حتي يحصل فيه التلافي
ثم وصف اليوم فقال فيه ما لكم من ملجا تلجون اليه ينفع به التخلص من العذاب وما لكم من نكير
ينكر تغير ما بكم ويجوز ان يكون المراد من النكير الانكار اي لا يقدرون ان ينكروا شيئا مما اقترفوه من
الاعمال قوله فان اعرضوا عن الاستجابة ولم يقبلوا هذا الامر فما ارسلناك عليهم حفيظا بان
تحفظ اعمالهم وتحصيها ان عليك الا البلاغ اي ما عليك الا البلاغ وذلك تسلية من الله تعالى له
ثم بين السبب في اصرارهم على الكفر فقال وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة قال ابن عباس
يعني الغنا والصحة فرح بها واعلم ان نعم الله وان كانت في الدنيا عظيمة الا انها بالنسبة الي
سعادات الاخرة كالقطرة بالنسبة الي البحر فلذلك سميت ذوقا فبين تعالى ان الانسان اذا حصل
له هذا القدر الحقير في الدنيا فرح به وعظم غروره ووقع في العجب والكبر وظن انه فاز بكل
المنى ووصل الي اقصى السعادات وهذه طريقة من ضعف اعتقاده في سعادات الاخرة ثم انه
تعالى بين انه متى اصابتهم سيئة اي شي يسوءهم في الحال كالمرض والفقر والقحط وغيرهما
فانه يظهر الكفران وهو قوله فان الانسان كفور والكفور هو المبالغ في الكفران والمراد بقوله
كفور اي لما تقدم من نعمة الله عليه ينسي ويجحد باول شديدة جميع ما سلف من النعم
وقوله فان الانسان من وقوع الظاهر موقع المضمر اي فانه كفور وقدر ابو البقا ضميرا محذوفا
فقال فان الانسان منهم ولما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بعدها اتبع ذلك بقوله
لله ملك السموات والارض له التصرف فيهما بما يريد والمقصود منه ان لا يغتر الانسان بما
ملكه من المال والجاه بل اذا علم ان الكل ملك لله وملكه وانما حصل له ذلك القدر انعاما
من الله عليه به فيصير ذلك حاملا له على مزيد الطاعة ثم ذكر من اقسام تصرف الله تعالى
في العالم انه يخص البعض بالاولاد الاناث والبعض بالذكور والبعض بهما والبعض بان يجعله
محروما من الكل وهو المراد بقوله ويجعل من يشاء عقيما قوله ذكرانا واناثا حال وهي
حال لازمة وسوغ مجيئها كذلك الخفا بعد ما يجوز ان يكون الامر على خلافه لان معنى
يزوجهم يقرنهم قال الزمخشري فان قلت لم قدم الاناث على الذكور مع تقدمهم عليهن
ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الاناث قلت لانه ذكر البلا في اخر الاية
الاولى وكفران الانسان بنسيانه الرحمة السابقة ثم ذكره بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة
الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما يشا الا ما يشا الانسان فكان ذكر
الاناث التي من جملة ما لا يشاؤه الانسان اهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي
كانت العرب تعده بلا البلا واخر الذكور فلما اخرهم تدارك تاخيرهم وهم احقا بذلك
وبالتعريف لان تعريفهم فيه تنويه وتشهير كانه قال ويهب لمن يشا الفرسان الاعلام
المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كل الجنس حظه من التقديم والتاخير
وعرفان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى اخر فقال ذكرانا واناثا كما قال انا خلقناكم
من ذكر وانثى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى **فصل** قال ابن الخطيب وفي
الاية سوالات الاول انه قدم الاناث في الذكر على الذكور اولا ثم قدم الذكور على الاناث
ثانيا فما السبب في هذا التقديم والتاخير الثاني انه نكر الاناث وعرف الذكور وقال
في الصنفين معا او يزوجهم ذكرانا واناثا الثالث لما كان حصول الولد هبة من الله
فيكفي في عدم حصوله ان لا يهب فاي حاجة في عدم حصوله الي قوله ويجعل من يشاء
عقيما الرابع هل المراد بهذا الحكم جمع معينون او الحكم على الانسان المطلق والجواب عن
الاول ان الكريم يسعي في ان يقع الختم على الخير والراحة فاذا وهب الانثى اولا ثم اعطى
الذكر بعده فكانه نقله من الغم الي الفرح وهذا غاية الكرم اما اذا اعطى الذكر اولا ثم
اعطى الانثى ثانيا فكانه نقله من الفرح الي الغم فذكر الله تعالى هبة الانثى اولا ثم ثنى
بهبة الذكر حتى يكون قد نقله من الغم الي الفرح فيكون اليق بالكرم وقيل من يمن المراة
تبكيرها بالانثى قبل الذكر لان الله تعالى بدا بالاناث واما تقديم ذكر الذكور على ذكر
الاناث ثانيا لان الذكر اكمل وافضل من الانثى والافضل مقدم على المفضول واما

الجواب

الجواب عن تنكير الاناث وتعريف الذكور فهو ان المقصود منه التنبيه على ان الذكر افضل من
الانثى واما قوله او يزوجهم ذكرانا واناثا وهو ان كل شيئين يقرن احدهما بالاخر فهما زوجان
وكل واحد منهما يقال له زوج والكناية في يزوجهم عايدة الي الاناث والذكور والمعنى يجعل
الذكور والاناث ازواجا اي يجمع له بينهما فيولد له الذكور والاناث واما الجواب عن قوله
عقيما فالعقيم هو الذي لا يلد ولا يولد له يقال رجل عقيم وامراة عقيم واصل العقم
القطع ومنه قيل الملك عقيم لانه يقطع فيه الارحام بالقتل والعقوق واما الجواب عن
الرابع فقال ابن عباس يهب لمن يشاء اناثا يريد لوطا وشعيبا لم يكن لهما الا البنات ويهب
لمن يشاء الذكور يريد ابراهيم لم يكن له الا الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا يريد محمدا صلى
الله عليه وسلم كان له من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم وعبد الله وابراهيم ومن البنات
اربعة زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة ويجعل من يشاء عقيما يريد يحيى وعيسى عليهما
السلام وقال اكثر المفسرين هذا على وجه التمثيل وانما الحكم عام في كل الناس لان المقصود
بيان نفاذ قدرة الله تعالى في تكوين الاشيا كيف شا فلا معنى للتخصيص ثم انه تعالى
ختم الاية بقوله انه عليم قدير قال ابن عباس عليم بما خلق قدير على ما يشا ان يخلقه
والله اعلم قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الاية لما بين حال قدرته
وعلمه وحكمته اتبعه ببيان انه كيف يخص انبياءه بوحيه وكلامه قوله ان يكلمه
ان ومنصوبها اسم كان ولبشر خبرها وقال ابو البقا ان والفعل في موضع رفع على الابتدا
وما قبله الخبر او فاعل بالجار لاعتماده على حرف النفي وكانه وهم في التلاوة فزعم ان
القران وما لبشر ان يكلمه مع انه يمكن الجواب عنه بتكليف والا وحيا يجوز ان يكون مصدرا
اي الا كلام وحي وقال ابو البقا استثنا منقطع لان الوحي ليس من جنس الكلام وفيه نظر
لان ظاهره انه مفرغ والمفرغ لا يوصف بذلك ويجوز ان يكون مصدرا في موضع الحال قوله
او يرسل قرا نافع يرسل برفع اللام وكذلك فيوحي بسكون يائه والباقون بنصبهما فاما
القراة الاولى ففيها ثلاثة اوجه احدها انه رفع على اضمار مبتدا اي او هو يرسل الثاني
انه عطف على وحيا على انه حال لان وحيا في تقدير الحال ايضا فكانه قال الا موحيا او مرسلا
الثالث ان يعطف على ما يتعلق به من وراء اذ تقديره او يسمع من وراء حجاب ووحيا
في موضع الحال عطف عليه ذلك المقدر المعطوف عليه او يرسل والتقدير الا موحيا او مسمعا
من وراء حجاب او مرسلا واما الثانية ففيها ثلاثة اوجه احدها ان يعطف على المضمر
الذي يتعلق به من وراء حجاب اذ تقديره او يكلمه من وراء حجاب وهذا الفعل المقدر معطوف
على وحيا والمعنى الا بوحي او اسماع من وراء حجاب او ارسال رسول ولا يجوز ان يعطف على
يكلمه لفساد المعنى اذ يصير التقدير وما كان لبشر ان يرسل الله رسولا فيفسد لفظا ومعنى
وقال مكي لانه يلزم منه نفي الرسل ونفي المرسل اليهم الثاني ان ينصب بان مضمرة ويكون هي
وما نصبته معطوفين على وحيا ووحيا حال فيكون هنا ايضا حالا والتقدير الا موحيا
او مرسلا وقال الزمخشري وحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان ان يرسل
في معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال ايضا كقوله وعلى جنوبهم والتقدير
وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا ورد عليه ابو حيان بان
وقوع المصدر موقع الحال غير منقاس وانما قاس منه المبرد ما كان نوعا للفعل فيجوز
اتيته ركضا ويمنع اتيته بكاء اي باكيا وبان ان يرسل لا يقع حالا لنص سيبويه على ان ان
والفعل لا يقع حالا وان كان المصدر الصريح يقع حالا تقول جاء زيد ضحكا ولا يجوز جاء ان
يضحك الثالث انه عطف على معنى وحيا فانه مصدر مقدر بان والفعل والتقدير الا بان
يوحي اليه او بان يرسل ذكره مكي وابو البقا قوله او من وراء حجاب العامة على الافراد وابن
ابي عبلة حجب جمعا وهذا الجار يتعلق بمحذوف تقديره او يكلمه من وراء حجاب وقد تقدم
ان هذا الفعل معطوف على معنى وحيا اي الا ان يوحي او يكلمه قال ابو البقا ولا يجوز ان
يتعلق من بيكلمه الموجودة في اللفظ لان ما قبل الاستثنا لا يعمل فيما بعد الا ثم قال وقيل
من متعلقة بيكلمه لانه ظرف والظرف يتسع فيه **فصل** ذكر المفسرون ان اليهود

قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه
فقال لم ينظر موسى الى الله عز وجل فانزل الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي
يوحي اليه في المنام او بالالهام او من وراء حجاب يسمعه كلامه ولا يراه كما كلم موسى عليه السلام او
يرسل رسولا اما جبريل او غيره من الملايكة فيوحي باذنه ما يشا ان يوحي ذلك الرسول الى المرسل
اليه باذن الله ما يشا وهذه الاية نزل على ان الحسن لا يحسن لوجه عايد اليه وان القبيح لا يقبح
لوجه عايد اليه بل لله ان يامر بما يشا من غير تخصيص وان ينهي عما يشا من غير تخصيص اذ لو لم يكن
الامر كذلك لما صح قوله ما يشا ثم قال انه علي حكيم اي عليم بصفات المخلوقين حكيم يجري افعاله
على الحكمة فيتكلم تارة بغير واسطة على سبيل الالهام واخرى باسماع الكلام وثالثا بواسطة
الملايكة الكرام ولما بين الله تعالى كيفية اقسام الوحي الى الانبيا عليهم السلام قال وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا اي كما اوحينا الى ساير رسلنا اوحينا اليك روحا من امرنا قال ابن
عباس نبوة وقال الحسن رحمة وقال السدي ومقاتل وحيا وقال الكلبي كتابا وقال
الربيع جبريل وقال مالك بن دينار يعني القران قوله ما كنت تدري ما الكتاب ما الاولى
نافية والثانية استفهامية والجملة الاستفهامية معلقة للدراية فهي في محل نصب لسدها
مسد مفعولين والجملة المنفية باسرها في محل نصب على الحال من الكاف في اوليك **فصل**
المعنى ما كنت تدري قبل الوحي ما الكتاب ولا الايمان يعني شرايع الايمان ومعالمه وقال
محمد بن اسحاق بن خزيمة الايمان هنا الصلوة لقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم
وقيل هذا على حذف مضاف اي ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان حين كنت طفلا في المهد
وقيل الايمان عبارة عن الاقرار بجميع ما كلف الله تعالى به وانه قبل النبوة ما كان عارفا
بجميع تكاليف الله تعالى بل كان عارفا بالله تعالى وقال بعضهم صفات الله تعالى على
قسمين منها ما يمكن معرفته بمحض دلايل العقول ومنها ما لا يمكن معرفته الا بالدليل السمعية
فهذا القسم الثاني لم تكن معرفته حاصلة قبل النبوة واعلم ان اهل الاصول على ان الانبيا
عليهم السلام كانوا مومنين من قبل الوحي وكان النبي عليه السلام يعبد الله قبل الوحي على
دين ابراهيم ولم يتبين له شرايع دينه قوله جعلناه الضمير يعود اما لروحا واما للكتاب واما
للايمان لانهما مقصد واحد فهو كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه **فصل** قال ابن
عباس يعني الايمان وقال السدي يعني القران نهدي به من نشا من عبادنا ونهدي
يجوز ان يكون مستانفا وان يكون مفعولا مكررا للجعل وان يكون صفة لنورا قوله وانك
لتهدي قرا ابن حوشب لتهدي مبنيا للمفعول وابن السميقع لتهدي بضم التا وكسر الدال من
اهدي والمراد بالصراط المستقيم الاسلام قوله صراط الله بدل من صراط قبله بدل كل من كل
معرفة من نكرة **فصل** نبه بهذه الاية على ان الذي يجوز عبادته هو الذي يملك
السموات والارض ثم قال الا الى الله تصير الامور اي امور الخلايق كلها في الاخرة وهذا كالوعيد
والزجر اي ترجع الامور كلها الى الله حيث لا حاكم سواه فيجازي كلا منهم بما يستحقه من ثواب
او عقاب روي ابو امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
حم عسق كان ممن يصلي عليه الملايكة ويستغفرون له ويسترحمون له والله اعلم

سورة الزخرف مكية

وهي تسعة وثمانون اية وثمانماية وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة الاف واربعماية حرف

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين ان جعلت حم قسما كانت الواو عاطفة وان لم كانت الواو للقسم وقوله
انا جعلناه جواب القسم وهذا عندهم من البلاغة وهو كون القسم والمقسم عليه من واد
واحد كقول ابي تمام • وثناياك انها اغريض •
ان اريد بالكتاب القران وان اريد به جنس الكتب المنزلة غير القران لم يكن من ذلك
والضمير في جعلناه على الاول يعود على الكتاب وعلى الثاني للقران وان لم يصرح بذكره

والجعل

والجعل هنا تصيير ولا يلتفت لخطا الزمخشري في تجويزه ان يكون بمعنى خلقناه **فصل**
ذكر المفسرون في هذه الاية وجهين الاول ان يكون التقدير هذه حم والكتاب المبين فيكون
القسم واقعا على ان هذه السورة هي سورة حم الثاني ان يكون القسم واقعا على قوله انا
جعلناه قرانا عربيا وفي المراد بالكتاب قولان احدهما انه القران فيكون قد اقسم بالقران انه
جعله عربيا والثاني ان المراد بالكتاب الكتابة والخط اقسم بالكتاب لكثرة ما فيه من المنافع
ووصف الكتاب بانه مبين اي ابان طريق الهدي من طريق الضلال وابان ما تحتاج اليه
الامة من الشريعة وتسميته مبينا مجاز لان المبين هو الله تعالى وانما سمي القران بذلك توسعا
من حيث انه حصل البيان عنده وقوله جعلناه اي صيرنا قراءة هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه
وقيل سميناه وقيل وصفناه يقال جعل فلان زيدا عالما اي وصفه هذا كقوله وجعلوا الملايكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا وجعلوا القران عضين اجعلتم سقاية الحج كلها بمعنى الوصف والتسمية
فصل احتج القايلون بحدوث القران بهذه الاية من وجوه الاول انها تدل على ان
القران مجعول والمجعول هو المصنوع المخلوق فان قيل المراد به انه سماه عربيا فهذا مدفوع
من وجهين الاول انه لو كان المراد من الجعل التسمية لزم ان سماه عجميا انه يصير عجميا وان كان
بلغة العرب وهذا باطل الثاني انه لو صرف الجعل الى التسمية لزم كون التسمية مجعولة والتسمية
ايضا كلام الله وذلك انه جعل بعض كلامه واذا صح ذلك في البعض صح في الكل الثاني انه
وصفه بكونه قرانا وهو انما سمي قرانا لانه جعل بعضه مقرونا بالبعض وما كان كذلك كان مصنوعا
الثالث وصفه بكونه عربيا وانما يكون عربيا لان العرب اختصت بوضع الفاظه واصطلاحهم
وذلك يدل على انه مجعول والتقدير حم ورب الكتاب المبين ويوكد هذا بقوله عليه الصلاة
والسلام يا رب طه ويس ويا رب القران العظيم واجاب ابن الخطيب بان هذا الذي ذكرتموه
حق لانكم استدللتم بهذه الوجوه على كون الحروف المتواليات والكلمات المتعاقبة محدثة
وذلك معلوم بالضرورة ومن الذي ينازعكم فيه قوله لعلكم تعقلون كلمة لعل للتمني والترجي
وهي لا تليق بمن كان عالما بعواقب الامور فكان المراد هنا انزلناه قرانا عربيا لاجل ان تحيطوا
بمعناه قوله وانه في ام الكتاب لدينا يتعلقان بما بعدهما ولا تمنع اللام من ذلك ويجوز ان
يكونا حالين مما بعدهما لانهما كانا وصفين له في الاصل فيتعلقان بمحذوف ويجوز ان يكون لدينا
متعلقا بما تعلق به الجار قبله اذا جعلناه حالا من لعلي وان يكون حالا من الضمير المستتر
فيه وكذا يجوز في الجار ان يتعلق بما تعلق به الظرف وان يكون حالا من ضميره عند من يجوز
تقدمها على العامل المعنوي ويجوز ان يكون الظرف بدلا من الجار قبله وان يكونا حالين
من الكتاب او من ام ذكر هذه الاوجه الثلاثة ابو البقا وقال ولا يجوز ان يكون واحد من
الظرفين خبرا لان الخبر لزم ان يكون على من اجل اللام قال شهاب الدين وهذا يمنع ان يقول
ان زيدا كاتب لشاعر لانه منع ان يكون غير المقترن بها خبرا وقرا حمزة والكسائي ام الكتاب
بكسر الالف والباقون بالضم والضمير في قوله وانه عايد الى الكتاب المتقدم ذكره **فصل**
قيل ام الكتاب هو اللوح المحفوظ قال قتادة ام الكتاب اصل الكتاب وام كل شي اصله قال
ابن عباس اول ما خلق الله القلم فامره ان يكتب بما يريد ان يخلق فالكتاب عنده ثم قرا
وانه في ام الكتاب لدينا فالكتاب مثبت عنده في اللوح المحفوظ كما قال بل هو قران مجيد
في لوح محفوظ وقوله لعلي حكيم قال قتادة يخبر عن منزلته وشرفه اي ان كذبتم بالقران
يا اهل مكة فانه عندنا لعلي رفيع شريف حكيم اي محكم في ابواب البلاغة والفصاحة
او ذو حكمة بالغة وقيل المراد بام الكتاب الايات المحكمة لقوله تعالى هو الذي انزل
عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب والمعنى ان سورة حم واقعة في الايات
المحكمة التي هي الاصل والام فان قيل ما الحكمة في خلق هذا اللوح المحفوظ مع انه تعالى علام
الغيوب فيستحيل عليه السهو والنسيان فالجواب انه تعالى لما اثبت في ذلك احكام حوادث
المخلوقات ثم ان الملايكة اذا شاهدوا ان جميع الحوادث انما تحدث على موافقة ذلك
المكتوب استدلوا بذلك على كمال حكمته وعلمه قوله افنضرب عنكم الذكر صفحا في نصب
صفحا خمسة اوجه احدها انه مصدر في معنى نضرب لانه يقال ضرب عن كذا واضرب

عنه بمعنى اعرض عنه وصرف وجهه عنه قال اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف
قونس الفرس والتقدير افنضح عنكم الذكر اي افنترك تنزيل القران عنكم ازالة بيكم عليهم ذلك
الثاني انه منصوب على الحال من الفاعل اي صافحين الثالث ان ينتصب على المصدر
المؤكد لمضمون الجملة فيكون عامله محذوفا نحو صنع الله قاله ابن عطية الرابع ان يكون
مفعولا من اجله الخامس ان يكون منصوبا على الظرف قال الزمخشري وصفحا على وجهين
اما مصدر من صفح عنه اذا اعرض عنه منتصب على انه مفعول له على معنى افنعزل عنكم
انزال القران والزام الحجة به اعراضا عنكم واما بمعنى الجانب من قولهم نظر اليه بصفح وجهه
وصفح وجهه بمعنى افننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف نحو ضعه جانبا وامش جانبا
ويعضده قراءة صفحا بالضم يشير الى قراءة حسان بن عبد الرحمن الضبعي وسميط بن عمير
وشبيل بن عزرة قرؤوا صفحا بضم الصاد وفيها احتمالان احدهما ما ذكره من كونه لغة في
المفتوح ويكون ظرفا وظاهر عبارة ابي البقاء انه يجوز فيه جميع ما جاز في المفتوح لانه
جعله لغة فيه كالسد والسد والثاني انه جمع صفوح نحو صبور وصبر فينتصب حالا من
فاعل نضرب وقدر الزمخشري على عادته فعلا بين الهمزة والفاء اي انهملكم فنضرب وقد
تقدم ما فيه قوله ان كنتم قرا نافع والاخوان بالكسر على انها شرطية واسراهم كان
متحققا وان انما تدخل على غير المتحقق او المتحقق المبهم الزمان واجاب الزمخشري انه
من الشرط الذي يصدر عن المدلي بصحة الامر والمتحقق لثبوته كقول الاجير ان كنت
عملت لك عملا فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه ان تفريطك في ايصالي
حقي فعل من له شك في استحقاقه اياه تجهيلا له وقيل المعنى على المجازاة والمعنى
افنضرب عنكم الذكر صفحا متى اسرفتم اي انكم غير متروكين من الانذار متى كنتم قوما
مسرفين وهذا اراد ابو البقاء بقوله وقرئ ان بكسرها على الشرط وما تقدم يدل على الجواب
والباقون بالفتح على العلة اي لان كنتم كقوله • اتجزع ان بان الخليط المودع •
ومثله قوله اتجزع ان اذنا قتيبة حزتا يروى بالكسر والفتح وقد تقدم نحو من هذا اول
المائدة وقرا زيد بن علي اذ بدال عوض النون وفيها معنى العلة كقوله وانتم الاعلون
ان كنتم مومنين

فصل

قال الفرا والزجاج يقال ضربت عنه واضربت عنه
اي تركته وامسكت عنه وقوله صفحا اي اعراضا والاصل فيه انك توليه صفحة عنقك
والمراد بالذكر عذاب الله وقيل افنرد عنكم النصائح والمواعظ والاعذار بسبب كونكم
مسرفين وقيل افنرد عنكم القران وهذا استفهام على سبيل الانكار والمعنى افنترك عنكم
الوحي ونمسك عن انزال القران فلا نامركم ولا ننهاكم من اجل انكم اسرفتم في كفركم وتركتم
الايمان وهذا قول قتادة وجماعة قال قتادة والله لو كان هذا القران رفع حين رده
اوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله برحمته كرره عليهم ودعاهم اليه عشرين سنة او ما
شاء الله وقيل معناه افنضرب عنكم بذكرنا اياكم صفحا تحبون معرضين وقال الكسائي افنطوي
عنكم الذكر طيا فلا تدعون ولا توعظون وقال الكلبي افنترككم سدى لا نامركم ولا ننهاكم
وقال مجاهد والسدي افنعرض عنكم ونترككم فلا نعاقبكم على كفركم قوله وكم ارسلنا
كم خبرية مفعول مقدم ومن نبي تمييز وفي الاولين يتعلق بالارسال او بمحذوف على
انه صفة لنبي والمعنى ان عادة الامم مع الانبياء الذين يدعونهم الى الدين الحق هو
التكذيب والاستهزاء فلا ينبغي ان تتاذى من قومك بسبب تكذيبهم واستهزائهم لان
المصيبة اذا عمت خفت ثم قال فاهلكنا اشد منهم بطشا اي ان اولئك المتقدمين الذين
ارسل الله اليهم الرسل كانوا اشد بطشا من قريش واكثر عددا وجلدا قوله بطشا
فيه وجهان احدهما انه تمييز لاشد والثاني انه حال من الفاعل اي اهلكناهم باطشين
قوله ومضى مثل الاولين والمعنى ان كفار مكة سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك
من كان قبلهم فليحذروا ان ينزل بهم الخزي مثل ما نزل بالاولين اي صفتهم وسنتهم
وعقوبتهم فعاقبة هؤلاء كذلك في الاهلاك قوله تعالى ولئن سالتهم من خلق
السموات والارض الاية والمعنى ولئن سالت قومك من خلق السموات والارض

وقيل

وقيل الضمير في سالتهم يحتمل رجوعه الى الانبيا والاقرب الاول اي انهم مع كفرهم مقرين بعزته
وعلمه ثم عبدوا غيره وانكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم قوله خلقهن العزيز تكرار الفعل
للتوكيد اذ لو جا العزيز بغير خلقهن لكان كافيا كقولك من قام فيقال زيد وفيها دليل على
ان الجلالة الكريمة من قوله ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله مرفوعة بالفاعلية لا بالابتدا
للتصريح بالفعل في نظيرتها وهذا الجواب مطابق للسوال من حيث المعنى اذ لو جاء على اللفظ
لجي فيه بجملة ابتدائية كالسوال قوله الذي جعل لكم الارض مهادا اعلم انه قد تم الاخبار
عنهم ثم ابتدا الاعلى نفسه بذكر مصنوعاته فقال الذي جعل لكم الارض مهادا ولو كان
هذا من جملة كلام الكفار لقالوا الذي جعل لنا الارض مهادا الا ان قوله في اثناء الكلام
فانشرنا به بلدة ميتا لا يليق الا بكلامه ونظيره من كلام الناس ان يسمع الرجل رجلا يقول
الذي بنا هذا المسجد فلان العالم فيقول السامع لهذا الكلام الزاهد الكريم كان ذلك
السامع يقول انا اعرفه بصفات حميدة فوق ما تعرفه وازيد في صفته فيكون النعتان
جميعا من رجلين لرجل واحد ومعنى كون الارض مهادا ان الانتفاع بها انما حصل لكونها
واقفة ساكنة فانها لو كانت متحركة لما امكن الانتفاع بها في الزراعة والابنية وستر
عيوب الاحيا والاموات ولان المهد موضع راحة الصبي فكانت الارض مهادا لكثرة ما فيها
من الراحات وجعل لكم فيها سبلا وذلك ان انتفاع الناس بها انما يكمل اذا سعوا في اقطار
الارض فهيا تعالى تلك السبل ووضع عليها علامات ليحصل بها الانتفاع ثم قال لعلكم تهتدون
الى مقاصدكم في اسفاركم او لتهتدوا الى الحق في الدين قوله والذي نزل من السما ما بقدر
اي بقدر حاجتكم اليه من غير زيادة ولا نقصان لا كما انزل على قوم نوح بغير قدر حتى
اغرقهم قوله فانشرنا به بلدة ميتا قراة العامة مخففا وعيسى وابو جعفر مثقلا وتقدم
الكلام فيه في ال عمران وتقدم في الاعراف الخلاف في تخرجون ويخرجون اي كما احيينا
هذه البلدة بالمطر ومعنى الميتة الخالية من النبات كذلك تخرجون من قبوركم احيا والمعنى
ان هذا الدليل كما دل على قدرة الله وحكمته فكذلك يدل على قدرته على البعث والقيمة
ووجه التشبيه انه جعلهم احيا بعد الاماتة كهذه الارض التي انتشرت بعدما كانت ميتة
وقيل بل وجه التشبيه انه يعيدهم ويخرجهم من الارض بما كالمني كما تنبت الارض بماء المطر
وهذا ضعيف لان ظاهر لفظ الانشار الاعادة فقط دون هذه الزيادة قوله والذي خلق
الازواج كلها قال ابن عباس الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض
والاسود والذكر والانثى وقال بعض المحققين كل ما سوى الله فهو زوج كالفوق والتحت
واليمين واليسار والقدام والخلف والماضي والمستقبل والذوات والصفات والصيف
والشتا والربيع والخريف وكونها ازواجا يدل على انها ممكنة الوجود في ذواتها محدثة
مسبوقة بالعدم فاما الحق تعالى فهو الفرد المنزه عن الضد والند والمقابل والمعاضد
فلهذا قال تعالى والذي خلق الازواج كلها اي كل ما هو زوج فهو مخلوق فدل هذا على
ان خالقها فرد مطلق منزه عن الزوجية قال ابن الخطيب وايضا علماء الحساب بينوا ان
الفرد افضل من الزوج من وجوه الاول ان الاثنين لا توجد الا عند حصول وحدتين
فالزوج محتاج الى الفرد والفرد هو الوحدة وهي غنية عن الزوج والغني افضل من
المحتاج الثاني ان الزوج يقبل القسمة وقبول القسمة بقسمين متساويين والفرد لا يقبل
القسمة وقبول القسمة انفعال وتاثر وعدم قبولها قوة وشدة فكان الفرد افضل من
الزوج ممكنات ومحدثات ومخلوقات وان الفرد هو القائم بذاته المستقل بنفسه الغني
عما سواه قوله وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ما موصولة وعائدها محذوف اي ما
تركبونه وركب بالنسبة الى الفلك يتعدى بحرف الجر فاذا ركبوا في الفلك وفي غيره بنفسه قال
لتركبوها فغلب هنا المتعدي بنفسه على المتعدي بواسطة فلذلك حذف العائد فصل
السفر اما ان يكون في البحر واما ان يكون في البر فاما سفر البحر فعلى السفينة واما سفر
البر فعلى الانعام فان قيل لم يقل على ظهورها فالجواب من وجوه الاول قال ابو
عبيدة التذكير لقوله ما تركبون والتقدير وما تركبون فالضمير يعود على لفظ ما فلذلك افرده

ثم ذكر وجوها اخر منها ان الفرد افضل من الزوج واذا كان كذلك ثبت ان الازواج

الثاني قال الفرا اضاف الظهر الي واحد فيه معني الجمع بمنزلة الجنس فلذلك ذكره وجمع
الظهور باعتبار معناه الثالث ان التانيث فيها ليس حقيقيا فجاز ان يختلف اللفظ
فيه كما يقال عندي من النسا ما يوافقك قوله لتستووا يجوز ان تكون هذه لام العلة
وهو الظاهر وان تكون للصيرورة فيتعلق في كلتيهما بجعل وجوز ابن عطية ان تكون
للام وفيه بعد لقلة دخولها على امر المخاطب قري شاذا فلتفرحوا وفي الحديث لتاخذوا
مصافكم وقال لتقم انت يا ابن خير قريش • فلتقضي حوايج المسلمينا •
نص النحويون على قلتها ما عدا ابا القاسم الزجاجي فانه جعلها لغة جيدة قوله
ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه اي تذكرونها في قلوبكم وذلك الذكر هو ان
يعرف ان الله تعالي خلق البحر وخلق الرياح وخلق جرم السفينة علي وجه يمكن الانسان
من تصريف هذه السفينة الي اي جانب شا فاذا تذكر ان خلق البحر وخلق الرياح وخلق
السفينة على هذه الوجوه القابلة لتصرف الانسان ولتحريكاته انما هو من تدبير
الحكيم العليم القدير عرف ان ذلك نعمة من الله تعالي فيحمله ذلك علي الانقياد
لطاعة الله تعالي وعلي الاشتغال بالشكر لنعم الله التي لا نهاية لها قوله وتقولوا
سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين وقيل ضابطين واعلم انه تعالي
عين ذكر الركوب السفينة والدابة وهو قوله سبحان الذي سخر لنا هذا وذكر عند
دخول المنازل قوله تعالي رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين وتحقيقه ان
الدابة المركوبة لابد وان تكون اكثر قوة من الانسان بكثير وليس لها عقل يهديها
الي طاعة الانسان ولكنه تعالي خلق تلك البهيمة علي وجوه مخصوصة في خلقها
الظاهر وخلقها الباطن فحصل منها هذا الانتفاع اما خلقها الظاهر فلانها تمشي علي
اربع فكان ظهرها يحسن لاستقرار الانسان عليه واما خلقها الباطن فلانها مع قوتها
الشديدة قد صيرها الله تعالي منقادة للانسان ومسخرة له فاذا تامل الانسان
في هذه العجايب عظم تعجبه من تلك القدرة والحكمة التي لا نهاية لها فلا بد وان
تقول سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قوله له متعلق بمقرنين
وقدم للفواصل والمقرن المطيق للشي الضابط له من اقرنه اي اطاقه قال الواحدي
كان اشتقاقه من قولك صرت له قرنا ومعني قرن فلان اي مثله في الشدة وقال
ابو عبيدة قرن لفلان اي ضابط له والقرن الحبل وقال ابن هرمة واقرنت ما حملتني
ولقلما يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر وقال عمرو بن معدي كرب •
• لقد علم القبايل ما عقيل • لنا في النايبات بمقرنينا •
قال • وابن اللبون اذا ما لز في قرن • لم يستطع صولة البزل القناعيس •
وقري مقترنين بالتا قبل الراء فصل ومعني الاية ليس عندنا من القوة والطاقة
ان نقرن هذه الدابة والفلك وان نضبطها فسبحان من سخر لنا هذا بقدرته وحكمته
روي الزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال
بسم الله فاذا استوي علي الدابة قال الحمد لله علي كل حال سبحان من سخر لنا
هذا وما كنا له مقرنين وانا الي ربنا لمنقلبون وروي عن علي ايضا مثله وزاد ثم
حمد ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال لا اله الا الله ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا
انت ثم ضحك فقيل م تضحك يا امير المومنين قال رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم
فعل ما فعلت فقلنا ما يضحكك يا نبي الله قال العبد اذا قال لا اله الا الله ظلمت
نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت يعلم انه لا يغفر الذنوب الا هو فصل
دلت هذه الاية علي خلاف قول المجبرة من وجوه الاول انه تعالي قال لتستووا على
ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم فذكره بلام كي وهذا يدل على انه اراد منا هذا الفعل وهذا
يدل على بطلان قولهم انه تعالي اراد الكفر منه الثاني قوله لتستووا يدل على ان
فعله معلل بالاغراض الثالث انه تعالي بين ان خلق هذه الحيوانات علي هذه الطبايع
انما كان لغرض ان يصدر الشكر عن العبد ولو كان فعل العبد فعلا لله تعالي لكان معني

الاية

الاية اي جعلت هذه الحيوانات علي هذه الطبايع لاجل ان اخلق سبحان في لسان العبد
وهذا باطل لانه تعالي قادر علي ان يخلق هذا اللفظ في لسانه بدون هذه الوسايط
قال ابن الخطيب والكلام علي هذه الوجوه معلوم مما تقدم فلا فايدة في الاعادة قوله
وانا الي ربنا لمنقلبون اي لصيرون في المعاد ووجه اتصال الكلام بما قبله ان راكب
الفلك في خطر الهلاك وراكب الدابة كذلك ايضا لان الدابة قد يحصل لها ما يوجب هلاك
الراكب وكذلك السفينة قد تنكسر فلما ركوبهما تفويض النفس للهلاك فوجب علي الراكب
ان يتذكر امر الموت ويقطع انه هالك وانه منقلب الي الله وغير منفلت من قضايه
وقدره فان اتفق له ذلك كان قد وطن نفسه علي الموت قوله تعالي وجعلوا له من
عباده جزا الاية قال ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بين انهم مع
اقرارهم بذلك جعلوا له من عباده جزا والمراد به التنبيه علي قلة عقولهم قوله جزا
قرا عاصم في رواية ابي بكر جزؤا بضم الزاي والهمزة في كل القران والباقون باسكان الزاي
في كل القران وهما لغتان واما حمزة فاذا وقف قال جزا بفتح الزاي بلا همز وجزا
مفعول اول للجعل والجعل بتصيير قولي ويجوز ان يكون بمعني سموا واعتقدوا واغرب
ما قيل هنا ان الجزا الانثي واستشهدوا •
• ان اجزات حرة يوما فلا عجب • قد تجزي الحرة المذكار احيانا •
وقول الاخر • زوجته من بنات الاوس مجزية • للعوسج اللدن في ابنايها غزل •
قال الزمخشري اثر الصنعة فيهما ظاهر وقال الزجاج والازهري هذه اللغة فاسدة
وهذه الابيات مصنوعة فصل المشهور ان المراد من هذا الجعل انهم اثبتوا لله
ولدا بمعني حكموا به كما تقول جعلت زيدا افضل الناس اي وصفته وحكمت به وذلك
هو قولهم الملايكة بنات الله لان ولد الرجل جزء منه قال عليه السلام فاطمة بضعة
مني والمعقول من الولد ان ينفصل من الولد جزء من اجزايه ثم يتربي ذلك الجزء ويتولد
منه شخص مثل ذلك الاصل واذا كان كذلك فولد الرجل جزء منه وقيل المراد بالجزء
اثبات الشركا لله وذلك انهم لما اثبتوا الشركا فقد زعموا ان كل العبادة ليست لله بل
بعضها لله وبعضها لغير الله فهم ما جعلوا لله من عباده كلهم بل جعلوا له من بعضهم جزاء
منهم قالوا وهذا القول اولي لانا اذا حملنا هذه الاية علي انكار الشريك لله وحملنا الاية
التي بعدها علي انكار الولد لله كانت الاية جامعة للرد علي جميع المبطلين ثم قال ان الانسان
لكفور يعني الكافر لكفور جحود لنعم الله مبين ظاهر الكفر قوله ام اتخذ مما يخلق بنات
هذا استفهام توبيخ وانكار يقول اتخذ ربكم لنفسه البنات واصفاكم اخلصكم بالبنين
يقال اصفيت فلانا اي اثرته به ايثارا حصل له علي سبيل الصفا من غير ان يكون له
فيه مشارك لقوله افاصفاكم ربكم بالبنين فقوله واصفاكم يجوز ان يكون داخلا في حيز
الانكار معطوفا علي اتخذ ويجوز ان يكون حالا اي ام اتخذ في هذه الحالة وقد
مقدرة عند الجمهور فصل اعلم ان الله تعالي رتب هذه المناظرة علي احسن
الوجوه وذلك لانه بين ان اثبات الولد لله محال وبتقدير ان يثبت الولد فجعله بنا محال
ايضا اما بيان ان اثبات الولد لله محال فلان الولد لا بد وان يكون جزءا من الوالد وما
كان له جزء كان مركبا وكل مركب ممكن وايضا ما كان كذلك فانه يقبل الاتصال والانفصال
والاجتماع والافتراق وما كان كذلك فهو محدث عبد فلا يكون الها قديما ازليا واما
المقام الثاني وهو ان بتقدير ان يكون لله ولد فانه يمتنع ان يكون بنتا لان الابن افضل من البنت
فلو اتخذ لنفسه البنات واعطي البنين لعباده لزم ان يكون حال العبد اكمل وافضل من
حال الله وذلك مدفوع ببديهة العقل قوله واذا بشر احدهم تقدم نظيره قال الزمخشري
وقري هنا وجهه مسود ومسواد بالرفع علي انها جملة في موضع خبر ظل واسم ظل ضمير الشان
فصل والمعني بما ضرب للرحمن مثلا اي جعل لله شبها لان ولد كل شي يشبهه ظل وجهه
اي صار وجهه مسودا وهو كظيم من الحزن والغيظ والمعني ان الذي بلغ حاله في النقص
الي هذا الحد كيف يجوز للعاقل اثباته لله روي ان بعض العرب هجر بيته حين وضعت

امراته بنتا فقالت المراة • ما لابي حمزة لا ياتينا • يظل في البيت الذي يلينا •
غضبان ان لا نلد البنينا • ليس لنا من امرنا ما شينا • وانما ناخذ ما اعطينا •
قوله او من ينشا في الحلية يجوز في من وجهان احدهما ان يكون في محل نصب مفعولا بفعل
مقدر اي او يجعلون من ينشا في الحلية والثاني انه مبتدا وخبره محذوف تقديره او من ينشا
جزاء وولدا وجعلوا لله جزاء وقال البغوي يجوز ان يكون من في محل خفض ردا على قوله مما
يخلق وقوله بما ضرب وقرا العامة ينشا بفتح الياء وسكون النون من نشا كذا ينشا فيه
والاخوان وحفص بضم اليا وفتح النون وتشديد الشين مبنيا للمفعول اي يربى و قرا
الجحدري كذلك الا انه خفف الشين اخذه من انشاه والحسن ينشا كيقاتل مبنيا للمفعول
والمفاعلة تاتي بمعنى الافعال كالمغالاة بمعنى الاغلاء فصل المراد من هذا الكلام
التنبيه على نقصانها والمعنى ان الذي يتربى في الحلية والزينة يكون ناقص الذات لانه
لولا نقصانها في ذاتها لما احتاجت الى تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بطريق
اخر وهو قوله وهو في الخصام غير مبين الجملة حال وفي الخصام يجوز ان يتعلق بمحذوف
يدل عليه ما بعده تقديره وهو لا يبين في الخصام اي الحجة ويجوز ان يتعلق بمبين وجاز
للمضاف اليه ان يعمل فيما قبل المضاف لان غير بمعنى لا كما تقدم تحقيقه اخر الفاتحة فصل
المعنى وهو في المخاصمة غير مبين للحجة من ضعفهن وسفههن قال قتادة في هذه الاية
قلما تتكلم امراة فتريد ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها قوله وجعلوا الملايكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا جعلوا اي حكموا به وقرا نافع وابن كثير وابن عامر عند
الرحمن ظرفا يؤيده قوله ان الذين عند ربك والباقون عباد جمع عبد والرسم يحتملهما وقرا
الاعمش كذلك الا انه نصب عباد على اضمار فعل اي الذين هم خلقوا عبادا ونحوه وقرا عبد الله
وكذلك هي في مصحفه الملايكة عباد الرحمن وابي عبد الرحمن بالافراد واناثا هو المفعول
الثاني للجعل بمعنى الاعتقاد او التصيير القولي وقرا زيد بن علي انثا جمع الجمع قوله اشهدوا
قرا نافع بهمزة مفتوحة ثم باخرى مضمومة مسهلة بينها وبين الواو وسكون الشين على
ما لم يسم فاعله اي احضروا خلقهم حين خلقوا كقوله ام خلقنا الملايكة اناثا وهم شاهدون
وهذا استفهام على سبيل الانكار وقرا قالون ذلك بالمد يعني بادخال الف بين الهمزتين
والقصر يعني بعدم الالف والباقون بفتح الشين بعد همزة واحدة فنافع ادخل همزة
التوبيخ على اشهدوا فعلا رباعيا مبنيا للمفعول فسهل همزته الثانية وادخل الفا بينهما
كراهة لاجتماعهما وتارة لم يدخلها اكتفا بتسهيل الثانية وهي اوجه والباقون ادخلوا
همزة الانكار على شهد واثلاثيا والشهادة هنا الحضور ولم ينقل ابو حيان عن نافع تسهيل
الثانية بل نقله عن علي بن ابي طالب وقرا الزهري اشهدوا رباعيا مبنيا للمفعول وفيه
وجهان احدهما ان يكون حذف الهمزة لدلالة القراة الاخرى كما تقدم في قراة الجحدري والثاني
ان تكون الجملة خبرية وقعت صفة لاناثا اي اجعلوهم اناثا مشهودا خلقهم كذلك قوله
ستكتب شهادتهم قرا العامة ستكتب بالتاء من فوق مبنيا للمفعول شهادتهم بالرفع لقيامه
مقام الفاعل وقرا الحسن شهاداتهم بالجمع والزهري سيكتب بالياء من تحت وهو في الباقي
كالعامة وابن عباس وزيد بن علي وابو جعفر وابو حيوة سنكتب بنون العظمة شهادتهم
على الملايكة بالنصب مفعولا به فصل المعنى ستكتب شهادتهم على الملايكة انهم
بنات الله ويسالون عنها قال الكلبي ومقاتل لما قالوا هذا القول سالهم النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ما يدريكم انهم اناث قالوا سمعنا من ابايا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال
الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسالون عنها في الاخرة وهذا يدل على ان القول بغير
دليل منكر وان التقليد حرام يوجب الذم العظيم والعقاب الشديد قال المحققون هولاء
الكفار كفروا في هذا القول من ثلاثة اوجه اولها اثبات الولد وثانيها ان ذلك الولد
بنت وثالثها الحكم على الملايكة بالانوثة فصل احتج من قال بتفضيل الملايكة
على البشر بهذه القراات اما قراة عندنا لنون فهذه العندية لاشك انها عندية الفضل
والقرب من الله تعالى بسبب الطاعة ولفظة هم يوجب الحصر والمعنى انهم هم الموصوفون

بهذه العندية لا غيرهم فوجب كونهم افضل من غيرهم رعاية للفظ الدال على الحصر واما
قراة عباد جمع العبد فقد تقدم ان لفظ العباد في القران مخصوص بالمومنين فقوله عباد
الرحمن يفيد حصر العبودية فيهم فاذا كان اللفظ الدال على العبودية دالا على حصر الفضل
والقرب والشرف فيهم وجب كونهم افضل والله اعلم قوله تعالى وقالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم الاية يعني الملايكة قاله قتادة ومقاتل والكلبي وقال مجاهد يعني الاوثان
وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا اياهم لرضاه منا بعبادتها وهذا نوع اخر من كفرهم وشبههم ثم
فصل قالت المعتزلة هذه الاية تدل على فساد القول بالجبر في ان كفر الكافر يقع
بارادة الله من وجهين الاول انه تعالى حكى عنهم انهم قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وهذا
تصريح بقول المجبرة ثم انه تعالى ابطله بقوله ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون فثبت بطلان
هذا المذهب ونظيره قوله تعالى في سورة الانعام سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا
الى قوله هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون الثاني انه
تعالى حكى عنهم قبل هذه الاية انواع كفرهم فاولها قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا وثانيها
قوله وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وثالثها قوله تعالى ولو شاء الرحمن ما عبدناهم
فلما حكى هذه الاقاويل بعضها على اثر بعض وثبت ان القولين الاولين كفر محض فكذلك هذا القول
الثالث يجب ان يكون كفرا واجاب الواحدي في البسيط بوجهين الاول ما ذكره الزجاج وهو ان
قوله تعالى ما لهم به من علم عايد الى قولهم الملايكة بنات الله والثاني انهم ارادوا بقولهم لو شاء
الرحمن ما عبدناهم انه امرنا بذلك ورضي بذلك فقررنا عليه فانكر عليهم ذلك قال ابن الخطيب وهذان
الوجهان عندي ضعيفان اما الاول فلانه تعالى حكى عن القوم قولين باطلين وبين وجه بطلانهما
ثم حكى بعده وجها ثالثا في مسالة اجنبية عن المسالتين الاوليين ثم حكى البطلان والوعيد فصرف
هذا الابطال الذي ذكره عنه الى كلام متقدم واجنبي عنه في غاية البعد واما الوجه الثاني فهو
ايضا ضعيف لان قوله لو شاء الرحمن ما عبدناهم ليس فيه بيان متعلق تلك المشية والاجمال
خلاف الدليل فوجب ان يكون التقدير لو شاء الله ان لا نعبدهم ما عبدناهم وكلمة لو تفيد انتفاء
الشيء لانتفاء غيره فهذا يدل على انه لم توجد مشيته لعدم عبادتهم وهذا عين مذهب المجبرة والابطال
والافساد يرجع الى فساد هذا المعنى ومن الناس من اجاب عن هذا الاستدلال بان قال انهم
انما ذكروا ذلك الكلام على سبيل الاستهزاء والسخرية فلهذا السبب استوجبوا الطعن والذم واجاب
الزمخشري عنه من وجهين الاول انه ليس في اللفظ ما يدل على انهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل
عليه باطل الثاني انه تعالى حكى عنهم ثلاثة اشياء وهي انهم جعلوا له من عباده جزءا وانهم جعلوا
الملايكة اناثا وانهم قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو قلنا بانه انما جاء الذم على القول الثالث
لانهم قالوه على طريق الهزء لا على سبيل الجد وجب ان يكون الحال في الحكاية للقولين كذلك فيلزم
انهم لو نطقوا بتلك الاشياء على سبيل الجد ان يكونوا محقين ومعلوم انه كفر واما القول بان الطعن في
القولين الاولين انما توجه على نفس ذلك القول وبعض القول الثالث لا على نفسه بل على ايراده
على سبيل الاستهزاء فهذا يوجب تشويش النظم وانه لا يجوز في كلام الله قال ابن الخطيب
والجواب الحق عندي عن هذا الكلام هو ما ذكرنا في سورة الانعام وهو ان القوم لما ذكروا هذا الكلام
استدلوا بمشية الله تعالى للكفر على انه لا يجوز ورود الامر بالايمان فاعتقدوا ان الامر والارادة
يجب كونهما متطابقين وعندنا ان هذا باطل فالقوم لم يستحقوا الذم لمجرد قولهم ان الله يريد
الكفر من الكافر بل لاجل انهم قالوا لما اراد الكفر من الكافر وجب ان يقبح منه امر الكافر بالايمان
فاذا صرفنا الذم الى هذا المقام سقط استدلال المعتزلة بهذه الاية وتمام التقرير مذكور في
سورة الانعام قوله ما لهم بذلك من علم فيما يقولون ان هم الا يخرصون ما هم الا كاذبون في قولهم
ان الله رضي عنا بعبادتنا وقيل ان هم الا يخرصون في قولهم الملايكة اناث وهم بنات الله قوله
ام اتيناهم كتابا من قبله اي من قبل القران او الرسول بان نعبد غير الله فهم به مستمسكون يعني
ان القول الباطل الذي حكاه الله عنهم عرفوا صحته بالعقل او بالنقل اما اثباته بالعقل فهو
باطل لقوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون واما اثباته بالنقل فهو ايضا باطل لقوله
تعالى ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون والمعنى انهم وجدوا ذلك الباطل في كتاب

مترف قبل القران حتى جاز لهم ان يتمسكوا به فذكر هذا في معرض الانكار قوله بل قالوا انا وجدنا
اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون والمقصود انه تعالى لما بين انه لا دليل على صحة قولهم
البتة لا من العقل ولا من النقل بين انه ليس لهم حامل يحملهم عليه الا التقليد المحض ثم بين ان
تمسك الجهال بالتقليد امر كان حاصلا من قديم الزمان فقال وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية
من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون قوله امة العامة
على ضم الهمزة بمعنى الطريقة والدين قال قيس بن الحطيم
• كنا على امة اباينا • ويقتدي بالاول الاخر •
اي ذوي دين وقرا مجاهد وقتادة وعمر بن عبد العزيز بالكسر قال الجوهري هي الطريقة الحسنة
لغة في امة بالضم قال الزمخشري كلتاهما من الام وهو القصد فالامة الطريقة التي تؤم كالرحلة
للمرحول اليه والامة الحالة التي يكون عليها الام وهو القاصد وقرا ابن عباس بالفتح وهي المرة من
الام فالمراد بها القصد والحال **فصل** المراد بالمترفين الاغنياء والرؤساء فالمترف هو
الذي اترفته النعمة فلا يحب الا الشهوات والملاهي ويبغض المشاق في طلب الحق واذا عرف ذلك
علمنا ان راس جميع الافات حب الدنيا واللذات الجسمانية وراس جميع الخيرات هو حب الله تعالى
والدار الاخرة ولهذا قال عليه السلام حب الدنيا راس كل خطيئة قوله قل اولو جئتكم الاية
قرا ابن عامر وحفص قال ماضيا مكان قل امرا اي قال النذير او الرسول وهو النبي صلى الله
عليه وسلم والامر في قل يجوز ان يكون للنذير او للرسول وهو الظاهر وقرا ابو جعفر وشيبة جئناكم
بنون المتكلمين باهدى اي بدين اصوب مما وجدتم عليه اباءكم وان جئتكم باهدى منه فتعتقد
هذا حكى الله عنهم انهم قالوا انا لا ننفك عن دين اباينا وان جئتنا بما هو اهدى فانا بما ارسلتم
به كافرون وان كان اهدى مما كنا عليه فنعتقد هذا لم يبق لهم عذر فلهذا قال تعالى فانتقمنا
منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين وهذا تهديد للكفار قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه
وقومه انني براء مما تعبدون لما بين في الاية المتقدمة انه ليس لاولئك الكفار حجة الا تقليد
الاباء ثم بين انه طريق باطل وان الرجوع الى الدليل اولى من التقليد اورد فيه هذه الاية وهو
وجه اخر يدل على فساد التقليد من وجهين الاول انه تعالى حكى عن ابراهيم عليه السلام انه
تبرا من دين ابايه بناء على الدليل وذلك ان تقليد الاباء في الاديان اما ان يكون محرما او جايزا
فان كان محرما فقد بطل القول بالتقليد وان كان جايزا فمعلوم ان اشرف اباء العرب هو ابراهيم
عليه السلام لانهم ليس لهم فخر ولا شرف الا بكونهم من اولاده واذا كان كذلك فتقليد هذا الاب
الذي هو اشرف الاباء اولى من تقليد ساير الاباء واذا ثبت ان تقليده اولى من تقليد غيره
فنقول انه ترك دين الاباء وحكم بان اتباع الدليل اولى من متابعة الاباء فوجب تقليده
في ترجيح الدليل على التقليد الوجه الثاني انه تعالى بين ان ابراهيم عليه السلام لما عدل
عن طريقة ابيه الى متابعة الدليل لا جرم جعل الله دينه ومذهبه باقيا في عقبه الى يوم
القيمة واما اديان ابايه فقد اندرست وبطلت فثبت ان الرجوع الى متابعة الدليل يبقى
محمود الاثر الى قيام الساعة وان التقليد ينقطع اثره قوله براء العامة على فتح الباء
والف وهمزة بعد الراء وهو مصدر في الاصل وقع موقع الصفة وهي بري وبها قرا الاعمش
ولا يثنى براء ولا يجمع ولا يونث كالمصادر في الغالب قال الزمخشري والفراء والمبرد لا يقولون
البراان ولا البراون ولا البراوات لان المعنى ذو البراءة وذوا البراءة فان قلت منك ثنيت وجمعت
وقرا الزعفراني وابن المبارك عن نافع بضم الباء بزنة طوال وكرام يقال طويل وطوال وبري
وبراء وقرا الاعمش اني بنون واحدة قوله الا الذي فطرني فيه اربعة اوجه احدها انه
استثناء منقطع لانهم كانوا عبدة اصنام فقط الثاني انه متصل لانه روي انهم كانوا يشركون
مع الباري غيره الثالث ان يكون مجرورا بدلا من ما الموصول في قوله مما تعبدون قاله
الزمخشري ورده ابو حيان بانه لا يجوز الا في نفي او شبهه قال وغره كون براء في معنى
النفي ولا ينفعه ذلك لانه موجب قال شهاب الدين قد تاول النحاة ذلك في مواضع من
القران كقوله ويابى الله الا ان يتم نوره وانها لكبيرة الا على الخاشعين والاستثناء المفرغ
لا يكون في اثبات ولكن لما كان ذلك في معنى لا يفعل وانها لكبيرة بمعنى لا تسهل ولا تخف ساغ ذلك

فهذا مثله الرابع ان يكون الا صفة بمعنى غير على ان تكون ما نكرة موصوفة قاله الزمخشري قال
ابو حيان وانما اخرجها في هذا الوجه عن كونها موصولة لانه يرى ان الا بمعنى غير لا يوصف بها الا النكرة
وفيها خلاف فعلى هذا يجوز ان يكون ما موصولة والا بمعنى غير صفة لها **فصل** الا الذي
فطرني اي خلقني فانه سيهدين يرشدني لدينه ويوفقني لطاعته قوله وجعلها الضمير المرفوع
لابراهيم وهو الظاهر او لله والضمير المنصوب لكلمة التوحيد المفهومة من قوله انني براء الى اخره
او لانها بمنزلة الكلمة فعاد الضمير على ذلك اللفظ لاجل المعنى به وقرا حميد بن قيس كلمة بكسر
الكاف وسكون اللام وقرا في عقبه بسكون القاف وقري في عاقبته اي وارثه والمعنى ان هذه
الكلمة كلمة باقية في عقبه اي في ذريته قال قتادة لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده
قال القرطبي يعني وجعل وصية ابراهيم التي وصى بها بنيه باقية في ذريته وهو قوله عز وجل
ووصى بها ابراهيم بنيه وقال ابن زيد يعني قوله اسلمت لرب العالمين وقرا هو سماكم المسلمين
لعلهم يرجعون لعل اهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون مما هم عليه الى دين ابراهيم وقال
السدي لعلهم يتوبون ويرجعون الى طاعة الله عز وجل قوله بل متعت قرا الجمهور متعت
بتاء المتكلم وقتادة والاعمش بفتحها للمخاطب خاطب ابراهيم او محمد ربه بذلك وبها قرا نافع
في رواية يعقوب والاعمش ايضا بل متعنا بنون العظمة هؤلاء واباءهم يعني اهل مكة وهم
عقب ابراهيم بزيد مشركي مكة ولم اعاجلهم بالعقوبة على الكفر حتى جاءهم الحق وهو القران
وقال الضحاك يعني الاسلام ورسول مبين برسالة واضحة يبين لهم الاحكام وهو محمد
صلى الله عليه وسلم فلم يطيعوه وعصوا وكذبوا به وسموه ساحرا ووجه النظم انهم لما
عولوا على تقليد الاباء ولم يتفكروا في الحجة اغتروا بطول الامهال وامتاع الله اياهم بنعيم
الدنيا فاعرضوا عن الحق وقال الزمخشري ان قيل ما وجه من قرا متعت بفتح التاء قلنا
كان الله سبحانه وتعالى اعترض على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون
فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى منعهم ذلك عن كلمة
التوحيد واراد بذلك المبالغة في تعييرهم لانه اذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم ان يجعلوا
ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا ومثاله
ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك
واحسانك اليه ويريد بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعل نفسه قوله ولما جاءهم الحق
وهو القران قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم هذا نوع اخر من كفرانهم وهو انهم قالوا منصب الرسالة منصب شريف فلا يليق الا برجل
شريف وصدقوا في ذلك الا انهم ضموا اليه مقدمة فاسدة وهي ان الرجل الشريف عندهم
هو الذي يكون كثير المال والجاه ومحمد ليس كذلك فلا يليق رسالة الله به وانما يليق هذا
المنصب برجل عظيم الجاه كثير المال يعنون الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي
بالطايف قاله قتادة وقال مجاهد عتبة بن ربيعة من مكة وعبد يا ليل الثقفي من الطايف
وعن ابن عباس هو الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطايف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي ومن
القريتين فيه حذف مضاف فقدره بعضهم من رجلي القريتين وقيل من احدى القريتين وقيل
المراد عروة بن مسعود الثقفي كان بالطايف وكان يتردد بين القريتين فنسب الى كلتيهما وقرا
رجل بسكون الجيم وهي تميمية قوله اهم يقسمون رحمة ربك يعني النبوة والهمزة
للانكار وهذا ابطال لشبهتهم وتقريره من وجوه الاول انا اذا اوقعنا التفاوت في مناصب
الدنيا ولم يقدر احد من الخلق على التغيير فالتفاوت الذي اوقعناه في مناصب الدين
والنبوة بان لا يقدروا على التصرف فيه اولى الثاني ان اختصاص ذلك المعين بذلك الرجل
انما كان لاجل حكمنا وفضلنا واحساننا فكيف يليق بالعقل ان يجعل احساننا اليه بكثرة المال
حجة علينا في ان يحسن اليه ايضا بالنبوة الثالث انا انما اوقعنا التفاوت في الاحسان
بمنافع الدنيا لا بسبب سابق فلم لا يجوز ايضا ان يوقع التفاوت في الاحسان بمناصب
الدين والنبوة لا بسبب سابق ثم قال نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فجعلنا
هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا لانا فضلنا بعضهم على بعض في الرزق كما شينا

ما كانوا يقولون وقيل يعود الى ما تقدم من عدم قبول الشفاعة وقيل يعود الى ابتداي ما لهم بالله من علم فيشركون وقال مكي انها تعود على الاسم لان التسمية والاسم بمعنى وقرا ابي بها اي بالاخرة اي ما لهم بالاخرة من علم وقيل بالملايكة وقيل بالتسمية وهذا يقوي قول مكي فان قلنا ما لهم بالاخرة فهو جواب كما قلنا انهم وان كانوا يقولون ان الاصنام شفعاونا عند الله وكانوا يربطون الابل على قبور الموتى ليركبوها لكن ما كانوا يقولون به عن علم وان قلنا بالتسمية ففيه اشكال وهو ان العلم بالتسمية حاصل لهم فانهم يعلمون انهم يسموا والجواب ان التسمية قد يكون واضعها الاول عالما بانه وضع وقد يكون استعمالا لامعنويا يتطرق اليه الصدق والكذب والعلم فمثال الصدق من وضع اولا اسم السما لموضوعها وقال هذا سما ومثال الكذب اذا قلنا بعد ذلك للما والحجر هذا سما فانه كذب ومن اعتقده فهو جاهل وكذلك قولهم في الملايكة انهم بنات الله لم يكن تسمية وضعية وانما ارادوا به انهم موصوفون باسم يجب به استعمال لفظ البنات فيهم وذلك كذب ومعتقده جاهل فالمراد التسمية التي هي عن وصف حقيقي لا التسمية الوضعية لانهم عالمون بها فهذا هو المراد قال ابن الخطيب قوله ان يتبعون الا الظن تقدم الكلام عليه وقوله ان الظن لا يغني من الحق شيا قيل الحق بمعنى العلم اي لا يقوم الظن مقام العلم وقيل الحق بمعنى العذاب اي ان ظنهم لا ينقذهم من العذاب قال ابن الخطيب المراد منه ان الظن لا يغني في الاعتقادات شيا واما في الافعال العرفية او الشرعية فانه يتبع عند عدم الوصول الى اليقين ويحتمل ان يقال المراد من الحق هو الله تعالى والمعنى ان الظن لا يفيد شيا من الله اي ان اوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون بدليل قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق فان قيل اليس الظن قد يصيب فكيف يحكم عليه بانه لا يغني اصلا فالجواب ان المكلف يحتاج الى تمييز الحق من الباطل ليعتقد الحق ويميز الخير من الشر ليفعل الخير لكن في الحق ينبغي ان يكون جازما لاعتقاده مطابقته والظان لا يكون جازما وفي الخير ربما يعتبر الظن في مواضع

فصل

اعلم ان الله تعالى منع من الظن في ثلثة مواضع احدها قوله تعالى ان هي الا اسما سميتموها انتم واباوكم ما انزل الله بها من سلطان ان تتبعون الا الظن وثانيها هذه الاية وثالثها في الحجرات وهي قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بيس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاوليك هم الظالمون الى قوله اجتنبوا كثيرا من الظن فالاول كان المنع عقيب التسمية والثاني عقيب الدعا بالالقاب وكل ذلك دليل على ان حفظ اللسان اولى من حفظ غيره من الاركان وان الكذب افحش من السيات الظاهرة من الايدي والارجل فهذه المواضع الثلثة دلت على ان الظن فيها مذموم احدها مدح من لا يستحق المدح كاللات والعزى من العز وثانيها ذم من لا يستحق الذم وهم الملايكة الذين هم عباد الرحمن يسمونهم تسمية الانثى وثالثها ذم من لم يعلم حاله واما مدح من يعلم حاله فلم يقل فيه لا يتبعون الظن بل الظن معتبر فيه والاخذ بظاهر حال العاقل واجب قوله فاعرض عمن تولى عن ذكرنا يعني القران وقيل الايمان اي اترك مجادلتهم فقد بلغت واتيت بما عليك قال ابن الخطيب واكثر المفسرين يقولون بان كل ما في القران من قوله تعالى فاعرض منسوخ باية القتال وهو باطل لان الامر بالاعراض موافق لاية القتال فكيف ينسخ به وذلك لان النبي عليه السلام في الاول كان مامورا بالدعا بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه باباطيلهم امر بازالة شبهتهم والجواب عن اباطيلهم وقيل له وجادلهم بالتي هي احسن ثم لما لم ينفع قال له ربه اعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان فانهم لا ينتفعون به ولا يتبعون الحق وقاتلهم بالاعراض عن المناظرة بشرط جواز المقاتلة فكيف يكون منسوخا بها قوله ولم يرد الا الحياة الدنيا اشارة الى انكارهم الحشر كقوله تعالى عنهم ان هي الا حياتنا الدنيا وقوله ارضيتم بالحياة الدنيا وذلك انه اذا ترك النظر في الا الله لا يعرفه فلا يتبع رسوله فلا ينفعه كلامه واذا لم يقل بالحشر والحساب لا يخاف فلا يرجع عما هو عليه فلا يبقى في الدعا فايدة واعلم ان النبي عليه السلام كان كالطبيب للقلوب فاتى على ترتيب الاطبا ان المرض اذا امكن اصلاحه بالغذا لا يستعملون الدوا وما امكن اصلاحه بالدوا الضعيف لا يستعملون الدوا القوي ثم اذا عجز عن المداواة بالمشروبات وغيرها عدلوا الى الحديد والكي كما قيل اخر الدوا الكي فالنبي عليه السلام اول امر القلوب بذكر الله حسب فان بذكر الله

تطهير

تطهير القلوب كما ان بالغذا تطهير النفوس فالذكر غذا القلب ولهذا قال عليه السلام اولاه قولوا لا اله الا الله امر بالذكر فانتفع مثل ابي بكر وغيره ومن لم ينتفع ذكر لهم الدليل وقال اولم يتفكروا قل انظروا افلا ينظرون الى غير ذلك فلما لم ينتفعوا اتى بالوعيد والتهديد فلما لم ينفعهم قال اعرض عن المعالجة واقطع المفاسد لئلا يفسد الصالح قوله ذلك مبلغهم قال الزمخشري هو اعتراض بين اي فاعرض وبين ان ربك ولا يظهر هذا الذي يقوله من الاعتراض قال شهاب الدين كيف يقول كانه يقول هو اعتراض وما معنى التشبيه وقد نص عليه وصرح به فقال اي فاعرض عنه ولا تقابله ان ربك وقوله ولا يظهر ما ادري عدم الظهور مع ظهوران هذا علة لذلك اي قوله ان ربك علة لقوله فاعرض والاعتراض بين العلة والمعلول ظاهر واذا كانوا يقولون هذا معترض فيما يجي في اثنا قصة فكيف بما بين علة ومعلول

فصل

ذلك اشارة الى نهاية علمهم وقدر عقولهم ان اثروا الدنيا على الاخرة وقيل اشارة الى الظن اي لم يبلغوا من العلم الا ظنهم ان الملايكة بنات الله وانها تشفع لهم واعتمدوا على ذلك واعرضوا عن القران وقيل اشارة الى الاعراض اي فاعرض عمن تولى عن ذكرنا وذلك الاعراض غاية ما بلغوه من العلم وعلى هذا يكون المراد من العلم المعلوم وتكون الالف واللام للتعريف والعلم المعلوم هو ما في القران فان قيل ان الله تعالى بين ان غايتهم ذلك في العلم ولا يكلف الله نفسا الا وسعها والمجنون الذي لا علم له او الصبي لا يومر بما فوق احتماله فكيف يعاقبهم الله فالجواب انه ذكر قبل ذلك انهم تولوا عن ذكر الله فكان عدم علمهم لعدم قبولهم العلم وانما قدر الله توليهم ليضاف الجهل الى ذلك فيتحقق العقاب قوله ان ربك هو اعلم بمن ضل جوز مكي ان يكون على بابه من التفضيل اي هو اعلم من كل احد بهذين الوصفين وبغيرهما وان يكون بمعنى عالم وتقدم ذلك مرارا

فصل

المعنى ان الله عالم بالفريقين فيجازيهم ووجه المناسبة ان الله تعالى لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم اعرض وكان النبي عليه السلام شديد الميل الى ايمان قومه كانه هجس في خاطره ان في ذكراهم منفعة وربما يومن من الكفار قوم اخرون من غير قتال فقال له ربك اعلم بمن ضل عن سبيله انه لا يومن بمجرد الدعا احد من المتخلفين وانما ينفع فيهم وقع السيف والقتال فاعرض عن الجدال واقبل على القتال وعلى هذا فقوله بمن اهتدى اي علم في الازل من ضل ومن اهتدى فلا يشتبه عليه الامر ولا تاس في الاعراض فان قيل قال في الضلال عن سبيله ولم يقل في الاهتدا الى سبيله فالجواب ان الضلال عن السبيل هو الضلال وهو كاف في الضلال لان الضلال لا يكون الا في السبيل واما بعد الوصول فلا ضلال او لان من ضل عن سبيله لا يصل الى المقصود وسوا سلك سبيله او لم يسلكه واما من اهتدى الى سبيل فلا وصول له ان لم يسلكه فقال من اهتدى الى السبيل وسلوكه قوله ولله ما في السموات وما في الارض وهذا معترض بين الاية الاولى وبين قوله ليجزي الذين اساوا بما عملوا واللام في قوله ليجزي فيها اوجه احدها ان يتعلق بقوله لا تغني شفاعتهم ذكره مكي وهو بعيد من حيث اللفظ ومن حيث المعنى الثاني ان يتعلق بما دل عليه قوله ولله ما في السموات اي له ملكهما يضل من يشا ويهدي من يشا ليجزي المحسن والمسي الثالث ان يتعلق بقوله بمن ضل وبمن اهتدى واللام للصيرورة اي عاقبة امرهم جميعا للجزا بما عملوا قال معناه الزمخشري الرابع ان يتعلق بما دل عليه قوله هو اعلم بمن ضل اي حفظ ذلك ليجزي قال ابو البقا وقرا زيد بن علي لنجزي بنون العظمة والباقون بيا الغيبة وقوله الذين اساوا اي اشركوا بما عملوا من الشرك ويجزي الذين احسنوا وحدوا ربهم بالحسنى بالجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسي اذا كان مالكا فلذلك قال الله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض قوله الذين يجتنبون يجوز ان يكون منصوبا بدلا او بيانا او نعتا للذين احسنوا فان قيل اذا كان بدلا عن الذين احسنوا وقال الذين يجتنبون ولم يقل اجتنبوا فالجواب هو كقول القايل الذين سالوني اعطيتهم الذين يترددون الى سايلين اي الذين عادتهم التردد للسوال سالوني واعطيتهم فكذلك هاهنا اي الذين عادتهم ودابهم الاجتناب لا الذين اجتنبوا مرة واحدة ويجوز ان يكون الموصول منصوبا باضمار اعني وان يكون خبر مبتدا مضمر اي هم الذين وهذا نعت للمحسنين وقد تقدم الخلاف في كباير وكبير الاثم قوله الا اللمم فيه اوجه احدها انه استثنا منقطع لان اللمم الصغار فلم يندرج فيما قبلها وهذا هو المشهور الثاني انه صفة والا بمنزلة غير كقوله لو كان فيهما الهة الا الله اي كباير الاثم والفواحش غير اللمم الثالث انه

اصل العشو النظر ببصر ضعيف واما القراة بالضم فمعناه يتعام عن ذكره اي يعرف
انه الحق ويتجاهل ويتعامى كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
نقيض له شيطانا اي نضمه اليه ونسلطه عليه فهو له قرين لا يفارقه يزين له العمى
ويخيل اليه انه الهدي وانهم يعني الشياطين ليصدونهم عن السبيل اي يمنعونهم عن الهدي
وذكر الانسان والشيطان بلفظ الجمع لانه قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له
شيطانا يفيد الجمع وان كان اللفظ على الواحد قال ابو حيان الظاهر ان ضميري
النصب في وانهم ليصدونهم عايدان على من من حيث معناها راعى لفظها اولا فافرد
في له وله ثم راعى معناها فجمع في قوله وانهم ليصدونهم والضمير المرفوع على الشيطان لان
المراد به الجنس ولان كل كافر معه قرين وقال ابن عطية ان الضمير الاول للشياطين
والثاني للكفار والتقدير وان الشياطين ليصدون الكفار العاشين ويحسبون انهم
مهتدون اي ويحسب كفار بني ادم انهم على الهدي قوله حتى اذا جاءنا قرا ابو عمرو
والاخوان وحفص جاءنا باسناد الفعل الى ضمير مفرد يعود على لفظ من وهو العاشي
وحينئذ يكون هنا مما حمل فيه على اللفظ ثم على المعنى ثم على اللفظ فانه حمل اولا على
لفظها في قوله نقيض له فهو له ثم جمع على معناها في قوله وانهم ليصدونهم ويحسبون
انهم ثم رجع الى لفظها في قوله جاءنا والباقون جاءانا مسندا الى ضمير تثنية وهما العاشي
وقرينه جعلا في سلسلة واحدة فحينئذ يقول الكافر لقرينه يا ليت بيني وبينك
بعد المشرقين اي بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم احدهما على الاخر كالعمرين
والقمرين قال الفرزدق • لنا قمراها والنجوم الطوالع •
يريد الشمس والقمر ويقولون للكوفة والبصرة البصرتان وللغداة والعصر العصران
ولابي بكر وعمر العمران ولِلماء والتمر الاسودان وقيل اراد بالمشرقين مشرق الصيف
ومشرق الشتا والاول اصح وقيل بعد المشرقين من المغربين وقال ابن الخطيب ان اهل
النجوم يقولون ان الحركة التي تكون من المشرق الى المغرب هي حركة الفلك الاعظم والحركة
التي من المغرب الى المشرق هي حركة الكواكب الثابتة والافلاك الممثلة للسيارات سوى
القمر واذا كان كذلك فالمشرق والمغرب كل واحد منهما مشرق بالنسبة الى شي ومغرب
بالنسبة الى شي اخر فثبت ان اطلاق لفظ المشرق على كل واحد من الجهتين حقيقة ثم
ذكر وجها اخر وهو ان الحس يدل على ان الحركة اليومية انما تحصل بطلوع الشمس من
المشرق الى المغرب واما القمر فانه يظهر في اول الشهر في جانب المغرب ثم لا يزال
يتقدم الى جانب المشرق وذلك يدل على ان حركة القمر من المغرب واذا ثبت هذا فالجانب
المسمى بالمشرق فانه مشرق الشمس ولكنه مغرب القمر واما الجانب المسمى بالمغرب فانه
مشرق القمر ولكنه مغرب الشمس وبهذا التقدير يصح تسمية المشرق والمغرب بالمشرقين
قال ولعل هذا الوجه اقرب الى مطابقة اللفظ من ساير الوجوه وهذا ليس بشي فان
ظهور القمر من المغرب ما كان لكونه اشرق من المغرب انما كان ظهوره لغيبوبة شعاع
الشمس عنه وانما كان اشراقه وظهوره من المشرق الحقيقي ولكنه كان مختفيا بشعاع الشمس
قوله فبئس القرين والمخصوص بالذم محذوف اي انت قال ابو سعيد الخدري
اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير الى النار قوله
ولن ينفعكم في فاعله قولان احدهما انه ملفوظ به وهو انكم وما في حيزها التقدير
ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب بالتاسي كما ينفعكم الاشتراك في مصائب الدنيا
فيتاسى المصاب بمثله ومنه قول الخنسا •
• ولولا كثرة الباكين حولي • على موتاهم لقتلت نفسي •
• وما يبكون مثل اخي ولكن • اعزي النفس عنهم بالتاسي •
والثاني انه مضمر فقدره بعضهم ضمير التمني المدلول عليه بقوله يا ليت بيني اي لن
ينفعكم تمنيكم البعد وبعضهم لن ينفعكم اجتماعكم وبعضهم ظلمكم وجحدكم وعبارة من
عبر بان الفاعل محذوف مقصوده الاضمار المذكور لا الحذف اذ الفاعل لا يحذف الا في

مواضع

مواضع ليس هذا منها وعلى هذا الوجه يكون قوله انكم تعليلا اي لانكم فحذف الخافض
فيجري في محلها الخلاف اهو نصب ام جر ويؤيد اضمار الفاعل لا انه هو انكم قراة انكم
بالكسر فانه استيناف مفيد للتعليل قوله اذ ظلمتم قد استشكل المعربون هذه الاية
ووجهه هو ان قوله اليوم ظرف حالي واذ ظرف ماض وينفعكم مستقبل لاقترانه بلن التي
لنفي المستقبل والظاهر انه عامل في الظرفين وكيف يعمل الحدث المستقبل الذي لم يقع
بعد في ظرف حاضر او ماض هذا ما لا يجوز فاجيب عن اعماله في الظرف الحالي على سبيل
قربه منه لان الحال قريب من الاستقبال فيجوز في ذلك قال تعالى فمن يستمع الان وقال
الشاعر • ساسعى الان اذ بلغت اناها • وهو اقناعي والا فالمستقبل يستحيل وقوعه في
الحال عقلا واما قوله اذ ففيها للناس اوجه كثيرة قال ابن جني راجعت ابا علي فيها
مرارا فاخرها حصلت منه ان الدنيا والاخرة متصلتان وهما سوا في حكم الله تعالى وعلمه
فاذ بدل من اليوم حتى كانه مستقبل او كان اليوم ماض والى هذا نحا الزمخشري على معنى
اذ تبين وصح ظلمكم ولم يبق لاحد ولا لكم شبهة في انكم كنتم ظالمين ونظيره
• اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة •
اي يتبين اني ولد كريمة قال ابو حيان ولا يجوز البدل ما دامت اذ على موضوعها من
المضي فان جعلت لمطلق الزمان جاز قال شهاب الدين لم يعهد في اذ انها تكون لمطلق
الزمان بل هي موضوعة لزمان خاص بالماضي كامس الثاني ان في الكلام حذف مضاف
تقديره بعد اذ ظلمتم الثالث انها للتعليل وحينئذ يكون حرفا للتعليل كاللام الرابع
ان العامل في اذ هو ذلك الفاعل المقدر لا ضميره والتقدير ولن ينفعكم ظلمكم او جحدكم
اذ ظلمتم الخامس ان العامل في اذ ما دل عليه المعنى كانه قال ولكن لن ينفعكم اجتماعكم
اذ ظلمتم قال الحوفي ثم قال وفاعل ينفعكم الاشتراك انتهى وظاهر هذا متناقض لانه جعل
الفاعل اولا اجتماعكم ثم جعله اخرا الاشتراك ومنع ان يكون اذ بدلا من اليوم لتغايرهما
في الدلالة في كتاب ابي البقا وقيل اذ بمعنى ان اي ان ظلمتم ولم يقيدها بكونها ان بالفتح
والكسر ولكن قال ابو حيان وقيل اذ للتعليل حرفا بمعنى ان يعني بالفتح وكانه اراد
ما ذكره ابو البقا الا ان تسميته ان للتعليل مجاز فانها على حذف حرف العلة اي لان
فلمصاحبتها لها والاستغنا بها عنها سماها باسمها ولا ينبغي ان يعتقد انها في كتاب ابي البقا
بالكسر على الشرطية لان معناه بعيد وفي كتاب مجاهد ان ابن عامر قرا انكم بالكسر على
الاستيناف المفيد للعلة وحينئذ يكون الفاعل مضمرا على احد التقادير المذكورة فصل
المعنى ولن ينفعكم اليوم في الاخرة اذ ظلمتم اشركتم في الدنيا انكم في العذاب مشتركون
اي لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف الاشتراك عنكم لان لكل واحد من الكفار
والشياطين الحظ الاوفر من العذاب وقال مقاتل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فانتم
وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم تشتركون في الدنيا واعلم انه تعالى بين ان الشركة
في العذاب لا تفيد التخفيف كما كان يفيده في الدنيا والسبب فيه وجوه الاول ان ذلك العذاب
الشديد عظيم فاشتغال كل واحد بنفسه يذهله عن حال الاخر فلا جرم لم تفد الشركة
خفة الثاني اذا اشترك الاقوام في العذاب اعان كل واحد منهم صاحبه بما قدر عليه فيحصل
بسببه بعض التخفيف وهذا المعنى متعذر في القيمة الثالث ان جلوس الانسان مع قرينه
يفيده انواعا كثيرة من السلوة فبين تعالى ان الشياطين وان كان قرينا لهم الا ان مجالسته في
القيمة لا توجب السلوة وخفة العقوبة قوله تعالى افانت تسمع الصم او تهدي العمي
للاية لما وصفهم في الاية المتقدمة بالعشي وصفهم في هذه الاية بالصمم والعمى وما احسن
هذا الترتيب وذلك ان الانسان في اول اشتغاله بطلب الدنيا يكون كمن حصل بعينه
رمد ضعيف ثم كلما كان اشتغاله بتلك الاعمال اكثر كان ميله الى الجسمانيات اشد واعراضه
عن الروحانيات اكمل لان كثرة المواظبة على الشي توجب حصول الملكة الراسخة فينتقل
الانسان من الرمد الى ان يصير اعشى فاذا واظب على تلك الحالة انتقل من كونه اعشى الى
كونه اعمى روي انه عليه السلام كان يجتهد في دعا قومه وهم لا يزيدون الا تصميما على الكفر

وعنادا في الغي فقال الله تعالى افانت تسمع الصم او تهدي العمي يعني انهم في النفرة عنك وعن دينك بحيث اذا اسمعتهم القران كانوا كالصم واذا اريتهم المعجزات كانوا كالعمي قوله فاما نذهبن بك قد تقدم الكلام عليه قريبا والمعنى فاما نذهبن بك ان نميتك قبل ان نعذبهم فانا منهم منتقمون بالقتل بعدك او نرينك في حياتك الذي وعدناهم من العذاب فانا عليهم مقتدرون قادرون متى شينا عذبناهم واراد به مشركي مكة انتقم منهم يوم بدر هذا قول اكثر المفسرين وقال الحسن وقتادة عني به اهل الاسلام من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة في امته فاكرم الله نبيه وذهب به ولم يره في امته الا الذي تقر عينه وابقى النقمة بعده وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اري ما يصيب امته بعده فاروي ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله وقرئ نرينك بالنون الخفيفة قوله فاستمسك بالذي اوحي اليك العامة على اوحي مبنيا للمفعول مفتوح اليا وبعض قراء الشام سكنها تخفيفا والضحاك اوحي مبنيا للفاعل وهو الله تعالى

فصل

لما بين له ما يوجب التسلية امره ان يتمسك بما امر الله به فقال فاستمسك بالذي اوحي اليك بان تعتقد انه حق وبان تعمل بموجبه فانه الصراط المستقيم الذي لا يميل عنه الا ضال في الدين ولما بين تاثير التمسك بهذا الدين في منافع الدين بين ايضا تاثيره في منافع الدنيا فقال وانه لذكر لك ولقومك اي انه يعني القران لذكر لشرف لك ولقومك من قريش نظيره لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وشرفكم وانه يوجب الشرف العظيم لك ولقومك حيث يقال ان هذا الكتاب العظيم انزله الله عز وجل لقوم من هولاء وهذه الاية تدل على ان الانسان لا بد وان يكون عظيم الرغبة في الثنا الحسن والذكر الجميل ولم يكن الذكر الجميل امرا مرغوبا فيه لما امتن الله تعالى به على محمد صلى الله عليه وسلم فقال انه لذكر لك ولقومك ولما طلبه ابراهيم عليه السلام حيث قال واجعل لي لسان صدق في الاخرين ولان الذكر الجميل قايم مقام الحياة الشريفة بل الذكر افضل من الحيوة لان اثر الحيوة لا يحصل الا في مسكن ذلك الحي واما اثر الذكر الجميل فانه يحصل في كل زمان وكل مكان ثم قال تعالى وسوف تسالون قال الكلبي تسالون هل اديتم شكر انعامنا عليكم بهذا الذكر الجميل وقال مقاتل يقال لمن كذب به لم كذبت فيسال سوال توبيخ وقيل تسالون هل علمتم بما دل عليه القران من التكاليف وروى الضحاك عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سيل لمن هذا الامر بعدك قال لقريش وروي ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي اثنان وروي معوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم احد الا كبه الله على وجهه ما اقاموا الدين وقال مجاهد القوم هم العرب فالقران لهم شرف اذ انزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبني هاشم وقيل ذكر لك بما اعطاك من الحكمة ولقومك من المومنين بما هداهم الله به وسوف تسالون عن القران وعما يلزمكم من القيام بحقه قوله واسال من ارسلنا فيه ثلاثة اوجه اظهرها ان من موصولة وهي مفعولة للسوال كانه قيل واسال الذي ارسلناه من قبلك عما ارسلوا به فانهم لم يرسلوا الا بالتوحيد الثاني انه على حذف حرف الجر على انه المسول عنه والمسول الذي هو المفعول الاول محذوف تقديره واسالنا عمن ارسلنا الثالث ان من استفهامية مرفوعة بالابتدا وارسلنا خبره والجملة معلقة للسوال فيكون في محل نصب على اسقاط الخافض وهذا ليس بظاهر بل الظاهر ان المعلق للسوال انما هو الجملة الاستفهامية من قوله اجعلنا

فصل

اختلفوا في هولاء المسولين فروي عطا عن ابن عباس قال لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى بعث له ادم وولده من المرسلين فاذن جبريل ثم اقام وقال يا محمد تقدم فصلى بهم فلما فرغ من الصلوات قال له جبريل سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسال قد اكتفيت ولست شاكا فيه وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليلة اسري به وامر ان يسالهم

فلم

فلم يسال ولم يشك وقال اكثر المفسرين سل مومني اهل الكتاب الذين ارسلت اليهم الانبيا هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس في ساير الروايات ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي والحسن ويدل عليه قراة عبد الله وابي واسال الذين ارسلنا اليهم قبلك من رسلنا ومعنى الامر بالسوال التقرير لمشركي مكة قريش انه لم يات رسول لعباده عز الله عز وجل وقال عطا سوال الانبيا الذين كانوا قبله ممتنع فكان المراد منه انظر في هذه المسالة بعقلك وتدبرها بفهمك قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا الاية لما طعن كفار قريش في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بكونه فقيرا عديم المال والجاه بين الله تعالى ان موسى عليه السلام بعد ان اورد المعجزات الباهرة التي لا يشك في صحتها عاقل اورد عليه فرعون هذه الشبهة التي ذكرها كفار قريش فقال انه غني كثير المال والجاه الا ترون انه حصل لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي واما موسى فانه فقير مهين وليس له بيان ولسان والرجل الفقير كيف يكون رسولا من عند الله الملك الكبير فثبت ان هذه الشبهة التي ذكرها كفار قريش بمكة وهي قولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم قد اوردها بعينها فرعون على موسى ثم انتقمنا منهم فاغرقناهم فيكون الامر في حق اعدايك هكذا فثبت انه ليس المقصود من اعادة هذه القصة عينها بل المقصود تقرير الجواب عن الشبهة المذكورة قوله اذا هم منها يضحكون قال الزمخشري فان قلت كيف جاز ان يجاب لما باذا المفاجاة قلت لان فعل المفاجاة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كانه قيل فلما جاءهم باياتنا فاجاوا وقت ضحكهم قال ابو حيان ولا نعلم نحويا ذهب الى ما ذهب اليه من ان اذا الفجايية تكون منصوبة بفعل مقدر تقديره فاجا بل المذاهب ثلاثة اما حرف فلا يحتاج الى عامل او ظرف مكان او ظرف زمان فانه ذكر بعد الاسم الواقع بعدها خبر كانت منصوبة على الظرف والعامل فيها ذلك الخبر نحو خرجت فاذا زيد قايم تقديره خرجت ففي المكان الذي خرجت فيه زيد قايم او ففي الوقت الذي خرجت فيه زيد قايم وان لم يذكر بعد الاسم خبر او ذكر اسم منصوب على الحال فان كان الاسم جثة وقلنا انها ظرف مكان كان الامر واضحا نحو خرجت فاذا الاسد اي فبالحضرة الاسد او فاذا الاسد رابضا وان قلنا انها زمان كان على حذف مضاف لئلا يخبر بالزمان عن الجثة نحو خرجت فاذا الاسد اي ففي الزمان حضور الاسد وان كان الاسم حدثا جاز ان يكون مكانا او زمانا ولا حاجة الى تقدير مضاف نحو خرجت فاذا القتال ان شيت قدرت فبالحضرة القتال او ففي الزمان القتال قوله الا هي اكبر جملة واقعة صفة لقوله من اية فيحكم على موضعها بالجر اعتبارا باللفظ وبالنصب اعتبارا بالمحل وفي معنى قوله اكبر من اختها اوجه احدها قال ابن عطية هو انهم يستعظمون الاية التي تاتي لجدة امرها وحدوثه لانهم انسوا بتلك الاية السابقة فيعظم امر الثانية ويكبر وهذا كقول الشاعر

على انها تعفو الكلوم وانما • توكل بالادنى وان جل ما يمضي

الصفة للعلم بها الثالث قال الزمخشري فان قلت هو كلام متناقض لان معناه ما من اية من التسع الا وهي اكبر من كل واحدة قلت الغرض بهذا الكلام وصفهن بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الاشيا التي تتقارب في الفضل التقارب اليسير تختلف اراء الناس في تفضيلها فبعضهم يفضل هذا وبعضهم يفضل هذا وربما اختلف اراء الواحد فيها كقول الحماسي

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم • مثل النجوم التي يهدي بها الساري

وقالت الانمارية في الجملة من ابنايها • ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم افضل

هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها انتهى كلامه واوله قطيع جدا كان العبارات ضاقت عليه حتى قال ما قال وان كان جوابه حسنا فسواله قطيع

فصل

ذكر انه تعالى ارسل موسى باياته وهي المعجزات التي كانت مع موسى الى فرعون وملايه اي قومه فقال موسى اني رسول رب العالمين فلما جاءهم بتلك الايات اذا هم منها يضحكون استهزاء قيل انه لما القى عصاه صار ثعبانا ثم اخذه صار عصا كما كان فضحكوا ولما عرض عليهم اليد البيضا ثم عادت كما كانت ضحكوا ثم قال وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها اي قرينتها وصاحبتها التي كانت قبلها واخذناهم بالعذاب اي بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه دلالات لموسى وعذابا وكانت كل واحدة اكبر من التي قبلها لعلهم يرجعون عن الكفر الى الايمان قالت المعتزلة هذا يدل على ان الله تعالى يريد الايمان من الكل وانه انما اظهر تلك المعجزات القاهرة لارادة

ان يرجعوا عن الكفر الى الايمان قوله وقالوا يا ايها الساحر تقدم الكلام فيه في النور والمغو
انهم لما عاينوا العذاب قالوا لموسى يا ايها الساحر اي يا ايها العالم الكامل الحاذق وانما قالوا هذا توقيرا
وتعظيما لان السحر عندهم كان علما عظيما وصفة محمودة وقيل معناه يا ايها الذي غلبنا بسحره وقال
الزجاج خاطبوه به لما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر فان قيل كيف سموه بالساحر مع قولهم
اننا لمهتدون فالجواب من وجوه الاول انهم كانوا يسمون العالم الماهر ساحرا لانهم يستعظمون السحر
وكما يقال في زماننا في العمل العجيب الكامل انه اتي بالسحر والثاني انه الساحر في زعم الناس وهو
ومتعارف قوم فرعون كقوله وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون اي نزل عليه الذكر
في اعتقاده وزعمه الثالث ان قولهم اننا لمهتدون وعد كانوا عازمين على خلافه الا ترى الى قوله
فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فتسميتهم اياه بالساحر لا ينافي قولهم اننا لمهتدون قوله
ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بما اخبرتنا عن عهده اليك انا ان امنا كشف عنا العذاب فاساله
يكشف عنا اننا لمهتدون مومنون فدعا موسى فكشف عنهم فلم يومنوا فذلك قوله عز وجل
فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون اي نكثوا ذلك العهد يعني ينقضون عهدهم ويصرون
على كفرهم قوله ونادى فرعون في قومه لما ذكر معاملة قوم فرعون مع موسى ذكر ايضا
معاملة فرعون معه فقال ونادى فرعون في قومه اي اظهر هذا القول وقال يا قوم
اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي اي انهار النيل ومعظمها نهر الملك ونهر
طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجري من تحت قصره وحاصل الامر انه احتج بكثرة
امواله وقوة جاهه على فضيلة نفسه ثم قال افلا تبصرون من تحت قصوري وقال قتادة
تجري من بين يدي في جناني وبساتيني وقال الحسن بامري افلا تبصرون عظمتي وشدة
ملكي وقيل من ملك القبط يسمى فرعون ومن ملك اليهود يسمى قيطيطنة والمعروف مالخ
ومن ملك الصابية يسمى نمرود ومن ملك البربر يسمى جالوت ومن ملك الهند يسمى بهمن
وقيل يعقوب ومن ملك فرغانة يسمى الاخشيد ومن ملك العرب من قبل العجم يسمى النعمان
قوله وهذه الانهار يجوز في وهذه وجهان احدهما ان تكون مبتداة والواو للحال والانهار
صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وتجري الخبر والجملة حال من ياء لي والثاني ان هذه
معطوفة على ملك مصر وتجري على هذا حال اي اليس ملك مصر وهذه الانهار جارية اي
البستان قوله تبصرون العامة على الخطاب لمن ناداهم وقرى عيسى بكسر النون اي تبصروني
وفي قراءة العامة المفعول محذوف اي تبصرون ملكي وعظمتي وقراء مهد بن الصقر يبصرون
بياء الغيبة اما على الالتفات من الخطاب الى الغيبة واما ردا على قوم موسى قوله ام انا
خير في ام هذه اقوال احدها انها منقطعة فتتقدر ببل التي للاضراب الانتقال وبالهمزة التي
للانكار والثاني انها بمعنى بل فقط كقوله •

• بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى • وصورتها ام انت في العين املح •

اي بل انت الثالث انها منقطعة في اللفظ لوقوع لفظا متصلة معنى قال ابو البقاء ام هنا
منقطعة في اللفظ لوقوع الجملة بعدها في اللفظ وهي في المعنى متصلة معادلة اذ المعنى
انا خير منه ام لا وانا خير وهذه عبارة غريبة ان تكون منقطعة لفظا متصلة معنى وذلك
انهما معنيان مختلفان فان الانقطاع يقتضي اضرابا اما ابطالا واما انتقالا الرابع انها متصلة
والمعادل محذوف تقديره ام تبصرون وهذا لا يجوز الا اذا كانت لا بعدها نحو اتقوم ام لا
اي ام لا تقوم وازيد عندك ام لا اي ام لا هو عندك اما حذفه دون لا فلا يجوز وقد جاء
حذف ام مع المعادل وهو قليل جدا قال الشاعر

• دعاني اليها القلب اني لامرها • سميع فما ادري ارشد طلابها •

اي ام غي ونقل ابو حيان عن سيبويه ان هذه هي ام المعادلة اي ام تبصرون الامر الذي
هو حقيق ان يبصر عنده وهو انه خير من موسى قال وهذا القول بدا به الزمخشري
فقال ام هذه متصلة لان المعنى افلا تبصرون ام تبصرون الا انه وضع قوله انا خير موضع
تبصرون لانهم اذا قالوا انت خير فهم عنده بصراء وهذا من انزال السبب منزلة المسبب
قال ابو حيان وهذا متكلف جدا اذ المعادل انما يكون مقابلا للسابق فان كان المعادل

جملة

جملة فعلية كان السابق جملة فعلية او جملة اسمية يتقدر منها فعلية كقوله ادعوتموهم
ام انتم صامتون لان معناه ام صمتم وهنا لا يتقدر منها جملة فعلية لان قوله ام انا خير ليس
مقابلا لقوله افلا تبصرون وان كان السابق اسما كان المعادل اسما او جملة فعلية يتقدر منها
اسم نحو قوله امخرج اليدين ام اتمت فاتمت معادل للاسم والتقدير ام متم قال شهاب الدين
وهذا الذي رده على الزمخشري رد على سيبويه لانه هو السابق به وكذا قوله ايضا انه لا يحذف
المعادل بعد ام الا وبعدها لا فيه نظر من حيث تجويز سيبويه حذف المعادل دون لا فهو رد على
سيبويه ايضا قوله ولا يكاد يبين هذه الجملة تجوز ان تكون معطوفة على الصلة وان
تكون مستانفة وان تكون حالا والعامة على يبين من ابان والباقر يبين بفتح الياء من
بان اي ظهر فصل قال اكثر المفسرين ام هنا بمعنى بل وليس بحرف عطف قال
الفراء الوقف على قوله ام وفيه اضمار مجاز افلا تبصرون ام تبصرون لكنه اكتفى بلفظ ام كما تقول
لغيرك اتاكل ام اي اتاكل ام لا تاكل لكنك تقتصر على كلمة ام اقتصارا قال ابو عبيدة معناها
بل انا خير وعلى هذا فقد تم الكلام عند قوله افلا تبصرون ثم ابتداء فقال ام انا خير يعني
بل انا خير وقال الباقون ام هذه متصلة لان المعنى افلا تبصرون ام تبصرون الا انه وضع
قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصراء قوله من هذا
الذي هو مهين اي ضعيف حقير يعني موسى ولا يكاد يبين اي يفصح لسانه لرتة كانت
في لسانه فان قيل اليس ان موسى عليه السلام سال الله ان يزيل الرتة عن لسانه بقوله
واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فاعطاه الله ذلك بقوله تعالى قد اوتيت سولك
يا موسى فكيف عابه فرعون بتلك الرتة فالجواب من وجهين الاول ان فرعون اراد
بقوله ولا يكاد يبين حجته التي تدل على صدقه ولم يرد انه لا قدرة له على الكلام والثاني
انه عابه بما كان عليه اولا وذلك ان موسى عليه السلام مكث عند فرعون زمانا طويلا
وكان في لسانه حبسة فنسبه فرعون الى ما عهده عليه من الرتة لانه لم يعلم ان الله تعالى
ازال ذلك العيب عنه قوله فلولا القي عليه اساورة قرا حفص اسورة كاحمرة والباقون
اساورة فاسورة جمع سوار كحمار واحمرة وهو جمع قلة واساورة جمع اسوار بمعنى سوار
يقال سوار المراة واسوارها والاصل اساوير ربما فعوض من حرف المد تاء التانيث كزنادقة
وبطريق وبطارقة وزنديق وزنادقة وقيل بل هي جمع اسورة فهي جمع الجمع وقرا ابي ده
والاعمش ويروى عن ابي عمرو اساور دون تاء وروي عن ابي ايضا وعبد الله اساوير وقرا
الضحاك القى مبنيا للفاعل اي الله واساورة نصبا على المفعولية ومن ذهب صفة لاساورة
ويجوز ان تكون من الداخلة على التمييز فصل ومعنى الكلام ان عادتهم جرت
بانهم اذا جعلوا واحدا منهم رئيسا لهم سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب
فطلب فرعون من موسى عليه السلام مثل عادتهم وحاصل الكلام ان فرعون كان يقول
انا اكثر منه مالا وجاها فوجب ان اكون افضل منه فيمتنع كونه رسولا من عند الله لان منصب
النبوة يقتضي المخدومية والاخس لا يكون مخدوما للاشرف ثم قال او جاء معه الملائكة
مقترنين متتابعين يقارن بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على امره ويجوز
ان يكون المراد مقترنين به من قولك قرنته به قوله فاستخف قومه فاطاعوه اي وجدهم
جهالا فحملهم على الخفة والجهل يقال استخفه عن رايه اذا حمله على الجهل وازاله عن الصواب
فاطاعوه على تكذيب موسى انهم كانوا قوما فاسقين حيث اطاعوا ذلك الفاسق الجاهل
قوله فلما اسفونا اغضبونا حكي ان ابن جريج غضب في شيء فقيل له اتغضب يا ابا خالد
فقال قد غضب الذي خلق الاحلام ان الله تعالى يقول فلما اسفونا اي اغضبونا انتقمنا
منهم فاغرقناهم اجمعين واعلم ان ذكر لفظ الاسف في حق الله تعالى وذكر لفظ الانتقام
كل واحد منهما من المتشابهات التي يجب تاويلها فمعنى الغضب في حق الله تعالى ارادة العقاب
ومعنى الانتقام ارادة العقاب بجرم سابق واسفونا منقول بهمزة التعدية من اسف
بمعنى غضب والمعنى اغضبونا بخالفتهم امرنا وقال بعض المفسرين معناه احزنوا اولياءنا
قوله فجعلناهم سلفا قرا الاخوان سلفا بضمتين والباقون بفتحتين فاما الاولى فيحتمل

ثلاثة اوجه احدها انه جمع سليف كرغيف ورغف وسمع القاسم بن معين من العرب مضى
سليف من الناس والسليف من الناس كالفريق منهم والثاني انها جمع سالف كصابر وصبر
والثالث انها جمع سلف كاسد واسد والثانية تحتمل وجهين احدهما ان يكون جمع السالف
كحارس وحرس وخادم وخدم وهذا في الحقيقة اسم جمع لا جمع تكسير اذ ليس في ابنية التكسير
صيغة فعل والثاني انه مصدر يطلق على الجماعة تقول سلف الرجل يسلف سلفا اي تقدم
والسلف كل شي قدمته من عمل صالح او قرض فهو سالف وسلف الرجل اباؤه المتقدمون والجمع
اسلاف وسلاف وقال طفيل • مضوا سلفا قصد السبيل عليهم • صروف المنايا بالرجال تقلب •
وقرا علي رضي الله عنه ومجاهد سُلَفا بضم السين وفتح اللام وفيها وجهان اشهرهما انه جمع سلفة
كغرفة وغرف والسلفة الامة وقيل الاصل سلفا بضمتين وانما ابدل من الضمة فتحة وقوله
مثلا اما مفعول ثان ان كانت بمعنى صيروا لا حالا قال الفرا والزجاج المعنى جعلناهم متقدمين
ليتعظ بهم الاخرون وهم كفار امة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ومثلا للاخرين اي عظة
لمن بقي بعدهم وعبرة قال ابو علي الفارسي المثل واحد يراد به الجمع ومن ثم عطف على سلف
والدليل على وقوعه على الكثير واحد قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شي
ومن رزقناه فادخل تحت المثل شيئين وقيل المعنى سلفا لكفار هذه الامة الى النار ومثلا
لمن يجي بعدهم **قوله** تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا الاية اعلم انه تعالى ذكر انواعا كثيرة
من كفرانهم فاولها قوله وجعلوا له من عباده جزءا وثانيها وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن اناثا وثالثها قوله وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ورابعها قوله وقالوا لولا نزل
هذا القران على رجل من القريتين عظيم وخامسها هذه الاية وليس في لفظها ما يدل على ان ذلك
المثل اي شي كان والمفسرون ذكروا فيه وجوها اشهرها قال ابن عباس واكثر المفسرين نزلت
الاية في مجادلة عبد الله ابن الزبعري مع النبي صلى الله عليه وسلم في شان عيسى عليه السلام
لما نزل قوله عز وجل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم كما تقدم في سورة الانبيا
والمعنى ولما ضرب عبد الله ابن الزبعري عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعبادة النصارى اياه اذا قومك من قريش منه اي من هذا المثل يصدون اي يرتفع
لهم ضجيج وفرحا بسبب ما راوا من سكوت النبي صلى الله عليه وسلم فانه قد جرت العادة بان احد
الخصمين اذا انقطع اظهر الخصم الثاني الفرح والضجيج وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما حكى ان النصارى عبدوا المسيح وجعلوه الها لانفسهم قالت كفار قريش ان محمدا يريد ان
يجعل نفسه لنا الها كما جعل النصارى المسيح الها لانفسهم فعند هذا قالوا الهتنا خير ام هو
فعند ذلك قالوا ان محمدا يدعونا لعبادة نفسه واباؤنا زعموا انه يجب عبادة هذه الاصنام
واذا كان لابد من عبادة احد هذين فعبادة الاصنام اولى لان اباءنا واسلافنا اجمعوا على
ذلك واما محمد فانه متهم في امرنا بعبادته ثم انه تعالى لم يقل ان عبادة المسيح طريق حسن
بل هو كلام باطل وان عيسى ليس الا عبدا انعمنا عليه فزالت شبهتهم في قولهم ان محمدا
يريد ان يامرنا بعبادة نفسه وقيل ان الكفار لما راوا النصارى يعبدون عيسى قالوا اذا
عبد النصارى عيسى فالهتنا خير من عيسى فعبدوا الملائكة قوله يصدون قرا نافع
وابن عامر والكسائي يصُدون بضم الصاد والباقون بكسرها فقيل هما بمعنى واحد وهو
الضجيج واللغط يقال صد يصد ويصد كعكف يعكف ويعكف ويعرش ويعرش قال
ابن عباس يضجون وقال سعيد بن المسيب يصيحون وقال الضحاك يعجون وقال
قتادة يجزعون وقال القرطبي يضجرون وقيل الضم من الصدود وهو الاعراض وقد
انكر ابن عباس الضم وقد روي له عن علي رضي الله عنه وهذا والله اعلم قبل بلوغه
تواتره قوله وقالوا االهتنا خير قرا اهل الكوفة بتحقيق الهمزة الثانية والباقون
بتسهيلها بين بين ولم يدخل احد من القرا الذين من قاعدتهم الفصل بين الهمزتين بالف
الفا كراهة لتوالي اربع متشابهات وابدل الجميع الهمزة الثانية الفا ولابد من زيادة
بيان وذلك بيانه ان الهتنا جمع اله كعماد واعمدة فالاصل االهة بهمزتين الاولى زائدة
والثانية فاء الكلمة وقعت الثانية ساكنة بعد مفتوحة فوجب قلبها الفا كامن وبابه

ثم دخلت همزة الاستفهام على الكلمة فالتقى همزتان في اللفظ الاولى للاستفهام والثانية
همزة افعلة فالكوفيون لم يعتدوا باجتماعهما فابقوهما على حالهما وغيرهم استثقل فحقق
الثانية بالتسهيل بين بين والثالثة بالف محضة لم تغير البتة واكثر اهل العصر يقرؤون
هذا الحرف بهمزة واحدة بعدها الف على لفظ الخبر ولم يقرا به احد من السبعة فيما علمنا
الا انه قد روي ان ورشا قرا كذلك في رواية ابي الازهر وهي تحتمل الاستفهام كالعامة وانما
حذف اداة الاستفهام لدلالة ام عليها وهو كثير وتحتمل انه قراه خبرا محضا وحينئذ تكون ام
منقطعة فتقدر ببل والهمزة فاما الجماعة فهي عندهم متصلة فقوله ام هو على قراءة العامة
عطف على الهتنا وهو من عطف المفردات والتقدير االهتنا ام هو خير اي ايهما خير وعلى قراءة ورش
يكون هو مبتدا وخبره محذوف تقديره بل هو خير وليست ام حينئذ عاطفة **فصل** قال
قتادة معنى قوله ام هو يعنون محمدا فنعبده ونترك الهتنا وقال السدي وابن زيد ام هو
يعني عيسى قالوا ابن عم محمد ان كل ما عبد من دون الله في النار فنحن نرضى ان تكون الهتنا
مع عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله تعالى ما ضربوه يعني هذا المثل لك الا جدلا
اي خصومة بالباطل وقد علموا ان المراد من قوله وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
هؤلاء الاصنام بل هم قوم خصمون مبالغون في الخصومة روي انه عليه السلام قال ما ضل
قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرا ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون قوله
جدلا مفعول من اجله اي لاجل الجدل والمراء لا لاظهار الحق وقيل هو مصدر في موضع الحال
اي الا مجادلين وقرا ابن مقسم جدالا والوجهان جاريان فيه والظاهر ان الضمير في هو لعيسى
كغيره من الضماير وقيل هو للنبي صلى الله عليه وسلم وبكل قال به المفسرون كما تقدم **فصل**
تمسك القايلون بذم الجدل فالتوفيق بينهما ان تصرف الايات الدالة على مدح الجدل فالتوفيق
بينهما ان تصرف الايات الدالة على مدح الجدل الى الجدل الذي يفيد تقرير الحق وتصرف هذه
الاية الى الجدل الذي يوجب تقرير الباطل قوله ان هو الا عبد اي ما هو يعني عيسى الا
عبد كساير العبيد انعمنا عليه حيث جعلناه اية بان خلقناه من غير ذكر كما خلقنا ادم وشرفناه
بالنبوة وجعلناه مثلا اي اية وعبرة لبني اسرائيل يعرفون به قدرة الله على ما يشا حيث
خلقه من غير اب ولو نشا لجعلنا منكم ملائكة اي لو نشا لاهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة
في الارض يخلفون اي يكونون خلفا منكم يعمرون الارض ويعبدون ويطيعوني وقيل
يخلف بعضهم بعضا قوله لجعلنا منكم ملائكة في من هذه اقوال احدها انها بمعنى بدل اي
لجعلنا بدلكم كما تقدم في التفسير ومنه ايضا ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة اي بدلها وانشد
• اخذوا المخاض من الفصيل غلبة • ظلما ويكتب للامير افالا • وقال اخر
• جارية لم تاكل المرققا • ولم تذق من البقول الفستقا •
والثاني وهو المشهور انها تبعيضية وتاويل الاية لولدنا منكم يا رجال ملائكة في الارض
يخلفونكم كما تخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى دون ذكر ذكره الزمخشري
والثالث انها تبعيضية قال ابو البقا وقيل المعنى لحولنا بعضكم ملائكة قوله وانه لعلم
المشهور ان الضمير لعيسى يعني نزوله اخر الزمان وقيل الضمير للقران اي فيه علم الساعة
واهوالها او هو علامة على قربها ومنه اقترب للناس حسابهم اقتربت الساعة ومنه بعثت
انا والساعة كهاتين والعامة على علم مصدر اجعل علما مبالغة لما كان به يحصل العلم او لما
كان شرطا يعلم به ذلك اطلق عليه علم وابن عباس وابو هريرة وابو مالك الغفاري وزيد
ابن علي لعلم بفتح الفاء والعين اي لشرط وعلامة وقرا ابو نضرة وعكرمة كذلك الا انهما عرفا
باللام فقرا للعلم اي للعلامة المعروفة **فصل** معنى الاية ان نزول عيسى من اشراط
الساعة يعلم بها قربها قال عليه السلام ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا يكسر
الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويروى انه
ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة وعليه ممصرتان وشعر راسه
دهين فيقتل الدجال ويأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر وروي في صلاة الصبح
فيتأخر الامام فيتقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم

ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنايس ويقتل النصارى الا من امن به
قوله فلا تمترن بها من المرية وهي الشك اي لا يشكن فيها قال ابن عباس لا يكذبوا بها واتبعوني
على التوحيد هذا الذي انا عليه صراط مستقيم ولا يصدنكم لا يصرفنكم الشيطان عن دين الله
انه لكم عدو مبين قد بانت عداوته لكم لاجل انكم اخرج ابويكم من الجنة ونزع عنهما لباس النور
قوله ولما جا عيسى بالبينات اي بالمعجزات وبالشرايع البينات الواضحات قال قد جيتكم
بالحكمة وهي النبوة وقيل معرفة ذات الله وصفاته وافعاله ولابين لكم بعض الذي تختلفون
فيه من احكام التورية قال قتادة يعني اختلاف الفرق الذين تحزبوا في امر عيسى قال
الزجاج الذي جا به عيسى في الانجيل انما هو بعض الذي اختلفوا فيه فبين لهم في غير
الانجيل ما احتاجوا اليه وقيل كانوا قد اختلفوا في اشيا من الاحكام التكاليف واتفقوا على
اشيا فجا عيسى ليبين لهم الحق في تلك المسايل المختلف فيه قال ابن الخطيب وبالجملة فالحكمة
معناها اصول الدين وبعض الذي يختلفون فيه معناه فروع الدين فان قيل لم لم يبين لهم كل
الذي يختلفون فيه فالجواب لان الناس قد اختلفوا في اشيا لا حاجة لهم الى معرفتها فلا يجب
على الرسول بيانها وانما بين لهم الاصول والفروع قال فاتقوا الله من الكفر به والاعراض عن دينه
واطيعون فيما ابلغه اليكم من التكاليف ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
فاختلف الاحزاب اي الفرق المتحزبة بعد عيسى وهم الملكانية واليعقوبية والنسطورية
وقيل اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم وهو وعيد يوم الاحزاب
فان قيل الضمير في قوله بينهم الى من يرجع فالجواب الى الذي خاطبهم عيسى في قوله قد جيتكم
بالحكمة وهم قومه قوله هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم اي انها تاتيهم لا محالة فكانهم
ينتظرونها فقوله ان تاتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة وقوله
بغتة فجاة فان قيل قوله بغتة يفيد ما تفيده قوله وهم لا يشعرون فما فايدته فالجواب
يجوز ان ياتيهم بغتة وهم يعرفونه بسبب انهم يشاهدونه قوله الاخلا يوميذ مبتدا وخبره
عدو والتنوين في يوميذ عوض عن جملة تقديره يوميذ تاتيهم الساعة والعامل في يوميذ
لفظ عدو اي عداوتهم في ذلك اليوم **فصل** معنى الاية الاخلا على المعصية في الدنيا
يوميذ اي يوم القيمة بعضهم لبعض عدو الا المتقين يعني المتحابين في الله على طاعة الله
وهم الموحدون الذين يخالل بعضهم بعضا على الايمان والتقوى فان خلتهم لا تصير عداوة
روى ابو ثور عن معمر عن قتادة عن ابي اسحاق ان عليا قال في الاية خليلان مومنان
وخليلان كافران فمات احد المومنين فقال يا رب ان فلانا كان يامرني بطاعتك وطاعة
رسولك ويامرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني اني ملاقيك يا رب فلا تضله بعدي واهده
كما هديتني واكرمه كما اكرمتني فاذا مات خليله المومن جمع بينهما فيقول ليثن احدكما على صاحبه
فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت احد الكافرين فيقول يا رب ان
فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني اني
غير ملاقيك فيقول بيس الاخ وبيس الخليل وبيس الصاحب قوله يا عبادي قرا ابو
بكر عن عاصم يا عبادي لا خوف بفتح اليا والاخوات وابن كثير وحفص بحذفها وصلا
ووقفا والباقون باثباتها ساكنة وقرا العامة لا خوف بالرفع والتنوين اما مبتدا واما
اسم لها وهو قليل وابن محيصن دون تنوين على حذف مضاف وانتظاره اي لا خوف شي
والحسن وابن ابي اسحاق بالفتح على لا التبرية وهي عندهم ابلغ **فصل** قد تقدم ان
عادة القران جارية بتخصيص لفظ العباد بالمومنين المطيعين المتقين وفيه انواع كثيرة
توجب الفرح اولها ان الحق سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة وثانيها انه
تعالى وصفهم بالعبودية من غير واسطة وهذا تشريف عظيم بدليل ان الله تعالى لما اراد
تشريف محمد عليه السلام ليلة المعراج قال سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وثالثها قوله
لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فنفى عنهم الخوف بسبب فوت الدنيا الماضية قوله
الذين امنوا يجوز ان يكون نعتا لعبادي او بدلا منه او عطف بيان له او مقطوعا منصوبا
بفعل اي اعني الذين امنوا او مرفوعا بالابتدا وخبره مضمر تقديره يقال لهم ادخلوا الجنة

فصل

فصل قال مقاتل اذا وقع الخوف يوم القيمة نادى مناد يا عبادي لا خوف عليكم فاذا سمعوا
النداء رفع الخلايق روسهم فيقال الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين فينكس اهل الاديان
الباطلة روسهم ثم يحاسبهم على احسن الوجوه ثم يقال لهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون
تسرون وتنعمون والحبرة المبالغة في الاكرام على احسن الوجوه وتقدم تفسيره في سورة الروم
قوله يطاف عليهم قبله محذوف اي يدخلون يطاف والصحاف جمع صحفة كجفنة وجفان قال
الجوهري الصحفة كالقصعة وقال الكسائي اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تشبع العشرة ثم الصحفة
تشبع الخمسة ثم المكيلة تشبع الرجلين والثلاثة والصحيفة الكتاب والجمع صحف وصحايف واما
الكسائي في رواية بصحاف من ذهب واكواب جمع كوب وهو اناء مستدير مدور الراس لا عرا له
وقيل هو كالابريق الا انه لا عروة له وقيل انه لا خرطوم له وقيل انه لا عروة له ولا خرطوم معا قال
الجواليقي ليتمكن الشارب من اين شا فان العروة تمنع من ذلك وقال عدي

متكيا تصفق ابوابه ۝ يطوف عليه العبد بالكوب

والتقدير واكواب من ذهب فقوله يطاف عليهم بصحاف من ذهب اشارة الى المطعوم وقوله
واكواب اشارة الى المشروب ثم انه تعالى لما ذكر التفصيل ذكر بيانا كليا فقال وفيها ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين اي في الجنة قوله ما تشتهي الانفس قرا نافع وابن عامر وحفص تشتهيه باثبات
العايد على الموصول كقوله الذي يتخبطه الشيطان والباقون بحذفه كقوله الذي يتخبطه الشيطان
والباقون بحذفه كقوله اهذا الذي بعث الله وهذه القراة شبيهة بقوله وما عملته ايديهم وقد
تقدم في يس وهذه الها في هذه السورة رسمت في مصاحف المدينة والشام وحذفت من غيرها
وقد وقع لابي عبد الله الفارسي شارح القصيدة وهم فسبق قلمه فكتب والها منه محذوفة
في مصاحف المدينة والشام محذوفة من غيرها فعكس وفي مصحف عبد الله تشتهيه الانفس
وتلذه الاعين بالهاء فيهما **فصل** روي ان رجلا قال يا رسول الله افي الجنة خيل فاني
احب الخيل فقال ان يدخلك الله الجنة فلا تشا ان يركبك فرسا من ياقوتة حمرا فتطير بك في اي
الجنة شيت الا فعلت فقال اعرابي يا رسول الله افي الجنة ابل فاني احب الابل فقال يا اعرابي
ان ادخلك الله الجنة اصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك قوله وتلك الجنة التي اورثتموها
بما كنتم تعملون قد تقدم الكلام في معنى وراثة الجنة عند قوله اولئك هم الوارثون الذين
يرثون الفردوس ولما ذكر الطعام والشراب ذكر الفاكهة فقال لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون
جا في الحديث لا ينزع رجل من الجنة من ثمرة الا نبت مكانها مثلاها واعلم انه تعالى لما
بعث محمدا صلى الله عليه وسلم اولا الى العرب ثم الى العالمين وكانت العرب في ضيق شديد بسبب
الماكول والمشروب والفاكهة فلهذا اذكر الله هذه المعاني مرة بعد اخرى تكميلا لرغباتهم وتقوية
لدواعيهم ومن في قوله منها تاكلون تبعيضية او ابتدائية وقدم الجار لاجل الفاصلة قوله
تعالى ان المجرمين اي المشركين في عذاب جهنم خالدون لما ذكر الوعد اردفه بالوعيد على الترتيب
المستمر في القران واحتج القاضي على القطع بوعيد الفساق بهذه الاية فقال لفظ المجرم
يتناول الكافر والفاسق فوجب كون الكل في عذاب جهنم وقوله لا يفتر عنهم وهم فيه
مبلسون وخالدون يدل على الخلود والجواب ان ما قبل الاية وبعدها يدل على ان المراد
من لفظ المجرم ههنا الكافر فما قبل الاية فقوله يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين وهذا يدل على ان كل من امن بايات الله وكان مسلما فانه
يدخل تحت قوله يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون والفاسق من اهل الصلاة
مومن بالله واياته واسلم فوجب ان يدخل تحت ذلك الوعد وان يخرج من هذا الوعيد
واما بعد الاية فقوله لقد جيناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون والمراد بالحق ههنا اما
الاسلام واما القران والرجل المسلم لا يكره الاسلام ولا القران فثبت ان ما قبل الاية وما
بعدها يدل على ان المراد من المجرمين الكفار والله اعلم قوله لا يفتر عنهم جملة حالية وكذلك
وهم فيه مبلسون وقرا عبد الله وهم فيها اي في النار لدلالة العذاب عليها واعلم انه قد تقدم
ان الخلود عبارة عن طول المكث ولا يفيد الدوام وقوله لا يفتر عنهم اي لا يخفف ولا ينقص
من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت ونقص حرها وقوله وهم فيه مبلسون والمبلس هو

البائس الساكت سكوت يائس من فرج عن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يقفل عليه فيبقى خالدا لا يرى ولا يرى قوله وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين العامة على انه خبر لكان وهم اما فصل واما توكيد وقرا عبد الله وابو زيد النحويان الظالمون على ان هو مبتدا والظالمون خبره والجملة خبر كان وهي لغة تميم قال ابو زيد سمعتهم يقرون تجدوه عند الله هو خير واعظم اجرا بالرفع وقال قيس بن ذريح

• تحن الى ليلى وانت تركتها • وكنت عليها بالملا انت اقدر •

برفع اقدر وانت فصل او توكيد قال سيبويه بلغنا ان رؤبة كان يقول اظن زيدا هو خير منك يعني بالرفع **فصل** احتج القاضي بقوله وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين فقال ان كان خلق فيهم الكفر ليدخلهم النار فما الذي نفاه بقوله وما ظلمناهم وما الذي نسبه اليهم مما نفاه عن نفسه اوليس لو اثبتناه لهم كان لا يزيد عما تقوله القوم فان قالوا ان ذلك الفعل لم يقع بقدرة الله عز وجل بل انما وقع بقدرة الله مع قدرة العبد معا فلم يكن ذلك ظلما من الله تعالى قلنا عندكم القدرة على الظلم موجبة للظلم وخالق تلك القدرة هو الله تعالى فكانه تعالى لما فعل مع خلق الكفر قدرة على الكفر خرج من ان يكون ظلما لهم وذلك محال لان من يكون ظالما فعله اذا فعل معه ما يوجب ذلك الفعل يكون ذلك احق فيكون فيقال للقاضي قدرة العبد هل هي صالحة للطرفين او هي متعينة لاحد الطرفين فان كانت صالحة لكل الطرفين فالترجيح ان وقع لا لمرجح لزم نفي الصانع وان افتقر الى مرجح عاد القسم الاول فيه ولابد وان ينتهي الى داعية مرجحة يخلقها الله تعالى في العبد وحينئذ يلزمك ما الزمته علينا وان كانت تلك القدرة متعينة لاحد الطرفين فحينئذ يلزمك ما اوردته علينا قال ابن الخطيب وليس الرجل ممن يرى وجه استدلال فيذكر انما الرجل من يتطرق فيما قبل الكلام وفيما بعده فان راه واردا على مذهبه بعينه لم يذكره وانما علم قوله ونادوا يا مالك العامة من غير ترخيم وعلي بن ابي طالب وعبد الله وابن وثاب والاعمش يا مال مرخما على لغة من ينتظر المحذوف وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرا ونادوا يا مال فقال ما اشغل اهل النار بالترخيم واجيب عنه بانه انما حسن الترخيم لانهم بلغوا من الضعف والنحافة الى حيث لا يمكن ان يذكروا من الكلمة الا بعضها وقرا ابو السرار الغنوي يا مال مبنيا على الضم على لغة من لا ينوي **فصل** روي ابن عباس ان اهل النار يدعون مالكا خازن النار يقولون ليقض علينا ربك يميتنا ربك فنستريح فيجيبهم مالك بعد الف سنة انكم ماكثون مقيمون في العذاب وعن عبد الله بن عمرو بن العاص يجيبهم بعد اربعين سنة وعن غيره مائة سنة **فصل** اختلفوا في ان قولهم يا مالك ليقض علينا ربك على اي وجه طلبوه فقال بعضهم على التمني وقال اخرون على وجه الاستغاثة والا فهم عالمون بانه لا خلاص لهم من ذلك العقاب وقيل لا يبعد ان يقال انهم لشدة ما هم فيه نسوا تلك المسيلة فذكروه على وجه الطلب ثم انه تعالى بين ان مالكا يقول لهم انكم ماكثون وليس في القران متى اجابهم هل اجابهم في الحال او بعد ذلك بمدة ثم انه تعالى ذكر بعد ذلك ما هو كالعلة لذلك الجواب فقال لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون والمراد نفرتهم عن محمد صلى الله عليه وسلم وعن القران وشدة بغضهم لقبول الدين الحق فان قيل كيف قال ونادوا يا مالك بعدما وصفهم بالابلاس فالجواب انها ازمنة متطاولة واحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون اوقاتا لغلبة الياس عليهم ويستغيثون اوقاتا لشدة ما بهم روي انه يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك ولما ذكر الله تعالى كيفية عذابهم في الاخرة ذكر بعده كيفية مكرهم وفساد باطنهم في الدنيا فقال ام ابرموا امرا اي احكموا امرا في المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم يعني مشركي مكة فانا مبرمون محكمون امرا في مجازاتهم اي مبرمون كيدنا كما ابرموا كيدهم كقوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون قال مقاتل نزلت في تدبيرهم في المكر في دار الندوة وقد تقدم في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية قوله ام ابرموا

ام منقطعة والابرام الاتقان واصله في الفتل يقال ابرم الحبل اي اتقن فتله وهو الفتل الثاني والاول يقال له سحيل قال زهير

• لعمري لنعم السيدان وجدتما • على كل حال من سحيل ومبرم •

قوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم السر ما حدث الرجل به نفسه او غيره في مكان والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم بلى نسمع ذلك ونعلم ورسلنا اي الحفظة لديهم يكتبون اي يكتبون عليهم جميع احوالهم قوله ان كان للرحمن ولد قيل هي شرطية على بابها واختلف في تاويله فقيل ان صح ذلك فانا اول من يعبده لكنه لم يصح البتة بالدليل القاطع وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيهما على ابلغ الوجوه واقواها ذكره الزمخشري وقيل ان كان له ولد في زعمكم فانا اول العابدين اي الموحدين لله المكذبين لهذا القول واعلم ان هذا التاويل فيه نظر لانهم سواء اثبتوا لله ولدا او لم يثبتوه له فالرسول منكر لذلك الولد فلم يكن لزعمهم تاثير في كون الرسول منكرا لذلك الولد فلم يصلح جعل زعمهم اثبات الولد مؤثرا في كون الرسول منكرا للولد وهذا التاويل قاله الواحدي وقيل العابدين بمعنى الانفين من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد ويؤيده قراءة السلمي واليماني العبدين دون الف وحكى الخليل قراءة غريبة وهي العبدين بسكون الباء وهي تخفيف قراءة السلمي فاصلها الكسر قال ابن عرفة يقال عبد بالكسر يعبد بالفتح فهو عبد وقل ما يقال عابد والقران لا يجيء على القليل ولا الشاذ يعني فتخريج من قال ان العابدين بمعنى الانفين لا يصح ثم قال كقول مجاهد وقال الفرزدق

• اولئك اباي فجئني بمثلهم • واعبد ان اهجو كليبا بدارم •

اي آنف وقال اخر

• متى يشا ذو الود يصرم خليله • ويعبد عليه لا محالة ظالما •

قال ابن الخطيب وهذا التعليق ايضا فاسد لان هذه الانفة حاصلة سواء حصل ذلك الزعم والاعتقاد او لم يحصل وقال ابو عبيدة معناه الجاحدين يقال عبدني حقي اي جحدنيه وقال ابو حاتم العبد بكسر الباء الشديد الغضب وهو معنى حسن اي ان كان له ولد على زعمكم فانا اول من يغضب لذلك وقيل ان نافية اي ما كان ثم اخبرهم بقوله فانا اول العابدين اي الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له وتكون الفاء سببية ومنع مكي ان تكون نافية قال لانه يوهم انك انما نفيت عن الله الولد فيما مضى دون ما هو ات وهذا محال ورد عليه بان كان قد تدل على الدوام كقوله وكان الله غفورا رحيما الى ما لا يحصى والصحيح من مذاهب النحاة انها لا تدل على الانقطاع والقائل بذلك يقول ما لم يكن قرينة كالايات المذكورة وروي عن ابن عباس ان المعنى ما كان للرحمن ولد فانا اول العابدين الشاهدين له بذلك جعل ان بمعنى الجحد وقال السدي معناه ولو كان للرحمن ولد فانا اول من عبده بذلك ولكن لا ولد له وتقدم الخلاف في قراءتي ولد وولد في مريم ثم انه تعالى نزه نفسه فقال سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اي عما يقولون من الكذب وذلك ان اله العالم يجب ان يكون واجب الوجود لذاته وكل ما كان كذلك فهو لا يقبل التجزي بوجه من الوجوه والولد عبارة عن ان ينفصل عن الشيء جزء فيتولد عن ذلك الجزء شخص مثله وهذا انما يعقل فيما يكون ذاته قابلة للتجزي والتبعيض واذا كان ذلك محالا في حق اله العالم امتنع اثبات الولد ولما ذكر هذا البرهان القاطع قال فذرهم يخوضوا ويلعبوا اي يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يعني يوم القيمة والمقصود منه التهديد يعني قد ذكرت الحجة القاطعة على فساد ما ذكروا فلم يلتفتوا اليها لاجل استغراقهم في طلب المال والجاه والرياسة فاتركهم في ذلك الباطل واللعب حتى يصلوا الى ذلك اليوم الموعود به قوله يلاقوا قراءة العامة من الملاقاة وابن محيصن ويروى عن ابي عمرو يلقوا من لقي قوله وهو الذي في السماء اله في السما متعلق باله لانه بمعنى معبود اي معبود في السما ومعبود في الارض وحينئذ فيقال الصلة لا تكون الا جملة او ما في تقديرها وهو الظرف وعديله ولا شيء منهما هنا والجواب ان المبتدا حذف لدلالة المعنى عليه وذلك المحذوف هو العائد تقديره وهو الذي هو في السما اله وهو في الارض اله وانما حذف لطول الصلة

بالمعمول فان الجار متعلق باله ومثله ما انا بالذي قايل لك سوا وقال ابو حيان وحسنه
طوله بالعطف عليه كما حسن في قولهم قايل بشا طوله بالمعمول قال شهاب الدين حصوله في
الاية وفيما حكاه سوا فان الصلة طالب له بالمعمول في كلهما والعطف امر زايد على ذلك فهو
زيادة في تحسين الحذف ولا يجوز ان يكون الجار خبرا مقدما واله مبتدا موخرا لييله تعري
الجملة من رابط اذ يصير نظير جا الذي في الدار زيد فان جعلت الجار صلة وفيه ضمير عايد
على الموصول وجعلت اله بدلا منه فقال ابو البقا جاز على ضعف لان الغرض الكلي اثبات
الالهية لا كونه في السموات والارض فكان يفسد ايضا من وجه اخر وهو قوله وفي الارض
اله لانه معطوف على ما قبله واذا لم تقدر ما ذكرنا صار منقطعا عنه وكان المعنى ان في الارض
الها انتهى وقال ابو علي نظرت فيما يرتفع به اله فوجدت ارتفاعه يصح بان تكون الصلة
الجار والمجرور والمعنى انه فيهما بالالهية وربوبيته اذ يستحيل حمله على الاستقرار وقرا عمر وعلي
وعبد الله في جماعة وهو الذي في السما الله ضمن العلم ايضا معنى المشتق فيتعلق به الجار
ومثله هو حاتم في طي اي الجواد فيهم ومثله فرعون العذاب **فصل** قال ابن
الخطيب وهذه الاية من ادل الدلايل على انه تعالى غير مستقر في السما لانه تعالى بين في
هذه الاية ان نسبته بالالهية الى السما كنسبته الى الارض فلما كان الها للارض مع انه غير مستقر
فيها فكذلك وجب ان يكون الها للسما مع انه لا يكون مستقرا فيها فان قيل اي تعلق لهذا
الكلام بنفي المتولد عن الله عز وجل فالجواب تعلقه به انه تعالى خلق عيسى بمحض كن
فيكون من غير واسطة النطفة والاب فكانه قيل ان كان هذا القدر يوجب كون عيسى
ولدا لله عز وجل لان هذا المعنى حاصل في تخليق السموات والارض مع انتفا حصول الولدية
هناك ثم قال وهو الحكيم العليم الحكيم في تدبير خلقه العليم بمصالحهم وقد تقدم في سورة
الانعام ان كونه تعالى حكيما عليما ينافي حصول الولد له قوله وتبارك الذي له ملك
السموات والارض وما بينهما فقوله تبارك اما ان يكون مشتقا من وجوب البقا واما من
كثرة الخير وعلى التقديرين فكل واحد من الوجهين ينافي كون عيسى عليه السلام واجب
البقا والدوام لانه حدث بعد ان لم يكن ثم عند النصارى انه قتل ومات ومن كان كذلك
لم يكن بينه وبين الباقي الازلي الدايم مجانسة ومشابهة فامتنع كونه ولدا له وان كان
المراد بالبركة كثرة الخيرات مثل كونه خالقا للسموات والارض وما بينهما فعيسى لم يكن
خالقا لهما مع ان اليهود عندهم اخذوه وقتلوه وصلبوه والذي هذا صفته كيف يكون
ولدا لمن كان خالقا للسموات والارض وما بينهما ثم قال وعنده علم الساعة والمقصود منه
التنبيه على ان كل من كان كاملا في الذات والعلم والقدرة على الوصف المشروح فانه
يمتنع ان يكون ولده في العجز وعدم القدرة عن احوال العالم بالحد الذي وصفته
النصارى به قوله واليه ترجعون قرا الاخوان وابن كثير بالياء من تحت والباقون
بالتاء من فوق وهو في كلهما مبني للمفعول وقرى بالخطاب مبنيا للفاعل قوله ولا يملك
الذين يدعون قرا العامة يدعون بيا الغيبة والضمير للموصول والسلمي وابن وثاب
بتاء الخطاب والاسود بن يزيد بتشديد الدال ونقل عنه القراة مع ذلك بالياء والتاء
قوله الا من شهد بالحق كعزير والملايكة فانهم يملكون الشفاعة بتمليك الله اياهم
لها وقيل هو منقطع بمعنى ان هولا لا يشفعون الا فيمن شهد بالحق اي لكن من شهد بالحق
يشفع فيه هولا كذا قدروه وهذا التقدير يجوز فيه ان يكون الاستثنا متصلا على
حذف المفعول تقديره ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة في احد الا فيمن شهد
فصل ذكر المفسرون قولين في الاية احدهما ان الذين يدعون من دونه
الملايكة وعيسى وعزير لا يشفعون الا لمن شهد بالحق الثاني روي ان النضر بن الحرث
ونفرا معه قالوا ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن نتولى الملايكة فهم احق بالشفاعة من
محمد فانزل الله هذه الاية والمعنى لا يقدر هولا ان يشفعوا لاحد ثم استثنى فقال
الا من شهد بالحق اي الملايكة وعيسى وعزيرا فانهم يشفعون فعلى الاول يكون من في
محل جر وعلى الثاني يكون من في محل رفع والمراد بشهادة الحق قول لا اله الا الله كلمة

التوحيد وهم يعلمون بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم قوله ولين سالتهم من خلقهم ليقولن
الله الاية ظن قوم ان هذه الاية وامثالها في القران تدل على ان القوم مضطرون الى الاعتراف
بوجود الاله قال الجبايي وهذا لا يصح لان قوم فرعون قالوا لا اله قال الجبايي وهذا لا يصح
لان قوم فرعون قالوا لا اله لهم غيره وقوم ابراهيم قالوا انا لفي شك مما تدعونا اليه واجيب
بانا لا نسلم ان قوم فرعون كانوا منكرين لوجود الاله بدليل قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا وقال موسى عليه السلام لفرعون لقد علمت ما انزل هولا الا رب
السموات والارض بصاير على قراة من فتح التا من علمت وهذا يدل على ان فرعون
كان عارفا بالله واما قول قوم ابراهيم وانا لفي شك مما تدعونا اليه فهو مصروف الى
اثبات القيمة واثبات التكليف واثبات النبوة قوله فانى يوفكون اي لم يكذبون
على الله فيقولون ان الله امرنا بعبادة الاصنام قوله وقيله قرا حمزة وعاصم بالجر
والباقون بالنصب فاما الجر فعلى وجهين احدهما انه عطف على الساعة اي عنده علم
قيله اي قول محمد او عيسى والقول والقال والقيل بمعنى واحد جات المصادر على هذه
الاوزان والثاني ان الواو للقسم والجواب اما محذوف تقديره لننصرن او لافعلن بهم
ما اريد واما مذكور وهو قوله ان هولا قوم لا يومنون ذكره الزمخشري واما قراة النصب
ففيها ثمانية اوجه احدها انه منصوب على محل الساعة كانه قيل انه يعلم الساعة ويعلم
قيله كذا الثاني انه معطوف على سرهم ونجواهم اي لا يعلم سرهم ونجواهم ولا يعلم قيله
الثالث عطف على مفعول يكتبون المحذوف اي يكتبون ذلك ويكتبون قيله كذا ايضا
الرابع انه معطوف على مفعول يعلمون المحذوف اي يعلمون ذلك ويعلمون قيله الخامس
انه مصدر اي قال قيله السادس ان ينتصب باضمار فعل اي الله يعلم قيل رسوله وهو محمد
صلى الله عليه وسلم السابع ان ينتصب على محل بالحق اي شهد بالحق وبقيله الثامن ان
ينتصب على حذف حرف القسم كقوله • فذاك امانة الله الثريد •
وقرا الاعرج وابو قلابة ومجاهد والحسن بالرفع وفيه اوجه الرفع عطفا على علم الساعة
بتقدير مضاف اي وعنده علم قيله ثم حذف واقيم هذا مقامه الثاني انه مرفوع بالابتدا
والجملة من قوله يارب الى اخره هو الخبر الثالث انه مبتدا وخبره محذوف تقديره وقيله
كيت وكيت مسموع او متقبل الرابع انه مبتدا واصله القسم كقولهم ايمن الله ولعمر الله فيكون
خبره محذوفا والجواب كما تقدم ذكره الزمخشري ايضا واختار القراة بالنصب جماعة قال النحاس
القراة البينة بالنصب من وجهين احدهما ان التفرقة بين المنصوب وما عطف عليه والثانية
تفسير اهل التاويل بمعنى النصب كانه يريدها قال ابو عبيدة قال انما هي في التفسير ام يحسبون
انا لا نسمع سرهم ونجواهم ولا نسمع قيله يارب ولم يرتض الزمخشري من الاوجه المتقدمة شيا
وانما اختار ان يكون قسما في القرات في الثلاث وتقدم تحقيقها وقرا ابو قلابة يارب بفتح الباء
على قلب الياء الفا ثم حذفها مجتزيا عنها بالفتحة كقوله بلهف ولا بليت والاخفش يطردها
قال ابن الخطيب بعد ان حكى قول الزمخشري واقول الذي ذكره الزمخشري متكلفا ايضا
وها هنا اضمار اذكر والتقدير في قراة النصب واذكر قيله يارب وفي قراة الجر واذكر وقت قيله
يارب واذا وجب التزام اضمار ما جرت العادة في القران بالتزامه فالتزام اضماره اولى من غيره
وعن ابن عباس انه قال في تفسير قوله تعالى وقيله يارب المراد وقيل يارب والهاء زايدة
فصل القيل مصدر القول ومنه الحديث انه نهى عن قيل وقال وحكى الليث عن العرب
تقول كثر فيه القيل والقال وروي سمي عن ابي زيد يقال ما احسن قيلك وقولك ومقالك
ومقالتك والضمير في وقيله لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى يعلم قول محمد صلى
الله عليه وسلم شاكيا الى ربه يارب ان هولا قوم لا يومنون لما عرف اصرارهم وهذا قريب
مما حكى الله عن نوح عليه السلام انه قال يارب ان هولا قوم لا يومنون فاصفح عنهم اي
اعرض عنهم وقل سلام قال سيبويه معناه المتاركة كقوله تعالى سلام عليكم لا نبتغي
الجاهلين ثم قال فسوف يعلمون والمراد به التهديد قوله فسوف يعلمون قرا نافع وابن
عامر بتا الخطاب التفاتا والباقون بيا الغيبة نظرا لما تقدم **فصل** قال ابن

عباس قوله فاصفح عنهم وقل سلام منسوخ بالسيف قال ابن الخطيب وعندي التزام
النسخ في مثل هذه المواضع مشكل لان الامر لا يفيد الفعل الامرة واحدة فسقطت دلالة
اللفظ فاي حاجة الي التزام النسخ وايضا فاللفظ المطلق قد يتقيد بحسب العرف واذا
كان كذلك فلا حاجة فيه الي التزام النسخ والله اعلم روي ابو امامة عن ابي بن كعب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة
يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب والله اعلم

سورة الدخان مكية

وهي تسع وخمسون اية وثلاثماية وست واربعون كلمة والف واربعماية واحد وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى حم والكتاب المبين كقوله هذا ان يدوا الله لنا في ان يكون التقدير حم
والكتاب المبين انا انزلناه فيكون في ذلك التقدير قسمين على شي واحد قوله انا
انزلناه يجوز ان يكون جواب القسم وان يكون اعتراضا والجواب قوله انا كنا منذرين
واختاره ابن عطية وقيل انا كنا مستانف او جواب ثان من غير عاطف قوله فيها
يفرق يجوز ان تكون مستانفة وان تكون صفة لليلة وما بينهما اعتراض قال الزمخشري
فان قلت انا كنا منذرين فيها يفرق ما موقع هاتين الجملتين قلت هما جملتان مستانفتان
ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذي هو انا انزلناه وكانه قيل انزلناه لان من شاننا
الانذار والتحذير وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزل القران من الامور
الحكمية وهذه الليلة يفرق فيها كل امر حكيم وقرا الحسن والاعرج والاعمش يفرق بفتح
اليا وضم الراء كل بالنصب حكيم بالرفع علي انه فاعل يفرق وعن الحسن والاعمش ايضا
يفرق كالعامة الا انه بالتشديد **فصل** استدلوا بهذه الاية على حدوث
القران من وجوه الاول ان قوله حم تقديره هذه حم يعني هذا شي مولف من هذه الحروف
والمولف من الحروف المتعاقبة محدث الثاني انه ثبت ان الحلف لا يصح بهذه الاشيا بل باله
هذه الاشيا فيكون التقدير ورب حم ورب الكتاب المبين وكل ما كان مربوبا فهو محدث
الثالث انه وصفه بكونه كتابا والكتاب مشتق من الكتب وهو الجمع فمعناه انه مجموع
والمجموع محل تصرف الغير وما كان كذلك فهو محدث الرابع قوله انا انزلناه والمنزل محل تصرف
الغير وما كان كذلك فهو محدث قال ابن الخطيب وقد ذكرنا ان جميع هذه الاشيا الدلايل
لا تدل على ان الشي المركب من الحروف المتعاقبة والاصوات المتوالية محدث والعلم بذلك
ضروري بديهي لا نزاع فيه انما القديم شي اخر سوي ما تركب من الحروف والاصوات **فصل**
يجوز ان يكون المراد بالكتاب هاهنا الكتب المتقدمة المنزلة على الانبيا كما قال لقد ارسلنا
رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ويجوز ان يكون المراد به اللوح المحفوظ قال
تعالى يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وقال وانه في ام الكتاب لدينا لعلي
حكيم ويجوز ان يكون المراد به القران وبهذا التقدير فقد اقسم بالقران على انه انزل القران
في ليلة مباركة وهذا النوع من الكلام يدل على غاية تعظيم القران فقد يقول الرجل اذا
اراد تعظيم الرجل له اليه حاجة اشفع بك اليك واقسم بك عليك وجاء في الحديث اعوذ
برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لا احصي ثنا عليك وقوله المبين
هو المشتمل على بيان ما بالناس حاجة اليه في دينهم ودنياهم فوصفه بكونه مبينا
واذا كانت حقيقة الابانة لله تعالى لان الابانة حصلت به كقوله تعالى ان هذا القران
يقص على بني اسرايل وقوله نحن نقص عليك احسن القصص وقوله ام انزلنا عليهم سلطانا
فهو يتكلم بما كانوا به يشركون فوصفه بالتكلم اذا كان غاية في الابانة فكانه ذو لسان
ينطق مبالغة في وصفه **فصل** قال قتادة وابن زيد واكثر المفسرين
المراد بقوله انا انزلناه في ليلة مباركة هي ليلة القدر وقال عكرمة وطايفة انها ليلة

البراة وهي ليلة النصف من شعبان واحتج الاولون بوجوه الاول قوله تعالى انا انزلناه في
ليلة القدر وقوله هاهنا انا انزلناه في ليلة مباركة يجب ان تكون هي تلك الليلة المسماة بليلة القدر
لئلا يلزم التناقض الثاني قوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران فقوله هاهنا انا
انزلناه في ليلة مباركة يجب ان تكون هذه الليلة المباركة في رمضان فثبت انها ليلة القدر
الثالث قوله تعالى في صفة ليلة القدر سلام هي تنزل الملايكة والروح فيها باذن ربهم من
كل امر سلام وقال هاهنا فيها يفرق كل امر حكيم وقال هاهنا رحمة من ربك وقال في ليلة
القدر سلام هي واذا تقاربت الاوصاف وجب القول بان احدي الليلتين هي الاخري الرابع
نقل محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة انه قال نزلت صحف ابراهيم في اول ليلة من
رمضان والتوراة لست ليال منه والزبور لثنتي عشرة ليلة خلت منه والانجيل لثماني عشرة ليلة
مضت منه والقران لاربع وعشرين مضت من رمضان والليلة المباركة هي ليلة القدر الخامس
ان ليلة القدر انما سميت بهذا الاسم لان قدرها وشرفها عند الله عظيم ومعلوم انه ليس قدرها
وشرفها بسبب نفس الزمان لان الزمان شي واحد في الذات والصفات فيمتنع كون بعضه
اشرف من بعض لذاته فثبت ان شرفه وقدره بسبب انه حصل فيه امور شريفة لها قدر عظيم
ومن المعلوم ان منصب الدين اعظم من مناصب الدنيا واعظم الاشيا واشرفها منصبا في الدين هو
القران لانه ثبت به نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبه ظهر الفرق بين الحق والباطل كما قال تعالى
في صفته ومهيمنا عليه وبه ظهرت درجات ارباب السعادات ودركات ارباب الشقاوات فعلي
هذا لا شي الا والقران اعظم قدرا واعلا ذكرا واعظم منصبا وحيث اطبقوا على ان ليلة القدر هي
التي وقعت في رمضان علمنا ان القران انما انزل في تلك الليلة واحتج الاخرون على انها
ليلة النصف من شعبان بان لها اربعة اسما الليلة المباركة وليلة البراة وليلة الصك
وليلة الرحمة ولانها مختصة بخمس خصال الاولي قال فيها يفرق كل امر حكيم والثانية
فضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه الليلة ارسل
الله تعالى اليه ماية ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يومنونه من العذاب وثلاثون
يدفعون عنه افات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان الثالثة نزول الرحمة قال
عليه السلام ان الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا الكافر والساحر ومدمن الخمر
وعاق والديه والمصر على الزنا الخامسة انه تعالى اعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه
الليلة تمام الشفاعة وذلك انه سال في الليلة الثالثة عشر الشفاعة في امته فاعطي
الثلث منها ثم سال الليلة الرابعة عشر فاعطي الثلثين ثم سال ليلة الخامس عشر فاعطي جميع
الشفاعة الا من شرد عن الله شراد البعير نقله الزمخشري **فصل** روي ان عطية
الحروري سال ابن عباس عن قوله انا انزلناه في ليلة مباركة وقوله انا انزلناه في ليلة القدر
كيف يصح ذلك مع ان الله انزل القران في جميع الشهور فقال ابن عباس يا ابن الاسود لو
هلكت انا ووقع في نفسك هذا ولم تجد جوابه لهلكت نزل القران جملة من اللوح المحفوظ الي
البيت المعمور في السما الدنيا ثم نزل بعد ذلك في انواع الوقايع حالا فحالا قال قتادة
وابن زيد انزل الله القران في ليلة القدر من ام الكتاب الي السما الدنيا ثم نزل به جبريل
على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في عشرين سنة قوله انا كنا منذرين يعني ان الحكمة
في انزال القران ان انذار الخلق لا يتم الا به قوله فيها اي في الليلة المباركة يفرق يفصل
كل امر حكيم محكم ومعناه ذو الحكمة وذلك لان تخصيص الله كل واحد بحالة معينة من الاجل
والرزق والسعادة والشقاوة يدل على حكمة بالغة لله فلما دلت تلك الاقضية على حكمة
فاعلها وصفت حكمه وهذا اسناد مجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر حقيقة ووصف الامر
به مجاز قال ابن عباس يكتب من ام الكتاب في ليلة القدر ما هو كاين في السنة من الخير
والشر والارزاق والاجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقال الحسن ومجاهد وقتادة
يبرم في ليلة القدر في شهر رمضان كل اجل وعمل وخلق ورزق وما يكون في تلك السنة
وقال عكرمة هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها امر السنة وينسخ الاحيا من الاموات
فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم احد قال عليه السلام تقطع الاجال من شعبان الي شعبان

حتى ان الرجل لينكح ويولد له ولقد اخرج اسمه في الموتى وعن ابن عباس ان الله يقضي
الاقضية في ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر وروي ان الله تعالى
انزل كل القران من اللوح المحفوظ في ليلة البراة ووقع الفراغ في ليلة القدر فرفع نسخة
الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروف الى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة
الاعمال الى اسرافيل صاحب سما الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصايب الى ملك الموت قوله
امرا فيه اثنا عشر وجها احدها ينتصب حالا من فاعل انزلناه الثاني انه حال من مفعوله اي
انزلناه امرين او مامورا به الثالث ان يكون مفعولا له وناصبه اما انزلناه واما منذرين واما
يفرق الرابع انه مصدر من معنى يفرق اي فرقا الخامس انه مصدر لامرنا محذوفا السادس ان
يكون يفرق بمعنى يامر والفرق بين هذا وما تقدم انك رددت في هذا العامل الى المصدر وفيما
تقدم بالعكس السابع انه حال من كل حكى ابو علي الفارسي عن الحسن انه حمل قوله امرا على
الحال وذو الحال كل امر حكيم الثاني انه حال من امر وجاز ذلك لانه وصف الا ان فيه شان مجي
الحال من المضاف اليه في غير المواضع المذكورة والثاني الهاء موكدة السابع انه مصدر لانزلنا اي
انا انزلناه انزالا قاله الاخفش العاشر انه مصدر لكن بتاويل العامل فيه الى معناه اي امرنا به
امرا بسبب الانزال كما قالوا ذلك في وجهي فيها يفرق كل امر فرقا او ينزل انزالا الحادي عشر انه
منصوب على الاختصاص قاله الزمخشري ولا يعني بذلك الاختصاص الاصطلاحي فانه لا يكون نكرة
الثاني عشر ان يكون حالا من الضمير في حكيم الثالث عشر ان ينتصب مفعولا به بمنذرين كقوله
لتنذر باسا شديدا او يكون المفعول الاول محذوفا اي منذرين الناس امرا والحاصل ان انتصابه
يرجع الى اربعة اشيا المفعول به والمفعول له والمصدرية والحالية وانما الكثير بحسب المحال
وقرا زيد بن علي امر بالرفع قال الزمخشري وهو يقوي النصب على الاختصاص قوله من عندنا
يجوز ان يتعلق بيفرق اي من جهتنا وهي لابتداء الغاية مجازا ويجوز ان يكون صفة لامر قوله
انا كنا مرسلين جواب ثالث او مستانف او بدل من قوله انا كنا منذرين قال ابن الخطيب اي انا
فعلنا ذلك الانذار لاجل انا كنا مرسلين يعني الانبيا قوله رحمة فيها خمسة اوجه المفعول
والعامل فيه اما انزلناه واما امرا واما يفرق واما منذرين الثاني مصدر بفعل مقدر اي رحمة
الخامس انها بدل من امرا فيجي فيها ما تقدم فيه ويكثر الاوجه فيها حينئذ ومن ربك يتعلق برحمة
او بمحذوف على انها صفة ومن ربك التفات من التكلم الى الغيبة ولو جرى على سوال ما تقدم
لقال رحمة منا **فصل** قال ابن عباس معنى رحمة من ربك اي رافة مني بخلقي
ونعمة عليهم بما بعثت اليهم من الرسل وقال الزجاج انزلناه في ليلة مباركة انه هو السميع العليم
اي ان تلك الرحمة كانت رحمة في الحقيقة لان المحتاجين اما ان يذكروا حاجتهم بالسنتهم او لم
يذكروها فان ذكروها فهو سميع وان لم يذكروها فهو تعالى عالم بها قوله رب السموات
والارض قرا الكوفيون بخفض رب والباقون برفعه فالجر على البدل او البيان او النعت
والرفع على اضمار مبتدا او على انه مبتدا خبره لا اله الا هو **فصل** المقصود من هذه
الاية ان المنزل اذا كان موصوفا بهذه الجلالة والكبريا كان المنزل الذي هو القران في غاية
الشرف والرفعة ثم قال ان كنتم موقنين قال ابو مسلم معناه ان كنتم تطلبونه وتريدونه
فاعرفوا ان الامر كما قلنا كقولهم فلان منجد متهم اي يريد نجدا وتهامة وقال الزمخشري
كانوا يقرون بان رب السموات والارض ربا خالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب
رحمة من الرب ثم قال ان هذا الرب هو السميع العليم الذي انتم مقرون به ومعترفون بانه
رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم ويقين كما تقول هذا انعام زيد الذي
يتسامع الناس بكرمه اي بلغك حديثه وسمعت بصيته والمعنى ان كنتم موقنين بقوله بل هم في
شك يلعبون وان اقرارهم غير صادر عن علم ويقين ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزء
ولعب قوله ربكم ورب ابايكم الاولين العامة على الرفع بدلا او بيانا او نعتا لرب السموات
فيمن رفعه او على انه مبتدا والخبر لا اله الا هو او خبر بعد خبر لقوله انه هو السميع او خبر مبتدا
مضمر عند الجميع اعني قراة الجر والرفع او فاعل لقوله يميت وفي يحيي ضمير يرجع الى ما قبله اي
يحيي هو اي رب السموات ويميت هو فاوقع الظاهر موقع المضمر ويجوز ان يكون يحيي ويميت

من التنازع ويجوز ان ينسب الرفع الى الاول او الثاني نحو يقوم ويقعد زيد وهذا اعني
ابو البقا بقوله او على شريطة التفسير وقرا ابن محيصن وابن ابي اسحاق وابو حياة والحسن
بالجر على البدل او البيان او النعت لرب السموات وهذا يوجب ان يكونوا يقرون رب السموات بالجر
والانطاكي بالنصب على المدح قوله تعالى فارتقب يوم تاتي السما بدخان الاية يوم منصوب
بارتقب على الظرف ومفعول الارتقاب محذوف لدلالة ما بعده عليه وهو قوله هذا عذاب
اليم اي ارتقب وعد الله في ذلك اليوم ويجوز ان يكون يوم هو المفعول المرتقب **فصل**
اختلفوا في هذا الدخان فروى ابو الضحاك عن مسروق قال بينما رجل يحدث في كيده فقال
يجي دخان يوم القيمة فياخذ باسماع المنافقين وابصارهم وياخذ المومن كهيئة الزكام ففزعنا
فاتينا ابن مسعود وكان متكيا فغضب فجلس فقال من علم فليقل ومن لم يعلم فليقل الله اعلم
فان من العلم ان يقول لما لا يعلم لا اعلم فان الله تعالى قال لنبيه قل لا اسالكم عليه اجرا وما انا من
المتكلفين وان قريشا لما ابطوا عن الاسلام فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اعني
عليهم بسبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها فاكلوا الميتة والعظام ويرى الرجل ما
بين السما والارض كهيئة الدخان فجا ابو سفيان فقال يا محمد جيت تامر بصلة الرحم وان قومك
قد هلكوا فادع الله فقرا فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين الى قوله عايدون وهذا قول
ابن مسعود وكان ينكر ان يكون الدخان الا هذا الذي اصابهم من شدة الجوع كالظلمة في ابصارهم
حتى كانوا كانهم يرون دخانا وذكر ابن قتيبة في تفسير الدخان في هذه الحالة وجهين الاول
ان في سنة القحط يعظم يبس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار الكثير ويظلم الهوا وذلك
يشبه الدخان ويقولون كان بيننا امر ارتفع له دخان ولهذا يقال للسنة المجدبة الغبرا الثاني
ان العرب يسمون الشي الغالب بالدخان والسبب فيه ان الانسان اذا اشتد خوفه او ضعفه
اظلمت عيناه ويرى الدنيا كالمملوة من الدخان وقيل انه دخان يظهر في العالم وهو احدى
علامات القيمة وهذا منقول عن علي بن ابي طالب وعن ابن عباس في المشهور عنه لما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول الايات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر
عدن تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله
عليه وسلم الاية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المومن فتصيبه كالزكمة
واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره ويكون الارض كلها كبيت اوقد فيه النار
وقال عليه السلام باكروا بالاعمال ستا وذكر منها طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة رواه الحسن
واحتج الاولون بانه تعالى حكى عنهم انهم يقولون ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون فاذا حملناه
على القحط الذي وقع بمكة استقام فانه نقل ان الامر لما اشتد على اهل مكة مشى اليه ابو سفيان
فناشده الله والرحم وواعده ان دعا لهم وازال الله عنهم تلك البلية ان يومنوا به فاذا حملناه على
القحط الذي وقع بمكة استقام فانه نقل ان الامر منه ظهور علامة من علامات القيمة لم يصح
ذلك لان عند ظهور علامات القيمة لا يمكنهم ان يقولوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون ولم يصح
ايضا ان يقال لهم انا كاشف العذاب قليلا انكم عايدون **فصل** ظاهر الحال انه دخان
يغشى الناس اي يشملهم وهو في محل جر صفة ثانية اي بدخان مبين غاش وهو قوله عذاب
اليم في محل نصب بالقول وذلك حال اي قايلين ذلك ويجوز ان لا يكون معمولا لقول البتة بل هو
مجرد اخبار وقال الجرجاني صاحب النظم هذا اشارة اليه واخبار عن دنوه واقترابه كما يقال هذا
العدو فاستقبله والغرض منه التنبيه على القرب قوله ربنا اكشف عنا العذاب وان لم يضمر
القول هناك اضمرناه ها هنا والعذاب على القول الثاني الدخان المهلك انا مومنون اي نجدد
بالقران والمراد منه الوعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم قوله انى لهم الذكرى يجوز ان يكون انى خبرا
الذكرى ولهم تبيين ويجوز ان يكون انى منصوبا على الظرف بالاستقرار في لهم ووقع خبرا للذكرى
قوله وقد جاهم حال من لهم والمعنى كيف يتعظون اي من اين لهم التذكر والاتعاظ وقد جاهم
ما هو اعظم وادخل في وجوب الطاعة وهو رسول مبين ظاهر الصدق يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم وما ظهر عليه من المعجزات ثم تولوا عنه اعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه وقالوا معلم مجنون
من ذلك ان كفار مكة منهم من كان يقول ان محمدا يتعلم هذه الكلمات من بعض الناس لقولهم

لنا يعلمه بشر وقوله واعانه عليه قوم آخرون ومنهم من كان يقول انه مجنون والجن يلقون
عليه هذه الكلمات قال ما يعرض الغشي وقرا زيد بن علي معلم بكسر اللام قوله انا كاشف العذاب
قليلا اي عذاب الجوع قليلا نعت لزمان والمصدر محذوف اي كشفا قليلا او زمانا قليلا
يعني بيسيرا انكم عايدون اي كما نكشف العذاب عنكم تعودون في الحال الى ما كنتم عليه من
الشرك قوله يوم نبطش قيل هو بدل من يوم تاتي وقيل منصوب باضمار اذكر وقيل منتقمون
وقيل بما دل عليه منتقمون وهو ينتقم ورد هذان بان ما بعد الا لا يعمل ما قبلها وبانه لا يفسر
الا ما يصح ان يعمل وقرا العامة بفتح نون نبطش وكسر الطاء اي نبطش بهم وقرا الحسن وابو
جعفر بضم الطاء وهي لغة في مضارع بطش والحسن ايضا وابو رجا وطلحة بضم النون
وكسر الطاء وهو منقول من بطش اي نبطش بهم الملائكة والبطشة على هذا يجوز ان تكون
منصوبة بنبطش على حذف الزايد نحو انبتكم من الارض نباتا وان ينتصب بفعل مقدر اي
نبطش الملائكة بهم فيبطشون والبطش الاخذ بالشدة واكثر ما يكون بوقع الضرب ثم صار
بحيث يستعمل في ايصال الالام المتتابعة **فصل** في المراد بهذا اليوم قولان الاول انه يوم
بدر وهو قول ابن مسعود وابن عباس ومجاهد ومقاتل وابي العالية ان كفار مكة لما ازال
الله تعالى الجوع والقحط عادوا الى التكذيب فانتقم الله منهم يوم بدر وهو قول ابن مسعود والثاني
انه يوم القيمة روى عكرمة عن ابن عباس انه قال قال ابن مسعود البطشة الكبرى يوم القيمة
قال ابن الخطيب وهذا القول اصح لان يوم بدر لا يبلغ هذا المبلغ الذي يوصف بهذا الوصف
العظيم ولان الانتقام التام انما يحصل يوم القيمة لقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
قوله تعالى ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون الاية لما بين ان كفار مكة يصرون على كفرهم بين
ان كثيرا من المتقدمين ايضا كانوا كذلك وبين حصول هذه الصفة في اكثر قوم فرعون
قوله ولقد فتنا قرى فتنا بالتشديد على المبالغة او التكثير لكثرة متعلقه وجاءهم
رسول يحتمل الاستيناف والحال **فصل** قال ابن عباس ابتلينا وقال الزجاج بلونا
والمعنى عاملناهم معاملة المختبر ببعث الرسول اليهم وجاءهم رسول كريم اي موسى بن عمران
قال الكلبي كريم على ربه يعني انه مستحق على ربه انواعا كثيرة من الاكرام وقال مقاتل
حسن الخلق وقال الفراء يقال فلان كريم قومه وقيل ما بعث رسول الا من اشراف قومه واكرمهم
قوله ان ادوا الي عباد الله يجوز ان يكون المفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول وان تكون
المخففة ومعناه وجاءهم بان الشان والحديث ادوا الي عباد الله وان تكون الناصبة
للمضارع وهي توصل بالامر وفي جعلها مخففة اشكال تقدم وهو ان الخبر في هذا الباب
لا يقع طلبا وعلى جعلها مصدرية تكون على حذف حرف الجر اي جاءهم بان ادوا وعباد الله
يحتمل ان يكون مفعولا به وذلك انه طلب منهم ان يؤدوا اليه بني اسرائيل بدليل قوله فارسل
معي بني اسرائيل وان يكون منادى والمفعول محذوف اي اعطوني الطاعة يا عباد الله
وعلل بانه رسول امين قد ايتمنه الله على وحيه ورسالته قوله وان لا تعلوا عطف على
ان الاولى والمعنى لا تتكبروا على الله باهانة وحيه ورسله اني آتيكم بسلطان مبين حجة
بينة يعترف بصحتها كل عاقل والعامة على كسر الهمزة من قوله اني آتيكم بسلطان على
الاستيناف وقرى بالفتح على تقدير اللام اي وان لا تعلوا لاني آتيكم بسلطان مبين
قوله واني عذت بربي وربكم ان ترجمون اي تقتلوني اي من ان ترجمون وقوله
اني عذت مستانف وادغم الدال في التاء ابو عمرو والاخوان وقد مضى توجيهه في طه
عند قوله فنبذتها قوله قيل انه لما قال وان لا تعلوا على الله الاية توعدوه بالقتل
فقال واني عذت بربي وربكم ان ترجمون اي تقتلوني وقال ابن عباس ان ترجمون
بالقول وهو الشتم وتقولوا هو ساحر وقال قتادة ترجموني بالحجارة وان لم تؤمنوا لي
اي تصدقون ولم تؤمنوا بالله لاجل ما اتيتكم به من الحجة فاللام في لي لام الاجل فاعتزلون
اي اتركوني لا معي ولا علي وقال ابن عباس فاعتزلوا اذاي باليد واللسان قوله فدعا
ربه الفا في فدعا تدل على انه متصل بمحذوف قبله وتاويله انهم كفروا ولم يؤمنوا فدعا
موسى ربه بان هؤلاء قوم مجرمون فان قيل الكفر اعظم حالا من الجرم فما السبب في ان جعل

الكفار

الكفار مجرمين حال ما اراد المبالغة في ذمهم فالجواب ان الكافر قد يكون عدلا في دينه وقد
يكون فاسقا في دينه والفاسق في دينه اخس الناس قوله ان هؤلاء العامة على الفتح
باضمار حرف الجر اي دعاه بان هؤلاء وابن ابي اسحاق وعيسى والحسن بالكسر على اضمار القول بعد
الفاء اي فقال اسر بعبادي وجواب شرط مقدر كانه قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي قال
ابو حيان وكثيرا ما يدعي حذف الشرط ولا يجوز الا الدليل واضح كان يتقدمه الامر وما اشبهه فصل
يقال سرى واسرى لغتان لما قال موسى ان هؤلاء قوم مجرمون اجاب الله دعاه وامره ان يسري
فقال فاسر بعبادي اي بني اسرائيل ليلا انكم متبعون يتبعكم فرعون وقومه وذلك سبب هلاكهم
قوله واترك البحر رهوا يجوز ان يكون رهوا مفعولا ثانيا على ان اترك بمعنى صير وان يكون
حالا على انها ليست بمعناها والرهو قيل السكون فالمعنى اتركه ساكنا يقال رها يرهو رهوا في اعنتها
كالطير يخوض الشؤبوب ذي البرد ورها يرهو في سيره اي رفق قال القطامي يمشين رهوا
فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل وعن ابي عبيدة رهوا اي اتركه منفتحا فرجا على
ما تركته روي انه لما انفلق البحر لموسى وطلع منه خاف ان يتبعه فرعون فاراد ان يضربه ليعود
حتى لا يلحقوه فامر ان يتركه فرجا واصله من قولهم رهوا الرجل يرهو رهوا اي راهيا يعني ساكنا
واصل الرهو السكون فيسمى بالمصدر اي ذا رهو وقال كعب اترك طريقا يابسا والرهو والرهوة
المكان المرتفع او المنخفض يجتمع فيه الما وهو من الاضداد والرهوة المراة الواسعة الهن والرهو
طاير يقال هو كالكركي وتقدم الكلام في الشعرا عند قوله كم تركوا من جنات قوله ومقام العامة
على فتح الميم وهو اسم مكان القيام وابن هرمز وقتادة وابن السميفع ونافع في رواية خارجة
بضمها اسم مكان الاقامة والنعمة بالفتح نضارة العيش ولذاذته قال الزمخشري النعمة بالفتح
من التنعم والنعمة بالكسر الانعام وقيل النعمة بالفتح هي المال والزينة فهذه الاية وحسبه
وذرني والمكذبين اولي النعمة وقوله ولين اذقناه نعماء بعد ضراء مسته اي ما لا بعد ضر والجمهور
على جرها ونصبها ابو رجا عطفا على كم اي اتركوا كثيرا من كذا وتركوا نعمة قوله فاكهين العامة
على الالف اي طيبين الانفس او اصحاب فاكهة كلابن وتامر وقيل فاكهين لاهين وقرا الحسن
وابو رجا فكهين اي مستخفين مستهزئين بنعمة الله قال الجوهري يقال فكه الرجل بالكسر فهو
فكه اذا كان مزاحا والفكه ايضا الاشر البطر قوله كذلك يجوز ان تكون الكاف مرفوعة المحل
خبر المبتدا مضمر اي الامر كذلك واليه نحا الزجاج ويجوز ان تكون منصوبة المحل فقدرها
الحوفي اهلكنا اهلاكا وانتقمنا انتقاما كذلك بجعله نعتا للترك المحذوف وعلى هذه الاوجه
كلها توقف على كذلك ويبتدا واورثناها وقال الزمخشري الكاف منصوبة على معنى مثل
ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناها معطوف على تلك الجملة قوما اخرين ليسوا منهم يعني
بني اسرائيل فعلى هذا يكون واورثناها معطوفا على تلك الجملة بالناصبة للكاف فلا يجوز
الوقف على كذلك حينئذ قوله فما بكت عليهم السماء يجوز ان تكون استعارة كقول
الفرزدق
الشمس طالعة ليست بكاسفة ❊ تبكي عليك نجوم الليل والقمرا
وقال جرير لما اتى خبر الزبير تواضعت ❊ سور المدينة والجبال الخشع
وقال النابغة
بكى حارث الجولان من فقد ربه ❊ وحوران منه خاشع متضائل
روى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد الا وله
في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله فاذا مات وفقداه بكيا عليه وتلا
هذه الاية وذلك لانهم لم يكونوا يعملون على الارض عملا صالحا يبكي عليهم ولم يكن يصعد
لهم الى السما كلام طيب ولا عمل صالح فيبكي عليهم وقيل التقدير فما بكت عليهم اهل السما والارض
بحذف المضاف والمعنى فما بكت الملائكة ولا المؤمنون بل كانوا لهلاكهم مسرورين وقيل ان
العادة جرت بان يقولوا في هلاك الرجل العظيم الشان انه اظلمت له الدنيا وكسفت الشمس
والقمر لاجله وبكت الريح والسما والارض يريدون المبالغة في تعظيم المصيبة لا نفس الكذب
وقال الزمخشري ذكر هذا على سبيل السخرية بهم يعني انهم كانوا يستعظمون انفسهم ويعتقدون
انهم لما ماتوا بكت عليهم السما والارض ولم يكونوا بهذا الحد بل كانوا دون ذلك فذكر هذا
تهكما بهم وقال عطا بكا السما حمرة اطرافها وقال السدي لما قتل الحسين بن علي بكت عليه السما

ويكاوها جرمها وما كانوا منظرين اي لما جا وقت هلاكهم لم ينظروا الى وقت اخر لتوبة
وتدارك تقصير قوله تعالى ولقد نجينا بني اسرايل من العذاب المهين وهو قتل الابنا
واستحيا النسا والتعب في العمل واعلم ان رفع الضرر مقدم على ايصال النفع فبدا تعالى
ببيان دفع الضرر عنهم فقال ولقد نجينا بني اسرايل من العذاب المهين قوله من فرعون
فيه وجهان احدهما انه بدل من العذاب اما على حذف مضاف اي من عذاب فرعون
واما على المبالغة جعله نفس العذاب فابدله منه والثاني انه حال من العذاب تقديره
صادرا من فرعون وقرا عبد الله من عذاب المهين وهي من اضافة الموصوف لصفته والاصل
العذاب المهين كالقراة المشهورة وقرا ابن عباس من فرعون بفتح ميم من ورفع فرعون
على الابتدا والخبر وهو استفهام تحقير كقولك من انت وزيدا ثم بين حاله بالجملة بعد في
قوله انه كان عاليا من المسرفين والتقدير هل تعرفون من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف
حاله بقوله انه كان عاليا من المسرفين ويجوز ان يكون المراد انه كان عاليا لقوله ان فرعون
علا في الارض وكان ايضا مسرفا ومن اسرافه انه كان على حقارته وخسته ادعى الالهية ولما
بين الله تعالى انه كيف دفع عن بني اسرايل الضرر انه كانا كيف اوصل اليهم الخيرات فقال
ولقد اخترناهم على علم على العالمين والمراد اخترنا مومنون بني اسرايل على عالمي زمانهم
قوله على علم متعلقة بمحذوف لانها حال من الفاعل في اخترناهم على العالمين متعلقة
باخترناهم وفي عبارة ابي حيان انه لما اختلف مدلولهما جاز تعلقهما باخترنا واستدعلى
ذلك ويرد ما على ظهر الكتب لعدد ان على والت خلفته لم تحلل ثم قال فعلى علم حال اما من
الفاعل او من المفعول وعلى ظهر حال من الفاعل في تعذرت والعامل المدلول بنا في جعل
الاولى حالا لانها لم تتعلق به وقوله والعامل في الحال هو العامل في صاحبها لا ينفع في ذلك

فصل قيل هذه الاية تدل على كونهم افضل من كل العالمين واجيب بان المراد
على عالمي زمانهم وقيل هذا عام دخله التخصيص كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس قوله
واتيناهم من الايات مثل فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوي والنعم التي انعمها
الله عليهم وقال ابو زيد ابتلاهم بالرخا والشدة وقرا ونبلوكم بالشر والخير فتنة لانه
تعالى كما يبلو بالمحنة فقد يبلو ايضا بالنعمة ليتميز به الصديق عن الزنديق وهاهنا
اخر الكلام على قصة موسى عليه السلام قوله ان هولا ليقولون يعني مشركي مكة ليقولون
ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين بمبعوثين بعد موتتنا واعلم انه رجع الى ذكر كفار
مكة لان الكلام كان فيهم حيث قال بل هم في شك يلعبون اي بل هم في شك من البعث
والقيمة ثم بين كيفية اصرارهم على كفرهم ثم بين ان قوم فرعون كانوا في الاصرار على الكفر
مثلهم وبين كيفية هلكهم وكيف انعم على بني اسرايل ثم رجع الى كفار مكة وانكارهم بالبعث
فقال ان هولا ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى فان قيل القوم كانوا ينكرون الحياة الثانية
فكان من حقهم ان يقولوا ان هي الا حياتنا الاولى وما نحن بمنشرين فالجواب قال الزمخشري
انه قيل لهم انكم تموتون موتة يعقبها حياة كما انكم حال كونكم نطفا كنتم امواتا وقد تعقبها حياة
كقوله كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة
التي من شانها ان تعقبها حياة الا الموتة الاولى خاصة ولا فرق اذن بين هذا الكلام وبين
قوله ان هي الا حياتنا الاولى قال ابن الخطيب ويمكن وجه اخر وهو ان قوله ان هي الا موتتنا
الاولى يعني انه لا ياتينا من الاحوال الشديدة الا الموتة الاولى وهذا الكلام لا يدل على انهم
لا ياتيهم الحياة الثانية البتة ثم صرحوا بهذا المرموز فقال وما نحن بمنشرين ولا حاجة الى
التكليف الذي ذكره الزمخشري ثم ان الكفار احتجوا على نفي الحشر والنشر بان قالوا ان كان
البعث والنشر ركنا معقولا فعجلوا لنا احيا من مات من ابائنا ان كنتم صادقين في دعوة
النبوة والبعث في القيمة قيل طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم ان يدعوا الله حتى
ينشر قصي بن كلاب ليشاوروه في صحة نبوة محمد وفي صحة البعث ولما حكى الله عنهم ذلك
قال اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وهذا استفهام
على سبيل الانكار قال ابو عبيدة ملوك اليمن كل واحد منهم يسمي تبعا لان اهل الدنيا

كانوا يتبعونه وموضع تبع في الجاهلية موضع الخليفة في الاسلام وهم الاعاظم من ملوك العرب
قالت عايشة رضي الله عنها كان تبع رجلا صالحا وقالت ذم الله قومه ولم يذمه وقال الكلبي
هو ابو كرب ابو سعد وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه صلى الله
عليه وسلم ما ادري اكان تبعا نبيا ام غير نبي وقال قتادة هو تبع الحميري وكان سار بالجيوش
حتى حير الحيرة وبنى سمرقند وكان من ملوك اليمن سمي تبعا لكثرة اتباعه كل واحد منهم يسمى
تبعا لانه يتبع صاحبه وكان هذا يعبد النار فاسلم ودعا قومه الى الاسلام وهم حمير فكذبوه
قال ابن اسحاق وكان اسمه تبان اسعد ابو كرب وقصته مشهورة وانه كان يعبد الاوثان
وانه اسلم على يد حبرين عالمين وانه اتى البيت الحرام فطاف به ونحر عنده وحلق راسه واقام
بمكة ستة ايام ينحر بها للناس ويطعم اهلها ويسقيهم العسل واري في المنام ان يكسو البيت
فكساه الخصف ثم اري ان يكسوه احسن من ذلك فكساه المعافري ثم اري ان يكسوه احسن من
ذلك فكساه الملا والوصايل فكان تبع اول من كسا البيت واوصى به ولاية من خزاعة
وامرهم بتطهيره وان لا تقربوه ما ولا ميتة ولا ميلاثا وهي المحايض وجعل له بابا ومفتاحا وقصته
مع الحبرين مشهورة ايضا وانه رجع الى اليمن وتبع الحبرين على دينهما ولذلك كان اصل دين
اليهود باليمن فان قيل ما معنى قوله اهم خير ام قوم تبع مع انه لا خير في الفريقين فالجواب
ان معناه اهم خير في القوة والشوكة كقوله تعالى اكفاركم خير من اوليكم بعد ذكر ال فرعون
قوله والذين من قبلهم يجوز فيه ثلثة اوجه احدها ان يكون معطوفا على قوم تبع الثاني
ان يكون مبتدا وخبره ما بعده من اهلكناهم واما على الاول فاهلكناهم اما مستانف واما
حال من الضمير المستكن في الصلة الثالث ان يكون منصوبا بفعل مقدر يفسره اهلكناهم ولا محل
لاهلكنا حينئذ قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين لما انكر على كفار
مكة قولهم ونجهم بانهم اضعف ممن كان قبلهم ذكر الدليل القاطع على صحة القول بالبعث
والقيمة فقال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين اي لو لم يحصل البعث لكان هذا
الخلق لعبا وعبثا وقد تقدم تقرير هذا الدليل في اول سورة يونس وفي اخر المومنين عند
قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وفي ص عند قوله وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا
وتقدم ايضا استدلال المعتزلة بنظير هذه الاية على انه تعالى لا يخلق الكفر والفسوق
ولا يريدهما وتقدم جوابه قوله لاعبين حال وقرا عمرو بن عبيد وما بينهن لان السموات
والارض جمع والعامة بينهما باعتبار النوعين قوله الا بالحق حال اما من الفاعل وهو
الظاهر واما من المفعول اي الا محقين او ملتبسين بالحق ثم قال ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني
اهل مكة قوله ان يوم الفصل ميقاتهم العامة على رفع ميقاتهم خبر لان وقرى بنصبه على انه اسم
ان ويوم الفصل خبره واجمعين تاكيد للضمير المجرور

فصل لما ذكر الدليل على اثبات
البعث والقيمة ذكر عقيبه يوم الفصل قال الحسن سمي بذلك لان الله تعالى يفصل فيه
بين اهل الجنة واهل النار وقيل ان الله يفصل فيه بين العباد في الحكم والقضا وقيل
يفصل بين المومن وبين ما يكرهه ويفصل بين الكافر وبين ما يريده وقيل يظهر حال كل
احد كما هو فلا يبقى الا الحقايق والبينات ثم وصف ذلك اليوم فقال يوم لا يغني يجوز
ان يكون بدلا من يوم الفصل او بيانا عند من لا يشترط المطابقة تعريفا وتنكيرا وان يكون منصوبا
باضمار اعني وان يكون صفة لميقاتهم ولكنه بني قاله ابو البقا وهذا لا يتاتى عند البصريين
لاضافته الى معرب وقد تقدم اخر المايدة وان ينتصب بفعل يدل عليه يوم الفصل اي يفصل
بينهم يوم لا يغني ولا يجوز ان ينتصب بالفصل نفسه لما يلزم من الفصل بينهما باجنبي وهو ميقاتهم
والفصل مصدر لا يجوز فيه ذلك وقال ابو البقا لانه قد اخبر عنه وفيه تجوز فان الاخبار
عما اضيف الى الفصل لا عن الفصل قوله مولى عن مولى شيا لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع
عنه ولا هم ينصرون اي ليس لهم ناصر يمنعهم من عذاب الله واعلم ان القريب اما في الدين
واما في النسب او المعتق وكل هولا يسمون بالمولى فلما لم تحصل النصرة منهم فبان لا تحصل ممن
سواهم اولى ونظير هذه الاية قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا الى
قوله ولا هم ينصرون قال الواحدي المراد بقوله مولى عن مولى الكفار لانه ذكر بعده المومن

فقال الامين رحمه الله قال ابن عباس يريد المومن فانه يشفع له الانبيا والملايكة
قوله ولا هم جمع الضمير عايدا به على مولي وان كان مفردا لانه قصد معناه فجمع وهو
نكرة في سياق النفي فعم قوله الا من رحم الله يجوز فيه اربعة اوجه احدها وهو قول
الكساي انه منقطع الثاني انه متصل تقديره لا يغني قريب عن قريب الا المومنين فانهم
يوذن لهم في الشفاعة فيشفعون في بعضهم كما تقدم عن ابن عباس الثالث ان يكون
مرفوعا على البدل من مولي الاول ويكون يغني بمعني ينفع قاله الحوفي الرابع انه مرفوع المحل
ايضا على البدل من واو ينصرون اي لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله قوله ان شجرة
الزقوم طعام الاثيم لما وصف اليوم ذكر بعده وعيد الكفار قال الزمخشري في شجرة
ثلاث لغات كسر الشين وضمها وفتحها وتقدم اشتقاق لفظ الزقوم في سورة الصافات
والاثيم صفة مبالغة ويقال الاثوم كالصبور والشكور والاثيم اي ذي الاثم قال
المفسرون هو ابو جهل قالت المعتزلة هذه الاية تدل على حصول هذا الوعيد للاثيم وهو
الذي صدر عنه الاثم فيكون حاصلا للفساق والجواب ان اللفظ المفرد الذي دخل
عليه حرف التعريف الاصل فيه ان ينصرف الي المذكور السابق ولا يفيد العموم والمذكور
السابق هنا هو الكفار فينصرف اليه **فصل** مذهب ابي حنيفة ان قراة القران
بالمعني جايز واحتج عليه بانه نقل عن ابن مسعود انه كان يقري رجلا هذه الاية فكان
يقول طعام اليتيم فقال طعام الفاجر وهذا الدليل في غاية الضعف على ما بين في الفقه
قوله كالمهل يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون خبر مبتدا مضمر اي هو كالمهل ولا يجوز ان
يكون حالا من طعام الاثيم قال ابو البقا لانه لا عامل اذن وفيه نظر لانه يجوز ان يكون
حالا والعامل فيه معني التشبيه كقولك زيد اخوك شجاعا والمهل قيل دردي الزيت
وقيل عكر القطران وقيل ما اذيب من ذهب او فضة وقيل ما اذيب منهما ومن كل ما في
معناهما من المنطبعات كالحديد والنحاس والرصاص والمهل بالفتح التودة والرفق ومنه
فمهل الكافرين وقرا الحسن كالمهل بفتح الميم فقط وهي لغة في المهل بالضم وتقدم تفسيره
في الكهف قوله تغلي قرا ابن كثير وحفص باليا من تحت والفاعل ضمير يعود على طعام
وجوز ابو البقا ان يعود على الزقوم وقيل يعود على المهل نفسه وتغلي حال من الضمير
المستتر في الجار اي مشبها المهل غاليا ويجوز ان يكون حالا من المهل نفسه وجوز ابو
البقا ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هو يغلي اي الزقوم او الطعام والباقون تغلي
بالتاء من فوق على ان الفاعل ضمير الشجرة والجملة خبر ثان او حال على راي او خبر مبتدا
مضمر اي هي تغلي واختار ابو عبيد اليا لان الاسم المذكر الذي هو المهل هو الذي يلي الفعل
فصار التذكير به اولي قوله كغلي الحميم نعت لمصدر محذوف او حال من ضميره اي
تغلي غليا مثل غلي الحميم او تغلية مشبها غلي الحميم قال ابن الخطيب واعلم انه لا يجوز
ان يحمل الغلي على المهل لان المهل مشبه به وانما يغلي ما يشبه بالمهل كغلي الحميم وهو الما
اذا اشتدت حرارته قوله خذوه فاعتلوه قرا نافع وابن كثير وابن عامر بضم عين
اعتلوه والباقون بكسرها وهما لغتان في مضارع عتله اي ساقه بعنف وغلظة كعرش
يعرش ويعرش والعتل الجاي في الغليظ قال الليث العتل ان تاخذ بتلبيب الرجل فتعتله
اي تجره اليك وتذهب به الي حبس ومحنة واخذ فلان بزمام الناقة فعتلها وذلك
اذا قبض على اصل الزمام عند الراس وقادها قودا عنيفا وقال ابن السكيت عتلته
الي السجن وعتنته اذا دفعته دفعا عنيفا قوله الي سواء الجحيم اي الي وسط الجحيم
ومعني الاية انه يقال للزبانية خذوه اي الاثيم فاعتلوه اي سوقوه بعنف الي وسط
الجحيم ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم كقوله تعالى يصب من فوق رووسهم الحميم
الا ان هذه الاستعارة اكمل في المبالغة كانه يقول صبوا عليه عذاب ذلك الحميم ونظيره
قوله تعالى ربنا افرغ علينا صبرا قوله ذق انك انت قرا الكساي بفتح همزة انك على
معني العلة اي لانك وقيل تقديره ذق عذاب الجحيم انك انت العزيز والباقون بالكسر
على الاستيناف المفيد للعلة فتتحد القراتان معني وهذا الكلام على سبيل التهكم وهو

اغيظ

اغيظ للمستهزا به ومثله قول جرير لشاعر سمي نفسه زهرة اليمن
الم تكن في رسوم قد رسمت بها • من كان موعظة يا زهرة اليمن •
وكان هذا الشاعر قد قال • ابلغ كليبا وابلغ عنك شاعرها • اني الاعز واني زهرة اليمن •
ومعنى الاية انك بالضد منه روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيا وروي
ان خزنة جهنم تقول للكافر هذا الكلام استخفافا بهم وتوبيخا ان هذا ما كنتم به تمترون
اي تشكون فيه ولا تومنون به قوله ان المتقين في مقام امين لما ذكر وعيد الكفار اردفه
بايات الوعد فقال ان المتقين قال اهل السنة كل من اتقى الشرك صدق عليه انه متقي
فوجب ان يدخل الفساق في هذا الوعد فقال في مقام امين قرا اهل المدينة والشام
بضم ميم مقام على المصدر اي في اقامة وقرا الباقون بفتح الميم اي في مجلس امين امنوا
فيه من الغير قال الزمخشري المقام بفتح الميم هو موضع القيام والمراد المكان وهو من
الخاص الذي جعل مستعملا في معنى العام وبالضم هو موضع الاقامة والامين من قولك
امن الرجل امانة فهو امين وهو ضد الخاين فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف
كانه يخون صاحبه قوله في جنات يجوز ان يكون بدلا من قوله في مقام بتكرير العامل
ويجوز ان يكون خبرا ثانيا وقوله يلبسون يجوز ان يكون حالا من الضمير المستكن في
الجار وان يكون خبرا ان فيتعلق الجار به وان يكون مستانفا قوله متقابلين حال
من فاعل يلبسون وتقدم تفسير السندس والاستبرق والمقام قوله كذلك في
هذه الكاف وجهان احدهما النصب نعتا لمصدر اي نفعل بالمتقين فعلا كذلك اي مثل
ذلك الفعل والثاني الرفع على خبر ابتدا مضمر اي الامر كذلك وقدر ابو البقا قبله جملة
فقال تقديره فعلنا ذلك والامر كذلك ولا حاجة اليه والوقف على كذلك والابتداء
بقوله وزوجناهم قوله بحور عين العامة على تنوين حور موصوفا بعين وعكرمة
لم ينون اضافهن لانهن ينقسمن الي عين وغير عين وتقدم تفسير الحور العين فان قيل
المراد بجلوسهم متقابلين استيناس بعضهم ببعض والجلوس على هذه الصفة موحش لانه
يكون كل واحد منهم مطلعا على ما يفعل الاخر وايضا فالقليل الثواب اذا اطلع على حال
من يكثر ثوابه ينغص عليه فالجواب ان احوال الاخرة بخلاف احوال الدنيا **فصل**
قال ابو عبيدة معني زوجناهم اي جعلناهم اثنين اثنين واختلفوا في هذا اللفظ
هل يدل على حصول عقد التزويج ام لا فقال يونس قوله تعالى وزوجناهم بحور عين
اي قرناهم بهن وليس من عقد التزويج والعرب لا تقول تزوجت بها وانما تقول تزوجتها
قال الواحدي رحمه الله والتنزيل نزل على ما قال يونس وذلك قوله تعالى فلما قضى
زيد منها وطرا زوجناكها ولو كان المراد تزوجت بها لقال زوجناك بها **فصل**
قال الواحدي واصل الحور البياض والتحوير التبييض وقد تقدم في تفسير الحواريين
وعين حورا اذا اشتد بياض بياضها واشتد سواد سوادها ولا تسمي المراة حورا حتى
يكون حور عينيها بياضا في لون الجسد واما العين فجمع عينا وهي التي تكون عظيمة العينين
من النسا واسعتهما قوله يدعون فيها حال من مفعول زوجناهم ومفعوله محذوف
اي يدعون الخدم بكل فاكهة وقوله امنين يجوز ان يكون حالا ثانية وان يكون حالا من
فاعل يدعون فيكون حالا متداخلة ومعني امنين اي من نفادها ومن مضرتها وقال
قتادة امنين من الموت والاوصاب والشيطان قوله لا يذوقون يجوز ان يكون حالا من
الضمير في امنين وان تكون حالا ثالثة او ثانية من مفعول زوجناهم وامنين حال من فاعل
يدعون كما تقدم او صفة لامنين او مستانف وقرا عمرو بن عبيد لا يذاقون مبنيا للمفعول
قوله الا الموتة الاولي فيه اوجه احدها انه استثنا منقطع اي لكن الموتة الاولي قد
ذاقوها الثاني انه متصل وتاولوه بان المومن عند موته في الدنيا بمنزلته في الجنة لمعاينته
ما يعطاه منها او لما يتيقنه من نعيمها الثالث ان الا بمعنى سوي نقله الطبري وضعفه قال
ابن عطية وليس تضعيفه بصحيح بل هو كونها بمعنى سوي مستقيم متسق الرابع ان الا بمعنى

بعدوا اختاره الطبري واباه الجمهور لانه لا بمعنى بعد لم يثبت وقال الزمخشري فان قلت
كيف استثنيت الموتة الاولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها قلت
اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان
الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت
الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها في الجنة قال شهاب الدين وهذا
عند علما البيان يسمى نفي الشي بدليله ومثله قول النابغة

• ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتايب •

يعني ان كان احد يعد فلول السيف من قراع الكتايب عيبا فهذا عيبهم لكن عده من العيوب
محال فانتفى عنهم العيب بدليل تعليق الامر على المحال وقال ابن عطية بعدما حكاه عن
الطبري فتبين انه نفى عنهم ذوق الموت وانه لا ينالهم من ذلك غير ما تقدم في الدنيا يعني
انه كلام محمول على معناه وقال ابن الخطيب ان من جرب شيا ووقف عليه صح ان يقال انه
ذاقه واذا صح ان يسمى ذلك العلم بالذوق صح ان يسمى تذكره ايضا بالذوق فقوله لا يذوقون
فيها الموت الا الموتة الاولى يعني الا الذوق الحاصل بسبب تذكر الموتة الاولى فان قيل
اليس ان اهل النار لا يذوقون الموت فلم بشر اهل الجنة بهذا مع ان اهل النار يشاركونهم فيه
فالجواب ان البشارة ما وقعت بدوام الحياة مع سابقة حصول تلك الخيرات والسعادات
فافترقا قوله ووقاهم الجمهور على التخفيف وقرا ابو حيوة ووقاهم بالتشديد على المبالغة
ولا يكون المتعدية فانه متعد الى اثنين قبل ذلك قوله فضلا مفعول من اجله وهو
مراد مكي بقوله مصدر عمل فيه يدعون وقيل العامل فيه ووقاهم وقيل امنين فهذا انما
يظهر على كونه مفعولا من اجله على انه يجوز ان يكون مصدرا لان يدعون وما بعده من
باب التفضل فهو مصدر ملاق لعامله في المعنى وجعله ابو البقا منصوبا بمقدر اي
تفضلنا بذلك فضلا اي تفضلا **فصل** احتج اهل السنة بهذه الاية على ان الثواب
يحصل من الله تعالى فضلا واحسانا وان كل ما وصل اليه العبد من الخلاص عن النار والفوز
بالجنة فانما يحصل بفضل الله تعالى ثم قال ذلك هو الفوز العظيم وهذا يدل على ان الفضل
اعلا من درجات الثواب المستحق لانه وصفه بكونه فوزا عظيما وايضا فان الملك العظيم
اذا اعطى الاجير اجرته ثم خلع على انسان اخر فان تلك الخلعة اعلا حالا من اعطا تلك الاجرة
ولما بين الله تعالى الدلايل وشرح الوعد والوعيد قال فانما يسرناه اي سهلنا القران
كناية عن غير مذكور بلسانك اي بلغتك والباء للمصاحبة لعلهم يتذكرون يتعظون قال
القاضي وهذا يدل على انه اراد من الكل الايمان ولم يرد من احد الكفر واجيب بان الضمير
في قوله لعلهم يتذكرون عايدا الى اقوام مخصوصين فيحمل ذلك على المومنين قوله فارتقب
اي فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون لما يحل بك فمفعولا الارتقاب محذوفان اي فارتقب
النصر من ربك انهم مرتقبون بك ما يتمنونه من الدواير والغوايل ولن يضرك ذلك روى
ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له
سبعون الف ملك رواه البغوي في تفسيره وروى الثعلبي عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة جمعة اصبح مغفورا
له وقال ابو امامة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا حم الدخان
ليلة الجمعة او يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

• سورة الجاثية • مكية •

وهي سبع وثلاثون اية واربعماية وثمانون كلمة والفان ومائة واحدى وتسعون حرفا

• بسم الله الرحمن الرحيم •

قوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم قد تقدم مثله اول غافر وقال
ابو عبد الله الرازي العزيز الحكيم ان كانا صفة لله كان حقيقة وان كانا صفة للكتاب كان

مجازا

مجازا ورد عليه ابو حيان بجعله اياهما صفة للكتاب قال اذ لو كان كذلك لوليت الصفة
موصوفها فكان يقال تنزيل الكتاب العزيز الحكيم من الله قال لان من الله ان تعلق بتنزيل
وتنزيل خبر لحم او لمبتدا محذوف لزم الفصل به بين الصفة والموصوف ولا يجوز كما لا يجوز اعجبني
ضرب زيد بسوط الفاضل او في موضع الخبر وتنزيل مبتدا فلا يجوز الفصل به ايضا لا يجوز ضرب
زيد شديد الفاضل قوله ان في السموات والارض لايات للمومنين ان كان قوله حم قسما
تنزيل الكتاب نعتا له وجواب القسم ان في السموات والارض واعلم ان حصول الايات
في السموات والارض ظاهر دال على وجود الله تعالى وقدرته مثل مقاديرها وكيفياتها وحركاتها
وايضا الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار وقد تقدم الكلام في كيفية دلالتها على وجود
الاله القادر الفاعل المختار وقوله لايات للمومنين يقتضي كون هذه مختصة بالمومنين وقالت
المعتزلة انها ايات للمومن والكافر الا انه لما انتفع بها المومن دون الكافر اضيف كونها ايات
للمومنين ونظيره قوله تعالى هدى للمتقين فانه هدى لكل الناس كما قال تعالى هدى للناس
الا انه لما انتفع به المومن خاصة قيل هدى للمتقين قوله وفي خلقكم وما يبث من دابة
فيه وجهان اظهرهما ان قوله وما يبث معطوف على خلقكم المجرور بفي والتقدير وفيما يبث الثاني
انه معطوف على الضمير المخفوض بالخلق وذلك على مذهب من يرى العطف على الضمير المجرور دون
اعادة الجار واستقبحه الزمخشري وان اكد نحو مررت بك انت وزيد يشير بذلك الى مذهب الجرمي
فانه يقول ان اكد جاز والا فلا فقوله مذهب ثالث قوله ايات لقوم يوقنون وايات لقوم
يعقلون قرا ايات بالكسر في الموضعين الاخوان والباقون برفعهما ولا خلاف في كسر الاولى لانها
اسم ان فاما ايات لقوم يوقنون بالكسر فيجوز فيها وجهان احدهما انها معطوفة على اسم ان والخبر قوله
وفي خلقكم كانه قيل وان في خلقكم وما يبث من دابة ايات والثاني ان يكون كررت تاكيدا لايات
الاولى ويكون في خلقكم معطوفا على في السموات كرر معه حرف الجر توكيدا ونظيره ان تقول ان في
بيتك زيدا وفي السوق زيدا فزيدا الثاني تاكيد للاول كانك قلت ان زيدا زيدا في بيتك
وفي السوق وليس في هذه عطف على معمولي عاملين وقد وهم ابو البقا فجعلها من ذلك
فقال ايات لقوم يوقنون يقرا بكسر التا وفيه وجهان احدهما ان ان مضمرة حذفت لدلالة ان
الاولى عليها وليست ايات معطوفة على ايات الاولى لما فيه من العطف على معمولي عاملين والثاني
ان يكون كررت للتاكيد لانها من لفظ ايات الاولى واعرابها كاعرابها كقولك ان بثوبك دما وبثوب
زيد دما فدم الثاني مكرر لانك مستغن عن ذكره انتهى فقوله وليست معطوفة على ايات
الاولى لما فيه من العطف على معمولي عاملين وهم اي معمول العامل الاخر وكانه توهم ان في
ساقطة من قوله وفي خلقكم او اختلطت عليه ايات لقوم يعقلون بهذه لان تلك فيها ما يوهم
العطف على عاملين وقد ذكره هو ايضا واما الرفع ففيه وجهين ايضا احدهما ان يكون في خلقكم
خبرا مقدما وايات مبتدا موخرا وهي جملة معطوفة على جملة موكدة بان والثاني ان تكون معطوفة
على ايات الاولى باعتبار المحل عند من يجيز ذلك لا سيما عند من يقول انه يجوز ذلك بعد الخبر
باجماع واما قوله واختلاف الليل والنهار الاية فقد تقدم ان الاخوين يقران ايات بالكسر وهي
تحتاج الى ايضاح فان الناس تكلموا فيها كثيرا وخرجوها على اوجه مختلفة وبها استدل على
جواز العطف على عاملين قال شهاب الدين والعطف على عاملين لا يختص بقراة الاخوين بل
يجوز ان يستدل عليه ايضا بقراة الباقين كما ستقف عليه ان شا الله تعالى فاما قراة الاخوين
ففيها اوجه احدها ان يكون اختلاف الليل مجرورا بفي مضمرة وانما حذفت لتقدم ذكرها مرتين
وحرف الجر اذا دل عليه دليل جاز حذفه وابقا عمله اسند سيبويه

• الان قربت تهجونا وتشتمنا • فاذهب فما بك والايام من عجب •

تقديره وبالايام لتقدم البا في بك ولا يجوز عطفه على الكاف لانه ليس من مذهبه العطف
على الضمير المجرور دون اعادة الجار فالتقدير في هذه الاية وفي اختلاف ايات فايات على ما تقدم
من الوجهين في ايات قبلها العطف او التاكيد فالواو يدل على ذلك قراة عبد الله وفي اختلاف
تصريحا بفي فهذان وجهان الثالث ان يعطف اختلاف على المجرور بفي وايات على المنصوب بان
وهذا هو العطف على عاملين وتحقيقه على معمولي عاملين وذلك انك عطفت اختلاف على

خلق وهو مجرور بفي فهو معمول عامل وعطفت ايات على اسم ان وهو معمول عامل اخر فقد
عطفت بحرف واحد وهو الواو معمولين وهما اختلاف وايات على معمولين قبلهما وهما خلق وايات
وبظاهرها استدل من جوز ذلك كالاخفش وفي المسئلة اربعة مذاهب المنع مطلقا وهو
مذهب سيبويه وجمهور البصريين قالوا لانه يودي الى اقامة حرف العطف مقام عاملين وهو
لا يجوز لانه لو جاز في عاملين لجاز في ثلاثة ولا قايل به ولان حرف العطف ضعيف فلا يقوى
ان ينوب عن عاملين ولان القايل بجواز ذلك يستضعفه والاحسن عنده ان لا يجوز فلا ينبغي
ان يحمل عليه كتاب الله ولانه بمنزلة التعدي بتعد واحد وهو غير جايز قال ابن السراج
العطف على عاملين خطا في القياس غير مسموع من العرب ثم حمل ما في هذه الاية على التكرار
للتاكيد قال الرماني هو كقولك ان في الدار زيدا والبيت زيدا فهذا جايز باجماع وهذا الوجه
الذي ذكر ابن السراج حسن جدا لا يجوز ان يحمل كتاب الله الا عليه وقد ثبتت القراة بالكسر ولا
عيب فيها في القران على وجه والعطف على عاملين عيب عند من اجازه ومن لم يجزه فقد تناهى في
العيب فلا يجوز حمل هذه الاية الا على ما ذكره ابن السراج دون ما ذهب اليه غيره قال شهاب
الدين وهذا الحصر منه غير مسلم فان في الاية تخريجات اخر غير ما ذكره ابن السراج يجوز الحمل
عليها وقال الزجاج ومثله في الشعر • اكل امرء تحسبين امراء • ونار توقد بالليل نارا •
وانشد الفارسي للفرزدق • وباشر راعيها الصلا بلبانه • وجنبيه حر النار ما يتحرق •
وقول الاخر • اوصيت من بره قلبا حرا • بالكلب خيرا والحماة شرا •
فاما البيت الاول فظاهره انه عطف ونار على امرء المخفوض بكل ونارا الثانية على امراء الثاني
والتقدير وتحسبين كل نار نارا فقد عطف على معمولي عاملين والبيت الثاني عطف فيه
جنبيه على بلبانه وعطف حر النار على الصلا والتقدير وباشر بجنبيه حر النار والبيت
الثالث عطف فيه الحماة على الكلب وشرا على خيرا تقديره واوصيت بالحماة شرا وسيبويه في
جميع ذلك يرى الجر بحرف مقدر لكنه عورض بان اعمال حرف الجر مضمرا ضعيف جدا الا ترى
انه لا يجوز مررت زيد بخفض زيد الا في ضرورة كقوله •
• اذا قيل اي الناس شر قبيلة • اشارت كليب بالاكف الاصابع •
يريد الى كليب وقول الاخر • حتى تبذخ فارتقى الاعلام •
اي الى الاعلام فقد فر من شي فوقع في اضعف منه واجيب عن ذلك بانه لما تقدم ذكر
الحرف في اللفظ قويت الدلالة عليه فكانه ملفوظ به بخلاف ما اوردتموه في المثال والشعر
والمذهب الثاني التفصيل وهو مذهب الاخفش وذلك انه يجوز بشرطين احدهما ان يكون
احد العاملين جارا والثاني ان يتصل المعطوف بالعاطف او ينفصل بلا مثال الاول الاية
الكريمة والابيات المتقدمة ولذلك استصوب المبرد استشهاده بالاية ومثال الفصل بلا قولك
ما في الدار زيد ولا الحجرة عمرو فلو فقد الشرطان نحو ان زيدا اسم بشرا وان اخاك خالدا هندا او
فقد احدهما نحو ان زيدا ضرب بكرا وخالدا بشرا فقد نقل ابن مالك الامتناع عند الجميع
وفيه نظر لما سياتي من الخلاف الثالث انه يجوز بشرط ان يكون احد العاملين جارا وان
يكون متقدما نحو الاية الكريمة فلو لم يتقدم نحو ان زيدا في الدار وعمرا السوق لم يجز وكذا لو
لم يكن حرف جر كما تقدم تمثيله الرابع الجواز مطلقا ويعزى للفرا الوجه الرابع من اوجه
تخريج القراة المذكورة ان ينتصب ايات على الاختصاص قاله الزمخشري كما سياتي واما
قراة الرفع ففيها اوجه احدها ان يكون الاول والثاني ما تقدم في ايات لقوم يوقنون
الثالث ان يكون تاكيدا للايات التي قبلها كما كانت كذلك في قراة النصب الرابع ان تكون
المسئلة من باب العطف على عاملين وذلك ان اختلاف عطف على خلقكم وهو معمول لفي
وايات معطوفة على ايات قبلها وهي معمولة للابتدا فقد عطف على معمولي عاملين في هذه
القراة ايضا قال الزمخشري قري ايات لقوم يوقنون بالرفع والنصب على قولك ان
زيدا في الدار وعمرو في السوق او وعمرا في السوق قال واما قوله ايات لقوم يعقلون
فمن العطف على عاملين سوا نصبت ام رفعت فالعاملان في النصب ان وفي اقيمت الواو
مقامهما فعملت الجر في اختلاف الليل والنهار والنصب في ايات واذا رفعت فالعاملان

الابتدا

الابتدا وفي عملت الرفع في ايات والجر في اختلاف ثم قال في توجيه النصب والثاني ان ينتصب على
الاختصاص بعد ما نقضنا المجرور والوجه الخامس ان يرتفع ايات على خبر ابتدا مضمر اي هي ايات وناقشه
ابو حيان فقال ونسبة الجر والرفع والجر والنصب للواو ليس بصحيح لان الصحيح من المذاهب ان
حرف العطف لا يعمل وايضا فاقسمه ابو شامة فقال منهم من يقول هو على هذه القراة ايضا يعني
قراة الرفع عطف على عاملين وهما حرف في والابتدا المقتضي للرفع ومنهم من لا يطلق هذه العبارة
في هذه القراة لان الابتدا ليس بعامل لفظي وقري واختلاف بالرفع اية بالرفع والتوحيد على
الابتدا والخبر وكذلك قري وما يبث من دابة اية بالتوحيد وقرا زيد بن علي وطلحة وعيسى
وتصريف الريح كذا قال ابو حيان قال شهاب الدين وقد قرا بهذه القراة حمزة والكسايي
ايضا وقد تقدم ذلك في سورة البقرة **فصل** اختلاف الليل والنهار فيه وجوه
الاول بتبديل النهار بالليل وبالعكس الثاني زيادة طول النهار على طول الليل وبالعكس الثالث
اختلاف مطالع الشمس في ايام السنة قوله وما انزل الله من السما من رزق يعني الغيث
الذي هو سبب ارزاق العباد فاحيى به الارض بعد موتها وهذا يدل على وجوب القول بوجود
الفاعل المختار من وجوه احدها انشا السحاب وانزال المطر منه وثانيها تولد النبات من
تلك الحبة الواقعة في الارض وثالثها تولد الانواع المختلفة وهي ساق الشجرة واغصانها
واوراقها وثمارها ثم تلك الثمرة منها ما يكون القشر محيطا باللب كالجوز واللوز ومنها ما يكون
اللب محيطا بالقشر كالمشمش والخوخ ومنها ما يكون خاليا عن القشر كالتين فتولد اقسام النبات
على كثرة اقسامه وتباينها يدل على وجوب القول بوجود الفاعل المختار الحكيم الرحيم قوله
وتصريف الرياح وهي اقسام كثيرة منها الشرقية والغربية والشمالية والجنوبية ومنها
الحارة والباردة ايات لقوم يعقلون واعلم انه تعالى جمع هذه الدلايل في سورة البقرة
فقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر
الى قوله لايات لقوم يعقلون فذكر الله تعالى هذه الاقسام الثمانية من الدلايل والتفاوت
بين الموضعين من وجوه الاول انه تعالى قال في سورة البقرة ان في خلق السموات والارض
وقال ههنا ان في السموات والصحيح عند اهل السنة ان الخلق غير المخلوق فذكر لفظ الخلق
في سورة البقرة ولم يذكره ههنا تنبيها على انه لا تفاوت بين ان يقال السموات او خلق
السموات فيكون هذا دليلا على ان الخلق غير المخلوق الثاني انه ذكر هناك ثمانية انواع
من الدلايل وذكر ههنا سبعة انواع من الدلايل واهمل منها الفلك والسحاب والسبب فيه ان
مدار حركة الفلك والسحاب على الرياح المختلفة فذكر الرياح التي هي كالسبب يغني عن
ذكرها الثالث انه جمع الكل وذكرها مقطعا واحدا وههنا رتبها على ثلاثة انواع والغرض
منه التنبيه على انه لا بد من افراد كل واحد منها بنظر تام سابق الرابع انه تعالى ذكر في
هذه المواضع ثلاثة مقاطع احدها للمومنين وثانيها يوقنون وثالثها يعقلون قال
ابن الخطيب واظن ان سبب هذا الترتيب ان قوله ان كنتم من المومنين فافهموا هذه
الدلايل وان كنتم لستم من المومنين بل انتم من طلاب الجزم واليقين فافهموا هذه الدلايل
وان كنتم لستم من المومنين ولا من الموقنين فلا اقل ان تكونوا من زمرة العقلا فاجتهدوا
في معرفة هذه الدلايل قوله تلك ايات الله نتلوها يجوز ان يكون نتلوها خبرا لتلك
وايات الله بدلا او عطف بيان ويجوز ان يكون تلك ايات مبتدا وخبرا ونتلوها حالا قال
الزمخشري والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة ونحوه وهذا بعلي شيخا قال
ابو حيان وليس نحوه لان في وهذا بعلي حرف تنبيه فقيل العامل في الحال ما دل عليه حرف
التنبيه اي تنبه واما تلك فليس فيها حرف تنبيه فاذا كان حرف التنبيه عاملا بما فيه
من معنى التنبيه لان الحرف قد يعمل في الحال فالمعنى تنبه لزيد في حال شيخه او في
حال قيامه وقيل العامل في مثل هذا التركيب فعل محذوف يدل عليه المعنى اي انظر
اليه في حال شيخه فلا يكون اسم الاشارة عاملا ولا حرف التنبيه ان كان هناك قال
شهاب الدين بل الاية نحو هذا بعلي شيخا بنسبة العمل لاسم الاشارة غاية ما ثم ان في الاية
الاخرى ما يصلح ان يكون عاملا وهذا لا يقدح في التنظير اذا قصدت جهة مشتركة واما

اضمار الفعل فهو مشترك في الموضعين عند من يرى ذلك قال ابن عطية وفي يتلوها
حذف مضاف اي يتلو شانها وشرح العبرة فيها ويحتمل ان يريد بايات الله القران المنزل في
هذا المعنى فلا يكون فيها حذف مضاف وقرا بعضهم يتلوها بيا الغيبة عايدا على الباري تعالى
قوله بالحق حال من الفاعل اي ملتبسين بالحق او من المفعول اي ملتبسة بالحق ويجوز ان تكون
للتبيين متعلق بنفس يتلوها قوله فباي حديث بعد الله واياته قال الزمخشري اي بعد
ايات الله فهو كقولك اعجبني زيد وكرمه يريدون كرم زيد ورد عليه ابو حيان بانه ليس مرادا بل
المراد اعجابان وكان فيه اقحام للاسماء من غير ضرورة قال وهذا قلب لحقايق النحو وقرا الحرميان
وابو عمرو وعاصم في رواية يومنون بيا الغيبة والباقون بتا الخطاب وفباي متعلق به قدم
لانه له صدر الكلام واختارا ابو عبيد اليا لان قبله غيبة وهو قوله لقوم يومنون ولقوم يعقلون
فان قيل في اول الكلام خطاب وهو قوله وفي خلقكم قلنا الغيبة اقرب الى الحرف المختلف فيه
فكان اولى **فصل** ومعنى الاية ان من لم ينتفع بهذه الايات فلا شي بعده يجوز ان
ينتفع به وهذه الاية تبطل القول بالتقليد توجب على المكلف التامل في دلايل دين الله
قوله ويل لكل افاك اثيم الاية لما بين الايات للكفار وبين انهم اذا لم يومنوا بها مع ظهورها
فباي حديث بعدها يومنون اتبعه بوعيد عظيم لهم فقال ويل لكل افاك اثيم والافاك
الكذاب والاثيم المبالغ في اقتراف الاثم وهو ان يبقى مصرا على الانكار والاستكبار وقال
المفسرون يعني النضر بن الحارث والاية عامة فيمن كان موصوفا بهذه الصفة قوله
يسمع يجوز ان يكون مستانفا اي هو يسمع او دون اضمار هو وان يكون حالا من الضمير في
اثيم وان تكون صفة قوله تتلى عليه حال من ايات الله ولا يجي فيه الخلاف وهو انه يجوز
ان تكون في محل نصب مفعولا ثانيا لان شرط ذلك ان يقع بعدها ما لا يسمع نحو سمعت زيدا
يقرا اما لو وقع بعدها ما يسمع نحو سمعت قراة زيد يترنم بها فهي متعدية لواحد فقط
والايات مما يسمع قوله ثم يصر قال الزمخشري فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم يصر مستكبرا
قلت كمعناه في قول القايل • يرى غمرات الموت ثم يزورها •
وذلك ان غمرات الموت حقيقة بان ينجو رايها بنفسه ويطلب الفرار منها واما زورانها والاقدام
عليها فامر مستبعد فمعنى ثم الايذان بان فعل المقدم عليها بعد ما راها وعاينها شي
يستبعد في العادات والطباع وكذلك ايات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت وسمعها
كان مستبعدا في العقول اصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الايمان بها قوله
كان لم يسمعها هذه الجملة يجوز ان تكون مستانفة وان تكون حالا والاصل كانه لم يسمعها والضمير
ضمير الشان ومحل الجملة النصب على الحال اي يصير مثل غير السامع ثم قال فبشره بعذاب
اليم قوله واذا علم من اياتنا شيا العامة على فتح العين وكسر اللام خفيفة مبنيا للفاعل
وقتادة ومطر الوراق علم مبنيا للمفعول مشددا قوله اتخذها الضمير المونث فيه وجهان
احدهما انه عايد على ايات والثاني انه يعود على شي وان كان مذكرا لانه
بمعنى الاية كقول ابي العتاهية • نفسي بشي من الدنيا معلقة • الله والقايم المهدي يقضيها •
لانه اراد بشي جارية يقال لها عتبة **فصل** المعنى اتخذ ذلك الشي هزوا الا انه
تعالى قال اتخذها للاشعار بان هذا الرجل اذا احس بشي من الكلام انه من جملة
الايات المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزا بجميع الايات ولم يقتصر على
الاستهزا بذلك الواحد قوله اولئك اشارة الى معنى كل افاك اثيم ليدخل فيه جميع
الافاكين حمل اولا على لفظها فافرد ثم على معناها فجمع كقوله كل حزب بما لديهم فرحون
قوله من ورايهم جهنم لما قال اولئك لهم عذاب مهين وصف كيفية ذلك العذاب فقال
من ورايهم جهنم اي امامهم جهنم لانهم في الدنيا قال الزمخشري هي اسم للجهة التي يواجه
بها الشخص من خلفه او من قدامه ثم بين ان ما ملكوه في الدنيا لا ينفعهم فقال ولا
يغني عنهم ما كسبوا شيا اي من الاموال قوله ولا ما اتخذوا عطف على ما كسبوا وما فيهما اما
مصدرية او بمعنى الذي اي لا يغني كسبهم ولا اتخاذهم او الذي كسبوه ولا الذي اتخذوه فان
قيل انه قال قبل هذه الاية ولهم عذاب مهين ثم قال هاهنا ولهم عذاب عظيم فما الفرق

بينهما

بينهما فالجواب كون العذاب مهينا يدل على حصول الاهانة مع العذاب وكونه عظيما يدل على
كونه بالغا الى اقصى الغايات في الضرر قوله هذا هدى يعني هذا القران هدى اي كامل
في كونه هدى بيانا من الضلالة والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقد تقدم
الكلام على الرجز الاليم في سبا والرجز اشد العذاب لقوله تعالى لين كشفت عنا الرجز وقرى اليم بالجر والرفع اما الرفع فتقديره لهم عذاب اليم ويكون من الرجز
الرجس الذي هو النجاسة ومعنى النجاسة فيه قوله ويسقى من ماء صديد وكان المعنى لهم
عذاب من تجرع رجس او شرب رجس فتكون منبيا للعذاب واما الجر فتقديره لهم عذاب من
عذاب اليم واذا كان عذابهم من عذاب اليم كان عذابهم اليما **قوله** تعالى الله الذي سخر
لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره الاية لما ذكر دلايل الاستدلال بكيفية جريان الفلك على
وجه البحر وذلك لا يحصل الا بتسخير ثلاثة اشيا احدها الرياح التي توافق المراد وثانيها
خلق وجه الماء على الملاسة التي تجري عليها الفلك وثالثها خلق الخشبة على وجه ينبغي
طافية على وجه الماء ولا تغرق فيه وهذه الاحوال لا يقدر عليها احد من البشر لا بد من
موجود قادر عليها وهو الله سبحانه وتعالى وقوله ولتبتغوا من فضله اما بالتجارة او
بالغوص على اللولو والمرجان او استخراج اللحم الطري قوله وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه قوله جميعا حال من ما في السموات
وما في الارض او تاكيد وقد عدها ابن مالك في الفاظه ومنه يجوز ان يتعلق بمحذوف صفة
لجميعا وان يتعلق بسخر اي هو صادر من جهته ومن عنده وجوز الزمخشري في منه ان
يكون خبر ابتدا مضمر اي هي جميعا منه وان يكون وما في الارض مبتدا ومنه خبره قال
ابو حيان وهذا لا يجوز ان الاعراب الا الاخفش من حيث ان الحال تقدمت جميعا تقدمت
على عاملها المعنوي يعني الجار وهي نظير زيد قايما في الدار والعامة على منه جارا ومجرورا
وابن عباس بكسر الميم وتشديد النون ونصب التا جعله مصدرا من من يمن منة فانتصابه
عنده على المصدر المؤكد اما بعامل مضمر واما بسخر لانه بمعناه قال ابو حاتم سند هذه القراة
الى ابن عباس مظلم قال شهاب الدين قد روت ايضا عن جماعة جلة غير ابن عباس
نقلها ابن خالويه عنه وعن عبيد بن عمير ونقلها صاحب اللوامح وابن جني عن
ابن عباس وعبد الله بن عمرو والجحدري وعبد الله بن عمير وقرا مسلمة بن محارب كذلك
الا انه رفع التا جعلها خبر ابتدا مضمر اي هي منة وقرا ايضا في رواية اخرى بفتح الميم وتشديد
النون وها كناية مجرورة جعله مصدرا مضافا لضمير الله تعالى ورفعه من وجهين احدهما
بالفاعلية بسخر اي سخر لكم هذه الاشيا منه عليكم والثاني ان يكون خبر مبتدا مضمر اي هو
وذلك منه عليكم ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون قوله قل للذين امنوا يغفروا تقدم
نظيره في سورة ابراهيم قال ابن عباس المراد بالذين امنوا هاهنا عمر بن الخطاب يغفروا
للذين لا يرجون ايام الله يعني عبد الله بن ابي وذلك انهم نزلوا في غزاة بني المصطلق على
بير يقال له المريسيع فارسل عبد الله غلامه يستقي الماء فابطا عليه فلما اتاه قال له ما
حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البير فما ترك احدا يستقي حتى ملا قرب النبي وقرب ابي
بكر فقال عبد الله بن ابي ما مثلنا ومثل هولاء الا كما قيل • سمن كلبك ياكلك •
فبلغ ذلك عمر فاشتمل سيفه يريد التوجه له فانزل الله تعالى هذه الاية وقال مقاتل
ان رجلا من بني غفار شتم عمر بن الخطاب بمكة فهم عمر ان يبطش به فانزل الله تعالى
هذه الاية وامر بالعفو والتجاوز وروى ميمون بن مهران ان فنحاص اليهودي قال
لما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال احتاج رب محمد فسمع ذلك
عمر فاشتمل على سيفه وخرج في طلبه فبعث النبي صلى الله عليه وسلم فرده وقال القرظي
والسدي نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا في
اذى كثير من المشركين قبل ان يومروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله هذه الاية ثم نسختها اية القتال قال ابن الخطيب وانما قلنا بالنسخ لانه
يدخل تحت الغفران ان لا يقتلوا ولا يقاتلوا فلما امر الله بالمقاتلة كان نسخا والاقرب

ان يقال انه محمول على ترك المنازعة وعلى التجاوز عما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية وقوله
لا يرجون ايام الله قال ابن عباس لا يرجون ثواب الله ولا يخافون عقابه ولا يخشون
مثل عذاب الامم الخالية وتقدم تفسير ايام الله عند قوله وذكرهم بايام الله قوله ليجزي
قوما قرا ابن عامر والاخوان لنجزي بنون العظمة اي لنجزي نحن وبا في السبعة ليجزي بالياء
من تحت مبنيا للفاعل اي ليجزي الله وابو جعفر بخلاف عنه وشيبة وعاصم في رواية كذلك
الا انه مبني للمفعول هذا مع نصب قوما وفي القايم مقام الفاعل ثلاثة اوجه احدها ضمير
المفعول الثاني عاد الضمير عليه لدلالة السياق تقديره ليجزي هو اي الخير قوما والمفعول
الثاني من باب اعطى يقوم مقام الفاعل بلا خلاف ونظيره الدرهم اعطي زيدا الثاني
ان القايم مقامه ضمير المصدر المدلول عليه بالفعل اي ليجزي الجزاء وفيه نظر لانه لا يترك
المفعول به ويقام المصدر لا سيما مع عدم التصريح به الثالث ان القايم مقامه الجار
والمجرور وفيه حجة للاخفش والكوفيين حيث يجيزون نيابة غير المفعول به مع وجوده
وانشدوا • لم يعن بالعلياء الا سيدا • ولا شفى ذا الغي الا ذو هدى •
والبصريون لا يجيزونه **فصل** المعنى لكي يجازي بالمغفرة قوما يعملون الخيرات
قيل ما الفايدة في تنكير قوما مع ان المراد بهم المومنون المذكورون في قوله قل للذين
امنوا فالجواب ان التنكير يدل على تعظيم شانهم كانه قيل ليجزي قوما واي قوم قوما
من شانهم الصفح عن السيات والتجاوز عن الموذيات وتجرع المكروه كانه قيل لا تكافوهم
انتم حتى نكافيهم نحن ثم ذكر الحكم العام فقال من عمل صالحا فلنفسه وهو مثل ضربه الله
للذين يغفرون ومن اساء فعليها مثل ضربه الله للكفار والذين كانوا يوذون الرسول
والمومنين ثم الى ربكم ترجعون قوله تعالى ولقد اتينا بني اسرايل الكتاب يعني
التورية والحكم والنبوة والمراد بهذه الاية انه تعالى بين انه انعم بنعم كثيرة على بني
اسرايل مع انه حصل بينهم الاختلاف على سبيل البغي والحسد والمقصود منه ان يبين
ان طريقة قومه كطريقة من تقدم واعلم ان المراد بالكتاب التورية واما الحكم فقيل
المراد به العلم والحكم وقيل المراد العلم بفصل الحكومات وقيل معرفة احكام الله وهو علم
الفقه واما النبوة فمعلومة ورزقناهم من الطيبات الحلالات يعني المن والسلوى
وفضلناهم على العالمين قال المفسرون على عالمي زمانهم قال ابن عباس لم يكن احد
من العالمين اكرم على الله ولا احب اليه منهم ثم قال واتيناهم بينات من الامر
قال ابن عباس يعني العلم بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره وانه
يهاجر من تهامة الى يثرب ويكون انصاره اهل يثرب وقيل المراد بالبينات المعجزات
القاهرة على صحة نبوتهم والمراد معجزات موسى عليه السلام ثم قال تعالى فما اختلفوا
الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وتقدم تفسير هذا في سورة حم عسق والمراد
من ذكر هذا الكلام التعجب من هذا الحال لان حصول العلم يوجب ارتفاع الخلاف
وههنا صار مجرد العلم سببا لحصول الاختلاف وذلك لانهم لم يكن مقصودهم من العلم
نفس العلم وانما مقصودهم طلب الرياسة والتقدم فيجوز انهم علموا ثم عاندوا ويجوز
ان يريد بالعلم الادلة التي توصل الى العلم والمعنى انه تعالى وضع الدلايل والبينات
التي لو تاملوا فيها لعرفوا الحق لكنهم اختلفوا واظهروا النزاع على وجه الحسد ثم قال
ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون والمعنى انه لا ينبغي ان يغتر
المبطل بنعم الدنيا فانها وان ساوت نعم المحق او زادت عليها فانه سيرى في الاخرة
ما يسوءه وذلك كالزجر لهم ولما بين تعالى انهم اعرضوا عن الحق بغيا وحسدا امر رسوله
بان يعدل عن تلك الطريقة وان يستمسك بالحق وان لا يكون له غرض سوى اظهار
الحق فقال ثم جعلناك على شريعة من الامر اي ثم جعلناك يا محمد على سنة وطريقة
بعد موسى من الامر من الدين فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون يعني مراد الكافرين
وادیانهم الخبيثة قال الكلبي ان روسا قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وهو
بمكة ارجع الى دين ابايك فهم كانوا افضل منك واسن فانزل الله تعالى هذه الاية وقوله

على شريعة هو المفعول الثاني لجعلناك والشريعة في الاصل ما يرده الناس من المياه
في الانهار ويقال لذلك الموضع شريعة والجمع شرايع قال •
• وفي الشرايع من جيلان مقتنص • رث الثياب خفي الشخص منسرب •
فاستعير ذلك للدين لان العباد يردون ما يحيي به نفوسهم قوله انهم لن يغنوا عنك
من الله شيئا اي ان اتبعت اهواءهم وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والمعنى انك لو ملت
الى اديانهم الباطلة لصرت مستحقا للعذاب وهم لا يقدرون على دفع عذاب الله عنك
وان الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا واما في الاخرة فلا ولي لهم ينفعهم في ايصال
الثواب وازالة العقاب واما المتقون المهتدون فالله وليهم وناصرهم قوله هذا
بصاير اي هذا القران جمع خبره باعتبار ما فيه وقرى هذه رجوعا الى الايات ولان
القران بمعناها كقوله • سائل بني اسد ما هذه الصوت •
لانه بمعنى الصيحة والمعنى بصاير للناس اي معالم للناس في الحدود والاحكام يبصرون
بها وتقدم تفسيره في سورة الاعراف وهدى ورحمة لقوم يوقنون هدى من الضلالة
ورحمة من العذاب لمن اتقى وامن قوله ام حسب ام منقطعة فتقدر ببل والهمزة
او ببل وحدها او بالهمزة وحدها وتقدم تحقيق هذا قوله كالذين امنوا هو المفعول
الثاني للجعل اي ان نجعلهم كالذين امنوا اي لا يحسبون ذلك وقد تقدم في
سورة الجاثية ان الاخوين وحفصا قرءوا هنا سواء بالنصب والباقون بالرفع وتقدم الوعد
عليه بالكلام هنا فنقول اما قراءة النصب ففيها ثلاثة اوجه احدها ان ينتصب على الحال
من الضمير المستتر في الجار والمجرور وهما كالذين امنوا ويكون المفعول الثاني للجعل كالذين
امنوا اي احسبوا ان نجعلهم مثلهم في حال استواء محياهم ومماتهم ليس الامر كذلك الثاني
ان يكون سواء هو المفعول الثاني للجعل وكالذين في محل نصب على الحال اي ان نجعلهم
حال كونهم مثلهم سواء وليس معناه بذلك الثالث ان يكون سواء مفعولا ثانيا لحسب
وهذا الوجه نحا اليه ابو البقا قال شهاب الدين واظنه غلطا لما سيظهر لك فانه
قال ويقرا بالنصب وفيه وجهان احدهما هو حال من الضمير في الكاف اي نجعلهم
مثل المومنين في هذه الحال الثاني ان يكون مفعولا ثانيا لحسب والكاف حال وقد
دخل استواء محياهم ومماتهم في الحسبان وعلى هذا الوجه محياهم ومماتهم مرفوعات بسواء لانه
قد قوي باعتماده انتهى فقد صرح بانه مفعول ثان للحسبان وهذا لا يصح البتة لان
حسب واخواتها اذا وقع بعدها ان المشددة او ان المخففة او الناصبة سدت مسد المفعولين
وهنا قد وقع بعد الحسبان ان الناصبة فهي سادة مسد المفعولين فمن اين يكون سواء
مفعولا ثانيا لحسب فان قلت هذا الذي قلته راي الجمهور سيبويه وغيره واما غيرهم
كالاخفش فيدعي انها تسد مسد واحد واذا تقرر هذا فقد يجوز ان ابا البقا ذهب
هذا المذهب فاعرب ان نجعلهم مفعولا اول وسواء مفعولا ثانيا فالجواب ان الاخفش صرح
بان المفعول الثاني حينئذ يكون محذوفا ولين سلمنا انه لا يحذف امتنع من وجه اخر وهو
انه قد رفع به محياهم ومماتهم لانه بمعنى مستو كما تقدم ولا ضمير يرجع من مرفوعه الى المفعول
الاول بل رفع اجنبيا من المفعول الاول وهو نظير حسبت قيامك مستويا ذهابك وعدمه
ومن قرا بالرفع فيحتمل قراءته وجهين احدهما ان يكون سواء خبرا مقدما ومحياهم مبتدا مؤخر
او يكون سواء مبتدا ومحياهم خبره كذا اعربوه وفيه نظر تقدم في سورة الحج وهو انه
نكرة لا مسوغ فيها وانه متى اجتمع معرفة ونكرة جعلت النكرة خبرا لا مبتدا ثم في هذه
الجملة ثلاثة اوجه احدها انها استينافية والثاني انها بدل من الكاف الواقعة مفعولا
ثانيا قال الزمخشري لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد الا تراك لو
قلت ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا ابوه منطلق قال
ابو حيان وهذا اعني ابدال الجملة من المفرد اجازه ابن جني وابن مالك ومنعه ابن العلج
ثم ذكر عنه كلاما كثيرا في تقرير ذلك ثم قال والذي يظهر انه لا يجوز يعني ما جوزه
الزمخشري قال لانها بمعنى التصيير ولا يجوز صيرت زيدا ابوه قايم لان التصيير انتقال

من ذات الى ذات او من وصف في الذات الى وصف فيها وتلك الجملة الواقعة بعد مفعول
حسبت المقدرة مفعولا ثانيا ليس فيها انتقال مما ذكرنا فلا يجوز قال شهاب الدين
ولقايل ان يقول بل فيها انتقال من وصف في الذات الى وصف فيها لان النحاة نصوا
على جواز وقوع الجملة صفة وحالا نحو مررت برجل ابوه قايم وجا زيد ابوه قايم فالذي
حكموا عليه بالوصفية والحالية يجوز ان تقع في حيز التصيير اذ لا فرق بين صفته وصفته من
هذه الحيثية الثالث ان تكون الجملة حالا والتقدير ام حسبت الكفار ان نصيرهم مثل المومنين
في حال استوا محياهم ومماتهم ليسوا كذلك بل هم مفترقون وهذا هو الظاهر عند ابي حيان
وعلى الوجهين الاخيرين تكون الجملة داخلة في حيز الحسبان والى ذلك نحا ابن عطية فانه
قال مقتضى هذا الكلام ان لفظ الاية خبر ويظهر ان قوله سوا محياهم ومماتهم داخل
في المحسبة المنكرة السية وهذا احتمال حسن والاول اجيد انتهى ولم يبين كيفية دخوله في الحسبان
وكيفية احد الوجهين الاخيرين اما البدل او الحالية كما عرفته وقرا الاعمش سوا نصبا محياهم
ومماتهم بالنصب ايضا فاما سوا فمفعول ثان او حالا كما تقدم واما نصب محياهم ومماتهم ففيه
وجهان احدهما ان يكون ظرفا في زمان وانتصبا على البدل من مفعول نجعلهم بدل اشتمال
ويكون سوا على هذا هو المفعول الثاني والتقدير ان نجعلهم محياهم ومماتهم سوا والثاني
ان ينتصبا على الظرف الزماني والعامل اما الجعل او سوا والتقدير ان نجعلهم في هذين الوقتين
سوا او نجعلهم مستوين في هذين الوقتين قال الزمخشري مقررا لهذا الوجه ومن قرا
بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم قال ابو حيان وتمثيله
بخفوق النجم ليس بجيد لان خفوق مصدر ليس على مفعل فهو في الحقيقة على حذف
مضاف اي وقت خفوق بخلاف محيا ومماة ومقدم فانها موضوعة على الاشتراك بين
ثلثة معان المصدرية والزمانية والمكانية فاذا استعملت مصدرا كان ذلك بطريق
الوضع لا على حذف مضاف كخفوق فانه لا بد من حذف مضاف لكونه موضوعا للمصدرية وهذا
امر قريب لانه انما اراد انه وقع هذا اللفظ مرادا به الزمان اما كونه بطريق الاصالة او الفرعية
فلا يضر ذلك والضمير في محياهم ومماتهم يجوز ان يعود على الفريقين بمعنى ان محيا المومنين
ومماتهم سوا عند الله في الكرامة بمعنى ان محيا المومنين ومماتهم سوا عند الله في الاهانة عنده
فلف الكلام اتكالا على ذهن السامع وفهمه ويجوز ان يعود على المجترحين فقط اخبر ان
حالهم في الزمانين سوا وقال ابو البقا ويقرا ومماتهم بالنصب اي في محياهم ومماتهم والعامل
نجعل او سوا وقيل هو ظرف قال شهاب الدين هو القول الاول بعينه **فصل** لما
بين الله تعالى الفرق بين الظالمين وبين المتقين من الوجه المتقدم بين الفرق بينهما من
وجه اخر فقال ام حسب الذين اجترحوا السيات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات
ام كلمة وضعت للاستفهام عن شي حال كونه معطوفا على شي اخر سوا كان ذلك المعطوف
مذكورا او مضمرا والتقدير هنا افيعلم المشركون هذا ام يحسبون انا نتولاهم كما نتولى المتقين
والاجتراح الاكتساب اي اكتسبوا المعاصي والكفر ومنه الجوارح وفلان جارحة اهله اي
كاسبهم قال تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار قال الكلبي نزلت هذه الاية في علي وحمزة
وابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم وفي ثلثة من المشركين عتبة وشيبة والوليد
ابن عتبة قالوا للمومنين والله ما انتم على شي ولو كان ما تقولون حقا لكان حالنا افضل
من حالكم في الاخرة كما كنا افضل حالا منكم في الدنيا فانكر الله عليهم هذا الكلام وبين
انهم لا يمكن ان يكون حال المومن المطيع مساويا لحال الكافر العاصي في درجات الثواب
ومنازل السعادات ثم قال سوا محياهم ومماتهم قال مجاهد عن ابن عباس معناه احسبوا
ان حياتهم ومماتهم كحياة المومنين كلا فانهم يعيشون كافرين ويموتون كافرين والمومنون
يعيشون مومنين ويموتون مومنين فالمومن ما دام حيا في الدنيا فان وليه هو الله
وانصاره المومنين وحجة الله معه والكافر بالضد منه كما ذكره الله تعالى في قوله وان
الظالمين بعضهم اوليا بعض والله ولي المتقين والمومنون تتوفاهم الملايكة طيبين
يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون واما الكفار فتتوفاهم الملايكة ظالمي

انفسهم واما في القيمة فقال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ
عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة وقيل معنى الاية انهم لا يستوون في الممات
كما استووا في الحياة لان المومن والكافر قد يستويان في الحياة في الصحة والرزق والكفاية
بل قد يكون الكافر ارجح حالا من المومن وانما يظهر الفرق بينهما في الممات وقيل ان قوله سوا
محياهم ومماتهم مستانف والمعنى ان محيا المومنين ومماتهم سوا وكذلك محيا الكفار ومماتهم سوا
اي كل يموت على حسب ما عاش عليه ثم انه تعالى صرح بانكار التسوية فقال الاسا ما
يحكمون اي بيس ما يقضون قال مسروق قال لي رجل من اهل مكة هذا مقام اخيك تميم
الداري لقد رايته ذات ليلة حتى اصبح او قرب ان يصبح يقرا اية من كتاب الله يركع بها
ويسجد ويبكي ام حسب الذين اجترحوا السيات الاية قوله وخلق الله السموات والارض
بالحق لما بين ان المومن لا يساوي الكافر في درجات السعادة اتبعه بالدلايل الظاهرة على
صحة هذه الفتوى فقال وخلق الله السموات والارض بالحق اي لو لم يوجد البعث لما
كان ذلك بالحق بل كان بالباطل لانه تعالى لما خلق الظالم وسلطه على المظلوم الضعيف
ولا ينتقم للمظلوم من الظالم كان ظالما ولو كان ظالما لبطل انه ما خلق السموات والارض
الا بالحق وتقدم تقريره في سورة يونس قوله بالحق فيه ثلثة اوجه اما حال من الفاعل
او من المفعول او الباء للسببية قوله ولتجزى فيه ثلثة اوجه احدها ان يكون عطفا
على بالحق في المعنى لان كلا منهما سبب فعطف العلة على مثلها الثاني انها معطوفة على معلل
محذوف والتقدير خلق الله السموات والارض ليدل بهما على قدرته ولتجزى كل نفس
والمعنى ان المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا ان احصل
البعث والقيمة وحصل التفاوت بين الدركات والدرجات بين المحقين والمبطلين الثالث
ان تكون لام الصيرورة اي وصار الامر منها من حيث اهتدى بها قوم وضل عنها اخرون
قوله افرايت بمعنى اخبرني وتقدم حكمها مشروحا والمفعول الاول من اتخذ والثاني محذوف
تقديره بعد غشاوة ايهتدى ودل عليه قوله فمن يهديه وانما قدرت بعد غشاوة لاجل
صلات الموصول واعلم انه تعالى عاد الى شرح احوال الكفار وقبايح طرايقهم فقال
افرايت من اتخذ الهه هواه قال ابن عباس والحسن وقتادة ذلك الكافر اتخذ دينه
ما يهواه فلا يهوى شيا الا ركبه لانه لا يومن بالله ولا يخافه وقرى الهه بهواه لانه كلما مال
طبعه الى شي اتبعه والمعنى اتخذ معبوده هواه فيعبد ما تهواه نفسه قال سعيد بن جبير
كانت العرب يعبدون الحجارة والذهب والفضة فاذا وجدوا شيا احسن من الاول رموه
وكسروه وعبدوا الاخر قال الشعبي انما سمي الهوى لانه يهوى بصاحبه في النار قوله
على علم حال من الجلالة اي كاينا على علم منه بعاقبة امره انه اهل لذلك وقيل حال من
المفعول اي اضله وهو عالم وهذا اشنع له وقرا الاعرج الهه على الجمع وعنه كذلك مضافة
لضمير الهته هواه قوله وختم على سمعه وقلبه يسمع الهدى وقلبه لم يعقل الهدى وهو
المراد من قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة وقد تقدم قوله
غشاوة وقرا الاخوان غشوة بفتح الغين وسكون الشين والاعمش وابن مصرف كذلك
الا انهما كسرا الغين وباقي السبعة غشاوة بكسر الغين وابن مسعود والاعمش ايضا بفتحها
وهي لغة ربيعة والحسن وعكرمة وعبد الله ايضا بضمها وهي لغة عكلية وتقدم الكلام في
ذلك اول البقرة والاخرى هناك بالعين المهملة قوله فمن يهديه من بعد الله اي من
بعد اضلال الله اياه قال الواحدي ليس يبقى للقدرية مع هذه الاية عذر ولا حيلة
لان الله تعالى صرح بمنعه اياهم عن الهدى بعد ان اخبر انه ختم على سمع هذا الكافر وقلبه
وبصره ثم قال افلا تذكرون والعامة بالتشديد والجحدري بتخفيفها والاعمش تتذكرون
بتايين قوله وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا تقدم نظيره وقرا زيد بن علي نحيا بضم
النون فان قيل الحياة مقدمة على الموت في الدنيا فمنكروا القيمة كان يجب ان يقولوا نحيا
ونموت فما السبب في تقديم ذكر الموت على الحياة فالجواب من وجوه الاول المراد بقوله
نموت حال كونهم نطفا في اصلاب الاباء وارحام الامهات وبقوله نحيا ما حصل بعد ذلك

في الدنيا الثاني نموت نحن ويحيا بسبب بقا أولادنا الثالث قال الزجاج الواو للاجتماع
والمعنى يموت بعض ويحيا بعض الرابع قال ابن الخطيب انه تعالى قدم ذكر الحياة فقال
ان هي الا حياتنا الدنيا ثم قال بعده نموت ونحيا يعني ان تلك الحياة منها ما يطرأ عليها الموت
وذلك في حق الذين ماتوا ومنها ما لم يطرأ عليه الموت بعد ذلك وهو في حق الاحيا الذين لم
يموتوا بعد قوله وما يهلكنا الا الدهر اي ما يفنينا الا مر الزمان وطول العمر واختلاف الليل
والنهار وما لهم بذلك الذي قالوه من علم اي لم يقولوه عن علم علموه ان هم الا يظنون روى ابو
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا يقل ابن ادم يا خيبة
الدهر فاني انا الدهر ارسل الليل والنهار فاذا شئت قبضتهما وعنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يسب احدكم الدهر فان الدهر هو الله ولا يقولن للعنب الكرم فان الكرم
هو الرجل المسلم ومعنى الحديث ان العرب كان من شانها ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم
كانوا ينسبون اليه ما يصيبهم من المصايب والمكاره فيقولون اصابتهم قوارع الدهر
وابادهم الدهر كما اخبر الله عنهم وما يهلكنا الا الدهر فاذا اضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدايد
سبوا فاعلها فكان يرجع سبهم الى الله عز وجل اذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التي تضيفونها
الى الدهر فنهوا عن سب الدهر **قوله** تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم
الا ان قالوا ايتوا بابائنا ان كنتم صادقين قرا العامة بنصب حجتهم وزيد بن علي وعمرو
ابن عبيد وعبيد بن عمرو بالرفع وتقدم تاويل ذلك وما كان جواب اذا الشرطية وجعله
ابو حيان دليلا على عدم اعمال جواب اذا فيها لان ما لا يعمل ما بعدها فيما قبلها قال وخالفت
غيرها من ادوات الشرط حيث لم يقترن الفا بجوابها اذا نفي بما **فصل** سمى قولهم
حجة لوجوه الاول لزعمهم انه حجة الثاني ان من كانت حجته هذا فليس له البتة حجة كقوله
تحية بينهم ضرب وجيع الثالث انهم ذكروها في معرض الاحتجاج بها واعلم انهم احتجوا على
انكار البعث بهذه الشبهة وهي شبهة ضعيفة جدا لانه ليس كل ما لا يحصل في الحال يجب ان
يمتنع حصوله فان حصول كل واحد منا كان معدوما من الازل الى الوقت الذي خلقنا فيه
ولو كان عدم الحصول في وقت معين يدل على امتناع الحصول لكان عدم حصولنا وذلك
باطل قوله قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة فان قيل هذا الكلام مذكور
لاجل جواب من يقول ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وهذا القايل
ينكر وجود الاله ووجود القيمة فكيف يجوز ابطاله كلامه بقوله قل الله يحييكم وهل
هذا الا اثبات الشي بنفسه وهو باطل فالجواب انه تعالى ذكر الاستدلال بحدوث الحيوان
والانسان على وجود الاله الفاعل الحكيم مرارا فقوله هنا قل الله يحييكم اشارة الى تلك
الدلايل التي بينها واوضحها مرارا وليس المقصود من ذكر هذا الكلام اثبات الاله بل المقصود
منه التنبيه على ما هو الدليل الحق القاطع في نفس الامر ولما ثبت ان الاحيا من الله
وثبت ان الاعادة ممكنة في نفسها وثبت ان القادر الحكيم اخبر عن وقت وقوعها وجب
القطع بكونها حقا وقوله تعالى ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه اشارة الى ما تقدم في
الاية المتقدمة وهو ان كونه تعالى عادلا خالقا بالحق منزها عن الجور والظلم
يقتضي صحة البعث والقيمة قال ولكن اكثر الناس لا يعلمون دلالة حدوث
الانسان والحيوان والنبات على وجود الاله القادر الحكيم ولا يعلمون ايضا انه تعالى
لما كان قادرا على الايجاد ابتدا وجب ان يكون قادرا على الاعادة ثانيا قوله تعالى
ولله ملك السموات والارض الاية لما احتج بكونه قادرا على الاحيا في المرة الثانية
في الايات المتقدمة عمم الدليل فقال ولله ملك السموات والارض اي لله القدرة على
جميع الكاينات سوا كانت في السموات او في الارض واذا ثبت كونه تعالى قادرا على
كل الممكنات وثبت ان حصول الحياة في هذه الدار ممكن اذ لو لم يكن ممكنا لما حصل في المرة
الاولى فيلزم من هاتين المتقدمتين كونه تعالى قادرا على الاحيا في المرة الثانية ولما
بين تعالى امكان القول بالحشر والنشر بهذين الطريقين ذكر تفاصيل احوال القيمة
فاولها ويوم تقوم الساعة في عامله وجهان احدهما انه يخسر ويومئذ بدل من يوم

تقوم

تقوم والتنوين على هذا تنوين عوض عن جملة مقدرة ولم يتقدم من الجمل الا تقوم الساعة
فيصير التقدير ويوم تقوم الساعة يومئذ تقوم الساعة وهذا الذي قدروه ليس فيه
مزيد فايدة فيكون بدلا توكيديا والثاني ان العامل فيه مقدر قالوا لان يوم القيمة حالة
ثالثة ليست بالسما ولا بالارض لانهما يتبدلان فكانه قيل ولله ملك السموات والارض والملك
يوم تقوم ويكون قوله يومئذ معمولا ليخسر والجملة مستانفة من حيث اللفظ وان كان لها
تعلق بما قبلها من حيث المعنى **فصل** اعلم ان الحياة والعقل والصحة كانها راس
مال والتصرف فيها لطلب السعادة الاخروية تجري مجرى تصرف التاجر في ماله لطلب
الربح والكفار قد اتعبوا انفسهم في تصرفاتهم بالكفر والاباطيل فلم يجدوا في ذلك اليوم
الا الحرمان والخذلان ودخول النار وذلك في الحقيقة نهاية الخسران وثانيها قوله
وترى كل امة جاثية الظاهر ان الروية بصرية فتكون جاثية حالا قال الليث الجثو
الجلوس على الركب كما يجثى بين يدي الحاكم وذلك لانها خايفة والمذنب مستوفز وقيل
مجتمعة ومنه الجثو للقبر لاجتماع الاحجار عليه قال

ترى جثوتين من تراب عليهما • صفايح صم من صفيح منضد •

قال ابن عباس جاثية مجتمعة مرتقبة لما يعمل بها قال الزمخشري وقرى جاذية بالذال
المعجمة قال والجذو اشد من الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس على اطراف اصابعه وهو
اشد استيفازا من الجاثي قوله كل امة العامة على الرفع بالابتدا وتدعى خبرها ويعقوب بالنصب
على البدل من كل امة الاولى بدل نكرة موصوفة من مثلها قوله الى كتابها اي الى صحايف
اعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه
والظاهر انه يدخل فيه المومنون والكافرون لقوله تعالى بعد ذلك فاما الذين امنوا قال
سلمان الفارسي ان في القيمة ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على ركبهم حتى ابراهيم
ينادي ربه لا اسيلك الا نفسي قوله اليوم تجزون هذه الجملة معمولة لقول مضمر التقدير
يقال لهم اليوم تجزون واليوم معمول لما بعده وما كنتم هو المفعول الثاني فان قيل الجثو
على الركب انما يليق بالخايف والمومنون لا خوف عليهم يوم القيمة فالجواب ان الجاثي الامن
قد يشارك المبطل في مثل هذه الحالة الى ان يظهر كونه محقا فان قيل كيف اضيف الكتاب
اليهم والى الله تعالى فالجواب لا منافاة بين الامرين لانه كتابهم بمعنى انه الكتاب المشتمل
على اعمالهم وكتاب الله بمعنى انه هو الذي امر الملايكة بكتبه قوله ينطق عليكم بالحق
اي يشهد عليكم باعمالكم من غير زيادة ولا نقصان وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ
وينطق يجوز ان يكون حالا وان يكون خبرا ثانيا وان يكون كتابنا بدلا وينطق خبر
وحده وبالحق حال قوله انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اي نامر الملايكة بنسخ اعمالكم
اي بكتبها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ اي ناخذ نسخه وذلك ان الملكين يرفعان عمل
الانسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب او عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم
واذهب والاستنساخ من اللوح المحفوظ بنسخ الملايكة كل عام ما يكون من اعمال بني ادم
والاستنساخ لا يكون الا من اصل كما ينسخ كتاب من كتاب وقال الضحاك نستنسخ اي
نثبت وقال السدي نكتب وقال الحسن نحفظ ثم بين احوال المطيعين فقال فاما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين فوصفهم بالعمل
الصالح بعد وصفهم بالايمان يدل على ان العمل الصالح مغاير للايمان زايدا عليه فصل
قالت المعتزلة علق الدخول في رحمة الله على كونه اتيا بالايمان والعمل الصالح والمعلق
على مجموع امرين يكون عدما عند عدم احدهما فعند عدم الاعمال الصالحة يجب ان لا
يحصل الفوز بالجنة واجيب بان تعليق الحكم على الوصف لا يدل على عدم الحكم
عند عدم الوصف **فصل** سمى الثواب رحمة والرحمة انما يصح تسميتها بهذا
الاسم اذا لم تكن واجبة فوجب ان لا يكون الثواب واجبا على الله تعالى قوله واما
الذين كفروا افلم تكن هذا على اضمار القول ايضا وقدر الزمخشري على عادته جملة
بين الهمزة والفا اي الم تاتكم رسلي فلم تكن اياتي **فصل** ذكر الله المومنين

والكافرين ولم يذكر قسما ثالثا وهذا يدل على ان مذهب المعتزلة في اثبات منزلة بين المنزلتين باطل وفي الاية دليل على ان استحقاق العقوبة لا يحصل الا بعد مجي الشرع وعلى ان الواجبات لا تجب الا بالشرع خلافا للمعتزلة في قولهم ان بعض الواجبات قد يجب بالعقل قوله واذا قيل ان وعد الله حق العامة على كسر الهمزة لانها محكية بالقول والاعرج وعمرو بن فايد بفتحها وذلك مخرج على لغة سليم يجرون القول مجرى الظن مطلقا ومنه قوله اذا قلت اني انت اهل بلدة قوله والساعة قرا حمزة بنصبها عطفا على وعد الله والباقون برفعها وفيه ثلاثة اوجه الابتدا وما بعدها من الجملة المنفية خبرها الثاني العطف على محل اسم ان لانه قبل دخولها مرفوع بالابتدا الثالث انه عطف على محل ان واسمها معا لان بعضهم كالفارسي والزمخشري يرون ان لان واسمها معا لان لهم موضعا وهو الرفع بالابتدا قوله الا ظنا هذه الاية لا بد فيها من تاويل وذلك انه يجوز تفريغ العامل لما بعده من جميع معمولاته مرفوعا كان او غير مرفوع الا المفعول المطلق فانه لا يفرغ له لا يجوز ما ضربت الا ضربا لانه لا فايدة فيه وذلك انه بمنزلة تكرير الفعل فكانه في قوة ما ضربت الا ضربت قاله مكي وابو البقا وقال الزمخشري فان قلت ما معنى ان نظن الا ظنا قلت اصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن حسب وادخل حرف النفي والاستثنا ليفاد اثبات الظن ونفي ما سواه ويزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين فظاهر كلامه انه لا يتاول الاية بل حملها على ظاهرها قال ابو حيان وهذا الكلام من لا شعور له بالقاعدة النحوية من ان التفريغ يكون في جميع المعمولات من فاعل ومفعول وغيرها الا المصدر المؤكد فانه لا يكون منه وقد اختلف الناس في تاويلها على اوجه احدها ما قاله المبرد وهو ان الاصل ان نحن الا نظن ظنا قال ونظيره ما حكاه ابو عمرو ليس الطيب الا المسك تقديره ليس الا الطيب المسك قال شهاب الدين يعني ان اسم ليس ضمير الشان مستتر فيها والا الطيب المسك في محل نصب خبرها وكانه خفي عليه ان لغة تميم ابطال عمل ليس اذا انتقض نفيها بالا قياسا على ما الحجازية والمسيلة طويلة مذكورة في كتب النحو وعليها حكاية جرت بين ابي عمرو وعيسى بن عمر الثاني ان ظنا له صفة محذوفة تقديره الا ظنا بينا فهو مختص لا موكد الثالث ان نضمن نظن معنى نعتقد فينتصب ظنا مفعولا به لا مصدرا الرابع ان الاصل ان نظن الا انكم تظنون ظنا فحذف هذا كله وهو معزو للمبرد ايضا وقدر وه عليه من حيث انه حذف ان واسمها وخبرها وابقى المصدر وهذا لا يجوز الخامس ان الظن يكون بمعنى العلم والشك فاستثنى الشك كانه قيل ما لنا اعتقاد الا الشك ومثل الاية قول الاعشى

وحل به الشيب اثقاله • وما اغتره الشيب الا اغترارا

يريد اغترارا بينا **فصل** قال ابن الخطيب القوم كانوا في هذه المسيلة على قولين منهم من كان قاطعا بنفي البعث والقيمة وهم المذكورون في قوله تعالى وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا ومنهم من كان شاكا متحيرا فيه لانهم لكثرة ما سمعوه من الرسول عليه السلام ولكثرة ما سمعوه من دلايل القول بصحته صاروا شاكين فيه وهم المذكورون في هذه الاية ويدل على ذلك انه تعالى حكى مذهب اوليك القاطعين ثم اتبعه بحكاية قول هولاء فوجب كون هولاء مغايرين للفريق الاول ثم قال وبدا لهم من الله اي في الاخرة سيات ما عملوا اي جزاوها وحاق بهم ما كانوا به يستهزون وهذا كالدليل على ان هذه الفرقة لما قالوا ان نظن الا ظنا انما ذكروه استهزا وسخرية وعلى هذا الوجه فصار ذلك اول لحشرهم فهذا الفريق اشر من الفريق الاول لان الاولين كانوا منكرين وما كانوا مستهزين وهولاء ضموا الى الاصرار على الانكار الاستهزا قوله وقيل اليوم ننساكم اي نترككم في العذاب كما تركتم الايمان والعمل للقا هذا اليوم وقيل نجعلكم بمنزلة الشي المنسي غير المبالي به كما لم تبالوا انتم بلقا يومكم هذا ولم تلتفتوا اليه قوله لقا يومكم هذا من التوسع في الظرف حيث اضاف اليه ما هو واقع فيه كقوله بل مكر الليل والنهار قوله وماواكم النار وما لكم من ناصرين فجمع الله عليهم من وجوه العذاب ثلاثة اشيا قطع الرحمة عنهم وصيرها ماواهم النار وعدم الانصار ثم بين تعالى ان يقال

لهم انما صرتم مستحقين لهذه الوجوه الثلاثة من العذاب لانكم اتيتم بثلاثة انواع من الاعمال القبيحة وهي الاصرار على انكار الدين الحق والاستهزا به والسخرية والاستغراق في حب الدنيا وهو المراد بقوله تعالى ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا قوله فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون تقدم الخلاف في قوله لا يخرجون منها في اول الاعراف وان حمزة والكساي قرا بفتح اليا وضم الرا والباقون بضم اليا وفتح الرا ولا هم يستعتبون لا يطلب منهم ان يرجعوا الى طاعة الله لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة قوله فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين قرا العامة رب في الثلاثة بالجر تبعا للجلالة بيانا او بدلا او نعتا وابن محيصن برفع الثلاثة على المدح باضمار هو قوله وله الكبريا في السموات يجوز ان يكون في السموات متعلقا بمحذوف حالا من الكبريا وان يتعلق بما تعلق به الظرف الاول لوقوعه خبرا ويجوز ان يتعلق بنفس الكبريا لانها مصدر وقال ابو البقا ان يكون معنى في السموات ظرفا والعامل فيه الظرف الاول والكبريا لانها بمعنى العظمة قال شهاب الدين ولا حاجة الى الكبريا تاويل الكبريا بمعنى العظمة فانها ثابتة المصدرية **فصل** لما تم الكلام في المباحث الروحانية ختم السورة بتحميد الله تعالى فقال فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين اي فاحمدوا الله الذي هو خالق السموات والارضين بل خالق كل العالمين من الاجسام والارواح والذوات والصفات فان هذه الربوبية توجب الحمد والثنا على كل من المخلوقين والمربوبين ثم قال وله الكبريا في السموات والارض وهو العزيز الحكيم يعني بكمال قدرته يقدر على خلق اي شي اراد وبكمال حكمته يخص كل نوع من مخلوقاته باثاره الحكمة والرحمة وقوله وهو العزيز الحكيم يفيد الحصر ويفيد ان الكامل في القدرة وفي الحكمة وفي الرحمة ليس الا هو روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل الكبريا ردايي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ادخلته النار روي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته عند الحساب صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة • الاحقاف • مكية

وهي خمس وثلاثون اية وستماية واربع واربعون كلمة والفان وخمسماية وخمسة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى تقدم الكلام على نظيره ذلك والمراد هنا بالاجل المسمى يوم القيمة وهو الاجل الذي ينتهي اليه السموات والارض وهو اشارة الى قيامها قوله والذين كفروا عما انذروا يجوز ان تكون ما مصدرية اي عن انذارهم او بمعنى الذي اي عن الذي انذروه وعن متعلقة بالاعراض ومعرضون خبر الموصول قوله قل ارايتم تقدم حكم ارايتم ووقع بعد هذه اروني فاحتملت وجهين احدهما ان تكون توكيدا لها لانهما بمعنى اخبروني وعلى هذا يكون المفعول الثاني لارايتم قوله ماذا خلقوا لانه استفهام والمفعول الاول هو قوله ما تدعون الوجه الثاني ان لا تكون موكدة لها وعلى هذا تكون المسيلة من باب التنازع لان ارايتم يطلب ثانيا واروني كذلك وقوله ماذا خلقوا هو المتنازع فيه وتكون المسيلة من اعمال الثاني والحذف من الاول وجوز ابن عطية في ارايتم ان لا يتعدى وجعل ما تدعون استفهاما معناه التوبيخ قال وتدعون معناه تعبدون وهذا راي الاخفش وقد قال بذلك في قوله قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة وقد تقدم قوله من الارض هذا بيان للابهام الذي في قوله ماذا خلقوا قوله ام لهم هذه ام المنقطعة والشرك المشاركة وقوله من قبل هذا صفة لكتاب اي بكتاب منزل من قبل هذا كذا قدره ابو البقا والاحسن ان يقدر كون مطلق اي كاين من قبل هذا

قوله او اثارة العلم ثم علي اثارة وهي مصدر علي فعالة كالسماحة والغواية والضلالة ومعناها البقية من قولهم سمنت الناقة علي اثارة من لحم اذا كانت سمينة ثم هزلت وبقي بقية من شحمها ثم سمنت والاثارة غلب استعمالها في بقية الشرف يقال لفلان اثارة اي بقية اشراف وتستعمل في غير ذلك قال الراعي

وذات اثارة اكلت عليها • نباتا في اكمته فقارا •

وقيل اشتقاقها من اثر كذا اي اسنده ومنه قول عمر ما حلفت به ذاكرا ولا اثرا اي مسندا له عن غيري وقال الاعشى

ان الذي فيه تماريتما • بين للسامع والاثر •

وقيل فيها غير ذلك وقرا علي وابن عباس وزيد بن علي وعكرمة في اخرين اثرة دون الف وهي الواحدة وتجمع على اثر كقترة وقتر وقرا الكسائي اثرة واثرة بضم الهمزة وكسرها مع سكون الثاء وقتادة والسلمي بالفتح والسكون والمعنى بما يوثر ويروى اي ايتوني بخبر واحد يشهد بصحة قولكم وهذا علي سبيل التنزل للعلم بكذب المدعي ومن علم صفة للاثارة **فصل** قال ابو عبيدة والفرا والزجاج اثارة من علم اي بقية قال المبرد اثارة ما يوثر من علم كقولك هذا الحديث يوثر عن فلان ومن هذا المعنى سميت الاخبار والاثار يقال جا في الاثر كذا وكذا قال الواحدي وكلام اهل اللغة في هذا الحرف يدور على ثلثة اقوال الاول الاثارة واشتقاقها من اثرت الشي اثيره اثارة كانها بقية تستخرج فتثار والثاني من الاثر الذي هو الرواية الثالث من الاثر بمعنى العلامة قال الكلبي في تفسير الاثارة اي بقية من علم يوثر عن الاولين اي يسند اليهم وقال مجاهد وعكرمة ومقاتل رواية عن الانبيا وقال قتادة خاصة من علم قال ابن الخطيب وههنا قول اخر في تفسير قوله تعالي او اثارة من علم هو علم الخط الذي يخط في الرمل والعرب كانوا يخطونه وهو علم مشهور وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان نبي من الانبيا يخط فمن وافق خطه خطه علم علمه فعلي هذا الوجه معنى الاية ايتوني بعلم من قبل هذا الخط الذي تخطونه في الرمل يدل علي صحة مذهبكم في عبادة الاصنام فان صح تفسير الاية بهذا الوجه كان ذلك من باب التهكم بهم واقوالهم ودلايلهم قوله ومن اضل مبتدا وخبر وقوله من لا يستجيب من نكرة موصوفة او موصولة وهي مفعول بقوله يدعوا قوله وهم عن دعايهم يجوز ان يكون الضميران عايدين على من في قوله من لا يستجيب له وهم الاصنام ويوقع عليهم من لمعاملتهم اياها معاملة العقلا او لانه اراد جميع من عبد من دون الله وغلب العقلا ويكون قد راعي معنى من فلذلك جمع في قوله وهم بعد ما راعي لفظها وافرد في قوله يستجيب وقيل يعود على من من قوله ومن اضل وحمل اولا علي لفظها فافرد في قوله يدعو وثانيا على معناها فجمع في قوله وهم عن دعايهم غافلون **فصل** ومن اضل استفهام علي سبيل الانكار والمعنى انه لا احد ابعد عن الحق واقرب الي الجهل ممن يدعوا من دون الله الاصنام فيتخذها الهة ويعبدها وهي اذا دعيت لا تسمع ولا تجيب لا في الحال ولا في المآل الي يوم القيمة وانما جعل ذلك غاية لان يوم القيمة قد قيل ان الله تعالي يحييها وتخاطب من يعبدها فلذلك جعله الله تعالي حدا واذا اقامت القيامة وحشر الناس فهذه الاصنام تعادي هولا العابدين واختلفوا فيه فالاكثرون علي ان الله تعالي يحيي هذه الاصنام يوم القيمة فتتبرا من عبادتهم وقيل المراد عبدة الملايكة وعيسى فانهم في يوم القيمة يظهرون عداوة هولا العابدين وهو المراد بقوله واذا حشر الناس كانوا لهم اعدا وكانوا بعبادتهم كافرين اي جاحدين كقولهم تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون قوله واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق هنا اقام ظاهرين مقام مضمرين اذ الاصل قالوا لها اي للايات ولكنه ابرزهما ظاهرين لاجل الوصفين المذكورين واللام في للحق للعلة **فصل** لما تكلم في تقرير التوحيد ونفي الاضداد والانداد تكلم في النبوة وبين ان محمدا صلى الله عليه وسلم كلما عرض عليهم نوعا من انواع المعجزات قالوا

هذا

هذا سحر اي يسمون القران سحرا قوله ام يقولون افتراه ام للانكار والتعجب كانه قيل دع هذا واسمع القول المنكر العجيب ثم بين بطلان شبهتهم فقال قل يا محمد ان افتريته علي سبيل الفرض فان الله يعاملني بعقوبة بطلان ذلك الافترا وانتم لا تقدرون علي دفعه فكيف اقدم علي هذه الفرية بعني لعقابه وهو المراد بقوله فلا تملكون لي من الله شيا اي لا تقدرون ان تردوا عني عذابه ان عذبني الله على افترايي فكيف افتري على الله من اجلكم ونظيره فمن يملك من الله شيا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيا ثم قال هو اعلم بما تفيضون فيه اي الله اعلم بما تخوضون فيه من التكذيب بالقران والقول فيه بانه سحر كفى به شهيدا بيني وبينكم ان القران جا من عنده فيشهد لي بالصدق ويشهد لكم بالكذب وهو الغفور الرحيم لمن رجع عن الكفر وتاب قال الزجاج هذا دعا الي التوبة ومعناه غفور لمن تاب منكم رحيم به قوله تعالي قل ما كنت بدعا من الرسل الاية لما حكى طعنهم في كون القران معجزا بقولهم انه يختلقه من عند نفسه ثم ينسبه الي انه كلام الله علي سبيل الفرية حكى عنهم شبهة اخرى وهو انهم كانوا يقترحون عليه معجزات عجيبة ويطالبونه بان يخبرهم عن المغيبات فاجاب الله تعالي عن ذلك بقوله قل ما كنت بدعا من الرسل قوله بدعا فيه وجهان احدهما انه علي حذف مضاف تقديره ذا بدع قاله ابو البقا وهذا علي ان يكون البدع مصدرا والثاني ان البدع بنفسه صفة علي فعل بمعنى بديع كالخف والخفيف والبدع والبديع ما لم ير له مثل وهو من الابتداع وهو الاختراع انشد قطرب

• فما انا بدع من حوادث تعتري • رجالا عرت من بعد موسي واسعد •

قال البغوي البدع مثل نصف ونصيف وجمع البدع ابداع وقرا عكرمة وابو حيوة وابن ابي عبلة بدع بفتح الدال جمع بدعة اي ما كنت ذا بدع وجوز الزمخشري ان يكون صفة علي فعل كدين قيم ولحم زيم قال ابو حيان ولم يثبت سيبويه صفة علي فعل الا قوما عدي وقد استدرك عليه لحم زيم اي متفرق وهو صحيح واما قيم فمقصور من قيام ولولا ذلك لصحت عينه كما صحت في حول وعوض واما قول العرب مكان سوي وما روي ورجل رضي وماء صري وسبي طيبة فمتاولة عند التصريفيين قال شهاب الدين تاويلها انها بالمصدر ثم اوالقصر كقيم في قيام وقرا ابو حيوة ايضا ومجاهد بدع بفتح البا وكسر الدال وهو وصف كحذر **فصل** البدع والبديع من كل شي المبدا والبدعة ما اخترع مما لم يكن موجودا قبله قال المفسرون معناه اني لست باول مرسل قد بعث فتلي كثير من الانبيا فكيف تنكرون نبوتي وكيف تنكرون اخباري باني رسول الله وقيل انهم طلبوا منه معجزة عظيمة واخبارا عن الغيوب فقال قل ما كنت بدعا من الرسل والمعنى ان الاتيان بهذه المعجزات القاهرة والاخبار عن الغيوب ليس في وسع البشر واما جنس الرسل فانا واحد منهم فاذا لم تقدروا علي ما تريدونه فكيف اقدر عليه وقيل انهم كانوا يعيبونه بانه ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وبانه تقبروان اتباعه فقرا فقال قل ما كنت بدعا من الرسل وكلهم كانوا علي هذه الصفة فهذه الاشيا لا تقدح في نبوتي كما لا تقدح في نبوتهم قوله وما ادري ما يفعل بي العامة علي بنايه للمفعول وابن ابي عبلة وزيد بن علي مبنيا للفاعل اي الله تعالي والظاهر ان ما في قوله ما يفعل استفهامية مرفوعة بالابتدا وما بعدها الخبر وهي معلقة لادري عن العمل فتكون سادة مسد مفعولها وجوز الزمخشري ان تكون موصولة منصوبة يعني انها متعدية لواحد اي لا اعرف الذي يفعله الله **فصل** في تفسير الاية وجهان احدهما ان يحمل ذلك علي احوال الدنيا والثاني ان يحمل ذلك علي احوال الاخرة اما الاول ففيه وجوه الاول معناه لا ادري ما يصير اليه امري وامركم ومن الغالب منا ومن المغلوب الثاني قال ابن عباس في رواية الكلبي لما اشتد البلا باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمكة راي في المنام انه يهاجر الي ارض ذات نخل وشجر وما قصها علي الصحابة فاستبشروا بذلك وراوا ان ذلك فرج مما هم فيه من اذي المشركين ثم انهم مكثوا برهة من الدهر لا يرون اثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما راينا الذي قلت متى نهاجر الي الارض التي

رايتها في المنام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم وهو شي رايته في المنام وان لا اتبع الا ما يوحيه الله الي الثالث قال الضحاك لا ادري ما تومرون به ولا ما اومر به من التكاليف والشرايع ولا من الابتلا والامتحان وانما انذركم بما اعلمني الله به من احوال الاخرة من الثواب والعقاب ثم اخبر تعالى انه يظهر دينه على الاديان فقال هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال في امته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاخبره الله ما يصنع به وبامته قال السدي الرابع كانه يقول ما ادري ما يفعل بي في الدنيا اموت او اقتل كما قتل الانبيا قبلي ولا ادري ما يفعل بكم ايها المكذبون اترمون بالحجارة من السما او يخسف بكم او يفعل بكم ما فعل بساير الامم واما من حمل الاية على احوال الاخرة فروي عن ابن عباس انه قال لما نزلت هذه الاية فرح المشركون واليهود والمنافقون وقالوا كيف نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به وبنا فانزل الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الى قوله وكان ذلك عند الله فوزا عظيما فقالت الصحابة هنيا لك يا نبي الله قد علمنا ما يفعل بك فما يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار الاية وانزل الله وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله ما يفعل به وبهم وهذا قول انس وقتادة والحسن وعكرمة وقالوا انما قال هذا قبل ان يخبر بغفران ذنبه وانما اخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك قال ابن الخطيب واكثر المحققين استبعدوا هذا القول لوجهين الاول ان النبي لا بد وان يعلم من نفسه كونه نبيا ومتى علم كونه نبيا علم انه لا تصدر عنه الكباير وانه مغفور له واذا كان كذلك امتنع كونه شاكا في انه هل هو مغفور له ام لا الثاني ان الانبيا ارفع حالا من الاوليا وقد قال في حق هولا ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكيف يعقل ان يبقى الرسول الذي هو رييس الاتقيا وقدوة الاوليا شاكا في انه هل هو من المغفور لهم فثبت ضعف هذا القول قوله ان اتبع الا ما يوحى الي العامة على البنا يوحى للمفعول وقرا ابن عمر بكسر الحا على البنا للفاعل وهو الله تعالى والمعنى اني لا اقول قولا ولا اعمل عملا الا بمقتضى الوحي واحتج نفاة القياس بهذه الاية فقالوا النبي صلى الله عليه وسلم ما قال قولا ولا عمل عملا الا بالنص الذي اوحاه الله اليه فوجب ان يكون حالنا كذلك ثم قال تعالى وما انا الا نذير مبين لانهم كانوا يطالبونه بالمعجزات العجيبة وبالاخبار عن الغيوب فقال قل ما انا الا نذير مبين والقادر على تلك الاعمال الخارجة عن قدرة البشر والعالم بتلك الغيوب ليس الا الله تعالى قوله قل ارايتم ان كان من عند الله مفعولا ارايتم محذوفان تقديره ارايتم حالكم ان كان كذا الستم ظالمين وجواب الشرط ايضا محذوف تقديره فقد ظلمتم ولهذا اتى بفعل الشرط ماضيا وقدره الزمخشري الستم ظالمين ورده ابو حيان بانه لو كان كذلك لوجبت الفا لان الجملة الاستفهامية متى وقعت جوابا للشرط لزمت الفا ثم ان كانت اداة الاستفهام همزة تقدمت على الفا نحو ان تزرنا افنكرمك وان كانت غيرها تقدمت الفا عليها نحو ان تزرنا فهل ترى الا خيرا قال شهاب الدين والزمخشري ذكر امرا تقديريا فسر به المعنى لا الاعراب وقال ابن عطية وارايتم يحتمل ان تكون منبهة فهي لفظ موضوع للسوال لا يقتضي مفعولا ويحتمل ان تكون الجملة كان وما عملت سادة مسد مفعوليها قال ابو حيان وهذا خلاف ما قرره النحاة وقد تقدم تحقيق ما قرروه وقيل جواب الشرط هو قوله فامن واستكبرتم وقيل هو محذوف تقديره فمن المحق منا والمبطل وقيل فمن اضل قال ابن الخطيب جواب الشرط محذوف والتقدير ان يقال ان كان هذا الكتاب من عند الله ثم كفرتم به وشهد شاهد من بني اسرايل على صحته ثم استكبرتم لكنتم من الخاسرين ثم حذف هذا الجواب ونظيره ان احسنت اليك واسات الي واقبلت اليك واعرضت عني فقد ظلمتني وكذا هاهنا التقدير اخبروني ان ثبت ان القران من عند الله بسبب عجز الخلق عن معارضته ثم كفرتم به وحصل ايضا شاهد اعلم بني اسرايل بكونه معجزا من عند الله فلو استكبرتم وكفرتم الستم اضل الناس واظلمهم واعلم ان جواب الشرط قد يحذف في بعض الايات كما في هذه الاية

وكما في قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى وقد يذكر كما في قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل وقوله قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله

فصل

معنى الاية اخبروني ماذا تقولون ان كان يعني القران من عند الله وكفرتم به ايها المشركون وشهد شاهد من بني اسرايل على مثله المثل صلة يعني عليه اي على انه من عند الله فامن يعني الشاهد واستكبرتم عن الايمان به واختلفوا في هذا الشاهد فقال قتادة والضحاك واكثر المفسرين هو عبد الله بن سلام شهد بنبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم وامن به واستكبر اليهود فلم يومنوا به كما روي انس قال سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يخترف في ارض فنظر الى وجهه فعلم انه ليس وجه كذاب وتامله فتحقق انه النبي المنتظر فقال له اني سايلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام اهل الجنة وما ينزع الولد الى ابيه او الى امه فقال صلى الله عليه وسلم اخبرني بهن جبريل انفا قال جبريل قال نعم قال ذاك عدو اليهود من الملايكة فقرا هذه الاية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله اما اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المراة نزعته فقال اشهد انك لرسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسالهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله بن سلام فقالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله ابن سلام فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا فانتقصوه فقال هذا ما كنت اخاف منه يا رسول الله فقال سعد بن ابي وقاص ما كنا نقول وفي رواية ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت هذه الاية وشهد شاهد من بني اسرايل على مثله وقيل الشاهد هو موسى بن عمران عليه السلام قال الشعبي قال مسروق في هذه الاية والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لان الحم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بن سلام بالمدينة قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين فكيف يمكن حمل هذه الاية المكية على واقعة حدثت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وانما نزلت الاية في محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه واجاب الكلبي بان السورة مكية الا هذه الاية فانها مدنية وكانت الاية تنزل فيامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضعوها في سورة كذا وكذا وهذه الاية نزلت بالمدينة وان الله تعالى امر رسوله ان يضعوها في هذه السورة المكية في هذا الموضع المعين قال ابن الخطيب ولقايل ان يقول ان الحديث الذي رويتم عن عبد الله بن سلام مشكل لان ظاهر الحديث يشعر بانه لما سال النبي صلى الله عليه وسلم عن المسايل الثلاث فلما اجاب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الجواب امن عبد الله بن سلام لاجل ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الجوابات وهذا بعيد من وجهين الاول ان الاخبار عن اول اشراط الساعة وعن اول طعام ياكله اهل الجنة اخبار عن وقوع شي من الممكنات وما هذا سبيله فانه لا يعرف كون ذلك الخبر صدقا الا اذا عرف اولا كون المخبر صادقا فلو عرفنا صدق المخبر بكون ذلك الخبر صادقا لزم الدور وهو محال الثاني انا نعلم بالضرورة ان الجوابات المذكورة عن هذه المسايل لا يبلغ العلم بها الى حد الاعجاز البتة بل نقول الجوابات الباهرة عن المسايل الصعبة لما لم تبلغ الى حد الاعجاز فالجواب يحتمل انه جا في بعض كتب الانبيا المتقدمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر الزمان يسال عن هذه المسايل وهو يجيب عنها بهذه الجوابات وكان عبد الله بن سلام عالما بهذا المعنى فلما سال النبي صلى الله عليه وسلم واجاب بتلك الاجوبة فلا حاجة بنا الى ان نقول العلم بهذه الجوابات معجز والله اعلم وقيل المراد بالشاهد التورية ومثل القران هو التورية فشهد موسى على التورية ومحمد على الفرقان فكل واحد يصدق الاخر لان التورية مشتملة على البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران مصدق للتورية ثم قال فامن واستكبرتم فلم تومنوا ان الله لا يهدي القوم الظالمين وهذا تهديد وهو قايم مقام الجواب المحذوف والتقدير قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونوا مهتدين بل تكونوا ضالين قوله تعالى

وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه الاية في سبب النزول وجوه الاول
ان كفار مكة قالوا ان عامة من يتبع محمدا الفقراء والاراذل مثل عمار وصهيب وابن مسعود ولو
كان هذا الدين خيرا ما سبقونا اليه هولاء الثاني قيل لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم وغفار
قالت بنو عامر وغطفان واسد واشجع لو كان هذا خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم الثالث قيل ان امة
لعمر اسلمت وكان عمر يضربها ويقول لولا اني فترت لزدتك ضربا فكان كفار قريش يقولون لو كان ما
يدعونا اليه محمد خيرا ما سبقتنا اليه الرابع قيل كان اليهود يقولون هذا الكلام حين اسلم عبد الله
ابن سلام واصحابه قوله للذين امنوا يجوز ان تكون لام العلة اي لاجلهم يعني ان الكفار قالوا
لاجل ايمان الذين امنوا وان تكون للتبليغ ولو جروا على مقتضى الخطاب لقالوا ما سبقتمونا ولكنهم
التفتوا فقالوا ما سبقونا والضمير في كان واليه عايدان على القران وما جاء به الرسول او الرسول
قوله واذ لم يهتدوا العامل في اذ مقدر اي ظهر عنادهم وتسبب عنه قوله فسيقولون ولا يعمل
في اذ فسيقولون لتضاد الزمانين اعني المضي والاستقبال ولاجل الفا ايضا **فصل** المعنى
واذ لم يهتدوا بالقران كما اهتدى به اهل الايمان فسيقولون هذا افك قديم كما قالوا اساطير الاولين
قوله ومن قبله كتاب موسى العامة على كسر ميم من حرف جر وهي مع مجرورها خبر مقدم والجملة
حالية او خبر مستانف وقرا الكلبي بنصب الكتاب تقديره وانزل من قبله كتاب موسى وقرى ومن
بفتح الميم كتاب موسى بالنصب على ان من موصولة وهي مفعول اول لاتينا مقدرا وكتاب موسى
مفعوله الثاني اي واتينا الذي قبله كتاب موسى قوله اماما ورحمة حالان من كتاب موسى
وقيل منصوبان بمقدر اي انزلناه اماما ولا حاجة اليه وعلى كونهما حالين هما منصوبان بما نصب
به من قبل من الاستقرار وقال ابو عبيدة فيه اضمار اي جعلناه اماما ورحمة من الله لمن
امن به ومعنى الاية ومن قبل القران كتاب موسى يعني التورية اماما يقتدى به ورحمة من
الله لمن امن به وفي الكلام محذوف تقديره وتقدمه كتاب موسى اماما ورحمة ولم يهتدوا به كما
قال في الاية الاولى واذ لم يهتدوا به قوله وهذا كتاب مصدق اي القران يصدق الكتب
التي قبله في ان محمدا رسول من عند الله قوله لسانا حال من الضمير في مصدق ويجوز ان يكون
حالا من كتاب والعامل التنبيه او معنى الاشارة وعربيا صفة للسانا وهو المسوغ لوقوع هذا
الجامد حالا وجوز ابو البقا ان يكون مفعولا به ناصبه مصدق وعلى هذا تكون الاشارة الى غير
القران لان المراد باللسان العربي القران وهو خلاف الظاهر وقيل هو على حذف مضاف اي
يصدق ذا لسان عربي وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو على اسقاط حرف الجر اي بلسان
وهو ضعيف قوله لينذر متعلق بمصدق وبشرى عطف على علة تقديره للانذار وللبشرى ولما
اختلف العلة والمعلول وصل العامل اليه باللام وهذا يتمن قرا بتاء الخطاب فاما من قرا بياء
الغيبة وقد تقدم ذلك في يس فانهما متحدان وقيل بشرى عطف على لفظ لتنذر اي فيكون
مجرورا فقط وقيل هي مرفوعة على خبر ابتداء مضمر تقديره هي بشرى وقيل بل هي عطف على مصدق
وقيل هي منصوبة بفعل مقدر اي وتبشر بشرى ونقل ابو حيان وجه النصب عطفا على محل لتنذر
عن الزمخشري وابي البقاء قال وهذا لا يصح على الصحيح من مذاهب النحويين لانهم يشترطون
في الحمل على المحل ان يكون بحق الاصالة وان يكون للموضع محرز وهنا المحل ليس بحق الاصالة
اذ الاصل في المفعول له الجر والنصب ناشى عنه لكن لما كثر بالشروط المذكورة وصل اليه الفعل
فنصبه انتهى قوله الاصل في المفعول له الجر بالحرف ممنوع بدليل قول النحويين انه ينصب
بشروط ذكروها ثم يقولون ويجوز جره بلام فقولهم ويجوز ظاهر في انه فرع لا اصل قال الزجاج
الاجود ان يكون وبشرى في موضع رفع اي وهو بشرى قال ولا يجوز ان يكون في موضع نصب
على معنى لتنذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين وقوله للمحسنين متعلق ببشرى او بمحذوف على
انه صفة لها **فصل** المراد بالذين ظلموا مشركي مكة والحاصل ان المقصود من
انزال هذا الكتاب انذار المعرضين وبشارة المطيعين قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا الاية لما قرر دلايل التوحيد والنبوة وذكر شبهات المنكرين واجاب عنها ذكر
بعد ذلك طريقة المحققين فقال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقد تقدم تفسيره
في سورة السجدة والفرق بين الموضعين ان في سورة السجدة ذكر ان الملائكة يتنزلون

ويقولون لا تخافوا ولا تحزنوا وهنا رفع الواسطة وذكر انه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاذا
جمعنا بين الايتين حصل من مجموعهما ان الملايكة يتلقونهم بالبشارة من غير واسطة قوله
فلا خوف الفا زايدة في خبر الموصول لما فيه من معنى الشرط ولم يمتنع ان من ذلك لبقاء معنى الابتداء
بخلاف ليت ولعل وكان قوله اولئك اصحاب الجنة الاية قالت المعتزلة هذه الاية تدل على
مسايل اولها ان قوله اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها يفيد الحصر وان اصحاب الجنة ليسوا الا
الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وهذا يدل على ان صاحب الكبيرة قبل التوبة لا يدخل الجنة
وثانيها قوله جزاء بما كانوا يعملون يدل على فساد قول من يقول الثواب فضل لا جزاء وثالثها
قوله جزاء بما كانوا يعملون يدل على اثبات العمل للعبد ورابعها يدل على ان العبد يستحق
على الله تعالى جزاء عمله وتقدم جواب ذلك قوله خالدين منصوب على الحالية وجزاء منصوب
على المصدر اما بعامل مضمر اي يجزون جزاء او بما تقدم لان معنى اولئك اصحاب الجنة معنى جازيناهم
بذلك قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا تقدم نظيره وقرا الكوفيون احسانا وباقي السبعة
حسنا بضم الحا وسكون السين فالقراءة الاولى تكون احسانا فيها منصوبا بفعل مقدر اي ووصيناه ان
يحسن اليهما احسانا وقيل بل هو مفعول به على تضمين وصينا معنى الزمنا فيكون مفعولا ثانيا
وقيل بل هو منصوب على المفعول به اي ووصيناه بهما احسانا منا اليهما وقيل هو منصوب على المصدر
لان معنى ووصينا احسنا فهو مصدر صريح والمفعول الثاني هو المجرور بالبا وقال ابن عطية
انها تتعلق اما بوصينا واما باحسانا ورد ابو حيان هذا الثاني بانه مصدر مؤول فلا يتقدم
معموله عليه ولان احسن لا يتعدى بالباء وانما يتعدى باللام لا يقول احسنت بزيد على معنى
وصول الاحسان اليه ورد بعضهم هذا بقوله وقد احسن بي اذ اخرجني وقيل هو على هذا
المعنى وقدر بعضهم ووصينا الانسان بوالديه ذا احسان يعني فيكون حالا واما حسنا فقيل
فيه ما تقدم في احسان وقرا عيسى والسلمي حسنا بفتحهما وقد تقدم معنى القراءتين في البقرة
وفي لقمن قال ابن الخطيب حجة من قرا احسانا قوله تعالى في سورة بني اسرايل وبالوالدين
احسانا ومعناه امرناه بان يوصل اليهما احسانا وحجة القراءة الاخرى قوله تعالى في سورة العنكبوت
ووصينا الانسان بوالديه حسنا ولم يختلفوا فيه والمراد انا امرناه بان يوصل اليهما فعلا حسنا
كما يقال هذا الرجل علم وكرم قوله حملته امه كرها ووضعته كرها قرا اهل الحجاز وابو عمرو
بفتح الكاف والباقون بضمها قيل هما لغتان بمعنى واحد مثل الضعف والضعف والفقر
والفقر ومن غير المصادر الدف والدف والشهد والشهد وقال الواحدي الكره مصدر من
كرهت الشي اكرهه والكره الاسم كانه الشي المكروه قال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم
فهذا بالضم وقال ترثوا النسا كرها فهذا في موضع الحال وما كان مصدرا في موضع الحال
فالفتح فيه احسن وقال ابو حاتم الكره بالفتح لا يحسن لانه بالفتح الغصب والغلبة ولا يلتفت
لما قاله لتواتر هذه القراءة وانتصابهما اما على الحال من الفاعل اي ذات كره واما على النعت
لمصدر مقدر اي حملا كرها **فصل** قال المفسرون حملته امه على مشقة ووضعته
بمشقة وليس المراد ابتداء الحمل فان ذلك لا يكون مشقة لقوله تعالى فلما تغشاها حملت حملا
خفيفا فمرت به فلما اثقلت فحينئذ حملته كرها ووضعته كرها يريد شدة الطلق **فصل**
دلت الاية على ان حق الام اعظم لانه تعالى قال ووصينا الانسان بوالديه حسنا فذكرهما
معا ثم خص الام بالذكر فقال حملته امه كرها ووضعته كرها وذلك يدل على ان حقها اعظم
وان وصول المشاق اليها بسبب الولد كثيرة والاخبار كثيرة في هذا الباب قوله وحمله
وفصاله اي مدة حمله وقرا العامة وفصاله مصدر فاصل كان الام فاصلته وهو فاصلها
والجحدري والحسن وقتادة فصله قيل والفصل والفصال بمعنى كالفطم والفطام والقطف
والقطاف والفصال الفطام ولو نصب ثلاثين على الظرف الواقع موقع الخبر جاز وهو
الاصل هذا اذا لم يقدر مضافا فان قدرنا اي مدة حمله لم يجز ذلك وتعين الرفع لتصادق
الخبر والمخبر عنه **فصل** دلت الاية على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه لما كان
مجموع مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهرا وقال تعالى والوالدات يرضعن اولادهن
حولين كاملين وهي اربعة وعشرون شهرا من ثلاثين

بقي مدة الحمل ستة اشهر روي عكرمة عن ابن عباس قال اذا حملت المراة تسعة اشهر ارضعت
احدي وعشرين شهرا واذا حملت ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا وروي عن ابي بكر
رضي الله عنه ان امراة رفعت اليه وقد ولدت لستة اشهر فامر برجمها فقال عمر لا رجم عليها وذكر
الطريق المتقدمة وعن عثمان نحوه وانه هم بذلك فقرا ابن عباس عليه الاية واما مدة اكثر
الحمل فليس في القران ما يدل عليه قوله حتي اذا بلغ اشده لا بد من جملة محذوفة يكون
حتي غاية لها اي عاش واستمرت حياته حتي اذا بلغ اشده قال ابن عباس في رواية عطا
الاشد ثماني عشرة سنة وقيل نهاية قوته وغاية شبابه واستوايه وهو ما بين ثماني عشرة
سنة الي اربعين سنة فذلك قوله وبلغ اربعين سنة وقال السدي والضحاك نزلت
في سعد بن ابي وقاص وقد مضت القصة وقيل نزلت في ابي بكر الصديق وابيه ابي قحافة
عثمان بن عمرو وامه ام الخير بنت صخر بن عمرو وقال علي بن ابي طالب الاية في ابي بكر الصديق
اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين ابواه غيره اوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده
وكان ابو بكر صحب النبي صلي الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي صلي الله عليه
وسلم ابن عشرين سنة في تجارته الي الشام فلما بلغ اربعين سنة ونبي النبي صلي الله عليه وسلم
امن به ودعا ربه فقال رب اوزعني الهمني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلي والدي
بالهداية والايمان واكثر المفسرين علي ان الاشد ثلاث وثلاثون سنة **فصل** قال
ابن الخطيب مراتب سن الحيوان ثلاثة لان بدن الحيوان لا يتكون الا برطوبة غريزية وحرارة
غريزية والرطوبة الغريزية زايدة في اول العمر وناقصة في اخر العمر والانتقال من
الزيادة الي النقصان لا يعقل حصوله الا اذا حصل الاستوا في وسط هاتين المدتين فثبت
ان مدة العمر منقسمة الي ثلاثة اقسام فاولها ان تكون الرطوبة الغريزية زايدة علي الحرارة
الغريزية وحينئذ تكون الاعضا عظيمة التمدد في ذواتها وزيادتها في الطول والعرض
والعمق وهذا هو سن النشو والثانية وهي المرتبة المتوسطة ان تكون الرطوبة
الغريزية وافية بحفظ الحرارة الغريزية من غير زيادة ولا نقصان وهذا هو سن
الوقوف وهو سن الشباب والمرتبة الثالثة ان تكون الرطوبة الغريزية ناقصة عن
الوفا بحفظ الحرارة الغريزية ثم هذا النقصان علي قسمين فالاول هو النقصان الخفي
وهو سن الكهولة والثاني هو النقصان الظاهر وهو سن الشيخوخة قوله اربعين
اي تمامها فاربعين مفعول به قال المفسرون لم يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة
قال ابن الخطيب وهذا يشكل بعيسي عليه السلام فانه تعالي جعله نبيا من اول عمره
الا انه يجب ان يقال الاغلب انه ما جا الوحي الا بعد الاربعين وهكذا كان الامر في
حق نبينا صلي الله عليه وسلم قوله اوزعني قال ابن عباس قال ابن عباس معناه
الهمني قال الجوهري اوزعته باغرينه به فاذا يزغ به فهو موزوغ به اي مغري به
واستوزعت الله فاوزعني اي استلهمته فالهمني قوله وان اعمل صالحا ترضاه قال
ابن عباس اجاب الله عز وجل دعا ابي بكر فاعتق تسعة من المومنين يعذبون في الله
منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيا من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال واصلح
لي في ذريتي فاجابه الله تعالي فلم يكن له ولد الا امنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه
واولاده جميعا فادرك ابو قحافة النبي صلي الله عليه وسلم وابنه ابو بكر وابنه عبد الرحمن
ابن ابي بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم ادركوا النبي صلي الله عليه وسلم ولم يكن ذلك
لاحد من الصحابة قوله واصلح لي في ذريتي اصلح يتعدي بنفسه لقوله واصلحنا
له زوجه وانما تعدي بفي لتضمنه معني الطف بي في ذريتي او لانه جعل الذرية ظرفا
للاصلاح كقوله يجرح في عراقيبها نصلي والمعني هب لي الصلاح في ذريتي واوقعه
فيهم قوله اني تبت اليك واني من المسلمين والمراد ان الدعا لا يصح الا مع التوبة
ومع كونه من المسلمين قوله اولئك الذين يتقبل عنهم قرا الاخوان وحفص نتقبل
بفتح النون مبنيا للفاعل ونصب احسن علي المفعول به ولذلك نتجاوز والباقون
بنيا بما للمفعول ورفع احسن لقيامه مقام الفاعل ومكان النون يا مضمومة في الفعلين

والحسن

والحسن والاعمش وعيسي بالياء من تحت والفاعل الله تعالي **فصل** ومعني اولئك
اي اهل هذا القول الذي تقدم ذكره ممن يدعو بهذا الدعا يتقبل عنهم والتقبل من الله هو
ايجاب الثواب له علي عمله وقوله احسن ما عملوا يعني اعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا
وكلها حسن فان قيل كيف قال احسن ما عملوا والله يتقبل الاحسن وما دونه فالجواب
من وجهين الاول ان المراد بالاحسن الحسن كقوله تعالي واتبعوا احسن ما انزل اليكم من
ربكم وكقولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان اي عادلا بني مروان الثاني ان الحسن من
الاعمال هو المباح الذي لا يتعلق به ثواب ولا عقاب والاحسن ما يغاير ذلك وهو المندوب
او الواجب وقوله ونتجاوز عن سياتهم فلا نعاقبهم عليها قوله في اصحاب الجنة فيه
اوجه اظهرها انه في محل الحال اي كاينين في جملة اصحاب الجنة كقولك اكرمني الامير في اصحابه
اي في جملتهم والثاني ان في بمعني مع والثالث انها خبر مبتدا مضمر اي هم في اصحاب
الجنة قوله وعد الصدق مصدر موكد لمضمون الجملة السابقة لان قوله اولئك الذين
يتقبل عنهم في معني الوعد فيكون قوله يتقبل ويتجاوز وعدا من الله لهم بالتقبل والتجاوز
والمعني يعامل من صفته ما قدمنا بهذا الجزا وذلك وعد من الله فبين انه صدق لا شك
فيه قوله تعالي والذي قال لوالديه اف لكما الاية لما وصف الولد البار بوالديه
وصف الولد العاق لوالديه ههنا واعلم انه قد تقدم الكلام علي اف ولكما بيان اي هذا
التافيف لكما نحو هيت لك وهي كلمة كراهية اتعدانني ان اخرج من قبري حيا وقد خلت
القرون من قبلي ولم يبعث منهم احد قال ابن عباس والسدي ومجاهد نزلت في عبد
الله وقيل في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه كان ابواه يدعوانه الي الاسلام وهو
ياتي وهو قوله اف لكما احيوا لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش
حتي اسالهم عما تقولون واحتجوا لهذا القول بانه لما كتب معاوية الي ابن مروان بان
بايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن بن ابي بكر لقد جيتم شيا نكرا اتبايعون ابناكم
فقال مروان يا ايها الناس هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما
والصحيح انها نزلت في كل كافر عاق لوالديه قاله الحسن وقتادة قال الزجاج قول من
قال انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه يبطله قوله اولئك الذين حق
عليهم القول في امم فاعلم الله تعالي ان هولا قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن
مومن من افاضل المومنين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب قال ابن الخطيب وهذا
القول هو الصحيح فان قالوا روي انه لما دعاه ابواه الي الاسلام واخبراه بالبعث بعد
الموت قال اتعدانني ان اخرج من القبر يعني ابعث بعد الموت وقد خلت القرون
من قبلي يعني الامم الخالية فلم يرجعوا منهم عبد الله بن جدعان وفلان وفلان فيقول
قوله اولئك الذين حق عليهم القول المراد هولا الذين ذكرهم عبد الرحمن من المشركين
الذين ماتوا قبله هم الذين حق عليهم القول فالضمير عايد الي المشار اليهم بقوله وقد
خلت القرون من قبلي لا الي المشار اليه بقوله والذي قال لوالديه اف لكما هذا جواب
الكلبي في دفع ذلك الدليل وهو وايضا روي ان مروان لما خاطب عبد الرحمن بن ابي بكر بذلك
الكلام سمعت عايشة رضي الله عنها ذلك فغضبت وقالت والله ما هو به ولكن الله كفر اباك
وانت في صلبه واذا ثبت ذلك كان المراد كل ولد اتصف بالصفات المذكورة ولا حاجة الي
تخصيص اللفظ المطلق بشخص معين قوله اتعدانني العامة علي نونين مكسورتين
الاولي للرفع والثانية للوقاية وهشام بالادغام ونافع في رواية بنون واحدة وهذه
شبيهة بقوله تامروني اعبد وقرا الحسن وشيبة وابو جعفر وعبد الوارث عن ابي عمرو
بفتح النون الاولي كانهم فروا من توالي مثلين مكسورين بعدهما يا وقال ابو البقا وهي
لغة شاذة في فتح نون الاثنين قال شهاب الدين ان عني نون الاثنين في الاسما نحو
قوله علي احوذيين استقلت فليس هذا منه وان عني في الفعل فلم يثبت ذلك لغة وانما
الفتح هنا لما ذكرت قوله ان اخرج هو الموعود به فيجوز ان يقدر البا قبل ان وان
لا يقدرها قوله وقد خلت جملة حالية وكذلك وهما يستغيثان الله اي يسالان الله

واستغاث يتعدي بنفسه تارة وبالبا اخري وان كان ابن مالك زعم انه متعد بنفسه
فقط وعاب قول النحاة مستغاث به قال شهاب الدين لكنه لم يرد في القران الا متعديا
بنفسه اذ تستغيثون ربكم فاستغاثه الذي وان يستغيثوا يغاثوا قال ابن الخطيب
معناه يستغيثان بالله من كفره وانكاره فلما حذف الجار وصل الفعل ويجوز ان يقال
حذف البا لانه اريد بالاستغاثة الدعا فحذف الجار لان الدعا لا يقتضيه قوله ويلك
منصوب على المصدر بفعل ملاق له في المعني دون الاشتقاق ومثله ويحه وويسه
وويبه واما على المفعول به بتقدير الزمك الله ويلك وعلى كلا التقديرين الجملة
معمولة لقول مقدر اي يقولان ويلك امن والقول في محل نصب على الحال اي يستغيثان
الله قايلين ذلك والمعنى يقولان له ويلك امن وصدق بالبعث وهو دعا عليه بالثبور
والمراد الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك قوله ان وعد الله حق قرا
العامة بكسر ان استينافا او تعليلا وقرا عمرو بن فايد والاعرج بفتحها على انها معمولة
لامن على حذف البا اي امن بان وعد الله بالبعث حق فيقول لهما ما هذا الا اساطير
الاولين قوله اولئك الذين حق عليهم القول اوجب عليهم العذاب في امم اي مع
امم وقد تقدم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين قوله ولكل
درجات مما عملوا قال ابن عباس يريد من سبق الي الاسلام فهو افضل ممن تخلف عنه
ولو ساعة وقال مقاتل ولكل واحد من الفريقين يعني البار بوالديه والعاق لهما
درجات في الايمان والكفر والطاعة والمعصية فان قيل كيف يجوز اطلاق لفظ
الدرجات في اهل النار وقد روي الجنة درجات والنار دركات فالجواب من وجوه
احدها ان ذلك على جهة التغليب وثانيها قال ابن زيد درج اهل الجنة تذهب
علوا ودرج اهل النار تذهب هبوطا الثالث المراد بالدرجات المراتب المتزايدة فدرجات
اهل الجنة في الخيرات والطاعات ودرجات اهل النار في المعاصي والسيات قوله
وليوفيهم معللة محذوف تقديره جازاهم بذلك وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم وهشام
باليا من تحت وبا في السبعة بالنون والسلمي بالتا من فوق اسند التوفية للدرجات
مجازا قوله وهم لا يظلمون اما استيناف واما حال موكده قوله ويوم يعرض
اليوم منصوب بقول مقدر اي يقال لهم اذهبتم في يوم عرضهم وجعل الزمخشري هذا
مثل قولهم عرضت الناقة على الحوض فيكون قلبا ورده ابو حيان بانه ضرورة وايضا
العرض امر نسبي فيصح نسبته الي الناقة والي الحوض وقد تقدم الكلام في القلب وان
فيه ثلاثة مذاهب قوله اذهبتم قرا ابن كثير اذهبتم بهمزتين الاولي محققة والثانية
مسهلة بين بين ولم يدخل بينهما الفا وهذا على قاعدته في اانذرتهم ونحوه وابن عامر
قرا ايضا بهمزتين لكن اختلف راوياه عنه فهشام سهل الثانية وخففها وادخل الفا
في الوجهين وليس على اصله فانه من اهل التحقيق وابن ذكوان بالتحقيق فقط دون
ادخال الف والباقون بهمزة واحدة فيكون اما خبرا واما استفهاما سقطت اداته للدلالة
عليها والاستفهام معناه التقريع وكلا القراءتين فصيحتان لان العرب تستفهم وتترك هذه
الاستفهام فتقول اذهبت ففعلت كذا او ذهبت ففعلت كذا قوله في حياتكم يجوز تعلقه
باذهبتم ويجوز تعلقه بمحذوف على انه حال من طيباتكم فصل قيل المعنى يعرض
الذين كفروا على اي يدخلون النار وقيل تعرض عليهم النار ليروا اهوالها ويقال لهم
اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها والمعنى ان ما قدر لكم من الطيبات
والدرجات فقد استوفيتموه في الدنيا فلم يبق لكم بعد استيفا حظكم شي منها وعن عمر
رضي الله عنه لو شيت لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكني استبقي طيباتي قال
الواحدي ان الصالحين يوثرون التقشف والزهد في الدنيا رجا ان يكون ثوابهم في الاخرة
اكمل لان هذه الاية وردت في حق الكافر وانما وبخ الله الكافر لانه تمتع بالدنيا ولم يود
شكر المنعم بطاعته والايمان به واما المومن فانه يودي بايمانه شكر المنعم بطاعته
فلا يوبخ بتمتعه ويدل على ذلك قوله تعالي قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده

والطيبات من الرزق نعم لا ينكر ان الاحتراز عن التنعم اولي لان النفس اذا اعتادت التنعم
صعب عليها الاحتراز والانقياد وحينئذ ربما حملها الميل الي تلك الطيبات على فعل ما لا ينبغي روي
عمر قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو على رمال حصير قد اثر الرمال
بجنبه فقلت يا رسول الله ادع الله ان يوسع على امتك فان فارسا والروم قد وسع عليهم
وهم يعبدون غير الله فقال اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا وروت عايشة
قالت ما شبع ال محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعنها قالت لقد كان ياتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا ما هو الا الما
والتمر وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة
طاويا واهله لا يجدون عيشا وكان اكثر خبزهم خبز الشعير والاحاديث فيه كثيرة قوله
فاليوم تجزون عذاب الهون اي العذاب الذي فيه ذل وخزي وقري عذاب الهوان بما
كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون فعلل تعالي ذلك العذاب بامرين
احدهما الاستكبار والترفع وهو ذنب القلب والثاني الفسق وهو ذنب الجوارح وتقدم
الاول على الثاني لان احوال القلب اعظم وقعا من اعمال الجوارح ويمكن ان يكون المراد من
الاستكبار انهم يتكبرون عن قبول الدين الحق ويستكبرون عن الايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم والمراد بالفسق المعاصي فصل دلت الاية على ان الكفار يخاطبون بفروع
الاسلام لان الله تعالي علل عذابهم بامرين اولهما الكفر وثانيهما الفسق وهذا الفسق
لا بد وان يكون مغايرا لذلك الكفر لان العطف يوجب المغايرة فثبت ان فسق الكافر يوجب
العقاب في حقهم ولا معنى للفسق الا ترك المامورات وفعل المنهيات قوله تعالي واذكر
اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف الاية لما ذكر دلايل النبوة والتوحيد وكان اهل مكة بسبب
استغراقهم في لذات الدنيا اعرضوا عنها ولم يلتفتوا اليها فلهذا السبب قال تعالي في
حقهم ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا فلما كان الامر
كذلك بين ان قوم عاد كانوا اكثر اموالا وقوة وجاها منهم ثم ان الله تعالي سلط عليهم
العذاب بكفرهم فذكر قصتهم ليعتبر بها اهل مكة فيتركوا الاغترار بما وجدوه في الدنيا ويقبلوا
على طلب الدين الحق قال واذكر يا محمد لقومك اخا عاد اي هودا عليه السلام قوله
اذ انذر بدل من اخا بدل اشتمال وتقدم تحقيقه وقوله بالاحقاف جمع حقف وهو الرمل
المستطيل المعوج ومنه احقوقف الهلال قال امري القيس

فلما اجزنا ساحة الحي وانتحي ۰ بابطن حقف ذي قفاف عقنقل

قال ابن عباس وادي بين عمان ومهرة وقال مقاتل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت
بموضع يقال له مهرة اليها تنسب الابل المهرية وكانوا اهل عمد سيارة في الربيع فاذا هاج
العود رجعوا الي منازلهم وكانوا من قبيلة ارم قال قتادة ذكر لنا ان عادا كانوا احيا من
اليمن كانوا اهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر قوله وقد خلت يجوز ان
يكون حالا من الفاعل او من المفعول والرابط الواو والنذر جمع نذير ويجوز ان تكون معترضة
بين انذر وبين ان لا تعبدوا اي انذرهم بان لا وقوله من بين يديه ومن خلفه اي بعده
والمعنى اعلمهم ان الرسل الذي بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو
انذاره فصل قال المفسرون ان هودا عليه السلام كان قد انذرهم وقال لا
تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم العذاب قالوا اجيتنا لتافكنا اي لتصرفنا عن الهتنا اي
عن عبادتها والافك الصرف افكه عن رايه اذا صرفه عنه وقيل المراد لتلفتنا بالكذب
عن الهتنا فاتنا بما تعدنا من معاجلة العذاب على الكفر ان كنت من الصادقين في وعدك
ان العذاب نازل بنا قال هود انما العلم عند الله وهو يعلم متى ياتيكم العذاب وابلغكم
ما ارسلت به من الوحي والتحذير من العذاب فاما العلم بوقته فما اوحاه الي ولكني اراكم
قوما تجهلون وهذا يحتمل ان المراد انكم لا تعلمون ان الرسل لم يبعثوا مقترحين ولا سايلين
عن غير ما اذن لهم فيه وانما بعثوا مبلغين ويحتمل ان يكون المراد قوما تجهلون من حيث
انكم بقيتم مصرين على كفركم وجهلكم فيغلب على ظني انه قرب الوقت الذي ينزل عليكم

بسبب هذا الجهل المفرط والوقاحة التامة ويحتمل ان يكون المراد قوما تجهلون حيث تصرون على طلب العذاب وهب انه لم يظهر لكم كوني صادقا ولكن لم يظهر لكم ايضا كوني كاذبا فالاقدام على الطلب الشديد للعذاب جهل عظيم قوله فلما راوه عارضا في هاء راوه قولان احدهما انه عايد على ما في قوله ما تعدنا والثاني انه ضمير مبهم يفسره عارضا اما تمييزا او حالا قاله الزمخشري ورده ابو حيان بان التمييز المفسر للضمير محصور في باب رب وفي نعم وبيس بان الحال لم يعهد فيها ان توضح الضمير قبلها وان النحويين لا يعرفون ذلك وذكر المبرد في الضمير هنا قولين الاول ما تقدم والثاني انه يعود الى غير مذكور وبينه قوله عارضا كقوله ما ترك على ظهرها من دابة ولم يذكر الارض لكونها معلومة فكذا هنا الضمير عايد الى السحاب كانه قيل فلما راوا السحاب عارضا وهذا اختيار الزجاج ويكون من باب الاضمار لا على شريطة التفسير والعارض السحابة التي ترى في ناحية السماء ثم تطبق السماء قال اهل اللغة العارض المعترض من السحاب في الجو قال

• يا من راى عارضا ارقت له • بين ذراعي وجبهة الاسد •

قوله مستقبل اوديتهم صفة لعارضا واضافته غير محضة فمن ثم ساغ ان يكون نعتا للنكرة وكذلك ممطرنا وقع نعتا لعارض ومثله

• يا رب هابطنا لو كان يطلبكم • لاقى مباعدة منكم وحرمانا •

وقد تقدم ان اودية جمع وادٍ وان افعلة وردت جمعا لفاعل في الفاظ كوادٍ واودية وناد واندية وحاز واحوزة **فصل** قال المفسرون كانت حبس عنهم المطر اياما فساق الله اليهم سحابة سوداء فخرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما راوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى بل هو ما استعجلتم به من العذاب ثم بين ماهيته ريح فيها عذاب اليم ثم وصف تلك الريح فقال تدمر كل شيء بامر ربها اي تهلك كل شيء من الحيوان والناس بامر ربها ومعناه ان هذا ليس من باب تاثيرات الكواكب والقرانات بل هو امر حدث ابتداء بقدرة الله تعالى لاجل تعذيبكم قوله بل هو ما استعجلتم به قرئ ما استعجلتم مبنيا للمفعول وقوله ريح يجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي هو ريح ويجوز ان يكون بدلا من هو وفيها عذاب صفة لريح وكذلك تدمر وقرئ يدمر كل شيء بالياء من تحت مفتوحة وسكون الدال وضم الميم كل بالرفع على الفاعلية اي تهلك كل شيء وزيد بن علي كذلك الا انه بالتاء من فوق ونصب كل والفاعل ضمير الريح وعلى هذا فيكون دمر الثلاثي لازما ومتعديا قوله فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم قرا حمزة وعاصم لا يرى بضم الياء من تحت مبنيا للمفعول مساكنهم بالرفع لقيامه مقام الفاعل والباقون من السبعة بفتح تاء الخطاب مساكنهم بالنصب مفعولا به والجحدري والاعمش وابن ابي اسحاق والسلمي وابو رجاء بضم التاء من فوق مبنيا للمفعول مساكنهم بالرفع لقيامه مقام الفاعل الا ان هذا عند الجمهور لا يجوز اعني اذا كان الفاصل الا فانه يمتنع لحاق علامة التانيث في الفعل الا في ضرورة كقوله

• وما بقيت الا الضلوع الجراشع • وقوله

• كانه جمل هم وما بقيت • الا النحيزة والالواح والعصب •

وعيسى الهمداني لا يرى بالياء من تحت مبنيا للمفعول ومسكنهم بالتوحيد ونصر بن عاصم بتاء الخطاب مسكنهم بالتوحيد ايضا منصوبا واجتزي بالواحد عن الجمع **فصل** روي ان الريح كانت تحمل الفسطاط فترفعها في الجو وتحمل الظعينة حتى ترى كانها جرادة وقيل ان اول من ابصر العذاب امراة منهم قالت رايت ريحا فيها كشهب النار وروي ان اول ما عرفوا به انه عذاب اليم انهم راوا ما كان في الصحراء من رجالهم ومواشيهم تطير بهم الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وامال الله تعالى عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم امر الله الريح فكشفت عنهم الرمال واحتملتهم فرمت بهم في البحر وروي ان هودا لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المومنين خطا الى جنب عين تنبع وكانت الريح التي تصيبهم ريحا طيبة هادية والريح التي تصيب قوم عاد ترفعهم من الارض وتطير بهم الى السماء وتضرب بهم على الارض واثر المعجزة

انما ظهر في تلك الريح من هذا الوجه قال عليه السلام ما امر الله خازن الرياح ان يرسل على عاد الا مثل مقدار الخاتم وذلك القدر اهلكهم بكليتهم وذلك اظهار لقدرة الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا راى الريح فزع وقال اللهم اني اسالك خيرها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها ومن شر ما ارسلت به ثم قال تعالى كذلك نجزي القوم المجرمين والمقصود منه تخويف كفار مكة فان قيل لما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فكيف يحصل التخويف فالجواب ان ذلك كان قبل نزول الاية قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ما موصولة او موصوفة وفي ان ثلاثة اوجه احدها شرطية وجوابها محذوف والجملة الشرطية صلة ما والتقدير في الذي ان مكناكم فيه طغيتم والثاني انها مزيدة تشبيها للموصولة بما النافية والتوقيتية وهو كقوله

• يرجي المرء ما ان لا يراه • ويعرض دون ادناه الخطوب •

والثالث وهو الصحيح انها نافية بمعنى مكناهم في الذي ما مكناكم فيه من القوة والبسطة وسعة الارزاق ويدل له قوله في مواضع كانوا اشد منهم قوة وامثاله وانما عدل عن لفظ ما النافية الى ان كراهية لاجتماع متماثلين لفظا قاله الزمخشري وقد اغث ابو الطيب في قوله

• لعمرك ما ما بان منك لضارب • وما ضره لوا قتدي بعذوبة •

لفظ التنزيل فقال ما ان بان منك **فصل** معنى الاية مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول العمر وكثرة المال ثم انهم مع زيادة القوة ما نجوا من عقاب الله تعالى فكيف يكون حالكم ثم قال وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافيدة اي فتحنا عليهم ابواب النعم واعطيناهم سمعا فما استعملوه في سماع الدلايل واعطيناهم ابصارا فما استعملوها في دلايل ملكوت السموات والارض واعطيناهم افيدة فما استعملوها في طلب معرفة الله تعالى بل صرفوا كل هذه القوى الى طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم ما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افيدتهم من عذاب الله تعالى قوله فما اغنى يجوز ان تكون ما نفيا وهو الظاهر او استفهاما للتقرير واستبعده ابو حيان لاجل قوله من شيء قال اذ يصير التقدير اي شيء اغنى عنهم من شيء فزاد من في الواجب وهو لا يجوز على الصحيح قال شهاب الدين قالوا يجوز زيادتها في غير الموجب وفسروا غير الموجب بالنفي والنهي والاستفهام وهذا استفهام قوله اذ كانوا معمول لاغنى وهي مشربة معنى التعليل اي لانهم كانوا يجحدون وهو كقوله ضربته اذ اساء اي ضربته لانه اساء وفي هذه الاية تخويف لاهل مكة ثم قال وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون يعني انهم كانوا يطلبون نزول العذاب على سبيل الاستهزاء قوله تعالى ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى يا كفار مكة كحجر ثمود وعاد باليمن وارض سدوم ونحوها بالشام وصرفنا الايات الحجج بيناها لهم لعل اهل القرى يرجعون قال الجبائي قوله لعلهم يرجعون معناه لكي يرجعوا عن كفرهم وذلك يدل على انه تعالى اراد رجوعهم ولم يرد اصرارهم واجيب بانه فعل ما لو فعله غيره لكان ذلك لاجل الارادة المذكورة وانما ذهبنا الى هذا التاويل للدلايل الدالة على انه تعالى مريد لجميع الكاينات قوله تعالى فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة القربان ما تقرب به الى الله اي اتخذوها شفعاء وقالوا هولاء شفعاونا عند الله وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قوله قربانا الهة فيه اربعة اوجه اظهرها ان المفعول الاول لاتخذوا محذوف هو عايد الموصول وقربانا نصب على الحال والهة هو المفعول الثاني لاتخذ والتقدير فهلا نصرهم الذين اتخذوهم متقربا بهم الهة الثاني ان المفعول الاول محذوف كما تقدم وقربانا مفعولا ثانيا والهة بدل منه واليه نحا ابن عطية والحوفي وابو البقاء الا ان الزمخشري منع هذا الوجه قال لفساد المعنى ولم يبين جهة الفساد قال ابو حيان ويظهر ان المعنى صحيح على ذلك الاعراب قال شهاب الدين ووجه الفساد والله اعلم ان القربان اسم لما يتقرب به الى الاله فلو جعلناه مفعولا ثانيا والهة بدلا منه لزم ان يكون الشيء المتقرب به الهة والغرض انه غير الالهة بل هو شيء يتقرب به اليها فهو غيرها فكيف تكون الالهة بدلا منه هذا ما لا يجوز الثالث ان قربانا مفعول من اجله وعزاه ابو حيان للحوفي واليه ذهب ابو البقاء ايضا وعلى هذا فالهة مفعول ثان والاول محذوف كما تقدم الرابع ان يكون مصدرا نقله مكي ولولا انه ذكر وجها ثانيا وهو المفعول من اجله

لكان كلامه موولا بانذارا دبالمصدر المفعول من اجله لبعد معنى المصدر قوله بل ضلوا عنهم
قال مقاتل بل ضلت الالهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم قوله وذلك افكهم العامة
على كسر الهمزة وسكون الفا مصدر افك يافك افكا اي كذبهم وابن عباس بالفتح وهو مصدر له
ايضا وابن عباس ايضا وعكرمة والصباح بن العلا افكهم بثلاث فتحات فعلا ماضيا اي صرفهم
وابو عياض وعكرمة ايضا كذلك الا انه بتشديد الفا للتكثير وابن الزبير وابن عباس ايضا
آفكهم بالمد فعلا ماضيا ايضا وهو يحتمل ان يكون بزنة فاعل فالهمزة اصلية وان تكون بزنة
افعل فالهمزة زايدة والثانية بدل من همزة واذا قلنا انه افعل فهمزته تحتمل ان تكون للتعدية
وان تكون افعل بمعنى المجرد وابن عباس ايضا آفكهم بالمد وكسر الفا ورفع الكاف جعله اسم
فاعل بمعنى صارفهم وقري افكهم بفتحتين ورفع الكاف على انه مصدر لافك ايضا فيكون له
ثلاثة مصادر الافك والافك بفتح الهمزة وكسرها مع سكون الفا وفتح الهمزة وزاد ابو البقا
انه قري آفكهم بالمد وفتح الفا ورفع الكاف قال بمعنى اكذبهم فجعله افعل تفضيل قوله
وما كانوا يفترون يجوز ان تكون ما مصدرية وهو الاحسن ليعطف على مثله وان تكون
بمعنى الذي والعايد محذوف اي يفترونه فالمصدر من قولهم افكهم يجوز ان يكون مضافا
الى الفاعل بمعنى كذبهم والى المفعول بمعنى صدقهم والمعنى وذلك افكهم اي كذبهم الذي كانوا
يقولون انها تقربهم الى الله وتشفع لهم وما كانوا يفترون يكذبون انها الهة قوله
تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية لما بين ان في الانس من امن ومنهم من كفر بين ايضا
ان في الجن من امن ومنهم من كفر وان مومنهم معرض للثواب وان كافرهم معرض للعقاب قوله
واذ صرفنا منصوب باذكر مقدرا وقري صرفنا بالتشديد للتكثير من الجن صفة لنفرا ويجوز
ان يتعلق بصرفنا ومن لابتدا الغاية قوله يستمعون صفة ايضا لنفرا او حال لتخصصه
بالصفة ان قلنا ان من الجن صفة له وراعا معنى النفر فاعاد عليه الضمير جمعا ولو راعا لفظه
فقال يستمع لجاز قوله فلما حضروه يجوز ان تكون الها للقران وهو الظاهر وان يكون
للرسول عليه السلام وحينئذ يكون في الكلام التفات من قوله اليك الى الغيبة في قوله
حضروه قوله فلما قضى العامة على بنايه للمفعول اي فرغ قراة القران وهو يويد
عودها حضروه على القران وابو مجلز وحبيب بن عبد الله قضى مبنيا للفاعل اي اتم
الرسول قراته وهي تويد عودها على الرسول عليه السلام **فصل** ذكروا في
كيفية هذه الواقعة قولين الاول قال سعيد بن جبير كانت الجن تستمع فلما رجموا
قالوا هذا الذي حدث في السما انما حدث لشي في الارض فذهبوا يطلبون السبب وكان
قد اتفق ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ايس من اهل مكة ان يجيبوه خرج الى الطايف
ليدعوهم الى الاسلام فلما انصرف الى مكة وكان ببطن مكة نخلة قام يقرا القران فمر به
نفر من اشراف جن نصيبين كان ابليس بعثهم ليعرف السبب الذي اوجب حراسة
السما بالرجم فسمعوا القران فعرفوا ان ذلك هو السبب والقول الثاني ان الله امر
رسوله ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله تعالى ويقرا عليهم القران فصرف الله اليه نفرا من
الجن يستمعون منه القران وينذروا قومهم **فصل** نقل القاضي في تفسيره ان
الجن كانوا يهودا لان في الجن مللا كما في الانس من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة
الاوثان واطبق المحققون على ان الجن مكلفون سيل ابن عباس هل للجن ثواب قال
نعم لهم ثواب وعليهم عقاب يلتقون في ابواب الجنة ويزدحمون على ابوابها **فصل**
قال الزمخشري النفر دون العشرة ويجمع على انفار روى الطبري عن ابن عباس ان
اوليك الجن كانوا سبعة نفر من اهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
رسلا الى قومهم وعن زر بن حبيش كانوا تسعة احدهم زوبعة وعن قتادة ذكر لنا انهم
صرفوا اليه من نينوى واختلفت الروايات في انه هل كان عبد الله بن مسعود مع النبي
صلى الله عليه وسلم ليلة الجن **فصل** روى القاضي في تفسيره عن انس قال
كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو بظاهر المدينة اذا اقبل شيخ يتوكا على عكاز فقال
النبي صلى الله عليه وسلم انها المشية جني ثم اتى فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي

صلى الله عليه وسلم انها النغمة جني فقال الشيخ اجل يا رسول الله فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم من اي الجن انت قال يا رسول الله انا هام بن هيم بن لاقيس بن ابليس فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم لا ارى بينك وبين ابليس الا ابوين قال اجل يا رسول الله قال كم
اتى عليك من العمر قال اكلت عمر الدنيا الا القليل كنت حين قتل قابيل هابيل غلاما ابن
اعوام فكنت اتشوف على الاكام واصطاد الهام واورش بين الانام فقال النبي صلى الله عليه
وسلم بيس العمل قال يا رسول الله دعني من العتب فاني ممن امن مع نوح عليه السلام وعاتبته
في دعوته فبكى وابكاني وقال والله اني لمن النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
ولقيت هودا فعاتبته في دعوته فبكى وابكاني وقال والله اني لمن النادمين واعوذ
بالله ان اكون من الجاهلين ولقيت ابراهيم وامنت به وكنت بينه وبين الارض اذ رمي به في
المنجنيق وكنت معه في النار اذ القي فيها وكنت مع يوسف اذ القي في الجب فسبقته الى قعره
ولقيت موسى بن عمران بالمكان الاثير وكنت مع عيسى بن مريم فقال لي ان لقيت محمدا
فاقرا عليه السلام قال انس فقال النبي صلى الله عليه وسلم وعليه السلام وعليك يا هام ما
حاجتك قال ان موسى عليه السلام علمني التورية وان عيسى علمني الانجيل فعلمني القران
قال انس فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم عشر سور وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم ينعه الينا قال عمر بن الخطاب ولا اراه الا حيا وروي انه علمه سورة الواقعة وعم يتساءلون
واذا الشمس كورت وقل يا ايها الكافرون وسورة الاخلاص والمعوذتين **فصل**
اختلفوا في عدد النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة وقد تقدم وقيل كانوا تسعة وروى
عاصم عن زر بن حبيش كانوا زوبعة من التسعة الذين استمعوا القران فلما حضروه قالوا
انصتوا قال بعضهم لبعض انصتوا اي اسكتوا مستمعين يقال انصت لكذا واستنصت له
روي في الحديث ان الجنة ثلاثة اصناف صنف لهم اجنحة يطيرون في الهوى وصنف
حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون ثم انهم لما سمعوا القران حتى فرغ من تلاوته ولوا
الى قومهم ادبروا منذرين مخوفين داعين بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لا يكون
الا بعد ايمانهم لانهم لا يدعون غيرهم الى سماع القران والتصديق به الا وقد امنوا وعند ذلك
قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه اي الكتب الانبيا
وذلك ان كتب ساير الانبيا كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد والدعوة الى النبوة
والمعاد وتطهير الاخلاق وكذلك هذا الكتاب مشتمل على هذه المعاني وهو معنى قوله
يهدي الى الحق والى طريق مستقيم فان قيل كيف قالوا من بعد موسى ولم يقولوا من بعد
عيسى فالجواب انه روي عن عطا والحسن انه كان دينهم اليهودية فلذلك قالوا انا سمعنا
كتابا انزل من بعد موسى وعن ابن عباس ان الجن ما سمعت امر عيسى فلذلك قالوا من
بعد موسى ثم ان الجن لما وصفوا القران بهذه الصفات الفاضلة قالوا يا قومنا اجيبوا داعي
الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **فصل** دلت هذه الاية على انه صلى الله عليه
وسلم كان مبعوثا الى الجن كما كان مبعوثا الى الانس قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الانس
والجن قبله فان قيل قوله اجيبوا داعي الله امر بالاجابة في كل ما امر به فيدخل فيه
الامر بالايمان فكيف قال وامنوا به فالجواب اعاد ذكر الايمان على التعيين لانه اهم
الاقسام واشرفها وقد جرت عادة القران بانه يذكر اللفظ العام ثم يعطف عليه اشرف
انواعه كقوله وملايكته ورسله وجبريل وميكال وقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح ولما امر بالايمان به ذكر فايدة ذلك الايمان فقال يغفر لكم من ذنوبكم
قال بعضهم كلمة من هنا لابتدا الغاية والمعنى انه يقع ابتدا الغفران بالذنوب ثم ينتهي
الى غفران ما صدر عنكم من ترك الاولى والاكمل ويجوز ان تكون تبعيضية قوله ويجركم
من عذاب اليم قال ابن عباس فاستجاب لهم من قومهم نحو سبعين رجلا من الجن فرجعوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافقوه في البطحاء فقرا عليهم القران وامرهم ونهاهم
اختلفوا في ان الجن هل لهم ثواب ام لا فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار
ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهايم واحتجوا على ذلك بقوله ويجركم من عذاب اليم وهو قول

ابي حنيفة والصحيح ان حكمهم حكم بني ادم يستحقون الثواب على الطاعة والعقاب على
المعصية وهو قول ابن ابي ليلى ومالك وتقدم عن ابن عباس ايضا نحو ذلك قال
الضحاك يدخلون الجنة وياكلون ويشربون لان كل دليل دل على ان البشر يستحقون
الثواب على الطاعة فهو بعينه قايم في حق الجن والفرق بينهما بعيد جدا وذكر النقاش
في تفسيره حديثا انهم يدخلون الجنة فقيل هل يصيبون من نعيمها قال يلهمهم الله تسبيحه
وذكره فيصيبهم من لذته ما يصيب بنو ادم من نعيم الجنة وقال ارطاة ابن المنذر سالت
ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرا لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وقال عمر بن
عبد العزيز ان مومني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليس فيها قوله ومن لا يجب
داعي الله فليس بمعجز في الارض اي لا يعجز الله فيفوته وليس لهم من دونه اوليا انصار
يمنعونه من الله اوليك في ضلال مبين قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات
والارض الاية اعلم انه تعالى قرر من اول السورة الى ههنا امر التوحيد والنبوة ثم ذكر
ههنا تقرير المعاد ومن تامل في ذلك علم ان المقصود من القران كله تقرير هذه الاصول
الثلاثة واعلم ان المقصود من هذه الاية الدلالة على كونه تعالى قادرا على البعث لانه
تعالى اقام الدليل على خلق السموات والارض وخلقها اعظم من اعادة هذا الشخص حيا
بعد ان كان ميتا والقادر على الاكمل لا بد وان يكون قادرا على ما دونه قوله ولم
يعي بخلقهن العامة على سكون العين وفتح اليا مضارع عيي بالكسر يعيى بالفتح فلما
دخل الجازم حذف الالف وقرا الحسن يعي بكسر العين وسكون اليا قالوا واصلها عيي بالكسر
فجعل الكسرة فتحة على لغة طي فصار عيا كما قالوا في بقي بقا ولما بني الماضي على فعل
بالفتح جا مضارعه على يفعل بالكسر فصار يعيي مثل يرمي فلما دخل الجازم حذف
اليا الثانية فصار لم يعي بعين ساكنة ويا مكسورة ثم نقل حركة اليا الى العين فصار
اللفظ كما ترى وقد تقدم ان عيي وحيي فيهما لغتان الفك والادغام فاما حيي فتقدم
في الانفال وعي فكقوله • عيوا بامرهم كما • عيت ببيضتها الحمامة •
والعي عدم الاهتدا الى جهة ومنه العي في الكلام وعي بالامر اذا لم يهتد لوجهه قوله
بقادر البا زايدة وحسن زيادتها كون الكلام في قوة اليس الله بقادر قال ابو عبيدة
والاخفش البا زايدة للتوكيد كقوله تنبت بالدهن وقاس الزجاج ما ظننت ان احدا
بقايم عليها والصحيح التوقف وقال الكساي والفرا العرب تدخل البا في الاستفهام
مع الجحد فتقول ما اظنك بقايم وقرا عيسى وزيد بن علي والجحدري يقدر بالبا مضارع
قدر والرسم يحتمله واختار ابو عبيد قراة العامة لانها في قراة عبد الله قادر بغير با
قوله بلى ايجاب لما تضمنه الكلام من النفي في قوله اولم يروا قوله ويوم يعرض
الذين كفروا على النار فيقال لهم اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا فقوله اليس هذا
معمول لقول مضمر هو حال كما تقدم في نظيره والمقصود من هذا الاستفهام التهكم
والتوبيخ على استهزايهم بوعد الله تعالى ووعيده فيقال لهم فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون **قوله** تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الفا في قوله فاصبر عاطفة
هذه الجملة على ما تقدم والسببية فيها ظاهرة واعلم انه تعالى لما قرر المطالب الثلاثة
وهي التوحيد والنبوة والمعاد واجاب عن الشبهات اردفه بما يجري مجرى الوعظ
والنصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لان الكفار كانوا يوذونه ويوحشون صدره
فقال تعالى فاصبر اولوا العزم اي اولو الجد والصبر والثبات وقال ابن عباس اولوا
الحزم قوله من الرسل يجوز ان تكون من تبعيضية وعلى هذا فالرسل اولوا عزم وغير
اولي عزم ويجوز ان يكون للبيان فكلهم على هذا اولوا عزم قال ابن زيد كل الرسل كانوا
اولي عزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم وراي وكمال عقل وانما دخلت من للتجنيس
لا للتبعيض كما يقال اشتريت من الخز وارديه من البز وقيل ان الانبيا كلهم اولوا العزم
الا يونس لعجلة كانت منه الا يرى انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت
وقيل هم نجبا الرسل وهم المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله بعد ذكرهم

اوليك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبي هم الذين امروا بالجهاد واظهروا
المكاشفة مع اعدا الدين وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم
المذكورون على النسق في سورة الاعراف والشعرا وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على
اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم صبر على النار وذبح الولد واسحاق
صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر في الجب والسجن
وايوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى اصحاب
الشرايع فهم مع محمد خمسة قال البغوي ذكرهم الله على التخصيص في قوله واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفي قوله شرع
لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعايشة يا عايشة
ان الله لم يرض لاولي العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر على محبوبها لم يرض الا ان كلفني
ما كلفهم قال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل واني والله لا بد لي من طاعته والله
لاصبرن كما صبروا واجهدن ولا قوة الا بالله قوله ولا تستعجل لهم العذاب فانه نازل بهم
قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم ضجر من قومه بعض الضجر واحب ان ينزل الله العذاب
بمن ابا من قومه فامر بالصبر وترك الاستعجال ثم اخبر ان ذلك العذاب اذا نزل بهم يستقصرون
مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار فقال كانهم يوم يرون ما يوعدون
من العذاب لم يلبثوا الا ساعة من نهار اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ
كانه ساعة من النهار او كان لم يكن لهول ما عاينوا لان ما مضى وان كان طويلا صار كانه
لم يكن قال الشاعر • كان شيا لم يكن اذا مضى • كان شيا لم يكن اذا اتى •
واعلم انه تم الكلام ههنا قوله بلاغ العامة على رفعه وفيه وجهان احدهما انه خبر مبتدا
محذوف فقدره بعضهم تلك الساعة بلاغ لدلالة قوله الا ساعة من نهار وقيل تقديره هذا
اي القران والشرع بلاغ من الله اليكم والثاني انه مبتدا والخبر قوله لهم الواقع بعد قوله
ولا تستعجل اي لهم بلاغ فيوقف على فلا تستعجل وهو ضعيف جدا للفصل بالجملة التشبيهية
ولان الظاهر تعلق لهم بالاستعجال فهو يشبه التهيئة والقطع وقرا زيد بن علي والحسن
وعيسى بلاغا نصبا على المصدر اي بلغ بلاغا ويويده قراة ابي مجلز بلغ امرا وقرا ايضا
بلغ امرا فعلا ماضيا ويوخذ من كلام مكي انه يجوز نصبه نعتا لساعة فانه قال ولو قري
بلاغا بالنصب على المصدر او على النعت لساعة جاز وكانه لم يطلع على ذلك قراة وقرا
الحسن ايضا بلاغ بالجر وخرج على الوصف لنهار على حذف مضاف اي من نهار ذي بلاغ
او وصف الزمان بالبلاغ مبالغة والبلاغ بمعنى التبليغ قوله فهل يهلك العامة على
بنايه للمفعول وابن محيصن يهلك بفتح اليا وكسر اللام مبنيا للفاعل وعنه ايضا فتح
اللام وهي لغة والماضي هلك بالكسر قال ابن جني كلام مرغوب عنها وزيد بن ثابت بضم
اليا وكسر اللام والفاعل هو الله تعالى القوم الفاسقين نصبا على المفعول به وقري
نهلك بالنون وكسر اللام ونصب القوم **فصل** المعنى فهل يهلك بالعذاب اذا
نزل الا القوم الفاسقون الخارجون عن امر الله قال الزجاج تاويله لا يهلك مع رحمة
الله وفضله الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما في الرجاء لرحمة الله اقوى من هذه
الاية روي ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاحقاف اعطي من
الاجر بعدد كل رمل في الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيات ورفع له عشر درجات

سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية

وهي ثمان وثلاثون اية وخمسماية وتسع وثلاثون كلمة والفان وثلاثماية وتسعة واربعون
حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله الاية اول هذه السورة مناسب لاخر
السورة المتقدمة والمراد بالذين كفروا قيل هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر منهم

ابو جهل والحرث ابنا هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل كفار قريش وقيل اهل
الكتاب وقيل كل كافر ومعنى صدهم عن سبيل الله قيل صدوا انفسهم عن السبيل ومنعوا
عقولهم من اتباع الدليل وقيل صدوا غيرهم ومنعوهم قوله الذين كفروا يجوز فيه
الرفع على الابتدا والخبر الجملة من قوله اضل اعمالهم ويجوز نصبه على الاشتغال بفعل
مقدر يفسره اضل من حيث المعنى اي خيب الذين كفروا قوله اضل اعمالهم اي ابطلها فلم
يقبلها واراد بالاعمال ما فعلوا من اطعام الطعام وصلة الارحام قال الضحاك ابطل
كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل الدايرة عليهم قوله والذين امنوا يجوز
فيه الوجهان المتقدمان وتقدير الفعل رحم الذين امنوا قوله وامنوا بما نزل على
محمد العامة على بنا نزل للمفعول مشددا وزيد بن علي وابن مقسم نزل مبنيا للفاعل
وهو الله والاعمش انزل بهمزة التعدية مبنيا للمفعول وقرئ نزل ثلاثيا مبنيا للفاعل
قال سفين الثوري لم يخالفوه في شي قال ابن عباس الذين كفروا وصدوا مشركوا
مكة والذين امنوا وعملوا الصالحات الانصار قوله وهو الحق جملة معترضة بين المبتدا
والخبر او بين المفسر والمفسر قوله كفر عنهم سياتهم واصلح بالهم حالهم وتقدم تفسير البال
في طه قال ابن عباس معنى اصلح اي عصمهم ايام حياتهم يعني ان هذا الاصلاح يعود
الى صلاح اعمالهم حتى لا يعصوا **فصل** قالت المعتزلة تكفير السيات مرتب
على الايمان والعمل الصالح فمن امن ولم يعمل صالحا يبقى في العذاب خالدا والجواب
لو كان كما ذكرتم لكان الاضلال مرتبا على الكفر والصد فمن يكفر لا ينبغي ان تضل اعماله او
نقول ان الله تعالى رتب امرين على امرين فمن امن كفر سياته ومن عمل صالحا اصلح باله
او نقول اي مومن يتصور غير ات بالصالحات بحيث لا يصدر عنه صلاة ولا صيام ولا صدقة
ولا اطعام وعلى هذا فقوله وعملوا عطف المسبب على السبب كقول القايل اكلت كثيرا وشبعت
فان قيل ما الحكمة في قوله وامنوا بما نزل على محمد مع انه قوله امنوا وعملوا الصالحات
افاد هذا المعنى فالجواب من وجوه الاول قوله والذين امنوا اي بالله ورسوله واليوم
الاخر وقوله امنوا بما نزل اي بجميع الاشيا الواردة في كلام الله ورسوله تعميما بعد امور
خاصة كقولنا خلق الله السموات والارض وكل شي اما على معنى وكل شي غير ما ذكرنا
واما على العموم بعد ذكر المخصوص الثاني ان يكون المعنى امنوا وامنوا من قبل بما نزل
على محمد وهو الحق المعجز الفارق بين الكاذب والصادق يعني امنوا اولا بالمعجز وايقنوا
ان القران لا ياتي به غير الله فامنوا وعملوا الصالحات والواو للجمع المطلق يجوز ان يكون
المتاخر ذكرا متقدما وقوعا وهذا كقول القايل امن به وكان الايمان به واجبا ويكون
بيانا لايمانهم كانه قال امنوا وامنوا بما نزل على محمد اي امنوا وامنوا بالحق كقول القايل
خرجت وخرجت مصيبا اي وكان خروجي جيدا حيث نجوت من كذا او ربحت كذا فكذلك لما
قال امنوا بين ان ايمانهم كان بما امر الله وانزل الله لا بما كان باطلا من عند غير الله قوله
ذلك فيه وجهان اظهرهما انه مبتدا والخبر الجار بعده والثاني قال الزمخشري انه خبر مبتدا
مضمر اي الامر ذلك بسبب كذا فالجار في محل نصب قال ابو حيان ولا حاجة اليه قوله
بان الذين كفروا اتبعوا الباطل اي الشيطان وقيل قول كبرايهم ودين ابايهم وان الذين
امنوا اتبعوا الحق من ربهم يعني القران وقيل الحق هو الله تعالى وعلى هذا فلا يكون
قوله من ربهم متعلقا بالحق وانما يتعلق بقوله تعالى اتبعوا اي اتبعوا من ربهم اي من
فضل الله او هداية ربهم اتبعوا الحق وهو الله تعالى ويحتمل ان يقال قوله من ربهم عايد
الى الفريقين جميعا اي من ربهم اتبع هولا الباطل وهولا الحق اي من حكم ربهم ومن عند
ربهم قوله كذلك يضرب خرجه الزمخشري على مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم
والضمير راجع الى الفريقين او الى الناس على معنى انه يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا
فصل قال الزجاج معناه كذلك يبين الله امثال حسنات المومنين واضلال
اعمال الكافرين والمراد بالامثال الاشكال وقيل يبين كون الكافر متبعا للباطل وكون
المومن متبعا للحق والضمير في قوله امثالهم فيه وجهان احدهما انه يعود الى الناس كانه

تعالى

تعالى قال يضرب الله للناس امثالهم الثاني يعود الى الفريقين السابقين
والمعنى يضرب الله للناس امثال الفريقين السابقين قوله فاذا لقيتم العامة في هذا
الظرف فعل مقدر هو العامل في ضرب الرقاب تقديره فاضربوا الرقاب وقت ملاقاتكم
العدو ومنع ابو البقا ان يكون المصدر نفسه عاملا قال لانه موكد وهذا احد القولين في
المصدر النايب عن الفعل نحو ضربا زيدا هل العمل منسوب اليه ام الى عامله ومنه •
على حين الهى الناس جل امورهم • فندلا زريق المال ندل الثعالب •
فالمال منصوب اما بندلا وبندل والمصدر هنا اضيف الى معموله وبه استدل على ان العمل
للمصدر لاضافته الى ما بعده ولو لم يكن عاملا لما اضيف الى ما بعده **فصل** قال
ابن الخطيب الفا في قوله فاذا لقيتم يستدعي متعلقا تعلق به وتترتب عليه وفيه وجوه
الاول لما بين ان الذين كفروا اضل اعمالهم وان اعتبار الانسان بالعمل ومن لا عمل له فهو همج
اعدامه خير من وجوده فاذا لقيتم الذين كفروا فبعد ظهور ان لا حرمة لهم بعد ابطال عملهم
فاضربوا اعناقهم قال البغوي فضرب الرقاب نصب على الاغرا الثاني اذا تبين تباين
الفريقين وتباعد الطريقين بان احدهما يتبع الباطل وهو حزب الشيطان والاخر يتبع الحق
وهو حزب الرحمن حق القتال فاذا لقيتموهم فاقتلوهم الثالث ان من الناس من يقول لضعف
قلبه وقصور نظره ايلام الحيوان من الظلم والطغيان ولا سيما القتل الذي هو تخريب بنيان
بنيان فرد عليهم لما كان اعتبار الاعمال باتباع الحق والباطل فمن يقتل في سبيل الله لتعظيم الله
وبامره لم يكن من الاجرام للمصلي والصايم فاذا لقيتم الذين كفروا فاقتلوهم ولا تاخذكم بهما رافة
فان ذلك اتباع للحق والاعتبار به لا بصورة الفعل **فصل** والحكمة في اختيار ضرب
الرقبة دون غيرها من الاعضاء ان المومن هنا ليس بدافع انما هو رافع وذلك لان من يدفع
الصايل لا ينبغي ان يقصد اولا مقتلة بل يتدرج ويضرب غير المقتل فان اندفع فذاك ولا ترقى
الى درجة الاهلاك فاخبر تعالى انه ليس المقصود دفعهم عنكم بل المقصود رفعهم عن وجه
الارض بالكلية وتطهير الارض منهم وكيف لا والارض لكم مسجد والمشركون نجس والمسجد
يطهر عن النجاسة فاذن ينبغي ان يكون قصدكم اولا الى قتلهم بخلاف دفع الصايل والرقبة
اظهر المقاتل لان قطع الحلقوم والاوداج مستلزم للموت لكن في الحرب لا يتهيا ذلك والرقبة
ظاهرة في الحرب ففي ضربها حز العنق وهو مستلزم للموت بخلاف ساير المواضع ولا سيما
في الحرب وفي قوله لقيتم ما ينبي عن مخالفتهم الصايل لان قوله لقيتم يدل على ان القصد
من جانبهم بخلاف قولنا لقتكم ولذلك قال في غير هذا الموضع فاقتلوهم حيث
ثقفتموهم فان قيل ما الفايدة في قوله ههنا فضرب الرقاب باضمار الفعل واظهار
المصدر وقال في الانفال فاضربوا فوق الاعناق باظهار الفعل وترك المصدر فالجواب
مبني على تقديم مقدمة وهي ان المقصود في بعض الصور قد يكون صدور الفعل من
فاعل ويتبعه المصدر ضمنا اذ لا يمكن ان يفعل فاعل الا ويقع منه المصدر ويدخل في الوجود
وقد يكون المقصود اولا المصدر ويكون لا يوجد الا من فاعل فيطلب منه ان يفعل مثاله
من قال اني حلفت ان اخرج من المدينة فيقال له فاخرج صار المقصود منه صدور الفعل
منه والخروج في نفسه غير مقصود الانتفا ولو امكن ان يخرج من غير تحقق للخروج
منه لما كان عليه ان لا يخرج لكن من ضرورة الخروج ان يخرج واذا قال قايل صادق ضاق
بي المكان بسبب الاعدا فيقال مثلا الخروج يعني الخروج فاخرج فان الخروج هو المطلوب
حتى لو امكن الخروج من غير فعل منه لحصل الغرض لكنه محال فيتبعه الفعل واذا عرف
هذا فيقال في الانفال الحكاية عن الحرب الكاينة وهم كانوا فيها والملايكة انزلوا للنصرة
ومن حضر في صف القتال فصدور الفعل منه مطلوب وههنا الامر وارد وليس في وقت
القتال بدليل قوله تعالى فاذا لقيتم والمقصود بيان كون المصدر مطلوبا لتقدم ذكر
المامور على الفعل قال فضرب الرقاب وفي ذلك بيان فايدة اخرى وهي ان الله تعالى
قال هناك واضربوا منهم كل بنان وذلك لان الوقت وقت القتال فارشدهم الى المقتل
وغيره ان لم يصيبوا المقتل وههنا ليس وقت القتال فبين ان المقصود القتل وغرض

المسلم ذلك قوله حتى اذا اثخنتموهم هذه غاية للامر بضرب الرقاب لا لبيان غاية القتل
وقوله فشدوا الوثاق قرا السلمي فشدوا بكسر الشين وهي ضعيفة جدا والوثاق بالفتح وفيه
الكسر اسم ما يوثق به والمعنى حتى اذا اثخنتموهم اي بالغتم في القتل وقهرتموهم فشدوا الوثاق
يعني في الاسر حتى لا يفلتوا والاسر يكون بعد المبالغة في القتل كقوله تعالى ما كان لنبي ان
تكون له اسرى حتى يثخن في الارض قوله فاما منا بعد واما فداء فيهما وجهان اشهرهما انهما
منصوبان على المصدر بفعل لا يجوز اظهاره لان المصدر متى سيق تفصيلا لعاقبة جملة وجب
نصبه باضمار فعل لا يجوز اظهاره والتقدير فاما ان تمنوا منا واما ان تفادوا فداء ومثله

• لاجهدن فاما دراء واقعة • تخشى واما بلوغ السول والامل •

والثاني قال ابو البقا انهما مفعولان بهما لعامل مقدر وتقديره اولوهم منا واقبلوا منهم فداء
قال ابو حيان وليس باعراب نحوي وقرا ابن كثير فدى بالقصر قال ابو حاتم لا يجوز لانه مصدر
فاديته ولا يلتفت اليه لان الفراء حكى فيه اربع لغات المشهورة المد والاعراب فداك وفداء
بالمد ايضا والبناء على الكسر والتنوين وهو غريب جدا وهذا يشبه قول بعضهم هؤلاء بالتنوين
وفدى بالكسر مع القصر وفدى بالفتح مع القصر ايضا والاوزار هنا الاثقال وهو مجاز وقيل
هو من مجاز الحذف اي اهل الحرب والاوزار عبارة عن الات الحرب قال

• واعددت للحرب اوزارها • رماحا طوالا وخيلا ذكورا •

وحتى الاولى غاية لضرب الرقاب على ان الثانية توكيدا وبدل قال ابن الخطيب وفي تعلق حتى
وجهان احدهما تعلقها بالقتل اي اقتلوهم حتى تضع وثانيهما بالمن والفدا ويحتمل ان يقال
متعلقة بقوله فشدوا الوثاق وتعلقها بالقتل اظهر **فصل** قدم المن على الفداء
لان حرمة النفس راجحة على طلب المال والفدا يجوز ان يكون مالا ويجوز ان يكون غيره من الاسرا
ويشرط عليهم او عليه وحده **فصل** قال ابن الخطيب الوزر الاثم والسلاح ه
والاثم انما هو على المحارب وكذلك السلاح ومعناه تضع الحرب الاوزار التي على المحاربين او
السلاح التي عليهم كقوله تعالى وا سبيل القرية فكانه قال حتى تضع امة الحرب او فرقة الحرب
اوزارها والمراد انقضا الحرب بالكلية بحيث لا يبقى في الدنيا حزب من احزاب الكفر ولا حزب
من احزاب الاسلام هذا اذا امعنا النظر في المعنى ولو قلنا حتى تضع امة الحرب جاز ان يضعوا
الاسلحة ويتركوا الحرب وهي باقية كقول القايل خصومتي ما انفصلت ولكني تركتها في
هذه الايام واذا اسندنا الوضع الى الحرب يكون معناه ان الحرب لم تبق واختلفوا في وقت
وضع الاوزار على اقوال يرجع حاصلها الى الوقت الذي لا يبقى فيه حزب من احزاب
الاسلام ولا حزب من احزاب الكفر وقيل ذلك عند قتال الدجال ونزول عيسى عليه
السلام **فصل** اختلف العلما في حكم هذه الاية فقال قوم هي منسوخة بقوله
فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
واليه ذهب قتادة والضحاك والسدي وابن جريج وهو قول الاوزاعي واصحاب الراي
وقالوا لا يجوز المن على من وقع في الاسر من الكفار ولا الفدا وذهب اخرون الى ان الاية
محكمة والامام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار اذا وقعوا في الاسر بين ان يقتلهم او
يسترقهم او يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض او يفاديهم بالمال او باسارى المسلمين واليه
ذهب ابن عمر وقال الحسن وعطا واكثر الصحابة والعلما وهو قول الثوري والشافعي
واحمد واسحاق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم انزل الله في الاسارى
فاما منا بعد واما فداء وهذا هو الاصح والاختيار لانه عمل به رسول الله صلى الله عليه
وسلم والخلفا بعده روى البخاري عن ابي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم
خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن اثال فربطوه في سارية
من سواري المسجد فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة
قال عندي خير يا محمد ان تقتلني تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت
تريد المال فسل ما شئت حتى كان الغد فقال له ما عندك يا ثمامة فقال له عندي
ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى اذا كان بعد الغد قال ما عندك يا ثمامة قال

عندي ما قلت لك قال اطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل
المسجد فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ما كان على الارض وجه ابغض الي
من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه الي والله ما كان من دين ابغض الي من دينك
فاصبح دينك احب الدين الي والله ما كان من بلد ابغض الي من بلدك فقد اصبح بلدك
احب البلاد الي وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة فما ترى فبشره رسول الله صلى الله
عليه وسلم وامره ان يعتمر فلما قدم مكة قال له قايل صبوت قال لا ولكني اسلمت مع
محمد صلى الله عليه وسلم ولا والله لا ياتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى ياذن فيها النبي صلى
الله عليه وسلم وعن عمران بن حصين قال اسر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلا من عقيل فاوثقوه وكانت ثقيف قد اسرت رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين اسرتهما ثقيف قوله ذلك
يجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي الامر ذلك وان ينتصب باضمار افعلوا قال ابن الخطيب
ويحتمل ان يقال ذلك واجب او مقدم كما يقول القايل ان فعلت فذاك اي فذاك مقصود
ومطلوب **فصل** قال المفسرون معناه ذلك الذي ذكرت وبينت من حكم الكفار
ولو يشا الله لانتصر منهم فاهلكهم وكفاكم امرهم بغير قتال ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم
ببعض فيصير من قتل من المومنين الى الثواب ومن قتل من الكافرين الى العذاب فان
قيل ما التحقيق في قولنا التكليف ابتلا وامتحان والله يعلم السر واخفى فالجواب من
وجوه الاول ان المراد منه يفعل ذلك فعل المبتلين اي كما يقول المبتلي المختبر الثاني ان
الله تعالى يبلو ليظهر الامر لغيره اما للملايكة او للناس والتحقيق هو ان الابتلا والامتحان
والاختبار فعل يظهر بسببه امر ظاهر فان قيل فايدة الابتلا حصول العلم عند المبتلي
فاذا كان الله عالما فاي فايدة فيه فالجواب ان هذا السوال كقول القايل لم عاقبت
الكافر وهو مستغن ولم خلق النار محرقة وهو قادر على ان يخلقها بحيث تنفع ولا تضر
وجوابه لا يسال عما يفعل قوله والذين قتلوا في سبيل الله قرا العامة قاتلوا وابو عمرو
وحفص قتلوا مبنيا للمفعول على معنى انهم قتلوا وماتوا واصاب القتل بعضهم كقوله قتل
معه ربيون وقرا الجحدري قتلوا بفتح القاف والتا خفيفة ومفعوله محذوف وزيد بن
ثابت والحسن وعيسى قتلوا بتشديد التا مبنيا للمفعول قوله فلن يضل اعمالهم قرا علي
رضي الله عنه يضل اعمالهم مبنيا للمفعول اعمالهم بالرفع لقيامه مقام الفاعل وقري تضل
بفتح التا اعمالهم بالرفع فاعلا والفا في قوله فلن يضل جزائية لان قوله تعالى والذين
قتلوا فيه معنى الشرط قال قتادة ذكر لنا ان هذه الاية نزلت يوم احد وقد فشت في المسلمين
الجراحات والقتل قوله سيهديهم ايام حياتهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الاخرة الى
الدرجات ويصلح بالهم يرضي خصماهم ويقبل اعمالهم وقد تقدم تفسيره في قوله تعالى اصلح بالهم
والماضي والمستقبل راجع الى ان هناك وعدهم ما وعدهم بسبب الايمان والعمل الصالح وكان قد
وقع منهم فاخبر عن الجزا ايضا بصيغة الوقوع وههنا وعدهم بسبب القتل والقتال وكان في اللفظ
ما يدل على الاستقبال لان قوله تعالى فاذا لقيتم يدل على الاستقبال فقال يصلح بالهم ويدخلهم
الجنة قوله عرفها يجوز فيها وجهان احدهما ان تكون مستانفة والثاني ان تكون حالا فيجوز
ان تضمر قد وان لا تضمر وعرفها من التعريف الذي هو ضد الجهل والمعنى ان كل احد يعرف منزلته في
الجنة وقيل الملك الموكل باعمالهم يهديهم وعن ابن عباس انه من العرف وهو الطيب اي طيبها لهم وقال
الزمخشري يحتمل ان يقال عرفها لهم حددها من عرف الدار وارفها اي حددها وتحديدها في قوله
تعالى وجنة عرضها السموات والارض ويحتمل ان يقال المراد هو قوله تعالى لهم وتلك الجنة التي
اورثتموها فيشير اليها معرفا لهم بانها هي تلك وقيل عرفها لهم وقت القتل فان الشهيد وقت وفاته
يعرض عليه منزله في الجنة فيشتاق اليه وقرا ابو عمرو في رواية ويدخلهم بسكون اللام وكذا يهديهم
يطعمهم وعن يجعلكم كانه يستثقل الحركات وقد تقدم له قراة بذلك في يشعركم وينصركم وبابه قوله
يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم وقيل ان
تنصروا حزب الله وفريقه قوله ويثبت اقدامكم قرا العامة ويثبت مشددا وروي عن عاصم

تخفيفه من ابثت والمعنى ويثبت اقدامكم عند القتال قوله والذين كفروا يجوز ان يكون
مبتدا والخبر محذوف تقديره فتعسوا واتعسوا بدليل قوله فتعسا لهم وقوله فتعسا منصوب
بالخبر ودخلت الفا تشبيها المبتدا بالشرط وقدر الزمخشري الفعل الناصب لتعسا فقال لان
المعنى يقال تعسا اي فقضي تعسا لهم قال ابو حيان واضمار ما هو من لفظ المصدر اولى
والثاني انه منصوب بفعل مقدر يفسره فتعسا لهم كما تقول زيدا جدعا له كذا قال ابو حيان
تابعا للزمخشري وهذا لا يجوز لان لهم لا يتعلق بتعسا انما هو متعلق بمحذوف لانه بيان اي
اعني لهم وتقدم تحقيق هذا فان عنينا اضمارا من حيث مطلق الدلالة لا من جهة الاشتغال
فسلم ولكن يا باه عبارتهما وهي قولهما منصوب بفعل مضمر يفسره فتعسا لهم واضل عطف على
ذلك الفعل المقدر اي اتعسهم واضل اعمالهم والتعس ضد السعد يقال تعس الرجل بالفتح
تعسا واتعسه الله قال مجمع • تقول وقد افردتها عن خليلها • تعست كما اتعستني يا مجمع •
وقيل تعس بالكسر عن ابي الهيثم وشمر وغيرهما وعن ابي عبيدة تعسه واتعسه متعديان
فهما مما اتفق فيه فعل وافعل وقيل التعس ضد الانتعاش قال الزمخشري وتعسا له نقيض
لعا له يعني ان كلمة لعا بمعنى انتعش قال الاعشى

• بذات كورعفرناة اذا عثرت • فالتعس ادني لها من ان اقول لعا •

وقيل التعس الهلاك وقيل التعس الجر على الوجه والنكس الجر على الراس فصل قال ابن عباس
فتعسا لهم اي بعدا لهم وقال ابو العالية سقوطا لهم وقال ابن زيد شقا لهم وقال الفرا هو
نصب على المصدر على سبيل الدعا وقيل في الدنيا العثرة وفي الاخرة التردي في النار ويقال
للعاثر تعسا اذا لم يريدوا قيامه وضده لعا اذا ارادوا قيامه واضل اعمالهم لانها كانت في طاعة
الشيطان وهذا زيادة في تقويته قلوبهم لانه تعالى قال لكم الثبات ولهم الزوال والتعثر
قوله ذلك بانهم يجوز ان تكون ذلك مبتدا والخبر الجار بعده او خبر مبتدا مضمر اي الامر ذلك
بسبب انهم كرهوا او منصوب باضمار فعل اي فعل بهم ذلك بسبب انهم كرهوا فالجار في الوجهين
الاخيرين منصوب المحل والمعنى ذلك التعس والاضلال بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم
والمراد انهم كرهوا القران او كرهوا ما انزل الله من بيان التوحيد فلم يعرفوا العمل الصالح بل
اشركوا والشرك يحبط العمل قال تعالى لين اشركت ليحبطن عملك وقيل كرهوا ما انزل الله من
بيان امر الاخرة فلم يعملوا لها والدنيا وما فيها وما لها باطل فاحبط الله اعمالهم ثم خوف الكفار
فقال اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم اي
اهلكهم قوله دمر الله عليهم يجوز ان يكون حذف مفعوله اي اهلك الله بيوتهم وخربها عليهم
او يضمن دمر معنى سخط الله عليهم بالتدمير وقوله افلم يسيروا في الارض مناسب للوجه
الاخير يعني فينظروا الى حالهم ويعلموا ان الدنيا فانية قوله وللكافرين امثالها اي امثال
العاقبة المتقدمة وقيل امثال العقوبة وقيل التدميره وقيل الهلكه والاول اولى لتقدم
ما يعود عليه الضمير صريحا مع صحة معناه فان قيل اذا عاد الضمير الى العاقبة فكيف يكون
لها امثال فالجواب ان المراد هو العذاب الذي هو مدلول العاقبة والالم الذي كانت العاقبة
عليه **فصل** في المراد بقوله وللكافرين امثالها وجهان احدهما ان المراد الكافرون
بمحمد عليه السلام والثاني ان المراد لهم امثالها في الاخرة فيكون المراد من الكافرين من
تقدم كانه يقول دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الاخرة امثالها فان قيل اذا كان المراد
الكافرين بمحمد عليه السلام فلهم امثال ما كان لمن يقدمهم من العاقبة قال ولون اهلكوا
باموره شديدة كالزلازل والنيران والرياح والطوفانات ولا كذلك قوم محمد عليه السلام فالجواب
يجوز ان يكون عذابهم اشد من عذاب الاولين لكون دين محمد اظهر بسبب تقدم الانبيا عليهم
السلام عليه واخبارهم عنه وانذارهم على انهم قتلوا واسروا بايدي من كانوا يستخفون بحقهم
ويستضعفونهم والقتل بيد المثل المرمن الهلاك بسبب عام قوله ذلك بان الله مولى
الذين امنوا لتقدم الكلام على نظيره وان الكافرين لا مولى لهم والمراد بالمولى هنا الناصر ثم ذكر ما
للفريقين فقال ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
لما بين حال المومنين والكافرين في الدنيا بين حالهم في الاخرة وقال انه يدخل المومن

الجنة

الجنة والكافر النار قد تقدم ان من في قوله من تحتها يحتمل ان تكون صلة معناه تجري تحتها
ويحتمل ان يكون المراد ان ماها منها لا يجري اليها من موضع اخر يقال هذا النهر منبعه من اين يقال
من عين كذا من تحت جبل كذا قوله والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام اي ليس
لهم همة الا بطونهم وفروجهم وهم لاهون عما في غد وقيل المومن في الدنيا يتزود والمنافق يتزين
والكافر يتمتع قوله كما تاكل الانعام اما حال من ضمير المصدر اي ياكلوا الاكل مشبها اكل الانعام
واما نعت لمصدر اي اكلا مثل اكل الانعام قوله والنار مثوى لهم يجوز ان يكون هذه الجملة استينافا
ويجوز ان يكون حالا ولكنها مقدرة اي تاكلون مقدارا ثويهم في النار وقال في حق المومن ان الله
يدخل بصيغة الوعد وقال في حق الكافر النار مثوى لهم بصيغة تنبي عن الاستحقاق لان الاحسان
لا يستدعي استحقاقا فالمحسن الى من لم يوجد منه ما يوجب الاحسان كريم والمعذب من غير
استحقاق ظالم قوله وكاين من قرية يريد اهل ولذلك راعي هذا المقدر في قوله اهلكناهم فلا
ناصر لهم بعدما راعي المضاف في قوله هي اشد والجملة من هي اشد صفة لقرية وقال ابن عطية نسب
الاخراج للقرية حملا على اللفظ وقال اهلكناهم حملا على المعنى قال ابو حيان وظاهر هذا
الكلام لا يصح لان الضمير في اهلكناهم ليس عايد على المضاف الى القرية التي اسند اليها الاخراج بل
على اهل القرية في قوله وكاين من قرية فان كان اراد بقوله حملا على المعنى اي معنى القرية في
قوله وكاين من قرية فهو صحيح لكن ظاهر قوله حملا على اللفظ وحملا على المعنى ان يكون في
مدلول واحد وكان على هذا يبقى كاين مفلتا غير محدث عنه بشي الا ان يتخيل ان هي اشد خبر عنه
والظاهر انه صفة لقرية قال شهاب الدين وابن عطية انما اراد لفظ القرية من حيث الجملة
لا من حيث التعيين **فصل** لما ضرب الله لهم مثلا بقوله افلم يسيروا في الارض ولم ينفعهم مع
ما تقدم من الدلايل ضرب للنبي صلى الله عليه وسلم مثلا تسلية له فقال وكاين من قرية هي اشد قوة
من قريتك التي اخرجتك اي اخرجك اهلها قال ابن عباس كم رجال هم اشد من اهل مكة يدل عليه
قوله اهلكناهم ولم يقل اهلكناها فلا ناصر لهم قال كذلك نفعل بهم فاصبر كما صبر رسلهم وقوله فلا
ناصر لهم قال الزمخشري قوله فلا ناصر لهم ان الاهلاك ماض وقوله فلا ناصر لهم للحال والاستقبال
محمول على الحكاية والحكاية كالحال الحاضر ويحتمل ان يقال قوله فلا ناصر لهم عايد الى قرية محمد عليه
السلام كانه قال اهلكنا من تقدم اهل قريتك ولا ناصر لاهل قريتك ينصرهم ويخلصهم من مثل ما جرى
على الاولين **فصل** قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى
الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد الله الى الله واحب بلاد الله الي ولو ان المشركين لم
يخرجوني لم اخرج منك فانزل الله هذه الاية قوله افمن كان على بينة من ربه افمن كان مبتدا
والخبر كمن زين وحمل على لفظ من فافرد في قوله له سوء عمله وعلى المعنى فجمع في قوله واتبعوا
اهواهم والجملة من اتبعوا عطف على زين فهو صلة قوله مثل الجنة التي وعد المتقون لما بين
الفرق بين الفريقين في الاهتدا والاضلال بين الفرق بينهما في مرجعهما وما لهما قوله مثل الجنة
فيه اوجه احدها انه مبتدا وخبره مقدر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما يسمعون فاسمعون
خبره وفيها انهار مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والجملة بعدها ايضا مفسره
للمثل قال سيبويه المثل هو الوصف ومعناه وصف الجنة وذلك لا يقتضي مشابهة الثاني
ان مثل زايدة تقديره الجنة التي وعد المتقون فيها انهار ونظير زيادة مثل هنا زيادة اسم في
قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما الثالث ان مثل الجنة مبتدا والخبر قوله فيها انهار وهذا ينبغي
ان يمنع اذ لا عايد من الجملة الى المبتدا ولا ينفع كون الضمير عايدا على ما اضيف اليه المبتدا الرابع
ان مثل الجنة مبتدا خبره كمن هو خالد في النار فقدره ابن عطية امثل اهل الجنة كمن هو
خالد فقدر حرف الانكار ومضافا ليصح وقدره الزمخشري امثل الجنة كمثل جزا من هو خالد
والجملة من قوله فيها انهار على هذا فيها ثلثة اوجه احدها هي حال من الجنة اي مستقره
فيها انهار الثاني انها خبر لمبتدا مضمر اي هي فيها انهار كان قايلا قال ما مثلها فقيل فيها انهار
الثالث ان تكون تكريرا للصلة لانها في حكمها الا ترى انه يصح قولك التي فيها انهار وانما عرى قوله
مثل الجنة تصويرا للمكابره من يسوي بين المستمسك بالبينة وبين التابع هواه كمن يسوي
بين الجنة التي صفتها كيت وكيت وبين النار التي صفتها ان يسقى اهلها الحميم ونظيره قول القايل

افرح ان ازر الكرام وان • اورث ذودا شصايصابنك •
وهو كلام منكر للفرح بربة الكرام ووراثة الذود مع تعريه من حرف الانكار ذكر ذلك
كله الزمخشري وقرا علي بن ابي طالب مثال الجنة وعنه ايضا وعن ابن عباس وابن مسعود
امثال بالجمع قوله غير اسن قرا ابن كثير اسن بزنة حذر وهو اسم فاعل من اسن بالكسر
ياسن فهو اسن كحذر يحذر فهو حذر والباقون اسن بزنة ضارب من اسن بالفتح ياسن
يقال اسن الما بالفتح ياسن ويا سن بالكسر والضم اسونا كذا ذكره ثعلب في فصيحه فيها لغتان
يقال اسن الما ياسن اسنا واجن ياجن واسن ياسن ويا سن واجن ياجن اسونا واجونا
اذا تغير وقال اليزيدي يقال اسن بالكسر ياسن بالفتح اسنا اي تغير طعمه واما اسن الرجل
اذا دخل بيرا فاصابه من ريحها ما جعل في راسه دوارا فاسن بالكسر فقط قال الشاعر
• قد اترك القرن مصفرا انامله • يميد في الرمح ميد المايح الاسن •
وقري يسن باليا بدل الهمزة قال ابو علي هو تخفيف اسن وهو تخفيف غريب قوله
لم يتغير طعمه صفة للبن قوله لذة يجوز ان يكون تانيث لذ ولذ بمعنى لذيذ ولا تاويل
على هذا ويجوز ان يكون مصدرا وصف به ففيه التاويلات المشهورة قال ابن الخطيب
يحتمل ان يقال ما تثبت لذته يقال طعام لذ ولذيذ واطعمة لذة ولذيذة ويحتمل ان يكون
ذلك وصفا بنفس المعنى لا بالمشتق منه كما يقال للحكيم هو حكيم كله وللعاقل عقل كله
والعامة على جر لذة صفة لخمر وقري بالنصب على المفعول له وهي تؤيد المصدرية في قراءة
العامة وبالرفع صفة لانهار ولم يجمع لانها مصدر ان قيل به وان لا فلانها صفة لجمع
غير عاقل وهو يعامل معاملة المؤنثة الواحدة قوله من عسل يقال في عسل التذكير
والتانيث وجاء القران على التذكير في قوله مصفى والعسلان العدو واكثر استعماله في
الذيب يقال عسل الذيب والثعلب واصله من عسلان الرمح وهو اهتزازه فكان
العادي يهز عضاه ويحركها قال الشاعر •
• لدن بهز الكف يعسل متنه • فيه كما عسل الطريق الثعلب •
وكني بالعسيلة عن الجماع لما بينهما قال عليه السلام لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك
فصل روي ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان
والفرات والنيل كل من انهار الجنة قال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء اهل الجنة
ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان وجيحان نهر عسلهم وهذه الانهار
الاربعة تخرج من نهر الكوثر فصل قال ابن الخطيب اختار هذه الانهار من
الاجناس الاربعة لان المشروب اما ان يشرب لطعمه او لغير طعمه فان كان للطعم فالمطعوم
تسعة • المر والمالح • والحريف • والحامض • والعفص • والقابض • والتفه • والحلو
والدسم • والذها الحلو والدسم • لكن احلى الاشيا العسل فذكره واما ادسم الاشيا فالدهن
لكن الدسومة اذا تمحضت لا تطيب للاكل ولا للشرب فان الدهن لا يوكل ولا يشرب في الغالب
واما اللبن ففيه الدسم الكاين في غيره وهو طيب للاكل وبه تغذيه الحيوانات اولا فذكره
الله تعالى واما ما يشرب لغير الطعم فالما والخمر فان الخمر كريهة الطعم لحصول التواتر
بذلك وانما تشرب لامر اخر غير الطعم واما الما فلان به بقا الحيوانات فذكره فان قيل
ما الحكمة في قوله في الخمر لذة للشاربين ولم يقل في اللبن لم يتغير طعمه للطاعمين ولا قال
في العسل مصفى للناظرين فالجواب قال ابن الخطيب لان اللذة تختلف باختلاف
الاشخاص فرب طعام يلتذ به شخص ويعافه الاخر فقال لذة للشاربين باسرهم ولان
الخمر كريهة الطعم في الدنيا فقال لذة اي لا يكون في خمرة الاخرة كراهة طعم واما
الطعم واللون فلا يختلف باختلاف الناس فان الحلو والحامض وغيرهما يدركه كل احد
لكنه قد يعافه بعض الناس ويلتذ به البعض مع اتفاقهم على ان له طعما واحدا وكذلك
اللون فلم يكن للتصريح بالتعميم حاجة قوله من كل الثمرات فيه وجهان احدهما
ان هذا الجار صفة لمقدر ذلك المقدر مبتدا وخبره الجار قبله وهو لهم وفيها متعلق
بما تعلق به والتقدير ولهم فيها زوجان من كل الثمرات كانه انتزعه من قوله تعالى فيهما

من

من كل فاكهة زوجان وقدره بعضهم صنف والاول اليق والثاني ان من مزيدة في المبتدا قوله
ومغفرة فيه وجهان احدهما انه عطف على ذلك المقدر لا يقيد كونه في الجنة اي ولهم مغفرة لان
المغفرة تكون قبل دخول الجنة او بقيد ذلك ولا بد من حذف مضاف حينئذ اي ونعيم مغفرة
لانه ناشي عن المغفرة وهو في الجنة والثاني ان يجعل خبرها مقدرا اي ولهم مغفرة والجملة مستانفة
والفرق بين الوجهين ان الوجه الذي قبل هذا فيه الاخبار بلهم الملفوظ به عن شيين ذلك
المحذوف ومغفرة وفي الوجه الاخر الخبر جار اخر حذف للدلالة عليه قوله كمن هو قد تقدم
انه يجوز ان يكون خبرا عن مثل الجنة بالتاويلين المذكورين عن ابن عطية والزمخشري واما اذا
لم يجعله خبرا عن مثل ففيه اربعة اوجه احدها انه خبر مبتدا محذوف تقديره احال هولاء
المتقين كحال من هو خالد وهذا تاويل صحيح وذكر فيه ابو البقا الاوجه الباقية فقال وهو
في موضع رفع اي حالهم كحال من هو خالد في النار وقيل هو استهزا بهم وقيل هو على معنى ه
الاستفهام اي اكمن هو خالد وقيل في موضع نصب اي يشبهون حال من هو خالد في النار انتهي
معنى قوله وقيل هو استهزا اي ان الاخبار بقولك حالهم كحال من على سبيل الاستهزا والتهكم قال
البغوي معناه من كان في هذا النعيم كمن هو خالد في النار قوله وسقوا عطف على الصلة
عطف فعلية على اسمية لكنه راعى في الاول لفظ من فافرد وفي الثانية معناها فجمع والامعا
جمع معي بالقصر وهو المصران التي في البطن وقد وصف بالجمع في قوله ومعي جياع على ارادة الجنس
والفه عن يا بدليل قولهم معيان فصل الماء الحميم هو الشديد الحر تسعر عليه النار
منذ خلقت اذا ادني منهم شوي وجوههم ووقعت فروة روسهم فاذا شربوه قطع امعاهم فخرجت
من ادبارهم والامعا جميع ما في البطن من الحيوانات واحدها معي قوله ومنهم من يستمع اليك
يعني الكفار ومنهم من يستمع اليك وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه
تهاونا والضمير في قوله ومنهم يحتمل ان يعود الى الناس كما قال تعالى في سورة البقرة ومن
الناس من يقول امنا بالله بعد ذكر الكفار ويحتمل ان يعود الى اهل مكة لان ذكرهم سبق
في قوله تعالى هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك ويحتمل ان يرجع الى معنى قوله هو خالد
في النار وسقوا ماء حميما يعني ومن الخالدين في النار قوم يستمعون اليك قوله حتى اذا
خرجوا من عندك قال المفسرون حتى للعطف قالوا والعطف بحتى لا يحسن الا اذا كان المعطوف
جزا من المعطوف عليه اما اعلاه واما ادونه كقولك اكرمني الناس حتى الملك وجا الحجاج
حتى المشاة وفي الجملة ينبغي ان يكون المعطوف متعلقا بالمعطوف عليه من حيث المعنى ولا
يشترط في العطف بالواو ذلك فوجه التعلق ههنا هو ان قوله حتى اذا خرجوا من عندك يفيد
معنى زايدا في الاستماع كانه يقول يستمعون استماعا بالغا جيدا لانهم يستمعون واذا خرجوا
يستعيدون من العلما كما يفعله المجتهد في التعلم الطالب للتفهم يفعلون ذلك استهزا كما قال
تعالى عنهم واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزون ويحتمل ان يكون فعلهم
ذلك لعدم فهمهم يويده قوله تعالى كذلك يطبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواهم اي تركوا
اتباع الحق اما لعدم الفهم او لعدم الاستفادة قوله انفا فيه وجهان احدهما انه منصوب
على الحال فقدره ابو البقا ماذا قال مؤتنفا وقدره غيره مبتديا اي ما القول الذي ائتنفه
الان قبل انفصاله عنه والثاني انه منصوب على الظرف اي ماذا قال الساعة قاله
الزمخشري وانكره ابو حيان قال لانا لم نعلم احدا عده من الظروف واختلفت عبارتهم
في معناه فظاهر عبارة الزمخشري انه ظرف حالي كالان ولذلك فسره بالساعة وقال ابن
عطية والمفسرون يقولون انفا معناه الساعة الماضية القريبة منا وهذا تفسير بالمعنى وقرا
البزي بخلاف عنه انفا بالقصر والباقون بالمد وهما لغتان بمعنى واحد وهما اسما فاعل كحاذر
وحذر واسن واسن الا انه لم يستعمل لهما فعل مجرد بل المستعمل ائتنف يأتنف واستانف يستانف
والايتناف والاستيناف الابتدا قال الزجاج هو من استانفت الشي اذا ابتداته اي ماذا قال
في اول وقت يقرب منا فصل روي مقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب
المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سالوا عبد الله بن مسعود استهزا ماذا قال محمد صلى الله
عليه وسلم انفا قال تعالى اوليك الذين طبع الله على قلوبهم فلم يومنوا واتبعوا اهواهم في الكفر

والنفاق قوله والذين اهتدوا يجوز فيه الرفع بالابتدا والنصب على الاشتغال وتقواهم
مصدر مضاف لفاعله والضمير في وآتاهم يعود على الله او على قول المنافقين لان قولهم
ذلك مما يزيد المومنين تقوى او على الرسول والمعنى زادهم قول الرسول هدى وآتاهم
تقواهم اي وفقهم للعمل بما امروا به او زادهم الله هدى وآتاهم الله تقواهم او زادهم استهزاء
المنافقين هدى وآتاهم قول المنافقين تقواهم اي ثواب تقواهم يوم القيمة قوله
فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة يعني الكافرين والمنافقين قال عليه السلام
ما ينتظر احدكم الا غنى مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال
والدجال شر غايب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر وسميت القيمة بالساعة لسرعة
الامور الواقعة فيها من البعث والحشر والحساب قوله ان تاتيهم بدل من الساعة بدل اشتمال
وقرا ابو جعفر الرواسي ان تاتيهم بان الشرطية وجزم ما بعدها وفي جوابها وجهان احدهما انه
قوله فانى لهم قال الزمخشري ثم قال فان قلت بم يتصل قوله فقد جا اشراطها على
القراتين قلت باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك ان اكرمني زيد فانا حقيق
بالاكرام اكرمه والثاني ان الجواب قوله فقد جا اشراطها واتيان الساعة وان كان
متحققا الا انهم عوملوا معاملة الشاك وحالهم كانت كذا قوله فقد جا اشراطها الاشراط
جمع شرط بسكون الرا وفتحها قال ابو الاسود

فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا • فقد جعلت اشراط اوله تبدو

والاشراط العلامات ومنه اشراط الساعة واشرط الرجل نفسه اي الزمها امورا قال اوس

فاشرط فيها نفسه وهو معصم • فالقى باسباب له وتوكلا

والشرط القطع ايضا مصدر شرط الجلد يشرطه شرطا **فصل** قال سهل بن سعد
رايت النبي صلى الله عليه وسلم قال باصبعه هكذا بالوسطى والتي تلي الابهام بعثت والساعة
كهاتين وقال عليه السلام ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا
ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النسا حتى تكون لخمسين امراة القيم الواحد وقال
عليه السلام اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة فقيل كيف اضاعتها قال اذا وسد الامر
الى غير اهله فانتظر الساعة واعلم ان قوله تعالى فقد جا اشراطها يحتمل وجهين احدهما ان
تكون بيانا لغاية عنادهم ويحتمل ان تكون تسلية لقلب المومن كانه تعالى لما قال فهل
ينتظرون الا الساعة فهم منه تعذيبهم قال المفسرون اشراط الساعة مثل انشقاق القمر
ورسالة محمد عليه السلام قوله فانى لهم اي خبر مقدم وذكراهم مبتدا موخر اي انى لهم
التذكر اذا جاتهم الساعة فكيف يتذكرون ويجوز ان يكون المبتدا محذوفا اي انى لهم
الخلاص ويكون ذكراهم فاعلا بجاتهم وقرا ابو عمرو في رواية بغتة بفتح الغين وتشديد
التا وهي صفة فنصبها على الحال ولا نظير لها في الصفات ولا في المصادر وانما هي في الاسما
نحو الجربة للجماعة والشربة للمكان قال الزمخشري ما اخوفني ان تكون غلطة من
الراوي عن ابي عمرو وان يكون الصواب بغتة بالفتح دون تشديد **فصل** معنى
الاية فمن اين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة اذا جاتهم ذكراهم اي الساعة نظيره يومئذ
يتذكر الانسان وانى له الذكرى قوله فاعلم انه لا اله الا الله وجه مناسبته لما قبله هو
انه تعالى لما قال فاعلم انه لا اله الا الله اي ياتي بالساعة كما قال ازفت الازفة ليس لها
من دون الله كاشفة وقيل فاعلم انه لا اله الا الله ينفعك قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم والمراد غيره وقيل معناه فاثبت عليه وقال الحسن بن الفضل فازدد علما الى علمك
وقال ابو العالية وابن عيينة معناه اذا جاتهم الساعة فاعلم انه لا ملجا ولا مفزع عند
قيامها الا الله ثم قال واستغفر لذنبك امر بالاستغفار مع انه مغفور له لتستن به امته
وقيل معنى قوله لذنبك اي لذنب اهل بيتك وللمومنين والمومنات الذي ليسوا منك باهل
بيتك وقيل المراد النبي والذنب هو ترك الافضل الذي هو بالنسبة اليه ذنب وحسنا ثنا
دون ذلك قال عليه السلام انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة
قوله وللمومنين والمومنات هذا اكرام من الله تعالى لهذه الامة حيث امر نبيهم صلى الله

عليه

عليه وسلم ان يستغفر لذنوبهم والله يعلم متقلبكم ومثواكم قال ابن عباس والضحاك
متقلبكم منصرفكم ومنتشركم في اعمالكم في الدنيا ومثواكم مصيركم في الاخرة الى الجنة او الى
النار وقال مقاتل وابن جرير متقلبكم منصرفكم لاشتغالكم بالنهار ومثواكم ماواكم الى
مضاجعكم بالليل وقال عكرمة متقلبكم في اصلاب الابا الى ارحام الامهات ومثواكم ومقامكم
في الارض وقال ابن كيسان متقلبكم من ظهر الى بطن ومثواكم مقامكم في القبور وقيل معناه
انه عالم بجميع احوالكم فلا يخفى عليه شي منها قوله ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة اي
هلا ولا التفات الى قول بعضهم ان لا زايدة والاصل لو نزلت والعامة على رفع سورة محكمة
لقيامها مقام الفاعل وزيد بن علي بالنصب فيهما على الحال والقايم مقام الفاعل ضمير السورة
المتقدمة وسوغ وقوع الحال كذا وصفها كقولك الرجل جاني رجلا صالحا وقرى فاذا نزلت
سورة وقرا زيد بن علي وابن عمير وذكر مبنيا للفاعل اي الله تعالى القتال نصبا **فصل**
المعنى ويقول الذين امنوا حرصا منهم على الجهاد هلا انزلت سورة بامرنا بالجهاد واعلم ان
المومن كان ينتظر نزول الاحكام والتكاليف ويطلب تنزيلها واذا تاخر عنه التكليف كان
يقول هلا امرت بشي من العبادة خوفا من ان لا يوهل لها واما المنافق فاذا انزلت السورة
او الاية وفيها تكليف فيشق عليه ذلك فيحصل التباين بين الفريقين في العلم والعمل والمراد
بالسورة التي فيها تكليف وقوله محكمة اي لم تنسخ وقال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي
محكمة وهي اشد القران على المنافقين قوله رايت الذين في قلوبهم مرض يعني المنافقين
ينظرون اليك شزرا بتحديق شديد كراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقا العدو وقوله نظر
المغشي الاصل نظرا مثل نظر المغشي عليه من الموت كما ينظر الشاخص بصره عند الموت قوله
فاولى لهم طاعة اختلف اللغويون والمعربون في هذه اللفظة فقال الاصمعي انها فعل
ماض بمعنى قاربه ما يهلكه وانشد

فعادى بين هاديتين منها • واولى ان يزيد على الثلاث

اي قارب ان يزيد قال ثعلب لم يقل احد في اولى احسن من الاصمعي وقال البغوي معناه
وليك وقاربك ما تكره وليكن الاكثرون على انه اسم ثم اختلف هولا فقيل هو مشتق من الولي
وهو القرب كقوله

تكلفني ليلى وقد شط وليها • وعادت عواد بيننا وخطوب

وقيل هو مشتق من الويل والاصل فيه اويل فقلبت العين الى ما بعد اللام فصار وزنه افلع
والى هذا نحا الجرجاني والاصل عدم القلب واما معناها فقيل هي للتهديد والوعيد كقوله

فاولى ثم اولى ثم اولى • وهل للدر يحلب من مرد

وقال المبرد يقال لمن هم بالغضب اولى لك كقول اعرابي كان يوالي رمي الصيد فيفلت منه فيقول
اولى لك ثم رمى صيدا فقاربه فافلت منه

فلو كان اولى يطعم القوم صدتهم • ولكن اولى يترك القوم جوعا

هذا ما يتعلق باشتقاقه ومعناه واما الاعراب فان قلنا بقول الجمهور ففيه اوجه احدها
ان اولى مبتدا ولهم خبره تقديره فالهلاك لهم وسوغ الابتدا بالنكرة كونه دعا نحو ويل لكل همزة
الثاني انه خبر مبتدا مضمر تقديره العقاب او الهلاك اولى لهم اي اقرب وادنى وقال ابن الخطيب
التقدير فالموت اولى لهم لان الموت سبق ذكره في قوله نظر المغشي عليه من الموت وذلك ان الحيوة
لا في طاعة الله ورسوله الموت خير منها ويجوز ان تكون اللام بمعنى البا اي اولى واحق بهم الثالث
انه مبتدا ولهم متعلق به واللام بمعنى البا وطاعة خبره والتقدير اولى بهم طاعة دون غيرها
وان قلنا بقول الاصمعي فيكون فعلا ماضيا وفاعله مضمر يدل عليه السياق كانه قيل فاولى
هو اي الهلاك وهذا ظاهر عبارة الزمخشري حيث قال ومعناه الدعا عليهم بان يليهم المكروه
وقال ابن عطية المشهور من استعمال العرب انك تقول هذا اولى بك من هذا اي احق وقد
تستعمل العرب اولى لك فقط على جهة الحذف والاختصار لما معها من القول فتقول اولى لك
يا فلان على جهة الزجر والوعيد انتهى وقال ابو البقا اولى موننة اولاة وفيه نظر لان
ذلك انما يكون في التذكير والتانيث الحقيقيين اما التانيث اللفظي فلا يقال فيه ذلك
وسياتي له مزيد بيان في القيمة ان شا الله تعالى قوله طاعة فيه اوجه احدها انه

خبر اولى على ما تقدم الثاني انها صفة لسورة اي فاذا انزلت سورة محكمة طاعة اي ذات
طاعة او مطاعة ذكره مكي وابو البقا وفيه بعد لكثرة الفواصل الثالث انها مبتدا وقول
عطف عليها والخبر محذوف تقديره امثل لكم من غيرهما وقدره مكي منا طاعة فقدره مقدما
الرابع ان تكون خبر مبتدا محذوف اي امرنا طاعة الخامس ان لهم خبر مقدم وطاعة مبتدا
موخر والوقف والابتدا يعرفان مما تقدم **فصل** قال المفسرون قوله طاعة
وقول معروف ابتدا محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف امثل اي لو اطاعوا وقالوا قولا
معروفا كان امثل واحسن وساغ الابتدا بالنكرة لانها وصفت بدليل قوله وقول معروف
فانه موصوف فكانه تعالى قال طاعة مخلصة وقول معروف خير وقيل يقول المنافقون
قبل نزول السورة المحكمة طاعة رفع على الحكاية اي امرنا طاعة او منا طاعة وقول معروف
حسن وقيل متصل بما قبله واللام في قوله لهم بمعنى الباء اي فاولى بهم طاعة الله ورسوله
وقول معروف بالاجابة اي لو اطاعوا الله كانت الطاعة والاجابة اولى بهم وهذا معنى
قول ابن عباس في رواية عطا قوله فاذا عزم الامر في جوابها ثلثة اوجه احدها
قوله فلو صدقوا نحو اذا جاني طعام فلو جيتني اطعمتك الثاني انه محذوف تقديره
فاصدق كذا قدره ابو البقا الثالث ان تقديره ناقضوا وقيل تقديره كرهوا ذلك
وعزم للامر على سبيل الاسناد المجازي كقوله • قد جدت الحرب بكم فجدوا •
او يكون على حذف مضاف اي عزم اهل الامر قال المفسرون معناه اذا جد الامر ولزم
فرض القتال خالفوا وتخلفوا فلو صدقوا الله في اظهار الايمان والطاعة لكان خيرا لهم
وقيل جواب اذا محذوف تقديره فاذا عزم الامر نكلوا وكذبوا فيما وعدوا ولو صدقوا
لكان خيرا لهم قوله فهل عسيتم اي فلعلكم ان توليتم اعرضتم عن القران وفارقتم
احكامه ان تفسدوا في الارض تعودوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية فتفسدوا في الارض
بالمعصية والبغي وسفك الدما وترجعون الى الفرقة بعدما جمعكم الله بالاسلام قوله
ان تفسدوا خبر عسى والشرط معترض بينهما وجوابه محذوف لدلالة فهل عسيتم عليه
او هو نفسه عند من يري تقديمه وقرا علي رضي الله عنه ان توليتم بضم
التا والواو وكسر اللام مبنيا للمفعول من الولاية اي ان وليتكم امور الناس وقال ابن
الخطيب معناه لو تولاكم ولاة ظلمة جفاة غشمة ومشيتم معهم افسدتم وقطعتم الارحام
والنبي عليه السلام لا يامركم الا بصلة الارحام فلم تتقاعدون عن القتال والاول اظهر
ومعناه ان كنتم تتركون القتال وتقولون فيه الافساد وقطع الارحام وكون الكفار
اقاربنا فلا يقع منكم الا ذلك حيث تتقاتلون على ادنى شي كما كان عادة العرب الاول
وقري وليتم من الولاية ايضا **فصل** قال ابن الخطيب في استعمال عسى ثلثة
مذاهب احدها الاتيان بها على صورة فعل ماض معه فاعل يقول عسى زيد وعسينا
وعسوا وعسيتما وعسيت وعسين وعسينا وعسيتن والثاني ان تولى بها على صورة فعل
ومفعول يقال عساه وعساها وعساك وعساكما وعساي وعسانا والثالث الاتيان
بها من غير ان يقرن بها شي تقول عسى زيد يخرج وعسى انت تخرج وعسى انا اخرج
والكل متوجه وما عليه كلام الله اوجه لان عسى من الافعال الجامدة واقتران
الفاعل بالفعل اولى من اقتران المفعول لان الفاعل كالجزء من الفعل ولهذا لم يجوزوا فيه
اربع متحركات في مثل قول القايل نصرت وجوزوا في مثل قولنا نصرك وقد تقدم الكلام
في عسى مشبعا وفي قوله عسيتم التفات من غيبة في قوله الذين في قلوبهم مرض الى
خطابهم بذلك زيادة في توبيخهم والاستفهام للتقرير المؤكد فانه لو قال على سبيل الاخبار
عسيتم ان توليتم لكان للمخاطب ان ينكره فاذا قال بصيغة الاستفهام فانه يقول
انا اسالك عن هذا وانت لا تقدر تجيب الا بلا او نعم فهو مقرر عندك وعندي واعلم
ان عسى للتوقع والله عالم بكل شي والكلام فيه كالكلام في لعل وفي قوله لنبلوهم
فقال بعضهم يفعل بكم فعل المترجي والمبتلي والمتوقع وقيل كل من ينظر اليهم
يتوقع منهم ذلك وقال ابن الخطيب هو محمول على الحقيقة لان الفعل اذا كان في نفسه

متوقعا فالمنتظر اليه غير مستلزم لامر وانما الامر يجوز ان يحصل منه تارة ولا يحصل منه اخري
يكون الفعل لذلك الامر المطلوب على سبيل الترجي سوا كان الفاعل يعلم حصول الامر فيه
او لم يعلم مثاله من نصب شبكة لاصطياد الصيد يقال هو متوقع لذلك فان حصل له العلم
بوقوعه فيه باخبار صادق انه سيقع فيه او بطريق اخري لا يخرج عن التوقع غايته ما في الباب
ان في الشاهد لم يحصل لنا العلم فيما نتوقعه وظن ان عدم العلم لازم للمتوقع فليس كذلك
بل المتوقع هو المنتظر بامر ليس بواجب الوقوع نظرا الى ذلك الامر حسب سوا كان له به علم
او لم يكن قوله وتقطعوا قرا العامة بالتشديد على التكثير وابو عمرو في رواية وسلام ويعقوب
بالتخفيف مضارع قطع والحسن بفتح التاء والطاء مشددة اصلها تتقطعوا بتاءين حذفت
احدهما وانتصاب ارحامكم على هذا على اسقاط الخافض اي في ارحامكم قوله اوليك مبتدا
والموصول خبره والتقدير اوليك المفسدون يدل عليه ما تقدم وقوله فاصمهم ولم يقل فاصم
اذانهم واعمى ابصارهم ولم يقل اعماهم قيل لانه لا يلزم من ذهاب الاذن ذهاب السمع فلم يتعرض
لها والابصار هي الاعين يلزم من ذهابها ذهاب الابصار ولا يرد عليك قوله وفي اذاننا
وقر ونحوه لانه دون الصمم والصمم اعظم منه فقال اصمهم من غير ذكر الاذن وقال اعمى ابصارهم
مع ذكر العين لان البصر ههنا بمعنى العين ولهذا جمعه بالابصار ولو كان مصدرا لما جمع فلم يذكر
الاذن اذ لا مدخل لها في الاصمام وذكر العين لان لها مدخلا في الروية بل هي الكل بدليل ان
الافة في غير هذا الموضع لما اصابها الى الاذن سماها وقرا فقال تعالى حاكيا عنهم وفي اذاننا
وقر والوقر الصمم **فصل** اوليك الذين لعنهم الله اشارة الى من سبق ذكرهم من
المنافقين ابعدهم الله عنه او عن الخير فاصمهم لا يسمعون الكلام المبين واعمى ابصارهم عن
الحق قوله افلا يتدبرون القران فيه سوال وهو انه تعالى قال فاصمهم واعمى ابصارهم
فكيف يمكنهم التدبر في القران وهو كقول القايل للاعمى ابصر وللاصم اسمع والجواب من ثلثة
اوجه مترتبة بعضها احسن من البعض الاول تكليف ما لا يطاق جايز والله امر من علم
منه انه لا يومن بان يومن فلذلك جاز ان يصمهم ويعميهم ويذمهم على ترك التدبر الثاني
انه قوله افلا يتدبرون القران المراد منه الناس الثالث ان يقال هذه الاية وردت
محققة لمعنى الاية المتقدمة كانه تعالى قال اوليك الذين لعنهم الله اي ابعدهم عنه او عن
الصدق او الخير او غير ذلك من الامور الحسنة فاصمهم لا يسمعون حقيقة الكلام واعماهم لا يتبعون
طريقة الاسلام فاذن هم بين امرين اما لا يتدبرون القران فيبعدون منه لان الله لعنهم
وابعدهم عن الخير والصدق والقران منهما هو الصنف الاعلى بل النوع الاشرف واما
يتدبرون لكن لا تدخل معانيه في قلوبهم لكونها مقفلة تقديره افلا يتدبرون القران
لكونهم ملعونين مبعدين ام على قلوب اقفالها فيتدبرون ولا يفهمون وعلى هذا لا يحتاج
الى ان يقول ام بمعنى بل بل هي على حقيقتها للاستفهام واقعة في وسط الكلام والهمزة اخذت
مكانها وهو الصدر وقيل ام بمعنى بل والمعنى ام على قلوب اقفالها فلا يفهم مواعظ القران
واحكامه روي هشام بن عروة عن ابيه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا يتدبرون
القران ام على قلوب اقفالها فقال شاب من اهل اليمن بلى على قلوب اقفالها حتى يكون
الله يفتحها او يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر حتى ولي فاستعان به قوله ام على قلوب
ام منقطعة وتقدم الكلام على ام المنقطعة وقرا العامة اقفالها بالجمع على افعال وقري
اقفلها على افعل وقري اقفالها بكسر الهمزة مصدرا كالاقبال وهذا الكلام استعارة بليغة
قيل ذلك عبارة عن عدم وصول الحق اليها فان قيل ما الفايدة في تنكير القلوب فقال
الزمخشري يحتمل وجهين احدهما ان يكون للتنبيه على كونه موصوفا لان النكرة بالوصف اولى
من المعرفة فكانه قال ام على قلوب قاسية او مظلمة الثاني ان يكون للتبعيض كانه قال
ام على بعض القلوب لان النكرة لا تعم تقول جاني رجال فيفهم البعض وجاني الرجال
فيفهم الكل والتنكير في القلوب للتنبيه على الانكار الذي في القلوب وذلك لان القلب
اذا كان عارفا كان معروفا لان القلب اذا كان عارفا خلق للمعرفة فاذا لم يكن فيه المعرفة
فكانه لا يعرف قلبا فلا يكون قلبا يعرف كما يقال للانسان المؤذي هذا ليس بانسان فكذلك

يقال هذا لبس بقلب هذا حجر واذا علم هذا فالتعريف اما بالالف واللام واما بالاضافة
بان يقال على قلوبهم اقفالها وهي لعدم عود فايدة اليهم كانها ليست لهم فان قيل قد قال
الله تعالى ختم الله على قلوبهم وقال فويل للقاسية قلوبهم فالجواب الاقفال ابلغ من
الختم فترك الاضافة لعدم انتفاعهم راسا فان قيل ما الحكمة في قوله اقفالها بالاضافة
ولم يقل اقفال كما قال قلوب فالجواب لان الاقفال كانها ليست الا لها ولم يضف القلوب
اليهم لعدم نفعها اياهم واضاف الاقفال اليها لكونها مناسبة لها او يقال اراد به اقفالا
مخصوصة هي اقفال الكفر والعناد **قوله** تعالى ان الذين ارتدوا على ادبارهم رجعوا كفارا
من بعد ما تبين لهم الهدى قال قتادة هم كفار اهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم
بعد ما عرفوا ووجدوا نعته في كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم المنافقون
قوله الشيطان سول لهم اي زين لهم القبيح وهذه الجملة خبر ان الذين ارتدوا وتقدم
الكلام على سول معنى واشتقاقا وقال الزمخشري هنا وقد اشتقه من السول من لا علم له
بالتصريف والاشتقاق جميعا قال شهاب الدين كانه يشير الى ما قاله ابن بحر من ان
المعنى اعطاهم سولهم ووجه الغلط فيه ان مادة السوال من السول بالهمز ومادة هذا
بالواو فافترقا فلو كان على ما قيل لقيل سال بتشديد الهمزة لا بالواو وفيما قاله الزمخشري
نظر لان السوال له مادتان سال بالهمز وسال بالالف المنقلبة عن واو وعليه قراة سال
سايل وقوله

• سالت هذيل رسول الله فاحشة • ضلت هذيل بما سالت ولم تصب •

وقد تقدم هذا في البقرة مستوفى قوله واملى لهم العامة على املى مبنيا للفاعل وهو ضمير
الشيطان وقيل هو للباري تعالى قال ابو البقا على الاول يكون معطوفا على الخبر وعلى
الثاني يكون مستانفا ولا يلزم ما قاله بل هو معطوف على الخبر في كلا التقديرين اخبر عنهم
بهذا وبهذا وقرا ابو عمرو في اخرين املي مبنيا للمفعول والقايم مقام الفاعل الجار وقيل
القايم مقامه ضمير الشيطان ذكره ابو البقا وقرا يعقوب وسلام ومجاهد واملي بضم الهمزة
وكسر اللام وسكون اليا فاحتملت وجهين احدهما ان يكون مضارعا مسندا لضمير المتكلم اي
واملي انا لهم وان يكون ماضيا كقراة ابي عمرو وسكنت ياوه تخفيفا وقد مضى منه جملة **فصل**
قال المفسرون سول لهم سهل لهم واملى لهم اي مد لهم في الامل يعني قالوا نعيش اياما ثم
نومن به وهو معنى قراة واملي لهم فان قيل الاملا والامهال وحد الاجال لا يكون الا من
الله فكيف تصح قراة من قرا واملا لهم فان المملي حينيذ هو الشيطان قال ابن الخطيب والجواب
من وجهين احدهما يجوز ان يكون المراد واملا لهم الله فيقف على سول لهم وثانيهما هو ان
المسول ايضا ليس هو الشيطان وانما اسند اليه من حيث ان الله قدر على يده ولسانه ذلك
فلذلك الشيطان يمنيهم ويقول لهم في اجالكم فسحة فتمتعوا برياستكم ثم في اواخر العمر تومنون
قوله ذلك بانهم قالوا يعني المنافقين او اليهود قالوا للذين كرهوا ما نزل الله وهم
المشركون اي ذلك الاملا بسبب قولهم للذين كرهوا قاله الواحدي وقيل ذلك اشارة الى
التسويل ويحتمل ان يقال ذلك اشارة للارتداد بسبب قولهم سنطيعكم قاله ابن الخطيب
قال لانا بينا ان قوله قالوا سنطيعكم في بعض الامر هو انهم قالوا نوافقكم على ان محمدا ليس
بمرسل وانما هو كاذب ولكن لا نوافقكم في انكار الرسالة والحشر والاشراك بالله من الاصنام
ومن لم يومن بمحمد عليه السلام فهو كافر وان امن بغيره لا بل يومن بمحمد عليه السلام ولا نومن
بالله ولا برسله ولا بالحشر لان الله كما اخبر عن الحشر وهو جايز اخبر عن نبوة محمد عليه السلام
وهي جايزة وقال المفسرون ان اليهود او المنافقين قالوا للذين كرهوا ما نزل الله وهم
المشركون سنطيعكم في بعض الامر في التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والقعود
عن الجهاد وكانوا يقولونه سرا فقال الله تعالى والله يعلم اسرارهم قوله اسرارهم قرا
الاخوان وحفص بكسر الهمزة مصدرا والباقون بفتحها جمع سر قوله فكيف اما خبر مقدم
اي فكيف علمه باسرارهم اذا توفتهم واما منصوب بفعل محذوف اي فكيف علمه تصنعون
واما خبر لكان مقدرة اي فكيف يكونون والظرف معمول لذلك المقدر وقرا الاعمش توفاهم
دون تا فاحتملت وجهين ان يكون ماضيا كالعامة وان يكون مضارعا حذفت احدى تاييه

قول

قوله يضربون حال اما من الفاعل وهو الاظهر او من المفعول **فصل** قال ابن
الخطيب وهو الاظهر ان قوله والله يعلم اسرارهم اي ما في قلوبهم من العلم بصدق محمد عليه
السلام فانهم كانوا مكابرين معاندين وكانوا يعرفون رسول الله كما يعرفون ابناءهم ويويده
القراة بكسر الهمزة فانهم كانوا يسرون نبوة محمد عليه السلام وان قلنا المراد من الذين ارتدوا
هم المنافقون فكانوا يقولون للمجاهدين من الكفار سنطيعكم في بعض الامر وكانوا يسرون
انهم ان غلبوا انقلبوا كما قال الله ولين جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم وقال تعالى
فاذا جاء الخوف سلقوكم بالسنة حداد وقوله فكيف اذا توفتهم الملايكة يضربون وجوههم
وادبارهم كانه تعالى قال هب انهم يسرون والله لا يظهره اليوم فكيف يبقى مخفيا وقت وفاتهم
او نقول لما قال تعالى والله يعلم اسرارهم انهم يختاروا القتال لما فيه من الضراب والطعن
مع انه مفيد على الوجهين جميعا ان غلبوا فالمال والثواب في المال وان غلبوا فالشهادة والسعادة
فكيف حالهم اذا ضرب وجوههم وادبارهم وعلى هذا فيه لطيفة وهي ان في القتال في الحال
ان اقدام المبارز قد يهزم الخصم ويسلم وجهه وقفاه وان لم يهزمه فالضرب على وجهه ان
ثبت وصبر وان لم يثبت وانهزم فان فاته بالهرب فقد سلم وجهه وقفاه وان لم يفته فالضرب
على قفاه لا غير ويوم الوفاة لا نصرة له ولا مفر فوجهه وظهره مضروب مطعون فكيف يحترز
عن الاذى ويختار العذاب الاكبر قوله ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله اي ذلك الضرب
بانهم اتبعوا ما اسخط الله قال ابن عباس بما كتموا التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وكرهوا ما فيه رضوان الله وهو الطاعة والايمان وقيل المراد بما اسخط الله الكفر لان الايمان
يرضيه لقوله تعالى ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه
لكم وقيل ما اسخط الله هو تسويل الشيطان فان قيل هم ما كانوا يكرهون رضوان الله بل
كانوا يقولون ان الذي هم عليه رضوان الله ولا نطلب به الا رضى الله وكيف لا والمشركون باشراكهم
كانوا يقولون انا نطلب رضى الله كما قالوا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا لتشفعوا لنا فالجواب
معناه كرهوا ما فيه رضى الله وفي قوله ما اسخط الله ولم يقل ما ارضى الله لطيفة وهي ان
رحمة الله سابقة فله رحمة ثابتة وهي منشا الرضوان وغضب الله متاخر فهو يكون على ذنب
فقال رضوانه لانه من وصف ثابت لله سابق ولم يقل سخط الله بل ما اسخط الله اشارة الى ان
السخط ليس ثبوته كثبوت الرضوان ولهذا المعنى قال في اللعان في حق المراة والخامسة
ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فقال غضب الله مضافا لان لعانه قد سبق فظهر
الزنا بقوله وايمانه وقبله لم يكن غضب فرضوان الله امر يكون منه الفعل وغضب الله امر
يكون من فعله قوله فاحبط اعمالهم حيث لم يطلبوا رضى الله وانما طلبوا رضى الشيطان والاصنام
قوله ام حسب الذين في قلوبهم مرض يعني المنافقين ولم يستدعي جملة اخرى استفهامية
سابقة اذا كانت للاستفهام لان كلمة ام اذا كانت تستدعي سبق جملة اخرى استفهامية فقال
ازيد في الدار ام عمرو واذا كانت منقطعة لا تستدعي ذلك يقال ان هذا لزيد ام عمرو كما يقال
بل عمرو والمفسرون على انها منقطعة ويحتمل ان يقال انها استفهامية والسابق مفهوم من قوله
تعالى والله يعلم اسرارهم فكانه تعالى قال ام حسب الذين كفروا ان لم يعلم الله اسرارهم
ام حسب المنافقون ان لن يظهرها والكل فاسد فانما يعلمها ويظهرها ويويد ذلك ان المنقطعة
لا تكاد تقع في صدر الكلام فلا يقال ابتدا بل جاء زيد ولا ام جاء زيد قوله ان لن يخرج الله
اضغانهم الاخراج بمعنى الاظهار اي لن يظهر احقادهم وان هذه مخففة ولن وما بعدها
خبرها واسمها ضمير الشان والاضغان جمع ضغن وهي الاحقاد والضغينة كذلك قال

• وذي ضغن كففت الود عنه • وكنت على اساته مقيتا •

وقال عمرو بن كلثوم • فان الضغن بعد الضغن يفشو • عليك ويخرج الداء الدفينا •

وقيل الضغن العداوة وانشد •

• قل لابن هند ما اردت بمنطق • ساء الصديق وشيد الاضغانا •

فقال ضغن بالكسر يضغن بالفتح وقد ضغن عليه واضطغن القوم وتضاغنوا واصل
المادة من الالتوا في قوايم الدابة والقناة قال •

ان قنا بي من صليبات القنا • ما زادها التثقيف الا ضغنا •
وقال اخر • كذات الضغن تمشي في الرقاق •
والاضغان الاحتوا على الشي ايضا ومنه قولهم اضطغنت الصبي اذا احتضنته وانشد •
كانه مضطغن صبيا • وقال • وما اضطغنت سلاحي عند مغركها •
وفرس ضاغن لا يجري الا بالضرب **فصل** قال المفسرون اضغانهم احقادهم على المومنين
فيبديها حتى تعرفوا نفاقهم وقال ابن عباس اضغانهم حسدهم قوله ولو نشا لاريناكهم
من روية البصر وجا على الافصح من اتصال الضميرين ولو جا على اريناك اياهم جاز وقال ابن
الخطيب الاراة هنا بمعني التعريف قوله فلعرفتهم عطف على جواب لو وقوله ولتعرفنهم جواب
قسم محذوف قال المفسرون معني الكلام لاريناكهم اي لاعلمناكهم وعرفناكهم فلعرفتهم بسيماهم
بعلامتهم قال الزجاج المعني لو نشا لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها قال انس ما خفي
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية شي من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم
قوله ولتعرفنهم في لحن القول اي في معناه ومقصده واللحن يقال باعتبارين احدهما
الكناية بالكلام حتى لا يفهمه غير مخاطبك ومنه قول القتال الكلابي في حكاية له •
ولقد وحيت لكم لكيما تفهموا • ولحنت لحنا ليس بالمرتاب • وقال اخر •
منطق صايب وتلحن احيانا • وخير الحديث ما كان لحنا •
واللحن صرف الكلام من الاعراب الي الخطا وقيل يجمعه هو والاول صرف الكلام عن وجهه
يقال من الاول لحنت بفتح الحا الحن له فانا لاحن والحنته الكلام افهمته اياه فلحنه بالكسر اي
فهمه فهو لاحن ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض ويقال
من الثاني لحن بالكسر اذا لم يعرب فهو لحن **فصل** معني الاية انك تعرفهم فيما يعرضون
به من تهجين امرك وامر المسلمين والاستهزا بهم فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي صلى الله
عليه وسلم الا عرفه بقوله ويستدل بفحوي كلامه على فساد دخلته قال ابن الخطيب معني الاية
ان لن يخرج الله اضغانهم اي يظهر ضمايرهم ويبرز سرايرهم وكان قايلا قال فلم لم يظهر فقال
اخرناه لمحض المشية لا لخوف منهم ولو نشا لاريناكهم اي لا مانع لنا والاراة بمعني التعريف
وقوله فلعرفتهم لزيادة فايدة وهي ان التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة يقال عرفته ولم
يعرف وفهمته ولم يفهم فقال هاهنا فلعرفتهم يعني عرفناهم تعريفا تعرفهم به اشارة الي قوة التعريف
واللام في قوله فلعرفتهم هي التي تقع في خبر لو كما في قوله لاريناكهم ادخلت على المعرفة اشارة
الي المعرفة المرتبة على المشية كانه قال ولو نشا لعرفتهم لتفهم ان المعرفة غير متاخرة عن التعريف
فيفيد تاكيد التعريف اي ولو نشا لعرفناك تعريفا معه المعرفة لا بعده وقوله في لحن القول
اي في معني القول حيث يقولون ما معناه النفاق كقولهم حين مجي النصر انا كنا معكم
وقولهم لين رجعنا الي المدينة وقولهم ان بيوتنا عورة ويحتمل ان يكون المراد قولهم ما لم
يعتقدوا فاما لوا كلامهم كما قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون ويحتمل ان يكون المراد من لحن القول هو الوجه الخفي من
القول الذي يفهمه النبي صلى الله عليه وسلم ولا يفهمه غيره فالنبي عليه السلام كان يعرف المنافق
ولم يكن يظهر امره الي ان اذن الله له في اظهار امرهم ومنع من الصلوة على جنايزهم والقيام
على قبورهم وقوله بسيماهم الظاهر ان المراد انه تعالي لو يشا لجعل على وجوههم علامة او
تمسخهم كما قال ولو نشا لمسخناهم وروي ان جماعة منهم اصبحوا وعلى جباههم مكتوب هذا
منافق ثم قال تعالي والله يعلم اعمالكم وهذا وعد للمومنين وبيان لكون حالهم بخلاف
حال المنافق قوله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم
قرا ابو بكر الثلاثة بالياء من اسفل يعني الله تعالي والاعمش كذلك ونسكن الواو والباقون
بنون العظمة ورويس كذلك وتسكين الواو والظاهر قطعه عن الاول في قراة تسكين الواو
ويجوز ان يكون سكن الواو تخفيفا كقراة الحسن او يعفوا الذي بتسكين الواو **فصل**
المعني لنعاملنكم معاملة المختبر بان نامركم بالجهاد والقتال حتى نعلم المجاهدين منكم
والصابرين اي علم الوجود والمشاهدة فانه تعالي قد علمه علم الغيب يريد نبين المجاهد

الصابر على دينه من غيره وقوله ونبلوا اخباركم اي يظهرها ويكشفها بابا من يابي القتال
ولا يصبر على الجهاد **قوله** تعالي ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول
من بعد ما تبين لهم الهدي قيل هم اهل الكتاب قريظة والنضير لان اهل الكتاب تبين لهم
صدق محمد عليه السلام وقيل هم كفار قريش لن يضروا الله شيا انما يضرون انفسهم وهذا
تهديد وسيحبط اعمالهم فلا يرون لها ثوابا في الاخرة قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر
نظيرها قوله تعالي ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله الاية وقيل المراد
بالاعمال ههنا مكايدهم في القتال **قوله** تعالي يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول ولا تبطلوا اعمالكم قال عطا بالشك والنفاق وقال الكلبي بالريا والسمعة وقال الحسن
بالمعاصي والكباير وقال ابو العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضر مع
الاخلاص ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الاية فخافوا الكباير ان تحبط الاعمال وقال
مقاتل لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطلوا اعمالكم نزلت في بني اسد قال تعالي لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذي كانه يقول هذا فعلته لاجل قلبك ولولا ارضاك به لما فعلت وهذا مناف
للاخلاص والله لا يقبل الا العمل الخالص قوله ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا
وهم كفار فلن يغفر الله لهم قيل هم اصحاب القليب وقيل اللفظ عام قوله فلا تهنوا وتدعوا الي
السلم يجوز جزم تدعوا عطفا على فعل النهي ونصبه باضمار ان في جواب النهي وقرا ابو عبد الرحمن
بتشديد الدال فقال الزمخشري من ادعي القوم وتداعوا مثل ارتموا الصيد وتراموا وقال
غيره بمعني تفتروا وتنتسبوا وتقدم الخلاف في السلم **فصل** لما بين ان عمل الكافر الذي له
صورة الحسنات يحبط وذنبه الذي هو اقبح السيات غير مغفور وامر بطاعة الله وطاعة الرسول
امر بالقتال فقال فلا تهنوا اي لا تضعفوا بعد ما وجد السبب وهو الامر بالجد والاجتهاد في
القتال فقال ولا تهنوا وتدعوا الي السلم اي الي الصلح ابتدا فمنع الله المسلمين ان يدعوا الكفار
الي الصلح وامرهم بحربهم حتى يسلموا قوله وانتم الاعلون جملة حالية وكذلك والله معكم واصل
الاعلون الاعليون فاعل قال ابن الخطيب اصله في الجمع الموافق اعليون ومصطفيون فسكنت
اليا لكونها حرف علة تحرك ما قبلها والواو كانت ساكنة فالتقي ساكنان فلم يكن بد من حذف
احدهما وتحريك الاخر والتحريك كان وقع في المحذوف الذي اجيب منه فوجب الحذف والواو فيه
كانت لمعني لا يستفاد الا منها وهو الجمع فاسقطت اليا وبقي اعلون وبهذا الدليل صار في الجر اعلين
ومصطفين ومعني الاعلون الغالبون قال الكلبي اخر الامر لكم وان غلبوكم في بعض الاوقات
والله معكم بالعون والنصرة قوله ولن يتركم اعمالكم اي ينقصكم او يفردكم عنها فهو من وتر
الرجل اذا قتلت له قتيلا او نهبت ماله او من الوتر وهو الانفراد وقيل كلا المعنيين يرجع الي الافراد
لان من قتل له قتيل او نهب له مال فقد افرد عنه فمعني لن يتركم اعمالكم لن ينقصكم شيا من ثواب
اعمالكم يقال وتره يتره وترا وترة اذا انقص حقه قال ابن عباس وقتادة والضحاك لن يظلمكم
اعمالكم الصالحة ان يوتيكم اجورها ثم حض على طلب الاخرة فقال انما الحياة الدنيا لعب ولهو باطل
وغرور وان تومنوا وتتقوا الفواحش يوتكم اجوركم جزا اعمالكم في الاخرة ولا يسالكم ربكم اموالكم
لايتا الاجر بل يامركم بالايمان والطاعة ليثيبكم عليها الجنة نظيره قوله ما اريد منهم من رزق وقيل
لا يسالكم محمد اموالكم نظيره قل ما اسالكم عليه من اجر وقيل معني الاية لا يسالكم الله ورسوله
اموالكم كلها في الصدقات انما يسال الا نكم غيض من فيض ربع العشر فيطيبوا بها نفسا قاله ابن
عيينه يدل عليه سياق الاية قوله فيحفكم عطف على الشرط وتبخلوا جواب الشرط قال
ابن الخطيب الفا في قوله فيحفكم للاشارة الي ان الاحفا يتبع السوال بيانا لشح الانفس وذلك
لان العطف بالواو قد يكون لمتباينين وبالفا لا يكون الا لمتعاقبين او متعلقين احدهما
بالاخر فكانه تعالي بين ان الاحفا يقع عقيب السوال لان الانسان بمجرد السوال لا يعطي شيا
قال المفسرون فيحفكم يجهدكم ويلحف عليكم بمسيلة جميعها يقال احفي فلان فلانا اذا اجهده
والحف عليه في المسيلة قوله تبخلوا ويخرج اضغانكم العامة على اسناد يخرج الي ضمير فاعل
اما الله تعالي او الرسول او السوال لانه سبب وهو مجزوم عطفا على جواب الشرط وروي عن
ابي عمرو رفعه على الاستيناف وقرا ايضا بفتح اليا وضم الرا ورفع اضغانكم فاعلا وابن عباس

في احزين وتخرج بالنامي فوق وضم الزا اضغانكم فاعل به وليعقوب ويخرج بسوت ه العظمة وكسر الزا اضغانكم نصبا وقري ويخرج باليا علي البنا للمفعول اضغانكم رفعا به وعيسى كذلك الا انه نصبه باضمار ان عطفا علي مصدر متوهم اي يكن بخلكم واخراجه اضغانكم بغضكم وعداوتكم **فصل** قال قتادة علم الله ان في مسيلة الاموال خروج الاضغان يعني ما طلبها ولو طلبها والح عليكم في الطلب بخلتم كيف وانتم تبخلون باليسير فكيف لا تبخلون بالكثير فتخرج اضغانكم بسببه فان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اذا طلبوا منكم وانتم تحبون المال وشح الانفس تمتنعون فيفضي الي القتال وتظهر به الضغاين ثم بين ذلك بقوله ها انتم هولاء قد طلبت منكم اليسير فبخلتم فكيف لو طلبت منكم الكل قوله ها انتم هولاء قال الزمخشري هولاء موصول صلته تدعون اي انتم الذين تدعون او انتم يا مخاطبون هولاء المومنون ثم استانف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون وقال ابن الخطيب هولاء يحتمل وجهين احدهما ان يكون موصولة كانه قال انتم الذين تدعون لتنفقوا في سبيل الله وثانيهما هولاء وحدها خبر انتم كما يقال انت انت اي انت هذا الشهرة والظهور اي ظهر امركم بحيث لا حاجة الي الاخبار عنكم بامر مغاير وقد تقدم الكلام علي قوله ها انتم هولاء مشبعا في سورة ال عمران وقوله تدعون اي الي الانفاق اما في سبيل الله بالجهاد واما صرفه الي المستحقين من اخوانكم قوله فمنكم من يبخل بما فرض عليه من الزكاة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه اي ان ضرر ذلك البخل عايد اليه فلا تظنوا انهم ينفقونه علي غيرهم بل لا ينفقونه الا علي انفسهم فان من يبخل باجرة الطبيب وثمن الدوا وهو مريض فلا يبخل الا علي نفسه ثم حقق ذلك بقوله والله الغني اي غير محتاج الي مالكم والله بقوله وانتم الفقرا حتى لا تقولوا بانا اعنا علي القتال ودفع حاجة الفقرا قوله يبخل عن نفسه بخل وصدي يتعديان بعلي تارة وبعن اخرى والاجود ان يكون حال تعديهما بعن مضمنين معنى الامساك قوله وان تتولوا هذه الجملة الشرطية عطف علي الشرطية قبلها وثم لا يكونوا عطف علي يستبدل **فصل** ذكر بيان الاستغنا كما قال تعالى ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد قال المفسرون ان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم بل يكونوا امثل منكم واطوع لله منكم قال الكلبي هم كندة والنخع وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة فارس والروم لما روي ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قالوا يا رسول الله من هولاء الذين ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا فضرب علي فخذ سلمان الفارسي ثم قال هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس وقيل هم قوم من الانصار **فصل** قال ابن الخطيب ههنا مسيلة وهي ان النحاة قالوا يجوز في المعطوف علي جواب الشرط بالواو والفا وثم الجزم والرفع تقول ان تاتني اتك فاجزيك بالجزم والرفع جميعا قال الله تعالى ههنا ان تتولوا يستبدل قوما غيركم وقال ثم لا يكونوا امثالكم بالجزم وقال في موضع اخر وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون بالرفع لاثبات النون وفيه تدقيق وهو ان قوله لا يكونوا متعلق بالتولي لانهم ان لم يتولوا يكونوا مثل من ياتي بهم الله علي الطاعة وان يتولوا لا يكونوا مثلهم لكونهم عاصين وكون من ياتي بهم مطيعين واما هناك سوا قاتلوا او لم يقاتلوا لا ينصرون فلم يكن التعلق هناك بما وقع بالابتدا وههنا جزم للتعلق وقوله لا يكونوا امثالكم في الوصف لا في الجنس روي ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة محمد كان حقا علي الله عز وجل ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية

وهي تسع وعشرون اية وخمس مائة وستون كلمة والفان واربعماية وثمانية وثلاثون حرفا روي زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر بن الخطاب كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره فساله عمر عن شي فلم يجبه ثم ساله فلم يجبه ثم ساله فلم يجبه قال عمر فحركت بعيري حتى تقدمت امام الناس وخشيت ان يكون نزل في قران فما نشبت ان

سمعت صارخا يصرخ بي فجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد انزلت علي الليلة سورة لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وروي انس قال نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك الي اخر الاية مرجعه من الحديبية واصحابه مخالطوا الحزن والكابة فقال نزلت علي اية هي احب الي من الدنيا جميعها فلما تلاها نبي الله صلى الله عليه وسلم قال رجل من القوم هنيا مريا قد بين الله لك ما يفعل بك فما ذا يفعل بنا فانزل الله ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى ختم الاية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا اختلفوا في هذا الفتح فروي عن انس انه فتح مكة وقال مجاهد فتح خيبر والاكثرون علي انه صلح الحديبية وقيل فتح الروم وقيل فتح الاسلام بالحجة والبرهان والسيف والسنان وقيل الفتح الحكيم لقوله افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقوله ثم يفتح بيننا بالحق فمن قال هو فتح مكة قال لانه مناسب لاخر السورة التي قبلها من وجوه احدها انه تعالى لما قال ها انتم هولاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله الي ان قال ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه وبين تعالى انه فتح لهم مكة وغنموا ديارهم وحصل لهم اضعاف ما انفقوا ولو بخلوا لضاع عليهم ذلك فلا يكون بخلهم الا علي انفسهم وثانيها لما قال والله معكم وقال وانتم الاعلون بين برهانه بفتح مكة فانهم كانوا هم الاعلون وثالثها لما قال تعالى فلا تهنوا وتدعوا الي السلم وكان معناه لا تسالوا الصلح بل اصبروا فانكم تسالون الصلح كما كان يوم الحديبية فكان المراد فتح مكة حيث اتوا صناديد قريش مستامنين وموامنين ومسلمين ومستسلمين فان قيل ان كان المراد بفتح مكة فمكة لم تكن فتحت فكيف قال فتحنا بلفظ الماضي فالجواب من وجهين احدهما فتحنا في حكمنا وتقديرنا والثاني ما قدره الله تعالى فهو كاين فاخبر بصيغة الماضي اشارة الي انه امر واقع لا دافع له واما حجة قول الاكثرين علي انه صلح الحديبية فلما روي البرا قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم اربع عشرة ماية والحديبية بير فنزحناها فلم يترك قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس علي شفيرها فدعا باناء من ماء فتوضا ثم تمضمض ودعا وصبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا ما شينا نحن وركابنا قال الشعبي في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي وظهرت الروم علي فارس ففرح المومنون بظهور اهل الكتاب على المجوس قال الزهري ولم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم واسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر سواد الاسلام قال المفسرون انا فتحنا لك فتحا مبينا اي قضينا لك قضا بينا قوله ليغفر لك الله متعلق بفتحنا وهي لام العلة وقال الزمخشري فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنا لك فتح مكة ونصرناك علي عدوك لنجمع لك بين عز الدارين واعراض العاجل والاجل ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب وهذا الذي قاله مخالف لظاهر الاية فان اللام داخلة علي المغفرة فتكون المغفرة علة للفتح والفتح معلل بها فكان ينبغي ان يقول كيف جعل فتح مكة معللا بالمغفرة ثم يقول لم يجعل معللا وقال ابن الخطيب في جواب هذا السوال وجهين اخرين فقال بعد ان حكى الاول وقال ان اجتماع الاربعة لم يثبت الا بالفتح فان النعمة به تمت والنصرة بعده عمت الثاني ان فتح مكة كان سببا لتطهير بيت الله من رجس الاوثان وتطهير بيته صار سببا لتطهير عبده الثالث ان الفتح سبب للحج وبالحج تحصل المغفرة كما قال عليه السلام في الحج اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا الرابع المراد منه التعريف تقديره انا فتحنا لك لتعرف انك مغفور لك معصوم وقال ابن عطية المراد هنا ان الله فتح

لك لكي يجعل الفتح علامة لغفرانه لك فكانها لام صيرورة وهذا الكلام ماش على الظاهر
وقال بعضهم ان هذه اللام لام القسم والاصل ليغفرن فكسرت اللام تشبيها بلام كي
وحذفت النون ورد هذا بان اللام لا تكسر وبانها لا تنصب المضارع وقد يقال ان هذا
ليس منصب وانما هو بقاء الفتح الذي كان قبل نون التوكيد بقي ليدل عليها ولكنه قول
مردود **فصل** لم يكن للنبي عليه السلام ذنب فماذا يغفر له فقيل المراد ذنب المومنين
وقيل المراد ترك الافضل وقيل الصغاير فانها جايزة على الانبيا بالسهو والعمد قاله
ابن الخطيب وهي تصونهم عن العجب وقيل المراد بالمغفرة العصمة ومعنى قوله وما تاخر
قيل انه وعد للنبي صلى الله عليه وسلم بانه لا يذنب بعد النبوة وقيل ما تقدم على الفتح وما
تاخر عن الفتح وقيل هو العموم يقال اضرب من لقيت ومن لا تلقاه مع ان من لا يلقاه لا
يمكن ضربه اشارة الى العموم وقيل من قبل النبوة وبعدها ومعناه ما قبل النبوة بالعفو وما
بعدها بالعصمة وفيه وجوه اخر ساقطة قال ابن الخطيب منها قول بعضهم ما تقدم
من امر مارية وما تاخر من امر زينب وهو ابعد الوجوه واسقطها لعدم التيام الكلام قوله
ويتم نعمته عليك قيل ان التكاليف عند الفتح تمت حيث وجب الحج وهذا اخر التكاليف
والتكليف نعمة وقيل يتم نعمته عليك باخلا الارض لك عن معانديك فان من يوم
الفتح لم يبق للنبي عليه السلام عدو فان بعضهم قتل يوم بدر والباقون امنوا واستامنوا
يوم الفتح وقيل ويتم نعمته عليك في الدنيا والاخرة اما في الدنيا باستجابة دعاك
في طلب الفتح وفي الاخرة بقبول شفاعتك **فصل** قال الضحاك انا فتحنا لك
فتحا مبينا بغير قتال وكان الصلح من الفتح فان كانت اللام في قوله ليغفر لام كي فمعناه
انا فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح وقال الحسن بن
الفضل هو مردود الى قوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات ليغفر لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر وليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار وقال
محمد بن جرير هو راجع الى قوله اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين
الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك في الجاهلية قبل
الرسالة وما تاخر الى وقت نزول هذه السورة وقيل ما تاخر مما يكون وهذا على طريقة
من يجوز الصغاير على الانبيا وقال سفيان الثوري ما تقدم ما عملت في الجاهلية وما تاخر
كل شي لم تعمله كما تقدم وقال عطا الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني ذنب ابويك ادم
وحوى ببركتك وما تاخر ذنوب امتك بدعوتك ويتم نعمته عليك بالنبوة والحكمة
قوله ويهديك صراطا مستقيما قيل يهديك وقيل يديمك على الصراط المستقيم
وقيل جعل الفتح سبب الهداية الى الصراط المستقيم لانه سهل على المومنين الجهاد لعلمهم
بفوايده العاجلة والاجلة وقيل المراد التعريف اي لتعرف انك على صراط مستقيم ثم قال
وينصرك الله نصرا عزيزا غالبا وقيل معزا لان بالفتح ظهر النصر فان قيل ان الله تعالى
وصف النصر بكونه عزيزا والعزيز من له النصر فالجواب من وجهين احدهما قال الزمخشري
انه يحتمل وجوها ثلاثة الاول معناه نصرا ذا عزة كقوله في عيشة راضية اي ذات
رضى الثاني وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا يقال له كلام صادق
كما يقال له متكلم صادق الثالث المراد نصرا عزيزا صاحبه الوجه الثاني ان يقال انما
يلزم ما ذكره الزمخشري اذا قلنا العزة هي الغلبة والعزيز الغالب واما اذا قلنا العزيز
هو النفيس القليل النظير او المحتاج اليه القليل الوجود يقال عز الشي في سوق كذا
اي قل وجوده مع انه محتاج اليه فالنصر كان محتاجا اليه ومثله لم يوجد وهو اخذ
بيت الله من الكفار المقيمين فيه من غير عدد ولا عدد **فصل** في البحث
المعنوي وهو ان الله تعالى لما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك ابرز الفاعل وهو
الله تعالى لما قال ثم عطف عليه بقوله ويتم وبقوله ويهديك ولم يذكر لفظ الله على
الوجه الحسن في الكلام وهو ان الافعال الكثيرة اذا صدرت من فاعل يظهر اسمه في
الفعل ولا يظهر فيما بعده تقول جاء زيد وقعد زيد بل جاء زيد وقعد وتكلم وقام وراح

ولا

ولا تقول جاء زيد وقعد زيد بل جاء زيد وقعد اختصارا للكلام بالاقتصار على الاول
وههنا لم يقل وينصرك نصرا بل اعاد لفظ الله وجوابه هذا ارشاد الى طريق النصر ولهذا
فلما ذكر الله النصر من غير اضافة فقال تعالى ولينصرن الله من ينصره ولم يقل بالنصر ينصر
وقال هو الذي ايدك بنصره ولم يقل ايدك بالنصر وقال اذا جاء نصر الله والفتح وقال
نصر من الله وفتح قريب وقال وما النصر الا من عند الله وهذا ادل الايات على مطلوبها
وتحقيقه هو ان النصر بالصبر والصبر بالله قال تعالى وما صبرك الا بالله وذلك لان
الصبر سكون القلب واطمينانه وذلك بذكر الله كما قال تعالى الا بذكر الله تطمين القلوب
فلما قال ههنا وينصرك الله اظهر لفظ الله ليعلم ان بذكر الله يحصل اطمينان القلب وبه يحصل
الصبر وبه يتحقق النصر **فصل** قال انا فتحنا لك ثم قال ليغفر لك الله ولم
يقل انا فتحنا ليغفر لك تعظيما لامر الفتح وذلك لان المغفرة وان كانت عظيمة لكنها عامة
لقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وان قلنا
بان المراد من المغفرة في حق النبي صلى الله عليه وسلم العصمة فلذلك لم يختص به نبينا بل
غيره من الرسل كان معصوما واتمام النعمة كذلك قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي وقال يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وكذلك الهداية
قال الله تعالى يهدي به الله وكذلك النصر قال الله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين انهم لهم المنصورون واما الفتح فلم يبق لاحد غير النبي صلى الله عليه وسلم فعظمه
بقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا وفيه التعظيم من وجهين احدهما قوله انا والثاني قوله
لك اي لاجلك على وجه المنة قوله هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين لما قال تعالى
وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه النصر وذلك ان الله تعالى قد ينصر رسله بصيحة يهلك
بها اعداهم او رجفة يحكم فيها عليهم بالفنا او بشي يرسله من السما او بصبر وقوة وثبات
قلب يرزق المومنين ليكون لهم بذلك الثواب الجزيل فقال هو الذي انزل السكينة اي تحقيقا
للنصر والمراد بالسكينة قيل السكون وقيل الوقار لله وقيل اليقين قال اكثر المفسرين هذه
السكينة غير السكينة المذكورة في قوله تعالى يا تيكم التابوت فيه سكينة من ربكم ويحتمل
ان يكون هي تلك لان المقصود منها على جميع الوجوه اليقين وثبات القلب **فصل**
قال الله تعالى في حق الكفار وقذف في قلوبهم الرعب بلفظ القذف المزعج وقال في حق
المومنين انزل السكينة بلفظ الانزال المثبت وفيه معنى حكمي وهو ان من علم شيا من قبل
وتذكره واستدام تذكره فاذا وقع لا يتغير ومن كان غافلا عن شي فيقع دفعة فانه يرجف
فواده الا ترى ان من اخبر بوقوع صيحة وقيل له لا تنزعج منها فوقعت الصيحة لا يرتجف
ومن لم يخبر به او اخبر وغفل عنه يرتجف اذا وقعت فكذلك الكافر اتاه الله من حيث لم يحتسب
وقذف في قلبه الرعب فارتجف والمومن اتى من حيث كان يذكر فسكن فلا تنزعج نفوسهم
لما يرد عليهم قال ابن عباس كل سكينة في القران فهي طمانينة الا التي في سورة البقرة
قوله ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم قال ابن عباس بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة
ان لا اله الا الله فلما صدقوا زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم الجهاد حتى اكمل لهم دينهم
فكلما امروا بشي فصدقوه ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم
وقيل انزل السكينة عليهم فصبروا وراوا عين اليقين ما علموا من النصر علم اليقين ايمانا
بالغيب فازدادوا ايمانا مستفادا من العين مع ايمانهم المستفاد من الشهادة وقيل ازدادوا ايمانا
بالفروع مع ايمانهم بالاصول فانهم امنوا بان محمدا رسول الله وان الله واحد والحشر كاين
فامنوا بان كلما يقول النبي عليه السلام فهو صدق وكلما يامر الله تعالى به واجب وقيل
ازدادوا ايمانا استدلاليا مع ايمانهم الفطري فان قيل ما الحكمة في قوله في حق الكفار انما نملي
لهم ليزدادوا اثما ولم يقل مع كفرهم وقال في حق المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فالجواب
ان كفر الكافر عنادي وليس في الوجود كفر فطري ولا في الوجود كفر عنادي لينضم الى الكفر
الفطري بل الكفر ليس الا عناديا وكذلك الكفر بالفروع لا يقال انضم الى الكفر بالاصول لان
من ضرورة الكفر بالاصول الكفر بالفروع وليس من ضرورة الايمان بالاصول الايمان بالفروع

بما يفعلون كما قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا انه لا اله الا الله كما قال تعالى
شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وهم الانبيا ومبشرا من قبل شهادته وحكم
بها ونذيرا لمن رد شهادته ثم بين فايدة الارسال فقال ليومنوا بالله ورسوله ويعزروه
اي يعينوه وينصروه ويوقروه اي يعظموه ويفخموه هذه الكنايات راجعة الى النبي صلى الله
عليه وسلم وههنا وقف ثم قال ويسبحوه اي يسبحوا الله يريد يصلوا له بكرة واصيلا بالغداة
والعشي وقيل الكنايات راجعة الى الله اي ليومنوا بالله ورسوله ويعزروا الله بتقوية دينه
ويوقروا الله اي يعظموه قوله ليومنوا قرا ابن كثير وابو عمرو ليومنوا وما بعده باليا من
تحت رجوعا الى قوله المومنين والمومنات والباقون بتا الخطاب وقرا الجحدري يعزروه
بفتح اليا وضم الزاي وهو ايضا وجعفر بن محمد كذلك الا انهما كسرا الزاي وابن عباس
واليماني ويعززوه كالعامة الا انه بزايين من العزة فان قيل ما الحكمة في قوله في الاحزاب
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وههنا اقتصر على
الثلاثة الاول فالجواب من وجهين احدهما ان ذلك المقام كان مقام ذكر لان اكثر السورة
ذكر الرسول واخوانه وما تقدمه من المبايعة والوعد بالدخول فقصل هناك ولم يفصلها
وثانيهما ان قوله شاهدا الما يقتضي ان يكون داعيا لجواز ان يقول مع نفسه اشهد ان لا اله
الا الله ولا يدعو الناس قال هناك وداعيا كذلك ههنا لما لم يكن كونه شاهدا ينبي عن كونه
داعيا قال ليومنوا بالله ويعزروه ويوقروه وقوله بكرة واصيلا يحتمل ان يكون اشارة الى
المداومة ويحتمل ان يكون لمخالفة عمل المشركين فانهم كانوا يعبدون الاصنام في الكعبة
بكرة وعشية فامر الله بالتسبيح في اوقات ذكرهم الفحشا والمنكر قوله ان الذين يبايعونك
يا محمد بالحديبية على ان لا يفروا انما يبايعون الله لانهم باعوا انفسهم من الله تعالى بالجنة
روى يزيد بن ابي عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على اي شي بايعتم رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم الحديبية قال على الموت قوله انما يبايعون الله خبر ان الذين ويد
الله فوق ايديهم جملة حالية او خبر ثان وهو ترشيح للمجاز في مبايعة الله وقرا تمام
ابن العباس يبايعون لله والمفعول محذوف اي انما يبايعونك لاجل الله قوله يد الله
فوق ايديهم لما بين انه مرسل ذكر ان من بايعه فقد بايع الحق وقوله يد الله فوق ايديهم
يحتمل وجوها وذلك ان اليد في الموضعين اما ان يكون بمعنى واحد واما ان يكون بمعنيين
فان كانا بمعنى واحد ففيه وجهان احدهما قال الكلبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق
ما صنعوا من البيعة كما قال تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وثانيهما قال ابن
عباس ومجاهد يد الله بالوفا بما وعدهم من النصر والخير اقوى واعلى من نصرتهم اياه ويقال
اليد لفلان اي الغلبة والقوة وان كان بمعنيين ففي حق الله بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين
بمعنى الجارحة قال السدي كانوا ياخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبايعونه
ويد الله فوق ايديهم في المبايعة وذلك ان المتبايعين اذا مد احدهما يده الى الاخر في البيع
وبينهما ثالث فيضع يده على يديهما ويحفظ ايديهما الى ان يتم العقد ولا يترك احدهما
يترك يد الاخر لكي يلزم العقد ولا يتفاسخان فصار وضع اليد فوق الايدي سببا
لحفظ البيعة فقال تعالى يد الله فوق ايديهم يحفظهم على البيعة كما يحفظ المتوسط
ايدي المتبايعين قوله فمن نكث اي نقض البيعة فانما ينكث على نفسه اي عليه وباله
ومن اوفى بما عاهد عليه الله اي ثبت على البيعة فسيوتيه اجرا عظيما قرا اهل العراق
فسيوتيه باليا من تحت وقرا الاخرون بالنون والمراد بالاجر العظيم الجنة وتقدم
الكلام في معنى الاجر العظيم قوله سيقول لك المخلفون من الاعراب قال ابن عباس
ومجاهد يعني اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم وذلك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة
من الاعراب والبوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن
البيت فاحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل كثير
من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل لظنهم انه يهزم فانزل الله هذه الاية قوله

شغلتنا

شغلتنا حكى الكسائي عن ابن ندح انه قرا شغلتنا بالتشديد اموالنا واهلونا يعني النسا
والذراري اي لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فاستغفر لنا تخلفنا عنك فكذبهم الله في اعتذارهم
فقال يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم من الامر بالاستغفار فانهم لا يبالون استغفر
لهم النبي او لا قل فمن يملك لكم من الله شيا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا قرا الاخوان ضرا
بضم الضاد والباقون بفتحها فقيل هما لغتان بمعنى كالفقر والفقر والضعف والضعف
وقيل بالفتح ضد النفع وبالضم سو الحال فمن فتح قال لانه قابله بالنفع والنفع ضد
الضر وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع
بالسلامة في انفسهم واموالهم فاخبرهم انه ان اراد بهم شيا من ذلك لم يقدر احد على دفعه
بل كان الله بما تعملون خبيرا اي بما تعملون من اظهار امر واضمار غيره قوله بل ظننتم ان لن
ينقلب الرسول والمومنون الى اهليهم ابدا اي ظننتم ان العدو يستاصلهم ولا يرجعون قرا
عبد الله الى اهلهم دون يا بل اضاف الاهل مفردا قوله وزين ذلك في قلوبكم قرئ وزين
مبنيا للفاعل اي الشيطان او فعلكم زين ذلك الظن في قلوبكم وظننتم ظن السو وذلك انهم
قالوا ان محمدا واصحابه اكلة راس فلا يرجعون فاين تذهبون معه انتظروا ما يكون من امرهم
وكنتم قوما بورا اي صرتم هلكى لا تصلحون لخير وقيل كنتم على بابها من الاخبار بكونهم في الماضي
كذا والبور الهلاك وهو يحتمل ان يكون هنا مصدرا اخبر به عن الجمع كقوله

يا رسول الله اني لسانك ۞ راتق ما فتقت اذ انا بور

ولذلك يستوي فيه المفرد والمذكر وضدهما ويجوز ان يكون جمع باير كحايل وحول في المعتل
وبازل وبزل في الصحيح قوله ومن لم يومن يجوز ان تكون شرطية او موصولة والظاهر قايم
مقام العايد على كلي التقديرين اي فانا اعتدنا لهم وفيه فايدة وهي التعميم كانه قال ومن
لم يومن بالله ورسوله فهو من الكافرين وانا اعتدنا للكافرين سعيرا قوله ولله ملك
السموات والارض يغفر لمن يشا ويعذب من يشا وكان الله غفورا رحيما ذكر هذا بعد ذكره
من له اجر عظيم من المبايعين ومن له في السعير عذاب اليم من الظانين الضالين وذلك يفيد
عظمة الامرين جميعا لان من عظم ملكه يكون اجره وهيبته في غاية العظمة وعذابه وعقوبته
في غاية الالم قوله سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها يعني مغانم هولا الذين
تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم سرتم وذهبتم ايها المومنون الى مغانم لتاخذوها يعني مغانم
خيبر ذرونا نتبعكم الى خيبر لنشهد معكم قتال اهلها وذلك انهم لما انصرفوا من الحديبية وعدهم الله
فتح خيبر وجعل غنايمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا من غنايم مكة اذ انصرفوا من الحديبية
منهم على صلح ولم يصيبوا منهم شيا لان قوله سيقول المخلفون وعد للمبايعين بالغنيمة
وللمخلفين الخالفين بالحرمان قوله يريدون يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا من
المخلفون وان يكون حالا من مفعول ذرونا قوله كلام الله قرا الاخوان كلم جمع كلمة
والباقون كلام قيل معناه يريدون ان يغيروا مواعيد الله تعالى لاهل الحديبية بغنيمة خيبر
خاصة وقال مقاتل يعني امر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ان لا يسير معه منهم احد وقال
ابن زيد هو ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تخلف القوم اطلعه الله على ظنهم واظهر له نفاقهم
وقال للنبي عليه السلام فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي
عدوا والاول اصوب وعليه اكثر المفسرين قوله قل لن تتبعونا الى خيبر كذلكم قال الله من
قبل اي من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب قوله
بل تحسدوننا بكسر السين بل للاضراب والمضروب عنه محذوف في الموضعين اما ههنا فتقديره
ما قال الله كذلك من قبل بل تحسدوننا اي يمنعكم الحسد من ان نصيب معكم الغنايم بل كانوا
لا يفقهون لا يعلمون عن الله ما لهم وعليهم من الدين الا قليلا منهم وهم من صدق الله ورسوله
فان قيل بماذا كان الحسد في اعتقادهم قيل كانهم قالوا نحن مصيبون في عدم الخروج حيث
رجعوا من الحديبية من غير عدو حاصل ونحن استرحنا فان خرجنا معهم ويكون فيه غنيمة
يقولون هم غنموا معنا ولم يتعبوا ثم قال الله تعالى ردا عليهم كما ردوا عليه بل كانوا لا يفقهون
الا قليلا اي لم يفقهوا من قولك لا تخرجوا الا ظاهر النهي ولم يفهموا حكمه الا قليلا فحملوه على

ما اراد هم وعلموه بالحسد قوله قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس
شديد لما قال النبي عليه السلام لهم لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا وكان المخلفون جمعا كثيرا
من قبايل متشعبة دعت الحاجة الى بيان قبول توبتهم فانهم لم يبقوا على ذلك ولم يكونوا من
الذين مردوا على النفاق بل منهم من حسن حاله تحمل لقبول توبتهم علامة وهو انهم
يدعون الى قوم اولي باس شديد ويطيعون بخلاف حال ثعلبة حيث امتنع من اداء الزكاة
ثم اتي بها ولم يقبل منه النبي صلى الله عليه وسلم واستمر عليه الحال ولم يقبل منه احد من
الصحابة كذلك كان يستمر حال هولاء لولا الله تعالى بين انهم يدعون فان اطاعوا اعطوا الاجر
الحسن والفرق بين حال هولاء وبين حال ثعلبة من وجهين احدهما ان ثعلبة يجوز ان يقال
حاله لم يكن يتغير في علم الله فلم يبين لتوبته علامة وحال الاعراب تغيرت فان بعد النبي
عليه السلام لم يبق من المنافقين على النفاق احد الثاني ان الحاجة الى بيان حال الجمع
الكثير والجم الغفير امس لانه لولا البيان لافضى الامر الى قيام الفتنة بين فرق المسلمين فصل
قال ابن عباس ومجاهد المراد بقوله قوم اولي باس هم اهل فارس وقال كعب الروم وقال
الحسن فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان
قوم حنين وقال الزهري ومقاتل وجماعة هم بنو حنيفة اهل اليمامة واصحاب مسيلمة الكذاب
وقال رافع بن جريج كنا نقرا هذه الاية ولا نعلم من هم حتى دعا ابو بكر الى قتال بني حنيفة
فعلمنا انهم هم وقال ابو هريرة لم تات هذه الاية بعد قوله او يسلمون العامة على رفعه
باثبات النون عطفا على تقاتلونهم او على الاستيناف اي او هم يسلمون وقرا ابي وزيد بن
علي بحذف النون نصبا بحذفها والنصب باضمار ان عند جمهور البصريين وباو نفسها عند
الجرمي والكسايي ويكون قد عطف مصدرا مؤولا على مصدر متوهم كانه قيل يكن قتال
او اسلام ومثله في النصب قول امرئ القيس •

• فقلت له لا تبك عينك انما • نحاول ملكا او نموت فنعذرا •

وقال ابو البقاء او بمعنى الا ان او حتى فصل معنى قوله تقاتلونهم او يسلمون
اشارة الى ان احدهما يقع لان او بين المتغايرين وينبي عن الحصر يقال العدد زوج او
فرد ولهذا لا يصح قول القايل هذا زيد او ابن عمرو اذا كان زيد ابن عمرو واذا علم هذا فقول
القايل الازمك او تقضيني حقي معناه ان الزمان انحصر في قسمين قسم يكون فيه الملازمة
وقسم يكون فيه قضاء الحق فلا يكون بين الملازمة وقضاء الحق قسم ثالث والا لما انحصر
واذا كان كذلك يكون زمان الملازمة ممتدا الى قضاء الحق فيكون قوله الازمك او تقضيني
كقوله الازمك الى ان تقضيني لامتداد زمان الملازمة الى القضاء قوله فان تطيعوا يوتكم
الله اجرا حسنا يعني الجنة وان تتولوا تعرضوا كما توليتم من قبل عام الحديبية يعذبكم عذابا
اليما وهو النار فلما نزلت هذه الاية قال اهل الزمانة كيف بنا يا رسول الله فانزل الله
عز وجل ليس على الاعمى حرج اي في التخلف عن الجهاد ولا على الاعرج حرج ولا على المريض
حرج وذلك لان الجهاد عبارة عن المقاتلة والكر والفر وهولاء الثلاثة لا يمكنهم الاقدام
على العدو والطلب ولا يمكنهم الاحتراز والهرب وفي معنى الاعرج الاقطع والمقعد بل اولى
ان تعذر ومن به عرج لا يمنعه من الكر والفر كالطحال والسعال وبعض اوجاع المفاصل
اذا لم يضعفه عن الكر والفر فهذه اعذار في نفس المجاهد وتبقى اعذار خارجة كالفقر
الذي لا يمكن صاحبه من استصحاب ما يحتاج له وكذلك الاشتغال بمن لولاه لضاع كطفل
او مريض والاعذار المبيحة مذكورة في كتب الفقه وقدم الاعمى على الاعرج لان عذر
الاعمى يستمر ولو حضر القتال والاعرج ان حضر راكبا او بطريق يقدر على القتال بالرمي
وغيره قوله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن
يتول يعذبه عذابا اليما قرا اهل المدينة والشام ندخله ونعذبه بالنون فيهما وقرا
الاخرون بالياء لقوله ومن يطع الله قوله تعالى لقد رضي الله عن المومنين الاية
لما بين حال المخلفين بعد قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله عاد الى بيان
حال المبايعين قوله اذ يبايعونك منصوب برضي وتحت الشجرة يجوز ان يكون

متعلقا

متعلقا بيبايعونك وان يتعلق بمحذوف على انه حال من المفعول فصل المعنى
يبايعونك بالحديبية على ان يناجزوا قريشا ولا يفروا وقوله تحت الشجرة وكانت سمرة
قال سعيد بن المسيب حدثني ابي انه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت
الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها وروي ان عمر بن الخطاب
مر بذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة فقال اين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم
ههنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا قد ذهبت الشجرة وروي جابر بن عبد الله قال قال
لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية انتم خير اهل الارض وكنا الفا واربعماية ولو
كنت ابصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة وروي سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة ماية وقال
عبد الله بن ابي اوفى كان اصحاب الشجرة الفا وثلثماية وروي جابر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة قوله فعلم ما في قلوبهم من الصدق
والوفا فانزل السكينة الطمانينة والرضا عليهم فان قيل الفاء للتعقيب وعلم الله قبل الرضى
لانه علم ما في قلوبهم من الصدق فرضي عنهم فكيف يفهم التعقيب في العلم فالجواب قال ابن الخطيب
ان قوله تعالى فعلم ما في قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعونك كما تقول فرحت امس اذ كلمني زيد
فقام لي او اذ دخلت عليه فاكرمني فيكون الفرح بعد الاكرام مرتبا كذلك ههنا قال تعالى لقد
رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك فعلم ما في قلوبهم من الصدق اشارة الى ان الرضا لا يكون
عند المبايعة حسب بل عند المبايعة التي كان معها علم الله بصدقهم والفاء في قوله فانزل
السكينة للتعقيب المذكور فانه تعالى رضي الله عنهم فانزل السكينة عليهم وفي قوله فعلم
لبيان وصف المبايعة يكون معقبة بالعلم بالصدق الذي في قلوبهم قوله واثابهم فتحا
قريبا يعني فتح خيبر وقوله ومغانم كثيرة اي واتاكم مغانم او واتاهم مغانم او واثابهم مغانم او
اثابكم مغانم وانما قدر الخطاب والغيبة لانه يقرا ياخذونها بالغيبة وهي قراءة العامة وتاخذونها
بالخطاب وهي قراءة الاعمش وطلحة ونافع في رواية سقلاب فصل قيل المراد بالمغانم
الكثيرة مغانم خيبر وكانت خيبر ذات عقار واموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم
وقيل مغانم هجر وكان الله عزيزا كامل القدرة غنيا عن اعانتكم اياه حكيما حيث جعل هلاك
اعدايه على ايديكم ليثيبكم عليه او لان في ذلك كان اعزاز قوم واذلال اخرين فقال يذل من يشاء
لعزته ويعز من يشاء لحكمته قوله وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها وهي الفتوح التي تفتح
لكم الى يوم القيمة وليس المغانم كل الثواب بل الجنة قدامهم وانما هي كعاجلة عجل بها لهم ولهذا قال
فعجل لكم هذه يعني خيبر وكف ايدي الناس عنكم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد
خيبر وحاصر اهلها همت قبايل من اسد وغطفان ان يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم
بالمدينة فكف الله ايديهم بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل كف ايدي الناس عنكم يعني اهل
مكة بالصلح ولتكون كفهم وسلامتكم اية للمومنين على صدقك ويعلموا ان الله هو المتولي
حياطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم قوله ولتكون يجوز فيه ثلاثة اوجه احدها ان
يتعلق بفعل مقدر بعده تقديره ولتكون فعل ذلك الثاني انه معطوف على علة محذوفة
تقديره وعد فعجل وكف لتنتفعوا او لتشكروا او لتكون الثالث ان الواو مزيدة والتعليل
لما قبله اي وكف لتكون قوله ويهديكم صراطا مستقيما يثبتكم على الاسلام ويزيدكم بصيرة
ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية
اقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج في سنة سبع الى خيبر روي انس بن مالك
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا بنا قوما لم يكن يغير بنا حتى يصبح وينظر فان سمع اذانا
كف عنهم وان لم يسمع اذانا اغار عليهم قال فخرجنا الى خيبر فانتهينا اليهم ليلا فلما اصبح لم
يسمع اذانا ركب وركبت خلف ابي طلحة وان قدمي لتمس قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال
فخرجوا الينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والله محمد
والخميس اي محمد والجيش فلما راهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله اكبر الله اكبر خربت
خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وروي اياس بن سلمة قال حدثني ابي
قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم

• تالله لولا الله ما اهتدينا • ولا تصدقنا ولا صلينا •
ونحن من فضلك ما استغنينا • فثبت الاقدام ان لاقينا • وانزلن سكينة علينا •
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا فقال اباعامر قال غفر لك ربك وما استغفر
رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وهو على جمل له يا نبي الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج
ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول • قد علمت خيبر اني مرحب •
• شاكي السلاح بطل مجرب • اذا الحروب اقبلت تلهب • فقال علي رضي الله عنه
انا الذي سمتني امي حيدره • كليث غابات كريه المنظره • اكيلكم بالصاع كيل السندره •
قال فضرب راس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه وبذي اكيلكم بالسيف كيل السندره
اي اقتلكم قتلا واسعا ذريعا والسندره مكيال واسع قيل يحتمل ان يكون اتخذ من السندرة
وهي شجرة يعمل منها النبل والقسي والسندرة ايضا العجلة والنون زايدة قال ابن الاثير
وذكرها الجوهري في هذا الباب ولم ينبه على زيادتها وروي فتح خيبر من طريق اخر في بعضها
زيادات وفي بعضها نقصان عن بعض قوله واخرى يجوز فيها اوجه احدها ان تكون
مرفوعة بالابتدا ولم تقدروا عليها صفتها وقد احاط الله بها خبرها الثاني ان الخبر محذوف
مقدر قبلها اي وثم اخرى لم تقدروا عليها الثالث ان تكون منصوبة بفعل مضمر على شريطة
التفسير فيقدر الفعل من معنى المتاخر وهو قد احاط الله بها اي وقضى الله اخرى الرابع
ان تكون منصوبة بفعل مضمر لا على شريطة التفسير بل لدلالة السياق اي ووعد اخرى
او واتاكم الخامس ان تكون مجرورة برب مقدرة وتكون الواو واو رب ذكره الزمخشري
وفي المجرور بعد الواو المذكورة خلاف مشهور اهو برب مضمرة ام بنفس الواو الا ان اباحيان
قال ولم تات رب جارة في القران على كثرة دورها يعني جارة لفظا والا فقد قيل انها
جارة تقديرا هنا وهي قوله ربما على قولنا ان ما نكرة موصوفة قوله قد احاط الله بها
يجوز ان يكون خبر الاخرى كما تقدم او صفة ثانية اذا قيل بان اخرى مبتدا او خبرها
مضمر وحاك ايضا

فصل قال المفسرون معناه اي ووعدكم فتح بلدة اخرى لم
تقدروا عليها قد احاط الله بها حتى يفتحها لكم كانه حفظها لكم ومنعها من غيركم حتى
تاخذوها قال ابن عباس علم الله انه يفتحها لكم ومنعها من غيركم حتى تاخذوها قال
ابن قال ابن الخطيب تقديره وعدكم مغانم تاخذونها ومغانم لا تاخذونها انتم ولا
تقدرون عليها وانما ياخذها من يجي بعدكم من المومنين وهذا تفسير الفرا في معنى قوله
قد احاط الله بها اي حفظها للمومنين لا يجري عليها هلاك وفنا الى ان ياخذها المسلمون
كاحاطة الحراس بالخزاين واختلفوا فيها فقال ابن عباس والحسن ومقاتل هي
فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى
قدروا عليها بالاسلام وقال الضحاك وابن زيد هي خيبر وعدها الله نبيه صلى الله
عليه وسلم قبل ان يصيبها ولم يكونوا يرجونها وقال قتادة هي مكة وقال عكرمة حنين
وقال مجاهد ما فتحوا حتى اليوم وكان الله على كل شي قديرا قوله ولو قاتلكم الذين
كفروا يعني اسدا وغطفان واهل خيبر لولوا الادبار قال ابن الخطيب وهذا يصلح جوابا
لمن يقول كف الايدي عنهم كان امرا اتفاقيا ولو اجتمع عليهم العرب كما زعموا المعقول هم من
فتح خيبر واغتنام غنايمها فقال ليس كذلك بل سوا قاتلوا او لم يقاتلوا لا ينصرون
والغلبة واقعة للمسلمين فليس امرهم امرا اتفاقيا بل هو امر الهي محكوم به محتوم ثم قال
ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا قوله سنة الله مصدر موكد لمضمون الجملة المتقدمة اي سن
الله ذلك سنة قال ابن الخطيب وهذا جواب عن سوال اخر يقوله قوم من الجهال وهو
ان الطوالع والاتصالات لها تاثيرات وتغييرات فقال ليس كذلك بل سنة الله نصرة
رسله واهلاك عدوه والمعنى هذه سنة الله في نصر اوليايه وقهر اعدايه ولن تجد
لسنة الله تبديلا قوله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن
مكة من بعد ان اظفركم عليهم وهذا تبيين لما تقدم من قوله ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا

الادبار

الادبار بتقدير الله كما انه كف ايديهم عنكم بالفرار وايديكم بالرجوع عنهم وترك قهرهم روى ثابت
عن انس بن مالك ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من
جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذهم سلما فاستحياهم
فانزل الله وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وقال
عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في اصل الشجرة التي قال
الله تعالى في القران وعلى ظهره غصن من اغصان الشجرة فرفعته وعلي بن ابي طالب بين
يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا
فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بابصارهم فقمنا اليهم فاخذناهم فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جيتم في عهد او هل جعل لكم احد امانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم
فانزل الله هذه الاية قوله وكان الله بما تعملون بصيرا قرا ابو عمرو يعملون بالياء وقرا الاخرون
بالتاء فمن قرا بالغيبة فهو رجوع الى قوله ايديهم وعنهم ومن قرا بالخطاب فهو رجوع
الى قوله ايديكم وعنكم والمعنى ان الله يرى فيه المصلحة وان كنتم لا ترون ذلك ثم بين ذلك
بقوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام وهذا اشارة الى ان الكف لم يكن
لامر فيهم لانهم كفروا وصدوا واحصروا وكل ذلك يقتضي قتالهم فلا يقع لاحد ان الفريقين اتفقوا
واصطلحوا ولم يبق بينهما خلاف ولا نزاع بل الاختلاف والنزاع باق مستمر لانهم هم الذين
كفروا وصدوكم ومنعوكم فازدادوا كفرا وعداوة وانما ذلك للرجال المومنين والنسا المومنات
قوله والهدي العامة على نصبه والمشهور انه نسق على الضمير المنصوب في صدوكم وقيل
نصب على المعية وفيه ضعف لامكان العطف وقرا ابو عمرو في رواية بجره عطفا على المسجد الحرام
ولا بد من حذف مضاف اي وعن نحو الهدي وقري برفعه على انه مرفوع بفعل مقدر لم يسم
فاعله اي وصد الهدي والعامة على فتح الهاء وسكون الدال وروي عن ابي عمرو وعاصم وغيرهما
كسر الدال وتشديد اليا وحكى ابن خالويه ثلاث لغات الهدي وهي الشهيرة لغة قريش
والهدي والهدا قوله معكوفا حال من الهدي اي محبوسا يقال عكفت الرجل عن حاجته
وانكر الفارسي تعدية عكف بنفسه واثبتها ابن سيدة والازهري وغيرهما وهو ظاهر القران
لبنا اسم المفعول منه قوله ان يبلغ فيه اوجه احدها انه على اسقاط الخافض اي عن او من
ان وحينيذ يجوز في هذا الجار المقدر ان يتعلق بصدوكم وان يتعلق بمعكوفا اي محبوسا عن بلوغ
محله الثاني انه مفعول من اجله وحينيذ يجوز ان يكون علة للصد والتقدير صدوا الهدي
كراهة ان يبلغ محله وان يكون علة لمعكوفا اي لاجل ان يبلغ محله ويكون الحبس من المسلمين
الثالث انه بدل من الهدي بدل اشتمال اي صدوا بلوغ الهدي محله

فصل معنى الاية
هم الذين كفروا يعني كفار مكة وصدوكم ومنعوكم عن المسجد الحرام ان تطوفوا به والهدي اي وصدوا
الهدي وهي البدن التي ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة معكوفا
محبوسا يقال عكفته عكفا اذا حبسته وعكوفا لازم كما يقال رجع رجعا ورجوعا ان يبلغ محله
منحره وحيث يحل منحره يعني الحرم ثم قال ولولا رجال مومنون ونسا مومنات يعني المستضعفين
بمكة قوله لم تعلموهم صفة للصنفين وغلب الذكور وقوله ان تطوهم يجوز ان يكون بدلا
من رجال ونسا وغلب الذكور كما تقدم وان يكون بدلا من مفعول تعلموهم فالتقدير على
الاول ولولا وطء رجال ونسا غير معلومين والتقدير الثاني لم تعلموا وطاهم والخبر محذوف
تقديره ولولا رجال ونسا موجودون او بالحضرة واما جواب لولا ففيه ثلاثة اوجه احدها
انه محذوف لدلالة جواب لو عليه والثاني انه مذكور وهو لعذبنا وجواب لو هو المحذوف
فحذف من الاول لدلالة الثاني ومن الثاني لدلالة الاول والثالث ان لعذبنا جوابهما
معا وهو بعيد ان اراد حقيقة ذلك وقال الزمخشري قريبا من هذا فانه قال ويجوز
ان يكون لو تزيلوا كالتكرير لولا رجال مومنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا هو
الجواب ومنع ابو حيان مرجعهما لمعنى واحد قال لان ما تعلق به الاول غير ما تعلق به الثاني

فصل المعنى لم تعلموهم لم تعرفوهم ان تطوهم بالقتل وتوقعوا بهم فتصيبكم منهم معرة
قال ابن زيد اثم وذلك لانكم ربما تقتلونهم فيلزمكم الكفارة وهي دليل الاثم لان الله تعالى

اوجب على قاتل المومن في دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية قال تعالى وان كان من قوم عدو لكم وهو مومن فتحرير رقبة مومنة وقال ابن اسحاق عدم الدية وقيل ان المشركين يعيبونكم ويقولون قتلوا اهل دينهم وفعلوا باخوانهم ما فعلوا باعدايهم والمعرة المشقة يقول لولا ان تطاوا رجالا مومنين ونساء مومنات لا تعلموهم فتلزمكم كفارة وتلحقكم به مسبة لاذن لكم في دخولها ولكنه حال بينكم وبين ذلك قوله فتصيبكم نسق على ان تطوهم وقوله بغير علم يجوز ان يتعلق بمحذوف على انه صفة لمعرة وان يكون حالا من مفعول تصيبكم وقال ابو البقا من الضمير المجرور يعني في منهم ولا يظهر معناه او ان يتعلق بتصيبكم وان يتعلق بتطوهم اي تطوهم بغير علم فان قيل هذا تكرار لانه قلنا هو بدل عن الضمير يكون التقدير لم تعلموهم ان تطوهم بغير علم فيلزم تكرار بغير علم لحصوله بقوله لم تعلموهم فالجواب ان يقال قوله بغير علم هو في موضعه اي فتصيبكم منهم معرة بغير علم من الذي يعركم ويعيب عليكم يعني ان وطيتموهم غير عالمين لعركم الكفار بغير علم اي بجهل لانهم لا يعلمون انكم معذورين فيه او يقال تقديره لم تعلموا ان تطوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم لا التي تكون عند العلم والوط هنا عبارة عن القتل والدوس فقال عليه السلام اللهم اشدد وطاتك على مضر وانشدوا

• ووطيتنا وطا على حنق • وط المقيد نابت الهدم •

قوله ليدخل الله متعلق بمقدر اي كان انتفا التسليط على اهل مكة وانتفا العذاب ليدخل الله وقال البغوي اللام في ليدخل متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام يعني ليدخل الله في رحمته من يشا اي في دين الاسلام من يشا من اهل مكة بعد الصلح قبل ان يدخلوها قوله لو تزيلوا قرا ابن ابي عبلة وابو حيوة وابن عون لو تزايلوا على تفاعلوا والضمير في تزيلوا يجوز ان يعود على المومنين فقط او على الكافرين او على الفريقين والمعنى لو تميزوا هولا من هولا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بالسبي والقتل بايديكم قوله تعالى اذ جعل الذين كفروا العامل في اذ اما لعذبنا او صدوكم او اذكر فيكون مفعولا به قال ابن الخطيب في اذ يحتمل ان يكون ظرفا فلا بد من فعل يقع فيه ويكون عاملا له ويحتمل ان يكون مفعولا به فان قلنا انه ظرف فالفعل الواقع فيه يحتمل ان يكون مذكورا ويحتمل ان يكون غير مذكور فان كان مذكورا ففيه وجهان احدهما هو قوله تعالى وصدوكم اي وصدوكم حين جعلوا في قلوبهم الحمية فلا يرجعون الى الاسلام وثانيهما والمومنون لما انزل الله تعالى سكينته لا يتركون الاجتهاد في الجهاد والله مع المومنين وان قلنا انه غير مذكور ففيه وجهان احدهما حفظ الله المومنين عن ان يطوهم اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية وثانيهما احسن الله اليكم اذ جعل الذين في قلوبهم الحمية وعلى هذا فقوله تعالى فانزل الله سكينته تفسير لذلك الاحسان وان قلنا انه مفعول به فتقديره اذكر ذلك الوقت كقولك اذكر اذ قام زيد اي اذكر وقت قيامه وعلى هذا يكون اذ ظرفا للفعل المضاف اليه قوله في قلوبهم يجوز ان يتعلق بجعل على انها بمعنى القى فيتعدى لواحد اي اذ القى الكافرون في قلوبهم الحمية وان يتعلق بمحذوف على انه مفعول ثان قدم على انها بمعنى صير قوله حمية الجاهلية بدل من الحمية قبلها والحمية الانفة من الشي الواحد وانشد للمتلمس

• الا انني منهم وعرضي عرضهم • كذا الراس يحمي انفه ان تهشما •

فصل وهي المنع ووزنها فعلية وهي مصدر يقال حميت عن كذا حمية المعنى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت وانكروا ان محمدا رسول الله قال مقاتل قال اهل مكة قد قتلوا ابنانا واخواننا ثم يدخلون علينا فيتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم انفنا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فهذه حمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم قوله فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين حين لم يدخلهم ما دخلهم من الحمية على رسوله وعلى المومنين حين لم يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصوا الله في قتالهم قال ابن الخطيب دخول الفا في

قوله

قوله فانزل الله يدل تعلق الانزال او ترتيبه على ما ذكرنا من ان اذ ظرف لفعل مقدر كانه قال احسن الله اذ جعل الذين كفروا فانزل تفسيرا لذلك الاحسان كما يقال اكرمني فاعطاني لتفسير الاكرام ويحتمل ان تكون الفا للدلالة على تعلق انزال السكينة بجعلهم الحمية في قلوبهم جعل معنى المقابلة تقول اكرمني فاثنيت عليه قوله والزمهم كلمة التقوى قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعكرمة والسدي وابن زيد واكثر المفسرين كلمة التقوى لا اله الا الله والله اكبر وقال عطا بن ابي رباح هي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير وقال عطا الخراساني هي لا اله الا الله محمد رسول الله وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم وقيل هي الوفا بالعهد قوله وكانوا احق بها الضمير في قالوا يجوز ان يعود على المومنين وهو الظاهر اي احق بكلمة التقوى من الكفار وقيل يعود على الكفار اي كانت قريش احق بها لولا حرمانهم فصل قال البغوي وكان المومنون احق بها من كفار مكة واهلها وكانوا اهلها في علم الله لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه اهل الخير قال ابن الخطيب قوله احق بها يحتمل وجهين احدهما انه يفهم من معنى الاحق انه يثبت رجحانا ما على الكافرين وان لم يثبت الاهلية كما لو اختار الملك اثنين لشغل وكل منهما غير صالح له ولكن احدهما ابعد عن الاستحقاق يقال للاقرب الى بذل الاستحقاق انه كان ولا بد فهذا احق كما يقال الحبس اهون من القتل مع انه لا هين هناك فقال واهلها دفعا لذلك الثاني ان يكون للتفصيل كما في قوله خير مستقرا واحسن مقيلا اذ لا خيرية في غيره وكان الله بكل شي عليما قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا صدق يتعدى لاثنين ثانيهما بحرف الجر يقال صدقتك في كذا وقد تحذف كهذه الاية وقوله بالحق فيه اوجه احدها ان يتعلق بصدق الثاني ان يكون صفة لمصدر محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق الثالث ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الرويا اي ملتبسة بالحق الرابع انه قسم وجوابه لتدخلن فعلى هذا يوقف على الرويا ويبتدا بما بعدها قال الزمخشري وعلى تقديره قسما الى ان يكون قسما بالله فان الحق من اسمايه وان يكون قسما بالحق الذي هو نقيض الباطل وقال ابن الخطيب ويحتمل وجهين اخرين احدهما فيه تقديم وتاخير تقديره صدق الله رسوله بالحق الرويا اي الرسول الذي هو رسول بالحق الثاني ان يقال تقديره صدق الله ورسوله الرويا بالحق والله لتدخلن فيكون تفسيرا للرويا بالحق يعني ان الرويا هي والله لتدخلن

فصل ذكر المفسرون ان النبي صلى الله عليه وسلم اري في المنام في المدينة قبل ان يخرج الى الحديبية ان يدخل هو واصحابه المسجد الحرام ويحلقون روسهم ويقصرون فاخبر اصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلوا مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك فانزل الله هذه الاية وروي مجمع بن حارثة الانصاري قال شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم ما بال الناس قالوا اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نرجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته على كراع الغميم فلما اجتمع اليه الناس قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر او فتح هو يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده ففيه دليل على ان المراد من الفتح صلح الحديبية وتحقيق الرويا في العام المقبل فقال تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا اراها اياه في مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو واصحابه المسجد الحرام صدق وحق قوله لتدخلن جواب قسم مضمر ولقوله بالحق على ذلك القول وقال ابو البقا ولتدخلن تفسير للرويا او مستانفا اي والله لتدخلن فجعل كونه جواب قسم قسما تفسيرا للرويا وهذا لا يصح البتة وهو ان يكون تفسيرا للرويا غير واجب لقسم الا ان يريد انه جواب قسم لكنه يجوز ان يكون هو مع القسم تفسيرا وان يكون مستانفا غير تفسير وهو بعيد من عبارته قوله ان شا الله فيه وجوه انه ذكره تعليما الادب كقوله تعالى ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله الثاني ان الدخول لما وقع عام الحديبية وكان المومنون يريدون الدخول ويابون الصلح قال لتدخلن ولكن لا بجلادتكم ولا بارادتكم وانما تدخلن بمشية الله الثالث ان الله تعالى لما قال في الوحي المنزل على النبي عليه السلام لتدخلن ذكر انه بمشية الله لان ذلك من الله وعد ليس عليه دين ولا حق

واجب لان من وعد بشي لا يحققه الا بمشية الله والا فلا يلزمه به احد فصل قال
البغوي معناه وقال لتدخلن وقال ابن كيسان لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم لاصحابه حكاية عن رؤياه فاخبر الله عن رسوله انه قال ذلك وانما استثنى مع علمه
بدخولها باخبار الله تعالى تادبا بادب الله تعالى حيث قال ولا تقولن لشي اني فاعل
ذلك غدا الا ان يشا الله وقال ابو عبيدة ان بمعنى اذ مجازه اذ شا الله كقوله ان كنتم تعلمون
وقال الحسين بن الفضل يجوز ان يكون الاستثنا من الدخول لان بين الرويا وتصديقها
سنة ومات في السنة ناس فمجاز الاية لتدخلن المسجد الحرام كلكم ان شا الله وقيل الاستثنا
واقع على الامن لا على الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك كقول النبي صلى الله عليه وسلم
عند دخول المقبرة وانا ان شا الله بكم لاحقون فالاستثنا راجع الى اللحوق لا الى الموت
قوله امنين حال من فاعل لتدخلن وكذا محلقين ومقصرين ويجوز ان يكون محلقين حالا
من امنين فتكون متداخلة فصل قوله محلقين روسكم ومقصرين اشارة الى
انكم تتمون الحج من اوله الى اخره فقوله لتدخلن اشارة الى الاول وقوله محلقين اشارة
الى الاخر فان قيل قوله محلقين حال الداخلين والداخل لا يكون الا محرما والمحرم لا يكون
محلقا فالجواب ان قوله امنين معناه متمكنين من ان يتموا الحج محلقين قوله لا تخافون
يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا اما من فاعل لتدخلن او من ضمير امنين او محلقين
او مقصرين فان كانت حالا من امنين او حالا من فاعل لتدخلن فهي حال للتوكيد وامنين
حال مقارنة وما بعدها حال مقدرة الا قوله لا تخافون اذا جعل حالا فانها مقارنة ايضا
فان قيل قوله لا تخافون معناه غير خايفين وذلك يحصل بقوله تعالى امنين فما الفايدة
في اعادته فالجواب ان فيه كمال الامن لان بعد الحلق يخرج الانسان عن الاحرام فلا يحرم
عليه القتال وكان عند اهل مكة يحرم قتال من احرم ومن دخل الحرم فقال تدخلون
وتحلقون ويبقى منكم بعد خروجكم عن الاحرام قوله فعلم ما لم تعلموا اي ما لم تعلموا
من المصلحة وان الصلاح كان في الصلح وان دخولكم في سنتكم سبب لوطي المومنين والمومنات
وهو قوله تعالى ولولا رجال مومنون الاية فان قيل الفا في قوله فعلم فا التعقيب فقوله
فعلم وقع عقيب ماذا فالجواب ان قلنا ان المراد من فعلم وقت الدخول فهو عقيب صدق
وان قلنا المراد فعلم المصلحة فالمعنى علم الوقوع والشهادة لا علم الغيب والتقدير لما حصلت
المصلحة في العام القابل فعلم ما لم تعلموا من المصلحة المتجددة فجعل من دون ذلك اي من
قبل دخولهم المسجد الحرام فتحا قريبا وهو فتح الحديبية عند الاكثرين وقيل فتح خيبر
ثم قال وكان الله بكل شي عليما وهذا يدفع وهم حدوث علمه في قوله فعلم لان قوله
وكان الله بكل شي عليما يفيد سبق علمه قوله هو الذي ارسل رسوله بالهدي وهذا
تاكيد لبيان صدق الله في الرويا لانه لما كان مرسلا لرسوله ليهدي ليريه ما لا يكون فيحدث
الناس فيظهر خلافه فيكون ذلك سببا للضلال ويحتمل ان الرويا الموافقة للواقع قد
تقع لغير المرسل لكن ذلك قليل لا يقع لكل احد فقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدي
وحكى له ما سيكون في اليقظة فلا يبعد ان يريه في المنام ما سيقع ولا استبعاد في صدق
روياه وفيها بيان وقوع الفتح ودخول مكة بقوله تعالى ليظهره على الدين كله اي من تقويه
على الاديان لا يستبعد منه فتح مكة له والهدي يحتمل ان يكون هو القران كقوله تعالى انزل
فيه القران هدي للناس وعلى هذا دين الحق هو ما فيه من الاصول والفروع ويحتمل ان يكون
الهدي هو معجزة الاصول ودين الحق هو الاحكام والالف واللام في الهدي يحتمل ان تكون
للعهد وهو قوله ذلك هدي الله يهدي به من يشا وان تكون للتعريف اي كل ما هو هدي
قوله ودين الحق يحتمل ان يكون المراد دين الله لان الحق من اسما الله ويحتمل ان يكون
الحق نقيض الباطل فكانه قال ودين الامر الحق ويحتمل ان يكون المراد الانقياد للحق اي
ارسله بالهدي وهو المعجزة على احد الوجوه ليظهره على الدين كله اي جنس الدين وكفى
بالله شهيدا على انك صادق فيما تخبر او في انه رسول الله وهذا فيه تسلية قلب
المومن فانهم تاذوا من رد الكفار عليهم العهد المكتوب وقالوا لا نعلم انه رسول الله فقال

تكتبوا

تكتبوا محمد رسول الله بل اكتبوا محمد بن عبد الله فقال تعالى كفى بالله شهيدا اي في انه
رسول الله قوله محمد رسول الله يجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر لانه لما تقدم هو الذي
ارسل رسوله دل على ذلك المقدر اي هو اي الرسول بالهدي محمد رسول الله بدل او بيان
او نعت وان يكون مبتدا وخبرا وان يكون مبتدا ورسول الله على ما تقدم من البدل والبيان
والنعت والذين معه عطف على محمد والخبر عنهم قوله اشدا على الكفار وقال ابن الخطيب
فانه قال والذين معه جميعهم اشدا على الكفار رحما بينهم لان وصف الشدة والرحمة
وجد في جميعهم اما في المومنين فقوله تعالى اذلة على المومنين اعزة على الكافرين واما في
حق النبي عليه السلام فقوله تعالى واغلظ عليهم وقال في حقه بالمومنين روف رحيم
وعلى هذا فقوله تراهم لا يكون خطابا مع النبي عليه السلام بل يكون عاما خرج مخرج
الخطاب تقديره تراهم ايها السامع كاينا من كان وقرا ابن عامر في رواية رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالنصب على الاختصاص وهي تويد كونه تابعا لا خبرا حالة الرفع ويجوز ان
يكون والذين على هذا الوجه مجرورا عطفا على الجلالة اي ورسول الذين امنوا معه لانه
لما ارسل اليهم اضيف اليهم فهو رسول الله بمعنى ان الله ارسله ورسول امته بمعنى انه مرسل
اليهم ويكون اشدا حينئذ خبر مبتدا مضمر اي هم اشدا ويجوز ان يكون تم الكلام على رسول
الله والذين معه مبتدا واشدا خبره وقرا الحسن اشدا رحما بالنصب اما على المدح واما على
الحال من الضمير المستكن في معه لوقوعه صلة والخبر حينئذ عن المبتدا قوله تراهم ركعا وركعا
سجدا حالان لان الروية بصرية وكذلك يبتغون ويجوز ان يكون مستانفا واذا كانت حالا فيجوز
ان يكون حالا ثالثة من مفعول تراهم وان يكون من الضمير المستتر في ركعا سجدا وجوز ابو
البقا ان يكون سجدا حالا من الضمير في سجدا فيكون حالا من حال وتلك الحال الاولى حال
من حال اخرى وقرا ابن يعمر اشدا بالقصر والقصر من ضرائر الاشعار كقوله لا بد من صنعا وان
طال السفر فلذلك كانت شاذة قال ابو حيان وقرا عمرو بن عبيد ورضوانا بضم الرا قال
شهاب الدين وهذه قراة متواترة قراها عاصم في رواية ابي بكر عنه وتقدمت في سورة ال
عمران واستثنت له حرفا واحدا وهو ما في المايدة فصل معنى الاية اشدا على
الكفار اي غلاظ عليهم كالاسد على فريسته لا تاخذهم فيهم رافة رحما بينهم متعاطفون
متوادون بعضهم لبعض كالولد مع الوالد كقوله تعالى اذلة على المومنين اعزة على الكافرين
تراهم ركعا سجدا اخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها يبتغون فضلا من الله ان يدخلهم
الجنة ورضوانا اي يرضى عنهم وهذا تمييز لركوعهم وسجودهم عن ركوع الكافر وسجوده
وركوع المرائي وسجوده فانه لا يبتغي به ذلك قوله سيماهم قرئ سيما وهو بيا بعد
الميم والمد وهي لغة فصيحة وانشد
غلام رماه الله بالحسن يافعا • له سيميا لا تشق على البصر •
وتقدم الكلام عليها وعلى اشتقاقها في اخر البقرة وفي وجوههم خبر سيماهم ومن اثر السجود
حال من الضمير المستتر في الجار وهو في وجوههم وقرا العامة من اثر بفتحتين وابن هرمز
بكسر وسكون وقتادة من اثار جمعا فصل المعنى علامتهم في وجوههم من اثر
السجود قيل المراد سيماهم نور وبياض في وجوههم يوم القيمة كما قال تعالى يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه رواه عطية العوفي عن ابن عباس وقال عطا بن ابي رباح والربيع بن
انس استنارة وجوههم من كثرة صلاتهم وقال شهر بن حوشب يكون مواضع السجود من
وجوههم كالقمر ليلة البدر وروى الوالبي عن ابن عباس هو السمت الحسن والخشوع
والتواضع وهو قول مجاهد والمعنى ان السجود اورثهم الخشوع والسمت الحسن الذي
يعرفون به وقال الضحاك صفرة الوجه وقال الحسن اذا رايتهم حسبتهم مرضى وما هم
بمرضى وقال سعيد بن جبير وعكرمة هو اثر التراب على الجباه وقيل المراد ما يظهر في الجباه
بكثرة السجود قوله ذلك مثلهم ذلك اشارة الى ما تقدم من وصفهم بكونهم اشدا رحما هم
سيماء وجوههم وهو مبتدا خبره مثلهم وفي التورية حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة
قوله ومثلهم في الانجيل يجوز فيه وجهان احدهما انه مبتدا وخبره كزرع فيوقف على قوله

في التورية فهما مثلان والبه ذهب ابن عباس والثاني انه معطوف على مثلهم الاول فيكون
مثلا واحدا في الكتابين ويوقف حينئذ على في الانجيل واليه نحا مجاهد والفرا وعلى هذا
يكون قوله كزرع فيه اوجه احدها انه خبر مبتدا مضمر اي مثلهم كزرع فسر بها المثل المذكور
الثاني انه حال من الضمير في مثلهم اي مماثلين زرعا هذه صفته الثالث انها نعت مصدر
محذوف اي تمثيلا كزرع ذكره ابو البقا وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمة
اوضحت بقوله كزرع كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر قوله اخرج شطاه صفة
لزرع وقرا ابن كثير وابن ذكوان بفتح الطا والباقون باسكانها وهما لغتان كالنهر والنهر
وقرا ابو حيوة شطاه بالمد وزيد بن علي شطاه بالف صريحة بعد الطا فيحتمل ان يكون بدلا
من الهمزة بعد نقل حركتها الى الساكن قبلها على لغة من يقول المراه والكماه بعد النقل وهو
مقيس عند الكوفيين ويحتمل ان يكون مقصورا من الممدود وابو جعفر ونافع في رواية شطه
بالنقل والحذف وهو القياس والجحدري شطوه ابدل الهمزة واوا ويكون لغة مستقلة وهذه
كلها لغات في فراخ الزرع يقال شطا الزرع واشطا اي اخرج فراخه وهل يختص ذلك
بالحنطة فقط او بها وبالشعير فقط او لا يختص خلاف مشهور قال الشاعر

• اخرج الشطا على وجه الثري • ومن الاشجار افنان الثمر •

قوله فازره العامة على المد وهو على افعل وغلطوا من قال انه فاعل كجاهد وغيره بانه لم
يسمع في مضارعه نوازر بل يوزر وقرا ابن ذكوان فازره مقصورا اجعله ثلاثيا وقري فازره
بالتشديد والمعنى في الكل قواه وقيل سواه واشد

• بمحنية قد ازر الضال نبتها • مجر جيوش غانمين ومخيب •

قوله على سوقه متعلق باستوي ويجوز ان يكون حالا اي كاينا على سوقه اي قايما عليها
وقد تقدم في النمل ان قنبلا يقرا سوقه بالهمزة الساكنة كقوله احب الموقدين الى موسى وبهمزة
مضمومة بعدها واو كموح وتوجيه ذلك والسوق جمع ساق **فصل** قال المفسرون
يقال اشطا الزرع فهو مشطي اذا افرخ قال مقاتل هو نبت واحد فاذا خرج بعده فهو
شطاه وقال السدي هو ان يخرج معه الطاقة الاخرى فازره قواه واعانه وشد ازره
فاستغلظ غلظ ذلك الزرع فاستوى تم وتلاحق نباته على سوقه اصوله يعجب الزراع اي
اعجب ذلك زراعه هذا مثل ضربه الله لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل انهم يكونون
قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل
مكتوب انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقيل
الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطا اصحابه والمومنون روى مبارك عن فضالة عن الحسن
قال محمد رسول الله والذين معه ابو بكر الصديق اشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء
بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا علي بن ابي طالب يبتغون فضلا من ربهم العشرة
المبشرون كمثل زرع محمد اخرج شطاه ابو بكر فازره عمر فاستغلظ عثمان يعني استغلظ
عثمان بالاسلام فاستوى على سوقه علي بن ابي طالب استقام الاسلام بسيفه يعجب الزراع
قال المومنون ليغيظ بهم الكفار قول عمر لاهل مكة بعد ما اسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم
روى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ارحم امتي ابو بكر واشدهم في امر الله عمر
واصدقهم حيا عثمان وافرضهم زيد واقراهم ابي واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ولكل
امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح وفي رواية اخرى واقضاهم علي وروى بريدة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات من اصحابي بارض كان نورهم وقايدهم يوم القيمة
قوله يعجب الزراع حال اي معجبا وهنا تم المثل قوله ليغيظ فيه اوجه احدها انه
متعلق بوعد لان الكفار اذا سمعوا بعز المومنين في الدنيا وما اعد لهم في الاخرة غاظهم ذلك
الثاني ان يتعلق بمحذوف دل عليه تشبيههم بالزرع في نمايهم وتقويتهم قاله الزمخشري
اي شبههم الله بذلك ليغيظ الثالث انه متعلق بما دل عليه قوله اشداء على الكفار الى اخره
اي جعلهم بهذه الصفات ليغيظ قال مالك بن انس من اصبح وفي قلبه غيظ على اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الاية وقال عليه السلام الله الله في اصحابي

لا تتخذوهم غرضا فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد
اذاني ومن اذاني فقد اذى الله فيوشك ان ياخذه وقال عليه السلام لا تسبوا اصحابي فو الذي
نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه قوله وعد الله الذين
امنوا وعملوا الصالحات منهم من هذه للبيان لا للتبعيض لان كلهم كذلك فهي كقوله فاجتنبوا الرجس
من الاوثان وقال الطبري منهم من الشطا الذي اخرجه الزرع وهم الداخلون في الاسلام الى يوم
القيمة واعاد الضمير على معنى الشطا لا على لفظه فقال منهم ولم يقل منه وهو معنى حسن **فصل**
قد تقدم الكلام على الاجر العظيم والمغفرة مرارا وقال ههنا في حق الراكعين والساجدين انهم يبتغون
فضلا من الله ورضوانا وقال لهم اجر ولم يقل لهم ما يطلبوه من الفضل لان المومن عند العمل لم يلتفت
الى عمله ولم يجعل له اجرا يعتد به فقال لا ابتغي الا فضلك فان عمل نذر ولا يكون له اجر والله تعالى
اتاه ما طلب من الفضل وسماه اجرا اشارة الى قبول عمله ووقوعه الموقع روي انه من قرا في اول ليلة
من رمضان انا فتحنا لك فتحا مبينا في التطوع حفظ في ذلك العام •

سورة • الحجرات مدنية

وهي ثماني عشرة اية وثلثماية وثلاث واربعون كلمة والف واربعماية وستة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قرا العامة بضم التاء وفتح
القاف وتشديد الدال مكسورة وفيها وجهان احدهما انه متعد وحذف مفعوله اما اقتصارا كقوله
تعالى يحيي ويميت مفعوله كقولهم هو يعطي ويمنع وكلوا واشربوا واما اختصارا للدلالة عليه اي
لا تقدموا ما لا يصلح والثاني انه لازم نحو وجه وتوجه ويعضده قراة ابن عباس والضحاك لا تقدموا
تقدموا بالفتح في الثلاثة والاصل تتقدموا فحذف احدى التاءين وبعض المكيين لا تقدموا كذلك الا
انه بتشديد التاء كتاءات البزي والمتوصل اليه بحرف الجر في هاتين القراءتين ايضا محذوف اي لا تتقدموا
الى امر من الامور وعلى هذا فهو مجاز ليس المراد نفس التقديم بل المراد لا تجعلوا لانفسكم تقدما عند النبي
عليه السلام ويقال فلان يتقدم من بين الناس اذا ارتفع امره وعلا شانه وقري لا تقدموا بضم التاء
وكسر الدال من اقدم اي لا تقدموا على شي **فصل** في بيان حسن الترتيب وجوه احدها انه لما
في السورة المتقدمة لما جرى منهم ميل الى الامتناع مما اجاز النبي عليه السلام من الصلح والزمهم الله كلمة
التقوى قال لهم على سبيل العموم لا تتقدموا بين يدي الله ورسوله اي لا تتجاوزوا ما اتى الله تعالى ورسوله
الثاني انه تعالى لما بين علو درجة النبي صلى الله عليه وسلم بكونه رسوله الذي يظهر دينه وانه بالمومنين
رحيما قال لا تتركوا من احترامه شيا لا بالفعل ولا بالقول وانظروا الى رفعة درجته الثالث انه تعالى
وصف المومنين بانهم اشداء رحماء بينهم وبكونهم راكعين ساجدين وذكر ان لهم من الحرمة عند الله ما
اورثهم حسن الثناء في الكتب المتقدمة بقوله ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل فان الملك العظيم
لا يذكر احدا في غيبته الا اذا كان عنده محترما ووعدهم الاجر العظيم فقال في هذه السورة لا تفعلوا
ما يوجب احباطه دراجاتكم واحباط حسناتكم ولا تقدموا **فصل** في سبب النزول روى الشعبي
عن جابر انه في الذبح يوم الاضحى قبل الصلاة وهو قول الحسن اي لا تذبحوا قبل ان يذبح النبي صلى الله
عليه وسلم وذلك ان ناسا ذبحوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يعيدوا الذبح وقال من ذبح
قبل الصلاة فانما هو لحم يعجله لاهله ليس من النسك في شي وروى مسروق عن عايشة انه في النهي عن
صوم يوم الشك لا تصوموا قبل ان يصوم نبيكم وروى ابن الزبير انه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل امر الاقرع بن حابس قال ابو بكر
ما اردت الا خلافي قال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله قال ابن الزبير فكان عمر لا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى
يستفهمه وقيل نزلت في جماعة اكثروا من السوال وقال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بشي حتى يقضيه الله على لسانه وقال الضحاك يعني في القتال وشرايع الدين اي لا تقضوا امرا دون
الله ورسوله قال ابن الخطيب والاصح انه ارشاد عام يشمل الكل ومنع مطلق يدخل فيه كل افتيات وتقدم

واستبداد بالامر واقدام على فعل غير ضروري من غير مشاورة **فصل** ومعنى بين يدي الله ورسوله اي بحضرتهما لان بحضرة الانسان وهو بين يديه فلان اشارة الى ان كل واحد منهما حاضر عند الاخر مع ان لاحدهما علو الشان وللاخر درجة العبيد والغلمان لان من يجلس بجنب الانسان يكلفه تقلب الحدقة اليه وتحريك الراس اليه عند الكلام ومن يجلس بين يديه لا يكلفه ذلك ولان اليدين تنبي عن القدرة لان قول الانسان فلان بين يدي فلان اي يقلبه كيف يشا في اشغاله كما يفعل الانسان بما يكون موضوعا بين يديه وذلك يفيد وجوب الاجتناب من التقدم وثانيها ذكر الله اشارة الى وجوب احترام الرسول والانقياد لاوامره لان احترام رسول الله احترام للمرسل لكن احترام الرسول قد يترك لاجل بعد المرسل وعدم اطلاعه على ما يفعل برسوله فقوله بين يدي الله اي انتم بحضرة من الله وهو ناظر اليكم في مثل هذه الحال يجب احترام رسوله وثالثها ان المادة لا تقرر النهي المتقدم تقرر الامر المتاخر وهو قوله واتقوا الله لان من يكون بين يدي الغير كالمتاع الموضوع بين يديه يقلبه كيف يشا يكون جديرا بان يتقيه وقوله واتقوا الله اي في تضييع حقه ومخالفة امره ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي في اعادة النداء فوايد منها ان في ذلك بيان زيادة الشفقة على المسترشد كقول لقمن لابنه يا بني لا تشرك بالله يا بني انها ان تك يا بني اقم الصلاة لان النداء تنبيه للمنادي ليقبل على استماع الكلام ويجعل باله منه فاعادته تفيد تجدد ذلك ومنها ان لا يتوهم متوهم ان المخاطب ثانيا غير المخاطب اولا فان من الجايز ان يقول القايل يا زيد افعل كذا وكذا يا عمرو فاذا اعاده مرة اخرى وقال يا زيد قل كذا يا زيد وقل كذا يعلم ان المخاطب اولا هو المخاطب ثانيا ومنها ان يعلم ان كل واحد من الكلامين مقصود ليس الثاني تاكيدا للاول كقولك يا زيد لا تنطق ولا تتكلموا الا بالحق فانه لا يحسن لا تقول يا زيد لا تنطق يا زيد لا تتكلم كما يحسن عند اختلاف المطلوبين **فصل** قوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي يحتمل ان يكون المراد حقيقة رفع الصوت لان ذلك يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام وهو ان رفع الصوت يدل على عدم الخشية لان من خشي قلبه ارتجف وضعفت حركته الدافعة وذلك دليل على عدم الخشية ويحتمل ان يكون المراد المنع من كثرة الكلام لان من كثر كلامه يكون متكلما عند سكوت الغير فيبقى لصوته ارتفاع وان كان خايفا فلا ينبغي ان يكون لاحد عند النبي صلى الله عليه وسلم كلام كثيرا بالنسبة الى كلام النبي عليه السلام لان النبي عليه السلام مبلغ فالمتكلم عنده ان اراد الاخبار لا يجوز له وان سال فان النبي عليه السلام لما وجب عليه البيان وهو لا يسكت عما سيل وان لم يسال فربما يكون في الجواب تكليف لا يسهل على المكلف الاتيان به فيبقى في ورطة العقاب كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم ويحتمل ان يكون المراد رفع الكلام بالتعظيم اي لا تجعلوا لكلامكم ارتفاعا على كلام النبي عليه السلام في الخطاب والاول اوضح والكل يدخل في المراد قال المفسرون معناه بجلوه وفخموه ولا ترفعوا اصواتكم عنده ولا تنادوه كما ينادي بعضكم بعضا روي انس بن مالك قال لما نزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم جلس ثابت بن قيس في بيته وقال انا من اهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسال النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو ما شان ثابت اشتكى فقال سعد انه لجاري وما علمت له شكوي قال فاتاه سعد فذكر له قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ثابت انزلت هذه الاية ولقد علمتم اني من ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا من اهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من اهل الجنة وروي لما نزلت هذه الاية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال وما يبكيك يا ثابت قال هذه الاية اتخوف ان يكون نزلت في وانا رفيع الصوت اخاف ان يحبط عملي واكون من اهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابت البكا فاتى امراته جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فشدي على الضبة بمسمار فضربت عليه بمسمار وقال لا اخرج حتى يتوفاني الله او يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره فقال اذهب فادعه لي فجا عاصم الى المكان الذي راه فلم يجده فجا الى هله فوجده في بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال انا صيت واخاف ان تكون هذه الاية نزلت في فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله لا ارفع صوتي ابدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية قال انس فكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة راى ثابت من المسلمين بعض الانكسار فانهزمت طايفة منهم فقال اف لهولاء ثم قال ثابت لسالم مولى ابي حذيفة ما كنا نقاتل اعدا الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتل واستشهد ثابت وعليه درع فراه رجل من الصحابة بعد موته في المنام فقال له اعلم ان فلانا رجل من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهي في ناحية من العسكر عند فرس يستن في طوله وقد وضع على درعي برمة فات خالد بن الوليد واخبره حتى يسترد درعي وات ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان علي دينا حتى يقضي وفلان من رقيقي عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجد درعه والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالد ابا بكر بتلك الرويا واجاز ابو بكر وصيته قال مالك بن انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض قال ابن الخطيب ان قلنا ان المراد من قوله لا ترفعوا اصواتكم اي لا تكثروا الكلام فقوله ولا تجهروا يكون مجازا عن الاتيان بالكلام عند النبي صلى الله عليه وسلم بقدر ما يوتى به عند غيره اي لا تكثروا وقللوا غاية التقليل وان قلنا المراد بالرفع الخطاب فقوله لا تجهروا اي لا تخاطبوه كما تخاطبوا غيره واعلم ان قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم لما كان من جنس لا تجهروا لم يستانف النداء ولما كان مخالفا للمتقدم لكون احدهما فعلا والاخر قولا استانف كقول لقمن لابنه يا بني لا تشرك وقوله يا بني اقم الصلاة لكن الاول من عمل القلب والثاني من عمل الجوارح فقوله يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر من غير استيناف النداء لكون الكل من عمل الجوارح فان قيل ما الفايدة في قوله ولا تجهروا له بالقول مع ان الجهر مستفاد من قوله لا ترفعوا اصواتكم فالجواب ان المنع من رفع الصوت هو ان لا يجعل كلامه او صوته اعلى من كلام النبي عليه السلام وصوته والنهي عن الجهر منع من المساواة اي لا تجهروا له بالقول كما تجهروا لنظرايكم بل اجعلوا كلمته عليا قوله ان تحبط مفعول من اجله والمسيلة من التنازع لان كلا من قوله لا ترفعوا ولا تجهروا له يطلبه من حيث المعنى فيكون معمولا للثاني عند البصريين عند اختيارهم وللاول عند الكوفيين والاول اصح للحذف من الاول اي لان تحبط وقال ابو البقا انها لام الصيرورة وانتم لا تشعرون حال **فصل** معنى الكلام انكم ان رفعتم اصواتكم وتقدمتم فذلك يودي الى الاستحقار وهو يفضي الى الارتداد والارتداد محبط وقوله وانتم لا تشعرون اشارة الى ان الردة تتمكن من النفس بحيث لا يشعر الانسان فان من ارتكب ذنبا لم يرتكبه في عمره تراه نادما غاية الندامة خايفا غاية الخوف فاذا ارتكبه مرارا قل خوفه وندامته ويصير عادة من حيث لا يعلم متى تمكن هذا الا كان في المرة الاولى والثانية او الثالثة او غيرها وهذا كما اذا بلغه خبر فانه لا يقطع بالمخبر فاذا تكرر عليه ذلك وبلغ الى حد التواتر حصل له اليقين وتمكن الاعتقاد ولا يدري متى كان ذلك وفي اي لمحة حصل هذا اليقين فقوله وانتم لا تشعرون تاكيد للمنع اي لا تقولوا بان المرة الواحدة تغفر ولا توجب ردة لان الامر غير معلوم بل احسموا الباب قوله ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اي اجلالا له اوليك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه قوله اوليك يجوز ان يكون اوليك مبتدا والذين خبره والجملة خبران ويكون لهم مغفرة جملة اخرى اما مستانفة وهو الظاهر واما حالية ويكون الذين امتحن صفة لاوليك او بدلا منه او بيانا فاولهم مغفرة جملة خبرية ويجوز ان يكون لهم هو الخبر وحده ومغفرة فاعل به واللام في قوله للتقوى يحتمل ان يتعلق بمحذوف تقديره عرف الله قلوبهم صالحة اي كاينة للتقوى كقولك انت لكذا اي صالح او كاين ويحتمل ان يكون للتعليل وهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون تعليلا يجري مجرى بيان السبب المتقدم كقولك جيتك لاكرامك ابي امس اي صار ذلك السبب السابق سبب المجي والثاني ان يكون تعليلا يجري مجرى بيان علية المقصود المتوقع الذي لا يكون لاحقا لا سابقا كقولك جيتك لادا الواجب اي ليصير مجيي سببا لادا الواجب فعلى الاول معناه ان الله علم في قلوبهم تقواه فامتحن قلوبهم للتقوى التي كانت فيها ولولا ان قلوبهم كانت مملوءة من التقوى لما امرهم بتعظيم رسوله وتقديم نبيه على انفسهم وعلى الثاني معناه ان الله تعالى امتحن قلوبهم بمعرفته

ومعرفة رسوله بالتقوى أي ليرزقهم الله التقوى ثم قال لهم مغفرة وأجر عظيم تقدم الكلام
على ذلك قوله تعالى إن الذين ينادونك من وراء الحجرات هذا بيان لحال من كان في مقابلة
من تقدم فإن الأول غض صوته والثاني رفعه وفيه إشارة إلى ترك الأدب من وجوه
أحدها النداء فإن نداء الرجل الكبير قبيح بل الأدب الحضور بين يديه وعرض الحاجة إليه
الثاني النداء من وراء الحجرات فإن من ينادي غيره ولا حائل بينهما لا يكلفه المشي والمجيء بل
يجيبه من مكانه ويكلمه ومن ينادي غيره مع الحائل يريد منه حضوره الثالث قوله
الحجرات يدل على كون النبي عليه السلام في خلوته التي لا يحسن إتيان المحتاج إليه في
حاجته ذلك الوقت بل الأحسن التأخير وإن كان في ورطة الحاجة قوله من وراء من لابتداء
الغاية وفي كلام الزمخشري ما يمنع أن من تكون لابتداء الغاية وانتهائها قال لأن الشيء
الواحد لا يكون مبدأ للفعل ومنتهى له وهذا أثبته بعض الناس وزعم أنها تدل على ابتداء الفعل
وانتهائه في جهة واحدة نحو أخذت الدرهم من الكيس والعامة على الحجرات بضمتين
وأبو جعفر وشيبة بفتحها وابن أبي عبلة بإسكانها وهي ثلاث لغات تقدم تحقيقها في
البقرة في قوله في ظلمات والحجرة فعلة بمعنى مفعولة كغرفة بمعنى معروفة قال البغوي
والحجرات جمع الحجر والحجر جمع الحجرة فهي جمع الجمع **فصل** ذكروا في سبب النزول
وجوها أحدها قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى بني العنبر
وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم
بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا
وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا في أهله فلما رأتهم الذراري
أجهشوا إلى آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا
أن يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج إلينا حتى أيقظوه
من نومه فخرج إليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل فقال إن الله يأمرك أن
تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضون أن يكون بيني
وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم فقالوا نعم قال سبرة أنا لا أحكم وعمي شاهد وهو
الأعور بن بشامة فرضوا به فقال الأعور أرى أن تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم وأعتق نصفهم فأنزل الله تعالى
إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون وصفهم بالجهل وقلة العقل ولو
أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم لأنك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء والله
غفور رحيم وقال قتادة نزلت في ناس من أعراب بني تميم جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه
وسلم فنادوا على الباب اخرج إلينا يا محمد فإن مدحنا زين وذمنا شين فخرج النبي
صلى الله عليه وسلم وهو يقول إنما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين فقالوا نحن
ناس من بني تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت ولكن هاتوا فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل
قومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب النبي
صلى الله عليه وسلم قم فأجبه فأجابه وقام شاعرهم فذكر أبياتا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لحسان بن ثابت أجبه فأجابه فقام الأقرع بن حابس فقال إن محمدا لمؤتى له
تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أشعر وأحسن قولا
ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان من قبل هذا ثم أعطاهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكساهم وكان قد تخلف في ركابهم عمرو بن الأهتم لحداثة سنه فأعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم ما أعطاهم فأزرى به بعضهم وارتفعت الأصوات
وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا
أصواتكم فوق صوت النبي الآيات الأربع إلى قوله غفور رحيم وقال زيد بن أرقم جاء
ناس من العرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا إلى هذا

الرجل فإن يكن نبيا فنحن أسعد الناس به وإن يكن ملكا نعش في جناحه فجاؤوا فجعلوا ينادونه
من وراء الحجرات يا محمد يا محمد فأنزل الله إن الذين ينادونك الآية **فصل** في قوله أكثرهم
وجوه أحدها أن العرب تذكر الأكثر وتريد الكل احترازا عن الكذب واحتياطا في الكلام لأن
الكل ما لا يحيط به علم الإنسان في بعض الأشياء فيقول الأكثر وفي اعتقاده الكل ثم إن الله تعالى
مع إحاطة علمه بالأمور أتى بما يناسب كلامهم وفيه إشارة إلى لطيفة وهي أن الله تعالى مع إحاطة
علمه بكل شيء جرى على عادتكم استحسانا لتلك العادة وهي الاحتراز عن الكذب فلا تتركوها
واجعلوا اختياري ذلك في كلامي دليلا قاطعا على رضاي بذلك منكم الثاني أن يكون المراد
أنهم في أكثر أحوالهم لا يعقلون وذلك أن الإنسان إذا اعتبر مع وصف ثم اعتبر مع وصف آخر
يكون المجموع الأول غير المجموع الثاني مثاله إذا كان الإنسان جاهلا أو فقيرا فيصير عالما
أو غنيا فيقال في العرف زيد ليس هو الذي رأيت من قبل بل الآن على أحسن حال فيجعله
كأنه ليس ذلك إشارة إلى ما ذكرنا إذا علم هذا فهم في بعض الأحوال إذا اعتبرتهم مع تلك
الحالة مغايرون لأنفسهم إذا اعتبر معهم غيرها فقوله تعالى أكثرهم لا يعقلون إشارة إلى
ما ذكرنا الثالث لعل فيهم من رجع عن ذلك الأمر ومنهم من استمر على تلك العادة الرديئة فقال
أكثرهم إخراجا لمن ندم منهم عنهم قوله ولو أنهم صبروا تقدم مثله وجعله الزمخشري
فاعلا بفعل مقدر أي ولو ثبت صبرهم وجعل اسم كان ضميرا عائدا على هذا الفاعل وقد تقدم
أن مذهب سيبويه أنها في محل رفع بالابتداء وحينئذ يكون اسم كان ضميرا عائدا على صبرهم
المفهوم من الفعل قوله والله غفور رحيم يحتمل أمرين أحدهما غفور لسوء صنيعهم في
التعجيل والثاني الحسن العشير يعني بسبب إتيانهم بما هو خير يغفر الله لهم سيئاتهم ويحتمل
أن يكون ذلك حثا للنبي عليه السلام على الصفح وقوله أكثرهم لا يعقلون كالعذر لهم
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الآية قال المفسرون نزلت في
الوليد بن عقبة بن أبي معيط وهو أخو عثمان لأمه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى بني المصطلق بعد الوقعة واليا ومصدقا وكان بينهم وبينه عداوة في الجاهلية فلما
سمع به القوم تلقوه تعظيما لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان أنهم يريدون
قتله فهابهم فرجع من الطريق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إنهم منعوا صدقاتهم
وأرادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوعه
فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه
ونؤدي إليه ما قبلنا من حق الله فبدا له في الرجوع فخشينا أنما رده من الطريق كتاب
جاءه منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكره وقال انظر فإن رأيت منهم
ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما يعمل في الكفار ففعل
ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم
إلا الطاعة والخير فانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فنزل يا أيها الذين
آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ بخبر فتبينوا أن تصيبوا قوما كيلا تصيبوا بالقتل والقتال قوما
بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم من إصابتكم بالخطأ نادمين قال ابن الخطيب وهذا ضعيف
لأن الله تعالى لم يقل إني أنزلتها لكذا والنبي عليه السلام لم ينقل عنه أنه قال وردت الآية
لبيان ذلك غاية ما في الباب أنها نزلت في ذلك الوقت وهو مثل التاريخ لنزول الآية ومما يصدق
ذلك ويؤكده أن إطلاق لفظ الفاسق على الوليد بعيد لأنه توهم وظن فأخطأ والمخطئ لا يسمى
فاسقا فكيف والفاسق في أكثر المواضع المراد به من خرج عن ربقة الإيمان كقوله تعالى
إن الله لا يهدي القوم الفاسقين وقوله تعالى ففسق عن أمر ربه وقوله وأما الذين فسقوا
فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها إلى غير ذلك **فصل** دلت
الآية على أن خبر الواحد حجة وشهادة الفاسق لا تقبل أما في المسألة الأولى فلأنه علل
الأمر بالتوقف بكونه فاسقا ولو كان خبر الواحد العدل لا يقبل لما كان للترتيب على الفسق فائدة
وأما في المسألة الثانية فلوجهين أحدهما أنه أمر بالتبين وقبل قوله كان الحاكم مأمورا بالتبين

فلم يعد قول الفاسق شيئا ثم ان الله تعالى قال ان تصيبوا قوما بجهالة والجهل فوق
الخطا لان المجتهد اذا اخطا لا يسمى جاهلا فالذي يبني الحكم على قول الفاسق ان لم يصب
جاهلا فلا يجوز الاتباع فقوله قوله ان تصيبوا مفعول له كقوله ان تحبط قال ابن
الخطيب معناه على مذهب الكوفيين لئلا تصيبوا وعلى مذهب البصريين كراهة ان تصيبوا
قال ويحتمل ان يكون المراد فتبينوا واتقوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم
نادمين وهذا بيان لان الجاهل لا بد وان يندم على فعله وقوله تصبحوا معناه تصيروا قال
النحاة اصبح يستعمل على ثلاثة اوجه احدها بمعنى دخول الانسان في الصباح والثاني
بمعنى كان الامر وقت الصباح كما يقال اصبح المريض اليوم خيرا مما كان يريد كونه وقت الصبح
على حالة خيرا الثالث بمعنى صار كقولك اصبح زيد غنيا اي صار من غير ارادة وقت دون
وقت وهذا هو المراد من هذه الاية وكذلك امسى واضحى قال ابن الخطيب والصيرورة
قد تكون من ابتدا امر وتدوم وقد تكون في اخر الامر بمعنى ال الامر اليه وقد تكون متوسطة
فمثال الاول قولك صار الطفل فاهما اي اخذ فيه وهو في الزيادة ومثال الثاني قولك
صار الحق بينا واجبا اي انتهى حده ومثال الثالث قولك صار زيد عالما اذا لم ترد
اخذه فيه ولا بلوغه نهايته بل كونه متلبسا به واذا علم هذا فنقول اصل استعمال اصبح
فيما يصير الشي اخذا في وصف ومبتديا في امر واصل امسى فيما يصير الشي بالغا في الوصف
نهايته واصل اضحى التوسط لا يقال اهل الاستعمال لا يفرقون بين الامور ويستعملون
الالفاظ الثلاثة بمعنى واحد لانا نقول اذا تقاربت المعاني جاز الاستعمال وجواز
الاستعمال لا ينافي الاصل وكثير من الالفاظ اصله معنى فاستعمل استعمالا شايعا فيما يشاركه
واذا علم هذا فقوله تعالى فتصبحوا اي فتصيروا اخذين في الندم مستديمونه وكذلك
في قوله فاصبحتم بنعمته اخوانا اي اخذتم في الاخوة وانتم فيها زايدون مستمرون قوله
نادمين الندم هو دايم والنون والدال والميم في تقلبها لا ينفك عن معنى الدوام كقول
القايل ادمن في الشرب ومدمن اى اقام ومنه المدينة قوله واعلموا ان فيكم رسول الله
فاتقوا الله ان تقولوا باطلا او تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه احوالكم فتفتضحوا قوله
لو يطيعكم يجوز ان يكون حالا اما من الضمير المجرور في قوله فيكم واما من المرفوع المستتر في فيكم
لوقوعه خبرا ويجوز ان يكون مستانفا الا ان الزمخشري منع هذا لادايه الى تنافر النظم
ولا يظهر ما قاله بل الاستيناف واضح ايضا واتى بالمضارع بعد لو ليدل على انه كان في ارادتهم
استمرار عمله على ما يستصوبون **فصل** نقل ابن الخطيب ان الزمخشري قال وجه
التعليق هو ان قوله لو يطيعكم في تقدير حال الضمير المرفوع في قوله فيكم والتقدير كاينين
فيكم او موجود فيكم على حال تريدون ان يطيعكم ولو يفعل باستصوابكم فلا ينبغي ان يكون
على تلك الحال لو فعل ذلك لعنتم اي وقعتم في شدة او اثمتم وهلكتم والعنت الاثم والهلاك
ثم قال ولكن الله حبب اليكم الايمان وهذا خطاب مع بعض المومنين غير المخاطبين بقوله لو
يطيعكم قال الزمخشري اكتفى بالتغاير في الصيغة واختصر ولم يقل حبب الى بعضكم الايمان
وقال ايضا بان قوله تعالى لو يطيعكم بدل اطاعكم اشارة الى انهم كانوا يريدون استمرار تلك
الحالة ودوام النبي عليه السلام على العمل باستصوابهم لكن يكون ما بعدها على خلاف ما
قبلها وههنا كذلك وان لم تحصل المخالفة بصريح اللفظ لان اختلاف المخاطبين في الوصف
يدل على ذلك لان المخاطبين اولا بقوله لو يطيعكم هم الذين ارادوا ان يكون علمهم لمراد النبي
عليه السلام هذا ما قاله الزمخشري واختاره وهو حسن قال والذي يجوز ان يقال
وكانه هو الاقوى ان الله تعالى قال ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا واكشفوا ثم قال بعده
واعلموا ان فيكم رسول الله اى الكشف سهل عليكم بالرجوع الى النبي عليه السلام فانه فيكم
حي مرشد وهذا كما يقول القايل عند اختلاف تلامذة الشيخ في مسئلة هذا الشيخ
قاعد لا يريد به بيان قعوده وانما يريد امرهم بمراجعته لان المراد انه لا يطيعكم في كثير من
الامر وذلك لان الشيخ اذا كان يعتمد على قول التلامذة لا تطمين قلوبهم الى الرجوع اليه
واذا كان لا يذكر الا بالنقل الصحيح وتقريره بالدليل القوي يراجعه كل احد فكذلك هنا

فاسترشدوه

فاسترشدوه فانه يعلم ولا يطيع احدا فلا يوجد فيه حيف ولا يروج عليه زيف والذي يدل
عليه ان المراد من قوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم لبيان امتناع الشرط لامتناع الجزا كما في
قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا فذلك يدل على انه ليس فيهما الهة وانه ليس من عند غير الله قوله ولكن الله حبب
اليكم الايمان هذا استدراك من حيث المعنى لا من حيث اللفظ لان من حبب اليه الايمان غايرت
صفته صفة من تقدم ذكره **فصل** حبب اليكم الايمان جعله احب الاديان اليكم
وزينه وحسنه في قلوبكم حتى اخترتموه وتطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكره اليكم
الكفر والفسوق قال ابن عباس يريد الكذب والعصيان جميع معاصي الله ثم عاد من
الخطاب الى الخبر فقال اولئك هم الراشدون **فصل** قال ابن الخطيب بعد ذكره
الكلام المتقدم وهذا معنى الاية جملة فلنذكره تفصيلا في مسايل المسيلة الاولى لو قال
قايل اذا كان المراد بقوله واعلموا ان فيكم رسول الله فلم لم يصرح بقوله فتبينوا وراجعوا النبي
عليه السلام وما في الفايدة في العدول الى هذا المجاز نقول فايدته زيادة التاكيد لان قول
القايل في المثال المتقدم هذا الشيخ قاعد اكفى في وجوب المراجعة من قوله راجعوا شيخكم
لان القايل يجعل وجوب مراجعته متفقا عليه ويجعل سبب عدم الرجوع عدم علمهم بقعوده
فكانه يقول انكم لا تشكون في ان الكاشف هو الشيخ وان الواجب مراجعته لكنكم لا تعلمون
قعوده وهو قاعد فيجعل المراجعة اظهر من القعود لانه يقول خفي عليكم قعوده فتركتم مراجعته
ولا يخفى عليكم حسن مراجعته فيجعل حسن المراجعة اظهر من الامر الخفي بخلاف ما لو قال راجعوه
لانه حينئذ يكون قايلا بانكم ما علمتم ان مراجعته هو الطريق وبين الكلامين بون بعيد فكذلك
قوله تعالى واعلموا ان فيكم يجعل حسن مراجعته اظهر من كونه فيهم حيث ترك بيانه واخذ في بيان
كونه فيهم وهذا من المعاني العزيزة التي توجد في المجاز ولا توجد في الصرايح فان قيل اذا
كان المراد من قوله لو يطيعكم بيان كونه غير مطيع لاحد بل هو متبع للوحي فلم لم يصرح به نقول
بيان نفي الشي مع بيان ذلك ليتبين انه من بيانه من غير دليل والجملة الشرطية بيان للنفي مع بيان
دليله فان قوله ليس فيهما الهة الا الله لفسدتا فكذلك ههنا لو قال لا يطيعكم لقال قايل لا يطيع
لوجب ان يقال لو اطاعكم لاطاعكم لاجل قلبكم ومصلحة ابصاركم لكن لا مصلحة لكم فيه لانكم
تعنتون وتاثمون وهو يشق عليه عنتكم كما قال عزيز عليه ما عنتم فاذا اطاعكم لا يفيده شيا فلا
يطيعكم فهذا نفي الطاعة بالدليل وبين نفي الشي بدليل ونفيه من غير دليل فرق عظيم واعلم
ان في قوله في كثير من الامر ليعلم انه قد يوافقهم ويفعل بمقتضى مصلحتهم تحقيقا لفايدة قوله
وشاورهم في الامر فان قيل اذا كان المراد بقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان فلا تتوقفوا
فلم لم يصرح به قلنا لما بيناه من الاشارة الى ظهور الامر يعني انتم تعلمون ان اليقين لا توقف فيه
اذ ليس بعده مرتبة حتى تتوقف الى بلوغ الامر الى درجة الظن ثم الظن يتوقف الى بلوغ درجة
اليقين فلما كان عدم التوقف في النفس معلوما متفقا عليه لم يقل فلا تتوقفوا بل قال حبب
اليكم الايمان اي بينه وزينه بالبرهان اليقيني **فصل** قال ابن الخطيب معنى حبب اليكم
اي قربه اليكم وادخله في قلوبكم ثم زينه فيها بحيث لا تفارقونه ولا يخرج من قلوبكم وذلك لان من
يحب شيا فقد يسام منه لطول ملازمته والايمان لكل يوم يزداد حسنا فكل من كانت عبادته
اكثر وتحمله مشاق التكليف اتم تكون العبادة والتكاليف عنده الذ واكمل ولهذا قال اولا حبب
اليكم الايمان وقال ثانيا وزينه في قلوبكم كانه قربه اليهم ثم اقامه في قلوبهم قوله وكره اليكم
الكفر والفسوق والعصيان قال ابن الخطيب هذه الامور الثلاثة في مقابلة الايمان الكامل
لان الايمان الكامل المزين هو التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان فقوله كره
اليكم الكفر وهو التكذيب وهو في مقابلة التصديق بالجنان واما الفسوق فقيل هو الكذب
كما تقدم عن ابن عباس وقال تعالى ان جاءكم فاسق بنبا فسمى الكاذب فاسقا وقال تعالى بيس
الاسم الفسوق بعد الايمان فدل على ان الاسم الفسوق ... والفسوق الخروج
عن الطاعة كقولهم فسقت الرطبة اذا خرجت واما العصيان فهو ترك المامور به وقال بعضهم
الكفر ظاهر والفسوق هو الكبيرة والعصيان هو الصغيرة قوله فضلا يجوز ان ينتصب على

المفعول من اجله وفيما ينصبه وجهان احدهما قوله ولكن الله حبب اليكم وعلى هذا فاسهما
اعتراض من قوله اولئك هم الراشدون والثاني انه الفعل الذي في قوله الراشدون وعلى
هذا يقال فكيف جاز ان يكون فضل الله الذي هو فعل الله مفعولا له بالنسبة الى الرشد
الذي هو فعل العبد فاختلف الفاعلان فاعل الرشد غير فاعل الفضل واجاب الزمخشري
بان الرشد لما كان توفيقا من الله كان فعل الله فكانه تعالى ارشدهم فضلا اي يكون متفضلا
عليهم منعما في حقهم لان الرشد عبارة عن التحبب والتزيين والتكريه وجوز ايضا ان ينتصب
بفعل مقدر اي جرى ذلك او كان ذلك فضلا من الله قال ابو حيان وليس من مواضع اضمار
كان وجعل كلامه الاول اعتزالا وليس كذلك لانه اراد الفعل المسند الى فاعله لفظا ولان
فالتحقيق ان الافعال كلها مخلوقة لله تعالى وان كان الزمخشري غير موافق عليه ويجوز
ان ينتصب على المصدر المؤكد لنفسه وجوز الحوفي ان ينتصب على الحال وليس بظاهر ويكون
التقدير متفضلا منعما او ذا فضل ونعمة قال ابن الخطيب ويجوز ان يكون فضلا مفعولا
به والفعل مضمر دل عليه قوله تعالى اولئك هم الراشدون وهم يبتغون فضلا من الله ونعمة
قال لان قوله فضلا من الله اشارة الى ما هو من جانب الله تعالى الغني والنعمة اشارة
الى ما هو من جانب العبد من اندفاع الحاجة وهذا يؤكد قولنا ان ينتصب فضلا بفعل
مضمر وهو الابتغاء والطلب ثم قال والله عليم حكيم وفيه مناسبات منها انه تعالى لما ذكر
نبا الفاسق قال فلا يعتمد على ترويجه عليكم الزور فان الله عليم ولا تقل كقول المنافق
لولا يعذبنا الله بما نقول فان الله حكيم لا يفعل الا على وفق حكمته وثانيها لما قال تعالى واعلموا
ان فيكم رسول الله لو يطيعكم بمعنى لا يطيعكم بل يتبع الوحي فان الله عليم يعلم من يكذب به
حكيم يامر بما تقتضيه الحكمة قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الآية لما حذر
المؤمنين من النبا الصادر من الفاسق اشار الى ما يلزم منه استدراكا لما يفوت فقال فان
اتفق انكم تبنون على قول من يوقع بينكم وينبت الامر المفضي الى اقتتال طائفتين من المؤمنين
فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي اي الظالم يجب عليكم دفعه
ثم ان الظالم ان كان هو الرعية فالواجب على الامير دفعهم وان كان هو الامير فالواجب على
المسلمين دفعه بالنصيحة فما فوقها وشرطه ان لا يثير فتنة مثل التي في اقتتال طائفتين واشد
منها **فصل** الضمير في قوله اقتتلوا عائد على افراد الطائفتين كقوله هذان خصمان
اختصموا والضمير في قوله بينهما عائد على اللفظ وقرا ابن ابي عبلة اقتتلتا مراعيا للفظ
وزيد بن علي وعبيد بن عمر واقتتلا ايضا الا انه ذكر الفعل باعتبار الفريقين او لانه تانيث
مجازي **فصل** روي انس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو اتيت عبد الله بن
ابي فانطلق اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب حمارا فانطلق المسلمون يمشون معه
وهو ارض سبخة فلما اتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اليك عني والله لقد اذاني نتن
حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب
لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل واحد منهما اصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والايدي
والنعال فنزلت وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الآية فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار كان بينهما مداراة
في حق فقال احدهما للاخر لاخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته وان الاخر دعاه ليحاكمه
الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا
بالايدي والنعال وان لم يكن قتال بالسيوف وقال سفيان عن السدي كانت امراة من
الانصار يقال لها ام زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شيء فرقاها الى علية وحبسها
فبلغ ذلك قومها فجاءوا وجاء قومه فاقتتلوا بالايدي والنعال فانزل الله عز وجل وان
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما اي بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضا بما فيه
لهما وعليهما **فصل** قوله ان طائفتان اشارة الى ندرته ووقوع الاقتتال بين طوائف
المسلمين فان قيل فنحن نرى اكثر الاقتتال بين طوائفهم فالجواب ان قوله تعالى اشارة الى
انه ينبغي ان لا يقع الا نادرا وغاية ما في الباب ان الامر على خلاف ما ينبغي وكذلك ان جاءكم

فاسق

فاسق اشارة الى ان مجيء الفاسق بالنبا ينبغي ان لا يقع الا قليلا مع ان مجيء الفاسق بالنبا كثيرا
وذلك لان قول الفاسق صار عند اولي الامر اشد قبولا من قول الصادق الصالح وقال وان
طائفتان من المؤمنين ولم يقل فرقتان تحقيقا للمعنى الذي ذكرناه وهو التقليل لان الطائفة
دون الفرقة قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة **فصل** قال من المؤمنين
ولم يقل منكم مع ان الخطاب مع المؤمنين سبق في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق
بنبا فتبينوا تنبيها على قبح ذلك وتبعيدا له عنهم كقول السيد لعبده ان رايت احدا من غلماني يفعل كذا
فامنعه فيصير بذلك مانعا للمخاطب عن ذلك الفعل بالطريق الحسن كانه يقول انت حاشاك ان
تفعل فان فعل غيرك فامنعه كذلك ههنا **فصل** قال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
ولم يقل وان اقتتل طائفتان من المؤمنين مع ان كلمة ان اتصالها بالفعل اولى وذلك لكون الابتداء
بما يمنع من الفتح فيتاكد معنى النكرة المدلول عليها بكلمة ان وذلك لان كونهما طائفتين يقتضي ان
لا يقع القتال بينهما فان قيل فلم لم يقل يا ايها الذين امنوا ان فاسق جاءكم او ان احد من الفساق
جاءكم ليكون الابتداء بما يمنعهم من الاصغاء الى كلامه وهو كونه فاسقا او تزداد نسبة فسقه بالمجيء به
بسبب الفسق فالجواب ان الاقتتال لا يقع سببا للايمان ولا الزيادة فقال ان جاءكم فاسق اي سواء
كان فاسقا اولا او جاءكم بالنبا فصار فاسقا به ولو قال ان احد من الفساق جاءكم لم يتناول الا المشهور
الفسق قبل المجيء اذا جاءهم بالنبا **فصل** قال تعالى اقتتلوا ولم يقل يقتتلوا لان
صيغة الاستقبال تنبئ عن الدوام والاستمرار فيفهم منه ان طائفتين من المؤمنين ان اقتتلوا ان تمادى
الاقتتال بينهما فاصلحوا وهذا لان صيغة المستقبل تنبئ عن ذلك يقال فلان يتهجد ويصوم
فصل قال اقتتلوا ولم يقل اقتتلا وقال فاصلحوا بينهما ولم يقل بينهم لان الفتنة قائمة
عند الاقتتال وكل واحد برايه يكون فاعلا فعلا فقال اقتتلوا وعند الصلح تتفق كلمة كل
طائفة والا لم يتحقق الصلح فقال بينهما لكون الطائفتين حينئذ كنفسين قوله فان بغت
احداهما على الاخرى وابت الاجابة الى حكم كتاب الله وقيل الى طاعة الرسول واولي الامر وقيل
الى الصلح لقوله تعالى واصلحوا ذات بينكم وقيل الى التقوى لان من خاف الله حق الخوف لا يبقى
له عدو الا الشيطان لقوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فان قيل كيف يصح في هذا
الموضع كلمة ان مع انها تستعمل في الشرط الذي لا يتوقع وقوعه وبغي احدهما عند الاقتتال
متحقق الوقوع فيكون مثل قول القائل ان طلعت الشمس فالجواب ان فيه معنى لطيفا وهو ان
الله تعالى يقول الاقتتال بين طائفتين لا يكون الا نادر الوقوع لان كل طائفة تظن ان الاخرى
فيها الكفر والفساد كما يتفق في الليالي المظلمة او يقع لكل طائفة ان القتال جائز باجتهاد خطا
فقال تعالى الاقتتال لا يقع الا كذا فان بان لهما او لاحدهما الخطا واستمر عليه فهو نادر وعند
ذلك يكون قد بغى فقال فان بغت ليجيء بعد انكشاف الامر وهذا يفيد الندرة وقلة الوقوع
فان قيل لم قال فان بغت ولم يقل فان تبغ فالجواب ما تقدم في قوله تعالى اقتتلوا ولم يقل
يقتتلوا قوله حتى تفيء العامة على همزة من فاء يفيء اي رجع كجاء يجيء والزهري بياء مفتوحة كمضارع
فاء وهذا على لغة من يقصر فيقول جا يجي دون همز وحينئذ فتح الياء لانها صارت حرف الاعراب
فصل المعنى حتى تفيء الى الله في كتابه وهذا اشارة الى ان القتال جزاء للباغي كحد
الشرب الذي يقام وان ترك الشرب بل القتال الى حد الفيئة فان فاءت الفئة الباغية حرم
قتالهم وهذا يدل على جواز قتال الصائل لان القتال لما كان للفيئة فاذا حصلت لم يوجد المعنى
الذي لاجله حل القتال وفيه دليل ايضا على ان المؤمن لا يخرج عن الايمان بفعل الكبيرة لان الباغي
من احدى الطائفتين وقد سماهما مؤمنين عن الايمان بفعل قوله فان فاءت اي رجعت
الى الحق فان قيل قد تقدم ان ان تدل على كون الشرط غير متوقع الوقوع وقلتم بان البغي من
المؤمن نادر فاذن تكون الفيئة متوقعة فكيف قال فان فاءت فالجواب هذا كقول القائل
لعبده ان مت فانت حر مع ان الموت لا بد منه ووقوعه لكن لما كان وقوعه بحيث يكون العبد محلا
للعتق بان يكون باقيا في ملكه حيا يعيش بعده فانه غير معلوم فكذلك ههنا لما كان المتوقع
تبينهم من تلقاء انفسهم لما لم يقع دل على تاكيد الامر بينهم فقال تعالى فان فاءت اي بعد اشتداد
الامر والتحام القتال فاصلحوا وفيه اشارة الى ان من لم يخف الله وبغى يكون رجوعه بعيدا

قوله فاصلحوا بينهما بالعدل محملها على الانصاف والرضى بحكم الله واقسطوا اعدلوا ان الله
يحب المقسطين فان قيل لم قال هنا فاصلحوا بينهما فالجواب ان الاصلاح هناك بازالة الاقتتال
نفسه وذلك يكون بالنصيحة وبالتهديد والزجر والتعذيب والاصلاح هنا بازالة اثار
الاقتتال بعد ارتفاعه من ضمان المتلفات وهو حكم فقال بالعدل فكانه قال واحكموا بينهما
بعد تركهما القتال بالحق واصلحوا بالعدل فيما يكون بينهما لئلا يودي الى ثوران الفتنة بينهما
مرة اخرى فان قيل لما قال فاصلحوا بينهما بالعدل فاية فايدة في قوله واقسطوا فالجواب
ان قوله فاصلحوا بينهما كان فيه تخصيصا بحال الاقتتال فعم الامر بالعدل وقال واقسطوا اي
في كل امر فانه مفض الى اشرف درجة وارفع منزلة وهي محبة الله والاقساط ازالة القسط وهو
الجور والقاسط هو الجاير قوله انما المومنون اخوة اي في الدين والولاية قال بعض
اهل اللغة الاخوة جمع الاخ من النسب والاخوان جمع الاخ من الصداقة والله تعالى
قال انما المومنون اخوة تاكيدا للامر واشارة الى ما بين الاخوة من الاسلام والنسب لهم كالاب
قال قايلهم • ابي الاسلام لا اب لي سواه • اذا افتخروا بقيس او تميم •
قوله بين اخويكم العامة على التثنية وقرا زيد بن ثابت وعبد الله والحسن وحماد بن مسلمة
وابن سيرين اخوتكم جمعا على فعلان وقد تقدم ان الاخوات تغلب في الصداقة والاخوة
في النسب وقد تعكس لهذه الاية وروي عن ابي عمرو وجماعة اخوتكم بالتاء من فوق وقد روي
عن ابي عمرو ايضا القراات الثلاث **فصل** المعنى واتقوا الله فلا تعصوه ولا تخالفوا
امره لعلكم ترحمون قال عليه السلام المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه من كان في حاجة اخيه
كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيمة ومن ستر
مسلما ستره الله يوم القيمة فان قيل عند اصلاح الفريقين والطايفتين لم يقل اتقوا وقال هنا
اتقوا مع ان ذلك اهم فالجواب ان الاقتتال بين طايفتين مفض الى ان تعم المفسدة ويلحق كل
مومن منها شيء وكل يسعى في الاصلاح لامر نفسه فلم يوكد بالامر بالتقوى واما عند تخاصم
رجلين لا يخاف الناس ذلك وربما يريد بعضهم تاكيد الخصام بين الخصوم لغرض فاسد فقال
فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله او يقال قوله اصلحوا اشارة الى الاصلاح وقوله واتقوا الله
اشارة الى صونهم عن المشاجرة وان اقل الاخ لان من اتقى الله شغله تقواه عن الاشتغال
بغيره قال عليه السلام المسلم من سلم الناس من لسانه ويده فالمسلم يكون مقبلا على عبادة الله
مشتغلا بعيبه عن عيوب الناس **فصل** في هاتين الايتين دليل على ان البغي لا
يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مومنين مع كونهم باغين ويدل عليه ما روي
الحرث الاعور ان علي بن ابي طالب سيل وهو القدوة في قتال اهل البغي عن اهل الجمل وصفين
امشركون هم فقال لا من الشرك فروا فقيل امنافقون فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا
قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغي في الشرع هو الخارج على امام العدل
فاذا اجتمعت طايفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة امام العدل بتاويل محتمل ونصبوا
اماما فالحكم فيهم ان يبعث الامام اليهم ويدعوهم الى طاعته فان اظهروا مظلمة ازالها عنهم
وان لم يذكروا مظلمة واصروا على بغيهم قاتلهم الامام حتى يفيوا الى طاعته وحكم قتالهم مذكور
في كتب الفقه **فصل** انما للحصر اي لا اخوة الا بين المومنين فلا اخوة بين المومن
والكافر ولهذا اذا مات المسلم وله اخ كافر يكون ماله للمسلمين ولا يكون لاخيه الكافر وكذلك الكافر
لان في النسب المعتبر الاب الشرعي حتى ان ولدي الزنا من رجل واحد لا يتوارثان فكذلك الكفر
لان الجامع الفاسد لا يفيد الاخوة ولهذا من مات من الكفار وله اخ مسلم ولا وارث له من النسب
لا يجعل ماله للكفار ولو كان الدين يجمعهم لم يرثه الكفار ومال المسلم للمسلمين عند عدم الوارث
فان قيل اذا ثبت ان اخوة الاسلام اقوى من اخوة النسب بدليل ان المسلم يرثه المسلمون اذا
لم يكن له اخوة نسبية ولا يرثه الاخ الكافر من النسب فلم لا يقدمون الاخوة الاسلامية على
الاخوة النسبية مطلقا حتى يكون مال المسلم للمسلمين لا لاخوته من النسب فالجواب ان الاخ
المسلم اذا كان اخاه من النسب فقد اجتمع فيه اخوتان فصار اقوى والعصوبة لمن له القوة
الا ترى ان الاخ من الابوين يقدم على الاخ من الاب لانه اجتمع فيه اخوتان فصار اقوى

العصوبة

العصوبة **فصل** قال النحاة ههنا ما كافة تكفان عن العمل ولولا ذلك لقيل انما المومنون
اخوة وفي قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وقوله عما قليل ليست كافة قال ابن الخطيب
والسوال الاقوى ان رب من حروف الجر والباء وعن كذلك وما في رب كافة وفي عما وبما ليست
كافة والتحقيق فيه هو ان الكلام بعد ربما وانما يكون تاما يمكن جعله مستقلا ولو حذفت
ربما وانما لم يضر تقول ربما قام الامير وربما زيد في الدار ولو حذفت ربما وقلت زيد في الدار
وقام الامير لصح وكذلك في انما ولكنما واما عما وبما فليس كذلك لان قوله تعالى فبما رحمة
من الله لنت لهم لو حذفت بما وقلت رحمة من الله لنت لهم لما كان كلاما فالبا بعد متعلقة
بما يحتاج اليها فهي باقية حقيقة وكذلك عما واما وبما لما استغنى عنها فكانه تام بنو حكما
ولا عمل للمعدوم فان قيل ان اذا لم تكف فما بعده كلام تام فوجب ان لا يكون له عمل تقول
ان زيدا قايم ولو قلت زيد قايم تكفي وتم تقول ليس كذلك لان ما بعد ان يجوز ان يكون
نكرة تقول ان رجلا جاءني واخبرني بكذا وكذلك المعقول وتقول جاءني رجل واخبرني
ولا يحسن انما رجل جاءني كما لو لم يكن هناك انما وكذلك القول في ليتما لو حذفتهما واقتصرت
على ما بعدهما لا يكون تاما فلم تكف وتقدم الكلام في لعل مرارا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا يسخر قوم من قوم الاية تقدم الخلاف وجعله الزمخشري هنا جمعا لقايم قال كصوم وزور
جمع صايم وزاير ولعل ليس من ابنية التكسير الا عند الاخفش نحو ركب وصحب والسخرية
هي ان لا ينظر الانسان الى اخيه بعين الاجلال ولا يلتفت اليه ويسقطه عن درجته وحينئذ
لا يذكر ما فيه من المعايب ومعنى الاية لا تحقروا اخوانكم ولا تستصغروهم **فصل** قال
ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس كان في اذنه وقر فكان اذا اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس اوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فاقبل ذات
يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الصلوة اخذ اصحابه
مجالسهم فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع احد لاحد فكان الرجل اذا جا فلم يجد مجلسا
قام قايما فلما فرغ ثابت من الصلاة اقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطا رقاب الناس
تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل
فقال له تفسح فقال له الرجل قد اصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت
الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا فقال انا فلان فقال له ثابت ابن فلانة ذكر اما له كان يعير
بها في الجاهلية فنكس الرجل راسه فاستحيا فانزل الله هذه الاية وقال الضحاك نزلت في وفد
تميم كانوا يستهزءون بفقرا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب
وسلمان وسالم مولى حذيفة لما راوا من رثاثة حالهم قوله عسى ان يكونوا خيرا منهم قرا ابي
وعبد الله عسوا وعسين وهي لغة تميم وقراءة العامة لغة الحجاز قوله ولا نساء من نساء عسى
ان يكن خيرا منهن روي انها نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم عيرن ام سلمة بالقصر وروي
عكرمة عن ابن عباس انها نزلت في صفية بنت حيي بن اخطب قال لها النساء يهودية بنت يهوديين
قوله ولا تلمزوا انفسكم اي لا يعب بعضكم على بعض قرا الحسن والاعرج ولا تلمزوا بالضم واللمز بالقول
وغيره والهمز باللسان فقط قوله ولا تنابزوا بالالقاب التنابز تفاعل من النبز وهو
التداعي بالنبز والترب وهو مقلوب منه لقلة هذا وكثرة ذاك ويقال تنابزوا وتنازبوا
اذا دعا بعضهم بعضا بلقب سوء واصله من الرفع كان النبز يرفع صاحبه فيشاهدوا للقلب ما اشعر
بصفة المسمى كقفة وبطة او رفعة كالصديق وعتيق والفاروق واسد الله واسد رسوله
وله مع الاسم والكنية اذا اجتمعن احكام مذكورة في كتب النحو واصل تنابزوا تتنابزوا اسقطت
احدى التاءين كما سقط في الاستفهام احدى الهمزتين فقال سواء عليهم انذرتهم والحذف ههنا
اولى لان تا الخطاب وتا التفاعل حرفان من جنس واحد في كلمة وهمزة الاستفهام كلمة براسها
وانذرتهم اخرى واحتمال الحرفين في كلمتين اسهل من احتماله في كلمة واحدة **فصل** ذكر
في الاية امورا ثلاثة مرتبة بعضها دون بعض وهي السخرية واللمز والنبز فالسخرية الاحتقار
والاستصغار واللمز ذكر الرجل في غيبته بعيب وهذا دون الاول لان من لم يلتفت اليه واما
جعله مثل المسخرة الذي لا يغضب له ولا عليه وهذا اجعل فيه شيا ما يعاب والنبز دون الثاني لانه

بصفه بوصف ثابت فيه بنقصه به فيحط منزلته والنبز مجرد التسمية وان لم يكن فيه لان
اللقب الحسن والاسم المستحسن اذا وضع لواحد وعلم عليه لا يكون معناه موجودا فان سمي
سعدا او سعيدا قد لا يكون كذلك وكذلك من لقب امام الدين او حسام الدين لا يفهم منه انه كذلك
وانما هو علامة وكذلك النبز فان من سمي مروان لحمار لم يكن كذلك وانما ذلك سمة وعلامة ولا يكون
اللفظ مرادا اذا لم يرد وصفه به كالاعلام كذلك فكانه تعالى قال لا تتكبروا فتستحقروا اخوانكم بحيث لا تلتفتوا اليه اصلا واذا نزلتم عن هذا فلا تعيبوهم طالبين حط درجتهم واذا لم
تعيبوهم ولم تصفوهم بما يسوءهم فلا تسموهم بما يكرهونه **فصل** قال ابن الخطيب القوم
اسم يقع على جمع من الرجال ولا يقع على النسا ولا على الاطفال لانه جمع قايم والقايم بالامور هو
الرجال وعلى هذا في افراد الرجال والنسا فايدة وهي ان عدم الالتفات والاستحقار انما يصدر
في اكثر الامرين من الرجال بالنسبة الى الرجال لان المراة في نفسها ضعيفة قال عليه السلام
لحم على وضم فالمراة لا يوجد منها استحقار للرجل لانها مضطرة اليه في دفع حوايجها واما الرجال
بالنسبة الى الرجال والنسا بالنسبة الى النسا فانه يوجد فيهم ذلك **فصل** في قوله
عسى ان يكونوا خيرا منهم حكمة وهي انهم اذا وجد منهم التكبر المفضي الى احباط الاعمال وجعل
نفسه خيرا منهم كما فعل ابليس حيث لم يلتفت الى ادم وقال انا خير منه فصار هو خيرا منه ويحتمل
ان يكون المراد بقوله يكونوا اي يصيروا فان من استحقر انسانا لفقره او ضعفه لا يامن ان
يفتقر هو ويستغني الفقير ويضعف هو ويقوى الضعيف **فصل** في قوله ولا تلمزوا
انفسكم وجهان احدهما ان عيب الاخ عايد الى الاخ فاذا عابه فكانه عاب نفسه والثاني
انه اذا عابه وهو لا يخلو من عيب فيعيبه به المعاب فيكون هو بعيبه حاملا للغير على عيبه
فكانه هو العايب نفسه ونظيره قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم ويحتمل ان يقال لا تعيبوا انفسكم
اي كل واحد منكم لعيب فانكم ان فعلتم فقد عبتم انفسكم اي كل واحد عاب كل واحد فصرتم
عايبين من وجه معيبين من وجه وهذا الوجه ههنا ظاهر ولا كذلك في قوله ولا تقتلوا
انفسكم **فصل** قال ولا تنابزوا ولم يقل ولا تنبزوا لان اللامز اذا لمز فالملموز لا يجد
فيه في الحال عيبا يلمزه به وانما يبحث ويتتبع ليطلع منه على عيب فيوجد اللمز من جانب
واما النبز فلا يعجز كل احد عن الاتيان بنبز فالظاهر ان النبز يفضي في الحال الى التنابز ولا
كذلك اللمز **فصل** قال المفسرون اللقب هو ان يدعى الانسان بغير ما سمي به وقال
عكرمة هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقال الحسن كان اليهودي والنصراني
يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك وقال عطا هو ان يقول
الرجل لاخيه يا حمار يا خنزير وعن ابن عباس التنابز بالالقاب ان يكون الرجل عمل السيات
ثم تاب عنها فنهي ان يعير بما سلف من عمله قوله بيس الاسم الفسوق بعد الايمان بيس
الاسم ان يقول له يا يهودي يا فاسق بعد ما امن وقيل معناه من فعل ما نهي عنه من السخرية
واللمز والنبز فهو فاسق وبيس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم
الفسوق ثم قال ومن لم يتب اي من ذلك فاوليك هم الظالمون قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن الاية قيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا او سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدم
لهما الى المنزل فيهيي لهما طعامهما وشرابهما فضم سلمان الفارسي الى رجلين في بعض اسفاره فتقدم
سلمان الفارسي الى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيي لهما فلما قدما قالا له ما صنعت شيا قال
لا غلبتني عيناي قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجا سلمان
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسال طعاما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى
اسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل من طعام فليعطك وكان اسامة خازن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فاتاه فقال ما عندي شي فرجع سلمان اليهما فاخبرهما
فقالا كان عند اسامة ولكن بخل فبعث سلمان الى طايفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيا
فلما رجع قالوا لو بعثناه الى بير سميحة لغار ماوها ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ما امر
لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي ارى

حضرة اللحم في افواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتم تاكلون
لحم اسامة وسلمان فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن **فصل**
قال سفيان الثوري الظن ظنان احدهما اثم وهو ان يظن ويتكلم به والاخر ليس باثم وهو
ان يظن ولا يتكلم به قال عليه السلام اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث قوله اثم جعل
الزمخشري همزه بدلا من واو فاك لانه يثم الاعمال اي يكسرها وهذا غير مسلم بل تلك مادة
اخرى قوله ولا تجسسوا التجسس التتبع ومنه الجاسوس والجساسة وجواس الانسان
وحواسه ومشاعره وقد قرا هنا بالحا الحسن وابو رجا وابن سيرين **فصل** التجسس هو
البحث عن عيوب الناس فنهى الله تعالى عن البحث عن المستور من امور الناس وتتبع عوراتهم
قال عليه السلام لا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله
اخوانا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا وقال عليه السلام يا معشر من امن بلسانه
ولم يفض الايمان الى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورات المسلمين
تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة
فقال ما اعظمك واعظم حرمتك والمومن اعظم حرمة منك عند الله وقيل لابن مسعود هل
لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا فقال انا نهينا عن التجسس فان يظهر لنا شي ناخذ به
فصل واعلم ان الظن تبنى عليه القبايح فالعاقل اذا وقفت اموره على اليقين يقل
ما يتيقن في احد عيبا يلمزه به لان الفعل في الصورة قد يكون قبيحا وفي نفس الامر لا يكون
كذلك لان الفعل قد يكون فاعله ساهيا او يكون الراي مخطيا وقوله تعالى كثيرا اخراج للظنون
التي يبنى عليها الخيرات قال عليه السلام ظنوا بالمومن خيرا وقوله ان بعض الظن اثم اشارة
الى الاخذ بالاحوط وقوله ولا تجسسوا اتماما لذلك لانه تعالى لما قال اجتنبوا كثيرا من الظن
فهم منه ان المعتبر اليقين وقوله ولا يغتب بعضكم بعضا اي لا يتناول بعضكم بعضا في غيبته
بما يسوءه مما هو فيه قال عليه السلام اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك
بما يكره قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه
ما تقول فقد بهته وفي هذا اشارة الى وجوب حفظ عرض المومن قوله ايحب احدكم ان ياكل
لحم اخيه ميتا فنصب ميتا على الحال من لحم او اخيه وتقدم الخلاف في ميتا فان قيل اللحم لا يكون
ميتا فالجواب بلى قال عليه السلام ما ابين من حي فهو ميت فسمي القطعة ميتا فان قيل
اذا جعلناه حالا من الاخ لا يكون هيية الفاعل ولا المفعول ولا يجوز جعله حالا الا وهو كقول
القايل مررت باخي زيد وزيد كون زيد قايما وذلك لا يجوز قلنا من اكل لحمه فقد اكل فصار
الاخ ماكولا مفعولا بخلاف المرور باخي زيد **فصل** في هذا التشبيه اشارة الى ان
عرض الانسان كدمه ولحمه لان الانسان يتالم قلبه من قرض العرض كما يتالم جسمه من قطع اللحم
وهذا من باب القياس الظاهر لان عرض المرء اشرف من لحمه ودمه فاذا لم يحسن من العاقل
اكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الاولى لان ذلك الم وقوله لحم اخيه اكد في
المنع لان العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو وفي قوله ميتا اشارة الى دفع وهو ان يقال
الشتم في الوجه يولم فيحرم واما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يولم فقال اكل لحم
الاخ وهو ميت ايضا لا يولمه ومع هذا هو في غاية القبح لما انه لو اطلع عليه لتالم فان الميت
لو احس باكل لحمه لالمه وفيه معنى لطيف وهو ان الاغتياب باكل لحم الادمي ميتا ولا يحل الاكل
الا للمضطر بقدر الحاجة والمضطر اذا وجد لحم الشاة الميتة ولحم الادمي فلا ياكل لحم الادمي فكذلك
المغتاب ان وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب قوله فكرهتموه قال الفرا
تقديره فقد كرهتموه فلا تفعلوه قال ابن الخطيب الفا في تقدير جواب كلام كانه تعالى لما
قال ايحب لك انكارا فكانه قال لا يحب احدكم ان ياكل لحم اخيه فكرهتموه اذن وقال ابو البقا
المعطوف عليه محذوف تقديره عرض عليكم ذلك فكرهتموه والمعنى يعرض عليكم فتكرهونه وقيل
ان صح ذلك عندكم فانتم اي تكرهونه قال ابن الخطيب هو كتعلق المسبب بالسبب وترتيب عليه
كقولك جا فلان ماشيا فتعب وقيل هو خبر بمعنى الامر كقولهم اتقى الله امرو فعل خيرا يثب
عليه وقرا ابو حيوة والجحدري فكرهتموه بضم الكاف وتشديد الراء عدي بالتضعيف الى ثان

بخلاف قوله اولا اكره اليكم الكفر فانه وان كان مضعفا لم يبعد لواحد لتضمنه معنى بعض فصل
قال ابن الخطيب الضمير في قوله فكرهتموه فيه وجوه اظهرها ان يعود الى الاكل لان قوله
تعالى ايحب احدكم معناه ايحب احدكم الاكل لان ان مع الفعل للمصدر اي كرهتموا الاكل وثانيها
ان يعود الى اللحم اي فكرهتم اللحم وثالثها ان يعود الى الميت في قوله ميتا تقديره ايحب احدكم
ان ياكل اخيه ميتا تغير فكرهتموه فكانه صفة لقوله ميتا ويكون فيه زيادة مبالغة في
التحذير يعني الميتة ان اكلت في الندرة وتستطاب نادرا ولكن اذا انتن واروح وتغير لا يوكل
اصلا فكذلك ينبغي ان تكون الغيبة وذلك محقق الكراهة ويوجب النفرة الى حد لا يشتهي ده
الانسان ان يبيت في بيت فيه ميت فكيف يقربه بحيث ياكله ففيه اذن كراهية شديدة
فكذلك حال الغيبة **فصل** قال مجاهد لما قال لهم ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا
قالوا لا قيل فكرهتموه اي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الزجاج تاويله
ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك قال عليه السلام لما عرج
بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال
هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم قوله واتقوا الله عطفا على ما تقدم
من الاوامر والنواهي اي اجتنبوا واتقوا الله ان الله تواب رحيم واعلم انه تعالى ختم الايتين
بذكر التوبة فقال في الاولى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقال ههنا ان الله تواب
رحيم لكن لما كان الابتدا في الاية الاولى بالنهي في قوله لا يسخر قوم من قوم ذكر النفي الذي
هو قريب من النهي وفي الثانية كان الابتدا بالامر في قوله اجتنبوا كثيرا فذكر الاثبات
الذي هو قريب من الامر قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الاية هذه
الاية مبينة ومقررة لما تقدم لان السخرية من الغير وعيبه ان كان بسبب الدين والايمان
فهو جائز وكذلك لمزه وغيبته وان لم يكن بسبب الدين والايمان فلا يجوز لان الناس بعمومهم
كافرهم ومومنهم يشتركون فيما يفتخر به المفتخر لان التكبر والافتخار ان كان بسبب الغنى
فالكافر قد يكون غنيا والمومن فقيرا وبالعكس وان كان بسبب النسب فالكافر قد يكون نسيبا
والمومن مولى وعبد اسود وبالعكس فالناس فيما ليس من البر والتقوى متساوون او
متقاربون ولا يورث شي من ذلك مع عدم التقوى كما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
فقوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى يعني ادم اي انكم متساوون في النسب
فلا تفاخر لبعض على بعض لكونهم ابنا رجل واحد وامراة واحدة **فصل** قال ابن عباس
نزلت في ثابت بن قيس وقوله للرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة فقال النبي صلى الله
عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت انا يا رسول الله فقال انظر في وجوه القوم فنظر
فقال ما رايت يا ثابت قال رايت ابيض واحمر واسود قال فانك لا تفضلهم الا في الدين
والتقوى فنزلت هذه الاية ونزلت في الذي لم يتفسح يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا
في المجلس فافسحوا وقال مقاتل لما كان فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا
حتى علا على ظهر الكعبة واذن فقال عتاب بن اسيد بن ابي العيص الحمد لله الذي قبض
ابي حتى لم ير هذا اليوم وقال الحرث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود موذنا
وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيا يغيره وقال ابو سفيان اني لا اقول شيا اخاف
ان يخبر به رب السموات فاتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالوا فدعاهم
وسالهم عما قالوا فاقروا فانزل الله عز وجل هذه الاية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر
بالاموال والازرا بالفقرا فان قيل هذه الاية تدل على عدم اعتبار النسب وليس كذلك فان
للنسب اعتبارا عرفا وشرعا حتى لا يجوز تزويج الشريفة بالنبطي فالجواب اذا جاء الامر العظيم
لا يبقى الامر الحقير معتبرا وذلك في الحس والشرع والعرف اما الحس فلان الكواكب عند
طلوع الشمس وجناح الذباب دوي ولا يسمع عندما يكون رعد قوي واما العرف
فلان من جاء غلام ملك اقبل عليه واكرمه فاذا جاء مع الملك لا يبقى له اعتبار ولا يلتفت
اليه واذا علم هذا ففي الشرع كذلك اذا جاء الشرف الديني الالهي لا يبقى لامر هناك اعتبار
لا للنسب ولا لسبب الاترى ان الكافر وان كان من اعلا الناس نسبا والمومن وان كان من ادونهم

نسبا

نسبا لا يقاس لاحدهما بالاخر وكذلك ما هو الدين مع غيره ولهذا تصلح المناصب الدينية
كالقضا والشهادة لكل شريف ووضيع اذا كان دينا عالما ولا يصلح لشي منها فاسق وان كان
قرشي النسب وقاروني النسب ولكن اذا اجتمع في اثنين الدين المتين واحدهما نسيب يرجح ده
بالنسب عند الناس لا عند الله لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وشرف النسب ليس
مكتسبا ولا يحصل بسعي **فصل** الحكمة في اختيار النسب من جملة اسباب التفاخر ولم
يذكر المال لان الامور التي يفتخر بها في الدنيا وان كانت كثيرة لكن النسب اعلاها لان المال
قد يحصل للفقير فيبطل افتخار المفتخر به عليه والسن والحسن وغير ذلك لا يدوم والنسب
ثابت مستمر غير مقدور التحصيل لمن ليس له ذلك فاختاره الله للذكر وابطل اعتباره بالنسبة
الى التقوى ليعلم منه بطلان غيره بطريق الاولى فان قيل اذا كان ورود الاية لبيان عدم
جواز الافتخار بغير التقوى فما فايدة قوله تعالى انا خلقناكم فالجواب فايدته ان كل شي
يترجح على غيره فاما ان يترجح بامر فيه يلحقه ويترتب عليه بعد وجوده واما ان يترجح عليه بامر
قبله فالذي بعده كالحسن والقوة وغيرهما من الاوصاف المطلوبة من ذلك الشي واما الذي
قبله فاما راجع الى اصله الذي وجد منه او الى الفاعل الذي اوجده فالاول كقولك هذا من
نحاس وهذا من فضة والثاني كقولك هذا عمل فلان فقال تعالى لا ترجيح بما خلقتم منه لانكم
كلكم من ذكر وانثى ولا ترجيح بالنسبة الى فاعلكم لانكم كلكم خلق الله فان كان عندكم تفاوت
فهو بامور تحصل لكم بعد وجودكم واشرفها التقوى قوله وجعلناكم شعوبا وقبايل الشعوب
جمع شعب بفتح الشين وهو اعلى طبقات الانساب مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج وذلك
ان طبقات النسب التي عليها العرب ست الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة
وكل واحد يدخل فيما قبله فالفصيلة تدخل في الفخذ والفخذ في البطن وزاد بعض الناس
بعد الفخذ العشيرة فجعلها داخلة فيها فتكون الفصايل داخلة في العشيرة وتدخل العشيرة
في الافخاذ وتدخل الافخاذ في البطون والبطون في العماير والعماير في القبيلة والقبيلة
في الشعب وذكر الاعم لانه اذهب بالافتخار وسمي الشعب شعبا لتشعب القبايل منه واجتماعهم
فيه كتشعب اغصان الشجرة والشعب من الاضداد يقال شعب اي جمع ومنه تشعيب القدح
وشعب اي فرق والقبايل وهي دون الشعوب واحدها قبيلة وهي كبكر من ربيعة وتميم من
مضر سميت بذلك لتقابلها شبهت بقبايل الراس وهي قطع متقابلة وقيل الشعوب في العجم
والقبايل في العرب والاسباط في بني اسرايل وقيل الشعب النسب الابعد والقبيلة الاقرب
وانشد • قبايل من شعوب ليس فيهم • كريم قد يعد ولا نجيب •
والنسب الى الشعب شعوبية بفتح الشين وهم جيل يبغضون العرب ودون القبايل العماير
واحدتها عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون العماير البطون واحدها
بطن وهم كبني هاشم وامية من بني لوي ثم الفصايل والعشاير واحدها فصيلة وعشيرة
قال ابو روق الشعوب الذين لا يعتزون الى احد بل ينتسبون الى المداين والقرى والقبايل
العرب الذين ينتسبون الى ابايهم قوله لتعارفوا العامة على تخفيف التا والاصل لتتعارفوا
فحذف احدى التايين والبزي يشددها وقد تقدم ذلك في البقرة واللام متعلقة بخلقناكم
وقرا الاعمش بتايين وهو الاصل الذي ادغمه البزي وحذفه الجمهور وابن عباس لتعرفوا
مضارع عرف **فصل** المعنى ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده لا للتفاخر وقال
في اول الاية خلقناكم وقال ههنا وجعلناكم شعوبا لان الخلق اصل تفرع عليه الجعل شعوبا
لان الخلق والايجاد لاجل العبادة كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والجعل شعوبا
للتعارف والاصل مقدم على الفرع فتصير العبادة قبل اعتبار النسب لان اعتبار الجعل شعوبا
انما يتحقق بعد تحقق الخلق وفي هذا اشارة الى انه ان كان فيكم عبادة تعتبر والا فلا اعتبار
لانسابكم فان قيل الهداية والضلال كذلك لقوله تعالى انا هديناه السبيل يهدي من يشا
ويضل من يشا فالجواب ان الله تعالى اثبت لنا فيه كسبا مبنيا على فعل لقوله تعالى فمن شا
اتخذ الى ربه سبيلا ثم قال وما تشاوون الا ان يشا الله واما في النسب فلا قوله ان اكرمكم
عند الله اتقاكم قال قتادة في هذه الاية اكرم الكرم التقوى والام اللوم الفجور وقال

عليه السلام الحسب المال والكرم التقوي قال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الاخرة
التقوي وعن ابي هريرة قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس اكرم قال اكرمهم
عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسالك قال فاكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله
ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسالك قال فعن معادن العرب تسالوني قالوا نعم
قال فخياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا وقال عليه السلام ان الله لا ينظر
الي صوركم ولكن ينظر الي قلوبكم **فصل** قرا العامة ان اكرمكم بكسر ان وابن عباس
بفتحها فان جعلت اللام لام الامر وفيه بعد اتضح ان يكون قوله ان اكرمكم بالفتح مفعول
العرفان امرهم ان يعرفوا ذلك وان جعلتها للعلة لم يظهر ان يكون مفعولا لانه لم يجعلهم
شعوبا وقبايل ليعرفوا ذلك فينبغي ان يجعل المفعول محذوفا واللام للعلة اي لتعرفوا الحق
لان اكرمكم **فصل** قال ابن الخطيب في المراد بالاية وجهان الاول ان التقوي
تفيد الاكرام والثاني ان الاكرام يورث التقوي كما يقال المخلصون على خطر والاول
اشهر والثاني اظهر فان قيل التقوي من الاعمال والعلم اشرف لقوله عليه السلام لفقيه
اشد علي الشيطان من الف عابد فالجواب ان التقوي ثمرة العلم لقوله تعالي انما يخشى
الله من عباده العلما فلا تقوي الا للعالم فالمتقي العالم اتم علمه والعالم الذي لا يتقي
كشجرة لا ثمر لها لكن الشجرة المثمرة اشرف من الشجرة التي لا تثمر بل هي حطب وكذلك
العالم حصب جهنم واما العالم الذي يفضل عليه الفقيه فهو الذي لا علم له وحينئذ
لا يكون اولدخول الجنة فهو يعمل بالفاعل له اجرة ويرجع الي بيته والمتقي هو العالم كان الله
عنده من خشية الله يضاب كامل ولعله يعبد الله مخافة الالقا في النار فهو كالمكره
اولدخول الجنة فهو يعمل بالفاعل له اجرة ويرجع الي بيته والمتقي هو العالم بالله
المواظب لبابه فان قيل خطاب الناس بقوله اكرمكم يقتضي اشتراك الكل في الاكرام ولا
كرامة للكافر فانه اضل من الانعام فالجواب ذلك غير لازم مع انه حاصل بدليل قوله
تعالي ولقد كرمنا بني ادم لان كل من خلق فقد اعترف بربه ثم من استمر عليه وزاد زيد
في كرامته ومن رجع عنه ازيل عنه اثر الكرامة ثم قال تعالي ان الله عليم خبير اي عليم
بظواهركم يعلم انسابكم خبير بسرايركم لا يخفى عليه اسراركم فاجعلوا التقوي زادكم قوله تعالي
قالت الاعراب امنا الاية لما قال تعالي ان اكرمكم عند الله اتقاكم والاتقا لا يكون الا بعد
حصول التقوي واصله الايمان والاتقا من الشرك قالت الاعراب لنا النسب الشريف
يكون لنا الشرف قال الله تعالي ليس الايمان بالقول انما هو بالقلب فما امنتم فان الله خبير
يعلم ما في الصدور ولكن قولوا اسلمنا اي انقدنا واسلمنا قيل نزلت في نفر من بني اسد
ابن خزيمة قدموا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة مجدبة فاظهروا الاسلام ولم
يكونوا مومنين في السر طالبين الصدقة فافسدوا طرق المدينة بالعذرات وكانوا يغدون
ويروحون الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون اتتك العرب بانفسها علي ظهور
رواحلها وجيناك بالاثقال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو
فلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويريدون الصدقة ويقولون اعطنا فانزل
الله فيهم هذه الاية وقال السدي نزلت في الاعراب الذين ذكرهم الله تعالي في سورة
الفتح وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار وكانوا يقولون امنا ليامنوا علي انفسهم
واموالهم فلما استنفروا الي الحديبية تخلفوا فانزل الله قالت الاعراب امنا صدقنا قل لم
تومنوا ولكن قولوا اسلمنا اتقينا واستسلمنا مخافة القتل والسبي قال ابن الخطيب وقد
بينا ان ذلك كالتاريخ للنزول لا للاختصاص بهم فكل من اظهر فعل التقوي واراد ان
يصير له ما للمتقي بالاكرام لا يحصل له ذلك لان التقوي من عمل القلب قوله ولما يدخل
هذه الجملة مستانفة اخبر تعالي بذلك وجعلها الزمخشري حالا من الضمير في قولوا
وقد تقدم الكلام في لما وما تدل عليه والفرق بينها وبين لم في البقرة عند قوله تعالي ولما
ياتكم مثل وقال الزمخشري فان قلت هو بعد قوله لم تومنوا يشبه التكرير من غير
استقلال بفائدة متجددة قلت ليس كذلك فان فايدة قوله لم تومنوا هو تكذيب دعواهم

دعواهم

وقوله ولما لم يدخل توقيت لما امروا به ان يقولوه ثم قال ولما في لما من معنى التوقع دليل
على ان هولاء قد امنوا فيما بعد قال ابو حيان ولا ادري من اي وجه يكون النفي بلما يقع
بعد قال شهاب الدين لانها لنفي قد فعل وقد للتوقع **فصل** قال ابن الخطيب
لم ولما حرفا نفي وما وان ولا كذلك من حروف النفي ولما ولم يجزمان وغيرهما من حروف النفي
لا يجزم فالفرق بينهما فالجواب ان لم ولما يفعلان بالفعل ما لا يفعل به غيرهما فانهما يصرفان
معناه من الاستقبال الي المضي تقول لم يومن امس وامن اليوم ولا تقول لا يومن امس فلما
فعلا بالفعل ما لم يفعل به غيرهما جزم بهما فان قيل مع هذا لم جزم بهما غاية ما في الباب ان
الفرق حصل ولكن ما الدليل علي وجوب الجزم بهما تقول لان الجزم والقطع يحصل في الافعال
الماضية لان من قام فقد حصل القطع بقيامه ولا يجوز ان يكون ما قام والافعال المستقبلة
اما متوقعة الحصول واما ممكنة من غير توقع فلا يمكن الجزم والقطع فيه فاذا كان لم ولما
يقلبان اللفظ من الاستقبال الي المضي افاد الجزم والقطع فيه فلو كان لم ولما يقلبان
في المعني فجعل له مناسبا لمعناه وهو الجزم لفظا وعلي هذا تقول اذا كان السبب في الجزم
ما ذكرنا فلهذا قيل الامر يجزم لان الامر كانه جزم علي المامور ان يفعله ولا يتركه فاتي بلفظ
مجزوم تنبيها علي ان الفعل لا بد من ايقاعه وان في الشرط كلم لان ان تغير معنى الفعل من المضي
الي الاستقبال كما ان لم تغيره من الاستقبال الي المضي تقول ان اكرمتني اكرمك فلما كان ان مثل
لم في كونه حرفا وفي لزوم الدخول علي الافعال وتغيرها صار جازما للشبه اللفظي واما الجزا
فجزم لما ذكرنا من المعني فان الجزا يجزم لو قوعه عند وجود الشرط فجزمه اما للمعني او للشبه
اللفظي **فصل** اخبر الله تعالي ان حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وان
الاقرار باللسان واظهار شرايعه بالابدان لا يكون دون التصديق بالقلب والاخلاص فالاسلام
هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة يقال اسلم الرجل اذا دخل في السلم كما يقال
اشتا اذا دخل في الشتا واصاف اذا دخل في الصيف واربع اذا دخل في الربيع فمن الاسلام
ما هو طاعة علي الحقيقة باللسان والابدان والجنان كقوله عز وجل لابراهيم اسلم قال
اسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا اسلمنا
ولما يدخل الايمان في قلوبكم قال ابن الخطيب المومن والمسلم واحد عند اهل السنة فيقول
الفرق بين العام والخاص ان الايمان لا يحصل الا بالقلب والانقياد وقد يحصل بالقلب وقد
يحصل باللسان والاسلام اعم لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون امرا اخر
غيره مثاله الحيوان اعم من الانسان لكن الحيوان في صورة الانسان امرا ينفك عن الانسان
ولا يجوز ان يكون ذلك الحيوان حيوانا ولا يكون انسانا فالعام والخاص مختلفان في العموم
متحدان في الوجود وكذلك المومن والمسلم وسياتي بقية الكلام علي ذلك في الذاريات
عند قوله فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ان شا
الله تعالي قال ابن الخطيب وفي الاية اشارة الي بيان حال المولفة اذا اسلموا ويكون
ايمانهم ضعيفا فقال لهم لم تومنوا لان الايمان ايقان وذلك بعد لم يدخل في قلوبكم وسيدخل
باطلاعكم علي محاسن الاسلام قوله وان تطيعوا الله ورسوله اي ظاهرا وباطنا سرا
وعلانية قال ابن عباس تخلصوا الايمان قوله لا يلتكم قرا ابو عمرو لا يالتكم بالهمز من
الته يالته بالفتح في الماضي والكسر والضم في المضارع لقوله وما التناهم والسوسي يبدل
الهمزة الفا علي اصله والباقون يلتكم من لاته يليته كباعه يبيعه وهما لغتان معناهما لا ينقصكم
فالاولي لغة غطفان واسد والثانية لغة الحجاز يقال الت يالت التا ولات يليت ليتا وقيل
هي من ولته يلته كوعده يعده فالمحذوف على القول الاول عين الكلمة ووزنها يفعلكم وعلى
الثاني فاوها ووزنها يعلكم ويقال الاته يليته كاباعه يبيعه والته يولته كامن يومن وكلها
لغات في معني نقصه حقه قال الحطيئة

ابلغ سراة بني سعد مغلغلة • جهد الرسالة لا التا ولا كذبا

وقال روبة

وليلة ذات ندي سريت ولم • يلتني عن سراها ليت

اي لم يمنعني ويحبس **فصل** قال ابن الخطيب معني قوله لا ينقصكم المراد منه انكم اذا

انتم بما يليق بضعفكم من الحسنة ويثيبكم بما يليق به من الجزا لان من حمل الي ملك
فاكهة طيبة يكون ثمنها في السوق درهم فاعطاه الملك درهما انتسب الملك الي البخل وانما
معناه انه يعطي مثل ذلك من غير نقص اي يعطي ما يتوقعون باعمالكم من غير نقص ثم قال
ان الله غفور رحيم اي يغفر لكم ما قد سلف ويرحمكم بما اوتيتم به قوله انما المومنون
الذين امنوا بالله ورسوله هذا ارشاد للذين قالوا امنا بين لهم حقيقة الايمان فقال
ان كنتم تريدون الايمان فالمومن من امن بالله ورسوله ثم لم يرتابوا اي لم يشكوا في دينهم
واتقنوا بان الايمان ايقان وثم للتراخي في الحكاية كانه يقول امنوا ثم اقول شيا اخر لم
يرتابوا ويحتمل ان يكون للتراخي في الفعل اي امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فيما قال
النبي صلى الله عليه وسلم من الحشر والنشر وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اي ايقنوا
ان بعد هذه الدار دارا اخرى فجاهدوا وطلبوا العقبى اوليك هم الصادقون في ايمانهم
فان قيل كيف يجوز ان يكذبوا في الاسلام والاسلام هو الانقياد وقد وجد منهم قولا
وفعلا وان لم يوجد اعتقادا وعلما وذلك القدر كان في صدقهم في قولهم انا اسلمنا فالجواب
ان التكذيب يقع على وجهين احدهما ان لا يوجد نفس المخبر عنه والثاني ان لا يوجد كما
اخبر في نفسك فقد يقول له ما جيتنا بل جيت للحاجة فالله تعالي كذبهم في قولهم
امنا على الوجه الاول اي ما امنتم اصلا ولم يصدقهم في الاسلام على الوجه الثاني فانهم
انقادوا للحاجة واخذ الصدقة **فصل** لما نزلت هاتان الايتان اتت الاعراب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله انهم مومنون صادقون وعرف الله غير
ذلك منهم فانزل الله قل اتعلمون الله بدينكم والتعليم هاهنا بمعنى الاعلام فلذلك قال
بدينكم ادخل البا فيه لانه منقول بالتضعيف من علمت به بمعنى شعرت به فلذلك
تعدت لواحد بنفسها ولاخر بالبا والمعنى لا تعرفوا الله بدينكم فانه عالم به لا يخفي عليه شي
لانه يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شي عليم لا يحتاج الي اخباركم قوله
يمنون عليك ان اسلموا يجوز في قوله ان اسلموا وجهان احدهما انه مفعول به لانه
ضمن يمنون بمعنى يعيدون كانه قيل يعيدون عليك اسلامهم ما نبت به عليك ولهذا
صرح بالمفعول به في قوله قل لا تمنوا علي اسلامكم اي لا تعيدوا واعلي اسلامكم كذا استدل
ابو حيان وفيه نظر اذ لقايل ان يقول لا نسلم انتصاب اسلامكم على المفعول به بل
يجوز فيه المفعول من اجله كما يجوز في محل ان اسلموا وهو الوجه الثاني فيه اي يمنوا
عليك لاجل ان اسلموا فكذلك في قوله لا تمنوا علي اسلامكم وشروط النصب موجودة
والمفعول له متي كان مضافا استوي جره بالحرف ونصبه قوله بل الله يمن عليكم
يعني لا منة لكم علينا اصلا بل المنة عليكم حيث بينت لكم الطريق المستقيم قوله ان هداكم
للايمان اعرابه كقوله ان اسلموا وقرا زيد بن علي اذ هداكم باذ مكان ان وهي في مصحف
عبد الله كذلك وهي تفيد التعليل وجواب الشرط مقدر اي فهو المان عليكم لا انتم
عليه وعلي فان قيل كيف من عليهم بالهداية الي الايمان مع انه تبين انهم لم يومنوا
فالجواب من ثلثة اوجه احدها انه تعالي لم يقل بل الله من عليكم ان رزقكم الايمان
بل قال ان هداكم للايمان وثانيها ان ارسال الرسول بالايات البينات هداية ثالثها
انه تعالي يمن عليهم بما زعموا فكانه قال انتم قلتم امنا فذلك نعمة في حقكم حيث تخلصتم
من النار فقال هداكم في زعمكم ولهذا قال تعالي ان كنتم صادقين ثم قال تعالي ان
الله يعلم الاية وهذا تقرير لاول السورة حيث قال ان الله سميع عليم فاخبرهم
عن علمه ويصح قوله ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون قرا ابن
كثير بالغيبة نظرا لقوله يمنون وما بعده والباقون بالخطاب نظرا الي قوله لا تمنوا علي اسلامكم
الي اخره وفي هذه الاية اشارة الي انه يبصر اعمال جوارحكم الظاهرة والباطنة لا يخفي عليه شي
قال عليه السلام من قرا سورة الحجرات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية

وهي خمس واربعون اية وثلثماية وسبع وخمسون كلمة والف واربعماية واربعة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالي ق قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم السورة وقيل اسم من اسما القران
وقال القرظي هو مفتاح اسمه قدير وقادر وقاهر وقريب وقابض وقال عكرمة والضحاك
هو جبل محيط بالارض من زمردة خضرا ومنه خضرة السما والسما مقببة عليه وعليه كنفاها
ويقال هو ورا الحجاب الذي تغيب الشمس من ورايه بمسيرة سنة وقيل معناه قضي الامر
وقضي ما هو كاين كما قالوا في حم وفي ص صدق الله وقيل هو اسم فاعل من قفا يقفوا **فصل**
قال ابن الخطيب لما حكى القول بان قاف اسم جبل محيط بالارض عليه اطراف السما قال وهذا
ضعيف لوجوه احدها ان اكثر القرا يقف عليها ولو كان اسم جبل لما جاز الوقف في الادراج لان
من قال ذلك قال بان الله تعالي اقسم به وثانيها لو كذلك لذكر بحرف القسم كقوله تعالي والطور
ونحوه لان حرف القسم محذوف حيث يكون المقسم به مستحقا لان يقسم به كقولنا الله لافعلن
كذا فاستحقاقه له يغني عن الدلالة عليه باللفظ ولا يحسن ان يقال زيد لافعلن كذا ثالثها
انه لو كان كما ذكر لكان يكتب قاف مع الالف والفا كما يكتب عين جارية النبي الله بكاف وفي جميع
المصاحف يكتب حرف ق رابعها ان الظاهر كون الامر فيه كالامر في ص ون وحم وهي حروف لا كلمات
فكذلك في ق فان قيل هو منقول عن ابن عباس نقول المنقول عنه ان قاف اسم جبل واما ان
المراد هنا ذلك فلا **فصل** قال ابن الخطيب هذه السورة وسورة ص تشتركان في
افتتاح اولهما بالحرف المعجم والقسم بالقران بعده وقوله بعد القسم بل والتعجب وتشتركان ايضا
في ان اول السورتين واخرهما متناسبان لانه تعالي قال في اول ص والقران ذي الذكر وقال
في اخرها ان هو الا ذكر للعالمين وقال في اول ق والقران المجيد وقال في اخرها فذكر بالقران
من يخاف وعيد فافتتح بما اختتم به وايضا في اول ص صرف العناية الي تقرير الاصل الاول
وهو التوحيد لقوله تعالي اجعل الالهة الها واحدا وفي هذه السورة صرف العناية الي تقرير
الاصل الاخر وهو الحشر فقال تعالي ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد ولما كان افتتاح سورة
ص في تقرير المبدا قال في اخرها اذ قال ربك للملايكة اني خالق بشرا من طين وختم بحكاية
بدء ادم لانه دليل الوحدانية ولما كان افتتاح ق لبيان الحشر قال في اخرها ذلك حشر علينا
يسير **فصل** قال ابن الخطيب قد ذكرنا ان الحروف تنبيهات قدمت على القران السامع
بسببها يقبل على السماع ما يرد على الاسماع فلا يفوته شي من الكلام الرايق والمعني الرايق
وذكرنا ايضا ان العبادة منها قلبية ومنها لسانية ومنها جارحية ظاهرة ووجد في الجارحية
ما عقل معناه ووجد فيها ما لم يعقل معناه كاعمال الحج من الرمي والسعي وغيرهما ووجد في
القلبية ما علم بالدليل وعقل كالتوحيد وامكان الحشر وصفات الله تعالي وصدق الرسل
ووجد فيها ما لم يعقل ولا يمكن التصديق به لولا السمع كالصراط الممدود الاحد من السيف
الارق من الشعر والميزان الذي لا توزن به الاعمال فكذلك ينبغي ان يكون الاذكار التي هي
العبادة اللسانية فيها ما يعقل معناه كجميع القران الا قليلا منه وفيها ما لا يعقل ولا يفهم
كحروف التهجي ليكون التلفظ به لمحض الانقياد للامر لا لما يكون في الكلام من طيب الحكاية
والقصد الي غرض كقولنا ربنا اغفر لنا وارحمنا بل يكون النطق به تعبدا محضا ويويد هذا
وجه اخر وهو ان هذه الحروف مقسم بها لان الله تعالي لما اقسم بالتين والزيتون تشريفا
لها فاذا اقسم بالحروف التي هي اصل الكلام الشريف الذي هو دليل المعرفة والة التعريف كان
اولي واذا عرف هذا فنقول القسم من الله تعالي وقع بامر واحد كما في قوله تعالي والضحي
والليل وفي قوله والسما والطارق وبحرفين كما في قوله طه وطس وحم وبثلاثة امور كما في
قوله تعالي والصافات فالزاجرات فالتاليات وقوله والسما ذات البروج واليوم الموعود
وشاهد ومشهود وبثلاثة احرف كما في قوله الم وطسم والر ووقع باربعة امور كما في قوله
تعالي والذاريات فالحاملات فالجاريات فالمقسمات وفي قوله والتين والزيتون وطور
سينين وهذا البلد الامين وباربعة احرف كما في المص والمر ووقع بخمسة امور كما في قوله

تعالى والطور وكتاب مسطور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور وفي قوله
والمرسلات فالعاصفات والناشرات فالفارقات فالملقيات وفي والنازعات وفي والفجر
وبخمسة احرف كما في كهيعص وحمعسق ولم يقسم باكثر من خمسة اشيا الا في سورة واحدة وهي والشمس
وضحاها ولما اقسم بالاشيا المذكورة المعهودة ذكر حرف القسم وهو الواو فقال والطور والنجم
والشمس وعند القسم بالحروف لم يذكر حرف القسم وهو الواو فقال فلم يقل وق وحم لان القسم
لما كان بنفس الحروف كان الحرف مقسما فلم يورده في موضع كونه آلة القسم تسوية بين الحروف
ولم يدخل القسم بالحروف في اثنا السورة لانه مخل بالنظم **فصل** اقسم الله بالاشيا
المركبة كالتين والطور ولم يقسم باصولها وهي الجواهر المفردة كالما والتراب واقسم بالحروف
من غير تركيب لان الاشيا عند تركيبها تكون على احسن حالها واما الحروف ان ركبت بمعنى يقع
الحلف بمعناه لا باللفظ كقولنا والسما والارض وان ركبت لا لمعنى فكان المفرد اشرف فاقسم
بمفردات الحروف **فصل** هذه السورة تقرا في صلاة العيد لقوله تعالى فيها ذلك يوم
الخروج وقوله وكذلك الخروج وقوله ذلك حشر علينا يسير فان العيد يوم الزينة فينبغي ان لا
ينسى الانسان خروجه الى عرصات الحساب ولا يكون في ذلك اليوم فرحا فخورا ولا يرتكب فسقا
وفجورا **فصل** والعامة على سكون الفا من قاف وقد تقدم وفتحها عيسى وكسرها
الحسن وابن ابي اسحاق وضمها هرون وابن السميقع وقد حصل توجيه ذلك وهو ان الفتح يحتمل
البنا على الفتح للتخفيف او يكون منصوبا بفعل مقدر ومنع الصرف او مجرور بحرف القسم مقدر
وانما منع الصرف ايضا والضم على انه مبتدا او خبر والصرف ايضا قال ابن الخطيب واما القراة
فيها فان قلنا هي تنبيه على ما بينا فحقها الوقف اذ لا عامل فيها ويجوز الكسر حذرا من التقا
الساكنين ويجوز الفتح اختيارا للاخف فان قيل كيف جاز اختيار الفتح ههنا ولم يجز عند
التقا الساكنين اذا كان احدهما اخر كلمة والاخر اول كلمة اخرى كقوله لم يكن الذين كفروا
ولا تطرد الذين تقول لان هناك انما وجب التحريك لان الكسرة في الفعل تشبه حركة الاعراب
لان الفعل لما كان محلا للرفع والنصب ولا يوجد فيه اختير الكسرة التي لا تخفى على احد انها
ليست بجر لان الفعل لا يجوز فيه الجر ولو فتح لاشتبه بالنصب واما في اواخر الاسما فالاشتباه
لازم لان الاسم محل يرد عليه الحركات الثلاث فلم يمكن الاحتراز فاختاروا الاخف وان قلنا
انه حرف مقسم به فحقها الجر ويجوز النصب على انه مفعول باقسم على وجه الاتصال وتقدير
البا كان لم يوجد وان قلنا هي اسم للسورة فان قلنا مقسم بها مع ذلك فحقها الفتح لانها
لا تنصرف حينئذ فيفتح في موضع الجر كما تقول وابراهيم واحمد اذا اقسمت بهما وان قلنا
ليس مقسما بها فان قلنا هي اسم السورة فحقها الرفع اذا جعلناها خبرا تقديره هذه ق
وان قلنا هو وقفا يقف فحقه التنوين كقولنا هذا داع وراع وان قلنا اسم جبل فالجر
والتنوين وان كان قسما قوله والقران المجيد قسم وفي جوابه اوجه احدها ان قوله
قد علمنا ما تنقص الارض الثاني ما يبدل القول الثالث ما يلفظ من قول الرابع ان في
ذلك لذكرى الخامس بل عجبوا وهو قول كوفي قالوا لانه بمعنى قد عجبوا السادس انه
محذوف فقدره الزجاج والاخفش والمبرد لتبعثن وغيرهم لقد جاءهم منذر واعلم ان
جوابات القسم سبعة ان المشددة كقوله والعصر ان الانسان وما النافية كقوله والضحى
ما ودعك ربك واللام المفتوحة كقوله فوربك لنسالنهم وان الخفيفة كقوله تالله ان كنا
لفي ضلال ولا النافية كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله وقد كقوله والشمس
وضحاها قد افلح وبل كقوله والقران المجيد بل عجبوا والمجيد العظيم وقيل المجيد الكثير
الكرم فان قلنا المجيد العظيم فلان القران عظيم الفايدة ولانه ذكر الله العظيم وذكر
العظيم عظيم ولانه لم يقدر عليه احد من الخلق وقال تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني
والقران العظيم ولا يبدل ولا يغير ولا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وان قلنا
المجيد هو الكثير الكرم والقران كريم كل من طلب منه مقصودا وجده ويغني كل من لاذ به واغنا
المحتاج غاية الكرم فان قيل القران مقسم به فما المقسم عليه فالجواب ان المقسم عليه اما
ان يفهم بقرينة حالية او قرينة مقالية متقدمة فلا متقدم هنا لفظا الا ق فيكون التقدير

هذا ق والقران او ق انزلها الله تعالى والقران كقولك هذا حاتم والله اي هو المشهور
بالسخا وتقول الهلال والله اي رايته والله وان فهم من قرينة مقالية متاخرة فذلك امران
احدهما ان التقدير والقران المجيد انك لمنذر او والقران المجيد ان الرجع لكاين لان كلي الامرين
ورد ظاهرا اما الاول فقوله تعالى والطور وكتاب مسطور الى ان قال ان عذاب ربك لواقع قال
ابن الخطيب وهذا الوجه يظهر غاية الظهور على قول من قال ق اسم جبل فان القسم يكون بالجبل
والقران وهناك اقسم بالطور والكتاب المسطور وهو الجبل والقران وان فهم بقرينة حالية
فهو كون محمد عليه السلام على الحق فان الكفار ينكرون ذلك قوله بل عجبوا يقتضي ان يكون
هناك امر مضروب عنه فما ذلك واجاب الواحدي ووافقه الزمخشري انه تقرير كانه قال
ما الامر كما تقولون قال ابن الخطيب والتقدير والقران المجيد انك لمنذر فكانه قال بعده
انهم شكوا فيه ثم اضرب عنه وقال بل عجبوا اي فلم يكتفوا بالشك ولا بالرد حتى عجبوا بل
جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة فان قيل ما الحكمة في هذا الاختصار العظيم
في موضع واحد حذف المقسم عليه والمضروب عنه واتى بامر لا يفهم الا بعد الفكر العظيم ولا
يفهم مع الفكر الا بالتوفيق العزيز قال ابن الخطيب اما حذف المقسم عليه فلان الترك في بعض
المواضع يفهم منه ظهور لا يفهم من الذكر لان من ذكر الملك العظيم في مجلس واثنى عليه يكون
قد عظمه فاذا قال له غيره هو لا يذكر في هذا المجلس يكون بالارشاد الى ترك الذكر دالا على
عظمته فوق ما استفيد بذكره والله تعالى ترك المقسم عليه لنبيان هو اظهر من ان يذكر واما
حذف المضروب عنه فلان المضروب عنه اذا ذكر واضرب عنه بامر اخر وكان بين المذكورين تفاوت
ما ولا يحسن ان يقال البواب يعظم فلانا بل الملك يعظمه لكون البون بينهما بعيدا اذ الاضراب
التدريج فاذا ترك المتكلم المضروب عنه صريحا واتى بحرف الاضراب استفيد منه امران
احدهما الاشارة الى امر اخر قبله مضروبا عنه او الثاني اعظم التفاوت بينهما وههنا كذلك
لان الشك بعد قيام البرهان بعيد لكن القطع بخلافه في غاية ما يكون من البعد والعجب
منه بعد قوله ان جاءهم فيه سؤال وهو ان مع الفعل بتقدير المصدر تقول امرت بان
اقوم وامرت بالقتال واذا كان كذلك فلم ترك الاتيان بما هو في معنى المصدر ما يجب ذكره
عند الاتيان بالمصدر حيث جاز ان يقال امرت ان اقوم من غير با ولا يجوز ان يقال
امرت القيام بل لا بد من البا وكذلك قال عجبوا ان جاءهم ولا يجوز ان يقال عجبوا مجيئه
بل لا بد من قولك عجبوا من مجيئه والجواب ان قوله ان جاءهم وان كان في المعنى قايما
مقام المصدر لكنه في الصورة تقديره وحروف التقدير كلها حروف جارة والجار لا يدخل
على الفعل وكان الواجب ان لا يدخل فلا اقل من ان يجوز الدخول فجاز ان يقال عجبوا ان
جاءهم ولا يجوز عجبوا مجيئهم لعدم جواز ادخال الحرف عليه قوله منهم اي يعرفون نسبه
وصدقه وامانته وهذا يصلح ان يكون مذكورا لتقرير تعجبهم فلانهم كانوا يقولون ابشرا
منا واحدا نتبعه وقالوا ما انتم الا بشر مثلنا وذلك اشارة الى انه كيف يجوز اختصاصكم بهذه
المنزلة الرفيعة مع اشتراكنا في الحقيقة في اللوازم واما لتقرير الابطال فلانه اذا كان
واحدا منهم ونزل بين اظهرهم وظهر منه ما عجزوا عنه كلهم ومن بعدهم فكان يجب عليهم
ان يقولوا هذا ليس من عنده ولا من عند احد من جنسنا فهو من عند الله بخلاف ما لو
جاءهم واحد من خلاف جنسهم واتى بما يعجزون عنه فانهم كانوا يقولون نحن لا نقدر على
ذلك لان لكل نوع خاصية كما ان النعامة تبتلع النار والطيران وابن ادم لا يقدر على ذلك
قوله تعالى فقال الكافرون هذا شي عجيب قال الزمخشري هذا التعجب اخر من امر اخر
وهو الحشر الذي اشار اليه بقوله ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد فتعجبوا من كونه منذرا
ومن وقوع الحشر ويدل عليه قوله في اول ص وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال اجعل الالهة الها
واحدا ان هذا لشي عجاب فذكر تعجبهم من امرين قال ابن الخطيب والظاهر ان قولهم هذا
اشارة الى مجي المنذر ثم قالوا ائذا متنا وايضا ان ههنا وجد بعد الاستبعاد بالاستفهام امر
يودي معنى التعجب وهو قولهم ذلك رجع بعيد فانه استبعاد وهو كالتعجب فلو كان التعجب
عايدا اليه لكان كالتكرار فان قيل التكرار الصريح يلزم من قولك هذا شي عجيب انه يعود الى

يجي المنذر فان تعجبهم منه علم من قوله وعجبوا ان جاهم فقوله هذا شي عجيب يكون تكرارا
نقول ذلك ليس بتكرار بل هو تقرير لانه لما قال بل عجبوا بصيغة الفعل وجاز ان يتعجب
الانسان مما لا يكون عجبا كقوله اتعجبين من امر الله ويقال في العرف لا وجه لتعجبك مما
ليس بعجب فكانهم لما عجبوا قيل لهم لا معني لتعجبكم فقالوا هذا شي عجيب فكيف لا يعجب منه
ويدل على ذلك قوله تعالي هاهنا فقال الكافرون هذا شي عجيب بحرف الفا وقال في ص
وقال الكافرون هذا ساحر بحرف الواو فكان تعجبا غير مرتب على ما تقدم وهذا شي عجيب
امر مترتب على ما تقدم اي لما عجبوا انكر عليهم ذلك فقالوا هذا شي عجيب كيف لا يعجب
ويدل عليه ايضا قوله تعالي ذلك رجع بعيد بلفظ الاشارة الي البعيد وقوله هذا
ساحر اشارة الي الحاضر القريب فينبغي ان يكون المشار اليه بذلك غير المشار اليه بهذا
وذلك لا يصح الا على قولنا قوله ائذا متنا قرا العامة بالاستفهام وابن عامر في رواية
ابو جعفر والاعمش والاعرج بهمزة واحدة بحتمل الاستفهام كالجمهور وانما حذف الاداة
للدلالة ويحتمل الاخبار بذلك والناصب للظرف في قراة الجمهور مقدر اي انبعث او انرجع
اذا متنا وجواب اذا على قراة الخبر محذوف اي رجعنا وقيل قوله ذلك رجع على حذف
الفا وهذا راي بعضهم والجمهور لا يجوز ذلك الا في شعر وقال الزمخشري ويجوز ان
يكون الرجع بمعني المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالي استبعاد الانكارهم
وما انذروا به من البعث والوقف على ما قبله على هذا التفسير حسن فان قيل فما
ناصب الظرف اذا كان الرجع بمعني المرجوع فالجواب ما دل عليه المنذر من المنذر به
وهو البعث **فصل** قال ابن الخطيب ذلك اشارة الي ما قاله وهو الانذار
وقوله هذا شي عجيب اشارة الي المجي على ما بينا فلما اختلف الصيغتان بقول المجي
والجاي كل واحد حاضرا واما الانذار وان كان حاضرا لكن المنذر به كان جازما على
الحاضر فقالوا فيه ذلك والرجوع مصدر رجع يرجع اذا كان متعديا والرجوع مصدره
اذا كان لازما وكذلك الرجعي مصدره عند لزومه والرجوع ايضا يصح مصدر اللازم
فيحتمل ان يكون المراد بقوله ذلك رجع بعيد اي رجوع بعيد ويحتمل ان يكون المراد
الرجعي المتعدي ويدل على الاول قوله تعالي ان الي ربك الرجعي وعلى الثاني قوله تعالي
انا لمردودون في الحافرة اي يرجعون فانه من الرجوع المتعدي فان قلنا هو من المتعدي
فقد انكروا كونه مقدورا في نفسه **فصل** قال المفسرون تقديره ائذا متنا
وكنا ترابا نبعث ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه ذلك رجع اي رد الي الحيوة بعيد غير
كاين اي يبعد ان نبعث بعد الموت قوله قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي تاكل من
لحومهم ودمايهم وعظامهم لا يعزب عن علمه شي وقال السدي هو الموت يقول قد
علمنا من يموت منهم ومن يبقي وهذه الاية تدل على جواز البعث وقدرته تعالي عليه
لان الله تعالي عالم باجزا كل واحد من الموتي لا يشتبه عليه جزء واحد بجزء اخر وقادر
على الجمع والتاليف فليس الرجع منه ببعيد وهذا كقوله تعالي وهو الخلاق العليم
حيث جعل للعلم مدخلا في الاعادة وهذا جواب لما كانوا يقولون ائذا ضللنا في
الارض اي ان الله تعالي كما يعلم اجزاهم يعلم اعمالهم فيرجعهم ويعذبهم بما كانوا يقولون
وربما كانوا يعملون قوله وعندنا كتاب حفيظ اي محفوظ من الشياطين ومن
ان يدرس او يتغير وهو اللوح المحفوظ وقيل معناه حافظ لعدتهم واسمايهم واعمالهم
قال ابن الخطيب وهذا هو الاصح لان الحفيظ بمعني الحافظ وارد في القران قال
وما انت عليهم بحفيظ وقال الله حفيظ عليهم ولان الكتاب للتمثيل ومعناه العلم
عندي كما يكون في الكتاب فهو يحفظ الاشيا وهو مستغن عن ان يحفظ قوله
بل كذبوا هذا اضراب ثان قال الزمخشري اضراب اتبع للاضراب الاول للدلالة على
انهم جاوا بما هو افظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق وقال ابو حيان وكان هذا الاضراب
الثاني بدل بدا من الاول قال شهاب الدين واطلاق مثل هذا في كتاب الله لا يجوز
البتة وقيل قبل هذه الاية جملة مضرب عنها تقديرها اجادوا النظر بل كذبوا وما

قاله

قاله الزمخشري احسن **فصل** في المضروب عنه وجهان احدهما انه الشك تقديره
والقران المجيد انك لمنذر وانهم شكوا فيك بل عجبوا بل كذبوا الثاني تقديره لم يكذب المنذر
بل كذبوا هم وفي المراد بالحق وجوه الاول البرهان القايم على صدق الرسول الثاني الفرقان
المنزل وهو قريب من الاول لانه برهان الثالث النبوة الثابتة بالمعجزة القاهرة فانها
حق الرابع الحشر الذي لا بد من وقوعه فهو حق فان قيل ما معني البا في قوله تعالي بالحق
واية حاجة اليها يعني ان التكذيب متعد بنفسه فهل هي للتعدية الي مفعول ثان او هي
زايدة كما هي في قوله تعالي فستبصر ويبصرون بايكم المفتون فالجواب انها في هذا الموضع
لاظهار التعدية لان التكذيب هو النسبة الي الكذب لكن النسبة توجد تارة في القايل
واخري في القول تقول كذبني فلان وكنت صادقا وتقول كذب فلان قولي ويقال كذبه
اي جعله كاذبا تقول قلت لفلان زيد يجي غدا فتاخر عدا حتي كذبني او كذب قولي
والتكذيب في القايل يستعمل بالبا وبدونها قال تعالي كذبت ثمود المرسلين وقال كذبت
ثمود بالنذر وفي القول كذلك غير ان الاستعمال في القايل بدون البا اكثر قال تعالي
فكذبوه وقال وان يكذبوك فقد كذبت رسل وفي القول الاستعمال بالبا اكثر قال
تعالي كذبوا باياتنا وقال كذبوا بالحق وقال وكذب والتحقيق فيه ان الفعل المطلق
هو المصدر لانه هو الذي يصدر من الفاعل فان من ضرب لم يصدر منه غير الضرب
غير ان له محلا يقع فيه يسمي مضروبا ثم اذا كان ظاهرا لكونه محلا للفعل يستغني بظهوره
عن الحرف فيتعدي من غير حرف يقال ضربت عمرا وشربت ماء للعلم بانا لشرب لا بد له من
محل يقوم به وكذلك الشرب لا يستغني عن مشروب يتحقق فيه فاذا قلت مررت يحتاج
الي الحرف ليظهر معني التعدية لعدم ظهوره في نفسه لان قولك مر السحاب يفهم منه مرور ولا
يفهم من مر به ثم ان الفعل قد يكون في الظهور دون الضرب والشرب وفي الخفا فوق
المرور فيجوز الاتيان فيه بدون الحرف للظهور الذي فوق ظهر المرور ومع الحرف لكون
الظهور دون ظهور الضرب ولهذا لا يجوز ان تقول ضربت بعمرو الا اذا جعلته الة الضرب
اما اذا ضربته بسوط او غيره لا يجوز فيه زيادة البا ولا يجوز مررته الا مع الاشتراك
وتقول مسحته ومسحت به وشكرته وشكرت له لان المسح امرار اليد بالشي فصار كالمرور
والشكر فعل جميل غير انه يقع لمحسن فالاصل في الشكر الفعل الجميل وكونه واقعا لغيره
كالتبع بخلاف الضرب فانه امساس جسم بجسم بعنف فالمضروب داخل في مفهوم
الضرب اولا والمشكور داخل في مفهوم الشكر ثانيا واذا عرف هذا فالتكذيب في القايل
ظاهر لانه هو الذي يصدق او يكذب وفي القول غير ظاهر فكان الاستعمال فيه بالبا اكثر
والبا فيه لظهور معني التعدية وقوله لما جاهم هو المكذب تقديره كذبوا بالحق لما
جاهم الحق اي لم يوخروه الي التفكر والتدبر وقوله لما جاهم العامة على تشديد لما وهي
اما حرف وجوب لوجوب او ظرف بمعني حين كما تقدم وقرا الجحدري بكسر اللام وتخفيف
الميم على انها لام الجر دخلت على ما المصدرية وهو نظير قولهم كتبته لخمس خلون اي عندها
قوله فهم في امر مريج اي مختلط قال ابو واقد

ومرج الدر فاعددت له • مشرف الاقطار محبوك الكبد

وقال اخر

فجالت والتمست به حشاها • فخر كانه خوط مريج

واصله من الحركة والاضطراب ومنه مرج الخاتم في اصبعه وقال سعيد بن جبير ومجاهد
ملتبس **فصل** قال قتادة معناه من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه
وقال الحسن ما ترك قوم الحق الا مرج امرهم وقال الزجاج معني اختلاط امرهم هو انهم
يقولون للنبي صلي الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم ومرة كاهن ومرة مفتر ومرة
ينسبونه الي الجنون فكان امرهم مختلطا ملتبسا عليهم ثم ذكر الدليل الذي يرفع قولهم ذلك
رجع بعيد فقال افلم ينظروا الي السماء فوقهم كيف بنيناها بغير عمد وزيناها بالكواكب
وهو نظير قوله تعالي اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على
ان يحيي الموتي قوله افلم الهمزة للاستفهام واعلم ان همزة الاستفهام تارة تدخل على الكلام

يغيروا وتارة تدخل معها واو والفرق بينهما ان قولك ان يد في الدار بعد وقد طلعت
بذكره للانكار فاذا قلنا وزيد في الدار بعد وقد طلعت الشمس تشير بالواو الي فتح فعله
صار بمنزلة فعلين فيتجه لان الواو تبنى على سبق امر مغاير لما بعدها فان لم يكن سابق
لكنك تاتي بالواو زيادة في الانكار فان قيل كيف اتي هنا بالفا فقال افلم وفي موضع
اخر بالواو فالجواب هنا سبق منهم انكار الرجع فقال بحرف التعقيب لمخالفة ما قبل فان
قيل فلم يسبق ذلك بقوله قال من يحيي العظام فالجواب ان هناك الاستدلال
بالسموات لم يعقب الانكار بل استدل بدليل اخر وهو قوله قل يحييها الذي انشاها
اول مرة ثم ذكر الدليل الاخر وهنا الدليل كان عقيب انكارهم فذكر بالفا فان قيل
كيف قال هنا بلفظ النظر وفي الاحقاف بلفظ الروية فالجواب انهم هنا لما استبعدوا
امر الرجع بقولهم ذلك رجع بعيد استبعد استبعادهم وقال افلم ينظروا لان النظر
دون الروية فقال النظر كاف في حصول العلم بامكان الرجع ولا حاجة الي الروية
ليقع الاستبعاد في مقابلة الاستبعاد وهناك لم يوجد منهم انكار فارشدهم اليه بالروية
التي هي اتم من النظر قوله الي السماء فوقهم فقوله فوقهم حال من السما وهي موكدة
وكيف منصوبة بما بعدها وهي معلقة للنظر قبلها فان قيل كيف قال الي السما ولم يقل
في السماء فالجواب لان النظر في الشي ينبي عن التامل والمبالغة والنظر الي الشي لا ينبي
عنه لان الي غاية منتهى النظر عنده وفي للدخول في معنى الظرف فاذا انتهى النظر
اليه ينبغي ان ينفذ فيه حتى يصح معنى النظر فيه قوله وما لها من فروج اي شقوق
وفتوق وصدوع واحدها فرج والارض مددناها بسطناها على وجه الما والقينا
فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج بهيج حسن كريم يبهج به اي يسر
قوله تبصرة العامة على نصبها على المفعول من اجله اي تبصيرا امثالهم وتذكيرا
امثالهم وقيل منصوبا بفعل من لفظها مقدرا اي بصرهم تبصرة وذكرهم تذكرة وقيل
حالان اي مبصرين مذكرين وقيل حال من المفعول اي ذات تبصير وتذكير لمن يراها وزيد
ابن علي بالرفع وقرا وذكرا اي هي تبصرة وذكرى لكل اما صفة واما متعلق بنفس المصدر وقال
البغوي تبصيرا وتذكيرا **فصل** قال ابن الخطيب يحتمل ان يكون الامران عايدين
الي السما والارض اي خلق السما تبصرة وخلق الارض ذكرى ويدل على ذلك ان السما
وزينتها مستمرة غير مستجدة في كل عام فهي كالشي المري على مرور الزمان واما الارض فهي
كل سنة تاخذ زخرفها فتذكر فالسماء تبصرة والارض تذكرة كذلك والفرق بين التبصرة
والتذكرة هو ان فيها ايات مستمرة منصوبة في مقابلة البصاير وايات متجددة مذكرة
عند التناسي قوله لكل عبد منيب اي لتبصر وتذكر كل عبد منيب اي راجع التفكر والتذكر
والنظر في الدلايل قوله ونزلنا من السماء ما مباركا كثير الخير وفيه حياة كل شي وهو المطر
فانبتنا به جنات وحب الحصيد يعني البر والشعير وساير الحبوب التي تحصد فقوله
وحب الزرع الحصيد يجوز ان يكون من باب حذف الموصوف الي صفته لان الاصل والحب
الحصيد اي المحصود **فصل** هذا دليل اخر وهو ما بين السما والارض فيكون ه
الاستدلال بالسما والارض وما بينهما وهو انزال الما من فوق واخراج النبات من
تحت فان قيل هذا الاستدلال قد تقدم في قوله تعالي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج
فما الفايدة في اعادة قوله فانبتنا به جنات وحب الحصيد فالجواب ان قوله وانبتنا اشارة
الي جعلها محلها للنبات اللحم والشعر وغيرها وقوله وانبتنا استدلال بنفس النبات
اي الاشجار تنمو وتزيد فكذلك بدن الانسان بعد الموت ينمو ويزيد اي يرجع الله اليه
قوة النشو والنما كما يعيدها الي الاشجار بواسطة ما السما قوله والنخل باسقات
والنخل منصوب عطفا على مفعول انبتنا اي وانبتنا النخل وباسقات حال وهي حال
مقدرة لانها وقت الانبات لم تكن طوالا والبسوق الطول يقال بسق فلان على اصحابه
اي طال عليهم في الفضل ومنه قول ابن نوفل في ابن هبيرة

• يا ابن الذين بمجدهم • لبسقت قيس فزاره •

وهو

وهو استعارة والاصل استعماله في بسقت النخلة تبسق بسوقا اي طالت قال الشاعر

• لنا خمر وليست خمر كرم • ولكن من نتاج الباسقات •
• كرام في السما ذهبن طولا • وفات ثمارها ايدي الجناة •

وبسقت الشاة ولدت وابسقت الناقة وقع في ضرعها اللبا قبل النتاج ونوق باسق
من ذلك قال مجاهد وقتادة وعكرمة معنى باسقات اي طوالا وقال سعيد بن جبير
مستويات والعامة على السين في باسقات وقرا عطية بن مالك ويرويها عن النبي صلى
الله عليه وسلم باصقات بالصاد وهي لغة لبني العنبر يبدلون السين صادا قبل القاف
والغين والخا والطا اذا وليتها او فصلت منها بحرف او حرفين قوله لها طلع يجوز ان
تكون الجملة حالا من النخل او من الضمير في باسقات ويجوز ان يكون الحال وحدها لها
وطلع فاعل به ونضيد بمعنى منضود بعضها فوق بعض في كمامها كما في سنبلة الزرع وهو
عجيب فان الاشجار الطوال ثمارها بارزة بعضها على بعض لكل واحدة منها اصل يخرج
منه كالجوز واللوز وغيرهما والطلع كالسنبلة الواحدة يكون على اصل واحد قوله رزقا
يجوز ان يكون حالا اي رزقا للعباد اي ذا رزق وان يكون مصدرا من معنى انبتنا لان
انبات هذه رزق فكانه قال انبتناها انباتا للعباد ويجوز ان يكون مفعولا له وللعباد
اما صفة واما متعلق بالمصدر واما مفعول للمصدر واللام زايدة اي رزقا للعباد
فصل قال ابن الخطيب ما الحكمة في قوله عند ذكر خلق السماء والارض
تبصرة وذكرى وفي الثمار قال رزقا والثمار ايضا فيها تبصرة وفي السما والارض ايضا
منفعة غير التبصرة والتذكرة فنقول فيه وجوه احدها ان الاستدلال وقع لوجود امرين
احدهما الاعادة والثاني البقا بعد الاعادة فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخبرهم
بحشر وجمع يكون بعده الثواب الدايم والعقاب الدايم وانكروا ذلك فقال اما الاول
فان القادر على خلق والارض قادر على خلق الخلق بعد الفنا واما الثاني فلان البقا
في الدنيا بالرزق والقادر على اخراج الارزاق من النخل والشجر قادر على ان يرزق
بعد الحشر فكان الاول تبصرة وتذكرة بالخلق والثاني تذكرة بالبقا بالرزق ويدل على
هذا الفصل بينهما بقوله تعالي تبصرة وذكرى حيث ذكر ذلك بين الايتين ثم ابتدا بذكر
الما وانزاله وانبات النبات ثانيها منفعة الثمار الظاهرة ليست امرا عايدا الي انتفاع
العباد لبعدها عن ذهنهم حتى انهم لو توهموا عدم الزرع والشجر لظنوا انهم يهلكوا ولو
توهموا عدم السما فوقهم لقالوا لا يضرنا ذلك مع ان الامر بالعكس اولي لان الما سبب
الارزاق بتقدير الله تعالي وفيها منافع غير ذلك والثمار وان لم تكن كان العيش كما انزل
الله على قوم المن والسلوى وعلى قوم المايدة من السماء فذكر الاظهر للناس في هذا الموضع
ثالثها قوله رزقا اشارة الي كونه منعما ليكون تكذيبهم في غاية القبح فانه يكون اشارة
بالنعم وهو اقبح ما يكون **فصل** قال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب
فقيد العبد بكونه منيبا لان العبودية حصلت لكل احد غير ان المنيب ياكل ذاكرا شاكرا
للانعام وغيره ياكل كما تاكل الانعام فلم يخصص بقيد قوله فاحيينا به اي بالما ميتا
صفة لبلدة ولم يونث حملا على معنى المكان والعامة على التخفيف وابو جعفر وخالد
بالتثقيل فان قيل ما الفرق بين هذا الموضع وبين قوله واية لهم الارض الميتة حيث
اثبت الها هناك فالجواب ان الاصل في الارض الوصف فقال الميتة لان معنى الفاعلية
ظاهر هناك والبلدة الاصل فيها الحياة لان الارض اذا صارت حية صارت اهلة واقام
بها القوم وعمروها فصارت بلدة فاسقط الها لان معنى الفاعلية ظاهر فيثبت فيه الها
واذا كان بمعنى الفاعل لم يظهر لا يثبت فيه الها ويحقق هذا قوله بلدة طيبة حيث انث
الها حيث ظهر معنى الفاعل ولم يثبت حيث لم يظهر قوله كذلك الخروج اي من القبور اي
كالاحيا الخروج فان قيل الاحيا يشبه به الاخراج لا الخروج فالجواب تقديره احيينا
به بلدة ميتا فتشققت وخرج منها النبات كذلك تشقق ويخرج منها الاموات قال
ابن الخطيب وهذا يوكد قولنا ان الرجوع بمعنى المرجوع في قوله ذلك رجع بعيد لانه

تعالى بين لهم ما استبعدوه بل استبعدوا المرجع الذي هو من المتعدي لمناسبة ان يقول
كذلك الاخراج فلما قال كذلك الخروج فهم انهم انكروا الرجوع فقال كذلك الرجوع والخروج
قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح الآية ذكر المكذبين تذكيرا لهم بحالهم وانذارهم
باهلاكهم وفيه تسلية للرسول وتنبيه بان حاله كحال من تقدمه من الرسل كذبوا وصبروا
فاهلك الله مكذبيهم ونصرهم والمراد باصحاب الرس قيل هم قوم شعيب وقيل هم الذين
جاءهم من اقصى المدينة رجل يسعى وهم من قوم عيسى عليه السلام وقيل هم اصحاب الاخدود
والرس اما موضع به نسبوا اليه او فعل وهو حفر البير يقال رس اذا حفر بيرا وقد تقدم
في الفرقان وقال ههنا قوم نوح وقال اخوان لوط لان لوطا كان مرسلا الى طايفة
من قوم ابراهيم هم معارف لوط ونوح كان مرسلا الى خلق عظيم وقال فرعون ولم يقل
قوم فرعون وقال قوم تبع لان فرعون كان هو المغتر المستبد بامره وتبع كان معتمدا
بقومه فجعل الاعتبار لفرعون وخصه بالذكر وتبع هو تبع الحميري واسمه سعد ابو
كرب قال قتادة ذم الله قوم تبع ولم يذمه وتقدم ذكره في سورة الدخان قوله
الايكة تقدم الكلام عليها في الشعرا وقرا ههنا ليكة بزنة ليلة ابو جعفر وشيبة وقال
ابو حيان وقرا ابو جعفر وشيبة وطلحة ونافع الايكة بلام التعريف والجمهور ليكة وهذا
الذي نقله غفلة منه بل الخلاف المشهور انما هو في سورة الشعرا وص كما تقدم تحقيقه
واما هنا فالجمهور على لام التعريف قوله كل التنوين عوض عن المضاف اليه وكان
بعض النحاة يجيز حذف تنوينها وبنايها على الضم كالغاية نحو قبل وبعد واللام
في الرسل قيل لتعريف العهد اي كل واحد كذب رسوله فهم كذبوا الرسل والصحيح انها
لتعريف الجنس وهو ان كل واحد كذب جميع الرسل وذلك على وجهين احدهما ان المكذب
للرسول مكذب لكل الرسل وثانيهما ان المذكورين كانوا منكرين للرسالة والحشر بالكلية
قوله فحق وعيد اي وجب لهم عذابي اي ما اوعد الله من نصرة الرسل عليهم واهلاكهم
قوله افعيينا العامة على يا مكسورة بعدها يا ساكنة وقرا ابن ابي عبلة افعيينا
بتشديد اليا من غير اشباع وهذه القراة على اشكالها قراها الوليد ابن مسلم وابو جعفر
وشيبة ونافع في رواية وروى ابن خالويه عن ابن ابي عبلة افعينا كذلك لكنه
اتى بعد اليا المشددة بيا اخرى ساكنة وخرجها ابو حيان على لغة من يقول في عيي
عيي وفي حيي حي بالادغام لما اسند هذا الفعل وهو مدغم اعتبر لغة بكر بن وايل وهو
انهم لا يفكون الادغام في مثل هذا اذا اسند وذلك الفعل المدغم لتا المتكلم ولا احدى
اخواتها التي تسكن لها لام الفعل فيقول في رددت ردنا قال وعلى هذه اللغة تكون
اليا مفتوحة ولم يذكر توجيه القراة الاخرى وتوجيهها انها من عيايي كحلي يحلي

فصل ومعنى افعيينا بالخلق الاول اي اعجزنا حين خلقناهم اولا فنعيا بالاعادة
وهذا تقريع لهم لانهم اعترفوا بالخلق الاول وانكروا البعث ويقال لكل من يعجز عن شي عيي
به بل هم في لبس اي شك من خلق جديد وهو البعث والمراد بالخلق الاول قيل خلقهم
ابتدا كقوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن وقال
بعد هذه الاية ولقد خلقنا الانسان وعطف بحرف الواو على ما تقدم من الخلق وهو
بنا السموات ومد الارض وتنزيل الما وانبات الحب فصل عطف دلايل الافاق
بعضها على بعض بحرف الواو فقال والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا ونزلنا
من السما ما ثم في الدليل النفسي ذكر حرف الاستفهام والفا بعده اشارة الى ان تلك
الدلايل من جنس وهذا من جنس فلم يجعل هذا تبعا لذلك ومثل هذا مراعا في سورة
يس حيث قال اولم ير الانسان انا خلقناه فان قيل لم لم يعطف الدليل الا في ههنا كما
عطف في سورة يس فالجواب والله اعلم ان ههنا وجد منهم استبعاد بقولهم ذلك رجع
بعيد فاستدل بالاكبر وهو خلق السموات ثم نزل كانه قال لا حاجة الى ذلك الاستدلال
بل في انفسهم دليل جواز ذلك وفي سورة يس لم يذكر استبعادهم من قبل فقصد بذلك
ارشادهم لا لدفع استبعادهم فبدا بالادنى وارتقى الى الاعلى فصل في تعريف الخلق

الاول وتنكير خلق جديد وجهان الاول عرفه كل احد والخلق الجديد لم يعرفه كل احد ولم
يعلم كيفيته لان الكلام عنهم وهم لم يكونوا عالمين بالخلق الجديد الثاني ان ذلك لبيان
انكارهم للخلق الثاني من كل وجه كانهم قالوا ايكون لنا خلق على وجه انكار الاله بالكلية
قوله ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه قوله ونعلم خبر مبتدا مضمر
تقديره ونحن نعلم والجملة الاسمية حينئذ حال ولا يكون هو حالا بنفسه لانه مضارع مثبت
باشرته الواو وكذا لك قوله ونحن اقرب فصل اذا قلنا بان الخلق الاول هو
خلق الانسان فهذا ابتدا استدلال بخلق الانسان وان قلنا بان الخلق الاول هو خلق
الانسان فهذا تتميم للاستدلال ببيان خلق الانسان اول مرة وقوله ونعلم ما توسوس به
نفسه اي يحدث به قلبه ولا يخفى علينا سرايره وضمايره ونحن اقرب اليه اي اعلم به من حبل
الوريد لان ابعاضه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب علم الله شي وهذا بيان لكمال علمه قوله
من حبل الوريد كقولهم مسجد الجامع اي حبل العرق الوريد او لان الحبل اعم فاضيف للبيان
نحو بعير سائر او يراد حبل العاتق فاضيف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لانهما في عضو
واحد قال البغوي حبل الوريد عرق العنق وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين يتفرق
في البدن والحبل هو الوريد فاضيف الى نفسه لاختلاف اللفظين والوريد اما بمعنى الوارد
واما بمعنى المورود والوريد عرق كبير في العنق يقال انهما وريدان قال الزمخشري عرقان
مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمهما يتصلان بالوتين يردان من الراس اليه يسمى وريدا
لان الروح ترد اليه وانشد • كان وريديه رشا خلب •
وقال ابن هو نهر الجسد هو في القلب الوتين وفي الظهر الابهر وفي الذراع والفخذ الاكحل
والنسا وفي الخنصر الاسلم قوله اذ يتلقى ظرف لاقرب ويجوز ان يكون منصوبا باذكر والمعنى
اذ يتلقى وياخذ الملكان الموكلان بالانسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه قوله عن
اليمين وعن الشمال اي احدهما عن يمينه والاخر عن شماله فالذي عن اليمين يكتب الحسنات
والذي عن الشمال يكتب السيات وقوله قعيد اي قاعد فيجوز ان يكون مفردا على بابه فيكون
بمعنى مفاعل كخليط بمعنى مخالط وفيه لطيفة وهي ان الله تعالى قال ونحن اقرب اليه من
حبل الوريد المخالط لاجزايه الداخل في اعضايه والملك متنح عنه فيكون علمنا به اكمل من
علم الكاتب او يكون عدل من فاعل الى فعيل مبالغة كعليم وجوز الكوفيون ان يكون فعيل
واقع موقع الاثنين اراد قعودا كالرسول يجعل للاثنين والجمع كما قال تعالى في الاثنين فقولا
انا رسول رب العالمين وقال المبرد الاصل عن اليمين قعيد وعن الشمال فاخر عن موضعه وهذا
لا يجي من وقوع المفرد موقع المثنى والاجود ان يدعى حذف امامن الاول اي عن اليمين قعيد
وعن الشمال قعيد وامامن الثاني فيكون قعيد الملفوظ به للاول ومثله قوله
• رماني بامر كنت منه ووالدي • بريا ومن اجل الطوي رماني •
قال المفسرون اراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح لا القاعد الذي هو ضد القايم وقال
مجاهد القعيد الرصد قوله ما يلفظ من قول اي ما يتكلم من كلام فيلفظه اي يرميه من فيه
الا لديه رقيب حافظ عتيد قيل هو بمعنى رقيبان عتيدان حاضر وقرا العامة يلفظ بكسر
الفا ومحمد بن ابي معدان بفتحها ورقيب عتيد قيل هو بمعنى رقيبان عتيدان ايا كان قال
الحسن ان الملايكة يجتنبون الانسان على حالتين عند غايطه وعند جماعه وقال مجاهد
يكتبان عليه حتى انينه في مرضه وقال عكرمة لا يكتبان الا ما يوجر عليه ويوزر فيه وقال
الضحاك مجلسهما تحت العرش على الحنك ومثله عن الحسن وكان الحسن يعجبه ان ينظف عنفقته
روى ابو امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب
السيات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب
اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح
او يستغفر قوله وجات سكرة الموت اي غمرته وشدته التي تغشى الانسان وتغلب على
عقله قوله بالحق يجوز ان تكون البا للحال اي ملتبسة بالحق والمعنى بحقيقة الموت ويجوز
ان تكون للتعدية والمراد هنا الموت فانه حق كان شدة الموت تحضر الموت يقال جا فلان

بكذا اي احضرم وقيل بالحق من امر الاخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يؤول
اليه امر الانسان من السعادة والشقاوة وقرا عبد الله سكرات ويقال لمن جاته سكرة الموت
ذلك ما كنت منه تحيد اي تميل من حاد عن الشي يحيد حيودا وحيودة وحيدا وقال الحسن
تهرب وقال ابن عباس تكره واصل الحيد الميل يقال حدت عن الشي احيد حيدا ومحيدا اذا ملت
عنه وذلك يحتمل ان تكون اشارة الي الموت وان تكون اشارة الي الحق والخطاب قيل مع النبي
صلي الله عليه وسلم قال ابن الخطيب وهو منكر وقيل مع الكافر وهو اقرب والاقوي ان يقال
هو خطاب عام مع السامع قوله ونفخ في الصور عطف علي قوله وجات سكرة الموت يعني
نفخة البعث ذلك يوم الوعيد الذي وعده الكفار ان يعذبهم فيه قال الزمخشري ذلك
اشارة المصدر الذي هو قوله ونفخ اي وقت ذلك النفخ يوم الوعيد قال ابن الخطيب وهذا
ضعيف لان يوم لو كان منصوبا لكان ما ذكره ظاهرا واما رفع يوم فيفيد ان ذلك نفس اليوم
والمصدر لا يكون نفس الزمان وانما يكون في الزمان والاولي ان يقال ذلك اشارة الي الزمان
المفهوم من قوله نفخ لان الفعل كما يدل علي المصدر يدل علي الزمان فكانه تعالي قال ذلك
الزمان يوم الوعيد والوعيد هو الذي اوعد به من الحشر والمجازاة وقال مقاتل الوعيد
هو العذاب اي يوم وقوع الوعيد قوله وجات كل نفس معها سايق وشهيد قيل السابق
هو الذي يسوقه الي الموقف ومنه الي مقعده والشهيد هو الكاتب والسابق لازم للبر
والفاجر اما البر فيساق الي الجنة واما الفاجر فالي النار قال تعالي وسيق الذين كفروا وقال
وسيق الذين اتقوا والشهيد يشهد عليها بما عملت قال الضحاك السابق من الملايكة والشاهد
من انفسهم الايدي والارجل وهي رواية العوفي عن ابن عباس وقيل هما جميعا من الملايكة
قوله معها سايق جملة في موضع جر صفة لنفس او في موضع رفع صفة لكل او في موضع
نصب حالا من كل والعامة علي عدم الادغام في معها وطلحة علي الادغام محا بحا مشددة
وذلك انه ادغم العين في الها ولا يمكن ذلك فقلب الها حا ثم ادغم فيها العين فقلبها حا وسمع
ذهب محم اي معهم وقال الزمخشري ومحل معها سايق النصب علي الحال من كل لتعرفه بالاضافة
الي ما هو في حكم المعرفة وانحي عليه ابو حيان وقال لا تقول هذا مبتدي في النحو لانه لو نعت
كل نفس ما نعت الا بالنكرة قال شهاب الدين وهذا اسد غير مرضي اذ يعلم انه لم يرد حقيقة
ما قاله قوله لقد كنت اي يقال له لقد كنت والقول اما صفة او حال والعامة علي فتح
التا في كنت والكاف في غطاك وبصرك حملا علي لفظ كل من التذكير والجحدري كنت بالكسر
مخاطبة للنفس وهو وطلحة بن مصرف عنك غطاك فبصرك بالكسر مراعاة للنفس ايضا ولم
ينقل صاحب اللوامح الكسر في الكاف عن الجحدري وعلي الجملة فيكون قد راعي اللفظ مرة
والمعني اخري فصل والمعني لقد كنت في غفلة من هذا اليوم فكشفنا عنك غطاك
الذي كان في الدنيا علي قلبك وسمعك وبصرك فبصرك اليوم حديد نافذ تبصر ما كنت تنكر
في الدنيا وقال مجاهد يعني نظرك علي لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسياتك والمعني
ازلنا غفلتك فبصرك اليوم حديد وكان من قبل كليلا قوله وقال قرينه هذا ما لدي عتيد
قيل المراد بالقرين الملك الموكل به وهو القعيد والشهيد الذي سبق ذكره هذا ما لدي عتيد
يريد كتاب اعماله معد محضر وقيل المراد بالقرين الشيطان الذي زين له الكفر والعصيان
بدليل قوله تعالي وقيضنا لهم قرنا وقال نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال تعالي فبيس
القرين فالاشارة بهذا الي السوق المرتكب للفجور والفسوق والعتيد معناه المعتد للنار
ومعناه ان الشيطان يقول هذا العاصي شي هو عندي معتد لجهنم اعتدته لها بالاغوا
والاضلال قوله ما لدي عتيد يجوز ان يكون ما نكرة موصوفة وعتيد صفتها ولدي متعلق
بعتيد اي هذا شي عتيد لدي اي حاضر عندي ويجوز علي هذا ان يكون لدي وصفا لما وعتيد
صفة ثانية او خبر مبتدا محذوف اي هو عتيد ويجوز ان تكون موصولة بمعني الذي ولدي
صلتها وعتيد خبر الموصول والموصول وصلته خبر الاشارة ويجوز ان يكون ما بدلا من هذا
موصولة كانت موصوفة بلدي وعتيد خبر هذا وجوز الزمخشري في عتيد ان يكون بدلا او
خبرا بعد خبر او خبر مبتدا محذوف والعامة علي رفعه وعبد الله نصبه حالا والاجود حينيذ

ان

ان تكون ما موصولة لانها معرفة والمعرفة يكثر مجي الحال منها قال ابو البقا ولو جاز ذلك في غير
القران لجاز نصبه علي الحال كانه لم يطلع عليها قراة قوله القيا في جهنم اختلفوا هل المامور
واحد او اثنان فقيل واحد واما اتي بضمير الاثنين دلالة علي تكرير الفعل كانه قيل الق الق وقيل
اراد القين بالنون الخفيفة وقيل العرب تخاطب الواحد مخاطبة الاثنين تاكيدا كقوله

فان تزجراني يا ابن عفان ازدجر • وان تدعاني احم عرضا ممنعا

وقال اخر

فقلت لصاحبي لا تحبسانا • بنزع اصوله واحدو شيحا

وتقول العرب ويحك ارحلاها وازجراها وخذاها للواحد قال الفرا واصل ذلك ان ادني اعوان
الرجل في ابله وغنمه وسفره اثنان فجرا كلام الواحد علي صاحبه ومنه قولهم في الشعر خليلي وقيل
المامور مثني وهذا هو الحق لان المراد ملكان يفعلان ذلك قال الزجاج هذا امر للسابق والشهيد
وقيل للمتلقيين قوله كل كفار عنيد الكفار يحتمل ان يكون من الكفر فيكون بمعني شديد الكفر
لان التشديد في اللفظ يدل علي شدة في المعني ويحتمل ان يكون من الكفر فهو المنكر نعم الله
مع كثرتها والعنيد فعيل بمعني فاعل من عند عنودا ومنه العناد والمعني عاص معرض عن الحق
قال عكرمة ومجاهد مجانب للحق معاند لله قوله مناع للخير اي كثير المنع للمال والواجب
من الزكاة وكل حق واجب في ماله هذا اذا قلنا ان الكافر هو المنكر لنعم الله وان قلنا هو من
الكفر فهو الذي انكر دلايل وحدانية الله تعالي مع قوتها وظهورها فكان شديد الكفر عنيدا
حيث انكر الحق الواضح فهو مناع شديد المنع من الايمان فهو مناع للخير وهو الايمان الذي
هو خير محض كانه يقول كفر بالله ولم يقنع بكفره حتي منع الخير من الغير قوله معتد فان فسرنا
المتاع بمناع الزكاة فمعناه لم يرد الواجب ويتعدي ذلك حتي اخذ الحرام ايضا بالربا كما كان عادة
المشركين وان كان المتاع بمعني منع الايمان فكانه يقول منع الايمان ولم يقنع به حتي تعداه
واهان من امن واذاه واعان من كفر فاذاه قال المفسرون هو الظالم الذي لا يقر بتوحيد الله
وقوله مريب اي شاك في التوحيد ومعناه داخل في الريب وقيل موقع للغير في الريب بالقا
الشبه وان قيل بان المناع مناع الزكاة فمعناه لا يعطي الزكاة لانه في ريب من الاخرة والثواب
قال ابن الخطيب وفيه ترتيب اخر وهو ان يقال هذا بيان احوال الكافر بالنسبة الي الله والي
الرسول والي اليوم الاخر فقوله كفار عنيد اشارة الي حاله مع الله يكفر به وبعناده اياته وقوله
مناع للخير معتد اشارة الي حاله مع الرسول يمنع الناس من اتباعه ومن الانفاق علي ما عنده
ويتعدي بالايذا وقوله مريب اشارة الي حاله بالنسبة الي اليوم الاخر اي يرتاب فيه ولا يظن
ان الساعة قايمة فان قيل قوله تعالي القيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير الي غير ذلك يوجب
ان يكون الالقا خاصا بمن اجتمع فيه هذه الصفات باسرها والكفر وحده كاف في اثبات الالقا
في جهنم فالجواب ان قوله كل كفار عنيد ليس المراد منه الوصف المميز كما يقال اعطا العالم الزاهد بل
المراد الوصف المبين لكون الموصوف موصوفا به اما علي سبيل المدح او علي سبيل الذم كقولك هذا
حاتم السخي فقوله كل كفار عنيد معناه ان الكفر عنيد ومناع للخير لان ايات الوحدانية ظاهرة
ونعم الله علي عباده وافرة وهو مع ذلك عنيد مناع للخير لانه يمدح دينه ويذم دين الحق فهو
يمنع ومريب لانه يرتاب في الحشر وكل كافر فهو موصوف بهذه الصفات قوله الذي جعل يجوز
ان يكون منصوبا علي الذم او علي البدل من كل وان يكون مجرورا بدلا من كفار او مرفوعا بالابتدا
والخبر فالقياه قيل ودخلت الفا لتشبهه بالشرط ويجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي هو الذي
جعل ويكون فالقياه تاكيدا وجوز ابن عطية ان يكون صفة الكفار قال من حيث يختص كفار
بالاوصاف المذكورة فجاز وصفه بهذه المعرفة وهذا مردود وقري بفتح التنوين في مريب فرارا
من توالي اربع متجانسات قوله قال قرينه جات هذه بلا واو لانها قصد بها الاستيناف
لان الكافر قال رب هو اطغاني فقال قرينه ما اطغيته بخلاف التي قبلها فانها عطفت علي
ما قبلها للدلالة علي الجمع بين معناها ومعني ما قبلها في الحصول اعني مجي كل نفس مع الملكين
وقول قرينه ما قال قال ابن الخطيب جات هذه بلا واو وفي الاولي بالواو العاطفة لان في الاولي
اشارة وقعت الي معنيين مجتمعين فان كل نفس في ذلك الوقت تجي ومعها سايق وشهيد
فيقول الشهيد ذلك القول وفي الثاني لم يوجد هناك معنيان مجتمعان حتي يذكر بالواو وفان

الغاوي فوله فالقياه في العذاب لايناسب قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته فليس هناك
مناسبة مقتضية للعطف بالواو **فصل** هذا جواب الكلام مقدر فان الكافر حين
مايلقي في النار يقول ربنا اطغاني شيطاني فيقول الشيطان ربنا ما اطغيته بدليل قوله تعالى
لا تختصموا لدي لان المخاصمة تستدعي كلاما من الجانبين ونظيره قوله تعالى في سورة ص قالوا
بل انتم لا مرحبا بكم الي قوله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار قال الزمخشري وهذا يدل على ان المراد
بالقرين في الاية المتقدمة هو الشيطان لا الملك الذي هو شهيد وقعيد وعلى هذا فيكون
قوله ربنا ما اطغيته مناقضا لقوله اعتدته قال ابن الخطيب وللزمخشري ان يجيب بوجهين
احدهما ان يقول ان قول الشيطان اعتدته بمعنى زينته له الثاني ان تكون الاشارة الى حالين
ففي الحالة الاولى انا فعلت به ذلك اظهارا للانتقام من بني ادم وتصحيحا لقوله فبعزتك
لاغوينهم اجمعين ثم اذا راي العذاب ومعه مشترك يقول ربنا ما اطغيته فيرجع عن مقالته عند
ظهور العذاب وقال ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل المراد بالقرين هنا الملك اي يقول
الكافر رب ان الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما اطغيته يعني ما زدت عليه
وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان في ضلال بعيد اي طويل لا يرجع عنه الى الحق فان قيل
القايل هنا واحد وقال ربنا ولم يقل رب وفي كثير من المواضع القايل واحد وقال رب كقوله
رب ارني وقال نوح رب اغفر لي رب لا تذر على الارض من الكافرين رب السجن احب الي
رب ابن لي عندك بيتا في الجنة رب انظرني فالجواب ان في جميع تلك المواضع القايل طالب ولا يحسن
ان يقول الطالب يا رب اعطني وانما يحسن ان يقول اعطني لان كونه رب لا يناسب تخصيص
الطالب واما ههنا فالموضع موضع هيبة وعظمة وعرض حال فقال ربنا ما اطغيته فان قيل
ما الوجه اتصاف الضلال بالبعد فالجواب ان الضلال يكون اكثره ضلالا عن الطريق فاذا
تمادي في الضلال وبقي فيه مدة يبعد عن المقصد كثيرا فاذا اعدم الضلال قصرت الطريق
عن قريب فلا يبعد عن المقصد كثيرا فقوله ضلال بعيد وصف للمصدر بما يوصف به الفاعل
كما يقال كلام صادق وعيشة راضية اي وضلال ذو بعد والضلال اذا بعد مداه وامتد
الضال فيه فيصير بينا ويظهر الضلال لان من حاد عن الطريق وبعد عنه يبعد عليه
الصواب ولا يري للمقصد اثرا فيتبين له انه ضل عن الطريق وربما يقع في اودية ومفاوز
تظهر له امارات الضلال بخلاف من حاد قليلا فالضلال وصفه الله بالوصفين في كثير من
المواضع فتارة قال في ضلال مبين واخري في ضلال بعيد فان قيل كيف قال ما اطغيته
مع انه قال لاغوينهم اجمعين فالجواب من ثلثة اوجه تقدم منها وجهان في الاعتذار وعما
قاله الزمخشري والثالث ان المراد من قوله لاغوينهم اي لادومنهم على الغواية كما ان الضال
اذا قال له شخص انت على الجادة فلا تتركها يقال انه يضله كذا ههنا فقوله ما اطغيته
اي ما كان ابتدا الاطغا مني قوله لا تختصموا استيناف ايضا كان قايلا قال فماذا قال الله
له فاجيب فقال لا تختصموا وقوله لدي يفيد مفهومه ان الاختصام كان ينبغي ان يكون قبل
الحضور والوقوف بين يدي قوله وقد قدمت جملة حالية ولابد من تاويلها وذلك ان
النهي في الاخرة ومقدمة الوعيد في الدنيا فاختلف الزمانان فكيف يصح جعلها حالية وتاويلها
هو المعنى وقد صح اني قدمت وزمان الصحة وزمان النهي واحد وقدمت يجوز ان يكون
بمعنى تقدمت فتكون البا للحال ولابد من حذف اي وقد تقدم قولي لكم ملتبسا بالوعيد ويجوز
ان يكون قدمت على حاله متعديا والبا مزيدة في المفعول اي قدمت اليكم الوعيد كقوله
تعالى تنبت بالدهن على قول من قال فزيادة فيها هناك وقيل البا هنا للمصاحبة كقولك
اشتريت الفرس بلجامه وسرجه اي معه فكانه تعالى قال قدمت اليكم ما يجب مع الوعيد
على تركه والانذار قوله ما يبدل القول لدي اي لا تبديل لقولي وهو قوله لاملان جهنم من
الجنة والناس اجمعين وقيل المعنى ما يبدل القول لدي اي ما يكذب عندي ولا يغير القول
عن وجهه لاني اعلم الغيب وهذا قول الكلبي ومقاتل واختيار الفرا لانه قال ما يبدل القول
لدي ولم يقل ما يبدل قولي وقيل معناه لا يبدل السابق ان هذا شقي وهذا سعيد
حين خلقت العباد فذلك القول عندي لا تبديل له بسعي ساع وهذا رد على المرجية حيث

قالوا

قالوا ما ورد في القران من الوعيد فهو تخويف لا يحقق الله منه شيا وقالوا الكريم اذا وعد بخير
وفا واذا اوعد اخلف وعفي وقيل المعنى ما يبدل الكفر بالايمان لدي فان الايمان عند القيام بين
يدي الله في القيمة غير مقبول فقوله ما يبدل القول لدي اشارة الى نفي الحال كانه قال ما يبدل
اليوم لدي القول لان ما اذا دخلت على الفعل المضارع ينفي بها الحال تقول ماذا يفعل زيد في
بيته فيقال ما يفعل شيا اي في الحال فاذا قلت ماذا يفعل غدا قيل لا يفعل شيا او لن يفعل
شيا اذا اريد زيادة بيان النفي قوله وما انا بظلام للعبيد اي فاعاقبهم بغير جرم واعلم ان
الكلام مبالغة في الظالم ويلزم من اثباته اثبات اصل الظلم فاذا قال القايل هو كذاب يلزم ان
يكون كثير الكذب ولكنه يكذب احيانا فقوله ما انا بظلام يفهم منه نفي اصل الظلم وان الله ليس
بظالم فالوجه في ذلك من وجوه الاول ان الظلام بمعنى الظالم كالتمار بمعنى التامر فيكون اللام
في قوله للعبيد لتحقيق النسبة لان الفعال حينئذ بمعنى ذي ظلم الثاني قال الزمخشري ان ذلك
امر تقديري كانه تعالى يقول لو ظلمت عبدي الضعيف الذي هو محل الرحمة لكان ذلك غاية
الظلم وما انا بذلك فيلزم نفي من كونه ظلاما نفي كونه ظالما ويحقق هذا الوجه اظهار لفظ العبيد
حيث قال وما انا بظلام للعبيد اي في ذلك اليوم الذي املا فيه جهنم مع سعتها حتى تصيح
وتقول لم يبق لي طاقة بهم ولم يبق في موضع لهم فهل من مزيد استفهام استكثار الثالث انه
لمقابلة الجمع بالجمع والمعنى ان ذلك اليوم مع اني القي في جهنم عددا لا حصر له لا اكون بسبب كثرة
التعذيب كثير الظلم لانه قال وما انا بظلام للعبيد يوم نقول ولم يقل وما انا بظلام في جميع
الازمان وخصص بالعبيد حيث قال وما انا بظلام للعبيد ولم يطلق فكذلك خصص النفي بنوع
من انواع الظلم ولم يطلق ولم يلزم منه ان يكون ظالما في غير ذلك الوقت وبقية الاجوبة مذكورة
في ال عمران عند قوله بظلام للعبيد كداب ال فرعون **فصل** هذه الاية تدل على ان
التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ما عداه لانه نفي كونه ظلاما ولم يلزم منه كونه ظالما ونفي كونه
ظلاما للعبيد ولم يلزم منه كونه ظلاما لغيرهم فصل يحتمل ان يكون المراد بالعبيد الكفار
كقوله تعالى يا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الاية والمعنى اعذبهم وما انا بظلام
لهم ويحتمل ان يكون المراد منه المومنين والمعنى ان الله تعالى يقول لو بدلت قولي ورحمت
الكافر لكنت في تكليف العباد ظالما لعبادي المومنين لاني منعتهم من الشهوات لاجل هذا
اليوم فلو كان ينال من لم يات بما اتي به المومن ما يناله المومن لكان اتيان المومن بما اتي به
من الايمان والعبادة غير مفيد وهذا معنى قوله تعالى لا يستوي اصحاب النار واصحاب
الجنة وقوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ويحتمل ان يكون المراد التعميم
قوله يوم نقول يوم منصوب اما بظلام واما بمفهوم هذا لانه اذا لم يظلم في هذا اليوم فنفي
الظلم عنه في غيره احري او بقوله ونفخ في الصور والاشارة بذلك الي يوم نقول قاله الزمخشري
واستبعده ابو حيان لكثرة الفواصل او باذكر مقدرا او بانذر وهو على هذين الاخيرين
مفعول به لا ظرف وقرا نافع وابو بكر يقول بيا الغيبة والفاعل الله تعالى لتقدم ذكره
في قوله مع الله وقوله لا تختصموا والباقون بنون المتكلم المعظم نفسه لتقدم ذكره في قوله لدي
وقد قدمت والاعمش يقال مبنيا للمفعول وقوله هل امتلات وذلك لما سبق من وعده اياها
انه يملاها من الجنة والناس وهذا السوال من الله عز وجل لتصديق خبره وتحقيق وعده
قوله هل من مزيد سوال تقرير وتوقيف وقيل معناه النفي وقيل السوال لخزنتها والجواب
منهم فلا بد من حذف مضاف اي يقول لخزنة جهنم ويقولون ثم حذف والمزيد يجوز ان يكون مصدرا
اي هل من زيادة وان يكون اسم مفعول اي من شي يزيد ذيته احرقه **فصل** قال
المفسرون معنى قوله هل من مزيد اي قد امتلات ولم يبق في موضع لم يمتلي فهو استفهام انكار
بمعنى الاستزادة رواه ابو صالح عن ابن عباس وعلى هذا يكون السوال وهو قوله هل امتلات
قبل دخول جميع اهلها فيها وروي عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين فلما سبق اعدا الله اليها لا يلقي فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملاها فتقول
الست قد اقسمت لتملاني فيضع قدمه عليها ثم يقول هل امتلات فتقول قط قط قد امتلات
وليس في مزيد قوله وازلفت الجنة قربت وادنيت وقوله غير بعيد يجوز ان يكون حالا من

الجنة ولم يونث لانها بمعنى البستان او لان فعيلا لا يونث لانه بزنة المصادر قاله الزمخشري
ومنعه ابو حيان وقد تقدم في قوله ان رحمة الله قريب ويجوز ان يكون منصوبا على الظرف
المكاني اي مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي ازلافا غير بعيد وهو
ظاهر عبارة الزمخشري فانه قال او شيا غير بعيد فان قيل ما وجه التقريب مع ان الجنة
مكان والامكنة يقرب منها وهي لا تقرب فالجواب من وجوه الاول ان الجنة لا تزال ولا يوم
المومن في ذلك اليوم بالانتقال اليها مع بعدها لكن الله تعالى يطوي المسافة التي بين
المومن والجنة فهو التقريب فان قيل فعلى هذا البشارة لان الجنة من المومن باولي من ازلاف
المومن من الجنة فما فايدة قوله ازلفت للجنة فالجواب ان ذلك اكرام للمومن وبيان لشرفه
وانه ممن يمشى اليه الثاني قرب من الحصول في الدخول لا بمعنى القرب المكاني الثالث
ان الله تعالى قادر على نقل الجنة من السما الى الارض فيقربها للمومن ويحتمل انها ازلفت
بمعنى جمعت محاسنها لانها مخلوقة واما بمعنى قرب الحصول بها لانها تنال بكلمة وحسنة وخص
المتقين بذلك لانهم احق بها قوله هذا ما توعدون هذه الجملة يجوز فيها وجهان احدهما
ان تكون معترضة بين البدل والمبدل منه وذلك ان لكل اواب بدل من المتقين باعادة العامل
والثاني ان تكون منصوبة بقول مضمر ذلك القول منصوب على الحال اي مقولا لهم
وقد تقدم في ص انه قري يوعدون بالياء والتاء ونسب ابو حيان قراة اليا من تحت هنا
لابن كثير وابي عمرو وانما هي عن ابن كثير وحده **فصل** والاواب الرجاع قيل هو
الذي يرجع عن الذنوب الى الاستغفار والطاعة قال سعيد بن المسيب هو الذي
يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الشعبي ومجاهد هو الذي يذكر ذنوبه في
الخلا فيستغفر منها وقال ابن عباس وعطا هو المسبح من قوله يا جبال اوبي معه وقال
قتادة هو المصلي والحفيظ هو الذي يحفظ توبته من النقض وقال ابن عباس هو
الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وعن ابن عباس ايضا الحفيظ لامر
الله وقال قتادة الحفيظ لما استودعه الله من حقه والاواب والحفيظ كلاهما من
باب المبالغة اي يكون كثير الاوب شديد الحفظ قوله من خشي يجوز ان يكون مجرور
المحل بدلا او بيانا لكل وقال الزمخشري يجوز ان يكون بدلا بعد بدل تابعا لكل انتهى
يعني انه بدل من كل بعد ان ابدلت لكل من المتقين ولم يجعله بدلا اخر من نفس للمتقين لانه
لا يتكرر البدل والمبدل منه واحد ويجوز ان يكون بدلا من موصوف اواب وحفيظ قاله
الزمخشري يعني ان الاصل لكل شخص اواب فيكون من خشي بدلا من شخص المقدر قال
ولا يجوز ان يكون في حكم اواب ان يجعل من صفة وهذا كما قال لا يجوز الا ان ابا حيان
استدرك عليه الحصر وقال بل يوصف بغير الذي من الموصولات كوصفهم بما فيه ال
الموصولة نحو الضارب والمضروب وكوصفهم بذو وذات عاميتين نحو فوقهم بالفضل
ذو فضلكم الله به والكرامة ذات اكرمكم الله به وقد جوز ابن عطية في من خشي ان يكون
نعتا لما تقدم وهو مردود بما تقدم ويجوز ان يرتفع من خشي على خبر ابتدا مضمر او ينصب
بفعل مضمر وكلاهما على القطع المشعر بالمدح وان يكون مبتدا خبره قول مضمر ناصب لقوله
ادخلوها اي من خشي الرحمن يقال لهم ادخلوها وحمل ولا بجا اللفظ وفي الثاني على
المعنى وقيل من خشي منادي حذف منه حرف الندا اي يا من خشي ادخلوها باعتبار الجملتين
المتقدمتين وحذف حرف الندا سايغ وان تكون شرطية وجوابها محذوف وهو ذلك
القول وكون زدمعه فا اي فيقال لهم وبالغيب حال اي غايبا عنه فيحتمل ان يكون حالا من
الفاعل او المفعول او منهما وقيل البا للسببية اي خشي بسبب الغيب الذي اوعده
من عذابه ويجوز ان يكون صفة لمصدر خشي اي خشيه خشية ملتبسة بالغيب **فصل**
قال ابن الخطيب اذا كان من والذي يشتركان في كونهما من الموصولات فلماذا يشتركان
في جواز الوصف بهما فنقول ما اسم مبهم يقع على كل شي فمفهومه هو شي لكن الشي هو اعم الاشيا
فان الجوهر شي والعرض شي والواجب شي والممكن شي والاعم قبل الاخص في الفهم لانك
اذا رايت شيا من البعد تقول اولا انه شي ثم اذا ظهر لك منه ما يختص بالناس تقول انسان

فاذا بان لك انه ذكر تقول انه رجل فاذا وجدته ذا قوة تقول شجاع الى غير ذلك فالاعم
اعرف وهو قبل الاخص في الفهم فلا يجوز ان يكون صفة لان الصفة بعد الموصوف هذا من
حيث المعقول واما من حيث النحو فلان الحقايق لا يوصف بها فلا يقال جسم رجل جاني كما
يقال جسم ناطق جاني لان الوصف يقوم بالموصوف والحقيقة تقوم بنفسها لا بغيرها
نقولنا عالم اي شي له علم **فصل** والخشية والخوف معناهما واحد عند اهل اللغة
لكن بينهما فرق وهو ان الخشية خوف من عظمة المخشي لان تركيب حروف ش ي خ في تقاليبها
يلزمه معنى الهيبة يقال شيخ للسيد وللرجل الكبير السن وهما جميعا مهيبان والخوف خشية من
ضعف الخاشي لان تركيب خ و ف في تقاليبها يدل على الضعف ويدل على ذلك انه حيث كان
الخوف من عظمة المخشي قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلما وقال لو انزلنا هذا
القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وقال وهم من خشيته ربهم مشفقون
مع ان الملايكة والجبل اقويا وحيث كان الخوف من ضعف الخاشي سماه خوفا قال تعالى
لا تخافوا ولا تحزنوا اي بسبب مكروه يلحقكم في الاخرة وقال تعالى خايفا يترقب وقال
اني اخاف ان يقتلون لوحدته وضعفه هذا في اكثر الاستعمال وربما يتخلف **فصل**
معنى الاية من خاف الرحمن فاطاعه بالغيب ولم يره وقال الضحاك والسدي يعني في
الخلوة حيث لا يراه احد قال الحسن اذا ارخي الستر واغلق الباب وجا بقلب منيب هذه
صفة مدح لان شان الخايف ان يهرب فاما المتقي فجاز به لعلمه انه لا ينجي الفرار منه وقوله
منيب اي مخلص مقبل على طاعة الله والبا في بقلب اما للتعدية واما للمصاحبة واما للسببية
والقلب المنيب كالقلب السليم في قوله تعالى اذ جا ربه بقلب سليم اي سليم من الشرك
قوله ادخلوها بسلام الجار والمجرور حال من فاعل الدخول اي سالمين من الافات
فهي حال مقارنة او سلما عليكم فهي حال مقدرة كقوله فادخلوها خالدين كذا قيل وفيه
نظر اذ لا مانع من مقارنة تسليم الملايكة عليهم حال الدخول بخلاف فادخلوها خالدين
فانه لا يعقل الخلود الا بعد الدخول والضمير في ادخلوها عايد الى الجنة اي ادخلوا الجنة
بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملايكته عليهم قوله ذلك يوم الخلود
قال ابو البقا اي زمن ذلك يوم الخلود كانه جعل ذلك اشارة الى ما تقدم من انعام الله
عليهم بما ذكر وقيل اضمار تقديره ذلك يوم تقدير الخلود ويحتمل ان يقال اليوم يذكر
ويراد به الزمان المطلق سوا كان يوما او ليلا تقول يوم يولد لفلان يكون السرور العظيم
ولو ولد له بالليل لكان السرور حاصلا والمراد به الزمان فكانه تعالى قال ذلك زمان
الاقامة الدايمة فان قيل المومن قد علم انه اذا دخل الجنة خلد بها فما فايدة القول فالجواب
من وجهين الاول ان قوله تعالى ذلك يوم الخلود قول قاله الله تعالى في الدنيا اعلاما
واخبارا وليس ذلك قولا يقوله عند قوله ادخلوها فكانه تعالى اخبر في يومنا ان ذلك
اليوم يوم الخلود الثاني ان اطمينان القلب بالقول اكثر قوله لهم ما يشاوون يجوز ان
يتعلق فيها بيشاوون ويجوز ان يكون حالا من الموصول او من عايده والاول اولى فصل
ما الحكمة في انه تعالى قال ادخلوها بسلام على المخاطبة ثم قال لهم ولم يقل لكم فالجواب
من وجوه الاول ان قوله تعالى ادخلوها فيه مقدر اي فيقال لهم ادخلوها فلا يكون التفات
الثاني انه التفات والحكمة في الجمع بين الطرفين كانه تعالى يقول غير محل لهم في غيبتهم
وحضورهم ففي حضورهم الحبور وفي غيبتهم الحضور الثالث انه يجوز ان يكون قوله
تعالى لهم كلاما مع الملايكة يقول للملايكة توكلوا بخدمتهم واعلموا ان لهم ما يشاوون فيها
فاحضروا بين ايديهم ما يشاوون واما انا فعندي ما لا يخطر ببالهم ولا تقدرون انتم عليه
والمزيد يحتمل ان يكون معناه الزيادة كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة ويحتمل
ان يكون بمعنى المفعول اي عندنا ما نزيده على ما يرجون ويأملون قال انس وجابر
هو النظر الى وجه الله الكريم قوله تعالى وكم اهلكنا كم نصب بما بعده وقدم اما لانه استفهام
واما لان الخبرية تجري مجرى الاستفهامية في التصدير ومن قرن تمييز وهم اشد صفة لكم
واما للقران قوله فنقبوا الفا عاطفة على المعنى كانه قيل اشتد بطشهم فنقبوا والضمير في

نقبوا اما المفسرون المتقدمة وهو الظاهر واما لقريش وبويده قراة ابن عباس وابن يعمر
وابي العالية ونصر بن سيار وابي حيوة والاصمعي عن ابي عمرو فنقبوا بكسر القاف امرا لهم
بذلك والتنقيب التنقير والتنفيش ومعناه التطواف في البلاد قال الحرث بن حلزة

• نقبوا في البلاد حذر الموت • وجالوا في الارض كل مجال •

وقال امرؤ القيس • وقد نقبت في الافاق حتى • رضيت من الغنيمة بالاياب •

وقرا ابن عباس وابو عمرو ايضا في رواية نقبوا بفتح القاف خفيفة ومعناها ما تقدم وقري
نقبوا بكسرها خفيفة اي نقبت اقدامهم واقدام ابلهم ودميت فحذف المضاف وذلك لكثرة تطوافهم
وقوله هل من محيص مبتدا وخبره مضمر تقديره هل لمن سلك طريقهم او هل لهم من محيص وهذه
الجملة يحتمل ان تكون على اضمار قول وان لا تكون **فصل** المعنى فنقبوا اي ضربوا
وساروا وتقلبوا وطافوا واصله من النقب وهو الطريق كانهم سلكوا كل طريق فلم يجدوا محيصا
من امر الله وعلى هذا فالمراد بهم اهل مكة اي ساروا في الاسفار وراوا ما فيها من الاثار ولم يجدوا
ملجا ومهربا وقيل المعنى صاروا نقبا في الارض ارادوا افادهم بطشهم وقوتهم لان الفا تدل
على ترتيب الامر على مقتضاه تقول كان زيد اقوى من عمرو فغلبه والمعنى كانوا اشد منهم
بطشا وصاروا نقبا في الارض وهم قوم ثمود الذين جابوا الصخر بالوادي من قوتهم خرقوا
الطرق ونقبوها وقطعوا الصخور وقيل هل من محيص معز من الموت فلم يجدوا محيصا وهذا
جمع بين الانذار بالعذاب العاجل والعقاب الاجل لانه انذرهم بما يعجل لهم من العذاب المهلك
والاهلاك المدرك وهذا انذار لاهل مكة لانهم على مثل سبيلهم فان قيل اذا كان ذلك للجمع
بين الانذار للعذاب العاجل والعقاب الاجل فلم توسطه قوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين
فالجواب ليكون ذلك ردعا بالخوف والطمع فذكر حال الكفور وحال الشكور ترهيبا وترغيبا
فان قيل فلم لم يجمع بين الترهيب والترغيب في العاجلة كما جمع بينهما في الاجلة ولم يذكر حال
من اسلم من قبل وانعم عليه كما ذكر حال من اشرك به فاهلكه فالجواب ان النعمة كانت
قد وصلت اليهم وكانوا متقلبين في النعم فلم يذكرهم به وانما كانوا غافلين عن الهلاك
فانذرهم به واما في الاخرة فكانوا غافلين عن الامرين جميعا فاخبرهم بهما وقوله هل من محيص
استفهام بمعنى الانكار اي لم يكن لهم محيص وقيل هو كلام مستانف كانه تعالى يقول لقوم
محمد عليه السلام هم اهلكوا مع قوة بطشهم فهل من محيص لكم تعتمدون عليه ومن قرا
بالتشديد فهو مفعول اي عثوا عن المحيص هل من محيص والمحيص كالمحيد غير ان المحيص
معدل ومهرب عن الشدة بدليل قولهم وقعوا في حيص بيص اي في شدة وضيق والمحيد
معدل وان كان بالاختيار يقال حاد عن الطريق بطرا ولا يقال حاص عن الامر بطرا وقوله
ان في ذلك لذكرى ذلك اشارة الى الاهلاك او الى ازلاف الجنة والذكرى مصدر اي تذكرة
وعظة لمن كان له قلب قال ابن عباس اي عقل قال الفرا هذا جايز في العربية تقول
ما لك قلب ولا قلبك معك اي ما عقلك معك وقيل له قلب حاضر مع الله وقيل قلب واعي
وذلك ان من لا يتذكر كانه لا قلب له ومنه قوله تعالى اوليك كالانعام بل هم اضل اي هم
كالجماد وقوله تعالى كانهم خشب مسندة اي ليس لهم صور وليس لهم قلب ولا لسان تشكر
قوله او القى السمع العامة على القى مبنيا للفاعل والسلمي وطلحة والسدي وابو البرهثم
القي مبنيا للمفعول السمع رفع به وذكرت هذه القراة العاصم عن السدي تمه وقال الليث
يقول يلقون السمع والقا السمع كناية عن الاستماع لان الذي لا يسمع كانه حفظ سمعه
فامسكه والمعنى استمع القران واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره تقول العرب الق
الي سمعك اي استمع او يكون معناه لمن كان له قلب فقصد الاستماع او القى السمع بان
ارسله وان لم يقصد السماع وهو شهيد حاضر الذهن ويحتمل ان يقال الاشارة بذلك
الى القران في اول السورة اي في القران الذي سبق ذكره ذكرى لمن له قلب او لمن استمع ويكون
معنى وهو شهيد اي المنذر الذي تعجبتم منه هو شهيد عليكم كقوله انا ارسلناك شاهدا
قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام اعاد الدليل مرة
اخرى وقدم تفسيره في الم السجدة قيل ان هذا رد على اليهود في قولهم ان الله سبحانه استراح

يوم

يوم السبت والظاهر انها رد على المشركين اي لم يعي عن الخلق الاول فكيف يعجز عن الاعادة
قال ابن الخطيب واشار بقوله في ستة ايام الى ستة ادوار لان المراد من الايام لا يمكن ان يكون
هو المفهوم من وضع اللغة لان اليوم في اللغة عبارة عن زمان مكث الشمس فوق الارض من
الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات لم تكن شمس ولا قمر لكن اليوم يطلق ويراد به الوقت
يقال يوم يولد للملك ابن يكون سرور عظيم ويوم يموت فلان يكون حزن شديد وان اتفقت
الولادة والموت ليلا لا يتعين ذلك ويدخل في مراد القايل لان المراد باليوم مجرد الوقت قوله
وما مسنا من لغوب يجوز ان يكون حالا وان يكون مستانفا والعامة على ضم لام اللغوب وعلي
وطلحة والسلمي ويعقوب بفتحها وهما مصدران بمعنى وينبغي ان يضم هذا الى ما حكاه سيبويه
من المصادر الجايية على هذا الوزن وهي خمسة والى ما زاده الكساي وهو الوزوع فتصير ستة
وقد تقدم هذا في البقرة عند قوله وقودها واللغوب العنا والتعب قوله فاصبر على ما
يقولون من كذبهم وقولهم بالاستراحة وعلى قولهم ان هذا الشي عجيب وهذا قبل الامر بقتالهم
وسبح بحمد ربك قيل هذا امر للنبي عليه السلام بالصلوة كقوله تعالى اقم الصلاة طرفي النهار
وزلفا من الليل وقوله قبل طلوع الشمس وقبل الغروب اشارة الى طرفي النهار وقوله ومن
الليل فسبحه اشارة الى زلفا من الليل وتقريره انه عليه السلام كان مشتغلا بامرين احدهما
عبادة الله والثاني هداية الخلق فاذا لم يهتدوا قيل له اقبل على شغلك الاخر وهو العبادة •
وقيل معنى سبح بحمد ربك اي نزهه عما يقولون ولا تسام من تذكيرهم بعظمة الله بل نزهه عن الشرك
والعجز عن الممكن وهو الحشر قبل الطلوع وقبل الغروب فانهما وقتا اجتماعهم ويكون المراد بقوله
ومن الليل اوله لانه ايضا وقت اجتماعهم وقيل المعنى قل سبحان الله لان الفاظا جاءت بمعنى
التلفظ بكلامهم كقولهم كبر لمن قال الله اكبر وسلم لمن قال السلام عليكم وحمد لمن قال الحمد
لله وهلل لمن قال لا اله الا الله وسبح لمن قال سبحان الله وذلك ان هذه امور تتكرر من الانسان
في الكلام والحاجة تدعو الى الاخبار عنها فلو قال القايل فلان قال لا اله الا الله لطال الكلام
فدعت الحاجة الى استعمال لفظة واحدة مفيدة للكلام فقالوا هلل بخلاف قولهم زيد في السوق
فان من قال زيد في السوق واراد ان يخبر عنه بذلك لا يجد لفظا واحدا مفيدا لذلك لعدم تكرره
ومناسبة هذا الوجه هي ان تكذيبهم وانكارهم يقتضي مقابلتهم باللعن فقيل له اصبر عليهم
واجعل بدل الدعا عليهم التسبيح لله والحمد لله ولا تكن كصاحب الحوت او كنوح عليهما السلام حيث
قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا **فصل** وقد استعمل التسبيح مع الباء
ومع اللام وبدونهما فان قلنا ان المراد بالتسبيح الصلاة فيحتمل ان يكون المراد بحمد ربك الامر
لقراءة الفاتحة كقولك صلى فلان بسورة كذا وهذا بعيد وان قلنا المراد قل سبحان الله فالبا
للمصاحبة وكذلك ان قلنا معناه التنزيه اي نزهه واحمده حيث وفقك لتسبيحه فيكون
المفعول محذوفا والعلم به اي نزه الله بحمد ربك اي ملتبسا او مقترنا بحمد ربك واما اللام فاما
ان تكون من باب شكرته ونصحته واما ان يكون معناها خالصا لله واما تعديته بنفسه فهو
الاصل واعاد الامر بالتسبيح اما تاكيدا واما ان يكون الاول بمعنى الصلاة والثاني بمعنى التنزيه
والذكر ودخلت الفا لان المعنى واما من الليل فسبحه ولما ذكر اوقات الصلاة ذكر ادبار السجود
ليعم الاوقات فيكون كقوله فاذا فرغت فانصب ومن اما لابتدا الغاية اي من اول الليل واما
للتبعيض **فصل** قال المفسرون قبل طلوع الشمس يعني صلاة الصبح وقبل الغروب
يعني العصر روي عن ابن عباس قبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل فسبحه يعني صلاة
المغرب والعشا وقال مجاهد ومن الليل يعني صلاة الليل اي وقت صلى قوله وادبار
السجود قرا نافع وابن كثير وحمزة ادبار بكسر الهمزة على انه مصدر قام مقام ظرف الزمان
كقولهم اتيك خفوق النجم وخلافة الحجاج ومعنى وقت ادبار الصلاة اي انقضايها وتمامها
والباقون بالفتح جمع دبر وهو اخر الصلاة وعقبها ومنه قول اوس

• على دبر الشهر الحرام فارضنا • وما حولها جدب سنون تلمع •

ولم يختلفوا في وادبار النجوم وقوله وادبار معطوف اما على قبل الغروب واما على ومن الليل
فصل قال عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب والحسن والشعبي والنخعي والاوزاعي

ادبار السجود الركعتان قبل صلاة الفجر وهو رواية العوفي عن ابن عباس وروي عنه
مرفوعا وهذا قول اكثر المفسرين وقال مجاهد وادبار السجود هو التسبيح باللسان في ادبار
الصلاة المكتوبات قال عليه السلام من سبح في دبر كل صلاة ثلثا وثلثين وكبر ثلثا
وثلثين وحمد ثلثا وثلثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر
قوله تعالى واستمع يوم هو استماع على بابه وقيل بمعنى الانتظار وهو بعيد فعلى الاول
يجوز ان يكون المفعول محذوفا اي استمع نداء المنادي او نداء الكافر بالويل والثبور فعلى هذا
يكون يوم ينادي منصوبا بيخرجون مقدرا مدلولا عليه بقوله ذلك يوم الخروج وعلى
الثاني يكون يوم ينادي مفعولا به اي انتظر ذلك اليوم ووقف ابن كثير على ينادي بالياء
والباقون دون يا ووجه اثباتها انه لا مقتضي لحذفها ووجه حذفها وقفا اتباع الرسم
وان كان الوقف محل تخفيف واما المنادي فاثبت ابن كثير ايضا ياءه وصلا ووقفا فمن اثبت
فلانه الاصل ومن حذف فلاتباع الرسم ومن حذف الوقف بالحذف فلانه محل راحة ومحل
تغيير فصل فيما يسمعه وجوه الاول ان يكون مفعوله محذوفا راسا والمقصود
كن مستمعا ولا تكن مثل هؤلاء المعرضين الغافلين يقال هو رجل سميع مطيع ولا يراد مسموع
بعينه والثاني استمع ما يوحي اليك والثالث استمع نداء المنادي فان قيل استمع عطف
على فاصبر وسبح وهو في الدنيا فالاستماع يكون في الدنيا وما يوحي يوم ينادي المنادي
لا يسمع في الدنيا فالجواب انه لا يلزم ذلك لجواز ان يقال صل وادخل الجنة اي صل في الدنيا
وادخل الجنة في العقبى فكذا ههنا ويحتمل ان يكون استمع بمعنى انتظر ويحتمل ان يكون المراد
تاهب لهذه الصيحة لئلا تفجأك فتزعجك والمراد بالمنادي اما الله تعالى بقوله احشروا
الذين ظلموا وبقوله القيا في جهنم او بقوله اين شركائي ويحتمل ان يكون المراد بالمنادي
اسرافيل وقال مقاتل ينادي اسرافيل بالحشر يا ايتها العظام البالية والاوصال المنقطعة
واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعوا لفصل القضاء او يكون النداء
للنفس يقال يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك او ينادي المنادي هؤلاء للجنة وهؤلاء
للنار ويحتمل ان يكون المنادي هو المكلف لقوله ونادوا يا مالك والظاهر الاول لان اللام
للعهد والتعريف والمعهود السابق قوله القيا في جهنم وقوله من مكان قريب اي لا يخفى
على احد وقيل من صخرة بيت المقدس وهي وسط الارض قال الكلبي هي اقرب الارض الى
السماء بثمانية عشر ميلا قوله يوم يسمعون بدل من يوم ينادي وبالحق حال من الصيحة
اي ملتبسة بالحق او من الفاعل اي يسمعون ملتبسين بسماع حق قوله ذلك يوم الخروج
يجوز ان يكون التقدير ذلك الوقت اي وقت النداء والسماع يوم الخروج ويجوز ان
يكون ذلك اشارة الى النداء ويكون قد اتسع في الظرف فاخبر به عن المصدر او يقدر
مضاف اي ذلك النداء والاستماع نداء يوم الخروج واستماعه واللام في الصيحة للتعريف
لقوله ان كانت الا صيحة واحدة والمراد بالحق الحشر او اليقين يقال صاح فلان بيقين
لا بظن وتخمين اي وجد منه الصياح يقينا لا كالصدى وغيره او يكون المراد المعبر به بالحق
يقال اذهب بالسلامة وارجع بالسعادة اي مقرونا ومصحوبا وقيل بالحق قسم اي
يسمعون الصيحة بالله والحق وهو ضعيف وقوله ذلك يوم الخروج اي من القبور قوله
انا نحن نحيي ونميت تقدم الكلام على قوله انا نحن في سورة يس واما قوله نحيي ونميت
فالمراد من الاحياء الاحياء اولا وقوله نميت اشارة الى الموتة الاولى والينا المصير بيان للحشر
وهذا اشارة الى قدرته على الحشر قوله يوم تشقق يوم يجوز ان يكون بدلا من يوم قبله
وقال ابو البقاء انه بدل من يوم الاول وفيه نظر من حيث تعدد البدل والمبدل منه واحد
وقد تقدم ان الزمخشري منعه ويجوز ان يكون اليوم ظرفا للمصير اي يصيرون الينا يوم
تشقق الارض وقيل ظرف للخروج وقيل منصوب بيخرجون مقدرا وتقدم الخلاف في
تشقق في الفرقان وقرا زيد بن علي تنشق بفك الادغام قوله سراعا حال من الضمير
في عنهم والعامل فيها تشقق وقيل عاملها هو العامل في يوم تشقق المقدر اي يخرجون

سراعا يوم تشقق لان قوله تعالى عنهم يفيد كونهم مفعولين بالتشقق وكان هو
التشقق عدي بحرف المجاوزة كما يقال كشفت عنه فهو مكشوف عنه فيصير سراعا هيئة
المفعول كانه قال مسرعين والسراع جمع سريع كالكرام جمع كريم وقوله ذلك يحتمل
ان تكون اشارة الى التشقق عنهم واشارة الى الاخراج المدلول عليه بقوله سراعا
ويحتمل ان يكون معناه ذلك الحشر حشر يسير والحشر الجمع قوله علينا متعلق بيسير
تفصل بمعمول الصفة بينها وبين موصوفها ولا يضر ذلك ويجوز ان يتعلق بمحذوف
على انه حال منه لانه في الاصل يجوز ان يكون نعتا وقال الزمخشري التقديم للاختصاص
اي لا يتيسر ذلك الا على الله وحده اي هو علينا هين لا على غيرنا وهو اعادة جواب
قولهم ذلك رجع بعيد قوله نحن اعلم بما يقولون يعني كفار مكة في تكذيبك وهذا
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون تهديدا وتخويفا لان قوله والينا المصير
ظاهر في التهديد وبالعلم يكمل ونظيره قوله تعالى ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون
انه عليم بذات الصدور ويحتمل ان يكون تقرير الحشر الامر بالعلم لانه لما بين ان الحشر
عليه يسير لكمال قدرته ونفوذ ارادته ولكن تمام ذلك بالعلم الشامل حتى يتبين جزء
زيد وجزء بدن عمرو فقال ذلك حشر علينا يسير لكمال قدرتنا ولا يخفى علينا الاجزاء
لكمال علمنا وقوله اعلم اما ليست للمشاركة في اصل الفعل كقوله وهو اهون عليه او معناه
نحن اعلم به من كل عالم بما يعلمه قوله وما انت عليهم بجبار اي بمسلط تجبر على الاسلام
وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي انك لست حفيظا عليهم ومكلفا بان يؤمنوا انما
انت منذر وقد فعلت ما امرت به قال المفسرون هي منسوخة باية القتال قوله فذكر
بالقران من يخاف وعيد تقدم الخلاف في ياء وعيد اثباتا وحذفا والمعنى دم على الانذار
ولا تترك الهداية بالكلية بل ذكر المومنين فان الذكرى تنفع المومنين وقوله بالقران
اي اتل عليهم القران يحصل لهم المنفعة بسبب ما فيه او فذكر بالقران بين به انك رسول
الله لكونه معجزا او يكون المراد فذكر بمقتضى ما في القران من الاوامر الواردة بالتبليغ
والتذكير وفي قوله فذكر اشارة الى انه مرسل مامور بالتذكير بالقران المنزل عليه
وقوله وعيد اشارة الى اليوم الاخر وفي قوله وعيدي اشارة الى الوحدانية اذ لو قال
وعيد الله لذهب الوهم الى كل صوب وضمير المتكلم اعرف المعارف وابعد عن الاشتراك وقد
تقدم ان اول السورة واخرها مشتركان في المعنى حيث قال في الاول ق والقران المجيد وقال في
اخرها فذكر بالقران روي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ق هون عليه سكرات
الموت

سورة والذاريات مكية

وهي ستون اية وثلاث مائة وستون كلمة والف ومائتان وتسعة وثمانون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والذاريات ذروا الايات اول هذه السورة مناسب لاخر ما قبلها لانه تعالى
لما بين الحشر بدلائله وقال ذلك حشر علينا يسير وقال وما انت عليهم بجبار تجبرهم على
الايمان اشارة الى اصرارهم على الكفر بعد اقامة البرهان وتلاوة القران عليهم لم يبق الا
اليمين فقال والذاريات انما توعدون لصادق وقال في اخرها فويل للذين كفروا من
يومهم الذي يوعدون فصل وفي الحكمة في القسم ههنا وجوه احدها ان
الكفار كانوا ينسبون النبي عليه السلام للجدال ومعرفة طرقه وانه عالم بفساد قولهم وانه
يغلبهم لمعرفته بالجدال وحينئذ لا يمكن ان يقابلهم بالادلة كما ان من اقام خصمه عليه الدليل
ولم يبق له حجة يقول انه غلبني لعلمه بالجدل وعجزي عن ذلك وهو يعلم في نفسه ان الحق معي
فلا يبقى للمتكلم المبرهن غير اليمين فيقول والله ان الامر كما اقول ولا اجادلك بالباطل لانه لو
استدل بطريق اخر يقول خصمه فيه كقوله الاول فلا يبقى الا السكوت او التمسك بالايمان
وترك اقامة البرهان الثاني ان العرب كانت تحترز عن الايمان الكاذبة وتعتقد انها تخرب

المنازل وكان النبي عليه السلام يكثر الاقسام دلالة على انه صادق وذلك كان امره يتزايد ويعلموا انه لا يحلف بها كاذبا الثالث ان الايمان التي اقسم بها كلها دلايل اخرجت في صورة الايمان لينبه بها على كمال القدرة كقول القايل للمنعم وحق نعمك الكثيرة اي لا ازال اشكرك فذكر النعم التي هي سبب مفيد لدوام الشكر وانما اخرجها مخرج الايمان ايذانا به بريدان يتكلم بكلام عظيم فينبغي اليه السامع اكثر ما يصغي اليه حيث يعلم ان الكلام ليس بمعتبر فيدا بالحلف **فصل** اورد القسم على امور منها الوحدانية ولظهور امرها واعترافهم بها حيث يقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وقولهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لم يقسم عليها الا في سورة والصافات ومنها الرسالة وهو في سورتي والنجم والضحى وبالحروف في يس ومنها الحشر والجزا وما يتعلق به فلكثرة انكارهم له كرر القسم عليه **فصل** اقسم الله بجمع السلامة المونث في سور جمة ولم يقسم بجمع السلامة المذكر في سورة اصلا فلم يقل والصالحين من عبادي ولا المقربين الى غيره كذلك مع ان المذكر اشرف لان جموع السلامة بالواو والنون في الغالب لمن يعقل **فصل** روي عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى والذاريات قيل هي الرياح التي تذروا التراب ذروا يقال ذرت الريح التراب واذرت فالحاملات وقرا يعني السحاب تحمل ثقلا من الماء فالجاريات يسرا هي السفن تجري في الماء جريا سهلا فالمقسمات امرا هي الملائكة يقسمون الامور بين الخلق على ما امروا به اقسم بهذه الاشيا لما فيها من الدلالة على صنعته وقدرته قال ابن الخطيب والاقرب ان هذه صفات الرياح فالذاريات هي التي تنشي السحاب اولا والحاملات هي التي تحمل السحب التي هي بخار المياه التي اذا سحت جرت السيول العظيمة وهي اوقار اثقل من جبال والجاريات هي التي تجري السحب بعد حملها والمقسمات هي الرياح التي تقسم الامطار وتفرقها على الاقطار ويحتمل ان يقال هذه امور اربعة ذكرت لامور اربعة بها تتم الاعادة لان الاجزا المتفرقة بعضها في تخوم الارض وبعضها في قعور البحار وبعضها في جو الهوا وهي الاجزا الجارية اللطيفة المنفصلة عن الابدان فالذاريات هي التي تجمع الذرات من الارض وتذروا التراب من وجه الارض والحاملات هي التي تجمع الاجزا من الجو وتحمله حملا فان التراب لا تحمله الرياح حملا مستقلا بل تنقله من موضع الى موضع بخلاف السحاب فانه يحمله في الجو حملا لا يقع منه شي والجاريات هي الجامعة من الماءات ما يجري السفن المثقلة في تيار البحار قادرا على نقل الاجزا من البحر الى البر فاذن تبين ان الجمع من الارض وجو الهوا ووسط البحار ممكن واذا اجتمع ذلك كله يبقى نفخ الروح في الجسد بامر الله قوله ذروا منصوب على المصدر المؤكد العامل فيه فرعه وهو اسم الفاعل والمفعول محذوف اقتصارا اذ لا نظير لما تذروه هنا وادغم ابو عمرو وحمزة تا الذاريات في ذال ذروا واما وقرا فهو مفعول به بالحاملات كما يقال حمل فلان عدلا ثقيلا قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون اسما اقيم مقام المصدر كقوله ضربه سوطا ويويده قراة من قرا بفتح الواو والوقر بالكسر اسم ما يوقر اي يحمل وقري بالفتح وذلك على تسمية المفعول بالمصدر ويجوز ان يكون مصدرا على حاله والعامل فيه معنى الفعل قبله لان الحمل والوقر بمعنى واحد وان كان بينهما عموم وخصوص قوله يسرا يجوز ان يكون مصدرا من معنى ما قبله اي جريا يسرا وان يكون حالا اي ذات يسر او ميسرة او جعلت نفس اليسر مبالغة قوله امرا يجوز ان يكون مفعولا به وهو الظاهر كقوله فلان قسم الرزق او المال وان يكون حالا اي مامورة وعلى هذا فيحتاج الى حذف مفعول المقسمات وقد يقال لا حاجة لتقديره كما في الذاريات وهل هذه اشيا مختلفة فتكون الفاعل بها من عطف المتغايرات والفا للترتيب في المقسم لا في المقسم به قال الزمخشري ويجوز ان يراد الريح وحدها لانها تنشي السحاب وتقليه وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وعلى هذا يكون من عطف المضافات والمراد واحد كقوله • بالمفرزباية الصايح للحارث الصابح فالغانم فالايب •
وقوله • الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم •
فتكون الفا على هذا الترتيب لامور في الوجود فان قيل ان كان وقرا مفعولا فلم لم يجمع

وما فعل اوقارا فالجواب لان الجماعة من الرياح قد تحمل وقرا واحدا وكذا القول في المقسمات امرا اذا قيل انه مفعول به لانه قد تجمع جماعة من الملايكة على امر واحد قوله انما توعدون هذا جواب القسم وما يجوز ان تكون اسمية وعايدها محذوف اي توعدونه وان تكون مصدرية فلا عايد على المشهور وحينئذ يحتمل ان تكون توعدون مبنيا من الوعد وان يكون مبنيا من الوعيد لانه يصلح ان يقال اوعدته فهو موعد ووعدته فهو موعد لا يختلف فالتقدير ان وعدكم او ان وعيدكم ولا حاجة الى قول من قال ان قوله لصادق وقع فيه اسم الفاعل موقع المصدر اي لصدق لان لفظ اسم الفاعل ابلغ اذ جعل الوعد او الوعيد صادقا مبالغة وان كان الوصف انما يقوم بمن يعد او يوعد قال ابن الخطيب وبناؤه من اوعد هو الحق لان اليمين مع المنكر موعد لا موعد والصادق معناه ذو صدق كعيشة راضية ووصف المصدر بما يوصف به الفاعل كوصف الفاعل بالمصدر في افادة المبالغة قوله وان الدين لواقع اي الحشر والجزا الكاين ثم ابتدا قسما اخر وهو قوله والسماء ذات الحبك العامة على الحبك بضمتين قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق الحسن المستوي يقال للنساج اذا نسج الثوب فاجاد ما احسن حبكه وقال سعيد بن جبير ذات الزينة اي المزينة بزينة الكواكب قال الحسن حبكت بالنجوم وقال مجاهد هي متقنة البنيان وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطرايق كحبك الماء اذا ضربته الريح وحبك الرمل والشعر الجعد وهو انثناؤه وتكسره قال زهير •
• مكلل باصول النجم تنسجه • ريح خريق لضاحي مايه حبك •
والحبك جمع يحتمل ان يكون مفرده حبيكة كطريقة وطرق او حباك نحو حمار وحمر قال •
• كانما جللها الحواك • طنفسة في وشيها حباك •
واصل الحبك احكام الشي واتقانه ومنه يقال للدرع محبوكة وقيل الحبك الشد والتوثق قال امرو القيس • قد غدا يحملني في انفه • لاحق الاطلين محبوك ممر •
وفي هذه اللفظة قراات كثيرة فعن الحسن ست قراات الحبك بالضم كالعامة وبضم الحا وسكون البا وهو تخفيف المكسور وكسر الحا وفتح البا وكسر الحا وضم البا وهذه اقلها لان هذه الزنة مهملة في ابنية العرب قال ابن عطية وغيره هو من التداخل يعني ان فيها لغتين الكسر في الحا والبا والضم فيهما فاخذ هذا القاري الكسر من لغة والضم من اخرى واستبعدها الناس لان التداخل انما يكون في كلمتين وخرجها ابو حيان على ان الحا اتبعت لحركة التا في ذات قال ولم يعتد باللام فاصلة لانها ساكنة فهي حاجز غير حصين وقد وافق الحسن على هذه القراة ابو مالك الغفاري وقرا عكرمة بالضم والفتح جمع حبكة نحو غرفة وغرف وابن عباس وابو مالك الحبك بفتحتين جمع حبكة كعقبة وعقب وقوله **فصل** جواب القسم المعنى انكم يا اهل مكة لفي قول مختلف انكم لفي قول مختلف في حق محمد عليه السلام تارة يقولون انه امين وتارة انه كاذب وتارة تنسبونه الى الجنون وتارة كاهن وشاعر وساحر وهذا القول ضعيف اذ لا حاجة الى اليمين على هذا لانهم كانوا يقولون ذلك من غير انكار حتى يوكد باليمين وقيل يقولون انه مجنون ثم يقولون غلبنا بقوة جداله وقيل لفي قول مختلف في القرآن يقولون فيه انه سحر وكهانة واساطير الاولين وقيل قول مختلف اي مصدق ومكذب وقيل غيرنا بتبين على امر وقيل متناقض تارة يقولون لا حشر ولا حياة بعد الموت ثم يقولون انا وجدنا ابانا على امة قوله يوفك عنه صفة لقوله والضمير في عنه للقران او للرسول او للدين او لما توعدون اي مصروف عنه وقيل عن السنن والمافوك عنه محذوف والضمير في عنه على هذا القول مختلف اي مختلف اي يوفك بسبب القول من اراد الاسلام بان يقول هو سحر وكهانة والعامة على بنا الفعلين للمفعول وقتادة وابن جبير يوفك عنه من افك الاول للمفعول والثاني للفاعل اي يصرف عنه من صرف الناس عنه وزيد بن علي يافك مبنيا للفاعل من افك مبنيا للمفعول عكس ما قبله اي يصرف الناس عنه من هو مافوك في نفسه وعنه ايضا يافك عنه من افك بالتشديد اي من هو افاك في نفسه وقري يوفن عنه من افن بالنون فيهما اي يحرمه من حرمه من افن

الصنع اذ الحفكه حلبا **فصل** قيل في تفسير قوله يوفك عنه من افك وجوه احدها
انه مدح المومنين ومعناه يصرف عن القول المختلف من صرف عن ذلك القول ويرشد الي
القول المستوي وقيل انه ذم ومعناه يوفك عن الايمان به من صرف حتي يكذبه يعني من
حرمه الله بمحمد وبالقران وقيل عن بمعني من اجل اي يصرف من اجل هذا القول المختلف او
بسببه عن الايمان من صرف وذلك انهم كانوا يتلقون الرجل اذا اراد الايمان فيقولون انه ساحر
وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الايمان قاله مجاهد قوله قتل الخراصون لعن الكذابون
قري قتل مبنيا للفاعل وهو الله تعالي الخراصين مفعوله والمعني لعن الخراصون وهم الذين
لا يجزمون بامر ولا يثبتون عليه بل هم شاكون متحيرون وهذا دعا عليهم ثم وصفهم بانهم في
غمرة ساهون فقوله ساهون يحتمل ان يكون خبرا بعد خبر والمبتدا قوله هم والتقدير هم
كاينون في غمرة ساهون كقولك زيد جاهل جاير لا تقصد به وصف الجاهل بالجاير ويحتمل
ان يقال ساهون خبر وفي غمرة ظرف له كقولك زيد في بيته قاعد فالخبر هو قاعد لا غير وفي
بيته بيان لظرف القعود فكذا قوله في غمرة ظرف للسهو واعلم ان وصف الخراص بالسهو دليل
علي ان الخراص صفة يقال تحرص علي فلان الباطل قال المفسرون هم الذين اقتسموا عقاب
مكة فاقتسموا القول في النبي صلي الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن دين الاسلام وقال مجاهد
الكهنة الذين هم في غمرة اي غفلة وعمي وجهالة ساهون غافلون عن امر الاخرة والسهو
الغفلة عن الشي وهو ذهاب القلب عنه قوله يسالون ايان يوم الدين فقوله ايان يوم
الدين مبتدا وخبر قيل وهما ظرفان فكيف يقع احد الظرفين في الاخر واجيب بانه علي حذف
حدث اي ايان وقوع يوم فايان ظرف للوقوع كما تقول متي يكون يوم الجمعة وتقدم قراءة
ايان بالكسر في الاعراف قيل وايان من المركبات ركب من اي التي للاستفهام وان التي بمعني متي
او من اي واوان فكانه قال اي وان فلما ركب بني وهذا جواب قوله وان الدين لواقع
فكانه قال ايان يقع استهزا وترك الموصول دلالة علي ان الغرض ليس الجواب وانما يسالون
استهزا والمعني يسالون ايان يوم الدين يقولون يا محمد متي يكون يوم الجزا يعني يوم القيمة
تكذيبا واستهزا قال الله عز وجل يوم هم اي يكون هذا الجزا في يوم هم علي النار يفتنون
اي يعذبون ويحرقون بها كما يفتن الذهب بالنار وعلي هذا فالاولي ان يكون معني يفتنون
يعرضون عرض المجرب للذهب علي النار لان كلمة علي تناسب ذلك ولو كان المراد يحرقون
لقيل بالنار او في النار وقوله يوم هم يجوز ان يكون منصوبا بمضمر اي الجزا كاين يوم هم
ويجوز ان يكون بدلا من يوم الدين والفتحة للبنا علي راي من يجيز بنا الظرف وان اضيف
الي جملة اسمية وعلي هذا فيكون حكاية لمعني كلامهم قالوه علي الاستهزا ولو جا علي
حكاية لفظهم المتقدم لقيل يوم نحن علي النار نفتن ويوم منصوب بالدين وقيل بمضمر
اي يجازون وقيل هو مفعول باعني مقدرا وعدي يفتنون بعلي لانه بمعني يختبرون
وقيل علي بمعني في وقيل علي بمعني البا وقيل يوم هم خبر مبتدا مضمر اي هو يوم هم والفتح
لما تقدم ويويد ذلك قراة ابن ابي عبلة والزعفراني يوم هم بالرفع وكذلك يويد القول
بالبدل وتقدم الكلام في مثل هذا في غافر قوله يوم هم علي النار يفتنون قال
ابن الخطيب يحتمل وجهين احدهما ان يكون جوابا عن قولهم ايان يقع فكما انهم لم يسالوا
سوال مستفهم طالب للعلم كذلك لم يجبهم جواب معلم مبين بل قال يوم هم علي النار هو
يفتنون لجهلهم بالثاني اقوي من جهلهم بالاول ولا يجوز ان يكون للجواب فالاحمق فلو
قال قايل متي يقدم زيد فلو اجيب بقوله يوم يقدم رفيقه ولا يعلم يوم قدوم الرفيق لم
يصح هذا الجواب الا اذا كان الكلام في صورة جواب ولا يكون جوابا كقول القايل لمن يعد
عداتا ويخلفها الي متي هذا الاخلاف فيغضب ويقول الي اسام يوم عليك فالكلامان
في صورة سوال وجواب ولا يريد بالاول السوال ولا الثاني يريد به الجواب فكذلك ههنا
قال يوم هم علي النار يفتنون مقابلة لاستهزايهم بالايعاد لا علي وجه الاتيان بالبيان
الثاني ان يكون ذلك ابتدا كلام تمامه في قوله ذوقوا فتنتكم فان قيل هذا يفضي الي
الاضمار فالجواب ان الاضمار لا بد منه لان قوله ذوقوا فتنتكم غير متصل بما قبله الا باضمار

يقال ذوقوا اي يقال لهم ذوقوا فتنتكم وهذا الذي كنتم مبتدا وخبر هذا هو الظاهر
وجوز الزمخشري ان يكون هذا بدلا من فتنتكم لانها بمعني العذاب ومعني فتنتكم عذابكم
هذا الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا تكذيبا به وهو قولهم ربنا عجل لنا قطنا وقولهم فاتنا
بما تعدنا ونظايره وقوله يسالون ايان يوم الدين فانه نوع استعجال بالقول ويحتمل ان يكون
المراد الاستعجال بالفعل وهو اصرارهم علي العناد واظهار الفساد فانه فانه يعجل العقوبة
قوله تعالي ان المتقين في جنات وعيون لما بين حال المجرمين بين بعده حال المتقين
والمتقي له مقامات ادناها ان يتقي الشرك واعلاها ان يتقي ما سوي الله وادني درجات
المتقي الجنة فما من مكلف اجتنب الكفر الا ويدخل الجنة قوله اخذين حال من الضمير في
قوله جنات وما اتاهم يعني مما في الجنة فيكون حالا حقيقة وقيل ما اتاهم من اوامره ونواهيه
فيكون في الدنيا فيكون حالا محكية لاختلاف الزمانين وجعل الجار هنا خبرا والصفة
فضلة وعكس هذا في قوله ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون قيل لان الخبر مقصود
الجملة والغرض هناك الاخبار عن تخليدهم لان المومن قد يدخل النار ولكن لا بد من
خروجه واما اية المتقين فجعل الظرف فيها خبرا لامنهم الخروج منها فجعل لذلك محط
الفايدة ليحصل لهم الطمانينة فانتصب الصفة حالا **فصل** اعلم انه تعالي
وحد الجنة تارة قال تعالي مثل الجنة واخري جمعها كقوله ههنا ان المتقين في جنات وتارة
ثناها قال تعالي ولمن خاف مقام ربه جنتان والحكمة فيه ان الجنة في توحيدها
لاتصال المنازل والاشجار والانهار جنة واحدة ولما جمعها فلانها بالنسبة الي الدنيا
وبالاضافة اليها جنات لا يحصرها عدد واما تثنيتها فسياتي في سورة الرحمن قال ابن
الخطيب غيرانا نقول ههنا ان الله تعالي عند الوعد وحد الجنة وكذلك عند الشرا
فقال ان الله اشتري من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وعند الاعطا جمعها
اشارة الي ان الزيادة في الوعد موجودة بخلاف ما لو وعد بجنات ثم يقول انه في جنة
لانه دون الوعد وقوله وعيون يقتضي ان يكون المتقي فيها ولا لذة في كون الانسان
في ما فالمعني في خلال العيون اي بين الانهار كقوله في جنات معناه بين الجنات وفي
خلالها لان الجنة هي الاشجار ونكرها مع كونها معرفة للتعظيم كقولك فلان رجل اي عظيم
في الرجولة ومعني اخذين اي قابضين ما اتاهم شيئا فشيئا ولا يستوفونه بكماله لامتناع
استيفا ما لا نهاية له وقيل معني اخذين اي قابلين قبول راض كقوله تعالي ويأخذ
الصدقات اي يأخذها قاله الزمخشري وقال ابن الخطيب وفيه وجه ثالث وهو ان
قوله في جنات يدل علي السكني حسب فاذا قال اخذين بلاد كذا او قلعة كذا اي دخلها
متملكا لها وكذا يقال لمن اشتري دارا وبستانا اخذه بثمن قليل اي تملكه وان لم يكن
هناك قبض يقول رضي وحينئذ فايدته بيان ان دخولهم فيها ليس دخول مستعير
او من يسترد منه ذلك بل هو ملكه الذي اشتراه بماله ونفسه من الله وقوله اتاهم
لبيان ان اخذهم ذلك لم يكن عنوة وانما ذلك باعطا الله وعلي هذا الوجه ما راجعة الي
الجنات والعيون وقوله انهم كانوا قبل ذلك محسنين اشارة الي انهم اخذوها بثمنها وملكوها
بالاحسان في الدنيا والاشارة بذلك اما لدخول الجنة واما لايتا الله واما ليوم الدين
والاحسان هو قول لا اله الا الله ولهذا قيل في معني كلمة التقوي انها لا اله الا الله وفي
قوله تعالي ومن احسن قولا ممن دعا الي الله وقوله هل جزا الاحسان الا الاحسان هو
الاتيان بكلمة لا اله الا الله قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وهذا كالتفسير
لكونهم محسنين وفيه اوجه احدها ان الكلام تم علي قليلا ولهذا وقف بعضهم علي قليلا
ليواخي بها قوله تعالي وقليل ما هم وقليل من عبادي الشكور ويبتدي من الليل ما يهجعون
اي ما يهجعون من الليل والمعني كانوا من الناس قليلا ثم ابتدا فقال ما يهجعون ه
وجعله جحدا اي لا ينامون بالليل البتة بل يقومون للصلاة والعبادة وهو قول
الضحاك ومقاتل وهذا لا يظهر من حيث المعني ولا من حيث الصناعة اما الاول فلا بد
ان يهجعوا ولا يتصور نفي هجوعهم واما الصناعة فلان ما في حيز النفي لا يتقدم عليه عند

البصريين هذا ان جعلتها نافية وان جعلتها مصدرية صار التقدير من الليل هجوعهم ولا
فايدة فيه لان غيرهم من سائر الناس بهذه المثابة الثاني ان تجعل ما مصدرية في محل
رفع بقليلا والتقدير كانوا قليلا هجوعهم الثالث ان تجعل ما المصدرية بدلا من اسم كان
بدل اشتمال اي كان هجوعهم قليلا ومن الليل على هذين لا يتعلق بيهجعون لان ما في حيز
المصدر لا يتقدم عليه على المشهور وبعض المانعين اغتفره في الظرف فيجوز هذا عنده
والمانع مقدر فعلا يدل عليه يهجعون اي يهجعون من الليل الرابع ان ما مزيدة ويهجعون
خبر كان والتقدير كانوا يهجعون من الليل هجوعا قليلا او زمنا قليلا فقليلا نعت لمصدر
او ظرف الخامس انها بمعنى الذي وعايدها محذوف تقديره كانوا قليلا من الليل الوقت
الذي يهجعونه وهذا فيه تكلف **فصل** قال ابن الخطيب قليلا منصوب على
الظرف تقديره يهجعون قليلا يقال قام بعض الليل فنصب بعض على الظرف وخبر كانوا
هو قوله يهجعون وما مزيدة هذا هو المشهور وفيه وجه اخر وهو ان يقال كانوا
قليلا معناه كانوا من الناس قليلا فيكون قليلا خبر كان وما يهجعون معناه نفي النوم
عنهم وهذا منقول عن الضحاك ومقاتل وانكر الزمخشري كون ما نافية وقال لا يجوز
ان تكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت ويجوز ان يعمل ما
بعد لم فيما قبلها تقول زيدا لم اضرب وذلك ان الفعل المتعدي انما يعمل في النفي حملا له
على الاثبات لانك اذا قلت ضرب زيد عمرا يثبت تعلق فعله بعمرو فاذا قلت ما ضربه لم
يوجد منه فعل حتى يتعلق به ويتعدى اليه لكن النفي محمول على الاثبات فاذا ثبت
هذا فالنفي بالنسبة الى الاثبات كاسم الفاعل بالنسبة الى الفعل فانه يعمل عمل الفعل
لكن اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل فلا تقول زيد ضارب عمرا امس وتقول
زيد ضارب عمرا غدا في اليوم والان لان الماضي لم يبق موجودا ولا متوقع الوجود فلا
يتعلق بالمفعول حقيقة لكن الفعل لقوته يعمل واسم الفاعل لضعفه لم يعمل فاذا عرف
هذا فقوله ما ضرب للنفي في الماضي فاجتمع فيه النفي والمضي فضعف واما لم اضرب
فان كان يقلب المستقبل يوجد فيه ما وجد في قول القايل زيد ضارب عمرا غدا فاعمل
قال ابن الخطيب غير ان القايل بذلك القول يقول قليلا ليس منصوبا بقوله يهجعون
وانما ذلك خبر كانوا قليلا **فصل** تقدم قليلا في الذكر ليس لمجرد السجع حتى
يقع يهجعون ويستغفرون في اواخر الايات بل لان الهجوع راحة لهم والمقصود بيان
اجتهادهم وتحملهم السهر لله تعالى فلا يناسبه تقديم راحتهم وقد يغفل السامع عما بعد
الكلام فيعتقد كونهم محسنين بسبب هجوعهم فتقدم قوله قليلا ليسبق الى الفهم اولا
قلة الهجوع وقوله من الليل اشارة الى ان الزمن الذي يهجع الناس فيه ولا يسهرون في
الطاعة الا متعبد مصل فان قيل الهجوع لا يكون الا بالليل والنوم نهارا لا يقال له
هجوع فالجواب ان ذكر العام وارادته التخصيص حسن تقول رايت حيوانا ناطقا
فصيحا واما ذكر الخاص وارادته بالعام فلا يحسن الا في بعض المواضع فلا تقول رايت
ناطقا فصيحا حيوانا واذا عرف هذا فقوله تعالى كانوا قليلا من الليل ذكر امرا هو كالعام
يحتمل ان يكون بعده كانوا من الليل يسبحون او يستغفرون او يسهرون او غير ذلك فلما
قال يهجعون فكانه خصص ذلك الامر العام المحتمل له ولغيره فازال الاحتمال فقوله
وبالاسحار متعلق بيستغفرون والبا بمعنى في وقدم متعلق الخبر على المبتدا لجواز
تقديم العامل **فصل** معنى قوله قليلا من الليل ما يهجعون اي يصلون
اكثر الليل وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني كانوا قل ليلة تمر بهم الا صلوا
فيها شيا اما من اولها واما من اوسطها وقال انس بن مالك كانوا يصلون ما بين
المغرب والعشا وقال محمد بن علي كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة وقال
مطرف بن عبد الله بن الشخير قل ليلة اتت عليهم هجعوها كلها وقال مجاهد كانوا
لا ينامون كل الليل وبالاسحار هم يستغفرون قال الحسن لا ينامون من الليل الا
اقله وربما نشطوا فمدوا الى السحر ثم اخذوا بالاسحار في الاستغفار وقال الكلبي

ومجاهد

ومجاهد ومقاتل وبالاسحار يصلون وذلك ان صلاتهم بالاسحار لطلب المغفرة روى ابو
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله الى السما كل ليلة حين يبقى ثلث
الليل فيقول انا الملك انا الملك من الذي يدعوني فاستجيب له من الذي يسالني فاعطيه
من الذي يستغفرني فاغفر له **فصل** قوله وبالاسحار هم يستغفرون اشارة
الى انهم كانوا يتهجدون ويجتهدون ثم يريدون ان يكون عملهم اكثر من ذلك واخلص منه
فهم يستغفرون من التقصير وهذه سيرة الكريم ياتي بابلغ وجوه الكرم ويستقله ويعتذر
من التقصير واللئيم ياتي بالقليل ويستكثره ويمن به وفي الاية لطايف الاولى انه
تعالى لما ذكر قلة هجوعهم والهجوع مقتضى الطبع قال يستغفرون اي من ذلك القدر
من النوم القليل الثانية انه تعالى مدحهم بقلة الهجوع ولم يمدحهم بكثرة السهر فلم يقل
كانوا كثيرا من الليل ما يسهرون مع ان السهر هو الكلفة والاجتهاد لا الهجوع وهذا اشارة
الى ان نومهم عبادة حيث مدحهم الله بكونهم هاجعين قليلا وذلك الهجوع اورثهم الاشتغال
بعبادة اخرى وهو الاستغفار بالاسحار ومنعهم من الاعجاب بانفسهم **فصل**
البا في قوله بالاسحار استعملت للظرف هنا وهي ليست للظرف قال بعض النحاة ان حروف
الجر يقرب بعضها عن بعض يقال في ظرف الزمان خرجت لعشر بقين وبالليل وفي شهر
رمضان فتستعمل اللام والبا وفي وكذلك في ظرف المكان تقول اقمت بمدينة كذا وفيها
ورايته ببلدة كذا وفيها قال ابن الخطيب والتحقيق فيه ان تقول الحروف لها معان
مختلفة كما ان الاسما والافعال كذلك غير ان الحروف غير مستقلة بافادة المعنى والاسم
والفعل مستقلان لكن بين بعض الحروف وبعضها تنافر وتباعد كما في الاسما والافعال
فان البيت والمسكن متخالفان متقاربان وكذلك مكث وسكن وكذلك كل اسمين او كل
فعلين يوجد فان بينهما تقارب وتباعد لان البا للالصاق واللام للاختصاص وفي هو
للظرف والمظروف مع المظروف ملتصق ومختص به اذا عرف هذا فنقول بين البا واللام
وفي مشاركة اما البا فلان الالصاق والتمكن في مكان ملتصق به متصل وكذلك الفعل
بالنسبة الى الزمان فاذا قال سار بالنهار معناه ذهب ذهابا متصلا بالنهار فقوله
وبالاسحار هم يستغفرون اي متصلا بالاسحار اخبر عن الاقتران وذلك ادل على وجود
الفعل مع اول جزء من اجزا الوقت من قوله في الليل لانه يستدعي احتواش الزمان
بالفعل وكذلك قول القايل اقمت ببلدة كذا يفيد انه كان مخالطا بالبلد وقوله اقمت
فيها يدل على احاطتها به فاذن قول القايل اقمت بالبلد ودعوت بالاسحار اعم من قوله
اقمت فيه لان القايم فيه قايم به والقايم به ليس قايما فيه واذا علم هذا فقوله
وبالاسحار هم يستغفرون اشارة الى انهم لا يخلون وقتا عن العبادة وانهم بالليل لا يهجعون
ومع اول جزء من السحر يستغفرون فيكون فيه بيان كونهم مستغفرين من غير ان يسبق
منهم ذنب لانهم وقت الانتباه لم يخلو لوقت للذنب ولا يطرد استعمال البا بمعنى في فلا
تقول خرجت بيوم الجمعة لان يوم الجمعة مع انه زمان فيه خصوصيات وتقييدات زايدة
على الزمان لانك اذا قلت خرجت نهارا وبليلة الجمعة لم يحسن ولو قلت خرجت بيوم
سعد وخرج بيوم نحس حسن فالنهار والليل لما لم يكن فيهما خصوص وتقييد جاز
استعمال البا فيهما فاذا قيدتهما وخصصتهما زال الجواز ويوم الجمعة لما كان فيه خصوص
لم يجز استعمال البا فيه والفعل حدث مقترن بزمان لا انا شيا عن الزمان فاذا زال
الخصوص وقلت خرجت بيوم سعد جاز واما في صحيح مطلقا لان ما حصل في العام
حصل في الخاص لان العام جزء داخل في الخاص فتقول في يوم الجمعة وفي هذه الساعة
واما اللام فتقدم الكلام عليها عند قوله والشمس تجري لمستقر لها **فصل** وفايدة
قوله هم قال الزمخشري فايدتها انحصار المستغفرين اي هم الكاملون في الاستغفار لا
غيرهم كقولك زيد هو العالم لكماله في العلم كانه تفرد به وايضا فلو عطف بدون هم لاوهم
انهم يستغفرون قليلا والاستغفار اما طلب المغفرة كقولهم ربنا اغفر لنا واما اتيانهم بعبادات
يتقربون بها طلبا للمغفرة واما ان يكون من باب قولهم استحصد الزرع اي ذلك اوان

المغفرة قوله وفي اموالهم حق معلوم للسايل والمحروم لما تقدم التعظيم لامر الله ثنى
بالشفقة على خلق الله واضاف الاموال اليهم لانه مدح لهم وقال في موضع اخر وانفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه لان ذلك تحريض وحث على النفقة وذلك يناسبه فان قيل
كون الحق في المال لا يوجب مدحا لان كون المسلم في ماله حق وهو الزكاة ليس صفة مدح
لان كل مسلم كذلك بل الكافر اذا قلنا انه مخاطب بفروع الشريعة في ماله حق وهو الزكاة
معلوم غير انه اذا اسلم سقط عنه وان مات عوقب على تركه الاداء وان ادى من غير اسلام
لا يقع الموقع فكيف يفهم كونه مدحا فالجواب انا نفسر السايل بمن يطلب جزا من المال
وهو الزكاة والمحروم من لا يطلب جزا معينا وهو طالب صدقة التطوع فكانه قال في ماله
زكاة وصدقة او يقال بان في للظرفية والمعنى انهم لا يجمعون المال ولا يجعلونه ظرفا
للحقوق والمطلوب من الظرف والمظروف انما هو المظروف وهذا مدح عظيم فان قيل لو
قيل ما لهم للسايل كان ابلغ فالجواب لا نسلم فان صرف جميع المال حتى تبقى فقيرا محتاجا
منهيا عنه وكذلك الصلاة والصوم والاقتصاد فيهما ابلغ لقوله عليه السلام ان هذا
الدين متين فادخلوا فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى **فصل**
في السايل والمحروم وجوه احدها ان السايل هو الادمي والمحروم كل ذي روح غيره من
الحيوانات المحترمة قال عليه السلام في كل كبد حرا اجر وهذا ترتيب حسن لان الادمي
مقدم على البهايم الثاني ان السايل هو الذي يسال والمحروم هو المتعفف يظن انه غني
فيحرم وقدم السايل لان حاله يعرف بسواله او يكون اشارة الى كثرة العطا فيعطي السوال
فاذا لم يجدهم يسال عن المحتاجين فيكون سايلا ومسوولا الثالث قدم السايل لتجانس
روس الاي **فصل** قال ابن عباس وسعيد بن المسيب السايل الذي يسال
الناس والمحروم الذي ليس له في الغنايم سهم ولا يجري عليه من الفي شي قال
قتادة والزهري المحروم المتعفف الذي لا يسال وقال زيد بن اسلم المحروم هو المصاب
ثمره او زرعه او نسل ماشيته وهو قول محمد بن كعب القرظي قال المحروم صاحب الجايحة
ثم قرا انا لمغرمون بل نحن محرومون قوله وفي الارض ايات للموقنين اذا ساروا
فيها من الجبال والبحار والثمار وانواع النبات تدلهم على ان الحشر كاين كقوله تعالى
ومن اياته انك ترى الارض خاشعة الى ان قال ان الذي احياها لمحيي الموتى ويحتمل
ان يكون المعنى وفي الارض ايات تدل على مدبر قادر قاهر يجب ان يعبد ويحذر فان
قيل كيف خصص الايات بالموقنين ولم يخصص في قوله واية لهم الارض الميتة احييناها
فالجواب ان القسم انما يكون مع المعاند في البرهان فهي لا ينتفع بالايات وانما ينتفع بها
الموقنون فكذلك انتم هاهنا فقال فورب السما والارض انه لحق وفي سورة
يس لم يوكد ذلك بالقسم الدال على المعاندة او يقال اطلقت هناك لان الموقن يتنبه
لامور كثيرة وكذلك قوله وفي انفسكم ايات دالة على ذلك اذ كانت نطفة ثم علقة ثم
مضغة ثم عظاما الى ان ينفخ فيها الروح وقال عطا عن ابن عباس يريد اختلاف
الالسنة والصور والالوان والطبايع وقال ابن الزبير يريد سبيل الغايط والبول
ياكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقوله افلا تبصرون قال مقاتل
افلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث قوله وفي انفسكم نسق على
في الارض فهو خبر عن ايات ايضا والتقدير وفي الارض وفي انفسكم ايات وقال ابو البقا
ومن رفع بالظرف جعل ضمير الايات في الظرف يعني من يرفع الفاعل بالظرف مطلقا اي
وان لم يعتمد يرفع بهذا المجاز فاعلا هو ضمير ايات وجوز بعضهم ان يتعلق بتبصرون
وهو فاسد لان الاستفهام والفا يمنعان جوازه وقرا قتادة اية بالافراد وقوله وفي
انفسكم يحتمل ان يكون المراد وفيكم يقال الحجارة في نفسها صلبة ولا يراد بها النفس التي
هي منبع الحيوة والحس والحركات ويحتمل ان يكون المراد وفي نفوسكم التي بها حياتكم ايات
وقوله افلا تبصرون بالاستفهام اشارة الى ظهورها قوله وفي السما رزقكم اي سبب
رزقكم وقرا حميد وابن محيصن رازقكم اسم فاعل والله تعالى متعال عن الجهة قال ابن

عباس

عباس ومجاهد ومقاتل يعني بالرزق المطر لانه سبب الارزاق وقيل في السما رزقكم مكتوب
وقيل تقدير الارزاق كلها من السما ولولاه لما حصل في الارض حبة قوت قوله وما توعدون
قال عطا من الثواب والعقاب وقال مجاهد من الخير والشر وقال الضحاك وما توعدون
من الجنة والنار فيكون المعنى على هذا وما توعدون لحق لقوله انما توعدون لصادق فان
قلنا ان المراد بقوله وما توعدون الجنة فهو من الوعد وان قيل المراد العذاب فيكون
الخطاب مع الكفار قوله فورب السما والارض انه لحق الضمير اما للقران واما للدين واما
لليوم في قوله وان الدين لواقع ويوم هم ويوم الدين واما للنبي صلى الله عليه وسلم ودخلت
الفا بمعنى ان ما توعدون لحق بالبرهان المبين ثم بالقسم واليمين او للعطف على قوله
والذاريات مع اعادة المقسم عليه لوقوع الفصل واقسم اولا بالمخلوقات وهاهنا بربها ترقيا
من الادنى الى الاعلى قوله مثل ما قرا الاخوان وابو بكر مثل بالرفع وفيه ثلثة اوجه
احدها انه خبر ثان مستقل كالاول والثاني انه مع ما قبله خبر واحد كقولك هذا حلو
حامض نقلهما ابو البقا والثالث انه نعت لحق وما مزيدة على الاوجه الثلثة وانكم مضاف
اليه اي لحق مثل نطقكم ولا يضر تقديرها اضافتها الى المعرفة لانها لا تتعرف بذلك لابهامها والباقون
بالنصب وفيه اوجه اشهرها انه نعت لحق ايضا كما في القراة الاولى وانما بني الاسم لاضافته
الى غير متمكن كما بناه الاخر في قوله

• فتداعى منخراه بدم • مثل ما اثمر حماض الجبل •

بفتح مثل مع انها نعت لدم وكما بنيت غير في قوله •

لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت • حمامة في غصون ذات اوقال •

غير فاعل يمنع فبناها على الفتح لاضافتها الى ان نطقت وقد تقدم في قراة لقد تقطع بينكم
بالفتح ما يغني عن تقرير مثل هذا الثاني ان مثل ركب مع ما حتى صار شيا واحدا قال
المازني ومثله ويحما وهيما وايما وانشد لحميد بن ثور •

• الا هيما مما لقيت وهيما • وويحا لمن لم يدر ما هن ويحما •

قال فلولا البنا لكان منونا وانشد ايضا • فاكرم بنا اما واكرم بنا ابنما •

وهذا الذي ذكره ذهب اليه بعض النحويين وانشد •

• اثور ما صيدكم ام ثورين • ام هذه الجماء ذات القرنين •

واما ما انشده من قوله واكرم بنا ابنما فليس من هذا الباب لان هذا ابن زيدت عليه
الميم واذا زيدت عليه الميم جعلت النون تابعة للميم في الحركات على الفصيح فتقول هذا
ابنم ورايت ابنما ومررت بابنم فتجري حركات الاعراب على الميم وتتبعها النون وابنما في البيت
منصوب على التمييز فالفتح لاجل النصب لا للبنا وليس هذه ما الزايدة بل الميم وحدها
زايدة والالف بدل من التنوين الثالث انه منصوب على الظرف وهو قول الكوفيين
ويجيزون زيد مثلك بالفتح ونقله ابو البقا عن ابي الحسن ولكن بعبارة مشكلة فقال ويقرا
بالفتح وفيه وجهان احدهما هو معرب ثم في نصبه اوجه ثم قال او على انه مرفوع الموضع ولكنه
فتح كما فتح الظرف في قوله لقد تقطع بينكم على قول الاخفش ثم قال والوجه الثاني
هو مبني وقال ابو عبيدة بعض العرب يجعل مثل نصبا ابدا فيقولون هذا رجل مثلك الرابع
انه منصوب على اسقاط الجار وهو كاف التشبيه وقال الفرا العرب تنصبها اذا رفع بها الاسم
يعني المبتدا فيقولون مثل من عبد الله وعبد الله مثلك وانت مثله لان الكاف قد تكون
داخلة عليها فتنتصب اذا القيت الكاف قال شهاب الدين وفي هذا نظر اي حاجة الى
تقدير دخول الكاف ومثل تفيد فايدتها وكانه لما راى ان الكاف قد دخلت عليها في قوله
ليس كمثله شي قال ذلك الخامس انه نعت لمصدر محذوف اي لحق حقا مثل نطقكم
السادس انه حال من المضمر في لحق لانه قد كثر الوقف بهذا المصدر حتى جرى مجرى الاوصاف
المشتقة والعامل فيها حق السابع انه حال من نفس حق وان كان نكرة وقد نص سيبويه
من كتابه على جوازه وتابعه ابو عمر وعلى ذلك وما هذه في مثل هذا التركيب نحو قولهم
هذا حق كما انك هاهنا لا يجوز حذفها فلا يقال هذا حق كانك هاهنا نص على ذلك

الخليل رحمه الله فاذا جعلت مثل معربة كانت ما مزيدة وانكم في محل خفض بالاضافة كما تقدم
واذا جعلتها مبنية اما للتركيب واما الاضافة فيها الى غير متمكن جاز في ما هذه وجهان الزيادة
وان تكون نكرة موصوفة كذا قال ابو البقا وفيه نظر لعدم الوصف هنا فان قال هو محذوف
فالاصل عدمه وايضا فنصوا على ان هذه الصفة لا تحذف لابهام موصوفها واما انكم تنطقون
فيجوز ان يكون مجرورا بالاضافة ان كانت ما مزيدة وان كانت نكرة كان في موضع نصب باضمار
اعني او رفع باضمار مبتدا **فصل** المعنى فورب السما والارض انه لحق اي ما ذكرت
من امر الرزق لحق مثل ما انكم تنطقون فتقولون لا اله الا الله وقيل شبه تحقيق ما اخرج
بتحقيق نطق الادمي كقولك انه لحق كما انت هنا وانه لحق كما انك تتكلم والمعنى انه في
صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة قال بعض الحكما ان كل انسان ياكل رزق نفسه
الذي قسم له ولا يقدر ان ياكل رزق غيره وقيل معناه ان القران لحق تكلم به الملك النازل
من السما مثل ما تتكلمون قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين هذا
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتبشير له بالفرج وسماهم ضيفا لانه حسبهم كذلك ويقع
على الواحد والجمع لانه مصدر وسماهم مكرمين اي عند الله او لان ابراهيم عليه السلام اكرمهم
بانه عجل قراهم واجلسهم في اكرم المواضع واختار ابراهيم لكونه شيخ المرسلين وكون النبي
عليه السلام مامورا بان يتبع ملته كما قال تعالى واوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم وقيل
سماهم مكرمين لانهم كانوا ضيف ابراهيم عليه السلام وكان ابراهيم اكرم الخليقة وضيف
الكرام مكرمون وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد لان ابراهيم عليه السلام خدمهم بنفسه وعن
ابن عباس سماهم مكرمون لانهم جاوا غير مدعوين وقال عليه السلام من كان يومن بالله
واليوم الاخر فليكرم ضيفه فان قيل اذا كان المراد من الاية التسلية والانذار فاي فايدة
في حكاية الضيافة فالجواب ليكون ذلك اشارة الى ان الفرج على الانبيا والبلا على الجهلة
ياتي من حيث لم يحتسبوا كقوله تعالى فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فلم يكن عند
ابراهيم عليه السلام خبر من انزال العذاب مع ارتفاع منزلته وقد تقدم عددهم في سورة هود
قوله اذ دخلوا في العامل في اذ اربعة اوجه احدها انه حديث اي هل اتاك حديثهم
الواقع في وقت دخولهم عليه الثاني انه منصوب بما في ضيف ابراهيم من معنى الفعل لانه
في الاصل مصدر ولذلك استوى فيه الواحد المذكر وغيره كانه قيل الذين اضافهم في وقت
دخولهم عليه الثالث انه منصوب بالمكرمين ان اريد باكرامهم ان ابراهيم اكرمهم بخدمته لهم
كانه تعالى يقول اكرموا اذ دخلوا الرابع انه منصوب باضمار اذكر فلا يجوز نصبه باتاك لاختلاف
الزمانين وقرا العامة المكرمين بتخفيف الرا من اكرم وعكرمة بالتشديد فان قيل هم ارسلوا
للعذاب بدليل قوله انا ارسلنا الى قوم مجرمين وهم لم يكونوا من قوم ابراهيم عليه السلام بل
كانوا من قوم لوط فالحكمة في مجيئهم الى ابراهيم عليه السلام فالجواب من وجهين الاول
ان ابراهيم عليه السلام شيخ المرسلين ولوط من قومه ومن عادة الملك اذا ارسل رسول الملك
وفي طريقه من هو اكبر منه يقول له اعبر على فلان الملك واخبره برسالتك وخذ فيها رايه
الثاني ان ابراهيم عليه السلام كان شديد الشفقة حليما فكان يشق عليه اهلاك امة عظيمة
وكان ذلك مما يحزن ابراهيم عليه السلام شفقة منه على العباد فقال لهم بشروه بغلام يخرج
من صلبه اضعاف من يهلك ويكون من صلبه خروج الانبيا عليهم السلام قوله فقالوا سلاما
قال سلام العامة على نصب سلاما الاول ورفع الثاني فاما نصب الاول فالمشهور انه
السلام التحية اي نسلم سلاما ويحتمل ان سلاما معناه حسنا اي قالوا كلاما حسنا لانه كلام
سلم به المتكلم من ان يلغوا وياثم فكانهم قالوا قولا حسنا سلموا به من الاثم فيكون مفعولا به
لانه في معنى القول كما قيل في قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اذ هو مفعول بفعل
محذوف اي بلغك سلاما ولم يقولوا من الله شفقة على قلب ابراهيم فاتوا به مجملا ثم فسروه
بعد ذلك واما رفع الثاني فالمشهور انه التحية فهو مبتدا وخبره محذوف اي عليكم ويحتمل انه
السلام هذا اي امري سلام لاني لا اعرفكم او قولكم سلام اي بيني عنا السلامة وانتم قوم منكرون فما
خطبكم واما الفرق بين النصب والرفع فان حملنا السلام على التحية فانه مبتدا مع انه نكرة بتها

علي اصله لانه النصب لان المعنى اسلم سلاما وعليكم لبيان المسلم عليه لاحظ له في الاعراب
واصل الكلام اسلم سلاما فالنصب اصل تقدم على الرفع الذي هو فرع وايضا فان ابراهيم ابلغ
لانه اتى بالجملة الاسمية الدالة على الثبات بخلاف الفعلية فانها تدل على التجدد والحدوث ولهذا
يستقيم قولنا الله موجود الان ولا يستقيم قولنا الله وجد الان واما ان قلنا معناه حسنا او
ذا سلامة فمعناه قلتم حسنا وانتم منكرون فالمبنى الامر علي واما ان قلنا معناه المتاركة
فمعناه سلمتم علي وانا امري متاركة لاني لا اعلم حالكم وهنه ولذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
وقال فاصفح عنهم وقل سلام لان سلامهم على الجاهلين لا ينبح التعرض لهم بخلاف النبي صلى الله
عليه وسلم فمعناه سلم امري متاركة الى ان ياتي امر الله وتقدم تحرير نظير هذه الاية في سورة هود
وتقدم ايضا خلاف القرا في سلام بالنسبة الى فتح سينه وكسرها والى سكون لامه وفتحها وقريا
مرفوعين وقري سلاما قالوا سلما بكسر سين الثاني ونصبه ولا يخفى توجيه ذلك مما تقدم في هود
ودخلت الفا هنا اشارة الى انهم لم يخلوا بادب الدخول بل جعلوا السلام عقيب الدخول قوله
قوم منكرون خبر مبتدا اضمر فقدره انتم قوم ولم يستحسنه بعضهم لان فيه عدم الانس فمثله لا يقع
من ابراهيم عليه السلام فالاولى ان يقدر هولا قوم او هم قوم وتكون مقالته هذه مع اهل بيته
وخاصته لا لنفس الضيف لان ذلك يوحشهم وقال المفسرون قوم منكرون اي غربا لا نعرفكم قال
ابن عباس قال في نفسه هولا قوم لا نعرفهم وقيل انما انكر امرهم لانهم دخلوا عليه من غير استيذان
وقال ابو العالية انكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض فان قيل قال في سورة هود فلما
راي ايديهم لا تصل اليه نكرهم فدل ان انكاره حصل بعد تقريب العجل اليهم وههنا قال فقالوا
سلاما قال سلام قوم منكرون ثم قال فراغ الى اهله بفا التعقيب وذلك يدل على ان تقريب
الطعام منهم بعد حصول انكاره فما وجهه فالجواب ان يقال لعلهم كانوا مخالفين لصفة الناس
في الشكل والهيئة ولذلك قوم منكرون اي عند كل احد واشترك ابراهيم عليه السلام وغيره فيه
ولهذا لم يقل انكرتكم بل قال انتم منكرون في انفسكم عند كل احد ثم لما امتنعوا عن الطعام تاكد
الانكار لان ابراهيم عليه السلام تفرد بمشاهدة امتناعهم فنكرهم فوق الانكار الاول وحكاية الحال في
سورة هود ابسط مما ذكره ههنا فان ههنا لم يبين المبشر به وهناك ذكره باسمه وهو اسحاق وههنا
لم يقل ان القوم قوم من وهناك قال قوم لوط **فصل** ذكر ههنا من اداب الضيافة
تسليم الضيف على المضيف ولقاه بالوجه الحسن والمبالغة في الاكرام بقوله سلام وهو اكد
وسلامهم بالمصدر وفي قوله سلام بالرفع زيادة على ذلك ولم يقل سلام عليكم لان الامتناع من
الطعام يدل على العداوة والعذر لا يليق بالانبيا فقال سلام اي امري مسالمة ثم فيها من اداب
المضيف تعجيل الضيافة فان الفا في قوله فراغ يدل على التعقيب واخفاوها لان الروغان
يقتضي الاخفا وغيبة المضيف عن الضيف ليستريح وياتي بما يحبه لحياته ثم يخدم الضيف بنفسه
ويختار الاجود لقوله سمين ويقدم الطعام للضيف في مكانه لا ينقل الضيف للطعام لقوله فقربه
اليهم ويعرض الاكل عليه لا يامره لقوله الا تاكلون ولم يقل كلوا وسروره باكله لا كما يوجد في بعض
البخلا الذين يحضرون طعاما كثيرا ويجعل نظره ونظر اهل بيته الى الطعام حتى يمسك الضيف
يده عنه لقوله فاوجس منهم خيفة بعدم الاكل ومن اداب الضيف اذا حضر الطعام ولم يكن
يصلح له لكونه مضرا به او يكون ضعيف القوة عن هضم ذلك الطعام فلا يقول هذا طعام غليظ
لا يصلح لي بل ياتي بعبارة حسنة ويقول بي مانع من اكل الطعام لانهم اجابوه بقولهم لا تخف
ولم يذكروا في الطعام شيا ولانه يضرهم بل بشروه بالولد اشعارا بانهم ملايكة وبشروه بالاشرف
وهو الذكر حيث فهموه انهم ليسوا ممن ياكلون ثم وصفوه بالعلم دون المال والجمال لان العلم
اشرف الصفات ثم ادب اخر في البشارة وهو ان لا يخبر الانسان بما يسره دفعة واحدة لانه
يورث مرضا لانهم جلسوا واستانس بهم ابراهيم ثم قالوا نبشرك وتقدم الكلام على فايدة تقديم
البشارة قوله فراغ اي عدل ومال الى اهله وقوله فجا عطف على فراغ ونسه عنه واضح
بعجل سمين اي مشوي لقوله في مكان اخر بعجل حنيذ فقربه اليهم ليا كلوا فلم ياكلوا قال الا تاكلون
والهمزة في الا تاكلون للانكار عليهم في عدم الاكل او للعرض او للتخصيص فاوجس منهم خيفة
قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم قوله فاقبلت امراته في صرة قيل لم يكن ذلك اقبالا من

مكان الي مكان وانما هو كقول القايل قالت يا ويلتي وذلك انها كانت مع زوجها في حديثهم
بولاد لها استحت واعرضت عنهم فذكر الله تعالي ذلك بلفظ الاقبال علي الاهل ولم يقل بلفظ
الادبار عن الملايكة قوله في صرة يجوز ان يكون حالا من الفاعل اي كاينة في صرة والصرة قيل
الصيحة قال امري القيس • فالحقنا بالهاديات ودونها • جواهر في صرة لم تزيل •
قال الزمخشري من صر الجندب والباب والقلم اي ضاحت كما جرت عادة النسا اذا سمعن شيا من
احوالهن يصحن صيحة معتادة لهن عند الاستحيا او التعجب ويحتمل ان يقال تلك الصيحة كانت
بقولها يا ويلتي ومحلها النصب علي الحال اي جات صارة ويجوز ان يتعلق باقبلت اي اقبلت
في جماعة نسوة كن معها والصر الجماعة من النسا قوله فصكت وجهها قال ابن عباس لطمت وجهها
واختلف في صفته فقيل هو الضرب باليد مبسوطة وقيل هو ضرب الوجه باطراف الاصابع فعل
المتعجب وهي عادة النسا اذا انكرن شيا واصل الصك ضرب الشي بالشي العريض قوله عجوز
خبر مبتدا مضمر اي انا عجوز عقيم فكيف الد بفرها الا بناالاخر واستبعدت ذلك لكبر سنها ولعقمها
فانها كانت لا تلد في صغرها وعنفوان شبابها ثم عجزت وايست واستبعدت ذلك ظنا منها ان
ذلك منهم علي سبيل الدعا فكانها قالت بالتكلم دعوتم دعا قريبا من الاجابة فاجابوها بان ذلك
من الله تعالي وان هذا ليس بدعا وانما هو قول الله كذلك قال ربك ثم دفعوا استبعادها
بقولهم انه هو الحكيم العليم قوله كذلك منصوب علي المصدر يقال الساس اي مثل ذلك
القول الذي اخبرناك به قال ربك اي انه من جهة الله تعالي فلا يتعجبي منه قال ابن الخطيب
وقال ههنا الحكيم العليم وفي سورة انه حميد مجيد لان الحكاية في هود ابسط فذكروا ما يدفع
استبعادها بقولهم اتعجبين من امر الله ثم ارشدوها الي القيام بشكر نعم الله بقولهم حميد فان
الحميد هو الذي يفعل الافعال الحسنة والمجيد اشارة الي انه الذي لا يحمد لفعله وانما يحمد لذاته
وههنا لما لم يقولوا اتعجبين اشاروا الي ما يدفع تعجبها بقولهم حكيم عليم فالحميد يتعلق بالفعل
والمجيد يتعلق بالذات وكذلك الحكيم هو الذي فعله قاصدا اليه فان من يتفق له فعل في نوعه
علي حسنه فانت لا يعد حكيما واما اذا قصد فعلها بحيث يسلم من نهشها يقال له حكيم والعليم
صفة راجعة الي الذات فقدم وصف الفعل وارتقي درجة الي وصف الذات اشارة الي انه
يستحق الحمد وان لم يفعل فعلا قوله قال فما خطبكم ايها المرسلون هذا ايضا من اداب الضيف
اذا بادر الضيف للخروج قال له ما هذه العجلة وما شانك لان في سكوته ما يوهم باستثقاله
ثم انهم اتوا بما هو من ادب الصديق الذي لا يسر عن الصديق شيا وكان ذلك باذن الله لهم
في اطلاع ابراهيم عليه السلام فان قيل فما الذي اقتضي ذكره بالفا ولم لا قال علي اهلكهم
وجبر قلبه بتقديم البشارة بالنبي اسحاق عليه السلام فان قيل فما الذي اقتضي ذكره
بالفا ولم لا قال ما هذا الاستعجال وما خطبكم المعجل لكم فالجواب انه لما اوجس منهم خيفة
لوخرجوا من غير بشارة وايناس ما كان يقول شيا فلما انسوه قال ما خطبكم اي بعد هذا
الانس العظيم ما هذا الايحاش الاليم **فصل** والخطب يستعمل في الامر العظيم ولذلك
قال فما خطبكم اي لعظمتكم لا ترسلون الا في امر عظيم ولو قال بلفظ مركب بان يقول ما شغلكم
الخطير وامركم العظيم لزم التطويل فالخطب افاد التعظيم مع الايجاز وعرف انهم مرسلون
بقولهم انا ارسلنا او بقولهم لامراته كذلك قال ربك لحكايتهم قول الله تعالي وقالوا في
سورة هود انا ارسلنا الي قوم لوط وقال ههنا الي قوم مجرمين لان الحكاية عن معني قولهم
ويحتمل انهم قالوا الامرين ولما حكي لفظهم في السلام اتي في الموضعين بصفة واحدة والمجرم
قال ابن عباس هو المشرك لان الشرك اكبر الذنوب واعظمها وقال ابن الخطيب المجرم هو
الاتي بالذنب العظيم لان الجرم فيه دلالة علي العظم ومنه جوم الشي لعظمه ومقداره قوله
لنرسل عليهم حجارة من طين فيه دليل علي رجم اللايط والفايدة في ارسال جماعة من
الملايكة لهذا الامر وان كان يكفي فيه الواحد منهم ان الملك العظيم قد يهلك بالامر الحقير
كما اهلك النمرود بالبعوض وكما اهلك بالقمل والجراد بل بالريح التي بها الحياة اظهارا للقدرة
وقد يكثر الاسباب كما في يوم بدر امر خمسة الاف من الملايكة باهلاك اهل بدر مع قلتهم
اظهارا لعظيم قدرته وقوله من طين اي ليبين انها ليست من البرد والفاعل لذلك هو الله تعالي لا كما

يقول الحكما فانهم يقولون ان البرد يسمي حجارة فقوله من طين يدفع ذلك الوهم قال ابن
الخطيب ان بعض من يدعي العقل يقول لا ينزل من السما الا حجارة من طين مدورات علي هيئة
البرد وهيئة البنادق التي يتخذها الرماة قالوا وسبب ذلك ان الاعصار يصعد الغبار من الفلوات
العظيمة التي لا عمارة فيها والرياح تسوقها الي بعض البلاد ويتفق ذلك الي هوا ندي فيصير
طينا رطبا والرطب اذا نزل وتفرق استدار بدليل انك اذا رميت الما الي فوق ثم نظرت اليه ينزل
كرات مدورات كاللالي الكبار ثم في النزول ان اتفق ان تضربها النيران التي في الجو جعلته حجارة
كالاجر المطبوخ فينزل فيصيب من قدر الله هلاكه وقد ينزل كثيرا في المواضع التي لا عمارة بها
فلا يري ولا يدري به فلهذا قال من طين لانها لا يكون من طين كالحجر الذي في الصواعق لا يكون
كثيرا بحيث يمطر وهذا تعسف لان ذلك الاعصار لما وقع فان وقع لحادث اخر لزم التسلسل
ولا بد من الانتها الي محدث ليس بحادث فذلك المحدث لا بد وان يكون فاعلا مختارا والمختار
له ان يفعل ذلك وله ان يخلق الحجارة من طين احمر من غير نار ولا غبار ولكن العقل لا طريق
له الي الجزم بطريق احداثه وما لا يصل العقل اليه فلا يوخذ الا بالنقل والنص ومن المعلوم
ان نزول حجارة الطين من السما اغرب واعجب من غيرها قوله مسومة فيه ثلاثة اوجه احدها
انه منصوب علي النعت لحجارة والثاني انه حال من الضمير المستكن في الجار وقبله الثالث انه
حال من حجارة وحسن ذلك كون النكرة وصفت بالجار بعدها ومعني مسومة قيل علي كل
حجر منها اسم صاحبه وقيل خلقت واعدت لتعذيبهم وقيل مرسلة للمجرمين لان الارسال
يقال في التسويم يقال ارسلها لترعي كما قيل في الخيل المسومة اي مستغني عنها قوله عند
ربك ظرف لمسومة اي معلمة عنده والمسرف المتمادي ولو في الصغاير فهم مجرمون مسرفون
وهنا لطيفة وهي ان الحجارة سومت للمسرف المصر الذي لا يترك الذنب في المستقبل وذلك انما
يعلمه الله تعالي فلذلك قال عند ربك للمسرفين ولما كان الاجرام ظاهرا قالوا انا ارسلنا
الي قوم مجرمين واللام في المسرفين لتعريف العهد اي لهولا المسرفين اذ ليس لكل مسرف
حجارة مسومة واسرافهم بانهم اتوا بما لم يسبقهم به احد من العالمين قوله فاخرجنا من
كان فيها من المومنين هذه الاية تدل علي بيان القدرة والاختيار لانه تعالي لما ميز
المجرم عن المحسن دل علي الاختيار وايضا فيها بيان ان بتركه المحسن ينجو المسي فان القرية
ما دام فيها المومنون لم تهلك والضمير في فيها عايد الي القرية وهي معلومة وان لم تكن مذكورة
والمعني فاخرجنا من كان في قري قوم لوط من المومنين وذلك قوله فاسر باهلك بقطع
من الليل وقوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين يعني لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالي
بالايمان والاسلام جميعا لانه ما من مومن الا وهو مسلم وفيه اشارة الي ان الكفر اذا غلب
والفسق اذا فشا لا ينفع معه عبادة المومنين بخلاف ما لو كان اكثر الخلق علي الطريقة
المستقيمة وفيهم شرذمة يسيرة يسرقون ويزنون ومثاله ان العالم كالبدن ووجود الصالحين
كالاغذية الباردة والحارة والسموم الواردة عليه الضارة ثم ان البدن ان خلا عن
المنافع وفيه الضار هلك وان خلا عن المضار وفيه النافع طاب ونما وان وجدا فيه
فالحكم للغالب واعلم ان اطلاق العام علي الخاص لا مانع منه لان المسلم اعم من المومن فاذا
سمي المومن مسلما لا يدل علي اتحاد مفهوميهما فكانه تعالي قال اخرجنا المومنين فما وجدنا
الاعم منهم الا بيتا من المسلمين ويلزم من هذا ان لا يكون هناك غيرهم من المومنين قوله
وتركنا فيها اية يجوز ان يعود الضمير علي القرية اي تركنا في القرية علامة اي عبرة
كالحجارة او الما المنتن ويجوز ان يعود علي الاهلاك المفهوم من السياق وقوله للذين
يخافون اي ما ينتفع بها الا الخايف كقوله تعالي في سورة العنكبوت لقوم يعقلون ومعني
الاية ان الاية تدلهم علي ان الله اهلكهم فيخافون مثل عذابهم قوله تعالي وفي موسي
فيه اوجه اظهرها انه عطف علي قوله فيها باعادة الجار لان المعطوف عليه ضمير مجرور
فيتعلق بتركنا من حيث المعني ويكون التقدير وتركنا في قصة موسي اية وهذا واضح
والثاني انه معطوف علي قوله في الارض ايات وفي الارض وفي موسي ايات للموقنين
قاله الزمخشري وابن عطية قال ابو حيان وهذا بعيد جدا ينزه القران عن مثله قال

شهاب الدين وجه استبعاده له بعدما بينهما وقد فصل اهل العلم هذا في اكثر من ذلك
والثالث انه متعلق بجعلنا مقدرة لدلالة وتركنا قال الزمخشري او على قوله يعني او
يعطف على قوله وتركنا فيها اية على معنى وجعلنا في موسى اية كقوله فعلفتها تبنا
وماء باردا قال ابو حيان ولا حاجة الى اضمار وجعلنا لانه قد امكن ان يكون العامل في
المجرور وتركنا قال شهاب الدين والزمخشري انما اراد الوجه الاول بدليل قوله وفي
موسى معطوف على وفي الارض او على قوله وتركنا فيها اية وانما قال على معنى من
جهة تفسير المعنى لا الاعراب وانما اظهر الفعل تنبيها على مغايرة الفعلين يعني ان هذا
الترك غير ذاك الترك ولذلك ابرزه بمادة الجعل دون مادة الترك لتظهر المخالفة الرابع
ان يعطف على هل اتاك حديث ضيف ابراهيم تقديره وفي حديث موسى اذ ارسلناه وهو
مناسب لان الله جمع كثيرا بين ذكر ابراهيم وموسى عليهما السلام كقوله تعالى ام لم ينبأ
بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى وقال في صحف ابراهيم وموسى قاله ابن الخطيب

فصل والمعنى ذلك في ابراهيم تسلية وفي موسى او للمؤمنين في لوط وقومه
عبرة وفي موسى وفرعون او تفكروا في ابراهيم ولوط وقومهما وفي موسى وفرعون او
تفكروا هذا ان عطفناه على معلوم وان عطفناه على مذكور فقد تقدم انفا والسلطان
المبين الحجة الظاهرة قوله اذ ارسلناه يجوز في هذا الظرف ثلاثة اوجه احدها ان
يكون منصوبا باية على الوجه الاول اي تركنا في قصة موسى علامة في وقت ارسلنا
اياه الثاني انه يتعلق بمحذوف لانه نعت لاية اي اية كائنة في وقت ارسالنا الثالث انه
منصوب بتركنا قوله بسلطان يجوز ان يتعلق بنفس الارسال وان يتعلق بمحذوف
على انه حال اما من موسى واما من ضميره اي ملتبسا بسلطان وهو الحجة والمبين المفارق
بين سحر الساحرين وامر المرسلين ويحتمل ان يكون المراد بالمبين اي بالبراهين التي حاج
بها فرعون قوله فتولى بركنه الجار والمجرور حال من فاعل تولى ومعنى تولى ادبر عن
الايمان والبا للمصاحبة والمراد بالركن اي بجمعه وجنوده الذين كانوا يتقوى بهم
كالركن الذي يتقوى به البنيان كقوله تعالى او اوي الى ركن شديد وقيل البا للتعدية
فيكون بمعنى تقوى بجنده ويحتمل ان يكون المراد تولى امر موسى بقوته كانه اقتل
موسى لئلا يبدل دينكم فتولى امره بنفسه فيكون المفعول غير مذكور وركنه هو نفسه
القوية ويحتمل ان يكون المراد بركنه هامان فانه كان وزيره قوله ساحر او مجنون
او هنا على بابها من الابهام على السامع او للشك نزل نفسه مع انه يعرفه نبيا حقا منزلة
الشاك في امره تمويها على قومه وقال ابو عبيدة او بمعنى الواو قال لانه قد قالها قال
تعالى ان هذا لساحر عليم وقال في موضع اخر ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويجي
او بمعنى الواو كقوله • اثعلبة الفوارس او رياحا • عدلت بهم طهية والخشابا •
ورد الناس عليه هذا وقالوا لا ضرورة تدعوا الى ذلك واما الايتان فلا يدلان على انه
قالهما معا وانما يفيدان انه قالهما اعم من ان يكونا معا او هذه في وقت وهذه في اخر قوله
وجنوده يجوز ان يكون معطوفا على مفعول اخذناه وهو الظاهر وان يكون مفعولا
معه فنبذناهم في اليم اغرقناهم في البحر قوله وهو مليم جملة حالية فان كانت حالا
من مفعول نبذناهم فالواو لازمة اذ ليس فيها ذكر يعود على صاحب الحال وان كانت حالا
من مفعول اخذناه فالواو ليست واجبة اذ في الجملة ذكر يعود عليه وقد يقال ان الضمير
في نبذناهم يعود على فرعون وعلى جنوده فصار في الحال ذكر يعود على بعض ما شمله
الضمير الاول وفيه نظر اذ يصير نظير قولك جا السلطان وجنوده فاكرمتهم راكبا فرسه
فتجعل راكبا حالا من بعض ما اشتمل عليه ضمير اكرمتهم **فصل** ومعنى مليم اي اتى
بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسول قوله تعالى وفي عاد اذ ارسلنا
الكلام عليه قد تقدم على نظيره واعلم ان المراد بهذه الحكايات تسلية قلب النبي عليه
السلام وتذكيره بحال الانبيا فان قيل لم لم يذكر في عاد وثمود انبياهم كما ذكر ابراهيم وموسى
ولوطا عليهم السلام فالجواب انه ذكرت ست حكايات حكاية ابراهيم وبشارته وحكاية قوم

لوط ونجاة من كان فيها من المؤمنين وحكاية موسى ففي هذه الحكايات الثلاث ذكر الرسل
والمؤمنين لان الناجين بهم كانوا كثيرين فاما في حق ابراهيم وموسى فظاهر واما في حق
لوط فلان الناجين وان كانوا اهل بيت واحد لكن المهلكين كانوا ايضا اهل بقعة واحدة
واما عاد وثمود وقوم نوح فكان عدد المهلكين بالنسبة الى الناجين اضعاف المهلكين من قوم
لوط عليه السلام فذكر الحكايات الثلاث الاول للتسلية بالنجاة وذكر الثلاث المتاخرة
للتسلية باهلاك العدو والكل مذكور للتسلية بدليل قوله تعالى في اخر هذه الايات
كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون الى ان قال فتول
عنهم فما انت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المومنين وقال في سورة هود بعد الحكايات
ذلك من انبا القرى نقصه عليك الى ان قال وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة
ان اخذه اليم شديد قوله اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وهي التي لا خير فيها ولا بركة ولا
تلقح شجرا ولا تحمل مطرا لانها كانت تكسر وتقلع فكيف تلقح واعلم ان الفعيل لا يلحق به تا
التانيث اذا كان بمعنى فاعل في بعض الصور وقد تقدم ذكر سببه وهو ان فعيل لما جا للمفعول
والفاعل جميعا ولم يتميز المفعول عن الفاعل فاولى ان لا يتميز المونث عن المذكر فيه لانه لتمييز
الفاعل عن المفعول قبل تمييز المذكر عن المونث لان الفاعل جزء من الكلام محتاج اليه والمفعول
فيه فايدة اكيدة وان لم يكن جزءا من الكلام محتاجا اليه فاول ما يحصل في الفعل الفاعل ثم
التذكير والتانيث يصير كالصفة للفاعل تقول فاعل وفاعلة ومفعول ومفعولة ويدل على
ذلك ايضا ان التمييز بين الفاعل والمفعول حصل بحرف ممازج للكلمة فقيل فاعل بفاصل بين
الفا والعين التي هي من اصل الكلمة وقيل مفعول بواو فاصلة بين العين واللام والتانيث
كان بحرف في اخر الكلمة فالمميز فيهما غير نظم الكلمة لشدة الحاجة لم يوثر فلان التمييز في
الفاعل والمفعول كان بامرين يختص كل واحد منهما باحدهما فالالف بعد الفا تختص بالفاعل
والميم والواو يختص بالمفعول والتمييز في التذكير والتانيث بحرف واحد وجوده يميز
المونث وعدمه يبقي اللفظ على اصل التذكير فاذا لم يكن فعيل يمتاز فيه الفاعل عن
المفعول الا بامر منفصل كذلك المونث والمذكر لا يمتاز احدهما عن الاخر بحرف متصل به قوله
ما تذر من شي فيه وجهان احدهما انه نصب على انه صفة للريح بعد صفة العقيم قاله
الواحدي فان قيل كيف يكون وصفا والمعرف لا يوصف بالجمل وما تذر جملة فلا يوصف بها
النكرات فالجواب من وجهين الاول ان يكون باعادة الريح تقديرا كانه يقول وارسلنا
عليهم الريح العقيم ريحا ما تذر الثاني انها لم تكن معهودة صارت منكرة كانه يقول وارسلنا
لم تكن من الرياح التي تقع ولا وقع مثلها فهي لشدتها منكرة وهذا اكثر ما ذكرت في القران
منكرة ووصفت بالجملة كقوله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب وقوله ريح صرصر
عاتية سخرها عليهم الى غير ذلك الوجه الثاني انه نصب على الحال جاني ما يفهم شيئا فنعمته
وفهمته اي حالة كذا فان قيل لم يكن حال الارسال ما تذر والحال ينبغي ان يكون موجودا
مع ذي الحال وقت الفعل فلا يجوز ان يقال جاني زيد امس راكبا غدا والريح بعدما ارسلت
بزمان صارت ما تذر شيئا فالجواب ان المراد به بيان الصلاحية اي التي ارسلناها على
قوة وصلاحية ان لا تذر وتقول لمن جا واقام عندك اياما ثم سالك شيئا جئتني سائلا اي
وقت السؤال بالصلاحية والامكان هذا ان قيل بانه نصب على المشهور ويحتمل انه رفع
خبر مبتدا محذوف تقديره هي ما تذر فان قيل ما تذر للنفي حال التكلم يقال ما خرج زيد
الى الان واذا اردت المستقبل تقول لا تخرج او لن تخرج وتقول للماضي ما خرج ولم يخرج
والريح حالة الكلام مع النبي عليه السلام كانت ما تركت من شي الا جعلته كالرميم فكيف قال بلفظ
الحال ما تذر فالجواب ان الحكايات مقدرة على انها محكية حال الوقوع كقوله تعالى وكلبهم
باسط ذراعيه بالوصيد مع ان اسم الفاعل بمعنى الماضي لا يعمل وانما يعمل ما كان منه بمعنى
الحال والاستقبال فان قيل هل في قوله تعالى ما تذر من شي اتت عليه تخصيص كما في قوله
تعالى تدمر كل شي بامر ربها فالجواب ان المراد به المبالغة لان قوله اتت عليه وصف لقوله
شي كانه قال كل شي اتت عليه او كل شي تاتي عليه ولا تدخل فيه السموات لانها ما اتت

عليه وانما ترحلى فيه الاجسام التي تهب عليها الرياح فان قيل فالجبال والصخورات عليه وما
جعلته كالرميم فالجواب ان المراد اتت عليه قاصدة له وهو عاده وابنيتهم وعروشهم لانها
كانت مامورة بامرهن عند الله فكانها كانت قاصدة لهم فما تركت شيا من تلك الاشيا الا جعلته
كالرميم قوله الا جعلته كالرميم هذه الجملة في موضع المفعول الثاني لتذر كانه قيل ما
تترك من شي الا مجعولا نحو ما تركت زيدا الا عالما واعربها ابو حيان حالا وليس بظاهر **فصل**
المعنى ما تذر مما تترك من شي اتت عليه من انفسهم واموالهم وانعامهم الا جعلته كالرميم اي كالشي
الهالك البالي وهو نبات الارض اذا يبس ودبس قال مجاهد كالتبن اليابس وقال ابو العالية
كالتراب المدقوق وقيل اصله من العظم البالي قوله تعالى وفي ثمود كما تقدم الكلام في
قوله وفي موسي وقوله اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين قال بعض المفسرين المراد منه هو ما
امهلهم الله بعد عقرهم الناقة وهو ثلثة ايام في قوله تعالى تمتعوا في داركم ثلثة ايام
وكان في تلك الايام تتغير الوانهم فتصفر وتحمر وتسود قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لان
قوله تعالى فعتوا عن امر ربهم حتى يتعدى تارة بعلى كقوله تعالى ايهم اشد على الرحمن
عتيا وهنا استعمل بعن لان فيه معنى الاستكبار فهو كقوله لا يستكبرون عن عبادته وحيث
استعمل بعلى فهو كقولك فلان يتكبر علينا قوله فاخذتهم الصاعقة هذه قراة العامة
وقرا الكسائي الصعقة والحسن الصاقعة وتقدم ذلك في البقرة وقوله وهم ينظرون جملة
حالية من المفعول وينظرون قيل من النظر وقيل من الانتظار اي ينتظرون ما وعدوه
من العذاب ولا قدروا على نهوض قال قتادة ولم ينهضوا من تلك الصرعة وقوله من
قيام بدل قوله من هرب لان العاجز عن القيام اولى ان يعجز عن الهرب ويحتمل ان يكون المراد
منه من القيام بالامر اي ما استطاعوا من قيام به وما كانوا منتصرين اي منتقمين منا
قال قتادة ما كان عندهم من قوة يمتنعون بها من الله قوله تعالى وقوم نوح قرا الاخوان
وابو عمرو بجر الميم والباقون بنصبها وابو السماك وابن مقسم وابو عمرو في رواية الاصمعي
وقوم بالرفع واما الخفض ففيه اربعة اوجه احدها معطوف على وفي عاد الرابع انه
معطوف على وفي ثمود وهو الظاهر لقربه وبعد غيره ولم يذكر الزمخشري غيره فانه قال
قرئ بالجر على معنى وفي قوم نوح وتقويه قراة عبد الله وفي قوم نوح اي لكم عبرة ولم
يذكر ابو البقا غير الوجه الاخير لظهوره واما النصب ففيه ستة اوجه احدها انه منصوب
بفعل مضمر اي واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه الثاني انه منصوب باذكر مقدرا
ولم يذكر الزمخشري غيرهما الثالث انه منصوب عطفا على مفعول فاخذتهم الرابع انه
معطوف على نبذناهم في اليم اي اغرقناهم وناسب ذلك ان قوم نوح مغرقون من قبل لكن
يشكل انهم لم يغرقوا في اليم واصل العطف ان يقتضي التشريك في المتعلقات الخامس انه
معطوف على مفعول فاخذتهم الصاعقة وفيه اشكال لانهم لم تاخذهم الصاعقة وانما
اهلكوا بالغرق الا ان يراد بالصاعقة الداهية والنازلة العظيمة من اي نوع كانت فيقرب
ذلك السادس انه معطوف على محل وفي موسي نقله ابو البقا وهو ضعيف واما الرفع
فعلى الابتدا والخبر مقدر اي اهلكناهم وقال ابو البقا والخبر ما بعده يعني من قوله انهم
كانوا قوما فاسقين ولا يجوز ان يكون مراده قوله من قبل اذ الظرف ناقص فلا يخبر به
قوله والسما بنيناها العامة على النصب على الاشتغال وكذلك قوله والارض فرشناها
والتقدير وبنينا السما بنيناها وقال ابو البقا اي ورفعنا السما فقدر الناصب من غير
لفظ الظاهر وهذا انما يصار اليه عند تعذر التقدير الموافق لفظا نحو زيدا مررت به
وزيدا ضربت غلامه واما في نحو زيدا ضربته فلا يقدر الا ضربت زيدا وقرا ابو السماك
وابن مقسم برفعهما على الابتدا والخبر ما بعدهما والنصب ارجح لعطف جملة الاشتغال على جملة
فعلية قبلها قوله بايد يجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال وفيها وجهان احدهما انه حال
من فاعل بنيناها اي ملتبسين بايد اي بقوة قال تعالى عبدنا داود ذا الايد الثاني
انها حال من مفعوله اي ملتبسة بقوة ويجوز ان تكون الباء للسبب اي بسبب قدرتنا ويجوز
ان تكون الباء معدية مجازا على ان يجعل الايد كالالة المبني بها كقولك بنيت بيتك بالاجر

قوله وانا لموسعون يجوز ان تكون الجملة حالا من فاعل بنيناها ويجوز ان يكون حالا من
مفعوله ومفعول موسعون محذوف اي موسعون بناها ويجوز ان لا يقدر له مفعول لان معناه
لقادرون كقولك ما في وسعي كذا اي ما في طاقتي وقوتي كقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها
قال ابن عباس وعنه ايضا لموسعون الرزق على خلقنا وقيل ذو سعة قال الضحاك اغنيا
دليله قوله تعالى على الموسع قدره قال ابن الخطيب ويجوز ان يكون من السعة اي اوسعناها
بحيث صارت الارض وما يحيط بها من الما والهوا بالنسبة الى سعتها داخل فيها والبنا الواسع
الفضا عجيب فان القبة الواسعة لا يقدر عليها البناوون لانهم يحتاجون الى اقامة ما يصح بها
استدارتها ويثبت بها تماسك اجزائها الى ان يتصل بعضها ببعض فقوله وانا لموسعون بيان
للاعراب في الفعل **فصل** والحكمة في كثرة ذكر البنا في السموات كقوله تعالى والسما وما
بناها وقوله ام السما بناها وقوله والسما بنا ان السما باقية الى قيام الساعة لم يسقط منها شي ولم
يعدم منها جزء واما الارض فهي في التبدل والتغير كالفرش الذي يبسط ويطوى وينقل والسما
كالبنا المبني الثابت كما اشار اليه بقوله سبعا شدادا واما الاراضي فكم صارت بحرا وعادت
ارضا من وقت حدوثها وايضا فالسما ترى كالقبة المبنية فوق الروس والارض مبسوطة
مدحوة وذكر البنا بالمرفوع اليق كقوله تعالى رفع سمكها وقال بعض الحكما السما مسكن الارواح
والارض موضع الاعمال والمسكن اليق بكونه بنا والله اعلم فان قيل ما الحكمة في تقديم المفعول
على الفعل ولو قال وبنينا السما بايد كان اوجز فالجواب قال ابن الخطيب لان الصنع قبل
الصانع عند الناظر في المعرفة فلما كان المقصود اثبات العلم بالصانع قدم الدليل وقال والسما
المبنية التي لا تشكون في بنيانها فاعرفوا بها ان كنتم لا تعرفوننا فان قيل اذا كان اثبات
التوحيد فكيف قال بنيناها ولم يقل بنيتها ولا بناها الله فالجواب ان قوله بنيناها ادل
على عدم الشريك لان الشركة ضعيفة فان الشريك يمنع شريكه عن التصرف والاستبداد وقوله
بنيناها يدل على العظمة وبين العظمة والضعف تناف فبين قوله بنينا وبين ان يكون شريك
منافاة وتقريره ان قوله تعالى بنينا لا يورث ايهاما بان الالهة التي كانوا يعبدونها هي التي
يرجع اليها الضمير لان تلك اما اصنام منحوتة واما كواكب جعلوا الاصنام على صورها وطبايعها
فاما الاصنام المنحوتة فلا يشكون انها ما مست من السما شيا واما الكواكب فهي في السما محتاجة
اليها فلا يكون هي بانيها وانما يقال بنيت لها وجعلت اماكنها فلما لم يتوهم ما قالوا قال بنينا نحن
غير ما تقولون وتدعونه فلا يصلحون لنا شركا لما بين ان قولهم لا يوهم شريكا اصلا لان كل
ما هو غير السما فهو محتاج الى السما ودون السما في المرتبة فلا يكون خالقا للسما ولا بانيها
فعلم ان المراد جمع التعظيم فافاد النص عظمة والعظمة انفى للشريك فعلم ان قوله بنيناها ادل
على نفي الشريك من بنيتها وبناها الله فان قيل لم لم يقل بنيناها بايدينا كما قال مما عملت ايدينا
فالجواب ان ذلك لفايدة جليلة وهي ان السما لا يخطر ببال احد انها مخلوقة غير الله والانعام
ليست كذلك فقال هناك عملت ايدينا تصريحا بان الحيوان مخلوق لله تعالى من غير واسطة
وكذلك خلقت بيدي وفي السما قال بايد من غير اضافة لاستغنايها عنها وفيه لطيفة اخرى وهي
ان هناك لما اثبت الاضافة لم يعد الضمير العايد الى المفعول فلم يقل خلقته بيدي ولا قال عملته
ايدينا وقال ههنا بنيناها لان هناك لم يخطر ببال احد ان الشان غير مخلوق وان الحيوان
غير معمول فلم يقل خلقته ولا عملته واما السما فبعض الجهال يزعم انها غير مجعولة فقال بنيناها
يعود الضمير تصريحا بانها مخلوقة قوله والارض فرشناها اي بسطناها ومهدناها وفيه دليل
على ان خلق الارض بعد خلق السما لان بنا البيت يكون في العادة قبل الفرش قوله فنعم الماهدون
المخصوص بالمدح محذوف لفهم المعنى اي نحن كقوله فنعم العبد قال ابن عباس معناه الباسطون
اي نعم ما وطات لعبادي قوله ومن كل شي يجوز ان يتعلق بخلقنا اي خلقنا من كل شي زوجين
وان يتعلق بمحذوف على انه حال من زوجين لانه في الاصل صفة له اذ التقدير خلقنا زوجين
كاينين من كل شي والاول اقوى في المعنى **فصل** المعنى خلقنا زوجين صنفين ونوعين
مختلفين كالسما والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والشتا
والصيف والجن والانس والذكر والانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة

والحق والباطل والحلو والمر لعلكم تذكرون فتعلمون ان خالق الازواج واحد لا شريك له لا يعجز
عن حشر الاجساد وجمع الارواح قوله ففروا الى الله اي فاهربوا من عذاب الله الى ثوابه بالايمان
والطاعة قال ابن عباس فروا منه اليه واعملوا بطاعته وقال سهل بن عبد الله فروا مما سوى
الله الى الله اني لكم منه نذير مبين وهذا اشارة الى الرسالة قوله ولا تجعلوا مع الله الها اخر
اتماما للتوحيد لان التوحيد بين التعطيل والتشريك لان المعطل يقول لا اله اصلا والمشرك
يقول بوجود اله اخر والموحد يقول قول الاثنين باطل لان نفي الواحد باطل والقول بالاثنين
باطل فلما قال تعالى ففروا الى الله اثبت وجود الله فلما قال ولا تجعلوا مع الله الها اخر نفي الاكثر
من واحد فصح القول بالتوحيد بالاثنين ولهذا قال مرتين اني لكم منه نذير مبين اي في هذين
المقامين والموضعين قوله كذلك فيه وجهان اظهرهما انه خبر مبتدا محذوف اي الامر مثل
ذلك قال الزمخشري والاشارة بذلك الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا او مجنونا ثم فسر
ما اجمل بقوله ما اتى والثاني ان الكاف في محل نصب نعتا لمصدر محذوف قاله مكي ولم يبين
تقديره ولا يصح ان ينتصب بما بعده لاجل ما النافية واما المعنى فلا يمتنع ولذلك قال
الزمخشري ولا يصح ان تكون الكاف منصوبة باتى لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها
ولو قيل لم يات لكان صحيحا يعني لو اتى في موضع ما لم لجاز ان ينتصب الكاف باتى لان المعنى
يسوغ عليه والتقدير كذبت قريش تكذيبا مثل تكذيب الامم السالفة رسلهم ويدل عليه
قوله ما اتى الذين من قبلهم الاية قوله الا قالوا الجملة القولية في محل نصب على
الحال من قبلهم ومن رسول فاعل اتى كانه قيل ما اتى الاولين رسول الا في حال قولهم
هو ساحر فان قيل ان من الانبياء من قرر دين النبي الذي كان قبله وبقي القوم على ما
كانوا عليه كانبياء بني اسرائيل وكيف وادم لما ارسل لم يكذب فالجواب انا لا نسلم ان المقرر
رسول بل هو نبي على دين رسول ومن كذب رسوله فهو يكذبه ايضا ضرورة فان قيل قوله
ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا يدل على انهم كلهم قالوا ساحر والامر ليس
كذلك لانه ما من رسول الا وامن به قوم وهم ما قالوا ذلك فالجواب ان ذلك ليس بتام فانه
لم يقل الا قال كلهم وانما قال الا قالوا ولما كان كثير منهم قايلين ذلك قال الله تعالى الا
قالوا فان قيل فلم لم يذكر المصدقين كما ذكر المكذبين وقال الا قال بعضهم صدقت وبعضهم
كذبت فالجواب لان المقصود التسلية وهي على التكذيب فكانه تعالى قال لا تاس على تكذيب
قومك فان اقواما قبلك كذبوا ورسلا كذبوا قوله اتواصوا به الاستفهام للتعجب والتوبيخ
والضمير في به يعود على القول المدلول عليه بقالوا اي اتواصى الاولون والاخرون بهذا
القول المتضمن او مجنون والمعنى كيف اتفقوا على قول واحد كانهم تواطوا عليه وقال بعضهم
لبعض لا تقولوا الا هذا واوصى اولهم اخرهم بالتكذيب ثم قال لم يكن ذلك التواطي قوله
وانما كان المعنى جامع وهو ان الكل اترفوا فاستغنوا فنسوا الله وطغوا فكذبوا رسله
قال ابن عباس حملهم الطغيان فيما اعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيبك قوله فتول
عنهم فاعرض عنهم فما انت بملوم لا لوم عليك قد اديت الرسالة وما قصرت فيما امرت به
وهذه تسلية اخرى قال المفسرون لما نزلت هذه الاية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاشتد ذلك على اصحابه وظنوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر اذ امر النبي صلى
الله عليه وسلم ان يتولى عنهم فانزل الله وذكر فان الذكرى تنفع المومنين فطابت انفسهم
والمعنى ليس التولي مطلقا بل تول واقبل واعرض وادع فلا التولي يضرك اذا كان عليهم
ولا التذكير يضيع اذا كان مع المومنين قال مقاتل معناه عظ بالقران كفار مكة فان
الذكرى تنفعهم قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون هذا الجار متعلق بخلقت
واختلف في الجن والانس قيل المراد بهم العموم والمعنى الا لامرهم بالعبادة وليقروا بها وهذا
منقول عن علي بن ابي طالب ويويده وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا ويكون المعنى ليطيعون
وينقادوا لقضاي فالمومن يفعل ذلك طوعا والكافر كرها فكل مخلوق من الجن والانس
خاضع لقضا الله متذلل لمشيته لا يملك احد لنفسه خروجا عما خلق عليه او يكون المعنى
الا معدين للعبادة ثم منهم من يتاتى منه ذلك ومنهم لا كمن لك هذا القلم بريته للكتابة ثم قد

يكتب

يكتب به وقد لا يكتب وقيل المراد به الخصوص اي ما خلقت السعدا من الجن والانس الا
لعبادتي والاشقيا منهم الا لمعصيتي قاله زيد بن اسلم قال هو ما جبلوا عليه من السعادة والشقاوة
ويويده قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقال مجاهد يعني الا ليعرفون قال
البغوي وهذا احسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده بدليل قوله ولين سالتهم
من خلقهم ليقولن الله وقيل الا ليعبدون اي الا ليوحدون فاما المومن فيوحده في الشدة
والرخا واما الكافر فيوحده في الشدة والبلا دون النعمة والرخا قال تعالى فاذا ركبوا
في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقيل المراد وما خلقت الجن والانس المومنين وقيل
الطايعين قال شهاب الدين والاول احسن **فصل** في تعلق الاية بما قبلها ان
بعثة الانبيا منحصرة في امرين عبادة الله وهداية الخلق فلما قال تعالى فتول عنهم فما
انت بملوم بين ان الهداية قد سقطت عند الياس واما العبادة فهي لازمة للخلق المطلق
وليس الخلق المطلق للهداية وقيل انه لما بين حال من قبله في التكذيب ذكر هذه الاية
لتبيين سو صنيعهم حيث تركوا عبادة الله الذي خلقهم للعبادة فان قيل ما الحكمة في
انه لم يذكر الملايكة مع انهم من اصناف المكلفين وعبادتهم اكثر من عبادة غيرهم من المكلفين
قال تعالى بل عباد مكرمون وقال لا يستكبرون عن عبادته فالجواب من وجوه احدها
انه تقدم انها سيقت لبيان قبح ما يفعله الكفرة من ترك ما خلقوا له وهذا مختص بالجن
والانس لان الكفر موجود في الجن والانس بخلاف الملايكة الثاني ان النبي عليه السلام
كان مبعوثا الى الجن والانس فلما قال وذكر بين ما يذكر به وهو كون الخلق للعبادة وخص
امته بالذكر اي ذكر الانس والجن الثالث ان عبادة الاصنام كانوا يقولون بان الله تعالى
عظيم الشان خلق الملايكة وجعلهم مقربين فهم يعبدون الله وخلقهم لعبادته ونحن
لنزول درجتنا لا نصلح لعبادة الله فنعبد الملايكة وهم يعبدون الله كما قالوا انما نعبدهم
ليقربونا الى الله فقال تعالى ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولم يذكر الملايكة لان
الامر فيهم كان مسلما من القوم فذكر المتنازع فيه الرابع فعل الجن يتناول الملايكة لان
اصل الجن من الاستتار وهم مستترون عن الخلق فذكر الجن لدخول الملايكة فيهم قوله
ما اريد منهم من رزق اي ان يرزقوا احدا من خلقي ولا ان يرزقوا انفسهم وما اريد ان يطعمون
اي يطعموا احدا من خلقي وانما اسند الاطعام الى نفسه لان الخلق عيال الله ومن اطعم
عيال احد فقد اطعمه قال عليه السلام يقول الله تعالى استطعمتك فلم تطعمني اي لم تطعم
عبدي **فصل** استدل المعتزلة بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
على ان افعال الله تعالى معللة بالاغراض واجيبوا بوجوه تقدمت ومنها ان اللام قد
تثبت لغير الغرض كقوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس وقوله فطلقوهن لعدتهن
ومعناه المقارنة فيكون معناه قرنت الخلق بالعبادة اي خلقتهم وفرضت عليهم العبادة
ومنها قوله تعالى وخالق كل شي ومنها ما يدل على ان الاضلال بفعل الله كقوله تعالى
يضل من يشا وامثاله ومنها قوله تعالى لا يسيل عما يفعل وقوله يفعل ما يشا ويحكم ما يريد
وقوله تعالى ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ومعناه ان النفع يعود اليهم
لا الي فان قيل ما الفايدة في تكرير الارادة مع انه من لا يريد من احد رزقا لا يريد ان
يطعمه فالجواب ان السيد قد يطلب من العبد المكتسب له فيطلب منه الرزق وقد يكون
للسيد مال وافر يستغني به عن التكسب لكنه يطلب من العبد قضا حوايجه واحضار الطعام
بين يديه فقال لا اريد تلك ولا هذا وقدم طلب الرزق على طلب الاطعام بالذكر مع ان المراد
من باب الارتقا من الادنى الى الاعلى فان قيل ما فايدة تخصيص الاطعام بالذكر مع ان المراد
عدم طلب فعل منهم غير التعظيم فالجواب انه لما عمم النفي في المطلب الاول بقوله من رزق وذلك
اشارة الى التعميم بذكر الاطعام ونفي الذي يستتبعه نفي الاعلى بطريق الاولى فكانه قال
ما اريد منهم من عين ولا عمل فان قيل المطالب لا ينحصر فيما ذكره فان السيد قد يشتري العبد
لا لطلب عمل منه ولا لطلب رزق ولا للتعظيم بل يشتريه للتجارة فالجواب ان عموم قوله ما
اريد منهم من رزق يتناول ذلك قوله ان يطعمون قيل فيه حذف مضاف اي يطعموا خلقي

كما تقدم في التفسير وقيل المعنى ان ينفعون بغير بعض وجوه الانتفاعات لان العادة السائدة
ان ينتفعوا بالعبيد وهو والله مستغني عن ذلك قوله ان الله هو الرزاق يعني لجميع خلقه وهذا
تقرير لعدم طلب الرزق وقوله ذو القوة تقرير لعدم طلب العمل لان من يطلب رزقا يكون فقيرا
محتاجا ومن يطلب عملا يكون عاجزا لا قوة له فكانه يقول ما اريد منهم من رزق فاني انا الرزاق ولا
العمل فاني قوي وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا اني انا الرزاق وقرا ابن محيصن الرازق
كما تقدم في قرائته وفي السماء رازقكم وقوله المتين العامة على رفعه وفيه اوجه اما النعت للرزاق
واما النعت لذو واما النعت لاسم ان على الموضع وهو مذهب الجرمي والفرا وغيرهما واما خبر بعد
خبر واما خبر مبتدا مضمر وعلى كل تقدير فهو تاكيد لان ذو القوة يفيد فايدته وقرا يحيى بن وثاب
والاعمش المتين بالجر فقيل صفة للقوة وانما ذكر وصفها لكون تانيثها غير حقيقي وقيل لانه
في معنى الايد وقال ابن جني هو خفض على الجوار كقولهم هذا جحر ضب خرب يعني انه صفة للمرفوع
وانما جر لما جاور مجرورا وهذا مرجوح لامكان غيره والجوار لا يصار اليه الا عند الحاجة **فصل**
قال تعالى ما اريد ولم يقل اني رازق بل قال على الحكاية عن الغايب ان الله هو الرزاق فما الحكمة
فيه قال ابن الخطيب نقول قد روي ان النبي عليه السلام قرا اني انا الرزاق واما على القراة
المشهورة فالمعنى قل يا محمد ان الله هو الرزاق ويكون من باب الالتفات من التكلم الى الغيبة
او يكون قل مضمرا عند قوله ما اريد منهم اي قل يا محمد ما اريد منهم من رزق فيكون بمعنى قوله
قل ما اسالكم عليه من اجر ويكون على هذا قوله تعالى ان الله هو الرزاق ولم يقل القوي
بل قال ذو القوة لان المقصود تقرير ما تقدم من عدم ارادة الرزق وعدم الاستعانة
بالغير لكن في عدم طلب الرزق لا يكفي كون المستغني بحيث يرزق احدا فان كثيرا من الناس
يرزق ولده وعبده ويسترزق والملك يرزق الجند ويسترزق فاذا اكثر منه الرزق قل منه
الطلب لان المسترزق منه يكثر الرزق لا يسترزق مرزوقه فلم يكف ذلك المقصود يحصل الا
بالمبالغة في وصف الرزاق فقال الرزاق واما ما يغني عن الاستعانة بالغير فهو دون
ذلك لان القوي اذا كان في غاية القوة يعين الغير فاذا كان دون ذلك لا يعين غيره ولا
يستعين به استعانة قوية بل استعانة ما يتفاوت بعد ذلك ولما قال وما اريد ان يطعمون
كفاه بيان نفس القوة دون افادة القوي لان ذلك فقال ذو القوة لان قولنا ذو القوة في
افادة معنى القوي دون افادة القوي لان ذلك لا يقال في الوصف اللازم يقال في الادمي
ذو مال ومموّل وذو جمال وجميل وذو خلق حسن الى غير ذلك مما لا يلزم لزوما بينا ولا
يقال في الثلاثة ذات فردية ولا في الاربعة ذات زوجية ولهذا لم يرد في الاوصاف
الحقيقية علم يسمع ذو الوجود ولا ذو الحيوة ولا ذو العلم ويقال في الانسان ذو علم وذو
حياة لانها فيه عرض عارض لا لازم بين وفي صفات الفعل قال الله تعالى ذو الفضل كثيرا
لان ذا بمعنى صاحب والصحبة لا يفهم منها اللزوم فضلا عن اللزوم البين ويويد هذا
قوله تعالى وفوق كل ذي علم عليم فجعل غيره ذا علم ووصف نفسه بالفعيل فبين ذا
العلم والعليم فرق كذلك بين ذي القوة والقوي ويويده ايضا قوله تعالى فاخذهم
الله انه قوي وقوله الله لطيف بعباده يرزق من يشا وهو القوي العزيز وقال لاغلبن
انا ورسلي ان الله قوي عزيز لان هذه الصورة كان المراد بها بيان القيام بالافعال
العظيمة وههنا المراد عدم الاحتياج ومن لا يحتاج الى الغير يكفيه من القوة ادنى قدر ومن
يستبد بالفعل لا بد له من قوة عظيمة لان عدم الحاجة قد يكون بترك الفعل والاستغنا
عنه **فصل** قوله المتين لان ذو القوة كما تقدم الاعلى انه له قوة ما فزاد في الوصف
المتانة وهو الذي له ثبات لا يتزلزل وهو مع المتين من باب واحد لفظا ومعنى فان
معنى متن الشي هو اصله الذي عليه ثباته والمتن هو الظهر الذي عليه اساس البدن
والمتانة مع القوة كالعزة مع القوي حيث قرن العزة مع القوة في قوله قوي عزيز وقوله
القوي العزيز والله اعلم قوله فان للذين ظلموا ذنوبا قد تقدم الكلام على الفا في
وجه التعلق والمراد بالذين ظلموا كفار مكة ومعنى ذنوبا اي نصيبا من العذاب مثل
ذنوب اصحابهم اي مثل نصيب اصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود والذنوب

في الاصل الدلو العظيمة المملوءة ماء وفي الحديث فاتي بذنوب من ماء فان لم تكن ملأى فهو
دلو ثم عبر به عن النصيب قال علقمة

• وفي كل حي قد خبطت بنعمة • فحق لشاس من نداك ذنوب •

ويجمع في القلة على اذنبة وفي الكثرة على ذنايب وقال الملك لما انشد هذا البيت نعم
واذنبة وقال الزمخشري الذنوب الدلو العظيمة وهذا تمثيل اصله في السقاة يقتسمون
الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال الشاعر

• لنا ذنوب ولكم ذنوب • فان ابيتم فلنا القليب •

وقال الراغب الذنوب الدلو الذي له ذنب انتهى فراعى الاشتقاق والذنوب ايضا الفرس
الطويل الذنب وهو صفة على فعول والذنوب لحم اسفل المتن ويقال يوم ذو ذنوب اي طويل
الشر استعارة من ذلك قوله فلا يستعجلون اي بالعذاب ووجه مناسبة الذنوب ان العذاب
منصب عليهم كما يصب الذنوب قال تعالى يصب من فوق رؤوسهم الحميم وقال صبوا فوق راسه
من عذاب الحميم والذنوب كذلك فكانه قال يصب فوق روسهم ذنوبا من العذاب كذنوب صب
فوق روس اولئك ووجه اخر وهو ان العرب يستقون من الابار على النوبة ذنوبا فذنوبا
وذلك وقت عيشهم الطيب فكانه تعالى قال ان للذين ظلموا من الدنيا وطيبها نصيبا ذنوبا اذا امتلا
لا يكون لهم في الاخرة من نصيب كما كان عليه حال اصحابهم استقوا ذنوبا وتركوها وعلى هذا
فالذنوب ليس بعذاب ولا هلاك وانما هو رغد العيش قال ابن الخطيب وهو اليق بالعربية
قوله فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون يعني يوم القيمة وقيل يوم بدر وحذف
العايد لاستكمال شروطه اي يوعدونه روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة الذاريات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة والطور مكية

وهي تسع واربعون اية وثلثمائة واثنتي عشرة كلمة والف وخمسماية حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والطور وما بعده اقسام جوابها ان عذاب ربك لواقع والواوات التي بعد
الاولى عواطف لا حروف قسم كما تقدم في اول هذا الكتاب عن الخليل ونكر الكتاب تفخيما
وتعظيما **فصل** مناسبة هذه السورة لما قبلها من حيث الافتتاح بالقسم وبيان
الحشر فيهما واول هذه السورة مناسب لاخر ما قبلها لان في اخرها قوله تعالى فويل للذين كفروا
وفي اول هذه السورة فويل يومئذ للمكذبين وفي اخر تلك السورة قوله تعالى فان للذين
ظلموا ذنوبا وذلك اشارة الى العذاب وقال ههنا ان عذاب ربك لواقع **فصل**
قيل المراد بالطور الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام بالارض المقدسة اقسم الله به
وقيل هو الجبل الذي قال الله تعالى وطور سينين وقيل هو اسم جنس والمراد بالكتاب
المسطور كتاب موسى عليه السلام وهو التورية وقيل الكتاب الذي في السما وقيل
صحايف اعمال الخلق قال تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وقيل القران
والمراد بالمسطور المكتوب قوله في رق يجوز ان يتعلق بمسطور اي مكتوب في رق وجوز
ابو البقا ان يكون نعتا اخر لكتاب وفيه نظر لانه يشبه تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه والرق
بالفتح الجلد الرقيق يكتب فيه وقال الراغب الرق ما يكتب فيه شبه الكاغد انتهى فهو اعم من
كونه جلدا او غيره ويقال فيه رق بالكسر فاما ملك العبيد فلا يقال الا رق بالكسر وقال
الزمخشري الرق الصحيفة وقيل الجلد الذي يكتب فيه انتهى وقد غلط بعضهم من يقول
كتبت في الرق بالكسر وليس بغلط لثبوته به لغة وقد قرا ابو السمال في رق بالكسر فان قيل
ما الفايدة في قوله تعالى في رق منشور وعظمة الكتاب بلفظه ومعناه لا بخطه ورقه
فالجواب ان هذا اشارة الى الوضوح لان الكتاب المطوي لا يعلم ما فيه فقال في رق منشور
اي ليس كالكتب المطوية اي منشور لكم لا يمنعكم احد من مطالعته قوله والبيت المعمور قيل

هو بيت في السما العليا تحت العرش بحيال الكعبة يقال له الضراح حرمته في السماء كحرمة
الكعبة في الارض يدخله كل يوم سبعون الفا من الملائكة يطوفون به ويصلون فيه ثم لا
يعودون اليه ابدا ووصفه بالعمارة لكثرة الطايفين به من الملائكة وقيل هو بيت الله الحرام
وهو معمور بالحجاج الطايفين به وقيل اللام في البيت المعمور لتعريف الجنس كانه اقسم بالبيوت
المعمورة والعماير المشهورة قوله والسقف المرفوع يعني السما ونظيره وجعلنا السما
سقفا محفوظا قوله والبحر المسجور قيل هو من الاضداد يقال بحر مسجور اي مملو
وبحر مسجور اي فارغ وروى ذو الرمة الشاعر عن ابن عباس انه قال خرجت امه لتستقي
فقالت ان الحوض مسجور اي فارغ ويؤيد هذا ان البحار تذهب ماوها يوم القيمة وقيل
المسجور المسوك ومنه ساجور الكلب لانه يمسكه ويحبسه وقال محمد بن كعب القرظي
والضحاك يعني الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس لما روي ان الله
تعالى يجعل البحار كلها يوم القيمة نارا فيزاد بها في نار جهنم كما قال تعالى واذا البحار
سجرت وروى عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يركبن رجل بحرا
الا غازيا او معتمرا او حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقال الربيع بن انس هو
المختلط العذب بالملح وروى الضحاك عن النزال بن سبرة عن علي انه قال البحر المسجور
هو بحر تحت العرش كما بين سبع سموات الى سبع ارضين فيه ما غليظ يقال له بحر الحيوان
يمطر العباد منه بعد النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون في قبورهم وهذا قول مقاتل

فصل قيل الحكمة في المقسم بهذه الثلاثة اشيا ان هذه الاماكن الثلاثة وهي
الطور والبيت المعمور والبحر المسجور كانت لثلاثة انبيا للخلوة بربهم والخلاص من الخلق
وخطابهم مع الله اما الطور فانتقل اليه موسى عليه السلام وخاطب الله تعالى هناك واما
البيت المعمور فانتقل اليه محمد عليه السلام وقال لربه سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك واما البحر المسجور فانتقل اليه يونس عليه
السلام ونادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فصارت هذه
الاماكن شريفة بهذه الاسباب فاقسم الله تعالى بها واما ذكر الكتاب فلان الانبيا كان
لهم في هذه الاماكن مع الله كلام والكلام في الكتاب

فصل اقسم في بعض
السور بجموع كقوله والذاريات والمرسلات والنازعات وفي بعضها بافراد كقوله والطور
ولم يقل والاطوار والبحار قال ابن الخطيب والحكمة فيه ان في اكثر الجموع اقسم عليها
بالمتحركات والريح الواحدة ليست بنابتة بل هي متبدلة بافرادها مستمرة بانواعها والمقصود
منها لا يحصل الا بالتبدل والتغير فقال والذاريات اشارة الى النوع المستمر لا الى الفرد المعين
المستقر واما الجبل فهو نابت غير متغير عادة فالواحد من الجبال دايم زمانا ودهرا فاقسم
في ذلك بالواحد وكذلك في قوله والنجم ولو قال والريح لما علم المقسم به وفي الطور علم
قوله ان عذاب ربك لواقع نازل كاين وقوله ما له من دافع يجوز ان تكون الجملة خبرا
ثانيا وان يكون صفة لواقع اي واقع غير مدفوع قال ابو البقا ومن دافع يجوز ان يكون
الجملة فاعلا وان يكون مبتدا ومن مزيدة على الوجهين

فصل قال جبير بن
مطعم قدمت المدينة لاكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اساري بدر فدفعت اليه
وهو يصلي باصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرا والطور الى قوله ان
عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكانما صدع قلبي حين سمعت ولم اكن اسلم يومئذ قال
فاسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت اظن اني اقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب
قوله يوم تمور يجوز ان يكون العامل فيه واقع اي يقع في ذلك اليوم وعلى هذا فتكون
الجملة المنفية معترضة بين العامل ومعموله ويجوز ان يكون العامل فيه دافع قاله
الحوفي وابو البقا ومنعه مكي قال ابو حيان ولم يذكر دليل المنع قال شهاب الدين
وقد ذكر دليل المنع في الكشف الا انه ربما يكون غلطا عليه فانه وهم وعبارته قال العامل
فيه واقع اي ان عذاب ربك لواقع في يوم تمور السما مورا ولا يعمل فيه دافع لان المنفي
لا يعمل فيما قبل النافي لا تقول طعامك ما زيد اكلا رفعت اكلا او نصبته او ادخلت عليه الباء

فان رفعت الطعام بالابتدا او اوقعت اكلا عليه جاز وما بعد الطعام خبرا ثم قال وهذا
كلام صحيح في نفسه الا انه ليس في الاية شي من ذلك لان العامل وهو دافع والمعمول وهو
يوم كلاهما بعد النافي وفي حيزه وقوله واوقعت اكلا عليها جاز اي على ضمير يعود على الطعام
فتقول طعامك ما زيد اكله وقد يقال ان وجه المنع من ذلك خوف الوهم انه يفهم ان
احدا يدفع العذاب في غير ذلك اليوم والغرض ان عذاب الله لا يدفع في كل وقت وهذا امر
مناسب قد ذكر مثله كثير ولذلك منع بعضهم ان ينتصب يوم تجد كل نفس بقوله والله على كل
شي قدير لئلا يفهم منه ما لا يليق وهو ابعد من هذا في الوهم بكثير وقال ابو البقا وقيل يجوز
ان يكون ظرفا لما دل عليه فويل انتهى وقال ابن الخطيب والذي اظن ان العامل هو الفعل
المدلول عليه بقوله ما له من دافع لان العذاب الواقع على هذا ينبغي ان يقع في مثل ذلك
اليوم لان العذاب الذي به التخويف هو الذي بعد الحشر ومور السماء لانه في معنى قوله
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا

فصل والمور الاضطراب والحركة يقال مار
الشي اي ذهب وجا وقال الاخفش وابو عبيدة تكفا وانشد للاعشى

> كان مشيتها من بيت جارتها ... مور السحابة لا ريث ولا عجل

وقال الزمخشري وقيل هو تحرك في تموج وهو الشي يتردد في عرض كالداعصة وهي الجلدة
التي فوق قفل الركبة وقال الراغب المور الجريان السريع ومار الدم على وجهه والمور
اي بالضم التراب المتردد به الريح واكد بالمصدر رفعا للمجاز اي هذان الجرمان العظيمان
مع كثافتهما يقع ذلك منهما حقيقة وقال ابن الخطيب فيه فايدة جليلة وهي ان قوله تعالى
وتسير الجبال يحتمل ان يكون بيانا لكيفية مور السما لان الجبال اذا سارت وسيرت معها
سكانها تظهر السما كالسايرة الى خلاف تلك الجهة كما يشاهده راكب السفينة فانه يرى الجبل
الساكن متحركا فكان لقايل ان يقول السما تمور في راي العين بسبب سير الجبال كما يرى
القمر سايرا راكب السفينة والسما اذا صارت كذلك فلا يبقى مهرب ولا مفزع لا في الارض ولا
في السما

فصل لما ذكر ان العذاب واقع بين انه متى يقع العذاب فقال يوم تمور
السماء مورا قال المفسرون اي تدور كما تدور الرحا وتتكفا باهلها تكفو السفينة قال
عطا الخراساني تختلف اجزاوها بعضها في بعض وقيل تضطرب وتسير الجبال سيرا فتزول
عن اماكنها وتصير هبا منثورا وهذا ايذان واعلام بان لا عود الى الدنيا لان الارض والجبال
والسما والنجوم كلها لعمارة الدنيا والانتفاع لبني ادم فاذا لم يبق لهم عود فلم يبق فيها نفع
فلذلك اعدمها الله تعالى قوله فويل يومئذ للمكذبين يومئذ منصوب بويل والخبر
للمكذبين والفا في فويل قال مكي جواب الجملة المتقدمة وحسن ذلك لان في الكلام معنى
الشرط لان المعنى اذا كان ما ذكر فويل قال ابن الخطيب اي اذا علم ان عذاب الله واقع
وانه ليس له دافع فويل اذن للمكذبين فالفا لاتصال المعنى وهو الايذان
بامان اهل الايمان لانه لما قال ان عذاب ربك لواقع وانه ليس له دافع لم يبين موقعه
بمن قال فلما قال فويل يومئذ للمكذبين علم المخصوص به وهو المكذب فان قيل اذا قلنا
بان قوله ويل للمكذبين بيان لمن يقع به العذاب فمن لا يكذب لا يعذب فاهل الكباير
لا يعذبون لانهم لا يكذبون فالجواب ان ذلك العذاب لا يقع على اهل الكباير وانما هذا
كقوله كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جانا نذير فكذبنا
فالمومن لا يلقى فيها القا بهوان وانما يدخل فيها للتطهير ادخالا مع نوع اكرام والويل
انما هو للمكذبين والويل ينبي عن الشدة لان تركيب حروف الواو واليا لا تنفك عن نوع
شدة ومنه لوي اذا دافع ولوى يلوي اذا فتل ثوبا والولي فيه القوة على المولى عليه
وقد تقدم وجه جواز التنكير في قوله ويل مع كونه مبتدا الا انه في تقدير المنصوب لانه
دعا في تفسير قوله تعالى قال سلام قوله الذين هم في خوض يلعبون الخوض هو
الاندفاع في الاباطيل قال تعالى وخضتم كالذي خاضوا وقال تعالى وكنا نخوض مع
الخايضين وتنكير الخوض يحتمل وجهين الاول ان يكون للتكثير اي في خوض عظيم
الثاني ان يكون التنوين عوضا عن المضاف اليه كقوله تعالى وان كلا والاصل في

خوضهم المعروف منهم وقوله يلعبون اي غافلون لاهون واعلم ان قوله الذين هم في خوض
ليس وصفا للمكذبين بما يميزهم وانما هو للذم كقولك الشيطان الرجيم ولا تريد فصله عن
الشيطان الذي ليس برجيم بخلاف قولك اكرم الرجل العالم فالوصف بالرجيم للذم له لا للتعريف
وتقول في المدح الله الذي خلق والله العظيم للمدح لا للتمييز ولا للتعريف عن اله لم يخلق
او اله ليس بعظيم وان الله واحد لا غير قوله يوم يدعون يجوز ان يكون ظرفا ليقال
المقدرة مع قوله هذه النار اي يقال لهم هذه النار يوم يدعون المكذبين لان معناه يوم
يقع العذاب ذلك اليوم هو يوم يدعون فيه الى النار والعامة على فتح الدال وتشديد
العين من دعه يدعه اي دفعه في صدره بعنف وشدة قال الراغب واصله ان يقال
للعاثر دع كما يقال له لعا وهذا بعيد من معنى هذه اللفظة وقرا علي رضي الله عنه والسلمي
وابو رجا وزيد بن علي بسكون الدال وتخفيف العين مفتوحة من الدعا اي يدعون اليها فيقال
لهم هلموا فادخلوها **فصل** دعا مصدر ومعناه تدفعهم الملائكة دفعا على وجوههم
بعنف اي يدفعون الى النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها هذه النار التي كنتم بها تكذبون
في الدنيا فان قيل قوله تعالى يدعون الى نار جهنم يدل على ان خزنتها يقذفونهم في النار
وهم بعداء عنها وقوله تعالى يسحبون في النار على وجوههم يدل على انهم فيها فالجواب من
وجوه الاول ان الملائكة يسحبونهم في النار ثم اذا قربوا من نار مخصوصة وهي نار جهنم
يقذفونهم فيها من بعيد فيكون السحب في نار والدفع في نار اشد واقوى بدليل قوله
يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون اي يسحبون في حمرة النار ثم بعد ذلك يكون لهم
ادخال الثاني ان يكون في كل زمان يتولى امرهم ملائكة فالى النار يدفعهم ملك وفي النار
يسحبهم اخر الثالث يجوز ان يكون السحب بسلاسل اي يسحبون في النار والساحب
خارج النار الرابع يحتمل ان يكون الملائكة يدفعونهم الى النار اهانة لهم واستخفافا
بهم ويدخلون معهم النار ويسحبونهم فيها قوله افسحر خبر مقدم وهذا مبتدا مؤخر
ودخلت الفاء قال الزمخشري بمعنى كنتم تقولون للوحي هذا سحر افسحر هذا يريد هذا
المصداق ايضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى وهذا تحقيق للامر لان من يرى شيئا ولا يكون
الامر على ما يراه فذلك الخطا يكون لاجل احد امرين اما لامر عائد الى المرئي واما لامر عائد
الى الرائي فقوله افسحر هذا اي هل في المرئي شك ام هل في بصركم خلل فهو استفهام انكاري
لا واحد منهما ثابت فالذي ترونه حق وقد كنتم تقولون انه ليس بحق وذلك انهم كانوا
ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر وانه يغطي الابصار بالسحر وان انشقاق القمر
وامثاله سحر فوبخوا به وقيل افسحر هذا ام انتم لا تبصرون قوله اصلوها اي اذا لم
يمكنكم انكارها وتحقق انه ليس بسحر ولا خلل في ابصاركم فاصلوها اي قاسوا شدتها
فاصبروا او لا تصبروا اي الصبر وعدمه سوا وهذا بيان لعدم الخلاص قوله سواء
فيه وجهان احدهما انه خبر مبتدا محذوف اي صبركم وتركه سوا قاله ابو البقا والثاني انه
مبتدا والخبر محذوف اي سوا الصبر والجزع قال ابو حيان قال شهاب الدين والاول
احسن لان جعل النكرة خبرا اولى من جعلها مبتدا وجعل المعرفة خبرا ونحا الزمخشري منحى
الوجه الثاني فقال سواء خبره محذوف اي سواء عليكم الامران الصبر وعدمه قوله انما
تجزون ما كنتم تعملون فيه لطيفة وهي ان المومن بايمانه استفاد ان الخير الذي يفعله
يثاب عليه والشر الذي يفعله ولا يحققه لا يعاقب عليه والكافر بكفره صار على الضد
فالخير الذي يفعله ولا يعمله لا يثاب عليه والشر الذي يقصده ولا يقع منه يعاقب عليه
ولا ظلم فان الله تعالى اخبره به وهو اختار ذلك ودخل فيه باختيار فان الله تعالى
قال بان من كفر ومات كافرا عذبته ابدا فاحذروا ومن امن اثبته دايما حتى ارتكب الكفر
ودام عليه بعد ما سمع ذلك فاذا عوقب دايما فهو تحقيق لما اوعد به فلا يكون ظلما قوله
ان المتقين في جنات ونعيم يجوز ان يكون مستانفا اخبر الله تعالى بذلك بشارة ويجوز
ان يكون من جملة المقول للكفار زيادة في غمهم وحسرتهم والجنة هي موضع السرور ولكن
الناظور قد يكون في البستان الذي هو في غاية الطيبة فلما قال ونعيم ان دايم فيها

متنعمون كما يكون المتفرج لا كما يكون الناطور والعامل وقوله فاكهين يريد في ذلك لان المتنعم
قد يكون اثار النعيم عليه ظاهرة وقلبه مشغول فلما قال فاكهين دل على غاية الطيبة قوله
فاكهين هذه قراءة العامة نصب على الحال والخبر الظرف وصاحب الحال الضمير المستتر في الظرف
وقرا خالد فاكهون بالرفع فيجوز ان يكون الظرف لغوا متعلقا بالخبر ويجوز ان يكون خبرا اخر
عند من يجيز تعدد الخبر وقرئ فكهين مقصورا وسياتي انه قرا به في المطففين في المتواتر
حفص عن عاصم قوله بما اتاهم يجوز ان تكون الباء على اصلها وتكون ما حينئذ واقعة على
الفواكه التي في الجنة اي متلذذين بفاكهة الجنة ويجوز ان يكون بمعنى في اي فيما اتاهم من
الثمار وغير ذلك ويجوز ان يكون ما مصدرية ايضا قوله ووقاهم يجوز فيه اوجه اظهرها
انه معطوف على الصلة اي فكهين باتيانهم ربهم وبوقايته لهم عذاب الجحيم والثاني ان الجملة
حال فتكون قد مقدرة عند من يشترط اقترانها بالماضي الواقع حالا الثالث ان يكون
معطوفا على في جنات قاله الزمخشري بمعنى فيكون مخبرا به عن المتقين ايضا فيكون المراد
انهم فاكهون بامرين احدهما بما اتاهم والثاني بانه وقاهم والعامة على تخفيف القاف من
الوقاية وابو حيوة بتشديدها قوله كلوا واشربوا اي ويقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا
هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز ان يكون مثله في قوله

هنيئا مريئا غير داء مخامر • لعزة من اعراضنا ما استحلت •

اعني صفة استعملت استعمال المصدر القايم مقام الفاعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع
بالفعل كانه قيل هنا عزة المستحل من اعراضنا وكذلك معنى هنيئا هنا كم الاكل والشرب او
هنا كم ما كنتم تعملون اي جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما في كفى بالله والباء متعلقة
بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب وهذا من محاسن كلامه قال ابو حيان اما
تجويزه زيادة الباء فليست بمقيسة في الفاعل الا في فاعل كفى على خلاف فيها فتجويزها هنا
لا يسوغ واما قوله انها تتعلق بكلوا واشربوا فلا يصح الا على الاعمال فهي تتعلق باحدهما
انتهى وهذا قريب قوله متكئين فيه اوجه احدها انه حال من فاعل كلوا الثاني انه حال
من مفعول اتاهم الثالث انه حال من مفعول وقاهم الرابع انه حال من الضمير المستكن
في الظرف الخامس انه حال من الضمير في فاكهين واحسنها ان يكون حالا من ضمير الظرف لكونه
عمدة وقوله على سرر متعلق بمتكئين وقراءة العامة بضم الراء الاولى وابو السمال بفتحها وقد
تقدم انها لغة لكلب في المضعف يفرون من توالي ضمتين في المضعف قوله وزوجناهم
بحور عين قرا عكرمة بحور عين باضافة الموصوف الى صفته على التاويل المشهور **فصل**
اعلم انه تعالى بين اسباب التنعم على الترتيب فاول ما يكون المسكن وهو الجنات ثم الاكل
والشرب ثم الفرش والبسط ثم الازواج فهذه امور اربعة ذكرها الله تعالى على الترتيب
وذكر في كل واحد منها ما يدل على كماله فقوله جنات اشارة الى المسكن وقال فاكهين
اشارة الى عدم التنغيص وعلو المرتبة بكونه مما اتاهم الله وقال كلوا واشربوا هنيئا اي
مامون العاقبة من التخم والسقم وترك ذكر الماكول والمشروب دلالة على تنوعهما وكثرتهما
وقوله بما كنتم تعملون اشارة الى انه تعالى يقول اني مع كوني ربكم وخالقكم وادخلتكم الجنة
بفضلي فلا منة لي عليكم اليوم وانما منتي عليكم كانت في الدنيا هديتكم ووفقتكم للاعمال
الصالحة كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان واما اليوم فلا منة عليكم لان هذا انجاز
الوعد فان قيل قال في حق الكفار انما تجزون ما كنتم تعملون وقال في حق المومن بما
كنتم تعملون فما الفرق بينهما فالجواب من وجوه الاول ان كلمة انما للحصر اي لا يجزون الا ذلك
ولم يذكر هذا في حق المومن لانه يجزيه اضعاف ما عمل ويزيده من فضله الثاني قال
هنا بما كنتم تعملون وقال هناك ما كنتم تجزون اي عين اعمالكم وهذا اشارة الى المبالغة
في المماثلة كانه يقول هذا عين ما عملت وقوله في حق المومن بما كنتم كان ذلك امرا ثابتا مستمرا
بعدكم هذا الثالث انه ذكر الجزاء هناك وقال هنا بما كنتم تعملون لان الجزاء ينبئ عن الانقطاع
فان من احسن الى احد فاتى بجزائه لا يتوقع المحسن منه شيئا اخر فان قيل فالله تعالى
قال في موضع اخر بما كنتم تعملون في الثواب فالجواب انه في تلك المواضع لما لم يخاطب

المجزي ولم يقل بما كنت تفعل ابني بما يفيد العلم بالدوام وعدم الانقطاع واما في السرور
فذكر امور احدها الاتكا فانه هيئة تختص بالمنعم والفارغ الذي لا كلفة عليه وجمع
السرر لامرين اظهرهما ان يكون لكل واحد سرر لان قوله مصفوفة يدل على انها
لواحد لان سرر الكل لا يكون في موضع واحد مصطفة ولفظ السرر فيه حروف السرور
بخلاف التخت وغيره وقوله مصفوفة اي منتظمة بعضها الى جنب بعض فانها لو كانت
متفرقة لقيل في كل موضع واحد يتكي عليه صاحبه اذا حضر هذا الموضع وقوله
تعالى وزوجناهم اشارة الى النعمة الرابعة وفيها ما يدل على كمال الحال من وجوه
الاول انه هو المزوج وهو الولي الذي يلي الطرفين يزوج عباده باماييه ومن يكون
كذلك لا يفعل الا ما فيه راحة العباد والاما الثاني قال وزوجناهم بحور عين ولم
يقل وزوجناهم حورا مع ان لفظ التزويج يتعدى فعله الى مفعولين بغير حرف يقال
زوجتكها قال الله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وذلك اشارة الى المنفعة
في التزويج انما هي وانما زوجوا للذة بالحور لا للذة الحور بهم الثالث عدم الاقتصار
على الزوجات بل وصفهن بالحسن واختار الاحسن من الاحسن فان احسن ما في صورة
الادمي وجهه واحسن ما في الوجه العين قوله والذين امنوا فيه ثلاثة اوجه
احدها انه مبتدا والخبر الجملة من قوله الحقنا بهم ذرياتهم والذريات هنا يصدق على
الاباء وعلى الابناء اي ان المومن اذا كان عمله اكثر الحق به من دونه في العمل ابنا كان
او ابا وهو منقول عن ابن عباس وغيره الثاني انه منصوب بفعل مقدر قال ابو
البقاء على تقدير فاكرمنا الذين امنوا قال شهاب الدين فيجوز ان يريد انه من
باب الاشتغال وان قوله الحقنا بهم ذرياتهم مفسر لذلك الفعل من حيث المعنى وان
يريد انه مضمر لدلالة السياق عليه فلا تكون المسئلة من الاشتغال في شي الثالث قال
ابن الخطيب انه معطوف على قوله ان المتقين ثم قال فاذا كان كذلك فلم اعاد لفظ
الذين امنوا وكان المقصود بقوله تعالى والحقنا بهم ذرياتهم بعد قوله وزوجناهم
وكان يصير التقدير وزوجناهم نقول فيه فايدة وهي ان المتقين هم الذين اتقوا الشرك
والمعصية وهم الذين امنوا وعملوا الصالحات فقال هاهنا الذين امنوا بمجرد الايمان
يصير ولده من اهل الجنة ثم ان ارتكب الاب كبيرة او صغيرة على صغيرة لا يعاقب به
ولده بل الوالد ربما يدخل الجنة الابن قبل الاب وقد ورد في الخبر ان الولد الصغير
يشفع لابيه وذلك اشارة الى الجزا وذكر الزمخشري انه مجرور عطفا على حور عين
قال الزمخشري والذين امنوا معطوف على حور عين اي قرناهم بالحور وبالذين امنوا
اي بالرفقا والجلسا منهم كقوله اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة
الحور العين وتارة بمؤانسة الاخوان ثم قال الزمخشري ثم قال بايمان الحقنا بهم
ذرياتهم اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الاباء الحقنا بدرجتهم ذريتهم
وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا عليهم قال ابو حيان ولا يتخيل احد ان والذين
امنوا معطوف على بحور عين غير هذا الرجل وهو تخيل اعجمي مخالف لفهم العربي القح ابن
عباس وغيره قال شهاب الدين اما ما ذكره ابو القاسم من المعنى فلا شك في حسنه
ونضارته وليس في كلام العربي القح ما يدفعه بل لو عرض على ابن عباس وغيره لاعجبهم
واي مانع معنوي او صناعي يمنعه قوله واتبعناهم يجوز ان يكون عطفا على الصلة
ويكون والذين مبتدا ويتعلق بايمان بالاتباع بمعنى ان الله تعالى يلحق الاولاد
الصغار وان لم يبلغوا الايمان باحكام الاباء المومنين وهذا المعنى منقول عن ابن
عباس والضحاك ويجوز ان يكون معترضا بين المبتدا والخبر قاله الزمخشري ويجوز
ان يتعلق بايمان بالحقنا كما تقدم فان قيل قوله اتبعناهم ذرياتهم يفيد فايدة
قوله الحقنا بهم ذرياتهم فالجواب ان قوله الحقنا بهم اي في الدرجات والاتباع انما هو
في حكم الايمان وان لم يبلغوه كما تقدم وقرا ابو عمرو واتبعناهم باسناد الفعل الى المتكلم
المعظم نفسه والباقون واتبعتهم باسناد الفعل الى الذرية والحاق تا التانيث وقد

تقدم الخلاف في افراد ذريتهم وجمعه في سورة الاعراف **فصل** اختلفوا في معنى
الاية وقيل معناها والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان يعني اولادهم الصغار والكبار
فالكبار بايمانهم بانفسهم والصغار بايمان ابائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحد
الابوين وقوله الحقنا بهم ذرياتهم اي المومنين في الجنة بدرجاتهم وان لم يبلغوا باعمالهم درجات
ابائهم تكرمة لابائهم لتقر بذلك اعينهم وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس وقيل معناه
والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم البالغون بايمان الحقنا بهم ذريتهم الصغار والذين لم يبلغوا
الايمان بايمان ابائهم وهو قول الضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس اخبر الله عز وجل
انه يجمع لعبده ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا ان يجتمعوا اليه يدخلهم الجنة بفضله
ويلحقهم بدرجته بعمل ابيهم من غير ان ينقص الابا من اعمالهم شيا فذلك قوله وما التناهم
من عملهم من شي وروي عن علي رضي الله عنه قال سالت خديجة النبي صلى الله عليه وسلم
عن ولدين لها ماتا في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما في النار فلما راى
الكراهية في وجهها قال لو رايت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المومنين واولادهم في الجنة وان المشركين واولادهم
في النار ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم
ذرياتهم قوله وما التناهم قرا ابن كثير التناهم بكسر اللام والباقون بفتحها فاما الاولى
فمن الت يالت بالكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع كعلم يعلم واما الثانية فيحتمل ان
يكون من الت يالت كضرب يضرب وان يكون من الات يليت كامات يميت فالتناهم كامتناهم
وقرا ابن هرمز التناهم بالف بعد الهمزة على وزن افعلناهم يقال الت يولت كامن يومن
وعبد الله وابي والاعمش وطلحة ويروي عن ابن كثير لتناهم بكسر اللام كبعناهم يقال لاته
يليته كباعه يبيعه وقرا طلحة والاعمش ايضا التناهم بفتح اللام قال سهل لا يجوز فتح
اللام من غير الف بحال ولذلك انكر التناهم بالمد وقال لا يدل عليها لغة ولا تفسير وليس
كما زعم بل نقل اهل اللغة الت يولت وقري ولتناهم بالواو كوعدناهم نقلها هارون قال
ابن خالويه فيكون هذا الحرف من لات يليت وولت يلت والت يالت والات يليت وكلها
بمعنى نقص ويقال الات بمعنى غلط وقام رجل الى عمر يعظه فقال له رجل لا تالت امير
المومنين اي لا تغلط عليه قال شهاب الدين ويجوز ان يكون هذا الاثر على حاله والمعنى
لا تنقص امير المومنين حقه لانه اذا اغلظ القول نقصه حقه وفي الضمير في التناهم
وجهان اظهرهما انه عايد على المومنين الثاني انه عايد على ابنائهم قيل وتقوية قوله كل
امري بما كسب رهين قوله من عملهم من شيء من شي مفعول ثان لالتناهم ومن مزيدة فيه
والاولى في محل نصب على الحال من شي لانها في الاصل صفة له فلما قدمت نصبت حالا وجوز
ابو البقاء ان يتعلق بالتناهم **فصل** في قوله وما التناهم تطييب لقلوبهم وازالة
وهم المتوهم ان ثواب عمل الاب يوزع على الوالد والولد بل للوالد اجر عمله ولاولاده مثل ذلك
فضلا من الله ورحمة وقال من عملهم ولم يقل من اجرهم لان قوله وما التناهم من عملهم دليل
على بقا عملهم كما كان والاجر على العمل مع الزيادة فيكون فيه اشارة الى بقا العمل الذي له
الاجر الكثير الزايد عليه العظيم العايد اليه ولو قال ما التناهم من اجرهم لكان ذلك حاصله
بادنى شي لان كل ما يعطي الله عبده على عمله فهو اجر كامل ولانه لو قال ما التناهم من اجرهم كان
مع ذلك محتملا ان يقال ان الله تعالى تفضل عليه بالاجر الكامل على العمل الناقص واعطاه الاجر
الجزيل مع ان عمله كان له ولولده جميعا فان قيل ما الفايدة في تنكير الايمان في قوله اتبعناهم
ذرياتهم بايمان مخلص كامل او يقول اتبعناهم بايمان ما اي بشي منه فان الايمان كاملا لا يوجد
في الولد بدليل ان من امن له ولد صغير حكم بايمانه فاذا بلغ وصرح بالكفر وانكر التبعية قيل
بانه لا يكون مرتدا ويبني بقوله انه لم يتبع وقيل بانه يكون مرتدا لانه كفر بعدما حكم بايمانه
كولد المسلم الاصلي فاذن بنيت بهذا الخلاف ان ايمانه ليس بقوي وذكر هذين الوجهين الزمخشري
ويحتمل ان يكون المراد ان يكون التنوين للتعويض عن المضاف اليه كقوله تعالى بعضهم لبعض
وقوله وكلا وعد الله الحسنى لان التقدير اتبعناهم ذرياتهم بايمان اي بسبب ايمانهم لان الاتباع

بإيمان كيف كان ومتى كان وانما هو ايمان الاباء لكن الاضافة تنبى عن تقييد وعدم كون الايمان ايمانا على الاطلاق فان قول القائل ما الشجر وما الرمان يصح واطلاق اسم المامون عن اضافة لا يصح فقوله بإيمانهم يوهم انه ايمان مضاف اليهم لقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا حيث اثبت الايمان المضاف ولم يكن ايمانا فقطع الاضافة مع ارادتها ليعلم انه ايمان صحيح وعوض التنوين ليعلم انه مضاف لا يوجب الايمان في الدنيا الا ايمان الاباء قال ابن الخطيب وهذا وجه حسن قوله كل امرئ بما كسب رهين قال مقاتل كل امرئ كافر بما عمل من الشرك مرتهن في النار والمومن لا يكون مرتهنا لقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين قال الواحدي هذا يعود الى ما ذكر اهل النار وهو قول مجاهد ايضا وقال الزمخشري هذا عام في كل احد انه يكون مرهونا عند الله بالكسب فان كسب خيرا فك رقبته والا اعلق الرهن قال ابن الخطيب وفيه وجه اخر وهو ان يكون الرهن فعلا بمعنى الفاعل فيكون المعنى كل امرئ بما كسب راهن اي دائم ان احسن ففي الجنة مؤبدا وان اساء ففي النار مخلدا لان في الدنيا دوام الاعمال بدوام الاعيان فان الله يبقي اعمالهم لكونها عند الله تعالى من الباقيات الصالحات وما عند الله باق والباقي يبقى مع عامله قوله وامددناهم بفاكهة زيادة على ما كان لهم ولحم مما يشتهون من انواع اللحام والمعنى زدناهم ماكولا ومشروبا فالماكول الفاكهة واللحم والمشروب الكاس وفي هذه اللطيفة وهي انه لما قال ما التناهم وبقي النقصان بصدق بحصول المساوي فقال ليس عدم النقصان بالاقتصار على المساوي بل بالزيادة والامداد قوله يتنازعون في موضع نصب على الحال من مفعول امددناهم ويجوز ان يكون مستانفا وتقدم الخلاف في قوله لا لغو فيها في البقرة والجملة في موضع نصب صفة لكاس وقوله فيها اي في شربها وقيل في الجنة ومعنى يتنازعون اي يتعاطون ويحتمل ان يقال التنازع التجاذب ويكون تجاذبهم تجاذب ملاعبة لا تجاذب منازعة وفيه نوع لذة قال الشاعر

نازعته طيب الريح الشمول وقد • صاح الدجاج وحانت وقعة الساري •

وقوله لا لغو فيها ولا تاثيم قال قتادة اللغو الباطل وقال مقاتل بن حيان لا فضول فيها وقال سعيد بن المسيب لا رفث فيها وقال ابن زيد لا سباب ولا تخاصم فيها وقال السدي لا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا ولا تاثيم اي لا يكون منهم ما يؤثمهم قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون المراد من التاثيم السكر وقال الزجاج لا يجري منهم ما يلغي ولا ما فيه اثم كما يجري في الدنيا لشربة الخمر وقيل لا ياثمون في شربها قوله ويطوف عليهم غلمان اي يطوف عليهم بالخدمة غلمان لهم كانهم في الحسن والبياض والصفا قوله كانهم لؤلؤ مكنون صفة ثانية لغلمان والمعنى يطوف عليهم بالكوس غلمان لهم وهم الولدان المخلدون كانهم لؤلؤ مكنون اي مخزون مصون لم تمسه الايدي قال سعيد بن جبير يعني في الصدف قال عبد الله ابن عمر ما من احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام وكل غلام على عمل ما عليه صاحبه وروي عن الحسن لما تلا هذه الاية قال قالوا يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسال بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا فقوله يتساءلون جملة حالية من بعضهم قوله قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين اي خائفين من العذاب والمعنى انهم يسالون عن سبب ما وصلوا اليه فيقولون خشية الله انا كنا نخاف الله فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم اي من الله علينا بالمغفرة ووقانا عذاب السموم قال الكلبي عذاب النار وقال الحسن السموم اسم من اسماء جهنم والسموم في الاصل الريح الحارة التي تتخلل المسام والجمع سمائم وسم يومنا اي اشتد حره وقال ثعلب السموم شدة الحر وشدة البرد في النهار وقال ابو عبيدة السموم بالنهار وقد يكون بالليل والحرور بالليل وقد يكون بالنهار وقد يستعمل السموم في لفح البرد وهو في لفح الحر والشمس اكثر وقد تقدم شيء من ذلك في سورة فاطر وقرا العامة ووقانا بالتخفيف وابو حيوة بالتشديد وقد تقدم قوله انا كنا من قبل اي في الدنيا ندعوه نخلص له العبادة وقوله انه هو البر قرا نافع والكسائي بفتح الهمزة على

التعليل

التعليل اي لانه والباقون بالكسر على الاستئناف الذي فيه معنى العلة فيتحد معنى القراءتين وقوله هو البر قال ابن عباس اللطيف وقال الضحاك الصادق فيما وعد الرحيم بعباده قوله تعالى فذكر فما انت بنعمة ربك لما بين تعالى ان في الوجود قوما يخافون الله ويشفقون في اهلهم والنبي عليه السلام مامور بتذكير من يخاف الله تعالى لقوله تعالى فذكر بالقران من يخاف وعيد فوجب التذكير فلذلك ذكره بالفاء قوله بنعمة ربك فيه ثلاثة اوجه احدها انه قسم به متوسط بين اسم ما وخبرها ويكون الجواب حينئذ محذوفا لدلالة هذا المذكور عليه والتقدير ونعمة ربك ما انت بكاهن ولا مجنون الثاني ان الباء في موضع نصب على الحال والعامل فيها بكاهن او مجنون والتقدير ما انت كاهنا ولا مجنونا متلبسا بنعمة ربك قاله ابو البقاء وعلى هذا فهي حال لازمة لانه عليه السلام لم يفارق هذه الحال الثالث ان الباء متعلقة بما دل عليه الكلام وهو اعتراض بين اسم ما وخبرها والتقدير ما انت في حال اذكارك بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون قاله الحوفي قال شهاب الدين ويظهر وجه رابع وهو ان يكون الباء سببية ويتعلق حينئذ بمضمون الجملة المنفية وهذا هو مقصود الاية الكريمة والمعنى انتفى عنك الكهانة والجنون بسبب نعمة الله عليك كما تقول ما انا بمعسر بحمد الله وعنايته فصل المعنى فذكر يا محمد اهل مكة بالقران فما انت بنعمة ربك اي برحمته وعصمته بكاهن مبتدع القول ومخبر بما في غد من غير وحي ولا مجنون نزل في الذين اقتسموا عقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والجنون والشعر قوله ام يقولون قال الثعلبي قال الخليل كل ما في سورة الطور من ام فاستفهام وليس بعطف وقال ابو البقاء ام في هذه الايات منقطعة وتقدم الخلاف في المنقطعة هل يقدر ببل وحدها او ببل والهمزة او بالهمزة وحدها والصحيح الثاني وقال مجاهد في قوله ام تامرهم تقديره بل تامرهم وقرا بل هم قوم طاغون بدلت ام هم قوم قوله يتربص في موضع رفع صفة لشاعر والعامة على نتربص باسناد الفعل لجماعة المتكلمين ريب بالنصب وزيد بن علي يتربص بالياء من تحت على البناء للمفعول ريب بالرفع وريب المنون حوادث الدهر وتقلبات الزمان لانها لا تدوم على حال كالريب وهو الشك فانه لا يبقى بل هو متزلزل قال الشاعر

تربص بها ريب المنون لعلها • تطلق يوما او يموت حليلها •

وقال ابو ذويب

أمن المنون وريبه تتوجع • والدهر ليس بمعتب من يجزع •

والمنون في الاصل الدهر وقال الراغب المنون المنية لانها تنقص العدد وتقطع المدد وجعل من ذلك قوله اجر غير ممنون اي غير مقطوع وقال الزمخشري وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك سميت شعوب وريب مفعول به اي منتظر به حوادث الدهر او المنية فصل المعنى بل يقولون يعني هؤلاء المقتسمين الخراصين شاعر نتربص به ريب المنون حوادث الدهر وصروفه وذلك ان العرب كانت تحترز عن ايذاء الشعراء فان الشعر كان عندهم يحفظ ويدون فقالوا لا نعارضه في الحال مخافة ان يغلبنا بقوة شعره وانما نصبر ونتربص موته ويهلك كما هلك من قبله من الشعراء ويتفرق اصحابه وان اباه مات شابا ونحن نرجوا ان يكون موته كموت ابيه والمنون يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى الموت سميا بذلك لانهما يقطعان الاجل ويقال انه عليه السلام كان يقول ان الحق دين الله وان الشرع الذي اتيت به يبقى ابد الدهر وكتابي يتلى الى قيام الساعة فقالوا ليس كذلك انما هو شاعر والذي يذكره شعر ولا ناصر له وسيصيبه من بعض الهتنا الهلاك فنتربص به ذلك وريب المنون هو اسم للموت فعول من المن وهو القطع ويحتمل وجها اخر وهو ان يكون المراد انه اذا كان شاعرا فصروف الزمان ربما تضعف ذهنه وتورث وهنه فيتبين لكل احد فساد امره وكساد شعره قوله قل تربصوا اي انتظروا بي الموت فان قيل هذا امر للنبي صلى الله عليه وسلم ولفظ الامر يوجب المامور به او يبيحه ويجوزه وتربصهم كان حراما فالجواب ليس ذلك بامر وانما هو تهديد اي تربصوا ذلك فاني متربص الهلاك بكم كقول الغضبان لعبده افعل ما شئت فاني لست عنك بغافل فان قيل لو كان كذلك لقال تربصوا او لا تتربصوا كما قال فاصبروا او لا تصبروا فالجواب ليس كذلك لان ذلك مفيد عدم الخوف اكثر قوله فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم وقد اهلكوا يوم بدر وغيره من الايام قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون معناه اذا قلنا

ان ريب المنون صروف الدهر فمعناه انكار كون صروف الدهر مؤثرة فكانه يقول انا من المتربصين
حتى انظر ماذا ياتي به دهركم الذي تجعلونه مهلكا وماذا يصيبني منه قوله ام تامرهم احلامهم
عقولهم بهذا ام هم قوم طاغون والاشارة بقوله بهذا الى ما ظهر منهم عقلا ونقلا وهو عبادة
الاوثان وقولهم الهذيانات وقيل اشارة الى قولهم كاهن وشاعر ومجنون وقيل اشارة الى التربص
وذلك ان عظماء قريش كانوا يوصفون بالاحلام والعقول فازرى الله بعقولهم حين لم تتميز لهم معرفة
الحق من الباطل وذلك ان الاشيا اما ان تثبت بعقل او بنقل فقال هل ورد امر سمعي ام عقولهم
تامرهم بما كانوا يقولون ام هم قوم طاغون يفترون ويقولون ما لا دليل عليه سمعا ولا مقتضى له
عقلا والطغيان مجاوزة الحد في العصيان وكذلك كل شي مكروه ظاهر قال تعالى لما طغى
الماء واعلم ان قوله او تامرهم متصل تقديره انزل عليهم ذكر ام تامرهم احلامهم بهذا وفي هذه الاية
اشارة الى ان كل ما يكون على وفق العقل لا ينبغي ان يقال وانما ينبغي ان يقال ما يجب قوله
عقلا والاحلام جمع حلم وهو العقل وهما من باب واحد من حيث المعنى لان العقل يضبط المرء
فيكون كالبعير المعقول لا يتحرك من مكانه والحلم من الاحتلام وهو ايضا سبب وقار المرء
وثباته لان الحلم في اصل اللغة هو ما يراه النائم فينزل ويلزمه الغسل الذي هو سبب
البلوغ وعنده يصير الانسان مكلفا فالله تعالى من لطيف حكمته قرن الشهوة بالعقل وعند
ظهور الشهوة يكمل العقل ويكلف صاحبه فاشار تعالى الى العقل بالاشارة الى ما يقارنه
وهو الحلم ليعلم انه يريد به كمال العقل قوله ام يقولون تقوله اي تخلق القران من تلقاء
نفسه والتقول تكلف القول ولا يستعمل الا في الكذب وهذا ايضا متصل بقوله تعالى ام هم
يقولون شاعر تقديره كاهن ام يقولون شاعر ام يقولون تقوله والمعنى ليس الامر كما
زعموا بل لا يؤمنون بالقران استكبارا ثم الزمهم الحجة وابطل جميع الاقسام فقال فليأتوا
بحديث مثله اي مثل القران ونظمه ان كانوا صادقين ان محمدا تقوله من قبل نفسه ولما امتنع
ذلك كذبوا في الكل قوله فليأتوا الفا للتعقيب اي اذا كان كذلك فيجب عليهم ان يأتوا بمثل
ما اتى به ليصح كلامهم ويبطل كلامه قال بعض العلماء وهذا امر تعجيز قال ابن الخطيب والظاهر
ان الامر ههنا على حقيقته لانه لم يقل ائتوا مطلقا بل قال ائتوا ان كنتم صادقين فهذا امر
معلق على شرط اذا وجد ذلك الشرط يجب الاتيان به وامر التعجيز كقوله تعالى فان الله
ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر وليس هذا بحثا يورث
خللا في كلامهم قوله بحديث مثله العامة على تنوين حديث ووصفه بمثله والجحدري
وابو السمال بحديث مثله باضافة حديث الى مثله على حذف موصوف اي بحديث رجل
مثله من جنسه **فصل** قالت المعتزلة الحديث محدث والقران سماه حديثا
فيكون محدثا واجيبوا بان الحديث اسم مشترك يقال للمحدث والمنقول وهذا يصح ان
يقال هذا حديث قديم اي متقادم العهد لا بمعنى سلب الاولية وذلك لا نزاع فيه فان
قيل الصفة تتبع الموصوف في التعريف والتنكير والموصوف هنا حديث وهو منكر
ومثله مضاف الى القران والمضاف الى المعرف معرف فكيف هذا فالجواب ان مثل وغير
لا يتعرفان بالاضافة وكذلك كل ما هو مثله لسبب وذلك ان غير ومثل واشباههما في غاية
التنكير لانك اذا قلت مثل زيد يتناول كل شي فان كل شي مثل زيد في شي والجماد مثله
في الجسم والحجم والامكان والنبات مثله في النشو والنماء والذبول والفناء والحيوان مثله
في الحركة والادراك وغيرهما من الاوصاف واما غير فهو عند الاضافة ينكر وعند قطع الاضافة
ربما يتعرف فانك اذا قلت غير زيد صار في غاية الابهام فانه يتناول امورا لا حصر لها واما
اذا قطعت غيرا عن الاضافة فربما يكون الغير المغايرة من باب واحد وكذلك التغير فتجعل
الغير كاسماء الاجناس وتجعله مبتدا او تريد به معنى معينا قوله ام خلقوا لا خلاف
ان ام ههنا ليست بمعنى بل لكن اكثر المفسرين على ان المراد ما يقع في صدر الكلام من الاستفهام
بالهمزة كانه يقول اخلقوا من غير شي قال ابن الخطيب ويحتمل ان يقال هو على اصل الوضع
للاستفهام الذي يقع في اثناء الكلام وتقديره اما خلقوا من غير شي ام هم الخالقون
قوله من غير شي يجوز ان تكون من لابتداء الغاية على معنى ام خلقوا من غير شي حي كالجماد

فهم

فهم لا يؤمنون ولا يفهمون كالجمادات وقيل هي للسببية على معنى من غير علة ولا لغاية ثواب
ولا عقاب **فصل** وجه تعلق الاية بما قبلها انهم لما كذبوا النبي عليه السلام ونسبوه
الى الكهانة والشعر والجنون وبراه الله من ذلك ذكر الدليل على صدقه ابطالا لتكذيبهم وبدا
بانفسهم فكانه يقول كيف يكذبونه وفي انفسهم دليل صدقه لان قوله كان في ثلاثة اشيا
في التوحيد والحشر والرسالة ففي انفسهم ما يعلم به صدقه وهو انهم خلقوا وذلك دليل التوحيد
لما تقدم • ان في كل شي له اية • تدل على انه واحد •
واما الحشر فلان الخلق الاول دليل على جواز الخلق الثاني **فصل** قال المفسرون
معنى الاية ام خلقوا من غير شي خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز ان يكون لان
تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان انكروا الخالق لم يجز ان يوجدوا بلا خالق ام هم
الخالقون لانفسهم وذلك في البطلان اشد لان ما لا وجود له كيف يخلق فاذا ابطل الوجهان
قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا فيؤمنوا به قال هذا المعنى ابو سليمان الخطابي وقال
الزجاج معنى اخلقوا باطلا لا يحاسبون ولا يؤمرون وقال ابن كيسان خلقوا عبثا وتركوا
سدى لا يؤمرون ولا ينهون كقول القائل فعلت كذا وكذا من غير شي اي لغير شي ام هم الخالقون
لانفسهم فلا يجب عليهم لله امر وقيل معناه خلقوا من غير اب وام قال ابن الخطيب ويحتمل
ان يقال ام خلقوا من غير شي اي ام يخلقوا من تراب واما لقوله نخلقكم من ماء مهين ويحتمل
ان يقال الاستفهام الثاني ليس بنفي بل هو بمعنى الايجاب كقوله تعالى االنتم تخلقونه ام
نحن الخالقون االنتم تزرعونه ام نحن الزارعون االنتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون
كل ذلك في الاول نفي وفي الثاني مثبت كذلك ههنا قال الله تعالى ام خلقوا من غير شي اي
ان قيل الصادق هو الثاني وهذا حينئذ كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر
لم يكن شيا مذكورا فان قيل كيف يكون ذلك الاثبات والادمي خلق من تراب نقول والتراب
خلق من غير شي فالانسان اذا نظرت الى خلقه ونظرت الى ابتدا امره تجده مخلوقا من غير شي
او نقول المراد ام خلقوا من غير شي مذكورا ومعتبرا وهو الماء المهين قوله ام خلقوا السموات
والارض بل لا يوقنون قال الزمخشري لا يوقنون بانهم خلقوا وهو في معنى قوله ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله اي هم معترفون بانه خلق الله وليس خلق انفسهم
وقيل بل لا يوقنون بان الله خالق واحد اي ليس الامر لذلك وما خلقوا وانما لا يوقنون بوحدة
الله وقيل المعنى لا يوقنون اصلا من غير ذكر مفعول كقولك فلان ليس بمؤمن وفلان كافر
لبيان مذهبه وان لم تنو مفعولا والمعنى انهم ما خلقوا السموات والارض ولا يوقنون بهذه
الدلائل بل لا يوقنون اصلا وان جيتهم بكل اية بدليل قوله بعد ذلك وان يروا كسفا من السماء
ساقطا يقولوا سحاب مركوم وهذه الاية دليل الافاق وقوله من قبل دليل الانفس قوله
ام عندهم خزاين ربك قال عكرمة يعني النبوة وقال مقاتل بايديهم مفاتيح ربك بالرسالة
فيضعونها حيث شاوا وقال الكلبي خزاين المطر والرزق وقيل خزاين الرحمة قوله
ام هم المسيطرون وهذا تتمة الرد عليهم لانه لما قال ام عندهم خزاين ربك اشارة الى انهم
ليسوا بخزنة الله فعلموا خزاين الله لكن بمجرد انتفا كونهم خزنة لا ينتفي العلم لجواز ان يكون
مشرفا على الخزنة قال فان العلم بالخزاين عند الخازن والكاتب بالخزانة يقال لفلان
بخزنته ولا بكتبه الخزانة المسلطين عليها قال ابن الخطيب ولا يبعد تفسير المسيطرين بكتبة
الخزاين لان التركيب يدل على السطر وهو يستعمل في الكتابة قال اهل اللغة المسيطر
القاهر الغالب من سيطر عليه اذا راقبه وحفظه او قهره قال المفسرون المسيطرون المسلطون
الجبارون وقال عطا ارباب قاهرون فلا يكونوا تحت امر ونهي يفعلون ما شاوا ويجوز بالسين
والصاد جميعا وقرا العامة المصيطرون بصاد خالصة من غير اشمامها زايا لاجل الطاء كما
تقدم في صراط وقرا هشام وقنبل من غير خلاف عنهما بالسين الخالصة التي هي الاصل وحفص
بخلاف عنه وقرا خلاد بصاد مشمة زايا من غير خلاف عنه وقرا خلاد بالوجهين اعني
كخلف العامة وتوجيه هذه القراات واضح مما تقدم في اول الفاتحة ولم يات على مفيعل
الا خمسة الفاظ اربعة صفة اسم فاعل نحو مهيمن ومبيقر ومسيطر ومبيطر وواحد اسم

اسم جبل وقيل اسم ارض لبني فزارة وهو المجيمر قال امرئ القيس •
• كان ذرى راس المجيمر غدوة • من السيل والغثا فلكة مغزل •
قوله ام لهم سلم اي مرقا ومصعد الى السما يستمعون فيه وهذا ايضا تتميم للدليل فان من
لا يكون خازنا ولا كاتبا قد يطلع على الامر بالسماع من الخازن او الكاتب فقال انتم لستم
بخزنة ولا كتبة ولا اجتمعتم بهم لانهم ملائكة ولا صعود لكم قوله يستمعون فيه صفة لسلم
وفيه على بابه من الظرفية وقيل هو بمعنى على قاله الواحدي كقوله تعالى ولاصلبنكم في جذوع
النخل ولا حاجة اليه وقدره الزمخشري متعلقا بحال محذوف وفيه تقديره صاعدين فيه ومفعول
يستمعون محذوف فقدره الزمخشري يستمعون ما يوحي الى الملائكة من علم الغيب وقدره
غيره يستمعون الخبر بصحة ما يدعون من انه شاعر وان لله شركا والظاهر انه لا يقدر له مفعول
بل المعنى يوقعون الاستماع اي لهم قوة الاستماع من السما حتى يعلموا انه ليس برسول قوله
فليات مستمعهم ولم يقل فلياتوا كما قال تعالى فلياتوا بحديث مثله فالجواب انه طلب منهم
الاهون على تقدير صدقهم ليكون امتناعه عليهم ادل على بطلان قولهم وقال هناك فلياتوا
بحديث اي اجتمعوا عليه وتقاونوا وتوازروا على الاتيان بمثله فان ذلك عند الاجتماع اهون واما الارتقا
في السلم بالاجتماع فمتعذر لانه يرتقي واحدا بعد واحد فلا يحصل في الدرجة العليا الا واحد
فقال فليات ذلك الواحد بما سمعه وفيه لطيفة وهي انه لو طلب منهم ما سمعوه لكان لواحد
ان يفتري ويقول سمعت كذا فقال لابد للواجب ان ياتي بدليل يدل عليه قوله ام
له البنات ولكم البنون وهذا انكار عليهم حين جعلوا لله ما يكرهون كقوله فاستفتهم الربك
البنات ولهم البنون ام تسالهم اجرا جعلا على ما جئتهم به ودعوتهم اليه فهم من مغرم مثقلون
اي اثقلهم ذلك الغرم تسالهم فمنعهم ذلك عن الاسلام فان قيل ما الفايدة في سوال النبي
عليه السلام حيث قال ام تسالهم ولم يقل ام تسالون اجرا كما قال تعالى ام يقولون ام يريدون
كيدا الى غير ذلك فالجواب ان فيه فايدتين احدهما تسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم
لانهم لما امتنعوا من الاستماع صعب على النبي عليه السلام فقال له ربه انك اتيت بما عليك فلا
يضيق صدرك حيث لم يومنوا فانت غير ملوم وانما كنت تلام ان كنت طلبت منهم اجرا فهل
طلبت ذلك فاثقلتهم فلا حرج عليك الثانية لو قال ام تسالون في طلب الاجر مطلقا
وليس كذلك لانهم كانوا مشركين مطالبين بالاجر من روسايهم واما النبي عليه السلام فقال
انك لا تسالهم اجرا فلم لا يتبعونك وغيرك يسالهم وهم يسالون ويتبعون السايلين هذا
غاية الضلال قوله ام عندهم الغيب اي علم ما غاب عنهم حتى علموا ان ما يخبرهم الرسول
من امر القيمة والبعث باطل قال قتادة وهذا جواب لقوله نتربص به ريب المنون يقول
اعندهم الغيب حتى علموا ان محمدا يموت قبلهم فهم يكتبون قال ابن الخطيب وهذا ضعيف
لبعد ذكره ولان قوله تعالى قل تربصوا متصل به وذلك يمنع اتصال هذا بذاك قال القتيبي
اي يحكمون والكتاب الحكم قال النبي صلى الله عليه وسلم للرجلين اللذين تخاصما اليه اقضي
بينكما بكتاب الله اي بحكم الله وقال ابن عباس معناه ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون
ما فيه ويخبرون الناس به والالف واللام في الغيب لا للعهد ولا لتعريف الجنس بل المراد
نوع الغيب كما تقول اشتر اللحم تريد بيان الحقيقة لا كل اللحم ولا لحما معينا قوله ام يريدون
كيدا اي مكرا بك ليهلكوك فالذين كفروا هم المكيدون اي هم المجزيون بكيدهم اي ان ضرر ذلك
يعود عليهم وتحقيق مكرهم بهم لانهم مكروا به في دار الندوة فقتلوا يوم بدر **فصل**
وجه التعلق اذا قيل بان قوله ام عندهم الغيب متصل بقوله تعالى نتربص به ريب
المنون فالمعنى انهم لما قالوا نتربص به ريب المنون قيل لهم اتعلمون الغيب فتعلمون انه
يموت قبلكم ام يريدون كيدا فيقولون نقتله فيموت فقيل لهم ان كنتم تدعون الغيب
فانتم كاذبون وان كنتم تظنون انكم تقدرون عليه فانتم غالطون فان الله يصونه
وينصره عليكم وان قيل بان المراد انه عليه السلام لا يسالكم عن الهداية مالا وانتم لا تعلمون
ما جا به لكونه من الغيوب فالمراد بقوله ام يريدون كيدا اي من الشيطان فكانه تعالى
قال انك لا تسالهم اجرا وهم لا يعلمون الغيب فهم محتاجون اليك واعرضوا فقد اختاروا كيد

الشيطان وارتضوا باتباعه والارادة بمعنى الاختيار كقوله تعالى من كان يريد حرث
الاخرة وقوله ايفكا الهة دون الله تريدون وقال اني اريد ان تبوء باثمي واثمك
الثاني ان المراد ام يريدون كيدا فهو واصل اليهم وهم عن قريب مكيدون والمعنى لما لم
يبق لهم في الاعراض فهم يريدون نزول العذاب والله ارسل اليهم رسولا لا يسالهم اجرا
ويهديهم الى ما لا علم لهم به ولا كتاب عندهم وهم معرضون فهم يريدون اذا ان يكيدهم
ويكيدهم لان الاستدراج كيد والاملا لازدياد الاثم كذلك ولا يقال هذا فاسد لان الكيد
والاساة لا تطلق على فعل الله الا بطريق المقابلة وكذا المكر فلا يقال اسا الله الى الكافر
ولا اعتدى الله الا اذا ذكرا ولا منهم شي من ذلك ثم يقال بعده مثله لفظا في حق الله
تعالى كقوله وجزا سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ومكروا ومكر
الله يكيدون كيدا واكيد كيدا لانا نقول الكيد ما يسوء من نزل به وان يحسن ممن وجد
منه كقول ابراهيم عليه السلام لاكيدن اصنامكم من غير مقابلة وتنكير الكيد اشارة الى
وقوع العذاب من حيث لا يشعرون فكانه قال ياتيهم بغتة ولا يكون لهم علم بعظمته
قوله فالذين كفروا هذا من وقوع الظاهر موقع المضمر تنبيها على اتصافهم بهذه الصفة
القبيحة والاصل ام يريدون كيدا فهم المكيدون او حكم على جنس هم نوع منه فيندرجون
اندراجا اوليا لتوغلهم في هذه الصفة قوله ام لهم اله غير الله يرزقهم وينصرهم
سبحان الله عما يشركون قال الخليل ما في هذه السورة من ذكر ام كلمة استفهام وليس
بعطف **فصل** قال اهل اللغة سبحان الله اسم علم للتسبيح وما في قوله عما
يشركون يحتمل ان تكون مصدرية اي عن اشراكهم ويحتمل ان تكون خبرية اي عن الذين
يشركون وعلى هذا يحتمل ان يكون عن الولد لانهم كانوا يقولون له البنات فقال
سبحان الله عن البنات والبنين ويحتمل ان يكون عن مثل الالهة اي سبحان الله عن
مثل ما يعبدونه قوله وان يروا كسفا من السما ساقطا ان هذه شرطية على بابها
وقيل هو بمعنى لو وليس بشي وقوله سحاب خبر مبتدا مضمر اي هذا سحاب والجملة
نصب بالقول **فصل** لما بين فساد اقوالهم وسقوطها اشار الى انه لم يبق لهم
عذر فان الايات والحجج قد ظهرت ولم يومنوا فبعد ذلك ان يروا كسفا اي قطعة من
السما ساقطا يقولوا سحاب مركوم اي ينكرون كونه اية ومعنى الاية لو عذبناهم بسقوط
بعض من السما عليهم لم ينتهوا عن كفرهم ويقولوا لمعاندتهم هذا سحاب مركوم اي بعضه
على بعض لسقيانا قوله ساقطا يحتمل ان يكون مفعولا ثانيا كقولك رايت زيدا عالما
وان يكون حالا كقولك ضربته قايما والثاني اولى لان الروية عند التعدي الى
مفعولين في اكثر الامر تكون مع العلم تقول رايت هذا المذهب صحيحا وهذا الوجه ظاهرا
وعند التعدي الى واحد تكون بمعنى راي العين في الاكثر تقول رايت زيدا قال
تعالى لما راوا باسنا وقال فاما ترين من البشر احدا والمراد من الاية روية العين
فصل قولهم سحاب مركوم اشارة الى انهم حين يعجزون عن التكذيب
ولا يمكنهم ان يعقلوا وقوع شي على الارض يرجعون الى التاويل والتخييل وقالوا
سحاب ولم يقولوا هذا سحاب اشارة الى وضوح الامر وظهور العناد فقولوا بلا شك
فيه وقالوا سحاب مركوم وحذف المبتدا ليبقى للقايل فيه مجال فيقولون عند
تكذيب الخلق اياهم قلنا سحاب مركوم يشبهه او مثله وان فشى الامر ضحوا وانهم استمروا
وهذه طريق من يخاف من كلام ولا يعلم هل يقبل منه ام لا فيجعل كلامه ذو وجهين فان
راى القبول صرح بمراده وان انكر عليه احدهما شرع بالاخر قوله فذرهم حتى يلاقوا
يومهم يومهم مفعول به لا ظرف وقرا ابو حيوة يلقوا مضارع لقي ويضعف ان يكون
المفعول محذوفا ويومهم ظرف اي يلقوا جزا اعمالهم في يومهم **فصل**
ذرهم كقوله فاعرض عنهم وتول عنهم الى غير ذلك قيل كلها منسوخة باية القتال
وهو ضعيف وانما المراد التهديد كقول السيد لعبده الجاني لمن يصحبه دعه فانه
سينال جنايته قوله الذي فيه يصعقون قرا ابن عامر وعاصم بضم يا يصعقون مبنيا

للمفعول وباقي السبعة بفتحها مبنيا للفاعل وقرا ابو عبد الرحمن بضم اليا وكسر العين فاما
الاولى فيحتمل ان يكون من صعق فهو مصعوق مبنيا للمفعول وهو ثلاثي حكاه الاخفش
فيكون مثل سعد واوان يكون من اصعق رباعيا يقال اصعق فهو مصعق قال الفارسي
والمعنى ان غيرهم اصعقهم وقراة السلمي تؤذن ان افعل بمعنى فعل ومعنى يصعقون اي
يموتون اي حتى يعاينوا الموت وقوله يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا يوم بدل من يومهم
وقيل ظرف لملاقوا فان قيل يلزم منه ان يكون اليوم في يوم فيكون اليوم ظرف اليوم فالجواب
هو على حد قولك يا في يوم قبل فلان يوم يبيع جرايمه قاله ابن الخطيب وقوله ولا هم
ينصرون اي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع قوله وان للذين
ظلموا يجوز ان يكون من ايقاع الظاهر موقع المضمر وان لا يكون كما تقدم والمعنى وان للذين
ظلموا اي كفروا عذابا دون ذلك اي عذابا في الدنيا قبل عذاب الاخرة قال ابن عباس
يعني القتل يوم بدر وقال الضحاك هو الجوع والقحط سبع سنين وقال البرا بن عازب
عذاب القبر ولكن اكثرهم لا يعلمون ان العذاب نازل بهم والمراد بالظلم هنا هو كيدهم
نبيهم عليه السلام وهم اهل مكة وقيل ظلموا بعبادة غير الله فيكون عاما في كل ظالم
والاشارة بقوله ذلك الى اليوم الذي فيه يصعقون ومفعول يعلمون يجوز ان يكون
ما تقدم ويجوز ان يكون لا مفعول له اي اكثرهم غافلون جاهلون قوله فاصبر
لحكم ربك اي الى ان يقع بهم العذاب الذي حكمت عليهم فانك باعيننا قراة العامة بالفك
وابو السماك بادغام النون فيما بعدها وناسب جمع الضمير هنا جمع العين الا تراه افرد
حيث افردها في قوله ولتصنع على عيني قاله الزمخشري والمعنى فانك بمراي منا قال
ابن عباس نرى ما يعمل بك وقال الزجاج انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون الى
مكروهك قال ابن الخطيب اللام في قوله لحكم ربك يحتمل وجوها احدها هي بمعنى
الى اي اصبر الى ان يحكم الله الثاني ان الصبر فيه معنى الثبات اي تثبت لحكم ربك واحتمله
الثالث هي اللام التي للسبب يقال لم خرجت فيقول لحكم فلان علي بالخروج فقال
واصبر واجعل سبب الصبر امتثال الامر اي فاصبر لهذا الحكم عليك لا لشي اخر قوله
وسبح بحمد ربك تقدم الكلام على نظيره وقوله حين تقوم قال سعيد بن جبير اي
قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت
احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة وروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من جلس مجلسا وكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك
وتبارك اسمك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما
وقال ابن عباس معناه صل لله حين تقوم من مقامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت
الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك
لما روت عايشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم
وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقال الكلبي هو ذكر الله باللسان
حين تقوم من الفراش الى ان تدخل في الصلاة لما روى عاصم بن حميد قال سالت
عايشة باي شي كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت كان اذا
قام كبر عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني ويتعوذ من
ضيق المقام يوم القيمة وقيل حين تقوم لامرنا ولا سيما اذا كنت تنتصب لمجاهدة قومك
ومعاداتهم والدعا عليهم فسبح بحمد ربك وبدل قيامك بالمعاداة والانتصاب لك لانتقام
بقيامك بذكر الله وتسبيحه قوله ومن الليل فسبحه اي صل له قال مقاتل يعني
صلاة المغرب والعشا وادبار النجوم يعني الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر
النجوم اي تغيب بضوء الصبح هذا قول اكثر المفسرين وقال الضحاك هي فريضة صلاة
الصبح قوله وادبار النجوم العامة على كسر الهمزة مصدرا بخلاف التي في اخر ق فانه
كما تقدم فان الفتح هناك لايق لانه يراد به الجمع لدبر السجود اي اعقابه على انه قد
قرا سالم الجعدي ويعقوب والمنهال بن عمرو بن عمر بفتحها هنا اي اعقاب النجوم واثارها

اذا غربت **فصل** هذه الاية نظير قوله سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
وقد تقدم الكلام عليها قال ابن الخطيب قال هاهنا وادبار النجوم وقال في ق وادبار
السجود فيحتمل ان يكون المعنى واحدا والمراد من السجود جمع ساجد والنجوم سجود
قال تعالى والنجم والشجر يسجدان وقيل المراد من النجوم نجوم السما وقيل النجم ما لا
ساق له من النبات قال تعالى ولله يسجد من في السموات والارض الاية او المراد من
النجوم الوضايف وكل وظيفة نجم في اللغة اذا فرغت من وظايف الصلاة فقل سبحان
الله كما تقدم روى ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
والطور كان حقا على الله عز وجل ان يومنه من عذابه وان ينعمه في جنته والله اعلم

سورة والنجم مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطا وقال ابن عباس وقتادة الا اية وهي قوله تعالى
الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الاية وهي احدى وستون اية وقيل ان السورة
مدنية والصحيح انها مكية لقول ابن مسعود هي اول سورة اعلنها رسول الله صلى
الله عليه وسلم بمكة وقيل اثنتان وستون اية وثلاث ماية وستون كلمة والف واربعماية
وخمسة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والنجم اذا هوى قال ابن عباس في رواية الوالبي والعوفي يعني الثريا
اذا سقطت وغابت وهويه مغيبه والعرب تسمي الثريا نجما قال قايلهم

اذا طلع النجم عشا . ابتغى الراعي كسا

وجا في الحديث عن ابي هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهة شي الا رفع
واراد بالنجم الثريا قال شهاب الدين وهذا هو الصحيح لان هذا صار علما بالغلبة ومنه
قول العرب

طلع النجم غديه . فابتغى الراعي كسيه

وقال عمرو بن ابي ربيعة احسن النجم في السما الثريا والثريا في الارض زين النسا يقال
انها سبعة انجم ستة منها ظاهرة وواحد خفي يمتحن الناس بها ابصارهم وروى القاضي
عياض في الشفا ان النبي عليه السلام كان يرى في الثريا احد عشر نجما وقال مجاهد هي نجوم السما
كلها حين تغرب لفظه واحد ومعناه الجمع سمي الكوكب نجما لطلوعه وكل طالع نجم السن
والقرن والنبت اذا طلع وروى عكرمة عن ابن عباس انها ما يرمى به الشياطين عند
استراقهم السمع وقال ابو حمزة الثمالي هي النجوم اذا انتثرت يوم القيمة وقيل المراد بالنجم هنا الجنس
قال الشاعر

فباتت تعد النجم في مستحيره . سريع بايدي الاكلين جمودها

اي تعد النجوم وهذا هو معنى مجاهد المتقدم وقيل المراد بالنجم الشعرى لقوله تعالى
وانه هو رب الشعرى وقيل الزهرة لانها كانت تعبد وقيل اراد بالنجم القران لانه نزل
نجوما متفرقة في عشرين سنة وسمي التفريق تنجيما والمفرق منجما قاله الكلبي ورواه
عطا عن ابن عباس والهوي النزول من اعلى الى اسفل وقال الاخفش النجم هو النبت
الذي لا ساق له ومنه قوله عز وجل والنجم والشجر يسجدان وهويه سقوطه على
الارض وقال جعفر الصادق يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اذا نزل من السما ليلة
المعراج والهوي النزول يقال هوى يهوي هويا والكلام في النجم كالكلام في قوله
والطور حيث لم يقل والنجوم ولا والاطوار وقال والذاريات والمرسلات كما تقدم

فصل السور التي تقدمت وافتتاحها بالقسم بالاسما دون الحروف هي الصافات
والذاريات والكلام في قوله والنجم كالكلام في قوله والطور وهذه السورة بعدها
فالاولى اقسم بها لاثبات الوحدانية كما قال ان الهكم لواحد وفي الثانية اقسم لوقوع
الحشر والجزا كما قال تعالى انما توعدون لصادق وان الدين لواقع وفي الثالثة لدوام
العذاب بعد وقوعه كما قال تعالى ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع وفي هذه
لاثبات النبوة لتكمل الاصول الثلاثة الوحدانية والحشر والنبوة والله اعلم تعالى لم

يقسم على الوحدانية ولا على النبوة كثيرا لانه اقسم على الوحدانية في سورة وهو والصافات
واما النبوة فاقسم بامر واحد في هذه السورة وبامرين في سورة والضحى واكثر من القسم
على الحشر وما يتعلق به فقال والليل اذا يغشى والشمس وضحاها والسماء ذات البروج
الى غير ذلك وكلها في الحشر وما يتعلق به وذلك لان دلايل الوحدانية كثيرة كلها عقلية
كما قيل • وفي كل شي له اية • تدل على انه واحد •
ودلايل النبوة ايضا كثيرة وهي المعجزات المشهورة واما الحشر ووقوعه فلا يمكن اثباته الا
بالسمع فاكثر فيه القسم ليقطع به المكلف ويعتقده اعتقادا جازما فصل قال
ابن الخطيب والفايدة في تقييد المقسم به بوقت هويه انه اذا كان في وسط السما يبعد
عن الارض لا يهتدي به الساري لانه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال
فاذا زال عن وسط السما تبين بزواله جانب المغرب عن المشرق والجنوب عن الشمال وخص
الهوى دون الطلوع لعدم الاهتدا به في الدين والدنيا كما قال الخليل عليه السلام لا
احب الافلين وفيه لطيفة وهي ان القسم بالنجم يقتضي تعظيمه وقد كان منهم من يعبده
فنبه بهويه على عدم صلاحيته للالهية باقوله فصل اول هذه السورة مناسب
لاخر ما قبلها لفظا ومعنى اما لفظا فقوله وادبار النجوم وافتتح هذه بالنجم مع واو القسم
واما معنى فلانه تعالى لما قال للنبي ومن الليل فسبحه وادبار النجوم بين له انه وبعده
عما لا يجوز له فقال ما ضل صاحبكم وما غوى قوله اذا هوى في العامل في هذا الظرف
اوجه وعلى كل منها اشكال احدها انه منصوب بفعل القسم المحذوف تقديره اقسم
بالنجم وقت هويه قاله ابو البقا وغيره وهو مشكل فان فعل القسم انشا والانشا حال
واذا لما يستقبل من الزمان فكيف يتلاقيان الثاني العامل فيه مقدر على انه حال من
النجم اي اقسم به حال كونه مستقرا في زمان هويه وهو مشكل من وجهين ان النجم جثة
والزمان لا يكون حالا عنها كما لا يكون خبرا والثاني اذا للمستقبل فكيف يكون حالا وقد اجيب
عن الاول بان المراد بالنجم القطعة من القران والقران قد نزل منجما في عشرين سنة وهذا
تفسير ابن عباس وغيره وعن الثاني بانها حال مقدرة الثالث ان العامل فيه نفس النجم
اذا اريد به القران قاله ابو البقا وفيه نظر لان القران لا يعمل في الظرف اذا اريد به انه اسم
لهذا الكتاب المخصوص وقد يقال ان النجم بمعنى المنجم في هذا الوقت وهذا البحث وارد في
مواضع منها والشمس وضحاها وما بعده وقوله والليل اذا يغشى والضحى والليل اذا
سجى وسياتي في الشمس بحث اخص من هذا ان شا الله تعالى والهوى قال الراغب
الهوى سقوط من علو ثم قال والهوى ذهاب في انحدار والهوي ذهاب في ارتفاع
وانشد • يهوي مخارمها هوي الاجدل • وقيل هوى في اللغة خرق الهوى ومقصده
السفل او مصيره اليه وان لم يقصده قال • هوى الدلو اسلمه الرشا •
وقال اهل اللغة هوى يهوي هويا اي سقوط من علو وهوى يهوي هوى اي صبا
وقد تقدم الكلام في هذا مشبعا قوله ما ضل هذا جواب القسم والمعنى ما ضل صاحبكم
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدى وما غوى ذهب اكثر المفسرين الى
ان الضلال والغي بمعنى واحد وفرق بعضهم بينهما فقال الضلال في مقابلة الهدى والغي
في مقابلة الرشد قال تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل
الغي يتخذوه سبيلا وقال تعالى قد تبين الرشد من الغي قال ابن الخطيب وتحقيق
القول فيه ان الضلال اعم استعمالا في الوضع تقول ضل بعيري ورحلي ولا تقول غي
فالمراد من الضلال ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا اصلا والغواية ان لا يكون له
طريق الى المقصد مستقيم ومما يدل على هذا قولك للمؤمن الذي ليس على طريق السداد
انه سفيه غير رشيد ولا تقول انه ضال فالضال كالكافر والغاوي كالفاسق فكانه تعالى
قال ما ضل اي ما كفر ولا اقل من ذلك ما فسق او يقال الضلال كالعدم والغواية كالوجود
الفاسد في الدرجة والمرتبة قال ويحتمل ان يكون المراد معنى قوله ما ضل اي ما جن
فان المجنون ضال وعلى هذا فهو كقوله تعالى والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك

بمجنون

بمجنون ومعنى صاحبكم اما سيدكم او مصاحبكم ما غوى اي ما تكلم بالباطل وقيل ما خاب
والغي الخيبة قوله وما ينطق عن الهوى اي ما يصدر عن الهوى نطقه فعن على بابها وقيل
هو بمعنى البا اي ما ينطق بالهوى يريد لا يتكلم بالباطل وذلك انهم قالوا ان محمدا يقول القران
من تلقا نفسه وفي فاعل ينطق وجهان احدهما هو ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وهو الظاهر
والثاني انه ضمير القران كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق واعلم ان في قوله تعالى
ما ضل وما غوى بصيغة الماضي وفي قوله وما ينطق بصيغة المستقبل ترتيب في غاية الحسن
اي ما ضل حين اعتزلكم وما تعبدون في صغره وما غوى حين اختلى بنفسه وراى في منامه
ما راى وما ينطق عن الهوى الان حين ارسل اليكم وجعل رسولا شاهدا عليكم فلم يكن اولا ضالا
ولا غاويا وصار الان منقذا من الضلال لكم مرشدا وهاديا قوله ان هو الا وحي يوحى ان
هو اي ان الذي ينطق به وقيل ان القران الا وحي من الله وقوله يوحى صفة لوحي وفايدة
المجي بهذا الوصف انه ينفي المجاز اي هو وحي حقيقة لا لمجرد التسمية كقولك هذا قول يقال
وقيل تقديره يوحى اليه ففيه مزيد فايدة نقل القرطبي عن السجستاني انه قال ان شيت
ابدلت ان هو الا وحي يوحى من ما ضل صاحبكم قال ابن الانباري وهذا غلط لان الحقيقة
لا تكون حيد لاحي ما تدبيل انك لا تقول والله ما قمت ان انا القاعد فصل والوحي
قد يكون اسما ومعناه الكتاب وقد يكون مصدرا وله معان منها الارسال والالهام والكناية
والكلام والاشارة والافهام وهذه الاية تدل على انه عليه السلام لم يجتهد وهو خلاف الظاهر
فانه اجتهد في الحروب وايضا حرم في قوله تعالى لم تحرم واذن فقال تعالى عفى الله عنك لم
اذنت لهم قوله علمه يجوز ان يكون هذه الها للرسول وهو الظاهر فيكون المفعول الثاني
محذوفا اي علم الرسول الوحي اي الموحى ويجوز ان يكون للقران والوحي فيكون المفعول الاول
محذوفا اي علمه الرسول والوحي ان كان هو الكتاب فظاهر وان كان الالهام فهو كقوله تعالى
نزل به الروح الامين على قلبك وقوله شديد القوى قيل هو جبريل وهو الظاهر وقيل
البارى تعالى كقوله الرحمن علم القران وشديد القوى من اضافة الصفة المشبهة لمرفوعها
فهي غير حقيقية والقوى جمع القوة قوله ذو مرة المرة القوة والشدة ومنه امررت الحبل
اذا احكمت فتله والمرير الحبل وكذلك المر كانه مر فتله مرة بعد اخرى وقال قطرب العرب
تقول لكل جزل الراي حصيف العقل ذو مرة وانشد •
• واني لذو مرة مرة • اذا ركبت حالة حالها •
وقال • قد كنت قبل لقايكم ذو مرة • عندي لكل مخاصم ميزانه •
وقال الجوهري والمرة احد الطبايع الاربع والمرة القوة وشدة العقل ايضا ورجل مرير اي قوي
ذو مرة قال • ترى الرجل النحيف فتزدريه • وحشو ثيابه اسد مرير •
وقال لقيط • حتى استمرت على شزر مريرته • مر العزيمة لا رتا ولا ضرعا •
فصل ذو مرة وقوة وشدة في خلقه يعني جبريل قال ابن عباس ذو مرة اي ذو
منظر حسن وقال مقاتل ذو خلق طويل حسن وقيل ذو كمال في العقل والدين جميعا
وقيل ذو منظر وهيبة عظيمة فان قيل قد تبين كونه ذا قوة بقوله شديد القوى فكيف
قال بعده ذو مرة اذا فسرنا المرة بالقوة قال ابن الخطيب قوله هنا ذو قوة بدل من شديد
القوى وليس وصفا له وتقديره ذو قوة عظيمة ووجه اخر وهو ان افراد قوة بالذكر ربما
يكون لبيان ان قواه المشهورة شديدة وله قوة اخرى خصه الله بها يقال فلان كثير المال
وله مال لا يعرفه احد اي امواله الظاهرة كثيرة وله مال باطن ثم قال على انا نقول المراد
ذو شدة وهي غير القوة وتقديره علمه من قواه شديدة وفي ذاته ايضا شدة فان الانسان
ربما يكون قواه شديدة وفي جسمه حقارة ويحتمل ان يكون المراد بقوله شديد القوى قوته
في العلم وبقوله ذو مرة اي شدة في جسمه فقدم العلمية على الجسمية كقوله تعالى وزاده
بسطة في العلم والجسم وقوله فاستوى يعني جبريل فاستوى جبريل في خلقه قال مكي
استوى يقع للواحد واكثر ما يقع من اثنين ولذلك جعل الفرا الضمير لاثنين قوله وهو
بالافق الاعلى في الضمير وجهان اظهرهما انه مبتدا وبالافق خبره والضمير لجبريل وللنبي صلى

الله عليه وسلم ثم في هذه الجملة وجهان احدهما ان هذه الجملة حال من فاعل استوى قاله مكي والثاني انها مستانفة اخبر الله تعالى بذلك والثاني انه وهو معطوف على الضمير المستتر في استوى وضمير استوى وهو اما ان يكون لله تعالى وهو قول الحسن وقيل ضمير استوى لجبريل وهو لمحمد صلى الله عليه وسلم قال البغوي في توجيه هذا ان اكثر كلام العرب اذا ارادوا العطف في مثل هذا ان يظهروا كناية المعطوف فيه فيقولون استوى هو وفلان وقلما يقولون استوى وفلان ونظير هذا قوله عز وجل أإذا كنا ترابا وآباؤنا فعطف الآباء على المكني في كنا من غير اظهار نحن ومعنى الاية استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج بالافق الاعلى وهو اقصى الدنيا عند مطلع الشمس وقيل ضمير استوى لمحمد وهو لجبريل وهذا الوجه الثاني انما يتمشى على قول الكوفيين لان فيه العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير تاكيد ولا فاصل وهذا الوجه منقول عن الفراء والطبري واذا قيل بان الضمير واعني استوى وهو لجبريل فمعناه قام في صورته التي خلقه الله فيها وهو بالافق الاعلى وذلك ان جبريل كان ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه في صورته التي جبل عليها فاراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السما فاما في الارض ففي الافق الاعلى وهو جانب المشرق وذلك ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان بحرا فطلع له جبريل من المشرق فسد الارض من المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل في صورة الادميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله ثم دنى فتدلى واما في السما فعند سدرة المنتهى ولم يره احد من الانبيا على تلك الصورة الا محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل معنى فاستوى اي استوى القران في صدره وعلى هذا فيه وجهان احدهما في صدر جبريل عليه السلام حين نزل والثاني في صدر محمد صلى الله عليه وسلم وفيه على هذا وجهان احدهما فاستوى اي فاعتدل في قوته الثاني في رسالته نقله القرطبي عن الماوردي قال وعلى هذا يكون تمام الكلام ذو مرة وعلى الثاني شديد القوي وقيل استوى اي ارتفع وفيه على هذا وجهان احدهما انه جبريل عليه السلام اي ارتفع الى مكانه الثاني انه النبي عليه السلام اي ارتفع بالمعراج وقيل معنى استوى اي الله عز وجل استوى على العرش قال الحسن قوله ثم دنا فتدلى التدلي الامتداد من علو الى سفل فيستعمل في القرب من العلو قاله الفراء وابن الاعرابي وقال الهذلي

تدلى علينا وهو زرق حمامة • له طحلب في منتهى القيظ هامد •

وقال الشاعر • تدلى عليها بين سب وخيطة •

ويقال هو كالقرلى ان راى خيرا تدلى وان لم يره تولى

فصل في قوله دنا فتدلى وجوه اشهرها ان جبريل دنا من النبي صلى الله عليه وسلم اي بعد ما مد جناحه وهو بالافق عاد الى الصورة التي كان يعتادها لنزول عليها وقرب من النبي عليه السلام الثاني ان الدنو والتدلي بمعنى واحد فكانه قال دنا فقرب ذهب الفرا الى ان الفا في تدلى بمعنى الواو والتقدير ثم تدلى جبريل عليه السلام ودنا ولكنه جائز اذا كان معنى الفعلين واحد قدمت ايهما شيت فقلت فدنا فقرب وقرب فدنا وشتمني فاسا واسا فشتمني لان الاساة والشتم شي واحد وكذلك قوله اقتربت الساعة وانشق القمر اي انشق القمر واقتربت الساعة الثالث دنا اي فصد القرب من محمد عليه السلام وتحول عن المكان الذي كان فيه فتدلى فنزل الى النبي صلى الله عليه وسلم الوجه الثاني ان محمدا دنا من الخلق والامة ولان لهم وصار كواحد منهم فتدلى اي تدلى اليهم بالقول اللين والدعا بالرفق فقال انا بشر مثلكم يوحي الي الثالث دنا منه ربه تعالى فقرب منزلة كقوله عليه السلام حكاية عن ربه تعالى من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا ومن مشى الي اتيته هرولة وهذا اشارة الى المعنى المجازي قوله فكان قاب ههنا مضاف محذوف يضطر لتقديرهما اي فكان مقدار مسافة قربه منه مثل مقدار مسافة قاب وقد فعل ابو علي هذا في قول الشاعر وقد جعلتني من خزيمة اصبعا اي ذا مقدار مسافة اصبع والقاب المقدار تقول هذا قاب هذا اي قدره ومثله القيب

والقاد

والقاد والقيد والقيس قال الزمخشري وقد جا التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لا صلاة الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط والف قاب عن واو نص عليه ابو البقا واما قيب فلا دلالة فيه على كونها يا لان الواو اذا انكسر ما قبلها قلبت يا كديمة وقيمة وذكره الراغب ايضا في مادة قوب الا انه قال في تفسيره هو ما بين المقبض والسية من القوس فعلى هذا يكون مقدار نصف القوس لان المقبض في نصفه والسية هي الموضع التي يحط فيها الوتر وفيما قاله نظر لا يخفى ويروى عن مجاهد انه من الوتر الى مقبض القوس في وسطه وقيل ان القوس ذراع يقاس به نقل ذلك عن ابن عباس وانه لغة للحجازيين والقوس معروفة وهي مونثة وشذوا في تصغيرها فقالوا قويس من غير تا نيث كعريب وحريب ويجمع على قسي وهو مقلوب من قوس والقوس برج في السما فاما القوس بالضم فصومعة الراهب قال الشاعر لا يستفتيني وذا المسحين في القوس قوله او ادنى هي كقوله او يزيدون لان المعنى فكان باحد هذين المقدارين في راي الرائي اي لتقارب ما بينهما يشك الرائي في ذلك وادنى افعل تفضيل والمفضل عليه محذوف اي او ادنى من قاب قوسين

فصل روى الشيباني قال سالت زرا عن قوله فكان قاب قوسين او ادنى قال اخبرنا عبد الله يعني ابن مسعود ان محمدا راى جبريل له ستماية جناح معنى الاية ثم دنا جبريل بعد استوايه بالافق الاعلى من الارض فتدلى فنزل الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان قاب قوسين او ادنى بل ادنى وبهذا قال ابن عباس والحسن وقتادة وقال اخرون دنا الرب من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه حتى كان قاب قوسين او ادنى قال البغوي وروينا في قصة المعراج عن شريك بن عبد الله عن انس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وهذا رواية ابن مسلمة عن ابن عباس وقال مجاهد دنا جبريل من ربه وقال الضحاك دنا محمد من ربه فتدلى فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين او ادنى وتقدم الكلام على القاب والقوس ما يرى به في قول مجاهد وعكرمة وعطا عن ابن عباس فاخبر انه كان بين جبريل وبين محمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وقال مجاهد معناه حيث الوتر من القوس وهذا اشارة الى تاكيد القرب والاصل فيه ان الحليفين من العرب كانا اذا ارادا الصفا والعهد خرجا بقوسيهما فالصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين وهو قول سعيد بن جبير وشقيق بن سلمة والقوس الذراع يقاس بها كل شي وادنى بل اقرب وانما ضرب المثل بالقوس لانها لا تختلف بالقاب وان لم يجر له ذكر لعدم اللبس قوله فاوحى اي اوحى الله الى عبده محمد وقوله ما اوحى ابهم تعظيما له ورفعا من شانه وبهذه الاية استدل ابن مالك على انه لا يشترط في الصلة ان تكون معهودة عند المخاطب ومثله فغشيهم من اليم ما غشيهم الا ان هذا الشرط هو المشهور عند النحويين والوحي القا الشي بسرعة ومنه الوحا الوحا

فصل في فاعل اوحى الاول وجهان احدهما ان الله تعالى اوحى وعلى هذا ففي عبده وجهان احدهما انه جبريل اي اوحى الله الى جبريل وعلى هذا ففي فاعل اوحى الاخير وجهان احدهما انه الله تعالى ايضا والمعنى حينئذ فاوحى الله تعالى الى جبريل الذي اوحاه الله ابهمه تفخيما وتعظيما للموحي ثانيهما فاعل اوحى الثاني جبريل اي اوحى الى جبريل ما اوحى جبريل وعلى هذا فالمراد من الذي اوحى جبريل عليه السلام يحتمل وجهين احدهما ان يكون مبينا وهو الذي اوحى جبريل الى محمد وثانيهما ان يكون عاما اي اوحى الله الى جبريل ما اوحى الى كل رسول الوجه الثاني في عبده على قولنا الموحي هو الله انه محمد عليه السلام اي اوحى الله الى محمد ما اوحى للتفخيم والتعظيم الوجه الثاني في فاعل اوحى الاول هو انه جبريل اوحى الى عبده اي الى عبد الله يعني محمد ما اوحى اليه ربه عز وجل قاله ابن عباس في رواية عطا والكلبي والحسن والربيع وابن زيد وعلى هذا ففي فاعل اوحى الثاني وجهان احدهما انه جبريل اي اوحى جبريل الى محمد ما اوحى الله اليه

فصل وفي الذي اوحى وجوه الاول قال سعيد بن جبير اوحى

اليه ام يحرك بينهما فاوي الي قوله ورفعنا لك ذكرك الثاني اوحي اليه الصلاة الثالث
ان احدا من الانبيا لا يدخل الجنة قبلك وان امة من الامم لا تدخلها قبل امتك الرابع
انه مبهم لا يطلع عليه احد وتعبدنا به علي الجملة الخامس ان ما للعموم والمراد كل ما جا
به جبريل قوله ما كذب قرا هشام وابو جعفر بتشديد الذال والباقون بتخفيفها فاما
الاولي فان معناها ان ما راه محمد بعينه صدقه قلبه ولم ينكره اي لم يقل له لم اعرفك
وما مفعول به موصول والعايد محذوف ففاعل راي ضمير يعود علي النبي صلي الله
عليه وسلم واما قراة التخفيف فقيل فيها كذلك وكذب يتعدي بنفسه وقيل هو علي
اسقاط الخافض اي فيما راه بعينه **فصل** قال الزمخشري معناه ان قلبه
لم يكذب وما قال ان من يراه ببصرك ليس بصحيح ولو قال فواده ذلك لكان كاذبا فيما
قاله فما كذب الفواد هذا علي قراة التخفيف يقال كذبه اذا قال له الكذب واما قراة
التشديد فمعناه ما قال ان المري خيال لا حقيقة واما الراي فقيل هو الفواد كانه
تعالي قال ما كذب الفواد ما راه الفواد اي لم يقل انه هاجس شيطان بل يتيقن ان
ما راه بفواده صدق صحيح وقيل الراي هو البصر اي ما كذب الفواد ما راه البصر
خيال وقيل ما كذب الفواد ما راي محمد عليه السلام وعلي هذا فالمراد بالفواد
الجنس اي القلوب شهدت بصحة ما راه محمد صلي الله عليه وسلم واما المري فقيل
هو الرب تعالي وقيل هو جبريل عليه السلام وقيل الايات العجيبة الالهية فالقايل
بان المري هو الله تعالي اختلفوا في معني الروية فقال بعضهم جعل بصره في فواده
فراه بفواده وهو قول ابن عباس قال راه بفواده مرتين ما كذب الفواد ما راي
ولقد راه نزلة اخري وقال انس والحسن وعكرمة راي محمد ربه بعينه وروي عكرمة
عن ابن عباس قال ان الله اصطفي ابراهيم بالخلة واصطفي موسي بالكلام واصطفي
محمدا بالروية صلي الله عليه وسلم وكانت عايشة رضي الله عنها تقول لم ير رسول الله
صلي الله عليه وسلم ربه وتحمل الروية علي روية جبريل قال مسروق قلت لعايشة
يا امتاه هل راي محمد ربه قالت لقد وقف شعري مما قلت اين انت من ثلاث حدثكهن
فقد كذب من حدثك ان محمدا راي ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار وهو يدرك
الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرات وما تدري نفس ماذا تكسب غدا
ومن حدثك انه كتم شيا مما انزل الله فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل
اليك من ربك الاية ولكنه راي جبريل في صورته مرتين وروي ابو ذر قال سالت
رسول الله صلي الله عليه وسلم هل رايت ربك قال نور اني اراه قوله افتمارونه
قرا الاخوان افتمرونه بفتح التا وسكون الميم والباقون تمارونه وعبد الله بن مسعود
والشعبي افتمرونه بضم التا وسكون الميم فاما الاولي ففيها وجهان احدهما انها من
مريته حقه اذا علمته وجحدته اياه وعدي بعلي لتضمنه معني الغلبة وانشد

لين هجرت اخا صدق ومكرمة • لقد مريت اخا ما كان يمريكا •

لانه اذا جحده حقه فقد غلبه عليه قال المبرد يقال مراه عن حقه وعلي حقه
اذا منعه منه ودفعه قال ومثل علي بمعني عن قول بني كعب بن ربيعة رضي الله عليك
اي عنك والثاني انها من مراه علي كذا اي غلبه عليه فهو من المرا وهو الجدال واما
الثانية فهي من ماراه يماريه مرا اي جادله واشتقاقه من مري الناقة لان كل واحد
من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وكان من حقه ان يتعدي بفي كقولك جادلته
في كذا وانما ضمن معني الغلبة فعدي تعديتها واما قراة عبد الله من امراه رباعيا
فصل المعني افتجادلونه اي كيف تجادلونه علي ما يري وذلك انهم جادلوه
حين اسري به فقالوا صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا في الطريق وغير ذلك
مما جادلوه به والمعني افتجادلونه جدالا ترومون به دفعه عما راه وعلمه وتيقنه
فان قيل هلا قيل افتمارونه علي ما راي بصيغة الماضي لانهم انما جادلوه حين اسري به

كما تقدم وما الحكمة في ايراده بصيغة المضارع فالجواب ان التقدير افتمارونه علي ما يري
فكيف وهو قد راه في السما فماذا تقولون فيه قوله ولقد راه نزلة اخري في نصب نزلة
ثلاثة اوجه احدها انها منصوبة علي الظرف قال الزمخشري نصب الظرف الذي هو مرة لان
الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها قال شهاب الدين وهذا ليس مذهب البصريين وانما
هو مذهب الفرا نقله عنه مكي الثاني انها منصوبة نصب المصدر الواقع موقع الحال قال
مكي اي راه نازلا نزلة اخري واليه ذهب الحوفي وابن عطية الثالث انه منصوب علي المصدر
الموكد فقدره ابو البقا مرة اخري او روية اخري قال شهاب الدين وفي تاويل نزلة بروية
نظر واخري تدل علي سبق روية قبلها وعند سدرة ظرف لراه وعندها جنة جملة ابتدائية
في موضع الحال والاحسن ان يكون الحال الظرف وجنة الماوي فاعل به والعامة علي جنة اسم
مرفوع وقرا امير المومنين وابو الدردا وابو هريرة وابن الزبير وانس وزر بن حبيش
ومحمد بن كعب جنة فعلا ماضيا والها ضمير المفعول يعود للنبي صلي الله عليه وسلم والماوي
فاعل بمعني ستره ايوا الله تعالي وقيل المعني ضمه المبيت والليل وقيل جنه بظلاله ودخل
فيه قال ابن الخطيب والضمير في قوله عندها علي هذه القراة عايد الي النزلة اي عند النزلة
جن محمدا الماوي والصحيح انه عايد الي السدرة وقد ردت عايشة هذه القراة وتبعها جماعة
وقالوا اجن الله من قراها واذا ثبتت قراة عن مثل هولا فلا سبيل الي ردها ولكن المستعمل انما هو
اجنه رباعيا فان استعمل ثلاثيا تعدي بعلي كقوله تعالي فلما جن عليه الليل راي كوكبا
وقال ابو البقا وهو شاذ والمستعمل اجنه وقد تقدم الكلام علي هذه المادة في الانعام
فصل والواو في ولقد يحتمل ان تكون عاطفة ويحتمل ان تكون للحال اي كيف
تجادلونه فيما راه وقد راه علي وجه لا شك فيه واعلم ان قوله نزلة هي فعلة من النزول
كجلسة من الجلوس فلا بد من نزول واختلفوا في ذلك النزول وفيه وجوه الاول ان
الضمير في راه عايد الي الله تعالي اي راي الله نزلة اخري وهذا قول من قال في قوله ما
كذب الفواد ما راي هو الله وقد قيل بان النبي عليه السلام راي ربه بقلبه مرتين وعلي
هذا ففي النزول وجهان احدهما قول من يجوز علي الله الحركة وثانيهما ان النزول بمعني
القرب بالرحمة والفضل الثاني ان محمدا راي الله نزلة اخري والمراد من النزلة ضدها
وهي العرجة كانه قال راه عرجة اخري قال ابن عباس نزلة اخري هو انه كانت للنبي
صلي الله عليه وسلم عرجات في تلك الليلة لمسالة التخفيف من الصلاة فيكون لكل عرجة
نزلة فراي ربه في بعضها وروي عن ابن عباس ان النبي عليه السلام راي ربه بفواده مرتين
وعنه انه راي ربه بعينه القول الثالث ان الضمير في راه عايد الي جبريل اي راي جبريل
نزلة اخري اي راي جبريل في صورته التي خلق عليها نازلا من السما مرة اخري وذلك انه
راه في صورته مرتين مرة في الارض ومرة في السما عند سدرة المنتهي قال ابن الخطيب
ويحتمل ان تكون النزلة لمحمد عليه السلام كما تقدم في العرجات **فصل** وقوله
عند سدرة المنتهي المشهور ان السدرة شجرة في السما السابعة وقيل في السما السادسة
كما ورد عنه عليه السلام انه قال نبقها كقلال هجر وورقها كاذان الفيلة وقيل سدرة
المنتهي هي الحيرة القصوي من السدرة والسدرة كالركبة من الراكب عندما يحار العقل
حيرة لا حيرة فوقها ما حار النبي صلي الله عليه وسلم وما غاب وراي ما راي وقوله
عند سدرة المنتهي ظرف مكان او ظرف زمان في هذا الموضع قال ابن الخطيب المشهور انه ظرف
مكان اي راي جبريل او غيره بقرب سدرة المنتهي وقيل ظرف زمان كما يقال طلب عند
طلوع الفجر والتقدير راه عند الحيرة القصوي اي في الزمان الذي يحار عقل العقلا
فهو عليه السلام ما حار وفتا من شانه ان يحار العاقل فيه فان قيل هذا التاويل
يبطل بقوله يغشي السدرة ما يغشي فالجواب ان المراد من الغشيان غشيان حال علي حال
اي ورد علي حالة الحيرة حالة الروية واليقين وان محمدا عندما يحار العقل ماراه وقت ما طرا
علي تلك الحالة ما طرا من فضل الله ورحمته والصحيح الاول اذا قيل بان
محمدا عليه السلام راي الله فمعناه انه راه عند سدرة المنتهي والظرف قد يكون ظرفا للراي

كما اذا قال القايل رأينا الهلال فيقال له اين رأيته فيقول على السطح وقد يقول عند
الشجرة الفلانية وأما قول من قال ان الله في مكان فذلك باطل وان قيل بان المرئي جبريل
عليه السلام فظاهر **فصل** اضافة السدرة الى المنتهى يحتمل وجوها احدها اضافة
الشيء الى مكانه كقولك اشجار بلدة كذا فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه كذا قال هلال بن
يساف سال ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وانا حاضر فقال كعب انها سدرة في اصل
العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهي علم الخلايق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله تعالى
وقيل ينتهي اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها وقال كعب ينتهي اليها الملايكة والانبيا
وقال الربيع ينتهي اليها ارواح المومنين الشهدا وقال قتادة ينتهي اليها ارواح المومنين
وثانيها اضافة المحل الى الحال فيه كقولك كتاب الفقه وعلى هذا فالتقدير سدرة عندها
منتهى العلوم وثالثها اضافة الملك الى مالكه كقولك دار زيد وشجرة زيد وحينئذ المنتهى
فيه محذوف تقديره سدرة المنتهى اليه قال الله تعالى الى ربك المنتهى فالمنتهى اليه هو
الله تعالى واضافة السدرة اليه حينئذ كاضافة البيت اليه للتشريف والتعظيم كما يقال
بالغاية يا رب عشاه يا منتهى املاه **فصل** وجنة المأوى قيل هي الجنة التي وعدها
المتقون كقوله دار المقامة وقيل هي جنة اخرى عندها تكون ارواح الشهدا وقيل هي
جنة الملايكة قوله اذ يغشى منصوب براه وقوله ما يغشى كقوله ما اوحى وقال ابن
الخطيب العامل في اذ اما قبلها وما بعدها فيه وجهان احدهما فان قلنا ما قبلها ففيه
احتمالان اظهرهما راه اي راه وقت ما يغشى السدرة الذي يغشى والثاني العامل فيه
الفعل الذي في النزلة اي راه نزلة اخرى تلك النزلة وقت ما يغشى السدرة ما يغشى اي
نزوله لم يكن الا بعد ما ظهرت العجايب عند السدرة وغشيها ما غشى وان قلنا العامل فيها
ما بعدها فالعامل فيه ما زاغ البصر اي ما زاغ بصره وقت غشيان السدرة ما غشيها **فصل**
اختلفوا فيما يغشى السدرة فقيل فراش او جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن
مسعود والضحاك قال القرطبي ورواه ابن مسعود وابن عباس ورأيت على كل ورقة ملكا
قايما يسبح وذلك قوله اذ يغشى السدرة ما يغشى قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لان ذلك
لا يثبت الا بدليل سمعي فان صح فيه خبر والا فلا وجه له وقيل ملايكة يغشونها كانهم
طيور يرتقون اليها متشرفين متبركين بها زايرين كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها
انوار الله لان النبي عليه السلام لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل فظهرت الانوار
لكن السدرة اقوى من الجبل واثبت فجعل الجبل دكا ولم تتحرك الشجرة وخر موسى صعقا
ولم يتزلزل محمد وقيل ابهمه تعظيما له والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشي
ويكون بمعنى الاتيان يقال فلان يغشاني كل وقت اي يأتيني **فصل** قال
الماوردي في معاني القران ان قيل لم اختيرت السدرة لهذا الامر دون غيرها من الشجر
قال لان السدرة تختص بثلاثة اوصاف ظل مديد وطعم لذيذ وراحة زكية فشابهت
الايمان الذي يجمع قولا وعملا ونية فظلها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه وطعمها بمنزلة
النية لكونه ورايحتها بمنزلة القول لظهوره وروى ابو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قطع سدرة صوب الله راسه في النار وسيل ابو داود عن معنى هذا الحديث
فقال هو مختصر يعني من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهايم عبثا وظلما
بغير حق يكون له فيها صوب الله راسه في النار وقوله ما زاغ البصر وما طغى اللام في البصر
يحتمل وجهين احدهما المعروف اي ما زاغ بصر محمد عليه السلام وعلى هذا فعند الزيغ وجوه
ان قيل بان الغاشي للسدرة هو الجراد والفراش فمعناه لم يلتفت اليه ولم يشتغل به ولم
يقطع نظره عن مقصوده فيكون غشيان الجراد والفراش ابتلاء وامتحانا لمحمد عليه السلام
وان قيل ان الغاشي انوار الله تعالى ففيه وجهان احدهما معناه لم يلتفت يمنة ويسرة
بل اشتغل بمطالعتها والثاني ما زاغ البصر بصعقة بخلاف موسى عليه السلام فانه قطع
النظر وغشي عليه ففي الاول بيان ادب محمد عليه السلام وفي الثاني بيان قوته الوجه
الثاني ان اللام لتعريف الجنس اي ما زاغ بصره اصلا في ذلك الموضع لعظم هيبته فان

قيل لو كان كذلك لقال ما زاغ بصره فانه ادل على العموم لان النكرة في معرض النفي تعم
فالجواب هو قوله لا تدركه الابصار ولم يقل ولم يدركه بصر قوله وما طغى فيه وجهان
الاول انه عطف جملة مستقلة على جملة اخرى والثاني انه عطف جملة مقدرة على جملة
فمثال المستقلة خرج زيد ودخل عمرو ومثال المقدرة خرج زيد ودخل والوجهان
جايزان هنا اما الاول فكانه تعالى قال عند ظهور النور ما زاغ بصر محمد عليه السلام
وما طغى محمد بسبب الالتفات ولو التفت لكان طاغيا واما الثاني فظاهر فان قيل
بان الغاشي للسدرة جراد فالمعنى لم يلتفت اليه وما طغى اي ما التفت الى غير الله ولم
يلتفت الى الجراد ولا الى غير الجراد بل الى الله وان قيل غشيها نور فقوله ما زاغ اي ما
مال عن الانوار وما طغى اي ما طلب شيا وراه وفيه لطيفة وهي ان يكون ذلك بيانا
لوصول محمد عليه السلام الى سدرة المنتهى اليقين الذي لا يقين فوقه وذلك ان بصر
محمد عليه السلام ما زاغ اي ما مال عن الطريق فلم ير الشي على خلاف ما هو عليه بخلاف
من ينظر الى عين الشمس مثلا ثم ينظر الى شي ابيض فانه يراه اصفر واخضر يزيغ بصره عن
حادة الابصار وقوله وما طغى اي ما يخيل المعدوم موجودا وقيل وما طغى اي ما جاوز
ما امر به قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى في الكبرى وجهان اظهرهما انه مفعول
راى ومن ايات ربه حال مقدرة والتقدير لقد راى الايات الكبرى من ايات ربه والثاني
ان من ايات ربه وهو مفعول الروية والكبرى صفة لايات ربه وهذا الجمع يجوز وصفه
بوصف المونثة الواحدة وحسنه هنا كونها فاصلة وقد تقدم مثله في طه عند قوله
لنريك من اياتنا الكبرى قال ابن الخطيب في الكبرى وجهان احدهما انها صفة لمحذوف
تقديره لقد راى من ايات ربه الاية الكبرى ثانيها صفة لايات ربه فيكون مفعول
راى محذوفا تقديره راى من ايات ربه الكبرى اية او شيا **فصل** قال بعض
المفسرين ايات ربه الكبرى هي انه راى جبريل عليه السلام في صورته قال ابن الخطيب
والظاهر ان هذه الايات غير تلك لان جبريل عليه السلام وان كان عظيما لكن ورد في
الاخبار ان لله ملايكة اعظم منه والكبرى تانيث الاكبر فكانه تعالى قال راى من ايات
ربه الكبرى اي ايات هي اكبر الايات **فصل** قال المفسرون راى رفرفا اخضر سد
افق السما قال البيهقي الرفرف جبريل عليه السلام في صورته على رفرف والرفرف البساط
وقيل ثوب كان يلبسه قال القرطبي وروى ابن عباس في قوله تعالى دنا فتدلى انه
على التقديم والتاخير اي تدلى الرفرف لمحمد عليه السلام ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع
فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي فعلى
هذا الرفرف ما يجلس عليه كالبساط ونحوه **فصل** قال ابن الخطيب هذه
الاية تدل على ان محمدا عليه السلام لم ير الله عز وجل ليلة المعراج وانما راى ايات الله
وفيه خلاف ووجه الدلالة انه ختم قصة المعراج هنا برؤية الايات وقال سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى ان قال لنريه من اياتنا ولو كان رأى ربه لكان
ذلك اعظم ما يمكن فكانت اكبر شي هو الرؤية فكان الامر للرؤية قوله افرايتم اللات
والعزى لما قرر الرسالة ذكر ما ينبغي ان يبتدي به الرسول وهو التوحيد ومنع الخلق
عن الاشراك فقوله افرايتم اشارة الى ابطال قولهم معشر القول كما اذا ادعى ضعيف الملك
ثم رآه العقلاء في غاية البعد عما يدعيه يقول انظروا الى هذا الذي يدعي الملك منكرين
عليه غير مستدلين بدليل لظهور امره فكذلك قال افرايتم اللات والعزى اي كما هما فكيف
تشركونهما بالله **فصل** والالف واللام في اللات زايدة لازمة فاما قوله
الى لانها حذفت للاضافة وهل هي والعزى علمان بالوضع او صفتان غالبتان خلاف
ويترتب على ذلك جواز حذف ال وعدمه فان قلنا انهما ليسا وصفين في الاصل فلا تحذف
منهما ال وان قلنا انهما صفتان وان ال للمح الصفة جاز وبالتقديرين فال زايدة وقال
ابو البقا وقيل هما صفتان غالبتان مثل الحارث والعباس فلا تكون ال زايدة انتهى
قال شهاب الدين وهو غلط لان التي للمح الصفة منصوص على زيادتها بمعنى انها لم توثر

لتعريفا واختلف في تا اللات فقيل اصل واصله من لات يليت فالفها عن يا فان مادة ل ي ت
موجودة وقيل زايدة وهي من لوي يلوي لانهم كانوا يلوون اعناقهم اليها او يلتوون اي يعتكفون
عليها واصله لوية فحذفت لامها فاصلها على هذا لوه وقال الزمخشري هي فعلة من لوى يلوي
وعلى هذا فاصلها لوية فسكنت اليا وحذفت لالتقا الساكنين بقيت لوة فقلبت الواو الفا
لفتح ما قبلها فصارت لات واختلف القرا في الوقف على تايها فوقف الكسايي عليها بالها والباقون
بالتا وهو مبني على القولين المتقدمين فمن اعتقد تاها اصلية اقرها في الوقف كتا بيت
ومن اعتقد زيادتها وقف عليها بالها قال ابن الخطيب والتا في اللات تا تانيث كما في المناة لكنها
تكتب مطوطة لئلا يوقف عليها فتصير ها فتشتبه باسم الله فان الها في الله اصلية ليست تا
تانيث ووقف عليها فانقلبت ها واللات اسم صنم قيل كان لثقيف بالطايف قاله قتادة
وقيل بعكاظ وقال ابن زيد بيت بنخلة وقيل صنم ورجح ابن عطية الاول بقول الشاعر

● وفرت ثقيف الى لاتها ● بمنقلب الخايب الخاسر ●

والعامة على تخفيف تايها وقرا ابن عباس ومجاهد ومنصور بن المعتمر وابو الجوزا وابو صالح
وابن كثير في رواية بتشديد التا فقيل هو رجل كان يلت السويق ويطعمه الحاج فلما مات
عكفوا على قبره يعبدونه فهو اسم فاعل في الاصل غلب على هذا الرجل وكان يجلس عند حجر
فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وقال مجاهد كان في راس جبل له غنيمة يسلا
منها السمن ويأخذ منها الاقط ويجمع رسلها ويتخذ منه حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة
فلما مات عبدوه وهو اللات وقال الكلبي كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان
يسلا السمن فيضعه على صخرة ثم تاتيه العرب فتلت به اسوقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف
الى منازلها فعبدتها قال القرطبي كانت صخرة مربعة وكان سدنتها من ثقيف وكانوا قد
بنوا عليها بنا فكانت قريش وجميع العرب تعظمها وبها كانت العرب تسمي زيد اللات وتيم اللات
وكانت في موضع مسجد الطايف اليسرى فلم تزل كذلك الى ان اسلمت ثقيف فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليا فهدمها وحرقها بالنار ثم اتخذوا العرب العزى وهي احدث من اللات
اتخذها ظالم بن سعد والعزى فعلى من العز وهي تانيث الاعز كالفضلى والافضل وهي اسم
صنم وقيل شجرة كانت تعبد قال مجاهد هي شجرة كانت بغطفان كانوا يعبدونها فبعث النبي
صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل خالد يضربها بالفاس ويقول

● يا عز كفرانك لا سبحانك ● اني رايت الله قد اهانك ●

فخرجت منها شيطانة مكشوفة الراس ناشرة شعرها تضرب راسها وتدعو بالويل والثبور
فقتلها خالد وروي ان خالدا لما قطع الشجرة رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها
فقال ما رايت قال ما رايت شيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما بلغت فعاودها ومعه
المعول فقلعها واجتث اصلها فخرجت منها امراة عريانة فقتلها ثم رجع الى النبي صلى الله عليه
وسلم واخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا وقال الضحاك هو صنم لغطفان وضعها
لهم سعد بن ظالم الغطفاني وذلك انه قدم مكة فراى الصفا والمروة وراى اهل مكة يطوفون
بينهما فعاد الى بطن نخلة وقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله
يعبدونه وليس لكم قالوا فما تامرنا قال انا اصنع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من
المروة ونقلها الى نخلة فوضع الذي اخذ من الصفا فقال هذا الصفا ثم وضع الذي اخذ من
المروة فقال هذا المروة ثم اخذ ثلاثة احجار فاسندها الى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون
بين الحجرين ويعبدون الحجارة حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فامر برفع الحجارة
وبعث خالد بن الوليد الى العزى فقطعها وقال قتادة وابن زيد هي بيت بالطايف كانت تعبده
ثقيف وقال ابن جبير العزى حجر ابيض كانوا يعبدونه قوله ومناة قرا ابن كثير مناءة
بهمزة مفتوحة بعد الالف والباقون بالف وحدها وهي صخرة كانت تعبد من دون الله فاما
قراة ابن كثير فاشتقاقها من النوء وهو المطر لانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء ووزنها
حينئذ مفعلة فالفها عن واو وهمزتها اصلية وميمها زايدة وانشدوا على ذلك

● الا هل اتى تيم وعبد مناءة ● على الناي فيما بيننا ابن تميم ●

وقد

وقد انكر ابو عبيد قراءة ابن كثير وقال لم اسمع الهمز قال شهاب الدين قد سمعه غيره والبيت
حجة عليه واما قراءة العامة فاشتقاقها من منى يمني اي صب لان دما النسايك كانت تصب عندها
وانشدوا لجرير

● ازيد مناة توعد بابن تيم ● تامل اين تاه بك الوعيد ●

وقال ابو البقا والفه عن يا لقولك منى يمني اذا قدر ويجوز ان يكون من الواو ومنه منوان
فوزنها على قراءة القصر فعله **فصل** قال قتادة مناة صخرة كانت لخزاعة بقديد
وقالت عايشة في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد وقال ابن زيد بيت كان
بالمشلل يعبده بنو كعب قال الضحاك مناة صنم لهذيل وخزاعة تعبده اهل مكة وقيل اللات والعزى
ومناة اصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبد وقوله الاخرى صفة لمناة قال ابو البقا
والاخرى توكيد لان الثالثة لا تكون الا اخرى وقال الزمخشري والاخرى ذم وهي المتاخرة الوضيعة
المقدار كقوله وقالت اخراهم اي وضعاهم لاشرافهم ويجوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم للات
والعزى انتهى وفيه نظر لان الاخرى انما تدل على الغيرية وليس فيها تعرض لمدح ولا ذم فان
جا شي فلقرينة خارجية وقيل الاخرى صفة للعزى لان الثانية اخرى بالنسبة الى الاولى
وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتاخير اي العزى الاخرى ومناة الثالثة ولا حاجة الى
ذلك لان الاصل عدمه **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل انما يقال اخر واخرى اذا تقدم
او لمشارك للثاني فلا يقال جاءني رجل وامراة اخرى فيلزم ان تكون العزى ثالثة فالجواب
قد يستعمل الاخر والاخرى للذم فالمراد بالاخرى المتاخرة الذليلة واللات على صورة آدمي والعزى
شجرة وهي نبات وقيل صخرة جماد هي متاخرة عنها او في الكلام حذف اي اللات والعزى المعبود
باطل ومناة الثالثة الاخرى او المعنى ومناة الاخرى الثالثة على اللفظ والتاخر في المعنى الاهل
رايتم هذه الاصنام حق الرؤية فان رايتموهم علمتم انها لا تصلح للالهية والمقصود ابطال الشركا واثبات
التوحيد **فصل** ارايت بمعنى اخبرني فيتعدى لاثنين اولهما اللات وما عطف عليها
والثاني الجملة الاستفهامية من قوله الكم الذكر فان قيل لم يعد من هذه الجملة ضمير على المفعول
الاول فالجواب ان قوله وله الانثى في قوة قوله هذه الاصنام وان كان اصل التركيب الكم الذكر
وله هن اي تلك الاصنام وانما اوثر هذا الاسم الظاهر لوقوعه راس فاصلة وقد جعل الزجاج
المفعول الثاني محذوفا فانه قال وجه تعليق هذه الاية مع ما قبلها فنقول اخبروني عن
الهتكم هل لها شي من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الاي السالفة انتهى فعلى هذا
يكون قوله الكم الذكر متعلقا بما قبله من حيث المعنى لا من حيث الاعراب وجعل ابن عطية الرؤية
هنا بصرية فقال وهي من رؤية العين لانه احال على اجرام مرئية ولو كانت ارايت التي هي استفتا
لم يتعد وقد تقدم الكلام على ذلك في الانعام وغيرها فان قيل ما فايدة الفا في قوله افرايتم
وقد وردت في مواضع بغير فا كقوله تعالى ارايتم ما تعبدون من دون الله ارايتم شركاكم فالجواب
لما تقدم عظمة الله في ملكوته وان رسوله الى الرسل يسد الافاق ببعض اجنحته ويهلك المداين
بشدته وقوته ولا يمكنه مع هذا ان يتعدى السدرة في مقام جلال الله وعزته قال افرايتم
هذه الاصنام مع ذلتها وحقارتها شركا الله مع ما تقدم فقال بالفا اي عقيب ما سمعتم من عظمة
ايات الله الكبرى ونفاذ امره في الملا الاعلى وما تحت الثرى انظروا الى اللات والعزى تعلموا
فساد ما ذهبتم اليه قوله الكم الذكر وله الانثى قال الكلبي كان المشركون بمكة يقولون
للاصنام والملايكة بنات الله قال وكان الرجل منهم اذا بشر بالانثى كره فقال الله منكرا عليهم الكم
الذكر وله الانثى قال ابن الخطيب معناه كيف جعلتم لله البنات وقد اعترفتم في انفسكم ان البنات
ناقصات والبنون كاملون والله كامل العظمة فكيف نسبتم اليه الناقص وانتم في غاية الذلة
والحقارة حيث عبدتم الجماد من الحجارة والشجر ونسبتم الكامل لانفسكم فهذه قسمة جايرة على
زعمكم وعادتكم لانه كان ينبغي ان تجعلوا الاعظم للعظيم والانقص للحقير فخالفتم النقل والعقل
والعادة قوله تلك اذا قسمة ضيزى تلك اشارة الى محذوف تقديره تلك القسمة قسمة غير
عادلة ويحتمل ان يقال تلك النسبة اي التي نسبوها الى الله بان له البنات وقوله اذا جواب لنسبتهم
البنات الى الله وقوله ضيزى قرا ابن كثير ضئزى بهمزة ساكنة والباقون بيا ساكنة مكانها وزيد
ابن علي ضيزى بفتح الضاد والياء الساكنة فاما قراءة العامة فيحتمل ان تكون من ضازه يضيزه اذا

صامه وجار عليه فمعنى ضيزي اي جابرة وقال مجاهد ومقاتل قسمة عوجا وقال الحسن غير
معتدلة قال الشاعر • ضازت بنو اسد بحكمهم • اذ يجعلون الراس كالذنب •
وعلى هذا فيحتمل وجهين احدهما ان يكون صفة على فعلى بضم الفا وانما كسرت الفا لتصح اليا
كبيض فان قيل واي ضرورة الى ان يقدر اصلها ضم الفا ولم لا قيل انها فعلى بالكسر فالجواب ان
سيبويه حكى انه لم يرد في الصفات فعلى بكسر الفا وانما ورد بضمها نحو حبلى وانثى وربا وما اشبهه
الا انه قد حكى غيره في الصفات ذلك حكى ثعلب مشية حيكى ورجل كيصى وحكى غيره امراة عزهى
وامراة سعلى وهذا لا ينقض لان سيبويه يقول في حيكى وكيصى كقوله في ضيزي لتصح اليا واما
عزهى وسعلى فالمشهور فيهما سعلاه وعزهاه وقال البغوي ليس في كلام العرب فعلى بكسر الفا في
النعوت انما تكون في الاسما مثل ذكرى وشعرى والوجه الثاني ان يكون مصدرا كذكرى قال
الكسائي يقال ضار يضير ضيزي كذكر يذكر ذكرى ويحتمل ان يكون من ضازه بالهمز كقراة ابن كثير
الا انه خفف همزها وان لم يكن من اصول القرا كلهم ابدال مثل هذه الهمزة يا لكنها لغة التزمت
فقرا بها ومعنى ضازه يضازه بالهمز نقصه ظلما وجورا وهو قريب من الاول ومن جوز ان
يكون اليا بدلا من همزة ابو عبيد وان يكون اصلها ضوزى بالواو ولانه سمع ضازه يضوزه ضوزى
وضازه يضيزه ضيزي وضازه يضيزه ضازا حكى ذلك كله الكسائي وحكى ابو عبيد ضزته وضزته
بكسر الفا وضمها فكسرت الضاد من ضوزى لان الضمة ثقيلة مع الواو وفعلوا ذلك ليتوصلوا به
الى قلب الواو يا وانشد الاخفش على لغة الهمز •
• فان تنا عنا ننتقصك وان تغب • فسهمك مضووز وانفك راغم •
وضيزى في قراة ابن كثير مصدر وصف به ولا يكون وصفا اصليا لما تقدم عن سيبويه فان قيل لم لا
قيل في ضيزي بالكسر والهمزة ان اصله ضيزى بالضم فكسرت الفا كما قيل فيها مع اليا فالجواب
انه لا موجب هنا للتغيير اذ الضم مع الهمز لا يستثقل استثقاله مع اليا الساكنة وسمع منهم
ضوزى بضم الضاد مع الواو والهمز واما قراة زيد فيحتمل ان يكون مصدرا وصف به كدعوى
وان يكون صفة كسكرى وعطشى وغضبى قوله ان هي في هي وجهان احدهما انها ضمير الاصنام
اي وما هي الا اسما ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو ابعد شي منها واشد
منافاة لها وهذا على سبيل المبالغة والتجوز كما يقال لتحقير انسان ما زيد الا اسم اذا لم يكن
مشتملا على صفة معتبرة كقوله ما تعبدون من دونه الا اسما سميتموها الثاني ان يكون ضمير
الاسما وهي اللات والعزي ومناة وهم يقصدون بها اسما الالهة يعني وما هذه الاسما الا سميتموها
بهواكم وشهوتكم ليس لكم على صحة تسميتها برهان تتعلقون به قاله الزمخشري وقال ابو البقا
اسما يجب ان يكون المعنى ذوات اسما لقوله سميتموها لان الاسم لا يسمى فان قيل كيف قال
سميتموها انتم مع ان هذه الاسما موضوعة قبلنا فالجواب ان كل من نطق بهذه الالفاظ فهو
كالمبتدي الواضع لان الواضع الاول لهذه الاسما لما لم يكن واضعا بدليل نقلي ولا عقلي لم يجب
اتباعه ولا يجوز فصار هو كالمبتدي اذ لا مبتدي له فان قيل الاسما لا تسمى وانما يسمى بها
فكيف قال اسما سميتموها فالجواب من وجهين الاول ان التسمية وضع الاسم فكانه قال اسما
وضعتموها فاستعمل سميتموها استعمال وضعتموها الثاني انه لو قال اسما سميتم بها لكان هناك
غير الاسم شي يتعلق به البا في قولك بها لان قول القايل سميت به يستدعي مفعولا اخر تقول
سميت بزيد ابني او عبدي او غير ذلك فيكون قد جعل للاصنام اعتبارا فان قيل هذا باطل
بقوله تعالى واني سميتها مريم حيث لم يقل واني سميتها بمريم ولم يكن ما ذكرت مقصودا والا
لكانت مريم غير ملتفت اليها كما قلت في الاصنام فالجواب بينهما بون عظيم لان هناك قال
سميتها مريم فذكر المفعولين فاعتبر حقيقة مريم بقوله سميتها واسمها بقوله مريم واما ههنا
فقال ان هي الا اسما اي ما هناك الا اسما موضوعة فلم يعتبر الحقيقة ههنا واعتبرها في مريم
قوله ما انزل الله بها من سلطان اي حجة بما يقولون انها الهة واستعملت البا في قوله
بها كقولك ارتحل فلان باهله ومتاعه اي ارتحل ومعه الاهل والمتاع كذلك ههنا قوله ان
يتبعون الا الظن هذا رجوع الى الخبر بعد المخاطبة فقال ان يتبعون الا الظن في قولهم انها
الهة قراها العامة على الغيبة التفاتا من خطابهم الى الغيبة عنهم تحقيرا لهم كانه قطع الكلام

معم

معهم وقال لنبيه انهم لا يتبعون الا الظن فلا يلتفت الى قولهم ويحتمل ان يكون المراد غيرهم وفيه
وجهان الاول ان يكون المراد اباهم كانه تعالى لما قال سميتموها انتم واباوكم فكانهم قالوا هذه الاسما
لم نضعها نحن وانما تلقيناها من ابايِنا فقال وسماها اباوكم وما يتبعون الا الظن فان قيل كان
ينبغي ان يكون بصيغة الماضي فالجواب وبصيغة المستقبل ايضا كانه يفرض الزمان زمان الكلام
كقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه الثاني ان يكون المراد عامة الكفار وقرا عبد الله وابن عباس
وطلحة وعيسى بن عمر وابن وثاب بالخطاب وهو حسن موافق فان قيل كيف ذمهم على اتباع الظن
ونحن مامورون باتباعه في الفقه وقال عليه السلام حكاية عن الله تعالى انه قال انا عند
ظن عبدي بي فالجواب ان الظن خلاف العلم في تقاليبها فيها معنى الظهور منها لمع البرق اذا ظهر
ولمع الغزال اذا عدا وكذلك علمت والظن اذا كان في مقابلة ففيه الخفا ومنه بير ظنون لا يدري
افيه ما ام لا لخفا الامر فيه ودين ظنون مخفي الامر فيه فنقول يجوز بنا الامر على الظن عند
العجز عن درك اليقين واما الاعتقاد فليس كذلك لان اليقين لم يتعذر علمنا والى هذا اشار بقوله
ولقد جاهم من ربهم الهدى اي اتبعوا الظن وقد امكنهم الاخذ باليقين وفي العمل يمنح ذلك ايضا
والله اعلم قوله وما تهوى الانفس نسق على الظن وما مصدرية او بمعنى الذي والمراد بما تهوى
الانفس هو ما زين لهم الشيطان قوله ولقد جاهم من ربهم الهدى يجوز ان يكون حالا من فاعل
يتبعون اي يتبعون الظن وهوى النفس في حال تنافي ذلك وهي مجي الهدى من عند ربهم ويجوز
ان يكون اعتراضا فان قوله ام للانسان متصل بقوله وما تهوى الانفس وهي ام المنقطعة فتقدر
ببل والهمزة على الصحيح قال الزمخشري ومعنى الهمزة فيها للانكار اي ليس للانسان ما تمنى
فصل المعنى ولقد جاهم من ربهم الهدى البيان بالكتاب والرسول انها ليست بالهة وان
العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار ام للانسان ما تمنى ايظن الكافر ان له ما يتمنى ويشتهي من
شفاعة الاصنام ويحتمل ان يكون معناه هل للانسان ان يعبد بالتمني والاشتها وما تهوى نفسه
قوله فلله الاخرة والاولى اي ليس كما ظن وتمنى بل لله الاخرة والاولى لا يملك فيهما احد شيا
الا باذنه قوله وكم من ملك هنا خبرية تفيد التكثير ومحلها الرفع على الابتدا ولا تغني شفاعتهم
هو الخبر والعامة على افراد الشفاعة وجمع الضمير اعتبارا بمعنى ملك وبمعنى كم وزيد بن علي شفاعته
بافرادها اعتبر لفظ كم وملك وابن مقسم شفاعاتهم بجمعها وشيا مصدر اي شيا من الاغنا فصل
المعنى وكم من ملك في السموات ممن يعبدهم هولا الكفار يرجون شفاعتهم عند الله لا تغني شفاعتهم
شيا الا من بعد ان ياذن الله في الشفاعة لمن يشا ويرضى اي من اهل التوحيد قال ابن عباس
لا يريد لا تشفع الملايكة الا لمن رضي الله عنه وجمع الكناية في قوله شفاعتهم والملك واحد
لان المراد من قوله وكم من ملك الكثرة فهو كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين قوله ان الذين
لا يومنون بالاخرة ليسمون الملايكة تسمية الانثى اعلم ان المراد بالذين لا يومنون بالاخرة هم
الذين لا يومنون بالرسل لان كل من امن بالرسل اعترف بالحشر وذلك انهم كانوا يقولون الملايكة
وجد وامن الله فهم اولاده بمعنى الايجاد ثم انهم راوا في الملايكة تا التانيث وصح عندهم ان يقال
سجدت الملايكة فقالوا بنات الله فسموهم تسمية الاناث فان قيل كيف يصح ان يقال انهم لا يومنون
بالاخرة مع انهم كانوا يقولون هولا شفعاونا عند الله وكان من عادتهم ان يربطوا مركوبا على قبر
من يموت ويعتقدون انه يحشر عليه فالجواب من وجهين احدهما انهم ما كانوا يجزمون به بل كانوا
يقولون لا حشر فان كان فلنا شفعا بدليل ما حكى الله عنهم وما اظن الساعة قايمة ولين رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى الثاني انهم ما كانوا يعترفون بالاخرة على الوجه الذي ورد به الرسل
فصل واما مناسبة هذه الاية لما قبلها فهي انهم لما قيل لهم ان الصنم جماد لا يشفع وبين
لهم ان اعظم اجناس الخلق لا شفاعة لهم الا بالاذن قالوا نحن لا نعبد الاصنام لانها جمادات وانما
نعبد الملايكة بعبادتها فانها على صورها وضعها بين ايدينا لنتذكر بالشاهد الغايب فنعظم الملك
المقرب فرد الله عليهم بهذه الاية اي كيف تعظمونهم وانتم تسمونهم تسمية الاناث فان قيل كيف قال
تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث فالجواب ان المراد بيان الجنس وهذا اللفظ اليق بهذا الموضع
لمواخاة رووس الاي او يقال انه لو قال الاناث لا وهم اعلام الاناث كعايشة وفاطمة والمراد انما
هو البنات وقد تقدمت تسميتهم قوله وما لهم به من علم قال الزمخشري الضمير في به يعود

ما كانوا يقولون وقيل يعود الى ما تقدم من عدم قبول الشفاعة وقيل يعود الى الله اي ما
لهم بالله من علم فيشركون وقال مكي الها تعود على الاسم لان التسمية والاسم بمعنى وقرا الي بها
اي بالاخرة اي ما لهم بالاخرة من علم وقيل بالملائكة وقيل بالتسمية وهذا يقوي قول مكي
فان قلنا ما لهم بالاخرة فهو جواب لما قلنا انهم وان كانوا يقولون ان الاصنام شفعاونا عند
الله وكانوا يربطون الابل على قبور الموتى ليركبوها لكن ما كانوا يقولون به عن علم وان قلنا
بالتسمية ففيه اشكال وهو ان العلم بالتسمية حاصل لهم فانهم يعلمون انهم يسموا والجواب ان
التسمية قد يكون واضعها الاول عالما بانه وضع وقد يكون اسما لامعنويا يتطرق اليه الصدق
والكذب والعلم فمثال الصدق من وضع اولا اسم السما لموضوعها وقال هذا سما ومثال الكذب
اذا قلنا بعد ذلك للما والحجر هذا سما فانه كذب ومن اعتقده فهو جاهل وكذلك قولهم في الملائكة
انهم بنات الله لم يكن لتسمية وضعية وانما ارادوا به انهم موصوفون باسم يجب به استعمال لفظ
البنات فيهم وذلك كذب ومعتقده جاهل فالمراد التسمية التي هي عن وصف حقيقي لا التسمية
الوضعية لانهم عالمون بها فهذا هو المراد قال ابن الخطيب قوله ان يتبعون الا الظن تقدم
الكلام عليه وقوله ان الظن لا يغني من الحق شيا قيل الحق بمعنى العلم اي لا يقوم الظن مقام العلم
وقيل الحق بمعنى العذاب اي ان ظنهم لا ينقذهم من العذاب قال ابن الخطيب المراد منه ان الظن
لا يغني في الاعتقادات شيا واما في الافعال العرفية او الشرعية فانه يتبع عند عدم الوصول
الى اليقين ويحتمل ان يقال المراد من الحق هو الله تعالى والمعنى ان الظن لا يفيد شيا من الله
اي ان الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون بدليل قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق فان
قيل اليس الظن قد يصيب فكيف يحكم عليه بانه لا يغني اصلا فالجواب ان المكلف يحتاج الى
مميز يميز الحق من الباطل ليعتقد الحق ويميز الخير من الشر ليفعل الخير لكن في الحق ينبغي ان
يكون جازما لاعتقاده مطابقته والظان لا يكون جازما وفي الخير ربما يعتبر الظن في مواضع

فصل اعلم ان الله تعالى منع من الظن في ثلاثة مواضع احدها قوله تعالى ان هي
الا اسما سميتموها انتم واباوكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وثانيها هذه
الاية وثالثها في الحجرات وهي قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بيس الاسم الفسوق بعد
الايمان ومن لم يتب فاوليك هم الظالمون الى قوله اجتنبوا كثيرا من الظن فالاول كان المنع
عقيب التسمية والثاني عقيب الدعا بالالقاب وكل ذلك دليل على ان حفظ اللسان اولى من
حفظ غيره من الاركان وان الكذب اقبح من السيات الظاهرة من الايدي والارجل فهذه
المواضع الثلاثة دلت على ان الظن فيها مذموم احدها مدح من لا يستحق المدح كاللات والعزى
ومناة وثانيها ذم من لا يستحق الذم وهم الملائكة الذين هم عباد الرحمن يسمونهم تسمية الانثى
وثالثها ذم من لم يعلم حاله واما مدح من يعلم حاله فلم يقل فيه لا يتبعون الظن بل الظن
معتبر فيه والاخذ بظاهر حال العاقل واجب قوله فاعرض عمن تولى عن ذكرنا يعني القران
وقيل الايمان اي اترك مجادلتهم فقد بلغت واتيت بما عليك قال ابن الخطيب واكثر المفسرين
يقولون بان كل ما في القران من قوله تعالى فاعرض منسوخ باية القتال وهو باطل لان
الامر بالاعراض موافق لاية القتال فكيف ينسخ به وذلك لان النبي عليه السلام في الاول كان
مامورا بالدعا بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه باباطيلهم امر بازالة شبههم والجواب
عن اباطيلهم وقيل له وجادلهم بالتي هي احسن ثم لما لم ينفع قال له ربه اعرض عنهم ولا تقابلهم
بالدليل والبرهان فانهم لا ينتفعون به ولا يتبعون الحق وقاتلهم والاعراض عن المناظرة شرط
لجواز المقاتلة فكيف يكون منسوخا بها قوله ولم يرد الا الحياة الدنيا اشارة الى انكارهم الحشر
كقوله تعالى عنهم ان هي الا حياتنا الدنيا وقوله ارضيتم بالحياة الدنيا وذلك انه اذا ترك النظر
في الا الله لا يعرفه فلا يتبع رسوله فلا ينفعه كلامه واذا لم يقل بالحشر والحساب لا يخاف فلا يرجع
عما هو عليه فلا يبقي في الدعا فايدة واعلم ان النبي عليه السلام كان كالطبيب للقلوب فاتى على
ترتيب الاطبا ان المرض اذا امكن اصلاحه بالغذا لا يستعملون الدوا وما امكن اصلاحه بالدوا
الضعيف لا يستعملون الدوا القوي ثم اذا عجز عن المداواة بالمشروبات وغيرها عدلوا الى الحديد
والكي كما قيل اخر الدوا الكي فالنبي عليه السلام اولا امر القلوب بذكر الله حسب فان بذكر الله

تطمين القلوب كما ان بالغذا تطمين النفوس فالذكر غذا القلب ولهذا قال عليه السلام اولا
قولوا لا اله الا الله امر بالذكر فانتفع مثل ابي بكر وغيره ومن لم ينتفع ذكر لهم الدليل وقال اولم
يتفكروا قل انظروا افلا ينظرون الى غير ذلك فلما لم ينتفعوا اتى بالوعيد والتهديد فلما لم ينفعهم
قال اعرض عن المعالجة واقطع المفاسد لئلا يفسد الصالح قوله ذلك مبلغهم قال الزمخشري
هو اعتراض بين اي فاعرض وبين ان ربك ولا يظهر هذا الذي يقوله من الاعتراض قال شهاب
الدين كيف يقول كانه يقول هو اعتراض وما معنى التشبيه وقد نص عليه وصرح به فقال
اي فاعرض عنه ولا تقابله ان ربك وقوله ولا يظهر ما دري عدم الظهور مع ظهور ان هذا علة
لذلك اي قوله ان ربك علة لقوله فاعرض والاعتراض بين العلة والمعلول ظاهر واذا كانوا
يقولون هذا معترض فيما يجي في اثنا قصة فكيف بما بين علة ومعلول **فصل** ذلك
اشارة الى نهاية علمهم وقدر عقولهم ان اثروا الدنيا على الاخرة وقيل اشارة الى الظن اي لم يبلغوا من
العلم الا ظنهم ان الملائكة بنات الله وانها تشفع لهم واعتمدوا على ذلك واعرضوا عن القران وقيل
اشارة الى الاعراض اي فاعرض عمن تولى عن ذكرنا وذلك الاعراض غاية ما بلغوه من العلم وعلى هذا
يكون المراد من العلم المعلوم وتكون الالف واللام للتعريف والعلم المعلوم هو ما في القران فان قيل
ان الله تعالى بين ان غايتهم ذلك في العلم ولا يكلف الله نفسا الا وسعها والمجنون الذي لا علم له او
الصبي لا يومر بما فوق احتماله فكيف يعاقبهم الله فالجواب انه ذكر قبل ذلك انهم تولوا عن ذكر الله فكان
عدم علمهم لعدم قبولهم العلم وانما قدر الله توليهم ليضا فالحمل الى ذلك فيتحقق العقاب قوله ان
ربك هو اعلم بمن ضل جوز مكي ان يكون على بابه من التفضيل اي هو اعلم من كل احد بهذين الوصفين
وبغيرهما وان يكون بمعنى عالم وتقدم ذلك مرارا **فصل** المعنى ان الله عالم بالفريقين
فيجازيهم ووجه المناسبة ان الله تعالى لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم اعرض وكان النبي عليه
السلام شديد الميل الى ايمان قومه كانه هجس في خاطره ان في ذكراهم منفعة وربما يومن من الكفار
قوم اخرون من غير قتال فقال له ربك اعلم بمن ضل عن سبيله انه لا يومن بمجرد الدعا احد من المتخلفين
وانما ينفع فيهم وقع السيف والقتال فاعرض عن الجدال واقبل على القتال وعلى هذا فقوله بمن اهتدى
اي علم في الازل من ضل ومن اهتدى فلا يشتبه عليه الامر ولا تاس في الاعراض فان قيل قال في
الضلال عن سبيله ولم يقل في الاهتدا الى سبيله فالجواب ان الضلال عن السبيل هو الضلال وهو
كاف في الضلال لان الضلال لا يكون الا في السبيل واما بعد الوصول فلا ضلال اولان من ضل عن
سبيله لا يصل الى المقصود وسوا سلك سبيله او لم يسلكه واما من اهتدى الى سبيل فله وصول له
ان لم يسلكه فقال من اهتدى اي الى السبيل وسلوكه قوله ولله ما في السموات وما في الارض
وهذا معترض بين الاية الاولى وبين قوله ليجزي الذين اساوا بما عملوا واللام في قوله ليجزي
فيها اوجه احدها ان يتعلق بقوله لا تغني شفاعتهم ذكره مكي وهو بعيد من حيث اللفظ ومن
حيث المعنى الثاني ان يتعلق بما دل عليه قوله ولله ما في السموات اي له ملكهما يضل من يشا ويهدي
من يشا ليجزي المحسن والمسي الثالث ان يتعلق بقوله بمن ضل وبمن اهتدى واللام للصيرورة اي
عاقبة امرهم جميعا للجزا بما عملوا قال معناه الزمخشري الرابع ان يتعلق بما دل عليه قوله هو اعلم
بمن ضل اي حفظ ذلك ليجزي قال ابو البقا وقرا زيد بن علي لنجزي بنون العظمة والباقون بيا
الغيبة وقوله الذين اساوا اي اشركوا بما عملوا من الشرك ويجزي الذين احسنوا وحدوا ربهم
بالحسنى بالجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسي اذا كان مالكا فلذلك قال الله تعالى ولله
ما في السموات وما في الارض قوله الذين يجتنبون يجوز ان يكون منصوبا بدلا او بيانا او نعتا
للذين احسنوا فان قيل اذا كان بدلا عن الذين احسنوا وقال الذين يجتنبون ولم يقل اجتنبوا
فالجواب هو كقول القايل الذين سالوني اعطيتهم الذين يترددون الى سالمين اي الذين
عادتهم التردد للسوال سالوني واعطيتهم فكذلك هاهنا اي الذين عادتهم وداعيهم الاجتناب
لا الذين اجتنبوا مرة واحدة ويجوز ان تكون الموصول منصوبا باضمار اعني وان يكون خبر مبتدا
مضمر اي هم الذين وهذا نعت للمحسنين وقد تقدم الخلاف في كباير وكبير الاثم قوله الا اللمم
فيه اوجه احدها انه استثنا منقطع لان اللمم الصغار فلم يندرج فيما قبلها وهذا هو المشهور الثاني
انه صفة والا بمنزلة غير كقوله لو كان فيهما الهة الا الله اي كباير الاثم والفواحش غير اللمم الثالث انه

منفصل وهذا عندمن يفسر اللمم بغير الصغاير قالوا ان اللمم من الكباير والفواحش قالوا معنى الاية
ان يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب ويقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول ابي هريرة ومجاهد والحسن ورواية
عطا عن ابن عباس قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك قال السدي قال ابو صالح
سيلت عن قول الله عز وجل الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لابن عباس
فقال لقد اعانك عليه ملك كريم وروي عن ابن عباس في قوله الا اللمم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما واصل اللمم ما قل وصغر ومنه الالم وهو المس من الجنون
والم بالمكان قل لبثه فيه والم بالطعام اي قل اكله منه وقال ابو العباس اصل اللمم ان يلم بالشي من
غير ان يركبه فقال الم بكذا اذا قاربه ولم يخالطه وقال الازهري العرب تستعمل الالمام في معنى
الدنو والقرب وقال جرير • بنفسي من تجنبه عزيز • علي ومن زيارته لمام •
وقال اخر • متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا •
وقال اخر • لقا اخلاء الصفا لمام • ومنه ايضا لمة الشعر لما دون الوفرة
فصل قال ابن الخطيب الكباير اشارة لما فيها من مقدار السيئة والفواحش في اللغة
مختصة بالقبح الخارج فحجه عن حد الخفا وتركيب الحروف في التاليف يدل عليه فان اذا قلبتها
وقلت حشف كان فيه معنى الزيادة الخارجة عن الحد فان الحشف ارذل التمر وكذا كذ فتشح
يدل على حالة ردية يقال تفشحت الناقة اذا وقفت على هيئة مخصوصة للبول فالفحش
يلازمه القبح ولهذا لم يقل الفواحش من الاثم وقال في الكباير من الاثم لان الكباير ان لم يميزها
بالاضافة في قوله كباير الاثم لما حصل المقصود بخلاف الفواحش واختلفوا في الكباير
والفواحش فقيل الكباير ما اوعد الله عليه بالنار صريحا وظاهرا والفواحش ما اوجب
عليه حدا في الدنيا وقيل الكباير ما يكفر مستحله وقيل الكباير ما لا يغفر الله لفاعله الا بعد
التوبة وهو مذهب المعتزلة قال ابن الخطيب وكل هذه التعريفات تعريف للشي بما هو مثله
في الخفا او فوقه وقد ذكرنا ان الكباير هي التي مقدارها عظيم والفواحش هي التي قبحها
واضح فالكبيرة صفة عايدة الى المقدار والفاحشة صفة عايدة الى الكيفية فصل
اختلفوا في معنى الاية فقال بعضهم ما سلف في الجاهلية فلا يواخذهم الله به وذلك
ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون معناه فانزل الله هذه الاية وهذا
قول زيد بن ثابت وزيد بن اسلم وقيل هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة وما
كان دون الزنا وهذا قول ابن مسعود وابي هريرة ومسروق والشعبي ورواية طاوس
عن ابن عباس قال ما رايت اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا
اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك ويكذبه وفي رواية والاذنان
زناها الاستماع واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا وقال الكلبي اللمم على وجهين
كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الاخرة فذلك الذي تكفره الصلوات
الخمس ما لم يبلغ الكباير والفواحش والوجه الاخر هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة
بعد المرة فيتوب منه وقال سعيد بن المسيب هو ما لم على القلب اي خطر وقال
الحسين بن الفضل اللمم النظرة من غير تعمد وهو مغفور فان اعاد النظرة فليس بلمم
وهو ذنب قوله ان ربك واسع المغفرة قال ابن عباس لمن فعل ذلك وتاب وههنا تم
الكلام قوله هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض في تعلق الاية وجوه احدها هو تقريرلما
قال من قبل فانه لو قال هو اعلم من ضل كان لقايل من الكفار يقول نحن اعلم امورا في
جوف الليل المظلم وفي البيت الخالي فكيف يعلمه الله قال ليس علمكم اخفى من احوالكم
وانتم اجنة في بطون امهاتكم فالله عالم بتلك الاحوال الثاني انه اشارة الى ان الضال
والمهتدي حصلا على ما هما عليه بتقدير الله فانه علم الحق وانتم في بطون الامهات فكتب
على البعض انه ضال وكتب على البعض انه مهتدي الثالث انه تاكيد لبيان الجزا لانه لما قال
ليجزي الذين اساوا بما عملوا قال الكافرون هذا الجزا لا يتحقق الا بالحشر وجميع الاجزا بعد
تفرقها واعادتها كان لا يميز الاجزاء في بدنه من غيرها اختلاط وذلك غير ممكن فقال تعالى

هو عالم بما اذا انشاكم فيجمعها بقدرته على وفق علمه كما انشاكم فصل العامل في اذ
يحتمل ان يكون اذكروا فيكون هذا تقريرا لكونه عالما ويكون تقديره هو اعلم بكم وقد تم الكلام
ثم تقول ان كنتم في شك من علمه بكم فاذكروا حال انشايكم من التراب وقد تم الكلام على قوله
خلقكم من تراب بان كل واحد اصله من التراب فانه يصير غذا ثم يصير دما ثم يصير نطفة فان قيل لابد
من صرف قوله اذ انشاكم من الارض الى ادم لان قوله واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم عايد الى غيره
فانه لم يكن جنينا وان قلت بان قوله تعالى اذ انشاكم عايد الى جميع الناس فينبغي ان يكون جميع
اجنة في بطون الامهات وهو قول الفلاسفة فالجواب ليس كذلك لانا نقول الخطاب مع الموجودين
حالة الخطاب فقوله هو اعلم بكم خطاب مع من حضر الانزال وهم كانوا اجنة وخلقوا من الارض على
ما قررناه قوله اجنة جمع جنين وهو الحمل في البطن لاستتاره وجنين واجنة كسرير واسرة فان
قيل الاجنة هم الذين في بطون الامهات وبعد الخروج لا يسمى الا ولدا او سقطا فما فايدة قوله تعالى في
بطون امهاتكم فالجواب ان ذلك تنبيه على كمال العلم والقدرة فان بطون الامهات في غاية الظلمة
ومن علم حال الجنين فيها لا يخفى عليه ما يظهر من حال العباد قوله فلا تزكوا انفسكم قال ابن
عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ما هي صانعة والى ما هي صايرة فلا تزكوا انفسكم
تبروها عن الاثام ولا تمدحوها بحسن اعمالها وقال الكلبي ومقاتل كان الناس يعملون اعمالا حسنة
ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله هذه الاية ثم قال هو اعلم بمن اتقى اي بر واطاع
واخلص العمل فصل يحتمل ان يكون هذا الخطاب مع الكفار لانهم قالوا كيف يعلمنا الله فرد
عليهم قولهم ويحتمل ان يكون خطابا مع المومنين وتقديره ان الله تعالى لما قال فاعرض عمن تولى
عن ذكرنا قال لنبيه عليه السلام قد علم كونك ومن يتمسك على الحق وكون الكفار على الباطل فاعرض
عنهم ولا تقولوا نحن على الحق وانتم على الضلال لانهم يقابلونكم بمثل ذلك وفوض الامر الى الله فهو
اعلم بمن اتقى ومن طغى وعلى هذا قول من قال فاعرض منسوخ اظهر وهو كقوله تعالى وانا او اياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين يعني الله اعلم بجملة الامر قوله افرايت الذي تولى قال بعض المفسرين
لما بين جهل المشركين في عبادة الاصنام ذكر واحدا منهم معينا بسوء فعله قال مجاهد وابن زيد
ومقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين
وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اني خشيت عذاب الله فضمن الذي عاتبه ان هو
اعطاه كذا وكذا من ماله ورجع الى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى الشرك واعطى الذي
عيره بعض ذلك الذي ضمن ومنعه تمامه فانزل الله افرايت الذي تولى اي ادبر عن الايمان واعطى
صاحبه قليلا واكدى بخل بالباقي وقال السدي نزلت في العاص بن وايل السهمي وذلك انه
ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقال محمد بن كعب القرظي نزلت في ابي
جهل وذلك انه قال والله ما يامرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله واعطى قليلا واكدى اي لم
يومن به ومعنى اكدى قطع قوله واكدى اصله من اكدى الحافر اذا حفر شيا فصادف كدية
منعته من الحفر ومثله اجبل اي صاد فجبلا منعه من الحفر وكديت اصابعه كلت من الحفر
ثم استعمل في كل من طلب شيا فلم يصل اليه او لم يتممه ولمن طلب شيا ولم يبلغ اخره قال فاعطى قليلا
ثم اكدى الخطيئة عطاوه ومن يبذل المعروف في الناس يحمد ويقال كدي النبت اذا قل ريعه وكدت
الارض تكدو واكدو اهي كادية اذا ابطا نباتها عن ابي زيد واكديت الرجل عن الشي رددته واكدي
الرجل اذا قل خيره فقوله واعطى قليلا واكدى اي قطع القليل وارايت بمعنى اخبرني وقوله الذي
يعود الى الوليد قال ابن الخطيب والظاهر انه يعود الى المتولي في قوله فاعرض عمن تولى فان
قيل كان ينبغي ان يقول الذين تولوا لان من للعموم فالجواب ان العود الى اللفظ كثير كقوله من جا
بالحسنة فله ولم يقل فلهم قوله اعنده علم الغيب هو المفعول الثاني لارايت والمفعول الاول
محذوف اختصارا لا عطى قوله فهو يرى هذه الجملة مترتبة على ما قبلها ترتبا ظاهرا وقال
ابو البقا فهو يرى جملة اسمية واقعة موقع الفعلية والاصل اعنده علم الغيب فيرى ولو جاء
على ذلك لكان نصبا في جواب الاستفهام انتهى وهذا لا حاجة اليه مع ظهور الترتب بالجملة الاسمية
وقد تقدم له نظير هذا الكلام والرد عليه ومعنى الاية اعنده هذا المكدي علم الغيب اي علم ما غاب
عنه من العذاب فهو يرى اي يعلم ما غاب عنه من امر الاخرة وما يكون من امره حتى يضمن حمل العذاب

عن غيره وكفي هذا جهلا وحمقا بانه يري ما غاب عنه ويعلم ان صاحبه يحمل عنه عذابه قوله
ام بيناه اي ام يخبر بما في صحف موسي يعني اسفار التورية وام منقطعة اي بل الم ينبا وما في قوله
بما يحتمل ان يكون المراد جنس ما فيها اي لم ينبا بالتوحيد والحشر وغيره ويحتمل ان يكون عين ما في
التورية لا جنسه وعلى هذا فالكلام مع اهل الكتاب قوله وابراهيم عطف على موسي اي وصحف
ابراهيم لقوله في سورة الاعلا صحف ابراهيم وموسي وانما خص هذين النبيين بالذكر لانه كان بين
ابراهيم وموسي يوخذ الرجل بجريرة غيره فاول من خالفهم ابراهيم قال الهذيل بن شرحبيل وهامة
علي وفي بالتشديد وقرا ابو امامة الباهلي وسعيد بن جبير وابن السميع وفي مخففا وقد تقدم ان فيه
ثلاث لغات واطلق التوفية والوفا ليتناول كل ما وفي به والمعني تمم واكمل ما امر به قال الحسن
وسعيد بن جبير وقتادة عمل ما امر به وبلغ رسالات ربه الي خلقه وقال مجاهد وفي بما فرض عليه
وقال الربيع وفي رؤياه وقام بذبح ابنه وقال عطا الخراساني استكمل الطاعة وقال ابو العالية
هو الاتمام في قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن والتوفية للاتمام وقال الضحاك
وفي المناسك وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ابراهيم الذي وفي اربع ركعات من
اول النهار قوله ان لا تزر وازرة وزر اخري ان مخففة من المثقلة واسمها محذوف هو ضمير الشان
ولا تزر هو الخبر وجي بالنفي لكون الخبر جملة فعلية متصرفة غير مقرونة كما تقدم تحريره في المايدة
وان وما في حيزها فيها قولان اظهرهما الجر بدلا من ما في قوله بما في صحف والثاني الرفع خبر المبتدا
مضمر اي ذلك ان لا تزر وهو جواب لسوال مقدر كان قايلا قال وما في صحفهما فاجيب بذلك قال
شهاب الدين ويجوز ان يكون نصبا باضمار اعني جوابا لذلك السايل في كل موضع اضمر فيه هذا
المبتدا لهذا المعنى اضمر فيه هذا الفعل **فصل** معنى الاية انه لا تحمل نفس حمل اخري
اي لا تؤخذ نفس باثم غيرها وفي هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة انه يحمل عنه الاثم
وروي عكرمة عن ابن عباس قال كانوا قبل ابراهيم عليه السلام ياخذون الرجل بذنب غيره
وكان الرجل يقتل بقتل ابيه وابنه واخيه وامراته حتى جاءهم ابراهيم عليه السلام فنهاهم عن ذلك
وبلغهم عن الله عز وجل ان لا تزر وازرة وزر اخري فان قيل الاية مذكورة لبيان ان وزر الرجل
لا يحمل عنه وبهذا الكلام لا تحصل هذه الفايدة لان الوازرة تكون مثقلة بوزرها فكل احد يعلم
انها لا تحمل شيا فلو قال لا تحمل فارغة وزر اخري كان ابلغ فالجواب ان المراد من الوازرة هي التي
يتوقع منها الوزر والحمل لا التي وزرت وحملت نقل القرطبي عن ابي مالك الغفاري قال قوله
تعالى لا تزر وازرة وزر اخري الي قوله تعالى فباي الاء ربك تتماري في صحف ابراهيم وموسي
قوله وان ليس للانسان الا ما سعي ان هي المخففة ايضا ولم يفصل هنا بينها وبين الفعل لانه
لا ينصرف ومحلها الجر او الرفع او النصب لعطفها على ان قبلها وكذلك محل وان سعيه وبري مبني
للمفعول فيجوز ان يكون من البصرية اي يبصر وان يكون من العلمية فيكون الثاني محذوفا اي يري
حاصلا والاول اوضح وقال مكي واجاز الزجاج يري بفتح اليا على اضمار الها اي سوف يراه
ولم يجزه الكوفيون لان سعيه يصير قد عمل فيه ان ويري وهو جايز عند المبرد وغيره لان دخول
ان على سعيه وعملها فيه يدل على الها المحذوفة وعلى هذا اجاز البصريون ان زيدا اضربت
بغيرها قال شهاب الدين وهو خلاف ضعيف توهموا ان الاسم توجه عليه عاملان مختلفان
في الجنسية وانما قلت في الجنسية لان راي بعضهم انه يعمل فعلين في معمول واحد وجد باب
التنازع في بعض صوره نحو قام وقعد زيد وضربت واكرمت عمرا او ان يعمل عامل واحد في اسم
وفي ضميره معا نحو زيدا اضربته في باب الاشتغال وهذا توهم باطل لانا نقول سعيه منصوب
بان وبري متسلط على ضميره المقدر وظاهر هذا انه لم يقرا به وقد حكي ابو البقا انه قري به شاذا
ولكنه ضعفه من جهة اخري فقال وقري بفتح اليا وهو ضعيف لانه ليس فيه ضمير يعود على
اسم ان وهو السعي والضمير الذي فيه للها فيبقى الاسم بغير خبر وهو كقولك ان غلام زيد
قام وانت تعني قام زيد فلا خبر لغلام وقد وجه على ان التقدير سوف يراه فتعود الها على
السعي وفيه بعد انتهى قال شهاب الدين وليت شعري كيف توهم المانع المذكور وكيف
نظر بما ذكر بخراي بعد في تقدير سوف يري سعيه نفسه وكانه اطلع على مذهب الكوفيين
في المنع الان الدرك عند الدرك **فصل** قوله وان ليس للانسان الا ما سعي اي عمل

كقوله

كقوله ان سعيكم لشتي وهذا ايضا في صحف ابراهيم وموسي قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم
في هذه الشريعة بقوله الحقنا بهم ذريتهم فادخل الابنا الجنة بصلاح الابا وقال عكرمة كان ذلك
لقوم ابراهيم وموسي واما هذه الامة فلهم ما سعوا وما سعي لهم غيرهم لما روي ان امراة رفعت
صبيا لها فقالت يا رسول الله الهذا حج قال نعم ولك اجر وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ان امي
افتلتت نفسها فهل لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم وقال الشيخ تقي الدين ابو العباس احمد بن
تيمية من اعتقد ان الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة احدها
ان الانسان ينتفع بدعا غيره وهو انتفاع بعمل الغير الثاني ان النبي عليه السلام يشفع لاهل
الموقف في الحساب ثم لاهل الجنة في دخولها ثم لاهل الكباير في الاخراج من النار وهذا انتفاع
بسعي الغير الثالث ان كل نبي وصالح له شفاعة وذلك انتفاع بعمل الغير الرابع ان الملايكة يدعون
ويستغفرون لمن في الارض وذلك منفعة بعمل الغير الخامس ان الله يخرج من النار من لم يعمل خيرا
قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم السادس ان اولاد المومنين يدخلون الجنة بعمل ابايهم
وذلك انتفاع بمحض عمل الغير السابع قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين وكان ابوهما صالحا
فانتفعا بصلاح ابيهما وليس هو سعيهما الثامن ان الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص
السنة والاجماع وهو من عمل غيره التاسع ان الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة وهو
انتفاع بعمل الغير العاشر ان الصوم المنذور والحج المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة
وهو انتفاع بعمل الغير الحادي عشر المدين الذي امتنع عليه السلام من الصلاة عليه حتى قضي دينه ابو قتادة
وقضي دين الاخر علي بن ابي طالب وقد انتفع بصلوة النبي عليه السلام وبردت جلدته بقضا دينه
وهو من عمل الغير الثاني عشر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن صلي وحده الا رجل يتصدق على هذا فيصلي
معه فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير الثالث عشر ان الانسان تبرا ذمته من ديون الخلق اذا قضاها
قاض عنه وذلك انتفاع بعمل الغير الرابع عشر ان من عليه تبعات ومظالم اذا احلل منها سقطت عنه وهذا
انتفاع بعمل غيره الخامس عشر ان الجار الصالح ينفع في المحيا والممات كما جاء في الاثر وهذا انتفاع بعمل الغير
السادس عشر ان جليس اهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له والاعمال بالنيات
فقد انتفع بعمل غيره السابع عشر الصلاة على الميت والدعا له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه
وهو عمل غيره الثامن عشر ان الجمعة تحصل باجتماع العدد وكذلك الجماعة بكثرة العدد وهو انتفاع للبعض
بالبعض التاسع عشر ان الله قال لنبيه عليه السلام وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال ولولا رجال
مومنون ونساء مومنات وقال ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض فقد دفع الله العذاب عن
بعض الناس بسبب بعض وذلك انتفاع بعمل الغير العشرون ان صدقة الفطر تجب عن الصغير وغيره
ممن يمونه الرجل ينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي له الحادي والعشرون ان الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون
ويثاب على ذلك ولا سعي له ومن تامل العلم وجد من انتفاع الانسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصي
فكيف يجوز ان يتاول الاية على خلاف صريح الكتاب والسنة واجماع الامة والمراد بالانسان
العموم وقال الربيع بن انس للانسان يعني الكافر واما المومن فله ما سعي وما سعي له وقيل
ليس للكافر من الخير الا ما عمله يثاب عليه في الدنيا حتى لا يبقي له في الاخرة خير ويروي ان عبد
الله بن ابي كان اعطى العباس قميصا ليلبسه اياه فلما مات ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه
ليكفن فيه فلم يبق له حسنة في الاخرة يثاب عليها وقوله وان سعيه سوف يري اي يري في
ميزانه يوم القيمة من اريته الشي اي يعرض عليه ويكشف له فان قيل العمل كيف يري بعد وجوده
ومضيه فالجواب من وجهين احدهما يري على صورة جميلة ان كان العمل صالحا الثاني قال
ابن الخطيب وذلك على مذهبنا غير بعيد فان كل موجود يري والله قادر على اعادة كل ما عدم
فيعيد الفعل ويري وجه اخر وهو ان ذلك مجاز عن الثواب كقولك اشتري احسانك اي جزاه
وفيه نظر لقوله تعالى بعد ذلك ثم يجزاه الجزا الاوفي قوله ثم يجزاه يجوز في الضمير وجهان
اظهرهما ان الضمير المرفوع يعود على الانسان والمنصوب يعود على سعيه والجزا مصدر مبين
للنوع والثاني قال الزمخشري ويجوز ان يكون الضمير للجزا ثم فسره بقوله الجزا او يبدله منه
كقوله واسروا النجوي الذين ظلموا قال ابو حيان واذا كان تفسيرا للضمير المنصوب في يجزاه
فعلي ماذا ينتصب واما اذا كان بدلا فهو من بدل الظاهر من المضمر وهي مسئلة خلاف والصحيح

لانه في الاولى اثبت همزة الوصل وقد اغنت عنها همزة الاستفهام وفي الثانية حذف همزة
الاستفهام وهو يريدها وهذا مما لا يستعمل الا في الشعر قال شهاب الدين اما قراءته استغفرت
بوصل الهمزة فرويت ايضا عن ابي عمرو الا انه هو يضم ميم عليهم عند وصله الهمزة لان اصلها
الضم وابو عمرو يكسرها على اصل التقاء الساكنين واما قوله وهذا مما لا يستعمل الا في الشعر
فان اراد بهذا امد هذه الهمزة في هذا المكان فصحيح بل لا يجده ايضا وان اراد حذف همزة
الاستفهام فليس بصحيح لانه يجوز حذفها اجماعا قبل ام نثرا ونظما فاما دون ام ففيه خلاف
والاخفش يجوزه ويجعل منه وتلك نعمة وقول الاخر

طربت وما شوقا الى البيض اطرب • ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب • وقول الاخر

افرح ان ارزا الكرام وان • اورد ذودا شصايصا نبلا •

واما قبل ام فكثير كقوله • لعمرك ما ادري وان كنت داريا • بسبع رمين الجمر ام بثمانيا •
وقد تقدمت هذه المسالة مستوفاة **فصل** قال قتادة هذه الاية نزلت بعد
قوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم وذلك انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخبرني ربي فلازيدن على السبعين فانزل الله تعالى لن يغفر الله لهم الاية قال ابن
عباس المراد بالفاسقين المنافقون معنى قوله سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر
لهم اي كل ذلك سواء لا ينفع استغفارك شيئا لان الله لا يغفر لهم نظيره سواء عليهم اانذرتهم
ام لم تنذرهم لا يؤمنون سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين ان الله لا يهدي القوم
الفاسقين قال ابن الخطيب قال قوم فيه بيان ان الله تعالى يملك هداية وراء هداية
البيان وهي خلق فعل الاهتداء فيمن علم منه ذلك وقيل معناه لا يهديهم لفسقهم وقالت المعتزلة
لا يسميهم اذ فسقوا وضلوا فان قيل ذكر الفاسقين ولم يقل الكافرين والمنافقين والمستكبرين
مع ان كلامهم تقدم ذكره فالجواب ان كل واحد منهم داخل تحت المغايرة قوله هم الذين
يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله قد تقدم سبب النزول وان ابن ابي قال لا
تنفقوا على من عند محمد حتى ينفضوا اي يتفرقوا عنه فاعلمهم الله سبحانه ان خزاين
السموات والارض له كيف ينفق كيف يشا قال رجل لحاتم الاصم من اين تاكل فقال
ولله خزاين السموات والارض وقال الحسن خزاين السموات الغيوب وخزاين الارض
القلوب فهو علام الغيوب ومقلب القلوب قوله ينفضوا قرا العامة ينفضوا من
الانفضاض وهو التفرق وقرا الفضل بن عيسى الرقاشي ينفضوا من انفض القوم
اي فني زادهم ويقال نفض الرجل وعاءه من الزاد فانفض فيتعدى دون الهمزة ولا
يتعدى معها فهو من باب كببته فاكب قال الزمخشري وحقيقته جاز لهم ان ينفضوا
مزاودهم قال تعالى ولكن المنافقين لا يفقهون انه اذا اراد امرا يسره قوله
يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل القايل ابن ابي كما تقدم
وقيل انه لما قال ليخرجن الاعز منها الاذل ورجع الى المدينة لم يلبث الا اياما يسيرة
حتى مات فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم والبسه قميصه فنزل قوله تعالى
لن يغفر الله لهم وروي ان عبد الله بن ابي سلول قال لابيه والذي لا اله الا هو لا
يدخل المدينة حتى يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاعز وانا الاذل
فقاله توهموا ان العزة بكثرة الاموال والاتباع فبين ان العزة والمنعة والقوة
لله قوله ليخرجن الاعز قراءة العامة بضم الياء وكسر الراء مسندا الى الاعز والاذل
مفعول به والاعز بعض المنافقين على زعمه وقرا الحسن وابن ابي عبلة والمسيبي لنخرجن
بنون العظمة ونصب الاعز على المفعول به ونصب الاذل على الحال وبه استشهد
من جوز تعريفها والجمهور جعلوا ال مزيدة على حد ارسلها العراك وادخلوا الاول
فالاول وجوز ابو البقاء ان يكون منصوبا على المفعول به وناصبه حال محذوفة اي
مشبها الاذل وقد خرجه الزمخشري على حذف مضاف اي خروج الاذل او اخراج الاذل
يعني بحسب القراءتين من خرج واخرج فعلى هذا ينتصب على المصدر لا على الحال
ونقل الداني عن الحسن ايضا لنخرجن بفتح نون العظمة وضم الراء ونصب الاعز على

الاختصاص كقولهم نحن العرب اقرى الناس للضيف والاذل نصب على الحال ايضا قال ابو حيان
وفيه نظر كيف يخبرون عن انفسهم انهم يخرجون في حال الذل مع قولهم الاعز اي احض الاعز
ويعنون بالاعز انفسهم وقد حكى هذه القراءة ايضا ابو حاتم وحكى الكسائي والفراء ان قوما
قرءوا ليخرجن بفتح الياء وضم الراء ورفعوا الاعز فاعلا ونصب الاذل حالا وهي واضحة وقرئ
ليخرجن بضم الياء مبنيا للمفعول الاعز قايما مقام الفاعل الاذل حالا ايضا **فصل**
قال ابن الخطيب فان قيل ما الحكمة في انه تعالى ختم الاية الاولى بقوله لا يفقهون وختم
الثانية بقوله لا يعلمون فالجواب ليعلم بالاولى قلة كياستهم وفهمهم وبالثانية حماقتهم
وجهلهم ويفقهون من فقه يفقه كعلم يعلم او من فقه يفقه كعظم يعظم فالاول لحصول
الفقه بالتكليف والثاني لا بالتكليف فالاول علاجي والثاني مزاجي قوله يا ايها الذين
امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله حذر المومنين اخلاق المنافقين اي لا تشتغلوا
باموالكم كما فعل المنافقون اذ قالوا لاجل الشح باموالهم لا تنفقوا على من عند رسول الله
وقوله عن ذكر الله اي عن الحج والزكاة وقيل عن قراءة القران وقيل عن ادامة الذكر
وقال الضحاك عن الصلوات الخمس وقال الحسن عن جميع الفرايض كانه قال عن طاعة
الله وقيل هذا خطاب للمنافقين اي امنتم بالقول فامنوا بالقلب ومن يفعل ذلك اي
من يشتغل بالمال والولد عن طاعة ربه فاوليك هم الخاسرون قوله وانفقوا مما رزقناكم
قال ابن عباس يريد زكاة الاموال من قبل ان ياتي احدكم الموت قال القرطبي هذا يدل
على وجوب تعجيل اخراج الزكاة ولا يجوز تاخيرها اصلا وكذلك ساير العبادات اذا دخل
وقتها قال ابن الخطيب وبالجملة فقوله لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله تنبيه على
المحافظة على الذكر قبل الموت وقوله وانفقوا مما رزقناكم تنبيه على الشكر كذلك قوله
فيقول رب لولا اخرتني اي هلا اخرتني وقيل لا صلة فيكون الكلام بمعنى التمني اي لو
اخرتني الى اجل قريب فيسال الرجعة الى الدنيا ليعمل صالحا روى الترمذي عن الضحاك
ابن مزاحم عن ابن عباس قال من كان له مال يبلغه حج بيت ربه او يجب عليه فيه زكاة
فلم يفعل سال الرجعة عند الموت فقال رجل يا ابن عباس اتق الله انما سال الرجعة
الكفار فقال سا تلو عليك بذلك قرانا يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن
ذكر الله الى قوله والله خبير بما تعملون قال فما يوجب الزكوة قال اذا بلغ المال مايتين
فصاعدا قال فما يوجب الحج قال الزاد والراحلة قال القرطبي ذكره الحليمي في كتاب
منهاج الدين مرفوعا فقال وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
كان عنده مال يبلغه الحج الحديث قال ابن العربي اخذ ابن عباس بعموم الاية في انفاق
الواجب خاصة دون النفل فاما تفسيره بالزكوة فصحيح كله عموما وتقديرا بالمايتين
واما القول بالحج ففيه اشكال لانا ان قلنا الحج على التراخي ففي المعصية بالموت قبل الحج
خلاف بين العلماء فلا تخرج الاية عليه وان قلنا الحج على الفور فالعموم في الاية صحيح
لان من وجب عليه الحج فلم يوده لقي من الله ما يود لو انه رجع لياتي بما ترك من العبادات
واما تقدير الامر بالزاد والراحلة ففي ذلك خلاف مشهور بين العلماء وليس لابن عباس
فيه مدخل لاجل ان الرجعة والوعيد لا يدخل في المسايل المجتهد فيها ولا المختلف عليها وانما
يدخل في المتفق عليه والصحيح تناوله للواجب من الانفاق بالاجماع او بنص القران
لان ما عدا ذلك لا يتحقق فيه الوعيد قوله فاصدق نصب على جواب التمني في قوله
لولا اخرتني وقرا ابي وعبد الله وابن جبير فاتصدق وهي اصل قراءة العامة ولكن ادغمت
التاء في الصاد قوله واكن قرا ابو عمرو واكون بنصب الفعل عطفا على فاصدق والباقون
واكن مجزوما وحذفت الواو لالتقاء الساكنين واختلف عبارات الناس في ذلك فقال
الزمخشري عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن وقال ابن عطية
عطفا على الموضع لان التقدير ان اخرتني اصدق واكن هذا مذهب ابي علي الفارسي
وقال القرطبي عطفا على موضع الفاء لان قوله فاصدق لو لم تكن الفاء لكان مجزوما اي
اصدق ومثله من يضلل الله فلا هادي له ونذرهم فيمن جزم فاما ما حكاه سيبويه عن

وحوي لانهما ما خلقا من نطفة وهذا ايضا من جملة المتضادات الواردة على النطفة فبعضها
يخلق ذكرا وبعضها يخلق انثى فلا يصل اليه فهم الطبيعي والذي يعولونه من البرد والرطوبة
في الانثى فرب امراة احر وايبس مزاجا من الرجل فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى وانه خلق
ولم يقل وانه هو خلق كما قال وانه هو اضحك وابكى فالجواب ان الضحك والبكا ربما يتوهم
انه بفعل الانسان والاماتة والاحيا وان كان ذلك التوهم ابعد لكن ربما يقول به جاهل كما
قال من حاج ابراهيم عليه السلام فقال انا احيي وامیت فاكد ذلك بالفصل واما خلق الذكر
والانثى من النطفة فلا يتوهم احد انه بفعل احد من الناس فلم يوكد بالفصل الا ترى الى قوله
وانه هو اغنى واقنى حيث كان الاغنا عندهم غير مسند الى الله تعالى وكان في معتقدهم ان
ذلك بفعلهم كما قال قارون انما اوتيته على علم عندي وكذلك قال هو رب الشعرى فاكد في
مواضع استبعادهم الى الاسناد ولم يوكد في غيره واختلفوا في الذكر والانثى هل هما اسمان هما صفة
او اسمان ليسا بصفة فالمشهور عند اهل اللغة انهما اسمان ليسا بصفة قال ابن الخطيب والظاهر
انهما من الاسما التي هي صفات فالذكر كالحسن والانثى كالحبلى والكبرى قوله من نطفة اذا تمنى
اي تصب في الرحم يقال مني الرجل وامنى قاله الضحاك وعطا بن ابي رباح وقيل تقدر يقال
منيت الشي اذا قدرته وهذا ايضا تنبيه على كمال القدرة لان النطفة جسم متناسب الاجزا
ويخلق الله منها اعضا مختلفة وطباعا متباينة وخلق الذكر والانثى منها اعجب ما يكون ولهذا
لم يقدر احد على ان يدعيه كما لم يقدر على ان يدعي خلق السموات ولهذا قال تعالى ولين سالتهم
من خلقهم ليقولن الله كما قال تعالى قوله وان عليه النشاة الاخرى اي الخلق الثاني للبعث
يوم القيمة قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون المراد من قوله وان عليه النشاة الاخرى هو نفخ
الروح الانسانية فيه كما قال تعالى ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة
فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر
اي غير خلق النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما وبهذا الخلق الاخر وهو نفخ
الروح يميز الانسان عن انواع الحيوان فكما قال هناك انشاناه خلقا اخر بعد خلق النطفة
قال هنا وان عليه النشاة الاخرى فجعل خلق الروح نشاة اخرى كما جعل هناك انشا اخر
فان قيل الاعادة لا تجب على الله فما معنى قوله تعالى وان عليه فالجواب على مذهب المعتزلة
عليه عقلا فان الجزا واجب وذلك لا يتم الا بالحشر فتجب الاعادة عليه واما على مذهب اهل
السنة ففيه وجهان الاول عليه بحكم الوعد فانه قال انا نحن نحيي الموتى فعليه بحكم الوعد
لا بالعقل ولا بالشرع الثاني عليه بحكم التعيين فان من حضر بين جمع وحاولوا امرا وعجزوا
عنه يقال له وجب عليك اذن ان تفعله اي تعين لك
فصل
وقري النشاة على انه
مصدر كالضربة على وزن فعلة وهي للمرة يقال ضربة وضربتان يعني النشاة مرة اخرى
عليه وقري النشاة بالمد على انه مصدر على وزن فعالة كالكفالة وكيف ما قري فهي من نشاه
وهو لازم قوله وانه هو اغنى واقنى قال ابو صالح اغنى الناس بالاموال واقنى اعطى
القنية واصول الاموال يدخرونه بعد الكفاية وقال الضحاك اغنى بالذهب والفضة وصنوف
الاموال واقنى بالابل والبقر والغنم وقال الحسن وقتادة اخدم وقال ابن عباس اغنى
واقنى اعطى فارضى وقال مجاهد ومقاتل اقنى ارضى بما اعطى وقنع قال الراغب وتحقيقه
انه جعل له قنية من الرضى وقال سليمان التيمي اغنى نفسه واقفر خلقه اليه وقال ابن زيد
اغنى اكثر واقنى اقل وقرا يبسط الرزق لمن يشا ويقدر وقال الاخفش اقنى افقر وقال ابن
كيسان اولد قال الزمخشري اقنى اعطى القنية وهي المال الذي تاثلته وعزمت على ان لا يخرج
من يدك قال الجوهري قني الرجل يقني قنى مثل غنى يغنى غنى ثم يتعدى بتغير الحركة فيقال
قنيت مالا اي كسبته وهو نظير شترت عينه بالكسر وشترها الله بالفتح فاذا دخلت عليه
الهمزة او التضعيف اكتسب مفعولا ثانيا فيقال اقناه الله مالا وقناه اياه اي كسبه اياه
قال الشاعر • كم من غني اصاب الدهر ثروته • ومن فقير تغنى بعد اقلال •
اي تغنى مالا فحذف الثاني وحذف مفعولا اغنى واقنى لان المراد نسبة هذين الفعلين
اليه وحده وكذلك في باقيها والف اقنى عن يا لانه من القنية قال الا ان بعد العدم للمرا

قنية

قنية ويقال قنيت كذا واقتنيته قال • قنيت حيا اي عفة وتكرما •
قوله وانه هو رب الشعرى والشعرى في لسان العرب كوكبان يسمى احدهما الشعرى العبور وهو
المراد في الاية الكريمة فان خزاعة كانت تعبدها ومن عبادها ابو كبشة رجل من ساداتهم تعبدها
وقال لان النجوم تقطع السما عرضا والشعرى تقطعها طولا فهي مخالفة لها فعبدتها خزاعة
وحمير وابو كبشة احد اجداد النبي صلى الله عليه وسلم ابن ابي كبشة حين دعا الى الله وخالف اديانهم
وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ابي كبشة تشبيها بذلك الرجل في انه
احدث دينا غير دينهم والشعرى العبور تطلع بعد الجوزا في شدة الحر ويقال مرزم الجوزا
وتسمى كلب الجبار وتسمى الشعرى اليمانية والثاني الشعرى الغميصا وهي التي في الذراع
والمجرة بينهما وتسمى الشامية وسبب تسميتها بالغميصا على ما زعمته العرب في بعض خرافاتها
انهما كانا اختين او زوجين لسهيل فانحدر سهيل الى اليمن فاتبعته الشعرى العبور فعبرت
المجرة بينهما فسميت العبور واقامت الغميصا تبكي لفقده حتى غمصت عينها ولذلك كانت اخفى
من العبور وقد كان من لا يعبد الشعرى من العرب يعظمها ويعتقد تاثيرها في العالم قال
• مضى ايلول وارتفع الحرور • واخبت نارها الشعرى العبور •
فصل
وهذه الاية اشارة الى فساد قول قوم اخرين لان بعض الناس يذهب الى
ان الفقر والغنى بكسب الانسان واجتهاده فمن كسب استغنى ومن كسل افتقر وبعضهم يذهب
الى ان ذلك بحسب الطالع وذلك بالنجوم فقال هو اغنى واقنى وان قال قايل ان الغنى بالنجوم
فقال هو رب النجوم ومحركها لقوله تعالى هو رب الشعرى لانكاره ذلك الكذب بالفعل
قوله وانه اهلك عادا الاولى اعلم ان هذه الاية الكريمة من اشكل الايات نقلا وتوجيها
قال شهاب الدين وقد يسر الله تعالى تحرير ذلك بحوله وقوته فاقول ان القرا اختلفوا
في ذلك على اربع رتب احدها قرا ابن كثير وابن عامر والكوفيون عادا الاولى بالتنوين مكسورا
وسكون اللام وتحقيق الهمزة بعدها هذا كله في الوصل فاذا وقفوا على عادا وابتدوا بالاولى
فقياسهم ان يقولوا الاولى بهمزة الوصل وسكون اللام وتحقيق الهمزة الثانية قرا قالون عادا
لولى بادغام التنوين في اللام ونقل حركة الهمزة الى لام التعريف وهمزة الواو وهذا في الاصل
واما في الابتدا بالاولى فله ثلاثة اوجه الاول الولى بهمزة الوصل ثم بلام مضمومة ثم بهمزة
ساكنة الثاني لولى بلام مضمومة ثم بهمزة ساكنة كابتدا ابن كثير ومن معه الثالث قرا ورش
عادا لولى بادغام التنوين في اللام ونقل حركة الهمزة اليها كقالون الا انه ابقى الواو على
حالها غير مبدلة همزة هذا في الوصل واما في الابتدا بها فله وجهان الولى بالهمز والنقل ولولى
بالنقل دون همزة وصل والواو ساكنة على حالها في هذين الوجهين الرابعة قرا ابو عمرو
كورش وصلا وابتدا سوا الا انه يزيد في الابتدا بوجه ثالث وهو وجه ابن كثير ومن
معه فقد تحصل ان لكل من قالون وابي عمرو في الابتدا ثلاثة اوجه وان لورش وجهين فتامل
ذلك فان تحريره صعب الماخذ من كتب القراات واما توجيهها فيتوقف على معرفة ثلاثة اصول
الاول حكم التنوين اذا وقع بعده ساكن الثاني حكم حركة النقل الثالث اصل اولى ما هو
اما الاول فحكم التنوين الملاقي ان يكسر لالتقا الساكنين نحو قل هو الله احد الله او يحذف
تشبيها بحذف العلة كقراة احد الله الصمد وكقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو قليل جدا
وقد مضى تحقيقه واما الثاني فان للعرب في الحركة المنقولة مذهبين الاعتداد بالحركة
وعدم الاعتداد بها وهي اللغة الغالبة واما الثالث فاولى تانيث الاول وقد تقدم
الخلاف في اصله في اول الكتاب فليلتفت اليه اذا تقررت هذه الاصول الثلاثة
فاقول اما قراة ابن كثير ومن معه فانهم صرفوا عادا اما لانه اسم للحي او الاب فليس فيه ما
يمنعه واما لانه وان كان مونثا اسما للقبيلة او الام الا انه مثل هند ودعد فيجوز فيه الصرف
وعدمه فيكون كقوله • لم تتلفع بفضل مئزرها دعد • ولم تسق دعد في العلب •
فصرفها اولا ومنعها ثانيا ولم ينقلوا حركة الهمزة الى لام التعريف فالتقى ساكنان فكسروا النون
لالتقايهما على ما هو المعروف في اللغتين وحذفوا همزة الوصل من الاولى للاستغنا عنها
بحركة التنوين وصلا فاذا ابتدوا بها احتاجوا الى همزة الوصل فاتوا بها فقالوا الاولى كنظيرها

من همزات الوصل وهذه قراءة واضحة لا اشكال فيها ومن ثم اختارها الجم الغفير واما قراءة من ادغم التنوين في لام التعريف وهما نافع وابو عمرو مع اختلاف فيها في اشياء كما تقدم فوجهه الاعتداد بحركة النقل وذلك ان من العرب من اذا نقل حركة الهمزة الى ساكن قبلها كلام التعريف عاملها معاملتها ساكنة ولا يعتد بحركة النقل فيكسر الساكن الواقع قبلها ولا يدغم فيها التنوين ويأتي قبلها بهمزة الوصل فيقول لم يذهب لحمر ورايت زياد العجم من غير ادغام التنوين والحمر والعجم بهمزة الوصل لان اللام في حكم السكون وهذه هي اللغة المشهورة ومنهم من يعتد بها فلا يكسر الساكن الاول ولا يأتي بهمزة الوصل ويدغم التنوين في لام التعريف فيقول لم يذهب لحمر بسكون الياء ولحمر ولعجم من غير همز وزياد لعجم بتشديد اللام وعلى هذه اللغة جاءت هذه القراءة هذا من حيث الاجمال واما من حيث التفصيل فاقول اما قالون فانه نقل همزة الحركة الى لام التعريف وان لم يكن من اصله النقل لاجل قصده التخفيف بالادغام ولما نقل الحركة اعتد بها اذ لم يمكن الادغام في ساكن ولا ما هو في حكمه واما همزة الواو ففيه وجهان منقولان احدهما ان يكون اولى اصلها عنده وولى من وال اي نجا كما هو قول الكوفيين ثم ابدل الواو الاولى همزة لانها واو مضمومة وقد تقدم انها لغة مطردة فاجتمع همزتان ثانيهما ساكنة توجب قلبها واوا نحو اومن فلما حذفت الهمزة الاولى بسبب نقل حركتها رجعت الثانية الى اصلها من الهمز لانها انما قلبت واوا من اجل الاولى وقد زالت وهذا تكلف لا دليل والثاني انه لما نقل الحركة الى اللام صارت الضمة قبل الواو كانها عليها لان حركة الحرف بين يديه فابدل الواو همزة كقوله احب الموقدين الى موسى وكقراءة يوقنون وهمزة السوق وسوقه كما تقدم تحريره وهذا ابنا منه على الاعتداد بالحركة ايضا وليس في هذا الوجه دليل على اصل اولى عنده ما هو فيحتمل الخلاف المذكور جميعه واما ابتداؤه الكلمة من غير نقل فانه الاصل ولانه انما نقل في الوصل لقصده التخفيف بالادغام ولا ادغام في الابتداء فلا حاجة الى النقل واما الابتداء له بالنقل فلانه محمول على الوصل ليجري اللفظ فيهما على سنن واحد وحكمة اثبات الف الوصل مع النقل في احد الوجهين ترك الاعتداد بحركة اللام على ما عليه القراء في نظايره مما وجد فيه النقل اذ الغرض انما هو جري اللفظ في الابتداء والوصل على سنن واحد وذلك يحصل بمجرد النقل وان اختلفا في تقدير الاعتداد بالحركة وتركه وعلة ترك الاتيان بالالف في الوجه الثاني حمل الابتداء على الوصل في النقل بالحركة جميعا ويقوي هذا الوجه رسم الاولى في هذا الموضع بغير الف والكلام في همز الواو مع النقل في الابتداء كالكلام عليه في الوصل كما تقدم واما ورش فان اصله ان ينقل حركة الهمزة على اللام في الاصل فنقل على اصله الا انه اعتد بالحركة ليصح ما قصده من التخفيف بالادغام وليس من اصله الاعتداد بالحركة في نحو ذلك الا ترى انه يحذف الالف في سيرتها الاولى ويجنبها الاشقى ولو اعتد بالحركة لم يحذفها واما ما جاء عنه في بعض الروايات قالوا الان جئت فانه وجه نادر معلل باتباع الاثر والجمع بين اللغتين والابتداء له بالنقل على اصله في ذلك ايضا والابتداء له بالف الوصل على ترك الاعتداد بالحركة في نحو ذلك اذ لا حاجة الى قصد ذلك في الابتداء وترك الاتيان له بالالف على الاعتداد له بالحركة حملا للابتداء على الوصل وموافقة الرسم ايضا ولا ابتداء له بالوصل اذ ليس من اصله ذلك والاولى في قراءته تحتمل الخلاف المذكور في اصلها واما ابو عمرو فالعلة له في قراءته في الوصل والابتداء كالعلة المتقدمة لقالون الا انه يخالفه في همز الواو لانه لم يعطها حكم ما جاورها وليست عنده من وال بل من غير هذا الوجه كما تقدم الخلاف في اول هذا الكتاب ويجوز ان يكون اصلها عنده من وال ايضا الا انه ابدل في حال النقل مبالغة في التخفيف او موافقة لحال ترك النقل وقد عاب هذه القراءة اعني قراءة الادغام ابو عثمان وابو العباس ذهابا منهما الى ان اللغة الفصيحة عدم الاعتداد بالعارض ولكن الالتفات الى ردها لثبوت ذلك لغة وقراءة وان كان غيرها افصح منها وقد ثبت عن العرب انهم يقولون لحمر ولحمر بهمزة الوصل وعدمها مع النقل والله اعلم وقرا ابي وهو في حرفه عاد الاولى غير مصروف ذهابا الى القبيلة اول الام كما تقدم ففيه العلمية والتانيث ويدل على التانيث قوله الاولى لوصفها بوصف المونث

فصل عاد الاولى هم قوم هود اهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عادا الاخرى

قال

قال القرطبي سماها الاولى لانهم كانوا قبل ثمود وقيل ان ثمود من قبل عاد وقال ابن زيد قيل لها عاد الاولى لانها اول امة هلكت بعد نوح عليه السلام وقال ابن اسحاق هما عادان الاولى اهلكت بالريح الصرصر ثم كانت الاخرة فاهلكت بصيحة وقيل عاد الاولى هي عاد بن ارم ابن عوص بن سام بن نوح وعاد الثانية من ولد عاد الاولى والمعنى متقارب وقيل ان عاد الاخرة هم الجبارون وهم قوم هود قوله وثمودا فما ابقى قد تقدم الخلاف في ثمود بالنسبة للصرف وعدمه في سورة هود وفي انتصابه هنا وجهان احدهما انه معطوف على عادا والثاني انه منصوب بالفعل المقدر اي واهلك قاله ابو البقاء وبه بدا ولا يجوز ان ينتصب بابقى لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها والظاهر ان متعلق ابقى عايد على من تقدم من عاد وثمود اي فما ابقى عليهم اي على عاد وثمود او يكون التقدير فما ابقى منهم احدا ولا عينا تطرف ويؤيد هذا قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية قوله وقوم نوح كالذي قبله ومن قبل اي قبل عاد وثمود وقوله انهم يحتمل ان يكون الضمير لقوم نوح خاصة وان يكون لجميع من تقدم من الامم الثلاثة وقوله كانوا هم يجوز في هو ان يكون تاكيدا وان يكون فصلا ويضعف ان يكون بدلا والمفضل عليه محذوف تقديره من عاد وثمود على قولنا ان الضمير لقوم نوح خاصة وعلى القول بان الضمير للكل يكون التقدير من غيرهم من مشركي العرب وان قلنا ان الضمير لقوم نوح خاصة فالمعنى اهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى لطول دعوة نوح اياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب وهم البادئون بالظلم والمتقدمون فيه ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها والبادي اظلم واما اطغى فلانهم سمعوا المواعظ وطال عليهم الامد ولم يرتدعوا حتى دعا عليهم نبيهم ولا يدعو نبي على قومه الا بعد الاصرار العظيم والظالم واضع الشيء في غير موضعه والطاغي المجاوز للحد فان قيل المراد من الاية تخويف الظالم بالهلاك فاذا قيل لهم انهم كانوا في غاية الظلم والطغيان فاهلكوا يقول الظالم هم كانوا اظلم فاهلكوا لمبالغتهم في الظلم ونحن ما بالغنا فلا نهلك فلو قال اهلكوا لظلمهم لخاف كل ظالم فما الفايدة في قوله اظلم فالجواب ان المقصود بيان شدتهم قوة اجسامهم فانهم لم يقدموا على الظلم والطغيان الشديد الا بتماديهم وطول اعمارهم ومع ذلك ما نجا احد منهم فما حال من هو دونهم في العمر روي ان الرجل منهم كان ياخذ بيد ابنه فينطلق به الى نوح عليه السلام فيقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي قد مشى بي الى هذا وقال لي ما قلت لك فيموت الكبير على الكفر وينشا الصغير على وصية ابيه قوله والموتفكة منصوب باهوى وقدم لاجل الفواصل والمراد بالموتفكة قرى قوم لوط اهوى اسقط اي اهواها جبريل بعد ما رفعها الى السما قوله فغشاها اي البسها الله ما غشى يعني الحجارة المصورة المسومة وقوله ما غشى كقوله ما اوحى في الابهام وهو المفعول الثاني ان قلنا ان التضعيف للتعدية وان قلنا انه للمبالغة والتكثير فتكون ما فاعلة كقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم والموتفكة المنقلبة وقرئ والموتفكات فان قيل اذا كان معنى الموتفكة المنقلبة ومعنى اهوى قلبها فيكون المعنى والمنقلبة قلبها وقلب المنقلبة تحصيل الحاصل فالجواب ان معناه المنقلبة ما انقلبت بنفسها بل الله قلبها فانقلبت قوله فباي متعلق بتتمارى والباء ظرفية بمعنى في والالاء النعم واحدها الى والى والاو والمعنى فباي نعم ربك تشك وقرا ابن محيصن ويعقوب تمارى بالحذف كقوله تذكرون

فصل قيل هذا ايضا مما في الصحف وقيل هو ابتداء كلام والخطاب عام والمعنى فباي الاء اي نعم ربك ايها الانسان تتمارى تشك او تجادل وقال ابن عباس تكذب وقيل هذا خطاب مع الكافر قال ابن الخطيب ويحتمل ان يقال خطاب مع النبي عليه السلام ولا يقال كيف يجوز ان يقال للنبي عليه السلام تتمارى لانا نقول هو من باب لين اشركت ليحبطن عملك يعني لم يبق فيه امكان الشك حتى ان فارضا لو فرض النبي عليه السلام ممن يشك او يجادل في بعض الامور الخفية لما كان يمكنه التماري في نعم الله والصحيح العموم كقوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم وقوله وكان الانسان اكثر شي جدلا قوله هذا نذير اشارة الى ما تقدم من الاي واخبار المهلكين وقيل الى القران قال ابن الخطيب وهذا بعيد لفظا ومعنى اما معنى فلان القران ليس من جنس الصحف الاولى لانه معجزة وتلك لم تكن معجزة واما لفظا فلان

النذير ان كان كاملا فما ذكره من حكاية المهلكين اولي لانه اقرب ويكون هذا مبقي على حقيقة التبعيض اي هذا الذي ذكرناه بعض ما جرى او يكون لابتداء الغاية اي هذا انذار من المنذرين المتقدمين يقال هذا الكتاب وهذا الكلام من فلان وقيل اشارة الى الرسول عليه السلام اي هذا النذير من جنس النذر الاولى اي رسول من الرسل اليكم كما ارسلوا الى اقوامهم وقوله نذير يجوز ان يكون مصدرا وان يكون اسم فاعل وكلاهما لا ينقاس بل القياس في مصدره انذار وفي اسم فاعله منذر والنذر يجوز ان يكون جمع النذير بمعنييه المذكورين والاولى صفة حمل على معنى الجماعة كقوله مآرب اخرى قوله ازفت الآزفة دنت القيمة واقتربت والتقدير الساعة الآزفة كقوله اقتربت الساعة ويجوز ان تكون الآزفة علما للقيامة بالغلبة قال ابن الخطيب قوله ازفت الازفة كقوله تعالى وقعت الواقعة ويقال كانت الكائنة وهذا الاستعمال يقع على وجهين الاول اذا كان الفاعل صار فاعلا لمثل ذلك الفعل من قبل ثم فعله مرة اخرى يقال فعل الفاعل كقولك حاكه الحايك اي من شغله ذلك من قبل فعله الثاني ان يصير الفاعل فاعلا بذلك الفعل يقال اذا مات الميت انقطع عمله واذا اعضب العين غاص ضمنها فقوله ازفت الآزفة يحتمل ان يكون من الاول اي قربت الساعة التي كل يوم تزداد قربا فهي كائنة قريبة وزادت في القرب ويحتمل ان يكون من الثاني كقوله وقعت الواقعة اي قرب وقوعها وفاعل ازفت في الحقيقة القيمة او الساعة فكانه قال ازفت القيمة الآزفة او الساعة الآزفة قال ابو زيد قلت لاعرابي ما المحبنطي قال المتكاكي قال المتآزف قال انت احمق وتركني ومر قوله ليس لها من دون الله كاشفة يجوز ان يكون كاشفة وصفا وان يكون مصدرا فان كانت وصفا احتمل ان يكون التانيث لاجل انه صفة لمونث محذوف فقيل تقديره نفس كاشفة او حال كاشفة فان قدرتها نفس كاشفة وقوله من دون الله استثناء على المشهور فيكون الله نفسا كاشفة فالجواب من وجوه الاول لا فساد في ذلك لقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ولا اعلم ما في نفسك الثاني ليس صريحا في الاستثناء فيجوز ان لا يكون نفسا الثالث الاستثناء الكاشف المبالغ ويحتمل ان تكون المبالغة كراوية وعلامة ونسابة اوليس لها انسان كاشفة اي كثير الكشف وان كانت مصدرا فهو كالخاينة والعافية والمعنى ليس لها من دون الله كشف اي لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره فيكون من كشف الشيء اي عرف حقيقته كقوله لا يجليها لوقتها الا هو واما من كشف الضر اي ازاله والمعنى ليس لها من يزيلها ويردها اذا غشيت الخلق اهوالها وشدائدها لم يكشفها احد عنهم غيره وهذا قول عطاء وقتادة والضحاك وقد تقدم الكلام على مادة ازف في اخر غافر ومن زائدة تقديره ليس لها غير الله كاشفة وهي تدخل على النفي فتوكد معناه تقول ما جاني من احد وما جاني احد وعلى هذا يحتمل ان يكون فيه تقديم وتاخير اي ليس لها من كاشفة دون الله فيكون نفيا عاما بالنسبة الى الكواشف ويحتمل ان يكون غير زائدة والمعنى ليس في الوجود نفس تكشفها اي تخبر عنها كما هي من غير الله يعني من يكشفها فانما يكشفها من الله لا من غير الله كقولك كشفت الامر من زيد ودون يكون بمعنى غير كقوله تعالى ايفكا الهة دون الله تريدون اي غير الله قوله افمن هذا الحديث متعلق بتعجبون ولا يجي فيه الاعمال لان من شرط الاعمال تاخر المعمول عن العوامل وهنا هو متقدم وفيه خلاف بعيد وعليه تتخرج الابيات الكريمة فان كلا من قوله تعجبون وتضحكون وقرا الحسن بضم التاء وكسر الجيم والحاء من غير واو عاطفة بين الفعلين وهي ابلغ من حيث انهم اذا اضحكوا غيرهم كانوا يجروهم وقرا ابي وعبد الله كالجماعة الا انهما بلا واو عاطفة كالحسن فيحتمل ان يكون تضحكون حالا وان يكون استئنافا كالتي قبلها

فصل

قال المفسرون المراد بالحديث القران قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون اشارة الى حديث ازفت الآزفة فانهم كانوا يتعجبون من حشر الاجساد والعظام البالية وقوله وتضحكون اي استهزاء من هذا الحديث كقوله تعالى في حق موسى عليه السلام فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون ويحتمل ان يكون انكارا على مطلق الضحك مع سماع حديث القيمة اي اتضحكون وقد سمعتم ان حديث القيمة قرب فكان حقا ان لا تضحكوا حينئذ وقوله ولا تبكون مما تسمعون من ابو عبيد روي

ان النبي عليه السلام ما رأي بعد هذه الآية ضاحكا الا تبسما وقال ابو هريرة لما نزل قوله افمن هذا الحديث تعجبون الآية قال اهل الصفة انا لله وانا اليه راجعون ثم بكوا حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاهم بكى معهم فبكينا لبكائه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم واتى بقوم يذنبون فيغفر لهم ويرحمهم انه هو الغفور الرحيم قوله وانتم سامدون اي غافلون لاهون وهذه الجملة يحتمل ان تكون مستانفة اخبر الله عنهم بذلك ويحتمل ان تكون حالا اي انتفى عنكم البكا في حال كونكم سامدون والسمود قيل الاعراض والغفلة عن الشي وقيل اللهو يقال دع عنك سمودك اي لهوك رواه الوالبي والعوفي عن ابن عباس وقال الشاعر

الا ايها الانسان انك سامد • كانك لا تفنى ولا انت هالك

فهذا بمعنى لاه ولاعب وقيل الجمود وقيل الاستكبار قال

رمى الحدثان نسوة آل سعد • بمقدار سمدن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا • ورد وجوههن البيض سودا

فهذا بمعنى الجمود والخشوع وقال عكرمة وابو عبيدة السمود الغنا بلغة حمير يقولون يا جارية اسمدي لنا اي غني فكانوا اذا سمعوا القران تغنوا ولعبوا وقال الضحاك اشرون وقال مجاهد غضاب يتبرطمون وقال الراغب السامد اللاهي الرافع راسه من قولهم بعير سامد في سيره وقيل سمد راسه وسبده اي استاصل شعره وذكر باسم الفاعل لان الغفلة دايمة واما الضحك والعجب فهما امران يتجددان ويعدمان وقال الحسن سامدون اي واقفون للصلوة قبل وقوف الامام لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج والناس ينتظرونه قياما فقال ما لي اراكم سامدون حكاه الماوردي وروي المهدوي عن علي انه خرج الى الصلاة فراى الناس قياما فقال ما لهم سامدون وروي عن علي ان معنى سامدون ان يجلسوا غير مصلين ولا منتظرين الصلاة وتسميد الارض ان يجعل فيها السماد وهو سرجين ورماد واسماد الرجل بالهمز اسمئدادا اي ورم غضبا قوله فاسجدوا لله واعبدوا هذا الامر يحتمل ان يكون عاما ويحتمل ان يكون التفاتا اي اشتغلوا بالعبادة ولم يقل فاعبدوا الله اما لكونه معلوما من قوله فاسجدوا لله واما لان العبادة في الحقيقة لا تكون الا لله روي عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس وروي عن عبد الله قال اول سورة انزلت فيها السجدة النجم فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه الا رجلا رايته اخذ كفا من تراب فسجد عليه فرايته بعد ذلك قتل كافرا وهو امية بن خلف وروي زيد بن ثابت قال قرات على النبي صلى الله عليه وسلم والنجم فلم يسجد فيها وهذا يدل على ان سجود التلاوة غير واجب قال عمر بن الخطاب ان الله لم يكتبها علينا الا ان نشا وهو قول الشافعي واحمد وذهب قوم الى انه واجب على القاري والمستمع جميعا وهو قول سفيان الثوري واصحاب الراي وروي الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النجم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة القمر مكية

في قول الجمهور وقال مقاتل مكية الا ثلاث ايات ام يقولون نحن جميع منتصر الى قوله والساعة ادهى وامر والصحيح الاول وهي خمس وخمسون اية وثلثمايه واثنتان واربعون كلمة والف واربعماية وثلاثة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر اول هذه السورة مناسب لاخر ما قبلها وهو قوله تعالى ازفت الازفة فكانه اعاد ذلك مستدلا عليه بقوله ازفت الازفة وهو حق اذ القمر انشق بقوله وانشق القمر ماض على حقيقته وهو قول عامة المسلمين الا من لا يلتفت الى قوله وقد

صح في الاخبار ان القمر انشق على عهده عليه السلام مرتين روي انس بن مالك ان اهل مكة سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم القمر شقتين حتى راوا حرا بينهما وقال
سنان عن قتادة فاراهم انشقاق القمر مرتين وعن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشهدوا وقال ابو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن ابي كبشة فقدموا السفار هم
فسالوهم قالوا نعم قد راينا فانزل الله عز وجل اقتربت الساعة وانشق القمر وقيل انشق
بمعنى سينشق يوم القيمة فاوقع الماضي موقع المستقبل لتحققه وهو خلاف الاجماع وقيل
انشق بمعنى انفلق عند الظلام عند طلوعه كما يسمى الصبح فلقا وانشد للنابغة

• فلما ادبروا ولهم دوي • دعانا عند شق الصبح داعي •

وانما ذكرنا ذلك على ضعفه قوله وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اي ذاهب سوف
يذهب ويبطل من قولهم مر الشيء واستمر اذا ذهب مثل قولهم قر واستقر قاله مجاهد
وقتادة منوا انفسهم بذلك وقيل مستمر اي دايم فان محمدا عليه السلام كان ياتي كل زمان
بمعجزة فقالوا هذا سحر مستمر دايم لا يختلف بالنسبة الى شيء بخلاف سحر السحرة فان بعضهم يقدر
على امر وامرين وثلاثة ويعجز عن غيرها وهو قادر على الكل قاله الزمخشري ومنه قول الشاعر

• الا انما الدنيا ليال واعصر • وليس على شيء قويم بمستمر •

اي بدايم باق وقيل معناه شديد المرارة قال الزمخشري اي مستبشع عندنا مر على
لهواتنا لا نقدر ان نسيغه كما لا نسيغ المر انتهى يقال مر الشيء بنفسه ومره غيره فيكون متعديا
ولازما ويقال امره ايضا وقال ابو العالية والضحاك مستمر اي قوي شديد من قولهم
مر الحبل اذا صلب واشتد وامررته اذا احكمت فتله واستمر الشيء اذا قوي واستحكم قال لقيط

• حتى استمرت على شزر مريرته • صدق العزيمة لا رثا ولا ضرعا •

والمراد بقوله اية هي اقتراب الساعة فان انشقاق القمر من اياته وقد راوه وكذبوا فان يروا
غيرها ايضا يعرضون او اية النبوة فانه معجزة اما كونه معجزة فهي غاية الظهور واما كونه اية
فلان منكر خراب العالم ينكر انشقاق السما وانفطارها وكل كوكب فاذا انشق بعضها كان
ذلك مخالفا لقوله خراب العالم والمراد بهولاء القايلين المعرضين هم الكفار والتنكير في قوله
اية للتعظيم اي اية قوية او عظيمة يعرضوا قال ابو حيان ومعنى مستمر اي يشبه بعضه
بعضا اي استمرت افعاله على هذه الحال وهذا راجع الى الدوام المتقدم واتى بهذه الجملة
الشرطية تنبيها على ان حالهم في المستقبل كحالهم في الماضي وقرئ يروا مبنيا للمفعول
من اري وقوله وكذبوا واتبعوا اهواءهم اي كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوا
من قدرة الله عز وجل واتبعوا ما زين لهم الشيطان من الباطل وكذبوا بالاية وهي انشقاق
القمر واتبعوا اهواءهم في انه سحر القمر وانه خسوف في القمر وظهور شيء في جانب اخر من
الجو يشبه نصف القمر وانه سحر اعيننا والقمر لم يصبه شيء فهذه اهواءهم قوله وكل امر مستقر
العامة على كسر القاف ورفع الراء اسم فاعل ورفعه خبرا لكل الواقع مبتدا وقرا شيبة بفتح
القاف ويروى عن نافع قال ابو حاتم لا وجه لها وقد وجهه غيره على حذف مضاف اي
وكل امر ذو استقرار او زمان استقرار او مكان استقرار فجاز ان يكون مصدرا وان يكون
ظرفا زمانيا او مكانيا قال معناه الزمخشري وقرا ابو جعفر وزيد بن علي بكسر القاف وجر
الراء وفيها اوجه احدها ولم يذكر الزمخشري غيره ان يكون صفة لامر ويرتفع كل حينئذ بالعطف
على الساعة فيكون فاعلا اي اقتربت الساعة وكل امر مستقر قال ابو حيان وهذا بعيد لوجود
الفصل بجمل ثلاث وبعيد ان يوجد مثل هذا التركيب في كلام العرب نحو اكلت خبزا وضربت
خالدا وان يجي زيد اكرمه ورجل الى بني فلان ولحما فيكون ولحما معطوفا على خبزا بل لا يوجد
مثله في كلام العرب انتهى قال شهاب الدين واذا دل دليل على المعنى فلا يبالي بالفواصل
واين فصاحة القران من هذا التركيب الذي ركبه هو حتى يقيسه عليه في المنع الثاني
ان يكون مستقرا خبرا لكل امر وهو مرفوع الا انه خفض على الجوار قاله ابو الفضل الرازي

وهذا لا يجوز لان الجوار انما جا في النعت او العطف على خلاف في اثباته كما تقدم في سورة المائدة
فكيف يقال به في خبر المبتدا هذا ما لا يجوز الثالث ان خبر المبتدا قوله حكمة بالغة اخبر عن
كل امر مستقر بانه حكمة بالغة ويكون قوله ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر جملة اعتراض
بين المبتدا وخبره الرابع ان الخبر مقدر فقدره ابو البقا معمول به او اتى وقدره غيره بالغوه
لان قبله وكذبوا واتبعوا اهواءهم اي وكل امر مستقر اي لكل امر حقيقة ما كان منه في الدنيا
فسيظهر وما كان منه في الاخرة فسيعرف وقال قتادة وكل امر مستقر فالخير مستقر باهل
الخير والشر باهل الشر وقيل كل امر من خير او شر مستقر قراره فالخير مستقر باهله في الجنة والشر
مستقر باهله في النار وقيل مستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته
بالثواب والعذاب وقال مقاتل لكل حديث منتهى وقيل ما قدر كائن لا محالة وقيل كل
امر مستقر على سنن الحق يثبت والباطل يزهق فيكون ذلك تهديدا لهم وتسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم وهو كقوله تعالى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم وقيل كل امر مستقر في علم الله
تعالى لا يخفى عليه شيء فهم كذبوا واتبعوا اهواءهم والانبيا صدقوا وبلغوا كقوله تعالى لا يخفى
على الله منهم شيء وكقوله وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر وقيل هو جواب
لقولهم سحر مستمر اي بل كل امر مستقر قوله ولقد جاءهم من الانباء ما فيه يعني اهل مكة
من اخبار الامم المكذبة والقران ما فيه مزدجر اي منا هي قوله مزدجر يجوز ان يكون
فاعلا بفيه لان فيه وقع صلة وان يكون مبتدا وفيه الخبر والدال بدل من تا الافتعال
واصله مزتجر قلبت التاء دالا وقد تقدم ان تا الافتعال تقلب دالا بعد الزاي والدال
والذال لان الزاي حرف مجهور والتاء حرف مهموس فابدلوها الى حرف مجهور قريب من التاء
وهو الدال ومزدجر هنا اسم مصدر اي ازدجارا واسم مكان اي موضع ازدجار ومعناه
تناه وعظة يقال زجرته وازدجرته اذا نهيته عن السوء وقرئ مزجر بقلب تا الافتعال
زايا ثم ادغم وزيد بن علي مزجر اسم فاعل من ازجر اي صار ذا زجر كاعشب اي صار ذا عشب
والانباء هي الاخبار العظام التي لها وقع كقوله الهدهد وجئتك من سبا بنبا يقين لانه كان
خبرا عظيما له وقع وخطر وقال تعالى ان جاءكم فاسق بنبا اي بامر عظيم وانما يجب التثبت
فيما يتعلق به حكم ويترتب عليه امر ذو بال وقال تعالى تلك من انباء الغيب نوحيها
اليك والمراد بالانباء هنا اخبار المهلكين المكذبين وقيل المراد القران قال ابن الخطيب
وفي ما وجهان احدهما انها موصولة اي جاءكم الذي فيه مزدجر الثاني ان تكون نكرة موصوفة
اي جاءهم من الانباء شيء موصوف بانه مزدجر وقوله حكمة فيه وجهان احدهما انه بدل من
ما فيه مزدجر كانه قيل ولقد جاءهم حكمة بالغة من الانباء وحينئذ يكون بدل كل من كل او
بدل اشتمال الثاني ان يكون خبر مبتدا مضمر اي هو حكمة اي ذلك الذي جاءهم من ارسال
الرسل وايضاح الدلائل والانذار لمن مضى او اشارة لما فيه الانباء انه حكمة او اشارة الى الساعة
المقتربة وقد تقدم انه يجوز على قراة ابي جعفر وزيد ان يكون خبرا لكل امر مستقر وقرى
حكمة بالنصب حالا من ما قال الزمخشري فان قلت ان كانت ما موصولة ساغ لك ان تنصب
حكمة حالا فكيف تعمل ان كانت موصوفة وهو الظاهر قلت تخصصها بالصفة فيحسن نصب
الحال عنها انتهى وهو سؤال واضح لانه يصير التقدير جاءهم من الانباء شيء فيه ازدجار فيكون
منكرا وتنكير ذي الحال قبيح قوله فما تغني النذر يجوز في ما ان تكون استفهامية وتكون في
محل نصب مفعولا مقدما اي اي شيء تغني النذر وان تكون نافية اي لم تغن النذر شيئا والنذر
جمع نذير والمراد به المصدر او اسم الفاعل كما تقدم في اول النجم ولتغني اتباعا للفظ الوصل فانها
ساقطة لالتقاء الساكنين قال بعض النحويين وانما حذفت اليا من تغني حملا لما على لم
فجزمت كما تجزم لم قال مكي وهذا خطا لانه لم ينفي الماضي وترد المستقبل ماضيا وما تنفي الحال
فلا يجوز ان يقع احدهما موقع الاخرى لاختلاف معنييهما **فصل** المعنى ان القران
حكمة بالغة تامة قد بلغت الغاية وقوله فما تغني النذر ان كانت ما نافية فالمعنى ان النذر
لم يبعثوا ليغنوا ويلجئوا قومهم الى الايمان وانما ارسلوا مبلغين لقوله تعالى فان اعرضوا
فما ارسلناك فالمعنى واي شيء تغني النذر اذا خالفوهم وكذبوهم كقوله وما تغني الايات

والنذر عن قوم لا يومنون اي انك اتيت بما عليك من الدعوى فكذبوا بها وانذرتهم بما جرى
على المكذبين فلم يفدهم هذه حكمة بالغة واما الذي تغني النذر غير هذا فلم يبق عليك شي
اخر فتول عنهم قوله فتول عنهم اي اعرض عنهم قال اكثر المفسرين نسختها اية السيف قال ابن
الخطيب ان قول المفسرين في قوله فتول منسوخ ليس كذلك بل المراد منه لا تناظرهم بالكلام
قوله يوم يدع الداعي يوم منصوب اما باذكر مضمرة وهو اقربها واليه ذهب الرماني والزمخشري
واما بيخرجون بعده واليه ذهب الزمخشري ايضا واما بقوله فما تغني ويكون قوله فتول عنهم
اعتراضا واما منصوب بقوله يقول الكافرون وفيه بعد لبعده منه وقيل تم الكلام عند قوله
فما تغني النذر ويبتدا بقوله فتول عنهم يوم يدع الداعي فيكون منصوبا بقوله فتول وهو
ضعيف جدا لان المعنى ليس امره بالتولية عنهم في يوم النفخ في الصور واما منصوب بحذف
الخافض اي فتول عنهم الى يوم قاله الحسن وضعف من حيث اللفظ ومن حيث المعنى اما اللفظ
فلان اسقاط الخافض غير منقاس واما المعنى فليس توليته عنهم مغيا بذلك الزمان واما بانظر
مضمرا فهذه سبعة اوجه في ناصب يوم قال القرطبي او منصوب بخشعا او على حذف حرف الفا
وما عملت فيه من جواب الامر تقديره فتول عنهم فيوم يدع الداعي وقيل اي تول عنهم يا محمد
فقد اقمت الحجة وابصرهم يوم يدع الداعي وقيل اعرض عنهم يوم القيمة ولا تسال عنهم وعن احوالهم
فانهم يدعون الى شي نكر وينالهم عذاب شديد كقولك لا تسال ما جرى على فلان اذا اخبرته
بامر عظيم وقيل اي وكل امر مستقر يوم يدع الداعي وحذفت الواو من يدع خطا اتباعا للفظ كما
تقدم في تغني ويمح الله الباطل وسندع الزبانية والياء من الداعي مبالغة في التخفيف اجرى ال ولـ
مجرى ما عاقبها وهو التنوين فكما تحذف الياء مع التنوين كذلك مع ما عاقبها **فصل**
والداعي معرف كالمنادي في قوله يوم ينادي المنادي لانه معلوم قد اخبر عنه فقيل ان مناديا
ينادي وداعيا يدعو فقيل الداعي اسرافيل ينفخ قايما على صخرة بيت المقدس قاله مقاتل
وقيل جبريل وقيل ملك موكل بذلك والتعريف حينئذ لا يقطع حدا لعلمية ويكون كقولنا جا
رجل فقال الرجل قاله ابن الخطيب قوله الى شي نكر العامة على ضم الكاف وهو صفة على
فعل وفعل في الصفات عزيز منه امر نكر ورجل شلل وناقة اجد وروضة انف ومشية سجح
وقرا ابن كثير بسكون الكاف فيحتمل ان يكون اصله وان يكون مخففا من قراة الجماعة وقد تقدم
هذا محررا في اليسر والعسر في سورة المايدة وسمي الشي الشديد نكرا لان النفوس تنكره قال
مالك بن عوف • اقدم مخاج انه يوم منكر • مثلي على مثلك يحمي ويكر •
وقرا زيد بن علي والجحدري وابو قلابة نكر فعلا ماضيا مبنيا للمفعول لان نكر يتعدى قال
تعالى نكرهم واوجس **فصل** المعنى اي شي ينكر فظيع لم ير مثله فينكر وينا ستفظاعا
قال ابن الخطيب وهو يحتمل وجهين احدهما ان المعنى الى شي نكر في يومنا هذا لانهم انكروه
اي يوم يدع الداعي الى الشي الذي انكروه يخرجون الثاني ان المعنى منكر اي يقول القايل
كان ينبغي ان لا يقع ولا يكون لان المنكر من شانه ان لا يوجد يقال فلان ينهى عن المنكر
وعلى هذا فهو عندهم كان ينبغي ان لا يقع لانه يرديهم في الهاوية فان قيل ما ذلك الشي
النكر فاجيب بانه الحساب او الجمع له او النشر للجمع فان قيل النشر لا يكون منكرا فانه احيا
ولان الكافر من اين يعرف وقت النشر ما يجري عليه لنكيره فالجواب انه يعلم ذلك لقوله تعالى
عنهم يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا قوله خاشعا ابصارهم قرا ابو عمرو والاخوان خاشعا
وباقي السبعة خشعا فالقراة الاولى جارية على اللغة الفصحى من حيث ان الفعل وما
جرى مجراه اذا تقدم على الفاعل وحد يقول يخشع ابصارهم ولا تقول يخشعن ابصارهم وانشد
• وشباب حسن اوجههم • من اياد بن نزار بن معد •
وقال اخر • يرمي الفجاج بها الركبان معترضا • اعناق بزلها مرخي لها الجدل •
واما الثانية فجات على لغة طي يقولون اكلوني البراغيث وقد تقدم القول على هذا
في المايدة والانبيا ومثله قوله • بمطرد لدن صحاح كعوبه • وذي رونق عضب يقد القوانسا
قيل وجمع التكسير في اللغة في مثل هذا اكثر من الافراد وقرا ابي وعبد الله خاشعة على
تخشع هي وقال الزمخشري وخشعا على يخشعن ابصارهم وهي لغة من يقول اكلوني البراغيث

وهم

وهم هي قال ابو حيان ولا يجري جمع التكسير مجرى جمع السلامة فيكون على تلك اللغة النادرة
القليلة وكذا قال الفراحين ذكر الافراد مذكرا ومونثا وجمع التكسير قال لان الصفة متى تقدمت
على الجماعة جاز فيها جميع ذلك والجمع موافق للفظها فكان اشبه قال ابو حيان وانما يخرج على تلك
اللغة اذا كان الجمع جمع سلامة نحو مررت بقوم كريمين اباوهم والزمخشري قاس جمع التكسير
على جمع السلامة وهو قياس فاسد يرده النقل عن العرب ان جمع التكسير اجود من الافراد كما ذكر
سيبويه ودل عليه كلام الفرا قال شهاب الدين وقد خرج الناس قول امري القيس •
• وقوفا بها صحبي على مطيهم • يقولون لا تهلك اسا وتجمل •
على ان صحبي فاعلا بوقوفا وهو جمع واقف في احد القولين في وقوفا وفي انتصاب خاشعا
وخشعا وخاشعة اوجه احدها انه مفعول به وناصبه يدع الداع وهو في الحقيقة لموصوف
محذوف تقديره فريقا خاشعا او فوجا خاشعا والثاني انه حال من فاعل يخرجون المتاخر
عنه ولما كان العامل متصرفا جاز تقدم الحال عليه وهو رد على الجرمي حيث زعم انه لا يجوز
ورد عليه ايضا بقول العرب شتى يووب الحلبة فشتى حال من الحلبة وقال الشاعر •
• سريعا يهون الصعب عند اولي النهى • اذا برجا صادق قابلوا الباسا •
الثالث انه حال من الضمير في عنهم ولم يذكر مكي غيره الرابع انه حال من مفعول يدعو المحذوف
تقديره يوم يدعوهم الداعي خشعا فالعامل فيها يدعو قاله ابو البقا وارتفع ابصارهم على
وجهين اظهرهما الفاعلية بالصفة قبله الثاني على البدل من الضمير المستتر في خشعا لان التقدير
خشعا هم وهذا انما ياتي على قراة خشعا فقط وقري خشع ابصارهم على ان خشعا خبر مقدم
وابصارهم مبتدا والجملة في محل نصب على الحال وفيه الخلاف المذكور من قبل كقوله •
• وجدته حاضراه الجود والكرم • قال ابن الخطيب لما حكي نصب خشعا قال انه
منصوب على انه مفعول بقوله يدع اي يوم يدع الداعي خشعا فان قيل هذا فاسد من وجوه
احدها ان التخصيص لا فايدة فيه لان الداعي يدعو كل احد ثانيها قوله يخرجون من الاجداث
بعد الدعا فيكون خشعا قبل الخروج وهو باطل ثالثها قراة خاشعة يبطل هذا بقول اما
الجواب عن الاول فان قوله الى شي نكر يدفع ذلك لان كل احد لا يدعى الى شي نكر وعن الثاني
المراد من الشي النكر الحساب العسير يعني يوم يدع الداعي الى الحساب العسير خشعا ولا يكون
العامل في يوم يدعوا يخرجون بل يكون من تمام الكلام وعن الثالث انه لا منافاة بين القراتين وكما تقول
بل اذكروا فما تغني النذر كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين ويكون يخرجون ابتدا
كلام وعن الثاني انه لا منافاة بين القراتين وخاشعا ينصب على الحال او على انه مفعول يدعو
كانه يقول يدع الداع قوما خاشعا ابصارهم والخشوع السكون كما قال تعالى وخشعت
الاصوات وخشوع الابصار وسكونها على حال لا تنقلب يمنة ويسرة كقوله تعالى لا يرتد اليهم
طرفهم وقيل خاشعة اي ذليلة خاضعة عند روية العذاب قوله يخرجون يجوز ان يكون
حالا من الضمير في ابصارهم وان يكون مستانفا والاجداث القبور وقد تقدم في يس وقوله
كانهم جراد هذه الجملة يجوز ان تكون حالا من فاعل يخرجون او مستانفة وشبههم بالجراد المنتشر
في الكثرة والتموج وقيل معنى منتشر اي حيث حياري ونظيره قوله تعالى كالفراش المبثوث
والمعنى انهم يخرجون فزعين لا جهة لاحد منهم يقصدها كالجراد لا جهة لها تكون مختلطة بعضها
في بعض وذكر المنتشر على لفظ قال ابن الخطيب ويحتمل ان يقال المنتشر مطاوع نشر اذا احيا
قال تعالى ثم اذا انتم بشر تنتشرون فكانهم جراد متحرك من الارض يدب اشارة الى كيفية
خروجهم من الاجداث وضعفهم قال القرطبي قوله تعالى كانهم جراد منتشر مهطعين الى
الداعي وقال في موضع اخر يوم يكون الناس كالفراش المبثوث فهما صفتان في وقتين مختلفين
احدهما عند الخروج من القبور يخرجون فزعين لا يهتدون الى اين يتوجهون فيدخل بعضهم
في بعض فهم حينئذ كالفراش المبثوث بعضهم في بعض لا جهة له يقصدها فاذا سمعوا المنادي
قصدوه فصاروا كالجراد المنتشر لان الجراد لها جهة تقصدها قوله مهطعين حال ايضا من
اسم كان او من فاعل يخرجون عند من يرى تعدد الحال قال ابو البقا مهطعين حال من
الضمير في منتشر عند قوم وهو بعيد لان الضمير في منتشر للجراد وانما هو حال من فاعل

يخرجون او من الضمير المحذوف انتهى وهو اعتراض حسن على هذا القول والاهطاع الاسراع
وانشد • بدجلة دارهم ولقد اراهم • بدجلة مهطعين الى السماع •
وقيل الاسراع مع مد العنق وقيل النظر قاله ابن عباس وانشدوا •
• تعبدني نمر بن سعد وقد ارى • ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع •
وقد تقدم الكلام على هذه المادة في سورة ابراهيم قال الضحاك مقبلين وقال قتادة عامدين
وقال عكرمة فاتحين اذ انهم الى الصوت قوله يقول الكافرون قال ابو البقا حال من
الضمير في مهطعين وفيه نظر من حيث خلو الجملة من رابط يربطها بذي الحال وقد يجاب بان
الكافرون هم الضمير في المعنى فيكون من باب الربط بالاسم الظاهر عند من يرى ذلك كانه قيل
يقولون هذا يوم عسر اي صعب شديد قوله كذبت قبلهم مفعوله محذوف اي كذبت الرسل لانهم
لما كذبوا نوحا فقد كذبوا جميع الرسل فلا يجوز ان تكون المسالة من باب التنازع اذ لو كان منه
لكان التقدير كذبت قبلهم قوم نوح عبدنا فكذبوه ولو لفظ هذا لكان تاكيدا اذ لم يفد غير
الاول وشرط التنازع ان لا يكون الثاني تاكيدا ولذلك منعوا ان يكون قوله اتاك اتاك اللاحقون
احبس احبس من ذلك وفي كلام الزمخشري ما يجوزه فانه اخرجه عن التاكيد فقال فان قلت
ما معنى قوله فكذبوا بعد قوله كذبت قلت معناه كذبوا فكذبوا عبدنا اي كذبوه تكذيبا عقب
تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب فهذا معنى حسن يسوغ معه التنازع

فصل لما فرغ من حكاية كلام الكافرين وذكر علامات الساعة اعاد ذكر بعض الانبا فقال
كذبت قبلهم قوم نوح اي قبل اهل مكة واعلم ان الحاق الضمير المونث بالفعل قبل ذكر الفاعل
جايز وحسن بالاتفاق والحاق ضمير الجمع بالفعل قبيح عند اكثرهم فلا يجوز وان كذبوا قوم نوح
ويجوزون كذبت فما الفرق قال ابن الخطيب لان التانيث قبل الجمع لان التانيث والذكورة للفاعل
امر لا يتبدل ولم تحصل التانيث للفاعل بسبب فعله بخلاف الجمع لان الجمع للفاعل بسبب فعلهم
فان قيل ما الفايدة في قوله تعالى فكذبوا عبدنا بعد قوله كذبت قال ابن الخطيب الجواب عنه
من وجوه الاول ان قوله كذبت قوم نوح اي باياتنا فكذب هولا عبدنا باية الانشقاق فكذبوك
الثاني كذبت قوم نوح المرسلين وقالوا لم يبعث الله رسولا وكذبوهم في التوحيد فكذبوا عبدنا
كما كذبوا غيره وذلك لان قوم نوح كانوا مشركين يعبدون الاصنام ومن يعبد الاصنام يكذب
كل رسول وينكر الرسالة لانه يقول لا تعلق لله بالعالم السفلي وانما امره الى الكواكب فكانت
مذهبهم التكذيب فكذبوك الثالث ان قوله تعالى فكذبوا عبدنا للتصديق والرد عليهم
تقديره كذبت قوم نوح فكانت تكذيبهم عبدنا اي لم يكن تكذيبا بحق فان قيل لو قال
فكذبوا رسولنا كان ادل على قبح فعلهم فما الفايدة في اختيار لفظ العبد فالجواب ان قوله
عبدنا ادل على صدقه وقبح تكذيبهم من قوله رسولنا لان العبد اخوف واقل تحريفا لكلام
السيد من الرسول فيكون كقوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم
لقطعنا منه الوتين قوله وقالوا مجنون خبر مبتدا مضمر اي هو مجنون وهذا اشارة الى
انه اتى بالايات الدالة على صدقه حيث راوا ما عجزوا عنه وقالوا مصاب الجن او زيادة بيان
لقبح صنعهم حيث لم يقنعوا بتكذيبهم بل قالوا مجنون اي يقول ما لا يقبله عاقل والكاذب
العاقل يقول ما يظن به صدقه فيكون قوله مجنون مبالغة في التكذيب قوله
وازدجر الدال على ازدجر بدل من تا لما تقدم وهل هو من قولهم اي قالوا انه ازدجر اي ازدجرته
الجن وذهبت بلبه قاله مجاهد او من كلام الله تعالى اخبر عنه بانه انتهر وزجر بالسب
وانواع الاذى وقالوا لين لم تنته لتكونن من المرجومين قال ابن الخطيب وهذا اصح
لان المقصود تقوية قلب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر من تقدمه وايضا ترتب عليه
قوله تعالى فدعا ربه وهذا الترتيب في غاية الحسن لانهم لما زجروه وانزجر هو عن
دعايهم دعا ربه اني مغلوب قوله اني مغلوب العامة على فتح الهمزة اي دعاه باني مغلوب
وهما جايزان وقرا ابن ابي اسحاق والاعمش ورويت عن عاصم بالكسر اما على اضمار القول
اي فقال فشبه الدعا وهو مذهب البصريين واما اجرا للدعا مجرى القول وهو مذهب
الكوفيين **فصل** في معنى مغلوب وجوه احدها على الكفار فانتصر لي منهم ثانيها

غلبتني

غلبتني نفسي وحملتني على الدعا عليهم فانتصر لي من نفسي قاله ابن عطية وهو ضعيف
ثالثها ان يقال ان النبي لا يدعو على قومه ما دام في نفسه احتمال وحلم واحتمال نفسه يمتد
ما دام الايمان منهم محتملا ثم ان ياسه يحصل والاحتمال والحلم يفر الناس مدة بدليل قوله لمحمد
صلى الله عليه وسلم لعلك باخع نفسك فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال لنوح عليه السلام
ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فقال نوح يا الهي ان نفسي غلبتني وقد امرتني
بالدعا عليهم فاهلكهم فيكون معناه مغلوب بحكم البشرية اي غلب وعيل صبري فانتصر لي
منهم لا من نفسي قال ابن الخطيب وهذا الوجه مركب من الوجهين وهو احسنها وقوله فانتصر
اي انتصر لي او لنفسك فانهم كفروا بك او انتصر للحق قوله ففتحنا تقدم الخلاف في فتحنا
في الانعام والمراد من الفتح والابواب والسما حقايقها فان للسما ابوابا تفتح وتغلق قال
علي رضي الله عنه هي المجرة وهي شرج السما ومنها فتحت بما منهمر وقيل هذا على سبيل الاستعارة
فان الظاهر ان الما كان من السحاب فهو كقول القايل في المطر الوابل جرت ميازيب السما
وفي قوله ففتحنا ابواب السما بيان بان الله انتصر منهم وانتقم بما لا تجد انزله ومن العجب انهم
كانوا يطلبون المطر سنين فاهلكهم الله بمطلوبهم قوله بما منهمر في البا وجهان اظهرهما انها
للتعدية ويكون ذلك على المبالغة في انه جعل الما كالالة المفتتح بها كما يقول فتحت بالمفتاح
والثاني انها للحال اي فتحناها ملتبسة بهذا الما والمنهمر الغزير النازل بقوة وانشد امرو القيس
• راحت بمرتبه الصبا ثم انتحى • فيه شوبوب جنوب منهمر •
واستعير ذلك في قولهم همر الرجل في كلامه اذا اكثر الكلام واسرع وفلان يهامر المشي اي يحرفه
وهمر له من ماله اعطاه بكثرة والمنهمر قاله السدي قال الشاعر •
• اعيني جودا بالدموع الهوامع • على خير باد من معد وحاضر •
قال المفسرون معنى منهمر اي منصب انصبابا شديدا قال ابن عباس بما منهمر من غير
سحاب لم ينقطع اربعين يوما وقيل ثمانين قوله وفجرنا الارض قرا عبد الله وابو حيوة وعاصم
في رواية وفجرنا مخففا والباقون مثقلا وقوله عيونا فيه اوجه اشهرها انه تمييز اي فجرنا
عيون الارض فنقله من المفعولية الى التمييز كما ينقل من الفاعلية ونسفه بعضهم وتاول
بعضهم هذه الاية على ما سياتي وقوله وفجرنا الارض عيونا ابلغ من فجرنا عيون الارض
لما ذكر في نظيره مرارا الثاني انه منصوب على البدل من الارض ويضعف هذا لخلوه من
الضمير فانه بدل بعض من الكل ويجاب عنه بانه محذوف اي عيونا منها كقوله الاخدود النار
فالنار بدل اشتمال ولا ضمير فهو مقدر الثالث انه مفعول ثان لانه ضمن فجرنا معنى صيرناها
بالتفجير عيونا الرابع انها حال ونيه تجوزان حذف مضاف اي ذات عيون ولو يعنا حالا لا
مقدرة لا مقارنة قال ابن الخطيب قوله وفجرنا الارض عيونا فيه من البلاغة ما ليس في
قول القايل وفجرنا من الارض عيونا ولم يقل ففتحنا السما ابوابا لان السما اعظم من الارض
وهي للمبالغة وقال ابواب السما ولم يقل انابيب ولا منافذ ولا مجاري اما قوله تعالى وفجرنا الارض
عيونا فلا يغني عنه لان قول القايل فجرنا من الارض عيونا يكون حقيقة لا مبالغة فيه ويكفي
في صحة ذلك القول ان يحصل في الارض عيون ثلاث ولا يصلح مع هذا في السما وقبا ههنا

فصل قال ابن الخطيب العيون جمع عين وهي حقيقة في العين التي هي الة الابصار
ومجاز في غيرها اما عيون الما فلانها تشبه العين الناظرة التي يخرج منها الدمع لان الما
الذي في العين كالدمع الذي في العين وهو مجاز مشهور صار غالبا حتى لا يفتقر الى قرينة
عند الاستعمال فكما لا يحمل اللفظ على العين الناظرة الا بقرينة كذلك لا تحمل على الفوارة الا
بقرينة مثل شربت من العين واغتسلت منها ونحوه فان قيل من اين علمت ان العين حقيقة في
الناظر قلنا لان الاشتقاق اخذ منه ولم يوخذ من الينبوع يقال عانه يعينه اذا اصابه بالعين
وعاينه معاينة وعيانا قال عبيد بن عمير اوحى الله الى الارض ان تخرج ماها فتفجرت
بالعيون وان عينا تاخرت فغضب عليها فجعل ماها مرا اجاجا الى يوم القيمة قوله فالتقى
الما لما كان المراد بالما الجنس صح ان يقال فالتقى الما كانه قال فالتقى ما السما وما الارض
هذه قراة العامة وقرا الحسن والجحدري ومحمد بن كعب ويروى عن امير المومنين ايضا الماان

تشنية والهمزة سالمة اي النوعان منه ماء السماء وماء الارض فالا لتقى انما يكون بين اثنين وقرا الحسن ايضا الماآن بقلبها واوا وهي لغة طي قال الزمخشري كقولهم علباوان يعني انه شبه الهمزة المنقلبة عن هاء بهمزة الالحاق وروي عنه ايضا المايان بقلبها ياء وهي اشد مما قبلها قوله قد قدر العامة على التخفيف وقرا ابن مقسم وابو حيوة بالتشديد وهما لغتان قرئ بهما في قوله قدر فهدى فقدر عليه رزقه كما سيأتي في **فصل** قيل معنى امر قد قدر اي حال قدرها الله تعالى كما شاء قضى عليهم في ام الكتاب وقال مقاتل قدر الله ان يكون الماآن سوا فكان على ما قدر وقيل على مقادير وذلك لان الناس اختلفوا فمنهم من قال كان ما السماء اكثر ومنهم من قال ما الارض ومنهم من قال كانا مستويين فقال على مقدار كان وقال قتادة قدر لهم اذا كفروا ان يغرقوا قال ابن الخطيب ويحتمل ان يقال التقى الماء اي اجتمع على امر هلاكهم وهو كان مقدورا مقدرا وفيه رد على المنجمين الذين يقولون ان الطوفان كان بسبب اجتماع الكواكب السبعة في برج مائي والغرق لم يكن مقصودا بالذات وانما ذلك امر لزم من الطوفان الواجب وقوعه فرد الله عليهم بانه لم يكن ذلك الا امرا قد قدر ويدل عليه ان الله تعالى اوحى الى نوح بانهم مغرقون قوله وحملناه على ذات الواح ودسر اي سفينة ذات قال الزمخشري وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قميصي مسرودة من حديد اراد ولكن قميصي درع وكذلك ولو في عيون النازيات باكرع اراد ولو في عيون الجراد الا ترى انك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة او بين الجراد والدرع وهاتين الصفتين لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر قيل المسامير جمع دسار نحو كتب في جمع كتاب وقال الزمخشري جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه وقال الراغب الواحد دسر يعني فيكون مثل سقف وسقف وقال البغوي واحدها دسار ودسير واصل الدسر الدفع الشديد بقهر دسره بالرمح ومدسر مثل مطعن وروي ليس في العنبر زكاة انما هو دسر البحر اي دفعه وقيل الدسر الخيوط التي يشد بها السفن وقيل هو عوارض السفينة وقيل اضلاعها وقال الحسن الدسر صفة السفينة سميت بذلك لانها تدسر الماء بجريها اي تدفع وقال الضحاك الدسر الواح جانبيها قوله تجري باعيننا اي بمرأى منا وقال مقاتل باعيننا اي بحفظنا كقولك اجعل هذا نصب عينك وقيل بالاعين النابعة من الارض وقيل باعين اوليائنا من الملائكة فقوله باعيننا اي ملتبسة بحفظنا وهو في المعنى كقوله تعالى ولتصنع على عيني وقرا زيد بن علي وابو السماك باعينا بالادغام وقال سفيان معناه بامرنا قوله جزاء منصوب على المفعول له ناصبه ففتحنا وما بعده وقيل منصوب على المصدر اما بفعل مقدر اي جازيناهم جزاء واما على التجوز بان معنى الافعال المتقدمة جازيناهم بها جزاء قوله لمن كان كفر العامة على كفر مبنيا للمفعول والمراد بمن كفر نوح عليه السلام او الباري تعالى وقرا مسلمة بن محارب كفر باسكان الفاء كقوله • لو عصر منه المسك والبان انعصر •
وقرا يزيد بن رومان وعيسى وقتادة كفر مبنيا للفاعل والمراد بمن حينئذ قوم نوح وكفر خبر كان وفيه دليل على وقوع خبر كان ماضيا من غير قد وبعضهم يقول لا بد من قد ظاهرة او مضمرة ويجوز ان يكون كان مزيدة واما كفر ففيه وجهان احدهما ان يكون كفر مثل شكر يتعدى بحرف وبغير حرف يقال شكرته وشكرت له قال تعالى واشكروا لي ولا تكفرون وقال فمن يكفر بالطاغوت والثاني ان يكون من الكفر لا من الكفران اي جزاء لمن ستر امره وانكر ايمانه او جزاء لمن كفر به **فصل** المعنى فعلناه به وبهم من انجاء نوح واغراق قومه ثوابا لمن كفر به وجحد امره وهو نوح عليه السلام وقيل من بمعنى ما اي جزاء لما كان كفر من ايادي الله ونعمه عند الذين غرقهم وجزاء لما صنع بنوح واصحابه واللام في لمن لام المفعول له والجزاء هنا بمعنى العقاب اي عقابا لكفرهم قوله ولقد تركناها اية ضمير تركناها اما للقصة او للفعلة التي فعلناها اية يعتبر بها او السفينة وهو الظاهر والمعنى تركناها اي ابقاها الله بباقردى من ارض الجزيرة اية اي عبرة حتى نظرت اليها اوائل هذه الامة وكانت على الجودي وقيل بارض الهند ومعنى تركناها اي جعلناها لانها بعد الفراغ منها صارت متروكة ومجعولة قوله فهل من مدكر اصله مذتكر فابدلت التاء

دالا مهملة ثم ابدلت المعجمة مهملة لمقاربتها وقد تقدم هذا في قوله وادكر بعد امة وقد قرئ مذتكر بهذا الاصل وقرا قتادة فيما نقل عنه ابو الفضل مذكر بفتح الدال مخففة وتشديد الكاف من ذكر بالتشديد اي ذكر نفسه او غيره بما مضى من قصص الاولين ونقل عنه ابن عطية كالجماعة الا انه بالذال المعجمة وهو شاذ لان الاول يغلب للثاني لا الثاني للاول روى زهير عن ابي اسحاق انه سمع رجلا يسال الاسود فهل من مدكر او من مذكر قال سمعت عبد الله يقراوها فهل من مدكر قال وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقراوها فهل من مدكر دالا ه
فصل وهذه الاية اشارة الى ان الامر من جانب الرسل قد تم ولم يبق الا جانب المرسل اليهم بان يتفكروا ويعتبروا وهذا الكلام يصلح ان يكون حثا وان يكون تخويفا وزجرا وقال ابن الخطيب مدكر مفتعل من ذكر يذكر واصله مذتكر وقرا بعضهم بهذا الاصل ومنهم من يقلب التاء دالا وفي قوله مدكر اشارة اما الى قوله الست بربكم قالوا بلى اي هل من يتذكر تلك الحالة واما الى وضوح الامر كانه جعل للكل ايات الله فنسوها فهل من مدكر يتذكر شيا منها قوله فكيف كان عذابي ونذر كان الظاهر فيها انها ناقصة فكيف خبر مقدم وقيل يجوز ان تكون تامة فتكون كيف في محل نصب اما على الظرف واما على الحال كما تقدم تحقيقه في البقرة **فصل** وحذفت الاضافة من نذر كما حذفت ياء يسر في قوله تعالى والليل اذا يسر وذلك عند الوقف ومثله كثير كقوله فاياي فاعبدون ولا تكفرون يا عباد فاتقون ولا تكفرون وقرئ باثبات الياء في عذابي ونذر قوله ولقد يسرنا القران هيأناه للذكر من قولهم يسر فرسه اي هيأه للركوب بالجامه قال • فقمت اليه باللجام ميسرا • هنالك يجزيني الذي كنت اصنع •
وقيل سهلنا القران ليتذكر ويعتبر به وقال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شيء من كتب الله يقرا كله ظاهرا الا القران وقوله فهل من مدكر متعظ بمواعظه قوله كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر ذكرها هنا فكيف كان عذابي ونذر مرتين فالاول سؤال كقول المعلم للمتعلم كيف المسئلة الفلانية ليبين فقال انا ارسلنا والثاني بمعنى التعظيم والتهويل فان قيل قال في قوم نوح كذبت قوم نوح ولم يقل في عاد كذبت قوم هود لان التعريف كلما امكن ان يوتى به على وجه ابلغ فالاولى ان يوتى به والتعريف بالاسم العلم اقوى من التعريف بالاضافة لانك اذا قلت بيت الله لا يفيد ما يفيد قولك الكعبة وكذلك اذا قلت رسول الله وقلت محمد فعاد اسم علم للقوم ولا يقال قوم هود اعرف لوجهين احدهما ان الله تعالى وصف عادا بالقوم هود في قوله بعدا لعاد قوم هود ولا يوصف الاظهر بالاخفى والاخص بالاعم ثانيهما ان قوم هود دليل على ان اللفظ يقع على اقوام ولهذا قال تعالى عادا الاولى لانا نقول اما قوله تعالى لعاد قوم هود فليس ذلك صفة وانما هو بدل ويجوز في البدل ان يكون دون المبدل في المعرفة ويجوز ان يبدل عن المعرفة بالنكرة واما عادا الاولى فهو لبيان تقدمهم اي عادا الذين تقدموا وليس ذلك للتمييز والتعريف كما تقول محمد النبي شفيعي والله الكريم ربي ورب الكعبة المشرفة لبيان الشرف لا لبيانها وتعريفها بالشرف كقولك دخلت الدار المعمورة من الدارين وجدت الرجل الزاهد من الرجلين فتبين المفعول بالوصف فان قيل لم يقل فكذبوا هودا كما قال فكذبوا عبدنا فالجواب اما لان تكذيب قوم نوح ابلغ لطول مقامه فيهم وكثرة عنادهم واما لان قصة عاد ذكرت مختصرة قوله تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا الصرصر الشديدة الصوت من صرصر الباب او القلم اذا صوت وقيل الشديدة البرد من الصر وهو البرد وهو كله اصول عند الجمهور وقال مكي اصله صرر من صر الشيء اذا صوت لكن ابدلوا من الراء المشددة صادا وهذا قول الكوفيين ومثله كبكب وكفكف وتقدم هذا في فصلت وغيرها وقال ابن الخطيب الصرصر الدايمة الهبوب من اصر على الشيء اذا دام وثبت **فصل** يوم نحس مستمر شديد دايم الشر واستمر عليهم نحوسته ولم يبق منهم احد الا اهلكه قيل كان ذلك يوم الاربعاء في اخر الشهر فان قيل اذا كان يوم الاربعاء يوم نحس مستمر فكيف يستجاب فيه وقد جاء ان النبي صلى الله عليه وسلم استجيب له فيه فيما بين الظهر والعصر فالجواب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان الله يامرك ان تقضي باليمين مع الشاهد وقال يوم الاربعاء يوم نحس مستمر ومعلوم انه لم يرد

انه نحس على المصلحين بل على المفسدين كما كانت الايام النحسات على الكفار لا على نبيهم والمؤمنين
واعلم انه تعالى قال ههنا انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا وقال في الذاريات اذ ارسلنا عليهم الريح
العقيم فعرف الريح هناك ونكرها ههنا لان العقيم في الريح اظهر من البرد تضر بالنبات او الشجرة
التي تعصف الاشجار لان الريح العقيم هي التي لا تنشئ سحابا ولا تلقح شجرا وهي كثيرة الوقوع واما
الريح الباردة المهلكة فقلما توجد فقال الريح العقيم اي هذا الجنس المعروف ثم زاده بيانا بقوله
ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم فتميزت عن الريح العقيم واما الصرصر فقليلة الوقوع
فلا تكون مشهورة فنكرها قوله في يوم نحس العامة على اضافة يوم الى نحس بسكون الحاء
وفيه وجهان احدهما انه من اضافة الموصوف الى صفته والثاني هو قول البصريين انه صفة
لموصوف محذوف اي يوم عذاب نحس وقرا الحسن بتنوينه ووصفه بنحس ولم يقيده الزمخشري
بكسر الحاء وقيده ابو حيان وقد قرئ قوله تعالى في ايام نحسات بسكون الحاء وكسرها وتنوين
ايام عند الجميع كما تقدم تقريره ومستمر صفة ليوم او نحس ومعناه كما تقدم عليهم حتى اهلكهم
او من المرارة قال الضحاك كان مرا عليهم وكذا حكى الكسائي ان قوما قالوا هو من المرارة
يقال مر الشيء وامر اي كان كالشيء المر تكرهه النفوس وقد قال فذوقوا والذي يذاق قد
يكون مرا قوله تنزع الناس في موضع نصب اما نعتا لريحا واما حالا منها لتخصيصها بالصفة
ويجوز ان تكون مستانفة وقال الناس ليعم ذكرهم واناثهم فاوقع الظاهر موقع المضمر لذلك
والا فالاصل تنزعهم **فصل** قال تعالى هنا في يوم نحس مستمر وقال في السجدة
في ايام نحسات وقال في الحاقة سبع ليال وثمانية ايام حسوما والمراد من اليوم هنا الوقت
والزمان كما في قوله يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث وقوله مستمر يفيد ما يفيده الايام
لان الاستمرار ينبئ عن امتداد الزمان كما ينبئ عنه الايام والحكاية هنا مذكورة على سبيل
الاختصار فذكر الزمان ولم يذكر مقداره على سبيل الايجاز قوله كانهم اعجاز نخل حال
من الناس مقدرة ومنقعر صفة لنخل باعتبار الجنس ولو انث لاعتبر معنى الجماعة كقوله
نخل خاوية وقد تقدم تحقيق اللغتين فيه وانما ذكر هنا وانث في الحاقة لمراعاة الفواصل
في الموضعين وقرا ابو نهيك اعجز على وزن افعل نحو ضبع واضبع وقيل الكاف في موضع
نصب بفعل مقدر تقديره تتركهم كانهم اعجاز قاله مكي ولو جعل مفعولا ثانيا على التضمين
اي تصيرهم بالنزع كانهم لكان اقرب والاعجاز جمع عجز وهو موخر الشيء ومنه العجز لانه
يودي الى تاخر الامور والمنقعر المنقلع من اصله قعرت النخلة قلعتها من اصلها فانقعرت
وقعرت البير وصلت الى قعرها وقعرت الاناء شربت ما فيه حتى وصلت الى قعره واقعرت
البير اي جعلت لها قعرا **فصل** تنزع الناس تقلعهم ترمي بهم على رؤوسهم فتدق
رقابهم وروي انها كانت تنزع الناس من قبورهم كانهم اعجاز نخل قال ابن عباس اصولها
وقال الضحاك اوراك نخل منقعر منقلع من مكانه ساقط على الارض وقال اعجاز نخل
وهي اصولها التي قطعت فروعها لان الريح كانت تبين رؤوسهم من اجسادهم فتبقى اجسادهم
بلا رؤوس قال ابن الخطيب تنزعهم نزعا بعنف كانهم اعجاز نخل تقعرهم فينقعروا وهذا
اشارة الى قوتهم وثباتهم على الارض ويكون ذلك اشارة الى عظم اجسادهم والى ثباتهم
في الارض فكانهم كانوا يعملون ارجلهم في الارض ويقصدون المنع به على الريح قال
ابن اسحاق لما هاجت الريح قام سبعة نفر من عاد من اقواهم واجسمهم منهم عمرو بن الحلي
والحارث بن شداد والهلقام وابنا تقن وخلجان بن سعد فالجاوا العيال في شعب بين
جبلين ثم اصطفوا على باب الشعب ليردوا الريح عمن في الشعب من العيال فجعلت الريح
تجعفهم رجلا بعد رجل فقالت امراة من عاد • ذهب الدهر بعمرو بن حلي والهنات •
• ثم بالحارث والهلقام طلاع الثنيات • والذي سد مهب الريح ايام البليات
قال ابن الخطيب ذكر الله لفظ النخل في مواضع ثلاثة ووصفها على الاوجه الثلاثة
فقال والنخل باسقات وذلك حال عمها وهي كالوصف وقال نخل خاوية ونخل منقعر
حيث قال منقعر كان المختار ذلك لان المنقعر في حقيقة الامر كالمفعول لانه ورد عليه
القعر فهو مقعور والخاوي والباسق فاعل واخلا المفعول عن علامة التانيث اولى

تقول امراة قتيل واما الباسقات فهي فاعلات حقيقة لان البسوق امر قام بها واما الخاوية
فهي من باب حسن الوجه لان الخاوي موضعها فكانه قال نخل خاوية المواضع وهذا غاية الاعجاز
حيث اتى بلفظ مناسب للالفاظ السابقة واللاحقة من حيث اللفظ قوله فكيف كان
عذابي ونذر وقال اكثر المفسرين ان النذر هنا جمع نذير الذي هو مصدر بمعنى الانذار فما
الحكمة في توحيد العذاب حيث لم يقل فكيف كان انواع عذابي وقال انذاري قال ابن الخطيب
هذا اشارة الى غلبة الرحمة لان الانذار اشفاق ورحمة فقال الانذارات التي هي نعم ورحمة
تواترت فلما لم تنفع وقع العذاب دفعة واحدة فكانت النعم كثيرة والنقمة واحدة قوله
كذبت ثمود بالنذر اعلم انه تعالى لم يقل في قوم نوح كذبت قوم نوح بالنذر وكذلك في قصة
عاد لان المراد بقوله كذبت قبلهم قوم نوح ان عادا ثم انكار الرسل وتكذيبهم فكذبوا نوحا
بناء على مذهبهم وعادتهم وانما صرح ههنا لان كل قوم ياتون بعد قوم فالمكذب المتاخر يكذب
المرسلين جميعا حقيقة والاولون يكذبون واحدا حقيقة ويلزم منه تكذيب من بعده تبعا
ولهذا المعنى قال في قوم نوح كذبت قوم نوح المرسلين وقال في عاد وتلك عاد جحدوا
بايات ربهم وعصوا رسله فذكر بلفظ الجمع المستغرق ثم انه تعالى قال عن نوح رب ان قومي
كذبون ولم يقل كذبوا رسلك اشارة الى ما صدر منهم حقيقة لا الى ما لزم منه وقوله تعالى
كذبت ثمود بالنذر ان قلنا ان النذر هم الرسل فهو كما تقدم وان قلنا ان النذر هم الانذارات
فنقول قوم نوح وعاد لم تستمر المعجزات التي ظهرت في زمانهم واما ثمود فانذروا واخرج لهم ناقة
من صخرة وكانت تدور بينهم وكذبوا فكانت تكذيبهم بالانذارات وايات ظاهرة فصرح بها قوله
ابشرا منصوب على الاشتغال وهو الراجح لتقدم اداة هي بالفعل اولى ومنا نعت له وواحدا فيه
وجهان اظهرهما انه نعت لبشرا الا انه يشكل عليه تقديم الصفة المؤولة على الصريحة ويجاب
بان منا حينئذ ليس وصفا بل حال من واحدا قدم عليه والثاني انه نصب على الحال من هاء نتبعه
وهو يخلص من الاعتراض المتقدم الا ان المرجح لكونه صفة قراءتهما مرفوعين ابشر منا واحد نتبعه
على ما سياتي فهذا يرجح كون واحدا نعتا لبشرا لا حالا وقرا ابو السمال فيما نقل الهذلي والداني
برفعهما على الابتداء وواحد صفته ونتبعه خبره وقرا ابو السمال ايضا فيما نقل ابن خالويه وابو
الفضل وابن عطية برفع بشر ونصب واحدا وفيه اوجه احدها ان يكون بشر مبتدا وخبره مضمر
تقديره ابشر منا يبعث الينا او يرسل واما انتصاب واحدا ففيه وجهان احدهما انه حال من
الضمير المستتر في منا لانه وقع نعتا والثاني انه حال من هاء نتبعه وهذا كله تخريج ابي الفضل
الرازي الثاني انه مرفوع بالابتداء ايضا والخبر نتبعه وواحدا حال على الوجهين المذكورين انفا
الثالث انه مرفوع بفعل مضمر مبني للمفعول تقديره اينبا بشر ومنا نعت وواحدا حال ايضا
على الوجهين المذكورين انفا واليه ذهب ابن عطية **فصل** قال ابن الخطيب والحكمة
في تاخير الفعل في الظاهر ان البليغ يقدم في الكلام ما يكون تعلق غرضه به اكثر والقوم كانوا
يريدون بيان كونهم محقين في ترك الاتباع فلو قالوا انتبع بشرا امكن ان يقال نعم اتبعوه
وماذا يمنعكم من اتباعه فاذا قدموا حاله وقالوا هو من نوعنا بشر من صنفنا رجل ليس غريبا
نعتقد فيه انه يعلم ما لا نعلم او يقدر على ما لا نقدر وهو واحد وليس له جند ولا حشم ولا خدم
ولا خيل وهو وحيد ونحن جماعة فكيف نتبعه فيكونون قد قدموا الموجب لجواز الامتناع عن
اتباعه وفي الاية اشارات الى ذلك منها تنكيره حيث قالوا ابشرا ولم يقولوا ارجلا ومنها قولهم
منا وهو يحتمل امرين احدهما من صنفنا ليس غريبا والثاني منا اي بعضنا لان من للتبعيض والبعض
يتبع الكل لا الكل يتبع البعض ومنها قولهم واحدا وهو يحتمل امرين ايضا احدهما وحيدا اشارة الى
ضعفه والثاني واحدا اي هو من احاد الناس اي هو ممن ليس بمشهور بحسب ولا نسب اذا حدث
لا يعرف ولا يمكن ان يقال عنه قال فلان بل يقال قال واحد وذلك نهاية الخمول اولان
الارذل لا ينضم اليه احد قوله انا اذا لفي ضلال خطا وذهاب عن الصواب وسعر يجوز ان
يكون مفردا اي جنون يقال ناقة مسعورة اي كالمجنونة في سيرها قال •
• كان بها سعرا اذا العيس هزها • ذميل وارخاء السير منقب •
وان يكون جمع سعير وهو النار قاله سفيان بن عيينة والاحتمالان منقولان قال ابن

عباس معنى سعر عذاب وقال الحسن شدة عذاب وقال قتادة عناء المعنى انا اذا لفي
عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته وقال بعد معناه بعد عن الحق قوله االقي عليه الذكر
من بيننا معناه انزل عليه الذكر وهو الوحي من بيننا حال من ها عليه اي القي عليه
منفردا من بيننا اي خصص بالرسالة من بين آل ثمود وفيهم من هو اكثر مالا واحسن
حالا وهو استفهام بمعنى الانكار قوله بل هو كذاب اشر الاشر البطر يقال اشر يأشر
اشرا فهو اشر كفرح وأشر كضارب واشران كسكران واشاري كسكاري وقرا ابو قلابة
بل هو الكذاب الاشر من الكذاب الاشر بفتح الشين وتشديد الراء جعلهما افعل تفضيل
وهو شاذ لانه بحذف الهمزة من لفظ الخير والشر في افعل التفضيل تقول زيد خير من
عمرو وشر من بكر ولا تقول اخير ولا اشر الا في نذور كهذه القراءة وكقول روبة بلال خير
الناس وابن الاخير وثبت فيهما في التعجب نحو ما اخيره وما اشره للمطوت وهذا من
محاسن الصناعة وقرا ابو قيس الاودي ومجاهد الحرف الثاني الا شر بثلاث ضمات
وتخريجها على ان فيه لغة اشر بضم الشين كحذر وحذر ثم ضمت الهمزة اتباعا لضم الشين
ونقل الكسائي عن مجاهد ضم الشين وفتح الهمزة على اصل تلك اللغة كحذر
الاشر التجبر والنشاط يقال فرس اشر اذا كان مرحا نشيطا قال امرئ القيس يصف كلبا

• فادركنا فغو واجن • سميع بصير طلوب نكر •
• الص الضروس حنى الضلوع • تبوع اريب نشيط اشر •

قيل انه المتعدي الى منزلة لا يستحقها وقال ابن زيد وعبد الرحمن بن حماد الاشر الذي
لا يبالي ما قال وعلى قراءة ابي قلابة بفتح الشين وتشديد الراء فالمعنى اشرنا واخبثنا
فان قيل قولهم بل هو كذاب يستدعي امرا مضروبا عنه فما هو فالجواب قولهم االقي للانكار
فكانهم قالوا ما القي ثم ان قولهم االقي عليه الذكر لا يقتضي الا انه ليس بنبي وقول القائل
فلان ليس بنبي لا يلزم منه انه كاذب فكانهم قالوا ليس بنبي ثم قالوا بل هو ليس بصادق
قوله سيعلمون قرا ابن عامر وحمزة بالخطاب وفيه وجهان احدهما انه حكاية قول
صالح لقومه والثاني انه خطاب الله على جهة الالتفات والباقون بالغيبة جريا
على الغيبة قبله في قوله فقالوا ابشرا واختارها مكي قال لان عليها الاكثر وغدا ليس
المراد به الذي يلي يومك بل الزمان المستقبل كقول الطرماح

• الا علاني قبل نوح النوائح • وقبل اضطراب النفس بين الجوانح •
وقيل • غدا ما لهف نفسي على غد • اذا راح اصحابي ولست براح •

والمعنى سيعلمون غدا حين ينزل بهم العذاب قال الكلبي يعني يوم القيمة وذكر الغد
للتقريب على عادة الناس يقولون ان مع اليوم غدا **فصل** الكذاب فعال
صيغة مبالغة لان المنسوب الى الشيء لا بد له من ان يكثر من مزاولة الشيء فان من خاط
يوما لا يقال له خاط فالمبالغة ههنا اما في الكثرة بان يكون كثير الكذب واما في الشدة
اي شديد الكذب بقول ما لا يقبله العقل ويحتمل ان يكونوا وصفوه بذلك لاعتقادهم
الامرين جميعا وقولهم اشر اشارة الى انه كذب لا لضرورة وحاجة وانما هو استغنى فبطر
وطلب الرياسة قوله انا مرسلوا الناقة اي مخرجوها من الهضبة التي سالوا واتي باسم
الفاعل والاضافة ههنا لغة في حقيقته كانه وقع قوله فتنة مفعول له لان المعجزة
فتنة لان بها يتميز المثاب من المعذب فالمعجزة تصديق وحينئذ يفترق المصدق
من المكذب او يقال اخراج الناقة من الصخرة معجزة وورائها بينهم وقسمة الماء
كان فتنة ولهذا قال انا مرسلوا ولم يقل مخرجوا قوله فارتقبهم اي انتظرهم ما يصنعون
واصطبر اي اصطبر على اذاهم واصل الطاء في اصطبر تاء فتحركت طاء لتكون موافقة للصاد
في الاطباق قوله ونبئهم ان الماء قسمة بينهم اي بين آل ثمود وبين الناقة
لها يوم ولهم يوم كقوله تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فالضمير في بينهم لقوم صالح
والناقة فغلب العاقل وقرا العامة قسمة بكسر القاف وروي عن ابي عمرو فتحها وهو قياس
المرة والمعنى ان الماء مقسوم بينهم نوصف بالقدر مبالغة كقولك فلان عين الكرم قوله

كل شرب محتضر اي يحضره من هو له فالناقة تحضر الماء يوم وردها وتغيب عنهم يوم ورودهم
قاله مقاتل وقال مجاهد ان ثمود يحضرون الماء يوم غبها فيشربون ويحضرون اللبن يوم
ورودها فيحتلبون والشرب بالكسر الحظ من الماء وفي المثل آخرها اقلها شربا واصله من سقي
الابل لان آخرها يرد وقد نزف الحوض واعلم ان قسمة الماء اما لان الناقة عظيمة الخلق ينفر منها
حيوانهم فكان يوم للناقة ويوم لهم واما لقلة الماء فلا يحملهم واما لان الماء كان مقسوما بينهم
لكل فريق يوم فيوم ورود الناقة على هولاء يرجعون على الآخرين وكذلك الآخرون فيكون
النقصان على الكل ولا يختص الناقة بجميع الماء وروي انهم كانوا يكتفون في يوم ورودها بلبنها
وليس في الآية الا القسمة دون كيفيتها وظاهر قوله كل شرب محتضر يعضد الوجه الثالث وحضر
واحتضر بمعنى واحد قوله فنادوا صاحبهم قبله محذوف اي فتمادوا على ذلك ثم ملوه فعزموا
على عقرها فنادوا صاحبهم وتعاطى مطاوع عاطى كانهم كانوا ابتدا فعوت ذلك حتى تولاه اشقاها
والمعنى فنادوا صاحبهم نداء المستغيث وهو قدار بن سالف وكان اشجعهم وقيل كان رئيسهم
فتعاطى اي السيف او الناقة او هو عبارة عن الاقدام على الفعل العظيم وتحقيقه ان
الفعل العظيم يتبرأ منه كل احد ويعطيه صاحبه او جعلوا له جعلا فتعاطاه قال محمد بن اسحاق
كمن لها في اصل شجرة على طريقها فرماها فانتظم به عضلة ساقها ثم شد عليها بالسيف فكشف
عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة ثم نحرها قال ابن عباس كان الذي عقرها احمر ازرق اشقر
اكشف افحج يقال له قدار بن سالف والعرب تسمي الجزار قدارا تشبيها بقدار بن سالف مشوم
آل ثمود قال مهلهل • انا لنضرب بالسيوف رؤوسهم • ضرب القدار نقيعة القدام •
قوله انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة يريد صيحة جبريل كما تقدم فكانوا كهشيم المحتظر العامة
على كسر الظاء اسم فاعل وهو الذي يتخذ حظيرة من حطب وغيره وقرا ابو السماك وابو حيوة
وابو رجاء وعمرو بن عبيد بفتحها فقيل هو مصدر اي كهشيم الاحتظار وقيل هو اسم
مكان وقيل هو اسم مفعول وهو الهشيم نفسه ويكون من باب اضافة الموصوف لصفته كمسجد
الجامع والحظر المنع وقد تقدم تحريره في سبحان **فصل** كان في قوله فكانوا قيل بمعنى
صاروا كقوله فكانت فراخا بيوضها اي صارت والهشيم المهشوم المكسور ومنه سمي هاشم
لهشمه الثريد في الجفان غير ان الهشيم يستعمل كثيرا في الحطب المتكسر اليابس قال المفسرون
كانوا كالحشيش المتكسر الذي يخرج من الحظاير بدليل قوله هشيما تذروه الرياح وهو من باب
اقامة الصفة مقام الموصوف وتشبيههم بالهشيم اما لكونهم يابسين كالموتى الذين ما تو من
زمان او لانضمام بعضهم الى بعض كما ينضم الرفقاء عند الخوف يدخل بعضهم في بعض فاجتمع
بعضهم فوق بعض كما يجمع الحاطب الحطب يضعه شيئا فوق شيء منتظرا حضور من يشتري منه
ويحتمل ان يكون ذلك لبيان كونهم في الجحيم اي كانوا كالحطب اليابس الذي للوقيد كقوله تعالى
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقوله فكانوا لجهنم حطبا **فصل** في
الآية مباحث منها قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر اعلم ان هذه الآية ذكرت في ثلاثة
مواضع ذكرها في حكاية نوح بعد بيان العذاب وذكرها هنا قبل بيان العذاب وذكرها في
حكاية عاد قبل بيانه وبعد بيانه بحيث ذكر قبل بيان العذاب فللبيان كقول العارف
بحكايته لغير العارف هل تعلم كيف كان امر فلان وغرضه ان يقول اخبرني عنه وحيث ذكرها
بعد بيان العذاب ذكرها للتعظيم كقول القائل ضرب فلان اي ضرب وايما ضرب وتقول ضربته
وكيف ضربته اي قويا وفي حكاية عاد ذكرها مرتين للبيان والاستفهام ومنها ان في حكاية نوح
كان بامر عظيم عام وهو الطوفان الذي عم العالم ولا كذلك عذاب قوم هود فانه كان مختصا بهم
فصل اعلم ان الله تعالى ذكر في هذه السورة خمس قصص وجعل القصة المتوسطة
مذكورة على اتم وجه لان حال صالح كان اكثر مشابهة بحال محمد عليهما السلام لانه اتى بامر عجيب ارضي
وكان اعجب مما جاء به الانبياء لان عيسى عليه السلام احيى الميت لكن الميت كان محلا للحياة فقامت
الحياة باذن الله في محل كان قابلا لها وموسى عليه السلام انقلبت عصاه ثعبانا فاثبت الله
له في الخشب الحياة باذن الله لكن الخشب نبات كان له قوة في النمو فاشبه الحيوان في النمو
وصالح عليه السلام كان الظاهر في يده خروج الناقة من الحجر والحجر جماد ليس محلا للحياة ولا

محلا للنمود والبني عليه السلام اتي باعجب من الكل وهو النصرف في الجرم السماي الذي يقول المشرك لاوصول لاحد الي السما واما الارضيات فقالوا الخفا الجسام مشتركة المواد يقبل كل واحد منها صورة الاخري والسماويات لا تقبل ذلك فلما اتي بما اعترفوا بانه لا يقدر على مثله ادمي كان اتم وابلغ من معجزة صالح عليه السلام التي هي اتم من معجزة ساير الانبيا غير محمد صلى الله عليه وسلم

فصل من قرا المحتظر بفتح الظا اراد الحظيرة ومن قرا بالكسر اراد صاحب الحظيرة ونقل القرطبي عن صاحب الصحاح قال من كسر جعله الفاعل ومن فتح جعله المفعول ويقال للرجل القليل الخير انه لمذكر الحظيرة قال ابو عبيدة اراه سمي امواله حظيرة لانه حظرها عنده ومنعها وهي فعيلة بمعنى مفعولة وقال المهدوي من فتح الظا من المحتظر فهو مصدر والمعنى كهشيم الاحتظار ويجوز ان يكون المحتظر هو الشجر المتخذ منه الحظيرة قال ابن عباس المحتظر هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك فما سقط من ذلك وداسته الغنم فهو الهشيم قال

• اثرن عجاجة كدخان نار • تشب بغرقد بال هشيم •

وعنه الحشيش تاكله الغنم ومنه ايضا كالعظام المحترقة وهو قول قتادة وقال سعيد بن جبير هو التراب المتناثر من الحيطان في يوم ريح وقال سفيان الثوري هو ما تناثر من الحظيرة اذا ضربتها بالعصا وهو فعيل بمعنى مفعول وقال ابن زيد العرب تسمي كل شي كان رطبا فيبس هشيما والحظر المنع والمحتظر المفتعل يقال منه احتظر على ابله وحظر اي جمع الشجر بعضه على بعض ليمنع برد الريح والسباع عن ابله قال الشاعر

• تري جيف المطي بجانبيه • كان عظامها خشب الهشيم •

وعن ابن عباس ايضا انهم كانوا مثل القمح الذي ديس وهشم فتات السنبلة والتبن روي ابو الزبير عن جابر قال لما نزلنا الحجر في مغزى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك قال ايها الناس لا تسالوني الايات هولا قوم صالح سالوا نبيهم ان يبعث لهم ناقة فبعث الله عز وجل اليهم الناقة وكانت ترد من ذلك الفج فتشرب ماهم يوم ورودها ويحلبون منها مثل الذي كانوا يشربون منها يوم غبها قوله كذبت قوم لوط بالنذر اخبر عن قوم لوط ايضا لما كذبوا لوطا ثم قال انا ارسلنا عليهم حاصبا والحاصب فاعل من حصب اذا رمي بالحصا وهي الحجارة قال النضر الحاصب الحصبا في الريح وقال ابو عبيدة الحاصب الحجارة وفي الصحاح الحاصب الريح الشديدة التي تثير الحصبا وكذلك الحصبة قال لبيد

• جرت عليها ان خوت من اهلها • اذيالها كل عصوف حصبة •

عصفت الريح اي اشتدت فهي ريح عاصف وعصوف قال الفرزدق

• مستقبلين شمال الشام تضربنا • بحاصب كنديف القطن منثور •

قوله الا ال لوط فيه وجهان احدهما انه متصل ويكون المعنى انه ارسل الحاصب على الجميع الا اهله فانه لم يرسل عليهم والثاني انه منقطع قال شهاب الدين ولا ادري ما وجهه فان الانقطاع وعدمه عبارة عن عدم دخول المستثنى في المستثنى منه وهذا داخل ليس الا وقال ابو البقا هو استثنا منقطع وقيل متصل لان الجميع ارسل عليهم الحاصب فهلكوا الا ال لوط وعلى الوجه الاول يكون الحاصب لم يرسل على ال لوط وهو كلام مشكل

فصل قال ابن الخطيب الحاصب رامي الحصبا وهي الحجارة كقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل وقول الملايكة لنرسل عليهم حجارة من طين مع ان المرسل عليهم ليس بحاصب فيحتمل ان يكون المعنى لنرسل عليهم ريحا حاصبا بالحجارة ويجوز تذكير الريح لان تانيثها غير حقيقي ويحتمل ان يكون المراد عذاب حاصب اولان ارسلنا يدل على مرسل وهو مرسل الحجارة وحاصبها وافرد للجنس وقوله انا ارسلنا كانه جواب من قال كيف كان امرهم والاستثنا في قوله الا ال لوط من الضمير في عليهم وهو يعود على قوم لوط فيقتضي ان اله كذبوا لكن قد يكون اهله قليلا فعمهم ظاهر اللفظ فبين بالاستثنا خروجهم لان المقصود بيان من هلك ومن نجا ويكون الاستثنا من كلام مدلول عليه اي فاهلكنا من الحاصب الا ال لوط ويكون الارسال عليهم والاهلاك عاما فكان الحاصب اهلك من كان

الارسال

الارسال عليه مقصودا او غيرهم كالاطفال والدواب والمراد بال لوط من تبعه على دينه ولم يكن الا بنتاه قوله نجيناهم بسحر جوابه لقايل يقول فما كان من شان ال لوط كقوله تعالى الي قوله الا ابليس وقد تقدم في البقرة قوله بسحر الباحالية او ظرفية والصرف سحر لانه نكرة ولو قصد به وقت بعينه لمنع الصرف للتعريف والعدل عن ال هذا هو المشهور وزعم صدر الافاضل انه مبني على الفتح كامس مبنيا على الكسر ونعمة اما مفعول له واما مصدر بفعل من لفظها او معنى نجيناهم لان تنجيتهم انعام فالتاويل اما في العامل واما في المصدر ومن عندنا اما متعلق بنعمة واما بمحذوف صفة لها والكاف في كذلك نعت مصدر محذوف اي ذلك الجزا نجزي

فصل قال الاخفش انما اجرى سحرا لانه نكرة ولو اراد سحر يوم بعينه لم يجره وكذا قال الزجاج سحر اذا كان نكرة يراد به سحر من الاسحار يصرف تقول اتيته سحرا هذا واتيته بسحر والسحر هو ما بين اخر الليل وطلوع الفجر وهو في كلام العرب اختلاط سواد الليل ببياض النهار لان في هذا الوقت يكون مخاسل الليل ومخامل النهار ونعمة من عندنا انعاما منا على لوط وابنتيه كذلك نجزي من شكر اي كما جزينا لوطا واهله بالانجا فكذلك نجزي من شكر اي من امن بالله واطاعه قال المفسرون هو وعد لامة محمد عليه السلام بانه يصونهم من الهلاك العام قال ابن الخطيب ويمكن ان يقال هو وعد لهولا بالثواب يوم القيمة كما انجاهم في الدنيا من العذاب لقوله تعالى ومن يرد ثواب الاخرة نوته منها وسنجزي الشاكرين قوله ولقد انذرهم بطشتنا البطشة هي العذاب الذي اصابهم او هي عذاب الاخرة كقوله يوم نبطش البطشة الكبري وقوله فتماروا بالنذر اي فشكوا فيما انذرهم به الرسول ولم يصدقوه وهو تفاعلوا من المرية وهذه الاية تدل على ان المراد بالنذر الانذارات قوله ولقد راودوه عن ضيفه المراودة من الرود يقال راودته عن كذا مراودة ورودا اي اردته وراد الكلام يروده رودا وريادا وارتاده ارتيادا اي طلبه وفي الحديث اذا بال احدكم فليرتد لبوله اي يطلب مكانا لينا او منحدرا قال ابن الخطيب ومنه الارادة وهي المطالبة غير ان المطالبة تستعمل في العين يقال طالب زيد عمرا بالدراهم والمراودة لا تستعمل الا في العمل فيقال راوده عن المساعدة ولهذا يعدي المراودة الى مفعول ثان والمطالبة بالبا وذلك لان الشغل منوط باختيار الفاعل والعين قد توجد من غير اختيار منه ولهذا يفترق الحال بين قولك اخبرني عن امر زيد واخبرني بامر زيد وكذا قوله اخبرني زيد عن مجي فلان وقوله اخبرني بمجيه فان من قال عن مجيه ربما يكون الاخبار عن كيفية المجي لا عن نفسه واخبرني بمجيه لا يكون الا عن نفس المجي والضيف يقع على الواحد وعلى الجماعة والمعنى ارادوا منه تمكينهم ممن اتاه من الملايكة قوله فطمسنا اعينهم قرا العامة فطمسنا مخففا وابن مقسم مشددا على التكثير لاجل المتعلق او لشدة الفعل في نفسه والضمير في راودوه عايد على قوم لوط واسند اليهم لان جميعهم راض بذلك والمراد الذين دخلوا عليه روي ان جبريل عليه السلام ضربهم بجناحه فعموا وقيل صارت اعينهم كساير الوجه لا يري لها شق كما تطمس الريح الاثر والاعلام بما تسفي عليها من التراب وقال الضحاك بل اعماهم الله تعالى فلم يروا الرسل وقالوا لقد راينا هم حين دخلوا البيت فاين ذهبوا فرجعوا ولم يروهم وهذا قول ابن عباس فان قيل قال هنا فطمسنا اعينهم وقال في يس ولو نشا لطمسنا على اعينهم فما الفرق فالجواب هذا يويد قول ابن عباس بان المراد من الطمس الحجب عن الادراك ولم يجعل على بصرهم شي وفي يس اراد انه لو شا لجعل على بصرهم غشاوة او الزق احد الجفنين بالاخر فتكون العينين جلدة وروي انهم صارت اعينهم مع وجوههم كالصفحة الواحدة قوله فذوقوا اي وهو خطاب مع كل مكذب اي ان كنتم تكذبون فذوقوا قال القرطبي والمراد من هذا الامر الخبر اي فاذقتهم عذابي الذي انذرهم به لوط فان قيل النذر كيف يذاق فالجواب معناه ذق مجازاة فعلك وموجبه فان قيل اذا كان المراد بقوله عذابي هو العذاب العاجل وبقوله ونذر هو العذاب الاجل فهما لم يكونا في زمان واحد فكيف قال ذوقوا فالجواب ان العذاب الاجل اوله متصل باخر العذاب العاجل لانهما كالواقع في زمان واحد وهو كقوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا قوله ولقد صبحهم بكرة انصرف بكرة لانه نكرة ولو قصد به وقت بعينه امتنع الصرف للتانيث والتعريف وهذا كما تقدم في غدوة ومنعها زيد بن علي الصرف ذهب بها الى وقت بعينه قال صاحب المختصر انتصب بكرة على الظرف اي بكرة من البكر كقوله اسرى بعبده ليلا

قال الزمخشري والتنكير يدل على انه كان في بعض الليل وتمسك بقراءة من قرا من الليل قال ابن الخطيب وهو غير ظاهر والاظهران يقال بان الوقت المبهم يذكر لبيان ان تعيين الوقت ليس بمقصود للمتكلم كقولك خرجنا في بعض الاوقات مع ان الخروج لا بد وان يكون في بعض الاوقات وكذلك قوله صبحهم بكرة اي بكرة من البكر واسري بعبده ليلا اي ليلا من الليالي ولا ابنته ومعنى صبحهم قال لهم عموا صباحا كقوله فبشرهم بعذاب اليم او المراد بقوله بكرة اول ازمنة الصبح ان انتصب بكرة على المصدر كقولك ضربته سوطا لان الضرب يكون بالسوط وغيره وكذلك الصبح يكون بكرة وبعدها ومعنى مستقر اي ثابت عليهم لا يدفعه احد عنهم او دايم لانهم انتقلوا منه الى عذاب الجحيم وهو دايم او بمعنى قدره الله عليهم وقضاه ولم يصبهم بطريق الاتفاق وذلك العذاب قلب قريتهم عليهم وجعل اعلاها اسفلها وقوله فذوقوا عذابي ونذري اي العذاب الذي نزل بهم من طمس الاعين غير العذاب الذي اهلكوا به فلذلك حسن التكرير قوله ولقد جاء ال فرعون النذر المراد باله خواصه والنذر موسى وهارون وقد يطلق لفظ الجمع على الاثنين وقيل المراد بال فرعون القبط هنا الفايدة فان قيل في قوله ال فرعون بدل قوم فرعون فالجواب ان القوم اعم من الال فالقوم كل من يقوم الرييس بامرهم او يقومون هم بامره وقوم فرعون كانوا تحت قهره بحيث لا يخالفونه في قليل ولا كثير فارسل اليه الرسول وحده غير انه كان عنده جماعة من المقربين مثل قارون مقدم عندهم بالمال العظيم وهامان لدهايه فاعتبرهم الله في الارسال حيث قال في مواضع ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملايه وقال الى فرعون وهامان وقارون وقال في العنكبوت وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى لانهم امنوا من الكل بجلا فالاقوام الذين كانوا قبلهم وبعدهم فقال ولقد جاء ال فرعون النذر وقال ادخلوا ال فرعون اشد العذاب فان قيل كيف قال ولقد جاء ولم يقل في غيره جاء فالجواب لان موسى عليه السلام لما جاءهم كان غايبا عن القوم فقدم عليهم كما قال فلما جاء ال لوط المرسلون وقال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم حقيقة ايضا لانه جاءهم من الله من السموات بعد المعراج كما جاء موسى قومه من الطور حقيقة والنذر الرسل وقد جاءهم يوسف وبنوه الى ان جاءهم موسى وقيل النذر الانذارات قوله كذبوا باياتنا فيه وجهان احدهما ان الكلام تم عند قوله ولقد جاء ال فرعون النذر وقوله كذبوا كلام مستانف والضمير عايد الى كل من تقدم ذكرهم من قوم نوح الى فرعون الثاني ان الحكاية مسوقة على سياق ما تقدم فكانه قال فكيف كانت فقال كذبوا باياتنا كلها فاخذناهم فعلى الوجه الاول اياتنا كلها ظاهر وعلى الثاني المراد الايات التي كانت مع موسى عليه السلام كالعصى واليد والسنين والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم قوله فاخذناهم اخذ عزيز هذا مصدر مضاف لفاعله والمعنى اخذناهم بالعذاب اخذ عزيز غالب في انتقامه مقتدر قادر على اهلاكهم لا يعجزه ما اراده خوف اهل مكة فقال أكفاركم خير من اوليكم اي اشد واقوى من الذين احللت بهم نقمتي من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وهذا استفهام بمعنى الانكار اي ليسوا باقوى منهم ومعناه بقي ليس كفاركم خير من كفار من تقدم من الامم الذين اهلكوا بكفرهم وقوله خير مع انه لا خير فيهم اما ان يكون كقول حسان • فخيركما لشركما الفداء • وهو بحسب زعمهم واعتقادهم او المراد بالخير شدة القوة او لان كل ممكن فلا بد وان يكون فيه صفات محمودة فالمراد تلك الصفات ام لكم براة في الزبر اي في الكتب المنزلة على الانبيا عليهم السلام بالسلامة من العقوبة وقال ابن عباس ام لكم في اللوح المحفوظ براة من العذاب قوله ام يقولون العامة على الغيبة التفاتا وابو حيوة وابو البرهسم وموسى الاسواري بالخطاب جريا على ما تقدم من قوله أكفاركم الى اخره والمعنى نحن جماعة لا نطاق لكثرة عددهم وقوتهم ولم يقل منتصرين اتباعا لروس الاي وقال ابن الخطيب قولهم جميع يحتمل الكثرة والاتفاق ويحتمل ان يكون معناه نحن جميع الناس اشارة الى ان من امن لا عبرة به عندهم كقول قوم نوح انومن لك واتبعك الارذلون فيكون التنوين فيه عوضا من الاضافة وافرد منتصر مراعاة للفظ جميع او يكون

مرادهم

مرادهم كل واحد منا منتصر لقولك كلهم عالم اي كل واحد فيكون المعنى ان كل واحد منا غالب فرد الله تعالى عليهم بانهم يهزمون جميعهم قوله سيهزم الجمع العامة على سيهزم مبنيا للمفعول والجمع مرفوع به وقري ستهزم بفتح التاء خطابا للرسول عليه السلام الجمع مفعول به وابو حيوة في رواية يعقوب سنهزم بنون العظمة والجمع منصوبا ايضا وروي عن ابي حيوة ايضا وابن ابي عبلة سيهزم مبنيا للفاعل الجمع اي سيهزم الله ويولون العامة على الغيبة وابو حيوة وابو عمرو في رواية وتولون بتاء الخطاب وهي واضحة والدبر هنا اسم جنس وحسن هنا لوقوعه فاصلة بخلاف ليولن الادبار وقال الزمخشري الادبار كما قال • كلوا في بعض بطنكم تعفوا • وقري الادبار قال ابو حيان وليس مثل بعض بطنكم لان الافراد هنالك يحسن ولا يحسن لا افراد بطنكم قال ابن الخطيب وافرد الدبر هنا وجمع في غيره لان الجمع هو الاصل لان الضمير ينوب مناب تكرار العطف فكانه قيل يولي هذا وهذا وافرد لمناسبة المقاطع ومنه اشارة الى ان جميعهم يكونون في الانهزام كشخص واحد واما قوله فلا تولوهم الادبار فجمع لان كل واحد براسه منهي عنه ذلك واما قوله ولين نصروهم ليولن الادبار فجمع لافتراق قلوبهم كقوله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى واما قوله ولقد عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار اي كل واحد قال انا اثبت ولا اولي

فصل

قال مقاتل ضرب ابو جهل فرسه يوم بدر فتقدم من الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فانزل الله تعالى نحن جميع منتصر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب يقول لما انزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في درعه ويقول اللهم ان قريشا حادتك وتحادت رسولك بفخرها بخيلها فاحنهم الغداة ثم قال سيهزم الجمع ويولون الدبر قال عمر فعرفت تاويلها وهذا من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن غيب فكان كما اخبر قال ابن عباس كان بين هذه الاية وبين بدر سبع سنين فالاية على هذا مكية وفي البخاري عن عايشة ام المومنين قالت لقد انزل على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة واني لجارية العب بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر وانشدك عهدك ووعدك اللهم ان شيت لم تعبد بعد اليوم ابدا فاخذ ابو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله فقد الححت على ربك وهو في الدرع فخرج وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر بل الساعة موعدهم يريد يوم القيمة والساعة ادهى وامر مما لحقهم يوم بدر

فصل

ادهى من الداهية وهي الامر العظيم يقال دهاه امر كذا اي اصابه دهوا ودهيا وقال ابن السكيت دهته داهية دهوا ودهيا وهي توكيد لها قوله ان المجرمين في ضلال وسعر قيل في ضلال بعد عن الحق قال الضحاك وسعر جمع سعير نار مستعرة وقال الحسين بن الفضل ان المجرمين في ضلال في الدنيا ونار في الاخرة وقال قتادة في عناء وعذاب ثم بين عذابهم فقال يوم يسحبون في النار على وجوههم ويقال لهم ذوقوا مس سقر

فصل

اكثر المفسرين على ان هذه الاية في القدرية وفي الحديث انها نزلت في القدرية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مجوس هذه الامة القدرية وهم المجرمون الذين سماهم الله تعالى في قوله ان المجرمين في ضلال وسعر واعلم ان الجبري يقول القدري من يقول الطاعة والمعصية بفعلي فهم ينكرون القدر والمعتزلي يقول الجبري قدري لانه يقول الخير والشر قدره الله علي فهو يثبت القدر والفريقان متفقان على ان القايل بان الافعال بخلق الله وبسبب من العبد ليس بقدري قال ابن الخطيب والحق ان القدري هو الذي ينكر القدر وينسب الحوادث لاتصالات الكواكب لما روي ان قريشا خاصموا في القدر ومذهبهم ان الله مكن العبد من الطاعة والمعصية وهو قادر على خلق ذلك في العبد وقادر على ان يطعم الفقير ولهذا قالوا انطعم من لو يشا الله اطعمه منكرين لقدرته تعالى على الاطعام واما قوله عليه السلام القدرية مجوس هذه الامة فان اريد بالامة المرسل اليهم مطلقا كالقوم فالقدرية في زمانه هم المشركون المنكرون قدرته على الحوادث فلا يدخل فيهم المعتزلة وان كان المراد بالامة من امن به عليه السلام فمعناه ان نسبة القدرية اليهم كنسبة المجوس الى الامة المتقدمة

فان المجوس اضعف الكفرة المتقدمين شبهة واشد مخالفة للعقل وكذا القدرية في هذه
الامة وكونهم كذلك لا يقتضي الجزم بكونهم في النار لحق ان القدري هو الذي ينكر قدرة
الله تعالى **فصل** روي مسلم عن ابي هريرة قال جا مشركوا قريش يخاصمون رسول الله
صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت هذه الاية ان المجرمين في ضلال وسعر الى قوله انا كل شي
خلقناه بقدر وروي عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول كتب الله مقادير الخلايق كلها من قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف
سنة قال وعرشه على الما وعن طاوس بن اليماني قال ادركت ما شا الله من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شي بقدر الله وسمعت من عبد الله بن عمر ويقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شي بقدر حتى العجز والكيس او الكيس والعجز وعن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يومن بالله عبد
حتى يومن باربع يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله بعثني بالحق ويومن بالبعث بعد
الموت ويومن بالقدر وزاد عبد الله خيره وشره وهذه الادلة تبطل مذاهب القدرية قوله
ذوقوا فيه اضمار القول وقرا ابو عمرو في رواية محبوب عنه مسقر وخطاه ابن مجاهد وهو
معذور لان السين الاخيرة من مس مدغمة فيها فلا تدغم في غيرها لانها متى ادغم فيها لزم تحريكها
ومتى ادغمت هي لزم سكونها فتنافي الجمع بينهما قال ابو حيان انه لم يدغم حتى حذف احد الحرفين
لاجتماع الامثال ثم ادغم قال شهاب الدين كلام ابن مجاهد انما هو فيما قالوه انه ادغم اما اذا
حذف وادغم فلا اشكال وسقر علم لجهنم اعاذنا الله منها مشتقة من سقرته الشمس والنار
اي لوحته ويقال صقرته بالصاد وهي مبدلة من السين لاجل القاف قال ذو الرمة

اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها ... بافنان مربوع الصريمة معتل

وصقر متحتم المنع لان حركة الوسط تنزلت منزلة الحرف الرابع كعقرب وزينب قال القرطبي
وسقر اسم من اسما جهنم مونث لا ينصرف لانه اسم مونث معرفة وكذلك لظى وجهنم وقال
عطا سقر الطبق السادس من النار قال قطرب ويوم مسمقر ومصمقر شديد الحر ومسها
ما يوجد من الالم عند الوقوع فيها **فصل** العامل في يوم يسحبون يحتمل ان يكون
منصوبا بعامل مفهوم غير مذكور وهذا العامل يحتمل ان يكون سابقا وهو قوله ان المجرمين
في ضلال والعامل في الحقيقة على هذا الوجه ايضا مفهوم من في كانه فيه يعني كاين غير
ان ذلك صار نسيا منسيا ويحتمل ان يكون متاخرا وهو قوله ذوقوا تقديره ذوقوا مس
سقر يوم يسحب المجرمون والخطاب حينئذ مع من خوطب بقوله اكفاركم ام لكم ويحتمل ان
يكون منصوبا بالقول المقدر اي يقال لهم يوم يسحبون ذوقوا وهو المشهور والذوق
استعارة للمبالغة لقوة الادراك في الذوق فان الانسان يشارك غيره في اللمس ويختص
بادراك الطعام فيحصل الالم العظيم والمعنى ذوقوا ايها المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم
مس سقر يوم يسحب المجرمون المتقدمون في النار وقوله انا كل شي خلقناه العامة
على نصب كل على الاشتغال وابو السماك بالرفع وقد رجح الناس بل بعضهم اوجب النصب قال
لان الرفع يوهم ما لا يجوز على قواعد اهل السنة وذلك انه اذا رفع كل شي كان مبتدا وخلقناه
صفة لكل شي او لشي وبقدر خبره وحينئذ يكون له مفهوم لا يخفى على متامله فيلزم ان
يكون الشي الذي ليس له مخلوقا لله تعالى لا بقدر كذا قدره بعضهم وقال ابو البقا وانما
كان النصب ادل لدلالته على عموم الخلق والرفع لا يدل على عمومه بل يفيد ان كل شي مخلوق فهو
بقدر وقال مكي بن ابي طالب كان الاختيار على اصول البصريين رفع كل كما ان الاختيار عندهم
في قولك زيد ضربته الرفع والاختيار عند الكوفيين النصب فيه بخلاف قولنا زيد اكرمته
لانه قد تقدم في الاية شي عمل فيما بعده وهو ان والاختيار عندهم النصب فيه وقد اجمع القرا
على النصب في كل على الاختيار فيه عند الكوفيين ليدل ذلك على عموم الاشيا المخلوقات
انها لله تعالى بخلاف ما قاله اهل الزيغ من ان ثم مخلوقات لغير الله تعالى وانما دل
النصب في كل على العموم لان التقدير انا خلقنا كل شي خلقناه بقدر فخلقناه تاكيد وتفسير
لخلقنا المضمر الناصب لكل واذا حذفته واظهرت الاول صار التقدير انا خلقنا كل شي بقدر

فخلقناه تاكيد وتفسير لخلقنا المضمر الناصب لكل شي فهذا لفظ عام يعم جميع المخلوقات ولا
يجوز ان يكون خلقناه صفة لشي لان الصفة والصلة لا يعملان فيما قبل الموصوف ولا الموصول
ولا يكونان تفسيرا لما يعمل فيما قبلهما فاذا لم يبق خلقناه صفة لم يبق الا انه تاكيد وتفسير للمضمر
الناصب وذلك يدل على العموم وايضا فان النصب هو الاختيار لان انا عندهم يطلب الفعل
فهو اولى به فالنصب عندهم في كل هو الاختيار فاذا انضاف اليه معنى العموم والخروج عن
الشبه كان النصب اولى من الرفع وقال ابن عطية وقوم من اهل السنة بالرفع قال ابو
الفتح هو الوجه في العربية وقراتنا بالنصب مع الجماعة وقال الزمخشري كل شي منصوب
بفعل مضمر يفسره الظاهر وقري كل شي بالرفع والقدر والتقدير وقري بهما اي خلقنا كل
شي مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل
كونه قد علمنا حاله وزمانه انتهى وهو هنا لم يتعصب للمعتزلة لضعف وجه الرفع وقال
قوم اذا كان الفعل يتوهم فيه الوصف وان ما بعده يصلح للخبر وكان المعنى على ان يكون
الفعل هو الخبر اختير النصب في الاسم الاول حتى يتضح ان الفعل ليس بوصف ومنه هذا الموضع
لان قراة الرفع يحتمل ان الفعل وصفه وان الخبر مقدر وقد تنازع اهل السنة والقدرية
في الاستدلال بهذه الاية فاهل السنة يقولون كل شي فهو مخلوق لله تعالى بقدر ودليلهم قراة
النصب لانه لا يفسر في هذا التركيب الا ما يصح ان يكون خبرا لو رفع الاول على الابتدا وقال القدرية
القراة برفع كل وخلقناه في موضع الصفة لكل اي ان امرنا او شاننا كل شي خلقناه فهو بقدر او
بمقدار وعلى حد ما في هيئته وزمنه وقال بعض العلما في القدر هنا وجوه احدها انه المقدار
في ذاته وفي صفاته الثاني التقدير لقوله فقدرنا فنعم القادرون وقال الشاعر

وقد قدر الرحمن ما هو قادر • اي ما هو مقدر الثالث القدر الذي يقال مع القضا كقولك كان

بقضا الله وقدره فقوله بقدر على قراة النصب متعلق بالفعل الناصب وفي قراة الرفع في
محل رفع لانه خبر لكل وكل وخبرها في محل رفع خبر لان وسياتي قريبا انه عكس هذه اعني في
اختيار الرفع وهي قوله تعالى وكل شي فعلوه في الزبر فانه لم يختلف في رفعه قالوا لان نصبه
يودي الى فساد المعنى لان الواقع خلافه وذلك انك لو نصبته لكان التقدير فعلوا كل شي في
الزبر وهو خلاف الواقع اذ في الزبر اشيا كثيرة جدا لم يفعلوها واما قراة الرفع فتودي الى ان
كل شي فعلوه هو ثابت في الزبر وهو المقصود فلذلك اتفق مجيمها في سورة واحدة في مكانين
على رفعه وهذان الموضعان من نكت المسايل العربية التي اتفق مجيمها في سورة واحدة في مكانين
متقاربين ومما يدل على جلالة علم الاعراب وافهام المعاني الغامضة **فصل** قال
اهل السنة ان الله تعالى قدر الاشيا اي علم مقاديرها واحوالها وازمانها قبل ايجادها ثم
اوجد منها ما سبق في علمه فلا محدث في العالم العلوي والسفلي الا وهو صادر عن علمه تعالى
وقدرته وارادته دون خلقه وان الخلق ليس لهم فيها الا نوع اكتساب ومحاولة ونسبة
واضافة وان ذلك كله انما حصل لهم بتيسير الله وبقدرة الله والهامه سبحانه لا اله الا هو
ولا خالق غيره كما نص عليه القران والسنة لا كما قال القدرية وغيرهم من ان الاعمال الينا
والاجال بيد غيرنا قال ابو ذر قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
الاعمال الينا والاجال بيد غيرنا فنزلت هذه الايات الى قوله انا كل شي خلقناه بقدر
فقالوا يا محمد يكتب علينا الذنب ويعذبنا فقال انتم خصما الله يوم القيمة **فصل** روى
ابو الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجوس هذه الامة
المكذبين بقدر الله ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم وان لقيتموهم فلا تسلموا
عليهم خرجه ابن ماجة في سننه وخرج ايضا عن ابن عباس وجابر قالا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صنفان من امتي ليس لهم في الاسلام نصيب اهل الارجا والقدر قوله
وما امرنا الا واحدة اي الا كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر اي قضاي في خلقي اسرع من
لمح البصر واللمح النظر بالعجلة يقال لمح البرق ببصره وفي الصحاح لمحه والمحه اذا ابصره بنظر
خفيف والاسم اللمحة ولمح البرق والنجم لمحا اي لمع قال البغوي قوله واحدة يرجع الى المعنى
دون اللفظ اي وما امرنا الا مرة واحدة وقيل معناه وما امرنا للشي اذا اردنا تكوينه الا كلمة

واحدة كما تقدم وهي رواية عطا عن ابن عباس وروي الكلبي عنه وما امرنا مجي الساعة في السرعة الا كطرف البصر **فصل** قال ابن الخطيب ان الله تعالى اذا اراد شيا قال له كن فهناك شيان الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضا وقوله واحدة يحتمل امرين احدهما بيان انه لا حاجة الي تكرير القول اشارة الي نفاذ الامر وثانيهما بيان عدم اختلاف الحال فامره عند خلق العرش العظيم كامره عند خلق النملة الصغيرة فامره عند الكل واحد وقوله كلمح بالبصر تشبيه للكون لا تشبيه للامر فكانه قال امرنا واحدة فاذا المامور كاين كلمح البصر لانه لو كان راجعا الي الامر لا يكون ذلك صفة مدح يليق به فان كلمة كن شيا ايضا توجد كلمح البصر ومعني كلمح البصر اي كنظر العين والباء للاستعانة مثل كتبت بالقلم دخلت علي الاله ومثل بها لانها اسرع حركة في الانسان لان العين وجد فيها قرب المحرك منها فان المحرك العصب ومنبتها الدماغ وهو في غاية القرب من العين وصغر حجمها فانه لا يثقل على المحرك ولا ينفصل عليه بخلاف العظام واستدارة شكلها فان دحرجة الكرة اسرع من دحرجة المثلث والمربع ولانها رطوبة مخلوقة في العضو الذي هو موضعها وهو لحكمة في كثرة المرئيات بخلاف الماكولات والمسموعات والمفاصل التي تنفصل بالارجل والمذوقات فلولا سرعة حركة الالة التي بها ادراك المبصرات لما وصل الي الكل الا بعد طول زمان وقيل معني كلمح بالبصر البرق يمر به سريعا فالبا تكون للالصاق نحو مررت به وفي قوله كلمح بالبصر ولم يقل كلمح البرق فايدة وهي ان لمح البرق له مبدا ونهاية فالذي يمر بالبصر منه يكون اقل من جملته مبالغة في القلة ونهاية السرعة قوله ولقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم ونظراكم في الكفر من الامم السالفة وقيل اتباعكم واعوانكم فهل من مدكر اي يتذكر ويعلم ان ذلك حق فيخاف ويعتبر وكل شي فعلوه في الزبر اي جميع ما فعلته الامم قبلهم من خير او شر فانه مكتوب عليهم اي في كتب الحفظة وقيل في اللوح المحفوظ وقيل في ام الكتاب قال القرطبي وهذا بيان انا كل شي خلقناه بقدر اي في الزبر اي في اللوح المحفوظ قوله وكل صغير وكبير مستطر اي كل ذنب صغير وكبير مكتوب على عامله قبل ان يفعله وقرا العامة مستطر بتخفيف الراء من السطر وهو الكتب اي مكتتب يقال سطرت واستطرت وكتبت واكتتبت وقرا الاعمش وعمران بن حدير ويروي عن عاصم بتشديد وفيه وجهان احدهما انه مشتق من طر الشارب والنبات اي ظهر ونبت بمعني ان كل شي قل او كثر ظاهر في اللوح غير خفي فوزنه مستفعل كمستخرج والثاني انه من الاستطار كقراة العامة وانما شددت الراء من اجل الوقف كقولهم هذا جعفر وفرج ثم اجري الوصل مجري الوقف فوزنه مفتعل كقراة الجمهور قوله ان المتقين في جنات ونهر العامة بالافراد وهو اسم جنس بدليل مقارنته للجمع والهاء مفتوحة كما هو الفصيح وسكنها مجاهد والاعرج وابو السماك والفياض وهي لغة تقدم الكلام عليها اول البقرة قال ابن جريج يعني انهار الما والخمر والعسل ووحد لانه راس اية ثم الواحد قد ينبي عن الجمع وقال الضحاك ليس المراد هنا نهر الما وانما المراد به سعة الارزاق لان المادة تدل على ذلك كقول قيس ابن الحطيم

ملكت بها كفي فانهرت فتقها • يري قايم من دونها ما وراها •

اي وسعت ومنه انهرت الجرح ومنه النهار لضيايه وقرا ابو نهيك وابو مجلز والاعمش وزهير الفرقبي ونقل القرطبي ايضا عن طلحة بن مصرف والاعرج وقتادة ونهر بضم النون والهاء وهي تحتمل وجهين احدهما ان يكون جمع نهر بالتحريك وهو الاولى نحو اسد في اسد والثاني ان يكون جمع الساكن نحو سقف في سقف ورهن في رهن والجمع مناسب للجمع قبله في جنات وقراة العامة بافراده ابلغ وقد تقدم كلام ابن عباس في قوله تعالى اخر البقرة وملايكته وكتابه بالافراد انه اكثر من الكتب وتقدم ايضا تقرير الزمخشري لذلك قال القرطبي كانه جمع نهار لا ليل لهم كسحاب وسحب قال الفرا انشدني بعض العرب

• ان تك ليليا فاني نهر • متى اري الصبح فلا انتظر •

اي صاحب النهار وقال اخر • لولا الثريدان هلكنا بالضمر • ثريد ليل وثريد بالنهر •

فصل

فصل لما وصف الكفار وصف المومنين ايضا فقال ان المتقين في جنات الجنات اسم للاشجار اي هم في خلالها وكذلك الانهار والمعني جنات وعند عيون كقوله علفتها تبنا وما باردا او جمعت الجنات اشارة الي سعتها وتنوعها وافرد النهر لان المعني في خلاله فاستغني عن جمعه وجمع في قوله تجري من تحتها الانهار لئلا يتوهم انه ليس في الجنة الا نهر واحد والتنكير فيه للتعظيم قوله في مقعد يجوز ان يكون خبرا ثانيا وهو الظاهر وان يكون حالا من الضمير في الجار لوقوعه خبرا وجوز ابو البقا ان يكون بدلا من قوله في جنات وحينئذ يجوز ان يكون بدل بعض لان المقعد بعضها وان يكون اشتمالا لانها مشتملة والاول اظهر والعامة على افراد مقعد مرادا به الجنس كما تقدم في نهر وقرا عثمان البتي مقاعد وهو مناسب للجمع قبله ومقعد صدق من باب رجل صدق في انه يجوز ان يكون من اضافة الموصوف لصفته والصدق يجوز ان يراد به ضد الكذب اي صدقوا في الاخبار به وان يراد به الجودة والخيرية ومليك مثال مبالغة وهو مناسب هنا ولا يتوهم ان اصله ملك لانه هو الوارد في غير موضع وان الكسرة اشبعت فتولد منها يا لان الاشباع لم يرد الا في ضرورة او قليلا وان كان قد وقع في قراة هشام افيدة في اخر ابراهيم فليلتفت اليه **فصل** قال في مقعد صدق ولم يقل في مجلس صدق لان القعود جلوس فيه مكث ومنه قواعد البيت والقواعد من النسا ولا يقال جوالس فاشار الي دوامه وثباته ولان حروف ق ع د كيف دارت تدل على ذلك والاستعمال في القعود يدل على ذلك ومنه لا يستوي القاعدون من المومنين وقوله مقاعد للقتال اشارة الي الثبات وكذا قوله عن اليمين وعن الشمال قعيد فذكر المقعد لدوامه او لطوله وقال في المجلس تفسحوا في المجالس اشارة الي الحركة وقال انشزوا اشارة الي ترك الجلوس اي هو مجلس فلا يجب ملازمته بخلاف المقعد **فصل** قال المفسرون في مقعد صدق اي حق لا لغو فيه ولا تاثيم عند مليك مقتدر اي مالك قادر لا يعجزه شي وعند هاهنا عندية القربة والزلفة والمكانة والرتبة والكرامة والمنزلة قال الصادق مدح الله المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا اهل الصدق روي الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اقتربت الساعة في كل غب بعث يوم القيمة ووجهه على صورة القمر ليلة البدر ومن قراها كل ليلة كان افضل وجا يوم القيمة ووجهه مسفر على وجوه الخلايق والله اعلم

سورة الرحمن مكية

كلها في قول الحسن وعروة وابن الزبير وعكرمة وجابر وقال ابن عباس الا اية منها وهي قوله تعالى يساله من في السموات والارض الاية وقال ابن مسعود ومقاتل هي مدنية كلها والاول اصح لما روي عن عروة بن الزبير قال اول من جهر بالقران بمكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود وذلك ان الصحابة قالوا ما سمعت قريش هذا القران يجهر به قط فمن رجل يسمعهموه فقال ابن مسعود انا فقالوا نخشى عليك وانما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه فابي ثم قام عند المقام فقال بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القران ثم تمادي بها رافعا صوته وقريش في انديتها فتاملوا وقالوا ما يقول ابن ام عبد قالوا هو يقول الذي يزعم محمد انه انزل عليه ثم ضربوه حتى اثروا في وجهه وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم قام يصلي الصبح بنخلة فقرا بسورة الرحمن ومر النفر من الجن فامنوا به وهي ثمان وسبعون اية وثلاثماية واحدي وخمسون كلمة والف وستماية وستة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الرحمن فيه ثلاثة اوجه احدها انه خبر مبتدا مضمر اي الله الرحمن الثاني انه مبتدا وخبره مضمر اي الرحمن ربنا وهذان الوجهان عند من يري ان الرحمن اية مع هذا المضمر معه فانهم عدوا الرحمن اية ولا يتصور ذلك الا بانضمام خبر او مخبر عنه اليه

اذ الاية لا بد ان تكون مقدرة مفيدة وسيأتي ذكر في قوله مدهامتان الثالث انه
لبس باية وانه مع ما بعده كلام واحد وهو مبتدا خبره علم القران **فصل** افتتح
السورة التي قبلها بذكر معجزة تدل على القهر والجبروت وهو انشقاق القمر فمن قدر عليه
قدر على قطع الجبال واهلاك الامم وافتتح هذه السورة بذكر معجزة تدل على الرحمة وهي
القران وايضا فاولها مناسب لاخر التي قبلها لان اخر تلك اية مليك مقتدر واول
هذه اية رحمن قال بعضهم الرحمن اسم علم واحتج بقوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
اياما تدعوا فله الاسما الحسنى واجازان يقال بالرحمن باللام كما يقال بالله وهذا ضعيف
وهو مختص بالله تعالى فلا يقال لغيره قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي الرحمن
فاتحة ثلث سور اذا جمعن كن اسما من اسما الله تعالى الر وحم ونون فيكون مجموع
هذه الرحمن ولله تعالى رحمتان رحمة سابقة خلق الخلق ورحمة لاحقة بها اعطاهم
الرزق والمنافع فهو رحمان باعتبار السابقة رحيم باعتبار اللاحقة ولما اختص بالايجاد
لم يقل لغيره رحمان ولما تخلق بعض خلقه الصالحين ببعض اخلاقه بحسب الطاقة البشرية
فاطعم ونفع جاز ان يقال له رحيم قوله علم القران فيه وجهان اظهرهما انه علم المتعدية الى
اثنين اى عرف من التعليم فعلى هذا المفعول الاول محذوف فقيل تقديره علم جبريل القران
وقيل علم محمدا وقيل علم الانسان وهذا اولى لعمومه ولان قوله خلق الانسان دال عليه
والثاني انها من العلامة والمعنى جعله علامة واية يعتبر بها اي هو علامة النبوة
ومعجزة وهذا مناسب لقوله تعالى وانشق القمر على ما تقدم من انه ذكر في اول تلك السورة
معجزة من باب الهيبة وذكر في هذه السورة معجزة من باب الرحمة وهو انه يسر من العلوم
ما لا يتيسر غيره وهو ما في القران او يكون بمعنى انه جعله بحيث يعلم كقوله تعالى ولقد
يسرنا القران للذكر فالتعليم على هذا الوجه مجاز كما يقال لمن انفق على متعلم واعطى اجرة
معلمه علمته فان قيل لما ترك المفعول الثاني فالجواب ان ذلك اشارة الى ان النعمة في
التعليم لا في تعليم شخص دون شخص فان قيل كيف يجمع بين هذه الاية وبين قوله
وما يعلم تاويله الا الله فالجواب ان قلنا بعطف الراسخين على الله فظاهر وان قلنا
بالوقف على الجلالة وبيندا بقوله والراسخون فلان من علم كتابا عظيما فيه مواضع
مشكلة قليلة وتاملها بقدر الامكان فانه يقال فلان يعلم الكتاب الفلاني وان كان
لم يعلم مراد صاحب الكتاب بيقين في تلك المواضع القليلة ولذا القول في تعليم القران
او يقال المراد لا يعلمه من تلقا نفسه بخلاف الكتب التي تستخرج بقوة الذكا **فصل**
قال المفسرون نزلت هذه الاية حين قالوا وما الرحمن وقيل نزلت جوابا لاهل مكة حين
قالوا انما يعلمه بشر وهو رحمان اليمامة يعنون مسيلمة فانزل الله تعالى الرحمن علم
القران اي سهله لان يذكر ويقرى كما قال ولقد يسرنا القران للذكر قوله خلق الانسان
قال ابن عباس وقتادة والحسن يعني ادم عليه السلام علمه البيان علمه اسما كل شي
وقيل علمه اللغات كلها وكان ادم يتكلم بسبع مائة الف لغة افضلها العربية وعن ابن عباس
ايضا وابن كيسان المراد بالانسان ههنا محمد عليه السلام والمراد من البيان بيان الحلال
والحرام والهدى من الضلال وقيل ما كان وما يكون لانه يبين عن الاولين والاخرين ويوم
الدين وقال الضحاك البيان الخير والشر وقال الربيع بن انس هو ما ينفعه مما يضره
وقيل المراد بالانسان جميع الناس فهو اسم جنس والبيان على هذا الكلام والفهم وهو
مما فضل به الانسان على ساير الحيوان وقال السدي علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون
به وقال يمان الكتابة والخط بالقلم نظيره علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم **فصل**
في كيفية النظم انه علم الملايكة اولا ثم خلق الانسان وعلمه البيان فيكون ابتدا بالعلوي
وقابله بالسفلي وقدم العلويات على السفليات فقال علم القران اشارة الى تعليم
العلويين ثم قال خلق الانسان علمه البيان اشارة الى تعليم السفليين وقال الشمس والقمر
بحسبان في العلويات وقابلها بالسفليات فقال والنجم والشجر يسجدان ثم قال والسما رفعها
وفي مقابلتها والارض وضعها **فصل** هذه الجمل من قوله علم القران خلق الانسان

علم

علمه البيان جي بها من غير عاطف لانها سيقت لتعديد نعمه كقولك فلان احسن الي فلان
اكرمه اشاد ذكره رفع ذكره فلشدة الوصل ترك العاطف والظاهر انها اخبار وقال ابو
البقا خلق الانسان مستانف وكذلك علمه ويجوز ان يكون حالا من الانسان مقدرة وقد
معها مرادة انتهى وهذا لبس بظاهر بل الظاهر ما تقدم ولم يذكر الزمخشري غيره فان قيل
لم تقدم علم القران للانسان على خلقه وهو متاخر عنه في الوجود فالجواب لان التعليم
هو السبب في ايجاده وخلقه فان قيل كيف صرح بذكر المفعولين في علمه البيان ولم يصرح
بهما في علم القران فالجواب ان المراد من قوله علمه البيان تعديد النعم على الانسان
فاستدعا الشكر منه ولم يذكر الملايكة لان المقصود ذكر ما يرجع الى الانسان وان قيل
بانه علم الانسان القران فيقال بانه ذكر نعمة التعليم وعظمها على سبيل الاجمال ثم بين كيفية
تعليمه القران فقال خلق الانسان علمه البيان واستدل بعضهم بهذه الاية على ان الالفاظ
توقيفية قوله الشمس والقمر بحسبان فيه ثلاثة اوجه احدها ان الشمس مبتدا وبحسبان
خبرها على حذف مضاف تقديره جري الشمس والقمر بحسبان اوكاين او مستقر او استقر بحسبان
الثاني ان الخبر محذوف يتعلق به هذا الجار تقديره يجريان بحسبان وعلى هذين القولين
يجوز في الحسبان وجهان احدهما انه مصدر مفرد بمعنى الحسبان فيكون كالشكران والكفران
والثاني انه جمع حساب كشهاب وشهبان والثالث ان بحسبان خبره والباء ظرفية بمعنى
في اي كاينان في حسبان وحسبان على هذا اسم مفرد اسم للفلك المستدير تشبيه بحسبان
الرحا الذي باستدارته تدور الرحا **فصل** لما ذكر خلق الانسان والانعام عليه
بتعليمه البيان ذكر نعمتين عظيمتين وهما الشمس والقمر وانهما على قانون واحد وحساب
لا يتغير وبذلك تتم منفعتهما للزراعات وغيرها ولولا الشمس لما زالت الظلمة ولولا القمر
لفات كثير من المنافع الظاهرة بخلاف غيرهما من الكواكب فان نفعها لا تظهر لكل احد مثل
ظهور نفعهما وانهما بحساب لا يتغير ابدا ولو كان سيرهما غير معلوم للخلق لما انتفعوا بالزراعات
في اوقاتها ومعرفة فصول السنة لما ذكر النعم السماوية ذكر في مقابلتها ايضا نعمتين من
الارض ظاهرتين وهما النبات الذي لا ساق له وماله ساق لان النبات اصل الرزق من الحبوب
والثمار والحشيش للحيوانات وقيل انما ذكرهاتين النعمتين بعد تعليم القران اشارة الى ان
من الناس من لا تكون نفسه زكية فيكتفي بادلة القران فذكر له ايات الافاق وحص الشمس
والقمر لان حركتهما بحسبان تدل على الفاعل المختار فلو اجتمعوا العالم ليبنوا سبب حركتهما على هذا
التقدير المعين لعجزوا وقالوا ان الله حركهما بالارادة كما اراد وقيل لما ذكر معجزة القران بانزاله
انكروا النزول للجرم من السما وصعوده اليها فاشار تعالى بحركتهما الى انها ليست بالطبيعة وهم
يقولون بالحركة الدورية من انواع الحركات لا تكون الا اختيارا فقال تعالى من حركهما على
الاستدارة انزل الملك يكد على الاستقامة والنقل على مذهبكم لا يبعد وصعود النجم والشجر
انما هو بقدرة الله تعالى فحركة الملك كحركة الفلك جايزة **فصل** قال المفسرون
المعنى يجريان بحسبان معلوم فاضمر الخبر قال ابن عباس وقتادة وابو مالك يجريان بحساب
في منازل لا يعدوها ولا يحيدان عنها وقال ابن زيد وابن كيسان بهما تحسب الاوقات والاعمار
ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد كيف يحسب شيا اذا كان الدهر كله ليلا ونهارا
وقال السدي بحسبان تقدير حالهما اي يجريان باجال كاجال الناس فاذا جا اجلهما هلكا نظيره
كل يجري لاجل مسمى وقال الضحاك بقدر وقال مجاهد بحسبان كحسبان الرحا يعني قطبها يدوران
في مثل القطب والحسبان قد يكون مصدر حسبته احسبه بالضم حسبا وحسابا وحسبانا مثل
الغفران والكفران والرجحان وحسابة ايضا اي عددته وقال الاخفش ويكون جماعة الحساب
مثل شهاب وشهبان فالحسبان ايضا بالضم العذاب والسهام القصار الواحدة حسبانة والحسبانة
ايضا الوسادة الصغيرة تقول منه حسبته اذا وسدته قال لثويت غير محسب اي غير موسد
يعني غير مكرم ولا مكفن قوله والنجم والشجر يسجدان قال ابن عباس وغيره النجم ما لا ساق له
والشجر ماله ساق وانشد ابن عباس قول صفوان التيمي

لقد انجم القاع الكبير عضاهه ● وتم به حيا تميم ووايل ●

وقال زهير بن ابي سلمى • مكلل باصول النجم تنسجه • ريح الجنوب لضاحي مائه حبك •
واشتقاق النجم من نجم الشي ينجم بالضم نجوما ظهر وطلع ومنه نجم ناب البعير اي طلع وسجودهما
سجود ظلالهما قاله الضحاك وقال الفرا سجودهما انهما يستقبلان اذا طلعت الشمس ثم يميلان
معها حتى ينكسر الفي وقال الزجاج سجودهما دوران الظل معهما كما قال تتفيؤا ظلاله وقال
الحسن ومجاهد النجم نجم السما وسجوده في قول مجاهد دوران ظله وهو اختيار الطبري حكاه
المهدوي وقيل سجود النجم افوله وسجود الشجر امكان الاجتنا لثمارها حكاه الماوردي والاول
الظهر لان من شرع بنجم السما قال سجوده افوله وعلى هذا فالشمس والقمر ايضا كذلك يعتبران فلا
يبقي للاختصاص فايدة وقيل ان جميع ذلك مسخر لله فلا تعبدوا النجم كما عبد قوم من
الصابيين النجوم وعبد كثير من العجم الشجر والسجود الخضوع والمعنى به اثار الحدوث حكاه
القشيري وقال النحاس اصل السجود في اللغة الاستسلام والانقياد لله عز وجل فهو من الموات
كلها استسلامها لامر الله عز وجل وانقيادها له ومن الحيوان كذا ويكون من سجود الصلاة وانشد
محمد بن يزيد في النجم بمعنى النجوم • فباتت تعد النجم في مستحيرة • سريع بايدي الاكلين جمودها •
قوله والسما رفعها العامة على النصب على الاشتغال مراعاة لعجز الجملة التي تسميها النحاة ذوات
وجهين ويهاد نبيل لسيبويه حيث يجوز النصب وان لم يكن في جملة الاشتغال ضمير عايد على
المبتدا الذي تضمنته الجملة ذات الوجهين والاخفش يقول لا بد من ضمير مثاله هند قامت
وعمر اكرمته لاجلها قال لانك راعيت الخبر وعطفت عليه والمعطوف على الخبر خبر فيشترط فيه ما
يشترط فيه ولم يشترط الجمهور ذلك وهذا دليلهم فان القرا كلهم نصبوا مع عدم الرابط الا من شذ
منهم وقد تقدم تحرير هذا في سورة يس عند قوله تعالى والقمر قدرناه وقري برفع السما على
الابتدا والعطف على الجملة الابتدائية التي هي قوله الشمس والقمر قال القرطبي فجعل المعطوف
مركبا من ابتدا وخبر كالمعطوف عليه **قوله** ووضع الميزان العامة على وضع فعلا ماضيا والميزان
نصب على المفعول به وقرا ابراهيم ووضع الميزان بسكون الضاد وخفض الميزان وتخريجها على انه
معطوف على مفعول رفعها اي ورفع وضع الميزان اي جعل له مكانة ورفعة لاخذ الحقوق به وهو
من بديع اللفظ حيث يصير التقدير ورفع وضع الميزان وقال الزمخشري فان قلت كيف اخل
بالعاطف في الجمل الاولي وجي بعده قلت نكت بالجمل الاول واوردها على سنن التعديد للذين انكروا
الرحمن والائه كما تبكت منكرا ايادي المنعم من الناس بتعدادها عليه في المثال الذي قدمته ثم رد الكلام
الى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف فان قلت اي تناسب
بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف قلت ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان
بينهما تناسب من حيث التقابل وان السما والارض لا يزالان مذكورين قرينتين وان جري الشمس
والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر **فصل** قال
مجاهد وقتادة وضع الميزان عبارة عن العدول قال السدي وضع في الارض العدل الذي امر به
يقال وضع الله الشريعة ووضع فلان كذا اي القاه وقيل على هذا الميزان القران لان فيه بيان
ما يحتاج اليه وهو قول الحسين بن الفضل وقال الحسن وقتادة ايضا والضحاك هو الميزان الذي
يوزن به لينتصف به الناس بعضهم من بعض وهو خبر بمعنى الامر بالعدل يدل عليه قوله واقيموا
الوزن بالقسط والقسط هو العدل وقيل هو الحكم وقيل المراد وضع الميزان في الاخرة لوزن
الاعمال واصل ميزان موزان وقد مضى القول فيه في الاعراف قال ابن الخطيب قوله ووضع
الميزان اشارة الى العدل كقوله وانزلنا معهم الكتاب والميزان اي لتعلموا الكتاب وتعلموا الميزان
كذا هنا علم القران ووضع الميزان فالمراد بالميزان العدل او وضعه شرعه كانه قيل شرع العدل
لئلا تطغوا في الميزان الذي هو الة العدل هذا هو المنقول قال والاولى ان القياس فالاول الالة
والثاني بمعنى الوزن او بمعنى العدل قوله ان لا تطغوا في ان هذه وجهان احدهما انها الناصبة
ولا بعدها نافية وتطغوا منصوب بان وان قبلها لام العلة مقدرة تتعلق بقوله ووضع
الميزان التقدير لئلا تطغوا كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا وجاز الزمخشري وابن عطية
ان تكون المفسرة وعلى هذا تكون لا ناهية والفعل مجزوم بها كقوله وانطلق الملا منهم ان امشوا
اي امشوا الا ان ابا حيان رد هذا القول بان شرط التفسيرية تقدم جملة متضمنة لمعنى القول

وبه

ورايت موجودة قال شهاب الدين والى كونها مفسرة ذهب مكي وابو البقا الا ان ابا البقا كانه تنبه
للاعتراض وان يجاب اي والقول مقدر فجعل الشي المفسر بان مقدرا لا ملفوظا به الا انه قد يقال قوله
والقول مقدر ليس بجيد لانها لا تفسر القول الصريح فكيف بقدر ما يصح تفسيره فاصلاحه ان يقول وما
هو بمعنى القول مقدر **فصل** والطغيان مجاوزة الحد فمن قال الميزان العدل قال طغيانه الجور
ومن قال انه الميزان الذي يوزن به قال طغيانه البخس قال ابن عباس لا تخونوا من وزنتم له
وعنه انه قال يا معشر الموالي وليتم امرين بهما هلك الناس المكيال والميزان ومن قال انه الحكم قال
طغيانه التحريف وقيل فيه اضمار اي وضع الميزان وامركم ان لا تطغوا فيه فان قيل العلم لا شك فكونه
نعمة واما الميزان فاي نعمة عظيمة فيه حتى يعد بسببها في الالا فالجواب ان النفوس تابى الغبن ولا
يرضي احد بان يغلبه غيره ولو في الشي اليسير ويري ان ذلك استهانة به فلا يترك خصمه يغلبه لم ان
عدم المعيار الذي به يوخذ الحقوق كل احد يذهب الى ان خصمه يغلبه فوضع الله تعالى معيارا يبين به
التساوي ولا يقع به التباغض بين الناس وهو الميزان فهو نعمة كاملة ولا ينظر الى عدم ظهور نعمته وكثرته
وسهولة الوصول اليه كالهوا والما الذي لا يتبين فضلهما الا عند فقدهما قوله واقيموا الوزن بالقسط
اي افعلوه مستقيما بالعدل وقال ابو الدردا اقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل وقال ابن عيينة
الاقامة باليد والقسط بالقلب وقال مجاهد القسط العدل بالرومية وقيل هو كقولك اقام الصلاة
اي اتى بها في وقتها واقام الناس اسواقهم اي اتوا بها لوقتها اي لا تدعوا التعامل بالوزن بالعدل قوله
ولا تخسروا الميزان العامة على ضم التا وكسر السين من اخسر اي نقص واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون وقرا زيد
ابن علي وبلال بن ابي بردة بفتح التا وكسر السين فيكون فعل وافعل بمعنى يقال خسر الميزان واخسره
بمعنى واحد كجبر واجبر ونقل ابو الفتح وابو الفضل عن بلال فتح التا والسين ونقلها ايضا القرطبي
عن ابان بن عثمان قال وهما لغتان يقال اخسرت الميزان وخسرته كاجبرته وجبرته قال شهاب
الدين وفيها وجهان احدهما انه على حذف حرف الجر تقديره ولا تخسروا في الميزان ذكره الزمخشري وابو
البقا الا ان ابا حيان قال لا حاجة الى ذلك لان خسر جا متعديا قال تعالى خسروا انفسهم خسر الدنيا
والاخرة معناه الخسران واتبع بهما وانما معدومان وهذا المعنى ليس مرادا في الاية قطعا وانما
المراد لا تخسروا الموزون في الميزان وقري تخسروا بفتح التا وضم السين قال الزمخشري وقري ولا تخسروا
بفتح التا وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره واما الفتح فعلى ان الاصل في
الميزان فحذف الجار واوصل الفعل اليه وكرر لفظ الميزان ولم يضمره في الجملتين بعده تقوية لشانه وهذا
كقول الاخر • لا ارى الموت يسبق الموت شي • نغص الموت ذا الغنى والفقيرا •
فصل المعنى ولا تنقصوا ولا تبخسوا الوزن والكيل كقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان وقيل
لا تخسروا ميزان حسناتكم يوم القيمة فيكون ذلك حسرة عليكم وكرر الميزان لحال روس الاي وقيل التكرير
للامر بايفا الوزن ورعاية العدل فيه وقال ابن الخطيب ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوا الموزون
وذكر الميزان ثلاث مرات فالاول بمعنى الالة وهو قوله ووضع الميزان والثاني بمعنى المصدر اي لا تطغوا
في الوزن والثالث للمفعول اي لا تخسروا الموزون وبين القران والميزان مناسبة فان القران فيه العلم
الذي لا يوجد في غيره من الكتب والميزان به يقام العدل الذي لا يقام بغيره من الالات قوله والارض
وضعها للانام كقوله والسما رفعها وقرا ابو السماك بالرفع مبتدا والانام علة للوضع والانام قيل
الحيوان وقيل بنو ادم خاصة وهو مروي عن ابن عباس ونقل النووي في التهذيب عن الزبيدي
الانام الخلق قال الليث الانام ما على ظهر الارض من جميع الخلق وقيل هم الانس والجن قاله الحسن
والاول قاله الضحاك ووزنه فعال كغزال فيجمع في القلة على انمة زنة امراة اخة وفي الكثرة على
انم كقذال وقذل قوله فيها فاكهة يجوز ان تكون هذه الجملة حالا من الارض الا انها حال
مقدرة والاحسن ان يكون الجار والمجرور هو الحال وفاكهة رفع بالفاعلية ونكرت لان الانتفاع بها دون
الانتفاع بما ذكر بعدها وهو من باب الترقي من الادنى الى الاعلى قال ابن الخطيب الارض موضوعة
لكل ما عليها وانما خص الانسان بالذكر لان انتفاعه بها اكثر فانه ينتفع بها وبما فيها وعليها قال
للانام لكثرة انتفاع الانام بها وقوله فيها فاكهة اي ما يتفكه به الانسان من الوان الثمار قوله
والنخل ذات الاكمام اشارة الى الاشجار والاكمام جمع كم بالكسر وهو وعا الثمرة قال الجوهري والكم
بالكسر والكمامة وعا الطلع وغطا النور والجمع كمام واكمة واكمام وكمام ايضا وكم القميص اذا الشقف

عليه فستر حتى يتوى قال العجاج • بل لو شهدت الناس اذ تكموا بغمة لولم تفرج غموا وتكموا •
اي اغمي عليهم وغطوا والكت وكمت اي اخرجت كمامها والكمام بالكسر الكمامة ايضا ما يكم به فم البعير
لئلا يعض تقول منه بعير مكموم اي محجوم وكمت الشي غطيته ومنه كم القميص بالضم والجمع
اكمام وكممة مثل حب وحببة والكمة القلنسوة المدورة لانها تغطي الراس قال •

• فقلت لهم كيلوا الكمة بعضكم • دراهمكم اني لذلك اكيل •

قال الحسن ذات الاكمام اي ذات الليف فان النخلة قد تكم بالليف وكمامها ليفها الذي
في اعناقها وقال ابن زيد ذات الطلع قبل ان يتفتق وقال عكرمة ذات الاحمال وقال
الضحاك ذات الاكمام ذات الغلف والاكمام الاوعية التي يكون فيها الثمر لان ثمر النخل يكون
في غلاف ما لم ينشق والمراد بالفاكهة الفواكه قال ابن كيسان ما يتفكهون به من النعم التي
لا تحصى ونكر الفاكهة للتكثير والتعظيم قوله والحب ذو العصف والريحان قرا ابن
عامر بنصب الثلاثة وفيه ثلاثة اوجه النصب على الاختصاص اي واخص الحب قاله
الزمخشري وفيه نظر لانه لم يدخل في مسمى الفاكهة والنخل حتى يخصهما من بينهما وانما اراد
اضمار فعل وهو اخص فليس هو الاختصاص الصناعي الثاني انه معطوف على الارض قال
مكي لان قوله والارض وضعها اي خلقها فعطف الحب على ذلك الثالث انه منصوب بخلق
مضمرا اي وخلق الحب قال مكي اي وخلق الحب وقراته موافقة لرسم مصاحف بلده فان
مصاحف الشام ذا بالالف وجوزوا في الريحان ان يكون على حذف مضاف اي وذا الريحان
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كواسئل القرية وقرا الاخوان برفع الاولين وجر
الريحان عطفا على العصف وهي تويد قول من حذف المضاف في قراة ابن عامر والباقون
برفع الثلاثة عطفا على فاكهة اي وفيها ايضا هذه الاشيا ذكرا ولا ما يتلذذون به من
الفواكه وثانيا الشي الجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وثالثا ما يتغذى به
فقط وهو اعظمها لانه قوت غالب الناس ويجوز في الريحان على هذه القراة ان يكون معطوفا
على ما قبله اي وفيها الريحان ايضا وان يكون مجرورا بالاضافة في الاصل اي وذو الريحان
ففعل به ما تقدم والعصف قال مجاهد ورق الشجر والزرع وقال ابن عباس تبن الزرع
وورقه الذي تعصفه الرياح قال الراغب اصله من العصف والعصيفة وهو ما يعصف
اي يقطع من الزرع وقال سعيد بن جبير بقل الزرع الذي اول ما ينبت منه وهو قول
الفرا والعرب تقول خرجنا نعصف الزرع اذا قطعوا قبل ان يدرك وعن ابن عباس ايضا
العصف ورق الزرع الاخضر اذا وقع روسه وييبس نظيره كعصف ماكول قال الجوهري وقد
اعصف الزرع ومكان معصف اي كثير الزرع قال ابو قيس بن الاسلت الانصاري •

• اذا جادى معصف قطرها • ان خيالي عطن معصف •

وقيل العصف حطام النبات والعصف ايضا الكسب قال الراجز بغير ما عصف ولا اكتساب
وكذلك الاعتصاف والعصيفة الورق المجتمع الذي يكون فيه السنبل وحكى الثعلبي وقال
ابن السكيت تقول العرب لورق الزرع العصف والعصيفة والجل بكسر الجيم قال علقمة بن عبدة •

• تسقي مذانب قد مالت عصيفتها • احدودها من اتي الماء مطموم •

وفي الصحاح والجل بالكسر قصب الزرع اذا احصد والريحان في الاصل مصدر ثم اطلق على
الرزق قال ابن عباس ومجاهد والضحاك هو الرزق وبلغة حمير كقولهم سبحان الله وريحانه
اي استرزاقه وعن ابن عباس ايضا انه خضرة الزرع وقال سعيد بن جبير هو ما قام على
ساق وقال الفرا العصف الماكول من الزرع والريحان ما لا يوكل وقال الكلبي ان العصف
الورق الذي يوكل والريحان هو الحب الماكول وقيل كل بقلة طيبة الريح سميت ريحانا لان
الانسان يراح لها رايحة طيبة اي يشم وفي الريحان قولان احدهما انه على فعلان وهو من
ذوات الواو والاصل روحان من الرايحة قال ابو علي فابدلت الواو يا كما ابدلوا اليا واوا
في التساوي وانما قلبت بالفرق بينه وبين الروحان وهو كل شي له روح قاله القرطبي
والثاني ان يكون اصله ريوحان على وزن فيعلان فابدلت الواو يا وادغمت فيها اليا ثم
خفف بحذف عين الكلمة كما قالوا لسوبه وبينونه والاصل تشديد اليا فخفف كما خفف هين

وميت قال مكي ولزم تخفيفه لطوله بلحاق الزيادتين وهما الالف والنون ثم رد قول
الفارسي بانه لا موجب لقلبها يا ثم قال وقال بعض الناس وذكر ما تقدم عن ابي علي قال
القرطبي والاصل فيما يتركب من الرا والواو والحا الاهتزاز والحركة وفي الصحاح والريحان نبت
معروف والريحان الرزق تقول خرجت ابتغي ريحان الله وفي الحديث الولد من ريحان الله وقولهم
سبحان الله وريحانه نصبوهما على المصدر يريدون تنزيها له واسترزاقا فقوله والحب ذو العصف
والريحان فالعصف ساق الزرع والريحان ورقه قاله الفرا قوله فباي الا ربكما تكذبان
فباي يتعلق بتكذبان والعامة على اضافة اي الى الالا وقرئ في جميع السورة بتنوين اي م
تخريجها على انه قطعها عن الاضافة الى شي مقدر ثم ابدل عنه الا ربكما بدل معرفة من نكرة
وتقدم الكلام في الالا وما مفردها في الاعراف والخطاب في ربكما قيل للثقلين من الانس والجن
لان الانام يتضمنهما وهو قول الجمهور ويدل عليه حديث جابر وفيه للجن احسن منكم ردا وقيل لما
قال خلق الانسان وخلق الجان دل ذلك على ما تقدم وما تاخر لهما وكذا قوله سنفرغ لكم ايه
الثقلان خطاب للانس والجن وقال ايضا يا معشر الجن والانس وقال الجرجاني خاطب الجن
مع الانس وان لم يتقدم للجن ذكر كقوله حتى توارت بالحجاب وقد سبق ذكر الجن فيما سبق نزوله
من القران والقران كالسورة الواحدة فاذا ثبت انهم مكلفون كالانس خوطب الجنسان بهذه
الايات وقيل الخطاب للذكر والانثى وقيل هو مثنى مراد به الواحد كقوله تعالى القيا في جهنم
وكقول الحجاج بن يوسف يا حرسي اضربا عنقه وقول امرئ القيس قفا نبك وخليلي ترا بي
وقيل التثنية للتاكيد وقيل التكذيب يكون بالقلب او باللسان او بهما فالمراد هما

فصل

قال ابن زيد المراد بالالا القدرة والمعنى فباي قدرة ربكما تكذبان وهو قول الكلبي واختاره
محمد بن علي الترمذي وقال هذه السورة من بين السور علم القران والعلم امام الجند والجند
تتبعه وانما صارت علما لانها سورة صفة الملك والقدرة فقال الرحمن علم القران فافتتح
السورة باسم الرحمن من بين الاسما ليعلم العباد ان جميع ما يصفه بعد هذا من افعاله ومن ملكه
وقدرته خرج اليهم من الرحمة فقال الرحمن علم القران ثم ذكر الانسان فقال خلق الانسان
ثم ذكر ما صنع به وما من عليه به ثم ذكر حسبان الشمس والقمر وسجود الاشيا مما نجم وشجر وذكر
رفع السما ووضع الميزان وهو العدل ووضع الارض للانام فخاطب هذين الثقلين الجن والانس
حين راوا ما خرج من القدرة والملك برحمانيته التي رحمهم بها من غير منفعة ولا حاجة الى ذلك
فاشركوا به الاوثان وكل معبود اتخذوه من دونه وجحدوا الرحمة التي خرجت هذه الاشيا
بها اليهم فقال سايلا لهم فباي الا ربكما تكذبان اي باي قدرة ربكما تكذبان فانما كان تكذيبهم
انهم جعلوا له في هذه الاشيا التي خرجت من قدرته وملكه شريكا يملك معه ويقدر معه
فذلك تكذيبهم ثم ذكر خلق الانسان من صلصال وذكر خلق الجان من مارج من نار ثم
سايلهم فقال فباي الا ربكما تكذبان اي باي قدرة ربكما تكذبان فان له في كل خلق بعد خلق
قدرة بعد قدرة فالتكرير في هذه الايات للتاكيد والمبالغة في التقرير واتخاذ الحجة عليهم
بما وقفهم على خلق خلق وقال القتيبي ان الله تعالى عدد في هذه السورة نعماه وذكر خلقه والاه
ثم اتبع كل خلة وضعها ونعمة وضعها بهذه الاية وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لينبههم على النعم
ويقررهم بها كما تقول لمن تتابع فيه احسانك وهو يكفره وينكره الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر
هذا الم تكن خاملا فعززتك افتنكر هذا الم تكن راجلا فحملتك افتنكر هذا والتكرير حسن في مثل
هذا قال •

• كم نعمة كانت لكم كم وكم • وقال

• لا تقتلي مسلما ان كنت مسلمة • اياك من دمه اياك اياك •

وقال اخر

• لا تقطعن الصديق ما طرفت • عيناك من قول كاشح اشر •

• ولا تملن من زيارته زره • وزره وزر وزر وزر •

وقال الحسين بن الفضل التكرير طرد للغفلة وتاكيد للحجة قال شهاب الدين والتكرير
هنا كما تقدم في قوله ولقد يسرنا القران للذكر وكقوله فيما سياتي ويل يوميذ للمكذبين وذهب
جماعة منهم ابن قتيبة الى ان التكرير لاختلاف النعم فلذلك كرر التوقيف مع واحدة واحدة
قال ابن الخطيب وذكره بلفظ الخطاب على سبيل الالتفات والمراد به التقريع والزجر وذكر

لفظ الرب لانه يشعر بالرحمة قال وكررت هذه اللفظة في هذه السورة نيفا وثلاثين مرة اما للتاكيد ولا يعقل لخصوص العدد معنى وقيل الخطاب مع الانس والجن والنعمة منحصرة في دفع المكروه وتحصيل المقصود واعظم المكروهات عقاب جهنم ولها سبعة ابواب واعظم المقاصد نعيم الجنة ولها ثمانية ابواب فالمجموع خمسة عشر وذلك بالنسبة للجن والانس والزايد لبيان التاكيد روى جابر بن عبد الله قال قرا علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال ما لي اراكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم ردا ما قرات عليهم هذه الاية مرة فباي الاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشيء من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد قوله خلق الانسان من صلصال كالفخار لما ذكر الله تعالى خلق العالم الكبير من السما والارض وما فيها من الدلالات على وحدانيته وقدرته ذكر خلق العالم الصغير فقال خلق الانسان قال المفسرون يعني ادم من صلصال وهو الطين اليابس الذي يسمع له صلصلة وشبهه بالفخار الذي طبخ وقيل هو طين خلط برمل وقيل هو الطين المنتن من صل اللحم واصل اذا انتن وقال من صلصال كالفخار وقال في الحجر من صلصال من حما مسنون وقال انا خلقناهم من طين لازب وقال كمثل ادم خلقه من تراب وكله متفق المعنى وذلك انه اخذ الارض فعجنه فصار طينا ثم انتقل فصار كالحما المسنون ثم يبس فصار صلصالا كالفخار وقوله كالفخار نعت لصلصال وتقدم تفسيره قوله والجان قيل هو اسم جنس كالانسان وقيل هو ابو الجن ابليس وقيل هو ابوهم وليس بابليس قوله من مارج من نار من الاولى لابتداء الغاية وفي الثانية وجهان احدهما انها للبيان والثاني انها للتبعيض والمارج قيل ما اختلط من احمر واصفر واخضر وهذا مشاهد في النار ترى الالوان الثلاثة مختلطا بعضها ببعض وقيل الخالص وقيل الاحمر وقيل الحمرة في طرف النار وقيل المختلط بسواد وقيل اللهب المضطرب وقال الليث المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد وعن ابن عباس انه اللهب الذي يعلو النار فيختلط بعضه ببعض احمر واصفر واخضر ونحوه عن مجاهد وقيل المارج المرسل غير ممنوع قال المبرد المارج النار المرسلة التي لا تمنع وقال ابو عبيدة والحسن المارج المختلط النار واصله من مرج اذا اضطرب واختلط قال القرطبي يروى ان الله تعالى خلق نارين فمزج احداهما بالاخرى فاكلت احداهما الاخرى وهي نار السموم فخلق منها ابليس قال القشيري والمارج في اللغة المرسل او المختلط وهو فاعل بمعنى مفعول كقوله ماء دافق وعيشة راضية والمعنى ذو مرج ومن نار نعت لمارج وتقدم الكلام على قوله فباي الاء ربكما قوله رب المشرقين العامة على رفعه وفيه اوجه احدها انه مبتدا خبره مرج البحرين وما بينهما اعتراض الثاني انه خبر مبتدا مضمر اي هو رب اي ذلك الذي فعل هذه الاشيا الثالث انه بدل من الضمير في خلق وابن ابي عبلة رب بالجر بدلا او بيانا لربكما قال مكي ويجوز في الكلام الخفض على البدل من ربكما كانه لم يطلع على انها قراءة منقولة والمشرقان قيل مشرقا الشتاء والصيف ومغرباهما وقيل مشرقا الشمس والقمر ومغرباهما وذكر غاية ارتفاعهما وغاية انحطاطهما اشارة الى ان الطرفين يتناول ما بينهما كقولك في وصف ملك عظيم له المشرق والمغرب فيفهم منه ان له ما بينهما ويؤيده قوله تعالى رب المشارق والمغارب قوله مرج البحرين اي خلى وارسل واهمل يقال مرج السلطان الناس اي اهملهم واصل المرج الاهمال كما تمرج الدابة في المرعى ويقال مرج خلط وقال الاخفش ويقول قوم امرج البحرين مثل مرج فيكون فعل وافعل بمعنى والبحرين قال ابن عباس بحر السما وبحر الارض قال سعيد بن جبير يلتقيان في كل عام وقيل يلتقي طرفاهما وقال الحسن وقتادة بحر فارس والروم وقال ابن جريج البحر المالح والانهار العذبة وقيل بحر المشرق وبحر المغرب يلتقي طرفاهما وقيل بحر اللولو والمرجان بينهما برزخ حاجز قوله يلتقيان حال من البحرين وهي قريبة من الحال المقدرة ويجوز ان تكون مقارنة وبينهما برزخ يجوز ان تكون جملة مستانفة وان تكون حالا وان يكون الظرف وحده هو الحال والبرزخ فاعل به وهو احسن لقربه من المفرد وفي صاحب الحال وجهان احدهما هو البحرين والثاني هو فاعل يلتقيان ولا يبغيان حال اخرى كالتي قبلها اي مرجهما غير باغيين

او

او يلتقيان غير باغيين او بينهما برزخ في حال عدم بغيهما وهذه الحال في قوة التعليل اذ المعنى لئلا يبغيا وقد تمحل بعضهم وقال اصل ذلك لئلا يبغيا ثم حذف حرف العلة وهو مطرد مع ان وان ثم حذفت ان ايضا وهو حذف مطرد كقوله ومن اياته يريكم فلما حذفت ان ارتفع الفعل وهذا غير ممنوع الا انه يتكرر فيه الحذف وله ان يقول فرجحا الحذف لكثرة ذلك فيما هو اجنبي من هذا الكلام في قاب قوسين وكما سياتي في قوله وتجعلون رزقكم

فصل في تعلق الاية بما قبلها لما ذكر الشمس والقمر وهما يجريان في الفلك كما يجري الفلك في البحر لقوله كل في فلك يسبحون ذكر البحرين عقيب المشرقين والمغربين اولان المشرقين والمغربين يكونان في البر والبحر فذكر البحر بعد ذكر البر لانحصار البر والبحر بين المشرق والمغرب قوله بينهما برزخ اي حاجز لا يبغيان فعلى القول بانهما بحر السما وبحر الارض فالحاجز الذي بينهما هو ما بين السما والارض قاله الضحاك وعلى الاقوال الباقية الحاجز هو الارض التي بينهما قاله الحسن وقتادة وقال بعضهم الحاجز هو القدرة الالهية وقوله لا يبغيان قال قتادة لا يبغيان على الناس فيغرقانهم جعل بينهما وبين الناس اليبس وقال مجاهد وقتادة ايضا لا يبغي احدهما على صاحبه فيغلبه وقال ابن زيد لا يبغيان ان يلتقيا تقديره مرج البحرين يلتقيان لولا البرزخ الذي بينهما لا يبغيان ان يلتقيان وقيل البرزخ ما بين الدنيا والاخرة اي بينهما مدة قدرها الله وهي مدة الدنيا فهما لا يبغيان فاذا اذن الله في انقضاء الدنيا صار البحران شيئا واحدا وهو كقوله تعالى واذا البحار فجرت وقال سهل بن عبد الله البحران طريق الخير والشر والبرزخ الذي بينهما التوفيق والعصمة

فصل قال ابن الخطيب ان الله تعالى خلق في الارض بحارا تحيط بها الارض وخلق بحرا محيطا بالارض واحاط به الهوا كما قال به اهل الهيئة وهذه البحار التي في الارض لها اتصال بالبحر المحيط ثم انهما لا يبغيان على الارض ولا يغطيانها بفضل الله لتكون الارض بارزة يجدها الانسان مكانا وعند النظر الى امر الارض يحار الطبيعي ويتلجلج في الكلام فان عندهم ان طبع الارض ان يكون في المركز مغمورا بالما ويكون الما محيطا بجميع جوانبه فاذا سيلوا عن ظهور الارض من الما قالوا ذلك جذب في الارض فاذا قيل لهم لماذا انجذب في الارض وما سبب الجذب فالذي عنده قليل من الحق اسند ذلك الى ارادة الله تعالى ومشيئته والاخر يقول ذلك بحسب اتصالات الكواكب واوضاعها فاذا قيل لهم فلماذا اختلفت اوضاع الكواكب على الوجه الذي اوجب البروز في بعض الارض دون بعض بهت كما بهت الذي كفر ويرجع الى الحق ان هذا امر الله تعالى قال ابن الخطيب ومعنى الاية ان الله تعالى ارسل بعض البحرين الى بعض ومن شانهما الاختلاط فحجزهما ببرزخ من قدرته فهما لا يبغيان اي لا يجاوز كل واحد منهما ما حد له وانما لا يبغي مجاوزة الحد او من الابتغا وهو الطلب اي لا يطلبان غير ما قدر لهما قوله يخرج منهما اللولو والمرجان قرا نافع وابو عمرو يخرج مبنيا للمفعول والباقون مبنيا للفاعل على المجاز قالوا ثم مضاف محذوف اي من احدهما لان ذلك لم يوجد من البحر العذب حتى عابوا قول الشاعر

فجاء بها ما شئت من لطيمة ... على وجهها ماء الفرات يموج

قال مكي كما قال على رجل من القريتين عظيم اي من احدى القريتين وحذف المضاف كثير سائغ وقيل هو كقوله نسيا حوتهما وانما الناسي فتاه ويعزى هذا لابي عبيدة قال البغوي وهذا جائز في كلام العرب ان يذكر شيئين ثم يخص احدهما بفعل كقوله يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم وكانت الرسل من الانس وقيل يخرج من احدهما اللولو ومن الاخر المرجان وقيل بل يخرجان منهما جميعا ثم ذكروا وجوها منها انهما يخرجان من الملح في الموضع الذي يقع فيه العذب وهذا مشاهد عند الغواصين وهو قول الجمهور فناسب ذلك اسناده اليهما ومنها قول ابن عباس تكون هذه الاشيا في البحر بنزول المطر والصدف تفتح افواهها للمطر وقد شاهدها الناس فيكون تولده من بحر السما وبحر الارض وهذا قول الطبري ومنها ان العذب في الملح كاللقاح كما يقال الولد يخرج من الذكر والانثى ومنها انه قيل منهما من حيث انهما نوع واحد فخروج هذه الاشيا انما هي منهما كما قال تعالى وجعل القمر فيهن نورا وانما هو في واحدة منهن وقال الزمخشري فان قلت لم قال منهما وانما يخرجان من الملح قلت لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر وانما يخرجان من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من

ملتقى الملح والعذب انتهى وقال بعضهم كلام ابن الاولى بالاعتبار من كلام بعض الناس فمن الجائز ان يسوقها من البحر العذب الى الملح واتفق انهم لم يخرجوها الا من الملح واذا كان في البر اشيا تخفى على التجار المترددين القاطعين المفاوز فكيف بما في قعر البحر والجواب عن هذا ان الله لا يخاطب الناس ولا يمتن عليهم الا بما يعرفون ويشاهدون واللولو قيل كبار الجوهر والمرجان صغاره قاله علي وابن عباس والضحاك وقيل بالعكس واسند وا قول الاعشى

من كل مرجانة في البحر احذرها • تاجرها ووقاها طينها الصدف •

اراد اللولوة الكبيرة قاله علي وابن عباس ايضا وقيل المرجان حجر احمر وقيل حجر شديد البياض والمرجان اعجمي قال ابن دريد لم اسمع به فعلا متصرفا واللولو بناء غريب لم يرد على هذه الصيغة الا خمسة الفاظ اللولو والجوجو وهو الصدر والدودو اليويو لطاير والبوبو بالتوحدين وهو الاصل فاللولو بهمزتين والهمزة هو المشهور وابدال الهمزة وا واسايغ فصيح وقد تقدم ذلك وقراطلحة اللولو بكسر اللام الثالثة وهي لغة محفوظة ونقل عنه ابو الفضل اللولي بقلب الهمزة الاخيرة ياساكنة كانه لما كسر ما قبل الهمزة قلبها يا استثقالا وقرا ابو عمرو في رواية يخرج اي الله تعالى وروي عنه ايضا وعن ابن مقسم نخرج بنون العظمة واللولو والمرجان في هاتين القراتين منصوبان **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل اي نعمة عظيمة في اللولو والمرجان حتى ذكرهما مع نعمة تعليم القران وخلق الانسان واجاب بان النعم منها خلق الضروريات كالارض الذي هو مكانا وكذا الرزق الذي به بقاوه ومنها ما يحتاج اليه وان لم يكن ضروريا كالحيوان واجرا الشمس والقمر ومنها المنافع وان لم يحتاج اليها كالفاكهة وخلق البحار كقوله تعالى والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ومنها الزينة وان لم يكن نافعا كاللولو والمرجان كقوله تعالى وتستخرجون منه حلية تلبسونها فالله تعالى ذكر انواع النعم الاربعة وصدرها بالنعمة العظيمة التي هي الروح وهو العلم بقوله علم القران او يقال بان المقصود منه بيان عجايب الله لا بيان النعم لان النعم سبق ذكرها فذكر خلق الانسان من صلصال وخلق الجان من نار وهذا من العجايب الدالة على القدرة لا من النعم واعلم ان الاركان اربعة التراب والما والهوا والنار فالله تعالى بين بقوله خلق الانسان من صلصال ان التراب اصل لمخلوق عجيب وبين بقوله وخلق الجان من مارج من نار ان النار ايضا اصل لمخلوق عجيب وبين بقوله يخرج منهما اللولو ان الما اصل لمخلوق اخر كالحيوان عجيب بقي الهوا لكنه غير محسوس فلم يذكر انه اصل مخلوق ولكن بين كونه منشى للجواري التي في البحر كالاعلام فقال وله الجوار الاية قوله وله الجوار العامة على كسر الرا لانه منقوص على مفاعل والبا محذوفة لفظا لالتقا الساكنين وقرا عبد الله والحسن ويروي عن ابي عمرو الجوار برفع الرا تناسيا للمحذوف ومنه

• لها ثنايا اربع حسان • واربع فثغرها ثمان •

وهذا كما قالوا هذا شاك وقد تقدم تقرير هذا في الاعراف عند قوله ومن فوقهم غواش قوله المنشات قرا حمزة وابو بكر بخلاف عنه بكسر الشين بمعنى انها تنشي الموج بجريها او تنشي السير اقبالا وادبارا او التي رفعت شراعها اي قلوعها والشراع القلع وعن مجاهد كلما رفعت قلعها فهي من المنشات والا فليست منها ونسبة الرفع اليها مجاز كما يقال انشات السحابة المطر والباقون بالفتح وهو اسم مفعول اي انشاها والناس او رفعوا شراعها وقرا ابن ابي عبلة المنشات بتشديد الشين مبالغة والحسن المنشات بالافراد وابدال الهمزة الفا وتا مجذوبة خطا فافرد الصفة ثقة بافهام الموصوف الجمعية كقوله ازواج مطهرة واما ابداله الهمزة الفا وان كان قياسها بين بين فمبالغة في التخفيف كقوله • ان السباع لتهتدي في مرابضها •

اي لتهتدا واما كتبها بالتا المجذوبة فاتباعا للفظها في الوصل وفي البحر متعلق بالمنشات او المنشات ورسمه باليا بعد الشين في مصاحف العراق يقوي قراة الكسر ورسمه بدونها يقوي قراة الفتح وحذفوا الالف كما تحذف في سائر جمع المونث السالم وكالاعلام حال اما من الضمير المستتر في المنشات واما من الجوار وكلاهما بمعنى واحد **فصل** الجوار جمع جارية وهي اسم او صفة للسفينة وخصها بالذكر لان جريها في البحر لا صنع للبشر فيه وهم معترفون بذلك

فيقولون لك الفلك ولك الملك واذا خافوا الغرق دعوا الله خاصة وسميت السفينة جارية لان شانها ذلك وان كانت واقفة في الساحل كما سماها في موضع اخر بالجارية فقال انا لما طغى الما حملناكم في الجارية وسماها بالفلك قبل ان تكون كذلك فقال لنوح عليه السلام واصنع الفلك باعيننا ثم بعد ما عملها سماها سفينة فقال فانجيناه واصحاب السفينة واعلم ان المراة المباركة تسمى ايضا جارية لان شانها الجري والسعي في حوايج سيدها بخلاف الزوجة وهو من الصفات الغالبة والسفينة فعيلة بمعنى فاعلة عند ابن دريد اي تسفن الما وفعيلة بمعنى مفعولة عند غيره بمعنى مسفونة قال ابن الخطيب فالفلك اولا ثم السفينة ثم الجارية والاعلام الجبال والعلم الجبل الطويل قال

اذا قطعنا علما بدا علم • ربما اوفيت في علم يرفعن ثوبي شمالات •

وقالت الخنسا في صخر • وان صخرا لتاتم الهداة به • كانه علم في راسه نار •

اي جبل فالسفن في البحر كالجبال في البر وجمع الجواري ووحد البحر وجمع الاعلام اشارة الى عظمة البحر قوله كل من عليها فان غلب من يعقل على غيره وجميعهم مراد والضمير في عليها للارض قال بعضهم وان لم يجر لها ذكر كقوله حتى توارت بالحجاب ورد هذا بانه قد تقدم ذكرها في قوله والارض وضعها وقيل الضمير عايد الى الجارية قال ابن عباس لما نزلت هذه الاية قالت الملايكة هلك اهل الارض فنزلت كل شي هالك الا وجهه فايقنت الملايكة بالهلاك وهو قول مقاتل ووجه النعمة في فناء الخلق التسوية بينهم في الموت وقيل وجه النعمة ان الموت سبب النقل الى دار الجزاء والثواب قوله ويبقى وجه ربك اي ويبقى الله فالوجه عبارة عن وجوده وذاته سبحانه قال ابن عباس الوجه عبارة عنه كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ويقال هذا وجه الامر ووجه الصواب وعين الصواب ومعنى ذو الجلال والاكرام اي هو اهل لان يكرم وهذا خطاب مع كل سامع وقيل خطاب للنبي عليه السلام فان قيل كيف خاطب الاثنين بقوله فباي الا ربكما وخاطب هنا الواحد فقال ويبقى وجه ربك ولم يقل وجه ربكما فالجواب ان الاشارة هاهنا وقعت الى كل احد فقال ويبقى وجه ربك ايها السامع ليعلم كل احد ان غيره فان فلو قال ويبقى وجه ربكما لكان كل احد يخرج نفسه ورفيقه المخاطب عن الفنا فان قيل فلو قال ويبقى وجه الرب من غير خطاب كان ادل على فنا الكل فالجواب ان كاف الخطاب في الرب اشارة الى اللطف والابقا اشارة الى القهر والموضع موضع بيان اللطف وتعديد النعم فلهذا قال بلفظ الرب وكاف الخطاب قوله ذو الجلال والاكرام العامة على ذو بالواو صفة للوجه وابي وعبد الله ذي باليا صفة لربك وسياتي خلاف القرا في اخر السورة ان شا الله تعالى والجلال العظمة والكبريا والاكرام يكرم انبياءه واولياءه بلطفه مع جلاله وعظمته قوله يساله من في السموات فيه وجهان احدهما هو مستانف والثاني انه حال من وجه والعامل فيه يبقى اي يبقى مسيولا من اهل السموات والارض وفيه اشكال لانه لما قال ويبقى وجه ربك كان اشارة الى بقايه بعد فنا من على الارض فكيف يكون في ذلك الوقت مسيولا لمن في الارض قال ابن الخطيب والجواب من وجوه الاول انهم يفنون بالنظر اليه لكنهم يبقون ببقا الله فيصح ان يكون الله مسيولا الثاني ان يكون مسيولا معنى لا حقيقة لانهم اذا فنوا فهم يسالونه بلسان الحال الثالث ان قوله ويبقى للاستمرار فهو يبقى ويعيد من كان في الارض ويكون مسيولا الرابع ان السايلين هم الملايكة الذين هم في الارض فانهم فيها وليسوا عليها ولا تضرهم زلزلتها فعندما يفنى من عليها يبقى الله تعالى ولا يفنى في تلك الحال الملايكة فيسالونه ماذا نفعل فيامرهم بما يريد **فصل** وهذا السوال اما استعطاف واما استعطا فيساله كل احد ما يحتاج اليه قال ابن عباس وابو صالح اهل السموات يسالونه المغفرة ولا يسالون الرزق واهل الارض يسالونهما جميعا وقال ابن جريج يساله الملايكة الرزق لاهل الارض فكانت المسيلتان جميعا من اهل السما واهل الارض لاهل الارض قال القرطبي وفي الحديث ان من الملايكة ملكا له اربعة اوجه وجه كوجه الانسان يسال الله الرزق لبني ادم ووجه كوجه الاسد وهو يسال الله الرزق للسباع ووجه كوجه الثور وهو يسال الله الرزق للبهايم ووجه كوجه النسر وهو يسال الله الرزق للطير وقال ابن عطا انهم يسالونه القوة على العبادة قوله كل يوم منصوب بالاستقرار الذي تضمنه الخبر وهو قوله في شان والشان الامر فصل روى ابو الدردا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل يوم هو في شان قال من شانه

يغفر ذنبا ويفرج كربة ويرفع اقواما ويضع اخرين وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول
الله عز وجل كل يوم هو في شان قال يغفر ذنبا ويكشف كربا ويجيب داعيا وقيل من شانه انه
يحيي ويميت ويعز ويذل ويرزق ويمنع وقال ابن بحر الدهر كله يومان احدهما ايام الدنيا والاخر
يوم القيمة فشانه سبحانه في ايام الدنيا الابتلا والاختبار بالامر والنهي والاحيا والاماتة والاعطا
والمنع وشانه يوم القيمة الجزاء والحساب والثواب والعقاب والظاهر ان المراد بذلك الاخبار عن شانه
في كل يوم من ايام الدنيا وقال عمرو بن ميمون في قوله تعالى كل يوم هو في شان من شانه ان يميت
حيا ويحيي ميتا ويقر في الارحام ويعز ذليلا ويذل عزيزا وقيل شانه ان يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم سليما ويبتلي معافا ويعافي
مبتلا ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا وقال الحلبي هو سوق المقادير الى
المواقيت وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكل علي ثلاث ايات
دعوتك لتكشفها لي قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم
هو في شان وصح ان القلم جف بما هو كاين الى يوم القيمة وقوله وان ليس للانسان الا ما
سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون في
هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة بخصايص لم يشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل
لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له
الا ما سعى عدلا ولي ان اجزيه بواحدة الفا واما قوله كل يوم هو في شان فانها شوون يبديها
لا شوون يبتديها فقام عبد الله وقبل راسه وسوغ خراجه قوله سنفرغ قرا سيفرغ
بالياء الاخوان اي سيفرغ الله تعالى والباقون من السبعة بنون العظمة والراء مضمومة
في القراتين وهي اللغة الفصحى لغة الحجاز وقراها مفتوحة الراء مع النون الاعرج وتحتمل
وجهين احدهما ان يكون من فرغ بفتح الراء في الماضي وفتحت في المضارع لاجل حرف الحلق والثاني
انه سمع فيه فرغ بكسر العين فيكون هذا مضارعه وهذه لغة تميم وقرا عيسى بن عمر وابو السماك
سيفرغ بكسر حرف المضارعة وفتح الراء وتوجيهها واضح مما تقدم في الفاتحة قال ابو حاتم هي
لغة سفلى مضر والاعمش وابو حيوة وابراهيم سيفرغ بضم الياء من تحت مبنيا للمفعول وعيسى
ايضا بفتح نون العظمة وكسر الراء والاعرج ايضا بفتح الياء والراء وتروى عن الجحدري **فصل**
قال القرطبي يقال فرغت من الشغل افرغ فروغا وفراغا وتفرغت لكذا واستفرغت مجهودي
في كذا اي بذلته وليس بالله تعالى شغل يفرغ به وانما المعنى سنقصد لمجازاتكم ومحاسبتكم فهو
وعيد لهم وتهديد قاله ابن عباس والضحاك كقول القايل لمن يريد تهديده اذن اتفرغ لك اي
اقصد قصدك وانشد ابن الانباري لجرير

الان وقد فرغت الى نمير ... فهذا حين كنت لهم عذابا

يريد وقد قصدت وانشد الزجاج والنحاس

فرغت الى العبد المقيد في الحجل

ويدل عليه قراءة ابي سيفرغ اليكم اي سيقصد اليكم وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه لما
بايع الانصار ليلة العقبة صاح الشيطان يا اهل الجباجب هذا محمد يبايع بني قيلة على حربكم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا ازب العقبة اما والله يا عدو الله لاتفرغن لك اي اقصد الى
ابطال امرك وهذا اختيار القتبي والكسائي وغيرهما قال ابن الاثير الازب في اللغة الكثير الشعر
وهو هنا شيطان اسمه ازب العقبة وهو الحية وقيل ان الله تعالى وعد على التقوى واوعد على
الفجور ثم قال سنفرغ لكم اي مما وعدناكم ونوصل كلا الى ما وعدناه اقسم ذلك واتفرغ منه قاله
الحسن ومقاتل وابن زيد قوله ايها الثقلان تقدم الكلام في قوله ايها في النور وهو منادى
والحكمة في نداء المبهم ان يتنبه كل سامع ثم يخصص المقصود بعد ذلك فيكون فيه اهتمام بالمنادى
وايضا تجعل المبهم وصلة لنداء المعرف باللام وزيد بعدها الهاء للتنبيه عوضا عن الاضافة لان
المبهم يضاف والثقلان الجن والانس سميا بذلك لعظم شانهما بالاضافة الى ما في الارض من غيرهما
بسبب التكليف وقيل سموا بذلك لانهما ثقلا الارض احياء وامواتا قال الله تعالى واخرجت
الارض اثقالها ومنه قولهم اعطه ثقله اي وزنه وقال بعض اهل المعاني كل شي له قدر ووزن
ينافس فيه فهو ثقل ومنه قيل لبيض النعام ثقل لان واجده وصايده يفرح به اذا ظفر به وقال

جعفر الصادق سميا ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب وقيل الثقل الانس لشرفهم وسمي الجن
بذلك مجازا للمجاورة والتغليب كالعمرين والقمرين والثقل العظيم الشريف قال عليه السلام اني
تارك فيكم ثقلين كتاب الله وعترتي **فصل** جمع في قوله سنفرغ لكم ثم قال ايه الثقلان
لانهما فريقان وكل فريق جمع وكذا قوله تعالى يا معشر الجن والانس ان استطعتم ولم يقل ان استطعتما
لانهما فريقان في حال الجمع كقوله تعالى فاذا هم فريقان يختصمون وهذان خصمان اختصموا في ربهم
ولو قال سنفرغ لكما وقال ان استطعتما لجاز وقرا زيد بن علي ان استطعتما خطابا للثقلين وحقه
ان يمشي على سنن واحد فيقرا ان تنفذا الا تنفذان والعايد جعلوه كقوله وان طايفتان من المومنين
اقتتلوا اذ تحت كل واحد افراد وقيل اتى بصيغة الجمع في قوله ان استطعتم لاجل قوله يا معشر فان
المعشر جمع وقرا اهل الشام ايها الثقلان بضم الهاء والباقون بفتحها **فصل** هذه الاية والتي في
الاحقاف وقل اوحي دليل على ان الجن مخاطبون ومكلفون مامورون ومنهيون مثابون ومعاقبون
كالانس سواء مومنهم كمومنهم وكافرهم ككافرهم قوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا
الاية لما بين ان الله تعالى لا يشغله شان عن شان كان قايلا قال فلم اخر عذابهم فاجيب بان
الجميع في قبضته وان الذي يستعجل انما يخاف الفوت والجميع في قبضة الله تعالى فلا يفوتونه
والمعشر الجماعة العظيمة لان العشر هو العدد الكامل الكثير الذي لا عدد بعده الا بابتدا فيها من
الاحاد فتقول احد عشر واما عشر وعشرون وثلاثون اي ثلاث عشرات فالمعشر كانه في محل العشر
الذي هو الكثرة الكاملة فان قيل ما الحكمة في تقديم الجن على الانس ههنا وتقديم الانس على الجن
في قوله قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران فالجواب ان النفوذ من اقطار
السموات والارض بالجن اليق والاتيان بمثل القران بالانس اليق ان امكن فقدم في كل موضع ما يليق
به **فصل** معنى الاية ان استطعتم ان تنفذوا وتجوزوا وتخرجوا بسرعة والنفوذ الخروج
وقد تقدم في اول البقرة ان ما فاءه نون وعينه فا يدل على الخروج كنفق ونفر ثم قال من اقطار السموات
والارض فاهربوا واخرجوا منها وهذا امر تعجيز والمعنى حيث ما كنتم ادرككم الموت كما قال تعالى اينما
تكونوا يدرككم الموت وهو قول الضحاك وروى جويبر عن الضحاك ايضا قال يقال لهم هذا يوم
القيمة يعني ان استطعتم ان تجوزوا اطراف السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا
يعني لا مهرب لكم ولا خروج لكم عن ملك الله وانما تولوا فثم ملك الله وقال ابن عباس ان استطعتم
ان تعلموا ما في السموات وما في الارض فاعلموه وقوله لا تنفذون الا بسلطان اي ببينة من
الله تعالى وعنه ايضا لا تنفذون الا بسلطان لا تخرجون من سلطاني وقدرتي عليكم وقال
قتادة لا تنفذون الا بملك وليس لكم ملك وقيل الباء بمعنى الى اي الا الى سلطان كقوله تعالى
وقد احسن بي اي الي وقيل معناه لا تنفذون الا ومعكم سلطان الله وقيل معناه لا تتخلصون
من عذاب الله الا بسلطان الله يجيركم والا فلا مجير لكم قوله الا بسلطان اما حال او متعلق
بالفعل قبله والسلطان القوة التي يتسلط بها على الامر والملك والقدرة والحجة كلها سلطان
يريد حيث ما توجهتم كنتم في ملكي قوله يرسل عليكما شواظ قرا ابن كثير بكسر الشين والباقون
بضمها وهما لغتان بمعنى واحد مثل صوار من البقر وصوار وهو القطيع من البقر والشواظ قيل
اللهب معه دخان وقال ابن عباس وغيره هو اللهب الخالص الذي لا دخان له وقيل اللهب الاحمر
وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقال روبة

ونار حرب تسعر الشواظا ... وقال حسان

هجوتك فاختضعت لها بذل ... بقافية تاجج كالشواظ

وقال مجاهد الشواظ اللهب الاخضر المنقطع من النار وقال الضحاك هو الدخان الذي يخرج
من اللهب ليس بدخان الحطب وقال سعيد بن جبير وقيل الشواظ النار والدخان جميعا قاله
ابن عمر وحكاه الاخفش عن بعض العرب ويرسل مبني للمفعول وهو قراءة العامة وزيد بن علي
نرسل بالنون شواظا ونحاسا بالنصب ومن نار صفة لشواظ او متعلق بيرسل قوله ونحاس
قرا ابن كثير وابو عمرو بجره عطفا على نار والباقون برفعه عطفا على شواظ والنحاس قيل هو الصفر
المعروف يذيبه الله تعالى ويعذبهم به وقيل الدخان الذي لا لهب معه قال الخليل وهو معروف
في كلام العرب وانشد الاخفش

يضي كضوء سراج السليط ... لم يجعل الله فيه نحاسا

قال المهدوي من قال ان الشواظ النار والدخان جميعا فالجر في نحاس على هذا بين فاما الجر
على قول من جعل الشواظ اللهب الذي لا دخان فيه فبعيد لا يسوغ الا على تقدير حذف موصوف
كانه قال يرسل عليكما شواظ من نار وشيء من نحاس فشيء معطوف على شواظ ومن نحاس جملة هي
صفة لشيء وحذف شيء وحذفت من لتقدم ذكرها في من نار كما حذفت على من قولهم على من تنزل
انزل عليه فيكون نحاس على هذا مجرورا بمن المحذوفة وتضم نونه وتكسر وبالكسر قرا مجاهد وطلحة
والكلبي ونقله القرطبي عن حميد ايضا وعكرمة وابي العالية وقرا ابن جندب ونحس كقوله في يوم نحس
وابن ابي بكرة وابن ابي اسحاق ونحس بضم الحاء وفتحها وكسرها وجر السين والحسن والقاضي ونحس
بضمتين وجر السين وتقدمت قراءة زيد ونحاسا بالنصب لعطفه على شواظا في قراءته والنحاس
ايضا بالكسر الطبيعة والاصل يقال فلان كريم النحاس والنحاس ايضا بالضم اي كريم النجار قال
ابن مسعود النحاس المهل وقال الضحاك هو دردي الزيت المغلي وقال الكسائي هو النار التي
لها ريح شديد وقوله فلا تنتصران اي لا ينصر بعضكم بعضا يعني الجن والانس وثني الضمير في
عليكما لان المراد النوعان وجمع في قوله ان استطعتم لانه خطاب للمعشر وكذا قوله فلا تنتصران
خطاب للحاضرين وهم نوعان قوله فاذا انشقت السماء جوابه مقدر اي رايت هولا عظيما او كان
ما كان وقوله فكانت وردة اي مثل وردة فقيل هي الزهرة المعروفة التي تشم شبهها بها في الحمرة وانشد

فلو كنت وردا لونه لعشقتني ٭ ولكن ربي شانني بسواديا

وقيل هي من لون الفرس الورد يكون في الربيع الى الصفرة وفي الشتاء الى الحمرة وفي اشتداد البرد
الى الغبرة فشبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل وقرا عمرو بن عبيد وردة بالرفع قال
الزمخشري يعني فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذي يسمى التجريد كقوله

فلئن بقيت لارحلن بغزوة ٭ نحو الغنايم او يموت كريم

قوله كالدهان يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون نعتا لوردة وان يكون حالا من اسم كانت
وفي الدهان قولان احدهما انه جمع دهن نحو قرط وقراط ورمح ورماح وهو في معنى قوله تعالى
تكون السماء كالمهل وهو دردي الزيت والثاني انه اسم مفرد فقال الزمخشري اسم ما يدهن به
كالحزام والادام وانشد

كانهما مزادتا متعجل ٭ فريان لما يدهنا بدهان

وقال غيره هو الاديم الاحمر وانشد الاعشى

واجرد من كرام الخيل طرف ٭ كان على شواكله دهانا

اي اديما احمر وهذا يحتمل ان يكون جمعا ويؤيده ما انشده منذر بن سعيد

تبيع الدهان الحمر كل عشية ٭ بموسم بدر او بسوق عكاظ

فقوله الحمر يؤيد كونه جمعا وقد يقال هو كقولهم اهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض الا انه
خلاف الاصل وقيل شبهت بالدهان وهو الزيت لذوبها ودورانها وقيل لبريقها **فصل**
قال المفسرون انشقت السماء انصدعت يوم القيمة فكانت وردة كالدهان قال مجاهد
والضحاك وغيرهما الدهان الدهن والمعنى صارت في صفاء الدهن والدهان على هذا جمع
دهن وقال سعيد بن جبير وقتادة المعنى تصير في حمرة الوردة وجريان الدهن اي تذوب
مع جريان الدهن حتى تصير حمراء من حرارة نار جهنم وتصير مثل الدهن لرقتها وذوبانها وقيل
الدهان الجلد الاحمر الصرف ذكره ابو عبيدة والفراء اي تصير السماء كالاديم لشدة حر نار جهنم
وعن ابن عباس المعنى فكانت كالفرس الورد في الربيع كميت اصفر وفي اول الشتاء كميت احمر
فاذا اشتد الشتاء كان كميتا اغبر وقال الفراء اراد الفرس الموردة تكون في الربيع وردة الى الصفرة
فاذا اشتد البرد كانت وردة حمراء فاذا كان بعد ذلك كانت وردة الى الغبرة فشبه تلون السماء
بتلون الورد من الخيل وقال الحسن كالدهان اي كصب الدهن فانك اذا صببته ترى فيه الوانا
وقال زيد بن اسلم المعنى تصير كعكر الزيت وقيل المعنى انها تمر وتجي قال الزجاج اصل
الواو والراء والدال للمجي والاتيان وهذا قريب مما تقدم من ان الفرس الوردة تتغير الوانها
والورد ايضا يطلق على الاسد وقال قتادة انها اليوم خضراء وسيكون لها لون احمر حكاه
الثعلبي وقال الماوردي وزعم المتقدمون ان اصل لون السماء الحمرة وانها لكثرة الحوايل
وبعد المسافة يرى لونها ازرق وشبهوا ذلك بعروق البدن هي حمر كحمرة الدم وترى بالحايل زرقا

فاذا

فاذا كان هذا صحيحا فان السماء لقربها من النواظر يوم القيمة وارتفاع الحواجز ترى حمراء
لانه اصل لونها والله اعلم قوله فيومئذ التنوين عوض من الجملة اي فيوم اذ انشقت السماء
والفاء في فيومئذ جواب الشرط وقيل هو محذوف اي فاذا انشقت السماء رايت امرا مهولا ونحو
ذلك والهاء في ذنبه تعود على احد المذكورين وضمير الاخر مقدر اي ولا يسال عن ذنبه
جان ايضا وناصب الظرف لا يسال ولا عبرة بمنعها وقد تقدم الخلاف فيها في الفاتحة وتقدمت
قراءة جان بالهمز فيها ايضا **فصل** قال المفسرون هذه الاية مثل قوله تعالى ولا يسال
عن ذنوبهم المجرمون وان القيمة مواطن لطول ذلك اليوم فيسال في بعض ولا يسال في بعض
وهذا قول عكرمة وقيل المعنى لا يسالون اذا استقروا في النار وقال الحسن وقتادة لا يسالون
عن ذنوبهم لان الله حفظها عليهم وكتبتها الملائكة رواه العوفي عن ابن عباس وعن الحسن
ومجاهد ايضا لا تسال الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم دليل قوله يعرف المجرمون بسيماهم
ورواه مجاهد عنه ايضا في قوله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين وقوله تعالى فيومئذ لا يسال
عن ذنبه انس ولا جان قال لا يسالهم ليعرف ذلك منهم ولكن يسالهم لم عملتموها سؤال توبيخ
وقال ابو العالية لا يسال غير المجرم عن ذنب المجرم وقال قتادة يسالون قبل الختم على
الختم على افواههم ثم يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم شاهدة عليهم قوله يعرف المجرمون
بسيماهم قرا حماد بن ابي سليمان بسيمائهم بالمد وتقدم الكلام على ذلك في اخر البقرة قوله
فيؤخذ بالنواصي الاية يؤخذ متعد ومع ذلك تعدى بالباء لانه ضمن معنى يسحب قال ابو
حيان ويسحب انما يعدى بعلى قال تعالى يسحبون في النار على وجوههم فكان ينبغي
ان يقول ضمن معنى يدعون اي يدفعون وقال مكي انما يقال اخذت الناصية واخذت
بالناصية ولو قلت اخذت الدابة بالناصية لم يجز وحكى عن العرب اخذت الخطام واخذت
بالخطام بمعنى وقد قيل ان تقديره فيؤخذ كل احد بالنواصي وليس بصواب لانه لا يتعدى
الى مفعولين احدهما بالباء لما ذكرنا وقد يجوز ان يتعدى الى مفعولين احدهما بحرف جر غير
الباء نحو اخذت ثوبا من زيد فهذا المعنى غير الاول فلا يحسن مع الباء مفعول اخر الا ان يجعلها
بمعنى من اجل فيجوز ان يقول اخذت زيدا بعمرو اي من اجله وبذنبه انتهى وفيما قاله نظر
لانك تقول اخذت الثوب بدرهم فقد تعدى بغير من ايضا بغير المعنى الذي ذكره وقال ابن
الخطيب فان قيل كيف عدي الاخذ بالباء وهو متعد بنفسه قال تعالى لا يؤخذ منكم فدية
وقال خذها ولا تخف فالجواب ان الاخذ يتعدى بنفسه كما تقدم وبالباء كقوله تعالى لا تاخذ
بلحيتي ولا براسي لكن التدقيق فيه ان الماخوذ ان كان مقصودا بالاخذ توجه اليه الفعل بنفسه
وان كان المقصود بالاخذ غير الشيء الماخوذ حسا تعدى اليه بالحرف لانه لما لم يكن مقصودا
فكانه ليس هو الماخوذ فكان الفعل لم يتعد اليه بنفسه فذكر الحرف ويدل على هذا استعمال
القران قال تعالى خذها ولا تخف وقال وليأخذوا اسلحتهم واخذ الالواح الى غير ذلك
مما هو المقصود بالاخذ فيتعدى اليه الفعل بغير حرف وقال تعالى لا تاخذ بلحيتي ولا براسي
وقال فيؤخذ بالنواصي ويقال خذ بيدي اخذ الله بيدك الى غير ذلك مما يكون المقصود بالاخذ
غيره واسند الاخذ الى النواصي دون ضمير المجرمين اشارة الى استيلاء الاخذ على الماخوذين
وكثرتهم وكيفية الاخذ وال في النواصي والاقدام ليست عوضا من ضمير عند البصريين فالتقدير
بالنواصي منهم وهي عند الكوفيين عوض والناصية مقدم الراس وقد تقدم هذا مستوفى
في هود وفي حديث عايشة ما لكم لا تنصون ميتكم اي لا تمدون ناصيته والنصي مرعى طيب ومنه قولهم
فلان ناصية القوم يحتمل ان يكون من هذا يعنون انه طيب منتفع به او مثل قولهم هو راس القوم
فصل قال الحسن يعرف المجرمون بسيماهم اي بسواد الوجه وزرقة الاعين قال تعالى
ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وقال يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فيؤخذ بالنواصي والاقدام
اي تاخذ الملائكة بنواصيهم اي بشعور مقدم رؤوسهم واقدامهم فيقذفونهم في النار والنواصي
جمع ناصية وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره وعنه يؤخذ برجلي
الرجل فيجمع بينهما وبين ناصيته حتى يندق ظهره ثم يلقى في النار وقيل يفعل ذلك به ليكون
اشد لعذابه واكثر لتشويهه وقيل تسحبهم الملائكة الى النار تارة تاخذه بناصيته وتجره على

وجهه وتارة لتشويهه وقيل تسحبهم الملائكة الي النار تارة تاخذ بقدميه وتسحبه على وجهه فان قيل ما وجه قوله يوخذ مع ان المجرمين جمع وهم الماخوذون فالجواب من وجهين احدهما ان قوله يوخذ متعلق بالنواصي كقولك ذهب بزيد والثاني ان يتعلق بما يدل عليه يوخذ فكانه قال يوخذ الماخوذون بالنواصي قوله هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون اي يقال لهم هذه جهنم قال ابن الخطيب ويحتمل ان يقال معناه هذه صفة جهنم فاقيم المضاف اليه مقام المضاف وقد يكون المشار اليه هو ما تقدم قال والاقوي ان يقال الكلام تم عند قوله النواصي والاقدام وقوله هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون هذه قريبة غير بعيدة عنهم ويؤيده قوله يكذب لان الكلام لو كان باضمار لقال تعالي لهم هذه جهنم الذي بها المجرمون لان في ذلك اليوم لا يبقي تكذيب قوله يطوفون قراه العامة يطوفون من طاف وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه وابو عبد الرحمن يطافون مبنيا للمفعول من اطافهم غيرهم والاعمش وطلحة وابن مقسم يطوفون بضم اليا وفتح الطا وكسر الواو مشددة اي يطوفون انفسهم وقراءت فرقة يطوفون بتشديد الطا والواو والاصل يتطوفون قوله حميم آن اي حار متناه في الحرارة وهو منقوص كقاض يقال اني ياني فهو آن كقضي يقضي فهو قاض وقد تقدم في الاحزاب قال قتادة يطوفون مرة بين الحميم ومرة بين الجحيم والجحيم النار والحميم الشراب وفي قوله تعالي آن ثلاثة اوجه احدها انه الذي قد انتهي حره وحميمه قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي ومنه قول النابغة الذبياني

• ويخضب لحية غدرت وخانت • باحمر من نجيع الجوف آن •

قال قتادة انه طبخ منذ خلق الله السموات والارض يقول اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم ذلك وعن كعب انه الحاضر وانه ابضا آن اسم وادي من اودية جهنم وقال مجاهد انه الذي آن شربه وبلغ غايته ثم قال فباي الاء ربكما تكذبان فان قيل هذه الامور ليست نعمة فكيف قال فباي الاء فالجواب من وجهين احدهما ان ما وصف من هول القيمة وعقاب المجرمين فيه زجر عن المعاصي وترغيب في الطاعات وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بشاب في الليل يقرا فاذا انشقت السما فكانت وردة كالدهان فوقف الشاب وخنقته العبرة وجعل يقول ويحي من يوم تنشق فيه السما ويحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويحك يا فتي مثلها فوالذي نفسي بيده لقد بكت ملائكة السما من بكايك الثاني ان المعني ان كذبتم بالنعم المتقدمة استحققتم هذه العقوبات وهي دالة على الايمان بالغيب وهو من اعظم النعم قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان يجوز ان يكون مقام مصدرا فيحتمل ان يكون مضافا لفاعله اي قيام ربه عليه وحفظه لاعماله من قوله افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت ويروي عن مجاهد قال مجاهد وابراهيم النخعي هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه وان يكون مضافا لمفعوله والمعني القيام بحقوق الله فلا يضيعها وان كان مكانا فالاضافة بادني ملابسة لما كان الناس يقومون بين يدي الله للحساب في عرصات القيمة قيل فيه مقام الله والمعني خاف مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية فمقام مصدر بمعني القيام

فصل

قال القرطبي هذه الاية دليل على ان من قال لزوجته ان لم اكن من اهل الجنة فانت طالق انه لا يحنث ان كان هم بالمعصية وتركها خوفا من الله وحياء منه وقاله سفيان الثوري وافتي به

فصل

الظاهر ان الجنتين لخايف واحد قال محمد بن علي الترمذي جنة لخوفه من ربه وجنة لتركه شهوته قال ابن عباس من خاف مقام ربه بعدما ادا الفرايض قال القرطبي ويجوز ان يكون المقام للعبد ثم يضاف الي الله وهو كالاجل في قوله تعالي فاذا جا اجلهم وقوله في موضع اخر ان اجل الله اذا جا لا يوخر وقوله ولمن خاف اي لكل خايف له جنتان على حدة وقيل جنتان لجميع الخايفين والاول اظهر وقيل جنة للخايف الانسي والاخري للجني فيكون من باب التوزيع وقيل مقام هنا مقحم والتقدير ولمن خاف ربه وانشد

• ونفيت عنه مقام الذيب كالرجل اللعين •

اي نفيت الذيب وليس بجيد لان زيادة الاسم ليست بالسهلة وقيل المراد بالجنتين جنة للجزا واخري على الجزا وقيل ان الجنتين جنته التي خلقت له وجنة ورثها وقيل احدي

الجنتين اسافل القصور والاخري اعاليها وقال مقاتل هما جنة عدن وجنة النعيم وقال الفرا انها جنة واحدة وانما ثني مراعاة لرؤس الآي وقيل جنة واحدة وانما ثني تاكيدا كقوله تعالي القيا في جهنم وانكر القتيبي هذا وقال لا يجوز ان يقال خزنة جهنم النار عشرون وانما قال تسعة عشر مراعاة لرؤس الاي وايضا قال ذواتا وقال عطا وابن شوذب نزلت هذه الاية في ابي بكر رضي الله عنه حين ذكر ذات يوم الجنة حين ازلفت والنار حين ابرزت وقال الضحاك بل شرب ذات يوم لبنا على ظما فاعجبه فسال عنه فاخبر انه من غير حل فاستقاه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فقال رحمك الله لقد انزلت فيك اية وتلا عليه الاية قوله ذواتا صفة لجنتان او خبر مبتدا محذوف اي هما ذواتا وفي تثنية ذات لغتان الرد الي الاصل فان اصلها ذوية فالعين واو واللام يا لانها مونثة ذو والثانية التثنية على اللفظ فيقال ذاتا والافنان فيه وجهان احدهما انه جمع فنن كطلل وهو الغصن قال النابغة الذبياني

• بكا حمامة تبكي هديلا • مفجعة على فنن تغني •

وقال اخر

• رب ورقا هتوف بالضحي • ذات شجو صدحت في فنن •

وقال اخر

• على كل افنان العضاه تروق •

والفنن جمعه افنان ثم الافانين قال الشاعر يصف رحي • لها زمام من افانين الشجر •

وشجرة فناء اي ذات افنان وفنوا ايضا على غير قياس وفي الحديث اهل الجنة مرد مكحولون اولو افانين يريد اولو فنن وهو جمع افنان وافنان جمع فنن من الشعر شبه بالغصن ذكره الهروي وقيل ذواتا افنان اي ذواتا سعة وفضل على سواهما قاله قتادة وعن مجاهد ايضا وعكرمة ان الافنان ظل الاغصان على الحيطان وقال مجاهد الفنن هو الغصن المستقيم طولا الوجه الثاني انه جمع فن كدن والي اشار ابن عباس والمعني ذواتا انواع واشكال وانشدوا

• ومن كل افنان اللذاذة والصبا • لهوت به والعيش اخضر ناضر •

قال سعيد بن جبير والضحاك الوان من الفاكهة واحدها فن من قولهم افتن فلان في حديثه اذا اخذ في فنون منه وضروب الا ان الكثير في فن ان يجمع على فنون وجمع عطا بين القولين فقال في كل غصن فنون من الفاكهة قوله فيهما عينان تجريان اي في كل واحدة منهما عين جارية كما قال تعالي فيها عين جارية قال ابن عباس تجريان ماء بالزيادة والكرامة من الله تعالي على اهل الجنة وعن ابن عباس ايضا والحسن تجريان بالماء الزلال احدي العينين التسنيم والاخري السلسبيل وقال عطية احدهما من ماء غير اسن والاخري من خمر لذة للشاربين وقيل تجريان من جبل من مسك قال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله قوله فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان ونوعان قيل معناه ان فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطبا ويابسا قال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتي الحنظل الا انه حلو فان قيل قوله ذواتا افنان وفيهما عينان تجريان وفيهما من كل فاكهة زوجان كلها اوصاف للجنتين المذكورة فهو كالكلام الواحد تقديره جنتان ذواتا افنان وفيهما عينان تجريان وفيهما من كل فاكهة زوجان فما الفايدة في فصل بعضها عن بعض بقوله فباي الاء ربكما تكذبان مع انه لم يفصل حين ذكر العذاب بين الصفات بل قال يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران مع ان ارسال النحاس غير ارسال الشواظ وقوله يطوفون كلام اخر فالجواب انه جمع العذاب جملة واحدة وفصل ايات الثواب ترجيحا لجانب الرحمة على جانب العذاب وتطييبا للقلب وتهييجا للسامع فان اعادة ذكر المحبوب محبوب وتطويل الكلام في اللذات مستحسن فان قيل ما وجه توسيط اية العينين بين ذكر الافنان واية الفاكهة والفاكهة انما تكون على الاغصان فالمناسبة ان لا يفصل بين اية الاغصان والفاكهة فالجواب انه على عادة المتنعمين اذا خرجوا متفرجين في البستان فاول قصدهم الفرجة بالخضرة والماء ثم يكون الاكل تبعا قوله متكئين يجوز ان يكون حالا من من في قوله ولمن خاف وانما جمع حملا على معني من بعد الافراد حملا على لفظها وقيل حال عاملها محذوف اي يتنعمون متكئين وقيل منصوب على الاختصاص والعامة على فرش بضمتين وابو حيوة بضمة وسكون وهي تخفيف منها قوله بطاينها من استبرق هذه الجملة يجوز ان تكون مستانفة والظاهر انها صفة لفرش وتقدم الكلام في الاستبرق في سورة

الكهف وقال ابو البقا هنا اصل الكلمة فعل على استفعل فلما سمي به قطعت همزته وقيل هو
اعجمي وقري بحذف الهمزة وكسر النون وهو سهو لان ذلك لا يكون في الاسما بل في المصادر
والافعال انتهى اما قوله وهو سهو لان ذلك لا يكون الخ يعني ان حذف الهمزة في الدرج لا يكون
الا في الافعال والمصادر واما الاسما فلا يحذف همزها لانها همزات قطع قال سماب
الدين وهذا الكلام احق بان يكون سهوا لانا اولا لا نسلم ان هذه القراة من حذف همزة القطع
اجراها مجرى همزة الوصل وانما ذلك من باب نقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها وحركة
الهمزة كانت كسرة فحركة النون حركة نقل لا حركة التقا الساكنين ثم قوله الا في الافعال
والمصادر ليس هذا الحصر بصحيح اتفاقا لوجود ذلك في ابني عشرة ليست بمصادر وتقدم
ذكرها في اول الكتاب قال ابن الخطيب قوله على فرش متعلق بما في متكين كانه يقول
يتكيون على فرش كما يقال فلان اتكا على عصاه وعلى مخدته وهذا بعيد لان الفراش لا يتكا عليه
وانما كان متعلقا بغيره فما هو فنقول تقديره يتفكه الكاينون على فرش متكين من غير
بيان ما يتكيون عليه **فصل** الاستبرق ما غلظ من الديباج قال ابن مسعود وابو
هريرة فاذا كانت البطانة التي تلي الارض هذه فما ظنك بالظهارة وقيل لسعيد بن جبير
البطاين من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين وقال ابن عباس انما وصف لكم بطاينها لتهتدي اليه قلوبكم فاما الظواهر فلا يعلمها
الا الله قال القرطبي وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ظواهرها نور يتلالا وعن
الحسن البطاين هي الظواهر وهو قول الفرا وروي عن قتادة والعرب تقول للبطن ظهرا
فيقولون هذا بطن السما وظهر الارض وقال الفرا قد تكون البطانة الظهارة والظهارة
البطانة لان كل واحد منهما يكون وجها والعرب تقول هذا ظهر السما وهذا بطن السما
كظاهرها الذي نراه وانكر ابن قتيبة وغيره هذا قالوا لا يكون هذا الا في الوجهين المتساويين
اذا ولي كل واحد منهما قوم كالحايط بينك وبين قوم وعلى ذلك امر السما وقال ابن عباس
وصف البطاين وترك الظواهر لانه ليس في الارض احد يعرف ما الظواهر **فصل** قال
ابن الخطيب الاستبرق معرب وهو الديباج الثخين وكان الديباج معرب بسبب ان العرب لم
يكن عندهم ذلك الا من العجم تصرفوا فيه وهو ان اصله بالفارسية ستبرك بمعنى ثخين تصغير
ثخين فزادوا في اوله همزة وبدلوا الكاف قافا اما الهمزة فلان حركات اوايل الكلم في لسان
العجم غير مبينة في كثير من المواضع فصارت كالسكون فاثبتوا فيه همزة كما يجلبون همزة الوصل
عند سكون اول الكلمة ثم ان البعض جعلوها همزة وصل وقالوا من استبرق والاكثرون
جعلوها همزة قطع لان اول الكلمة في الاصل متحرك لكن بحركة فاسدة فاتوا بهمزة تسقط عنهم
الحركة الفاسدة وتمكنهم من تسكين الاول لان عند فساد الحركة العود الى السكون اقرب
واواخر الكلمات عند الوقف تسكن ولا يبدل حركة بحركة واما القاف فلانهم ارادوا اظهار كونها
فارسية او عجمية فاسقطوا منه الكاف التي هي حرف وعلى لسان العرب في اواخر الكلم للخطاب
لو تركت الكاف لاشتبه ستبرك وربك اذا لحقت كاف الخطاب بها فلو تركت الكاف قافا والام
الحقت الهمزة باولها وهذا وامثاله لا يخرج القران عن كونه عربيا لان العربي ما نطقت به
العرب وضعا واستعمالا من لغة غيرها وذلك كله سهل عليهم وبه يحصل الاعجاز بخلاف
ما لم يستعملوه من كلام العجم لصعوبته عليهم وذكر ان تكالانة حال الصحيح الفارغ القلب
المتنعم بخلاف المريض او المهموم قوله وجنى الجنتين دان مبتدا وخبر ودان اصله
دانو مثل غاز فاعل كما علاله وقرا عيسى بن عمر وجنى بكسر النون وتوجيهها ان يكون امال
الفتحة لاجل الالف ثم حذف الالف لالتقا الساكنين وابقى امالة النون فظنت كسرة
وقري وجنى بكسر الجيم وهي لغة والجنى ما يقطف من الثمار وهو فعل بمعنى مفعول كالقبض
والنقض **فصل** قال القرطبي الجنا ما يجتنى من الشجر يقال اتانا بجناة طيبة لكل
ما يجتنى وثمرة يجنى على فعيل جنى يجنى وقوله دان اي قريب قال ابن عباس تدنو الشجرة
حتى يجتنيها ولي الله ان شا قايما وان شا قاعدا وان شا مضطجعا وقال قتادة لا يرد يده
بعد ولا شوك قال ابن الخطيب جنة الاخرة مخالفة لجنة الدنيا من ثلاثة اوجه احدها

ان

ان الثمرة على روس الشجر في الدنيا بعيدة على الانسان المتكي وفي الجنة هو متكي والثمرة
تتدلى اليه وثانيها ان الانسان في الدنيا يسعى الى الثمرة ويتحرك اليها وفي الاخرة هي تدنو
اليهم وتدور عليهم وثالثها ان الانسان في الدنيا اذا قرب من ثمرة شجرة بعد عن غيرها وثمار
الجنة كلها تدنوا اليهم في وقت واحد ومكان واحد قوله فيهن قاصرات الطرف اختلفوا في هذا
الضمير فقيل يعود على الجنات فان قيل كيف تقدم تثنية في قوله فيهما عينان وفيهما من كل فاكهة
ثم اتى بضمير جمع فالجواب ان اقل الجمع اثنان على قول وله شواهد تقدم اكثرها او يقال عاد
الى الجنات المدلول عليها بالجنتين او يقال ان كل فرد فرد له جنتان فصح انها جنات كثيرة واما
ان الجنة تشتمل على مجالس وقصور ومنازل فاطلق كل واحد منها جنة وقيل يعود على الفرش
قال الزمخشري فيهن اي في هذه الالا المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش
والجنى قال ابو حيان وفيه بعد فكان قد استحسن الوجه الاول وفيه نظر لان الاستعمال ان
يقال على الفراش كذا ولا يقال في الفراش كذا الا بتكلف فلذلك جمع الزمخشري مع الفرش غيرها حتى
صح له ان يقول فيهن بحرف الظرفية ولان الحقيقة ان يكون الانسان على الفرش لانه مستقل عليها
واما كونه فيها فلا يقال الا مجازا وقال الفرا كل موضع في الجنة جنة فلذلك صح ان يقال فيهن
والقاصرات الحابسات الطرف اي يحبسن اعينهن على غير ازواجهن ومعناه قصرن الحاظهن على
ازواجهن قال امرؤ القيس من القاصرات الطرف لو دب محول من الدر فوق الاتب منها لاثرا
وقاصرات الطرف من اضافة اسم الفاعل لمنصوبه تخفيفا اذ يقال قصر طرفه على كذا وحذف متعلق
القصر للعلم به اي على ازواجهن كما تقدم تقريره وقيل معناه قاصرات طرف غيرهن عليهن اي
اذا راهن احد لم يتجاوز طرفه الى غيرهن ووحد الطرف مع الاضافة الى الجمع لانه في معنى المصدر
من طرفت عينه تطرف طرفا يقال ما فيها عين تطرف ثم سميت العين بذلك فادى عن الواحد
والجمع كقولهم قوم عدل وصوم قاله القرطبي واعلم ان هذا الترتيب في غاية الحسن لانه بين اولا المسكن
وهو الجنة ثم بين ما يتنزه به وهو البستان والاعين الجارية ثم ذكر الماكول فقال فيهما من كل فاكهة ثم
ذكر موضع الراحة بعد الاكل وهو الفرش ثم ذكر ما يكون في الفراش معه قال ابن الخطيب وقوله
قاصرات الطرف اي نسا او ازواج فحذف الموصوف لنكتة وهي انه تعالى لم يذكرهن باسم الجنس وهو
النسا بل بالصفات فقال حور عين كواعب اترابا قاصرات الطرف حور مقصورات في الخيام ولم يقل
نسا عربا ولا نسا قاصرات لوجهين اما على عادة العظما كبنات الملوك انما يذكرن باوصافهن واما لانهن
لما كمل كانهن خرجن من جنسهن وقوله قاصرات الطرف يدل على عفتهن وعلى حسن المومنين لانهن
يحببن ازواجهن حبا يشغلهن عن النظر الى غيرهم ويدل ايضا على الحيا لان الطرف حركة الجفن
والحسنة لا تحرك جفنها ولا ترفع راسها قوله لم يطمثهن هذه الجملة يجوز ان تكون نعتا لقاصرات
لان اضافتها لفظية كقوله هذا عارض ممطرنا • ويا رب غابطنا لو كان يطلبكم •
وان يكون حالا لتخصيص النكرة بالاضافة واختلف في هذا الحرف والذي يعده عن الكسائي
فنقل عنه انه كان يخير في ضم ايهما شا القاري ونقل عنه الدوري ضم الاول فقط ونقل عنه
ابو الحارث ضم الثاني فقط وهما لغتان يقال طمثها يطمثها ويطمثها اذا جامعها لما روى ابو اسحق
السبيعي قال كنت اصلي خلف اصحاب علي فاسمعهم يقولون لم يطمثهن بالرفع وكنت اصلي خلف
اصحاب عبد الله بن مسعود فاسمعهم يقولون بكسر الميم وكان الكسائي يضم احدهما ويكسر الاخرى
لئلا يخرج عن هذين الاثرين واصل الطمث الجماع المودي الى خروج دم البكر ثم اطلق على كل جماع
طمث وان لم يكن معه دم وقيل الطمث دم الحيض او دم الجماع فيكون اصله من الدم وقيل للحايض طامث
كانه قيل لم يدمهن بالجماع انس قبلهم ولا جان وقيل الطمث المس الخاص وقرا الجحدري وطلحة
ابن مصرف يطمثهن بفتح الميم في الحرفين وهو شاذ اذ ليست عينه ولا لامه حرف حلق والضمير
في قبلهم عايد على الازواج الدال عليهم قاصرات الطرف او الدال عليه متكين **فصل** قال
القرطبي لم يطمثهن اي لم يصبهن بالجماع قبل ازواجهن احد قال الفرا والطمث الافتضاض والنكاح
تاكيد منه طمثها يطمثها ويطمثها طمثا اذا افتضها ومنه قيل امراة طامث اي حايض وغير الفرا يخالفه
في هذا ويقول طمثها بمعنى وطيها على اي الوجوه كان الا ان قول الفرا اعرف واشهر قال الفرزدق
• دفعن الي لم يطمثن قبلي • وهن اصح من بيض النعام •

وقال ابو عمرو الطمث المس وذلك في كل شي يمس ويقال للمرتع ما طمث هذا المرتع قبله احد وما
طمثت هذه الناقة حبل اي ما مسها عقال وقال المبرد اي لم يذللهن انس ولا جان والطمث التذليل
وقرا الحسن جان بالهمز **فصل** دلت هذه الاية على ان الجن تغشى كالانس وتدخل الجنة
ويكون لهم فيها جنيات قال ضمرة للمومنين منهم ازواج من الحور فالانسيات للانس والجنيات
للجن وقيل معناه لم يطمث ما وهب الله للمومنين من الانس في الجنة من الحور العين من الانسيات
انس وذلك لان الجن لا تطا بنات ادم في الدنيا ذكره القشيري قال القرطبي قد مضى القول في هذا
في سورة النمل وفي سبحان ايضا وانه جايز ان تطا بنات ادم وقد قال مجاهد اذا جامع الرجل
ولم يسم انطوى الجان على احليله فجامع معه فذلك قوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان تعلمك
ان نسا الادميين لم يطمثهن الجان والحور العين قد برين من هذا العيب وتنزهن **فصل**
قال مقاتل في قوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان لانهن خلقن في الجنة فعلى قوله يكونون من
حور الجنة وقال الشعبي من نسا الدنيا لم يمسهن منذ انشين خلقا وهو قول الكلبي اي لم يجامعهن
في هذا الخلق الذي انشين فيه انس ولا جان قوله كانهن الياقوت هذه الجملة يجوز ان تكون
نعتا لقاصرات وان تكون حالا منها ولم يذكر مكي غيره وتقدم الكلام في المرجان والياقوت جوهر
نفيس يقال ان النار لم توثر فيه ولذلك قال الحريري •

• وطالما اصلي الياقوت جمر غضا • ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت •

اي باق على حاله لم يتاثر بها ووجه التشبيه كما قال الحسن في صفا الياقوت وبياض المرجان وهذا
على القول بانه ابيض كما تقدم وقيل الوجه في الصفة بهما لنفاستهما لا للونهما ولذلك سموا مرجانه
ودرة وشبه ذلك قوله هل جزا الاحسان الا الاحسان قرا ابن ابي اسحاق الا الحسان اي الا الحور
الحسان قال القرطبي هل في الكلام على اربعة اوجه تكون بمعنى قد كقوله تعالى هل اتى وهل
اتاك وبمعنى الاستفهام فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وبمعنى الامر كقوله تعالى فهل انتم منتهون
وبمعنى ما في الجحد كقوله تعالى فهل على الرسل الا البلاغ المبين وهل جزا الاحسان الا الاحسان
قال ابن الخطيب في هذه الاية وجوه كثيرة حتى قيل ان في القران ثلاث ايات في كل واحدة منها
مايه قول احدها قوله تعالى فاذكروني اذكركم وثانيها وان عدتم عدنا وثالثها هل جزا الاحسان
الا الاحسان والمشهور منها اقوال احدها قال عكرمة اي هل جزا من قال لا اله الا الله الا الجنة
وقال ابن عباس اي ما جزا من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة
وقيل هل جزا من احسن في الدنيا الا ان يحسن اليه في الاخرة قاله ابن زيد وروي انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قرا هل جزا الاحسان الا الاحسان ثم قال هل تدرون ماذا قال ربكم قال هل
جزا من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وروي ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية
فقال يقول الله هل جزا من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا ان اسكنه جنتي وحضيرة قدسي
برحمتي وقال الصادق هل جزا من احسنت اليه في الاول الا حفظ الاحسان اليه في الابد قال
ابن الخطيب والاقرب انه عام فجزا كل من احسن الي غيره ان يحسن هو ايضا قوله ومن دونهما
جنتان اي ومن دون تلك الجنتين المتقدمتين جنتان في المنزلة وحسن المنظر وهذا على
الظاهر من ان الاولتين افضل من الاخريين وقيل بالعكس ورجحه الزمخشري وقال قوله فيهما
مدهامتان مع قوله في الاولتين ذواتا افنان يدل على ان مرتبة هاتين دونهما وكذلك قوله
في الاولتين عينان تجريان مع قوله في هاتين فيهما عينان نضاختان لان النضخ دون الجري
وقوله في الاولتين من كل فاكهة مع قوله في هاتين فاكهة وقوله في الاولتين فرش بطاينها
حيث ترك ذكر الظهاير لعلوها ورفعتها وعدم ادراك العقول اياها مع قوله في هاتين رفرف
خضر لدليل عليه وقال القرطبي لما وصف الله الجنتين اشار الى الفرق بينهما فقال في الاولتين
فيهما من كل فاكهة زوجان فعموم بخص وفي الاخريين فيهما فاكهة ونخل ورمان ولم يقل من كل
فاكهة وقال في الاولتين متكين على فرش بطاينها من استبرق وهو الديباج وفي الاخريين متكين
على رفرف خضر وعبقري حسان والعبقري الموشي والديباج اعلا من الموشي والرفرف كسر الخبا
والفرش المعدة للاتكا عليها افضل من كسر الخبا وقال في الاولتين في صفة الحور العين كانهن
الياقوت والمرجان وفي الاخريين فيهن خيرات حسان وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان

وقال

وقال في الاولتين ذواتا افنان وفي الاخريين مدهامتان اي خضراوان كانهما من شدة خضرتهما
سوداوان وهذا كله يبان لتفاوت ما بينهما قال ابن الخطيب ويمكن ان يجاب بان عطا الله في الاخرة
متناسب اما ان يكون مثل الاول او خيرا منه ويمكن ان يجيب الزمخشري بان الجنتين اللتين من
دونهما لذريتهم التي الحق الله بهم ولاتباعهم لا لهم وانما جعلهما لهم انعاما عليهم اي هاتين الاخريين
لكم اسكنوا فيهما من تريدون وقيل ان المراد بقوله ومن دونهما اي دونهما في المكان كانهم في
جنتين ويطلعون من فوق على جنتين اخريين دونهما بدليل قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف
مبنية تجري من تحتها الانهار قال ابن عباس ومن دونهما في الدرج وقال ابن زيد ومن
دونهما في الفضل وقال ابن عباس والجنات لمن خاف مقام ربه فيكون في الاوليين النخل والشجر
وفي الاخريين الزرع والنبات وقيل المراد من قوله ومن دونهما جنتان لاتباعه لقصور منزلتهم
عن منزلته احديهما للحور العين والاخرى للولدان المخلدين ليتميز بها الذكور من الاناث وقال
ابن جريج هي اربع جنتان للسابقين المقربين فيهما من كل فاكهة زوجان وعينان تجريان وجنتان
لاصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان وقال ابو موسى الاشعري جنتان من ذهب للسابقين
وجنتان من فضة للتابعين قال عليه السلام جنتان من فضة انيتهما وما فيهما وجنتان
من ذهب انيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا ردا الكبريا على وجهه
في جنة عدن وقال الكسائي ومن دونهما اي امامهما وقبلهما قال البغوي يدل عليه قول الضحاك
الجنتان الاولتان من ذهب وفضة والاخرتان من ياقوت وزمرد وهما افضل من الاولتين
والى هذا القول ذهب ابو عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقال ومعنى ومن
دونهما جنتان اي دون هذا الى العرش اي اقرب وادنى الى العرش وقال مقاتل الجنتان الاولتان
جنة عدن وجنة النعيم والاخريان جنة الفردوس وجنة الماوى قوله مدهامتان اي خضراوان
قال ابن عباس وغيره وقال مجاهد مسودتان والادهام في اللغة السواد وشدة الخضرة
جعلا مدهامتان لشدة ريهما وهذا مشاهد بالنظر ولذلك قالوا سواد العراق لكثرة شجره
وزروعه ويقال فرس ادهم وبعير ادهم وناقة دهما اي اشتدت زرقته حتى ذهب البياض
الذي فيه فان زاد على ذلك حتى اشتد السواد فهو جون وادهم الفرس ادهماما اي صار ادهم
وادهام الشي ادهماما اي اسواد والارض اذا اخضرت غاية الخضرة تضرب الى السواد ويقال
للارض المعمورة سواد يقال سواد البلد وقال عليه السلام عليكم بالسواد الاعظم ومن
كثر سواد قوم فهو منهم قال ابن الخطيب والتحقيق فيه ان ابتدا الالوان هو البياض وانتهاها
هو السواد فان الابيض يقبل كل لون والاسود لا يقبل شيا من الالوان قوله فيهما
عينان نضاختان قال ابن عباس اي فوارتان بالما والنضخ بالمعجمة اكثر من النضح بالحا
المهملة لان النضح بالمهملة الرش والنضخ بالمعجمة فوران الما وقال ابن عباس والحسن ومجاهد
المعنى نضاختان بالخير والبركة وعن ابن مسعود وابن عباس ايضا وانس تنضخ على اولياء
الله بالمسك والعنبر والكافور في دور اهل الجنة كما ينضخ رش المطر وقال سعيد بن جبير
بانواع الفواكه والما قوله فيهما فاكهة ونخل ورمان قال بعض العلما ليس الرمان والنخل
من الفاكهة لان الشي لا يعطف على نفسه انما يعطف على غيره لان العطف يقتضي المغايرة
وهذا ظاهر الكلام فلو حلف لا ياكل فاكهة لم يحنث باكلهما وقال الجمهور هما من الفاكهة وانما اعاد
ذكر النخل والرمان لفضلهما على الفاكهة فهو من باب ذكر الخاص بعد العام تفضيلا له كقوله
تعالى وملايكته ورسله وجبريل وميكال وقوله حافظوا على الصلوات قال شهاب الدين وهذا لا يجوز
لان فاكهة ليس عاما لانه نكرة في سياق الاثبات وانما هو مطلق ولكن لما كان صادقا على
النخل والرمان قيل فيه ذلك قال القرطبي وقيل انما كررهما لان النخل والرمان كانا عندهم
في ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا لان النخل عامة قوتهم والرمان كالثمرات فكان يكثر غرسهما
عندهم لحاجتهم اليه وكانت الفواكه عندهم من الوان الثمار الذي يعجبون بها فانما ذكر الفاكهة
ثم ذكر النخل والرمان لعمومهما وكثرتهما عندهم من المدينة الى مكة الى ما والاها من ارض اليمن فاخرجهما
من الذكر من الفواكه وافرد الفواكه على حدتها وقيل افردا بالذكر لان النخل ثمره فاكهة وطعام
والرمان فاكهة ودوا فلم يخلصا للتفكه ومنه قال ابو حنيفة رحمه الله اذا حلف لا ياكل فاكهة

فاكل رمانا او رطبا لم يحنث **فصل** قال ابن الخطيب قوله فيهما فاكهة ونخل ورمان كقوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان لان الفاكهة ارضية وشجرية فالارضية كالبطيخ وغيره من الارضيات المزروعة والشجرية كالنخل وغيرها من الشجريات فقال مدهامتان بانواع الخضر التي منها الفواكه الارضية والفواكه الشجرية وذكر منهما نوعين وهما الرمان والرطب لانهما متقابلان احدهما حلو والاخر حامض واحدهما حار والاخر بارد واحدهما فاكهة وغذا والاخر فاكهة ودوا واحدهما من فواكه البلاد الحارة والاخر من فواكه البلاد الباردة واحدهما اشجار في غاية الطول والكبر والاخر اشجاره بالضد واحدهما ما يوكل منه بارزوما لا يوكل كامن والاخر ما لا يوكل منه بارزوما يوكل كامن فهما كالضدين والاشارة الي الطرفين تتناول الاشارة الي ما بينهما كقوله تعالى رب المشرق والمغرب **فصل** قال ابن عباس الرمانة في الجنة مثل جلد البعير المقتب وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وكربها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة فيها مقطعاتهم وحللهم وثمرها امثال القلال والدلا اشد بياضا من اللبن واحلا من العسل والين من الزبد ليس لهم عجم وفي رواية كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وان ماها ليجري في غير اخدود والعنقود اثني عشر ذراعا قوله فيهن خيرات حسان فيه وجهان احدهما انه جمع خيرة بزنة فعلة بسكون العين يقال امراة خيرة واخرى شرة والثاني جمع خيرة المخففة من خيرة ويدل على ذلك قراة ابن مقسم والنهدي وبكر بن حبيب خيرات بتشديد الياء قال القرطبي وهي قراة قتادة وابن السميقع وابو رجا العطاردي وقرا ابو عمرو خيرات بفتح اليا جمع خيرة وهي شاذة لانه العين معتلة الا ان بني هذيل يعاملها معاملة الصحيح فيقولون جورات وبيضات وانشد

• اخو بيضات رايح متاوب • رفيق بمسح المنكبين سبوح •

فصل قال المفسرون الخيرات الحسان يعني النسا الواحدة خيرة على معنى ذوات خيرات وقيل خيرات بمعني خيرات تخفف كهين ولين روي الحسن عن امه عن ام سلمة قالت قلت لرسول الله صلي الله عليه وسلم اخبرني عن قوله خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه وقال ابو صالح لانهن عذاري ابكار وقال الحكيم الترمذي فالخيرة ما اختارهن الله فابدع خلقهن باختياره فاختيار الله لا يشبه اختيار الادميين ثم قال حسان فوصفهن بالحسن فاذا وصف الله خالق الحسن شيا بالحسن فانظر ما هناك قال ابن الخطيب في باطنهن الخير وفي ظاهرهن الحسن قوله حور مقصورات في الخيام معني مقصورات اي محبوسات ومنه القصر لانه يحبس من فيه ومنه قول النحاة المقصور لانه حبس عن المد او حبس عن الاعراب او حبس فيه والنسا تمدح بملازمتهن البيوت كما قال قيس بن الاسلت

• وتكسل عن جيرانها فيزرنها • وتعتل عن اتيانهن فتعذر •

ويقال امراة مقصورة وقصيرة وقصورة بمعني واحد وقال كثير عزة

• وانت التي حببت كل قصيرة الي • ولم يعلم بذاك القصاير •

• عنيت قصيرات الحجال ولم ارد • قصار الخطا شر النسا البحاتر •

والخيام جمع خيمة وهي تكون من ثمام وساير الحشيش فان كانت من شعر فلا يقال لها خيمة بل بيت وقال جرير

• متي كان الخيام بذي طلوح • سقيت الغيث ايتها الخيام •

فصل اختلفوا ايما اكثر حسنا واتم جمالا الحور ام الادميات فقيل الحور لما ذكر من وصفهن في القران والسنة ولقوله صلي الله عليه وسلم في دعايه في صلوة الجنازة وابدله زوجا خيرا من زوجه وقيل الادميات افضل من الحور العين بسبعين الف ضعف روي ذلكم رفوعا وقيل ان الحور العين المذكورات في القران هن المومنات من ازواج النبيين والمومنين يخلقن في الاخرة على احسن صورة قال الحسن البصري والمشهور ان الحور العين لسن من نسا اهل الدنيا انما هن مخلوقات في الجنة لان الله تعالى قال لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان واكثر نسا اهل الدنيا مطموثات **فصل** الحور جمع حورا وهي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها والمقصورات المحبوسات المستورات في الخيام

وهي

وهي الحجال لسن بالطوافات في الطرق قاله ابن عباس وقال عمر رضي الله عنه الخيمة درة مجوفة وقاله ابن عباس فقال وهو فرسخ في فرسخ لها اربعة الاف مصراع من ذهب قال ابو عبد الله الحكيم الترمذي في قوله تعالى حور مقصورات في الخيام بلغنا في الرواية ان سحابة مطرت من العرش فخلقن من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة خيمة على شاطي الانهار سعتها اربعون ميلا وليس لها باب حتى اذا حل ولي الله بالخيمة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله ان ابصار المخلوقين من الملايكة والخدام لم ياخذها فهي مقصورة قد قصر بها عن ابصار المخلوقين وقال مجاهد معناه قصرن اطرافهن وانفسهن على ازواجهن فلا يبغين بدلا وقال عليه السلام لو ان امراة من نسا اهل الجنة اطلعت على اهل الارض لاضات ما بينهما ولملات ما بينهما ريحا وتقدم الكلام على قوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قوله متكين على رفرف الرفرف جمع رفرفة فهو اسم جنس وقيل بل هو اسم جمع نقلهما مكي وهي ما تدلي من الاسرة من عالي الثياب وقال الجوهري ثياب خضر يتخذ منها المجالس الواحدة رفرفة واشتقاقه من رف الطاير اي ارتفع في الهوي ورفرف بجناحيه اذا نشرهما للطيران ورفرف السحاب هبوبه ويدل على كونه جمعا وصفه بالجمع وقال الراغب رفيف الشجر انتشار اغصانه ورف الطاير نشر جناحيه يرف بالكسر ورف فرخه يرفه بالضم تفقده ثم استعير للتفقد ومنه ما له حاف ولا راف اي ما لم من يحفه ويتفقده والرفرف المنتشر من الاوراق وقوله على رفرف خضر ضرب من الثياب مشبه بالرياض وقيل الرفرف طرف الفسطاط والخبا الواقع على الارض دون الاطناب والاوتاد وذكر الحسن انه المخاد وقال ابن جبير وابن عباس ايضا رياض الجنة من رف البيت اذا تنعم وحسن وقال ابن عيينة هي الزرابي وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف قال القرطبي وفي الخبر في وفاة النبي صلي الله عليه وسلم فرفع الرفرف من رف النبت يرف اذا صار غضا نضيرا قاله القتيبي يقال للشي اذا كثر ماوه من النعمة والغضاضة حتى كاد يهتز رف يرف رفيفا حكاه الهروي وقد قيل ان الرفرف شي اذا استوي عليه صاحبه رفرف به واهوي به كالمرجاح يمينا وشمالا ورفعا وخفضا يتلذذ به مع انيسه قاله الحكيم الترمذي في نوادر الاصول قال فالرفرف اعظم خطرا من الفرش فذكر في الاولتين متكين على فرش بطاينها من استبرق وقال هنا متكين على رفرف خضر فالرفرف هو مستقر الولي على شي اذا استوي عليه الولي رفرف به اي طار به حيث ما يريد كالمرجاح وروي في حديث المعراج ان رسول الله صلي الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهي جاه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به الي سند العرش فذكر انه طار به يخفضني ويرفعني حتى وقف بي على ربي ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوي به حتى اداه الي جبريل صلوات الله وسلامه عليه فالرفرف خادم من الخدم بين يدي الله تعالى لخواص الامور في محل الدنو والقربة كما ان البراق دابة يركبها الانبيا مخصوصة بذلك في ارضه فهذا الرفرف الذي سخره لاهل الجنتين الدانيتين هو متكاوهما وفرشهما يرفرف بالولي على حافات تلك الانهار حيث شا الي خيام ازواجه **فصل** نعت هنا بخضر لان اسم الجنس ينعت بالجمع كقوله والنخل باسقات وبالمفرد وحسن جمعه هنا جمع حسان وقرا العامة رفرف وقرا عثمان بن عفان ونصر ابن عاصم وعاصم والجحدري والعوفي وغيرهم رفارف خضر بالجمع وسكون الضاد وعنهم ايضا خضر بضم الضاد وهو اتباع للخا وقيل هي لغة في جمع افعل الصفة قال القرطبي وروي ابو بكرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قرا متكين على رفارف خضر وعباقري حسان ذكره الثعلبي وضم الضاد من خضر قليل وانشد لطرفة

• ايها الفتيان في مجلسنا • جردوا منها ورادا وشقر •

وقال اخر

• وما انتميت الي جور ولا كشف • ولا لئام غداة الروع اوزاع •

وقرا وعباقري بكسر القاف وفتحها وتشديد اليا مفتوحة على منع الصرف وهي مشكلة اذ لا مانع من تنوين يا النسب وكان هذا القاري توهم كونها في صفاعل تمنع من الصرف وقد روي عن النبي صلي الله عليه وسلم وجماعة وعباقري منونا ابن خالويه وروي عن عاصم رفاف بالصرف وقد يقال فيمن منع عباقري انه لما جاور رفارف الممتنع امتنع هنا كله وفي من صرف رفارف انه لما جاور عباقريا المنصرف صرفه للتناسب كسلاسلا واغلالا كما سياتي

بيانه ان شا الله تعالى وقرا ابو محمد المروزي وكان نحويا حضنا ركضراب بالتشديد وافعل
وفعال لا يعرف فوله وعبقري حسان للجمهور قرا وادعبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب
انها بلد للجن قال ابن الانباري الاصل فيه ان عبقر قرية يسكنها الجن ينسب اليها كل فايق
جليل وقال الخليل كل فاضل فاخر من الرجال والنسا وغيرهم عند العرب عبقري ومنه
قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر رضي الله عنه فلم ار عبقريا من الناس يفري فريه قال
رئيس قوم وجليلهم وقال زهير بخيل عليها جنة عبقرية جديرون يوما ان ينالوا فيستعلوا
وقال الجوهري العبقري موضع تزعم العرب انه من ارض الجن قال لبيد كهول وشبان
كجنة عبقر ثم نسبوا اليها كل شي تعجبوا من حذقه وجودة صنعته وقوته فقالوا عبقري
وهو واحد وجمع وفي الحديث انه كان يسجد على عبقري وهي البسط التي فيها الاصباغ
والنقوش والمراد به في الاية قيل البسط التي فيها صور وتماثيل وقيل الزرابي وقيل
الطنافس وقيل الديباج الثخين وعبقري جمع عبقرية يعني فيكون اسم جنس كما تقدم
في رفرف وقيل هو واحد دال على الجمع ولذلك وصف بحسان قال القرطبي وقرا بعضهم عباقري
حسان وهو خطا لان المنسوب لا يجمع على نسبته وقال قطرب ليس بمنسوب وهو مثل
كرسي وكراسي وبختي وبخاتي قوله تبارك اسم ربك ذي الجلال قرا ابن عامر ذو الجلال
بالواو وجعله تابعا للاسم وكذلك هي مرسومة في مصحف الشاميين قال القرطبي وذلك
يقوي كون الاسم هو المسمى والباقون بالياء صفة للرب فانه هو الموصوف بذلك واجمعوا
على الواو في الاول الا من استثني فيما تقدم **فصل** تبارك تفاعل من البركة قال
ابن الخطيب واصل التبارك من التبرك وهو الدوام والثبات ومنه بروك البعير وبركة
الماء فان الما يكون فيها دايما والمعنى دام اسمه وثبت ودام الخير عنده لان البركة وان
كانت من الثبات لكنها تستعمل في الخير او يكون معناه علا وارتفع شانه **فصل**
قال القرطبي كانه يريد به الاسم الذي افتتح به السورة فقال الرحمن فافتتح بهذا الاسم
فوصف خلق الانسان والجن وخلق السموات والارض وصنعه وانه كل يوم هو في شان
ووصف تدبيره فيهم ثم وصف يوم القيمة واهوالها وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان
ثم قال في اخر السورة تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام اي هذا الاسم الذي افتتح
به هذه السورة كانه يعلمهم ان هذا كله خرج لكم من رحمتي فمن رحمتي خلقتكم وخلقت
لكم السما والارض والخليقة والجنة والنار فهذا كله لكم من اسم الرحمن فمدح اسمه فقال
تبارك اسم ربك ثم قال ذي الجلال والاكرام اي جليل في ذاته كريم في افعاله روى الثعلبي
عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكل شي عروس وعروس
القران سورة الرحمن جل ذكره وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الرحمن رحم الله ضعفه وادى شكر ما انعم الله عز وجل عليه

سورة الواقعة مكية

في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطا وقال ابن عباس وقتادة الا اية منها نزلت بالمدينة
وهي قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقال الكلبي مكية الا اربع ايات منها
ايتان افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون نزلتا في سفر وقوله
تعالى ثلة من الاولين وثلة من الاخرين نزلتا في سفره الى المدينة وهي ست وتسعون
اية وثلاث مائة وتسعون كلمة والف وسبعماية وثلاثة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اذا وقعت الواقعة في اذا اوجه احدها انها ظرف محض ليس فيه معنى
الشرط والعامل فيها ليس الثاني ان العامل فيها اذكر مقدرا قال الزمخشري فان قلت
بم انتصب اذا قلت بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل ثم قال او باضمار اذكر قال
ابو حيان ولا يقول هذا نحوي قال لان ليس مثل ما النافية فلا حدث فيها فكيف تعمل في

الظرف من غير حدث وتسميتها فعلا مجاز فان حد الفعل غير منطبق عليها ثم قال واما المثال
الذي نظر به فالظرف ليس معمولا لليس بل للخبر وتقدم معمول خبرها عليها وهي مسيلة خلاف
انتهى قال شهاب الدين الظروف يعمل فيها روايح الافعال ومعنى كلام الزمخشري ان النفي
المفهوم من ليس هو العامل في اذا كانه قيل ينتفي كذب وقوعها اذا وقعت ويدل على هذا قول
ابي البقا والثاني ظرف لما دل عليه ليس لوقعتها كاذبة اي اذا وقعت لم تكذب فانه قيل فليجز
ذلك في ما النافية ايضا فالجواب ان الفعل اقرب الى الدلالة على الحدث من الحروف الثالث انها
شرطية وجوابها مقدر اي اذا وقعت كان كيت وكيت وهو العامل فيها الرابع انها شرطية والعامل
فيها الفعل الذي بعدها ويليها وهو اختيار ابي حيان وتبع في ذلك مكيا قال مكي والعامل
فيها وقعت لانها قد يجازى بها فيعمل فيها الفعل الذي بعدها كما يعمل فيما ومن اللتين للشرط
في قولك ما تفعل افعل ومن تكرم اكرم ثم ذكر كلاما كثيرا الخامس انها مبتدا واذا رجت خبرها
وهذا على قولنا انها تتصرف وقد مضى تحريره الا ان الوجه انما جوزه ابن مالك وابن جني
وابو الفضل الرازي على قراة من نصب خافضة رافعة على الحال وحكاه بعضهم عن الاخفش
قال شهاب الدين ولا ادري اختصاص ذلك بوجه النصب السادس انه ظرف لخافضة او رافعة
قاله ابو البقا اي اذا وقعت خفضت ورفعت السابع ان يكون ظرفا لرجت واذا الثانية على
هذا اما بدل من الاولى او تكرير لها الثامن ان العامل فيه ما دل عليه قوله فاصحاب الميمنة
اي اذا وقعت بانت احوال الناس فيها التاسع ان جواب الشرط قوله فاصحاب الميمنة الى اخره
ولو فعتها خبر مقدم وكاذبة اسم موخر وكاذبة يجوز ان يكون اسم فاعل وهو الظاهر وهو
صفة لمحذوف فقدره الزمخشري نفس كاذبة اي اذ ذاك اليوم لا يكذب على الله احد ولا يكذب
بيوم القيمة احد ثم قال واللام مثلها في قوله قدمت لحياتي اذ ليس لها نفس تكذبها وتقول
لها لم تكوني كما لها نفوس كثيرة يكذبنها اليوم يقلن لها لم تكوني او هو من قولهم كذبت فلان
نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا
تبال به على معنى انها وقعت لا انطاق شدة وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما
تحدث به عند عظايم الامور وتزين له احتمالها واطاقتها لانهم يوميذ اضعف من ذلك واذل
الا ترى قوله كالفراش المبثوث والفراش مثل في الضعف وقدره ابن عطية حال كاذبة قال
ويحتمل الكلام على هذا معنيين احدهما كاذبة اي مكذوبة فيما اخبر به عنها فسماها كاذبة لهذا
كما تقول هذه قصة كاذبة اي مكذوب فيها والثاني ان لا يمضي وقوعها كقولك فلان اذا حمل لم
يكذب والثاني ان كاذبة مصدر بمعنى التكذيب نحو خائنة الاعين قال الزمخشري من قولك
حمل فلان على قرنه فما كذب اي فما جبن ولا تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فما حدثته به من
اطاقته له واقدامه عليه وانشد لزهير • اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا •
اي اذا وقعت لم يكن لها رجعة ولا ارتداد انتهى وهو كلام حسن جدا ثم لك في هذه الجملة وجهان
احدهما انها لا محل لها من الاعراب اما لانها ابتدائية ولا سيما على راي الزمخشري حيث جعل
الظرف متعلقا بها واما لانها اعتراضية بين الشرط وجوابه المحذوف والثاني ان محلها النصب
على الحال قال ابن عطية ولم يبين صاحب الحال ما ذا وهو واضح اذا لم يكن هذا الا الواقعة
وقد صرح ابو الفضل بذلك وقرا العامة برفع خافضة رافعة على خبر ابتدا مضمر اي هي خافضة
قوما الى النار ورافعة اخرين الى الجنة فالمفعول محذوف لفهم المعنى او يكون المعنى انها ذات
خفض ورفع كقوله يحيي ويميت وكلوا واشربوا وقرا زيد بن علي وعيسى والحسن وابو حيوة
وابن مقسم واليزيدي بنصبهما على الحال ويروى عن الكسائي انه قال لولا ان اليزيدي سبقني
اليه لقرات به انتهى قال شهاب الدين ولا اظن مثل هذا يصح عن مثل هذا واختلف في ذي
الحال فقال ابو البقا من الضمير في وقعت واصلاحه ان يقول او فاعل وقعت اذ لا ضمير
في وقعت وقال ابن عطية وابو الفضل من الواقعة ثم قرا مجي الحال متعددة من ذي حال
واحدة كما يجي الاخبار متعددة وقد تقدم بيانه قال ابو الفضل واذا جعلت هذه كلها
احوالا كان العامل في اذا وقعت محذوفا يدل عليه الفحوى اي اذا وقعت تحاسبون **فصل**
قال المفسرون اذا وقعت الواقعة اي قامت القيمة والمراد النفخة الاخيرة وسميت الواقعة

لانها تقع عن قرب وقيل لكثرة ما يقع فيها من الشدايد قال الجرجاني اذ اصلة اي وقعت
الواقعة كقوله اقتربت الساعة واتى امر الله وهو كما يقال جا الصوم اي دنا واقترب وقال
القرطبي فيه اضمار اي اذكر اذا وقعت وعلى هذا اذا للتوقيت والجواب قوله فاصحاب الميمنة
وقال ابن الخطيب او يكون التقدير اذا وقعت الزلزلة الواقعة يعترف بها كل احد ولا يتمكن
احد من انكارها ليس لوقعتها كاذبة الكاذبة مصدر بمعنى الكذب والعرب قد تضع الفاعل
والمفعول موضع المصدر كقوله تعالى لا يسمع فيها لاغية اي لغو والمعنى ليس لها كذب قاله
الكساي ومنه قول العامة عايذا بالله اي معاذا لله وقم قايما اي قم قياما وقيل الكاذبة صفة
والموصوف محذوف اي ليس لوقعتها حال كاذبة او نفس كاذبة اي كل من يخبر عن وقعتها صادق
وقال الزجاج ليس لوقعتها كاذبة يكذب بها وقيل ان قيامها جد لا هزل وقوله خافضة
رافعة قال عكرمة ومقاتل والسدي خفضت الصوت فاسمعت من دنا ورفعت الصوت
فاسمعت من ناى يعني اسمعت القريب والبعيد وعن السدي خفضت المتكبرين ورفعت
المستضعفين وقال قتادة خفضت اقواما في عذاب الله ورفعت اقواما الى طاعة الله وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه خفضت اعدا الله في النار ورفعت اوليا الله في الجنة وقال
ابن عطا خفضت قوما بالعدل ورفعت اخرين بالفضل والرفع والخفض يستعملان عند
العرب في المكان والمكانة والعز والاهانة ونسب سبحانه الرفع والخفض الى القيمة توسعا
ومجازا على عادة العرب في اضافتها الفعل الى المحل والزمان وغيرهما مما لم يكن منه الفعل
يقولون ليل قايم ونهار صايم وفي التنزيل مكر الليل والنهار والخافض والرافع في الحقيقة
هو الله تعالى واللام في قوله لوقعتها اما للتعليل اي لا تكذب نفس في ذلك اليوم لشدة
وقعتها واما للتعدية كقوله ليس لزيد ضارب فيكون التقدير اذا وقعت الواقعة ليس وقعتها
امر يوجد لها كاذب يكذب اذا اخبر عنه قال ابن الخطيب وعلى هذا لا يكون ليس عاملا
في اذا وهو بمعنى ليس لها كاذب قوله اذا رجت يجوز ان يكون بدلا من اذا الاولى او تاكيدا
لها او خبرا لها على انها مبتداة كما تقدم تحريره وان يكون شرطا والعامل فيها اما مقدر واما
فعلها الذي يليها كما تقدم في نظيرها وقال الزمخشري ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة
اي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك يخفض ما هو مرتفع ويرتفع
ما هو منخفض قال ابو حيان ولا يجوز ان ينتصب بهما معا بل باحدهما لانه لا يجتمع موثران على
اثر واحد قال شهاب الدين معنى كلامه ان كلا منهما متسلط عليه من جهة المعنى وتكون
المسلة من التنازع وحينئذ تكون العبارة صحيحة اذ يصدق ان كلا منهما عامل فيه وان كان
على التعاقب والرج التحريك الشديد بمعنى زلزلت قال مجاهد وغيره يقال رجه يرجه
رجا اي حركه وزلزله وناقة رجا اي عظيمة السنام والرجرجة الاضطراب وارتج البحر
وغيره اضطرب وفي الحديث من ركب البحر حين يرتج فلا ذمة له يعني اذا اضطربت امواجه
قال الكلبي وذلك ان الله تعالى اذا اوحى اليها تضطرب فرقا من الله تعالى قال المفسرون
ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم ما عليها وينكسر كل شي عليها من الجبال وغيرها
وعن ابن عباس الرجة الحركة الشديدة يسمع لها صوت قوله وبست الجبال اي سيرت
من قولهم بس الغنم اي ساقها وابسست الابل ابسها بسا وبسست وابسست لغتان اذا
زجرتها وقلت بس بس قاله ابو زيد او بمعنى فتتت كقوله تعالى ينسفها ربي نسفا ويدل
عليه فكانت هبا منبثا قال ابن عباس ومجاهد كما يبس الدقيق اي بلت والبسيسة السويق
او الدقيق يلت بالسمن او بالزيت ثم يوكل ولا يطبخ وقد يتخذ زادا قال الراجز

• لا تخبزا خبزا وبسا بسا • ولا تطيلا بمناخ حبسا •

وقال الحسن بست قلعت من اصلها فذهبت ونظيرها ينسفها ربي نسفا وقال عطية
بسطت كالرمل والتراب وقال مجاهد سالت سيلا وقال عكرمة هدت وقرا زيد بن علي
رجت وبست مبنيين للفاعل على ان رج وبث يكونان لازمين ومتعديين اي ارتجت
وذهبت قوله فكانت هبا منبثا قرا النخعي ومسروق وابو حيوة منبتا بنقطتين من
فوق اي منقطعا من البت ومعنى الاية يبنوا عنه قال علي رضي الله عنه الهبا المنبث الرهج

الذي

الذي يسطع من حوافر الخيل ثم يذهب فيجعل الله تعالى اعمالهم كذلك وقال مجاهد الهبا الشعاع
الذي يكون في الكوة كهيئة الغبار وروي نحوه عن ابن عباس وعنه ايضا هو ما تطاير من النار اذا
اضطربت يطير منه شرر فاذا وقع لم يكن شيا وقال عطية والمنبث المتفرق قال تعالى وبث فيها
من كل دابة اي فرق ونشر قوله وكنتم ازواجا ثلاثة اي اصنافا ثلاثة كل صنف يشاكل ما هو منه
كما يشاكل الزوج الزوجة ثم بين من هم فقال فاصحاب الميمنة واصحاب المشامة والسابقون قوله
فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة الاول مبتدا وما استفهام فيه تعظيم مبتدا ثان واصحاب الثاني
خبره والجملة خبر الاول وتكرار المبتدا هنا بلفظه مغن عن الضمير والحاقة ما الحاقة القارعة ما
القارعة ولا يكون ذلك الا في مواضع التعظيم فان قيل ان ما نكرة وما بعده معرفة فكان ينبغي ان
يقال ما خبر مقدم واصحاب الثاني وشبهه مبتدا لان المعرفة احق بالابتدا من النكرة وهذا السوال
وارد على سيبويه في مثل هذا وفي قولك كم مالك ومررت برجل خير منه ابوه فانه يعرب ما الاستفهامية
وكم وافعل مبتدا وما بعدها خبرها والجواب انه كثر وقوع النكرة خبرا عن هذه الاشيا كثرة متزايدة
فاطرد الباب ليجري على سنن واحد هكذا اجابوا وهذا لا ينهض مانعا من جواز ان يكون ما
وكم وافعل خبرا مقدما ولو قيل فيه لم يكن خطا بل اقرب الى الصواب والميمنة مفعلة من لفظ
اليمين وكذلك المشامة من اليد الشومى وهي الشمال لتشام العرب بها او من الشوم **فصل**
قال السدي اصحاب الميمنة هم الذين يوخذ بهم ذات اليمين الى الجنة واصحاب المشامة هم الذين
يوخذ بهم ذات الشمال الى النار والمشامة الميسرة وكذلك المشامة يقال قعد فلان شامة ويقال
شام باصحابك اي خذ بهم شامة اي ذات الشمال والعرب تقول لليد الشمال الشومى وللجانب الشمال
الاشام وكذلك يقال لما جا عن اليمين ولما جا عن الشمال الشوم قال البغوي ومنه سمي الشام واليمن
لان اليمن عن يمين الكعبة والشام عن شمالها قال ابن عباس والسدي اصحاب الميمنة هم الذين
كانوا عن يمين ادم حين اخرجت الذرية من صلبه فقال الله لهم هولا في الجنة ولا ابالي وقال زيد
ابن اسلم هم الذين اخذوا من شق ادم الايمن يومئذ واصحاب المشامة هم الذين اخذوا من شق ادم
الايسر وقال عطا ومحمد بن كعب اصحاب الميمنة من اوتي كتابه بيمينه واصحاب المشامة من اوتي
كتابه بشماله وقال ابن جريج اصحاب الميمنة هم اصحاب الحسنات واصحاب المشامة هم اصحاب
اهل السيات وقال الحسن والربيع اصحاب الميمنة الميامين على انفسهم بالاعمال الصالحة واصحاب
المشامة المشايم على انفسهم بالاعمال السيئة وفي صحيح مسلم من حديث الاسرا عن ابي ذر عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال فلما علونا السما الدنيا فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة قال فاذا
نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال
فقلت يا جبريل من هذا قال هذا ادم عليه السلام وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله بنيه فاهل
اليمين اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار وذكر الحديث وقال المبرد اصحاب الميمنة
اصحاب التقدم واصحاب المشامة اصحاب التاخر والعرب تقول اجعلني في يمينك ولا تجعلني في
شمالك اي اجعلني من المتقدمين ولا تجعلني من المتاخرين ثم عجب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال
ما اصحاب الميمنة وهذا كما يقال زيد ما زيد يريد زيد شديد فالتكرير في ما اصحاب اليمين وما اصحاب
المشامة للتفخيم والتعجيب كقوله الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة كما يقال زيد ما زيد
وفي حديث ام زرع مالك وما مالك والمقصود تكثير ما لاصحاب الميمنة من الثواب وما لاصحاب المشامة
من العقاب والفا في قوله فاصحاب تدل على التقسيم وبيان ما ورد عليه التقسيم كانه قال ازواجا
ثلاثة اصحاب الميمنة واصحاب المشامة والسابقون ثم بين حال كل قسم فقال فاما اصحاب الميمنة
وترك التقسيم اولا واكتفى بما يدل عليه بان ذكر الاقسام الثلاثة مع احوالها فان قيل ما الحكمة في
اختيار لفظ المشامة في مقابلة الميمنة مع انه قال في بيان احوالهم واصحاب الشمال ما اصحاب
الشمال فالجواب ان اليمين وضع للجانب المعروف واستعملوا منه الفاظا في مواضع فقالوا هذا ميمون
يتيمنا به ووضعوا مقابلة اليمين اليسار من الشي اشارة الى ضعفه ولينه واستعملوا منه الفاظا
تشاما به فذكر المشام في مقابلة الميمنة وذكر الشمال في مقابلة اليمين فاستعمل كل لفظ مع
مقابله قوله والسابقون السابقون فيه اوجه احدها انها مبتدا وخبره في ذلك تاويلان
احدهما انه بمعنى السابقون هم الذين اشتهرت حالهم بذلك كقولهم انت انت والناس الناس وقوله

ابو النجم وشعري شعري وهذا يقال في تعظيم الامر وتفخيمه وهو مذهب سيبويه التاويل الثاني
ان متعلق السابقين مختلف اذ التقدير والسابقون الى الايمان السابقون الى الجنة او السابقون
الى طاعة الله السابقون الى رؤيته او السابقون الى الخير السابقون الى الجنة الوجه الثاني ان
يكون السابقون الثاني تاكيدا للاول تاكيدا لفظيا واولئك المقربون جملة ابتدائية في موضع
خبر الاول فالرابط اسم الاشارة كقوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير في قراءة من رفع لباس في
احد الاوجه الثالث ان يكون السابقون الثاني نعتا للاول والخبر الجملة المذكورة وهذا
ينبغي ان لا يعرج عليه فكيف يوصف الشي بلفظه واي فايدة في ذلك قال شهاب الدين والاقرب
عندي ان وردت هذه العبارة ممن يعتبر ان يكون سمى تاكيدا صفة وقد فعل سيبويه
قريبا من هذا الرابع ان يكون الوقف على قوله والسابقون ويكون قوله السابقون اولئك
المقربون ابتدا وخبرا وهذا يقتضي ان يعطف والسابقون على ما قبله لكن لا يليق عطفه على
ما قبله ويليه وانما يليق عطفه على اصحاب الميمنة كانه قيل واصحاب الميمنة ما اصحاب
الميمنة والسابقون اي وما السابقون تعظيما لهم فيكونون شركا اصحاب الميمنة في التعظيم
ويكون قوله على هذا واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة اعتراضا بين المتعاطفين وفي هذا
الوجه تكلف كثير جدا **فصل** قال عليه السلام السابقون الذين اذا اعطوا الحق
قبلوه واذا سيلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم ذكره المهدوي وقال محمد بن
كعب القرظي هم الانبيا وقال الحسن وقتادة هم السابقون الى الايمان من كل امة وقال محمد
ابن سيرين هم الذين صلوا الى القبلتين قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار وقال مجاهد والضحاك هم السابقون الى الجهاد واول الناس رواحا الى الصلاة
وقال علي رضي الله عنه هم السابقون الى الصلاة الخمس وقال سعيد بن جبير الى التوبة
واعمال البر قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم ثم اثنى عليهم فقال اوليك يسارعون
في الخيرات وهم لها سابقون وقيل انهم اربعة منهم سابق امة موسى وهو حزقيل مومن ال
فرعون وسابق امة عيسى وهو حبيب النجار صاحب انطاكية وسابقان امة محمد وهما
ابو بكر وعمر رضي الله عنهما قاله ابن عباس حكاه الماوردي وقال شميط بن عجلان الناس
ثلاثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا هو السابق
المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم طول الغفلة ثم رجع بتوبته حتى ختم له بها فهذا من
اصحاب اليمين ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم يزل عليها حتى ختم له بها فهذا من اصحاب
الشمال وروي عن كعب قال هم اهل القران المتوجون يوم القيمة وقيل هم اول الناس رواحا
الى المسجد واولهم خروجا في سبيل الله اوليك المقربون من الله في جنات النعيم قوله في
جنات النعيم يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا من الضمير في المقربون وان يكون متعلقا
به اي قربوا الى رحمة الله في جنات ويبعد ان يكون في بمعنى الى وقرا طلحة في جنة بالافراد
واضافة الجنة الى النعيم من اضافة المكان الى ما يكون فيه كما يقال دار الضيافة ودار
الدعوة ودار العدل وذكر النعيم هنا معرفا وفي اخر السورة منكرا لان السابقين معلومين
نعرفهم باللام المستغرقة لجنسهم واما هناك فهم غير معروفين لقوله ان كان من المقربين فجعل
موضعهم غير معرف او يقال ان المذكور هنا جمع السابقين ومنزلتهم اعلى المنازل فهي معروفة
لانها الحد فيها واما ثانيا في المقربين فلكل واحد مرتبة ودرجة فمنازلهم متفاوتة فهم في جنات
متباينة في المنزلة لا يجمعها صفة فلم يعرفها قوله ثلة من الاولين ثلة خبر مبتدا مضمر اي هم
ويجوز ان يكون مبتدا خبره مضمر اي منهم ثلة اي من السابقين يعني ان التقسيم وقع في السابقين
وان يكون مبتدا خبره في جنات النعيم او قوله على سرر فهذه اربعة اوجه والثلة الجماعة
من الناس وقيدها الزمخشري بالكبيرة وانشد

وجات اليهم ثلة خندفية • بجيش كتيار من البحر مزبد

ولم يقيدها غيره بل صرح بانها الجماعة قلت او كثرت وقال الراغب الثلة قطعة مجتمعة
من الصوف ولذلك قيل للغنم ثلة يعني بفتح الثا ومنه قوله

امرعت الارض لو ان مالا • لو ان نوقا لك او جمالا • او ثلة من غنم اما لا

انتهى

انتهى قال ولاعتبار الاجتماع قيل ثلة من الاولين وثلة من الاخرين اي جماعة وثللت كذا تناولت
ثلة منه وثل عرشه اسقط ثلة منه والثلل قصر الاسنان لسقوط ثلة منها واثل فمه سقطت اسنانه
وتثللت الركبة تهدمت انتهى فقد اطلق انها الجماعة من غير تقييد بقلة ولا كثرة والكثرة التي فهمها
الزمخشري قد تكون من السياق وقال الزجاج الثلة الفرقة ومن الاولين صفة لثلة وكذلك من
الاخرين صفة لقليل **فصل** ثلة من الاولين اي جماعة من الامم الماضية وقليل من الاخرين
اي ممن امن بمحمد صلى الله عليه وسلم قال الحسن ثلة ممن قد مضى قبل هذه الامة وقليل من اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا منهم بكرمك وسموا قليلا بالاضافة الى من كان قبلهم لان الانبيا
المتقدمين كثروا فكثر السابقون الى الايمان بهم فزادوا على عدد من سبق الى التصديق من امتنا قيل
لما نزلت هذه الاية شق على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ثلة من الاولين وثلة من
الاخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان يكونوا ربع اهل الجنة بل نصف اهل الجنة
ويقاسمونهم في النصف الثاني رواه ابو هريرة ذكره الماوردي وغيره ومعناه ثابت في صحيح مسلم
من حديث عبد الله بن مسعود وكانه اراد انها منسوخة قال ابن الخطيب وهذا في غاية الضعف
من وجوه احدها ان عدد امة محمد كان في ذلك الزمان بل الى اخر الزمان بالنسبة الى ما مضى في غاية
القلة والمراد بالاولين الانبيا وكبار اصحابهم وهم اذا اجمعوا اكثر من السابقين من هذه الامة الثاني
ان هذا خبر والخبر لا ينسخ الثالث ان هذه الاية في السابقين من هذه الامة الثاني ان هذا خبر
والخبر لا ينسخ الثالث ان والتي بعدها في اصحاب اليمين الرابع انا اذا جعل قليل منهم مع الانبيا
والرسل المتقدمين كانوا في درجة واحدة وذلك يوجب الفرح لانه انعام عظيم ولعل الاشارة اليه
بقوله عليه السلام علما امتي كانبيا بني اسرائيل قال القرطبي والاشبه انها محكمة لانها خبر والخبر لا ينسخ
ولان ذلك في جماعتين مختلفتين قال الحسن سابقوا من مضى اكثر من سابقينا فلذلك قال
وقليل من الاخرين وقال في اصحاب اليمين وهم سوى السابقين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين
ولذلك قال عليه السلام اني لارجو ان تكون امتي شطر اهل الجنة ثم تلا ثلة من الاولين وثلة من الاخرين
وقال ابو بكر رضي الله عنه كلا الثلتين من امة محمد صلى الله عليه وسلم فمنهم من هو في اول امته ومنهم
من هو في اخرها وهو مثل قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وقيل
المراد ثلة من الاولين هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار فان اكثرهم لهم الدرجة العليا
كما قال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اوليك اعظم درجة وقليل من الاخرين
لحقوهم ولهذا قال عليه السلام خيركم قرني ثم سوى في اصحاب اليمين بين الاولين والاخرين قال
ابن الخطيب وعلى هذا فقوله وكنتم ازواجا ثلثة يكون خطابا مع الموجودين وقت التنزيل ولا يكون
فيه بيان الاولين الذين كانوا قبل نبينا عليه السلام وهذا ظاهر لان الخطاب لا يتعلق الا بالموجودين
من حيث اللفظ ويدخل فيه غيره بالدليل ووجه اخر ان المراد بالاولين الذين امنوا وعملوا الصالحات
وبالاخرين اي ذرياتهم الملحقون بهم في قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم وقال
الزجاج الذين عاينوا جميع النبيين من لدن ادم وصدقوهم اكثر ممن عاين النبي صلى الله عليه وسلم
قوله على سرر موضونة اي السابقون في الجنة على سرر اي مجالسهم على سرر جمع سرير وقرا زيد بن
علي وابو السماك سرر بفتح الرا الاولى وقد تقدم انها لغة لبعض كلب وتميم والموضونة قال ابن
عباس منسوجة بالذهب وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت وعن ابن عباس ايضا موضونة
اي موصوفة لقوله تعالى في موضع اخر على سرر مصفوفة وعنه وعن مجاهد ايضا مرمولة
بالذهب وقيل موضونة منسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت والموضونة المنسوجة
بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت والمنسوجة واصله من وضنت الشي اي ركبت بعضه على
بعض ومنه قيل للدرع موضونة لتراكب حلقها قال الاعشى

ومن نسج داود موضونة • تسير مع الحي عيرا فعيرا

ومنه ايضا وضين الناقة وهو حزامها لتراكب طاقاته قال

اليك تعدو قلقا وضينها • معترضا في بطنها جنينها • مخالفا دين النصارى دينها

وقال الراغب الوضن نسج الدرع ويستعار لكل نسج محكم فجعله اصلا في نسج الدروع وقال الاخر

اقول وقد درات لها وضيني • اهذا دينه ابدا وديني

اي حوامي والوضين هو الحبل العريض الذي منه يكون الحزم لقوة سداه ولحمته والسرير الموضون الذي سطحه بمنزلة المنسوج قال القرطبي ومنه الوضين بطان من سيور ينسج فيدخل بعضه في بعض قوله متكئين متقابلين حالان من الضمير في على سرر ويجوز ان يكون حالا متداخلة فيكون متقابلين حالا من ضمير متكئين فصل متكئين على السرر متقابلين اي لا يرى بعضهم قفا بعض بل تدور بهم الاسرة والمعنى انهم كما ينون على سرر ومتكئين على غيرها لحال من يكون على كرسي موضع تحته شي اخر لاتكاء عليه قال مجاهد وغيره هذا في المومن وزوجته واهله اي يتكيون متقابلين قال الكلبي طول كل سرير ثلث مائة ذراع فاذا اراد العبد ان يجلس عليها تواضعت فاذا جلس عليها ارتفعت قوله يطوف يجوز ان يكون حالا وان يكون استينافا ولدان مخلدون اي غلمان لا يموتون قاله مجاهد والمعنى لا موت لهم ولا فنا او بمعنى لا يتغير حالهم ويبقون صغارا ابدا وقال الحسن والكلبي لا يهرمون ولا يتغيرون ومنه قول امري القيس

• وهل ينعمن الا سعيد مخلد • قليل الهموم ما يبيت باوجال •

وقال سعيد بن جبير مخلدون مقرطون يقال للقرط الخلد وجماعة الحلي الخلدة وقيل مستورون ونحوه عن الفرا قال الشاعر

• ومخلدات باللجين كانما • اعجازهن اقاوز الكثبان •

وقيل مقرطون يعني ممنطقون من المناطق وقال عكرمة مخلدون منعمون وقيل على سن واحد انشاهم الله لاهل الجنة يطوفون عليهم كما شا من غير ولادة لان الجنة لا ولادة فيها وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحسن البصري الولدان هاهنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا ولا حسنة لهم ولا سيئة وقال سلمان الفارسي اطفال المشركين هم خدم اهل الجنة قال الحسن لم يكن لهم حسنات يجازون بها ولا سيئات يعاقبون عليها فوضعوا هذا الموضع والمقصود ان اهل الجنة على اتم السرور والنعمة قوله باكواب متعلق بيطوفون والاكواب جمع كوب وهي الانية التي لا عرى لها ولا خراطيم وقد مضى في الزخرف والاباريق جمع ابريق وهي التي لها عرى وخراطيم واحدها ابريق وهو من انية الخمر سمي بذلك لبريق لونه من صفايه قال الشاعر • افنى تلادي وما جمعت من نشب • قرع القوازير افواه الاباريق •

وقال عدي بن زيد • وتداعوا الى الصبوح فقامت • قينة في يمينها ابريق •

وقال اخر • كان ابريقهم ظبي على شرف • مقدم بسبا الكتان ملثوم •

ووزنه افعيل لاشتقاقه من البريق قوله وكاس من معين تقدم في الصافات والمعين الجاري من ماء او خمر غير ان المراد هاهنا الخمر الجارية من العيون وقيل الظاهرة فيكون معين مفعولا من المعاينة وقيل هو فعيل من المعن وهو الكثرة قال ابن الخطيب هو ماخوذ من معن الماء اذا جرى وقيل هو بمعنى مفعول فيكون من عانه اذا شخصه بعينه وميزه قال والاول اظهر لان المعيون يوهم بانه معيوب يقال صرني بعينه اي اصابني بعينه ولانه الوصف بالمري لا فايدة فيه واما الجريان في المشروب فان كان في الماء فهو صفة مدح وان كان في غيره فهو امر عجيب لا يوجد في الدنيا فهو كقوله وانهار من خمر وليس انها كخمر الدنيا تستخرج بتكلف ومعالجة فان قيل كيف جمع الاكواب والاباريق ولا ينقل عليهم بخلاف الدنيا او يقال انما افرد الكاس لانها انما تسمى كاسا اذا كانت مملوة فالمراد اتخاذ المشروب الذي وافر الكاس مناسبة لاتصاله بالشرب قوله لا يصدعون يجوز ان تكون مستانفة اخبر عنهم بذلك وان يكون حالا من الضمير في عليهم ومعنى لا يصدعون عنها اي بسببها قال الزمخشري وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها والصداع هو الدا المعروف الذي يلحق الانسان في راسه والخمر يورث فيه قال علقمة بن عبدة في وصف الخمر

• تشفي الصداع ولا يوذيك صالبها • ولا يخالطها في الراس تدويم •

قال ابو حيان هذه صفة خمر الجنة كذا قال الشيخ ابو جعفر بن الزبير لما قرات هذا الديوان عليه والمعنى لا ينصدع روسهم من شربها اي انها لذة بلا اذى بخلاف شراب الدنيا وقيل لا يصدعون لا يتفرقون كما يتفرق الشراب من الشراب للعوارض الدنيوية ومن

مجي

مجي يتصدع بمعنى تفرق قوله فتصدع السحاب عن المدينة اي تفرق ويرجحه قراة مجاهد لا يصدعون بفتح اليا وتشديد الصاد والاصل يتصدعون اي يتفرقون كقوله تعالى يومئذ يصدعون وحكى الزمخشري قراة وهي لا يصدعون بضم اليا وتخفيف الصاد وكسر الدال مشددة قال اي لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرقونهم قوله ولا ينزفون تقدم الخلاف في السبعة في ينزفون وتفسيره في الصافات وقرا ابن ابي اسحاق بفتح اليا وكسر الزاي من نزف البير اذا استقى ماوها والمعنى لا ينفد خمرهم ومنه قول الشاعر

• لعمري لين انزفتم او صحوتم • لبيس الندامى كنتم لنا الابجرا •

وقال ابو حيان وابن ابي اسحاق ايضا وعبد الله والجحدري والاعمش وطلحة وعيسى بضم اليا وكسر الزاي اي لا يفنى لهم شراب قال شهاب الدين وهذا عجيب منه فانه قد تقدم في الصافات ان الكوفيين يقرون في الواقعة بكسر الزاي وقد نقل هو هذه القراة في قصيدته وروى الضحاك عن ابن عباس قال في الخمر اربع خصال السكر والصداع والقي والبول وقد نزه الله تعالى خمر الجنة عن هذه الخصال قوله وفاكهة العامة على جر فاكهة ولحم نسقا على اكواب اي يطوفون عليهم بهذه الاشيا الماكول والمشروب والمتفكه به وهذا كقوله العيشة الراضية فان قيل الفاكهة لا يطوف بها الولدان والعطف يقتضي ذلك فالجواب ان الفاكهة واللحم في الدنيا يطلبان في حالة الشرب فجاز ان يطوف بهما الولدان فيتناولونهم الفواكه الغريبة واللحوم العجيبة لا للاكل بل للاكرام كما يضع المكرم للضيف انواع الفواكه بيده او يكون معطوفا على المعنى في قوله جنات النعيم اي مقربون في جنات وفاكهة ولحم وحور اي في هذه النعم يتقلبون وقرا زيد بن علي وابو عبد الرحمن برفعها على الابتدا والخبر مقدر اي ولهم كذا والمعنى يتخذون ما شاوا من الفواكه لكثرتها وقيل المعنى وفاكهة متخيرة مرضية والتخير الاختيار وقوله ولحم طير مما يشتهون قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما اشتهى ثم يطير فيذهب قوله وحور عين قرا الاخوان بجر حور عين والباقون برفعهما والنخعي وحير عين بقلب الواو يا وجرهما وابي عبد الله قال القرطبي والاشهب والعقيلي وعيسى بن عمر الثقفي وهو كذلك في مصحف ابي والنخعي ايضا وحورا عينا بنصبهما فاما الجر ففيه اوجه احدها انه عطف على جنات النعيم كانه قيل هو في جنات وفاكهة ولحم وحور قاله الزمخشري قال ابو حيان وهذا فيه بعد وتفكيك كلام مرتبط بعضه ببعض وهو فهم اعجمي قال شهاب الدين والذي ذهب اليه الزمخشري معنى حسن جدا وهو على حذف مضاف اي وفي مقارنة حور وهذا هو الذي عناه الزمخشري وقد صرح غيره بتقدير هذا المضاف وقال الفرا الجر على الاتباع في اللفظ وان اختلفا في المعنى لان الحور لا يطاف بهن قال الشاعر

• اذا ما الغانيات برزن يوما • وزججن الحواجب والعيونا •

والعين لا تزجج وانما تكحل وقال اخر

• ورايت زوجك في الوغا • متقلدا سيفا ورمحا •

الثاني انه معطوف على باكواب وذلك يجوز في قوله يطوف اذ معناه ينعمون فيها باكواب وبكذا وبحور قاله الزمخشري الثالث انه معطوف عليه حقيقة وان الولدان يطوفون عليهم بالحور ايضا فان فيه لذة لهم طافوا عليهم بالماكول والمشروب والمتفكه به والمنكوح والى هذا ذهب ابو عمرو بن العلا وقطرب ولا التفات الى قول ابي البقا عطفا على اكواب في اللفظ دون المعنى لان الحور لا يطاف بها واما الرفع ففيه اوجه احدها عطفا على ولدان اي ان الحور يطفن عليهم بذلك كما في الولايد في الدنيا وقال ابو البقا اي يطفن عليهم للتنعم لا للخدمة قال شهاب الدين وهو للخدمة ابلغ لانهم اذا خدمهم مثل اوليك فما الظن بالموطوءات الثاني ان يعطف على الضمير المستكن في متكئين وسوغ ذلك الفصل بما بينهما الثالث ان يعطف على مبتدا وخبر حذفا معا تقديره لهم هذا كله وحور عين قاله ابو حيان وفيه نظر لانه انما عطف على المبتدا وحده وذلك الخبر له ولما عطف هو عليه الرابع ان يكون مبتدا خبره مضمر تقديره ولهم او فيها او ثم حور وقال الزمخشري على وفيها حور كبيت الكتاب يريد كتاب سيبويه والمراد بالبيت قوله • وعرابهن مع البناة الاروكد • ومشجج اما حرهن هبا •

• اماسواد فذاله فنداوعنبرسارة المعراد •

فعطف مليح وهو مرفوع على روا كدو منصوب الخامس ان يكون خبر المبتدا مضمراي ونشا وهم حور
قاله ابو البقا قال الكسائي ومن قال وهو رعين بالفتح وعلل بانه لا يطاف بهن وليس يطاف
بالحور وحدها واما النصب ففيه وجهان احدهما انه منصوب باضمار فعل اي يعطون او يؤتون
حورا والثاني ان يكون محمولا على معنى يطوف عليهم لان معناه يعطون كذا وكذا فعطف هذا
عليه وقال مكي ويجوز النصب على ان يحمل ايضا على المعنى لان معنى يطوف ولدان بكذا وكذا
اي يعطون كذا وكذا ثم عطف حورا على معناه فكانه لم يطلع عليها قراة وحير فلجها ورفعا عين ولان
اليا اخف من الواو ونظيره في التغيير للمجاورة قولهم اخذه ما قدم وما حدث بضم دال حدث
لاجل قدم واذا افرد منه فتحت داله فقط وقوله عليه السلام ورب السموات ومن اظللن ورب
الشياطين ومن اضللن وقوله ايتكن صاحبة الجمل الادبب ينبحها كلاب الحوب فك الادبب
لاجل الحوب وقرا قتادة وحور عين بالرفع والاضافة لعين وابن مقسم بالنصب والاضافة
وقد تقدم توجيه الرفع والنصب واما الاضافة فمن اضافة الموصوف لصفته مولا وقرا
عكرمة وحورا عينا بافرادهما على ارادة الجنس وهذه القراة تحتمل وجهين احدهما ان يكون نصبا
كقراة ابي عبد الله وان يكون جرا كالقراة الاخرين لان هذين الاسمين لا ينصرفان فهما
محتملان للوجهين وتقدم الكلام في اشتقاق العين وكامثال صفة او حال وجزا مفعول
من اجله او مصدر اي يجزون جزا **فصل** قال المفسرون حور بيض عين ضخام الاعين
كامثال اللولو المكنون اي المخزون في الصدف لم تمسه الايدي ولم يقع عليه الغبار فهو
اشد ما يكون صفا وقوله جزا بما كانوا يعملون قالت المعتزلة هذا يدل على ان ايصال
الثواب واجب على الله تعالى لان الجزا لا يجوز الاخلال به واجيبوا بانه لو صح ما ذكروا
لما كان في الوعد بهذه الاشيا فايدة لان العقل اذا حكم بان ترك الجزا قبيح وعلم بالعقل
ان القبيح من الله تعالى لا يوجد علم ان الله تعالى يعطي هذه الاشيا لانها اجزية وايصال
الجزا واجب وايضا فكان لا يصح التمدح به وقوله لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما قال ابن
عباس باطلا واللغو ما يلغى من الكلام والتاثيم مصدر اثمته اي قلت له اثمت قال محمد
ابن كعب ولا تاثيما اي لا يؤثم بعضهم بعضا وقال مجاهد لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما
سبا ولا ماثما قوله الا قيلا فيه قولان احدهما انه استثنا منقطع وهذا واضح لانه لم
يندرج تحت اللغو والتاثيم والثاني انه متصل وفيه بعد وكان هذا راى ان الاصل لا
يسمعون كلاما فاندرج عنده فيه وقال مكي في قيلا منصوب بيسمعون وكانه اراد هذا
القول قوله سلاما سلاما فيه اوجه احدها انه بدل من قيلا اي لا يسمعون فيها الا
سلاما سلاما الثاني انه نعت لقيلا الثالث انه منصوب بنفس قيلا الا ان تقول سلاما
سلاما وهو قول الزجاج الرابع ان يكون منصوبا بفعل مقدر وذلك الفعل محكيا بقيلا تقديره
الا قيلا اسلموا سلاما وقرئ سلام بالرفع قال الزمخشري على الحكاية قال مكي ويجوز
في الكلام الرفع على معنى سلام عليكم ابتدا وخبر وكانه لم يعرف فيها قراة **فصل** معنى
قيلا سلاما سلاما اي قولا سلاما قال عطا يحيي بعضهم بعضا بالسلام قال القرطبي والسلام
الثاني بدل من الاول والمعنى الا قيلا يسلم فيه من اللغو وقيل تحييهم الملائكة او يحييهم
ربهم عز وجل وكرر السلام اشارة الى كثرة السلام عليهم ولهذا لم يكرر في قوله سلام قولا من
رب رحيم والقيل مصدر كالقول قال ابن الخطيب فيكون فعلا مصدرا لكنه لا نظير له
في باب فعل يفعل من الاجوف وقيل انه اسم والقول مصدر قوله واصحاب اليمين ما اصحاب
اليمين رجع الى ذكر اصحاب الميمنة والتكرير لتعظيم شانهم في النعم فان قيل ما الحكمة
في ذكرهم بلفظ اصحاب الميمنة عند تقسيم الازواج الثلاثة وبلفظ اصحاب اليمين
عند ذكر الانعام فالجواب ان الميمنة مفعلة اما بمعنى موضع اليمين كالمنارة موضع النار
والمجمرة موضع الجمر وكيف ما كان فالميمنة فيها دلالة على الموضع لكن الازواج الثلاثة
في اول الامر يتميزون بعضهم عن بعض ويتفرقون كقوله تعالى يومئذ يتفرقون وقال
يومئذ يصدعون فيتفرقون بالمكان فاشار في الاول اليهم بلفظ يدل على المكان ثم عند

الثواب

الثواب وقع نوعهم بامر منهم لا بامر هو فيه وهو المكان فقال واصحاب اليمين اي الذين ياخذون
كتبهم بايمانهم وقيل اصحاب القوة وقيل اصحاب النور قوله في سدر مخضود قال ابن عباس
وغيره في سدر مخضود اي في نبق قد خضد شوكه وذكر ابن المبارك قال اخبرنا صفوان عن سليم
ابن عامر قال كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون انه لينفعنا الاعراب ومسايلهم قال
اقبل اعرابي يوما فقال يا رسول الله لقد ذكر الله في القران شجرة موذية وما كنت ارى في الجنة
شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوليس يقول سدر مخضود خضد
الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة وانها تنبت ثمرا يفتق من الثمر منها على اثنين وسبعين
لونا من الطعام ما فيه لون يشبه الاخر وقال ابو العالية والضحاك نظر المسلمون الى وج وهو
واد بالطايف مخصب فاعجبهم سدره فقالوا يا ليت لنا مثل هذه فنزلت قال امية بن ابي
الصلت يصف الجنة ان الحدايق في الجنان ظليلة فيها الكواعب سدرها مخضود وقال
الضحاك ومجاهد ومقاتل بن حيان في سدر مخضود وهو الموقر حملا وقال سعيد بن
جبير ثمرها اعظم من القلال قوله وطلح منضود الطلح جمع الطلحة قال علي وابن عباس
واكثر المفسرين الطلح شجر الموز واحده طلحة وقال الحسن ليس هو موز ولكنه شجر له ظل بارد
رطب وقال الفرا وابو عبيدة شجر عظام له شوك قال الجعدي

• بشرها دليلها وقالا • غدا ترين الطلح والاجبالا •

فالطلح كل شجر عظيم كثير الشوك وقال الزجاج شجر ام غيلان قال مجاهد ولكن ثمرها احلا
من العسل وقال الزجاج لها نور طيب جدا فخوطبوا ووعدوا بما يحبون مثله الا ان فضله على ما في
الدنيا كفضل سايرما في الجنة على ما في الدنيا وقال السدي طلح الجنة يشبه طلح الدنيا لكن له
ثمر احلا من العسل وقوله منضود اي متراكب قال المفسرون موقور من الحمل حتى لا يبين ساقه
من كثرة ثمره وتثنى اغصانه وقرا علي رضي الله عنه وعبد الله وجعفر بن محمد وطلع بالعين
لقوله تعالى لها طلع نضيد فقيل لعلي انها طلح فقال لا ينبغي ان يهاج القران اليوم ولا يحول فقد
اختار هذه القراة ويروى عن ابن عباس مثله قال القرطبي فلم يرا اثباتها في المصحف لمخالفة
ما رسمه مجمع عليه قال القشيري واسنده ابو بكر بن الانباري باسناده الى علي رضي الله عنه
فصل قال ابن الخطيب المخضود الماخوذ الشوك وقيل المنعطف الى اسفل فان اغصان
السدر في الدنيا تميل الى فوق لعدم ما يثقل بخلاف اشجار الجنة فان رؤسها تتدلى والظاهر
ان الطلح شجر الموز وذكر طرفين ليندرج ما بينهما فان ورق السدر صغير وورق الطلح وهو
الموز كبير وبينهما انواع من الاوراق متوسطة كما ذكر في النخل والرمان كقولهم فلان يرضي الصغير
والكبير فيدخل ما بينهما والمنضود المتراكب الذي قد نضد اوله واخره بالحمل ليست له سوق
بارزة بل هو مرصوص والنضد هو الرص والمنضد المرصوص قال مسروق اشجار الجنة من عروقها
الى افنانها نضيدة ثمر كله كلما اكلت ثمرة عاد مكانها احسن منها قوله وظل ممدود اي دايم باق
لا يزول ولا تنسخه الشمس كقوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل وذلك بالغداة وهي ما بين
الاسفار الى طلوع الشمس والجنة كلها ظل لا شمس معه قال ابن الخطيب ان الشمس اذا كانت
تحت الارض يقع ظلها في الجو فيتراكم الظل فيسود وجه الارض واذا كانت الشمس في احد جانبي
الارض من الافق فينبسط الظل على وجه الارض فيضيء الجو ولا يسود وجه الارض فيكون في غاية
الطيبة فقوله وظل ممدود اي كالظل وعلى هذا فالظل ليس ظل الاشجار بل ظل يخلقه الله تعالى
قال الربيع بن انس يعني ظل العرش وقال عمرو بن ميمون مسيرة سبعين الف سنة وقال ابو
عبيدة تقول العرب للدهر الطويل والعمر الطويل والشي الذي لا ينقطع ممدود قال الشاعر

• غلب العزاء وكان غير مغلب • دهر طويل دايم ممدود •

وفي صحيح الترمذي وغيره عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وفي الجنة شجرة
يسير الراكب في ظلها ماية عام لا يقطعها واقروا ان شيتم وظل ممدود وهذا الحديث يرد قول ابن
الخطيب من انه ليس ظل الاشجار قوله وما مسكوب اي مصبوب بكثرة وقيل جار لا ينقطع واصل
السكب الصب يقال سكبه سكبا والسكوب انصبابه يقال سكب سكوبا وانسكب انسكابا ومعنى
الاية وما مصبوب يجري في غير اخدود لا ينقطع عنهم قال ابن الخطيب معناه مسكوب من فوق

لان اكثر ما العرب من الابار والبرك ولا ينسكب وقيل جار في غير اخدود وقيل يجري في الهوا وكانت
العرب اصحاب بادية وبلاد حارة وكانت الانهار في بلادهم عزيزة لا يصلون الى الما الا بالدلو
والرشا فوعدوا في الجنة خلاف ذلك قوله وفاكهة كثيرة قرئ برفع فاكهة اي وهناك او ولهم
او وفيها او وثم فاكهة قال ابن الخطيب لما ذكر الاشجار التي تطلب منها ورقها ذكر بعد الاشجار
التي يقصد ثمرها وذكر الفاكهة بعد ذكر الاشجار انتقالا من نعمة الى نعمة ووصفت بالكثرة دون
الطيب واللذة لان الفاكهة تدل عليهما قوله لا مقطوعة فيه وجهان اظهرهما انه نعت لفاكهة
ولا للنفي كقولك مررت برجل لا طويل ولا قصير ولذلك لزم تكرارها والثاني هو معطوف على فاكهة
ولا عاطفة قاله ابو البقا وحينئذ لا بد من حذف موصوف اي لا فاكهة مقطوعة لئلا تعطف الصفة
على موصوفها والمعنى ليست كفواكه الدنيا تنقطع في اوقات كثيرة وفي كثير من الاماكن ولا ممنوعة
اي لا تمتنع من الناس لطلب الاثمان وقيل لا يحظر عليها كثمار الدنيا وقيل لا يمنع من ارادها
بشوك ولا بعد حائط بل اذا اشتهاها العبد دنت منه حتى ياخذها قال تعالى وذللت
قطوفها تذليلا قوله وفرش مرفوعة العامة على ضم الرا جمع فراش وابو حيوة بسكونها وهي
مخففة من المشهورة والفرش قيل هي القماش المعهود مرفوعة على الاسرة وقيل هي كناية عن
النسا كما كني عنهن باللباس اي ونسا مرتفعات الاقدار في حسنهن وكمالهن والعرب تسمي المراة
فراشا ولباسا وازارا قاله ابو عبيدة وغيره قالوا ولذلك اعاد الضمير عليه في قوله انا انشاناهن
واجاب غيرهم بانه عائد على النسا الدال عليهن الفرش وقيل يعود على حور المتقدمة وعن
الاخفش هن ضمير لمن لم يجر له ذكر يعني بل يدل عليه السياق وقيل مرفوعة القدر يقال ثوب
رفيع اي عزيز مرتفع القدر والثمن بدليل قوله تعالى متكئين على فرش بطائنها من استبرق
فكيف ظهائرها وقيل مرفوعة بعضها فوق بعض وروى الترمذي عن ابي سعيد عن النبي
صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السما والارض مسيرة
خمس مائة سنة قال حديث غريب قوله انا انشاناهن قيل الضمير يعود على الحور العين
اي خلقناهن من غير ولادة وقيل المراد نسا بني ادم خلقناهن خلقا جديدا وهو الاعادة
اي اعدناهن الى حال الشباب وكمال الجمال ويرجحه قوله فجعلناهن ابكارا لان المخلوقة ابتدا
معلوم انها بكر والمعنى انشانا العجوز والصبية انشا واحدا واضمرن ولم يتقدم ذكرهن لانهن
قد دخلن في اصحاب اليمين ولان الفرش كناية عن النسا كما تقدم وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم في قوله انا انشاناهن انشا قال منهن البكر والثيب وروى النحاس باسناده
ان ام سلمة سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى انا انشاناهن انشا فجعلناهن ابكارا
عربا اترابا فقال يا ام سلمة هن اللواتي قبضن في الدنيا عجائز شمطا عمشا رمصا جعلهن الله
بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستوا وروى انس بن مالك يرفعه في قوله انا انشاناهن
انشا قال هن العجائز العمش الرمص كن في الدنيا عمشا رمصا وعن المسيب بن شريك قال النبي صلى
الله عليه وسلم في قوله تعالى انا انشاناهن انشا فجعلناهن ابكارا عربا اترابا قال هن عجائز
الدنيا انشاهن الله خلقا جديدا كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت ذلك عائشة
قالت واوجعاه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع وعن الحسن قال اتت عجوز
النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة فقال يا ام فلان الجنة
لا تدخلها عجوز قال فولت تبكي فقال اخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول
انا انشاناهن انشا فجعلناهن ابكارا قوله عربا جمع عروب كصبور وصبر والعروب
المتحببة الى بعلها واشتقاقه من اعرب اذا بين فالعروب تبين محبتها لزوجها بشكل وغنج وحسن
كلام قاله عكرمة وقتادة وقيل الحسنا وقيل المحسنة لكلامها وقرا حمزة وابو بكر بسكون الرا وهذا
كرسل ورسل وفرش وفرش وقال ابن عباس هن العواشق وانشد للبيد

وفي الحدوج عروب غير فاحشة * ريا الروادف يغشى دونها البصر

ويروى

وفي الخبا عروب غير فاحشة * ريا الروادف يعشي ضوءها البصرا

وعن ابن عباس ومجاهد وغيرهما العرب العواشق لازواجهن وعن عكرمة العروب الغنجة قال
ابن زيد بلغة اهل المدينة وانشد بيت لبيد وهي الشكلة بلغة اهل مكة وروى جعفر بن محمد عن

ابيه

ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى عربا قال كلامهن عربي
وعن ابن عباس العروب الملقة قوله اترابا جمع ترب وهو المساوي لك في سنك لانه يمس جلدهما
التراب في وقت واحد وهو اكد في الائتلاف وهو من الاسما التي لا تتعرف بالاضافة لانه في معنى
الصفة اذ معناه مساويك ومثله خدنك لانه في معنى صاحبك قال القرطبي سن واحد وهو ثلاث
وثلاثون سنة يقال في النسا اتراب وفي الرجال اقران وكانت العرب تميل الى من جاوزت حد الصبي
من النسا وانحطت عن الكبر وقال مجاهد الاتراب الامثال والاشكال وقال السدي اتراب في
الاخلاق لا تباغض بينهن ولا تحاسد وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل
اهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين ابنا ثلاث وثلثين على خلق ادم طوله ستون ذراعا
في سبعة اذرع وعنه عليه السلام قال من مات من اهل الجنة من صغير وكبير يردون بني ثلاثين
سنة في الجنة لا يزيدون عليها ابدا وكذلك اهل النار قوله لاصحاب اليمين في هذه اللام وجهان
احدهما انها متعلقة بانشاناهن اي لاجل اصحاب والثاني انها متعلقة باترابا كقولك هذا
ترب لهذا اي مساو له وقيل الحور العين للسابقين والاتراب العرب لاصحاب اليمين قوله ثلة
من الاولين وثلة من الاخرين رجع الكلام الى قوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين
اي هم ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وتقدم معنى الكلام في معناه وقال ابو العالية ومجاهد
وعطا بن ابي رباح والضحاك ثلة من الاولين يعني من سابقي هذه الامة وثلة من الاخرين
من هذه الامة من اخرها بدليل ما روي عن ابن عباس في هذه الاية ثلة من الاولين وثلة من
الاخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هم جميعا من امتي وقال الواحدي اصحاب الجنة نصف من
الامم الماضية ونصف من هذه الامة ويرد هذا ما روى ابن ماجة في سننه والترمذي في جامعه
عن بريدة بن حصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة عشرون ومائة صف
ثمانون منها من هذه الامة ويرد هذا ما روى ابن ماجة في سننه والترمذي في جامعه عشرون
واربعون من سائر الامم قال الترمذي هذا حديث حسن وثلة رفع على الابتدا وعلى حذف
خبر حرف الصفة ومجاره لاصحاب اليمين ثلتان ثلة من هؤلاء وثلة من هؤلاء فالاولون
الامم الماضية والاخرون هذه الامة على قول الواحدي قوله واصحاب الشمال ما اصحاب
الشمال لما ذكر منازل اهل الجنة وسماهم ذكر منازل اهل النار وسماهم اصحاب الشمال لانهم ياخذون
كتبهم بشمائلهم ثم عظم ذكرهم في البلاء والعذاب فقال ما اصحاب الشمال في سموم وهي الريح الحارة
التي تدخل في مسام البدن والمراد بها حر النار ولفحها وقيل ريح حارة تهب فتمرض او تقتل
واصله من السم كسم الحية والعقرب وغيرهما وقال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون هو السم
والسم يقال في خرت الابرة قال تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط لان سم الافعى تنفذ في مسام
البدن وقيل السموم تختص بما يهب ليلا وعلى هذا فقوله سموم اشارة الى ظلمة ما هو فيه والحميم
هو الما الحار الذي قد انتهى حره وهو فعيل بمعنى فاعل من حميم الما او بمعنى مفعول من حم الما اذا
سخنه وقوله وظل من يحموم وزنه يفعول قال ابو البقا من الحمم او الحميم قال القرطبي
هو مفعول من الحم وهو الشحم المسود باحتراق النار وقيل ماخوذ من الحمم وهو الفحم واليحموم قيل
هو الدخان الاسود البهيم وقيل واد في جهنم وقيل اسم من اسمائها والاول اظهر وقيل انه الظلمة
واصله من الحم وهو الفحم فكانه اسود فحم فسمي باسم مشتق منه وزيادة الحرف فيه لزيادة ذلك
المعنى فيه وربما تكون الزيادة فيه جامعة بين الزيادة وفيه سوادة والزيادة في حرارته
قال ابن الخطيب وفي الامور الثلاثة اشارة الى كونهم في العذاب دائما لانهم اما تعرضوا
لمهب الهوا اصابهم السموم وان استكنوا كما يفعله الذي يدفع عن نفسه السموم بالاستكنان لكن
يكونوا في ظل من يحموم وان ارادوا التبرد بالما من حر السموم يكون الما من حميم فلا انفكاك لهم من
العذاب او يقال ان السموم يضربه فيعطش وتلتهب نار السموم في احشائه فيشرب الما فيقطع
امعاءه فيريد الاستظلال بظل فيكون ذلك الظل اليحموم وذكر السموم والحميم دون النار تنبيها
بالادنى على الاعلى كانه قيل ابرد الاشيا في الدنيا حار عندهم فكيف احرها قال الضحاك
النار سودا واهلها سود وكل ما فيها اسود قوله لا بارد ولا كريم صفتان للظل كقوله من
يحموم وفيه انه قدم غير الصريحة على الصريحة فالاولى ان يجعل صفة ليحموم وان كان السياق

برشد الى الاول وقرا ابن ابي عبلة لا بارد ولا كريم برفعهما اي هو لا بارد كقوله فاتيت لا حرج ولا محروم
قال الضحاك لا بارد بل حار لانه من دخان شفير جهنم ولا كريم عذاب وقال سعيد بن
المسيب ولا حسن منظره وكلما لا خير فيه فليس بكريم وقيل وظل من يحموم اي من النار يعذبون
فيها كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل قال الزمخشري كرم الظل نفعه
الملهوف ودفعه اذى الحر عنه قال ابن الخطيب ولو كان كذلك لكان البارد والكريم بمعنى واحد
والاقوى ان يقال فايدة الظل امران احدهما دفع الحر والاخر كون الانسان فيه مكرما
لان الانسان في البرد يقصد الشمس ليدفا بحرها اذا كان قليل الثياب وفي الحر يطلب الظل
لبرده فاذا كان من المكرمين يكون ابدا في كن الحر والبرد عن نفسه فيحتمل ان يكون المراد هذا
ويحتمل ان يقال الظل يطلب لامر حسي وهو برده ولامر عقلي وهو التكرمة وهذا معنى ما
نقله الواحدي عن الفرا ان العرب تنفي كل شي مستحسن ببقي الكرم فيقولون الدار لا واسعة
ولا كريمة قوله انهم كانوا قبل ذلك مترفين اي انهم انما استحقوا هذه العقوبة لانهم كانوا في
الدنيا متنعمين بالحرام والمترف المنعم قاله ابن عباس وغيره وقال السدي مترفين اي
مشركين قوله وكانوا يصرون على الحنث العظيم الحنث في اصل كلامهم العدل الفصل وسمي به
الذنب والاثم لثقلهما قاله الخطابي وفلان حنث في يمينه ان لم يف بها لانه يأثم غالبا ويعبر
بالحنث عن البلوغ ومنه قوله يبلغوا الحنث وانما قيل ذلك لان الانسان عند بلوغه اياه
يواخذ بالحنث اي بالذنب وتحنث فلان اي جانب الحنث وفي الحديث كان يتحنث بغار حرا
اي يتعبد لمجانبته الاثم حتى يخرج فتستعمل في هذه كلها للسلب **فصل** قال الحسن
والضحاك وابن زيد يصرون على الحنث العظيم اي يقيمون على الشرك وقال قتادة ومجاهد الذنب
العظيم الذي لا يتوبون منه وقال الشعبي هو اليمين الغموس وهي من الكباير يقال حنث في
يمينه اي لم يبرها ورجع فيها وكانوا يقسمون ان لا بعث وان الاصنام انداد الله لذلك حنثهم **فصل**
قال ابن الخطيب والحكمة في ذكره سبب عذابهم ولم يذكر في اصحاب اليمين سبب ثوابهم فلم يقل
انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين وذلك تنبيه على ان ذلك الثواب منه فضل والعقاب
منه عدل فالفضل سوا ذكر سببه او لم يذكره لا يتوهم بالمتفضل نقص وظلم واما العدل ان لم
يعلم سبب العقاب يظن ان هناك ظلم ويدل على ذلك ان الله تعالى لم يقل في اصحاب اليمين جزاء
بما كانوا يعملون كما قال في السابقين لان اصحاب اليمين نجوا بالفضل العظيم لا بالعمل بخلاف
من كثرت حسناته يحسن اطلاق الجزا في حقه واعلم ان المترف هو المنعم وذلك لا يوجب ذما
وانما حصل لهم الذم بقوله وكانوا يصرون على الحنث العظيم فان صدور المعاصي ممن كثرت
النعم عليه افبح القبايح فقال انهم كانوا قبل ذلك مترفين ولم يشكروا نعم الله بل اصروا على
هذا ومن المعصية ولان الحنث ابلغ من الذنب لان الذنب يطلق على الصغيرة ويدل على
ذلك قولهم بلغ الحنث اي بلغ مبلغا يلحقه فيه الكبيرة واما الصغيرة فتلحق بالصغير
فان وليه يعاقبه على اساة الادب وترك الصلوة ولان وصفه بالعظيم مبالغة قاله ابن
الخطيب قوله وكانوا يقولون ايذا متنا الاية هذا استبعاد منهم للبعث وتكذيب له وقد تقدم
الكلام على ذلك في الصافات وتقدم الكلام على الاستفهامين في سورة الرعد فان قيل
كيف اتى باللام المؤكدة في قوله تعالى لمبعوثون مع ان المراد هو النفي وفي النفي لا تدخل اللام
في خبر ان تقول ان زيدا ليجي وان زيدا لا يجي فلا تذكر اللام ومرادهم بالاستفهام الانكار بمعنى
انا لا نبعث فالجواب من وجهين احدهما ان التصريح بالنفي وصيغته يجب التصريح بالنفي وصيغته
والثاني انهم ارادوا تكذيب من يخبر عن البعث فذكروا ان المخبر عنه يبالغ في الاخبار ونحن ننكر
مبالغته وتاكيده فحكوا كلام المخبر على طريقة الاستفهام والانكار ثم انهم اشاروا في الانكار الى
امور اعتقدوها مقررة لصحة انكارهم فقالوا ايذا متنا ثم لم يقتصروا عليه بل قالوا بعده وكنا
ترابا وعظاما اي وطال عهدنا بعد كوننا احيا حتى صارت اللحوم ترابا والعظام رفاتا ثم
زادوا وقالوا مع هذا يقال لنا انكم لمبعوثون بطريق التاكيد من ثلاثة اوجه احدها استعمال
ان ثانيها اثبات اللام في خبره ثالثها ترك صيغة الاستقبال والاتيان بالمفعول كانه كاين
ثم زادوا وقالوا اواباونا الاولون فقال الله تعالى لهم قل يا محمد ان الاولين من ابايكم والاخرين

منكم لمجموعون الى ميقات يوم معلوم يعني يوم القيمة ومعنى الكلام القسم ودخول اللام في
قوله تعالى لمجموعون هو دليل القسم في المعنى اي انكم لمجموعون قسما حقا بخلاف قسمكم الباطل
قوله ثم انكم ايها الضالون عن الهدى المكذبون بالبعث لاكلون من شجر من زقوم وهو شجر
كريه المنظر كريه الطعم وهو المذكور في سورة والصافات وهذا الخطاب عام وقيل لاهل مكة
وهو من تمام كلام النبي صلى الله عليه وسلم وقدم هنا الضالين على المكذبين وفي اخر السورة
قال واما ان كان من المكذبين الضالين فقدم المكذبين على الضالين لانهم هنا اصروا على
الحنث العظيم فضلوا عن السبيل ثم كذبوا الرسل وقالوا ايذا متنا وفي اخر السورة قدم المكذبين
بالحشر على الضالين عن طريق الخلاص او يقال ان الكلام هنا مع الكفار وهم ضلوا اولا وكذبوا
ثانيا وفي اخر السورة الكلام مع النبي صلى الله عليه وسلم فقدم التكذيب مراعاة للعناية
به صلى الله عليه وسلم قوله من شجر من زقوم فيه اوجه احدها ان تكون من الاولى لابتدا الغاية
والثانية للبيان اي مبتدون الاكل من شجر هو زقوم الثاني ان تكون من الثانية صفة لشجر
فيتعلق بمحذوف اي مستقر الثالث ان يكون من الاولى مزيدة اي لاكلون شجرا ومن الثانية على
ما تقدم فيها من الوجهين الرابع عكس هذا وهو ان تكون الثانية مزيدة اي لاكلون زقوما ومن الاولى
للابتدا او في محل نصب على الحال من زقوم اي كاينا من شجر ولو تاخر لكان صفة الخامس ان من
شجر صفة لمفعول محذوف اي لاكلون شيا من شجر ومن زقوم على هذا نعت لشجر او لشي المحذوف
السادس ان الاولى للتبعيض والثانية بدل منها قوله فماليون منها البطون الضمير في منها
عايد على الشجر وفي عليه للشجر ايضا وقد تقدم انه يجوز تذكير اسم الجنس وتانيثه وانهما لغتان
وقيل الضمير في عليه عايد على الزقوم وقال ابو البقا للماكول وقال ابن عطية للماكول او للاكل
انتهى وفي قوله الاكل بعد وقال الزمخشري وانث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في منها
وعليه ومن قرا من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وانما ذكر الثاني على تاويل الزقوم
لانه تفسيرها **فصل** قال ابن الخطيب اختلف اقوال الناس في الزقوم وحاصل الاقوال
ترجع الى كون ذلك في الطعم مرا وفي اللمس حارا وفي الرايحة منتنا وفي المنظر اسود لا يكاد اكله
يسيغه والتحقيق اللغوي فيه ان الزقوم لغة عربية ودلنا تركيبه على قبحه لان زق لم يجمع
الا في مهمل او في مكروه يقال منه مزق يمزق ومنه مزمق شعره اذا نتفه ومنه القزم للردي واللوم
واقوى من هذا ان القاف مع كل حرف من الحرفين الباقيين يدل في اكثر الامر على مكروه فالقاف
مع الميم كالقمامة والتقميم والقمقمة وبالعكس المقامق لتغليظ الصوت والمقمقة هو النق واما
القاف مع الزاي فالزق ورقة الطير والزقزقة للخفة وبالعكس القفز
للوثوب والتقزز لتنفر الطبع فتركيب الكلمة من حروف اجتماعها دليل الكراهة والقبح ثم قرن
بالاكل فدل على انه طعام ذو غصة واما ما يقال بان العرب تقول زقمتني بمعنى اطعمتني الزبد والعسل
واللبن فذلك للمجانة كما يقال ارشقني بثوب حسن وارجمني بكسرة من ذهب وتقدم الكلام على
الزقوم في والصافات وقوله فماليون منها البطون بيان لزيادة العذاب اي لا يكتفى منكم
بنفس الاكل كما يكتفي ممن ياكل الشي لتحلة القسم بل يلزمون بان يملاوا منها البطون وقوله
البطون اما مقابلة للجمع بالجمع اي يملا كل واحد منكم بطنه واما ان يكون لكل واحد بطون ويكون
المراد منه ما في بطن الانسان وهو سبعة امعا فيملاوا بطون الامعا والاول اظهر والثاني
ادخل في التعذيب قوله فشاربون عليه اي على الاكل او على الزقوم لاجل مرارته وحرارته
يحتاجون الى شرب الما فيشربون من الما الحار وقوله فشاربون شرب الهيم وهذا ايضا بيان
لزيادة العذاب اي لا يكون شربكم كمن شرب ماء حارا منتنا فيمسك عنه بل يلزمون ان يشربوا مثل
ما يشرب الاهيم وهو الجمل العطشان فيشرب ولا يروي وقرا نافع وعاصم وحمزة بضم الشين من
شرب وباقي السبعة بفتحها ومجاهد وابو عثمان النهدي بكسرها فقيل الثلاث لغات في مصدر
شرب والمقيس منها انما هو المفتوح وقيل المصدر هو المفتوح والمضموم والمكسور اسمان لما
يشرب كالرعي والطحن قال القرطبي تقول العرب شربت شربا وشربا وشربا بضمتين قال ابو زيد
سمعت العرب تقول بضم الشين وفتحها وكسرها والفتح هو المصدر الصحيح لان كل مصدر من ذوات
الثلث فاصله فعل الا ترى انك ترده الى المرة الواحدة فعلة نحو شربة وقال الكساي

يقال شربت شربا وشربا ويروى قول جعفر ايام منى ايام اكل وشرب ويقال بفتح الشين والشرب في غير هذا اسم للجماعة الشاربين قال

كانه خارج من جنب صفحته • سفود شرب نسوه عند مفتاد

والمعنى مثل شرب الهيم والهيم فيه اربعة اوجه احدها انه جمع اهيم او هيما وهو الجمل او الناقة التي اصابها الهيام وهو داء معطش تشرب الابل منه الى ان تموت او تسقم سقما شديدا والاصل هيم بضم الها كاحمر وحمر وحمرا وحمر وقلبت الضمة كسرة لتصح اليا نحو بيض في ابيض وانشد لذي الرمة • فاصبحت كالهيماء لا الما مبرد • صداها ولا يقضى عليها هيامها •

الثاني انه جمع هايم وهايمة من الهيام ايضا الا ان جمع فاعل وفاعلة على فعل قليل نحو بازل وبزل وعايذ وعوذ ومنه العوذ المطافيل وقيل هو من الهيام وهو الذهاب لان الجمل اذا اصابه ذلك هام على وجهه الثالث انه جمع هيام بفتح الها وهو الرمل غير المتماسك الذي لا يروى من الما اصلا فيكون مثل سحاب وسحب بضمتين ثم خفف باسكان عينه ثم كسرت فاوه لتصح اليا كما فعل بالذي قبله الرابع انه جمع لهيام بضم الها وهو الرمل غير المتماسك ايضا لغة في الهيام بالفتح حكاها ثعلب الا ان المشهور الفتح ثم جمع على فعل نحو قراد وقرد ثم خفف وكسرت فاوه لتصح اليا وفي الصحاح والهيام بالضم اشد العطش في الهيام كالجنون من العشق والهيام ايضا المفازة لاما بها والهيام بالكسر العطاس والمعنى انه يصيبهم من الجوع ما يلجيهم الى اكل الزقوم ومن العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم مثل شرب الهيم وقال الزمخشري فان قلت كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات واحدة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشي على نفسه قلت ليسا بمتفقتين من حيث ان كونهم شاربين على ما هم عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعا امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الما امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين انتهى معنى قوله فشاربون عليه من الحميم فشاربون وهو سوال حسن وجوابه مثله واجاب بعضهم عنه بجواب اخر وهو ان قوله فشاربون شرب الهيم تفسير للشرب قبله الا ترى ان ما قبله يصلح ان يكون مثل شرب الهيم ومثل شرب غيرها ففسره بانه مثل شرب هولا البهايم او الرمال وفي ذلك فايدتان احدهما التنبيه على كثرة شربهم منه والثانية عدم جدوى الشرب وان المشروب لا ينجع فيهم كما لا ينجع في الهيم على التفسيرين وقال ابو حيان والفا تقتضي التعقيب في الشربين وانهم اولا لما عطشوا شربوا من الحميم ظنا منهم انه يسكن عطشهم فازداد واعطشا بحرارة الحميم فشربوا بعده شربا لا يقع بعده ري ابدا وهو مثل شرب الهيم فهما شربان من الحميم لا شرب واحد اختلف صفتاه فعطف والمشروب منه في فشاربون شرب الهيم محذوف لفهم المعنى تقديره فشاربون منه انتهى قال شهاب الدين والظاهر انه شرب واحد بل الذي تعتقده هذا فقط وكيف يناسب ان تكون زيادة العطش بشربه مقتضية لشربهم منه ثانيا قوله هذا نزلهم يوم الدين قرا العامة نزلهم بضمتين وروي عن ابي عمرو من طرق وعن نافع وابن محيصن بضمة وسكون وهو تخفيف وقد تقدم ان النزل ما يعد للضيف وقيل هو اول ما ياكله فسمي به هذا تهكما بمن اعد له وهو في المعنى كقول ابي السعد الضبي

• وكنا اذا الجبار انزل جيشه • جعلنا القنا والمرهفات له نزلا •

ومعنى الاية هذا اول ما يلقونه من العذاب يوم القيمة كالنزل الذي يعد للاضياف تكرمة لهم وفيه تهكم كقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم قوله نحن خلقناكم فلولا تصدقون تحضيض اي فهلا تصدقون بالبعث لان الاعادة اسهل من الابتدا وقيل المعنى نحن خلقناكم ورزقناكم فهلا تصدقون ان هذا طعامكم ان لم تومنوا ومتعلق التصديق محذوف تقديره فلولا تصدقون بخلقنا قوله افرايتم هي بمعنى اخبروني ومفعولها الاول ما تمنون والثاني الجملة الاستفهامية وقد تقدم تقريره والمعنى ما تصبونه من المني في ارحام النسا وقرا العامة تمنون بضم التا من امنى يمني وابن عباس وابو السماك بفتحها من منى يمني وقال الزمخشري يقال امنى النطفة ومناها قال الله تعالى من نطفة اذا تمنى انتهى فظاهر هذا انه استشهاد للثلاثي وليس فيه دليل له اذ يقال من الرباعي ايضا تمنى

كقولك انت تكرم وهو من اكرم وقال القرطبي ويحتمل ان يختلف معناهما عندي فيكون امنى اذا انزل عن جماع ومنى اذا انزل عن احتلام وفي تسمية المني منيا وجهان احدهما لامنايه وهو اراقته الثاني لتقديره ومنه المنى الذي يوزن به لانه مقدار كذلك المني مقدار صحيح لتصوير الخلقة قوله اانتم تخلقونه يجوز فيه وجهان احدهما انه فاعل فعل مقدرا اي اتخلقونه فلما حذف الفعل لدلالة ما بعده عليه انفصل الضمير وهذا من باب الاشتغال والثاني ان انتم مبتدا والجملة بعده خبره والاول ارجح لاجل اداة الاستفهام وقوله ام يجوز فيه وجهان احدهما انها منقطعة لان بعدها جملة وهي انما تعطف المفردات والثاني انها متصلة واجابوا عن وقوع الجملة بعدها بان مجي الخبر بعد نحن اتى به على سبيل التوكيد اذ لو قال ام نحن لاكتفى به دون الخبر ونظير ذلك جواب من قال في الدار زيد في الدار وزيد فيها ولو اقتصر على زيد لكان كافيا ويويد كونها متصلة ان الكلام يقتضي تاويله اي الامرين واقع واذا اصح ذلك كانت متصلة اذ الجملة بتاويل المفرد ومفعول الخالقون محذوف لفهم المعنى اي الخالقوه والمعنى اانتم تصورون منه الانسان ام نحن الخالقون المقدرون المصورون وهذا احتجاج عليهم وبيانه للاية الاولى اي اذا اقررتم بانا خالقوه لا غيرنا فاعترفوا بالبعث قال مقاتل نحن خلقناكم ولم تكونوا شيا وانتم تعلمون ذلك فهلا تصدقون بالبعث قوله نحن قدرنا قرا ابن كثير قدرنا بتخفيف الدال والباقون بتشديدها وهما لغتان بمعنى واحد في التقدير الذي هو القضا وهذا ايضا احتجاج الذي يقدر على الاماتة يقدر على الخلق واذا قدر على الخلق قدر على البعث قال الضحاك معناه اي سوينا بين اهل السما واهل الارض وقيل قضينا وقيل كتبنا قال مقاتل فمنكم من يبلغ الهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا وما نحن بمسبوقين اي عاجزين مغلوبين قوله على ان نبدل يجوز ان يتعلق بمسبوقين وهو الظاهر اي لم يسبقنا احد على تبديلنا امثالكم اي يعجزنا يقال سبقه على كذا اي اعجزه عنه وغلبه عليه والثاني انه متعلق بقوله قدرنا اي قدرنا بينكم على ان نبدل امثالكم اي نموت طايفة ونخلفها طايفة اخرى قال معناه الطبري فعلى هذا يكون قوله وما نحن بمسبوقين معترضا وهو اعتراض حسن ويجوز في امثالكم وجهان احدهما انه جمع مثل بكسر الميم وسكون الثا اي نحن قادرون على ان نعدمكم ونخلق قوما اخرين امثالكم ويويده ان نشا نذهبكم ايها الناس ويات باخرين والثاني انه جمع مثل بفتحتين وهو الصفة اي نغير صفاتكم التي انتم عليها خلقا وخلقا وننشيكم في صفات غيرها وتقدم قراتا النشاة في العنكبوت فصل قال الطبري معنى الاية نحن قدرنا بينكم الموت على ان نبدل امثالكم بعد موتكم باخرين من جنسكم وما نحن بمسبوقين في اجالكم اي لا يتقدم متاخر ولا يتاخر متقدم وننشيكم فيما لا تعلمون من الصور والهيات قال الحسن اي نجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا باقوام قبلكم وقيل المعنى ننشيكم في البعث على غير صوركم في الدنيا يجمل المومن ببياض وجهه ويقبح الكافر بسواد وجهه وقال سعيد بن المسيب قوله فيما لا تعلمون يعني في حواصل طير سود تكون ببرهوت كانها الخطاطيف وبرهوت واد في اليمن وقال مجاهد فيما لا تعلمون اي في اي خلق شينا وقيل ننشيكم في عالم فيما لا تعلمون وفي مكان لا تعلمون قال هنا قدرنا بينكم الموت وقال في سورة الملك خلق الموت والحياة بلفظ الخلق لان المراد هناك بيان كون الموت والحياة مخلوقين وهنا ذكرهما تتمة لما تم قوله ولقد علمتم النشاة الاولى اي اذ خلقتم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ولم يكونوا شيا قاله مجاهد وغيره وهذا تقرير للنشاة الثانية وقال قتادة والضحاك يعني خلق ادم عليه السلام فلولا تذكرون اي فهلا تذكرون قرا طلحة تذكرون بسكون الذال وضم الكاف وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشاة الاخرة وهو يرى النشاة الاولى وعجبا للمصدق بالنشاة الاخرة وهو يسعى لدار الغرور قوله افرايتم وما بعده تقدم نظيره وهذه حجة اخرى اي اخبروني عما تحرثون من ارضكم فتطرحون فيها البذر اانتم تنبتونه وتجعلونه زرعا فيكون فيه السنبل والحب ام نحن نفعل ذلك وانما منكم البذر وشق الارض فاذا اقررتم بان اخراج السنبلة من الحبة ليس

البكم فكيف تنكرون اخراج الاموات من الارض واعادتهم واضاف الحرث اليهم والزرع اليه
تعالي لان الحرث فعلهم ويجري علي اختيارهم والزرع من فعل الله تعالي وينبت علي اختياره
لا علي اختيارهم وكذلك ما روي ابو هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال لا يقولن احدكم
زرعت وليقل حرثت فان الزارع هو الله تعالي قال ابو هريرة الم تسمعوا قوله تعالي ءانتم
تزرعونه ام نحن الزارعون قال القرطبي والمستحب لكل من يزرع ان يقرا بعد الاستعاذة افرايتم
ما تحرثون الاية ثم يقول بل الله الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل علي محمد وارزقنا ثمره وجنبنا
ضرره واجعلنا لانعمك من الشاكرين ويقال ان هذا القول امان لذلك الزرع من جميع الافات
والدود والجراد وغير ذلك سمعناه من ثقة وجربناه فوجدناه كذلك فان قيل اذا كان الزارع
هو الله تعالي فكيف قال تعالي يعجب الزراع وقال عليه السلام الزرع للزارع فالجواب ان
الحرث اوايل الزرع والزرع اواخر الحرث فيجوز اطلاق احدهما علي الاخر لاتصاله به ومعني
ءانتم تزرعونه تجعلونه وقد يقال فلان زارع كما يقال حراث اي يفعل ما يؤول الي ان
يكون زرعا وقد يطلق لفظ الزرع علي بذر الارض وتكريبها تجوزا قال القرطبي وهذا نهي
ارشاد وادب لا نهي حظر وايجاب ومثله قوله عليه السلام لا يقولن احدكم عبدي وامتي
وليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي قوله لو نشا لجعلناه حطاما اتي هنا بجواب لو
مقرونا باللام وهو الاكثر لانه مثبت وحذف في قوله جعلناه اجاجا لان المنة بالماكول اعظم
منها بالمشروب قاله الزمخشري وهذا منقوض بقوله ولو نشا لطمسنا ولو نشا لمسخناهم
وذلك ان امر الطمس اهون من امر المسخ وادخل فيهما اللام واجاب الزمخشري بجواب اخر
فقال قوله تعالي لو نشا لجعلناه حطاما كان قريب الذكر فاستغني باللام فيه عن ذكرها
ثانيا قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لان قوله تعالي لو نشا لطمسنا علي اعينهم مع قوله
لو نشا لمسخناهم اقرب من قوله لجعلناه حطاما وجعلناه اجاجا اللهم الا ان يقول هناك
احدهما قريب من الاخر ذكرا لا معني لان الطمس لا يلزمه المسخ ولا بالعكس واما الماكول
يكون معه المشروب في الذهن فالامران متقاربان لفظا ومعني **فصل** قال
الماوردي هذه الاية تتضمن امرين احدهما الامتنان عليهم بان انبت زرعهم حتي عاشوا
ليشكروا علي نعمه عليهم الثاني البرهان الموجب للاعتبار لانه لما انبت زرعهم بعد تلاشي
بذره وانتقاله الي استواده لمن العفن والتتريب حتي صار زرعا اخضر ثم قوي مشتدا
اضعاف ما كان عليه فهو باعادة من امات احق عليه واقدر وفي هذا البرهان مقنع لذوي
الفطر السليمة ثم قال لو نشا لجعلناه حطاما اي متكسرا يعني الزرع والحطام الهشيم
الهالك الذي لا ينتفع به في مطعم ولا غذا فنبه بذلك علي امرين احدهما ما اولاهم به من
النعم في زرعهم اذ لم يجعله حطاما اذ لو شا كذلك ليهلككم اذا شا لتتعظوا فتنزجروا قوله
فظلتم تفكهون قرا العامة بفتح الظا مع لام واحدة وقد تقدم الكلام عليها مستوفي
في طه وابو حيوة وابو بكر في رواية بكسر الظا وعبد الله والجحدري فظللتم علي الاصل
بلامين اولاهما مكسورة وروي عن الجحدري فتحها وهي لغة ايضا والعامة تفكهون بالها
ومعناه تندمون وحقيقته تلقون الفكاهة عن انفسكم ولا تلقي الفكاهة الا من الحزن
فهو من باب تحرج وتاثم وتحوب وقيل تفكهون تتعجبون بذهابها بكم في زرعكم قاله عطا
والكلبي ومقاتل وقيل تندمون مما حل بكم قاله الحسن وقتادة وغيرهما وقيل تلاومون
وقيل تتفجعون وهذا تفسير باللازم وقرا ابو حرام العكلي تفكنون بالنون اي تندمون
قال ابن خالويه تفكه تعجب وتفكن تندم وفي الحديث مثل العالم مثل الحمة يانيها
البعدا ويتركها القربا فبينما هم اذ غار ماوها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون اي يتندمون
قال الفرا والنون لغة عكل وفي الصحاح التفكن التندم علي ما فات وقيل التفكه التكلم
فيما لا يعنيك ومنه قيل للمزاح فكاهة بالضم فاما الفكاهة بالفتح فمصدر فكه الرجل
بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس فرحا قوله انا لمغرمون قرا ابو بكر اءنا بالاستفهام
وهو علي اصله في تحقيق الهمزتين وعدم ادخال الف بينهما والباقون بهمزة واحدة
علي الخبر وقيل هذه الجملة قول مقدر علي كلتي القراتين وذلك في محل نصب علي الحال تقديره

فظلتم تفكهون قايلين او يقولون انا لمغرمون اي لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون
لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك قاله الزمخشري ومن مجي الغرام بمعني الهلاك قوله

• ان يعذب يكن غراما • وان يعط جزيلا فانه لا يبالي •

قال ابن عباس وقتادة الغرام العذاب ومنه قول ابن المحلم

• وثقت بان الحلم مني سجية • وان فوادي مبتلا بك مغرم •

وقال مجاهد وعكرمة لمولع بنا يقال اغرم فلان اي اولع بها ومنه الغرام وهو الشر اللازم
وقال مجاهد ايضا الملقون شرا وقال النحاس لمغرمون ماخوذون من الغرام وهو الهلاك
وقال الضحاك وابن كيسان هو من الغرم والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض اي غرمنا
الحب الذي بذرناه وقال مرة الهمداني محاسبون قوله بل نحن محرومون اي حرمنا ما طلبنا
من الزرع والمحروم المحدود والممنوع من الرزق والمحروم ضد المرزوق قاله قتادة وعن انس
ان النبي صلي الله عليه وسلم مر بارض الانصار فقال ما يمنعكم الحرث قالوا الجدوبة فقال لا
تفعلوا فان الله يقول انا الزارع ان شيت زرعت بالما وان شيت زرعت بالريح وان شيت
زرعت بالبذر ثم تلا افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون قال القرطبي في
هذا الحديث والذي قبله ما يصحح قول من ادخل الزارع في اسما الله تعالي واباه جمهور العلما
قوله افرايتم الما الذي تشربون لتحيوا به انفسكم وتسكنوا به عطشكم ءانتم انزلتموه من
المزن اي السحاب الواحدة مزنة قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما المزن السحاب وهو

اسم جنس واحده مزنة قال • فلا مزنة ودقت ودقها • ولا ارض ابقل ابقالها •

وعن ابن عباس ايضا والثوري المزن السما والسحاب وقال ابو زيد المزنة السحابة البيضا

والجمع مزن والمزنة المطرة قال • الم تر ان الله انزل مزنة • وعفر الضبا في الكناس تقمع •

وقوله ام نحن المنزلون اي اذا عرفتم باني انزلته فلم لا تشكروني باخلاص العبادة لي ولم
تنكروا قدرتي علي الاعادة قوله لو نشا جعلناه اجاجا تقدم عدم دخول اللام في جواب
لو هذه وقال الزمخشري فان قلت لم دخلت اللام في جواب لو في قوله لجعلناه حطاما
ونزعت منه هاهنا قلت ان لو لما كانت داخلة علي جملتين معلقة ثانيتهما بالاولي تعليق
الجزا بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سري فيها معني الشرط اتفاقا
من حيث افادتها في مضمون جملتيها ان الثاني امتنع لامتناع الاول افتقرت في جوابها
الي ما ينصب علما علي هذا التعليق فزيدت هذه اللام لتكون علما علي ذلك فاذا حذفت بعد
ما صارت علما مشهورا مكانه فلان الشي اذا علم وشهد موقعه وصار مالوفا وماتوسا به لم
يبال باسقاطه عن اللفظ استغنا بمعرفة السامع الا تري الي ما يحكي عن روبة انه كان يقول
خير لمن يقول له كيف اصبحت فحذف الجار لعلم كل احد بمكانه وتساوي حالي اثباته وحذفه
لشهرة امره وناهيك بقول اوس

• حتي اذا الكلاب قال لها • كاليوم مطلوبا ولا طلبا •

فحذف لم اربا ذن حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعني فاستوي الموضعان لا فرق
بينهما علي ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرها مغن عن ذكرها ثانيا ويجوز ان يقال ان هذه
اللام مفيدة معني التوكيد لا محالة فادخلت في اية المطعوم دون اية المشروب للدلالة
علي ان امر المطعوم مقدم علي امر المشروب وان الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان
المشروب وان الوعيد بفقده انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم الا تري انك انما تسقي ضيفك
بعدما تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول ابي العلا

• اذا سقيت ضيوف الناس محضا • سقوا اضيافهم شيما زلالا •

وسقي بعض العرب فقال اما لا اشرب الا علي ثميلة ولهذا قدمت اية المطعوم علي اية المشروب
انتهي وقد تقدم جواب ابن الخطيب له عن ذلك **فصل** قال ابن عباس الاجاج
المالح الشديد الملوحة وقال الحسن مرا قعاعا لا ينتفعون به في شرب ولا زرع ولا غيرهما
فلولا اي فهلا تشكرون الذي صنع ذلك بكم قوله افرايتم النار التي تورون اي اخبروني
عن النار التي تظهرونها بالقدح من الشجر الرطب وتورون من اوريت الزند اي قدحته
فاستخرجت ناره وورى الزند يري اذا اخرجت ناره واصل تورون تورييون والشجرة التي

تكون منها الزنود وهي المرخ والعفار ومنه قولهم في كل نار واستمجد المرخ والعفار اي استكثروا منها كانهما اخذا من النار ما هو حسبهما وقيل لانهما يسرعان الوري ام نحن المنشيون اي المخترعون الخالقون اي فاذا عرفتم قدرتي فاشكروني ولا تنكروا قدرتي على البعث قوله نحن جعلناها تذكرة يعني نار الدنيا موعظة للنار الكبرى قاله قتادة وقال مجاهد تبصرة للناس من الظلام قال عليه السلام ان ناركم هذه التي يوقد بنو ادم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم فقالوا يا رسول الله ان كانت لكافية قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها قوله ومتاعا للمقوين يقال اقوى الرجل اذا حل في الارض القواء وهي القفر كالصحراء ودخل في الصحرا واقوت الدار خلت من ذلك لانها تصير قفرا قال النابغة

• يا دار مية فالعليا فالسند • اقوت وطال عليها سالف الابد •

قال الضحاك متاعا للمقوين اي منفعة للمسافرين سموا بذلك لنزولهم القوي وهي القفر التي لا شيء فيها وكذلك القوى والقواء بالمد والقصر ومنزل قواء لا انيس به يقال اقوت الدار وقويت ايضا اي خلت من سكانها قال

• حييت من طلل تقادم عهده • اقوى واقفر بعد ام الهيثم •

وقال مجاهد للمقوين اي المنتفعين بها من الناس اجمعين في الطبخ والخبز والاصطلاء والاستضاءة ويتذكر بها نار جهنم ويستجار بالله منها وقال ابن زيد للجائعين في اصلاح طعامهم يقال اقويت منذ كذا وكذا اي ما اكلت شيئا وبات فلان القوا وبات القفر اذا بات جائعا على غير طعم قال الشاعر

• واني لاختار القوى طاوي الحشا • محافظة من ان يقال لئيم •

وقال قطرب القوي من الاضداد يكون بمعنى الفقر ويكون بمعنى الغنى يقال اقوى الرجل اذا لم يكن معه زاد ويقال للفقير مقو اذا لم يكن معه مال قال وتقول العرب اقويت منذ كذا اي ما اكلت شيئا واقوى اذا قويت دوابه وكثر ماله لتقويه على ما يريد قال المهدوي والاية تصلح للجميع لان النار يحتاج اليها المسافر والمقيم والغني والفقير وقال القشيري وخص المسافر بالانتفاع بها لان انتفاعه بها اكثر من انتفاع المقيم لان اهل البادية لا بد لهم من النار يوقد ويحا ليلا لتهرب منهم السباع وفي كثير من حوائجهم قوله فسبح باسم ربك العظيم اي فنزه الله عما اضافه اليه المشركون من الانداد والعجز عن البعث قال ابن الخطيب والمشهور ان الاسم مقحم والحسن انه من باب الاولى وان تعظيم المسمى اكد وقد تقدم ان تعلق الفعل ان كان ظاهرا استغنى عن الحرف كضربت وان كان خفيا قوي بالحرف كذهبت وان كان بينهما جاز الوجهان كشكر ونصح وسبح متعد بنفسه الا انه لما دخل على الاسم والمراد الذات خفي التعلق من هذا الوجه فاتي بالحرف واما قوله سبح اسم ربك فيحتمل ان ذلك لانهم كانوا يعترفون بالله ويقولون نحن لا نشرك في المعنى وانما نسمي الاصنام الهة باللفظ فقيل لهم نزهوا الاسم كما نزهتم الحقيقة وعلى هذا فالخطاب ليس للنبي صلى الله عليه وسلم بل هو كقول الواعظ يا مسكين افنيت عمرك وما اصلحت امرك ويريد السامع او المعنى مع البا فسبح مبتديا باسم ربك فلا تكون البا زايدة ومعنى العظيم القريب من القريب فان الصغير اذا قرب من شيء بعد عن غيره قوله فلا اقسم قرا العامة فلا لام الف وفيها اوجه احدها انها حرف نفي وان المنفي بها محذوف وهو كلام الكافر الجاحد تقديره فلا حجة لما يقول الكفار ثم ابتدا اقسم بما ذكر واليه ذهب كثير من المفسرين والنحويين قال الفراء نفي والمعنى ليس الامر كما تقولون ثم استانف اسم م الا والله ما كان كذا ولا يريد به نفي اليمين بل يريد نفي كلام تقدم اي ليس كما ذكر بل هو كذا وضعف هذا بان حذف اسم لا وخبرها قال ابو حيان ولا يجوز ولا ينبغي فان القايل بذلك مثل سعيد بن جبير تلميذ حبر القران وبحره عبد الله بن عباس ويبعد ان يقول سعيد الا بتوقيف الثاني انها زايدة للتوكيد والمعنى فاقسم بدليل قوله وانه لقسم ومثلها في قوله تعالى لئلا يعلم والتقدير ليعلم وكقوله فلا واني اعرابها لا حوانها الثالث انها لام الابتدا والاصل فلاقسم فاشبعت الفتحة فتولد منها

الف كقوله اعوذ بالله من العقراب قاله ابو حيان واستشهد بقراة هشام وافيدة قال شهاب الدين وهذا ضعيف جدا واستند ايضا لقوله للحسن وعيسى فلاقسم بلام واحدة وفي هذه القراة تخريجات احدها ان اللام لام الابتدا وبعدها مبتدا محذوف والفعل خبره فلما حذف المبتدا اتصلت اللام بخبره وتقديره فلانا اقسم نحو زيد منطلق قاله الزمخشري وابن جني والثاني انها لام القسم دخلت على الفعل الحال ويجوز ان يكون القسم جوابا للقسم كقوله وليحلفن ان اردنا فتقسم ليحلفن قسم جوابه ان اردنا وهو جواب القسم مقدر كذلك هذا وهو قول الكوفيين يجيزون ان يقسم على فعل الحال والبصريون يابونه ويخرجون ما يوهم ذلك على اضمار مبتدا فيعود القسم على جملة اسمية ومنع الزمخشري ان تكون لام القسم قال لامرين احدهما ان حقها ان تقترن بالنون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان لافعل في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال يعني ان فعل القسم انشا والانشا حال واما قوله ان حقها ان يقرن بها النون هذا مذهب البصريين ايضا واما الكوفيون فيجيزون التعاقب بين اللام والنون نحو والله لاضرب زيدا كقوله وسل المرة اباريز وقد تقدم قريب من هذه الاية في قوله تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك ولكن هناك ما لا يمكن القول به هنا كما ان هنا ما لا يمكن القول به هناك وسياتي ان شا الله تعالى قريب منه في القيمة في قراة ابن كثير لاقسم بيوم القيمة قال القرطبي وقيل لا بمعنى الا للتنبيه كقوله

• الا عم صباحا ايها الطلل البالي •

ونبه بهذا على فضيلة القران ليتدبروه فانه ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة كما زعموا قوله بمواقع النجوم قرا العامة بمواقع جمعا والاخوان بموقع مفردا بمعنى الجمع لانه مصدر فوحد ومواقعها مساقطها ومغاربها قاله قتادة وغيره وقال الحسن انكدارها انتثارها يوم القيمة وقيل المراد نجوم القران قاله ابن عباس والسدي ويويده وانه لقسم وانه لقران كريم وقال عطا بن ابي رباح منازلها وقال الضحاك هي الانواء التي كانت الجاهلية تقول اذا امطروا مطرنا بنوء كذا قاله الماوردي ويكون قوله تعالى فلا اقسم مستعملا على الحقيقة من نفي القسم وقال القشيري هو قسم ولله ان يقسم بما يريد وليس لنا ان نقسم بغير الله تعالى وصفاته القديمة قال القرطبي ويدل على هذا قراة الحسن فلاقسم قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم الضمير عايد الى القسم الذي يتضمنه قوله فلا اقسم لان اقسم يتضمن ذكر المصدر ولهذا توصف المصادر التي لم تظهر بعد الفعل فيقال ضربته ثوبا فان قيل جواب لو تعلمون ماذا قال ابن الخطيب ربما يقول بعض من لا يعلم ان جوابه ما تقدم وهو فاسد في جميع المواضع لان جواب الشرط لا يتقدم لان عمل الحروف في معمولها لا يكون قبل وجودها فلا يقال ان زيدا ان قام فالجواب يحتمل وجهين احدهما ان يقال الجواب محذوف بالكلية بحيث لا يقصد لذلك جواب وانما يراد نفي ما دخلت عليه لو وكانه قال فانه لقسم عظيم لو تعلمون وتحقيقه ان لو تذكر لامتناع الشي لامتناع غيره فلا بد فيه من انتفا الاول فادخال لو على تعلمون افاد ان علمهم منتف سوا علمنا الجزا ام لم نعلم وهو كقولهم في الفعل المتعدي فلان يعطي ويمنع حيث لا يقصد منه مفعولا وانما يراد اثبات القدرة الثاني ان جوابه مقدر تقديره لو تعلمون لعظمتموه لكنكم ما عظمتموه فعلم انكم لا تعلمون او لو تعلمون لعظمتم في اعينكم ولم تعظم فلا تعلمون قوله انه لقران كريم هذا هو المقسم عليه وعلى هذا فيكون في هذا الكلام اعتراضان احدهما الاعتراض بقوله وانه لقسم بين القسم والمقسم عليه والثاني الاعتراض بقوله لو تعلمون بين الصفة والموصوف ومنع ابن عطية ان يجعل قوله وانه لقسم اعتراضا فقال وانه لقسم تاكيد للامر وتنبيه من المقسم به وليس هذا باعتراض بين الكلامين بل هذا معنى قصد التهمم به وانما الاعتراض قوله لو تعلمون قال شهاب الدين وكونه تاكيدا وتنبيها على تعظيم المقسم به لا ينافي الاعتراض بل هذا معنى الاعتراض وفايدته والهاء في انه لقران تعود على القران اي ان القران لقسم عظيم قاله ابن عباس وغيره وقيل اي ما اقسم الله به عظيم انه لقران كريم ذكر المقسم عليه اي اقسم بمواقع النجوم ان هذا القران قران ليس بسحر ولا كهانة

ولامفتري بل هو قران كريم محمود جعله الله معجزة نبيه وهو كريم على المومنين لانه كلام
ربهم وشفا صدورهم كريم على اهل السما لانه تنزيل ربهم ووحيه وقيل كريم اي غير مخلوق
وقيل كريم لما فيه من كرم الاخلاق ومعالي الامور وقيل لانه يكرم حافظه ويعظم قدره وقال
ابن الخطيب كريم اي يهون بكثرة التلاوة لان الكلام متى اعيد وكرر استهين به والقران يكرر
الى اخر الدهر ولا يزداد الا عزا والقران اما مصدر كالغفران والمراد به المفعول وهو المقروء كقوله
هذا خلق الله واما اسم لما يقرا كالقربان لما يتقرب به والحلوان لما يحلى به فم الكاهن وهل
هذا يظهر فسادا قول من رد على الفقها قولهم في باب الزكاة يعطي سنا اعلى مما وجب واخذ
الجبران او يعطي سنا دونه ويعطي الجبران لان الجبران مصدر لا يوخذ ولا يعطى فيقال له هو
كالقران بمعنى المقروء وبمعنى كريم اي مقروء وقرى ويقرا فان معنى كريم اي لا يهون بكثرة التلاوة
ويبقى ابد الدهر كالكلام الغض الحديث الطري ومن هنا يقع في ان وصف القران بالحديث مع
انه قديم يستمد من كلامه كما هو قديم يسمعه السامع فوق كانه كلام

قوله في كتاب مكنون مصون عند الله وقيل مكنون محفوظ عن الباطل والكتاب هنا
كتاب في السما قاله ابن عباس وقال جابر بن زيد وابن عباس ايضا هو اللوح المحفوظ
وقال عكرمة التورية والانجيل فيهما ذكر القران وقال السدي الزبور وقال مجاهد وقتادة
وهو المصحف الذي في ايدينا **فصل** قال ابن الخطيب قوله تعالى في كتاب يستدعي
شيا مظروفا للكتاب وفيه وجهان احدهما انه القران اي هو قران في كتاب كقولك فلان
رجل كريم في نفسه لا يشك السامع بان المراد انه في الدار قاعد وانه لا يريد به انه رجل اذا
كان في الدار غير رجل اذا كان خارجا ولا يشك ايضا انه لا يريد انه كريم وهو في البيت فكذلك
ههنا معناه انه كريم في كتاب فاذا قيل فلان رجل كريم في نفسه يعلم ان كل احد ان في
لم يجعل رجلا مظروفا وان القايل لم يرد انه رجل في نفسه قاعدا وقايم وانما اراد ان كرمه
في نفسه وكذلك قوله قران كريم في لوح اي انه لم يكن كريما عند الكفار الثاني ان المظروف
هو مجموع قوله تعالى قران كريم اي هو كذا في كتاب كقوله تعالى وما ادراك ما عليون كتاب
اي في كتاب الله تعالى والمعنى في اللوح المحفوظ مكتوب انه لقران كريم **فصل** قال
ابن الخطيب فان قيل كيف سمي الكتاب كتابا والكتاب فعال وهو اما مصدر كالحساب
والقيام ونحوهما ولما يكتب كاللباس ونحوه وكيف ما كان فالقران لا يكون الا في القرطاس
لانه بمعنى المصدر ولا يكون في مكتوب وانما يكون مكتوبا في لوح او ورق فالمكتوب لا يكون
في الكتاب انما يكون في قرطاس واجاب بان اللوح لما لم يكن الا ان يكتب فيصح تسميته كتابا
وقوله في كتاب اما خبر بعد خبر واما صفة لكريم واما معمول الكريم والاصح ان الكتاب
المكنون هو اللوح المحفوظ لقوله تعالى بل هو قران مجيد في لوح محفوظ قوله لا يمسه
في لا هذه وجهان احدهما انها نافية فالضمة في لا يمسه ضمة اعراب وعلى هذا القول ففي الجملة
وجهان احدهما ان محلها الجر صفة لكتاب والمراد به اما اللوح المحفوظ والمطهرون حينئذ الملايكة
والمراد به المصاحف والمراد بالمطهرين المكلفون كلهم والثاني ان محلها الرفع صفة لقران
والمراد بالمطهرين الملايكة فقط اي لا يطلع عليه او لا يمس لوجه لا بد من احد هذين التجوزين
لان نسبة المس الى المعاني حقيقة متعذر ويويد كون هذه نفيا قراة عبد الله ما يمسه بما
النافية الوجه الثاني انها ناهية والفعل بعدها مجزوم لانه او فك عن الادغام لظهر ذلك
فيه كقوله تعالى لم يمسسهم سوء ولكنه ادغم ولما ادغم حرك اخره بالضم لاجل هاء الضمير
المذكر الغايب ولم يحفظ سيبويه في مثل هذا الا الضم وفي الحديث انا لم نرده عليك الا
انا حرم وان كان القياس يقتضي جواز فتحه تخفيفا وبهذا انظم فساد من رد بان هذا
لو كان نهيا لكان يقال لا يمسه بالفتح لانه خفي عليه جواز ضم ما قبل الها في هذا النحو
لاسيما على راي سيبويه فانه لا يجيز غيره وقد ضعف ابن عطية كونه نهيا بانه اذا كان خبرا
فهو في موضع الصفة وقوله بعد ذلك تنزيل صفة فاذا جعلناه نهيا كان اجنبيا معترضا
بين الصفات وذلك لا يحسن في وصف الكلام فتدبره وفي حرف ابن مسعود ما يمسه انتهى
وليس فيما ذكره ما يقتضي تضعيف هذا القول لانا لا نسلم ان تنزيل صفة بل هو خبر مبتدا

محذوق

محذوف اي هو تنزيل فلا يلزم ما ذكره من الاعتراض ولين سلمنا انه صفة فلا يمسه صفة ايضا
فان اعترض علينا بانه طلب فيجاب بانه على اضمار القول اي مقولا فيه لا يمسه كما قالوا ذلك
في قوله فتنة لا تصيبن على ان لا تصيبن نهي وهو كقوله جاوا بمزق هل رايت الذيب قط وقد
تقدم تحقيقه في الانفال وهذه الاية يتعلق بها خلاف العلما في مس المصحف وهو مبني
على هذا وقرا العامة المطهرون بتخفيف الطاء وتشديد الهاء مفتوحة اسم مفعول وعن
سلمان الفارسي كذلك الا انه يكسر الها اسم فاعل اي المطهرون انفسهم فحذف مفعوله
ونافع وابو عمرو في رواية عنهما وعيسى بسكون الطاء وفتح الها حقيقة اسم مفعول من اطهر
زيد والحسن وعبد الله بن عوف وسلمان ايضا المطهرون بتشديد الطاء والهاء مكسورة
واصله المتطهرون فادغم وقد قري بهذا الاصل ايضا **فصل** اختلفوا في المس
المذكور في الاية هل هو حقيقة في المس بالجارحة او معنى وكذلك اختلفوا في المطهرون
منهم فقال انس وسعيد بن جبير لا يمس ذلك الا المطهرون من الذنوب وهم الملايكة
وقال ابو العالية وابن زيد هم الذين طهروا من الذنوب كالرسل من الملايكة والرسل
من بني ادم وقال الكلبي هم السفرة الكرام البررة وهذا كله قول واحد وهو اختيار مالك
قال الحسن هم الملايكة الموصوفون في سورة عبس في قوله تعالى صحف مرفوعة بايدي
سفرة كرام بررة وقيل معنى لا يمسه لا ينزل به الا المطهرون يعني الا الرسل من الملايكة
على الرسل من الانبيا ولا يمس اللوح المحفوظ الذي هو الكتاب المكنون الا الملايكة المطهرون
او المطهرون بتشديد الطاء والصحيح ان المراد بالكتاب المصحف الذي بايدينا لما روى
مالك وغيره ان في كتاب عمرو بن حزم لا يمس القران الا طاهر وقال ابن عمر قال النبي
صلى الله عليه وسلم لا تمس القران الا وانت طاهر وقالت اخت عمر لعمر عند اسلامه وقد دخل
عليها ودعا بالصحيفة لا يمسه الا المطهرون فقام فاغتسل واسلم وعلى هذا قال قتادة
وغيره معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والانجاس وقال الكلبي من الشرك وقال الربيع
ابن انس من الذنوب والخطايا وقال محمد بن الفضيل وغيره معناه لا يقراه الا المطهرون اي الا
الموحدون قال عكرمة وكان ابن عباس ينهى ان تمكن اليهود والنصارى من قراءته وقال الفرا
لا يجد طعمه ونفعه وبركته الا المطهرون اي المومنون بالقران وقال الحسين بن الفضل معناه
لا يعرف تفسيره وتاويله الا من طهره الله من الشرك والنفاق وقال ابو بكر الوراق لا يوفق للعمل
به الا السعدا وروى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المنافقين لا يمس ثوابه الا المومنون
فصل اختلف العلما في مس المصحف على غير وضوء فالجمهور على المنع من مسه على غير
طهارة لحديث عمرو بن حزم وهو مذهب علي وابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد
وعطا والزهري والنخعي والحكم وحماد وجماعة من الفقها منهم مالك والشافعي واختلفت الرواية
عن ابي حنيفة فروي عنه انه يمسه المحدث وهذا مروي عن ابن عباس والشعبي وغيرهما وروي
عنه انه يمس ظاهره وحواشيه وما ليس بمكتوب واما الكتاب فلا يمسه الا طاهر قال ابن العربي
وهذا يقوي الحجة عليه لان حريم الممنوع ممنوع وكتاب عمرو بن حزم اقوى دليل عليه وقال مالك
لا يحمله غير طاهر بعلاقة ولا على وسادة وقال ابو حنيفة لا باس بذلك وروي عن الحكم وحماد
وداود بن علي انه لا باس بحمله ومسه للمسلم والكافر طاهرا او محدثا الا ان داود قال لا يجوز للمشرك
حمله واحتجوا في اباحة ذلك بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى قيصر ولا حجة فيه لانه موضع ضرورة
والمراد بالقران المصحف سمي قرانا لقرب الجوار على الاتساع ولان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان
يسافر بالقران الى ارض العدو واراد به المصحف قوله تنزيل قرا العامة بالرفع وقرا بعضهم تنزيلا
بالنصب على انه حال من النكرة وجاز ذلك لتخصيصها بالصفة او ان تكون مصدرا لعامل مقدر
اي نزل تنزيلا وغلب التنزيل على القران وقوله من رب يجوز ان يتعلق به على الاول لا الثاني
لان المؤكد لا يعمل فيتعلق بمحذوف لانه صفة له واما على قراءة تنزيل بالرفع فيجوز الوجهان قال
القرطبي تنزيل اي منزل كقولهم ضرب الامير ونسج اليمن وقيل تنزيل صفة لقوله تعالى انه لقران
كريم وقيل خبر مبتدا محذوف اي هو تنزيل قال ابن الخطيب قوله تنزيل مصدر والقران الذي
في كتاب ليس بتنزيل انما هو منزل لقوله تعالى نزل به الروح الامين فنقول ذكر المصدر وارادة

المفعول كثير كقوله تعالى هذا خلق الله فاوثر المصدر لان تعلق المصدر بالفاعل اكثر قوله
افبهذا الحديث متعلق بالخبر وجاز تقديمه على المبتدا لان عامله يجوز فيه ذلك والاصل
افانتم مدهنون بهذا الحديث وهو القران ومعنى مدهنون اي ممتنا وتون كمن يدهن في الامر
اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به يقال ادهن فلان اي لاين وهاود فيما لا يجمل عند
الدهن قال ابو قيس بن الاسلت الحزم والقوة خير من الادهان والفهة والهاع وقال الراغب
والادهان في الاصل مثل التدهين لكن جعل عبارة عن المداراة والملاينة وترك الجد كما جعل
التقريد وهو نزع القراد عبارة عن ذلك قال القرطبي وادهن وداهن واحد وقال
قوم داهنت بمعنى واريت وادهنت بمعنى غششت قال ابن عباس مدهنون اي مكذبون
وهو قول عطا وغيره والمدهن الذي ظاهره خلاف باطنه كانه شبه بالدهن في سهولة ظاهره
وقال مقاتل بن سليمان وقتادة مدهنون كافرون نظيره ودوا لو تدهن فيدهنون
وقال المورخ المدهن المنافق الذي يلين جانبه ليخفي كفره والادهان والمداهنة التكذيب
والكفر والنفاق وقال الضحاك مدهنون معرضون وقال مجاهد ممالئون الكفار على
الكفر وقال ابن كيسان المدهن الذي لا يعقل ما حق الله عليه ويدفعه بالعلل وقال بعض
اللغويين مدهنون تاركون للجزم في قبول القران قوله وتجعلون رزقكم فيه اوجه احدها
انه على التهكم به لانهم وضعوا الشي غير موضعه كقولك شتمني حيث احسنت اليه اي عكس قضية
الاحسان ومنه كان شكر القوم عند المنى في الصحيحات وفقا الاعين اي شكر رزقكم تكذيبكم
الثاني ان ثم مضافا محذوفا اي بدل شكر رزقكم ليصح المعنى قاله ابن مالك وقد تقدم في
قوله تعالى فكان قاب قوسين الكرمين هذا الثالث ان الرزق هو الشكر في لغة ازدشنوءة
يقولون ما رزق فلان فلانا اي ما شكره فعلى هذا الاخذ فالبته ويويده قراة علي بن ابي
طالب رضي الله عنه وتلميذه عبد الله بن عباس وتجعلون شكركم مكان رزقكم قال القرطبي
وانما صلح ان يوضع اسم الرزق مكان الشكر لان شكر الرزق يقتضي الزيادة فيه فيكون الشكر
رزقا لهذا المعنى قوله انكم تكذبون قرا العامة تكذبون من التكذيب وعلي رضي الله عنه
وعاصم في رواية المفضل عنه تكذبون مخففا من الكذب ومعنى الاية انكم تكذبون بالرزق
اي تضعون الكذب مكان الشكر كقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية
اي لم يكونوا يصلون ولكنهم كانوا يصفرون ويصفقون مكان الصلوة قال القرطبي وفيه
بيان ان ما اصاب العباد من خير فلا ينبغي ان يروه من قبل الوسايط التي جرت العادة بان
تكون اسبابا بل ينبغي ان يروه من قبل الله تعالى ثم يقابلوه بشكر ان كان نعمة او صبر ان
كان مكروها تعبدا له وتذللا وروي علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قرا وتجعلون شكركم انكم تكذبون حقيقة وعن ابن عباس ايضا ان المراد به الاستسقا
بالانوا وهو قول العرب مطرنا بنوء كذا ورواه علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم
وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اصبح من الناس شاكر ومنهم كافر فقال بعضهم هذه رحمة الله وقال
بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا قال فنزلت هذه الاية فلا اقسم بمواقع النجوم حتى بلغ وتجعلون
رزقكم انكم تكذبون وعنه ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج في سفر فعطشوا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ارايتم ان دعوت الله لكم فسقيتم لعلكم ان تقولوا هذا المطر بنوء كذا
فقالوا يا رسول الله ما هذا بحين الانواء فصلى ركعتين ودعا ربه فهاجت ريح ثم هاجت
سحابة فمطروا فمر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عصابة من اصحابه برجل يغترف بقدح له
وهو يقول سقينا بنوء كذا ولم يقل هذا من رزق الله فنزلت وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
بالنعمة ويقولون سقينا بنوء كذا كقوله جعلت احساني اليك اساءة منك الي وجعلت
انعامي لديك ان اتخذتني عدوا قال الشافعي لا احب لاحد ان يقول مطرنا بنوء كذا وان
كان النوء عندنا الوقت المخلوق لا يضر ولا ينفع ولا يمطر ولا يحبس شيئا من المطر والذي
احب ان يقول مطرنا بنوء كذا وقت كذا كما تقول مطرنا شهر كذا ومن قال مطرنا بنوء كذا
وهو يريد ان النوء انزل الماء كما يقول بعض اهل الشرك فهو كافر حلال دمه ان لم يتب ومعنى

قوله

قوله وتجعلون رزقكم اي معاشكم وتكسبكم تكذيب محمد كما يقال فلان جعل قطع الطريق معاشه
فعلى هذا التكذيب عام وعلى الاول التكذيب خاص والرزق في الاصل مصدر سمي به ما يرزق
كما يقال للماكول رزق وللمقدور قدرة وللمخلوق خلق قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم ترتيب
الاية الكريمة فلولا ترجعونها اي النفس اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية
مكررة للتوكيد قاله الزمخشري قال شهاب الدين فيكون التقدير فلولا ترجعونها من باب
التوكيد اللفظي ويكون اذا بلغت ظرفا لترجعونها مقدما عليه اذ لا مانع منه اي فلا ترجعون
النفس في وقت بلوغها الحلقوم وقوله وانتم حينئذ تنظرون جملة حالية من فاعل بلغت
والتنوين في حينئذ عوض من الجملة المضاف اليها اذ اي اذا بلغت الحلقوم خلافا للاخفش
حيث زعم ان التنوين للصرف والكسر للاعراب وقد مضى تحقيقه وقرا العامة بفتح نون حينئذ
لانه منصوب على الظرفية ناصبه تنظرون وعيسى بكسرها وهي مشكلة لا يبعد عن الغلط عليه
وخرجت على الاتباع لحركة الهمزة ولا عبرة في ذلك فليست بابعد من قراءة الحمد لله بكسر الدال
لتلازم المتضايفين وكثرة دورهما على الخصوص فصل قال المفسرون معنى الاية
فهلا اذا بلغت النفس او الروح الحلقوم ولم يتقدم لها ذكر لان ذلك معروف قال حاتم

اماوي ما يغني الثراء عن الفتى ۝ اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وفي الحديث ان ملك الموت له اعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيئا فشيئا حتى ينتهي
بها الى الحلقوم فيتوفاها ملك الموت والحلقوم مجرى الطعام وانتم حينئذ تنظرون امري وسلطاني
وقيل تنظرون الميت لا تقدرون له على شي قال ابن عباس يريد من حضر من اهل الميت
ينتظرون متى تخرج نفسه ثم قيل هو رد عليهم في قولهم لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما
قتلوا اي فهلا ردوا روح الواحد منهم اذا بلغت الحلقوم وقيل المعنى فهلا اذا بلغت نفس
احدكم الحلقوم عند النزع وانتم حضور امسكتم روحه في جسده مع حرصكم على امتداد عمره
وحبكم لبقايه وهذا رد لقولهم نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر قوله ونحن اقرب يجوز ان يكون
اي تنظرون في هذه الحال التي تخفى عنكم وان تكون مستانفة فيكون اعتراضا والا ستدراك
ظاهر والبصر يجوز ان يكون من البصيرة والمعنى ونحن اقرب اليه منكم بالقدرة والعلم والرؤية
قال عامر بن عبد قيس ما نظرت الى شي الا رايت الله اقرب الي منه وان تكون من البصر اي لا
تنظرون اعوان ملك الموت والمعنى ان رسلنا الذين يتولون قبض روحه اقرب اليه منكم ولكن
لا ترونهم قوله فلولا ان كنتم غير مدينين ان كنتم شرط جوابه محذوف عند البصريين
لدلالة فلولا عليه او مقدم عند من يرى ذلك كما تقدم تقريره والمعنى فهلا كنتم غير محاسبين
ولا مجزيين باعمالكم ومنه قوله تعالى انا لمدينون اي مجزيون او محاسبون وقد تقدم وقيل
غير مملوكين ولا مقهورين قاله الفرا وغيره دنته ملكته قال الحطيئة

لقد دينت امر سك حتى تركتهم ادق من الطحين

يعني ملكت ودانه اي اذله واستعبده يقال دنته فلان ومنه دانت له البلاد وقد تقدم
في الفاتحة عند قوله يوم الدين قوله ترجعونها قال ابو البقا ترجعونها جواب لولا الاولى
واغنى ذلك عن جواب الثانية وقيل عكس ذلك وقيل ان لولا الثانية تكرير وقيل ان هذه تحضيضية لا جواب لها انما الجواب للامتناعية
لوجود نحو ولولا فضل الله وقال ابن عطية وقوله ترجعونها سد مسد الاجوبة والبيانات
التي تقتضيها التحضيضات واذا في قوله فلولا اذا وان المتكررة وحمل بعض هذا القول بعضا
ايجازا واقتصارا وانتهى فجعل اذا شرطية وقوله الاجوبة يعني لاذا ولان وان في قوله ان كنتم
غير مدينين ان كنتم صادقين والبيانات هي الافعال التي حضض عليها وهي عبارة قلقة قال
ابو حيان واذا ليست شرطا بل ظرفا يعمل فيها ترجعونها المحذوف بعد لولا لدلالة ترجعونها
في التحضيض الثاني عليه فجا التحضيض الاول مقيدا بوقت بلوغ الحلقوم وجا التحضيض الثاني
معلقا على انتفاء مربوبيتهم وهم لا يقدرون على رجعها اذ مربوبيتهم موجودة فهم مقهورون لا قدرة
لهم فجعل ترجعونها المذكور للولا الثانية وهو دال على محذوف بعد الاولى وهو احد الاقوال
التي نقلها ابو البقا فيما تقدم وقوله ان كنتم صادقين شرط اخر وليس هذا من اعتراض الشرط
على الشرط نحو ان ركبت او لبست فانت طالق حتى يجي فيه ما تقدم في هذه المسيلة لان المراد

هناك وجد الشرطان كيف لا ن فهلا رجعتم بنفس الميت وقال القرطبي ترجعونها ان كنتم صادقين ترجع الروح الى الجسد ان كنتم صادقين اي ولن ترجعونها فبطل زعمكم انكم غير مملوكين ولا محاسبين وترجعونها جواب لقوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم ولقوله فلولا ان كنتم غير مدينين اجيبا بجواب واحد قاله الفراء وربما اعادت العرب الحرفين ومعناهما واحد ومنه قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اجيبا بجواب واحد وهما شرطان والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه لا بعث ولا حساب ولا اله يجازي فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله عز وجل فامنوا به قاله البغوي وقيل حذف احدهما لدلالة الاخر عليه وقيل فيها تقديم وتاخير مجازها فلولا وهلا ان كنتم غير مدينين ترجعونها تردون نفس هذا الميت الى جسده اذا بلغت الحلقوم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال فاما ان كان قد تقدم الكلام في اما اول الكتاب وهنا امر زايد وهو وقوع لشرط اخر بعدها واختلف النحاة في الجواب المذكور بعدها هل هو لاما او لان وجواب الاخرى محذوف لدلالة المنطوق عليه او الجواب لهما معا ثلثة اقوال الاول لسيبويه والثاني للفارسي في احد قوليه وله قول اخر كسيبويه والثالث للاخفش وهذا كما تقدم في الجواب بعد الشرطين المتواردين قال مكي ومعنى اما عند ابي اسحاق الخروج من شي الى شي اي دع ما كنا فيه وخذ في غيره وعلى هذا فيكون الجواب لان فقط لان اما ليست شرطا ورجح بعضهم ان الجواب لاما لان ان كثر حذف جوابها منفردة فادعا ذلك مع شرط اخر اولى قوله فاما ان كان الضمير في كان وكان للمتوفي لدلالة قوله فلولا ترجعونها والمراد بالمقربين السابقين لقوله تعالى والسابقون السابقون اولئك المقربون قوله فروح وريحان وقرا العامة فروح بفتح الراء وقرا ابن عباس وعايشة والحسن وقتادة ونصر ابن عاصم والجحدري ورويس وزيد عن يعقوب وجماعة بضم الراء ويروي عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن قرا بالفتح فمعناه فله روح وهو الراحة وهو قول مجاهد وقال سعيد ابن جبير فرح وقال الضحاك مغفرة ورحمة ووصلة وريحان استراحة وقال مجاهد وسعيد بن جبير رزق قال مقاتل هو بلسان حمير يقال خرجنا نطلب ريحان الله اي رزقه وقيل هو الريحان الذي يشم قال ابو العالية لا تفارق روح احد من المقربين في الدنيا حتى يوتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم تقبض روحه وقال ابو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان دخول دار القرار وقد تقدم الكلام على ريحان وكيفيته تصريفه في السورة قبلها وقوله فروح مبتدا خبره مقدر قبله اي فله روح ويجوز ان يقدر بعده لاعتماده على فاء الجزا قوله واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين فسلام لك مبتدا وخبره ومن اصحاب اليمين قال الزمخشري فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اي يسلمون عليك وقال ابن جرير معناه فسلام لك انت من اصحاب وهذا يحتمل ان يكون كقول الزمخشري ويكون انت تاكيدا للكاف في ذلك ويحتمل ان يكون اراد ان انت مبتدا ومن اصحاب خبره ويبعد هذا ما حكاه قوم من ان المعنى فيقال لهم سلام لك انك من اصحاب اليمين واول هذه الاقوال هو الواضح البين ولذلك لم يعرج ابو القسم على غيره

فصل قال القرطبي فسلام لك من اصحاب اليمين اي لست ترى منهم الا ما تحب من السلامة فلا تهتم لهم فانهم يسلمون من عذاب الله وقيل المعنى سلام لك منهم اي انت سالم من الاهتمام لهم والمعنى واحد وقيل ان اهل اليمين يدعون لك يا محمد بان يصلي الله عليك ويسلم وقيل انهم يسلمون عليك يا محمد وقيل معناه وسلمت ايها العبد مما تكره فانك من اصحاب اليمين فحذف انك وقيل انه يحيا بالسلام اكراما فعلى هذا في محل السلام ثلثة اقوال احدها عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الموت قاله الضحاك وقال ابن مسعود اذا جا ملك الموت ليقبض روح المومن قال ربك يقريك السلام الثاني عند مسايلته في القبر يسلم عليه منكر ونكير الثالث عند بعثه في القيامة يسلم عليه الملك قبل وصوله اليها قاله القرطبي ويحتمل ان يسلم عليه في المواطن الثلث

ويكون

ويكون ذلك اكراما بعد اكرام قوله واما ان كان من المكذبين بالبعث الضالين عن الهدى وطريق الحق فنزل من حميم كما قال انكم ايها الضالون المكذبون لاكلون الى ان قال ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم قوله وتصلية قرا ابو عمرو في رواية اللولوي عنه واحمد بن موسى المنقري بجر التاء عطفا على حميم اي ونزل من تصلية جحيم والمعنى ادخاله في النار وقيل اقامة في الجحيم ومقاساة لانواع عذابها يقال اصلاه النار وصلاه اي جعله يصلاها والمصدر هنا يضاف الى المفعول كما يقال لفلان اعطا مال اي يعطي المال قوله ان هذا لهو حق اليقين اي هذا الذي قصصناه محض اليقين وخالصه وجاز اضافة الحق الى اليقين وهما واحد لاختلاف لفظهما وذلك من باب اضافة المترادفين على سبيل المبالغة فقال المبرد هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين فهو من باب اضافة الشي الى نفسه عند الكوفيين وان كانوا فعلوا ذلك في اللفظ الواحد فقالوا صواب الصواب ونفس النفس فبا لغة فلان يفعلوه عند اختلاف اللفظ اولى وعند البصريين بمعنى حق الامر اليقين او الخبر اليقين وقيل هو توكيد كقولك حق الحق وصواب الصواب قال وقيل اصل اليقين ان يكون نعتا للحق فاضيف المنعوت الى النعت على الاتساع والمجاز كقوله تعالى ولدار الاخرة خير قال ابن الخطيب هذه الاضافة كقولك ثوب كتان وباب ساج بمعنى ثوب من كتان وباب من ساج اي فهو الحق من اليقين ويحتمل ان يكون المعنى انه الحق الذي يستحقه اليقين كقوله عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماهم واموالهم الا بحق فالضمير يرجع الى الكلمة الا بحق الكلمة ومن حق الكلمة ادا الزكاة والصلوات فكذلك حق اليقين الاعتراف اي بحق اليقين والمعنى انه يعترف بما قال الله تعالى في سورة الواقعة وفي حق الازواج الثلثة وعلى هذا المعنى ان اليقين لا يحق الا اذا صدق بما قال فالتصديق حق اليقين الذي يستحقه قوله فسبح باسم ربك العظيم اي نزه الله تعالى عن السوء والبا يجوز ان تكون للحال اي فسبح ملتبسا باسم ربك على سبيل التبرك كقوله ونحن نسبح بحمدك وان تكون للتعدية على ان سبح يتعدي بنفسه تارة كقوله سبح اسم ربك وبحرف الجر تارة كهذه الاية وقال القرطبي والبا زايدة اي سبح ربك وادعاه خلاف الاصل والعظيم يجوز ان يكون صفة للاسم وان يكون لربك لان كلا منهما مجرور وقد وصف كل منهما في قوله تبارك اسم ربك ذو الجلال وذي الجلال وللتغاير المتضايفين وعلى هذا اظهر الفرق في الوصف

فصل قيل معنى فسبح اي فصل بذكر ربك وبامره وقيل فاذكر اسم ربك العظيم وسبحه وعن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبي عليه السلام اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم خرجه ابو داود وروي ابو ظبية عن عبد الله بن مسعود قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا وكان ابو ظبية لا يدعها ابدا وعن مسروق قال من اراد ان يعلم نبا الاولين والاخرين ونبا اهل الجنة ونبا الدنيا والاخرة فليقرا الواقعة

سورة الحديد مدنية

وهي تسع وعشرون اية عن العرباض بن سارية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرا بالمسبحات قبل ان يرقد ويقول ان فيهن اية افضل من الف اية يعني بالمسبحات الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى سبح لله ما في السموات والارض اي مجد الله ونزهه من السوء وقال ابن عباس صلى لله ما في السموات ممن خلق من الملايكة والارض من شي فيه روح اولا روح فيه وقيل هو تسبيح الدلالة وانكر الزجاج هذا وقال لو كان هذا التسبيح الدلالة وظهور اثار الصنعة لكانت مفهومة فلم قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم وانما هو تسبيح مقال واستدل بقوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن ولو كان هذا التسبيح تسبيح دلالة

فاي تخصيص لداود قال القرطبي هذا هو الصحيح **فصل** هذا فعل عدي
باللام تارة كهذه السورة واخري بنفسه كقوله تعالي وتسبحوه واصله التعدي بنفسه لان
معني سبحته بعدته عن السوء فاللام اما ان تكون مزيدة كهي في نصحتهم لزيد ونصحته
وشكرته وشكرت له او يقال سبحت الله تعالي ثالث يسبحونه وله يسجدون واما ان تكون
للتعليل اي احدث التسبيح لاجل الله تعالي وجا في بعض الفواتح سبح بلفظ الماضي وفي
بعض بلفظ المضارع وذلك اشارة الي ان هذه الاشيا مسبحة في كل الاوقات لا يختص
بوقت دون وقت بل هي مسبحة ابدا في الماضي وستكون مسبحة ابدا في المستقبل قوله
وهو العزيز الحكيم العزيز القادر الذي لا ينازعه شي وذلك اشارة الي كمال القدرة
والحكيم اشارة الي انه الذي يفعل افعاله فتوافق الحكمة والصواب قوله له ملك
السموات والارض جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب والملك عبارة عن نفوذ الامر
فهو سبحانه المالك القادر القاهر وقيل اراد خزاين المطر والنبات وساير الرزق قوله
يحيي ويميت يجوز في هذه الجملة ثلثة اوجه احدها انها لا محل لها كالتي قبلها والثاني
انها خبر مبتدا مضمر اي هو له ملك والثالث انها حال من الضمير في له فالعامل فيها الاستقرار
اي يحيي ولم يذكر مفعول الاحيا والاماته اذ الغرض ذكر الفعلين فقط والمعني يميت
الاحيا في الدنيا ويحيي الاموات للبعث وقيل يحيي النطف وهي موات ويميت الاحيا
قال ابن الخطيب وعندي فيه وجه ثالث وهو انه ليس المراد منه تخصيص الاحيا
والاماته بزمان معين باشخاص معينين بل معناه انه القادر علي خلق الحياة والموت
كقوله تعالي الذي خلق الموت والحياة والمقصود منه كونه تعالي هو المنفرد بايجاد
هاتين الماهيتين علي الاطلاق ولا يمنعه منهما مانع وهو علي كل شي قدير لا يعجزه شي
قوله هو الاول والاخر الاية قال الزمخشري فان قلت الواو الاولي معناها
الدلالة ... والاخرية والثالثة علي انه الجامع بين الظهور والخفا واما الوسطي
فعلي انه الجامع بين مجموع الصفتين الاولتين ومجموع الصفتين الاخريين **فصل**
قال القرطبي اختلف في تعلق هذه الاسما وقد شرحها رسول الله صلي الله عليه وسلم
شرحا يغني عن قول كل قايل فروي مسلم في صحيحه عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم اللهم انت الاول فليس قبلك شي وانت الاخر فليس بعدك شي وانت
الظاهر فليس فوقك شي وانت الباطن فليس دونك شي اقض عنا الدين واغننا من
الفقر عني بالظاهر الغالب وبالباطن العالم والله اعلم وهو بكل شي عليم مما كان او يكون
لا يخفي عليه شي وهذا معني قول ابن عباس قال ابن الخطيب الظاهر بحسب الدلايل
والباطن بحسب الحواس والقول بان الباطن هو العالم ضعيف لانه يلزم منه التكرار
في قوله والله بكل شي عليم **فصل** قال ابن الخطيب احتج كثير من العلما
في اثبات ان الاله واحد بقوله هو الاول قالوا الاول هو الفرد السابق ولهذا لو قال
اول مملوك اشتريه فهو حر ثم اشتري عبدين لم يعتقا لان شرط كونه اولا حصول الفردية
وهنا لم تحصل فلو اشتري بعد ذلك عبدا واحدا لم يعتق لان شرط الاولية كونه سابقا
وهنا لم يحصل فثبت ان الشرط في كونه اولا ان يكون فردا فكانت الاية دالة علي ان صانع
العالم فرد قوله هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوي علي
العرش تقدم في الاعراف والمقصود منه دلايل القدرة يعلم ما يلج في الارض اي يدخل
فيها من مطر وغيره ويخرج منها من نبات وغيره وما ينزل من السما من رزق ومطر وملك
وما يعرج فيها يصعد فيها من الملايكة واعمال العباد وهو معكم يعني بقدرته وسلطانه
وعلمه اينما كنتم والله بما تعملون بصير يبصر اعمالكم ويراها ولا يخفي عليه شي منها **فصل**
قال القرطبي وقد جمع في هذه الاية بين استوي علي العرش وبين وهو معكم والاخذ
بالظاهرين تناقض فدل علي انه لا بد من التاويل والاعراض عن التاويل اعتراف
بالتناقض وقد قال ابو المعالي ان محمدا صلي الله عليه وسلم ليلة الاسرا لم يكن باقرب
الي الله عز وجل من يونس بن متي حين كان في بطن الحوت وقد تقدم **فصل** ذكر

ابن الخطيب عن المتكلمين انهم قالوا هذه المعية اما بالعلم واما بالحفظ والحراسة وعلي التقديرين
فالاجماع منعقد علي انه سبحانه ليس معنا بالمكان والحيز والجهة فاذن قوله وهو معكم لا بد فيه من
التاويل واذا جوزنا التاويل في موضع وجب تجويزه في ساير المواضع قوله له ملك السموات
والارض هذا التكرير للتاكيد اي هو المعبود علي الحقيقة والي الله ترجع الامور اي امور الخلايق
في الاخرة وقد تقدم في البقرة ان الاخوين وابن عامر يقرون ترجع بفتح التا وكسر الجيم مبنيا
للفاعل والباقون مبنيا للمفعول في جميع القران وقال ابو حيان هنا وقرا الجمهور ترجع مبنيا
للمفعول والحسن وابن ابي اسحاق والاعرج مبنيا للفاعل وهذا عجيب منه وقد وقع له مثل ذلك
فيما تقدم وقوله يعلم ما يلج تقدم مثله في سبا قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل تقدم في ال عمران وهو عليم بذات الصدور اي لا يخفي عليه الضماير ومن كان بهذه
الصفة فلا يجوز ان يعبد سواه قوله امنوا بالله ورسوله اي صدقوا ان الله واحد وان محمدا
رسوله وانفقوا اي تصدقوا وقيل انفقوا في سبيل الله وقيل المراد الزكوة المفروضة وقيل
غيرها من وجوه الطاعات وما تقرب منه وقوله مما جعلكم مستخلفين فيه دليل علي ان اصل الملك
لله سبحانه وان العبد ليس له فيه الا التصرف الذي يرضي الله فيثيبه علي ذلك بالجنة فمن انفق منها
في حقوق الله وهان عليه الانفاق منها كما يهون علي الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له
فيه كان له الثواب الجزيل وقال الحسن مستخلفين فيه بوراثتكم اياه عمن كان قبلكم وهذا يدل
علي انها ليست باموالكم في الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة النواب والوكلا فاغتنموا الفرصة
فيها باقامة الحق قبل ان تزال عنكم الي من بعدكم فالذين امنوا وعملوا الصالحات منكم وانفقوا في
سبيل الله لهم اجر كبير وهو الجنة **فصل** قال القاضي هذه الاية علي ان هذا الاجر
لا يحصل بالايمان وحده حتي يضاف اليه هذا الانفاق فمن اخل بالواجب من زكوة او غيرها فلا
اجر له قال ابن الخطيب وهذا استدلال ضعيف لانه لا يلزم من نفي الاجر الكبير نفي اصل الاجر فلم
قلتم انها تدل علي انه لا اجر له اصلا فان قيل قوله امنوا بالله خطاب مع من عرف الله او مع
من لم يعرف الله فان كان الاول كان ذلك امرا بان يعرف من عرفه وذلك امر بتحصيل الحاصل وهو
محال وان كان الثاني كان الخطاب متوجها علي من لم يكن عارفا به ومن لم يكن عارفا به يستحيل
ان يكون عارفا بامره فيكون الامر متوجها علي من يستحيل ان يعرف كونه مامورا بذلك الامر وهو
تكليف ما لا يطاق قال ابن الخطيب والجواب من الناس من قال معرفة وجود الصانع حاصلة
للكل وانما المقصود من هذا الامر معرفة الصفات قوله وما لكم لا تومنون مبتدا وخبر
وحال اي اي شي استقر لكم غير مومنين قال القرطبي هذا استفهام يراد به التوبيخ اي اي
عذر لكم في ان لا تومنوا وقد ازيحت العلل والرسول يدعوكم فقوله والرسول يدعوكم جملة
حالية من يومنون قال الزمخشري فهما حالان متداخلان ولتومنوا متعلق بيدعو اي يدعوكم
الي الجنة وغفران الله لاجل الايمان وفيه بعد وهذه الاية تدل علي انه لا حكم قبل ورود الشرايع
قوله وقد اخذ حال ايضا وقرا العامة اخذ مبنيا للفاعل وهو الله تعالي لتقدم ذكره
وقرا ابو عمرو اخذ مبنيا للمفعول حذف الفاعل للعلم به وميثاقكم منصوب في قراءة العامة ومرفوع
في قراءة ابي عمرو وان كنتم جوابه محذوف تقديره فما منعكم من الايمان وقيل تقديره ان كنتم
مومنين لموجب ما فهذا هو الموجب وقدره ابن عطية ان كنتم مومنين فانتم في رتبة شريفة
فصل قال مجاهد المراد بالميثاق هو الماخوذ عليهم حين اخرجهم من ظهر ادم وقال
الست بربكم قالوا بلي قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لانه تعالي انما ذكر اخذ الميثاق وقت
اخراجهم من ظهر ادم غير معلوم للقوم الا بقول الرسول فقبل معرفة صدق الرسول لا يكون
ذلك سببا في وجوب تصديق الرسول بل المراد باخذ الميثاق نصب الدلايل والبينات التي
ركب فيهم العقول واقام عليهم الحجج والدلايل التي تدعو الي متابعة الرسول وهذا معلوم
لكل احد فيكون سببا لوجوب الايمان بالرسول **فصل** قال القاضي قوله وما لكم
يدل علي قدرتهم علي الايمان اذ لا يجوز ان يقال ذلك لمن لا يتمكن من الفعل كما لا يقال ما لك
لا تطول ولا تبيض فيدل هذا علي ان الاستطاعة قبل الفعل وعلي ان القدرة صالحة للضدين
وعلي ان الايمان حصل بالعبد لا بخلق الله تعالي قوله ان كنتم مومنين اي ان كنتم مومنين

وقيل إن كنتم مؤمنين بالحجج والدليل وقيل إن كنتم مؤمنين بأن الله خلقكم بحق يوما من
الأيام فالآن فقد صحت براهينه وقيل إن كنتم مؤمنين بأن الله خلقكم وكانوا يعترفون
بهذا وقيل هذا خطاب لقوم آمنوا وأخذ النبي عليه السلام ميثاقهم فارتدوا وقوله إن كنتم
مؤمنين أي إن كنتم تقرون بشرائط الإيمان قوله هو الذي ينزل على عبده تقدمت قراءتا
ينزل تخفيفا وتشديدا في البقرة وزيد بن علي أنزل ماضيا وقوله آيات بينات يعني
القرآن وقيل المعجزات أي لزمكم الإيمان وإن الله بكم لرؤوف رحيم **فصل** قال
القاضي هذه الآية تدل على إرادته للإيمان وأكد ذلك بقوله وإن الله بكم لرؤوف رحيم
فإن قيل أليس يدل ظاهرها على أنه يخرج من الظلمات إلى النور فيجب أن يكون الإيمان من
فعله قلنا إذا كان الإيمان يخلقه لا يبقى لقوله أنزل على عبده ليخرجكم معنى لأن ما يخلقه
لا يتغير بل المراد أنه يلطف بهم قال ابن الخطيب وهذا على حسنه معارض بالعلم لأنه
علم أن إيمانهم لا يوجد فقد كلفهم بما لا يوجد فكيف يعقل مع هذا أنه أراد منهم الخير
والإحسان وحمل بعضهم قوله وإن الله بكم لرؤوف رحيم على بعثة محمد صلى الله
عليه وسلم ولا وجه لهذا التخصيص قوله وما لكم ألا تنفقوا الكلام فيه كالكلام في قوله
وما لنا ألا نقاتل فالأصل في أن لا تنفقوا فلما حذف حرف الجر جرى الخلاف المشهور
وأبو الحسن يرى زيادتها كما تقدم تقريره في البقرة قوله ولله ميراث جملة حالية
من فاعل الاستقرار ومفعوله أي وأي شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله والحال
أن ميراث السموات والأرض له فهذه حال منافية لتخلفكم **فصل** لما أمر أولا بالإيمان
وبالإنفاق ثم أكده في الآية المتقدمة بإيجاب الإيمان أتبعه في هذه الآية بتأكيد إيجاب
الإنفاق والمعنى أنكم ستموتون فتورثون فهلا قدمتموه في الإنفاق في طاعة الله وتحقيقه
أن المال لا بد وأن يخرج من اليد إما بالموت وإما بالإنفاق في سبيل الله فإن خرج بالموت كان
أثره اللعن والمقت والعقاب وإن خرج بالإنفاق في سبيل الله كان أثره المدح والثواب
وإن كان لا بد من خروجه عن اليد فكل عاقل يعلم أن خروجه عن اليد بما يستعقب المدح
والثواب أولى منه بما يستعقب اللعن والعقاب ثم لما بين تعالى أن الإنفاق في سبيل الله
فضيلة بين أن المسابقة في الإنفاق تمام الفضيلة فقال لا يستوي منكم من أنفق من
قبل الفتح وقاتل قوله لا يستوي منكم من أنفق فاعل يستوي وجهان أظهرهما أنه من
أنفق وعلى هذا فلا بد من حذف معطوف يتم به الكلام فقدره الزمخشري لا يستوي منكم
من أنفق قبل فتح مكة وقوة الإسلام ومن أنفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة
وقدره أبو البقاء ومن لم ينفق قال ودل على المحذوف قوله من أنفق من قبل الفتح والأول
أحسن لأن السياق إنما جيء بالآية ليفرق بين المنفقين في زمانين والثاني أن فاعله ضمير
يعود على الإنفاق أي لا يستوي جنس الإنفاق إذ منه ما وقع قبل الفتح ومنه ما وقع بعده
هذان النوعان متفاوتان وعلى هذا فيكون من مبتدأ وأولئك مبتدأ ثان وأعظم
خبره والجملة خبر من وهذا ينبغي أن لا يجوز البتة وكأن هذا المعرب غفل عن قوله منكم
فلو أعرب هذا القائل منكم خبرا مقدما ومن مبتدأ مؤخرا والتقدير منكم من أنفق من قبل
الفتح ومنكم من لم ينفق قبله ولم يقاتل وحذف هذا لدلالة الكلام عليه لكان سديدا
ولكنه سها عن لفظ منكم **فصل** أكثر المفسرين على أن المراد بالفتح فتح مكة وقال
الشعبي والزهري فتح الحديبية قال قتادة كان قتالان أحدهما أفضل من الآخر ونفقتان
أحدهما أفضل من الأخرى كان القتال والنفقة قبل فتح مكة أفضل من القتال والنفقة
بعد ذلك وإنما كانت النفقة قبل الفتح أعظم لأن حاجة الناس كانت أكثر لضعف الإسلام
وفعل ذلك كان على المنفقين حينئذ أشق والأجر على قدر النصب قال مالك ينبغي أن
يقدم أهل الفضل والعزم لقوله تعالى لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل قال
الكلبي نزلت في أبي بكر وفيها دليل واضح على تفضيل أبي بكر وتقديمه لأنه أول من أسلم
وأول من أنفق في سبيل الله وقال عبد الله بن مسعود أول من أظهر الإسلام بسيفه النبي
صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعن ابن عمر قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو

بكر وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل جبريل فقال يا نبي الله ما لي أرى أبا بكر عليه
عباءة قد خللها في صدره بخلال قال أنفق ماله علي قبل الفتح قال فإن الله تعالى يقول
لك اقرأ على أبي بكر السلام وتقول أنت راض في فقرك أم ساخط فقال أبو بكر إني عن ربي
لراض إني عن ربي لراض قال فإن الله يقول لك قد رضيت عنك كما أنت عني راض فبكى أبو
بكر فقال جبريل والذي بعثك بالحق يا محمد لقد تخللت حملة العرش بالعبي منذ تخلل صاحبك
هذا بالعباء ولهذا قدمه الصحابة على أنفسهم وأقروا له بالتقدم والسبق وقال علي بن أبي طالب
رضي الله عنه سبق النبي صلى الله عليه وسلم وصلى أبو بكر وثلث عمر فلا أوتى برجل فضلني
على أبي بكر إلا جلدته حد المفتري ثمانين جلدة وطرح الشهادة **فصل** التقدم والتأخر
قد يكون في أحكام الدنيا فأما في أحكام الدين فقالت عائشة رضي الله عنها
أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم وأعظم المنازل مرتبة الصلاة
وقد قال صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر فليصل بالناس وقال يؤم القوم أقرؤهم لكتاب
الله وقال وليؤمكما أكبركما وفهم منه العلماء أنه أراد كبر المنزلة كما قال عليه السلام الولاء
للكبر ولم يعن كبر السن وقد قال مالك وغيره إن للسن حقا وراعاه الشافعي وأبو حنيفة
وهو أحق بالمراعاة وأما أحكام الدنيا فهي مرتبة على أحكام الدين فمن قدم في الدين قدم
في الدنيا وفي الحديث ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعز عالمنا حقه وفي الحديث
أيضا ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له عند سنه من يكرمه قوله وكلا وعد الله الحسنى
قراءة العامة بالنصب على أنه مفعول مقدم وهي مرسومة في مصاحفهم وكلا بالألف وابن عامر
يرفعه وفيه وجهان أظهرهما أنه ارتفع على الابتداء والجملة بعده خبره والعائد محذوف أي
وعده الله ومثله

قد أصبحت أم الخيار تدعي * علي ذنبا كله لم أصنع *

برفع كله أي لم أصنعه والبصريون لا يجيزون هذا إلا في شعر كقوله

وخالد يحمد ساداتنا * بالحق لا يحمد بالباطل *

ونقل ابن مالك الإجماع من البصريين والكوفيين على جواز ذلك إن كان المبتدأ كلا
أو ما أشبهها في الافتقار والعموم قال شهاب الدين وهذا لم أره لغيره وقد تقدم نحو
من ذلك في سورة المائدة عند قوله تعالى أفحكم الجاهلية يبغون ولم يرو قوله كله لم
أصنع إلا بالرفع مع إمكان أن ينصبه فيقول كله لم أصنع مفعولا مقدما قال أهل البيان
لأنه قصد عموم السلب لا سلب العموم فإن الأول أبلغ وجعلوا من ذلك قوله عليه السلام
كل ذلك لم يكن ولو قال لم يكن لم سلبا للعموم والمقصود عموم السلب قال الشيخ
عبد القاهر المعنى في الذي يتفاوت بالرفع والنصب في الذي يفيده أنه لم يفعل شيئا
من الأداة ووقع النصب يفيده نفي فعل المجموع ولا يلزم أنه لم يفعل البعض بل إن قلنا بدليل
الخطاب دل على أنه فعل البعض والثاني أن يكون كل خبر مبتدأ محذوف ووعد الله الحسنى
صفة لما قبله والعائد محذوف أي وأولئك كل وعده الله الحسنى فإن قيل الحذف موجود
أيضا فقد عدتم لما فررتم منه فالجواب أن حذف العائد من الصفة كثير بخلاف حذفه من
الخبر ومن حذفه من الصفة قوله

وما أدري أغيرهم تناء * وطول العهد أم مال أصابوا *

أي أصابوه ومثله كثير وهي في مصاحف الشام مرسومة وكل دون ألف فقد وافق كل مصحف
والحسنى مفعول ثان والأول محذوف على قراءة الرفع وأما النصب فالأول مقدم على عامله
ومعنى الآية أن المتقدمين السابقين والمتأخرين اللاحقين وعدهم الله جميعا الجنة
مع تفاوت الدرجات والله بما تعملون خبير أي أنه لما وعد السابقين والمحسنين بالثواب
فلا بد وأن يكون عالما بالجزئيات وبجميع المعلومات حتى يمكنه إيصال الثواب إلى المستحقين
إذ لو لم يكن عالما بهم وبأفعالهم على سبيل التفصيل لما أمكن الخروج من عهدة الوعد بالتمام
فلهذا السبب أتبع هذا الوعد بقوله والله بما تعملون خبير قوله من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا تقدم الكلام عليه في سورة البقرة وقال ابن عطية هنا الرفع على العطف
أو القطع والاستئناف وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب بالفاء على جواب الاستفهام وفي ذلك
قلق قال أبو علي لأن السؤال لم يقع عن القرض وإنما ينصب الفاء فعلا مردودا على فعل

مستفهم عنه لكن هذه الفرقة حملت ذلك على المعنى كان قوله من ذا الذي يقرض
بمنزلة قوله ايقرض الله احدا انبني وهو الذي قاله ابو علي ممنوع الا ترى انه ينصب
بعد الفا في جواب الاستفهام بالاسما وان لم يتقدم فعل نحو ابن بيتك فازورك وصل
ذلك من يدعوني فاستجيب له ومتى تسير فارافقك وكيف تكون فاصحبك فالاستفهام
انما وقع عن ذات الداعي وعن ظرف الزمان وعن الحال لا عن الفعل وقد حكى ابن كيسان
عن العرب ابن ذهب زيد فنتبعه ومن ابوك فنكرمه **فصل** ندب الله تعالى
الى الانفاق في سبيل الله وقد مضى الكلام فيه في البقرة والعرب تقول لكل من فعل
فعلا حسنا قد اقرض كما قال . واذا جوزيت قرضا فاجزه . انما يجزي الفتى ليس الجمل
وسماه قرضا لان المقترض احوج لاسترداد البدل اي من ذا الذي ينفق في سبيل الله حتى
يبدله الله بالاضعاف الكثيرة قال الكلبي اي صدقة حسنا اي محتسبا من قلبه بلا من
ولا اذى فيضعفه له ما بين سبع الى سبع مائة الى ما شاء الله من الاضعاف وقيل القرض
الحسن هو ان يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال زيد بن
اسلم هو النفقة على الاهل وقال الحسن التطوع بالعبادات وقيل عمل الخير وقال
القشيري لا يكون حسنا حتى يجمع اوصافا عشرة الاول ان يكون من الحلال لقوله عليه
السلام لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول الثاني ان يكون من اكرم
ما يملكه ولا يخرج الردي لقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون الثالث ان يتصدق
به وهو يحبه ويحتاج اليه لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله
واتى المال على حبه وقال عليه السلام افضل الصدقة ان تعطيه وانت صحيح شحيح
تامل العيش ولا تمهل حتى اذا بلغت التراقي قلت لفلان كذا ولفلان كذا الرابع ان يصرف
صدقته الى الاحوج فالاحوج ولذلك خص تعالى اقواما باخذها وهم اهل السهمان
الخامس ان يخفي الصدقة لقوله تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقرا فهو خير لكم
السادس ان لا يتبعها منا ولا اذى لقوله تعالى ولا ابراي لقوله تعالى الا ابتغا وجه ربه
الاعلى السابع ان يستحقرها يعطي وان كثر لان الدنيا كلها قليلة قال تعالى ولا تمنن
تستكثر في احد التاويلات التاسع ان يكون من احب الاموال اليه وان يكون كثيرا
لقوله عليه السلام افضل الرقاب اغلاها ثمنا وانفسها عند اهلها العاشر ان لا يرى
عز نفسه وذل الفقير بل يكون الامر بالعكس فيضاعفه له تقدم في البقرة وله اجر كريم
يعني الجنة قوله يوم ترى المومنين فيه اوجه احدها انه معمول لاستقرار العامل
في لهم اي استقر لهم اجر في ذلك اليوم الثاني انه مضمر اي اذكر فيكون مفعولا
به الثالث انه يوجرون يوم ترى وهو ظرف على اصله الرابع ان العامل فيه يسعى اي
يسعى نور المومنين والمومنات يوم تراهم هذا اصله الخامس ان العامل فيه فيضاعفه
قاله ابو البقا قوله يسعى حال لان الرؤية بصرية وهذا الذي يجعله عاملا في يوم
وبين ايديهم ظرف للسعي ويجوز ان يكون حالا من نورهم قوله وبايمانهم اي وفي جهة
ايمانهم وهذه قراة العامة اعني بفتح الهمزة جمع يمين وقيل الباء بمعنى عن اي عن جميع
جهاتهم وانما خص الايمان لانها اشرف الجهات وقرا ابو حيوة وسهل بن شعيب بكسرها
وهذا المصدر معطوف على الظرف قبله والباء سببية اي يسعى كاينا وثابتا بسبب
ايمانهم وقال ابو البقا تقديره وبايمانهم استحقوه او وبايمانهم يقال لهم بشراكم **فصل**
المراد من هذا اليوم يوم المحاسبة واختلفوا في هذا النور فقال الحسن هو الضيا الذي
يمرون فيه بين ايديهم الى اقدامهم وبايمانهم قال الفرا الباء بمعنى في اي في ايمانهم
او بمعنى عن ايمانهم وقال الضحاك النور هداهم وبايمانهم كتبهم واختاره الطبري
اي يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم فالباء على هذا
بمعنى في ويجوز على هذا ان يقف على بين ايديهم الا ان اراد الايمان الذي هو ضد
الكفر وعطف ما ليس بظرف على الظرف لان معنى الظرف الحال وهو متعلق بمحذوف
والمعنى يسعى كاينا بين ايديهم وكاينا بايمانهم وقيل اراد بالنور القران وعن ابن مسعود

يوتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يوتى نوره كالنخلة ومنهم من يوتى نوره كالرجل
القايم وادناهم نورا من نوره على ابهام رجله فيطفى مرة ويتوقد اخرى قال الحسن ليستضيو
به على الصراط وقال مقاتل ليكون لهم دليلا الى الجنة قوله بشراكم اليوم جنات بشراكم
مبتدا واليوم ظرف وجنات خبره على حذف مضاف اي دخول جنات وهذه الجملة في محل
نصب بقول مقدر وهو العامل في الظرف اي يقال لهم بشراكم اليوم دخول جنات قال القرطبي
ولا بد من تقدير حذف المضاف لان البشرى حدث والجنة عين فلا تكون هي هي وقال مكي
واجاز الفرا جنات على الحال ويكون اليوم خبر بشراكم قال وكون جنات حالا لا معنى له اذ ليس
فيها معنى فعل واجاز ان يكون بشراكم في موضع نصب على يبشرونهم بالبشرى وينصب جنات
بالبشرى وكله بعيد لانه يفصل بين الصلة والموصول باليوم انتهى وعجيب من الفرا كيف يصدر
عنه ما لا يتعقل ولا يجوز صناعة كيف يكون جنات حالا وماذا اصاحب الحال وقوله خالدين
فيها حال من الدخول المحذوف التقدير بشراكم اليوم دخول الجنة جنات تجري من تحتها الانهار
مقدرين الخلود فيها قال القرطبي ولا يكون الحال من بشراكم لان فيه فصلا بين الصلة والموصول
ويجوز ان يكون الظرف الذي هو اليوم خبرا عن بشراكم وجنات بدلا من البشرى على تقدير حذف
المضاف كما تقدم وخالدين حال حسب ما تقدم **فصل** قال شهاب الدين خالدين
نصب على الحال والعامل فيها المضاف المحذوف اذ التقدير بشراكم دخولكم جنات خالدين فيها
فحذف الفاعل وهو ضمير المخاطب واضيف المصدر لمفعوله فصار دخول جنات ثم حذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ولا يجوز ان يكون بشراكم هو العامل فيها لانه
مصدر قد اخبر عنه قبل ذكر متعلقاته فيلزم الفصل باجنبي وظاهر كلام مكي انه عامل في
الحال فانه قال خالدين نصب على الحال من الكاف والميم والعامل في الحال هو العامل في
صاحبها فلزم ان يكون بشراكم هو العامل وفيه ما تقدم من الفصل بين المصدر ومعموله **فصل**
تقدم الكلام في البشارة عند قوله وبشر الذين امنوا قال ابن الخطيب وهذه الاية تدل
على ان المومنين لا ينالهم اهوال يوم القيمة لانه تعالى بين ان هذه صفتهم يوم القيمة من غير
تخصيص قال الكعبي هذه الاية تدل على ان الفاسق ليس بمومن لانه لو كان مومنا
لدخل تحت هذه البشارة ولو كان كذلك لقطع بانه من اهل الجنة ولما لم يكن كذلك ثبت انه
ليس بمومن واجاب ابن الخطيب بانا نقطع بان الفاسق من اهل الجنة لانه اما ان يدخل
النار او لا فان دخلها لكنه سيخرج منها وسيدخل الجنة ويبقى فيها ابد الاباد فاذن نقطع
بانه من اهل الجنة فسقط الاستدلال قوله ذلك الفوز هذه الاشارة عايدة الى جميع ما
تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة قوله يوم يقول المنافقون والمنافقات العامل
في يوم ذلك الفوز العظيم وقيل هو بدل من اليوم الاول وقال ابن الخطيب منصوب باذكر
مقدرا واعلم انه لما شرح حال المومنين في موقف القيمة اتبع ذلك بشرح حال المنافقين
فقال يوم يقول قوله للذين امنوا اللام للتبليغ وانظرونا قراة العامة انظرونا امرا من
النظر وحمزة انظرونا بقطع الهمزة وكسر الظا من الانظار بمعنى الانتظار وبها قرا الاعمش
ويحيى بن وثاب اي انظرونا نلحق بكم فنستضي بنوركم والقراة الاولى يجوز ان تكون بمعنى هذه
اذ يقال نظره بمعنى انتظره وذلك انه يسرع بالخاص الى الجنة على نجب فيقول المنافقون
انظرونا لانا مشاة لا نستطيع لحوقكم ويجوز ان يكون من النظر وهو الابصار لانهم اذا نظروا
اليهم استقبلوهم بوجوههم فيضي لهم المكان وهذا اليق بقوله نقتبس من نوركم قال معناه
الزمخشري الا ان اباحيان قال ان النظر بمعنى الابصار لا يتعدى بنفسه الا في الشعر انما يتعدى
بالى **فصل** نقتبس من نوركم اي نستضي من نوركم والقبس الشعلة من النار والسراج
قال ابن عباس وابو امامة يغشى الناس يوم القيمة ظلمة قال الماوردي اظنها بعد فصل
القضا ثم يعطون نورا يمشون فيه قال المفسرون يعطي الله كل احد يوم القيمة نورا على
قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين ايضا نورا خديعة بدليل قوله تعالى وهو
خادعهم وقيل انما يعطون النور لان جميعهم اهل دعوة دون الكافر ثم يسلب المنافق نوره
لنفاقه قاله ابن عباس وقال ابو امامة يعطى المومن النور ويترك الكافر والمنافق بلا نور

وقال الكلبي بل يستضي المنافق بنور المومنين ولا يعطون النور فبينما هم يمشون اذ
بعث الله ريحا وظلمة فاطفا بذلك نور المنافقين فذلك قول المومنين ربنا اتمم لنا نورنا
خشية ان لا يسلبوه كما سلبه المنافقون فاذا بقي المنافقون في الظلمة لا يبصرون مواضع
اقدامهم قالوا للمومنين انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراكم اي الى الموضع الذي
اخذنا منه النور فاطلبوا هنالك النور لانفسكم فانكم لا تقتبسون من نورنا فلما رجعوا وانعزلوا
في طلب النور ضرب بينهم بسور وقيل معناه هلا طلبتم النور من الدنيا بان تومنوا قوله
وراكم فيه وجهان اظهرهما انه منصوب بارجعوا على معنى ارجعوا الى الموقف الى حيث اعطينا
هذا النور فالتمسوا هناك ممن يقتبس او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه
وهو الايمان او يكون معناه فارجعوا خايبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا اخر فلا سبيل
لكم الى هذا النور والثاني ان وراكم اسم للفعل فيه ضمير فاعل اي ارجعوا ارجعوا قاله ابو
البقا ومنع ان يكون ظرفا لارجعوا قال لقلة فايدته لان الرجوع لا يكون الا الى وراء
قال شهاب الدين وهذا فاسد لان الفايدة جليلة كما تقدم شرحها قوله فضرب
بينهم بسور العامة على بنايه للمفعول والقايم مقام الفاعل يجوز ان يكون بسور وهو
الظاهر وان يكون الظرف وقال مكي الباء مزيدة اي ضرب سور ثم قال والباء متعلقة
بالمصدر اي ضربا بسور وهذا متناقض الا ان يكون قد غلط عليه من النساخ والاصل
او الباء متعلقة بالمصدر والقايم مقام الفاعل الظرف وعلى الجملة هو ضعيف والسور
البنا المحيط وتقدم اشتقاقه اول البقرة قوله له باب مبتدا وخبر في موضع جر
صفة لسور وقوله باطنه فيه الرحمة هذه الجملة يجوز ان تكون في موضع جر صفة
ثانية لسور ويجوز ان يكون في موضع رفع صفة لباب وهو اولى لقربه والضمير انما يعود
الى الاقرب الا بقرينة وقرا زيد بن علي وعمرو بن عبيد فضرب مبنيا للفاعل وهو الله
او الملك **فصل** السور حاجز بين الجنة والنار قال القرطبي روي ان ذلك السور
ببيت المقدس عند موضع يعرف بوادي جهنم فيه الرحمة يعني ما يلي منه المومنين وظاهره
من قبله العذاب يعني ما يلي المنافقين قال كعب الاحبار هو الذي ببيت المقدس
المعروف بباب الرحمة وقال عبد الله بن عمرو انه سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه
المسجد وظاهره من قبله العذاب يعني جهنم ونحوه عن ابن عباس وقال زياد ابي سوادة
قام عبادة بن الصامت على سور بيت المقدس الشرقي فبكا وقال من هاهنا اخبرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه راي جهنم وقال قتادة هو حايط بين الجنة والنار باطنه
فيه الرحمة يعني الجنة وظاهره من قبله العذاب يعني جهنم وقال مجاهد انه حجاب كما في
الاعراف وقد مضى القول فيه وقد قيل السور عبارة عن منع المنافقين عن طلب المومنين
قوله ينادونهم يجوز ان يكون حالا من الضمير في بينهم قاله ابو البقا وهو ضعيف
لمجي الحال من المضاف اليه في غير المواضع المستثناة وان تكون مستانفة وهو الظاهر
وقوله الم نكن معكم يجوز ان يكون تفسيرا للندا وان يكون منصوبا بقول مقدر **فصل**
والمعنى ينادي المنافقون المومنين الم نكن معكم في الدنيا يعني نصلي مثل ما تصلون
ونغزوا مثل ما تغزون ونفعل مثل ما تفعلون قالوا بلى اي يقول المومنون بلى قد
كنتم معنا في الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم اي استعملتموها في الفتنة وقال مجاهد
اهلكتموها بالنفاق وقيل بالمعاصي قاله ابو سنان وقال ابو نمير الهمداني بالشهوات
واللذات وقوله وتربصتم اي بالنبي صلى الله عليه وسلم الموت وبالمومنين الدواير وقيل
تربصتم بالتوبة وارتبتم اي شككتم في التوحيد او النبوة او البعث وغرتكم الاماني
اي الاباطيل وقيل طول الامل وهو ما كانوا يتمنونه من ضعف المومنين ونزول الدواير
بهم وقال قتادة الاماني هنا خدع الشيطان وقيل الدنيا قاله عبد الله بن عباس وقال
ابو سنان هو قولهم سيغفر لنا وقال بلال بن سعد ذكرك حسناتك ونسيانك سياتك
غرة حتى جا امر الله يعني الموت وقيل نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم وقال قتادة القاوهم
في النار قوله وغركم بالله الغرور قرا العامة الغرور بفتح الغين وهو صفة على فعول

والمراد

والمراد به الشيطان اي خدعكم بالله الشيطان وقرا ابو حيوة ومحمد بن السميفع وسماك بن حرب
الغرور بالضم وهو مصدر تقدم نظيره والمراد به الاباطيل عن ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم خط لنا خطوطا وخط منها خطا ناحية فقال اتدرون ما هذا هذا مثل ابن ادم ومثل
التمني وتلك الخطوط الامال بينما يتمنى اذ جاه الموت وعن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط في وسطه خطا وجعله خارجا منه وخط عن يمينه ويساره
خطوطا صغارا فقال هذا ابن ادم وهذا اجله محيط به وهذا امله قد جاوز اجله وهذه
الخطوط الصغار الاعراض فان اخطاه هذا نهشه هذا قوله فاليوم منصوب بيوخذ ولا يبالي
بلا النافية وهو قول الجمهور وقد تقدم اخر الفاتحة ان فيها ثلاثة اقوال وقرا ابن عامر توخذ
بالتانيث للفظ الفدية والباقون بالياء من تحت لان التانيث مجازي وللفصل **فصل**
فاليوم لا يوخذ منكم فدية ايها المنافقون ولا من الذين كفروا ايسهم من النجاة والمراد بالفدية
قيل لا يقبل منكم ايمان ولا توبة لان التكليف قد زال وحصل الالجا وقيل لا يقبل منكم فدية
تدفعون بها العذاب عن انفسكم كقوله تعالى لا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة والفدية
ما يفتدي به فهو شيا وهو الايمان والتوبة والمال قال ابن الخطيب وهذا يدل على قبول
التوبة غير واجب عقلا على ما تقوله المعتزلة لانه تعالى بين ان لا تقبل الفدية اصلا والتوبة
فدية فتكون الاية دالة على ان التوبة غير مقبولة اصلا واذا كان كذلك لم تكن التوبة
واجبة القبول عقلا قوله ولا من الذين كفروا عطف الكافر على المنافق والعطف يقتضي
المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه فيقتضي ان لا يكون المنافق كافرا واجيب بان المراد
منه الذين اظهروا الكفر والا فالمنافق كافر قوله ماواكم النار اي مصيركم وقوله
هي مولاكم يجوز ان يكون مصدرا اي ولايتكم اي ذات ولايتكم قال القرطبي تملك امرهم
بمعنى ان الله تعالى يركب فيها الحياة والعقل فهي تتميز غيظا على الكفار ولهذا خوطبت
في قوله تعالى يوم نقول لجهنم وجوز ان يكون مكانا اي مكان ولايتكم وان يكون
بمعنى اولى بكم كقولك هو مولاه قاله الكلبي وهو قول الزجاج والفرا وابي عبيدة قال
ابن الخطيب وهذا الذي قالوه معنى وليس تفسيرا للفظ لانه لو كان مولى واولى بمعنى
واحد في اللغة لصح استعمال كل واحد منهما مكان الاخر وكان يجب ان يصح ان يقال
هذا اولى فلان كما يقال مولى فلان ولما بطل ذلك علمنا ان الذي قالوه معنى وليس
تفسيرا وانما نبهنا على هذه الدقيقة لان الشريف المرتضى لما تمسك في امامة علي رضي الله
عنه بقوله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه قال احد معاني مولى انه
اولى واحتج في ذلك باقوال ايمة اللغة في تفسير هذه الاية بان مولى معناه اولى واذا
ثبت ان اللفظ محتمل له وجب حمله عليه لان ما عداه اما بين الثبوت ككونه ابن العم
والناصر او بين الانتفا كالمعتق والمعتق فيكون على التقدير الاول عبثا وعلى الثاني
كذبا قال ابن الخطيب واما نحن فقد بينا بالدليل ان قول هولا في هذا الموضع معنى
لا تفسير وحينيذ يسقط الاستدلال به وفي الاية وجه اخر وهو ان معنى قوله هي مولاكم
اي لا مولى لكم لان من كانت النار مولاه فلا مولى له كما يقال ناصره الخذلان ومعينه البكا
اي لا ناصر له ولا معين وهذا متاكد بقوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم ومنه قوله
يغاثوا بما كالمهل وقوله وبيس المصير اي هي ومعناه سات مرجعا ومصيرا قوله الم
يان قرا العامة الم وقرا الحسن وابو السمال الما وقد تقدم الفرق بين الحرفين واصلها الم
زيدت عليها ما فهي نفي كقول القايل قد كان كذا ولم يفي لقوله قد كان كذا وقوله ان
تخشع فاعل يان اي الم يقرب خشوع قلوبهم ويحين قال الشاعر

الم يان لي يا قلب ان اترك الجهلا • وان يحدث الشيب المنير لنا عقلا

وماضيه انى بالقصر ياني ويقال ان لك بالمد ان تفعل كذا يئين اينا اي حان مثل انى لك
وهو مقلوب منه وانشد ابن السكيت

الما يان لي ان تجلى عمايتي • واقصر عن ليلى بلى قد انا ليا

فجمع بين اللغتين وقرا العامة يان مضارع انى اي حان وقرب مثل رمى يرمي والحسن يين

مضارع الى بجيم حان ايضا مثل باع يبيع واللام للتبيين قاله ابو البقا فعلى هذا يتعلق
بمحذوف اي اعني للذين **فصل** في صحيح مسلم عن ابن مسعود قال ما كان بين اسلامنا
وبين ان عاتبنا الله بهذه الاية الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق
وروي ان المزاح والضحك كثر في اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما ترفهوا بالمدينة فنزلت الاية
ولما نزلت هذه الاية قال عليه السلام ان الله يستبطيكم بالخشوع فقالوا عند ذلك خشعنا وقال
ابن عباس ان الله استبطا قلوب المومنين فعاتبهم على راس ثلث عشرة سنة من نزول القران
وقيل نزلت في المنافقين بعد الهجرة وذلك لما سالوا سلمان ان يحدثهم بعجايب التورية فنزلت
الر تلك ايات الكتاب المبين الى قوله نحن نقص عليك احسن القصص فاخبرهم ان هذا القصص احسن
من غيره واحسن لهم فكفوا عن سلمان ثم سالوه مثل الاول فنزلت الم يان للذين امنوا الاية فعلى
هذا التاويل يكون الذين امنوا في العلانية باللسان قال السدي وغيره الم يان للذين امنوا
بالظاهر واسروا الكفر ان تخشع قلوبهم لذكر الله وقيل نزلت في المومنين قال سعد قيل يا رسول
الله لو قصصت علينا فنزل نحن نقص عليك فقالوا بعد زمان لو حدثتنا فنزل قوله الله نزل
احسن الحديث فقالوا بعد مدة لو ذكرتنا فانزل الله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم
لذكر الله الاية وقيل هذا خطاب لمن امن بموسى وعيسى دون محمد عليهم السلام لانه قال
عقيبه والذين امنوا بالله ورسله اي الم يان للذين امنوا بالتورية والانجيل ان تلين
قلوبهم للقران وان لا يكونوا كمتقدمي قوم موسى وقوم عيسى اذ طال عليهم الامد بينهم
وبين نبيهم فقست قلوبهم قوله وما نزل قرا نافع وحفص نزل مخففا مبنيا للفاعل
وباقي السبعة كذلك الا انه مشدد والجحدري وابو جعفر والاعمش وابو عمرو في رواية نزل
مشددا مبنيا للمفعول وعبد الله انزل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى وما في ما نزل على قراءة
نزل مخففا ينبغي ان تكون اسمية ولا يجوز ان تكون مصدرية لئلا يخلو الفعل من الفاعل
وما عداها يجوز ان تكون مصدرية وان تكون بمعنى الذي فان قلت فقراءة الجحدري ومن
معه ينبغي ان يكون فيها اسمية لئلا يخلو الفعل من مرفوع فالجواب ان الجار وهو قوله من
الحق يقوم مقام الفاعل **فصل** قال ابن الخطيب يحتمل ان يكون المراد بذكر الله
وبما نزل من الحق هو القران لانه جامع للوصفين للذكر والموعظة وانه حق نازل من السما
ويحتمل ان يكون المراد هو ذكر الله مطلقا وما نزل من الحق هو القران وانما قدم الخشوع به
بالذكر على الخشوع بما ذكر من القران لان الخشوع والخوف والخشية لا يحصل الا عند ذكر الله
فاما حصولها عند سماع القران فذلك لاجل اشتمال القران على ذكر الله قوله ولا تكونوا
قرا العامة بالغيبة جريا على ما تقدم وابو حيوة وابن ابي عبلة بالتاء من فوق على سبيل
الالتفات قال القرطبي وهي رواية رويس عن يعقوب وهي قراءة عيسى وابن اسحاق
ثم هذا يحتمل ان يكون منصوبا عطفا على يخشع كما في قراءة الغيبة وان يكون نهيا فتكون لا
ناهية والفعل مجزوم بها ويجوز ان يكون نهيا في قراءة الغيبة ايضا ويكون ذلك انتقالا
الى نهي اولئك المومنين عن كونهم متشبهين لمن تقدمهم نحو لا يقم زيد قوله فطال عليهم
الامد قرا العامة بتخفيف الدال بمعنى الغاية كقولك امد فلان اي غايته وقرا ابن كثير في
رواية بتشديدها وهو الزمن الطويل **فصل** ومعنى الاية لا تسلكوا سبيل اليهود
والنصارى اعطوا التورية والانجيل فطالت لهم الازمان قال ابن مسعود ان بني اسرايل
لما طال عليهم الامد قست قلوبهم فاخترعوا كتابا من عند انفسهم استحلته انفسهم وكان الحق
يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون ثم
قال اعرضوا هذا الكتاب على بني اسرايل فان تابعوكم فاتركوهم وان لم فاقتلوهم ثم اصطلحوا
على ان يرسلوه الى عالم من علمايهم وقالوا ان هو تابعنا لم يخالفنا احد وان ابى قتلناه فلا
يختلف علينا بعده احد فارسلوا اليه فكتب كتاب الله في ورقة وجعلها في عنقه ثم لبس
عليه ثيابه واتاهم فعرضوا عليه كتابهم وقالوا اتومن بهذا فضرب بيده على صدره وقال
امنت بهذا يعني المعلق على صدره فافترقت بني اسرايل على بضع وسبعين ملة وخير
مللهم اصحاب ذي القرن قال عبد الله ومن يعش منكم فسيرى منكرا ويجب على احدكم

اذا راى المنكر لا يستطيع ان يغيره ان يعلم الله من قلبه انه له كاره وقال مقاتل يعني مومني اهل
الكتاب طال عليهم الامد واستبطوا بعث النبي صلى الله عليه وسلم فقست قلوبهم وكثير منهم
فاسقون يعني الذين ابتدعوا الرهبانية اصحاب الصوامع وقيل من لا يعلم ما يتدين به من
الفقه ويخالف من يعلم وقيل هو من لا يومن في علم الله تعالى وقال ابن عباس مالوا الى
الدنيا واعرضوا عن مواعظ الله وقيل طالت اعمارهم في الغفلة فحصلت القسوة في قلوبهم بذلك
السبب وقيل غير ذلك وقوله وكثير منهم فاسقون اي خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين
وكانه اشار الى ان عدم الخشوع في اول الامر يفضي الى الفسق في اخر الامر قوله اعلموا ان
الله يحيي الارض بعد موتها اي يحييها بالمطر وقال صالح المري يلين القلوب بعد قسوتها
وقال جعفر بن محمد يحييها بالعدل بعد الجور وقيل المعنى فكذلك يحيي الكافر بالهدى
الى الايمان بعد الكفر والضلالة وقيل كذلك يحيي الموتى من الامم ويميز بين الخاشع قلبه
وبين القاسي قلبه قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون اي احيا الله الارض بعد موتها دليل
على قدرة الله وانه يحيي الموتى قوله ان المصدقين والمصدقات خفف الصاد منهما ابن كثير
وثقلها باقي السبعة فقراءة ابن كثير من التصديق اي صدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
جا به كقوله والذي جا بالصدق وصدق به وقراءة الباقين من الصدقة وهو مناسب
لقوله واقرضوا والاصل المتصدقين والمتصدقات فادغم وبها قرا ابي وقد يرجح الاول بان
الاقراض مغن عن ذكر الصدقة قوله واقرضوا فيه ثلثة اوجه احدها انه معطوف على
اسم الفاعل في المصدقين لانه لما وقع صلة للال حل محل الفعل فكانه قيل ان الذين صدقوا
واقرضوا وعليه جمهور المعربين واليه ذهب الفارسي والزمخشري وابو البقا وهو فاسد لانه
يلزم الفصل بين ابعاض الصلة باجنبي الا ترى ان المصدقات عطف على المصدقين قبل تمام
الصلة ولا يجوز ان يكون عطفا على المصدقات لتغاير الضماير تذكيرا وتانيثا الثاني انه
معترض بين اسم ان وخبرها وهو يضاعف قال ابو البقا وانما قيل ذلك لئلا يعطف الماضي
على اسم الفاعل قال شهاب الدين ولا ادري ما هذا المانع لان اسم الفاعل متى وقع صلة لال
صلح للازمنة الثلثة ولو منع بما ذكرته من الفصل بالاجنبي لاصاب ولكن خفي عليه كما خفي
على الفارسي والزمخشري الثالث انه صلة لموصول محذوف لدلالة الاول عليه كانه قيل الذين
اقرضوا كقوله • امن يهجو رسول الله منكم • ويمدحه وينصره سوا •
اي ومن ينصره واختاره ابو حيان وفيه ما تقدم اول الكتاب قال ابن الخطيب وفي الاية
اشكال وهو ان عطف الفعل على الاسم قبيح فما فايدة التزامه هنا واجاب بان الزمخشري قال
واقرضوا معطوف على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى صدقوا
واقرضوا قال وهذا لا يزيل الاشكال فانه ليس فيه بيان انه لم عدل عن ذلك اللفظ الى
هذا اللفظ والذي عندي فيه ان الالف واللام في المصدقين والمصدقات للمعهود فكانه
ذكر جماعة معينين بهذا الوصف ثم قبل ذكر الخبر اخبر عنهم انهم اتوا باحسن انواع الصدقة وهو
القرض ثم ذكر الخبر بعد ذلك فقال يضاعف لهم فقوله واقرضوا كقوله ان الثمانين وبلغتها قوله
يضاعف لهم في القايم مقام الفاعل وجهان اظهرهما انه الجار بعده والثاني انه ضمير التصديق
ولا بد من حذف مضاف اي ثواب التصديق وقرا الاعمش يضاعفه بكسر العين وزيادة هاء
وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بتشديد العين وفتحها ولهم اجر كريم يعني
الجنة قوله والذين امنوا مبتدا واولئك مبتدا ثان وهم يجوز ان يكون هم فصلا واولئك
وخبره خبر الاول والصديق هو الكثير الصدق وقال مجاهد كل من امن بالله ورسله
هو صديق وتلا هذه الاية وقال الضحاك هم ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا اهل الارض
في زمانهم الى الاسلام ابو بكر • وعلي • وزيد • وعثمان • وطلحة • والزبير • وسعد
وحمزة • وتاسعهم عمر بن الخطاب الحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته قوله والشهداء
يجوز فيه وجهان احدهما انه معطوف على ما قبله ويكون الوقف على الشهدا تاما اخبر عن الذين
امنوا انهم صديقون شهدا فان قيل الشهدا مخصوصون باوصاف اخر زايدة على ذلك كالسبعة
المذكورين اجيب بان تخصيصهم بالذكر لشرفهم على غيرهم لا للحصر والثاني انه مبتدا وفي

خبره وجهان احدهما انه الظرف بعده والثاني انه قوله لهم اجرهم واما الجملة واما الجار وحده والمرفوع فاعل به والوقف لا يخفى على ما ذكرنا من الاعراب والصديق مثال للمبالغة ولا يجي الا من ثلاثي غالبا قال بعضهم وقد جا مسيك من امسك وهو غلط لانه يقال مسك ثلاثيا فمسك منه **فصل** قال مجاهد وزيد بن اسلم ان الشهدا والصديقين هم المومنون وانه متصل وروي معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا قول ابن مسعود في تاويل الاية قال القشيري اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فالصديقون هم الذين يتلون الانبيا والشهدا هم الذين يتلون الصديقين والصالحون بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهدا ويكون المعنى بالشهدا من شهد لله بالوحدانية اوانهم شهداء عند ربهم على العباد في اعمالهم والمراد بهم عدول الاخرة الذين تقبل شهادتهم وقال الحسن كل مومن فانه شهيد كرامة وقال الفرا والزجاج هم الانبياء لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا وقال ابن جرير الشهدا هم الذين استشهدوا في سبيل الله وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تعدون الشهدا فيكم قالوا المقتول فقال ان شهدا امتي اذن لقليل وعلى هذا يكون منقطعا عما قبله ويكون الواو في والشهدا واو الاستيناف وهذا مروي عن ابن عباس ومسروق وقوله لهم اجرهم بما عملوا من العمل الصالح ونورهم على الصراط لما ذكر حال المومنين اتبعه بذكر حال الكافرين فقال والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم ولما ذكر احوال المومنين والكافرين ذكر بعده ما يدل على حقارة الدنيا وكمال حال الاخرة فقال اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو واصله اي حياة هذه الدار لعب باطل لا حاصل له وهو فرح ثم ينقضي وزينة منظر يتزينون به قوله وتفاخر بينكم العامة على تنوين تفاخر موصوف بالظرف او عامل فيه والسلمي اضافه اليه اي يفخر به بعضكم على بعض قال المفسرون اللعب الباطل واللهو الفرح وقال قتادة لعب ولهو اكل وشرب وقال مجاهد كل لعبه لهو وقيل اللعب ما رغب في الدنيا واللهو ما الهي عن الاخرة قوله وتكاثر في الاموال والاولاد قال ابن عباس يجمع المال في سخط الله ويباهي به على اوليا الله ويصرفه في مساخط الله فهو ظلمات بعضها فوق بعض وكان من عادة الجاهلية ان يتكاثروا بالاموال والاولاد قال بعض المتاخرين لعب كلعب الصبيان ولهو كلهو الفتيان وزينة كزينة النسوان وتفاخر كتفاخر الاقران وتكاثر كتكاثر الدهقان وقال علي رضي الله عنه لعمار لا تحزن على الدنيا فان الدنيا ستة اشيا ماكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح فاحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة واكثر شرابها الما ويستوي فيه جميع الحيوان وافضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة وافضل المشموم المسك وهو دم فارة وافضل المركوب الفرس وعليها تقتل الرجال واما المنكوح فهو النسا وهو مبال في مبال والله ان المراة لتزين احسنها يراد به اقبحها ثم ذكر تعالى لهذه الحياة مثلا فقال كمثل غيث اعجب الكفار نباته قال ابن عباس يعني المراد بالكفار هنا الزراع قال الازهري والعرب تقول للزارع كافر لانه يكفر البذر بتراب الارض اي يغطيه والمعنى ان الحياة الدنيا كالزرع يعجب الناظرين اليه لخضرته بكثرة الامطار ثم لا يلبث ان يصير هشيما كان لم يكن وقيل المراد بالكفار هنا هم الكفار بالله وهم اشد اعجابا بزينة الدنيا من المومنين وقوله نباته اي ما ينبت من ذلك الغيث قوله كمثل غيث يجوز ان يكون في موضع نصب حالا من الضمير في لعب لانه بمعنى الوصف وان يكون خبر المبتدا محذوف اي ذلك كمثل وجوز ابن عطية ان يكون في موضع رفع صفة لما تقدم ولم يبينه وقد بينه مكي فقال نعت لتفاخر وفيه نظر لتخصيصه له من بين ما تقدم وجوز ان يكون خبرا بعد خبر للحيوة الدنيا وقوله ثم يهيج اي يجف بعد خضرته فتراه مصفرا اي متغيرا عما كان عليه من النضارة وقرى مصفارا من اصفار وهو ابلغ من اصفر قوله وفي الاخرة خبر مقدم وما بعده مبتدا اخبر ان في الاخرة عذابا شديدا او مغفرة منه ورضوانا وهذا معنى حسن وهو انه قابل العذاب بشيئين بالمغفرة والرضوان فهو من باب لن يغلب عسر يسرين قال القرطبي وفي الاخرة عذاب شديد اي للكافر

والوقف

والوقف عليه حسن ويبتدا ومغفرة من الله ورضوان اي للمومنين وقال الفرا وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة تقديره اما عذاب شديد واما مغفرة فلا يوقف على شديد قوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وهذا تاكيد لما سبق اي تغر الكفار فاما المومن فان الدنيا له متاع بلاغ الى الجنة وقيل العمل للحياة الدنيا متاع الغرور واذا الهتك عن طلب الاخرة تزهيدا في العمل للدنيا وترغيبا في العمل للاخرة قال سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور واذا الهتك عن طلب الاخرة فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله وطلب الاخرة فنعم المتاع ونعم الوسيلة قوله سابقوا الى مغفرة من ربكم اي سارعوا بالاعمال الصالحة التي توجب المغفرة لكم من ربكم وقيل سارعوا بالتوبة لانها تودي الى المغفرة قال الكلبي وقال مكحول هي التكبيرة الاولى مع الامام وقيل الصف الاول **فصل** احتج القايلون بان الامر على الفور بهذه الاية لانها دلت على وجوب المسارعة فوجب ان يكون التراخي محظورا قوله وجنة عرضها كعرض السماء والارض عرضها كعرض مبتدا وخبر والجملة صفة لجنة وكذلك اعدت ويجوز ان يكون اعدت مستانفة **فصل** قال مقاتل ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفايح والزقت بعضها الى بعض لكانت عرض جنة واحدة من الجنان والعرض اقل من الطول ومن عادة العرب انها تعبر عن الشي بعرضه دون طوله قال

كان بلاد الله وهي عريضة • على الخايف المطلوب كفة حابل •

وقال عطا عن ابن عباس تريد ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه الصفة وقال السدي ان الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات السبع والارضين السبع ولا شك ان طوله ازيد من عرضه وقيل هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه واكبر ما في نفوسهم مقدار السموات والارض قاله الزجاج وهو اختيار ابن عباس وقال طارق بن شهاب قال قوم من اهل الحيرة لعمر رضي الله عنه ارايت قول الله عز وجل وجنة عرضها كعرض السما والارض فاين النار فقال لهم عمر ارايتم الليل اذا ولى وجا النهار اين يكون الليل فقالوا لقد نزعت بما في التورية مثله قوله اعدت للذين امنوا بالله ورسله شرط الايمان لا غير والمعتزلة وان زعموا ان لفظ الايمان يفيد جملة الطاعات لكنهم اعترفوا بان لفظ الايمان اذا عدي بالبا فانه باق على مفهومه الاصلي وهو التصديق بالاية حجة عليهم ومما يكد ذلك قوله تعالى بعده ذلك فضل الله يوتيه من يشاء فبين ان الجنة فضل الله يوتيه من يشا سوا اطاع ام عصي فان قيل فيلزمكم ان تقطعوا بحصول الجنة لجميع العصاة وان تقطعوا بانه لا عقاب لهم فالجواب انا نقطع بحصول الجنة ولا يقطع بنفي العقاب عنهم لانهم اذا عذبوا مدة ثم نقلوا الى الجنة وبقوا فيها ابد الاباد فقد كانت الجنة معدة لهم فان قيل فالمرتد قد امن بالله فوجب ان يدخل تحت هذه الاية قلنا خص من العموم فيبقى العموم حجة فيما عداه **فصل** احتجوا بهذه الاية على ان الجنة مخلوقة قالت المعتزلة هذه الاية لا يمكن اجراوها على ظاهرها لوجهين الاول ان قوله تعالى اكلها دايم وظلها يدل على ان من صفتها بعد وجودها ان لا يفنى لكنها لو كانت الان موجودة لفنيت بدليل قوله تعالى كل شي هالك الا وجهه الثاني ان المخلوقة الان هي في السما السابعة ولا يجوز اذا كانت في واحدة منها ان يكون عرضها كعرض كل السموات والارض فثبت بهذين الوجهين انه لا بد من التاويل وذلك من وجهين احدهما انه تعالى لما كان قادرا لا يصح المنع عليه واذا كان حكيما لا يصح الخلف في وعده ثم انه تعالى وعده على الطاعة بالجنة فكانت الجنة كالمعدة المهياة لهم تشبيها لما سيقع قطعا بالواقع كما يقول المرء لصاحبه اعددت لك المكافاة اذا اعزم عليها وان لم يوجدها والثاني ان المراد اذا كانت الاخرة اعدها الله لهم كقوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة اي اذا كان يوم القيمة نادى والجواب ان قوله كل شي هالك الا وجهه عام وقوله اعدت للمتقين مع قوله اكلها دايم خاص والخاص مقدم على العام واما قولهم ان الجنة مخلوقة في السما السابعة كما قال عليه السلام في صفة الجنة سقفها عرش الرحمن فاي استبعاد في ان يكون المخلوق فوق الشي اعظم منه اليس ان العرش اعظم المخلوقات مع انه مخلوق فوق السما السابعة قوله

ذلك فضل الله يوتيه من يشا اي ان الجنة لا تنال الا بفضل الله ورحمته والله ذو الفضل
العظيم قوله من مصيبة فاعل اصاب ومن مزيدة لوجود الشرطين وذكر فعلها لان التانيث
مجازي قوله في الارض يجوز ان يتعلق باصاب وان يتعلق بنفس مصيبة وان يتعلق
بمحذوف على انه صفة لمصيبة وعلى هذا فيصلح ان يحكم على موضعه بالجر نظرا الى لفظ
موصوفة وبالرفع نظرا الى محله اذ هو فاعل والمصيبة غلبت في الشر وقيل المراد بها
جميع الحوادث من خير وشر وعلى الاول يقال لم ذكرت دون الخير واجيب بانه انما
خصصها بالذكر لانها اهم على البشر قوله الا في كتاب حال من مصيبة وجاز ذلك
وان كانت نكرة لتخصصها اما بالعمل واما بالصفة الا مكتوبة فوله من قبل نعت
لكتاب ويجوز ان يتعلق به ابو البقا لانه هنا اسم للمكتوب وليس بمصدر والضمير
في نبراها الظاهر عوده على المصيبة وقيل على الانفس وقيل على الارض او على جميع
ذلك قاله المهدوي وهو حسن **فصل** قال الزجاج انه تعالى لما قال سابقوا
الى مغفرة وبين ان المودي الى الجنة والنار لا يكون الا بقضا وقدر فقال ما اصاب
من مصيبة والمعنى لا توجد مصيبة من هذه المصايب الا وهي مكتوبة عند الله والمصيبة
في الارض قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار وغلا الاسعار وتتابع الجوايح واما
المصيبة في الانفس فقيل هي الامراض والفقر وذهاب الاولاد واقامة الحدود عليها
وقيل ضيق المعاش وقيل الخير والشر اجمع لقوله بعد ذلك لكيلا تاسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما اتاكم وقوله الا في كتاب يعني مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ وقوله
من قبل ان نبراها قال ابن عباس من قبل ان نخلق المصيبة وقال سعيد بن جبير
من قبل ان نخلق الارض والنفس ان ذلك على الله يسير اي خلق ذلك وحفظه على
الله يسير اي هين قال الربيع بن صالح لما اخذ سعيد بن جبير رضي الله عنه بكيت
فقال ما يبكيك قلت ابكي لما ارى بك ولما تذهب اليه قال فلا تبك فانه كان في علم
الله تعالى ان يكون الم تسمع قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم
الاية وقال ابن عباس لما خلق الله القلم قال له اكتب فكتب ما هو كاين الى يوم القيمة
وقد ترك جماعة من السلف الدوا في امراضهم فلم يستعملوه ثقة بربهم وتوكلا عليه وقالوا قد
علم الله ايام المرض وايام الصحة فلو حرص الخلق على تقليل ذلك او زيادته ما قدروا وقال
الله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الاية ويويد هذا قوله عليه
السلام من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصايب **فصل** قيل ان هذه الاية
متصلة بما قبلها وهو ان الله تعالى هون عليهم ما يصيبهم في الجهاد من قتل وجرح وبين
ان ما يخلفهم عن الجهاد من المحافظة على الاموال وما يقع فيها من خسران فالكل مكتوب
مقدر لا مدفع له وانما على المرء امتثال الامر ثم ادبهم فقال هذا لكيلا تاسوا على ما فاتكم
اي حتى لا تحزنوا على ما فاتكم من الرزق وذلك لانهم اذا علموا ان الرزق قد فرغ منه لم ياسوا على
ما فاتهم منه وعن ابن مسعود ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجد احدكم طعم الايمان
حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه ثم قرا لكيلا تاسوا على ما
فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم اي من الدنيا قاله ابن عباس **فصل** قال ابن الخطيب
هذه الاية تدل على ان جميع الحوادث الارضية قبل دخولها في الوجود مكتوبة في اللوح
المحفوظ قال المتكلمون وانما كتب ذلك لوجوه احدها لتستدل الملايكة بذلك المكتوب
على كونه تعالى عالما بجميع الاشيا قبل وقوعها وثانيها ليعرفوا حلمه فانه تعالى مع علمه
بانهم يقدمون على المعاصي خلقهم ورزقهم وثالثها ليحذروا من امثال تلك المعاصي ورابعها
ليشكروا الله تعالى على توفيقه اياهم للطاعات وعصمته اياهم عن المعاصي **فصل** قال
ابن الخطيب ان الحكما قالوا ان الملايكة الذين وصفهم الله بانهم هم المدبرات امرا والمقسمات
امرا هي المبادي لحدوث الحوادث في العالم السفلي بواسطة الحركات الفلكية والاتصالات
الكوكبية وتصوراتها هي الاسباب لتلك المسببات وهذا هو المراد من قوله الا في كتاب مبين
فصل قوله تعالى ولا في انفسكم يتناول جميع مصايب الانفس فيدخل فيها كفرهم

ومعاصيهم فالاية دالة على ان جميع اعمالهم بتفاصيلها مكتوبة في اللوح المحفوظ مثبتة في
علم الله تعالى فكان الامتناع من تلك الاعمال محالا لان علم الله بوجودها منافي لعدمها
والجمع بين المتنافيين محال وخصص مصايب الارض والانفس لتعلقها بنا ولم يقل جميع
الحوادث لشمولها حركات اهل الجنة والنار لانها غير متناهية فاثباتها في الكتاب محال
قال ابن الخطيب وفي الاية دليل على ان الله تعالى يعلم الاشيا قبل وقوعها خلافا لهشام
ابن الحكم قوله لكيلا هذه اللام متعلقة بقوله ما اصاب اي اخبرناكم بذلك لكيلا يحصل
لكم الحزن المقنط او الفرح المطغي فاما دون ذلك فالانسان غير مواخذ به وكي هنا
ناصبة بنفسها فهي مصدرية فقط لدخول لام الجر عليها وقرا ابو عمرو بما اتاكم مقصورا من الاتيان
اي بما جاكم قال ابو علي الفارسي لان اتاكم معادل لقوله فاتكم فكما ان الفعل للغايب في
قوله فاتكم فكذلك الفعل في قوله بما اتاكم وقرا باقي السبعة اتاكم ممدودا من الايتا اي بما
اعطاكم الله اياه والعايد الى الموصول في الكلمتين الذكر المرفوع بانه فاعل والها محذوف
من الصلة اي بما اتاكموه وقرا عبد الله بما اوتيتم **فصل** قال ابن عباس ليس من
احد الا وهو يحزن ويفرح ولكن المومن يجعل مصيبته صبرا وغنيمته شكرا والحزن والفرح المنهي
عنهما هما اللذان يتعدى فيهما الى ما لا يجوز قال جعفر بن محمد يا ابن ادم ما لك تاسف على
مفقود لا يرده عليك الفوت وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت وقيل لبزرجمهر
ايها الحكيم ما لك لا تحزن على ما فات ولا تفرح بما هو ات قال لان الفايت لا يتلافى بالعبرة
والاتي لا يستدام بالحبرة وقوله والله لا يحب كل مختال اي متكبر بما اوتي من الدنيا فخور
به على الناس قيل الفخور الذي ينظر الناس بعين الاحتقار **فصل** قال ابن
الخطيب المعتزلة وان نازعوا في القدرة والارادة فهم مسلمون في العلم والخبر فيلزمهم الجبر
باعتبارهما والفلاسفة مذهبهم الجبر لان سبب الحوادث عندهم الاتصالات الفلكية
والقدرية قالوا ان الحوادث اتفاقية فجميع فرق العقلا يلزمهم الجبر سوا اقروا به او انكروه
فصل قالت المعتزلة قوله لكيلا تاسوا يدل على انه انما اخبرهم بكونها ليحترزوا عن
الحزن والفرح ولولا قدرتهم عليها لم يكن لذلك فايدة ويدل على انه لا يريد ان يقع منهم الفرح
والحزن وهو خلاف قول المجبرة ولانه قال والله لا يحب كل مختال فخور والمحبة هي الارادة
واجيبوا بان المحبة ارادة خاصة وهي ارادة الثواب فلا يلزم من نفيها نفي الارادة وقوله
تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم قوله الذين يبخلون تقدم نظيره في
سورة النسا قال القرطبي الذين في موضع خفض نعتا للمختال وقال ابن الخطيب بدل
من قوله كل مختال وقيل رفع بالابتدا فهو كلام مستانف لا تعلق له بما قبله والمعنى الذين
يبخلون فالله غني عنهم قيل اراد رؤسا اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله
عليه وسلم في كتبهم لئلا يومن به الناس فتذهب ماكلتهم قاله السدي والكلبي فيكون الذين
مبتدا وخبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد وقال
سعيد بن جبير الذين يبخلون يعني بالعلم ويامرون الناس بالبخل بان لا يعلموا الناس شيا
وقال زيد بن اسلم انه البخل باداء حق الله تعالى وقال عامر بن عبد الله الاشعري هو البخل
بالصدقة والحقوق وقال طاوس هو البخل بما في يديه **فصل** قرا العامة بالبخل
بضم البا وسكون الخا وقرا انس وعبيد بن عمير ومجاهد وابن محيصن وحمزة والكسائي بالبخل
بفتحتين وهي لغة الانصار وقرا ابو العالية وابن السميفع بالبخل بفتح البا واسكان الخا
وعن نصر بن عاصم البخل بضمتين وكلها لغات مشهورة قال قوم الفرق بين البخل والسخا
من وجهين احدهما ان البخيل الذي يلتذ بالامساك والسخي الذي يلتذ بالعطا الثاني ان البخيل
الذي يعطي عند السوال والسخي الذي يعطي بغير سوال وتقدم الفرق بين البخل والشح في
ال عمران قوله ومن يتول اي عن الايمان فان الله هو الغني قرا نافع وابن عامر فان الله
الغني الحميد باسقاط هو وهو ساقط في مصاحف المدينة والشام والباقون باثباته وهو ثابت
في مصاحفهم فقد وافق كل مصحفه قال ابو علي الفارسي من اثبت هو يحسن ان يكون فصلا
ولا يحسن ان يكون ابتدا لان الابتدا لا يسوغ حذفه يعني انه يرجح فصليته بحذفه في القراءة

الاخري اذ لو كان مبتدا لضعف حذفه لاسيما اذا صلح ما بعده ان يكون خبرا لما قبله الا تري انك
لو قلت ان زيدا هو القايم لم يحسن حذف هو لصلاحية القايم خبرا لان وهذا كما قالوا في الصلة
انه يحذف العايد المرفوع بالابتدا بشروط منها ان لا يكون ما بعده صالحا للصلة نحو جا الذي هو
في الدار او هو قايم ابوه لعدم الدلالة الا ان للمنازع ان ينازع ابا علي ويقول لا التزم تركيب
احدي القراتين علي الاخري وكم من قراتين تغاير معناهما كقراتي والله اعلم بما وضعت
ووضعت الا ان توافق القراتين في معني واحد اولي وهذا مما لا نزاع فيه ومن اثبت هو فعلي
انه يكون فصلا ويجوز ان يكون مبتدا والغني خبره والجملة خبر ان قال ابن الخطيب وقوله
الحميد كانه جواب من يقول اذا كان عالما بانه يبخل فلم اعطاه المال فاجاب بانه محمود
حيث فتح ابواب الرحمة مع تقصير العبد في الطاعة قوله لقد ارسلنا رسلنا بالبينات
قيل هي المعجزات البينة والشرايع الظاهرة وقيل الاخلاص لله تعالي في العبادة وانزلنا
معهم الكتاب اي الكتب التي اوجبنا فيها خبر من كان قبلهم والميزان قال ابن زيد
هو ما يوزن به ويتعامل روي ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان ودفعه الي نوح عليه السلام
وقال مر قومك يزنوا به ليقوم الناس بالقسط اي بالعدل في معاملاتهم وقيل اراد به
العدل قال القشيري واذا حملناه علي الميزان المعروف فالمعني انزلنا الكتاب ووضعنا
الميزان وهو من باب علفتها تبنا وماء باردا ويدل علي هذا قوله تعالي والسماء رفعها ووضع
الميزان قوله معهم حال مقدرة اي صايرا معهم وانما احتجنا الي ذلك لان الرسل لم ينزلوا
ومقتضي الكلام ان يصحبوا الكتاب في النزول واما الزمخشري فانه فسر الرسل بالملايكة الذين
يجيئون بالوحي الي الانبيا فالمعية متحققة قوله وانزلنا الحديد روي ابن عمر ان رسول الله
صلي الله عليه وسلم قال ان الله تعالي انزل اربع بركات من السما الي الارض الحديد والنار والما
والملح وروي عكرمة عن ابن عباس قال انزل ثلاثة اشيا مع ادم عليه السلام الحجر الاسود
وكان اشد بياضا من الثلج وعصي موسي وكانت من اس الجنة طولها عشرة اذرع مع طول
موسي والحديد انزل معه ثلاثة اشيا السندان والكلبتان والميقعة وهي المطرقة ذكره
الماوردي وروي الثعلبي عن ابن عباس قال نزل ادم من الجنة ومعه من الحديد خمسة
اشيا من الة الحدادين السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وحكاه القشيري
قال والميقعة ما يحدد به يقال وقعت الحديدة اقعها اي حددتها وفي الصحاح الميقعة الموضع
الذي يالفه البازي فيقع عليه وخشبة القصار التي يدق عليها والمطرقة والمسن الطويل
وروي ان الحديد انزل في يوم الثلاثا وفيه باس شديد اي هراق الدما ولذلك نهي عن
الفصد والحجامة في يوم الثلاثا لانه يوم جري فيه الدم وروي عن رسول الله صلي الله
عليه وسلم ان في يوم الثلاثا ساعة لا يرقا فيها الدم وقيل انزلنا الحديد اي انشاناه وخلقناه
كقوله تعالي وانزل لكم من الانعام وهذا قول الحسن فيكون من الارض غير منزل من السما
وقال اهل المعاني اي اخرج الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه وقوله فيه باس
شديد جملة حالية من الحديد والمراد بالحديد يعني السلاح والجنة وقيل ان فيه من
خشية القتل خوف شديد ومنافع للناس قال مجاهد يعني جنة وقيل انتفاع الناس
بالماعون الحديد كالسكين والفاس ونحوه قوله وليعلم عطف علي قوله ليقوم الناس
اي لقد ارسلنا رسلنا وفعلنا كيت وكيت ليقوم الناس وليعلم الله وقال ابو حيان علة
الانزال الكتاب والميزان والحديد والاول اظهر لان نصرة الله ورسله مناسبة للارسال
قوله ورسله عطف علي مفعول ينصره اي وينصر رسله قال ابو البقا ولا يجوز ان يكون
معطوفا علي من لئلا يفصل به بين الجار وهو بالغيب وبين ما يتعلق به وهو ينصر قال
شهاب الدين وجعله العلة ما ذكره من الفصل بين الجار وبين ما يتعلق به يوهم ان
معناه صحيح لولا هذا المانع وليس كذلك اذ يصير التقدير وليعلم الله من ينصره بالغيب
وليعلم رسله وهذا معني لا يصح البتة فلا حاجة الي ذكر ذلك وبالغيب حال وقد تقدم مثله
اول البقرة **فصل** المعني وليعلم الله من ينصره اي انزل الحديد ليعلم من ينصره اف
ليقوم الناس بالقسط اي ارسلنا رسلنا وانزلنا معهم الكتاب وهذه الاشيا لتتعامل الناس

بالحق

بالحق وليري الله من ينصر دينه وينصر رسله بالغيب اي وهم لا يرونه ان الله قوي عزيز
قوي في اخذه عزيز اي منيع غالب وقيل بالغيب اي بالاخلاص **فصل** احتج من قال
بحدوث علم الله بقوله وليعلم الله واجيب بانه تعالي اراد بالعلم المعلوم فكانه تعالي
قال وليقع نصرة الرسول صلي الله عليه وسلم ممن ينصره **فصل** قال الجبايي قوله
تعالي ليقوم الناس بالقسط يدل علي انه تعالي انزل الميزان والحديد ومراده من العباد ان
يقوموا بالقسط وان ينصروا الرسول واذا اراد هذا من الكل بطل قول المجبرة انه اراد من
بعضهم خلاف ذلك واجيب بانه كيف يمكن ان يريد من الكل ذلك مع علمه بان ضده
موجود والجمع بين الضدين محال والمحال غير مراد قوله ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم
الاية لما اجمل الرسل في قوله لقد ارسلنا رسلنا فصل ههنا ما اجمل من ارسال الرسل بالكتب
واخبر انه ارسل نوحا وابراهيم وجعل النبوة في نسلهما بقوله وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب
اي جعلنا بعض ذريتهما الانبيا وبعضهم امما يتلون الكتب المنزلة من السما التورية
والانجيل والزبور والفرقان وقال ابن عباس الكتاب الخط بالقلم قوله فمنهم مهتد
الضمير يجوز عوده علي الذرية وهو اولي لتقدم ذكره لفظا وقيل يعود علي المرسل اليهم
لدلالة ارسلنا والمرسلين عليهم والمعني ان منهم مهتد ومنهم فاسق والمراد بالفاسق ههنا
قيل الذي ارتكب الكبيرة سوا كان كافرا او لم يكن لاطلاق هذا الاسم وهو يشمل الكافر وغيره
وقيل المراد بالفاسق ههنا الكافر لانه جعل الفساق ضد المهتدين قوله ثم قفينا علي اثارهم
اي اتبعنا علي اثارهم اي علي اثار الذرية وقيل علي اثار نوح وابراهيم برسلنا موسي والياس
وداود ويونس وغيرهم وقفينا بعيسي بن مريم فهو من ذرية ابراهيم من جهة امه واتيناه
الانجيل وهو الكتاب المنزل عليه وقد تقدم اشتقاقه في اول ال عمران وقراة الحسن بفتح
الهمزة قال الزمخشري امره اهون من امر البرطيل والسكينة فيمن رواها بفتح الفا لان الكلمة
اعجمية لا يلزم فيها حفظ ابنية العرب وقال ابن جني قراة الحسن بفتح الهمزة مثال لا نظير
له لانه افعيل وهو عندهم من نجلت الشي اذا استخرجته لانه يستخرج الاحكام قال ابن
الخطيب وغالب الظن انه ما قراه الا عن سماع وله وجهان احدهما انه شاذ كما حكي بعضهم في البرطيل
والثاني انه ظن الانجيل اعجميا فحرف مثاله تنبيها علي كونه اعجميا قوله وجعلنا في قلوب الذين
اتبعوه علي دينه يعني الحواريين واتباعهم رافة ورحمة قرا الحسن رافة بزنة فعالة قال
مقاتل المراد من الرافة والرحمة المودة فكان يواد بعضهم بعضا كما وصف الله تعالي اصحاب
محمد صلي الله عليه وسلم بقوله رحما بينهم وقيل هذا اشارة الي انهم امروا في الانجيل بالصلح وترك
ايذا الناس والان الله قلوبهم لذلك بخلاف اليهود الذين قست قلوبهم وحرفوا الكلم عن
مواضعه والرافة اللين والرحمة الشفقة وقيل الرافة تخفيف الكل والرحمة تحمل الثقل
وقيل الرافة اشد من الرحمة وتم الكلام **فصل** دلت هذه الاية علي ان فعل العبد
خلق الله تعالي لانه حكم بان هذه مجعولة وحكم بانهم ابتدعوا تلك الرهبانية قال القاضي المراد
بذلك انه تعالي لطف بهم حتي قويت دواعيهم الي الرهبانية التي هي تحمل الكلفة الزايدة علي
ما يجب والجواب ان هذا ترك للظاهر من غير دليل وان سلمنا ذلك فهو يحصل مقصودنا لان حال
الاستوا يمنع حصول الرجحان لان حصول الرجحان عند الاستوا ممتنع فعند المرجوحية اولي
بان يصير ممتنعا واذا امتنع المرجوح وجب الراجح ضرورة انه لا خروج عن طرفي النقيض قوله
ورهبانية ابتدعوها في انتصابها وجهان احدهما انها معطوفة علي رافة ورحمة وجعل اما بمعني
خلق او بمعني صير وابتدعوها علي هذا صفة لرهبانية وانما خصت بذكر الابتداع لان الرافة
والرحمة في القلب امر غريزة لا تكسب للانسان فيها بخلاف الرهبانية فانها افعال البدن
وللانسان فيها تكسب الا ان ابا البقا منع هذا الوجه بان ما جعله الله لا يبتدعونه وجوابه
ما تقدم من انه لما كانت مكتسبة صح ذلك فيها وقال ايضا وقيل هو معطوف عليها وابتدعوها
نعت له والمعني فرض عليهم لزوم رهبانية ابتدعوها ولهذا قال ما كتبناها عليهم الا ابتغا رضوان
الله والوجه الثاني انها منصوبة بفعل مقدر يفسره الظاهر قال ابو علي ابتدعوا رهبانية
ابتدعوها وتكون المسالة من الاشتغال واليه نحا الفارسي والزمخشري وابو البقا وجماعة الا ان

هذا يقال انه اعراب المعتزلة وذلك انهم يقولون ما كان من فعل الانسان فهو مخلوق له فالرحمة
والرافة لما كانت من فعل الله نسب خلقهما اليه والرهبانية لما لم تكن من فعل الله تعالى بل من
فعل العبد يستقل بفعلها نسب ابتداعها اليه ورد عليهم ابو حيان هذا الاعراب من حيث الصناعة
وذلك ان من حق الاسم المشتغل عنه ان يصلح للرفع بالابتدا ورهبانية نكرة لا مسوغ للابتدا
بها فلا يصلح نصبها على الاشتغال قال شهاب الدين وفيه نظر لانا لا نسلم اولا اشتراط ذلك
ويدل عليه قراءة من قرا سورة انزلناها بالنصب على الاشتغال كما تقدم تحقيقه ولين سلمنا
ذلك فثم مسوغ وهو العطف ومن ذلك قوله

عندي اصطبار وشكوى عند قاتلتي • فهل باعجب من هذا امرو سمعا • وقول الاخر
لعينيك وبخ قد اضاء مذ بدا • محياك اخفى ضوءه كل شارق •

وذكر ذلك ابن مالك والرهبانية منسوبة الى الرهبان وهو فعلان من رهب كقولهم للخشيان
من خشي وقد تقدم معنى هذه المادة في سورة المائدة وقري بضم الراء قال الزمخشري
كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان قال ابو حيان والاولى ان يكون
منسوبا الى رهبان يعني بالفتح وغيرت النسب باب تغيير ولو كان منسوبا لرهبان الجمع لرد
الى مفرده الا ان كان قد سار كالعلم فانه ينسب اليه كالانصار **فصل** والمراد من الرهبانية
ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين متحملين كلفا زايدة على العبادات التي كانت
واجبة عليهم من الخلوة واللباس الخشن والاعتزال عن النسا والتعبد في الغيران والكهوف
روي ابن عباس ان في ايام الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام غير الملوك التورية والانجيل
فساح نفر وبقي نفر قليل فترهبوا وتبتلوا قال الضحاك ان ملوكا بعد عيسى عليه السلام
ارتكبوا المحارم ثلاث مائة سنة فانكرها عليهم من كان بقي على منهاج عيسى فقتلوهم فقال
قوم بقوا بعدهم نحن اذا نهيناهم قتلونا فليس يسعنا المقام بينهم فاعتزلوا الناس واتخذوا
الصوامع وقال قتادة الرهبانية التي ابتدعوها رفض النسا واتخاذ الصوامع وفي خبر مرفوع
هي لحوقهم بالبراري والجبال قوله ما كتبناها صفة لرهبانية ويجوز ان يكون استينافا اخبار
بذلك قال ابن زيد معناه ما فرضناها عليهم ولا امرناهم بها وقوله الا ابتغا رضوان الله فيه
اوجه احدها انه استثنا متصل مما هو مفعول من اجله والمعنى ما كتبناها عليهم لشي من
الاشيا الا لابتغا مرضات الله ويكون كتب بمعنى قضى فصار المعنى كتبناها عليهم ابتغا رضوان
الله وهذا قول مجاهد والثاني انه منقطع قال الزمخشري ولم يذكر غيره اي ولكنهم ابتدعوه
والى هذا ذهب قتادة وجماعة قالوا معناه لم يفرضها عليهم ولكنهم ابتدعوها الثالث انه بدل
من الضمير المنصوب في كتبناها قاله مكي وهو مشكل كيف يكون بدلا وليس هو الاول ولا بعضه
ولا مشتملا عليه وقد يقال انه بدل اشتمال لان الرهبانية الخالصة المرعية حق الرعاية قد
يكون فيها ابتغا رضوان الله ونظيره قولك الجارية ما احببتها الا ادبها فالا ادبها بدل
من الضمير في احببتها بدل اشتمال وهذا لهذا يتمحل لصحة هذا القول والضمير المرفوع في
رعوها عايد على من تقدم والمعنى انهم لم يدوموا كلهم على رعايتها وان كان وجد هذا في بعضهم
وقيل يعود على الملوك الذين حاربوهم وقيل على اخلافهم وحق نصب على المصدر قال
القرطبي وقيل الا ابتغا استثنا منقطع والتقدير ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها ابتغا
رضوان الله فما رعوها حق رعايتها اي ما قاموا بها حق القيام بل ضموا اليها التثليث والاتحاد
واقام اناس منهم على دين عيسى عليه السلام حتى ادركوا نبينا محمدا عليه السلام فامنوا به
فهو قوله تعالى فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون وقيل معناه انا كتبنا
عليهم تلك الرهبانية الا ليتوسلوا بها الى مرضات الله تعالى ثم انهم اتوا بتلك الافعال لغير
هذا الوجه وهو طلب الدنيا والريا والسمعة وقيل معناه انا كتبناها عليهم فتركوها فيكون ذلك
ذما لهم لتركهم الواجب وقيل ان الذين لم يرعوها حق رعايتها هم الذين ادركوا محمدا صلى الله عليه
وسلم ولم يومنوا به **فصل** دلت هذه الاية على ان كل محدث بدعة فينبغي لمن
ابتدع خيرا ان يدوم عليه ولا يعدل عنه الى ضده فيدخل في الاية وعن ابي امامة الباهلي
واسمه صدي بن عجلان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال احدث قيام رمضان ولم يكتب

عليكم انما كتب عليكم الصيام فدوموا على القيام اذ فعلتموه ولا تتركوه فان ناسا من بني اسرائيل
ابتدعوا بدعا لم يكتبها الله عليهم ابتغوا بها رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فعابهم الله تعالى
ذلك بتركها فقال ورهبانية ابتدعوها الاية **فصل** ودلت الاية على العزلة عن الناس
وذلك مندوب اليه عند فساد الزمان وتغير الاحوال والاخوان قوله يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وامنوا برسوله اي امنوا بموسى وعيسى اتقوا الله وامنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
يوتكم كفلين من رحمته اي مثلين من الاجر على ايمانكم بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهذا
نظير قوله تعالى اوليك يوتون اجرهم مرتين والكفل الحظ والنصيب وقد تقدم وهو في الاصل
كسا يكتفل به الراكب يحفظه من السقوط قاله ابن جرير وقال الازهري اشتقاقه من الكسا
الذي يحويه راكب البعير على سنامه لئلا يسقط والمعنى يوتكم نصيبين يحفظانكم من هلكة
المعاصي كما يحفظ الكفل الراكب وقال ابو موسى الاشعري كفلين ضعفين بلسان الحبشة وقال
ابن زيد كفلين اجر الدنيا والاخرة وقيل لما نزلت اوليك يوتون اجرهم مرتين بما صبروا افتخر
مومنوا اهل الكتاب على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية فان قيل انه تعالى
لما اتاهم كفلين واعطى المومن كفلا واحدا كان حالهم اعظم فالجواب انه لا يبعد ان يكون النصيب
الواحد ازيد قدرا من النصيبين روي ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة يوتون
اجرهم مرتين رجل كانت له جارية فادبها واحسن ادبها ثم اعتقها وتزوجها ورجل من اهل الكتاب
امن بكتابه وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعبد احسن عبادة الله ونصح سيده قوله ويجعل
لكم نورا تمشون به قال مجاهد اي بيانا وهدى وقال ابن عباس هو القران وقيل ضيا تمشون
به في الاخرة على الصراط وفي القيمة الى الجنة وهو النور المذكور في قوله تعالى يسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم وقيل تمشون به في الناس تدعونهم الى الاسلام فتكونوا روسا في دين
الاسلام لا تزول عنكم رياسة كنتم فيها وذلك انهم خافوا ان تزول رياستهم لو امنوا بمحمد صلى
الله عليه وسلم وانما كان يفوتهم اخذ رشوة يسيرة من الضعفة بتحريف احكام الله لا الرياسة
الحقيقية في الدين ثم قال ويغفر لكم ذنوبكم اي ما اسلفتم من المعاصي والله غفور رحيم
قوله لئلا يعلم هذه اللام متعلقة بمعنى الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير
ان تتقوا الله وامنتم برسوله يوتكم كذا وكذا لئلا يعلم وفي لا هذه وجهان اشهرهما عند النحاة
والمفسرين انها مزيدة كهي في ما منعك ان لا تسجد وانهم اليهم لا يرجعون على خلاف في هاتين
الايتين والتقدير اعلمكم الله بذلك ليعلم اهل الكتاب عدم قدرتهم على شي من فضل الله
وثبوت ان الفضل بيد الله وهذا واضح بين وليس فيه الا زيادة ما ثبتت زيادته شايعا
ذايعا والثاني انها غير مزيدة والمعنى لئلا يعلم اهل الكتاب عجز المومنين نقل ذلك ابو
البقا وهذا لفظه وكان قال قبل ذلك لا زايدة والمعنى ليعلم اهل الكتاب عجزهم وهذا
غير مستقيم لان المومنين عاجزون ايضا من شي من فضل الله وكيف يعمل هذا بقوله وان
الفضل بيد الله فانه معطوف على مفعول العلم المنفي فيصير التقدير ولئلا يعلم اهل
الكتاب ان الفضل بيد الله وهذا لا يستقيم بنفي العلم به البتة فلا جرم كان قولا مطرحا
وقرا العامة لئلا بكسر لام كي وبعدها همزة مفتوحة مخففة وورش يبدلها يا محضة وهو
تخفيف قياسي نحو ميه وفيه في مائة وفئة ويدل على زيادتها قراءة عبد الله وابن عباس
وعكرمة والجحدري وعبد الله بن سلمة ليعلم باسقاطها وقراءة حطان بن عبد الله لين يعلم
باظهار النون والجحدري ايضا والحسن لييعلم واصلها كالتي قبلها لين يعلم فابدل الهمزة يا
لانفتاحها بعد كسرة وقد تقدم انه قياس كقراءة ورش لئلا يعلم ثم ادغم النون في اليا قال
ابو حيان بغير غنة كقراءة خلف ان يضرب بغير غنة انتهى فصار اللفظ لييعلم وقوله
بغير غنة ليس عدم الغنة شرطا في صحة هذه المسئلة بل جاء على سبيل الاتفاق ولو ادغم
بغنة لجاز ذلك فسقوطها في هذه القراات يوذن بزيادتها في المشهورة وقرا الحسن ايضا فيما
روي عنه ابو بكر بن مجاهد ليلا يعلم بلام مفتوحة ويا ساكنة كاسم المراة ورفع الفعل
بعدها وتخريجها على ان اصلها لان لا على اعمال الجر ولكنها فتحت على لغة مشهورة معروفة
وانشدوا اريد لانسى ذكرها بفتح اللام وحذفت الهمزة اعتباطا وادغمت النون في اللام

فاجتمع ثلاثة امثال فثقل النطق به فابدل الوسط يا تخفيفا فصار اللفظ ليلا كما ترى ده
ورفع اللفظ الفعل لان ان هي المخففة لا الناصبة واسمها على ما تقرر ضمير الشان وفصل بينها
وبين الفعل الذي هو خبرها بحرف النفي وقرا الحسن ايضا فيما روي عنه قطرب ليلا بلام
مكسورة وياء ساكنة ورفع الفعل وهي كالتي قبلها في التخريج غاية ما في الباب انه جاء بلام
الجر مكسورة كما هي اللغة الشهيرة وروي عن ابن عباس لكن يعلم وكي يعلم وعن عبد الله
لكيلا وهذه كلها كالتفسير مخالفة للسواد الاعظم ولسواد المصحف وقرا العامة ان لا يقدرون
بثبوت النون على ان ان هي المخففة وعبد الله بحذفها على ان ان هي الناصبة وهذا شاذ
جدا لان ان العلم لا يقع بعده الناصبة وقوله يوتيه من يشا الظاهر انه مستانف وقيل
هو خبر ثان عن الفضل وقيل هو الخبر وحده والجار قبله حال وهي حال لازمة لان كونه
بيد الله لا ينتقل البته

فصل

نقل ابن الخطيب عن الواحدي انه قال هذه الاية
مشكلة وليس للمفسرين فيها قول واضح في كيفية اتصال هذه الاية بما قبلها واعلم
ان اكثر المفسرين على ان لا ههنا صلة زايدة والتقدير ليعلم اهل الكتاب وقال
ابو مسلم وجماعة ان لا ليست زايدة ونحن نفسر الاية على القولين بعون الله وتوفيقه اما
على القول بزيادتها فاعلم انه لابد ههنا من تقديم مقدمة وهي ان اهل الكتاب كانوا
يقولون ان الوحي والرسالة فينا والكتاب والشرع ليس الا لنا وان الله تعالى خصنا
بهذه الفضيلة العظيمة من بين جميع العالمين اذا عرف هذا والشرع ليس الا لنا وان
الله تعالى لما امر اهل الكتاب بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ووعدهم الاجر العظيم
في ذلك الايمان اتبعه بهذه الاية والغرض منها ان يزيل عن قلبهم اعتقادهم بان
النبوة مختصة بهم فقال انما بالغنا في هذا البيان ليعلم اهل الكتاب انهم لا يقدرون
على شي من فضل الله لقوم معينين ولا يمكنهم حصر الرسالة والنبوة في قوم مخصوصين
وان الفضل بيد الله يوتيه من يشا ولا اعتراض عليه في ذلك اصلا واما القول بان
لا غير زايدة فاعلم ان الضمير في قوله لا يقدرون عايد الى الرسول صلى الله عليه وسلم
والى اصحابه رضي الله عنهم والتقدير ليلا يعلم اهل الكتاب ان النبي والمومنين لا يقدرون
على شي من فضل الله فانهم اذا لم يعلموا انهم لا يقدرون عليه فقد علموا انهم يقدرون عليه
ثم قال وان الفضل بيد الله فيصير التقدير انا جعلنا كذا وكذا ليلا يعتقد اهل الكتاب
انهم يقدرون على حصر فضل الله في اقوام معينين وليعتقدوا ان الفضل بيد الله
واعلم ان هذا القول ليس فيه الا انا اضمرنا فيه زيادة فقلنا في قوله وان الفضل
بيد الله تقديره وليعتقدوا ان الفضل بيد الله واما القول الاول فقد افتقرنا فيه
الى حذف شي موجود ومن المعلوم ان الاضمار اولى من الحذف لان الكلام اذا افتقر
الى الاضمار لم يوهم ظاهره باطلا اصلا واما اذا افتقر الى الحذف كان ظاهره موهما للباطل
فعلمنا ان هذا القول اولى

فصل

قال قتادة حسد اهل الكتاب المسلمين
فنزلت ليلا يعلم اهل الكتاب اي لان يعلم اهل الكتاب انهم لا يقدرون على شي من فضل
الله وان الفضل بيد الله وقال مجاهد قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبي يقطع
الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفروا فنزلت ليلا يعلم اي ليعلم اهل الكتاب
ان لا يقدرون يعني انهم لا يقدرون كقوله الا يرجع اليهم قولا والمراد من فضل الله
بيد الله ليس بايديهم فيصرفوا النبوة عن محمد صلى الله عليه وسلم الى من يحبون وقيل
ان الفضل بيد الله اي هو له يوتيه من يشا روى البخاري عن ابن عمر قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو قايم على المنبر يقول انما بقاوكم فيما سلف قبلكم من الامم
كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس اعطى اهل التورية التورية فعملوا بها حتى تنصف
النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطي اهل الانجيل الانجيل فعملوا به حتى صلوا
العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطيتم القران فعملتم به حتى غربت الشمس
فاعطيتم قيراطين قيراطين قال اهل التورية ربنا هولاء اقل عملا واكثر اجرا قال هل ظلمتكم من
اجركم شيا قالوا لا قال فذلك فضلي اوتيه من اشا وفي رواية فغضبت اليهود والنصارى

وقالوا

وقالوا ربنا الحديث

سورة المجادلة مدنية

في قول الجميع الا رواية عن عطا ان العشر الاول منها مدني وباقيها مكي وقال الكلبي نزل
جميعها بالمدينة غير قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم نزلت بمكة وهي ثنتان
وعشرون اية واربعماية وثلاث وسبعون كلمة والف وسبعماية واثنان وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها قد هنا للتوقع قال الزمخشري
لانه عليه السلام والمجادلة كانا يتوقعان ان يسمع الله مجادلتهما وشكواها وينزل في ذلك
ما يفرج عنها واظهار الدال عند السين قراة الجماعة الا ابا عمرو والاخوين وتنقل عن الكسائي
انه قال من بين الدال عند السين فلسانه اعجمي وليس بعربي وهذا غير معرج عليه وفي
زوجها اي في شانه من ظهاره اياها

فصل

التي شكت هي خولة بنت ثعلبة وقيل
بنت حكيم وقيل بنت خويلد قال المازري وليس هذا بمختلف لان احدهما ابوها والاخر
جدها فنسبها الى كل واحد منهما وقيل كانت امة وقيل هي ابنة صامت وقيل هي امة لعبد الله بن
ابي وهي التي انزل الله فيها ولا تكرهوا فتياتكم على البغا ان اردن تحصنا لانه يكرهها على الزنا
وقيل هي اسمه قال النحاس وهذا ليس بمتناقض يجوز ان ينسب مرة الى ابيها ومرة الى امها ومرة الى
جدها ويجوز ان تكون امة كانت لعبد الله بن ابي يقال لها انصارية بالولا لانه كان في عداد
الانصار وقيل كان من المنافقين نقله القرطبي وقيل اسمها جميلة وخولة اصح وزوجها اوس
ابن الصامت اخو عبادة بن الصامت روي ان عمر بن الخطاب مر بها في خلافته وهو على حمار
والناس معه فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم
قيل لك امير المومنين فاتق الله يا عمر فانه من ايقن بالموت خاف الفوت ومن ايقن بالحساب
خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل له يا امير المومنين اتقف لهذه العجوز هذا الوقوف
فقال والله لو حبستني من اول النهار الى اخره لا زلت الا للصلاة المكتوبة اتدرون من هذه
العجوز هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات ايسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه
عمر وقالت عايشة تبارك الذي وسع سمعه كل شي اني لاسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي
بعضه وهي تشتكي زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول يا رسول الله اكل شبابي
ونثرت له بطني حتى اذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني اشكو اليك فما برحت
حتى نزل جبريل بهذه الايات قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الاية روي انها كانت حسنة
الجسم فراها زوجها ساجدة فنظر عجزها فاعجبه امرها فلما انصرفت ارادها فابت فغضب عليها
قال عروة وكان امرا به لمم فاصابه بعض لممه فقال لها انت علي كظهر امي وكان الايلا والظهار
من الطلاق في الجاهلية فسالت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها حرمت عليه فقالت والله
ما ذكر طلاقا وانه ابو ولدي واحب الناس الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت
عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي فقد طالت صحبتي ونفضت له بطني فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه ولم اومر في شانك بشي فجعلت تراجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت
وقالت اشكو الى الله فاقتي وشدة حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم
الي جاعوا وجعلت ترفع راسها الى السما وتقول اللهم اني اشكو اليك فانزل على لسان
نبيك وكان هذا اول ظهار في الاسلام فانزل الله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك
الاية فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زوجها وقال ما حملك على ما صنعت فقال
الشيطان فهل من رخصة فقال نعم وقرا عليه الاربع ايات فقال له هل تستطيع الصوم
فقال لا والله فقال هل تستطيع العتق فقال لا والله اني ان اخطاني ان اكل في اليوم
مرة او مرتين لكل بصري ولظننت اني اموت قال فاطعم ستين مسكينا فقال ما اجد الا ان
تعينني منك بعون وصلة فاعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا واخرج اوس

من عنده مثله فتصدق به على ستين مسكينا **فصل** قال ابو سليمان الخطابي
ليس المراد من قوله في هذا الخبر وكان به لمم الخبل والجنون اذ لو كان به ثم ظاهر في تلك
الحال لم يكن يلزمه شي بل معنى اللمم هنا الالمام بالنسا وشدة الحرص والتوقان اليهن
فصل اعلم ان الظهار من اشد طلاق الجاهلية لانه في التحريم اوكد ما يكون فان
كان ذلك الحكم صار مقررا في الشرع كانت الاية ناسخة له والا لم يقم نسخا لان النسخ
انما يدخل في الشرايع لا في عادة الجاهلية لكن الذي روي انه عليه السلام قال لها
حرمت او ما اراك الا حرمت كالدلالة على انه كان شرعا فاما ما روي من انه توقف في
الحكم فلا يدل على ذلك وفي الاية دليل على ان من انقطع رجاؤه عن الخلق ولم
يبق له في مهمه احد سوى الخالق كفاه الله ذلك المهم **فصل** اعلم انه تعالى
حكى عن هذه المراة امرين احدهما المجادلة وهو قوله تعالى تجادلك في زوجها اي
في شان زوجها وتلك المجادلة هي انه عليه السلام كلما قال لها حرمت عليه قالت
والله ما ذكر طلاقا والثاني شكواها الى الله فاقتها ووحدتها وقولها ان لي صبية
صغارا **فصل** قال القرطبي الاصل في السماع ادراك المسموعات وهو اختيار
ابي الحسن وقال ابن فورك الصحيح انه ادراك المسموع وقال الحاكم ابو عبد الله السميع
هو المدرك للاصوات التي يدركها المخلوقون باذانهم من غير ان يكون له اذن وذلك
راجع الى ان الاصوات لا تخفى عليه وان كان غير موصوف بالحس المركب في الاذن
كالاصم من الناس لما لم يكن له هذه الحاسة لم يكن له اهلا لادراك الصوت والسمع والبصر
صفتان كالعلم والقدرة والحياة والارادة فهما من صفات الذات لم يزل الخالق سبحانه
متصفا بهما وقري تحاورك اي تراجعك الكلام قوله وتشتكي الى الله يجوز فيه وجهان
اظهرهما انها عطف على تجادلك فهي صلة ايضا والثاني انها في موضع نصب على الحال
اي تجادلك شاكية حالها الى الله وكذا الجملة من قوله والله يسمع تحاوركما والحالية
فيها ابعد وشكى واشتكى بمعنى واحد والمحاورة المراجعة في الكلام وحار الشي يحور
حورا اي رجع يرجع رجوعا ومنه نعوذ بالله من الحور بعد الكور وكلمته فما احار بكلمة
اي فما اجاب والله سميع بصير اي يسمع كلام من يناديه ويبصر من يتضرع اليه قوله
الذين يظهرون تقدم الخلاف في يظهرون في سورة الاحزاب وكذا في اللاي وقرا
ابي هنا يتظاهرون وعنه ايضا يتظهرون وفي الذين وجهان احدهما انه مبتدا وخبره
قوله ما هن امهاتهم الثاني انه منصوب يبصر على مذهب سيبويه في جواز اعمال
فعيل قاله مكي يعني ان سيبويه يعمل فعيلا من امثلة المبالغة وهو مذهب مطعون
فيه على سيبويه لانه استند لعلي اعماله بقول الشاعر

• حتى شاها كليل موهنا عمل • باتت طرابا وبات الليل لم ينم •

ورد عليه بان موهنا ظرف زمان والظروف يعمل فيها روايح الافعال والمعنى بالحي
ما قاله مكي وقرا العامة امهاتهم بالنصب على اللغة الحجازية الفصحى كقوله ما هذا
بشرا وعاصم في رواية بالرفع على اللغة التميمية وان كانت هي القياس لعدم اختصاص
الحرف وقرا عبد الله بامهاتهم بزيادة الباء وهي تحتمل اللغتين وقال الزمخشري
وزيادة الباء في لغة من ينصب قال شهاب الدين هذا هو مذهب ابي علي يرى ان
الباء لا تزاد الا اذا كانت ما عاملة فلا تزاد في التميمية ولا في الحجازية اذا امتنع من عملها
مانع نحو ما ان زيد بقايم وهذا مردود بقول الفرزدق وهو تميمي

• لعمرك ما معن بتارك حقه • ولا منسي معن ولا متيسر • وبقول الاخر

• لعمرك ما ان ابو مالك بواه • بواه ولا بضعيف قواه •

فصل ذكر الظهر كناية عن معنى الركوب والادمية
انما يركب بطنها ولكن كنى عنه بالظهر لان ما يركب من غير الادميات فانما يركب ظهره فكنى
بالظهر عن الركوب ويقال نزل عن امراته اي طلقها كانه نزل عن مركوبه ومعنى انت علي
كظهر امي اي انت علي محرمة لا يحل لي ركوبك نقله القرطبي ونقل ابن الخطيب عن صاحب

النظم انه ليس ماخوذا من الظهر الذي هو عضو من الجسد لانه ليس الظهر باولى بالذكر
في هذا الموضع من ساير الاعضا التي هي مواضع المباضعة والتلذذ بل الظهر ها هنا ماخوذ
من العلو ومنه قوله تعالى فما استطاعوا ان يظهروه اي يعلوه وكذلك امراة الرجل ظهره
لانه يعلوها بملك البضع وان لم يكن من ناحية الظهر فكان امراة الرجل مركبا للرجل وظهرا
له ويدل على صحة هذا المعنى ما نقل عن العرب انهم يقولون في الطلاق نزلت عن امراتي
اي طلقتها وفي قولهم انت علي كظهر امي حذف واضمار لان تاويله ظهرك علي اي ملكي اياك
وعلوي عليك حرام كما علوي على امي وملكها علي **فصل** حقيقة الظهار تشبيه
ظهر بظهر والموجب للحكم منه تشبيه ظهر محلل بظهر محرم ولهذا اجمع الفقها على ان من قال
لزوجته انت علي كظهر امي او انت عندي وانت مني وانت معي كظهر امي وكذلك انت علي كبطن
امي او كراسها او فرجها ونحوه وكذلك فرجك او راسك او ظهرك او بطنك او رجلك علي كظهر
امي فهو مظاهر مثل قوله يدك او رجلك او راسك او فرجك طالق تطلق عليه ومتى شبهها
بامه او باحدى جداته من قبل ابيه او امه فهو ظهار بلا خلاف وان شبهها بغيرهن من
ذوات المحارم التي لا تحل له بحال كالبنت والاخت والعمة والخالة كان مظاهرا عند اكثر
الفقها والمكاتبة ان تقول انت علي كامي او مثل امي فانه يعتبر فيه النية فان اراد الظهار
كان ظهارا وان لم ينو الظهار لم يكن مظاهرا على خلاف في ذلك فان شبه امراته باجنبية
فان ذكر الظهر كان ظهارا وان لم يذكر الظهر فقيل يكون ظهارا وقيل طلاقا وقال ابو حنيفة
والشافعي لا يكون شيا قيل وهذا فاسد لانه شبه محللا من المراة بمحرم فاشبه الظهر نقله
القرطبي فان قال انت علي حرام كظهر امي كان ظهارا ولم يكن طلاقا لان قوله انت حرام
يحتمل التحريم بالطلاق فيكون طلقة ويحتمل التحريم بالظهار فلما صرح به كان تفسيرا
لاحد الاحتمالين فقضي به فيه **فصل** والظهار لازم في كل زوج مدخول بها وغير
مدخول بها من كل زوج يجوز طلاقه وقال مالك يجوز الظهار من كل من يجوز له وطيها
من امايها اذا ظاهر منهن لزمه الظهار فيهن وقال غيره لا يلزم قال ابن العربي وهذه مسلة
عسرة جدا لان مالكا يقول اذا قال لامته انت علي حرام لا يلزم فكيف يبطل فيها صريح التحريم
وتصح كنايته **فصل** ويلزم الظهار قبل النكاح اذا نكح التي ظاهر منها عند مالك
ولا يلزم عند غيره لقوله تعالى من نسايهم واذا ظاهر الذمي صح ظهاره كما يصح طلاقه وقال
مالك لا يلزم ظهاره لانه لا يصح تكفيره بالصيام وهذا منقوض بظهار العبد وهو لا يكفر
بالعتق والاطعام **فصل** لا يصح ظهار المراة من زوجها وعليها كفارة يمين انما الظهار
على الرجال لان الحل والعقد في النكاح بيد الرجال ليس بيد المراة منه شي وقال الحسن
ابن زياد هي مظاهرة وقال الزهري ارى ان تكفر كفارة الظهار وقال محمد بن الحسن لا شي
عليها **فصل** واذا ظاهر حال غضبه لزمه حكم الظهار للحديث ويصح ظهار السكران
وطلاقه واذا ظاهر من نسايه بكلمة واحدة فكفارة واحدة وان ظاهر منهن بكلمات
فعليه لكل واحدة كفارة واذا قال لاربع نسوة ان تزوجتكن فانتن علي كظهر امي فتزوج
احدهن لم يقربها حتى يكفر ثم قد سقط عنه اليمين في سايرهن وقيل لا يطا البواقي منهن
حتى يكفر فان قال لامراته انت علي كظهر امي وانت طالق البتة لزمه الطلاق والظهار
معا ولم يكفر حتى ينكحها بعد زوج ولا يطاها اذا نكحها حتى يكفر فان قال لها انت طالق
البتة وانت علي كظهر امي لزمه الطلاق ولم يلزمه الظهار لان المبتوتة لا يلحقها طلاق
ولا ظهار ويصح الظهار الموقت كما لو قال انت اليوم علي كظهر امي فانه يصح ويبطل بمضي
اليوم وقال مالك يتابد قوله منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار لانه كان
من ايمان الجاهلية خاصة دون ساير الامم وقوله ما هن امهاتهم اي ما نساوهم بامهاتهم ان
امهاتهم الا اللاي ولدنهم اي الا الوالدات قوله منكرا من القول وزورا نعتان لمصدر
محذوف اي قولا منكرا وزورا اي كذبا وبهتانا قاله مكي وفيه نظر اذ يصير التقدير ليقولون
قولا منكرا من القول فيصير قوله من القول لا فايدة فيه والاولى ان يقال نعتان لمفعول
محذوف لفهم المعنى اي ليقولون شيا منكرا من القول ليفيد الصفة غير ما افاده الموصوف

والمنكر من القول ما لا يعرف في الشرع والزور الكذب وان الله لعفو رحيم غفور اذا جعل
الكفارة عليهم مخلصة لهم من هذا القول المنكر وقيل لعفو غفور اما من قبل التوبة لمن يشا
كما قال تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشا او بعد التوبة فان قيل المظاهر انما قال انت
علي كظهر امي شبه بامه ولم يقل انها امه فما معنى انه جعله منكرا من القول وزورا والزور
الكذب وهذا ليس بكذب فالجواب ان قوله ان كان خبرا فهو كذب وان كان انشا فكذلك لانه
جعله سببا للتحريم والشرع لم يجعله سببا لذلك وايضا فانما وصف بذلك لان الام موبدة
للتحريم والزوجة لا يتابد تحريمها بالظهار وهذا ضعيف لان المشبه لا يلزم ان يساوي
المشبه به من كل وجه فان قيل قوله الا اللاي ولدنهم يقتضي ان لا ام الا الوالدة وهذا
مشكل لقوله تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم وقوله تعالى وازواجه امهاتهم والحمل
على حرمة النكاح لا يفيد اذ لا يلزم من عدم كون الزوجة اما عدم الحرمة وظاهر الاية الاستدلال
بعدم الامومة على عدم الحرمة فالجواب انا نقول هذه الزوجة ليست بام حتى تحصل
الحرمة بسبب الامومة ولم يرد الشرع بجعل هذه اللفظة سببا للحرمة فاذن لا تحصل
الحرمة هناك البتة فكان وصفهم لها بالحرمة كذبا وزورا قوله والذين يظهرون مبتدا
وقوله فتحرير رقبة مبتدا وخبره مقدر اي فعليهم او فاعل بفعل مقدر اي فيلزمهم
تحرير او خبر مبتدا مضمر اي فالواجب عليهم تحرير وعلى التقادير الثلاثة فالجملة خبر
المبتدا ودخلت الفاء لما تضمنه المبتدا من معنى الشرط قوله ثم يعودون لما قالوا في
هذه اللام اوجه احدها انها متعلقة بيعودون وفيه معان احدها والذين من عادتهم
انهم كانوا يقولون هذا القول في الجاهلية ثم يعودون لمثله في الاسلام الثاني ثم
يتداركون ما قالوا لان المتدارك للامر عائد اليه ومنه عاد غيث على ما افسد اي تداركه
بالاصلاح والمعنى ان تدارك هذا القول وتلافيه بان يكفر حتى يرجع حالهما كما كانت قبل
الظهار الثالث ان يراد بما قالوا ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول
منزلة المقول فيه نحو ما ذكر في قوله تعالى ونرثه ما يقول والمعنى ثم يريدون العود
للتماس قاله الزمخشري وهذا الثالث هو معنى ما روي عن مالك والحسن والزهري
ثم يعودون للوطي اي يعودون لما قالوا انهم لا يعودون اليه فاذا ظاهر ثم وطي لزمت
الكفارة عند هولاء الرابع لما قالوا اي يقولونه ثانيا فلو قال انت علي كظهر امي مرة
واحدة لم يلزمه كفارة لانه لم يعد لما قال وهذا منقول عن بكير بن عبد الله الاشج
وابي حنيفة وابي العالية والفرا في اخرين وهو مذهب اهل الظاهر قال ابن العربي
وهذا القول باطل قطعا لان قصص المتظاهرين قد رويت وليس في ذكر الكفارة عليهم
ذكر يعودوا القول منهم والمعنى ايضا ينقضه لان الله تعالى وصفه بانه منكر من القول
وزور فكيف يبالي اذا اعدت القول المحرم والسبب المحظور اوجبت عليه الكفارة وهذا
لا يعقل الا ترى ان كل سبب يوجب الكفارة لا يشترط فيه الاعادة من قتل ووطي في صوم
الخامس ان المعنى ان يعزم على امساكها فلا يطلقها بعد الظهار حتى يمضي زمن يمكن ان
يطلقها فيه فهذا هو العود لما قال وهو مذهب الشافعي ومالك وابي حنيفة ايضا
وقال العود هناك ليس بتكرير القول بل بمعنى العزم على الوطي قال القرطبي وهذا
ينتقض بثلاثة امور احدها انه قال ثم وهي للتراخي الثاني قوله ثم يعودون تقتضي
وجود فعل من جهته ومرور الزمان ليس بفعل منه الثالث ان الطلاق الرجعي لا ينافي
البقا على الملك فلم يسقط حكم الظهار كالايلا وقال مكي واللام متعلقة بيعودون
اي يعودون لوطي المقول فيه الظهار وهن الازواج فما والفعل مصدر اي لمقولهم
والمصدر في موضع المفعول به نحو هذا درهم ضرب الامير اي مضروبه فيصير المعنى
لقولهم للمقول فيه الظهار اي لوطيه وهذا معنى قول الزمخشري في الوجه الثالث الذي
تقدم تقريره عن الحسن والزهري ومالك الا ان مكيا قيد ذلك بكون ما مصدرية حتى
يقع المصدر المول موضع اسم المفعول وفيه نظر اذ يجوز ذلك وان كانت ما مصدرية لكونها
بمعنى الذي او نكرة موصوفة بل جعلها غير مصدرية لكونها بمعنى الذي او نكرة موصوفة

بل

بل جعلها غير مصدرية لكونها بمعنى الذي او نكرة موصوفة بل جعلها غير مصدرية اولى لان
المصدر المول فرع المصدر الصريح اذ الصريح اصل للمول به ووضع المصدر موضع اسم المفعول
خلاف الاصل فيلزم الخروج عن الاصل بشيئين بالمصدر المول ثم وقوعه موقع اسم المفعول خلاف
والمحفوظ من لسانهم انما هو وضع المصدر الصريح موضع المفعول لا المصدر المول فاعرفه لا يقال
ان جعلها غير مصدرية يحوج الى تقدير حذف مضاف ليصح المعنى به اي يعودون لوطي التي ظاهر
منها او امراة ظاهر منها او يعودون لامساكها والاصل عدم الحذف لان هذا مشترك الالزام لنا
ولكم فانكم تقولون ايضا لا بد من تقدير مضاف اي يعودون لوطي او لامساك المقول فيه الظهار
ويدل على جواز كون ما في هذا الوجه غير مصدرية ما اشار اليه ابو البقا فانه قال يتعلق بيعودون
بمعنى يعودون للمقول فيه هذا ان جعلت ما مصدرية ويجوز ان تجعلها بمعنى الذي ونكرة
موصوفة الثاني ان اللام تتعلق بتحرير وفي الكلام تقديم وتاخير والتقدير والذين
يظاهرون من نسايهم فعليهم تحرير رقبة لما نطقوا به من الظهار ثم يعودون للوطي بعد ذلك
وهذا ما نقله مكي وغيره عن الاخفش قال ابو حيان وليس بشي لانه يفسد نظم الاية وفيه نظر
لانا لا نسلم فساد النظم مع دلالة المعنى على التقديم والتاخير ولكن نسلم ان ادعا التقديم والتاخير
لا حاجة اليه لانه خلاف الاصل الثالث ان اللام بمعنى الى واللام والى يتعاقبان قال تعالى هدانا
لهذا وقال واهدوهم الى صراط الجحيم وقال بان ربك اوحى لها وقال واوحي الى نوح قاله الاخفش
الرابع انها بمعنى في نقلهما ابو البقا ومع ذلك فهي متعلقة بيعودون الخامس انها متعلقة بيقولون
قال شهاب الدين ولا ادري ما هذا الذي قاله مكي وكيف فهم تعلقها بيقولون على تفسير قتادة بل
تفسير قتادة نص في تعلقها بيعودون وليس لتعلقها بيقولون وجه ونقل القرطبي عن الفرا
قال اللام بمعنى عن والمعنى ثم يرجعون عما قالوا ويريدون الوطي وقال ابو مسلم العود هو ان يحلف
اولا على ما قال من لفظ الظهار فلو لم يحلف لم يلزمه كفارة كما لو قال في الماكول هو علي حرام كلحم الادمي
فلا كفارة عليه فاذا حلف عليه لزمته كفارة يمين وهذا ضعيف لان الكفارة قد تجب بالجماع في الحج
وفي رمضان وفي قتل الخطا ولا يمين هناك قوله فتحرير رقبة اي فعليه اعتاق رقبة يقال
حررته اي جعلته حرا ثم هذه الرقبة يجب ان تكون كاملة سالمة من كل عيب ومن كمالها اسلامها
كالرقبة في كفارة القتل فاذا اعتق نصفي عبدين لم يجزه وقال الشافعي يجزيه لان النصفين
في معنى العبد الواحد ولان الكفارة بالعتق طريقها المال فجاز ان يدخلها التبعيض كالاطعام ودليل
الاول قوله فتحرير رقبة وهذا الاسم عبارة عن شخص واحد وبعض الرقبة ليس رقبة ولانه
لو اوصى رجل بان يحج عنه حجة لم يجز ان يحج واحد منهما نصفها ولو اوصى ان يشتري رقبة فيعتق عنه
لم يجز ان يعتق عنه نصف عبدين كذا هاهنا وروي عن احمد رضي الله عنه ان كان باقيهما حرا صح واجزا
والا فلا لان المقصود تكميل الحرية وقد كملت ولقوله عليه السلام ليس لله شريك فان اعتق مكاتبا
عن الكفارة لم يجزه وقال ابو حنيفة ان اعتقه قبل ان يودي شيا اجزاه وان اعتقه بعد
ان ادى شيا لم يجزه فان اعتقه ذا رحمه المحرم عن كفارته عتق ولم يجزه عن الكفارة قوله
من قبل ان يتماسا اي من قبل ان يجامعها فلا يجوز للمظاهر الوطي قبل التكفير فان جامعها قبل
التكفير عصى ولا يسقط عنه التكفير وحكي عن مجاهد انه اذا وطي قبل ان يشرع في التكفير
لزمه كفارة اخرى وعن غيره ان الكفارة الواجبة بالظهار تسقط عنه ولا يلزمه شي اصلا لان
الله تعالى اوجب الكفارة وامر بها قبل المسيس فاذا اخرها حتى مس فقد فات وقتها والصحيح
ثبوت الكفارة لانه بوطيه ارتكب اثما وذلك ليس بمسقط للكفارة ويأتي بها قضا كما لو اخر
الصلاة عن وقتها وسوا كانت الكفارة بالعتق او الصوم او الاطعام وقال ابو حنيفة رضي
الله عنه ان كانت بالاطعام جاز ان يطا ثم يطعم فاما غير الوطي من القبلة والمباشرة
والتلذذ فلا يحرم في قول اكثر العلما **فصل** اذا ظاهر مرارا من امراته ولم يكفر فكفارة
واحدة الا ان يكون قد كفر عن الاول فعليه للثاني كفارة قال وينبغي للمراة ان لا تدعه
يقربها حتى يكفر يومها فان تهاون بالتكفير حال الامام بينه وبينها ويجبره على التكفير وان
كان بالضرب حتى يوفيها حقها من الجماع قال الفقها ولا شي من الكفارة يجبر عليه ويحبس الا
كفارة الظهار وحدها لان ترك التكفير اضرار بالمراة وامتناع من ايفا حقها قوله تعالى

ذلكم توعظون به اي تؤمرون به والله بما تعملون خبير من التكفير وغيره قوله تعالى
فمن لم يجد فصيام وقوله تعالى فاطعام كقوله فتحرير في الاوجه الثلاثة المتقدمة
ومن قبل متعلق بالفعل او الاستقرار المتقدم اي فيلزمه تحرير او صيام او فعلية كذا من
قبل ان يتماسا والضمير في يتماسا للمظاهر والمظاهر منها لدلالة ما تقدم عليهما **فصل**
من لم يجد الرقبة ولا ثمنها او كان مالكا لها الا انه شديد الحاجة اليها لخدمته او كان مالكا
لثمنها الا انه يحتاج اليه لنفقته او كان له مسكن ليس له غيره ولا يجد شيئا سواه فله ان يصوم
وقال ابو حنيفة رضي الله عنه لا يصوم وعليه العتق ولو كان محتاجا الى ذلك والصيام
الواجب في هذه الكفارة ان يصوم شهرين متتابعين فان افطر في اثنائهما بغير عذر
استانفهما وان افطر لعذر من سفر او مرض فقال ابن المسيب والحسن وعطاء بن ابي رباح
وعمرو بن دينار والشعبي يبني على ما مضى وهو الصحيح من مذهب الشافعي فان ابتدا
الصيام ثم وجد الرقبة لم يلزمه الانتقال عنه لانه امر به حين دخل فيه وقال ابو حنيفة
رضي الله عنه يعتق قياسا على الصغيرة المعتدة بالشهور اذا رات الدم قبل انقضائها
فانها تستانف الحيض اجماعا فان وطي المظاهر في خلال الشهرين نهارا بطل التتابع وان
وطي ليلا لم يبطل لانه ليس محلا للصوم وقال ابو حنيفة رضي الله عنه ومالك يبطل بكل
حال ويجب عليه ابتداء الكفارة لقوله تعالى من قبل ان يتماسا وهذا شرط عائد الى
جملة الشهرين ومن طال مرضه طولا لا يرجى برؤه واشتدت حاجته الى وطي امراته
فالاختيار وكان بمنزلة العاجز من كبر فيجوز له العدول عن الصيام الى الاطعام فان
كان يرجى برؤه واشتدت حاجته الى وطي امراته فالاختيار له ان ينتظر البرء حتى يقدر
على الصيام فلو كفر بالاطعام ولم ينتظر القدرة على الصيام اجزاه فان ظاهر وهو
موسر ثم اعسر قبل ان يكفر صام وانما ينتظر الى حال يوم يكفر ولو جامعها في عدمه وعسره
فلم يكفر حتى ايسر لزمه العتق ولو ابتدا بالصوم ثم ايسر قال القرطبي رحمه الله فان
كان مضى من صومه صدر صالح كالجمعة وشبهها تمادى وان كان يوما او يومين ترك
الصوم وعاد الى العتق وليس ذلك بواجب عليه ولو ظاهر من امراتين له فاعتق رقبة
عن احديهما لا بعينها لم يجز له وطي واحدة منهما حتى يكفر الكفارة الاخرى ولو عين الكفارة
عن احديهما جاز له ان يطاها قبل ان يكفر الكفارة عن الاخرى قال القرطبي ولو ظاهر
من اربع نسوة فاعتق عنهن ثلاث رقاب وصام شهرين لم يجزه العتق ولا الصيام
لانه انما صام عن كل واحدة خمسة عشر يوما فان كفر عنهن بالاطعام جاز ان يطعم عنهن
مائتي مسكين وان لم يقدر فرق بخلاف العتق والصيام لان صيام الشهرين لا يفرق
والاطعام يفرق قوله تعالى فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا فصيام وفاطعام
كقوله تعالى فتحرير في الاوجه الثلاثة المتقدمة ومن قبل متعلق بالفعل او الاستقرار
المتقدم اي فيلزمه تحرير او صيام او فعلية كذا من قبل ان يتماسا والضمير في يتماسا للمظاهر
والمظاهر منها لدلالة ما تقدم **فصل** اعلم ان الله تعالى امر بكفارة الظهار
مرتبة فلا سبيل الى الصيام الا عند العجز عن الاعتاق وكذلك لا سبيل الى الاطعام الا
عند عدم الاستطاعة على الصيام فمن لم يطق الصيام وجب عليه اطعام ستين مسكينا
لكل مسكين مد من طعام بمد النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عبد البر والافضل مدان
بمد النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجزي عند مالك والشافعي رضي الله عنهما ان يطعم
اقل من ستين مسكينا وقال ابو حنيفة رضي الله عنه لو اطعم مسكينا واحدا كل يوم
نصف صاع حتى يكمل العدد اجزاه وعن احمد رضي الله عنه اذا لم يجد الا مسكينا واحدا
رده عليه بعدد الايام **فصل** حكم الظاهر ناسخ لما كانوا عليه من كون الظهار
طلاقا وروي ذلك عن ابن عباس وابي قلابة وغيرهما قوله تعالى ذلك لتؤمنوا
قال الزجاج وذلك فيه وجهان الاول انه في محل رفع اي الغرض الذي ذلك وصفنا
من التغليظ في الكفارة لتؤمنوا اي لتصدقوا ان الله امر به الثاني فعلنا ذلك للبيان
والتعليم للاحكام لتصدقوا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم والعمل بشرائعه ولا تستمروا على

احكام الجاهلية من جعل الظهار اقوى انواع الطلاق **فصل** استدل بعض العلماء على ان
هذه الكفارة ايمان بالله تعالى لانه لما ذكرها واوجبها قال جل ذكره لتؤمنوا بالله ورسوله
اي ذلك لتكونوا مطيعين لله تعالى واقفين عند حدوده لا تتعدوها فسمى التكفير ايمانا لانه
طاعة ومراعاة للحد فثبت ان كل ما اشبهه فهو ايمان **فصل** معنى قوله تعالى ذلك لتؤمنوا
بالله ورسوله اي لئلا تعودوا للظهار الذي هو منكر من القول وزور قيل له قد يجوز ان يكون
كلاهما مقصودا فيكون المعنى ذلك لئلا تعودوا فتقولوا المنكر والزور بل لتدعوهما طاعة لله سبحانه
وتعالى اذ كان قد حرمهما ولتجتنبوا المظاهر منها الى ان تكفروا اذ كان الله تعالى منع من مسيسها
وتكفروا اذ كان الله عز وجل امر بالكفارة والزموا اجها منكم فتكونوا بهذا كله مؤمنين بالله
ورسوله صلى الله عليه وسلم لانها حدود تحفظونها وطاعات تؤدونها والطاعة لله تعالى ولرسوله
صلى الله عليه وسلم ايمان بالله ورسوله **فصل** قال ابن الخطيب استدل من ادخل العمل في
مسمى الايمان بهذه الاية فقال ان الله تعالى امرهم بهذه الاعمال وبين انه انما امرهم بها ليصيروا
بعملها مؤمنين فدل على ان العمل من الايمان ومن انكر ذلك قال انه تعالى لم يقل ذلك لتؤمنوا
بالله بعمل هذه الاشياء ونحن نقول المعنى ذلك لتؤمنوا بالله والاقرار بهذه الاحكام **فصل**
استدلت المعتزلة باللام في قوله تعالى لتؤمنوا على ان فعل الله معلل بالغرض وعلى ان غرضه
ان يؤمنوا ولا يستمروا على ما كانوا عليه من الكفر وهذا يدل على انه تعالى اراد منهم الايمان وعدم
الكفر قوله تعالى وتلك حدود الله اي بين معصيته وطاعته الكفارة وللكافرين عذاب
اليم اي لمن جحد هذا وكذب به ولم يصدق باحكام الله تعالى عذاب جهنم قوله تعالى ان
الذين يحادون الله ورسوله قال المبرد اصل المحادة الممانعة ومنه يقال للبواب حداد وللممنوع
الرزق محدود وقال ابو مسلم الاصفهاني المحادة مفاعلة من لفظ الحديد والمراد المقاتلة
بالحديد سواء كان ذلك في الحقيقة او كان ذلك منازعة شديدة شبيهة بالخصومة بالحديد فصار
لما ذكر المؤمنين الواقفين عند حدوده ذكر المحادين المخالفين لها قال المفسرون المحادة المعاداة
والمخالفة في الحدود وهو كقوله تعالى ان الذين يشاقون الله ورسوله وقيل يحادون الله اي
اولياء الله كما في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة قال الزجاج المحاداة ان يكون
في حد يخالف حد صاحبه والضمير في قوله يحادون يمكن ان يرجع الى المنافقين فانهم كانوا يوادون
الكافرين ويظاهرونهم على الرسول صلى الله عليه وسلم فاذلهم الله سبحانه ويحتمل ان يرجع لجميع
الكفار فاعلم الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم انهم كبتوا اي خذلوا قال المبرد رحمه الله
يقال كبت الله فلانا اي اذله والمردود بالذل يقال له مكبوت وقال ابو عبيدة والاخفش
اهلكوا وقال قتادة اخزوا كما اخزي الذين من قبلهم وقال ابن زيد عذبوا وقال السدي
لعنوا وقال الفراء غيظوا يوم الخندق وقيل يوم بدر وقيل معنى كبتوا اي سيكبتون وهو بشارة
من الله تعالى للمؤمنين بالنصر واخرج الكلام بلفظ الماضي تقريبا للمخبر عنه وقيل هي
لغة مذحج ويحتمل ان يكون لتحقق وقوعه والمراد بالذين من قبلهم اعداء الرسل صلوات الله
عليهم وقد انزلنا ايات بينات فيمن حاد الله ورسوله من الذين من قبلهم فيما فعلنا بهم
وللكافرين بهذه الايات عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم فبين تعالى ان عذاب المحادين
في الدنيا الذل والهوان وفي الاخرة العذاب الشديد قوله تعالى يوم يبعثهم الله فيه
اوجه احدها انه منصوب بعذاب مهين الثاني انه منصوب بفعل مقدر فقدره ابو البقاء يهانون
او يعذبون او استقر ذلك يوم يبعثهم وقدره الزمخشري باذكر قال تعظيما لليوم الثالث
انه منصوب بلهم قاله الزمخشري اي بالاستقرار الذي تضمنه لوقوعه خبرا الرابع انه منصوب
باحصاه قاله ابو البقاء وفيه قلق لان الضمير في احصاه يعود على ما عملوا قوله تعالى جميعا
اي الرجال والنساء اي كلهم لا يترك منهم احدا وقيل مجتمعين في حال واحدة فينبئهم اي يخبرهم
بما عملوا في الدنيا تخجيلا لهم وتوبيخا احصاه الله عليهم في صحائفهم مما لم ونسوه حتى ذكرهم به في
صحائفهم ليكون ابلغ في الحجة عليهم والله على كل شيء شهيد اي شاهد ومطلع وناظر لا يخفى عليه
شيء ثم انه تعالى اكد بيان كونه عالما بكل المعلومات فقال جل ذكره الم تر ان الله يعلم ما في
السموات وما في الارض فلا يخفى عليه سر ولا علانية قوله تعالى ما يكون من نجوى

يكون نامدة من نجوى فاعلها ومن مزيدة فيه ونجوى في الاصل مصدر فيجوز ان يكون باقيا
على اصله ويكون مضافا الى الفاعل اي ما يوجد من تناجي ثلثة ويجوز ان يكون على حذف اي من
ذوي نجوى ويجوز ان يكون اطلق على الاشخاص المتناجين مبالغة فعلى هذين الوجهين
يخفض ثلثة على احد وجهين اما البدل من ذوي المحذوفة واما الوصف لها على التقدير
الثاني واما البدل او الصفة لنجوى على التقدير الثالث وقرا ابن ابي عبلة ثلثة وخمسة
نصبا على الحال وفي صاحبها وجهان احدهما انه محذوف مع رافعه تقديره يتناجون
ثلثة وحذف لدلالة نجوى والثاني انه الضمير المستكن في نجوى اذا جعلناها بمعنى
المتناجين قاله الزمخشري رحمه الله قال مكي ويجوز في الكلام رفع ثلثة على البدل
وفي موضع نجوى لان موضعها رفع ومن زايدة ولو نصبت ثلثة على الحال من الضمير
المرفوع اذا جعلت نجوى بمعنى المتناجين جاز في الكلام قال شهاب الدين فلم يقرا به فيما
علمت وهو جايز في غير القران كما قال واما النصب فقد قري به وكانه لم يطلع عليه
قوله تعالى الا هو رابعهم الا هو سادسهم الا هو معهم كل هذه الجملة بعد الا في موضع نصب
على الحال اي ما يوجد شي من هذه الاشيا الا في حال من هذه الاحوال فالاستثنا مفرغ
من الاحوال العامة وقرا ابو جعفر ما تكون بتا التانيث لتانيث النجوى قال ابو
الفضل الا ان الاكثر في هذا الباب التذكير على ما في العامة لانه مسند الى من نجوى وهو
اسم جنس مذكر قال ابن جني التذكير الذي عليه العامة هو الوجه لوقوع الفاصل
بين الفعل والفاعل وهو كلمة من ولان تانيث النجوى غير حقيقي قوله تعالى ولا اكثر
العامة على الجر عطفا على لفظ نجوى وقرا الحسن والاعمش وابن اسحاق وابو حيوة
ويعقوب ولا اكثر بالرفع وفيه وجهان احدهما انه معطوف على موضع نجوى لانه مرفوع
ومن مزيدة فيه فان كان مصدرا كان على حذف مضاف كما تقدم اي من ذوي نجوى
وان كان بمعنى المتناجين فلا حاجة الى ذلك الثاني ان يكون ادنى مبتدا والا هو معهم
خبره فيكون ولا اكثر عطفا على المبتدا وحينئذ يكون ولا ادنى من باب عطف الجمل لا
المفردات وقرا الحسن ويعقوب ايضا ومجاهد والخليل ولا اكبر بالبا الموحدة والرفع
على ما تقدم وزيد بن علي ينبيهم بسكون النون من انبا الا انه حذف الهمزة وكسر الها
وقري كذلك الا انه باثبات الهمزة وضم الها والعامة بالتشديد من نبا

فصل

النجوى التناجي وهو السرار وهو مصدر يوصف به يقال قوم نجوى اي ذو نجوى
قال تعالى واذ هم نجوى قال الزجاج النجوى مشتقة من النجوة وهي ما ارتفع
وتنحا بالكلام المذكور من المناجي عن استماع الغير كالارض المرتفعة فانها لارتفاعها
خلت عن اتصال الغير والسرار ما كان بين اثنين قوله تعالى الا هو رابعهم اي يعلم
ويسمع نجواهم بدليل افتتاح الاية بالعلم فان قيل ما الحكمة في ذكره سبحانه وتعالى الثلاثة
والخمسة واهمل ذكر الاربعة فالجواب من وجوه الاول ان ذلك اشارة الى كمال الرحمة
لان الثلثة اذا اجتمعوا فاذا تناجى اثنان منهم بقي الواحد ضايعا وحيدا فيضيق
عليه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث
الا باذنه فان ذلك يحزنه فكانه تعالى يقول انا جليسك وانيسك وكذا الخمسة اذا اجتمعوا
بقي الخامس وحيدا فريدا الثاني ان العدد الفرد اشرف من الزوج لان الله تبارك وتعالى
وتر يحب الوتر فخص اعداد الفرد بالذكر تنبيها على انه لا بد من رعاية الامور الالهية في جميع
الامور الثالث ان اقل ما لا بد منه في المسارة التي تكون الغرض منها تمهيد مصلحة ثلثة
حتى يكون الاثنان كالمتنازعين في النفي والاثبات والثالث كالحاكم بينهما فحينئذ تكمل
المشورة ويتم ذلك الغرض فلهذا السبب لا بد وان يكون ارباب المشورة عددهم فردا فذكر
الله تعالى الفردين الاولين واكتفى بذكرهما تنبيها على الباقي الرابع ان الاية نزلت في
قوم من المنافقين اجتمعوا على التناجي وكانوا على هذين العددين وقال ابن عباس
رضي الله عنه نزلت هذه الاية في ربيعة وحبيب بن ابي عمرو وصفوان بن امية كانوا
يتحدثون فقال احدهم هل يعلم الله تعالى ما نقول وقال الثاني يعلم البعض لا الخامس

انه في مصحف عبد الله بن عمر ما يكون من نجوى ثلاثة الا الله رابعهم ولا اربعة الا الله
خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا الله معهم اذا اخذوا في التناجي
قوله تعالى ثم ينبيهم بما عملوا يوم القيمة اي يحاسب على ذلك ويجازي عليه ان الله
بكل شي عليم وهذا تحذير من المعاصي وترغيب في الطاعات قوله تعالى الم تر الى
الذين نهوا عن النجوى الاية قيل هم اليهود وقيل هم المنافقون وقيل فريق من
الكفار وقيل فريق من المسلمين لما روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال كنا ذات
ليلة نتحدث اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه النجوى فقلنا
اتينا الى الله يا رسول الله صلى الله عليك وسلم انا كنا في ذكر المسيح يعني الدجال فرقا
منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بما هو اخوف عندي منه قلنا بلى
يا رسول الله صلى الله عليك وسلم قال الشرك الخفي ان يقوم الرجل يعمل لمكان رجل ذكره
الماوردي وقال ابن عباس نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون
المومنين ويتغامزون باعينهم فيقول المومنون لعلهم بلغهم عن اخواننا وقرابتنا من
المهاجرين والانصار قتل او هزيمة ويسوءهم ذلك وكثرت شكواهم الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا فنزلت الاية وقال مقاتل كان بين النبي صلى الله
عليه وسلم وبين اليهود موادعة فاذا مر بهم رجل من المومنين تناجوا بينهم حتى يظن المومن
شرا فيعرج عن طريقه فنهاهم الله سبحانه فلم ينتهوا فنزلت وقال عبد الرحمن بن زيد
ابن اسلم كان الرجل ياتي النبي صلى الله عليه وسلم فيساله الحاجة ويناجيه والارض يومئذ
حرب فيتوهمون انه يناجيه في حرب او بلية او امر مهم فيفزعون لذلك فنزلت قال ابن
الخطيب رحمه الله والاولى ان تكون نزلت في اليهود لانه عز وجل حكى عنهم فقال واذا
جاوك حيوك بما لم يحيك به الله وهذا انما وقع من اليهود كانوا اذا اسلموا على الرسول
صلى الله عليه وسلم قالوا السام عليك يعنون الموت قوله تعالى ثم يعودون لما نهوا
عنه اي يرجعون الى المناجاة التي نهوا عنها قوله تعالى ويتناجون قرا حمزة وينتجون
بغير الف من الانتجاء النجوى على وزن يفتعلون والباقون ويتناجون من التناجي
من النجوى ايضا قال ابو علي والافتعال والتفاعل يجريان مجرى واحدا ومن ثم صححوا
ازدوجوا واعتوروا لما كانا في معنى تجاوروا وتعاوروا وجا حتى اذا اداركوا وادركوا قال
شهاب الدين ويويد قراءة العامة الاجماع على تناجيتم وفلا تتناجوا وتناجوا فهذه من
التفاعل لا غير الا ما روي عن عبد الله انه قرا اذا انتجيتم فلا تنتجوا ونقل ابو حيان عن
الكوفيين والاعمش فلا تنتجوا كقراءة عبد الله واصل ينتجون يتنجيون وتناجون فاستثقلت
الضمة على اليا فحذفت فالتقى ساكنان فحذفت لالتقايهما او تقول تحرك حرف العلة
وانفتح ما قبله فقلبت الفا فالتقى ساكنان فحذف اولهما وبقيت الفتحة دالة على الالف
قوله تعالى بالاثم والعدوان قرا ابو حيوة بالعدوان بكسر العين والمراد بالاثم والعدوان
الكذب والظلم ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم مخالفته وقرا الضحاك ومعصيات الرسول
صلى الله عليه وسلم قوله تعالى واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به الله قال القرطبي لا خلاف
بين اهل النقل ان المراد به اليهود وكانوا اذا اسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا
السام عليك يعنون الموت كما روت عايشة رضي الله عنها ان اليهود اتوا النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا السام عليك قال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم فقالت عايشة رضي الله عنها
السام عليكم ولعنة الله وغضبه عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عايشة
عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت اولم تسمع ما قالوا يا رسول الله قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب في فيهم ولا يستجاب لهم
في وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا عليك ما قلت
فانزل الله تعالى واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به الله روي انس رضي الله عنه قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم بالواو فقال بعض العلما
رضي الله عنهم ان الواو العاطفة يقتضي التشريك فيلزم منه ان يدخل معهم فيما دعوا به علينا

من الموت او من سآمة دينا وهو الملال يقال سئم يسأم سآمة وسآما وقال بعضهم الواو زائدة كما زيدت في قول الشاعر ● فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى ●
اي لما اجزنا انتحى فزاد الواو وقال آخرون هي للاستئناف كانه قال والسام عليكم وقال آخرون هي على بابها من العطف ولا يضرنا ذلك لانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا كما تقدم في قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها **فصل** اختلفوا في رد السلام على اهل الذمة فقال ابن عباس والشعبي وقتادة هو واجب لظاهر الامر بذلك وقال مالك رضي الله عنه ليس بواجب فان رددت فقل عليك وقال بعضهم يقول في الرد علاك السلام اي ارتفع عنك وقال بعض المالكية يقول في الرد السلام عليك بكسر السين يعني الحجارة قوله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله هذه الجملة التحضيضية في موضع نصب بالقول ومعنى الاية ان اليهود لعنهم الله لما كانوا يقولون السام عليك ويوهمون انهم يسلمون وكان صلى الله عليه وسلم يرد عليهم بقوله عليكم فاذا خرجوا قالوا لولا يعذبنا الله بما نقول وقيل قالوا انه يرد علينا ويقول وعليكم السام فلو كان نبيا لاستجيب له فينا ومتنا وهذا موضع تعجب منهم فانهم كانوا اهل الكتاب وكانوا يعلمون ان الانبياء صلوات الله عليهم قد يغضبون فلا يعاجل من يغضبهم بالعذاب قوله تعالى حسبهم جهنم اي كافيهم جهنم عقابا وعذابا يصلونها فبئس المصير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان اي كفعل المنافقين واليهود وقال مقاتل اراد بقوله امنوا المنافقين امنوا بلسانهم وقال عطاء يريد الذين امنوا بزعمهم قال لهم لا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل يا ايها الذين امنوا بموسى صلوات الله عليه قوله تعالى وتناجوا بالبر والتقوى المراد بالبر الطاعة وبالتقوى العفاف عما نهى الله عنه واتقوا الله الذي اليه تحشرون اي تجمعون في الاخرة قوله تعالى انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا تقدم قرأنا ليحزن بالضم والفتح في آل عمران وقرئ بفتح الياء والزاي على انه مسند الى الموصول بعده فيكون فاعلا **فصل** قال ابن الخطيب الالف واللام في لفظ النجوى لا يمكن ان يكون للاستغراق لان في النجوى ما يكون من الله ولله بل المراد منه المعهود السابق وهو النجوى بالاثم ليحزن المؤمنين اذا رأوهم متناجين قال المفسرون معنى قوله تعالى انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا اذا توهموا ان المسلمين اصيبوا في السرايا واذا رأوا اجتماعهم على مكايد المسلمين وربما كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم فيظن المسلمون انهم ينتقصونهم عند النبي صلى الله عليه وسلم وليس بضارهم اي التناجي شيئا الا باذن الله اي بمشيئته وقيل بعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنه بامره وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي يكلون امرهم اليه ويفوضون جميع شؤونهم الى عونه **فصل** روى ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الواحد وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الاخر حتى يختلطوا بالناس من اجل ان يحزنه فبين في هذا الحديث غاية المنع وهو ان يجد الثالث من يتحدث معه كما فعل ابن عمر وذلك انه كان يتحدث مع رجل فجاء آخر يريد ان يناجيه فلم يناجيه حتى دعا رابعا فقال له وللاول تأخرا وناجا الرجل الطالب للمناجاة خرجه في الموطأ ونبه فيه على العلة بقوله من اجل ان يحزنه اي يقع في نفسه ما يحزن لاجله وذلك بان يقدر في نفسه ان الحديث عنه بما يكره او انه لم يروه اهلا بان يشركوه في حديثهم الى غير ذلك من القاء الشيطان واحاديث النفس ويحصل ذلك كله من بقائه وحده فاذا كان معه غيره امن ذلك وعلى هذا يستوي في ذلك كل الاعداد فلا يتناجى اربعة دون واحد ولا عشرة ولا الف مثلا لوجود ذلك المعنى في حقه بل وجوده في العدد الكثير امكن واوقع فيكون بالمنع اولى وانما خص الثلاثة بالذكر لانه اول عدد يتأتى ذلك فيه قال القرطبي وظاهر الحديث يعم جميع الازمان والاحوال وذهب اليه ابن عمر ومالك والجمهور وسواء كان التناجي في مندوب او مباح او واجب فان الحزن به وقد ذهب بعض الناس الى ان ذلك في اول الاسلام لان

ذلك

ذلك كان حال المنافقين فيتناجى المنافقون دون المؤمنين فلما فشى الاسلام سقط ذلك وقال بعضهم ذلك خاص بالسفر وفي المواضع التي لا يامن الرجل فيها صاحبه فاما في الحضر وبين العمارة فلا لانه يجد من يغيثه بخلاف السفر فانه مظنة الاغتيال وعدم المغوث والله اعلم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس الاية وجه التعلق لما نهى المؤمنين عما يكون سببا للتباغض والتنافر امرهم الان بما يصير سببا لزيادة المحبة والمودة وقال القرطبي لما بين ان اليهود يحيونه بما لم يحيه به الله وذمهم على ذلك وصل به الامر بتحسين الادب في مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يضيقوا عليه المجلس وامر المسلمين بالتعاطف والتآلف حتى يفسح بعضهم لبعض حتى يتمكنوا من الاستماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم والنظر اليه **فصل** قال قتادة ومجاهد والضحاك رضي الله عنهم كانوا يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يفسح بعضهم لبعض وقال ابن عباس المراد بذلك مجالس القتال اذا اصطفوا للحرب قال الحسن ويزيد بن ابي حبيب كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتل المشركين تشاح اصحابه رضي الله عنهم على الصف الاول فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة في القتال والشهادة فنزلت فيكون كقوله تعالى مقاعد للقتال وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم في الصفة وكان في المكان ضيق وكان يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس من اهل بدر وقد سبقوا الى المجلس فقاموا قبالة النبي صلى الله عليه وسلم على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير اهل بدر قم يا فلان بعدد القائمين من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فقال المنافقون والله ما عدل على هؤلاء ان قوما اخذوا مجالسهم واحبوا القرب منه فاقامهم واجلس من ابطأ فنزلت الاية يوم الجمعة وروي عن ابن عباس قال نزلت الاية في ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه دخل المسجد وقد اخذ القوم مجالسهم وكان يريد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للوقر الذي كان في اذنيه فوسعوا له حتى قرب من النبي صلى الله عليه وسلم ثم ضايقه بعضهم وجرى بينهم وبينه كلام ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم محبته للقرب منه ليسمع كلامه وان فلانا لم يفسح له فنزلت هذه الاية قوله تفسحوا في المجلس قرأ الحسن وداود بن ابي هند وعيسى وقتادة تفاسحوا والباقون تفسحوا اي توسعوا والفسحة السعة وفسح له اي وسع له ومنه قولهم بلد فسيح ولك في كذا فسحة وفسح يفسح مثل منع يمنع اي وسع في المجلس وفسح يفسح فساحة مثل كرم يكرم اي صار واسعا ومنه مكان فسيح وقرأ عاصم في المجالس جمعا اعتبارا بان لكل واحد منهم مجلسا والباقون بالافراد اذ المراد مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وهو احسن من كونه واحدا اريد به الجمع وقرئ في المجلس بفتح اللام وهو المصدر اي تفسحوا في جلوسكم ولا تتضايقوا **فصل** قال القرطبي الصحيح في الاية انها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير والاجر سواء كان مجلس حرب او ذكر او مجلس يوم الجمعة وان كل واحد احق بمكانه ولكن يوسع لاخيه ما لم يتأذ بذلك فيخرجه الضيق من موضعه روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى ان يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر يكره ان يقيم الرجل من مجلسه ثم يجلس مكانه وروى ابو هريرة عن جابر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا **فصل** اذا قام من مكانه فقعد فيه غيره نظرنا فان كان الموضع الذي قام اليه مثل الاول في سماع كلام الامام لم يكره له ذلك وان كان ابعد من الامام كره له ذلك لان فيه تفويت حظه **فصل** اذا امر رجل انسانا ان يبكر الى الجامع فيأخذ له مكانا يقعد فيه لا يكره فاذا جاء الامر يقوم من الموضع لان ابن سيرين كان يرسل غلامه الى يوم له في يوم الجمعة فيجلس فيه فاذا جاء قام له منه وعلى هذا من ارسل بساطا او سجادة فيبسط له في موضع من المسجد وروى مسلم عن ابي

هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قام احدكم وفي حديث ابي عوانة من قام
من مجلسه ثم رجع اليه فهو احق به ذكره القرطبي في تفسيره قوله تعالى يفسح الله لكم
قال ابن الخطيب هذا مطلق فيما يطلب الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر
والقبر والجنة قال ولا ينبغي للعاقل ان يقيد الاية بالتفسح في المجلس بل المراد منه
ايصال الخير الى المسلم وادخال السرور في قلبه قوله تعالى واذا قيل انشزوا فانشزوا
قرا نافع وابن عامر وحفص وابو بكر بخلاف عنه بضم شين انشزوا في الحرفين والباقون
بكسرها وهما لغتان بمعنى واحد يقال نشز اي ارتفع ينشز وينشز كعرش يعرش ويعرش
وعكف يعكف ويعكف وتقدم الكلام على هذه في المائدة وفي البقرة **فصل** قال
ابن عباس معناه اذا قيل لكم ارتفعوا فارتفعوا قال مجاهد والضحاك اذا نودي للصلاة
فقوموا اليها وذلك ان رجالا تثاقلوا عن الصلاة فنزلت وقال الحسن ومجاهد ايضا
اي انهضوا الى الحرب وقال ابن زيد والزجاج هذا في بيت النبي صلى الله عليه وسلم
كان رجل منهم يحب ان يكون اخر عهده بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى
واذا قيل انشزوا عن النبي صلى الله عليه وسلم فانشزوا فان له حوائج فلا تمكثوا وقال قتادة
معناه اجيبوا اذا دعيتم الى امر بالمعروف قال القرطبي وهذا هو الصحيح لانه يعم والنشز
والارتفاع ماخوذ من نشز الارض وهو ارتفاعها قوله تعالى يرفع الله الذين امنوا
منكم بطاعتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم وقيامهم في مجالسهم وتوسعهم لاخوانهم وقوله
تعالى والذين اوتوا العلم يجوز ان يكون معطوفا على الذين امنوا فهو من عطف الخاص
على العام لان الذين اوتوا العلم بعض المومنين منهم ويجوز ان يكون والذين اوتوا العلم
بعض من عطف الصفات اي تكون الصفتان لذات واحدة كانه قيل يرفع الله المومنين
العلماء ودرجات مفعول ثان وقد تقدم الكلام على نحو ذلك في الانعام وقال ابن عباس
رضي الله عنه تم الكلام عند قوله تعالى منكم وينتصب الذين اوتوا العلم بفعل مضمر اي ويخص
الذين اوتوا العلم بدرجات او ويرفع درجات **فصل** قال المفسرون في هذه الاية
ان الله تعالى رفع المومن على من ليس بمومن والعالم على من ليس بعالم قال ابن مسعود
رضي الله عنه مدح الله العلماء في هذه الاية والمعنى ان الله تعالى يرفع الذين اوتوا العلم
على الذين امنوا ولم يوتوا العلم درجات في دينهم اذا فعلوا ما امروا به وقيل كان اهل الغنى
يكرهون ان يزاحمهم من يلبس الصوف فيسبقون الى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فالخطاب
لهم وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الاغنياء يقبض ثوبه نفورا من بعض
الفقراء اراد ان يجلس اليه فقال يا فلان اخشيت ان يتعدى غناك اليه او فقره اليك وبين
في هذه الاية ان الرفعة عند الله تعالى بالعلم والايمان لا بالسبق الى صدور المجالس وقيل
اراد بالذين اوتوا العلم الذين قرءوا القران وروى يحيى بن يحيى عن مالك رضي الله عنه يرفع
الله الذين امنوا منكم الصحابة والذين اوتوا العلم درجات يرفع الله تعالى بها العالم والطالب
قال القرطبي ثبت في الصحيح ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقدم عبد الله بن عباس
على الصحابة فكلموه في ذلك فدعاهم ودعاه فسالهم عن تفسير اذا جاء نصر الله والفتح فسكتوا
فقال ابن عباس هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه الله اياه فقال عمر ما اعلم منها
الا ما تعلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل
درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم
على العابد كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمنزلة هي واسطة بين النبوة
والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس خير سليمان صلوات
الله عليه بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه ومر النبي
صلى الله عليه وسلم بمجلسين في مسجده احد المجلسين يدعون الله ويرغبون اليه والاخر
يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين على خير
واحدهما افضل من صاحبه اما هولاء فيدعون الله عز وجل ويرغبون اليه واما هولاء

يتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهولاء افضل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة الاية قال
ابن عباس رضي الله عنه في سبب النزول ان المسلمين كانوا يكثرون المسايل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فانزل الله تعالى هذه الاية فكف كثير من
الناس وقال الحسن ان قوما من المسلمين كانوا يستخلون بالنبي صلى الله عليه وسلم
يناجونه فظن بهم قوم من المسلمين انهم ينتقصونهم في النجوى فشق عليهم ذلك فامرهم
الله تعالى بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن استخلائه وقال زيد بن اسلم ان المنافقين
واليهود كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون انه اذن يسمع كلما قيل له وكان
لا يمنع احدا مناجاته فكان ذلك يشق على المسلمين لان الشيطان كان يلقي في انفسهم انهم
يناجونه بان جموعا اجتمعت لقتاله فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا
تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول الاية فانتهى اهل الباطل عن النجوى لانه
لم يقدموا بين يدي نجواهم صدقة وشق ذلك على اهل الايمان وامتنعوا من النجوى
لضعف مقدرة كثير منهم عن الصدقة فخفف الله تعالى عنهم بما بعد الاية قال ابن
العربي وهذا الخبر يدل على ان الاحكام لا تترتب بحسب المصالح فان الله تعالى قال ذلكم
خير لكم واطهر ثم نسخه مع كونه خيرا واطهر وهذا يرد على المعتزلة في التزام المصالح **فصل**
ظاهر الاية يدل على ان تقديم الصدقة كان واجبا لان الامر للوجوب ويوكد ذلك قوله
تعالى بعده فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم وذلك لا يقال الا فيما بفقده يزول وجوبه
وقيل كان مندوبا لقوله تعالى ذلكم خير لكم واطهر وهذا انما يستعمل في التطوع لا في الواجب
ولانه لو كان واجبا لما زال وجوبه بكلام متصل به وهو قوله تعالى ااشفقتم ان تقدموا
الى اخر الاية واجيب عن الاول ان المندوب كما يوصف بانه خير واطهر فكذلك ايضا يوصف
به الواجب وعن الثاني انه لا يلزم من اتصال الايتين في التلاوة كونهما متصلين في
النزول كما قيل في الاية الدالة على وجوب الاعتداد اربعة اشهر وعشرا انها ناسخة للاعتداد
بحول وان كان الناسخ متقدما في التلاوة على المنسوخ **فصل** اختلفوا في مقدار
تاخر الناسخ عن المنسوخ في هذه الاية فقال الكلبي رحمه الله ما بقي ذلك التكليف الا
ساعة من النهار ثم نسخ وقال مقاتل وابن حبان بقي ذلك التكليف عشرة ايام ثم نسخ لما
روي عن علي رضي الله عنه انه قال ان في كتاب الله لاية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد
بعدي كان لي دينار فاشتريت عشرة دراهم فكلما ناجيت النبي صلى الله عليه وسلم قدمت بين
يدي نجواي درهما ثم نسخت فلم يعمل بها احد وروي عن ابن جريج والكلبي وعطا عن ابن
عباس رضي الله عنهم انهم نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناج احد الا علي تصدق بدينار
ثم نزلت الرخصة وقال ابن عمر لقد كانت لعلي رضي الله عنه ثلاثة لو كانت لي واحدة منهن
كانت احب الي من حمر النعم تزويجه بفاطمة رضي الله عنها واعطاوه الراية يوم خيبر واية
النجوى ذلك خير لكم من امساكها واطهر لقلوبكم من المعاصي فان لم تجدوا يعني الفقراء فان الله
غفور رحيم روى الترمذي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت يا ايها الذين
امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة سالني النبي صلى الله عليه وسلم
عنها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينارا قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت
لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد فنزلت ااشفقتم ان تقدموا الاية ومعنى
قوله شعيرة من ذهب ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم انك لزهيد اي لقليل المال فقدرت
على حسب حالك قال ابن العربي وهذا يدل على نسخ العبادة قبل فعلها وعلى النظر في المقدرات
بالقياس قال القرطبي والظاهر ان النسخ انما وقع بعد فعل الصدقة كما تقدم **فصل**
انكر ابو مسلم وقوع النسخ وقال ان المنافقين كانوا يمتنعون عن بذل الصدقات وان قوما
من المنافقين تركوا النفاق وامنوا ظاهرا وباطنا ايمانا حقيقيا فاراد الله تعالى ان يميزهم
عن المنافقين فامر بتقديم الصدقة على النجوى ليتميز هولاء الذين امنوا عن من بقي على
نفاقه الاصلي فلما كان هذا التكليف لاجل هذه المصلحة المقدرة بذلك الوقت لا جرم تقدر

هذا التكليف بذلك الوقت قال ابن الخطيب فحاصل قول أبي مسلم أن ذلك التكليف مقدرا
بغاية مخصوصة فوجب انتهاؤه عند الانتهاء إلى تلك الغاية المخصوصة ولا يكون هذا نسخا
قال وهذا الكلام حسن والمشهور عند الجمهور أنه منسوخ بقوله أأشفقتم وقيل إنه منسوخ بوجوب
الزكاة قوله تعالى أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات هذا الاستفهام معناه
التقرير قال ابن عباس رضي الله عنه أأشفقتم أي أبخلتم بالصدقة وقيل خفتم والإشفاق
الخوف من المكروه أي خفتم أبخلتم بالصدقة وشق عليكم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات
قوله تعالى فإذ لم تفعلوا في إذ هذه ثلاثة أقوال أحدها أنها على بابها من المضي والمعنى
أنكم تركتم ذلك فيما مضى فتداركوه بإقامة الصلاة قاله أبو البقاء الثاني أنها بمعنى إذا كقوله
تعالى إذ الأغلال وتقدم الكلام فيه الثالث أنها بمعنى إن الشرطية وهو قريب مما قبله إلا أن
الفرق بين إن وإذا معروف **فصل** المعنى فإذ لم تفعلوا ما أمرتم به وتاب الله عليكم أي ونسخ
الله تعالى ذلك الحكم ورخص لكم في أن لا تفعلوا فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر
الطاعات وهذا خطاب لمن وجد ما يتصدق به وهذا يدل على جواز النسخ قبل الفعل قال
القرطبي وما روي عن علي رضي الله عنه ضعيف لأن الله تعالى قال فإذ لم تفعلوا وهذا يدل على
أن أحدا لم يتصدق بشيء فإن قيل ظاهر الآية يدل على تقصير المؤمنين في ذلك التكليف وبيانه
من وجوه الأول قوله تعالى أأشفقتم أن تقدموا يدل على تقصيرهم الثاني قوله تعالى فإذ لم
تفعلوا الثالث قوله عز وجل وتاب الله عليكم فالجواب قال ابن الخطيب ليس الأمر كما قلتم
لأن القوم لم يكلفوا بأن يقدموا على الصدقة ويشتغلوا بالمناجاة بل أمروا بأنهم لو أرادوا
المناجاة فلا بد من تقديم الصدقة فمن ترك المناجاة لا يكون مقصرا وأما لو قيل بأنهم ناجوا
من غير تقديم الصدقة فهذا أيضا غير جائز لأن المناجاة لا يمكن إلا إذا أمكن الرسول صلى الله
عليه وسلم من المناجاة فإذا لم يكن من ذلك لم يقدروا على المناجاة فعلمنا أن الآية لا تدل
على صدور التقصير منهم فأما قوله تعالى أأشفقتم فلا يمتنع من أنه تعالى علم ضيق صدر كثير
منهم عن إعطاء الصدقة في المستقبل لو دام الوجوب فقال هذا القول وأما قوله عز وجل
وتاب الله عليكم فليس في الآية أنه تاب عليهم من هذا التقصير بل يحتمل أنكم إن كنتم تائبين
راجعين إلى الله تعالى وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة فقد كفاكم هذا التكليف قوله تعالى
والله خبير بما تعملون روي عن أبي عمرو خبير بما يعملون بالياء من تحت والمشهور عند الجماعة
بتاء الخطاب والمعنى محيط بأعمالكم ونياتكم قوله تعالى ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله
عليهم قال قتادة هم المنافقون تولوا اليهود وقال السدي ومقاتل هم اليهود ما هم منكم ولا
منهم يعني المنافقين ليسوا من المؤمنين في الدين والولاء ولا من اليهود والكافرين كما قال جل
ذكره مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ويحلفون على الكذب وهم يعلمون قال
السدي ومقاتل رضي الله عنهما نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول وعبد الله بن نبتل المنافقين
كان أحدهم يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه إلى اليهود فبينما رسول الله صلى
الله عليه وسلم في حجرة من حجره إذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان
فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق أسمر قصيرا خفيف اللحية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله تعالى ما فعل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما شتموه
فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال عز وجل ويحلفون على الكذب وهم يعلمون أنهم كذبة قال
ابن الخطيب رحمه الله والمراد من هذا الكذب إما ادعاؤهم كونهم مسلمين وإما أنهم كانوا يسبون
الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ويكيدون المسلمين فإذا قيل لهم إنكم فعلتم ذلك
خافوا على أنفسهم من القتل فيحلفون أنهم ما قالوا ذلك وما فعلوه فهذا هو الكذب الذي
يحلفون عليه وهذه الآية تدل على فساد قول الجاحظ أن الكذب هو الخبر المخالف لاعتقاد
المخبر قوله تعالى ما هم منكم ولا منهم يجوز في هذه ثلاثة أوجه أحدها أنها مستأنفة لا موضع
لها من الإعراب أخبر عنهم بأنهم ليسوا من المؤمنين الخلص ولا من الكافرين الخلص بل كقوله تعالى مذبذبين بين
ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء فالضمير في ما هم عائد على الذين تولوا وهم المنافقون وفي
منهم عائد على اليهود أي الكافرين الخلص والثاني أنها حال من فاعل تولوا والمعنى على ما

تقدم أيضا والثالث أنها صفة ثانية لقوما فعلى هذا يكون الضمير في ما هم عائدا على
قوما وهم اليهود والضمير في منهم عائد على الذين تولوا يعني اليهود ليسوا منكم أيها المؤمنون
ولا من المنافقين ومع ذلك تولاهم المنافقون قاله ابن عطية إلا أن فيه تنافر الضمائر فإن
الضمير في ويحلفون عائد على الذين تولوا فعلى الوجهين الأولين تتحد الضمائر لعودها على
الذين تولوا وعلى الثالث تختلف كما عرفت وقوله وهم يعلمون جملة حالية أي يعلمون أنه
كذب فيمينهم يمين غموس لا عذر لهم فيها قوله تعالى أعد الله لهم عذابا شديدا أي لهؤلاء
المنافقين عذابا شديدا في جهنم وهو الدرك الأسفل من النار وقيل عذاب القبر قال ابن
الخطيب لأنا إذا حملنا هذا على عذاب القبر وحملنا قوله جل ذكره فلهم عذاب مهين على عذاب
الآخرة لا يلزم منه تكرار إنهم ساء ما كانوا يعملون أي بئست الأعمال أعمالهم قوله تعالى اتخذوا
أيمانهم جنة قرأ العامة أيمانهم بفتح الهمزة جمع يمين والحسن وأبو العالية بكسرها مصدرا هنا
وفي المنافقين أي إقرارهم اتخذوه جنة يستجنون بها من القتل قال ابن جني هذا على
حذف مضاف أي اتخذوا إظهار أيمانهم جنة من ظهور نفاقهم وقوله أيمانهم جنة مفعولان
لاتخذوا قوله تعالى فلهم عذاب مهين في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار وقيل المراد
من الكل عذاب الآخرة كقوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا
فوق العذاب والصد عن سبيل الله هو المنع عن الإسلام وقيل إلقاء الأراجيف وتثبيط المسلمين
عن الجهاد قوله تعالى لن تغني عنهم تقدم الكلام عليه في آل عمران قال مقاتل رحمه
الله قال المنافقون إن محمدا يزعم أنه ينصر يوم القيمة لقد شقينا إذن فوالله لننصرن
يوم القيمة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا إن كانت قيامة فنزلت الآية قوله تعالى يوم
يبعثهم الله جميعا أي لهم عذاب مهين يوم يبعثهم الله فيحلفون له كما يحلفون لكم اليوم قال
ابن عباس يحلفون لله تعالى يوم القيمة كذبا كما حلفوا لأوليائه في الدنيا وهو قولهم
والله ربنا ما كنا مشركين ويحسبون أنهم على شيء بإنكارهم وحلفهم قال ابن زيد ظنوا
أنه ينفعهم في الآخرة وقيل يحسبون في الدنيا أنهم على شيء لأنهم في الآخرة يعلمون الحق
باضطرار والأول أظهر والمعنى أنهم لشدة توغلهم في النفاق ظنوا يوم القيمة أنه يمكنهم
ترويج كذبهم بالأيمان الكاذبة على علام الغيوب وإليه الإشارة بقوله تعالى ولو
ردوا لعادوا لما نهوا عنه قال القاضي والجبائي إن أهل الآخرة لا يكذبون فالمراد من
الآية أنهم يحلفون في الآخرة أنا ما كنا كافرين عند أنفسنا وعلى هذا الوجه لا يكون هذا
الحلف كذبا وقوله تعالى ألا إنهم هم الكاذبون أي في الدنيا قال ابن الخطيب وتفسير هذه
الآية على هذا الوجه يفضي إلى ركاكة عظيمة في النظم وقد استقصينا هذه المسألة في سورة
الأنعام عند قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين روي ابن عباس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ينادي مناد يوم القيمة أين خصماء الله تعالى فتقوم القدرية مسودة
وجوههم مزرقة أعينهم مائل شدقهم يسيل لعابهم فيقولون والله ما عبدنا من دونك
شمسا ولا قمرا ولا صنما ولا اتخذنا من دونك إلها قال ابن عباس صدقوا والله أتاهم
الشرك من حيث لا يعلمون ثم تلا ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون هم والله
القدرية ثلاثا قوله تعالى استحوذ جاء به على الأصل وهو فصيح استعمالا وإن شذ
قياسا وقد أخرجه عمر رضي الله عنه على القياس فقرأ استحاذ كاستقام وتقدمت هذه
المادة في النساء في قوله تعالى ألم نستحوذ قال الزجاج استحوذ في اللغة استولى يقال
حذت الإبل إذا استوليت عليها وجمعتها وقال المبرد استحوذ على الشيء حواه وأحاط به
قيل المعنى غلب عليهم الشيطان بوسوسته في الدنيا وقيل قوي عليهم فأنساهم ذكر الله
أي أوامره في العمل بطاعته وقيل زواجره في النهي عن معصيته والنسيان قد يكون بمعنى
الغفلة ويكون بمعنى الترك والوجهان محتملان هنا أولئك حزب الشيطان طائفته ورهطه
ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون في بيعهم لأنهم باعوا الجنة بجهنم وباعوا الهدى بالضلالة
فصل احتج القاضي بهذه الآية في خلق الأعمال في وجهين الأول أن ذلك
النسيان لو حصل بخلق الله تعالى لكانت إضافتها إلى الشيطان كذبا الثاني لو حصل ذلك

بخلق الله لكانوا المومنين في كونهم حزب الله لا حزب الشيطان قوله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله تقدم اول السورة اوليك في الاذلين اي من جملة الاذلا لا اذل منهم لان ذلك احد الخصمين يدل على عز الخصم الثاني فلما كانت عزة الله تعالى غير متناهية كانت ذلة من ينازعه غير متناهية ايضا قوله تعالى كتب الله لاغلبن يجوز ان يكون كتب جرى مجرى القسم فاجيب بما يجاب به وقال ابو البقا وقيل هي جواب كتب لانه بمعنى قال وهذا ليس بشي لانه قال لا يقتضي جوابا فصوابه ما تقدم ويجوز ان يكون لاغلبن جواب قسم مقدر وليس بظاهر

فصل قال المفسرون كتب الله اي قضى الله ذلك وقيل كتب في اللوح المحفوظ قاله قتادة وقال الفرا كتب بمعنى قال وقوله انا توكيد ورسلي من بعث منهم بالحرب فان الرسول صلى الله عليه وسلم بالحرب غالب ومن بعث منهم بالحجة غالب ايضا فاذا انضم الى الغلبة بالحجة الغلبة بالحرب كان اغلب واقوى قال مقاتل قال المومنون لين فتح الله لنا مكة والطايف وحنين وما حولهن رجونا ان يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال عبد الله بن ابي سلول اتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها والله انهم لاكثر عددا واشد بطشا من ان تظنوا فيهم ذلك فنزلت لاغلبن انا ورسلي ونظيره لقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون قوله تعالى ورسلي قرا نافع وابن عامر بفتح اليا والباقون لا يحركون قال ابو علي التحريك والاسكان جميعا حسنان وقوله تعالى ان الله قوي عزيز قوي على نصرة انبيايه عزيز غالب لا يدفعه احد عن مراده قوله تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله يوادون هو المفعول الثاني لتجد ويجوز ان يكون للتعدية لواحد بمعنى صادف وبقي فيكون يوادون حالا او صفة لقوم ومعنى يوادون اي يحبون ويوالون من حاد الله ورسوله وقد تقدم الكلام على المحادة والمعنى انه لا يجتمع الايمان مع ودادة اعدا الله فان قيل اجتمعت الامة على انه يجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه الموادة المحرمة فالجواب ان الموادة المحرمة هي ارادة منافعه دينا ودنيا مع كونه كافرا فاما سوى ذلك فلا حظر فيه قوله تعالى ولو كانوا اباهم والحال وقدم اولا الاباء لانه يجب طاعتهم على ابنايهم ثم ثنى بالابنا لانهم اعلق بالقلوب وهم جانها قال الحماسي

• وانما اولادنا بيننا • اكبادنا تمشي على الارض •

ثم ثلث بالاخوان لانهم هم الناصرون بمنزلة العضد من الذراع قال

• اخاك اخاك ان من لا اخا له • كساع الى الهيجا بغير سلاح •
• وان ابن عم المرء فاعلم جناحه • وهل ينهض البازي بغير جناح •

ثم ربع بالعشيرة لان بها يستغاث وعليها يعتمد قال لا يسالون

• لا يسالون اخاهم حين يندبهم • في النايبات على ما قال برهانا •

وقرا ابو رجا عشيراتهم بالجمع كما قراها ابو بكر في التوبة كذلك فصل لما بالغ في المنع من هذه الموادة في الاية الاولى من حيث الموادة مع الايمان لا يجتمعان بالغ ههنا ايضا من وجوه وهي قوله تعالى ولو كانوا اباهم او ابناهم او اخوانهم او عشيرتهم والمعنى ان الميل الى هولا اعظم انواع المحبة ومع هذا فيجب ان يكون هذا الميل مطرحا بسبب الدين قال ابن عباس رضي الله عنه نزلت هذه الاية في ابي عبيدة بن الجراح يوم احد وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وابي بكر رضي الله عنه قال ابن جريج حدثت ان ابا قحافة سب النبي صلى الله عليه وسلم فصكه ابو بكر رضي الله عنه ابنه صكة سقط منها على وجهه ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال وفعلته لا تعد اليه فقال والذي بعثك بالحق نبيا لو كان السيف مني قريبا لقتلته ومصعب ابن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير وعلي بن ابي طالب وحمزة وعبيدة رضي الله عنهم قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يوم بدر اخبر ان هولا لم يوادوا اقاربهم وعشايرهم غضبا لله تعالى ودينه فصل قال القرطبي استدل مالك رحمه الله بهذه الاية على معاداة القدرية وترك مجالستهم قال اشهب عن مالك لا تجالس القدرية وعادهم في الله لقول الله

عز

عز وجل لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله قال القرطبي وفي معنى اهل القدر جميع اهل الظلم والعدوان وعن الثوري رضي الله عنه انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن ابي داود انه لقي المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلا الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحيت الي لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر الاية قوله تعالى اوليك كتب قرا العامة كتب مبنيا للفاعل وهو الله سبحانه وتعالى الايمان نصبا وابو حيوة وعاصم في رواية المفضل كتب مبنيا للمفعول الايمان رفع به والضمير في منه لله تعالى وقيل يعود على الايمان لانه روح يحيى به المومنون في الدارين قاله السدي اي ايدهم بروح من الايمان يدل عليه قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا فصل معنى كتب الايمان اي خلق في قلوبهم التصديق يعني من لم يوال من حاد الله وقيل كتب اثبت قاله الربيع بن انس وقيل جعل كقوله تعالى فاكتبنا مع الشاهدين اي اجعلنا وقوله تعالى فساكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاة وقيل كتب اي جمع ومنه الكتيبة اي لم يكونوا ممن يقولوا نومن ببعض ونكفر ببعض وقيل كتب في قلوبهم اي على قلوبهم كقوله تعالى في جذوع النخل وخص القلوب بالذكر لانها موضع الايمان قوله تعالى وايدهم اي قواهم ونصرهم بروح منه قال الحسن بنصر منه قال ابن عباس نصرهم على عدوهم وسمى تلك النصرة روحا لانه به يحيى امرهم وقال الربيع ابن انس رضي الله عنه بالقران وحججه وقال ابن جريج بنور وبرهان وهدي وقيل رحمة الله وقيل ايدهم بجبريل صلوات الله عليه قوله تعالى ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم اي قبل اعمالهم ورضوا عنه فرحوا بما اعطاهم اوليك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون وهذه في مقابلة قوله تعالى اوليك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون وهذه الاية زجر عن التودد الى الكفار والفساق والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب روى الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله تعالى يوم القيمة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة الحشر مدنية

في قول الجميع وهي اربع وعشرون اية واربعماية وخمس واربعون كلمة والف وستماية وثلاثة عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم تقدم نظيره هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس اخبرني عن سورة الحشر قال قل سورة النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون صلوات الله عليه نزلوا بالمدينة في فتن بني اسرايل انتظار المحمد صلى الله عليه وسلم فكان من امرهم ما نص الله عليه قوله تعالى من اهل الكتاب يجوز ان تكون من للبيان فيتعلق بمحذوف اي اعني من اهل الكتاب والثاني انها حال من الذين كفروا وقوله تعالى من ديارهم متعلق باخرج ومعناها ابتدا الغاية وصحت اضافة الديار اليهم لانهم انشوها قوله تعالى لاول الحشر هذه اللام متعلق باخرج وهي لام التوقيت كقوله تعالى لدلوك الشمس اي عند اول الحشر قال الزمخشري وهي اللام في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقولك جيت لوقت كذا وسيابي الكلام على هذه اللام في الفجر ان شا الله تعالى فصل قال القرطبي للحشر الجمع وهو على اربعة اضرب حشران في الدنيا وحشران في الاخرة اما الذي في الدنيا فقوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من ديارهم لاول الحشر قال الزهري رضي الله عنه كانوا من سبط لم يصبهم جلا وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلا فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا وكان اول حشر حشروا في الدنيا الى الشام قال ابن عباس وعكرمة من شك ان المحشر في الشام فليقرا هذه الاية وان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر قال ابن عباس هم اول من حشر من اهل الكتاب واخرج

من داره وقيل انهم اخرجوا الى خيبر وان معنى لاول الحشر اخراجهم من حصونهم الى خيبر وآخره
اخراج عمر اياهم من خيبر الى نجد واذرعات وقيل تيما واريحا وذلك بكفرهم ونقض عهدهم
واما الحشر الثاني فحشرهم قرب القيمة قال قتادة تاتي نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب
تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتاكل من تخلف منهم وهذا ثابت في الصحيح وذكروا
ان تلك النار ترى بالليل ولا ترى بالنهار قال ابن العربي للحشر اول ووسط وآخر فالاول
اجلا بني النضير والاوسط اجلا بني النضير والاوسط اجلا خيبر والآخر حشر يوم القيمة
وعن الحسن هم بنو قريظة وخالفه بقية المفسرين وقالوا بنو قريظة ما حشروا ولكنهم قتلوا
حكاه الثعلبي **فصل** قال الكيا الطبري ومضا الحد اهل الحرب على الجلا من ديارهم
من غير شي لا يجوز الان وانما كان ذلك في اول الاسلام ثم نسخ والان فلا بد من قتالهم او سبيهم
او ضرب الجزية عليهم قوله تعالى ما ظننتم ان يخرجوا اي لعظم امر اليهود ومنعتهم
وقوتهم في صدور المسلمين واجتماع كلمتهم وقوله تعالى وظنوا انهم ما نعتهم حصونهم قال
ابن عباس رضي الله عنه ان المسلمين ظنوا انهم لعزهم وقوتهم لا يحتاجون الى ان يخرجوا من
ديارهم قيل المراد بالحصون الوطيح والنطاة والسلالم والكتيبة قوله تعالى ما نعتهم حصونهم
فيه وجهان احدهما ان تكون حصونهم مبتدا وما نعتهم خبر مقدم والجملة خبر انهم لا يقال لم لا
يقال ما نعتهم مبتدا لانه معرفتهم وحصونهم خبره ولا حاجة لتقديم ولا تاخير لان القصد
الاخبار عن الحصون ولان الاضافة غير محضة فهي نكرة الثاني ان يكون ما نعتهم خبر انهم
وحصونهم فاعل به نحو ان زيدا قايم ابوه وان عمرا قايمة جاريته وجعله ابو حيان اولى لان
في نحو قايم زيد على ان يكون خبرا مقدما ومبتدا مؤخرا خلافا والكوفيون يمنعونه فمحل الوفاق
اولى وقال الزمخشري فان قلت اي فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم او ما نعتهم
وبين النظم الذي جا عليه قلت بتقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم ومنعها اياهم
وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة
ومنعة لا يبالى معها باحد يتعرض اليهم وليس ذلك في قولك حصونهم تمنعهم انتهى وهذا
الذي ذكره انما يتاتى على الاعراب الاول وقد تقدم انه مرجوح وتسلط الظن هنا ان
المشددة والقاعدة انه لا يعمل فيها ولا في المخففة منها الا فعل علم ويتعين اجراؤه مجرى اليقين
لشدته وقوته وانه بمنزلة العلم وقوله من الله اي من امره قوله تعالى فاتاهم الله من
حيث لم يحتسبوا قال الزمخشري رحمه الله قرئ فآتاهم الله الهلاك اي اتاهم امره وعذابه
من حيث لم يحتسبوا بقتل كعب بن الاشرف وكانوا اهل حلقة اي سلاح وقصور منيعة فلم
يمنعهم شي منها وقيل الضمير في فاتاهم الله يعود الى المومنين اي فاتاهم نصر الله وتقويته
قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب بقتل سيدهم كعب بن الاشرف وكان الذي قتله
محمد بن سلمة وابو نايلة سلكان بن وقش وكان اخا كعب بن الاشرف من الرضاعة وخبره
مشهور في السيرة قال اهل اللغة الرعب الخوف الذي يرعب الصدر اي يملاه وقذفه اثباته
فيه ومنه قالوا في صفة الاسد مقذف كانه قذف اللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزايه
وهذه الاية تدل على ان الامور كلها من الله تعالى لان الاية دلت على وقوع ذلك الرعب
صار سببا في اقدامهم على بعض الافعال وبالجملة فالفعل لا يحصل الا عند حصول داعية
متاكدة في القلب صار سببا في اقدامهم عليها وحصول تلك الداعية لا يكون الا من الله تعالى
فكانت الافعال باسرها مستندة الى الله تعالى بهذا الطريق قوله تعالى يخربون بيوتهم
يجوز ان يكون مستانفا للاخبار به وان يكون حالا من ضمير قلوبهم وليس بذاك وقرا
ابو عمرو يخربون بالتشديد والباقون بالتخفيف وهما بمعنى لان خرب عداه ابو عمرو بالتضعيف
وهم بالهمزة وعن ابي عمرو انه فرق بمعنى آخر فقال خرب بالتشديد هدم وافسد واخرب
بالهمزة وترك الموضع خرابا وذهب عنه وهو قول الفرا قال المبرد ولا اعلم لهذا وجها
ويخربون من خرب المنزل واخربه صاحبه كقوله علم واعلم وقام واقام واذا قلت
يخربون بيوتهم من التخريب فانما هو تكثير لانه ذكر بيوتا تصلح للقليل والكثير وزعم
سيبويه انهما يتعاقبان في بعض الكلام فيجري كل واحد مجرى الآخر نحو فرحته وافرحته

قال

قال الاعمش واخربت من ارض قومي ديارا واختار الهذلي قراة ابي عمرو لاجل التكثير ويجوز
ان يكون يخربون تفسيرا للرعب فلا محل له ايضا قال ابو عمرو وانما اخترت التشديد لان
الاحزاب تركت النبي خرابا بغير ساكن وبنو النضير لم يتركوها خرابا وانما اخربوها بالهدم يؤيده
قوله تعالى بايديهم وايدي المومنين **فصل** قال قتادة والضحاك رحمهما الله
كان المومنون يخربون من خارج ليدخلوا واليهود من داخل ليبنوا ما خرب من حصنهم
وقال مقاتل ان المنافقين ارسلوا اليهم ان لا يخرجوا ودربوا عليهم الازقة وكان المسلمون
تابعوا الجوانب وقيل ان المسلمين اذا ظهروا على درب من دروبهم خربوه وكان اليهود يتاخرون
الى ما وراء بيوتهم وينقبونها من ورائها وقيل ان المسلمين كانوا يخربون ظواهر البلد
واليهود لما ايقنوا بالجلا كانوا ينظرون الى الخشبة في منازلهم مما يستحسنونه والباب فيهدمون
بيوتهم وينزعونها ويحملونها على الابل فان قيل ما معنى تخريبهم لها بايدي المومنين فالجواب
لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به وكلفوهم اياه وقال الزهري يخربون
بيوتهم بنقض المواعدة وايدي المومنين بالمقاتلة وقال ابو عمرو بن العلا بايديهم في تركهم
لها وبايدي المومنين في اجلايهم عنها قوله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار الاعتبار ماخوذ
من العبور والمجاوزة من شي الى شي ولهذا سميت العبرة عبرة لانها تنتقل من العين الى الخد وسمي
علم التعبير لان صاحبه ينتقل من المتخيل الى المعقول وسميت الالفاظ عبارات لانها تنقل المعاني
عن لسان القايل الى عقل المستمع ويقال السعيد من اعتبر بغيره لانه ينتقل عقله من حال
ذلك الغير الى حال نفسه ولهذا قال المفسرون الاعتبار هو النظر في حقايق الاشيا وجهات
دلالتها ليعرف بالنظر فيها شي اخر من جنسها وقوله عز وجل يا اولي الابصار قال ابن عباس
يريد يا اهل اللب والعقل والبصاير قال الفرا اي يا من عاين تلك الوقايع والابصار جمع
البصر ومن جملة الاعتبار هنا انهم اعتصموا بالحصون من الله فانزلهم الله تعالى منها وسلط
عليهم من كان ينصرهم وانهم هدموا اموالهم بايديهم ومن لم يعتبر بغيره اعتبر في نفسه واستدل
الاصوليون بهذه الاية على وجوب العمل بالقياس قوله تعالى ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء
العامة على مده وهو الاخراج يقال اجليت القوم اجلا وجلا هو جلا وقال الماوردي الجلا
اخص من الخروج لانه لا يقال الا للجماعة والاخراج يكون للجماعة والواحد وقال غيره الفرق
بينهما ان الجلا ما كان مع الاهل والولد بخلاف الاخراج فانه لا يستلزم ذلك وقرا الحسن وعلي
ابنا صالح الجلا بالف فقط وطلحة مهموزا من غير الف كالنبا والمعنى لو قضى انهم سيجليهم
عن ديارهم وانهم يبقون مدة فيومن بعضهم ويولد لهم من يومن لعذبهم في الدنيا اي بالقتل
كما فعل باخوانهم بني قريظة والجلا مفارقة الوطن يقال جلا بنفسه جلا واجلاه غيره
اجلا واما قوله تعالى ولهم في الاخرة عذاب النار فهو كلام مستانف غير معطوف على ما قبله
اذ لو كان معطوفا على ما قبله لزم ان لا يوجد لان لولا يقتضي انتفا الجزا لحصول الشرط
قوله تعالى ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اي عادوه وخالفوا امره
ومن يشاق الله قرا طلحة بن مصرف ومحمد بن السميفع بالفك كالمتفق عليه في الانفال
والادغام الباقون والمقصود من الاية الزجر قوله ما قطعتم من لينة ما شرطية في موضع
نصب بقطعتم ومن لينة بيان له وبما ذن الله جزا الشرط لا بد من حذف اي فقطعها باذن
الله فيكون باذن الله الخبر لذلك المبتدا واللينة فيها خلاف كثير فقيل هي النخلة مطلقا وانشد

وقال ذو الرمة

كان قتودي فوقها عش طاير • على لينة سوقا يهفو جنوبها •
طراق الخوافي واقع فوق لينة • لذي لينة في ريشة يترقرق •

وقيل هي النخلة ما لم تكن عجوة قاله الزهري ومالك وسعيد بن جبير وعكرمة والخليل وقيل
ما لم تكن عجوة ولا برنية وهو قول ابو عبيدة وقال جعفر بن محمد هي العجوة خاصة وذكر
ان العتيق والعجوة كانتا مع نوح في السفينة والعتيق الفحل وكانت العجوة اصل الاناث
كلها فلذلك شق على اليهود قطعها حكاه الماوردي وقيل هي النخلة الكريمة اي القريبة من
الارض وانشد الاخفش

قد شجاني الحمام حين تغنى • بفراق الاحباب من فوق لينه •

وقال سفيان هي ضرب من النخل يقال لثمرة اللون تمرة اجود التمر وهو شديد الصفرة

يري نواه من خارجه ويجتنب فيه الضرس النخلة منها احب اليهم من وصيف وقيل هي الفسيلة
لانها ابين من النخلة وانشد • فرسوا اللينة بجري معين • ثم حنوا النخيل بالاكمام
وقيل اللينة هي الاشجار كلها لكينها بالحياة وانشد بيت ذي الرمة المتقدم وقال الاصمعي
انها الدقل قال واهل المدينة يقولون لا تنتفخ الموائد حتى توجد الالوان يعنون الدقل
قال ابن العربي والصحيح ما قاله الزهري ومالك وفي عين لينة قولان احدهما انها واو لانه
من اللون وانما قلبت يا لسكونها وانكسار ما قبلها كديمه وقيمه والثاني انها يا لانها من اللين
وجمع اللينة لين لانه من باب اسم الجنس كثمرة وتمر وقد كسر على ليان وهو شاذ لان تابع
تكسير ما يفرق بتاء التانيث شاذ كرطبة ورطب وارطاب وانشد •
وسالف كسحوق الليان • اصرف فيه الغوي السعر •
والضمير في تركتموها عايد على معني ما قوله تعالى قايمة قرا عبد الله والاعمش وزيد على
قوما على وزن ضرب جمع قايم مراعاة لمعني ما فانه جمع وقرا عبد الله ما قطعتم من لينة ولا تركتم
قوما على اصولها قري اصلها بغير واو وفيه وجهان احدهما انه جمع اصل نحو رهن ورهن والثاني
ان يكون حذف الواو استثقالا لها واكتفي بالضمة من الواو **فصل** روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما نزل بني النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع اعدا
الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح افمن الصلاح عقر الشجر وعقر النخل
وهل وجدت فيما زعمت انه انزل عليك الفساد في الارض فوجد المسلمون في الارض وخشوا
ان يكون ذلك فسادا واختلفوا في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما افاء الله علينا وقال
بعضهم بل نغيظهم بقطعها فانزل الله تعالى هذه الاية بتصديق من نهي عن قطعه وتحليل
من قطعه من الاثم وروي ابن عمر رضي الله عنه قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم
نخل بني النضير وقطع وهي البويرة فنزل ما قطعتم من لينة او تركتموها قايمة على اصولها
فباذن الله اخبر في هذه الاية ان ما قطعوه وما تركوه فباذن الله اي بامره وليخزي الفاسقين
واللام في ليخزي متعلقة بمحذوف اي وليخزي اذن في قطعها او ليسر المومنين ويعزهم
وليخزي **فصل** احتجوا بهذه الاية على ان حصون الكفرة وديارهم يجوز هدمها
وتحريقها وتغريقها وان ترمي بالمجانيق وكذلك اشجارهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه
انهم قطعوا منها ما كان موضعا للقتال روي ان رجلين كانا يقطعان احدهما العجوة والاخر
اللون فسالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله وقال هذا
قطعتها غيظا على الكفار واستدلوا به على جواز الاجتهاد بحضرة النبي صلى الله عليه
وسلم قال الماوردي في هذه الاية دليل ان كل مجتهد مصيب وقاله الكيا الطبري قال
وان كان الاجتهاد يبعد في مسئلة مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم ولا شك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راي ذلك وسكت فتلقوا الحكم من تقريره فقط
قال ابن العربي وهذا باطل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معهم ولا اجتهاد
مع حضور النبي صلى الله عليه وسلم وانما يدل على اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم فيما
لم ينزل عليه اخذا بعموم الاذلة للكفار ودخولا في الاذن للكل بما يقضي عليهم بالبوار
وذلك قوله عز وجل وليخزي الفاسقين قوله تعالى ما افاء الله على رسوله قال
المبرد يقال افا يفي اذا رجع وافاه الله اذا رده وقال الزهري الفي ما رده الله على
اهل دينه من اموال من خالف اهل دينه بلا قتال اما بان يجلوا عن اوطانهم ويخلوها
للمسلمين او يصالحون على جزية يودونها عن رؤوسهم او مال غير الجزية يفتدون به من
سفك دمائهم كما فعله بني النضير حين صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان
لكل ثلاثة منهم حمل بعير مما شاوا سوي السلاح وتركوا الباقي فهذا المال هو الفي وهو
ما افا الله على المسلمين اي رده من الكفار على المسلمين وقوله منهم اي من يهود بني
النضير قوله تعالى فما اوجفتم الفا جواب الشرط او زايدة على انها موصولة مضمنة
معني الشرط ما نافية والايجاف حمل البعير على السير السريع يقال وجف البعير والفرس
اذا اسرع يجف وجفا ووجيفا ووجفانا واوجفته انا ايجافا اي حركته واتعبته قال

العجاج

العجاج   ناج طواه الاين مما وجفا • وقال نصيب
الا رب ركب قد قطعت وجيفهم • اليك ولولا انت لم يوجف الركب •
قوله تعالى من خيل ولا ركاب من زايدة اي خيلا والركاب الابل واحدها راحلة ولا واحد لها من لفظها
قال ابن الخطيب والعرب لا يطلقون لفظ الراكب الا على راكب البعير ويسمون راكب الفرس فارسا
والمعني لم تقطعوا اليها شقة ولا لقيتم بها حربا ولا مشقة وانما كانت من المدينة على ميلين قاله
الفرا فمشوا اليها مشيا ولم يركبوا خيلا ولا ابلا الا النبي صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا وقيل حمارا
مخطوما بليف فافتتحها صلحا قال ابن الخطيب ان الصحابة طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم
ان يقسم الفي بينهم كما قسم الغنيمة بينهم فذكر الله الفرق بين الامرين وان الغنيمة هي التي اتعبتم
انفسكم في تحصيلها واما الفي فلم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكان الامر فيه مفوضا الي النبي صلى
الله عليه وسلم يضعه حيث يشا وههنا سوال وهو ان اموال بني النضير اخذت بعد القتال
لانهم حوصروا اياما وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلا فوجب ان يكون تلك الاموال من جملة الغنايم
لا من جملة الفي فلهذا السوال ذكر المفسرون ههنا وجهين الاول ان هذه الاية ما نزلت في قري
بني النضير لانهم اوجفوا عليه بالخيل والركاب وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
بل هي في فدك لان اهله انجلوا عنه فصارت تلك القري والاموال التي في يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من غير حرب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ من غلة فدك نفقته ونفقة
من يعوله ويجعل الباقي في السلاح والكراع فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعت فاطمة
رضي الله عنها انه كان نحلها فدك فقال ابو بكر رضي الله عنه انت اعز الناس علي فقرا واحبهم الي
غني لكني لا اعرف صحة قولك ولا يجوز لي ان احكم بذلك فشهدت لها ام ايمن ومولي الرسول صلى
الله عليه وسلم فطلب منها ابو بكر الشاهد الذي يجوز شهادته في الشرع فلم يكن فاجري ابو بكر ذلك
على ما كان يجريه الرسول صلى الله عليه وسلم ينفق منه على من كان ينفق عليه الرسول ويجعل
ما يبقي في السلاح والكراع وكذلك عمر رضي الله عنه جعله في يد علي رضي الله عنه يجريه على
هذا المجري ورد ذلك في اخر عهد عمر رضي الله عنه وقال ان بنا غني وبالمسلمين اليه حاجة وكان
عثمان رضي الله عنه يجريه كذلك ثم عاد الي علي رضي الله عنه فكان يجريه هذا المجري والايمة
الاربعة رضي الله عنهم اتفقوا على ذلك والقول الثاني ان هذه الاية نزلت في بني النضير وقراهم
وليس للمسلمين يوميذ كثير خيل ولا ركاب ولم يقطعوا اليها مسافة كثيرة وانما كانوا على ميلين
من المدينة فمشوا اليها مشاة ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كانت المقاتلة قليلة
والخيل والركاب غير حاصل اجراه الله تعالى مجري ما لم يحصل فيه المقاتلة اصلا فخص رسول
الله صلى الله عليه وسلم بتلك الاموال فروي انه صلى الله عليه وسلم قسمها بين المهاجرين ولم
يعط الانصار منها شيا الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة ابو دجانة وسهل بن حنيف والحرث
ابن الصمة قال بعض العلما لما ترك بنو النضير ديارهم واموالهم طلب المسلمون ان يكون لهم
فيها حظ كالغنايم فبين الله تعالى انها في وكان قد جري بعض القتال لانهم حوصروا اياما
وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلا ولم يكن قتال على التحقيق بل جري مبادي القتال وجري
الحصار وخص الله تعالى تلك الاموال برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد رضي الله
عنهم اعلمهم الله تعالى وذكرهم انه انما نصر رسوله صلى الله عليه وسلم ونصرهم بغير كراع ولا عدة
ولكن الله يسلط رسله على من يشا اي من اعدايه وفي هذا بيان ان تلك الاموال كانت خاصة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم دون اصحابه رضي الله عنهم قوله تعالى ما افا الله قال
الزمخشري لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولي فهي منها غير اجنبية عنها قال
ابن عباس رضي الله عنه هي قريظة والنضير وهما بالمدينة وفدك وهي على ثلاثة اميال
من المدينة وخيبر وقري عرينة وينبع جعلها الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وبين
ان في ذلك المال الذي خصه الله تعالى بالرسول صلى الله عليه وسلم سهمانا لغير الرسول
صلى الله عليه وسلم نظرا منه لعباده **فصل** قال ابن الخطيب اجمعوا على ان المراد بذي
القربي بنو هاشم وبنو المطلب وقال القرطبي وقد تكلم العلما في هذه الاية والتي قبلها على
معناهما واحد او مختلف والاية التي في الانفال فقال بعضهم ان قوله تعالى ما افا الله على رسوله

من اهل القرى منسوخ باية الانفال من كون الخمس لمن سمي له والاخماس الاربعة لمن
قاتل وكان في اول الاسلام يقسم الغنيمة على هذه الاصناف ولا يكون لمن قاتل عليها شي
وهذا قول يزيد بن رومان وقتادة وغيرهما ونحوه عن مالك رضي الله عنه وقال قوم
ما غنم بصلح من غير ايجاف خيل ولا ركاب فيكون لمن سمى الله تعالى فيه فيا الاولى للنبي
صلى الله عليه وسلم خاصة اذا اخذ منه حاجته كان الباقي في مصالح المسلمين وقال معمر
الاولى للنبي صلى الله عليه وسلم والثانية هي الجزية والخراج للاصناف المذكورة فيه
والثالثة الغنيمة في سورة الانفال للغانمين وقال الشافعي رضي الله عنه وبعض العلما
ان معنى الايتين واحد اي ما حصل من اموال الكفار بغير قتال قسم على خمسة اسهم اربعة
منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقسم الخمس الباقي على خمسة اسهم لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ايضا وسهم لذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب لانهم منعوا الصدقة فجعل لهم حق
في الفي وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابناء السبيل واما بعد وفاة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فالذي كان من الفي لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف عند الشافعي
رضي الله عنه في قول الى المجاهدين المترصدين للقتال في الثغور لانهم القايمون مقام الرسول
صلى الله عليه وسلم وفي قول اخر يصرف الى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الانهار وبنا
القناطر يقدم الاهم فالاهم وهذا في اربعة اخماس الفي فاما السهم الذي كان له من خمس
الفي والغنيمة فهو لمصالح المسلمين بعد موته صلى الله عليه وسلم بلا خلاف كما قال صلى
الله عليه وسلم ليس لي من غنايمكم الا الخمس والخمس مردود فيكم وكذلك ما خلفه من المال
غير موروث بل هو صدقة عنه يصرف في مصالح المسلمين لقوله صلى الله عليه وسلم انا لا نورث
ما تركنا صدقة وقيل كان مال الفي لنبيه صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ما افا الله على
رسوله فاضافه اليه غير انه كان لا يتاثل مالا انما كان ياخذ بقدر حاجة عياله ويصرف
الباقي في مصالح المسلمين قال ابن العربي لا اشكال انها ثلاثة معان في ثلاث ايات
فالاية الاولى وهي قوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم
لاول الحشر ثم قال تعالى وما افا الله على رسوله يعني من اهل الكتاب معطوفا عليهم
فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب يريد كما بينا فلا حق لكم فيه ولذلك قال عمر انها كانت
خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني بني النضير وما كان مثلها فهذه اية واحدة
ومعنى متحد الاية الثانية قوله تعالى ما افا الله على رسوله من اهل القرى فلله
وللرسول وهذا كلام مبتدا غير الاول لمستحق غير الاول وسمى الاية الثالثة اية الغنيمة
ولا شك في انه معنى اخر باستحقاق اخر لمستحق اخر ان الاية الاولى والثانية اشتركتا في
ان كل واحد منهما تضمنت شيا افاه الله على رسوله واقتضت الاية الاولى انه حاصل بغير
قتال واقتضت اية الانفال انه حاصل بقتال وعريت الاية الثالثة وهي قوله
تعالى ما افا الله على رسوله من اهل القرى عن ذكر حصوله بقتال او بغير قتال
فمن هاهنا نشا الخلاف فقالت طايفة هي ملحقة بالاولى وهو مال الصلح كله
ونحوه وقالت طايفة هي ملحقة بالاولى وهو مال الصلح كله ونحوه وقالت طايفة
هي ملحقة باية الانفال وهولاء اختلفوا اهل هي منسوخة كما تقدم او محكمة قال
القرطبي والحاقها بالتي قبلها اولى لان فيه تجديد فايدة ومعنى وقد قيل ان سورة
الحشر نزلت بعد الانفال ومن المحال ان ينسخ المتقدم المتاخر **فصل** الاموال
التي للايمة والولاة فيها مدخل ثلاثة اضرب الاول ما اخذ من المسلمين على طريق
التطهير لهم كالصدقات والزكاة والثاني الغنايم وهو ما يحصل في ايدي المسلمين
من اموال الكفار بالحرب والقهر والغلبة والثالث الفي وهو ما رجع للمسلمين من
اموال الكفار عفوا صفوا من غير قتال ولا ايجاف كالصلح والجزية والخراج
والعشور الماخوذة من تجار الكفار ومثل ان يهرب المشركون ويتركوا اموالهم
او يموت منهم احد في دار الاسلام ولا وارث له فاما الصدقة فمصرفها الفقرا والمساكين
والعاملين عليها حسب ما ذكر في سورة براة واما الغنايم فكانت في صدر الاسلام

للنبي

للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيها ما شا كما قال في الانفال قل الانفال لله والرسول
ثم نسخ بقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شي الاية وقد مضى واما الفي وقسمته
وقسمة الخمس سوا قال القرطبي والامر فيهما عند مالك الى الامام فان راى حبسهما لنوازل
المسلمين وان راى قسمتها قسمها كلها او احدهما بين الناس وسوى فيه عربيهم ومولاهم
ويبدا بالفقرا من رجال او نسا حتى يعطى ذوي القربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الفي سهمهم على ما يراه الامام وليس لهم حد معلوم وهل يعطى الغني منهم فاكثر الناس
على اعطايه لانه حق لهم وقال مالك رضي الله عنه لا يعطى منه غير فقرايهم لانه جعل
لهم عوضا من الصدقة وقال الشافعي رضي الله عنه ان ما حصل من اموال الكفار بغير
قتال كان يقسم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على خمسة وعشرين سهما عشرون سهما
للنبي صلى الله عليه وسلم يفعل فيها ما شا والخمس يقسم على ما يقسم عليه خمس الغنيمة
قال ابو جعفر احمد بن نصر الداودي وهذا القول ما سبقه به احد علمناه بل كان ذلك
خالصا له كما ثبت في الصحيح عن عمر مبينا للاية ولو كان هذا لكان قوله خالصة يوم
القيمة يجوز ان يشركهم فيها غيرهم **فصل** ويقسم هذه الاموال المتقدم ذكرها
في البلد الذي جبي فيه ولا ينقل عن ذلك البلد الذي جبي فيه فاقة شديدة فينقل
الى اهل الفاقة حيث كانوا كما فعل عمر رضي الله عنه في اعوام الرمادة وكانت خمسة اعوام
او ستة وقيل عامين وقيل عام فيه اشتد الطاعون مع الجوع وان لم يكن ما وصفنا
وراى الامام ايقاف الفي اوقفه لنوايب المسلمين ويبدا بمن ابوه فقير والفي حلال للاغنيا
ويساوي بين الناس فيه الا انه يوثر اهل الحاجة والفاقة والتفضيل فيه انما يكون
على قدر الحاجة ويعطى منه الغرما ما يودون به ديونهم ويعطى منه الجايزة والصلة
ان كان لذلك اهلا وترزق القضاة والحكام ومن فيه منفعة للمسلمين واولاهم بتوفر
الحظ منهم اعظمهم للمسلمين نفعا ومن اخذ من الفي شيا في الديوان كان عليه ان يغزو اذا
دفع الغزو وقوله تعالى كي لا يكون دولة قرا هشام تكون بالتا والباقون دولة بالرفع فقط
والباقون بالياء من تحت ونصب دولة فاما الرفع فعلى ان كان التامة واما التذكير
والتانيث فواضحتان لانه تانيث مجازي واما النصب فعلى انها الناقصة واسمها ضمير
عايد على الفي والتذكير واجب لتذكير المرفوع ودولة خبرها وقيل دولة عايد على ما اعتبارا
بلفظها وقرا العامة دولة بضم الدال وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه والسلمي بفتحها فقيل
هما بمعنى وهو قول عيسى بن عمر ويونس والاصمعي وهما ما يدول للانسان اي يدور من
الجد والغنا والغلبة وقال الحذاق من البصريين والكسايي الدولة بالفتح من الملك بضم
الميم وبالضم من الملك بكسرها او بالضم في المال وبالفتح في النصرة وهذا يرده القراة المروية
عن علي والسلمي فان النصرة غير مرادة قطعا وكي لا علة لقوله تعالى فلله وللرسول صلى
الله عليه وسلم اي استقراره لكذا لهذه العلة قال المبرد الدولة اسم الشي الذي يتداوله
القوم بينهم والدولة بالفتح انتقال حال سارة الى قوم عن قوم فالدولة بالضم اسم لما
يتداول وبالفتح مصدر من هذا ويستعمل في الحالة السارة التي تحدث للانسان فيقال هذه
دولة فلان اي قد اقبلت والمعنى كي لا يكون الفي الذي حقه ان يعطى الفقرا ليكون لهم بلغة
يعيشون بها واقعا في يد الاغنيا ودولة لهم والمعنى فعلنا ذلك في هذا الفي كي لا يقسمه
الروسا والاغنيا والاقويا بينهم دون الفقرا والضعفا منها ايضا بعد المرباع ما شا وفيها
قال شاعرهم لك المرباع فيها والصفايا يقول لبلاد يحل فيه كما كان يعمل في الجاهلية قال
الكلبي انها نزلت في روسا المسلمين قالوا فيما ظهر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اموال
المشركين يا رسول الله خذ صفيك والربع ودعنا والباقي فهكذا كنا نفعل في الجاهلية وانشده

• لك المرباع منها والصفايا • وحكمك والنشيطة والفضول •

فانزل الله تعالى هذه الاية قوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه من
الاخذ والغلول فانتهوا قال الحسن وغيره وقال السدي ما اعطاكم من مال الفي فاقبلوه وما
منعكم منه فلا تطلبوه وقال ابن جريج ما اتاكم من طاعتي فافعلوه وما نهاكم عنه من معصيتي

فاجتنبوه **فصل** هذه الاية تدل على ان كل ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم امر من الله تعالى لان الاية وان كانت في الغنايم فجميع اوامره صلى الله عليه وسلم ونواهيه داخل فيها قال عبد الرحمن بن زيد لقي ابن مسعود رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل تقرا علي بهذا اية من كتاب الله تعالى قال نعم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال عبيد الله بن محمد بن هرون الفريابي سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول سلوني عم شئتم اخبركم من كتاب الله تعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال فقلت له اصلحك الله ما تقول في المحرم يقتل الزنبور قال فقال بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحدثنا سفين بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة ابن اليماني رضي الله عنهم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر رضي الله عنهما حدثنا سفين بن عيينة عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه امر بقتل الزنبور وهذا الجواب في غاية الحسن افتى بجواز قتل الزنبور في الاحرام وبين انه يقتدي فيه بعمر وان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالاقتداء به وان الله تعالى امر بقبول ما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم فجواز قتله مستنبط من الكتاب والسنة وسيل عكرمة عن امهات الاولاد فقال هن احرار فقال في سورة النساء في قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم في صحيح مسلم وغيره عن علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله فبلغ ذلك امراة من بني اسد يقال لها ام يعقوب فجاءت فقالت انه بلغني انك لعنت كيت وكيت فقال وما لي لا العن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله تعالى فقالت لقد قرات ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول فقال لين كنت قراتيه فقد وجدتيه اما قرات وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانه قد نهى عنه الحديث **فصل** قوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وان جا بلفظ الايتا وهو المناولة فان معناه الامر بدليل قوله تعالى وما نهاكم عنه فانتهوا فقابله بالنهي ولا يقابل النهي الا بالامر بدليل ما تقدم مع قوله صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شي فانتهوا عنه قوله تعالى واتقوا الله اي عذاب الله انه شديد لمن عصاه وقيل اتقوا الله في اوامره ونواهيه فلا تضيعوها ان الله شديد العقاب قوله تعالى للفقرا المهاجرين فيه ثلثة اوجه احدها انه بدل من لذي القربى قاله ابو البقا والزمخشري قال ابو البقا قيل هو بدل من لذي القربى وما بعده وقال الزمخشري بدل من لذي القربى وما عطف عليه والذي منع الابدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اخرج رسوله صلى الله عليه وسلم من الفقرا في قوله تعالى وينصرون الله ورسوله وانه تعالى يترفع برسوله صلى الله عليه وسلم عن تسميته بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وجل يعني لو قيل بانه بدل من الله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قبيح لفظا وان كان المعنى على خلاف هذا الظاهر كما قال ان معناه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ذكر الله عز وجل تفخيما والا فالله تعالى غني عن الفي وغيره وانما جعله بدلا من لذي القربى لانه حنفي والحنفية يشترطون الفقر في اعطاء ذوي القربى من الفي الثاني انه بيان لقوله تعالى والمساكين وابن السبيل وكررت لام الجر لما كانت الاولى مجرورة باللام ليبين ان البدل انما هو منها قاله ابن عطية وهي عبارة قلقة جدا الثالث ان للفقرا خبر لمبتدا محذوف اي ولكن الفي للفقرا وقيل تقديره ولكن يكون للفقرا وقيل تقديره اعجبوا للفقرا قوله تعالى يبتغون يجوز ان يكون حالا وفي صاحبها وجهان احدهما للفقرا والثاني واو اخرجوا قاله مكي **فصل** ومعنى الاية ان الفي والغنايم للفقرا والمهاجرين وقيل كي لا يكون دولة بين الاغنيا ولكن يكون للفقرا وهو مبني على الاعراب المتقدم وعلى القول بانه بيان لذوي القربى واليتامى والمساكين اي المال لهولا

لانهم

لانهم فقرا ومهاجرون وقد اخرجوا من ديارهم فهم احق الناس وقيل ولكن الله يسلط رسله على من يشا للفقرا المهاجرين كي لا يكون المال في دولة بين الاغنيا من بني الدنيا وقيل والله شديد العقاب للمهاجرين اي شديد العقاب للكافر بسبب الفقرا المهاجرين ومن اجلهم ودخل في هولا الفقرا المتقدم ذكرهم في قوله تعالى ولذي القربى واليتامى قال القرطبي وقيل هو عطف على ما مضى ولم يات بواو العطف كقولك هذا المال لزيد لبكر لفلان لفلان والمهاجرون من هاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم حبا فيه ونصرة له قال قتادة هولا هم المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال والاهلين والاوطان حبا لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم حتى ان الرجل منهم كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتا ما له دثار غيرها قوله الذين اخرجوا من ديارهم اي اخرجهم كفار مكة اي احوجوهم الى الخروج وكانوا ماية رجل يبتغون يطلبون فضلا من الله اي غنيمة في الدنيا ورضوانا في الاخرة اي مرضات ربهم وينصرون الله ورسوله في الجهاد اوليك هم الصادقون في فعلهم ذلك وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب بالجابية فقال من اراد ان يسال عن القران فليات ابي بن كعب ومن اراد ان يسال عن الفرايض فليات زيد بن ثابت ومن اراد ان يسال عن الفقه فليات معاذ بن جبل ومن اراد ان يسال عن المال فلياتني فان الله تعالى جعلني له خازنا وقاسما الا واني باد بازواج النبي صلى الله عليه وسلم فمعطيهم ثم بالمهاجرين الاولين انا واصحابي اخرجنا من مكة من ديارنا واموالنا قوله تعالى اوليك هم الصادقون يعني انهم لما هاجروا اللذات الدنيا وتحملوا شدايدها لاجل الدين ظهر صدقهم في دينهم قوله تعالى والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يجوز في قوله تعالى والذين تبوءوا وجهان احدهما انه عطف على الفقرا فيكون مجرورا ويكون من عطف المفردات ويكون يحبون حالا والثاني ان يكون مبتدا خبره يحبون ويكون حينئذ من عطف الجمل قوله والايمان ستة اوجه احدها انه ضمن تبوءوا معنى لزموا فيصح عطف الايمان عليه اذ الايمان لا يتبوا الثاني انه منصوب بمقدر اي واعتقدوا او والفوا او واحبوا او اخلصوا كقوله علفتها تبنا وما بارد او متقلدا سيفا ورمحا الثالث انه يتجوز في الايمان فيجعل لاختلاطه به وثباتهم عليه كالمكان المحيط بهم فكانهم نزلوه وعلى هذا فيكون جمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة وفيه خلاف مشهور الرابع ان يكون الاصل دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه الخامس ان يكون سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان قال هذين الوجهين الزمخشري وليس فيه الا قيام ال مقام المضاف اليه وهو محل نظر وانما يعرف الخلاف هل تقوم ال مقام الضمير المضاف اليه فالكوفيون يجيزونه كقوله تعالى فان الجنة هي الماوى اي ماواهم والبصريون يمنعونه ويقولون الضمير محذوف اي الماوى له وقد تقدم تحرير هذا واما كونها عوضا من المضاف اليه فلا يعرف فيه خلاف السادس انه منصوب على المفعول معه اي مع الايمان معا قال ابن عطية وقال وبهذا الاقتران يصح معنى قوله من قبلهم فتامل قال شهاب الدين وقد شرطوا في المفعول معه ان يجوز عطفه على ما قبله حتى جعلوا قوله تعالى فاجمعوا امركم وشركاكم من باب اضمار الفعل لانه لا يقال اجمعت شركاي انما يقال جمعت وقد تقدم الكلام على ذلك **فصل** التبوء التمكن والاستقرار وليس يريد ان الانصار امنوا قبل المهاجرين بل ارادوا امنوا قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم اليهم ولا خلاف ان الذين تبوءوا الدار هم الانصار الذين استوطنوا المدينة قبل المهاجرين اليها والمراد بالدار المدينة والتقدير والذين تبوءوا الدار من قبلهم **فصل** قيل هذه الاية معطوفة على قوله للفقرا والمهاجرين وان الايات التي في الحشر كلها معطوف بعضها على بعض قال القرطبي ولو تاملوا ذلك وانصفوا لوجدوه على خلاف ما ذهبوا اليه لان الله تعالى يقول هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم الى قوله الفاسقين فاخبر عن بني النضير

وبني قينقاع ثم قال تعالى وما افا الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا
ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشا فاخبر ان ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم
لانه لم يوجف عليه حين خلوه وقد تقدم فيهم من القتال وقطع شجرهم فقد كانوا
رجعوا عنه وانقطع ذلك الامر ثم قال تعالى ما افا الله على رسوله من اهل القرى فلله
وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وهذا كلام غير معطوف على
الاول وكذا والذين تبووا الدار وابتدا الكلام في مدح الانصار والثنا عليهم فانهم سلموا ذلك
الفي للمهاجرين وكانه قال الفي للمهاجرين للفقرا المهاجرين
والانصار يحبون لم يحرموهم على ما صفا لهم من الفي وكذا والذين جاوا من بعدهم ابتدا
كلام والخبر يقولون ربنا اغفر لنا وقال اسماعيل بن اسحاق ان قوله تعالى تبووا الدار
والايمان والذين جاوا معطوف على ما قبله وانهم شركا في هذا الفي اي هذا المال للمهاجرين
والذين تبووا الدار وقال مالك بن اوس قرا عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الاية
انما الصدقات للفقرا قال هذه لهولاء ثم قرا واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه
فقال هذه لهولاء ثم قرا ما افا الله على رسوله حتى بلغ للفقرا المهاجرين والذين تبووا الدار
والايمان والذين جاوا من بعدهم ثم قال لين عشت لياتين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه منها لم
يعرق جبينه وقيل انه دعا المهاجرين والانصار واستشارهم بما فتح الله عليه من ذلك
وقال لهم تثبتوا الامر وتدبروه ثم اغدوا علي ففكر في ليلته فتبين له ان هذه الايات في ذلك
انزلت فلما غدوا عليه قال قد مررت البارحة بالايات التي في سورة الحشر وتلا ما افا الله
على رسوله من اهل القرى الى قوله تعالى للفقرا المهاجرين فلما بلغ قوله اوليك هم الصادقون
قال ما هي لهولاء فقط وتلا والذين جاوا من بعدهم الى قوله روف رحيم ثم قال ما بقي
احد من اهل الاسلام الا وقد دخل في ذلك **فصل** روى مالك عن زيد بن اسلم
عن ابيه ان عمر رضي الله عنه قال لولا من ياتي من اخر الناس ما فتحت قرية الا قسمتها كما
قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وصح عن عمر انه ابقى سواد العراق ومصر وما ظهر
عليه من الغنايم ليكون في اعطيات المقاتلة وارزاق الحسوة والذراري وان الزبير وبلال
وغيرهما من الصحابة ارادوه على قسم ما فتح عليهم فكره ذلك منهم واختلف فيما
فعل من ذلك فقيل انه استطاب انفس اهل الجيش فمن رضي له بترك حظه بغير ثمن
ليبقيه للمسلمين قبله ومن ابى اعطاه ثمن حظه فمن قال انما ابقى الارض بعد استطابة
انفس القوم جعل فعله كفعل النبي صلى الله عليه وسلم لانه قسم خيبر لانه اشتراها اباها
وترك من نزل عن طيب نفسه بمنزلة قسمتها وقيل انه ابقاها بغير شي اعطاه اهل الجيوش
وقيل انه تاول في ذلك قول الله تعالى للفقرا المهاجرين الى قوله ربنا انك روف
رحيم على ما تقدم **فصل** اختلفوا في قسمة العقار فقال مالك رضي الله عنه
للامام ان يوقفها لمصالح المسلمين وقال الشافعي رضي الله عنه ليس للامام حبسها
عنهم بغير رضاهم بل يقسمها عليهم كساير الاموال فمن طاب نفسها عن حقه للامام ان
يجعلها وقفا عليهم فله ومن لم تطب نفسه فهو احق بماله وعمر رضي الله عنه استطاب
نفوس الغانمين واشتراها منهم وعلى هذا يكون قوله تعالى والذين جاوا من بعدهم
معطوفا على ما قبله وانهم شركوا بالدعا للاولين والثنا عليهم **فصل** قال القرطبي
روى ابن وهب قال سمعت مالكا يذكر فضل المدينة على غيرها من الافاق فقال ان
المدينة تبويت بالايمان والهجرة وان غيرها من القرى افتتحت بالسيف ثم قرا والذين
تبووا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم الاية قوله تعالى ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما اوتوا فيه وجهان احدهما ان الحاجة هنا على بابها من الاحتياج
الى الفاقة وقعه موقع المحتاج اليه والمعنى ولا يجدون طلب محتاج اليه مما اوتي المهاجرين
من الفي وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة تقول خذ منه حاجتك واعطاه من ماله
حاجته قال الزمخشري فعلى هذا يكون الضمير الاول للجائي بعد المهاجرين وفي اوتوا
للمهاجرين والثاني ان الحاجة هنا من الحسد قال الحسن حسدا وحزازة وغيظا مما اوتوا

المهاجرين

المهاجرين دونهم واطلق لفظ الحاجة على الحسد والغيظ والحزازة لان هذه الاشيا
لا تنفك عن الحاجة فاطلق اسم اللازم على الملزوم على سبيل الكناية والضميران على
ما تقدم وقيل وقال ابو العباس الحاجة اي انه حزن المنافق للطهر به وعلى هذا فالضمير
للذين تبووا الدار والايمان وقال القرطبي المعنى لا يحسدون المهاجرين على ما خصوا به
من مال الفي وغيره لذلك قال الناس وفيه تقدير حذف مضافين والمعنى مس حاجة
من فقد ما اوتوا وكل ما يجد الانسان في صدره مما يحتاج الى ازالته فهو حاجة **فصل**
قال القرطبي كان المهاجرون في دور الانصار فلما غنم صلى الله عليه وسلم اموال بني النضير
دعا الانصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين في انزالهم اياهم في منازلهم واشراكهم في
الاموال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احببتم قسمت بينكم ما افا الله علي من بني
النضير بينكم وبينهم وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم واموالكم وان
احببتم اعطيتهم وخرجوا من دياركم فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ رضي الله عنهما
بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا ونادت الانصار رضينا وسلمنا يا رسول
الله فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابنا الانصار واعطى رسول الله المهاجرين
ولم يعط الانصار الا الثلاثة الذين ذكرناهم ويحتمل ان يريد وانهم لا يجدون في صدورهم
حاجة مما اوتوا اذا كانوا قليلا فيقنعون به ويرضون عنه وقد كانوا على هذه الحالة
حين حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثم كانوا عليه بعد موته صلى الله عليه وسلم بحكم الدنيا وقد
انذرهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال ستلقون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على
الحوض قوله تعالى ويوثرون على انفسهم قال ابن عباس رضي الله عنه قال النبي
صلى الله عليه وسلم للانصار يوم بني النضير ان شيتم قسمت للمهاجرين من اموالكم ودياركم
وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شيتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم من الغنيمة
شي فقالت الانصار بل نقسم لاخواننا من ديارنا واموالنا ونوثرهم بالغنيمة فنزل
ويوثرون على انفسهم الاية قال ابن الخطيب وذكر المفسرون انواعا من ايثار الانصار
للضيف بالطعام وتعللهم عنه حتى يشبع الضيف ثم ذكروا ان الاية نزلت في ذلك الايثار
والصحيح انها نزلت بسبب ايثارهم المهاجرين بالفي ثم لا يمتنع ان يدخل فيها سائر الايثارات
ذكره القرطبي ان الترمذي روى عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا بات به ضيف ولم
يكن عنده الا قوته وقوت صبيانه فقال لامراته نومي الصبية واطفي السراج وقربي
للضيف ما عندك فنزلت هذه الاية وخرجه مسلم ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
جا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل الى بعض نسايه
فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي الا ما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيف
هذا الليلة رحمه الله فقام رجل من الانصار فقال انا يا رسول الله فانطلق به الى رحله
فقال لامراته هل عندك شي قالت لا الا قوت صبياني قال فعلليهم بشي فاذا دخل ضيفنا
فاطفي السراج وذكر نحو الحديث الاول وفي رواية فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة
فانطلق به الى رحله وذكر المهدوي انها نزلت في ثابت بن قيس ورجل من الانصار
يقال له ابو المتوكل ولم يكن عند ابي المتوكل الا قوته وذكر القشيري قال اهدي لرجل من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي فلانا وعياله احوج الى
هذا منا فبعثه اليهم فلم يزل يبعث به واحد الى اخر حتى تداولها اهل سبعة ابيات حتى رجعت
الى اوليك فنزلت ويوثرون على انفسهم الاية وذكر الثعلبي عن انس قال اهدي لرجل
من الصحابة راس شاة وكان مجهودا فوجه به الى جار له فتداوله سبعة انفس في سبعة
ابيات ثم عاد الى الاول فنزلت الاية **فصل** الايثار هو تقديم الغير على النفس
وحظوظها الدنيا به رغبة في الحظوظ وذلك ينشا عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر
على المشقة يقال اثرته بكذا اي خصصته به وفضلته ومفعول الايثار محذوف اي يوثرونهم
على انفسهم باموالهم ومنازلهم لا عن غنا بل مع احتياجهم اليها فان قيل قد صح في الخبر النهي
عن التصدق بجميع ما يملكه المرء فالجواب ان ذلك انما يكره في حق من لا يوثق منه بالصبر على

الفقر وخاف ان يتعرض للمسئلة اذا افتقد ما ينفقه فاما الانصار الذين اثنى الله تعالى
عليهم بالايثار على انفسهم فكانوا كما قال الله تعالى والصابرين في البأساء والضراء
وحين البأس فكان الايثار فيهم افضل من الامساك والامساك لمن لا يصبر ويتعرض
للمسئلة اولى من الايثار كما روي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بمثل البيضة من الذهب
فقال هذه صدقة فرماه بها وقال يأتي احدكم بجميع ما يملكه فيتصدق به ثم يقعد يتكفف
الناس **فصل** الايثار بالنفس فوق الايثار بالمال وان عاد الى النفس ومن
الامثال والجود بالنفس اقصى غاية الجود وافضل من الجود بالنفس الجود على حماية
رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الصحيح ان ابا طلحة ترس على رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم احد وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطلع ليرى القوم فيقول له ابو طلحة لا تشرف
يا رسول الله لا يصيبونك نحري دون نحرك ووقى بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت
وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي فاذا الرجل يقول آه آه
فاشار الي ابن عمي ان انطلق اليه فجئت اليه فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو
قد مات وقال ابو يزيد البسطامي رحمه الله ما غلبني احد سوى شاب من اهل بلخ قدم علينا
حاجا فقال لي يا ابا يزيد ما حد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا اكلنا واذا افتقدنا صبرنا
فقال هكذا كلاب بلخ فقلت وما حد الزهد عندكم قال اذا افتقدنا شكرنا واذا وجدنا
آثرنا وسئل ذو النون ما حد الزهد قال ثلاث تفريق المجموع وترك تطلب المفقود
والايثار عند القوت وحكي عن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا
بقرية من قرى الري ومعهم ارغفة معدودة لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفؤا
السراج وجلسوا للطعام فلما فرغوا فاذا الطعام بحاله لم يأكل احد منهم شيئا ايثارا لصاحبه
على نفسه قوله تعالى ولو كان بهم خصاصة هذه واو الحال والخصاصة الحاجة واصلها
من خصاص البيت وهي فروجه وحال الفقير يتخللها النقص فاستعير لها ذلك وقال القرطبي
اصلها من الاختصاص وهو الانفراد بالامر فالخصاصة الانفراد بالحاجة اي ولو كانت بهم
فاقة وحاجة ومنه قول الشاعر

اما الربيع اذا تكون خصاصة ● عاش السقيم به واثرى المقتري

قوله تعالى ومن يوق العامة على سكون الواو وتخفيف القاف من الوقاية وابن
ابي عبلة وابو حيوة بفتح الواو وتشديد القاف والعامة بضم الشين من شح وابن
ابي عبلة وابن عمر رضي الله عنه بكسرها قال القرطبي الشح والبخل سواء يقال رجل شحيح
بين الشح والشح والشحاحة قال عمرو بن كلثوم

ترى اللحز الشحيح اذا امرت ● عليه لماله فيها مهينا

وجعل بعض اهل اللغة الشح اشد من البخل وفي الصحاح الشح البخل مع حرص تقول
شححت بالكسر تشح وشححت ايضا تشح وتشح ورجل شحيح وقوم شحاح واشحة
والمراد بالاية الشح بالزكوة وما ليس بفرض من صلة ذوي الارحام والضيافة وما
شاكل ذلك فليس بشحيح ولا بخيل من انفق في ذلك وان امسك عن نفسه ومن وسع على
نفسه ولم ينفق فيما ذكرنا من الزكوات والطاعات فلم يوق شح نفسه روى الاسود عن
ابن مسعود ان رجلا اتاه فقال اني اخاف ان اكون قد هلكت قال وما ذاك قال
سمعت الله تعالى يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانا رجل شحيح لا اكاد
اخرج من يدي شيئا فقال ابن مسعود ليس ذلك الذي ذكر الله تعالى انما الشح ان تأكل
مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل ففرق رضي الله عنه بين الشح والبخل
وقال طاوس البخل ان يبخل الانسان بما في يده والشح ان يشح بما في ايدي الناس
يحب ان يكون له ما في ايديهم بالحل والحرام فلا يقنع قال ابن عباس ليس الشح ان يمنع
الرجل ماله انما الشح ان تطمح عين الرجل فيما ليس له وقال ابن جبير الشح منع الزكوة
وادخار الحرام وقال ابن عيينة الشح الظلم وقال الليث ترك الفرائض وانتهاك المحارم
وقال ابن عباس من اتبع هواه ولم يقبل الايمان فذلك الشحيح وقال ابن زيد من لم

باخذ شيئا نهاه الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يمنع شيئا امره الله باعطائه فقد
وقاه الله شح نفسه وقال انس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم بريء من الشح من
ادى الزكوة واقرى الضيف واعطى في النائبة وعن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يدعو اللهم اني اعوذ بك من شح نفسي واسرافها ووسواسها وقال ابن الهياج الاسدي
رأيت رجلا في الطواف يدعو اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك فقلت له فقال اذا
وقيت شح نفسي لم اسرق ولم ازن ولم افعل فاذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه
قال القرطبي ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم
القيمة واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم
واستحلوا محارمهم روى ابو هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يجتمع غبار في سبيل الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله ودخان جهنم في جوف
عبد ابدا ولا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد ابدا وقال كسرى لاصحابه اي شيء اضر
بابن آدم قالوا الفقر فقال الشح اضر من الفقر لان الفقير اذا وجد شبع والشحيح اذا
وجد لم يشبع ابدا قوله تعالى والذين جاؤا يحتمل الوجهين المتقدمين في الذين
قبله فان كان معطوفا على المهاجرين فيقولون حال كيحبون اي قائلين او مستانف
وان كان مبتدأ فيقولون خبره **فصل** هذه الايات قد استوعبت جميع المؤمنين
لانهم اما المهاجرون او الانصار والذين جاؤا من بعدهم قال بعض المفسرين هذا عطف
على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون لهم باحسان ومن دخل في
الاسلام الى يوم القيمة قال ابن ابي ليلى الناس على ثلاث منازل المهاجرين والذين
تبوؤا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد ان لا تخرج من هذه المنازل
وقال بعضهم كن مهاجرا فان قلت لا اجد فكن انصاريا فان لم تجد فاعمل كاعمالهم
فان لم تستطع فاحبهم واستغفر لهم كما امرك الله وقال مصعب بن سعد الناس على ثلاث
منازل فمضت منزلتان وبقيت منزلة فاحسن ما انتم عليه ان تكونوا بهذه المنزلة التي
بقيت وعن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده انه جاءه رجل فقال يا ابن بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما تقول في عثمان فقال له يا اخي انت من قوم قال الله فيهم للفقراء
المهاجرين الاية قال لا قال فانت من قوم قال الله فيهم والذين تبوؤا الدار والايمان
الاية قال لا قال فوالله لئن لم تكن من اهل الاية الثالثة لتخرجن من الاسلام وهي قوله
تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
وروي ان نفرا من اهل العراق جاؤا الى محمد بن علي بن الحسين فسبوا ابا بكر وعمر رضي
الله عنهما ثم عثمان رضي الله عنه فاكثروا فقال لهم امن المهاجرين الاولين انتم قالوا
لا قال افمن الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم قالوا لا قال فقد تبرأتم من هذين
الفريقين انا اشهد انكم لستم من الذين قال الله والذين جاؤا من بعدهم يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا
قوموا فعل الله بكم وفعل ذكره النحاس **فصل** هذه الاية دليل على وجوب
محبة الصحابة رضي الله عنهم لانه جعل لمن بعدهم حظا في الفيء ما قاموا على محبتهم وموالاتهم
والاستغفار لهم ومن ابغضهم او واحدا منهم او اعتقد فيه شرا انه لا حق له في الفيء قال
مالك من كان يبغض احدا من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم او كان في قلبه لهم غل فليس
له حق في فيء المسلمين ثم قرأ والذين جاؤا من بعدهم **فصل** قال القرطبي دلت
هذه الاية على ان الصحيح من اقوال العلماء قسمة المنقول وابقاء العقار والارض فيئا
للمسلمين اجمعين كما فعل عمر رضي الله عنه الا ان يجتهد الوالي فينفذ امرا فيمضي عمله فيه
لاختلاف الناس فيه وان هذه الاية قاضية بذلك لان الله تعالى اخبر عن الفيء وجعله
لثلاث طوائف المهاجرين والانصار وهم معلومون والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا
اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان فهي عامة في جميع التابعين والاتين بعدهم
الى يوم الدين روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال السلام عليكم دار

قوم مومنين وانا ان شا الله بكم لاحقون وددت لو رايت اخواننا فقالوا يا رسول الله السنا
اخوانك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انتم اصحابي واخواننا الذين لم ياتوا بعد وانا
فرطهم على الحوض فبين النبي صلى الله عليه وسلم ان اخوانهم كل من ياتي بعدهم لا كما قال السدي
والكلبي انهم الذين هاجروا بعد ذلك وعن الحسن ايضا ان الذين جاوا من بعدهم من قصد الى
النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد انقطاع الهجرة قوله تعالى يقولون ربنا اغفر
لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان قيل امروا ان يستغفروا لمن سبق هذه الامة من مومني
اهل الكتاب قالت عايشة رضي الله عنها فامروا ان يستغفروا لهم فسبوهم وقيل امروا للسابقين
الاولين من المهاجرين والانصار قال ابن عباس رضي الله عنه امر الله سبحانه بالاستغفار
لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهو يعلم انهم سيفتنون وقالت عايشة رضي الله عنها امرتم
بالاستغفار لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا تذهب هذه الامة حتى يلعن اخرها اولها وقال ابن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم اذا سمعتم الذين يسبون اصحابي فقولوا لعن الله شركم وقال العوام بن
حوشب ادركت هذه الامة يقولون اذكروا محاسن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
تتالف عليهم القلوب ولا تذكروا ما شجر بينهم فتجرسوا الناس عليهم وقال الشعبي رضي الله
عنه تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سيلت اليهود من خير اهل ملتكم
فقالوا اصحاب موسى صلوات الله عليه وسيلت النصارى من خير اهل ملتكم قالوا اصحاب
عيسى صلوات الله عليه وسيلت الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم امروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول الى يوم القيمة لا تقوم لهم راية
ولا يثبت لهم قدم ولا يجتمع لهم كلمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله بسفك دمايهم وادحاض
حجتهم اعاذنا الله واياكم من الاهوا المضلة ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا اي حسدا
وبغضا ربنا انك رووف رحيم قوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم
للتبليغ فقط بخلاف قوله عز وجل وقال الذين كفروا للذين امنوا فانها تحتمل ذلك
وتحتمل العلة **فصل** قال القرطبي هذه الاية سيقت للتعجب من اغترار اليهود
لما وعدهم المنافقون من النصر مع علمهم بانهم لا يعتقدون دينا ولا كتابا قال
المقاتلان يعني عبد الله بن ابي سلول وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن زيد وقيل رفاعة
ابن تابوت واوس بن قيظي كانوا من الانصار ولكنهم نافقوا قالوا ليهود قريظة والنضير
والاخوان هم الاخوة وههنا يحتمل وجوها احدها الاخوة في الكفر لان اليهود والمنافقين
اشتركوا في عموم الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وثانيها الاخوة بسبب المصادقة والموالاة
والمعاونة وثالثها الاخوة بسبب اشتراكهم في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا لليهود
لين اخرجتم من المدينة لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم وقيل هذا
من قول بني النضير لقريظة وقولهم ولا نطيع فيكم احدا ابدا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم
قالوا لا نطيعه في قتالكم وفيه دليل على صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من جهة
علم الغيب لانهم اخرجوا فلم يخرجوا معهم وقوتلوا فلم ينصروهم كما قال سبحانه وتعالى والله
يشهد انهم لكاذبون اي في قولهم وفعلهم فقوله لا نطيع فيكم احدا ابدا اي في قتالكم
او في خذلانكم قوله تعالى وان قوتلتم لننصرنكم اجيب القسم المقدر لان قبل ان لام
موطية حذفت للعلم بمكانها فان الكثير الاتيان بها ومثله قوله تعالى وان لم ينتهوا
عما يقولون ليمسن وقد تقدم قوله تعالى لين اخرجوا لا يخرجون معهم ولين قوتلوا
لا ينصرونهم ولين نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون اجيب القسم لسبقه ولذلك رفعت
الافعال ولم تجزم وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه ولذلك كان فعل
الشرط ماضيا وقال ابو البقا رحمه الله قوله تعالى لا ينصرونهم لما كان الشرط ماضيا
ترك جزم الجواب انتهى وهو غلط لان لا ينصرونهم ليس جوابا للشرط بل هو جواب للقسم
وجواب الشرط محذوف كما تقدم وكانه توهم انه من باب قوله

وان اتاه خليل يوم مسيلة * يقول لا غايب مالي ولا حرم

وقد سبق ابا البقا ابن عطية الى ما توهم شيا من ذلك ولكنه صرح بانه جواب القسم فقال
جات الافعال غير مجزومة في لا يخرجون ولا ينصرون لانها راجعة على حكم القسم لا على حكم
الشرط وفي هذا نظر فقوله وفي هذا نظر يوهم انه جا على خلاف ما يقتضيه القياس وليس
كذلك بل جا على ما يقتضيه القياس وفي هذه الضماير قولان احدهما انها كلها للمنافقين
والثاني انها مختلفة بعضها لهولا وبعضها لهولا **فصل** اعلم انه تعالى عالم بجميع
المعلومات التي لا نهاية لها وقد اخبر تعالى ان هولا اليهود لين اخرجوا فالمنافقون لا يخرجون
معهم وكان الامر كذلك لان بني النضير لما اخرجوا لم يخرج معهم المنافقون وقوتلوا ايضا فما
نصروهم وهذا كما يقول المعترض الطاعن في كلام الغير لا نسلم ان الامر كما تقول ولين سلمنا
ان الامر كما تقول الا انه لا يفيد لك فايدة فكذا ههنا ذكر تعالى انهم لا يخرجون معهم وبتقدير
ان يخرجوا لا ينصرونهم وبتقدير ان ينصروهم الا انهم لابد وان يتركوا النصرة وينهزموا ويتركوا
اوليك المنصورين في ايدي اعدايهم ونظير هذه الاية قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا
لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون وقيل معنى لا ينصرونهم طايعين ولين نصروهم
مكرهين ليولن الادبار وقيل معنى لا ينصرونهم لا يدومون على نصرهم هذا على ان الضمير متفقان
وعلى اختلاف الضمير فالمعنى لين اخرج اليهود لا يخرج معهم المنافقون ولين قوتلوا لا ينصرونهم
ولين نصروهم اي ولين نصر اليهود المنافقين ليولن الادبار وقيل من هنا معنى لا يبصرو نفسهم
قوله لانتم اشد رهبة رهبة مصدر من رهب المبني للمفعول فالرهبة واقعة من المنافقين
لا من المخاطبين كانه قيل لانتم اشد مرهوبية في صدورهم من الله فالمخاطبون مرهوبون
وهو كقول كعب بن زهير رضي الله عنه في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلهو اخوف عندي اذ اكلمه * وقيل انك محبوس ومقتول
من ضيغم بضرا الارض مخدره * ببطن عثر غيل دونه غيل

ورهبة تمييز **فصل** المعنى لانتم يا معشر المسلمين اشد رهبة اي خوفا وخشية في صدورهم
من الله يعني صدور بني النضير وقيل صدور المنافقين ويحتمل ان يرجع الى الفريقين
اي يخافون منكم اكثر مما يخافون من ربهم ذلك اشارة الى الخوف اي ذلك الخوف بانهم قوم لا يفقهون
قدر عظمة الله تعالى وقدرته حتى يخشوه حق خشيته قوله لا يقاتلونكم جميعا يعني اليهود
والمنافقين لا يقدرون على مقاتلتكم مجتمعين الا اذا كانوا في قرى محصنة بالخنادق
والدروب والحيطان انما تمنعهم منكم او من وراء جدار اي من خلف حيطان يستترون بها
لجبنهم ورهبتهم قوله جميعا حال والا في قرى متعلق بيقاتلونكم وقوله جدار قرا ابن
كثير وابو عمرو جدار بالالف وفيه اوجه احدها انه السور والسور الواحد يعم الجميع من المقاتلة
ويسترهم والثاني انه واحد في معنى الجمع لدلالة السياق عليه والثالث ان كل فرقة منهم وراء
جدار فجمع لذلك وقرا الحسن وابو رجا وابن وثاب والاعمش وتروى عن ابن كثير وعاصم
بضمة وسكون وهي تخفيف الاولى وقرا ابن كثير ايضا في رواية هرون عنه وهي قراة كثير من
المكيين جدر بفتحة وسكون فقيل هي لغة في الجدار وقال ابن عطية معناه اصل بنيان
كالسور ونحوه قال ويحتمل ان يكون من جدر النخل اي او من وراء نخيلهم يقال اجدر النخل
اذا طلعت رووسه في اول الربيع والجدر نبت واحده جدرة وقري جدر بفتحتين حكاها
الزمخشري وهي لغة في الجدار ايضا وقري جدر بضم الجيم واسكان الدال جمع الجدار قال
القرطبي ويجوز ان يكون الالف في الواحد كالف كتاب وفي الجمع كالف ظراف ومثله ناقة
هجان ونوق هجان لانك تقول في التثنية هجانان فصار لفظ الواحد والجمع مشتبهين في اللفظ
مختلفين في المعنى قاله ابن جني قوله باسهم بينهم شديد بينهم متعلق بشديد وجميعا
مفعول ثان اي مجتمعين وقلوبهم شتى جملة حالية او مستانفة للاخبار بذلك والعامة
على شتى بلا تنوين لانها الف تانيث ومن كلامهم شتى توب الحلبة اي متفرقين وقال الاخر

الى الله اشكوا فتية شقت العصا * هي اليوم شتى وهي امس جميع

وقرا مبشر بن عبيد شتى منونة كانه جعلها الف الالحاق وفي قراة ابن مسعود وقلوبهم يعني
اشد تشتتا اي اشد اختلافا **فصل** معنى باسهم بينهم شديد اي عداوة بعضهم

لبعض قال ابن عباس وقال مجاهد باسهم بينهم شديد بالكلام والوعيد لنفعلن كذا وقال
السدي المراد اختلاف قلوبهم حتى لا يتفقوا على امر واحد وقيل باسهم بينهم شديد اي اذا لم
يلقوا عدوا نسبوا انفسهم الى الشدة والباس واذا لقوا العدو انهزموا تحسبهم جميعا اي مجتمعين
على امر وراي وقلوبهم شتى اي متفرقة فاهل الباطل مختلفة اراوهم وهم مجتمعون في عداوة
اهل الحق وعن مجاهد ايضا اراد ان دين المنافقين مخالف لدين اليهود وهذا يقوي انفس
المومنين عليهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون اي ذلك التشتت والكفر بانهم لا يعقلون امر الله
وقيل لا يعقلون ما فيه الحظ لهم وقيل لا يعقلون ان تشتيت القلوب مما يوهن قواهم
قوله تعالى كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدا مضمر اي مثلهم مثل هولاء وقريبا فيه
وجهان احدهما انه منصوب بالتشبيه المتقدم اي يشبهونهم في زمن قريب سيقع لا ابتداء
ثم بين ذلك بقوله ذاقوا وبال امرهم والثاني انه منصوب بذاقوا اي ذاقوه في زمن قريب
سيقع ولم يتباعد واستضابه وجميعه على ظرف الزمان فصل يعني مثل هولاء اليهود
كمثل الذين من قبلهم قال ابن عباس يعني به بني قينقاع امكن الله منهم قبل بني النضير
وقال قتادة يعني بني النضير امكن الله منهم قبل قريظة وكان بينهما سنتان وقال
مجاهد يعني كفار قريش يوم بدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير قاله مجاهد وكانت
وقعة بدر قبل غزوة بني النضير بستة اشهر فلذلك قال قريبا وقيل هو عام في كل
من انتقم منه على كفره قبل بني النضير من نوح الى محمد صلى الله عليه وسلم ووبال اي
جزاء كفرهم وقال هم بنو قريظة جعل وبال امرهم نزولهم على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم
بقتل المقاتلة وسبي الذرية وهو قول الضحاك ومن قال المراد بني النضير قال
ووبال امرهم الجلاء والنفي ولهم عذاب اليم في الاخرة قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال
للانسان اكفر وهذا مثل ضربه الله للمنافقين واليهود في تخاذلهم وعدم الوفا في نصرهم
وحذف حرف العطف ولم يقل وكمثل الشيطان لان حذف حرف العطف كثير كقولك انت
عاقل انت كريم انت عالم وقوله كمثل الشيطان كالبيان لقوله كمثل الذين من
قبلهم فصل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الانسان الذي قال له
الشيطان اكفر راهب تركت عنده امراة اصابها لمم ليدعو لها فزين له الشيطان فوطئها
فحملت ثم قتلها خوفا ان يفتضح فدل الشيطان قومها على موضعها فجاوا فاستنزلوا الراهب
ليقتلوه فجاه الشيطان فوعده ان سجد له انجاه منهم فسجد له فتبرا منه فاسلمه ذكره
القاضي اسماعيل وعلي بن المديني عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عروة بن
عامر في قوله كمثل عن عبيد بن رفاعة الدوري عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر
خبره مطولا وذكر ابن عباس في قوله كمثل الشيطان كان راهبا في الفترة يقال له برصيصا
قد تعبد في صومعته سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين حتى اعيا ابليس
وذكر خبر برصيصا بتمامه قال ابن عباس فضرب الله هذا مثلا للمنافقين مع
اليهود وذلك ان الله تعالى امر نبيه ان يجلي بني النضير من المدينة فدس اليهم المنافقون
ان لا تخرجوا من دياركم فان قاتلوكم كنا معكم وان اخرجوكم كنا معكم فحاربوا
النبي صلى الله عليه وسلم فخذلهم المنافقون وتبروا منهم كما تبرا الشيطان من برصيصا
العابد وقيل المعنى مثل المنافقين في غرورهم لبني النضير كمثل ابليس اذ قال لكفار
قريش لا غالب لكم اليوم واني جار لكم الاية وقال مجاهد المراد بالانسان هاهنا جميع
الناس في غرور الشيطان اياهم ومعنى قوله تعالى قال له اكفر اي اغواه حتى قال اني
كافر وليس قول الشيطان اني اخاف الله رب العالمين حقيقة انما هو على وجه التبري
من الانسان فهو تاكيد لقوله تعالى اني بريء منك وفتح الياء من اني نافع وابن كثير وابو
عمرو واسكن الباقون قوله فكان عاقبتهما العامة على نصب عاقبتهما خبرا والاسم ان وما
في حيزها لان الاسم اعرف من عاقبتهما وقد تقدم تحرير هذا في ال عمران والانعام وقرا الحسن
وعمرو بن عبيد وابن ارقم برفعها على جعلها اسما وان وما في حيزها خبرا كقراءة ثم لم تكن فتنتهم
الا ان قالوا قوله خالدين فيها العامة على نصبه حالا من الضمير المستكن في الجار لوقوعه

خبرا والتثنية ظاهرة فيمن جعل الاية مخصوصة في الراهب والشيطان ومن جعلهما في الجنس
فالمعنى فكان عاقبة الفريقين او الصنفين قال مقاتل يعني المنافقين واليهود ونصب عاقبتهما
على انه خبر كان والاسم انهما في النار وقرا عبد الله وزيد بن علي والاعمش وابن ابي عبلة برفعه
خبرا والظرف ملغى فيتعلق بالخبر وعلى هذا فيكون تاكيدا لفظيا للحرف واعيد معه ضمير ما
دخل عليه كقوله ففي الجنة خالدين فيها وهذا على مذهب سيبويه فانه يجيز الغا الظرف وان
اكد والكوفيون يمنعونه وهذا حجة عليهم وقد يجيبون بانا لا نسلم ان الظرف في هذه القراءة
ملغى بل نجعله خبر الان وخالدين خبر ثان وهو محتمل لما قالوه الا ان الظاهر خلافه قال
القرطبي وهذه القراة خلاف المرسوم قوله وذلك جزاء الظالمين اي المشركين لقوله تعالى
ان الشرك لظلم عظيم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في اوامره ونواهيه واداء
فرايضه واجتناب معاصيه ولتنظر نفس ما قدمت لغد يعني يوم القيمة والعرب تكني عن
المستقبل بالغد وقيل ذكر الغد تنبيها على ان الساعة قريبة كقوله وان غدا للناظرين قريب
وقال الحسن وقتادة قرب الساعة حتى جعلها كغد لان كل ات قريب والموت لا محالة ات ومعنى
ما قدمت اي من خير او شر وتنكير النفس لاستقلال الانفس التي تنظر فيما قدمت للاخرة كانه قال
فلتنظر نفس واحدة في ذلك وتنكير الغد لتعظيمه وابهام امره كانه قيل لغد لا تعرف كنهه لعظمه
وقرا العامة بسكون لام الامر في قوله ولتنظر وابو حيوة ويحيى بن الحرث بكسرها على الاصل
والحسن بكسرها ونصب الفعل جعلها لام كي ويكون المعلل مقدرا اي ولتنظر نفس حذركم
واعمالكم قوله واتقوا الله تاكيد وقيل كرر لتغاير متعلق التقويين فمتعلق الاولى اداء
الفرايض لاقترانه بالعمل والثانية ترك المعاصي لاقترانه بالتهديد والوعيد قال معناه
الزمخشري ثم قال ان الله خبير بما تعملون قال سعيد بن جبير بما تعملون اي بما يكون
منكم قوله ولا تكونوا العامة على الخطاب وابو حيوة بالغيبة على الالتفات نسوا الله
اي تركوه فانساهم انفسهم ان يعملوا لها خيرا قاله المقاتلان وقيل نسوا حق الله فانساهم
حق انفسهم قاله سفين وقيل نسوا الله بترك شكره وتعظيمه فانساهم انفسهم بالعذاب ان
يذكر بعضهم بعضا حكاه ابن عيسى وقال سهل بن عبد الله نسوا الله عند الذنوب
فانساهم انفسهم عند التوبة وقيل انساهم انفسهم اي اراهم يوم القيمة من الاهوال ما
نسوا فيه انفسهم كقوله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هوا وترى الناس سكارى وما
هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ونسب تعالى الفعل الى نفسه في انسايهم اذ كان
ذلك بسبب امره ونهيه كقولك احمدت الرجل اذا وجدته محمودا وقيل نسوا الله في
الرخا فانساهم انفسهم في الشدايد اوليك هم الفاسقون قال ابن جبير العاصون وقال
ابن زيد الكاذبون واصل الفسق الخروج اي الذين خرجوا عن طاعة الله قوله لا
يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اي في الفضل والرتبة لما ارشد المومنين الجاهو
مصلحتهم يوم القيمة بقوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهدد الكافرين بقوله الذين
نسوا الله فانساهم انفسهم بين بهذه الاية الفرق بين الفريقين واعلم ان الفرق بينهما معلوم
بالضرورة وانما ذكر الفرق في مثل هذا الموضع للتنبيه على عظم ذلك الفرق ثم قال
اصحاب الجنة هم الفايزون وهذا كالتفسير لنفي تساويهما وهم يجوز ان يكون فصلا وان
يكون مبتدا فعلى الاول الاخبار بمفرد وعلى الثاني بجملة ومعنى الفايزون اي المقربون
المكرمون وقيل الناجون من النار ونظير هذه الاية قوله قل لا يستوي الخبيث والطيب
وقوله افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون وقوله ام نجعل الذين امنوا وعملوا
الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار وقد مضى الكلام في ذلك
فصل احتجت المعتزلة على ان صاحب الكبيرة لا يدخل الجنة بهذه الاية قالوا لان
الاية دلت على ان اصحاب النار واصحاب الجنة لا يستويان وهو غير جايز وجوابه فلو دخل
صاحب الكبيرة الجنة لكان اصحاب الجنة واصحاب النار يستويان وهو غير جايز وجوابه
معلوم فصل دلت الاية على ان المسلم لا يقتل بالذمي كما هو مذكور في كتب الفقه قوله
لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا حث على تامل

مواعظ القران وبين انه لا عذر في ترك التدبر فانه لو خوطب بهذا القران الجبال مع تركيب
العقل فيها لانقادت لمواعظه ولرايتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة اي
متشققة من خشية الله والخاشع الذليل والمتصدع المتشقق وقيل خاشعا لله بما كلفه
من طاعته متصدعا من خشية الله ان يعصيه فيعاقبه وقيل هو على وجه المثل للكفار
كقوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس اي انه لو انزل هذا القران على الجبل لخشع
لوعده وتصدع لوعيده وانتم ايها المقهورون باعجازه لا ترغبون في وعده ولا ترهبون
من وعيده والغرض من هذا الكلام التنبيه على فساد قلوب هولاء الكفار وغلظ
طباعهم ونظيره ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وقيل الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم اي لو انزلنا هذا القران يا محمد على جبل لما ثبت ولا تصدع
من نزوله عليه وقد انزلناه عليك وثبتناك له فيكون ذلك امتنانا عليه ان ثبته
لما لم تثبت عليه الجبال وقيل انه خطاب للامة وان الله تعالى لو انزل هذا القران
الجبال لتصدعت من خشية الله والانسان اقل قوة واكثر ثباتا فهو يقوم بحقه
ان اطاع ويقدر على رده ان عصي لانه موعود بالثواب ومزجور بالعقاب قوله
خاشعا حال لان الروية بصرية وقرا طلحة مصدعا بادغام التا في الصاد قوله
هو الله الذي لا اله الا هو لما وصف القران بالعظم ومعلوم ان عظم الصفة تابع
لعظم الموصوف اتبع ذلك بشرح عظمة الله تعالى فقال هو الله الذي لا اله الا
هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم قال ابن عباس معناه عالم السر
والعلانية وقيل ما كان وما يكون وقال سهل عالم بالاخرة والدنيا وقيل الغيب
ما لم يعلمه العباد ولا عاينوه والشهادة ما علموا وشاهدوا وقوله الرحمن الرحيم
تقدم مثله قوله هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس قرا ابو ذر وابو
السمال القدوس بفتح القاف قال الحسن هو الذي كثرت بركاته والعامة بضمها
وهو المنزه عن كل نقص والطاهر عن كل عيب والقدوس بالتحريك السطل بلغة
اهل الحجاز لانه يتطهر به ومنه القادوس لواحد الاواني التي يستخرج بها الماء من
البير بالسانية وكان سيبويه يقول قدوس وسبوح بفتح اولهما وحكى ابو حاتم
عن يعقوب انه سمع عند الكسائي اعرابيا فصيحا يكنى ابا الدنيا يقرا القدوس بفتح
القاف قال ثعلب كل اسم على فعول فهو مفتوح الاول مثل سفود وكلوب وتنور
وسمور وشبوط الا السبوح والقدوس فان الضم فيهما اكثر وقد يفتحان وكذلك
الذروح بالضم قوله السلام اي ذو السلامة من النقايص قال ابن العربي
اتفق العلما على ان قوله السلام النسبة تقديره ذو السلامة ثم اختلفوا في
ترجمة النسبة فقيل معناه الذي سلم من كل عيب وبري من كل نقص وقيل المسلم
على عباده في الجنة كما قال سلام قولا من رب رحيم وقيل معناه الذي سلم
الخلق من ظلمه وهذا قول الخطابي قال القرطبي وعلى هذا والذي قبله
تكون صفة فعل وعلى الاول تكون صفة ذات وقيل معناه المسلم لعباده قوله
المومن اي الذي امن اولياءه عذابه يقال امنه يومنه فهو مومن قال تعالى
وامنهم من خوف وقيل المصدق لرسله باظهار معجزاته عليهم ومصدق المومنين
ما وعدهم من الثواب ومصدق الكافرين ما اوعدهم من العقاب وقال مجاهد
المومن الذي وحد نفسه بقوله شهد الله انه لا اله الا هو وقرا العامة المومن
بكسر الميم اسم فاعل من امن بمعنى امن وابو جعفر محمد بن علي بن الحسين وقيل ابن
القعقاع بفتحها فقال الزمخشري بمعنى المومن به على حذف حرف الجر كقوله واختار
موسى قومه المختارون وقال ابو حاتم لا يجوز ذلك اي هذه القراة لانه لو كان
كذلك لكان المومن به وكان جايزا لكن المومن المطلق بلا حرف جر يكون من كان خايفا
فامن فقد رد ما قاله الزمخشري **فصل** قال ابن عباس اذا كان يوم القيمة
اخرج اهل التوحيد من النار واول من يخرج من وافق اسمه اسم نبي حتى اذا لم يبق فيها

من يوافق اسمه اسم نبي قال الله تعالى لباقيهم انتم المسلمون وانا السلام وانتم المومنون
وانا المومن فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين قوله المهيمن العزيز قيل معنى المهيمن
الشاهد الذي لا يغيب عنه شي وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل
قال الخليل وابو عبيدة هيمن يهيمن فهو مهيمن وقد تقدم الكلام عليه عند قوله ومهيمنا
عليه وقال ابن الانباري المهيمن القايم على خلقه بقدرته وانشد

الا ان خير الناس بعد نبيه • مهيمنه التاليه في العرف والنكر

وقيل هو الاصل مومن فقلبت الهمزة ها كقوله ارقت وهرقت ومعناه المومن نقله
البغوي وتقدم الكلام على العزيز قوله الجبار استدل به من يقول ان امثلة المبالغة
تاتي من المزيد على الثلاثة فانه من اجبره على كذا اي قهره قال الفرا ولم اسمع فعالا من
افعل الا في جبار ودراك من ادرك انتهى فاستدرك عليه اسار فهو سار وقيل هو من الجبر
وهو الاصلاح وقيل هو من قولهم نخلة جبارة اذا لم تنلها الجناة قال امري القيس

سوامق جبار اثيث فروعه • وعالين قنوانا من البسر احمرا

يعني النخل الذي فات اليد قال ابن الخطيب فيه وجوه احدها انه فعال من جبر اذا اغنى
الفقير واصلح الكسير قال الازهري هو لعمري جابر كل كسير وفقير وهو جابر دينه الذي
ارتضاه قال العجاج • قد جبر الدين الاله مجبر

الثاني ان يكون من جبره اذا اكرهه على ما اراده قال السدي انه الذي يقهر الناس ويجبرهم
على ما اراده قال الازهري هي لغة تميم وكثير من الحجازيين يقولونها وكان الشافعي
رحمه الله يقول جبره السلطان على كذا بغير الف الثالث قال ابن عباس الجبار هو الملك
العظيم وقيل الجبار الذي لا تطاق سطوته قال الواحدي هذا الذي ذكرنا من معاني
الجبار في صفة الله تعالى واما معاني الجبار في صفة الخلق فلها معان احدها المسلط كقوله
وما انت عليهم بجبار الثاني العظيم الجسيم كقوله تعالى ان فيها قوما جبارين الثالث
المتمرد عن عبادة الله تعالى كقوله ولم يجعلني جبارا الرابع القتال كقوله بطشتم جبارين
وقوله ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض قوله المتكبر قال ابن عباس الذي تكبر
بربوبيته فلا شي مثله وقيل المتكبر عن كل سو المتعظم عما لا يليق به من صفات الحدث
والذم واصل الكبر والكبريا الامتناع وقلة الانقياد قال حميد بن ثور

عفت مثلما يعفو الفصيل فاصبحت • بها كبريا الصعب وهي ذلول

قال الزجاج هو الذي يعظم عن ظلم عباده وقال ابن الانباري المتكبر ذو الكبريا والكبريا
عند العرب الملك قال تعالى وتكون لكما الكبريا في الارض واعلم ان المتكبر في صفات الله
مدح وفي صفات المخلوقين ذم قال عليه السلام فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى انه
قال الكبريا ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما قصمته ثم قذفته في النار
وقيل المتكبر معناه العالي وقيل معناه الكبير لانه اجل من ان يتكلف كبرا وقد يقال تظلم
بمعنى ظلم وتشتم بمعنى شتم واستقر بمعنى قر كذلك المتكبر بمعنى الكبير وليس كما يوصف به
المخلوق اذا وصف بتفعل اذا نسب الى ما لم يكن منه ثم نزه نفسه فقال سبحان الله عما يشركون
كانه قال ان المخلوقين قد يتكبرون ويدعون مشاركة الله تعالى في هذا الوصف لكنه
سبحانه منزه عن التكبر الذي هو حاصل للخلق لانهم ناقصون بحسب ذواتهم نادعا وهم
الكذب يكون ضم نقصان الكذب الى النقصان الذاتي واما الله سبحانه فله العلو والعز
فاذا اظهره كان ذلك ضم كمال الى كمال فسبحان الله عما يشركون في اثبات صفة المتكبرية
للخلق قوله هو الله الخالق البارئ الخالق هنا المقدر والبارئ المنشي المخترع وقدم
ذكر الخالق على البارئ لان الارادة مقدمة على تاثير القدرة قوله المصور العامة
على كسر الواو ورفع الرا اما صفة واما خبرا وقرا امير المومنين علي بن ابي طالب والحسن وابن
السميفع وحاطب بن ابي بلتعة بفتح الواو ونصب الرا وتخريجها على ان يكون منصوبا بالبارئ
والمصور هو الانسان اما ادم واما هو وبنوه وعلى هذه القراة يحرم الوقف على المصور
بل يجب الوصل ليظهر النصب في الراء والا فقد يتوهم منه في الوقف ما لا يجوز وروي عن

امير المومنين ايضا فتح الواو وجر الرا وهي كالاولي في المعني الا انه اضاف اسم الفاعل المعموله تخفيفا نحو الضارب الرجل والوقف علي المصور في هذه القراة ايضا حرام وقد نبه عليه بعضهم وقال مكي ويجوز نصبه في الكلام ولابد من فتح الواو فنصبه بالباري اي هو الله الخالق المصور يعني ادم عليه السلام وبنيه انتهي وكانه لم يطلع علي هذه القراة وقال ايضا ولا يجوز نصبه مع كسر الواو ويروي عن علي رضي الله عنه يعني انه اذا كسرت الواو وكان من صفات الله تعالي وحينئذ لا يستقيم نصبه عنده لان نصبه باسم الفاعل قبله وقوله ويروي اي كسر الواو ونصب الراء واذا اصح هذا عن امير المومنين فيتخرج علي انه من القطع كانه قيل امدح المصور كقولهم الحمد لله اهل الحمد بنصب اهل وقراة من قرا لله رب العالمين بنصب رب قال مكي والمصور مفعل من صور يصور ولا يحسن ان يكون من صار يصير لانه يلزم منه ان يقال المصير بالياء ومثل هذا من الواضحات ولا يقبله المعني ايضا وقدم الباري علي المصور لان ايجاد الذوات مقدم علي ايجاد الصفات فالتصوير مترتب للخلق والبراية وتابع لهما ومعني التصوير التخطيط والتشكيل وخلق الله الانسان في بطن امه ثلاث خلق جعله علقة ثم مضغة ثم جعله صورة وهو التشكيل الذي يكون به ذا صورة يعرف بها ويتميز عن غيره فتبارك الله احسن الخالقين قوله له الاسما الحسني يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم تقدم نظيره روي ابو هريرة قال سالت خليلي ابا القاسم رسول الله صلي الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك باخر سورة الحشر فاكثر قراتها فاعدت عليه فاعاد علي وقال جابر بن زيد ان اسم الله الاعظم هو الله لمكان هذه الاية وعن انس ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من قرا سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وعن ابي امامة قال قال النبي صلي الله عليه وسلم من قرا خواتيم سورة الحشر في ليل او نهار فقبضه الله في تلك الليلة او ذلك اليوم فقد اوجب الله له الجنة

سورة الممتحنة مدنية

وتسمي الممتحنة بكسر الحا اي المختبرة اضيف الفعل اليها مجازا كما سميت سورة براءة المبعثرة والفاضحة لما كشفت من عيوب المنافقين ومن قال بفتح الحا فانه اضافها الي المراة التي نزلت فيها وهي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط قال الله تعالي فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن وهي ثلاث عشرة اية وثلاثماية وثمان واربعون كلمة والف وخمسماية وعشرة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالي يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الاية وجه تعلق اول السورة باخر ما قبلها هو ان اخر تلك السورة تشتمل علي الصفات الجميلة اللات بحضرة الله تعالي من الوجوه وغيرها واول هذه السورة تشتمل علي حرمة الاختلاط مع من لم يعترف بتلك الصفات قوله عدوي وعدوكم اوليا هذان مفعولا الاتخاذ والعدو ولما كان بزنة المصادر وقع علي الواحد فما فوقه واضاف العدو لنفسه تعالي تغليظا في جرمهم روي مسلم عن علي رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله صلي الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال ايتوا روضة خاخ فان بها ضعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادي بنا خيلنا فاذا نحن بالمراة وهي امراة عبد الرحمن بن عوف ولدت ابراهيم بن عبد الرحمن فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به رسول الله صلي الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الي ناس من المشركين من اهل مكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا قال لا تعجل علي يا رسول الله اني كنت امرا ملصقا في قريش قال سفيان يقول كنت حليفا ولم اكن من انفسها وكان من معك من المهاجرين من له قرابات يحمون اهليهم واموالهم فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب ان اتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ولم افعله كفرا ولا ارتدادا عن ديني فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اما انه قد صدقكم فقال عمر يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال انه شهد بدرا وما

يدريك

يدريك لعل الله اطلع علي عباده من شهد بدرا فقال اعملوا ما شيتم فقد غفرت لكم فانزل الله تعالي يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا الي قوله سوا السبيل قيل اسم المراة سارة من موالي قريش وكان في الكتاب اما بعد فان رسول الله صلي الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لو لم يسر اليكم الا وحده لاظفره الله بكم وانجز له موعده فيكم فان الله وليه وناصره وقيل ان سارة مولاة ابي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف اتت المدينة من مكة ورسول الله صلي الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة قيل كان هذا زمن الحديبية فقال لها رسول الله صلي الله عليه وسلم امهاجرة جيت يا سارة فقالت لا قال امسلمة قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي والاصل والعشيرة وقد ذهبت الموالي يعني قتلوا يوم بدر وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني فقال عليه السلام فاين انت عن شباب اهل مكة وكانت مغنية نايحة قالت ما طلب مني شي بعد وقعة بدر فحث رسول الله صلي الله عليه وسلم بني عبد المطلب وبني المطلب علي اعطايها فكسوها وحملوها واعطوها فخرجت الي مكة واتاها حاطب بن ابي بلتعة حليف بني اسد ابن عبد العزي وقال اعطيك عشرة دنانير وبردا علي ان تبلغي هذا الكتاب الي اهل مكة وكتب في الكتاب ان رسول الله صلي الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلي الله عليه وسلم بذلك فبعث عليا والزبير والمقداد وفي رواية عليا وعمار بن ياسر وفي رواية عليا وعمارا وعمر والزبير وطلحة والمقداد وابا مرثد وكانوا كلهم فرسانا وقال لهم انطلقوا حتي تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة ومعها كتاب من حاطب الي المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها فان لم تدفعه اليكم فاضربوا عنقها فادركوها في ذلك المكان فقالوا اين الكتاب فحلفت ما معها كتاب ففتشوا امتعتها فلم يجدوا كتابا معها فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذبنا وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب والا والله لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رات الجد اخرجته من ذوابتها قد خبأته في شعرها وفي رواية من حجزتها فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فارسل الي حاطب فقال هل تعرف هذا الكتاب قال نعم وذكر الحديث

فصل هذه السورة اصل في النهي عن موالاة الكفار وقد تقدم نظيره كقوله لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا وقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصاري اوليا روي ان حاطبا لما سمع يا ايها الذين امنوا غشي عليه من الفرح بخطاب الايمان قوله تلقون فيه اربعة اوجه احدها انه تفسير لموالاتهم اياهم الثاني انه استيناف اخبار بذلك فلا يكون للجملة علي هذين الوجهين محل من الاعراب الثالث انها حال من فاعل تتخذوا اي لا تتخذوا ملقين المودة الرابع انها صفة لاوليا قال الزمخشري فان قلت اذا جعلته صفة لاوليا وقد جري علي غير من هو له فاين الضمير البارز وهو قولك تلقون اليهم انتم بالمودة قلت ذاك انما اشترطوه في الاسما دون الافعال لو قيل اوليا ملقين اليهم بالمودة علي الوصف لما كان بد من الضمير البارز وقد تقدمت هذه المسيلة مستوفاة وفيها كلام لمكي وغيره الا ان ابا حيان اعترض علي كونها صفة او حالا بانهم نهوا عن اتخاذهم اوليا مطلقا في قوله لا تتخذوا اليهود والنصاري اوليا والتقييد بالحال والوصف يوهم جواز اتخاذهم اوليا اذا انتفي الحال او الوصف قال شهاب الدين ولا يلزم ما قال لانه معلوم من القواعد الشرعية فلا مفهوم لهما البتة وقال الفرا تلقون من صلة اوليا وهذا علي اصولهم من ان النكرة توصل كغيرها من الموصولات قوله بالمودة في البا ثلاثة اوجه احدها ان البا مزيدة في المفعول به كقوله ولا تلقوا بايديكم وقوله ومن يرد فيه بالحاد الثاني انها غير مزيدة والمفعول محذوف ويكون معني البا السبب كانه قيل يلقون اليهم اسرار رسول الله صلي الله عليه وسلم واخباره بسبب المودة التي بينكم وبينهم قاله الزجاج الثالث انها متعلقة بالمصدر الدال عليه تلقون اي القاوهم بالمودة نقله الحوفي عن البصريين لا يوافق اصولهم اذ يلزم منه حذف المصدر وابقا معموله وهو لا يجوز عندهم وايضا فان فيه حذف الجملة براسها

نان القاهم مبتدأ وبالمودة متعلق به والخبر ايضا محذوف وهذا اجحاف **فصل** قال
ابن الخطيب في الاية مباحث الاول اتخاذ العدو وليا كيف يمكن فالعداوة منافية للمحبة والموالاة
لا يبعد ان تكون العداوة بالنسبة الي امر والمحبة والمودة بالنسبة الي امر اخر الا ترى قوله
تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال عليه السلام اولادنا اكبادنا الثاني لم قال
عدوي وعدوكم ولم يقل بالعكس والجواب ان العداوة بين المومن والكافر بسبب محبة
الله ومحبة رسوله عليه السلام فتكون محبة العبد من اصل الايمان يحصره الله تعالى
بعلمه ومحبة حضرة الله تعالى للعبد لا لعلة والذي لا لعلة اقدم على الذي لعلة لان
الشي اذا كانت له نسبة الي الطرفين فالطرف الاعلا مقدم على الادنى الثالث قال
اولياء ولم يقل ولي العدو والولي معرفا فالجواب ان المعرف بحرف التعريف يتناول
كل فرد فكذلك المعرف بالاضافة **فصل** قال القرطبي قوله تلقون اليهم
بالمودة يعني بالظاهر لان قلب حاطب كان سليما بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لهم اما صاحبكم فقد صدق وهذا نص في سلامة مواده وخلوص اعتقاده
فصل قال القرطبي من كثر تطلعه على عورات المسلمين وينبه عليهم ويعرف
عدوهم باخبارهم لم يكن بذلك كافرا اذا كان فعله ذلك لغرض دنياوي واعتقاده
على ذلك سليم كما فعل حاطب حين قصد بذلك اتخاذ اليد ولم ينوا الردة عن الدين
واذا قيل بانه لا يكون كافرا بذلك فهل يقتل حدا ام لا فقال مالك وابن القاسم واشهب
يجتهد الامام في ذلك وقال عبد الملك اذا كانت عادته تلك قتل لانه جاسوس وقد
قال مالك يقتل الجاسوس لاضراره بالمسلمين وسعيه بالفساد في الارض ولعل ابن
الماجشون انما اخذ التكرار في هذا لان حاطبا اخذ في اول فعله فان كان الجاسوس
كافرا فقال الاوزاعي يكون نقضا لعهده وقال الجاسوس الحربي يقتل والجاسوس
المسلم والذمي يعاقبان الا ان يظاهرا على الاسلام فيقتلان وقد روي عن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بعين للمشركين اسمه
فرات بن حيان فامر به ان يقتل فصاح يا معشر الانصار اقتل وانا اشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله فامر به النبي صلى الله عليه وسلم فخلى سبيله ثم قال ان منكم
من اكله الي ايمانه منهم فرات بن حيان قوله وقد كفروا فيه اوجه احدها الاستيناف
الثاني الحال من فاعل تتخذوا والثالث الحال من فاعل يلقون اي لا تتولوهم ولا
توادوهم وهذه حالهم وقرا العامة بما بالباء والجحدري وعاصم في رواية لما باللام
اي لاجل ما جاءكم من الحق فعلى هذا الشي المكفور به غير مذكور تقديره كفروا
بالله ورسوله قوله يخرجون الرسول يجوز ان يكون مستانفا وان يكون تفسيرا
لكفرهم فلا محل له على هذين وان يكون حالا من فاعل كفروا قوله واياكم عطف
على الرسول وقدم عليهم تشريفا له وقد استدل به من يجوز انفصال الضمير مع القدرة
على اتصاله اذ كان يجوز ان يقال يخرجونكم والرسول فيجوز يخرجون اياكم
والرسول في غير القران وهو ضعيف لان حاله تقديم الرسول دلالة على شرفه لا نسلم
انه يقدر على اتصاله وقد تقدم الكلام على هذه الاية عند قوله تعالى ولقد
وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم في سورة النسا قوله ان تومنوا
مفعول له وناصبه يخرجون اي يخرجونكم لايمانكم او كراهة ايمانكم **فصل** قال
القرطبي ان تومنوا بالله ربكم تعليل ليخرجون والمعنى يخرجون الرسول ويخرجونكم
من مكة لان تومنوا بالله اي لاجل ايمانكم بالله قال ابن عباس وكان حاطب ممن
اخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في الكلام تقديم وتاخير والتقدير لا تتخذوا
عدوي وعدوكم اولياء ان كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي وقيل في الكلام حذف
والمعنى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي شرط وجوابه مقدم والمعنى
ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء قال ابو حيان
ان كنتم خرجتم جوابه محذوف عند الجمهور لتقدم لا تتخذوا مقدم وهو لا تتخذوا عند

الكوفيين

الكوفيين ومن تابعهم وقال الزمخشري وان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا
اعداي ان كنتم اولياي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله
عليه انتهى يريد انه متعلق به من حيث المعنى واما من حيث الاعراب فكما قال جمهور النحويين
قوله جهادا وابتغاء يجوز ان ينتصبا على المفعول له اي خرجتم لاجل هذين او على المصدر
بفعل مقدر اي تجاهدون وتبتغون او على انهما في موضع الحال قوله تسرون يجوز ان
يكون مستانفا ولم يذكر الزمخشري غيره ويجوز ان يكون حالا ثانية مما انتصب عنه
تلقون حالا ويجوز ان يكون بدلا من تلقون قال ابن عطية ويشبه ان يكون بدل اشتمال
لان القا المودة يكون سرا وجهرا فابدل منه هذا للبيان باي نوع وقع القا قال القرطبي
تسرون بدل من تلقون ومبين عنه والافعال تبدل من الافعال كما قال تعالى ومن يفعل
ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب وانشد سيبويه

متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا •

ويجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي انتم تسرون قال ابن عطية ولا يخرج عن معنى الاستيناف
وقال ابو البقا هو تاكيد ليلقون بتكرير معناه قال شهاب الدين وفيه نظر لان الالقا
اعم من ان يكون سرا وجهرا وتقدم الكلام على الباء في قوله بالمودة قوله وانا اعلم هذه
الجملة حال من فاعل تسرون اي واي طائل لكم في اسراركم وقد علمتم ان الاسرار والاعلان
سيان في علمي واعلم يجوز ان يكون افعل تفضيل وهو الظاهر اي انا اعلم من كل احد بما
تخفون وما تعلنون وان يكون فعلا مضارعا قال ابن عطية وعدي بالباء لانك تقول
علمت وعلمت كذا فتكون زائدة وفيه وانا اعلم من كل احد كما يقال فلان اعلم وافضل من
غيره **فصل** قال القرطبي وهذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله وكرامته
ونصيحته لرسوله وصدق ايمانه فان المعاتبة لا تكون الا من محب لحبيب كما قال

اذا ذهب العتاب فليس ود • ويبقى الود ما بقي العتاب •

فان قيل لم قدم العلم بالاخفا على العلم بالاعلان مع ان ذلك مستلزم لهذا من غير عكس فالجواب
هذا بالنسبة الي علمه تعالى اذ هما سيان في علمه تعالى لان المقصود بيان ما هو الاخفا وهو
الكفر فيكون مقدما فان قيل لم لم يقل كما اسررتم وما اعلنتم مع انه اليق بما سبق في قوله
تسرون فالجواب ان فيه من المبالغة ما ليس في ذلك فان الاخفا ابلغ من الاسرار بدليل
قوله تعالى يعلم السر واخفى اي اخفى من السر **فصل** والمراد بالمودة في الاية
النصيحة قال ابن عباس وانا اعلم بما اخفيتم في صدوركم وما اظهرتم بالسنتكم من الاقرار
والتوحيد ومن يفعله منكم اي من يسر اليهم ويكاتبهم منكم فقد ضل سواء السبيل اي
اخطا طريق الهدى قوله ومن يفعله في الضمير وجهان اظهرهما انه يعود على الاسرار
لانه اقرب مذكور والثاني انه يعود على الاتخاذ قاله ابن عطية قوله سواء السبيل
يجوز ان يكون منصوبا على الظرف ان قلنا ضل قاصر وان يكون مفعولا به ان قلنا هو
متعد فان قيل ما الفائدة في قوله منكم هم المومنون فظاهر لان من يفعل ذلك لا يلزم
ان يكون مومنا قوله ان يثقفوكم ويصادفوكم ومنه المثاقفة اي طلب مصادفة الغرة
في المسابقة وشبهها وقيل يثقفوكم يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا
اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء اي بالضرب والشتم قوله وودوا لو تكفرون فيه وجهان
احدهما انه معطوف على جواب الشرط وهو قوله يكونوا ويبسطوا قاله الزمخشري
ثم رتب عليه سوالا وجوابا فقال فان قلت كيف اورد جواب الشرط مضارعا مثله
ثم قال وودوا بلفظ الماضي قلت الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع
في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شي وكفركم وارتدادكم يعني انهم
يريدون ان يلحقوا مضار الدنيا والاخرة جميعا والثاني انه معطوف على جملة الشرط
والجزا ويكون تعالى قد اخبر بخبرين بما تضمنه الجملة الشرطية وبودادتهم كفر المومنين ورجح
ابو حيان هذا واسقط به سوال الزمخشري وجوابه فقال وكان الزمخشري فهم من قوله
وودوا انه معطوف على جواب الشرط والذي يظهر انه ليس معطوفا عليه لان ودادتهم كفرهم

ليست مترتبة على الظفر بهم والتسليط عليهم بل هم وادون كفرهم على كل حال سواء
ظفروا بهم ام لم يظفروا انتهى قال شهاب الدين والظاهر انه عطف على الجواب وقوله
وادون ذلك مطلقا مسلم ولكن وداد تهم له عند الظفر والتسليط اقرب واطمع لهم
فيهم وقوله او تكفرون يجوز ان يكون لما سيقع لو قوعه وان تكون المصدرية عند من
يرى ذلك وتقدم تحريرها في البقرة **فصل** والمعنى وودوا لو تكفرون بمحمد
فلا تناصحوهم فانهم لا يناصحونكم قوله لن تنفعكم ارحامكم لما اعتذر حاطب
بان له ارحاما واولادا فيما بينهم بين الله تعالى ان الاهل والاولاد لا ينفعون شيئا
يوم القيمة ان عصى من اجل ذلك يفصل بينكم فيدخل المومنين الجنة والكافرين
النار والله بما تعملون بصير قوله يوم القيمة يجوز فيه وجهان احدهما ان يتعلق
بما قبله اي لن تنفعكم يوم القيمة فيوقف عليه ويبتدا يفصل بينكم والثاني ان يتعلق
بما بعده اي يفصل بينكم يوم القيمة فيوقف على اولادكم ويبتدا يوم القيمة والقراء في
يفصل بينكم على اربع مراتب الاولى لابن عامر بضم اليا وفتح الفا والصاد مثقلة
الثانية كذلك الا انه بكسر الصاد للاخوين الثالثة بفتح اليا وسكون الفا وكسر
الصاد مخففة لعاصم الرابعة بضم اليا وسكون الفا وفتح الصاد مخففة للباقين وهم
نافع وابن كثير وابو عمرو وهذا في السبعة وقرا ابن ابي عبلة وابو حيوة بضم اليا وسكون
الفا وكسر الصاد مخففة من افصل وابو حيوة ايضا نفصل بضم النون من افصل والنخعي
وطلحة نفصل بضم النون وفتح الفا وكسر الصاد مخففة فهذه اربع فصارت ثمان
قراات فمن بناه للمفعول فالقائم مقام الفاعل اما ضمير المصدر اي يفصل الفصل او
الظرف وبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لقد تقطع بينكم في احد الاوجه
او الظرف وهو باق على نصبه كقولك جلس عندك ثم قال تعالى والله بما تعملون بصير
وفيه سوال وهو انه لم يقل خبير مع انه ابلغ في العلم بالشي والجواب ان الخبير ابلغ في
العلم والبصير اظهر منه فيه لانه يجعله كالمحسوس بحس البصر قوله قد كانت لكم
اسوة حسنة في ابراهيم لما نهى عن موالاة الكفار ذكر قصة ابراهيم وان من سيرته
التبري من الكفار اي فاقتدوا به الا في استغفاره لابيه والاسوة والاسوة ما يتاسى
به مثل القدوة والقدوة ويقال هو اسوتك اي مثلك وانت مثله وتقدم قراتا اسوة
في سورة الاحزاب والكلام على مادتها قوله في ابراهيم فيه اوجه احدها انه
متعلق باسوة تقول لي اسوة في فلان ومنع ابو البقا ان يتعلق بها لانها قد وصفت
وهذا لا يبالي به لانه يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره الثاني انه متعلق بحسنة
تعلق الظرف بالعامل الثالث انه نعت ثان لاسوة الرابع انه حال من الضمير المستتر
في حسنة الخامس ان يكون خبر كان ولكم تبيين قوله والذين معه يعني اصحاب
ابراهيم من المومنين وقال ابن زيد هم الانبيا قوله اذ قالوا فيه وجهان
احدهما انه خبر كان والثاني انه متعلق بخبرها قالهما ابو البقا ومن جوز في كان
ان تعمل في الظرف علقه بها والمراد بقومهم الكفار قوله انا برآء هذه قراءة العامة
بضم البا وفتح الرا والف بين همزتين جمع بري نحو كرما في جمع كريم وعيسى الهمداني
بكسر البا وهمزة بعد الف وفيه اوجه احدها انه جمع بري ايضا والاصل كسر البا وانما
ابدل من الكسرة ضمة كرجال ورباب قاله الزمخشري الثاني انه جمع بري ايضا واصله
برآء كالقراءة المشهورة الا انه حذف الهمزة الاولى تخفيفا قاله ابو البقا الثالث انه اسم
جمع لبري نحو توام وظوار اسمي جمع لتوام وظير وقرا عيسى ايضا برا بفتح البا وهمزة
بعد الف كالتي في الزخرف وصح ذلك لانه مصدر والمصدر يقع على الجمع كوقوعه
على الواحد قال الزمخشري والبرا والبراة كالظما والظماة وقال مكي واجاز ابو عمرو
وعيسى بن عمر برا بكسر البا جعله ككريم وكرام قال القرطبي هو على وزن فعال مثل
قصار وقصير وطوال وطويل وظراف وظريف ويجوز ترك الهمزة حتى تقول برى وتنون
واجاز الفرا برا بفتح البا ثم قال وبرا في الاصل مصدر كانه لم يطلع على انها قراة منقولة

فصل

فصل قال القرطبي الاية نص في الامر بالاقتدا بابراهيم عليه السلام في فعله وذلك
يدل على ان شرع من قبلنا شرع لنا فيما اخبر الله ورسوله قوله كفرنا بكم اي بما امنتم به
من الاوثان وقيل اي بافعالكم وكذبناها وانكرنا ان يكونوا على حق وبدا بيننا وبينكم
العداوة والبغضا ابدا اي هذا دابنا معكم ما دمتم على كفركم حتى تومنوا بالله وحده
والايمان انما هو بالله وبغيره كقوله كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله فالجواب
ان الايمان بالله وحده مستلزم للايمان بالملايكة والكتب والرسل قوله الا قول ابراهيم
فيه اوجه احدها انه استثنا متصل من قوله في ابراهيم ولكن لا بد من حذف مضاف ليصح
الكلام تقديره في مقالات ابراهيم الا قوله كيت وكيت الثاني انه مستثنى من اسوة حسنة
وجاز ذلك لان القول ايضا من جملة الاسوة لان الاسوة الاقتدا بالشخص في اقواله
وافعاله فكانه قيل لكم فيه اسوة في جميع احواله من قول وفعل الا قوله كذا وهذا واضح
لانه غير محوج الى تقدير مضاف وغير محرج للاستثنا من الاتصال الذي هو اصله الى
الانقطاع ولذلك لم يذكر الزمخشري غيره قال فان قلت مم استثنى قوله الا قول ابراهيم
قلت من قوله اسوة حسنة لانه اراد بالاسوة الحسنة قوله الذي حق عليهم ان يتاسوا
به ويتخذوه سنة يستنون بها فان قلت فان كان قوله لاستغفرن لك مستثنى من
القول الذي هو اسوة حسنة فما بال قوله وما املك لك من الله من شي وهو غير حقيق
بالاستثنا الا ترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله شيئا قلت اراد استثنا جملة قوله
لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع له كانه قال انا
استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار الثالث قال ابن عطية ويحتمل ان يكون
الاستثنا من التبري والقطيعة التي ذكرت اي لم يبق صلة الا كذا والله اعلم الرابع انه
استثنا منقطع اي لكن قول ابراهيم وهذا بنا من قايليه على ان القول لم يندرج تحت
قوله اسوة وهو ممنوع **فصل** قال القرطبي معنى قوله الا قول ابراهيم لابيه
لاستغفرن لك اي فلا تتاسوا به في الاستغفار فتستغفروا للمشركين فانه كان عن
موعدة منه له قاله قتادة ومجاهد وغيرهما وقيل معنى الاستثنا ان ابراهيم هجر قومه
وباعدهم الا في الاستغفار لابيه ثم بين عذره في سورة التوبة وفي هذا دلالة على
تفضيل
نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الانبيا لانا حين امرنا بالاقتدا به امرنا امرا مطلقا
في قوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحين امرنا بالاقتدا بابراهيم
استثنى بعض افعاله وهذا انما جرى لانه ظن انه اسلم فلما بان انه لم يسلم تبرا منه وعلى
هذا فيجوز الاستغفار لمن يظن انه اسلم وانتم لم تجدوا مثل هذا الظن فلم توالوهم
قوله وما املك لك من الله من شي هذا من قول ابراهيم لابيه اي ما ادفع عنك
من عذاب الله شيئا ان اشركت به قوله ربنا عليك توكلنا يجوز ان يكون من مقول
ابراهيم والذين معه فهو من جملة الاسوة الحسنة وفصل بينهما بالاستثنا ويجوز ان
يكون منقطعا مما قبله على اضمار قول وهو تعليم من الله تعالى لعباده كانه قال لهم
قولوا ربنا عليك توكلنا اي اعتمدنا واليك انبنا اي رجعنا واليك المصير اي الرجوع في
الاخرة ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا اي لا تظهر عدونا علينا فيظنوا انهم على حق
فيفتتنوا بذلك وقيل لا تسلطهم علينا فيقتلونا ويعذبونا وقال مجاهد لا تعذبنا
بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هولاء على الحق لما اصابهم ذلك وقيل لا
تبسط عليهم الرزق دوننا فان ذلك فتنة لهم وقيل لا تجعلنا فتنة اي عذابا اي سببا
يعذب به الكفرة وعلى هذه ليست الاية من قول ابراهيم عليه السلام واغفر لنا ربنا
انك انت العزيز الحكيم قوله لقد كان لكم فيهم اي في ابراهيم ومن معه من الانبيا
والاوليا اسوة حسنة اي في التبري من الكفار وقيل كررت تاكيدا وقيل نزل الثاني
بعد الاول بعدة قال القرطبي وما اكثر المكررات في القران على هذا الوجه قوله
لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر بدل من الضمير في لكم بدل بعض من كل وقد تقدم
مثله في الاحزاب والضمير في فيهم عايد على ابراهيم ومن معه وكررت الاسوة تاكيدا

وفيه بيان ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الاخرة ومن يتول اي يعرض
عن الايمان ويتول الكفار فان الله هو الغني عن خلقه اي لم يتعبدهم لحاجته اليهم
الحميد الي اوليايه واهل طاعته وقيل الحميد في نفسه وصفاته قوله عسى الله
ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة قال المفسرون لما نزلت الاية الاولى
عادى المسلمين اقرباوهم من المشركين فعلم الله شدة وجد المسلمين في ذلك فنزلت عسى
الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة اي من كفار مكة مودة وقد
فعل الله ذلك لان عسى من الله وعد لا يخلف الله وعده وهذا بان يسلم الكافر وقد
اسلم قوم منهم بعد فتح مكة وخالطهم المسلمون كابي سفيان بن حرب والحارث بن
هشام وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وقيل المودة تزويج رسول الله صلى الله عليه
وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان فلانت عند ذلك عريكة ابي سفيان قال ابن
عباس كانت المودة بعد الفتح تزويج النبي صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي
سفيان وكانت تحت عبد الله بن جحش وكانت هي وزوجها من مهاجرة الحبشة
فاما زوجها فتنصر وسالها ان تتابعه على دينه فابت وصبرت على دينها ومات
زوجها على النصرانية فبعث النبي صلى الله عليه وسلم الي النجاشي فخطبها فقال
النجاشي لاصحابه من اولاكم بها قالوا خالد بن سعيد بن العاص قال فزوجها
من نبيكم ففعل وامهرها النجاشي من عنده اربع مائة دينار وقيل خطبها النبي
صلى الله عليه وسلم الي عثمان بن عفان فلما زوجه اياها بعث الي النجاشي فيها
فساق عنه المهر وبعث بها اليه فقال ابو سفيان وهو مشرك لما بلغه تزويج النبي
صلى ابنته ذلك الفحل لا يقدع انفه قال ابن الاثير يقال قدعت الفحل وهو
ان يكون غير كريم فاذا اراد ركوب الناقة الكريمة ضرب انفه بالرمح وغيره حتى
يرتدع وينكف ويروى بالراء قوله لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين
هذه الاية رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المومنين ولم يقاتلوهم
قال ابن زيد كان هذا في اول الاسلام عند الموادعة وترك الامر بالقتال ثم
نسخ قال قتادة نسختها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل كان هذا
الحكم لعلة وهي الصلح فلما زال الصلح بفتح مكة نسخ الحكم وبقي الرسم يتلى وقيل
هي مخصوصة في حلفا النبي صلى الله عليه وسلم ومن بينه وبينه عهد لم ينقضه
قاله الحسن قال الكلبي هم خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناف وهو قول ابي
صالح وقال مجاهد هي مخصوصة في الذين امنوا ولم يهاجروا وقيل يعني به النسا
والصبيان لانهم ممن لا يقاتل فاذن الله في برهم وقال اكثر اهل التاويل هي
محكمة واحتجوا بان اسما بنت ابي بكر سالت النبي صلى الله عليه وسلم هل تصل امها
حين قدمت عليها مشركة فقال نعم خرجه البخاري ومسلم وقيل ان الاية نزلت
فيها روى عامر بن عبد الله بن الزبير عن ابيه ان ابا بكر الصديق طلق امراته
قتيلة في الجاهلية وهي ام اسما بنت ابي بكر فقدمت عليهم في المدة التي كانت
فيها المهادنة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش فاهدت الي
اسما بنت ابي بكر قرطا واشيا فكرهت ان تقبل منها حتى اتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكرت ذلك فانزل الله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في
الدين ذكر هذا الخبر الماوردي وغيره وخرجه ابو داود الطيالسي في مسنده قوله
ان تبروهم وقوله ان تولوهم بدلان من الذين قبلهما بدل اشتمال فيكون في
موضع جر والمعنى لا ينهاكم الله تعالى عن ان تبروا هولاء الذين لم يقاتلوكم انما
ينهاكم عن تولي هولاء وهم خزاعة صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يقاتلوه
ولا يعينوا عليه احدا فامر ببرهم والوفا لهم الي اجلهم حكاه الفرا وقوله وتقسطوا
اليهم اي تعطوهم قسطا من اموالكم على وجه الصلة وليس يريد به من العدل فان
العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل قاله ابن العربي **فصل** نقل القرطبي

عن القاضي ابي بكر في كتاب الاحكام له ان بعض العلما استدل بهذه الاية على وجوب نفقة
الابن المسلم على ابيه الكافر قال وهذه وهلة عظيمة اذ الاذن في الشي او ترك النهي عنه
لا يدل على وجوبه وانما يعطي الاباحة خاصة وقد بينا ان القاضي اسماعيل بن اسحاق دخل
عليه ذمي فاكرمه فاخذ عليه الحاضرون في ذلك فتلى هذه الاية عليهم قوله تعالى انما
ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين اي جاهدوكم على الدين واخرجوكم من دياركم
وهم عتاة اهل مكة وظاهروا اي عاونوا على اخراجكم وهم مشركوا مكة ان تولوهم ومن
يتولهم اي يتخذهم اوليا وانصارا واحبابا فاوليك هم الظالمون قوله يا ايها الذين امنوا
اذا جاكم المومنات مهاجرات الاية لما امر المسلمين بترك موالاة المشركين اقتضى ذلك مهاجرة
المسلمين من بلاد الشرك الي بلاد الاسلام وكان التناكح من اوكد اسباب الموالاة فبين احكام
مهاجرة النسا قال ابن عباس جرى الصلح مع مشركي قريش عام الحديبية على ان من اتاه
من اهل مكة رده اليهم فجات سبيعة بنت الحارث الاسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي
صلى الله عليه وسلم بالحديبية بعد فاقبل زوجها وكان كافرا وهو صيفي ابن الراهب
وقيل مسافر المخزومي فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك شرطت ذلك وهذا طينة
الكتاب لم تجف بعد فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل جات ام كلثوم بنت عقبة بن
ابي معيط فجا اهلها يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يردها وقيل هربت من
زوجها عمرو بن العاص ومعها اخواها عمارة والوليد فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخويها وحبسها فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ردها علينا للشرط فقال النبي صلى الله
عليه وسلم كان الشرط في الرجال لا في النسا فانزل الله تعالى هذه الاية وعن عروة قال
كان مما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية ان لا ياتيك منا
احد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه فكره المومنون ذلك وابى
سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يوميذ ابا جندل الي ابيه سهيل
ابن عمرو ولم ياته احد من الرجال الا رده في تلك المدة وان كان مسلما حتى انزل الله في
المومنات ما انزل يومي الي ان الشرط في رد النسا نسخ بذلك وقيل ان التي جات اميمة
بنت بشر كانت عند ثابت بن الشمراخ ففرت منه وهو يوميذ كافر فتزوجها سهل بن حنيف
فولدت له عبد الله قاله زيد بن حبيب نقله الماوردي واكثر اهل العلم على انها ام كلثوم
بنت عقبة قوله المومنات تسمية للشي بما يقاربه ويشارفه او في الظاهر وقرى
مهاجرات بالرفع وخرجت على البدل **فصل** اختلفوا هل دخل النسا في عقد المهادنة
لفظا او عموما فقالت طايفة كان شرط ردهن في عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله
ردهن من العقد ومنع منه وبقاه في الرجال على ما كان وهذا يدل على ان للنبي صلى
الله عليه وسلم ان يجتهد رايه في الاحكام ولكن لا يقره الله على خطا وقالت طايفة لم
يشترط ردهن في العقد لفظا وانما اطلق العقد في رد من اسلم فكان ظاهر العموم اشتماله
عليهن مع الرجال فبين الله تعالى خروجهن عن عمومه وفرق بينهن وبين الرجال لامرين
احدهما انهن ذوات فروج يحرمن عليهم الثاني ارق قلوبا واسرع تقلبا منهم فاما المقيمة
منهن على شركها فمردودة عليهم قوله فامتحنوهن قيل انه كان من ارادت منهن اضرار
زوجها قالت ساهاجر الي محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بامتحانهن
واختلفوا فيما كان يمتحنهن به فقال ابن عباس كان يمتحنهن بان يستحلفن بالله انها
ما خرجت من بغض زوجها ولا رغبة من ارض الي ارض ولا التماس دنيا ولا عشقا لرجل من
المسلمين ولا لحدث احدثته وما خرجت الا رغبة في الاسلام وحب الله ورسوله فاذا حلفت
بالله الذي لا اله الا هو على ذلك اعطى النبي صلى الله عليه وسلم زوجها مهرها وما انفق
عليها ولم يردها فذلك قوله فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الي الكفار لا هن
حل لهم ولا هم يحلون لهن وروي عن ابن عباس ايضا ان المحنة كانت ان تشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله وروى معمر عن الزهري عن عايشة قالت ما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمتحنهن الا بالاية التي قال الله تعالى اذا جاك المومنات يبايعنك

خرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح **فصل** اكثر العلما علي ان هذا ناسخ لما
كان عليه السلام عاهد عليه قريشا من انه يرد اليهم من جاه منهم مسلما فنسخ من ذلك
النسا وهذا مذهب من يري نسخ السنة بالقران وقال بعض العلما كله منسوخ بالقران
فصل قال القرطبي ولا يجوز ان يهادن الامام العدو علي ان يرد اليهم من جاه
مسلما لان اقامة المسلم بارض الشرك لا يجوز وهذا مذهب الكوفيين واجاز مالك
عقد الصلح علي ذلك واحتج الكوفيون بان رسول الله صلي الله عليه وسلم بعث خالد
ابن الوليد الي قوم من خثعم فاعتصموا بالسجود فقتلهم فقضي لهم رسول الله صلي الله عليه
وسلم بنصف الدية وقال انا بري من كل مسلم اقام مع مشرك بدار الحرب لا تراأي ناراهما
قالوا فهذا ناسخ لرد المسلمين الي المشركين اذ كان رسول الله صلي الله عليه وسلم قد بري
ممن اقام معهم في دار الحرب ومذهب مالك والشافعي ان هذا الحكم غير منسوخ قال
الشافعي وليس لاحد هذا العقد الا الخليفة او رجل بامره فمن عقد غير الخليفة هذا
العقد فهو مردود قوله الله اعلم بايمانهن هذه الجملة فايدتها بيان انه لا سبيل لكم
الي ما تطمين به النفس وينثلج الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استاثر
الله به قال الزمخشري اي هذا الامتحان لكم والله اعلم بايمانهن فان ذلك مما لا نه
منه الي البشر وسمي الظن الغالب في قوله علمتموهن علما لما بينهما من القرب كما يقع
الظن موقعه وتقدم ذلك في البقرة قوله فان علمتموهن مومنات اي بما يظهر
من الايمان وقيل اي علمتموهن مومنات قبل الامتحان فلا ترجعوهن الي الكفار
لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن تاكيد للاول لتلازمهما وقيل اراد استمرار
الحكم بينهم فيما يستقبل كما هو في الحال ما داموا مشركين وهن مومنات **فصل**
معني الاية لم يحل الله مومنة لكافر وهذا ادل دليل علي ان الذي اوجب فرقة المسلمة
من زوجها الكافر اسلامها لا هجرتها وقال ابو حنيفة الذي فرق بينهما هو اختلاف
الدارين والصحيح الاول لان الله تعالي بين العلة وهو عدم الحل بالاسلام
لا باختلاف الدار قوله واتوهم ما انفقوا امر الله تعالي اذا امسكت المراة المسلمة
ان يرد علي زوجها ما انفق وذلك من الوفا بالعهد لانه لما منع من اهله بحرمة
الاسلام امر برد المال حتي لا يقع عليهم خسران من الوجهين الزوجة والمال **فصل**
ولا غرم الا اذا طالب الزوج الكافر فاذا حضر وطالب منعناها وغرمنا فان كانت
ماتت قبل حضور الزوج لم نغرم المهر اذ لم يتحقق المنع وان كان المسمي خمرا او خنزيرا
لم نغرم شيا لانه لا قيمة له وللشافعي في هذه الاية قولان احدهما انه هذا منسوخ
قال الشافعي واذا جاتنا المراة الحرة من اهل الهدنة مسلمة مهاجرة من الحرب الي
الامام في دار الاسلام او دار الحرب فمن طلبها من ولي سوي زوجها منع منها بلا عوض
واذا طلبها زوجها لنفسه او غيره بوكالة ففيه قولان احدهما يعطي العوض لهذه
الاية والثاني لا يعطي الزوج المشرك الذي جات امراته مسلمة العوض فان شرط
الامام رد النسا كان الشرط باطلا منسوخا وليس عليه عوض لانه لا عوض للباطل
فصل امر الله تعالي برد ما انفقوا الي الازواج وان المخاطب بهذا الامام ينفذ
من بيت المال الذي لا يتعين له مصرف وقال مقاتل يرد المهر للذي يتزوجها من
المسلمين وليس لزوجها الكافر شي وقال قتادة الحكم في رد الصداق انما هو
في نسا اهل العهد فاما من لا عهد بينه وبين المسلمين فلا يرد عليهم الصداق قال
القرطبي والامر كما قال قوله ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اي في ان تنكحوهن
وقوله اذا اتيتموهن يجوز ان يكون ظرفا محضا وان يكون شرطا جوابه مقدر
اي فلا جناح عليكم **فصل** ومعني الاية ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن
اجورهن اي مهورهن فاباح الله نكاحهن للمسلمين وان كان لهن ازواج في دار
الكفر لان الاسلام فرق بينهن وبين ازواجهن الكفار قال القرطبي اباح نكاحهن
اذا اسلمن وانقضت عدتهن لما ثبت في نكاح المشركة والمعتدة فان اسلمت قبل الدخول

بنت

بنت النكاح في الحال قوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر قرا ابو عمرو في اخرين بضم التا وفتح الميم
وشد السين وبا في السبعة بتخفيفها من مسك وامسك بمعني واحد يقال امسكت الحبل امساكا
ومسكته ومسكته تمسيكا وفي التشديد ايضا لغة والمخفف صالح لها ايضا وقرا الحسن وابن
ابي ليلي وابو عمرو وابن عامر في رواية عنهما تمسكوا بالفتح في الجميع وتشديد السين والاصل
تتمسكوا بتايين فحذفت احديهما وعن الحسن ايضا تمسكوا مضارع مسك ثلاثيا والعصم جمع عصمة
والعصمة ها هنا النكاح يقول من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمتها
والكوافر جمع كافرة كضوارب في ضاربة وحكي عن الكرخي الفقيه المعتزلي انه قال الكوافر
يشمل الرجال والنسا قال الفارسي فقلت له النحويون لا يرون هذا الا في النسا جمع
كافرة فقال اليس يقال طايفة كافرة وفرقة كافرة قال ابو علي فبهت وقلت هذا تاييد
الهي قال شهاب الدين وانما اعجب بقوله لكونه معتزليا والحق انه لا يجوز كافرة وصفا
للرجال الا ان يكون الموصوف مذكورا نحو هذه طايفة كافرة او في قوة المذكور اما انه يقال
كافرة باعتبار الطايفة غير المذكورة ولا في قوة المذكورة بل لمجرد الاحتمال ويجمع جمع فاعله
فهذا لا يجوز وقول الفارسي لا يرون هذا الا في النسا صحيح ولكنه الغالب وقد يجمع فاعل
وصف المذكر العاقل علي فواعل وهو محفوظ نحو فوارس ونواكس **فصل** قال النخعي
المراد بالاية هي المراة المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وكان الكفار يتزوجون المسلمات
والمسلمون يتزوجون المشركات ثم نسخ ذلك بهذه الاية فطلق عمر بن الخطاب امراتين حينئذ
له بمكة مشركتين قريبة بنت ابي امية فتزوجها معاوية بن ابي سفين وهما علي شركهما
بمكة وام كلثوم بنت عمرو الخزاعية ام عبد الله بن المغيرة فتزوجها ابو جهم بن حذافة وهما
علي شركهما بمكة فلما ولي عمر قال ابو سفين لمعاوية طلق قريبة لئلا يري عمر سلبه في بيتك
فابي معاوية وكانت عند طلحة بن عبيد الله اروي بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب
ففرق الاسلام بينهما ثم تزوجها في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص وكانت ممن فرت
الي النبي صلي الله عليه وسلم من نسا الكفار فحبسها وتزوجها خالد بن سعيد بن العاص
ابن امية وقال الشعبي كانت زينب بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم امراة ابي
العاص بن الربيع اسلمت ولحقت بالنبي صلي الله عليه وسلم واقام ابو العاص مشركا
بمكة ثم اتي المدينة فاسلم فردها عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم روي ابو داود عن
عكرمة عن ابن عباس بالنكاح الاول ولم يحدث شيا قال محمد بن عمر في حديثه بعد
ست سنين وقال الحسن بن علي بعد سنتين قال ابو عمر فان صح هذا فلا يخلو
من وجهين اما انها لم تحض حتي اسلم زوجها واما ان الامر فيها منسوخ بقوله تعالي وبعولتهن
احق بردهن في ذلك يعني في عدتهن وهذا ما لا خلاف فيه انه عني به العدة قال الزهري
في قصة زينب هذه كانت قبل ان تنزل الفرايض وقال قتادة كان هذا قبل ان تنزل
سورة براة بقطع العهود بينهم وبين المشركين **فصل** المراد بالكوافر هنا عبدة
الاوثان ومن لا يجوز ابتدا نكاحها وقيل هي عامة نسخ منها نسا اهل الكتاب فعلي الاول
اذا اسلم وثني او مجوسي ولم تسلم امراته فرق بينهما وهو قول بعض اهل العلم منهم مالك
والحسن وطاوس ومجاهد وعطا وعكرمة وقتادة والحكم لقوله تعالي ولا تمسكوا بعصم
الكوافر وقال بعضهم ينتظر بها تمام العدة وهو قول الزهري والشافعي واحمد واحتجوا
بان ابا سفين بن حرب اسلم قبل هند بنت عتبة امراته وكان اسلامه بمر الظهران ثم رجع
الي مكة وهند بها كافرة مقيمة علي كفرها فاخذت بلحيته وقالت اقتلوا الشيخ الضال ثم
اسلمت بعده بايام فاستقرا علي نكاحهما لان عدتها لم تكن انقضت قالوا ومثله حكيم بن حزام
اسلم قبل امراته ثم اسلمت بعده فكانا علي نكاحهما قال الشافعي ولا حجة لمن احتج بقوله
تعالي بعصم الكوافر لان نسا المومنين محرمات علي الكفار كما ان المسلمين لا تحل لهم الكوافر
والوثنيات والمجوسيات لقوله تعالي لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ثم بينت السنة ان مراد
الله من قوله هذا انه لا يحل بعضهم لبعض الا ان يسلم الثاني منهما في العدة وقال ابو حنيفة
واصحابه في الكافرين الذميين اذا اسلمت المراة عرض علي الزوج الاسلام فان اسلم والا فرق

بينهما قالوا ولو كانا حربيين فهي امراته حتى تحيض ثلاث حيض اذا كانا جميعا في دار الحرب
او في دار الاسلام وان كان احدهما في دار الحرب والاخر في دار الاسلام انقطعت العصمة بينهما
وقد تقدم ان اعتبار الدار ليس بشي وهذا الخلاف انما هو في المدخول بها فاما غير المدخول
بها فلا نعلم خلافا في انقطاع العصمة بينهما اذ لا عدة عليها وكذا يقول مالك في المراة ترتد
وزوجها المسلم تنقطع العصمة بينهما لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وهو قول الحسن البصري
والحسن بن صالح وقال الشافعي واحمد ينتظر بها تمام العدة فان كان الزوجان نصرانيين فاسلمت
الزوجة فمذهب مالك والشافعي واحمد توقف الى تمام العدة وهو قول مجاهد وكذلك الوثني
تسلم زوجته ان اسلم في عدتها فهو احق بها كما ان صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل احق بزوجتيهما
لما اسلما في عدتيهما لما ذكره مالك في الموطا قال ابن شهاب ولم يبلغنا ان امراة هاجرت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وزوجها كافر مقيم بدار الحرب الا فرقت هجرتها بينها وبين زوجها الا ان يقدم
زوجها مهاجرا قبل ان تنقضي عدتها وقال بعضهم ينفسخ النكاح بينهما لما روي يزيد بن علقمة
قال اسلم جدي ولم تسلم جدتي ففرق بينهما عمر رضي الله عنه وهو قول طاوس وعطا والحسن
وعكرمة قالوا لا سبيل له عليها الا بخطبة قوله واسالوا ما انفقتم وليسالوا ما انفقوا قال
المفسرون كان من ذهب من المسلمات مرتدات الى الكفار من اهل العهد يقال للكفار هاتوا
مهرها ويقال للمسلمين اذا جاء احد من الكافرات مسلمة مهاجرة ردوا الى الكفار مهرها وكان ذلك
نصفا وعدلا بين الحالين قال ابن العربي كان هذا حكم الله مخصوصا بذلك الزمان في
تلك النازلة خاصة قال الزهري ولولا هذه الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية لامسك النسا ولم يرد الصداق وكذلك كان
يصنع من جاءه من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الاية اقر المومنون بحكم الله عز وجل
وادوا ما امروا به من نفقات المشركين على نسائهم وابي المشركون ان يقروا بحكم الله فيما امر من
ادا نفقات المسلمين فانزل الله عز وجل وان فاتكم شي ايها المومنون وقوله ذلكم حكم الله
اي ما ذكر في هذه الاية والله عليم حكيم قوله يحكم بينكم فيه وجهان احدهما انه مستانف
لا محل له والثاني انه حال من حكم والراجع اما مستتر اي يحكم هو اي الحكم على المبالغة واما
محذوف اي يحكمه وهو الظاهر قوله من ازواجكم يجوز ان يتعلق بفاتكم اي من جهة
ازواجكم ويراد بالشي المهر الذي غرمه الزوج كما تقدم ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه صفة
لشي ثم يجوز في شي ان يراد به المهر ولكن على هذا لا بد من حذف مضاف اي من مهور ازواجكم
ليطابق الموصوف وصفته ويجوز ان يراد بشي النسا اي شي من النسا اي نوع وصنف منهن
وهو ظاهر وصفه بقوله من ازواجكم وقد صرح الزمخشري بذلك فانه قال وان سبقكم وانفلت
منكم شي من ازواجكم احد منهن الى الكفار وفي قراة ابن مسعود احد فهذا تصريح بان المراد
بشي النسا الفارات ثم قال فان قلت هل لايقاع شي في هذا الموضع فايدة قلت نعم
الفايدة فيه ان لا يغادر شي من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض عنه تغليظا في هذا
الحكم وتشديدا فيه ولولا نصه على ان المراد بشي احد كما تقدم لكان قوله ان لا يغادر شي من
هذا الجنس وان قل وحقر ظاهرا في ان المراد بشي المهر لانه يوصف بالقلة والحقارة وصفا
شايعا وقوله تغليظا وتشديدا فيه نظر لان المسلمين ليس لهم في فرار النسا الى الكفار
حتى يغلظ عليهم الحكم بذلك وعدي فات بالى لانه ضمن معنى الفرار والذهاب والسبق ونحو
ذلك قوله فعاقبتم عطف على فاتكم وقرا العامة عاقبتم وفيه وجهان احدهما انه من
العقوبة قال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم والثاني انه من
العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من ادا هولاء مهور نسا اولئك تارة
واولئك مهور نسا هولاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت
عقبتكم من ادا المهر انتهى وقرا مجاهد والاعرج والزهري وابو حيوة وعكرمة وحميد بتشديد
القاف دون الف وفسرها الزمخشري على اصله بعقبه اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين
يقفي صاحبه وكذلك عقبتم بالتخفيف يقال عقبه يعقبه انتهى والذي قراه بالتخفيف
وفتح القاف النخعي وابن وثاب والزهري والاعرج ايضا وبالتخفيف وكسر القاف مسروق

والزهري

والزهري والنخعي ايضا وقرا مجاهد اعقبتم قال الزمخشري معناه دخلتم في العقبة قال
البغوي معناه اي صنعتم بهم كما صنعوا بكم وفسر الزجاج القراات الباقية فكانت العقبى لكم اي
كانت الغلبة لكم حتى غنمتم والظاهر انه كما قال الزمخشري من المعاقبة بمعنى المناوبة يقال عاقب
الرجل صاحبه في كذا اي جا فعل كل واحد منهما بعقب فعل الاخر ويقال اعقب ايضا وانشد

وحاردت النكد الجلاد ولم يكن • لعقبة قدر المستعيرين معقب

وقال البغوي وكلها لغات بمعنى واحد يقال عاقب وعقب واعقب وتعقب وتعاقب واعتقب
اذا غنم وقيل التعقيب غزوة بعد غزوة **فصل** روي ان المسلمين قالوا رضينا بما حكم الله
وكتبوا الى المشركين فامتنعوا فنزل قوله تعالى وان فاتكم شي من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم
فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا وروي الزهري عن عروة عن عايشة رضي الله عنها قالت
حكم الله عز وجل بينهم فقال جل ثناؤه واسالوا ما انفقتم وليسالوا ما انفقوا فكتب اليهم
المسلمون قد حكم الله عز وجل بيننا بانه ان جاءتكم امراة منا ان توجهوا الينا بصداقها وان جاءتنا
امراة منكم وجهنا اليكم بصداقها فكتبوا اما نحن فلا نعلم لكم عندنا شيا فان كان لنا عندكم شي فوجهوا
به فانزل الله تعالى وان فاتكم شي من ازواجكم الى الكفار الاية وقال ابن عباس في قوله تعالى
ذلكم حكم الله اي بين المسلمين والكفار من اهل العهد من اهل مكة يرد بعضهم على بعض قال
الزهري ولولا العهد لامسك النسا ولم يرد اليهم صداقا وقال قتادة ومجاهد انما امروا ان يعطوا
الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من الفي والغنيمة وقالا هي فيمن بيننا وبينه عهد وليس
بيننا وبينه عهد وقالا ومعنى فعاقبتم فاقتصصتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا
يعني الصدقات فهي عامة في جميع الكفار وقيل فعاقبتم المرتدة بالقتل وقال قتادة ايضا
وان فاتكم شي من ازواجكم الى الكفار الذين ليس بينكم وبينهم عهد فاتوا الذين ذهبت ازواجهم
مثل ما انفقوا ثم نسخ هذا في سورة براة وقال الزهري انقطع هذا يوم الفتح وقال سفين
الثوري لا يعمل به اليوم وقال قوم هو ثابت الحكم الان ايضا حكاه القشيري **فصل** قال
القرطبي الاية نزلت في ام الحكم بنت ابي سفين ارتدت وتركت زوجها عياض بن غنم القرشي ولم
ترتد امراة من قريش غيرها ثم عادت الى الاسلام وقال البغوي روي عن ابن عباس قال لحق
بالمشركين من نسا المومنين المهاجرات ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفين وكانت تحت عياض بن
شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة اخت ام سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر
ان يهاجر ابت وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبد العزيز
ابن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت ابي جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص
ابن وايل وام كلثوم بنت جرول كانت تحت عمر بن الخطاب رجعن الى الاسلام اعطى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ازواجهن مهور نسائهم من الغنيمة **فصل** اختلفوا في رد مهر من اسلمت من
النسا الى ازواجهن هل كان واجبا او مندوبا واصله ان الصلح هل كان قد وقع على رد النسا
على قولين احدهما انه وقع على رد الرجال والنسا جميعا لما روي من قولهم لا ياتيك منا احد الا
رددته ثم صار الحكم في رد النسا منسوخا بقوله فلا ترجعوهن الى الكفار فعلى هذا كان رد المهر
واجبا والثاني ان الصلح لم يقع على رد النسا لانه روي انه لا ياتيك منا رجل وان كان على دينك
الا رددته وذلك لان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المراة من اصابة
المشرك اياها وانه لا يومن عليها الردة اذا خوفت واكرهت عليها لضعف قلبها وعقلها وقلة
هدايتها الى المخرج منه باظهار كلمة الكفر مع التورية واضمار الايمان ولا يخشى ذلك على الرجل
لقوته وهدايته الى التقية فعلى هذا كان رد المهر مندوبا واختلفوا في انه هل يجب به العمل
اليوم في رد المال اذا اشترط في معاقدة الكفار فقال عطا ومجاهد وقتادة لا يجب وزعموا
ان الاية منسوخة وقيل هي غير منسوخة ويرد اليهم ما انفقوا **فصل** قال ابن عباس
معنى الاية ان لحقت امراة مومنة بكفار اهل مكة وليس بينكم وبينهم عهد ولها زوج مسلم
قبلكم فغنمتم فاعطوا هذا الزوج المسلم مهره من الغنيمة قبل ان تخمس وقال الزهري يعطى من
مال الفي وعنه يعطى من صداق من لحق بنا وقيل ان امتنعوا من
ان يغرموا مهر هذه المراة التي ذهبت اليهم فانبذوا العهد اليهم حتى اذا ظفرتم فخذوا ذلك منهم

واتقوا الله اي احذروا ان يقع واما امرتم به قوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المومنات
الاية لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جاءه نسا اهل مكة يبايعنه فامر ان ياخذ
عليهن ان لا يشركن قالت عايشة رضي الله عنها والله ما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
النسا قط الا بما امر الله عز وجل وما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امراة قط
وكان يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتكن كلاما وروي انه عليه السلام بايع النسا وبين يديه
وايديهن ثوب وكان يشترط عليهن وقيل لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه
عمر اسفل منه فجعل يشترط على النسا البيعة وعمر يصافحهن وروي انه كلف امراة وقفت
على الصفا فبايعتهن قال ابن العربي وذلك ضعيف وانما التعويل على ما في الصحيح لمسلم
من حديث عايشة المتقدم قالت كان المومنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يمتحنهن يقول الله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك على ان لا يشركن
بالله شيا ولا يسرقن ولا يزنين الى اخر الاية قالت عايشة فمن اقر بهذا من المومنات
فقد اقر بالمحنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقن فقد بايعتكن لا والله ما مست يد رسول الله صلى
الله عليه وسلم امراة قط غير انه يبايعهن بالكلام وقالت ام عطية لما قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة جمع نسا الانصار في بيت ثم ارسل الينا عمر بن الخطاب فقام
على الباب فسلم ورددن عليه السلام فقال انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكن ان
لا تشركن بالله شيا الاية فقلن نعم فمد يده من خارج البيت ومددنا ايدينا من داخل
البيت ثم قال اللهم اشهد وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا بايع النسا دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه ثم امر النسا فغمسن ايديهن فيه

فصل روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة الرجال يوم فتح مكة وهو
على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه وهو يبايع النسا بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويبلغهن عنه على ان لا يشركن بالله شيا وهند بنت عتبة امراة ابي سفين متنقبة متنكرة
مع النسا خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها لما صنعته بحمزة يوم احد فقالت
والله انك لتاخذ علينا امرا ما رايتك اخذته على الرجال وكان بايع الرجال يومئذ على
الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولا يسرقن فقالت هند ان ابا
سفين رجل شحيح واني اصبت من ماله قوتنا فلا ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفين
ما اصبت من شي فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عني ما سلف عفى الله عنك ثم قال
ولا يزنين فقالت هند او تزني الحرة فقال ولا يقتلن اولادهن اي لا يئدن المووءدات
ولا يسقطن الاجنة فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا يوم بدر وانت وهم
اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفين وهو بكرها قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى
وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن
وارجلهن قال اكثر المفسرين معناه لا يلحقن بازواجهن ولدا من غيرهن وكانت المراة
تلتقط ولدا فتلحقه بزوجها وتقول هذا ولدي منك فكان هذا من البهتان والافترا
لان النهي عن الزنا قد تقدم قال بعض المفسرين المراة اذا التقطت ولدا فانما التقطت
بيدها ومشت برجلها الى اخذه فاذا اضافته الى زوجها فقد اتت ببهتان يفترينه بين
يديها ورجليها وقيل يفترينه على انفسهن حيث يقلن هذا ولدنا وليس كذلك
اذ الولد ولد الزنا وقيل ما بين يديها ورجليها كناية عن الولد لان بطنها الذي يحمل
فيه الولد بين يديها وفرجها الذي تلد منه بين رجليها وهذا عام في الاتيان
بولد والحاقه بالزوج وان سبق النهي عن الزنا وقيل معنى بين ايديهن السنتهن
بالنميمة ومعنى بين ارجلهن فروجهن وقيل ما بين ايديهن من قبلة او جسة وبين
ارجلهن الجماع وروي ان هند لما سمعت ذلك قالت والله ان البهتان لامر قبيح ما تامر
الا بالرشد ومكارم الاخلاق ثم قال ولا يعصينك في معروف اي في كل امر وافق طاعة

الله قال بكر بن عبد الله المزني في كل امر فيه رشدهن وقال مجاهد لا تخلوا المراة بالرجال
وقال سعيد بن المسيب والكلبي وعبد الرحمن بن زيد هو النهي عن النوح والدعا بالويل
وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه ولا تحدث المراة الرجال الا اذا محرم
ولا تخلو الرجل غير ذي محرم ولا تسافر الا مع ذي محرم وروت ام عطية عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان ذلك في النوح وهو قول ابن عباس وروى شهر بن حوشب عن ام سلمة عن النبي
صلى الله عليه وسلم ولا يعصينك في معروف قال هو النوح وفي صحيح مسلم عن ام عطية
لما نزل قوله يبايعنك الى قوله ولا يعصينك في معروف قال كان منه النياحة قالت فقلت
يا رسول الله الا ال بني فلان فانهم كانوا اسعدوني في الجاهلية فلا بد لي من ان اسعدهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ال فلان قوله يبايعنك حال وشيا مصدر اي
شيا من الاشراك وقرا علي والسلمي والحسن يقتلن بالتشديد ويفترينه صفة لبهتان
او حال من فاعل ياتين

فصل ذكر الله عز وجل في هذه الاية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم في صفة البيعة خصالا لا ستا صرح فيهن باركان النهي في الدين ولم يذكر اركان الامر
وهي ست ايضا الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج والاغتسال من الجنابة وذلك لان
النهي دايم في كل زمان وكل الاحوال فكان التنبيه على اشتراط الدايم اكد وقيل ان هذه
المناهي كان في النسا كثير من يرتكبها ولا يحجزهن عنها شرف النسب فخصت بالذكر لهذا ونحوه
قوله عليه السلام لوفد عبد القيس وانهاكم عن الدبا والحنتم والنقير والمزفت فنبههم
على ترك المعصية في شرب الخمر دون ساير المعاصي لانها كانت شهوتهم وعادتهم واذا ترك المرء شهوته
من المعاصي هان عليه ترك سايرها مما لا شهوة له فيها

فصل لما قال النبي صلى الله عليه
وسلم في البيعة ولا يسرقن قالت هند يا رسول الله ان ابا سفين رجل مسيك فهل علي حرج
ان اخذت ما يكفيني وولدي قال لا الا بالمعروف فخشيت هند ان يقتصر على ما يعطيها فتضيع
او تاخذ اكثر من ذلك فتكون سارقة ناكثة للبيعة المذكورة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك اي لا حرج عليك فيما اخذت بالمعروف يعني من غير استطالة الى اكثر من الحاجة قال
ابن العربي وهذا انما هو لا يخزنه عنها في حجاب ولا يضبط عليه بقفل فانه اذا هتكته الزوجة
واخذت منه كانت سارقة تعصي بها وتقطع يدها

فصل فان قيل هلا قيل اذا جاءك
المومنات فامتحنوهن كما قال في المهاجرات فالجواب من وجهين احدهما ان الامتحان
حاصل بقوله تعالى على ان لا يشركن الى اخره وثانيهما ان المهاجرات ياتين من دار الحرب
فلا اطلاع لهم على ما في قلبها فلا بد من الامتحان واما المومنات فهن في دار الاسلام وعلمن
الشرايع فلا حاجة الى الامتحان مع ظاهر حالها فان قيل ما الفايدة في تقديم البعض في الاية
على البعض وترتيبها فالجواب قدم الاشد على ما هو ادنى منه في القبح ثم كذلك الى اخره
وقدم في الاشيا المذكورة ما هو الاظهر فيما بينهم

فصل قال عبادة بن الصامت
اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اخذ على النسا ان لا يشركوا بالله شيا ولا يسرقوا
ولا يزنوا ولا يقتلوا اولادكم ولا يعضه بعضكم بعضا ولا تعصوا في معروف امركم به معنى بعضه
يسحر والعضه السحر ولهذا قال ابن بحر وغيره في قوله تعالى ولا ياتين ببهتان انه السحر
وقال الضحاك هذا نهي عن البهتان اي لا يبهتن رجلا ولا امراة ببهتان اي بسحر والجمهور
على ان معنى ببهتان بولد يفترينه بين ايديهن ما اخذنه لقيطا وارجلهن ما ولدنه من زنا
كما تقدم

فصل قال المهدوي اجمع المسلمون على انه ليس للامام ان يشترط عليهن هذا
والامر بذلك ندب لا الزام وقال بعض العلما انما احتيج الى المحنة من اجل تباعد الدار كان على
امام المسلمين اقامة المحنة قوله فبايعهن واستغفر الى المحنة من اجل تباعد الدار كان
على امام المسلمين الى لهن الله ان الله غفور رحيم قالت عايشة كان النبي صلى الله عليه وسلم
يبايع النسا بالكلام بهذه الاية ان لا يشركن بالله شيا قالت وما مست يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم يد امراة الا امراة يملكها وقالت اميمة بنت رقيقة بايعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم في نسوة فقال فيما استطعتن واطقتن فقلت يا رسول الله صافحنا فقال اني لا اصافح
النسا انما قولي لامراة كقولي لماية امراة قوله يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله

عليهم وهم اليهود فقوله غضب الله عليهم صفة لقوما وكذلك قد يئسوا نعت لقوما وكذلك
وقوله من الآخرة من لابتداء الغاية أي أنهم لا يوقنون بالآخرة البتة ومن أصحاب
القبور فيه وجهان أحدهما أنها لابتداء الغاية أيضا كالأولى والمعنى أنهم لا يوقنون
ببعث الموتى البتة فيأسهم من الآخرة كيأسهم من موتاهم لاعتقادهم عدم بعثهم
والثاني أنها لبيان الجنس يعني أن الكفار الذين هم أصحاب القبور من خير الآخرة
فيكون متعلق بيئس الثاني محذوفا وقرأ ابن أبي الزناد الكافر بالإفراد **فصل**
قال ابن زيد إن ناسا من فقراء المؤمنين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المؤمنين ويواصلونهم
فيصيبون بذلك من ثمارهم فنهوا عن ذلك قد يئسوا من الآخرة يعني اليهود قد يئسوا
من الآخرة بأن يكون لهم فيها ثواب وخير كما يئس الكفار من أصحاب القبور أي كما يئس
الكفار الذين ماتوا وصاروا إلى القبور من أن يكون لهم ثواب وحظ في الآخرة وقال مجاهد
الكفار حين دخلوا قبورهم أيسوا من رحمة الله وقيل هم المنافقون وقال الحسن وقتادة
هم اليهود والنصارى قال ابن مسعود معناه أنهم تركوا العمل للآخرة وآثروا الدنيا
وقال الحسن وقتادة معناه أن الكفار الذين هم أحياء يئسوا من الكفار من أصحاب
القبور أن يرجعوا إليهم وقيل إن الله تعالى ختم السورة بما بدأها من ترك موالاة الكفار
وهي خطاب لحاطب بن أبي بلتعة وغيره قال ابن عباس معنى قوله لا تتولوا أي لا توالوهم
ولا تناصحوهم رجع تعالى بطوله وفضله على حاطب بن أبي بلتعة يريد أن كفار قريش
قد يئسوا من خير الدنيا كما يئس الكفار المقبورون من حظ يكون لهم في الآخرة من
رحمة الله تعالى روى الثعلبي في تفسيره عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان المؤمنون والمؤمنات له شفعاء يوم القيمة والله أعلم

سورة الصف مدنية

في قول الأكثرين وذكر النحاس عن ابن عباس أنها مكية وهي أربع عشرة آية ومائتان وإحدى وعشرون كلمة
وتسعمائة حرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم قال ابن الخطيب
وجه تعلق هذه السورة بما قبلها هو أن في السورة التي قبلها بين الخروج إلى الجهاد
في سبيل الله وابتغاء مرضاته بقوله إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي وفي
هذه السورة بين ما يحمل المؤمن ويحثه على الجهاد فقال إن الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص فإن قيل ما الحكمة في أنه تعالى قال في بعض السور
سبح لله بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع وفي بعضها سبح بلفظ الأمر
فالجواب أن الحكمة في ذلك تعليم العباد أن تسبيح الله تعالى دائم لا ينقطع كما أن الماضي
يدل عليه في الماضي من الزمان والمستقبل يدل عليه في المستقبل من الزمان والأمر
يدل عليه في الحال والعزيز هو الغالب على غيره أي شيء كان ذلك الغير ولا يمكن أن
يغلب عليه غيره والحكيم هو الذي يحكم على غيره أي شيء كان ذلك الغير ولا يمكن أن
يحكم عليه غيره فإن قيل هلا قيل سبح لله السموات والأرض وما فيهما وهي أكثر مبالغة
فالجواب إنما يكون كذلك إذا كان المراد التسبيح بلسان الحال أما إذا كان المراد التسبيح
المخصوص باللسان بوصف معين فلا يكون كذلك يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون
روى الدارمي في مسنده قال أنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن
أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قال قعدنا نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه فأنزل الله تعالى سبح لله
ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون
حتى ختمها قال عبد الله فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها قال أبو
سلمة قرأها علينا عبد الله بن سلام حتى ختمها قال يحيى فقرأها علينا أبو سلمة فقرأها

علينا

علينا يحيى فقرأها علينا الأوزاعي فقرأها علينا محمد فقرأها علينا الدارمي وقال
عبد الله بن عباس قال عبد الله بن رواحة لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لسارعنا إليها
فنزلت هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم فمكثوا زمانا يقولون لو نعلمها لاشتريناها
بالأموال والأنفس والأهلين فدلهم الله عليها بقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم الآية فابتلوا يوم أحد ففروا فنزلت هذه الآية تعيرهم
بترك الوفاء وقال محمد بن كعب لما أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بثواب شهداء بدر
قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فعيرهم الله
بذلك وقال قتادة والضحاك نزلت في قوم كانوا يقولون نحن جاهدنا وأبلينا وقال
صهيب كان رجل قد آذى المسلمين يوم بدر وأنكاهم فقتلته فقال رجل يا نبي الله إني قتلت
فلانا ففرح النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف
يا صهيب أما أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنك قتلت فلانا فإن فلانا انتحل قتله
فأخبره فقال أكذلك يا أبا يحيى قال نعم والله يا رسول الله فنزلت الآية في المنتحل
وقال ابن زيد نزلت في المنافقين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إن خرجتم
وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا نكصوا عنهم وتخلفوا **فصل** قال القرطبي
هذه الآية توجب على كل من ألزم نفسه عملا فيه طاعة أن يفي بها وفي صحيح مسلم عن أبي
موسى أنه بعث إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاث مائة رجل قد قرأوا القرآن فقال أنتم
خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب
من قبلكم وإنا كنا نقرأ سورة نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أني قد حفظت
منها لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب
وكنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها غير أني حفظت منها يا أيها الذين آمنوا لم
تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيمة قال ابن العربي
وهذا كله ثابت في الدين لفظا ومعنى في هذه السورة وأما قوله شهادة في أعناقكم فتسألون
عنها يوم القيمة فمعنى ثابت في الدين فإن من التزم شيئا لزمه شرعا والملتزم على قسمين
أحدهما النذر وهو على قسمين نذر تقرب مبتدأ كقوله لله علي صلاة أو صوم أو صدقة
ونحوه من القرب فهذا يلزم الوفاء به إجماعا ونذر مباح وهو ما علق بشرط رغبة كقوله
إن قدم غائبي فعلي صدقة أو علق بشرط رهبة كقوله إن كفاني الله شر كذا فعلي صدقة
ففيه خلاف فقال مالك وأبو حنيفة يلزم الوفاء به وعموم الآية حجة لنا لأنها بمطلقها
تتناول ذم من قال ما لا يفعله على أي وجه كان من مطلق أو مقيد بشرط وقد قال أصحابه
إن النذر إنما يكون بما يقصد منه القربة مما هو من جنس القربة لكنه لم يقصد منه القربة وإنما
قصد منع نفسه عن فعل أو الإقدام على فعل قلنا القرب الشرعية مشقات وكلف وإن كانت
قربات وهذا تكلف التزام هذه القربة بمشقة لجلب نفع أو دفع ضر فلم يخرج عن سنن التكليف
ولا زال عن قصد التقرب قال ابن العربي فإن كان المقول منه وعدا فلا يخلو أن يكون
منوطا بسبب كقوله إن تزوجت أعنتك بدينار أو ابتعت جارية كذا أعطيتك فهذا لازم
إجماعا من الفقهاء وإن كان وعدا مجردا فقيل يلزم بتعلقه واستدلوا بسبب الآية فإنه
روي أنهم كانوا يقولون لو نعلم أي الأعمال أفضل وأحب إلى الله لعملناه فأنزل الله هذه
الآية وهو حديث لا بأس به وروي عن مجاهد أن عبد الله بن رواحة لما سمعها قال لا أزال
حبيسا في سبيل الله حتى أقتل والصحيح عندي أن الوعد يجب الوفاء به على كل حال قال
القرطبي قال مالك فأما العدة مثل أن يسأل الرجل الرجل أن يهب له الهبة فيقول نعم ثم
يبدو له أن لا يفعل فلا أرى ذلك يلزمه **فصل** قال القرطبي ثلاث آيات منعتني
أن أقص على الناس أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وما أريد أن أخالفكم إلى ما
أنهاكم عنه يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون وخرج أبو نعيم الحافظ من حديث مالك
ابن دينار عن ثمامة عن أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت ليلة أسري
بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت قلت من هؤلاء يا جبريل

قال هولاء خطبا امنكن الذين يقولون ولا يفعلون ويقراون كتاب الله ولا يعملون
به **فصل** قوله لم تقولون ما لا تفعلون استفهام علي جهة الانكار والتوبيخ
علي ان يقول الانسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله اما في الماضي فيكون كذبا وفي
المستقبل يكون خلفا وكلاهما مذموم قال الزمخشري هي لام الاضافة دخلت علي ما
الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم وعم ومم وانما حذفت
الالف لان ما والحرف كشي واحد وقد وقع استعمالها في كلام المستفهم ولو كان كذلك لكان
معني الاستفهام واقعا في قوله تعالي لم تقولون ما لا تفعلون والاستفهام من الله تعالي
محال لانه عالم بجميع الاشيا والجواب هذا اذا كان المراد حقيقة الاستفهام اما اذا كان
المراد الزام من اعرض عن الوفا وعد وانكر الحق واصر علي الباطل فلا وتاول سفين
ابن عيينة قوله لم تقولون ما لا تفعلون اي لم تقولون ما ليس الامر فيه اليكم فلا تدرون
هل تفعلون او لا تفعلون فعلي هذا يكون الكلام محمولا علي ظاهره في انكار القول
قوله كبر مقتا عند الله فيه اوجه احدها ان يكون من باب نعم وبيس فيكون في كبر
ضمير مبهم مفسرا بالنكرة بعده وان تقولوا هو المخصوص بالذم فيجي فيه الخلاف المشهور
هل رفعه بالابتدا وخبره الجملة مقدمة عليه او خبره محذوف او هو خبر مبتدا محذوف
كما تقدم تحريره وهذه قاعدة مطردة كل فعل يجوز التعجب منه يجوز ان يبني علي فعل
بضم العين ويجري مجري نعم وبيس في جميع الاحكام والثاني انه من امثلة التعجب
وقد عده ابن عصفور في التعجب المبوب له في النحو فقال صيغة ما افعله وافعل
به ولفعل نحو لزموا الرجل واليه نحا الزمخشري فقال هذا من افصح كلام وابلغه
في معناه وقصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله • غلت ناب كليب بواها •
ثم قال واسند الي ان تقولوا ونصب مقتا علي تفسيره دلالة علي ان قولهم ما لا
تفعلون مقت خالص لا شوب فيه الثالث ان كبر ليس للتعجب ولا للذم بل هو
مسند الي ان تقولوا ومقتا تمييز محول من الفاعلية والاصل كبر مقت ان تقولوا اي
مقت قولكم ويجوز ان يكون الفاعل مضمرا عايدا علي المصدر المفهوم من قوله لم
تقولون اي كبر هو اي القول مقتا وان تقولوا علي هذا اما بدل من ذلك الضمير
او خبر مبتدا محذوف اي هو ان تقولوا قال القرطبي ومقتا نصب بالتمييز المعني
كبر قولهم ما لا يفعلون مقتا وقيل هو حال والمقت والمقاتة مصدران يقال
رجل مقيت وممقوت اذا لم يحبه الناس **فصل** قال القرطبي قد يحتج بهذه
الاية في وجوب الوفا في اللجاج والغضب علي احد قولي الشافعي قوله ان
الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا قرا زيد بن علي يقاتلون بفتح التا علي
ما لم يسم فاعله وقري يقتتلون بالتشديد وصفا نصب علي الحال اي صافين
او موصوفين قال القرطبي والمفعول مضمر اي يصفون انفسهم صفا وقوله كانهم
يجوز ان يكون حالا ثانية من فاعل يقاتلون وان يكون حالا من الضمير في صفا
فيكون حالا متداخلة قاله الزمخشري وان يكون نعتا لصفا قاله الحوفي وعاد
الضمير علي صفا جمعا لانه جمع في المعني كقوله وان طايفتان من المومنين اقتتلوا
فصل وجه تعلق الاية بما قبلها ان قوله تعالي كبر مقتا عند الله في ذم
المخالفين في القتال وهم الذين وعدوا بالقتال ولم يقاتلوا وهذه الاية مدح
للموافقين في القتال واعلم ان المحبة علي وجهين احدها الرضا عن الخلق وثانيهما
الثناء عليهم **فصل** والمرصوص قيل المتلايم الاجزا المستويها وقيل المعقود
بالرصاص قاله الفرا وقيل هو من التضام من تراص الاسنان وقال الراعي

ما لقي البيض من الحرقوص • يفتح باب المغلق المرصوص •

الحرقوص دويبة تولع بالنسا الابكار قال القرطبي والتراص التلاصق ومنه وتراصوا
في الصف ومعني الاية ان الله يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كثبوت
البنا وقال ابن عباس يوضع الحجر علي الحجر ثم يرص باحجار صغار ثم يوضع اللبن عليه

فيسمونه

فيسمونه اهل مكة المرصوص قال ابن الخطيب ويجوز ان يكون المعني علي ان يستوي
ثباتهم في حرب عدوهم حتي يكونوا في اجتماع الكلمة وموالاة بعضهم بعضا كالبنيان
المرصوص وقال سعيد بن جبير وهذا تعليم من الله للمومنين كيف يكونون عند
قتال عدوهم **فصل** قال القرطبي استدل بهذه الاية بعضهم علي ان قتال
الراجل افضل من قتال الفارس لان الفرسان لا يصطفون علي هذه الصفة قال
المهدوي وذلك غير مستقيم لما جا في فضل الفارس من الاجر والغنيمة ولا يخرج الفرسان
من معني الاية لان معناه الثبات **فصل** لا يجوز الخروج من الصف الا لحاجة
تعرض للانسان او في رسالة يرسلها الامام او منفعة تظهر في المقام كفرصة ينتهز ولا
خلاف فيها وفي الخروج عن الصف للمبارزة خلاف فقيل انه لا باس بذلك ارهابا للعدو
وطلبا للشهادة وتحريضا علي القتال وقيل لا يبرز احد طلبا لذلك لان فيه ريا وخروجا
الي ما نهي الله عنه من لقا العدو وانما تكون المبارزة اذا طلبها الكافر كما كانت في حروب
النبي صلي الله عليه وسلم يوم بدر وفي غزوة خيبر وعليه درج السلف وقد تقدم الكلام
في ذلك في البقرة عند قوله ولا تلقوا بايديكم الي التهلكة قوله تعالي واذ قال موسي
لقومه الاية لما ذكر الجهاد بين ان موسي وعيسي امرا بالتوحيد وجاهدا في سبيل الله وحل
العقاب بمن خالفهما اي واذكر لقومك يا محمد هذه القصة قوله لم توذونني وذلك
حين رموه بالادرة كما تقدم في سورة الاحزاب ومن الاذي ما ذكر في قصة قارون انه
دس الي امراة تدعي علي موسي الفجور ومن الاذي قولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة وقولهم
فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون وقولهم انت قتلت هرون وقد تقدم
قوله وقد تعلمون جملة حالية قال ابن الخطيب وقد معناه التوكيد كانه قال
وتعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه وقوله اني رسول الله اليكم والمعني ان الرسول
يحترم يقينا لا شبهة لكم فيه قوله فلما زاغوا اي مالوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم اي
امالها عن الهدي وقيل فلما زاغوا عن الطاعة ازاغ الله قلوبهم عن الهداية وقيل فلما
زاغوا عن الايمان ازاغ الله قلوبهم عن الثواب وقيل لما تركوا ما امروا به من احترام الرسول
عليه السلام وطاعة الرب خلق الله في قلوبهم الضلال عقوبة لهم علي فعلهم والله
لا يهدي القوم الفاسقين قال الزجاج يعني من سبق في علمه انه فاسق قال ابن
الخطيب وهذه الاية تدل علي عظم ايذا الرسول حتي انه يودي الي الكفر وزيغ القلوب
عن الهدي قوله واذ قال عيسي بن مريم اي واذكر لهم هذه القصة ايضا وقال يا بني
اسرايل ولم يقل يا قوم كما قال موسي لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه وقوله اني رسول
الله اليكم اي بالانجيل قوله مصدقا حال وكذلك مبشرا والعامل فيه رسول لانه
بمعني المرسل قال الزمخشري فان قلت بم انتصب مصدقا ومبشرا ابما في الرسول
من معني الارسال ام باليكم قلت بمعني الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز
ان يعمل شيا لان حروف الجر لا تعمل بانفسها ولكن بما فيها من معني الفعل فاذا وقعت
صلات لم تتضمن معني فعل فمن اين يعمل انتهي يعني بقوله صلات انها متعلقة برسول صلة
له اي متصل معناها به لا الصلة الصناعية قوله ياتي من بعدي وقوله اسمه احمد
جملتان في موضع جر نعتا لرسول او اسمه احمد في موضع نصب علي الحال من فاعل ياتي
او تكون الاولي نعتا والثانية حالا وكونهما حالين ضعيف لاتيانهما من النكرة وان كان
سيبويه يجوزه وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو من بعدي بفتح اليا وهي قراة السلمي وزر
ابن حبيش وابو بكر عن عاصم واختاره ابو حاتم لانه اسم مثل الكاف من بعدك والتا
من قمت والباقون بالاسكان وقري من بعدي اسمه احمد بحذف اليا من اللفظ واحمد
اسم نبينا صلي الله عليه وسلم وهو اسم علم يحتمل ان يكون منقولا من الفعل المضارع ويحتمل
ان يكون منقولا من صفة وهي افعل التفضيل وهو الظاهر فمعني احمد اي احمد الحامدين لربه
والانبيا صلوات الله عليهم كلهم حامدون لله ونبينا احمد اكثرهم حمدا قال البغوي والالف في
احمد للمبالغة في الحمد وله وجهان احدهما انه مبالغة من الفاعل اي الانبيا كلهم حامدون لله

عز وجل وهو اكثر حمدا لله من غيره والثاني انه مبالغة في المفعول اي الانبيا كلهم
محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو اكثر مبالغة واجمع للفضايل والمحاسن
التي يحمد بها انتهى وعلى كلي الوجهين يمنعه من الصرف للعلمية والوزن الغالب
الا انه على احتمال الاول يمتنع معرفة وينصرف نكرة وعلى الثاني يمتنع تعريفا وتنكيرا
لانه يخلف العلمية الصفة واذا نكر بعد كونه علما جرى فيه خلاف سيبويه والاخفش
وهي مسيلة مشهورة بين النحاة وانشد حسان رضي الله عنه يمدح عليه الصلاة والسلام وصرفه

صلى الاله ومن يحف بعرشه • والطيبون على المبارك احمد •

احمد بدل او بيان للمبارك واما محمد فمنقول من صفة ايضا وهو في معنى محمود ولكن
فيه معنى المبالغة والتكرار فاحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة قال القرطبي كما ان المكرم
مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه سماه قبل ان
يسمي به نفسه فهذا علم من اعلام نبوته اذ كان اسمه صادقا عليه فهو محمود في الدنيا
لما هدي اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود في الاخرة بالشفاعة فقد تكرر
معنى الحمد كما يقتضي اللفظ ثم انه لم يكن محمدا حتى كان احمد احمد ربه فنباه وشرفه فلذلك
تقدم اسم احمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى فقال اسمه احمد وذكره موسى
عليه السلام حين قال له ربه تلك امة احمد فقال اللهم اجعلني من امة محمد فباحمد
ذكره قبل ان يذكره بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان
محمدا بالفعل وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون احمد
الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اسمي في التورية احيد لاني احيد امتي عن النار واسمي في الزبور الماحي محا الله
بي عبدة الاوثان واسمي في الانجيل احمد وفي القران محمد لاني محمود في اهل السما
والارض وفي الصحيح لي خمسة اسما وانا محمد واحمد وانا الماحي الذي يمحوا الله بي
الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد تقدم قوله فلما
جاهم بالبينات قيل عيسى وقيل محمد صلى الله عليه وسلم قالوا هذا سحر مبين قرا
الكساي وحمزة ساحر نعتا للرجل وروي انها قراة ابن مسعود والباقون سحر نعتا
لما جاء به الرسول قال ابو حيان هنا وقرا الجمهور سحر وعبد الله وطلحة والاعمش وابن
وثاب ساحر وترك ذكر الاخوين قوله ومن اظلم ممن افترى اي لا احد اظلم ممن
افترى على الله الكذب قوله وهو يدعى جملة حالية من فاعل افترى وهذه
قراة العامة وقرا طلحة يدعى بفتح اليا والدال مشددة مبنيا للفاعل وفيها تاويلات
احدها قاله الزمخشري وهو ان يكون يفتعل بمعنى يفعل نحو لمسه والتمسه والضميران
اعني هو والمستتر في يدعى لله تعالى وحينئذ تكون القراتان بمعنى واحد كانه قيل
والله يدعو الى الاسلام وفي القراة الاولى يكون الضميران عايدين على من والثاني
انه من ادعى كذا دعوى ولكنه لما ضمن يدعى معنى ينتمي وينتسب عدي بالى والا فهو
متعد بنفسه وعلى هذا الوجه ان يكون ايضا كما هما في القراة المشهورة وعن طلحة
ايضا يدعى مشدد الدال مبنيا للمفعول وخرجها الزمخشري على ما تقدم من ادعاه
ودعاه بمعنى لمسه والتمسه والضميران عايدان على من عكس ما تقدم عنده في
تخريج القراة الاولى فان الضميرين لله تعالى كما تقدم تخريجه وهذا التعجب ممن كفر بعيسى
ومحمد بعد المعجزات التي ظهرت لهما ثم قال والله لا يهدي القوم الظالمين اي من كان
في حكمه انه يختم له بالضلالة قوله يريدون ليطفيوا نور الله بافواههم الاطفا هو
الاخماد يستعملان في النار وفيما يجري مجراها من الضيا والظهور ويفترق الاطفا
والاخماد من حيث ان الاطفا يستعمل في القليل فيقال اطفيت السراج ولا يقال اخمدت
السراج وفي هذه اللام اوجه احدها انها مزيدة في مفعول الارادة قال الزمخشري اصله
يريدون ان يطفيوا كما في سورة التوبة وكان هذه اللام زيدت مع فعل الارادة توكيدا
له لما فيها من معنى الارادة في قولك جيت لاكرمك كما زيدت اللام في لا ابا لك تاكيدا لمعنى

الاضافة في لا ابا لك وقال ابن عطية واللام في ليطفيوا لام موكدة دخلت على المفعول
لان التقدير يريدون ان يطفيوا واكثر ما يلزم هذه اللام المفعول اذا تقدم تقول لزيد
ضربت ولرويتك قصدت انتهى وهذا ليس مذهب سيبويه وجمهور الناس ثم قول ابي
محمد واكثر ما تلزم ليس بظاهر لانه لا قول بلزومها البتة بل هي جايزة الزيادة وليس الاكثر
ايضا زيادتها جوازا بل الاكثر عدمها الثاني انها لام العلة والمفعول محذوف اي يريدون
ابطال القران او دفع الاسلام او هلاك الرسول ليطفيوا الثالث انها بمعنى ان الناصبة
وانها ناصبة للفعل بنفسها قال الفرا العرب تجعل لام كي في موضع ان في اراد وامر واليه
ذهب الكساي ايضا وقد تقدم نحو هذا في قوله يريد الله ليبين لكم في سورة النسا

فصل قال ابن عباس وابن زيد المراد بنور الله هاهنا القران اي يريدون
ابطاله وتكذيبه بالقول وقال السدي الاسلام اي يريدون دفعه بالكلام وقال الضحاك
انه محمد صلى الله عليه وسلم اي يريدون هلاكه بالاراجيف وقال ابن جريج حجج الله ودلايله
يريدون ابطالها بانكارهم وتكذيبهم وقيل انه مثل مضروب اي من اراد اطفا نور الشمس
بفيه وجده مستحيلا ممتنعا كذلك من اراد ابطال الحق حكاه ابن عيسى

فصل قال
الماوردي سبب نزول هذه الاية ما حكاه عطا عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
ابطا عليه الوحي اربعين يوما فقال كعب بن الاشرف يا معشر يهود ابشروا فقد اطفا الله
نور محمد فيما كان ينزل عليه وكان ليتم امره فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله تعالى هذه الاية واتصل الوحي بعدها قوله والله متم نوره قرا الاخوان
وحفص وابن كثير باضافة متم لنوره والباقون بتنوينه ونصب نوره فالاضافة
تخفيف والتنوين هو الاصل وابو حيان ينازع في كونه الاصل وقد تقدم وقوله والله
متم جملة حالية من فاعل يريدون او يطفيوا والمعنى والله متم نوره اي باظهاره في الافاق
فان قيل الاتمام لا يكون الا عند النقصان فما معنى نقصان هذا النور فالجواب اتمامه
بحسب نقصان الاثر وهو الظهور في ساير البلاد من المشارق الى المغارب اذ الظهور
لا يظهر الا بالاظهار وهو الاتمام يؤيده قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وعن ابي هريرة
ان ذلك عند نزول عيسى عليه السلام قاله مجاهد قوله ولو كره حال من هذه الحال
فهي متداخلات وجواب لو محذوف اي اتمه واظهره وكذلك ولو كره المشركون والمعنى ولو
كره الكافرون من ساير الاصناف فان قيل قال اولا ولو كره الكافرون وقال ثانيا ولو
كره المشركون فما الفايدة فالجواب انهم انكروا الرسول وما انزل اليه من الكتاب وذلك من
نعم الله تعالى والكافرون كلهم في كفران النعم فلهذا قال ولو كره الكافرون ولان لفظ
الكافر اعم من لفظ المشرك فالمراد من الكافرين هنا اليهود والنصارى والمشركون فلفظ
الكفار اليق به واما قوله ولو كره المشركون فذلك عند انكارهم التوحيد واصرارهم عليه
فالنبي صلى الله عليه وسلم في ابتدا الدعوة الى التوحيد بلا اله الا الله فلم يقولوا لا اله الا الله
فلهذا قال ولو كره المشركون قوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى يعني محمدا بالهدى
اي بالحق والرشاد ليظهره على الدين كله بالحجج ومن الظهور الغلبة باليد في القتال وليس
المراد بالظهور ان لا يبقى دين اخر من الاديان بل المراد ان يكون اهل الاسلام غالبين
غالبين ومن الاظهار ان لا يبقى دين اخر سوى الاسلام في اخر الزمان قال مجاهد ذلك
اذا انزل الله عيسى لم يكن في الارض دين الا دين الاسلام وقال ابو هريرة ليظهره على
الدين كله بخروج عيسى وحينئذ لا يبقى كافر الا اسلم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن
الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى اليها ولتذهبن الشحنا والتباغض
والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد وقيل ليظهره اي ليطلع محمدا على ساير
الاديان حتى يكون عالما بها عارفا بوجوه بطلانها وبما حرفوا وغيروا منها على الدين
اي على الاديان لان الدين مصدر يعبر به عن الجمع قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
هل ادلكم على تجارة الاية قال مقاتل نزلت في عثمان بن مظعون قال رسول الله

لو اذنت لي فطلقت خولة وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ولا انام بليل ابدا ولا افطر
بنهار ابدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من سنتي النكاح ولا رهبانية في الاسلام
انما رهبانية امتي الجهاد في سبيل الله وخصا امتي الصوم ولا تحرموا طيبات ما احل الله لكم
ومن سنتي انام واقوم وافطر واصوم فمن رغب عن سنتي فليس مني فقال عثمان والله
لوددت يا نبي الله اي التجارات احب الى الله فاتجر فيها فنزلت وقيل ادلكم اي سادلكم
والتجارة الجهاد قال الله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم الاية وهذا
خطاب لجميع المومنين وقيل لاهل الكتاب وقيل نزل هذا حين قالوا لو نعلم اي الاعمال
احب الى الله لعملناه قال البغوي وجعل ذلك بمنزلة التجارة لانهم يربحون بها رضى الله
عز وجل ونيل جنته والنجاة من النار والتجارة عبارة عن معاوضة الشي بالشي كما ان التجارة
تنجي التاجر من الفقر فكذا هذه التجارة فمن امن وعمل صالحا فله الاجر الوافر ومن اعرض
عن الايمان والعمل الصالح فله الخسران المبين قوله تنجيكم هذه الجملة صفة لتجارة وقرا
ابن عامر تنجيكم بالتشديد والباقون بالتخفيف من انجي وهما بمعنى واحد لان التضعيف
والهمزة متعديان والمعنى يخلصكم من عذاب اليم اي مولم قوله تومنون لا محل له لانه
تفسير لتجارة ويجوز ان يكون محلها الرفع خبر المبتدا مضمر اي تلك التجارة تومنون والخبر
نفس المبتدا فلا حاجة الى رابط وان تكون منصوبة المحل باضمار فعل اي اعني تومنون
وجاز ذلك على تقدير ان وفيه تعسف والعامة على تومنون خبر لفظا ثابت النون وعبد
الله امنوا وجاهدوا امرين وزيد بن علي تومنوا وتجاهدوا بحذف نون الرفع فاما قراة العامة
فالخبر بمعنى الامر يدل عليه القراتان الشاذتان فان قراة زيد على حذف لام الامر اي لتومنوا
ولتجاهدوا كقوله • محمد تفد نفسك كل نفس •
وقوله قل لعبادي الذين امنوا يقيموا في وجه اي لتفد وليقيموا ولذلك جزم الفعل
في جوابه في قوله يغفر وكذلك قولهم اتقى الله امرو وفعل خيرا يثب عليه تقديره ليتق
الله وقال الاخفش ان تومنون عطف بيان لتجارة وهذا لا يتخيل الا بتاويل ان يكون
الاصل ان تومنوا فلما حذف ان ارتفع الفعل كقوله • الا ايها الزاجري احضر الوغى •
الاصل ان احضر وكانه قيل هل ادلكم على تجارة منجية ايمان وجهاد وهو معنى حسن لولا ما فيه
من التاويل وعلى هذا فيجوز ان يكون بدلا من تجارة وقال الفرا هو مجزوم على جواب
الاستفهام وهو قوله هل ادلكم واختلف الناس في تصحيح هذا القول فبعضهم غلطه
قال الزجاج ليسوا اذا دلهم على ما ينفعهم يغفر لهم انما يغفر لهم اذا امنوا وجاهدوا يعني انه
ليس مرتبا على مجرد الاستفهام ولا على مجرد الدلالة قال القرطبي وتومنون عند المبرد والزجاج
في معنى امنوا ولذلك جا يغفر لكم مجزوما على انه جواب الامر قال ابن الخطيب هل ادلكم
في معنى الامر عند الفرا يقال هل انت ساكت اي اسكت وبيانه ان هل بمعنى الاستفهام ثم
يندرج الى ان يصير عرضا وحثا والحث كالاغرا والاغرا امر وقال المهدوي انما يصح حملا
على المعنى وهو ان يكون تومنون وتجاهدون عطف بيان على قوله هل ادلكم كان التجارة
لم يدر ما هي فبينت بالايمان والجهاد فهي هما في المعنى فكانه قيل هل تومنون وتجاهدون
قال فان لم يقدر هذا التقدير لم يصح لانه يصير ان دللتم يغفر لكم والغفران انما يجب
بالقبول والايمان لا بالدلالة وقال الزمخشري قريبا منه ايضا وقال ايضا ان تومنون
استئناف كانهم قالوا كيف نعمل فقال تومنون فعل مرفوع تقديره ذلك انه تومنون فحذف
الان وهي وما في حيزها خبر لمبتدا محذوف وهذا محمول على تفسير المعنى لا تفسير الاعراب
فانه لا حاجة اليه **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل كيف امرهم بالايمان بعد
قوله يا ايها الذين امنوا فالجواب يمكن ان يكون المراد من هذه الاية المنافقين وهم الذين
امنوا في الظاهر ويمكن ان يكون اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فانهم امنوا بالكتب
المتقدمة فكانه قال يا ايها الذين امنوا بالكتب المتقدمة امنوا بالله وبمحمد ويمكن ان يكون
اهل الايمان كقوله تعالى فزادتهم ايمانا او يكون المراد الامر بالثبات على الايمان كقوله
تعالى يثبت الله الذين امنوا فان قيل كيف ترجى النجاة اذا امن بالله ورسوله ولم يجاهد في

سبيل الله وقد علق بالمجموع فالجواب ان هذا المجموع هو الايمان بالله ورسوله والجهاد بالنفس
والمال في سبيل الله خير في نفس الامر قوله باموالكم وانفسكم قال القرطبي ذكر الاموال اولا
لانها التي يبدا بها في الانفاق ذلكم اي هذا الفعل خير لكم من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون انه خير
لكم قوله يغفر لكم فيه اوجه احدها انه مجزوم على جواب الخبر بمعنى الامر كما تقدم والثاني انه
مجزوم على جواب الاستفهام كما قال الفرا الثالث انه مجزوم بشرط مقدر اي ان تومنوا يغفر لكم قال
القرطبي وادغم بعضهم فقرا يغفر لكم والاحسن ترك الادغام لان الرا حرف متكرر قوي فلا يحسن الادغام
في اللام لان الاقوى لا يدغم في الاضعف قوله ومساكن طيبة روي الحسن قال سالت عمران
ابن حصين وابا هريرة عن قوله ومساكن طيبة فقالا على الخبير سقطت سالنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عنها فقال قصر من لولوة في الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمرا في كل دار
سبعون بيتا من زمردة خضرا في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون
على كل فراش سبعون امراة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا
من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة فيعطي الله تبارك وتعالى المومن القوة في غداة
واحدة ما ياتي على ذلك كله قوله في جنات عدن اي اقامة ذلك الفوز العظيم اي السعادة الدائمة
الكبيرة واصل الفوز الظفر بالمطلوب قوله واخرى فيها اوجه احدها انها في موضع رفع على
الابتدا وخبرها مقدر اي ولكم او ثم او عنده خصلة اخرى او مثوبة اخرى وتحبونها نعت لها الثاني
ان الخبر جملة حذف مبتداها تقديره هي نصر والجملة خبر اخرى قاله ابو البقا الثالث انها منصوبة
بفعل محذوف للدلالة عليه بالسياق اي ويعطكم او يمنحكم مثوبة اخرى وتحبونها نعت لها ايضا
الرابع انها منصوبة بفعل مضمر يفسره تحبونها فيكون من الاشتغال وحينئذ لا يكون تحبونها
نعتا لانه مفسر للعامل فيه الخامس انها مجرورة عطفا على تجارة وضعف هذا بانها ليست مما
دل عليه انما هي ثواب من عند الله قال القرطبي وهذا الوجه منقول عن الاخفش والفرا
قوله نصر من الله خبر مبتدا مضمر اي تلك النعمة والخلة الاخرى نصر ومن الله نعت له او
متعلق به اي ابتداوه منه ورفع نصر وفتح قراة العامة ونصب ابن ابي عبلة الثلاثة وفيه
اوجه ذكرها الزمخشري احدها انها منصوبة على الاختصاص الثاني ان ينتصبن على المصدرية
اي ينصرون نصرا ويفتح لهم فتحا قريبا الثالث ان ينصبن على البدل من اخرى واخرى
منصوب بمقدر كما تقدم اي يغفر لكم ويدخلكم جنات ويوتكم اخرى ثم ابدل منها نصرا وفتحا قريبا
فصل ومعنى الاية اي ولكم نصر من الله وفتح قريب اي غنيمة في عاجل الدنيا قبل
فتح مكة وقال ابن عباس يريد فتح فارس والروم وبشر المومنين رضي الله عنهم وقال البغوي
وبشر المومنين يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في الاخرة ثم حضهم على نصر المومنين وجهاد المخالفين
فقال يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله اي كونوا حواري نبيكم ليظهركم الله على من خالفكم
كما اظهر حواري عيسى على من خالفهم قوله تعالى انصار الله قرا نافع وابن كثير وابو عمرو
انصارا منونا لله جارا ومجرورا والباقون انصار غير منون بل مضافا للجلالة الكريمة والرسم يحتمل
القراتين معا واللام يحتمل ان تكون مزيدة ويكون الجار والمجرور نعتا لانصارا والاول اظهر واما
قراة الاضافة ففرع الاصل المذكور ويؤيده قراة الاضافة الاجماع عليها في قوله نحن انصار
الله ولم تكن غير مزيدة ويكون الجار يتصور جريان الخلاف هنا لانه مرسوم بالالف وقال
القرطبي وقيل في الكلام اضمار اي قل لهم يا محمد كونوا انصار الله وقيل هو ابتدا خطاب من الله اي
كونوا انصارا كما فعل عيسى انصار عيسى فكانوا بحمد الله انصارا لله وقيل هو ابتدا خطاب
من الله اي كونوا انصارا كما فعل انصار عيسى فكانوا بحمد الله انصارا وكانوا حواريين **فصل**
قال القرطبي الحواريون خواص الرسل قال معمر كان ذلك بحمد الله اي نصروه وهم سبعون رجلا
وهم الذين بايعوه ليلة العقبة وقيل هم من قريش وسماهم قتادة ابو بكر وعمر وعلي وطلحة
والزبير وسعد بن ابي وقاص وابو عبيدة واسمه عامر وعثمان بن مظعون وحمزة بن
عبد المطلب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ولم يذكر سعدا فيهم وذكر جعفر بن ابي
طالب رضي الله عنهم اجمعين قوله كما قال عيسى بن مريم للحواريين وهم اصفياوه اثنى
عشر رجلا وقد مضت اسماوهم في ال عمران وهم اول من امن به من بني اسرائيل قاله ابن عباس وقال

مقاتل قال الله لعيسى اذا دخلت القرية فات النهر الذي عليه القصارون فاسألهم النصرة فاتاهم
عيسى وقال من انصاري الى الله فقالوا نحن ننصرك فصدقوه ونصروه قوله كما فيه اوجه
احدها ان الكاف في موضع نصب على اضمار القول اي قلنا لهم ذلك كما قال عيسى الثاني انها
نعت لمصدر محذوف تقديره كونوا كونا قاله مكي وفيه نظر اذ لا يومروا بان يكونوا كونا الثالث
ان الكلام محمول على معناه دون لفظه واليه نحا الزمخشري قال فان قلت ما وجه صحة
التشبيه وظاهره تشبيه كونهم انصارا بقول عيسى صلوات الله عليه من انصاري قلت التشبيه
محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال
لهم من انصاري الى الله وتقدم في آل عمران تعدي انصاري بالى واختلاف الناس في ذلك
وقال الزمخشري هنا فان قلت ما معنى قوله من انصاري الى الله قلت يجب ان يكون معناه
مطابقا لجواب الحواريين نحن انصار الله والذي يطابقه ان يكون المعنى من جندي متوجها
الى نصرة الله واضافة انصاري من الانصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله
ولا يصح ان يكون معناه من ينصرني مع الله لانه لا يطابق الجواب والدليل عليه قراة من قرا
من انصار الله انتهى يعني ان بعضهم يدعي ان الى بمعنى مع اي من انصاري مع الله وقوله
قراة من قرا انصار الله اي لو كانت بمعنى مع لما صح سقوطها في هذه القراءة قال شهاب الدين
وهذا غير لازم لان كل قراة لها معنى يخصها الا ان الاولى توافق القراتين قوله فامنت
طايفة من بني اسرايل وكفرت طايفة قال ابن عباس يعني في زمن عيسى عليه السلام
وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن
الله فرفعه الله اليه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه الله اليه وهم المومنون
واتبع كل فرقة منهم طايفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على
المومنين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المومنة على الكافرة فذلك
قوله فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين غالبين وقال مجاهد ايدوا في
زمانهم على من كفر بعيسى والاول اظهر لان عيسى لم يقاتل احدا ولم يكن في دين اصحابه بعده
قتال وقال زيد بن علي وقتادة فاصبحوا ظاهرين غالبين بالحجة والبرهان لانهم قالوا
فيما روي السلم تعلمون ان عيسى كان ينام والله لا ينام وان عيسى كان ياكل والله تعالى
لا ياكل وقيل نزلت هذه الاية في رسل عيسى عليه السلام قال ابن اسحاق وكان الذي بعثهم
عيسى من الحواريين والاتباع بطرس وبولس الى رومية واندراوس ومتا الى الارض التي
ياكل اهلها الناس ويوناس الى ارض بابل من ارض المشرق وفيلبس الى قرطاجه وهي افريقية
ويحنس الى افسوس قرية اصحاب الكهف ويعقوبس الى اوري سلم وهي بيت المقدس وابن
سلمى الى الاعرابية وهي ارض الحجاز وسيمن الى ارض البربة ويهوذا وبودس الى الاسكندرية
وما حولها فايدهم الله بالحجة فاصبحوا ظاهرين اي غالبين من قولك ظهرت على الحايط اي علوت
عليه قوله فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين من ايقاع الظاهر موقع
المضمر منها تنبيها على عداوة الكافر للمومن اذ الاصل فايدناهم عليهم اي ايدنا المومنين على
الكافرين من الطايفتين المذكورتين روى الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عيسى كان عيسى مستغفرا له ما دام في الدنيا ويوم القيمة هو رفيقه

سورة الجمعة مدنية

وهي احدى عشرة اية ومائة وثمانون كلمة وسبعماية وعشرون حرفا روى مسلم عن ابي
هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق
ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة وعنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون يوم القيمة ونحن اول من يدخل الجنة بيد انهم اوتوا
الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق
باذنه فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له قال يوم الجمعة فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد
غد للنصارى

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الارض تقدم الكلام فيه وقوله الملك القدوس
العزيز الحكيم وجه تعلق هذه السورة بما قبلها هو انه تعالى قال في اول تلك السورة سبح لله
بلفظ الماضي وذلك لا يدل على التسبيح في المستقبل فقال في اول هذه السورة بلفظ المستقبل ليدل
على التسبيح في الزمن الحاضر والمستقبل واما تعلق الاول بالاخر فلانه تعالى ذكر في اخر تلك
السورة انه كان يويد اهل الايمان حتى صاروا غالبين على الكفار وذلك على وفق الحكمة للحاجة
اليه اذ هو غني على الاطلاق ومنزه عما يخطر ببال الجهلة وفي اول هذه السورة ذكر ما يدل على
كونه مقدسا ومنزها عما لا يليق بحضرته العالية ثم اذا كان خلق السموات والارض باجمعهم
في تسبيح حضرة الله تعالى فله الملك ولا ملك اعظم من هذا ولما كان الملك كله له فهو الملك
على الاطلاق ولما كان الكل خلقه فهو المالك قوله الملك القدوس قرا العامة بجر الملك وما
بعده نعتا لله والبدل ضعيف لاشتقاقها وقرا ابو وايل ومسلمة بن محارب ورؤبة بالرفع
على اضمار مبتدا مقتض للمدح قال الزمخشري ولو قري بالنصب على قولهم الحمد لله اهل الحمد
لكان وجها وقرا زيد بن علي القدوس بفتح القاف وتقدم ذلك وسبح من جملة ما يجري
فيه اللفظان كشكره وشكر له ونصحه ونصح له وسبحه وسبح له فان قيل الحكيم يطلق ايضا
على الغير كما يقال في لقمان انه حكيم فالجواب ان الحكيم عند اهل التحقيق هو الذي يضع الاشيا
مواضعها والله تعالى حكيم بهذا المعنى قوله هو الذي بعث في الاميين رسولا تقدم الكلام
في الامي والاميين جمعه ويتلوا وما بعده صفات لرسول قال ابن عباس الاميون العرب
كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب لانهم لم يكونوا اهل الكتاب وقيل الاميون الذين لا يكتبون ولذلك
كانت قريش وروى منصور عن ابراهيم قال الامي الذي يقرا ولا يكتب وعن ابن عباس الاميون
الذي ليس لهم كتاب ولا نبي بعث فيهم وقيل الاميون هم الذين هم على ما خلقوا عليه
وقري الامين بحذف يا النسب قوله رسولا منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما من حي
من العرب الا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة وقد ولدوه قال ابن اسحاق الا بني
تغلب فان الله تعالى طهر نبيه صلى الله عليه وسلم منهم لنصرانيتهم فلم يجعل لهم عليه ولادة
وكان اميا لم يقرا من كتاب ولم يتعلم صلى الله عليه وسلم قال الماوردي فان قيل ما وجه
الامتنان بان بعث نبيا اميا فالجواب من ثلاثة اوجه احدها لموافقته ما تقدمت بشارة
الانبيا الثاني لمشاكلة حاله لاحوالهم فيكون اقرب الى موافقتهم الثالث لينتفي عنه سوء
الظن في تعليمه ما دعا اليه من الكتب التي قراها والحكم التي تلاها قال القرطبي وهذا
كله دليل معجزته وصدق نبوته قوله يتلوا عليهم اياته يعني القران ويزكيهم اي يجعلهم
ازكيا القلوب بالايمان قاله ابن عباس وقيل يطهرهم من دنس الكفر والذنوب قاله ابن
جريج ومقاتل وقال السدي ياخذ زكاة اموالهم ويعلمهم الكتاب يعني القران والحكمة السنة
قاله الحسن وقال ابن عباس الكتاب الخط بالقلم لان الخط انما فشى في العرب بالشرع لما
امروا بالتقييد بالخط وقال مالك بن انس الحكمة الفقه في الدين وقد تقدم في البقرة
وان كانوا من قبل اي من قبله وقبل ان يرسل اليهم لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن
الحق قال ابن الخطيب احتج اهل الكتاب بهذه الاية فقالوا قوله بعث في الاميين
رسولا منهم يدل على انه عليه السلام كان رسولا الى الاميين هم العرب خاصة قال وهذا ضعيف
فانه لا يلزم من تخصيص الشي بالذكر نفي ما عداه الا ترى قوله تعالى ولا تخطه بيمينك انه
لا يفهم منه انه خطه بشماله ولانه لو كان رسولا الى العرب خاصة كان قوله تعالى كافة للناس
بشيرا ونذيرا لا يناسب ذلك وقد اتفقوا على صدق الرسالة المخصوصة فيكون قوله تعالى
كافة للناس دليلا على انه عليه السلام كان رسولا قوله واخرين فيه وجهان احدهما
انه مجرور عطفا على الاميين اي وبعث في اخرين من الاميين ولما يلحقوا بهم صفة لاخرين
وقيل والثاني انه منصوب عطفا على الضمير المنصوب في يعلمهم اي ويعلم اخرين لم يلحقوا
بهم وسيلحقون وكل من يعلم شريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى اخر الزمان فرسول الله
معلمه بالقوة لانه اصل ذلك الخير العظيم والفضل الجسيم قوله لما يلحقوا بهم اي لم يكونوا في
زمانهم وسيجيئون بعدهم قال ابن عمر وسعيد بن جبير العجم وفي صحيح البخاري ومسلم

عن ابي هريرة قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نزلت عليه سورة الجمعة فلما قرا
واخرين منهم لما يلحقوا بهم قال من هولاء يا رسول الله فلم يراجعه النبي صلى الله عليه وسلم حتى
ساله مرة او مرتين او ثلاثا قال وفينا سلمان الفارسي قال فوضع النبي صلى الله عليه وسلم
يده على سلمان ثم قال هولا لو كان الايمان عند الثريا لناله رجل من هولاء وفي رواية لو كان الدين
عند الثريا لذهب به رجل من فارس او قال من ابنا فارس حتى يتناوله لفظ مسلم وقال عكرمة
هم التابعون وقال مجاهد هم الناس كلهم يعني من بعد العرب الذي بعث فيهم محمد صلى الله عليه
وسلم الى يوم القيمة وروي سهل بن سعد الساعدي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في اصلاب
امتي رجالا ونساء يدخلون الجنة بغير حساب ثم تلا واخرين منهم لما يلحقوا بهم والقول الاول
اثبت وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رايتني اسقي غنما سودا ثم اتبعتها غنما عفرا اولها
يا ابا بكر قال يا نبي الله اما السود فالعرب واما العفر فالعجم تتبعك بعد العرب فقال النبي صلى
الله عليه وسلم كذلك اولها الملك يعني جبريل عليه السلام رواه ابن ابي ليلى عن رجل من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو علي بن ابي طالب رضي الله عنه قوله ذلك فضل
الله يوتيه من يشا قال ابن عباس حيث الحق العجم بقريش وقيل يعني الاسلام فضل الله
يوتيه من يشا قاله الكلبي وقال مقاتل يعني الوحي والنبوة وقيل انه المال ينفق في
الطاعة لما روي ابو صالح عن ابي هريرة ان فقرا المهاجرين اتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا ذهب اهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال وما ذاك فقالوا يصلون
كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم افلا اعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم
ولا يكون احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول الله قال تسبحون وتكبرون
وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة قال ابو صالح فرجع فقرا المهاجرين الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا من اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يوتيه من يشا وقيل انه انقياد الناس
الى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم ودخولهم في دينه ونصرته قوله تعالى مثل الذين
حملوا التورية هذه قراة العامة وقرا زيد بن علي ويحيى بن يعمر حملوا مخففا مبنيا للفاعل
قوله كمثل الحمار هذه قراة العامة وقرا عبد الله حمار منكرا وهو في قوة قراة الباقين لان
المراد بالحمار الجنس ولهذا وصف بالجملة بعده كما سياتي وقرا المامون بن هرون الرشيد
يحمل مشددا مبنيا للمفعول والجملة من يحمل فيها وجهان اشهرهما انها في موضع الحال
من الحمار والثاني انها في موضع الصفة للحمار لجريانه مجرى النكرة اذ المراد به الجنس
قال الزمخشري او الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم وقوله • ولقد امر على اللئيم يسبني •
وتقدم تحرير هذا وان منه عند بعضهم واية لهم الليل نسلخ وان نسلخ نعت لليل والجمهور
يجعلونه حالا للتعريف اللفظي واما على قراة عبد الله فالجملة وصف فقط ولا يمتنع ان
يكون حالا عند سيبويه والاسفار جمع سفر وهو الكتاب المجتمع الاوراق **فصل**
هذا مثل ضربه لليهود لما تركوا العمل بالتورية ولم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم حملوا
التورية اي كلفوا العمل بها قاله ابن عباس وقال الجرجاني هو من الحمالة بمعنى الكفالة
اي ضمنوا احكام التورية وقوله ثم لم يحملوها لم يعملوا بما فيها ولم يودوا حقها فمثل الحمار يحمل
اسفارا اي كتبا من العلم واحدها سفر قال الفرا هي الكتب العظام لانها تسفر عما فيها
من المعاني اذا قريت ونظيره شبر واشبار يعني كما ان الحمار يحملها ولا يدري ما فيها ولا
ينتفع بها كذلك اليهود يقرون التورية ولا ينتفعون بها لانهم خالفوا ما فيها قال ميمون
ابن مهران الحمار لا يدري اسفر على ظهره ام زبل فكذلك اليهود وفي هذا تنبيه من الله تعالى
لمن حمل الكتاب ان يتعلم معانيه ويعلم ما فيه ويعمل به لئلا يلحقه من الذم ما لحق هولاء
قال الشاعر • لعمرك ما يدري البعير اذا غدا • باوساقه او راح ما في الغرائر •
قوله بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله فيه اوجه احدها وهو المشهور ان مثل
القوم فاعل بئس والمخصوص هنا المثل ليس القوم الذين المكذبين والجواب انه على حذف

مضاف اي بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا الثاني ان الذين صفة للقوم فيكون مجرور
المحل والمخصوص بالذم محذوف لفهم المعنى تقديره بئس مثل القوم المكذبين مثل هولاء
وهو قريب من الاول الثالث ان الفاعل محذوف وان مثل القوم هو المخصوص بالذم وتقديره
بئس المثل مثل القوم ويكون الموصول نعتا للقوم ايضا واليه نحا كلام ابن عطية فانه قال
والتقدير بئس المثل مثل القوم وهذا فاسد لانه لا يحذف الفاعل عند البصريين الا في مواضع
ثلاثة ليس هذا منها اللهم الا ان يقول الكوفيين الرابع ان يكون التمييز محذوفا والفاعل
المفسر به مستتر تقديره بئس مثلا مثل القوم واليه نحا كلام الزمخشري فانه قال بئس
مثلا مثل القوم فيكون الفاعل مستترا مفسرا بمثلا ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول
صفة له وحذف التمييز وهذا لا يجيزه سيبويه واصحابه البتة نصوا على امتناع حذف التمييز
وكيف يحذف وهو مبين **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل ما الحكمة في تعيين الحمار
من دون ساير الحيوانات فالجواب من وجوه احدها انه تعالى خلق الخيل والبغال والحمير
للركوب والزينة كما قال والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة والحمل اكثر واظهر بالنسبة
الى الحمار عليه وفي البغال والحمار دون البغال فالبغال في المعاني الثلاثة وحينئذ يكون
معنى الحمل اظهر واغلب بالنسبة الى الخيل والبغال وغيرها من الحيوانات وثانيها ان هذا
التمثيل لاظهار الجهل والبلادة لا ولئك القوم والحمار يمثل به في الجهل والبلادة وثالثها
ان في الحمار من الحقارة ما ليس في غيره من الحيوانات والغرض من الكلام ههنا تحقير القوم
وتعييرهم فيكون تعيين الحمار اليق ورابعها ان حمل الاسفار على الحمار اسهل واعم لسرعة
انقياده فانه ينقاد للصبي الصغير من غير كلفة وهذا من جملة ما يوجب حسن الذكر
بالنسبة الى غيره وخامسها ان رعاية الالفاظ والمناسبة من لوازم الكلام ولفظ الاسفار
ومناسبته لفظية لانه في غيره من الحيوانات فيكون ذكره اولى **فصل** قال القرطبي
معنى الكلام بئس مثل القوم المثل الذي ضربناه لهم فحذف المضاف والله لا يهدي القوم
الظالمين الذين ظلموا انفسهم بتكذيب الانبيا يعني من سبق في علمه ان يكون كافرا
قوله قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اوليا لله من دون الناس اي من دون محمد
واصحابه لما ادعت اليهود الفضيلة وقالوا نحن ابنا الله واحباوه قال الله تعالى ان
كنتم اوليا لله من دون الناس فللاوليا عند الله الكرامة فتمنوا الموت لتصيروا الى ما
يصير اليه اوليا الله قوله انكم اوليا ساد مسد المفعولين او المفعول على الخلاف ولله
متعلق باوليا او بمحذوف نعتا لاوليا ومن دون الناس كذلك قوله فتمنوا الموت جواب
الشرط والعامة بضم الواو وهو الاصل في واو الضمير وابن السميفع وابن يعمر وابن ابي اسحاق
بكسرها وهو اصل التقا الساكنين وابن السميفع ايضا بفتحها وهذا طلب للتخفيف وتقدم
نحوه في اشتروا الضلالة وحكى الكسائي ابدال الواو همزة قوله ولا يتمنونه وقال في
البقرة ولن يتمنوه قال الزمخشري لا فرق بين لا ولن في ان كل واحد منهما نفي للمستقبل
الا ان في لن تاكيدا وتشديدا ليس في لا فاتى مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة بغير
لفظه ولا يتمنونه قال ابو حيان وهذا رجوع منه عن مذهبه وهو ان لن تقتضي النفي
على التابيد الى مذهب الجماعة وهو انها لا تقتضيه قال شهاب الدين وليس فيه رجوع
غاية ما فيه انه سكت عنه وتشريكه بين لا ولن في نفي المستقبل لا ينفي اختصاص لن بمعنى
اخر وتقدم الكلام على هذا مشبعا في البقرة **فصل** المعنى ولا يتمنونه ابدا بما
قدمت ايديهم اي اسلفوه من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فلو تمنوه لماتوا فكان في
ذلك بطلان قولهم وما ادعوه من الولاية قال عليه السلام لما نزلت هذه الاية والذي
نفسي بيده لو تمنوا الموت ما بقي على ظهرها يهودي الا مات وفي هذا اخبار عن الغيب ومعجزة
للنبي صلى الله عليه وسلم وقد مضى الكلام على هذه الاية في البقرة عند قوله فتمنوا الموت
قوله قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم في الفا وجهان احدهما انها داخلة
لما تضمنه الاسم من معنى الشرط وحكم الموصوف بالموصول حكم الموصول في ذلك قال الزجاج
لا يقال ان زيدا فمنطلق وههنا قال فانه ملاقيكم ويكون مبالغة في الدلالة على انه لا ينفع

القرار منه الثاني انها مزيدة محضة لا للتضمن المذكور وانشد هولا القول الاول بوجهين
احدهما ان ذلك انما يجوز اذا كان المبتدا او اسم ان هنا ليس بموصول بل موصوفا بالموصول
والثاني ان القرار من الموت لا ينجي منه فلم يشبه الشرط يعني انه متحقق فلم يشبه الشرط
الذي هو من شانه الاحتمال واجيب عن الاول بان الموصوف مع صفته كالشي الواحد
ولان الذي لا يكون الا صفة فاذا لم يذكر الموصوف دخلت الفا والموصوف مراد فكذلك
اذا صرح بها وعن الثاني بان خلقا كثيرا يظنون ان الفرار من اسباب الموت ينجيهم الى
وقت اخر وجوز مكي ان يكون الخبر قوله الذين تفرون منه ويكون الفا جواب الجملة
قال كما تقول زيد منطلق فقم اليه وفيه نظر لانه لا ترتب بين قوله ان الموت الذي
تفرون منه وبين قوله فانه ملاقيكم فليس نظير الما مثله قال القرطبي ويجوز ان
يتم الكلام عند قوله الذي تفرون منه ثم يبتدي فانه ملاقيكم وقرا زيد بن علي
انه بغير فا وفيها اوجه احدها انه مستانف وحينئذ يكون الخبر نفس الموصول كانه
قيل ان الموت هو الشي الذي تفرون منه قاله الزمخشري الثاني ان الخبر الجملة من
قوله انه ملاقيكم وحينئذ يكون الموصول نعتا للموت الثالث ان يكون انه تاكيد
لان الموت لما طال الكلام اكد الحرف تاكيدا لفظيا وقد عرف انه لا يوكد كذلك الا باعادة
ما دخل عليه او باعادة ضميره فاكد باعادة ضمير ما دخلت عليه ان وحينئذ يكون الموصول
نعتا للموت وملاقيكم خبره كانه قيل ان الموت انه ملاقيكم وقرا ابن مسعود ملاقيكم
من غير فا نه فان قيل الموت ملاق لهم على كل حال فروا او لم يفروا فما معنى الشرط
والجزا فالجواب ان هذا على جهة الرد عليهم اذ ظنوا ان الفرار ينجيهم ثم تردون الى
عالم الغيب والشهادة فينبيكم بما كنتم تعملون وهذا وعيد بليغ وتهديد شديد قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة الاية قرا العامة الجمعة
بضمتين وقرا عبد الله بن الزبير وزيد بن علي والاعمش وابو حيوة وابو عمرو في
رواية بسكون الميم فقيل هي لغة في الاولى وسكنت تخفيفا وهي لغة تميم وقيل هو
مصدر بمعنى الاجتماع وقيل لما كان بمعنى المفعول ضاركرجل هزاة اي يهزا به قاله مكي
فلما كان في الجمعة معنى التجمع اسكن لانه مفعول به في المعنى او يشبهه فصار كهزاة الذي
يهزا به قاله مكي وكذا قال ابو البقا هو بمعنى المجتمع فيه مثل رجل ضحكة اي يضحك
منه وقال مكي يجوز اسكان الميم استخفافا وقيل هي لغة وقد تقدم انها قراة وانها
لغة تميم وقال ابو حيان ولغة بفتحها لم يقرا بها قال شهاب الدين قد نقلها ابو البقا
قراة فقال ويقرا بفتح الميم بمعنى الفاعل اي يوم المكان الجامع مثل رجل ضحكة اي
كثير الضحكة وقال مكي وفيه لغة ثالثة بفتح الميم على نسبة الفعل اليها كانه
تجمع الناس كما يقال رجل لحنة اذا كان يلحن الناس وقراة اذا كان يقري الناس ونقلها
قراة ايضا الزمخشري الا ان الزمخشري جعل الجمعة بالسكون هو الاصل وبالمضموم مخففا
منه فقال يوم الجمعة يوم الفوج المجموع كقولهم ضحكة للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح
الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة ولعبة ويوم الجمعة بتثقيل للجمعة كما قيل عسرة
في عسرة وقري بهن جميعا وتقديره يوم الوقت الجامع احسن من تقدير ابي البقا يوم
المكان الجامع لان نسبة الجمع الى الظرفين مجاز فالاولى ابقاوه زمانا على حاله قال
القرطبي وجمعها جمع وجمعات وقال ابن عباس نزل القران بالتثقيل والتفخيم فاقروها
جمعة يعني بضم الميم وقال الفرا وابو عبيد والتخفيف احسن واقيس نحو غرفة
وغرف وطوفة وطوف وحجرة وحجر وفتح الميم لغة بني عقيل وقيل انها لغة النبي صلى الله
عليه وسلم **فصل** قال ابن الخطيب قوله للصلاة بدليل قوله من يوم الجمعة
ولا تكون الصلاة من اليوم وانما يكون وقتها من اليوم **فصل** روي سلمان ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال انما سميت جمعة لان الله جمع فيها خلق ادم وقيل لان الله
تعالى فرغ فيها من خلق كل شي فاجتمع فيها جميع المخلوقات وقيل لتجمع الجماعات فيها
وقيل لاجتماع الناس للصلاة قوله من يوم من هذه بيان لاذا وتفسير لها قاله

الزمخشري

الزمخشري وقال ابو البقا انها بمعنى في اي في يوم كقوله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض اي
في الارض **فصل** قال القرطبي قال ابو سلمة اول من قال اما بعد كعب بن لوي وكان اول
من سمى الجمعة جمعة لاجتماع قريش فيه الى كعب وكان يقال ليوم الجمعة العروبة وقيل اول من سماها
جمعة الانصار قال ابن سيرين جمع اهل المدينة من قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة وذلك انهم قالوا ان لليهود يوما يجتمعون فيه في كل
سبعة ايام يوم وهو السبت وللنصارى يوم مثل ذلك فتعالوا فلنجتمع حتى نجعل لنا يوما نذكر
الله فيه ونصلي فيه ونستذكر فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فجعلوه
يوم العروبة فاجتمعوا الى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة
حين اجتمعوا فذبح لهم اسعد شاة فتعشوا وتغدوا منها لقلتهم فهذه اول جمعة في الاسلام وروي
انهم كانوا اثني عشر رجلا وقال البيهقي وروينا عن موسى بن عقبة عن الزهري ان مصعب بن
عمير كان اول من جمع الجمعة بالمدينة للمسلمين قبل ان يقدمها النبي صلى الله عليه وسلم قال
البيهقي يحتمل ان يكون مصعب جمع بهم بمعونة اسعد بن زرارة فاضافه كعب اليه وروي عن
عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن ابيه عن كعب انه كان اذا اسمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد
ابن زرارة فقلت له اذا اسمعت النداء ترحمت لاسعد بن زرارة قال لانه اول من جمع بنا في هزم
النبت من حرة بني بياضة في نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت لهم كم كنتم يومئذ قال
اربعين ذكره البغوي واما اول جمعة جمعها النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه فقال اهل السير
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا على نزل بقبا على بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثني
عشر ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين اشتد الضحى ومن تلك السنة يعد التاريخ فاقام
بها الى يوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة الى المدينة فادركته الجمعة في بني
سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجدا فجمع بهم وخطب وهي
اول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله واستعينه واستغفره واستهديه واومن
به ولا اكفره واعادي من يكفر به واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا
عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة
من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل
من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا
بعيدا اوصيكم بتقوى الله واحذروا ما حذركم الله من نفسه فان تقوى الله لمن عمل به على
وجل ومخافة من ربه عنوان صدق على ما تبتغون من الاخرة ومن يصلح الذي بينه
وبين الله من امره في السر والعلانية لا ينوي به الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل امره
وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه
امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد هو الذي صدق قوله وانجز وعده
لا خلف لذلك فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز
فوزا عظيما وان تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه وان تقوى الله
تبيض الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم
في كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وتعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله
اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك
عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله فاكثروا ذكر الله تعالى واعملوا
لما بعد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان
الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **فصل** خاطب الله المومنين بالجمعة دون
الكافرين تشريفا لهم وتكريما فقال يا ايها الذين امنوا ثم خصه بالنداء وان كان قد دخل في
عموم قوله تعالى واذا ناديتم الى الصلاة ليدل على وجوبه وتاكيد فرضه وقال بعض العلما
كون الصلاة الجمعة ههنا معلوم بالاجماع لا من نفس اللفظ وقال ابن العربي وعندي انه
معلوم من نفس اللفظ بنكتة وهي قوله من يوم الجمعة وذلك يفيده لان النداء الذي يختص بذلك

اليوم هو نداء تلك الصلاة فاما غيرها فهو عام في ساير الايام ولو لم يكن المراد به نداء الجمعة
لما كان لتخصيصه بها واضافته اليها معنى ولا فايدة **فصل** كان الاذان على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم كما في ساير الصلوات موذن واحد اذا جلس النبي صلى الله عليه وسلم
على المنبر وكذلك فعل ابو بكر وعمر وعلي بالكوفة ثم زاد عثمان على المنبر اذانا ثانيا على
داره التي تسمى الزوراء حين كثر الناس بالمدينة فاذا سمعوا اقبلوا حتى اذا جلس عثمان على
المنبر اذن موذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخطب عثمان اخرجه ابن ماجة في
سننه وقال الماوردي فاما الاذان الاول فمحدث فعله عثمان بن عفان ليتاهب
الناس لحضور الخطبة عند اتساع المدينة وكثرة اهلها وقد كان عمر رضي الله عنه امر ان
يوذن في السوق قبل المسجد ليقوم عن بيوعهم فاذا اجتمعوا اذن في المسجد فجعله عثمان
رضي الله عنه اذانين في المسجد قال ابن العربي وفي الحديث الصحيح ان الاذان كان
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا فلما كان زمن عثمان زاد النداء الثالث
على الزوراء وسماه في الحديث ثالثا لانه اضافه الى الاقامة كقوله عليه السلام بين كل
اذانين صلاة لمن شا يعني الاذان والاقامة ويتوهم بعض الناس انه اذان اصلي
فجعلوا الموذنين ثلاثة فكان وهما ثم جمعوهم في وقت واحد فكان وهما على وهم
قوله فاسعوا الى ذكر الله قيل المراد بالسعي هنا القصد قال الحسن والله ما
يسعى على الاقدام ولكن سعي بالقلوب والنية وقال الجمهور السعي العمل لقوله
تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مومن وقوله ان سعيكم لشتى وقوله
وان ليس للانسان الا ما سعى والمعنى فاعملوا على المضي الى ذكر الله واشتغلوا باسبابه
من الغسل والطهر والتوجه اليه وقيل المراد به السعي على الاقدام وذلك فضل وليس
بشرط لقوله عليه السلام من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار قال
القرطبي ويحتمل ظاهره وجها رابعا وهو الجري والاشتداد قال ابن العربي وهو الذي
انكره الصحابة والفقها الاقدمون فقراها عمر فامضوا الى ذكر الله فرارا عن طريق الجري
والاشتداد الذي يدل عليه الظاهر وقرا ابن مسعود كذلك وقال لو قرات فاسعوا
لسعيت حتى يسقط ردائي وقال ابن شهاب فامضوا الى ذكر الله سالكا تلك السبيل
وهو كله تفسير منهم لا قراة قران منزل وجايز قراة القران بالتفسير في معرض التفسير
قال ابو بكر بن الانباري وقد احتج من خالف المصحف بقراة عمر وابن مسعود وان
خرشة بن الحر قال راني عمر رضي الله عنه ومعي قطعة فيها فاسعوا الى ذكر
الله فقال لي عمر من اقراك هذا قلت ابي فقال ان ابيا اقرانا للمنسوخ ثم قرا عمر فامضوا
الى ذكر الله وقال الفرا وابو عبيد معنى السعي في الاية المضي واحتج الفرا بقولهم
هو يسعى في البلاد يطلب فضل الله واحتج ابو عبيدة بقول الشاعر

اسعى على حي بني مالك • كل امرء في شانه ساع •

فهل يحتمل السعي في هذا البيت المضي بالانكماش ومحال ان يخفى هذا المعنى على
ابن مسعود وعلى صاحبه واتقان عربيته قال القرطبي ومما يدل على ان المراد هنا
العدو قوله عليه السلام اذا اقيمت الصلاة فلا تاتوها وانتم تسعون ولكن ايتوها
وعليكم السكينة قال الحسن اما والله ما هو بالسعي على الاقدام ولقد نهوا ان ياتوا الصلاة
الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وقال قتادة السعي ان
تسعى بقلبك وعملك **فصل** هذه الاية خطاب للمكلفين بالاجماع ويخرج منه
المرضى والزمنى والمسافرون والعبيد والنسا بالدليل والعميان والشيخ الذي لا يمشي الا
بقايد عند ابي حنيفة لما روى الدارقطني عن ابي الزبير عن جابر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من كان يومن بالله واليوم الاخر فعليه الجمعة يوم الجمعة الا مريضا او
مسافرا او امراة او صبيا او مملوك فمن استغنى بلهو او تجارة استغنى الله عز وجل
عنه والله غني حميد قال العلما لا يتخلف احد عن الجمعة ممن عليه اتيانها الا بعذر لا يمكنه
معه الاتيان اليها كالمرض الحابس او خوف الزيادة في المرض او خوف جور السلطان عليه في

مال او ولد دون القضا عليه بحق والمطر الوابل مع الوحل عذر ان وروى المهدوي عن مالك
انها ليست بعذر ومن له ولي حميم قد حضرته الوفاة ولم يكن عنده من يقوم بامره فهو معذور
وقد فعل ذلك ابن عمر ومن تخلف عنها لغير عذر فصلى قبل الامام اعاد ولا يجزيه ان يصلي قبله
وهو عاص في تخلفه مع امكانه **فصل** وجوب السعي يختص بالقريب الذي يسمع النداء
فاما البعيد الذي لا يسمع النداء فلا يجب عليه السعي واختلف الناس في القريب والبعيد
فقال ابن عمر وابو هريرة وانس تجب الجمعة على من كان في المصر على ستة اميال وقال
ربيعة اربعة اميال وقال مالك والليث ثلاثة اميال وقال الشافعي اعتبار سماع الاذان
ان يكون الموذن صيتا والاصوات هادية والريح ساكنة وموقف الموذن عند سور البلد
وروت عايشة رضي الله عنها ان الناس كانوا ينتابون الجمعة من منازلهم ومن العوالي فياتون
في العبا ويصيبهم الغبار فيخرج منهم الريح فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو اغتسلتم ليومكم
هذا قال العلما والصوت اذا كان رفيعا والناس في هدو وسكون فاقصى سماع الصوت ثلاثة
اميال والعوالي من المدينة اقربها على ثلاثة اميال وقال احمد بن حنبل واسحاق تجب الجمعة
على من سمع النداء لقوله عليه السلام انما الجمعة على من سمع النداء وقال ابو حنيفة واصحابه
تجب الجمعة على من في المصر سمع النداء او لم يسمعه ولا تجب على من هو خارج المصر وان سمع النداء
حتى سيل هل تجب على اهل زبادة وهي بينها وبين الكوفة مجرى نهر فقال لا وروي عن ربيعة
ايضا انها تجب على من اذا سمع النداء وخرج من بيته ماشيا ادرك الصلاة **فصل**
دلت هذه الاية على ان الجمعة لا تجب الا بالنداء والنداء لا يكون الا بدخول الوقت لقوله
عليه السلام اذا حضرت الصلاة فليوذن احدكما وليومكما اكبركما وروى انس بن مالك ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس وروي عن ابي بكر الصديق واحمد
ابن حنبل انها تصلى قبل الزوال واستدل احمد بحديث سلمة بن الاكوع كنا نصلي مع النبي
صلى الله عليه وسلم ثم ننصرف وليس للحيطان ظل وبحديث ابن عمر ما كنا نقيل ولا نتغدى
الا بعد الجمعة واخرج مسلم مثله عن سهل قال القرطبي وحديث سلمة محمول على التبكير
لقول سلمة كنا نجمع مع النبي صلى الله عليه وسلم اذا زالت الشمس ثم نرجع نتتبع الفي
فصل نقل عن بعض الشافعية ان الجمعة فرض على الكفاية وجمهور الامة على انها
فرض عين لقوله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع
وقال عليه السلام لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن
من الغافلين وروى ابن ماجة في سننه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ترك الجمعة ثلاث مرات طبع الله على قلبه اسناده صحيح وقال ابن العربي ثبت عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرواح الى الجمعة واجب على كل مسلم **فصل**
اختلفوا في العدد الذي تنعقد به الجمعة فذهب قوم الى ان كل قرية اجتمع فيها اربعون
رجلا احرارا عاقلين مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا الا ظعن حاجة يجب عليهم
اقامة الجمعة فيها وهو قول عبيد الله بن عبد الله وعمر بن عبد العزيز وبه قال الشافعي
واحمد واسحاق قالوا لا تنعقد الجمعة باقل من اربعين رجلا على هذه الصفة وشرط عمر
ابن عبد العزيز مع الاربعين ان يكون فيهم وال وعند ابي حنيفة تنعقد باربعة والوالي
شرط وقال الاوزاعي وابو يوسف تنعقد بثلاثة اذا كان فيهم وال وقال الحسن وابو
ثور تنعقد باثنين كساير الصلاة وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلا **فصل**
اذا اجتمع العيد والجمعة سقط فرض عند احمد لتقدم العيد عليها واشتغال الناس
بها عنها ولما روي ان عثمان اذن في عيد لاهل العوالي ان يتخلفوا عن الجمعة وقال
غيره لا تسقط فرض الجملة لان الامر بالسعي متوجه يوم العيد لتوجهه في ساير الايام
وقول الصحابي ليس بحجة اذا خولف فيه ولم يجمع عليه وفي صحيح مسلم عن النعمان
ابن بشير قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم
ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية قال واذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد
يقراهما ايضا في الصلاتين اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة قوله الى

ذكر الله اي الصلاة وقيل الخطبة والمواعظ قاله سعيد بن جبير قال ابن العربي والصحيح
انه واجب في الجميع لانه يحرم البيع ولولا وجوبها ما حرمته لان المستحب لا يحرم المباح قال
القرطبي واذا قلنا ان المراد بالذكر الصلاة فالخطبة من الصلاة والعبد يكون ذاكرا لله بفعله
كما يكون مسبحا لله بفعله قال الزمخشري فان قلت كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها غير
ذلك قلت ما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثنا عليه وعلى خلفايه الراشدين
واتقيا المومنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله فاما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة
والقابهم والثنا عليهم والدعا لهم وهم احقا بعكس ذلك **فصل** ذهب بعضهم الي
انه اذا اصبح يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتي يصلي الجمعة وذهب بعضهم الي الجواز لما
روي ابن عباس قال بعث النبي صلي الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق
ذلك يوم الجمعة فغدا اصحابه وقال اتخلف فاصلي مع رسول الله صلي الله عليه وسلم
ثم الحقهم فلما صلي مع النبي صلي الله عليه وسلم راه فقال ما منعك ان تغدو مع اصحابك قال
اردت ان اصلي معك ثم الحقهم فقال لو انفقت ما في الارض جميعا ما ادركت غدوتهم وسمع
عمر بن الخطاب رجلا عليه اهبة السفر يقول لولا ان اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال له عمر
اخرج فان الجمعة لا تحبس عن سفر قوله وذروا البيع يدل علي تحريم البيع في وقت
الجمعة علي من كان مخاطبا بفرضها والبيع لا يخلو عن شرا فاكتفي بذكر احدهما كقوله
تعالي سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم وخص البيع لانه اكثر ما يشتغل به
اصحاب الاسواق ومن لا يجب عليه حضور الجمعة فلا ينهي عن البيع والشرا وفي وقت
التحريم قولان احدهما انه من بعد الزوال الي الفراغ منها قاله الضحاك والحسن وعطا
الثاني انه من وقت اذان الخطبة الي وقت الصلاة قاله الشافعي قال القرطبي ومذهب
مالك ان البيع يفسخ اذا نودي للصلاة ولا يفسخ العتق والنكاح والطلاق وغيره
اذ ليس من عادة الناس اشتغالهم به كاشتغالهم بالبيع قالوا وكذلك الشركة والهبة
والصدقة نادر لا يفسخ قال ابن العربي والصحيح فسخ الجميع لان البيع انما منع منه
للاشتغال به فكل امر يشغل عن الجمعة من العقود كلها فهو حرام شرعا مفسوخ وحمل
بعضهم النهي علي الندب لقوله تعالي ذلكم خير لكم وهو مذهب الشافعي فان البيع عنده
ينعقد ولا يفسخ وقال الزمخشري ان عامة العلما علي ان ذلك النهي لا يودي الي فساد
البيع قالوا لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة
في الدار المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بما مغصوب قال القرطبي والصحيح
فساده وفسخه لقوله عليه السلام كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد اي مردود ثم قال
ذلكم اي ذلك الذي ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع خير لكم من المبايعة ان كنتم تعلمون
مصالح انفسكم قوله فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض هذا امر اباحة كقوله
تعالي فاذا حللتم فاصطادوا والمعني اذا فرغتم من الصلاة فانتشروا في الارض للتجارة
والتصرف في حوايجكم وابتغوا من فضل الله اي من رزقه وكان عراك بن مالك اذا صلي
الجمعة انصرف فوقف علي باب المسجد فقال اللهم اني اجبت دعوتك وصليت فريضتك
وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك وانت خير الرازقين وقال جعفر بن محمد
في قوله تعالي وابتغوا من فضل الله انه العمل في يوم السبت وقال سعيد بن المسيب
طلب العلم وقيل صلاة التطوع وعن ابن عباس لم يومروا بطلب شي من الدنيا انما هي
عيادة المرضي وحضور الجنايز وزيارة الاخ في الله تعالي **فصل** في فضل يوم
الجمعة احاديث كثيرة منها ما روي عن ابي هريرة قال خرجت الي الطور فلقيت كعب
الاحبار فجلست معه فحدثني عن التورية وحدثته عن رسول الله صلي الله عليه
وسلم فكان فيما حدثته ان قلت له قال رسول الله صلي الله عليه وسلم خير يوم
طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه هبط وفيه مات وفيه تيب عليه
وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهي مسيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتي تطلع
الشمس شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو

يصلي وتلك الساعة لا يصلي فيها فقال عبد الله بن سلام الم يقل رسول الله صلي الله عليه وسلم
من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتي يصليها قال ابو هريرة بلي قال فهو ذاك
وقال عليه السلام من اغتسل يوم الجمعة واستن ومس طيبا ان كان عنده ولبس من احسن
ثيابه ثم خرج حتي ياتي المسجد فلم يتخط رقاب الناس ثم ركع ما شا الله ان يركع وانصت اذا خرج
الامام كانت كفارة ما بينها وبين الجمعة الاخري التي كانت قبلها وقال ابو هريرة وزيادة ثلاثة
ايام لان الله تعالي يقول من جا بالحسنة فله عشر امثالها وروي ابو هريرة قال قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم اذا كان يوم الجمعة كان علي كل باب من ابواب المسجد ملايكة يكتبون
الناس علي منازلهم الاول فالاول فاذا خرج الامام طويت الصحف واستمعوا الخطبة وقال من
اغتسل يوم الجمعة ثم راح في الساعة الاولي فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما
قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة
فكانما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت
الملايكة يستمعون الذكر قوله واذكروا الله كثيرا اي بالطاعة واللسان وبالشكر علي ما انعم
به عليكم من التوفيق لادا فرايضه لعلكم تفلحون كي تفلحوا قال سعيد بن جبير الذكر طاعة
الله فمن اطاع الله فقد ذكره ومن لم يطعه فليس بذاكر وان كان كثير التسبيح قال ابن الخطيب فان
قيل ما الفرق بين ذكر الله اولا وذكر الله ثانيا فالجواب ان الاول من جملة ما لا يجتمع مع التجارة
اصلا اذ المراد منه الخطبة والصلوة والثاني من جملة ما يجتمع مع التجارة كما في قوله تعالي رجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله قوله تعالي واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي
مسلم عن جابر بن عبد الله ان النبي صلي الله عليه وسلم كان يخطب قايما يوم الجمعة فجات عير
من الشام فانفتل الناس اليها حتي لم يبق الا اثنا عشر رجلا وفي رواية انا فيهم فنزلت هذه
الاية واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما وذكر الكلبي وغيره ان الذي قدم
بها دحية بن خليفة الكلبي من الشام عن مجاعة وغلا سعر وكان معه جميع ما يحتاج
اليه الناس من برود قيق وغيره فنزلت عند احجار الزيت وضرب بالطبل ليوذن الناس
بقدومه فخرج الناس الا اثنا عشر رجلا وقيل احد عشر رجلا وحكي البغوي قال فلما
راوه قاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه قال الكلبي وكانوا في خطبة الجمعة فانفضوا اليه
وبقي مع رسول الله صلي الله عليه وسلم ثمانية رجال وحكاه الثعلبي عن ابن عباس وذكر
الدارقطني من حديث جابر قال بينما رسول الله صلي الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ
اقبلت عير تحمل الطعام حتي نزلت بالبقيع فالتفتوا اليها وانفضوا وتركوا رسول الله صلي
الله عليه وسلم ليس معه الا اربعين رجلا انا فيهم قال وانزل الله تعالي علي النبي صلي
الله عليه وسلم واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما قال الدارقطني لم يقل
في هذا الاسناد الا اربعين رجلا غير علي بن عاصم عن حصين وخالفه اصحاب حصين
فقالوا لم يبق مع النبي صلي الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا واحتج بهذا الحديث من
يري ان الجمعة تنعقد باثني عشر رجلا وليس فيه بيان انه اقام بهم الجمعة وذكر الزمخشري
ان النبي عليه السلام قال والذي نفسي بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله الوادي عليهم
نارا وروي في حديث مرسل عن اسد بن عمرو والد اسد بن موسي بن اسد وفيه ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم لم يبق معه الا ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد
ابن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد وبلال
وعبد الله بن مسعود في احدي الروايتين وفي الرواية الاخري عمار بن ياسر قال
القرطبي ولم يذكر جابرا وذكر مسلم انه كان فيهم والدارقطني ايضا فيكونون ثلاثة عشر
وان كان عبد الله بن مسعود فيهم فهم اربعة عشر وروي البغوي كان ذلك قبل ان يسلم
دحية قال فخرج الناس اليه ولم يبق في المسجد الا اثنا عشر رجلا وامراة فقال
النبي صلي الله عليه وسلم كم بقي في المسجد فقالوا اثنا عشر رجلا وامراة فقال النبي صلي
الله عليه وسلم لولا هولا لقد سومت لهم الحجارة من السما فانزل الله هذه الاية
وذكر ابو داود في مراسيله السبب الذي ترخصوا لانفسهم في ترك سماع الخطبة وقد

كانوا خليقا لفضلهم ان لا يفعلوا فقال حدثنا محمود بن خالد قال حدثنا الوليد قال اخبرني ابو معاذ بكير بن معروف انه سمع مقاتل بن حيان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين حتى كان يوم جمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل يقال له دحية بن خليفة قدم بتجارته وكان دحية اذا قدم تلقاه اهله بالدفوف فخرج الناس فلم يظنوا الا انه ليس في ترك الخطبة شي فانزل الله عز وجل واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها فقدم النبي صلى الله عليه وسلم الخطبة يوم الجمعة واخر الصلاة فكان لا يخرج احد لرعاف او احداث بعد النهي حتى يستاذن النبي صلى الله عليه وسلم يشير اليه باصبعه التي تلي الابهام فياذن له النبي صلى الله عليه وسلم ثم يشير اليه بيده فكان في المنافقين من يثقل عليه الخطبة والجلوس في المسجد فكان اذا استاذن رجل من المسلمين قام المنافق مستترا به حتى يخرج فانزل الله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا الاية قال السهيلي وهذا الخبر وان لم ينقل من وجه ثابت فالظن الجميل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوجب ان يكون صحيحا والله اعلم وقال قتادة وبلغنا انهم فعلوه ثلاث مرات كل مرة عير تقدم من الشام وكل ذلك يوافق يوم الجمعة وقيل ان خروجهم لقدوم دحية الكلبي بتجارته ونظرهم الى العير يمرهوا الا فايدة فيه الا انه كان مما لا اثم فيه لو وقع على ذلك الوجه ولكنه لما اتصل به الاعراض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والانفضاض عن حضرته غلظ وكبر ونزل فيه القران وتجنه باسم اللهو ثم نزل قوله انفضوا اليها اعاد الضمير على التجارة دون اللهو لانها الاهم في السبب قال ابن عطية وقال اليها ولم يقل اليهما تهمما بالاهم اذ كانت هي سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها وتامل ان قدمت التجارة على اللهو في الروية لانها اهم واخرت مع التفضيل لتقع النفس اولا على الابين انتهى وفي قوله ولم يقل اليهما ثم اجاب بما ذكر نظر لان العطف باو ولا يثنى معه الضمير ولا الخبر ولا الحال ولا الوصف لانها لاحد الشيئين ولذلك تاول الناس ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما لما تقدم في موضعه وانما الجواب عنه انه وحد الضمير لان العطف باو وانما جي بضمير التجارة دون ضمير اللهو وان كان جايزا للاهتمام كما قاله ابن عطية وغيره وقال الزمخشري قريبا من ذلك فانه قال فان قلت كيف قال اليها وقد ذكر شيين قلت تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه ولذلك قراه من قرا انفضوا اليه انتهى فقوله قلت تقديره الى اخره يشعر بانه كان حق الكلام ان يثني الضمير ولكنه حذف وفيه ما تقدم من ان المانع من ذلك امر صناعي وهو العطف باو وقرا ابن ابي عبلة اليه اعاد الضمير الى اللهو وقد نص على جواز ذلك الاخفش سماعا من العرب نحو اذا جاك زيد او هند فاكرمه وان شيت فاكرمها وقرا بعضهم اليهما بالتثنية وتخريجها لتخريج ان يكن غنيا او فقيرا كما تقدم تحريره والمراد باللهو الطبل وقيل كانت العير اذا قدمت المدينة استقبلوها بالتصفيق والتصفير قوله وتركوك جملة حالية من فاعل انفضوا وقد مقدرة عند بعضهم

فصل الخطبة فريضة في صلوة الجمعة ويجب ان يخطب قايما فان هذه الاية تدل على القيام شرط في الخطبة ويخطب متوكيا على قوس او عصا لما روى ابن ماجة في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خطب في الحرب خطب على قوس واذا خطب في الجمعة خطب على عصا وان يخطب على منبر لانه ابلغ في اعلام الحاضرين ويسلم اذا صعد المنبر على الناس لما روي ابن ماجة عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صعد المنبر سلم ولم يرد لك مالك وهل يشترط الطهارة للخطبة فيه قولان مبنيان على ان الجمعة ظهر مقصورة او فريضة مستقلة فان قيل بانها ظهر مقصورة فتقبل الخطبتان عوض من الركعتين الاخريين وعلى هذا فيشترط لها الطهارة وان قيل بانها فريضة مستقلة فالخطبتان وعظ وتذكير وذلك لا يشترط له طهارة واقل ما يجزي في الخطبة ان يحمد الله تعالى ويصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله ويقرا اية من القران وكذلك في الخطبة الثانية الا ان الواجب بدلا من قراة الاية الدعا

في قول الاكثر الفقها وقال ابو حنيفة لو اقتصر على التحميد او التسبيح او التكبير اجزاه وقال ابو يوسف ومحمد الواجب ما يتناوله اسم خطبة قال ابن عبد البر وهذا اصح ما قيل في ذلك قال القرطبي والسكوت للخطبة واجب على من سمعها وجوب سنة قوله ما عند الله خير ما موصولة مبتدا وخير خبرها والمعنى ما عند الله من ثواب صلاتكم خير من لذة لهوكم وفايدة تجارتكم وقيل ما عند الله من رزقكم الذي قسمه لكم خير مما اصبتموه من لهوكم وتجارتكم وقرا ابو رجا العطاردي قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة للذين امنوا والله خير الرازقين اي خير من رزق واعطى فمنه فاطلبوا واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خير الدنيا والاخرة قال ابن الخطيب قوله والله خير الرازقين من قبيل احكم الحاكمين واحسن الخالقين والمعنى ان امكن وجود الرازقين فهو خير الرازقين وقيل لفظ الرازق لا يطلق على غيره الا بطريق المجاز فان قيل التجارة واللهو من قبيل ما لا يرى فكيف يصح قوله واذا راوا تجارة او لهوا فالجواب المراد ليس الا ما يقرب منه اللهو والتجارة كقوله حتى يسمع كلام الله اذ الكلام غير مسموع روي الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجمعة كتب له عشر حسنات بعدد من ذهب الى الجمعة من مصر من امصار المسلمين ومن لم يذهب صدق رسول الله صلعم

سورة المنافقون مدنية

وهي احدى عشرة اية ومايه وثمانون كلمة وسبعمايه وستة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اذا جاءك المنافقون اذا شرط قيل جوابه قالوا وقيل محذوف وقالوا حال اي اذا جاوك قايلين كيت وكيت فلا تقبل منهم وقيل الجواب اتخذوا ايمانهم جنة وهو بعيد وقالوا ايضا حال

فصل قال ابن الخطيب وجه تعلق هذه السورة بما قبلها هو ان تلك السورة مشتملة على ذكر من كان يكذبه قلبا ولسانا فضرب فوقهم المثل بقوله مثل الذين حملوا التوراة وهذه السورة مشتملة على ذكر من كان يكذبه قلبا دون اللسان ويصدقه لسانا دون القلب واما الاول بالاخر فلان في اخر تلك السورة تنبيه للمومنين على تعظيم الرسول عليه السلام ورعاية حقه بعد الندا لصلوة الجمعة وتقديم متابعته على غيره فان ترك التعظيم والمتابعة من شيم المنافقين والمنافقون هم الكاذبون

فصل روي البخاري عن زيد بن ارقم قال كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن ابي بن سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقال لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن ابي واصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني فاصابني هم لم يصبني مثله فجلست في بيتي فانزل الله عز وجل اذا جاءك المنافقون الى قوله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله وقوله ليخرجن الاعز منها الاذل فارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الله قد صدقك وروي الترمذي عن زيد بن ارقم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا اناس من الاعراب فكنا نبدر الما وكان الاعراب يسبقوننا فيسبق الاعرابي اصحابه فيملا الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجي اصحابه قال فاتى رجل من الانصار اعرابيا فارخى زمام ناقته لتشرب فابى ان يدعه فانتزع حجرا ففاض الما فرفع الاعرابي خشبة فضرب بها راس الانصاري فشجه فاتى عبد الله بن ابي راس المنافقين فاخبره وكان من اصحابه فغضب عبد الله بن ابي ثم قال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله يعني الاعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام فقال عبد الله اذا انفضوا من عند محمد فاتوا محمدا بالطعام فلياكل هو ومن عنده ثم قال لاصحابه لين رجعتم الى المدينة ليخرجن الاعز منكم الاذل قال زيد وانا ردف عمي فسمعت عبد الله بن ابي فاخبرت عمي فانطلق فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف وجحد قال فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني قال فجا عمي الي فقال ما اردت الى ان مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبك والمنافقون قال فوقع علي

من جرائم مالم يقع على احد قال فبينما انا اسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قد
قد خفقت براسي من الهم اذ اتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرك اذني وضحك في وجهي
فما كان يسرني ان لي بها الخلد في الدنيا ثم ان ابا بكر لحقني فقال ما قال لك رسول الله صلى
الله عليه وسلم قلت ما قال لي شيئا الا انه عرك اذني وضحك في وجهي فقال ابشر ثم لحقني
عمر فقلت له مثل قولي لابي بكر فلما اصبحنا قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين
قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح **فصل** سيل حذيفة بن اليمان عن المنافق
فقال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وروى عبد الله بن
عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه
خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب
واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وروي عن الحسن انه ذكر له هذا الحديث فقال ان بني
يعقوب حدثوا فكذبوا ووعدوا فاخلفوا وائتمنوا فخانوا انما هذا القول من النبي صلى
الله عليه وسلم على سبيل الانذار للمسلمين والتحذير لهم ان يعتادوا هذه الخصال شفقا ان
يفضي بهم الى النفاق وليس المعنى ان من ندرت منه هذه الخصال من غير اختيار واعتياد
انه منافق وقال عليه السلام المومن اذا حدث صدق واذا وعد نجز واذا ائتمن وفى
والمعنى المومن الكامل اذا حدث صدق قوله نشهد جرى مجرى القسم كفعل العلم
واليقين ولذلك تلقيت بما يتلقى به القسم في قوله انك لرسول الله وفي قوله

• ولقد علمت لتاتين منيتي • ان المنايا لا تطيش سهامها •

وقد تقدم الخلاف في الصدق والكذب واستدلالهم بهذه الاية والجواب عنها في اول
البقرة وقال القرطبي هنا قيل معنى نشهد نحلف فعبر عن الحلف بالشهادة لان كل واحد
من الحلف والشهادة اثبات لامر مغيب ومنه قول قيس بن ذريح

• واشهد عند الله اني احبها • فهذا لها عندي فما عندها ليا •

ونظيره قول الملاعن اشهد بالله قال الزمخشري والشهادة تجري مجرى الحلف
في التوكيد يقول الرجل اشهد واشهد بالله واعزم واعزم بالله في موضع اقسم واولي به
استشهد ابو حنيفة على اشهد يمين ويحتمل ان يكون ذلك محمولا على ظاهره انهم يشهدون
ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم اعترافا بالايمان ونفيا للنفاق على انفسهم
وهو الاشبه قوله والله يعلم جملة معترضة بين قوله نشهد انك لرسول الله والله
وبين قوله والله يشهد لفائدة قال الزمخشري لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله
والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله
يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام قال القرطبي والله يعلم انك لرسوله كما قالوا
بالسنتهم والله يشهد ان المنافقين لكاذبون بضمائرهم فالتكذيب راجع الى
الضماير وهذا يدل على ان الايمان تصديق القلب وعلى ان الكلام الحقيقي كلام القلب
ومن قال شيئا واعتقد خلافه فهو كاذب وقيل اكذبهم الله في ايمانهم وهو قوله
يحلفون بالله انهم لمنكم قال ابن الخطيب فان قيل لو قالوا نعلم انك لرسول الله
مكان قولهم نشهد انك لرسول الله هل يفيد ما افاد قولهم نشهد فالجواب لا لان قولهم
نشهد انك لرسول الله صريح في اثبات الشهادة على الرسالة وقولهم نعلم ليس
بصريح في ذلك قوله اتخذوا ايمانهم جنة تقدم انه يجوز ان يكون جوابا للشرط
ويجوز ان يكون مستانفا جي به لبيان كذبهم وحلفهم عليه اي ان الحامل لهم على
الايمان ابقاوهم لها على انفسهم والعامة على فتح الهمزة جمع يمين والحسن بكسرها
مصدرا وتقدم مثله في المجادلة والجنة الترس ونحوه وكما يقيك سوا ومن كلام الفصحا

• جنة البرد جنة البرد • وقال اعشى همدان •
• اذا انت لم تجعل لعرضك جنة • من المال سار الذم كل مسير •

وقال القرطبي وغيره اتخذوا ايمانهم جنة اي سترة وليس يرجع الى قوله نشهد

انك لرسول الله وانما يرجع الى سبب الاية التي نزلت عليه حسب ما ذكره البخاري والترمذي
عن ابن ابي انه حلف ما قال وقد قال وقال الضحاك يعني حلفهم بالله انهم لمنكم وقيل
يعني بايمانهم ما اخبر الرب عنهم في سورة براة في قوله يحلفون بالله ما قالوا **فصل**
قال القرطبي من قال اقسم بالله او اشهد بالله او اعزم بالله او احلف بالله او اقسمت او شهدت
او عزمت او حلفت وقال في كل ذلك بالله فلا خلاف انها يمين وكذلك عند مالك واصحابه
ان قال اقسم او اشهد او اعزم او احلف ولم يقل بالله اذا اراد بالله وان لم يرد بالله فليس
بيمين وقال ابو حنيفة واصحابه لو قال اشهد بالله لقد كان كذا كان يمينا ولو قال
اشهد لقد كان كذا دون النية كان يمينا لهذه الاية لان الله تعالى ذكر عنهم الشهادة ثم
قال اتخذوا ايمانهم جنة وعند الشافعي لا يكون ذلك يمينا وان نوى اليمين لان قوله تعالى
اتخذوا ايمانهم ليس يرجع الى قوله قالوا نشهد وانما يرجع الى ما في براة من قوله تعالى يحلفون
بالله ما قالوا قوله فصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا وهو من الصدود او صرفوا المومنين
عن اقامة حدود الله عليهم من القتل والسبي واخذ الاموال فهو من الصد او منعوا الناس
عن الجهاد بان يتخلفوا ويقتدي بهم غيرهم وقيل فصدوا اليهود والمشركين عن الدخول
في الاسلام بان يقولوا ها نحن كافرون بهم ولو كان محمد حقا لعرف هذا منا ولجعلنا نكالا
بين الله ان حالهم لا يخفى عليه ولكن حكمه ان من اظهر الايمان اجرى عليه في الظاهر
حكم الايمان قوله انهم ساء ما كانوا يعملون اي بيست اعمالهم الخبيثة من نفاقهم وايمانهم
الكاذبة وصدهم عن سبيل الله وسا يجوز ان تكون الجارية مجرى بيس وان تكون على
بابها والاول اظهر وقد تقدم حكم كل منهما فان قيل ان الله تعالى ذكر افعال الكفرة من قبل ولم
يقل انهم ساء ما كانوا يعملون قال ابن الخطيب والجواب ان افعالهم مقرونة بالايمان الكاذبة
التي جعلوها جنة اي سترة لاموالهم ودمايهم عن ان يستبيحها المسلمون قوله ذلك بانهم
امنوا ثم كفروا وهذا اعلام من الله بان المنافقين كفار اي اقروا باللسان ثم كفروا بالقلب وقيل
نزلت الاية في قوم امنوا ثم ارتدوا فطبع على قلوبهم اي ختم عليها بالكفر فهم لا يفقهون الايمان
ولا الخير وقرا العامة فطبع مبنيا للمفعول والقايم مقام الفاعل الجار بعده وزيد بن علي
فطبع مبنيا للفاعل وفي الفاعل وجهان احدهما انه ضمير عايد على الله تعالى ويدل عليه
قراة الاعمش وقراته في رواية عنه فطبع الله مصرحا بالجلالة وكذلك نقلها القرطبي عن
زيد بن علي فان قيل اذا كان الطبع بفعل الله تعالى كان ذلك حجة لهم على الله تعالى فيقولون
اعراضنا عن الحق لغفلتنا وغفلتنا بسبب ان الله تعالى طبع على قلوبنا فاجاب ابن الخطيب بان
هذا الطبع من الله تعالى بسوء افعالهم وقصدهم الاعراض عن الحق فكانه تعالى تركهم
في انفسهم الجاهلية واهوايهم الباطلة والثاني ان الفاعل ضمير يعود على المصدر المفهوم
مما قبله اي فطبع هو اي تلعابهم بالدين قوله واذا رايتهم تعجبك اجسامهم اي هياتهم
ومناظرهم وان يقولوا تسمع لقولهم يعني عبد الله بن ابي قال ابن عباس كان عبد الله
ابن ابي وجد بن قيس ومعتب بن قشير كانت لهم اجسام ومنظر وفصاحة وفي صحيح مسلم
وقوله كانهم خشب مسندة قال كانوا رجالا اجمل شي كانهم خشب مسندة شبههم بخشب
مسندة الى الحايط لا يسمعون ولا يعقلون اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام وقيل
شبههم بالخشب التي قد تاكلت فهي مسندة بغيرها لا يعلم ما في بطنها قال الزمخشري
شبهوا في استنادهم فما هم الا اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحايط
ولان الخشب اذا انتفع به كان في سقف او جدار او غيرهما من مظان الانتفاع وما دام
متروكا فارغا غير منتفع به فاسند الى الحايط فشبهوا به في عدم الانتفاع ويجوز ان يراد
بها الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة الى الحايط **فصل** قرا قنبل وابو عمرو
والكسايي خشب باسكان الشين وهي قراة البراء بن عازب واختيار ابي عبيد لان واحدتها
خشبة كما تقول بدنة وبدن قال الزمخشري وقال ابو البقا وخشب بالضم والاسكان
جمع خشب مثل اسد واسد قال القرطبي وليس في اللغة فعله يجمع على فعل ويلزم
من ثقلها ان تقول البدن فيقرا والبدن فيثقل وذكر اليزيدي انه جمع الخشبا كقوله تعالى

وحدايق غلبا واحدها حديقة غلبا وقرا الباقون من السبعة بضمتين وقرا السعيد ابن
جبير وابن المسيب بفتحتين ونسبها الزمخشري لابن عباس ولم يذكر غيره فاما القراءة بضمتين
فقيل يجوز ان يكون جمع خشبة نحو ثمرة وثمر قاله الزمخشري وفيه نظر لان هذه الصيغة
محفوظة في فعله لا ينقاس نحو ثمره وثمر ونقل الفارسي عن الزبيدي انه جمع خشبا
واحسبه غلط عليه لانه قد يكون قال خشب بالسكون جمع خشبا نحو حمر او حمر لان فعلا
الصفة لا يجمع على فعل بضمتين بل بضمة وسكون وقوله الزبيدي تصحيف انما هو
وانما هو الناسخ انما هو اليزيدي تلميذ ابي عمرو بن العلا نقل ذلك الزمخشري واما
القراءة بضمة وسكون فقيل هي تخفيف الاولى وقيل هي جمع خشبا كما تقدم وهي الخشبة
التي نخرجوفها اي فرغ شبهوا بها لفراغ بواطنهم مما ينتفع به واما القراءة بفتحتين فهو
اسم جنس وانث صفته كقوله نخل خاوية وهو احد الجايزين وقوله مسندة تنبيه
على انها لا ينتفع بها كما ينتفع بالخشب في سقف وغيره او شبهوا بالاصنام لانهم كانوا
يسندونها الى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم وقيل شبهوا بالخشب
المسندة الى الحايط لان الخشبة المسندة الى الحايط واحد طرفيها الى جهة والاخر الى
جهة اخرى والمنافق كذلك لان احد طرفيه وهو الباطن الى جهة اهل الكفر والطرف
الاخر وهو الظاهر الى جهة اهل الاسلام ونقل القرطبي عن سيبويه انه يقال خشبة
وخشبات وخشب مثل ثمره وثمار وثمر والاسناد الامالة تقول اسندت الشي اي
املته ومسندة للتكثير اي استندوا الى الايمان لحقن دمايهم قوله يحسبون كل
صيحة عليهم فيه وجهان اظهرهما ان عليهم هو المفعول الثاني للحسبان اي واقعة
وكاينة عليهم ويكون قوله هم العدو جملة مستانفة اخبر الله عنهم بذلك والثاني
ان يكون عليهم متعلقا بصيحة وهم العدو الجملة في موضع المفعول الثاني للحسبان
وقال الزمخشري ويجوز ان يكون هم العدو هو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير
فان قلت فحقه ان يقال هي العدو قلت منظور فيه الى الخبر كما ذكر في قوله هذا ربي
وان يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل اهل صيحة انتهى وفي الثاني بعد بعيد فصل
وصفهم الله تعالى بالجبن والخور قال مقاتل والسدي اي اذا نادى مناد في العسكر
ان انفلتت دابة او انشدت ضالة ظنوا انهم هم المراد وذلك لما في قلوبهم من الرعب كما قال
الاخطل • مازلت تحسب كل شي بعدهم • خيلا تكر عليهم ورجالا •
وقيل يحسبون كل صيحة عليهم انهم قد فطن بهم وعلم بنفاقهم لان المريبة خوفا ثم
استانف الله خطاب نبيه عليه السلام فقال هم العدو وهذا معنى قول الضحاك
وقيل يحسبون كل صيحة يسمعونها في المسجد انها عليهم وان النبي صلى الله عليه وسلم
قد امر فيها بقتلهم فهم ابدا وجلون من ان ينزل الله فيهم امرا يبيح به دماهم ويهتك
به استارهم ثم وصفهم الله تعالى بقوله هم العدو فاحذرهم حكاه عبد الرحمن بن ابي
حاتم قوله فاحذرهم فيه وجهان احدهما فاحذر ان تثق بقولهم او تميل الى كلامهم
الثاني فاحذر مما يلتهم لاعدايك وتخذيلهم اصحابك قاتلهم الله قال ابن عباس اي
لعنهم الله قال ابو مالك هي كلمة ذم وتوبيخ وقد تقول العرب قاتله الله ما اشعره
فيضعونه موضع التعجب وقيل معنى قاتلهم الله اي احلهم محل من قاتله عدو قاهر
لان الله تعالى قاهر لكل معاند حكاه ابن عيسى قوله اني يوفكون اي بمعنى كيف وقال
ابن عطية ويحتمل ان يكون اني ظرفا لقاتلهم كانه قال قاتلهم الله كيف انصرفوا وصرفوا
فلا يكون في القول استفهام على هذا انتهى قال شهاب الدين وهذا لا يجوز لان اني
انما تستعمل بمعنى كيف او بمعنى اين الشرطية او الاستفهامية وعلى التقادير الثلاثة فلا
تتمحض للظرف فلا يعمل فيها ما قبلها البتة كما لا يعمل في اسما الشرط والاستفهام فصل
قال ابن عباس اني يوفكون اي يكذبون وقال قتادة اي يعدلون عن الحق وقال
الحسن يصرفون عن الرشد وقيل معناه كيف تضل عقولهم عن هذا مع وضوح الدلايل
وهو من الافك قوله اني بمعنى كيف وقد تقدم وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون اني

ظرفا

ظرفا لقاتلهم كانه قال قاتلهم الله كيف انصرفوا وصرفوا فلا يكون في القول استفهام على
هذا انتهى وهذا لا يجوز لان اني انما يكون بمعنى كيف او بمعنى اين الشرطية او الاستفهامية وعلى
التقادير الثلاثة فلا يتمحض للظرف فلا يعمل فيها ما قبلها البتة كما لا يعمل في اسما الشرط
والاستفهام قوله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله هذه المسالة عدها النحاة من
الاعمال وذلك ان تعالوا يطلب رسول الله مجرورا بالى اي تعالوا الى رسول الله ويستغفر يطلبه
فاعلا فاعمل الثاني ولذلك رفعه وحذف من الاول اذ التقدير تعالوا اليه ولو اعمل الاول
لقيل تعالوا الى رسول الله يستغفر فيضمر في يستغفر فاعل ويمكن ان يقال ليست هذه من
الاعمال في شي لان قوله تعالى امر بالاقبال من حيث هو لا بالنظر الى مقبل عليه قوله
لووا هذا جواب اذا وقرا نافع لووا مخففا والباقون مشددا على التكثير ويصدون حال
لان الرؤية بصرية وكذا قوله وهم مستكبرون حال ايضا اما من صاحب الحال الاولى واما من
فاعل يصدون فتكون متداخلة واتى بيصدون مضارعا دلالة على التجدد والاستمرار
وقري يصدون بالكسر وقد تقدم في الزخرف فصل لما نزل القران بصفتهم مشى اليهم
عشايرهم وقالوا افتضحتم بالنفاق فتوبوا الى رسول الله من النفاق واطلبوا ان يستغفر
لكم فلووا روسهم اي حركوها استهزاء وابا قاله ابن عباس وعنه انه كان لعبد الله بن ابي موقف
في كل سبت يحض على طاعة الله وطاعة رسوله فقيل له وما ينفعك ذلك ورسول الله صلى الله عليه
وسلم عليك غضبان فاته يستغفر لك فابا وقال لا اذهب اليه قال المفسرون وسبب نزول
هذه الايات ان النبي صلى الله عليه وسلم غزا بني المصطلق على ما يقال له المريسيع من ناحية
قديد الى الساحل فازدحم اجير لعمر يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه لحليف لعبد
الله بن ابي يقال له سنان بن وبرة الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على ماء بالمشلل فصرخ
جهجاه بالمهاجرين وصرخ سنان بالانصار فلطم جهجاه سنانا واعان عليه جهجاه رجل
من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال عبد الله بن ابي او قد فعلوها والله ما مثلنا
ومثلهم الا كما قال الاول سمن كلبك ياكلك اما والله لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها
الاذل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه كفوا طعامكم عن هذا الرجل ولا تنفقوا
على من عنده حتى ينفضوا ويتركوه فقال زيد بن ارقم وهو من رهط عبد الله انت والله الذليل
المنتقص في قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من الرحمن ومودة من المسلمين والله لا
احبك بعد كلامك هذا ابدا فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد النبي صلى الله عليه
وسلم بقوله فاقسم بالله ما فعل ولا قال فعذره النبي صلى الله عليه وسلم قال زيد فوجدت
في نفسي ولامني الناس فنزلت سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله فقيل
لعبد الله قد نزلت فيك ايات شديدة فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لك
فالوى براسه فنزلت الايات خرجه البخاري والترمذي بمعناه وقيل معنى قوله يستغفر
لكم اي يستتيبكم من النفاق لان التوبة استغفار ورايتهم يصدون اي يعرضون عن الرسول
وهم مستكبرون اي متكبرين عن الايمان قيل قال ابن ابي لما لوى راسه امرتموني ان او من
فقد امنت وان اعطي زكاة مالي فقد اعطيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد قوله سواء عليهم
استغفرت لهم قرا العامة استغفرت بهمزة مفتوحة من غير مد وهي همزة التسوية التي اصلها
الاستفهام وقرا يزيد بن القعقاع استغفرت بهمزة ثم الف فاختلف الناس في تاويلها فقال
الزمخشري اشباعا لهمزة الاستفهام للاظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل كما في السحر والله يعني
انما اشبع فتحة همزة التسوية فتولد منها الف وقصده بذلك اظهار الهمزة وبيانها لا انه
اقلب الوصل الفا كما في قبلها في قوله آلسحر الله اذن لكم لان هذه الهمزة للوصل فهي تسقط في
الدرج وايضا فهي مكسورة فلا يلتبس معها الاستفهام بالخبر بخلاف آلسحر الله وقال اخرون
هي عوض عن همزة الوصل كما في الذكرين وهذا ليس بشي لان هذه مكسورة فكيف تبدل الفا
وايضا فانما قلبنا ها هناك الفا ولم نحذفها وان كان حذفها مستحقا لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر
وهنا لا لبس وقال ابن عطية قرا ابو جعفر يعني يزيد بن القعقاع استغفرت بمدة على
الهمزة وهي الف التسوية وقرا ايضا بوصل الالف دون همز على الخبر وفي هذا كله ضعف

لانه في الاولى اثبت همزة الوصل وقد اغنت عنها همزة الاستفهام وفي الثانية حذف همزة
الاستفهام وهو يريدها وهذا مما لا يستعمل الا في الشعر قال شهاب الدين اما قراءته استغفرت
بوصل الهمزة فرويت ايضا عن ابي عمرو الا انه هو يضم ميم عليهم عند وصله الهمزة لان اصلها
الضم وابو عمرو يكسرها على اصل التقاء الساكنين واما قوله وهذا مما لا يستعمل الا في الشعر
فان اراد بهذا مد هذه الهمزة في هذا المكان فصحيح بل لا يجده ايضا وان اراد حذف همزة
الاستفهام فليس بصحيح لانه يجوز حذفها اجماعا قبل ام نثرا ونظما فاما دون ام ففيه خلاف
والاخفش يجوزه ويجعل منه وتلك نعمة وقول الاخر

طربت وما شوقا الى البيض اطرب • ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

وقول الاخر

افرح ان ازرا الكرام وان • اورث ذودا شصايصا نبلا

واما قبل ام فكثير كقوله • لعمرك ما ادري وان كنت داريا • بسبع رمين الجمر ام بثمانيا

وقد تقدمت هذه المسألة مستوفاة

فصل

قال قتادة هذه الاية نزلت بعد
قوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم وذلك انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخبرني ربي فلازيدنهم على السبعين فانزل الله تعالى لن يغفر الله لهم الاية قال ابن
عباس المراد بالفاسقين المنافقون قوله سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر
لهم اي كل ذلك سواء لا ينفع استغفارك شيئا لان الله لا يغفر لهم نظيره سواء عليهم ءانذرتهم
ام لم تنذرهم لا يؤمنون سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين ان الله لا يهدي القوم
الفاسقين قال ابن الخطيب قال قوم فيه بيان ان الله تعالى يملك هداية وراء هداية
البيان وهي خلق فعل الاهتداء فيمن علم منه ذلك وقيل معناه لا يهديهم لفسقهم وقالت المعتزلة
لا يسميهم مهتدين اذا فسقوا وضلوا فان قيل ذكر الفاسقين ولم يقل الكافرين والمنافقين والمستكبرين
مع ان كلامهم تقدم ذكره فالجواب ان كل واحد منهم داخل تحت المغايرة قوله هم الذين
يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله قد تقدم سبب النزول وان ابن ابي قال لا
تنفقوا على من عند محمد حتى ينفضوا اي يتفرقوا عنه فاعلمهم الله سبحانه ان خزاين
السموات والارض له يعني فهو ينفق كيف يشاء قال رجل لحاتم الاصم من اين تاكل فقال
ولله خزاين السموات والارض وقال الحسن خزاين السموات الغيوب وخزاين الارض
القلوب وهو علام الغيوب ومقلب القلوب قوله ينفضوا قرا العامة ينفضوا من
الانفضاض وهو التفرق وقرا الفضل بن عيسى الرقاشي ينفضوا من انفض القوم
اي فني زادهم ويقال نفض الرجل وعاءه من الزاد فانفض فيتعدى دون الهمزة ولا
يتعدى معها فهو من باب كببته فاكب قال الزمخشري وحقيقته حان لهم ان ينفضوا
مزاودهم قال تعالى ولكن المنافقين لا يفقهون انه اذا اراد امرا يسره قوله
يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل القايل ابن ابي كما تقدم
وقيل انه لما قال ليخرجن الاعز منها الاذل ورجع الى المدينة لم يلبث الا اياما يسيرة
حتى مات فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم والبسه قميصه فنزل قوله تعالى
لن يغفر الله لهم وروي ان عبد الله بن ابي سلول قال لابيه والذي لا اله الا هو لا
يدخل المدينة حتى يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاعز وانا الاذل
فقاله توهموا ان العزة بكثرة الاموال والاتباع فبين الله ان العزة والمنعة والقوة
لله قوله ليخرجن الاعز قراءة العامة بضم الياء وكسر الراء مسندا الى الاعز والاذل
مفعول به والاعز بعض المنافقين على زعمه وقرا الحسن وابن ابي عبلة والمسيبي لنخرجن
بنون العظمة وبنصب الاعز على المفعول به ونصب الاذل على الحال وبه استشهد
من جوز تعريفها والجمهور جعلوا ال مزيدة على حد ارسلها العراك وادخلوا الاول
فالاول وجوز ابو البقاء ان يكون منصوبا على المفعول به وناصبه حال محذوفة اي
مشبها الاذل وقد خرجه الزمخشري على حذف مضاف اي خروج الاذل او اخراج الاذل
يعني بحسب القراءتين من خرج واخرج فعلى هذا ينتصب على المصدر لا على الحال
ونقل الداني عن الحسن ايضا لنخرجن بفتح نون العظمة وضم الراء ونصب الاعز على

الاختصاص

الاختصاص كقولهم نحن العرب اقرى الناس للضيف والاذل نصب على الحال ايضا قاله ابو حيان
وفيه نظر كيف يخبرون عن انفسهم انهم يخرجون في حال الذل مع قولهم الاعز اي اخص الاعز
ويعنون بالاعز انفسهم وقد حكى هذه القراءة ايضا ابو حاتم وحكى الكسائي والفراء ان قوما
قراوا ليخرجن بفتح الياء وضم الراء ورفع الاعز فاعلا ونصب الاذل حالا وهي واضحة وقرئ
ليخرجن بضم الياء مبنيا للمفعول الاعز قايما مقام الفاعل الاذل حالا ايضا

فصل

قال ابن الخطيب فان قيل ما الحكمة في انه تعالى ختم الاية الاولى بقوله لا يفقهون وختم
الثانية بقوله لا يعلمون فالجواب ليعلم بالاولى قلة كياستهم وفهمهم وبالثانية حماقتهم
وجهلهم ولا يفقهون من فقه يفقه كعلم يعلم او من فقه يفقه كعظم يعظم فالاول لحصول
الفقه بالتكليف والثاني لازما للتكليف فالاول علاجي والثاني مزاجي قوله يا ايها الذين
امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله حذر المؤمنين اخلاق المنافقين اي لا تشتغلوا
باموالكم كما فعل المنافقون اذ قالوا لاجل الشح باموالهم لا تنفقوا على من عند رسول الله
وقوله عن ذكر الله اي عن الحج والزكاة وقيل عن قراءة القران وقيل عن ادامة الذكر
وقال الضحاك عن الصلوات الخمس وقال الحسن عن جميع الفرايض كانه قال عن طاعة
الله وقيل هذا خطاب للمنافقين اي امنتم بالقول فامنوا بالقلب ومن يفعل ذلك اي
من يشتغل بالمال والولد عن طاعة ربه فاولئك هم الخاسرون قوله وانفقوا مما رزقناكم
قال ابن عباس يريد زكاة الاموال من قبل ان ياتي احدكم الموت قال القرطبي هذا يدل
على وجوب تعجيل اخراج الزكاة ولا يجوز تاخيرها اصلا وكذلك ساير العبادات اذا دخل
وقتها قال ابن الخطيب وبالجملة فقوله لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله تنبيه على
المحافظة على الذكر قبل الموت وقوله وانفقوا مما رزقناكم تنبيه على الشكر كذلك قوله
فيقول رب لولا اخرتني اي هلا اخرتني وقيل لا صلة فيكون الكلام بمعنى التمني اي لو
اخرتني الى اجل قريب فيسال الرجعة الى الدنيا ليعمل صالحا روى الترمذي عن الضحاك
ابن مزاحم عن ابن عباس قال من كان له مال يبلغه حج بيت ربه او يجب عليه فيه زكاة
فلم يفعل سال الرجعة عند الموت فقال رجل يا ابن عباس اتق الله انما يسال الرجعة
الكفار فقال ساتلو عليك بذلك قرانا يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن
ذكر الله الى قوله والله خبير بما تعملون قال فما يوجب الزكوة قال اذا بلغ المال مايتين
فصاعدا قال فما يوجب الحج قال الزاد والراحلة قال القرطبي ذكره الحليمي في كتاب
منهاج الدين مرفوعا فقال وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
كان عنده مال يبلغه الحج الحديث قال ابن العربي اخذ ابن عباس بعموم الاية في انفاق
الواجب خاصة دون النفل فاما تفسيره بالزكوة فصحيح كله عموما وتقديرا بالمايتين
واما القول بالحج ففيه اشكال لانا ان قلنا الحج على التراخي ففي المعصية بالموت قبل الحج
خلاف بين العلما فلا تخرج الاية عليه وان قلنا الحج على الفور فالعموم في الاية صحيح
لان من وجب عليه الحج فلم يوده لقي من الله ما يود لو انه رجع لياتي بما ترك من العبادات
واما تقدير الامر بالزاد والراحلة ففي ذلك خلاف مشهور بين العلما وليس لابن عباس
فيه مدخل لاجل ان الرجعة والوعيد لا يدخل في المسايل المجتهد فيها ولا المختلف عليها وانما
يدخل في المتفق عليه والصحيح تناوله للواجب من الانفاق بالاجماع او بنص القران
لان ما عدا ذلك لا يتحقق فيه الوعيد قوله فاصدق نصب على جواب التمني في قوله
لولا اخرتني وقرا ابي وعبد الله وابن جبير فاتصدق وهي اصل قراءة العامة ولكن ادغمت
التاء في الصاد قوله واكن قرا ابو عمرو واكون بنصب الفعل عطفا على فاصدق والباقون
واكن مجزوما وحذفت الواو لالتقاء الساكنين واختلف عبارات الناس في ذلك فقال
الزمخشري عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن وقال ابن عطية
عطفا على الموضع لان التقدير ان اخرتني اصدق واكن هذا مذهب ابي علي الفارسي
وقال القرطبي عطفا على موضع الفاء لان قوله فاصدق لو لم تكن الفاء لكان مجزوما اي
اصدق ومثله من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم فيمن جزم فاما ما حكاه سيبويه عن

الخليل فهو غير هذا وهو انه جزم على توهم الشرط الذي يدل عليه التمني ولا موضع هناك
لان الشرط ليس بظاهر وانما يعطف على الموضع حيث يظهر الشرط كقوله من يضلل الله فلا
هادي له ويذرهم فمن جزمه عطفه على موضع فلا هادي له لانه لو وقع موقعه فعل لا نجزم
انتهى وهذا الذي نقله سيبويه هو المشهور عند النحويين ونظر سيبويه ذلك بقول زهير

بدا لي اني لست مدرك ما مضى • ولا سابق شيا اذا كان جائيا •

فخفض ولا سابق عطفا على مدرك الذي هو خبر ليس على توهم زيادة البا فيه لانه قد
كثر جر خبرها بالبا المزيدة وهو عكس الاية الكريمة لانه في الاية جزم على توهم سقوط الفا
وههنا خفض على توهم وجود البا ولكن الجامع توهم ما يقتضي جواز ذلك قال شهاب
الدين ولكني لا احب هذا اللفظ مستعملا في القران فلا يقال جزم على التوهم لقبحه لفظا
وقال ابو عبيد رايت في مصحف عثمان واكن بغير واو وقد فرق ابو حيان بين العطف على
الموضع والعطف على التوهم فقال الفرق بينهما ان العامل في العطف على الموضع موجود
واثره مفقود والعامل في العطف على التوهم مفقود واثره موجود انتهى قال شهاب
الدين مثال الاول هذا زيد ضارب وعمروا فهذا من العطف على الموضع فالعامل وهو ضارب
موجود واثره وهو النصب مفقود ومثال الثاني ما نحن فيه فان العامل للجزم مفقود
واثره موجود واصرح منه بيت زهير فان البا مفقودة واثرها موجود ولكن اثرها انما
ظهر في المعطوف لا في المعطوف عليه وكذلك في الاية الكريمة ومن ذلك ايضا بيت امري القيس

• فظل طهاة اللحم من بين منضج • صفيف شواء او قدير معجل •

فانهم جعلوه من العطف على التوهم وذلك انه توهم انه اضاف منضج الى صفيف وهو لو اضافه
اليه لجره فعطف قدير على صفيف بالجر توهما لجره بالاضافة وقرا عبيد بن عمير واكون برفع
الفعل على الاستيناف اي وانا اكون وهذا عدة منه بالصلاح **فصل** قال ابن
عباس هذه الاية نزل على ان القوم لم يكونوا من اهل التوحيد لانه لا يتمنى الرجوع الى الدنيا
او التاخير فيها احد له عند الله خير في الاخرة قال القرطبي الا الشهيد فانه يتمنى الرجوع
حتى يقتل لما يرى من الكرامة وقال الضحاك لا ينزل باحد لم يحج ولم يود الزكوة الموت الا وسال
الرجعة ثم قال تعالى ولن يوخر الله نفسا اذا جا اجلها والله خبير بما تعملون من خير وشر قرا
ابو بكر عن عاصم والسلمي باليا من تحت على الخبر عن من مات وقال هذه المقالة والباقون
بالخطاب وهما واضحتان روى الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المنافقون بري من النفاق صدق رسول الله صلعم

• سورة • التغابن • مدنية •

في قول الاكثرين وقال الضحاك مكية وقال الكلبي هي مدنية ومكية وعن ابن عباس
ان سورة التغابن نزلت بمكة الا ايات من اخرها نزلن بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي
شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جفا اهله وولده فانزل الله عز وجل يا ايها الذين
امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الى اخرها وهي ثمان عشرة اية ومايتا
واحدى واربعون كلمة والف وسبعون حرفا عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من مولود يولد الا وفي تشابيك راسه مكتوب خمس ايات من فاتحة سورة التغابن

• بسم الله الرحمن الرحيم •

قوله تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الارض تقدم نظيره قال ابن الخطيب
وجه تعلق هذه السورة بالتي قبلها هو ان تلك السورة للمنافقين الكاذبين وهذه
السورة للموافقين الصادقين وايضا فان تلك السورة مشتملة على ذكر النفاق سرا وعلانية
وهذه السورة مشتملة على التهديد البالغ لهم عن ذلك وهو قوله تعالى يعلم ما تسرون وما
تعلنون وهو عليم بذات الصدور واما تعلق اول هذه السورة باخر التي قبلها فلانه في
اخر تلك السورة التنبيه على الذكر والشكر كما تقدم وفي اول هذه السورة اشار الى انه في الناس

اقوام يواصبون على الذكر والشكر دايما وهم الذين يسبحون كما قال تعالى يسبح لله ما في
السموات وما في الارض قوله له الملك مبتدا وخبر وتقدم الخبر ليفيد اختصاص الملك والحمد
بالله تعالى اذ الملك والحمد له حقيقة وهو على كل شي قدير قوله هو الذي خلقكم فمنكم
كافر ومنكم مومن قال ابن عباس ان الله خلق بني ادم مومنا وكافرا ويعيدهم في القيمة
مومنا وكافرا وروى ابو سعيد الخدري قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية
فذكر شيا مما يكون فقال تولد الناس على طبقات شتى يولد الرجل مومنا ويعيش مومنا
ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت كافرا ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت مومنا
وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله فرعون في بطن امه كافرا
وخلق يحيى بن زكريا في بطن امه مومنا وفي الصحيح حديث ابن مسعود وان احدكم
ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع او باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل
بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع
او باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وفي صحيح مسلم عن سهل بن
سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة فيما
يبدو للناس وهو من اهل النار وان الرجل ليعمل عمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو
من اهل الجنة قال القرطبي قال علماونا والمعنى تعلق العلم الازلي بكل معلوم فيجري
ما علم واراد وحكم فقد يريد ايمان شخص على عموم الاحوال وقد يريده الى وقت معلوم
وكذلك الكفر وقيل في الكلام محذوف تقديره فمنكم مومن ومنكم كافر ومنكم فاسق فحذف
لما في الكلام من الدلالة عليه قاله الحسن وقال غيره لا حذف فيه لان المقصود ذكر الطرفين
وقيل انه خلق الخلق ثم كفروا وامنوا والتقدير هو الذي خلقكم ثم وصفهم فقال فمنكم
كافر ومنكم مومن كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ما ثم قال فمنهم من يمشي على بطنه
الاية قالوا فالله خلقهم والمشي فعلهم وهذا اختيار الحسين بن الفضل قال لو خلقهم
مومنين وكافرين لما وصفهم بفعلهم في قوله فمنكم كافر ومنكم مومن واحتجوا بقوله عليه
السلام كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال البغوي
وروينا عن ابن عباس عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام
الذي قتله الخضر طبع وقال تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وروي عن انس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا يقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب
مضغة فاذا اراد الله ان يقضي خلقها قال يا رب اذكر ام انثى شقي ام سعيد فما الرزق فما
الاجل فيكتب ذلك في بطن امه وقال الضحاك فمنكم كافر في السر مومن في العلانية كالمنافق
ومنكم مومن في السر كافر في العلانية كما روي زيد وقال عطا بن ابي رباح فمنكم كافر بالله مومن
بالكوكب ومنكم مومن بالله كافر بالكوكب يعني في شان الانوا كما جا في الحديث قال القرطبي
وقال الزجاج وهو احسن الاقوال والذي عليه الايمة ان الله خلق الكافر وكفره فعل له
وكسب مع ان الله خالق الكفر وخلق المومن وايمانه فعل له وكسب مع ان الله خالق الايمان
والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله اياه لان الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه لان
وجود خلاف المقدور عجز ووجود خلاف المعلوم جهل ولا يليقان بالله تعالى وفي هذا
سلامة من الجبر والقدر وروي عن ابي سعيد الخدري انه قال فمنكم كافر حياته مومن في العاقبة
ومنكم مومن حياته كافر في العاقبة وقيل فمنكم كافر بان الله خلقه وهو مذهب الدهرية
ومنكم مومن بان الله خلقه قال ابن الخطيب فان قيل ان الله تعالى حكيم وقد سبق في علمه
انه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر فاي حكمة دعته الى خلقهم فالجواب انه اذا علمنا انه تعالى حكيم
علمنا ان افعاله كلها على وفق الحكمة فيكون خلقه تعالى هذه الطايفة على وفق الحكمة
ولا يلزم من عدم علمنا بذلك ان لا يكون كذلك بل اللازم ان يكون خلقهم على وفق الحكمة قوله
هو الذي خلق السموات والارض بالحق اي خلقها حقا يقينا لا ريب فيه وقيل البا بمعنى
اللام اي خلقها للحق وهو ان يجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى قوله
وصوركم فاحسن صوركم قرا العامة بضم صاد صوركم وهو القياس في فعله وقرا زيد بن علي

والاعمش وابو زيد بكسرها وليس بقياس وهو عكس لحن بالضم والقياس لحن بالكسر
معنى وصوركم يعني آدم عليه السلام خلقه بيده كرامة له قاله مقاتل وقيل جميع الخلائق
وقد مضى معنى التصوير وانه التخطيط والتشكيل فان قيل كيف احسن صورهم قيل بان
جعلهم احسن الحيوان كله وابهاه صورة بدليل ان الانسان لا يتمنى ان تكون صورته على خلاف
ما يرى من ساير الصور ومن حسن صورته انه خلق منتصبا غير منكب كما قال عز وجل لقد
خلقنا الانسان في احسن تقويم كما ياتي ان شا الله تعالى قال ابن الخطيب فان قيل
قد كان من افراد هذا النوع من كان مشوه الخلقة سمج الصورة فالجواب لا سماجة لان
الحسن في المعاني وهو على طبقات ومراتب فانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقه لا يمنع
حسنه فهو داخل في حيز الحسن غير خارج عن حده قوله واليه المصير اي المرجع فيجازي
كلا بعمله قال ابن الخطيب فان قيل قوله تعالى واليه المصير يوهم الانتقال من
جانب الى جانب وذلك على الله تعالى محال فالجواب ان ذلك الوهم بالنسبة الينا والى
زماننا لا بالنسبة الى ما يكون في نفسه بمعزل عن حقيقة الانتقال اذا كان المنتقل منزها
عن الجانب والجهة قوله يعلم ما في السموات وما في الارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون
تقدم نظيره قال ابن الخطيب انه تعالى نبه بعلمه ما في السموات وما في الارض ثم
بعلمه ما يسر العباد ويعلنونه ثم بعلمه ما في الصدور من الكليات والجزئيات على انه لا
يخفى عليه شي البتة ونظيره لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السما وقرا العامة بتاء
الخطاب في الحرفين وروي عن ابي عمرو وعاصم بيا الغيبة فيحتمل الالتفات ويحتمل الاخبار عن الغائبين
والله عليم بذات الصدور فهو عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شي قوله الم ياتكم نبا الذين كفروا
من قبل الخطاب لقريش اي الم ياتكم خبر كفار الامم السالفة فذاقوا وبال امرهم اي عوقبوا ولهم في الاخرة
عذاب اليم اي مولم قوله ذلك بانه الها للشان والحديث وكانت تاتيهم رسلهم خبرها ومعنى الاشارة
اي هذا العذاب لهم بكفرهم بالرسل تاتيهم بالبينات اي بالدلايل الواضحة قوله ابشر يهدوننا يجوز
ان يرتفع بشر على الفاعلية ويكون من الاشتغال وهو الارجح لان الاداة تطلب الفعل وان يكون
مبتدا وخبرا وجمع الضمير في يهدوننا اذ البشر اسم جنس انكروا ان يكون الرسول من البشر وقد ياتي
الواحد بمعنى الجمع فيكون اسما للجنس وقد ياتي الجمع بمعنى الواحد كقوله تعالى ما هذا بشرا
قوله فكفروا اي بهذا القول اذ قالوه استصغارا ولم يعلموا ان الله يبعث من يشا الى عباده
فان قيل قوله فكفروا يفهم منه التولي فما الحاجة الى ذكره فالجواب قال ابن الخطيب انهم كفروا
وقالوا ابشر يهدوننا وهذا في معنى الانكار والاعراض بالكلية وهذا هو التولي فكانهم كفروا وقالوا
قولا يدل على التولي فلهذا قال فكفروا وتولوا عن البرهان واعرضوا عن الايمان والموعظة قوله
واستغنى الله استغنى بمعنى المجرد وقال الزمخشري ظهر غناه فالسين ليست للطلب قال
مقاتل استغنى الله اي بسلطانه عن طاعة عباده وقيل استغنى الله بما اظهره لهم من البرهان
واوضحه لهم من البيان عن زيادة تدعو الى الرشد وتقود الى الهداية والله غني حميد غني
عن خلقه حميد في افعاله فان قيل قوله وتولوا واستغنى الله يوهم وجود التولي والاستغنا
معا والله تعالى لم يزل غنيا فاجاب الزمخشري بان معناه انه ظهر استغنا الله حيث لم يلجيهم
الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك ثم اخبر عن انكارهم للبعث فقال عز وجل
زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا اي ظنوا والزعم هو القول بالظن وقال الزمخشري الزعم
ادعا العلم ومنه قوله عليه السلام زعموا مطية الكذب وقال شريح لكل شي كنية وكنية الكذب
زعموا قيل نزلت في العاص بن وايل السهمي مع خباب كما تقدم في اخر سورة مريم ثم عمت كل كافر
قوله ان لن يبعثوا ان مخففة لا ناصبة لئلا يدخل ناصب على مثله وان وما في حيزها سادة
مسد المفعولين للزعم او المفعول قوله بلى ايجاب للنفي ولتبعثن جواب قسم مقدر اي لتخرجن
من قبوركم احيا ثم لتنبؤن لتخبرن بما عملتم اي باعمالكم وذلك على الله يسير اذ الاعادة اسهل
من الابتدا فان قيل كيف يفيد القسم في اخباره عن البعث وهم قد انكروا الرسالة قال ابن الخطيب
والجواب انهم انكروا الرسالة لكنهم يعتقدون انه يعتقد ربه اعتقادا جازما لا مزيد عليه
فيعلمون انه لا يقدم على القسم بربه الا وان يكون صدق هذا الاخبار عنده اظهر من الشمس في

اعتقاده ثم انه اكد الخبر باللام والنون فكانه قسم بعد قسم ثم انه تعالى لما اخبر عن البعث والاعتراف
بالبعث من لوازم الايمان قال فامنوا بالله ورسوله وهذا يجوز ان يكون صلة لما تقدم لانه تعالى
ذكر ما نزل من العقوبة بالامم الماضية وذلك لكفرهم بالله وتكذيبهم للرسل فقال فامنوا انتم
بالله ورسوله لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة وقال القرطبي قوله فامنوا بالله ورسوله
امرهم بالايمان بعد ان عرفهم قيام الساعة والنور الذي انزلنا وهو القرآن لانه نور يهتدى به
من ظلمة الضلال كما يهتدى بالنور في الظلمات فان قيل هلا قيل ونوره بالاضافة كما قال
ورسوله فالجواب ان الالف واللام في النور بمعنى الاضافة فكانه قال ورسوله ونوره ثم قال
والله بما تعملون خبير اي بما تسرون وما تعلنون فراقبوه في السر والعلانية قوله يوم
يجمعكم منصوب بقوله لتنبؤن عند النحاس وبخبير عند الحوفي لما فيه من معنى الوعيد كانه
قال والله يعاقبكم يوم يجمعكم وباذكر مضمرا عند الزمخشري فيكون مفعولا به او بما دل عليه
الكلام اي يتفاوتون يوم يجمعكم قاله ابو البقا وقرا العامة يجمعكم بفتح اليا وضم العين وروي
سكونها واشمامها عن ابي عمرو وهذا منقول عنه في الرا نحو ينصركم وبابه كما تقدم في البقرة
وقرا يعقوب وسلام وزيد بن علي والشعبي ونصر وابن ابي اسحاق والجحدري نجمعكم بنون
العظمة اعتبارا بقوله والنور الذي انزلنا والمراد بيوم الجمع اي يوم القيمة يوم يجمع الله الاولين
والاخرين والانس والجن واهل السما واهل الارض وقيل يوم يجمع الله بين كل عبد وعمله وقيل
يجمع فيه بين الظالم والمظلوم وقيل يجمع فيه بين كل نبي وامته وقيل يجمع فيه ثواب اهل الطاعات
وعقاب اهل المعاصي قوله ذلك يوم التغابن تفاعل من الغبن في البيع والشرا على الاستعارة
وهو اخذ الشي بدون قيمته وقيل الغبن الاخفا ومنه غبن البيع لاستخفايه والتفاعل هنا
من واحد لا من اثنين ويقال غبنت الثوب وغبنته اي اخذت ما طال عن مقدارك فهو نقص
واخفا وفي التفسير هو ان يكتسب الرجل مالا من غير وجهه فيرثه غيره فيعمل فيه بطاعته فيدخل
الاول النار والثاني الجنة بذلك المال فذلك هو الغبن البين والمغابن ما انثنى من البدن
نحو الابطين والفخذين والمغبون من غبن في اهله ومنازله في الجنة ويظهر يومئذ غبن
كل كافر بتركه الايمان وغبن كل مومن بتقصيره في الاحسان وتضييعه الايام قال الزجاج
ويغبن من ارتفعت منزلته في الجنة بالنسبة الى من هو اعلا منزلة منه فان قيل فاي معاملة
وقعت بينهما حتى يقع الغبن فيها فالجواب هو تمثيل للغبن في الشرا والبيع كقوله اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم فلما ذكر ان الكفار اشتروا الضلالة بالهدى
وما ربحوا في تجارتهم بل خسروا ذكر ايضا انهم غبنوا وذلك ان اهل الجنة اشتروا الاخرة بترك
الدنيا واشترى اهل النار الدنيا بترك الاخرة وهذا نوع مبادلة اتساعا ومجازا وقد
فرق الله تعالى الخلق فريقين فريقا للجنة وفريقا للنار وقال الحسن وقتادة بلغنا ان
التغابن على ثلاثة اصناف رجل علم علما فضيعه ولم يعمل به ورجل علم علما وعمل به فنجا به
ورجل اكتسب مالا من وجوه يسال عنها وشح عليه وفرط في طاعة ربه بسببه ولم يعمل فيه خيرا
وتركه لوارث لا حساب عليه فعمل ذلك الوارث فيه بطاعة ربه ورجل كان له عبد فعمل العبد
بطاعة ربه فسعد وعمل السيد بمعصية ربه فشقي وروى القرطبي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان الله تعالى يقيم الرجل والمراة يوم القيمة بين يديه فيقول الله تعالى
لهما قولا ما انتما بقايلين فيقول الرجل يا رب اوجبت نفقتها علي فتعسفتها من حرام ومن
حلال وهولا الخصوم يطلبون ذلك ولم يبق لي ما اوفي فتقول المراة يا رب وما عسى ان اقول
اكتسبه حراما واكلته حلالا وعصاك في مرضاتي ولم ارض له بذلك فبعدا له وسحقا فيقول
الله تعالى قد صدقت فيومر به الى النار ويومر بها الى الجنة فتطلع عليه من طبقات الجنة
فتقول له غبناك غبناك سعدنا بما شقيت انت به فذلك يوم التغابن

فصل

استدل بعض العلما بقوله تعالى ذلك يوم التغابن على انه لا يجوز الغبن في المعاملة الدنيوية
لان الله تعالى خصص التغابن بيوم القيامة فقال ذلك يوم التغابن وهذا الاختصاص
يفيد انه لا غبن في الدنيا فكل من اطلع على غبن في مبيع فانه مردود اذا زاد على الثلث واختاره
البغداديون واحتجوا عليه بقوله عليه السلام لحبان بن منقذ اذا بعت فقل لا خلابة ولك

الخيار ثلاثا ولان الغبن في الدنيا ممنوع منه بالاجماع في حكم الدين اذ هو من باب الخداع المحرم شرعا
في كل ملة لكن اليسير منه لا يمكن الاحتراز عنه فمضى في البيوع اذ لو حكمنا برده ما نفذ بيع ابدا لانه
لا يخلو منه فاذا كان كثيرا امكن الاحتراز منه فوجب الرد به والفرق بين القليل والكثير في الشريعة
معلوم فقدرناه بالثلث وهذا الحد اعتبره الشارع في الوصية وغيرها ويكون معنى الاية على هذا
يوم التغابن الجائز مطلقا من غير تفصيل وذلك يوم التغابن الذي لا يستدرك ابدا قال بعض علما
الصوفية ان الله تعالى كتب الغبن على الخلق اجمعين فلا يلقى احد ربه الا مغبونا لانه لا يمكنه الاستيفا
للعمل حتى يحصل له استيفا الثواب قال عليه السلام لا يلقى الله احد الا نادما ان كان مسيا ان لم يحسن
وان كان محسنا ان لم يزدد قوله ومن يومن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سياته ويدخله قرا نافع
وابن عامر بالنون فيهما والباقون باليا قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا يعني القران اوليك
اصحاب النار خالدين فيها وبيس المصير قال ابن الخطيب فان قيل قوله تعالى في حق المومنين
ومن يومن بالله بلفظ المستقبل وفي الكفار قال والذين كفروا بلفظ الماضي فالجواب ان تقدير
الكلام ومن يومن بالله من الذين كفروا وكذبوا باياتنا يدخله جنات ومن لم يومن منهم اوليك
اصحاب النار فان قيل قال تعالى من يومن بلفظ الوحدان وخالدين بلفظ الجمع ذلك بحسب
اللفظ وهذا بحسب المعنى فان قيل ما الحكمة في قوله وبيس المصير بعد قوله خالدين فيها
وذلك بيس المصير والجواب ان ذلك وان كان في معناه فلا بد من التصريح بما يوكده فصل
لما ذكر ما للمومنين ذكر ما للكفار فقال ما اصاب من مصيبة الا باذن الله اي بارادته وقضايه
وقال الفرا يريد الا بامر الله وقيل الا بعلم الله وقيل سبب نزول هذه الاية ان الكفار قالوا
لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله عن المصايب في الدنيا فبين الرب تعالى ان ما اصاب
من مصيبة في نفس او مال او قول او فعل يقتضي هما او يوجب عقابا اجلا او عاجلا فبعلم الله
وقضايه فان قيل بم يتصل قوله ما اصاب من مصيبة الا باذن الله قوله ومن يومن بالله
اي يصدق ويعلم انه لا تصيبه مصيبة الا باذن الله يهد قلبه للصبر والرضا وقيل يثبته على
الايمان وقال ابو عثمان الجيزي من صح ايمانه يهد الله قلبه لاتباع السنة وقيل ومن يومن
بالله يهد قلبه عند المصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون قال ابن جبير وقال ابن عباس
هو ان يجعل الله في قلبه اليقين ليعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه
وقال الكلبي هو اذا ابتلي صبر واذا انعم عليه شكر واذا ظلم غفر وقيل يهد قلبه الى نيل
الثواب في الجنة قوله يهد قلبه قرا العامة باليا مجزوما جوابا للشرط لتقدم ذكر الله وابن
جبير وابن هرمز وطلحة والازرق بالنون على التعظيم والضحاك وابو حفص وابو عبد الرحمن
وقتادة يهد مبنيا للمفعول قلبه قايم مقام الفاعل ومالك بن دينار وعمرو بن دينار وعكرمة
يهداه بهمزة ساكنة قلبه فاعل به بمعنى يطمين ويسكن وعمرو بن فايد يهدا بالف بدلا من
الهمزة كالتي قبلها ولم يحذفها نظرا الى الاصل وهي افصح اللغتين وعكرمة ومالك بن دينار ايضا
يهد بحذف هذه الالف اجراء لها مجرى الالف الاصلية كقول زهير

جري متى يظلم يعاقب بظلمه ٭ سريعا والا يبد بالظلم يظلم

وقد تقدم اعراب ما قبل هذه الاية وما بعدها والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه تسليم من انقاد
لامره وكراهة من كرهه قوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول اي هونوا على انفسكم المصايب
واشتغلوا بطاعة الله واعملوا بكتابه واطيعوا الرسول في العمل بسنته فان توليتم عن الطاعة
فليس على الرسول الا البلاغ المبين قوله الله لا اله الا هو اي لا معبود سواه ولا خالق غيره
قال ابن الخطيب قوله لا اله الا هو يحتمل ان يكون من جملة ما تقدم من الاوصاف الجميلة بحضرة
الله تعالى من قوله له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فان من كان موصوفا بهذه الاوصاف
فهو الذي لا اله الا هو قوله وعلى الله فليتوكل المومنون قال الزمخشري هذا بعث لرسول
الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم قال ابن عباس نزلت هذه
الاية بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم جفا اهله وولده
فنزلت ذكره النحاس وحكاه الطبري عن عطا بن يسار قال نزلت سورة التغابن كلها بمكة

الاهولا

الاهولا الايات يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم نزلت في عوف بن مالك
الاشجعي كان ذا اهل وولد وكان اذا اراد الغزو بكوه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق فنزلت هذه
الاية الى اخر السورة بالمدينة وروى الترمذي عن ابن عباس وسيل عن هذه الاية قال هولا رجال
اسلموا من اهل مكة وارادوا ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فابى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم يا تزا
النبي صلى الله عليه وسلم فلما اتوا النبي صلى الله عليه وسلم راوا الناس قد تفقهوا في الدين فهموا ان
يعاقبوهم فانزل الله تعالى هذه الاية حديث حسن صحيح فصل قال ابن العربي هذا
بين وجه العداوة فان العدو لم يكن عدوا بذاته انما كان عدوا بفعله فاذا فعل الزوج والولد
فعل العدو كان عدوا ولا فعل اقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة وفي صحيح البخاري
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قعد لابن ادم في طريق الايمان فقال
له اتومن وتذر دينك ودين ابايك فخالفه فامن ثم قعد له على طريق الهجرة فقال له اتهاجر وتترك
اهلك ومالك فخالفه فهاجر ثم قعد له على طريق الجهاد فقال له اتجاهد فتقتل نفسك فتنكح
نساوك ويقسم مالك فخالفه فجاهد فقتل فحق على الله ان يدخله الجنة وقعود الشيطان يكون
بوجهين احدهما يكون بالوسوسة والثاني ان يحمل ما يريد من ذلك الزوج والولد والصاحب
قال تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وفي حكمة عيسى عليه السلام
من اتخذ اهلا ومالا وولدا كان في الدنيا عبدا وقال عليه السلام تعس عبد الدنيا وتعس
عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد القطيفة ولا دناة اعظم من عبادة الدينار والدرهم
ولا همة اخس من همة ترتفع بثوب جديد واعلم ان قوله ان من ازواجكم يدخل فيها الذكر والانثى
فكما ان الرجل تكون زوجته وولده عدوا له كذلك المراة يكون زوجها عدوا لها بهذا المعنى قوله
فاحذروهم اي فاحذروهم على انفسكم والحذر على النفس يكون بوجهين اما بضرر في البدن او
بضرر في الدين وضرر البدن يتعلق بالدنيا وضرر الدين يتعلق بالاخرة فحذر الله تعالى العبد
من ذلك قال ابن الخطيب وقيل اعلم الله تعالى ان الاموال والاولاد من جملة ما تقع به الفتنة
وهذا عام يعم جميع الاولاد فان الانسان مفتون بولده فانه ربما عصى الله تعالى بسببه وباشر الفعل
الحرام لاجله كغصب مال الغير ونحوه قوله وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم
روى الطبري عن عكرمة في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم
قال كان الرجل يريد ان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم فيقول اهله اين تذهب وتدعنا قال فاذا
اسلم وفقه قال لارجعن الى الذين كانوا ينهون عن هذا الامر فلافعلن ولافعلن قال فانزل الله
عز وجل وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم وقال مجاهد في هذه الاية ما عادوهم
في الدنيا ولكن حملتهم مودتهم لهم على ان اتخذوا لهم الحرام فاعطوه اياهم والاية عامة في كل معصية
يرتكبها الانسان بسبب الاهل والولد وخصوص السبب لا يمنع عموم الحكم قوله انما اموالكم واولادكم
فتنة اي بلاء واختبار يحملكم على كسب الحرام ومنع حق الله تعالى فلا تطيعوهم في معصية الله وفي
الحديث يوتى برجل يوم القيمة فيقال اكل عياله حسناته وقال بعض السلف العيال سوس الطاعات
وقال ابن مسعود لا يقولن احدكم اللهم اعصمني من الفتنة ولكن فانه ليس احد منكم يرجع الى مال
ولا ولد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن وقال الحسن
في قوله تعالى ان من ازواجكم ادخل من للتبعيض لان كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر في قوله تعالى انما
اموالكم واولادكم فتنة لانهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما روى الترمذي وغيره عن عبد
الله ابن بريدة عن ابيه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فجا الحسن والحسين عليهما السلام
وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملهما ووضعهما بين
يديه ثم قال صدق الله عز وجل انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان
ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما ثم اخذ في خطبته والله عنده اجر عظيم يعني
الجنة فهي اعظم اجر منهما قوله فاتقوا الله ما استطعتم قال قتادة والربيع بن انس والسدي
وابن زيد هذه الاية ناسخة لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته ذكر الطبري عن ابن زيد في قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال جاء امر شديد قالوا ومن يعرف قدر هذا
ويبلغه فلما عرف الله انه قد اشتد ذلك عليهم نسخها عنهم وجاء بهذه الاية الاخرى فقال اتقوا

الله ما استطعتم وقال ابن عباس هي محكمة لا نسخ فيها ولكن حق تقاته ان يجاهد لله حق جهاده
ولا ياخذهم في الله لومة لايم ويقوموا لله بالقسط ولو على انفسهم وابايهم وابنايهم فان قيل
اذا كانت الاية غير منسوخة فكيف الجمع بين الايتين وما وجه الامر باتقايه حق تقاته مطلقا
من غير تخصيص ولا مشروط بشرط والامر باتقايه بشرط الاستطاعة فالجواب ان قوله تعالى
فاتقوا الله ما استطعتم معناه فاتقوا الله ايها الناس وراقبوه فيما جعله فتنة لكم من اموالكم
واولادكم ان تغلبكم فتنتهم وتصدكم عن الواجب لله عليكم من الهجرة من ارض الكفر الى ارض الاسلام
فتتركوا الهجرة وانتم مستطيعون وذلك ان الله تعالى قد كان عذر من لم يقدر على الهجرة بتركها
بقوله تعالى ان الذين توفاهم الملايكة ظالمي انفسهم الى قوله فاوليك عسى الله ان يعفو عنهم
فاخبر انه قد عفى عمن لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا بالاقامة في دار الشرك فكذلك معنى قوله
ما استطعتم في الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام ان تتركوها بفتنة اموالكم واولادكم ويدل على
صحة هذا ان قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم عقيب قوله يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ولا خلاف بين علما التاويل ان هذه الايات نزلت بسبب قوم كفار تاخروا
عن الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام بتثبيط اولادهم اياهم عن ذلك كما تقدم وهذا اختيار الطبري
وقال ابن جبير قوله فاتقوا الله ما استطعتم فيما تطوع به من نافلة او صدقة فانه لما نزل قوله
تعالى اتقوا الله حق تقاته اشتدت على القوم فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم
فانزل الله تعالى تخفيفا عنهم فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت الاولى قال الماوردي ويحتمل ان
يثبت هذا النقل لان المكره على المعصية غير مواخذ بها لانه لا يستطيع اتقاها قوله واسمعوا
واطيعوا اي اسمعوا ما توعظون به واطيعوا ما تومرون به وتنهون عنه وقال مقاتل اسمعوا اي
اصغوا الى ما ينزل عليكم من كتاب الله وهو الاصل في السماع واطيعوا الرسول فيما يامركم او ينهاكم
وقيل معنى واسمعوا اي اقبلوا ما تسمعون وعبر عنه بالسماع لانه فايدته قوله وانفقوا قال
ابن عباس هي الزكوة وقيل هي النفقة في النفل وقال الضحاك هي النفقة في الجهاد وقال الحسن
هي نفقة الرجل لنفسه قال ابن العربي وانما اوقع قايل هذا قوله لانفسكم وخفي عليه ان نفقة
الفرض والنفل في الصدقة هي نفقة الرجل على نفسه قال الله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم
فلها فكلما يفعله الرجل من خير فانما هو لنفسه والصحيح انها عامة قوله خيرا لانفسكم في نصبه
اوجه احدها قال سيبويه انه مفعول بفعل مقدر دل عليه وانفقوا تقديره ايتوا في الانفاق
خيرا لانفسكم او قدموا خيرا لانفسكم كقوله انتهوا خيرا لكم الثاني تقديره يكن الانفاق خيرا فهو
خبر كان المضمرة وهو قول ابي عبيد الثالث انه نعت مصدر محذوف وهو قول الكسايي والفرا
اي انفاقا خيرا الرابع انه حال وهو قول الكوفيين الخامس انه مفعول بقوله انفقوا اما لا خيرا
قوله ومن يوق شح نفسه فاوليك هم المفلحون تقدم نظيره وكذا ان تقرضوا الله قرضا
حسنا يضاعفه لكم تقدم في سورة البقرة والحديد ويغفر لكم والله شكور حليم تقدم معنى
الشكر في البقرة والحليم الذي لا يعجل قال بعضهم في القرض الحسن هو التصدق من الحلال
وقيل التصدق بطيب النفس والقرض هو الذي يرجى بدله قوله عالم الغيب والشهادة
اي ما غاب وحضر وهو العزيز اي الغالب القاهر فهو من صفات الافعال ومنه قوله عز وجل
تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم اي من الله القاهر المحكم خالق الاشيا وقال الخطابي
وقد تكون بمعنى نفاسة القدر يقال منه عز يعز بكسر العين فيكون معنى العزيز على هذا
انه لا يعادله شي وانه لا مثل له الحكيم في تدبير خلقه وقال ابن الانباري الحكيم هو المحكم
لخلق الاشيا صرف عن مفعل الى فعيل والله اعلم روى الثعلبي عن عبد الله بن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا في تشابيك راسه مكتوب خمس ايات
من فاتحة سورة التغابن وعن زر بن حبيش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة التغابن دفع عنه موت الفجاة والله اعلم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة الطلاق مدنية

وهي احدى عشرة اية وقيل اثنتي عشرة اية وماييتان وتسع واربعون كلمة والف وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النسا قال ابن الخطيب وجه تعلق اول هذه السورة
باخر التي قبلها هو انه تعالى اشار في اخر التي قبلها هو انه تعالى اشار في اخر التي قبلها الى كمال
علمه بقوله عالم الغيب والشهادة وفي اول هذه السورة اشار الى كمال علمه بمصالح النسا والاحكام
المخصوصة بطلاقهن فكانه بين ذلك الكلي بهذه الجزييات **فصل** وهذا الخطاب
فيه اوجه احدها انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوطب بلفظ الجمع تعظيما له كقوله

فان شيت حرمت النسا سواكم وان شيت لم اطعم نقاخا ولا بردا

الثاني انه خطاب له ولامته والتقدير يا ايها النبي وامته اذا طلقتم فحذف المعطوف لدلالة ما بعده
عليه كقوله اذا اخذ قنه رجلها اي ويدها كقوله سرابيل تقيكم الحر اي والبرد الثالث انه خطاب
لامته فقط بعد ندايه عليه السلام وهو من تلوين الخطاب خاطب امته بعد ما خاطبه الرابع
انه على اضمار قول اي يا ايها النبي قل لامتك اذا طلقتم قال القرطبي قيل انه خطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والمراد امته وغاير بين اللفظين من حاضر وغايب وذلك لغة فصيحة كقوله اذا كنتم
في الفلك وجرين بهم والتقدير يا ايها النبي قل لهم اذا طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن وهذا هو
قولهم ان الخطاب له وحده والمعنى له وللمومنين واذا اراد الله بالخطاب للمومنين لاطفه بقوله
يا ايها النبي واذا كان الخطاب باللفظ والمعنى جميعا له قال يا ايها الرسول قال القرطبي ويدل
على صحة هذا القول نزول العدة في اسما بنت يزيد بن السكن الانصارية روى ابو داود انها
طلقت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن للمطلقة عدة فانزل الله تعالى العدة
للطلاق حين طلقت اسما فكانت اول من انزل فيها العدة للطلاق الخامس قال الزمخشري خص
النبي صلى الله عليه وسلم بالندا وعم بالخطاب لان النبي امام امته وقدوتهم كما يقال لرييس القوم
وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اعتبارا بتقدمه واظهارا لترويسه في كلام حسن وهذا هو معنى
القول الثالث المتقدم قال القرطبي وقيل المراد به ندا النبي صلى الله عليه وسلم تعظيما له ثم
ابتدا اذا طلقتم النسا كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر الاية فذكر المومنين تكريما
لهم ثم افتتح فقال انما الخمر والميسر والانصاب والازلام الاية وقوله اذا طلقتم اي اذا اردتم كقوله
اذا قمتم الى الصلاة فاذا قرات القران وتقدم تحقيقه **فصل** روى ابن ماجه عن ابن
عباس عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وعن انس
قال طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة رضي الله عنها فاتت اهلها فانزل الله تعالى عليه
يا ايها النبي اذا طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن وقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهي من
ازواجك في الجنة ذكره الماوردي والقشيري والثعلبي وزاد القشيري ونزل في خروجها الى اهلها
قوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن وقال الكلبي سبب نزول هذه الاية غضب رسول
الله صلى الله عليه وسلم على حفصة لما اسر اليها حديثا فاظهرته لعايشة فطلقها تطليقة فنزلت
الاية وقال السدي نزلت في عبد الله بن عمر طلق امراته حايضا تطليقة واحدة فامره النبي صلى
الله عليه وسلم بان يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فاذا اراد ان يطلقها فليطلقها حين
تطهر من قبل ان يجامعها فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النسا وقد قيل ان رجالا فعلوا مثل
ما فعل عبد الله بن عمر منهم عبد الله بن عمرو بن العاص وعمرو بن سعيد بن العاص وعتبة بن
غزوان فنزلت الاية فيهم قال ابن العربي وهذا كله وان لم يكن صحيحا فالقول الاول امثل والاصح
فيه انه بيان لشرع مبتدا **فصل** روى الثعلبي من حديث ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان من ابغض الحلال الى الله الطلاق وعن علي عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وعن ابي موسى قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تطلقوا النسا الا من ريبة فان الله عز وجل لا يحب الذواقين ولا الذواقات
وعن ابي موسى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حلف بالطلاق ولا استحلف به الا منافق
اسندهم الثعلبي وروى الدارقطني عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا معاذ ما خلق الله تعالى شيا على وجه الارض احب اليه من العتاق ولا خلق الله تعالى شيا

البعض اليه من الطلاق فاذا قال الرجل لمملوكه انت حر ان شاء الله فهو حر ولا استثنا له واذا قال
الرجل لامراته انت طالق ان شا الله فله استثناوه ولا طلاق عليه وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما احل الله شيا ابغض اليه من الطلاق فمن طلق واستثنى فله ثنياه قال
ابن المنذر اختلفوا في الاستثنا في الطلاق والعتق فقالت طايفة بجوازه وهو مروي
عن طاوس وبه قال حماد الكوفي والشافعي وابو ثور واصحاب الراي وقال مالك والاوزاعي
لا يجوز الاستثنا في الطلاق والعتق وقال قتادة لا يجوز الاستثنا في الطلاق خاصة قال
ابن المنذر وبالقول الاول اقول **فصل** روي الدارقطني عن ابن عباس انه قال
الطلاق على اربعة وجوه وجهان حلالان ووجهان حرامان فاما الحلال فان يطلقها طاهرا
عن غير جماع وان يطلقها حاملا مستبينا حملها واما الحرام فان يطلقها حايضا وان يطلقها حين
يجامعها لا يدري ايشتمل الرحم على ولد ام لا واعلم ان الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة
وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه لقول النبي صلى الله عليه وسلم وان شا طلق قبل ان يمس
وطلاق السنة ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وهذا في حق امراة يلزمها العدة بالاقرا
فاما طلاق غير المدخول بها في حيضها او الصغيرة التي لم تحض والايسة بعد ما جامعها
او طلق الحامل بعد ما جامعها او في حال روية الدم لا يكون بدعيا ولا سنة لقوله عليه السلام
ثم ليطلقها طاهرا او حاملا والخلع في حال الحيض او في طهر جامعها فيه لا يكون بدعيا لان
النبي صلى الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته من غير ان يعرف حالها ولولا
جوازه في جميع الاحوال لاستفسره قوله لعدتهن قال الزمخشري مستقبلات لعدتهن كقوله
اتيته لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها وفي قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبل
عدتهن انتهى وناقشه ابو حيان في تقديره الحال التي تعلق بها الجار كونا خاصا وقال
الجار اذا وقع حالا انما يتعلق بكون مطلق وفي مناقشته نظر لان الزمخشري لم يجعل الجار
حالا بل جعله متعلقا بمحذوف دل عليه معنى الكلام وقال ابو البقا لعدتهن اي عند اول
ما تعتد به وهن في قبل الطهر وهذا تفسير معنى لا تفسير اعراب وقال ابو حيان هو
على حذف مضاف اي لاستقبال عدتهن واللام للتوقيت نحو لقيته لليلة بقيت من شهر
كذا انتهى فعلى هذا تتعلق اللام بطلقوهن وقال الجرجاني فطلقوهن لعدتهن صفة
للطلاق كيف يكون وهذه اللام تجي لمعان مختلفة للاضافة وهي اصلها ولبيان السبب والعلة
لقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله وبمعنى عند كقوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس اي عنده
وبمنزلة في كقوله تعالى اخرج الذين كفروا من ديارهم لاول الحشر اي في اول الحشر وهي في هذه
الاية بهذا المعنى لان المعنى فطلقوهن في عدتهن اي في الزمان الذي يصلح لعدتهن
فصل قال القرطبي قوله لعدتهن يقتضي انهن اللاتي دخل بهن الازواج لان
غير المدخول بهن خرجن بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من
قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها وحصل الاجماع على ان الطلاق في الحيض
ممنوع منه وفي الطهر ماذون فيه وهذا يدل على ان القرء هو الطهر فان قيل معنى قوله
فطلقوهن لعدتهن اي في قبل عدتهن او لقبل عدتهن وهي قراة النبي صلى الله عليه وسلم
كما قال ابن عمر فقبل العدة اخر الطهر حتى يكون القرء الحيض قيل هذا هو الدليل الواضح لمن
قال بان الاقرا الاطهار ولو كان كما قال الحنفي ومن تابعه لوجب ان يقال ان من طلق في
اول الطهر لا يكون مطلقا لقبل الحيض لان الحيض لم يقبل بعد وايضا اقبال الحيض يكون بدخول
الحيض وبانقضا الطهر لا يتحقق اقبال الحيض ولو كان اقبال الشي ادباره ضده لكان الصايم
مفطرا قبل مغيب الشمس ثم اذا طلق في اخر الطهر فبقية الطهر قرء لان بعض القرء يسمى قروا كقوله
تعالى الحج اشهر معلومات يعني شوال وذو القعدة وبعض ذي الحجة وكقوله فمن تعجل في يومين
وهو ينفر في بعض اليوم الثاني وقال البغوي معنى قوله لعدتهن اي لطهرهن الذي يحصيه
من عدتهن وكان ابن عباس وابن عمر يقران فطلقوهن في قبل عدتهن والاية نزلت في عبد
الله بن عمر **فصل** من طلق في طهر جامع فيه او حايضا نفذ طلاقه واخطا السنة
وقال سعيد بن المسيب في اخرين لا يقع الطلاق في الحيض لانه خلاف السنة واليه ذهبت

الشيعة

الشيعة **فصل** قال عبد الله بن مسعود طلاق السنة ان يطلقها في كل طهر تطليقة
فاذا كان اخر ذلك فتلك العدة التي امر الله بها قال القرطبي قال علماونا طلاق السنة ما جمع
شروطا سبعة وهو ان يطلقها واحدة وهي ممن تحيض طاهرا لم يمسها في ذلك الطهر ولا تقدمه طلاق
في حيض ولا يتبعه طلاق في طهر يتلوه وخلا عن العوض وهذه الشروط السبعة من حديث ابن عمر
وقال الشافعي طلاق السنة ان يطلقها في كل طهر خاصة ولو طلقها ثلاثا في كل طهر لم تكن بدعة
قال ابن العربي وهذه غفلة عن الحديث الصحيح فانه قال مره فليراجعها وهذا يدفع الثلاث
وفي الحديث انه قال ارايت لو طلقها ثلاثا قال حرمت عليك وبانت منك بمعصية وقال ابو حنيفة
ظاهر الاية يدل على ان الطلاق الثلاث والواحدة سوا وهو مذهب الشافعي لولا قوله بعد ذلك
لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهذا يبطل دخول الثلاث تحت الاية وبذلك قال اكثر
العلما قال القرطبي واما مالك فلم يخف عليه اطلاق الاية ولكن الحديث فسرها واما قول الشعبي
فروي وحدث ابن عمر واحتج الشافعي بان عبد الرحمن بن عوف طلق امراته تماضر بنت الاصبغ
الكلبية وهي ام ابي سلمة ثلاث تطليقات في كلمة واحدة ولم يبلغنا ان احدا من الصحابة عاب
ذلك وان حفص بن المغيرة طلق امراته فاطمة بنت قيس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاث تطليقات في كلمة واحدة فابانها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبلغنا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم عاب ذلك عليه وبحديث عويمر العجلاني لما لاعن قال يا رسول الله هي
طالق ثلاثا فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم **فصل** روى ابو داود عن اسما بنت
يزيد بن السكن الانصارية انها طلقت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن للمطلقة
عدة فانزل الله تعالى حين طلقت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اسما بالعدة للطلاق
فكانت اول من انزل فيها العدة للطلاق قوله واحصوا العدة يعني في المدخول بها اي
احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق قيل امر باحصا العدة لتفريق الطلاق على الاقرا اذا
اراد ان يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقا زمان الرجعة ومراعاة امر النفقة والسكنى وفي المخاطب
بالاحصا اقوال احدها انهم الازواج والثاني هم الزوجات والثالث هم المسلمون قال ابن العربي
والصحيح انهم الازواج لان الضماير كلها من طلقتم واحصوا ولا تخرجوهن على نظام واحد فرجع
الى الازواج ولكن الزوجات داخلة فيه بالالحاق لان الزوج يحصي ليراجع وينفق او يقطع وليسكن
او يخرج وليلحق نسبه او يقطع وهذه كلها امور مشتركة بينه وبين المراة وتنفرد المراة دونه
بغير ذلك وكذلك الحاكم يفتقر الى احصا العدة للفتوى عليها وفصل الخصومة عند المنازعة
بها وهذه فوايد الامر باحصا العدة قوله واتقوا الله ربكم اي لا تعصوه لا تخرجوهن من
بيوتهن اي ليس للزوج ان يخرجها من مسكن النكاح ما دامت في العدة ولا يجوز لها الخروج ايضا
لحق الزوج الا لضرورة ظاهرة فان خرجت اثمت ولا تنقطع العدة فان قيل ما الحكمة في قوله
تعالى واتقوا الله ربكم ولم يقتصر على قوله واتقوا الله فالجواب ان في هذا من المبالغة ما ليس
في ذاك فان لفظ الرب ينبه على هذه التربية وينبه على كثرة الانعام بوجوه كثيرة فينبغي ان تعوث في
الموجد حينيذ خوفا من فوت تلك التربية **فصل** والرجعية والمبتوتة في هذا
سوا وذلك لصيانة ماء الرجل وهذا معنى اضافة البيوت اليهن كقوله تعالى واذكرن ما يتلى في
بيوتكن وقوله تعالى وقرن في بيوتكن فهو اضافة اسكان لا اضافة تمليك وقوله لا تخرجوهن
يقتضي ان يكون حقا على الازواج وقوله ولا يخرجن يقتضي انه حق على الزوجات فلا يجوز لها
ان تخرج ما لم تنقض عدتها الا باذن زوجها الا لضرورة او حاجة اثمت فان وقعت ضرورة او خافت
هدما او غرقا فلها ان تخرج الى منزل اخر وكذلك ان كانت لها حاجة من بيع غزل او شرا قطن فيجوز
لها الخروج نهارا ولا يجوز ليلا فان رجالا استشهدوا باحد فقالت نساوهم نستوحش في بيوتنا
فاذن لهن النبي صلى الله عليه وسلم ان يتحدثن عند احداهن فاذا كان وقت الليل تاوي
كل امراة الى بيتها واذن النبي صلى الله عليه وسلم لخالة جابر لما طلقها زوجها ان تخرج لجذاذ نخلها
واذا لزمتها العدة في السفر تعتد ذاهبة وجائية والبدوية تتبوى حيث يتبوى اهلها في
العدة لان الانتقال في حقهم كالاقامة في حق المقيم وقال ابو حنيفة ذلك في المتوفى عنها
زوجها فاما المطلقة فلا تخرج ليلا ولا نهارا وهذا مردود بحديث فاطمة بنت قيس لما ارسل اليها

زوجها ابو حفص بن عمرو بتطليقة كانت بقيت من طلاقها وارسل اليها وكيله بشعير فسخطته فقال لها الحارث بن هشام وعياش بن ربيعة والله ما لك من نفقة الا ان تكوني حاملا فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له قولهما فقال لا نفقة لك وفي رواية ولا سكنى فاستاذنته في الانتقال فاذن لها ان تعتد في بيت ابن ام مكتوم فلما انقضت عدتها انكحها النبي صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فارسل اليها مروان قبيصة بن ذويب يسالها عن الحديث فحدثته فقال مروان لم نسمع هذا الحديث الا من امراة سناخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها فقالت فاطمة حين بلغها قول مروان فبيني وبينكم القران قال الله عز وجل لا تخرجوهن من بيوتهن قال هذا لمن كانت له رجعة لقوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فاي امر يحدث بعد الثلاث فكيف يقولون لا نفقة لها اذا لم تكن حاملا فعلام تحبسونها لفظ مسلم فبين ان الاية في تحريم الاخراج والخروج انما هو في الرجعة فاستدلت فاطمة بان الاية انما تضمنت النهي عن خروج المطلقة الرجعية لانها بصدد ان يحدث لمطلقها راي في ارتجاعها ما دامت في عدتها فكانها تحت تصرف الزوج في كل وقت واما البائن فليس له شيء من ذلك فيجوز ان تخرج اذا دعتها الى ذلك حاجة قوله الا ان ياتين بفاحشة قال ابن عباس وابن عمر والحسن والشعبي ومجاهد هو الزنا فتخرج ويقام عليها الحد وعن ابن عباس ايضا انه البذا على احمائها فيحل لهم اخراجها وعن سعيد بن المسيب انه قال في فاطمة تلك امراة استطالت على احمائها بلسانها فامرها عليه السلام ان تنتقل وفي كتاب ابي داود قال سعيد تلك امراة فتنت الناس انها كانت لسنة فوضعت على يدي بن ام مكتوم الاعمى قال عكرمة في مصحف ابي الا ان يفحشن عليكم ويقوي هذا ان محمد بن ابراهيم بن الحارث روي ان عايشة قالت لفاطمة بنت قيس اتق الله فانك تعلمين لم اخرجت وعن ابن عباس ايضا ان الفاحشة كل معصية كالزنا والسرقة والبذا على الاهل وهو اختيار الطبري وعن بن عمر ايضا والسدي الفاحشة خروجها من بيتها في العدة وتقدير الاية الا ان ياتين بفاحشة مبينة بخروجهن من بيوتهن بغير حق اي لو خرجت كانت عاصية وقال قتادة الفاحشة النشوز وذلك ان يطلقها على النشوز فيتحول عن بيته قال ابن العربي اما من قال انه الخروج للزنا فلا وجه له لان ذلك الخروج هو خروج القتل والاعدام وليس ذلك بمستثنى في حلال ولا حرام واما من قال انه البذا فهو مفسر في حديث فاطمة بنت قيس واما من قال انه كل معصية فوهم لان الغيبة ونحوها من المعاصي لا تبيح الاخراج ولا الخروج واما من قال انه الخروج بغير حق فهو صحيح وتقدير الكلام لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن شرعا الا ان يخرجن تعديا قوله مبينة قري بكسر اليا ومعناه ان الفاحشة اذا تفكرت فيها تبين انها فاحشة وقري بفتح اليا المشددة والمعنى انها مبرهنة بالبراهين ومبينة بالحجج قوله وتلك حدود الله اي هذه الاحكام المبينة احكام الله على العباد وقد منع التجاوز عنها فمن تجاوزها فقد ظلم نفسه واوردها مورد الهلاك قوله لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا الامر الذي يحدث الله ان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها وقال جميع المفسرين ارادوا بالامر هنا الرغبة في الرجعة ومعنى الكلام التحريض على طلاق الواحدة والنهي عن الثلاث فانه اذا طلق ثلاثا اضر بنفسه عند الندم على الفراق والرغبة في الارتجاع فلا يجد للرجعة سبيلا وقال مقاتل معنى قوله بعد ذلك اي بعد طلقة او طلقتين امرا اي المراجعة من غير خلاف قوله لعل الله هذه الجملة مستانفة لا تعلق لها بما قبلها لان النحاة لم يعدوها في المعلقات وقد جعلها ابو حيان مما ينبغي ان يعد فيهن وقرر ذلك في قوله وان ادري لعله فتنة لكم وهناك يطلب تحريره قوله فاذا بلغن اجلهن قرا العامة اجلهن لان الاجل من حيث هو واحد وان اختلفت انواعه بالنسبة الى المعتدات والضحاك وابن سيرين اجالهن جمع تكسير اعتبارا بان اجل هذه غير اجل تلك

فصل معنى قوله فاذا بلغن اجلهن اي قاربن انقضا العدة كقوله تعالى اذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن فامسكوهن اي قربن من انقضا الاجل فامسكوهن بمعروف يعني المراجعة بالمعروف اي بالرغبة من غير قصد المضارة في الرجعة تطويلا لعدتها كما تقدم في

البقرة او فارقوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن انفسهن وفي قوله فاذا بلغن اجلهن ما يوجب ان يكون القول قول المراة في انقضا عدتها اذا ادعت ذلك على ما تقدم في البقرة عند قوله تعالى ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن الاية

فصل قال بعض العلما في قوله تعالى فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف وقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان ان الزوج له حق في بدن المراة ولها حق في بدنه وذمته فكل من له دين في ذمة غيره سوا كان مالا او منفعة من ثمن او مثمن او اجرة او منفعة او صداق او نفقة او بدل متلف او ضمان مغصوب فعليه ان يودي ذلك الحق الواجب باحسان وعلى صاحب الحق ان يتبع باحسان كما قال تعالى في اية القصاص فمن عفي له من اخيه شي فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان وكذلك الحق الثابت في بدنه مثل حق الاستمتاع والاجارة على عينه ونحو ذلك الطالب يطلب بمعروف والمطلوب يودي باحسان قوله واشهدوا ذوي عدل منكم امر بالاشهاد على الطلاق وقيل على الرجعة قال القرطبي والظاهر رجوعه الى الرجعة لا الى الطلاق فان راجع من غير اشهاد ففي صحة الرجعة قولان وقيل المعنى واشهدوا عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة كقوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وفايدة الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها ولئلا يموت احدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث

فصل الاشهاد على الرجعة ندب عند الجمهور واذا جامع او قبل او باشر يريد بذلك الرجعة فليس براجع وقال ابو حنيفة واصحابه اذا قبل او باشر او لمس بشهوة فهو رجعة وكذلك النظر الى الفرج رجعة وقال الشافعي وابو ثور اذا تكلم بالرجعة فهي رجعة وقيل وطيه مراجعة على كل حال نواها او لم ينوها وهذا مذهب احمد واليه ذهب الليث وبعض المالكية قال القرطبي وكان مالك يقول اذا وطي ولم ينو الرجعة فهو وطي فاسد ولا يعود الى وطيها حتى يستبريها من مايه الفاسد وله الرجعة في بقية العدة الاولى وليست له رجعة في هذا الاستبرا

فصل اوجب الاشهاد في الرجعة الامام احمد في احد الروايتين عنه والشافعي كذلك لظاهر الامر وقال مالك وابو حنيفة واحمد والشافعي في القول الاخر ان الرجعة لا تفتقر الى القبول فلم تفتقر الى الاشهاد كساير الحقوق خصوصا حل الظهار بالكفارة

فصل اذا ادعى بعد انقضا العدة انه راجع امراته في العدة فان صدقته جاز وان انكرت حلفت فان اقام بينة انه ارتجعها في العدة ولم تعلم بذلك لم يضره جهلها وكانت زوجته وان كانت قد تزوجت ولم يدخل بها ثم اقام الاول البينة على رجعتها فعن مالك في ذلك روايتين احدهما ان الاول احق بها والاخرى ان الثاني احق بها فان كان الثاني قد دخل بها فلا سبيل للاول اليها قوله ذوي عدل منكم قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من احراركم وذلك يوجب اختصاص الشهادة على الرجعة بالمذكور دون الاناث لان ذوي للمذكر قال القرطبي ولذلك قال علماونا لا مدخل للنسا فيما عدا الاموال وتقدم ذلك في البقرة قوله واقيموا الشهادة لله اي تقربا الى الله في اقامة الشهادة على وجهها اذا مست الحاجة اليها من غير تبديل ولا تغيير ذلكم يوعظ به اي يرضى به من كان يومن بالله واليوم الاخر فاما غير المومن فلا ينتفع بهذه المواعظ قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا قال الزمخشري قوله ومن يتق الله جملة اعتراضية موكدة لما سبق من امر الطلاق على السنة كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم عمن طلق ثلاثا او الفا هل له من مخرج فتلاها وقال ابن عباس والشعبي والضحاك هذا في الطلاق خاصة اي من طلق كما امره الله يكن له مخرج في الرجعة في العدة وان يكون كاحد الخطاب بعد العدة وعن ابن عباس ايضا يجعل له مخرجا ينجيه من كل كرب في الدنيا والاخرة وقيل المخرج هو ان يقنعه الله بما رزقه قاله علي بن صالح وقال الكلبي ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجا من النار الى الجنة وقال الحسن مخرجا مما نهى الله عنه وقال ابو العالية مخرجا من كل شدة وقال الربيع بن خثيم مخرجا من كل شي ضاق على الناس وقال الحسين بن الفضل ومن يتق الله في ادا الفرايض يجعل له مخرجا من العقوبة ويرزقه الثواب من حيث لا يحتسب اي يبارك له فيما اتاه وقال سهل بن عبد الله ومن يتق الله في اتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة اهل البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب

وقال ابو سعيد الخدري ومن يتبرا من حوله وقوته بالرجوع الى الله يجعل له مخرجا مما كلفه الله
بالمعونة وتاول ابن مسعود ومسروق الاية على العموم وقال ابو ذر قال النبي صلى الله عليه وسلم
اني لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم وتلا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
فما زال يكررها ويعيدها وقال ابن عباس قرا النبي صلى الله عليه وسلم ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد
يوم القيمة وقال اكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى سالما
فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتكي اليه الفاقة وقال ان العدو اسر ابني وجزعت
الام فما تامرني فقال عليه السلام اتق الله واصبر وامرك واياها ان تستكثرا من قول لا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم فقالت نعم ما امرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنهم فساق غنمهم
وجا بها الى ابيه وهي اربعة الاف شاة ونزلت الاية وجعل النبي صلى الله عليه وسلم تلك الاغنام
له وروي انه جا وقد اصاب ابلا من العدو وكان فقيرا فقال الكلبي انه اصاب خمسين بعيرا وفي
رواية فانفلت ابنه من الاسر وركب ناقة القوم ومر في طريقه بسرح لهم فاستاقه وقال
مقاتل اصاب غنما ومتاعا فسال ابوه النبي صلى الله عليه وسلم ايحل لي ان اكل مما اتى به ابني قال
نعم ونزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وروي الحسن عن عمران
ابن الحصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه الله كل موونة
ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال الزجاج اي اذا اتقى واثر
الحلال والصبر على اهله فتح الله عليه ان كان ذا ضيقة ورزقه من حيث لا يحتسب وعن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن
كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي من
فوض اليه امره كفاه ما اهمه وقيل اي من اتقى الله وجانب المعاصي وتوكل عليه فله فيما يعطيه
في الاخرة من ثوابه كفاية ولم يرد الدنيا لان المتوكل قد يصاب في الدنيا وقد يقتل وقال عليه
السلام لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا
قوله ان الله بالغ امره قرا حفص بالغ من غير تنوين امره مضاف اليه على التخفيف والباقون
بالتنوين والنصب وهو الاصل خلافا لابي حيان وقرا ابن ابي عبلة وداود بن ابي هند وابو
عمرو في رواية بالغ امره بتنوين بالغ ورفع امره وفيه وجهان احدهما ان يكون بالغ خبرا مقدما
وامره مبتدا موخرا والجملة خبر ان والثاني ان يكون بالغ خبر ان وامره فاعل به قال الفرا
اي امره بالغ ومن نفع ببالغ والمفعول محذوف والتقدير بالغ امره ما اراد وقرا المفضل بالغا
بالنصب امره بالرفع وفيه وجهان اظهرهما وهو تخريج الزمخشري ان يكون بالغا نصبا على
الحال وقد جعل الله هو خبر ان تقديره ان الله قد جعل لكل شيء قدرا بالغا امره والثاني انه
يكون على لغة من ينصب الاسم والخبر بها كقوله ان حراسنا اسدا ويكون قد جعل مستانفا كما
في القراة المشهورة ومن رفع امره فمفعول بالغ محذوف تقديره ما شا كما تقدم عن القرطبي قال
قوله يعني قاض امره فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه الا ان من توكل عليه يكفر عنه
سياته ويعظم له اجرا قوله قد جعل الله لكل شي قدرا قيل ان من قوله تعالى فاذا بلغن
اجلهن الى قوله مخرجا اية ومنه الى قوله تعالى قدرا اية اخرى وعند الكوفي والمدني المجموع
اية واحدة وقرا جناح بن حبيش قدرا بفتح الدال والمعنى لكل شي من الشدة والرخا
اجلا ينتهي اليه وقيل تقديرا وقال السدي هو قدر الحيض في الاجل والعدة وقال عبد
الله بن رافع لما نزل قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم فنحن اذا توكلنا عليه نرسل ما كان لنا ولا نحفظه فنزلت ان الله بالغ امره فيكم وعليكم
وقال الربيع بن خثيم ان الله قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن امن به هداه ومن
اقرضه جازاه ومن وثق به نجاه ومن دعاه اجاب له وتصديق ذلك في كتاب الله ومن
يومن بالله يهد قلبه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه
لكم ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم واذا سالك عبادي عني فاني قريب
اجيب دعوة الداعي اذا دعان قوله تعالى واللاي يئسن تقدم الخلاف فيه وابو عمرو

يقرا هنا واللاي يئسن بالاظهار وقاعدته في مثله الادغام الا ان اليا كانت عنده عارضة لكونها
بدلا من همزة فكانه لم يجتمع مثلان وايضا فان سكونها عارض فكان يا اللاي متحركة والحرف ما دام متحركا
لا يدغم في غيره وقرا ييس فعلا ماضيا وقرئ ييئسن مضارعا ومن المحيض من نسايكم من الاولى لابتدا
الغاية وهي متعلقة بالفعل قبلها والثانية للبيان متعلقة بمحذوف واللاي مبتدا وفعدتهن
مبتدا ثان وثلاثة اشهر خبره والجملة خبر الاول والشرط معترض وجوابه محذوف ويجوز ان يكون
ان ارتبتم جوابه فعدتهن ثلاثة اشهر والجملة الشرطية خبر المبتدا ومتعلق الارتياب محذوف
فقيل تقديره ان ارتبتم في انها يئست ام لا لامكان ظهور حمل وان كان انقطع دمها وقيل ان
ارتبتم في دم البالغات مبلغ الياس اهو دم حيض او استحاضة واذا كان هذا عدة المرتاب بها
فغير المرتاب بها اولى واغرب ما قيل ان ارتبتم بمعنى تيقنتم فهو من الاضداد قوله واللاي
لم يحضن مبتدا خبره محذوف فقدره جملة كالاولى اي فعدتهن ثلاثة اشهر ايضا والاولى
ان يقدر مفردا اي فكذلك او مثلهن ولو قيل بانه معطوف على اللاي يئسن عطف المفردات
واخبر عن الجميع بقوله فعدتهن لكان وجها حسنا واكثر ما فيه توسط الخبر بين المبتدا وما عطف
عليه وهذا ظاهر قول ابي حيان واللاي لم يحضن معطوف على قوله واللاي يئسن فاعرابه مبتدا
كاعراب واللاي قوله واولات الاحمال مبتدا واجلهن مبتدا ثان وان يضعن خبر المبتدا الثاني
وهو وخبره خبر الاول والعامة على افراد حملهن والضحاك احمالهن فصل لما بين امر
الطلاق والرجعة في التي تحيض وكانوا قد عرفوا عدة ذوات الاقرا عرفهم في هذه السورة عدة
التي لا ترى الدم قال ابو عثمان عمر بن سليمان لما نزلت عدة النسا في سورة البقرة في المطلقة
والمتوفى عنها زوجها قال ابي بن كعب يا رسول الله ان ناسا يقولون قد بقي من النساء من لم
يذكر فيهن الصغار والكبار وذوات الحمل فنزلت واللاي يئسن الاية وقال مقاتل لما ذكر
قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان يا رسول الله فما
عدة التي لم تحض وعدة التي انقطع حيضها وعدة الحبلى فنزلت واللاي يئسن من المحيض
من نسايكم يعني قعدن عن الحيض وقيل ان معاذ بن جبل سال عن عدة الكبيرة التي يئست
فنزلت الاية وقال مجاهد الاية واردة في المستحاضة لا تدري دم حيض هو او دم علة فصل
قال المفسرون واللاي يئسن من المحيض من نسايكم فلا يرجون ان يحضن ان ارتبتم اي شككتم
وقيل تيقنتم وهو من الاضداد شكا ويقينا كالظن واختيار الطبري ان يكون المعنى ان شككتم فلم
تدروا ما الحكم فيهن وقال الزجاج ان ارتبتم في حيضها وقد انقطع عنها الحيض وكانت ممن تحيض
مثلها قال القشيري وفي هذا نظر لانا اذا شككنا هل بلغت سن الاياس لم نقل عدتها ثلاثة اشهر
والمعتبر سن الاياس اقصى عادة امراة في العالم وقيل غالب نساء عشيرة المراة وقال مجاهد
قوله ان ارتبتم للمخاطبين يعني لم تعلموا عدة الايسة والتي لم تحض فالعدة هذه وقيل المعنى
ان ارتبتم ان الدم الذي يظهر منها من اجل كبر او من الحيض المعهود او من الاستحاضة فالعدة ثلاثة
اشهر وقال عكرمة وقتادة من الريبة المراة المستحاضة التي لا يستقيم لها الحيض تحيض في اول الشهر
مرارا وفي الاشهر مرة وقيل انه متصل باول السورة والمعنى لا تخرجوهن من بيوتهن ان ارتبتم
في انقضا العدة قال القرطبي وهو اصح ما قيل فيه فصل المرتابة في عدتها لم تنكح حتى
تستبري نفسها من ريبتها ولا تخرج من العدة الا بارتفاع الريبة وقد قيل في المرتابة التي
ارتفع حيضها لا تدري ما رفعه انها تنتظر سنة من يوم طلقها زوجها منها تسعة اشهر استبرا وثلاثة
عدة فان طلقها فحاضت حيضة او حيضتين ثم ارتفع حيضها بغير ياس منها انتظرت تسعة اشهر
ثم ثلاثة من يوم طهرت من حيضها ثم حلت للازواج وهذا قول الشافعي بالعراق فعلى قياس هذا
القول يتم الحرة المتوفى عنها زوجها المستبراة بعد التسعة اشهر اربعة اشهر وعشرا او الامة شهرين
وخمس ليال بعد التسعة الاشهر وروي عن الشافعي ايضا ان اقراها على ما كانت حتى تبلغ سن
الايسات وهو قول النخعي والثوري وغيرهما وحكاه ابو عبيد عن اهل العراق فصل
اذا ارتابت المراة الشابة هل هي حامل ام لا فان استبان حملها وضعه وان لم يستبن فقال مالك
عدة التي ارتفع حيضها وهي شابة سنة وبه قال احمد واسحاق ورووه عن عمر بن الخطاب
وغيره واهل العراق يرون ان عدتها ثلاث حيض بعد ما كانت حاضت مرة واحدة في عمرها وان

مكثت عشرين سنة الى ان تبلغ من الكبر سنا فتياس فيه من الحيض فيكون عدتها بعد الاياس
ثلاثة اشهر قال الثعلبي وهذا الاصح من مذهب الشافعي وعليه جمهور العلما وروي ذلك عن
ابن مسعود واصحابه قال الكيا وهو الحق لان الله جعل عدة الايسة ثلاثة اشهر والمرتابة
ليست ايسة **فصل** فاما من تاخر حيضها لمرض فقال مالك وبعض اصحابه تعتد تسعة
اشهر ثم ثلاثة وقال اشهب هي كالمرضع بعد الفطام بالحيض او بالسنة وقد طلق حبان بن منقذ امراته
وهي ترضع فمكثت سنة لا تحيض لاجل الرضاع ثم مرض حبان فخاف ان ترثه فخاصمها الى عثمان
وعنده علي وزيد فقالا نرى ان ترثه لانها ليست من القواعد ولا من الصغار فمات حبان فورثته
واعتدت عدة الوفاة **فصل** لو تاخر الحيض لغير مرض ولا رضاع فانها تنتظر سنة لا حيض
فيها تسعة اشهر ثم ثلاثة كما تقدم فتحل ما لم ترتب بحمل فان ارتابت بحمل اقامت اربعة اعوام او خمسة
او سبعة على الاختلاف قال القرطبي واشهر الاقوال خمسة اعوام فان تجاوزتها حلت وقال اشهب
لا تحل ابدا حتى تنقطع عنها الريبة قال ابن العربي وهو الصحيح لانه اذا جاز ان يبقى الولد في
بطنها خمسة اعوام جاز ان يبقى عشرة قال ابن المسيب تعتد سنة وهو قول الليث قال الليث
عدة المطلقة المتوفي عنها زوجها اذا كانت مستحاضة سنة وهو مشهور قول علمائنا سوا علمت
دم حيضها من دم استحاضتها وميزت ذلك او لم تميزه عدتها في مذهب مالك سنة منها تسعة
اشهر استبرا وثلاثة عدة وقال الشافعي في احد اقواله عدتها ثلاثة اشهر وهو قول جماعة
من التابعين والمتاخرين قال ابن العربي وهو الصحيح عندي وقال ابو عمر المستحاضة اذا
علمت اقبال حيضها وادبارها اعتدت بثلاثة قروء قال القرطبي وهذا اصح في النظر واثبت
في القياس والاثر قوله واللاي لم يحضن يعني الصغيرة فعدتهن ثلاثة اشهر فاضمر الخبر
وانما كانت عدتها بالاشهر لان الاقرا في حقها عادة والاحكام انما اجراها الله تعالى على العادات
فتعتد بالاشهر فان رات الدم في زمن احتماله عند النساء انتقلت الى الدم لوجود الاصل
واذا وجد الاصل لم يبق للبدل حكم كما ان المسنة اذا اعتدت بالدم ثم ارتفع عادت الى الاشهر
وهذا اجماع **فصل** قوله واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وان كان ظاهرا في المطلقة لانه
عليها عطف واليها رجع عقب الكلام فانه في المتوفي عنها زوجها كذلك لعموم الاية وحديث
سبيعة كما مضى في سورة البقرة فاذا وضعت المراة ما في بطنها من علقة او مضغة حلت عند
مالك وقال الشافعي واحمد وابو حنيفة لا تحل الا بالوضع ما يتبين فيه شي من خلق الانسان فان
كانت حاملا بتوامين لم تنقض عدتها حتى تضع الثاني منهما **فصل** ومن يتق الله يجعل له
من امره يسرا اي من يتقه في طلاق السنة يجعل له من امره يسرا في الرجعة وقال مقاتل ومن يتق
الله في اجتناب معاصيه يجعل له من امره يسرا في توفيقه للطاعة ذلك امر الله اي الذي ذكر
من الاحكام امر الله انزله اليكم وبينه لكم ومن يتق الله اي يعمل بطاعته يكفر عنه سياته ويعظم له اجرا
اي في الاخرة قوله ويعظم له هذه قراءة العامة مضارع اعظم وابن مقسم يعظم بالتشديد مضارع
عظم مشددا والاعمش نعظم بالنون مضارع اعظم وهو التفات من غيبة الى تكلم قوله اسكنوهن
قال ابن الخطيب اسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من التقوي في قوله ومن يتق الله كانه قيل
كيف يعمل بالتقوي في شان المعتدات فقيل اسكنوهن قوله من حيث سكنتم فيه وجهان احدهما
انها للتبعيض قال الزمخشري مبعضها محذوف معناه اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اي بعض
مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من ابصارهم اي بعض ابصارهم قال قتادة ان لم يكن الا بيت
واحد اسكنها في بعض جوانبه قال ابن الخطيب وقال الكسائي من صلة والمعنى اسكنوهن
حيث سكنتم والثاني انها لابتدا الغاية قاله الحوفي وابو البقا قال ابو البقا والمعنى تسببوا الى
اسكانهن من الوجه الذي تسكنون انفسكم ودل عليه قوله من وجدكم والوجد الغنى قوله
من وجدكم فيه وجهان اظهرهما انه بدل من قوله من حيث بتكرار العامل واليه ذهب ابو البقا كانه
قيل اسكنوهن من سعتكم والثاني عطف بيان لقوله من حيث سكنتم واليه ذهب الزمخشري
فانه قال بعد ان اعرب من حيث تبعيضية قال فان قلت فقوله من وجدكم قلت هو
عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كانه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه
والوجد الوسع والطاقة ورد ابو حيان بانه لم يعهد في عطف البيان اعادة العامل انما عهد هذا

في البدل ولذلك اعربه ابو البقا بدلا وقرا العامة وجدكم بضم الواو والحسن والاعرج وابو حيوة
بفتحها والفياض بن غزوان وعمرو بن ميمون ويعقوب بكسرها وهي لغات بمعنى واحد ويقال
وجدت في المال اجد وجدا وجدة والوجد الغنى والقدرة والوجد بفتح الواو الحزن ايضا
والحب والغضب **فصل** قال القرطبي روى اشهب عن مالك يخرج عنها اذا طلقها
ويتركها في المنزل لقوله تعالى اسكنوهن فلو كان معها ما قال اسكنوهن وقال ابن نافع قال
مالك في قوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم يعني المطلقات اللاتي بن من ازواجهن فلا رجعة
لهم عليهن وليست حاملا فلها السكنى ولا نفقة لها ولا كسوة لانها باين منه ولا يتوارثان ولا رجعة
له عليها وان كانت حاملا فلها الكسوة والنفقة والمسكن حتى تنقضي عدتها قال البغوي وتجب
بالكسوة مؤونة السكن فان كانت الدار التي طلقها فيها ملكا للزوج وجب على الزوج ان يخرج
ويترك الدار لها مدة عدتها وان كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة وان كانت عارية فرجع وان
كانت عارية فرجع المعير فيها فعليه ان يكتري لها دارا تسكنها فاما من لم تبن منه فامراته
يتوارثان ولا تخرج الا باذن زوجها ما دامت في العدة ولا يومر زوجها بالسكنى لها لان ذلك
لازم للزوج مع النفقة والكسوة حاملا كانت وغير حامل وانما امر الله بالسكنى للباين قال
تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فجعل عز وجل للحوامل البائنات
من ازواجهن السكنى والنفقة قال ابن العربي ان الله تعالى لما ذكر السكنى اطلقه لكل مطلقة
فلما ذكر النفقة قيدها بالحمل فدل على ان المطلقة الباين لا نفقة لها قال القرطبي اختلف
العلما في المطلقة ثلاثا على ثلاثة اقوال فمذهب مالك والشافعي ان لها السكنى ولا نفقة
لها ومذهب ابي حنيفة واصحابه ان لها السكنى والنفقة ومذهب احمد واسحاق وابي ثور
لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس قالت دخلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعي اخو زوجي فقلت ان زوجي طلقني وان هذا يزعم ان ليس لي سكنى ولا نفقة قال بل لك
السكنى والنفقة قال ان زوجها طلقها ثلاثا فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما السكنى والنفقة
على من له عليها رجعة فلما قدمت الكوفة طلبني الاسود بن يزيد ليسالني عن ذلك وان اصحاب
عبد الله يقولون ان لها السكنى والنفقة قلت لا ارجع عن شي حدثتني فاطمة بنت قيس فان عمر كان
يجعل لها السكنى والنفقة قلت لا ارجع عن شي حدثتني فاطمة بنت قيس عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولانه لو كان لها سكنى لما امر النبي صلى الله عليه وسلم ان تعتد في بيت ابن ام مكتوم واجيب
عن ذلك لما روت عايشة انها قالت كانت فاطمة في مكان وحش مخيف على ناحيتها وقال سعيد بن
المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وقال قتادة وابن ابي ليلى لا سكنى الا للرجعية
لقوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وقوله تعالى اسكنوهن راجع الى ما قبله
وهي المطلقة الرجعية **فصل** قال البغوي واما المعتدة من وطي الشبهة والمفسوخ نكاحها
بعيب او خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا والمعتدة من وفاة زوج ولا نفقة لها
حاملا كانت او حايلا عند اكثر العلما وروي عن علي ان لها النفقة ان كانت حاملا من التركة حتى
تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري واختلفوا في سكناها فللشافعي فيه قولان
احدهما لا سكنى لها بل تعتد حيث شاءت وهو قول علي وابن عباس وعايشة وبه قال عطا والحسن
وهو مذهب ابي حنيفة والثاني لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد
الله بن عمر وبه قال مالك وسفيان الثوري واحمد واسحاق لما روي كعب بن عجرة عن عمته زينب
بنت كعب ان الفريعة بنت مالك بن سنان وهي اخت ابي سعيد الخدري اخبرتها انها جاءت الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم تساله ان ترجع الى اهلها في بني خدرة فان زوجها خرج في طلب اعبد له
ابقوا حتى اذا كانوا بطرف القدوم لحقهم فقتلوه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارجع
الى اهلي فان زوجي لم يتركني في منزل يملكه ولا نفقة فقالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعم فانصرفت حتى اذا كنت في الحجرة او في المسجد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم او امر بي
فدعيت له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت قالت فرددت عليه القصة التي ذكرت
من شان زوجي فقال امكثي حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت فيه اربعة اشهر وعشرا
قالت فلما كان عثمان ارسل الي فسالني عن ذلك فاخبرته فاتبعه وقضى به فمن قال بهذا القول

قال اذنه لعز لبعده اولا بالرجوع الى اهلها صار منسوخا بقوله امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب
اجله ومن لم يوجب السكنى قال امرها بالمكث اخرا استحبابا لا وجوبا قوله ولا تضاروهن لتضيقوا
عليهن قال مجاهد في المسكن وقال مقاتل في النفقة وهو قول ابي حنيفة وعن ابي الضحى هو ان
يطلقها فاذا بقي يومان من عدتها راجعها ثم طلقها قوله وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى
يضعن حملهن هذا في وجوب النفقة والسكنى للحامل المطلقة ثلاثا او اقل حتى يضع حملها
فاما الحامل المتوفى عنها زوجها فقال علي وابن عمر وابن مسعود وشريح والنخعي والشعبي وحماد
وابن ابي ليلى وسفيان واصحابه ينفق عليها من جميع المال حتى يضع وقال ابن عباس وابن
الزبير وجابر بن عبد الله ومالك والشافعي وابو حنيفة واصحابهم لا ينفق عليها الا من نصيبها
وقد مضى في البقرة قوله فان ارضعن لكم يعني المطلقات اولادكم منهن فعلى الاباء ان يعطوهن
اجرة رضاعهن وللرجل ان يستاجر امراته للرضاع كما يستاجر اجنبية ولا يجوز عند ابي حنيفة
واصحابه الاستيجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي وتقدم القول في الرضاع في
البقرة قوله وايتمروا وافتعلوا من الامر فقال ايتمروا القوم وتامروا اي امر بعضهم بعضا وقال
الكسائي ايتمروا تشاوروا وتلا قوله تعالى ان الملا يأتمرون وانشد قول امرئ القيس ويعدو على المرء
فصل الخطاب في قوله وايتمروا للازواج والزوجات اي وليقبل بعضكم من بعض ما امر
به من المعروف الجليل والجميل منه توفير الاجرة عليها للارضاع وقيل ايتمروا في ارضاع الولد فيما
بينكم بمعروف حتى لا يلحق الولد اضرار وقيل هو الكسوة والدثار وقيل معناه لا تضار والدة
بولدها ولا مولود له بولده قوله فسترضع قيل هو خبر في معنى الامر والضمير في له للاب
لقوله فان ارضعن لكم والمفعول محذوف للعلم به اي فسترضع الولد لوالده امراة اخرى والظاهر
انه خبر على بابه **فصل** وان تعاسرتم اي في اجرة الرضاع فابى الزوج ان يعطي الام
اجرة رضاعها وابت الام ان ترضعه فليس له اكراهها وليستاجر غير امه وقيل معناه وقيل معناه
وان تضايقتم وتشاكستم فليسترضع لولده غيرها وقال الضحاك ان ابت الام ان ترضع استاجر
لولده اخرى فان لم يقبل اجبرت امه على الرضاع بالاجرة واختلفوا فيمن يجب عليه رضاع الولد
فقال مالك رضاع الولد على الزوجة ما دامت الزوجية الا لشرفها وموضعها فعلى الاب رضاعه
يومئذ في ماله وقال ابو حنيفة لا يجب على الام بحال وقيل يجب عليها بكل حال **فصل**
فان طلقها فلا يجب عليها رضاعه الا ان لا يقبل ثدي غيرها فيلزمها حينئذ الارضاع فان
اختلفا في الاجرة فان ادعت الى اجرة المثل وامتنع الاب الا متبرعا فالام اولى باجرة المثل
اذا لم يجد الاب متبرعة وان ادعى الاب الى اجرة المثل وامتنعت الام لتطلب شططا فالاب
اولى به فان اعسر الاب باجرتها اجبرت على رضاع ولدها قوله لينفق هذه قراءة العامة اعني
كسر اللام وجزم المضارع بها وحكى ابو معاذ القارئ لتنفق بنصب الفعل على انها لام كي نصب
الفعل بعدها باضمار ان ويتعلق الجار حينئذ بمحذوف اي شرعنا ذلك لينفق وقراءة العامة
قدر مخففا وابن ابي عبلة قدر مشددا **فصل** قال القرطبي هذه الاية اصل في
وجوب النفقة للولد على الوالد دون الام خلافا لمحمد بن المواز انه يقول انها على الابوين
على قدر الميراث قال ابن العربي ولعل محمدا اراد انها على الام عند عدم الاب وفي البخاري
عن النبي صلى الله عليه وسلم تقول لك المراة انفق علي والا طلقني ويقول لك العبد انفق
علي واستعملني ويقول لك ابنك انفق علي الى من تكلني فقد تعارض القران والسنة وتواردا
في مشرعة واحدة قوله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها اي من المال والغنى لا يكلف الله
الفقير مثل ما يكلف الغني سيجعل الله بعد عسر يسرا اي بعد الضيق غنى وبعد الشدة سعة
فصل قال ابن تيميه اذا اختلف الزوجان في قبض النفقة والكسوة فقال
القاضي ابو يعلى واتباعه ان القول قول الزوجة وهو مذهب ابي حنيفة والشافعي كما لو
اختلف اثنان في قبض سائر الحقوق مثل الصداق وثمن المبيع ونحو ذلك ومذهب مالك
بخلاف ذلك وقال الغزالي فيها وجهان وحسنوا قول الزوج قال ابن تيميه ولذلك حكى
لاصحاب احمد وجهان كما لو كان الصداق منفعة حصلت لها فقالت حصلت من غيرك وقال
بل حصلت مني مثل ان اصدقها تعليم قصيدة او غيرها مما يجوز جعله صداقا فانها اذا تعلمته من

غيره

غيره كان عليه الاجرة فان قال انا علمتها وقالت بل غيره فيها وجهان فهكذا في النفقة فانها لا بد
ان تكون قد ارتزقت في الزمن الماضي وهو يقول انا رزقتها وهي تقول بل غيره والصواب المقطوع به
انه لا يقبل قولها في ذلك مطلقا فان هذا فيه فساد عظيم على هذا القول في مذهب الشافعي وقول احمد
الموافق له ولا يجيء ذلك على مذهب مالك ولا على مذهب ابي حنيفة وقول احمد الموافق له فانا اذا قلنا
نفقة الزوجة تسقط بمضي الزمان لم يقبل دعواها بالنفقة الماضية وانما يجيء على قولنا ان نفقة
الزوجية لا تسقط بمضي الزمان كما هو المشهور من مذهب احمد وهو قول الشافعي والعمدة في ذلك
الاثر المعروف عن عمر بن الخطاب قال ابن المنذر ثبت ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى امراء
الاجناد في رجال غابوا عن نسائهم فامرهم ان ينفقوا او يطلقوا فان طلقوا بعثوا بنفقة ما مضى
وليس قبول قول الزوجة في ذلك ماثورا عن احمد ولا ملائما لاصوله فانه اذا تداعى الزوجين وغيرهما
يرجح من تشهد له اليد الحكمية العرفية دون اليد الحسية ومعلوم ان المدعى عليه يترجح تارة باليد
في الاعيان وتارة بالذمة في حقوق فكما ان في اليد لم يلتفت الى مجرد الحس بل يرجع الى اليد الحكمية
التي يستدل عليها بالافعال والتصرفات فكذلك في الاصل لا يلتفت الى مجرد العدم الحسي بل يرجع
الى الاصل الذي يدل عليه الافعال والتصرفات اذ الاصل الشرعي في الدعاوي ترجيح من الظاهر
معه والظهور يستدل عليه بالافعال والتصرفات والامور العادية كما يستدل عليه بمجرد اليد الحسية
فاذا كانت العادة الغالبة والعرف المعروف يقتضي وجود فعل لم يكن الظاهر عدمه حتى يرجح قول
من يدعي عدمه وهذا اصل على اصول احدها انه قد وجد نفقة وكسوة وانما تنازعا في المنفق
فقال هو مني وقالت هي من غيرك فهنا الاصل عدم غيره ثم انها تطالب بتعيين ذلك الغير فان
ادعت ما لم يقبل بحال وان ادعت ممكنا فهنا محل التردد فان انفاقه واجب والامر الحادث
يضاف الى السبب القوي دون الضعيف والاصل الثاني ان العادة والعرف اذا اقتضى بوجود امر
فهل القول قول نافيه او قول مثبته والاصل الثالث ان ما تعذر اقامة البينة عليه لا يكلف اقامة
البينة عليه كما لو طلى من المعلوم ان المعاشر بالمعروف التي امر الله بها ورسوله ليس فيها شهادة على
المراد بذلك لان ذلك ليس من المعروف ولهذا لم يفعله احد على عهد سلف الامة ولا يفعله جماهير
بني ادم وفعله اما متعذر واما متعسر فانه ان اطعمها مما ياكل فليس عنده من يشهد على اطعامها وان
ناولها طعاما كل يوم ففي التعسر شهود في كل وقت وقد يكونا ساكنين حيث لا شهود وهذا ظاهر
بين الاصل الرابع ان المراة مفرطة بترك اخذ نفقتها منه بالمعروف ومطالبته بها اذا كان لا ينفق
بخلاف ما اذا كان غائبا وهي الصورة التي روي عن عمر انه امر فيها بنفقة الماضي بل قد يقال ان
ذلك رضى منها بترك النفقة وليس هذا قولا بسقوط النفقة في الماضي بل بان هذا دليل من جهة
العرف على انها اما ان يكون قد انفق عليها او تكون راضية بترك النفقة وهنا اصل خامس وهو
ان العادة المعروفة تدل على ان المراة اذا سكتت مدة طويلة عن المطالبة بالنفقة مع القدرة على
الطلب كانت راضية بسقوطها **فصل** واما النفقة والكسوة بالمعروف وهي الواجبة
بنص القران فهو ما كان في عرف الناس في حالهما نوعا وقدرا وصفة وان كان ذلك يتنوع بتنوع
حالهما من اليسار والاعسار والزمان كالشتاء والصيف والليل والنهار والمكان فيطعمها في كل بلد
ما هو عادة اهل البلد والعرف عندهم وقال بعضهم هي مقدرة بالشرع نوعا وقدرا مدا من حنطة
او مدا ونصفا او مدين قياسا على الاطعام الواجب في الكفارة والصواب المقطوع به ما عليه الامة
علما وعملا قديما وحديثا لقول الله تعالى رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقوله عليه السلام لهند
خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف ولم يقدر لها نوعا ولا قدرا ولو كان ذلك مقدرا بالشرع لبينه
لها قدرا ونوعا كما بين فرائض الزكاة والديات وقال عليه السلام في خطبته بعرفات ولهن عليكم
رزقهن والمكان ويتنوع حال الزوج في يساره واعساره فليست كسوة القصيرة الضئيلة ككسوة
الطويلة الجسيمة ولا كسوة الشتاء ككسوة الصيف ولا كفاية طعام الشتاء مثل طعام الصيف ولا طعام
البلاد الحارة كالباردة ولا المعروف في بلاد التمر والشعير كالمعروف في بلاد الفاكهة والخبز وقال
عليه السلام للذي ساله ما حق زوجة احدنا عليه قال تطعمها اذا اكلت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب
الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت وهكذا قال في نفقة المماليك هم اخوانكم وخولكم جعلهم الله
تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان

كلفتموهم فا عيبوهم نفي الزوجة والمملوك امر واحد فالواجب علي هذا هو الرزق والكسوة بالمعروف
في النوع والقدر وصفة الانفاق فاما النوع فلا يتعين ان يعطيها مكيلا كالبر ولا موزونا كالخبز
ولا ثمن ذلك كالدراهم بل يرجع في ذلك الي العرف فاذا اعطاها كفايتها بالمعروف مثل ان يكون عادتهم
اكل التمر والشعير فيعطيها ذلك او يكون عادتهم اكل الخبز والادم فيعطيها ذلك والطبيخ فيعطيها ذلك
وان كان عادتهم ان يعطيها حبا فتطحنه في البيت فعل ذلك وان كان يطحن في الطاحون ويخبز
في البيت فعل ذلك وان كان يخبز في البيت فعل ذلك وان كان يستوي مخبوزا من السوق فعل
ذلك فكذلك الطبيخ ونحوه فذلك هو المعروف ولا يتعين عليه دراهم ولا حبا اصلا فان تعيين ذلك
من المنكر ليس من المعروف وهو مضر بها تارة وبه تارة وبهما اخري ولذلك القدر لا يتعين مقدار
مطرد ابل يتنوع المقادير بتنوع الاوقات واما الانفاق فقد قيل ان الواجب تمليكها النفقة والكسوة
وقيل لا يجب التمليك وهو الصواب فان ذلك ليس من المعروف بل عرف النبي صلي الله عليه وسلم
والمسلمين الي يومنا هذا ان الرجل ياتي بالطعام الي منزله فياكل هو وزوجته ومملوكه جميعا
تارة وتارة افرادا ويفضل منه فضل تارة فيدخرونه ولا يعرف المسلمون انه يملكها كل يوم دراهم
تتصرف فيها تصرف المالك بل من تشاجر امراته بمثل هذا كانا عند المسلمين قد تعاشرا بغير
المعروف وتضارا في العشرة وانما يفعل احدهما ذلك لصاحبه عند الضرار لا عند العشرة بالمعروف
وايضا فالنبي صلي الله عليه وسلم اوجب للمراة وجة مثل ما اوجب للمملوك كما تقدم وقد اتفق
المسلمون علي انه لا يجب تمليك المملوك نفقته فدل علي عدم وجوب التمليك في حق الزوجة
واذا تنازع الزوجان فيما اعترفت الزوجة انه يطعمها اذا اكل ويكسوها اذا اكتسي وكان
ذلك هو المعروف لمثلهما في بلدهما فلا حق لها سوي ذلك وان انكرت ذلك امر الحاكم ان ينفق
بالمعروف ليس علي الحاكم بل ولا له ان يامر بدراهم مقدرة مطلقا او حب مقدر مطلقا لكن
يذكر المعروف الذي يليق بهما **فصل** قال القرطبي في قوله تعالي لينفق ذو سعة
اي لينفق الزوج علي زوجته وعلي ولده الصغير علي قدر وسعته بتوسع اذا كان موسعا
عليه ومن كان فقيرا فعلي قدر ذلك فيقدر النفقة بحسب حال المنفق والحاجة من المنفق
عليه بالاجتهاد علي مجري العادة وقال الشا فيي النفقة مقدرة محدودة ولا اجتهاد للحاكم
ولا المفتي فيها وتقديرها هو بحال الزوج وحده من يسره وعسره ولا اعتبار بحالها فيجب
لابنة الخليفة ما يجب لابنة الحارس فيلزم الزوج الموسر مدان والمتوسط مد ونصف والمعسر
مد لظاهر قوله تعالي لينفق ذو سعة من سعته فجعل الاعتبار بالزوج في اليسر والعسر
ولان الاعتبار بحالها يودي الي الخصومة لان الزوج يدعي انها تطلب فوق كفايتها وهي
تزعم انها تطلب قدر كفايتها فتعذرت قطعا للخصومة لهذه الاية ولقوله تعالي علي الموسع
قدره وعلي المقتر قدره واجاب القرطبي بان هذه الاية لا تعطي اكثر من الفرق بين الغني
والفقير وانها تختلف بعسر الزوج ويسره فاما انه لا اعتبار بحال الزوجية فليس فيها
وقد قال تعالي وعلي المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وذلك يقتضي تعلق المعروف
في حقهما لانه لم يخص في ذلك واحدا منهما وليس من المعروف ان تكون كفاية الغنية مثل نفقة
الفقيرة وقد قال عليه السلام لهند خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فاحالها علي الكفاية
حين علم السعة من حال ابي سفيان قوله وكاين من قرية عتت لما ذكر الاحكام ذكر
وحذر مخالفة الامر وذكر عتو قوم وحلول العذاب بهم وتقدم الكلام في كاي في ال عمران
قوله عتت عن امر ربها هم عتت معناه عرض كانه قيل اعرضت بسبب عتوها اي عصت يعني
القرية والمراد اهلها وقوله فحاسبناها الي اخره يعني في الاخرة فاتي به بلفظ الماضي
لتحققه وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي فعذبناها عذابا نكرا في الدنيا بالجوع والقحط
والسيف والخسف والمسخ وساير المصايب وحاسبناها في الاخرة حسابا شديدا والنكر
المنكر وقري مخففا ومثقلا وقد مضي في سورة الكهف قوله فذاقت وبال امرها اي
عاقبة كفرها وكان عاقبة امرها خسرا اي هلاكا في الدنيا بما ذكرنا وفي الاخرة بجهنم قوله
اعد الله لهم تكرير للوعيد توكيدا وجوز الزمخشري ان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية
ويكون الخبر الذي الجملة من قوله اعد الله وعلي الاول يكون الخبر عتت وما عطف عليه قوله

الذين

الذين امنوا منصوب باضمار اعني بيانا للمنادي في قوله يا اولي الالباب اي العقول او يكون عطف
بيان للمنادي او نعتا له ويضعف كونه بدلا لعدم حلوله محل البدل منه قوله قد انزل الله اليكم
ذكرا رسولا في نصب رسولا اوجه احدها قال الزجاج والفارسي انه منصوب بالمصدر المنون قبله
لانه ينحل لحرف مصدري وفعل كانه قيل ان ذكر رسولا ويكون ذكره الرسول قوله محمد رسول الله
والمصدر المنون عامل كقوله تعالي او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وقول الاخر

• ويضرب بالسيوف روس قوم • ازلنا هامهن عن المقيل •

الثاني انه جعل نفس الذكر مبالغة فابدل منه ويكون محمولا علي المعني كانه قال قد اظهر لكم
ذكرا رسولا فيكون من باب بدل الشي وهو هو الثالث انه بدل منه علي حذف مضاف من الثاني اي
ذكرا ذكر رسولا السادس ان يكون رسولا نعتا لذكرا علي حذف مضاف اي ذكرا ذا رسول فذا رسول نعت
لذكر السابع ان يكون رسولا بمعني رسالة فيكون رسولا بدلا صريحا من غير تاويل او بيانا عند من يري
جريانه في النكرات كالفارسي الا ان هذا يبعده قوله يتلوا عليكم لان الرسالة لا يتلوا الا بمجاز
الثامن ان يكون رسولا منصوب بفعل مقدر اي ارسل رسولا لدلالة ما تقدم عليه قال البغوي
كانه قيل انزل اليكم قرانا وارسل رسولا وقيل مع رسول التاسع ان يكون منصوبا علي الاغراء اي اتبعوا
والزموا رسولا هذه صفته **فصل** اختلف الناس في رسولا فقيل هو النبي صلي الله عليه
وسلم او القران نفسه او جبريل قال الزمخشري هو جبريل ابدل من ذكر لانه وصف بتلاوة ايات
الله فكان انزاله في معني انزال الذكر فصح ابداله منه قال ابو حيان ولا يصح لتباين المدلولين
بالحقيقة ولكونه لا يكون بدل بعض ولا بدل اشتمال انتهي قال شهاب الدين وهذا الذي قاله
الزمخشري سبقه اليه الكلبي واما اعتراضه عليه فغير لازم لانه بولغ فيه حتي جعل نفس
الذكر كما تقدم بيانه وقري رسول علي اضمار مبتدا اي هو رسول وقيل الذكر هنا الشرف كقوله
تعالي لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقوله تعالي وانه لذكر لك ولقومك ثم بين الشرف فقال
رسولا والاكثر علي ان المراد بالرسول محمد صلي الله عليه وسلم وقال الكلبي هو جبريل فيكونان
جميعا منزلين قوله يتلوا عليكم ايات الله نعت للرسول وايات الله القران مبينات قرا العامة
بفتح اليا اي بينها الله وبها قرا ابن عباس وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم لقوله تعالي قد بينا
لكم الايات وقرا ابن عامر وحفص وحمزة والكساي بكسرها اي تبين لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام
قوله ليخرج الذين امنوا الجار متعلق اما بانزل واما بيتلوا وفاعل يخرج اما ضمير الباري
تعالي المنزل او ضمير الرسول او الذكر والمراد بالذين امنوا من سبق له ذلك في علم الله وقوله من
الظلمات الي النور اي من الكفر الي الهدي والايمان قال ابن عباس نزلت في مومني اهل الكتاب
واضاف الاخراج الي الرسول لان الايمان انما حصل بطاعته قوله ومن يومن هذا احد المواضع
التي روعي فيها اللفظ اولا ثم المعني ثانيا ثم اللفظ اخرا وقد تقدم ذلك في المايدة قوله
يدخله جنات قرا نافع وابن عامر بالنون والباقون باليا وقوله خالدين قال بعضهم ليس
في قوله خالدين فيه ضمير عايد علي من انما يعود علي مفعول يدخله وخالدين حال منه والعامل
فيها يدخله لا فعل الشرط هذه عبارة ابي حيان وفيها نظر لان خالدين حال من مفعول يدخله
عند القايلين بالقول الاول وكان اصلاح العبارة ان يقال حال من مفعول يدخله الثاني
وهو جنات والخلود في الحقيقة لاصحابها وكان ينبغي علي راي البصريين ان يقال خالدين
هم فيها لجريان الوصف علي غير من هو له قوله قد احسن الله حال ثانية او حال من الضمير
في خالدين فيكون متداخلة ومعني قوله قد احسن الله له رزقا اي وسع الله له في الجنات قوله
الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يدل علي كمال قدرته وانه يقدر علي البعث
والمحاسبة ولا خلاف في ان السموات سبع بعضها فوق بعض بدليل حديث الاسرا وغيره وقوله
ومن الارض مثلهن يعني سبعا واختلف فيهن فقال الجمهور انها سبع ارضين طباقا بعضها
فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السما والارض وفي كل ارض سكان من خلق
الله وقال الضحاك ومن الارض مثلهن اي سبعا من الارضين ولكنها مطبقة بعضها علي
بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والاول اصح لان الاخبار دالة عليه
كما روي البخاري وغيره روي ابو مروان عن ابيه ان كعبا حلف له بالذي فلق البحر لموسي

ان صهيبا حدثه ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم
رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن
ورب الرياح وما اذرين انا نسالك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها
وشر من فيها وروى مسلم عن سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من ظلم قيد شبر من الارض طوقه يوم القيمة من سبع ارضين قال الماوردي وعلى انها سبع ارضين
تختص دعوة اهل الاسلام باهل الارض العليا ولا يلزم فيمن غيرها من الارضين وان كان فيها
من يعقل مميز وفي مشاهدتهم السما واستمدادهم الضو منها قولان احدهما انهم يشاهدون السما
من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضيا منها وهذا قول من جعل الارض مبسوطة والثاني انهم
لا يشاهدون السما وان الله تعالى خلق لهم ضيا يشاهدونه وهذا قول من جعل الارض كرة
وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انها سبع ارضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض تفرق
بينها البحار وتظل جميعهم السما فعلى هذا ان لم يكن لاحد من اهل الارض وصول الى ارض اخرى
احتمل اختصت دعوة الاسلام باهل هذه الارض وان كان لقوم منهم وصول الى ارض اخرى احتمل
ان يلزمهم دعوة الاسلام لانها لو لزمتهم لكان النص بها واردا ولكان النبي صلى الله عليه وسلم
بها مامورا وقال بعض العلما السما في اللغة عبارة عما علاك ففلك القمر بالنسبة الى السما
الثانية ارض وكذلك السما الثانية بالنسبة الى الثالثة ارض وكذلك البقية بالنسبة الى ما تحته
سما وبالنسبة الى ما فوقه ارض فعلى هذا يكون السموات السبع وهذه الارض الواحدة سبع
سموات وسبع ارضين قوله مثلهن قرا العامة بالنصب وفيه وجهان احدهما انه عطف
على سبع سموات قاله الزمخشري واعترض عليه ابو حيان بلزوم الفصل بين حرف العطف وهو
على حرف واحد وبين المعطوف بالجار والمجرور وهو مختص بالضرورة عند ابي علي قال شهاب
الدين وهذا نظير قوله اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة عند ابن مالك وتقدم
تحريره في سورة البقرة والنسا وهود عند قوله واذا حكمتم بين الناس ومن ورا اسحاق
يعقوب والثاني انه منصوب بمقدر بعد الواو اي وخلق مثلهن من الارض واختلف
الناس في المثلية فقيل مثلها في العدد وقيل في بعض الاوصاف فان المثلية تصدق
بذلك والاول هو المشهور وقرا عاصم في رواية مثلهن بالرفع على الابتدا والجار قبله خبره
قوله تنزل الامر يجوز ان يكون مستانفا وان يكون نعتا لما قبله قاله ابو البقا وقرا ابو
عمرو في رواية وعيسى ينزل بالتشديد اي الله الامر مفعول به والضمير في بينهن عايد
على السموات والارضين عند الجمهور او على السموات والارض عند من يقول انها ارض واحدة
وقوله لتعلموا متعلق بخلق او بتنزل والعامة لتعلموا خطابا وبعضهم بياء الغيبة **فصل**
قال مجاهد يتنزل الامر من السموات السبع الى الارضين السبع وقال الحسن بين كل سما من
ارض وامر والامر هنا الوحي في قول مقاتل وغيره وعلى هذا يكون بينهن اشارة الى بين
هذه الارض العليا التي هي ادناها وبين السما السابعة التي هي اعلاها وقيل الامر هنا القضا
والقدر وهو قول الاكثرين فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى بينهن اشارة الى ما بين
الارض السفلى التي هي اقصاها وبين السما السابعة التي هي اعلاها وقيل يتنزل الامر
بينهن بحياة بعض وموت بعض وغنى قوم وفقر قوم وقيل ما يدبر فيهن من عجيبات
تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتا ويخلق الحيوانات
على اختلاف انواعها وهيأتها فينقلهم من حال الى حال وقال ابن كيسان وهذا على
اتساع اللغة كما يقال للموت امر الله وللريح والسحاب ونحوها قال قتادة في كل ارض من
ارضه وسما من سمايه خلق من خلقه وامر من امره وقضا من قضايه لتعلموا ان الله على
كل شيء قدير اي من قدر على هذا الملك العظيم فهو على ما بينهما من خلقه اقدر ومن العفو
والانتقام امكن وان استوى كل ذلك في مقدوره ومكنته وان الله قد احاط بكل شيء علما
فلا يخرج شي من علمه وقدرته ونصب علما على المصدر المؤكد لان احاطة بمعنى علم وقيل
بمعنى وان الله احاط احاطة علما روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة يا ايها النبي اذا طلقتم النسا مات في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة

سورة التحريم مدنية

وهي ثنتا عشرة اية ومايتان وسبع واربعون كلمة والف وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك قال ابن الخطيب وجه تعلق هذه السورة
بما قبلها وذلك لاشتراكهما في الاحكام المخصوصة بالنسا واشتراك الخطاب بالطلاق في اول
تلك السورة يشترك مع الخطاب بالتحريم في اول هذه السورة لان الطلاق في اكثر الصور
يشتمل على تحريم ما احل الله واما تعلق اول هذه السورة باخر تلك السورة فلان المذكور
في اخر تلك السورة يدل على عظمة حضرة الله تعالى وعلى كمال قدرته وعلمه ولما كان خلق
السموات والارض وما بينهما من العجايب والغرايب مما ينافي القدرة على تحريم ما احل الله
فلهذا قال تعالى لم تحرم ما احل الله **فصل** ثبت في صحيح مسلم عن عايشة رضي الله
عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا قالت
فتواطيت انا وحفصة ان ايتنا دخل النبي صلى الله عليه وسلم عليها فلتقل اني اجد منك ريح
مغافير فدخل على احديهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن
اعود له فنزل لم تحرم ما احل الله لك الى قوله ان تتوبا لعايشة وحفصة وعنها ايضا قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل فكان اذا صلى العصر دار على نسايه فدخل
على حفصة فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فسالت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امراة
من قومها عكة عسل فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله لنحتالن
له فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله
اكلت مغافير فانه سيقول لك ما هذه الريح وكانت حرست نحلة العرفط وساقول ذلك له
وقوليه انت يا صفية فلما دخل على سودة قالت سودة والذي لا اله الا هو لقد كدت ان اباديه
بالذي قلت لي وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول
الله اكلت مغافير قال لا قلت فما هذه الريح قال سقتني حفصة شربة عسل قال جرست
نحلة العرفط فلما دخل علي قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت مثل ذلك فلما دخل على
حفصة قالت يا رسول الله الا اسقيك منه قال لا حاجة لي به قالت تقول سودة سبحان الله
لقد حرمناه قالت قلت لها اسكتي ففي هذه الرواية ان التي شرب عندها النبي صلى الله عليه وسلم
حفصة وفي الاول هذه الرواية زينب وروى ابن ابي مليكة عن ابن عباس انه شربه عند
سودة وقد قيل انما هي ام سلمة رواه اسباط عن السدي وقال عطا ابن ابي مسلم قال ابن
العربي وهذا كله جهل او تصور بغير علم فقال باقي نسايه حسدا وغيرة لمن شرب ذلك عندها
انا لنجد منك ريح المغافير والمغافير بقلة او صمغة متغيرة الرايحة فيها حلاوة واحدة مغفور
وجرست اكلت والعرفط نبت له ريح كريح الخمر فكان عليه السلام يعجبه ان يوجد منه الريح الطيبة
ويكره الريح الخبيثة لمناجاة الملك وقال ابن عباس اراد بذلك المراة التي وهبت نفسها للنبي
صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها والمراة ام شريك قاله عكرمة وقيل ان التي حرم مارية القبطية
وكان قد اهداها له المقوقس ملك الاسكندرية قال ابن اسحاق هي من كورة انصنا من بلد
يقال لها حفن فواقعها في بيت حفصة روى الدارقطني عن ابن عباس عن عمر قال دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم بام ولده مارية في بيت حفصة فوجدته حفصة معها فقالت لم تدخلها
بيتي ما صنعت بي هذا من بين نسايك الا من هواني عليك فقال لها لا تذكري هذا لعايشة هي علي
حرام ان قربتها قالت حفصة فكيف تحرم عليك وهي جاريتك فحلف لها ان لا يقربها فقال لها
النبي صلى الله عليه وسلم لا تذكريه لاحد فذكرته لعايشة فآلى لا يدخل على نسايه شهرا فاعتزلهن
تسعا وعشرين ليلة فانزل الله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الاية قال القرطبي
اصح هذه الاقوال اولها واضعفها اوسطها قال ابن العربي اما ضعفه في السند فلعدم عدالة
رواته واما ضعفه في معناه فلان رد النبي صلى الله عليه وسلم الموهوبة ليس تحريما لما احل

من رد ما وهب له لم يحرم عليه انما حقيقة التحريم بعد التحليل واما من روى انه حرم مارية
القبطية فهو امثل في السند واقرب الى المعنى ولكنه لم يدون في الصحيح بل روي مرسلا وانما
الصحيح انه كان في العسل وانه شربه عند زينب وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فحلف ان
لا يشربه واسر ذلك ونزلت الاية في الجميع **فصل** قوله تعالى لم تحرم ان كان النبي
صلى الله عليه وسلم لم يحلف فليس ذلك بيمين ولا يحرم قول الرجل هذا علي حرام شيئا حاشى
الزوجة وقال ابو حنيفة اذا اطلق حمل على الماكول والمشروب دون الملبوس وكانت يمينا
دون الملبوس وكانت يمينا توجب الكفارة وقال زفر هو يمين في الكل حتى في الحركة والسكون
واستدل المخالف بان النبي صلى الله عليه وسلم حرم العسل فلزمته الكفارة وقد قال تعالى
قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فسماه يمينا قال القرطبي ودليلنا قول الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا وقوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من
رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون فذم المحرم للحلال ولم
يوجب عليه كفارة قال الزجاج ليس لاحد ان يحرم ما احل الله ولم يجعل لنبيه صلى الله عليه
وسلم ان يحرم الا ما حرم الله عليه فمن قال لزوجته او امته انت علي حرام فان لم ينو طلاقا ولا
ظهارا فهذا اللفظ يوجب عليه كفارة اليمين ولو خاطب بهذا اللفظ جمعا من الزوجات والاماء
فعليه كفارة واحدة ولو حرم على نفسه طعاما او شيئا اخر لم يلزمه بذلك كفارة عند الشافعي
ومالك ويجب بذلك كفارة عند ابن مسعود والثوري وابي حنيفة **فصل** اذا قال
الرجل لزوجته انت علي حرام قال القرطبي فيه ثمانية عشر قولا احدها لا شيء عليه وبه قال الشعبي
ومسروق وربيعة وابو سلمة واصبغ وهو عندهم كتحريم الماء والطعام لقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم والزوجة من الطيبات ومما احل الله وقوله تعالى ولا تقولوا
لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام فما لم يحرمه الله فليس لاحد ان يحرمه ولا ان يصير
بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما احله الله هو حرام علي وانما
امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا اقربها بعد اليوم وروى البغوي في
تفسيره ان حفصة لما اخبرت عائشة غضبت عائشة ولم تزل بنبي الله حتى حلف ان لا يقربها
فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني اقدم عليه وكفر وثانيها
انها يمين تكفر قاله ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وابن عباس
وعائشة رضي الله عنهم والاوزاعي وهو مقتضى الاية قال سعيد بن جبير عن ابن
عباس اذا حرم الرجل عليه امراته فانما هي يمين يكفرها وقال ابن عباس لقد كان لكم في رسول
الله اسوة حسنة يعني ان النبي صلى الله عليه وسلم كان حرم جاريته فقال تعالى لم تحرم
ما احل الله لك الى قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فكفر يمينه وصير الحرام يمينا خرجه الدارقطني
وثالثها انه يجب فيها كفارة وليست بيمين قاله ابن مسعود ولان معنى اليمين عنده التحريم
قاله عثمان واحمد بن حنبل واسحاق ولانه انما حرم وطئها والظهار اقل درجات التحريم وخامسها
انه ان نوى الظهار كان ظهارا وان نوى تحريم عينها عليه بغير طلاق تحريما مطلقا وجبت
كفارة يمين وان لم ينو فعليه كفارة يمين قاله الشافعي وسادسها انها طلقة رجعية قاله
عمر بن الخطاب والزهري وعبد العزيز بن ابي سلمة والماجشون وسابعها انها طلقة بائنة
قاله حماد بن ابي سليمان وزيد بن ثابت ورواه ابن خويز منداد عن مالك لان الطلاق
الرجعي لا يحرم المطلقة وثامنها انها ثلاث تطليقات قاله علي بن ابي طالب وزيد بن ثابت
ايضا وابو هريرة لانه التحريم المتيقن وتاسعها في المدخول بها ثلاث وينوي في غير
المدخول بها قاله علي بن زيد والحسن والحكم وهو مشهور مذهب مالك لان غير المدخول
بها تبينها الطلقة وتحرمها وعاشرها هي ثلاث ولا ينوي بحال ولا في محل وان لم يدخل بها
قاله عبد الملك في المبسوطة وبه قال ابن ابي ليلى لانه اخذ بالحكم الاعظم لها لانه لو
صرح بالثلاث لغير المدخول بها لنفذ وحادي عشرها هي في التي لم يدخل بها واحدة وفي
المدخول بها ثلاث قاله ابو مصعب ومحمد بن الحكم وثاني عشرها انه ان نوى الطلاق
والظهار كان ما نوى وان نوى الطلاق فواحدة قاله ابو حنيفة واصحابه وبمثله قال زفر

الا انه قال اذا نوى اثنتين الزمناه وثالث عشرها انه لا ينعقد نية الظهار وانما يكون
طلاقا قاله ابن القسم ورابع عشرها قال يحيى بن عمر يكون طلاقا فان ارتجعها لم يجز له وطيها
حتى يكفر كفارة الظهار وخامس عشرها ان نوى الطلاق فما اراد من اعداده وان نوى واحدة
فهي رجعية وهو قول الشافعي رضي الله عنه وروي مثله عن ابي بكر وعمر وغيرهم من الصحابة
والتابعين وسادس عشرها ان نوى ثلاثا فثلاثا وان نوى واحدة فواحدة وان نوى يمينا
فهي يمين وان لم ينو شيئا فلا شيء عليه وهو قول سفيان وبه قال الاوزاعي وابو ثور الا انهما
قالا ان لم ينو شيئا فهي واحدة وسابع عشرها له نيته ولا يكون اقل من واحدة قاله ابن شهاب
وان لم ينو شيئا لم يكن شيئا قال ابن العربي ورايت لسعيد بن جبير وهو الثامن عشر ان عليه
عتق رقبة وان لم يجعلها ظهارا ولست اعلم لها وجها ولا يبعد المقالات عندي قال القرطبي
وقد روى الدارقطني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه اتاه رجل فقال اني جعلت امراتي
علي حراما فقال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك عليك اغلظ
الكفارات عتق رقبة وقد قال جماعة من المفسرين انه لما نزلت هذه الاية كفر عن يمينه
بعتق رقبة وعاد الى مارية صلى الله عليه وسلم قاله زيد بن اسلم وغيره هذا كله في الزوجة
واما الامة فلا يلزم فيها شيء من ذلك الا ان ينوي به العتق عند مالك وذهب عامة العلماء
الى ان عليه كفارة يمين قال ابن العربي والصحيح انها طلقة واحدة لانه لو ذكر الطلاق
لكان اقله وهو الواحدة الا ان يعدده فكذلك اذا ذكر التحريم يكون اقله الا ان يقيده بالاكثر
مثل ان يقول انت علي حرام الا بعد زوج فهذا نص في المراد قوله قال ابن الخطيب قال
صاحب النظم قوله لم تحرم استفهام معنى الانكار وذلك من الله تعالى نهي وتحريم الحلال
مكروه لان الحلال لا يحرم الا بتحريم الله تعالى فان قيل قوله لم تحرم ما احل الله لك يوهم ان هذا الخطاب
بطريق العتاب وخطاب النبي عليه السلام ينافي ذلك لما فيه من التشريف والتعظيم فالجواب ان
هذا الخطاب ليس بطريق العتاب بل بطريق التنبيه على ان ما صدر منه لم يكن على ما ينبغي فان قيل
تحريم ما احل الله غير ممكن فكيف قال لم تحرم ما احل الله فالجواب ان المراد بهذا التحريم هو
الامتناع من الانتفاع بالازواج لا اعتقاد كونه حراما بعد ما احله الله تعالى فالنبي صلى الله
عليه وسلم امتنع عن الانتفاع بها مع اعتقاد كونها حلالا فان من اعتقد ان هذا التحريم هو
تحريم ما احله الله تعالى فقد كفر فكيف يضاف الى الرسول عليه السلام مثل هذا قوله تبتغي
يجوز ان يكون حالا من فاعل تحرم اي لم تحرم مبتغيا به مرضات ازواجك ويجوز ان يكون تفسيرا
للتحريم ويجوز ان يكون مستانفا فهو جواب للسوال ومرضات اسم مصدر وهو الرضا واصله
مرضوة وقد تقدم ذلك والمصدر هنا مضاف اما للمفعول او للفاعل اي ان ترضى انت ازواجك او ان
يرضين والمعنى تفعل ذلك طلبا لرضاهن والله غفور اي لما اوجب المعاتبة رحيم برفع المواخذة
قال القرطبي وقد قيل ان ذلك كان ذنبا من الصغاير والصحيح انه معاتبة على ترك الاولى
وانه لم يكن له صغيرة ولا كبيرة قوله قد فرض الله لكم فرض الله اي بين لكم كقوله تعالى سورة
انزلناها وفرضناها وقيل قد اوجب الله وقال صاحب النظم اذا وصل فرض بعلى لم يحتمل غير
الايجاب كقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم واذا وصل باللام احتمل الوجهين قوله تحلة ايمانكم تحليل
اليمين كفارتها اي اذا احنثتم استباحة المحلوف عليه وهو قوله تعالى في سورة المايدة فكفارته
اطعام عشرة مساكين قال القرطبي وتحصل من هذا ان من حرم شيئا من الماكول او المشروب
لم يحرم عليه لان الكفارة لليمين لا للتحريم وابو حنيفة يراه يمينا في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود
فيما يحرم فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله او امة فعلى وطيها او زوجة فعلى الايلاء منها
اذا لم يكن له نية وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق باين وكذلك ان نوى
ثنتين او ثلاثا وان قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله تعالى ولا يدين في القضا
بابطال الايلاء وان قال كل حلال علي حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى
ولا يراه الشافعي يمينا ولكن في الكفارة وخالف قوله تحلة مصدر لحلل ضعفا نحو
تكرمة وهذان ليسا مقيسين فان قياس مصدر فعل التفعيل اذا كان صحيحا غير مهموز فاما
المعتل اللام نحو زكى والمهموز فما نحو نبا فمصدرها تفعلة نحو تزكية وتنبئة على انه قد جاء

التفعيل كاملا في المعتل نحو • بانت تنزي دلوها تنزيا •
واصلها تحللة كتكرمة فادغمت وانتصابها علي المفعول به **فصل** قيل ان النبي صلى
الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وكفارة اليمين في هذه السورة انما امر
بها الامة والاول اصح وان المراد بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان الامة تقتدي به في ذلك
وقد تقدم عن زيد بن اسلم انه عليه السلام كفر بعتق رقبة **فصل** قيل قد فرض الله
لكم تحليل ملك اليمين فبينت في قوله تعالي ما كان علي النبي من حرج فيما فرض الله له اي فيما
شرعه له في النسا المحللات اي حلل لكم ملك اليمين فلم تحرم مارية علي نفسك مع تحليل الله
اياها لك وقيل تحلة اليمين الايستثنا اي فرض الله لكم الاستثنا المخرج عن اليمين ثم عند قوم
يجوز الاستثنا من الايمان متي شا وان تخلل مدة وعند الجمهور لا يجوز الا متصلا فكانه قال
استثن بعد هذا فيما تحلف عليه وتحلة اليمين تحليلها بالكفارة قال القرطبي والاصل
تحللة فادغمت وتفعلة من مصادر فعل كالتوصية والتسمية فالتحلة تحليل اليمين فكان
اليمين عقد والكفارة حل وقيل التحلة الكفارة اي انها تحل للحالف ما حرم علي نفسه
اي اذا كفر صار كمن لم يحلف **فصل** قال ابن الخطيب وتحلة القسم علي وجهين
احدهما تحليله بالكفارة كما في هذه الاية وثانيهما ان يستعمل بمعني الشي القليل وهذا هو
الاكثر كما روي من قوله عليه السلام لن يلج النار الا تحلة القسم معني زمانا يسيرا وقري
كفارة ايمانكم قوله والله مولاكم اي وليكم وناصركم بازالة الحظر فيما تحرمونه علي انفسكم
وبالترخيص لكم في تحليل ايمانكم بالكفارة وبالثواب علي ما تخرجونه في الكفارة وهو العليم
الحكيم قوله واذ اسر العامل فيه اذكر فهو مفعول به لا ظرف والمعني اذكر اذ اسر النبي الي
بعض ازواجه يعني حفصة حديثا يعني تحريم مارية علي نفسه واستكتامه اياها ذلك
وقال الكلبي اسر اليها ان اباك وابا عايشة يكونان خليفة علي امتي من بعدي وقال ابن
عباس اسر امر الخلافة بعده الي حفصة فذكرته حفصة رواه الدارقطني في سننه عن
الكلبي عن ابي صالح عن بن عباس في قوله تعالي واذ اسر النبي الي بعض ازواجه حديثا
قال اطلعت حفصة علي النبي صلى الله عليه وسلم مع ام ابراهيم فقال لا تخبري عايشة
قال فانطلقت حفصة فاخبرت عايشة فاظهره الله عليه فعرف بعضه واعرض عن بعض
قال اعرض عن قولها ان اباك واباها يكونان خليفتي من بعدي كره رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان ينشر ذلك في الناس فلما نبات به اخبرت عايشة لمصافاة كانت بينهما وكانتا
متظاهرتين علي زوجات النبي صلى الله عليه وسلم واظهره الله عليه اي اطلعه الله علي انها
قد نبات به قوله فلما نبات به اصل نبا وانبا واخبر وخبر وحدث ان يتعدي لاثنين
الي الاول بنفسها والي الثاني بحرف الجر وقد يحذف الجار تخفيفا وقد يحذف الاول للدلالة
عليه وقد جات الاستعمالات الثلاثة في هذه الايات فقوله فلما نبات به تعدي
لاثنين حذف اولهما والثاني مجرور بالبا اي نبات به غيرها وقوله فلما نباها به ذكرهما
وقوله من انباك هذا ذكرهما وحذف الجار وقرا طلحة بن مصرف فلما انبات وهما لغتان انبا
ونبا قوله عرف بعضه قرا الكسائي بتخفيف الرا قال القرطبي وهي قراة علي
وطلحة بن مصرف وابو عبد الرحمن السلمي والحسن وقتادة والكلبي والاعمش عن
ابي بكر قال عطا كان ابو عبد الرحمن السلمي اذا قرا عليه الرجل عرف مشددة حصبه
بالحجارة وقرا الباقون بتشديد الرا فالتثقيل يكون المفعول الاول معه محذوفا اي
عرفها بعضه اي وقفها عليه علي سبيل العتب واعرض عن بعض تكرما منه وحلما واختاره
ابو عبيد وابو حاتم بدل عليه قوله تعالي واعرض عن بعض اي لم يعرفها اياه ولو كانت
مخففة لقال في ضده وانكر بعضا واما التخفيف فمعناه جازي علي بعضه واعرض عن
بعض قال الفرا وتاويل قوله عز وجل عرف بالتخفيف اي غضب فيه وجازي عليه كقولك
لمن اسا اليك لاعرفن لك ما فعلت اي لاجازينك عليه **فصل** قال المفسرون انه
اسر الي حفصة شيا فحدثت به غيرها فطلقها مجازاة علي بعضه ولم يواخذها بالباقي
وهو من قبيل قوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله اي يجازيكم عليه وقوله اولئك الذين

يعلم الله ما في قلوبهم وانما اضطررنا الي هذا التاويل لان الله تعالي اطلعه علي جميع ما انبات
به غيرها لقوله تعالي واظهره الله عليه وقرا عكرمة عراف بالف بعد الرا وخرجت علي الاشباع
كقوله • اعوذ بالله من العقراب • وقيل هي لغة يمانية يقولون عراف زيد عمرا واذا ضمنت
هذه الافعال الخمسة معني اعلم تعدت لثلاثة وقال الفارسي تعدت بالهمزة او التضعيف
وهو غلط اذ يقتضي ذلك انها قبل التضعيف والهمزة كانت متعدية لاثنين فالنسب بالهمزة او
التضعيف بالثا والامر ليس كذلك اتفاقا **فصل** قال السدي عرف بعضه واعرض
عن بعض تكرما وقال الحسن ما استقصي كريم قط قال الله تعالي عرف بعضه واعرض
عن بعض وقال مقاتل يعني اخبرها ببعض ما قالت لعايشة وهو حديث ام ولده ولم يخبرها
ببعض ما قالت لعايشة وهو قول حفصة لعايشة ان ابا بكر وعمر سيملكان بعده قال المفسرون
ان النبي صلى الله عليه وسلم جازي حفصة بان طلقها طلقة واحدة فلما بلغ ذلك عمر لو كان
في ال الخطاب خيرا لما كان طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك وامره جبريل براجعتها
وشفع فيها واعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نساه شهرا وقعد في مشربة مارية ام ابراهيم
حتي نزلت اية التخيير كما تقدم وقيل هم بطلاقها حتي قال له جبريل لا تطلقها فانها صوامة
قوامة وانها من نسايك في الجنة فلم يطلقها قوله فلما نباها به اي اخبر حفصة بما اظهره
الله عليه قالت من انباك هذا يا رسول الله عني فظنت ان عايشة اخبرته فقال عليه السلام
نباني العليم الخبير اي الذي لا يخفي عليه شي وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما راي الكراهية
في وجه حفصة حين راته مع مارية اراد ان يتراضاها فاسر اليها حديثا شيين تحريم الامة
علي نفسه وتبشيرها بان الخلافة بعده في ابي بكر وفي ابيها عمر فاخبرت حفصة بذلك عايشة
وهو تحريم الامة علي نفسه واعرض عن بعض يعني عن ذكر الخلافة كره رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ينتشر ذلك في الناس فلما نباها به اي اخبر حفصة بما اظهره الله عليه قالت حفصة
من انباك هذا اي من اخبرك باني افشيت السر قال نباني العليم الخبير قال ابن الخطيب وصفه
بكونه عليما لان في الخبير من المبالغة ما ليس في العليم قوله ان تتوبا الي الله شرط وفي
جوابه وجهان احدهما هو قوله فقد صغت والمعني ان تتوبا فقد وجد منكما ما يوجب التوبة
وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حب ما يحبه وكراهة
ما يكرهه وصغت مالت وزاغت عن الحق ويدل له قراة ابن مسعود فقد زاغت قال القرطبي
وليس قوله فقد صغت قلوبكما جزاء للشرط لان هذا الصغو كان سابقا فجواب الشرط محذوف
للعلم به اي ان تتوبا كان خيرا لكما اذ قد صغت قلوبكما والثاني ان الجواب محذوف تقديره
فذلك واجب عليكما او فتاب الله عليكما قاله ابو البقا قال ودل علي المحذوف فقد صغت لان
اصغا القلب الي ذلك ذنب قال شهاب الدين وكانه زعم ان ميل القلب ذنب وكيف يحسن ان
يكون جوابا وقد غفل عن المعني المصحح لكونه جوابا وقوله قلوبكما من افصح الكلام حيث اوقع
الجمع موقع المثني استثقالا لمجي تثنيتين لو قيل قلباكما ومن شان العرب اذا ذكروا الشيين من
اثنين جمعوهما لانه لا يشكل وقد تقدم نحو هذا في اية السرقة في المايدة ومن مجي التثنية قوله
• فتخالسا نفسيهما بنوافذ • كنوافذ العبط التي لم ترقع •
والاحسن في هذا الباب الجمع ثم الافراد ثم التثنية وقال ابن عصفور لا يجوز الافراد الا في
ضرورة كقوله • حمامة بطن الواديين ترنمي • سقاك من الغر الغوادي مطيرها •
وتبعه ابو حيان وغلط بن مالك في كونه جعله احسن من التثنية وليس بغلط لكراهة
توالي تثنيتين مع امن اللبس وقوله ان تتوبا فيه التفات من الغيبة الي الخطاب قوله
المراد بهذا الخطاب اما المومنين بنتا الشيخين الكريمين عايشة وحفصة رضي الله عنهما
حثهما علي التوبة علي ما كان منهما من الميل الي خلاف محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله فقد صغت قلوبكما اي زاغت ومالت عن الحق وهو انهما احبا ما كره رسول الله صلى
الله عليه وسلم من اجتناب جاريته واجتناب العسل وكان عليه السلام يحب العسل والنسا
قال ابن زيد مالت قلوبكما بان سرهما ان يحتبس عن ام ولده فسرهما ما كرهه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقيل فقد مالت قلوبكما الي التوبة قوله وان تظاهرا اصله تتظاهرا

نادغم وهذه قراة العامة وقرا عكرمة تتظاهرا على الاصل والحسن وابو رجا ونافع وعاصم في رواية عنهما بتشديد الظا والها دون الف وكلها بمعنى المعاونة من الظهر لانه اقوى الاعضا واجلها **فصل** يعني تتظاهرا اي تتعاونا على النبي صلى الله عليه وسلم بالمعصية والايذا روى مسلم عن ابن عباس قال مكثت سنة وانا اريد ان اسال عمر بن الخطاب عن اية فما استطيع ان اساله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجع وكنا ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه بادواة ثم جا فسكبت على يديه منها فتوضا فلما رجع قلت يا امير المومنين من اللتان تظاهرتا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك حفصة وعايشة قال فقلت له والله ان كنت لاريد اساك عن هذا منذ سنة فما استطيع هيبة لك قال فلا تفعل ما ظننت ان عندي من علم فسالني عنه ان كنت اعلمه اخبرتك وذكر الحديث قوله فان الله هو مولاه يجوز ان يكون هو فصلا ومولاه اجبر وان يكون مبتدا ومولاه خبره والجملة خبر ان والمعنى فان الله وليه وناصره فلا يضره ذلك التظاهر منهما قوله وجبريل يجوز ان يكون عطفا على اسم الله تعالى والمعنى الله وليه وجبريل وليه فلا يوقف على مولاه ويوقف على جبريل ويكون وصالح المومنين مبتدا والملايكة معطوفا عليه والخبر ظهير نظرا الى محل اسم ان وذلك بعد استكمالها خبرها وقد تقدم مذاهب الناس في ذلك ويكون جبريل وما بعده داخلين في الولاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون جبريل ظهيرا له بدخوله في عموم الملايكة ويكون والملايكة مبتدا وظهير خبره وافرد لانه بزنة فعيل قال القرطبي هو بمعنى الجمع قال ابو علي قد جا فعيل للكثير قال تعالى ولا يسال حميم حميما يعني ظهيرا لقوله تعالى وحسن اوليك ويجوز ان يكون الكلام تم عند قوله مولاه ويكون جبريل مبتدا وما بعده عطف عليه وظهير خبر للجميع فتختص الولاية بالله ويكون جبريل قد ذكر في المعاونة مرتين مرة بالتنصيص عليه ومرة بدخوله في عموم الملايكة وهذا عكس ما في البقرة في قوله تعالى من كان عدوا لله وملايكته ورسله وجبريل فانه ذكر الخاص بعد العام تشريفا له وهنا ذكر العام بعد الخاص ولم يذكر الناس الا القسم الاول وفي جبريل لغات تقدم ذكرها في البقرة قوله وصالح المومنين قال المسيب ابن شريك صالح المومنين ابو بكر وقال سعيد بن جبير هو عمر وقال عكرمة ابو بكر وعمر وروى شقيق عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صالح المومنين ابو بكر وعمر وعن اسما بنت عميس قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وصالح المومنين علي بن ابي طالب وقيل خيار المومنين وصالح اسم جنس كقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر قاله الطبري وقال العلا بن زياد وقتادة وسفيان هم الانبيا وقال ابن زيد هم الملايكة وقال السدي هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل صالح المومنين ليس لفظ الواحد وانما هو صالحوا المومنين فاضاف الصالحين الى المومنين وسقطت الواو من الخط وقيل كان التظاهر منهما في التحكم على النبي صلى الله عليه وسلم في النفقة ولهذا الاهن شهرا واعتزلهن **فصل** قيل كان التظاهر منهما في التحكم على النبي صلى الله عليه وسلم في النفقة ولهذا الاهن شهرا واعتزلهن وروى مسلم عن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بكر يستاذن على النبي صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يوذن لاحد منهم قال فاذن لابي بكر فدخل ثم اقبل عمر فاستاذن فاذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساوه واجما ساكتا قال فقال لاقولن شيا اضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رايت بنت خارجة سالتني النفقة فقمت اليها فوجات عنقها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر الى عايشة يجا عنقها وقام عمر الى حفصة يجا عنقها كلاهما يقول تسالن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده قلن والله لا نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا او تسعا وعشرين ثم نزلت عليه يا ايها النبي قل لازواجك حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما الحديث قوله وصالح المومنين الظاهر انه مفرد وذلك كتب بالحا دون الواو والجمع وجوزوا ان يكون جمعا بالواو والنون حذفت النون للاضافة وكتب دون واو اعتبارا بلفظه لان الواو ساقطة لالتقاء الساكنين نحو ويمح الله الباطل ويدع الداع وسندع الزبانية الى غير ذلك ومثل هذا ما جا في الحديث اهل القران اهل الله وخاصته قالوا يجوز ان يكون مفردا فان يكون جمعا كقوله شغلتنا اموالنا

واهلونا وحذفت الواو لالتقا الساكنين لفظا فاذا كتب هذا فالاحسن ان يكتب بالواو ولهذا الغرض وليس ثم ضرورة لحذفها كما في مرسوم الخط وجوز ابو البقا في جبريل ان يكون معطوفا على الضمير في مولاه يعني المستتر وحينيذ يكون الفصل بالضمير المجرور كافيا في تجويز العطف عليه وجوز ايضا ان يكون جبريل مبتدا وصالح عطف عليه فالخبر محذوف اي مواليه **فصل** قال ابن عباس اراد بقوله وصالح المومنين يعني ابا بكر وعمر موا ليه للنبي صلى الله عليه وسلم على من عاداه وناصرين له وهو قول المفسرين وقال الضحاك خيار المومنين وقيل كل من امن وعمل صالحا وقيل من برى من النفاق وقيل الانبيا وقيل الخلفا وقيل الصحابة قوله عسى ربه ان طلقكن قيل كل عسى في القران واجب الا هذا وقيل هو واجب ولكن الله عز وجل علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقهن قال النحويون ان طلقكن شرط معترض بين اسم عسى وخبرها وجوابه محذوف او متقدم اي ان طلقكن فعسى وادغم ابو عمرو القاف في الكاف بخلاف عنهم قال وهو اولى من يورث لكم ونحوه لثقل التانيث قوله ان يبدله قرى مخففا ومشددا كما تقدم في الكهف والتبديل والابدال بمعنى كالتنزيل والانزال وقوله ازواجا خيرا منكن لانكن لو كنتن خيرا منهن ما طلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله معناه السدي وقيل هذا وعد من الله تعالى لرسوله لو طلقهن في الدنيا ان يزوجه في الاخرة نساء خيرا منهن وكان الله عالما بانه لا يطلقهن ولكن اخبر عن قدرته على انه ان طلقهن ابدله خيرا منهن تخويفا لهن كقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وهو اخبار عن القدرة وتخويف لهم لا ان في الوجود من هو خير من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قوله مسلمات الى اخره اما نعت او حال او منصوب على الاختصاص قال سعيد بن جبير مسلمات يعني مخلصات وقيل مسلمات لامر الله تعالى وامر رسوله خاضعات لله بالطاعة مومنات اي مصدقات بتوحيد الله وقيل مصدقات بما امرن به ونهين عنه قانتات مطيعات والقنوت الطاعة وقيل داعيات وقيل مصليات تايبات اي من ذنوبهن قاله السدي وقيل راجعات الى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم تاركات لمحاب انفسهن عابدات اي كثيرات العبادة لله تعالى وقال ابن عباس كل عبادة في القران فهو التوحيد سايحات اي صايمات قاله ابن عباس والحسن وابن جبير وقال زيد بن اسلم وابنه عبد الله ويمان مهاجرات قال ابن زيد وليس في امة محمد صلى الله عليه وسلم سياحة الا الهجرة والسياحة الجولان في الارض وقال الفرا والقتبي وغيرهما سمي الصايم سايحا لان السايح لا زاد معه وانما ياكل من حيث يجد الطعام وقيل يسحن معه حيث ما ساح وقيل ذاهبات في طاعة الله تعالى من ساح الما اذا ذهب وقد مضى في سورة براة وقرى عمرو ابن فايد سيحات تخفيفا لاجتماعها **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل كيف يكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نسا خير من امهات المومنين فالجواب اذا طلقهن الرسول عليه السلام لعصيانهن له وايذاهن اياه كان غيرهن من الموصوف بهذه الصفات مع الطاعة للرسول عليه السلام خيرا فان قيل قوله مسلمات مومنات توهم التكرار لان المسلمات والمومنات سوا فالجواب ان الاسلام هو التصديق باللسان والايمان التصديق بالقلب وقد لا يجتمعان فقوله مسلمات مومنات تحقيق لاجتماعهما قوله ثيبات وابكارا انما وسطت الواو بين ثيبات وابكارا لتنافي الوصفين دون ساير الصفات وثيبات ونحوه لا ينقاس لانه اسم جنس مونث فلا يقال نساحوادات ولا رايت عينات والثيب وزنها فيعل من ثاب يثوب اي رجع كانها ثابت بعد زوال عذرتها واصلها ثيوب كسيد وميت اصلهما سيود وميوت واعل الاعلال المشهور والمعنى منهن ثيب ومنهن بكر وقيل انما سميت ثيبا لانها راجعة الى زوجها ان اقام معها او الى غيره ان فارقها وقيل لانها ثابت الى بيت ابويها قاله القرطبي والاول اصح لان كل ثيب تعود الى زوج واما البكر فهي العذرا سميت بكرا لانها على اول حالتها التي خلقت بها قال ابن الخطيب فان قيل ذكر الثيبات في مقام المدح وهي من جملة ما يقلل رغبة الرجل فيهن فالجواب يمكن ان يكون بعض الثيب خيرا بالنسبة الى بعض الابكار عند الرسول عليه السلام لاختصاصهن بالمال والجمال والنسب او المجموع واذا كان كذلك فلا يقدح ذكر الثيب في المدح لجواز ذلك وقال الكلبي اراد بالثيب مثل اسية امراة فرعون وبالبكر مثل مريم ابنة عمران قال القرطبي وهذا انما يمشي على قول من قال ان التبديل وعد من الله لنبيه لو طلقهن في الدنيا زوجه في الاخرة خيرا

ممن والله اعلم قوله يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا قرا امر من الوقاية فوزنه
عوا لان الفا حذفت لوقوعها في المضارع بين ياء وكسرة وهذا محمول عليه واللام حذفت حملا
له على المجزوم لان اصله اوقيوا كاضربوا فحذفت الواو التي هي فا لما تقدم واستثقلت الضمة
على اليا فحذفت فالتقى ساكنان فحذفت اليا وضم ما قبل الواو ليصح وهذا تعليل البصريين ونقل
مكي عن الكوفيين ان الحذف عندهم فرقا بين المتعدي والقاصر فحذفت الواو التي هي فا في يقي
ويعد لتعديهما ولم تحذف من يوجل لقصوره قال ويرد عليهم نحو يوم فانه قاصر ومع ذلك
فقد حذف فوا فاه قال شهاب الدين وفي هذا نظر لان يوجل لم تقع فيه الواو بين ياء وكسرة
لا ظاهرة ولا مضمرة وقلت ولا مضمرة تحرزا من يضع ويسع ويهب وقرا بعضهم واهلوكم
وخرجت على العطف على الضمير المرفوع بقوا وحوزه لك الفصل بالمفعول قال الزمخشري بعد
ذكره القراءة وتخريجها فان قلت اليس التقدير قوا انفسكم وليق اهلوكم انفسكم قلت لا ولكن
المعطوف في التقدير مقارن للواو وانفسكم واقع بعده كانه قيل قوا انتم واهلوكم انفسكم
لما جمعت مع المخاطب الغايب غلبته فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب قوله نارا مفعول
ثان وقودها الناس صفة لنارا ولذلك عليها ملائكة ويجوز ان يكون الوصف وحده عليها
وملائكة فاعل به ويجوز ان يكون حالا لتخصيصها بالصفة الاولي ولذلك لا يعصون الله
وتقدم الخلاف في راو وقودها ضما وفتحا في البقرة فصل قال الصحابة قال المفسرون
قوا انفسكم وامروا اهليكم بالذكر والدعا حتى يقيهم الله بكم وقال علي رضي الله عنه وقتادة
ومجاهد قوا انفسكم بافعالكم وقوا اهليكم بوصيتكم قال ابن العربي وهو الصحيح والفقه الذي
لعطيه العطف الذي يقتضي التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه في معني الفعل كقوله
اعلفتها تبنا وما باردا • وكقوله • ورايت زوجك في الوغا • متقلدا سيفا ورمحا •
فعلى الرجل ان يصلح نفسه بالطاعة ويصلح اهله صلاح الراعي للرعية قال عليه السلام
كلكم راع وكلكم مسيول عن رعيته فالامام الذي على الناس راع وهو مسيول عنهم والرجل
راع على اهل بيته وهو مسيول عنهم قال الحسن في هذه الاية يامرهم وينهاهم وقال
بعض العلما لما قال قوا انفسكم دخل فيه الاولاد لان الولد بعض منه كما دخلوا في قوله تعالى
ليس عليكم جناح ان تاكلوا من بيوتكم وقوله عليكم ان احل ما اكل الرجل من كسبه وان ولده
من كسبه فلم يفرد بالذكر وافراد ساير القرابات فيعلمه الحلال والحرام ويجنبه المعاصي والاثام
الي غير ذلك من الاحكام وقال عليه السلام حق الولد على الوالد ان يحسن اسمه ويعلمه الكتابة
ويزوجه اذا بلغ وقال عليه السلام ما نحل والد ولدا افضل من ادب حسن وقال عليه السلام
مروا ابناكم بالصلاة لسبع واضربوهم على تركها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع قال بعض
العلما ويخبر اهله بوقت الصلاة ووجوب الصيام وقال عليه السلام رحم الله امرا قام من
الليل فصلي فايقظ اهله فان لم تقم رش وجهها بالماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلي
وايقظت زوجها فان لم يقم رشت على وجهه من الما وذكر القشيري قال لما نزلت هذه الاية
قال رجل يا رسول الله نقي انفسنا فكيف لنا باهلينا فقال تنهوهم عما نهاكم الله وتامروهم بما امر
الله وقال مقاتل ذلك حق عليه في نفسه وولده واهله وعبيده وايمايه قال الكيا فعلينا
تعليم اولادنا واهلينا الدين والخير وما لا يستغني عنه من الادب وهو قوله تعالى وامر اهلك
بالصلاة واصطبر عليها وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وانذر عشيرتك الاقربين وتقدم
الكلام على قوله وقودها الناس والحجارة في البقرة فصل قال ابن الخطيب فان
قيل انه تعالى خاطب المشركين في قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار
التي وقودها الناس والحجارة ثم قال اعدت للكافرين فما معني مخاطبته للمومنين بذلك
فالجواب ان الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مع الكفار في دار واحدة
فقيل الذين امنوا قوا انفسكم باجتناب الفسوق مجاورة الذين اعدت لهم هذه النار ولا يبعد
ان يامرهم بالتوقي عن الارتداد قوله عليها ملائكة غلاظ شداد يعني الزبانية غلاظ
القلوب لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من الغضب وحبب اليهم عذاب الخلق كما حبب لبني ادم
اكل الطعام والشراب شدادا اي شداد الابدان وقيل غلاظ الاقوال شداد الافعال وقيل

غلاظ في اخذهم اهل النار شداد عليهم فقال فلان شديد على فلان اي قوي عليه يعذبه
بانواع العذاب وقيل غلاظ اجسامهم ضخمة شداد اي اقويا قال ابن عباس ما بين منكبي الواحد
منهم مسيرة سنة وقال عليه السلام في خزنة جهنم ما بين منكبي احدهم كما بين المشرق والمغرب
قوله لا يعصون الله ما امرهم يجوز ان يكون ما بمعني الذي والعايد محذوف اي ما امرهم به
والاصل به لا يقال كيف حذف العايد المجرور ولم يجر الموصول بمثله لانه يطرد حذف هذا الحرف
فلم يحذف الا منصوبا وان يكون مصدرية ويكون محلها بدلا من اسم الله بدل اشتمال كانه
قيل لا يعصون امره وقوله ويفعلون قال الزمخشري فان قلت اليست الجملتان في معني
واحد قلت لا لان الاولي معناها انهم يتقبلون اوامره ويلتزمونها والثانية معناها انهم
يودون ما يومرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه وقال القرطبي لا يعصون الله
ما امرهم اي لا يخالفونه في امر من زيادة او نقصان ويفعلون ما يومرون اي في وقته لا يوخرونه
ولا يقدمونه وقيل اي لذتهم في امتثال امر الله كما ان سرور اهل الجنة في الكون في الجنة ذكره
بعض المعتزلة وعندهم انه يستحيل التكليف غدا ولا يخفي معتقد اهل الحق في ان الله يكلف
العبد اليوم وغدا ولا ينكر التكليف غدا في حق الملايكة ولله ان يفعل ما يشا قوله تعالى
يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم اي فان عذركم لا ينفع وهذا النهي لتحقيق الياس انما
تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا ونظيره فاليوم لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم قوله يا ايها
الذين امنوا توبوا الي الله توبة نصوحا قرا الجمهور بفتح نون نصوحا وهي صيغة مبالغة
اسند النصح اليها مجازا وهي من نصح الثوب اي خاطه فكان التايب يرقع ما خرقه بالمعصية
وقيل من قولهم عسل ناصح اي خالص وقرا ابو بكر بضم النون وهو مصدر نصح يقال نصح نصحا
ونصوحا نحو كفر كفرا وكفورا وشكر شكرا وشكورا وفي انتصابه اوجه احدها انه مفعول له اي
لاجل النصح الحاصل نفعه عليكم والثاني انه مصدر مويد لفعل محذوف اي ينصحهم نصحا
الثالث انه صفة لها اما على المبالغة على انها نفس المصدر او على حذف مضاف اي ذات نصوح
وقرا زيد بن علي توبا دون تا فصل قال ابن الخطيب وجه تعلق هذه الاية
بما قبلها ان الذين كفروا انه تعالى نهاهم على دفع العذاب في ذلك اليوم بالتوبة في الدنيا
ادي ذلك اليوم لا تفيد التوبة فصل امر بالتوبة وهي فرض على الاعيان في كل الاحوال
وكل الازمان واختلفوا في التوبة النصوح فقيل هي التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن
الي الضرع روي عن عمر وابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل ورفعه معاذ الي النبي
صلي الله عليه وسلم وقال قتادة النصوح الصادقة الناصحة وقيل الخالصة يقال نصح
له اي اخلص له القول وقال الحسن النصوح ان يبغض الذنب الذي احبه ويستغفر منه اذا
ذكره وقيل هي التي لا يثق بقبولها ويكون على وجل منها وقال الكلبي التوبة النصوح الندم
بالقلب والاستغفار باللسان والاقلاع عن الذنب والعزم على ان لا يعود وقيل غير ذلك
فصل في الاشيا التي يتاب منها قال بعض العلما الذنب الذي يكون منه التوبة
لا يخلو اما ان يكون حقا لله او لادمي فان كان حقا لله كترك صلاة او صوم او تفريط في زكاة
فان التوبة لا تصح منها حتي ينضم الي الندم قضا ما فات منها وان كان قتل نفس بغير حق
وان يمكن من القصاص منه ان طلب به فان عفي عنه كفاه الندم والعزم على ترك العود بالاخلاص
وكذلك ان عفي عنه في القتل بمال فعليه ان يوديه ان كان واجدا له قال تعالى فمن عفي له
من اخيه شي فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان وان كان ذلك حدا من حدود الله كان فانه
اذا تاب الي الله تعالى بالندم الصحيح سقط عنه وقد نص الله تعالى على سقوط الحد عن
المحاربين اذا تابوا قبل القدرة عليهم كما تقدم وكذلك الشراب والسراق والزناة اذا اصلحوا
وتابوا وعرف ذلك منهم ثم رفعوا الي الامام فلا ينبغي له ان يحدهم وان رفعوا اليه فقالوا تبنا
لم يتركهم في هذه الحال كالمحاربين اذا غلبوا هذا مذهب الشافعي فان كان الذنب من
مظالم العباد فلا تصح التوبة منه الا برده الي صاحبه والخروج عنه عينا كان او غيره
ان كان قادرا عليه فان لم يكن قادرا فالعزم على ان يوديه اذا قدر في اعجل وقت واسرعه
وان كان لواحد من المسلمين وذلك على ان يوديه اذا قدر في الواحد لا يشعر به او لا يدري من

ابن ابي فان يزيل ذلك الضرر عنه ثم يساله ان يعفو عنه ويستغفر له فاذا عفي فقد سقط الذنب
عنه وان ارسل من يساله ذلك فعفي ذلك المظلوم عن ظالمه عرفه بعينه او لم يعرفه فذلك صحيح
وان اسا رجل الي رجل بان فزعه بغير حق او غمه او لطمه او صفعه بغير حق او ضربه بسوطه
فالمه ثم جاه مستعفيا نادما علي ما كان منه عازما علي ان لا يعود فلم يزل يتذلل له حتى طابت
نفسه فعفي عنه سقط الذنب عنه وهذا ان شتمه بشتم لا حد فيه قوله عسي ربكم ان يكفر
عنكم سياتكم عسي من الله واجبة وهو معني قوله عليه السلام التايب من الذنب كمن لا ذنب له
وان في موضع نصب قوله ويدخلكم معطوف علي يكفر قرا العامة بالنصب وابن ابي عبلة
بسكون الراء فاحتمل ان يكون من اجراء المنفصل مجري المتصل فسكنت الكسرة لانه يتخلل من مجموع
يكفر عنكم مثل نطع وقمع فيقال فيهما نطع وقمع ويحتمل ان يكون عطفا علي محل عسي ان يكفر
كانه قيل توبوا يوجب تكفير سياتكم ويدخلكم قال الزمخشري يعني ان عسي في محل جزم جوابا
للامر لانه لو وقع موقعها مضارع لانجزم كما مثل به الزمخشري وفيه نظر لانا لا نسلم ان عسي
جوابا ولا يقع جوابا لانها للانشا قوله يوم لا يخزي الله النبي يوم منصوب بيدخلكم او باضمار
اذكر ومعني يخزي هنا يعذب اي لا يعذبه ولا يعذب الذين امنوا معه قالت المعتزلة قوله
تعالي يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه يدل علي انه لا يعذب الذين امنوا لان الاخزا
يقع بالعذاب ولو كان اصحاب الكباير من اهل الايمان لم يجب عليهم العذاب قال ابن الخطيب
واجاب اهل السنة بانه تعالي وعد اهل الايمان بانه لا يخزيهم ومن اهل السنة من يقف
علي قوله يوم لا يخزي الله النبي ومعناه لا يخزيه في رد الشفاعة والاخزا الفضيحة اي لا يفضحهم
بين يدي الكفار ويجوز ان يعذبهم علي وجه لا يقف الكفرة عليه قوله والذين امنوا
يجوز فيه وجهان احدهما ان يكون منسوقا علي النبي اي ولا يخزي الذين امنوا فعلي هذا
يكون نورهم يسعي مستانفا او حالا والثاني ان يكون مبتدا وخبره نورهم يسعي ويقولون
خبر ثان او حال ويقدم اعراب مثل هذا الجمل في الحديد واعراب ما بعدها فيراه وقرا ابو حيوة
وابو نهيك العتهي وبايمانهم بكسر الهمزة ومعني قوله نورهم بين ايديهم ايمان وبايمانهم عند
الحساب لانهم يوتون الكتاب بايمانهم وفيه نور وخير وقيل يسعي النور بين ايديهم
في موضع وضع اقدامهم وبايمانهم لان خلفهم وشمالهم طريق للمومنين بامراتيت قال ابو
البقاء مريم اي واذكر مريم وقيل ومثل مريم وقراة العامة ابنة بنصب التا وايوب
السختياني بسكون الها وصلا اجري الوصل مجري الوقف والعامة ايضا فنفخنا فيه اي
في الفرج وعبد الله فيها اي في الجملة وتقدم في الانبيا مثله والعامة ايضا وصدقت
بتشديد الدال ويعقوب وقتادة وابو مجلز وعاصم في رواية بتخفيفها اي صدقت
فيما اخبرت به من امر عيسي والعامة علي بكلمات جمعا والحسن ومجاهد والجحدري بكلمة
بالافراد فقيل المراد بها عيسي لانه كلمة الله **فصل** ضرب الله مثلا مريم ابنة
عمران وصبرها علي اذي اليهود وقوله التي احصنت فرجها اي عن الفواحش وقال
المفسرون اراد بالفرج هنا الجيب لقوله فنفخنا فيه من روحنا وجبريل عليه السلام انما
نفخ في فرجها وهي في قراة ابي فنفخنا في جسمها حسبها من روحنا وكل خرق في الثوب يسمي
فرجا ومنه قوله تعالي وما لها من فروج ويحتمل ان يكون احصنت فرجها ونفخ الروح في
جيبها ومعني فنفخنا ارسلنا جبريل فنفخ في جيبها من روحنا اي روحا من ارواحنا وهو
روح عيسي وقوله وصدقت بكلمات ربها اي قول جبريل لها انما انا رسول ربك الاية
وقال مقاتل معني بالكلمات عيسي وانه نبي وعيسي كلمة الله كما تقدم وقيل بكلمات
ربها يعني الشرايع التي شرعها الله للعباد بكلماته المنزلة قوله وكتبه قرا اهل البصرة
وحفص كتبه علي الجمع وقرا الاخرون وكتابه علي التوحيد والمراد منه الكثرة فيكون
في معني كل كتاب انزل الله وتقدم الكلام في كتابه وكتبه بفتح الكاف قال ابو الفضل
مصدر وضع موضع الاسم يعني ومكتوبه **فصل** اراد الكتب التي انزلت علي
ابراهيم وموسي وداود وعيسي وقوله وكانت من القانتين يجوز في من وجهان احدهما
انها لابتدا الغاية والثاني انها للتبعيض وقد ذكرها الزمخشري فقال ومن للتبعيض

ويجوز

ويجوز ان يكون لابتداء الغاية علي انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هارون اخي موسي
صلوات الله علي نبينا وعليهما وعلي ساير الانبيا والهم قال الزمخشري فان قلت لم قيل من
القانتين علي التذكير قلت لان القنوت صفة تشتمل من قنت من القبيلين فغلب ذكورهم
علي اناثه وقيل اراد من القوم القانتين ويجوز ان يرجع هذا الي اهل بيتها فانهم كانوا مطيعين
لله والقنوت الطاعة وقال عطا من المصلين بين المغرب والعشا وعن معاذ بن جبل ان النبي
صلي الله عليه وسلم قال لخديجة وهي تجود بنفسها اتكرهين ما قد نزل بك وقد جعل الله خيرا
فاذا قدمت علي ضراتك فاقريهن مني السلام مريم بنت عمران واسية بنت مزاحم وكلمة او قال
حفصة قال ابن الاثير الرفا والتبنية الالتيام والاتفاق والبركة والنما وهو مهموز ذكره
الهروي في المعتل قال وهو علي معنيين احدهما الاتفاق وحسن الاجتماع والاخر من
الهدو والسكون واما المهموز ففي قولهم رفات الثوب رفا ورفوته رفوا وقال حليمة بنت
عمران اخت موسي بن عمران فقالت بالرفا والبنين برسول الله وروي قتادة عن انس
عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال حسبك من نسا العالمين اربع مريم ابنة عمران وخديجة
بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية بنت مزاحم امراة فرعون روي الثعلبي عن ابي بن كعب
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا سورة يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك اعطاه الله
توبة نصوحا

سورة الملك مكية وتسمي الواقية والمنجية وتدعي في التوراة المنجية

لانها تقي وتنجي من عذاب القبر وعن ابن شهاب انه كان يسميها المجادلة لانها تجادل عن
صاحبها في القبر وهي ثلاثون اية وثلاث مائة وثلاثون كلمة والف وثلاثمائة حرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالي تبارك الذي بيده الملك تبارك تفاعل من البركة وقد تقدم وقال الحسن
تقدس وقيل دام فهو الدايم الذي لا اول لوجوده ولا اخر لدوامه الذي بيده الملك اي ملك
السموات والارض في الدنيا والاخرة وقال ابن عباس بيده الملك يعز من يشا ويذل من
يشا ويحيي ويميت ويغني ويفقر ويعطي ويمنع قال ابن الخطيب هذه اللفظة تستعمل
للتاكيد كونه تعالي ملكا ومالكا كما يقال بيد فلان الامر والنهي والحل والعقد ولا يدخل
للجارحة قال الزمخشري بيده الملك كل موجود وهو علي كل ما لم يوجد قدير قوله وهو علي
كل شي قدير يدل علي ان المعدوم شي لان قدرة الله تعالي لا تتعلق بالموجود لان القدرة موثرة
والعدم نفي محض فلا يكون اثرها فوجب ان يكون المعدوم شيا **فصل** احتج اهل
السنة بهذه الاية علي انه لا موثر الا قدرة الله وابطلوا القول بالطبايع كقول الفلاسفة
وابطلوا القول فالمتولدات كقول المعتزلة وابطلوا القول بكون العبد موجدا لافعال نفسه
لقوله وهو علي كل شي قدير **فصل** دلت هذه الاية علي الوحدانية لانا لو قدرنا
الهين اثنين فاما ان يقدر علي ايجاد شي او لا فان لم يقدر علي ايجاد شي لم يكن الها وان قدر كان
مقدور ذلك الاله الثاني شيا فيلزم كون ذلك الشي للاله الاول لقوله وهو علي كل شي قدير
فيلزم وقوع مخلوق من خالقين وهو محال لانه اذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد
يلزم ان يستغني كل واحد منهما عن كل واحد منهما فيكون محتاجا اليهما وغنيا عنهما وذلك محال
فصل احتج جهم بهذه الاية علي انه تعالي ليس بشي فقال لو كان شيا لكان قادرا
علي نفسه لقوله تعالي وهو علي كل شي قدير لكن كونه قادرا علي نفسه محال فيمتنع كونه
شيا والجواب لما دل قوله تعالي قل اي شي اكبر شهادة قل الله علي انه تعالي وجب تخصيص
هذا العموم فاذن دلت هذه الاية علي ان العام المخصوص وارد في كتاب الله تعالي ودلت
علي ان تخصيص العام بدليل العقل جايز بل واقع قوله الذي خلق الموت والحياة قيل خلق
الموت في الدنيا والحياة في الاخرة وقدم الموت علي الحيوة لان الموت الي القهر اقرب كما قدم البنات
علي البنين فقال يهب لمن يشا اناثا وقيل قدمه لانه اقدم لان الاشيا في الابتدا كانت في حكم
الموت كالنطفة والتراب ونحوه وقال تعالي قتادة كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول

ان الله تعالى اذل بني ادم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت وجعل الاخرة دار
جزاء ثم دار بقا وعن ابي الدردا ان بني الله صلى الله عليه وسلم قال لولا ثلاث ما طاطا
ابن ادم راسه الفقر والمرض والموت وقيل انما قدم الموت على الحياة لان من نصب الموت
بين عينيه كان اقوي الدواعي له الى اصل قال ابن الخطيب قالوا الحياة هي الصفه التي تكون
الموصوف بها بحيث يصح ان يعلم ويقدر واختلفوا في الموت فقيل انتصاره عن عدم هذه
الصفه وقال اصحابنا انه صفة وجودية مضادة للحيوة واحتجوا بقوله تعالى الذي خلق
الموت والعدم لا يكون مخلوقا وهذا هو التحقيق وروي الكلبي عن ابن عباس ان الله تعالى
خلق الموت في صورة كبش املح لا يمر بشي ولا يجد ريحه الا مات وخلق الحياة في صورة فرس
بلقا فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشي ولا يجد ريحها شي الا حيي على ما سياتي قال ابن
الخطيب وهذه الاية وان يكون هو الا على سبيل التمثيل والتصوير والا فالتحقيق ما ذكرنا

فصل حكي عن ابن عباس والكلبي ومقاتل ان الموت والحياة جسمان فالموت في هيئة
كبش لا يمر بشي ولا يجد ريحه الا مات وخلق الحيوة على صورة فرس انثي بلقا وهي التي كان جبريل
والانبيا عليهم السلام يركبونها خطوتها مدا البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشي ولا تجد ريحها
الا حيي ولا تطا على شي الا حيي وهي التي اخذ السامري من اثرها فالقاه على العجل حكي حكاه
الثعلبي والقشيري عن ابن عباس والماوردي معناه عن مقاتل والكلبي وعن مقاتل
خلق الموت يعني النطفة والعلقة والمضغة وخلق الحياة يعني خلق انسانا ونفخ فيه
الروح فصار انسانا قال القرطبي وهذا احسن يدل عليه قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا
قوله ليبلوكم متعلق بخلق وقوله ايكم احسن تقدم مثله في اول هود وقال الزمخشري
هنا فان قلت من اين تعلق قوله ايكم احسن عملا بفعل البلوي قلت من حيث انه
تضمن معني العلم فكانه قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا واذا قلت علمته ازيد احسن عملا ام هو
كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو احسن عملا فان قلت
اتسمي هذا تعليقا قلت لا انما التعليق ان يقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك
علمت ايهما عمرو وعلمت ازيد منطلق الا تري انه لا فرق بعد سبق احد المفعولين بين ان
يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان
كما افترقنا في قولك علمت ازيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا قال شهاب الدين وهذا الذي
منع تسميته تعليقا سماه به غيره ويجعلون تلك الجملة في محل ذلك الاسم الذي يتعدي
اليه ذلك الفعل فيقولون في عرفت ايهم منطلق ان الجملة الاستفهامية في محل نصب تسد
مسد مفعول عرفت وفي نظرت ايهم منطلق ان الجملة في محل نصب على اسقاط الخافض
لان نظر يتعدي به قال الزجاج اللام في ليبلوكم متعلق بخلق الحيوة لا بخلق الموت وقال
الفرا والزجاج ايضا لم تقع البلوي على اي لان فيما بين البلوي واي اضمار فعل كما تقول
بلوتكم لانظر ايكم اطوع ومثله قوله تعالى سلهم ايهم بذلك زعيم اي سلهم ثم انظر ايهم
فايهم رفع بالابتدا واحسن خبره والمعني ليبلوكم فيعلم او فينظر ايكم احسن عملا قال ابن
الخطيب ايكم مبتدا لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله

فصل الابتلاء هو التجربة
والامتحان حتى يعلم انه هل مطيع او يعصي وذلك في حق العالم بجميع المعلومات محال
وقد تقدم تحقيق هذه المسالة في قوله تعالى واذا ابتلي ابراهيم ربه بكلمات والحاصل
ان الابتلاء من الله تعالى هو ان يعامل عبده معاملة تشبه المختبر

فصل قال
السدي في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا اي اكثركم للموت ذكرا واحسن استعدادا له
واشد خوفا وحذرا وقال ابن عمر تلا النبي صلى الله عليه وسلم تبارك الذي بيده الملك
حتى بلغ ايكم احسن عملا فقال اورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقيل يعاملكم
معاملة المختبر فيبلو العبد بموت من يعز عليه ليبين صبره وبالحيوة ليبين شكره وقيل
خلق الله الموت للبعث والجزا وخلق الحياة للابتلاء وهو العزيز في انتقامه ممن عصاه
الغفور لمن تاب

فصل احتج القايلون بانه تعالى يفعل الفعل للغرض بقوله
ليبلوكم قالوا وهذه اللام للغرض كقوله تعالى الا ليعبدون والجواب ان الفعل في نفسه

ليس بالابتلاء الا انه لما اشبه الابتلاء سمي به مجازا فكذا ههنا انه تشبيه الغرض وان لم يكن في نفسه
غرضا فقدم حرف الغرض قوله الذي خلق سبع سموات طباقا يجوز ان يكون الموصول تابعا
للعزيز الغفور نعتا او بيانا او بدلا وان يكون مقطوعا عند خبر مبتدا او مفعول فعل مقدر
وقوله طباقا صفة لسبع وفيه ثلاثة اوجه احدها انه جمع طبق نحو جبل وجبال والثاني
انه جمع طبقة نحو رحبة ورحاب والثالث انه مصدر طابق يقال طابق مطابقة وطباقا ثم
اما ان يجعل نفس المصدر مبالغة واما على حذف مضاف اي ذات طباق واما ينتصب على المصدر
بفعل مقدر اي طوبقت طباقا من قولهم طابق الفعل اي جعل طبقة فوق اخري روي عن ابن
عباس طباقا اي بعضها فوق بعض والملتصق منها اطرافها قاله القرطبي وقيل مصدر بمعني
المطابقة اي خلق سبع سموات وطبقها تطبيقا او مطابقة او على طوبقت طباقا قال انه مفعول
ثان فيكون خلق بمعني جعل وصير وقال ابان بن تغلب سمعت بعض الاعراب يذم رجلا
فقال شره طباق وخيره غير باق ويجوز في غير القران سبع سموات طباق بالخفض على النعت
لسموات نظيره سبع سنبلات خضر

فصل قال ابن الخطيب دلت هذه الاية على
القدرة من وجوه احدها من حيث بقاؤها في جو الهوا معلقة بلا عماد ولا سلسلة وثانيها من
حيث ان كل منها اختص بمقدار معين مع جواز ما هو ازيد منه وانقص وثالثها انه اختص كل
واحد منها بحركة خاصة متقدرة بقدر معين من السرعة والبطو الي جهة معينة ورابعها كونها
في ذواتها محدثة وكل ذلك يدل على استنادها الي قادر تام القدرة ما تري في خلق الرحمن من
تفاوت تفاوت هو مفعول تري ومن مزيدة فيه وقرا الاخوان تفوت بتشديد الواو دون
الف قال القرطبي وهي قراة ابن مسعود والباقون بتخفيفها بعد الف وهما لغتان بمعني واحد
كالتعهد والتعاهد والتطاهر والتطهر والتصاعر والتصعر والتحمل والتحامل والتضعف
والتضاعف والتبعد والتباعد قاله الفرا وقال الاخفش تفاوت اجود لانهم يقولون تفاوت
الامر ولا يكادون يقولون تفوت واختار ابي عبيدة تفوت قال فيقال تفوت الشي اذا فات
واحتج بما روي في الحديث ان رجلا تفوت على ابيه في ماله وقال عبد الرحمن بن ابي بكر
امثلي تتفوت عليه في ماله قال النحاس وهذا مردود على ابي عبيد لان تتفوت اي تعتات
الامرا تباين او تباعد اي فات بعضها بعضا نقله القرطبي وحكي ابو زيد تفاوت الشي تفاوتا
بضم الواو وفتحها وكسرها والقياس الضم كالتقابل والفتح والكسر شاذان والتفاوت عدم
التناسب لان بعض الاجزا يفوت الاخر وهذه الجملة المنفية صفة لقوله طباقا واصلها ما تري
فيهن فوضع مكان المضمر قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن وهو
انه خلق الرحمن قاله الزمخشري وظاهر هذا انها صفة لطباقا وقام الظاهر فيها مقام المضمر وهذا
انما يعرف في خبر المبتدا وفي الصلة على خلاف فيهما وتفصيل وقال ابو حيان الظاهر انه مستانف
وليس بظاهر لانفلات الكلام بعضه من بعض وخلق مصدر مضاف لفاعله والمفعول محذوف
اي في خلق الرحمن السموات او كل مخلوق وهو اولي لتعم وان كان السياق مرشدا للاول

فصل
والمعني ما تري في خلق الرحمن من اعوجاج ولا تناقض ولا تباين بل هي مستقيمة مستوية دالة
على خالقها وان اختلفت صوره وقيل المراد بذلك السموات خاصة اي ما تري في خلق السموات
من عيب واصله من الفوت وهو ان يفوت شي شيا فيقع الخلل لعدم استوائها يدل عليه
قول ابن عباس من تفرق وقال السدي من تفاوت اي من اختلاف وعيب تقول الناظر
لو كان كذا كان احسن وقيل من التفاوت الفطور لقوله بعد ذلك فارجع البصر هل تري من
فطور ونظيره قوله تعالى وما لها من فروج قال القفال رحمه الله ويحتمل ان يكون المعني
ما تري في خلق الرحمن من تفاوت في الدلالة على حكمة الصانع وانه لم يخلقها عبثا

فصل
الخطاب في قوله ما تري في خلق الرحمن اما للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل مخاطب وكذا
القول في قوله فارجع البصر ثم ارجع البصر ينقلب اليك البصر قوله دلت هذه الاية
على كمال علم الله وذلك ان الحس دل على ان هذه السموات السبع اجسام مخلوقة على وجه الاحكام
والاتقان وكل فاعل كان فعله محكما متقنا فلا بد وان يكون عالما فدلت الاية على كونه
تعالى عالما بالمعلومات فقوله ما تري في خلق الرحمن من تفاوت اشارة الي كونها محكمة متقنة

فصل

احتج الكعبي بهذه الاية على ان المعاصي ليست من خلق الله تعالى قال لانه تعالى نفى التفاوت
عن خلقه وليس المراد نفي التفاوت في الصغر والكبر على ان افعال العباد ليست من خلقه
لما فيها من التفاوت في خلقه من حيث الحكمة فدل من هذا الوجه على ان افعال العباد ليست من
خلقه لما فيها من التفاوت الذي بعضه جهل وبعضه سفه والجواب انا نحمله على ان لا تفاوت
فيها بالنسبة اليه من حيث ان الكل يصح منه بحسب القدرة والارادة والداعية وانه لا يقبح منه شي
اصلا **فصل** روى البغوي عن كعب انه قال سما الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة
بيضا والثالثة حديد والرابعة صفرا وقال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة
ياقوتة حمرا وبين السما السابعة الى الحجب السبعة صحاري من نور قوله فارجع البصر منصب
عن قوله ما ترى وكرتين نصب على المصدر كمرتين وهو مثنى لا يراد به حقيقته بل التكثير
بدليل قوله ينقلب باتيان بنظرتين ولا ثلاث واما المعنى كرات وهذا كقولهم لبيك وسعديك
وحنانيك ودواليك وهذاذيك لا يريدون بهذه التثنية تشفيع الواحد انما يريدون التكثير
اي اجابة لك بعد اخرى ولا تناقض الغرض والتثنية تفيد التكثير لقرينة كما يفيده اصلها
وهو العطف لقرينة كقوله لو عد قبر وقبر كنت اكرمهم اي قبور كثيرة ليتم المدح وقال ابن عطية
كرتين معناه مرتين ونصبهما على المصدر وقيل الاولى ليرى حسنها واستواها والثانية ليبصر
كواكبها في سيرها وانتهائها وهذا ظاهر بلفظ التثنية فقط قوله هل ترى من فطور هذه الجملة
يجوز ان تكون معلقة لفعل محذوف يدل عليه فارجع البصر اي فارجع البصر فانظر هل ترى
وان يكون فارجع البصر مضمنا معنى انظر لانه بمعناه فيكون هو المعلق وادغم ابو عمرو لام هل
في التاء هنا وفي الحاقة واظهرها الباقون وهو المشهور في اللغة والفطور جمع فطر وهو الشق
يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق ومعناه شق اللحم وطلع قال المفسرون
الفطور الصدوع والمشقوق قال

شققت القلب ثم ذررت فيه • هواك فليط فالتام الفطور •

قوله ينقلب العامة بجزمه على جواب الامر والكسائي في رواية برفعه وفيه وجهان احدهما
ان يكون حالا مقدرة والثاني انه على حذف الفا اي فينقلب وخاسيا حال وقوله وهو حسير
حال اما من صاحب الاولى واما من الضمير المستتر في الحال قبلها فتكون متداخلة وقد تقدم ما دنا
خاسيا وحسير في المومنين والانبيا **فصل** لما قال ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت
كانه قال بعده ولعلك لا تحكم بمقتضى ذلك البصر الواحد ولا تعتمد عليه لاحتمال وقوع الغلط
في النظرة الواحدة ولكن ارجع البصر واردد النظرة مرة اخرى حتى يتيقن انه ليس وقوع الغلط
في النظرة الواحدة ولكن ارجع البصر واردد النظر مرة اخرى حتى يتيقن انه ليس في خلق الرحمن
من تفاوت البتة قال القرطبي امر بان ينظروا في خلقه ليعتبروا به ويتفكروا في قدرته
فقال فارجع البصر هل ترى من فطور اي اردد طرفك الى السما ويقال قلب البصير في السما
ويقال اجتهد بالنظر الى السما والمعنى متقارب وانما قال فارجع بالفا وليس قبله فعل
مذكور لانه قال ما ترى والمعنى انظر ثم ارجع هل ترى من فطور قاله قتادة قال مجاهد
والضحاك الفطور الشقوق وقال قتادة من خلل وقال السدي من خروق وقال ابن
عباس من وهن وقوله ثم ارجع البصر كرتين في موضع المصدر لان معناه رجعتين لان
الانسان اذا نظر في الشي مرتين ترى عينه ما لم تنظر مرة اخرى فاخبر تعالى انه وان نظر
الى السما مرتين لا ترى فيها عيبا بل يتحير بالنظر اليها وقال ابن الخطيب معناه انك اذا
كررت نظرك لم ترجع اليك بصرك بما طلبته من وجدان الخلل والعيب بل يرجع اليك خاسيا اي
مبعدا صاغرا عن ان يرى شيا من ذلك من قولك خسات الكلب اذا باعدته وطردته وخسا
الكلب بنفسه يتعدى ولا يتعدى وانخسا الكلب ايضا وخسا بصره ايضا خسا وخسوا اي سدر
قال ابن عباس الخاسي الذي لم ير ما يهوى وقال المبرد هنا الخاسي المبعد المصغر وقوله
وهو حسير اي قد بلغ الغاية في الاعيا فهو بمعنى فاعل من الحسور الذي هو الاعيا ويجوز
ان يكون مفعولا من حسره بعد الشي وهو معنى قول ابن عباس ومنه قول الشاعر

• من مد طرفا الى ما فوق غايته • ارتد حسان منه الطرف محسورا •

يقال

يقال حسر بصره يحسر حسورا اي كل وانقطع نظره من طول مدى وما اشبه ذلك فهو حسير ومحسور
ايضا قال • نظرت اليها بالمحصب من منى • فعاد الى الطرف وهو حسير •
وقيل هو النادم قال • ما انا اليوم على شي خلا • يا ابنة القين تولى بحسر •
قوله تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح السما الدنيا اي السما القريبة لانها اقرب
السموات الى الناس والمعنى السما الدنيا من الناس اي الدنيا منكم لانها فعلى ما ثبت افعل
التفضيل بمصابيح جمع مصباح وهو السراج وسمي الكواكب مصابيح لاضاءتها وسماها زينة
لان الناس يزينون مساجدهم ودورهم بالمصابيح فكانه قال ولقد زينا سقف الدار التي
اجتمعتم فيها بمصابيح الانوار قوله وجعلناها رجوما للشياطين الضمير في جعلناها يجوز
فيه وجهان اظهرهما انه يعود على مصابيح قيل وكيفية الرجم ان يوخذ نار من ضوء الكوكب
ترمى بها الشيطان والكوكب في مكانه لا يرجم به قاله ابو علي جوابا لمن قال كيف تكون زينة
وهي رجوم لا تبقى قال المهدوي وهذا على ان يكون الاستراق من موضع الكوكب والثاني
ان الضمير يعود على السما والمعنى وجعلنا منها لان ذات السما ليست للرجوم قاله ابو حيان وفيه
نظر لعدم ظهور عود الضمير على السما قال القرطبي والمعنى جعلنا شهبها فحذف المضاف بدليل
قوله الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب قال وعلى هذا فالمصابيح لا تزول ولا يرجم
بها قال المهدوي وهذا على ان يكون الاستراق دون موضع الكوكب قال القشيري وامثل
من قول ابي علي ان يقول هي زينة قبل ان ترجم بها الشياطين والرجوم جمع رجم وهو
مصدر في الاصل اطلق على المرجوم به كضرب الامير ويجوز ان يكون باقيا على مصدريته
ويقدر مضاف اي ذات رجوم وجمع المصدر باعتبار انواعه فعلى الاول يتعلق قوله للشياطين
بمحذوف على انه صفة لرجوما وعلى الثاني لا تعلق له لان اللام مزيدة في المفعول به وفيه
دلالة حينئذ على اعمال المصدر منونا مجموعا ويجوز ان يكون صفة له ايضا كالاول فيتعلق
بمحذوف وقيل الرجوم هنا الظنون والشياطين شياطين الانس كما قال وما هو عنها بالحديث
المرجم فيكون المعنى جعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم الاحكاميون من
المنجمين **فصل** قال قتادة خلق الله تعالى النجوم لثلاث زينة السما ورجوما
للشياطين وعلامات يهتدى بها في البر والبحر والاوقات فمن تاول فيها غير ذلك فقد
تكلف ما لا علم له به وتعدى وظلم وقال محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض في السما
نجم ولكنهم يتخذون الكهانة ويتخذون النجوم علة **فصل** قال ابن الخطيب ظاهر
الاية لا يدل على ان هذه الكواكب مركوزة في السما الدنيا لان السموات اذا كانت شفافة
فالكواكب سوا كانت في السما الدنيا او في سموات اخرى فوقها فهي لا بد وان تظهر في السما
الدنيا وتلوح منها فعلى التقديرين تكون السما الدنيا مزينة بهذه المصابيح واعلم ان
اصحاب الهيئة اتفقوا على ان هذه الكواكب مركوزة في الفلك الثامن الذي هو فوق
كرة السموات واحتجوا بان بعض هذه الكواكب في الفلك الثامن فيجب ان تكون كلها هناك
وانما قلنا ان بعضها في الفلك الثامن لان الكواكب القريبة من المنطقة تنكسف بهذه
السيارات فيجب ان تكون الثوابت المنكسفة فوق السيارات الكاسفة وانما قلنا ان
هذه الثوابت لما كانت في الفلك الثامن وجب ان تكون كلها هناك لانها باسرها متحركة
حركة واحدة في كل مائة سنة درجة واحدة فلا بد وان تكون مركوزة في كرة واحدة قال
ابن الخطيب وهذه استدلالات ضعيفة فانه لا يلزم من كون بعض الثوابت فوق السيارات
كونها كلها هناك لانه لا يبعد وجود كرة تحت كرة القمر وتكون في البطء مساوية لكرة الثوابت
وتكون الكواكب المركوزة فيها مقارب المطبق مركوزة في هذه الكرة السفلية اذ لا يبعد وجود
كرتين مختلفتين بالصغر والكبر كونهما متشابهتين في الحركة وعلى هذا التقدير لا يمتنع ان
تكون هذه المصابيح مركوزة في السما الدنيا فثبت بهذا ضعف مذهب الفلاسفة **فصل**
قال ابن الخطيب يروى ان للسبب في الرجوم ان الجن كانت تسمع خبر السما فلما بعث محمد
صلى الله عليه وسلم حرست السما ورصدت الشياطين فمن جا منهم مسترقا للسمع رمي بشهاب
فاحرقه لئلا ينزل به الى الارض فيلقيه الى الناس فيختلط على النبي امره ويرتاب الناس بخبره

ومن الناس من طعن في هذا من وجوه احدها ان انقضاض الكواكب مذكور في كتب قدما
الفلاسفه قالوا ان الارض اذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس فاذا بلغ الي النار
التي دون الفلك احترق بها فتلك الشعله هي الشهاب وثانيها ان الجن اذا شاهدوا
جماعة منهم يسترقون فيحترقون امتنعوا ان يعودوا الي ذلك وثالثها ان بخرق السماء مسيرة
خمسماية سنة والجن لا يقدرون علي خرقها الا ان تعالي يقضي ان يكون فيها فطورها
ونحتها بمنعهم من السمع لاسرار الملايكة حال كونهم في الارض ورابعها ان الملايكة انما
اطلعوا علي الاحوال المستقبلة ما لانهم طالعوها من اللوح المحفوظ او لانهم تلقوها من
وحي الله اليهم وعلي التقديرين فلم لم يسكتوا عن ذكرها حتي لا يتمكن الجن من معرفتها
وخامسها ان الشياطين مخلوقون من النار والنار لا تحرق النار بل تقويها وسادسها
ان كان هذا القذف لاجل النبوة فلم بقي بعدها وسابعها ان هذا الرجوم انما تحدث
بالقرب من الارض لانا نشاهدها بالعين ومع البعد لا نشاهدها كما لا نشاهد حركات
الكواكب وثامنها ان كانت الشياطين ينقلون اخبار الملايكة عن المغيبات الي الكهنة
فلم لا ينقلون اسرار المومنين الي الكفار حتي يتوسل الكفار بذلك الي الحاق الضرر بالمومنين
وتاسعها لم لم يمنعهم الله ابتدا من الصعود الي السما والجواب عن الاول انا لا ننكر ان هذه
الشهب كانت موجودة قبل مبعث النبي صلي الله عليه وسلم وعن الثاني انه اذا جا القدر
عمي البصر فاذا قضي الله علي طايفة منهم الحرق لطغيانها قيض لها من الدواعي ما
يقدمها علي العمل المفضي الي هلاكها وعن الثالث انما يبعد كون بخن الفلك ما ذكروه
بل البعد بين السما والارض مسيرة خمسماية عام وعن الرابع ما روي الزهري عن علي
ابن الحسين عن علي بن ابي طالب قال بينما النبي صلي الله عليه وسلم جالسا في نفر من
اصحابه اذا رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا حدث مثل هذا
قال كنا نقول يولد عظيم او يموت عظيم فقال صلي الله عليه وسلم فانها لا ترمي لموت
احد ولا لحياته ولكن الله تعالي اذا قضي الامر في السما سبحت حملة العرش ثم سبح
اهل السما وسبح كل سما حتي ينتهي ذلك التسبيح سما الي سما الي ان ينتهي الخبر الي هذه
السما فتخطفه الجن فيرمون فما جاوا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه وعن الخامس
ان نار الرجوم قد تكون اقوي من نار الجن وعن السادس انه عليه السلام اخبر ببطلان
الكهانة فلو لم ينقطعوا لعادت الكهانة وذلك يقدح في خبر الرسول عليه السلام وعن
السابع ان البعد عندنا نوع من السماع عندنا وعن الثامن لعله تعالي اقدرهم علي
استماع الغيوب عن الملايكة واعجزهم عن ايصال اسرار المومنين الي الكافرين وعن
التاسع ان الله تعالي يفعل ما يشا ويحكم ما يريد قوله واعتدنا لهم عذاب السعير
لما ذكرنا منافع الكواكب وذكر من جملة تلك المنافع انها رجوم للشياطين قال بعد ذلك
واعتدنا لهم عذاب السعير اي واعتدنا للشياطين بعد الاحراق بالشهب في الدنيا
عذاب السعير في الاخرة وهو اشد الحريق قال المبرد سعرت النار فهي مسعورة وسعير
مثل مقتولة وقتيل وهذه الاية تدل علي ان النار مخلوقة الان لان قوله واعتدنا
لهم خبر عن الماضي قوله وللذين كفروا اخبر مقدم في قراة العامة وعذاب جهنم مبتداه
وفي قراة الحسن والضحاك والاعرج بنصب عذاب فيتعلق باعتدنا عطفا علي لهم وعذاب ان
جهنم عطف علي عذاب السعير فعطفت منصوبا علي منصوب ومجرورا علي مجرور واعاد
الخافض لان المعطوف عليه ضمير والمخصوص بالذم محذوف اي وبيس المصير مصيرهم
او عذاب جهنم وعذاب السعير **فصل** والمعني لكل من كفر بالله من الشياطين
وغيرهم عذاب جهنم ليبين ان الشياطين المرجومين مخصوصون بذلك ثم انه تعالي
وصف ذلك العذاب بصفات اولها قوله تعالي اذا القوا فيها يعني الكفار اذا القوا
طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة سمعوا لها شهيقا اي صوتا قال ابن عباس الشهيق
لجهنم عند القا الكفار فيها كشهيق البغلة للشعير وقال عطا الشهيق للكفار عند
القايهم في النار وقال مقاتل سمعوا لجهنم شهيقا قال ابن الخطيب ولعل المراد تشبيه

صوت لهب النار بالشهيق وهو كصوت الحمير الحمار وقال المبرد هو والله اعلم تنفس كتنفس
المتغيظ قال الزجاج سمع الكفار للنار شهيقا وهو اقبح الاصوات وقيل سمعوا من انفسهم
شهيقا كقوله تعالي لهم فيها زفير وشهيق قوله لها متعلق بمحذوف علي انه حال من شهيقا لانه
في الاصل صفته ويجوز ان يكون علي حذف مضاف اي سمعوا لاهلها وهي تفور جملة حالية
فصل قال القرطبي والشهيق في الصدر والزفير في الحلق وقد مضي في سورة هود
وقوله وهي تفور اي تغلي ومنه قول حسان
تركتم قدركم لا شي فيها • وقدر القوم حامية تفور •
قال مجاهد تفور كما يفور الحب القليل في الما الكثير وقال ابن عباس تغلي بهم علي المراجل
وهذا من شدة لهب النار من شدة الغضب كما تقول فلان يفور غيظا قوله تكاد تميز من
الغيظ قرا العامة تميز بتا واحدة مخففة والاصل تتميز بتاين وهي قراة طلحة والبزي عن ابن
كثير بتشديدها ادغم احدي التاين في الاخري وهي قراة حسنة لعدم التقا الساكنين بخلاف
قراته اذ تلقونه ونارا تلظي وبابه وابو عمرو يدغم الدال في التا علي اصله في المتقاربين وقرا
الضحاك تمايز والاصل تتمايز بتاين فحذف احدهما وزيد بن علي تميز من ماز وهذا كله استعارة
من قولهم تميز فلان من الغيظ اي انفصل بعضه من بعض من الغيظ لحن مسببه اي بسبب الغيظ
ومثله في وصف كلب اشتد عدوه • يكاد يخرج من اهابه •
قال ابن الخطيب ولعل سبب هذا المجاز ان دم القلب يغلي عند الغضب فيعظم مقداره فيزداد
امتلا العروق حتي تكاد تتمزق فان قيل النار ليست شرطا للحهرة فلعل الله تعالي يخلق فيها وهي
نار حيوة ويكون هذا استعارة سببه صوت لهبها وسرعة مبادرتها بالغضبان وحركته او يكون
المراد الزبانية **فصل** قال سعيد بن جبير تكاد تميز من الغيظ يعني منقطع وينفصل
بعضها من بعض وقال ابن عباس والضحاك وابن زيد تتفرق من الغيظ من شدة الغيظ
علي اعدا الله قوله كلما القي فيها فوج تقدم الكلام علي كلما وهذه الجملة يجوز ان تكون حالا
من ضمير جهنم قوله الجماعة من الناس والانواج الجماعات في تفرقة ومنه قوله تعالي فتاتون
افواجا والمراد هنا بالفوج جماعة من الكفار سالهم خزنتها وهم مالك واعوانه سوال توبيخ وتقريع
الم ياتكم نذير اي رسول في الدنيا ينذركم هذا اليوم حتي تحذروا قال الزجاج وهذا التوبيخ زيادة
لهم في العذاب قوله بلي قد جانا نذير فيه دليل علي جواز الجمع بين حرف الجواب ونفس الجملة
المجاب بها اذ لو قالوا بلي لفهم المعني ولكنهم اظهروه تحسرا وزيادة في ندمهم علي تفريطهم في قبول
قول النذير وليعطفوا عليه قولهم فكذبنا الي اخره قوله ان انتم الا في ضلال ظاهره انه من
مقول الكفار للنذير اي وقلنا ما نزل الله من شي اي علي السنتكم ان انتم يا معشر الرسل الا في
ضلال كبير اعترفوا بجهلهم فقالوا وهم في النار لو كنا نسمع من النذر يعني الرسل ما جاوا به او نعقل
عنهم وجوز الزمخشري ان يكون من كلام الرسل للكفرة وحكاه الكفرة للخزنة اي قالوا لنا هذا فلم
نقبله قال ابن الخطيب يجوز ان يكون من كلام الخزنة للكفار اي لما قالوا ذلك الكلام قالت
الخزنة لهم ان انتم الا في ضلال كبير قوله وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير
قال ابن الخطيب احتج بهذه الاية من قال ان الدين لا يتم الا بالتعليم لانه قدم السمع علي العقل
تدل علي انه لا بد اولا من ارشاد المرشد قوله عليه من اهل الشارح ما يلقيه ثم العلم واجيب بانه
انما قدم السمع لان الرسول اذا دعي اول الباب انه يسمع كلامه ثم يتفكر فيه علي العقل لاجرم قدم
في الذكر **فصل** واحتج بهذه الاية من فضل السمع علي البصر قالوا لانه جعل للسمع
مدخلا في الخلاص من النار والفوز بالجنة والبصر ليس كذلك فوجب ان يكون السمع افضل من البصر
قوله بذنبهم وحده لانه مصدر في الاصل ولم يقصد التنويع بخلاف بذنوبهم في مواضع الاية
بمعني الجمع ولان اسم الجنس اذا اضيف **فصل** قال ابن الخطيب يحتمل ان يكون المراد
من الضلال الكبير ما كانوا عليه في الدنيا من ضلالهم ويحتمل ان يكون المراد بالضلال الهلاك ويحتمل
ان يكون قد سمي عقاب الضلال باسمه قوله احتجت المرجية بهذه الاية علي انه لا يدخل النار
الا الكفار قالوا لانه تعالي حكي عن كل من القي في النار انهم قالوا فكذبنا النذير وهذا يدل علي
ان من لم يكذب الله ورسوله لا يلقي في النار وظاهر هذه الاية يقتضي القطع فان الفاسق المصر

لا يدخل النار واجاب القاضي عبد الجبار بان النذير قد يطلق على ما في المعقول من الادلة المخوفة
وكل ما يدخل النار مخالف للدليل **فصل** واحتج بهذه الاية من قال بان معرفة
الله وشكره لا يجبان الا بعد ورود السمع قالوا لان الله تعالى انما عذبهم لانهم اتاهم النذير فدل
على انهم لو لم ياتهم النذير لم يعذبوا قوله فسحقا فيه وجهان احدهما انه منصوب على المفعول
به اي الزمهم الله سحقا والثاني انه منصوب على المصدر بتقدير سحقهم الله سحقا فناب
المصدر عن عامله في الدعا نحو جدعا له وعقرا فلا يجوز اظهار عامله واختلف النحاة هل
هو مصدر لفعل ثلاثي ام لفعل رباعي جا على حذف الزوايد فذهب الفارسي والزجاج
الى انه مصدر اسحقه الله اي ابعده قال الفارسي فكان القياس اسحاقا فجا المصدر على
الحذف كقوله فان اهلك فذلك كان قدري اي تقديري والظاهر انه لا يحتاج لذلك لانه
سمع سحقه الله ثلاثيا ومنه قول الشاعر

• يجول باطراف البلاد مغربا • وتسحقه ريح الصبا كل مسحق •

قوله والذي يظهر ان الزجاج والفارسي انما قالا ذلك فيمن يقول من العرب اسحقه الله
سحقا وقرا العامة بضمة وسكون والكسائي في احرين بضمتين وهما لغتان والاحسن ان
يكون المثقل اصلا للمخفف ولاصحاب البنا لهيت لك وسقيا لك وقال مكي والرفع يجوز
في الكلام على الابتدا اي لو قيل فسحق جاز لا على انه دعا من حيث الصناعة الا ان ابن عطية
قال ما يضعفه فانه قال فسحقا نصبا على جهة الدعا عليهم وجاز ذلك فيه وهو من قبل
الله تعالى من حيث ان هذا القول فيهم مستقرا ولا وجود لم يقع ولا يقع الا في الاخرة فكانه
لذلك في حيز المتوقع الذي يدعى فيه كما يقول سحقا لزيد وبعدا له والنصب في هذا كله
باضمار فعل واما ما وقع وثبت فالوجه فيه الرفع كما قال تعالى ويل للمطففين وسلام عليكم
وغير هذا من الامثلة انتهى فضعف الرفع كما ترى لانه لم يقع بل هو متوقع في الاخرة **فصل**
قال المفسرون فسحقا لاصحاب السعير اي فبعدا لهم من رحمة الله تعالى وقال سعيد بن
جبير وابو صالح هو واد في جهنم يقال له السحق قوله الذين يخشون ربهم بالغيب
نظيره من خشي الرحمن بالغيب وتقدم معنى الكلام فيه اي يخافون الله ويخافون عذابه
الذي هو بالغيب وهو عذاب يوم القيمة اي يخشون في دار التكليف اي يتقون جميع
المعاصي قال ابن الخطيب وفي الاية دليل على انقطاع وعيد الفساق لان من جا يوم
القيمة مع هذه الخشية لفسق فلابد له من انقطاع الثواب بالعقاب باطل بالاجماع فثبت
المغفرة لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير وهو الجنة قوله لهم مغفرة الاحسن ان يكون الخبر
لهم ومغفرة فاعلا به لان الخبر المفرد اصل والجار من قبيل المفردات او اقرب اليها قوله
واسروا قولكم او اجهروا به اللفظ لفظ الامر والمراد به الخبر يعني ان اخفيتم كلامكم في امر
محمد صلى الله عليه وسلم او جهرتم به فان الله عليم بذات الصدور يعني بما في القلوب
من الخير والشر قال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله
عليه وسلم فيخبره جبريل فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كي لا يسمع رب محمد فنزلت
واسروا قولكم او اجهروا به يعني واسروا قولكم في محمد وقيل انه خطاب عام لجميع الخلق
في جميع الاعمال والمراد ان قولكم وعملكم على اي سبيل وجد فالحال واحدة في علمه تعالى
فاحذروا من المعاصي سرا كما تحترزون عنها جهرا فان ذلك لا يتفاوت بالنسبة الى علم
الله تعالى انه عليم بذات الصدور ذات الصدور ما فيها كما يسمى ولد المراة وهو جنين
ذا بطنها قوله الا يعلم من خلق في من خلق وجهان احدهما انه فاعل يعلم والمفعول
محذوف تقديره الا يعلم الخالق خلقه وهذا هو الذي عليه جمهور الناس وبه بدا
الزمخشري والثاني ان الفاعل مضمر يعود على الباري تعالى ومن مفعول به اي الا
يعلم الله من خلقه قال ابو حيان والظاهر ان من مفعول والمعنى انتفى علمه بمن
خلقه وهو الذي لطف علمه ودق ثم قال واجاز بعض النحويين ان يكون من فاعله
والمفعول محذوف كانه قال الا يعلم الخالق سركم وجهركم وهو استفهام معناه الانكار
قال شهاب الدين وهذا الوجه الذي جعله هو الظاهر يعزيه الناس لاهل الزيغ

والبدع

والبدع الرافضين لعموم الخلق لله تعالى وقد اطنب مكي في ذلك وانكر على القايل به ونسبه
الى ما ذكرت فقال وقد قال بعض اهل الزيغ ان من في موضع نصب اسم للمسرين والجاهرين
ليخرج الكلام عن عمومه ويدفع عموم الخلق عن الله تعالى ولو كان كما زعم لقال الا يعلم ما خلق
لانه انما تقدم ذكر ما تكن الصدور فهو في موضع ما ولو اتت ما في موضع من لكان فيه ايضا بيان
للعموم ان الله خالق كل شي من اقوال الخلق اسروها او اظهروها خيرا كانت او شرا ويقوي ذلك
انه عليم بذات الصدور ولم يقل عليم بالمسرين والجاهرين وتكون ما في موضع نصب وانما يخرج
الاية من هذا العموم اذا جعلت ما في موضع نصب اسما للاناس المخاطبين قبل هذه الاية
وقوله بذات الصدور يمنع من ذلك انتهى قال شهاب الدين ولا ادري كيف يلزم ما قاله
مكي بالاعراب الذي ذكره والمعنى الذي ابداه وقد قال بهذا القول اعني الاعراب الثاني جماعة
من المحققين ولم يبالوا بما ذكره لعدم ايهام الاية اياه وقال الزمخشري بعد كلام ذكره ثم
ذكر انه يجب ان يعلم ما تضمر والمسر والمجهر من خلق الاشيا وحاله انه اللطيف الخبير المتوصل
علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا يعني الا يعلم مخلوقه
وهذه حاله ثم قال فان قلت قدرت في الا يعلم مفعولا على معنى الا يعلم ذلك المذكور مما
اضمر في القلب واظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطي ويمنع وهلا كان
المعنى الا يكون عالما من هو خالق لان الخلق لا يصح الا مع العلم قلت ابت ذلك الحال التي
هي قوله وهو اللطيف الخبير لانك لو قلت الا يكون عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير
لم يكن معنى صحيحا لان الا يعلم معتمد على الحال والشي لا يوقت بنفسه فلا يقال الا يعلم وهو
عالم ولكن الا يعلم كذا وهو عالم بكل شي قوله معنى الاية الا يعلم السر من خلق السر تقول
انا خلقت السر في القلب افلا اكون عالما بما في قلوب الخلق عالما بما خلقه وما يخلقه قال
ابن المسيب بينما رجل واقف بالليل في شجر كبير وقد عصفت الريح فوقع في نفس الرجل اترى
الله يعلم ما يسقط من هذا الورق فنودي من جانب الغيضة بصوت عظيم الا يعلم من
خلق وهو اللطيف الخبير وقال ابو اسحاق الاسفرايني من اسما صفات الذات ما هو
للعلم منها العليم ومعناه تعميم جميع المعلومات ومنها الخبير ويختص بان يعلم ما يكون قبل
ان يكون ومنها الحكيم ويختص بان يعلم دقايق الاوصاف ومنها الشهيد ويختص بان يعلم
الغايب والحاضر ومعناه ان لا يغيب عنه شي ومنها الحافظ ويختص بانه لا ينسى شيا ومنها
المحصي ويختص بانه لا يشغله الكثرة عن العلم مثل ضوء النور واشتداد الريح وتساقط
الاوراق فيعلم عند ذلك اجزا الحركات في كل ورقة وكيف لا يعلم وهو الذي خلق وقد قال
الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير **فصل** لما قال تعالى انه عليم بذات الصدور
ذكر الدليل على انه عالم فقال الا يعلم من خلق الاية والمعنى ان من خلق لابد وان يكون
عالما بحقيقة ذلك المخلوق كيفية وكمية قال ابن الخطيب بين الحركة السريعة والبطيئة
انما هو لتخلل السكنات والفاعل للحركة البطيئة قد يفعل حركة وسكونا ولم يخطر بباله
ذلك فضلا عن كيفية ولان المتحرك لا يعرف عدد اجزا الحركات الا اذا عرف عدد الاحياز التي
هي بين مبدا المسافة ومنتهاها وذلك يتوقف على علمه بالجواهر المفردة التي تتشكل
في تلك المسافة وعددها وذلك غير معلوم ولان النايم يتحرك مع عدم علمه ولان قوله
الا يعلم من خلق انما يتصل بما قبله لو كان خالقا فكل ما يفعلونه سرا وجهرا وبما في الصدور
فان قيل لم لا يجوز ان يكون المراد الا يعلم من خلق الاجساد اذ لا يلزم ان من فعل شيا
يكون عالما به فيه اجزا قوله وهو اللطيف الخبير قيل اللطيف العالم وقيل هو فاعل الاشيا
اللطيفة التي تخفى علمها على اكثر الفاعلين ولهذا يقال ان لطف الله تعالى بعباده عجيب
والمراد به دقايق تدبيره لهم وهذا اقرب والا لكان ذكر الخبير بعده تكرارا قوله هو
الذي جعل لكم الارض ذلولا لما بين بالدليل كونه عالما بما يسرون وما يعلنون ذكر بعده
تكرارا قوله هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لما بين بالدليل كونه عالما بما يسرون وما يعلنون
ذكر بعده هذه الاية على سبيل التهديد كقول السيد لعبده الذي اسا اليه سرا يا فلان
انا اعرف سرك وعلانيتك فاجلس في هذه الدار التي وهبتها منك وكل هذا الخبز الذي

هيانه افلا قامن قاديتى فكانه تعالي يقول يا ايها الكفار اتاها من يسركم وجهركم وضمايركم تهاوني
فان الارض التي هي قراركم انا ذللتها لكم ولو شيت خسفت بكم والذلول المنقاد الذي
يذل لك والمصدر الذل وهو اللين والانقياد اي لم يجعل الارض بحيث يمتنع المشي فيها بالحزونه
والغلظه وقيل بثبتها بالجبال لئلا تزول باهلها ولو كانت منكفا تمايله لما كانت منقادة لنا
وقيل اشار الي التمكن من الزرع والغرس وشق العيون والانهار وحفر الابار وبناء الابنيه ولو
كانت متلبة لتعذر ذلك وقيل لو كانت مثل الذهب والحديد لكانت تسخن جدا في الصيف
وكانت تبرد جدا في الشتا **قوله** تعالي فامشوا في مناكبها هذه استعارة حسنة جدا وقال
الزمخشري مثل لفظ التذليل ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق
شي من البعير وانباه عن ان يطاه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي
في مناكبها لم تترك **فصل** هذا امر اباحة وفيه اظهار الامتنان ويقال هو خبر بلفظ الامر
اي لكي يمشوا في اطرافها ونواحيها واكامها وجبالها وقال ابن عباس وقتادة وبشير بن
كعب في مناكبها في جبالها وروي ان بشير بن كعب كانت له سرية فقال لها ان اخبرتني ما
مناكب الارض فانت حرة فقالت مناكبها جبالها فصارت حرة فاراد ان يتزوجها فسال ابا
الدردا فقال دع ما يريبك الي ما لا يريبك وقال مجاهد في اطرافها وعنه ايضا في طرقها وفجاجها
وهو قول السدي والحسن وقال الكلبي في جوانبها ومنكبا الرجل جانباه واصل الكلمة
الجانبه ومنه منكب الرجل والريح والنكبا ومنكب فلان عن فلان يقول امشوا حيث اردتم
فقد جعلتها لكم ذلولا تتمنع وحكي قتادة عن ابي الجلد ان الارض اربعة وعشرون الف
فرسخ فللسودان اثنا عشر الف فرسخ وللروم ثمانية الاف وللفرس ثلاثة الاف وللعرب
الف **قوله** وكلوا من رزقه قال الحسن مما احله لكم وقيل مما انبته لكم وقيل مما خلق الله
لكم رزقا في الارض واليه النشور المرجع وقيل معناه ان الذي خلق السموات لا تفاوت
فيهما والارض ذلولا قادر علي ان ينشركم واليه تبعثون من قبوركم **قوله** اامنتم من في
السما تقدم اختلاف القرا في الهمزتين المفتوحتين نحو اانذرتهم تخفيفا وتحقيقا وادخال
الف بينهما وعدمه في سورة البقرة وان قنبل يقرا هنا بابدال الهمزة الاولي واوا في الوصل واليه
النشور وامنتم وهو علي اصله من تسهيل الثانية بين بين وعدم الف بينهما واما اذا ابتدا
فيحقق الاولي ويسهل الثانية بين بين علي ما تقدم ولم يبدل الاولي فاوا والزوال
موجبه وهو انضمام ما قبلها وهي مفتوحة نحو موجل ويواخذكم وقد مضي في سورة الاعراف
عند قوله قال فرعون امنتم وانما اعدناه تذكيرا وبيانا **قوله** من في السما مفعول
امنتم وفي الكلام حذف مضاف اي امنتم خالق من في السموات وقيل في بمعني علي اي علي
السما كقوله ولاصلبنكم في جذوع النخل اي علي جذوع وانما احتاج القايل بهذين الي ذلك
لانه اعتقد ان من واقعة علي الباري وهو الظاهر وثبت بالدليل القطعي انه ليس بمتحيز
لئلا يلزم التجسيم ولا حاجة الي ذلك فان من هنا المراد بها الملايكة سكان السما وهم
الذين يتولون الرحمة والنقمة وقيل خوطبوا بذلك علي اعتقادهم فان القوم كانوا مجسمة
مشبهة والذي تقدم احسن قال ابن الخطيب هذه الاية لا يمكن اجراوها علي ظاهرها
باتفاق المسلمين لان ذلك يقتضي احاطة السما به من جميع الجوانب فيكون اصغر منها
والعرش اكبر من السما بكثير فيكون حقيرا بالنسبة الي العرش وهو باطل بالاتفاق ولانه
قال قل لمن ما في السموات والارض فلو كان فيهما لكان مالكا لنفسه فالمعني اما من في السما
عذابه واما ان ذلك بحسب ما كانت العرب تعتقده واما من في السما سلطانه وملكه وقدرته
كما قال تعالي وهو الله في السموات وفي الارض فان الشي الواحد لا يكون دفعة واحدة في
مكانين والغرض من ذكر السما تفخيم سلطان الله وتعظيم قدرته او المراد الملك الموكل بالعذاب
وهو جبريل يخسفها باذن الله **قوله** ان يخسف بكم الارض وان يرسل فيه وجهان احدهما
انهما بدلا لان من من في السما بدل اشتمال اي امنتم خسفه وارساله قاله ابو البقا والثاني
ان يكون علي حذف من اي امنتم من الخسف والارسال والاول اظهر **فصل** قال
القرطبي ويحتمل ان يكون المعني امنتم خالق من في السما ان يخسف بكم الارض كما خسفها بقارون

فاذا هي تمور اي تذهب وتجي والمور الاضطراب بالذهاب والمجي قال الشاعر

رمين فاقصدن القلوب وان تري ● وماما يرا الا جوي في الحيازم

جمع حيزوم وهو وسط الصدر واذا خسف بانسان دارت به الارض فهو المور قال ابن الخطيب
ان الله تعالي يحرك الارض عند الخسف بهم حتي تضطرب وتتحرك فتعلو عليهم وهم يخسفون
فيها فيذهبون والارض فوقهم تمور فتقلبهم الي اسفل السافلين قال القرطبي قال المحققون
امنتم من فوق السما كقوله فسيحوا في الارض اي فوقها لا بالمماسة والتحيز لكن بالقهر والتدبير
وقيل معناه امنتم من علي السما كقوله ولاصلبنكم في جذوع النخل اي عليها ومعناه انه مدبرها
ومالكها كما يقال فلان علي العراق اي واليها واميرها والاخبار في هذا صحيحة كثيرة منتشرة
مشيرة الي العلو لا يدفعها الا ملحد او جاهل او معاند والمراد بها توقيره وتنزيهه عن السفل والتحت
ووصفه بالعلو والعظمة لا بالاماكن والجهات والحدود لانها صفات الاجسام وانما ترفع
الايدي بالدعا الي السما لان السما مهبط الوحي ومنزل القطر ومحل المعدين ومعدن المطهرين
من الملايكة واليها ترفع اعمال العباد وفوقها عرشه وجنته كما جعل الله تعالي الكعبة قبلة
للصلاة ولانه خلق الامكنة وهو غير محتاج اليها وكان في ازله قبل خلق المكان والزمان
ولا مكان له ولا زمان وهو الان علي ما عليه كان **قوله** ام امنتم من في السما ان يرسل عليكم
حاصبا قال ابن عباس اي حجارة من السما كما ارسلها علي قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريح فيها
حجارة وحصبا كانها تقلع الحصبا لشدتها وقوتها وقيل هي سحاب فيها حجارة **قوله** فستعلمون
كيف نذير قيل النذير هنا المنذر يعني محمدا صلي الله عليه وسلم وهو قول عطا عن ابن
عباس والضحاك والمعني فستعلمون رسولي وصدقه لكن حين لا ينفعكم ذلك وقيل انه بمعني
الانذار والمعني فستعلمون عاقبة انذاري اياكم بالكتاب والرسول وكيف في قوله كيف نذيري ينبي
عما ذكرنا من صدق الرسول او عقوبة الانذار وقد تقدم ان نذير ونكير مصدران بمعني الانذار
والانكار واثبت ورش يا نذيري وقفا وحذفها وصلا وحذفها الباقون في الحالين **قوله**
ولقد كذب الذين من قبلهم يعني كفار الامم كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فكيف كان نكير
اي انكاري وتغييري قال الواحدي وقال ابو مسلم النكير عقاب المنكر ثم قال سقطت اليا من
نذيري ومن نكيري حتي تشابه روس الاي المتقدمة عليها والمتاخرة عنها **قوله** اولم يروا
الي الطير فوقهم صافات لما ذكر ما تقدم من الوعيد ذكر البرهان علي كمال قدرته علي ايصال
جميع انواع العذاب اليهم ومعناه كما ذلل الارض للادمي ذلل الهوا للطيور وصافات اي
باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها قال شهاب الدين صافات يجوز ان يكون حالا من
الطير وان يكون حالا من فوقهم اذا جعلناه حالا فيكون حالا متداخلة وفوقهم ظرف لصافات علي
الاول او ليروا وقوله ويقبضن عطف الفعل علي الاسم لانه بمعناه اي وقابضات فالفعل هنا
يوول بالفعل عكس قوله ان المصدقين والمصدقات واقرضوا فان الاسم هناك موول بالفعل
وقد تقدم الاعتراض علي ذلك وقول ابي البقا معطوف علي اسم الفاعل حملا علي المعني اي هن
يصففن ويقبضن اي صافات وقابضات لا حاجة الي تقديره يصففن ويقبضن لان الموضع
للاسم فلا نووله بالفعل وقال ابو حيان وعطف الفعل علي الاسم لما كان في معناه ومثله قوله
تعالي فالمغيرات صبحا فاثرن عطف الفعل علي الاسم لما كان المعني فاللاتي اغرن فاثرن ومثل
هذا العطف فصيح وكذا عكسه الا عند السهيلي فانه قبيح نحو قوله

بات يعشيها بعضب باتر ● يقصد في اسوقها وجاير

اي قاصد في اسوقها وجاير وكذا قال القرطبي هو معطوف علي صافات عطف المضارع علي
اسم الفاعل كما عطف اسم الفاعل علي المضارع في قول الشاعر بات يعشيها البيت قال شهاب
الدين هو مثله في عطف الفعل علي اسم الفاعل الا ان الاسم فيه موول بالفعل علي هذه الاية
ومفعول يقبضن محذوف اي ويقبضن اجنحتهن قاله ابو البقا ولم يقدر لصافات مفعولا كانه
زعم ان الاصطفاف في انفسها اي مصطفة والظاهر ان المعني صافات باسطات اجنحتهن ثم
قال فان قلت لم قال ويقبضن ولم يقل وقابضات قلت لان الطيران هو صف الاجنحة
لان الطيران في الهوا كالسباحة في الما والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض

نظاري على البسط للاستظهار به على التحرك بحيث عما هو طاري غير أصلي بلفظ الفعل على
معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح قوله ما يمسكهن
يجوز أن تكون الجملة مستأنفة وأن تكون من الضمير في يقبضن قاله أبو البقاء والأول أظهر
وقرأ الزهري بتشديد السين **فصل** ويقبضن أي يضربن بها جنوبهن قال أبو
جعفر النحاس يقال للطائر إذا بسط جناحيه صاف وإذا ضمهما فأصابا جنبيه قابض لأنه
يقبضهما قال أبو خراش • يبادر جنح الليل فهو موائل يحث الجناح بالتبسط والقبض •
وقيل ويقبضن أجنحتهن بعد بسطها إذا وقفن من الطيران وقوله ما يمسكهن أي ما يمسك
الطير في الجو وهي تطير إلا الله عز وجل إنه بكل شيء بصير قال ابن الخطيب وفيه وجهان
الأول المراد من البصير كونه عالما بالأشياء الدقيقة كما يقال فلان له بصر في هذا الأمر
أي حذق والثاني أن تجري اللفظ على ظاهره فنقول قوله إنه بكل شيء بصير فيكون رائيا
لنفسه ولجميع الموجودات وهذا هو الذي يقوله أصحابنا إنه تعالى بكل شيء يصح أن يكون
مرئيا وأن كل الموجودات كذلك فإن قيل البصير إذا عدي بالباء يكون بمعنى العالم يقال
فلان بصير بكذا إذا كان عالما قلنا لا نسلم فإنه سميع بالمسموعات بصير بالمبصرات

فصل في قوله ما يمسكهن إلا الرحمن دليل على أن الأفعال الاختيارية للعبد مخلوقة
لله تعالى لأن استمساك الطير في الهواء فعل اختياري له وقد نسبه الرحمن قوله أمن
هذا الذي قرأ العامة بتشديد الميم على إدغام ميم أم في ميم من وأم بمعنى بل لأن بعدها
اسم استفهام وهو مبتدأ خبره اسم الإشارة وقرأ طلحة بتخفيف الأول وتثقيل الثاني
قال أبو الفضل معناه أهذا الذي هو جند لكم أم الذي يرزقكم وينصركم صفة الجند **فصل**
قال ابن عباس جند لكم أي حزب ومنعة لكم ينصركم من دون الرحمن فيدفع عنكم ما أراد
بكم إن عصيتموه ولفظ الجند يوحد ولذلك قال هذا الذي هو جند لكم وهو استفهام إنكار
أي لا جند لكم يدفع عنكم عذاب الله من دون الرحمن أي من سوى الرحمن إن الكافرون إلا في
غرور من الشيطان يغرهم بأن لا عذاب ولا حساب قال بعض المفسرين كان الكفار يمتنعون
عن الإيمان ويعاندون الرسول عليه السلام معتمدين على شيئين أحدهما قوتهم بما لهم
وعددهم والثاني اعتقادهم أن الأوثان توصل إليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات
فأبطل الله عليهم الأول بقوله أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم الآية ورد عليهم الثاني
بقوله أمن هذا الذي يرزقكم الآية قوله إن أمسك رزقه شرط جوابه محذوف
للدلالة عليه أي فمن يرزقكم غيره وقدر الزمخشري شرطا بعد قوله أمن هذا الذي هو جند
لكم تقديره إن أرسل عليكم عذابه ولا حاجة لصناعة **فصل** المعنى أمن هذا الذي
يرزقكم أي يعطيكم منافع الدنيا وقيل المطر من آلهتكم إن أمسك يعني الله تعالى رزقه
وهذا مما لا ينكره ذو عقل وهو أنه تعالى إن أمسك أسباب الرزق كالمطر والنبات وغيرهما
لما وجد رازق سواه بعد وضوح هذا الأمر قال تعالى بل لجوا أي تمادوا وأصروا في
عتو وطغيان ونفور عن الحق وتباعدوا وإعراض عن الحق قوله أفمن يمشي مكبا على
وجهه مكبا حال من فاعل يمشي قال الواحدي أكب مطاوع كبه يقال كببته فأكب قال
الزمخشري هو من الغرائب والشواذ ونحوه قشعت الريح السحاب فأقشع ولا شيء من بناء
أفعل مطاوع بل قولك أكب من باب أنفض وألأم ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب وكذلك
أقشع السحاب دخل في القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع قال أبو حيان ومكبا
حال من أكب وهو لا يتعدى وكب متعد قال تعالى فكبت وجوههم في النار والهمزة فيه
للدخول في المعنى أو للصيرورة ومطاوع كب انكب تقول كببته فانكب قال الزمخشري
ولا شيء من بناء أفعل إلى جملة كتاب سيبويه عمي لبصره وبصيرته عن حتى أن الإمام أبا
الحجاج يوسف بن معزوز صنف كتابا يذكر فيه ما غلط الزمخشري فيه وما جهله من كتاب
سيبويه انتهى قال شهاب الدين انظر إلى هذا الرجل كيف أخذ كلام الزمخشري الذي
أرسله عنه طريقه عبارته حرفا بحرف ثم أخذ يحمي عليه بإساءة الأدب جزاء ما لقنه
تلك الكلمات الرائقة وجعله يقول إن مطاوع كب انكب لا أكب وأن الهمزة في أكب للصيرورة

أو

أو للدخول في الشيء وبالله لو بقي دهره غير ملقن إياها لما قالها أبدا ثم أخذ يذكر عن إنسان
مع أبي القاسم كالشيء مع أنه غلطه في نصوص من كتاب سيبويه الله أعلم بصحتها وكم من عائب
قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم وعلى تقدير التسليم فالفاضل من عدت سقطاته قال
القرطبي يقال أكب الرجل على وجهه فيما لا يتعدى بالألف فإذا تعدى قيل كبه الله لوجهه بغير
ألف وقوله أفمن يمشي هو المعادل لأمن يمشي مكبا وقال أبو البقاء وأهدى خبر من يمشي وخبر
من الثانية محذوف ومعنى أن الأصل أفمن يمشي سويا أهدى ولا حاجة إلى ذلك لأن قولك
أزيد قائم أم عمرو لا يحتاج فيه من حيث الصناعة إلى حذف الخبر بل تقول هو معطوف
على زيد عطف المفردات ووحد الخبر لأن أم لأحد الشيئين **فصل** قال المفسرون أفمن
يمشي مكبا أي منكسا رأسه لا ينظر أمامه ولا يمينه ولا شماله فهو لا يأمن من العثور والانكباب
على وجهه كمن يمشي سويا معتدلا ناظرا ما بين يديه وعن يمينه وعن شماله قال ابن عباس
هذا في الدنيا ويجوز أن يريد به الأعمى الذي لا يهتدي إلى الطريق فلا يزال ينكب على وجهه
وإنه ليس كالرجل السوي الصحيح البصير الماشي في الطريق المهتدي له وقال قتادة هو
الكافر أكب على معاصي الله في الدنيا يحشره الله يوم القيامة على وجهه وقال ابن عباس والكلبي
عني بالذي يمشي مكبا على وجهه أبا جهل وبالذي يمشي سويا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل أبو بكر وقيل حمزة وقيل عمار بن ياسر قاله عكرمة وقيل هو عام في الكافر والمؤمن
أي أن الكافر لا يدري أعلى حق المرام على باطل أي أهذا الكافر أهدى أو المسلم الذي يمشي
سويا معتدلا يبصر الطريق وهو على صراط مستقيم وهو الإسلام قوله قل هو الذي أنشأكم
أمر نبيه أن يعرفهم قبح شركهم مع اعترافهم بأن الله خلقهم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة
يعني القلوب قوله قليلا نعت مصدر محذوف أو حال من ضمير المصدر كما هو رأي سيبويه
وما مزيدة أي تشكرون قليلا والجملة من تشكرون إما مستأنفة وهو الظاهر وإما حال
مقدرة لأنهم حال الجعل غير شاكرين والمراد بالقلة العدم أو حقيقتها أي لا تشكرون هذه
النعم ولا توحدون الله تعالى يقول قل ما أفعل كذا أي لا أفعله قال ابن الخطيب وذكر
السمع والبصر والفؤاد ههنا تنبيها على دقيقة لطيفة كأنه تعالى قال أعطيتم هذه الأعضاء
الثلاثة مع ما فيها من القوى الشريفة فضيعتموها ولم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما
أبصرتموه ولا تأملتم في عاقبة ما عقلتموه فكأنكم ضيعتم هذه النعم وأفسدتم هذه المواهب
فلهذا قال قليلا ما تشكرون قوله قل هو الذي ذرأكم في الأرض قال ابن الخطيب اعلم
أنه تعالى استدل بأحوال الحيوان أولا ثم بصفات الإنسان ثانيا وهو السمع والبصر والعقل
ثم بحدوث ذاته ثالثا وهو قوله قل هو الذي ذرأكم واعلم أن الشروع في هذه الدلائل
إنما كان لبيان صحة الحشر ليثبت ما ادعاه من الابتلاء في قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولهذا
ختم الآية بقوله وإليه تحشرون لأنه لما ثبت القدرة على الخلق ابتداء فهذه القدرة على الإعادة
فلهذا ختمها بقوله وإليه تحشرون **فصل** قال ابن عباس خلقكم في الأرض
وقال ابن بحر نشركم فيها وفرقكم فيها على ظهرها وإليه تحشرون فيجازي كلا بعمله ويقولون
متى هذا الوعد إن كنتم صادقين أي متى يوم القيامة ومتى هذا العذاب الذي تعدوننا
به قال أبو مسلم إنه تعالى قال ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين بلفظ المستقبل
وهذا يحتمل ما يوجد من الكفار من هذا القول في المستقبل ويحتمل الماضي والتقدير وكانوا
يقولون متى هذا الوعد ولعلهم كانوا يقولون ذلك سخرية واستهزاء إذ كانوا يقولونه إيهاما
لضعفه ثم إنه تعالى أجاب عن هذا السؤال فقال قل إنما العلم عند الله أي قل لهم يا محمد
علم وقت قيام الساعة عند الله فلا يعلمه غيره نظيره قل إنما علمها عند ربي الآية وإنما
أنا نذير مبين أي مخوف ومعلم لكم ثم إنه تعالى بين حالهم عند نزول ذلك الوعد وهو قوله
تعالى فلما رأوه زلفة أي الموعود أو العذاب زلفة أي قريبا فهو حال وقال القرطبي
مصدر بمعنى مزدلفا أي قريبا قاله مجاهد ولا بد من حذف مضاف أي ذا زلفة وجعل
نفس الزلفة مبالغة وقيل زلفة تقديره مكانا ذا زلفة فينتصب انتصاب المصدر
فصل قال الحسن عيانا وأكثر المفسرين على أن المراد عذاب الآخرة وقال مجاهد

عذاب يوم بدر وقيل رأوا ما وعدوا من الحشر قريبا منهم لقوله واليه تحشرون وقال ابن عباس
يعني عملهم السيئ قريبا قوله سيئت الاصل ساء اي احزن وجوههم العذاب ورؤيته ثم بني
للمفعول وساء هنا ليست المراد فيه بئس كما تقدم مرارا واشمّ كسرة السين الضم نافع وابن
عامر والكسائي كما فعلوا ذلك في سيء بهم في هود كما تقدم والباقون باخلاص الكسر وتقدم
تحقيق هذا وتصريفه في اول البقرة وان فيه لغات عند قوله واذا قيل لهم **فصل**
قال ابن عباس سيئت اي اسودت وعليها الكآبة والغبرة يقال ساء الشيء يسوء فهو سيئ
واذا قبح وسيئ يسال اذا قبح وهو فعل لازم ومتعدي فمعنى سيئت وجوههم اي قبحت
بان عليها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا قال الزجاج تبين فيها السوء اي ساءهم
ذلك العذاب وظهر على وجوههم سيئة تدل على كفرهم كقوله تعالى يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه قوله وقيل هذا الذي كنتم به تدعون اي قالت لهم الخزنة قال
الفراء تفتعلون من الدعاء وهو قول اكثر العلماء اي تتمنون وتسألون وقال ابن عباس
تكذبون وتأويله هذا الذي كنتم من اجله تدعون الاباطيل والاحاديث قاله
الزجاج وقرأ العامة بتشديد الدال المفتوحة تفتعل من الدعوى اي تدعون انه
لا جنة ولا نار قاله الحسن وقيل من الدعاء اي تطلبونه وتستعجلونه وقرأ الحسن وقتادة
وابو رجاء والضحاك ويعقوب وابو زيد وابو بكر وابن ابي عبلة ونافع في رواية
الاصمعي بسكون الدال وهو يؤيده للقول بانها من الدعاء وفي قراءة العامة قال قتادة
هو قولهم ربنا عجل لنا قطنا وقال الضحاك هو قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك
الاية وقال النحاس تدعون وتدعون بمعنى واحد كما يقال قدروا واقتدروا وعدى
واعتدى الا ان في افتعل معنى شيء بعد شيء وفعل يقع للقليل والكثير قوله قل
ارأيتم ان اهلكني الله اي قل لهم يا محمد يعني مشركي مكة وكانوا يتمنون موت محمد صلى
الله عليه وسلم كما قال ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ارأيتم ان متنا او رحمنا
فاخرت اجالنا من معي ان ارحمن يعني من المؤمنين فمن يجيركم من عذاب الله فلا حاجة
لكم الى التربص بنا ولا الى استعجال قيام الساعة واسكن الياء في اهلكني ابن محيصن والمسيبي
وشيبة والاعمش وحمزة وفتحها الباقون وكلهم فتح الياء من معي الا اهل الكوفة
فانهم يسكنونها وفتحها حفص كالجماعة قوله قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا قد تقدم
ولم اخر متعلق الايمان وقدم متعلق التوكل وان التقديم يفيد الاختصاص قال
القرطبي انما قدم لوقوع امنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كانه قيل امنا ولم
نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متكلون عليه من رجالكم
واموالكم قاله الزمخشري وقرأ الكسائي فسيعلمون بياء الغيبة نظرا الى قوله الكافرين
والباقون بالخطاب اما على الوعيد واما على الالتفات من الغيبة المرادة في قراءة الكسائي
وهو تهديد لهم كما تقدم الدلالة قوله قل ارأيتم يا معشر قريش ان اصبح ماؤكم غورا اي غائرا
ذاهبا في الارض اي ستعلمون عند معاينة العذاب من الضال نحن ام انتم وغورا خبر
اصبح وجوز ابو البقاء ان يكون حالا على تمام اصبح لكنه استبعده وحكى انه قرئ غؤورا
بضم الغين وهمزة مضمومة ثم واو ساكنة عن فعول وجعل الهمزة منقلبة عن واو
مضمومة **فصل** كان ماؤهم من بئرين بئر زمزم وبئر ميمون فمن يأتيكم بماء معين
اي جار قاله قتادة والضحاك فلا بد لهم من ان يقولوا لا يأتينا به الا الله تعالى فقل
لهم فلم تشركون به من لا يقدر على ان يأتيكم به يقال غار الماء يغور غورا اي نضب
والغور الغائر وصف بالمصدر للمبالغة كما يقال رجل عدل ورضى وقد مضى في سورة
الكهف قال ابن عباس بماء معين اي ظاهر تراه العيون فهو مفعول وقيل هو من
معن الماء اي كثر فهو على هذا فعيل وعن ابن عباس ايضا ان المعنى فمن يأتيكم بماء
عذب وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان سورة من كتاب
الله ما هي الا ثلاثون اية شفعت لرجل فاخرجته يوم القيامة من النار وادخلته الجنة
وهي سورة تبارك وعن عبد الله بن مسعود قال اذا وضع الميت في قبره يؤتى من

قبل

قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل لانه قد كان يقوم بسورة الملك ثم يؤتى من قبل رأسه
فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل لانه كان يقرأ بي سورة الملك ثم قال هي المانعة من عذاب
الله وهي في التورية سورة الملك من قرأها في ليلة فقد اكثر واطنب وعن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددت ان تبارك الذي بيده الملك في قلب كل مؤمن

سورة نون مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة من اولها الى قوله تعالى
سنسمه على الخرطوم مكي ومن بعد ذلك الى قوله تعالى فهم يكتبون مدني ومن بعد ذلك
الى قوله تعالى من الصالحين مدني وباقيها مكي قاله الماوردي وهي اثنان وخمسون اية
وثلاث ماية كلمة والف ومايتان وستة وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ن كقوله ص والقران وجواب القسم الجملة المنفية بعدها قال ابن عباس
هو الحوت الذي على ظهره الارض وهو قول مجاهد ومقاتل والسدي والكلبي وروى
ابو ظبيان عن ابن عباس قال اول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيمة
ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فان
الجبال لتفخر على الارض ثم قرأ ابن عباس ن والقلم وما يسطرون قال الواقدي اسم
النون ليوثا وقال كعب الاحبار لوثيا وعن علي اسمه بلهوث وقيل انه اقسم بالحوت الذي
ابتلع يونس عليه السلام وقيل الحوت الذي لطخ سهم نمرود بدمه وقال الكلبي ومقاتل
اسم الحوت الذي على ظهر الارض البهموت وروى عكرمة عن ابن عباس ان نون اخر حروف
الرحمن قال الراجز • مالي اراكم كلكم سكوتا • والله ربي خالق البهموتا •
وروى عكرمة عن ابن عباس ان نون اخر حروف الرحمن وقيل انه اسم للدواة وهو ايضا
مروي عن ابن عباس قاله القرطبي وروى ابو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قال خلق النون وهي الدواة وذلك قوله تعالى ن والقلم ومنه قول الشاعر
• اذا ما الشوق برح بي اليهم • القت النون بالدمع السجام •
ويكون على هذا اقسم بالدواة والقلم فان المنفعة بهما عظيمة بسبب الكتابة فان التفاهم
يحصل تارة بالنطق وتارة بالكتابة وقيل النون لوح من نور تكتب فيه الملائكة ما يؤمرون
به رواه معاوية بن قرة مرفوعا وقيل النون هو المداد الذي يكتب به الملائكة وقال
عطاء وابو العالية هو افتتاح اسمه نصير ونور وناصر وقال محمد بن كعب اقسم الله وحكى
بنصر المؤمنين وقال جعفر الصادق هو نهر من انهار الجنة يقال له نون هو الحرف
المعروف من حروف المعجم قاله القشيري قال لان نون حرف لم يعربه فلو كان كلمة تامة اعربه
كما اعرب القلم فهو اذن حرف هجاء كما في اوائل السور قال الزمخشري واما قولهم هو الدواة فما
ادري اهو وضع لغوي او شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من ان يكون جنسا او علما
فان كان جنسا فاين الاعراب والتنوين وان كان علما فاين الاعراب وايهما كان فلا بد له
من موقع في تأليف الكلام لانك اذا جعلته مقسما به وجب ان كان جنسا ان تجره وتنونه
ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة والقلم وان كان علما ان تصرفه وتجره
او لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتانيث وكذلك التفسير بالحوت اما ان يراد نون من النينان
او يجعل علما للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر في الجنة نحو
ذلك قال شهاب الدين وهذا الذي اورده ابو القاسم من محاسن علم الاعراب وقل من
يتفطنه وقال ابن الخطيب بعد ذكره القول بانه نون اخر اسم الرحمن وهذا ضعيف لان
تجويزه يفتح باب ترهات الباطنية بل الحق هنا انه اسم للسورة او يكون الغرض منه التحدي
او سائر الوجوه المذكورة في اول سورة البقرة **فصل** قرأ العامة ن ساكن النون
كنظائره وادغم ابن عامر والكسائي وابو بكر عن عاصم بلا خلاف وورش بخلاف عنه النون

النون في الواو واظهرها الباقون قال الفرا واظهارها اعجب الي لانها هجا والهجا كالموقوف
عليه وان اتصل وينقل عن من ادغم الغنة وعدمها وقرا ابن عباس والحسن وابو السماك
وابن ابي اسحاق بكسر النون وسعيد بن جبير وعيسى بخلاف عنه بفتحها فالاولى على التقا
الساكنين ولا يجوز ان يكون مجرورا على القسم حذف حرف الجر وبقي عمله كقولهم الله لافعلن
لوجهين احدهما انه مختص بالجلالة المعظمة نادر فيما عداها والثاني انه كان ينبغي ان تنون ولا
يحسن ان يقال هو ممنوع الصرف اعتبارا بتانيث السورة لانه كان ينبغي ان لا يظهر فيه الجر
بالكسرة البتة واما الفتح فيحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون بناء اوثر على الاصل للخفة
كاين وكيف الثاني ان يكون مجرورا بحرف القسم المقدر على لغة ضعيفة وقد تقدم ذلك في
قراءة فالحق والحق بجر الحق ومنعت الصرف اعتبارا بالسورة والثالث ان يكون منصوبا
بفعل محذوف اي اقرا او نون ثم ابتدا قسما بقوله والقلم او يكون منصوبا بعد حذف حرف
القسم كقوله فذاك امانة الله الثريد ومنع الصرف لما تقدم وهذا احسن لعطف والقلم على
محله قوله وما يسطرون ما موصولة اسمية او حرفية اي والذي يسطرونه من الكتب
وهم الكتاب او الحفظة من الملائكة وسطوهم والضمير عايد على من يسطر لدلالة السياق عليه
ولذكر الالة المكتسب بها وقال الزمخشري يجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير في
يسطرون لهم يعني فيصير كقوله او كظلمات فالضمير في تغشاه يعود على ذي المحذوف

فصل في القلم المقسم به قولان احدهما ان المراد به للجنس وهو واقع على كل قلم
قلم يكتب به في السما والارض قال تعالى وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم ولانه ينتفع به كما ينتفع بالنطق كما قال تعالى خلق الانسان علمه البيان
فالقلم يبين كما يبين اللسان في المخاطبة بالكتابة للغايب والحاضر والثاني انه
القلم الذي جا في الخبر عن ابن عباس قال اول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب قال
ما اكتب قال ما كان وما هو كاين الى يوم القيمة من عمل او اجل او رزق او اثر فجرى القلم
بما هو كاين الى يوم القيمة قال ثم ختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيمة قال
وهو قلم من نور طوله كما بين السما والارض وروي مجاهد قال اول ما خلق الله القلم
فقال اكتب القدر فكتب ما هو كاين الى يوم القيمة وانما يجري الناس على امر قد فرغ
منه قال القاضي هذا الخبر يجب حمله على المجاز لان القلم الة مخصوصة للكتابة
لا يجوز ان يكون حيا عاقلا فيومر وينهى فان الجمع بين كونه حيوانا مكلفا وبين كونه
الة للكتابة محال بل المراد منه انه تعالى اجراه بكل ما يكون وهو قوله تعالى اذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون فانه ليس هناك امر ولا تكليف بل هو مجرد نفاذ القدرة
في المقدور من غير منازعة ولا مدافعة وقيل القلم المذكور ههنا هو العقل وانه شي
هو كالاصل لجميع المخلوقات قالوا والدليل عليه انه روي في الاخبار ان اول ما خلق
الله تعالى القلم وفي خبر اخر اول ما خلق الله تعالى العقل فقال الجبار ما خلقت خلقا
اعجب الي منك وعزتي وجلالي لاكملنك فيمن احببت ولانقصنك فيمن ابغضت قال
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل الناس عقلا اطوعهم لله واعلمهم بطاعته
وفي خبر اخر اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فذابت وسخنت فارتفع
منها دخان وزبد فخلق من الدخان السموات ومن الزبد الارض قالوا فهذه الاخبار
بمجموعها تدل على ان القلم والعقل وتلك الجوهرة التي هي اصل المخلوقات شي واحد
والا حصل التناقض

فصل وقوله وما يسطرون اي وما يكتبون يريد
الملائكة يكتبون اعمال بني ادم قاله ابن عباس وقيل وما يكتبون الناس ويتفاهمون
وقال ابن عباس معنى وما يسطرون وما يعلمون قال ابن الخطيب وما يسطرون
ما مع ما بعدها في تقدير المصدر فيحتمل ان يكون المراد وسطرهم فيكون القسم واقعا
بنفس الكتابة ويحتمل ان يكون المراد به المسطور والمكتوب فان حمل القلم على كل
قلم في مخلوقات الله فكانه تعالى اقسم بكل قلم وبكل ما يكتب بكل قلم وقيل المراد
يسطرون الحفظة والكرام ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير في يسطرون

هم

هم كانه قيل واصحاب القلم وسطرهم او ومسطوراتهم وان حمل على القلم المعين فيحتمل ان
يكون المراد بقوله وما يسطرون اي وما يسطرون فيه وهو اللوح المحفوظ ولفظ الجمع في
قوله يسطرون ليس المراد منه الجمع بل التعظيم فيكون المراد تلك الاشيا التي سطرت فيه
من جميع الامور الكاينة الى يوم القيمة قوله ما انت بنعمة ربك بمجنون قد تقدم
الكلام على نظيره في الطور في قوله فما انت بنعمة ربك بكاهن الا ان الزمخشري قال هنا
فان قلت بم يتعلق البا في بنعمة ربك وما محله قلت يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق
بعاقل مثبتا كقولك انت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك الاثبات والنفي استواهما
في قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل منفيا ومثبتا اعمالا واحدا ومحله
النصب على الحال كانه قال ما انت مجنونا منعما عليك بذلك ولم يمنع البا ان يعمل مجنون
فيما قبله لانها زايدة لتاكيد النفي قال ابو حيان وما ذهب اليه الزمخشري من ان البا
تتعلق بمجنون وانه في موضع الحال يحتاج الى تامل وذلك انه اذا تسلط النفي على محكوم
به وذلك له معمول ففي ذلك طريقان احدهما ان النفي تسلط على ذلك المعمول فقط والاخر
ان يتسلط النفي على المحكوم به فينتفي معموله لانتفايه بيان ذلك تقول ما زيد قايم
مسرعا فالمتبادر الى الذهن انه منتف اسراعه دون قيامه فيكون قد قام غير مسرع والوجه
الاخر انه انتفى قيامه فانتفى اسراعه اي لا قيام فلا اسراع وهذا الذي قررناه لا يتاتى
معه قول الزمخشري بوجه بل يودي الى ما لا يجوز النطق به في حق المعصوم النبي واختار
ابو حيان ان يكون منعما قسما معترضا به بين المحكوم عليه والحكم على سبيل التاكيد
والتشديد والمبالغة في انتفاء الوصف الذميم وقال ابن عطية بنعمة ربك اعتراض كما
يقول للانسان انت بحمد الله فاضل قال ولم يبين ما يتعلق به البا في بنعمة قال شهاب
الدين والذي يتعلق به البا في هذا النحو معنى مضمون الجملة نفيا واثباتا كانه قيل
انتفى عنك ذلك بحمد الله والبا سببية وثبت لك الفضل بحمد الله تعالى واما المثال
الذي ذكره فالبا تتعلق فيه بلفظ فاضل وقد نحا صاحب المنتخب الى هذا فقال
المعنى انتفى عنك الجنون بنعمة ربك وقيل معناه ما انت مجنون والنعمة لربك كقولهم
سبحانك اللهم وبحمدك اي والحمد لله وقول لبيد

• واخرج في الدنيا بفقد عشيرتي • وفارقني جار باربد نافع •

اي وهو اربد وهذا ليس بتفسير اعراب بل تفسير معنى

فصل ما انت بنعمة ربك بمجنون هذا جواب القسم وهو نفي قال الزجاج انت هو اسم ما وبمجنون الخبر
وقوله بنعمة ربك كلام وقع في الوسط اي انتفى عنك الجنون بنعمة ربك كما يقال انت
بحمد الله عاقل روي ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم غاب عن خديجة الى حرا وطلبته
فلم تجده فاذا به ووجهه متغير امتلا غبارا فقالت له ما لك فذكر جبريل عليه السلام
وانه قال له اقرا باسم ربك فهو اول ما نزل من القران قال ثم نزل بي الى قرار الارض
فتوضا وتوضات ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال هكذا الصلاة يا محمد فذكر النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك لخديجة فذهبت خديجة الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان
قد خالف دين قومه ودخل في النصرانية فسالته فقال ارسلي الي محمدا فارسلته فقال
هل امرك جبريل عليه السلام ان تدعو احدا فقال لا فقال والله لئن بعثت الى دعوتك
لانصرنك نصرا عزيزا ثم مات قبل دعا الرسول صلى الله عليه وسلم ووقعت تلك الواقعة
في السنة كفار قريش فقالوا انه مجنون فاقسم الله تعالى على انه ليس بمجنون وهو
خمس ايات من اول هذه السورة قال ابن عباس اول ما نزل قوله تعالى سبح اسم
ربك وهذه الاية هي الثانية نقله ابن الخطيب وذكر القرطبي ان المشركين كانوا يقولون
للنبي صلى الله عليه وسلم مجنون به شيطان وهو قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر
انك لمجنون فانزل الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا لقولهم ما انت بنعمة ربك بكاهن
ولا مجنون اي برحمة ربك والنعمة ههنا الرحمة وقال عطا وابن عباس يريد بنعمة
ربك عليك بالايمان والنبوة قال القرطبي ويحتمل ان النعمة ههنا قسم تقديره ما انت

ولنعمة ربك بمجنون لان الواو والبا من حروف القسم وقد تقدم **فصل** قال ابن
الخطيب اعلم انه تعالي وصفه ههنا بصفات ثلاثة الاولي نفي الجنون عنه ثم قرن بهذه
الدعوي مايكون كالدلالة العقلية القاطعة علي صحتها لان قوله بنعمة ربك يدل علي
ان نعم الله تعالي ظاهرة في حقه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة
المرضية والبراة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة
ظاهرة ووجودها منا في حصول الجنون فالله تعالي نبه علي ان هذه الدقيقة
جارية مجري الدلالة اليقينية علي كذبهم في قولهم مجنون الصفة الثانية قوله
وان لك لاجرا غير ممنون اي ثوابا علي ما تحملت غير منقوص ولا مقطوع منه يقال
بان الشي اذا ضعف ومنه المنة لضعف المن اذا قطعته وحبل منين اذا كان غير متين
قال لبيد عبسا كواسب مايمن طعامها اي لا ينقطع يصف كلابا ضاريه ونظيره قوله
تعالي غير مجذوذ وقال مجاهد ومقاتل والكلبي غير ممنون اي غير محسوب
عليك قالت المعتزلة لانك تستوجبه علي عملك وجوابهم ان حمله علي هذا يقتضي
التكرار لان قوله اجرا يفيده وقال الحسن غير مكدر بالمن وقال الضحاك اجرا بغير
عمل واختلفوا في هذا الاجر علي اي شي حصل فقيل معناه ان لك علي احتمال هذا
الطعن والقول القبيح اجرا عظيما دايما وقيل ان لك في اظهار النبوة والمعجزات
وفي دعاء الخلق الي الله تعالي وفي بيان الشرع لهم هذا الاجر الخالص الدايم فلا
يمنعك نسبتهم اياك الي الجنون عن الاشتغال بهذا المهم العظيم فان لك بسببه المنزلة
العالية الصفة الثالثة قوله وانك لعلي خلق عظيم قال ابن عباس ومجاهد
علي خلق علي دين عظيم من الاديان ليس دين احب الي الله ولا ارضي عنده منه وروي
مسلم عن عايشة ان خلقه كان القران وقال علي رضي الله عنه هو ادب القران وقيل
وقيل رفقه بامته واكرمه اياهم وقال قتادة هو ما كان ياتمر به من امر الله وينتهي عنه
مما نهي الله عنه وقيل انك علي طبع كريم وقال الماوردي حقيقة الخلق في اللغة هو
مايأخذ به الانسان في نفسه من الادب يسمي خلقا لانه يصير كالخلقة فيه فاما ماطبع
عليه من الادب فهو الخيم فيكون الخلق الطبع المتكلف والخيم الطبع الغريزي قال
القرطبي ماذكره مسلم في صحيحه عن عايشة اصح الاقوال وسيلت ايضا عن خلقه عليه
السلام فقرات قد افلح المومنون الي عشر ايات قال ابن الخطيب وهذا اشارة الي
ان نفسه القدسية كانت بالطبع منجذبة الي عالم الغيب فالي كل ما يتعلق بها وكانت
شديدة النفرة عن اللذات البدنية والسعادات الدنيوية بالطبع ويقتضي الفطرة
وقالت ماكان احد احسن خلقا من رسول الله صلي الله عليه وسلم ما دعاه احد من الصحابة
ولا من اهل بيته الا قال لبيك ولذلك قال الله تعالي وانك لعلي خلق عظيم ولم يذكر
خاص محمود الا وكان للنبي صلي الله عليه وسلم منه الحظ الاوفر وقال الجنيد وسمي
خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه بدليل قوله عليه السلام ان الله بعثني لاتمم
مكارم الاخلاق **فصل** قال ابن الخطيب قوله وانك لعلي خلق عظيم كالتفسير
لما تقدم من قوله تعالي بنعمة ربك وهو تعريف لمن رماه بالجنون بان ذلك كذب وخطا
لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة منه واذا كان موصوفا بتلك الاخلاق
والافعال لم يجز اضافة الجنون اليه لان اخلاق المجانين سيه ولما كانت اخلاقه الحميدة
صلي الله عليه وسلم كاملة لاجرم وصفها الله بانها عظيمة ولهذا قال قل لا اسالكم عليه
اجرا وما انا من المتكلفين اي لست متكلفا فيما يظهر لكم من اخلاقي لان المتكلف لا يدوم
امره طويلا بل يرجع الي الطبع وقيل انما وصف خلقه بانه عظيم لانه تعالي قال اولئك
الذين هدي الله فبهداهم اقتده فهذا الهدي الذي امر الله محمدا صلي الله عليه وسلم
بالاقتدا به ليس هو معرفة الله تعالي لان ذلك تقليد وهو غير لايق بالرسول صلي
الله عليه وسلم وليس هو الشرايع لان شريعته مخالفة لشرايعهم فتعين ان يكون المراد
منه امره صلي الله عليه وسلم بان يهتدي بكل واحد من الانبيا فيما اختص به من الخلق الكريم

وكان كل واحد منهم مختصا بنوع واحد فلما امر محمد صلي الله عليه وسلم بان يقتدي بالكل
فكانه امر بمجموع ماكان متفرقا فيهم ولما كان ذلك درجة عالية لم يتيسر لاحد من الانبيا قبله
لاجرم وصف الله خلقه بانه عظيم وكلمة علي للاستعلا فدل اللفظ علي انه مستعلي علي
هذه الاخلاق ومستولي عليها وانه بالنسبة الي هذه الاخلاق الحميدة كالمولي بالنسبة الي
العبد وكالامر بالنسبة الي المامور وقد وردت احاديث كثيرة صحيحة في مدح الخلق الحسن
وذم الخلق السي قوله فستبصر ويبصرون قال ابن عباس معناه فستعلم ويعلمون
يوم القيمة وقيل فسترى ويرون يوم القيمة حين يتبين الحق والباطل وقيل فستبصر
ويبصرون في الدنيا كيف تكون عاقبة امرك وعاقبة امرهم فانك تصير معظما في القلوب
ويصيرون ذليلين ملعونين وتستولي عليهم بالقتل والنهب قال مقاتل بن حيان هذا
وعيد العذاب ببدر قوله بايكم المفتون فيه اربعة اوجه احدها ان البا مزيدة في
المبتدا والتقدير ايكم المفتون فزيدت كزيادتها في نحو بحسبك زيد والي هذا ذهب
قتادة وابو عبيدة معمر بن المثنى الا انه ضعيف من حيث ان البا لا تزاد في المبتدا والتقدير
ايكم المفتون الا في حسبك فقط الثاني ان البا بمعني في فهي ظرفية كقولك زيد بالبصرة
اي فيها والمعني في اي فرقة وطايفة منكم المفتون اي المجنون افي فرقة الاسلام
ام في فرقة الكفار واليه ذهب مجاهد والفرا ويؤيده قراة ابن ابي عبلة في ايكم والثالث
انه علي حذف مضاف اي بايكم فتن المفتون فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واليه
ذهب الاخفش وتكون البا سببية والرابع ان المفتون مصدر جاء علي مفعول كالمعقول
والميسور والتقدير بايكم المفتون فعلي القول الاول يكون الكلام تاما عند قوله ويبصرون
ويبتدا بقوله بايكم المفتون وعلي الوجه بعده تكون البا متعلقة بما قبلها ولا يوقف
علي يبصرون وعلي الوجه الاول الثالثة يكون المفتون اسم مفعول علي اصله وعلي الوجه
الرابع يكون مصدرا وينبغي ان يقال ان الكلام انما يتم علي قوله المفتون سوا قيل بان البا
مزيدة ام لا لان قوله فستبصر ويبصرون يعلق بالاستفهام بعده لانه فعل بمعني الروية
والروية البصرية تعلق علي الصحيح بدليل قولهم اما ترى اي برق ههنا فلذلك الابصار
لانه هو الروية بالعين فعلي القول بزيادة البا تكون الجملة الاستفهامية في محل نصب
لانها واقعة موقع مفعول الابصار **فصل** قال القرطبي فستبصر ويبصرون بايكم
المفتون اي الذي فتن بالجنون كقوله تعالي تنبت بالدهن ويشرب بها عباد الله وهو
قول قتادة وابي عبيدة كما تقدم وقيل البا ليست بزايدة بايكم المفتون اي الفتنة
وهو مصدر علي وزن المفعول او يكون المعني المفتون كقولهم بالفلان مجلود ولا معقول
اي عقل ولا جلادة قاله الحسن والضحاك وابن عباس قال الراعي

حتي اذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفواده معقولا

اي عقلا والمفتون المجنون الذي فتنه الشيطان وقيل المفتون المعذب من قول
العرب فتنت الذهب بالنار اذا احميته قال تعالي يوم هم علي النار يفتنون اي يعذبون
وقيل المفتون الشيطان لانه مفتون في دينه وكانوا يقولون ان به شيطانا وعنوا
بالمجنون هذا فقال الله تعالي سيعلمون غدا بايهم الشيطان الذي يحصل من مسه الجنون
واختلاط العقل قوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله اي ان الله هو العالم بمن حاد
عن دينه وهو اعلم بالمهتدين اي الذين هم علي الهدي فيجازي كلا غدا قوله ودوا لو
تدهن فيدهنون المشهور في قراة العامة ومصاحفهم فيدهنون بثبوت نون الرفع
قوله فلا تطع المكذبين نهاه عن ممايلة المشركين وكانوا يدعونه الي ان يكف عنهم
ليكفوا عنه فبين الله تعالي ان ممايلتهم كفر وقال تعالي ولولا ان ثبتناك لقد كدت
تركن اليهم شيا قليلا وقيل فلا تطع المكذبين اي فيما دعوك اليه من دينهم الخبيث
نزلت في مشركي قريش حين دعوه الي دين ابايه قوله نون الرفع وفيه وجهان احدهما
انه عطف علي تدهن فيكون داخلا في حيز لو والثاني انه خبر مبتدا مضمر اي فهم
يدهنون وقال الزمخشري فان قلت لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان وهو

جواب النهي قلت قد عدل به الى طريق اخر وهو ان يفعل خبر مبتدا محذوف اي فهم يدهنون
كقوله فمن يومن بربه فلا يخاف بخسا على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا
ادهانك فهم الان يدهنون لطمعهم في ادهانك قال سيبويه وزعم هارون انها في بعض
المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا وفي نصبه على ما وجد في بعض المصاحف
وجهان احدهما انه وهم على التوهم فكانه توهم ان نطق بان نصب الفعل على هذا التوهم
وهذا انما يجي على القول مصدرية لو وفيه خلاف تقدم تحقيقه في البقرة فالثاني انه
نصب على جواب النهي المفهوم من ودوا والظاهر ان لو هنا حرف لما كان سيقع لوقوع غيره
وان جوابها محذوف ومفعول الوداده ايضا محذوف تقديره ودوا ادهانك لحذف

فصل

ادهانك لدلالة لو وما بعدها عليه وتقدير الجواب لسروا بذلك قال
ابن عباس وعطية والضحاك والسدي ودوا لو تكفر فيمادون على كفرهم وعن ابن
عباس ودوا لو ترخص لهم فيرخصوا لك وقال الفرا والكلبي لو تلين فيلينون لك والادهان
التليين لمن لا ينبغي له التليين قاله الفرا والليث وقال مجاهد ودوا لو ركنت اليهم
فتركت الحق فيما لوك وقال الربيع بن انس ودوا لو تكذب فيكذبون وقال قتادة
ودوا لو تذهب عن هذا الامر فيذهبوا معك وقال الحسن ودوا لو تصانعهم في دينك
فيصانعوك في دينهم وعنه ايضا ودوا لو ترفض بعض امرك فيرفضوا بعض امرهم
وقال زيد بن اسلم لو تنافق وترائي فينافقون ويراءون وقيل ودوا لو تضعف
فيضعفون قاله ابو جعفر وقال القتبي ودوا لو تداهن في دينك فيداهنون في اديانهم
وعنه طلبوا منه ان يعبد الهتهم مدة ويعبدوا الهه مدة وهذان القولين الاخران
هما القولان المتقدمان في معنى لو تكفر ومعنى لو تصانعهم وقال ابن العربي ذكر المفسرون
فيها نحو عشرة اقوال كلها دعاوي على اللغة والمعنى وامثلها ودوا لو تكذب فيكذبون
ودوا لو تكفر فيكفرون وقال القرطبي كلها ان شا الله صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى
فان الادهان اللين والمصانعة وقيل مجاملة العدو وممايلته وقيل المقاربة في الكلام
والتليين في القول وقال الفضل النفاق وترك المناصحة فهي على الوجه مذمومة
وعلى الوجه الاول غير مذمومة وكل شي منها لم يكن قال المبرد يقال ادهن في دينه
وداهن في امره اي خان فيه واظهر خلاف ما يضمر وقال قوم داهنت بمعنى واريت وادهنت
بمعنى غششت قاله الجوهري وقوله فيدهنون ساقه على العطف ولو جاء به جواب
النهي لقال فيدهنوا وانما اراد انهم يتمنوا لو فعلت فيفعلون مثل فعلك عطفا لا جزاء
عليه ولا مكافاة وانما هو تمثيل وتنظير قوله ولا تطع كل حلاف مهين قال السدي
والشعبي وابن اسحاق يعني الاخنس ابن شريق وقال مجاهد يعني الاسود بن
عبد يغوث او عبد الرحمن بن الاسود وقال مقاتل يعني الوليد بن المغيرة عرض
على النبي صلى الله عليه وسلم مالا وحلف له انه يعطيه ان رجع عن دينه وقال ابن عباس
هو ابو جهل بن هشام والحلاف الكثير الحلف والمهين تقدم في الزخرف وقال مجاهد
هو الضعيف القلب وقال ابن عباس هو الكذاب والكذاب مهين وقال الحسن
وقتادة هو المكثار في الشر وقال الكلبي المهين الفاجر وقال عبد الله هو الحقير
وقال ابن بحر هو الذليل وقال الرماني هو الوضيع لاكثاره من القبيح وهو فعيل
من المهانة بمعنى القلة وهي هاهنا القلة في الراي والتمييز او هو فعيل بمعنى مفعل
المعنى مهان قوله والهماز مبالغة من الهمز وهو في اللغة الضرب طعنا باليد
والعصا ونحوها واستعير للمغتاب الذي يعيب على الناس كانه يضربهم باذاه قال
ابن زيد الهماز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللماز باللسان وقيل الهماز الذي
يذكر الناس في وجوههم واللماز الذي يذكرهم في مغيبهم وقال مقاتل بالعكس وقال
مرة هما سوا ونحوه عن ابن عباس وقتادة قال الشاعر

تدلي بودي اذا لاقيتني كذبا • وان اغيب فانت الهامز •

والنميم قيل مصدر كالنميمة وقيل هو جمعا اي اسم جنس كتمرة وتمر وهو نقل الكلام

الذي يسو سامعه ويحرش بين الناس وقال الزمخشري والنميم والنميمة السعاية وانشد
في بعض العرب

تشتتي لشتتت النميمة • يمشي بها زهرا الى تميمه •

والمشا فعال مبالغة من المشي اي يكثر السعاية بين الناس ليفسد بينهم فقال نم ينم نما ونميما
ونميمة اي يمشي ويسعى بالفساد قال عليه السلام لا يدخل الجنة نمام والعتل الذي يعتل
الناس اي يحملهم ويجرهم الى ما يكرهون من حبس وضرب ومنه خذوه فاعتلوه وقيل العتل
الشديد الخصومة وقال ابو عبيدة هو الفاحش اللئيم وانشد

بعتل من الرجال زنيم • غير ذي نجدة وغير كريم •

وقيل الغليظ الجافي ويقال عتلته وعتنته باللام والنون نقله يعقوب وقيل العتل
الجافي الشديد في كفره وقال الكلبي والفرا هو الشديد الخصومة بالباطل قال الجوهري
ويقال عتلت الرجل اعتله واعتله اذا جذبته جذبا عنيفا ورجل معتل بالكسر والعتل ايضا
الرمح الغليظ ورجل عتل بالكسر بين العتل اي سريع الى الشر ويقال لا انعتل معك اي لا ابرح
مكاني وقال عبيد بن عمير العتل الاكول الشروب القوي الشديد يوضع في الميزان فلا
يزن شعيرة يدفع الملك من اوليك في جهنم بالدفعة الواحدة سبعين الفا والزنيم المدعي
ينسب الى قوم ليس منهم قال حسان رضي الله عنه

زنيم تداعاه الرجال زيادة • كما زيد في عرض الاديم الاكارع •

وقال ايضا

وانت زنيم نيط في ال هاشم • كما نيط خلف الراكب القدح الفرد •

واصله من الزنمة وهي ما بقي من جلد الماعز معلقا في حلقها يترك عند القطع فاستعير للذي
لانه كالمعلق بما ليس منه

فصل

تقدم القول في الحلاف المهين عن الشعبي والسدي
وابن اسحاق انه الاخنس بن شريق وعلى قول غيرهم انه الاسود بن عبد يغوث او عبد
الرحمن بن الاسود او الوليد بن المغيرة او ابو جهل بن هشام وتقدم تفسير الهماز والمشا بنميم
واما قوله مناع للخير اي للمال ان تنفق في وجوهه وقال ابن عباس يمنع عن الاسلام ولده
وعشيرته قيل كان للوليد بن المغيرة عشرة من الولد وكان يقول لهم ولاقاربه من يتبع منكم محمدا
منعته رفدي وقال الحسن يقول لهم من دخل منكم في دين محمد لا انفعه بشي ابدا وقوله معتد
اي على الناس في الظلم متجاوز للحد صاحب باطل وقوله اثيم اي ذا اثم ومعناه ما ثوم فهو فعيل
بمعنى مفعول قال البغوي اثيم فاجر واما العتل فتقدم الكلام عليه في اللغة وقال عليه
السلام الا اخبركم باهل الجنة قالوا بلى قال كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم
باهل النار قالوا بلى قال كل عتل جواظ مستكبر وفي رواية كل جواظ زنيم متكبر الجواظ المجموع
المنوع وقيل الكبير اللحم المختال في مشيته وقيل القصير البطين وذكر الماوردي عن ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا العتل الزنيم وقال
صلى الله عليه وسلم عليكم الجواظ الذي جمع ومنع والجعظري الفظ الغليظ المتكبر قال ابن
الاثير وقيل هو الذي ينتفخ بما ليس عنده وفيه قصر قال القرطبي وقال عليه السلام الشديد
الخلق الرحيب الجوف المصحح الاكول الشروب الواجد للطعام اللطوم للناس وعن زيد بن
اسلم في قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تبكي السما من رجل
اصح الله جسمه ورحب جوفه واعطاه من الدنيا بعضا فكان للناس ظلوما فذلك العتل الزنيم
وقوله بعد ذلك اي مع ذلك يريد مع ما وصفناه به زنيم وتقدم معنى الزنيم وعن ابن عباس
انه رجل من قريش كانت له زنمة كزنمة الشاة وروي عنه ابن جبير انه الذي يعرف بالشر كما تعرف
الشاة بزنمتها وقال عكرمة هو اللئيم الذي يعرف بلومه كما تعرف الشاة بزنمتها وقيل انه الذي
يعرف بالابنه وهو مروي عن ابن عباس وعنه انه الظلوم وقال مجاهد زنيم كانت له ستة
اصابع في يده في كل ابهام اصبع زايدة وعنه ايضا وسعيد بن المسيب وعكرمة هو ولد الزنا
الملحق في النسب بالقوم وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني
عشرة سنة من مولده قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من ابوه • بغي الام ذو حسب لئيم •

قيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت الاية وهذا لان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الولد
كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولده ولا ولد ولده وقال

عبد الله بن عمران النبي صلى الله عليه وسلم قال اولاد الزنا يحشرون يوم القيمة في صورة
القردة والخنازير وقالت ميمونة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال امتي بخير
ما لم يفش فيهم ولد الزنا فاذا فشا فيهم ولد الزنا اوشك ان يعمهم الله بعذاب وقال
عكرمة اذا كثر ولد الزنا قحط المطر قال القرطبي ومعظم المفسرين على ان هذه الاية
نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يطعم اهل منى حيسا ثلثة ايام وينادي الا لا يوقدن
احد تحت برمة الا لا يدخن احد بكراع الا من اراد الحيس فليات الوليد بن المغيرة وكان
ينفق في الحجة الواحدة عشرين الفا واكثر ولا يعطي المسكين درهما واحدا فقيل مناع للخير
وفيه نزل فويل للمشركين الذين لا يوتون الزكاة وقال محمد بن اسحاق نزلت في الاخنس
ابن شريق لانه حليف ملحق في بني زهره فلذلك سمي زنيما وروي عكرمة عن ابن
عباس انه قال في هذه الاية نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة في
عنقه يعرف بها قال ابن قتيبة لا نعلم ان الله وصف احدا ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من
عيوب الوليد بن المغيرة والحق به عارا لا يفارقه في الدنيا والاخرة **فصل** قرا
الحسن عتل بالرفع اي هو عتل وحقه ان يقرا بالرفع ما بعده ايضا لانهم قالوا في القطع انه
يبدا بالاتباع ثم بالقطع من غير عكس وقوله بعد ذلك اي بعدما وصفناه به قال ابن
عطية فهذا الترتيب انما هو في قول الواصف لا في حصول تلك الصفات في الموصوف والا
فكونه عتلا هو قبل كونه صاحب خير يمنعه وقال الزمخشري بعد ذلك اي بعدما
عدله من المثالب والنقايص ثم قال جعل جفاته ودعوته اشد معايبه لانه اذا
غلظ وجفا طبعه قسا قلبه واجترا على كل معصية ونظيره قوله بعد ذلك ثم كان من الذين
قوله ان كان ذا مال اتفق العامة على فتح همزة ان ثم اختلفوا بعد فقرا ابن عامر وحمزة
وابو بكر واضاف القرطبي معهم ابو جعفر وابو حيوة والمغيرة والاعرج بالاستفهام وباقي
السبعة بالخبر والقارئون بالاستفهام على اصولهم من تحقيق وتسهيل وادخال الف
بين الهمزتين وعدمه ولا بد من بيان ذلك فنقول قرا حمزة وابو بكر وذكر القرطبي معهم
المفضل بتحقيق الهمزتين وعدم ادخال الف وهشام بالتسهيل المذكور الا انه ادخل
الفا بينهما فقد خالف كل منهما اصله اما ابن ذكوان فانه حقق الهمزتين فقد سهل الثانية
هنا واما هشام فان اصله ان يجري في الثانية من هذا النحو وجهين التحقيق كرفيقه
والتسهيل وقد التزم التسهيل هنا واما ادخال الالف فانه فيه على اصله كما تقدم اول البقرة
وقرا نافع في رواية الزهري عنه ان كان بكسر الهمزة على الشرط فاما قراءة ان كان بالفتح
على الخبر ففيه اربعة اوجه احدها انها المصدرية في موضع المفعول له مجرورة بلام
مقدرة واللام متعلقة بفعل النهي اي ولا تطع من هذه صفاته لان كان متمولا وصاحب
بنين الثاني انها متعلقة بعتل وان كان قد وصف قاله الفارسي وهذا لا يجوز عند
البصريين وكان الفارسي اعتقد في الجار الثالث ان يتعلق بزنيم ولا سيما عند من يفسره
بقبيح الافعال الرابع ان يتعلق بمحذوف يدل عليه ما بعده من الجملة الشرطية تقديره
لكونه متمولا مستظهرا بالبنين كذب باياتنا قاله الزمخشري قال ولا يعمل فيه قال الذي
هو جواب اذا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب
وقال مكي وتبعه ابو البقا لا يجوز ان يكون العامل تتلى لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها لان اذا
تضاف الى الجمل ولا يعمل المضاف اليه فيما قبل المضاف انتهى وهذا يوهم ان المانع من ذلك
ما ذكره فقط والمانع امر معنوي حتى لو فقد هذا المانع الذي ذكره لامتنع من جهة المعنى
وهو انه لا يصلح تلاوة ايات الله عليه بكونه ذا مال وبنين فاما قراءة ان كان على الاستفهام
ففيها وجهان احدهما ان يتعلق بمقدر يدل عليه ما قبله اي اتطيعه لان كان او اتكون
طواعية لان كان والثاني ان يتعلق بمقدر يدل عليه ما بعده اي الان كان كذا كذب
وجحد واما قراءة ان كان بالكسر فعلى الشرط وجوابه مقدر تقديره ان كان كذا يكفر ويجحد
دل عليه ما بعده وقال الزمخشري والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره
لانه اذا اطاع الكافر لغناه فكانه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط للمخاطب صرف

الترجي

الترجي اليه في قوله لعله يتذكر وجعله ابو حيان من دخول شرط على شرط يعني ان واذا الا انه
قال ليسا من الشروط المترتبة الوقوع وجعله نظير قول ابن دريد فان عثرت بعدها ان والت
نفسي من هاتا فقولا لا لعا قال لان الحامل على تدبر ايات الله كونه ذا مال وبنين وهو مشغول
القلب بذلك غافل من النظر قد استولت عليه الدنيا وابطرته وقرا الحسن بن ابزي بالاستفهام
وهو استفهام تقريع وتوبيخ على قوله حين تتلى عليه ايات الله اساطير الاولين **فصل**
قال القرطبي فمن قرا بهمزة مطولة او بهمزتين محققتين فهو استفهام والمراد به التوبيخ ويحسن
ان يقف على زنيم ويبتدي ان كان على معنى الان كان ذا مال وبنين تطيعه ويجوز ان يكون
التقدير الان كان ذا مال وبنين يقول اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين ويجوز
ان يكون التقدير الان كان ذا مال وبنين يكفر ويستكبر ودل عليه ما تقدم من الكلام فصار
كالمذكور بعد الاستفهام ومن قرا ان كان بغير استفهام فهو مفعول من اجله والعامل فيه فعل
مضمر والتقدير يكفر لان كان ذا مال وبنين ودل على هذا الفعل اذا تتلى عليه اياتنا قال
اساطير الاولين ولا يعمل فيه اذا تتلى ولا قال لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها لان اذا تضاف الى
الجمل التي بعدها ولا يعمل المضاف اليه فيما قبل المضاف وقال جواب الجزا ولا يعمل فيما قبل الجزا اذ
حكم العامل ان يكون قبل المعمول فيه وحكم الجواب ان يكون بعد الشرط فيصير مقدما موخرا في
حال واحدة ويجوز ان يكون المعنى لا تطعه لان كان ذا يسار وعدد قال ابن الانباري ومن
قرا بالاستفهام لم يحسن ان يقف على زنيم لان المعنى لان كان ذا مال كان فان متعلقة بما قبلها
وقال غيره يجوز ان يتعلق بقوله مشاء بنميم والتقدير يمشي بنميم لانه كان ذا مال وبنين
واجاز ابو علي ان يتعلق بعتل ومعنى اساطير الاولين اباطيلهم وترهاتهم قوله سنسمه اي
نجعل له سمة اي علامة يعرف بها قال جرير •

لما وضعت على الفرزدق ميسمي • وعلى البعيث جدعت انف الاخطل •

والخرطوم الانف وهو هنا عبارة عن الوجه كله من التعبير عن الكل بالجزء لانه اظهر ما فيه واعلاه
والخرطوم ايضا الخمر وكانه استعارة لها لان الشتري قال هي الخمر اول ما يخرج من الدن فجعلت
كالانف لانه اول ما يبدو امام الوجه فليست الخرطوم الخمر مطلقا وممن نحى الخرطوم بمعنى الخمر قول
علقمة بن عبدة • قد اشهد الشرب فيهم مزهر رنم • والقوم تصرعهم صهباء خرطوم •
وانشد النضر بن شميل • تظل يومك في لهو وفي لعب • وانت بالليل شراب الخراطيم •

فصل قال ابن عباس سنسمه سنخطمه بالسيف قال وقد خطم الذي نزلت فيه يوم بدر
بالسيف فلم يزل مخطوما الى ان مات وقال قتادة سنسمه يوم القيمة على انفه سمة يعرف بها
يقال وسمه وسما وسمة اذا اثرت فيه وسمة كي قال الضحاك والكسائي سنكويه على وجهه وقد
قال الله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فهي علامة ظاهرة وقال تعالى ونحشر المجرمين
يومئذ زرقا وهذه علامة اخرى ظاهرة وافادت هذه الاية علامة ثالثة وهي الوسم على الانف
بالنار وهذا كقوله يعرف المجرمون بسيماهم قاله الكلبي وغيره وقال ابو العالية ومجاهد سنسمه
على الخرطوم اي على انفه ونسود وجهه في الاخرة فيعرف بسواد وجهه قال القرطبي والخرطوم
الانف من الانسان ومن السباع موضع الشفة وخراطيم القوم ساداتهم قال الفرا وان كان الخرطوم
قد خص بالسمة فانه في معنى الوجه لان بعض الشي يعبر به عن الكل وقال الطبري نبين امره
تبيانا واضحا فلا يخفى عليهم كما لا تخفى السمة على الخراطيم وقيل المعنى سنلحق به عارا وسبة
حتى يكون كمن وسم على انفه قال القتبي تقول العرب للرجل يسبه سبة قبيحة باقية قد وسم
ميسم سوء اي الصق به عار لا يفارقه كما ان السمة لا يمحي اثرها وهذا كله نزل في الوليد بن المغيرة
ولا شك ان المبالغة العظيمة في ذمه بقيت على وجه الدهر ولا يعلم ان الله تعالى بلغ من ذكر عيوب
احد ما بلغ منه فالحق به عارا لا يفارقه في الدنيا والاخرة كالوسم على الخرطوم وقيل ما ابتلاه
الله به في الدنيا في نفسه واهله وماله من سوء وذل وصغار قاله ابن بحر وقال النضر بن شميل
المعنى سنحده على شرب الخمر والخرطوم الخمر وجمعه خراطيم وانشد البيت المتقدم قال ابن
الخطيب وهذا تعسف قوله انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة يريد اهل مكة والابتلاء الاختبار
والمعنى اعطيناهم الاموال ليشكروا لا ليبطروا فلما بطروا وعادوا محمدا صلى الله عليه وسلم ابتليناهم

بالجوع والقحط كما بلونا اصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم وذلك انها كانت بارض
اليمن بالقرب منهم على فراسخ من صنعا ويقال بفرسخين كانت لرجل يؤدي حق الله فيها
فلما مات صارت الى ولده فمنعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله فيها فاهلكها الله من حيث
لم يمكنهم دفع ما حل بها قال الكلبي كان بينهم وبين صنعا فرسخان ابتلاهم الله بان
احرق جنتهم وقيل هي جنة بضوران وضوران على فراسخ من صنعا وكان اصحاب هذه الجنة
بعد رفع عيسى عليه السلام بيسير وقيل كانوا من بني اسرائيل وقيل كانوا من ثقيف وكانوا
بخلاء وكانوا يجدون التمر ليلا من اجل المساكين فارادوا حصاد زرعها وقالوا لا يدخلها اليوم
عليكم مسكين فغدوا عليها فاذا هي قد اقتلعت من اصلها فاصبحت كالصريم اي كالليل ويقال
ايضا للنهار صريم فان كان اراد الليل فلاسودادها وموضعها وكانهم وجدوا موضعها حمأة
وان كان اراد بالصريم النهار فلذهاب الشجر والزرع وخلو الارض منه وكان الطايف الذي
طاف عليها جبريل عليه السلام فاقتلعها فيقال انه طاف بها حول البيت ثم وضعها حيث مدينة
الطايف اليوم ولذلك سميت الطايف وليس في ارض الحجاز بلدة فيها الماء والشجر والاعناب
غيرها وقال البكري في المعجم سميت الطايف لان رجلا من العرب يقال له الدمون بني حايطا
وقال قد بنيت لكم طايفا حول بلدكم فسميت الطايف والله اعلم قوله اذ اقسموا اي
حلفوا فيما بينهم ليصرمنها اي ليجدنها مصبحين اي وقت الصبح قبل ان يخرج المساكين
ولا يستثنون يعني لم يقولوا ان شا الله قوله مصبحين حال من فاعل ليصرمنها وهو من
اصبح التامة اي داخلين في الصباح كقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وقولهم اذا
سمعت سري القين فاعلم بانه مصبح والكاف في كما في موضع نصب نعت المصدر محذوف
اي بلوناهم ابتلا كما بلونا وما مصدرية او بمعنى الذي واذ منصوبة ببلونا وليصرمنها جواب
للقسم ولا يستثنون هذه مستانفة ويضعف كونها حالا من حيث ان المضارع المنفي بلا
كالمثبت في عدم دخول الواو عليه واضمار مبتدا قبله كقولهم قمت واصك عينه مستغنى
عنه ومعنى لا يستثنون قيل لا يستثنون للمساكين من جملة ذلك القدر الذي كان يدفعه
ابوهم للمساكين ويقال حلف بالتي فيها ثنيا ولا مثنوية ولا استثنا كله واحد واصله من
الثني هو الكف والرد لان الحالف اذا قال والله لافعلن كذا الا ان يشا الله غيره فقد رده
انعقاد تلك اليمين وقيل المعنى لا يثنون عزمهم على الحرمان وقيل لا يقولون ان شا الله
قال الزمخشري وسمي استثنا وهو شرط لان معنى لاخرجن ان شا الله ولا اخرج الا ان يشا
الله واحد قوله فطاف عليها طايف اي هلاك او بلا طايف والطايف غلب في الشر
قال الفرا هو الامر الذي يأتي ليلا ورد عليه بقوله اذا مسهم طايف من الشيطان وذلك
لا يختص بليل ولا نهار وقرا النخعي طيف وقد تقدم في الاعراف الكلام على هذين الوصفين
قوله من ربك يجوز ان يتعلق بطاف وان يتعلق بمحذوف صفة لطايف قوله فاصبحت
كالصريم والصرام جذاذ النخل واصل المادة الدالة على القطع ومنه الصرم والصرم
بالضم والفتح وهو القطيعة قال امرؤ القيس
• افاطم مهلا بعض هذا التدلل • وان كنت قد ازمعت صرمي فاجملي •
ومنه الصريمة وهي قطعة منصرمة عن الرمل لا تنبت شيا قال
• وبالصريمة منهم منزل خلق • عاف تغير الا النوي والوتد •
والصارم القاطع الماضي وناقة مصرمة اي انقطع لبنها وانصرم الشهر والسنة اي اقترب
انفصالها واصرم ساتت حاله كانه انقطع سعده فقوله كالصريم قيل هي الاشجار المنصرم
حملها وقال كالليل لانه يقال له الصريم لسواده والصريم ايضا النهار وقيل الصبح ابن عباس
والفرا وهو من الاضداد لانه انصرم من الليل قاله الاخفش وقال شمر الصريم الليل والصريم
النهار لانصرام هذا عن ذاك وذاك عن هذا وقيل هو الرماد الاسود بلغة خزيمة قاله ابن
عباس ايضا قال ابن عباس وقيل الصريم رملة معروفة باليمن لا تنبت شيا وقال الثوري
كالزرع المحصود فالصريم بمعنى المصروم اي المقطوع ما فيه وقال الحسن صرم عنها الخير
اي قطع فالصريم مفعول ايضا وقال المورخ اي كالرملة انصرمت من معظم الرمل يقال

صريمه وصرايم في الرملة لا تنبت شيا ينتفع به وقيل سمي الليل صريما لانه يقطع بظلمته عن
التصرف ولهذا يكون فعيل بمعنى فاعل قال القشيري وفي هذا نظر لان النهار يسمى صريما ولا يقطع
عن التصرف وقيل سمي الليل صريما لانه يصرم نور البصر ويقطعه **فصل** قال القرطبي
في الاية دليل على ان العزم مما يواخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل
فعلهم ونظيره قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وفي الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله
هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وقد مضى في آل عمران عند
قوله ولم يصروا على ما فعلوا قوله فتنادوا مصبحين قال مقاتل لما اصبحوا قال بعضهم
لبعض اغدوا على حرثكم يعني بالحرث الثمار والزروع والاعناب ولذلك قال صارمين لانهم
ارادوا قطع الثمار من الاشجار وقوله ان اغدوا يجوز ان تكون المصدرية اي تنادوا بهذا الكلام
وان تكون المفسرة لانه تقدمها ما هو بمعنى القول قال الزمخشري فان قلت هلا قيل اغدوا
الى حرثكم وما معنى على قلت لما كان الغدو معنى الاقبال كقولهم تعدى عليهم بالجفنة وبراح
انتهى فجعل غدا متعديا في الاصل بالى فاحتاج الى تاويل تعديه بعلى وفيه نظر لورود تعديه
بعلى في غير موضع كقوله • وقد اغدوا على ثبة كرام نشاوى واجدين لما نشاء •
واذا كانوا قد عدوا امرادفه بعلي فليعدوه بها ومرادفه بكر تقول بكرت عليه وغدوت عليه
بمعنى واحد قال • بكرت عليه غدوة فرايته • قعودا لديه بالصريم عواذله •
قوله ان كنتم صارمين جوابه محذوف اي فاغدوا وصارمين قاطعين جادين وقيل ماضين
في العزم من قولك سيف صارم قوله فانطلقوا وهم يتخافتون اي يتشاورون فيما بينهم
والمعنى يخفون كلامهم ويسرونه لئلا يعلم بهم احد قاله عطا وقتادة وهو من خفت يخفت
اذا سكن ولم يبين قال ابن الخطيب وخفي وخفت كلاهما في معنى الكتم ومنه الخفود والخفا
وقيل يخفون انفسهم من الناس حتى لا يروهم وكان ابوهم يخبر الفقرا والمساكين فيحضروا
وقت الحصاد والصرام وقوله وهم يتخافتون جملة حالية من فاعل انطلقوا قوله ان لا
يدخلنها اليوم عليكم مسكين ان مفسرة ويجوز ان تكون المصدرية اي يتخافتون بهذا الكلام
اي يقوله بعضهم لبعض لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين قال ابن الخطيب والنهي للمسكين عن
الدخول نهي لهم عن تمكينه منه اي لا يمكنوه من الدخول وقرا عبد الله وابن ابي عبلة لا يدخلها
باسقاط ان اما على اضمار القول كمذهب البصريين واما على اجرا يتخافتون مجراه كقول
الكوفيين قوله وغدوا على حرد قادرين يجوز ان يكون قادرين حالا من فاعل غدوا
وعلى حرد متعلق به وان يكون على حرد هو الحال وقادرين اما حال ثانية واما حال من ضمير
الحال الاولى والحرد قيل الغضب والحنق قاله السدي وسفيان وانشد للاشهب
رملة • اسود شرى لاقت اسود خفية • تساقوا على حرد دماء الاساود •
قيل ومثله قوله • اذا جياد الخيل جاءت تردي مملوة من غضب وحرد •
عطف لما تغاير اللفظان كقوله • والفى قولها كذبا ومينا •
وقال ابو عبيدة والقتبي على حرد على منع من حاردت الابل حرادا اي قل لبنها والحرود
من النوق القليلة الدر وحاردت السنة قل مطرها وخيرها ويقال حرد بالكسر يحرد حردا وقد
تفتح فيقال حردا فهو حردان وحارد ويقال اسد حارد وليوث حوارد وقيل الحرد
والحرود الانفراد يقال حرد بالفتح يحرد بالضم حرودا وحردا اي انعزل ومنه كوكب حارد اي
منفرد قال الاصمعي هي لغة هذيل وقال القرطبي يقال حرد يحرد حرودا اي تنحى عن قومه
ولم يخالطهم وقال ابو زيد رجل حريد من قوم حردا وقد حرد يحرد حرودا اذا ترك قومه وتحول
عنهم قال الاصمعي رجل حريد اي فريد وحيد قال والمنفرد المتحرد كانه كوكب في الجو متحرد
ورواه ابو عمرو بالجيم وفسره بالانفراد قال وهو سهيل وقيل الحرد القصد يقال حرد يحرد
بالكسر حردا قصد تقول حردت حردك اي قصدت قصدك قال الراجز
• اقبل سيل جاء من عند الله • يحرد حرد الجنة المغله •
وقال قتادة ومجاهد على حرد اي على جد وجهد وقال القرطبي ومجاهد وعكرمة اي على

امر مجمع قد استسروه بينهم قاله البغوي وهذا معنى القصد وقال الحسن على حاجة وفاقة
وقيل الحرد اسم جنتهم بعينها قاله السدي وقال الازهري اسم قريتهم وفيهما بعد
وقادرين اما من القدرة وهو الظاهر واما من التقدير وهو التضييق اي مضيقين على
المساكين وقرا العامة بالاسكان وقرا ابو العالية وابن السميفع بالفتح وهما لغتان فصل
قال الغزاو معنى قادرين قد قدروا امرهم وبنوا عليه وقال قتادة قادرين على
جنتهم عند انفسهم وقال الشعبي قادرين على المساكين وقيل معناه من الوجود اي
منعوا وهم واجدون ومعنى الاية وغدوا وكانوا عند انفسهم وفي ظنهم انهم قادرين
على منع المساكين قوله فلما راوها يعني الجنة محترقة لا شي فيها قد صارت كالليل
الاسود ينظرون اليها كالرماد انكروها وشكوا فيها وقال بعضهم لبعض انا لضالون
اي ضللنا الطريق الى جنتنا ثم لما تاملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها
بشوم عزمنا على البخل ومنع الفقرا قاله قتادة وقيل انا لضالون عن الصواب في
غدونا على نية منع المساكين فلذلك عوقبنا بل نحن محرومون اي حرمنا جنتنا بما
صنعنا روى ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والمعاصي ان العبد
ليذنب الذنب فيحرم به رزقا كان هيي له ثم تلا فطاف عليها طايف من ربك وهم
نايمون الايتين قوله قال اوسطهم يعني اعدلهم وافضلهم واعقلهم الم اقل لكم لولا
تسبحون اي هلا تستثنون وكان استثناوهم تسبيحا قاله مجاهد وغيره وهذا يدل على
ان هذا الاوسط كان يامرهم بالاستثنا فلم يطيعوه قال ابو صالح كان استثناوهم سبحان
الله تعالى لم هلا تسبحون الله اي تقولون سبحان الله وتشكرونه على ما اعطاكم وقال
النحاس اصل التسبيح التنزيه لله عز وجل فجعل مجاهد التسبيح في موضع ان شا الله لان
المعنى تنزيه الله ان يكون شي الا بمشيته وقال ابن الخطيب التسبيح عبارة عن تنزيهه
عن كل سو فلو دخل شي في الوجود على خلاف ارادة الله تعالى لوجب عود النقص الى
قدرة الله تعالى فقولك ان شا الله يزيل هذا النقص فكان ذلك تسبيحا وقيل المعنى
هلا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون اليه من خبث نيتكم فقيل ان القوم لما عزموا على منع
الزكاة واغتروا بالمال والقوة قال لهم اوسطهم توبوا عن هذه المعصية قبل نزول
العذاب فلما راوا العذاب ذكرهم اوسطهم كلامه الاول وقال الم اقل لكم لولا تسبحون ه
فحينئذ اشتغلوا بالتوبة وقالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين وقال ابن عباس في قولهم
سبحان ربنا اي نستغفر الله من ذنوبنا انا كنا ظالمين لانفسنا في منعنا المساكين وقال
الحسن هذا التسبيح هو الصلاة كانهم كانوا يتكاسلون في الصلاة والا لكانت ناهية لهم
الى ان تواطوا على ذكر الله وعلى قول ان شا الله قوله فاقبل بعضهم على بعض ه
يتلاومون اي يلوم بعضهم بعضا يقول هذا انت اشرت علينا بهذا الراي ويقول ذلك
لهذا انت خوفتنا بالفقر ويقول الثالث لغيره انت رغبتني في جميع المال ثم نادوا على
انفسهم بالويل فقالوا يا ويلنا انا كنا طاغين اي عاصين بمنع حق الفقرا وترك الاستثنا
وقال ابن كيسان طغينا نعم الله فلم نشكرها كما شكرها اباونا من قبل عسى ربنا ان يبدلنا
خيرا منها تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع اباونا فدعوا الله وتضرعوا
فابدلهم الله من ليلتهم ما هو خير منها قرى يبدلنا بالتخفيف والتشديد وهما لغتان
وقيل التبديل تغيير الشي او تغيير حاله وعين الشي قايم والابدال رفع الشي ووضع اخر
مكانه ثم قال انا الى ربنا راغبون طالبون منه الخير راجون لعفوه قال المفسرون
ان الله تعالى امر جبريل ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من ارض الشام
جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود ان القوم لما اخلصوا وعرف الله منهم صدقهم
ابدلهم الله جنة يقال لها الحيران فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا واحدا وقال ابو
خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرايت كل عنقود منها كالرجل الاسود القايم وقال
الحسن قول اهل الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادري ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون
من المشركين اذا اصابتهم الشدة فتوقف في كونهم مومنين وسيل قتادة عن اصحاب الجنة

اهم

اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا والاكثرون يقولون انهم تابوا واخلصوا
حكاه القشيري قوله كذلك العذاب مبتدا وخبره تقدم اي مثل ذلك العذاب اي عذاب الدنيا
واما عذاب الاخرة فاكبر منها لو كانوا يعلمون قال ابن زيد كذلك العذاب اي عذاب الدنيا ه
وهلاك الاموال وقيل هذا وعظ لاهل مكة بالرجوع الى الله تعالى لما ابتلاهم بالجدب لدعا
النبي صلى الله عليه وسلم اي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا في الدنيا ولعذاب الاخرة
اكبر لو كانوا يعلمون وقال ابن عباس هذا مثل لاهل مكة حين خرجوا الى بدر وحلفوا ليقتلن
محمدا واصحابه وليرجعوا الى مكة حتى يطوفوا بالبيت ويشربوا الخمر وتضرب القيان على رووسهم
فاخلف الله ظنهم وقتلوا واسروا وانهزموا كاهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصرام
فخابوا وقال ابن الخطيب قوله تعالى ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال
اساطير الاولين والمعنى لاجل ان اعطاه الله المال والبنين كفر بالله كلا بل الله تعالى انما
اعطاه ذلك للابتلا فاذا صرفه الى الكفر دمر الله عليه بدليل ان اصحاب الجنة لما اتوا بهذه
المعصية اليسيرة دمر الله عليهم جنتهم فكيف حال من عاند الرسول صلى الله عليه وسلم واصر
على الكفر والمعصية **فصل** قيل ان الحق الذي منعه اهل الجنة المساكين كان واجبا
عليهم ويحتمل انه كان تطوعا والاول اظهر وقيل السورة مكية فبعد حمل الاية على ما اصاب
اهل مكة من القحط وعلى قتال بدر قوله ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم اي جنات
ليس فيها الا النعيم الخالص لا يشوبه ما ينقصه كما يشوب جنات الدنيا فان مقاتل لما
نزلت هذه الاية قال كفار مكة للمسلمين ان الله تعالى فضلنا عليكم في الدنيا فلا بد
وان يفضلنا عليكم في الاخرة فان لم يحصل التفضيل فلا اقل من المساواة فاجاب الله عن هذا
الكلام بقوله افنجعل المسلمين كالمجرمين اي ان التسوية بين المطيع والعاصي غير جايز ثم
وبخهم فقال ما لكم كيف تحكمون الحكم الاعوج كان امر الجزا مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شيتم
قوله عند ربهم يجوز ان يكون منصوبا بالاستقرار وان يكون حالا من جنات **فصل**
قال القاضي في الاية دليل واضح على ان وصف الانسان بانه مسلم ومجرم كالمتنافي فالفاسق
لما كان مجرما وجب ان لا يكون مسلما واجيب بانه تعالى انكر جعل المسلم مثلا للمجرم ولا شك انه
ليس المراد انكار المماثلة في جميع الامور فانهما متماثلان في الجوهرية والجسمية والحدوث
والحيوانية وغيرها من الامور الكثيرة بل المراد انكار استوايهما في الاسلام وفي اثار هذين
الامرين فالمراد ان يكون انكار اثر الاسلام المسلم مساويا لاثر جرم المجرم عند الله وهذا الانزاع فيه
فمن اين يدل على ان الشخص الواحد يمتنع ان يجتمع فيه كونه مسلما ومجرما **فصل** قال
الجبائي دلت الاية على ان المجرم لا يكون البتة في الجنة لانه تعالى انكر حصول التسوية بينهما
في الثواب بل لعله يكون ثواب المجرم ازيد من ثواب المسلم اذا كان المجرم اطول عمرا من المسلم وكانت
طاعاته غير محبطة والجواب هذا ضعيف لانا بينا التسوية في درجة الثواب ولعلهما لا
يستويان فيه بل يكون ثواب المسلم الذي لم يعص اكثر من ثواب من عصى على انا نقول لم لا
يجوز ان يكون المراد من المجرمين هم الكفار الذين حكى الله تعالى عنهم هذه المواقعة لان حمل
الجمع المحلى بالالف واللام على المعهود السابق مشهور في اللغة والعرف قوله ام لكم كتاب
اي الكم كتاب تتخذون فيه الطبع كالعاصي وهذا كقوله ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم
قوله ان لكم فيه العامة على كسر الهمزة وفيه ثلاثة اوجه احدها انها معمولة لتدرسون اي
تدرسون في الكتاب ان لكم ما تختارونه فلما دخلت اللام كسرت الهمزة كقولك علمت انك
عاقل بالفتح وعلمت انك لعاقل بالكسر والثاني ان يكون على الحكاية على المدروس كما هو كقوله
وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين قالهما الزمخشري وفي الفرق بين الوجهين
عسر قال وتخير الشي واختاره اخذ خيره كتنخله وانتخله اخذ منخوله الثالث انها على
الاستيناف على معنى ان كان لكم كتاب فلكم فيه متخير قال القرطبي ثم الكلام عند قوله تدرسون
ثم ابتدا فقال ان لكم فيه لما تخيرون اي ان لكم في هذا الكتاب اذن ما تخيرون اي ليس لكم ذلك والكناية
في فيه الاولى والثانية راجعة الى الكتاب وقرا طلحة والضحاك ان لكم بفتح الهمزة وهو منصوب
بتدرسون الا ان فيه زيادة لام التاكيد وهي نظير قراءة الا انهم لياكلون بالفتح وقرا الاعرج

وابن هرمز أين لكم في الموضعين يعني الان لكم فيه لما تخيرون أين لكم لما تحكمون بالاستفهام
فيهما جميعا ثم انه تعالى زاد في التوبيخ فقال ام لكم ايمان اي عهود ومواثيق علينا بالغة موكدة
والمبالغة الموكدة بالله تعالى اي ام عهود على الله استوثقتم بها في ان يدخلكم الجنة قال ابن
الخطيب والمعنى ام ضمنا لكم واقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية في التوكيد قوله بالغة العامة
على رفعها نعتا للايمان الى يوم متعلق بما تعلق به لكم من الاستقرار اي ثابتة لكم الى يوم او ببالغة
اي يبلغ الى ذلك اليوم وينتهي اليه وقرا زيد بن علي والحسن بنصبها فقيل على الحال من ايمان لانها
تخصصت بالعمل او بالوصف وقال القرطبي على الحال اما من الضمير في لكم لانه خبر عن ايمان وفيه
ضمير منه واما من الضمير في علينا ان قدرت علينا وصفا للايمان لا متعلقا بنفس الايمان لان
فيه ضميرا منه كما يكون اذا كان خبرا عنه وقيل من الضمير في علينا ان جعلناه صفة لايمان وقوله
ان لكم لما تحكمون اي لانفسكم من الخير والكرامة قوله ان لكم لما تحكمون جواب القسم في قوله
ايمان لانها بمعنى اقسام قوله سلهم ايهم بذلك زعيم اي سل يا محمد هولاء المتقولين علي ايهم كفيل
بما تقدم ذكره والزعيم الكفيل والضمين قاله ابن عباس وقتادة لقوله تعالى وانا به زعيم وقال
ابن كيسان الزعيم هنا القايم بالحجة والدعوى وقال الحسن الزعيم الرسول قوله ايهم متعلق
بسلهم وبذلك متعلق بزعيم اي ضمين وكفيل وقد تقدم ان سال يعلق لكونه سببا في العلم
واصله ان يتعدى بعن او الباء كقوله فاسال به خبيرا فان تسالوني بالسا والجملة في موضع
نصب بعد اسقاط الخافض كما تقدم تقريره قوله ام لهم شركا هذه قراة العامة وقرا عبد الله
ام لهم شرك فليأتوا بشركهم بلفظ المصدر قال القرطبي ام لهم شركا اي الهة الهتهم صلة ومعنى
شركا اي شهدا فليأتوا بشركايهم يشهدون على ما زعموا ان كانوا صادقين في دعواهم وقيل فليأتوا
بشركايهم ان امكنهم فهو امر تعجيز وقال ابن الخطيب في تفسيره وجهان الاول ان المعنى ام لهم
اشيا يعتقدون انها شركا لله وتعتقدون ان اوليك الشركا يجعلونهم في الاخرة مثل
المومنين في الثواب والخلاص من العقاب وانما اضاف الشركا اليهم لانهم جعلوها شركا لله
كقوله هل من شركايكم من يفعل من ذلكم من شي الثاني ام لهم ناس يشاركونهم في هذا المذهب
وهو التسوية بين المجرمين والمسلمين فليأتوا بهم ان كانوا صادقين في دعواهم والمراد بيان انه
كما ليس لهم دليل عقلي ولا دليل من كتاب يدرسونه فليس لهم من يوافقهم من العقلا على هذا
القول فدل ذلك على بطلانه ثم انه تعالى لما الى ابطال قولهم شرح بعده عظمة يوم القيمة
وهو قوله يوم يكشف عن ساق يوم منصوب بقوله فليأتوا اي فليأتوا بشركايهم
يوم يكشف عن ساق لتشفع الشركا لهم وحينئذ لا يوقف على صادقين او باضمار اذكر فيكون
مفعولا به او بمحذوف وهو ظرف اي يوم يكشف يكون كيت فيكيت او تخاشعه قاله ابو البقا
وعن ساق قايم مقام الفاعل وقرا ابن مسعود وابن ابي عبلة تكشف بالتاء من فوق
مبنيا للفاعل اي الشدة او الساعة وعنه ايضا لذلك مبنيا للمفعول وهي مشكلة لان التانيث
لا معنى له هنا الا ان يقال ان المفعول مستتر اي تكشف هي اي الشدة ويتعلق قوله عن
ساق بمحذوف اي تكشف عن ساقها ولذلك قال الزمخشري وتكشف بضم التاء مبنيا
للفاعل والمفعول جميعا والفعل للساعة او للحال اي يشتد الحال او الساعة وقري تكشف
بضم الياء او التاء وكسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف واكشف الرجل اذا انقلبت
شفته العليا انكشاف ما تحتها ويقال له ايضا اجلع وكشف الساق كناية عن الشدة قال
الراجز

عجبت من نفسي ومن اشفاقها • ومن طرادي الطير عن ارزاقها •
في سنة قد كشفت عن ساقها • حمراء تبري اللحم عن عراقها •

وقال حاتم الطائي
اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها • وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا •

وقال الاخر
كشفت لهم عن ساقها • وبدا الشر البوارح •

وقال الراجز
قد شمرت عن ساقها فشدوا • وجدت الحرب بكم فجدوا •

وقال اخر
صبرا امام انه شرباق • وقامت الحرب بنا على ساق •

قال الزمخشري الكشف عن الساق والابدا عن الخدام مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب
واصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب وابدا خدامهن عند

ذلك

ذلك قال حاتم اخو الحرب البيت وقال ابن قيس الرقيات •
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي • عن خدام العقيلة العذراء •
انتهى

فصل قال ابن عباس في قوله تعالى يوم يكشف عن ساق قال كرب وشدة وعن
مجاهد شدة الامر وجده وروي مجاهد عن ابن عباس قال هي اشد ساعة في القيمة وقال ابو عبيدة
اذا اشتد الامر والحرب قيل كشف الامر عن ساقه والاصل فيه ان من وقع في شي يحتاج فيه الى الجد
شمر عن ساقه فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة وقيل ساق الشي اصله الذي به قوامه
كساق الشجرة وساق الانسان اي يوم يكشف عن ساق العرش وقيل يريد وقت اقتراب الاجل وضعف
البدن اي يكشف المريض عن ساقه ليبصر ضعفه ويدعوه الموذن الى الصلاة فلا يمكنه ان يقوم ويخرج

فصل قال القرطبي فاما ما روي ان الله تعالى يكشف عن ساقه فانه عز وجل يتعالى عن
الاعضا والابعاض وان يكشف ويتغطى ومعناه ان يكشف عن العظيم من امره وقيل يكشف عن
نوره عز وجل وروي ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى عن ساق قال يكشف عن
نور عظيم يخرون له سجدا وروي ابو بردة عن ابي موسى قال حدثني ابي قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيمة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا فيذهب
كل قوم الى ما كانوا يعبدون ويبقى اهل التوحيد فيقال لهم ما تنتظرون وقد ذهب الناس تعرفونه
ولم تروه قالوا انه لا شبيه له فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله تعالى فيخرون له سجدا ويبقى اقوام
ظهورهم كصياصي البقر فينظرون الى الله تعالى فيريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله تعالى
يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون فيقول الله تعالى عبادي ارفعوا
رؤوسكم فقد جعلت بدل كل رجل منكم رجلا من اليهود والنصارى في النار قال ابو بردة فحدثت
بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال الله الذي لا اله الا هو لقد حدثك ابوك بهذا الحديث فحلف
له ثلاثة ايمان فقال عمر ما سمعت في اهل التوحيد حديثا هو احب الي من هذا قوله خاشعة
حال من مرفوع تدعون وابصارهم فاعل به ونسب الخشوع للابصار وان كانت الاعضا كلها
كذلك لظهور اثره فيها وقوله وهم سالمون حال من مرفوع يدعون الثانية ومعنى خاشعة
ابصارهم اي ذليلة متواضعة ترهقهم ذلة وذلك ان المومنين يرفعون رؤوسهم ووجوههم اشد
بياضا من الثلج وتسود وجوه الكافرين والمنافقين حتى ترجع اشد سوادا من القار

فصل
قال ابن الخطيب بعد ان حكى اقوال اهل اللغة في تفسير الكشف عن الساق واعلم ان هذا اعتراف
من اهل اللغة بان استعماله في الشدة مجاز واجمع العلما على انه لا يجوز صرف الكلام الى المجاز الا
بعد تعذر حمله على الحقيقة فاذا اقمنا الدلايل القاطعة على انه تعالى يستحيل ان يكون جسما
فيجب حينئذ صرف هذا اللفظ الى المجاز واعلم ان صاحب الكشاف اورد هذا التاويل في معرض
اخر فقال الكشف عن الساق مثل في شدة الامر فمعنى يوم يكشف عن ساق يوم يشتد ويتفاقم
ولا كشف ثم ولا ساق كما يقول للشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل في البخل
ثم اخذ يعظم علم البيان ويقول لولاه لما وقفنا على هذه الاسرار واقول اما ان يدعي انه يجوز صرف
اللفظ عن ظاهره بغير دليل او نقول لا يجوز ذلك الا بعد امتناع حمله على الحقيقة والاول
باطل بالاجماع ولانا ان جوزنا ذلك انفتحت ابواب تاويلات الفلاسفة في امر المعاد فانهم
يقولون في قوله جنات تجري من تحتها الانهار ليس هناك انهار ولا اشجار وانما هو مثل للذة
والسعادة ويقولون في قوله تعالى اركعوا واسجدوا ليس هناك ركوع ولا سجود وانما هو
مثل للتعظيم ومعلوم ان ذلك يفضي الى رفع الشرايع وفساد الدين واما ان قال انه لا يصار
الى التاويل الا عند قيام الدليل على انه لا يجوز حمله على ظاهره فهذا قول كل احد من المتكلمين
فاين الدقايق التي استبد هو بمعرفتها والاطلاع عليها بواسطة علم البيان ثم قال بعد ان
حكى القول بان المراد بالساق ساق جهنم او ساق العرش او ساق ملك عظيم ان اللفظ لا يدل
الا على ساق واما اي شي هو فليس في اللفظ ما يدل عليه ثم ذكر حديث ابن مسعود عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه تعالى يتمثل للخلق يوم القيمة حين يمر المسلمون فيقول من تعبدون
فيقولون نعبد الله فيشهدهم مرتين او ثلاثا ثم يقول هل تعرفون ربكم فيقولون اذا عرفنا
نفسه عرفناه بعد ذلك يكشف عن ساق فلا يبقى مومن الا خر ساجدا لله تعالى ويبقى المنافقون

ظهورهم كالطبق الواحد كانما فيها السفافيد قال واعلم ان هذا القول باطل لوجوه احدها ان الدلايل
دلت على ان كل جسم محدث لان كل جسم متناه وكل متناه محدث ولان كل جسم ممكن محدث وثانيها
انه لو كان المراد ذلك لكان من حق الساق ان يعرف لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن
اما لما اجملت ففايدة التنكير الدلالة على التعظيم كانه قال يوم يكشف عن شدة واي شدة لا يمكن
وصفها وثالثها ان التعريف لا يحصل بالكشف عن الساق انما يحصل بكشف الوجه ثم حكى قول ابي
مسلم بانه لا يمكن حمله على يوم القيمة لانه تعالى قال في وصفه ويدعون الى السجود ويوم القيمة
ليس فيه تعبد ولا تكليف بل المراد منه اما اخر ايام الرجل في دنياه كقوله تعالى يوم يرون
الملايكة لا بشرى يوميذ للمجرمين وقوله يوم ياتي بعض ايات ربك الاية لانه الوقت الذي
لا ينفع نفسا ايمانها واما حال المرض والهرم والعجز ثم انه يرى الناس يدعون الى الصلاة
اذا حضرت اوقاتها وهو لا يستطيع الصلاة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون مما بهم
الان من الشدة النازلة بهم من هول ما عاينوا عند الموت او من العجز والهرم ونظير هذه
الاية فلولا اذا بلغت الحلقوم ثم قال واعلم انه لا نزاع في انه يمكن حمل اللفظ على ما قاله
ابو مسلم ثم قال فاما قوله انه لا يمكن حمله على يوم القيمة بسبب ان الامر بالسجود حاصل في
الدنيا والتكاليف زايلة يوم القيمة فجوابه ان ذلك لا يكون على سبيل التكليف بل على سبيل
التقريع والتخجيل فلم قلت ان ذلك غير جايز قوله وقد كانوا يدعون الى السجود في الدنيا
وهم سالمون معافون اصحا قال ابراهيم التيمي اي يدعون بالاذان والاقامة فيابون
وقال سعيد بن جبير كانوا يسمعون حي على الفلاح فلا يجيبون وهم سالمون اصحا
وقال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الاية الا في الذين يتخلفون عن الجماعات وقيل اي
بالتكليف الموجه عليهم في الشرع قوله فذرني ومن يكذب بهذا الحديث اي دعني والمكذبين
بالقران وخل بيني وبينهم وقال الزجاج لا تشغل قلبك به كله الي فاني اكفيك امره ومن
منصوب اما نسقا على ضمير المتكلم او مفعول معه وهو مرجوح لامكان النسق من غير ضعف
وتقدم اعراب ما بعده **فصل** لما خوف الكفار بعظمة يوم القيمة زاد في التخويف
بما عنده وفي قدرته من القهر فقال ذرني واياه يريد انا كله الي فاني اكفيكه قال السدي
فالمراد بالحديث القران وقيل يوم القيمة وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم **فصل**
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون اي سناخذهم على غفلة وهم لا يعرفون فعذبوا يوم بدر وقال
سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر وقال الحسن كم مستدرج بالاحسان اليه
وكم مفتون بالثنا عليه وكم مغرور بالستر عليه وقال ابو روق كلما احدثوا خطيية جددنا
لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار وقال ابن عباس سنمكر بهم وروي ان رجلا من بني اسرايل
قال يا رب كم اعصيك وانت لا تعاقبني فاوحى الله الى نبي زمانهم ان قل له كم من عقوبة لي
عليك وانت لا تشعر ان جمود عينيك وقساوة قلبك استدراج مني وعقوبة لو عقلت
والاستدراج ترك المعالجة واصله النقل من حال الى حال كالتدرج ومنه قيل درجات
وهي منزلة بعد منزلة واستدرج فلان فلانا اي استخرج ما عنده قليلا قليلا ويقال
درجه الى كذا واستدرجه بمعنى ادناه منه على التدريج فتدرج ومعنى الاية انا لما
انعمنا عليهم اعتقدوا ان ذلك الانعام تفضيل لهم على المومنين وهو في الحقيقة سبب
هلاكهم قوله واملي لهم اي امهلهم واطيل لهم المدة كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما والملاوة
المدة من الدهر واملي امد له اي اطال له والملوان الليل والنهار وقيل واملي لهم اي لا اعاجلهم
بالموت والمعنى واحد والملا مقصور الارض الواسعة سميت به لامتدادها ان كيدي متين
اي ان عذابي لقوي شديد فلا يفوتني احد وسمي احسانه كيدا كما سماه استدراجا في
صورة الكيد ووصفه بالمتانة لقوة اثر احسانه في التسبب للهلاك **فصل** قال
ابن الخطيب تمسك الاصحاب بهذه الاية في مسلة ارادة الكاينات لان هذا الاستدراج
والكيدات لم يكن لها اثر في الطغيان فليسا بكيد ولا استدراج وان كان لهما اثر فيه لزم ان
يكون الحق سبحانه مريدا له لان من فعل شيا لحصول شي واكده وقواه لا بد وان يكون مريدا
لحصول ذلك الشي اجاب الكعبي بان المراد سنستدرجهم الى الموت اي يجي عنهم زمن الموت

من

من حيث لا يعلمون وهو مقتضى الحكمة والا لكان فيه اغرا بالمعاصي فانهم لو عرفوا الوقت الذي
يموتون فيه اقدموا على المعاصي ثم صاروا ممتنعين واجاب الجبايي بان معنى قوله سنستدرجهم
اي الى العذاب من حيث لا يعلمون في الاخرة واملي لهم في الدنيا توكيدا للحجة عليهم وان كيدي
متين فامهله وازيح الاعذار عنهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ويدل على هذا
قوله قبل ذلك فذرني ومن يكذب بهذا الحديث ولا شك ان هذا التهديد انما هو بعذاب الاخرة
فوجب ان يكون الاستدراج والكيد المذكور عقيبه هو عذاب الاخرة واجاب الاصحاب
بان هذا الامهال اذا كان مودبا الى الطغيان لا بد وان يكون راضيا بذلك الطغيان قوله
ام تسالهم اجرا عاد الكلام الى ما تقدم من قوله تعالى ام لهم شركا اي ام ملتمس منهم ثوابا على ما
يدعوهم اليه من الايمان بالله والغرم الغرامة فهم من غرامة ذلك مثقلون اي يثقل حمل الغرامات
عليهم في بذل المال فيثبطهم ذلك عن الايمان والمعنى ليس عليهم كلفة في متابعتك بل يستولون
بالايمان على خزاين الارض ويصلون الى جنات النعيم قوله ام عندهم الغيب اي علم ما غاب
عنهم فهم يكتبون وقيل انزل عليهم الوحي بهذا الذي يقولون وعن ابن عباس الغيب هنا
اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ثواب ما هم عليه من الكفر ويخاصمونك به ويكتبون انهم افضل
منكم وانهم لا يعاقبون وقيل يكتبون يحكمون لانفسهم ما يريدون وهذا استفهام على سبيل
الانكار قوله فاصبر لحكم ربك اي لقضا ربك والحكم هنا القضا وقيل اصبر على ما حكم
به عليك ربك من تبليغ الرسالة وقال ابن بحر فاصبر لنصر ربك وقيل انه منسوخ باية السيف
ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس عليه السلام اي لا تكن مثله في الغضب والضجر والعجلة
وقال قتادة ان الله تعالى يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ويامره بالصبر ولا يعجل كما عجل
يونس عليه السلام وقد تقدم الفرق بين ذي وصاحب في سورة يونس قوله اذ نادى
او منصوب بمضاف محذوف اي ولا يكن حالك كحاله او قصتك كقصته في وقت ندايه ويدل
على المحذوف ان الذوات لا ينصب عليها الحين انما ينصب على احوالها وصفاتها وقوله وهو
مكظوم جملة حالية من الضمير في نادى والكظوم الممتلي حزنا وغيظا ومنه كظم
السقا اذا ملاه قال ذو الرمة • وانت من حب مي مضمر حزنا • عاني الفواد قريح القلب مكظوم •
فصل اذ نادى اي حين دعا من بطن الحوت فقال لا اله الا انت سبحانك اني
كنت من الظالمين قال القرطبي ومعنى وهو مكظوم اي مملوء غما وقيل كربا فالاول قول
ابن عباس ومجاهد والثاني قول عطا وابن مالك قال الماوردي والفرق بينهما ان الغم
في القلب والكرب في الانفاس وقيل مكظوم محبوس والكظم الحبس ومنه قولهم كظم غيظه
اي حبس غضبه قاله ابن بحر وقيل انه الماخوذ بكظمه وهو مجرى النفس قاله المبرد وقد
مضى في سورة يوسف وفي سورة ال عمران والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر
والمغاضبة فتبتلى ببلايه قوله لولا ان تداركه قال ابن الخطيب لم لم يقل تداركته
نعمة واجاب بانه انما حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه ولان التانيث غير حقيقي
في النعمة وقرا ابي وعبد الله وابن عباس تداركته بتا التانيث لاجل اللفظ والحسن وابن
هرمز والاعمش تداركه بتشديد الدال وخرجت على ان الاصل تتداركه بتايين مضارعا
فادغم وهو شاذ لان الساكن الاول غير حرف لين وهي كقراءة البزي اذ تلقونه ونارا تلظى
وهذا على حكاية الحال لان القصة ماضية فايقاع المضارع هنا للحكاية كانه قال لولا ان كان
يقال فيه تتداركه نعمة قوله نعمة من ربه قال الضحاك النعمة هنا النبوة وقال ابن جبير
عبادته التي سلفت وقال ابن زيد نداوه بقوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
وقال ابن بحر اخراجه من بطن الحوت وقيل رحمة من ربه فرحمه وتاب عليه قوله لنبذ
بالعرا هذا جواب لولا اي لنبذ مذموما ولكنه نبذ سقيما غير مذموم وقيل جواب لولا مقدر
اي لولا هذه النعمة لبقي في بطن الحوت ومعنى مذموم قال ابن عباس مليم وقال بكر
ابن عبد الله مذنب وقيل مبعد من كل خير والعرا الارض الواسعة الفضا التي ليس فيها جبل
ولا شجر يستر وقيل لولا فضل الله عليه لبقي في بطن الحوت الى يوم القيمة ثم نبذ بعرا القيمة
مذموما يدل عليه قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون

فصل قال ابن الخطيب لعل يدل قوله وهو مذموم على كونه فاعلا للذنب قال
والجواب من ثلثة اوجه الاول ان كلمة لولا دلت على ان هذه المذمومية لم تحصل الثاني
لعل المراد من المذمومية ترك الافضل فان حسنات الابرار سيئات المقربين الثالث لعل
هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله تعالى فاجتباه ربه انها للتعقيب قيل ان هذه الاية
نزلت باحد حين حل برسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل فاراد ان يدعوا على الذين انهزموا
وقيل حين اراد ان يدعوا على ثقيف قوله فاجتباه ربه اي فاصطفاه واختاره فجعله
من الصالحين قال ابن عباس رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه وفي قومه وقيل بتوبته
وجعله من الصالحين بان ارسله الى مائة الف او يزيدون **فصل** قال ابن الخطيب
قال قوم لعل صاحب الحوت ما كان رسولا قبل هذه الواقعة ثم بعد هذه الواقعة جعله الله
رسولا وهو المراد من قوله فاجتباه ربه والذين انكروا الكرامات والارهاص لا بد وان يختاروا
هذا القول لان الاجتبا في بطن الحوت وعدم موته هناك لما لم يكن هناك ارهاصا ولا
كرامه فلا بد وان تكون معجزة وذلك يقتضي انه كان رسولا في تلك الحال **فصل**
قال ابن الخطيب احتج الاصحاب على ان فعل العبد خلق لله تعالى بقوله فجعله من الصالحين
وهذا يدل على ان الصلاح انما حصل بجعل الله وخلقه قال الجبائي يحتمل ان يكون معنى جعله
انه اخبر بذلك ويحتمل ان يكون لطف حتى صلح اذا جعل يستعمل في اللغة في هذه المعاني
والجواب ان ذلك مجاز والاصل في الكلام الحقيقة قوله وان يكاد الذين كفروا ان
مخففة من الثقيلة ليزلقونك اي يعينونك بابصارهم قراها نافع بفتح الباء والباقون
بضمها فاما قراءة الجماعة فمن ازلقه اي ازل رجله فالتعدية بالهمزة من زلق يزلق واما قراءة
نافع فالتعدية بالحركة يقال زلق بالكسر وزلقته بالفتح ونظيره شترت عينه بالكسر
وشترها الله بالفتح وقد تقدم لذلك اخوات وقيل زلقه وازلقه بمعنى وازلقه اذا نحاه
وهذه ازلق راسه يزلقه زلقا اذا حلقه قال القرطبي ولذلك ازلقت وزلقه تزليقا
ورجل زلف وزليق مثال هذيل وزمالق وزملق بتشديد الميم وهو الذي ينزل قبل ان
يجامع حكاه الجوهري وغيره احدو الباقي بابصارهم اما للتعدية كالداخلة على الالة اي
جعلوا ابصارهم كالالة المزلقة لك كعملت بالقدوم واما للسببية اي بسبب عيونهم وقرئ
ليزهقونك من زهقت نفسه وازهقها ثم فيه وجوه احدها انهم من شدة تحريقهم ونظرهم
اليك شزرا بعيون العداوة والبغضا يكادون يزلقون قدمك من قولهم نظر الي نظرا
يكاد يصرعني ويكاد ياكلني انشد ابن عباس لما مر باقوام حددوا النظر اليه

نظروا الي باعين محمرة • نظر التيوس الى شفار الجازر •

فصل اخبر الله تعالى بشدة عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وارادوا ان يصيبوه
بالعين فنظر اليه قوم من قريش وقالوا ما راينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في
بني اسد حتى ان البقرة السمينة او الناقة السمينة تمر باحدهم فيعاينها ثم يقول يا جارية
خذي المكيل والدرهم فاتنا بلحم هذه الناقة فما تبرح حتى تقع الناقة للموت فتنحر وقال
الكلبي كان رجل من العرب يمكث لا ياكل شيئا يومين او ثلثة ثم يرفع جانب الخبا فتمر به
الابل او الغنم فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فلا يذهب الا قليلا حتى يسقط
منها طايفة عالكة فسال الكفار هذا الرجل ان يصيب لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فاجابهم
فلما امر النبي صلى الله عليه وسلم انشد •

• قد كان قومك يحسبونك سيدا • واخال انك سيد معتون •

فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم ونزلت هذه الاية وذكر الماوردي ان العرب كانوا اذا
اراد احدهم ان يصيب احدا يعني في نفسه وماله تجوع ثلثة ايام ثم يتعرض لنفسه وماله
فيقول بالله ما رايت اقوى منه ولا اشجع ولا اكثر منه ولا احسن فيصيبه لعينه فيهلك هو
وماله فانزل الله تعالى هذه الاية قال القشيري وفي هذا نظر لان الاصابة بالعين
انما تكون مع الاستحسان والاعجاب لا مع الكراهية والبغض ولهذا قال ويقولون انه
لمجنون اي ينسبونك الى الجنون اذا راوك تقرا القران قال القرطبي اقوال المفسرين واللغويين

يدل على ما ذكرنا وان مرادهم بالنظر اليه قتله ولا يمنع كراهتا الشي من ان يصاب بالعين عداوة
حتى يهلك تمت الكلمة اذن السحنة والازالة وذلك لا يكون في حق النبي صلى الله عليه وسلم
الا بهلاكه وموته قال الهروي اراد ليعتانونك بعيونهم فيزيلونك عن مقامك الذي اقامك الله
فيه عداوة لك وقال ابن عباس ينفذونك بابصارهم يقال زلق السهم وزهق اذا نفذ وهو
قول مجاهد اي ينفذونك من شدة نظرهم وقال الكلبي يصرعونك وعنه ايضا والسدي وسعيد
ابن جبير يصرفونك عما انت عليه من تبليغ الرسالة وقال العوفي يرمونك وقال المورج يزيلونك
وقال النضر بن شميل والاخفش يفتنونك وقال الحسن وابن كيسان ليقتلونك كما يقال
صرعني بطرفه وقتلني بعينه قوله لما سمعوا الذكر من جعلها ظرفية جعلها منصوبة
بيزلقونك ومن جعلها حرفا جعل جوابها محذوفا لدلالة ما قبله اي لما سمعوا الذكر كادوا يزلقونك
ومن جوز تقديم الجواب قال هو هنا متقدم والمراد بالذكر ثم قال ويقولون انه لمجنون وهو
على ما افتتح به السورة ثم قال وما هو يعني القران الا ذكر للعالمين اي ان الذي يزعمون انه دلالة
جنونه الا ذكر للعالمين تذكير لهم وبيان وتنبيه لهم على ما في عقولهم من ادلة التوحيد وقال
الحسن دوا اصابة العين ان يقرا الانسان هذه الاية وقيل اي وما محمد الا ذكر للعالمين يتذكرون
به وقيل معناه شرف اي القران كقوله وانه لذكر لك ولقومك والنبي صلى الله عليه وسلم شرف
للعالمين ايضا شرفوا باتباعه والايمان به صلى الله عليه وسلم عن ابي بن كعب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القلم اعطاه الله عز وجل ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

• سورة الحاقة مكية •

وهي اثنان وخمسون اية ومايتان وستة وخمسون كلمة والف واربعة وستون حرفا

• بسم الله الرحمن الرحيم •

قوله تعالى الحاقة ما الحاقة الحاقة مبتدا وما مبتدا ثان والحاقة خبره والجملة خبر
الاول لان معناها ما هي واللفظ استفهام ومعناه التفخيم والتعظيم لشانها قال ابن الخطيب
يضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها ومثله القارعة ما القارعة وقد تقدم تحريره هذا في
الواقعة والحاقة فيها وجهان احدهما انه وصف اسم فاعل بمعنى انها تبدي حقايق الاشيا وقيل
لان الامر يحق فيها فهي من باب ليل نايم ونهار صايم قاله الطبري وقيل سميت حاقة لانها تكون
من غير شك لانها حقت فلا كاذب لها وقيل سميت القيمة بذلك لانها احقت لاقوام الجنة واحقت
لاقوام النار وقيل من حق الشي يثبت فهي ثابتة كاينة وقيل لانها تحق كل محاق في دين الله
اي تغلبه من حاققته فحققته احقه اي غلبته وفي الصحاح وحاقه اي خاصمه وادعى كل
واحد منهما الحق فاذا غلبه قيل حقه ويقال ماله فيه حق ولا حقاق اي خصومة والتحاق
الاختصام والحاقة والحقة ثلاث لغات بمعنى وقال الكساي والمورج الحاقة يوم الحق
الثاني انها مصدر كالعاقبة والعافية قوله ما الحاقة في موضع نصب على اسقاط الخافض
لان ادري بالهمزة يتعدى لاثنين للاول بنفسه والثاني كالباء قال تعالى ولا ادراكم به فلما
وقعت جملة الاستفهام معلقة لها كانت في موضع المفعول الثاني ودون الهمزة يتعدى لواحد
بالباء نحو دريت بكذا او يكون بمعنى علم فيتعدى لاثنين **فصل** معنى ما ادراك اي اي
شي اعلمك ما ذاك اليوم والنبي صلى الله عليه وسلم كان عالما بالقيمة ولكن لا علم له بكنهها وصفتها
فقيل ذلك تعظيما لشانها كانك لست تعلمها اذ لم تعاينها وقال يحيى بن سلام بلغني ان كل شي في
القران وما ادراك فقد ادراه وعلمه وكل شي قال وما يدريك فانه اخبر به وكل شي قال فيه
وما يدريك فانه لم يخبر به قوله كذبت ثمود وعاد بالقارعة القارعة القيمة سميت بذلك لانها
تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل لانها تقرع الناس باهوالها يقال اصابتهم قوارع الدهر
اي اهواله وشدايده وقوارض لسانه جمع قارضة وهي الكلمة الموذية وقوارع القران الايات
التي يقراوها الانسان اذا فزع من الجن والانس نحو اية الكرسي لانه يقرع الشيطان وقال
المبرد القارعة ماخوذة من القرعة من رفع قوم وحط اخرين وقوارع القيمة انفطار السما

وانشقاقها والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار وانما قال كذبت ثمود
وعاد بالقارعة ولم يقل بها ليدل على ان معنى القرع حاصل في الحاقة فيكون ذلك زيادة على
وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها اتبع ذلك بذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا
لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم وقيل عنى بالقارعة العذاب الذي نزل بهم في الدنيا
وكان نبيهم يخوفهم بذلك فيكذبونه وثمود قوم صالح وكانت منازلهم بالحجر فيما بين الشام والحجاز
قال ابن اسحاق هو وادي القرى وكانوا عربا واما عاد فقوم هود وكانت منازلهم بالاحقاف
والاحقاف الرمل بين عمان الى حضرموت واليمن كله وكانوا عربا ذوي بسطه في الخلق وقد
تقدم ذلك قوله فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية هذه قراءة العامة وقرا زيد بن علي فهلكوا
مبنيا للفاعل وقوله بالطاغية فيه اضمار اي بالفعلة الطاغية وقال قتادة بالصيحة الطاغية
المتجاوزة للحد اي لحد الصيحات من الهول كما قال انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم
المحتظر والطغيان مجاوزة الحد ومنه انا لما طغى الما اي جاوز الحد وقال ابن زيد بالرجل
الطاغية وهو عاقر الناقة والهاء فيه للمبالغة على هذه الاوجه صفة والمعنى اهلكوا بما اقدم
عليه طاغيتهم من عقر الناقة وكان واحدا وانما هلك الجميع لانهم رضوا بفعله ومالوه وقيل
له طاغية كما يقال فلان راويه وداهيه وعلامه ونسابه ويحتمل ان يقال بسبب الفرقة
الطاغية وهم التسعة رهط الذين كانوا يفسدون في الارض ولا يصلحون واحدهم عاقر الناقة
وقال الكلبي بالطاغية بالصاعقه وقال مجاهد بالذنوب وقال الحسن بالطغيان فهي مصدر
كالكاذبه والعافية اي اهلكوا بطغيانهم وكفرهم ويوضحه كذبت ثمود بطغواها قال ابن الخطيب
وهذا القول منقول عن ابن عباس قال وقد طعنوا فيه من وجهين الاول قال الزجاج وانه
لما ذكر في الجملة الثانية نوع الشي الذي وقع به العذاب وهو قوله تعالى بريح صرصر عاتيه
وجب ان تكون الحال في الجملة الاولى كذلك حتى يحصل المناسبه والثاني قال القاضي لو كان
المراد ما قالوه لكان من حق الكلام ان يقال والبا للسببية على الاقوال كلها الا اهلكوا لها ولاجلها
على قول قتادة فانها فيه للاستعانة كعملت بالقدوم قوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر
اي باردة تحرق ببردها كاحراق النار ماخوذ من الصر وهو البرد قاله الضحاك وقيل انها الشديده
الصوت وقال مجاهد الشديدة السموم عاتية عتت على خزانها فلم تطعهم ولم تطيقوها من
شدة هبوبها غضبت لغضب الله وقال عطا عن ابن عباس عتت على عاد فقهرتهم فما قدروا
على ردها بحيلة من استناد الى جبل بل كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم وروي سفيان الثوري
عن موسى بن المسيب عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما ارسل الله من نسفه من ريح الا بمكيال ولا قطرة من ما الا بمكيال الا قوم عاد ويوم
قوم نوح فان الما يوم قوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرا بريح صرصر
عاتية وقيل ان هذا ليس من العتو الذي هو عصيان انما هو بلوغ الشي وانتهاوه ومنه
قولهم عتا النبت اي بلغ منتهاه وجف قال تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا اي بلغت
منتهاها في القوة والشدة قوله سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام اي ارسلها
وسلطها عليهم والتسخير استعمال الشي بالاقتدار وقال الزجاج اقامها عليهم والجملة
من قوله سخرها يجوز ان تكون صفة لريح وان تكون حالا منها لتخصصها بالصفة او من
الضمير في عاتية وان يكون قال ابن الخطيب وعندي ان فيه لطيفه وذلك ان من الناس
من قال ان تلك الرياح انما اشتدت لاتصال فلكي نجومي اقتضى ذلك فقوله تعالى سخرها
فيه اشارة الى نفي ذلك المذهب وانما ذلك انما حصل بتقدير الله وقدرته فانه لولا هذه
الدقيقة لما حصل منه التخويف والتحذير عن العقاب وقوله سبع ليال وثمانية ايام
الفائدة فيه انه تعالى لو لم يذكر ذلك لما كان مقدار زمان ذلك العذاب معلوما فلما قال
سبع ليال وثمانية ايام احتمل ان يكون متفرقا في هذه المدة فازال هذا الظن بقوله
حسوما اي متتابعة متوالية **فصل** قال وهب هي الايام التي تسميها العرب ايام
العجوز ذات برد ورياح شديدة وقيل سميت عجوزا لانها في عجز الشتا وقيل لان عجوزا
من قوم عاد دخلت سربا فتبعتها الريح فقتلها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع

العذاب

العذاب قوله حسوما فيه اوجه احدها ان ينتصب نعتا لما قبلها الثاني ان ينتصب على الحال
اي ذات حسوم وقرا السدي حسوما بالفتح حالا من الريح اي سخرها عليهم مستاصلة الثالث ان
ينتصب على المصدر بفعل من لفظها اي تحسمهم حسوما الرابع ان يكون مفعولا له ويتضح ذلك
بقول الزمخشري الحسوم لا يخلو من ان يكون جمع حاسم كشاهد وشهود او مصدرا كالشكور
والكفور فان كانت جمعا فمعنى قوله حسوما اي نحسات حسمت كل خير واستاصلت كل بركة او
متتابعة هبوب الريح ما خفتت ساعة تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على
الداء كرة بعد اخرى حتى ينحسم وان كانت مصدرا فاما ان ينتصب بفعله مضمرا اي تحسمهم حسوما
بمعنى تستاصل استيصالا او يكون صفة كقولك ذات حسوم او يكون مفعولا له اي سخرها عليهم
للاستيصال قال عبد العزيز بن زراره الكلابي

ففرق بين بينهم زمان • تتابع فيه اعوام حسوم

يعني وقال المبرد الحسوم الفصل حسمت الشي من الشي فصلته منه ومنه الحسام قال الشاعر

فارسلت ريحا دبورا عقيما • فدارت عليهم فكانت حسوما

وقال الليث هي الشوم يقال هذه ليالي الحسوم اي تحسم الخير عن اهلها لقوله تعالى في ايام
نحسات وهذان القولان يرجعان الى القول الاول لان الفصل قطع وكذلك الشوم لانه يقطع
الخير قال ابن زيد حسمتهم فلم تبق منهم احدا وعنه ايضا انها حسمت الليالي والايام حتى استوفتها
لانها بدات طلوع الشمس من اول يوم وانقطعت غروب الشمس من اخر يوم واختلف في اولها
فقال السدي غداة يوم الاحد وقال الربيع بن انس غداة يوم الجمعة وقال يحيى بن
سلام ووهب بن منبه غداة يوم الاربعا وهي في اذار من اشهر السريانيين ولها اسما مشهورة
قال فيها ابن احمر

كسع الشتا بسبعة غبر • ايام شهلتنا من الشهر
فاذا انقضت ايامها ومضت • صن وصنبر مع الوبر
وبامر واخيه مؤتمر • ومعلل وبمطفي الجمر
ذهب الشتا موليا عجلا • واتتك واقدة من النجر
كسي الشتا بسبعة غبر • بالصن والصنبر والوبر
وبامر واخيه مؤتمر • ومعلل وبمطفي الجمر

قوله فترى القوم فيها اي في تلك الليالي والايام صرعى جمع صريع وهي حال نحو قتيل
وقتلى وجريح وجرحى والضمير في فيها للايام والليالي كما تقدم او للبيوت او للريح والاول
اظهر لقربه ولانه مذكور قوله كانهم اعجاز نخل اي اصول نخل واعجاز حال من القوم او مستانفة
وقرا ابو نهيك اعجز على افعل نحو ضبع واضبع وقرى نخيل حكاه الاخفش وقد تقدم ان اسم
الجنس يذكر ويونث واختير هنا تانيثه للفواصل كما اختير تذكيره لها في سورة القمر وقال
ابو الطفيل اصول نخل خاوية اي بالية وقيل خالية الاجواف لا شي فيها قال القرطبي وقد
قال تعالى في سورة القمر اعجاز نخل منقعر فيحتمل انهم شبهوا بالنخل التي صرعت من اصلها
وهو اخبار عن عظم اجسامهم ويحتمل ان يكون المراد به الاصول دون الجذوع اي ان الريح قد
قطعتهم حتى صاروا كاصول النخل خاوية اي ان الريح كانت تدخل اجوافهم فتصرعهم كالنخل
الخاوية الجوف وقال ابن بحر كانت الريح تدخل في افواههم فتخرج ما في اجوافهم من الحشو
من ادبارهم فصاروا كالنخل الخاوية وقال يحيى بن سلام انما قال خاوية لان ابدانهم
خوت من ارواحهم مثل النخل الخاوية قوله فهل ترى لهم من باقية ادغم اللام في التا ابو
عمرو وحده وتقدم في الملك ومن باقية مفعول ومن مزيدة والتا في باقيه قيل للمبالغة
فيكون المراد بالباقية البقا كالطاغية بمعنى الطغيان اي من باق والاحسن ان تكون صفة
لفرقة او طايفة او نفس او بقية ونحو ذلك وقيل فاعلة بمعنى المصدر كالعاقبة والعافية
قال المفسرون والمعنى هل ترى لهم احدا باقيا قال ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانية ايام
احيا في عذاب الله من الريح فلما امسوا في اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فالقتهم
في البحر فذلك قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وقوله فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم قوله
وجا فرعون ومن قبله قرا ابو عمرو والكسائي بكسر القاف وفتح البا اي ومن هو في جهته

ويؤيده قراة ابي موسى ومن تلقاه وقرا ابي وعبد الله ومن بتبعه والباقون بالفتح والسكون
على الظرف اي ومن يقدمه والقراة الاولى اختارها ابو عبيدة وابو حاتم اعتبارا بقراة ابي
وعبد الله قوله والموتفكات بالخاطية الموتفكات اهل قرى لوط وقراة العامة بالالف
وقرا الحسن والجحدري والموتفكة على التوحيد قال قتادة انما سميت قرى قوم لوط موتفكات
لانها ايتفكت بهم اي انقلبت وذكر الطبري عن محمد بن كعب القرظي قال خمس قريات صنعه
وصعره وعمره ودوما وسدوم وهي القرية العظمى وقوله بالخاطية اما ان تكون صفة اي بالفعلة
او الفعلات الخاطية وهي المعصية والكفر وقال مجاهد بالخطايا التي كانوا يفعلونها وقال الجرجاني
بالخطا العظيم فيكون مصدرا كالعافية والكاذبة قوله فعصوا رسول ربهم ان عاد الضمير الى
فرعون ومن قبله فرسول ربهم موسى عليه السلام وان كان عايدا الى اهل الموتفكات فرسول
ربهم لوط عليه السلام قال الواحدي والوجه ان يقال المراد بالرسول كلاهما للخبر عن الامتين
بعد ذكرهما بقوله فعصوا فيكون كقوله انا رسول رب العالمين قال القرطبي وقيل رسول
بمعنى رسالة وقد يعبر عن الرسالة بالرسول كقوله

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم • بسر ولا ارسلتهم برسول •

قوله فاخذهم اخذة رابية اي عالية زايدة على الاخذات وعلى عذاب الامم يقال ربا
الشي يربو اذا زاد ومنه الربا اذا اخذ في الذهب والفضة اكثر مما اعطى في المعنى انها كانت
زايدة في الشدة على عقوبات ساير الكفار كما انها افعالهم كانت زايدة في القبح على افعال
ساير الكفار وقيل لان عقوبة ال فرعون في الدنيا متعلقة بعذاب الاخرة لقوله اغرقوا
فادخلوا نارا وعقوبة الاخرة اشد من عقوبة الدنيا فتلك العقوبة كانها كانت تنموا وتربوا
ثم ذكر قصة قوم نوح وهي قوله انا لما طغى الما حملناكم في الجارية طغى الما اي ارتفع وعلا
وقال علي رضي الله عنه طغى على خزانه من الملا يكة غضبا لربه فلم يقدروا على حبسه قال
المفسرون زاد على كل شي خمس عشرة ذراعا وقال ابن عباس رضي الله عنه طغى الما زمن نوح
على خزانه فكثر عليهم فلم يدروا كم خرج وليس من الما قطرة تنزل قبله ولا بعده الا بكيل معلوم
غير ذلك اليوم وقد تقدم مرفوعا اول السورة والمقصود من قصص هذه الامم وذكر ما حل بهم
من العذاب زجر هذه الامة عن الاقتدا بهم في معصية الرسول ثم من عليهم بان جعلهم ذرية
من نجا من الغرق بقوله حملناكم في الجارية اي حملنا اباكم وانتم في اصلابهم في الجارية اي في السفن
الجارية والمحمول في الجارية انما هو نوح واولاده وكل من على وجه الارض من نسل اولئك
والجارية من اسما السفينة ومنه قوله تعالى وله الجوار المنشات في البحر كالاعلام وغلب
استعمال الجارية في السفينة ومنه قوله تعالى في بعض الالغاز

• وانت جارية في بطن جارية • في بطنها رجل في بطنه جمل •

قوله لنجعلها لكم تذكرة اي سفينة نوح عليه السلام جعلها الله تذكرة وعظة لهذه الامة حتى
ادركها اوايلهم في قول قتادة قال ابن جريج كانت الواحها على الجودي والمعنى ابقيت لكم
تلك الخشبات حتى تذكروا ما حل بقوم نوح وانجى الله اباكم وكم سفينة هلكت وصارت ترابا ولم
يبق منها شي وهذا قول الفرا قال ابن الخطيب وهذا ضعيف بل الصواب ما قاله الزجاج ان
الضمير في قوله لنجعلها يعود الى الواقعة التي هي معلومة وان كانت هنا غير مذكورة والتقدير
لنجعل نجاة المومنين واغراق الكافرين عظة وعبرة ويدل على صحته قوله وتعيها اذن واعية
فالضمير في قوله تعالى وتعيها لا يمكن عوده الى السفينة فكذا الضمير الاول قوله وتعيها
العامة على كسر العين وتخفيف اليا وهو مضارع وهي منصوب عطفا على لنجعلها وابن مصرف
وابو عمرو في رواية هرون عنه وقنبل قال القرطبي وحميد الاعرج باسكانها تشبيها له برحم
وشهد وان لم يكن منه ولكن صار في اللفظ بمنزلة فعل الحلقي العين قال ابن الخطيب وروي
عن ابن كثير اسكان العين جعل حرف المضارعة مع ما بعده بمنزلة واحدة نحو كتف واسكن كما
اسكن الحرف المتوسط من فخذ وكبد وكتف وانما فعل ذلك لان حرف المضارعة لا ينفصل من
الفعل فاشبه ما هو من نفس الكلمة وصار كقوله فهو وهي ومثل ذلك ويتقه في
قراة من سكن القاف وروي عن حمزة اخفا الكسرة وروي عن عاصم وحمزة ايضا بتشديد اليا

وهو غلط عليهما وانما سمعها الراوي بيان حركة اليا فظنها شدة وقيل اجريا الوصل مجرى الوقف
فضعفا الحرف وهذا لا ينبغي ان يلتفت اليه وروي عن حمزة ايضا وموسى بن عبد الله العبسي وتعيها
بسكون اليا وفيها وجهان الاستيناف والعطف على المنصوب وانما سكنت اليا استثقالا للحركة على حرف
العلة كقراة تطعمون اهاليكم كامر **فصل** قال الزجاج يقال وعيته كذا اي حفظته في
نفسي اعيه وعيا ووعيت العلم ووعيت ما قلته كل بمعنى واوعيت المتاع في الوعا قال الزجاج
ويقال لكل ما حفظته في غير نفسك اوعيته بالالف ولما حفظته في نفسك وعيته بغير الف قال
ابن الخطيب واعلم ان وجه التذكير في هذا ان نجاة قوم من الغرق في السفينة وتغريق من سواهم
يدل على قدرة مدبر العالم ونفاذ مشيئته ونهاية حكمته ورحمته وشدة قهره روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال عند نزول هذه الاية سالت الله ان يجعلها اذنك يا علي قال علي رضي الله عنه
فما نسيت شيا بعد ذلك فان قيل لم قال اذن واعية على التوحيد والتنكير فالجواب للايذان
بان الوعاة فيهم قلة لتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم والدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت
وعقلت عن الله فهي السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يلتفت اليهم وان امتلا العالم
منهم ونظير هذه الاية قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب قال قتادة الاذن الواعية
اذن عقلت عن الله تعالى وانتفعت بما سمعت من كتاب الله عز وجل قوله فاذا نفخ في الصور
نفخة واحدة لما حكى هذه القصص الثلاثة ونبه بها على ثبوت القدرة والحكمة للصانع تعالى لانه
يثبت بثبوت القدرة امكان القيمة وثبت بثبوت القدرة امكان وقوع الحشر ولما ثبت ذلك شرع
سبحانه في تفاصيل احوال القيمة فذكر اولا مقدماتها فقال فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة قوله
واحدة تاكيد ونفخة مصدر قام مقام الفاعل وقال ابن عطية لما نعت صح رفعه انتهى ولو لم ينعت
لصح رفعه لانه مصدر مختص لدلالته على الوحدة والممنوع عند البصريين انما هو اقامته اليهم نحو
ضرب ضرب والعامة على الرفع فيهما وقرا ابو السماك بنصبهما كانه اقام الجار مقام الفاعل فترك المصدر
على اصله ولم يونث الفعل وهو نفخ لان التانيث مجازي وحسنه الفصل **فصل** قال ابن
عباس هي النفخة الاولى لقيام الساعة فلا يبقى احد الا مات قال ابن الخطيب لان عندها يحصل
خراب العالم فان قيل فلم قال بعد ذلك يومئذ تعرضون والعرض انما يكون عند النفخة الثانية
قلنا جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي يقع فيه النفخات والصعقة والنشور والوقوف
والحساب فلذلك يوم يعرضون كقولك جيته عام كذا وانما وقيل ان هذه النفخة اذ لم يكن قبلها
اسم مرفوع فقيل نفخة قوله وحملت الارض قرا العامة بتخفيف الميم اي وحملتها الريح او الملايكة
او القدرة اي رفعت من اماكنها فدكتا اي فتتا وكسرتا دكة واحدة اي الارض والجبال لان المراد
الشيان المتقدمان كقوله وان طايفتان من المومنين اقتتلوا ولا يجوز في دكتا النصب لارتفاع
الضمير في دكتا وقال الفرا لم يقل فدككن لانه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة والارض كالجملة
الواحدة ومثله ان السموات والارض كانتا ولم يقل كن وهذا الدك كالزلزلة لقوله تعالى
اذا زلزلت الارض زلزالها واما بريح بلغت من قوة عصفها انها عمل الارض والجبال او بملك من
الملايكة او بقدرة الله فدكتا اي حملتا الارض وحملت الجبال تضرب بعضها في بعض حتى يندق ويصير
كثيبا مهيلا وهبا منبثا والدك ابلغ من الدق وقيل دكتا اي بسطتا بسطة واحدة ومنه اندك
سنام البعير اذا انفرش في ظهره وقرا ابن عامر في رواية والاعمش وابن ابي عبلة وابن مقسم
وحملت بتشديد الميم فجاز ان يكون التشديد للتكثير فلم يكسب الفعل مفعولا اخر فيحتمل ان
يكون الثاني محذوفا والاول هو القايم مقام الفاعل تقديره وحملت الارض والجبال رياحا تفتتها
لقوله فقل ينسفها ربي نسفا وقيل التقدير حملتا ملايكة ويحتمل ان يكون الاول هو المحذوف
والثاني هو القايم مقام الفاعل قوله فيومئذ منصوب بوقعت ووقعت الواقعة لا بد
فيه من تاويل وهو ان يكون الواقعة صارت علما بالغلبة على القيمة او الواقعة العظيمة
والا فالقايم لا يجوز اذ لا فايدة فيه وتقدم هذا في قوله اذا وقعت الواقعة والتنوين
في يومئذ للعوض من الجملة تقديره يوم اذ نفخ في الصور **فصل** المعنى قامت
القيمة الكبرى وانشقت السما بالغمام ونزل الملايكة تنزيلا فهي يومئذ واهية اي ضعيفة
مسترخية ساقطة كالعهن المنفوش بعدما كانت محكمة فقال وهي البنا وهيا فهو واه اذا

ضعف جدا ويقال كلام واه اي ضعيف فقال انها تضير بعد صلابتها هر لذا الصوف في الوهي ويكون
لذلك لنزول الملايكة وقيل لهول يوم القيمة وقال ابن شجرة واهية اي منخرقة ماخوذ من
قولهم وهى السقا اذا انخرق ومن امثالهم

• خل سبيل من وهى سقاوه • ومن هريق بالفلاة ماوه •

اي من كان ضعيف العقل لا يحفظ نفسه والملك على ارجايها لم يرد به ملكا واحدا بل المراد
الجنس والجمع على ارجايها الارجا في اللغة النواحي واحدها رجا مقصور ولغة هذيل واجرها رجا مقصور
وتثنيته رجوان مثل عصى وعصوان قال

• فلا يرمى في الرجوان اني • اقل القوم من يغني مكاني • وقال اخر

• كان لم تري قبلي اسيرا مقيدا • ولا رجلا ترمي به الرجوان •

ورجاهما ذا يكتب بالالف عكس رجي لانه من ذوات الواو ويقال رجا ورجوان والجمع الارجا ويقال
ذلك لحرف البير وحرف القبر وما اشبهه فصل قال ابن عباس على اطرافها حين تنشق
قال الماوردي ولعله سعيد بن جبير المعنى والملك على حافات الدنيا اي ينزلون الى الارض
ويحرسون اطرافها وقيل اذا صارت السما قطعا تقف الملايكة على تلك القطع التي ليست
متشققة في انفسها فان قيل الملايكة يموتون في الصعقة الاولى لقوله تعالى فصعق من
في السموات ومن في الارض فكيف يقال انهم يقفون على ارجا السما فالجواب من وجهين الاول
الاول انهم يقفون لحظة على ارجا السما ثم يموتون والثاني المراد الذين استثنا في قوله الا من
شا الله وقيل ان الناس اذا راوا جهنم هالتهم فيندوا كما تند الابل فلا ياتون قطرا من
اقطار الارض الا راوا ملايكة فيرجعون من حيث جاوا وقيل على ارجايها ينتظرون ما يومرون
به في اهل النار من السوق اليها وفي اهل الجنة من التحية والكرامة وهذا كله راجع الى قول
ابن جبير ويدل عليه قوله تعالى ونزل الملايكة تنزيلا قوله على ارجايها خبر المبتدا والضمير
للسما وقيل للارض على ما تقدم قال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين قوله والملك وبين
ان يقال والملايكة قلت الملك اعم من الملايكة الا ترى ان قولك ما من ملك الا وهو ساجد
اعم من قولك ما من ملايكة انتهى قال ابو حيان ولا يظهر ان الملك اعم من الملايكة لان المفرد
والمحلى بالالف واللام وقصاراه ان يكون مرادا به الجمع المحلى ولذلك صح الاستثنا منه فقصاراه
ان يكون كالجمع المحلى بهما واما دعواه انه اعم منه بقوله الا ترى الخ فليس دليلا على دعواه لان
من تلك نكرة مفردة في سياق النفي قد دخلت عليها من المخلصة للاستغراق فشملت كل ملك
فاندرج تحتها الجمع لوجود المفرد فيه فانتفى كل فرد فرد بخلاف من ملايكة فان من دخلت على
جمع منكر فعم في كل جمع جمعا من الملايكة ولا يلزم من ذلك انتفا كل فرد فرد من الملايكة لو قلت
ما في الدار من رجال جاز ان يكون فيها واحد لان النفي انما انسحب على جمع ولا يلزم من انتفا
الجمع ان ينتفي المفرد والملك في الاية ليس في سياق نفي دخلت عليه من وانما جي به مفردا
لانه اخف ولان قوله على ارجايها يدل على الجمع لان الواحد بما هو واحد لا يمكن ان يكون
على ارجايها في وقت واحد بل في اوقات والمراد والله اعلم ان الملايكة على ارجايها الا انه
ملك واحد ينتقل على ارجايها في اوقات قال شهاب الدين ان الزمخشري ينزعه في هذا
ما تقدم عنه في اواخر سورة البقرة عند قوله وكتبه ورسله فليراجع ثمة واما قول ابي حيان
ما من رجال ان النفي منسحب على رتب الجمع ففيه خلاف والتحقيق ما ذكره قوله ويحمل
عرش ربك فوقهم يوميذ ثمانية والضمير في فوقهم يجوز ان يعود على الملك لانه بمعنى الجمع
كما تقدم وان يعود على الحاملين الثمانية وقيل ان حملة العرش فوق الملايكة الذين
في السما على ارجايها وقيل يعود على جميع العالم اي ان الملايكة تحمل عرش الله فوق العالم كله
فصل قال ابن عباس ثمانية صفوف من الملايكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى
وقال ابن زيد هم ثمانية املاك وعن الحسن الله اعلم كم هم ثمانية ام ثمانية الاف او ثمانية
صفوف وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان حملة العرش اليوم اربعة اوعال فاذا كان يوم
القيمة ايدهم الله باربعة اخرين فكانوا ثمانية خرجه الماوردي مرفوعا عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم ورواه العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هم ثمانية

املاك

املاك على صورة الاوعال لكل منهم اربعة اوجه وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه
نسر وكل وجه منها يسال الله الرزق لذلك الجنس فان قيل اذا لم يكن فيهم صورة وعل فكيف
سموا اوعالا فالجواب ان وجه الثور اذا كانت له قرون الوعل اشبه الوعل وفي الخبر ان فوق
السما السابعة ثمانية اوعال بين اظلافهن وركبهن ما بين سما الى سما وفوق ظهورهن العرش
ذكره القشيري وخرجه الترمذي من حديث العباس بن عبد المطلب وفي حديث مرفوع ان حملة
العرش ثمانية املاك على صور الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما للطاير
المسرع وروي ان ارجلهم في الارض السابعة فصل اضافة العرش الى الله تعالى كاضافة
البيت اليه وكنس البيت للسكنى فلذلك العرش وفوقهم معناه اي فوق روسهم قال ابن الخطيب قالت
المشبهة لو لم يكن الله في العرش لكان حمل العرش عبثا لا فايدة فيه لا سيما وقد اكد ذلك بقوله
يوميذ تعرضون والعرض انما يكون لو كان الاله حاضرا في العرش واجاب بانه لا يمكن ان يكون
المراد ان الله تعالى جالس على العرش لان كل من كان حاملا للعرش فلو كان الاله على العرش
لزم ان تكون الملايكة حاملين لله تعالى وذلك محال لانه يقتضي احتياج الله اليهم وان يكونوا
اعظم قدرا من الله وكل ذلك كفر فعلمنا انه لا بد فيه من التاويل فنقول السبب في هذا الكلام
هو انه تعالى خاطبهم بما يتعارفونه فخلق لنفسه بيتا يزورونه ليس انه يسكنه تعالى الله
من ذلك وجعل في ركن البيت حجرا هو يمينه في الارض اذ كان من شانهم ان يعظموا روساهم
بتقبيل ايمانهم وجعل على العباد حفظة لا لان النسيان يجوز عليه سبحانه ولذلك ان الملك اذا
اراد محاسبة عماله جلس على سريره ووقفت الاعوان حوله فسمى الله يوم القيمة عرشا وحفت
به الملايكة لا لانه يقعد عليه او يحتاج اليه بل كما قلنا في البيت والطواف قوله يوميذ
تعرضون يعرضون هو جواب اذا من قوله فاذا نفخ قاله ابو حيان وفيه نظر بل جوابها ما تقدم
من قوله وقعت الواقعة وتعرضون على هذا مستانف قوله لا تخفى قرا الاخوان بالياء من
تحت لان التانيث مجازي كقوله واخذ الذين ظلموا الصيحة واختاره ابو عبيد لانه قد حال
بين الفعل والاسم المونث الجار والمجرور والاخوان على اصلهما في امالة الالف وقرا الباقون
لا تخفى بالتاء من فوق للتانيث اللفظي والفتح وهو الاصل واختاره ابو حاتم فصل
قال القرطبي هذا هو العرض على الله ودليله وعرضوا على ربك صفا وليس ذلك عرضا ليعلم
ما لم يكن عالما بل ذلك العرض عبارة عن المحاسبة والمسايلة وتقدير الاعمال عليهم للمجازاة
قال صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال
ومعاذير واما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله وقوله
لا تخفى منكم خافية قال ابن شجرة اي هو عالم بكل شي من اعمالكم فخافية على هذا بمعنى خفية كانوا
يخفونها من اعمالكم ونظيره قوله تعالى لا يخفى على الله منهم شي قال ابن الخطيب فيكون العرض
للمبالغة في التهديد يعني يعرضون على من لا يخفى عليه شي وقيل لا يخفى عليه انسان لا يحاسب
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص لا يخفى المومن من الكافر ولا البر من الفاجر وقيل لا يستتر
منكم عورة لقوله عليه السلام يحشر الناس حفاة عراة قوله فاما من اوتي كتابه بيمينه وهذا
دليل على النجاة قال ابن عباس اول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب
وله شعاع كشعاع الشمس قيل له فاين ابو بكر فقال هيهات زفته الملايكة الى الجنة قاله
القرطبي وقد ذكرناه مرفوعا من حديث زيد بن ثابت بلفظه ومعناه في كتاب التذكرة
قوله هاوم اي خذوا اقروا كتابيه يقول ذلك ثقة بالاسلام وسرورا بنجاته لان اليمين
عند العرب من دلايل الفرح قال الشاعر

• اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين • وقال

• اسنى اني بيمنى يديك جعلتني • فافرح ام صيرتني بشمالك •

وقال ابن زيد معنى هاوم تعالوا فيتعدى بالى وقال مقاتل هلم وقيل خذوا ومنه الحديث
في الربا الا هاء وهاء اي يقول كل واحد لصاحبه خذ وهذا هو المشهور وقيل هي كلمة وضعت
لاجابة الداعي عند الفرح والنشاط وفي الحديث انه ناداه اعرابي بصوت عال فاجابه النبي
صلى الله عليه وسلم هاوم يطول صوته وقيل معناها اقصدوا وزعم هولا انها مركبة من ها

التنبيه واموا امرا من الام وهو القصد دضيره التخفيف والاستعمال الي هاوم وقيل الميم ضمير جماعة المذكور وزعم العتبي ان الهمزة بدل من الكاف فان عني انها تحل محلها فصحيح وان عني البدل الصناعي فليس بصحيح فقوله هاوم بطلب مفعولا متعدي اليه بنفسه ان كان بمعني خذوا واقصدوا بالي ان كان بمعني تعالوا واقرؤا بطلب ايضا فقد تنازعا في كتابيه واعمل الثاني للحذف من الاول وقد تقدم تحقيق هذا في سورة الكهف وفي غيرها وفيها لغات وذلك انها تكون فعلا صريحا وتكون اسم فعل ومعناها في الحالين خذ فان كانت اسم فعل وهي المذكورة في الاية الكريمة ففيها لغتان المد والقصر تقول هاء درهما يا زيد وها درهما ويكونان كذلك في الاحوال كلها من افراد وتثنية وجمع وتذكير وتانيث ويتصل بهما كاف الخطاب اتصالها باسم الاشارة فيطابق مخاطبك بحسب الواقع مطابقتها وهي ضميره نحو هاك هاك الي اخره ويخلف كاف الخطاب همزة هاء مصرفه تصرف كاف الخطاب فيقول هاء يا زيد هاء يا هند ها وهاؤما وهاؤم وهاؤن وهي لغة القرآن واذا كانت فعلا صريحا لاتصال الضمائر البارزة المرفوعة بها كان فيها ثلاث لغات احدها انها تكون مثل عاطى تعاطى فيقال هاء يا زيد هاي يا هند هايا يا زيدان او يا هندات هاؤا يا زيدون هاين يا هندات الثانية ان يكون مثل هب فيقال هاء هي هاء هاي هاء هاؤا هان مثل خف خا في خافا خافوا خفن قوله كتابيه منصوب بها وم عند الكوفيين وعند البصريين اقرؤا لانه اقرب العاملين والاصل كتابي فادخل الها بسبب فتحة اليا والها في كتابيه وحسابيه وسلطانيه وماليه للسكت وكان حقها ان تحذف وصلا وتثبت وقفا وانما اجري الوصل مجري الوقف او وصل بنية الوقف في كتابيه وحسابيه اتفاقا فاثبت الها ولذلك في ماليه وسلطانيه وماهيه في القارعة عند القرا الا حمزة فانه حذف الها من هذه الكلم الثلاث وصلا واثبتها وقفا لانها في الوقف يحتاج اليها لتحصين حركة الموقوف عليه وفي الوصل يستغني عنها فان قيل فلم لا يفعل ذلك في كتابيه وحسابيه فالجواب انه جمع بين اللغتين هذا في القرات السبع وقرا ابن محيصن بحذفها في الكلم كلها وصلا ووقفا الا في القارعة فانه لم يتحقق عنه فيها نقل وقرا الاعمش وابن ابي اسحاق بحذفها فيهن وصلا واثباتها وقفا وابن محيصن يسكن اليا في الكلم المذكورة بغير ها ولحوق الها قراة صحيحة اعني بثبوت ها السكت وصلا لثبوتها في خط المصحف الكريم ولا يلتفت الي قول الزهراوي ان اثباتها في الوصل لحن لا اعلم احد بجبره وقد تقدم الكلام علي ها السكت في البقرة والانعام قوله اني ظننت قال ابن عباس اي ايقنت وعلمت وقيل ظننت ان يواخذني الله بسيآتي عذبني فقد تفضل علي بعفوه ولم يواخذني بها قال الضحاك كل ظن من المومن في القران فهو يقين ومن الكافر فهو شك وقال مجاهد ظن الاخرة بيقين وظن الدنيا شك وقال الحسن في هذه الاية المومن احسن الظن بربه فاحسن العمل وان المنافق اسا بربه الظن فاسا العمل وقوله اني ملاق حسابيه اي في الاخرة ولم انكر البعث يعني انه ما نجا الا بخوفه من يوم الحساب لانه تيقن ان الله يحاسبه فعمل للاخرة قوله راضية فيها ثلاثة اوجه احدها انه علي المجاز جعلت العيشة راضية لمحلها وحصولها في مستحقها او انها لا حال الا كل من حالها والمعني في عيش برضاه لا مكروه فيه الثاني انه علي النسب اي ذات رضي نحو لابن وتامر لصاحب اللبن والتمر والمعني ذات رضي اي يرضي بها صاحبها الثالث قال ابو عبيدة والفرا انه مما جا فيه فاعل بمعني مفعول نحو ماء دافق اي مدفوق كما جا مفعول بمعني فاعل كقوله حجابا مستورا اي ساترا

فصل قال عليه السلام انهم يعيشون فلا يموتون ابدا ويصحون فلا يمرضون ابدا وينعمون فلا يرون باسا ابدا ويشبون فلا يهرمون ابدا قوله في جنة عالية اي عظيمة في النفوس قطوفها دانية القطوف جمع قطف وهو فعل بمعني مفعول كالرعي والربح وهو ما يجتنيه الجاني من الثمار ودانية اي قريبة التناول يتناولها القايم والقاعد والمضطجع والقطف بكسر القاف وهو ما يقطف من الثمار والقطف بالفتح المصدر والقطاف بالفتح والكسر وقت القطف كلوا اي يقال لهم كلوا واشربوا وهذا امر امتنان لا امر تكليف وقوله هنيا قد تقدم في اول النسا وجوز الزمخشري فيه هنا ان ينتصب نصب المصدر محذوف اي كلا هنيا

ورهبا

واشربا هنيا وان ينتصب علي المصدر بعامل من لفظه مقدر اي هنيتم بذلك هنيا والباء في بما اسلفتم سببية وما مصدرية او اسمية ومعني هنيا لا تكدير فيه ولا تنغيص بما اسلفتم قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية اي في الدنيا امالت المعتزلة وهذا يدل علي ان العمل يوجب الثواب وان الفعل للعبد وقال كلوا بعد قوله في عيشة راضية لقوله فاما من اوتي كتابه ومن يتضمن الجمع

فصل ذكر الضحاك ان هذه الاية نزلت في ابي سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي وقاله مقاتل والاية التي تليها في اخيه الاسود بن عبد الاسد في قول ابن عباس والضحاك قال الثعلبي ويكون هذا الرجل واخوه سبب نزول هذه الايات ويعم المعني جميع اهل الشقاوة والسعادة بدليل قوله تعالي كلوا واشربوا وقيل ان المراد بذلك كل من كان متبوعا في الخير والشر يدعوا اليه ويامر به قوله واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما نظر في كتابه وتذكر قبايح افعاله يخجل منها ويقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر اي من حسابيه ثم يتمني الموت ويقول يا ليتها كانت القاضية فالضمير في ليتها قيل يعود الي الموتة الاولي وان لم تكن مذكورة الا انها لظهورها كانت كالمذكورة والقاضية القاطعة من الحيوة قال تعالي فاذا قضيت الصلاة ويقال قضي علي فلان اذا امات والمعني يا ليت الموتة التي كانت القاطعة لامري فلم ابعث بعدها ولم القي ما وصلت اليه قال قتادة يتمني الموت ولم يكن في الدنيا عنده شي اكره من الموت وشر من الموت ما يطلب منه الموت قال الشاعر

وشر من الموت الذي ان لقيته • تمنيت منه الموت والموت اعظم •

وقيل تعود الي الحالة التي شاهدها عند مطالعة الكتاب والمعني قال هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت علي قوله ما اغني عني يجوز ان يكون نفيا وان يكون استفهام توبيخ لنفسه اي اي شي اغني عني ما كان لي من اليسار هلك عني سلطانيه قال ابن عباس هلكت عني حجتي والسلطان الحجة التي كنت احتج بها وهو قول مجاهد وعكرمة والسدي والضحاك وقال مقاتل فسكت عن حجتي حين شهدت عليه الجوارح وقال ابن زيد يعني ملكي وتسلطي علي الناس وبقيت وحيدا فقيرا وكان مطاعا في اصحابه قوله خذوه فغلوه كقوله كلوا في اضمار القول سال ذلك الخزنة جهنم وهي النار العظمي لانه كان يتعاظم في الدنيا وتقديم المفعول يفيد الاختصاص عند بعضهم ولذلك قال الزمخشري ثم لا يصلوه الا الجحيم قال ابو حيان وليس ما قاله مذهبا لسيبويه ولا الحذاق النحاة وقد تقدمت هذه المسيلة منقحة وان كلام النحاة لا يابي ما قاله قوله ذرعها سبعون في محل جر صفة لسلسلة وفي سلسلة متعلق فاسلكوه والفا لا تمنع من ذلك والذراع مونث ولذلك يجمع علي افعل وسقطت اليا من عدده قال • ارمي عليها وهي فرع اجمع •
وهي ثلاث اذرع واصبع • وذكر السبعين دون غيرها من العدد قيل المراد به التكثير لقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة وقيل المراد حقيقة العدد قال ابن عباس سبعون ذراعا بذراع الملك وقال نوف البكالي سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع كما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة وقال الحسن الله اعلم اي ذراع وزعم بعضهم ان في قوله في سلسلة فاسلكوه قلبا قال لانه نقل في التفسير ان السلسلة تدخل من فيه وتخرج من دبره فهي المسلوكة فيه لا هو المسلوك فيها والظاهر انه لا يحتاج الي ذلك لانه روي انها لطولها تجعل في عنقه وتلتوي عليه حتي تحيط به من جميع جهاته فهو المسلوك فيها لاحاطتها به وقال الزمخشري والمعني في تقديم السلسلة علي المسلك مثله في تقديم الجحيم علي التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة وثم للدلالة علي التفاوت لما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا علي تراخي المدة ونازعه ايضا في ان ثم للدلالة علي تراخي الرتبة وقال مكي التراخي الزماني بان يصلي بعد ان يسلك ويسلك بعد ان يوخذ ويغل بمهلة بين هذه الاشيا انتهي وفيه نظر من حيث ان التوعد بتوالي العذاب اكد وافظع من التوعد بتفريقه قوله انه كان لا يومن بالله العظيم ولا يحض علي طعام المسكين الحض الحث علي الفعل والحرص علي وقوعه ومنه حروف التحضيض المبوب لها في النحو لانه يطلب بها وقوع الفعل وايجاده فبين تعالي انه عذب علي ترك الاطعام وعلي الامر بالبخل كما عذب بسبب الكفر قال ابن الخطيب وفي الاية دليل علي ان الكفار يخاطبون بالفروع كان ابو الدرداء يحض امراته علي الاطعام ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان فلا نخلع نصفها الباقي بالاطعام وقيل المراد قول الكفار

الطعم من لو يشا الله اطعمه واصل طعام ان يكون منصوبا بالمصدر المقدر والطعام عبارة عن العين
واضيف للمسكين للملابسة التي بينهما ومن اعمل الطعام كما يعمل الاطعام فموضع المسكين نصبه
والتقدير على اطعام المطعم المسكين فحذف الفاعل واضيف المصدر الى المفعول قوله فليس
له اليوم ههنا حميم في خبر ليس وجهان احدهما له والثاني ههنا وايهما كان خبرا تعلق به الاخر وكان
حالا من حميم ولا يجوز ان يكون اليوم خبرا البتة لانه زمان والمخبر عنه جثة ومنع المهدوي
ان يكون ههنا خبرا ولم يذكر المانع وقد ذكره القرطبي فقال لانه يصير المعنى ليس ههنا طعام
الا من غسلين ولا يصح ذلك لان ثم طعاما غيره انتهى وفي هذا نظر لانا لا نسلم اولا ان ثم طعاما
غيره فان اورد قوله ليس لهم طعام الا من ضريع فهذا طعام اخر غير الغسلين فالجواب ان بعضهم
ذهب الى ان الغسلين هو الضريع بعينه فسماه في اية غسلينا وفي اخرى ضريعا ولئن سلمنا
انهما طعامان فالحصر باعتبار الاكلين يعني ان هذا الاكل انحصر طعامه في الغسلين فلا ينافي
ان يكون في النار طعام واذا قلنا ان له الخبر وان اليوم وههنا متعلقان بما تعلق هو به فلا
اشكال ولذلك اذا جعلناها هنا هو الخبر وعلقنا به الجار والظرف ولا يضر كون العامل معنويا
للامتناع في الظروف وحروف الجر وقوله الا من غسلين صفة لطعام دخل الحصر على الصفة
كقولك ليس عندي رجل الا من بني تميم والمراد بالحميم الصديق فعلى هذا الصفة مختصة
بالطعام اوليس له صديق ينفعه ولا طعام الا من كذا وقيل التقدير للحميم كانه اراد به الشي الذي
يحم به البدن من صديد النار ثم قال وقيل من الطعام والشراب لان الجميع يطعم بدليل قوله
ومن لم يطعمه فعلى هذا يكون الا من غسلين صفة لحميم وطعام والمراد بالحميم ما يشرب والظاهر
ان خبر ليس هو قوله من غسلين اذا اريد به الحميم ما يشرب اي ليس له شراب ولا طعام الا غسلين
اما اذا اريد بالحميم الصديق فلا بد في ذلك وعلى هذا الذي ذكرنا فيه سوال وهو ان يقال
باي شي تعلق الجار والظرفان والجواب انها متعلق بما تعلق به الخبر او يجعل له او ههنا حالا
من حميم ويتعلق اليوم بما تعلق به الحال ولا يجوز ان يكون اليوم حالا من حميم وههنا متعلقات
بما تعلق به الحال لانه ظرف زمان وصاحب الحال جثة وهذا موضع حسن مفيد والغسلين
فعلين من الغسالة فنونه وياوه زايدتان قال اهل اللغة هو ما يجري من الجراح اذا
غسلت قال المفسرون هو صديد اهل النار وقيل شجر يأكلونه وعن ابن عباس لا ادري
ما الغسلين وسمي طعاما لقيامه مقامه فسمي طعاما كقوله • تحية بينهم ضرب وجيع •
قوله لا ياكله الا الخاطيون صفة لغسلين والعامة يهمزون الخاطيون وهو اسم فاعل من خطا
يخطا اذا فعل غير الصواب متعمدا والمخطي من يفعله غير متعمد وقرا الزهري والعتكي وطلحة
والحسن الخاطيون بيا مضمومة بدل الهمزة وقد تقدم مثله في يستهزون اول الكتاب وقرا
نافع في رواية وشيبة بطا مضمومة دون همز وفيها وجهان احدهما انه كقراءة الجماعة
الا انه خفف بالحذف والثاني انه اسم فاعل من خطا يخطو اذا اتبع خطوات غيره فيكون من
قوله لا تتبعوا خطوات الشيطان قاله الزمخشري وقد تقدم اول الكتاب انه نافعا يقرا
الصابيون بدون همز وكلام الناس فيها وعن ابن عباس ما الخاطيون كلنا نخطو وروى
عنه ابو الاسود الدولي ما الخاطيون انما هو الخاطيون وما الصابيون انما هو الصابيون
ويجوز ان يراد به الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله قوله فلا اقسم
بما تبصرون وما لا تبصرون قد تقدم مثله في اخر الواقعة الا انه قيل ههنا ان لا نافية لفعل
القسم وكانه قيل لا احتاج ان اقسم على هذا لانه حق ظاهر مستغن عن القسم ولو قيل به في
الواقعة لكان حسنا واعلم انه تعالى لما اقام الدلالة على امكان القيامة ثم على وقوعها ثم ذكر
احوال السعدا واحوال الاشقيا ختم الكلام بتعظيم القران فقال فلا اقسم بما تبصرون قيل
المراد اقسم ولا صلة والمعنى اقسم بالاشيا كلها ما ترون منها وما لا ترون فعم جميع الاشيا على
الشمول لانها لا تخرج عن قسمين مبصر وغير مبصر فقيل الخالق والخلق والدنيا والاخرة
والاجسام والارواح والانس والجن والنعم الظاهرة والباطنة وان لم تكن لا زايدة فالتقدير
لا اقسم على ان هذا القران قول رسول كريم لانه مستغن عن القسم لوضوحه قال مقاتل سبب
نزول هذه الايات ان الوليد بن المغيرة قال ان محمدا ساحر وقال ابو جهل شاعر وقال عقبة كاهن

فقال

فقال الله تعالى فلا اقسم اي اقسم وان قيل لا نافية للقسم فجوابه كجواب القسم انه يعني
القران لقول رسول كريم يعني جبريل قاله الحسن والكلبي ومقاتل لقوله انه لقول رسول كريم ذي قوة
وقال الكلبي ايضا والقتيبي الرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله وما هو بقول شاعر
وليس القران من قول الرسول صلى الله عليه وسلم انما هو من قول الله عز وجل ونسب القول
الى الرسول لانه تاليه ومبلغه والعامل به كقولنا هذا كقول مالك فان قيل كيف يكون كلاما
لله تعالى ولجبريل ولمحمد عليهما السلام فالجواب ان الاضافة تكفي فيها ادنى ملابسة فالله تعالى
اظهره في اللوح المحفوظ وجبريل بلغه لمحمد عليهما السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم بلغه للامة
قوله انه لقول هو جواب القسم وقوله وما هو بقول معطوف على الجواب فهو جواب اقسم
على شيين احدهما مثبت والاخر منفي وهو من البلاغة الرابعة قوله قليلا ما يومنون قليلا
ما تذكرون انتصب قليلا في الموضعين نعتا لمصدر او زمان محذوف اي ايمانا قليلا او زمانا
قليلا والناصب يومنون وتذكرون وما مزيدة للتوكيد وقال ابن عطية ونصب قليلا بفعل
مضمر يدل عليه تومنون وما يحتمل ان تكون نافية فينتفي ايمانهم البتة ويحتمل ان تكون مصدرية
وتتصف بالقلة فهو الايمان اللغوي لانهم قد صدقوا باشيا يسيرة لا تغني عنهم شيا اذ كانوا
يصدقون ان الخير والصلة والعفاف الذي يامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم هو حق
وصواب قال ابو حيان اما قوله قليلا نصب بفعل الى اخره فلا يصح لان ذلك الفعل الدال
عليه يومنون اما ان تكون ما نافية كما ذهب اليه او مصدرية فان كانت نافية فذلك الفعل
المضمر الدال عليه يومنون المنفي بما يكون منفيا فيكون التقدير وما يومنون قليلا ما يومنون
والفعل المنفي بما لا يجوز حذفه ولا حذف ما لا يجوز زيدا ما اضربه على تقدير ما اضرب زيدا ما
اضربه وان كانت مصدرية كانت اما في موضع رفع بقليلا على الفاعلية اي قليلا ايمانكم
ويبقى قليلا لا يتقدمه ما يعتمد عليه حتى يعمل ولا ناصب له واما في موضع رفع على الابتدا
فيكون مبتدا لا خبر له لان ما قبله منصوب قال شهاب الدين لا يريد ابن عطية بدلالة تومنون
على الفعل المحذوف الدلالة المذكورة في باب الاشتغال حتى يكون العامل الظاهر مفسرا للعامل
المضمر بل يريد مجرد الدلالة اللفظية فليس ما اورده ابو حيان عليه من تمثيله بقوله زيدا ما
اضربه اي ما اضرب زيدا ما اضربه واما الرد الثاني فظاهر وقد تقدم لابن عطية هذا القول
في اول سورة الاعراف فليلتفت اليه وقال الزمخشري والقلة في معنى العدم اي لا يومنون ولا
يذكرون البتة قال ابو حيان ولا يراد بقليلا هنا النفي المحض كما زعم وذلك لا يكون الا في اقل
نحو اقل رجل يقول ذلك الا زيد وفي قل نحو قل رجل يقول ذلك الا زيد وقد يستعمل في قليل وقليلة
اذا كانا مرفوعين نحو ما جوزوا في قول الشاعر • قليل بها الاصوات الا بغامها •
قوله اما اذا كان منصوبا نحو قليلا ضربت او قليلا ما ضربت على ان تكون ما مصدرية فان ذلك
لا يجوز لانه في قليلا ضربت منصوب بضربت ولم تستعمل العرب قليلا اذا انتصب بالفعل نفيا
بل مقابلا لكثير واما في قليلا ما ضربت على ان تكون ما مصدرية فتحتاج الى رفع قليل لان ما
المصدرية في موضع رفع على الابتدا انتهى ما رد به عليه قال شهاب الدين وهو مجرد دعوى وقرى
ابن كثير وابن عامر بخلاف عن ابن ذكوان يومنون ويذكرون بالغيبة حملا على قوله الخاطيون
والباقون بالخطاب حملا على بما تبصرون وما لا تبصرون وابي تتذكرون بتائين **فصل**
وما هو بقول شاعر لانه مباين لصنوف الشعر كلها ولا بقول كاهن لانه ورد بسب الشياطين وشتمهم
فلا ينزلون بشيء على من يسبهم وقوله قليلا ما يومنون المراد بالقليل من ايمانهم هو انهم اذا سئلوا
من خلقهم قالوا الله وقيل انهم قد يومنون في قلوبهم الا انهم يرجعون عنه سريعا ولا يتمون
الاستدلال الا ترى الى قوله تعالى انه فكر وقدر الا انه في اخر الامر قال ان هذا الا سحر يوثر وقال
مقاتل يعني بالقليل انهم لا يصدقون بان القران من الله تعالى والمعنى لا يومنون اصلا والعرب
يقولون قلما تاتينا يريدون لا تاتينا قوله تنزيل من رب العالمين هذه قراة العامة
على الرفع على اضمار مبتدا اي هو تنزيل وتقدم مثله وابو السمال تنزيلا بالنصب على اضمار
فعل اي نزل تنزيلا قال القرطبي وهو عطف على قوله انه لقول رسول كريم اي انه لقول رسول
كريم وهو تنزيل من رب العالمين قوله ولو تقول هذه قراة العامة تفعل من القول مبنيا

للفاعل قال الزمخشري التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل وقرا بعضهم
تقول مبنيا للمفعول فان كان هذا القاري يرفع بعض الاقاويل بذاك والا فالقايم مقام
الفاعل الجار وهذا عند من يري قيام غير المفعول به مع وجوده وقرا ذكوان وابنه محمد
يقول مضارع قال والاقاويل جمع اقوال واقوال جمع قول فهو نظير اناب بيب جمع
اناب جمع بيب وقال الزمخشري وسمي الاقوال المتقولة اقاويل تصغيرا لها وتحقيرا
كقولك الاعاجيب والاضاحيك فانها جمع افعولة من القول والمعني لو نسب الينا قولا
لم نقله لاخذنا منه باليمين اي لاخذناه بالقوة والبا يجوز ان تكون علي اصلها غير
مزيدة والمعني لاخذناه بقوة منا فالبا حالية والحال من لان قوة كل شي في ميامنه قاله
القتبي وهو معني قول ابن عباس ومجاهد ومنه قول الشماخ •

• اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين •

قال ابو جعفر الطبري هذا الكلام خرج مخرج الاذلال علي عادة الناس في الاخذ
بيد من يعاقب ويجوز ان تكون البا مزيدة والمعني لاخذنا منه يمينه والمراد باليمين
الجارحة كما يفعل بالمقتول صبرا يوخذ بيمينه ويضرب بالسيف في جيده مواجهة وهو اشد
عليه قال الحسن لقطعنا يده اليمني وقال نفطويه المعني لقبضنا بيمينه عن التصرف
وقال السدي ومقاتل المعني انتقمنا منه بالحق واليمين علي هذا بمعني الحق كقوله
تعالي انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من قبل الحق قوله ثم لقطعنا منه الوتين وهو
العرق المتصل من القلب بالراس الذي اذا انقطع مات الحيوان قال ابو زيد وجمعه الوتن
وثلاثة اوتنة والموتون الذي قطع وتينه وقال الكلبي هو عرق بين العلباء والحلقوم
وهما علباوان بينهما العرق والعلبا عصب العنق وقيل عرق غليظ تصادفه شفرة الناحر
قال الشماخ • اذا بلغتني وحملت رحلي عرابة فاشرقي بدم الوتين

وقال مجاهد هو حبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع فاذا انقطع بطلت القوي
ومات صاحبه وقال محمد بن كعب انه القلب ومراقه وما يليه وقال عكرمة ان
الوتين اذا قطع لا ان جاع عرف ولا ان شبع عرف قال ابن قتيبة ولم يرد انا نقطعه بعينه
بل المراد به لو كذب لاميتناه فكان كمن قطع وتينه ونظيره قوله صلي الله عليه وسلم ما زالت
اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان انقطاع ابهري عرق متصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه
مكانه قال هذا اوان تعلق السم وحينئذ صرت كمن انقطع ابهره قوله فما منكم من احد عنه
حاجزين في حاجزين وجهان احدهما انه نعت لاحد علي اللفظ وانما جمع علي المعني لان
احدا يعم في سياق النفي كسائر المنكرات الواقعة في سياق النفي قال الزمخشري والحوفي
وعلي هذا فيكون منكم خبر للمبتدا والمبتدا من احد زيدت فيه من لوجود شرطها وضعفه
ابو حيان بان النفي يتسلط علي كينونته منكم والمعني انما هو علي نفي الحجز عما يراد
به والثاني ان يكون خبر لما الحجازية ومن احد اسمها وانما جمع الخبر لما تقدم ومنكم علي
هذا حال لانه في الاصل صفة لاحدا وبتعلق بحاجزين ولا يضر فصله لكون معمول الخبر
جارا ولو كان مفعولا صريحا لامتنع لا يجوز ما طعامك زيدا اكلا او متعلق بمحذوف علي سبيل
البيان وعنه يتعلق بحاجزين علي القولين والضمير للمقتول او للقتل المدلول عليه
بقوله لاخذنا لقطعنا قال القرطبي المعني فما منكم قوم يحجزون عنه كقوله تعالي لا نفرق
بين احد من رسله هذا جمع لا يقع الا علي اثنين فما زاد قال عليه السلام لم تحل الغنايم
لاحد سود الروس قبلكم لفظه واحد معناه الجمع ومن زايدة والحجز المنع وحاجزين يجوز
ان يكون صفة لاحد علي المعني كما تقدم فيكون في موضع جر والخبر منكم ويجوز ان يكون
منصوبا علي انه خبر ومنكم ملغا ويكون متعلقا بحاجزين ولا يمنع الفصل به من انتصاب
الخبر في هذا كما لم يمنع الفصل به في ان فيك زيدا راغب قوله وانه يعني القران لتذكرة
للمتقين اي الخائفين الذين يخشون الله ونظيره فيه هدي للمتقين وقيل المراد محمد
صلي الله عليه وسلم هو تذكرة ورحمة ونجاة وانا لنعلم ان منكم مكذبين قال الربيع بالقران
وانه لحسرة يعني القران علي الكافرين اما يوم القيمة اذا راوا ثواب المصدقين به او في الدنيا

اذا راوا دولة المومنين به او حين لم يقدروا علي معارضته عند تحديهم ان ياتوا بسورة مثله والحسرة
الندامة وقيل انه لحسرة يعني التكذيب به لانه مكذبين علي المصدر ولانه السفينة عليه في قوله

• اذا نهي السفيه جري اليه • وخالف والسفيه الي خلاف •

اي الي السفيه **فصل** قال ابن الخطيب وللمعتزلة ان يتمسكوا بهذه الاية علي ان الكفر
ليس من الله لانه وصف القران بانه تذكرة للمتقين ولم يقل وانه ضلال للمكذبين بل نسب الضلال
اليهم بقوله وانا لنعلم ان منكم مكذبين والجواب ما تقدم قوله وانه لحق اليقين يعني القران العظيم
تنزيل من الله عز وجل فهو لحق اليقين وقيل حقا يقينا حقا لا بطلان فيه ويقينا لا ريب فيه
ثم اضيف احد الوصفين الي الاخر للتاكيد قاله ابن الخطيب وقال القرطبي قال ابن عباس انما
هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين ولو كان اليقين نعتا لم يجز ان يضاف اليه كما لا يقول
هذا رجل الظريف وقيل اضافه الي نفسه لاختلاف اللفظين وقوله فسبح باسم ربك العظيم
قال ابن عباس اي فصل لربك وقيل نزه الله عن السوء والنقايص اما شكرا علي ما جعلك اهلا
للاجابة اليك واما تنزيها لرعن الرضا بان ينسب اليه الكاذب من الوحي روي الثعلبي عن ابي
ابن كعب قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله عز وجل
حسابا يسيرا وعن فضالة بن شريك عن ابي قال سمعته يقول من قرا احدي عشرة اية من سورة
الحاقة اجير من فتنة الدجال ومن قراها كان له نورا من فوق راسه الي قدميه صدق رسول الله

سورة المعارج مكية

وهي اربع واربعون اية ومايتان وست عشرة كلمة والف واحدي وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالي سال سايل بعذاب واقع قرا نافع وابن عامر سال سايل بغير همز والباقون
بالهمز فمن همز فهو من السوال وهي اللغة الفاشية ثم لك في سال وجهان احدهما ان يكون قد ضمن
معني دعا فلذلك تعدي بالبا كما يقول دعوت بكذا والمعني دعا داع بعذاب والثاني انه يكون
علي اصله والباء بمعني عن كقوله • فان تسالوني بالنسا فانني • فاسال به خبيرا وقد تقدم
تحقيقه والاول اولي لان التجوز في الفعل اولي منه في الحرف لقوته واما القراة بالالف ففيها
ثلاثة اوجه احدها انها بمعني قراءة الهمزة وانما خففت بقلبها الفا وليس بقياس تخفيف مثلها
بل قياس تخفيفها جعلها بين بين والبا علي هذا الوجه كما في الوجه الذي تقدم الثاني انها من
سال يسال مثل خاف يخاف وعين الكلمة واو قال الزمخشري وهي لغة قريش يقولون سلت
تسال وهما يتسايلان قال ابو حيان وينبغي ان يتثبت في قوله انها لغة قريش لان ما جاء في القران
من باب السوال هو مهموز اذ كان يكون ذلك واسالوا الله مثل خافوا فيبعد ان يجي ذلك كله
علي لغة غير قريش وهم الذين نزل القران بلغتهم الا يسيرا فيه لغة غيرهم ثم في كلام الزمخشري وهما
يتسايلان بالبا وهو وهم من النساخ انما الصواب يتساولان بالواو لانه صرح اولا انه من السوال
يعني بالواو الصريحة وقد حكي ابو زيد عن العرب هما يتساولان الثالث انها من السيلان والمعني
سال واد في جهنم فقال له سايل وهو قول زيد بن ثابت بعذاب فالعين يا ويويده قراة ابن
عباس سال سيل قال الزمخشري والسيل مصدر في معني السايل كالغور بمعني الغاير والمعني
اندفع عليهم وادي عذاب انتهي والظاهر الوجه الاول لثبوت ذلك لغة مشهورة قال

• سالت هذيل رسول الله فاحشة • ضلت هذيل بما سالت ولم تصب •

وقرا ابي وعبد الله سال سال مثل حال وتخريجها انه لا مثل سايل فحذفت عين الكلمة وهي الهمزة
واللام محل الاعراب وهذا كما قيل هذا شاك في شايك السلاح وقد تقدم الكلام علي مادة السوال
في اول البقرة فليلتفت اليه والبا تتعلق بسال من السيلان معلقها بسال المهموز وجعل بعضهم
البا متعلقة بمصدر دل عليه فعل السوال بيانا في تقديره بقوله سوالهم بعذاب لان البا في هذا
التركيب المقدر يتعلق بمحذوف لانها خبر المبتدا الا بالسوال وقال الزمخشري وعن قتادة سال
سايل عن عذاب الله بمن ينزل وعلى من يقع فنزلت وسال علي هذا الوجه مضمن معني عني واهتم

كانه قيل اهتم مهتم بعذاب واقع **فصل** قال القرطبي الباء يجوز ان يكون بمعنى عن والسوال
بمعنى الدعاء اي دعا داع بالعذاب عن ابن عباس وغيره يقال دعا على فلان بالويل ودعا عليه
بالعذاب ويقال دعوت زيدا اي التمست احضاره والمعنى التمس ملتمس عذابا للكافرين وهو
واقع بهم لا محالة يوم القيمة وعلى هذا فالباء زايدة كقوله تعالى تنبت بالدهن وقوله تعالى
وهزي اليك بجذع النخلة فهي تاكيدا اي سال سايل عذابا واقعا للكافرين اي على الكافرين
قيل هو النضر بن الحرث حيث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من
السما او ايتنا بعذاب اليم فنزل سواله وقتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن ابي معيط لم يقتل
صبرا غيرهما قاله ابن عباس ومجاهد وقيل ان السايل هنا هو الحرث بن النعمان الفهري وذلك انه
لما بلغه قول النبي صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي مولاه ركب
ناقته فجا حتى اناخ راحلته بالابطح ثم قال يا محمد امرتنا عن الله ان نشهد ان لا اله الا الله
وانك رسول الله فقبلناه منك وان نصلي خمسا ونزكي اموالنا فقبلناه منك وان نصوم
شهر رمضان في عام فقبلناه منك وان نحج فقبلناه منك ثم لم ترض بهذا حتى فضلت ابن عمك
علينا فهذا شي منك ام من الله فولى الحارث وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر
علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم فوالله ما وصل الى ناقته حتى رماه الله بحجر فوقع
على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت سال سايل بعذاب واقع وقال الربيع السايل
هنا ابو جهل وهو القايل لذلك وقيل انه قول جماعة من كفار قريش وقيل هو نوح عليه السلام
سال العذاب على الكافرين وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم اي دعا عليهم بالعذاب
وطلب ان يوقعه بالكفار وهو واقع بهم لا محالة وامتد الكلام الى قوله تعالى فاصبر صبرا
جميلا اي لا تستعجل فانه قريب وهذا يدل على ان ذلك السايل هو الذي امره الله بالصبر الجميل
وقال قتادة الباء بمعنى عن فكان سايلا يسال عن العذاب بمن وقع او متى يقع قال تعالى
فاسال به خبيرا اي سل عنه وقال علقمة فان تسالوني بالنسا اي عن النسا والمعنى تسالوا
بمن وقع العذاب ولمن يكون فقال الله تعالى للكافرين قال ابو علي وغيره واذا كان من
السوال فاصله ان يتعدى الى مفعولين ويجوز الاقتصار على احدهما واذا اقتصر على احدهما
جاز ان يتعدى اليه بحرف جر فيكون التقدير سال سايل النبي صلى الله عليه وسلم او المسلمين
بعذاب او عن عذاب قوله للكافرين فيه اوجه احدها ان يتعلق بسال مضمنا معنى
دعا كما تقدم اي دعا لهم بعذاب واقع الثاني ان يتعلق بواقع واللام للعلة اي نازل لاجلهم
الثالث ان يتعلق بمحذوف صفة ثانية لعذاب اي كاين للكافرين الرابع ان يكون جوابا
للسايل فيكون خبر مبتدا مضمر اي هو للكافرين الخامس ان يكون اللام بمعنى على اي واقع
على الكافرين ويويده قراة ابي على الكافرين وعلى هذا فهي متعلقة بواقع لا على الوجه
الذي تقدم قبله وقال الزمخشري فان قلت بم يتصل قوله للكافرين قلت هو على
القول الاول متصل بعذاب صفة له اي بعذاب واقع كاين للكافرين او بالفعل اي دعا
للكافرين بعذاب واقع او لواقع اي بعذاب نازل لاجلهم وعلى الثاني هو كلام مبتدا جوابا
للسايل اي هو للكافرين انتهى قال ابو حيان وقال الزمخشري او بالفعل اي دعا للكافرين
ثم قال وعلى الثاني وهو ثاني ما ذكر في توجيهه للكافرين قال هو كلام مبتدا جوابا للسايل
اي هو للكافرين وكان قد قرر ان سال ضمن معنى دعا فعدي تعديته كانه قال دعا
داع بعذاب من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة
انتهى فعلى ما قرره انه متعلق بدعا يعني بسال فكيف يكون كلاما مبتدا جوابا للسايل اي هو
للكافرين هذا لا يصح قال شهاب الدين وقد غلط ابو حيان في فهمه عن ابي القسم قوله
وعلى الثاني الى اخره فمن ثم جا التخبيط الذي ذكره والزمخشري انما عنى بالثاني قوله وعن
قتادة سال سايل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسال على هذا الوجه مضمن
معنى عني واهتم فهذا هو الوجه الثاني المقابل للوجه الاول وهو ان سال مضمن معنى دعا
ولا ادري كيف خفي على الشيخ حتى وقع فيما وقع ونسب الزمخشري الى الغلط وانه
اخذ قول قتادة والحسن وافسده والترتيب الذي رتبه الزمخشري في تعلق اللام من احسن

ما يكون صناعة ومعنى قال القرطبي وقال الحسن انزل الله تعالى سال سايل بعذاب واقع
وقال الفرا التقدير بعذاب للكافرين واقع فالواقع من نعت العذاب فاللام دخلت للعذاب لا
للواقع اي هذا العذاب للكافرين في الاخرة لا يدفعه عنهم احد وقيل ان اللام بمعنى على اي واقع على
الكافرين كما في قراة ابي المتقدمة وقيل بمعنى عن اي ليس له دافع عن الكافرين قوله ليس له
دافع يجوز ان يكون نعتا اخر لعذاب وان يكون مستانفا والاول اظهر وان يكون حالا من عذاب لتخصصه
اما بالعمل واما بالصفة وان يكون حالا من الضمير في للكافرين ان جعلناه نعتا للعذاب قوله من
الله يجوز ان يتعلق بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته وان يتعلق بواقع وبه بدا
الزمخشري اي واقع من عنده وقال ابو البقا ولم يمنع النفي من ذلك لان ذلك فعل ليس فعل كان هو
استثنوا ان ما قبل النفي لا يعمل فيما بعده فاجاب بان النفي لما كان فعلا ساغ ذلك قال ابو حيان
والاجود ان يكون من الله متعلقا بواقع وليس له دافع جملة اعتراض بين العامل ومعموله انتهى وهذا
انما ياتي على البدل بان الجملة مستانفة لا صفة لعذاب وهو غير الظاهر كما تقدم لاخذ الكلام بعضه
بحجزة بعض قوله اي صفة ومعنى ذي المعارج اي ذي العلو والدرجات الفواضل والنعم لانها
تصل الى الناس على مراتب مختلفة قاله ابن عباس وقتادة فالمعارج مراتب انعامه على الخلق وقيل
ذي العظمة والعلا وقال مجاهد هي معارج السما وقيل هي السموات قال ابن عباس الى ذي السموات
سماها معارج الملايكة لان الملايكة تعرج الى السما فوصف نفسه بذلك وقيل المعارج الغرف اي
الله ذو الغرف اي جعل لاوليايه الجنة غرفا وقرا عبد الله ذي المعاريج بالياء يقال معرج ومعراج
ومعارج ومعاريج مثل مفتاح ومفاتيح والمعارج الدرجات ومنه ومعارج عليها يظهرون وتقدم
الكلام على المعارج في الزخرف قوله تعرج العامة بالتاء من فوق وقرا ابن مسعود واصحابه
والسلمي والكسائي بالياء من تحت وهما كقراتي فناداه الملايكة وناداه وتوفاه وتوفته وادغم
ابو عمرو الجيم في التاء واستضعفها بعضهم من حيث ان مخرج الجيم يبعد من مخرج التاء واجيب عن
ذلك بانها قريبة من الشين لان النفس الذي في الشين يقربها من مخرج التاء والجيم تدغم في
الشين لما بينهما من التقارب في المخرج والصفة كما تقدم في اخرج شطاه فحمل الادغام يكون لمجرد
الصفات وان لم يتقاربا في المخرج والتاء من التقارب واجيب ايضا بان الادغام يكون لمجرد
الصفات وان لم يتقاربا في المخرج والجيم مشارك التاء في الاستفال والانفتاح والشدة والجملة
من تعرج مستانفة قوله والروح من باب عطف الخاص على العام ان اريد بالروح جبريل
او ملك اخر من جنسهم واخر هنا وقدم في قوله يوم يقوم الروح والملايكة صفا لان المقام هنا
يقتضي تقدم الجمع على الواحد من حيث انه مقام تخويف وتهويل قوله تعرج الملايكة والروح
اليه اي يصعد في المعارج التي جعلها الله لهم قال ابن عباس الروح جبريل عليه السلام لقوله
تعالى نزل به الروح الامين وقيل هو ملك اخر عظيم الخلقة وقال ابو صالح انه خلق من خلق
الله كهيئة الناس وليس بالناس وقال قبيصة بن ذويب انه روح الميت حين يقبض قوله
اليه اي الى المكان الذي هو محلهم وهو في السما لانها محل بره وكرامته وقيل هو كقول ابراهيم اني
ذاهب الى ربي اي الى الموضع الذي امرني به وقيل اليه الى عرشه قال شهاب الدين الضمير في اليه
الظاهر عوده على الله تعالى وقيل يعود على المكان لدلالة الحال والسياق عليه قوله في يوم
فيه وجهان اظهرهما تعلقه بتعرج والثاني انه متعلق بدافع وعلى هذا فالجملة من قوله تعرج
الملايكة معترضة وكان مقداره صفة ليوم قال ابن الخطيب الاكثرون على ان قوله في يوم
صلة قوله تعرج اي يحصل العروج في مثل هذا اليوم وقال مقاتل بل هذا من صلة قوله بعذاب
واقع وعلى هذا القول يكون في الاية تقديم وتاخير والتقدير سال سايل بعذاب واقع في يوم
كان مقداره خمسين الف سنة وعلى التقدير الاول فذلك اليوم اما ان يكون في الاخرة او في
الدنيا وعلى تقدير ان يكون في الاخرة فذلك الطول اما ان يكون واقعا واما ان يكون مقدرا فان
كان معنى الاية ان ذلك العروج يقع في يوم من ايام الاخرة قوله خمسون الف سنة وهو يوم
القيمة وهذا قول الحسن قال وليس معنى ان مقدار طوله هذا فقط اذ لو كان كذلك لحصلت
له غاية ولبست الجنة والنار عند تلك الغاية وهذا غير جايز بل المراد ان يوقفهم للحساب حين
يفصل بين الناس خمسون الف سنة من سني الدنيا ثم بعد ذلك يستقر اهل النار في النار نعوذ

بالله منها فصل قال القرطبي واستدل النحاس على صحة هذا القول بما روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ما من رجل لم يؤد زكاة ماله الا جعل شجاعا من نار تكوى بها جبهته وظهره
وجنباه في يوم القيمة في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضي الله بين الناس في هذا
يدل على انه يوم القيمة وقال ابراهيم التيمي ما قدر ذلك اليوم على المومن الا قدر الظهر
والعصر وروي هذا المعنى مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحاسبكم الله تعالى
بمقدار ما بين الصلاتين ولذلك سمى نفسه سريع الحساب واسرع الحاسبين وانما خاطبهم
على قدر فهم الخلائق والا فلا يشغله شان عن شان وكما يرزقهم في ساعة كذا يحاسبهم
في لحظة كما قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة والمعنى لو ولي محاسبة العباد في ذلك
اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين الف سنة قال البغوي وهذا معنى قول عطاء عن ابن
عباس ومقاتل قال عطاء ويفرغ الله منه في مقدار نصف يوم من ايام الدنيا واعلم ان هذا
الطول انما يكون في حق الكافر واما في حق المومن فلا لما روى ابو سعيد الخدري انه قال قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اطول هذا اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخف على
المومن حتى انه يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وقال بعضهم ان ذلك
الموقف وان طال فيكون سببا لمزيد السرور والراحة لاهل الجنة ويكون سببا لمزيد الحزن والغم
لاهل النار واجيب بان الاخرة دار جزا فلا بد وان يحصل للمثابين ثوابهم ودار الثواب هي الجنة
لا الموقف فاذن لا بد من تخصيص طول الموقف بالكفار وقيل هذه المدة على سبيل التقدير
لا على التحقيق اي تعرج الملائكة في ساعة قليلة لو اراد اهل الدنيا العروج اليها كان
مقدار مدتهم خمسين الف سنة وعن مجاهد والحكم وعكرمة هو مدة عمر الدنيا من اول ما
خلقت الى اخره ما بقي خمسون الف سنة وهو قول ابي مسلم فان قيل كيف الجمع بين هذه
وبين قوله في سورة السجدة في يوم كان مقداره الف سنة وقد قال ابن عباس هي ايام
سماها الله تعالى هو اعلم بها وانا اكره ان اقول فيها ما لا اعلم فالجواب يحتمل ان من اسفل
العالم الى اعلى العرش خمسين الف سنة ومن اعلى سما الدنيا الى الارض الف سنة لان عرض
كل سما خمس مائة وما بين اسفل السما الى قرار الارض خمسماية فقوله في يوم يريد في يوم
من ايام الدنيا وهو مقدار الف سنة لو صعدوا فيه الى السما الدنيا ومقدار خمسين الف
سنة لو صعدوا الى اعلى العرش قوله فاصبر صبرا جميلا قال ابن الخطيب هذا متعلق
بسال سايل لان استعجالهم بالعذاب كان على وجه الاستهزا برسول الله صلى الله عليه وسلم
والتعنت فامر بالصبر ومن قرا سال سايل او سيل فالمعنى جا العذاب لقرب وقوعه فاصبر
على اذى قومك والصبر الجميل هو الذي لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله وقيل ان يكون صاحب
المصيبة في القوم لا يدرى من هو قال ابن زيد والكلبي هذه الاية منسوخة بالامر بالقتال
قوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا الضمير في انهم لاهل مكة وفي يرونه ونراه لليوم ان
اريد به يوم القيمة قال القرطبي اي يعلمه لان الروية انما تتعلق بالموجود كقولك الشافعي
يرى في هذه المسيلة كذا وقال الاعمش يرون البعث بعيدا لانهم لا يومنون به كانهم
يستبعدونه على جهة الاحالة كما تقول لمن تناظره هذا بعيد لا يكون وقيل الضمير يعود الى
العذاب بالنار اي غير كاين ونراه قريبا لان ما هو ات فهو قريب قوله يوم تكون فيه
اوجه احدها انه متعلق بقريبا وهذا اذا كان الضمير في نراه للعذاب ظاهر الثاني ان
يتعلق بمحذوف يدل عليه واقع اي يقع يوم تكون الثالث متعلق بمحذوف مقدر بعده
اي يوم تكون كان كيت وكيت الرابع انه بدل من الضمير في نراه اذا كان عايدا على يوم القيمة
الخامس انه بدل عن في يوم فيمن علقه بواقع قاله الزمخشري وانما قال فيمن علقه بواقع
لانه اذا علق بتعرج كما تقدم في احد الوجهين استحال ان يبدل عنه هذا لان عروج
الملائكة ليس هو في هذا اليوم الذي يكون السما فيه كالمهل والجبال كالعهن ويشغل كل
حميم عن حميم قال ابو حيان ولا يجوز هذا يعني ابداله من في يوم قال لان في يوم وان
كان في موضع نصب لا يبدل منه منصوب لان مثل هذا ليس بزايد ولا محكوم له بحكم
الزايد كرب وانما يجوز مراعاة الموضع في حرف الجر الزايد كقوله ابني لبيني لستما بيد الا يدا ليست

لها عضد ولذلك لا يجوز مررت بزيد الخياط على موضع بزيد ولا مررت بزيد وعمرا ولا غضبت على زيد
وجعفرا ولا مررت بعمرو واخاك على مراعاة الموضع قال شهاب الدين قد تقدم ان قراة فامسحوا برووسكم
وارجلكم من هذا الباب في نصب الارجل فليكن هذا مثله ثم قال ابو حيان فان قلت الحركة في
يوم يكون حركة بنا لا حركة اعراب فهو مجرور مثل في يوم قلت لا يجوز بناوه على مذهب البصريين
لانه اضيف الى معرب لكنه يجوز على مذهب الكوفيين فيتمشى كلام الزمخشري على مذهبهم ان كان
استحضره وقصده انتهى قال شهاب الدين قوله ان كان استحضره فيه تحامل على الرجل واي كبير
امر في هذا حتى لا يستحضر مثل هذا وتقدم الكلام في المهل في الدخان قوله وتكون الجبال كالعهن
فقيل العهن هو الصوف مطلقا وقيل بقيد كونه احمر وهو اضعف الصوف ومنه قول زهير

كان فتات العهن في كل منزل ● نزلن به حب الفنا لم يحطم

الفتات القطع والعهن الصوف الاحمر واحده عهنة وقيل بقيد كونه مصبوغا وهذا اليق بالتشبيه
لان الجبال متلونة كما قال تعالى جدد بيض وحمر والمعنى انها تلين بعد الشدة وتتفرق بعد الاجتماع
وقيل اول ما تتفرق الجبال تصير رملا ثم عهنا منفوشا ثم هبا منبثا قوله ولا يسال حميم حميما قراه
العامة يسال مبنيا للفاعل والمفعول الثاني محذوف فقيل تقديره لا يساله نصره ولا شفاعته
لعلمه ان ذلك مفقود وقيل لا يساله شيا من حمله واوزاره وقيل حميما منصوب على اسقاط الخافض
اي عن حميم لشغله عنه قاله قتادة لقوله تعالى لكل امرئ منهم يوميذ شان يغنيه وقرا ابو جعفر
وابو حيوة وشيبة وابن كثير في رواية قال القرطبي والبزي عن عاصم يسال مبنيا للمفعول
فقيل حميما مفعول ثان لا على اسقاط حرف والمعنى لا يسال احضاره وقيل بل هو على اسقاط
عن اي عن حميم ولا ذو قرابة عن قرابته بل كل انسان يسال عن عمله نظيره كل نفس بما كسبت
رهينة قوله يبصرونهم بالتضعيف عدي بالتضعيف الى ثان وقام الاول مقام الفاعل وفي محل
هذه الجملة وجهان احدهما انها في موضع الصفة لحميم والثاني انها مستانفة قال الزمخشري
فان قلت ما موقع يبصرونهم قلت هو كلام مستانف كانه لما قال لا يسال حميم حميما قيل لعله
لا يبصره فقيل يبصرونهم ثم قال ويجوز ان يكون يبصرونهم صفة اي حميما مبصرين معرفين اياهم
انتهى وانما جمع الضميران في يبصرونهم وهما للحميمين حملا على معنى العموم لانهما نكرتان في سياق
نفي وقرا قتادة يبصرونهم مبنيا للفاعل من ابصر اي يبصر المومن الكافر في النار وقوله يبصرونهم
اي يرونهم يقال بصرت به ابصر قال تعالى بصرت بما لم يبصروا به ويقول بصرني زيد بكذا فاذا
حذفت الجار قلت بصرني زيد فاذا بنيت الفعل للمفعول وقد حذفت الجار قلت بصرت زيدا فهذا
هو معنى يبصرونهم اي يعرف الحميم الحميم حين يعرفه وهو مع ذلك لا يساله عن شانه لشغله
بنفسه فيبصر الرجل اباه واخاه وقرابته وعشيرته فلا يساله ولا يكلمه لاشتغالهم بانفسهم وقال
ابن عباس يتعارفون ساعة ثم لا يتعارفون ثم يفر بعضهم من بعض فالضمير في يبصرونهم على
هذا للكافر والهاء والميم للاقربا وقال مجاهد المعنى يبصر الله المومنين الكفار في يوم القيمة
فالضمير في يبصرونهم للمومنين والهاء والميم للكفار وقال ابن زيد المعنى يبصر الله الكفار في
النار الذين اضلوهم في الدنيا فالضمير في يبصرونهم للتابعين والهاء والميم للمتبوعين وقيل
انه يبصر المظلوم ظالمه والمقتول قاتله وقيل ان الضمير في يبصرونهم يرجع الى الملائكة اي
يعرفون احوال الناس فيسوقون كل فريق الى ما يليق بهم وتم الكلام عند قوله يبصرونهم قوله
يود المجرم اي يتمنى الكافر لو يفتدي من عذاب يوميذ اي من عذاب جهنم وقيل المراد بالمجرم
كل مذنب وتقدم الكلام على قراتي يوميذ فتحا وجرا في هود والعامة على اضافة عذاب
ليوميذ وابو حيوة بتنوين العذاب ونصب يوميذ على الظرف قال ابن الخطيب وانتصابه
بعذاب لان فيه معنى تعذيب وقال ابو حيان هنا والجمهور بكسرها اي ميم يوميذ والاعرج
وابو حيوة بفتحها انتهى وقد تقدم ان الفتح قراة نافع والكسائي قوله وفصيلته التي تؤويه
قال ثعلب الفصيلة الاباء الادنون وقال ابو عبيدة الفخذ وقال مجاهد وابن زيد عشيرته
الاقربون وقد تقدم ذكر ذلك عند قوله شعوبا وقبايل وقال المبرد الفصيلة القطعة من
اعضا الجسد وهي دون القبيلة وسميت عترة الرجل فصيلته تشبيها بالبعض منه قال ابن
الخطيب فصيلة الرجل اقاربه الاقربون الذين يفصل عنهم وينتمي اليهم كان المراد من الفصيلة

المنقولة لان الولد يكون مفصولا من الابوين قال عليه السلام فاطمة قطعة مني فلما كان مفصولا
منهما كانا ايضا مفصولين منه فسميا فصيلة لهذا السبب وكان يقال للعباس رضي الله عنه فصيلة
النبي صلى الله عليه وسلم لان العم قائم مقام الاب وقوله التي تؤويه اي ينصرونه وقال مالك
امه التي تربيه حكاه الماوردي ورواه عنه اشهب قال شهاب الدين ولم يبدله السوسي عن ابي عمرو
قالوا لانه يؤدي الى لفظ هو اثقل منه والابدال للتخفيف وقرا الزهري تؤويه وينجيه بضم هاء الكناية
وهو الاصل وثم ينجيه عطف على يفتدي فهو داخل في حيز لو وتقدم الكلام فيها هل هي مصدرية
ام شرطية في الماضي ومفعول يود محذوف اي يود النجاة وقيل الفاعل هنا بمعنى ان وليس بشيء وفاعل
ينجيه اما ضمير الافتداء الدال عليه يفتدي او ضمير من تقدم ذكرهم وهو قوله ومن في الارض
ومن في الارض مجرور عطفا على بنيه وما بعده اي يود الافتداء بمن في الارض ايضا وجميعا اما حال
واما تاكيد ووحد باعتبار اللفظ **فصل** اذا وقف على فصيلته او وصي لها فمن ادعى
العموم حمله على العشيرة ومن ادعى الخصوص حمله على الاباء الادنين فالادنين والاول اكثر في النطق
قال القرطبي ويونس بضمة وتوفيقة من جوف ان كان به ومن في الارض جميعا اي ويود لو فدي بهم
لا فتدى ثم ينجيه اي يخلصه ذلك الفداء فلا بد من هذا الاضمار كقوله وانه لفسق اي وان
اكله لفسق وقيل يود المجرم يقتضي جوابا بالفاء كقوله ودوا لو تدهن فيدهنون والجواب في هذه
الاية ثم ينجيه لانها من حروف العطف اي يود المجرم لو يفتدي فينجيه الافتداء قوله كلا ردع
وزجر قال القرطبي والفاء تكون بمعنى حقا وبمعنى لا وهي هنا تحتمل الامرين فاذا كانت بمعنى
حقا كان تمام الكلام ينجيه واذا كانت بمعنى لا كان تمام الكلام عليها انه ليس ينجيه من عذاب الله
الا الافتداء قوله انها لظى في الضمير اوجه احدها انه ضمير النار وان لم يجر لها ذكر لدلالة لفظ
عذاب عليها والثاني انه ضمير القصة الثالث انه ضمير مبهم يترجم عنه الخبر قاله الزمخشري
وقد تقدم تحقيق ذلك في قوله تعالى ان هي الا حياتنا الدنيا فعلى الاول يجوز في لظى نزاعة
اوجه احدها ان يكون لظى خبران اي ان النار لظى ونزاعة خبر ثان او خبر مبتدا مضمر اي هي
نزاعة او يكون لظى بدلا من الضمير المنصوب ونزاعة خبران وعلى الثاني يكون لظى نزاعة جملة
من مبتدا وخبر في محل الرفع خبر الان مفسرة لضمير القصة وكذا على الوجه الثالث ويجوز ان
تكون نزاعة صفة للظى اذا لم يجعلها علما بل بمعنى اللهب وانما انث النعت فقيل نزاعة لان
اللهب بمعنى النار قاله الزمخشري وفيه نظر لان لظى ممنوعة من الصرف اتفاقا قال ابو حيان
بعد حكايته الثالث عن الزمخشري ولا ادري ما هذا المضمر الذي ترجم عنه الخبر وليس هذا
من المواضع التي يفسر فيها المبرد الضمير ولولا انه ذكر بعد هذا او ضمير القصة لحملت كلامه عليه
قال شهاب الدين متى جعله ضميرا مبهما لزم ان يكون مفسرا بالمفرد وهو اما لظى على ان تكون نزاعة
خبر مبتدا مضمر واما نزاعة على ان تكون لظى بدلا من الضمير وهذا اقرب ولا يجوز ان يكون لظى
نزاعة مبتدا وخبرا والجملة خبر لان على ان يكون الضمير مبهما لئلا يعم القولان اعني هذا القول
وقول انها ضمير القصة ولم يعهد ضمير مفسر بجملة الا ضمير الشان والقصة وقرا العامة نزاعة
بالرفع وقرا حفص وابو حيوة والزعفراني واليزيدي وابن مقسم نزاعة بالنصب وفيها
وجهان احدهما انه ينتصب على الحال واعترض عليه ابو علي الفارسي وقال حمله على الحال بعيد
لانه ليس في الكلام ما يعمل في الحال قال القرطبي وهو وان يكون حالا على انه حال للمكذبين
بخبرها او في صاحبها وجه احدها انه الضمير المستكن في لظى لانها وان كان علما فهي جارية مجرى
المشتقات كالحارث والعباس وذلك لانها بمعنى التلظي واذا عمل العلم الصريح والكنية في الظرف
فلان يعمل العلم الجاري مجرى المشتقات في الاحوال اولى ومن مجيء ذلك قوله انا ابو المنهال
بعض الاحيان قوله نمته بمعنى انا المشهور في بعض الاحيان الثاني انه فاعل تدعو اوقدمت
حال عليه اي تدعو حال كونها نزاعة ويجوز ان تكون هذه الحال موكدة لان لظى هذا شانها
وهو معروف من امرها وان تكون مبينة لانه امر توقيفي الثالث انه محذوف هو والعامل تقديره
تتلظى نزاعة ودل عليه لظى الثاني من الوجهين الاولين انها منصوبة على الاختصاص وعبر
عنه الزمخشري بالتهويل كما عبر عن وجه رفعها على خبر ابتدا مضمر والتقدير اعني نزاعة واخصها
وقد منع المبرد نصب نزاعة قال لان الحال انما يكون فيما يجوز ان يكون وان لا يكون ولظى لا يكون

الا نزاعة

نزاعة قاله عنه مكي ورد عليه بقوله تعالى وهو الحق مصدقا وهذا صراط ربك مستقيما قال والحق لا
يكون الا مصدقا وصراط ربك لا يكون الا مستقيما قال شهاب الدين المبرد بنى الامر على الحال المبينة وليس
ذلك بلازم اذ قد وردت الحال موكدة كما اورده مكي وان كان خلاف الاصل واللظى في الاصل اللهب ونقل
علما لجهنم ولذلك منع من الصرف وقيل هو اسم الدركة الثانية من النار والشوى الاطراف جمع شواة
كنوى ونواة قال الشاعر اذا نظرت عرفت الفخر منها وعينها ولم تعرف شواها يعني اطرافها وقيل الشوى
الاعضاء التي ليست بمقتل ومنه رماه فاشواه وهي جلدة الراس وانشد للاعشى •
• قالت قتيلة ماله • قد جللت شيبا شواته •
وقيل هو جلد الانسان والشوى ايضا رذال المال والشيء اليسير **فصل** قال ثابت
البناني والحسن نزاعة للشوى اي لمكارم وجهه وعن الحسن ايضا الهام وقال ابو العالية لمحاسن
وجهه وقال قتادة لمكارم خلقته واطرافه وقال الضحاك تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا يترك
منه شيئا وقال الكسائي هي المفاصل وقيل هي القوائم والجلود قال امرؤ القيس •
سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا • له حجبات مشرفات على الفال •
قوله تدعو يجوز ان تكون خبرا لان او خبر المبتدا محذوفا او حالا من لظى او من نزاعة على القراءتين
فيها الا انها تتحمل ضميرا **فصل** المعنى تدعو لظى من ادبر في الدنيا عن الطاعة لله وتولى
عن الايمان ودعاؤها ان يقول يا مشرك الي يا كافر الي وقال ابن عباس تدعو الكافرين والمنافقين
باسمائهم بلسان فصيح الي يا كافر الي يا منافق ثم تلتقطهم كما تلتقط الطير الحب وقال ثعلب
تدعو الي تهلكك تقول العرب دعاك الله اي اهلكك وقال الخليل انه ليس كالدعاء تعالوا ولكن
دعوتها اياهم تمكنها منهم ومن تعذيبهم وقيل الداعي خزنة جهنم اضيف دعاؤهم اليها وقيل
هو ضرب مثل اي انها تدعوهم بلسان الحال اي ان مصير من ادبر وتولى اليها فكانها الداعية لهم
ومثله قول الشاعر • ولقد هبطنا الواديين فواديا • يدعو الانيس به الغضيض الابكم •
الغضيض الابكم الذباب وهو لا يدعو وانما طنينه عليه فدعا اليه قال القرطبي والقول الاول
هو الحقيقة لظاهر القرآن والاخبار الصحيحة قال القشيري ودعاء لظى بخلق الحياة فيها حتى تدعو
وخوارق العادة غدا كثيرة قوله وجمع فاوعى اي جمع المال فجعله في وعاء ومنع منه حق الله تعالى فكان
جموعا منوعا قال ابن الخطيب جمع اشارة الى حب الدنيا والحرص عليها واوعى اشارة الى الامل
ولا شك ان مجامع افات الدين ليست الا هذه وقيل جمع المعاصي فاوعى اي اكثر منها حتى اثقلته واصر
عليها ولم يتب منها قوله ان الانسان خلق هلوعا قال الضحاك المراد بالانسان هنا الكافر
وقيل عام لانه استثنى منه المصلين فدل على ان المراد به الجنس فهو كقوله ان الانسان لفي خسر الا الذين
امنوا وهلوعا حال مقدرة والهلع فسره بعده وهو قوله اذا واذا قال ثعلب سالني محمد بن عبد
الله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون ابين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر شدة
الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه انتهى واصله في اللغة على ما قال ابو عبيدة اشد الحرص واسوا الجزع
وهو قول مجاهد وقتادة وغيرهما وقد هلع بالكسر فهو هلع يهلع هلعا وهلاعا وهلوع للتكثير وقيل
هو الفزع والاضطراب السريع عند مس المكروه والمنع السريع عند مس الخير من قولهم ناقة هلواع
اي سريعة السير قال المفسرون ومعناه انه لا يصبر في خير ولا شر حتى يفعل فيهما ما لا ينبغي روى السدي
عن ابي صالح عن ابن عباس قال الهلوع الحريص على ما لا يحل له وقال عكرمة هو الضجور وقال الضحاك
هو الذي لا يشبع والمنوع هو الذي اذا اصاب المال منع منه حق الله تعالى وقال ابن كيسان خلق
الله الانسان يحب ما يسره ويرضيه ويهرب مما يكرهه ثم تعبده الله بانفاق ما يحب والصبر على ما يكره
وقال ابو عبيدة الهلوع الذي اذا مسه الخير لم يشكر واذا مسه الشر لم يصبر وقال عليه السلام شر
ما اعطي العبد شح هالع وجبن خالع والعرب تقول ناقة هلواعة وهلواع اذا كانت سريعة
السير خفيفة قال الشاعر شكاه ذعلبة اذا استدبرتها حرج اذا استقبلتها هلواع الذعلب والذعلبة
الناقة السريعة قوله جزوعا ومنوعا فيهما ثلاثة اوجه احدها انهما منصوبان على الحال من الضمير
في هلوعا وهو العامل فيها والتقدير هلوعا حال كونه جزوعا وقت مس الشر ومنوعا وقت مس الخير
والظرفان معمولان لهاتين الحالين وعبر ابو البقاء عن هذا الوجه بعبارة اخرى فقال جزوعا حال
اخرى والعامل فيها هلوعا بقوله اخرى توهم انها حال ثانية وليست متداخلة لولا قوله والعامل فيها

هلوعا الثاني ان يكونا خبرين لكان او صار مضمرة اي اذا مسه الشر كان او صار جزوعا واذا مسه
الخير كان او صار منوعا قاله مكي وعلى هذا فاذا شرطية وعلى الاول ظرف محض العامل فيه ما بعده
كما تقدم الثالث انهما نعت لهلوعا قاله مكي الا انه قال وفيه بعد لانك تنوي به التقديم بعد اذا
انتهى وهذا الاستبعاد ليس بشيء لانه غاية ما فيه تقديم الظرف على عامله وانما المحذور تقديم معمول
النعت على المنعوت **فصل** قال القاضي قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا نظير قوله
تعالى خلق الانسان من عجل وليس المراد انه مخلوق على هذه الصفة لان الله تعالى ذمه عليها والله
تعالى لا يذم فعله ولانه تعالى استثنى المؤمنين الذين جاهدوا انفسهم في ترك الخصلة المذمومة ولو
كانت هذه الخصلة ضرورية حاصلة بخلق الله تعالى لما قدروا على تركها قال ابن الخطيب واعلم
ان الهلع لفظ واقع على امرين احدهما الحالة النفسانية التي لاجلها يقدم الانسان على اظهار الجزع
والفزع والثاني تلك الافعال الظاهرة من القول والفعل الدالة على تلك الحالة النفسانية اما
تلك الحالة النفسانية فلا شك انها تحدث بخلق الله تعالى لان من خلقت نفسه على تلك الحالة لا
يمكنه ازالة تلك الحالة عن نفسه بل الافعال الظاهرة من القول والفعل يمكنه تركها والاقدام عليها
فهي امور اختيارية واما الحالة النفسانية التي هي الهلع في الحقيقة فهي مخلوقة على سبيل الاضطرار
قوله اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا قيل المراد بالخير والشر الغنى والفقر او الصحة
والمرض والمعنى انه اذا صار فقيرا او مريضا اخذ في الجزع والشكاية واذا صار غنيا او صحيحا اخذ
في منع المعروف وشح بماله فان قيل حاصل هذا الكلام انه نفور عن المضار طالب للراحة وهذا هو
اللايق بالعقل فلم ذمه الله عليه فالجواب انما ذمه عليه لقصور نظره على الامور العاجلة والواجب
عليه ان يكون شاكرا راضيا في كل حال قوله الا المصلين قال النخعي المراد بالمصلين الذين يؤدون
الصلاة المكتوبة وقال ابن مسعود هم الذين يصلونها لوقتها فاما تركها فكفر وقيل هم الصحابة
وقيل هم المؤمنون عامة قوله الذين اذا صلوا لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا والدايم الساكن ومنه
نهي عن البول في الماء الدايم اي الساكن وقال ابن جريج والحسن هم الذين يكثرون فعل التطوع
منها فان قيل كيف قال على صلاتهم دائمون وقال في موضع اخر على صلواتهم يحافظون قال
ابن الخطيب دوامهم عليها ان لا يتركوها في شيء من الاوقات ومحافظتهم عليها ترجع الى الاهتمام
بحالها حتى ياتي بها على اكمل الوجوه من المحافظة على شرائطها والاتيان بها في الجماعة وفي
المساجد الشريفة والاجتهاد في تفريغ القلب عن الوسواس والرياء والسمعة وان لا يلتفت يمينا
ولا شمالا وان يكون حاضر القلب فاهما للاذكار مطلعا على حكم الصلوة متعلق القلب بدخول
اوقات الصلاة قوله والذين في اموالهم حق معلوم قال قتادة وابن سيرين يريد الزكاة
المفروضة وقال مجاهد سوى الزكاة وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس صلة الرحم وحمل
الكل والاول اصح لانه وصف الحق بانه معلوم والمعلوم هو المقدر وسوى الزكاة ليس بمعلوم انما هو
على قدر الحاجة وذلك يقل ويكثر وقال ابن عباس من ادى زكاة ماله فلا جناح عليه ان لا يتصدق
وايضا فان الله تعالى استثناه ممن ذمه فدل على ان الذي لا يعطي هذا الحق يكون مذموما ولا حق
على هذه الصفة الا الزكاة وقوله للسائل والمحروم تقدم في الذاريات قوله والذين يصدقون
بيوم الدين اي بيوم الجزاء وهو يوم القيامة اي يؤمنون بالبعث والنشور والذين هم من عذاب
ربهم مشفقون اي خائفون والاشفاق الخوف اما من ترك واجب واما من فعل محظور ثم اكد
ذلك الخوف بقوله ان عذاب ربهم غير مامون قال ابن عباس لمن اشرك او كذب انبياءه وقيل لا امنه
لاحد بل الواجب على كل احد ان يخافه ويشفق منه والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون تقدم تفسيره في
سورة المؤمنين والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون تقدم ايضا وقرئ لامانتهم على التوحيد
وهي قراءة ابن كثير وابن محيصن لان الامانة اسم جنس فيدخل فيها امانات ائتمن الله عليها عباده
ويدخل فيها امانات الناس من الودائع وقد مضى ذلك قوله والذين هم بشهاداتهم قائمون
قرا حفص بشهاداتهم جمعا اعتبارا بتعدد الانواع والباقون بالافراد اذ المراد الجنس قال الواحدي
والافراد اولى لانه مصدر فيفرد كما تفرد المصادر وان اضيف الى الجمع كصوت الحمير ومن جمع ذهب
الى اختلاف الشهادات قال اكثر المفسرين يقومون بالشهادة على من كانت عليه من قريب وبعيد

يقومون

يقومون بها عند الحكام ولا يكتمونها وقال ابن عباس بشهاداتهم ان الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون قال قتادة على وضوئها وركوعها وسجودها وقد
تقدم ان الدوام خلاف المحافظة فدوامهم عليها محافظتهم على ادائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء
من الشواغل ومحافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها
وادابها ويحفظونها من الاحباط باقتراف المآثم فالدوام يرجع الى نفس الصلوة والمحافظة الى احوالها
ذكره القرطبي ثم قال اولئك في جنات مكرمون اي اكرمهم الله فيها بانواع الكرامات قوله فمال الذين
كفروا قبلك مهطعين روي ان المشركين كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم ويستمعون كلامه ويستهزءون
به ويكذبونه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلندخلنها قبلهم فنزلت
هذه الاية الى قوله ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا وقال ابو مسلم ظاهر الاية يدل على
انهم هم المنافقون فهم الذين كانوا عنده واسراعهم المذكور هو الاسراع في الكفر لقوله تعالى ولا يحزنك
والاهطاع الاسراع قال الاخفش مهطعين اي مسرعين قال بمكة اهلها ولقد اراهم اليه مهطعين الى
السماع والمعنى ما بالهم يسرعون اليك ويجلسون حولك ولا يعملون بما تامرهم وقيل ما بالهم يسرعون
في التكذيب وقيل ما بال الذين كفروا يسرعون الى السماع منك ليعيبوك ويستهزءوا بك وقال عطية
مهطعين معرضين وقال الكلبي ناظرين اليك تعجبا وقال قتادة عامدين اعناقهم مديمي النظر اليك
وذلك من نظر العدو وهو منصوب على الحال قال القرطبي نزلت في جمع المنافقين المستهزئين
كانوا يحضرونه عليه السلام ولا يؤمنون به وقبلك اي نحوك قوله عن اليمين وعن الشمال عزين اي
عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وشماله حلقا حلقا وجماعات قوله عزين حال من الذين كفروا
وقيل حال من الضمير في مهطعين فيكون حالا متداخلة وعن اليمين يجوز ان يتعلق بعزين لانه
بمعنى متفرقين قاله ابو البقاء وان يتعلق بمهطعين اي مسرعين عن هاتين الجهتين وان يتعلق بمحذوف
على انه حال اي كائنين عن اليمين قاله ابو البقاء وعزين جمع عزة والعزة الجماعة وقال مكي وانما
جمع بالواو والنون لانه مؤنث لا يعقل ليكون ذلك عوضا مما حذف منه قيل ان اصله عزهة كما ان
اصل سنة سنهة ثم حذفت الهاء انتهى قال شهاب الدين قوله لا يعقل سهو لان الاعتبار بالمدلول ومدلوله
بلا شك عقلاء واختلفوا في لام عزة على ثلاثة اقوال احدها الواو من عزوته اعزوه اي نسبته
وذلك ان المنسوب مضموم الى المنسوب اليه كما ان كل جماعة مضموم بعضها الى بعض الثاني
انها ياء اذ يقال عزيته بالياء اعزيه بمعنى عزوته فعلى هذا فيها لغتان الثالث انها هاء ويجمع
تكسيرا على عزى نحو كسرة وكسر واستغني بهذا التكسير عن جمعها بالالف والتاء فلم يقولوا عزات
كما لم يقولوا في شفة وامة شفات ولا امات استغنوا بشفاه واماء وقد كثر وروده مجموعا بالواو
والنون قال الراعي • اخليفة الرحمن ان عشيرتي • امسوا سراتهم عزين فلولا •
وقال الكميت • ونحن وجندل باغ تركنا • كتائب جندل شتى عزينا •
وقال عنترة • وقرن قد تركت لدى ولي • عليه الطير كالعصب العزين •
وقال اخر • ترانا عنده والليل داج • على ابوابه حلقا عزينا •
وقال اخر • فلما ان اتين على اضاخ • تركن حصاه اشتاتا عزينا •
والعزة لغة الجماعة في تفرقة قاله ابو عبيدة ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج الى
اصحابه فراهم حلقا فقال ما لي اراكم عزين الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها قالوا وكيف
تصف الملائكة قال يتمون الصف الاول ويتراصون في الصف وقال الاصمعي العزون الاصناف
فقال في الدار عزون اي اصناف وفي الصحاح العزة الفرقة من الناس وقيل العزة الجماعة
اليسيرة كالثلاثة والاربعة وقال الراغب وقيل هو من قولهم عزي عزاء فهو عز اذا صبر
وتعزى تصبر فكانها اسم للجماعة التي يتاسى بعضهم ببعض قال القرطبي ويقال عزون وعزون
ايضا بالضم ولم يقولوا عزات كما قالوا ثبات قيل كان المستهزئون خمسة ارهط قال الازهري واصلها
من قولهم عزا فلان نفسه الى بني فلان يعزوها عزوا اذا انتمى اليهم والاسم العزوة والعزة كل جماعة
اعتزاؤها الى امر واحد قوله ان يدخل العامة على بنائه للمفعول وزيد بن علي والحسن وابن يعمر
وابو رجاء وعاصم في رواية قاله القرطبي وطلحة بن مصرف والاعرج على بنائه للفاعل **فصل**
لما قال المستهزءون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم اجابهم الله تعالى بقوله كلا لا يدخلونها

ثم ابتدا فقال انا خلقناهم مما يعلمون اي انهم يعلمون انهم مخلوقون ثم من نطفة ثم من علقة ثم من
مضغة كما خلق سائر جنسهم فليس لهم فضل يستوجبون به الجنة وانما تستوجب بالايمان
والعمل الصالح ورحمة الله تعالى وقيل كانوا يستهزئون بفقراء المسلمين ويتكبرون عليهم
فقال انا خلقناهم مما يعلمون اي من القذر فلا يليق بهم هذا التكبر وقال قتادة في هذه
الاية انما خلقت ابن ادم من قذر فاتق الله وروي ان مطرف بن عبد الله بن الشخير راى المهلب
ابن ابي صفره يتبختر في جبة خز وجبة خز فقال له يا عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله
فقال له اتعرفني قال نعم اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وانت تحمل العذرة فمضى
المهلب وترك مشيته قال ابن الخطيب ذكروا في تعليق هذه الاية بما قبلها وجوها احدها
لما احتج على صحة البعث فمن اين تطمعون بدخول الجنة وثانيها ان المستهزئين كانوا يستحقرون
المومنين كما تقدم فقال تعالى ان هولاء المستهزئين مخلوقون مما خلقوا فكيف يليق بهم هذا
الاحتقار وثالثها انهم مخلوقون من هذه الاشيا المستقذرة ولم يتصفوا بالايمان والمعرفة
فكيف يليق بالحكمة ادخالهم الجنة وقيل معنى قوله خلقناهم مما يعلمون اي من اجل ما يعلمون
وهو الامر والنهي والثواب والعقاب كقول الاعشى

• ازمعت من ال ليلى ابتكارا • وشطت على ذي هوى ان يزارا •

اي من اجل ليلى قوله فلا اقسم قد تقدم وقرا جماعة فلاقسم دون الف برب المشارق قرا
العامة بجمع المشارق والمغارب والجحدري وابن محيصن وابو حيوة وحميد بافرادهما وهي
مشارق الشمس ومغاربها وتقدم الكلام فيها وقوله انا لقادرون جواب القسم على ان نبدل
خيرا منهم اي نقدر على اهلاكهم والذهاب بهم والاتيان بخير منهم وما نحن بمسبوقين اي لا يفوتنا
شي ولا يعجزنا امر نريده قوله فذرهم يخوضوا ويلعبوا اي اتركهم يخوضوا في باطلهم
ويلعبوا في دنياهم على جهة الوعيد واشتغل انت بما امرت به وتقدم تفسيره في سورة
الطور واختلفوا فيما وصف الله به نفسه بالقدرة عليه هل خرج الى الفعل ام لا فقيل بدل
بهم الانصار والمهاجرين وقيل بل بدل الله كفر بعضهم بالايمان وقيل لم يقع هذا التبديل وانما
ذكر الله ذلك تهديدا لهم لكي يومنوا قوله حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون قرا ابن محيصن
ومجاهد وحميد وابو جعفر يلقوا مضارع لقي والمعنى ان لهم يوما يلقون فيه ما وعدوا وهذه
الاية منسوخة باية السيف ثم ذكر ذلك اليوم فقال يوم يخرجون من الاجداث يجوز ان يكون
بدلا من يومهم او منصوبا باضمار اعني ويجوز على راي الكوفيين ان يكون خبر ابتدا مضمر وبني
على الفتح وان اضيف الى معرب اي هو يوم يخرجون كقوله هذا يوم ينفع وقد مر الكلام فيه
مشبعا والعامة على بنا يخرجون للفاعل وقرا السلمي والمغيرة وروت عن عاصم بناوه للمفعول
قوله سراعا حال من فاعل يخرجون جمع سريع كظراف في ظريف وكانهم حال ثانية منه او
حال من ضمير الحال فتكون متداخلة والاجداث القبور ونظيره فاذا هم من الاجداث الى ربهم
ينسلون اي سراعا الى اجابة الداعي قوله الى نصب يوفضون متعلق بالخبر والعامة على نصب
بالفتح واسكان الصاد وابن عامر وحفص بضمتين وابو عمران الجوني ومجاهد بفتحتين والحسن
وقتادة وعمرو بن ميمون وابو رجا وغيرهم بضم النون واسكان الصاد فالاولى هو اسم مفرد
بمعنى العلم المنصوب الذي يسرع الشخص نحوه وقال ابو عمرو وهو شبكة الصايد يسرع اليها
عند وقوع الصيد فيها مخافة انفلاته واما الثانية فيحتمل ثلاثة اوجه احدها انه اسم
مفرد بمعنى الصنم المنصوب للعبادة وانشد الاعشى قوله وذا النصب المنصوب
لا تعبدنه لعاقبة والله ربك فاعبدا يعني اياك وذا النصب الثاني انه جمع نصاب ككتاب وكتب
الثالث انه جمع نصب كرهن ورهن وسقف في سقف وهذا قول ابي الحسن وجمع الجمع
انصاب وقال النحاس وقيل نصب ونصب بمعنى واحد كما قيل عمر وعمر واسد واسد جمع
اسد واما الثالثة ففعل بمعنى مفعول اي منصوب كالقبض والنقض والرابعة تخفيف من
الثانية والنصب ايضا الشر والبلاء ومنه قوله تعالى اني مسني الشيطان بنصب وعذاب

فصل قال ابن عباس الى نصب الى غاية وهي التي تنتصب اليها بصرك وقال
الكلبي هو شي منصوب علم او راية وقال الحسن كانوا يبتدرون اذا طلعت الشمس الى نصبهم

التي كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوون وهو على احدهم يوفضون ويسرعون وقيل يستبقون
وقيل يسعون وقيل ينطلقون وهي متقاربة والايفاض الاسراع قال الشاعر

• فوارس ذبيان تحت الحديد • كالجن يوفضن من عبقري •

وقال الاخر لانعتن نعامة ميفاضا وقال الليث وفضت الابل تفض وفضا واوفضها صاحبها
والايفاض متعد والذي في الاية لازم يقال وفض واوفض واستوفض بمعنى اسرع قوله خاشعة
ابصارهم حال اما من فاعل يوفضون وهو اقرب او من فاعل يخرجون وفيه بعد وفيه تعدد الحال
الذي حال واحدة وفيه الخلاف المشهور وابصارهم فاعل والمعنى ذليلة خاضعة لا يرفعونها
لما يتوقعونه من عذاب الله قوله ترهقهم ذلة قرا العامة بتنوين ذلة والابتدا بذلك
اليوم وخبره الذي كانوا وقرا يعقوب والتمار باضافة ذلة الى ذلك وجر اليوم لانه صفة لذلك
والذي نعت لليوم وترهقهم يجوز ان يكون استينافا وان يكون حالا من فاعل يوفضون او
يخرجون ولم يذكر مكي غيره ومعنى ترهقهم اي يغشاهم الهوان قال قتادة هو سواد الوجوه
والرهق الغشيان ومنه غلام مراهق اذا غشي الاحتلام يقال رهقه بالكسر يرهقه رهقا
اي غشيه ومنه قوله تعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون
اي يوعدونه في الدنيا ان لهم فيه العذاب واخرج الخبر بلفظ الماضي لان ما وعد الله به فهو
حق كاين لا محالة روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سال
سايل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلاتهم يحافظون

سورة نوح عليه السلام مكية

وهي سبع وعشرون اية ومايتان واربع وعشرون كلمة وسبعماية وستة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه روى قتادة عن ابن عباس عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اول نبي ارسل نوح وارسل الى جميع اهل الارض ولذلك لما كفروا اغرق الله
اهل الارض جميعا وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس بن يرد ابن
مهلاييل بن انوش بن قينان بن شيث بن ادم عليه السلام قال وهب وكلهم مومنون ارسل
الى قومه وهو ابن خمسين سنة وقال ابن عباس ابن اربعين وقال عبد الله بن شداد بعث وهو
ابن ثلاث مائة وخمسين سنة قوله ان انذر يجوز ان يكون المفسرة فلا يكون لها موضع من
الاعراب لان في الارسال معنى الامر فلا حاجة الى اضمار الباء ويجوز ان تكون المصدرية اي ارسلناه
بالامر بالانذار انتهى وهذا الذي قدره حسن جدا وهو جواب عن سوال تقدم في هذا الكتاب
وهو ان قولهم ان المصدرية يجوز ان توصل بالامر مشكل لانه ينسبك منها وما بعدها مصدر
وحينئذ فتفوت الدلالة على الامر الا ترى انك اذا قدرت كتبت اليه بان قم كتبت اليه
القيام تفوت الدلالة على الامر حال التصريح بالمصدر فينبغي ان تقدر كما قال الزمخشري اي
اي كتبت اليه بان قلت له قم اي كتبت اليه بالامر بالقيام وقال القرطبي بان انذر قومك بغير ان
بمعنى قلنا له انذر قومك وقد تقدم معنى الانذار في اول البقرة وقوله من قبل ان ياتيهم عذاب
اليم قال ابن عباس يعني عذاب النار في الاخرة وقال الكلبي هو الطوفان وقيل انذرهم
العذاب على الجملة ان لم يومنوا فكان يدعو قومه وينذرهم فلا يجيبونه كما تقدم قال يا قوم
اني لكم نذير مبين اي مخوف يظهر لكم بلسانكم الذي تعرفونه قوله ان اعبدوا الله اما ان يكون
تفسيرية لنذير او مصدرية والكلام فيها كما تقدم في اختها والمعنى وحدوا الله واتقوه اي
خافوه واطيعون فيما امركم به فاني رسول الله اليكم يغفر لكم جزم يغفر لجواب الامر قوله
من ذنوبكم في من هذه اوجه احدها انها تبعيضية الثاني انها لابتدا الغاية الثالث انها لبيان
الجنس وهو مردود لعدم تقدم ما يبينه الرابع انها مزيدة قاله ابن عطية وهو مذهب
كوفي قال شهاب الدين ليس مذهبهم ذلك لانهم يشترطون تنكير مجرورها ولا يشترطون غيره
والاخفش لا يشترط شيا فزيادتها هنا ماش على قول الاخفش لا على قولهم قال القرطبي وقيل لا يصح

كونها زائدة لان من لا يزاد في الواجب وانما هي هنا للتبعيض وهو بعض الذنوب وهو ما لا يتعلق
بحقوق المخلوقين وقال زيد بن اسلم المعنى يخرجكم من ذنوبكم وقال ابن شجرة المعنى يغفر لكم
من ذنوبكم ما استغفرتموه منها قوله ويؤخركم الى اجل مسمى قال الزمخشري فان قلت كيف
قال يؤخركم مع اخباره بامتناع تاخيره قلت قضى الله ان قوم نوح ان امنوا عمرهم الف سنة
وان بقوا على كفرهم اهلكهم على راس تسعمائة فقيل لهم امنوا يؤخركم الى الاجل الاطول ثم
اخبرهم انه اذا جاء ذلك الاجل الامد لا يؤخر انتهى وقد تعلق بهذه الاية من يقول بالاجلين وتقدم
جوابه وقال ابن عباس اي ينسي في اعماركم ومعناه ان الله تعالى كان قضى قبل خلقهم انهم
امنوا بارك في اعمارهم وان لم يؤمنوا عوجلوا بالعذاب وقال مقاتل يؤخركم الى منتهى اجالكم
في عافية فلا يعاقبكم بالحفظة وغيره فالمعنى على هذا يؤخركم من العقوبات والشدائد الى
اجالكم وقال الزجاج اي يؤخركم عن العذاب فتموتوا غير موتة المستاصلين بالعذاب
وعلى هذا قيل اجل مسمى عندكم تعرفونه لا يميتكم غرقا ولا حرقا ولا قتلا ذكره الفراء وعلى القول
الاول اجل مسمى عند الله قوله ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر اي اذا جاء الموت لا يؤخر بعذاب
كان او بغير عذاب واضاف الاجل اليه سبحانه لانه الذي اثبته وهو يضاف الى القوم كقوله
تعالى اذا جاء اجلهم لانه مضروب لهم ولو بمعنى ان اي ان كنتم تعلمون وقال الحسن معناه لو كنتم
تعلمون لعلمتم ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر وعلى هذا يكون جواب لو محذوفا تقديره لبادرتم
إلى ما امركم به او علمتم كما قال الحسن قوله قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا ظرفان
لدعوت والمراد الاخبار باتصال الدعاء وانه لا يفتر عن ذلك وقيل معناه سرا وجهرا فلم يزدهم
دعائي الا فرارا اي تباعدا من الايمان وهذا استثناء مفرغ وهو مفعول ثان وقراءة العامة
بفتح الياء من دعائي واسكنها الكوفيون ويعقوب والدوري عن ابي عمرو قوله واني كلما
دعوتهم لتغفر لهم اي الى سبب المغفرة وهي الايمان بك والطاعة لك قوله لتغفر يجوز ان
تكون للتعليل والمدعو اليه محذوف اي دعوتهم للايمان بك لاجل مغفرتك لهم وان يكون
لام التعدية ويكون قد عبر عن السبب بالمسبب الذي هو حظهم والاصل دعوتهم للتوبة التي
هي سبب في الغفران وجعلوا هو العامل في كلما وهو خبر اني قوله جعلوا اصابعهم
في اذانهم لئلا يسمعوا دعائي واستغشوا ثيابهم اي غطوا بها وجوههم لئلا يروني قال
ابن عباس جعلوا ثيابهم على روسهم لئلا يسمعوا كلامي فاستغشاء الثياب اذن زيادة في سد
الاذان حتى لا يسمعوا او لتنكيرهم انفسهم حتى تسكت او ليعرفوه اعراضهم عنه وقيل هو كناية عن
العداوة يقال للكاشح لابس ثياب العداوة لعله ب واصروا اي على الكفر فلم يتوبوا واستكبروا
عن قبول الحق وهو قولهم انؤمن لك واتبعك الارذلون جهارا يجوز ان يكون مصدرا من المعنى
لان الدعا يكون جهارا وغيره فهو من باب قعد القرفصاء وان يكون المراد بدعوتهم جاهرتهم وان
يكون نعت مصدر محذوف اي دعاء جهارا وان يكون مصدرا في موضع الحال اي مجاهرا او ذا
جهار او جعل نفس المصدر مبالغة قال الزمخشري فان قلت ذكر انه دعاهم ليلا ونهارا ثم
دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلن فيجب ان يكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف
قلت قد فعل عليه السلام كما يفعل الذي يامر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالاهون
والترقي في الاشد فالاشد فافتتح في المناصحة بالسر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم يقبلوا
ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ
من الاسرار والجمع بين الامرين اغلظ من افراد احدهما قال ابو حيان وتكرر كثيرا ثم للاستبعاد
ولا تعلم لغيره وقوله استكبارا قال القرطبي تفخيم **فصل** معنى جهارا اي يظهر لهم
الدعوة وهو منصوب بدعوتهم لنصب المصدر ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي لم اتق مجهود
وقال مجاهد معنى اعلنت صحت واسررت لهم اسرارا بالدعاء عن بعضهم من بعض وقيل اسررت لهم
اتيتهم في منازلهم وكل هذا من نوح عليه السلام مبالغة في الدعاء وتلطف في الاستدعاء وفتح اليا
من اني اعلنت باخلاص الايمان انه كان غفارا وهذا منه تعالى ترغيب في التوبة كقوله
عليه السلام الاستغفار ممحاة للذنوب قوله يرسل السماء عليكم مدرارا اي يرسل ماء السماء ففيه
اضمار وقيل السماء المطر اي يرسل المطر قال الشاعر •

• اذا نزل السماء بارض قوم • رعيناه وان كانوا غضابا •
قوله ومدرارا يجوز ان يكون حالا من السماء ولم يؤنث لان مفعالا لا يؤنث تقول امراة مسقاب ومذكار
ولا يؤنث بالياء الا نادرا وحينئذ يستوي فيه المذكر والمؤنث فتقول رجل محدام ومطراب وامراة
محدامة ومطرابة وان يكون نعتا لمصدر محذوف اي ارسالا مدرارا وتقدم الكلام عليه في الانعام
وجزم يرسل جوابا للامر ومدرارا اذا غيث كثير **فصل** قال مقاتل لما كذبوا نوحا عليه السلام
زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فهلكت مواشيهم وزروعهم
فصاروا الى نوح عليه السلام واستغاثوا به فقال استغفروا ربكم انه كان غفارا اي لمن تاب اليه
ثم رغبهم في الايمان فقال يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل
لكم انهارا قال قتادة علم نبي الله صلى الله عليه وسلم انهم اهل حرص على الدنيا فقال هلموا الى طاعة
الله فان في طاعة الله درك الدنيا والاخرة **فصل** في هذه الاية والتي في هود دليل على ان
الاستغفار يستنزل به الرزق والامطار قال الشعبي خرج عمر يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى
رجع فامطروا فقالوا ما رايناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر
ثم قرا استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا قال ابن الاثير المجاديح واحدها مجدح
والياء زائدة للاشباع والقياس ان يكون واحدها مجداح فاما مجدح فجمعه مجادح والمجدح نجم من
النجوم قيل هو الدبران وقيل هو ثلاثة كواكب كالاثافي تشبيها لها بالمجدح الذي له ثلاث شعب
وهو عند العرب من الانواء الدالة على المطر فجعل الاستغفار مشبها بالانواء مخاطبة لهم بما يعرفونه
لا قولا بالانواء وجاء بلفظ الجمع لانه اراد الانواء جميعها التي يزعمون ان من شانها المطر وشكى رجل الى
الحسن الجدوبة فقال له استغفر الله وشكى اخر اليه الفقر فقال له استغفر الله وقال له اخر ادع
الله ان يرزقني ولدا فقال ما قلت له استغفر الله وشكى اليه اخر جفاف بساتينه فقال له استغفر الله
فقلنا له في ذلك فقال ما قلت من عندي شيئا ان الله تعالى يقول في سورة نوح استغفروا ربكم
انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا
فان قيل ان نوحا عليه السلام امر الكفار اولا بالعبادة والطاعة فاي فايدة في انه امرهم بعد
ذلك بالاستغفار فالجواب انه لما امرهم بالعبادة قالوا ان كان الدين الذي كنا عليه حقا فلم تامرنا
بتركه وان كان باطلا فكيف يقبلنا بعد ان عصيناه فقال نوح عليه السلام انكم وان كنتم قد عصيتموه
ولكن استغفروا من تلك الذنوب فانه سبحانه كان غفارا فان قيل لم قال انه كان ولم يقل انه
غفارا فالجواب كانه يقول لا تظنوا ان غفرانه انما حدث الامر بل هو ابدا هكذا اعاد ته انه غفارا
فالجواب كانه يقول لا تظنوا ان غفرانه في حق من استغفر قوله ما لكم لا ترجون لله وقارا قيل
الرجاء هنا بمعنى الخوف اي ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على احدكم بالعقوبة اي عذر لكم في ترك
الخوف من الله قال الهذلي • اذا لسعته النحل لم يرج لسعها •
وقال سعيد بن جبير وابو العالية وعطا بن ابي رباح ما لكم لا ترجون لله ثوابا ولا تخافون
له عقابا وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس ما لكم لا ترجون لا تخشون لله عقابا وترجون منه
ثوابا وقال الوالبي والعوفي عنه ما لكم لا تعلمون لله عظمة وقيل ما لكم لا تعتقدون وقال ابن عباس
ايضا ومجاهد ما لكم لا ترون لله عظمة وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب
هذه لغة حجازية وهذيل وخزاعة ومضر يقولون لم ارج اي لم ابال قوله وقارا يجوز ان يكون
مفعولا به على معان منها ما لكم لا تاملون له توقيرا اي تعظيما قال الزمخشري والمعنى ما لكم
لا تكونون على حال تاملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان
صلة انتهى اي لو تاخر عن وقارا لكان متعلقا به فيكون التوقير منهم لله تعالى وهو عكس
المعنى الذي قصده ومنها لا تخافون لله حلما وترك معاجلة بالعقاب فتؤمنوا ومنها لا تخافون
لله عظمة وعلى الاول يكون الرجا على بابه وقد تقدم ان استعماله بمعنى الخوف مجاز او مشترك وان
يكون حالا من فاعل ترجون اي موقرين الله تعالى اي تعظمونه فلله متعلق بمحذوف على انه
حال من وقارا او تكون اللام زائدة في المفعول به وحسنه هنا امران كون العامل فرعا وكون المعمول
مقدما ولا ترجون حال وتقدم نظيره في المائدة والوقار العظمة والتوقير التعظيم ومنه قوله
تعالى وتوقروه وقال قتادة ما لكم لا ترجون لله عاقبة كان المعنى ما لكم لا ترجون لله عاقبة

الايمان وقال ابن كيسان ما لكم لا ترجون في عبادة الله وطاعته ان يثيبكم على توقيركم خيرا وقال ابن
زيد ما لكم لا تؤدون لله طاعة وقال الحسن ما لكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة وقيل ما لكم لا
توحدون الله لان من عظمه فقد وحده وقيل ان الوقار هو الثبات لله عز وجل ومنه قوله تعالى
وانه الحكم لا اله لكم سواه قاله ابن بحر ثم دلهم على ذلك فقال وقد خلقكم اطوارا اي نطفة ثم علقة
ثم مضغة ثم عظاما ولحما ثم انشاناه خلقا اخر وقيل اطوارا صبيانا ثم شبانا ثم شيوخا وضعفا ثم
اقويا وقيل اطوارا اي انواعا صحيحا وسقيما وبصيرا وضريرا وغنيا وفقيرا وقيل الاطوار اختلافهم
في الاخلاق والافعال قوله وقد خلقكم جملة حالية من فاعل ترجون والاطوار الاحوال
المختلفة قال الشاعر • فان افاق فقد طارت عمايته • والمرء يخلق طورا بعد اطوار
وانتصابه على الحال اي منتقلين من حال الى حال او مختلفين من بين مسي ومحسن وصالح وطالح
قوله الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا اي الم تعلموا ان الذي قدر على هذا فهو الذي
يجب ان يعبد ومعنى طباقا قال ابن عباس والسدي اي بعضها فوق بعض كل سما مطبقة على
الاخرى كالقباب فان قيل هذا يقتضي ان لا يكون بينهما فرج واذا كان كذلك فكيف تسلكها
الملايكة فالجواب ان الملايكة ارواح وايضا قال المبرد معنى كونها طباقا اي متوازية لا انها
مماسة وقال الحسن خلق الله سبع سموات طباقا على سبع ارضين بين كل ارض وارض وسما
وسما خلق وامر وقوله الم تروا على جهة الاخبار لا المعاينة كما تقول الم ترني كيف صنعت بفلان
كذا وطباقا نصب على انه مصدر مطابقة طباقا او حال بمعنى ذات طباق فحذف ذات واقام
طباقا مقامه وتقدم الكلام عليه في سورة الملك وقال مكي وجاز الفرا في غير القرآن جر طباق
على النعت لسموات يعني انه يجوز ان يكون صفة للعدد تارة وللمعدود اخرى قوله وجعل
القمر فيهن اي في السموات والقمر انما هو في سما واحدة منهن قيل هو في السما الدنيا وانما جاز
ذلك لان بين السموات ملابسة فصح ذلك وبقوله زيد في المدينة وانما هو في زاوية من زواياها
وقال ابن كيسان اذا كان في احداهن فهو فيهن وقال قطرب فيهن بمعنى معهن وقاله الكلبي
اي خلق الشمس والقمر مع خلق السموات والارض وقال جل اهل اللغة في قول امرئ القيس
• وهل ينعمن من كان اخر عهده • ثلاثين شهرا في ثلاثة احوال •
في بمعنى مع وقال النحاس سالت ابا الحسن بن كيسان عن هذه الاية فقال جواب النحويين انه
اذا جعله في احداهن فقد جعله فيهن كما تقول اعطني الثياب المعلمة وان كنت انما علمت احدها
وجواب اخر انه يروى ان وجه القمر الى داخل السما واذا كان الى داخلها فهو متصل بالسموات
ومعنى نورا اي لاهل الارض قاله السدي وقال عطا نورا لاهل السموات والارض وقال ابن
عباس وابن عمر وجهه يضي لاهل الارض وظهره يضي لاهل السما قوله وجعل الشمس سراجا
يحتمل ان يكون التقدير وجعل الشمس فيهن كما تقدم والشمس قيل في الرابعة وقيل في الخامسة
وقيل في الشتا في الرابعة وفي الصيف في السابعة والله اعلم وقوله سراجا يعني مصباحا لاهل
الارض ليتوصلوا الى التصرف لمعايشهم وفي اضافتها لاهل السما القولان الاولان حكاه الماوردي
وحكى القشيري عن ابن عباس ان الشمس وجهه في السموات وقفاه في الارض وقيل على العكس
وقيل لعبد الله بن عمرو ما بال الشمس تقلينا احيانا وتبرد علينا احيانا فقال انها في الصيف
عند عرش الرحمن ولو كانت في السما الدنيا لما قام لها شي ولما كانت الشمس سببا لزوال الليل
وهو ظل الارض اشبهت السراج وايضا فالسراج له ضو والقمر له نور والضو اقوى من النور فجعل
الشمس لقوله هو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا قوله والله انبتكم من الارض نباتا يعني
ادم عليه السلام خلقه من اديم الارض كلها قاله ابن جريج وقد تقدم بيانه انباتا فجعل الاسم
الذي هو النبات في موضع المصدر ونبات ثم مقدارا اي فنبتم نباتا فيكون منصوبا بالمطاوع المقدر
قال الزمخشري او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم قال ابو حيان ولا اعقل معنى هذا الوجه
الثاني قال شهاب الدين هذا هو الوجه المتقدم وهو انه منصوب بانبتكم على حذف الزوائد
ومعنى قوله لتضمنه معنى نبتم اي انه مشتمل عليه غاية ما فيه انه حذفت زوائده قال القرطبي
وقال الخليل والزجاج انه محمول على المعنى لان معنى انبتكم جعلكم تنبتون نباتا وقيل معناه انبت
لكم من الارض النبات فنباتا على هذا نصب على المفعول الصريح والاول اظهر قال ابن جريج انبتهم

في الارض بالكبر بعد الصغر وبالطول بعد القصر ثم يعيدكم فيها اي عند موتكم بالدفن ويخرجكم اخراجا
بالنشور والبعث يوم القيامة والانبات هنا استعارة بليغة قيل المراد انبت اباكم وقيل المراد انبت الكل
لانهم من النطف وهي من الاغذية التي اصلها الارض وهذا كالتفسير لقوله خلقكم اطوارا ثم قال ثم
يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وهذا اشارة الى الطريقة المعهودة في القرآن عن الله تعالى لما كان قادرا على
الابتدا فهو ايضا قادر على الاعادة وقوله ويخرجكم اخراجا اكده بالمصدر بانه قال يخرجكم حقا لا محالة
قوله والله جعل لكم الارض بساطا اي مبسوطة لتسلكوا منها سبلا فجاجا اي طرقا واسعة والسبل الطرق
والفجاج يجمع فج وهو الطريق الواسعة قاله الفرا وقيل الفج المسلك بين الجبلين وفي الانبيا قدم الفجاج
لتناسب الفواصل وقد تقدم الكلام على ذلك قوله قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده
ماله وولده الا خسارا ذكره اولا انهم عصوه ثم ذكر انهم ضموا الى عصيانه طاعة روسايهم الذين يدعونهم الى
الكفر وانما زادهم اولادهم واموالهم خسارا لانهم سبب لخسار الاخرة والدنيا في جنب الاخرة كالعدم فاذا
خسرت الاخرة فيهما كانت كاللقمة من الحلوى مسمومة ولذلك قال جماعة ليس لله على الكافر نعمة وانما
هي استدراج للعذاب قال المفسرون لبث فيهم نوح عليه السلام كما اخبر الله تعالى الف سنة الا خمسين
عاما ذا اعيابهم وهم على كفرهم وعصيانهم قال ابن عباس دعا نوح الابناء بعد الاباء فكان الاباء ياتوا
باولادهم الى نوح عليه السلام ويقولون لابنايهم اياكم وان تطيعوا هذا الشيخ فيما يامركم به حتى بلغوا سبع
قرون ثم دعا عليهم بعد الاياس منهم وعاش بعد الطوفان ستين عاما حتى كثر الناس وفشوا قال
الحسن كان قوم نوح يزرعون في الشهر مرتين حكاه الماوردي قوله وولده قرا اهل المدينة والشام
وعاصم وولده بفتح اللام والواو والباقون وولده بضم الواو وسكون اللام وقد تقدم انهما لغتان كبخل
وبخل قال ابو حاتم ويمكن ان يكون المضموم جمع المفتوح كخشب وخشب وانشد لحسان
• يا بكر امنة المبارك ولدها • من ولد محصنة بسعد الاسعد •
قوله ومكروا عطف على صلة من لان المتبوعين هم الذين مكروا وقالوا للاتباع لا تذرن وانما جمع
الضمير حملا على المعنى بعد حمله على لفظها في لم يزده ماله وولده ويجوز ان يكون مستانفا اخبارا عن
الكفار قوله كبارا العامة على ضم الكاف وتشديد البا وهو بنا مبالغة ابلغ من كبار بالضم والتخفيف
قال عيسى هي لغة يمانية وانشد والمرء يلحقه بفتيان الندى خلق الكريم وليس بالوضاء وقال اخر
• بيضاء تصطاد القلوب وتستبي • بالحسن قلب المسلم القراء •
يقال رجل طوال وجميل وجمال وحسان وعظيم وعظام وقرا عيسى وابو السماك وابن محيصن ايضا
بالكسر الكاف وتخفيف البا قال ابو بكر هو جمع كبير كانه جعل مكرا مكان ذنوب او افاعيل يعني فلذلك
وصفه بالجمع **فصل** قيل مكرهم هو تحريشهم سفلتهم على قتل نوح وقيل هو تغريرهم الناس بما
اوتوا من الدنيا والولد حتى قالت الضعفة لولا انهم على الحق لما اوتوا هذه النعم وقال الكلبي هو ما جعلوه
لله من الصاحبة والولد وهذا بعيد لان هذا انما قاله النصارى وهم بعد قوم نوح بازمان متطاولة
وقال مقاتل هو قول كبرايهم لاتباعهم لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا
فمنعوا القوم عن التوحيد وامروهم بالشرك واعلم انه لما كان التوحيد اعظم المراتب لا جرم كان المنع
منه اعظم الكباير فلهذا وصفه الله تعالى بانه كبار قال ابن الخطيب وانما سماه مكرا لوجهين الاول لما
في اضافة الالهة اليهم من الحيز الموجب لاستمرارهم على عبادتها لانها معبود ابايهم فلو قبلتم قول نوح
لاعترفتم على انفسكم بانكم كنتم جاهلين ضالين وعلى ابايكم بانهم كانوا كذلك ولما كان اعتراف الانسان
على نفسه وعلى اسلافه بالقصور والنقص والجهل بهذه الكلمة وهي لفظة الهتكم وصرفتهم عن الدين فلهذه
الحيلة الخفية سمى الله كلامهم مكرا الثاني انه تعالى حكى عن المتبوعين انهم كان لهم مال وولد فلعلهم
قالوا لاتباعهم ان الهتكم خير من اله نوح لان الهتكم يعطونكم المال والولد واله نوح لا يعطيه شيا لفقره
فهذا المكر عن طاعة نوح وهو مثل مكر فرعون اذ قال اليس لي ملك مصر وقوله انا خير من هذا الذي هو
مهين ولا يكاد يبين فلولا القي عليه اساورة من ذهب قوله ولا تذرن ودا ولا سواعا يجوز ان يكون من
عطف الخاص على العام ان قيل ان هذه الاسما لاصنام وان لا يكون ان قيل انها اسما لرجال صالحين على
ما ذكره المفسرون وقرا نافع ودا بضم الواو والباقون بفتحها وانشد بالوجهين قول الشاعر
• حياك ود فانا لا يحل لنا • لهو النسا وان الدين قد عزما • وقول الاخر
• فحياك ود من هداك لفتية • وخوص باعلا ذي فضالة هجد •

قال القرطبي قال الليث ودّ بفتح الواو صنم كان لقوم نوح وودّ ايضا صنم لقريش وبه سمي عمرو
ابن ود وفي الصحاح والود بالفتح الوتد في لغة اهل نجد كانهم سكنوا التاء وادغموها في الدال
والود في قول امرئ القيس • تظهر الود اذا ما اشجذت • وتواريه اذا ما تعتكر •
قال ابن دريد هو اسم جبل وود صنم كان لقوم نوح عليه السلام ثم صار لكلب وكان بدومة الجندل
ومنه سموا عبد ود وقوله ولا يغوث ويعوق قراهما العامة بغير تنوين فان كانا عربيين فالمنع
من الصرف للعلمية والوزن وان كانا عجميين فالعجمة والعلمية وقرا الاعمش ولا يغوثا ويعوقا
مصروفين قال ابن عطية وذلك وهم لان التعريف لازم ووزن الفعل انتهى قال شهاب الدين
وليس بوهم لامرين احدهما انه صرفهما للتناسب اذ قبله اسمان مصروفان وبعده اسم منصرف كما صرف
سلاسل والثاني انه جا على لغة من يصرف غير المنصرف مطلقا وهي لغة حكاها الكسائي ونقل ابو
الفضل الصرف فيهما عن الاشهب العقيلي ثم قال جعلهما فعولا فلذلك صرفهما فاما في العامة
فانهما صفتان من الغوث والعوق قال شهاب الدين وهذا كلام مشكل اما قوله فعيلا فليس
بصحيح اذ مادة يغث ويعق مفقودة واما قوله صفتان من الغوث والعوق فليس في الصفات
ولا في الاسما يفعل والصحيح ما قدمته وقال الزمخشري وهذه قراة مشكلة لانهما ان كانا
عربيين او عجميين ففيهما منع الصرف ولعله وجد الازدواج فصرفهما لمصادفته اخواتهما
منصرفات ودا وسواعا ونسرا كما قرى وضحاها بالامالة لوقوعه مع الممالات للازدواج قال
ابو حيان كانه لم يطلع على ان صرف ما لا ينصرف لغة **فصل** قال ابن عباس وغيره
هي اصنام وصور كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها العرب وهذا قول الجمهور وقيل انها للعرب
لم يعبدها غيرهم وكانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فلذلك خصوا بالذكر بعد قوله
لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا وقال عروة بن الزبير اشتكى ادم عليه السلام وعنده
بنوه ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكان ود اكبرهم وابرهم به قال محمد بن
كعب كان لادم خمس بنين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكانوا عبادا فمات رجل منهم
فحزنوا عليه فقال الشيطان انا اصور لكم مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا افعل فصوره
في المسجد من صفر ورصاص ثم مات اخر فصوره حتى ماتوا كلهم وصورهم وتناقصت الاشيا
كما ينقص اليوم الى ان تركوا عبادة الله تعالى بعد حين فقال لهم الشيطان ما لكم لا تعبدون
شيا قالوا وما نعبد قال الهتكم والهة ابايكم الا ترونها في مصلاكم فعبدوها من دون الله حتى
بعث الله نوحا فقال لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الاية وقال محمد بن كعب
ايضا ومحمد بن قيس بل كانوا قوما صالحين بين ادم ونوح وكان لهم اتباع يقتدون بهم
فلما ماتوا زين لهم ابليس ان يصوروا صورهم ليتذكروا بها اجتهادهم وليتسلوا بالنظر اليها
فصورهم فلما ماتوا هم وجا اخرون قالوا ليت شعري ما هذه الصور التي كان يعبدها
اباونا فجاهم الشيطان فقال كان اباوكم يعبدونها فترحمهم وتسقيهم المطر فعبدوها فابتدي
عبادة الاوثان من ذلك الوقت وهذا المعنى مفسر بما جا في الصحيحين من حديث عايشة
ان ام حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة رايتاها بارض الحبشة تسمى مارية فيها تصاوير لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان اوليك كان اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا
ثم صوروا فيه تلك الصورة اوليك شرار الخلق عند الله يوم القيمة وذكر الثعلبي عن ابن
عباس ان هذه الاصنام اسما رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى
قومهم ان ينصبوا في مجالسهم انصابا ويسموها باسمايهم وهذا بعيد لان نوحا عليه السلام
هو الامر لهم بتركها وذلك يدل على انهم كانوا قبل نوح حتى ارسل نوح اليهم وروي عن ابن
عباس ان نوحا عليه السلام كان يحرس جسد ادم عليه السلام على جبل الهند فيمنع الكافرين
ان يطوفوا بقبره فقال لهم الشيطان ان هولا يفخرون عليكم ويزعمون انهم بنو ادم دونكم
وانما هو جسد وانا اصور لكم مثله تطوفون به فصور لهم هذه الاصنام الخمسة وحملهم
على عبادتها فلما كانت ايام الطوفان دفنها الطين والتراب والما فلم تزل مدفونة حتى اخرجها
الشيطان لمشركي العرب وكانت للعرب اصنام اخر منها اللات كانت لقديد واساف ونايلة وهبل
لاهل مكة قال الماوردي فاما ود فهو اول صنم معبود سمي ودا لودهم له وكان بعد قوم نوح لكلب

بدومة

بدومة الجندل في قول ابن عباس وعطا ومقاتل وفيه يقول شاعرهم •
• حياك ود فانا لا يحل لنا • لهو النساء وان الدين قد عزما •
واما سواع فكان لهذيل بساحل البحر في قولهم وقال ابن الخطيب وسواع لهمدان واما يغوث فكان
لغطيف من مراد بالجرف من سبا في قول قتادة وقال المهدوي لمراد ثم لغطفان وقال الثعلبي
واتخذته اعلا وانعم وهما من طي واهل جرش من مذحج يغوث فذهبوا به الى مراد فعبدوه زمانا ثم ان
بني ناجية ارادوا ان ينزعوه منهم ففروا به الى الحصين اخي ابن الحارث بن كعب من خزاعة وقال ابو
عثمان المهدي رايت يغوث وكان من رصاص وكانوا يحملونه على جمل اجرد ويسيرون معه لا يهيجونه حتى
يترك بنفسه فاذا برك نزلوا وقالوا قد رضي لكم المنزل فيضربون عليه بنا وينزلون حوله واما يعوق
فكان لهمدان ببلخع في قول عكرمة وقتادة وعطا ذكره الماوردي قال الثعلبي واما يعوق فكان
لكهلان من سبا ثم توارثه بنوه الاكبر حتى صار في همدان وفيه يقول غط الهمداني •
• يريش الله في الدنيا ويبري • ولا يبري يعوق ولا يريش •
وقيل كان يعوق لمراد واما نسر فكان لذي الكلاع من حمير في قول قتادة ومقاتل وقال الواقدي
كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس
ونسر على صورة نسر من الطير والله اعلم قوله وقد اضلوا اي الروسا وهو عطف على قوله ومكروا
مكرا كبارا او الاصنام وجمعهم جمع العقلا معاملة لها معاملة العقلا لقوله رب انهن اضللن كثيرا من
الناس قوله ولا تزد الظالمين عطف على قوله رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال
وبعد الواو النايبة عنه اي قال انهم عصوني وقال لا تزد اي قال هذين القولين فهما في محل النصب
قاله الزمخشري قال كقولك قال زيد نودي للصلاة وصل في المسجد يحكي قوليه معطوفا احدهما
على صاحبه وقال ابو حيان ولا تزد معطوف على قد اضلوا لانها محكية بقال مضمرة ولا يشترط التناسب
في الجمل المتعاطفة بل يعطف خبر على طلب وبالعكس خلافا لمن اشترط **فصل** معنى قوله الا ضلالا
قال ابن بحر الا عذابا لقوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر وقيل الا خسرانا وقيل الا فتنة
بالمال قوله مما خطاياهم ما مزيدة بين الجار والمجرور توكيدا ومن لم ير زيادتها جعلها نكرة وجعل
خطاياهم بدلا وفيه تعسف وتقدم الخلاف في قراة خطاياهم في الاعراف وقرا ابو رجا خطياتهم جمع
سلامة الا انه ادغم الياء في الياء المنقلبة عن الهمزة وقال ابو عمرو قوم كفروا
الف سنة فلم يكن لهم الا خطيات يريد ان الخطايا اكثر من الخطيات وقال قوم خطايا وخطيات واحد
جمعان مستعملان في القلة والكثرة واستدلوا بقوله تعالى ما نفدت كلمات الله وقال الشاعر •
• لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى • واسيافنا يقطرن من حده دما •
وقرا الجحدري وروي عن ابي خطيتهم بالافراد والهمز وقرا عبد الله من خطياتهم ما اغرقوا فجعل
ما المزيدة بين الفعل وما يتعلق به ومن للسببية يتعلق باغرقوا وقال ابن عطية لابتدا الغاية
وليس بواضح وقرا العامة اغرقوا من اغرق وزيد بن علي غرقوا بالتشديد وكلاهما للنقل تقول
اغرقت زيدا في الما وغرقته فيه **فصل** قال ابن الخطيب دل قوله اغرقوا فادخلوا نارا
على اثبات عذاب القبر لانه يدل على انه حصلت تلك الحالة عقيب الاغراق ولا يمكن حملها على عذاب
الاخرة والا بطلت دلالة هذه الفا وايضا فقوله فادخلوا يدل على الاخبار عن الماضي وهذا انما
يصدق لو وقع ذلك وقال مقاتل والكلبي معناه انهم سيدخلون في الاخرة نارا ثم عبر عن المستقبل
بلفظ الماضي لصدق وقوع وعده كقوله ونادى اصحاب الجنة قال ابن الخطيب وهذا ترك للظاهر
من غير دليل فان قيل انما تركنا الظاهر لدليل وهو ان من مات في الما فانا نشاهده هناك فكيف يمكن
ان يقال انهم في تلك الساعة ادخلوا نارا فالجواب ان هذا الاشكال انما جا لاعتقاد ان الانسان
هو مجموع هذا الهيكل وهذا خطا لان هذا الانسان هو الذي كان موجودا من اول عمره مع انه كان
صغير الجثة في اول عمره ثم ان اجزاه دايما في التحلل والذوبان ومعلوم ان الباقي غير ما يذهب فهذا
الانسان عبارة عن ذلك الشي الذي هو باق من اول عمره الى الان فلم لا يجوز ان يقال انه تعالى
ينقل الاجزا الاصلية الباقية التي الانسان عبارة عنها الى النار والى العذاب ونقل القرطبي عن
القشيري انه قال هذه الاية تدل على عذاب القبر ومنكروه يقولون صاروا مستحقين دخول
النار او عرض عليهم اماكنهم من النار كقوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقيل اشار الى

ما في الحزن قول البحر نار في نار وروي ابو روق عن الضحاك في قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا
قال يعني عذبوا بالنار في الدنيا في حالة واحدة كانوا يغرقون في جانب ويحترقون في الماء
من جانب ذكره الثعلبي وانشد ابن الانباري

• الخلق مجتمع طورا ومفترق • وللحادثات فنون ذات اطوار •
• لا تعجبن لاضداد قد اجتمعت • فالله يجمع بين الماء والنار •

قال المعربون فادخلوا يجوز ان يكون من التعبير عن المستقبل بالماضي لتحقق وقوعه كقوله
اتى امر الله وان يكون على بابه والمراد عرضهم على النار في قبورهم كقوله في ال فرعون النار
يعرضون عليها غدوا وعشيا قوله فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اي من يدفع عنهم العذاب
وهذا يدل على انهم انما عبدوا تلك الاصنام لتدفع عنهم الافات وتجلب المنافع اليهم فلما جاءهم
العذاب لم ينتفعوا بتلك الاصنام ولم يدفعوا عنهم العذاب وهو كقوله تعالى ام لهم الهة تمنعهم من
دوننا وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا قال الزمخشري ديار من الاسماء
المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من الدور او من
الدار اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد وميت ولو كان فعالا لكان دوارا انتهى يعني
انه كان ينبغي ان تصح واوه ولا تقلب يا وهذا نظير ما تقدم له من البحث في متحيز وان اصله متحيوز
متفيعل لا متفعل اذ كان يلزم ان يكون متحوزا لانه من الحوز ويقال فيه ايضا دوار نحو قيام
وقوام وقال مكي اصله ديوار ثم ادغموا الواو في الياء مثل ميت اصله ميوت ثم ادغموا الثاني في
الاول ويجوز ان يكون ابدلوا من الواو يا ثم ادغموا الياء الاولى في الثانية قال شهاب الدين
قوله ادغموا الثاني في الاول هذا لا يجوز اذ القاعدة المستقرة في المتقاربين قلب الاول
للثاني ولا يجوز العكس الا شذوذا او لضرورة صناعية اما الشذوذ فكقراءة واذكر بالذال المعجمة
وهل من مذكر بالمعجمة ايضا وقد مضى تحقيقه واما الضرورة الصناعية فنحو امدح هلالا لا يقلب
الهاء حاء لئلا يدغم الاقوى في الاضعف وهذا يعرفه من عاني التصريف والديار نازل الدار يقال
ما بالدار ديار وقيل الديار صاحب الدار وقال البغوي الديار يعني احدا يدور في الارض فيذهب
ويجي فيعال من الدوران **فصل** لما ايس نوح من اتباعهم اياه دعى عليهم قال قتادة
دعى عليهم بعد ان اوحي الله اليه انه لن يومن من قومك الا من قد امن فاجاب الله دعوته واغرق
امته وهذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب وهازم الاحزاب اهزمهم وزلزلهم
وقيل سبب دعائه ان رجلا من قومه حمل ولدا صغيرا على كتفه فمر بنوح فقال احذر هذا فانه
يضلك فقال يا ابت انزلني فانزله فرماه فشجه فحينئذ غضب ودعا عليهم وقال محمد بن كعب
ومقاتل والربيع وعطية وابن زيد انما قال هذا حين اخرج الله كل مومن من اصلابهم وارحام
نسائهم واعقم ارحام امهاتهم وايبس اصلاب رجالهم قبل العذاب باربعين سنة وقيل بسبعين
سنة فاخبر الله نوحا انهم لا يومنون ولا يلدون مومنا كما قال تعالى انه لن يومن من قومك الا من
قد امن فحينئذ دعا عليهم نوح فاجاب الله دعاءه واهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب
لان الله تعالى قال وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم ولم يوجد التكذيب من الاطفال **فصل**
قال ابن العربي دعا نوح على الكافرين اجمعين ودعا النبي صلى الله عليه وسلم على من تحزب على
المومنين والبهم وكان هذا اصلا في الدعا على الكافرين في الجملة فاما كافر معين لم تعلم خاتمته
فلا يدعى عليه لان ماله عندنا مجهول وربما كان عند الله معلوم الخاتمة بالسعادة وانما خص
النبي صلى الله عليه وسلم بالدعا عتبة وشيبة واصحابه لعلمه بمالهم وما كشف له من الغطاء عن
حالهم والله اعلم قوله رب اغفر لي ولوالدي العامة على فتح الدال على انه تثنية والد يريد ابويه
واسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم امه شمخا بنت انوش وكانا مومنين وحكى الماوردي اسم امه
منجل وقرا الحسن بن علي رضي الله عنهما ويحيى بن يعمر والنخعي ولولدي تثنية ولد يعني ابنيه
ساما وحاما وقرا ابن جبير والجحدري ولوالدي بكسر الدال يعني اباه فيجوز ان يكون اراد اباه
الاقرب الذي ولده وخصه بالذكر لانه اشرف من الام وان يريد جميع من ولده من لدن ادم
الى من ولده قال الكلبي كان بينه وبين ادم عليهما السلام قوله ولمن دخل بيتي مومنا
قال ابن عباس اي مسجدي ومصلاي مومنا اي مصدقا بالله فقومنا حال وكان انما يدخل

بيوت الانبياء امن بهم فجعل المسجد سببا للدعا بالمغفرة وقيل المراد بقوله بيتي اي سفينتي وعن
ابن عباس اي دخل في ديني فان قيل فعلى هذا يصير قوله مومنا مكررا فالجواب ان من يدخل في
دينه ظاهرا قد يكون مومنا وقد لا يكون فالمعنى ولمن دخل دخولا مع تصديق القلب قوله وللمومنين
والمومنات خص نفسه اولا بالدعا ثم المتصلين به لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المومنين والمومنات
الى يوم القيامة قاله الضحاك وقال الكلبي من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قومه والاول
اظهر ثم ختم الكلام مرة اخرى بالدعا على الكافرين فقال ولا تزد الظالمين الا تبارا اي هلاكا ودمارا
والمراد بالظالمين اي الكافرين فهي عامة في كل كافر ومشرك وقيل اراد مشركي قومه وتبارا مفعول ثان
والاستثناء مفرغ وتقدم الكلام في التبار وكل شي اهلك فقد تبر ومنه قوله ان هولاء متبر ما هم
فيه وقيل التبار الخسران قال المفسرون فاستجاب الله دعاه فاهلكهم وروى الثعلبي عن ابي بن
كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة نوح كان من المومنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه
السلام

سورة الجن مكية

وهي ثمان وعشرون اية ومايتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قل اوحي هذه قراة العامة اعني كونها من اوحى رباعيا وقرا العتكي عن ابي عمرو وابن
ابي عبلة وابو اياس وحي ثلاثيا وهما لغتان يقال وحى اليه كذا واوحاه اليه بمعنى واحد فقلب
الواو همزة ومنه قوله تعالى واذا الرسل اقتت وانشد للعجاج وحى لها القرار فاستقرت
وقرا زيد بن علي والكسائي في رواية وابن ابي عبلة ايضا احي بهمزة مضمومة لا واو بعدها وخرجت
على ان الهمزة بدل من الواو المضمومة نحو اعد في وعد فهذه فرع قراءة وحي ثلاثيا قال الزمخشري
وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد اطلقه المازني في المكسورة ايضا كاشاح
واسادة واعاء اخيه قال ابو حيان وليس كما ذكر بل في ذلك تفصيل وذلك ان الواو المضمومة قد
تكون اولا وحشوا واخرا ولكل منها احكام وفي بعض ذلك خلاف وتفصيل مذكور في كتب النحو وتقدم
الكلام في ذلك مشبعا في اول هذا الكتاب ثم قال ابو حيان بعد ما تقدم عن المازني وهذا تكثير
وتبجح قوله انه استمع هذا هو القائم مقام الفاعل لانه هو المفعول الصريح وعند الكوفيين والاخفش
يجوز ان يكون القائم مقامه الجار والمجرور فيكون هذا باقيا على نصبه والتقدير اوحي الي على لسان
جبريل انه استمع نفر من الجن والنفر الجماعة ما بين الثلاثة الى العشرة واختلفوا هل راهم النبي صلى
الله عليه وسلم ام لا فظاهر القران يدل على انه لم يرهم لقوله تعالى استمع وقوله واذ صرفنا اليك نفرا من
الجن والنفر الجماعة يستمعون القران وفي صحيح مسلم والترمذي عن ابن عباس قال انطلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين
وبين خبر السما وارسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين
خبر السما وارسلت علينا الشهب قالوا ما ذاك الا من شي حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها
فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة وهو واصحابه بنخلة قاصدين الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه
صلاة الفجر فلما سمعوا القران استمعوا له قالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما فرجعوا الى
قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله تعالى
على نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن الاية قال القرطبي وفي
هذا الحديث دليل على انه صلى الله عليه وسلم لم ير الجن ولكن سمعوه وحضروا قراءته فان قيل الذين
رموا بالشهب هم الشياطين والذين سمعوا القران هم الجن فما وجه الجمع فالجواب من وجهين الاول
ان الجن كانوا مع الشياطين فلما رمي الشياطين اخذوا الجن الذين كانوا معهم في تجسس الخبر الثاني
ان الذين رموا بالشهب كانوا من الجن الا انه قيل لهم شياطين كما قيل شياطين الانس والجن فان
الشيطان كل متمرد بعيد من طاعة الله تبارك وتعالى قال ابن الخطيب رحمه الله واختلف في اولئك
الجن الذين سمعوا القران من هم وروي عاصم عن زر واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وقيل كانوا الشيصبان
وهم اكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم وقيل كانوا سبعة ثلاثة من ارض حران واربعة من

اهل نصيبين قرية باليمن غير التي بالعراق رواه ايضا عاصم عن زر وقيل ان الجن الذي اتوه بمكة جن نصيبين والذي اتوه بنخلة جن نينوي وقال عكرمة كانوا اثنا عشر الفا من جزيرة الموصل ومذهب ابن مسعود ان النبي صلي الله عليه وسلم امر بالمسير اليهم ليقرا القرات عليهم ويدعوهم الي الاسلام روي ابن مسعود ان النبي صلي الله عليه وسلم قال امرت ان اتلوا القران علي الجن فمن يذهب فسكتوا ثم قال صلي الله عليه وسلم الثالثة انا اذهب معك يا رسول الله قال فانطلق حتي اذا الحجون عند شعب بن ابي ذيب خط علي خطا فقال لا تجاوزه ثم مضي الي الحجون فانحدروا عليه امثال الحجل كانهم رجال الزط قال ابن الاثير في النهاية الزط قوم من السودان والهنود يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفها حتي غشوه فغاب عن بصري فقمت فاومي بيده الي ان اجلس ثم تلا القران صلي الله عليه وسلم فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا في الارض حتي صرت لا اراهم وفي رواية اخري قالوا لرسول الله صلي الله عليه وسلم من انت قال صلي الله عليه وسلم انا نبي قالوا فمن يشهد لك علي ذلك قال الحبيب المجتبا صلي الله عليه وسلم هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجات تجر عروقها لها قعاقع حتي انتصبت بين يديه صلي الله عليه وسلم فقال علي ماذا تشهدين لي قالت اشهد انك رسول الله قال صلي الله عليه وسلم اذهبي فرجعت كما جات حتي صارت كما كانت قال ابن مسعود رضي الله عنه فلما عاد اي قال اردت ان تاتيني قلت نعم يا رسول الله ما كان ذلك لك قال هولا الجن اتوا يستمعون القران ثم ولوا الي قومهم مدبرين فسالوا في الزاد فزودتهم العظم والبعر لا يستطيبن احدكم بعظم ولا بعر وفي رواية انه صلي الله عليه وسلم لما فرغ وضع راسه صلي الله عليه وسلم علي حجر ابن مسعود رضي الله عنه فرقد ثم استيقظ صلي الله عليه وسلم هل من وضوء قال لا الا ان معي اداوة نبيذ فقال صلي الله عليه وسلم هل هو الا تمر وما فتوضا منه قال ابن الخطيب رحمه الله وطريق الجمع بين مذهب ابن عباس ومذهب بن مسعود من وجوه احدها العلما ماذكره ابن عباس وقع اولا فاوحي الله تعالي اليه بهذه السورة ثم امر بالخروج اليهم بعد ذلك كما روي ابن مسعود رضي الله عنهما وثانيها ان يتقديره ان تكون واقعة الجن مرة واحدة الا انه صلي الله عليه وسلم ما راهم وما عرف انهم ماذا قالوا واي شي فعلوا فالله تعالي اوحي اليه انه كان كذا وكذا وثالثها ان الواقعة كانت مرة واحدة وهو صلي الله عليه وسلم راهم وسمع كلامهم وهم امنوا به ثم لما رجعوا الي قومهم قالوا لقومهم علي سبيل الحكاية انا سمعنا قرانا عجبا وكان كذا وكذا فاوحي الله تعالي الي محمد صلي الله عليه وسلم ما قالوه لاقوامهم قال ابن العربي ابن مسعود اعرف من ابن عباس لانه شاهده وابن عباس سمعه وليس الخبر كالمعاينة قال القرطبي وقيل ان الجن اتوا النبي صلي الله عليه وسلم دفعتين احداهما بمكة وهي التي ذكرها ابن مسعود والثانية بنخلة وهي التي ذكرها ابن عباس قال البيهقي رحمه الله تعالي الذي حكاه عبد الله انما هو في اول ما سمعت الجن قراة رسول الله صلي الله عليه وسلم وعلمت بحاله وفي ذلك الوقت لم يقرا عليهم ولم يرهم كما حكاه عبد الله بن عباس ثم اتاه داعي الجن مرة اخري فذهب معه وقرا عليهم القران كما حكاه عبد الله بن مسعود **فصل** قال ابن الخطيب اعلم ان قوله تعالي قل امر لرسول الله صلي الله عليه وسلم ان يظهر والاصحاب رضي الله عنهم ما اوحي الله تعالي اليه في واقعة الجن وفيه فوايد احدها ان يعرفوا بذلك انه صلي الله عليه وسلم بعث الي الجن كما بعث الي الانس وثانيها ان معلم قريشي اي الجن مع تمردهم لما سمعوا القران عرفوا اعجازه فامنوا بالرسول صلي الله عليه وسلم وثالثها ان يعلم القوم ان الجن مكلفون كالانس ورابعها ان يعلم ان الجن يسمعون كلاما يفهمه من لغتنا وخامسها ان يظهر المومن منهم يدعو غيره من الجن الي الايمان ففي هذه الوجوه مصالح كثيرة اذا عرفها الناس اختلفوا العلما في اهل الجن فروي عن الحسن البصري ان الجن ولد ابليس والانس ولد ادم صلوات الله عليه ومن هولا وهولاء مومنون وكافرون وهم شركاء في الثواب والعقاب فمن كان من هولا وهولاء كافر فهو شيطان روي الضحاك عن بن عباس ان الجن هم ولد الجان وليسوا شياطين ومنهم المومن ومنهم الكافر والشياطين هم ولد ابليس لا يموتون الا مع ابليس وروي ان ذلك النفر كانوا يهودا وذكر الجن ان منهم يهودا ونصاري ومجوسا ومشركين **فصل** اختلفوا في دخول الجن الجنة علي حسب الاختلاف في اصلهم فمن زعم انه من الجان لا من ذرية ابليس قال يدخلون الجنة بايمانهم ومن قال انهم من ذرية ابليس فهم فيهم قولان احدهما وهو قول الحسن

يدخلونها

يدخلونها الثاني وهو رواية مجاهد لا يدخلونها **فصل** قال القرطبي وقد انكر جماعة من كفرة الاطبا والفلاسفة الجن وقالوا انهم بسايط ولا يصح طعامهم اجترا علي الله والقران والسنة ترد عليهم وليس في المخلوقات بسيط مركب مزدوج انما الواحد سبحانه وغيره واحد مركب ليس بواحد وكيف ما يصرف حاله وليس بممتنع ان يراهم النبي صلي الله عليه وسلم في صورهم كما يري الملايكة واكثر ما يتصورون لنا في صور الحيات ففي الحديث ان رجلا حديث عهد بعرس استاذن رسول الله صلي الله عليه وسلم بانصاف النهار ان يرجع الي اهله الحديث وفيه فاذا حية عظيمة مطوية علي الفراش فاهوا لها بالرمح فانتظمها وذكر الحديث وفي الصحيح انه صلي الله عليه وسلم قال ان لهذه البيوت عوامر فاذا رايتم منها شيا فحرجوا عليها ثلاثا فان لم يذهب والا فاقتلوه فانه كافر وقال اذهبوا فادفنوا صاحبكم وذهب قوم الي ان ذلك مخصوص بالمدينة كقوله في الصحيح ان بالمدينة جنا قد اسلموا وهذا لفظ مختص بها فيختص بحكمها قال القرطبي قلنا هذا يدل علي ان غيرها من البيوت مثلها لانه لم يعلل بحرمة المدينة فيكون ذلك الحكم مخصوصا بها وانما علل بالاسلام وذلك عام في غيرها الا تري قوله في الحديث مخبرا عن الجني الذي لقي وكانوا من جن الجزيرة ويعضد هذا قوله ونهي عن عوامر البيوت وهذا عام وقد مضي في سورة البقرة قوله تعالي انا سمعنا قرانا عجبا اي قالوا لقومهم حين رجعوا اليهم كقوله تعالي فلما قضي ولوا الي قومهم مدبرين ووصف القران بعجب اما علي المبالغة اي خارجا عن حد اشكاله اما في فصاحة كلامه اما في بلاغة مواعظه او عجبا في عظم بركته او عزيزا لا يوجد مثله واما علي حذف مضاف اي ذا عجب واما بمعني اسم الفاعل اي معجب وقوله يهدي صفة اخري اي هاديا الي الرشد قراة العامة الرشد بضمة وسكون وابن عمر بضمهما وعنه ايضا فتحهما وتقدم هذا في الاعراف والمعني يهدي الي الصواب وقيل الي التوحيد قوله تعالي فامنا به اي بالقران فاهتدينا به وصدقنا انه من عند الله ولن نشرك بربنا احدا اي لا نرجع الي ابليس ولا نطيعه ولا نعود الي ما كنا عليه من الاشراك وهذا يدل علي ان اوليك الجن كانوا مشركين قوله وانه تعالي قرا الاخوان وابن عامر وحفص بفتح ان وما عطف عليها بالواو وفي اثنتي عشرة كلمة والباقون بالكسر وقرا ابن عامر وابو بكر وانه لما قام بالكسر والباقون بالفتح واتفقوا علي ان الفتح في قوله تعالي وان المساجد لله وتلخيص هذا ان المشددة في هذه السورة علي ثلاثة اقسام قسم ليس معه واو العطف فهذا لا خلاف بين القراء في فتحه او كسره علي حسب ما جات به التلاوة واقتضته العربية قل اوحي الي انه استمع نفر لا خلاف في فتحه لوقوعه موقع المصدر وكقوله انا سمعنا قرانا لا خلاف في كسره لانه محكي بالقول القسم الثاني ان يقترن بالواو وهو اربع عشر كلمة احدها لا خلاف في فتحها وهو قوله تعالي وان المساجد لله وهذا هو القسم الثالث وان لبثة وانه لما قام كسرها ابن عامر وابو بكر وفتحها الباقون كما تقدم تحرير ذلك كله والاثنتا عشرة هي قوله وانه تعالي جد وانه كان يقول وانا ظننا وانه كان رجال وانهم ظنوا وانا لمسنا وانا كنا وانا لا ندري وانا منا الصالحون وانا ظننا وانا لما سمعنا وانا منا المسلمون فهذا ضبطها من حيث القرات واما موجبه ذلك فاختلف الناس فيه فقال ابو حاتم في الفتح هو معطوف علي مرفوع اوحي فيكون كلها في موضع رفع ما لم يسم فاعله ورد ذلك من حيث ان اكثرها لا يصح دخوله تحت معمول اوحي الا تري انه لو قيل اوحي الي انا لمسنا السما وانا كنا لا ندري وانا منا الصالحون وانا لما سمعنا وانا منا المسلمون لم يستقم معناه وقال مكي وعطف ان علي امنا به اتم في المعني من العطف علي انه استمع لانك لو عطفت وانا ظننا وانا لما سمعنا وانه كان رجال من الانس وانا لمسنا وشبه ذلك علي انه استمع لم يجز لانه ليس مما اوحي اليه انما هو امر وخبروا به عن انفسهم والكسر في هذا ابين وعليه جماعة من القرا الثاني ان الفتح في ذلك عطف علي محل به من امنا به قال الزمخشري كانه قال صدقناه وصدقنا انه تعالي جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي الا ان مكيا ضعف هذا الوجه فقال والفتح في ذلك علي الحمل علي معنا امنا به فيه بعد في المعني لانهم لم يخبروا انهم لما سمعوا الهدي امنوا به ولم يخبروا انهم امنوا بانهم لما سمعوا الهدي انه كان رجال انما حكي الله عنهم انهم قالوا ذلك مخبرين به عن انفسهم لاصحابهم فالكسر اولي بذلك وهذا الذي قاله غير لازم فان المعني علي ذلك صحيح وقد سبق الزمخشري الي هذا التخريج الفرا والزجاج الا ان الفرا استشعر اشكالا فانفصل عنه فانه قال فتحت ان لوقوع الايمان عليها وانت تجد بالايمان يحسن في بعض ما فتح دون بعض فلا يمنع من امضايهن علي الفتح فانه يحسن فيه ما يوجب ان نحو صدقنا وشهدنا كما قالت العرب ورجحنا الحواجب والعيونا فنصب العيون لاتباعها وهي لا ترجح انما تكحل فاضمر لها الكحل انتهي

فاشار الي شي بما ذكره واجاب عنه وقال الزجاج لكن وجهه ان يكون محمولا على معنى امنا به
صدقناه وعلمنا انه تعالى جد ربنا الثالث انه معطوف على الهاء في به اي امنا وبانه تعالى جد ربنا
وبانه كان يقول الخ وهو مذهب الكوفيين وهو وان كان قويا من حيث المعنى الا انه ممنوع من حيث
الصناعة لانه لا يعطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار وتقدم تحرير هذين القولين في سورة البقرة
عند قوله وكفر به والمسجد الحرام على ان مكيا قد قوى هذا القول اخر وهو حسن جدا فقال هو
يعني العطف على الضمير المجرور دون اعادة الجار في ان احود منه في غيرها لكثرة حذف حرف
الجر مع ان ووجه الكسر العطف على قوله انا سمعنا فيكون الجميع معمولا للقول اي فقالوا انا سمعنا
وقالوا انه تعالى جد ربنا الي اخره وقال بعضهم الجملتان من قوله تعالى وانه كان رجال وانهم
ظنوا معترضتان بين قول الجن وهما من كلام البارى تعالى والظاهر انهما من كلامهم قاله بعضهم
لبعض ووجه الفتح والكسر في قوله وانه لما قام عبد الله ما تقدم ووجه اجماعهم على فتح وان
المساجد لله وجهان احدهما انه معطوف على انه استمع فيكون موحي ايضا والثاني انه على حذف حرف
الجر وذلك الحرف متعلق بفعل النهي اي فلا تدعوا مع الله احدا لان المساجد لله ذكرهما ابو البقا وقال
الزمخشري انه استمع بالفتح لانه فاعل اوحي وانا سمعناه بالكسر لانه مبتدا محكي بعد القول ثم يحمل
عليهما البواقي فما كان من الوحي فتح وما كان من قول الجن كسر وكلهم من قولهم الا الثنتين الاخيرتين
وهما وان المساجد وانه لما قام عبد الله ومن فتح كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور في امنا به اي
صدقناه وصدقنا انه والها في انه استمع وانه تعالى وما بعد ذلك ضمير الامر والثاني وما بعده خبر
ان قوله تعالى جد ربنا قرا العامة جد ربنا بالفتح مضافا لربنا والمراد به هنا العظمة وقيل
قدرته وامره وقيل ذكره والجد ايضا الحظ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ولا ينفع ذا الجد منك الجد
والجد ايضا ابو الاب والجد بالكسر ضد التواني في الامر وقرا عكرمة بضم با ربنا وتنوين جد على
ان يكون ربنا بدلا من جد والجد العظم كانه قيل وانه تعالى عظيم ربنا فابدل المعرفة من النكرة
وعنه ايضا جدا منصوبا منونا ربنا مرفوع ووجه ذلك ان ينتصب جدا على التمييز وربنا فاعل
بتعالى وهو المنقول من الفاعلية اذ التقدير تعالى جد ربنا ثم صار تعالى ربنا جدا اي عظمة
نحو تصبب زيد عرقا اي عرق زيد وعنه ايضا وعن قتادة كذلك الا انه بكسر الجيم وفيه وجهان احدهما
انه نعت لمصدر محذوف وربنا فاعل بتعالى والتقدير تعالى ربنا تعاليا جدا اي حقا لا باطلا
والجد بكسر الجيم ضد الهزل والثاني انه منصوب على الحال اي تعالى ربنا حقيقة ومتمكنا قاله
ابن عطية وحميد بن قيس جد ربنا بضم الجيم مضافا لربنا وهو بمعنى العظيم حكاه وقطيعه
الاصل قطيعه جود وهو موءول عند البصريين وقرا ابن السميفع جدا ربنا بالف بعد الدال مضافا
لربنا والجدا والجدوي النفع والعطا اي تعالى عطا ربنا ونفعه **فصل** قال القرطبي
الجد في اللغة العظمة والجلال ومنه قول انس رضي الله عنه كان الرجل اذا احفظ البقرة وال
عمران جد في عيوننا اي عظم وجد فينا جد ربنا اي عظمته وجلاله قاله عكرمة ومجاهد
وقتادة وعن مجاهد ايضا ذكره وقال انس بن مالك والحسن وعكرمة ايضا غناه ومنه قيل
للحظ جد ورجل مجد وذا محظوظ وفي الحديث لا ينفع ذا الجد منك الجد قال ابو عبيد والخليل
اي ذا الغنى منك الغنى انما تنفعه الطاعة وقال ابن عباس رضي الله عنه قدرته وقال الضحاك
فعله وقال القرطبي والضحاك الاوه ونعمه على خلقه وقال ابو عبيد والاخفش ملكه
وسلطانه وقال السدي امره وقال سعيد بن جبير وانه تعالى جد ربنا اي تعالى ربنا وقيل
انهم عنوا بذلك الجد الذي هو ابو الاب ويكون هذا من قول الجن وقال محمد بن علي بن الحسين
وابنه جعفر الصادق والربيع ليس لله تعالى جد وانما قالته الجن للجهالة فلم يوجدونه قال
القشيري ويجوز اطلاق لفظ الجد في حق الله تعالى اذ لو لم يجز لما ذكر في القران غير انه لفظ
توهم فتجنبه اولي قال القرطبي ومعنى الاية وانه تعالى جلال ربنا ان يتخذ ولدا او صاحبة
للاستيناس بها او الحاجة اليها والرب يتعالى عن ذلك كما تعالى عن الانداد والنظرا وقوله عز
وجل ما اتخذ صاحبة مستانف فيه تقرير لتعالي جده قوله تعالى وانه كان يقول سفيهنا
على الله شططا الها في انه للامر والحديث وسفيهنا يجوز ان يكون اسم كان ويقول الخبر ولو كان مثل
هذه الجملة غير واقعة خبرا لكان لامتنع تقديم الخبر حينئذ يجوز سفيهنا تقول لو قلت يقول سفيهنا

على التقديم والتاخير لم يجز لان الفرق انه في غير باب كان يلبس في الفعل والفاعل وفي باب كان يومن
ذلك ويجوز ان يكون سفيهنا فاعل يقول والجملة خبر كان واسمها ضمير الامر مستتر فيها وقد تقدم هذا
في قوله ما كان يصنع فرعون وقومه وقوله تعالى شططا تقدم مثله في الكهف قال القرطبي ويجوز
ان يكون كان زايدة والسفيه هنا ابليس في قول مجاهد وابن جريج وقتادة ورواه ابو بردة عن ابي
موسى عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المشركون من الجن قال قتادة عصاه سفيه الجن كما عصاه
سفيه الانس والشطط والاشتطاط الغلو في الكفر وقال ابو مالك هو الجور وقال الكلبي هو الكذب
واصله البعد فيعبر به عن الجور لبعده من العدل وعن الكذب لبعده من الصدق قال الشاعر

بانت حالحكموا فيك فاشتطوا ... وما ذاك الا حيث ممسك الوخط

قوله تعالى وانا ظننا اي حسبنا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا ان مخففة واسمها مضمر والجملة
المنفية خبرها والفاصل هنا حرف النفي وكذبا مفعول به او نعت مصدر محذوف اي قولا كذبا وقرا الحسن
والجحدري وابو عبد الرحمن ويعقوب تقول بفتح القاف والواو المشددة وهو مضارع تقول اي كذب
والاصل تتقول فحذف احدى التاين نحو تذكرون وانتصب كذبا في هذه القراءة على المصدر لان التقول
كذب فهو نحو قولهم قعدت جلوسا ومعنى الاية وانا حسبنا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فلذلك
صدقناهم في ان لله صاحبة وولدا حتى سمعنا القران وتبينا به الحق قيل انقطع الاخبار عن الجن ههنا
فقال الله تعالى جل ذكره لا اله الا هو وانه كان رجال من الانس فمن فتح وجعله من قول الجن ردها
الي قوله انه استمع ومن كسر جعلها مبتدا من قول الله تعالى والمراد به ما كانوا يفعلونه من قول الرجل
اذا نزل واديا اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفها قومه فتنام في جواره حتى يصبح قاله الحسن وابن
زيد وغيرهما وقيل كانوا في الجاهلية اذا قحطوا بعثوا رايدهم فاذا وجد مكانا فيه كلا وما رجع الي
اهله فيناديهم فاذا انتهوا الي تلك الارض نادوا نعوذ بك يا رب هذا الوادي ان تصيبنا افة يعنون
من الجن فان لم يفزعهم احد نزلوا وان افزعهم الجن رجعوا قال مقاتل اول من تعوذ بالجن قوم من اهل
اليمن ثم من بني حنيفة ثم فشا ذلك في العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم وقال كردم بن ابي
السايب خرجت مع ابي الي المدينة اول ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فاوانا المبيت الي راعي غنم فلما
انتصف الليل جاء الذيب فحمل حملا من الغنم فقال الراعي يا عامر الوادي جارك فنادى مناد يا سرحان
ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم ولم يصبه كدمة فانزل الله تبارك وتعالى على رسوله السيد
الكامل المكمل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن
فزادوهم رهقا اي زاد الانس الجن رهقا اي خطيئة واثما قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة رضي الله
عنهم والرهق الاثم في كلام العرب وغشيان المحارم ورجل رهق اذا كان كذلك ومنه قوله سبحانه وتعالى
ترهقهم ذلة وقال الاعشى

لا شي ينفعني من دون رويتها ... هل يشتفي عاشق ما لم يصب رهقا

يعني اثما ورجل مرهق اي يغشاه السايلون قال الواحدي الرهق غشيان الشي ومنه قوله تبارك
وتعالى ترهقها قترة واضيفت الزيادة الي الجن اذ كانوا سببا لها وقال مجاهد ايضا زادوهم اي ان الانس
زادوا الجن طغيانا بهذا التعوذ حتى قالت الجن سدنا الانس والجن وقال قتادة ايضا وابو العالية
والربيع وابن زيد ازداد الانس بهذا فرقا وخوفا من الجن وقال سعيد بن جبير كفرا ولا خفا ان
الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة بالله كفر وشرك وقيل لا يطلق الرجال على الجن فالمعنى وانه كان
رجال من الانس يعوذون برجال من الانس من شر الجن وكان الرجل من الانس يقول مثلا اعوذ
بحذيفة بن بدر من جن هذا الوادي قال القشيري رحمه الله عليه وفي هذا تحكم اذ لا يبعد اطلاق
لفظ الرجال على الجن وقوله من الانس صفة لرجال وكذلك قوله من الجن قوله وانهم ظنوا كما ظننتم
ان لن يبعث الله احدا الكلام في ان لن كالكلام في الاولي وان وما في حيزها سادة مسد مفعولي
الظن والمسالة من باب الاعمال لان ظنوا يطلب مفعولين وظننتم كذلك وهو من اعمال الثاني للحذف
من الاول والضمير في انهم ظنوا للانس وفي ظننتم للجن ويجوز العكس **فصل** هذا من قول الله
تعالى للانس اي وان الجن ظنوا ان لن يبعث الله الخلق كما ظننتم وقال الكلبي رحمه الله المعنى ظنت
الجن كما ظنت الانس ان لن يبعث الله رسولا الي خلقه يقيم به الحجة عليهم وكل هذا توكيد للحجة على قريش
اي اذا امن هولا الجن بمحمد صلى الله عليه وسلم فانتم احق بذلك قوله وانا لمسنا السما هذا ايضا من
قول الجن اي طلبنا خبرها كما جرت عادتنا فوجدناها قد مليت حرسا شديدا اي حفظة يعني الملايكة

قوله ووجدناها ملئت وجهان اظهرهما انها متعدية لان المعنى اصبناها وصادفناها وعلى هذا فالجملة من قوله ملئت في موضع نصب على الحال والثاني انها متعدية لاثنين فتكون الجملة في موضع المفعول الثاني وحرسا منصوب على التمييز نحو امتلا الاناء ماء والحرس اسم جمع لحارس نحو خدم لخادم وغيب لغايب ويجمع تكسيرا على احراس كقول امرئ القيس

• تجاوزت احراسا واهوال معشر • حراص على لو يسرون مقتلي •

والحارس الحافظ الرقيب والمصدر الحراسة وشديدا صفة لحرس على اللفظ كقوله اخشى رجيلا وركبا عاديا ولو جاء على المعنى لقيل شدادا بالجمع لان المعنى ملئت ملائكة شدادا كقولك السلف الصالح يعني الصالحين قال القرطبي ويجوز ان يكون حرسا مصدرا على معنى حرست حراسة شديدة وقوله وشهبا جمع شهاب ككتاب وكتب وهل المراد النجوم والحرس انفسهم وهو انقضاض الكواكب المحرقة لهم عن استراق السمع وقد تقدم في سورة الحجر والصافات وانما عطف بعض الصفات على بعض عند تغاير اللفظ كقوله وهند اتى من دونها الناي والبعد وقرا الاعرج ملئت بياء صريحة دون همزة قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع المقاعد جمع مقعد اسم مكان والضمير في منها اي من السماء والمقاعد مواضع يقعد في مثلها لاستماع الخبر من السماء وذلك ان مردة الجن كانوا يفعلون ذلك ليسمعوا من الملائكة اخبار السماء فيلقوها الى الكهنة فحرسها الله تعالى حين مبعث رسوله بالشهب المحرقة فقالت الجن حينئذ فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا يعني بالشهاب الكوكب المحرق قوله الان هو ظرف حالي واستعير هنا للاستقبال كقوله • ولكن ساسعى الان اذ بلغت اناها •

فاقترن بحرف التنفيس وقد تقدم هذا في البقرة عند قوله تعالى قالوا الان جئت وهنا ورصدا اما مفعول له واما صفة لشهابا اي ذا رصد وجعل الزمخشري الرصد اسم جمع لحرس فقال والرصد اسم جمع للراصد كحرس على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة ويجوز ان يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد او كقوله ومعا جياعا **فصل** اختلفوا هل كانت الشياطين تقذف قبل المبعث ام ذلك امر حدث لبعث النبي صلى الله عليه وسلم فقال قوم لم يكن تحرس السماء في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمس مائة عام وانما كان من اجل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها وحرست بالملائكة والشهب قاله الكلبي ورواه عطية عن ابن عباس ذكره البيهقي وقال عبد الله بن عمر لما كان اليوم الذي نبئ رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين ورموا بالشهب وقال عبد الملك ابن سابور لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حرست السماء ورميت الشياطين بالشهب ومنعت من الدنو الى السماء قال نافع بن جبير كانت الشياطين في الفترة تسمع فلا ترمى فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رميت بالشهب ونحوه عن ابي بن كعب قال لم يرم بنجم منذ رفع عيسى عليه الصلاة والسلام حتى نبئ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمي بها وقيل كان ذلك قبل المبعث وانما زادت بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم انذارا بحاله وهو معنى قوله تعالى فوجدناها ملئت اي زيد في حرسها وقال اوس بن حجر وهو جاهلي فانقض كالدري يتبعه • نقع يثور تخاله طنبا • وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد وهذا يدل على ان هذه الشهب كانت موجودة قبل المبعث وهذا قول الاكثرين قال الجاحظ فلو قال قايل كيف يتعرض الجن لاحتراق نفسها بسبب سماع خبر بعد ان صار ذلك معلوما لهم فالجواب ان الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تعظم المحنة كما ينسى ابليس في كل وقت انه لا يسلم وان الله تعالى قال له وان عليك اللعنة الى يوم الدين ولولا هذا لما تحقق التكليف قال القرطبي والرصد قيل من الملائكة اي ورصدا من الملائكة والرصد الحافظ للشيء والجمع ارصاد وفي غير هذا الموضع يجوز ان يكون جمعا كالحرس والواحد راصد وقيل الراصد هو الشهاب اي شهاب قد ارصد له ليرجم به فهو فعل بمعنى مفعول كالخبط والنفض قوله وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض في اشر اريد وجهان احسنهما الرفع بفعل مضمر على الاشتغال

لما كان احسن لتقدم طلب الفعل وهو اداة الاستفهام والثاني الرفع على الابتدا ولقايل ان يقول يتعين هنا الرفع باضمار فعل الدرل اخر وهو انه قد عطف بام فعل فان اضمرنا الفعل رافعا كنا قد عطفنا جملة فعلية على مثلها بخلاف رفعه بالابتدا فانه حينئذ يخرج ام عن كونها عاطفة الى كونها منقطعة الابتا وليل بجيد وهو ان الاصل اشر اريد بهم ام خير وموضع قوله ام اراد بهم موضع خير وقوله اشر ساد مسد مفعولي ندري بمعنى انه معلق به وراعى معنى من في قوله بهم ربهم فجمع **فصل** قال ابن زيد معنى الاية ان ابليس قال لا ندري هل اراد الله بهذا المنع ان ينزل على اهل الارض عذابا او يرسل اليهم رسولا وقيل هو من قول الجن فيما بينهم قبل ان يسمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم اي لا ندري اشر اريد بمن في الارض بارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم فانهم يكذبونه ويهلكون بتكذيبه كما هلك من كذب من الامم ام اراد ان يؤمنوا فيهتدون بالبشر والرشد على هذا الكفر والايمان وعلى هذا كان عندهم علم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولما سمعوا قراءته علموا انهم منعوا من السماء حراسة للوحي وقيل لا بل على هذا قول قالوه لقومهم بعد ان انصرفوا اليهم منذرين اي لما امنوا اشفقوا ان لا يومن كثير من اهل الارض فقالوا انا لا ندري ايكفر اهل الارض بما امنا به ام يؤمنون قوله وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك هذا من قول الجن اي قال بعضهم لبعض لما دعوا اصحابهم الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وانا كنا قبل استماع القران منا الصالحون وقولهم ومنا دون ذلك يحتمل وجهين احدهما ان دون بمعنى غير اومنا غير الصالحين اي كافرون وهو مبتدا وانما فتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لقد تقطع بينكم فيمن نصب على احد الاقوال والى هذا نحا الاخفش والثاني ان دون على بابها من الظرفية وانها صفة لمحذوف تقديره ومنا فريق او فوج دون ذلك وحذف الموصوف مع من التبعيضية يكثر كقولهم منا ظعن ومنا اقام اي منا فريق ومعنى الاية ومنا صالحون دون اوليك في الصلاح قوله كنا طرايق قددا فيه اوجه احدها ان التقدير كنا ذوي طرايق اي ذوي مذاهب مختلفة الثاني ان التقدير كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرايق المختلفة الثالث ان التقدير كنا في طرايق مختلفة كقوله كما عسل الطريق الثعلب الرابع ان التقدير كانت طرايقنا قددا على حذف المضاف الذي هو الطرايق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه قاله الزمخشري فقد جعل في ثلاثة اوجه مضافا محذوفا لانه قدر في الاول ذوي وفي الثاني مثل وفي الثالث طرايقنا ورد ابو حيان عليه قوله كنا في طرايق كقوله كما عسل الطريق بان هذا لا يجوز الا في ضرورة او ندور فلا يخرج القران عليه يعني تعدي الفعل بنفسه الى ظرف المكان المختص والقدد جمع قدة والمراد بها الطريقة واصلها السيرة يقال قدة فلان حسنة اي سيرته وهو من قد السير اي قطعه على استواء فاستعير للسيرة المعتدلة قال الشاعر

القابض الباسط الهادي بطاعته • في فتنة الناس اذ اهواوهم قدد •

وقال اخر • جمعت بالراي منهم كل رافضة • اذ هم طرايق في اهوايهم قددا •

وقال لبيد في اخاه • لم تبلغ العين كل نهمتها • يوم تمشي الجياد بالقدد •

والقد بالكسر سير يقد من جلد غير مدبوغ ويقال ماله قد ولا قحف فالقد انا من جلد والقحف انا من خشب **فصل** قال سعيد بن المسيب معنى الاية كنا مسلمين ويهود ونصارى ومجوس وقال السدي في الجن مثلكم قدرية ومرجية وخوارج ورافضة وشيعة وسنية وقال قوم المعنى وانا بعد استماع القران مختلفون منا المومنون ومنا الكافرون وقيل اي ومنا الصالحون ومنا مومنون لم يتناهوا في الصلاح قال القرطبي رحمه الله والاول احسن لانه كان في الجن من امن بموسى وعيسى وقد اخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه وهذا يدل على ايمان قوم منهم بالتورية وكان هذا مبالغة منهم في دعاء من دعاهم الى الايمان وايضا لا فايدة في قولهم نحن الان منقسمون الى مومن والى كافر والطرايق جمع طريقة وهي مذهب الرجل اي كنا فرقا ويقال القوم طرايق اي على مذاهب شتى والقدد نحو من الطرايق وهو تاكيد لها واحدها قدة يقال لكل طريقة قدة قوله وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض الظن هنا بمعنى العلم واليقين وهو خلاف الظن في قوله تعالى وانا ظننا ان لن تقول وانهم ظنوا اي وعلمنا بالاستدلال والتفكر في ايات الله تعالى انا في قبضته وسلطانه لن نفوته بهرب ولا غيره وقوله في الارض حال وكذلك هربا مصدر في موضع الحال تقديره لن نعجزه كائنين في الارض اينما كنا فيها

ولن نعجزه هاربين منها الي السما قوله وانا لما سمعنا الهدي يعني القران امنا به وبادنه وصدقنا
محمدا صلي الله عليه وسلم علي رسالته وكان صلي الله عليه وسلم مبعوثا الي الانس والجن قال الحسن رضي
الله عنه بعث الله محمدا صلي الله عليه وسلم الي الانس والجن ولم يبعث الله تعالي قط رسولا من الجن ولا من
اهل البادية ولا من النسا وذلك قوله تعالي وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القري
وفي الصحيح وبعثت الي الاحمر والاسود اي الانس والجن وقد تقدم الكلام علي هذه المسالة في سورة
الانعام عند قوله تعالي يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم قوله تعالي فمن يومن بربه
فلا يخاف بخسا ولا رهقا قال ابن عباس لا يخاف ان ينقص من حسناته ولا ان يزاد في سياته
لان البخس النقصان والرهق العدوان وغشيان المحارم وقد تقدم في بيت الاعشي قوله فلا
يخاف اي فهو لا يخاف اي فهو غير خايف ولان الكلام في تقدير مبتدا وخبر فلذلك دخلت الفا ولولا ذلك
لقيل لا يخف قال الزمخشري ثم قال فان قلت اي فايدة في رفع الفعل وتقدير مبتدا قبله حتي يقع
خبرا له ووجوب ادخال الفا وكان كل ذلك مستغني عنه بان يقال لا يخف قلت الفايدة انه اذا
فعل ذلك كانه قيل فهو لا يخاف فكان دالا علي تحقيق ان المومن ناج لا محالة وانه هو المختص بذلك
دون غيره قال شهاب الدين رحمه الله عليه وسبب ذلك ان الجملة تكون اسمية حينيذ والاسمية
ادل علي التحقيق والثبوت من الفعلية وقرا ابن وثاب والاعمش فلا يخف بالجزم وفيها وجهان
احدهما ولم يذكر الزمخشري غيره ان لا ناهية والفا حينيذ واجبة والثاني ان الفا نافية والفا حينيذ
واجبة زايدة وهذا ضعيف وقوله بخسا فيه حذف مضاف اي جزا بخس كذا قدره الزمخشري وهو
مستغني عنه وقرا ابن وثاب بخسا بفتح الخا قال القرطبي رحمه الله عليه وقرا الاعمش ويحيي وابرهيم
فلا يخف جزما علي جواب الشرط والفا الغا قوله وانا منا المسلمون ومنا القاسطون اي وانا بعد
استماع القران مختلفون فمنا من اسلم ومنا من كفر والقاسط الجاير لانه عادل عن الحق والمقسط
العادل لانه عادل الي الحق قسط اذا جار واقسط اذا عدل قال

• قوم هموا قتلوا ابن هند عنوة • عمروا وهم قسطوا علي النعمان •

وقد تقدم في اول النسا ان قسط الثلاثي بمعني جار واقسط الرباعي بمعني عدل وان الحجاج
قال لسعيد بن جبير ما تقول في قال انك قاسط عادل فقال الحاضرون ما احسن ما قال
فقال يا جهلة جعلني جايرا كافرا وتلي قوله تعالي واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم الذين
كفروا بربهم يعدلون قوله فمن اسلم فاوليك تحروا رشدا اي قصدوا طريق الحق وتوخوه وطلبوه
باجتهاد ومنه التحري في الشي قال الراغب حري الشي يحريه اي قصد حراه اي جانبه وتحراه
كذلك وحري الشي يحري نقص كانه لزم حراه ولم يمتد قال الشاعر • والمرء بعد تمامه يحري •
ويقال رماه الله بافعي حاريته اي شديدة السمي وكان اصله من قولهم هو حري بكذا اي حقيق
به فتحروا رشدا مفعول به والعامة قروا رشدا بفتحتين والاعرج بضمة وسكون قوله واما
القاسطون اي الجايرون عن طريق الحق والايمان فكانوا لجهنم حطبا اي وقودا قوله
فكانوا اي في علم الله تبارك وتعالي فان قيل لم ذكر عقاب القاسطين ولم يذكر ثواب المسلمين
فالجواب بل ذكر ثواب المومنين بقوله تحروا رشدا اي تحروا رشدا عظيما لا يعلم كنهه الا الله تعالي
ومثل هذا لا يتحقق الا في الثواب فان قيل ان الجن مخلوقون من النار فكيف يكونون حطبا
للنار فالجواب انهم وان خلقوا من النار لكنهم تغيروا عن تلك الكيفية فيصيرون لحما ودما هكذا
قيل وهذا اخر كلام الجن قوله وان لو استقاموا علي الطريقة ان هي المخففة وقد تقدم انه يكتفي
بلو فاصلة بين ان المخففة وخبرها اذا كان جملة فعلية في سورة سبا وقال ابو البقا هنا ولو
عوض كالسين والسوف وقيل لو بمعني ان وان بمعني اللام وليست بلازمة كقوله لين لم تنته وقال
في موضع اخر وان لم ينتهوا ذكره ابن فضال في البرهان قال شهاب الدين وهذا شي لا يلتفت
اليه البتة لانه خلاف النحويين وقرا العامة بكسر واو لو علي الاصل وابن وثاب والاعمش بضمها
تشبيها بواو الضمير وقد تقدم تحقيقه في البقرة **فصل** هذا من كلام الله تبارك وتعالي
اي لو امن هولا الكفار لوسعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق وهذا محمول علي الوحي اي
اوحي الي ان لو استقاموا قال ابن بحر كلما في هذه الكرة من ان المثقلة فهي حكاية
لقول الجن الذين سمعوا القران ورجعوا الي قومهم منذرين وكلما فيها من ان المفتوحة المخففة فهي

وحي الي رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال ابن الانباري ومن كسر الحروف وفتح وان لو استقاموا
اضمر يمينا تاويلها والله ان لو استقاموا علي الطريقة كما يقال في الكلام والله ان قمت لقمت والله لو قمت لقمت
قال الشاعر

• اما والله لو ان كنت حرا • ولا بالحر انت ولا العتيق •

ومن فتح ما قبل المخففة علي تقدير اوحي اليه انه وان لو استقاموا وعلي امنا به وبان لو استقاموا ومن
كسر الحروف كلها فقدر ان المخففة علي اوحي الي وعلي امنا به ويستغني عن اضمار اليمين والضمير في قوله
استقاموا قيل يرجع الي الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم اي هولا القاسطون لو اسلموا لفعلنا بهم
كذا وكذا وقيل بل المراد الانس لان الترغيب في الانتفاع بالما الغدق انما يليق بالانس لا بالجن
وايضا ان هذه الاية انما نزلت بعد ما حبس الله المطر عن اهل مكة سنين اقصي ما في الباب
انه لم يتقدم ذكر الانس ولكنه لما كان ذلك معلوما جري مجري قوله انا انزلناه في ليلة القدر
وقال القاضي الاقرب ان الكل يدخلون فيه قال ابن الخطيب ويدل علي صحة قول القاضي انه
تعالي اثبت حكما معللا بعلة وهي الاستقامة فوجب ان يعم الحكم لعموم العلة والغدق بفتح
الدال وكسرها لغتان في الما الغزير ومنه الغيداق للما الكثير وللرجل الكثير العدو والكثير
النطق ويقال غدقت عينه تغدق اي هطل دمعها غدقا وقرا العامة غدقا بفتحتين وعاصم
فيما روي عنه الاعمش بفتح الغين وكسر الدال وقد تقدم انهما لغتان قوله وان لو استقاموا
قال ابن الخطيب رحمه الله عليه ان قلنا ان الضمير راجع الي الجن ففيه قولان احدهما ان المعني
لو ثبت ابوهم علي عبادته وسجد لادم ولم يكفر وتبعه ولده علي الاسلام لانعمنا عليهم كقوله تعالي
ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لفتحنا عليهم الاية وقوله ولو انهم اقاموا التورية والانجيل
وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم الاية وقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا الاية وقوله
استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما الي قوله ويمددكم باموال وبنين الاية وانما ذكر الما
كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وهذا هو اللايق بالجن لا الما المشروب الثاني ان المعني
لو استقاموا الذين استمعوا القران علي طريقتهم التي كانوا عليها ولم ينتقلوا الي الاسلام لوسعنا
عليهم الدنيا كقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية والقول
الاول اختيار الزجاج قال لانه تعالي ذكر الطريقة معرفة بالالف واللام فرجع الي الطريقة
المعروفة وهي طريقة الهدي ومعني لنفتنهم اي لنختبرهم هل يقومون بشكرها ام لا وان قلنا
ان الضمير يعود الي الانس فالاحتمالان كما هما قوله لنفتنهم فيه يدل علي انه تبارك وتعالي
يضل عباده واجاب المعتزلة بان الفتنة هي الاختبار كما يقال فتنت الذهب بالنار لا خلق
الضلال واستدل المعتزلة بقوله تعالي لنفتنهم علي انه تعالي انما يفعل لغرض واجيبوا بان
الفتنة بالاتفاق ليست مقصودة فدلت هذه الاية علي ان اللام ليست للغرض في حق الله
تبارك وتعالي **فصل** روي مسلم عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم قال احوف ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا قال بركات الارض الحديث
وقال عليه الصلاة والسلام فوالله ما الفقر اخشي عليكم وانما اخشي عليكم ان يبسط الله عليكم
الدنيا فتنافسوا فيها كما تنافس فيها من كان قبلكم فتهلككم كما اهلكتهم قوله ومن يعرض عن
ذكر ربه اي عن عبادته او عن موعظته او عن وحيه وقال ابن زيد يعني القران وفي اعراضه
وجهان الاول من القبول ان قيل انها في الكفار الثاني عن العمل ان قيل انها في اهل الايمان
وقيل ومن يعرض عن ذكر ربه اي لم يشكره قوله نسلكه عذابا صعدا قرا الكوفيون يسلكه
بيا الغيبة لاعادة الضمير علي الله تعالي والباقي بنون العظمة علي الالتفات وهذا
كما تقدم في قوله سبحانه وتعالي سبحان الذي اسري بعبده ليلا ثم قال تعالي باركنا
حوله لنريه من اياتنا وقرا مسلم بن جندب نسلكه بنون مضمومة من اسلكه وبعضهم
باليا من تحت مضمومة وهما لغتان يقال سلكه واسلكه وانشد حتي اذا اسلكوهم في قتايد
وسلك واسلك يجوز فيهما ان يكونا ضمنا معني الادخال فلذلك يتعديان لاثنين ويجوز ان
يقال يتعديان الي احد المفعولين باسقاط الخافض كقوله تعالي واختار موسي قومه
سبعين فالمعني يدخله عذابا او نسلكه في عذاب هذا اذا قلنا ان صعدا مصدر قال
الزمخشري رحمه الله عليه يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب

اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء حظبة النكاح يريد
ما شق علي ولا غلبني واما اذا جعلناه اسما لصخرة في جهنم كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
وغيره فيجوز فيه وجهان احدهما ان يكون صعدا مفعولا به اي نسلكه في هذا الموضع ويكون عذابا
مفعولا ثانيا كما تقدم وصعدا بدلا من عذاب ولكن على حذف مضاف اي عذاب صعد وقرا العامة
بفتحتين وقرا ابن عباس والحسن رضي الله عنهما بضم الصاد وفتح العين وهو صفة تقتضي المبالغة
كحطم ولبد وقري بضمتين وهو وصف ايضا كجنب وسلل فصل ومعنى عذابا صعدا
اي شاقا شديدا قال ابن عباس رضي الله عنه هو جبل في جهنم قال الخدري كلما جعلوا ايديهم
عليه ذابت وعن ابن عباس ان المعنى مشقة من العذاب لان الصعد في اللغة هو المشقة يقول
تصعد في الامر اذا شق عليك ومنه قول عمر المتقدم والمشي في الصعود يشق وصعود العقبة
الكؤود وقال عكرمة هو صخرة ملسا في جهنم يكلف صعودها فاذا انتهى فاذا انتهى الي اعلاها حدر
الي جهنم وقال الوليد يكلف الوليد بن المغيرة ان يصعد جبلا في النار من صخرة ملسا يجذب من امامه
بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ الي اعلاها ولا يبلغ في اربعين سنة فاذا بلغ اعلاها
حدر الي اسفلها ثم يكلف صعودها فذلك دابه ابدا وهو قوله تعالى سارهقه صعودا قوله تعالى
وان المساجد لله قد تقدم ان السبعة اجمعت على الفتح اي اوحي الي ان المساجد لله وقال الخليل
اي ولان المساجد لله بحذف الجار ويتعلق بقوله فلا تدعوا وجعله كقوله تعالى لايلاف قريش فانه
متعلق بقوله فليعبدوا وكقوله تعالى وان هذه امتكم اي ولان وقرا ابن هرمز وطلحة وان المساجد
بالكسر وهو يحتمل الاستيناف والتعليل فيكون في المعنى كتقدير الخليل فصل والمساجد قيل
هي جمع مسجد بالكسر وهو موضع السجود وقد تقدم ان قياسه الفتح وقيل هو مسجد بالفتح مرادا بها
الاعضا الواردة في الحديث الجبهة والانف والركبتان واليدان والقدمان وهو قول سعيد بن
المسيب رضي الله عنه وطلق ابن حبيب والمعنى ان هذه الاعضا انعم الله تعالى بها عليك فلا تسجد
لغيره فتجحد نعمة الله قال عطا مساجدك اعضاوك التي امرت بالسجود عليها لا تذللها لغير خالقها
قال عليه افضل الصلاة والسلام امرت ان اسجد على سبعة اعظم وذكر الحديث وقال عليه افضل
الصلاة والسلام اذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب وقيل بل جمع مسجد وهو مصدر بمعنى
السجود ويكون الجمع لاختلاف الانواع وقال القرطبي رضي الله عنه المراد بها البيوت التي تبنيها
اهل الملل للعبادة قال سعيد بن جبير رضي الله عنه قالت الجن كيف لنا ان ناتي المساجد
ونشهد معك الصلاة ونحن ناوون عنك فنزلت وان المساجد لله اي بنيت لذكر الله وطاعته
وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه المساجد هنا مكة التي هي القبلة وسميت مكة مساجد لان
كل احد يسجد اليها قال القرطبي رحمه الله عليه والقول بانها البيوت المبنية للعبادة اظهر
الاقوال ان شا الله تعالى وهو مروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال ابن الخطيب
رحمه الله عليه قال الواحدي وواحد المساجد على الاقوال كلها مسجد بفتح الجيم الا على قول
من يقول انها المواضع التي بنيت للصلاة فان واحدها مسجد بكسر الجيم لان المواضع والمصادر
كلها من هذا الباب بفتح العين الا في احرف معدودة وهي المسجد والمطلع والمنسك والمسكن
والمنبت والمفرق والمسقط والمحضر والمحشر والمغرب وقد جا في بعضها الفتح وهي المنسك والمسكن
والمفرق والمطلع وهو جار في كلها وان لم يسمع قوله لله اضافة تشريف وتكريم ثم خص بالذكر
منها البيت العتيق فقال تعالى وطهر بيتي وقال عليه الصلاة والسلام لا تعمل المطي الا الى ثلاثة
مساجد وقال عليه الصلاة والسلام صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد
الحرام وقال ابن العربي رحمه الله عليه وقد روي من طريق لا باس بها ان النبي صلى الله عليه
وسلم وشرف وكرم وبجل ومجد وعظم قال صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه
الا في المسجد الحرام فان صلاة فيه خير من مائة صلاة في مسجدي هذا قال القرطبي رحمه الله
عليه وهذا حديث صحيح فصل المساجد وان كانت لله ملكا وتشريفا فانها قد تنسب
لغيره تعريفا كما قيل في الحديث سابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية الي مسجد بني زريق ويقال
مسجد فلان لانه حبسه ولا خلاف بين الامة في تحبيس المساجد والقناطر والمقابر وان اختلفوا
في تحبيس غير ذلك فصل معنى ان المساجد لله ولا يذكر فيها الا الله تعالى فانه يجوز قسمة

الاموال

الاموال فيها ويجوز وضع الصدقات فيها على رسم الاشتراك بين المساكين والاكل فيها ويجوز حبس
الغريم فيها وربط الاسير والنوم فيها وسكنى المريض فيه وفتح الباب للجار اليه وانشاد الشعر فيه اذا
عري عن الباطل قوله فلا تدعوا مع الله احدا وهذا توبيخ للمشركين في دعواهم مع الله غيره في المسجد الحرام
وقال مجاهد رحمه الله عليه كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنايسهم وبيعهم اشركوا بالله تعالى فامر الله
نبيه عليه الصلاة والسلام والمومنين ان يخلصوا لله الدعوة اذا دخلوا المساجد كلها يقول فلا تشركوا فيها
صنما وغيره مما يعبد وقيل المعنى افردوا المساجد لذكر الله ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا وفي الصحيح من
نشد ضالة فقولوا لا ردها الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا قال الحسن رحمه الله عليه من السنة اذا دخل
الرجل المسجد ان يقول لا اله الا الله لان قوله لا تدعوا مع الله احدا في ضمنه امر بذكر الله تعالى ودعا به
وروي الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قدم رجله
اليمين وقال وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اللهم عبدك وزايرك وعلى كل مزور حق وانت
خير مزور فاسالك برحمتك ان تفك رقبتي من النار فاذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى وقال
اللهم صب علي الخير صبا ولا تنزع مني صالح ما اعطيتني ابدا ولا تجعل معيشتي كدا واجعل لي في الارض
جدا قوله تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه يجوز الفتح اي اوحي الله تبارك وتعالى اليه انه ويجوز
الكسر على الاستيناف وعبد الله هنا محمد صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي ببطن نخلة ويقرا القران
حسب ما تقدم اول السورة يدعوه اي يعبده وقال ابن جريج رحمه الله عليه يدعوه اي قام اليهم
داعيا الي الله تبارك وتعالى فهو في موضع الحال اي موحدا له كادوا يكونون عليه لبدا قال الزبير بن
العوام رضي الله تعالى عنه هم الجن حين استمعوا القران من النبي صلى الله عليه وسلم اي كاد يركب بعضهم
بعضا ازدحاما عليه ويسقطون حرصا على سماع القران الكريم وقيل كادوا يركبونه حرصا قاله الضحاك
وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه رغبة في سماع القران يروي عن مكحول ان الجن بايعوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة وكانوا سبعين الفا وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر وعن ابن عباس ايضا
انه من قول الجن لما رجعوا الى قومهم اخبروهم بما راوا من طاعة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وايتمامهم
به في الركوع والسجود وقيل كاد المشركون يركب بعضهم بعضا حردا على النبي صلى الله عليه وسلم وقال
الحسن وقتادة وابن زيد رحمه الله عليهم لما قام عبد الله محمد بالدعوة تلبدت الانس والجن على هذا الامر
ليطفيوه فابى الله تعالى الا ان ينصره ويتم نوره واختار الطبري ان يكون كادت العرب يجتمعون على
النبي صلى الله عليه وسلم ويتظاهرون على اطفا النور الذي جا به قال مجاهد لبدا جماعات قوله
لبدا قرا هشام بضم اللام والباقون بكسرها فالاولى جمع لبدة بضم اللام نحو غرفة وغرف وقيل بل هو اسم
مفرد صفة من الصفات نحو حطم وعليه قوله تبارك وتعالى مالا لبدا واما الثانية فجمع لبدة بالكسر نحو
قربة وقرب واللبدة الشي المتلبد اي المتراكب بعضه على بعض ومنه لبدة الاسد كقول زهير

لدي اسد شاكي السلاح مقذف • له لبد اظفاره لم تقلم

ومنه اللبد لتلبد بعضه فوق بعض ولبد اسم نسر لقمان بن عاد عاش مائتي سنة حتى قالوا طال الامد
على لبد فالمعنى كادت الجن يكونون عليه جماعات متراكمة مزدحمين عليه كاللبد وقرا الحسن والجحدري
لبدا بضمتين ورواها جماعة عن ابي عمرو رحمه الله عليه وهي تحتمل وجهين احدهما ان يكون جمع لبد نحو
رهن جمع رهن والثاني انه جمع لبود نحو صبور وصبر وهو بناء مبالغة ايضا وقرا ابن محيصن بضمة
وسكون فيجوز ان تكون هذه مخففة من القراءة التي قبلها ويجوز ان يكون وصفا براسه وقرا الحسن
والجحدري ايضا لبدا بضم اللام وتشديد البا وهي غريبة جدا وقيل وهو جمع لابد كساجد وسجد وراكع
وركع وقرا ابو رجا بكسر اللام وتشديد البا وهي غريبة جدا وقيل اللبد بضم اللام وفتح البا الشي
الدايم واللبد ايضا الذي لا يسافر ولا يبرح قال الشاعر

من امرا ذي سماح لا تزال له • بزلا يعيا بها الجثامة اللبد

ويروي اللبد قال ابو عبيد وهو اشبه ويقال البدت القربة جعلتها في لبيد ولبيد اسم شاعر من بني
عامر قوله قال انما ادعوا قرا عاصم وحمزة قل بلفظ الامر التفاتا اي قل يا محمد والباقون قال اخبارا
عن عبد الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال الجحدري رحمه الله عليه وهي في المصحف كذلك وقد
تقدم لذلك نظاير في قل سبحان ربي اخر الاسرا وكذا في اول الانبيا واخرها واخر المومنون قال المفسرون
سبب نزول هذه الاية ان كفار قريش قالوا له انك جيت بامر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا

ونحن نخبرك فنزلت قوله قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قرا الاعرج رشدا بضمتين وجعل الضر عبارة
عن الغي لان الضر سبب عن الغي وثمرته فاقام المسبب مقام سببه والاصل لا املك غيا ولا رشدا فذكر
الاهم وقيل بل في الكلام حذفان والاصل لا املك لكم ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فحذف من كل واحد ما
يدل مقابله عليه **فصل** المعنى لا اقدر ادفع عنكم ضرا ولا اسوق لكم خيرا وقيل لا املك لكم ضرا
اي كفرا ولا رشدا اي هدى اي انما علي التبليغ وقيل الضر العذاب والرشد النعيم وهو الاول بعينه وقيل
الضر الموت والرشد قوله تعالى قل اني لن يجيرني من الله احد اي لا يدفع عذابه عني احد ان
استحفظته وذلك انهم قالوا اترك ما تدعوا اليه ونحن نجيرك وروي ابو الجوزا عن ابن مسعود رضي
الله تعالى عنه قال انطلقت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وبجل ومجد وعظم ليلة الجن
حتى اتى الحجون فخط علينا خطا ثم تقدم اليهم فازدحموا عليه فقال سيد لهم يقال له وردان انا ارحلهم عنك
فقال اني لن يجيرني من الله احد ذكره الماوردي رحمه الله عليه قال ويحتمل معنيين احدهما لن يجيرني
مع اجارة الله لي احد الثاني لن يجيرني مما قدره الله تعالى علي احد ولن اجد من دونه ملتحدا اي ملجا
الجا اليه قاله قتادة رحمه الله عليه وعنه نصيرا وموليا وقال السدي حرزا وقال الكلبي مدخلا
في الارض مثل السرب وقيل مذهبا ولا مسلكا حكاه ابن شجرة قال الشاعر

يا لهف نفسي ولهفي غير مجدية • عني وما من قضا الله ملتحدا

وملتحدا مفعول اجد لانها بمعنى اصيب قوله الا بلاغا فيه وجوه احدها انه استثنا منقطع اي لكن
ان بلغت عن الله رحمني لان البلاغ من الله تبارك وتعالى لا يكون داخلا تحت قوله ولن اجد من
دونه ملتحدا لانه لا يكون من دون الله بل يكون من الله عز وجل وباعانته وبتوفيقه الثاني انه
متصل وتاويله ان الاجارة مستعارة للبلاغ اذ هو سببها وسبب رحمته تبارك وتعالى والمعنى لن
اجد شيئا اميل اليه واعتصم به الا ان ابلغ واطيع فيجيرني واذا كان متصلا جاز نصبه من وجهين
ارجحهما ان يكون بدلا من ملتحدا لان الكلام غير موجب وهذا اختيار الزجاج والثاني انه منصوب
على الاستثنا الثالث انه مستثنى من قوله لا املك لكم ضرا قال قتادة رحمه الله عليه اي لا املك
لكم الا بلاغا اليكم وقرره الزمخشري فقال اي لا املك الا بلاغا من الله وقل اني لن يجيرني جملة
معترضة اعترض بها لتاكيد نفي الاستطاعة وعلى هذا فالاستثنا منقطع الرابع ان الكلام ليس
استثنا بل شرطا والاصل ان لا فادغم فان شرطية وفعلها محذوف لدلالة مصدره والكلام الاول
عليه ولا نافية والتقدير ان لا ابلغ بلاغا من الله فلن يجيرني منه احد وجعلوا هذا كقول الاخر

فطلقها فلست لها بكفو • والا يعلو مفرقك الحسام

اي وان لا تطلقها يعل فحذف الشرط وبقي الجواب وفي هذا الوجه ضعف من وجهين احدهما ان حذف
الشرط دون اداته قليل جدا الثاني انه حذف الجزاان معا اعني الشرط والجزا فيكون كقوله

قالت بنات العم يا سلمى وان • كان فقيرا معدما قالت وان

اي قالت وان كان فقيرا فقد رضيته وقد يقال ان الجواب اما مذكور عند من يرى جواز تقديمه
واما في قوة المنطوق به لدلالة ما قبله عليه وقال الحسن رحمه الله عليه الا بلاغا من الله ورسالاته
فان فيه النجاة والامان قوله من الله فيه وجهان احدهما ان من بمعنى عن لان بلغ يتعدى بها
ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الا بلغوا عني والثاني انه متعلق بمحذوف على انه صفة لبلاغا قال
الزمخشري من ليست صلة للتبليغ انما هي بمنزلة من في قوله تبارك وتعالى براة من الله بمعنى بلاغا
كائنا من الله قوله تعالى ورسالاته فيه وجهان احدهما انها منصوبة نسقا على بلاغا كانه قيل
لا املك لكم الا التبليغ والرسالات فلم يقل الزمخشري غيره والثاني انها مجرورة نسقا على
الجلالة اي الا بلاغا من الله وعن رسالته كذا قدره ابو حيان وجعله هو الظاهر ويجوز في جعله
من بمعنى عن والتجوز في الحروف راي كوفي ومع ذلك فغير متعارف عندهم قوله ومن
يعص الله ورسوله في التوحيد والعبادة فان له نار جهنم العامة على كسر ان جعلوها جملة مستقلة
بعد فا الجزا قال الواحدي ان مكسورة الهمزة لان ما بعد فا الجزا موضع ابتدا ولذلك حمل سيبويه
قوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه ومن كفر فامتعه قليلا ومن يومن بربه فلا يخاف بخسا ولا
رهقا على ان المبتدا فيها مضمر تقديره فجزاوه ان له نار جهنم او فحكمه ان له نار جهنم قال ابن خالويه
سمعت ابن مجاهد لم يقرا به احد وهو لحن لانه بعد فا الشرط قال سمعت ابن الانباري يقول هو

صواب ومعناه فجزاوه ان له نار جهنم قال شهاب الدين ابن مجاهد وان كان اماما في القراآت الا انه
خفي عليه وجهها وهو عجيب جدا كيف غفل عن قراتي فانه غفور رحيم في الانعام لا جرم ان ابن الانباري
استصوب القراة لطول باعه في العربية قوله خالدين حال من الها في له والعامل الاستقرار
الذي تعلق به هذا الجار وحمل على معنى من فلذلك جمع لان المعنى لكل من فعل ذلك فوحد اولا للفظ
ثم جمع للمعنى **فصل** استدل جمهور المعتزلة بهذه الاية الكريمة على ان فساق اهل الصلاة يخلدون
في النار لان هذا العموم اقوى في الدلالة على المطلوب من ساير العمومات وايضا فقوله ابدا ينفي قول
المخالف بان المراد بالخلود المكث الطويل والجواب ان السياق في التبليغ عن الله والرسالة ثم
قال تعالى ومن يعص الله ورسوله يعني فان له نار جهنم واذا كان هذا محتملا سقط الاستدلال
او نقول هذه الصورة لا بد وان تندرج في العموم وترك التبليغ عن الله تبارك وتعالى اعظم فلا
يجوزان تساويه الذنوب التي ليست مثله في العقوبة فلا يتعدى هذا الحكم الى غيره من الذنوب
او نقول ان الله تبارك وتعالى لم يقيد في ساير عمومات الوعيد في القران بالتابيد الا في هذه الاية
الكريمة فلا بد وان يكون لهذا التخصيص فايدة ومعنى وليس ثم معنى الا ان يكون هذا الذنب اعظم
الذنوب واذا كان السبب في هذا التخصيص هذا المعنى علمنا ان هذا الوعيد مختص لهذا الذنب
فلا يتعدى الى غيره من الذنوب فدلت هذه الاية الكريمة على ان حال ساير المذنبين مخالف
لذلك او نقول قوله ومن يعص الله الا في الكفر والا في الزنا والا في شرب الخمر ومن مذهب القايلين
بالوعيد ان الاستثنا اخراج ما لولاه كان داخلا تحت اللفظ واذا كان كذلك وجب ان يكون
قوله تبارك وتعالى ومن يعص الله متناولا لمن اتى بكل المعاصي فان قيل يستحيل العموم هنا
لان من جملة المعاصي التجسيم والتعطيل لان القايل بالتجسيم يمتنع ان يكون مع ذلك قايلا بالتعطيل
قلنا يخص هذا بدليل العقل فيحمل على جميع ما لا يستحيل اجتماعه **فصل** دلت هذه الاية
الكريمة على ان الامر مفيد بالوجوب لان تارك المامور به عاص لقوله افعصيت امري لا يعصون الله
ما امرهم لا اعصي لك امرا والعاصي مستحق للعقاب لقوله تبارك وتعالى ومن يعص الله ورسوله
فان له نار جهنم قوله حتى اذا راوا قال الزمخشري فان قلت بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية
له قلت بقوله يكونون عليه لبدا على انهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون
عدده حتى اذا راوا ما يوعدون من يوم بدر واظهار الله عليهم او من يوم القيمة فسيعلمون حينئذ من
اضعف ناصرا قال ويجوز ان يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار واستقلالهم
لعدده كانه قال لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون قال المشركون متى هذا الموعود
انكارا له فقال قل انه كاين لا ريب فيه قال ابو حيان رحمه الله قوله بم تعلق ان عنى تعلق
حرف الجر فليس بصحيح لانها حرف ابتدا فما بعدها ليس في موضع جر خلافا للزجاج وابن درستويه
فانهما زعما انها اذا كانت حرف ابتدا فالجملة الابتدائية بعدها في موضع جر وان عنى بالتعلق اتصال
ما بعدها بما قبلها وكون ما بعدها غاية لما قبلها فهو صحيح واما تقديره انها تتعلق بقوله يكونون
عليه لبدا فهو بعيد جدا لطول الفصل بينهما بالجملة الكثيرة وقدر بعضهم ذلك المحذوف ايضا فقال
تقديره دعهم حتى اذا راوا وقال التبريزي جاز ان يكون غاية لمحذوف ولم يبين ما هو وقال
ابو حيان رحمة الله عليه والذي يظهر انها غاية لما تضمنته الجملة التي قبلها من الحكم بكينونة
النار لهم كانه قيل ان العاصي يحكم له بكينونة النار والحكم بذلك هو وعيد حتى اذا راوا ما حكم
بكينونته لهم فسيعلمون قوله من اضعف يجوز في من ان تكون استفهامية فترفع بالابتدا
واضعف خبره والجملة في موضع نصب سادة مسد المفعولين لانها معلقة للعلم قبلها وان تكون
موصولة واضعف خبر مبتدا مضمر اي هو اضعف والجملة صلة وعايد وحسن الحذف طول
الصلة بالتمييز والموصول مفعول للعلم بمعنى العرفان قال القرطبي رحمة الله عليه حتى هنا مبتدا
اي حتى اذا راوا ما يوعدون من عذاب الاخرة او من عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فسيعلمون
من اضعف ناصرا ومن يظهر انها غاية لما تضمنته الجملة التي قبلها من الحكم بكينونة النار لهم كانه
قيل ان العاصي اهم ام المومنون واقل عددا معطوف قوله تعالى قل ان ادري اقريب ما توعدون
يعني قيام الساعة الا الله فهو غيب لا اعلم متى الا ان يعلمنيه الله تعالى جلت قدرته قوله اقريب
خبر مقدم وما توعدون مبتدا ويجوز ان يكون قريب مبتدا لاعتماده على الاستفهام وما توعدون

فاعليه اي اقريب الذي توعدون نحو اقايم ابواك وما يجوز ان تكون موصولة فالعايد محذوف
وان تكون مصدرية فلا عايد واما الظاهر انها متصلة وقال الزمخشري فان قلت ما معني ام
يجعل له ربي امدا والامد يكون قريبا وبعيدا الا تري الي قوله تبارك وتعالي يود لو ان بينها وبينه
امدا بعيدا قلت كان النبي صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد فكانه قال ما ادري اهو حال
متوقع في كل ساعة ام موجل ضربت له غاية وقرا العامة باسكان اليا من ربي وقرا الحرميان وابي
عمرو بالفتح **فصل** قال مقاتل رحمة الله عليه لما سمعوا قوله تعالي حتى اذا راوا ما يوعدون
فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا قال النضر بن الحارث متي يكون هذا الذي توعدنا به
فقال الله تبارك وتعالي قل ان ادري اقريب ما توعدون الي اخره والمعني ان وقوعه متيقن واما
وقت وقوعه فغير معلوم وقوله تبارك وتعالي ام يجعل له ربي امدا اي غاية وبعدا وهذا كقوله
تبارك وتعالي وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون فان قيل اليس انه عليه الصلاة والسلام
قال بعثت انا والساعة كهاتين وكان عالما بقرب وقوع القيمة فكيف قال ههنا لا ادري اقريب
ام بعيد فالجواب ان المراد بقرب وقوعه هو ان ما بقي من الدنيا اقل مما انقضي فهذا القدر من
القرب معلوم فاما معرفة القرب المرتب وعدم ذلك فغير معلوم قوله عالم الغيب العامة علي
رفعه اما بدلا من ربي واما بيانا له واما خبر المبتدا مضمر اي هو عالم وقري بالنصب علي المدح وقرا
السدي علم الغيب فعلا ماضيا ناصبا للغيب قوله فلا يظهر العامة علي كونه من اظهر واحدا مفعول
به وقرا الحسن يظهر بفتح اليا والها من ظهر فلا يبا احدا فاعل به قوله الغيب ما غاب عن العباد وقد
تقدم الكلام عليه اول البقرة قوله الا من ارتضي يجوز ان يكون منقطعا اي لكن من ارتضاه فانه
يظهره علي ما يشا من غيبه بالوحي ومن في قوله من رسول لبيان المرتضين وقوله فانه يسلك بيان
لذلك وقيل هو متصل ورصدا لتقدم الكلام عليه ويجوز ان تكون من شرطية او موصولة متضمنة
معني الشرط وقوله فانه خبر المبتدا علي القولين وهو من الاستثنا المنقطع ايضا اي لكن والمعني
لكن من ارتضاه من الرسل فانه يجعل له ملائكة رصدا يحفظونه **فصل** قال الزمخشري
في هذه الاية ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات وان كانوا اوليا مرتضين فليسوا
برسل وقد خص الله تبارك وتعالي الرسل من بين المرتضين بالاطلاع علي الغيب ومنها ايضا
ابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شي من الارتضا وادخله في السخط وقال الواحدي وفيها
دليل علي ان من ادعي ان النجوم تدله علي ما يكون من حياة او موت او غير ذلك فقد كفر بما في القران
قال ابن الخطيب واعلم ان الواحدي يجوز الكرامات وان يلهم الله اولياه وقوع بعض الوقايع
في المستقبل ونسبته الي الصورتين واحدة فان جعل الاية دليلا علي المنع من احكام النجوم
فينبغي ان يجعلها دالة علي المنع من الكرامات علي ما قاله الزمخشري فان جوز الكرامات لزمه تجويز
علم النجوم والتفرقة بينهما تحكم محض قال ابن الخطيب وعندي لا دلالة في الاية علي شي مما قالوه
اذ لا صيغة عموم في غيبه لانه لفظ مفرد مضاف فيحمل علي غيب واحد وهو وقت القيمة لانه
واقع بعد قوله اقريب ما توعدون الاية فان قيل فما معني الاستثنا حينئذ قلنا لعله اذا قرب
القيمة يظهره وكيف لا وقد قال ويوم تشقق السما بالغمام ونزل الملايكة تنزيلا فيعلم الملايكة
حينئذ قيام القيمة او هو استثنا منقطع اي من ارتضاه من رسول يجعل من بين يديه ومن
خلفه حفظة يحفظونه من شر مردة الجن والانس ويدل علي انه ليس المراد انه لا يطلع احدا
علي شي من المغيبات انه ثبت بما يقارب المتواتر ان شقا وسطيحا كانا كاهنين وقد عرفا حديث
النبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وكانا مشهورين بهذا العلم عند العرب حتى رجع اليهما كسري
وربيعة بن مضر فثبت ان الله تعالي قد يطلع غير الرسل علي شي من المغيبات وايضا اطبق
اهل الملل علي ان معبر الرويا يخبر عن امور مستقبلة ويكون صادقا فيه وايضا قد نقل
السلطان سنجر بن ملكشاه كاهنة من بغداد الي خراسان وسالها عن امور مستقبلة فاخبرته
بها فوقعت علي وفق كلامها قال ابن الخطيب واخبرني اناس محققون في علم الكلام والحكمة
انها اخبرت عن امور غايبة بالتفصيل فكانت علي وفق خبرها وبالغ ابو البركات في كتاب
المعتبر في شرح حالها وقال تفحصت عن حالها ثلاثين سنة فتحققت انها كانت تخبر عن
المغيبات اخبارا مطابقا وايضا فانا نشاهد ذلك في اصحاب الالهامات الصادقة وقد يوجد

ذلك في السحرة ايضا وقد نري الاحكام النجومية مطابقة وان كانت قد تختلف فان قلنا ان
القران يدل علي خلاف هذه الامور المحسوسة لتطرق الطعن الي القران فيكون التاويل ما ذكرنا
فصل قال القرطبي المعني فلا يظهر علي غيبه احدا الا من ارتضي من رسول فانه يظهره
علي ما يشا من غيبه لان الرسل يويدون بالمعجزات ومنها الاخبار عن بعض الغايبات كما ورد في التنزيل
في قوله وانبيكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم وقال ابن جبير الا من ارتضي من رسول هو
جبريل عليه السلام وفيه بعد والاولي ان يكون المعني لا يظهر علي غيبه الا من ارتضي اي اصطفاه
للنبوة فانه يطلعه علي ما يشا من غيبه ليكون ذلك دالا علي نبوته **فصل** ذكر القرطبي ان
العلما قالوا لما تمدح سبحانه وتعالي بعلم الغيب واستاثر به دون خلقه كان فيه دليل علي انه
لا يعلم الغيب احد سواه ثم استثني من ارتضاه من الرسل فاعلمهم ما شا من غيبه بطريق الوحي اليهم
وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة علي نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ومن يضرب بالحصا وينظر
في الكواكب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه علي ما يشا من غيبه بل هو كافر بالله
مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه قال بعض العلما وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة
ركب فيها الف انسان مختلفين الاحوال والرتب فيهم الملك والسوقة والعالم والجاهل والغني
والفقير والكبير والصغير مع اختلاف طوالعهم وتباين مواليدهم ودرجات نجومهم فعمهم حكم الغرق
في ساعة واحدة فان قال انما اغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه فيكون علي مقتضي ذلك ان هذا الطالع
ابطل احكام تلك الطوالع كلها علي اختلافها عند ولادة كل واحد منهم وما يقتضيه طالعه المخصوص
به فلا فايدة اذن في عمل المواليد ولا دلالة فيها علي شقي ولا سعيد ولم يبق الا معاندة العزيز
الكريم ولقد احسن القايل

حكم المنجم ان طالع مولدي • يقضي علي بميتة الغرق •
قل للمنجم صبحة الطوفان هل • ولد الجميع بكوكب الغرق •

وقيل لعلي رضي الله عنه لما اراد لقا الخوارج اتلقاهم والقمر في العقرب فقال فاين قمرهم وكان
ذلك في اخر الشهر فانظر الي هذه الكلمة التي اجاب بها وما فيها من المبالغة في الرد علي من يقول
بالتنجيم وقال له مسافر بن عوف يا امير المومنين لا تسر في هذه الساعة وسر بعد ثلاث ساعات يمضين
من النهار فقال له علي رضي الله عنه ولم قال انك سرت في هذه الساعة اصابك واصاب اصحابك بلا
وضر شديد وان سرت في الساعة التي امرتك بها ظفرت وظهرت واصبت ما طلبت فقال علي رضي الله
عنه ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده ثم قال فمن صدقك في هذا القول لم امن
عليه ان يكون كمن اتخذ من دون الله ندا او ضدا اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ثم قال للمتكلم
نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التي تنهانا عنها ثم اقبل علي الناس فقال يا ايها الناس اياكم
وتعلم النجوم الا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكافر والكافر في النار والمنجم كالساحر
والساحر في النار والله لئن بلغني انك تنظر في النجوم او تعمل بها لاخلدنك في الحبس ما بقيت وبقيت
ولاحرمنك العطا ما كان لي سلطان ثم سافر في الساعة التي نهاه عنها فلقي القوم فقتلهم وهي وقعة
النهروان الثابتة في صحيح مسلم ثم قال لو سرنا في الساعة التي امرنا بها وظفرنا وظهرنا لقال قايل انما كان
ذلك بتنجيمي وما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا بعده وقد فتح الله علينا بلاد كسري وقيصر
وساير البلدان ثم قال يا ايها الناس توكلوا علي الله وثقوا به فانه يكفي مما سواه قوله فانه يسلك من
بين يديه ومن خلفه رصدا يعني ملايكة يحفظونه علي ان يقرب منه شيطان فيحفظ الوحي من استراق
الشياطين والالقا الي الكهنة قال الضحاك ما بعث الله نبيا الا ومعه ملايكة يحرسونه من الشياطين
ان يتشبهوا له بصورة الملك فاذا جاه شيطان في صورة الملك قالوا هذا شيطان فاحذره وان جاءه
الملك قالوا هذا رسول ربك وقال ابن عباس وابن زيد رصدا اي حفظة يحفظون النبي صلى الله عليه
وسلم من امامه وورايه من الجن والشياطين وقال قتادة وسعيد بن المسيب هم اربعة من الملايكة
حفظة وقال الفرا المراد جبريل كان اذا نزل بالرسالة نزل معه ملايكة يحفظونه من ان يسمع الجن
الوحي فيلقونه الي كهنتهم فيسبقوا به الرسول وقال السدي رصدا اي حفظة يحفظون الوحي
فما جا من عند الله قالوا انه من عند الله وما القاه الشيطان قالوا انه من الشيطان ورصدا نصب علي
المفعول قال الجوهري والرصد القوم يرصدون كالحرس يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث
وربما قالوا ارصاد والراصد للشي المراقب له يقال رصده يرصده رصدا ورصدا والترصد الترقب

والمرصد موضع الرصد قوله ليعلم متعلق بيسلك والعامة على بنائه للفاعل وفيه خلاف اي ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان الرسل قبله قد بلغوا الرسالة قاله مقاتل وقتادة قال القرطبي وفيه حذف يتعلق به اللام اي اخبرناه بحفظنا الوحي ليعلم ان الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ بالحق والصدق وقيل ليعلم محمد ان قد بلغ جبريل ومن معه اليه رسالة ربه قاله ابن جبير قال ولم ينزل الوحي الا ومعه اربعة حفظة من الملائكة عليهم وقيل ليعلم الرسل ان الملائكة بلغوا رسالات ربهم وقيل ليعلم الرسول اي رسول كان ان الرسل سواه بلغوا وقيل ليعلم الله اي ليظهر علمه للناس وقيل ليعلم ابليس ان الرسل قد ابلغوا رسالات ربهم سليمة من تخليطه واستراق اصحابه وقال ابن قتيبة اي ليعلم الجن ان الرسل قد بلغوا ما انزل عليهم ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم وقال مجاهد ليعلم من كذب الرسل ان المرسلين قد بلغوا رسالات ربهم وقيل ليعلم الملائكة وهذان ضعيفان لافراد الضمير والضمير في ابلغوا عايد على من في قوله من ارتضى راعى لفظها اولا فافرد في قوله من بين يديه ومن خلفه ومعناها ثانيا فجمع في قوله ابلغوا الى اخره وقرا ابن عباس ومجاهد وزيد بن علي وحميد ويعقوب ليعلم مبنيا للمفعول اي ليعلم الناس ان الرسل قد ابلغوا رسالاته وقرا ابن ابي عبلة والزهري ليعلم بضم الياء وكسر اللام اي ليعلم الله رسوله بذلك وقرا ابو حيوة رسالة بالافراد والمراد الجمع وقرا ابن ابي عبلة واحيط واحصي مبنيين للمفعول كل وقع باحصي قوله عددا يجوز ان يكون تمييزا منقولا من المفعول به والاصل احصى عدد كل شيء كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا اي عيون الارض على خلاف سبق ويجوز ان يكون منصوبا على المصدر من المعنى لان احصى بمعنى عد فكانه قيل وعد كل شيء عددا او يكون التقدير واحصى كل شيء احصا فيرد المصدر الى الفعل او الفعل الى المصدر ومنع مكي كونه مصدرا للاظهار وقال عددا انصب على البيان ولو كان مصدرا لادغم يعني ان قياسه ان يكون على فعل بسكون العين لكنه غير لازم فجا مصدره بفتح العين ولما كان ليعلم مضمنا معنى قد علم ذلك جاز عطف واحاط على ذلك المقدر قال القرطبي عددا نصب على الحال اي احصى كل شيء المعنى احاط علمه بما عند الرسل وما عند الملائكة وقال ابن جبير المعنى ليعلم الرسل ان ربهم قد احاط بما لديهم ليبلغوا رسالاته واحصى كل شيء عددا اي علم كل شيء وعرفه فلم يخف عليه منه شيء وهذه الاية تدل على انه تعالى عالم بالجزئيات وبجميع الموجودات روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجن اعطي بعدد كل جني وشيطان صدق بمحمد وكذب به عتق رقبة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم

سورة المزمل مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا ايتين منها واصبر على ما يقولون والتي تليها ذكره الماوردي وقال الثعلبي ان ربك يعلم انك تقوم الى اخر السورة فانه نزل بالمدينة وهي سبع وعشرون اية ومايتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يا ايها المزمل اصله المتزمل فادغمت التاء في الزاي يقال تزمل يتزمل تزميلا فاذا اريد الادغام اجتلبت همزة الوصل وبهذا الاصل قرا ابي بن كعب وقرا عكرمة المزمل بتخفيف الزاي وتشديد الميم اسم فاعل وعلى هذا فيكون فيه وجهان احدهما اصله المزتمل بوزن مفتعل فابدلت التاء ميما وادغمت قاله ابو البقا وهو ضعيف والثاني انه اسم فاعل من زمل مشددا وعلى هذا فيكون المفعول محذوفا اي المزمل جسمه وقرئ الا انه بفتح الميم اسم مفعول منه اي الملفف والتزمل التلفف يقال تزمل زيد بكساء اي التف به قال ذو الرمة

وكاسي يحطب ناقتي من مقاده ... ومن نايم عن ليلها متزمل

وقال امرؤ القيس

كان ثبيرا في افانين ودقه ... كبير اناس في بجاد مزمل

وهو كقراءة بعضهم المتقدمة **فصل** هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة اقوال الاول قال عكرمة يا ايها المزمل بالنبوة والملتزم للرسالة وعنه يا ايها الذي زمل هذا الامر اي حمله ثم فتر وكان يقرا يا ايها المزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وتشديدها على حذف المفعول وكذلك المدثر

والمعنى المزمل نفسه والمدثر نفسه او الذي زمله غيره الثاني قال ابن عباس يا ايها المزمل بالقران الثالث قال قتادة يا ايها المزمل بثيابه قال النخعي كان متزملا بقطيفة عايشة مرط طوله اربعة عشر ذراعا نصفه علي وانا نايمة ونصفه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزا ولا ابريسم ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا ذكره الثعلبي قال القرطبي وهذا القول عن عايشة يدل على ان السورة مدنية فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبن بها الا بالمدينة والقول بانها مكية لا يصح وقال الضحاك تزمل لمنامه وقيل بلغه من المشركين قول سوء فيه فاشتد عليه فتزمل وتدثر فنزلت يا ايها المزمل ويا ايها المدثر وقيل كان هذا في ابتدا ما اوحي اليه فانه لما سمع صوت الملك ونظر اليه اخذته الرعدة فاتى اهله وقال زملوني دثروني روي معناه عن ابن عباس قال اول ما جاءه جبريل عليه السلام خافه وظن ان به مسا من الجن فناداه فرجع من الجبل مرتعدا وقال زملوني زملوني وقال الكلبي انما تزمل النبي صلى الله عليه وسلم بثيابه ليتهيا للصلاة وهو اختيار الفرا وقيل انه عليه السلام كان نايما بالليل متزملا في قطيفة فنودي بما يهجن تلك الحالة فقيل له يا ايها المزمل قم واشتغل بالعبودية وقيل معناه من تحمل امرا عظيما والمزمل الحمل قال البغوي قال الحكماء كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في اول الوحي قبل تبليغ الرسالة ثم خوطب **فصل** قال السهيلي ليس المزمل باسم من اسما النبي صلى الله عليه وسلم كما ذهب اليه بعض الناس وعدوه في اسمايه عليه السلام وانما المزمل اسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب وكذلك المدثر وفي خطابه بهذا الاسم فايدتان احدهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي حين غاضب فاطمة رضي الله عنها فاتاه وهو نايم وقد لصق بجنبه التراب فقال له قم ابا تراب اشعارا له بانه غير عاتب عليه وملاطفة له وكذلك قوله عليه السلام لحذيفة قم يا نومان وكان نايما ملاطفة له واشعارا بترك العتب والتانيب فقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم يا ايها المزمل قم فيه تانيس له وملاطفة ليستشعر انه غير عاتب عليه والفايدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله ليتنبه الى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة قوله قم الليل العامة على كسر الميم لالتقاء الساكنين وابو السمال بضمها اتباعا لحركة القاف وقرئ بفتحها طلبا للخفة قال ابو الفتح الغرض الهرب من التقاء الساكنين فباي حركة حرك الاول حصل الغرض قال شهاب الدين الا ان الاصل الكسر لدليل ذكره النحويون والليل ظرف للقيام وان استغرقه الحدث الواقع فيه هذا قول البصريين واما الكوفيون فيجعلون هذا النوع مفعولا به قال القرطبي وهو من الافعال القاصرة الغير المتعدية الى المفعول فاما ظرف الزمان والمكان فسايغ فيه الا ان ظرف المكان لا يتعدى اليه الا بواسطة لا تقول قمت الدار حتى تقول قمت وسط الدار وخارج الدار وقد قيل ان قم هنا معناه صل عبر به عنه واستعير له حتى صار عرفا بكثرة الاستعمال **فصل** الليل حده من غروب الشمس الى طلوع الفجر وقد تقدم بيانه في البقرة قال القرطبي واختلف هل كان قيامه فرضا ونفلا والدلايل تقوي ان قيامه كان فرضا لان الندب لا يقع على بعض الليل دون بعض لان قيامه ليس مخصوصا بوقت دون وقت واختلف هل كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم وحده او عليه وعلى من كان قبله من الانبيا او عليه وعلى امته على ثلاثة اقوال الاول قول سعيد بن جبير لتوجه الخطاب اليه الثاني قول ابن عباس قال كان قيام الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم والانبيا قبله الثالث قول عايشة وابن عباس ايضا وهو الصحيح انه كان فرضا عليه وعلى امته لما روى مسلم ان هشام بن عامر قال لعايشة انبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الست تقرا يا ايها المزمل قلت بلى قالت فان الله عز وجل افترض قيام الليل في اول هذه السورة فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا وامسك الله عز وجل خاتمتها اثني عشر شهرا في السما حتى انزل الله عز وجل في اخر السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة وروى وكيع ويعلى عن ابن عباس قال لما نزلت يا ايها المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل اخرها وكان بين نزول اولها واخرها نحو من سنة وقال سعيد بن جبير مكث النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عشر سنين يقومون الليل فنزلت بعد عشر سنين ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل فخفف الله عنهم وقيل كان قيام الليل واجبا ثم نسخ بالصلوات الخمس وقيل عسر عليهم تمييز القدر

الواجب فقاموا الليل كله فشق ذلك عليهم فنسخ بقوله اخرها فاقرؤا ما تيسر من القران وكان
بين الوجوب ونسخه سنة وقيل بنسخ التقدير بمكة وبقي التهجد حتى نسخ بالمدينة وقيل لم
يجب التهجد قط لقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك ولانه لو وجب عليه صلى الله عليه
وسلم لوجب على امته لقوله فاتبعوه والنسخ على خلاف الاصل ولانه فوض تعيين المقدار
الى المكلف وذلك ينافي الوجوب قوله الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا للناس في هذا
كلام كثير واستدلال على جواز استثنا الاكثر والنصف واعتراضات واجوبة قال شهاب الدين
وانا اذكر ذلك محررا له بعون الله تعالى اعلم ان في هذه الاية الكريمة ثمانية اوجه احدها
ان نصفه بدل من الليل بدل بعض من كل والا قليلا استثنا من النصف كانه قيل قم اقل من
نصف الليل والضمير في منه وعليه عايد على النصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان
يقوم اقل من نصف الليل على البت وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف
والزيادة عليه قاله الزمخشري وناقشه ابو حيان بانه يلزم منه تكرار اللفظ اذ يصير
التقدير قم نصف الليل الا قليلا من نصف الليل او انقص من نصف الليل قال وهذا تركيب
ينزه القران عنه قال شهاب الدين الوجه فيه اشكال لكن لا من هذه الحيثية بان الامر
فيها سهل لمعنى اخر سنذكره ان شا الله قريبا وجعل ابو البقا هذا الوجه مرجوحا فانه قال
والثاني هو بدل من قليلا يعني النصف قال وهو اشبه بظاهر الاية لانه قال او انقص
منه او زد عليه والها فيهما للنصف فلو كان الاستثنا من النصف لصار التقدير قم نصف
الليل الا قليلا او انقص منه قليلا والقليل المستثنى غير مقدر فالنقصان منه لا يعقل قال
شهاب الدين والجواب عنه ان بعضهم قد عين هذا القليل فعن الكلبي ومقاتل هو الثلث
فلم يكن القليل غير مقدر فالنقصان منه لا يعقل فاعاد الضمير على القليل وفي الاول اعادة
على النصف ولقايل ان يقول قد يقدح هذا الوجه باشكال قوي وهو انه يلزم منه تكرار
المعنى الواحد وذلك ان قوله قم نصف الليل الا قليلا بمعنى انقص من نصف الليل لان
ذلك القليل هو بمعنى النقصان وانت اذا قلت قم نصف الليل الا القليل من النصف وقم
نصف الليل او انقص من النصف وجدتهما بمعنى واحد وفيه دقة فتامله ولم يذكر الحوفي
غير هذا الوجه المتقدم وقد عرفت ما فيه وممن ذهب اليه ايضا الزجاج فانه قال نصفه
بدل من الليل والا قليلا استثنا من النصف والضمير في منه وعليه عايد للنصف والمعنى
قم نصف الليل او انقص من النصف قليلا الى الثلث او زد عليه قليلا الى الثلثين فكانه
قال قم ثلثي الليل او نصفه او ثلثه قال شهاب الدين والتقديرات التي يبرزونها ظاهرة
حسنة الا ان التركيب لا يساعد عليها لما عرفت من الاشكال المذكور انفا ان يكون الثاني
نصفه بدلا من قليلا واليه ذهب الزمخشري وابو البقا وابن عطية قال الزمخشري
وان شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه
وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزايد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى
الكل وهذا هو الذي جعله ابو البقا اشبه من جعله بدلا من الليل كما تقدم الا ان ابا حيان
اعترض هذا او قال واذا كان نصفه بدلا من الا قليلا فالضمير في نصفه اما ان يعود على المبدل
منه او على المستثنى منه وهو الليل لا جايز ان يعود على المبدل منه لانه يصير استثنا مجهول من
مجهول اذ التقدير الا قليلا نصف القليل وهذا لا يصح له معنى البتة وان عاد الضمير على الليل
فلا فايدة في الاستثنا من الليل اذ كان يكون اخصر واوضح وابعد عن الالباس قم الليل نصفه
وقد ابطلنا قول من قال الا قليلا استثنا من البدل وهو نصفه وان التقدير قم الليل
نصفه الا قليلا منه اي من النصف وايضا ففي دعوى ان نصفه بدل من الا قليلا والضمير في
نصفه عايد على الليل اطلاق القليل على النصف ويلزم ايضا ان يصير التقدير الا نصفه
فلا تقمه او انقص من النصف الذي لا تقمه وهذا لا يصح وليس المراد من الاية قطعا قال
شهاب الدين نقول بجواز عوده على كل منهما ولا يلزم محذور اما ما ذكره من انه يكون استثناء
مجهول من مجهول ممنوع بل هو استثنا معلوم من معلوم لانا بينا ان القليل قدر معين وهو
الثلث والليل فليس بمجهول وايضا فاستثنا المبهم قد ورد قال تعالى ما فعلوه الا قليل منهم

وقال

وقال تعالى فشربوا منه الا قليلا منهم وكان حقه ان يقول لانه بدل مجهول من مجهول واما ما
ذكره من ان احصر منه واوضح كيت وكيت اما الاحصر فمسلم واما انه ملبس فممنوع واما عدل
عن الاخصر الذي ذكره لانه ابلغ وبهذا الوجه استدل من قال يجوز استثنا النصف والاكثر ووجه
الدلالة على الاول انه جعل قليلا مستثنى من الليل ثم فسر ذلك القليل بالنصف فكانه قيل قم
الليل الا نصفه ووجه الدلالة على الثاني انه عطف او زد عليه على انقص منه فيكون قد استثنى
الزايد على النصف لان الضمير في منه وفي عليه عايد على النصف وهو استدلال ضعيف لان الكثرة
انما جاءت بالعطف وهو نظير ان يقول له عندي عشرة الا خمسة ودرهما ودرهما فالزيادة على
النصف بطريق العطف لا بطريق ان الاستثنا اخرج الاكثر بنفسه الثالث ان نصفه بدل من
الليل ايضا كما تقدم في الوجه الاول الا ان الضمير في منه وعليه عايد على الاقل من النصف
واليه ذهب الزمخشري فانه قال وان شئت قلت لما كان معنى قم الليل الا قليلا نصفه اذا ابدلت
النصف من الليل يكون المعنى قم اقل من نصف الليل ويرجع الضمير في منه وعليه الى الاقل
من النصف فكانه قيل قم اقل من نصف الليل او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا
فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث الرابع ان يكون نصفه بدلا من قليلا كما تقدم
الا انك تجعل القليل الثاني ربع الليل وقد اوضح الزمخشري هذا ايضا فقال ويجوز اذا ابدلت
نصفه من قليلا وفسرته به ان تجعل قليلا الثاني بمعنى نصف النصف بمعنى الربع كانه قيل او
انقص منه قليلا نصفه ويجوز ان يجعل الزيادة لكونها مطلقة بين الثلث فيكون تخييرا بين
النصف والثلث والربع انتهى واختار ابن الخطيب هذا الوجه مع الوجه الثاني فقال وقد
اكثر الناس في هذه الاية وفيها وجهان ملخصان احدهما ان القليل في قوله الا قليلا هو الثلث
لان قوله تعالى في اخر السورة ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه يقتضي ان
اكثر المقادير الواجبة هو الثلثان فيكون نوم الثلث جايزا وهو قوله الا قليلا فكانه قيل قم
ثلثي الليل ثم قال نصفه معناه او قم نصفه من باب قولهم جالس الحسن او ابن سيرين على الاباحة
بحذف العاطف فالتقدير قم الثلثين او قم النصف او زد عليه فالثلثان اقصى الزيادة والثلث
اقصى النقصان فيكون الواجب هو الثلث والزايد عليه مندوبا فان قيل فيلزم على قراءة
الخفض في نصفه وثلثه ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم ترك من الواجب ادنى لانه تعالى قال
ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فيكون المعنى انك تقوم اقل من الثلثين
واقل من النصف واقل من الثلث فاذا كان الثلث واجبا كان صلى الله عليه وسلم تاركا للواجب
قلنا المقدر للشي قد ينقص منه لعدم انضباطه لانه باجتهاد فربما اخطا فهو كقوله تعالى علم
ان لن تحصوه الثاني ان نصفه تفسير لقليلا لان النصف قليل بالنسبة الى الكل ولان المكلف
بالنصف لا يخرج عن العهدة بيقين الا بزيادة شي قليل عليه فيصير في الحقيقة نصفا وشيا فيكون
الباقي بعد ذلك اقل من النصف فالمعنى قم نصف الليل او انقص منه نصفه وهو الربع او زد عليه
نصفه وهو الربع فيصير المجموع ثلاثة ارباع فيكون خيره بين ان يقوم تمام النصف او ربع
الليل او ثلاثة ارباعه وحينئذ يزول الاشكال بالكلية لان الربع اقل من الثلث وذلك ان قوله
تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه يدل على انه صلى الله عليه وسلم لم
يقم ثلثي الليل ولا نصفه ولا ثلثه لكن الواجب لما كان هو الربع فقط لم يلزم ترك قيام الثلث
الوجه الخامس ان يكون الا قليلا استثنا من القيام فيجعل الليل اسم جنس ثم قال الا قليلا اي
الا الليالي التي تخل اي بترك قيامها عند العذر البين ونحوه وهذا النظر يحسن مع القول بالندب قاله
ابن عطية احتمالا من عنده وهذا خلاف الظاهر وتاويل بعيد السادس قال الاخفش ان الاصل
قم الليل الا قليلا او نصفه قال كقولك اعطه درهما درهمين ثلاثة اي او درهمين او ثلاثة وهذا
ضعيف جدا لان فيه حذف حرف العطف وهو ممنوع لم يرد منه الا شي شاذ يمكن تاويله كقوله

اكلت لحما سمكا تمرا وقول الاخر ° كيف اصبحت كيف امسيت مما يزرع الود في فواد الكريم °

اي لحما وسمكا وتمرا وكذا كيف اصبحت وكيف امسيت وقد خرج الناس هذا على بدل البدا السابع قال
التبريزي الامر بالقيام والتخيير في الزيادة والنقصان وقع على الثلثين من اخر الليل لان
الثلث الاول وقت العتمة والاستثنا وارد على المامور به فكانه قال قم ثلثي الليل الا قليلا اي

ما دون نصفه او زد عليه اي على الثلثين من اجزا الليل لان الثلث الاول وقت العتمة فكان التخيير
في الزيادة والنقصان واقعا على الثلثين وهو كلام غريب لا يظهر من هذا التركيب الثاني ان
نصفه منصوب على اضمار فعل اي قم نصفه حكاه مكي عن غيره فانه قال نصفه بدل من الليل
وقيل انتصب على اضمار فعل قم نصفه قال شهاب الدين وهذا في التحقيق هو وجه البدل الذي
ذكره اولا لان البدل على نية تكرار العامل **فصل** اختلفوا في الناسخ للامر بقيام الليل
فعن ابن عباس وعايشة ان الناسخ قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل
الى اخرها وقيل قوله تعالى علم ان لن تحصوه وعن ابن عباس ايضا انه منسوخ بقوله علم ان سيكون
منكم مرضى وعن عايشة ايضا والشافعي وابن كيسان هو منسوخ بالصلوات الخمس وقيل الناسخ
قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه قال ابو عبد الرحمن المسلمي لما نزلت يا ايها المزمل قاموا حتى ورمت
اقدامهم وسوقهم ثم نزل قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه قال بعض العلما وهو فرض نسخ به فرض
كان على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لفضله كما قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك قال
القرطبي والقول الاول يعم جميع هذه الاقوال وقد قال تعالى واقيموا الصلاة فدخل فيها قول
من قال ان الناسخ الصلوات الخمس وذهب الحسن وابن سيرين الى ان صلاة الليل كانت فريضة
على كل مسلم ولو على قدر حلب شاة عن الحسن ايضا انه قال في هذه الاية الحمد لله تطوع بعد الفريضة
وهو الصحيح ان شا الله تعالى لما جا في قيامه من الترغيب والفضل في القران والسنة قالت
عايشة كنت اجعل للنبي صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلي عليه من الليل فتسامع الناس به فلما راى
جماعتهم كره ذلك وخشي ان يكتب عليهم قيام الليل فدخل البيت كالمغضب فجعلوا يتنحنحون ويتفلون
فخرج اليهم فقال ايها الناس تكلفوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا
من العمل وان خير العمل ادومه وان قل فنزلت يا ايها المزمل فكتبت عليهم وانزل بمنزلة الفريضة
حتى ان كان احدهم ليربط الحبل فيتعلق به فمكثوا ثمانية اشهر فنزل قوله ان ربك يعلم انك تقوم
ادنى من ثلثي الليل فردهم الله الى الفريضة ووضع عنهم قيام الليل الا ما تطوعوا به قال
القرطبي ومعنى حديث عايشة ثابت في الصحيح الى قوله وان قل وباقيه يدل على ان قوله تعالى
يا ايها المزمل نزل بالمدينة وانهم مكثوا ثمانية اشهر يقومون وقد تقدم عنها في صحيح مسلم
حولا وحكى الماوردي عنها قولا ثالثا وهو ستة عشر شهرا لم يذكره غيره عنها وذكر عن ابن عباس
انه كان بين اول المزمل واخرها سنة قال فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان فرضا عليه
وقيل في نسخه عنه قولان احدهما انه كان فرضا عليه الى ان مات والثاني انه نسخ عنه كما نسخ
عن امته وفي مدة فرضه الى ان نسخ قولان احدهما المدة المفروضة على امته في القولين الماضيين
يريد قول ابن عباس حولا وقول عايشة ستة عشر شهرا الثاني انها عشر سنين الى ان خفف
عنه بالنسخ قوله تعالى ورتل القران ترتيلا اي لا تعجل في قراءة القران بل اقراه على مهل
وتبينه تبيينا مع تدبر المعاني قال المبرد اصله من قولهم ثغر رتل ورتل بكسر العين وفتحها
اذا كان حسن التنضيد ورتلت الكلام ترتيلا اذا امهلت فيه ويقال ثغر رتل اذا كان بين الثنايا
افتراق قليل فقوله تعالى ترتيلا تاكيد في ايجاب الامر به وانه مما لا بد منه للقاري روي الحسن
ان النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يقرا اية ويبكي فقال المستمعوا الى قول الله عز وجل
ورتل القران ترتيلا هذا الترتيل وروى ابو داود وعن عبد الرحمن بن عمرو قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم يوتى بقارئ القران يوم القيمة فيوقف في اول درج الجنة ويقال له اقرا
وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند اخر اية تقراوها قوله انا سنلقي
عليك قولا ثقيلا الجملة من قوله انا سنلقي مستانفة وقال الزمخشري وهذه الاية اعتراض ثم
قال واراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقال الصعبة التي ورد بها
القران لان الليل وقت السبات والراحة والهدو فلا بد لمن احياه من مضادة لطبيعته ومجاهدة
لنفسه انتهى يعني بالاعتراض من حيث المعنى لا من حيث الصناعة وذلك ان قوله ان ناشئة
الليل هي اشد مطابق لقوله قم الليل فكانه شابه الاعتراض من حيث دخوله بين هذين
المتناسبين **فصل** المعنى سنلقي عليك بافتراض صلاة الليل قولا ثقيلا يثقل
لمثقل حمله لان الليل للمنام فمن امر بقيامه اكثره لم يتهيا له ذلك الا بحمل مشقة شديدة على النفس

ومجاهدة للشيطان فهو امر مثقل على العبد وقيل المعنى سنوحي اليك القران وهو قول ثقيل يثقل
العمل بشرايعه قال قتادة ثقيل والله فرايضه وحدوده وقال مجاهد حلاله وحرامه وقال
الحسن العمل به وقال ابو العالية ثقيلا بالوعد والوعيد والحلال والحرام وقال محمد بن كعب ثقيلا
على المنافقين لانه يهتك اسرارهم ويبطل اديانهم وقيل على الكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم
والبيان لضلالتهم وسب الهتهم وقال السدي ثقيل بمعنى كريم ماخوذ من قولهم فلان ثقيل
علي اي تكرم علي وقال الفرا ثقيلا اي رزينا وقال الحسن بن الفضل ثقيلا لا يحمله الا قلب مؤيد
بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد وقال ابن زيد هو والله ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا يثقل
في الميزان يوم القيمة وقيل ثقيلا اي ثابت كثبوت الثقيل في محله ومعناه انه ثابت الاعجاز
لا يزول اعجازه ابدا وقيل ثقيل بمعنى ان العقل الواحد لا يفي بادراك فوايده ومعانيه بالكلية
فالمتكلمون غاصوا في بحار معقولاته والفقها بحثوا في احكامه وكذا اهل اللغة والنحو وارباب
المعاني ثم لا يزال كل متاخر يفوز منه بفوايد ما وصل اليها المتقدمون فعلمنا ان الانسان
الواحد لا يقوى على الاشتغال بحمله فصار كالجبل الثقيل الذي يعجز الخلق عن حمله وقيل هو
الوحي كما جا في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوحي اليه وهو على ناقته وضعت جرانها
يعني صدرها على الارض فما تستطيع ان تتحرك حتى يسرى عنه وقال القشيري القول الثقيل
هنا هو قول لا اله الا الله لانه ورد في الخبر لا اله الا الله خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان
قوله ان ناشئة الليل في الناشئة اوجه احدها انها صفة لمحذوف اي النفس الناشئة بالليل
التي تنشا من مضجعها اي تنهض وترتفع من نشات السحابة اذا ارتفعت ونشا من مكانه ونشر
اذا نهض قال • نشانا الى خوص برى نيها السرى • واشرف منها مشرفات القماحد •
الثاني انها مصدر بمعنى قيام الليل على انها مصدر من نشا اذا قام من الليل قال ابو حيان يعني
هذا جمع ناشئ اي قايم يعني انها صفة لشي يفهم الجمع اي طايفة او فرقة ناشئة والا ففاعل
لا يجمع على فاعلة قال القرطبي قال ابن مسعود الحبشة يقولون نشا اي قام قال القرطبي فلعله
اراد ان الكلمة عربية ولكنها شايعة في كلام الحبشة غالبة عليهم والا فليس في القران ما ليس من
لغة العرب الرابع ان ناشئة الليل ساعاته واوقاته لانها تنشا شيئا بعد شي قال القرطبي لانها
تنشا اولا فاولا ولا يقال نشا الشي ينشا اذا ابتدا واقبل شيئا بعد شي فهو ناشئ وانشاه الله فنشا
فالمعنى ساعات الليل الناشئة فاكتفى بالوصف عن الاسم فالتانيث للفظ ساعة لان كل ساعة
تحدث وقيدها ابن عباس والحسن بما كان بعد العشا وما كان قبلها فليس بناشئة وخصصتها عايشة
بان تكون بعد النوم فلو لم يتقدمها نوم لم تكن ناشئة هي اشد وطا وقرا ابو عمرو وابن عامر بكسر
الواو وفتح الطا بعدها الف والباقون بفتح الواو وسكون الطا وقرا قتادة وشبل عن اهل
مكة وطا بكسر الواو وسكون الطا وظاهر كلام ابي البقا يوذن انه قرئ بفتح الواو ومع المد بان
قال وطا بكسر الواو بمعنى مواطاة وبفتحها اسم للمصدر ووطا على فعل وهو مصدر وطي فالوطا
مصدر واطا كقتال مصدر قاتل والمعنى انها اشد مواطاة اي يواطي قلبها لسانها ان اردت النفس
او يواطي فيها قلب القايم لسانه ان اردت القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد من
الاخلاص والخشوع والوطا بالفتح او الكسر على معنى اشد ثبات قدم وابعد من الزلل او اثقل
واغلظ من صلاة النهار على المصلي من قوله عليه السلام اللهم اشدد وطاتك على مضر وعلى كل تقدير
فانتصابه على التمييز قوله واقوم قيلا حكى الزمخشري ان انسا قرا واصوب قيلا فقيل له
يا ابا حمزة انما هي اقوم فقال ان اقوم واصوب واهيا واحد وان ابا سوار الغنوي قرا فجاسوا
خلال الديار بالحا المهملة فقيل له هي بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد قال شهاب الدين
وغرضه في هاتين الحكايتين جواز قراءة القران بالمعنى وليس في هذا دليل لانه تفسير معنى
وايضا فالذي بين ايدينا قران متواتر وهذه الحكاية احاد وقد تقدم ان ابا الدردا كان يقرا
رجلا ان شجرة الزقوم طعام الاثيم فجعل الرجل يقول اليتيم فلما تبرم منه قال طعام الفاجر
يا هذا فاستدل به على ذلك من يرى جوازه وليس فيه دليل لان مقصود ابي الدردا بيان المعنى
فجا بلفظ مبين قال ابن الانباري وقد ذهب بعض الزايغين الى ان من قال ان من قرا بحرف
يوافق معنى حرف من القران فهو مصيب اذا لم يخالف ولم يات بغير ما اراد الله واحتجوا بقول

انسي هذا وهذا قول لا يعرج عليه ولا يلتفت الي قايله لانه لو قري بالفاظ القران اذا قاربت معانيها واشتملت على عانيها لجاز ان يقرا في موضع الحمد لله رب العالمين الشكر للباري ملك المخلوقين ويتسع الامر في هذا حتي يبطل لفظ جميع القرات ويكون التالي لم مفتريا على الله تعالي كاذبا علي رسوله صلي الله عليه وسلم ولا حجة لهم في قول ابن مسعود نزل القران على سبعة احرف انما هو كقول احدكم تعلم ويقال واقبل لان هذا الحديث يوجب ان القرات المنقولة بالاسانيد الصحاح عن النبي صلي الله عليه وسلم اذا اختلفت الفاظها واتفقت معانيها كان ذلك فيها بمنزلة الخلاف في هلم وتعالي واقبل فاما ما لم يقرا به النبي صلي الله عليه وسلم واصحابه وتابعوهم فان من اورد حرفا منه في القران بهت ومال احرج عن مذهب الصواب وحزبهم الذي جعلوه قاعد بهم في هذه الضلالة لا يصححه اهل العلم **فصل** بين تعالي في هذه الاية فضل صلاة الليل على صلاة النهار وان الاستكثار من صلاة الليل بالقراة فيها ما امكن اعظم للاجر واجلب للثواب كان علي بن الحسين يصلي بين المغرب والعشا ويقول هذا ناشية الليل وقال عطا وعكرمة هو بدو الليل قال في الصحاح ناشية الليل اول ساعاته وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما هي الليل كله لانه ينشا بعد النهار وهو اختيار مالك قال ابن العربي وهو الذي يعطيه اللفظ ويقتضيه اللغة وقالت عايشة وابن عباس ايضا ومجاهد انما الناشية القيام بالليل بعد النوم ومن قام قبل النوم فما قام ناشية وقال يمان وابن كيسان هو القيام من اخر الليل واما قوله اشد وطا اي اثقل علي المصلي من ساعات النهار لان الليل وقت منام وراحة فاذا قام الي صلاة الليل فقد تحمل المشقة العظيمة هذا علي قراة كسر الواو وفتح التا واما علي قراة المد فهو مصدر واطات وطاء ومواطاه اي وافقت على الامر من الوفاق يقول فلان يواطي اسمه اسمي اي يوافقه فالمعني اشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان لانقطاع الاصوات والحركات قاله مجاهد وابن مليكة وغيرهما قال تعالي ليواطيوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا وقيل اشد مهادا للتصرف في التفكر والتدبر وقيل اشد ثباتا من النهار فان الليل يخلو فيه الانسان بما يعمله فيكون ذلك اثبت للعمل والوطي الثبات يقول وطيت الارض بقدمي وقوله اقوم قيلا اي القراة بالليل اقوم منها بالنهار اي اشد استقامة واستمرارا على الصواب لان الاصوات هادية والدنيا ساكنة فلا يضطرب على المصلي ما يقراه وقال قتادة ومجاهد اصوب للقراة واثبت للقول لانه زمان التفهم وقيل اشد استقامة لفراغ البال بالليل وقيل اعجل اجابة للدعا حكاه ابن شجرة وقال عكرمة عبادة الليل اتم نشاطا واتم اخلاصا واكثر بركة قوله ان لك في النهار سبحا طويلا قرا العامة بالحا المهملة وهو مصدر سبح وهو استعارة للتصرف في الحوايج من السباحة وهو البعد فيه وقال القرطبي السبح الجري والدوران ومنه السابح في الما لتقلبه بيديه ورجليه وفرس سابح شديد الجري قال امري القيس

• اذا ما السابحات على الونا اثرن • غبارا بالكديد المركل •

وقيل السبح الفراغ اي ان لك فراغا للحاجات بالنهار وعن ابن عباس وعطا سبحا طويلا يعني لنومك وراحتك فاجعل ناشية الليل لعبادتك وقرا يحيي بن يعمر وعكرمة وابن ابي عبلة سبخا بالخا المعجمة واختلفوا في تفسيرها فقال الزمخشري استعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزايه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل وقيل التسبيخ التخفيف حكي الاصمعي سبخ الله عنك الحمي اي خففها عنك قال الشاعر

• فسبخ عليك الهم واعلم بانه • اذا قدر الرحمن شيا فكاين •

اي خفف ومنه قول النبي صلي الله عليه وسلم لعايشة وقد دعت على سارق رداءها لا تسبخي بدعايك عليه اي لا تخففي وقيل التسبيخ المد يقال سبخي قطنك اي مديه والسبيخة قطعة من القطن والجمع سبايخ قال الاخطل يصف صايدا وكلابا

• فارسلوهن يذرين التراب كما • تذري سبايخ قطن ندف اوتار •

وقال ابو الفضل الرازي قرا ابن يعمر وعكرمة سبخا بالخا المعجمة وقال معناه نوما اي تنام بالنهار لتستعين به على قيام الليل وقد تحتمل هذه القراة غير هذا المعني لكنهما فسراها فلا نجاوز

عنه قال شهاب الدين في هذا نظر لانهما غاية ما في الباب انهما نقلا هذه القراة وظهر لهما تفسيرها بما ذكرا ولا يلزم من ذلك انه لا يجوز غير ما ذكرا من تفسير اللفظة وقال ثعلب السبخ بالخا التردد والاضطراب والسبخ السكون ومنه قول النبي صلي الله عليه وسلم الحمي من فيح جهنم فسبخوها بالما اي سكنوها وقال ابو عمرو السبخ النوم والفراغ فعلي هذا يكون من الاضداد ويكون بمعني السبح بالحا المهملة قوله واذكر اسم ربك اي دعه باسمايه الحسني ليحصل لك مع الصلاة محمود العاقبة وقيل اقصد بعملك وجه ربك وقال سهل اقرا بسم الله الرحمن الرحيم في ابتدا صلاتك توصلك بركة قراتها الي ربك وتقطعك عما سواه وقيل واذكر اسم ربك في وعده ووعيده لتوفر على طاعته وتعدل عن معصيته وقال الكلبي صل لربك اي بالنهار قال القرطبي وهذا حسن لانه لما ذكر الليل ذكر النهار اذ هو قسيمه وقد قال تعالي وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر قوله وتبتل اليه تبتيلا هذا مصدر على غير المصدر وهو واقع موقع التبتل لان مصدر تفعل تفعل نحو تصرف تصرفا وتكرم تكرما واما التفعيل فمصدر فعل نحو صرف تصريفا كقول الاخر وقد تطويت انطواء الحضب فاوقع الانفعال موقع التفعل قال الزمخشري لان معني تبتل بتل نفسه فجي به على معناه مراعاة لحق الفواصل والتبتل الانقطاع ومنه امراة بتول اي انقطعت عن النكاح وبتلت الحبل قطعته قال الليث التبتل تمييز الشي من الشي وقالوا طلقة بتلة يعنون انقطاعها عن صاحبها فالتبتل ترك النكاح والزهد فيه ومنه سمي الراهب متبتلا لانقطاعه عن النكاح قال امرو القيس يصف الظلام بالعشا كانها منارة ممسي راهب متبتل ومنه الحديث انه نهي عن التبتل وقال معشر الشباب من استطاع الباة فليتزوج والمراد به في الاية الكريمة الانقطاع الي عبادة الله تعالي دون ترك النكاح والتبتل في الاصل الانقطاع عن الناس والجماعات وقيل ان اصله عند العرب التفرد قاله ابن عرفة قال ابن العربي هذا فيما مضي واما اليوم وقد مرجت عهود الناس وخفت اماناتهم واستولي الحرام على الحطام فالعزلة خير من الخلطة والعزبة افضل من التاهل ولكن معني الاية وانقطع عن الاوثان والاصنام وعن عبادة غير الله وكذا قال مجاهد معناه اخلص له العبادة ولم يرد التبتل فصار التبتل مامورا به في القران منهيا عنه في السنة ومتعلق الامر غير متعلق النهي فلا يتنافيان وانما بعث ليبين للناس ما نزل اليهم والتبتل المامور به الانقطاع الي الله باخلاص العبادة كما قال تعالي وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والتبتل المنهي عنه هو سلوك مسلك النصاري في ترك النكاح والترهب في الصوامع لكن عند فساد الزمان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن قوله رب المشرق والمغرب قرا الاخوان وابو بكر وابن عامر بجر رب على النعت لربك او البدل منه او البيان له وقال الزمخشري وعن ابن عباس على القسم باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كما تقول والله لا احد في الدار الا زيد قال ابو حيان لعل هذا التخريج لا يصح عن ابن عباس لان فيه اضمار الجار ولا يجيزه البصريون الا مع لفظ الجلالة المعظمة خاصة ولان الجملة المنفية في جواب القسم اذا كانت اسمية فانها تنفي بما وحدها ولا تنفي بلا الا الجملة المصدرة بمضارع كثيرا او بماض في معناه قليلا نحو قول الشاعر

• ردوا فوالله لا ذدناكم ابدا • ما دام في مايناما لوراد •

والزمخشري اورد ذلك على سبيل التجويز والتسليم والذي ذكره النحويون هو نفيها بما كقوله

• لعمرك ما سعد بخلة اثم • ولا ناي يوم الحفاظ ولا حصر •

قال شهاب الدين قد اطلق مالك ان الجملة المنفية سوا كانت اسمية ام فعلية تنفي بما او لا او ان بمعني ما وهذا هو الظاهر وبا في السبعة برفعه على الابتداء وخبره الجملة من قوله لا اله الا هو او على خبر ابتدا مضمر اي هو رب وهذا احسن لارتباط الكلام بعضه ببعض وقرا زيد بن علي رب بالنصب على المدح وقرا العامة المشرق والمغرب موحدين وعبد الله وابن عباس المشارق والمغارب ويجوز ان ينتصب رب في قراة زيد من وجهين اظهرهما انه بدل من اسم ربك او بيان له او نعت له قاله ابو البقا وهذا يجي على ان الاسم هو المسمي والثاني انه منصوب على الاشتغال بفعل مضمر اي فاتخذ رب المشرق فاتخذه وما بينهما اعتراض والمعني ان من علم انه رب المشارق والمغارب انقطع بعمله اليه واتخذه وكيلا اي قايما بامورك وقيل كفيلا بما وعدك قوله واصبر على ما يقولون اي من الاذي والسب والاستهزا ولا تجزع من قولهم ولا تمتنع من دعايهم وفوض امرهم الي فاني اذا كنت

وكهلا لك اقوم باصلاح امرك احسن من قيامك باموربنفسك واهجرهم هجرا جميلا المجر تركه المخالطة اي لا تعرض لهم ولا تشتغل عكا فاتهم فان ذلك ترك للدعا الي الله وكان هذا قبل الامر بالقتال ثم امر بعد ذلك بقتالهم قال قتادة وغيره فنسختها اية القتال وقال ابوالدردا انا لنكشر في وجوه ونضحك اليهم وان قلوبنا لتلعنهم قال ابن الخطيب وقيل وهو الاصح انها محكمة قوله وذرني والمكذبين يجوز نصب المكذبين على المعية وهو الظاهر ويجوز على النسق وهو اوفق للصناعة والمعني ارضي بي لعقابهم نزلت في صناديد قريش ورؤسا مكة من المستهزئين وقال مقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وهم عشرة تقدم ذكرهم في الانفال وقال يحيي بن سلام انهم بنو المغيرة وقال سعيد بن جبير اخبرت انهم اثنا عشر رجلا اولي النعمة اي اولي الغني والترف واللذة في الدنيا ومهلهم قليلا يعني الي مدة اجالهم قالت عايشة رضي الله عنها لما نزلت هذه الاية لم يكن الا يسيرا حتي وقعت وقعة بدر وقيل ومهلهم قليلا مدة الدنيا قوله اولي النعمة نعت للمكذبين والنعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام المرء يقال نعمه ونغمه عين وقوله قليلا نعت لمصدر اي تمهيلا قليلا او لظرف زمان محذوف اي زمانا قليلا قوله ان لدينا انكالا جمع نكل وفيه قولان اشهرهما انه القيد وقيل الغل وقالت الخنسا

• دعاك فقطعت انكاله • وقد كان من قبل لا يقطع •

قال الحسن ومجاهد وغيرهما الانكال القيود واحدها نكل وهو ما منع الانسان من الحركة وقيل سمي نكلا لانه ينكل به قال الشعبي اترون ان الله جعل الانكال في ارجل اهل النار خشية ان يهربوا لا والله ولكنهم اذا ارادوا ان يرتقوا استقلت بهم وقال الكلبي الانكال الاغلال وقال مقاتل الانكال انواع العذاب الشديد وقال عليه السلام ان الله يحب النكل على النكل قاله الجوهري بالتحريك قيل وما النكل قال الرجل القوي المجرب على الفرس القوي المجرب وذكره الماوردي قال ومن ذلك سمي القيد نكلا لقوته وكذلك الغل وكل عذاب قوي قال ابن الاثير المنكل بالتحريك من التنكيل وهو المنع والتنحية عما يريد يقال رجل نكل ونكل كشبه وشبه اي ينكل به اعداه وقد نكل عن الامر ينكل ونكل ينكل اذا امتنع ومنه النكول في اليمين وهو الامتناع منها وترك الاقدام عليها والجحيم النار الموججة وطعاما ذا غصة الغصة الشجي وهو ما ينشب في الحلق فلا يساغ ويقال غصصت بالكسر فانت غاص وغصان قال

• لو بغير الما حلقي شرق • كنت كالغصان بالما اعتصاري •

والمعني طعاما غير سايغ ياخذ بالحلق لا هو نازل ولا هو خارج وهو الغسلين والزقوم والضريع قاله ابن عباس وعنه ايضا انه شوك يدخل الحلق فلا ينزل ولا يخرج وقال الزجاج اي طعامهم الضريع وهو شوك كالعوسج وقال مجاهد هو كالزقوم والغصة الشجي وهو ما ينشب في الحلق من عظم او غيره وجمعها غصص والغصص بالفتح مصدر قولك غصصت يا رجل تغص فانت غاص بالطعام وغصان وغصصته انا والمنزل غاص بالقوم اي ممتلي بهم ومعني الاية ان لدينا في الاخرة ما يضاد تنعمهم في الدنيا وهي هذه الامور الاربعة الانكال والجحيم والطعام الذي يغص به والعذاب الاليم والمراد به ساير انواع العذاب قوله يوم ترجف الارض والجبال اي تتحرك وفي نصب يوم اوجه احدها انه منصوب بذرني وفيه بعد والثاني انه منصوب بالاستقرار المتعلق به لدينا والثالث انه صفة لعذابا فيتعلق بمحذوف اي عذابا واقعا يوم ترجف الجبال من انه منصوب باليم والعامة ترجف بفتح التا وضم الجيم مبنيا للفاعل وزيد بن علي مبنيا للمفعول من ارجفها بنزع الخافض اي هذه العقوبة في يوم ترجف الثالث نصب والمرجفة الزلزلة والرعزعة الشديدة والجمع في القلة اكثبة وفي الكثرة كثبان وكثب كرغيف وارغفة ورغفان ورغف قال ذو الرمة

• دخلت لها ان اهل حيرة • لاكثبة الدهنا جميعا وماليا •

قال الزمخشري من كثبت الشي اذا جمعته ومنه الكثبة من اللبن قالت الضابية من اللبن قالت الضابية اجرجفا لا واحلت كثبا عجالا قوله وكانت الجبال اي وتكون الجبال كثيبا مهيلا الكثيب الرمل المجتمع قال حسان

• عرفت ديار زينب بالكثيب • كخط الوحي في الورق القشيب •

فالمهيل

فالمهيل اصله مهيول كمضروب فاستثقلت الضمة على اليا فنقلت الي الساكن قبلها وهو الها فالتقي ساكنان فاختلف النحاة في العمل في ذلك فسيبويه واتباعه حذفوا الواو وكانت اولي بالحذف لانها زايدة وان كانت القاعدة انما تحذف لالتقا الساكنين الاول ثم كسروا الها لتصح اليا ووزنه حينئذ مفعل والكسائي والفرا والاخفش حذفوا اليا لان القاعدة في التقا الساكنين اذا احتيج الي حذف احدهما حذف الاول وكان ينبغي على قولهم ان يقال فيه مهول الا انهم كسروا الها لاجل اليا التي كانت فقلبت الواو يا ووزنه حينئذ مفولا على الاصل ومفيلا بعد القلب قال مكي وقد اجاز والكلمتان ياتي على اصله في الكلام فتقول مهيول ومبيوع وما اشبه ذلك من ذوات اليا فان كان من ذوات الواو لم يجز ان ياتي على اصله عند البصريين واجازه الكوفيون نحو مقوول ومصووغ واجازه كلهم مهول ومبوع على لغة من قال بوع المتاع وقول القول ويكون الاختلاف في المحذوف منه على ما تقدم قال شهاب الدين السمين في مبيوع ومهيول وبابه لغة اهل الحجاز يعني اهاله فهو مهال نحو اباعه فهو مباع والمهيل ما انهال تحت القدم اي انصب من هلت التراب اي طرحته وقال القرطبي والمهيل الذي يمر تحت الارجل قال الضحاك والكلبي المهيل الذي اذا وطيته بالقدم زل من تحتها واذا اخذت اسفله انهال وقال ابن عباس مهيلا اي رملا سايلا متناثرا قال القرطبي واصله مهيول وهو مفعول من قولك هلت عليه التراب اهيله اهالة وهيلا اذا اصببت يقال مهيل ومهيول ومكيل ومكيول ومدين ومديون ومعين ومعيون قال الشاعر قد كان قومك يحسبونك سيدا واخال انك سيد معيون وقال عليه السلام حين شكوا اليه الجدوبة ايكيلون ام يهيلون قالوا يهيلون قال كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه واعلم انه تعالى لما خوف المكذبين اولي النعمة باهوال يوم القيمة خوفهم بعد ذلك باهوال الدنيا فقال انا ارسلنا اليكم رسولا يريد النبي صلى الله عليه وسلم ارسله الي قريش كما ارسلنا الي فرعون رسولا وهو موسي عليه السلام وهذا تهديد لاهل مكة بالاخذ الوبيل قال مقاتل وانما ذكر موسي وفرعون دون ساير الرسل لان اهل مكة ازدروا محمدا عليه السلام واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدري بموسي لانه رباه ونشا فيما بينهم كما قال تعالى الم نربك فينا وليدا وذكر ابن الخطيب هذا السوال والجواب وهو ليس بالقوي لان ابراهيم عليه السلام ولد ونشا فيما بين قوم نمرود وكان ازور بن نمرود على ما ذكره المفسرون ولذلك القول في نوح وهود وصالح ولوط لقوله تعالى في قصة كل واحد منهم لفظ اخاهم لانه من القبيلة التي بعث اليها وقوله فعصي فرعون الرسول انما عرفه لتقدم ذكره وهذه ال العهدية والعرب اذا قدمت اسما ثم حكت عنه ثانيا اتوا به معرفا بال او اتوا بضميره لئلا يلبس بغيره نحو رايت رجلا فاكرمت الرجل او فاكرمته ولو قلت فاكرمت رجلا لتوهم انه غير الاول وسياتي في تحقيق هذا عند قوله تعالى ان مع العسر يسرا وقوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين قال المهدوي هنا ودخلت الالف واللام في الرسول لتقدم ذكره وكذلك اختير في اول الكتب سلام عليكم وفي اخرها السلام عليكم قوله فاخذناه اخذا وبيلا اي شديدا وضرب وبيل وعذاب وبيل اي شديد قاله ابن عباس ومجاهد ومنه مطر وابل اي شديد قاله الاخفش وقال الزجاج اي ثقيلا غليظا ومنه قيل للمطر وابل اي شديد قاله الاخفش وقال الزجاج اي ثقيلا غليظا ومنه قيل للمطر وابل وقيل مهلكا قال اكلت بنيك اكل الضب حتي وجدت مرارة الكلام الوبيل واستوبل فلان كذا اي لم يحمد عاقبته وما وبيل اي وخم غير مري وكلام مستوبل وطعام وبيل ومستوبل اذا لم يمري ولم يستمر قال زهير بعصوا هابا سهم ثم اصدروا الي كلا مستوبل متوخم وقالت الخنسا

• لقد اكلت بجيلة يوم لاقت • فوارس مالك اكلا وبيلا •

والوبيل ايضا العصا الضخمة قال لو اصبح في يمني يدي زمامها وفي كفي الاخري وبيل تحاذر وكذلك الوبيل بكسر البا والموبل ايضا الحزمة من الحطب وكذلك الوبيل قال طرفة عقيلة شيخ كالوبيل المدد

فصل

قال ابن الخطيب هذه الاية يمكن ان يستدل بها على اثبات القياس لان الكلام انما ينتظم لو قسنا احدي الصورتين على الاخري فان قيل هب ان

القياس في هذه الصورة حجة نلم قلتم انه في سائر الصور حجة وحينئذ يحتاج الى قياس سائر
القياسات بالقياس على هذه الصورة وان المحذور الذي ذكرتم بل وجه التمسك ان يقول
لولا انه ممهد عندهم ان الشيئين اللذين يشتركان في مناط الحكم ظنا يجب اشتراكهما في الحكم
والا لما اورد هذا الكلام في هذه الصورة وذلك لان الاحتمال الفرق المرجوح قايم ههنا فان
للقايل ان يقول لعلهم انما استوجبوا الاخذ الوبيل بخصوصية حال العصيان في تلك الصورة
وتلك الخصوصية غير موجودة ههنا ثم انه تعالى مع قيام هذا الاحتمال جزم بالتسوية في الحكم
فهذا الجزم لا بد وان يقال انه كان مسبوقا بتقدير انه شيء وقع الاشتراك في المناط الظاهر
وجب الجزم لا بد وان يقال انه بالاشتراك في الحكم وان الفرق المرجوح من ان ذلك الخصوص
تلك الواقعة لا عبرة به لم يكن لهذا الكلام كثير فايدة ولا معنى لقولنا ان القياس حجة الا هذا

فصل قال ابن الخطيب ومعنى كون الرسول شاهدا عليهم من وجهين الاول انه
شاهد عليهم يوم القيمة بكفرهم وتكذيبهم الثاني ان المراد بكونه شاهدا كونه مبينا
للحق في الدنيا ومبينا لبطلان ما هم عليه من الكفر لان المشاهد بعينها دليل الحق ولذلك وصف
بالمخاطبينه ولا تمتنع ان يوصف صلى الله عليه وسلم بذلك من حيث انه يبين الحق قال ابن الخطيب
وهذا البعيد لان الله تعالى قال وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس اي عدولا
لاخيارا ويكون الرسول عليكم شهيدا فبين انه شاهد عليهم في المستقبل لان حمله على الشهادة
في الاخرة حقيقة وحمله على البيان مجاز والحقيقة اولى من المجاز قوله فكيف تتقون
ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا يوما منصوب اما بتتقون على سبيل المفعول به تجوزا وقال
الزمخشري يوما مفعول به اي فكيف تتقون انفسكم يوم القيمة وهوله ان بقيتم على الكفر
وناقشه ابو حيان فقال وتتقون مضارع اتقى واتقى ليس بمعنى وقى حتى يفسر به واتقى
يتعدى الى واحد ووقى يتعدى الى اثنين قال تعالى ووقاهم عذاب الجحيم ولذلك
قدره الزمخشري يوما مفعول به اي فكيف تتقون انفسكم يوم القيمة وهوله ان تقسم على
الكفر وناقشه ابو حيان فقال وتتقون مضارع اتقى واتقى ليس بمعنى وقى حتى يفسر به
واتقى يتعدى الى واحد ووقى يتعدى الى اثنين قال تعالى ووقاهم عذاب الجحيم ولذلك
قدره الزمخشري تتقون انفسكم لكنه ليس يتقون بمعنى تقون فلا يعدى تعديته اثنين
ويجوز ان ينتصب على الظرف اي فكيف لكم بالتقوى يوم القيمة ان كفرتم في الدنيا قاله
الزمخشري ويجوز ان ينتصب مفعولا به بكفرتم اذا جعل كفرتم بمعنى جحدتم اي فكيف
تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة ولا يجوز ان ينتصب ظرفا لانهم لا يكفرون ذلك
اليوم بل يومنون لا محالة ويجوز ان ينتصب على اسقاط الجار اي ان كفرتم بيوم القيمة

فصل قال القرطبي هذا تقريع وتوبيخ اي كيف تتقون العذاب ان كفرتم وفيه
تقديم وتاخير اي كيف تتقون يوما يجعل الولدان شيبا ان كفرتم وكذا قراة عبد الله وعطية
قال الحسن اي باي صلاة تتقون العذاب باي صوم تتقون العذاب وفيه اضمار اي كيف تتقون
عذاب يوم وقال قتادة والله ما يتقي من كفر بالله ذلك اليوم بشيء واليوم مفعول بتتقون
على هذه القراة وليس بظرف وان قدر الكفر بمعنى الجحود كان اليوم كفرتم وقال بعض المفسرين
وقف للتمام على قوله كفرتم والابتدا يوما يذهب الى ان اليوم مفعول يجعل والفعل لله
عز وجل كانه قال يجعل الله الولدان شيبا في يوم قال ابن الانباري وهذا لا يصح لان اليوم
هو الذي يفعل هذا من شدة هوله وقال المهدوي والضمير في يجعل يجوز ان يكون لله
عز وجل ويجوز ان يكون لليوم واذا كان لليوم صلح ان يكون صفة له ولا يصلح ذلك اذا كان
الضمير لله عز وجل الا مع تقدير حذف كانه قال يوم يجعل الله الولدان فيه شيبا وقال ابن
الانباري ومنهم من نصب اليوم بكفرتم وهذا قبيح لان اليوم اذا علق بكفرتم احتاج الى
صفة كفرتم ليوم فان احتج محتج بان الصفه قد تحذف وتنصب ما بعدها احتججنا عليه
بقراة عبد الله فكيف تتقون يوما قال القرطبي هذه القراة ليست بمتواترة وانما جاءت على
وجه التفسير واذا كان الكفر بمعنى الجحود فيوم مفعول صريح من غير صفة ولا حذف فيها اي
فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة والجزاء والعامة على تنوين يوما وجعل

الجملة بعده نعتا له والعايد محذوف اي جعلى الولدان فيه قاله ابو البقا ولم يتعرض للفاعل
في يجعل وهو على هذا ضمير الباري تعالى اي يوما يجعل الله فيه واحسن من هذا ان يجعل
العايد مضمرا في يجعل هو فاعله ويكون نسبة الجعل الى اليوم من باب المبالغة اي ان نفس
اليوم يجعل الولدان شيبا وقرا زيد بن علي يوم يجعل باضافة الظرف للجملة والفاعل على
هذا هو ضمير الباري تعالى والجعل هنا بمعنى التصيير وشيبا مفعول ثان وقرا ابو السماك
فكيف تتقون بكسر النون على الاضافة والولدان الصبيان وقال السدي هم اولاد الزنا
وقيل اولاد المشركين والعموم اصح اي يوم يشيب فيه الصغير من غير كبر وذلك حين يقال لادم
يا ادم قم فابعث بعث النار وقال القشيري ثم اهل الجنة يغير الله احوالهم واوصافهم على
ما يريد وقيل هذا ضرب مثل لشدة ذلك اليوم وهو مجاز لان يوم القيمة لا يكون فيه ولدان
ولكن معناه ان هيبة ذلك اليوم بحال لو كان فيه هناك صبي لشاب راسه من الهيبة ويقال
هذا وقت الفزع وقبل ان ينفخ في الصور نفخة الصعق والله اعلم وشيبا جمع اشيب واصل
الشين الضم فكسرت لتصح اليا نحو احمر وحمر قال الشاعر

منا الذي هو ما ان طر شاربه • والعانسون ومنا المرد والشيب •

وقال اخر لعين بنا شيبا وشيبنا مردا قال الزمخشري وفي بعض الكتب ان رجلا امسى
فاحم الشعر كحنك الغراب واصبح وهو ابيض الراس واللحية كالثغامة فقال رايت القيامة
والجنة والنار في المنام ورايت الناس يقادون في السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما
ترون ويجوز ان يوصف اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب
قال ابن الخطيب ان الله تعالى ذكر من هول ذلك اليوم امرين الاول جعل الولدان شيبا وفيه
وجهان الاول انه مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يوم تشيب نواصي الاطفال والاصل
فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان اسرع فيه المشيب لان كثرة الهموم توجب
انعصار الروح الى داخل القلب وذلك الانعصار يوجب انطفا الحرارة الغريزية وضعفها
يوجب بقا الاجزا الغذائية غير تامة النضج وذلك يوجب استيلا البلغم على الاخلاط
وذلك يوجب ابيضاض الشعر فلما راوا ان حصول الشيب من لوازم كثرة الهموم جعلوا الشيب
كناية عن الشدة والهموم وليس المراد ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا حقيقة لان
ايصال الالم والخوف الى الصبيان غير جايز يوم القيمة الثاني ما تقدم من طول اليوم وان
الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب قوله السما منفطر به صفة اخرى ان
متشققة بسبب هوله وشدته فتكون البا سببية وجوز الزمخشري ان تكون للاستعانة
فانه قال والبا في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به وقال القرطبي ومعنى
به اي فيه اي في ذلك اليوم لهوله هذا احسن ما قيل فيه ويقال منفطر به اي مثقلة به اثقالا يودي
الى انفطارها لعظمته عليها وخشيتها من وقوعها كقوله تعالى ثقلت في السموات والارض
وقيل به اي لذلك اليوم يقال فعلت كذا بحرمتك ولحرمتك والبا واللام وفي متقارب في مثل
هذا الموضع قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة وقيل به اي بالامر اي السما منفطر
بما يجعل الولدان شيبا وقيل منفطر بالله اي بامره وانما لم تؤنث الصفه لوجوه منها قال ابو عمرو
ابن العلا لانها بمعنى السقف تقول هذا السما البيت قال تعالى وجعلنا السما سقفا
محفوظا ومنها انها على النسب اي ذات انفطار نحو امراة مرضع وحايض اي ذات ارضاع وذات
حيض ومنها انها تذكر وتؤنث انشد الفرا •

فلو رفع السما اليه قوما • لحقنا بالسما وبالسحاب •

ومنها انها اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالتا فيقال سماة وقد تقدم ان اسم الجنس
يذكر ويؤنث ولهذا قال ابو علي الفارسي هو كقوله جراد منتشر والشجر الاخضر واعجاز
نخل منقعر يعني جاء على احد الجايزين وقيل ان تانيثها ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز تذكيره
قال الشاعر •

والعين بالاثمد الحيري مكحول •

قوله كان وعده مفعولا يجوز ان يكون المصدر لله تعالى وان لم يجر له ذكر للعلم به فيكون
المصدر مضافا لفاعله ويجوز ان يكون لليوم فيكون مضافا لمفعوله والفاعل وهو الله

مصدر **فصل** قال المفسرون كان وعده بالغنيمة والحساب والجزاء مفعولا كاينا لا شك
فيه ولا خلف وقال مقاتل كان وعده بان يظهر دينه على الدين كله قوله ان هذه تذكرة
اي هذه السورة او الايات عظة وقيل ايات القران اذ هو كالسورة الواحدة فمن شاء اتخذ الى
ربه سبيلا لان هذه الايات مشتملة على انواع الهداية والارشاد فمن شاء ان يومن ويتخذ بذلك
الى ربه سبيلا اي طريقا الى رضاه ورحمته فليرغب فقد امكن له لانه اظهر له الحجج والدلايل قيل
نسخت باية السيف وكذلك قوله تعالى فمن شاء ذكره قال الثعلبي والاشبه انه غير منسوخ
قوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل العامة على ضم اللام من ثلثي وهو الاصل
كالربع والسدس وقرا هشام باسكانها تخفيفا قوله ونصفه وثلثه قرا الكوفيون وابن كثير
بنصبهما والباقون بجرهما وفي الجر اشكال ناتي ان شاء الله تعالى فالنصب نسق على ادنى لانه
بمعنى وقت ادنى اي اقرب استعير الدنو لقرب المسافة في الزمان وهذا مطابق لما في اول
السورة من التقسيم وذلك انه اذا قام ادنى من ثلثي الليل فقد صدق عليه انه قام الليل الا
قليلا لان الزمان الذي لم يقم فيه الثلث وشيا من الثلثين فيصدق عليه قوله الا قليلا
واما قوله ونصفه فهو مطابق لقوله او لا نصفه واما قوله وثلثه فان قوله او انقص منه قليلا
قد ينتهي النقص في القليل الى ان يكون الوقت ثلثي الليل واما قوله او زد عليه فانه اذا زاد
على النصف قليلا كان الوقت اقل من الثلثين فيكون قد طابق ادنى من ثلثي الليل ويكون
قوله تعالى نصفه او انقص منه قليلا شرحا لمبهم ما دل عليه قوله قم الليل الا قليلا وعلى
قراءة النصب فسر الحسن تحصوه بمعنى تطيقوه واما قراءة الجر فمعناها انه قيام مختلف مرة
ادنى من الثلثين ومرة ادنى من النصف ومرة ادنى من الثلث وذلك لتعذر معرفة
البشر بمقدار الزمان مع عذر النوم وقد اوضح هذا كله الزمخشري فقال وقرى نصفه
وثلثه بالنصب على انك تقوم اقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما
مر في اول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث
وبين قيام الزايد عليه وهو الادنى من الثلثين وقرى بالجر اي تقوم اقل من الثلثين
واقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو ادنى من الثلثين والثلث
وهو ادنى من النصف والربع وهو ادنى من الثلث وهو الوجه الاخير انتهى يعني بالوجه
الاخير ما قدمه اول السورة من التاويلات وقال ابو عبد الله الفاسي وفي قراءة النصب
اشكال الا ان يقدر نصفه تارة وثلثه تارة واقل من النصف والثلث تارة فيصح المعنى
فصل قال القرطبي هذه الاية تفسير لقوله تعالى قم الليل الا قليلا نصفه او
انقص منه قليلا او زد عليه كما تقدم وهي الناسخة لفريضة قيام الليل كما تقدم ومعنى قوله
تقوم اي تصلي وادنى اي اقل وقرا ابن السميفع وابو حيوة وهشام عن اهل الشام ثلثي باسكان
اللام ونصفه وثلثه بالخفض قراءة العامة كما تقدم وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم عطفا
على ثلثي والمعنى وتقوم ادنى من ثلثي الليل ومن نصفه وثلثه لقوله تعالى علم ان لن تحصوه
فكيف يقومون نصفه او ثلثه وهو لا يحصونه واما قراءة النصب عطفا على ادنى والتقدير
تقوم ادنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه قال الفرا هو اشبه بالصواب لانه قال
اقل من الثلثين ثم ذكر نفس القلة لا اقل من القلة قال القشيري وعلى هذه القراءة يحتمل
انهم كانوا يصيبون الثلث والنصف لخفة القيام عليهم بذلك القدر وكانوا يزيدون وفي
الزيادة اصابة المقصود فاما الثلثان فكان يثقل عليهم قيامه فلا يصيبونه وينقصون
منه ويحتمل انهم امروا بالقيام نصف الليل ورخص لهم في الزيادة والنقصان وكانوا ينتهون
في الزيادة الى قريب من الثلثين وفي النصف الى الثلث ويحتمل انهم قدر لهم النصف وانقص
الى الثلث والزيادة الى الثلثين وكان فيهم من يفي بذلك وفيهم من يترك ذلك الى ان نسخ عنهم
وقيل انما فرض عليهم الربع وكانوا ينقصون من الربع قال القرطبي وهذا تحكم قوله وطايفة
من الذين معك رفع بالعطف على الضمير في تقوم وجوز ذلك الفصل بالظرف وما عطف عليه
قوله والله يقدر الليل قال الزمخشري وتقديم اسم الله عز وجل مبتدا مبنيا عليه تقدر
هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير ونازعه ابو حيان في ذلك وقال لو قيل زيد يحفظ

القران

القران لم يدل ذلك على اختصاصه وحمل الاختصاص في الاية مفهوما من السياق لا من السياق والمعنى
بعلم تقادير الليل والنهار على حقايقها وانتم تعلمون بالتحري والاجتهاد الذي يقع فيه الخطا
قوله علم ان لن تحصوه ان لن وان سيكون كلاهما مخففة من الثقيلة والفاصل النفي في حرف
التنفيس والمعنى علم ان لن يطيقوا معرفة حقايق ذلك والقيام به اي ان الله هو الذي يعلم
مقادير الليل والنهار على حقيقته وقيل المعنى ان لن تطيقوا قيام الليل والاول اصح لان قيام
الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه شق ذلك عليهم وكان الرجل لا يدري متى
نصف الليل من ثلثه فيقوم حتى يصبح مخافة ان يخطي فانتفخت اقدامهم وانتقعت الوانهم
فخفف الله عنهم وقال علم ان لن تحصوه اي علم انكم ان زدتم ثقل عليكم واحتجتم الى تكليف
ما ليس فرضا وان نقصتم شق معرفة ذلك عليكم قوله فتاب عليكم اي فعاد عليكم بالعفو
وهذا يدل على انه كان فيهم من ترك بعض امر به وقيل فتاب عليكم من فرض القيام او عن
عجزكم واصل التوبة الرجوع كما تقدم فالمعنى رجع لكم من تثقيل الى تخفيف ومن عسر الى
يسر وانما امروا بحفظ الاوقات بالتحري فخفف عنهم ذلك التحري وقيل معنى قوله والله
يقدر الليل والنهار اي يخلقهما مقدرين كقوله تعالى وخلق كل شي فقدره تقديرا قال
ابن العربي تقدير الخلقة لا يتعلق به حكم وانما يربط الله به ما يشاء من وضايف التكاليف
قوله فاقروا ما تيسر من القران قيل المراد نفس القراءة اي فاقروا فيما تصلون به بالليل
ما خف عليكم قال السدي مايه اية وقال الحسن من قرا مايه اية في ليلة لم يحاجه القران
وقال كعب من قرا في ليلة مايه اية كتب من القانتين وقال سعيد خمسون اية قال القرطبي
قول كعب اصح لقوله عليه السلام من قام بعشر ايات من القران لم يكتب من الغافلين ومن قام
بماية اية كتب من القانتين ومن قام بالف اية كتب من المقنطرين خرجه ابو داود الطيالسي
وروى انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا خمسين اية في
يوم او في ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرا مايه اية كتب من القانتين ومن قرا مايتي اية
لم يحاجه القران يوم القيمة ومن قرا خمس مايه اية كتب له قنطار من الاجر وقوله من
المقنطرين اي اعطي قنطارا من الاجر وجاء في الحديث ان القنطار الف ومايتا اوقية والاوقية
خير مما بين السماء والارض وقال ابو عبيدة القناطير واحدها قنطار ولا احد في العرب يعرف
وزنه ولا واحد للقنطار من لفظه وقال ثعلب المعمول عليه عند العرب انه اربعة الاف دينار
فاذا قالوا قناطير مقنطرة فهي اثنا عشر الف دينار وقيل ان القنطار ملء جلد ثور ذهبا وقيل
ثمانون الفا وقيل هو جملة كثيرة مجهولة من المال نقله ابن الاثير وقيل المعنى فاقروا ما تيسر
من القران اي فصلوا ما تيسر عليكم والصلاة تسمى قرانا قال تعالى وقران الفجر اي صلاة الفجر
قال ابن العربي والاول اصح لانه اخبر عن الصلاة واليها يرجع القول قال القرطبي والاول
اصح حملا للخطاب على ظاهر اللفظ والقول الثاني مجاز لانه من تسمية الشي ببعض ما هو من
اعماله **فصل** قال بعض العلما قوله تعالى فاقروا ما تيسر من القران نسخ قيام الليل
نصفه والنقصان من النصف والزيادة عليه ثم يحتمل قول الله عز وجل فاقروا ما تيسر منه معنيين
احدهما ان يكون فرضا ثانيا لانه ازيل به فرض غيره والاخر ان يكون فرضا منسوخا ازيل بغيره كما
ازيل به غيره وذلك بقول الله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اي تهجد بغير فرض عليه
بما تيسر منه قال الشافعي فكان الواجب طلب الاستدلال بالسنة على احد المعنيين فوجدنا سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على ان لا واجب من الصلاة الا الخمس **فصل** قال
القشيري والمشهور ان نسخ قيام الليل كان في حق الامة وبقيت الفريضة في حق النبي صلى
الله عليه وسلم وقيل انما نسخ التقدير بمقدار وبقي اصل الوجوب كقوله تعالى فما استيسر من
الهدي فالهدي لا بد منه كذلك لا بد من صلاة الليل ولكن فوض تقديره الى اختيار المصلي وعلى
هذا فقال قوم فرض قيام الليل اصلا ولعل الفريضة التي بقيت في حق النبي صلى الله عليه وسلم
هي هذا وهو قيامه ومقداره مفوض الى خيرته واذا ثبت ان القيام ليس فرضا فقوله تعالى فاقروا
ما تيسر منه معناه اقروا ان تيسر عليكم ذلك وصلوا ان شيتم وقال قوم ان النسخ بالكلية تقرر في
حق الرسول صلى الله عليه وسلم ايضا فما كانت صلاة الليل واجبة عليه وقوله نافلة لك

محمول على حقيقة النفل ومن قال بنسخ المقدار وبقي اصل وجوب قيام الليل ثم نسخ فهذا النسخ الثاني وقع ببيان مواقيت الصلاة كقوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس الاية وقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون الاية وما في الخبر من ان الزيادة على الصلوات الخمس تطوع وقيل وقع النسخ بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللامة كما ان فرضية الصلاة وان خوطب بها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يا ايها المزمل قم الليل فهي عامة له ولغيره وقد قيل ان فرضية قيام الليل امتدت الى ما بعد الهجرة ونسخت بالمدينة لقوله تعالى علم ان سيكون منكم مرضى واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله وانما فرض القتال بالمدينة فعلى هذا بيان المواقيت جرى بمكة فقيام الليل نسخ بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نسخ قول الله ان ربك يعلم انك تقوم وجوب صلاة الليل قوله علم ان سيكون منكم مرضى الاية بين سبحانه علة تخفيف قيام الليل فان الخلق منهم المريض ويشق عليه ان تفوته الصلاة والمسافر في التجارات قد لا يطيق قيام الليل والمجاهد كذلك فخفف الله عن الكل لاجل هولاء وقال ابن الخطيب لما علم الله تعالى اعذار هولاء يعني المريض والمسافر والمجاهد فلو لم يناموا في الليل لتوالت اسباب المشقة وهذا السبب ما كان موجودا في حق النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا فلا جرم لم ينسخ وجوب التهجد في حقه عليه السلام وان في قوله ان سيكون مخففة من الثقيلة اي علم انه سيكون قوله واخرون عطف على مرضى اي علم ان سيوجد منكم قوم مرضى وقوم اخرون مسافرون يضربون نعت لاخرون وكذلك يبتغون ويجوز ان يكون يبتغون حالا من فاعل يضربون واخرون عطف على اخرون ويقاتلون صفته

فصل سوى الله تعالى في هذه الاية بين درجة المجاهدين والمكتسبين للمال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والاحسان فكان هذا دليلا على ان كسب المال بمنزلة الجهاد لانه جمعه مع الجهاد في سبيل الله قال عليه السلام ما من جالب يجلب طعاما من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله تعالى منزلة الشهدا ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله وقال ابن مسعود ايما رجل جلب شيا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان له عند الله منزلة الشهدا وقرا واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله وقال ابن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد الموت في سبيل الله احب الي من الموت بين شعبتي رجل ابتغي من فضل الله ضاربا في الارض وقال طاووس الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله قوله فاقروا ما تيسر منه اي صلوا ما امكن فاوجب الله من صلاة الليل ما تيسر ثم نسخ ذلك بايجاب الصلوات الخمس على ما تقدم وقال عبد الله بن عمر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل ولو كان فرضا ما اقره النبي صلى الله عليه وسلم ولا اخبر بمثل هذا الخبر عنه بل كان يذمه غاية الذم

فصل اذا ثبت ان قيام الليل ليس بفرض وان قوله فاقروا ما تيسر من القران فاقروا ما تيسر منه محمول على ظاهره من ان القراة في الصلاة فاختلف العلما في قدر ما يلزمه ان يقرا في الصلاة فقال مالك والشافعي فاتحة الكتاب لا يجوز العدول عنها ولا الاقتصار على بعضها وقدره ابو حنيفة باية واحدة من اي القران كانت وعنه ثلاث ايات لانها اقل سورة وقيل المراد به قراة القران في غير الصلاة قال الماوردي فعلى هذا القول يكون مطلق الامر محمولا على الوجوب ليقف بقراته على اعجازه وما فيه من دلايل التوحيد وبعث الرسل ولا يلزمه اذا قراه وعرف اعجازه ودلايل التوحيد منه ان يحفظه لان حفظ القران من القرب المستحبة دون الواجبة والاكثرون على انه للاستحباب لانه لو وجب علينا قراته لوجب حفظه وفي قدر الواجب اقوال الاول قال الضحاك جميع القران لان الله تعالى يسره على عباده الثاني قال جويبر ثلث القران الثالث قال السدي مايتا اية الرابع قال ابن عباس ماية اية الخامس قال ابو خالد الكناني ثلث ايات كاقصر سورة قوله واقيموا الصلاة يعني

المفروضة وهي الخمس لوقتها واتوا الزكاة الواجبة في اموالكم قاله عكرمة وقتادة وقال الحارث العكلي صدقة الفطر لان زكاة الاموال وجبت بعد ذلك وقيل صدقة التطوع وقيل كل فعل خير وقال ابن عباس طاعة الله والاخلاص قوله واقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن ما اريد به وجه الله تعالى خالصا من المال الطيب وقال زيد بن اسلم القرض الحسن النفقة على الاهل وقيل صلة الرحم وقري الضيف وقال عمر بن الخطاب هو النفقة في سبيل الله قوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله تقدم في سورة البقرة قوله هو خيرا العامة على نصب خيرا مفعولا ثانيا وهو اما تاكيد للمفعول الاول او فصل وجوز ابو البقا ان يكون بدلا وهو غلط لانه كان يلزم ان يطابق ما قبله في الاعراب فيقال اياه وقرا ابو السماك وابن السميفع خير على ان يكون هو مبتدا وخير خبره والجملة مفعول ثان لتجدوه قال ابو زيد هي لغة تميم يرفعون ما بعد الفصل وانشد سيبويه

• تحن الى ليلى وانت تركتها • وكنت عليها بالملا انت اقدر •

والقوافي مرفوعة ويروى اقدرا بالنصب قال الزمخشري وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه من امتناعه من حرف التعريف المعرفة قال شهاب الدين هذا هو المشهور وبعضهم يجوزه في غير افعل من النكرات وقال القرطبي ونصب خيرا واعظم على المفعول الثاني لتجدوه وهو فصل عند البصريين وعماد في قول الكوفيين لا محل له في الاعراب واجرا تمييز

فصل المعنى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا من الذي يوخرونه الى الوصية عند الموت قاله ابن عباس وقال الزجاج خيرا لكم من متاع الدنيا وقوله واعظم اجرا قال ابو هريرة يعني الجنة ويحتمل ان يكون اعظم اجرا لاعطايه بالحسنة عشرا واستغفروا الله اي سلوه المغفرة لذنوبكم ان الله غفور لما كان قبل التوبة رحيم لكم بعدها قاله سعيد بن جبير وقيل غفور رحيم لمن لم يصر على الذنوب وقال مقاتل غفور لجميع الذنوب لان قوله غفور يتناول التايب والمصر بدليل انه يصح استثناء كل واحد منهما وحده والاستثناء حكمه اخراج ما لولاه لدخل وايضا غفران التايب واجب عند الخصم فلا يحصل المدح باداء الواجب والغرض من الاية تقرير المدح فوجب حمله على الكل تحقيقا للمدح روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يا ايها المزمل رفع عنه العسر في الدنيا والاخرة والله اعلم بالصواب

سورة المدثر مكية

وهي ست وخمسون اية ومايتان وخمس وخمسون كلمة والف وعشرة احرف والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى جل ذكره لا اله الا هو سبحانه يا ايها المدثر اي يا ايها الذي قد دثر ثيابه اي تغشى بها ونام وقرا العامة بتشديد الدال وكسر الثاء اسم فاعل من تدثر واصله المتدثر فادغم كالمزمل وفي حرف ابي المتدثر على الاصل المشار اليه وقرا عكرمة بتخفيف الدال اسم فاعل من دثره بالتشديد ويكون المفعول محذوفا اي المدثر نفسه كما تقدم في المزمل وعنه ايضا فتح الثاء ومعنى تدثر لبس الدثار وهو الثوب الذي فوق الشعار والشعار ما يلي الجسد وفي الحديث الانصار شعار والناس دثار وسيف داثر بعيد العهد بالصقال ومنه قيل للمنزل الدارس داثر لذهاب اعلامه وفلان دثر المال اي حسن القيام به قوله قم اما ان يكون من القيام المعهود فيكون المعنى قم من مضجعك واما من قام بمعنى الاخذ في القيام كقوله • فقام يذود الناس عنها بسيفه • وقوله • على ما قام يشتمني لئيم • في احد القولين فيكون المعنى قيام عزم وتصميم والقول الاخر ان قام مزيدة وفي جعلها بمعنى الاخذ في القيام نظر لانه حينئذ يصير من اخوات عسى فلا بد له من فعل يكون فعلا مضارعا مجردا من ان قوله فانذر مفعوله محذوف اي انذر قومك عذاب الله والاحسن ان لا يقدر له اي اوقع الانذار

فصل المعنى يا ايها الذي قد تدثر بثيابه اي تغشى بها ونام وقيل ليس المراد التدثر بالثوب فان قلنا التدثر بالثوب ففيه وجوه احدها ان هذا من اوايل ما نزل من القران روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت على جبل

حرا فنوديت يا محمد انك لرسول فنظرت عن يميني ويساري فلم ارا احدا فنظرت فوقي فرايت
الملك الذي جاني في حرا جالسا علي كرسي بين السما والارض فخفت فرجعت الي خديجة
رضي الله عنها فقلت دثروني وصبوا علي ما باردا فانزل الله تعالي علي يا ايها المدثر وثانيها
ان ابا جهل وابا لهب وابا سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وامية بن خلف
والعاص بن وايل والمطعم بن عدي اجتمعوا وقالوا ان وفود العرب مجتمعون في ايام الحج
وهم يسالون عن امر محمد صلي الله عليه وسلم وقد اختلفتم في الاخبار فمن قايل هو مجنون وقايل
كاهن وقايل ساحر وتعلم العرب ان هذا كله لا يجتمع في رجل واحد فيستدلون باختلاف
الاجوبة علي انها اجوبة باطلة فسموا محمدا باسم واحد تجتمعون عليه وتسميه العرب به
فقام رجل فقال انه صلي الله عليه وسلم شاعر فقال الوليد سمعت كلام عبيدة بن الابرص
الكاهن يصدق ويكذب وما كذب محمد صلي الله عليه وسلم قط فقال اخر انه مجنون فقال
الوليد المجنون يخنق الناس وما خنق محمد قط ثم قام الوليد فانصرف الي بيته فقال
الناس صبا الوليد بن المغيرة فدخل عليه ابو جهل فقال ما لك يا ابا عبد شمس هذه قريش
تجمع لك شيا يعطونك زعموا انك قد احتجت وصبات فقال الوليد ما لي اليه حاجة ولكني
فكرت في محمد فقلت انه ساحر لان الساحر هو الذي يفرق بين الاب وابنه وبين الاخ
واخيه وبين المراة وزوجها فشاع ذلك في الناس وصاحوا يقولون محمد ساحر والناس
مجتمعون فوقعت الصيحة في الناس فلما سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم ذلك اشتد عليه
ورجع صلي الله عليه وسلم الي بيته محزونا فتدثر بقطيفة فانزل الله تبارك وتعالي يا ايها
المدثر وثالثها انه صلي الله عليه وسلم كان نايما متدثرا بثيابه فجاه جبريل صلوات الله وسلامه
عليه وايقظه صلي الله عليه وسلم وقال يا ايها المدثر قم فانذر كانه قال اترك التدثر بالثياب
واشتغل بهذا المنصب الذي نصبك الله عز وجل وان قلنا انه ليس المراد منه التدثر بالثياب
ففيه وجوه الاول قال عكرمة المعني يا ايها المدثر بالنبوة والرسالة وانقالها من قولهم
البسه الله لباس التقوي برداء العلم قال ابن العربي رحمة الله عليه وهذا مجاز بعيد
لانه لم يكن نبيا بعد وان قلنا انها اول القران ان لم يكن نبيا بعد الان قلنا انها ثاني ما نزل
الثاني ان المدثر بالثوب يكون كالمختفي فيه صلي الله عليه وسلم كان في جبل حرا كالمختفي
من الناس فكانه قيل يا ايها المدثر بدثار الاختفا قم بهذا الامر واخرج من زاوية الخمول
واشتغل بانذار الخلق والدعوة الي معرفة الحق الثالث انه تعالي جعله رحمة للعالمين
صلي الله عليه وسلم فكانه قيل له يا ايها المدثر باثواب العلم العظيم والخلق الكريم والرحمة
الكاملة قم فانذر عذاب ربك **فصل** قوله تعالي يا ايها المدثر ملاطفة في الخطاب
من الكريم الي الحبيب اذ ناداه بحاله وعبر عنه بصفته ولم يقل يا محمد كما تقدم في المزمل
فصل ومعني قوله تبارك وتعالي فانذر اي خوف اهل مكة وحذرهم العذاب
ان لم يسلموا وقيل الانذار هنا اعلامهم بنبوته صلي الله عليه وسلم لانها مقدمة الرسالة
وقيل هو دعاوهم الي التوحيد لانه المقصود وقال الفرا قم فصل امر بالصلاة قوله
وربك فكبر قدم المفعول وكذا ما بعده ايذانا للاختصاص عند من يري ذلك او للاهتمام
به قال الزمخشري واختص ربك بالتكبير ثم قال ودخلت الفا لمعني الشرط كانه قيل
ومهما يكن فلا تدع تكبيره وقد تقدم في مثل هذا الفا في البقرة عند قوله عز وجل واياي
فارهبون قال ابو حيان رحمه الله وهو قريب مما قدره النحاة في قولك زيدا فاضرب قالوا
تقديره تنبه فاضرب زيدا فالفا جواب الامر وهذا الامر اما مضمن معني الشرط واما الشرط
محذوف علي الخلاف الذي فيه عند النحاة قال ابو الفتح الموصلي يقال زيدا اضرب
وعمرا اشكر وعنده ان الفا زايدة وقال الزجاج دخلت الفا لافادة معني الجزائية والمعني
قم فكبر ربك وكذلك ما بعده **فصل** معني قوله تعالي وربك فكبر اي سيدك
ومالكك ومصلح امرك فعظم وصفه بانه اكبر من ان يكون له صاحبة او ولد وفي الحديث انهم
قالوا بم نفتتح الصلاة فنزل وربك فكبر اي صفه بانه اكبر قال ابن العربي رحمة الله عليه
وهذا القول وان كان يقتضي بعمومه تكبير الصلاة فانه مراد فيه تكبير التقديس والتنزيه

بخلع

بخلع الانداد والاصنام دونه ولا يتخذ وليا غيره ولا يعبد سواه وروي ان ابا سفيان قال
يوم احد اعل هبل فقال النبي صلي الله عليه وسلم قولوا الله اعلي واجل وقد صار
هذا اللفظ بعرف الشرع في تكبير العبادات كلها اذانا وصلاة وذكرا بقوله الله اكبر وحمل
عليه لفظ النبي صلي الله عليه وسلم الوارد علي الاطلاق مواردها منها قوله تبارك وتعالي صلي
الله عليه وسلم تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والشرع يقتضي بعرفه ما يقتضي بعمومه
ومن موارده اوقات الاهلال بالذبايح لله تخليصا من الشرك واعلانا باسمه بالنسك وافرادا
لما شرع من امره بالسفك والمنقول عن النبي صلي الله عليه وسلم في التكبير بالصلاة هو لفظ
الله اكبر وقال المفسرون لما نزل قوله تبارك وتعالي وربك فكبر قام النبي صلي الله عليه وسلم
وقال الله اكبر فكبرت خديجة رضي الله تعالي عنها وعلمت انه وحي من الله تبارك وتعالي
ذكره القشيري وقال الكلبي معناه وعظم ربك عما يقوله عبدة الاوثان قال مقاتل هو
ان يقال الله اكبر وقيل المراد منه التكبير في الصلاة فان قيل هذه السورة نزلت في اول
البعث ولم تكن الصلاة واجبة فالجواب لا يبعد انه صلي الله عليه وسلم كانت له صلاة تطوع
فامر ان يكبر فيها قال ابن الخطيب رحمة الله عليه وعنه انه لما قيل له قم فانذر قوله وثيابك
فطهر قيل المراد بالثياب الملبوسة فعلي الاول يكون المعني وعملك فاصلح قاله مجاهد وابن
زيد والسدي وروي منصور عن ابن رزين قال يقول وعملك فاصلح قال واذا كان الرجل
خبيث العمل قالوا ان فلانا خبيث الثياب واذا كان الرجل حسن العمل قالوا فلانا طاهر
الثياب ومنه قوله صلي الله عليه وسلم يحشر المرء في ثوبيه التي مات فيها يعني عمله الصالح
والطالح ذكره الماوردي رحمة الله عليه ومن قال المراد به القلب فالمعني وقلبك فطهر قاله
ابن عباس وابن جبير رضي الله تعالي عنهما ومنه قول امري القيس فسلي ثيابك من ثيابك تنسلي
اي قلبي من قلبك قال الماوردي رحمة الله عليه ولهم فيها تاويل الاية وجهان احدهما المعني
وقلبك فطهر من الاثم والمعاصي قاله ابن عباس رضي الله تعالي عنه وقتادة رحمة الله تعالي
وقلبك فطهر من الغدر اي لا تغدر فتكون دنس الثياب وهو مروي عن ابن عباس ايضا رضي
الله تعالي عنه فاستشهد بقول غيلان بن سلمة الثقفي رحمة الله عليه

فاني بحمد الله لا ثوب غادر • لبست ولا من غدرة اتقنع •

ومن قال المراد به النفس قال معناه ونفسك فطهر من الذنوب والعرب تكني عن النفس
بالثياب قاله ابن عباس ومنه قول عنتره •

فشككت بالرمح الطويل ثيابه • ليس الكريم علي القنا بمحرم •

وقول امري القيس المتقدم ومن قال بانه الجسم قال المعني فطهر جسمك من المعاصي
الظاهرة ومنه قول ليلي تصف ابلا •

رموها باثياب خفاف فلا تري • سنا بها الا النعام المنفرا •

اي ركبوها ورموها بانفسهم ومن قال المراد به الاهل قال معناه واهلك طهرهم من الخطايا
بالموعظة والتاديب والعرب تسمي الاهل ثوبا ولباسا وازارا قال تعالي هن لباس لكم
وانتم لباس لهن قال وطهر في تاويل الاية وجهان الاول معناه ونفسك فطهر
باختيار المومنات العفايف الثاني الاستمتاع بهن في القبل دون الدبر في الطهر لا في
الحيض حكاه ابن بحر قال ابن الخطيب رحمه الله وحمل الاية علي هذا التاويل يعسر لانه
علي هذا الوجه لا يحسن اتصال الاية بما قبلها ومن قال المراد به الخلق قال معناه وخلقك
فحسن قاله الحسن والقرطبي رحمة الله عليهما لان خلق الانسان مشتمل علي احواله اشتمال
ثيابه علي نفسه قال • فلا اب وابنا مثل مروان وابنه • اذا هو بالمجد ارتدي وتازرا •
والسبب في حسن هذه الكناية وجهان الاول ان الثوب كالشي الملازم للانسان فلهذا جعلوا
الثوب كناية عن الانسان فيقال المجد في نفسه والعز في ازاره الثاني ان من طهر
باطنه غالبا طهر ظاهره ومن قال المراد به الدين قال معناه ودينك فطهر وجا في الصحيح انه
صلي الله عليه وسلم قال رايت الناس وعليهم ثياب منها ما يبلغ الثدي ومنها دون ذلك ورايت
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعليه ازار يجره قالوا يا رسول الله فيما اولت ذلك قال الدين

وقد روي عن مالك بن انس رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى وثيابك فطهر قال معناه
لا تلبس ثيابك على غدر قال ابن ابي كبشة •

• ثياب بني عوف طهارى نقية • واوجههم عند المشاهد غران •

يعني بطهارة ثيابهم سلامتهم عن الدناءات ويعني بغرة وجوههم تنزيههم عن المحرمات او جمالهم
في الخلقة او كليهما قاله ابن العربي وقال سفيان بن عيينة رحمه الله لا تلبس ثيابك على
كذب ولا جور ولا غدر ولا اثم قاله عكرمة ومن قال المراد به الثياب الملبوسة فلهم
اربعة اوجه الاول وثيابك فانق الثاني وثيابك فشمر اي فقصر فان تقصير الثياب
ابعد من النجاسة بالماء فاذا انجرت على الارض لم يومن ان يصيبها نجاسة قاله الزجاج وطاوس
الثالث وثيابك فطهر من النجاسة بالماء قاله محمد بن سيرين وابن زيد والفقهاء الرابع
لا تلبس ثيابك الا من كسب الحلال لتكون مطهرة من الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنه
لا تكون ثيابك التي تلبس من مكسب غير طاهر قال ابن العربي وليس يمتنع ان تحمل الاية
على عمومها من ان المراد بها الحقيقة والمجاز واذا حملناها على الثياب الطاهرة المعلومة
فهي تتناول معنيين احدهما تقصير الاذيال لانها اذا ارسلت تدنست ولهذا قال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه لغلام من الانصار وقد راى ذيله مسترخيا ارفع ازارك فانه
انقى وابقى وقال صلى الله عليه وسلم ازرة المومن الى انصاف ساقيه لا جناح عليه فيما
بينه وبين الكعبين ما كان اسفل من ذلك ففي النار فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم
علم الغاية في لباس الازار الكعب وتوعد على ما تحته بالنار فما بال رجال يرسلون
اذيالهم ويطيلون ثيابهم ثم يتكلفون رفعها بايديهم وهذه حالة الكبر وقال صلى
الله عليه وسلم لا ينظر الله تعالى الى من يجر ثوبه خيلاء وفي رواية من جر ازاره خيلاء لم
ينظر الله اليه يوم القيمة قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله اني اجد شقي ازاري
يسترخي الا اني اتعاهد ذلك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ممن تصنعه
خيلاء والمعنى الثاني غسلها بالماء من النجاسة وهو الظاهر قاله المهدوي وبه استدل
بعض العلماء على وجوب طهارة الثوب وليس ذلك بفرض عند مالك واهل المدينة
وكذلك طهارة البدن بالاجماع على جواز الصلاة بالاستجمار من غير غسل قال ابن
الخطيب رحمه الله اذا حملنا لفظ التطهير على حقيقته فنقول المراد منه انه صلى الله عليه
وسلم امر بتطهير ثيابه من الانجاس والاقذار وعلى هذا التقدير ففي الاية ثلاث
احتمالات الاول قال الشافعي رضي الله عنه المقصود منه الاعلام بان الصلاة لا تجوز
الا في ثياب طاهرة من الانجاس وثانيها قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كان المشركون
لا يصونون ثيابهم عن النجاسات فامره الله تعالى ان يصون ثيابه عن النجاسات
وثالثها روي انهم القوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلا شاة فشق عليه فرجع الى
بيته حزينا وتدثر في ثيابه صلى الله عليه وسلم فقيل يا ايها المدثر قم فانذر ولا تمنعك
تلك السفاهة عن الانذار وربك فكبر على ان لا ينتقم منهم وثيابك فطهر عن تلك
النجاسات والقاذورات قوله والرجز قرا حفص ومجاهد وعكرمة وابن محيصن
بضم الراء والباقون بكسرها فقيل لغتان بمعنى وعن ابي عبيدة الضم افشى اللغتين
واكثرهما وقال مجاهد هو بالضم اسم صنم ويعزى للحسن البصري ايضا وبالكسر اسم للعذاب
وعلى تقدير كونه العذاب فلا بد من حذف مضاف اي اهجر اسباب العذاب الموذية
اليه المسبب مقام السبب وهو مجاز شايع وقال السدي الرجز بنصب الراء الوعيد
وقال مجاهد وعكرمة والمأثم فاهجر اي اترك ولذلك روي مغيرة عن ابراهيم النخعي قال
الرجز الاثم وقال قتادة الرجز اساف ونايلة واصل الرجز العذاب قال تعالى فارسلنا
عليهم رجزا من السما قوله ولا تمنن العامة على فك الادغام والحسن وابو السمال والاشهب
العقيلي بالادغام وقد تقدم ان المجزوم والموقوف من هذا النوع يجوز فيهما الوجهان
وقد تقدم تحقيقه في المايدة عند قوله تعالى ومن يرتد منكم عن دينه والمشهور انه
من المن وهو الاعتداد على المعطى بما اعطاه وقيل معناه ولا تضعف من قولهم حبل متين اي

ضعيف قوله تستكثر العامة على رفعه وفيه وجهان احدهما انه في موضع الحال اي لا
تمنن مستكثرا ما اعطيت وقيل معناه لتاخذ اكثر مما اعطيت الثاني على حذف ان يعني
ان الاصل ولا تمنن ان تستكثر فلما حذفت ان ارتفع الفعل كقوله الا ايهذا الزاجري احضر
الوغى في احدى الروايتين قال الزمخشري ولم يبين ما محل ان وما في حيزها وفيه وجهان
اظهرهما وهو الذي يريده هو انها اما في محل نصب او جر على الخلاف فيها بعد حذف حرف
الجر وهو هنا لام العلة تقديره ولا تمنن لان تستكثر والثاني انها في محل نصب فقط مفعولا بها اي
لا تضعف ان تستكثر من الخير قاله مكي وقد تقدم ان تمنن بمعنى تضعف وهو قول مجاهد
الا ان ابا حيان رحمه الله قال بعد كلام الزمخشري رحمه الله وهذا لا يجوز ان يحمل القران
الكريم عليه لان ذلك لا يجوز الا في الشعر ولنا مندوحة عنه مع صحة المعنى للكوفيين يجيزون
ذلك وايضا فقد قرا الحسن والاعمش تستكثر ايضا وهو على اضمار ان لقولهم مره يحفرها
وابلغ من ذلك التصريح بان في قراءة عبد الله ولا تمنن ان تستكثر وقرا الحسن ايضا وابن ابي
عبلة تستكثر جزما وفيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون بدلا من الفعل قبله كقوله تعالى
يلق اثاما يضاعف فيضاعف بدل من يلق كقوله •

• متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا •

ويكون من المن الذي في قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى الثاني ان يشبه
ثرو بعضد فيسكن تخفيفا قاله الزمخشري يعني انه ياخذ من مجموع تستكثر ومن الكلمة
التي بعده وهو الواو ما يكون فيه شبيها بعضد الا ترى انه قال ان يشبه ثرو فاخذ بعض
يستكثر وهو التاء والراء وحرف العطف من قوله ولربك فاصبر وهذا كما قالوا في امرئ القيس

• فاليوم اشرب غير مستحقب • اثما من الله ولا واغل •

بتسكين اشرب انهم اخذوا من المتكلمين رب كعضد ثم سكن وقد تقدم في سورة يوسف
في قراءة قنبل من يتقي ويصبر ان من موصولة فاعترض بجزم يصبر فاجيب بانه شبه
برب اخذوا الباء والراء من يصبر والفاء من فانه وهذه وبطريق سواء الوجه الثالث ان
يعتبر حال الوقف ويجري الوصل مجراه قاله الزمخشري ايضا يعني انه مرفوع وانما سكن
تخفيفا واجرى الوصل مجرى الوقف قال ابو حيان وهذان لا يجوز ان يحمل عليهما مع
وجود ارجح منهما وهو البدل معنى وصناعة فصل في اتصال هذه الاية بما قبلها
انه تعالى امره قبل هذه الاية باربعة اشيا انذار القوم وتكبير الرب وتطهير الثياب وهجر
الرجز ثم قال جل ذكره ولا تمنن تستكثر اي لا تمن على ربك بهذه الاعمال الشاقة كالمستكثر
لما يفعله بل اصبر على ذلك كله لوجه ربك متقربا بذلك اليه غير ممتن به عليه قال الحسن
رحمه الله بحسناتك فتستكثرها وقال ابن عباس وعكرمة وقتادة لا تعط عطية تلتمس
بها افضل منها وقيل لا تمنن على الناس بما تعلمهم من امر الدين والوحي مستكثرا بذلك
الانعام فانك انما فعلت ذلك بامر الله تبارك وتعالى فلا منة لك عليهم ولهذا قال جل
ذكره ولربك فاصبر وقيل لا تمن عليهم بنبوتك اي تستكثر اي لتاخذ منهم على ذلك اجرا
تستكثر به مالك وقال مجاهد لا تضعف ان تستكثر من الخير من قولك حبل متين اذا كان
ضعيفا ودليله قراءة ابن مسعود ولا تمنن تستكثر من الخير وعن مجاهد ايضا والربيع
لا تعظم عملك في عينك ان تستكثر من الخير فانه مما انعم الله عليك وقال ابن كيسان لا تستكثر
عملك فتراه من نفسك انما عملك منة من الله عليك اذ جعل الله لك سبيلا الى عبادته
وقال زيد بن اسلم اذا اعطيت عطية فاعطها لربك لا تقل دعوت فلم يستجب لي وقيل
لا تفعل الخير لتراي به الناس فان قيل هذا النهي مختص بالرسول صلى الله عليه وسلم
او يتناول الامة فالجواب ان ظاهر اللفظ وقرينة الحال لا تفيد العموم لانه صلى الله عليه
وسلم انما نهي ذلك تنزيها لمنصب النبوة وهذا المعنى غير موجود في الامة وقيل المعنى في
حق الامة هو الربا والله تعالى جل ذكره منع الكل من ذلك فان قيل هل هذا نهي تحريم
او تنزيه فالجواب ان ظاهر اللفظ النهي التحريم فصل قال القفال رحمه
الله يحتمل ان يكون المقصود من الاية ان يحرم على النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطي

احرا انشا الطلب عوض سوا كان العوض زايدا او ناقصا او مساويا ويكون معنى قوله تعالى
تستكثر اي طالبا للكثرة كارها ان ينتقص المال بسبب العطا فيكون الاستكثار هاهنا
عبارة عن طلب العوض كيف كان وانما حسنت هذه العبارة لان الغالب ان الثواب
لا يكون زايدا على العطا فسمي طلب الثواب استكثارا حملا للشي على اغلب احواله كما ان
الاغلب ان المراة انما تتزوج ولها ولد للحاجة الى من يربي ولدها تسمى الولد ربيبا ثم اتسع
الامر وان كان حين يتزوج امراة كبيرة او من ذهب الى هذا القول قال السبب فيه ان
يصير عطا النبي صلى الله عليه وسلم خاليا عن انتظار العوض والتفات النفس اليه فيكون
ذلك خالصا مخلصا لوجه الله تعالى قال القرطبي اظهر الاقوال قول ابن عباس رضي
الله عنه لا تعط لتاخذ اكثر مما اعطيت من المال يقال مننت فلانا كذا اي اعطيته ويقال
للعطية المن فكانه امر بان يكون عطاياه لله لا لارتقاب ثواب من الخلق عليها لانه صلى
الله عليه وسلم ما كان يجمع الدنيا ولهذا قال ما لي مما افا الله عليكم الا الخمس والخمس مردود عليكم
وكان ما يفضل عن نفقة عياله مصروفا الى مصالح المسلمين ولهذا لم يورث قوله
تعالى ولربك فاصبر التقديم على ما تقدم وحسنه كونه راس فاصلة مراعيا لما تقدمه
ولربك يجوز فيه وجهان احدهما ان تكون لام العلة اي لوجه ربك فاصبر على اذى الكفار
وعلى عبادة ربك وعن كل شي مما لا يليق فترك المصبور عليه والمصبور عنه للعلم بهما
والاحسن ان لا يقدر بشي خاص بل بشي عام والثاني ان يضمن اصبر معنى اذعن اي اذعن
لربك وسلم له امرك صابرا كقوله عز وجل فاصبر لحكم ربك قوله تعالى فاذا نقر في
الناقور قال الزمخشري والفا في قوله فاذا نقر في الناقور قال الحوفي وفيه نظر
من حيث الاعراب لا تفسير المعنى الثاني ان ينتصب بما دل عليه قوله تعالى فذلك يومئذ
يوم عسير قال الزمخشري فان قلت بم انتصب اذا وكيف صح ان يقع يومئذ ظرفا
ليوم عسير قلت انتصب اذا بما دل عليه قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير اي قلت
انتصب اذا بما دل عليه قوله تعالى الجزا الا ان المعنى فاذا نقر في الناقور عسر الامر
على الكافرين فالذي اجاز وقوع يومئذ فاليوم عسير ان المعنى فذلك يوم النقر
ووقوع يوم عسير لان يوم القيامة يقع وياتي حين ينقر في الناقور انتهى ولا يجوز ان
ان يعمل فيه نفس عسير لان الصفة لا تعمل فيما قبل موصوفها عند البصريين ولذلك رد
على الزمخشري قوله ان في انفسهم متعلق ببليغا في سورة النسا في قوله تعالى وقل
لهم في انفسهم قولا بليغا والكوفيون يجوزون ذلك وتقدم تحريره الثالث ان ينتصب
بما دل عليه فذلك لانه اشارة الى النقر قاله ابو البقا ثم قال ويومئذ بدل من اذا وذلك
مبتدا والخبر يوم عسير اي نقر يوم الرابع ان يكون اذا مبتدا وفذلك خبره والفا مزيدة
فيه وهي راي الاخفش واما يومئذ ففيه اوجه احدها ان يكون بدلا من اذا وقد تقدم
ذلك في الوجه الثالث ان يكون ظرفا ليوم عسير كما تقدم في الوجه الثاني الثالث ان
يكون ظرفا لذلك لانه مشار به الى النقر الرابع انه بدل من فذلك ولكنه مبني لاضافته
الى غير متمكن الخامس ان يكون مبتدا ويوم عسير خبره والجملة خبر فذلك قوله تعالى
نقر اي صوت يقال نقرت الرجل اذا صوت له بلسانك وذلك بان تلصق لسانك بنقرة
حنكك ونقرت الرجل اذا خصصته بالدعوة كانك نقرت له بلسانك وذلك بان تلصق
لسانك بنقرة حنكك ونقرت الرجل مشيرا اليه وتلك الدعوة يقال لها النقرى وهي
ضد الدعوة الجفلى قال الشاعر نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الادب فينا ينتقر
وقال امرو القيس انا ابن ماوية اذ جد النقر يريد النقر اي الصوت والنقر في كلام العرب
الصوت قال امرو القيس • اخفضه بالنقر لما علوته • ويرفع طرفا غير جاف غضيض •
والناقور فاعول منه كالجاسوس من التجسس وهو الشي المصوت قال مجاهد
وغيره هو كهيئة البوق وهو الصور الذي ينفخ فيه الملك والنقر ايضا قرع الشي الصلب
والمنقار الحديدة التي ينقر بها ونقرت عينه بحث على اخباره استعارة من ذلك ونقرته
اغتبته ومنه قول امراة لزوجها • مر بي على بني نظرة • ولا تمر بي على بنات نقرة

ارادت شيئا نظر الرجال لانهم ينظرون اليها وبنات نقرة النسا لانهن يغتبنها وينقرن عن
احوالها قوله تعالى على الكافرين فيه خمسة اوجه احدها ان يتعلق بعسير الثاني
ان يتعلق بمحذوف على انه نعت لعسير الثالث انه في موضع نصب على الحال من الضمير المستكن
في عسير الرابع ان يتعلق بيسيرا اي غير يسير على الكافرين قاله ابو البقا الا ان فيه تقديم
معمول المضاف اليه على المضاف وهو ممنوع وقد جوزه بعضهم اذا كان المضاف غير بمعنى
النفي كقوله • ان امرا خصني يوما مودته • على التنائي لعندي غير مكفور •
وتقدم تحريره اخر الفاتحة الخامس ان يتعلق بما دل عليه غير يسير اي لا يسهل على
الكافرين قال الزمخشري رحمه الله فان قلت فما فايدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه
قلت لما قال سبحانه على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليوذن بانه لا يكون عليهم
كما يكون على المومنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وتبشير المومنين
وتسليتهم ويجوز ان يراد عسير لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من امور الدنيا

فصل لما ذكرها يتعلق بارشاد النبي صلى الله عليه وسلم ذكر بعده وعيد الاشقيا قيل
المراد بهذه الاية هو النفخة الثانية وقيل الاولى قال الحليمي في كتاب المنهاج انه تعالى
سمى الصور باسمين وان كان هو الذي ينفخ فيه النفختان معا فان نفخة الاصعاق بخلاف
نفخة الاحيا وجا في الاخبار ان في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب
في النفخة الثانية فيخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذي نزع منه فيعود الجسد
حيا باذن الله تعالى قال ابن الخطيب وهذا مردود لان الناقور اسم لما ينقر فيه لا لما ينفخ فيه
ويحتمل ان تكون الصور محتويا على ثقبتين ينقر في احداهما وينفخ في اخرى فاذا نفخ فيه
للاصعاق جمع بين النقر والنفخ لتكون الصيحة اهد واعظم فاذا نفخ فيه للاحيا لم ينقر فيه
بل يقتصر على النفخ لان المراد ارسال الارواح من ثقب الصور الى اجسادها لا تنفيرها من
اجسادها والنفخة الاولى للتنفير وهو نظير صوت الرعد فانه اذا اشتد فربما مات سامعه
والصيحة الشديدة التي يصيحها رجل بصبي فيفزع منه فيموت قال ابن الخطيب وفيه اشكال
وهو ان هذا يقتضي ان يكون النقر انما يحصل عند صيحة الاصعاق وذلك اليوم غير شديد على
الكافرين لانهم يموتون في تلك الساعة انما اليوم الشديد على الكافرين صيحة الاحيا ولذلك
يقول يا ليتها كانت القاضية اي يا ليتها بقينا على الموتة الاولى وقوله فذلك اي فذلك اليوم
يوم شديد على الكافرين غير يسير اي غير سهل ولا هين وذلك ان عقدهم لا تنحل الا الى
عقد اشد منها فانهم مناقشون الحساب ويعطون كتبهم بشمالهم وتسود وجوههم ويحشرون
زرقا وتتكلم جوارحهم ويفضحون على رووس الاشهاد بخلاف المومنين الموحدين المذنبين فانها
تنحل الى ما هو اخف حتى يدخلون الجنة برحمة الله تعالى فانهم لا يناقشون الحساب ويحشرون
بيض الوجوه تثقل الموازين قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون عسيرا على المومنين والكافرين
على ما روي ان الانبيا صلوات الله عليهم يفزعون يومئذ وان الولدان يشيبون الا انه يكون
على الكفار اشد فعلى الاول لا يحسن الوقف على قوله يوم عسير فان المعنى انه على الكافرين
عسير وغير يسير وعلى الثاني يحسن الوقف لان المعنى انه في نفسه عسير على الكل ثم الكافرين
مخصوصون بزيادة محنة وهي انه عليهم يسير

فصل قال ابن الخطيب استدل
بهذه الاية القايلون بدليل الخطاب قالوا لولا ان دليل الخطاب حجة والا لما فهم ابن عباس
من كونه غير يسير على الكافرين كونه يسيرا على المومنين قوله تعالى ذرني ومن خلقت
وحيدا الواو في قوله ومن خلقت كقوله والمكذبين في الوجهين المتقدمين في السورة قبلها
وقوله تعالى وحيدا فيه اوجه احدها انه حال من اليا في ذرني اي ذرني وحدي معه فانا
اكفيك في الانتقام منه الثاني انه حال من التا في خلقت اي خلقته وحده لا مال له ولا ولد
ثم اعطيته بعد ذلك ما اعطيته قاله مجاهد الخامس ان ينتصب على الذم لانه يقال ان وحيدا
كان لقبا للوليد بن المغيرة ومعنى وحيدا ذليلا قيل كان يزعم انه وحيد في فضله وماله
وليس في ذلك ما يقتضي صدق مقالته لان هذا لقب له شهر به وقد يلقب الانسان بما لا
يتصف به واذا كان لقبا تعين نصبه على الذم

فصل معنى ذرني اي دعني وهي

كلمة وعيد ومن خلقت هذه واو المعية اي دعني والذي خلقته وحيدا قال المفسرون هو الوليد بن المغيرة المخزومي وان كان الناس خلقوا مثل خلقه فانما خص بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة واذي الرسول صلى الله عليه وسلم وكان يسمى الوحيد في قومه قال ابن عباس كان الوليد يقول انا الوحيد بن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لابي المغيرة نظير فقال الله تبارك وتعالى جل ذكره لا اله الا هو ذرني ومن خلقت بزعمه وحيدا لان الله عز وجل صدقه بانه وحيد قال ابن الخطيب ورد هذا القول بعضهم بانه تعالى لا يصدقه في دعواه بانه وحيد لا نظير له ذكره الواحدي والزمخشري وهو ضعيف من وجوه لانه قد يكون الوحيد علما فيزول السوال لان اسم العلم لا يجب ان يفيد في المسمى صفة بل هو قايم مقام الاشارة الثاني ان يكون ذلك بحسب ظنه واعتقاده كقوله عز وجل ذق انك انت العزيز الكريم الثالث انه وحيد في كفره وعناده وخبثه لان لفظ الوحيد ليس فيه انه وحيد في العلو والشرف الرابع انه اشارة الى وحدته عن بنيه قال ابو سعيد الضرير رحمه الله الوحيد الذي لا اب له كما تقدم في زنيم قوله تعالى وجعلت له مالا ممدودا اي خولته واعطيته مالا ممدودا قال ابن عباس هو ما كان للوليد بين مكة والطايف من الابل والغنم والجمود والجنان والعبيد والجواري قال مجاهد وسعيد بن جبير وابن عباس ايضا قلت الف دينار وقال قتادة ستة الاف دينار وقال سفيان الثوري اربعة الاف دينار وقال الثوري ايضا الف الف دينار وقال ابن الخطيب المال الممدود هو الذي يكون له مدد ياتي منه الجزء بعد الجزء دايما ولذلك فسره عمر رضي الله عنه غلة شهر بشهر وقال النعمان الممدود بالزيادة كالزرع والضرع وانواع التجارات قال مقاتل كان له بستان لا ينقطع شتاء ولا صيفا كما في قوله عز وجل وظل ممدود اي لا ينقطع والذي يظهر انه المال الكثير والتقديرات تحكم قوله تعالى وبنين شهودا اي حضورا لا يغيبون ولا يفارقونه البتة طيب القلب بحضورهم وقيل معنى كونهم شهودا اي يشهدون معه المجامع والمحافل وقيل شهودا اي صاروا مثله في شهود ما كان يشهده والقيام بما كان يباشره قال مجاهد وقتادة كانوا عشرة وقال السدي والضحاك كانوا اثني عشر رجلا وعن الضحاك سبعة ولدوا بمكة وخمسة بالطايف وقال مقاتل كانوا سبعة اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام والوليد بن الوليد قال فما زال الوليد بعد نزول هذه الاية في نقصان من ماله وولده حتى هلك قال ابن الخطيب كانوا سبعة الوليد ابن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص والقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام قوله تعالى ومهدت له تمهيدا اي بسطت له في العيش بسطا في الجاه العريض والرياسة في قومه والتمهيد عند العرب التوطية والتهيية ومنه مهد الصبي وقال ابن عباس ومهدت له تمهيدا اي وسعت ما بين اليمن الى الشام وهو قول مجاهد وعن مجاهد ايضا انه المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش قوله تعالى ثم يطمع ان ازيد كلا لفظة ثم ها هنا معناها التعجب كقولك لصاحبك انزلتك داري واطعمتك واسقيتك ثم انت تشتمني ونظيره قوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون معنى ثم ها هنا للانكار والتعجب اي ثم الوليد ليطمع بعد هذا كله ان ازيد في المال والولد وقد كفر بي قاله الكلبي ومقاتل رحمهما الله تعالى ثم قال كلا اي ليس يكون ذلك مع كفره بالنعم وقال الحسن وغيره اي ثم يطمع ان ادخله الجنة وكان الوليد يقول ان كان محمد صلى الله عليه وسلم صادقا فما خلقت الجنة الا لي فقال الله عز وجل ردا عليه تكذيبا له كلا اي لست ازيده فلم يزل في نقصان بعد قوله كلا حتى افتقر ومات فقيرا وقيل اي ثم يطمع ان انصره على كفره وكلا قطع للرجا عما كان يطمع فيه من الزيادة فيكون متصلا بالكلام الاول وقيل كلا بمعنى حقا ويبتدي بقوله انه يعني الوليد كان لاياتنا عنيدا اي معاندا للنبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم وما جاء به قال الزمخشري انه كان لاياتنا استيناف جواب لسايل سال لم لا يزاد ما لا رها بالزرع من طمعه فاجيب بقوله انه كان لاياتنا عنيدا انتهى فيكون قوله صلى الله عليه وسلم في الهرة انها ليست بنجس انها من الطوافين عليكم والعنيد المعاند يقال عاند فهو عنيد وعاند والعاند البعير الذي يجور عن الطريق ويعدل عن القصد والجمع عند مثل راكع وركع قال ابو عبيدة وانشد

قول

قول الحارثي • اذا ركبت فاجعلاني وسطا • اني كبير لا اطيق العندا •

وقال ابو صالح عنيدا معناه مباعدا قال الشاعر •

اذا انا على حال تفرق بيننا • نوى غربة ان الفراق عنود •

وقال قتادة جاحدا وقال مقاتل معرضا وقيل انه المجاهر بعداوته وعن مجاهد انه المجانب للحق قال الجوهري ورجل عنود اذا كان لا يخالط الناس والعنيد من التجبر وعرق عاند اذا لم يرقا دمه وجمع العنيد عند مثل رغيف ورغف والعنود من الابل الذي لا يخالط الابل انما هو في ناحية والعنيد في معنى المعاند كالجليس والاكيل والعشير **فصل** في الاية اشارة الى انه كان معاندا في امور كثيرة منها انه كان يعاند في دلايل التوحيد والعدل والقدرة وصحة النبوة وصحة البعث ومنها ان كفره كان عنادا لانه كان يعرف هذه الاشيا بقلبه وينكرها بلسانه وكفر المعاند افحش انواع الكفر ومنها ان قوله كان يدل على ان هذه حرفته من قديم الزمان ومنها ان هذه المعاندة كانت مختصة بايات الله تعالى قوله تعالى سارهقه صعودا اي ساكلفه وكان ابن عباس يقول ساحمله والارهاق في كلام العرب ان يحمل الانسان الشي والصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي به كذلك فيه ابدا رواه الترمذي وفي رواية صخرة في جهنم اذا وضعوا ايديهم عليها ذابت فاذا رفعوها عادت وقيل هذا مثل لشدة العذاب الشاق الذي لا يطاق كقوله عقبة صعود وكود اي شاقة المصعد ثم انه تعالى حكى كيفية عناده وهو قوله تعالى انه فكر يجوز ان يكون استيناف تعليل لقوله تعالى سارهقه ويجوز ان يكون بدلا من انه كان لاياتنا عنيدا يقال فكر في الامر وتفكر اذا نظر فيه وتدبر ثم لما تفكر رتب في قلبه كلاما وهيا وهو المراد من قوله وقدر والعرب تقول قدرت الشي اذا هياته **فصل** معنى الاية ان الوليد فكر في شان النبي صلى الله عليه وسلم والقران لما نزل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله جل وعز اليه المصير سمعه الوليد يقراها فقال والله لقد سمعت منه كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو وما يعلى عليه وما يقول هذا بشر فقالت قريش صبا الوليد لتصبون قريش كلها وكان يقال للوليد ريحانة قريش فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق اليه حزينا فقال له ما لي اراك حزينا فقال وما لي لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك بها ويزعمون انك زينت كلام محمد وتدخل على ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة لتنال من فضل طعامهما فغضب الوليد لعنه الله عليه وتكبر وقال انا احتاج الى كسر محمد وصاحبه وانتم تعلمون قدر مالي واللات والعزى ما لي حاجة الى ذلك وانما انتم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه قط يخنق قالوا لا والله قال وتزعمون انه كاهن فهل رايتموه تكهن قط ولقد راينا للكهنة اسجاعا وتخالجا فهل رايتموه كذلك قالوا لا والله قال وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه نطق بشعر قط قالوا لا والله قال وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه كذبا قط قالوا لا والله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى الصادق الامين من كثرة صدقه فقالت قريش للوليد فما هو ففكر في نفسه ثم نظر ثم عبس فقال ما هذا الا سحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده فذلك قوله تعالى انه فكر اي في امر محمد والقران وقدر في نفسه ماذا يمكنه ان يقول فيهما قوله تعالى فقتل اي لعن وقيل قهر وغلب وقال الزهري عذب وهو من باب الدعا قال ابن الخطيب وهذا انما يذكر عند التعجب والاستعظام ومثله قولهم قاتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اجرم ومعناه انه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك واذا عرف ذلك فيقول هذا يحتمل وجهين الاول انه تعجب من قوة خاطره يعني انه لا يمكن القدح في امر محمد صلى الله عليه وسلم بشبهة اعظم ولا اقوى مما ذكره هذا القايل الثاني في الثنا عليه على طريقة الاستهزا يعني ان هذا الذي ذكره في غاية الركاكة والسقوط قوله تعالى كيف قدر اي كيف فعل هذا كقوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال ثم قيل بضرب اخر من العقوبة فكيف قدر على اي حال قدر ثم نظر باي شي يرد الحق ويدفعه قال ابن الخطيب والمعنى انه اولا نظر وثانيا قدر وثالثا نظر في ذلك القدر فالنظر السابق للاستخراج والنظر اللاحق لتمام الاحتياط هذه المراتب الثلاث متعلقة باحوال ثلاث قوله ثم عبس يقال عبس يعبس عبسا وعبوسا اي قطب

وجهه وقال الليث رحمه الله عبس يعبس فهو عابس اذا قطب ما بين عينيه فان ابدي
عن اسنانه في عبوسه قيل كلح فان اهتم لذلك وفكر فيه قيل بسر فان غضب اي مع ذلك
قيل بسر واعلم انه ذكر صفات جسمه بعد صفات قلبه وهذا ابدل على عناده لان من فكر في امر
حسن يظهر عليه الفرح الا العبوس والعبس ايضا ما ييبس في اذناب الابل من البعر والبول قال
ابو النجم • كان في اذنابهن الشول من • عبس الصيف قرون الايل •

فصل معنى الاية قطب وجهه في وجوه المومنين وذلك انه لما قال لقريش بان محمدا
ساحر مر على جماعة من المسلمين تدعوه الى الاسلام فعبس في وجوههم وقيل عبس على النبي
صلى الله عليه وسلم حين دعاه والعبس مصدر عبس مخففا كما تقدم قوله تعالى وبسر
يقال بسر يبسر بسرا وبسورا اذا قبض ما بين عينيه كراهة للشي واسود وجهه منه يقال
وجه باسر اي منقبض اسود كالح متغير اللون قاله قتادة والسدي ومنه قول بشر بن الحرث

• صبحنا عنما غداة الجماز سهما ملومة باسر •

واهل اليمن يقولون بسر المركب وابسر اي وقف لا يتقدم ولا يتاخر وقد ابسرنا اي صرنا الى
البسور وقال الراغب البسر استعجال الشي قبل اوانه نحو بسر الرجل حاجته طلبها في غير
اوانها وما بسر متناول من غديره قبل سكونه ومنه قيل للذي لم يدرك من التمر بسر وقوله
تعالى عبس وبسر اي اظهر العبوس قبل اوانه وقبل وقته قال فان قيل فقوله تعالى
ووجوه يومئذ باسرة ليس يفعلون ذلك قبل الموت وقد قلت ان ذلك يكون فيما يقع قبل
وقته قيل اشير بذلك الى حالهم قبل الانتهاء بهم الى النار فخص لفظ البسر تنبيها على ان ذلك
مع ما ينالهم من بعد يجري مجرى التكلف ومجرى ما يفعل قبل وقته ويدل على ذلك يظن
ان يفعل بها فاقرة وقد عطف في هذه الجمل بحروف مختلفة ولكل منها مناسبة اما ما عطف
بثم فلان بين الافعال مهلة وثانيا لان بين النظر والعبوس وبين العبوس والادبار
تراخيا قال الزمخشري رحمه الله ثم عطف على فكر وقدر والدعا اعتراض بينهما يعني
بالدعا قوله فقتل ثم قال فان قلت ما معنى ثم الداخلة على تكرير الدعا قلت
الدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ من الاولى ونحوه قالا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي •
فان قلت فما معنى المتوسط بين الافعال التي بعدها قلت للدلالة على انه تانى في التامل
وتمهل وكان بين الافعال المتناسقة تراخ وتبعد فان قلت فلم قال فقال بالفاء بعد
عطف ما قبله بثم قلت لان الكلمة لما خطرت بباله بعد الطلب لم يتمالك ان نطق بها
من غير تثبت فان قلت فلم لم يتوسط حرف العطف بين الجملتين قلت لان الاخرى جرت
من الاولى مجرى التوكيد من المتوكد قوله تعالى ثم ادبر اي ولى واعرض ذاهبا عن
ساير الناس الى اهله فاستكبر حين دعا الى الايمان اي يتعظم وقال ان هذا الا سحر
يوثر اي ما هذا الذي اتى به محمد صلى الله عليه وسلم الا سحر يوثر اي ياثره عن غيره
والسحر الخديعة وقيل السحر اظهار الباطل في صورة الحق والاثر مصدر قولك اثرت
الحديث اثره اذا ذكرته عن غيرك ومنه قيل حديث ماثور اي ينقله خلف عن سلف
قال الاعشى قوله تعالى ان الذي فيه تمار يتماه بين للسامع والاثر وقال ابن
الخطيب فيه وجهان الاول انه من قولهم اثرت الحديث اثره اثرا اذا حدثت به عن قوم
في اثارهم اي بعد ما ماتوا هذا هو الاصل ثم صار بمعنى الرواية عمن كان والثاني
يوثر على جميع السحر وعلى هذا يكون الايثار وقال ابو سعيد الضرير يوثر اي يورث
قوله تعالى ان هذا الا قول البشر اي ما هذا الا كلام المخلوقين يختدع به القلوب كما
يختدع بالسحر قال ابن الخطيب ولو كان الامر لذلك لتمكنوا من معارضته اذ طريقتهم في
سرقة اللغة متقاربة قال السدي يعني انه من يسار عبد لبني الحضرمي كان يجالس
النبي صلى الله عليه وسلم فنسبوه الى انه يعلمه منه ذلك وقيل اراد انه يلقنه من ادعى النبوة
قبله فنسج على منوالهم قال ابن الخطيب رحمه الله وهذا الكلام يدل على ان الوليد كان
يقول هذا الكلام عنادا لما روي في الحديث المتقدم انه لما سمع من رسول الله صلى الله
عليه وسلم حم خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم يقول لقد سمعت من محمد كلاما ليس

من كلام الجن ولا من كلام الانس الحديث فلما اقر بذلك في اول الامر علمنا ان قوله ههنا ان
هذا الا قول البشر انما ذكره عنادا وتمردا لا اعتقادا انه قوله تعالى ساصليه سقر هذا بدل
من قوله تعالى سارهقه صعودا قاله الزمخشري فان كان المراد بالصعود المشقة فالبدل واضح
وان كان المراد صخرة في جهنم كما جا في التفسير عسر البدل ويكون فيه شبه من بدل الاشتمال
لان جهنم مشتملة على تلك الصخرة **فصل** المعنى سادخله سقر كي يصلى حرها
وانما سميت سقر من سقرته الشمس اذا اذابته ولوحته واحرقت جلده ووجهه ولا ينصرف
للتعريف والتانيث قال ابن عباس سقر اسم للطبقة السادسة من جهنم وما ادراك
ما سقر هذا مبالغة في وصفها اي وما اعلمك اي شي هي وهي كلمة تعظيم وتهويل ثم فسر حالها
فقال جل ذكره لا تبقي ولا تذر اي لا تترك لهم لحما ولا عظما ولا دما الا احرقته قوله تعالى
لا تبقي فيه وجهان احدهما انها في محل نصب على الحال والعاملة فيها معنى التعظيم قاله ابو
البقا يعني ان الاستفهام في قوله ما سقر للتعظيم فالمعنى استعظموا سقر في هذه الحال ومفعول
تبقي وتذر محذوف اي لا تبقي ما القي فيها ولا تذره بل تهلكه وقيل تقديره لا تبقي على من
القي فيها ولا تذر غاية العذاب الا وصلته اليه والثاني انها مستانفة قال ابن الخطيب
واختلفوا في قوله لا تبقي ولا تذر فقيل هما لفظان مترادفان بمعنى واحد كرر للتاكيد
والمبالغة كقولك صد عني واعرض بل بينهما فرق وفيه وجوه الاول لا تبقي من اللحم والعظم
والدم شيا ثم يعادون خلقا جديدا فلا بد وان يعاوده احراقهم باسرها كما كانت وهكذا ابدا
رواه عطا عن ابن عباس وقال مجاهد لا يبقي من فيها حيا ولا تذره ميتا تحرقهم كلما جددوا
وقال السدي لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما وقيل لا تبقي من المعذبين ولا تذر من قوتها شيا
الا وتستعمل تلك القوة في تعذيبهم قوله تعالى لواحة للبشر قرا العامة بالرفع خبر مبتدا
مضمر اي لواحة وهذه مقوية للاستيناف في لا تبقي وقرا الحسن وابن ابي عبلة وزيد بن علي
وعطية العوفي ونصر بن عاصم وعيسى بن عمر بنصبهما على الحال وفيها ثلاثة اوجه احدها
انها حال من سقر والعامل معنى التعظيم كما تقدم والثاني انها حال من لا تبقي والثالث
من لا تذر وجعل الزمخشري رحمه الله نصبها على الاختصاص للتهويل وجعلها ابو حيان حالا
موكدة قال لان النار التي لا تبقي ولا تذر لا تكون الا مغيرة للابشار ولواحة بناء مبالغة
وفيها معنيان احدهما من لاح يلوح اي ظهر انها تظهر للبشر وهم الناس واليه ذهب الحسن
وابن كيسان قال ابن عباس لواحة اي تلوح للبشر من مسيرة خمسماية عام وقال
الحسن تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا ونظيره وبرزت الجحيم لمن يرى والثاني واليه
ذهب جمهور الناس انها من لوحه اي غيره وسوده قال الشاعر •

• تقول ما لاحك يا مسافر • يا ابنة عمي لاحني الهواجر •

وقال رؤبة بن العجاج • لوح منه بعد بدن وسبق • تلويحك الضامر يطوى السبق •

وقال الاخر • وتعجب هند ان راتني شاحبا • تقول لشي لوحته السمايم •

ويقال لاحه يلوحه اذا غير حليته قال ابو رزين وجوههم لفحة تدعها اشد سوادا من
الليل قال تعالى تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون وطعن القايلون قال الاول في
هذا القول فقالوا لا يجوز ان يصفها بتسويد الوجوه مع قوله انها لا تبقي ولا تذر وقيل
اللوح شدة العطش والزهام جمع زهمة بالكسر وهي المطوه يقال لاحه العطش ولوحه اي
غيره وقال الاخفش والمعنى انها معطشة للبشر اي لاهلها وانشد •

• سقتني على لوح من الماء شربة سقاها به الله الرهاد الغواديا •

يعني باللوح شدة العطش والزهام جمع زهمة بالكسر وهي المطوه الضعيفة وارهمت
السحابة اتت بالرهام واللوح بالضم الهوا بين السما والارض والبشر اما جمع بشرة اي
مغيرة للجلود قاله مجاهد وقتادة وجمع البشر ابشار واما المراد به الانس من اهل النار وهو
قول الجمهور واللام في للبشر مقوية كهي في للرؤيا تعبرون وقراة النصب في لواحة
مقوية لكون لا تبقي في محل الحال قوله تعالى عليها تسعة عشر هذه الجملة فيها الوجهان
اعني الحالية والاستيناف وفي هذه الكلمة قرات شاذة وتوجيهات تشاكلها فقرا ابو جعفر

وطلحة تسعة عشر بسكون العين من عشر تخفيفا لتوالي خمس حركات من جنس واحد
وهذه قراءة احد عشر كوكبا وقد تقدمت وقرا انس وابن عباس تسعة عشر بضم التا عشر
بالفتح وهذه حركة بنا ولا يجوزان يتوهم كونها اعرابا اذ لو كانت للاعراب لجعلت في الاسم
الاخير لتنزل الكلمتين منزلة الكلمة الواحدة وانما عدل الى كراهة توالي خمس حركات وعن
المهدوي من قرا تسعة عشر فكانه بين التداخل كانه اراد العطف فترك التركيب ورفع ها
التا نيث ثم راجع البنا واسكن انتهى فجعل الحركة للاعراب ويعني بقوله اسكن را عشر
فانه في هذه القراءة كذلك وعن انس رضي الله عنه ايضا تسعة اعشر بضم تسعة واعشر
بهمزة مفتوحة ثم عين ساكنة ثم شين مضمومة وفيها وجهان قال ابو الفضل يجوز ان
يكون جمع العشرة على عشر ثم اجراه مجرى تسعة عشر وقال الزمخشري جمع عشير مثل يمين
وايمن وعن انس ايضا تسعة وعشر بضم التا وسكون العين وضم الشين وواو مفتوحة
بدل الهمزة وتخريجها كتخريج ما قبلها الا انه قلب الهمزة واوا مبالغة في التخفيف والضمة
كما تقدم للبنا لا للاعراب ونقل المهدوي رحمه الله انه قرئ تسعة وعشر قال فجاء به على
الاصل قبل التركيب وعطف عشر على تسعة وحذف التنوين لكثرة الاستعمال وسكون
الرا من عشر على نية الوقف وقرا سليمان بن مهران بضم التا وهمزة مفتوحة وسكون العين
وضم الشين وجر الرا من اعشر والضمة على هذا ضمة اعراب لانه اضاف الاسم لها بعده فاعربها
اعراب المتضايفين وهي لغة لبعض العرب يفكون تركيب الاعداد ويعربونها كالمتضايفين
كقوله كلف من عنايه وشقوته • بنت ثماني عشرة من حجته
قال ابو الفضل ويجبر على هذه القراءة وهي قراءة من قرا اعشر مبنيا للمفعول او مغيرا من
حيث هو جمع ان الملايكة الذين هم على سقر تسعون ملكا **فصل** معنى الاية
اية تلجام تلك النار تسعة عشر من الملايكة يلقون فيها اهلها قيل هم خزنة النار
مالك وثمانية عشر ملكا وقيل التسعة عشر نقيبا وقال اكثر المفسرين تسعة عشر ملكا
باعيانهم قال القرطبي وذكر ابن المبارك عن رجل من بني تميم قال كنا عند ابي العوام فقرا
هذه الاية فقال ما تسعة عشر تسعة عشر الف ملك او تسعة عشر ملكا قال قلت
لا بل تسعة عشر ملكا قال وانى يعلم ذلك فقلت لقول الله عز وجل وما جعلنا عدتهم
الا فتنة للذين كفروا قال صدقت قال هم تسعة عشر ملكا قال ابن جريج بعث النبي
صلى الله عليه وسلم خزنة جهنم فقال صلى الله عليه وسلم اعينهم كالبرق وانيابهم كالصياصي
واشعارهم تمس اقدامهم يخرج لهب النار من افواههم الحديث قال ابن الاثير رحمه الله
الصياصي قرون البقر وروى الترمذي عن عبد الله قال ناس من اليهود لاناس من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم قالوا لا ندري حتى
نسال صلى الله عليه وسلم فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد غلب اصحابك
اليوم فقال وبماذا غلبوا قال سالهم يهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم قالوا
فماذا قالوا لا ندري حتى نسال نبينا صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم افغلب
قوم سالوا عما لا يعلمون فقالوا لا نعلم حتى نسال نبينا لكنهم قد سالوا نبيهم فقالوا
ارنا الله جهرة علي باعداء الله اني سايلهم عن تربة الجنة وهي الدرمك فلما جاوا قالوا
يا ابا القاسم كم عدد خزنة جهنم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا وهكذا في مرة
عشرة وفي مرة تسعة قالوا نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما تربة الجنة قال فسكتوا
ثم قالوا خبره يا ابا القاسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم التربة من الدرمك قال ابن
الاثير الدرمك هو الدقيق الحواري قال القرطبي الصحيح ان شا الله تعالى ان هولاء التسعة
عشر هم الروسا والنقبا واما جملتهم فكما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وقد ثبت
في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى
جهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها وقال ابن عباس
وقتادة والضحاك لما نزل قوله جل وعز عليها تسعة عشر قال ابو جهل القرشي ثكلتكم
امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة جهنم تسعة عشر وانتم الدهما اي العدد العظيم

والنجمان

والشجعان فيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا بواحد منهم قال السدي فقال ابو الاسود بن كلدة الجمحي
لا يهولنكم التسعة عشر انا ادفع بمنكبي الايمن عشرة من الملايكة وبمنكبي الايسر التسعة ثم تمرون
الى الجنة يقوله مستهزا وفي رواية ان الحارث بن كلدة قال انا اكفيكم تسعة عشر واكفوني انتم
اثنين فلما قال ابو الاسود ذلك قال المسلمون ويحكم لا تقاس الملايكة بالحدادين فجرى
هذا مثلا في كل شيين لا تساوي بينهما ومعناه لا تقاس الملايكة بالسجانين والحداد السجان ذكر
ارباب المعاني في تقدير هذا العدد وجوه منها ما قال ارباب الحكمة ان سبب فساد النفس
الانسانية في قوتها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية فالقوى الحيوانية
هي الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة والشهوة والغضب فهذه اثنى عشر واما القوى الطبيعية
فهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة فالمجموع تسعة
عشر فلما كانت هذه منشا الافات لا جرم كان عدد الزبانية هكذا ومنها ان ابواب جهنم
سبعة فستة منها للكفار وواحد للفساق ثم ان الكفار يدخلون النار لامور ثلاثة ترك
الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل فيكون لكل باب من تلك الابواب الستة ثلاثة فالمجموع
ثمانية عشر واما باب الفساق فليس هناك الا ترك العمل فالمجموع تسعة عشر مشغولة بغير
العبادة فلا جرم صار عدد الزبانية تسعة عشر قوله تعالى وما جعلنا اصحاب النار
الا ملايكة روي ان ابا جهل لما نزل قول الله تعالى عليها تسعة عشر قال ايعجز كل ماية ان
يبطشوا بواحد منهم ثم يخرجون من النار فنزل قوله عز وجل وما جعلنا اصحاب النار الا
ملايكة اي لم نجعلهم رجالا فتتعاطون مغالبتهم وقيل جعلهم ملايكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن
والانس فلا ياخذهم ما ياخذ المجانس من الرقة والرافة ولا يستروحون اليهم ولانهم اشد الخلق
باسا واقواهم بطشا ولذلك جعل الرسول الى البشر من جنسهم ليكون له رافة ورحمة بنا وقيل
لان قوتهم اعظم من قوة الانس فان قيل ثبت في الاخبار ان الملايكة مخلوقون من
النور فكيف يطيق المكث في النار فالجواب ان الله تعالى قادر على كل الممكنات فكما انه لا
استبعاد في انه يبقى الحي في مثل ذلك العذاب الشديد ابد الاباد ولا يموت فكذا لا استبعاد
في ابقا الملايكة هناك من غير الم قوله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا
اي بليه روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال المعنى ضلالة للذين كفروا وقوله تعالى
فتنة مفعول ثان على حذف مضاف اي الا سبب فتنة وللذين صفة لفتنة وليست فتنة
مفعولا له **فصل** قال ابن الخطيب هذا العدد انما صار سببا لفتنة الكفار من
وجهين الاول ان الكفار يستهزئون ويقولون لم لم يكونوا عشرين وما المقتضي لتخصيص
هذا العدد والثاني ان الكفار يقولون هذا العدد القليل كيف يكونون وافين بتعذيب
اكثر العالم من الجن والانس من اول ما خلق الله الى قيام القيمة والجواب عن الاول ان
هذا السوال لازم على كل عدد يفرض وعن الثاني انه لا يستبعد ان الله يرزق ذلك العدد
القليل قوة تفي بذلك فقد اقتلع جبريل صلوات الله عليه مداين قوم لوط على احد جناحيه
ورفعها الى السما حتى سمع اهل السما صياح ديكتهم ثم اقلبها وجعل عاليها سافلها وايضا فاحوال
القيمة لا تقاس باحوال الدنيا ولا للعقل فيها مجال **فصل** دلت هذه الاية
على ان الله تعالى يريد الفتنة واجاب الجبائي بان المراد من الفتنة تشديد العبيد ليستدلوا
على انه تعالى قادر على تقوية هولاء التسعة عشر على ما لا يقوى عليه ماية الف ملك اقويا
واجاب الكعبي بان المراد من الفتنة الامتحان حتى يفوض المومنون حكمة التخصيص بالعدد
المعين الى علم الله تعالى وهذا من المتشابه الذي امروا بالايمان به او يكون المراد من الفتنة
ما وقعوا فيه من الكفر بسبب تكذيبهم بعدد الخزنة وحاصله ترك الالطاف والجواب
ان يقول هل لانزال هذه المتشابهات اثر في تقوية داعية الكفر ام لا فان لم يكن له اثر في
تقوية داعية الكفر لم تكن انزال هذه المتشابهات فتنة للذين كفروا البتة وان كان له اثر
في تقوية داعية الكفر فقد حصل المقصود لانه اذا ترجحت داعية الفعل صارت داعية
الترك مرجوحة والمرجوح يمتنع تاثيره فيكون الترك ممتنع الوقوع فيصير الفعل واجب
الوقوع والله اعلم قوله تعالى ليستيقن الذين متعلق بجعلنا لا بفتنة وقيل بفعل مضمر

اي فعلنا ذلك ليستيقن معنى الكلام ليوقن الذين اعطوا التوراة والانجيل ان عدة
خزنة جهنم موافقة لما عندهم قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وغيرهم
ثم يحتمل ان يريد الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام ويحتمل ان يريد الكل ويزداد الذين
امنوا ايمانا بالتصديق بهم وبخزنته النار قال ابن الخطيب فان قيل حقيقة الايمان هو
عندكم لا يقبل الزيادة والنقصان فما قولكم في هذه الاية فالجواب يحمله على ثمرات
الايمان وعلى اثاره ولوازمه قوله تعالى ولا يرتاب اي ولا يشك الذين اوتوا الكتاب
اعطوا الكتاب والمومنون اي المصدقون من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ان خزنة جهنم تسعة عشر فان قيل لما اثبت الاستيقان لاهل الكتاب واثبت
زيادة الايمان للمومنين فما الفايدة في قوله تعالى بعد ذلك ولا يرتاب الذين اوتوا
الكتاب والمومنون فالجواب ان الانسان اذا اجتهد في امر غامض دقيق الحجة كثير
الشبه يحصل له اليقين فربما غفل عن مقدمة من مقدمات ذلك الدليل الدقيق فيعود
الشك فاثبات اليقين في بعض الاحوال لا ينافي طريان الارتياب بعد ذلك ففايدة
هذه الاعادة نفي ذلك الشك وانهم حصل لهم يقين جازم لا يحصل عقيبه شك البتة
قوله تعالى وليقول الذين في قلوبهم مرض اي في صدورهم شك ونفاق من منافقي
اهل المدينة الذين يحدثون في مستقبل الزمان بعد الهجرة وهذا اخبار عما سيكون فهو
معجزة والكافرون اي اليهود والنصارى ماذا اراد الله بهذا مثلا يعني بعدد خزنة جهنم
وهذا قول اكثر المفسرين وقال الحسين بن الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق
فالمرض في هذه الاية الخلاف والمراد بالكافرين مشركوا العرب ويجوز ان يراد بالمرض
الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم مشركين وبعضهم قاطعين بالكذب وقوله
تعالى اخبارا عنهم ماذا اراد الله بهذا مثلا اي بهذا العدد الذي ذكره حديثا اي ما هذا
من الحديث قال الليث رحمه الله المثل الحديث ومنه مثل الجنة التي وعد المتقون
اي حديثها والخبر عنها وقال ابن الخطيب انما سموه مثلا لانه لما كان هذا العدد عددا
عجيبا ظن القوم انه ربما لم يكن مراد الله منه ما اشعر به ظاهره بل جعله مثلا لشيء اخر
وتنبيها على مقصود اخر لا جرم سموه مثلا لانهم لما استغربوه ظنوا انه ضرب مثلا لغيره
ومثلا تمييز او حال وتسمية هذا مثلا على سبيل الاستعارة لغرابته **فصل** اللام
في قوله تعالى وليقول الذين في قلوبهم مرض جار على اصول اهل السنة لان ذلك مراد
وعند المعتزلة هي لام العاقبة وتنبوه الى الله عز وجل سبحانه وتعالى مع انهم ينكرون ذلك
اما على سبيل التهكم واما على ما يقوله قوله تعالى كذلك نعت لمصدر او حال منه على ما عرف
وذلك اشارة الى ما تقدم من الاضلال والهدى يضل الله من يشاء اي كاضلال الله ابا جهل
واصحابه المنكرين بخزنة جهنم يضل اي يعمي ويخزي من يشاء ويهدي من يشاء ويرشد
من يشاء كارشاد اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الاية تدل على مذاهب اهل السنة
لانه تعالى قال في اول الاية وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وقال جل ذكره في
اخر الاية وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال
سبحانه كذلك يضل الله من يشاء واما المعتزلة فذكروا تاويلاتهم المشهورة وتقدم اجوبتها
قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو جنود ربك مفعول واجب التقديم لحصر
فاعله ولعود الضمير على ما اتصل بالمفعول **فصل** قال وما يدري عدد ملايكة
ربك الذي خلقهم لتعذيب اهل النار الا هو اي الله عز وجل وهذا جواب لابي جهل
حين قال اما لمحمد من الجنود الا تسعة عشر الان لكل واحد منهم من الاعوان والجنود
ما لا يعلم عددهم الا هو ويحتمل ان يكون المعنى وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا
يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد حكمة لا يعلمها الخلق وهو جل جلاله
يعلمها او يكون المعنى انه لا حاجة بالله سبحانه في تعذيب الكفار والفساق الى الاعوان والخزنة
بل هو الذي يعذبهم في الحقيقة وهو الذي يخلق الالم فيهم ولو انه تعالى قلب شعرة
في عين ابن ادم او سلط الالم على عرق واحد من عروق بدنه لكفاه ذلك بلاء ومحنة فلا يلزم

من

من تقليل عدد الخزنة قلة العذاب فجنود الله تعالى غير متناهية لان مقدوراته غير
متناهية لان مقدوراته غير متناهية قال صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان
تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وفيها ملك ساجد قوله تبارك وتعالى جل ذكره لا اله
الا هو وما هي يجوز ان يعود الضمير على سقر اي وما سقر الا تذكرة اي عظة للبشر وان
يعود على الايات المذكورة فيها او النار لتقدمها او الجنود لانه اقرب مذكور او نار الدنيا وان
لم يجر لها ذكر لانها تذكرة لنار الاخرة قاله الزجاج وما هذه العدة الا تذكرة للبشر اي ليتذكروا
ويعلموا كمال قدرة الله تعالى وانه سبحانه لا يحتاج الى اعوان وانصار وللبشر مفعول بذكرى
واللام فيه مزيدة قوله تعالى كلا والقمر قال الفراء رحمه الله كلا صلة للقسم التقدير
اي والقمر وقيل المعنى حقا والقمر فلا يوقف على هذين التقديرين على كلا واجاز الطبري
الوقف عليها وجعلها ردا على الذين زعموا انهم يقاومون خزنة جهنم اي ليس الامر كما
يقول من زعم انه يقاوم خزنة النار ثم اقسم على ذلك جل وعز بالقمر وبما بعده وقيل
هذا انكار بعد ان جعلها ذكرى ان يكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون وقيل هو ردع لمن
ينكر ان يكون احدى الكبر نذيرا وقيل ردع عن الاستهزاء بالعدة المخصوصة قوله تعالى
والليل اذ ادبر قرا نافع وحمزة وحفص اذ ظرفا لما مضى من الزمان ادبر بزنة اكرم والباقون
اذا ظرفا لما يستقبل دبر بزنة ضرب والرسم يحتمل كليهما فالصورة الخطية لا تختلف
واختار ابو عبيد قراءة اذا قال لان بعده اذا اسفر قال ولذلك هي في حرف عبد الله يعني انه
مكتوب بالعين بعد الدال احدهما الف اذا والاخرى همزة ادبر قال وليس في القران قسم يعقبه
اذ وانما يعقبه اذا واختار ابن عباس رضي الله عنه اذ وحكي عنه انه لما سمع دبر قال انما يدبر
ظهر البعير واختلفوا هل دبر وادبر بمعنى ام لا فقيل هما بمعنى واحد يقال دبر الليل والنهار
وادبر وقبل واقبل ومنه قولهم امس الدابر فهذا من دبر وامس المدبر قال صخر بن عمرو الشريد السلمي

ولقد قتلتكم ثناء وموحدا • وتركت مرة مثل امس الدابر •

ويروى المدبر وهذا قول الفراء والاخفش والزجاج واما ادبر الراكب واقبل فرباعي لا غير وقال
يونس دبر انقضى وادبر تولى ففرق بينهما وقال الزمخشري ودبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى
اقبل ومنه صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه وذكر القرطبي
عن بعض اهل اللغة دبر الليل اذا مضى وادبر اخذ في الادبار وقرا محمد بن السميفع والليل
اذا ادبر بالعين وكذلك هي في مصحف عبد الله وابي وقال قطرب من قرا دبر فيعني اقبل
من قول العرب دبر فلان اذا جاء من خلفي قال ابو عمرو وهي لغة قريش قوله والصبح اذا
اسفر اي اضاء وفي الحديث اسفروا بالفجر ومنه قوله تعالى وجوه يوميذ مسفرة اي مضيئة وقرا
العامة اسفر بالالف وعيسى بن الفضل وابن السميفع رحمهما الله تعالى سفر ثلاثيا والمعنى
طرح الظلمة عن وجهه على وجه الاستعارة وهما لغتان فيقال سفر وجه فلان اذا اضاء واسفر
وجهه حسنا اي اشرق وسفرت المراة اذا كشفت عن وجهها فهي سافرة قال القرطبي ويجوز
ان يكون سفر الظلام اي كنسه كما يسفر البيت اي يكنس ومنه السفير لما سقط من ورق الشجر
وتحات ويقال انما سمي سفيرا لان الريح تسفره اي تكنسه والسفرة المكنسة قوله تعالى
انها اي ان النار وقيل ان قيام الساعة كذا حكاه ابو حيان وفيه بيان عوده على غير مذكور
وكون المضاف اكتسب تانيثا وقيل هي ضمير القصة وهذا جواب القسم وتعليل
لكلا والقسم معترض للتوكيد قاله الزمخشري قال شهاب الدين وحينئذ يحتاج الى تقدير
جوازه وفيه تكلف وخروج عن الظاهر قوله تعالى لاحدى الكبر قرا العامة لاحدى الكبر
بهمزة واصلها واو من الوحدة وقرا نصر بن عاصم وابن محيصن ويروى عن ابن كثير لحدى بحذف
الهمزة وهذا من الشذوذ بحيث لا يقاس عليه وتوجيهه ان يكون ابدلها الفا ثم حذف الالف لالتقاء
الساكنين وقياس تخفيف مثل هذه بينها وبين الالف قال الواحدي الف احدى مقطوع لا
تذهب في الوصل والكبر جمع كبرى كالفضل جمع فضلى قال الزمخشري الكبر جمع الكبرى جعلت الف
التانيث كتاء التانيث فلما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافي جمع
السافية وهو التراب اي التي تسفيه الريح والقواصع في جمع القاصعاء كانها جمع فاعلة قال ابن

الخطيب **فصل** معنى احدى الكبراي احدى الدواهي قال يا ابن العلا نزلت احدى الكبر
داهية الدهر وصما العير ومثله هو احد الرجال واحدى النسا لمن يستعظمونه والمراد من الكبر
دركات جهنم وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير والجحيم والهاوية وسقر اعاذنا الله
تعالى منها وفي تفسير مقاتل الكبر اسم من اسما النار وعن ابن عباس انها اي ان تكذيبهم لمحمد
صلى الله عليه وسلم لاحدى الكبراي الكبيرة من الكبائر قوله تعالى نذيرا فيه اوجه احدها انه
تمييز عن احدى لما ضمنت معنى التعظم كانه قيل اعظم الكبر انذارا فنذير بمعنى الانذار كالنكير
بمعنى الانكار كانه قيل انها لاحدى الدواهي انذارا ومثله هي احدى النسا عفافا الثاني انه
مصدر بمعنى الانذار ايضا ولكنه نصب بفعل مقدر قاله الفرا الثالث انه فعيل بمعنى مفعل وهو
حال من الضمير في انها قاله الزجاج وذكر لان معناه معنى العذاب او ذات انذار على معنى
النسب كقولهم امراة طالق وطاهر قال الحسن رضي الله عنه والله ما انذر الخلايق بشي
ادهى منها الرابع انه حال من الضمير في احدى لتاويلها بمعنى العظم الخامس انه حال من
فاعل قم اول السورة والمراد بالنذير محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم
اي قم نذيرا للبشر وهذا قبيح لطول ما بينهما السادس انه مصدر منصوب بانذر اول السورة
كانه قال انذار البشر قال الفرا يجوز ان يكون النذير بمعنى الانذار اي انذر انذارا فهو
كقوله تعالى فكيف كان نذيراي انذاري فعلى هذا يكون راجعا الى اول السورة السابع
هو حال من الكبر الثامن من ضمير الكبر التاسع انه منصوب باضمار اعني العاشر انه حال من
لاحدى قاله ابن عطية الحادي عشر انه منصوب بادع مقدرا اذ المراد به الله تبارك
وتعالى روى ابو معوية الضرير حديث اسماعيل بن سميع عن ابي رزين نذيرا للبشر
قال يقول الله عز وجل انا لكم منها نذير فاتقوها ونذيرا نصب على هذا نصب على الحال
اي وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة منذرا بذلك البشر الثاني عشر انه منصوب ساد
وبلغ اذ المراد به الرسول صلى الله عليه وسلم الثالث عشر انه منصوبا بما دلت عليه الجملة
تقديره عظمت نذيرا الرابع عشر هو حال من الضمير في الكبر الخامس عشر انها حال من في
قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو السادس عشر انها مفعول من اجله الناصب لها
ما في الكبر من معنى الفعل قال ابو البقا وانها لاحدى الكبر لانذار البشر فظاهر هذا انه
مفعول من اجله واعلم ان النصب قراة العامة وقرا ابي بن كعب وابن ابي عبلة بالرفع
فان كان المراد النار جاز فيه وجهان ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون خبر مبتدا
مضمر اي هي نذير والتذكير لما تقدم من معنى النسب وان كان المراد الباري تعالى او رسوله
صلى الله عليه وسلم كان على خبر مبتدا مضمر اي هو نذير وللبشر اما صفة واما مفعول لنذير
واللام مزيدة لتقوية العامل قوله تعالى لمن شا فيه وجهان احدهما انه بدل من للبشر
باعادة العامل كقوله لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وللذين استضعفوا لمن امن وان يتقدم
مفعول شا اي نذيرا لمن شا التقدم او التاخر وفيه ذكر مفعول شا وقد تقدم انه لا يذكر
الا اذا كان فيه غرابة الثاني وبه بدا الزمخشري ان يكون لمن شا التقدم او التاخر ان
يتقدم او يتاخر انتهى فقوله التقدم او التاخر هو مفعول شا المقدر قال ابو حيان رحمه
الله قوله ان يتقدم هو المبتدا معنى لا ايتاد رالذهن اليه وفيه حذف قال القرطبي
اللام في لمن شا متعلقة بالنذير اي نذيرا لمن شا منكم ان يتقدم الى الخير او يتاخر الى
الشر والمعصية نظيره ولقد علمنا المستقدمين منكم اي في الخير ولقد علمنا المستاخرين
منكم عنه قال الحسن هذا وعيد وتهديد وان خرج مخرج الخير كقوله تبارك وتعالى
فمن شا فليومن ومن شاء فليكفر وقيل المعنى لمن شا الله ان يتقدم او يتاخر فالمشية
متصلة بالله عز وجل والتقديم الايمان والتاخير الكفر وكان ابن عباس يقول هذا تهديد
واعلام ان من تقدم الى الطاعة والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا جوزي
بثواب لا ينقطع ومن تاخر عن الطاعة وكذب محمدا صلى الله عليه وسلم عوقب عقابا لا
ينقطع وقال السدي لمن شا منكم ان يتقدم الى النار المتقدم ذكرها او يتاخر عنها الى الجنة
فصل احتج المعتزلة بهذه الاية على كون العبد متمكنا من الفعل غير مجبور عليه

وجوابه

وجوابه ان هذه الاية دلت على ان فعل العبد معلق على مشيته لكن مشية العبد على مشية الله
تعالى لقوله تعالى جل ذكره وما تشاؤن الا ان يشا الله وحينئذ تصير الاية حجة عليهم قال
ابن الخطيب وذكر الاصحاب جوابين اخرين الاول معنى اضافة المشية الى المخاطبين التهديد
كقوله عز وجل فمن شا فليومن ومن شاء فليكفر الثاني ان هذه المشية لله تبارك وتعالى
على معنى لمن شا الله منكم ان يتقدم او يتاخر قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة فيه
اوجه احدها ان رهينة بمعنى رهن كالشتيمة بمعنى الشتم قال الزمخشري ليست بتانيث
رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتانيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين
لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمونث وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى
الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة •
ابعد الذي بالنعف نعف كوكب • رهينة رمس ذي تراب وجندل •
كانه قال رهن ومن الثاني ان الهاء للمبالغة الثالث ان التانيث لاجل اللفظ واختار ابو
حيان رحمه الله تعالى انها بمعنى مفعول فانها كالنطيحة قال ويدل على ذلك انه لما كان خبرا
عن المذكر كان بغير ها قال تعالى كل امرئ بما كسب رهين فانت حيث كان خبرا عن المذكر
اي بغير تا وحيث كان خبرا عن مونث اتى بالها فاما التي في البيت فانت على معنى النفس
فصل ومعنى رهينة اي مرتهنة بكسبها ماخوذة بعملها اما تخلصها واما يوبقها قوله
تعالى الا اصحاب اليمين فيه وجهان احدهما انها استثنا متصل اذ المراد بهم المسلمين هم
الخالصون الصالحون فانهم فكوا رقاب انفسهم باعمالهم الحسنة كما يخلص الراهن رهنه
بايفاء الحق والثاني انه منقطع اذ المراد بهم الاطفال والملايكة قال ابن عباس المراد
بهم الملايكة وقال علي بن ابي طالب وابن عمر رضي الله عنهم هم اولاد المسلمين لم يكتسبوا
فيرتهنوا وقال الضحاك هم الذين سبقت لهم منا الحسنى ونحوه عن ابن جريج قال
كل نفس بعملها محاسبة الا اصحاب اليمين وهم اهل الجنة فانهم لا يحاسبون وكذا
قال مقاتل والكلبي ايضا هم اصحاب الجنة الذين كانوا عن يمين ادم صلوات الله عليه
يوم الميثاق حين قال الله عز وجل لهم هولاء في الجنة ولا ابالي وقال الحسن وابن كيسان
هم المسلمون المخلصون ليسوا بمرتهنين لانهم ادوا ما كان عليهم وعن ابي ظبيان عن ابن
عباس قال هم المسلمون وقيل الا اصحاب الحق واهل الايمان وقيل هم الذين يعطون
كتبهم بايمانهم وقال ابو جعفر الباقر نحن وشيعتنا اصحاب اليمين وكل من ابغضنا اهل
البيت فهم المرتهنون قوله تعالى في جنات يجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي هم في جنات
وان يكون حالا من اصحاب اليمين وان يكون حالا من فاعل يتسالون ذكرها ابو البقا
ويجوز ان يكون ظرفا ليتسالون وهو اظهر من الحالية من فاعله ويتسالون يجوز ان يكون
على بابه اي يسال بعضهم بعضا وان يكون بمعنى يسالون اي يسالون غيرهم نحو دعوته
وتداعيته قوله تعالى عن المجرمين فيه وجهان الاول ان تكون كلمة عن صلة زايدة
والتقدير يسالون المجرمين فيقولون لهم ما سلككم في سقر فانه يقال سالته كذا
وسالته عن كذا الثاني ان يكون المعنى ان اصحاب اليمين يسال بعضهم بعضا عن احوال
المجرمين فان قيل فعلى هذا يجب ان يقولوا ما سلككم في سقر فاجاب الزمخشري عنه
فقال المراد من هذا ان المشركين يلقون ما جرى بينهم وبين المومنين فيقولون قلنا
لهم ما سلككم في سقر وفيه وجوه اخر وهو ان المراد ان اصحاب اليمين كانوا يتسالون
عن المجرمين اي اين هم فلما راوهم قالوا لهم ما سلككم في سقر والاضمارات كثيرة في
القران قوله تعالى ما سلككم يجوز ان يكون على اضمار القول وذلك القول في موضع
الحال اي يتسالون عنهم قايلين لهم ما سلككم قال الزمخشري فان قلت كيف طابق
قوله تعالى ما سلككم وهو سوال المجرمين قوله يتسالون عن المجرمين ما سلككم قلت قوله
تعالى ما سلككم ليس ببيان للتساول عنهم وانما هو حكاية قول المشركين عنهم لانهم
المشركين يلقون الى السايلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم
في سقر اي ادخلكم في سقر كما تقول سلكت الخيط في كذا اذا ادخلته فيه والمقصود من هذا

السوال زيادة التوبيخ والتخجيل والمعني ما ادخلكم في هذه الدرك من النار فاجابوا لان
العذاب لامور اربعة ثم ذكروها وهي قولهم لم نك من المصلين قال الكلبي رحمه الله يسال الرجل
من اهل الجنة الرجل من اهل النار باسمه يقول له يا فلان وفي قراة عبد الله بن الزبير يا فلان
ما سلككم في سقر وهي قراة على التفسير لا انها قراة كما زعم من طعن في القراات قاله ابن الانباري
وقيل ان المومنين يسالون الملايكة عن اقربايهم فتسال الملايكة المشركين فيقولون لهم ما
سلككم في سقر قال الرازي في هذا ما يقوي ان اصحاب اليمين هم الولدان لانهم لا يعرفون الذنوب
قوله تعالى لم نك من المصلين هذا هو الدال على فاعل سلكنا كذا الواقع جوابا لقول
المومنين لهم ما سلككم التقدير سلكنا عدم صلاتنا وكذا وكذا وقال ابو البقا هذه الجملة
سدت مسد الفاعل وهو جواب ما سلككم وهو نظير ما سلككم وقد تقدم في البقرة
فصل قال القرطبي معني قولهم لم نك من المصلين يعني اهل النار اي المومنين
الذين يصلون ولم نك نطعم المسكين اي لم نكن نتصدق قال ابن الخطيب وهذا ان يجب ان
يكونا محمولين علي الصلاة الواجبة والزكاة لان ما ليس بواجب لا يجوز ان يعذب واعلي تركه
وكنا نخوض مع الخايضين اي في امر محمد صلي الله عليه وسلم وهو قولهم لعنهم الله انه كاهن
مجنون شاعر ساحر كذبوا والله لم يكن فيه شي من ذلك صلي الله عليه وسلم وقال قتادة
كلما غوي غاوي غوينا معه وقيل معناه وكنا اتباعا ولم نكن متبوعين وقولهم وكنا نكذب بيوم
الدين اي نكذب بيوم القيمة يوم الجزا والحكم حتي اتانا اليقين اي جانا الموت قال الله
تعالى حتى ياتيك اليقين وهذه الاية تدل علي ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة فان
قيل لم اخر التكذيب وهو اخس تلك الخصال الاربع فالجواب اريد انهم بعد اتصافهم
بتلك الامور الثلاثة كانوا مكذبين بيوم الدين والغرض بتعظيم هذا الذنب كقوله
تعالى ثم كان من الذين امنوا قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين كقوله
علي لاحب بمنارة في احد وجهيه اي لا شفاعة لهم فلا انتفاع لهم بها وليس المراد ان ثم شفاعة
غير نافعة كقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهذه الاية تدل علي صحة الشفاعة للمذنبين
من هذه الامة بمفهومها لان تخصيص هولا بانهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله
ابن مسعود فهولا الذين في جهنم قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين اي فما لاهل
مكة قد اعرضوا وولوا قال مقاتل معرضين عن القران من وجهين احدهما الجحود والانكار
والثاني ترك العمل بما فيه وقيل المراد بالتذكرة العظة بالقران وغيره من المواعظ ومعرضين
حال من الضمير في الجار الواقع خبرا عن ما الاستفهامية وقد تقدم ان مثل هذه الحال يسمى
حالا لازمة وتقدم بحث حسن وعن التذكرة متعلق به قال القرطبي وفي اللام معني
الفعل فانتصاب الحال علي معني الفعل قال ابن الخطيب هو كقولك ما لك قايما قوله تعالى
كانهم حمر هذه الجملة يجوز ان تكون حالا من الضمير في الجار ويكون بدلا من معرضين قاله ابو
البقا يعني انها كالمشتملة عليها وان يكون حالا من الضمير في معرضين فيكون حالا متداخلة
وقرا العامة حمر بضم الميم والاعمش باسكانها وقرا نافع وابن عامر مستنفرة بفتح الفا علي انه
اسم مفعول اي ينفرها الصايد والباقون بالكسر بمعني نافرة يقال استنفر ونفر بمعني مثل
عجب واستعجب وسخر واستسخر قال الشاعر • امسك حمارك انه مستنفر •
في اثر احمرة عمدن لغرب • وقال الزمخشري وكانها تطلب النفار في نفوسها في جمعها له
وحملها عليه انتهي فابقى السين علي بابها من الطلب وهو معني حسن قال ابو علي الفارسي
الكسر في مستنفرة اولي لقوله فرت من قسورة لانه يدل علي انها استنفرت ويدل علي صحة
ذلك ما روي محمد بن سلام رحمه الله قال سالت ابا سرار الغنوي وكان عربيا فصيحا
فقلت كانهم حمر ماذا فقال مستنفرة طردها قسورة فقلت انما هو فرت من قسورة فقال
افرت قلت نعم فمستنفرة اذن انتهي يعني الفاتح قوله طردها يناسب الفتح لانها اسم
مفعول فلما اخبر بان التلاوة فرت من قسورة رجع الي الكسر للتناسب الا ان مثل هذه
الحكاية لا ترد القراة المتواترة والقسورة قيل الصايد اي نفرت وهربت من قسورة اي
من الصايد وقيل الرماة اي رماة يرمونها قيل هو اسم جمع لا واحد له قال بعض اهل اللغة

ان القسورة

ان القسورة الرامي وجمعه القسورة وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك
وابن كيسان القسورة هم الرماة والصيادون ورواه عطا عن ابن عباس وابن وهبان عن ابي
موسي الاشعري وانشد والمسيد بن ربيعة •
• اذا ما هتفنا هتفة في بدينا اتانا الرجال العابدون القساوره •
وقيل القسورة الاسد قاله ابو هريرة وابن عباس رضي الله عنهما قال ابن عرفه من القسر
بمعني القهر اي انه يقهر السباع والحمر الوحشية تهرب من السباع وعنه قول الشاعر •
• مضمر تحذره الابطال كانه القسورة الوهال •
اي الاسد الا ان ابن عباس انكره وقال لا اعرف القسورة الاسد لغة احد من العرب وانما القسورة
عصب الرجال وانشد • جيرة لحره احوالها لحن واهل القسورة •
وقيل القسورة ظلمة الليل قاله ابن الاعرابي وهو قول عكرمة وعن ابن عباس ركز الناس
حسهم واصواتهم وعنه ايضا فرت من قسورة اي شباك الصيادين وعنه ايضا بلسان الحبشة
القسورة الاسد وخالفه عكرمة فقال الاسد بلسان الحبشة عنبسة وبلسان الحبشة الرماة
وبلسان فارس شير وبلسان القبط اذبا وقيل هو اول سواد الليل ولا يقال لاخر سواد الليل
قسورة **فصل** قال ابن عباس كان هولا الكفار في فرارهم من محمد صلي الله عليه وسلم
حمر مستنفرة قال ابن عباس اراد الحمر الوحشية قال الزمخشري وفي تشبيههم بالحمر شهادة
عليهم بالبله ولا يري مثل نفار حمر الوحشي واطرادها في العدو اذا خافت من شي قوله تعالى
بل يريد كل امري منهم ان يوتي صحفا منشرة اي يعطي كتبا مفتوحة وذلك ان ابا جهل وجماعة
من قريش قالوا يا محمد لا نومن بك حتى تاتي كل واحد منا بكتاب من السما عنوانه من رب
العالمين الي فلان بن فلان ونومر فيه باتباعك ونظيره لن نومن لك حتى تنزل علينا
كتابا نقراوه وقال ابن عباس كانوا يقولون ان كان محمد صادقا فليصبح عند راس كل
واحد منا صحيفة فيها براة من النار وقال مطر الوراق ارادوا ان يعطوا بغير عمل وقال
الكلبي قال المشركون بلغنا ان الرجل من بني اسرايل كان يصبح عند راسه مكتوبا ذنبه
وكفارته فاتنا بمثل ذلك قال ابن الخطيب وهذا من الصحف المنشرة بمعزل وقيل المعني
ان يذكر بذكر جميل فجعلت الصحف موضع الذكر مجازا وقالوا اذا كانت ذنوب الانسان تكتب
عليه فما بالنا لا نري ذلك قوله تعالى منشرة العامة علي التشديد من نشر بالتضعيف
وابن جبير منشرة بالتخفيف ونشر وانشر مثل نزل وانزل والعامة ايضا علي ضم الحا من
صحف وابن جبير علي تسكينها قال ابو حيان رحمه الله والمحفوظ في الصحيفة والثوب
نشر مخففا ثلاثيا وهذا مردود بالقران المتواتر وقال ابو البقا في قراة ابن جبير من انشرت
اما بمعني امر بنشرها مثل الحيل عرض فلان او بمعني منشورة مثل احمدت الرجل وبمعني انشر
الله الميت اي احياه فكانه احياها فيها بذكره قوله تعالى كلا اي ليس يكون ذلك وقيل
حقا والاول اجود لانه رد لقولهم قال بل لا يخافون الاخرة اي لا اعطيهم ما يتمنون لانهم
لا يخافون الاخرة فكذلك اعرضوا عن التامل اغترارا بالدنيا فانه لما حصلت المعجزات
الكثيرة كفت في الدلالة علي صحة النبوة فطلب الزيادة يكون عبثا قوله تعالى كلا انه
تذكرة اي حقا ان القران عظة وقيل هذا ردع لهم عن اعراضهم عن التذكرة انه تذكرة بليغة
فمن شا ذكره اي اتعظ به وجعله نصب عينيه والضمير في انه وذكره للتذكرة في قوله تعالى
فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكر لانها في معني الذكر والقران وقيل الضمير في انه للقران
والوعيد قوله تعالى وما يذكرون قرا نافع بالخطاب وهو التفات من الغيبة الي
الخطاب والباقون بالغيبة حملا علي ما تقدم من قوله كل امري ولم يوثر والالتفات وقراة
الخطاب هي اختيار ابي حاتم لانه اعم واما قراة العامة فهي اختيار ابي عبيد لقوله تعالى
كلا بل لا يخافون الاخرة واتفقوا علي تخفيفها قوله تعالى الا ان يشا الله بمعني الا ان
يشا مشيته لان ان نوب عن الزمان بل علي حذف مضاف قالت المعتزلة معناه الا ان
يقدرهم الله تعالى علي الذكر ويلهمهم اليه واجيبوا بانه تعالي نفي الذكر مطلقا واستثني عنه
حال المشية المطلقة فيلزم انه متي حصلت المشية ان يحصل الذكر مطلقا فحيث لم يحصل الذكر

علي انه يحصل المثبت وتخصيص المثبتة بالمثبتة الظاهرية ترك للظاهر قوله تعالى واهل
التقوى واهل المغفرة اي حقيق بان تتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا
وحقيق بان يغفر لهم ما سلف من كفرهم اذا امنوا واطاعوا روى الترمذي وابن ماجه عن
انس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في قوله تعالى هو
اهل التقوى واهل المغفرة ايضا للذنوب الصغار روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله
عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قراها يا ايها المدثر اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب به بمكة صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم

سورة القيامة مكية

وهي تسع وثلاثون اية ومائة وتسع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله سبحانه وتعالى جل ذكره لا اله الا هو سبحانه لا اقسم بيوم القيمة العامة على
لا انها نافية واختلفوا حينئذ فيها على اوجه احدها انها نافية لكلام تقدم كان الكفار
ذكروا اشيا فقيل لهم لا ثم ابتدا الله قسما قال القرطبي رحمه الله ان القران جاء بالرد
على الذين انكروا البعث والجنة والنار فجا الاقسام بالرد عليهم كقولك لا والله لا افعل فلا
رد لكلام قد مضى كقولك لا والله ان القيمة لحق كانك اكذبت قوما انكروه الثاني انها مزيدة
قال الزمخشري وقالوا انها مزيدة مثلها في لئلا يعلم اهل الكتاب وفي قوله عز وجل
ما منعك ان لا تسجد وقوله في بئر لا حور سرى وما شعر قال ابن الخطيب وهذا القول
عندي ضعيف من وجوه اولها ان تجويز هذا يفضي الى الطعن في القران لان على هذا
التقدير يجوز جعل النفي اثباتا والاثبات نفيا وذلك ينفي الاعتماد على الكلام نفيا
واثباتا وثانيها ان الحرف انما يزاد في وسط الكلام فان امرا القيس زادها في مستهل وهو
قوله لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر وايضا فهب ان هذا الحرف لا يزاد
في اول الكلام الا ان القران كله كالسورة الواحدة لاتصال بعضه ببعض بدليل انه قد
يذكر الشي في سورة ثم يجي جوابه في سورة اخرى وهو قوله جل ذكره ما انت بنعمة ربك
بمجنون واذا كان كذلك كان اول هذه السورة جاريا مجرى اوسط الكلام والجواب عن الاول
ان قوله لا وابيك قسم عن النفي وقوله لا اقسم نفي للقسم لانه على وزان قولنا لا اقتل لا اضرب
لا ابصر وذلك يفيد النفي بدليل انه لو حلف لا يقسم كان البر بترك القسم والحنث بفعل القسم
فظهر ان البيت المذكور ليس من هذا الباب وعن الثاني ان القران الكريم كالسورة الواحدة
في عدم التناقض فاما في ان يقرن بكل اية ما قرن بالاخرى فذلك غير جائز لانه يلزم جواز
ان يقرن بكل اثبات حرف النفي الوارد في سائر الايات وذلك يقتضي انقلاب كل اثبات نفيا
وانقلاب كل نفي اثباتا وانه لا يجوز وثالثها ان المراد بقولنا لا صلة انه لغو باطل يجب
طرحه واسقاطه حتى ينتظم الكلام ووصف كلام الله تعالى بذلك لا يجوز الوجه الثالث
قال الزمخشري ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم قال
امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري البيت المتقدم وقال عوده بن سلمى الا نادت امامه
باحتمال لتحزني فلا بك ما ابالي وفائدتها توكيد القسم في الرد ثم قال بعد ان حكى وجه الزيادة
والاعتراض والجواب كما تقدم والوجه ان يقال هي للنفي والمعنى في ذلك انه لا يقسم بالشي
الا اعظاما له بذلك عليه قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم
فكانه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي له باقسامي به كلا اعظام يعني انه يستاهل فوق
ذلك وقيل ان لا نفي لكلام ورد قبل ذلك انتهى قال ابن الخطيب كانهم انكروا البعث فقيل لا ليس
الامر على ما ذكرتم ثم قيل لا اقسم بيوم القيمة قال وهذا فيه اشكال لان اعادة حرف النفي
مرة اخرى في قوله ولا اقسم بالنفس اللوامة مع ان المراد ما ذكروه تقدح في فصاحة الكلام قال
شهاب الدين رحمه الله فقول الزمخشري والوجه ان يقال الى قوله يعني انه يستاهل فوق ذلك

تقرير

تقرير لقوله ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض الى اخره وحاصل كلامه يرجع الى انها
نافية وان النفي متسلط على فعل القسم بالمعنى الذي شرحه وليس فيه منع لفظا ولا معنى ثم
قال فان قلت قوله تعالى فلا وربك لا يومنون والابيات التي انشدتها المقسم عليه فيها
بنفي فهلا زعمت ان لا التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه
المحذوف هنا منفيا كقولك لا اقسم بيوم القيمة لا تتركون سدى قلت لو قصروا الامر على النفي
دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر الا ترى كيف نفي لا اقسم بهذا البلد بقوله
لقد خلقنا الانسان وكذلك قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقران كريم وهذا
من محاسن كلامه وقرا قنبل والبزي بخلاف عنه لاقسم بلام بعدها همزة دون الف وفيها
اوجه احدها انها جواب لقسم مقدر تقديره والله لاقسم والفعل للحال فلذلك لم تات
نون التوكيد وهذا مذهب الكوفيين واما البصريون فلا يجيزون ان يقع فعل الحال جوابا
للقسم فان ورد ما ظاهره ذلك جعل الفعل خبر المبتدا مضمر فيعود الجواب جملة اسمية قدر احد
جزئيها وهذا عند بعضهم من ذلك التقدير والله لانا اقسم الثاني انه فعل مستقبل وانما
لم يات بنون التوكيد لان افعال الله تعالى حق وصدق فهي غنية عن التاكيد بخلاف افعال
غيره على ان سيبويه حكى حذف النون الا انه قليل والكوفيون يجيزون ذلك من غير قلة اذ من
توهم جواز تعاقب اللام والنون فمن حذف اللام قوله وقتيل مرة اثارن فانه فرع وان اخاكم
اي لا ثارن ومن حذف النون وهو نظير الاية الكريمة قول الاخر

لئن تك قد ضاقت عليكم بيوتكم ... ليعلم ربي ان بيتي واسع

الثالث انها لام الابتدا وليست بلام القسم قال ابو البقا كقوله وان ربك ليحكم والمعروف ان لام
الابتدا وليست بلام القسم قال ابو البقا كقوله لا تدخل على المضارع الا في خبر ان نحو وان ربك ليحكم
وهذه الاية نظير الاية التي في يونس ولا ادراكم به فانهما قراها بقصر الالف والكلام فيها قد تقدم
ولم تختلف في قوله ولا اقسم انه بالف بعد لا لانه لم يرسم الا كذلك بخلاف الاول فانه رسم بدون الف
بعد لا ولذلك في قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد لم يختلف فيه انه بالف بعد لا وجواب القسم محذوف
تقديره لتبعثن دل عليه قوله ايحسب الانسان وقيل الجواب ايحسب وقيل هو بلى قادرين ويروى
عن الحسن البصري وقيل المعنى على نفي القسم والمعنى اني لا اقسم على شي ولكن اسالك ايحسب
الانسان وهذه الاقوال شاذة منكرة لا تصح عن قائلها لخروجها عن لسان العرب وانما ذكرناها لننبه
على ضعفها فصل قال ابن عباس وابن جبير معنى الكلام اقسم بيوم القيمة وهو قول ابي عبيدة
ومثله قوله

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة ... فكاد صميم القلب لا يتقطع

قوله تعالى بيوم القيمة اي بيوم يقوم الناس فيه لربهم ولله عز وجل ان يقسم بما شا ولا اقسم
بالنفس اللوامة لا خلاف في هذا بين القرا وانه سبحانه جل ذكره انما اقسم بيوم القيمة تعظيما لشانه
وعلى قراة ابن كثير اقسم بالاولى ولم يقسم بالثانية وقيل ولا اقسم بالنفس اللوامة رد اخر ابتدا اقسم
بالنفس اللوامة قال الثعلبي والصحيح انه قسم بهما جميعا ومعنى بالنفس اللوامة اي بنفس المومن
الذي لا تراه يلوم الا نفسه يقول ما اردت بكذا ولا تراه الا وهو يعاتب نفسه قاله ابن عباس
ومجاهد والحسن وغيرهم قال الحسن هي والله نفس المومن ما يرى المومن الا يلوم نفسه ما اردت
بكلامي ما اردت باكلي ما اردت بحديثي والفاجر لا يحاسب نفسه وقال مجاهد هي التي تلوم على
ما فات وتندم فتلوم نفسها على الشر لم فعلته وعلى الخير لم لا تستكثر منه وقيل تلوم نفسها بما تلوم عليه
غيرها وقيل المراد ادم صلوات الله عليه لم يزل لائما لنفسه على معصيته التي اخرج بها من الجنة وعن
ابن عباس رضي الله عنه انها الملومة فتكون صفة ذم وهو قول من نفى ان يكون قسما وعلى الاول
صفة مدح فيكون القسم بها سائغا وقال مقاتل هي نفس الكافر تلوم نفسه وتتحسر في الاخرة
على ما فرط في جنب الله تعالى قوله تعالى ايحسب الانسان ان لن هذه ان المخففة وتقدم حكمها
في المائدة وغيرها ولن وما في حيزها في موضع الجر والفاصل هنا حرف النفي وهي وما في خبرها
سادة مسد مفعولي حسب او مفعول على الخلاف والعامة على نجمع بنون العظمة وعظامه نصب
مفعولا به وقتادة تجمع بتاء من فوق مضمومة على ما لم يسم فاعله عظامه رفع لقيامه مقام الفاعل
فصل قال الزجاج اقسم بيوم القيمة وبالنفس اللوامة ليجمعن العظام للبعث فهل تدرك

فهذا جواب القسم محذوف اي لتبعثن والمراد بالانسان الكافر المكذب بالبعث قيل نزلت في عدي
ابن ربيعة قال للنبي صلى الله عليه وسلم حدثني عن يوم القيمة متى تكون وكيف امرها وحالها فاخبره
النبي صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا بذلك فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم او من
به او يجمع الله العظام ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري السوء عدي بن
ربيعة والاخنس بن شريق وقيل نزلت في عدو الله ابي جهل حين انكر البعث بعد الموت وذكر
العظام والمراد نفسه كلها لان العظام مال الخلق وقيل المراد بالانسان كل من انكر البعث مطلقا
قوله تعالى بلى ايجاب لما بعد النفي المنسحب عليه الاستفهام وهو وقف حسن ثم يبتدي قادرين
فقادرين حال من الفاعل المضمر في الفعل المحذوف على ما ذكرنا من التقدير وقيل المعنى بل
يجمعها بقدر قادرين قال الفرا قادرين نصب على الخروج من يجمع ان يقدر ويقوي قادرين
على اكثر من ذلك وقال ايضا يصلح نصبه على التكرير اي بلى فليحسبنا قادرين وقيل المضمر
اي كنا قادرين في الابتدا وقد اعترف به المشركون وقرا ابن ابي عبلة وابن السميفع قادرون
رفعا على خبر ابتدا مضمر اي بل نحن قادرون على ان نسوي بنانه والبنان عند العرب الاصابع
واحدها بنانه قال عنترة • وان الموت طوع يدي اذا ما • وصلت بنانها بالهندوان •
فنبه بالبنان على بقية الاعضا وايضا فانها اصغر العظام فخصها بالذكر لذلك قال
العتبي والزجاج زعموا ان الله لا يبعث الموتى ولا يقدر على جمع العظام فقال الله تعالى بلى
قادرين على ان نعيد السلاميات على صغرها ونؤلف بينها حتى تستوي ومن قدر على هذا فهو
على جمع الكبار اقدر وقال ابن عباس وعامة المفسرين على ان نسوي بنانه ان نجعل اصابع
يديه ورجليه شيا واحدا كخف البعير او كحافر الحمار او كظلف الخنزير ولا يمكنه ان يعمل به شيا
ولكنا فرقنا اصابعه حتى يفعل بها ما يشا وقيل نقدر ان نعيد الانسان في هيئة البهايم
فكيف في صورته التي كان عليها وهو كقوله تعالى سبحانه جل ذكره لا اله الا هو وما نحن
بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشيكم فيما لا تعلمون والقول الاول اشبه بمساق الاية

فصل قال ابن الخطيب رحمه الله وفي الاية اشكالات احدها ما المناسبة بين القيمة
وبين النفس اللوامة حتى جمع الله بينهما في القسم وثانيها على وقوع القيمة وثالثها قال
جل ذكره اقسم بيوم القيمة ولم يقل والقيمة كما قال عز وجل في ساير السور والطور والذاريات
والضحى والجواب عن الاول من وجوه احدها ان احوال القيمة عجيبة جدا ثم المقصود من
اقامة القيمة اظهار احوال النفوس على ما قال صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد
عرف ربه ومن احوالها العجيبة قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله
تعالى انا عرضنا الامانة الى قوله تعالى وحملها الانسان وقيل القسم وقع بالنفس اللوامة
على معنى التعظيم من حيث انها ابدا تستحقر فعلها وجدها واجتهادها وطاعتها لله تعالى
وقيل انه تعالى اقسم بالقيمة ولم يقسم بالنفس اللوامة تحقيرا لها لان النفس اللوامة روحي
عن اما ان تكون كافرة بالقيمة مع عظم امرها واما ان تكون مقصرة في العمل وعلى التقديرين
فانها تكون مستحقرة والجواب عن الثاني ان المحققين قالوا القسم بهذه الاشيا قسم هو بربها
وخالقها في الحقيقة فكانه قيل اقسم برب القيمة على وقوع القيمة والجواب عن الثالث انه
حيث اقسم قال جل ذكره والذاريات واما هنا فانه تعالى نفي كونه سبحانه مقسما بهذه
الاشيا فزال السوال قوله تعالى بل يريد الانسان فيه وجهان احدهما ان يكون بل لمجرد
الاضراب الانتقال من غير عطف اضرب عن الكلام الاول واخذ في اخر الثاني انها عاطفة
قال الزمخشري بل يريد عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما وان يكون
ايجابا على ان يضرب عن مستفهم عنه الى اخر ويضرب عن مستفهم عنه الى موجب قال ابو
حيان بعد ما حكى عن الزمخشري ما تقدم وهذه التقادير الثلاثة متكلفة لا تظهر قال
شهاب الدين وليس هنا التقديرات ومفعول يريد محذوف يدل عليه التعليل في قوله
تعالى ليفجر امامه والتقدير يريد شهواته ومعاصيه ليمضي فيها ابدا دايما وامامه منصوب
على الظرف واصله مكان فاستعير هنا للزمان والضمير في امامه الظاهر عوده على الانسان
وقال ابن عباس يعود على يوم القيمة بمعنى انه يريد شهواته ليفجر في تكذيبه بالبعث

بين

بين يدي يوم القيمة **فصل** قال مجاهد والحسن وعكرمة والسدي وسعيد بن جبير
رضي الله عنهم يقول سوف اتوب سوف اتوب حتى ياتيه الموت على اسوا احواله وعن ابن
عباس بل يريد الانسان ليفجر امامه قال يعجل المعصية ويسوف بالتوبة وجا في الحديث
قال يقول سوف اتوب ولا يتوب فهو قد اخلف فكذب وقال عبد الرحمن بن زيد بل يريد
الانسان ليفجر امامه من البعث والحساب ودليله يسال ايان يوم القيمة اي يسال متى تكون
على وجه الانكار والتكذيب وقال الضحاك هو الامل يقول سوف اعيش واصيب من الدنيا
ولا يذكر الموت وقيل لعزم على المعصية ابدا وان كان لا يعيش الا مدة قليلة فالها على هذه الاقوال
للانسان واذا قلنا بان الها ليوم القيمة فالمعنى بل يريد الانسان ليكفر بالحق بين يدي
القيمة والفجور اصله الميل عن الحق قوله تعالى يسال ايان هذه جملة مستانفة وقال
ابو البقا رحمه الله يفسر ليفجر فيحتمل ان يكون مستانفا مفسرا وان يكون بدلا من الجملة قبلها
لان التفسير يكون بالاستيناف وبالبدل الا ان الثاني منع منه رفع الفعل ولو كان بدلا لنصب
زيد يقال انه بدل الجملة من الجملة لا خصوصية الفعل من الفعل وحده وفيه بحث وتقدم
نظيرها في الذاريات وغيرها والمعنى يسال متى يوم القيمة **فصل** قال ابن الخطيب
اعلم ان انكار البعث يتولد تارة من الشبهة واخرى من الشهوة فاما تولده من الشبهة فهو ما حكاه
الله عز وجل سبحانه بقوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وتقريره ان الانسان هو
هذا البدن فاذا مات وتمزقت اجزاوه واختلطت باجزا التراب وتفرقت بالرياح في مشارق
الارض ومغاربها فيكون تميزها بعد ذلك محالا وهذه الشبهة ساقطة من وجهين الاول
لا نسلم ان الانسان هو هذا البدن بل هو شي مدبر لهذا البدن فاذا فسد هذا البدن بقي هو
حيا كما كان وحينيذ يعيده الله تبارك وتعالى اي بدن اراد فسقط السوال وفي الاية
اشارة الى هذا لانه اقسم سبحانه بالنفس اللوامة ثم قال جل ذكره ايحسب الانسان ان لن
نجمع عظامه وهو تصريح بالفرق بين النفس والبدن الثاني سلمنا ان الانسان هو هذا
البدن لكنه سبحانه عالم بالجزييات فيكون عالما بالجزء الذي هو بدن عمرو وهو تعالى قادر
على كل الممكنات فيلزم ان يكون قادرا على تركيبها ثانيا فزال الاشكال واما انكار البعث بناء
على الشهوة فهو قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه ومعناه ان الانسان الذي يميل
طبعه للشهوات واللذات فالفكرة في بعثها عليه فلا جرم ينكره قوله تعالى فاذا برق
البصر قرا نافع وابان عن عاصم برق بفتح الرا والباقون بالكسر فقيل لغتان في التحير
والدهشة ومعناه لمع بصره من شدة شخوصه فتراه لا يطرف وقيل برق بالكسر تحير وفزع
قال الزمخشري واصله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره قال غيره كما يقال
اسد وبقر اذا راي اسدا او بقرا كثيرة فتحير من ذلك قال ذو الرمة
• ولو ان لقمان الحكيم تعرضت • لعينيه مي سافرا كاد يبرق •
وكنت اري في وجه مية لمحة • فابرق مغشيا علي مكانيا •
وانشد الفرا رحمه الله • فنفسك فانع ولا تنعني • وداو الكلوم ولا تبرق •
اي لا تفزع من كثرة الكلوم التي بك وبرق بالفتح من البريق اي لمع من شدة شخوصه وقال
مجاهد وغيره وهذا عند الموت وقال الحسن يوم القيمة قال وفيه معنى الجواب عما سال
عنه الانسان كانه قال يوم القيمة اذا برق البصر وخسف القمر وقيل عند رويته جهنم قال
الفرا والخليل برق بالكسر فزع وبهت وتحير والعرب تقول للانسان المتحير المبهوت قد برق
فهو برق وقيل برق يبرق بالفتح شق عينيه وفتحها قاله ابو عبيدة وانشد قول الكلابي
• لما اتاني ابن عمير راغبا • اعطيته عيساء منها فبرق •
اي فتح عينيه وقرا ابو السماك بلق باللام قال اهل اللغة الا الفرا معناه فتح يقال بلقت
الباب وابلقته اي فتحته وفرجته وقال الفرا هو بمعنى اغلقته قال ثعلب اخطا الفرا في
ذلك ثم يجوز ان يكون بلق غير مادة برق ويجوز ان تكون مادة واحدة بدل فيها حرف من
اخر وقد جا ابدال اللام من الرا في احرف قالوا نثرك كنانته ونثلها وقال وجل ووجر فيمكن
ان يكون هذا منه ويويده ان برق قد اتى بمعنى شق عينه وفتحها قال ابو عبيدة وانشده
لما اتاني ابن عمير البيت المتقدم اي فتح عينيه فهذا مناسب لبلق في المعنى قوله تعالى

وخسف القمر العامة على بنائه للفاعل وابو حيوة وابن ابي عبلة ويزيد بن حبيب قال
القرطبي وابن ابي اسحاق وعيسى والاخفش خسف مبنيا للمفعول وهذا لان خسف
يستعمل لازما ومتعديا يقال خسف القمر وخسفه الله وقد اشتهر ان الخسوف للقمر والكسوف
للشمس وقال بعضهم يكونان فيهما يقال خسفت الشمس وكسفت وخسف القمر وكسفت
وتايد بعضهم بقوله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت
احد فاستعمل الخسوف فيهما وفي هذا نظر لاحتمال التغليب وهل هما بمعنى واحد ام لا فقال
ابو عبيدة وجماعة هما بمعنى واحد وقال ابن ابي اويس الخسوف ذهاب كل ضوئهما والكسوف
قال القرطبي الخسوف في الدنيا الى انجلاء بخلاف الآخرة فانه لا يعود ضوؤه ويحتمل ان
يكون بمعنى غاب ومنه قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض قوله تعالى وجمع الشمس
والقمر لم تلحق علامة تانيث لان التانيث مجازي وقيل لتغليب التذكير وفيه نظر لو
قلت قام هند وزيد لم يجز عند الجمهور من العرب وقال الكسائي حمل على معنى جمع
النيران وقال الفراء رحمه الله لم يقل جمعت لان المعنى جمع بينهما قال الفراء رحمه الله لم
يقل جمعت لان المعنى جمع بينهما قال الفراء والزجاج جمع بينهما في ذهاب ضوئهما فلا ضوء
للشمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه وقال ابن عباس وابن مسعود جمع بينهما اي قرن
بينهما في طلوعهما من المغرب اسودين مكورين مظلمين مقرنين كانهما ثوران عقيران
وقال عطاء بن يسار يجمع بينهما يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى
وقال علي وابن عباس يجعلان في الحجب وقد يجمعان في نار جهنم لانهما قد عبدا من دون
الله ولا تكون النار عذابا لهما لانهما جماد وانما يفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكفار وحسرتهم
وقيل هذا الجمع انهما يجتمعان ويقربان من الناس فيلحقهم العرق لشدة الحر فيكون المعنى
يجمع حرهما عليهم وقيل يجمع الشمس والقمر فلا يكون ثم تعاقب ليل ولا نهار قال ابن الخطيب
وقيل جمع بينهما في حكم ذهاب الضوء كما يقال يجمع بين كذا وكذا في حكم كذا الى كل منهما
يذهب ضوؤه **فصل** قال ابن الخطيب طعنت الملحدة في الآية فقالوا خسوف
القمر لا يحصل حال اجتماع الشمس والقمر والجواب ان الله تعالى قادر على ان يخسف القمر سواء
كانت الارض متوسطة بينه وبين الشمس او لم تكن لان الله تعالى قادر على كل الممكنات
فيقدر على ازالة الضوء عن القمر في جميع الاحوال قوله تعالى يقول الانسان جواب
اذا من قوله فاذا برق واين المفر منصوب المحل بالقول والمفر مصدر بمعنى الفرار وهذه
هي القراءة المشهورة وقرأ الحسن ابن علي رضي الله عنهما وابن عباس وزيد ومجاهد
وقتادة بفتح الميم وكسر الفاء وهو اسم مكان للفرار اي اين مكان الفرار وجوز الزمخشري
ان يكون مصدرا قال كالمرجع وقرأ الحسن عكس هذا اي بكسر الميم وفتح الفاء وهو الرجل
الكثير الفرار كقول امرئ القيس يصف جواده

مكر مفر مقبل مدبر معا • كجلمود صخر حطه السيل من على •

واكثر استعمال هذا الوزن في الآلات **فصل** يقول الانسان يومئذ اين المفر اي
يقول ابن آدم وقيل ابو جهل اين المفر اين المهرب قال الماوردي ويحتمل وجهين
احدهما اين المفر من الله استحياء منه والثاني اين المفر من جهنم حذرا منها ويحتمل هذا
القول من الانسان وجهين احدهما ان يكون من الكافر خاصة في عرصة القيامة دون
المؤمن لثقة المؤمن ببشرى ربه والثاني ان يكون من قول المؤمن والكافر عند
قيام الساعة لهول ما شاهدوه منها قوله تعالى كلا لا وزر تقدم الكلام في كلا ووزر
لا محذوف اي لا وزر له اي لا ملجأ من النار وقال ابن مسعود رضي الله عنه لا حصن وقال
ابن عباس لا منجا وقال الحسن لا جبل وقال ابن جبير لا محيص وهل هذه الجملة محكية
بقول الانسان فتكون منصوبة المحل او هي مستانفة اخبار من الله تعالى بذلك
والوزر الملجأ من حصن او جبل او سلاح قال الشاعر

لعمرك ما للفتى من وزر • من الموت يدركه والكبر •

قال السدي كانوا في الدنيا اذا فزعوا تحصنوا في الجبال فقال الله لهم لا وزر يعصمكم

يومئذ مني قوله تعالى الى ربك يومئذ المستقر اي المنتهى قال قتادة نظيره والى ربك
المنتهى وقال ابن مسعود الى ربك المصير والمرجع اي المستقر في الآخرة حيث يقره الله
والمستقر مبتدأ خبره الجار قبله ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الاستقرار وان يكون مكان
الاستقرار ويومئذ منصوب بفعل مقدر ولا ينتصب بمستقر لانه ان كان مصدرا فلتقدمه
عليه وان كان مكانا فلا عمل له البتة قوله تعالى ينبأ الانسان اي يخبر ابن آدم برا
كان او فاجرا يوم القيامة بما قدم اي بما اسلف من عمل خير او شر او اخر من سنة سيئة او صالحة
يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود وقال ابن عباس ايضا بما قدم من المعصية
واخر من الطاعة وهو قول قتادة وقال ابن زيد بما قدم من امواله لنفسه وما اخر
خلف للورثة وقال الضحاك بما قدم من فرض واخر من فرض وقال مجاهد والنخعي ينبأ
باول عمله واخره قال القشيري وهذا الانباء يكون في القيامة عند وزن الاعمال ويجوز
ان يكون قوله بل الانسان على نفسه بصيرة يجوز في بصيرة اوجه احدها انها خبر عن
الانسان وعلى نفسه متعلق ببصيرة والمعنى بل الانسان بصيرة على نفسه وعلى هذا فلاي
شيء انث الخبر وقد اختلف النحويون في ذلك فقال بعضهم الهاء فيه للمبالغة وقال
الاخفش هو كقولك فلان عبرة وحجة وقيل المراد بالانسان الجوارح فكانه قال بل جوارحه
بصيرة اي شاهدة والثاني انها مبتدأ وعلى نفسه خبرها والجملة خبر عن الانسان وعلى
هذا ففيها تاويلات احدها ان تكون بصيرة صفة لمحذوف اي عين بصيرة قاله
الفراء وانشد

كان على ذي العقل عينا بصيرة • بمقعده او منظر هو ناظره •
يحاذر حتى يحسب الناس كلهم • من الخوف لا يخفى عليهم سرائره •

الثاني ان المعنى جوارح بصيرة الثالث ان المعنى ملائكة بصيرة وهم الكاتبون والتاء
على هذا للتانيث وقال الزمخشري بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت
الآيات بالابصار في قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قال شهاب الدين هذا اذا لم
يجعل الحجة عبارة عن الانسان او يجعل دخول التاء للمبالغة اما اذا كانت للمبالغة فنسبة
الابصار اليها حقيقة الوجه الثالث ان يكون الخبر الجار والمجرور وبصيرة فاعل به وهو
ارجح مما قبله لان الاصل في الاخبار الافراد **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه
بصيرة اي شاهد وهو شهود جوارحه عليه يداه بما بطش بهما ورجلاه بما مشى عليهما وعيناه
بما ابصر بهما والبصيرة الشاهد كما انشد الفراء ويدل عليه قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون قال الواحدي هذا يكون من صفات الكفار فانهم
ينكرون ما عملوا فيختم على افواههم وتنطق جوارحهم قوله تعالى ولو القى معاذيره
وهذه الجملة حالية وقد تقدم نظيرها مرارا والمعاذير جمع معذرة على غير قياس كملاقيح
ومذاكير جمع لقحة وذكر وللنحويين في مثل هذا قولان احدهما انه جمع لملفوظ به وهو
لقحة وذكر والثاني انه جمع لغير ملفوظ به بل لمقدر اي ملقحة ومذكار وقال الزمخشري
فان قلت اليس قياس المعذرة ان يجمع على معاذر لا معاذير قلت المعاذير ليست بجمع معذرة
بل اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر قال ابو حيان وليس هذا البناء من ابنية اسماء الجموع
وانما هو من ابنية جموع التكسير انتهى وقيل معاذير جمع معذار وهو الستر والمعنى ولو ارخى
ستوره والمعاذير الستور بلغة اليمن قاله الضحاك والسدي وانشدوا

ولكنها ضنت بمنزل ساعة • علينا واطت يومها بالمعاذر •

قال الزجاج المعاذير الستور والواحد معذار اي وان ارخى ستره يريد ان يخفي عمله فنفسه
شاهدة عليه وقد حذف الياء من المعاذر ضرورة وقال الزمخشري فان صح بمعنى ان المعاذير
الستور فلانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب وهذا القول منه يحتمل ان
يكون بيانا للمعنى الجامع بين كون المعاذير الستور والاعتذار وان يكون بيانا للعلاقة المسوغة
في التجوز **فصل** قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد وابو
العالية وعطاء والفراء والسدي المعنى ولو اعتذر وقال لم افعل شيئا لكان عليه من نفسه من
يشهد عليه من جوارحه فهو وان اعتذر وجادل عن نفسه فعليه شاهد يكذب عذره وقال

مقاتل ولو ادلى بعذر وحجة لم ينفعه ذلك نظيره قوله تعالى ولا يوذن لهم فيعتذرون فهو
فالمعاذير على هذا ماخوذ من العذر وحكى الماوردي عن ابن عباس ولو القى معاذيره اي
ولو تجرد من ثيابه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به قال بعض الرافضة عدم مناسبتها
لما قبلها يدل على تغيير القران قال ابن الخطيب وفي المناسبة وجوه الاول لعل استعجال
الرسول صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه دايما ابدا انما كان عند نزول هذه الايات الثاني
انه تقدم ان الانسان يستعجل بقوله عز وجل ليفجر امامه ثم بين ان العجلة مذمومة في امر
الدين فقال عز وجل لا تحرك به لسانك وقال جل ذكره بعدها بل تحبون العاجلة الثالث
انه قدم بل الانسان على نفسه بصيرة وكان صلى الله عليه وسلم انما يستعجل خشية النسيان
فقيل له صلى الله عليه وسلم ان الامور لا تحصل الا بتوفيق الله عز وجل واعانته فاعتمد على الله
واترك التعجيل الرابع كانه قيل غرضك من هذا التعجيل ان تحفظه وتبلغه اليهم ليطيق صدقك
وقبح عنادهم لكنهم يعلمون بقلوبهم ذلك فلا فايدة في هذا التعجيل الخامس ان الكافر لما
قال اين المفر كانه يطلب الفرار من الله تعالى فكن انت يا محمد صلى الله عليك وسلم على مضادة
الكافر وفر من غير الله الى الله السادس قال القفال الخطاب مع الانسان المذكور في قوله
ينبا الانسان فاذا قيل له اقرا كتابك تلجلج لسانه فيقال له لا تعجل فانه يجب علينا بحكم
الوعد او بحكم الحكمة ان نجمع اعمالك وان نقراها عليك فاذا قراناه فاتبع قرانه بالاقرار
ثم ان علينا بيانه بالجزاء و هذا فيه وعيد شديد وتهويل روى الترمذي عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه القران يحرك لسانه يريد ان
يحفظه فانزل الله تبارك وتعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به قال وكان يحرك شفتيه فقال
لي ابن عباس انا احركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفتيه فانزل الله عز
وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه قال جمعه في صدرك ثم تقراه فاذا
قراناه فاتبع قرانه فاستمع وانصت ثم علينا ان نقراه قال فكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا اتاه جبريل صلوات الله عليه استمع واذا انطلق جبريل صلوات الله عليه قراه النبي
صلى الله عليه وسلم كما اقراه خرجه البخاري ايضا ونظير هذه الاية ولا تعجل بالقران من
قبل ان يقضى اليك وحيه وقد تقدم وقال عامر الشعبي انما كان يعجل بذكره صلى الله
عليه وسلم من حبه له وحلاوته في لسانه مع الوحي مخافة ان ينساه صلى الله عليه وسلم فنزلت
ولا تعجل بالقران الاية ونزل سنقرئك فلا تنسى ونزل لا تحرك به لسانك قاله ابن عباس وقرانه
اي وقراءته عليك والقراءة والقران في قول الفراء مصدران وقال قتادة فاتبع قرانه فاتبع
شرايعه واحكامه قوله تعالى وقرانه هو مصدر مضاف للمفعول واما الفاعل
فمحذوف والاصل وقرايتك اياه والقران مصدر بمعنى القراءة قال حسان رضي الله عنه

ضحوا باشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرانا

وقال ابن عطية رحمه الله قرا ابو العالية ان علينا جمعه وقرته وقوله تعالى فاذا قرته
فاتبع قرته بفتح القاف والراء والتاء من غير همز ولا الف ولم يذكر توجيهها فاما توجيه قوله
وقرانه وقوله فاتبع قرانه فواضح مما تقدم في قراءة ابن كثير في البقرة وانه هل هو نقل او من
مادة قرن وتحقيق القولين مذكور ثمة فليلتفت اليه واما قوله بفتح القاف والراء والتاء فيعني
في قوله فاذا قرته فيشير الى انه قرئ شاذا هكذا وتوجيهها ان الاصل قراته فعلا ماضيا مسندا
لضمير المخاطب فاذا اردت قرته ثم ابدل الهمزة الفا لسكونها بعد فتحة ثم حذف الالف تخفيفا
كقولهم ولو ترى الصيات ولم ترى الصيات وتمام بيد وما بلفظ قرته **فصل** قوله
تعالى ان علينا جمعه اي مقتضى الوعد عند اهل السنة ومقتضى الحكمة عند المعتزلة جمعه
في صدرك وقرانه اي قراءته اي نقرأه جبريل عليك حتى تحفظه او نقراه بحيث لا تنساه فعلى
الاول القاري جبريل صلوات الله عليه وعلى الثاني محمد صلى الله عليه وسلم والمراد بقرانه جمعه
كقولهم تعرضنا فيجعل الجمع على جمعه في الخارج والقران على جمعه في ذهنه وحفظه لئلا يلزم
التكرار واسند القراءة له لانه امر وقوله فاتبع قرانه قيل حلاله وحرامه او لا تقارنه بل اسكت
حتى يسكت جبريل فاقرا انت وهو اظهر لان الاية تدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يقرا مع جبريل

وكان يسال في اثنا قراءته عن المشكلات فنهي عن الاول بقوله فاتبع وعن الثاني بقوله ثم ان علينا
بيانه قوله تعالى ثم ان علينا بيانه اي تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام قاله قتادة
وقيل ثم ان علينا بيان ما فيه من الوعد والوعيد وقيل ان علينا ان نبينه بلسانك والضماير تعود
على القران وان لم يجر له ذكر وقوله ثم ان علينا بيانه يدل على ان بيان المجمل واجب على الله تعالى اما
عند اهل السنة فبالوعد والتفضل واما عند المعتزلة فبالحكمة والله تعالى اعلم **فصل** احتج
من جوز تاخير البيان عن وقت الخطاب بهذه الاية واجاب ابو الحسين منه بوجهين الاول الظاهر الاية
يقتضي وجوب تاخير البيان عن وقت الخطاب وانتم لا تقولون الثاني ان عندنا الواجب ان
يقرن باللفظ اشعارا بانه ليس المراد من اللفظ ما يقتضيه ظاهره فاما البيان التفصيلي فيجوز تاخيره
فيحمل الاية على تاخير البيان التفصيلي وذكر القفال رحمه الله وجها اخر وهو ان قوله تعالى ثم ان علينا
بيانه يحتمل على الترتيب ونظيره قوله تعالى فك رقبة الى قوله تعالى جل ذكره ثم كان
من الذين امنوا قال ابن الخطيب والجواب عن الاول ان اللفظ لا يقتضي وجوب تاخير البيان
بل يقتضي تاخر وجوب البيان فيكون الجواب بالمنع لان وجوب البيان لا يتحقق الا عند الحاجة
وعن الثاني ان كلمة ثم دخلت على مطلق البيان المجمل والمفصل فالتخصيص باحدهما تحكم بغير دليل
وجواب القفال بانه ترك للظاهر بغير دليل **فصل** اورد من جوز الذنوب على الانبيا بان
هذا الاستعجال ان كان باذن فكيف نهي عنه وان كان بغير اذن فهو ذنب قال ابن الخطيب والجواب
لعله كان ماذونا فيه الى وقت النهي قوله تعالى كلا قال الزمخشري كلا ردع للنبي صلى الله
عليه وسلم عن عادة العجلة وحث على الاناة وقال جماعة من المفسرين كلا معناه حقا اي حقا تحبون
العاجلة وهو اختيار ابي حاتم لان الانسان يعني الناس وقال ابن عباس رضي الله عنه كلا اي
ان ابا جهل لا يومن بتفسير القران وبيانه وقيل كلا لا يصلون ولا يزكون يريد كفار مكة بل تحبون
قرا ابن كثير وابو عمرو يحبون ويذرون بيا الغيبة حملا على لفظ الانسان المذكور اولا لان المراد به
الجنس وهو اختيار ابي حاتم لان الانسان يعني الناس والباقون بالخطاب فيهما اما خطابا للكفار
قريش اي بل تحبون يا كفار قريش العاجلة اي الدار الدنيا والحياة فيها وتذرون الاخرة اي تدعون
الاخرة والعمل لها واما التفاتا عن الاخبار عن الجنس المتقدم والاقبال عليه بالخطاب واختار
الخطاب ابو عبيد قال ولولا الكراهة لخلاف هولاء القرا لقراتها بالياء لذكر الانسان قبل ذلك قوله
تعالى وجوه يومئذ ناضرة فيه اوجه احدها ان يكون وجوه مبتدا وناضرة نعت له ويومئذ منصوب
بناضرة وناظرة خبره والى ربها متعلق بالخبر والمعنى ان الوجوه الحسنة يوم القيمة ناظرة الى
الله تبارك وتعالى وهذا معنى صحيح والناضرة من النضرة وهي التنعم وحسن غض الثاني ان
يكون وجوه مبتدا ايضا وناضرة خبره ويومئذ منصوب بالخبر كما تقدم وسوغ الابتدا هنا بالنكرة
كون الموضع موضع تفصيل كقوله فثوب لبست وثوب اجر ويكون ناظرة نعتا لوجوه او خبرا ثانيا او
خبر المبتدا محذوف والى ربها متعلق بناظرة كما تقدم وقال ابن عطية وابتدا بالنكرة لانها تخصصت
بقوله يومئذ وقال ابو البقا وجاز الابتدا هنا بالنكرة لحصول الفايدة وفي كلي قولهما اما قول
ابن عطية فلان قوله تخصصت بقوله يومئذ هذا التخصيص اما لكونها عاملة فيه وهو محال لانها
جامدة واما لانها موصوفة به وهو محال ايضا لان الجثث لا توصف بالزمان كما لا يخبر به عنها واما قول
ابي البقا فان اراد بحصول الفايدة ما تقدم من التفصيل فصحيح وان عنى ما عناه ابن عطية فليس
بصحيح لما تقدم الثالث ان يكون وجوه مبتدا ويومئذ خبره قاله ابو البقا رحمه الله وهذا غلط من
حيث المعنى ومن حيث الصناعة اما المعنى فلا فايدة في الاخبار عنها بذلك واما الصناعة فانه لا يخبر
بالزمان عن الجثث وان ورد ما ظاهره ذلك يوول نحو الليلة الهلال الرابع ان يكون المعنى وجوه
مبتدا وناضرة خبره والى ربها ناظرة جملة في موضع خبر ثان قاله ابن عطية وفيه نظر لانه لا ينعقد
منهما كلام اذ الظاهر تعلق الى بناظرة اللهم الا ان يعني ان ناظرة خبر لمبتدا مضمر اي هي ناظرة الى ربها
وهذه الجملة خبر ثان وفيه تعسف الخامس ان يكون الخبر لوجوه مقدرا اي وجوه يومئذ ثم وناضرة
صفة وكذلك ناظرة قاله ابو البقا وهو بعيد لعدم الحاجة الى ذلك والوجه الاول اظهر لخلوصه من
هذه التعسفات وكون الى حرف جر والى ربها مجرورا بها هو المتبادر للذهن وقد خرجه بعض المعتزلة
على ان يكون الى اسما مفردا بمعنى النعمة مضافا الى الرب ويجمع على الاء نحو فباي الاء ربكما وقد تقدم

ان فيه لغات اربعا و ربها خفض بالاضافة والي مفعول تقدم ناصبه ناظرة بمعنى منتظرة والتقدير
وجوه ناضرة منتظرة لنعمة ربها وهذا فرار من اثبات النظر لله تعالي علي معتقدهم وحمل الزمخشري
لمذهب المعتزلة بطريق اخري من جهة الصناعة فقال بعد ان جعل التقديم في الي ربها موذنا
بالاختصاص والذي يصح معه ان يكون من قول الناس انا الي فلان ناظر ما يصنع بي يريد معنى
التوقع والرجا ومنه قول الشاعر • واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما
وسمعت مروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين تغلق الناس ابوابهم وياوون الي مقايلهم
عيينة ناظرة الي الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الامن ربهم قال شهاب الدين
وهذا كالحوم علي من يقول ان ناظرة بمعنى منتظرة الا انه مكيا قد رد هذا القول فقال ودخول
الي الا تري انك لا تقول انتظرت الله نظر العين وليس من الانتظار ولو كان من الانتظار لم يدخل
معه الا تري انك لا تقول انتظرت الي زيد وتقول نظرت الي زيد قال تصحب نظر العين ولا تصحب
نظر الانتظار فمن قال ان ناظرة بمعنى منتظرة فقد اخطا في المعنى وفي الاعراب ووضع الكلام
في غير موضعه وقال القرطبي ان العرب اذا ارادت بالنظر الانتظار قالوا نظرته كما قال تعالي هل
ينظرون الا تاويله ما ينظرون الا صيحة واحدة واذا ارادت به التفكر والتدبر قالوا نظرت
فيه فاما اذا كان النظر مقرونا بذكر الي وذكر الوجه فلا يكون الا بمعنى الروية والعيان وقال الازهري
رحمه الله ان قول مجاهد ينتظر ثواب ربها خطا لانه لا يقال نظر الي كذا بمعنى الانتظار وان قول
القايل نظرت الي فلان ليس الا روية عين كذلك تقوله العرب لانهم يقولون نظرت اليه اذا ارادوا نظر
العين فاذا ارادوا الانتظار قالوا نظرته قال فانكان ينظر ولي ساعة من الدهر ينفعني لدي
ام جندب لما ارادوا الانتظار قال نظراني ولما ارادوا نظر العين قالوا نظرت اليه قال نظرت
اليها والنجوم كانها مصابيح رهبان تشب لقفال وقال لحو نظرت اليها بالمحصب من مني والنضرة
طراوة البشرة وجمالها وذلك من اثر النعمة قال نضر وجهه فهو ناضر وقال بعضهم نسلم انه من نظر
العين الا ان ذلك علي حذف مضاف اي ثواب ربها ونحوه قال مكي لو جاز هذا لجاز نظرت الي زيد
اي الي عطا زيد وفي هذا نقض لكلام العرب وتخليط في المعاني ونضر الله ونضره مخففا ومثقلا
اي حسنه ونعمه قال صلى الله عليه وسلم نضر الله امرا سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها
يروي بالوجهين وقيل للذهب نضار من ذلك ويقال له النضر ايضا ويقال اخضر ناضر كاسود
حالك وقدح نضار يروي بالاتباع والاضافة والعامة علي ناضرة بالف وقرا زيد بن علي نضرة
بدونها كفرح فهو فرح **فصل** روي مسلم في قوله تعالي للذين احسنوا الحسنى وزيادة
كان ابن عمر يقول اكرم اهل الجنة علي الله من ينظر الي وجهه غدوة وعشية ثم تلي قوله تعالي
وجوه يوميذ ناضرة الي ربها ناظرة وقال عكرمة ينظر الي ربها نظرا وحكي الماوردي عن
ابن عمر وعكرمة ومجاهد ينتظر امر ربها وليس معروفا الا عن مجاهد وحده وجمهور اهل السنة
تمسكت بهذه الاية في اثبات ان المومنين ترون الله جل ذكره سبحانه يوم القيمة واما
المعتزلة فاحتجوا بقوله تعالي لا تدركه الابصار ويقولون النظر المقرون بالي ليس اسما للروية
بل لمقدمة الروية وهي تقليب الحدقة نحو المرئي التماسا لرويته ونظر العين بالنسبة الي
الروية كنظر القلب بالنسبة الي المعرفة وكالوصف بالنسبة الي السمع ويدل علي ذلك قوله تعالي
وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فاثبت النظر حال عدم الروية ويقال نظرت اليها شزرا
ونظر غضبان ونظر راضي ولا يقال ذلك في الروية ويقال دور متناظرة اي متقابلة
ويقال انظر اليه حتى تراه فتكون الروية غاية للنظر وان النظر يحصل والروية غير حاصلة
وقال وجوه ناظرة يوم بدر الي الرحمن ينتظر الخلاص ولا روية مع النظر المقرون بالي وقال
تعالي ولا ينظر اليهم يوم القيمة ومن قال لا يراهم كفر قالوا ويمكن ان يكون معنى قوله
تعالي ناظرة اي منتظرة كقولك انا انظر اليك في حاجتي او يكون الي مفرد الا وهي النعم كما
تقدم او المراد الي ثواب ربها لان الادلة العقلية والسمعية لما منعت الروية وجب التاويل
او يكون المعنى انها لا تسال ولا ترغب الا الي الله عز وجل كقوله اعبد الله كانك تراه قال ابن
الخطيب رحمه الله والجواب لنا مقامان احدهما ان يقول النظر هو الروية لقول موسي صلوات
الله عليه ارني انظر اليك فلو كان المراد تقليب الحدقة نحو المرئي لاقتضي الاثبات الجهة

المكان ولانه اخر النظر عن الارادة فلا يكون تقليب المقام الثاني سلمنا ما ذكرتموه من ان النظر
تقليب الحدقة للروية لكن تعذر حمله علي الحقيقة فيجب الحمل علي الروية اطلاق الاسم السبب علي
المسبب وهو اولي من حمله علي الانتظار لعدم الملازمة لان تقليب الحدقة كالسبب للروية ولا تعلق
بينه وبين الانتظار واما قولهم نحمله علي الانتظار قلنا الذي بمعنى الانتظار في القران غير
مقرون بالي كقوله تعالي انظرونا نقتبس هل ينظرون الا ان والذي يدعيان اللفظ المقرون
بالي ليس الا بمعنى الروية لان وروده بمعنى الروية او بالمعنى الذي يستعقب الروية ظاهر فلا
يكون بمعنى الانتظار دفعا للاشتراك وقوله وجوه ناظرات يوم بدر شعر موضوع والرواية الصحيحة
وجوه ناظرات يوم بدر الي الرحمن تنتظر الخلاصا والمراد من هذا الرحمن مسيلمة الكذاب لانهم كانوا
يسمونه رحمان اليمامة واصحابه كانوا ينتظرونه اليه ويتوقعون منه الخلاص من الاعداء وقولهم هو
مفرد الالاء اي نعمة ربها قلنا فيصدق علي اي نعمة كانت وان قلت لانه انما يكون للماهية التي يصدق
عليها انها نعمة فعلي هذا يكفي في تحقيق مسمى هذه اللفظة اي جزء فرض من اجزاء النعمة وان كانت
في غاية القلة والحقارة واهل الثواب يومئذ في النعم العظيمة فكيف ينتظرون نعمة قليلة وكيف
يمكن ان يكون من حاله كذلك ان تبشر بانه يتوقع الشي الذي يطلق عليه اسم النعمة ومثال هذا
ان تبشر سلطان الارض بانه سيصير ماله في العظمة والقوة بعد سنة بحيث يكون متوقعا لحصول
لقمة واحدة فكما ان ذلك فاسدا فكذا ههنا سلمنا ان النظر المتعدي بالي المقرون بالوجوه جا في
اللغة بمعنى الانتظار ولكن لا يمكن حمل هذه الاية عليه لان لذة الانتظار مع تيقن الوقوع كانت
حاصلة في الدنيا فلا بد وان يحصل في الاخرة زيادة حتى يحصل الترغيب في الاخرة ولا يجوز
ان يكون ذلك هو قرب الحصول لان قال القشيري وهذا باطل لان واو الا تكتب بالالف لاما لبا
وقرب الحصول معلوم بالعقل فبطل التاويل واما قولهم المراد ثواب ربها فهو خلاف الظاهر
هذا ما ذكره ابن الخطيب رحمه الله وروي القرطبي في تفسيره قال خرج مسلم عن جرير بن عبد الله
قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الي القمر ليلة البدر فقال صلى الله عليه وسلم
انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر لا تضامون في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا علي صلوة ما قبل
طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها وقبل الغروب متفق عليه في كتاب النسائي عن صهيب رضي
الله عنه قال فكيف يكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم شيا احب اليهم من النظر ولا
ازلاعينهم وروي ابو اسحاق الثعلبي عن الزبير بن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتجلي ربنا سبحانه وتعالي حتى ينظر الي وجهه فيخرون له سجدا فيقول الله جل جلاله ارفعوا
روسكم فليس هذا يوم عبادة قال القرطبي وقيل اضاف النظر الي الوجه لان العين في الوجه
فهو كقوله تعالي تجري من تحتها الانهار والما يجري في النهر لا النهر ثم قد يكون الوجه بمعنى
العين قال تعالي فالقوه علي وجه ابي يات بصيرا اي علي عينيه ثم لا يبعد قلب العادة
غدا حتى يخلق والنظر في الوجه فقيل يا رسول الله كيف يمشون في النار علي وجوههم قال
الذي امشاهم علي اقدامهم قادر ان يمشيهم علي وجوههم قوله تعالي ووجوه يوميذ باسرة
اي وجوه الكفار يوم القيمة كالحة الباسر الشديد العبوس والباسل اشد منه ولكنه غلب في
الشجاع اذا اشتد كلوحه وفي الصحاح وبسر الفحل الناقة وابتسرها اذا ضربها وبسر الرجل
وجهه بسورا اي كلح فقال عبس وبسر وقال السدي باسرة متغيرة والمعنى انها عابسة كالحة
قد اظلمت الوانها قوله تعالي تظن ان يفعل بها فاقرة اي توقن وتعلم قال ابن الخطيب
هكذا قال المفسرون وعندي ان الظن هنا انما ذكر علي سبيل التهكم كانه قيل انما ستشاهدوا
تلك الاحوال حصل فيهم ظن ان القيمة حق والفاقرة هي الداهية العظيمة قال ابو عبيد
سميت بذلك لانها تكسر فقار الظهر قال النابغة

الي لي منزلا حقا بلي • وضربة فاس فوق راسي فاقرة

اي داهية موبرة يقال فقرته الفاقرة اي كسرت فقار ظهره قال معناه مجاهد وغيره ومنه
سمي الفقير لانكسار فقاره من القل وقد تقدم في البقرة وقال قتادة الفاقرة الشر وقال
السدي الهلاك وقال ابن عباس وابن زيد دخول النار واصلها الوسم علي انف البعير
بحديدة او نار حتى يخلص الي العظم قاله الاصمعي يقال فقرت انف البعير اذا حززته ثم جعلت

على الحرب والحرير وعليه وتزيلوي لتذ لله وبر وضر قوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي كلا ردع
وزجراي تعدان يومن الكافر بيوم القيمة ثم استانف فقال اذا بلغت التراقي اي بلغت
النفس او الروح التراقي فاخبر عما لم يجر له ذكر العلم المخاطب به كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب
وقوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وقيل كلا معناه حقا ان المساق الي الله تعالى اذا بلغت
التراقي اي اذا ارتفعت النفس الي التراقي وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول اذا بلغت الحلقوم
نفس الكافر والتراقي مفعول بلغت والفاعل مضمر اي النفس وان لم يجر لها ذكر تقول نفس

حشا ثم • اماوي ما يغني الثراء عن الفتي • اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

اي حشرجت النفس وقيل في البيت ان الدال على النفس ذكر جملة ما اشتمل عليها وهو الفتي
فكذلك هنا ذكر الانسان دال على النفس والعامل في اذا بلغت معني قوله تعالى الي ربك يومئذ
المساق اي اذا بلغت الحلقوم رفعت الي الله عز وجل ويكون قوله وقيل من راق معطوفا على
بلغت والتراقي جمع ترقوة اصلها تراقو قلبت واوها ياء لانكسار ما قبلها والترقوة احد
عظام الصدر قاله ابو حيان والمعروف غير ذلك قال الزمخشري ولكل انسان ترقوتان فعلى
هذا يكون من باب غليظ الحواجب وعريض المناكب وقال القرطبي هو العظام المكتنفة
لثغرة النحر وهو مقدم الحلق من اعلا الصدر وهو موضع الحشرجة قال دريد بن الصمة

ورب عظيمة دافعت عنها • وقد بلغت نفوسهم التراقي •

وقال الراغب الترقوة عظم وصل ما بين ثغرة النحر والعاتق انتهي وقال الزمخشري العظام
المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ووزنها فعلوة فالتا اصل والواو زايدة يدل عليه
ادخال اهل اللغة اياها في مادة ترق وقال ابو البقا والتراقي جمع ترقوة وهي فعلوة
وليست بفعله اذ ليس في الكلام رتو وقري التراقي بسكون وهي كقراءة زيد تطعمون اهاليكم
وقد تقدم توجيهها وقد يكنى ببلوغ النفس التراقي عن الاشراف على الموت والمقصود
تذكيرهم شدة الحال عند نزول الموت **فصل** قال ابن الخطيب قال بعض الطاعنين
ان النفس انما تصل الي التراقي بعد مفارقتها للقلب وحين فارقت النفس القلب حصل
الموت لا محالة والاية تدل على ان عند بلوغها التراقي تبقي الحيوة حتى يقال فيه من راق
وحتى يلتف الساق بالساق والجواب ان المراد من قوله حتى اذا بلغت التراقي اذا
حصلت بالقرب من تلك الحال قوله تعالى من راق مبتدا وخبر وهذه الجملة هي
القايمة مقام الفاعل واصول البصريين تقتضي ان لا يكون من راق لان الفاعل عندهم
لا يكون جملة التام مقامه ضمير المصدر وقد تقدم تحقيق هذا في البقرة وهذا
الاستفهام يجوز هذا ان يكون على بابه وان يكون استبعادا وانكارا فالاول مروي عن
ابن عباس وعكرمة وغيرهما قالوا هو من الرقية وروي سماك عن عكرمة قال من راق
نرقي تشفي والثاني رواه ميمون بن مهران عن بن عباس ايضا هل من طبيب يشفيه
وهو قول ابي قلابه وقتادة وقال الشاعر •

هل للفتي من بنات الدهر من واق • ام هل له من حمام الموت من راق •

وكان هذا على وجه الاستبعاد واليأس اي من يقدر يرقي من الموت وعن بن عباس ايضا
واي الجوازا من رقا يرقي اذا صعد والمعني من يرقي بروحه الي السما املايكة الرحمة
ام ملايكة العذاب وقيل ان ملك الموت يقول من راق اي من يرقا بهذه النفس قال
شهاب الدين وراق اسم فاعل اما من رقي يرقي من الرقية وهو كلام معد للاستشفا
يرقي به المريض ليشفي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ادراك انها رقية يعني
الفاتحة وهو اسم من اسمايها والي من رقي يرقا من الرقي وهو الصعود اي ان الملايكة
لكراهتها روحه يقول من يصعد بهذه الروح يقال رقي بالفتح من الرقية وبالكسر
من الرقي ووقف حفص على نون من سكتة لطيفة وتقدم تحقيق هذا في اول الكهف
وذكر سيبويه ان النون تدغم في الراء وجوبا بغنة وبغيرها نحو من راشد قال الواحدي
ان اظهار النون عند حروف الفم لحن فلا يجوز اظهار نون من في قوله من راق وروي
حفص عن عاصم اظهار النون واللام في قوله من راق وبل ران قال ابو علي الفارسي

ولا اعرف وجه ذلك قال الواحدي والوجه ان يقال قصدوا الوقف على من وبل فاظهروهما
ثم ابتدابما بعدها وهذا غير مرضي من القراءة قوله وظن انه الفراق اي ايقن الانسان
انه الفراق اي فراق الدنيا والاهل والمال والولد وذلك حين عاين الملايكة وسمي اليقين
هنا بالظن لان الانسان ما دامت روحه متعلقة ببدنه فانه يطمع في الحياة لشدة حبه
لهذه الحيوة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها فلا يحصل له يقين الموت بل الظن الغالب
مع رجاء الحياة اولعله سماه بالظن تهكما قال ابن الخطيب وهذه الاية تدل على ان الروح
جوهر قايم بنفسه باق بعد موت البدن لان الله عز وجل سمي الموت فراقا والفراق انما يكون
اذا كانت الروح باقية فان الفراق والوصال صفة والصفة تستدعي وجود الموصوف
قوله تعالى والتفت الساق بالساق الالتفاف هو الاجتماع قال تعالى جينا بكم لفيفا
ومعني الكلام اتصلت الشدة بالشدة شدة اخر الدنيا بشدة الاخرة قاله ابن عباس والحسن
وغيرهما وقال الشعبي وغيره رضي الله عنهم التفت ساقا الانسان عند الموت من شدة
الكرب قال قتادة اما رايته اذا اشرف على الموت يضرب برجله على الاخري وقال سعيد
ابن المسيب والحسن ايضا هما ساقا الانسان اذا التفتا في الكفن وقال زيد بن اسلم
التفت ساق الكفن بساق الميت قال النحاس القول الاول احسنها القول ابن عباس هو
اخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من ايام الاخرة فتلتقي الشدة بالشدة الا من رحم الله
والعرب لا تذكر الساق الا في الشدايد والمحن العظام ومنه قولهم قامت الحرب على ساق
قال اهل المعاني لان الانسان اذا دهمته شدة شمر لها عن ساقيه فقيل للامر الشديد
ساق قال الجعدي رحمه الله تعالى •

اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها • وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا •

قوله تعالى الي ربك يومئذ المساق اي الي خالقك يومئذ اي يوم المساق اي المرجع
والمساق مفعول السوق وهو اسم مصدر وقال القرطبي المساق مصدر من ساق يسوق
كالمقال من قال يقول قوله تعالى فلا صدق ولا هنا دخلت على الماضي وهو مستفيض
في كلامهم بمعني لم يصدق ولم يصل قال •

ان يغفر اللهم يغفر جما • واي عبد لك لا الما • وقال اخر

واي جيش لا اقاما بها به • واسيافنا من كبشه تقطر الدما •

وقال مكي لا الثانية نفي وليست بعاطفة ومعناه فلم يصدق ولم يصلي قال شهاب
الدين وكيف يتوهم العطف حتى ينفيه وجعل الزمخشري فلا صدق ولا صلي عطفا على
الجملة من قوله تعالى يسال ايان يوم القيمة قال وهو معطوف على قوله يسال ايان
اي لا يومن بالبعث فلا صدق بالرسول صلى الله عليه وسلم والقران الكريم واستبعده ابو
حيان وقال الكسايي لا بمعني لم ولكنه يقرن بغيره تقول العرب لا عبد الله خارج ولا فلان
ولا يقول مررت برجل لا يحسن حتى يقال ولا يحمل وقوله تعالى فلا اقتحم العقبة ليس
من هذا القبيل لان معناه فهلا اقتحم بحذف حرف الاستفهام وقال الاخفش رحمه
الله فلا صدق اي لم يصدق كقوله تعالى فلا اقتحم اي لم تقتحم ولم يشترط ان يعقبه بنفي
اخر والعرب تقول لا ذهب اي لم يذهب فحرف النفي ينفي الماضي كما ينفي المستقبل ومنه
قول زهير فلا هو ابداها ولم يتقدم **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه
معناه لم يصدق بالرسالة ولا صلي اي دعا لربه عز وجل ولا صلي على رسوله صلى الله عليه
وسلم وقال قتادة فلا صدق بكتاب الله عز وجل ولا صلي لله تعالى جل ذكره وقيل
لا صدق بمال ذخرا له عند الله ولا صلي الصلاة التي امر الله بها وقيل فلا امن بقلبه
ولا عمل ببدنه قيل المراد ابو جهل وقيل الانسان المذكور في قوله عز وجل ايحسب الانسان
قوله تعالى ولكن كذب وتولي الاستدراك هنا واضح لانه لا يلزم من نفي التصدق
والصلاة التكذيب لان كثيرا من المسلمين كذلك فاستدرك ذلك بان سببه التكذيب
والتولي وهذا اضعف ان يحمل نفي التصديق على نفي تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم
لئلا يلزم التكرار فيمتنع لكن بيت متوافقين وهو لا يجوز قال القرطبي ومعناه كذب

بالقران وتولى عن الايمان قوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى ان يتبختر افتخارا بذلك قاله مجاهد وغيره ويتمطى جملة حالية من فاعل ذهب ويجوز ان يكون بمعنى شرع في التمطي كقوله • فقام يذود الناس عنها بسيفه • ويتمطى فيه قولان احدهما انه من المطا وهو الظهر ومعناه يتبختر اي يمد مطاه ويلويه تبخترا في مشيته الثاني ان اصله يتمطط اي يتمدد ومعناه انه يتمدد في مشيته تبخترا ومن لازم التبختر ذلك فهو يقرب من معنى الاول ويفارقه في مادته اذ مادة المطا مطو ومادة الثاني مطط وانما ابدلت الطا الثانية يا كراهية اجتماع الامثال نحو تظنيت وقصيت اظفاري وقوله تقضي البازي اذا البازي كسر والمطيطا التبختر ومد اليدين في المشي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المطيطا وخدمتهم فارس والروم كان باسهم بينهم والمطيط الما الخاثر اسفل الحوض لانه يتمطط اي يتمدد فيه وقال القرطبي التمطط هو التمدد من التكسل والتثاقل فهو يتثاقل عن الداعي الى الحق والتمطي يدل على قلة الاكتراث قوله تعالى اولى لك فاولى تقدم الكلام عليه في اخر سورة القتال وانما كررها مبالغة في التهديد والوعيد فهو تهديد ووعيد بعد وعيد قالت الخنسا

• هممت بنفسي كل الهموم • فاولى لنفسي اولى لها

وقال ابو البقا رحمه الله هنا وزن اولى فيه قولان احدهما فعلى والالف فيه للالحاق لا للتانيث والثاني هو افعل وهو على القولين هنا علم ولذلك لم ينون ويدل عليه ما حكى ابو زيد في النوادر هي اولاة بالتا غير مصروف لانه صار علما للوعيد فصار كرجل اسمه احمد فعلى هذا يكون اولى مبتدا ولك الخبر والثاني ان يكون اسما للفعل مبنيا ومعناه وليك شر بعد شر ولك تبيين **فصل** قال قتادة والكلبي ومقاتل خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد ذات ليلة فاستقبله ابو جهل على باب المسجد مما يلي باب بني مخزوم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فهزه مرة او مرتين ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فقال له ابو جهل اتهددني فوالله اني لاعز اهل هذا الوادي واكرمه ولا تستطيع انت ولا ربك ان يفعلا بي شيئا ثم انسل ذاهبا فانزل الله تعالى كما قال له الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى اولى لك يعني ويل لك قال الشاعر

• فاولى ثم اولى ثم اولى • وهل للدر يحلب من مرد •

وقيل هو من المقلوب كانه قيل اويل ثم اخر الحرف المعتل والمعنى الويل لك يوم تدخل النار وهذا التكرير كقوله

• لك الويلات انك مرجلي •

اي لك الويل ثم الويل وقيل معناه الذم لك اولى من تركه وقيل المعنى انت اولى واجدر بهذا العذاب وقال ابو العباس احمد بن يحيى قال الاصمعي اولى في كلام العرب معناه مقاربة الهلاك كانه يقول قد وليت الهلاك اي دانيت الهلاك واصله من الولي وهو القرب قال تعالى قاتلوا الذين يلونكم اي يقربون منكم قال القرطبي وقيل التكرير فيه على معنى الذم لك على عملك السيء الاول ثم على الثاني والثالث والرابع قوله تعالى ايحسب الانسان اي يظن ابن ادم صلوات الله عليه ان يترك سدى اي ان يخلى مهملا فلا يؤمر ولا ينهى قاله ابن زيد ومجاهد وقيل ان يترك في قبره كذلك ابدا لا يبعث وسدى حال من فاعل يترك ومعناه مهملا فقال ابل سدى اي مهملة قال

• واقسم بالله جهد اليمين • ما خلق الله شيئا سدى •

اي مهملا واسديت حاجتي اي ضيعتها ومعنى اسدى اليه معروفا اي جعله بمنزلة الضائع عند المسدى اليه لا يذكره ولا يمن به عليه قوله الم يك نطفة العامة على اليا من تحت في يك رجوعا للانسان والحسن بتا للخطاب على الالتفات اليه توبيخا له وقوله تعالى من مني يمنى قرا حفص رحمه الله يمنى باليا من تحت وفيه وجهان احدهما ان الضمير عائد على المني اي يصب فتكون الجملة في محل جر والثاني انه يعود للنطفة لان تانيثها مجازي ولانها في معنى الما قاله ابو البقا وهذا انما يتمشى على قول ابن كيسان واما النحاة فيحملونه ضرورة كقوله • ولا ارض ابقل ابقالها • وقرا الباقون تمنى بالتا من فوق على ان الضمير للنطفة فعلى هذه القراءة وعلى الوجه المذكور قبلها تكون الجملة في محل نصب لانها

صفة لمنصوب **فصل** والمعنى من قطرة ما تمنى في الرحم اي تراق فيه ولذلك سميت منى لاراقة الدما والنطفة الما القليل يقال نطف الما اي قطر اي الم يك ما قليلا في صلب الرجل وترايب المراة فبين تعالى جل ذكره لا اله الا هو بهذا على خسة قدره ثم قال تعالى فخلق فسوى اي فسواه تسوية وعدله تعديلا بجعل الروح فيه وقيل فخلق اي فقدر فسوى فعدل وقيل فخلق اي نفخ فيه فسوى فكمل اعضاه قاله ابن عباس ومقاتل فجعل منه اي من الانسان وقيل من المني الزوجين الذكر والانثى يجوز ان يكونا بدلين من الزوجين على لغة من يجري المثنى اجرا المقصور وقد تقدم تحقيقه في طه ومن ينسب اليه هذه اللغة والاستشهاد وعلى ذلك **فصل** قال القرطبي وقد احتج بهذه الاية من راى اسقاط الخنثى وقد مضى في سورة الشورى ان هذه الاية ونسبها انما خرجا مخرج الغالب فان قيل ما فايدة قوله يمنى في قوله تعالى من مني يمنى فالجواب فيه اشارة الى حقارة حاله كانه قيل انه مخلوق من المني الذي يجري على مجرى النجاسة فلا يليق بمثل هذا ان يتمرد عن طاعة الله سبحانه وتعالى لا اله الا هو الا انه عبر عن هذا المعنى على سبيل الرمز كما في قوله تعالى في عيسى ومريم صلوات الله عليهما كانا ياكلان الطعام والمراد منه قضاء الحاجة قوله تعالى اليس ذلك بقادر اي اليس الذي قدر على خلق هذه النسمة من قطرة ما قوله بقادر اسم فاعل مجرور بالبا الزايدة في خبر ليس هذه قراة العامة وقرا زيد بن علي يقدر فعلا مضارعا والعامة على نصب يحيى بان لان الفتحة خفيفة على حرف العلة وقرا طلحة بن سليمان والفياض بن غزوان بسكونها فاما ان يكون خفف حرف العلة بحذف حركة الاعراب وقرا طلحة واما ان يكون اجرى الوصل مجرى الوقف وجمهور الناس على وجوب فك الادغام قال ابو البقا لئلا يجمع بين ساكنات لفظا او تقديرا يعني ان الحا ساكنة فلو ادغمنا لسكنا اليا الاولى ايضا للادغام فيلتقي ساكنان لفظا وهو متعذر النطق فهذان ساكنان لفظا واما قوله تقديرا فان بعض الناس يجوز الادغام في ذلك وقرا به ان يحيي وذلك انه لما اراد الادغام نقل حركة اليا الاولى الى الحا وادغمها فالتقى ساكنان الحا لانها ساكنة في اليا قبل النقل اليها الاولى الى الحا وادغمها فالتقى ساكنان الحا لانها ساكنة في قبل النقل اليها واليا لان حركتها نقلت من عليها الى الحا واستشهد الفرا لهذه القراة بقول الشاعر تمشي بسده بيتها فتعيي واما اهل البصرة فلا يدغمونه البتة قالوا لان حركة اليا عارضة اذ هي للاعراب وقال مكي وقد اجمعوا على عدم الادغام في حال الرفع فاما في حال النصب فقد اجازه الفرا لاجل تحرك اليا الثانية وهو لا يجوز عند البصريين لان الحركة عارضة وهو قوله فتعي فهذا مرفوع وقد ادغم ولا يبعد ذلك قال شهاب الدين ادعاوه الاجماع مردود بالبيت الذي تقدم انشاده عن الفرا وهو قوله فتعيي فهذا مرفوع وقد ادغم ولا يبعد ذلك لانه لما ادغم ظهرت تلك الحركة لسكون ما قبل اليا بالادغام **فصل** المعنى اليس الذي قدر على خلق هذه النسمة من قطرة ما بقادر على ان يحيي الموتى ان يعيد هذه الاجسام كهيئتها للبعث بعد البلى روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها قال سبحانك اللهم وبلى وقال ابن عباس من قرا سبح اسم ربك الاعلى اماما كان او غيره فليقل سبحان ربي الاعلى ومن قرا لا اقسم بيوم القيمة الى اخرها فليقل سبحانك اللهم بلى اماما كان او غيره وروى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القيمة شهدت له وجبريل له يوم القيمة انه كان مومنا بيوم القيمة وجا ووجهه مسفر على وجوه الخلايق يوم القيمة صدق الله ورسوله صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه دايما

سورة الانسان مكية

وهي احدى وثلاثون اية ومايتان واربعون كلمة والف واربعة وخمسون حرفا قال ابن عباس ومقاتل والكلبي هي مكية وقال الجمهور مدنية وقيل فيها مكي من قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا الى اخر السورة وما تقدمه مدني وذكر ابن وهب قال وحدثنا ابن زيد قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقرا هل اتى على الانسان حين

من الدهر وقد انزلت عليه وعنده لاسقل علي النبي صلي الله عليه وسلم قال دعه يا ابن الخطاب قال فنزلت عليه هذه السورة وهو عنده فلما قراها عليه وبلغ صفة الجنان زفر زفرة خرجت نفسه فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اخرج نفس صاحبكم او اخيكم الشوق الي الجنة وقال القشيري ان هذه السورة نزلت في علي بن ابي طالب كرم الله وجهه والمقصود من السورة عام وهكذا القول في كل ما يقال انه نزل بسبب كذا وكذا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تبارك وتعالي جل ذكره لا اله الا هو هل اتي علي الانسان في هل هذه وجهان احدهما انها علي بابها من الاستفهام المحض اي هو ممن يسال عنه لغرابته اتي عليه حين من الدهر لم يكن كذا فانه يكون الجواب اتي عليه ذلك وهو بالحال المذكورة كذا قاله ابو حيان وقال مكي في تقدير كونها علي بابها من الاستفهام والاحسن ان يكون علي بابها للاستفهام الذي معناه التقرير وانما هو تقرير للبعث لمن انكر البعث فلا بد ان يقول نعم قد مضي دهر طويل لا انسان فيه فيقال له من احدثه بعد ان لم يكن وكونه بعد عدمه كيف يمتنع عليه بعثه واحياوه بعد موته وهو معني قوله ولقد علمتم النشاة الاولي فلولا تذكرون اي فهلا تذكرون فتعلمون ان من انشا شيا بعد ان لم يكن قادر علي اعادته بعد موته وعدمه انتهي فقد جعلها الاستفهام التقرير لا الاستفهام المحض وهذا هو الذي يجب ان يكون لان الاستفهام لا يرد من الباري تعالي الا علي هذا النحو وما اشبهه والثاني قال الكسائي والفرا وابو عبيد وحكي ايضا عن سيبويه انها بمعني قد قال الفرا هل تكون جحدا وتكون خبرا فهذا من الخبر لانك تقول هل اعطيتك تقرره بانك اعطيته والجحدان تقول هل يقدر احد علي مثل هذا وقال الزمخشري هل بمعني قد في الاستفهام خاصة والاصل اهل بدليل قوله • سايل فوارس يربوع بشدتنا • اهل راونا بوادي القف ذي الاكم • فالمعني اقد اتي علي التقرير والتقريب جميعا اي اتي علي الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيا مذكورا اي شيا منسيا غير مذكور انتهي فقوله علي التقرير يعني المفهوم من الاستفهام وهو الذي فهمه مكي من انس هل وقوله والتقريب يعني المفهوم من قد التي وقع موقعها هل ومعني قوله في الاستفهام خاصة ان هل لا يكون بمعني قد الا ومعها استفهام لفظا كالبيت المتقدم او تقديرا كالاية الكريمة فلو قلت هل جا زيد يعني قد قام من غير استفهام لم يجز وغيره جعلها بمعني قد من غير هذا القيد وبعضهم لا يجيز ذلك البتة ويتاول البيت علي انه مما جمع فيه بين حرفي معني للتاكيد وحسن ذلك اختلاف لفظهما كقوله فاصبحن لا يسالنني عن بما به فالبا بمعني عن وهي موكدة لها واذا كانوا قد اكدوا مع اتفاق اللفظ كقوله • فلا والله لا يلفي لما بي ولا للما بهم ابدا دواء • فلان يوكد مع اختلافه احري ولم يذكر الزمخشري غير كونها بمعني قد وبقي علي الزمخشري قيد اخر وهو ان يقول في الجمل الفعلية لانه متي دخلت هل علي جملة اسمية استحال كونها بمعني قد لان قد مختصة بالافعال قال شهاب الدين رحمه الله وعندي ان هذا لا يرد لانه تعرر ان قد لا تباشر الاسما

فصل قال قتادة والثوري وعكرمة والشعبي ان المراد بالانسان هنا ادم صلوات الله عليه وهو مروي عن ابن عباس وقيل المراد بالانسان بنو ادم لقوله عز وجل انا خلقنا الانسان من نطفة فالانسان في الموضعين واحد وعلي هذا فيكون نظم الاية احسن وقوله جل ذكره حين من الدهر قال ابن عباس في رواية ابي صالح مرت به اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقي بين مكة والطايف وعن ابن عباس في رواية الضحاك انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حما مسنون اربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكي الماوردي عن ابن عباس ان الحين المذكور هنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره وقال الحسن خلق الله تبارك وتعالي كل الاشيا ما يري وما لا يري من دواب البر والبحر في الايام الست التي خلق الله تعالي فيها

السموات

السموات والارض واخرها خلق ادم صلوات الله عليه فهو قوله تعالي لم يكن شيا مذكورا فان قيل ان الطين والصلصال والحما المسنون قبل نفخ الروح فيه ما كان انسانا والاية تقتضي انه مضي علي الانسان حال كونه انسانا حين من الدهر مع انه في ذلك الحين ما كان شيا مذكورا فالجواب ان الطين والصلصال اذا كان مصورا بصورة الانسان ويكون محكوما عليه بانه سينفخ فيه الروح ويصير انسانا صح تسميته بانه انسان ومن قال ان الانسان هو النفس الناطقة وانها موجودة قبل وجود الابدان فالاشكال عنهم زايل واعلم ان الغرض من هذا التنبيه علي ان الانسان محدث واذا كان كذلك فلا بد من محدث قادر وقوله تعالي لم يكن في هذه الجملة وجهان احدهما انها في موضع نصب علي الحال من الانسان اي هل اتي عليه حين في هذه الحال والثاني انها في موضع رفع نعتا لحين بعد نعت وعلي هذا فالعايد محذوف تقديره حين لم يكن فيه شيا مذكورا والاول اظهر لفظا ومعني

فصل روي الضحاك عن ابن عباس في قوله عز وجل لم يكن شيا مذكورا لا في السما ولا في الارض وقيل اي كان جسدا مصورا ترابا وطينا لا يذكر ولا يعرف ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا قاله الفرا وقطرب وثعلب وقال يحيي بن سلام لم يكن شيا مذكورا لانه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق بعده حيوانا ومن قال بان المراد بالانسان الجنس من ذرية ادم صلوات الله عليه فالمراد بالحين تسعة اشهر مدة بطن امه لم يكن شيا مذكورا اذ كان مضغة وعلقة لانه في هذه الحالة جماد لا خطر له وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما قرا هذه الاية ليتها تمت فلا يبتلي اي ليت المدة التي اتت علي ادم لم يكن شيا مذكورا تمت علي ذلك فلا يلد ولا يبتلي اولاده وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقرا هل اتي علي الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا فقال ليتها تمت قوله عز وجل انا خلقنا الانسان يعني ابن ادم من غير خلاف من نطفة اي من ما يقطر وهو المني وكل ما قليل في وعا فهو نطفة كقول عبد الله بن رواحة يعاتب نفسه

• مالي اراك تكرهين الجنة • هل انت الا نطفة في شنه •

وجمعها نطف ونطاف قوله تعالي امشاج نعت لنطفة ووقع الجمع نعتا لمفرد لانه في معني الجمع كقوله تعالي رفرف خضر وجعل كل نطفة جزا من النطفة نطفة فاعتبر ذلك فوصفت بالجمع وقال الزمخشري رحمه الله نطفة امشاج كبرمة اعشار وبرود اكياس وثوب اخلاق وارض سباسب الفاظ مفرده غير مجموعة ولذلك يقع صفات للافراد ويقال نطفة مشج قال الشماخ

• طوت احشا مرتجة لوقت • علي مشج سلالته مهين •

ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما فقد منع ان يكون امشاجا جمع مشج بالكسر قال ابو حيان وقوله مخالف لنص سيبويه وليس في الكلام افعال الا اسم مفرد الا يكسر عليه اسما الجميع وما ورد من وصف المفرد بافعال تاوله انتهي قال شهاب الدين ثم لم يجعل افعالا مفردا انما قال يوصف به المفرد بمعني التاويل ذكرته من انهم جعلوا كل قطعة من البرمة برمة وكل قطعة من البرد بردا فوصفوهما بالجمع وقال ابو حيان الامشاج الاخلاط واحدها مشج بفتحتين او مشج كعدل واعدال او مشيج كشريف واشراف قاله ابن الاعرابي وقال رويه

• يطرحن كل معجل نشاج • لم يكس جلدا من دم امشاج •

وقال الهذلي يصف السهم بانه قد نفذ في الرمية والتطخ ريشه وفوقاه بدم يسير كان الريش والفوقين منها خلاف النصل سيط به مشيج ويقال مشج يمشج مشجا اذا خلط ومشيج كخليط وممشوج كمخلوط انتهي فجوز ان يكون جمعا لمشج كعدل وقد تقدم ان الزمخشري منع من ذلك وقال الزمخشري ومشجه ومزجه والمعني من نطفة امتزج فيها الماان قال القرطبي ويقال مشجت هذا بهذا اي خلطته فهو ممشوج ومشيج مثل مخلوط وخليط وهو هنا اختلاط النطفة بالدم وهو دم الحيضة وذلك ان المراة اذا بلغت ما الرجل وحبلت امسك حيضها فاختلطت النطفة بالدم وقال الفرا امشاج اختلاط ما المراة وما الرجل والدم والعلقة روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال الامشاج الحمرة والبياض في الحمرة وعنه ايضا قال يختلط ما الرجل وهو ابيض غليظ بما وهو ابيض غليظ بما المراة وهو اصفر رقيق فيخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فهو من الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فهو من ما

المراة قال القرطبي وقد روي هذا مرفوعا ذكره البزار وعن ابن مسعود امشاجها عروقها
المضغة وقال مجاهد نطفة الرجل بيضا وحمرا ونطفة المراة خضرا وصفرا وقال ابن عباس
خلق من الوان خلق من تراب ثم ماء الفرج والرحم وهي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظم ثم لحم
ونحوه قال قتادة هي اطوار الخلق طورا نطفة وطورا علقة وطورا مضغة وطورا عظاما ثم نكس
العظام لحما قال ابن الخطيب وقيل ان الله تبارك وتعالى جعل في النطفة اخلاطا من الطبايع
التي تكون في الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والتقدير من نطفة ذات
امشاج فحذف المضاف وتم الكلام قوله تعالى نبتليه يجوز في هذه الجملة وجهان احدهما
انها حال من فاعل خلقنا اي خلقناه حال كوننا مبتلين له والثاني انها حال من الانسان
وصح ذلك لان في الجملة ضميرين كل منهما يعود على ذي الحال ثم هذه الحال يجوز ان تكون مقارنة
ان كان المعنى نبتليه نصرفه في بطن نطفة ثم علقة كما قال ابن عباس وان تكون مقدرة ان
كان المعنى نبتليه نختبره بالتكليف لانه وقت خلقه غير مكلف وقال الزمخشري ويجوز ان
يكون المراد فاقلين له من حال الي حال فسمي ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة قال شهاب
الدين وهذا معنى قول ابن عباس المتقدم وقال بعضهم في الكلام تقديم وتاخير والاصل
انا جعلناه سميعا بصيرا نبتليه اي جعلنا له ذلك للابتلاء وهذا لا حاجة اليه قوله نبتليه
معناه لنبتليه كقولك جيتك اقضي حقك اي لاقضي حقك واتيتك استمنحك كذا ونظيره
قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لتستكثر ومعنى نبتليه نختبره وقيل نقدر فيه الابتلاء وهو
الاختبار وفيما نختبره به وجهان احدهما قال الكلبي نختبره به وجهان احدهما قال الكلبي
نختبره بالخير والشر والثاني قال الحسن نختبر شكره في السراء وصبره في الضراء وقيل نبتليه
نكلفه بالعمل بعد الخلق قال مقاتل رحمه الله وقيل نكلفه ليكون مامورا بالطاعة
ومنهيا عن المعاصي وقوله تعالى فجعلناه سميعا بصيرا والمعنى انا خلقناه في هذه الامشاج
لا للعبث بل للابتلاء والامتحان ثم ذكر انه اعطاه ما يصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر
وهما كنايتان عن الفهم والتمييز لان الابتلاء لا يقع الا بعد تمام الخلقة والمعنى جعلنا له
سمعا يسمع بالهدى وبصرا يبصر به الهدى كما قال تعالى حاكيا عن ابراهيم صلوات الله
عليه لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر وقد يراد بالسميع المطيع كقوله سمعا وطاعة وبالبصير
العالم يقال فلان بصير في هذا الامر وقيل بل المراد السمع والبصر المناسبات المعروفتان
والله تعالى خصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس واشرفها قوله تعالى انا هديناه السبيل
اي بينا له وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر ببعث الرسل فامن او كفر
وقال مجاهد بينا له السبيل هنا خروجه من الرحم وقيل منافعه ومضاره التي يهتدي
اليها بطبعه وكمال عقله **فصل** قال ابن الخطيب اخبر الله تعالى انه بعد ان
ركبه واعطاه الحواس الظاهرة والباطنة بين له سبيل الهدى والضلالة قال والاية
تدل على ان العقل متاخر عن الحواس وهو كذلك ثم ينشا عنها عقايد صادقة اولية كعلمنا
بان النفي والاثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان وان الكل اعظم من الجزء وهذه العلوم
الاولية هي العقل قال الفرا هدى يتعدى بنفسه وباللام قوله تعالى اما شاكرا نصب
على الحال وفيه وجهان احدهما انه حال من مفعول هديناه اي هديناه مبينا له كلتا
حالتيه قال ابو البقا وقيل هي حال مقدرة قال شهاب الدين لانه حمل الهداية
على اول البيان له وفي ذلك الوقت غير متصف باحدى الصفتين والثاني انه حال
من السبيل على المجاز قال الزمخشري ويجوز ان يكونا حالين من السبيل اي عرفناه
السبيل بالشكر والكفر مجازا والعامة على كسر همزة اما وهي المرادفة لاو وتقدم خلاف النحويين
فيها ونقل مكي عن الكوفيين ان ها هنا ان الشرطية زيدت بعدها ما ثم قال هذا لا يجيزه
البصريون لان ان الشرطية لا تدخل على الاسما الا ان يضمر فعل نحو وان احد ولا يصح اضمار
الفعل هنا لانه كان يلزم رفع شاكرا وايضا فانه لا دليل على الفعل انتهى قال شهاب
الدين رحمه الله لا نسلم انه يلزم رفع شاكر مع اضمار الفعل ويمكن ان يضمر فعل بنصب
شاكرا تقديره ان خلقناه شاكرا فشكور وان خلقناه كافرا فكفور وقرا ابو السماك وابو

الحجاج بفتحها وفيها وجهان احدهما انها العاطفة والثانية بعضهم مع فتح همزتها وانشد
على ذلك • يلقحها اما شمال عرية • واما صبا جنح العشي هبوب •
بفتح الهمزة ويجوز مع فتح الهمزة ابدال ميمها الاولى يا قال ايما الي جنة ايما الي نار وحذف
الواو بينهما والثاني انها اما التفصيلية وجوابها مقدر قال الزمخشري وهي قراة حسنة
والمعنى اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره انتهى ولم يذكر غيره **فصل**
قال ابن الخطيب بعد حكايته ان شاكرا او كفورا حالا ان المعنى كلما يتعلق بهداية الله
تعالى وارشاده فقد تم حالتي الكفر والايمان قال وقيل انتصب شاكرا وكفورا باضمار
كان والتقدير سوا كان شاكرا او كان كفورا وقيل معناه انا هديناه السبيل ليكون اما
شاكرا واما كفورا اي ليتميز شكره من كفره وطاعته كقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن
عملا قال القفال رحمه الله ومجاز هذه الكلمة على هذا التاويل كقولك قد نصحت لك
ان شيت فاقبل وان شيت فاترك اي فان شيت فتحذف الفا وقد يحتمل ان يكون
ذلك على جهة الوعيد اي انا هديناه السبيل فان شا فليشكر وان شا فليكفر فانا
قد اعتدنا للكافرين كذا قوله وقل الحق من ربكم فمن شا فليومن ومن شا فليكفر
وقيل حالا من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا ووصف السبيل
بالشكر والكفر مجازا قال ابن الخطيب وهذه الاقوال لايقة بمذهب المعتزلة وقيل قول
خامس مطابق لمذهب اهل السنة واختاره الفرا وهو ان يكون اما في هذه الاية كما في
قوله تعالى اما يعذبهم واما يتوب عليهم والتقدير انا هديناه السبيل ثم جعلناه تارة
شاكرا وتارة كفورا ويويده قراة ابي السماك المتقدمة قالت المعتزلة هذا التاويل
باطل لتهديده الكفار بعد هذه الاية بقوله تعالى انا اعتدنا للكافرين سلاسل
واغلالا وسعيرا ولو كان كفر الكافر من الله وبخلقه لما جاز منه ان يهدده عليه ولما بطل
هذا التاويل ثبت ان الحق هو التاويل الاول وهو انه تعالى هدى جميع المكلفين
سوا امن او كفر وبهذا بطل قول المجبرة واجيب بانه تعالى لما علم من الكافر انه لا يومن
ثم كلفه بان يومن فقد كلفه الجمع بين العلم بعدم الايمان ووجود الايمان وهذا تكليف
بالجمع من المتنافيين فان لم يصر هذا عذرا في سقوط التهديد والوعيد واذا ثبت هذا
ظهر ان هذا التاويل هو الحق وبطل تاويل المعتزلة **فصل** قال القرطبي جمع
بين الشاكر والكفور ولم يجمع من الشكور والكفور مع اجتماعهما في معنى المبالغة نفيا
للمبالغة في الشكر واثباتا لها في الكفر لان شكر الله تعالى لا يودي فانتفت عنه المبالغة
ولم ينتف عن الكفر المبالغة فقل شكره لكثرة النعم عليه وكثرة كفره وان قل مع الاحسان
اليه حكاه الماوردي قوله تعالى انا اعتدنا للكافرين سلاسل قرا نافع والكسائي
وهشام وابو بكر بتنوين سلاسل والباقون بغير تنوين ووقف هولا حمزة وقنبل عليه
بالالف بلا خلاف وابن ذكوان والبرسيي وحفص بالالف وبدونها يعني بالخلاف والباقون
وقفوا بدون الف بلا خلاف فقد حصل من هذا ان القرا على اربع مراتب منهم من ينون وصلا
ويقف بالالف وقفا بلا خلاف وهما حمزة وقنبل ومنهم من لم ينون ويقف بالالف بلا خلاف
وهو ابو عمرو وحده ومنهم من لم ينون ويقف بالالف تارة وبدونها اخرى وهم ابن ذكوان
وحفص والبزي فهذا اضبط ذلك فاما التنوين في سلاسل فذكروا له اوجها منها انه قصد
بذلك التناسب لان ما قبله وما بعده منون منصوب ومنها ان الكسائي وغيره من اهل
الكوفة حكوا عن بعض العرب انهم يصرفون جميع ما لا ينصرف الا افعل منك قال الاخفش
سمعنا من العرب من يصرف كل ما لا ينصرف لان الاصل في الاسما الصرف وترك الصرف لعارض
فيها وان هذا الجمع قد جمع وان كان قليلا قالوا صواحب وصواحبات وفي الحديث
انكن لصواحبات يوسف وقال قد جرت الطير ايامنينا بجمع ايامن جمع تصحيح المذكر وانشدوا
• واذا الرجال راوا يزيد رايتهم • خضع الرقاب نواكس الابصار •
بكسر السين من نواكس وبعدها يا يظهر خطا لا لفظا لالتقا الساكنين وهذا على رواية
كسر السين والاشهر فيها نصب السين فلما جمع شابه المفردات فانصرف ومنها انه مرسوم في مصحف

امام الحجاز والكوفة بالالف رآه ابو عبيد ورواه قالون عن نافع وروي بعضهم ذلك عن مصاحف
البصرة ايضا وقال الزمخشري وفيه وجهان احدهما ان تكون هذه النون بدلا من حرف الاطلاق
ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني ان يكون صاحب القراءة ممن روي وابد الشعر ومرن لسانه
على صرف ما لا ينصرف قال شهاب الدين رحمه الله في هذه العبارة فضاضة وغلظة لاسيما على
مشيخة الاسلام وائمة العلما الاعلام ووقف هولاء بالالف ظاهر واما من لم ينونه فظاهر لانه
على صفة منتهى الجموع وقولهم قد جمع نحو صولجانات وانا سين لا يقدح لان المحذور جمع التكسير
وهذا جمع تصحيح وعدم وقوفهم بالالف واضح ايضا واما من لم ينون ووقف بالالف اتباعا
للرسم الكريم كما تقدم وايضا الروم في المفتوح لا يجوزه القراء والقاري قد يبين الحركة في وقفه
فاتوا بالالف لتبين بها الفتحة وروي عن بعضهم انه يقول رايت عمرا بالالف يعني عمر بن
الخطاب والسلاسل جمع سلسلة وهي القيود في جهنم وقد تقدم الكلام فيها في سورة الحاقة

فصل اعلم انه بين ههنا حال الفريقين وانه تعبد العقلا وكلفهم ومكنهم مما امرهم
فمن كفر فله العقاب ومن وحد وشكر فله الثواب والاعتداد هو اعداد الشي حتى يكون
عتيدا حاضرا متى احتيج اليه كقوله تعالى هذا ما لدي عتيد والاغلال جمع غل يغل بها
ايديهم الى اعناقهم وتقدم الكلام في السعير ايضا قوله تعالى ان الابرار يشربون لما
ذكر ما اعد للكافر من ذكر ما اعد للشاكرين والابرار اهل الصدق واحدهم بر وهو من امتثل
امر الله وقيل البر الموحد والابرار جمع بار مثل شاهد واشهاد وقيل هو جمع بر مثل
نهر وانهار وفي الصحاح وجمع البار البررة وفلان يبر خالقه ويتبرره اي يطيعه والام
برة بولدها وروي ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما سماهم الله
تعالى جل ثناوه الابرار لانهم بروا الاباء والابناء كما ان لوالديك حقا كذلك لولدك عليك
حقا وقال الحسن البر الذي لا يوذي الذر وقال قتادة الابرار الذين يودون حق الله
ويوفون بالنذر وفي الحديث الابرار الذين لا يوذون احدا يشربون من كاس اي من اناء
فيه الشراب قال ابن عباس يريد الخمر والكاس في اللغة الاناء فيه الشراب واذا لم
يكن فيه الشراب قال ابن عباس يريد الخمر لم يسم كاسا قوله تعالى كان مزاجها كافورا
المزاج ما يمزج به اي يخلط فقال مزجه يمزجه مزجا اي خلطه يخلطه خلطا قال حسان

كان سبيئة من بيت راس • كان مزاجها عسل وماء •

فالمزاج كالقوام اسم لما يقام به الشي ومنه مزاج البدن وهو ما يمازجه من الصفرا والسوداء
والحرارة والبرودة والكافور طيب معروف وكان اشتقاقه من الكفر وهو الستر لانه يغطي
الاشيا برايحته والكافور ايضا كمام الشجر الذي يغطي ثمرتها قال بعضهم الكافور فاعول
من الكفر واما العظم كالعا قور من العقر والقاموس من القمس تقول غمسته في الماء اي
غمسته والكفر القرية والجبل العظيم قال نطلع رباه من الكفرات والكافور البحر
والكافر الليل والكافر الساتر لنعم الله تعالى والكافر الزارع لتوريته الحب في الارض
قال الشاعر • وكافرمات على كفره وجنة الفردوس للكافر

والكفارة لتغطية الاثم في اليمين الفاجرة والنذور والكاذبة بالمغفرة والكافور ماء جوف
شجر مكنوز فيغرزونه بالحديدة فيخرج الى ظاهر الشجر فيضربه الهوا فيجمد وينعقد
كالصمغ الجامد على الاشجار ويقال كفر الرجل تكفيرا اذا وضع يده على صدره

فصل قال ابن الخطيب رحمه الله مزج الكافور بالمشروب لا يكون لذيذا فالسبب في ذكره
والجواب من وجوه احدها قال ابن عباس اسم عين ماء في الجنة يقال له عين الكافور
اي يمازجه ماء هذه العين التي تسمى كافورا في بياض الكافور ورايحته وبرده ولكن
لا يكون فيه طعمه ولا مضرته وثانيها ان رايحة الكافور اعرض والعرض لا يكون الا في
جسم فخلق الله تلك الرايحة في جرم ذلك الشراب فسمي ذلك الجسم كافورا وان كان
طعمه طيبا فيكون الكافور ريحها لا طعمها وثالثها ان الله تبارك وتعالى يخلق الكافور
في الجنة مع طعم طيب لذيذ ويسلب عنه ما فيه من المضرة ثم ان الله تعالى يمزجه بذلك الشراب
كما ان الله تعالى يسلب عن جميع الماكولات والمشروبات ما معها في الدنيا من المضار قال سعيد

عن قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك وقيل اراد بالكافور في بياضه وطيب رايحته وبرده
لان الكافور لا يشرب كقوله تعالى حتى اذا جعله نارا اي كنار وقيل كان في علم الله تعالى وكان زايدة
اي من كاس مزاجها قال القرطبي ويقال كافور وقافور وهي قراة عبد الله بالقاف بدل الكاف
وهذا من التعاقب بين الحرفين كقولهم عربي قح وكح ومفعول يشربون اما محذوف اي يشربون
ماء او خمرا واما مذكور وهو عينا واما من كاس ومن مزيدة فيه وهذا يتمشى عند الكوفيين والاخفش
وقال الزمخشري فان قلت لم وصل فعل الشرب بحرف الابتدا اولا وبحرف الالصاق اخرا قلت لان
الكاس مبتدا شربه ويدل غايته واما العين فيها يمزجون شرابهم فكان المعنى يشرب
عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل قوله تعالى عينا في نصبها اوجه احدها
بدل من كافورا لان ماءها في بياض الكافور وفي رايحته وبرده الثاني انها بدل من محل من كاس
قال مكي ولم يقدر حذف مضاف وقدر الزمخشري على هذا الوجه حذف مضاف قال كانه
قيل يشربون خمرا خمر عين واما ابو البقا فجعل المضاف مقدرا على وجه البدل من كافورا
فقال والثاني بدل من كافورا اي ماء عين او خمر عين وهو معنى حسن الثالث انها مفعول
يشربون اي يشربون عينا من كاس الرابع ان ينتصب على الاختصاص الخامس باضمار يشربون
يفسره ما بعده قاله ابو البقا رحمه الله وفيه نظر لان الظاهر انه صفة لعين فلا يصح ان
يفسر السادس باضمار يعطون السابع على الحال من الضمير في مزاجها قاله مكي وقال القرطبي
نصب باضمار اعني قوله تعالى يشرب بها في البا اوجه احدها انها مزيدة اي يشربها ويدل له
قراة ابن ابي عبلة يشربها يعدي الى الضمير بنفسه الثاني انها بمعنى من الثالث انها حالية
اي ممزوجة بها الرابع انها متعلقة بيشرب والضمير يعود على الكاس اي يشربون العين
بذلك الكاس والبا للالصاق كما تقدم في قول الزمخشري الخامس انه على تضمين يشربون
معنى يلتذون بها بشاربين السادس على تضمينه معنى يروى اي يروى بها عباد الله
وهذه الاية الكريمة في بعض الاوجه قول الهذلي شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن
نئيج فهذه تحتمل الزيادة ويحتمل ان يكون بمعنى من وقال الفرا يشربها ويشرب بها سوا
في المعنى وكان يشرب بها يروى بها وينقع بها وانشد قول الهذلي قال ومثله يتكلم
بكلام حسن ويتكلم كلاما حسنا والجملة من قوله يشرب بها في محل نصب صفة لعينا ان
جعلنا الضمير في بها عايدا على عينا ولم يجعله مفسرا الناصب كما قاله ابو البقا ويفجرونها
في موضع الحال

فصل قال ابن الخطيب قوله يشرب بها عباد الله يفيده ان كل عباد
الله يشربون منها والكفار بالاتفاق لا يشربون منها يدل على ان لفظ عباد الله مختص باهل
الايمان واذا ثبت هذا فقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر لا يتناول الكفار بل يختص
بالمومنين فيصير تقدير الاية ولا يرضى لعباده المومنين الكفر ولا يدل الاية على انه
تعالى لا يريد الكفر للكافر قوله تعالى يفجرونها تفجيرا اي يشققونها شقا كما يفجر الرجل
النهر ههنا وههنا الى حيث شاوا ويتبعهم حيث مالوا ما لت معهم روى القرطبي عن الحسن رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عيون في الجنة يجريان من تحت
العرش احديهما التي ذكرها الله عز وجل يفجرونها تفجيرا والاخرى وعينان يجريان من فوق
العرش نضاختان احديهما التي ذكر الله تعالى سلسبيلا والاخرى التسنيم ذكره الترمذي
الحكيم في نوادر الاصول وقال فالتسنيم للمقربين خاصة شربا لهم والكافور للابرار شربا
لهم يمزج للابرار من التسنيم شرابهم واما الزنجبيل والسلسبيل فللابرار منها مزاج هكذا ذكره
في التنزيل وسكت عن ذكر ذلك لمن هي شرب فما كان للابرار مزاج فهو للمقربين صرف وما كان
للابرار صرف فهو لساير اهل الجنة مزاج والابرار هم الصادقون والمقربون الصديقون

قوله تعالى يوفون بالنذر يجوز ان يكون مستانفا لا محل له البتة ويجوز ان يكون خبرا
لكان مضمرة قال الفرا رحمه الله التقدير كانوا يوفون بالنذر في الدنيا وكانوا يخافون انتهى
وهذا لا حاجة اليه الثالث جواب لمن قال ما لهم يرزقون ذلك قال الزمخشري يوفون
جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك قال ابو حيان واستعمل عسى صلة لمن وهو
لا يجوز واتى بالمضارع بعد عسى غير مقرون بان وهو قليل او في شعر

فصل معناه

لا يحلفون اذا نذروا وقال معمر عن قتادة يا نون بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة
والصوم والحج والعمرة وغيره من الواجبات وقال مجاهد وعكرمة يوفون اذا نذروا في حق الله
تعالي وقال الفرا والجرجاني وفي الكلام اضمار اي كانوا يوفون بالنذر في الدنيا والعرب قد يزيد
مرة كان وقال الكلبي يوفون بالنذر اي يتمون العهود لقوله تعالي واوفوا بعهد الله واوفوا
بالعقود امر بالوفا بها لانهم عقدوها علي انفسهم باعتقادهم الايمان قال القرطبي والنذر حقيقته
ما اوجبه المكلف علي نفسه من شي يفعله وان شئت قلت في حده النذر هو ايجاب المكلف علي
نفسه من الطاعات ما لم يوجبه لم يلزمه وقال ابن الخطيب الايفا بالشي هو الاتيان به وافيا
فقال ابو مسلم النذر كالوعد الا انه اذا كان من العباد فهو نذر وان كان من الله تعالي فهو وعد
واختص هذا اللفظ في عرف الشرع بان يقول لله علي كذا وكذا من الصدقة او يعلق ذلك بامر
يلتمسه من الله تعالي مثل ان يقول ان شفي الله مريضي او رد غايبي فعلي كذا وكذا واختلفوا
فيما اذا علق ذلك بما ليس من وجوه البر كقوله فلان الدار فعلي كذا فمنهم من جعله كاليمين
ومنهم من جعله من باب النذور **فصل** قال القشيري روي اشهب عن مالك رضي
الله عنه انه قال يوفون بالنذر هو نذر العتق والصيام والصلاة وروي عنه ابو بكر بن عبد
العزيز قال مالك يوفون بالنذر قال النذر هو اليمين قال ابن الخطيب هذه الاية تدل
علي وجوب الوفا بالنذر لانه تعالي قال عقيبه ويخافون يوما وهذا يقتضي انهم انما وفوا بالنذر
خوفا من شر ذلك اليوم والخوف من شر ذلك اليوم لا يتحقق الا اذا كان الوفا به واجبا ويوكده
قوله تعالي ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقوله تعالي ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم
وهذا يحتمل ليوفوا اعمال نسكهم التي الزموها انفسهم **فصل** قال الفرا وجماعة من
اهل المعاني كان في قوله تعالي كان مزاجها كافورا زايدة واما ههنا فكان محذوفة والتقدير
كانوا يوفون بالنذر قال ابن الخطيب وللقايل ان يقول انا بينا ان كان في قوله تعالي كان
مزاجها ليست زايدة واما في هذه الاية فلا حاجة الي اضمارها لانه تعالي ذكر مزاجها ليست زايدة
في الدنيا ان الابرار يشربون اي سيشربون فان لفظ المضارع مشترك بين الحال والاستقبال
ثم قال السبب في ذلك الثواب الذي سيجدونه انهم الان يوفون بالنذر وقوله تعالي ويخافون
يوما كان شره مستطيرا اي يخافون يوم القيمة وكان شره في موضع نصب صفة ليوم المستطير
المنتشر يقال استطار يستطير استطارة فهو مستطير وهو استفعل من الطيران قال الاعشي
فبانت وقد اسارت في الفواد صدعا علي نايها فهو مستطير والعرب تقول استطار الصدع في
القارورة والزجاجة واستطال اذا امتد ويقال استطار الحريق اذا انتشر وقال الفرا المستطير
المستطيل كانه يريد انه مثله في المعني لا انه ابدل من اللام را والفجر فجران مستطيل كذنب
السرحان وهو الكاذب ومستطير وهو الصادق لانتشاره في الافق قال قتادة استطار والله
شر ذلك اليوم حتي ملا السموات والارض وقال مقاتل كان شره فاشيا في السموات فانشقت
وتناثرت الكواكب وفزعت الملايكة وفي الارض نسفت الجبال وغارت المياه فان قيل احوال
القيمة واهوالها كلها فعل الله تعالي وكلما كان فعلا لله فهو حكمة وصواب وما كان كذلك لا
يكون شرا فكيف وصفها الله بانها بانها شر فالجواب انما سميت شرا لكونها مضرة بمن ينزل عليه
وصعبه كما تسمي الامراض وساير الامور المكروهة شرورا قال ابن الخطيب وقيل المستطير هو الذي
يكون سريع الوصول الي اهله وكان هذا القايل ذهب الي الطيران الاسرع فان قيل لم قال
كان شره ولم يقل سيكون شره مستطيرا فالجواب ان اللفظ وان كان الماضي الا ان معناه
كان شره في علم الله وحكمه قوله تعالي ويطعمون الطعام علي حبه هذا الجار والمجرور
حال اما من الطعام اي كاينين علي حبهم الطعام كقوله عز وجل واتي المال علي حبه قال ابن
عباس رضي الله عنه ومجاهد علي قلته وحبهم اياه وشهوتهم له واما من الفاعل والضمير
في حبه لله تعالي اي علي حب الله وعلي التقديرين فهو مصدر مضاف للمفعول قال
الفضيل بن عياض رحمه الله علي حب اطعام الطعام قوله تعالي مسكينا اي ذا مسكنة ويتيما
اي من يتامي المسلمين واسيرا اي الذي يوسر فيحبس وذلك ان المسكين عاجز عن الاكتساب
بنفسه واليتيم هو الذي مات من يكتسب له وبقي عاجزا عن الكسب لصغره والاسير هو

المأخوذ

المأخوذ من قومه المملوك رقبته الذي لا يملك لنفسه نصرا ولا حيلة قال ابن عباس والحسن
وقتادة الاسير من اهل الشرك يكون في ايديهم فان قيل لما وجب قتله فكيف يجب اطعامه فالجواب
ان القتل في حال لا يمنع من الاطعام في حال لا يمنع من الاطعام في حال اخري ولا يجب اذا عوقب
بوجه ان يعاقب بوجه اخر ولذلك لا يحسن فيمن عليه قصاص ان يفعل به ما هو دون القتل
ويجب علي الامام ان يطعمه فان لم يفعل الامام وجب علي المسلمين وقال مجاهد وسعيد بن جبير
الاسير المحبوس وقال السدي الاسير المملوك وقيل الاسير الغريم قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم اسيرك غريمك وقال عطا الاسير من اهل القبلة وغيرهم قال القرطبي وهذا يعم جميع
الاقوال ويكون اطعام الاسير المشرك قربة غير انه من صدقة التطوع فاما المفروضة فلا وقيل
الاسير الزوجة قال صلي الله عليه وسلم اتقوا الله في النسا فانهن عوان عندكم قال القفال
واللفظ يحتمل كل ذلك لان اصل الاسر هو الشد بالقد وكان الاسير يفعل به ذلك حبسا له
فصل قال القرطبي قيل نسخ ابن المسكين طعام الصدقات وطعام الاسير السيف
قاله سعيد بن جبير وقال غيره بل هو ثابت الحكم واطعام اليتيم والمسكين علي التطوع واطعام
الاسير لحفظ نفسه الي ان يتخير فيه الامام قال الماوردي ويحتمل ان يريد بالاسير الناقص العقل
لانه في اسر جنونه وجنونه واسر المشرك انتقام يقف علي راي الامام وهذا بر واحسان قوله تعالي
انما نطعمكم لوجه الله علي اضمار القول اي يقولون بالسنتهم لليتيم والمسكين والاسير انما نطعمكم
لله جل ثناوه فزعا من عذابه وطمعا في ثوابه لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي ولا ان تثنوا
علينا بذلك قال ابن عباس لذلك كانت نياتهم في الدنيا حين اطعموا وعن مجاهد اما انهم ما تكلموا
به ولكن علمه الله منهم فاثني به عليهم ليرغب في ذلك راغب وقيل هذه الاية نزلت في مطعم
ابن ورقا الانصاري نذرا فوفا به وقيل نزلت فيمن يكفل باسري بدر وهم سبعة من المهاجرين
ابو بكر وعمر وعلي والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعيد وابو عبيدة رضي الله عنهم وعن بقية
الصحابة اجمعين ذكره الماوردي وقال مقاتل نزلت في رجل من الانصار اطعم في يوم واحد مسكينا
ويتيما واسيرا وقيل نزلت في علي وفاطمة لا يصح وروي جابر الجعفي في قوله تعالي يوفون بالنذر
عن قنبر مولي علي قال مرض الحسن والحسين حتي عادهما اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم
فقال ابو بكر رضي الله عنه يا ابا الحسن لو نذرت عن ولدك نذرا فقال علي رضي الله عنه ان برا
ولدي صمت لله ثلثة ايام شكرا فقالت جارية لهم ان برا سيدي صمت لله ثلثة ايام شكرا
وقالت فاطمة رضي الله عنها كذلك وقال الحسن والحسين علينا مثل ذلك وذكر الحديث قال
اهل الحديث جابر الجعفي كذاب **فصل** قال ابن الخطيب اعلم ان الاحسان الي الغير
تارة يكون لاجل الله وتارة يكون لغير الله اما طلبا للمكافاة او طلبا للحمد والثنا وتارة يكون
لهما وهذا هو الشرك والاول هو المقبول عند الله عز وجل واما القسمان الباقيان فمردودان
قال الله تعالي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذي كالذي ينفق ماله ريا الناس وقال جل
ذكره وما اتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا يربوا عند الله وما اتيتم من زكاة تريدون
وجه الله فاوليك هم المضعفون ولا شك ان التماس الشكر من جنس المن والاذي اذا عرفت
ذلك فيقول القوم لما قالوا انما نطعمكم لوجه الله نفي فيه احتمال انه اطعم لوجه الله ولساير
الاغراض علي سبيل التشريك فلا جرم نفي هذا الاحتمال انه اطعم لوجه الله ولساير الاغراض
علي سبيل التشريك فلا جرم نفي هذا الاحتمال لقوله تعالي لا نريد منكم جزاء ولا شكورا **فصل**
الشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر وهو علي وزن الدخول والخروج وهذا قول جمهور
اهل اللغة وقال الاخفش ان شئت جعلت الشكور جماعة الشكر وجعلت الكفور في قوله
تعالي فابي الظالمون الا كفورا مثل برد وبرود وان شئت جعلته مصدرا واحدا في معني
جمع مثل قعد قعودا وخرج خروجا قوله تعالي انا نخاف من ربنا يحتمل وجهين احدهما ان
احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك لا لارادة مكافاتكم والثاني لا نريد منكم المكافاة لخوف
عقاب الله علي ترك المكافاة بخوف عقاب الله علي طلب المكافاة فان قيل انه تعالي لما حكي
عنهم الايفا بالنذر وعلل ذلك بخوف القيمة فقط ولما حكي عنهم الاطعام علل ذلك بامرين
بطلب رضي الله والخوف فما الحكمة في ذلك فالجواب ان النذر هو الذي اوجبه علي نفسه لاجل الله

علما كان ذلك لا جرم علله بخوف القيمة فقط واما الاطعام فان الله تعالى هو الذي شرعه فلا جرم ضم اليه خوف القيمة قوله تعالى يوما عبوسا قمطريرا القمطرير الشديد واصله كما قال الزجاج مشتق من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها ورمت بانفها قال الزمخشري فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة قال اسد بن ناعصة

• واصطليت بالحروب في كل يوم • باسل الشر قمطرير الصباح •

قال ابو حيان واختلف النحاة في هذا الوزن والاكثر على انه لا يثبت افعلل في اوزان الافعال ويقال اقمطر يقمطر فهو مقمطر قال الشاعر بلدت العقرب قرتير مسكسوا اسيمها وتقمطر ويوم قمطرير وقماطر لمعنى شديد قال الشاعر

• ففروا اذا ما الحرب ثار غبارها • ولج بها اليوم الشديد القماطر •

وقال الزجاج القمطرير الذي يعبس حتى يجتمع ما بين عينيه انتهى فعلى هذا استعماله في اليوم مجازا وفي بعض كلام الزمخشري انه جعله من القمط فعلى هذا يكون الرا فيه مزيدتين وقال القرطبي القمطرير الطويل قال الشاعر • شديدا عبوسا قمطريرا •

تقول العرب يوم قمطرير وقماطر وعصيب بمعنى وانشد الفرا رحمه الله

• بني عمنا هل تذكرون بلانا عليكم اذا ما كان يوم قماطر •

بضم القاف واقمطر اذا اشتد وقال الاخفش القمطرير اشد ما يكون من الايام واطوله في البلاء وانشد ففروا اذا ما الحرب البيت المتقدم وقال الكسائي يقال اقمطر اليوم وازمهر قطرارا وازمهرارا وهو الزمهرير والقمطرير ويوم مقمطر اذا كان صعبا شديدا قال الهذلي

• بنو الحرب ارضعنا لهم مقمطرة • ومن يلق منا ذلك اليوم يهرب •

والعبوس ايضا صفة لليوم يوما تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته والمعنى يخاف يوما ذا عبوس وقال ابن عباس يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل عرقه كالقطران الصرد وقال مجاهد ان العبوس بالشفتين والقمطرير بالجبهة والحاجبين فجعلهما من صفات الوجه المتغير من شدايد ذلك اليوم قوله تعالى فوقاهم الله شر ذلك اليوم وشدته وعذابه وقرا ابو جعفر فوقاهم الله بتشديد القاف على المبالغة واعلم انه تعالى لما حكى عنهم انهم اتوا بالطاعة لغرضين لاجل رضى الله تعالى جل ذكره لا الا لا هو والخوف من القيمة بين ههنا انه اعطاهم هذين الغرضين وهو كما ائتمن على نفسه فوقاهم الله شر ذلك اليوم واما طلبهم رضى الله فاعطاهم بسببه نضرة في الوجه اي حسنا حين راوه وسرورا في القلب قال الضحاك رضي الله عنه النضرة البياض والنقا وقال ابن جبير الحسن والبها وقال ابن زيد اثر النعمة قوله تعالى وجزاهم بما صبروا ما مصدرية وجنة مفعول ثان اي جزاهم جنة بصبرهم وقدر مكي مضافا فقال تقديره دخول جنة ولبس حرير والمعنى وجزاهم بصبرهم على الفقر وقال القرطبي على الصوم وقال عطا على الجوع ثلثة ايام وهي ايام نذر وقيل بصبرهم على طاعة الله وصبرهم عن معصية الله ومحارمه وهذا يدل على ان الاية نزلت في جميع الابرار ومن فعل فعلا حسنا وروي ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن الصبر فقال صلى الله عليه وسلم الصبر اربعة اولها الصبر عند الصدمة الاولى والصبر على ادا الفرايض والصبر على اجتناب محارم الله تعالى والصبر على المصايب وقوله تعالى جنة وحريرا اي ادخلهم الجنة والبسهم الحرير قوله تعالى متكئين حال من مفعول جزاهم والعامل فيها جزا ولا يعمل فيها صبروا لان الصبر انما كان في الدنيا والاتكاء في الاخرة وقرا علي رضي الله عنه وجازاهم وجوز ابو البقا ان يكون صفة لجنة وهذا لا يجوز عند البصريين لانه كان يلزم بروز الضمير فيقال متكئين هم فيها لجريان الصفة على غير من هو له وقد منع مكي ان يكون متكئين صفة لجنة لما ذكرنا من عدم بروز الضمير وممن ذهب الى كون متكئين صفة لجنة الزمخشري فانه قال ويجوز ان يكون متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة وهو مردود بما تقدم ولا يجوز ان يكون متكئين حالا من فاعل صبروا لان الصبر كان في الدنيا واتكاوهم انما هو في الاخرة قال معناه مكي ولقايل ان يقول ان لم يكن المانع الا هذا فاجعلها حالا مقدرة لان مالهم بسبب صبرهم الى هذه الحال ولـه

نظاير

نظاير قاله ابن الخطيب وقال الاخفش وقد ينصب على المدح والضمير في فيها اي في الجنة وقال الفرا وان شئت جعلت متكئين تابعا كانه قال جزاهم جنة متكئين فيها والارايك السرر في الحجال وحكت عن العرب اسما تحتوي على صفات احدها الاريكة لا تكون الا في حجلة على سرير وثانيها السجل وهو الدلو مملوءا فاذا صفرت لم يسم سجلا وكذلك الذنوب لا يسمى ذنوبا حتى تملا قاله القرطبي وهذا فيه نظر لانه قد ورد في شعر العرب تصف البارئ قال

• يعنيني المهجج كالذنوب المرسل •

يعني الدلو اذا القي في البير وهو لا يلقى في البير الا اذا كان فارغا قال والكاس لا يسمى كاسا حتى يترع من الخمر قال وكذلك الطبق الذي يهدى فيه الهدية اذا كانت فيه يسمى مهدي فان كان فارغا يسمى طبق او خوان قال ابن الاعرابي يهدي بكسر الميم ولا يسمى الطبق مهدي الا وفيه ما يهدى والمهدي بالمد الذي من عادته ان يهدي وقيل الاريكة الفرش على السرر قال ذو الرمة

• خدود جفت في السير حتى كانما • يباشرن بالمعزاء مس الارايك •

اي الفرش على السرر قوله تعالى لا يرون فيها شمسا فيها اوجه احدها انها حال ثانية من مفعول جزاهم الثاني انها حال من الضمير المرفوع المستكن في متكئين فيكون حالا متداخلة الثالث ان يكون صفة لجنة كمتكئين عند من يرى ذلك كما تقدم عن الزمخشري والزمهرير اشد البرد وهذا هو المعروف وقيل هو القمر بلغة طي وانشد

• في ليلة ظلامها قد اعتكر • قطعتها والزمهرير ما ظهر •

ويروى ما زهر اي لم يطلع القمر والمعنى لا يرون فيها شمسا كشمس الدنيا ولا قمرا كقمر الدنيا اي انهم في ضياء مستديم لا ليل فيه ولا نهار لان ضوء النهار بالشمس وضوء الليل بالقمر والمعنى ان الجنة لا يحتاج فيها الى شمس والى قمر ويرون به فلا ليل وقيل المعنى لا يرون في الجنة شدة حر كحر الشمس ولا زمهريرا اي ولا بردا مفرطا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها عز وجل قالت يا رب اكل بعضي بعضا فجعل لها نفسان نفسا في الشتا ونفسا في الصيف فشدة ما يجدون من البرد من زمهريرها وشدة ما يجدون من الحر في الصيف من سمومها قال مرة الهمداني الزمهرير البرد القاطع وقال مقاتل بن حيان هو شي مثل روس الابر ينزل من السما في غاية البرد وقال ابن مسعود رضي الله عنه هو لون من العذاب وهو البرد الشديد حتى ان اهل النار اذا القوا فيه سالوا الله ان يعذبهم في النار الف سنة اهون عليهم من عذاب الزمهرير يوما واحدا قوله تعالى ودانية عليهم العامة على نصبها وفيها اوجه احدها انها عطف على محل لا يرون الثاني انها معطوفة على متكئين فيكون فيها ما فيها قال الزمخشري فان قلت ودانية عليهم ظلالها علام عطفت قلت على الجملة التي قبلها لانها في موضع الحال من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم في عليهم الا انها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية ودخلت الواو للدلالة على ان الامرين يجتمعان لهم كانه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم الثالث انها صفة لمحذوف اي وجنة دانية قاله ابو البقا رحمه الله كانه قيل وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا اخرى دانية عليهم ظلالها لانهم قد وعدوا جنتان لانهم خافوا مقام ربهم لقولهم انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا الرابع انها الجنة الملفوظ بها قاله الزجاج وقال الفرا نصب على المدح اي دنت دانية كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرا ابو حياة ودانية بالرفع وفيها وجهان اظهرهما ان يكون ظلالها مبتدا ودانية خبر مقدم والجملة في موضع الحال قال الزمخشري والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية عليهم والثاني ان ترتفع دانية بالابتداء وظلالها فاعل به وبها استدل الاخفش على جواز اعمال اسم الفاعل وان لم يعتمد نحو قايم الزيدون فان دانية لم تعتمد على شي مما ذكره النحويون ومع ذلك فقد رفعت ظلالها وهذا لا حجة له فيه لجواز ان يكون مبتدا وخبرا مقدما كما تقدم وقال ابو البقا وحكي بالجر اي في جنة دانية وهو ضعيف لانه عطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار يعني انه قرئ شاذا ودانية بالجر على انها صفة لمحذوف ويكون حينئذ نسقا على الضمير المجرور في قوله تعالى لا يرون فيها اي ولا في جنة دانية وهو راي الكوفيين حيث يجوزون العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار ولذلك ضعفه وتقدم الكلام على ذلك في البقرة واما رفع ظلالها فيجوز ان يكون مبتدا وعليهم خبر مقدم ولا يرتفع بدانية لان دانيا يتعدى بالى لا بعلى ويجوز ان يرفع بدانية على ان تضمن معنى مشرفة لان دنا واشرف متقاربان قال معناه

ابو البقا وهذان الوجهان جاريان في قراة من نصب دانية وقرا الاعمش ودانيا بالتذكير للفصل بين الوصف وبين مرفوعه بعليهم او لان الجمع مذكر وقرا ابي ودان عليهم بالتذكير مرفوعا وهي شاهدة لمذهب الاخفش حيث يرفع باسم الفاعل وان لم يعتمد ولا جايزان يعربا مبتدا او خبرا مقدما لعدم المطابقة وقال مكي وقري يصرح بانهما قربا وقد تقدم انهما مقرو عيما فكانه لم يطلع علي ذلك **فصل** قال المفسرون معناه ان ظل الاشجار في الجنة قريبة من الابرار فهي مظلة عليهم زيادة في نعيمهم قال ابن الخطيب فان قيل الظل انما يوجد حيث توجد الشمس ولا هناك شمس في الجنة فكيف يحصل الظل فالجواب ان اشجار الجنة تكون بحيث لو كان هناك شمس لكانت تلك الاشجار مظلة منها وان كان لا شمس ولا قمر كما ان امشاطهم الذهب والفضة وان كان لا وسخ ولا شعث ثم قوله تعالى وذللت يجوز ان يكون في موضع نصب على الحال عطفا على دانية فيمن نصبها اي ومذللة ويجوز ان يكون حالا من الضمير في عليهم سوا نصبت دانية او رفعتها ام جرت بعضا ويجوز ان تكون مستانفة واما على قراة رفع ودانية فتكون جملة فعلية عطفت على اسمية ويجوز ان يكون حالا كما تقدم **فصل** المعنى وسخرت لهم قطوفها اي ثمارها تذليلا اي تسخيرا فينتاولها القايم والقاعد والمضطجع لا ترد ايديهم عنها قال ابن قتيبة ذللت ادنيت منهم من قولهم حايط ذليل اذا كان قصير السمك وقيل ذللت اي جعلت منقادة لا يمتنع على قطافها كيف شاوا قال البرا بن عازب رحمه الله ذللت لهم فهم يتناولون منها كيف شاوا فمن اكل قايما لم يوذه ومن اكل جالسا لم يوذه ومن اكل مضطجعا لم يوذه وقال ابن عباس اذا هم ان يتناول من ثمارها تدلت اليه حتى يتناول منها ما يريد وتذليل القطوف تسهيل التناول والقطوف الثمار الواحد قطف بكسر القاف سمي به لانه يقطف كما سمي الجني لانه يجني قوله تعالى تذليلا تاكيد لما وصف به من الذل كقوله تعالى ونزلناه تنزيلا وكلم الله موسى تكليما قال الماوردي ويحتمل ان يكون تذليل قطوفها ان يبرز لهم من اكمامها ويخلص لهم من نواها وقال النحاس ويقال المذلل الذي قد ذلله الما اي ارواه ويقال المذلل الذي تفتيه ادنى ريح لنعمته ويقال المذلل المستوي لان اهل الحجاز يقولون ذلل نخلك اي سوه قوله تعالى ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب لما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف شرابهم سبحانه جل ذكره الا الاهو وقدم وصف الاواني التي يشرب بها ومعنى يطاف اي يدور على هولاء الابرار الخدم اذا اراد الشراب بانية من فضة قال ابن عباس ليس في الدنيا شي مما في الجنة الا الاسما اي الذي في الجنة اشرف واعلا ثم سمى الاكواب الذهبية بل المعنى يسقون في الاواني الفضة وقد يسقون في اواني الذهب كما قال تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد فنبه بذكر احدهما على الاخر قوله تعالى بانية هذا هو القايم مقام الفاعل لانه هو المفعول به في المعنى ويجوز ان يكون عليهم وانية جمع انا والاصل اانية بهمزتين الاولى مزيدة للجمع والثانية فا الكلمة فقلبت الثانية الفا وجوبا وهذا نظير كسا واكسية وغطا واغطية ونظيره في الصحيح اللام حمار واحمرة وقوله تعالى من فضة نعت لانية قوله تعالى واكواب الاكواب هي الكيزان العظام التي لا اذان لها ولا عرى واحدها كوب قال عدي

متكي تقرع ابوابه • تسعى عليه العبد بالكوب •

وقد مضى في الزخرف قوله كانت قواريرا اختلف القرا في هذين الحرفين بالنسبة الى التنوين وعدمه وفي الوقوف بالالف وعدمها كما تقدم خلافهم في سلاسلا واعلم ان القرا فيها على خمس مراتب احدها تنوينهما معا والوقف عليهما بالالف لنافع والكسائي وابو بكر الثانية مقابلة هذه وهي عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالالف لحمزة وحده الثالثة عدم تنوينهما والوقف عليهما بالالف لهشام وحده الرابعة تنوين الاول دون الثاني والوقوف على الاول بالالف وعلى الثاني بدونها لابن كثير وحده الخامسة عدم تنوينهما معا والوقف على الاول بالالف وعلى الثاني بدونها لابي عمرو وابن ذكوان وحفص فاما من نونهما فلانهما حرف في تنوين سلاسلا لانهما صيغة منتهى الجمع ذاك على مفاعل وذا على مفاعيل والوقف بالالف التي هي بدل من التنوين وفيه

موافقة

موافقة المصاحف المذكورة فانهما مرسومان فيها بالالف على ما نقل ابو عبيد واما عدم تنوينهما وعدم الوقف بالالف فظاهر جدا واما من نون الاول دون الثاني فانه مناسب من الاول وبين روس الاي ولم يناسب بين الثاني وبين الاول والوجه في وقفه على الاول بالالف وعلى الثاني بعض الفقه ظاهر وقد روى ابو عبيد انه كذلك في مصاحف اهل البصرة واما من لم ينونهما ووقف على الاول بالف وعلى الثاني بدونها فلان الاول راس اية فناسب بينه وبين روس الاي في الوقف بالالف وفرق بينه وبين الثاني لانه ليس براس اية واما من لم ينونهما ووقف عليهما بالالف فلانه ناسب بين الاول وبين روس الاي وناسب بين الثاني وبين الاول وحصل بما تقدم في سلاسل وفي هذين الحرفين ان القرا منهم من وافق مصحفه ومنهم من خالفه لاتباع الاثر وتقدم الكلام على قوارير في سورة النمل ولله الحمد وقال الزمخشري رحمه الله وهذا التنوين بدل من حرف الاطلاق لانه فاصلة وفي الثاني لاتباعه الاول يعني انهم يانون بالتنوين بدلا من حرف الاطلاق الذي للترنم كقوله • ياصاح ماهاج الدموع الذرفن •

وفي انتصاب قوارير وجهان اظهرهما انه خبر كان والثاني انها حال وكان تامة اي كونت فكانت قال ابو البقا وحسن التكرير لما اتصل به من بيان اصلها ولولا التكرير لم يحسن ان يكون الاول راس اية لشدة اتصال الصفة بالموصوف وقرا الاعمش قوارير بالرفع على اضمار مبتدا اي هي قوارير ومن فضة صفة لقوارير والمعنى في صفا القوارير وبياض الفضة ونحوه فصفاوها صفا الزجاج وهي من فضة **فصل** روي ان ارض الجنة من فضة والاواني تتخذ من تربة الارض التي منها ذكره ابن عباس رضي الله عنه وقال ليس في الجنة شي الا قد اعطيتم في الدنيا شبهه الا قوارير من فضة قال ابن الخطيب ومعنى كانت هو من يكون في قوله فيكون اي فتكونت قوارير بتكوين الله عز وجل تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشان الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين ثم قال فان قيل كيف يكون هذه الاكواب من فضة ومن قوارير فالجواب من وجوه احدها ان اصل القوارير في الدنيا الرمل واصل القوارير الجنة هو فضة الجنة فكما ان الله تعالى قادر على ان يقلب فضة الجنة قارورة لطيفة فالغرض من ذكر هذه الاية التنبيه على ان نسبة قارورة الجنة الى قارورة الدنيا كنسبة الفضة الى الرمل فكما انه لا نسبة بين هذين الاصلين فكذا بين القارورتين وثانيها ما تقدم من قول ابن عباس انه ليس في الدنيا شي مما في الجنة الا الاسما اي انها جامعة بين صفا الزجاج وشفافه وبين نقا الفضة وبقايها وشرفها وثالثها انه ليس المراد بالقوارير الزجاج بل العرب تسمي ما استدار من الاواني التي تجعل فيها الاشربة فارق وصفا قارورة فالمعنى واكواب من فضة مستديرة صافية قوله تعالى تقديرا صفة لقوارير والواو في قدروها فيه وجهان احدهما للطايفين عليهم ومعنى تقديرهم اياها انهم قدروها في انفسهم ان يكون على مقادير واشكال على حسب شهواتهم فجات كما قدروا والثاني ان الواو للطايفين للدلالة عليهم من قوله تعالى ويطاف والمعنى انهم قدروا شرابها على قدر الشارب وهو الذ الشراب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز قاله الزمخشري وجوز ابو البقا ان تكون الجملة مستانفة قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما اتوا بها على قدر ريهم بغير زيادة ولا نقصان قال الكلبي وذلك الذ واشهى والمعنى قدرتها الملايكة التي تطوف عليهم وعن ابن عباس ايضا قدروها على ملء الكف لا تزيد ولا تنقص حتى لا توذيهم بثقل او بافراط صغر وقرا علي وابن عباس والسلمي والشعبي وزيد بن علي وعبيد بن عمير وابو عمرو في رواية الاصمعي قدروها بضم القاف وكسر الدال مبنيا للمفعول اي جعلت لهم على قدر ارادتهم وجعله الفارسي من باب المقلوب قال كان اللفظ قدروا عليها وفي المعنى قلب لان حقيقة المعنى ان يقال قدرت عليهم فهي مثل قوله تعالى لتنوء بالعصبة اولي القوة ومثل قول العرب اذا طلعت الجوزا القي العود على الحربا وقال الزمخشري رحمه الله ووجهه ان يكون من قدر منقولا تقول قدرت وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاوا واطلق لهم ان يقدروا على حسب ما اشتهوا وقال ابو حاتم رحمه الله قدرت الاواني على قدر ريهم ثم ما لم يسم فاعله فحذف الذي فصارت الواو مكان الهاء والميم لما حذف المضاف فما قبلها وصارت الواو مفعول ما لم يسم فاعله واتصل ضمير المفعول الثاني في تقدير النصب بالفعل بعد

الاصنام قابل الكلام بما في قوله ما اعبد وان كان المراد الله تعالى لان المقابلة سوغ فيها ما لا
يسوغ في الانفراد وهذا على مذهب من يقول ان ما لا يقع على احاد اولي العلم اما من يجوز ذلك
وهو مذهب سيبويه فلا يحتاج الى الاستعذار بالتقابل قال القرطبي كانوا يعبدون الاوثان
فاذا ملوا وثنا وساموا العبادة له رفضوه ثم اخذوا وثنا غيره بشهوة نفوسهم فاذا امروا
بحجارة تعجبهم القواهد ورفعوا تلك فعظموها ونصبوها الهة يعبدونها فامران يقول لا اعبد
ما تعبدون اليوم من هذه الالهة التي بين ايديكم ثم قال صلى الله عليه وسلم ولا انتم عابدون
ما اعبد انما تعبدون الوثن الذي اتخذتموه وهو عندكم الان ولا انا عابد ما عبدتم بالامس
من الالهة التي رفضتموها واقبلتم على هذه ولا انتم عابدون ما اعبد فاني اعبد الهي قوله
تعالى لكم دينكم ولي دين اي بها تبين الجملتين الاثنا بيين بعد جملة منفية لانه لما كان الاهم
انتفاؤه صلى الله عليه وسلم الى خطابهم بقوله لكم دينكم ولي دين مهادنة لهم ثم نسخ ذلك الامر
بالقتال وفتح اليا من لي نافع وهشام وحفص والبزي بخلاف عنه واسكنها الباقون وحذف
ياء الاضافة من ديني وقفا ووصلا السبعة وجمهور القراء واثبتها في الحالين سلام ويعقوب قالوا
لانها اسم مثل الكاف في دينك والتاء في وقمت وتقدم ايضاحه في الكلام **فصل** في
الكلام معنى التهديد كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي ان رضيتم بدينكم فقد رضينا بديننا
ونسخ هذا الامر بالقتال وقيل السورة منسوخة وقيل ما نسخ منها شيء لانها خبر ومعنى لكم دينكم
اي جزاؤ دينكم ولي دين جزاء ديني وسمي دينهم لانهم اعتقدوه وقيل المعنى لكم جزاؤكم ولي جزائي
لان الدين الجزاء وقيل الدين العقوبة من اصنامكم فانا لا اخشى عقوبة الاصنام لانها جمادات
واما انتم فيحق عليكم حيث ان تخافوا عقوبة جبار السموات والارض وقيل الدين الدعاء لقوله
تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين اي لكم دعاؤكم وما دعاء الكافرين الا في ضلال واما ربي
فيقول سبحانه وتعالى ادعوني استجب لكم اجيب دعوة الداعي اذا دعان وقيل الدين العادة
قال الشاعر • يقول لها ادرت رضي • اهذا دينه ابدا ودينى •
والمعنى لكم عادتكم المأخوذة من اسلافكم ومن الشيطان ولي عادتي من ربي قال
ابن الخطيب جرت العادة بان يتمثلوا بهذه الاية عند المتاركة وذلك غير جائز لان القرآن انزل
ليتدبر فيه ويعمل بموجبه لا ليتمثل به والله اعلم

سورة النصر مدنية بالاجماع

وتسمى سورة التوديع وهي ثلاث ايات وست عشرة كلمة وسبعة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح عليك وعلى امتك والمقصود اذا جاء هذان الفعلان من
غير نظر الى متعلقيهما كقوله تعالى امات واحيى وال في الفتح عوض من الاضافة اي وفتحه عند
الكوفيين والعائد محذوف عند البصريين اي والفتح منه للدلالة على ذلك والعامل في اذا
جاء وهو قول مكي واليه ذهب ابو حيان ونصره في موضع وقد تقدم ذلك واما فتح واليه
نحا الزمخشري والحوفي والتقدير فسبح بحمد ربك اذا جاء ورده ابو حيان بان ما بعد فاء الجواب
لا يعمل فيما قبلها وفيه بحث تقدم بعضه في سورة والضحى **فصل** النصر العون مأخوذ
من قولهم قد نصر الغيث الارض اذا اغاث جدبها قال الشاعر •
• اذا انسلخ الشهر الحرام فودعي • بلاد تميم وانصري ارض عامر •
ويروي • اذا دخل الشهر الحرام فودعي • بلاد تميم وانصري ارض عامر •
يقال نصره على عدوه ينصره نصرا اي اعانه والاسم النصرة واستنصره على عدوه اي سأله ان ينصره عليه
وتناصروا نصر بعضهم بعضا ثم قيل المراد بهذا النصر نصر الرسول صلى الله عليه وسلم على قريش قاله
الطبري وقيل نصره على من قاتله من الكفار وان عاقبة النصر كانت له واما الفتح فهو فتح مكة قاله
الحسن ومجاهد وغيرهما وقال ابن عباس وسعيد بن جبير هو فتح المداين والقصور وقيل فتح
سائر البلاد وقيل ما فتحه عليه من العلوم واذا بمعنى قد جاء نصر الله لان نزولها بعد الفتح ويجوز
ان يكون معناه اذا يجيئك **فصل** قال ابن الخطيب الفرق بين النصر والفتح ان الفتح

هو

هو تحصيل المطلوب الذي كان متعلقا والنصر كالسبب للفتح فلهذا بدأ بذكر النصر وعطف الفتح عليه
او يقال النصر كمال الدين والفتح اقبال الدنيا الذي هو تمام النعمة كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي والنصر الظفر في الدنيا والفتح في الجنة **فصل** قال ابن الخطيب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان ابدا منصورا بالدلايل والمعجزات فما المعنى بتخصيص لفظ النصر بفتح مكة
والجواب ان المراد من هذا النصر الموافق للطبع فان قيل النصر لا يكون الا من الله تعالى قال جل ذكره
وما النصر الا من عند الله فما فايدة التقييد بقوله تعالى نصر الله فالجواب معناه لا يليق الا بالله كما
يقال هذه صنعة زيد اذا كان مشهورا فالمراد هذا هو الذي سألتموه فان قيل لم وصف النصر بالمجيء
وحقيقته اذا وقع نصر الله فما الفايدة في ترك الحقيقة وذكر المجاز فالجواب ان الامور مرتبطة
باوقاتها والله سبحانه قدر لحدوث كل محدث اسبابا معينة واوقاتا مقدرة يستحيل فيها التقدم
والتأخر والتبديل والتغيير فاذا حضر ذلك الوقت وجاء ذلك الزمان حضر معه ذلك الاثر واليه
الاشارة بقوله تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم فان قيل الذين اعانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على فتح مكة هم الصحابة رضي الله عنهم ثم انه تعالى سمى نصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم نصر الله
فما السبب في اضافة النصر اليه فالجواب ان النصر وان كان على يد الصحابة لكن لا بد لهم من داع وباعث
وهو من الله تعالى فان قيل فعلى هذا التقدير الذي ذكرتم يكون فعل العبد متفرعا على فعل الله وهو
خلاف قوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم فجعل نصر العبد مقدما على نصره لنا فالجواب انه لا امتناع في
ان يكون فعل العبد سببا لفعل اخر يصدر عن الله تعالى فان اسباب الحوادث ومسبباتها على ترتيب
عجيب يعجز عن ادراكها العقول البشرية قوله تعالى ورايت الناس يدخلون رايت يحتمل ان يكون
معناه ابصرت وان يكون معناه علمت فان كان معناه ابصرت كان يدخلون في محل النصب على الحال
والتقدير ورايت الناس يدخلون حال دخولهم في دين الله افواجا وان كان معناه وعلمت كان يدخلون
مفعولا ثانيا لعلمت والتقدير علمت الناس داخلين في دين الله وفي عبارة الزمخشري ان كان
بمعنى ابصرت وعرفت وناقشه ابو حيان بان رايت لا يعرف كونها بمعنى عرفت قال فيحتاج في ذلك
الى استثبات وقرا العامة يدخلون مبنيا للفاعل وابن كثير في رواية مبنيا للمفعول وفي دين الله ظرف
مجازي وهو مجاز فصيح بليغ هنا قوله افواجا حال من فاعل يدخلون قال مكي وقياسه افوج الا
ان الضمة تستثقل في الواو فشبهوا فعلا يعني بالسكون بفعل يعني بالفتح فجمعوه جمعا انتهى اي ان فعلا
بالسكون قياسه افعل كفلس وافلس الا انه استثقلت الضمة على الواو فجمعوه جمع فعل بالتحريك نحو
جمل واجمال لان فعلا بالسكون على افعال ليس بقياس اذا كان فعل صحيحا نحو فرخ وافراخ وزند
وازناد وورود هذه الفاظ كثيرة ومع ذلك فلم يقيسوه وقد قال الحوفي يشابه هذا **فصل**
ظاهر لفظ الناس للعموم فيدخل كل الناس افواجا اي جماعات فوجا بعد فوج وذلك لما فتحت قالت
العرب اما اذا ظفر محمد صلى الله عليه وسلم باهل الحرم وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل فليس
لكم به يدان فكانوا يسلمون افواجا افواجا امة بعد امة قال الضحاك والامة اربعون رجلا وقال
عكرمة ومقاتل اراد بالناس اهل اليمن وذلك انه ورد من اليمن سبع مائة انسان مومنين طايعين
بعضهم يؤذنون وبعضهم يقرؤون القران وبعضهم يهللون فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وبكى عمر
وابن عباس رضي الله عنهما وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرا اذا جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن رقيقة افيدتهم لينة طباعهم سخية قلوبهم عظيمة
خشيتهم فدخلوا في دين الله افواجا وروى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افئدة الفقه يمان والحكمة يمانية وقال صلى
الله عليه وسلم اني لاجد نفس ربكم من قبل اليمن وفيه تاويلان احدهما انه الفرج لتتابع اسلامهم افواجا
الثاني ان الله تعالى نفس الكرب عن نبيه صلى الله عليه وسلم باهل اليمن وهم الانصار واهل
الاخبار وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الناس دخلوا في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا ذكره الماوردي قال ابن الخطيب
كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعدما كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين ودين الله
هو الاسلام لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
واضافة الدين الى الاسم الدال على الالهية اشارة الى انه يجب ان يعبد لكونه الها وللدين اسماء اخر قال

وداخلها وباطنها وظاهرها يقول خلعت خارج الدار ولذلك البواقي فكذلك هذا الثاني
انه حال من الضمير في عليهم الثالث انه حال من مفعول حسبتهم الرابع انه حال من مضاف
مقدر اي رايت اهل نعيم وملكا كبيرا عاليهم فعاليهم حال من اهل المقدر وذكر هذه الاوجه
الثلاثة الزمخشري فانه قال وعاليهم بالنصب على انه حال من الضمير في يطوف عليهم ولدان
عاليا المطوف عليهم ثياب او حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز ان يراد اهل نعيم قال
ابو حيان اما ان يكون حالا من الضمير في حسبتهم فانه لا يعني الا ضمير المفعول وهو لا يعود
الا على ولدان وهذا لا يصلح لان الضماير الاتية بعد ذلك تدل على انها للمطوف عليهم من
قوله تعالى وحلوا وسقاهم وان هذا كان لكم جزاء وفك الضماير وجعل هذا لذا وهذا لذا
مع عدم الاحتياج الى ذلك لا يجوز واما جعله حالا من محذوف وتقديره اهل نعيم فلا حاجة
الى ادعا الحذف مع صحة الكلام وبراعته دون تقدير ذلك المحذوف قال شهاب الدين
رحمه الله جعل احد الضماير لشي والاخر لشي اخر لا يمنع صحة ذلك مع ما يميز عود كل واحد الى
ما يليق به وكذلك تقدير المحذوف غير ممنوع ايضا وان كان الاحسن ان يتفق الضماير
وان لا يقدر محذوف والزمخشري انما ذكر ذلك على سبيل التجويز لا على انه اولى اوسا ويرد
عليه ما ذكر الخامس انه حال من مفعول لقاهم السادس انه حال من مفعول جزاهم ذكرهما
مكي وعلى هذه الاوجه التي انتصب فيها على الحال يرتفع به ثياب على الفاعلية ولا يضر
اضافته الى معرفة في وقوعه حالا لان الاضافة لفظية كقوله تعالى عارض ممطرنا يا رب
غابطنا ولم يونث عاليا لان مرفوعه غير حقيقي التانيث السابع ان ينتصب عاليهم على
الظرف ويرتفع ثياب به على جهة الفاعلية وهذا ماش على قول الاخفش والكوفيين
حيث يعملون الظرف وعديله وان لم يعتمد كما تقدم ذلك في الوصف واذا رفع عاليهم بالابتدا
وثياب على انه فاعل به كان مفردا على بابه لوقوعه موقع الفعل واذا جعل خبرا مقدما
كان مفردا مرادا به الجمع فيكون كقوله تعالى فقطع دابر القوم اي ادبار قاله مكي وقرا
ابن مسعود وزيد بن علي رضي الله عنهم عاليتهم مونثا بالتا مرفوعا والاعمش وابان عن
عاصم كذلك الا انه منصوب وقد عرف الرفع والنصب مما تقدم وقرات عايشة رضي الله عنها
علتهم فعلا ماضيا متصلا بتاء التانيث الساكنة وثياب فاعل به وهو مقوية للاوجه
المذكورة في رفع ثياب بالصفة في قراءة الباقين كما تقدم تفصيله وقرا ابن سيرين ومجاهد
وابو حيوة وابن ابي عبلة وحكاها بن جار او مجرورا واعرابه كاعراب عاليهم ظرفا في جواز
كونه خبرا مقدما او حالا مما تقدم وارتفاع به على التفصيل المذكور **فصل** قال
ابن الخطيب رحمه الله والضمير في عاليهم اما للولدان او للابرار فكانهم يلبسون عدة من
الثياب فيكون الذي يعلوها افضلها ولهذا قال تعالى عاليهم اي فوق حجالهم المضروبة
عليهم ثياب سندس والمعنى ان حجالهم من الحرير والديباج قوله تعالى ثياب سندس
قرا العامة باضافة الثياب لما بعدها وابو حيوة وابن ابي عبلة رحمهما الله ثياب منونة
سندس خضر واستبرق برفع الجميع فسندس نعت للثياب لان الثياب السندس نوع وخضر
نعت لسندس يكون اخضر وغير اخضر كما ان الثياب تكون سندسا وغيره واستبرق نسق
على ما قبله اي وثياب استبرق واعلم ان القرا السبعة في خضر واستبرق على اربع مراتب
الاولى رفعهما لنافع وحفص فقط الثانية خفضهما للاخوين فقط الثالثة رفع الاول
وخفض الثاني لابي عمرو وابن عامر فقط الرابعة عكس كثير وابي بكر فقط. فاما القراءة
الاولى فان رفع خضر على النعت لثياب ورفع استبرق ومثله على زيد ثوب خز وكتان
اي وثوب كتان واما القراءة الثانية فيكون جر خضر على النعت لسندس ثم استشكل على
هذا وصف المفرد بالجمع فقال مكي هو اسم للجمع وقيل هو جمع سندسة كتمر وتمرة ووصف
اسم الجنس بالجمع يصح قال تعالى وينشئ السحاب الثقال واعجاز نخل منقعر ومن
الشجر الاخضر واذا كانوا قد وصفوا المحلى لكونه مرادا به الجنس بالجمع في قولهم اهلك الناس
الدينار الحمر والدرهم البيض وفي التنزيل او الطفل الذين فلان يوجد ذلك في اسما
الجموع او اسما الاجناس الفارق بينها وبين واحدها تا التانيث بطريق الاولى وجر

استبرق

استبرق نسقا على سندس لان المعنى ثياب من سندس وثياب من استبرق واما القراءة الثالثة
فرفع خضر نعتا لثياب وجر استبرق نسقا على سندس اي ثياب خضر من سندس ومن استبرق
فعلى هذا يكون الاستبرق ايضا اخضر واما القراءة الرابعة فجر خضر على انه نعت لسندس ورفع
استبرق على النسق على ثياب بحذف مضاف اي وثياب استبرق وتقدم الكلام على مادة السندس
والاستبرق في سورة الكهف وقرا ابن محيصن واستبرق بفتح القاف ثم اضطرب النقل عنه في الهمزة
فبعضهم ينقل عنه انه قطعها وبعضهم ينقل انه وصلها فقال الزمخشري وقري واستبرق نصبا
في موضع الفاعل منع الصرف لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق
الا ان يزعم ابن محيصن انه يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقري واستبرق بوصل الهمزة
والفتح على انه مسمى استفعل من البريق وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله
استبره وقال ابو حيان ودل قوله الا ان يزعم ابن محيصن وقوله بعد وقري واستبرق بوصل
الالف والفتح ان قراءة ابن محيصن هي بقطع الهمزة مع فتح القاف والمنقول عنه في كتب القراء
انه قرا بوصل الالف وفتح القاف قال شهاب الدين قد سبق الزمخشري الى هذا مكي فانه قال
وقد قرا ابن محيصن بغير صرف وهو وهم ان جعله اسما لانه نكرة منصرفة وقيل بل جعله
فعلا ماضيا من برق فهو جائز في اللفظ بعيد في المعنى وقيل انه في الاصل فعل ماض
على استفعل من برق فهو عربي من البريق فلما سمي به قطعت الف لانه ليس من اصل الاسما
ان يدخلها الف الوصل وانما دخلت في اسما معتلة مغيرة عن اصلها معدودة لا يقاس عليها
انتهى فدل قوله قطعت الفه الى اخره انه قرا بقطع الهمزة وفتح القاف ودل قوله اولا وقيل
بل جعله فعلا ماضيا من برق انه قرا بوصل الالف لانه لا يتصور ان يحكم عليه بالفعلية غير
منقول الى الاسما ويترك الفه الف قطع البتة هذا احمل باللغة فيكون قد روي عنه
قراءتا قطع الالف ووصلها فظهر ان الزمخشري لم ينفرد بالنقل عن ابن محيصن بقطع الهمزة
وقال ابو حاتم في قراءة ابن محيصن لا يجوز والصواب انه اسم جنس لا ينبغي ان يحمل ضميرا
ويويد ذلك دخول المعرفة عليه والصواب قطع الالف واجراوه على قراءة الجماعة قال ابو
حيان ونقول ان ابن محيصن قاري جليل مشهور بمعرفة العربية وقد اخذ عن اكابر العلما
نتطلب لقراءته وجه ذلك انه يجعل استفعل من البريق تقول برق واستبرق كعجب واستعجب
ولما كان قوله خضر يدل على الخضرة وهي لون ذلك السندس وكانت الخضرة مما يكون فيها لشدتها
دهمة وغبش اخبر ان في ذلك بريقا وحسنا يزيل غبشه فاستبرق فعل ماض والضمير فيه عايد
على السندس او على الاخضر الدال عليه خضر وهذا التخريج اولى من تلحين من يعرف العربية
وتوهيم ضابط ثقة وهذا هو الذي ذكره مكي وهذه القراءة قد تقدمت في سورة الكهف
قوله تعالى وحلوا اساور من فضة عطف على ويطوف عطف ماضيا لفظا مستقبلا معنى
وابرزه بلفظ الماضي لتحققه وقال الزمخشري بعد سوال وجواب من حيث المعنى وما
احسن بالمعصم ان يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة فناقشه ابو حيان في
قوله بالمعصم فقال قوله بالمعصم اما ان يكون مفعول احسن وان يكون بدلا منه واما ان يكون
مفعول احسن وقد فصل بينهما بالجار والمجرور فان كان الاول فلا يجوز لانه لم يعهد زيادة الباء
في مفعول افعل للتعجب لا تقول ما احسن بزيد تريد ما احسن زيدا وان كان الثاني ففي هذا
الفصل خلاف والمنقول عن بعضهم لا يجوز والمولد منا ينبغي له ان يتحرز في كلامه مما فيه
خلاف قال شهاب الدين رحمه الله واي غرض له في تتبع كلام هذا الرجل حتى في الشي اليسير
على ان الصحيح جوازه وهو المسموع من العرب نثرا قال عمرو بن معدي كرب لله در بني
فلان ما اشد في الهيجا لقاها واثبت في المكرمات عطاها والشاغل بغير هذا اولى قال
هنا اساور من فضة وفي سورة فاطر يحلون فيها من اساور من ذهب وفي سورة الحج يحلون
فيها من اساور من ذهب ولولوا فقيل حلي الرجال الفضة وحلي النسا الذهب وقيل تارة
يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضة وقيل يجمع في يدي احدهم سواران من ذهب وسواران
من فضة وسواران من لولو فيجمع لهما محاسن الجنة قاله سعيد بن المسيب رضي الله عنه
وقيل يعطى كل احد ما يرغب فيه ويميل نفسه اليه وقيل اسورة الفضة انما تكون للولدان

واسورة الذهب للناس وقيل هذا للنسا والصبيان وقيل هذا بحسب الاوقات قوله
تعالي وسقاهم ربهم شرابا طهورا قال علي رضي الله عنه في قوله تعالي وسقاهم ربهم
شرابا طهورا قال اذا توجه أهل الجنة الي الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان
فيشربون من احداهما فيجري عليهم بنضرة النعيم فلا يتغير ابشارهم ولا تشعث شعورهم ابدا
ثم يشربون من الاخري فيخرج ما في بطونهم من الاذي ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون
لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقال النخعي وابو قلابة هو اذا شربوه بعد
الكلهم طهرهم وصار ما اكلوه وشربوه رشح مسك وضمرت بطونهم وقال مقاتل هو من عين
ما على باب الجنة تنبع من ساق شجرة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غش
وغل وحسد وما كان في جوفه من اذي وعلي هذا فيكون فعولا للمبالغة ولا يكون فيه حجة
للجنة انه بمعني الطاهر قال القرطبي قال ابن الخطيب قوله تعالي طهورا فيه قولان الاول
المبالغة في كونه طاهرا ثم علي هذا التفسير احتمالات احدها ان لا يكون نجسا كخمر الدنيا
وثانيها المبالغة في البعد عن الامور المستقذرة يعني ما مسته الايدي الوضرة والارجل
الدنسة وثالثها انه لا يؤول الي النجاسة لانها ترشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك
وعلي هذين الوجهين يكون الطهور مطهرا لانه يطهر باطنهم عن الاخلاق الذميمة والاشيا
المؤذية فان قيل قوله تبارك وتعالي وسقاهم ربهم هو نوع مما ذكره قبل ذلك من انهم
يشربون من عين الكافور والزنجبيل والسلسبيل او هذا نوع اخر قلنا بل هذا نوع اخر
لوجوه احدها دفع التكرار والثاني انه تعالي أضاف هذا الشراب الي نفسه عز وجل بقوله
وسقاهم ربهم وذلك يدل علي فضل هذا علي الغير والثالث ما روي من انه يقدم اليهم الاطعمة
والاشربة فاذا فرغوا منها اتوا بالشراب الطهور فيشربون فيطهر ذلك بطونهم ويفيض
عرقا من جلودهم مثل ريح المسك وهذا يدل علي ان الشراب مغاير لتلك الاشربة ولان
هذا الشراب يهضم ساير الاشربة ثم له مع هذا الهضم تاثير عجيب وهو انه يجعل ساير
الاطعمة والاشربة عرقا يفوح منه ريح كريح المسك وكل ذلك يدل علي المغايرة قوله
تعالي ان هذا كان لكم جزاء اي يقال لهم ان هذا جزاء وكم اي ثواب اعمالكم فيزداد بذلك
القبول فرحهم وسرورهم كما ان المعاقبين اذا دخلوا اذا قيل له هذا جزاء عملك الردي وكان
سعيكم اي عملكم مشكورا اي من قبل الله وشكره للعبد قبول طاعته وثناؤه عليه واثابته
وقال قتادة غفر لهم الذنب وشكر لهم الحسن وقيل هذا اخبار من الله تعالي لعباده
في الدنيا كانه تعالي شرح لهم ثواب اهل الجنة اي ان هذا كان في علمي وحكمي جزاكم يا معاشر
عبيدي لكم خلقتها ولاجلكم اعددتها **فصل** قال ابن الخطيب وفي الاية سؤالان
الاول اذا كان فعل العبد خلقا لله فكيف يعقل ان يكون فعل الله جزاء علي فعل الله
والجواب ان الجواهر وذلك لا ينافي كونه فعلا لله تعالي شاكرا للعبد محال الا علي وجه
المجاز وهو من ثلاثة اوجه الاول قال القاضي رحمه الله ان الثواب مقابل لعملهم
كما ان الشكر مقابل للنعم الثاني قال القفال انه مشهور في كلام الناس ان يقول
للراضي بالقليل والمثني به انه شكور فيحتمل ان يكون شكر الله لعباده هو رضاه عنهم
بالقليل من الطاعات واعطاؤه اياهم عليه ثوابا كثيرا الثالث ان منتهي درجة العبد
ان يكون راضيا من ربه مرضيا لربه كما قال تعالي يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الي ربك
راضية مرضية وكونها راضية من ربه فقوله تعالي ان هذا كان لكم جزاء اشارة الي الامر
يصير به النفس راضية من ربه وقوله تعالي وكان سعيكم مشكورا اشارة الي كونها مرضية
لربه ولما كانت هذه الحالة اعلا المقامات واخر الدرجات لا جرم وقع الختم عليها في ذكر
مراتب احوال الابرار والصد بقين قوله تعالي انا نحن نزلنا يجوز ان يكون نحن
توكيدا لاسم ان وان يكون فصلا ونزلنا علي هذين الوجهين هو خبر ان ويجوز ان يكون
نحن مبتدا ونزلنا خبره والجملة خبر ان وقال مكي نحن في موضع نصب علي الصفة لاسم
ان لان المضمر يوصف بالمضمر اذ هو لمعني التاكيد لا بمعني التحلية ولا يوصف بالمظهر
لانه بمعني التحلية والمضمر مستغن عن التحلية لانه لم يضمر الا بعد ان عرف تحليته وعينه

وهو

وهو يحتاج الي التاكيد لتاكد الخبر عنه قال شهاب الدين رحمه الله وهذه عبارة غريبة
جدا كيف يجعل المضمر موصوفا بمثله ولا يعلم خلافا في عدم جواز وصف المضمر الا ما نقل عن
الكسائي انه جوز وصف ضمير الغايب بضمير اخر فلا خلاف في عدم جوازه ثم كلامه يؤول الي
التاكيد فلا حاجة الي العدول عنه **فصل** وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه سبحانه
جل ذكره لا اله الا هو لما ذكر اصناف الوعد والوعيد بين ان هذا الكتاب يتضمن ما بالناس
حاجة اليه فليس بسحر ولا كهانة ولا بشعر وانه حق قال ابن عباس رضي الله عنه انزل
القران سبحانه متفرقا اية بعد اية ولم ينزل جملة واحدة فلذلك قال نزلنا قال ابن
الخطيب المقصود من هذه الاية تثبيت الرسول وشرح صدره فيما نسبوه اليه صلي الله عليه
وسلم من كهانة وسحر فذكر تعالي ان ذلك وحي من الله تعالي ولا جرم بالغ في تكرار الضمير
بعد ايقاعه اسما لان تاكيدا علي ذلك فكانه تعالي يقول ان كان هؤلاء الكفار يقولون ان
ذلك كهانة فانا الله الملك الحق اقول علي سبيل التاكيد ان ذلك وحي حق وتنزيل صدق
من عندي وفي ذلك فايدتان احدهما ازالة الوحشة الحاصلة بسبب طعن الكفار لان الله
تعالي عظمه وصدقه والثانية تقويته علي تحمل مشاق التكاليف فكانه تعالي يقول لم اني
ما نزلت عليك القران متفرقا الا لحكمة بالغة تقتضي تخصيص كل شي بوقت معين وقد
اقتضت تلك الحكمة تاخير الاذن في القتال فاصبر لحكم ربك اي لقضا ربك قال ابن عباس
اصبر علي اذي المشركين ثم نسخ باية القتال وقيل اصبر لما حكم به بما يليك من الطاعات او
انتظر حكم الله اذ وعدك بالنصر عليهم ولا تستعجل فانه كاين لا محالة ولا تطع منهم اثما اي ذا
اثم او كفورا اي لا تطع الكفار وروي معمر عن قتادة قال صلي الله عليه وسلم تسليما كثيرا قال
ابو جهل ان رايت محمدا يصلي لاطان علي عنقه فانزل الله تبارك وتعالي ولا تطع منهم
اثما او كفورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة وكانا اتيا رسول الله صلي
الله عليه وسلم يعرضان عليه الاموال والتزويج علي ان يترك ذكر النبوة ففيهما نزلت عرض
عليه عتبة ابنته وكانت من اجمل النسا وعرض عليه الوليد ان يعطيه من الاموال حتي يرضا ويترك
ما هو عليه فقرا عليهم رسول الله صلي الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم عشر ايات
من اول حم السجدة الي قوله تعالي فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود
فانصرفا عنه وقال احدهما ظننت ان الكعبة ستقع علي قوله تعالي او كفورا في او هذه اوجه
احدها انها علي بابها وهو قول سيبويه قال ابو البقا وتفيد في النهي عن الجميع لانك اذا قلت
في الاباحة جالس الحسن او ابن سيرين كان التقدير جالس احدهما فاذا نهي فقال لا تكلم زيدا
او عمرا فالتقدير لا تكلم احدهما فايهما كلمه كان احدهما فيكون ممنوعا منه فكذلك في الاية ويؤول
المعني الي تقدير ولا تطع منهما اثما او كفورا وقال الزمخشري رحمه الله فان قلت معني او ولا تطع
احدهما فهلا جي بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا قلت لو قيل لا تطعهما لجاز ان يطيع احدهما
واذا قيل لا تطع احدهما اعلم ان الناهي عن طاعة احدهما هو عن طاعتهما جميعا انهي كما اذا نهي
ان يقول لابويه اف علم انه منهي عن ضربهما علي طريق الاولي الثاني انها بمعني لا اي لا تطع من
اثم ولا من كفر قاله مكي وهو قول الفرا وهو بمعني الاباحة التي ذكرنا الثالث انها بمعني الواو
وقد تقدم ان ذلك قول الكوفيين والكفور وان كان يستلزم الاثم الا انه عطف لاحد امرين
اما ان يكونا شخصين بعينهما كما تقدم فالاثم عتبة والكفور الوليد واما لما قال الزمخشري قال
فان قلت كانوا كلهم كفرة فما معني القسمة في قوله تعالي اثما او كفورا قلت معناه لا تطع منهم
راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا لما هو كفر داعيا لك لانهم اما يدعوه الي مساعدتهم علي فعل
هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهي ان يساعدهم علي الاثنين دون الثالث **فصل** قال
ابن الخطيب قوله فاصبر لحكم ربك يدخل فيه ان لا تطع فيه اثما وكفورا فكان ذكره بعده تكرار
والجواب ان الاول امر بالمامورات والثاني نهي عن المنهيات ودلالة احدهما علي الاخر بالالتزام
لا بالتصريح فيكون التصريح به مفيدا فان قيل انه صلي الله عليه وسلم ما كان يطيع احدا منهم
فما فايدة هذا النهي فالجواب ان المقصود بيان ان الناس محتاجون الي مواصلة التنبيه
والارشاد لاجل ما تركب فيهم من الشهوة الداعية الي الفساد وان احدا لو استغني عن توفيق

الله تبارك وتعالى وارشاده لكان احق الناس به هو الرسول المعصوم صلوات الله البر
الرحيم وسلامه عليه دايما ابدا ومتى ظهر ذلك عرف كل مسلم انه لا بد من الرغبة الى الله تعالى
والتضرع اليه ان يصونه عن الشهوات فان قيل اما الفرق بين الاثم والكفور فالجواب
ان الاثم هو الاتي بالمعاصي اي معصية كانت والكفور هو الجاحد للنعمة فكل كفور اثم وليس
كل اثم كفورا لان الاثم عام في المعاصي كلها قال الله تعالى ومن يشرك بالله فقد افترى
اثما عظيما فسمى الشرك اثما وقال تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقال
جل ذكره وذروا ظاهر الاثم وباطنه وقال تعالى يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم
كبير قد دلت هذه الايات على ان الاثم يشمل جميع المعاصي قوله تعالى واذكر اسم
ربك بكرة واصيلا اي صل لربك اول النهار واخره يعني اوله صلاة الصبح وصلاة الظهر
وصلاة العصر وهو الاصيل ومن الليل فاسجد له يعني صلاة المغرب والعشاء الاخرة
وسبحه ليلا طويلا يعني التطوع في الليل قاله ابن حبيب وقال ابن عباس وسفين
كل تسبيح في القران فهو صلاة وقيل هو الذكر المطلق سوا كان في الصلاة او في غيرها
وقال ابن زيد وغيره ان قوله تعالى وسبحه ليلا طويلا منسوخ بالصلوات الخمس وقيل
هو ندب وقيل هو مخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم وجمع الاصيل الاصايل والاصل
كقولك سفاين وسفن والاصايل جمع الجمع ودخلت من على الظرف للتبعيض كما دخلت
على المفعول في قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم وقوله تعالى وسبحه فيه دليل على
عدم قول بعض اهل المعاني والبيان ان الجمع بين الحا والها مثلا يخرج الكلمة عن
فصاحتها وجعلوا من ذلك قوله كريم متى امدحه امدحه والورى معي واذا ما لمته لمته
وحدي البيت لابي تمام ويمكن ان يفرق بين ما انشدوه وبين الاية الكريمة بان التكرار
في البيت هو المخرج له عن الفصاحة بخلاف الاية فانه لا تكرر فيها قوله تعالى ان هولا
يحبون العاجلة توبيخ وتقريع والمراد اهل مكة والعاجلة الدنيا واعلم انه تعالى لما
خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم بالتعظيم والامر والنهي عدل سبحانه الى شرح احوال
الكفار والمتمردين فقال تعالى ان هولاء يحبون العاجلة ومعناه ان الذي حمل هولاء
الكفار على الكفر والاعراض عما ينفعهم في الاخرة هو محبتهم اللذات العاجلة والراحات
الدنيوية البدنية قوله سبحانه وتعالى جل ذكره لا اله الا هو ويذرون وراءهم اي
بين ايديهم وقال وراءهم ولم يقل قدامهم لوجوه احدها انهم لما اعرضوا عنه ولم يلتفتوا
اليه فكانهم جعلوه وراء ظهورهم وثانيها المراد ويذرون وراءهم مصالح يوم ثقيل اي عسير
فاسقط المضاف وثالثها ان وراء يستعمل بمعنى قدام كقوله تعالى من ورائهم جهنم
وكان وراءهم ملك وقال مكي سمي وراء التورية عنك فظاهر هذا انه حقيقة والصحيح
انه استعير لقدام قوله تعالى يوما مفعول بيذرون لا ظرف ووصفه بالثقل على
المجاز لانه من صفات الاعيان لا المعاني وقيل معناه يتركون الايمان بيوم القيمة وقيل
نزلت في اليهود فيما كتموه من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته وحبهم
العاجلة اخذهم الرشا على ما كتموه وقيل اراد المنافقين لاستبطانهم الكفر وطلب الدنيا
والاية تعم وسمي ثقيلا لشدايده واحواله وقيل للقضا فيه بين العباد قوله تعالى
نحن خلقناهم اي من طين وشددنا اسرهم اي خلقهم قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة
ومقاتل وغيرهم والخلق قال ابو عبيدة يقال فرس شديد الاسر اي الخلق ويقال
اسره الله جل ثناوه اذا شده وخلقه قال لبيد

ساهم الوجه شديد اسره • مشرق الحارك محبوك الكتد •

وقال الاخطل

من كل محتبك شديد اسره • سلس القياد تخاله مختالا •

وقال ابو هريرة والحسن والربيع رضي الله عنهم شددنا مفاصلهم قال اهل اللغة
الاسر الربط ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقد وفرس ماسور الخلق وترس ماسور بالعقب
والاسار هو القد الذي يشد به الاقتاب تقول اسرت القتب اسرا اي شددته وربطته

فصل قال ابن زيد الاسر القوة والكلام خرج مخرج الامتنان عليهم بالنعم

حين

حين قابلوها بالمعصية اي سويت خلقك واحكمته بالقوى ثم انت تكفرني قال ابن الخطيب
وهذا الكلام يوجب عليهم طاعة الله عز وجل من حيث الترغيب والترهيب اما الترغيب فلانه
هو الذي خلقهم واعطاهم الاعضا السليمة التي بها يمكن الانتفاع باللذات العاجلة وخلق لهم
جميع ما يمكن الانتفاع به فاذا احبوا اللذات العاجلة وتلك اللذات لا تحصل الا بالمنتفع والمنتفع
به وهما لا يحصلان الا بتكوين الله وايجاده وهذا مما يوجب عليهم الانقياد لله تعالى وترك التمرد
واما الترهيب فانه قادر على ان يميتهم وان يسلب النعم عنهم وان يلقيهم في كل محنة وبلية فلاجل
الخوف من فوت هذه اللذات العاجلة يجب عليهم الانقياد لله تعالى وترك التمرد فكانه قيل
هب ان حبكم لهذه اللذات العاجلة طريقة حسنة الا ان ذلك يجب عليكم الايمان بالله تعالى
والانقياد له فلم توسلتم به الى الكفر بالله تعالى والاعراض عن حكمه قوله تعالى واذا شينا
بدلنا امثالهم تبديلا قال ابن عباس رضي الله عنه لو شينا لاهلكناهم وجينا باطوع لله منهم
وقال ابن الخطيب معناه اذا شينا اهلكناهم واتينا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم كقوله تعالى
على ان نبدل امثالكم والغرض منه بيان الاستغنا التام عنهم كانه قيل لا حاجة بنا الى احد من
المخلوقين البتة وبتقدير ان تثبت الحاجة فلا حاجة بنا الى هولاء الاقوام فانا قادرون على
ابدالهم وايجاد امثالهم ونظيره قوله تعالى ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد ان يشا يذهبكم
ايها الناس ويات باخرين وروى الضحاك عن ابن عباس معناه لغيرنا محاسنهم الى اسمج الصور
واقبحها وقيل امثالهم في الكفر قال الزمخشري في قوله تعالى واذا شينا وحقه ان يجي بان لا باذا
كقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشا يذهبكم يعني ان اذا للمحقق وان للمحتمل وهو
تعالى لم يشا ذلك وجوابه ان اذا قد يقع ذلك موقع ان كالعكس قال ابن الخطيب فكانه طعن
في لفظ القران وهو ضعيف لان كل واحد من ان واذا حرف شرط الا ان حرف ان لا يستعمل فيما هو
معلوم الوقوع فلا يقال ان طلعت الشمس اكرمتك اما حرف اذا فانه يستعمل فيما يكون معلوم الوقوع
يقول ابدا اذا طلعت الشمس اكرمتك اما حرف اذا فانه يستعمل فيما يكون معلوما فهنا لما كان الله
تعالى عالما انه سيجي وقت يبدل الله تعالى فيه اوليك الكفرة بامثالهم من الخلقة واضدادهم
في الطاعة لا جرم حسن استعمال حرف اذا قوله تعالى ان هذه تذكرة اي هذه السورة موعظة فمن
شا اتخذ الى ربه سبيلا اي طريقا موصلا الى طاعته وقيل سبيلا اي وسيلة وقيل وجهة وطريقة
الى الخير والمعنى ان هذه السورة لما فيها من الترتيب العجيب والوعد والوعيد والترغيب تذكرة للتاملين
وتبصرة للمستبصرين **فصل** قال ابن الخطيب متى ضمت هذه الاية الى الاية التي بعدها
خرج منهم صريح مذهب الجبر لان قوله تعالى فمن شا اتخذ الى ربه سبيلا يقتضي ان يكون مشية
العبد متى كانت خالصة فانها تكون مستلزمة للفعل وقوله جل ذكره بعد ذلك وما تشاون الا ان
يشا الله يقتضي كون مشية الله تعالى مستلزمة لمشية العبد وذلك هو الجبر وكذا الاستدلال على
الجبر فقوله تعالى فمن شا فليومن ومن شا فليكفر لان هذه الاية ايضا تقتضي كون المشية مستلزمة
للفعل ثم التقرير ما تقدم قال القاضي رحمه الله المذكور هنا اتخاذ السبيل الى الله تعالى وهو امر
قد شاه لانه امر به فلا بد وان يكون قد شاه وهذا لا يقتضي ان يقال العبد لا يشا الا ما قد شا الله
على الاطلاق اذ المراد بذلك الامر المخصوص الذي قد ثبت ان الله تعالى اراده وشاه وهذا الكلام
لا تعلق له بالاستدلال الذي ذكرناه فحاصل ما ذكره القاضي تخصيص العام بالصور المتقدمة وذلك
ضعيف لان خصوص ما قبل الاية لا يقتضي تخصيص هذا العام لاحتمال ان يكون الحكم في هذه الاية
واردا بحيث يعم تلك الصورة وغيرها قوله تعالى الا ان يشا الله فيه وجهان احدهما انه حال اي الا في
حال مشية الله عز وجل قال ابو البقا وفيه نظر لان هذا مقدر بالمصدر الا ان يريد تفسير المعنى والثاني
انه ظرف قال الزمخشري فان قلت ما محل ان يشا الله قلت النصب على الظرف واصله الا وقت مشية
الله تعالى وكذلك قرا ابن مسعود الا ما يشا الله لان ما مع الفعل كان ورده ابو حيان بانه لا يقوم مقام
الظرف الا المصدر الصريح لو قلت اجيك ان يصيح او ما يصيح لم يجز قاله شهاب الدين وقد تقدم الكلام
معه في ذلك مرارا وقرا نافع والكوفيون تشاون خطابا لسائر الخلق او على الالتفات من الغيبة
في قوله تعالى نحن خلقناهم والباقون بالغيبة جريا على قوله خلقناهم وما بعده قال تعالى وما
تشاون اي الطاعة والاستقامة واتخاذ السبيل الى الله الا ان يشا الله فاخبر ان الامر اليه سبحانه

ليس اليهم وانه لا ينفذ مشية احد ولا يتقدم الا ان يتقدم مشية الله تعالى قيل ان الاية الاولى
منسوخة بالثانية قال القرطبي والاشبه انه ليس بنسخ بل هو تبيين ان ذلك لا يكون الا بمشية
قال الفرا وما تشاوون الا ان يشا الله جواب لقوله تعالى فمن شا اتخذ الى ربه سبيلا ثم اخبرهم
ان الامر ليس اليهم فقال وما تشاوون الا ذلك السبيل الا ان يشا الله لكم ان الله كان عليما باعمالكم
حكيما في امره ونهيه لكم قوله تعالى يدخل من يشا في رحمته اي يدخله الجنة واحاله قال ابن
الخطيب رحمه الله ان فسرنا الرحمة بالايمان فالاية صريحة في ان الايمان من الله تعالى وان
فسرناها بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشية الله تعالى وفضله واحسانه لا بسبب الاستحقاق
لانه لو ثبت الاستحقاق لكان تركه يفضي الى الجهل والحاجة وهما محالان على الله تعالى والمفضي
الى المحال محال فتركه محال فوجوده واجب عقلا وعدمه ممتنع عقلا وما كان كذلك لا يكون
معلقا على المشية البته قوله تعالى والظالمين اي ويعذب الظالمين فهو منصوب على
الاشتغال بفعل يفسره واعد لهم من حيث المعنى لا من حيث اللفظ تقديره وعذب الظالمين ونحوه
زيدا مررت به اي جاوزت ولابست وكان النصب هنا مختارا للعطف جملة الاشتغال على جملة فعلية
قبلها وهي قوله يدخل قال الزجاج نصب الظالمين لان قبله منصوب ان يدخل من يشا في رحمته
ويعذب الظالمين اي المشركين ويكون اعد لهم تفسيرا لهذا المضمر كقوله

اصبحت لا املك السلاح ولا • املك راس البعير ان نفرا •

والذيب اخشاه ان مررت به • وحدي واخشى الرياح والمطرا •

اي اخشى الذيب اخشاه قال الزجاج والاختيار النصب وان جاز الرفع وقوله تعالى في حم عسق
يدخل من يشا في رحمته والظالمون ارتفع لانه لم يذكر بعده فعل يقع عليه فنصب في المعنى فلم يجز
العطف على المنصوب قبله فارتفع بالابتدا وههنا قوله اعد لهم عذابا يدل على ويعذب فجاز
النصب وقرا الزبير وابان بن عثمان وابن ابي عبلة والظالمون رفعا على الابتدا وما بعده
الخبر وهو مرجوح لعدم المناسبة وقرا ابن مسعود وللظالمين بلام الجر وفيه وجهان اشهرهما
ان يكون للظالمين متعلقا باعد بعده ويكون لهم تاكيدا والثاني وهو ضعيف ان يكون من
باب الاشتغال على ان يقدر فعل مثل الظاهر ويجر الاسم بحرف جر فيقول بزيد مررت به اي مررت
بزيد مررت به والمعروف في لغة العرب مذهب الجمهور وهو اضمار فعل ناصب موافق للفعل الظاهر
في الفعل فان ورد نحو بزيد مررت به عد من التوكيد لا من الاشتغال والله اعلم روى الثعلبي عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هل اتى كان جزاوه على
الله جنة وحريرا صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم صلى الله عليه وعلى اله واصحابه اجمعين

سورة والمرسلات مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة رضي الله عنهم الا اية منها
وهي قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون مدنية وقال ابن مسعود رضي الله عنه
نزلت والمرسلات عرفا على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ونحن معه نسير حتى اوينا الى غار
بمنى فنزلت فبينما نحن نتلقاها منه وان فاه رطب بها اذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها
فذهبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها كما وقيت شركم وعن كريب مولى ابن عباس
قال قرات سورة المرسلات عرفا فسمعتني ام الفضل امراة العباس فبكت وقالت والله يا بني
لقد اذكرتني بقراءتك هذه السورة انها لاخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها في
صلاة المغرب وهي خمسون اية وماية واحدى وثمانون كلمة وثمان ماية وستة عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تبارك وتعالى جل ذكره لا اله الا هو والمرسلات عرفا في عرفا ثلاثة اوجه احدها انه مفعول
من اجله اي لاجل العرف وهو ضد النكر فان الملايكة ان كانوا بعثوا للرحمة فالمعنى فيهم ظاهر
وان كانوا بعثوا للعذاب فذلك العذاب وان لم يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبيا صلوات الله
عليهم والمومنين والمراد بالمرسلات اما الملايكة واما الانبيا واما الرياح اي والملايكة المرسلات او والانبيا
المرسلات او الرياح المرسلات والعرف المعروف والاحسان قال •

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه • لا يذهب العرف بين الله والناس •

وقد يقال كيف جمع صفة المذكر العاقل بالالف والتاء وحقه ان يجمع بالواو والنون يقول
الانبيا المرسلون ولا يقول المرسلات والجواب ان المرسلات جمع مرسلة ومرسلة صفة لجماعة من
الانبيا فالمرسلات جمع مرسلة الواقعة صفة لجماعة لا جمع مرسل المفرد والثاني ان ينتصب على
الحال بمعنى متتابعة من قولهم جاوا كعرف الفرس وهم على فلان كعرف الضبع اذا تالبوا عليه وقال
ابن الخطيب يكون مصدرا كانه قيل والمرسلات ارسالا اي متتابعة الثالث ان ينتصب على اسقاط
الخافض اي المرسلات بالعرف وفيه ضعف وقد تقدم الكلام على العرف في الاعراف والعامة على
تسكين رايه وعيسى بضمها وهو على تثقيل المخفف نحو بكر في بكر ويحتمل ان يكون هو الاصل والمشهور
مخفف منه ويحتمل ان يكون اوزنين مستقلين **فصل** جمهور المفسرين على ان المرسلات
هي الرياح وروى مسروق عن عبد الله قال هي الملايكة ارسلت بالعرف من امر الله تعالى ونهيه
والخبر والوحي وهو قول ابي هريرة ومقاتل وابي صالح والكلبي وقال ابن عباس رضي الله عنه
هم الانبيا صلوات الله عليهم بلا اله الا الله وقال ابو صالح هم الرسل ترسل بما يعرفون به من المعجزات
وعن ابن عباس وابن مسعود انها الرياح كما قال تعالى وارسلنا الرياح وقال عز وجل ويرسل
الرياح ومعنى عرفا اي يتبع بعضها بعضا كعرف الفرس وقيل يحتمل ان يكون المراد بالمرسلات
السحاب لما فيها من نعمة ونقمة عارفة بما ارسلت اليه ومن ارسلت اليه وقيل انها الزواجر والمواعظ
وعرفا على هذا التاويل متتابعات كعرف الفرس قاله ابن مسعود وقيل جاريات قاله الحسن يعني
في القلوب وقيل معروفات في العقول قوله تعالى فالعاصفات عصفا هذا المصدر موكد لاسم
الفاعل والمراد بالعاصفات الرياح قاله المهدوي وعن ابن مسعود هي الرياح العواصف تاتي
بالعصف وهو ورق الزرع وحطامه وقيل العاصفات الملايكة شبهت بسرعة جريها في امر الله
بالرياح ولذلك نشرا وفرقا انتصابهما على المصدر وقيل الملايكة تعصف بروح الكافر يقال عصف بالشي
اذا اباده واهلكه وناقة عصوف اي تعصف براكبها فتمضي كانها ريح في السرعة وعصفت الحرب
بالقوم اي ذهبت بهم وقيل يحتمل انها الايات المهلكة كالزلازل والخسوف قوله تعالى والناشرات
نشرا هي الملايكة الموكلون بالسحاب ينشرونها وقال ابن مسعود ومجاهد هي الرياح يرسلها الله نشرا
بين يدي رحمته اي ينشر السحاب للغيث وهو مروي عن ابي صالح وعنه ايضا هي الامطار لانها تنشر
اذا شا انشره نشركم من بعد موتكم وروي عن السدي انها الملايكة تنشر كتب الله تعالى وروى
الضحاك عن ابن عباس قال يريد تنشر من الكتب واعمال بني ادم صلوات الله عليه وروي الضحاك
انها الصحف تنشرها على الله تعالى باعمال العباد وقال الربيع انه البعث للقيامة ينشر فيه الارواح
وقال والناشرات بالواو لانه استيناف قسم اخر قوله تعالى فالفارقات فرقا هي الملايكة تنزل
بالفرق بين الحق والباطل قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وابو صالح وروى الضحاك عن ابن
عباس قال ما تفرق الملايكة من الاقوات والارزاق والاجال وروى ابن نجيح عن مجاهد قال
الفارقات الرياح تفرق بين السحاب وتبدده وروى سعيد عن قتادة قال الفارقات فرقا
الفرقان فرق الله فيه بين الحق والباطل والحرام والحلال وهو قول الحسن وابن كيسان وقيل هم
الرسل فرقوا بين ما امر الله به ونهى عنه اي بينوا ذلك وقيل السحاب الماطر تشبيها بالناقة الفارقة
وهي الحامل التي تخرج وتند في الارض حين تضع ونوق فوارق وفرق قوله تعالى فالملقيات
ذكرا هي الملايكة تلقي كتب الله عز وجل الى الانبيا صلوات الله عليهم قاله المهدوي وقيل هو
جبريل وسمي باسم الجمع لتعظيمه لانه كان ينزل بها وقيل المراد الرسل يلقون الى امهم ما انزل عليهم
قاله قطرب رحمه الله وقوله تعالى ذكرا مفعول به ناصبه الملقيات وقرا العامة فالملقيات بسكون
اللام وتخفيف القاف اسم فاعل وقرا ابن عباس بفتح اللام وتشديد القاف من التلقية وهي
ايصال الكلام الى المخاطب وروي عنه المهدوي ايضا فتح القاف اسم مفعول اي تلقته من قبل الله
تعالى كقوله عز وجل وانك لتلقى القران قوله تعالى عذرا او نذرا فيهما اوجه احدها انهما
بدلا من ذكرا الا ان كلا منهما يصلح ان تكون مفعولا لا باحدهما وحينئذ يجوز في عذرا او نذرا وجهان احدهما
الثاني انهما منصوبان به على المفعولية واعمال المصدرية المنون جائز ومنه او اطعام في يوم ذي

مستفيد بينهما الثالث انهما مفعولان من اجلهما والعامل فيهما الاما الملقيات واما ذكرا لان كلاهما
يصلح ان يكون معلولا باحدهما وحينئذ يجوز في عذرا او نذرا وجهان احدهما ان يكونا مصدرين
بسكون العين كالشكر والكفر والثاني ان يكونا جمع عذير ونذير المراد بهما المصدر بمعنى الاعذار
والانذار كالنكير بمعنى الانكار الرابع انهما منصوبان على الحال من الملقيات او من الضمير فيها
وحينئذ يجوز ان يكونا مصدرين واقعين موقع الحال بالتاويل المعروف في امثاله وان يكونا
جمع عذير مرادا بهما المصدر اومرادا بهما اسم الفاعل بمعنى المعذر والمنذر اي حذرين او منذرين
وقرا العامة الذال من عذرا او نذرا وقرا زيد بن ثابت وابنه خارجة وطلحة بضمها والحرميان
وابن عامر وابو بكر بسكونها في عذرا وضمها في نذرا والسكون والضم كما تقدم في انه يجوز ان
يكون كل منهما اصلا للاخر وان يكونا اصلين ويجوز في كل من المثقل والمخفف ان يكون مصدرا
وان يكون جمعا سكنت عينه تخفيفا وقرا ابراهيم التيمي عذرا ونذرا بواو العطف موضع او وهي
يدل على ان او بمعنى الواو **فصل** والمعنى يلقي الوحي اعذارا من الله تعالى او انذارا
الى خلقه من عذابه قال الفرا وروي عن ابي صالح قال يعني الرسل يعذرون وينذرون
روي سعيد عن قتادة عذرا قال عذرا لله جل ثناوه الى خلقه ونذرا للمومنين ينتفعون
به وياخذون به وروي الضحاك عن ابن عباس عذرا اي ما يعتذر الله جل ثناوه من معاذير
اوليايه وهي التوبة ونذرا ينذر اعداءه **فصل** قال ابن الخطيب اعلم ان هذه الكلمات
الخمس اما ان يكون المراد منها جنسا واحدا او اجناسا مختلفة فالاول فيه وجوه احدها ان المراد
بها الملايكة فالمرسلات هي الملايكة الذين ارسلهم الله تعالى اما لايصال النعمة الى قوم او لايصال
النقمة الى اخرين وقوله تعالى عرفا اما ان يكون العرف الذي هو ضد النكر فان كانوا الملايكة
المبعوثين للرحمة فالمعنى فيهم ظاهر وان بعثوا للعذاب فذلك العذاب وان لم يكن
معروفا للكفار فانه معروف للانبيا صلوات الله عليهم والمومنين او يكون العرف التتابع
وقوله جل ذكره فالعاصفات عصفا معناه ان الملايكة عصفوا في طيرانهم كعصف الرياح
او يعصفون بروح الكافر يقال عصف بالشي اذا اباده وقوله عز وجل والناشرات نشرا
اي انهم نشروا اجنحتهم عند انحطاطهم الى الارض او نشروا الشرايع في الارض او نشروا الرحمة
والعذاب او المراد الملايكة الذين ينشرون الكتب التي فيها اعمال بني ادم يوم القيمة قال
تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وقوله تعالى فالفارقات فرقا اي انهم
يفرقون بين الحق والباطل وقوله فالملقيات ذكرا اي انهم يلقون الذكر الى الانبيا صلوات
الله عليهم والمراد بالذكر اما العلم والحكمة او القران لتزل الحق عليه الذكر من بيننا وهذا
الملقي وان كان جبريل صلوات الله عليه وحده الا انه سمي باسم الجمع تعظيما له واعلم ان
الملايكة اقسام قسم يرسل لانزال الوحي على الانبيا صلوات الله عليهم وقسم يرسل لكتابة
اعمال بني ادم صلوات الله عليه وقسم يرسل لقبض الارواح وقسم يرسل بالوحي من سما الى
سما الوجه الثاني ان المراد بهذه الكلمات الخمس الرياح اقسم الله تعالى بالرياح عند ارسالها
عرفا اي متتابعة كشعر العرف ثم انها تشتد حتى تصير عواصف ورياح رحمة ينشر السحاب
في الجو قال تعالى يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وهو المراد بقوله فالناشرات
نشرا اي انها تنشر السحاب او انها تلقح الاشجار والنبات فتكون ناشرة وقوله تعالى
فالفارقات فرقا اي انها تفرق بين اجزا السحاب او انها تخرب بعض القرى وذلك يصير
سببا لظهور الفرق بين اوليا الله واعدايه وانها عند هبوبها تفترق الخلق فمن مقر
خاضع ومن منكر جاحد وقوله تعالى فالملقيات ذكرا اي العاقل اذا شاهد هبوب
تلك الرياح التي تقلع القلاع وتهدم الصخور والجبال وترفع امواج البحار تمسك بذكر
الله والتجا الى اغاثة الله عز وجل فصارت تلك الرياح كانها القت الذكر والايمان
والعبودية في القلب الوجه الثالث قال ابن الخطيب من الناس من حمل بعض هذه الكلمات
الخمس على القران وعندي انه يمكن حمل جميعها على القران فقوله تعالى والمرسلات عرفا المراد
منه الايات المتتابعة المرسلة على لسان جبريل على محمد صلوات الله وسلامه عليهما وقوله
تعالى عرفا اي هذه الايات نزلت بكل عرف وخير وكيف لا وهي الهادية الى سبيل النجاة والموصلة

الى

الى مجامع الخيرات والمراد بالعاصفات عصفا ان دولة الاسلام والقران كانت ضعيفة في
اولها ثم عظمت وقهرت ساير الملل والاديان فكان دولة القران عصفت ساير الدول والملل
والاديان ومهرتها وجعلتها باطلة دايرة والمراد بالناشرات نشرا ان ايات القران نشرت
الحكم والهداية في قلوب العالمين شرقا وغربا والمراد بالفارقات فرقا ان ايات القران فرقت
بين الحق والباطل ولذلك سمي القران فرقانا والمراد بالملقيات ذكرا ان القران ذكر قال
تعالى ص والقران ذي الذكر وانه لذكر لك ولقومك وهذا ذكر مبارك انزلناه وانه لتذكرة
للمتقين الوجه الرابع قال ابن الخطيب ويمكن حملها ايضا على بعثة الرسل صلوات الله عليهم
على بعثة الرسل فالمراد بالمرسلات عرفا هم المرسلون بالوحي المشتمل على كل خير ومعروف فالعاصفات
عصفا ان امر كل رسول يكون في اول امره حقيرا ضعيفا ثم يشتد ويعظم ويصير في القوة كعصف
الرياح والناشرات نشرا انتشار دينهم فالفارقات فرقا انهم يفرقون بين الحق والباطل فالملقيات
ذكرا انهم يامرونهم بالذكر ويحثونهم عليه الاحتمال الثاني وهو ان لا يكون المراد من هذه
الكلمات الخمس شيا واحدا وفيه وجوه احدها قال الزجاج واختاره القاضي ان الثلاثة
الاول هي الرياح فقوله تعالى والمرسلات عرفا هي الرياح التي تتصل على العرف المعتاد
والعاصفات ما يشتد منها والناشرات ما ينشر السحاب وقوله تعالى فالفارقات فرقا
هم الملايكة الذين يفرقون بين الحق والباطل والحلال والحرام بما يتحملونه من القران
والوحي وكذا قوله تعالى فالملقيات ذكرا انها الملايكة المتحملون للذكر الذي يلقونه للرسل
فان قيل ما المجانسة بين الرياح وبين الملايكة حتى جمع بينهما في القسم قلنا الملايكة
روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم كالرياح وثانيها ان الاثنين الاولتين هما الرياح
والثلاثة الباقية هم الملايكة لانها تنشر الوحي والذي ثم كذلك الوحي امران الاول حصول
الفرق بين الحق والباطل والثاني ظهور ذكر الله في القلوب والالسنة ويوكد هذا انه قال
والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا ثم عطف الثاني على الاول بحرف الواو فقال والناشرات
وعطف الاثنين الباقيين عليه بحرف الفا وهذا يقتضي ان يكون الاولان ممتازان عن الثلاثة
الاخيرة قال ابن الخطيب ويمكن ان يكون المراد بالاولين الملايكة فقوله تعالى والمرسلات
عرفا ملايكة الرحمة وقوله تعالى فالعاصفات عصفا ملايكة العذاب والثلاثة الباقية
ايات القران لانها تنشر الحق في القلوب والالسنة **فصل** قال القفال الوجه
في دخول الفا في بعض ما وقع به القسم والواو في بعض مبني على اصل وهو ان عند اهل
اللغة الفا تقتضي الوصل والتعلق فاذا قيل قام زيد فذهب فالمعنى انه قام ليذهب
فكان قيامه سببا لذهابه ومتصلا به فاذا قيل قام وذهب فهما خبران وكل واحد منهما
قايم بنفسه لا يتعلق بالاخر ثم ان القفال رحمه الله لما مهد هذا الاصل فرع عليه الكلام في هذه
الاية بوجوه قال ابن الخطيب وتلك الوجوه لا يميل قلبي اليها وانا افرع على هذا الاصل
فاقول اما من جعل الاولين صفة لشي والثلاثة الاخيرة صفات لشي واحد فنقول ان
حملناها على الملايكة فالملايكة اذا ارسلت طارت سريعا وذلك الطيران هو العصف فالعصف
مرتب على الارسال فان الملايكة اول ما يلقون الوحي الى الرسل لا يصير في الحال ذلك الدين
مشهورا منتشرا بل الخلق يردون الانبيا في اول الامر ويكذبونهم وينسبونهم الى السحر والجنون
فلا جرم لم يذكر الفا الذي يفيد التعقيب بل ذكر الواو واذا حصل النشر ترتب عليه حصول
الفرق بين الحق والباطل وظهور ذكر الحق على الالسنة فلا جرم ذكر هذين الامرين بحرف
الفا فكانه والله اعلم قال يا محمد فارسلت الملك اليك بالوحي الذي عنوان كل سعادة وخير
ولكن لا تطمع في ان ينتشر ذلك الامر في الحال ولكن لا بد من الصبر وتحمل المشقة ثم اذا اوقت
النصرة اجعل دينك ظاهرا منتشرا في شرق العالم وغربه وعند ذلك الانتشار يظهر الفرق
فيصير الاديان باطلة بنفيه ساقطة ودينك الحق ظاهرا عاليا وهنالك يظهر ذكر الله على
الالسنة وفي المحاريب وعلى المنابر ومن عرف هذا الوجه امكنه ذكر مناسبة ساير الوجوه
قوله انما توعدون هذا جواب القسم في قوله والمرسلات وما بعده معطوف عليه وليس
فيها مستقلا لما تقدم في اول الكتاب ولوقوع الفا هنا عاصفة لانها لا تكون للقسم وما

موصولة بمعنى الذي هي اسم ان وتوعدون صلتها والعائد محذوف اي لان الذي توعدونه لواقع
خبرها وكان من حق ان ان منفصلة من ما الموصولة ولكنهم كتبوها متصلة بها **فصل** المعنى
انما توعدون من امر القيامة لواقع بكم ونازل عليكم ثم ذكر علامات القيامة بعده وقال
الكلبي المراد ان كل ما توعدون به من الخير والشر لواقع ثم بين وقت وقوعه فقال تعالى
فاذا النجوم طمست اي ذهب ضوؤها ومحي نورها كطمس الكتاب يقال طمس الشي اذا درس
وطمس فهو مطموس والريح تطمس الاثار فتكون الريح طامسة والاثر طامسا بمعنى مطموس قال
ابن الخطيب ويحتمل ان يكون محقت ذواتها وهو موافق لقوله تعالى انتثرت وانكدرت والنجوم
مرتفعة بفعل مضمر يفسره ما بعده عند البصريين غير الاخفش وبالابتدا عند الكوفيين والاخفش
وفي جواب اذا قولان احدهما محذوف تقديره فاذا طمست النجوم وقع ما توعدون لدلالة قوله
انما توعدون لواقع وبان الامر والثاني انه لاي يوم اجلت على اضمار القول اي يقال لاي يوم
اجلت فالفعل في الحقيقة هو الجواب وقيل يوميذ نقله مكي وهو غلط لانه لو كان جوابا للزمته
الفا لكونه جملة اسمية **قوله** تعالى واذا السما فرجت اي فتحت وشقت ومنه قوله تعالى
وفتحت السما فكانت ابوابا والفرج الفتق ونظيره اذا السما انشقت ويوم تشقق السما بالغمام
وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال فرجت للطي **قوله** تعالى واذا الجبال
نسفت اي ذهب بها كلها بسرعة من انسفت الشي اذا اختطفته وقيل تنسف كما ينسف الحب
اذا نسف بالمنسف ومنه قوله تعالى لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا ونظيره وبست الجبال
بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا فقيل ينسفها ربي نسفا وقرى طمست وفرجت ونسفت
مشددة وكان ابن عباس والكلبي يقول سويت بالارض والعرب تقول فرس نسوف
اذا كان يوخر الحزام بمرفقيه قال بشر نسوف للحزام بمرفقيها ونسفت الناقة الكلا اذا
رعته **قوله** تعالى واذا الرسل اقتت قرا ابو عمرو وقتت بالواو والباقون بهمزة بدل
الواو فالواو هي الاصل لانه من الوقت والهمزة بدل منها لانها مضمومة ضمة لازمة وكل واو
ضمت وكانت ضمتها لازمة فانها تبدل على الاطراد همزة اولا وثانيا تقول صلى القوم احدانا
تريد وحدانا وهذه اوجه حسان لان ضمة الواو ثقيلة وبعدها فالجمع بينهما يجري مجرى
جمع المثلين فتكون ثقيلة ولم يجز البدل في قوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم لان الضمة غير
لازمة قاله الفرا وقد تقدم ذكر ذلك اول الكتاب **فصل** قال مجاهد والزجاج
المراد بهذا التاقيت تبيين الوقت الذي فيه يحضرون للشهادة على اممهم اي جمعت لوقتها يوم
القيمة والوقت الاجل الذي يكون عنده الشي الموخر اليه فالمعنى جعل لها وقت اجل للفصل
والقضا بينهم وبين الامم لقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل المراد بهذا التاقيت تحصيل
الوقت وتكوينه وليس في اللفظ بيان انه يحصل لوقت اي شي ولم يبينه لتذهب الوهم الى
كل جانب فيكون التهويل فيه اشد فيحتمل ان يكون المراد تكوين وقت جمعهم للفوز بالثواب
وان يكون وقت سوال الرسل عما اجيبوا به وسوال الامم عما اجابوهم لقوله تعالى فلنسالن
الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين وان يكون وقت مشاهدة الجنة والنار وساير احوال
القيمة وقيل اقتت اي ارسلت لاوقات معلومة على ما علمه الله واراد **فصل** قرا ابو
جعفر وشيبة بالواو وتخفيف القاف وهو فعلت من الوقت ومنه كتابا موقوتا وعن الحسن
ايضا ووقتت بواوين وهو فوعلت من الوقت ايضا مثل عوهدت قال القرطبي ولو
قلبت الواو في هاتين القراتين الفا لجاز وقد قرا يحيى وايوب وخالد ابن الياس وسلام اقتت
بالهمز والتخفيف لانها مكتوبة في المصحف بالالف قوله تعالى لاي يوم اجلت الجار متعلق
باجلت وهذه الجملة معمولة لقول مضمر اي يقال وهذا القول المضمر يجوز ان يكون جوابا لاذا كما
تقدم وان يكون حالا من مرفوع اقتت اي مقولا فيها لاي يوم اجلت اي اخرت قوله لاي يوم
اجلت اي اخرت وهذا تعظيم لذلك اليوم فهو استفهام على التعظيم اي ليوم الفصل اجلت
كانه تعالى قال تعجيب العباد من تعظيم ذلك اليوم فيقال لاي يوم اخرت الامور المتعلقة
بهذه الرسل وهي تعذيب من كذبهم وتعظيم من امن بهم وظهور ما كانوا يدعون الخلق الى
الايمان به من الاهوال والعرض والحساب ونشر الدواوين ووضع الموازين قوله ليوم الفصل

بدل من لاي يوم باعادة العامل وقيل بل يتعلق بفعل مقدر اي اجلت ليوم الفصل وقيل اللام
بمعنى الى ذكره مكي **فصل** اعلم انه تعالى بين ذلك اليوم فقال ليوم الفصل قال ابن
عباس يوم فصل الرحمن بين الخلايق لقوله تعالى ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين قوله وما ادراك
ما يوم الفصل اتبع التعظيم تعظيما اي وما علمك بيوم الفصل وشدته ومهابته ثم اتبعه بتهويل
ثالث وهو قوله ويل مبتدا سوغ الابتدا به كونه دعا قال الزمخشري فان قلت كيف وقعت النكرة
مبتدا في قوله تعالى ويل قلت هو في اصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى
الرفع للدلالة على اثبات معنى الهلاك ودوامه للمدعو عليهم ونحوه سلام عليكم ويجوز ويلا له
بالنصب ولكن لم يقرا به قال شهاب الدين هذا الذي ذكره ليس من المسوغات التي عدها النحويون
وانما المسوغ كونه دعا وفايدة العدول الى الرفع ما ذكره ويوميذ ظرف للويل وجوز ابو البقا
ان يكون صفة لويل وللمكذبين خبره **فصل** قال القرطبي ويل يوميذ للمكذبين اي
عذاب وخزي لمن كذب بالله تعالى وبرسله وعلى تقدير تكذيبهم فان لكل مكذب بشي عذاب
تكذيبه بشي اخر ورب شي كذب به هو اعظم جرما من تكذيبه بغيره لانه اقبح في تكذيبه واعظم
في الرد على الله فانما يقسم له من الويل على قدر ذلك وعلى قدره وهو قوله جزاء وفاقا وقيل كرر
معنى تكرار التخويف والوعيد وروي عن النعمان بن بشير قال ويل واد في جهنم فيه الوان
العذاب قاله ابن عباس وغيره وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عرضت علي جهنم
فلم ار فيها واديا اعظم من الويل وروي ايضا انه مجمع ما يسيل من قيح اهل النار وصديدهم وانما
يسيل الشي فيما سفل من الارض وقد علم العباد في الدنيا ان شر المواضع في الدنيا ما استنقع
فيها مياه الادناس والاقذار والغسالات والجيف وما الحمامات فذكر ان الوادي مستنقع صديد
اهل الكفر والشرك ليعلم العاقل انه لا شي اقذر منه قذارة ولا انتن منه نتنا قوله تعالى الم
نهلك الاولين العامة على ضم حرف المضارعة من اهلك رباعيا وقتادة بفتحه قال الزمخشري من
هلكه بمعنى اهلكه قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا فمن معمول الهالك وهو من هلك الا ان
بعض الناس جعل هذا دليلا على اعمال الصفة المشبهة في الموصول وجعلها من اللازم لان شرط
الصفة المشبهة ان تكون من فعل لازم فعلى هذا الدليل فيه قوله ثم نتبعهم الاخرين العامة
على رفع العين استينافا اي ثم نحن نتبعهم كذا قدره ابو البقا وقال ليس بمعطوف لان العطف يوجب
ان يكون المعنى اهلكنا الاولين ثم اتبعناهم الاخرين في الاهلاك وليس كذلك لان اهلاك الاخرين
لم يقع بعد قال شهاب الدين ولا حاجة في وجه الاستيناف الى تقدير مبتدا قبل الفعل بل
يجعل الفعل معطوفا على مجموع الجملة من قوله الم نهلك ويدل على هذا الاستيناف قراة عبد الله ثم
سنتبعهم بسين التنفيس وقرا الاعرج والعباس عن ابي عمرو بتسكينها وفيها وجهان احدهما انه تسكين
للمرفوع فهو مستانف كالمرفوع لفظا والثاني انه معطوف على مجزوم والمعنى بالاخرين حينيذ قوم
شعيب ولوط وموسى وبالاولين قوم نوح وعاد وثمود قال ابن الخطيب وهذا القول ضعيف
لان قوله تعالى نتبعهم مضارع وهو للحال والاستقبال ولا يتناول الماضي وانما المراد بالاولين
جميع الكفار الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقوله ثم نتبعهم الاخرين على الاستيناف اي
سنفعل ذلك ونتبع الاول للاخر ويدل على الاستيناف قراة عبد الله فان قيل قراة في نتبعهم
تدل على الاشتراك وح يكون المراد به الماضي لا المستقبل قلنا لو كان المراد هو الماضي فوقع التنافي
بين القراتين وهو غير جايز فعلمنا ان تسكين العين ليس للجزم بل للتخفيف قوله كذلك نفعل
اي مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من اجرم المقصود من هذه الاية تخويف الكفار وتحذيرهم
من الكفر اخبر عن اهلاك الكفار من الامم الماضين من لدن ادم عليه السلام الى محمد عليه افضل الصلاة
والسلام ثم نتبعهم الاخرين اي نلحق الاخرين بالاولين كذلك نفعل بالمجرمين اي مثل ما فعلنا
تقدم نفعل بمشركي قريش اما بالسيف واما بالهلاك ثم قال تعالى ويل يوميذ للمكذبين كانه
تعالى يقول اما الدنيا فحاصلهم الهلاك واما الاخرة فالعذاب الشديد واليه الاشارة بقوله
تعالى خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين فان قيل المراد من قوله الم نهلك الاولين
هو مطلق الاماتة او الاماتة بعذاب فان كان مطلق الاماتة لم يكن ذلك تخويفا للكفار
لان ذلك معلوم حاصل للمومن والكافر فلا يكون تخويفا للكفار وان كانت الاماتة بالعذاب

فقوله تعالي ثم نتبعهم الاخرين كذلك نفعل بالمجرمين يقتضي ان يكون نفعل بكفار قريش
مثل ذلك ومعلوم ان ذلك لم يوجد وايضا فقد قال تعالي وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم فالجواب قال ابن الخطيب لم لا يجوز ان يكون المراد من الاهلاك معني ثالث وهو
الاماتة المستعقبة للذم واللعن فكانه قيل اولئك المتقدمين لحرصهم علي الدنيا والعقوبة
عادوا الانبيا وخاصموهم ثم ماتوا ففاتتهم الدنيا وبقي اللعن عليهم في الدنيا والعقوبة في
الاخرة دايما سرمدا فهكذا يكون حال الكفار الموجودين وهذا من اعظم وجوه الزجر قوله
الم نخلقكم من ما مهين اي ضعيف حقير وهو النطفة وهذا نوع اخر من تخويف الكفار
من وجهين الاول انه تعالي ذكرهم عظيم انعامه عليهم وكلما كانت نعمة عليهم اكثر كانت
جنايتهم في حقه اقبح وافحش فيكون العقاب اعظم فلهذا قال جل ذكره عقيب هذه الانعام
ويل يومئذ للمكذبين الثاني انه تعالي ذكرهم كونه تعالي قادر علي الابتدا والظاهر في العقل
ان القادر علي الابتدا قادر علي الاعادة فلما انكروا هذه الدلالة الظاهرة لا جرم قال في
حقهم ويل يومئذ للمكذبين وهذه الاية نظير قوله تعالي ثم جعل نسله من سلالة من ما
مهين فجعلناه في قرار مكين اي مكان حريز وهو الرحم الي قدر معلوم قال مجاهد الي
ان يصور وقيل الي وقت الولادة كقوله تعالي ان الله عنده علم الساعة الي قوله ويعلم
ما في الارحام قوله تعالي فقدرنا فنعم القادرون قرا نافع والكسائي بالتشديد
من التقدير وهو موافق لقوله تعالي من نطفة خلقه فقدره والباقون بالتخفيف
من القدرة ويدل عليه فنعم القادرون ويجوز ان يكون المعني علي القراءة الاولي فنعم
القادرون علي تقديره وان جعلت القادرون بمعني المقدرون كان جمعا بين اللفظين
ومعناهما واحد ومنه قوله تعالي فمهل الكافرين امهلهم رويدا وقول الاعشى

وانكرتني وما كان الذي نكرت • من الحوادث الا الشيب والصلعا

وقال الكسائي والفرا هما لغتان بمعني قال القتبي قدرنا بمعني قدرنا مشددة كما تقول
قدرت كذا وقدرته ومنه قوله صلي الله عليه وسلم في الهلال اذا غم عليكم فاقدروا له اي
قدروا له السير والمنازل وقال محمد بن الجهم عن الفرا انه ذكر تشديدها عن علي رضي
الله عنه وتخفيفها قال ولا يبعد ان يكون المعني في التشديد والتخفيف واحدا لان
العرب تقول قدر عليه الموت وقدر قال تعالي نحن قدرنا بينكم الموت قري بالتخفيف
والتشديد وقدر عليه رزقه قال واحتج الذين خففوا فقالوا لو كان كذلك لكانت
فنعم المقدرون قال الفرا والعرب تجمع بين اللغتين واستدل بقوله فمهل الكافرين
الاية وذكر بيت الاعشى المتقدم وقيل المعني قدرنا قصيرا وطويلا ونحوه وعن ابن
عباس قدرنا ملكنا قال المهدوي وهذا التفسير اشبه بقراة التخفيف قوله تعالي
الم نجعل الارض كفاتا هذا النوع الرابع من تخويف الكفار لانه تعالي ذكرهم في الاية
المتقدمة بالنعم التي له عليهم في الافاق ثم قال في اخرها ويل يومئذ للمكذبين لان النعم
كلما كانت اكبر كانت الخيانة اقبح وكان استحقاق الذم اشد وذكر في هذه الاية النعم التي
في الانفس لانها كالاصل للنعم التي في الافاق فانه لولا الحياة والسمع والبصر والاعضا السليمة
لما كان الانتفاع بشي من المخلوقات ممكنا والله اعلم وانما قدم الارض لانها اقرب الاشيا
الينا من الامور الخارجة والكفات اسم للوعا الذي يكفت فيه اي يجمع قال ابو عبيد يقال
كفته يكفته اي جمعه وضمه وفي الحديث اكفتوا صبيانكم وقال الصمصامة بن الطرماح

رايت اليوم فوق الارض حيا • وانت غدا تضمك في كفات

وقيل الكفات اسم لما يكفت كالضمام والجماع يقال هذا الباب جماع الابواب والمعني نجعل
الارض ضامة تضم الاحيا علي ظهرها والاموات في بطنها والتكفت الضم والجمع وانشد
سيبويه • كرام حين تنكفت الافاعي • الي اجحارهن من الصقيع •
وروي عن ربيعة في النباش قال تقطع يده فقيل له فقال ان الله تعالي يقول الم نجعل
الارض كفاتا احيا وامواتا فالارض حرز وكانوا يسمون بقيع الغرقد كفتة لانه مقبرة تضم
الموتي فالارض تضم الاحيا الي منازلهم والاموات في قبورهم وايضا استقرار الناس علي

وجه الارض ثم اضطجاعهم عليها انضمام منهم اليها وقال الاخفش وابو عبيد ومجاهد في
احد قوليه الاحيا والاموات ترجع الي الارض اي الارض منقسمة وهو الذي ينبت والي ميت
وهو الذي لا ينبت وفي انتصاب كفاتا احيا وامواتا وجهان احدهما انه مفعول ثان لنجعل لانها
للتغيير والثاني انه منصوب علي الحال من الارض والمفعول الثاني احيا وامواتا بمعني الم نصيرها
احيا بالنبات وامواتا بغير نبات اي بعضها كذا وبعضها كذا وقيل كفات جمع كافت كصيام وقيام
جمع صايم وقايم وقيل بل هو مصدر كالكتاب والحساب وقال الخليل التقليب الي ظهر البطن او
بطنا لظهر ويقال انكفت القوم الي منازلهم اي انقلبوا فمعني الكفات انهم يتصرفون علي ظهرها
وينقلبون اليها ويدفنون فيها قوله احيا فيه اوجه احدها انه منصوب بكفات قاله مكي والزمخشري
وبدا به بعد ان جعل كفاتا اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع وهذا يمنع ان يكون كفاتا ناصبا للاحيا
لانه ليس من الاسما العاملة وكذلك اذا جعلناه بمعني الوعا علي قول ابي عبيدة فانه لا يعمل ايضا وقد
نص النحاة علي ان الاسما الامكنة والازمنة والالات وان كانت مشتقة جارية علي الافعال لا تعمل
نحو مرمي ومنجل وفي اسم المصدر خلاف مشهور ولكن انما يتمشي نصبهما بكفات علي قول ابي البقا انه
لم يجوز فيه الا ان يكون جمعا لاسم فاعل او مصدر وكلاهما من الاسما العاملة الوجه الثاني ان ينتصب
بفعل مقدر يدل عليه كفات اي تكفتهم احيا علي ظهرها وامواتا في بطنها وبه ثنى الزمخشري الثالث
ان ينتصب علي الحال من محذوف اي تكفتكم احيا وامواتا لانه قد علم انها كفات للانس قاله
الزمخشري والبيد نحا مكي الا انه قدر عاملا ان يجمعهم الارض في هاتين الحالتين الخامس ان ينتصب
مفعولا ثانيا لنجعل وكفاتا حال كما تقدم تقريره وتنكير احيا وامواتا اما للتفخيم اي يجمع مفعولا
ثانيا احيا لا يقدرون وامواتا لا يحصون واما للتبعيض لان احيا الانس وامواتهم ليسوا بجميع
الاحيا والاموات وكذلك التنكير في ما فراتا يحتمل المعنيين ايضا اما للتفخيم فواضح لعظم
المنة عليهم واما التبعيض فكقوله تعالي وننزل من السما من جبال فيها من برد فهذا مفهم
للتبعيض والقران يفسر بعضه بعضا قوله تعالي وجعلنا فيها رواسي شامخات اي جعلنا
في الارض رواسي وهي الثوابت شامخات وهي الجبال الطوال جمع شامخ وهو المرتفع جدا ومنه
شمخ بانفه اذا تكبر جعل كناية عن ذلك كثني العطف وصعر الخد وان لم يحصل شي من ذلك قوله
تعالي واسقيناكم ما فراتا اي جعلنا لكم سقيا والفرات الما العذب يشرب ويسقي به الزرع اي
خلقنا الجبال وانزلنا الما الفرات وهذه الامور اعجب من البعث وروي ابو هريرة رضي الله عنه
في الارض من الجنة الفرات ونهر الاردن وفي مسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من
انهار الجنة قوله انطلقوا اي يقال لهم ذلك وانطلقوا علي انطلقوا الثاني كالاول بصيغة الامر
علي التاكيد ورويس عن يعقوب انطلقوا بفتح اللام فعلا ماضيا علي الخبر اي لما امروا امتثلوا
ذلك وهذا موضع الفا فكان ينبغي ان يكون التركيب فانطلقوا نحو قولك قلت اذهب فذهب
وعدم الفا هنا ليس بواضح

فصل

هذا النوع الخامس من تخويف الكفار وهو بيان
كيفية عذابهم في الاخرة والمعني يقال لهم انطلقوا الي ما كذبتم به من العذاب فقد شاهدتموها
عيانا انطلقوا الي ظل اي دخان ذي ثلاث شعب يعني الدخان الذي يرتفع ثم يتشعب الي
ثلاث شعب وكذلك شان الدخان العظيم اذا ارتفع تشعب قال ابو مسلم ويحتمل في ثلاث شعب
ما ذكره بعد ذلك وهو انه غير ظليل وانه لا يغني من اللهب وبانه يرمي بشرر ثم وصف الظليل
فقال لا ظليل ولا يغني من اللهب اي لا يدفع من لهب جهنم شيا اي ليس كالظل الذي يقي حر الشمس
وهذا تهكم به وتعريض بان ظلهم غير ظل المومنين وانه لا يمنع حر الشمس واللهب ما يعملوا علي النار اذا
اضطربت من احمر واصفر واخضر وقيل ان الشعب الثلاث هي الضريع والزقوم والغسلين قاله
الضحاك وقيل اللهب ثم الشرر ثم الدخان لانها ثلاثة احوال هي غاية اوصاف النار اذا اضطرمت
واشتدت وقيل عنق يخرج من النار فيتشعب ثلاث شعب فاما النور فيقف علي روس المومنين
واما الدخان فيقف علي روس المنافقين واما اللهب الصافي فيقف علي روس الكفار وقيل هو
السرادق وهو لسان من النار يحيط بهم ثم يتشعب منه ثلاث شعب فيظلهم حين يفرغ من حسابهم
لقوله تعالي احاط بهم سرادقها وتسمية النار بالظل مجاز من حيث انها محيطة بهم من كل جانب
لقوله تعالي لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال تعالي يوم يغشاهم العذاب من

فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل هو الظل من يحموم لقوله تعالى وظل من يحموم لا بارد ولا كريم وفي الحديث ان الشمس تدنو من روس الخلايق وليس عليهم ولا لهم اكفان فتلحقهم الشمس وتاخذ بانفاسهم ثم ينجي الله برحمته من يشا الي ظل من ظله فهناك يقولون فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ويقال للمكذبين انطلقوا الي ما كنتم به تكذبون من عذاب الله وعقابه قوله لا ظليل صفة لظل ولا متوسط بين الصفة والموصوف لافادة النفي وجي بالصفة الاولى اسما وبالثانية فعلا دلالة علي نفي ثبوت هذه الصفة واستقرارها للظل ونفي التجدد والحدوث للاغنا عن اللهب فقال لا يغني وعدي بعن اي ابعد لان الغنا عن الشي بتاعده كما ان المحتاج اليه يقاربه قال الزمخشري في محل الجراي وغير مغن عنهم من حر اللهب شيا قوله انها اي ان جهنم لان السياق كله لاجلها وقرا العامة بشرر بفتح الشين وعدم الف بين الرا بين وورش يرقق الرا الاولي لكسر التي بعدها وقرا ابن عباس وابن مقسم بكسر الشين والف بين الرا ين وعيسى كذلك الا انه يفتح الشين فقراة ابن عباس يجوز ان يكون جمعا لشر وفعله تجمع علي فعال يجوز فيه وركاب ورحبه ورحاب وان يكون جمع الشر لا يراد به افعال لتفضيل يقال رجل شر ورجال شرار ورجل خير ورجال خيار ويونثان فيقال امراة شرة وامراة خيرة فان اريد بهما التفضيل امتنع ذلك فيهما واختصا باحكام مذكورة في كتب النحو اي ترمي بشرار من العذاب او بشرار من الخلق واما قراة عيسى فهو جمع شراره بالالف وهي لغة تميم والشرر والشرارة ما تطاير من النار متفرقا قال القرطبي شرر واحده شررة والشرار واحده شرارة وهو ما تطاير من النار في كل جهة واصله من شررت الثوب اي بسطته للشمس ليجف والقصر البنا العالي قوله كالقصر العامة علي فتح القاف وسكون الصاد وهو من القصر المعروف شبهته في كبره وعظمه وابن عباس وعبيده بن جبير والحسن بفتح القاف والصاد وهي جمع قصرة بالفتح والقصر اعناق الابل والنخل واصول الشجر وقرا ابن جبير والحسن ايضا بكسر القاف وفتح الصاد جمع قصرة بفتح القاف قال الزمخشري كحاجة وحوج وقال ابو حيان كحلقة من الحديد وحلق وقري كالقصر بفتح القاف وكسر الصاد قال شهاب الدين ولم ارلها توجيها ويظهر ان يكون ذلك من باب الاتباع والاصل كالقصر بسكون الصاد ثم اتبع الصاد حركة الرا فكسرها واذا كانوا قد فعلوا ذلك في المشغول بحركة نحو كيف وكيد فلان يفعلوه من الخالي منها اولي ويجوز ان يكون ذلك النقل بمعني انه وقف علي الكلمة فنقل كسرة الرا الي الساكن قبلها ثم اجري الوصل مجري الوقف وهو باب سايغ عند القرا والنحاة وقرا عبد الله وفيها وجهان احدهما انه جمع قصر كرهن ورهن قال الزمخشري والثاني انه مقصور من قصور كقوله فيها وعمايل اسود ونمر يريد ونمور فقصر وكقوله النجم يريد النجوم وتخريج الزمخشري اول لان محل الثاني اما الضرورة واما الندور وقوله جمالات قرا الاخوان وحفص جمالة والباقون جمالات فالجمالة تحتمل وجهين احدهما انه جمع كالذكارة والحجارة قال ابو البقا الاول قول النحاة واما جمالات فيجوز ان يكون جمعا لجمالة هذه وان يكون جمعا لجمال فيكون جمع الجمع ويجوز ان يكون جمعا لجميل المفرد وكقولهم رجالات قريش كذا قالوه وفيه نظر لانهم نصوا علي ان الاسما الجامدة غير العاقلة لا تجمع بالالف والتا الا اذا لم تكسر فان كسرت لم يجمع قالوا ولذلك لحن المتنبي في قوله • اذا كان بعض الناس سيفا لدولة • ففي الناس بوقات لهم وطبول

فجمع بوقا علي بوقات مع قولهم ابواق وكذلك جمالات مع قولهم جمل وجمال علي ان بعضهم لا يجيز ذلك ويجعل نحو حمامات وسجلات شاذ وان لم يكسر وقرا ابن عباس والحسن وابن جبير وقتادة وابو رجا بخلاف عنهم كذلك الا انهم ضموا الجيم وهي حبال السفن وقيل قلوس الجسور الواحدة جملة لاشتمالها علي طاقات الحبال وفيها وجهان احدهما ان تكون جمالات جمع جمال وجمال جملة كذا قال ابو حيان ويحتاج في اثبات ان جمالات الضم جمع جملة بالضم الي نقل والثاني ان جمالات جمع جمالة قاله الزمخشري وهو ظاهر وقرا ابن عباس والسلمي وابو حياة جمالة بضم الجيم وقاله كما قاله الزمخشري انها روي عن علي رضي الله عنه انها قطع النحاس قوله صفر صفة لجمالات او لجمالة لانه اما جمع او اسم جمع

والعامة

والعامة علي سكون الفا جمع والحسن بضمها كانه اتباع ووقع التشبيه هنا في غاية الفصاحة قال الزمخشري وقيل صفر سود تضرب الي الصفرة وفي شعر عمران بن حطان الخارجي

دعتهم باعد حموتها ورمتهم • بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوي

وقال ابو العلا حمراسا قطة الذوايب • في الدجي ترمي بكل شرارة

كطراف فشبهها بالطراف وهو بيت الادم في العظم والحمرة وكانه قصد خبثه ان يزيد علي تشبيه القران ولتبجحه بما سول من توهم الزيادة جا في صدر بيته بقوله حمرا توطية لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين علي مكانها ولقد عمي جمع الله تعالى له عمي الدارين عن قوله تعالي كانه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله كبيت احمر وعلي ان في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهوي والعظم والصفر ايضا وكان قد قال قبل ذلك تقليل شبهته بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه الا تري انهم يشبهون الابل بالافدان والقصور كانه يشير الي قول عنتره • فوقفت فيها ناقتي وكانها • فدن لاقضي حاجة المتلوم

قال القرطبي القصر البنا العالي وقيل القصر جمع قصرة ساكنة الصاد مثل جمر وجمرة وتمر وتمره والقصرة الواحدة من جزل الحطب الغليظ وقال سعيد بن جبير والضحاك هي اصول الشجر والنخل العظام اذا وقع وقطع وقيل اعناقه وشبه الشرر بالجمال الصفر وهي الابل السود والعرب تسمي السود من الابل صفرا قال الشاعر

تلك خيلي وتلك ركابي • هن صفر اولادها كالزبيب

اي هن سود وانما سميت السود من الابل صفرا لانه يشرب سوادها شي من صفرة قال الترمذي وهذا القول ضعيف ومحال في اللغة ان يكون من توبه شي قليل فينسب كله الي ذلك الشايب فالعجب ممن قد قال هذا وقد قال الله تعالي جمالات صفر فلا يعلم شيا من هذا في اللغة والجمالات الجمال وقال الفرا يجوز ان تكون الجمالات بالضم من الشي المجمل يقال اجملت الحساب وجا القوم جملة اي مجتمعين والمعني ان هذا الشرر يرتفع كانه شي مجموع غليظ اصفر وقيل يشبهها بالجمالات لسرعة سيرها وقيل لمتابعة بعضها بعضا قوله تعالي هذا يوم لا ينطقون العامة علي رفع يوم خبر لهذا اي تقول الملايكة هذا يوم لا ينطقون ويجوز ان يكون قوله انطلقوا من قول الملايكة ثم يقول الله لاوليايه هذا يوم لا ينطق الكافر ومعني اليوم الساعة والوقت وزيد بن علي والاعرج والاعمش وابو حياة وعاصم في بعض طرقه بالفتح وفيه وجهان احدهما ان الفتحة فتحة بنا وهو خبر لهذا كما تقدم والثاني انه منصوب علي الظرف واقع خبرا لهذا علي ان يشار به لما تقدم من الوعيد كانه قيل هذا العقاب المذكور كاين يوم لا ينطقون وقد تقدم اخر المايدة ما يشبه هذا في قوله تعالي هذا يوم ينفع الا ان النصب هناك متواتر قوله ولا يوذن العامة علي عدم تسمية الفاعل وحكى الاهوازي عن زيد بن علي ولا ياذن سمي الفاعل وهو الفاعل وهو الله تعالي وقوله فيعتذرون قال ابو البقا ويكون المعني انهم لا ينطقون نطقا ينفعهم وينطقون في بعض المواقف ولا ينطقون في بعضها والثاني انه معطوف علي يوذن فيكون منفيا ولو نصب لكان مفتسا عنه وقال ابن عطية ولم ينصب في جواب النفي لتشابه روس الاي والوجهان جايزان انهما بمعني واحد وليس كذلك بل المرفوع له معني غير المنصوب والي مثل هذا ذهب الاعلم فيرتفع الفعل ويكون معناه النصب ورد عليه ابن عصفور قال الفرا في قوله ولا يوذن لهم فيعتذرون الفا نسق اي عطف علي يوذن واجيز ذلك لانه اخر الكلام بالنون ولو قال فيعتذروا لم توافق الايات وقد قال لا يقضى عليهم فيموتوا بالنصب وكله صواب ومثله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه بالرفع والنصب

فصل هذا نوع اخر من انواع تخويفا للكفار لان الله تعالي يبين انه ليس لهم عذر ولا حجة فيما اتوا به من القبايح ولا لهم قدرة علي دفع العذاب عن انفسهم واعلم ان يوم القيمة له مواطن ومواقيت فهذا من المواقيت التي لا يتكلمون فيها ولا يعتذرون روي عكرمة ان ابن عباس رضي الله عنه سال ابن الازرق عن قوله تعالي هذا يوم لا ينطقون ولا تسمع الا همسا وقد قال واقبل بعضهم علي بعض يتسالون

تعالى له ان الله عز وجل يقول وان يوما عند ربك كالف سنة فان لكل مقدار من هذه
الايام لونا من هذه الالوان وقال الحسن فيه اضمار اي هذا يوم لا ينطقون فيه بحجة نافعة
ومن نطق بما لا ينفع ولا يفيد فكانه ما نطق كما يقال لمن ذكر كلاما غير مفيد ما قلت شيا
وقيل ان هذا وقت جوابهم اخسئوا فيها ولا تكلمون قال الفرا اراد بقوله لا ينطقون تلك
الساعة وذلك القدر من الوقت الذي لا ينطقون فيه كما تقول اتيتك يوم يقدم فلان والمعنى
ساعة يقدم وليس اليوم كله لان القدوم انما يكون في وقت يسير ولا يمتد في كل اليوم واجاب
ابن الخطيب بان قوله تعالى لا ينطقون لفظ مطلق والمطلق لا يفيد العموم لا في الانواع
ولا في الاوقات بدليل انك تقول فلان لا ينطق بالشر ولكنه ينطق بالخير وتارة يقول
فلان لا ينطق بشي البته فهذا يدل على ان مفهوم لا ينطق مشترك بين الدايم والوقت واذا
كان كذلك فمفهوم لا ينطق يكفي في صدقه عدم النطق ببعض الاشيا وفي بعض الاشيا
وفي بعض الاوقات وذلك لا ينافي حصول النطق بشي اخر في وقت واحد وهو وقت
السوال فان قيل لو حلف لا ينطق في هذا اليوم حنث في نطقه في جز منه قلت ذلك لعرف
الايمان وبحثنا في مفهوم اللفظ من حيث هو قال ابن الخطيب فان قيل قوله ولا يوذن لهم
فيعتذرون يوهم ان لهم عذرا وقد منعوا من ذكره وهذا لا يليق بالحكمة فالجواب ان ليس لهم
عذر في الحقيقة ولكن ربما يتخيلوا خيالا فاسدا ان لهم فيه عذرا فهم لا يوذن لهم في ذلك العقول
الفاسدة قوله هذا يوم الفصل جمعناكم هذا نوع اخر من انواع تهديد الكفار وتخويفهم
اي يقال لهم هذا اليوم الذي يفصل فيه بين الخلايق فيتبين المحق من المبطل جمعناكم والاولين
قال ابن عباس جمع الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم والذين كذبوا النبيين من قبله فان
كان لكم كيد اي حيلة في الخلاص من العذاب فكيدون اي فاحتالوا لانفسكم وقاووني ولن تجدوا
ذلك وقيل فان لكم كيدا اي قدرتم على حرب فكيدون اي حاربون رواه الضحاك عن ابن عباس
ايضا قال يريد كنتم في الدنيا تحاربون محمدا صلى الله عليه وسلم وتحاربوني فاليوم حاربوني وقيل
انكم كنتم في الدنيا تعملون المعاصي وقد عجزتم الان عنها وعن الدفع عن انفسكم وقيل انه من قول
النبي صلى الله عليه وسلم فيكون كقول هود عليه السلام فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون قوله
تعالى ان المتقين في ظلال وعيون قال مقاتل والكلبي المراد بالمتقين الذين يتقون
الشرك بالله تعالى لان السورة من اولها الى اخرها في تقريع الكفار على كفرهم وتخويفهم
قال ابن الخطيب فيجب ان تكون هذه الاية مذكورة لهذا الغرض والا لتفككت السورة في نظمها
وترتيبها وانما يتم النظم بان يكون الوعد للمومنين بسبب ايمانهم فاما جعله بسبب الطاعة
فلا يليق بالنظم وايضا فان المتقي للشرك يصدق عليه انه متق لان غاية هذا انه عام مخصوص
فيبقى حجة فيما عدا التخصيص وايضا فان حمل اللفظ على المعنى الكامل اولى والكامل انواع التقوى
تقوى الشرك فالحمل عليه اولى وقال بعضهم هذه الاية ايضا من جملة التهديد فان الكفار في
الدنيا يكون عليهم اسهل من ان كون للمومنين دولة فاذا راوا عاقبة الفريقين في الاخرة
تضاعفت حسراتهم وندمهم ولما اوعد الكفار بظل ذي ثلاث شعب وعد المومنين بظلال
وعيون وفواكه قوله في ظلال هذه قراة العامة والاعمش والزهري وطلحة والاعرج ظلل
جمع ظلة يعني في الجنة وتقدم في يونس مثله الا انهما متواترات قوله كلوا معمولا لقول
ذلك المنصوب على الحال من الضمير المستكن في الظرف اي كاينين في ظلال معمولا لهم وكذلك
كلوا وتمتعوا قليلا فان كان ذلك معمولا لهم في الدنيا فواضح وان كان معمولا في الاخرة فيكون
تذكيرا لحالهم اي احيا بان يقال لهم في دنياهم كذا ومثله قوله

اخوتي لا تبعدوا ابدا ● وبلى والله قد بعدوا ●

اي هم اهلا ان يدعا لهم بذلك قوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين اي نثيب الذين احسنوا
في تصديقهم بمحمد صلى الله عليه وسلم واعمالهم في الدنيا **فصل** اختلفوا في قوله
كلوا واشربوا هل هو امر او اذن فقال ابو هاشم هو امر واراد الله تعالى منهم الاكل والشرب لان
سرورهم يعظم بذلك اذا علموا ان الله تعالى اراده منهم جزاء على عملهم فكما يريد اجلالهم واعظامهم
بذلك فكذلك يريد نفس الاكل والشرب منهم وقال ابو علي ليس بامر وانما يقوله على وجه

الاكرام والامر والنهي انما يحصلان في زمان التكليف لا في الاخرة **فصل** تمسك من قال
العمل يوجب الثواب بالبا في قوله بما كنتم تعملون قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لان البا
للالصاق والمجاز فجعل ذلك العمل علامة لهذا الثواب فان الاتيان بذلك كالالة والوصلة الى تحصيل
ذلك الثواب وقوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين المقصود منه تذكير الكفار بما فاتهم
من النعيم العظيم ليعلموا انهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل ذلك الخيرات فلما لم يفعلوا
وقعوا فيما وقعوا به قوله تعالى كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون هذا مردود الى ما تقدم
قبل المتقين وهو وعيد وتهديد وهو حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال
لهم كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون اي كافرون وقيل مكتسبون فعلا يضركم في الاخرة من الشرك
فكانه تعالى يقول للكافر كونه في الدنيا انما عرضت نفسك لهذه الافات التي وصفناها لمحبتك في
الدنيا ورغبتك في طيباتها الا ان طيباتها قليلة بالنسبة الى تلك الافات فالمشتغل بتطييبها
يجري مجرى لقمة واحدة من الحلوى وفيها السم المهلك فانه يقال لاكلها تذكيرا له ونصحا كل هذا
وويل لك منه بعد فانك من الهالكين بسببه فهذا وان كان في اللفظ امرا الا انه في المعنى بليغ
وزجر عظيم قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون وهذا نوع اخر من انواع تخويف الكفار
اي اذا قيل لهولا المشركين اركعوا اي صلوا لا يركعون لا يصلون قال مجاهد قال مقاتل نزلت في
ثقيف امتنعوا من الصلاة فنزلت ذلك فيهم قال مقاتل قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسلموا
وامرهم بالصلاة فقالوا لا ننحني فانها مسبة علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في دين
ليس فيه ركوع ولا سجود وقال ابن عباس انما يقال لهم هذا في الاخرة حين يدعون الى السجود
فلا يستطيعون وقال قتادة هذا في الدنيا **فصل** قال ابن العربي هذه الاية تدل
على وجوب الركوع وكونه ركنا في الصلاة وقد انعقد الاجماع عليه وقال قوم ان هذا انما يكون
في الاخرة وليست بدار تكليف فيتوجه فيها امر يكون عليه ويل وعقاب وانما يدعون الى السجود
كشفا لحال الناس في الدنيا فمن يسجد لله تمكن من السجود ومن كان يسجد رياء لغيره صار ظهره
طبقا واحدا وقيل اي اذا قيل لهم اخضعوا للحق لا يخضعون فهو عام في الصلاة وغيرها وانما ذكر
الصلاة لانها اصل الشرايع بعد التوحيد والامر بالصلاة امر بالايمان لانه لا تصح من غير ايمان
فصل حكى ابن الخطيب عن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد بقوله تعالى واذا قيل
لهم اركعوا لا يركعون هو الصلوات قال وهذا ظاهر لان الركوع من اركانها فبين تعالى ان
هولا الكفار من صفتهم انهم اذا دعوا الى الصلاة لا يصلون وهذا يدل على ان الكفار مخاطبون
بفروع الشرايع وانهم حال كفرهم يستحقون الذم والعقاب بترك الصلاة لان الله تعالى ذمهم
حال كفرهم على ترك الصلاة **فصل** استدلوا بهذه الاية على ان الامر للوجوب لان الله
تعالى ذمهم بمجرد ترك المامور به وهذا يدل على ان مجرد الامر للوجوب فان قيل انما ذمهم بكفرهم
فالجواب انه تعالى ذمهم على كفرهم من وجوه الا انه تعالى انما ذمهم في هذه الاية لترك المامور به
فدل على ان ترك المامور غير جايز قوله فباي حديث بعده يومنون والعامة
على الغيبة وقرا ابن عباس في رواية يعقوب بالخطاب على الالتفات او على الانتقال **فصل**
قال ابن الخطيب اعلم انه تعالى لما بالغ في زجر الكفار من اول هذه السورة الى اخرها في الوجوه
العشرة المذكورة وحث على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق ختم السورة
بالتعجب من الكفار وبين انهم اذا لم يومنوا بهذه الدلايل اللطيفة مع تجليها ووضوحها فباي حديث
بعده يومنون قال القاضي هذه الاية تدل على ان القران محدث لان الله تعالى وصفه
بانه حديث والحدوث ضد القدم والضدان لا يجتمعان فاذا كان حديثا وجب ان لا يكون قديما
واجيب بان المراد منه هذه الالفاظ ولا نزاع في انها محدثة روى الثعلبي عن ابي بن كعب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والمرسلات كتب انه
ليس من المشركين صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم

سورة النبا مكية

وهي اربعون او احدى واربعون اية ومايه وثلاثة وسبعون كلمة وسبعماية وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى عم يتساءلون قد تقدم ان الهاء يدخلها السكت عوضا عن الفها الاستفهامية في
الوقف ونقل عن ابن كثير انه يقرا عمه بالها وصلا اجري الوصل مجري الوقف وقرا عبد الله وابي
وعكرمة وعيسي عما باثبات الالف وقد تقدم انه يجوز ضرورة وفي قليل من الكلام ومنه على

على ما قام يشتمني لئيم • كخنزير تمرغ في رماد •

وتقدم ان الزمخشري جعل منه بما غفر لي ربي في يس وعم فيه قولان اظهرهما انه متعلق بيتساءلون
قال ابو اسحاق الكلام تام في قوله عم يتساءلون ثم كان يقتضي القول ان يجيب مجيب فيقول
يتساءلون عن النبا العظيم فاقتضي ايجاز القران وبلاغته ان يبادر المحتج بالجواب الذي
تقتضيه الحال والمجاورة اقتضابا بالحجة واسراعا الي موضع قطعهم والثاني انه متعلق بفعل مقدر
ويتعلق عن النبا العظيم بهذا الفعل الظاهر قال الزمخشري وعن ابن كثير انه قرا عمه بها السكت
ولا يخلو اما ان يجري الوصل مجري الوقف واما ان يقف ويبتدي يتساءلون عن النبا العظيم
على ان يضمر يتساءلون لان ما بعده يفسره كشي مبهم ثم يفسر **فصل** قال ابن الخطيب
عم اصله عما لانه حرف جر دخل على ما الاستفهامية قال حسان بن ثابت على ما قام يشتمني لئيم
والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل وذكروا في سبب الحذف وجوها احدها قال الزجاج
لان الميم تشرك الالف فصارا كالحرفين المتماثلين وثانيها قال الجرجاني انهم اذا وضعوها في
استفهام حذفوا الفها تفرقة بينها وبين ان يكون اسما كقولهم فيم وبم ولم وحتام وثالثها قالوا
حذفت الالف لاتصال ما بحرف الجر حتي صارت كالجزء منه لينبي عن شدة الاتصال ورابعها حذف
للتخفيف في الكلام فانه لفظ كثير الترداد على اللسان **فصل** قال ابن الخطيب قوله
تعالى عم يتساءلون سوال وقوله عن النبا العظيم جواب والسايل والمجيب هو الله تعالى وذلك
يدل على علمه بالغيب بل بجميع المعلومات وفايدة ذكره في معرض السوال والجواب لانه اقرب الي
التفهيم والايضاح ونظيره قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار **فصل** ما لفظة
وضعت لطلب ماهيات الاشيا وحقايقها تقول ما الملك وما الروح وما الجن والمراد طلب
ماهياتها وشرح حقايقها وذلك يقتضي كون ذلك المطلوب مجهولا ثم ان النبي العظيم الذي
يكون لعظم مرتبته يعجز العقل عن ان يحيط بكنهه كان مجهولا فحصل بين الشي المطلوب
بلفظة ما وبين الشي العظيم مشابهة من هذا الوجه فلذلك سيل عنه بما استعارة وكأنه
مجهول ومنه الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما سجين ما العقبة وشبهه **فصل** قال
الفرا السوال هو ان يسال بعضهم بعضا كالتقابل وقد يستعمل ايضا في ان يتحدثوا به وان
لم يكن بينهم سوال قال تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قايل منهم اني كان
لي قرين الاية وهذا يدل على التحدث **فصل** والضمير في يتساءلون لقريش روي
ابو صالح رضي الله عنه قال كانت قريش تجلس لما نزل القران فتتحدث فيما بينهم فمنهم
المصدق ومنهم المكذب به فنزلت عم يتساءلون وقيل عم فيم يتساءل المشركون او يختصمون
بدليل قوله كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون وهذا تهديد والتهديد لا يليق الا بالكفار فان
قيل فما يصنع بقوله تعالى هم فيه مختلفون مع ان الكفار كانوا متفقين في انكار الحشر
فالجواب لا نسلم اتفاقهم في انكار الحشر لان منهم من كان يثبت المعاد الروحاني وهم جمهور
النصاري واما المعاد الجسماني فمنهم من كان شاكا فيه لقوله وما اظن الساعة قايمة ولين
رجعت الي ربي ان لي عنده للحسني ومنهم من ينكره ويقول ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن
بمبعوثين ومنهم من يقر به لكنه ينكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حصل اختلافهم
وايضا هب انهم كانوا منكرين له لكن بعد اختلافهم في كيفية انكاره فمنهم من انكره لانكاره الصانع
المختار ومنهم من ينكره لاعتقاده ان اعادة المعدوم ممتنعة لذاتها والقادر المختار انما يكون
قادرا على الممكن في نفسه وقيل الضمير في يتساءلون هم الكفار والمومنون كانوا جميعا يتساءلون
عنه فاما المسلم فيزداد يقينا وبصيرة في دينه واما الكافر فاستهزاء وسخرية وعلى سبيل ايراد
الشكوك والشبهات قال ابن الخطيب ويحتمل انهم يسالون الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول

ماهذا

ماهذا الذي تعدنا به من امر الاخرة قوله عن النبا يجوز فيه ما جاز في قوله تعالى لاي
يوم اجلت في البدلية والتعلق بفعل مقدر ويزيد عليه هنا انه يتعلق بالفعل الظاهر ويتعلق
ما قبله بمضمر كما تقدم عن الزمخشري وقال ابن عطية قال اكثر النحاة عن النبا العظيم متعلق
بيتساءلون الظاهر كانه قال لم يتساءلون عن النبا وقوله عم هو استفهام تفخيم وتعظيم وقال
المهدوي عن ليس بيتعلق بيتساءلون الذي في التلاوة لانه كان يلزم دخول حرف الاستفهام
فيكون عن النبا العظيم كقولك كم مالك اثلاثون ام اربعون فوجب لما ذكرناه امتناع تعلقه
بيتساءلون الذي في التلاوة وانما يتعلق بيتساءلون اخر مضمر وحسن ذلك لتقدم يتساءلون
قال القرطبي وذكر بعضهم ان الاستفهام في قوله عم مكرر الا انه مضمر كانه قال عم يتساءلون عن
النبا العظيم فعلى هذا يكون متصلا بالاية الاولي والنبا العظيم اي الخبر الكبير الذي هم فيه مختلفون
اي يخالف فيه بعضهم بعضا فيصدق واحد ويكذب الاخر قوله تعالى مختلفون خبرهم والجار
متعلق به والموصول يحتمل الحركات الثلاث اتباعا وقطعا رفعا ونصبا **فصل** قال ابن
عباس رضي الله عنه النبا هو القران قال تعالى قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون فالقران
نبا وخبر وقصص وهو نبا عظيم وكانوا يختلفون فيه فجعله بعضهم سحرا وبعضهم شعرا وبعضهم
قال اساطير الاولين وقال قتادة هو البعث بعد الموت اختلفوا فيه فمصدق ومكذب ويدل
عليه قوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه امر النبي
صلى الله عليه وسلم لانه لما بعث سالت اليهود عن اشيا كثيرة فاخبره الله باختلافهم وايضا فجعل
الكفار يتساءلون فيما بينهم ما هذا الذي حدث فانزل الله تعالى عم يتساءلون وذلك انهم عجبوا
من ارسال محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون
هذا شي عجيب وعجبوا ان جاءهم ايضا بالتوحيد كما قال تعالى اجعل الالهة الها واحدا ان هذا
لشي عجاب فحكي الله تعالى عن مسالة بعضهم بعضا على سبيل التعجب بقوله عم يتساءلون قوله
تعالى كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون التكرار للتوكيد وزعم ابن مالك انه من باب التوكيد
اللفظي ولا يضر توسط حرف العطف والنحويون يابون هذا ولا يسمونه الا عطفا وان افاد التاكيد
والعامة على الغيبة في الفعلين والحسن وابن دينار وابن عامر بخلاف عنه بتا الخطاب
فيهما والضحاك قرا الاول كالجمع والثاني كالعامة والغيبة والخطاب واضحان **فصل**
قال القفال كلا لفظة وضعت للردع والمعني ليس الامر كما يقول هولاء في النبا العظيم انه باطل
وانه لا يكون وقيل معناه حقا ثم انه تعالى ذكر ذلك الردع والتهديد فقال سبحانه ثم كلا سيعلمون
وهو وعيد بانهم سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لا دافع له واما تكرير
الردع فقيل للتاكيد ومعني ثم الاشعار بان الوعيد الثاني ابلغ من الوعيد الاول واشد
وقيل ليس بتكرير قال الضحاك الاول للكفار والثانية للمومنين اي سيعلم الكفار عاقبة
تكذيبهم وسيعلم المومنون عاقبة تصديقهم وقال القاضي يحتمل ان يريد بالاول سيعلمون
يعني العذاب اذا ساعدوه وبالثاني وقيل كلا سيعلمون ما الله فاعل بهم يوم القيمة
ثم كلا سيعلمون ان الامر ليس كما كانوا يتوهمون من ان الله تعالى غير باعث لهم قوله تعالى
الم نجعل الارض مهادا لما حكي الله تعالى عنهم انكار البعث والحشر واراد اقامة الدلايل على صحة
الحشر قدم لذلك مقدمة في بيان كونه تعالى قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات
لانه اذا ثبت هذان الاصلان ثبت القول بصحة البعث فاثبت هذين الاصلين بان عدد
انواعا من مخلوقاته المحكمة المتقنة فان هذه الاشيا من جهة حدوثها تدل على القدرة ومن
جهة احكامها واتقانها تدل على العلم واذا ثبت هذان الاصلان وثبت ان الاجسام متساوية
في قبول الصفات والاعراض ثبت لا محالة كونه تعالى قادرا على تخريب الدنيا بسمواتها وكواكبها
وارضها وعلى ايجاد عالم الاخرة فهذا وجه النظم قوله مهادا مفعول ثان لان الجعل بمعني
التصيير ويجوز ان يكون بمعني الخلق فيكون مهادا حالا مقدرة وقرا العامة مهادا ومجاهد
وعيسي وبعض الكوفيين مهدا وقد تقدم هاتان القراتان في سورة طه وان الكوفيين
قروا مهدا في طه والزخرف فقط وتقدم الفرق بينهما قوله تعالى والجبال اوتادا والكلام
عليها كالكلام في مهادا من المفعولية والحالية ولا بد من تاويلها بمشتق ايضا اي مثبتات

والمهاد الوطا وهو الفراش لقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا ومعنى مهدا اي كمهد الصبي وهو ما
يمهد له فينوم عليه والاوتادا اي لتسكن ولا تميل باهلها قوله تعالى وخلقناكم ازواجا اي اصنافا
ذكرا وانثى وقيل الوانا وقيل يدخل كل زوج بهيج وقبيح وحسن وطويل وقصير لتختلف الاحوال
فيقع الاعتبار قوله تعالى وجعلنا نومكم سباتا الظاهر انه مفعول ثان ومعناه راحة لابدانكم
ومنه السبت اي يوم الراحة اي قيل لبني اسرايل استريحوا في هذا اليوم ولا تعملوا فيه شيئا وانكر ابن
الانباري هذا وقال لا يقال للراحة سباتا وقيل اصله التمدد يقال سبتت المراة شعرها اذا حلته
وارسلته فالسبات كالتمدد ورجل مسبوت الخلق اي ممدود وان اراد الرجل يستريح تمدد فسميت
الراحة سبتا وقيل اصله القطع يقال سبت شعره سبتا اي حلقه وكانه اذا نام انقطع عن
الناس وعن الاشتغال والسبات يشبه الموت الا انه لم تفارقه الروح ويقال سير سبت اي سهل لين
قوله تعالى وجعلنا الليل لباسا هذا استعارة حسنة وعليه قول المتنبي

وكم لظلام الليل عندك من يد • تخبر ان المانوية تكذب

والمعنى يلبسكم ظلمته ويغشاكم قال الطبري قال القفال اصل اللباس هو الشي الذي يلبسه
الانسان ويتغطى به فيكون ذلك مغطيا فلما كان الليل يغشى الناس بظلمته فيغطيهم جعل
لباسا لهم فهذا سمي الليل لباسا على وجه المجاز ووجه النعمة في ذلك هو ظلمة الليل تستر الانسان
عن العيون اذا اراد هربا من عدو او اخفا ما لا يحب اطلاع غيره عليه وقال ابن جبير والسدي
اي سكنا لكم قوله وجعلنا النهار معاشا فيه حذف اضمار اي وقت معاش فيكون مفعولا وظرفا
للتصرف اي منصرفا لطلب المعاش وهو كل ما يعاش به من المطعم والشرب وغير ذلك فمعاشا هذا
اسم زمان ليكون الثاني هو الاول ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى العيش على تقدير حذف المضاف
يقال عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة ومعنى كون النهار معيشة ان الخلق انما يمكنهم التقلب
في حوائجهم ومكاسبهم في النهار قوله تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا اي سبع سموات محكمات
اي محكمة الخلق وثيقة البنيان وشدادا جمع شديدة اي قوية لا يوثر فيها مرور الزمان فطور
فيها ولا فروج ونظيره قوله تعالى وجعلنا السما سقفا محفوظا قوله تعالى وجعلنا سراجا
وهاجا اي وقادا وهو الشمس وجعل هنا بمعنى خلق لانها تعدت لمفعول واحد والوهاج
المضي المتلالي من قولهم وهج الجوهر اي تلالا وقيل الوهاج الذي له وهج يقال وهج يوهج
كوجل يوجل ووهج يهج كوعد يعد وهجا قال ابن عباس رضي الله عنه وهاجا منيرا متلاليا
قوله وانزلنا من المعصرات يجوز في من ان يكون على بابها من ابتداء الغاية وان تكون
للسببية ويدل قراءة عبد الله بن يزيد وعكرمة وقتادة بالمعصرات بالبا بدل من وهذا على
الخلاف في المعصرات ما المراد بها فعن ابن عباس انها السحاب وهو قول سفيان والربيع
وابي العالية والضحاك اي السحايب التي تنعصر بالما ولم تمطر بعد كالمراة المعصر التي قد دنت
حيضها ولم تحض يقال اعصرت السحاب اي شارفت ان يعصرها الرياح فتمطر كقولك
اجز الزرع اذا حان له ان يجز وانشد ابن قتيبة لابي النجم

تمشي الهوينا مائلا خمارها • قد اعصرت او قد دنا اعصارها

ولولا تاويل اعصرت بذلك لكان ينبغي ان يكون المعصرات بفتح الصاد اسم مفعول لان
الرياح تعصرها وقال الزمخشري وقرا عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان احدهما ان يراد
بالرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وان يراد السحاب لانه اذا كان الانزال منها فهو بها
كما تقول اعطى من يده واعطى بيده وعن ابن عباس ومجاهد المعصرات الرياح ذوات
الاعاصير كانها تعصر السحاب وعن الحسن وقتادة هي السموات وتاويله ان الما تنزل من
السما الى السحاب فكان السموات يعصرن اي يحملن على العصر ويمكن منه فان قلت فما
وجه من قرا من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير والمطر لا تنزل من الرياح قلت
الرياح هي التي تنشي السحاب وتدر اخلافه فيصح ان يجعل مبتدا للانزال وقد جا ان الله
تبارك وتعالى يبعث الرياح فتحمل الما من السما فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر فان
قلت ذكر ابن كيسان انه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر هو المغيث لا المعصر
يقال عصره فاعتصر قلت وجهه ان يريد اللاتي اعصرن اي حان لها ان تعصر اي تغيث

يعني

يعني ان عصر بمعنى اغاث ثلاثي فكيف قال هنا معصرات بهذا المعنى وهو من الرباعي فاجاب
عنه بما تقدم لمعنى الهمزة بمعنى الدخول في الشي قال القرطبي ويجوز ان يكون الاقوال واحده
ويكون المعنى وانزلنا من ذوات الرياح المعصرات ما ثجاجا واصح الاقوال ان المعصرات السحاب
كذا المعروف ان الغيث منها ولو كان بالمعصرات لكان الريح اولى وفي الصحاح والمعصرات
السحاب تعتصر بالمطر واعصر القوم اي مطروا ومنه قراة بعضهم وفيه يعصرون والمعصر الجارية
التي قربت من البلوغ والمعصر السحابة التي حان لها ان تمطر وقد اعصرت ومنه العصر بالتحريك
للملجا الذي يلجا اليه والمعصر بالضم ايضا الملجا وانشد ابو زيد

صاديا يستغيث غير مغاث • ولقد كان عصرة المنجود

ما ثجاجا اي منصبا بكثرة وشدة وفي الحديث احب العمل الى الله تعالى العج والثج فالعج
رفع الصوت بالتلبية والثج اراقة دما الهدي يقال ثج الما بنفسه اي انصب وثججته انا اي
صببته ثجا وثجوجا فيكون لازما ومتعديا وقال الشاعر

اذا رجفت فيها رحى مرجحنة • تبعج ثجاجا غزير الحوافل

وقرى الاعمش ثجاحا بالحا المهملة اخيرا قال الزمخشري ومثاجج الما مصابه والما ينثجح في الوادي
وكان ابن عباس مثجا يعني يثج الكلام ثجا في خطبته قوله تعالى لنخرج به اي بذلك الما
حبا كالحنطة والشعير وغير ذلك ونباتا من الانبات وهو ما تاكله الدواب من الحشيش
وجنات اي بساتين الفافا اي ملتفة بعضها ببعض لتشعب اغصانها وفي الالفاف اوجه
احدها انه لا واحد له قال الزمخشري الفافا ملتفة لا واحد له كالاوزاع والاخياف والثاني
انه جمع لف بكسر اللام فيكون نحو سر واسرار وانشد ابو علي الطوسي

جنة لف وعيش مغدق • وندامى كلهم بيض زهر

وهذا قول اكثر اهل اللغة ذكره الكسائي الثالث انه جمع لفيف قاله الكسائي وابو عبيدة كشريف
واشراف وشهيد واشهاد قال الشاعر

احابيش الفاف تباين فرعهم • وجذمهم عن نسبة المتعرف

الرابع انه جمع الجمع وذلك ان الاصل الف في المذكر ولفا في المونث كاحمر وحمرا ثم جمع لف على
الفاف اذ صار لف زنة فعل فجمع جمعه قاله ابن قتيبة الا ان الزمخشري قال وما اظنه واجدا له
نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر واحمار قال شهاب الدين كانه يستبعد هذا القول من حيث
ان نظائره لا تجمع على افعال اذ لا يقال خضر ولا حمر واحمار وان كان اجمعين لاحمر وحمرا واخضر
وخضرا وهذا غير لازم لان جمع الجمع لا ينقاس ويكفي ان يكون له نظير في المفردات كما رايت فلان
لفا صار نصير بصار زرع فعلا وهذا استغوان تكسير مفاعل ومفاعيل لعدم نظيره في المفردات
يحملان عليه الخامس قال الزمخشري ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا
وجيها وهذا متكلف لا حاجة اليه وايضا فغالب عبارات النحاة في حذف الزوائد انما هو في
التصغير يقول تصغير الترخيم بحذف الزوائد وفي المصادر يقولون هذا المصدر على حذف
الزوائد قال القرطبي ويقال شجرة لفا وشجر لف وامراة لفا اي غليظة الساق مجتمعة اللحم
وقيل التقدير ونخرج به جنات الفافا ثم حذف لدلالة الكلام عليه قوله تعالى ان يوم الفصل
كان ميقاتا اي وقتا ومجمعا وميعادا للاولين والاخرين لما وعد الله من الجزا والثواب وسمي
يوم الفصل لان الله تعالى يفصل فيه بين خلقه قوله يوم ينفخ يجوز ان يكون بدلا من يوم
الفصل او عطف بيان له او منصوبا باضمار اعني وافواجا حال من فاعل تاتون وقرا ابو عياض
في الصور بفتح الواو وتقدم مثله **فصل** هذا النفخ هو النفخة الاخيرة التي عندها
يكون الحشر وهذا هو النفخ للارواح وقيل هو قرن ينفخ فيه للبعث فتاتون اي الى موضع العرض
افواجا اي امما كل امة مع امامهم روى معاذ بن جبل رضي الله عنه قلت يا رسول الله ارايت قول
الله تعالى يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ لقد
سالتني عن امر عظيم ثم ارسل عينيه باكيا ثم قال عليه الصلاة والسلام يحشر عشرة اصناف
من امتي اشتاتا قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبدل صورهم فمنهم على صورة
القردة وبعضهم على صور الخنازير وبعضهم منكسين ارجلهم اعلاهم ووجوههم يسحبون وبعضهم

عميا وبعضهم صما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم
يتقذرهم الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم مصلبين على جذوع من نار وبعضهم اشد
نتنا من الجيف وبعضهم ملبسين جلابيب سابغة من القطران لاصقة بجلودهم فاما الذين
على صور القردة فالقتات من الناس يعني النمام واما الذين على صور الخنازير فاهل السحت
والحرام والمكس واما المنكسون على رؤوسهم ووجوههم فاكلة الربا واما العمي فالذين يجورون
في الحكم واما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلما الذين يخالف
قولهم فعلهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فالذين يوذون الجيران واما المصلبون على
جذوع النار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين اشد نتنا من الجيف فالذين
يتبعون الشهوات واللذات ويمنعون حق الله في اموالهم واما الذين يلبسون الجلابيب
فاهل الكبر والفخر والخيلا قوله تعالى وفتحت السما فكانت ابوابا قرا ابو عامر وحمزة
والكسائي فتحت خفيفة والباقون بالتثقيل والمعنى كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة
كقوله تعالى ويوم تشقق السما بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقيل تقطعت فكانت قطعا
كالابواب فانتصاب الابواب على هذا بحذف الكاف وقيل التقدير فكانت ذات ابواب لانها
تصير كلها ابوابا وقيل ابوابها طرقها وقيل ان لكل عبد بابا في السما لعمله وبابا لرزقه فاذا
قامت القيامة انفتحت الابواب ثم قال القاضي هذا الفتح والتشقق متقارب قال ابن
الخطيب وهذا ليس بقوي لان المفهوم من فتح الباب غير المفهوم من التشقق والتفطر وربما
تفتح تلك الابواب مع انه لا يحصل في جرم السما تشقق ولا تفطر بل الدلايل الصحيحة دلت على
ان حصول فتح هذه الابواب تحصيل التشقق والتفطر والفنا بالكلية فان قيل قوله تعالى
وفتحت السما فكانت ابوابا مفيد ان السما بكليتها تصير ابوابا بفعل ذلك فالجواب من وجوه
احدها ان تلك الابواب لما كثرت جدا صارت كانها ليست الا ابوابا كقوله تعالى وفجرنا الارض
عيونا اي كان الارض كلها صارت عيونا تتفجر وثانيها قال الواحدي هذا من باب
حذف المضاف اي فكانت ذات ابواب وثالثها ان الضمير في قوله تعالى فكانت ابوابا
يعود الى مضمر والتقدير فكانت تلك المواضع المفتوحة ابوابا لنزول الملائكة قوله
تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا اي لا شي كما ان السراب كذلك يظنه الرائي ماء وليس بماء
وقيل نسفت من اصولها وقيل ازيلت عن مواضعها قال ابن الخطيب ان الله تعالى
ذكر احوال الجبال بوجوه مختلفة ويمكن الجمع بينها بان نقول اول احوالها الاندكاك
وهو قوله تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة والحالة الثانية ان تصير كالعهن
المنفوش وهو قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش والحالة الثالثة ان تصير
كالهبا وهو قوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هبا منبثا والحالة الرابعة ان تنسف
لانها مع الاحوال المتقدمة تارة في مواضعها والارض غير بارزة فترسل الرياح فتنسفها عن وجه
الارض فتطيرها في الهوا كانها غبارة فمن نظر اليها يحسبها لتكاثفها اجساما جامدة وهي
في الحقيقة مارة الا ان مرورها بسبب مرور الرياح بها مندكة متنسفة والحالة السادسة
ان تصير سرابا اي لا شي كما ترى من بعد قوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا مفعال من
الرصد والرقبة كل شي كان امامك قرا ابن يعمر وابو عمرو والمنقري ان جهنم بفتح ان قال
الزمخشري على تعليل قيام الساعة ان جهنم كانت مرصادا للطاغين كانه قيل كان ذلك لاقامة
الجزا يعني انه علة لقوله تعالى يوم ينفخ في الصور الى اخره قال القفال في المرصاد
قولان احدهما ان المرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه كالمضمار اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل
والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه اي جهنم معدة لهم فالمرصاد بمعنى المحل وعلى
هذا فيه احتمالان الاول ان خزنة جهنم يرصدون الكفار والثاني ان مجاز المومنين وممرهم
على جهنم لقوله تعالى وان منكم الا واردها فخزنة الجنة يستقبلون المومنين عند جهنم
ويرصدونهم عندها القول الثاني ان المرصاد مفعال من الرصد وهو الترقب بمعنى ان
ذلك يكثر منه والمفعال من ابنية المبالغة كالمعطار والمعمار والمطعان قيل انها ترصد
اعدا الله وتستدعيهم لقوله تعالى تكاد تميز من الغيظ وقيل ترصد كل منافق وكافر

فصل

فصل

دلت الاية على ان جهنم كانت مخلوقة لقوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا واذا
كان كذلك كانت الجنة كذلك لعدم الفارق قوله للطاغين يجوز ان يكون صفة لمرصادا وان يكون
حالا من مابا لانه كان صفة فلما تقدم نصب على الحال وعلى هذين الوجهين فيتعلق بمحذوف
ويجوز ان يكون متعلقا بنفس مرصادا او بنفس مابا لانه بمعنى مرجع قال ابن الخطيب ان
قيل بان مرصادا للكافرين فقط كان قوله للطاغين من تمام ما قبله والتقدير كانت
مرصادا للطاغين ثم قوله تعالى مابا بدل من قوله مرصادا وان قيل ان مرصادا مطلقا للكفار
والمومنين كان قوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا كلاما تاما وقوله جل ذكره للطاغين مابا
كلاما مبتدا كانه قيل ان جهنم كانت مرصادا للكل ومابا للطاغين خاصة فمن ذهب الى القول
الاول لم يقف على قوله مرصادا ومن ذهب الى القول الثاني وقف عليه قال القرطبي
للطاغين مابا بدل من قوله مرصادا والماب المرجع اي مرجعا يرجعون اليها يقال اب يوب
اوبة اذا رجع وقال قتادة ماوي ومنزلا والمراد بالطاغين من طغى في دينه بالكفر
وفي دنياه بالظلم قوله لابثين منصوب على الحال من الضمير المستتر في للطاغين وهي حال
مقدرة وقرا حمزة لبثين بغير الف والباقون لابثين وضعف مكي قراة حمزة قال ومن
قرا لبثين شبهه بما هو خلقة في الانسان نحو حذر وفرق وهو بعيد لان اللبث ليس مما يكون
خلقة في الانسان وباب فعل انما يكون لما هو خلقة في الانسان وليس اللبث بخلقة
ورجح الزمخشري قراة حمزة فقال قرئ لابثين ولبثين واللبث اقوى لان اللابث يقال لمن وجد
منه اللبث ولا يقال لبث الا لمن شانه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه وما قاله
الزمخشري اصوب واما قول مكي اللبث ليس بخلقة فمسلم لكنه بولغ في ذلك فجعل بمنزلة الاشيا
الخلقية ولابثين اسم فاعل من لبث ويقويه ان المصدر منه اللبث بالاسكان كالشرب قوله
احقابا منصوب على الظرف وناصبه لابثين هذا هو المشهور وقيل منصوب بقوله لا يذوقون
وهذا عند من يرى تقدم معمول ما بعد لا عليها وهو احد الاقوال وقد تقدم هذا مستوفى في اواخر
الفاتحة وجوز الزمخشري ان ينتصب على الحال وفيه وجه اخر وهو ان يكون من حقب
عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطاه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب
فينتصب حالا عنهم بمعنى لابثين فيها حقبين جحدين وتقدم الكلام على الحقب في سورة
الكهف قال القرطبي والحقبة بالكسر السنة والجمع حقب قال متمم بن نويرة

وكنا كندماني جذيمة حقبة ◦ من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

والحقب بالضم والسكون ثمانون سنة وقيل اكثر من ذلك واقل والجمع احقاب قال الفرا
اصل الحقب من الترادف والتتابع يقال احقب اذا اردف ومنه الحقيبة ومنه كل من حمل وزرا
فقد احتقب فعلى هذا معناه لابثين فيها احقابا اي دهورا مترادفة يتبع بعضها بعضا فحصل
المعنى ماكثين في النار ما دامت الاحقاب وهي لا تنقطع فكلما مضى حقب جاءه حقب
والحقب بضمتين الدهر والاحقاب الدهور والمعنى لابثين فيها احقاب الاخرة التي لا نهاية
لها فحذف الاخرة لدلالة الكلام عليها اذ في الكلام ذكر الاخرة كما يقال ايام الاخرة اي ايام
بعد ايام الى غير نهاية اي لابثين فيها ازمانا ودهورا كلما مضى زمن يعقبه زمن ودهر يعقبه
دهر هكذا ابدا من غير انقطاع فكانه قال ابدا وانما كان يدل على التوقيت لو قال خمسة
احقاب او عشرة ونحوه وذكر الاحقاب لان الحقب كان ابعد شي عندهم فذكر ما يفهمونه وهو
كناية عن التابيد اي يمكثون فيها ابدا وقيل ذكر الاحقاب دون الايام لان الاحقاب
اهول في القلوب وادل على الخلود وهذا الخلود في حق المشركين ويمكن حمله على العصاة الذين
يخرجون من النار بعد احقاب وقيل الاحقاب وقت لشربهم الحميم والغساق فاذا انقضت
فيكون لهم نوع اخر من العذاب ولهذا قال تعالى لابثين فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا
ولا شرابا الا حميما وغساقا وقيل المعنى لابثين فيها احقابا قوله لا يذوقون فيه اوجه
احدها انه مستانف خبر عنهم بذلك الثاني انه حال من الضمير في لابثين غير ذايقين فهي
حال متداخلة الثالث انه صفة لاحقابا قال مكي واحتمل الضمير لانه فعل فلم يجب
اظهاره وان كان قد جرى صفة على غير من هو له وانما جاز ان يكون نعتا لاحقاب لاجل

الضمير العايد على الاحقاب في فيها فلو كان في موضع يذوقون اسم فاعل لكان لا بد من اظهار الضمير
اذا جعلته وصفا لاحقاب الرابع انه تفسير لقوله تعالى احقابا اذا جعلته منصوبا على الحال
بالتاويل المتقدم عن الزمخشري فانه قال وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير
له الخامس انه حال اخرى من للطاغين كلابثين **فصل** قال ابو عبيدة وغيره البرد
النوم قال الشاعر • فلو شئت حرمت النسا سواكم • وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا •
وهو قول مجاهد والسدي والكسائي والفضل بن خالد وابو معاذ النحوي والعرب تقول
منع البرد البرد يعني اي ذهب النوم وقال ابن عباس رضي الله عنه البرد برد الشراب وعنه
ايضا البرد النوم والشراب الماء قال الزجاج لا يذوقون فيها برد ريح ولا برد ظل ولا برد نوم
فجعل البرد برد كل شي له راحة وقال الحسن وعطا وابن زيد بردا اي روحا وراحة قوله الا
حميما يجوز ان يكون استثنا متصلا من قوله شرابا ويجوز ان يكون منقطعا قال الزمخشري يعني
لا يذوقون فيها بردا ولا روحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون
فيها حميما وغساقا قال شهاب الدين وحكى لما جعله منقطعا جعل البرد عبارة عن النوم قال
فان جعلته النوم كان حميما استثنا ليس من الاول وانما الذي حمل الزمخشري على الانقطاع مع
صدق اسم الشراب على الحميم والغساق وصفته له بقوله ولا شرابا يسكن من عطشهم فهذا القيد صار
الحميم ليس من جنس هذا الشراب واطلاق البرد على النوم لغة هذيل وانشد البيت المتقدم وهو
قول العرب منع البرد البرد قيل وسمي بذلك لانه يقطع سورة العطش والذوق على هذين القولين
اعني كونه روحا تنفس عنهم الحر وكونه النوم مجاز واما على قول من جعله اسما للشراب البارد
المستلذ كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنه وانشد قول حسان •
• يسقون من ورد البريص عليهم • بردى يصفق بالرحيق السلسل •
قال ابن الاثير البريض الما القليل والبرض الشي القليل وقال الاخر •
• اماني من سعدي حسان كانما • سقتك بها سعدى على ظما بردا •
فالذوق حقيقة الا انه يصير فيه تكرار بقوله بعد ذلك ولا شرابا الثالث انه بدل من قوله ولا شرابا
وهو الاحسن لان الكلام غير موجب قال ابو عبيدة الحميم الما الحار وقال ابن زيد دموع اعينهم
تجمع في حياض ثم يسقونه وقال النحاس اصل الحميم الما الحار ومنه اشتق الحمام ومنه الحمى ومنه
ظل من يحموم انما يراد به النهاية في الحر والغساق صديد اهل النار وقيحهم وقيل الزمهرير وتقدم
خلاف القرا في غساقا والكلام عليه وعلى حميم قال ابو معاذ كنت اسمع مشايخنا يقولون هو
الغساق فارسية معربة يقولون للشي الذي يتقذرونه خاشاك قوله جزا منصوب على
المصدر وعامله اما قوله لا يذوقون الى اخره لانه في قوة جوزوا بذلك واما محذوف وفاقا نعت
له على المبالغة وعلى حذف مضاف اي ذا وفاق قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما معناه موافقا
لاعمالهم فالوفاق بمعنى الموافقة وقال الفرا ايضا هو جمع الوفق والوفق والموافق واحد
وقال مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب اعظم من الشرك ولا عذاب اعظم من النار
وقال الحسن وعكرمة كانت اعمالهم سيئة فاتاهم الله بما يسوءهم وقرا ابو حيوة وابن ابي عبلة بتشديد
الفاء من وفقه كذا قوله تعالى انهم كانوا لا يرجون حسابا اي لا يخافون حسابا اي محاسبة
على اعمالهم وقيل لا يرجون ثواب حساب وقال الزجاج انهم كانوا لا يومنون بالبعث فيرجون
حسابهم فهو اشارة الى انهم لم يكونوا مومنين قوله تعالى وكذبوا بآياتنا كذابا قرا العامة
كذابا بتشديد الذال وكان من حق مصدره فعل ان ياتي على التفعيل نحو صرف تصريفا قال
الزمخشري وفعال في باب فعل كله فاش في كلام فصحا العرب لا يقولون غيره وسمعني بعضهم
افسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله قال غيره وهي لغة بعض العرب يمانية وانشد
• لقد طال ما ثبطني عن صحابتي • وعن حاجة قضاها من شفائيا •
يريد بعضها والاصل على التفعيل وانما هو مثل زكى تزكية وسمع بعضهم يستفتي في حجة
فقال الحلق احب اليك ام القصار يريد التقصير قال الفراء هي لغة يمانية فصيحة يقولون كذبت
كذابا وخرقت القميص خراقا وكل فعل في وزن فعل فمصدره فعال مشدد في لغتهم وقد
قرا علي وال عمش وابو رجا وعيسى البصرة بالتخفيف وهو مصدر ايضا اما لهذا الفعل الظاهر على

حذف الزوايد فاما لفعل مقدر كما انبتكم من الارض نباتا قال الزمخشري هو مثل قوله تعالى انبتكم
من الارض نباتا يعني وكذبوا بآياتنا وينصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق
كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة وكذبوا بها مكاذبة
لانهم اذا كانوا عند المسلمين مكاذبين فكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة او لانهم
يتكلمون بما هو افرط في الكذب فعل من يغالب فيبلغ فيه اقصى جهده وقال ابو الفضل وذلك لغة
اليمن وذلك بانهم يجعلون مصدر كذب مخففا كذابا بالتخفيف مثل كتب كتابا فصار المصدر هنا من
معنى الفعل دون لفظه مثل اعطيته عطا قال شهاب الدين اما كذابا بالتخفيف فيها مشهور ومنه
قول الاعشى فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وقرا عمر بن عبد العزيز والماجشون كذابا
بضم الكاف وتشديد الذال وفيها وجهان احدهما انه جمع كاذب نحو ضراب في ضارب وعلى هذا فانتصابه
على الحال المؤكدة اي وكذبوا في حال كونهم كاذبين قاله ابو البقا والثاني ان الكذاب بمعنى الواحد
البليغ في الكذب يقال رجل كذاب كقولهم حسان فيجعل وصفا لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا
مفرطا كذبه قاله الزمخشري قال القرطبي وفي الصحاح وقوله تعالى وكذبوا بآياتنا كذابا
وهو احد مصادر المشدد لان مصدره قد يجي على تفعيل مثل التكليم وعلى فعال مثل كذاب وعلى
مثل توصية وعلى مفعل مثل ومزقناهم كل ممزق قوله تعالى وكل شي العامة على النصب
على الاشتغال وهو الراجح لتقدم جملة فعلية وقرا ابو السماك برفع كل على الابتدا وما بعده الخبر
وهذه الجملة معترض بها بين السبب والمسبب لان الاصل وكذبوا بآياتنا كذابا فذوقوا بسبب عن
تكذيبهم قوله احصيناه فيه اوجه احدها انه مصدر من معنى احصيناه اي احصا فالتجوز في
نفس المصدر الثاني من معنى احصيناه اي احصا فالتجوز في نفس المصدر لانه مصدر لاحصيناه
لانه في معنى كتبنا فالتجوز في نفس الفعل قال الزمخشري لالتقا الاحصا والكتب معنى في الضبط
والتحصيل قال ابن الخطيب وانما عدل عن تلك اللفظة الى هذه اللفظة لان الكتابة هي النهاية
في قوة العلم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم قيدوا العلم بالكتابة فكانه تعالى قال وكل شي احصيناه
كتابا احصا في القوة والثبات والتاكد كالمكتوب فالمراد من قوله كتابا تاكيد ذلك الاحصا
والعلم وهذا التاكيد انما ورد على حسب ما يليق باوهام اهل الظاهر فان المكتوب يقبل الزوال
وعلم الله تعالى بالاشيا لا يقبل الزوال لانه واجب لذاته الثالث ان يكون منصوبا على الحال
بمعنى مكتوبا في اللوح المحفوظ لقوله تعالى وكل شي احصيناه في امام مبين وقيل اراد ما اراد
ما كتبته الملائكة الموكلون بالعباد بامر الله تعالى اياهم بالكتابة لقوله تعالى وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين **فصل** معنى وكل شي احصيناه اي علمنا كل شي علما كما هو لا يزول ولا يتبدل
ونظيره قوله تعالى احصاه الله ونسوه قال ابن الخطيب وهذه الاية لا تقبل التاويل لانه تعالى
تبارك وتعالى هذا التقدير لما ادعاه من قوله تعالى جزا وفاقا كانه تعالى قال انا عالم بجميع
ما فعلوه وعالم بجهات تلك الافعال واحوالها واعتباراتها التي لاجلها يحصل استحقاق الثواب
والعقاب فلا جرم لا اوصل اليهم من العذاب الا قدر ما يكون وفاقا لاعمالهم وهذا القدر انما يتم بثبوت
كونه عالما بالجزئيات واذا ثبت هذا ظهر ان كل من انكره كان قاطعا قوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا قال ابن الخطيب هذه الفا للجزا فنبه على ان الامر بالذوق تعالى بما تقدم شرحه من قبائح
افعالهم هذه الفا افادت عين فايدة قوله جزا وفاقا فيك البشر انه تعالى كما كان في صفة
الكفار ولا يكلمهم الله فهما لما قال تعالى لهم فذوقوا فقد كلمهم فالجواب قال اكثر المفسرين ويقال
لهم فذوقوا ولقايل ان يقول قوله فلن نزيدكم لا يليق الا بالله والاقرب في الجواب ان يقال
قوله ولا يكلمهم معناه ولا يكلمهم بالكلام الطيب النافع فان تخصيص العموم سايغ عند حصول
القرينة فان قوله ولا يكلمهم انما ذكره لبيان انه تعالى لا يقيم لهم وزنا وذلك لا يحصل الا من
الكلام الطيب فان قيل ان كانت هذه الزيادة غير مستحقة كانت ظلما وان كانت مستحقة كان
تركها في اول الامر احسانا والكريم لا يليق به الرجوع في احسانه فالجواب انها مستحقة ودوامها
زيادة لثقل بحسب ذلك الدوام وايضا فترك المستحق في بعض الاوقات لا يوجب الابرا والاسقاط
فصل قال ابن الخطيب قوله تعالى فذوقوا تفيد معنى التعليل وهو التفات من الغيبة
للخطاب فهو دال على الغضب وفيه مبالغات منها ان لن للتاكيد ومنها الالتفات ومنها اعادة قوله

فذوقوا بعد ذكر العذاب قال ابو بردة رضي الله عنه سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن اشد
اية في القران دعا الصلاة والسلام قوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا اي كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وكلما خبت زدناهم سعيرا قوله تعالى ان
للمتقين مفازا تقدم تفسير المتقي والمفاز يحتمل ان يكون مصدرا بمعنى فوزا وظفرا بالنعمة ويحتمل
ان يكون المراد منه فوزا بالنجاة من العذاب ولذلك قيل للفلاة اذا قل ماؤها مفازة تفاولا
بالخلاص منها وان يكون المراد مجموع الامرين وقال الضحاك منتزها قوله حدايق يجوز ان يكون
بدلا من مفازا بدل اشتمال او بدل كل من كل مبالغة في ان جعل نفس هذه الاشيا مفازا ويجوز ان
يكون منصوبا باضمار اعني واذا كان مفازا بمعنى الفوز فيقدر مضاف اي فوز حدايق وهي
جمع حديقة وهي البستان المحوط عليه ويقال احدق به اي احاط والاعناب جمع عنب اي كروم
اعناب فحذف والتنكير في قوله تعالى واعنابا يدل على تعظيم تلك الاعناب قوله تعالى
وكواعب اترابا الكواعب جمع كاعب وهي من كعب ثديها وتفلك اي يكون الثدي في النتو كالكعب
والفلكة اي استدار وهي الناهد يقال كعبت الجارية تكعب كعوبا وكعبت تكعب تكعيبا ونهدت
تنهد نهودا قال وكان مجني دون من كنت اتقي • ثلاث شخوص كاعبان ومعصر • وقال قيس بن
عاصم المنقري • وكم من حصان قد حوينا كريمة وكم كاعب لم تدر ما البوس معصر •
وقال الضحاك الكواعب العذارى والاتراب الاقران في السن وقد تقدم ذكرهن في الواقعة
قوله تعالى وكاسا دهاقا الدهاق الملاى المترعة قيل هو ماخوذ من دهقه اي ضغطه
وشده بيده كانه ملا اليد فانضغط قال •
لانت الى الفراح قربا الى الصادي من الكاس الدهاق •
وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة وابي عبيدة والزجاج والكسائي قال عكرمة وربما
سمعت ابن عباس يقول اسقنا وادهق لنا ودعى ابن عباس غلاما له فقال اسقنا دهاقا
فجا الغلام بها ملاى فقال ابن عباس هذا الدهاق وقيل الدهاق التتابع قال •
اتانا عامر يبغي قرانا • فاترعنا له كاسا دهاقا •
وهذا قول الجمهور وسعيد بن جبير ومجاهد قال الواحدي واصل هذا القول من قول
العرب ادهقت الحجارة ادهاقا وهي شدة تلازمها ودخول بعضها في بعض ذكره الليث والتتابع
كالتداخل وعن عكرمة وزيد بن اسلم انها الصافية وهو جمع دهق وهو خشبتان يعصر بهما
والمراد بالكاس الخمر قال الضحاك كل كاس في القران فهو خمر والتقدير وخمر ذات دهاق اي
عصرت وصفيت بالدهاق قاله القشيري وفي الصحاح وادهقت الما اي افرغته افراغا شديدا
قال ابو عمرو والدهق بالتحريك ضرب من العذاب وهو بالفارسية اشكنجه قال المبرد
والمدهوق المعذب بجميع العذاب الذي لا فرجة فيه وقال ابن الاعرابي دهقت الشي اي
كسرته وقطعته وكذلك دعقته ودهمقته بزيادة الميم المثلثة وقال الاصمعي الدهمقة
لين الطعام وطيبه ورقته وكذلك كل شي لين ومنه حديث عمر رضي الله عنه لو شيت ان تدهمق
لي لفعلت ولكن الله عاب قوما فقال تعالى اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم
بها قوله تعالى لا يسمعون فيها اي في الجنة وقيل في الكاس لغوا ولا كذابا اللغو الباطل
وهو ما يلغى من الكلام ويطرح ومنه الحديث اذا قلت لصاحبك انصت فقد لغوت وذلك
ان اهل الجنة اذا شربوا لم تتغير عقولهم ولم يتكلموا بلغو بخلاف الدنيا ولا كذابا اي لا يكذب بعض
في الجنة وقيل هما مصدران للتكذيب وانما خففها لانها ليست مقيدة بفعل بغير مصدر الذي
وشدد قوله وكذبوا باياتنا كذابا لان كذبوا يقيد بالمصدر ما للكذاب قال شهاب الدين وانما وافق
الكسائي الجماعة في الاول للتصريح بفعله المشدد المقتضي لعدم التخفيف في كذابا وهذا كما
تقدم في قوله تفجر الانهار حيث لم يختلف فيه للتصريح معه بفعله بخلاف الاول وقال مكي من
شدده جعله مصدر كذب زيدت فيه الالف كما زيدت في اكراما وقولهم تكذيبا جعلوا التا عوضا
من تشديد العين والياء بدلا من الالف غيروا اوله كما غيروا اخره واصل مصدر الرباعي ان ياتي
على عدد حروف الماضي بغير زيادة الف وذلك لكثرة حروفه وضمت اللام ولو تكسر لانه ليس اسم
على تفعيل ولم تفتح ليلا تشتبه بالماضي وقرا الكسائي بالتخفيف جعله مصدر كذب كذابا

وقيل هو مصدر كذب كقولك كتبت كتابا قوله جزا مصدر موكد منصوب بمعنى ان للمتقين
مفازا كانه قيل جازى المتقين بمفاز قوله عطا بدل من جزا وهو اسم مصدر قال وبعد عطائك
المائة الرتاعا قال وجعله الزمخشري منصوبا بجزا نصب المفعول به ورده ابو حيان بانه جعله
جزا مصدرا موكدا المضمون للجملة التي هي ان للمتقين قال والمصدر الموكد لا يعمل لانه لا ينحل
لحرف مصدري والفعل ولا نعلم في ذلك خلافا قوله حسابا صفة لعطا والمعنى كافيا فهو
مصدر اقيم مقام الموصوف او بولغ فيه او على حذف مضاف من قولهم احسبني الشي اي كفاني وقال
قتادة عطا حسابا اي كثيرا يقال احسبت فلانا اي كثرت له العطا يا قال حسبي وقال الكلبي
حاسبهم فاعطاهم بالحسنة عشر امثالها وقد وعرفوا ما جزا لا نهاية له ولا مقدار كما قال تعالى
انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب وقرا ابو البرهسم وشريح بن يزيد الحمصي بتشديد
السين مع بنا الحال على كسرها وتخريجها انه مصدر مثل كذاب اقيم مقام الوصف اي عطا محسبا
اي كافيا وابن قطيب كذلك الا انه فتح الحا قال ابو الفتح بني فعالا من افعل كدراك من ادرك
يعني انه صفة مبالغة من حسب بمعنى كافي كذا وابن عباس حسنا بالنون من الحسن وسراج
حسبا بفتح الحا وسكون السين والبا الموحدة اي عطا كافيا من قولك حسبك كذا اي كافيك قوله
تعالى رب السموات قرا نافع وابن كثير وابو عمرو برفع رب والرحمن وابن عامر وعاصم بخفضهما
والاخوان بخفض الاول ورفع الثاني فاما رفعهما فيجوز من اوجه احدها ان يكون رب خبر
مبتدا مضمر اي هو رب والرحمن كذلك او مبتدا خبره لا يملكون الثاني ان يجعل رب مبتدا والرحمن
خبره ولا يملكون خبر ثان او مستانف الثالث ان يكون رب مبتدا والرحمن نعته ولا يملكون
خبر رب الرابع ان يكون رب مبتدا والرحمن مبتدا ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر الاول وحصل
الربط بتكرير المبتدا بمعناه وهو راي الاخفش ويجوز ان يكون لا يملكون حالا ويكون لازمة
واما جرهما فعلى البدل او البيان او النعت كلاهما الا ان تكرير البدل فيه نظر تقدم التنبيه عليه اخر
الفاتحة او يجعل رب السموات تابعا للاول والرحمن تابعا للثاني على ما تقدم واما جر
الاول فعلى التبعية للاول ورفع الثاني فعلى الابتدا والخبر الجملة الفعلية او على انه خبر
مبتدا مضمر ولا يملكون على ما تقدم من الاستيناف او الخبر الثاني او الحال اللازمة قوله
لا يملكون نقل عطا عن ابن عباس رضي الله عنه ان الضمير في لا يملكون راجع الى المشركين اي لا
يخاطبهم الله واما المومنون فيشفعون ويقبل الله تعالى منهم بعد اذنه لهم وقال القاضي
انه راجع للمومنين والمعنى ان المومنين لا يملكون ان يخاطبوا الله تعالى في امر من الامور
لما ثبت انه تعالى عدل لا يجوز وثبت ان العقاب الذي اوصله الى الكفار عدل وثبت ان
الثواب الذي اوصله الى المومنين عدل وانه ما بخس حقهم فباي سبب يخاطبونه وقيل الضمير
يعود لاهل السموات والارض وان احدا من المخلوقين لا يخاطب الله تعالى ومكالمته قال
ابن الخطيب وهذا هو الصواب قوله تعالى يوم يقوم منصوب على الظرف اما بلا يتكلمون
بعده واما بلا يملكون وصفا حالا اي مصطفين ولا يتكلمون اما حال او مستانف فصل

اختلفوا في الروح فقال ابن عباس هو ملك ما خلق الله تعالى بعد العرش اعظم منه فاذا
كان يوم القيمة قام وحده صفا وقام الملايكة كلهم صفا ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه
قال الروح ملك اعظم من السموات السبع والارضين السبع والجبال وقيل جبريل عليه
السلام قاله الشعبي والضحاك وسعيد بن جبير وروي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال الروح في هذه الاية جند من جنود الله ليسوا ملايكة لهم روس وايدي
وارجل ياكلون الطعام ثم قرا يوم يقوم الروح والملايكة صفا وهذا قول ابي صالح ومجاهد
وعلى رضي الله عنهم وعلى هذا هو خلق على صور بني ادم كالناس وليسوا بناس وما ينزل
من السما ملك الا ومعه واحد منهم نقله البغوي وعن ابن عباس رضي الله عنهما ارواح
الناس وقال مقاتل وابن حبان هم اشراف الملايكة وقال ابن ابي نجيح هم حفظة على الملايكة
وقال الحسن وقتادة هم بنو ادم والمعنى ذو الروح وقال العوفي والقرطبي هذا مما كان
يكتمه ابن عباس وقيل ارواح بني ادم تقوم صفا والملايكة صفا وذلك بين النفختين قبل
ان ترد الى الاجسام قال عطية وقال زيد بن اسلم هو القران وقرا وكذلك اوحينا اليك

روحامن امرنا وصفا مصدر اي يقومون صفوفا والمصدر ينبي عن الواحد والجمع كالعدل
والصوم ويقال ليوم العيد يوم الصف وقال في موضع اخر سبحانه وجاء ربك والملك
صفا صفا وهذا يدل على الصفوف وهذا حين العرض والحساب قيل هما صفان وقيل
يقوم الكل صفا واحدا لا يتكلمون اي لا يشفعون قوله الا من اذن يجوز ان يكون بدلا
من واو يتكلمون وهو الارجح لكنه غير موجب وان يكون منصوبا على اصل الاستثنا
والمعنى لا يشفعون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا والمعنى لا يشفعون الا في حق شخص
اذن الرحمن في شفاعته وذلك الشخص كان ممن قال صوابا ومعنى قال صوابا يعني حقا
قال الضحاك ومجاهد روي الضحاك عن بن عباس رضي الله عنه قال لا يشفعون الا
من قال لا اله الا الله محمد رسول الله واصل الصواب السداد من القول والفعل وهو من اصاب
يصيب اصابة كالجواب من اجاب يجيب وقيل لا يتكلمون يعني الملايكة والروح الذين
قاموا صفا لا يتكلمون هيبة واجلالا الا من اذن له الرب تعالى في الشفاعة وهم الذين
قالوا صوابا وانهم يوحدون الله تعالى ويسبحونه قوله تعالى ذلك اليوم الحق ذلك
اشارة الى ما تقدم ذكره فمن شا اتخذ الى ربه مابا اي موجبا بالعمل الصالح وقال قتادة
مابا سبيلا ثم انه تعالى زاد في تخويف الكفار فقال سبحانه وتعالى انا انذرناكم عذابا
قريبا لان كل ما هو ات قريب كقوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها
وقال قتادة عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين او قال مقاتل هو قتل قريش ببدر
وهذا خطاب للكفار قريش ومشركي العرب لانهم قالوا لا نبعث وانما سماه انذارا لانه تعالى
قد خوف بهذا الوصف نهاية التخويف وهو معنى الانذار قوله يوم ينظر المرء يجوز ان
يكون بدلا من يوم قبله وان يكون منصوبا بعذابا اي العذاب واقع في ذلك اليوم
وجوز ابو البقاء ان يكون نعتا لقريبا ولو جعله نعتا لعذابا كان اولى والعامة بفتح ميم
المرء وهي الفاشية وابن ابي اسحاق بضمها وهي لغة يتبعون الميم اللام الفا اللام وخطا ابو
حاتم هذه القراءة وليس بصواب لثبوتها لغة **فصل** اراد بالمرء المومن في قول
الحسن اي يجد لنفسه عملا فاما الكافر فلا يجد لنفسه عملا فيتمنى ان يكون ترابا قال
ويقول الكافر فعلم انه اراد بالمرء المومن وقيل المراد هنا ابي بن خلف وعقبة بن ابي
معيط ويقول الكافر ابو جهل وقيل هو عام في كل احد يرى في ذلك اليوم جزا ما كسب
قوله ما قدمت يداه يجوز في ما ان تكون استفهامية معلقة لينظر على انه من النظر
فيكون الجملة في موضع نصب على اسقاط الخافض وان تكون موصولة مفعولا بها
والنظر بمعنى الانتظار اي ينتظر الذي قدمت يداه قوله تعالى ويقول الكافر
ياليتني كنت ترابا العامة لا يدغمون باكنت في يا ترابا قالوا لان الفاعل لا يحذف
والادغام يشبه الحذف وفي قوله تعالى ويقول الكافر وضع الظاهر موضع مضمر
شهادة عليه بذلك **فصل** قال مقاتل نزلت قوله تعالى يوم ينظر المرء
ما قدمت يداه في ابي سلمة بن عبد الاسد المخزومي ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا
في اخيه الاسود بن عبد الاسد وقال الثعلبي سمعت ابا القاسم بن حبيب يقول
الكافر هنا ابليس لعنة الله عليه وذلك بانه عاب ادم عليه السلام بانه خلق من تراب
وافتخر بانه خلق من نار فاذا عاين يوم القيمة ما فيه ادم وبنوه من الثواب والراحة
وراى ما هو فيه من الشدة والعذاب تمنى انه كان بمكان ادم فيقول ياليتني كنت ترابا
قال ورايته في بعض التفاسير روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال يحشر
الخلق كلهم من دابة وطاير وانسان ثم يقال للبهايم والطير كونوا ترابا فعند ذلك
يقول الكافر ياليتني كنت ترابا وقيل معنى ياليتني كنت ترابا اي لم ابعث وقال ابو
الزناد اذا قضي بين الناس وامر اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار قيل لساير
الامم ولمومني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر حين يراهم
ياليتني كنت ترابا وقال ليث بن ابي سليم مومني الجن يعودون ترابا وقال عمر
ابن عبد العزيز والزهري والكلبي ومجاهد مومنو الجن حول الجنة في ربض ورحاب

وليسوا فيها وهذا اصح وانهم مكلفون مثابون ومعاقبون كبني ادم روي الثعلبي عن ابي
ابن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عم يتساءلون سقاه
الله برد الشراب يوم القيمة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم

سورة الساهرة مكية

وهي ست واربعون اية وماية وسبعون كلمة وسبع ماية وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والنازعات غرقا يجوز في غرقا ان يكون مصدرا على حذف الزوايد بمعنى
اغراقا وانتصابه بما قبله لملاقاته في المعنى واما على الحال اي ذوات اغراق يقال
اغرق في الشي يغرق فيه اذا اوغل وبلغ اقصى غايته ومنه اغرق النازع في القوس
اي بلغ غاية المد والاستغراق الاستيعاب **فصل** اقسم الله تعالى بهذه الاشيا
الخمسة على ان القيمة حق والنازعات قيل هي الملايكة التي تنزع ارواح الكفار قاله
علي وابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد قال ابن مسعود يريد نفس الكفار
ينزعها ملك الموت من اجسادهم من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين
نزعا كالسفود ينزع من الصوف الرطب ثم يغرقها اي يرجعها الى اجسادهم ثم ينزعها فهذا
عمله في الكفار وقال سعيد بن جبير نزعت ارواحهم ثم غرقت ثم حرقت ثم قذف بها في
النار وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزع كانها تغرق وقال السدي والنازعات هي
النفوس حين تغرق في الصدور وقال مجاهد هي الموت ينزع النفوس وقال الحسن وقتادة
هي النجوم تنزع من افق الى افق اي تذهب من قولهم نزع اليه اي ذهب او من قولهم
نزعت الخيل اي جرت غرقا اي انها تغرق وتغيب وتطلع من افق اخر وهو قول ابي عبيدة
وابن كيسان والاخفش وقال عطا وعكرمة والنازعات القسي تنزع بالسهام وغرقا
بمعنى اغراقا واغرق النازع في القوس اذا بلغ غاية المد حتى ينتهي الى النصل ويقال لقشرة
البيضة الداخلة غرقي وقيل هم الغزاة الرماة وهو الذي قبله لانه اذا اقسم بالقسي فالمراد
النازعون بها تعظيما لها لقوله تعالى والعاديات ضبحا وقال يحيى بن سلام هي الوحش
تنزع من الكلاب وتنفر ومعنى غرقا اي ابعادا في النزع قوله تعالى والناشطات
نشطا اعلم ان نشطا وسبحا وسبقا كلها مصادر والنشط الربط والانشاط الحل يقال
نشط البعير ربطه وانشطه حله ومنه كانما انشط من عقال فالهمزة للسلب ونشط
ذهب بسرعة ومنه قيل البقر الوحشي نواشط وقال عمار بن قحافه

اري سمومي تنشط المناشطا ○ الشام بي طورا وطورا واسطا

ونشيطا ونشط الحبل انشطه انشوطه عقدته وانشطته مددته ونشط كانشط قال
الاصمعي بير انشاط اي قريبة القعر يخرج الدلو منها بجذبة واحدة وبير نشوط قال
وهي التي لا يخرج منها الدلو حتى ينشط كثيرا **فصل** قال ابن عباس رضي الله
عنه يعني الملايكة تنشط نفس الكافر فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير اذا حل
عنه وقيل يعني انفس الكفار والمنافقين تنشط كما ينشط العقب الذي يعقب به السرج
والنشط الجذب بسرعة ومنه الانشوطة عقدة يسهل انحلالها اذا جذبت مثل عقدة
التكة قال الليث انشطه بانشوطة وانشوطتين اي اوثقته وانشطت العقال اي
مددت انشوطته فانحلت قال ويقال نشط بمعنى انشط لغتان بمعنى وعن ابن عباس
ايضا ان الناشطات الملايكة لنشاطها تذهب وتجي بامر ربها حيث ما كان وقال
مجاهد هو الموت ينشط نفس الانسان وقال السدي النفوس حين تنشط من القدمين
وقال قتادة والحسن والاخفش هي النجوم تنشط من افق الى افق اي تذهب قال
الجوهري يعني النجوم تنشط من برج الى برج كالثور الناشط من بلد الى بلد وقيل
النازعات للكافرين والناشطات للمومنين فالملايكة يجذبون روح المومن برفق

والنزع جذب بشدة وقيل هما جميعا للكفار والامتنان بعدهما للمومنين قوله تعالى والسابحات
قال علي رضي الله عنه هي الملايكة تسبح بارواح المومنين قال الكلبي كالذي يسبح في الماء فاحيانا
ينغمس واحيانا يرتفع يسلونها سلا رفيقا بسهولة ثم يدعونها حتى تستريح وقال مجاهد وابو صالح
هي الملايكة ينزلون من السما مسرعين لامر الله تعالى كما يقال للفرس الجواد سابح اذا اسرع في جريه وعن
مجاهد السابحات الموت يسبح في نفوس بني ادم وقيل هي الخيل الغزاة قال عنتره

والخيل تعلم حين يسبح ⁕ في حياض الموت سبحا

وقال قتادة والحسن هي النجوم تسبح في افلاكها وكذا الشمس والقمر قال تعالى كل في فلك يسبحون
وقال عطا هي السفن تسبح في الما وقال ابن عباس ارواح المومنين تسبح شوقا الى لقا الله
تعالى ورحمته حين تخرج قوله تعالى فالسابقات سبقا قال علي رضي الله عنه هي الملايكة
تسبق الشياطين بالوحي الى الانبيا عليهم الصلاة والسلام وهو قول مسروق ومجاهد وعن
مجاهد ايضا والحسن هي الملايكة سبقت بني ادم الى العمل الصالح فتكتبه وعن مجاهد ايضا
الموت يسبق الانسان وقال مقاتل هي الملايكة تسبق بارواح المومنين الى الجنة وقال ابن
مسعود هي انفس المومنين تسبق الى الملايكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقا الى لقا
الله تبارك وتعالى وقال قتادة والحسن ومعمر هي النجوم تسبق بعضها وقال عطا هي الخيل
التي تسبق الى الجهاد وقيل يحتمل ان تكون السابقات ما تسبق من الارواح قبل الاجساد الى جنة او
نار حكاه الماوردي قال الجرجاني وذكر السابقات بالفا لانها مسببة من التي قبلها اي واللاي
تسبح فتسبق بقول قام فذهب فهذا يوجب ان يكون القيام سببا للذهاب ولو قلت قام
ذهب لم يكن القيام سببا للذهاب قال الواحدي وهذا غير مطرد في قوله تعالى فالمدبرات
امرا لانه لا يبعد ان يجعل السبق للتدبير قال ابن الخطيب ويمكن الجواب عن اعتراض الواحدي
بانها لما امرت سبحت فسبقت فدبرت ما امرت بتدبيره فتكون هذه افعالا يتصل بعضها ببعض
كقوله قام زيد فذهب او لما سبقوا في الطاعات وسارعوا اليها ظهرت امانتهم ففوض اليهم
التدبير **قوله** تعالى فالمدبرات امرا قيل امرا مفعول بالمدبرات وقيل حال تدبره مامورات
وهو بعيد قال القشيري اجمعوا على ان المراد الملايكة وقال الماوردي فيه قولان احدهما
الملايكة قاله الجمهور والقول الثاني هي الكواكب السبع حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل
وفي تدبيرها الامور وجهان احدهما تدبير طلوعها وافولها والثاني في تدبير ما قضى الله تعالى
فيها من تقليب الاحوال وحكى هذا القول ايضا في تفسيره وان الله تعالى علق كثيرا من تدبير
العالم بحركات النجوم فاضيف التدبير اليها وان كان من الله تعالى كما يسمى الشي باسم ما يجاوره
وقال شهاب الدين والمراد بهولاء اما طوايف الملايكة واما طوايف خيل الغزاة واما النجوم
واما المنايا واما بقر الوحش وما جرى مجراها لسرعتها واما ارواح المومنين يعني المذكورين في
جميع القسم **فصل** تدبير الملايكة نزولها بالحلال والحرام وتفصيله قال ابن عباس
وقتادة وغيرهما هو الى الله عز وجل ولكن لما نزلت الملايكة به سميت بذلك كما قال تعالى
نزل به الروح الامين على قلبك وقوله تعالى فانه نزله على قلبك يعني جبريل نزله على قلب محمد
صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى هو الذي انزله وروي عطا عن ابن عباس المدبرات
امرا هي الملايكة وكلت بتدبير احوال اهل الارض في الرياح والامطار وغير ذلك قال عبد الرحمن
ابن سابط تدبير امر الدنيا الى اربعة جبريل وميكاييل وملك الموت واسمه عزرايل واسرافيل
فاما جبريل فهو موكل بالرياح والجنود واما ميكاييل فموكل بالقطر والنبات واما ملك الموت
فموكل بقبض الارواح في البر والبحر واما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وليس في الملايكة اقرب
من اسرافيل وبينه وبين العرش خمسماية عام وقيل وكلوا بامور عرفهم الله بها فان قيل لم
قال امرا ولم يقل امورا فانهم يدبرون كثيرة فالجواب المراد به الجنس فهو قايم مقام الجمع واعلم
ان هذه الكلمات اقسم الله تعالى بها ولله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه وليس لنا ذلك قوله
تعالى يوم ترجف الراجفة منصوب بفعل مقدر وهو جواب القسم تقديره لتبعثن لدلالة
ما بعده عليه قال الفرا ويدل عليه قوله تعالى ايذا كنا عظاما نخرة الست ترى انه كالجواب
لقولهم ايذا كنا عظاما نخرة نبعث فاكتفا بقوله ايذا كنا عظاما نخرة وقال الاخفش والزجاج

ينفخ في الصور نفختين بدليل ذكر الراجفة والرادفة وهما النفختان قال الزمخشري فان قلت
كيف جعلت يوم ترجف ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى قلت المعنى
لتبعثن في الوقت الواسع الذي يقع فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو
وقت النفخة الاخرى ودل على ذلك ان قوله تتبعها الرادفة جعل حالا من الراجفة وقيل
العامل مقدر عن جواب اذكر يوم ترجف وفي الجواب على هذا التقدير وجوه احدها انه قوله
ان في ذلك لعبرة واستقبحه ابو بكر بن الانباري لطول الفصل الثاني انه قوله هل اتاك حديث
موسى لان هل بمعنى قد وهذا غلط لانه كما تقدم في هل اتى انها لا تكون بمعنى قد الا في الاستفهام
على ما قال الزمخشري الثالث ان الجواب تتبعها وانما حذفت اللام والاصل ليوم ترجف الراجفة
تتبعها فحذفت اللام ولم تدخل نون التوكيد على تتبعها للفصل بين اللام المقدرة وبين الفعل المقسم
عليه بالظرف ومثله لالى الله تحشرون وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي يوم ترجف الراجفة
تتبعها الرادفة والنازعات وقال ابو حاتم هو على التقديم والتاخير كانه قال فاذا هم
بالساهرة والنازعات قال ابن الانباري وهذا خطا لان الفا لا يفتتح بها الكلام وقيل يوم منصوب
بما دل عليه واجفة اي يوم ترجف وجفت وقيل بما دل عليه خاشعة اي يوم ترجف خشعت
وقوله تتبعها الرادفة يجوز ان تكون حالا من الراجفة وان يكون مستانفا **فصل** قال
عبد الرحمن بن زيد الراجفة اي المضطربة ومعناه ان الارض تضطرب والرادفة الساعة وقال
مجاهد الزلزلة تتبعها الرادفة اي الصيحة وعنه ايضا وابن عباس والحسن وقتادة هما الصيحتان
اي النفختان اما الاولى فتميت كل شي باذن الله واما الثانية فتحيي كل شي باذن الله قال صلى
الله عليه وسلم بين النفختين اربعون سنة وقال مجاهد الرادفة حين تنشق السما وتحمل الارض
والجبال فتدك دكة واحدة وذلك بعد الزلزلة وقيل الراجفة تحرك الارض والرادفة زلزلة اخرى
تفني الارضين واصل الرجفة الحركة قال تعالى يوم ترجف الارض وليست الرجفة هنا من
الحركة فقط بل من قولهم رجف الرعد يرجف رجفا ورجيفا اي اظهرت الصوت والحركة ومنه
سميت الاراجيف لاضطراب الاصوات بها وافاضة الناس فيها وقيل الرجفة هذه منكرة في السما
ومنه قوله تعالى فاخذتهم الرجفة واما الرادفة فكل شي جا بعد شي اخر يقال ردفه اي جا بعده
قوله قلوب مبتدا ويومئذ منصوب بواجفة وواجفة صفة القلوب وهو المسوغ للابتدا
بالنكرة وابصارها مبتدا ثان خاشعة خبره وهو وخبره خبر الاول وفي الكلام حذف مضاف
تقديره ابصار اصحاب القلوب وقال ابن عطية وجاز ذلك اي الابتدا بقلوب لانها تخصصت
بقوله يومئذ ورد عليه ابو حيان بان ظرف الزمان لا يخصص الجثث والواجفة الخايفة الوجلة
قاله ابن عباس يقال وجف يجف وجيفا واصله اضطراب القلب وقلقه قال قيس بن الخطيم
ان بني جحجبا واسرتهم ⁕ اكبادنا من ورايهم تجف وقال السدي زايلة عن اماكنها نظيره اذ القلوب
لدى الحناجر وقال المورخ قلقة مستوفزة مرتكضة غير ساكنة وقال المبرد مضطربة والمعنى متقارب
والمراد قلوب الكفار يقال وجف القلب يجف وجيفا اذا خفق كما يقال وجب يجب وجبا بالبا
الموحدة بدل الفا ومنه وجيف الفرس والناقة في العدو والايجاف حمل الدابة على السير المريع
قوله تعالى ابصارها خاشعة منكسرة ذليلة من هول ما ترى نظيره خاشعة ابصارهم
ترهقهم ذلة قوله يقولون اي يقول هولاء المكذبون المنكرون للبعث اذا قيل انكم تبعثون
قالوا منكرين متعجبين اينرد بعد موتنا الى اول الامر فنعود احيا كما قبل الموت وهو كقولهم
اينا لمبعوثون خلقا جديدا قوله في الحافرة الطريقة التي يرجع الانسان فيها من حيث
جا يقال رجع في حافرته وعلى حافرته ثم يعبر بها عن الرجوع في الاحوال من اخر الامر الى اوله
قال احافرة على صلع وشيب ⁕ معاذ الله من سفه وعار يقول ارجع الى ما كنت عليه في شبابي
مع الغزل والصبا بعد ان شبت وصلعت واصله ان الانسان اذا رجع في طريقه اثرت قدماه فيها
حفرا وقال الراغب وقوله تعالى في الحافرة مثل لمن يرد من حيث جا اي انحيا بعد ان نموت
وقيل الحافرة الارض التي فيها قبورهم ومعناه اينا لمردودون ونحن في الحافرة اي في القبور
وقوله في الحافرة على هذا في موضع الحال ويقال رجع الشيخ الى حافرته اي هرم لقوله تعالى
ومنكم من يرد الى ارذل العمر وقولهم النقد عند الحافرة لما يباع نقدا واصله في الفرس اذا بيع فيقال

لا يزول حافره او ينقد ثمنه والحفرة تاكل الاسنان وقد حفر حفرا وقرا حفر المهر للاثنا ره
والارباع والحافرة قيل فاعله بمعنى مفعوله وهي الارض التي تحفر قبورهم فيها فهي بمعنى المحفورة
كقوله تعالى ماء دافق وعيشة راضية والمعنى ابنا لمردودون في قبورنا وقيل على النسب اي
ذات حفر وقيل سميت الارض الحافرة لانها مستقر الحوافر كما سميت القدم ارضا لانها على الارض
لقولهم الحافرة جمع حافر بمعنى القدم اي نمشي احيا على اقدامنا ونطا بها الارض وقيل هي اول
الامر ويقول التجار النقد في الحافرة اي اول السوم وقال الشاعر

البيت لا اسا لهم فاعلموا • حتى يرد الناس في الحافرة •

وقال ابن زيد الحافرة النار وقرا ملك اذا كرة خاسرة وقال مقاتل وزيد بن اسلم هي اسم من
اسما النار وقال ابن عباس الحافرة في كلام الارض التي تغيرت وانتنت بموتاها واجسادهم
من قولهم حفرت اسنانه اي تاكلت ودلها الوسخ من باطنها وظاهرها ويجوز تعلقه بمردودون
او بمحذوف على انه حال **فصل** قال ابن الخطيب هذه الاحوال المتقدمة هي احوال
القيمة عند جمهور المفسرين وقال ابو مسلم هذه الاحوال ليست احوال القيامة لانه فسر النازعات
بنزع القوس والناشطات بخروج السهم والسابحات بعدو الفرس والسابقات لسبقها والمدبرات
بالامور التي تحصل ادبار ذلك الرمي والعدو ثم بنى على ذلك فقال الراجفة هي خيل المشركين وكذلك
الرادفة وهما طايفتان من المشركين غزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقت احدهما الاخرى
والقلوب الواجفة هي القلقه والابصار الخاشعة هي ابصار المنافقين لقوله تعالى ينظرون اليك
نظر المغشي عليه من الموت كانه قيل لما جا خيل العدو ترجف الاولى اضطربت قلوب المنافقين خوفا
وخشعت ابصارهم جبنا وضعفا ثم قالوا اينا لمردودون في الحافرة اي نرجع الى الدنيا حتى نتحمل
هذا الخوف لاجلها وقالوا ايضا تلك اذا كرة خاسرة فاول هذا الكلام حكاية بحال من غزا رسول
الله صلى الله عليه وسلم من المشركين واوسطه حكاية بحال المنافقين في انكار الحشر ثم انه تعالى
اجاب عن كلامهم بقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة قال ابن الخطيب وكلام
ابي مسلم محتمل وان كان على خلاف قول الجمهور قوله تعالى ايذا كنا عظاما نخرة قرا الاخوان
وابو بكر ناخرة بالف والباقون نخرة بدونها وهما كحاذر وحذر فاعل لمن صدر عنه الفعل وفعل
لمن كان فيه غريزة او كالغريزة وقيل ناخرة ونخرة بمعنى بالية يقال نخر العظم بالكسر اي
بلي وتفتت وقيل ناخرة اي صارت الريح تنخر فيها اي تصوت ونخرة اي تنخر فيها دايما وقيل
ناخرة بالية ونخرة متاكلة وعن ابي عمرو الناخرة التي لم تنخر بعد والنخرة البالية وقيل
الناخرة المصوتة فيها الريح والنخرة البالية التي تفتتت قال الزمخشري نخر العظم فهو
نخر وناخر كقولك طمع فهو طمع وطامع وفعل ابلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالي الاجوف
الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير ومنه قول الشاعر

• واخثلسهامن مخها فكانها • قوارير في اجوافها الريح تنخر •

• وقال الراجز لفرسه • اقدم نجاح الاساورم • ولا يهولنك رجل نادره •
• فانما قصرك ترب الساهره • ثم تعود بعدها في الحافره • من بعد ما كنت عظاما ناخره •

ونخرة الريح بضم النون شدة هبوبها والنخرة ايضا مقدم انف الفرس والحمار والخنزير يقال
هشم نخرته اي مقدم انفه واذا كرة خاسرة منصوب بمضمر اي اذا كنا كذا نرد ونبعث قوله تعالى
قالوا تلك اذا كرة خاسرة تلك مبتدا مشار بها الى الرجفة والرده في الحافرة وكرة خبرها وخاسرة
صفة اي ذات خسران او اسند اليها الخسار مجازا والمراد اصحابها والمعنى ان كان رجوعنا الى
القيامة حقا فتلك الرجفة رجفة خاسرة خايبة وهذا افادته اذن فانها حرف جواب وجزا
عند الجمهور وقيل قد لا يكون جوابا وعن الحسن ان خاسرة بمعنى كاذبة اي ليست كاينة وقال
الربيع بن انس خاسرة على من كذب بها وقيل كرة خسران والمعنى اهلها خاسرون كقولك
تجارة رابحة اي ربح اصحابها وقال قتادة ومحمد بن كعب اي لين رجعنا احيا بعد الموت لنخسرن
بالنار وانما قالوا هذا لانهم اوعدوا بالنار والكر الرجوع يقال كر وكر بنفسه يتعدى ولا يتعدى والكرة
المره والجمع كرات قوله فانما هي ضمير الكرة اي لا تحسب تلك الكرة صعبة على الله تعالى وقال الزمخشري
فان قلت بم تعلق قوله فانما هي قلت بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هي زجرة يعني بالتعلق من

حيث المعنى وهو العطف وقوله فاذا هم المفاجاة والسبب هنا واضحان والزجرة قال ابن عباس
رضي الله عنه هي النفخة الواحدة فاذا هم اي الخلايق اجمعون بالساهرة اي على وجه الارض
من الفلاة وصفت بما يقع فيها وهو السهر لاجل الخوف وقيل لان السراب يجري فيها من قولهم عين
ساهرة قال الزمخشري والساهرة الارض البيضا المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من
قولهم عين ساهرة اي جارية الما وفي ضدها نايمة قال الاشعث بن قيس وساهرة يضحي السراب
مجللا لاقطارها قد جبتها متلثما او لان سالكها لا ينام خوف الهلكة انتهى وقال امية وفيها لحم ساهرة
وبحر وما فاهوا لهم فيها مقيم يريد لحم حيوان ارض ساهرة وقال ابو كثير الهذلي يريدون ساهرة
كان حميمها وغمها اسراف ليل مظلم وقال ابن الراغب هي وجه الارض وقيل ارض القيامة وحقيقتها
التي تكثر الوطي بها كانها سهرت من ذلك والاسهران عرقان في الانف والساهور غلاف القمر الذي
يدخل فيه عند كسوفه قال او شقة اخرجت من بطن ساهور اي هذه المراه بمنزلة قطعة القمر
وقال امية بن ابي الصلت قمر وساهور يسل ويغمد وروي الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه
قال الساهرة ارض من فضة لم يعص الله عليها قط خلقها حينئذ وقيل ارض يجددها الله تعالى يوم
القيامة وقيل الساهرة اسم الارض السابعة ياتي بها الله تعالى فيحاسب عليها الخلايق وذلك
حين تبدل الارض غير الارض وقال الثوري الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه جبل
ببيت المقدس وقال عثمان بن ابي العاتكة انه اسم مكان من الارض بعينه بالشام وهو الصقع
الذي بين جبل اريحا وبين جبل حسان يمده الله كيف شا وقال قتادة هي جهنم اي فاذا هؤلا
الكفار في جهنم وانما قيل لها ساهرة لانهم لا ينامون عليها وقيل الساهرة بمعنى الصحرا على
شفير جهنم اي يوقفون بارض القيامة فيدوم السهر حينئذ قوله تعالى هل اتاك حديث
موسى اي قد جاءك وبلغك وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي ان فرعون كان اقوى
من كفار عصرك ثم اخذناه وكذلك هولا وقيل هل بمعنى ما اي ما اتاك ولكني اخبرت به فان
فيه عبرة لمن يخشى وقال ابن الخطيب قوله هل اتاك يحتمل ان يكون معناه اليس قد اتاك
حديث موسى هذا اذا كان قد اتاه ذلك قبل هذا الكلام اما ان لم يكن قد اتاه فقد يجوز ان
يقال هل اتاك اي انا اخبرك وقد تقدم الكلام على موسى وفرعون قوله تعالى اذ ناداه ربه
منصوب بحديث لا باتاك لاختلاف وقتيهما وقد تقدم الخلاف بين القرا في طوى في سورة طه
والواد المقدس المبارك المطهر قال الفرا طوى واد بين المدينة ومصر قال وهو معدول من طاو
كما عدل عمر من عامر قال الفرا من صرفه قال هو ذكر ومن لم يصرفه جعله معدولا كعمر وزفر
قال والصرف احب الي اذ لم اجد في المعدول نظيرا اي لم اجد له اسما من الواو والياء عدل عن
فاعل الى فعل غير طوى وقيل طوى معناه يا رجل بالعبرانية فكانه قيل يا رجل اذهب الى فرعون
قال ابن عباس وقيل طوى اي ناداه بعد طوى من الليل اذهب الى فرعون لانك تقول
جئتك بعد طوى اي بعد ساعة من الليل وقيل معناه بالواد المقدس طوى اي بورك فيه مرتين
قوله اذهب يجوز ان يكون تفسيرا للندا اي ناداه اذهب ويجوز ان يكون على اضمار القول
وقيل هو على حذف ان اي ان اذهب ويدل له قراة عبد الله ان اذهب وان هذه الظاهرة او المقدرة
يحتمل ان تكون تفسيرية وان تكون مصدرية اي ناداه بكذا اذهب الى فرعون انه طغى اي جاوز
القدر في العصيان قال ابن الخطيب ولم يبين انه طغى في اي شي فقيل تكبر على الله تعالى وكفر
به وقيل تكبر على الخلق واستعبدهم روي عن الحسن قال كان فرعون علجا من همدان وقال
مجاهد كان من اهل اصطخر وعن الحسن ايضا كان من اهل اصبهان يقال له ذو الظفر طوله
اربعة اشبار قوله هل لك لك خبر مبتدا مضمر والى ان متعلق بذلك المبتدا وهو حذف
سايغ والتقدير هل لك سبيل الى التزكية ومثله هل لك في الخير يريدون هل لك رغبة في
الخير هل لكم فيها الي فانني بصير باعمال الطاسي حدريا وقال ابو البقا لما كان المعنى ادعوك
جاز اني وقال غيره فيقال هل لك في كذا وهل لك الى كذا كما يقول هل ترغب فيه وهل ترغب
اليه قال الواحدي المبتدا محذوف في اللفظ مراد في المعنى والتقدير هل لك الى ان تزكى
حاجة وقرا نافع وابن كثير بتشديد الزاي من تزكى والاصل يتزكى ولذلك تصدى في السورة
تحتها فالحرميان ادغما والباقون حذفوا نحو تنزل وتقدم الخلاف في ايهما المحذوف فصل

معنى هل لك الى ان تزكى اى تسلم فتطهر من الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنه هل
لك الى ان تشهد ان لا اله الا الله واهديك فتخشى اى تخافه وتتقيه قال ابن الخطيب سائر
الايات تدل على ان الله تعالى لما نادى موسى عليه السلام ذكر له اشيا كثيرة كقوله تعالى نودي
يا موسى اني انا ربك الى قوله لنريك من اياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى فدل قوله
تعالى ههنا اذهب الى فرعون انه طغى من جملة ما ناداه به لا كل ما ناداه به وايضا فليس الغرض
انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى فرعون فقط بل الى كل من كان في الطور الا انه خصه
بالذكر لان دعوته جارية مجرى كل القوم **فصل** تمسك المعتزلة بهذه الاية في ابطال
القول بان الله تبارك وتعالى يخلق فعل العبد فان هذا استفهام على سبيل التقرير اي هل لك
سبيل الى ان تزكى ولو كان ذلك بفعل الله تعالى لانقلب الكلام حجة على موسى والجواب ما
تقدم في نظايره حكى القرطبي عن صخر بن جويرية قال لما بعث الله تعالى موسى عليه السلام الى
فرعون قال له اذهب الى فرعون الى قوله واهديك الى ربك فتخشى ولن يفعل فقال يا رب
وكيف اذهب اليه وقد علمت انه لا يفعل فاوحى الله تعالى اليه امض الى ما امرت به فان في السما
اثني عشر الف ملك يطلبون علم القدر فلن يبلغوه ولا يدركوه قوله تعالى فاراه الاية الكبرى
الفا في فاراه معطوف على محذوف يعني فذهب فاراه كقوله تعالى فاضرب بعصاك الحجر فانفجرت
اي فضرب فانفجرت واختلفوا في الاية الكبرى اي العلامة العظمى وهي المعجزة فقيل هي العصا
وقيل اليد البيضا تبرق كالشمس قاله مقاتل والكلبي والاول قول عطا وابن عباس لانه
ليس في اليد الا انقلاب لونها وهذا كان حاصلا في العصا لانها لما انقلبت حية فلا بد وان
يتغير اللون الاول فاذن كل ما في اليد فهو حاصل في العصا وامور اخر وهي الحياة في الجرم
الجمادي وتزايد اجزايه وحصول القدرة الكبيرة والقوة الشديدة وابتلاعها اشيا كثيرة
وزوال الحياة والقدرة عليها وبقا تلك الاجزا التي عظمت وزوال ذلك اللون والتشكل
اللذين صارت العصا بهما حية وكل واحد من هذه الوجوه كان معجزا مستقلا في نفسه فعلمنا
ان الاية الكبرى هي العصا وقال مجاهد هي مجموع العصا واليد وقيل فلق البحر وقيل جميع
اياته ومعجزاته فكذب اي كذب نبي الله موسى وعصى ربه تبارك وتعالى فان قيل كل من
كذب الله تعالى فقد عصى فما فايدة قوله فكذب وعصى فالجواب كذب بالقول وعصى
بالتمرد والتجبر ثم ادبر يسعى اي يعمل بالفساد في الارض وقيل يعمل في نكاية موسى وقيل ادبر
يسعى هاربا من الحية قال ابن الخطيب معنى ادبر يسعى اي اقبل يسعى كما يقال اقبل يفعل
كذا اي انشا يفعل فوضع ادبر موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال قوله فحشر فنادى فقال
لم يذكر مفعولاهما اذ المراد فعل ذلك او يكون التقدير فحشر قومه فناداهم وقوله فقال تفسير للندا
وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي فنادى فحشر لان الندا قبل الحشر ومعنى حشر اي جمع السحرة او
جمع اصحابه ليمنعوه من الحية وقيل جمع جنوده للقتال والمحاربة والسحرة للمعارضة وقيل حشر
الناس للحضور فنادى اي قال لهم بصوت عال انا ربكم الاعلى لا رب فوقي وقيل امر مناديا
فنادى في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال ذلك وعن ابن عباس ومجاهد والسدي وسعيد
ابن جبير ومقاتل كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيري والاخرى انا ربكم الاعلى قال ابن
عباس كان بين الكلمتين اربعون سنة والمعنى امهله في الاولى ثم اخذه في الاخرة فعذبه
بكلمته قال ابن الخطيب واعلم انا بينا في سورة طه انه لا يجوز ان يعتقد الانسان في نفسه
كونه خالقا للسموات والارض والجبال والنبات والحيوان فان بذلك العلم ضروري ومن شك
في ذلك كان مجنونا ولو كان مجنونا لما جاز من الله تعالى بعثة الرسل اليه بل الرجل كان دهريا
منكرا للصانع والحشر والنشر وكان يقول ليس لاحد امر ولا نهي الا لي فانا ربكم بمعنى مربيكم والمحسن
اليكم وليس للعالم اله حتى يكون له عليكم امر او نهي او يبعث اليكم رسولا قال القاضي وقد كان
الاليق به ظهور خزيه عند انقلاب العصا حية انه لا يقول هذا القول لان عند ظهور الدلالة
والمعجزة كيف يليق ان يقول انا ربكم فدلت هذه الاية على انه في ذلك الوقت صار كالمعتوه
الذي لا يدري ما يقول قوله تعالى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى يجوز ان يكون مصدرا
للاخذ والتجوز اما في الفعل اي نكل بالاخذ نكال الاخرة واما في المصدر اي اخذه اخذ نكال

ويجوز

ويجوز ان يكون مفعولا له اي لاجل نكاله ويضعف جعله حالا لتعريفه وتاويله كتاويل جهدك
وطاقتك غير مغتفر ويجوز ان يكون مصدرا موكدا لمضمون الجملة المتقدمة اي نكل الله به نكال الاخرة
قاله الزمخشري وجعله كوعد الله وصبغة الله وقال القرطبي وقيل نصب بنزع حرف الصفة اي فاخذه
الله بنكال الاخرة فلما نزع الخافض نصب والنكال اسم لما جعل نكالا للغير اي عقوبة لمن يعتبر يقال نكل
فلان بفلان اذا احقد عقوبة والكلمة من الامتناع ومنه النكول عن اليمين والنكل القيد وتقدم معنى
في سورة المزمل والنكال بمنزلة التنكيل كالسلام بمعنى التسليم والاخرة والاولى اما ان المراد ان واما
الكلمتان فالاخرة قوله انا ربكم الاعلى والاولى ما علمت لكم من اله غيري كما تقدم فحذف الموصوف
للعلم به **فصل** قيل الاخرة والاولى هما الكلمتان كما تقدم وقال الحسن وقتادة بكمال الاخرة
والاولى هو ان اغرقه في الدنيا وعذبه في الاخرة وروي عن قتادة ايضا الاخرة قوله انا ربكم
الاعلى والاولى تكذيبه لموسى عليه السلام قال القفال وهذا كانه هو الاظهر لانه تعالى قال
فاراه الاية الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فذكر القصتين
ثم قال فاخذه الله نكال الاخرة والاولى فظهر ان المراد انه عاقبه على هذين الامرين ثم انه
تعالى ختم هذه القصة بقوله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى اي ان فيما قصصنا عليك اعتبارا وعظة
لمن يخاف قوله تعالى اانتم اشد خلقا يريد اهل مكة اي اخلقكم بعد الموت اشد في تقديركم
ام السما فمن قدر على خلق السما على عظمها وعظم احوالها قدر على الاعادة وهذا كقوله لخلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس والمقصود من الاية الاستدلال على منكري البعث ونظيره
قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ومعنى الكلام التقريع
والتوبيخ ثم وصف تعالى السما فقال ام السما بناها عطف على اانتم وقوله بناها بيان لكيفية
خلقه اياها فالوقف على السما والابتدا بما بعدها ونظيره قوله تعالى في الزخرف االهتنا خير
ام هو وقوله رفع سمكها جملة مفسرة لكيفية البنا والسمك الارتفاع قال الزمخشري جعله مقدار
ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا وسمكت الشي رفعته في الهوا وسمك هو اي ارتفع سموكا فهو
قاصر ومتعد وبنا مسموك وسنام سامك تامك اى عال مرتفع وسماك البيت ما سمكته به والسموكات
السموات ويقال اسمك في الكرم اي اصعد في الدرجة والسماك نجم معروف وهما اثنان رامح واعزل
قال الشاعر • ان الذي سمك السما بنى لنا • بيتا دعايمه اعز واطول •
وقال البغوي رفع سمكها اي سقفها **فصل** قال الكسايي والفرا والزجاج هذا الكلام
تم عند قوله تعالى اانتم اشد خلقا ام السما بناها قال لانه من صلة السما والتقدير ام السما
التي بناها فحذف التي ومثل هذا الحذف جايز قال القفال يقال الرجل جاك عاقل اي الرجل
الذي جاك عاقل واذا ثبت جواز ذلك في اللغة فنقول الدليل على ان قوله بناها صفة ثم قوله
رفع سمكها صفة فقد توالت صفتان لا تعلق لاحداهما بالاخرى فكان يجب ادخال العاطف
بينهما كما في قوله واغطش ليلها ولما لم يكن كذلك علمنا ان قوله بناها صلة للسما فكان التقدير
ام السما التي بناها وهذا يقتضي وجود سما ها بناها وذلك باطل وقوله فسواها اي خلقها خلقا
مستويا لا تفاوت فيه ولا فطور ولا شقوق **فصل** قال ابن الخطيب واستدلوا بهذه الاية
على كون السما كرة قالوا لانه لو لم يكن كرة لكان بعض جوانبها سطحا والبعض زاوية والبعض خطا
ولكان بعض اجزايه اقرب الينا والبعض الاخر ابعد فلا تحصل التسوية الحقيقية ثم قالوا لما ثبت انها
محدثة مفتقرة الى فاعل مختار فاي ضرر في الدين ينافي كونها كرة قوله واغطش اي اظلم
بلغة انمار واشعر فقال غطش الليل واغطشته انا واغطشه قال عرفت لهم نار فتى مومنا فليلهم
مدلهما غطش وليل اغطش وليلة غطشا قال الراغب واصله من الاغطش وهو الذي في عينيه
عمش ومنه فلاة غطشا لا يهتدي فيها والتغاطش التعامي انتهى ويقال اغطش الليل قاصرا
كاظلم فافعل فيه متعد ولازم فالغطش والغبش الظلمة ورجل اغطش اي اعمى او شبيه به وقد غطش
والمراة غطشا وفلاة غطشا لا يهتدى لها قال الاعشى ويهما بالليل غطش الفلاه يوتنسي صوت
فيادها ومعنى قوله واغطش ليلها اي جعله مظلما واضاف الليل الى السما لان الليل يكون بغروب
الشمس والشمس تضاف الى السما ويقال نجوم الليل لان ظهورها بالليل واخرج ضحاها فيه حذف اي
ضحى شمسها واضاف الليل والضحى لها للملابسة التي بينها وبينهما وانما عبر عن النهار بالضحى لان

الضحى لكمال اجزاء النهار بالنور والضوء قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها اي بسطها وبعد
على بابها من التاخير ولا معارضة بينها وبين اية فصلت لانه تعالى خلق الارض غير مدحوة
ثم خلق السماء ثم دحى الارض وقول ابي عبيدة انها بمعنى قبل منكر عند العلماء والعرب تقول
دحوت الشي ادحوه دحوا اذا بسطته ودحي يدحي دحيا اي بسطه فهو من ذوات الواو والياء
فتكتب بالالف والياء ومنه قيل لعشي النعامة ادحو وادحي لانبساطه في الارض وقال امية بن
ابي الصلت • وبث الخلق فيها اذ دحاها • فهم قطانها حتى التناد •
وقيل دحى بمعنى سوى قال زيد بن ابي نفيل واسلمت وجهي لمن اسلمت له الارض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما استوت شدها بايد وارسى عليها الجبالا والعامة على نصب الارض والجبال
على اضمار فعل مفسر بما بعده وهو المختار لتقدم جملة فعلية ورفعهما الحسن وابن ابي عبلة
وابو حياة وابو السمال وعمرو بن عبيد على الابتدا وعيسى برفع الارض فقط

فصل

روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال خلق الله تعالى الكعبة ووضعها على الماء على اربعة
اركان قبل ان يخلق الدنيا بالفي عام ثم دحيت الارض من تحت البيت وحكى القرطبي عن
بعض اهل العلم ان بعد هنا في موضع مع كانه قال والارض مع ذلك دحاها كقوله تعالى عتل
بعد ذلك زنيم ومنه قولهم انت احمق وانت بعد هذا سيء الخلق قال الشاعر فقلت لها
اليك فانني حرام واني بعد ذلك لبيب اي مع ذلك وقيل بعد بمعنى قبل كقوله تعالى ولقد
كتبنا في الزبور من بعد الذكر اي من قبل الفرقان قال الراجز •
حمدت الهي بعد عروة اذ نجى • خراش وبعض الشر اهون من بعض •
وزعموا ان خراشا نجى قبل عروة وقيل دحاها حرثها وشقها قاله ابن زيد وقيل دحاها
مهدها للاقوات والمعنى متقارب قوله اخرج فيه وجهان احدهما ان يكون تفسيرا والثاني
ان يكون حالا قال الزمخشري فان قلت هلا ادخل حرف العطف على اخرج قلت فيه وجهان
احدهما ان يكون دحاها بمعنى بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تاتي سكناها
من تسوية امر الماكل والمشرب وامكان القرار عليها والثاني ان يكون اخرج حالا باضمار قد كقوله
تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم واعلم ان اضمار قد هو قول الجمهور وخالف الكوفيون والاخفش
قوله منها ماءها اي من الارض عيونها المتفجرة بالماء ومرعاها اي النبات الذي يرعى والمراد
بمرعاها ما ياكل الناس والانعام ونظيره قوله تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا
الى قوله متاعا فاستعير الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله نرتع ونلعب وقد قرئ نرتع
من الرعي والمرعى مكان او زمان او مصدر وهو هنا مصدر بمعنى المفعول وهو في حق الادميين
استعارة قال تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي فانظر كيف دل بقوله ماءها ومرعاها على
جميع ما اخرجه من الارض قوتا ومتاعا للانام من العشب والشجر والثمر والحب والقصب
واللباس والدواء حتى النار والملح اما النار فلانها من العيدان قال جل وعلا افرايتم النار
التي تورون انتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون واما الملح فلانه من الماء قوله تعالى والجبال
ارساها قرا العامة بنصب الجبال اي وارسى الجبال وارسى ثبت فيها الجبال اوتادا لها وقرا الحسن وعمرو
ابن عبيد وعمرو بن ميمون ونصر بن عاصم بالرفع على الابتدا قوله متاعا لكم العامة على النصب
مفعولا له او مصدر العامل مصدر اي متعكم او مصدر من غير اللفظ لان المعنى اخرج منها ماءها
ومرعاها امتع بذلك وقيل نصب باسقاط حرف الصفة تقديره ليتمتعوا به متاعا والمعنى منفعة
لكم ولانعامكم قوله تعالى فاذا جاءت الطامة الكبرى في جواب اذا اوجه احدها قوله فاما من
طغى نحو اذا جاءك بنو تميم فاما العاصي فاهنه واما الطايع فاكرمه وقيل محذوف فقدره
الزمخشري فان الامر كذلك اي فان الجحيم ماواه وقدره غيره انقسم الراوون قسمين وقيل عاينوا
او علموا وقيل جوابها ادخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة وقال ابو البقا العامل فيها
جوابها وهو معنى قوله يوم يتذكر الانسان والطامة الكبرى الداهية العظمى التي تطم على
غيرها من الدواهي اي اعظمها والطم الدفن ومنه طم السيل الركية وفي المثل جرى الوادي
فطم على القري وقيل ماخوذ من قولهم طم الفرس طميما اذا استفرغ جهده في الجري والمراد بها
في القران النفخة الثانية لانها يحصل ذلك قال ابن عباس هي النفخة الثانية التي يكون معها

البعث وعن ابن عباس ايضا والضحاك انها القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شي فتغمره •
وقال القاسم بن الوليد الهمداني في الطامة الكبرى حين يساق اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى
النار قوله يوم يتذكر بدل من اذا او منصوب باضمار فعل اي اعني يوم او يوم يتذكر كيت وكيت
قوله ما سعى اي ما عمل من خير او شر يراه مكتوبا في كتابه فيتذكره وكان قد نسيه لقوله تعالى
احصاه الله ونسوه قوله تعالى وبرزت الجحيم العامة على بنائه للمفعول مشددا ولمن يرى
بالغيبة وزيد بن علي وعائشة وعكرمة مبنيا للفاعل مخففا وترى بتاء من فوق فجوزوا في
ترى ان يكون للتانيث وفي ترى ضمير الجحيم كقوله تعالى اذا راتهم من مكان بعيد وان يكون للخطاب
اي ترى انت يا محمد والمراد ترى الناس وقرى عبد الله لمن راى فعلا ماضيا قال ابن عباس رضي الله
عنه برزت كشفت عنها تتلظى فيراها كل ذي بصر فالمومنون يمرون عليها وان منكم الا واردها واما
الكفار فهي ماواهم وقيل الروية هنا استعارة كقولهم قد تبين الصبح لذي عينين وقيل المراد والكافر
لانه الذي يرى النار بما فيها من اصناف العذاب وقيل يراها المومن ليعرف قدر النعمة قوله فاما
من طغى اي يجاوز الحد في العصيان قيل نزلت في النضر وابنه الحرث وهي عامة في كل كافر اثر الحياة الدنيا
على الاخرة فان الجحيم هي الماوى اي الماوى له او هي ماواه وقامت ال مقام الضمير وهو راي الكوفيين
وقد تقدم تحقيق هذا والرد على قايله بقوله رحيب قطاب الجيب منها رقيقة بجس الندامى بضة
المتجرد اذ لو كانت ال عوضا من الضمير لما جمع بينهما في هذا البيت ولا بد من احد هذين التاويلين
في الاية الكريمة لاجل العايد من الجملة الواقعة خبرا الى المبتدا والذي حسن عدم ذكر العايد كون الكلمة
وقعت راس فاصلة وقال الزمخشري فان الجحيم ماواه كما للرجل غض الطرف وليس الالف واللام بدلا
من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي هو صاحب الماوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره ترك الاضافة
ودخول الالف واللام في الماوى والطرف للتعريف لانهما معروفان قال ابو حيان وهو كلام لا يتحصل
منه الرابط العايد على المبتدا اذ قد مذهب الكوفيين ولم يقدر ضميرا كما قدره البصريون فرام حصول
الرابط بلا رابط قال شهاب الدين ولكن لما علم الى اخره وهو عين قول البصريين ولا ادري كيف
خفي عليه هذا قوله تعالى واما من خاف مقام ربه اي حذر مقامه بين يدي ربه وقال الربيع
مقامه يوم الحساب وقال مجاهد خوفه في الدنيا من الله عند مواقعة الذنب فيقلع عنه نظيره
ولمن خاف مقام ربه جنتان ونهى النفس عن الهوى اي زجرها عن المعاصي والمحارم قال ابن
الخطيب هذان الوصفان مضادان للوصفين المتقدمين بقوله تعالى من خاف مقام ربه ضد
قوله فاما من طغى ونهى النفس ضد قوله واثر الحياة الدنيا فكما دخل في ذينك الوصفين جميع القبايح
دخل في هذين الوصفين جميع الطاعات قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انتم في زمان
يقود الحق الهوى وسياتي زمان يقود الهوى الحق فنعوذ بالله من ذلك الزمان فان الجنة هي
الماوى اي المنزل نزلت الايتان في مصعب بن عمير واخيه عامر بن عمير روى الضحاك عن ابن
عباس رضي الله عنه قال اما من طغى فهو اخ لمصعب بن عمير اسر يوم بدر فاخذته الانصار
فقالوا من انت قال انا اخو مصعب بن عمير فلم يشدوه في الوثاق واكرموه وبيتوه عندهم فلما
اصبحوا حدثوا مصعب بن عمير حديثه فقال ما هو لي باخ شدوا اسيركم فان امه اكثر اهل البطحا
حليا ومالا ففادوه حتى بعثت امه في فدايه واما من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير وقى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم احد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص
في جوفه وهي السهام فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم متشحطا في دمه قال صلى الله عليه
وسلم عند الله احتسبك وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه لقد رايته وعليه بردان ما يعرف
قيمتهما وان شراك نعليه من ذهب وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت هذه الاية في رجلين
ابو جهل بن هشام ومصعب بن عمير وقال السدي نزل قوله تعالى واما من خاف مقام ربه
في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقال الكلبي هما عامتان قوله تعالى يسالونك
عن الساعة ايان مرساها لما سمع المشركون اخبار القيامة ووصفها بالاوصاف الهايلة مثل
الطامة الكبرى والصاخة والقارعة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء متى تكون
الساعة وقيل يحتمل ان يكون ذلك ايهاما لاتباعهم انه لا اصل لذلك ويحتمل انهم كانوا يسالونه
عن وقت القيامة استعجالا لقوله الذين لا يومنون بها وقوله ايان مرساها اي اقامتها والمعنى

متى يقيمها الله ويوجدها ويكون المعنى ايان منتهاها ومستقرها كما ان موسى السفينة مستقرها
الذي ينتهي اليه فاجابهم الله تعالى بقوله فيم انت من ذكراها قوله فيم خبر مقدم وانت
مبتدا موخر ومن ذكراها به ويتبين وفيها في نبي وقال الزمخشري وعن عايشة رضي الله عنها
لم يزل صلى الله عليه وسلم يسال عنها ويذكرها حتى نزلت قال فعلى هذا هو تعجب من كثرة ذكره
لها كانه قيل في اي شغل واهتمام انت من ذكراها والسوال عنها وقيل الوقف على قوله فيم وهو خبر
مبتدا مضمر اي فيم هذا السوال ثم يبتدي بقوله انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبيا واخر
الرسل والمبعوث في نسمة الساعة ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على
دنوها ومشارفتها والاستعداد لها ولا معنى لسوالهم عنها قال الزمخشري وهو كلام حسن لولا انه
يخالف الظاهر ويفكك لنظم الكلام ويعني الى ربك منتهى علمها لقوله تعالى قل انما علمها عند الله
وقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة قال القرطبي ويجوز ان يكون انكارا على المشركين في مسالتهم
اي فيم انت من ذلك حتى يسالونك بيانه ولست ممن يعلمه روي معناه عن ابن عباس رضي الله
عنه قوله تعالى انما انت منذر من العامة على اضافة الصفة لمعمولها تخفيفا وقرا عمر بن عبد العزيز
وابو جعفر وطلحة وابن محيصن بالتنوين ويكون في موضع نصب والمعنى انما ينتفع بانذارك من
يخشى الساعة قال الزمخشري وهو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال
فاذا اريد الماضي فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد امس قال ابو حيان الاصل الاضافة
قال لان العمل انما هو بالشبه والاضافة اصل في الاسما ثم قال وقوله ليس الا الاضافة فيه
تفصيل وخلاف مذكور في كتب النحو قال شهاب الدين لا يلزمه ان يذكر الا محل الوفاق بل هذان
اللذان ذكرهما مذهب جماهير الناس **فصل** المعنى انما انت مخوف وخص الانذار بمن
يخشى لانهم المنتفعون به وان كان منذرا للكل تكليف كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن
بالغيب قوله تعالى كانهم يوم يرونها يعني الكفار يرون الساعة لم يلبثوا في دنياهم الا عشية اي
قدر عشية او ضحاها اي او قدر الضحى يلي تلك العشية والمراد تقليل مدة الدنيا كقوله تعالى لم
يلبثوا الا ساعة من نهار واضاف الضحى الى العشية اضافة الظرف الى ضمير الظرف الاخر تجوزا
واتساعا وذكرها لانهما طرفا النهار وحسن هذه الاضافة وقوع الكلمة فاصلة فان قيل قوله
تعالى او ضحاها معناه ضحى العشية وهذا غير معقول لانه ليس للعشية ضحى فالجواب قال
ابن عباس الهاء والالف صلة للكلام يريد لم يلبثوا الا عشية او ضحى وقال الفرا والزجاج المراد
باضافة الضحى الى العشية اضافتها الى يوم العشية على عادة العرب يقولون اتيتك الغداة او
عشيها واتيتك العشية او غداها فتكون العشية في معنى اخر النهار والغداة في معنى اول
النهار وانشد بعض بني عقيل نحن صبحنا حووا تعادي في نهارها عامرا في دارها عشية بالهلاك
وسراها

سورة عبس وتسمى سورة السفرة مكية

وهي اثنان واربعون اية ومايه وثلاثون كلمة وخمس ماية وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى عبس وتولى اي كلح بوجهه وقوله عبس وبسر وتولى اي اعرض بوجهه قوله ان جاءه
الاعمى فيه وجهان احدهما انه مفعول من اجله وناصبه اما تولى وهو قول البصريين واما عبس وهو
قول الكوفيين والمختار مذهب البصريين لعدم الاضمار في الثاني وتقدم تحقيق هذا في مسايل
التنازع والتقدير لان جاءه الاعمى فعل ذلك قال القرطبي من قرا بالمد على الاستفهام فان متعلقه
بفعل محذوف دل عليه عبس والتقدير ان جاءه اعرض عنه وتولى توقف على هذه قراءة على تولى
ولا يوقف عليه على قراءة العامة **فصل** قال المفسرون اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابن ام مكتوم واسم ام مكتوم عاتكة بنت عامر بن مخزوم وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم
صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية
ابن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال للنبي صلى الله
عليه وسلم علمني مما علمك الله وكرر ذلك فكره قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت هذه الاية

قال ابن العربي اما قول المفسرين انه الوليد بن المغيرة او امية بن خلف والعباس فهذا كله باطل
وجهل لان امية والوليد كانا بمكة وابن ام مكتوم كان بالمدينة ما حضر معهما ولا حضرا معه وماتا كافرين
احدهما قبل الهجرة والاخر في بدر ولم يقصد امية المدينة قط ولا حضر معه مفردا ولا مع احد وانما اقبل
ابن ام مكتوم والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل بمن حضر من وجوه قريش يدعوهم الى الاسلام وقد طمع
في اسلامهم وكان في اسلامهم اسلام من وراءهم من قومهم فجا ابن ام مكتوم وهو اعمى فقال يا رسول الله علمني مما
علمك الله وجعل يناديه ويكثر النداء ولا يدري انه مشتغل بغيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هولاء انما اتباعه العميان والسفلة والعبيد فعبس
واعرض فنزلت الاية قال الثوري فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا راى ابن ام مكتوم بسط
له رداءه ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في
غزوتين غزاهما قال انس رضي الله عنه رايته يوم القادسية راكبا وعليه درع ومعه راية سودا **فصل**
قال ابن الخطيب ما فعله ابن ام مكتوم كان يستحق التاديب والزجر فكيف عاتب الله تعالى رسوله
صلى الله عليه وسلم على تاديبه ابن ام مكتوم وانما قلنا انه كان يستحق التاديب لانه وان كان اعمى لا يرى
القوم لكنه سمع مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لاوليك الكفار وكان يسمعه ويعرف شدة اهتمام النبي
صلى الله عليه وسلم بشانهم فكان اقدامه على قطع كلام النبي صلى الله عليه وسلم لغرض نفسه قبل تمام غرض
النبي صلى الله عليه وسلم معصية عظيمة وايضا فان الاهم مقدم على المهم وكان قد اسلم وتعلم ما يحتاج
اليه من امر الدين واما اوليك الكفار فلم يكونوا اسلموا بعد وكان اسلامهم سببا لاسلام جمع عظيم فكان
عظيم فكان كلام ابن ام مكتوم كالسبب في حظر قطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل وذلك محرم وايضا فان
الله تعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات بمجرد ندايهم فهذا النداء الذي هو كالصارف للكفار عن
الايمان اولى ان يكون ذنبا فثبت ان الذي فعله ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية وايضا بلغ هذا
الاعتنا بابن ام مكتوم لقب بالاعمى وايضا فالنبي صلى الله عليه وسلم يودب اصحابه بما يراه مصلحة
والتعبيس من ذلك القبيل ومع الاذن فيه كيف يعاتب عليه والجواب عن الاول ان ما فعله ابن ام مكتوم
كان من سوء الادب لو كان عالما بان النبي صلى الله عليه وسلم مشغول بغيره وانه يرجو اسلامهم ولكن
الله تعالى عاتبه حتى لا ينكسر قلوب اهل الصفا وليعلم ان المومن الفقير خير من الغني وكان النظر
الى المومن اولى وان كان فقيرا اصلح واولى من الاقبال على الاغنيا طمعا في ايمانهم وان كان ذلك
ايضا نوع من المصلحة وعلى هذا يخرج قوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى الاية وقيل انما
قصد النبي صلى الله عليه وسلم تاليف الرجل ثقة بما كان في قلب ابن ام مكتوم من الايمان كما قال
صلى الله عليه وسلم اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه مخافة ان يكبه الله على وجهه وقال ابن زيد
انما عبس النبي صلى الله عليه وسلم لابن ام مكتوم واعرض عنه لانه اشار الى الذي كان يقوده ان
يكفه فدفعه ابن ام مكتوم وابى الا يكلم النبي صلى الله عليه وسلم حتى يعلمه فكان في هذا نوع جفا منه
ومع هذا انزل الله تعالى في حقه عبس وتولى بلفظ الاخبار عن الغايب تعظيما له ولم يقل عبست
وتوليت ثم اقبل عليه مواجهة الخطاب تانيسا له فقال وما يدريك اي يعلمك لعله اي ابن ام مكتوم
يزكى بما استدعى منك تعليمه اياه من القران والدين واما ذكره بلفظ الاعمى ليس للتحقير بل كانه
قيل انه بسبب عماه يستحق مزيد الرفق والرافة فكيف يليق بك يا محمد ان تخصه بالغلظة
واما كونه ماذونا له في تاديب اصحابه لكن هنا لما اوهم تقديم الاغنيا على الفقرا
وكان ذلك مما يوهم ترجيح الدنيا على الدين فلهذا السبب عوتب **فصل** قال ابن الخطيب
تمسك القايلون بصدور الذنب عن الانبيا عليهم الصلاة والسلام بهذه الاية وقالوا لما عوتب
النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك الفعل دل على انه كان معصية قال ابن الخطيب وهذا بعيد
لما ذكرنا في الجواب عن الاول وايضا فان هذا من باب الاحتياط وترك الافضل قوله تعالى
وما يدريك لعله يزكى الظاهر انه اجرى مجرى الترجي على تسليط الدراية مجرى الاستفهام لما
بينهما من معنى الطلب في التعليق لان المعنى منصب على تسليط الدراية على الترجي اذ التقدير
لا يدري ما هو مترجى منه التزكية او التذكر وقيل الوقف على يدري والابتدا بما بعده على معنى
وما يطلعك على امره وعاقبة حاله ثم ابتدا فقال لعله يزكى **فصل** قيل الضمير في لعله
للكافر يعني لعله اذا طمعت في ان تزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما

يدريك ان ما طمعت فيه كاين ونظير هذه الاية قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي وقوله ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا قوله تعالى او يذكر فتنفعه الذكرى
قرا عاصم فتنفعه بالنصب والباقون بالرفع فمن رفع فهو نسق على قوله او يذكر ومن نصب فعلى
جواب الترجي كقوله في المومن فاطلع وهو مذهب كوفي تقدم الكلام عليه وقال ابن عطية
في جواب التمني لان قوله تعالى او يذكر في حكم قوله لعله يزكى قال ابو حيان وهذا ليس بتمن انما هو
ترج قال شهاب الدين انما يريد التمني المفهوم من الكلام ويدل له ما قال ابو البقا وكالنصب على
جواب التمني في المعنى والا فالفرق بين التمني والترجي لا يجهله ابن عطية وقال مكي من نصبه
جعله جواب لعل بالفا لانه غير موجب فاشبه التمني والاستفهام وهو غير معروف عند البصريين
وقرا عاصم في رواية الاعرج او يذكر بسكون الذال وتخفيف الكاف مضمومة مضارع ذكر والمعنى
او يتعظ بما تقول فتنفعه الذكرى اي العظة قوله تعالى اما من استغنى اي كان غنيا ذا ثروة
وغنى قال ابن الخطيب وهذا فاسد هنا لان اقبال النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن لثروتهم وما لهم
غنى حتى يقال لهم اما اثرى فانت تقبل عليه ولانه قال واما من جاءك يسعى وهو يخشى ولم يقل
وهو فقير ومن قال اما من استغنى بماله فهو صحيح لان المعنى انه استغنى عن الايمان بماله فانت
له تصدى اي تتعرض له وتصغي لكلامه يقال تصدى اي تعرض واصله تصدد من الصدد وهو
ما استقبلك وصار قبالتك يقال داري صدد دارها اي قبالها نصب على الظرف فابدل احد
الامثال حرف علة نطست ومصصت او من الصدى قال الشاعر

تصدى لوضاح كان جبينه • سراج الدجى تحنى اليه الاساور

وقيل هو من الصدى وهو الصوت المسموع وفي الاماكن الخالية والاجرام الصلبة وقيل من الصدد
وهو العطش والمعنى على التعرض ويتصل لذلك اذا قلنا اصله من الصوت او العطش وقرا ابو
جعفر تصدى بضم التا وتخفيف الصاد اي تصدى بك تحرضك على اسلامه يقال تصدى الرجل
وتصديته وقال الزمخشري تصدى بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدي
له من الحرص والتهالك على اسلامه وقرا نافع وابن محيصن بالتشديد على الادغام قال عطا اما
من استغنى يريد عن الايمان وقال الكلبي استغنى عن الله قوله تعالى وما عليك الا يزكى
والمعنى في اي شي عليك في الاسلام من تدعوه الى الاسلام فانه ليس عليك الا البلاغ وان لا يزكى
مبتدا خبره عليك اي ليس عليك عدم تزكيته قوله تعالى يسعى حال من فاعل جاك وقوله
وهو يخشى جملة حالية من فاعل يسعى فهو حال من حال وجعلها حالا ثانية ومعطوفة
على الاولى ليس بالقوي وقوله وهو يخشى معناه يخاف الله فانت عنه تلهى اي تعرض اي تتوجه
عنه وتشتغل بغيره قوله تعالى تلهى اصله تتلهى من لهي يلهى بكذا اي اشتغل وليس هو
من اللهو في شي وقال ابو حيان ويمكن ان يكون منه لان ما بني على فعل من ذوات الواو
تنقلب واوه ياء لانكسار ما قبلها فهو نحو شقي يشقى فان كان مصدره جاء باليا فيكون من مادة غير
اللهو قال شهاب الدين الناس انما يجعلونه من اللهو لاجل انه مستند الى ضمير النبي صلى الله عليه
وسلم ولا يليق بمنصبه الكريم ان ينسب الله اليه الفعل بخلاف الاشتغال فانه يجوز ان يكون
مصدره منه في بعض الاحيان ولا ينبغي ان يعتقد غير هذا وانما اسقطه وقرا ابن كثير في رواية
البزي عنه عنه تلهى بواو وهو صلة لكتابه وتشديد التاء والاصل تتلهى فادغم وجاز
الجمع بين ساكنين لوجود حرف علة والادغام وليس لهذه الاية نظير وهو انه اذا لقي صدرها
لكنا نه ساكن اثبتت بل يجب الحذف وقرا ابو جعفر تلهى بضم التا مبنيا للمفعول اي يلهيك سوال
الصناديد وقرا ابو طلحة تتلهى بتاين وهي الاصل وعنه بتاء واحدة وسكون اللام والتلهي
التغافل وتلهيت عنه ولهيت بمعنى قوله تعالى كلا كلمة ردع وزجر اي ما الامر كما يفعل مع
الاغنياء اي لا تفعل بعدها مثلها من اقبالك على الغني واعراضك عن المومن الفقير
والذي جرى من النبي صلى الله عليه وسلم كان ترك الاولى كما تقدم قال القرطبي ولو حمل على
صغيرة لم يبعد قال القشيري والوقف على كلا على هذا جايز ويجوز ان يقف على تلهى ثم
يبتدي كلا والضمير في انها للسورة او الايات وقوله ذكره يجوز ان يكون الضمير لله تعالى لانه
مترك التذكرة وان يكون للتذكرة وذكر ضميرها لانها بمعنى الذكر والوعظ فصل وجه

اتصال هذه الاية بما قبلها من وجهين الاول كانه قيل هذا التاديب الذي اوحيته اليك وعرفته
لو لفقرا وعدم الالتفات الى اهل الدين مثبت في اللوح المحفوظ الذي قد وكل بحفظه اكابر الملايكة الثاني
كانه قيل هذا القران قد بلغ العظمة الى هذا الحد العظيم فاي حاجة به الى قبول هولاء الكفار فسواء
قبلوه او لم يقبلوه فلا يلتفت اليهم ولا يشتغل بهم واياك والاعراض عمن امن به تطييبا لقلوب ارباب
الدنيا قوله تعالى فمن شاء ذكره اي كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة في معنى
الذكر والوعظ وروى ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى فمن شاء ذكره قال من شاء الله
تبارك وتعالى الهمه ثم اخبر عن جلالته فقال في صحف جمع صحيفة وهو صفة لتذكرة وقوله
فمن شاء ذكره جملة معترضة بين الصفة وموصوفها ونحوها فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ويجوز ان
يكون في صحف خبرا ثانيا لانها والجملة معترضة بين الخبرين وقوله مكرمة عند الله قال السدي
وقال الطبري مكرمة في الدين لما فيها من العلم والحكم وقيل مكرمة لانها نزلت من كريم
لان كرامة الكتاب من كرامة صاحبه وقيل المراد كتب الانبيا لقوله ان هذا لفي الصحف الاولى
صحف ابراهيم وموسى وقوله مرفوعة اي مرفوعة القدر عند الله وقيل مرفوعة عنده تبارك
وتعالى وقال يحيى بن سلام مرفوعة في السما السابعة وقال الطبري مرفوعة في الذكر
والقدر وقيل مرفوعة عن الشبه والتناقض وقوله مطهرة قال الحسن عن كل ذي دنس
وقيل مصانة عن ان ينالها وعن الحسن ايضا مطهرة من ان تنزل على المشركين وقيل اي القران
لا يمسه الا المطهرون قوله تعالى بايدي سفرة جمع سافر وهو كاتب وكتبه وسفرت عن
القوم اسفر سفارة اصلحت بينهم قال •

• فما ادع السفارة بين قومي • ولا امشي بغش ان مشيت •

واسفرت المراة كشفت عن نقابها ويقال سفرت اي كتبت والكتاب هو السفر جمع اسفار
وقال الزجاج انما قيل للكتاب سفر بكسر السين والكاتب سافر لان معناه انه يبين الشي
ويوضحه يقال اسفر الصبح اذا اضا والسفير الرسول والمصلح بين القوم والجمع سفرا مثل
فقيه وفقها ويقال للوارد من سفر ابلغة العرابية وقال قتادة السفرة هنا هم القرا
لانهم يقرون الاسفار وقال مجاهد السفرة هم الكرام الكاتبون لاعمال العباد في الاسفار
التي من الكتب واحدهم سافر كقولك كاتب وكتبة وقال وهب بن منبه السفرة هم اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن العربي لقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
سفرة كراما بررة ولكن ليسوا المراد من هذه الاية ولا قاربوا المراد بها بل هي لفظة مخصوصة
بالملايكة عند الاطلاق ولا يشاركهم فيها سواهم وروى الضحاك عن ابن عباس قال مكرمون
ان يكون مع ابن ادم اذا خلا بزوجته او برز لغايط وقيل يوثرون منافع غيرهم على منافع
انفسهم وقوله تعالى بررة جمع مثل كافر وكفرة وساحر وسحرة وفاجر وفجرة يقال بر وبار
اذا كان اهلا للصدق ومنه بر فلان في يمينه اي صدق وفلان يبر خالقه ويتبرره اي يطيعه
فمعنى بررة مطيعين لله صادقين لله في اعمالهم فصل قال ابن الخطيب قوله تعالى
بايدي سفرة يقتضي ان طهارة تلك الصحف انما حصلت بايدي هولاء السفرة فقال القفال
في تقريره لما كان لا يمسها الا الملايكة المطهرون اضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها وقال
القرطبي ان المراد بقوله تعالى في سورة الواقعة لا يمسه الا المطهرون الكرام البررة في هذه
السورة قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره اي عذب والانسان الكافر روى الاعمش عن
مجاهد قال ما كان في القران قتل الانسان فانما عني به الكافر قال النحويون وهذا ما يجب
واستفهام لتعجب قال ابن الخطيب اعلم انه تعالى لما ذكر ترفع صناديد قريش على فقرا المسلمين
عجب عباد المومنين من ذلك فكانه قيل واي سبب في هذا الترفع مع ان اوله نطفة مذرة
واخره جيفة قذرة وهو فيما بين الوقتين حامل لعذرة فلا جرم ذكر تعالى ما يصلح ان يكون
علاجا لعجبهم وعلاجا لكفرهم فان خلقة الانسان تصلح ان يستدل بها على وجود الصانع
لانه يستدل بها على القول بالبعث والحشر وقيل نزلت في عتيبة بن ابي لهب والظاهر العموم
وقوله تعالى قتل الانسان دعا عليه باشد الاشيا لان القتل غاية شدايد الدنيا وما
اكفره تعجب من افراطه في كفر نعمة الله تعالى فان قيل الدعا على الانسان انما يليق بالعاجز

فالقادر علي الكل كيف يليق ذلك به والتعجب ايضا انما يليق بالجاهل بسبب الشي فالعالم
به كيف يليق ذلك به فالجواب ان ذلك ورد علي اسلوب كلام العرب لبيان استحقاقهم لاعظم
العقاب حيث اتوا باعظم القبايح كقولهم اذا تعجبوا من شي قاتله الله ما احسنه واخزاه الله ما اظلمه
والمعني اعجبوا من كفر الانسان بجميع ما ذكرنا بعد هذا وقيل ما اكفره بالله ونعمه مع معرفته
بالكثرة احسانه اليه والاستفهام بقوله من اي شي خلقه قيل استفهام توبيخ اي اي شي دعاه الي
الكفر وقيل استفهام تحقيره لله فذكرا ولعرابته وهي قوله تعالي من نطفة خلقه ولا شك ان
النطفة شي حقير مهين ومن كان اصله ذلك كيف يتكبر وقوله فقدره اي اطوارا وقيل سواه
كقوله تعالي ثم سواك رجلا او قدر كل عضو في الكيفية بالقدر اللايق لمصلحته لقوله تعالي
وخلق كل شي فقدره تقديرا ثم ذكر المرتبة الوسطي فقال تعالي ثم السبيل يسره قيل المراد
تيسير خروجه من بطن امه ولا شك ان خروجه حيا من اضيق المسالك من اعجب العجايب يقال
اذ كان راسه في بطن امه من فوق ورجليه من تحت فاذا جا وقت الخروج فحين انقلب فمن الذي
اعطاه ذلك الا الالهام المراد منه قوله تعالي وهديناه النجدين اي التمييز بين الخير والشر وقيل
مخصوص بالدين قوله تعالي ثم السبيل يسره يجوز ان يكون الضمير للانسان والسبيل ظرف
اي يسر للانسان الطريق اي طريق الخير والشر لقوله تعالي وهديناه النجدين وقال ابو البقا
ويجوز ان ينتصب بانه مفعول ثان ليسره والهاء للانسان اي يسره السبيل اي هداه له قال
شهاب الدين فلا بد من تضمينه معني اعطي حتي تنصب اثنين ويحذف حرف الجر اي يسره للسبيل
وذلك تقدم بقوله تعالي هداه له ويجوز ان يكون السبيل يسره اي سهله للناس لقوله تعالي
هداه له ويجوز ان يكون السبيل يسره منصوبا علي الاشتغال بفعل مقدر والضمير له تقديره ثم يسر
السبيل يسره اي سهله للناس لقوله تعالي اعطي كل شي خلقه ثم هدي وتقدم مثله في
قوله تعالي انا هديناه السبيل **فصل** روي عن بن عباس رضي الله عنه ومجاهد
قال سبيل الشقا والسعادة وقال ابن زيد سبيل الاسلام وقال ابو بكر اي طاهر يسر علي كل
احد ما خلقه له وقدره عليه لقوله عليه الصلاة والسلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له قوله تعالي
ثم اماته فاقبره هذه المرتبة الثالثة اي جعل له قبرا يواري فيه يقال قبره اذا دفنه واقبره اي جعله
تحت قبر وجعل له قبرا اكراما له ولم يجعله ممن يبقي علي وجه الارض اكله الطير قاله الفرا وقال
ابو عبيدة اقبره جعله قبرا وامر ان يقبر والقابر هو الدافن بيده قال الاعشي

• لو اسندت ميتا الي نحرها عاش ولم ينقل الي قابر •

يقال قبرت الميت اذا دفنته واقبره الله اي صيره بحيث يقبر وجعل له قبرا ويقول العرب بترت
ذنب البعير وابتره الله وعضبت قرن الثور واعضبه الله وطردت فلانا والله اطرده اي صيره
طريدا قوله تعالي ثم اذا شا انشره اي احياه بعد موته ومفعول شا محذوف اي شا انشاره
وانشره جواب اذا وقرا العامة انشره بالالف وروي ابو حيوة عن نافع وشعيب بن ابي حمزة
نشره ثلاثيا بغير الف ونقلها ابو الفضل ايضا وقال هما لغتان بمعني الاحيا قال ابن الخطيب
وانما قال اذا شا انشره اشعارا بان وقته غير معلوم فتقديمه وتاخيره الي مشية الله تعالي
قوله تعالي كلا لما يقض كلا ردع للانسان عن تكبره وترفعه وعلي كفره واصراره علي
انكار التوحيد وعلي انكاره البعث والحشر والنشر وقوله تعالي لما يقض ما امره قال
مجاهد وقتاده لا يقضي احد ما امر به وهو اشارة الي ان الانسان لا ينفك عن تقصير البتة
قال ابن الخطيب وعندي في هذا التفسير نظر لان الضمير منه عايد الي المذكور السابق
وهو الانسان في قوله تعالي قتل الانسان ما اكفره وليس المراد من الانسان هنا جميع الانسان
بل الانسان الكافر فقوله تعالي لما يقض ما امره كيف يمكن حمله علي جميع الناس وقال ابن فورك
كلا لما يقض الله لهذا الكافر ما امر به من الايمان وترك التكبير بل امر بما لم يقض له به وكان
ابن عباس رضي الله عنه يقول لما يقض ما امر لم يف بالميثاق الذي اخذ عليه في صلب ادم
عليه السلام وقيل المعني ان ذلك الانسان الكافر لم يقض ما امر به من التامل في دلايل الله والتدبر
في عجايب خلقه قوله ما امر ما موصولة قال ابو البقا بمعني الذي والعايد محذوف
اي ما امر به قال شهاب الدين وفيه نظر من حيث انه قد قدر العايد مجرورا بحرف لم يجر الموصول

ولا امر به فان قلت امر يتعدي اليه بحذف الحرف فاقدره غير مجرور قلت اذا قدرته غير
مجرور فاما ان تقدره متصلا او منفصلا وكلاهما يشكل لما تقدم في اول البقرة عند قوله تعالي
ومما رزقناهم ينفقون وقال الحسن كلا معناه حقا لم يقض اي لم يعمل بما امر به قال القرطبي وما
في قوله لما عاد للكلام كقوله تعالي فبما رحمة من الله وقوله تعالي عما قليل ليصبحن نادمين
وقال ابن الانباري الوقف علي كلا قبيح والوقف علي امره وانشره جيد فكلا علي هذا بمعني حقا
قوله تعالي فلينظر الانسان الي طعامه قال ابن الخطيب اعلم ان عادة الله جارية في القران
كلما ذكر دلايل الانفس يذكر عقبها دلايل الافاق فبدا هنا بما يحتاج الانسان اليه واعلم ان
النبت انما يحصل من القطر النازل من السما في الارض فالسما كالذكر والارض كالانثي فبين نزول
الما من السما الي الارض بقوله انا صببنا وقال القرطبي لما ذكر تعالي ابتدا خلق الانسان ذكر ما يسر
من رزقه اي فلينظر كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته وكيف هيا له اسباب المعاش
ليستعد بها للمعاد وهذا النظر نظر القلب بالذكر والتدبر قال الحسن ومجاهد فلينظر الانسان
الي طعامه اي الي مدخله ومخرجه روي الضحاك بن سفيان الكلابي رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يا ضحاك ما طعامك قلت يا رسول الله اللحم واللبن قال ثم
يصير الي ماذا قلت الي ما قد علمته قال فان الله تعالي ضرب ما يخرج من ابن ادم مثلا للدنيا
وقال ابو الوليد سالت ابن عمر رضي الله عنه عن الرجل يدخل الخلا ينظر ما يخرج منه قال ياتيه
الملك فيقول انظر ما بخلت به الي ما صار واعلم ان الطعام الذي يتناوله الانسان له حالات احدها
متقدمة وهي التي لا بد من وجودها حتي يدخل ذلك الطعام في الوجود والحالة الثانية متاخرة
وهي الامور التي لا بد منها في بدن الانسان حتي يحصل الانتفاع بذلك الطعام فلما كانت الحالة الاولي
اظهر للحس لا جرم اكتفي الله تعالي بذكرها قوله تعالي انا صببنا الما صبا قرا الكوفيون انا بفتح
الهمزة غيرهما لدا الالف والبا فون بالكسر والحسن بن علي بالفتح والامالة فاما القراة الاولي ففيها
ثلاثة اوجه احدها انه بدل من طعامه ليكون في محل جر واستشكل بعضهم هذا الوجه ورده بانه ليس
بواضح والثاني بانه بدل الاشتمال بمعني ان صب الما سبب في اخراج الطعام فهو مشتمل عليه لهذا
التقدير وقد نحي مكي الي هذا فقال لان هذه الاشيا مشتملة علي الطعام ومنها يتكون لان معني الي
طعامه الي حدوث طعامه كيف يتاتي فالاشتمال علي هذا انما هو من الثاني علي الاول لان الاعتبار انما
هو في الاشيا التي يتكون منها الطعام لا في الطعام نفسه والوجه الثاني انها علي تقدير لام العلة
اي فلينظر لانا ثم حذف الخافض فجري الخلاف المشهور محلها قال القرطبي كان في موضع خفض
لانه قال فلينظر الي طعامه انا صببنا فلا يحسن الوقف علي طعامه من هذه القراة والوجه الثالث
انها في محل رفع خبر المبتدا محذوف اي هو انا صببنا وفيه ذلك النظر المتقدم لان الضمير ان عاد
علي الطعام فالطعام ليس هو نفس الصب وان عاد علي غيره فهو غير معلوم وجوابه ما تقدم واما
القراة الثانية فعلي الاستيناف تقديرا للنعمة عليه واما القراة الثالثة فهي انا التي بمعني كيف وفيها
معني التعجب فهو علي هذه القراة كلمة واحدة وعلي غيرها كلمتان قال القرطبي فمن اخذ بهذه
القراة قال الوقف علي طعامه تام ويقال معني اني اين الا ان فيها كناية عن الوجوه وتاويلها من
اي وجه صببنا قال الكميت انى ومن اين اتاك الطرب من حيث لا صبوة ولا ريب قوله صببنا الما
صبا يعني الغيث والامطار ثم شققنا الارض شقا اي بالنبات فانبتنا فيها حبا اي قمحا وشعيرا
وسلتا وساير ما يحصد ويدخر وانما قدم ذلك لانها كالاصل في الاغذية وعنبا وانما ذكره بعد الحب
لانه غذا من وجه وفاكهة من وجه قوله وقضبا القضب هنا قال ابن عباس هو الرطب لانه يقتضب
من النخل اي يقطع ورجحه بعضهم بذكره بعد العنب وكثيرا ما يقرنان وقيل القت قال القتبي كذا
سمته اهل مكة وقيل كل ما يقضب من البقول لبني ادم وقيل هو الرطبة والمقاضب الارض التي
تنبتها قال الراغب والقضب كالقضيب لكن القضب من فروع الشجر والقضب في البقل والقضب
اي بالفتح قطع القضيب والقضب وعنه صلي الله عليه وسلم انه كان اذا راي في ثوب مصليا قضبه
وسيف قاضب وقضيب اي قاطع فقضيب هنا بمعني فاعل وفي الاول بمعني مفعول وناقة
قضيب لما يوحد من بين الابل ولم ترض وكلما لم يهرب فهو مقتضب ومنه اقتضبنا الحديث لما
يروينه وقال الخليل القضب اغصان الشجر لتتخذ منها قسي او سهام وقال ابن عباس انه

الفصفصة وهو القت الرطب وقال الخليل القضب الفصفصة الرطبة وقيل بالسين فاذا يبست
فهو قت قوله وزيتونا وهي شجرة الزيتون وعاد نعمة النخيل قوله وحدايق غلبا جمع
اغلب وغلبا لكم في احمر وحمر يقال حديقة غلبا اي غليظة الشجر ملتفة واغلولب العشب اي
اي غلظ واصله في وصف الرقاب يقال رجل اغلب وامرأة غلبا غليظ الرقبة قال عمرو بن معدي كرب

• يسعى بها غلب الرقاب كانهم • بزل كسين من الكحيل جلالا •

ويقال للاسد الاغلب لانه مصمت العنق لا يلتفت الا جميعا قال العجاج •

• ما زلت يوم البين الوي صلبي • والراس حتى صرت مثل الاغلب •

والغلبة والغلباء يقال وتصب غلبة رقبته هذا اصله وحديقة غلبا ملتفة وحدايق غلب
قال ابن عباس الغلب جمع اغلب وغلبا وهي الغلاظ وعنه ايضا الطوال وقال قتادة وابن
زيد الغلبة النخل الكرام وعن ابن زيد ايضا وعكرمة العظام الاوساط الجذوع وقال مجاهد
ملتفة وتقدم الكلام على الحدايق في سورة النمل قوله وفاكهة واما الفاكهة فما ياكله
الناس من ثمار الاشجار كالتين والخوخ وغيرهما قال ابن الخطيب وقد استدل بعضهم بان
الله تعالى لما ذكر الفاكهة بعد ذكر العنب والزيتون وجب ان لا يدخل هذه الاشياء الفاكهة
وهذا قريب من جهة الظاهر لان المعطوف تغاير المعطوف عليه واما الاب فقيل الاب للبهايم
بمنزلة الفاكهة للناس وقيل هو مطلق للمرعى قال الشاعر يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

• له دعوة ميمونة ريحها الصبا • بها ينبت الله الحصيدة والابا •

وسمي المرعى ابا لانه يؤب اي يؤم وينتجع والاب والام بمعنى قال الشاعر

• جذمنا قيس ونجد دارنا • ولنا الاب بها والمكرع •

واب لكذا اي تهيأ يؤب ابا وابابة الى وطنه اذا نزع اليه نزوعا تهيأ لقصده فكذا اب
سمعا اي تهيأ للسلام وفوله ابان ذلك هو فعلان منه وهو الشيء المتهيئ لفعله ومجيئه وقيل
الاب يابس الفاكهة لانها تؤوب للشتاء اي تعد وقيل الاب هو ما ياكله البهايم من العشب
قال ابن عباس والحسن الاب كلما انبتت الارض مما لا ياكله الناس وما ياكله الادميون هو
الحصيد وعن ابن عباس وابن ابي طلحة الاب الثمار الرطبة وقال الضحاك هو التين خاصة
وهو محكي عن ابن عباس ايضا وقيل الاب الفاكهة رطب الثمار ويابسها وقال ابراهيم التيمي
سئل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن تفسير الفاكهة والاب فقال اي سماء تظلني واي
ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم وقال انس سمعت عمر بن الخطاب قرأ هذه الاية
ثم قال كل هذا عرفناه فما الاب ثم رفع عصا كانت بيده ثم قال هذا لعمر الله التكليف وما عليك
يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما بين لكم في هذا الكتاب وما لا فدعوه وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلقتم من سبع ورزقتم من سبع فاسجدوا لله على سبع
وانما اراد بقوله عليه الصلاة والسلام خلقتم من سبع يعني من نطفة ثم من علقة ثم من
مضغة الاية والرزق من سبع هو قوله تعالى فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا الى
قوله وفاكهة ثم قال وابا وهو يدل على انه ليس برزق لابن ادم وانما يختص به البهايم والله
اعلم قوله متاعا لكم نصب على المصدر المؤكد لان انبات هذه الاشيا امتاعا لجميع الحيوانات
واعلم ان الله تعالى لما ذكرها يقتدي به الناس والحيوان قال رجل من قايل متاعا لكم ولانعامكم
قال الفرا جعلناه منفعة لكم ومتعة لكم ولانعامكم وهذا مثل ضربه الله تعالى لبعث الموتى
من قبورهم كنبات الزرع لتجدد نوره كما تقدم بيانه في غير موضع قوله تعالى فاذا جاءت
الصاخة وهي الصيحة التي تصخ الاذان اي تصمها لشدة وقعها وقيل هي ماخوذة من صخه
بالحجر اي صكه به وقال الزمخشري صخ لحديثه مثل اصاخ فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان
الناس يصخون لها وقال ابن العربي الصاخة التي تورث الصمم وانها المسمعة وهذا من بديع
الفصاحة كقوله • اصمني سرهم ايام فرقتهم • فهل سمعتم بسر يورث الصمما •

وقال اخر • اصم بك الداعي وان كان اسمعا •

وجواب اذا محذوف يدل عليه قوله لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اي التقدير فاذا
جاءت الصاخة اشتغل كل احد بنفسه **فصل** لما ذكر امر المعاش ذكر امر المعاد ليتزودوا

له بالاعمال الصالحة وبالانفاق مما امتن به عليهم وقال ابن الخطيب لما ذكر تعالى هذه
الاشيا وكان المقصود منها امور ثلاثة اولها الدلايل الدالة على التوحيد وثانيها الدلالة
الدالة على القدرة والمعاد وثالثها ان الاله الذي احسن الى عبيده هذه الانواع العظيمة من
الاحسان لا يليق بالعاقل ان يتمرد عن طاعته وان يتكبر على عبيده اتبع ذلك بما يكون
كالموكد لهذه الاغراض وهو شرح احوال القيامة فان الانسان اذا سمعها خاف فيدعوه ذلك
الخوف الى التامل في الدلايل والايمان والاعراض عن الكفر ويدعوه ايضا الى ترك التكبر على
الناس والى اظهار التواضع فقال تعالى فاذا جاءت الصاخة يعني صيحة القيمة وهي النفخة
الاخيرة وتصخ الاسماع اي تصمها فلا تسمع الا ما يدعى به الاحيا قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة شفقا من الساعة الا الجن والانس قوله يوم يفر
بدل من اذا ولا يجوز ان تكون يغنيه عاملا في اذا ولا في يوم لانه صفة لشان ولا يتقدم معمول
الصفة على موصوفها والعامة على يغنيه من الاغنا وابن محيصن والزهري وابن ابي عبلة
وحميد وابن السميفع يعنيه بفتح اليا والعين المهملة من عناه الامر اي قصد في قوله
يفر المرء من اخيه يوم يجي الصاخة من اخيه اي من موالاة اخيه ومكالمته لانه مشتغل بنفسه
لقوله بعده لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اي يشغله عن غيره وقيل انما يفر حذرا من مطالبتهم
اياه بالتبعات يقول الاخ ما واسيتني بمالك والابوان يقولون قصرت في برنا والصاحبة تقول
اطعمتني الحرام والبنون يقولون ما علمتنا وقيل لعلمه انهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيا لقوله
تعالى يوم لا يغني مولى عن مولى شيا وقال عبد الله بن طاهر يفر منهم لما يتبين له عجزهم وقلة
حيلتهم وذكر الضحاك عن ابن عباس قابيل من اخيه هابيل ويفر النبي من امه ويفر ابراهيم
من ابيه ونوح من ابنه ولوط من امراته وادم من سورة بنيه قال ابن الخطيب المراد ان الذين
كان المرء يفر اليهم في دار الدنيا ويستجير بهم فانه يفر منهم في دار الاخرة وذكروا في فايدة
الترتيب كانه قيل يوم يفر المرء من اخيه بل من ابويه فانهما اقرب من الاخوات بل من الصاحبة
والولد لان تعلق القلب بهما اشد من تعلقه بالابوين ثم لما ذكر الفرار اتبعه بذكر سببه
فقال تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه قال ابن قتيبة يغنيه اي يصرفه عن قرابته
ومنه يقال اغن عني وجهك اي اصرفه وقال اهل المعاني يغنيه اي ذلك الهم الذي حصل
له قد ملا صدره فلم يبق فيه متسع لهم اخر فصار شبيها بالغني في انه ملك شيا كثيرا قوله
تعالى وجوه يومئذ مسفرة لما ذكر الله تعالى حال يوم القيامة في الهول بين المكلفين فيه
على قسمين سعدا واشقيا فوصف سبحانه السعيد بقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة اي مضيئة
مشرقة قد علمت ما لها من الفوز والنعيم من اسفر الصبح اذا اضا وهي وجوه المومنين ضاحكة
اي مسرورة فرحة قال الكلبي يعني بالفراغ من الحساب مستبشرة اي بما اتاها الله تعالى من
الكرامة وقال عطا الخراساني مسفرة من طول ما اغبرت في سبيل الله وقال الضحاك من
اثار الوضوء وقال ابن عباس من قيام الليل لقوله صلى الله عليه وسلم من كثرت صلاته
بالليل حسن وجهه بالنهار قوله تعالى ووجوه يومئذ عليها غبرة قال المبرد الغبرة الغبار
والقترة سواد كالدخان وقال ابو عبيدة القتر في كلام العرب الغبار جمع القترة قال الفرزدق

• متوج برداء الملك يتبعه • موج ترى فوقه الرايات والقترا •

وفي عطفه على الخبر ما يرد هذا الا ان يقال لما اختلف اللفظ احسن العطف كقوله كذبا ومينا
والناي والبعد وهو خلاف الاصل وفي الحديث ان البهايم اذا صارت ترابا يوم القيمة حول
ذلك التراب في وجوه الكفار وقال زيد بن اسلم القترة ما ارتفعت الى السما والغبرة ما انحطت
الى الارض والغبار والغبرة واحد وقال ابن عباس ترهقها اي تغشاها قترة اي كسوف وسواد
وعنه ايضا ذلة وشدة وقيل ترهقها اي تدركها عن قرب كقولك رهقت الجبل اذا ادركته
بسرعة والرهق عجلة الهلاك والقترة سواد كالدخان ولا يرى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد
في الوجه كما ترى وجوه الزنوج اذا اغبرت يجمع الله تعالى في وجوههم بين السواد والغبرة كما جمعوا
بين الكفر والفجور والله اعلم والعامة على فتح التاء في قترة واسكنها ابن ابي عبلة قوله
تعالى اولئك هم الكفرة جمع كافر الفجرة جمع فاجر وهو الكاذب المفتري على الله تعالى وقيل

الفاسق فجر فجورا اي فسق وفجورا اي كذب واصله الميل والفاجر المايل روي الثعلبي عن ابي
ابن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عبس وتولى جا يوم
القيامة ووجهه ضاحك مستبشر والله تعالى اعلم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التكوير مكية

وهي تسع وعشرون اية ومايه واربع كلمات واربعمائة واربعة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اذا الشمس كورت في ارتفاع الشمس وجهان اصحهما انها مرفوعة بفعل مقدر
مبني للمفعول حذف وفسره ما بعده على الاشتغال والرفع على هذا الوجه اعني اضمار
الفعل واجب عند البصريين لانهم لا يجيزون ان يليها غيره ويتاولون ما اوهم خلاف ذلك
والثاني انها مرفوعة بالابتدا وهو قول الكوفيين والاخفش لظواهر جات في الشعر وانتصر
له ابن مالك وقال الزمخشري ارتفاع الشمس على الابتدا او الفاعلية قلت بل على الفاعلية
ثم ذكر نحوا مما تقدم ويعني بالفاعلية ارتفاعها بفعل الجملة وقد مر انه يسمى مفعول
ما لم يسم فاعله فاعلا وارتفاع النجوم وما بعدها كما تقدم في الشمس **فصل** قد تقدم
تفسير التكوير في اول تنزيل فقيل التلفيف على جهة الاستدارة كتكوير العمامة وفي الحديث
نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من التشتت بعد الالفة وقيل من فساد امورنا بعد صلاحها
والحور بالحا المهملة والرا على اللف والكور والتكوير واحد وسميت كارة القصار كارة لانه
يجمع ثيابه في ثوب واحد ثم الشي الذي يلف يصير مختفيا عن الاعين فعبر عن ازالة النور
عن جرم الشمس وغيبوبتها عن الاعين بالتكوير فلهذا قال ابن عباس رضي الله عنه تكويرها
ادخالها في العرش وقال الحسن ذهاب ضوءها وهو قول مجاهد وقتادة وروي عن ابن
عباس ايضا وسعيد بن جبير غورت وقال الربيع بن خثيم كورت رمي بها ومنه كورته فتكور
اي سقط قال الاصمعي يقال طعنه فكوره اذا صرعه فمعنى كورت اي القيت ورميت عن الفلك وعن
ابي صالح كورت نكست وقال ابن الخطيب روي عن ابن عمر رضي الله عنه ان لفظة كورت ماخوذة
من الفارسية فانه يقال للاعمى كور قوله تعالى واذا النجوم انكدرت اي تناثرت وتساقطت
قال تعالى واذا الكواكب انتثرت والاصل في الانكدار الانصباب قال الخليل انكدر عليهم
القوم اذا جاوا ارسالا فانصبوا عليهم قال ابو عبيدة انصبت كما تنصب العقاب اذا انكسرت قال
العجاج يصف صقرا ● ابصر خربان فضاء فانكدر ● تقضي البازي اذا البازي كسر
روي ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبقى في السما يومئذ
نجم الا سقط في الارض روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان النجوم قناديل معلقة بين
السما والارض بسلاسل من نور بايدي الملائكة فاذا مات من في السموات ومن في الارض
تساقطت تلك الكواكب من ايدي الملائكة لانه مات من كان يمسكها قال القرطبي ويحتمل ان
يكون انكدارها طمس انوارها وسميت النجوم نجوما لظهورها في السما بضوءها وعن ابن عباس ايضا
انكدرت تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها عن اماكنها قوله تعالى واذا الجبال سيرت
يعني قلعت عن وجه الارض وسيرت في الهوا لقوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض
بارزة وقوله تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا في الهوا لقوله تعالى وهي تمر مر السحاب
وقيل سيرها تحولها عن صفة الحجارة فتكون كثيبا مهيلا اي رملا سايلا وتكون كالعهن
وتكون هباء منبثا وتكون مثل السراب الذي ليس بشي وعادت الارض قاعا صفصفا لا ترى
فيها عوجا ولا امتا قوله تعالى واذا العشار عطلت العشار جمع عشرا وهي الناقة التي
مر لحملها عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع في تمام السنة ولذلك تمامها في جمع نفسا قال
القرطبي وهو اسمها بعدما تضع ايضا ومن عادة العرب ان يسموا الشي باسمه المتقدم وان
كان قد جاوز ذلك يقول الرجل لفرسه وقد فرح مربوطا مهري وشيته يتقدم اسمه وخص
العشار بالذكر لانها اعز ما يكون عند العرب وهذا على وجه المثل لان في القيامة لا تكون

ناقة

ناقة عشرا لعظمها واستغل بنفسه يقال ناقة عشرا وناقتان عشراوان ونوق عشار وعشراوات
يبدلون من همزة التانيث واوا وقد عشرت الناقة تعشيرا اي صارت عشرا وقيل العشار
السحاب يعطلت اي لا تمطر والعرب تشبه السحاب بالحامل قال تعالى فالحاملات وقرا
وقيل الارض تعطل زرعها والتعطيل الاهمال ومنه قيل للمراة عاطل اذا لم يكن عليها حلي
وتقدم في بير معطلة وقال امرؤ القيس
وجيد كجيد الريم ليس بفاحش ● اذا هي نصته ولا بمعطل
وقرا ابن كثير في رواية عطلت بتخفيف الطا قال الرازي هو غلط انما هو بفتحتين بمعنى
تعطلت لان التشديد فيه للتعدي يقال عطلت الشي واعطلته فعطل قوله تعالى واذا
الوحوش حشرت الوحوش ما لم يتانس به من حيوانات البر والوحش ايضا المكان الذي لا انس فيه
ومنه لقيته بوحش اصمت اي بمكان قفر والوحش الذي يبيت جوفه خاليا من طعام وجمعه اوحاش
ويسمى به المنسوب الى المكان الوحش وحشي وعبر بالوحشي عن الجانب الذي يضاد الانسي والانسي
ما يقبل من الانسان وعلى هذا وحشي الفرس والسنة وقوله تعالى حشرت اي جمعت والحشر
الجمع قاله الحسن وقتادة وغيرهما وقال ابن عباس رضي الله عنه حشرها موتها رواه عكرمة
وحشر كل شي الموت غير الجن والانس فانهما يوافيان يوم القيامة وعن ابن عباس قال يحشر كل شي
حتى الذباب قال ابن عباس يحشر الوحوش هذا اي تجمع حتى يقتص لبعضها من بعض فيقتص
للجما من القرنا ثم يقال لها موتي فتموت وقرا الحسن وابن ميمون حشرت بتشديد الشين ومعنى
الاية ان الوحوش اذا كانت هذه حالها فكيف ببني ادم وقيل اي انها مع نفورها اليوم من الناس
وتبددها في الصحاري تنضم غدا الى الناس من اهوال ذلك اليوم قال معناه ابي بن كعب قوله
تعالى واذا البحار سجرت قرا ابن كثير وابو عمرو سجرت بتخفيف الجيم والباقون بتثقيلها على
المبالغة والتسكير والمعنى ملئت من الما والعرب تقول سجرت الحوض اسجره سجرا اذا ملاته
وهو مسجور والمسجور والساجر في اللغة الملان وروي الربيع بن خثيم سجرت فاضت وملئت
قال تعالى واذا البحار فجرت وقال الحسن اختلطت فصارت شيا واحدا وقيل ارسل عذبها
على مالحها ومالحها على عذبها حتى امتلات وقال القشيري يرفع الله الحاجز الذي ذكره تعالى
بينهما برزخ لا يبغيان فاذا رفع ذلك البرزخ تفجرت مياه البحار فعمت الارض كلها وصارت
بحرا واحدا وعن الحسن وقتادة وابن عباس يبست ولا يبقى من مائها قطرة قال القشيري وهو
من سجرت التنور اسجره سجرا اذا احميته وما تسلط عليه النار وكشف ما فيه من الرطوبة وتقدم
اشتقاق هذه المادة قال القفال وهذا التاويل يحتمل وجوها الاول انه يكون جهنم في قعر
البحار فهي الان غير مسجرة بقوام الدنيا فاذا انتهت مدة الدنيا واوصل الله تعالى تاثير تلك
النيران الى البحار فصارت مسجورة بالكلية وهذا قول ابن زيد وعطية وسفيان ووهب وابي
وعلي بن ابي طالب وابن عباس في رواية الضحاك رضي الله عنهم اوقدت فصارت نارا الثاني
قال ابن عباس يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم في البحار ثم يصير البحار مسجورة بسبب
ذلك يوم يبعث الله تعالى لها رياحا دبورا فتنفخها حتى تصير نارا كذا جاء في الحديث الثالث
ان يخلق الله تعالى تحت البحار نيرانا عظيمة حتى تسخن تلك المياه قال ابن الخطيب وهذه
متكلف ولا حاجة الى شي منها لان القادر على تخريب الدنيا يقدر على ان يفعل في البحار ما شا
من تسخين هواها وقلب مياهها نيرانا من غير حاجة الى ان تلقى فيها الشمس والقمر او يكون
تحتها نار جهنم قال القرطبي وروي عن ابن عمر رضي الله عنه لا تتوضا بما البحر لانه طبق جهنم
قال ابي بن كعب رضي الله عنه ست ايات قبل يوم القيامة بينما الناس في اسواقهم اذ ذهب
ضو الشمس فبينما هم والدهشوا بينما هم كذلك ينظرون اذا تناثرت النجوم وتساقطت فبينما هم
كذلك اذا وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت واحترقت فصارت هباء منبثا ففزعت
الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والوحش والهوام والطير وماج بعضها
في بعض فذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم قال الجن للانس نحن ناتيكم بالخبر فانطلقوا
الى البحار فاذا هي نار تاجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة
السفلى والى السما السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاتهم ريح فاماتتهم وقال ابن الخطيب وهذه

العلامات يمكن ان تكون عند خراب الدنيا وان يكون بعد القيامة وقيل يعني سجرت هو ما بها
حتى تصير كالدم من قولهم عين سجرا اي حمرا قوله تعالى واذا النفوس زوجت العامة على
تشديد الواو ومن زوجت من التزويج وروي عن عاصم زوجت على فوعلت قال ابو حيان
والمفاعلة تكون بين اثنين قال شهاب الدين وهي قراءة مشكلة لانه ينبغي ان يلفظ بواو ساكنة
ثم اخرى مكسورة وقد تقدم ان متى اجتمع مثلان وسكن اولهما وجب الادغام حتى في كلمتين
نحو كلمة واحدة اولى **فصل** قال النعمان بن بشير قال النبي صلى الله عليه وسلم
واذا النفوس زوجت قال يقرن كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون كعمله وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يقرن الفاجر بالفاجر ويقرن الصالح مع الصالح قال ابن عباس ذلك حين
يكون الناس ازواجا ثلاثة السابقون زوج يعني صنفا واصحاب اليمين صنفا واصحاب الشمال
زوج وعنه ايضا قال زوجت نفوس المومنين بالحور العين وقرنت الكفار والمنافقون بالشياطين
وقال الزجاج قرنت النفوس باعمالها وقيل قرنت الارواح بالاجساد اي ردت اليها قاله
عكرمة وقيل غير ذلك قوله تعالى واذا الموودة سيلت باي ذنب قتلت الموودة هي
البنت تدفن حية من الواد وهو الثقل لانها تثقل بالتراب والجندل فقال واده يئده كوعده
يعده وقال الزمخشري واد يئد مقلوب من اد يود اذا اثقل قال الله تعالى ولا يوده
حفظهما لانه اثقال بالتراب قال ابو حيان ولا يدعى ذلك لان كلا منهما كامل التصرف
في الماضي والامر والمضارع والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول وليس فيه شي من مسوغات
ادعا القلب والذي يعلم به الاصالة من القلب ان يكون احد النظمين فيه حكم يشهد له بالاصالة
والاخر ليس كذلك او اكثر استعمالا من الاخر وهذا على ما قرر واحكم في علم التصريف فالاول
كييس وايس والثاني كطامن واطمان والثالث كشوابغ واسوابغ والرابع كالعمري وزعملي
وقرا العامة الموودة بهمزة بين واوين ساكنتين كالموعودة وقرا البزي في رواية بهمزة مضمومة
ثم واو ساكنة وفيها وجهان احدهما ان يكون كقراءة الجماعة ثم نقل حركة الهمزة الى الواو قبلها
وحذفت الهمزة فصار اللفظ الموودة واو مضمومة ثم اخرى ساكنة فقلبت الواو المضمومة
همزة نحو اجوه في وجوه فصار اللفظ كما ترى ووزنها الان المفولة لان المحذوف عين الكلمة
والثاني ان تكون الجملة اسم مفعول من اده يوده مثل قاده يقوده والاصل ماووده مثل
مقووده ثم حذف احدى الواوين على الخلاف المشهور في الحذف من نحو مقول ومصون
فوزنها الان اما مفعلة ان قلنا ان المحذوف الواو الزائدة واما مفوله ان قلنا ان المحذوف
عين الكلمة وهذا يظهر فضل علم التصريف وقرى الموودة بضم الواو الاولى على انه نقل
حركة الهمزة بعد حذفها ولم يقلب الواو همزة وقرا الاعمش المودة بزنة الموزة وتوجيهه
انه حذف الهمزة احتياطا فالتقى ساكنان فحذف ثانيهما ووزنها المفلة لان الهمزة عين
الكلمة وقد حذفت وقال مكي بل هو تخفيف قياسي وذلك انه لما نقل حركة الهمزة الى
الواو ولم يهمزها كما يستثقل الضمة عليها فسكنها فالتقى ساكنان فحذف الثاني وهذا كله
خروج عن الظاهر وانما يظهر في ذلك ما نقله الفرا في وقف حمزة انه يقف عليها كالموزة
قالوا لاجل الخط لانها رسمت كذلك والرسم سنة متبعة والعامة على سيلت مبنيا للمفعول
مضموم السين والحسن بكسرها من سال يسال كما تقدم وقرا ابو جعفر قتلت بتشديد التا
على التكثير لان المراد اسم الجنس فناسبه التكثير وقرا علي وابن مسعود وابن عباس رضي
الله عنهم سالت مبنيا للفاعل قتلت بضم التا الاخيرة والتي للمتكلم حكاية لكلامها وعن
ابي وابن مسعود ايضا وابن يعمر سالت مبنيا للفاعل قتلت بالتا الساكنة كقراءة
العامة **فصل** كانوا يدفنون بناتهم احيا لخصلتين احدهما كانوا يقولون الملايكة
بنات الله فالحقوا البنات به تبارك وتعالى عن ذلك والثانية مخافة الحاجة والاملاق
واما خوفا من السبي والاسترقاق قال ابن عباس كانت المراة في الجاهلية اذا حملت حفرت
حفرة وتمخضت على راسها فان ولدت جارية رمت بها في الحفرة وردت التراب عليها وان
ولدت غلاما حبسته ومنه قول الراجز
سميتها اذ ولدت تموت • والقبر صهر ضامن زميت •

وقيل

وقيل كان الرجل اذا ولدت له بنت فاراد بقاها حيا البسها جبة من صوف او شعر ترعى له
الابل والغنم في البادية وان اراد قتلها تركها حتى اذا بلغت قامتها ستة اشبار فيقول لامها طيبيها
وزينيها حتى اذهب بها الى اقاربها وقد حفر لها بيرا في الصحرا فيذهب بها الى البير فيقول لها
انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي البير بالارض وكان صعصعة
ابن ناجية ممن يمنع الوادي فافتخر الفرزدق به في قوله ومنا الذي منع الوايدات واحيا الوئيد
فلم يود **فصل** روي ان قيس بن عاصم جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
اني وادت ثماني بنات كن لي في الجاهلية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتق عن كل واحدة
منهن رقبة قال يا رسول الله اني صاحب ابل قال عليه الصلاة والسلام فاهد عن كل واحدة
منهن بدنة ان شيت واعلم ان سوال الموودة سوال توبيخ لقاتلها لانها قتلت بغير ذنب
ضربت كما يقال للطفل اذا ضرب لم ضربت وما ذنبك قال الحسن اراد الله توبيخ قاتلها لانها
قتلت بغير ذنب وقال ابن مسلم باي ذنب ضربت وكانوا يضربونها وقيل في قوله تعالى
سيلت معناه طلبت يريد كما يطلب بدم القتيل وهو كقوله تعالى وكان عهد الله مسيولا اي مطلوبا
فكانها طلبت منهم فقيل اين اولادكم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المراة التي تقتل
ولدها تاتي يوم القيامة متعلق ولدها بثديها ملطخا بدمايه فيقول يا رب هذه امي وهذه قتلتني
والاول قول الجمهور لقوله تعالى لعيسى بن مريم اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين على جهة
التوبيخ والتبكيت لهم فكذلك سوال الموودة توبيخ لوالدها وهو ابلغ من سوالها عن قتلها لان هذا
مما لا يصح الا بذنب اي فباي ذنب كان ذلك فاذا ظهر انه لا ذنب لها كان اعظم في البلية وظهور
الحجة على قاتلها وفي الاية دليل على ان اطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يستحق
الا بذنب قوله تعالى واذا الصحف نشرت قرا الاخوان وابن كثير وابو عمرو بالتثقيل على تكرار
النشر للمبالغة في تقريع العاصي وتبشير المطيع وقيل لتكرر ذلك من على تكرر الانسان والباقون
بالتخفيف ونافع وحفص وابن ذكوان سعرت بالتثقيل والباقون بالتخفيف قوله نشرت اي
فتحت بعد ان كانت مطوية والمراد صحف الاعمال التي كتبت الملايكة فيها اعمال العباد من خير
وشر تطوى بالموت وتنشر في القيامة فيقف كل انسان على صحيفته فيعلم ما فيها فيقول ما لهذا
الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قوله تعالى واذا السما كشطت اي قشرت من قولهم
كشط جلد الشاة اي سلخها وقرا عبد الله قشطت بالقاف وقد تقدم انهما معاقبان كثيرا وانه قرى
ما فورا وكافورا في هل اتى على الانسان وقال ليكشط البريد ولينفه قال القرطبي يقال كشطت
البعير كشطا نزعت جلده ولا يقال سلخت لان العرب لا تقول في البعير كشطه والا جلدته والمعنى
ازيلت عما فوقها وقال الزاطوبت قوله تعالى واذا الجحيم سعرت اي اوقدت فاضرمت للكفار
وزيد في احمايها يقال سعرت النار واسعرتها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقد على النار الف
سنة حتى اسودت فهي مظلمة واحتج بهذه الاية من قال النار مخلوقة الان لانه يدل على ان سعيرها
معلق بيوم القيمة قوله تعالى واذا الجنة ازلفت اي ادنيت وقربت من المتقين قال الحسن
انهم يقربون منها لا انها تزول عن موضعها وقال عبد الله بن زيد زينت والزلفى في كلام العرب
القربة قوله تعالى علمت نفس ما احضرت هذا جواب اذا اول السورة وما عطف عليها والمعنى
يعني ما عملت من خير وشر روي عن ابن عباس وعمر رضي الله عنهما انهما قرا فلما بلغا علمت نفس ما
احضرت قالا لهذا اجريت القصة قال ابن الخطيب ومعلوم ان العمل لا يمكن احضاره فالمراد اذا ما
احضرته في صحايفها وما احضرته عند المحاسبة وعند الميزان من اثار تلك الاعمال والمراد ما احضرت
من استحقاق الجنة والنار فان كل نفس تعلم ما احضرت لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا والتنكير في قوله نفس من عكس كلامهم الذي يقصدون به المبالغة وان كان اللفظ موضوعا للتقليل
لقوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو يكونون المراد ان الكفار كانوا يتعبون انفسهم فيما يظنونه طاعة
ثم يظهر لهم في القيامة خلاف ذلك قوله تعالى فلا اقسم بالخنس اي اقسم ولا زايدة كما تقدم والخنس
جمع خانس والخنوس الانقباض يقال خنس بين القوم وانخنس وفي الحديث فانخنست اي استخفيت
يقال خنس عنه يخنس بالضم خنوسا والخنس تاخر الانف عن الشفة مع ارتفاع الارنبة قليلا
ويقال رجل اخنس وامراة خنسا الشاعر والخنس في القران قيل الكواكب السبعة السيارة القران

وزحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد لانها تخنس في المغيب اولانها تخفى نهارا وعن علي رضي الله
عنه هي زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد وفي تخصيصها بالذكر من بين سائر النجوم وجهان احدهما
لانها تستقبل الشمس قاله بكر بن عبد الله المزني الثاني لانها تقطع المجرة قاله ابن عباس وقيل
خنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس قال ابن الخطيب الاظهر ان ذلك اشارة الي رجوعها
واستقامتها وقال الحسن وقتادة هي النجوم كلها لانها تخنس بالنهار اذا غربت وتظهر بالليل وتكنس في
وقت غروبها اي تتاخر عن البصر لخفائها وتكنس اي تستتر كما تكنس الظبا في الغار وهي الكناس والكنس
الداخلة في الكناس وهي بيت الوحش والجواري جمع جارية وعن ابن مسعود هي بقر الوحش لان هذه
صفتها وروي عن عكرمة قال الخنس البقر والكنس هي الظبا فهي خنس اذا راي من الانسان خنس
وانقبض وتاخر ودخلت كناسها قال القرطبي والخنس على هذا من الخنس في الانف وهو تاخير
الارنبة وقصر القصبة وانوف البقر والظبا خنس والقول الاول اظهر لذكر الليل والصبح بعده وحكى
الماوردي انها الملايكة والكنس الغيب ماخوذ من الكناس وهي كناس الوحش الذي يختفي فيه
والكنس جمع كانس وكانسة قوله تعالى والليل اذا عسعس يقال عسعس وسعسع اي اقبل قال
العجاج • حتى اذا الصبح لها تنفسا • وانجاب عنها ليلها وعسعسا •
اي ادبر قال الفرا اجمع المفسرون على معنى عسعس ادبر حكاه الجوهري وقيل دنا من اوله واظلم وكذلك
السحاب اذا دنا من الارض وقيل ادبر بلغة قريش خاصة وقيل اقبل ظلامه وترجحه مقابلته
بقوله تعالى والصبح اذا تنفس وهذا قريب من ادباره وقيل هو لهما على طريق الاشتراك قال
الخليل وغيره عسعس الليل اذا اقبل او ادبر قال المبرد هو من الاضداد والمعنيان يرجعان
الي شي واحد وهو ابتدا الظلام في اوله وادباره في اخره قال الماوردي واصل العس الامتلا
ومنه قيل للقدح الكبير عس لامتلايه بما فيه فاطلق على اقبال الليل لابتداء امتلايه واطلق
على ادباره لانتهاء امتلايه فعلى هذا يكون القسم باقبال الليل وبادباره وهو قوله تعالى ﴿ هـ
والصبح اذا تنفس لا يكون فيه تكرار وعسعس اسم موضع بالبادية وايضا هو اسم رجل ويقال
للذيب العسعس والعسعاس لانه يعس في الليل ويطلب ويقال للقنافذ العساعس لكثرة
ترددها بالليل والتعسعس الشم والتعسعس ايضا طلب الصيد قوله تعالى والصبح اذا تنفس
اي امتد حتى يصير نهارا واضحا يقال للنهار اذا زاد تنفس ومعنى التنفس خروج النسيم من الجوف
وفي كيف المجاز قولان الاول انه اذا اقبل الصبح اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك تنفسا له على
المجاز فقيل تنفس له الصبح الثاني انه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي جلس بحيث
لا يتحرك فاذا تنفس وجد راحة فههنا لما طلع الصبح فكانه تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه
بالتنفس وقيل اذا تنفس اي انشق وانفلق ومنه تنفست القوس اي تصدعت وهذا اخر القسم
قوله تعالى انه لقول رسول كريم قال الحسن وقتادة والضحاك الرسول الكريم جبريل والمعنى
انه لقول رسول كريم من الله كريم على الله واضاف الكلام الي جبريل ثم عزاه عنه بقوله تنزيل من
رب العالمين ليعلم اهل التحقيق في التصديق ان الكلام لله تعالى وقيل هو محمد عليه الصلاة
والسلام فمن جعله جبريل فتقويه ظاهر لما روي الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال من
قوته قلعه مداين قوم لوط بقوادم جناحه وقوله تعالى عند ذي العرش اي عند الله سبحانه
وتعالى مكين اي ذي منزلة ومكانه وروي ابو صالح قال فدخل سبعين سرادقا بغير اذن
وقيل المراد القوة في اداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها من اول الخلق الي اخر زمان
التكليف وقوله تعالى عند ذي العرش هذه العندية ليست عندية الجهة بل عندية الاكرام
والتشريف والتعظيم لقوله سبحانه وتعالى انا عند المنكسرة قلوبهم وقوله سبحانه مكين قال
قال الكسائي يقال مكن فلان عند فلان بضم الكاف مكنا ومكانه فعلى هذا هو الجاه الذي
يعطى ما سال قوله مطاع ثم اي في السموات قال ابن عباس رضي الله عنه من طاعة الملايكة
جبريل عليه السلام انه لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرضوان خازن الجنان
افتح له ففتح فدخلها فراي ما فيها وقال لمالك خازن النار افتح له ففتح فدخلها وراي ما فيها
وقوله تعالى امين اي مؤتمن على الوحي الذي يجي به ومن قال ان المراد محمد صلى الله
عليه وسلم فالمعنى ذي قوة على تبليغ الوحي مطاع اي يطيعه من اطاع الله عز وجل وما صاحبكم

بمجنون

بمجنون حتى يتهم في قوله وهو من جواب القسم والضمير في قوله انه يعود الي القران الذي انزل
به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعود الي الذي اخبرهم به محمد صلى
الله عليه وسلم من امر الساعة في هذه السورة ليس به تكهانة ولا ظن ولا افتعال انما هو قول
جبريل اتاه به وحيا من الله تعالى **فصل** قال ابن الخطيب احتج بهذه الاية من
فضل جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم فقال اذا وازنت بين قوله سبحانه انه
لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وبين قوله تعالى وما صاحبكم
بمجنون ظهر التفاوت العظيم فقوله عند ذي يجوز ان يكون نعتا لرسول وان يكون حالا من
مكين واصلها الوصف فلما قدم نصب حالا قوله ثم امين العامة على فتح الثاء لانه ظرف مكان
للبعد والعامل فيه مطاع وابو البرهسم وابو جعفر وابو حيوة بضمها جعلوها عاطفة والتراخي
في نعتا في الرتبة لان الثانية اعظم من الاولى قوله تعالى ولقد راه بالافق الاعلى المبين اي
راي جبريل في صورته في ستماية جناح بالافق المبين اي حيث تطلع من قبل المشرق وقيل الافق
المبين اي اقطار السموات ونواحيها قال الماوردي فعلى هذا ففيه ثلاثة اقوال الاول انه راه
في الافق الشرقي قاله سفيان الثاني في افق السما الغربي حكاه بن سجرة الثالث انه راه نحو
اجياد وهو مشرق مكة قاله مجاهد وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم راي ربه عز وجل بالافق
المبين وهو قول ابن مسعود وقد تقدم ذلك في سورة والنجم وفي المبين قولان احدهما انه
صفة للافق قاله الربيع الثاني انه صفة لمن راه قاله مجاهد قوله تعالى وما هو على الغيب بظنين
قرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالظا بمعنى متهم من ظن بمعنى اتهم فيتعدى لواحد وقيل معناه
بضعيف القوة عن التبليغ من قولهم بير ظنون اي قليلة الما والظنة التهمة واختاره ابو
عبيد وفي مصحف عبد الله كذلك والباقون بالضاد بمعنى يبخل بما ياتيه من قبل ربه من
ضننت بالشي اضن ضنا بمعنى لا يكتمه كما يكتم الكاهن ذلك ويمتنع من اعلامه حتى ياخذ عليه
حلوانا الا ان الطبري قال الضاد خطوط المصاحف كلها وليس كذلك لما وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقراهما وهذا دليل على تمييز بين الحرفين خلافا لمن يقول انه لو وقع احدهما موقع
الاخر لجاز لعسر معرفته وقد شنع الزمخشري على من يقول ذلك وذكر بعض المخارج وبعض
الصفات بما يطول ذكره وعلى الغيب متعلق بظنين او بضنين والغيب القران وخبر السما
هذا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل صفة جبريل عليه السلام قوله تعالى وما هو
بقول شيطان رجيم اي مرجوم والضمير في هو للقران قالت قريش ان هذا القران يجي به
شيطان فيلقيه على لسانه فنفى الله ذلك يريدون بالشيطان الابيض الذي كان ياتي النبي
صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل يريدان يفتنه **فصل** قال ابن الخطيب فان
قيل انه حلف على ان القران قول جبريل عليه السلام فوجب علينا ان نصدقه فان لم يقطع
بوجوب حمل اللفظ على الظاهر فلا اقل من الاحتمال واذا كان كذلك ثبت ان هذا القران
يحتمل ان يكون كلام جبريل لا كلام الله تعالى وبتقدير ان يكون كلام جبريل لا يكون معجزا ولا
يمكن ان يقال بان جبريل معصوم لان عصمته متفرعة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم
وصدق النبي صلى الله عليه وسلم متفرع على كون القران معجزا وكون القران معجزا متفرع
على عصمة جبريل فيلزم الدور فالجواب ان الاعجاز ليس في الفصاحة بل في سبب تلك الدواعي
عن القلوب وذلك مما لا يقدر عليه احد الا الله تعالى لان سبب القدرة عما هو مقدور لا يقدر
عليه الا الله تعالى ثم قال في قوله تعالى وما هو بقول شيطان رجيم فان قيل القول بصحة
النبوة موقوف على نفي هذا الاحتمال فكيف يمكن نفيه بالدليل السمعي قلنا قد بينا ان على
القول بالصرفة لا تتوقف صحة النبوة على نفي هذا الاحتمال بالدليل السمعي قوله تعالى
فاين تذهبون اين منصوب بتذهبون لانه ظرف مبهم وقال ابو البقاء اي الى اين فحذف
حرف الجر كقولك ذهبت الشام ويجوز ان يحمل على المعنى كانه قال اين تؤمون يعني انه
على الحذف او على التضمين واليه نحا مكي ايضا ولا حاجة الي ذلك البتة لانه ظرف مكان مبهم
لا مختص **فصل** قال قتادة فالي اين تعدلون عن هذا القول وعن طاعته وقال
الزجاج فاي طريقة تسلكوا ابين من هذه الطريقة التي بينت لكم ويقال اين تذهب والي

ابن يذهب وحكي الفرا عن العرب ذهبت الشام وخرجت العراق وانطلقت السوق اي اليها
وانشد لبعض بني عقيل • تصيح بنا حنيفة اذ رأتنا • واي الارض تذهب بالصياح •
يريد الي اي الارض تذهب فحذف الي قوله ان هو الا ذكر يعني القران ذكر للعالمين اي
موعظة وزجر وان بمعني ما وقيل ما محمد الا ذكر قوله لمن شاء منكم بدل من العالمين
باعادة العامل وعلي هذا فقوله ان يستقيم مفعول شاء اي لمن شاء الاستقامة ويجوز
ان يكون لمن شاء خبرا مقدما ومفعول شاء محذوف وان يستقيم مبتدا وتقدم نظيره والمعني
لمن شاء منكم ان يستقيم قال ابو جهل الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم وهذا
هو القدر وهو راس القدرية فنزلت وما تشاءون الا ان يشاء الله رب العالمين فبين بهذا
انه لا يعمل العبد خيرا الا بتوفيق الله تعالي ولا شرا الا بخذلانه قوله الا ان يشاء الله اي الا
وقت مشيئة الله تعالي وقال مكي وان في موضع خفض باضمار الباء وفي موضع نصب بحذف
الخافض يعني ان الاصل الا بان وحينئذ تكون للمصاحبة **فصل** قال الحسن والله ما شاءت
العرب الاسلام حتي شاء الله تعالي لها وقال وهب بن منبه رضي الله عنه قرات في سبعة
وثمانين كتابا مما انزل الله علي الانبيا من جعل الي نفسه شيا فقد كفر وفي التنزيل ولو
اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتي وحشرنا عليهم كل شي قبلا ما كانوا ليومنوا الا ان يشاء
الله وقال تعالي وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله وقال تعالي انك لا تهدي من
احببت ولكن الله يهدي من يشاء والاي في هذا كثير ولذلك الاضمار وان الله تعالي هدي
بالاسلام واضل بالكفر قال ابن الخطيب وهذا عين مذهبنا لان الافعال موقوفة علي
مشيئتنا ومشيئتنا موقوفة علي مشيئة الله تعالي والموقوف علي الشي موقوف علي ذلك
الشي فافعال العباد ثبوتا ونفيا موقوفة علي مشيئة الله تعالي وحمل المعتزلة ذلك
علي انها مخصوصة بمشيئة الالجاء والقهر وذلك ضعيف لان المشيئة الاختيارية حادثة فلا
بد من محدث فيعود الكلام والله تعالي اعلم روي الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا اذا الشمس كورت اعاذه الله ان يفضحه حين
تنشر صحيفته صدق رسول الله صلي الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم

سورة الانفطار مكية

وهي تسع عشرة اية وكلماتها ثمانون كلمة وثلثمائة وسبعة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالي معناه اذا السماء انفطرت معناه اذا وقعت هذه الاشيا التي هي اشراط
الساعة حصل الحشر والنشر ومعني انفطرت اي انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالي
يوم تشقق السماء بالغمام فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وفتحت السماء
فكانت ابوابا السماء منفطر به قال الخليل ولم يات هذا علي الفعل بل هو كقوله مرضع
وحائض ولو كان علي الفعل لكان منفطر وقال القرطبي تفطرت لنشئة الله تعالي
والفطر الشق يقال فطرته فانفطر ومنه فطر ناب البعير اي طلع فهو فاطر وتفطر الشي
تشقق وسيف فطاري فيه شقوق وقد تقدم قوله تعالي واذا الكواكب انتثرت
تساقطت لان عند انتقاض تركيب السماء تنتثر النجوم علي الارض يقال نثرت الشي
انثره نثرا فانتثر والنثار بالضم ما تناثر من الشي قوله تعالي واذا البحار فجرت
العامة علي بنائه للمفعول مثقلا وقرا مجاهد مبنيا للفاعل مخففا من الفجور نظرا الي
قوله تعالي بينهما برزخ لا يبغيان فلما زال البرزخ بغيا وقرا مجاهد ايضا والربيع بن
خثيم والزعفراني والثوري مبنيا مخففا ومعني فجرت اي دخل بعضها في بعض واختلط
العذب بالملح فصار واحدا بارتفاع الحاجز الذي جعله الله تعالي برزخا بينهما وقيل
ان مياه البحار الان راكدة مجتمعة فاذا تفجرت تفرقت وذهب ماوها وقال الحسن فجرت
نشفت قوله تعالي واذا القبور بعثرت اي قلبت يقال بعثره وبحثره بالعين والحاء قال

الزمخشري

الزمخشري وهما مركبان من البعث والبحث ومضموم اليهما راء يعني انهما اتفق معناهما لان الراء
مزيدة فيهما اذ ليست من حروف الزيادة وهذا كدربث وداسر وسبط وسبطر **فصل**
والمعني قلب اعلاها اسفلها وقلب باطنها ظاهرها وخرج ما فيها من الموتي احيا وقيل
البعثرة اخراج ما في بطنها من الذهب والفضة ثم يخرج الموتي بعد ذلك وقوله تعالي علمت
نفس ما قدمت واخرت جواب اذا والمعني ما قدمت من عمل صالح او سيئ او اخرت من سنة
او حسنة وقيل ما قدمت من الصدقات من التركات علي ما تقدم في قوله تعالي ينبا الانسان
يومئذ بما قدم واخر والمقصود من الزجر عن المعصية والترغيب في الطاعة فان قيل اي
وقت من القيمة يحصل هذا العلم قال ابن الخطيب اما العلم الاجمالي فيحصل في اول
زمان الحشر لان المطيع يري اثار السعادة والعاصي يري اثار الشقاوة في اول الامر واما
العلم التفصيلي فانما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة قوله تعالي يا ايها الانسان ما غرك
بربك الكريم اي المتجاوز العامة علي غرك ثلاثيا وما استفهامية وان تكون تعجبية ومعني
اعزه ادخله في الغرة او جعله غارا **فصل** لما اخبر في الاية الاولي عن وقوع الحشر
والنشر ذكر هنا ما يدل عقلا علي امكانه وعلي وقوعه وذلك من وجهين الاول ان الاله
الكريم لا يجوز من كرمه ان يقطع مواهبه عن المذنبين كيف يجوز في كرمه ان لا ينتقم من الظالم
الثاني ان القادر علي خلق هذه البنية الانسانية ثم سواها وعدلها اما ان يقال انه تعالي
خلقها لا لحكمة وذلك عبث وهو علي الله تعالي محال لانه تعالي منزه عن العبث او خلقها
لحكمة فتلك الحكمة ان تكون عائدة علي الله تعالي وذلك باطل لانه منزه عن الاستكمال
والانتفاع وتعين ان تكون الحكمة عائدة الي العبد وتلك الحكمة ان تظهر في الدنيا وذلك
باطل لان الدنيا دار بلاء وامتحان لا دار انتفاع وجزا فثبت ان تلك الحكمة انما تظهر في دار
الجزا فثبت ان الاعتراف بوجود الاله الكريم الذي يقدر علي الخلق والتسوية والتعديل
يوجب علي العاقل ان يقطع بانه تعالي يبعث الاموات ويحشرهم **فصل** هذا خطاب
لمنكري البعث روي عطا عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في الوليد بن المغيرة
وقال الكلبي ومقاتل نزلت في ابي الاشرم بن شريق وذلك انه ضرب النبي صلي الله عليه
وسلم فلم يعاقبه الله تعالي فانزل الله هذه الاية وقيل تتناول جميع العصاة لان
الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومعني ما غرك ما خدعك وسول لك الباطل حتي
تركت الواجبات واتيت بالمحرمات والمعني ما الذي امنك من عقابه هذا اذا حملنا الانسان
علي جميع العصاة فان حملنا علي الكافر فالمعني ما الذي دعاك الي الكفر وانكار الحشر والنشر
فان قيل كونه كريما يقتضي ان يغتر الانسان بكرمه لانه جواد مطلق والجواد الكريم يستوي
عنده طاعة المطيع وعصيان المذنب وهذا يوجب الاغترار وروي عن علي رضي الله عنه
انه دعا غلامه مرات فلم يجبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له لم لا تجيبني فقال لثقتي بحلمك
وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا ايضا من كرم الرجل سوء ادب غلمانه
واذا ثبت ان كرمه يقتضي الاغترار به فكيف جعله هاهنا مانعا من الاغترار فالجواب من
وجوه الاول ان المعني لما كنت تري حلم الله تعالي عن خلقه ظننت ان ذلك لا حساب ولا دار
الا هذه الدار فما الذي دعاك الي الاغترار وجراك علي انكار الحشر والنشر فان ربك كريم
فهو من كرمه تعالي لا يعاجل بالعقوبة بسطا في مدة التوبة وتاخيرا للجزاء وذلك لا يقتضي
الاغترار الثاني ان كرمه تعالي لما بلغ الي حيث لا يمنع العاصي من ان يطعمه فبان ينتقم
للمظلوم من الظالم كان اولي فاذا كونه كريما يقتضي الخوف الشديد من هذا الاعتبار او
ترك الجراة والاغترار الثالث ان كثرة الكرم توجب الجد والاجتهاد في الخدمة والاستحيا
من الاغترار الرابع قال بعضهم انما قال بربك الكريم ليكون ذلك جوابا عن ذلك السوال
حتي يقول غرني كرمك فلولا كرمك لما فعلت لانك رايت فسترت وقدرت فامهلت وهذا
الجواب انما يصح اذا كان المراد بقوله تعالي يا ايها الانسان ليس هو الكافر **فصل**
قال قتادة رضي الله عنه سبب غرور ابن ادم تسويل الشيطان وقال مقاتل غره
عفو الله حين لم يعاقبه اول مرة وقال السدي غره رفق الله وقال ابن مسعود ما منكم من

احد الا سيخلوا الله به يوم القيمة فيقول تعالى ما غرك يا ابن ادم ماذا عملت فيما علمت يا ابن
ادم ماذا اجبت المرسلين قوله الذي خلقك فسواك يحتمل الا تباع على البدل والبيان والنعت والقطع
الى الرفع والنصب واعلم انه تعالى لما وصف نفسه بالكرم ذكر هذه الامور الثلاثة كالدلالة على
تحقق ذلك الكرم فقوله تعالى الذي خلقك لا شك انه كرم لانه وجود والوجود خير من العدم
والحياة خير من الموت كما قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وقوله تعالى فسواك
اي جعلك سويا سالم الاعضا ونظيره قوله تعالى اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة
ثم سواك رجلا اي معتدل الخلق والاعضا قال ذو النون اي سخر لك المكونات اجمع وما جعلك
مسخرا لشيء منها ثم انطلق لسانك بالذكر وقلبك بالعقل وروحك بالمعرفة وسرك بالايمان وشرفك
بالامر والنهي وفضلك على كثير ممن خلق تفضيلا قوله فعدلك قرا الكوفيون عدلك مخففا
والباقون مثقلا فالتثقيل بمعنى جعلك متناسب الاطراف فلم يجعل احدى يديك او رجليك
اطول ولا احدى عينيك اوسع فهو من التعديل وهو كقوله تعالى بلى قادرين على ان نسوي بنانه
قال علما التشريح ان الله تعالى ركب جانبي هذه الجثة على التساوي حتى انه لا تفاوت بين نصفيه
لا في العظام ولا في اشكالها ولا في الاورده والشرايين والاعصاب النافذة فيها والخارجة
منها وقال عطا عن ابن عباس رضي الله عنه جعلك قائما معتدلا احسن الصورة كالبهيمة المنحنية
وقال ابو علي الفارسي عدلك خلقك فاخرجك في احسن تقويم مستويا على جميع الحيوان
والنبات وواصلا في الكمال الى ما لم يصل اليه شيء من اجسام هذا العالم واما قراة التخفيف
فيحتمل هذا اي عدل بعض اعضايك ببعض ويحتمل ان يكون من العدول اي صرفك الى ما شا
من الهيات والاشكال والاشباه وهذا قول الفرا ثم قال والتشديد احسن الوجهين لانك تقول
عدلتك الى كذا اي صرفتك الى كذا ولا يحسن عدلتك فيه ولا صرفتك فيه ففي القراة الاولى
جعل في من قوله في اي صورة للتركيب وهو حسن وفي القراة الثانية جعل في صلة لقوله
فعدلك وهو ضعيف ونقل القفال عن بعضهم انهما لغتان بمعنى واحد قوله في اي صورة
يجوز فيه اوجه احدها ان يتعلق بركبك وما مزيدة على هذا وشا صفة لصورة ولم يعطف
ركبك على ما قبله بالفا كما عطف ما قبله بها لانه بيان لقوله فعدلك والتقدير فعدلك
ركبك في اي صورة من الصور العجيبة الحسنة التي شاها سبحانه وتعالى والمعنى وضعك
في صورة اقتضتها مشيئته من حسن وقبح وطول وقصر وذكورة وانوثة الثاني ان يتعلق
بمحذوف على انه حال اي ركبك حاصلا في بعض الصور الثالث انه يتعلق بعدلك نقله
ابو حيان عن بعض المتاولين ولم يعترض عليه وهو معترض بان في اي معنى الاستفهام فلها
صدر الكلام فكيف يعمل فيها ما تقدمها وكان الزمخشري استشعر هذا فقال ويكون في اي
معنى التعجب اي فعدلك في اي صورة عجيبة وهذا لا يحسن ان يكون يجوز لتقدم الفاعل على
اسم الاستفهام وان دخله معنى التعجب الا ترى ان كيف واي وان دخلهما معنى التعجب لا يتقدم
عاملهما عليهما وقد اختلف النحويون في اسم الاستفهام اذ قصد به الاستيناف هل يجوز تقديم
عامله ام لا والصحيح انه لا يجوز ولذلك لا يجوز ان يتقدم عامل كم الخبرية عليها لشبهها في اللفظ
بالاستفهامية فهذا اولى وعلى تعلقها بعد ذلك تكون ما منصوبة على المصدر وقال ابو
البقا يجوز ان تكون ما زايدة وان تكون شرطية وعلى الامرين الجملة نعت لصورة والعايد
محذوف اي ركبك عليها وفي متعلق بركبك وقيل لا موضع للجملة لان في يتعلق باحد الفعلين
والجميع كلام واحد وانما تقدم الاستفهام على ما هو حقه قوله باحد الفعلين يعني شا
وركبك فيحصل في ما ثلثة اوجه الزيادة وكونها شرطية وحينئذ جوابها محذوف والنصب
على المصدرية اي واقعة موقع مصدر قوله تعالى كلا بل تكذبون بالدين العامة
على تكذبون خطابا والحسن وابو جعفر وشيبة بيا الغيبة قال ابن الخطيب لما بين
بالدلايل العقلية صحة القول بالبعث والنشور على الجملة فرع عليها شرح تفاصيل الاحوال
المتعلقة بذلك وهي انواع الاول انه تعالى زجرهم عن ذلك الاغترار بقوله كلا وبل حرف وضع
في اللغة لنفي شيء قد تقدم وتحقيق غيره فلا جرم ذكروا في تفسير كلا وجوها الاول قال
القاضي معناه انكم لا تستقيمون على توجيه نعمتي عليكم وارشاده لكم بل تكذبون بيوم الدين

الثاني

الثاني كلا ردع اي ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله تعالى كانه قال وانهم لا يرتدعون عن ذلك
بل تكذبون بالدين الثالث قال القفال كلا اي ليس الامر كما تقولون من انه لا بعث ولا نشور
لان ذلك يوجب ان الله تعالى خلق الخلق عبثا وحاشاه من ذلك ثم كانه قال انهم لا يسوون بهذا
البيان بل يكذبون بالدين وقال الفراليس كما عززت به والمراد بالدين الجزا على الدين والاسلام
وقيل المراد من الدين الحساب اي تكذبون بيوم الحساب النوع الثاني قوله تعالى وان عليكم
لحافظين يجوز ان تكون الجملة حالا من فاعل تكذبون اي تكذبون والحالة هذه ويجوز ان تكون
مستانفة خبرهم بذلك لينزجروا والمراد بالحافظين الرقبا من الملايكة يحفظون عليكم اعمالكم كراما
على الله كاتبين يكتبون اقوالكم واعمالكم وقوله يعلمون يجوز ان يكون نعتا وان يكون حالا
من ضمير كاتبين وان يكون مستانفا قال ابن الخطيب والمعنى التعجب من حالهم كانه تعالى قال
انكم تكذبون بيوم الدين وهو يوم الحساب والجزا وملايكة الله تعالى موكلون بكم يكتبون
اعمالكم حتى يحاسبوا بها يوم القيمة ونظيره قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ
من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة فصل
قال ابن الخطيب من الناس من طعن في حضور الكرام الكاتبين من وجوه الاول لو كان الحفظة
وصحفهم واقلامهم معنا ونحن لا نراهم لجاز ان يكون بحضرتنا جبال واشخاص لا نراهم وذلك دخول
في الجهالات والثاني ان هذه الكتابة والضبط ان كان لا لفايدة فهو عبث وهو غير جايز على الله
تعالى وان كان لفايدة فلا بد وان يكون للعبد لان الله سبحانه وتعالى متعالي عن النفع والضر
وعن تطرق النسيان اليه وغاية ذلك انه حجة على الناس وتشديد عليهم لاقامة الحجة لكن هذا
ضعيف لان من علم ان الله تعالى لا يجور ولا يظلم لا يحتاج في حقه الى اثبات هذه الحجج والذي
لا يعلم لا ينتفع بهذه الحجة لاحتمال انه تعالى امرهم بذلك ظلما الثالث ان افعال القلوب غير
مرئية فهي من باب المغيبات والله تعالى مختص بعلم الغيب فلا يكتبونها والاية تقتضي كتبتها
والجواب عن الاول ان البنية عندنا ليست شرطا في قبول الحياة ولان عند سلامة الاعضا
وحضور المرئي وحصول جميع الشرايط لا يجب الادراك فيجوز على الاول ان يكونوا اجراما لطيفة
تتمزق ويبقى حياتها ذلك وعلى الثاني يجوز ان يكونوا اجراما كثيفة ونحن لا نراهم وعن الثاني
ان الله تبارك وتعالى اجرى اموره على عباده على ما يتعارفونه في الدنيا فيما بينهم لان ذلك
ابلغ في تقرير المعنى عندهم في اخراج كتاب وشهود في الزام الحجة كما يشهد العدول عند الحاكم
وعلى القضاة ومن الثالث ان ذلك مخصوص بافعال الجوارح فهو عام مخصوص وفي مدح الحفظة
ووصفهم بهذه الصفات تعظيم امر الجزا وانه من جلايل الامور فصل هذا الخطاب وان
كان خطاب مشافهة الا ان الامة اجتمعت على عموم هذا الحكم في حق المكلفين وقوله تعالى لحافظين
جمع يحتمل ان يكون حافظين لجميع بني ادم من غير ان يختص واحد من الملايكة بواحد من بني ادم
ويحتمل ان يكون الموكل بكل واحد منهم غير الموكل بالاخر ويحتمل ان يكون الموكل بكل واحد منهم
جميعا من الملايكة كما قيل اثنان بالليل واثنان بالنهار او كما قيل انهم خمسة فصل اختلفوا
في الكفار هل عليهم حفظة فقيل لا لان امرهم ظاهر وعملهم واحد قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم
وقيل بل عليهم حفظة لقوله تعالى بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين واما من اوتي كتابه
بشماله ومن اوتي كتابه وراء ظهره فاخبر ان لهم كتابا وعليهم حفظة فان قيل اي شيء يكتب الذي
عن يمينه ولا حسنة له فالجواب ان الذي عن شماله يكتب باذن صاحبه ويكون صاحبه شاهدا على
ذلك وان لم يكتب فصل سيل سفيان كيف تعرف الملايكة ان العبد قد هم بمعصية او بحسنة
قال اذا هم العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك وان هم بسيية وجدوا منه ريح منتن فصل
دلت هذه الاية على ان الشاهد لا يشهد الا بعد العلم لوصف الملايكة بكونهم حافظين كراما
كاتبين يعلمون ما تفعلون فدل على انهم يكونوا عالمين بها حتى انهم يكتبونها واذا كتبوها
يكونوا عالمين عند اداء الشهادة قال الحسن لا يخفى عليهم شيء من اعمالكم وقيل يعلمون ما ظهر
منكم دون ما حدثتم به انفسكم قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم الابرار الذين بروا وصدقوا
في ايمانهم باداء فرايض الله تعالى واجتناب معاصيه لما وصف تعالى الكرام الكاتبين لاعمال
العباد ذكر احوال العاملين وقسمهم قسمين فقال تعالى ان الابرار لفي نعيم وهو نعيم الجنة

وان الفجار لفي جحيم وهو النار وهذا التهديد عظيم للعصاة وهذا النعيم كقوله تعالى فريق
في الجنة وفريق في السعير قوله يصلونها يجوز فيه ان يكون من الضمير في الجار بوقوعه
خبرا وان يكون مستانفا وقرا العامة يصلونها مخففا مبنيا للفاعل وتقدم مثله ومعنى
يصلونها يوم الدين اي يصلونها يوم القيامة وما هم عنها بغائبين اي ليسوا غائبين عن استحقاق
الكون في الجحيم ثم عظم ذلك اليوم فقال وما ادراك ما يوم الدين ثم كرر تعجبا لشانه فقال ثم
ما ادراك ما يوم الدين قال ابن عباس كل ما في القران من قوله وما ادراك فقد ادراه وكل
شي من قوله وما يدريك فقد طوي عنه قوله تعالى يوم لا تملك قرا ابن كثير وابو عمرو برفع
يوم على انه خبر مبتدا مضمر اي هو يوم وجوز الزمخشري ان يكون بدلا مما قبله يعني قوله
يوم الدين وقرا ابو عمرو في رواية يوم مرفوعا منونا على قطعه عن الاضافة وجعل الجملة
نعتا له والعائد محذوف اي لا تملك فيه وقرا الباقون يوم بالفتح فقيل هي فتحة اعراب
ونصبه باضمار اعني او يتجاوزون او باضمار اذكر فيكون مفعولا به على راي الكوفيين يكون
خبر المبتدا مضمر وانما بني لاضافته للفعل وان كان معربا قوله تعالى هذا يوم ينفع قال
الزجاج يجوز ان يكون في موضع رفع الا انه بني على الفتح لاضافته الى قوله تعالى لا تملك
وما اضيف اي اعتبر المتمكن فقد يبنى على الفتح وان كان في موضع رفع او جر كما قال لم
يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة قال الواحدي والذي ذكره الزجاج من البناء على
الفتح انما يجوز عند الخليل وسيبويه اذا كانت الاضافة الى الفعل الماضي نحو قوله على
حين عاتبت الشيب اما مع الفعل المستقبل فلا يجوز البنا عندهم ويجوز البنا في قول الكوفيين
قال ابن الخطيب وذكر ابو علي انه منصوب على الظرفية لان اليوم لما جرى في اكثر الامر
ظرفا فترك على حاله الاكثرية والدليل عليه اجماع القراء في قوله تعالى منهم الصالحون ومنهم
دون ذلك ولا يدفع ذلك احد ومما يقوي النصب قوله وما ادراك ما القارعة يوم يكون
الناس وقوله تعالى يسالون ايان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون فالنصب في يوم
لا تملك مثل هذا **فصل** تمسكوا بهذه الاية في نفي الشفاعة للعصاة وهو كقوله
تعالى يوم لا تجزي نفس عن نفس وقد تقدم الجواب عنه في سورة البقرة قال مقاتل
يعني لنفس كافرة شيا من المنفعة والامر يومئذ لله اي لم يملك الله تعالى في ذلك اليوم
احدا شيا كما ملكهم في الدنيا روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا اذا السماء انفطرت اعطاه الله تعالى من الاجر بعدد كل قبر
حسنة وبعدد كل قطرة ما حسنة واصلح الله تعالى له شانه صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة المطففين مدنية

في قول الحسن وعكرمة ومقاتل قال مقاتل وهي اول سورة نزلت بالمدينة وقال
ابن عباس وقتادة مدنية الا ثمان ايات وهي قوله تعالى ان الذين اجرموا الى
اخرها مكي وقال الكلبي وجابر بن زيد نزلت بين مكة والمدينة وقال ابن مسعود
والضحاك مكية وهي ست وثلاثون اية ومائة وتسعة وستون كلمة وسبعمائة وثمانون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ويل للمطففين ويل ابتدا وسوغ الابتدا به كونه دعا ولو نصب لجاز
وقال مكي المختار في ويل وشبهه اذا كان غير مضاف الرفع ويجوز النصب فان كان
مضافا او معرفا كان الاختيار فيه النصب نحو ويلكم لا تفتروا والمطففين خبره
والمطفف وحقيقته الاخذ وقيل او وزن شيا طفيفا اي نزرا حقيرا ومنه قولهم
دون الطفيف اي الشي التافه لقلته قال الزجاج انما قيل للذي ينقص المكيال
والميزان مطفف لانه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان الا الشي اليسير الطفيف
فصل قال ابن الخطيب اتصال اول هذه السورة بما قبلها لانه بين تعالى
بين في اخر تلك السورة ان من صفة يوم القيمة انه لا تملك نفس لنفس شيا والامر

يومئذ لله وهذا يقتضي تهديدا عظيما للعصاة فلهذا اتبعه بقوله تعالى ويل للمطففين
والمراد منه الزجر عن التطفيف وهو البخس في المكيال والميزان على سبيل الخفية واعلم ان الويل
كلمة تذكر عند وقوع البلاء يقال ويل لك وويل عليك وفي اشتقاق لفظ التطفيف قولان
الاول قول الزجاج المتقدم والثاني ان طف الشي هو جانبه وحرفه يقال طف الوادي والانا
اذا بلغ الشي الذي فيه حرفه ولم يمتلي فهو طفافه وطففه يقال هذا طف المكيال وطفافه
اذا قارب ملاه لكنه لم يمتلي ولهذا قيل للذي يسي الكيل ولا يوفيه مطفف لانه انما يبلغ
الطفاف **فصل** روي ابن عباس رضي الله عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله ويل للمطففين فاحسنوا الكيل فخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقراها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم
عدوهم ولا حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر ولا ظهر فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت
ولا طففوا المكيال الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم المطر وقال السدي
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له ابو جهينة ومعه صاعان كيل
يكيل باحدهما ويكيل بالاخر فانزل الله تعالى هذه الاية وروي عن ابن عمر رضي الله عنه قال
المطفف الرجل يستاجر المكيال وهو يعلم انه يحيف في كيله فوزره عليه قوله على الناس فيه
اوجه احدها انه متعلق باكتالوا وعلى ومن يعتقبان هنا قال الفرا يقال اكتلت على الناس
استوفيت منهم واكتلت منهم اخذت ما عليهم وقيل على بمعنى اكتلت على ومنه بمعنى والاول
اوضح وقيل على متعلق بيستوفون قال الزمخشري لما كان اكتيالهم لا يضرهم ويتحامل فيه
عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق بيستوفون وقدم المفعول على الفعل
لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وهو حسن
قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم رسمتا في المصحف بغير الف بعد الواو في الفعلين ثم
اختلف الناس في هم على وجهين احدهما هو ضمير نصب فيكون مفعولا به ويعود على الناس
اي واذا كالوا الناس او وزنوا الناس وعلى هذا فالاصل في هذين الفعلين التعدي لاثنين
لاحدهما بنفسه بلا خلاف وللاخر بحرف الجر ويجوز حذفه وهل كل منهما اصل بنفسه او احدهما
اصل للاخر فيه خلاف والتقدير واذا كالوا لهم طعاما او وزنوه لهم فحذف الحرف والمفعول
للسرح وانشد • ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا • ولقد نهيتك عن بنات الاوبر •
اي جنيت لك والثاني انه ضمير رفع موكد للواو والضمير عائد على المطففين ويكون على
هذا قد حذف المكيل والمكيل له والموزون والموزون له الا ان الزمخشري رد هذا فقال
ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام يخرج به على نظم فاسد وذلك ان
المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا اعطوهم اخسروا فان جعلت الضمير للمطففين
انقلب الى قولك اذا اخذوا من الناس واذا تولوا الكيل او الوزن هم على الخصوص اخسروا
وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشر قال ابو حيان ولا تنافر فيه بوجه
ولا فرق بين ان يوكد الضمير او لا يوكد والحديث واقع في الفعل غاية ما في هذا ان متعلق
الاستيفا وهو على الناس مذكور وهو في كالوهم او وزنوهم محذوف للعلم به لانه من
المعلوم انهم لا يخسرون ذلك لانفسهم قال شهاب الدين الزمخشري يريد ان يحافظ على ان
المعنى مرتبط بشيئين اذا اخذوا من غيرهم واذا اعطوا غيرهم وهذا انما يتم على تقدير ان
يكون الضمير منصوبا عائدا على الناس لا على كونه ضمير رفع عائدا على المطففين ولا شك
ان هذا المعنى الذي ذكره الزمخشري واراده اتم واحسن من المعنى الثاني ورجح الاول
سقوط الالف بعد الواو لانه دال على اتصال الضمير الا ان الزمخشري استدرك فقال
والتعلق في ابطاله بخط المصحف وان الالف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة على
انه فيه ركيك لان خط المصحف لم يراع في كثير منه هذا المصطلح عليه في علم الخط على اني
رايت في الكتب المخطوطة بايدي الائمة المتقنين هذه الالف مرفوضة لكونها غير ثابتة
في اللفظ والمعنى جميعا لان الواو وحدها معطية معنى الجمع وانما كتبت هذه الالف
تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة

سنهما وعن عيسى بن عمر وحمزة انهما يرتكبان ذلك اي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان
عند الواوين وقيفة يسان بها ما اراد او لم يذكر فعل الوزن او لا بل اقتصر على الكيل فقال
اذا اكتالوا ولم يقل او تزنوا كما قال كالوهم او وزنوهم قال ابن الخطيب لان الكيل والوزن
بهما البيع والشرا فاحدهما يدل على الاخر وقال الزمخشري كان المطففين كانوا لا ياخذون
ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين بالاكيال من الاستيفا والسرقة لانهم يدعدعون
ويحتالون في الملء واذا اعطوا كالوا او وزنوا ليمكنهم من البخس في النوعين جميعا قوله
يخسرون جوابا اذا وهو يتعدى بالهمزة يقال خسر الرجل واخسرته انا فمفعوله محذوف
اي يخسرون الناس متاعهم قال المروح يخسرون اي ينقصون بلغة فارس **فصل**
قال الزجاج المعنى اذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل اي الذي استوفوا لانفسهم
استوفوا في الكيل والوزن واذا كالوهم او وزنوهم اي كالوهما او وزنوا لهم اي للناس
ولما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا فيه اضرارهم وتحامل عليهم اقيم على مقام من للدلالة
على ذلك وقال الكساي والفرا حذف الجار واوصل الفعل وهذا من كلام اهل الحجاز ومن
جاورهم يقال وزنتك حقك وكلتك طعامك اي وزنت لك وكلت لك كما يقال نصحتك
ونصحت لك وكسبتك وكسبت لك وقال الفرا المراد اكتالوا من الناس وعلى ومن يعتقبان
لانه حق عليه فاذا قال اكتلت منك فهو كقوله استوفيت منك وقيل على حذف مضاف
اي اذا كالوا مكيلهم او وزنوا لهم موزونهم قوله الا يظن الظاهر انها الا التحضيضا خصهم
على ذلك ويكون الظن بمعنى اليقين وقيل هي لا النافية دخلت عليها همزة الاستفهام
ومعنى الاية لا يستيقن اوليك الذين يفعلون ذلك بانهم مبعوثون ليوم عظيم وهو يوم
القيامة وفي الظن هنا قولان احدهما ان المراد به العلم وعلى هذا التقدير يحتمل ان
يكون المخاطبون بهذا الخطاب من جملة المصدقين بالبعث ويحتمل ان لا يكونوا كذلك لتمكنهم
من الاستدلال عليه بالعقل الثاني ان المراد بالظن هنا هو الظن نفسه لا العلم ويكون
المعنى هولاء المطففين طيب انهم لا يجزمون بالبعث ولكن لا اقل من الظن لوضوح ادلته
فان الا ليق بحكمة الله تعالى ورحمته ورعايته مصالح خلقه ان لا يهمل امرهم بعد الموت
وان يكون لهم نشر وحشر وان هذا الظن كاف في حصول الخوف قوله يوم يجوز نصبه
بمبعوثون الزمخشري او بيبعثون مقدرا او على البدل من محل اليوم او باضمار اعني او هو
مرفوع المحل اخبر المبتدا مضمرا او مجرور بدلا من ليوم عظيم وانما بني في هذين الوجهين
على الفتح لاضافته للفعل وان كان مضارعا كما هو راي الكوفيين ويدل على صحة هذين
الوجهين قراة زيد بن علي يوم يقوم بالرفع وما حكاه ابو معاذ القاري يوم بالجر بحلوها
تقدم **فصل** قيام الناس لرب العالمين اما للحساب واما قيامهم من القبور وقال
ابو مسلم قيامهم له عبارة عن طاعتهم له وانقيادهم كقوله تعالى والامر يوميذ لله وفي
الحديث ان الناس يقومون مقدار ثلثماية سنة لا يومر فيهم بامر وعن ابن عباس
وهو في حق المومنين كمقدار انصرافهم من الصلاة وفي هذه الايات مبالغات فيها ان
الويل انما يذكر عند شدة البلا ومنها الانكار لقوله تعالى الا يظن اوليك ومنها استعظامه
تعالى لليوم ومنها تاكيده بما بعده وما يوهم ذلك ولقضيته من خضوعهم وذلهم وفي
هذا نكتة وهي كان قايلا يقول هذا التشديد العظيم والوعيد البليغ كيف يكون على
التطفيف مع بشارته وزهادته وكرم المولى واحسانه فاشار بقوله رب العالمين الى
انه مربيهم ومتولي امورهم فلا يليق به ان يهمل من امورهم شيا **فصل** قال
القشيري لفظ المطفف يتناول التطفيف في الوزن والكيل وفي اظهار العيبة
واخفايه وفي طلب الانصاف والانتصاف ويقال من لم يرض لاخيه المسلم ما يرضاه
لنفسه فليس بمنصف والمباشرة والصحبة من هذه المادة والذي يرى عيب الناس ولا
يرى عيب نفسه من هذه الجملة ومن طلب حق نفسه من الناس ولا يعطيهم حقوقهم
لا يطلبه قوله تعالى كلا ان كتاب الفجار كلا ردع اي ليس الامر على ما هم عليه فليرتدعوا
وها هنا تم الكلام وقال الحسن كلا ابتدا يتصل بما بعده على معنى حقا ان كتاب الفجار الذي

كتب فيه اعمالهم قوله لفي سجين اختلفوا في نون سجين فقيل هي اصلية واشتقاقه من
السجن وهو الحبس وهو بنا مبالغة فعيلا من السجن والتضييق كسكير من السكر وفسيق
من الفسق وهو قول ابو عبيده ابي عبيدة والمبرد والزجاج قال الواحدي وهذا ضعيف لان
العرب ما كانت تعرفه وقيل النون بدل من اللام والاصل سجيل مشتقا من السجل وهو الكتاب
واختلفوا فيه ايضا هل هو اسم موضع او اسم كتاب مخصوص وهل هو صفة او علم منقول من
وصف كحاتم وهو مصروف اذ ليس فيه الا سبب واحد وهو العلمية واذا كان اسم المكان فقوله
تعالى كتاب مرقوم اما بدل منه او خبر لمبتدا محذوف وهو ضمير يعود عليه وعلى التقديرين
فهو مشكل لان الكتاب ليس هو المكان فقيل التقدير هو محل كتاب ثم حذف المضاف
وقيل التقدير وما ادراك ما كتاب سجين فالحذف اما من الاول واما من الثاني واما اذا قلنا
انه اسم للكتاب فلا اشكال وقال ابن عطية من قال ان سجينا موضع فكتاب مرفوع على انه
خبران والظرف الذي هو لفي سجين ملغى ومن جعله عبارة عن الخسار فكتاب خبر مبتدا محذوف
التقدير هو كتاب ويكون هذا الكلام تفسيرا للسجين ما هو انتهى وهذا لا يصح البتة اذ دخول
اللام تدخل على معمول الخبر يعين كونه خبرا فلا يكون ملغى لا يقال اللام تدخل على معمول الخبر
فهذا منه فيكون ملغى لانه لو فرض الخبر وهو كتاب عاملا او صفته عامله وهو مرقوم لامتنع
ذلك اما منع عمل كتاب فلانه موصوف والمصدر الموصوف لا يعمل واما امتناع عمل مرقوم فلانه
صفة ومعمول الصفة لا يتقدم على موصوفها وايضا فاللام انما تدخل على معمول الخبر بشرطه
وهذا ليس معمولا للخبر فتعين ان يكون الجار هو الخبر وليس بملغى واما قوله ثانيا ويكون هذا
الكلام تفسيرا اما هو فهو مشكل لان الكتاب ليس هو الخسار الذي جعل الضمير عايدا عليه
مخبرا عنه بكتاب وقال الزمخشري فان قلت قد اخبر الله تعالى عن كتاب الفجار بانه في سجين
وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب
جامع وهو ديوان الشر دون الله فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الجن
والانس وهو كتاب مسطور من الكتابة او معلم يعلم من راه انه لا خير فيه فالمعنى ان ما كتب
من اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان ويسمى سجينا فعيلا من السجل وهو الحبس والتضييق
لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم انتهى **فصل** قال عبد الله بن عمر وقتادة
ومجاهد والضحاك سجين هي الارض السابعة السفلى فيها ارواح الكفار روى البرا قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين اسفل سبع ارضين وعليون في السما السابعة
تحت العرش وقال الكلبي هي صخرة تحت الارض السابعة وقال عكرمة لفي سجين لفي خسار
وضلال قال القشيري سجين موضع في السافلين يدفن فيه كتاب هولاء فلا يظهر فلا
يكون في ذلك الموضع كالمسجون قوله تعالى وما ادراك ما سجين اي ليس ذلك مما كنت تعلمه
انت ولا قومك قال القرطبي وليس في قوله تعالى وما ادراك ما سجين ما يدل على ان لفظ
سجين ليس عربيا كما لا يدل قوله وما ادراك ما القارعة على ذلك بل هو تعظيم لامر سجين
وقد تقدم قوله تعالى كتاب مرقوم قال المفسرون ليس هذا تفسيرا للسجين بل هو بيان
الكتاب المذكور في قوله ان كتاب الفجار هو كتاب مرقوم اي مكتوب فيه اعمالهم مثبتة عليهم
كالرقم لا ينسا ولا يمحى حتى يجازى به والرقم الخط قال سارتم في الما القراح اليكم على
بعدكم ان كان للما راقم وقيل الرقم والختم بلغة حمير وتقدمت هذه المادة في سورة الكهف
وقال قتادة ومقاتل رقم بشر كانه اعلم العلامة يعرف بها انه كافر قوله تعالى ويل يوميذ
للمكذبين قيل انه متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين لمن كذب اخبار الله تعالى
وقيل ان قوله مرقوم معناه مرقوم برقم يدل على الشقاوة يوم القيمة وقيل ويل يوميذ للمكذبين
في ذلك اليوم من ذلك الكتاب ثم انه تعالى خبر عن صفة من يكذب بيوم الدين فقال
تعالى وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين فقوله تعالى
الذين يكذبون يجوز فيه الاتباع نعتا وبدلا وبيانا والقطع رفعا ونصبا واعلم انه تعالى
وصف المكذب بيوم الدين بثلاث صفات اولها كونه معتديا والاعتدا هو التجاوز عن المنهج
الحق وثانيها الاثيم وهو المبالغة في ارتكاب الاثم والمعاصي وثالثها اذا تتلى عليه اياتنا قال

اساطير الاولين والمراد الذين ينكرون النبوة والمراد بالاساطير قيل اكاذيب الاولين وقيل
اخبار الاولين قوله اذا تتلى العامة على الخبر والحسن اذا على الاستفهام الانكاري والعامة
اذا تتلى بتاء من فوق ابو حيوة وابن مقسم بالياء من تحت لان التانيث مجازي **فصل**
قال الكلبي المراد بالمكذب هنا هو الوليد بن المغيرة لعنه الله لقوله تعالى ولا تطع كل حلاف
مهين الى قوله معتد اثيم اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين وقيل هو الوليد بن المغيرة
وقيل هو النضر بن الحرث وقيل عام في كل موصوف بهذه الصفة قوله كلا ردع وزجر اي ليس
هو اساطير الاولين وقال الحسن معناها حقا ران على قلوبهم وقال مقاتل معناه لا يؤمنون
ثم استانف بل ران على قلوبهم قد تقدم وقف حفص على لام بل في سورة الكهف والران الغشاوة
على القلب كالصدى على الشيء الصقيل من سيف ومراة ونحوهما قال الشاعر وكم ران من ذنب
على قلب فاجر فتاب من الذنب الذي ران وانجلا واصل الرين الغلبة ومنه رانت الخمر على
عقل شاربها وقال الزمخشري يقال ران عليه الذنب وغان رينا وغينا والغين الغيم
والغين ايضا شجر ملتف الواحدة غيناء اي خضراء كثيرة الورق ملتفة الاغصان ويقال
ان رانا وريانا مصدره مفتوح العين وساكنها وقرا حمزة والكسائي والاعمش
وابو بكر والمفضل ران بالامالة لان فاء الفعل راء وعينه الف منقلبة عن ياء فحسن فعل الاصل
مثل كان وباع **فصل** قال ابو معاذ النحوي الرين ان يسود القلب من الذنوب
والطبع على القلب وهو اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع وهو ان يقفل على القلب
قال تعالى ام على قلوب اقفالها قال الزجاج وران على قلوبهم يعني غطى على قلوبهم قال
الحسن ومجاهد هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب ويغشى فيموت القلب قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والمحقرات من الذنوب فان الذنب على الذنب يوقد على
صاحبه جحيما ضخمة وقال صلى الله عليه وسلم ان المومن اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه
فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها فان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذي ذكر
الله تعالى في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قوله ما كانوا هو الفاعل وما
يحتمل ان تكون مصدرية وان يكون بمعنى الذي فالعائد محذوف واميلت الف ران وفخمت
فاما لها الاخوان وابو بكر وفخمها الباقون وادغم لام بل في الراء واظهرت قوله تعالى كلا انهم
قال الزمخشري كلا ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم وقال القفال ان الله تبارك وتعالى
حكى في ساير السور عن هذا المعتد الاثيم انه كان يقول ان كانت الاخرة حقا فان الله تعالى
يعطيه مالا وولدا ثم كذبه الله تعالى بقوله اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا وقال ايضا
وما اظن الساعة قائمة ولين رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فلما تكرر ذكره في القرات
ترك الله ذكره هنا وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقال ابن عباس ايضا
كلا يريد لا يصدقون ثم استانف فقال انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقيل قوله
تعالى كلا تكرير ويكون كلا هذه هي المذكورة في قوله كلا بل ران على قلوبهم قوله عن
ربهم متعلق بالخبر وكذلك يومئذ والتنوين عوض من جملة تقديرها يوم اذ يقوم الناس
لانه لم يناسب الا تقديرها **فصل** قال اكثر المفسرين محجوبون عن رويته وهذا
يدل على ان المومنين يرون ربهم سبحانه وتعالى ولولا ذلك لم يكن للتخصيص فايدة
وايضا فانه تعالى ذكر هذا الحجاب في معرض الوعد والتهديد للكفار وما يكون وعيدا
وتهديدا للكفار لا يجوز حصوله للمومنين واجاب المعتزلة عن هذا بوجوه احدها
قال الجبائي المراد انهم محجوبون عن رحمة ربهم اي ممنوعون كما تحجب الام بالاخوة عن
الثلث الى السدس ومن ذلك يقال لمن منع من الدخول حاجب وثانيها قال
مسلم لمحجوبون غير مقربين والحجاب الرد وهو ضد القبول فالمعنى انهم غير مقبولين
عند الرؤية فانه قال يقال حجب عن الامير وان كان قد رآه عن بعد بل يجب ان يحمل
على المنع من رحمه ورابعها قال الزمخشري كونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم
واهانتهم لانه لا يرد على الملوك الا المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا المهانون عندهم
والجواب ان الحجب في استعماله مشترك في المنع فيكون حقيقة فيه ومنع العبد

بالنسبة

بالنسبة الى الله تعالى اما عن العلم واما عن الرؤية والاول باطل لان الكفار يعلمون الله
تبارك وتعالى فوجب حمله على الرؤية واما الوجوه المذكورة فهو عدول عن الظاهر من
غير دليل ويؤيد ما قلنا اقوال السلف من المفسرين قال مقاتل لا يرون ربهم بعد الحساب
والمومنون يرون ربهم وقال الكلبي محجوبون عن رؤية ربهم والمومن لا يحجب وسيل مالك
ابن انس رضي الله عنه عن هذه الاية فقال كما حجب الله تعالى اعداءه فلم يروه لابد وان
يتجلى لاوليائه حتى يروه وعن الشافعي رضي الله عنه كما حجب قوما بالسخط دل على انهم يرونه
بالرضى قوله تعالى ثم انهم لصالوا الجحيم اي ان الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون
النار ثم بعد اي يقول لهم الخزنة هذا اي هذا العذاب الذي كنتم به تكذبون وقوله
تعالى يجوز ان يكون القايم مقام الفاعل على ما دلت عليه جملة قوله هذا الذي كنتم ويجوز
ان تكون الجملة نفسها ويجوز ان تكون المصدرية وقد تقدم تحريره اول البقرة قوله تعالى
كلا ان كتاب الابرار لما ذكر تعالى حال الكفار والمطففين اتبعه بذكر الابرار الذين لا يطففون
فقال كلا اي ليس الامر كما تزعمه اولئك الفجار من انكار البعث ومن ان كتاب الله اساطير
الاولين بل كتابهم في سجين وكتاب الابرار في عليين وقيل معناه حقا والوقف وقال
مقاتل كلا اي لا يومن بالعذاب الذي يصلاه قوله لفي عليين وجزاؤه وقال ابن عطية
هنا كما قال هناك ويرد عليه بما تقدم وعليون جمع علو وهو اسم مكان في اعلا الجنة وجرى
مجرى جمع العقلاء فرفع بالواو ونصب وجر بالياء مع فوات شرط العقل وقال ابو البقاء واحدهم
علي وهو الملك وقيل هو صيغة للجمع مثل عشرين ثم ذكر نحوا مما ذكره في سجين من الحذف
المتقدم وقال الزمخشري عليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملايكة
وصلحاء الثقلين منقول من جمع علي فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب
الارتفاع واما لانه مرفوع في السماء السابعة وتلك الاقوال الماضية في سجين كلها عايدة
هنا وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انها السماء السابعة وقال في رواية انها السماء
السابعة وقال قتادة ومقاتل هي سدرة المنتهى وقال الفراء يعني ارتفاعها بعد ارتفاع
لا غاية له وقال الزجاج اعلا الامكنة وقال اخرون هو مراتب عالية محفوفة بالجلالة
وقال اخرون عند كتاب اعمال الملايكة كقوله تعالى وما ادراك ما عليون وذلك تنبيه
على انه معلوم رانه سيعرفه ثم قال تعالى كتاب مرقوم يشهده المقربون فبين ان كتابهم
في هذا الكتاب المرقوم الذي يشهده المقربون من الملايكة فكانه تعالى لما وكلهم اللوح
المحفوظ فلذلك وكلهم بحفظ كتب الابرار في جملة ذلك الكتاب الاعظام له ولا يمتنع ان
الحفظة اذا عقدت بكتب الابرار بانهم يسلمونها الى هولاء المقربين فيحفظونها كما يحفظون
كتب انفسهم او ينقلون ما في تلك الصحايف الى ذلك الكتاب الذي وكلوا بحفظه ويصير
علمهم شهادة لهولاء الابرار فلذلك يحاسبون حسابا يسيرا وقيل المعنى ارتفاع بعد ارتفاع
وقال ابو مسلم هذا كناية عن العلو والرفعة والاول كناية عن الذل والاهانة وقال ابن
عباس رضي الله عنه عليون لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش اعمالهم مكتوبة
فيه وقال كعب وقتادة هو قايمة العرش اليمنى وقال ابن عباس هو الجنة وقال الضحاك
سدرة المنتهى وقوله تعالى كتاب مرقوم ليس تفسير عليين اي مكتوب اعمالهم كما تقدم
في كتاب الفجار وقيل كتب هناك ما اعد الله لهم من الكرامة قوله يشهده جملة يجوز ان
تكون صفة ثانية وان تكون مستانفة والمعنى ان الملايكة الذين هم في عليين يشهدون
ويحضرون ذلك المكتوب وذلك الكتاب اذا اصعد به الى عليين قوله تعالى ان الابرار
لفي نعيم لما عظم كتابهم عظم منزلتهم بانهم في النعيم ثم بين ذلك النعيم بامور ثلاثة اولها
قوله تعالى على الارايك ينظرون قال القفال الارايك الاسرة في الحجال ولا تسمى اريكة
فيما زعموا الا اذا كانت كذلك وعن الحسن رضي الله عنه كنا لا ندري ما الاريكة حتى لقينا
رجلا من اهل اليمن اخبرنا عندهم ذلك وقوله ينظرون قيل الى انواع نعيمهم من الحور والولدان
وانواع الاطعمة والاشربة والملابس والمراكب وغيرها وقال مقاتل ينظرون الى عدوهم
حين يعذبون وقيل اذا اشتهوا شيئا نظروا اليه فيحضرهم ذلك الشيء في الحال وقيل يحمل على

الكل قال ابن الخطيب انهم ينظرون الي ربهم بدليل قوله تعالي تعرف في وجوههم نضرة
النعيم قوله تعرف العامة علي اسناد الفعل الي المخاطب اي تعرف انت يا محمد او كل من
صح المعرفة وقرا ابو جعفر وابن ابي اسحاق وشيبة وطلحة ويعقوب والزعفراني تعرف
مبنيا للمفعول نضرة بالرفع علي قيامها مقام الفاعل وعلي وابن زيد كذلك الا انه بالياء اسفل
لان التانيث مجازي والمعني اذا رايتهم عرفت انهم من اهل النعيم مما تري في وجوههم من النور
والحسن والبياض وقال الحسن النضرة في الوجه والسرور في القلب قوله تعالي يسقون
من رحيق قال الليث الرحيق الخمر وقيل الخمر الصافية الطيبة وقال مقاتل الخمر البيضا وقال
ابن الخطيب لعله الخمر الموصوف بقوله تعالي لا فيها غول قوله مختوم اي ختم ومنع من
ان يمسه يد الي ان يفك ختمه الابرار قال القفال يحتمل ان يكون ختم عليه تكريما له بالصيانة
علي ما جرت به العادة من ختم ما يكرم ويصان وهناك خمر اخر يجري انهارا لقوله وانهار من
خمر لذة للشاربين الا ان هذا المختوم اشرف من الجاري وقال ابو عبيدة والمبرد والزجاج
المختوم الذي ختام اي عاقبة وروي عبد الله بن مسعود المختوم اشرف من الجاري الممزوج
ختامه اي اخر طعمه وعاقبته مسك وختم كل شي الفراغ منه ومنه يقال ختمت القران والاعمال
بخواتيمها ويؤيده قراة علي بن ابي طالب كرم الله وجهه واختاره الكساي فانه يقرا خاتمه
مسك اي اخره كما يقال خاتم النبيين ومعناهما واحد قال الفرا وهما متقاربان في المعني
الا ان الخاتم اسم والختم مصدر كقولهم هو كريم الطباع والطابع والخاتم والختام وقال
قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك وقال مجاهد مختوم مطين قوله ختامه
اي طينه مسك قال ابن زيد ختامه عند الله مسك وختام الدنيا طين وقرا الكساي
خاتمه بفتح التا بعد الالف والباقون بتقديمها علي الالف فوجه قراة الكساي انه
جعلها اسما لما يختم به الكاس بدليل قوله مختوم ثم بين الخاتم ما هو وروي عن الكساي
ايضا كسر التا فتكون كقوله تعالي خاتم النبيين والمعني خاتمه اي ختمه مسك ووجه
قراة الجماعة ان الختام هو الطين الذي يختم به الشي يجعل بدله المسك قال الشاعر

كان سعيعا من خمر بصري عنسته البحت مهرود الختام

وقيل خلطه ومزاجه وقيل خاتمته اي تقطع شربه يجد الانسان فيه ريح المسك قيل
معني المسك مسكا لان الغزال يمسكه في سرته والمساك البخل وحبس المال ويقال رجل
مسك لبخله ومسك ماله والمسك الجلد لامساكه ما فيه والماسكة التي اخطات خافطتها
فاصابت من مسكها غير موضع الختان والمسك سوار من قرن او عاج لما سكه والمسكة
بضم الميم الشي القليل يقال ما له مسكة عقل قوله تعالي وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
التنافس المغالبة في الشي النفيس يقال نفست به نفاسة اي بخلت به واصله من النفس
لعزتها قال الواحدي نفست الشي انفسه نفاسة بخلت به والتنافس تفاعل منه كان
كل واحد من الشخصين يريد ان يستاثر به قال البغوي واصله من الشي النفيس الذي
يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل واحد نفسه وينفس به علي غيره اي نص والمعني
وفي ذلك فليرغب الراغبون بالمبادرة الي طاعة الله تعالي وقال عطا فليستبق المستبقون
وقال مقاتل بن سليمان فليتنازع المتنازعون قوله تعالي ومزاجه من تسنيم
التسنيم علم لعين في الجنة قال الزمخشري التسنيم علم لعينها سميت بالتسنيم الذي
هو مصدر سنمه اذا رفعه قال شهاب الدين وفيه نظر لانه كان من حقه ان يمنع
الصرف لعلمه والتانيث وان كان مجازيا ولا يقدح في ذلك كونه مذكر الاصل لان العبرة
بحال العلمية الا تري انهم نصوا علي انه لو سمي بزيد امراة وجب المنع وان كان في هند وجهان
الا ان يقول ذهب بها مذهب النهر ونحوه فيكون كواسط وداثق **فصل**
التسنيم شراب ينصب عليهم من علو في غرفهم ومنازلهم وقيل يجري في الهوي مقسما
فينصب في اوانيهم بملاها قال قتادة واصل الكلمة من العلو يقال للشي المرتفع
سنام ومنه سنام البعير وتسنمت الحايط اذا علوته وقال الضحاك هو شراب اسمه
تسنيم وهو من اشرف الشراب قال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقربين يشربونها

ويمزج لسائر اهل الجنة وهو قوله تعالي ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون
وعن ابن عباس انه سيل عن قوله تعالي من تسنيم قال هذا مما قال الله تعالي فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين قوله عينا به اوجه احدها انه حال قال الزجاج يعني
من تسنيم لانه علم لشي بعينه الا انه يشكل بكونه جامدا الثاني انه منصوب علي المدح قاله
الزمخشري الثالث انها منصوبة بيسقون مقدرا قاله الاخفش وقوله يشرب بها اي منها
والبا زايدة او ضمن يشرب بمعني يروي وتقدم هذا مشبعا في هل اتي قال البغوي التقدير
يشربها المقربون صرفا قوله تعالي ان الذين اجرموا اي اشركوا يعني كفار قريش ابا جهل
والوليد بن المغيرة وصهيب وبلال واصحابهم من فقراء المومنين يضحكون استهزا بهم وقوله
من الذين امنوا متعلق بيضحكون اي من اجلهم وقدم لاجل الفواصل قوله تعالي واذا
مروا بهم يعني المومنين بالكفار يتغامزون والغمز الاشارة بالجفن والحاجب اي يشيرون
اليهم بالاعين استهزا وقيل الغمز بمعني العيب غمزه اي عابه وما في فلان غميزة اي ما يعاب
به قوله تعالي واذا انقلبوا يعني الكفار الي اهلهم انقلبوا فاكهين معجبين مما هم فيه يتفكهون
بذكرهم بالسوء وقرا حفص فكهين دون الف والباقون بها فقيل هما بمعني وقيل فكهين اشرين
وفاكهين من التفكه وقيل فاكهين فرحين وفاكهين ناعمين وقيل فاكهين اصحاب فاكهة ومزاح
قوله واذا راوهم يجوز ان يكون المرفوع للكفار والمنصوب للمومنين اي ان الكفار اذا راوا
اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم قالوا ان هولاء لضالون اي يا تون محمدا المختار يرون انهم علي
شي اي هم علي ضلال في تركهم التنعم الحاضر بسبب ثواب لا يدري هل له وجود ام لا ويجوز
العكس وكذلك الضميران في ارسلوا عليهم والمعني وما ارسلوا يعني المشركين حافظين اعمالهم
لم يوكلوا بحفظ اعمالهم قوله تعالي فاليوم الذين امنوا فاليوم منصوب بيضحكون ولا يضر
تقديمه علي المبتدا لانه لو تقدم العامل هنا لجاز اذ لا لبس بخلاف زيد قام في الدار لا يجوز
في الدار زيد قام ومعني فاليوم اي في الاخرة يضحك المومنون من الكافرين وفي سبب
هذا الضحك وجوه منها ان الكفار كانوا يضحكون علي المومنين في الدنيا بسبب ما هم فيه من
الضر والبوس وفي الاخرة يضحك المومنون علي الكافرين بسبب ما هم فيه من انواع العذاب
والبلا ومنها انهم علموا انهم كانوا في الدنيا علي غير شي وانهم باعوا الباقي بالفاني ومنها انهم
يرون انفسهم فازوا بالنعيم المقيم ونالوا بالتعب اليسير راحة الابد ومنها انهم دخلوا الجنة
فاجلسوا علي الارايك ينظرون الي الكفار كيف يعذبون في النار ويرفعون اصواتهم بالويل
والثبور ويلعن بعضهم بعضا ومنها قال ابو صالح يقال لاهل النار وهم فيها اخرجوا ويفتح
لهم ابوابها فاذا راوها وقد فتحت ابوابها اقبلوا اليها يريدون الخروج والمومنون ينظرون
اليهم فاذا انتهوا الي ابوابها غلقت دونهم فذلك سبب الضحك قوله علي الارايك ينظرون
وينظرون حال من يضحكون اي يضحكون ناظرين اليهم والي ما هم فيه من الحيوان قوله
هل ثوب يجوز ان تكون الجملة الاستفهامية معلقة النظر قبلها فيكون في محل نصب
بعد اسقاط الخافض بينظرون وقيل استيناف ولا موضع له ويجوز ان يكون علي اضمار القول
اي يقولون هل ثوب ومعني ثوب اي جوزي يقال ثوبه قال ساجزيك او يجزيك عني
ثوبه وحسبك ان يثني عليك وتحمد وادغم ابو عمرو والكساي وحمزة لام هل في الثا وقوله
ما كانوا يفعلون حذف اي ثواب ما كانوا وما موصول سمي او حرفي قال المبرد ثوب فعل من
الثواب وهو ما ثوب اي يرجع علي فاعله جزا ما عمله من خير او شر والثواب يستعمل في المكافاة
بالشر وانشد ابو عبيدة الا ابلغ ابا حسن رسولا فما لك لا تجي الي الثواب وثوب واثاب
بمعني واحد والاول ان يحمل علي سبيل التهكم كقوله ذق انك انت العزيز الكريم كانه تعالي
يقول للمومنين هل جازينا هولاء الكفار علي استهزايهم بطريقتكم كما جازيناكم علي اعمالكم
الصالحة فيكون هذا القول زايدا في سرورهم والله اعلم روي الثعلبي عن ابي بن كعب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا سورة المطففين سقاه الله من
الرحيق المختوم يوم القيامة

سورة الانشقاق مكية

وهي ثلاث وعشرون اية ومائة وسبع كلمات واربعماية وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اذا السما انشقت لقوله تعالى اذا الشمس كورت في اضمار الفعل في اضمار الفعل وعدمه وفي اذا هذه احتمالان احدهما اذا الشمس كورت ان تكون شرطية والثاني ان تكون غير شرطية فعلى الاول في جوابها خمسة اوجه احدها انها اذنت والواو مزيدة قال ابن الانباري وهذا غلط لان العرب لا تقحم الواو الا مع حتى اذا كقوله تعالى حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها او مع لما كقوله تعالى فلما اسلما وتله للجبين وناديناه اي ناديناه والواو لا تقحم مع غير هذين الثاني انه فلاقيه اي فانت ملاقيه واليه ذهب الاخفش والثالث انه يا ايها الانسان الخامس انه مقدر تقديره بعثتم وقيل تقديره لاقى كل انسان كدحه وهو قول فلاقيه ويكون قوله يا ايها الانسان معترض كقولك اذا كان كذا وكذا يا ايها الانسان ترى عند ذلك ما عملت من خير او شر ونقل القرطبي عن المبرد انه قال فيه تقديم وتاخير اي يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه اذا السما انشقت وقيل هو ما صرح في سورتي التكوير والانفطار وهو قوله تعالى علمت نفس قاله الزمخشري وهو حسن ونقل ابن الخطيب عن الكسائي انه قال ان الجواب في قوله فاما من اوتي كتابه واعترض في الكلام في قوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا والمعنى اذا انشقت السما وكان كذا وكذا فمن اوتي كتابه بيمينه فهو كذا ومن اوتي كتابه وراء ظهره فهو كذا ونظيره قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف قال النحاس وهذا اصح ما قيل فيه واحسنه وعلى الاحتمال الثاني فيه وجهان احدهما انها منصوبة مفعولا بها باضمار اذكر والثاني انها مبتدا وخبرها اذا الثانية والواو مزيدة تقديره وقت انشقاق السما وقت مد الارض اي يقع الامران في وقت قاله الاخفش ايضا والعامل فيها اذا كانت ظرفا عند الجمهور جوابها اما الملفوظ به واما المقدر وقال مكي وقيل العامل انشقت وقال ابن عطية قال بعض النحاة العامل انشقت وابا ذلك كثير من ايمتهم لان اذا مضافة الى انشقت ومن يجيز ذلك تضعف عنده الاضافة ويقوى معنى الجزا وقرا العامة انشقت بتاء التانيث ساكنة وكذلك ما بعده وقرا ابو عمرو في رواية عبيد بن عقيل باشمام الكسر في الوقف خاصة وفي الوصل بالسكون المحض قال ابو الفضل وهذا من التغيرات التي تلحق الروي في القوافي وفي هذا الاشمام بيان ان هذه التا من علامة تانيث الفعل للاثبات وليست مما ينقلب في الاسما فصار ذلك فارقا بين الاسم والفعل فيمن وقف على ما في الاسما بالتا وذلك لغة طي وقد حمل في المصاحف بعض الثلاث على ذلك وقال ابن عطية وقرا ابو عمرو انشقت يقف على الفا كانه يشمها شيا من الجر كذلك في اخواتها قال ابو حاتم سمعت اعرابيا فصيحا في بلاد قيس يكسر هذه التاات وقال ابن خالويه انشقت بكسر التا عبيد عن ابي عمرو قال شهاب الدين كانه يريد اشمام الكسر وانه في الوقف دون الوصل لانه مطلق وغيره مقيد والمقيد يقضي على المطلق وقال ابو حيان وذلك في الفواصل يجري مجرى القوافي فكما هذه التا تكسر في القوافي تكسر في الفواصل ومثال كسرها في القوافي قول كثير عزة

وما انا بالداعي لعزة بالردي • ولا شامت ان نعل عزة زلت •

وكذلك في القصيدة واجري الفواصل في الوقف مجرى القوافي مهيع معروف كقوله تعالى الظنونا والرسولا في سورة الاحزاب وحمل الوصل على الوقف موجود ايضا **فصل** انشقاق السما من علامات القيمة وقد تقدم شرحه وعن علي رضي الله عنه انها تنشق من المجرة وقال ابن جرير باب السما قوله واذنت عطف على انشقت وقد تقدم انه جواب على زيادة الواو ومعنى اذنت اي استمعت امر يقال اذنت لك استمعت كلامك وفي الحديث ما اذن الله لشي كاذنه لنبي يتغنى بالقران وانشد ابو عبيدة والمبرد والزجاج قول قعنب

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به • وان ذكرت بسو عندهم اذنوا •

وقال

وقال اخر • ان ياذنوا ريبة طاروا بها فرحا • وما هم اذنوا من صالح دفنوا •

وقال الحجار بن حكيم • واذنت لكم لما سمعت هريركم •

ومعنى الاستعارة هاهنا انه لم يوجد في جرم السما ما يمنع من تاثير قدرة الله تعالى في شقها وتفريق اجزايها فكانها في قبول ذلك التاثير كالعبد الطايع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة المالك انصت واذعن ولم يمتنع كقوله تعالى قالتا اتينا طايعين وذلك يدل على نفوذ القدرة في الايجاد والابداع من غير ممانعة اصلا قاله ابن الخطيب قوله وحقت الفاعل في الاصل هو الله تعالى اي حق الله عليها ذلك اي بسمعه وطاعته يقال هو حقيق بكذا او محقوق والمعنى وحق لها ان تفعل قال الضحاك حقت اطاعت وحق لها ان تطيع وقال ابن الخطيب هو من قولك محقوق بكذا او حقيق به يعني وهي حقيقة بان تنقاد ولا يمتنع قوله تعالى واذا الارض مدت مد الاديم العكاظي وقيل مدت بمعنى امدت وزيد في سعتها وقال مقاتل رحمه الله سويت كمد الاديم فلا يبقى فيها بنا ولا جبل كقوله تعالى ويسالونك عن الجبال الاية قوله والقت ما فيها اي اخرجت ما فيها من الموتى والكنوز لقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وتخلت اي خلت منها لم يبق في بطنها شي وذلك يوذن بعظم الامر كما تلقي الحامل ما في بطنها عند الشدة ووصفت الارض بذلك توسعا والا فالتحقيق ان الله تبارك وتعالى هو المخرج لذلك الاشيا من بطن الارض قوله تعالى واذنت لربها وحقت تقدم تفسيره وهذا ليس بتكرار لان الاول في السما وهذا في الارض قوله تعالى يا ايها الانسان انك كادح قيل المراد جنس الناس كقولك يا ايها الرجل فكانه خطاب خص به كل واحد من الناس قال القفال وهو ابلغ من العموم لانه قايم مقام التخصيص على مخاطبة كل واحد منهم على التعيين بخلاف اللفظ العام وقيل المراد منه رجل بعينه فقيل هو محمد عليه الصلاة والسلام والمعنى انك تكدح في ابلاغ رسالات الله تعالى وارشاده عباده وتحمل الضرر من الكفار فابشر فانك تلقى الله بهذا العمل وقال ابن عباس هو ابي بن خلف وكدحه هو جده واجتهاده في طلب الدنيا وايذا الرسول صلى الله عليه وسلم والاصرار على الكفر **فصل** الكدح قال الزمخشري جهد النفس والكدح فيه حتى يوثر فيها ومنه كدح جلده اذا خدشه ومعنى كادح اي جاهد الى لقا ربك وهو الموت انتهى وقال ابن مقبل • وما الدهر الا تارتان فمنهما • اموت واخرى ابتغي العيش اكدح

وقال اخر • وقد مضت بشاشة كل عيش صالح • وبقيت اكدح للحياة وانصب •

وقال الراغب وقد يستعمل الكدح استعمال الكدم بالاسنان قال الخليل الكدح دون الكدوم **فصل** معنى كادح الى ربك اي ساع اليه في عملك والكدح عمل الانسان وجهده في الخير والشر قال قتادة والكلبي والضحاك عامل لربك عملا وقوله تعالى الى ربك اي الى لقا ربك وهو الموت اي هذا الكدح يستمر الى هذا الزمن وقال القفال تقديره انك كادح في دنياك كدحا تصير الى ربك قوله فملاقيه يجوز ان يكون عطفا على كادح والسبب فيه ظاهر ويجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي فانت ملاقيه وقد تقدم انه يجوز ان يكون جوابا للشرط وقال ابن عطية فالفا على هذا عاطفة جملة الكلام على التي قبلها والتقدير فانت ملاقيه يعني يقوله على هذا اي على عود الضمير على كدحك قال ابو حيان ولا يتعين ما قاله بل يجوز ان يكون من عطف المفردات والضمير في ملاقيه اما للرب اي ملاق في حكمه لا مفر لك منه قاله الزجاج واما الكدح الا ان الكدح عمل وهو عرض لا يبقى فملاقاته ممتنعة فالمراد جزا كدحك وقال ابن الخطيب المراد ملاقاة الكتاب الذي فيه بيان تلك الاعمال ويتاكد هذا بقوله بعده فاما من اوتي كتابه بيمينه قوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه اي ديوان اعماله فسوف يحاسب حسابا يسيرا سوف من الله واجب كقول القايل اتبعني فسوف تجد خيرا فانه لا يريد الشك وانما يريد تحقيق الكلام والحساب اليسير هو عرض اعماله فيثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية ولا يقال لم فعلت هذا ولا يطالب بالحجة عليه قال صلى الله عليه وسلم من حوسب عذب قالت عايشة رضي الله عنها وليس يقول فقال فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب قوله وينقلب الى اهله في الجنة من الحور العين والادميات والذريات اذا كانوا مومنين قال ابن الخطيب فان قيل المحاسبة انما تكون بين اثنين وليس في القيمة لاحد مطالبة قبل ربه

بنحاسبه فالجواب ان العبد يقول فعلت الطاعة الفلانية والرب سبحانه وتعالى يقول فعلت المعصية الفلانية فكان ذلك من الرب سبحانه وتعالى من العبد محاسبة والدليل عليه انه تعالى حض الكفار بانه لا يكلمهم فدل ذلك على انه يكلم المطيعين فتلك المكالمة محاسبة قوله سرورا من فاعل ينقلب وقرا زيد بن علي وينقلب مبنيا للمفعول من قلبه ثلاثيا قوله تعالى واما من اوتي كتابه وراء ظهره قيل نزلت في الاسود بن عبد الاسود قاله ابن عباس وقيل عام قال الكلبي لان يمينه مغلولة الى عنقه وتجعل يده اليسرى ممدودة وراء ظهره وقيل يحول وجهه الى قفاه فيقرا كتابه كذلك وقيل يوتى كتابه بشماله من ورائه لانه اذا حاول اخذه بيمينه كالمومنين منع من ذلك واوتي كتابه بشماله فكيف قال هنا واما من اوتي كتابه وراء ظهره فالجواب انه يوتى كتابه بشماله من وراء ظهره او بشماله فان قيل اليس انه تعالى قال في سورة الحاقة واما من اوتي كتابه بشماله وقال هنا وراء ظهره قوله تعالى فسوف يدعو ثبورا اي ينادي بالويل والثبور الهلاك اذا قرا كتابه يقول يا ويلاه يا ثبوراه كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا قوله ويصلى سعيرا قرا ابو عمرو وحمزة وعاصم بفتح اليا وسكون الصاد وتخفيف اللام والباقون بضم اليا وفتح اللام والتثقيل وقد تقدم تخريج القراءتين في سورة النساء عند قوله تعالى وسيصلون سعيرا وقرا ابو الاشهب ونافع وعاصم وابو عمرو وفي رواية عنهم تصلى بضم اليا وسكون الصاد من اصلى قوله تعالى انه كان في اهله مسرورا قال القفال اي منعما مستريحا من التعب باداء العبادات واحتمال مشقة الفرايض من الصلاة والجهاد مقدما على المعاصي امنا من الحساب والثواب والعقاب لا يخاف الله تعالى ولا يرجوه فابدله الله بذلك السرور غما باقيا لا ينقطع وقيل انه قوله انه كان في اهله مسرورا كقوله تعالى واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين اي متنعمين في الدنيا معجبين بما هم عليه من الكفر بالله والتكذيب بالبعث يضحك ممن امن بالله وصدق بالحساب كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر قوله تعالى انه ظن ان لن يحور معنى يحور اي يرجع به يقال حار يحور حورا قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه • يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

ويستعمل بمعنى صار فيرفع الاسم وينصب الخبر عند بعضهم مستدلا بهذا البيت ومن منع نصب رمادا على الحال وقال الراغب الحور التردد في الامر ومنه نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من التردد في الامر بعد المضي فيه ومحاورة الكلام مراجعته والمحور العود الذي يجري فيه البكرة لترددها عليه والمحار المرجع والمصير وعن ابن عباس رضي الله عنه ما كنت ادري ما معنى يحور حتى سمعت اعرابيا يقول لابنته حوري اي ارجعي وقال عكرمة وداود ابن ابي هند يحور كلمة بالحبشية ومعناها يرجع قال القرطبي ويجوز ان يتفق الكلمتان فانهما كلمة اشتقاق ومنه الخبز الحواري لانه يرجع الى البياض والحور ايضا الهلاك كما قال الراجز

في بير لا حور سرى وما شعر

وقوله تعالى ان لن هذه ان المخففة كالتي في اول سورة القيامة وهي سادة مسد المفعولين او احدهما على الخلاف وقوله بلى جواب للنفي في لن وان جواب قسم مقدر والمعنى انه ظن ان لن يرجع الينا ولن يبعث ثم قال بلى اي ليس كما ظن بلى اي ليس كما ظن بلى يحور الينا اي يبعث ان ربه كان به بصيرا قال الكلبي بصيرا به من يوم خلقه الى ان بعثه وقال عطا بصيرا بما سبق عليه في ام الكتاب من الشقا قوله تعالى فلا اقسم بالشفق اي فاقسم ولا صلة بالشفق اي بالحمرة التي تكون عند غروب الشمس حتى ياتي صلاة العشا الاخرة قال الراغب الشفق هو اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس والاشفاق عناية مختلطة بخوف لان المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه فاذا عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر واذا عدي بعلى فمعنى العناية فيه اظهر وقال الزمخشري الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلما الا ما روي عن ابي حنيفة في احدى الروايتين بالبياض وروي اسد بن عمرو انه رجع عنه سمي شفقا لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب عليه انتهى والشفق شفقان الشفق الاحمر والاخر ابيض والشفق والشفقة اسمان للاشفاق وقال الشاعر

تهوى حياتي واهوى موتها شفقا • والموت اكرم نزال على الحرم

تقدم اختلاف العلما في القسم بهذه الاشيا هل هو قسم بها او بخالقها وان المتكلمين ذهبوا الى ان القسم واقع برب الشفق وان كان محذوفا لان ذلك معلوم من حيث ورود الحظر بان نقسم بغير الله تعالى واعلم ان الصحيح في الشفق انه الحمرة لان اكثر الصحابة والتابعين والفقها عليه وشواهد كلام العرب والاشتقاق والسنة تشهد له قال الفرا سمعت بعض العرب تقول لثوب مصبوغ احمر كانه الشفق قال الشاعر

• احمر اللون كحمرة الشفق •

وقال اخر

• قم يا غلام اعني غير مرتبك • على الزمان بكاس حشوها شفق •

ويقال للمغرة الشفق وفي الصحاح الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في اول الليل الى قريب من العتمة وقال الخليل الشفق الحمرة من غروب الشمس الى وقت العشا الاخرة اذا ذهب قيل غاب الشفق واصل الكلمة من رقة الشي يقال شي شفق اي لا تماسك له لرقته واشفق عليه اي رق عليه والشفقة الاسم من الاشفاق وهو رقة القلب وكذلك الشفق فكان تلك الرقة من ضوء الشمس وزعم الحكما ان البياض لا يغيب اصلا وقال الخليل صعدت منارة الاسكندرية فرمقت البياض فرايته يتردد من افق الى افق ولم اره يغيب وقال ابن ابي اويس رايته يتمادى الى طلوع الفجر وكلما يتجدد وقته سقط اعتباره وروى النعمان بن بشير انا اعلمكم بوقت صلاة العشا الاخرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يصليها لسقوط القمر لثالثة وهذا تحديد وقال مجاهد الشفق هو النهار كله لانه عطف عليه الليل وما وسق فوجب ان يكون الاول هو النهار فعلى هذا يكون القسم واقعا بالليل والنهار اللذين احدهما معاش والثاني مسكن والشفق ايضا الردي من الاشيا يقال عطا مشفق اي مقلل قال الكميت

ملك اغر من الملوك تحلب • للسايلين يداه غير مشفق •

قوله تعالى والليل وما وسق اي جمع وضم ولف ومنه الوسق وهو الطعام المجتمع الذي يكال او يوزن وهو ستون صاعا ثم صار اسما واستوسقت الابل اذا اجتمعت وانضمت والراعي وسقها اي جمعها قال الشاعر

• ان لنا قلايصا حقايقا • مستوسقات لو يجدن سايقا

والوسق بالكسر الاسم وبالفتح المصدر وطعام موسق اي مجموع ويقال وسقته فاتسق واستوسق ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومنه قولهم وقيل وسق اي عمل فيه قال فيوما ترانا صالحين وتارة تقوم بنا كالواسق المتلبث **فصل** قال عكرمة رضي الله عنه وما وسق اي وما ساق من شي الى حيث ياوي فالوسق بمعنى الطرد ومنه قيل للطريدة من الابل والغنم والحمر وسيقة وعن ابن عباس رضي الله عنه وما وسق اي وما جن وستر وعنه ايضا وما حمل ووسقت الناقة تسق وسقا اي حملت واغلقت رحمها على الما فهي ناقة واسق ونوق وساق مثل نايم ونيام وصاحب وصحاب ومواسيق ايضا واوسقت البعير حملته حمله واوسقت كثر حملها وقال يمان والضحاك ومقاتل بن سليمان حمل من الظلمة وقال مقاتل حمل من الكواكب وقال ابن جبير وما وسق اي وما عمل فيه من التهجد والاستغفار بالاسحار قوله تعالى والقمر اذا اتسق اي امتلا قال الفرا وهو امتلاوه واستواوه ليالي البدر وهو افتعل من الوسق وهو الضم والجمع كما تقدم وامر فلان متسق اي مجتمع على ما يسر من الصلاح منتظم ويقال اتسق الشي اذا تتابع قال ابن عباس رضي الله عنه اذا اتسق اي استوى واجتمع وتكامل وتم واستدار قوله تعالى لتركبن طبقا عن طبق هذا جواب القسم وقرا الاخوان وابن كثير وابو عمرو وابن مسعود وابن عباس وابو العالية ومسروق وابو وايل ومجاهد والنخعي والشعبي وابن جبير بفتح البا على خطاب الواحد والباقون بضمها على خطاب الجمع فالقراة الاولى روعي فيها اما خطاب الانسان المتقدم ذكره في قوله تعالى يا ايها الانسان واما خطاب غيره فقيل خطاب للرسول عليه الصلاة والسلام اي لتركبن يا محمد مع الكفار وجهادهم ولتبدلن انصارا مسلمين من قولهم الناس طبقات ولتركبن سما بعد سما ودرجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى وقيل التاء للتانيث والفعل مسند لضمير السما قال ابن مسعود لتركبن السما حالا بعد حال تكون كالمهل وكالدهان وتنفطر وتنشق والقراة الثانية روعي فيها معنى الانسان اذ المراد به الجنس اي لتركبن ايها الانسان حالا بعد حال من كونه نطفة ثم مضغة ثم حيا ثم ميتا وغنيا وفقيرا واختاره ابو عبيد وابو حاتم قال لان المعنى بالناس اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر وقيل هذه الاية فمن يوتى كتابه بيمينه ومن يوتى كتابه وراء ظهره

وقوله تعالى بعد ذلك فما لهم لا يومنون اي لتركبن حالا بعد حال من شدائد يوم القيمة
اولتركبن سنة من كان قبلكم في التكذيب والاختلاف على الانبيا وقال مقاتل يعني
الموت ثم الحياة وعن ابن عباس يعني الشدايد والاهوال ثم البعث ثم العرض وقال عكرمة
رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ قال ابن الخطيب ويصلح ان يكون هذا خطابا بالملهى
بتعريف تنقل احوالهم بنصرهم ومصيرهم الى الظفر بعدوهم بعد الشدة يلقونها منهم كما
قال تعالى لتبلون في اموالكم وانفسكم وقرا عمر لتركبن بيا الغيبة وضم البا على الاخبار عن
الكفار وقرا عمر الكسا وابن عباس رضي الله عنهما بالغيبة وفتح البا اي ليركبن الانسان وقيل
ليركبن القمر احوالا من سرار واستهلال وابدار وقرا عبد الله وابن عباس لتركبن بكسر حرف
المضارعة وتقدم في الفاتحة وقرا بعضهم بفتح حرف المضارعة وكسر البا على اسناد الفعل
للنفس اي لتركبن انت يا نفس قوله طبقا مفعول به او حال والطبق قال الزمخشري ما طابق
غيره يقال ما هذا بطبق كذا اي لا يطابقه ومنه قيل للغطا الطبق واطباق الثرى ما تطابق
منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله تعالى طبقا عن طبق اي حالا بعد حال كل
واحدة مطابقة لاختها في الشدة والهول ويجوز ان يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم
على طبقات ومنه طبقات الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن احوالا بعد احوال
اي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة انتهى
وقيل المعنى لتركبن هذه الاحوال امة بعد امة ومنه قول العباس فيه صلى الله عليه وسلم
ينقل من صالب الى رحم اذا بدا عالم بدا طبق يريد بدا عالم فعلى هذا التفسير يكون طبقا
حالا مفعولا به كانه قيل امة بعد امة واما قول الاقرع

• اي امر قد حلبت الدهر اشطره • وساقني طبقا منه الى طبق •

فيحتمل الامرين اي ساقني من حالة الى اخرى او ساقني من امة وناس الى امة وناس
اخرين ويكون نصب طبقا على المعنيين على التشبيه بالظرف او الحال اي متنقلا والطبق
ايضا ما طابق الشي اي ساواه ومنه دلالة المطابقة وقال امرؤ القيس ديمة هطلا والطبق
من الجراد اي جماعة قوله عن طبق في عن وجهان احدهما انها في محل نصب على الحال من
فاعل تركبن والثاني انها صفة لطبقا قال الزمخشري فان قلت ما محل عن طبق قلت
النصب على انه صفة لطبقا قال الزمخشري فان قلت ما محل عن طبق اي طبقا مجاوزا
الطبق او مجاوزه على حسب القراة وقال ابو البقا وعن بمعنى بعد قال •

• ما زلت اقطع منهلا عن منهل • حتى انخت بباب عبد الواحد •

لان الانسان اذا صار من شي الى شي يكون الثاني بعد الاول فصلحت بعد وعن المجاورة
والصحيح على بابها وهي صفة اي طبقا حاصلا عن طبق اي حالا عن حال وقيل جيلا
عن جيل انتهى يعني الخلاف المتقدم في الطبق ما المراد به هل هو الحال او الجيل او الامة
كما تقدم نقله وحينئذ فلا يعرب طبقا مفعولا به بل حالا كما تقدم لكنه لم يذكر في طبق غير
المفعول به وفيه نظر لما تقدم من استحالته معنى اذ يصير التقدير لتركبن امة بعد امة فتكون
الامة مركوبة لهم وان كان يصح على تاويل بعيد جدا وهو حذف مضاف اي لتركبن سنن
او طريقة طبق بعد طبق **فصل** هذا اول دليل على حدوث العالم واثبات الصانع
قالت الحكما من كان اليوم على حالة اخرى فليعلم ان تدبيره الى سواه وقيل لابي بكر الوراق
ما الدليل على ان لهذا العالم صانعا فقال تحويل الحالات وعجز القوة وضعف الاركان وقهر
النية وفسخ العزيمة قوله تعالى فما لهم لا يومنون يعني اي شي يمنعهم من الايمان بعدما
وضحت لهم الايات والدلالات وهذا استفهام انكار وقيل تعجبا بما يمحوا منهم في ترك
الايمان مع هذه الايات وقوله تعالى لا يومنون حال قال ابن الخطيب فما لهم لا يومنون
بالبعث والقيامة وهو استفهام انكار وهو انما يحسن عند ظهور الحجة وذلك ان الله تعالى
اقسم بتغيرات واقعة في الافلاك والعناصر فان الشفق حالة مخالفة لما قبلها وهو
ضوء النهار ولما بعدها وهو ظلمة الليل وكذا قوله والليل وما وسق فانه يدل على
حدوث ظلمة بعد نور على تغير احوال الحيوانات من اليقظة الى النوم وكذا قوله تعالى

والقمر

والقمر اذا اتسق فانه يدل على حصول كمال القمر بعد نقصانه ثم انه تعالى اقسم بهذه الاحوال
المتغيرة على تغيير احوال الخلق وهذا يدل قطعا على صحة القول بالبعث لان القادر على
تغيير الاحوال العلوية والسفلية من حال الى حال بسبب المصالح لابد وان يكون قادرا
ومن كان كذلك لا محالة قادر على البعث والقيامة فلما كانت هذه الاية كالدلالة العقلية القاطعة
بصحة البعث لا جرم قال تعالى على سبيل الاستبعاد لا يومنون **فصل** قال القرطبي
لا يجوز فما لهم ان يقول الحكيم لمن كان عاجزا عن الايمان فما لهم لا يومنون وهذا يدل على كونهم
قادرين وهذا يقتضي ان تكون الاستطاعة قبل الفعل وان يكونوا موجدين لافعالهم وان لا يكون
تعالى خالقا للكفر فيهم فهذه الاية من المحكمات التي لا احتمال فيها البتة وجوابه تقدم قوله
واذا قري شرط جوابه لا يسجدون وهذه الجملة الشرطية في محل نصب على الحال ايضا نسقا على ما
قبلها اي فما لهم اذا قري عليهم القران لا يسجدون اي لا يصلون قال ابن عباس والحسن وعطا والكلبي
ومقاتل وقال ابو مسلم المراد الخضوع والاستكانة وقيل المراد نفس السجود لما روى ابو هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها وقال مالك انها ليست من عزايم السجود
لان المعنى لا يذعنون ولا يطيعون قوله تعالى بل الذين كفروا يكذبون العامة على ضم اليا
من يكذبون وفتح الكاف وتشديد الذال والضحاك وابن ابي عبلة بالفتح والاسكان والتخفيف
وتقدمت هاتان القراتان اول البقرة والمعنى يكذبون محمدا صلى الله عليه وسلم وما جا به قال
مقاتل نزلت في بني عمرو بن عمير وكانوا اربعة فاسلم اثنان منهم وقيل هو في جميع الكفار قوله
تعالى والله اعلم بما يوعون هذه قراة العامة من اوعى يوعي اي بما يضمرون في انفسهم من التكذيب
رواه الضحاك عن ابن عباس وقال مجاهد يكتمون من افعالهم وقال ابن زيد يجمعون من
الاعمال الصالحة ماخوذ من الوعا الذي يجمع فيه يقال اوعيت الزاد اذا جعلته في وعا وقال
الشاعر • الخير ابقى وان طال الزمان به • والشر اخبث ما اوعيت من زاد •
وقرا ابو رجا يعون من وعى يعي يقال وعاه اي حفظه يقال وعيت الحديث اعيه وعيا
واذن واعيه وقد تقدم قوله فبشرهم بعذاب اليم اي مولم في جهنم على تكذيبهم وكفرهم
اي اجعل ذلك بمنزلة البشارة قوله الا الذين امنوا يجوز ان يكون متصلا وان يكون منقطعا
هذا اذا كانت الجملة من قوله اجر مستانفة او حالية اما اذا كان الموصول مبتدا والجملة خبره
فالاستثنا ليس من قبيل استثنا المفردات ويكون من قسم المنقطع اي لكن الذين امنوا لهم كيت
وكيت وتقدم معنى الممنون في حم السجدة وان معناه غير منقوص ولا مقطوع يقال مننت الحبل
اذا قطعته وسال نافع ابن الازرق ابن عباس رضي الله عنه عن قوله لهم اجر غير ممنون فقال
غير مقطوع فقال هل تعرف ذلك العرب فقال نعم قد عرفه اخو يشكر حيث يقول فترى خلفهن
من سرعة الرجع منينا كانه اهبا قال المبرد المنين الغبار لانه يقطعه وراها وكل ضعيف منين
وممنون وقيل غير ممنون لا يمن عليهم به وقال بعضهم ليس هنا استثنا وانما هو بمعنى الواو كانه
قال والذين امنوا وقد مضى القول فيه في سورة البقرة والله تعالى اعلم روى الثعلبي عن
ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اذا السما انشقت اعاذه
الله تعالى ان يعطيه كتابه وراء ظهره صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وعظم

سورة البروج مكية

وهي اثنتان وعشرون اية ومائة وتسع كلمات واربعماية وثمانية وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والسما ذات البروج هذا قسم اقسم الله تعالى به وفي البروج اقوال قيل
والسما ذات النجوم قاله الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد
هي قصور في السما وقال مجاهد ايضا هي البروج الاثني عشر وهو قول ابي عبيدة ويحيى بن
سلام وقيل هي منازل القمر قوله تعالى واليوم الموعود وهو يوم القيامة وهذا قسم
اخر قال ابن عباس رضي الله عنه وعد اهل السما واهل الارض ان يجتمعوا فيه قال

القفال يحتمل ان يكون المراد واليوم الموعود لانشقاق السما وبنايها وبطلان بروجها وقوله تعالى
الموعود اي الموعود به قال مكي الموعود نعت لليوم وثم ضمير محذوف يتم الموعود به ولولا
ذلك لما صحت الصفة ولا صفة على الموصوف من صفته انتهى وكانه يعني ان اليوم موعود به غيره
من الناس فلا بد من ضمير يرجع اليه لانه موعود به لا موعود وهذا لا موعود وهذا لا يحتاج اليه
اذ يجوز ان يكون قد يجوز بان اليوم قد وعد بكذا فيصح ذلك ويكون فيه ضمير عايدا عليه كانه
قوله تعالى وشاهد ومشهود قال علي وابن عباس وابن عمر وابو هريرة رضي الله عنهم
الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وهو قول الحسن ورواه ابو هريرة مرفوعا عن النبي صلى
الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة خرجه
الترمذي في جامعه قال القشيري فيوم الجمعة يشهد على عامل بما عمل فيه قال القرطبي
وكذلك سائر الايام والليالي وروي ابو نعيم الحافظ من معاوية بن قرة عن معقل بن يسار
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من يوم ياتي على العبد الا ينادي فيه يا ابن ادم انا خلق
جديد وانا فيما تعمل عليك شهيد فاعمل في خيرا اشهد لك فيه غدا فاني لو قد مضيت لم تراني
ابدا ويقول الليل مثل ذلك حديث غريب وحكى القشيري عن ابن عمر وابن الزبير ان الشاهد
يوم الاضحى وقال سعيد بن المسيب الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وروي عن
علي رضي الله عنه الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر وعن ابن عباس والحسين بن علي رضي
الله عنهما المشهود يوم القيامة لقوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وعلى
هذا فقيل الشاهد هو الله تعالى وهو مروي عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير لقوله
تعالى وكفى بالله شهيدا وقوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد وعن ابن عباس
رضي الله عنه الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى انا ارسلناك شاهدا وقوله تعالى
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا وقوله تعالى ويكون الرسول
عليكم شهيدا وقيل الانبيا عليهم الصلاة والسلام يشهدون على اممهم لقوله تعالى فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد وقيل ادم وقيل عيسى بن مريم عليه السلام لقوله تعالى وكنت
عليهم شهيدا ما دمت فيهم والمشهود امته وعن ابن عباس ومحمد بن كعب الشاهد الانسان
لقوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقال مقاتل اعضا الانسان لقوله تعالى يوم
تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقال الحسين بن الفضل الشاهد
هذه الامة والمشهود سائر الامم لقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على
الناس وقيل الشاهد الحفظة والمشهود بني ادم وقيل غير ذلك قوله قتل هذا جواب
القسم على المختار وانما حذفت اللام والاصل لقتل كقوله حلفت لها بالله حلفة فاجر
لناموا فما ان من حديث ولا صال وانما حسن حذفها للطول كما سياتي ان شا الله تعالى في
قوله عز وعلا قد افلح من زكاها وقيل تقديره لقد قتل فحذف اللام وقدموا على هذا
فعلى قوله قتل خبر لا دعا فانه يكون جوابا وفي الجواب حينئذ اوجه احدها
انه قوله تعالى ان الذين فتنوا الثاني في قوله ان بطش ربك لشديد قاله المبرد الثالث
انه مقدر فقال الزمخشري ولم يذكر غيره هو محذوف يدل عليه قتل اصحاب الاخدود كانه
قيل اقسم بهذه الاشيا ان كفار قريش ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود ثم قال وقيل
دعا عليهم لقوله تعالى قتل الانسان وقيل التقدير لتبعثن وقيل فيه تقديم وتاخير
اي اصحاب الاخدود والسماء ذات البروج قاله ابو حاتم قال ابن الانباري وهذا غلط لانه
لا يجوز لقائل ان يقال والله قام زيد على معنى قام زيد والله وقرا الحسن وابن مقسم قتل
بتشديد التا للمبالغة واكثر اقوال اصحاب الاخدود اي لعن اصحاب الاخدود وقال ابن
عباس رضي الله عنهما كل شي في القران قتل فهو لعن والاخدود الخد في الارض الشق العظيم
المستطيل الغامض في الارض قال الزمخشري والاخدود الخد في الارض وهو الشق ونحوهما
بنا ومعنى الحق والاحقوق ومنه ساخت قوايمه في اخاقيق جرذان انتهى فالخد في الاصل
مصدر وقد يقع على المفعول وهو الشق نفسه واما الاخدود فاسم له فقط وقال
الراغب الخد والاخدود شق في الارض مستطيل غامض واصل ذلك من خدي الانسان

وهما ما اكتنفا الانف عن اليمين والشمال فالخد يستعار للارض ونحوها كاستعارة الوجه
وتخدد اللحم زواله عن وجه الجسم ثم يعبر بالمخدد عن المهزول والخداد ميسم والخد وقال غيره
سمي الخد خدا لان الدموع تخد فيه اخاديد اي مجاري وجمع الاخاديد اخدودا والمخده لان
الخد موضع عليها ويقال بخد وجه الرجل اذا صارت فيه اخاديد من جراح **فصل** هذه
السورة وردت في تثبيت المومنين وتصبيرهم على اذى المشركين وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم
من التعذيب على الايمان حتى يقتدوا بهم ويعلموا ان كفارهم عند الله تعالى بمنزلة الامم السالفة
وكان من حديث اصحاب الاخدود انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر
وكان في طريق الغلام راهب فمال قلب ذلك الغلام الى ذلك الراهب ثم راي في طريقه ذات يوم
حية قد حبست الناس فقال اللهم ان كان هذا الراهب احب اليك من الساحر فقربني على قتل هذه
الحية واخذ حجرا ورماها به فقتلها فاعرض الغلام على تعليم السحر فاعرض الغلام عن تعليم السحر
واشتغل بطريقة الراهب ثم صار الى حيث يبري الاكمه والابرص ويشفي من الاذى واتفق ان
اعمى جليس اهلك فاتاه بهدايا كثيرة وقال له ان انت شفيتني فهي لك اجمع فقال الغلام اني لا اشفي
احدا انما يشفي الله تعالى فان امنت بالله دعوت الله تعالى شفاك فامن بالله فشفاه الله فابراه
فلما راه الملك قال له من رد عليك بصرك قال ربي فغضب الملك وقال له هل لك رب غيري فعزبه
ندل على الغلام فجي بالغلام فقال له الملك يا بني قد بلغ من سحرك ما تبري الاكمه والابرص وتفعل وتفعل
فقال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله تعالى فان امنت بالله دعوت الله تعالى شفاك فامن بالله فشفاه
الله فابراه فلما راه الملك قال له من رد عليك بصرك فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجي
بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابا فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به الى جبل كذا
وكذا فان رجع عن دينه والا فاطرحوه من ذروته فذهبوا به وصعدوا الجبل فقال الغلام
اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجا يمشي الى الملك فقال ما فعل اصحابك فقال
كفانيهم الله فدفعه الى نفر من اصحابه وقال احملوه في سفينة وتوغلوا به البحر فان رجع عن
دينه والا فغرقوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفات بهم السفينة فغرقوا وجا يمشي
الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله تعالى وقال للملك لست بقاتلي حتى
تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع نخلة ثم تاخذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في
كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمه به فانك اذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد
واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهما من كنانته فوضعه في القوس ثم قال بسم الله رب الغلام
ورماه به فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه فمات فقال الناس امنا برب الغلام فقيل
للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم
طرحه فيها حتى جات امراة ومعها صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الصبي يا اماه اصبري فانك
على الحق فصبرت على ذلك وفي رواية ان الدابة التي حبست الناس كانت اسدا وان الغلام دفن
فيقال انه اخرج في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل
وعن ابن عباس رضي الله عنه ان النار ارتفعت من الاخدود فصارت فوق الملك واصحابه
اربعين ذراعا فاحرقتهم وقال الضحاك هم قوم من النصارى باليمن قبل مبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم باربعين سنة اخذهم يوسف بن شراحيل ابن تبع الحميري وكانوا نيفا وثمانين رجلا وحفر
لهم اخدودا واحرقهم حكاه الماوردي وروي غير ذلك قال مقاتل اصحاب الاخدود ثلاثة واحد
بنجران والاخر بالشام والاخر بفارس اما الذي بالشام فانطياخوس الرومي والذي بفارس
بخت نصر والذي بارض العرب يوسف بن ذي نواس فلم ينزل الله تعالى في الذي بفارس والشام
قرانا وانزل قرانا في الذي كان بنجران قال الكلبي هم نصارى نجران اخذوا بها قوما مومنين
فخدوا لهم سبعة اخاديد كل اخدود اربعين ذراعا وعرضها اثني عشر ذراعا ثم طرحوا فيه النفط والحطب
ثم عرضوهم عليها فمن ابا قذفوهم فيها **فصل** قال ابن الخطيب يمكن ان يكون المراد باصحاب
الاخدود القاتلين ويمكن ان يكون المراد بهم المقتولين هم الجبابرة روي انهم لما القوا المومنين
في النار عادت النار على الكفرة فاحرقتهم ونجى الله تعالى المومنين منها سالمين والى هذا القول
ذهب الربيع بن انس والواحدي وتاولوا قوله تعالى فلهم عذاب جهنم اي في الاخرة ولهم عذاب

الحريق في الدنيا فان فسرنا اصحاب الاخدود بالقاتلين فيكون قوله قتل اصحاب الاخدود
دعا عليهم اي لعن اصحاب الاخدود لقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره قتل الخراصون او
يكون المعنى قتلوا بالنار لما ارادوا قتل المومنين بالنار عادت النار عليهم فقتلهم وان فسرنا
اصحاب الاخدود بالمقتولين كان المعنى ان المومنين قتلوا بالاحراق بالنار فيكون ذلك
خبرا لا دعا **فصل** المقصود من هذه الاية تثبيت قلوب المومنين باخبارهم بما كان
يلقاه من كان قبلهم من الشدايد وذكر لهم النبي صلى الله عليه وسلم قصة الغلام ليصبروا على
ما يلقون من اذى الكفار ليتاسوا بهذا الغلام في صبره على الاذى والصلب وبذله نفسه
في اظهار دعوته ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وكذلك صبر الراهب على التمسك
بالحق حتى نشر بالمنشار وكذلك اكثر الناس لما امنوا بالله تعالى قوله النار العامة على جرها
وفيها اوجه احدها انه بدل من الاخدود بدل اشتمال لان الاخدود مشتمل عليها وحينئذ
فلا بد من الضمير فقال البصريون يقدر تقديره النار فيه وقال الكوفيون قامت
مقام الضمير تقديره ناره ثم حذف الضمير وعوض عنه ال وتقدم البحث معهم في ذلك الثاني
انه بدل كل من كل ولا بد من حذف مضاف تقديره اخدود النار الثالث ان التقدير
ذي النار لان الاخدود هو الشق في الارض حكاه ابو البقا وهذا يعلم ان النار خفضه
بالاضافة لتلك الصفة المحذوفة فلما حذف المضاف قام المضاف اليه مقامه في الاعراب
واتفق ان المحذوف كان مجرورا وقوله لان الاخدود هو الشق تعليل بصحة كونه
صاحب نار الرابع ان النار خفض على الجوار نقله مكي عن الكوفيين وهذا يقتضي ان النار
كانت مستحقة لغير الجر فعدل عنه الى الجر للجوار والذي يقتضيه الحال انه عدل عن الرفع
ويدل على ذلك انه قد قرئ في الشاذ النار رفعا والرفع على خبر ابتدا مضمر تقديره قتلتهم
النار اي احرقتهم والمراد حينئذ باصحاب الاخدود المومنون وقرا العامة الوقود بفتح الواو
والحسن وابو رجا وابو حيوة وعيسى بضمها وتقدمت القراتان في اول البقرة قوله تعالى
اذ هم عليها قعود العامل في اذ اما قتل اصحاب اي قتلوا في هذا الوقت وقيل اذكر
مقدرا فيكون مفعولا به ومعنى قعود هم عليها اي على ما تقرب منها الحافتها ومنه قول الاعشى

• تشب لمقرورين يصطليانها • وبات على النار الندى والمحلق •

وقال القرطبي ومعنى عليها اي عندها وعلى بمعنى عند والضمير في هم يجوز ان يكون
للمومنين وان يكون للكافرين قوله تعالى وهم على ما يفعلون بالمومنين شهود اي
حضور يعني الكفار كانوا يعرضون الكفر على المومنين فمن ابى القوه في النار وقيل على
بمعنى مع اي وهم على ما يفعلون بالمومنين شهود قال ابن الخطيب وعلى بمعنى عند كقوله
تعالى ولهم علي ذنب اي عندي وقوله شهود اما حضور قاسية قلوبهم لا يرحمون على المومنين
اذ هم مجدون ذلك لا يخطر لهم الا انه حقا ويكون المراد وصف المومنين بالتصلب في دينهم
والثبات عليه وانما لم يوثر فيهم حضور هولاء ولا استحيوا من مخالفتهم واما ان يكون المراد
بشهودهم شهادة الدعوى اي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بما فعلوا بالمومنين واما انهم
مشتون في فعلهم يشهدون بينه كما يفعل الشهود ثم لا يرحمونهم مع ذلك قوله تعالى وما
نقموا العامة على فتح القاف وزيد بن علي وابو حيوة وابن ابي عبلة بكسرها والفصيح
الفتح وقد تقدم ذلك في سورة المايدة وبراءة والمعنى ما نقم الملك واصحابه من الذين
حرقهم الا ان يومنوا بالله الا ان صدقوا بالله كقوله

• ولا عيب فيها غير شكلة عينها • كذاك عتاق الطير شكل عيونها •

• وكقول ابن الرقيات • ما نقموا من بني امية الا • انهم يحلمون ان غضبوا •

يعني انهم جعلوا احسن الاشيا قبيحا وتقدم الكلام على مثل هذا في سورة المايدة وقوله
تعالى ان يومنوا بالفعل المستقبل تنبيها على ان التعذيب انما كان لاجل ايمانهم في المستقبل
لم يعذبوا على ما مضى من الايمان فكانه قيل الا ان يدوموا على ايمانهم والعزيز هو الغالب
المنيع الحميد المحمود في كل حال الذي له ملك السموات والارض لا شريك له فيهما والله على
كل شي شهيد اي عالم باعمال خلقه لا يخفى عليه خافية وهذا وعد عظيم للمطيعين ووعيد

للمجرمين

للمجرمين قوله تعالى ان الذين فتنوا المومنين والمومنات لما ذكر قصة اصحاب الاخدود واتبعها
بما يتفرع من احكام الثواب والعقاب فقال تعالى ان الذين فتنوا المومنين والمومنات اي
حرقوهم بالنار والعرب يقولون فتن فلان الدرهم والدينار اذا ادخله الكور لينظر جودته ودينار
مفتون ويسمى الصايغ الفتان وكذلك الشيطان وورق فتين اي فضة محرقة ويقال للحرة
فتين وهي الارض التي تركبها حجارة سود اي كانما احرقت حجارتها بالنار لسوادها وقال ابن
الخطيب ان يكون المراد بالذين فتنوا كل من فعل ذلك لان اللفظ عام والحكم عام وقوله تعالى ثم
لم يتوبوا اي من قبيح صنيعهم وهذا يدل على انهم لو تابوا لخرجوا عن هذا الوعيد وذلك يدل على
القطع بان الله تبارك وتعالى يقبل التوبة فدل على ان توبة القاتل عمدا مقبولة قوله فلهم
عذاب جهنم هو خبر ان الذين ودخلت الفا لما تضمنه المبتدا من معنى الشرط ولا يضر نسخه بان خلافا
للاخفش وارتفاع عذاب يجوز على الفاعلية بالجار قبله لوقوعه خبرا وهو الاحسن وان يرتفع
بالابتدا والمعنى لهم عذاب جهنم لكفرهم وقيل ولهم عذاب الحريق اي ولهم في الاخرة عذاب
زايد على عذاب كفرهم باحراقهم المومنين وقيل لهم عذاب الجحيم وعذاب الحريق والحريق اسم
من اسما جهنم كالسعير والنار دركات وانواع ولها اسما وكانوا يعذبون بالزمهرير في جهنم ثم
يعذبون بعذاب الحريق فالاول عذاب ببردها والثاني عذاب بحرها قوله تعالى ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات اي هولا الذين كانوا امنوا بالله اي صدقوا به وبرسله وعملوا الصالحات
لهم جنات اي بساتين تجري من تحتها الانهار لما ذكر تعالى وعيد المجرمين ذكر وعد المومنين ذلك
الفوز الكبير اي العظيم الذي لا فوز يشبهه وقال ذلك الفوز ولم يقل تلك لان ذلك الفوز الكبير اي
اشارة الى اخبار الله تعالى بحصول الجنات وتلك اشارة الى الجنة الواحدة واخبار الله تعالى
يدل على كونه راضيا والفوز الكبير هو رضى الله تعالى لا دخول الجنة قوله تعالى ان بطش ربك
لشديد اي اخذه الجبابرة والظلمة كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة
ان اخذه اليم شديد قال المبرد ان بطش ربك جواب القسم وقد تقدم ذلك والبطش هو
الاخذ بعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف قوله تعالى انه هو يبدي ويعيد يعني الخلق
عند اكثر العلما يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم عند البعث وروي عكرمة قال عجب الكفار من احيايه
تعالى الاموات وقال ابن عباس رضي الله عنه هو المتودد لعباده المومنين والود والود لغة
في الواد قال ابن عباس رضي الله عنه هو المتودد لعباده بالمغفرة وعن المبرد هو الذي لا ولد
له وانشد

• وارکب في الروع عريانة • ذلول الجماع لقاحا ودودا •

اي لا ولد لها تحن اليه وقيل هو فعول بمعنى مفعول كالركوب والحلوب اي يوده عباده الصالحون
قوله تعالى ذو العرش المجيد قرا الكوفيون الا عاصما المجيد بالجر فقيل نعتا للعرش لانه من
صفات الله تعالى وقرا الباقون بالرفع على انه خبر بعد خبر وقيل هو نعت لذو واستدل بعضهم
على تعدد الخبر بهذه الاية ومن منع قال لانها في معنى خبر واحد اي جامع بين هذه الاوصاف
الشريفة او كل منها خبر لمبتدا مضمر والمجيد هو النهاية في الكرم والفضل والله تبارك وتعالى هو
المنعوت بذلك وان كان قد وصف عرشه بالكريم في اخر المومنين ومعنى ذو العرش اي ذو الملك
والسلطان كما يقال فلان على سرير ملكه وان لم يكن على سرير ويقال ثل عرشه اي ذهب سلطانه
قوله تعالى فعال لما يريد اي لا يمتنع عليه شي يريده قال الزمخشري فعال خبر مبتدا محذوف
وانما قيل فعال لان ما يريده ويفعل في غاية الكثرة وقال الفراء هو رفع على التكرير والاستيناف
لانه نكرة محضة وقال الطبري رفع فعال وهو نكرة محضة على وجه الاتباع لاعراب الغفور
الودود وعن ابي السفر قال دخل ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي بكر رضي
الله عنه يعودونه فقالوا الا ياتيك بطبيب قال قد راني قالوا فما قال لك قال
اني فعال **فصل** دلت هذه الاية على خلق الافعال لانه تعالى يريد الايمان فوجب
ان يكون فاعلا للايمان واذا كان فاعلا للايمان وجب ان يكون فاعلا للكفر ضرورة انه لا قايل
بالفرق قال القفال فعال لما يريد اي يفعل ما يريد على ما يراه لا يعترض عليه ولا يغلبه غالب
فيدخل اولياءه الجنة لا يمنعه مانع ويدخل اعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر ويمهل العصاة على ما يشا
الى ان يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة اذا شا فهو يفعل ما يريد قوله هل اتاك حديث الجنود

اي قد اتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لانبيائهم يسليه بذلك ثم بينهم فقال تعالى فرعون وثمود يجوز ان يكون بدلا من الجنود وحينئذ فكان ينبغي ان ياتي البدل مطابقا للمبدل منه في الجمعية فقيل هو على حذف مضاف اي جنود فرعون وقيل المراد فرعونه وقومه واستغني بذكره عن ذكرهم لانهم اتباعه ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اعني لانه لما لم يطابق ما قبله وجب قطعه والمعنى انك قد عرفت ما فعل بهم حين كذبوا انبياءهم ورسلهم قوله تعالى بل الذين كفروا في تكذيب اي من هولاء الذين لا يومنون بك في تكذيب لك كداب من قبلهم وانما خص فرعون وثمود لان ثمود في بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة وان كانوا من المتقدمين وامر فرعون كان مشهورا عند اهل الكتاب وغيرهم وكان من المتاخرين في الهلاك فدل بهما على امثالهما والله اعلم قوله تعالى والله من ورايهم محيط اي يقدر على ان ينزل بهم ما انزل بفرعون والمحاط به كالمحصور وقيل والله عالم بهم فيجازيهم قوله بل هو قران مجيد العامة على تبعيته لقران وقرا ابن السميفع باضافته قران مجيد كقوله ولكن الغني رب غفور اي غفور اي غني رب غفور وقيل بل هو من اضافة الموصوف الى صفته فتتحد القراءات ولكن البصريون لا يجيزون هذا اليه فيلزم اضافة الشي الى نفسه ويتاولون ما ورد ومعنى مجيد اي متناه في الشرف والكرم والبركة وقيل مجيد اي غير مخلوق قوله تعالى في لوح محفوظ وقرا نافع برفع محفوظ نعتا للقران والباقون بالجر نعتا للوح والعامة على فتح اللام وقرا ابن السميفع وابن يعمر بضمها قال الزمخشري يعني اللوح فوق السما السابعة الذي فيه اللوح المحفوظ من وصول الشياطين اليه وقال ابو الفضل اللوح الهوا وتفسير الزمخشري اسد بالمعنى وهو الذي اراده ابن خالويه قال القرطبي في لوح محفوظ عند الله تعالى من وصول الشياطين اليه وقيل هو ام الكتاب ومنه انتسخ القران والكتب وقال بعض المتكلمين اللوح شي يلوح للملايكة فتقروه وفي الصحاح لاح الشي يلوح لوحا والواحا عطش وكل عظم عريض واللوح الذي يكتب فيه واللوح بالضم الهوا بين السما والارض وانشد ابن دريد عقاب الواح الجواعل منتما قال ابن الخطيب قال هنا في لوح محفوظ وقال تعالى في اية اخرى انه لقران كريم في كتاب مكنون فيحتمل ان يكون الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ ثم كونه محفوظا يحتمل ان يكون المراد محفوظا عن ان يمسه الا المطهرون ويحتمل ان يكون كونه محفوظا عن اطلاع الخلق عليه سوى الملايكة المقربين ويحتمل ان يكون المراد لا يتغير ولا يتبدل والله اعلم روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا والسما ذات البروج اعطاه الله تعالى بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة تكون في دار الدنيا عشر حسنات صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة الطارق مكية

وهي سبع عشرة اية واثنتان وسبعون كلمة ومايتان واحدى وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والسما والطارق السما قسم والطارق قسم والطارق هو النجم الثاقب كما بينه الله تعالى بقوله وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب والطارق في الاصل اسم فاعل من يطرق يطرق طرقا اي جا ليلا قال امرو القيس

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعا • فالهيتها عن ذي تمايم محول

واصله من الضرب والطارق بالحصا الضارب قال

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصا • ولا زاجرات الطير ما الله صانع

ثم اتسع فقيل كل من اتى ليلا طارق سوا كان كوكبا او غيره ولا يكون الطارق نهارا وروي انه صلى الله عليه وسلم نهى ان ياتي الرجل اهله طروقا وقوله النجم الثاقب قال محمد بن الحسين هو زحل وقال ابن زيد هو الثريا وعنه ايضا انه زحل وعن ابن عباس هو الجدي وعنه ايضا وعن علي بن ابي طالب ان النجم الثاقب نجم في السما السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فاذا اخذت النجوم امكنتها من السما هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السما السابعة

وهو

وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وفي الصحاح الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح ومنه قول هند

نحن بنات طارق • نمشي على النمارق

وقيل هو اسم جنس فيدخل فيه ساير الكواكب ومعنى الثاقب المضي الذي يثقب الظلام بضوئه اي ينفذ فيه اي يرمي الشيطان به ويحرقه قال الماوردي واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة فسمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه في الوصول الى الدق روي ان ابا طالب اتى النبي صلى الله عليه وسلم بخبز ولبن فبينما هو جالس ياكل اذ انحط نجم فامتلات الارض نورا ففزع ابو طالب وقال اي شي هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وانه من ايات الله فعجب ابو طالب ونزلت السورة وقال مجاهد الثاقب المتوهج وقوله تعالى وما ادراك تفخيما لشان هذا المقسم به قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ قد تقدم في سورة هود التخفيف والتشديد في لما فمن خففها هنا كانت ان هنا مخففة من الثقيلة وكل مبتدا واللام فارقة وعليها خبر مقدم وحافظ مبتدا موخر والجملة خبر كل وما مزيدة بعد اللام الفارقة ويجوز ان يكون عليها هو الخبر وحده وحافظ فاعل به وهو احسن ويجوز ان تكون كل مبتدا وحافظ خبره وعليها متعلق به وما مزيدة ايضا هذا كله تفريع على قول البصريين وقال الكوفيون ان هنا نافية واللام بمعنى الا ايجابا بعد النفي وما مزيدة وتقدم الكلام في هذا مستوفى قال الفارسي ويستعمل لما بمعنى الا في موضعين احدهما هذا والاخر في باب القسم تقول سالتك لما فعلت وروي عن الاخفش والكسائي وابي عبيدة انهم قالوا لم نجد لما بمعنى الا في كلام العرب واما قراءة التشديد فان نافية ولما بمعنى الا وتقدمت شواهد ذلك في سورة هود وحكى هرون انه قرئ ان بالتشديد كل بالنصب على انه اسمها واللام هي الداخلة في الخبر وما مزيدة وحافظ خبرها وعلى كل تقدير فان وما في خبرها جواب القسم سوا جعلها مخففة او نافية وقيل الجواب انه على رجعه وما بينهما اعتراض وفيه بعد

فصل

قال قتادة حافظ اي حفظة يحفظون عليك رزقك وعملك واجلك قال تعالى ويرسل عليكم حفظة وقال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وقال تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وقيل الحافظ هو الله تعالى وقيل الحافظ هو العقل يرشد الانسان الى مصالحه ويكفه عن مضاره قال القرطبي العقل وغيره وسايط والحافظ في الحقيقة هو الله تعالى قال تعالى فالله خير حافظا وقال تعالى قل من يكلوكم بالليل والنهار من الرحمن قال ابن الخطيب المعنى لما كانت كل نفس عليها حافظ وجب ان يجتهد كل احد ويشتغل بالمهم وهو من الاشيا معرفة المبدا والمعاد والمبدا العدم قوله تعالى فلينظر الانسان اي ابن ادم مم خلق وجه الاتصال بما قبله وصية الانسان بالنظر في اول امره حتى يعلم ان من انشاه قادر على اعادته وجزايه فليعمل ليوم الاعادة والحشر والجزا ولا يملي لحافظه الا ما يسره في عاقبة امره وقوله تعالى مم خلق استفهام اي من اي شي خلق وهو جواب الاستفهام قوله تعالى من ما دافق قيل فاعل بمعنى مفعول كعكسه في قولهم سيل مفعم وقوله حجابا مستورا على وجه وقيل دافق على النسب اي ذو دفق او اندفاق وقال ابن عطية يصح ان يكون الما دافقا لان بعضه يدفق بعضا اي يدفعه فمنه دافق ومنه مدفوق انتهى والدفق الصب ففعله مقدر وقرا زيد بن علي مدفوق وكانه فسر المعنى قال القرطبي الدفق صب الما دفقت الما ادفقه دفقا اي صببته فهو ما دافق اي مدفوق كما قال سر كاتم اي مكتوم لانه من قولك دفق الما على ما لم يسم فاعله ولا يقال دفق الما ويقال دفق الله روحه اذا دعا عليه بالموت قال الفرا والاخفش ما دافق اي مصبوب في الرحم قال الزجاج من ما ذي اندفاق يقال دارع وفارس ونابل اي ذو فرس وذو درع ونبل وهذا مذهب سيبويه فالدافق هو المندفق بشدة وقوته واراد ما بين ما الرجل وما المراة لان الانسان مخلوق منهما لكن جعلهما ما واحدا لامتزاجهما وعن ابن عباس دافق لزج قوله تعالى يخرج من بين الصلب اي هذا الما من بين الصلب اي الظهر وقرا العامة يخرج مبنيا للفاعل وابن ابي عبلة وابن مقسم مبنيا للمفعول وقرا ايضا واهل مكة الصلب بضم الصاد واللام وقرا اليماني بفتحهما وقول العجاج في صلب مثل العنان المودم وتقدمت الغاية في سورة النسا عند قوله تعالى الذين من اصلابكم والترايب قال كقول العباس رضي الله عنه ينقل من صالب الى رحم والترايب جمع تريبة وهي موضع القلادة من عظام الصدر لان الولد مخلوق من ماييهما فما الرجل في صلبه وما المراة في ترايبها

وهو معنى قوله تعالى من نطفة امشاج وقال امرؤ القيس

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل

وقال اخر والزعفران على ترائبها شرقت به اللبات والنحر

وقال ابو عبيدة جمع التريبة اتريب قال المثقب العبدي

ومن ذهب يذوب على تريب كلون العاج ليس بذي غضون

وقال الشاعر اشرف ثدياها على التريب وعن ابن عباس وعكرمة الترب ما بين ثدييها وقيل التراييب التراقي وقيل اضلاع الرجل التي اسفل الصلب وحكى الزجاج ان الترائب اربعة اضلاع من يمنة الصدر واربعة اضلاع من يسرة الصدر وعن ابن عباس اطراف المرء يداه ورجلاه وعيناه وهو قول الضحاك وقيل عصارة القلب وهو قول معمر بن ابي حنيفة قال ابن عطية وفي هذه الاقوال تحكم على اللغة وقال سعيد بن جبير هو الجيد وقال مجاهد ما بين المنكبين والصدر وعند الصدر قال القرطبي والمشهور من كلام العرب انها عظام الصدر والنحر جاء في الحديث ان الولد يخلق من ماء الرجل يخرج من بين صلبه العظم والعصب وماء المراة الذي يخرج من ترائبها اللحم والدم وحكى القرطبي ان ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يجتمع في الانثيين وهذا لا يعارض قوله من بين الصلب والترائب لانه ان نزل من الدماغ فانما يمر بين الصلب والترائب وقال قتادة المعنى يخرج من صلب الرجل وترائب المراة وحكى الفراء ان مثل هذا ياتي عن العرب فيكون بمعنى من بين الصلب من الصلب والمعنى من صلب الرجل وترائب المراة ثم انا نعلم ان النطفة من جميع اجزاء البدن ولذلك يشبه الرجل والديه كثيرا وهذه الحكمة في غسل جميع الجسد من خروج المني وايضا فالمكثر من الجماع يجد وجعا في صلبه وظهره وليس ذلك الا لخلو صلبه عما كان محتبسا من الماء قال المهدوي ومن جعل المعنى يخرج من بين صلب الرجل وترائبه فالضمير في يخرج للماء ومن جعله من صلب الرجل وترائب المراة فالضمير للانسان قوله انه الضمير للخالق المدلول عليه بقوله تعالى خلق لانه معلوم ان لا خالق سواه سبحانه قوله على رجعه في الهاء وجهان احدهما انه ضمير الانسان اي على بعثه بعد موته وهو قول ابن عباس وقتادة والحسن وعكرمة وهو اختيار الطبري لقوله تعالى يوم تبلى السرائر والثاني انه ضمير الى ان يرجع المني في الاحليل او الصلب قاله الضحاك ومجاهد والاول قول الضحاك ايضا وعكرمة وعن الضحاك ايضا ان المعنى انه على رد الانسان من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الكبر حكاه المهدوي وفي الماوردي والثعلبي الى الصبا من الصبا الى النطفة وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر وقال الماوردي ويحتمل انه على ان يعيده الى الدنيا بعد بعثه الى الاخرة لان الكفار يسالون فيها الرجعة والرجع مصدر رجعت الشي اي رددته قوله تعالى يوم تبلى السرائر فيه اوجه وقدرها ابو البقاء على الخلاف في الضمير فقال على القول بكون الضمير للانسان فيه اوجه احدها انه معمول لقادر الا ان ابن عطية قال بعد ان حكي اوجها عن النحاة قال وكل هذه الفرق فرت من ان يكون العامل لقادر لئلا يظهر من ذلك تخصيص القدرة بذلك اليوم وحده ثم قال واذا تومل المعنى وما يقتضيه فصيح كلام العرب جاز ان يكون العامل لقادر لانه اذا قدر على ذلك في هذا الوقت كان في غيره اقدر بطريق الاولى الثاني ان العامل مضمر على التبيين اي رجعه يوم تبلى الثالث تقديره اذكر فيكون مفعولا به وعلى عوده على الماء يكون العامل فيه اذكر انتهى ملخصا وجوز بعضهم ان يكون العامل فيه ناصر وهو فاسد لان ما بعد ما النافية وما بعد الفا لا يعمل فيما قبلها وقيل العامل رجعه وهو فاسد لانه قد فصل بين المصدر ومعموله باجنبي وهو خبر ان وبعضهم يغتفره في الظرف قوله تبلى يختبر وتعرف قال الراجز

قد كنت قبل اليوم تزدريني فاليوم ابلوك وتبتليني

اي اعرفك وتعرفني وقيل تبلى السرائر اي تخرج من مخابيها وتظهر وهو كل ما استسره الانسان من خير او شر في القلوب والمراد هنا عرض الاعمال ونشر الصحف والمعنى اختبارها وتمييز الحسن منها من القبيح لترتب الثواب والعقاب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتمن الله خلقه على اربع على الصلاة والزكاة والصيام والغسل وهن السرائر التي يختبر

الله

الله يوم القيمة ذكره المهدوي وروى الماوردي عن زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامانة ثلاثة الصوم والصلاة والجنابة استامن الله تعالى ابن ادم على الصلاة فان شاء قال صليت ولم يصل واستامن الله تعالى ابن ادم على الصوم فان شاء قال صمت ولم يصم واستامن الله تعالى ابن ادم على الجنابة فان شاء قال اغتسلت ولم يغتسل اقروا ان شئتم يوم تبلى السرائر وقال مالك رضي الله عنه الوضوء من السرائر والسرائر ما في القلوب ويجزي الله تعالى به العباد وقال ابن العربي قال ابن مسعود رضي الله عنه يغفر للشهيد الا الامانة والوضوء من الامانة والصلاة والزكاة من الامانة والوديعة من الامانة واشد ذلك الوديعة تمثل له على هيئتها يوم اخذها فيرمي بها في قعر جهنم فيقال له اخرجها فيتبعها فيجعلها في عنقه فاذا اراد ان يخرج بها زلت منه فيتبعها فهو كذلك دهر الداهرين وقال ابي بن كعب من الامانة ان ائتمنت المراة على فرجها وقال سفيان الحيضة والحمل من الامانة ان قالت لم احض وانا حامل صدقت ما لم يات بما يعرف فيه انها كاذبة قوله تعالى فما له من قوة ولا ناصر اي فما للانسان من قوة اي منعة يمنعه ولا ناصر ينصره مما نزل به قال ابن الخطيب ويمكن ان يتمسك بهذه الاية بنفي الشفاعة لقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا الاية والجواب ما تقدم قوله تعالى والسماء ذات الرجع قيل الرجع مصدر بمعنى رجوع الشمس والقمر اليها والنجوم تطلع من ناحية وتغيب في اخرى وقيل الرجع المطر قال المتنخل يصف سيفا شبهه بالماء الابيض كالرجع رسوب اذا ما ثاخ في محتفل يختلي كما سيما او باقوله

ويابيها الاباوي لقلتها الا السحاب والا الاوب والسيل

قال الخليل الرجع المطر نفسه وهذا قول الزجاج قال ابن الخطيب واعلم ان كلام الزجاج وسائر ائمة اللغة صريح في ان الرجع ليس اسما موضوعا للمطر بل سمي رجعا مجازا وحسن هذا المجاز وجوه احدها قال القفال كانه من ترجيع الصوت وهو اعادته ووصل الحروف به ولذا المطر لكونه يعود مرة بعد اخرى رجعا وثانيها ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب تحمل الماء من بحار الارض ثم ترجعه الى الارض والرجع ايضا نبات الربيع وقيل ذات الرجع اي ذات النفع وقيل ذات الملائكة لرجوعهم فيها باعمال العباد وهذا قسم والارض ذات الصدع قسم اخر اي تتصدع عن النبات والشجر والثمار والانهار نظيره شققنا الارض الاية والصدع بمعنى الشق لانه يصدع الارض فتنصدع به وكانه قال والارض ذات النبات لان النبات صادع للارض وقال مجاهد الارض ذات الطرق التي تصدعها المشاة وقيل ذات الحرث لانه يصدعها وقيل ذات الاموات لانصداعها عنهم للنشور وقيل هما الجبلان بينهما شق وطريق نافذ لقوله تعالى وجعلنا فيها فجاجا سبلا قال ابن الخطيب واعلم انه تعالى كما جعل كيفية خلقة الحيوان دليلا على معرفة المبدا والمعاد ذكر في هذا القسم كيفية خلقة النبات فقال تعالى والسماء ذات الرجع اي كالاب والارض ذات الصدع كالام وكلاهما من النعم العظام لان نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل من السماء متكررا وعلى ما ينبت من الارض كذلك ثم اردف هذا القسم بالمقسم عليه وهو قوله تعالى انه لقول فصل وهو جواب القسم والضمير في انه للقران اي ان القران يفصل بين الحق والباطل وقال القفال يعود الى الكلام المتقدم والمعنى ان ما اخبرتكم به من قدرتي على احيائكم يوم تبلى سرائركم قول فصل وحق والفصل الحكم الذي ينفصل به الحق والباطل ومنه فصل الخصومات وهو قطعها بالحكم الجزم ويقال هذا قول فصل قاطع الشر والنزاع وقيل معناه جد لقوله تعالى وما هو بالهزل اي باللعب والمنزل الجد والتشمير في الامر قال الكميت

يجد بنا في كل يوم ونهزل

ويقال هزل يهزل قوله تعالى انهم يكيدون كيدا اي ان اعداء الله يكيدون كيدا اي يمكرون بمحمد عليه الصلاة والسلام واصحابه مكرا وقيل ذا العقيد القاء الشبهات كقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا من يحيي العظام وهي رميم اجعل الالهة الها واحدا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ومما ينكر عليه بكرة واصيلا وقيل الطعن فيه بكونه ساحرا او شاعرا او مجنونا حاشاه من ذلك صلى الله عليه وسلم وقيل قصدهم قتله لقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية واما قوله تعالى واكيد كيدا اي اجازيهم جزاء كيدهم وقيل هو ما اوقع الله تعالى

بهم يوم بدر من القتل والاسر وقيل استدراجهم من حيث لا يعلمون وقيل كيد الله تعالى بنصره واعلا درجته صلى الله عليه وسلم تسميته لاحد المتقابلين باسم الاخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقول الشاعر

الا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا •

وكقوله تعالى نسوا الله فنسيهم يخادعون الله وهو خادعهم قوله تعالى فمهل الكافرين اي لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل وارض بما يريده في امورهم ثم نسخت بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم امهلهم هذه قراة العامة لما كرر الامر توكيدا خالف بين اللفظين وعن ابن عباس رضي الله عنه مهلهم كالاول ومهل وامهل بمعنى مثل نزل وانزل والامهال والتمهيل الانتظار يقال مهلتك كذا اي انتظرتك لتفعله والمهلة الانظار ومهله تمهيلا والاسم المهلة والاستمهال الاستنظار والمهل الرفق والموده وتمهل في امره اي اتاه واتمهل تمهيلا اعتدل وانتصب والاستمهال ايضا سكون وتوقر ويقال مهلك يا فلان اي رفقا وسكونا قوله رويدا مصدر مؤكد بمعنى العامل وهو تصغير ارواد على الترخيم وقيل بل هو تصغير رود كذا قال ابو عبيدة وانشد • كانها ثمل يمشي على رود •

اي على مهل واعلم ان رويدا يستعمل مصدرا الا من اللفظ بفعله فيضاف تارة كقوله تعالى فضرب الرقاب ولا يضاف اخرى نحو رويدا ويقع حالا نحو ساروا رويدا اي متمهلين ونعت المصدر نحو ساروا رويدا اي سيرا رويدا وتقتير رويدا امهل وتفسير رويدك امهل لان الكاف انما تدخل اذا كان بمعنى افعل دون غيره وانما حركت الدال لالتقاء الساكنين ونصب نصب المصادر وهو مصغر مامور به لانه تصغير الترخيم من ارواده وهو مصدر ارود يرود وله اربعة اوجه اسم للفعل وصفة وحال ومصدر وقد تقدم ذكرها انفا قال ابن عباس رضي الله عنه رويدا اي قريبا وقال قتادة قليلا وقيل امهلهم رويدا الى يوم بدر روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا والسماء والطارق اعطاه الله تعالى من الاجر بعدد كل نجم في السما عشر حسنات صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم

سورة الاعلا مكية

في قول الجمهور وقال الضحاك مدنية وهي تسع عشرة اية واثنتان وسبعون كلمة ومايتان واربعة وثمانون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى يستحب للقاري اذا قرا سبح اسم ربك الاعلى ان يقول عقيبه سبحان ربي الاعلى كذا جاء في الحديث وقاله جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم قال ابن عباس والسدي معنى سبح اسم ربك الاعلى اي عظم ربك الاعلى والاسم صلة قصد بها تعظيم المسمى لقول لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما وقيل نزه ربك عن السوء وعما يقوله الملحدون وذكر الطبري ان المعنى نزه اسم ربك ان تسمي به احدا سواه وقيل المعنى نزه تسمية ربك وذكرك اياه ان تذكره الا وانت خاشع معظم لذكره وجعلوا الاسم بمعنى التسمية قال ابن الخطيب معنى سبح اسم ربك الاعلا اي نزهه عن كل ما لا يليق به في ذاته وفي صفاته وفي افعاله وفي اسمائه وفي احكامه اما في ذاته فانه يعتقد انها ليست من الجواهر والاعراض واما في صفاته فان يعتقد انها ليست محدثة ولا متناهية ولا ناقصة واما في افعاله فان يعتقد انه سبحانه مالك مطلق لا اعتراض لاحد عليه في امر من الامور وقالت المعتزلة هو ان يعتقد ان كل ما فعله صواب حسن وانه سبحانه لا يفعل القبيح ولا يرضى به واما في اسمائه فان لا نذكره سبحانه وتعالى الا بالاسما التي لا توهم نقصا بوجه من الوجوه وورد الاذن فيها او لم يرد واما في احكامه سبحانه فهو ان يعلم ان ما كلفنا لنفع يعود عليه بل لمحض المالكية على قولنا او لرعاية مصالح العباد على قول المعتزلة **فصل** قال ابن الخطيب تمسك بهذه الاية في ان الاسم نفس المسمى واقول ان الخوض في هذه المسالة

لا يمكن الا بعد الكشف عن محل النزاع فنقول ان كان الاسم عبارة عن اللفظ والمسمى عبارة عن الذات فليس الاسم المسمى بالضرورة فكيف يمكن الاستدلال على ما علم بالضرورة نعم هنا نكتة وهي ان الاسم هو اللفظ الدال على معنى في نفسه من غير زمن والاسم كذلك فيكون اسما لنفسه فالاسم هنا نفس المسمى فلعل هذا مراد من اطلق ذلك لان الحكم بالتعميم خطا والمراد الذي يدل على ان الاسم نفس المسمى هو ان احدا لا يقول سبحان الله وسبحان اسم ربنا فمعنى سبح اسم ربك والرب ايضا فلو كان غير المسمى لم يجز ان يقع التسبيح عليه وهذا الاستدلال ضعيف لما بينا انه يمكن ان يكون الامر واردا بتسبيح الاسم ويمكن ان يكون المراد سبح المسمى وذكر الاسم صلة فيه ويكون المراد سبح باسم ربك كما قال تعالى فسبح باسم ربك العظيم ويكون المعنى سبح بذكر اسمائه **فصل** روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه صل بامر ربك الاعلى قال وهو ان يقول سبحان ربي الاعلى وروي عن علي رضي الله عنه وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وابي موسى وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم كانوا اذا افتتحوا قراة هذه السورة قالوا سبحان ربي الاعلى امتثالا للامر في ابتدائها فيختار الاقتدا بهم في قراتهم لان سبحان ربي الاعلى من القران كما قاله بعض اهل الزيغ وقيل في قراة ابي سبحان ربي الاعلى وروى ابن الانباري باسناده الى عيسى بن عمر عن ابيه قال قرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه في الصلاة سبح اسم ربك الاعلى ثم قال سبحان ربي الاعلى فلما انقضت الصلاة قيل له يا امير المومنين اتزيد هذا في القران قال هو قال سبحان ربي الاعلى قال انما امرنا بشي فقلته وعن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم قال القرطبي وهذا كله يدل على ان الاسم هو المسمى لانهم لم يقولوا سبحان اسم ربي وقيل معناه ارفع صوتك بذكر ربك قال جرير

قبح الاله وجوه تغلب كلما • سبح الحجيج وكبروا تكبيرا •

قوله الاعلى يجوز جره صفة لربك ونصبه صفة لاسم الا ان هذا يمنع ان يكون الذي صفة لربك بل يتعين جعله نعتا لاسم او مقطوعا لئلا يلزم الفصل بين الصفة والموصوف بصفة غيره او يصير التركيب مثل قولك جاني غلام هند العاقل الحسنة فيفصل بين العاقل وبين غلام بصفة هند وتقدم الكلام في اضافة الاسم الى المسمى قوله تعالى الذي خلق فسوى قال ابن الخطيب يحتمل ان يريد الناس خاصة ويحتمل ان يريد الحيوان ويحتمل ان يريد كل شي خلقه الله تعالى فمن حمله على الانسان ذكر للتسوية وجوها احدها اعتدال قامته وحسن خلقته على ما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم واثنى على نفسه بسبب خلقه اياه بقوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين وثانيها ان كل حيوان مستعد لنوع واحد من الاعمال فقط واما الانسان فانه خلق بحيث يمكنه ان ياتي بجميع الاعمال بواسطة الالات وثالثها انه تعالى هياه للتكاليف والقيام باداء العبادات قال بعضهم خلق في اصلاب الابا وسوى في ارحام الامهات ومن حمله على جميع الحيوانات فمعناه انه اعطى كل حيوان ما يحتاج اليه من الالات والاعضاء ومن حمله على جميع المخلوقات كان المراد من التسوية وانه تعالى قادر على كل الممكنات عالم بجميع المعلومات يخلق ما اراد على وفق ارادته موصوفا بالاحكام والاتقان مبرا عن النقص والاضطراب قوله تعالى والذي قدر فهدى قرا الكسائي وعلي رضي الله عنه والسلمي قدر بالتخفيف الدال والباقون بالتشديد والمعنى قدر كل شي مقدار معلوم ومن خفف قال القفال معناه ملك فهدى وتاويله انه تعالى خلق كل شي فسوى وملك ما خلق اي تصرف فيه كيف شا واراد هذا هو الملك فهداه لمنافعه ومصالحه ومنهم من قال انهما لغتان بمعنى واحد وعليه قوله تعالى فقدرنا فنعم القادرون بالتشديد والتخفيف وقد تقدم **فصل** قال مجاهد قدر الشقاوة والسعادة وهدى للرشد والضلالة وعنه هدى الانسان للسعادة والشقوة وهدى الانعام لمراعيها وقيل قدر اقواتهم وارزاقهم وهداهم لمعاشهم ان كانوا اناسا ولمراعيهم ان كانوا وحوشا وعن ابن عباس والسدي ومقاتل والكلبي في قوله تعالى فهدى قال عرف خلقه كيف ياتي الذكر الانثى كما قال تعالى في سورة طه اعطى كل شي خلقه ثم هدى اي الذكر للانثى وقال عطا جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له وقيل قدر فهدى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به يقال ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان مسح العينين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما

كانت في قرية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة على طولها وعماها حتى تهجم في
بعض البساتين على شجر الرازيانج لا تخطيها فتحك بها عينيها فترجع باصرة باذن الله تعالى وهدايات
الانسان الى مصالحه من اغذيته وادويته وامور دنياه ودينه والهامات البهايم والطيور وهوام
الارض ثابت واسع فسبحان ربي الاعلى وقال السدي قدر مدة الجنين في الرحم ثم هداه الى
الخروج من الرحم وقال الفرا قدر فهدى واضل فاكتفى بذكر احدهما كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر
ويحتمل ان يكون بمعنى دعا الى الايمان كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وانك لتهدي الى صراط مستقيم
اي لتدعو وقد دعا الكل الى الايمان وقيل فهدى اي دلهم بافعاله على توحيده وكونه عالما قادرا
واعلم ان الاستدلال بالخلق والهداية هو معتمد الانبيا قال ابراهيم عليه السلام الذي خلقني فهو
يهديني وقال موسى عليه السلام لفرعون ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى وقال هنا
ذلك وانما خصت هذه الطريقة لوضوحها ولكثرة عجايبها قوله تعالى والذي اخرج المرعى اي
النبات لما ذكر سبحانه ما يختص بالناس اتبعه ما يختص بشي من الحيوان من النعم اي هو القادر
على انبات العشب لا كالاصنام التي عبدتها الكفرة والمرعى ما تخرجه الارض من النبات من الثمار والزرع
والحشيش قال ابن عباس رضي الله عنه المرعى الكلا الاخضر قوله تعالى فجعله غثا احوى
غثا اما مفعول ثان واما حال والغثا بتشديد الثا وتخفيفها وهو الفصيح ما يقذفه السيل على
جوانب الوادي من النبات ونحوه قال امرو القيس كان ذرى راس المجيمر غدوة من السيل والاغثا
فلكة مغزل ورواه الفرا والاغثا على الجميع وفيه غرابة من حيث جمع فعالا على افعال وقوله تعالى احوى
فيه وجهان اظهرهما انه نعت لغثا والثاني انه حال من المرعى قال ابو البقا فقدم بعض الصلة
يعني ان الاصل اخرج المرعى احوى فجعله غثا قال شهاب الدين ولا يسمى هذا تقديما لبعض الصلة
والاحوى افعل من الحوة وهي سواد يضرب الى الخضرة قال ذو الرمة

لميا في شفتيها حوة لعس • وفي اللثات وفي انيابها شنب •

وقد تقدم ان بعض النحاة استدل على وجود بدل الغلط بهذا البيت وقيل خضرة عليها سواد
والاحوى الظبي لان في ظهره خطتين قال وفي الحي احوى ينفض المرد شادن مظاهر
سمطي لولو وزبرجد ويقال رجل احوى وامراة حوا وجمعهما حو نحو احمر وحمر قال القرطبي وفي الصحاح
الحوة حمرة الشفة وقد حويت وبعير احوى اذا خالط خضرته سواد وصفرة وتصغير احوى
احيو في لغة من قال اسيود قال عبد الرحمن بن زيد هذا مثل ضربه الله تعالى للكفار لذهاب
الدنيا بعد نضارتها والمعنى انه صار كذلك بعد خضرته قال ابو عبيدة فجعله اسود من احتراقه
وقدمه والرطب اذا يبس اسود قوله تعالى سنقريك فلا تنسى قال الواحدي سنقريك اي
سنجعلك قاريا اي فاهلك للقراة فلا تنسى ما تقراه اي نجعلك قاريا للقران فتحفظه فهو
نفي اخبر الله تعالى ان نبيه صلى الله عليه وسلم لا ينسى وقيل نهي والالف للاشباع وقد تقدم
نحو من هذا في سورة يوسف وطه ومنع مكي ان يكون نهيا لانه لا ينهى عما ليس باختياره وهذا
غير لازم اذ المعنى النهي عن تعاطي اسباب النسيان وهو شايع وقيل هذا بشرى من الله تعالى
بشره الله تعالى بان جبريل عليه السلام لا يفرغ باخر الوحي حتى يتكلم هو باوله مخافة النسيان
فنزلت هذه الاية فلا تنسى بعد ذلك شيا قوله تعالى الا ما شا الله في اوجه احدها انه
مفرغ اي الا ما شا الله ان ينسكه فانك تنساه والمراد رفع تلاوته وفي الحديث انه كان يصبح فينسى
الايات لقوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها وقيل ان المعنى بذلك القلة والندرة قال ابن
الخطيب وشرط ان لا يكون ذلك القليل من الواجبات بل من الاداب والسنن فانه لو نسي من الواجبات
ولم يتذكره ادى ذلك الى الخلل في الشرع وهو غير جايز كما روي انه صلى الله عليه وسلم اسقط
اية في صلاته فحسب ابي انها نسخت فساله فقال صلى الله عليه وسلم نسيتها وقال الزمخشري
الغرض نفي النسيان راسا كما يقول الرجل لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا ما شا الله ولم يقصد
استثنا شي وهو من استعمال القلة في معنى النفي انتهى وهذا القول سبقه اليه الفرا ومكي
قال الفرا وجماعة معه هذا الاستثنا صلة في الكلام على سنة الله تعالى في الاستثنا وليس
بشي ابيح استثناوه وقال ابو حيان هذا لا ينبغي ان يكون في كلام الله تعالى ولا في كلام فصيح
وكذلك القول بان لا للنهي والالف فاصلة انتهى وهذا الذي قاله ابو حيان لم يقصده القايل

بكونه اي رابطا محضا بل بالمعنى الذي ذكره وهو المبالغة في نفي النسيان او النهي عنه وقال مكي
وقيل معنى ذلك الا ما شا الله وليس شا الله ان ينسى شيا فهو بمنزلة قوله تعالى في سورة هود
في الموضعين خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شا ربك وليس تعالى ترك شيا من الخلود
لتقدم مشيته بخلودهم كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه فلم ينس بعد نزول هذه الاية حتى مات
صلى الله عليه وسلم وقيل هو استثنا من قوله تعالى فجعله غثا احوى نقله مكي والمعنى ما شا الله
ان تناله بنو ادم والبهايم فانه لا يصير كذلك قال شهاب الدين وهذا ينبغي ان لا يجوز البتة قال
القرطبي الا ما شا الله ان ينسى ثم يذكر بعد ذلك فاذا قد نسي ولكنه يتذكر ولا ينسى نسيانا كليا وقيل
هذا النسيان بمعنى النسخ اي الا ما شا الله ان ينسخه والاستثنا نوع من النسخ وقيل النسيان بمعنى
الترك اي يعصمك من ان تترك العمل الا ما شا الله ان تتركه لنسخه اياه فهذا في نسخ العمل والاول في نسخ
القراة ولا للنفي لا للنهي وقيل للنهي وانما اثبتت الياء لرؤوس الاي والمعنى لا تغفل قراته وتكراره فتنساه
الا ما شا الله ان ينسكه برفع تلاوته للمصلحة والاول هو المختار لان الاستثنا من النهي لا يكاد يكون
الا موقتا معلوما وايضا فان اليا مثبتة في جميع المصاحف وعليها القرات وقيل معناه الا ما شا الله ان
يوخر انزاله **فصل** ذكر في كيفية هذا التعليم والاقرا وجوها الاول ان جبريل عليه السلام سيقرا
عليك القران مرات حتى تحفظه حفظا لا تنساه وثانيها انا نشرح صدرك ونقوي خاطرك حتى تحفظه
بالمرة الواحدة حفظا لا تنساه وثالثها انه تعالى لما امره صلى الله عليه وسلم في اول السورة بالتسبيح فكانه
تعالى قال واظب على ذلك ودم عليه فانا سنقريك القران الجامع لعلوم الاولين والاخرين ويكون فيه
ذكرك وذكر قومك ونجمعه في قلبك وييسرك لليسرى وهو العمل به **فصل** هذه الاية تدل
على المعجزة من وجهين الاول انه صلى الله عليه وسلم كان رجلا اميا فحفظه لهذا الكتاب المطول من غير
دراسة ولا تكرار ولا كتابة خارق للعادة الثاني انه اخبار عن الوقوع في المستقبل وقد وقع فكان هذا اخبارا
عن الغيب فيكون معجزا **فصل** قال بعضهم المراد بقوله تعالى الا ما شا الله امره اولها التبرك
بهذه الكلمة لقوله تعالى ولا تقولن لشاي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله فكانه تعالى يقول اني
عالم بجميع المعلومات وعالم بعواقب الامور على التفصيل ومع ذلك لا اخبر عن وقوع شي في المستقبل
الا مع هذه الكلمة فانت وامتك بالحرى اولى بها وهذا بنا على ان الاستثنا غير حاصل في الحقيقة وانه
صلى الله عليه وسلم لم ينس بعد ذلك شيا كما قال ابن عباس والكلبي وغيرهما وثانيها قال الفرا
انه تعالى ما شا ان ينسي محمدا صلى الله عليه وسلم شيا الا ان المقصود من ذكر هذا الاستثنا بيان
انه تعالى لو اراد ان يصير ناسيا لذلك لقدر عليه لقوله تعالى ولين شينا لنذهبن بالذي اوحينا
اليك ثم انا نقطع انه تعالى ما شا ذلك ونظيره قوله تعالى لين اشركت ليحبطن عملك مع انه صلى
الله عليه وسلم ما اشرك البتة ففايدة هذا الاستثنا ان الله تبارك وتعالى يعرفه قدرته حتى يعلم
ان عدم النسيان من فضل الله واحسانه لا من قوته وثالثها ان الله تعالى لما ذكر هذا الاستثنا جوز
رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما ينزل عليه من الوحي ان يكون ذلك هو المستثنى فلا جرم كان
يبالغ في التثبت والتحفظ في جميع المواضع فكان المقصود من ذكر هذا الاستثنا بقاه صلى الله عليه
وسلم على التيقظ في جميع الاحوال قوله تعالى انه يعلم الجهر وما يخفى الجهر الاعلان من القول
والعمل وما يخفى من السر عن ابن عباس رضي الله عنه ما في قلبك ونفسك وقال محمد بن حاتم
يعلم اعلان الصدقة واخفاها وقيل الجهر ما حفظته من القران في صدرك وما يخفى هو ما نسخ من
صدرك **فصل** ما اسمية ولا يجوز ان يكون مصدرية لئلا يلزم خلو الفعل من فاعل
ولولا ذلك لكان المصدر به احسن لتعطف مصدرا موولا على مثله صريح قوله تعالى وييسرك
لليسرى عطف على سنقريك فهو داخل في حيز التنفيس وما بينهما من الجملة اعتراض واليسرى
هي الطريقة اليسرى وهي اعمال الخير والتقدير سنقريك فلا تنسى ونوفقك للطريقة التي هي اسهل
واليسر يعني في حفظ القرات وقال ابن مسعود اليسرى الجنة اي نيسرك للعمل المودي الى الجنة
وقيل نهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعمل به وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهي الطريقة
السهلة السمحة قاله الضحاك فان قيل المعهود في الكلام ان يقال يسر الامر لفلان ولا يقال يسر
فلان الامر فالجواب ان هذه العبارة كانها اختيار القران هنا وفي سورة والليل فكذا هي اختيار
الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له وفيه لطيفة وهي ان الفاعل لا يترجح

عنده الفعل على الترك ولا عكسه الا لمرجح وعند ذلك المرجح يجب الفعل فالفاعل اذن ملبس للفعل لان الفعل ميسر للفاعل فذلك الرجحان هو المسمى بالتيسير قوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى اي فعظ قومك يا محمد بالقرآن ان نفعت الذكرى كالموعظة وان شرطيه وفيه استبعاد لتذكرهم ومنه قوله • لقد اسمعت اذ ناديت حيا • ولكن لا حياة لمن تنادي •

وقيل ان بمعنى اذ كقوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم وقيل هي بمعنى قد ذكره ابن خالويه وهو بعيد وقيل بعده شيء محذوف تقديره ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قاله الفراء والنحاس والجرجاني والزهراوي وقيل انه مخصوص في قوم باعيانهم وقيل ان بمعنى ما اي فذكر ما نفعت الذكرى فتكون ان بمعنى ما لا بمعنى الشرط لان الذكرى نافعة بكل حال قاله ابن بحر **فصل** قال ابن الخطيب انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الكل فيجب عليه تذكيرهم ان نفعتهم الذكرى ولم ينفعهم فما فائدة هذا الشرط وهو قوله ان نفعت الذكرى والجواب من وجوه اما ان يكون المراد منه التنبيه على شرف الحالين وهي وجود النفع الذي لاجله شرعت الذكرى قال والمعلق بان على الشيء لا يلزم ان يكون عدما عند عدم ذلك الشيء ويدل عليه آيات منها هذه الآية ومنها قوله تعالى واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون ومنها قوله تعالى ولا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة ان خفتم فان القصر جائز عند الخوف وعدمه ومنها قوله تعالى فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله والمراجعة جائزة بدون هذا الظن واذا كان كذلك فهذا الشرط فيه فوائد منها ما تقدم ومنها البعث على الانتفاع بالذكرى كما يقول الرجل لمن يرشده فيما وضحت لك ان كنت تعقل فهو تنبيه النبي صلى الله عليه وسلم على انه لا تنفعهم الذكرى او يكون هذا في تكرير الدعوة فاما الدعا الاول فعام فان قيل ان الله تعالى عالم بعواقب الامور وبمن يؤمن ومن لا يؤمن والتعليق بالشرط انما يحسن في حق من لبس للعالم فالجواب ان امر البعثة والدعوة شيء وعلمه تعالى بالمغيبات وعواقب الامور لا يمكن بنا احدهما على الاخر كقوله تعالى لموسى وهرون عليهما السلام فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وهو تعالى عالم بانه لا يتذكر ولا يخشى فان قيل التذكير المامور به هل هو مضبوط بعدد او لا وكيف يكون الخروج عن عهدة التذكير فالجواب ان المعتبر في التذكير والتكرير هو العرف قوله تعالى سيذكر من يخشى اي يتقي الله ويخاف قال ابن عباس رضي الله عنه قال الماوردي وقد تذكر من ترجوه الا ان تذكر الخاشي ابلغ من تذكر الراجي ولذلك علقها بالخشية دون الرجا وان تعلقت بالخشية والرجا وقيل المعنى عمم انت التذكير والوعظ وان كان الوعظ انما ينفع من يخشى ولكن يحصل لك ثواب الدعا حكاه القشيري فان قيل التذكير انما يكون بشيء قد علم وهو لا يزالوا الكفار المعاندين فالجواب ان ذلك لظهوره وقوة دليله كانه معلوم لكنه يزول بسبب التقليد والعناد فلذلك سمي بالتذكير والسين في قوله تعالى سيذكر يحتمل ان يكون بمعنى سوف وسوف من الله تعالى واجب كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى ويحتمل ان يكون المعنى ان من خشي فانه يتذكر وان كان بعد حين بما يستعمله من التدبر والنظر قوله تعالى ويتجنبها اي الذكرى يبعد عنها الاشقى اي الشقي في علم الله تعالى لما بين من ينتفع بالذكرى بين بعده من لا ينتفع بها وهو الكافر الاشقى قيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة الذي يصلى النار الكبرى اي العظمى وهي السفلى من اطباق النار قاله الفراء وعن الحسن الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا وقيل في الاخرة نيران ودركات متفاضلة كما في الدنيا ذنوب ومعاصي متفاضلة فكما ان الكفار اشقى العصاة فلذلك يصلى اعظم النيران فان قيل لفظ الاشقى يستدعي وجود الشقي فكيف حال هذا القسم فالجواب ان لفظ الاشقى لا يستدعي وجود الشقي اذ قد يرد هذا اللفظ من غير مشاركة كقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ويتجنبها الاشقى كقوله تعالى وهو اهون عليه وقال ابن الخطيب الفرق ثلاث العارف والمتوقف والمعاند فالسعيد هو العارف والمتوقف له بعض الشقا والاشقى هو المعاند قوله تعالى ثم لا يموت فيها ولا يحيى لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه كقوله تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها فان قيل هذه الآية تقتضي ان ثم حالة غير الحياة والموت

وذلك

وذلك غير معقول فالجواب قال بعضهم هذا كقول العرب للمبتلى بالبلاء الشديد لا هو حي ولا هو ميت وقيل ان نفس احدهم في النار تمر في حلقه فلا تخرج للموت ولا ترجع الى موضعها من الجسم فيحيى وقيل حياتهم كحياة المذبوح وحركته قبل مفارقة الروح فلا هو حي لان الروح لم تفارقه بعد ولا هو ميت لان الميت هو الذي يفارق روحه جسده ثم المتراخي بين الرتب في الشدة قوله تعالى قد افلح من تزكى اي صادف البقا في الجنة اي من تطهر من الشرك بالايمان قاله ابن عباس وعطا وعكرمة وقال الحسن والربيع من كان عمله زاكيا ناميا وهو قول الزجاج وقال قتادة تزكى اي عمل صالحا وعن عطا وابي العالية نزلت في صدقة الفطر قال ابن سيرين قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى قال يخرج فيصلي بعد ما يؤدي والاول اظهر لان اللفظ المعتاد ان يقال في المال زكى ولا يقال تزكى قال تعالى ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه وقال ابو الاحوص وعطا المراد بالآية زكاة الاموال كلها قال بعضهم لا ادري ما وجه هذا التاويل لان هذه السورة مكية ولم تكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قال البغوي يجوز ان يكون النزول سابقا على الحكم كقوله تعالى وانت حل بهذا البلد والسورة مكية واظهر اثر الحل يوم الفتح قال صلى الله عليه وسلم احلت لي ساعة من نهار وقيل هذا زكاة الاعمال لا زكاة الاموال اي زكى اعماله من الريا والتقصير وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افلح من تزكى اي شهد ان لا اله الا الله وخلع الانداد وشهد اني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنه ايضا وروى عطا عن ابن عباس قال نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه قال كان بالمدينة منافق له نخلة بالمدينة مايلة في دار رجل من الانصار اذا هبت الرياح اسقطت البسر والرطب في دار الانصاري فياكل هو وعياله فخاصمه المنافق فشكاه الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى المنافق وهو لا يعلم نفاقه فقال ان اخاك الانصاري ذكر ان بسرك ورطبك يقع الى منزله فياكل هو وعياله فهل لك ان اعطيك نخلة في الجنة بدلها قال ابيع عاجلا باجل لا افعل فذكروا ان عثمان بن عفان رضي الله عنه اعطاه حايطا من نخل بدل نخلته ففيه نزلت قد افلح من تزكى ونزلت في المنافق ويتجنبها الاشقى وقال الضحاك نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه قوله تعالى وذكر اسم ربه فصلى قال ابن عباس والضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلاة العيد قال القرطبي والسورة مكية في قول الجمهور ولم يكن بمكة عيد قال القشيري ولا يبعد ان يكون اثنى على من يمتثل امره في صدقة الفطر وصلاة العيد فيما يامر به في المستقبل وذكر اسم ربه اي ذكر ربه وعن ابن عباس رضي الله عنه معناه ذكر معاده وموقفه بين يدي الله تعالى فعبده وصلى له وقيل ذكر اسم ربه التكبير في اول الصلاة لانها لا تنعقد الا بذكره وهو قوله الله اكبر وبه يحتج على وجوب تكبيرة الاحرام وعلى انها ليست من الصلاة لان الصلاة معطوف عليها وفيه حجة لمن قال ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسما الله تعالى قال ابن عباس رضي الله عنه هذا في الصلاة المفروضة وروي عن عبد الله رضي الله عنه من اقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فلا صلاة له قوله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا قرا ابو عمرو بالغيبة والباقون بالخطاب ويؤيده قراءة ابي انتم تؤثرون وعلى الاول معناه بل تؤثرون ايها المسلمون الاستكثار من الدنيا على الاستكثار من الثواب وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرا هذه الآية فقال اتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قال لان الدنيا حضرت وعجلت لنا طيباتها وطعامها وشرابها ولذاتها وبهجتها والاخرى غيبت عنا فاخذنا العاجل وتركنا الآجل قوله تعالى والآخرة خير وابقى اي والدار الآخرة خير اي افضل وابقى اي ادوم من الدنيا قوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى قرا ابو عمرو وفي رواية الاعمش وهرون بسكون الحاء في الحرفين واختلفوا في المشار اليه بهذا فقيل جميع السورة وهو رواية عكرمة عن ابن عباس وقال الضحاك ان هذا القرآن لفي الصحف الاولى اي الكتب الاولى صحف ابراهيم وموسى يعني الكتب المنزلة عليهما ولم يرد ان هذه الالفاظ بعينها في تلك الصحف وانما معناه ان معنى هذا الكلام في تلك الصحف وقال قتادة وابن زيد المشار اليه هو قوله تعالى والآخرة خير وابقى وقالا تتابعت كتب الله تعالى كما تسمعون ان الآخرة خير وابقى من الدنيا وقال الحسن ان هذا لفي الصحف الاولى يعني من قوله تعالى قد افلح من تزكى الى آخر السورة لما روى ابو ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول

الله هل في الدنيا شي مما كان في صحف ابراهيم وموسى قال صلى الله عليه وسلم نعم اقرا
الباوز قد افلح من تزكى الى اخر السورة وروى ابو ذر انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كم انزل الله من كتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة واربع كتب على ادم عشرة صحف
وعلى شيت خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشرة صحايف والتوراة
والانجيل والزبور والفرقان قوله ابراهيم فى العامة بالالف بعد الرا وبا بعدها وابو رجا
بحذفهما مفتوحة او مكسورة ففيه قراتان وابو موسى وابن الزبير بالفتح وكذا في كل القران
ومالك بن دينار بالف بعد الرا فقط والها مفتوحة وعبد الرحمن بن ابي بكرة ابراهيم بحذف الالف
وكسر الها وقال ابن خالويه وقد جا ابراهيم يعني بالف وضم الها وقد تقدم الكلام على هذا الاسم
ولغاته مستوفى في سورة البقرة ولله الحمد على كل حال روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعلى اعطاه الله تعالى من الاجر عشر
حسنات بعدد كل حرف انزل الله على ابراهيم وموسى ومحمد صلوات الله عليهم اجمعين

سورة الغاشية مكية بالاجماع

وهي ست وعشرون اية واثنتان وتسعون كلمة وثلاثمائة واحدى وثمانون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى هل اتاك حديث الغاشية هل بمعنى قد كقوله تعالى هل اتى على الانسان قاله
قطرب اي قد جاك يا محمد حديث الغاشية وهي القيامة لانها تغشى الخلايق باهوالها وقيل هو
استفهام على بابه وتسميه اهل البيان التشويق والمعنى ان لم يكن اتاك حديث الغاشية النار
تغشى وجوه الكفار رواه ابو صالح عن ابن عباس لقوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقيل
المراد النفخة الثانية للبعث لانها تغشى الخلق وقيل الغاشية اهل النار يغشونها ويقتحمون
فيها وقيل معنى هل اتاك اي هذا لم يكن من علمك ولا من علم قومك قال ابن عباس لم يكن اتاه
قبل ذلك على التفصيل قوله تعالى وجوه يومئذ قد تقدم في سورة القيامة وفي النازعات
والتنوين في يومئذ عوض من جملة مدلول عليها باسم الفاعل من الغاشية تقديره يوم اذ
غشيت الناس اذ لا يتقدم جملة مصرح بها وخاشعة وما بعده صفة **فصل** قال
ابن عباس رضي الله عنه لم يكن اتاه حديثهم فاخبره عنهم فقال تعالى وجوه يومئذ اي يوم
القيامة خاشعة قال سفيان اي ذليلة بالعذاب وكل متقابل ساكن خاشع قال خشع في
صلاته اذا تذلل ونكس راسه وخشع الصوت اذا اخفى قال تعالى وخشعت الاصوات للرحمن
والمراد بالوجوه الكفار كلهم قاله يحيى بن سلام وقال ابن عباس اراد وجوه اليهود والنصارى
قوله تعالى عاملة ناصبة هذا في الدنيا لان الاخرة ليست دار عمل فالمعنى وجوه عاملة
ناصبة في الدنيا خاشعة في الاخرة قال اهل اللغة يقال للرجل اذا داب في سيره قد عمل
يعمل عملا ويقال للسحاب اذا دام برقه عمل يعمل عملا وقوله ناصبة اي تعبة يقال نصب بالكسر
ينصب نصبا اذا تعب ونصبا ايضا وانصبه غيره قال ابن عباس هم الذين انصبوا انفسهم في
الدنيا على معصية الله تعالى على الكفر مثل عبدة الاوثان والرهبان وغيرهم لا يقبل الله تعالى
منهم الا ما كان خالصا له وعن علي رضي الله عنه انهم الخوارج الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم واعمالكم مع اعمالهم يمرقون من
الدين كما يمرق السهم من الرمية الحديث وروى سعيد عن قتادة عاملة ناصبة قال تكبرت
في الدنيا عن طاعة الله تعالى فاعملها الله وانصبها في النار بجر السلاسل الثقال وحمل الاغلال
والوقوف حفاة عراة في العرصات في يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال الحسن وسعيد
ابن جبير لم تعمل لله في الدنيا ولم تنصب له فاعملها وانصبها في جهنم وقرا ابن كثير في رواية وابن
محيصن وعيسى وحميد ناصبة بالنصب على الحال وقيل على الذم والباقون بالرفع على احسن
او عملوا انها مبتدا فيوقف على خاشعة ومن جعل المعنى في الاخرة جاز ان يكون خبرا بعد خبر
عن وجوه فلا يوقف على خاشعة وقيل عاملة ناصبة اي عاملة في الدنيا ناصبة في الاخرة

وعلى هذا يحمل وجوه يومئذ عاملة في الدنيا ناصبة في الاخرة خاشعة وروى الحسن قال
لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام اتاه راهب شيخ كبير عليه سواد فلما راه عمر رضي الله
عنه بكى فقيل يا امير المومنين ما يبكيك قال هذا المسكين طلب امرا فلم يصبه ورجا رجا فاخطاه
وقرا قوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة قوله تصلى هذا هو محل تمام الخبر قرا ابو عمرو
وابو بكر ويعقوب رضي الله عنهم بضم التا على ما لم يسم فاعله والباقون بالفتح على تسمية الفاعل
والضمير على كلتا القراتين للوجوه وقرا ابو رجا بضم التا وفتح الصاد وتشديد اللام وقد تقدم
معنى ذلك كله في سورة الانشقاق والنسا **فصل** والمعنى يصليها صلاها وهو دخولها حامية
شديدة الحر اي قد اوقدت واحميت مدة طويلة ومنه حمى النهار بالكسر وحمي التنور حميا اي اشتد
حره وحكى الكسائي اي اشتد حمي الشمس وحموها بمعنى قال صلى الله عليه وسلم اوقد عليها الف
سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي
سودا مظلمة قال الماوردي فان قيل فما معنى وصفها بالحمي وهي لا تكون الا حامية وهو اقل
احوالها فما وجه المبالغة بهذه الصفة الناقصة قيل قد اختلف في المراد بالحامية هنا قيل المراد
انها دايمة الحمي وليست كنار الدنيا التي ينقطع حميها بانطفايها وقيل المراد بالحامية انها حمى من
ارتكاب المحظورات وانتهاك المحارم لقول النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وان حمى
الله محارمه ومن يرتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وقيل انها تحمي نفسها عن ان تطاق ملامستها
او ترام مماستها كالحمى ان يشد زيته كقول الشاعر

تعدوا الذياب على من لا كلاب له ∗ وتتقي صولة المستاسد الحامي

وقيل المراد انها حامية حمى غيظ وغضب مبالغة في شدة الانتقام كقوله تعالى تكاد تميز من
الغيظ قوله تعالى تسقى من عين انية اي حارة اي التي انتهى حرها كقوله تعالى وبين حميم ان
وانية صفة لعين واما الها هشام لان الالف غير منقلبة عن غيرها بل هي اصل بنفسها وهذا بخلاف
انية سورة الانسان فان الالف هناك بدل من همزة اذ هو جمع انا فوزن انها افعلة وهناك
افعله فاتحد اللفظ واختلف التسويق وهذا من محاسن علم التصريف قال القرطبي والاني الذي
انتهى حره من الاشيا بمعنى التاخير يقال اناه يونيه ايناء اي اخره وحبسه نظيره قوله
تعالى يطوفون بينها وبين حميم ان وانية صفة لعين وروي انه لو وقعت فيها جبال الدنيا
لذابت قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لما ذكر شرابهم ذكر طعامهم والضريع شجر
في النار ذو شوك لاصق بالارض تسميه قريش الشبرق اذا كان رطبا فاذا يبس فهو الضريع
لا تقربه دابة ولا بهيمة ولا ترعاه وهو سم قاتل قاله عكرمة ومجاهد واكثر المفسرين وروى
الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال شي يرمي به البحر يسمى الضريع من اقوات
الانعام لا الناس فاذا وقعت فيه الابل لم تشبع وهلكت هذا والصحيح الاول قال ابو ذويب

رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى ∗ وعاد ضريعا بان عنه النحايص

وقال الهذلي يذكر ابلا وسوء مرعاها قال

وحبسن في هزم الضريع فكلها ∗ حربا دامية اليدين حرود

وقال الخليل الضريع نبات اخضر منتن الريح يرمي به البحر وقال ايضا ويقال للجلدة التي
على العظم تحت اللحم هي الضريع فكانه تعالى وصفه بالقلة فلا جرم لا يسمن ولا يغني من
جوع وعن ابن عباس رضي الله عنه بحر من نار ولو كانت في الدنيا لاحرقت الارض وما عليها
وقيل هو الزقوم وقيل يابس العرفج اذا تحطم وقيل نبت يشبه العوسج وقال سعيد
ابن جبير وعكرمة هو حجارة من نار قال القرطبي والاظهر انه شجر ذو شوك حسب ما هو
في الدنيا وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الضريع شي
يكون في النار يشبه الشوك اشد مرارة من الصبر وانتن من الجيفة واحر من النار سماه الله
تعالى ضريعا قال العتبي ويجوز ان يكون الضريع وشجر الزقوم نبتان من النار او من جوهر
لا تاكله النار وكذلك سلاسل النار واغلالها وعقاربها وحياتها ولو كانت على ما يعلم لما بقيت
على النار وانما دل الله تعالى على الغايب عنده بالحاضر عندنا فالاسما متفقة الدلالة والمعاني
مختلفة وكذلك ما في الجنة من شجرها وفرشها وزعم بعضهم ان الضريع ليس ينبت في النار

والانعام الحلوة لان الضريع من اقوات الانعام لا من اقوات الناس واذا وقعت الابل فيه لم تشبع وهلكوا هزالا فاما ان هولاء يقتاتون ما لا يشبعهم وضرب الضريع لهم مثلا والمعنى انهم يعذبون بالجوع كما يعذب من قوته الضريع قال الحكيم الترمذي وهذا نظر سقيم من اهله يدل على انهم تحيروا في قدرة الله تعالى وان الذي ابنت هذا التراب الضريع قادر على ان ينبته في حريق النار كما جعل سبحانه وتعالى لنا في الدنيا من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون وكما قال تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا قالوا يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم فقال عليه الصلاة والسلام الذي امشاهم على ارجلهم قادر فلا يتحير في مثل هذا الا الضعيف او ليس قد اخبرنا انه كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وقال تعالى سرابيلهم من قطران وعن الحسن لا ادري ما الضريع ولم اسمع فيه من الصحابة شيئا قال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويضرعون منه الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمي بذلك لان آكله يضرع في ان يعفى عنه لكراهته والضراعة الذلة والاستكانة ومعنى الضريع المضرع كالبديع اي يحملهم على ان يضرعوا ويذلوا عند تناوله قال ابو جعفر النحاس قد يكون مشتقا من الضارع وهو الذليل اي ذو ضراعة اي من شربه ذليل يلحقه ضراعة فان قيل قد قال تعالى في موضع اخر فليس له اليوم هاهنا حميم ولا طعام الا من غسلين وقال تعالى هاهنا الا من ضريع وهو غير الغسلين فما وجه الجمع فالجواب ان النار دركات فمنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الغسلين ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد قال الكلبي الضريع في درجة ليس فيها غيره والزقوم في درجة اخرى قوله تعالى لا يسمن قال الزمخشري مرفوع المحل او مجروره على وصف طعام او ضريع قال ابو حيان اما وصفه لضريع فيصح لانه مثبت نفي عنه السمن والاغناء من الجوع واما رفعه على وصفه الطعام فلا يصح لان الطعام منفي والسمن منفي فلا يصح تركيبه لانه يصير التقدير ليس لهم طعام لا يسمن ولا يغني من جوع الا من ضريع فيصير المعنى ان لهم طعاما يسمن ويغني من جوع من غير الضريع كما تقول ليس لزيد مال لا ينتفع به الا من مال عمرو فمعناه ان له مالا ينتفع به من غير مال عمرو وقال شهاب الدين وهذا الرد لا يرد لانه على تقدير تسليم القول بالمفهوم وقد منع منه مانع كالسياق في الآية الكريمة ثم قال ابو حيان ولو قيل الجملة في موضع رفع صفة للمحذوف المقدر في الا من ضريع كان صحيحا لانه في موضع رفع على انه بدل من اسم ليس اي ليس لهم طعام الا كائن من ضريع او الا طعام من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع وهذا تركيب صحيح ومعنى واضح وقال الزمخشري ايضا او اريد ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس يريد نفي الظل على التوكيد قال ابو حيان فعلى هذا يكون استثناء منقطعا اذ لم يندرج الكائن من الضريع تحت لفظ الطعام اذ ليس بطعام والظاهر الاتصال فيه وفي قوله تعالى ولا طعام الا من غسلين قال شهاب الدين وعلى قول الزمخشري المتقدم لا يلزم ان يكون منقطعا اذ المراد نفي الشيء بدليله اي ان كان لهم من طعام فليس الا هذا الذي لا يعده احد طعاما ومثله ليس له ظل الا الشمس وقد مضى تحقيق هذا عند قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ومثله كثير

فصل

المعنى ان طعامهم ليس من جنس مطاعم الانس لانه نوع من انواع الشوك والشوك مما ترعاه الابل وهذا النوع تنفر عنه الابل فاذا منفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن او يكون المعنى ليس لهم طعام اصلا لان الضريع ليس بطعام البهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع واسمن قال المفسرون لما نزلت هذه الآية قال المشركون ان ابلنا لتسمن بالضريع فنزلت لا يسمن ولا يغني من جوع واذا قال الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لم تاكله وقيل اشتبه عليهم امره فظنوه كغيره من النبات النافع لان المضارعة المشابهة فوجدوه لا يسمن ولا يغني من جوع فيكون المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس مطعمكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا يغني من جوع قوله تعالى وجوه يومئذ

ناعمة

ناعمة اي ذات نعمة وهي وجوه المؤمنين نعمت بما عاينت من عاقبة امرها لما ذكر تعالى وعيد الكفار اتبعه بشرح احوال المؤمنين وقيل ذات بهجة وحسن لقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي متنعمة لسعيها اي لعملها التي عملته في الدنيا راضية في الآخرة حين اعطيت الجنة بعملها وفيها واو مضمرة والتقدير ووجوه يومئذ لتفصل بينها وبين الوجوه المتقدمة والوجوه عبارة عن الانفس في جنة عالية اي مرتفعة لانها فوق السموات وقيل عالية القدر لان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قوله تعالى لا يسمع فيها لاغية قرا ابن كثير وابو عمرو ويسمع بالياء من تحت مضمومة على ما لم يسم فاعله لاغية رفعا لقيامه مقام الفاعل وقرا نافع كذلك الا انه بالتاء من فوق والتذكير والتانيث واضحان لان التانيث مجازي وقرا الباقون بفتح التاء من فوق ونصب لاغية فيجوز ان يكون التاء للخطاب اي لا تسمع انت وان يكون للتانيث اي لا تسمع الوجوه وقرا الفضل والجحدري لا يسمع بياء الغيبة مفتوحة لاغية نصبا اي لا يسمع فيها احد ولاغية يجوز ان تكون صفة لكلمة على معنى النسب اي ذات لغو او على اسناد اللغو اليها مجازا وان تكون صفة لجماعة اي جماعة لاغية وان يكون مصدرا كالعاقبة والعافية كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما واللغو واللغا واللاغية بمعنى واحد قال الشاعر عن اللغا ورفث التكلم قال الفراء والاخفش اي لا يسمع فيها كلمة لغو والمراد باللغو قيل الكذب والبهتان والكفر بالله قاله ابن عباس وقال قتادة لا باطل ولا اثم وقال الحسن ومجاهد الشتم وقال الفرا الحلف الكاذب وقال الكلبي لا يسمع في الجنة حالف بيمين برة ولا فاجرة وقيل لا يسمع في كلامهم كلمة تلغى لان اهل الجنة لا يتكلمون الا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم قال الفراء وهو احسن الاقوال قال القفال والزجاج قوله تعالى فيها عين جارية بماء مندفق وانواع الاشربة اللذيذة على وجه الارض من غير اخدود وقال الزمخشري يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله تعالى علمت نفس فيها سرر مرفوعة اي عالية في الهواء واكواب موضوعة والاكواب الكيزان التي لا عرى لها ولا خرطوم وما له عروة وخرطوم والكوب ما ليس له عروة وخرطوم وقوله تعالى موضوعة اي معدة لاهلها وقيل موضوعة على حافات العين الجارية وقيل موضوعة بين ايديهم لاستحسانهم اياها لكونها من ذهب وفضة وجوهر وتلذذهم بالشرب منها وقيل موضوعة على حد الكبر اي هي اوساط بين الصغر والكبر لقوله تعالى قدروها تقديرا قوله تعالى ونمارق مصفوفة النمارق جمع نمرقة وقالت بنت طارق نحن بنات طارق نمشي على النمارق مصفوفة اي واحدة الى جنب اخرى قال الشاعر

كهولا وشبانا حسانا وجوههم * على سرر مصفوفة ونمارق

والنمرق والنمرقة وسادة صغيرة والنمرق بضم النون والراء وكسرهما لغتان اشهرهما الاولى قوله تعالى وزرابي جمع زربية بفتح الزاي وكسرها لغتان مشهورتان وهي البسط العراض وقيل ما له خمل رقيق قال ابو عبيدة الزرابي الطنافس التي لها خمل رقيق واحدها زربية وهو قول الكلبي والفراء مبثوثة اي مبسوطة قاله قتادة وقال عكرمة بعضها فوق بعض وقال الفراء كثيرة وقال القتيبي متفرقة في المجالس قال القرطبي وهذا اصح فهي كثيرة متفرقة ومنه قوله تعالى وبث فيها من كل دابة وقال ابو بكر الانباري وحدثنا احمد بن الحسين قال حدثنا حسين بن عرفة قال حدثنا عمار بن محمد قال صليت خلف منصور بن المعتمر فقرا هل اتاك حديث الغاشية وقرا فيها وزرابي مبثوثة متكئين فيها ناعمين قوله تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت لما ذكر الله سبحانه وتعالى امر الدارين تعجب الكفار من ذلك فكذبوا وانكروا فذكرهم الله تعالى صنعه وقدرته وان الله تعالى قادر على كل شيء كما خلق الحيوانات والسماء والارض وذكر الابل اولا لانها كثيرة في بلاد العرب ولم يروا الفيلة فنبههم تعالى على عظم من خلقه قد ذللة للصغير يقوده وينيخه وينهضه ويحمل عليه الثقيل من الاحمال وهو بارك فينهض بثقيل حمله وليس في ذلك شيء من الحيوان غيره فاراهم عظيما من خلقه يدل لهم بذلك على توحيده وعظم قدرته تعالى وعن بعض الحكماء انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشا في بلاد لا ابل فيها ففكر ثم قال يوشك ان يكون طول العنق قال ابن الخطيب الابل لها خواص منها انه تعالى جعل الحيوان الذي يقتنى انواعا فتارة يقتنى ليؤكل لحمه وتارة ليشرب لبنه وتارة

لحمل الناس في الاسفار وتارة لنقل المتاع من بلد الى بلد وتارة للزينة والجمال وهذه المنافع
باسرها حاصلة في الابل ثم انها فاقت في كل خصلة من هذه الخصال غيرها من الحيوان المختص
ببعضها مع صبرها على العطش وقطع المفاوز بالاحمال الثقيلة وقناعتها في العلف بنبات
البر ولقد ضللنا الطريق في مفازة ففقدوا جملا وابتغوه فهداهم للطريق بعد زمان طويل
مع كثرة المعاطف والتلول فانظر كيف بثت واهتدى على ما عجز عنه ذووا العقول ومنها انها في
غاية القوة والصبر على العمل ومنها انها مع كونها كذلك منقادة للصبي الصغير ومنها انها تحمل
وهي باركة ثم تقوم بحملها وهذه الصفات يوجب على العاقل ان ينظر في خلقها وتركيبها ويستدل
بذلك على وجود الصانع الحكيم جلت قدرته تعالى **فصل** قال قتادة ومقاتل وغيرهما
لما ذكر الله تعالى السرر المرفوعة قالوا كيف نصعدها فانزل الله تعالى هذه الاية وبين
ان الابل تبرك حتى يحمل عليها ثم تقوم فكذلك تلك السرر تطامن ثم ترتفع وقال المبرد
الابل هنا القطع العظيمة من السحاب قال الثعلبي ولم اجد لذلك اصلا في كتب الائمة قال
القرطبي قد ذكر الاصمعي ابو سعيد عبد الملك بن قريب قال ابو عمرو من قراها افلا ينظرون
الى الابل كيف خلقت عنى به البعير لانه من ذوات الاربع يبرك فيحمل عليه الحمولة وغيره من
ذوات الاربع لا يحمل عليه الا وهو قائم ومن قراها بالتثقيل فقال الابل عنى بها السحاب التي
تحمل الماء للمطر وقال الماوردي وفي الابل وجهان اظهرهما انها الابل والثاني انها السحاب
فان كان المراد بها السحاب فلما فيها من الايات والدلالات الدالة على قدرته تعالى والمنافع
العامة لجميع خلقه وان كان المراد بها الابل من النعم فلان الابل اجمع للمنافع من ساير
الحيوانات لان ضروبه اربعة حلوبة وركوبة واكولة وحمولة والابل تجمع هذه الخلال الاربع
فكانت النعمة بها اعم وظهور القدرة فيها اتم وقيل للحسن اعظم في الاعجوبة فقال العرب
بعيدة العهد بالفيل ثم هو لا يوكل لحمه ولا يركب ظهره ولا يحلب دره **فصل** الابل
اسم جمع واحده بعير وناقة وجمل ولا واحد لها من لفظها وهو مونث ولذلك يدخل عليه
تا التانيث حال تصغيره فيقال ابيلة قال القرطبي لا واحد لها من لفظها اذا كانت لغير
الادميين فالتانيث لها لازم وربما قالوا للابل ابل بسكون البا للتخفيف والجمع ابال واشتقوا
من لفظه قالوا ابل زيد اي كثرت ابله وتعجبوا من هذا فقالوا ما ابله اي ما اكثر ابله وتقدم
في سورة الانعام قوله كيف منصوب بخلقت على حد نصبها في قوله تعالى كيف تكفرون
والجملة بدل من الابل بدل اشتمال فيكون في محل جر وهي في الحقيقة معلقة للنظر وقد
دخلت الى على كيف في قولهم انظر الى كيف تصنع وقد تبدل الجملة المشتملة على استفهام من
اسم ليس فيه استفهام كقولهم عرفت زيدا ابو من هو على خلاف بين النحويين وقرا العامة
خلقت ورفعت ونصبت وسطحت مبنيا للمفعول والتا ساكنة للتانيث وقرا امير المومنين
وابن ابي عبلة وابو حيوة قال القرطبي وابن السميفع وابو العالية خلقت وما بعده بتا
المتكلم مبنيا للفاعل والعامة على سطحت مخففا وقرا الحسن وابو حيوة وابو رجاء سطحت
بتشديد الطا واسكان التا قال القرطبي وقدم الابل في الذكر ولو قدم غيره لجاز قال
القشيري وليس هذا مما يطلب فيه نوع حكمة قوله تعالى والى السما كيف رفعت اي رفعت
عن الارض بلا عمد بعيدة المدا وقيل رفعت فلا ينالها شي والى الجبال كيف نصبت نصبا ثابتا
راسخا لا يميل ولا يزول وذلك ان الارض لما وجبت بما دون فارساها بالجبال كما قال تعالى
وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بكم والى الارض كيف سطحت مهدة اي بسطت ومدت
واستدل بعضهم بهذا على ان الارض ليست بكرة قال ابن الخطيب وهو ضعيف لان الكرة
اذا كانت في غاية العظمة يكون كل قطعة منها كالسطح فان قيل ما المناسبة بين هذه الاشيا
فالجواب قال الزمخشري من فسر الابل بالسحاب فالمناسبة ظاهرة وذلك تشبيه ومجاز ومن
حملها على الابل فالمناسبة بينها وبين السما والارض والجبال من وجهين الاول ان القران
نزل على العرب وكانوا يسافرون كثيرا وكانوا يسيرون عليها في المهامه القفار مستوحشين
منفردين عن الناس والانسان اذا انفرد اقبل على التفكر في الاشيا لانه ليس معه من يحادثه
وليس هناك من يشتغل به سمعه وبصره فلا بد من ان يجعل دابه الفكرة فاذا فكر في تلك الحال

فاول

فاول ما يقع بصره على الجمل الذي هو راكبه فيرى منظرا عجيبا وان نظر الى فوق لم ير غير
السما واذا نظر يمينا وشمالا لم ير غير الجبال واذا نظر الى تحت لم ير غير الارض فكانه سبحانه وتعالى
امره بالنظر وقت الخلوة والانفراد حتى لا تحمله داعية الكبر والحسد على ترك النظر الثاني ان جميع
المخلوقات دالة على الصانع جلت قدرته الا انها قسمان منها ما للشهوة فيه حظ كالوجه الحسن
والبساتين النزهة والذهب والفضة ونحوها فهذه مع دلالتها على الصانع قد يمنع استحسانها عن
كمال النظر ومنها ما لا حظ فيه للشهوة كهذه الاشيا فامر بالنظر فيها اذ لا مانع من كمال النظر فيها
قوله تعالى فذكر اي فعظهم يا محمد وخوفهم انما انت مذكر وواعظ لست عليهم بمسيطر فتقتلهم
ثم نسختها اية السيف وقرا العامة بمصيطر بالصاد وقنبل في بعض طرقه وهشام بالسين
وخلف باشمام الصاد زايا بلا خلاف وعن خلاد وجهان وقراها هارون الاعور بمصيطر
بفتح الطا اسم مفعول لان سيطر عندهم متعد يدل على ذلك فعل مطاوعه وهو تسيطر
ولم يجي اسم واحد على مفيعل ويمكن ان يكون اصلهما مجمر ومدبر فصغرا قال شهاب الدين
وقد تقدم ان بعضهم جعل مهيمنا مصغرا وتقدم انه خطا عظيم وذلك في سورة المائدة
قال القرطبي وفي الصحاح والمسيطر والمصيطر المسلط على الشي ليشرف عليه ويتعهد احواله
ويكتب عمله واصله من السطر لان من معنى السطر ان لا يتجاوز فالكتاب مسطر والذي يفعله
مسطر ومسيطر يقال سيطرت علينا قال تعالى لست عليهم بمسيطر ومصيطر اي صرعه قوله
تعالى الا من تولى وكفر استثنا منقطع اي لكن من تولى عن الوعظ والتذكر فيعذبه الله العذاب
الاكبر وهو جهنم الدايم عذابها وانما قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والاسر
والقتل ويويد هذا التاويل قراة ابن مسعود الا من تولى وكفر فانه يعذبه الله وقيل هو
استثنا متصل والمعنى لست بمسلط الا على من تولى وكفر فانت مسلط عليه بالجهاد والله تعالى
يعذبه بعد ذلك العذاب الاكبر فلا نسخ في الاية على هذا التقدير وقرا ابن عباس وزيد بن علي
وزيد بن اسلم وقتادة الا حرف استفتاح وتنبيه كقول امري القيس الا رب يوم لك منهن صالح
ومن على هذا شرطية فالجملة بعده شرطية والجواب فيعذبه الله والمبتدا بعد الفا مضمر والتقدير
فهو يعذبه الله لانه لو اريد الجواب بالفعل الذي بعد الفا لكان الا من تولى وكفر يعذبه الله قال
شهاب الدين او موصولة متضمنة معناه قوله تعالى ان الينا ايابهم اي رجوعهم بعد الموت والعامة
على تخفيف اليا مصدر اب يووب ايابا اي رجع كقام يقوم قياما قال عبيد

وكل ذي غيبة يووب ۔ وغايب الموت لا يووب

وقرا ابو جعفر وشيبة بتشديدها قال ابو حاتم لا يجوز التشديد ولو جاز مثله في الصيام
والقيام وقيل لغتان بمعنى قال شهاب الدين وقد اضطربت فيها اقوال التصريفيين فقيل
هو مصدر لايب على وزن فيعل كبيطر يقال ايب يويب ايابا والاصل ايواب بوب يويب ايوابا
كبيطر يبيطر فاجتمعت اليا والواو في جميع ذلك وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو يا
وادغمت اليا المزيدة فيها فاياب على هذا فيعال وقيل هو مصدر لاوب بزنة فوعل
نحو قول والاصل اوواب بواوين الاولى زايدة والثانية عين الكلمة فسكنت الاولى بعد كسرة
فقلبت يا فصار ايوابا فاجتمعت يا وواو وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو يا وادغمت
في اليا بعدها فوزنه فيعال كحيقال والاصل حوقال وقيل بل هو مصدر لاوب على وزن
فعول كجهور والاصل اوواب على وزن فعوال كجهوار الاولى عين الكلمة والثانية زايدة
وفعل به ما فعل بما قبله من القلب والادغام للعلل المتقدمة وهي مفهومة مما مر فان قيل
الادغام فانه من قلب الواو يا وقيل انما يمنع اذا كانت الواو اليا عينا وقد عرفت ان الباقي فيعل
والواو في فوعل وفعول زايدتان وقيل بل هو مصدر لاوب بزنة فعل نحو كذب والاصل اواب ثم
قلبت الواو الاولى يا لانكسار ما قبلها فقيل ايوابا قال الزمخشري كديوان في دوان ثم فعل به
ما فعل بسيد يعني ان اصله سيود فقلبت وادغم والى هذا نحا ابو الفضل ايضا الا انه لا باخيار
رد ما قالاه بانه على ان الواو الموضوعة على الادغام لا تقلب الاولى يا وان انكسر ما قبلها قال
ومثلوا بنفس اواب مصدر اوب مشددا وباجرواط مصدر اجروط قال واما تشبيه الزمخشري
فليس بجيد لانهم لم ينطقوا بها في الموضع مدغمة ولم يقولوا دوان ولولا الجمع على دواوين لم

يعلم ان اصل هذه اليا واو وقد نصوا شذوذ ديوان فلا يقاس عليه غيره قال شهاب الدين
اما كونهم لم ينطقوا بدوان فلا يلزم منه ردها قال الزمخشري وبعض النحاة على ان اصل ديوان
دوان وخيراط قراط بدليل الجمع على دواوين وقراريط وكونه شاذا لا يقدح لانه لم يذكر مقيسا
عليه بل مستظرا به وقد ذهب مكي الى نحو من هذا فقال واصل اليا واو ولكن انقلبت بالانكسار
ما قبلها وكان يلزم من شذ ان يقول اوبهم لانه من الواو ويقول ابوابهم فيبدل من اول المشدد يا كما
قالوا ديوان والاصل دوان انتهى وقيل هو مصدر لاوب بزنه اكرم من الاوب والاصل اواب
كاكرام فابدلت الهمزة الثانية يا لسكونها بعد همزة مكسورة فصار اللفظ ايوابا فاجتمعت اليا
والواو على ما تقدم فقلب وادغم ووزنه افعال وهذا واضح وقال ابن عطية في هذا الوجه
نقلت الهمزة وكان الادغام يردها اوابا لكن استحسنت فيه اليا على غير قياس انتهى وهذا ليس
بجيد لما عرفت من انه لما قلبت الهمزة يا والعباس ان يفعل ما تقدم من قلب الواو الى اليا من دون
عكس قال شهاب الدين وانما ذكرت هذه الاوجه مشروعة لغموضها وعدم من يعتني النظر في
مثل هذه المواضع المغلقة وقدم الخبر في قوله الينا وعلينا مبالغة في التشديد في الوعيد والله
اعلم روي الثعلبي في تفسيره عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

سورة الفجر مكية

وهي ثلاثون اية ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والفجر قيل جواب القسم مذكور وهو قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد وقال ابن
الانباري وقيل محذوف لدلالة المعنى عليه اي ليجازين كل احد بما عمل بدليل تعديده ما فعل
بالقرون الخالية وقدر الزمخشري ليعذبن قال يدل عليه قوله تعالى الم تر الى قوله فصب وقدره
ابو حيان بما دلت عليه خاتمة السورة قبله اي لايابهم الينا وحسابهم علينا وقال مقاتل هل
هنا في موضع ان تقديره ان في ذلك قسما لذي حجر فهل على هذا في موضع جواب القسم
انتهى وهذا اقول باطل لانه لا يصلح ان يكون مقسما عليه على تقدير تسليم ان التركيب
هكذا وانما ذكرناه للتنبيه على سقوطه وقيل ثم مضاف محذوف اي وصلاة الفجر او ورب الفجر
والعامة على عدم التنوين في الفجر والوتر ويسر وابو الدينار الاعرابي بتنوين الثلاثة قال ابن
خالويه هذا ما روي عن بعض العرب انه يقف على اواخر القوافي وان كان فعلا وان كان فيه الالف
واللام قال الشاعر • اقلي اللوم عاذل والعتابن • وقولي ان اصبت لقد اصابن
يعني بهذا تنوين الترنم وهو ان العربي اذا اراد ترك الترنم وهو مد الصوت نون الكلمة وانما
يكون في الروي المنطلق وقد عاب بعضهم النحويين بنون الترنم وقال ينبغي ان يسموه تنوين
تركه ولهذا التنوين قسم اخر يسمى التنوين الغالي وهو ما يلحق الروي المقيد كقوله وقاتم الاعماق خاوي
المخترقن على ان بعض العروضيين انكروا وجوده ولهذين التنوينين احكام مخالفة لحكم التنوين
مذكورة في علم النحو والحاصل ان هذا القاري اجرى الفواصل مجرى القوافي وله نظائر مر
فيها الرسولا والسبيلا والظنونا في الاحزاب والمتعال في سورة الرعد ويسر هنا قال الزمخشري
فما بالها منكرة من بين ما اقسم به قلت لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بعض منها
او مخصوصة بفضيلة ليست في غيرها فان قلت هلا عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة
قلت لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة التي في التنكير ولان الاحسن ان تكون اللامات
متجانسة ليكون الكلام ابعد من الالغاز والتنبيه بعني بتجانس اللامات ان يكون كلها اما
للجنس واما للعهد والغرض ان الظاهر ان اللامات في الفجر وما معه للجنس فلو جي بالليالي
معرفة بلام العهد لفات التجانس فصل اقسم سبحانه بالفجر وليال عشر والشفع والوتر
والليل اذا يسر اقسام خمسة واختلف في الفجر فقال علي وابن الزبير وابن عباس رضي الله عنهم
الفجر هنا انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم قال ابن الخطيب اقسم الله تعالى بما يحصل فيه من

ظهور

ظهور النور وانبساط الناس وسائر الحيوان في طلب الارزاق وذلك مشاكل لنشور الموتى وفيه عبرة
لمن تامل لقوله تعالى والصبح اذا تنفس ويمتنع بكونه خالقا له فقال سبحانه فالق الاصباح وعن ابن
عباس رضي الله عنه انه النهار كله وعبر عنه بالفجر لانه اوله وروي ابن محيصن عن عطية عن ابن
عباس يعني فجر المحرم قال قتادة هو فجر اول يوم من المحرم منه تنفجر السنة وعنه ايضا صلاة الصبح
وروي ابن جريج عن عطا عن ابن عباس قال يريد صبيحة يوم النحر لان الله تعالى جعل لكل يوم ليلة
قبله الا يوم النحر لم يجعل له ليلة قبله ولا ليلة بعده لان يوم عرفة له ليلتان ليلة قبله وليلة
بعده فمن ادرك الموقف الليلة التي بعد عرفة فقد ادرك الحج الى طلوع فجر يوم النحر وهذا قول
مجاهد وقال عكرمة الفجر قال انشقاق الفجر من يوم جمع وعن محمد بن كعب القرظي والفجر قال
اخر ايام العشر اذا دفعت من جمع وقال الضحاك فجر ذي الحجة لان الله تعالى قرن به الايام فقال تعالى
وليال عشر اي ليال عشر من ذي الحجة وقيل هي العيون التي تنفجر منها المياه قوله وليال عشر العامة
على ليال بالتنوين عشر صفة لها وقرا ابن عباس وليال عشر بالاضافة فقيل بعضهم قال ليال في هذه
القراة دون يا وبعضهم قال وليالي عشر بالياء هو القياس فقيل والمراد ليالي ايام عشر وكان من
حقه على هذا ان يقال عشرة لان المعدود مذكر ويجاب عنه بانه اذا حذف المعدود جاز الوجهان
ومنه واتبعه بست من شوال وسمع الكسائي صمنا من الشهر خمسا فصل قال ابن عباس ومجاهد
والسدي والكلبي هو عشر ذي الحجة وقال مسروق هي العشر المذكورة في قوله تعالى في قصة موسى
عليه السلام واتممناها بعشر وهي افضل ايام السنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ايام
العمل الصالح فيهن احب الى الله تعالى موقعا لمن لم يدرك الوقوف يوم عرفة وعن ابن عباس ايضا هي العشر
الاواخر من رمضان وقال الضحاك اقسم الله تعالى بها لشرفها بليلة القدر وكان صلى الله عليه وسلم
اذا دخل العشر الاواخر من رمضان شد المئزر وايقظ اهله للتهجد وعن ابن عباس رضي الله عنه ويمان
والطبري هو العشر الاول من المحرم لان اخرها يوم عاشورا ولصومه فضل عظيم قوله تعالى والشفع
والوتر قرا الاخوان بكسر الواو ومن الوتر والباقون بفتحها وهما لغتان كالحبر والحبر والفتح لغة قريش
ومن والاها والكسر لغة تميم وهاتان اللغتان في الوتر مقابل الشفع فاما في الوتر بمعنى الترة الرحل
فبالكسر وحده قال الزمخشري ونقل الاصمعي فيه اللغتين ايضا وقرا ابو عمرو في رواية يونس
عنه بفتح الواو وكسر التاء فيحتمل ان تكون لغة ثالثة وان يكون نقل كسرة الراء الى التاء اجراء للوصل
مجرى الوقف فصل قال ابن الخطيب الشفع والوتر هو الذي تسميه العرب الخسا والزكا وتسميه
العامة الزوج والفرد قال يونس اهل العالية يقولون الوتر بالفتح في العدد والوتر بالكسر في الرجال
وتميم يقولون بكسر الواو فيهما ويقول اوترت اوتر ايتارا اي جعلته وترا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
من استجمر فليوتر واختلف في الشفع والوتر فروي عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال الشفع والوتر الصلاة منها شفع ومنها وتر وقال جابر بن عبد الله قال
النبي صلى الله عليه وسلم والفجر وليال عشر قال هو الصبح وعشر النحر والوتر يوم عرفة والشفع
يوم النحر وهو قول ابن عباس وعكرمة واختاره النحاس وقال حديث ابي الزبير عن جابر هو الذي
صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو اصح اسنادا من حديث عمران بن حصين فيوم عرفة وتر لانه تاسعها
ويوم النحر شفع لانه عاشرها وعن ابي ايوب قال سيل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى
والشفع والوتر فقال الشفع يوم عرفة ويوم النحر والوتر ليلة يوم النحر وقال مجاهد وابن عباس
الشفع خلقه قال تعالى وخلقناكم ازواجا والوتر هو الله تعالى فقيل لمجاهد اترويه عن احد
قال نعم عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوه قال محمد بن سيرين
ومسروق وابو صالح وقتادة قال الشفع الخلق قال تعالى ومن كل شي خلقنا زوجين الكفر
والايمان والشقاوة والسعادة والهدى والضلال والنور والظلمة والليل والنهار والحر والبرد
والشمس والقمر والصيف والشتا والسما والارض والجن والانس والوتر هو الله تعالى قل هو الله احد
الله الصمد وقال صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما والله وتر يحب الوتر وعن ابن
عباس رضي الله عنه الشفع صلاة الصبح والوتر صلاة المغرب وقال الربيع بن انس وابو العالية
هي صلاة المغرب فالشفع منها الركعتان الاولتان والوتر الثالثة وقال ابن الزبير الشفع الحادي عشر
والثاني عشر من ايام منى والوتر اليوم الثالث عشر قال تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر

فلا اثم عليه وقال عطا والضحاك الشفع عشر ذي الحجة والوتر ايام منى الثلاثة وقيل الشفع والوتر
ادم عليه السلام كان وترا فشفع بزوجته حوى رواه ابن ابي نجيح وحكاه القشيري عن ابن عباس
رضي الله عنه وفي رواية الشفع ادم وحوى والوتر هو الله تعالى وقيل الشفع درجات الجنة وهي ثمان
والوتر دركات النار وهي سبعة كانه اقسم بالجنة والنار قاله الحسين بن الفضل وقيل الشفع الصفا
والمروة والوتر الكعبة وقال مقاتل بن حيان الشفع الايام والليالي والوتر الذي لا ليلة بعده وهو
يوم القيمة وقيل غير ذلك قال ابن الخطيب وكل هذه الوجوه محتملة والظاهر لا اشعار له بشي من هذه
الاشيا على التعيين فان ثبت في شي منها خبر عن الرسول عليه الصلاة والسلام او اجماع من اهل
التاويل بانه المراد فان لم يثبت وجب ان يكون الكلام على طريقة الجواز لا على القطع ولقايل ان يقول
اني احمل الكلام على الكل لان الالف واللام في الشفع والوتر يفيد العموم قوله تعالى والليل اذا يسر
هذا قسم خاص بعد ما اقسم بالليالي العشر على الخصوص اقسم بالليل على العموم ومعنى يسر اي يسري فيه
كما يقال ليل نايم ونهار صايم قال • لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى • ونمت وما ليل المطي بنايم •
ومنه قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهذا قول اكثر اهل المعاني وهو قول القتيبي والاخفش
وقال اكثر المفسرين معنى يسري سار فذهب وقال قتادة وابو العالية جا واقبل وقيل المراد بنقص
كقوله اذا ادبر اذا عسعس والليل منصوب بمحذوف هو فعل القسم اي اقسم به وقت سراه وحذف
يا يسري وقفا واثبتها وصلا نافع وابو عمرو واثبتها في الحالين ابن كثير وحذفها في الحالين الباقون
لسقوطها في خط المصحف الكريم واثباتها هو الاصل لانها لام فعل مضارع مرفوع وحذفها لموافقة
المصحف وموافقة روس الاي وجريا للفواصل مجرى القوافي ومن فرق بين حالتي الوقف والوصل
فلان الوقف محل استراحة قال الزمخشري ويا يسري تحذف في الدرج اكتفا عنها بالكسرة واما في
الوقف فتحذف مع الكسرة وهذه الاسما كلها مجرورة بالقسم والجواب محذوف وهو ليعذبن بدليل
قوله تعالى الم تر الي ربك كيف فعل ربك بعاد الي قوله فصب عليهم سوط عذاب وقد تقدم الكلام على
ذلك قوله تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر قيل هل على بابها من الاستفهام الذي معناه التقرير
كقولك الم انعم عليك اذا كنت قد انعمت وقيل المراد بذلك التوحيد لما اقسم به واقسم عليه والمعنى بل
في ذلك مقنع لذي حجر ومعنى لذي حجر اي لذي لب وعقل قال الشاعر •
وكيف يرجى ان تتوب وانما • يرجى من الفتيان من كان ذا حجر •
وقال ابو مالك لذي حجر اي لذي ستر من الناس وقال الحسن لذي حلم قال الفرا الكل يرجع الى معنى واحد
لذي عقل ولذي حلم ولذي ستر الكل بمعنى العقل واصل الحجر المنع يقال لمن ملك نفسه ومنعها انه
لذو حجر ومنه سمي الحجر المنع لامتناع لصاقه بعضه ومنه حجر الحاكم على فلان اي منعه عن التصرف ولذلك
سمي الحجر حجرا لامتناع ما فيها وقال الفرا العرب تقول انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها
كانه اخذ من حجرت على الرجل **فصل** والمعنى ان كل ذلك دال على ان كل ما اقسم الله تعالى به
من هذه الاشيا فيه عجايب ودلايل على التوحيد والربوبية فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على
خالقه قال القاضي وهذه الاية تدل على ان القسم واقع برب هذه الامور لان الاية دالة على ان
هذه مبالغة في القسم والمبالغة لا تحصل الا في القسم بالله تعالى ولان النهي قد ورد بان يحلف العاقل
بغير الله تعالى قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم قرا العامة بعاد مصروفا وارم بكسر الهمزة
وفتح الرا والميم فعاد اسم لرجل في الاصل ثم اطلق على القبيلة او الحي وقد تقدم الكلام عليه واما ارم
فقيل هو اسم قبيلة وقيل اسم مدينة واختلفوا في تعيينها قيل اسكندرية وقيل دمشق وهذان
القولان ضعيفان لان منازل كانت من عمان الى حضرموت وهي بلاد الرمال والاحقاف واما الاسكندرية
ودمشق فليسا من بلاد الرمال فان كانت اسم قبيلة كانت بدلا او عطف بيان او منصوبة باضمار اعني
وان كانت اسم مدينة فتعلق الاعراب من عاد وتخريجه على حذف مضاف كانه قيل بعاد اهل ارم
قال الزمخشري وهو حسن ويبعد ان يكون بدلا من عاد بدل اشتمال اذ لا ضمير وتقدير فلو وقد يقال
انه لما كان المعنى بعاد مدينتهم لان ارم قايمة مقام فلذلك صح البدل وارم اسم عاد وهو عاد بن عوص
ابن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قال زهير •
وآخرين بذي الماد من عدتهم • من نسج داودا وما اورثت ارم •
وقال قيس الرقيات مجدا تليدا بناه اوله ادرك عادا وقيل ارما وقرا الحسن ارم غير مصروف

قال ابو حيان مضافا الى ارم فجاز ان يكون ارم ابا او جدا او مدينة قال شهاب الدين يتعين
ان يكون في قراءة الحسن غير مضاف بل يكون كما كان منونا ويكون ارم بدلا او بيانا او منصوبا باضمار
اعني ولو كان مضافا لوجب صرفه وانما منع عادا اعتبارا بمعنى القبيلة او جاعلا احد الحاجزين في
هند وبابه وقرا الضحاك في رواية بعاد ارم ممنوع الصرف وفتح الهمزة من ارم كما قال مجاهد من قراه
بفتح الهمزة شبههم بالارام التي هي الاعلام وعنه ايضا بفتح الهمزة وسكون الرا وهو تخفيف ارم بكسر
الرا وهي لغة في اسم المدينة كما قرئ بورقكم وهذه قراءة ابن الزبير وعنه في عاد مع هذه القراءة الصرف
وتركه وعنه ايضا وعن ابن عباس ارم بفتح الهمزة والرا والميم مشددة جعله فعلا ماضيا فقال
ارم العظام اي بلي وارم ايضا وارمه غيره فافعل يكون لازما ومتعديا في هذا وذات على هذه القراءة
مجرورة صفة لعاد ويكون قد راعى لفظها تارة في قوله ارم فلم يلحق علامة تانيث ويكون ارم معترضا
بين الصفة والموصوف اي ارمت هي بمعنى ارمت ومست وهو دعا عليهم ويجوز ان يكون فاعل ارم ضمير الباري
تعالى والمفعول محذوف اي ارمها الله تعالى والجملة الدعايية معترضة ايضا وراعى معناها اخرى
في ذات فانث وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ذات بالنصب على انها مفعول بارم وفاعل ارم
ضمير يعود على الله تعالى اي ارمها الله ويكون ارم بدلا من فعل ربك او تبيينا له وقرا ابن الزبير بعاد
ارم باضافة عاد الى ارم مفتوح الهمزة مكسور الرا وقد تقدم انه اسم المدينة وقرئ ارم ذات باضافة
ارم الى ذات وروي عن مجاهد ارم يعني [illegible] مصدر ارم يارم اي هلك فعلى هذا يكون منصوبا
بفعل ربك نصب المصدر التشبيهي والتقدير كيف اهلك ربك عادا اهلاك ذات العماد وهذا غريب الاقوال
وذات العماد ان كان صفة للقبيلة فمعناه انهم اصحاب خيام لها اعمدة يظعنون بها وهو كناية عن طول ابدانهم
كقولهم رفيع العماد طويل النجاد قاله ابن عباس رضي الله عنه وان كان صفة للمدينة فمعناه انها ذات
عمد من الحجارة قوله التي لم يخلق يجوز ان يكون تابعا وان يكون مقطوعا رفعا ونصبا والعامة على
يخلق مبنيا للمفعول مثلها مرفوع على ما لم يسم فاعله وعن ابن الزبير يخلق مبنيا للفاعل مثلها منصوبة
به وعنه ايضا نخلق بنون العظمة **فصل** قال القرطبي من لم يضف جعل ارم اسم عاد ولم
يصرفه لانه جعل عادا اسم ابيهم واسم بلدتهم وتقديره بعاد اهل ارم كقوله تعالى واسال القرية ولم يصرف
قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث والارم العلم اي بعاد اهل ذات العلم وهذه الروية روية
القلب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد عام وكان امر عاد وثمود عندهم مشهورا اذا كانوا
في بلاد العرب وحجر ثمود موجود اليوم وامر عاد كانوا يسمعونه من جيرانهم من اهل الكتاب
واستفاضت به الاخبار وبلاد عاد متصلة بارض العرب وقوله بعاد اي بقوم هود قال ابو هريرة
كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المصراع من حجارة لو اجتمع عليه خمسماية من هذه الامة لم يستطيعوا ان
يقلوه وارم قال ابن اسحاق هو سام بن نوح عليه السلام وعن ابن عباس وابن اسحاق ايضا قال
عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح عليه السلام قال ابن اسحاق كان سام بن نوح له اولاد منهم
ارم بن سام وارفخشد بن سام فمن ولد ارم بن سام العمالقة والفراعنة والجبابرة والملوك الطغاة
وقال مجاهد ارم امة من الامم وعنه ايضا ان معنى ارم القديمة وعنه ايضا القوية وقال قتادة هي
قبيلة من عاد وقيل هي عادان فالاولى هي ارم قال تعالى وانه اهلك عادا الاولى فقيل لعقب
عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم
عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخرى قال ابن الرقيات •
مجدا تليدا بناه اوله • ادرك عادا وقبله ارما •
وقال معمر ارم اليه مجمع عاد وثمود وكانت القبايل تنتسب الى ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد
قال ابن عباس في رواية عطا كان الرجل منهم طوله خمسماية ذراع بذراع نفسه وعن ابن عباس
ايضا والقصير منهم طوله ثلثماية ذراع بذراع نفسه وعن ابن عباس ايضا ان طول الرجل منهم
كان سبعون ذراعا قال ابن العربي وهو باطل لان في الصحيح ان الله تعالى خلق ادم عليه السلام
طوله ستون ذراعا في الهوا فلم تزل الخلق تنقص الى الان وزعم قتادة ان طول الرجل منهم اثني عشر
ذراعا قال ابو عبيدة ذات العماد ذات الطول يقال رجل معمد اذا كان طويلا ونحوه عن ابن عباس
ومجاهد وعن قتادة كانوا عمادا لقومهم يقال فلان عميد القوم وعمودهم اي سيدهم وعنه ايضا كانوا
اهل خيام واعمدة ينتجعون ويطلبون الكلا ثم يرجعون الى منازلهم وقيل المعنى ذات الابنية المرفوعة

على العمد وكانوا ينصبون الاعمدة فيبنون عليها القصور وقال ابن زيد ذات العماد يعني احكام
البنيان بالعمد قال الجوهري العماد الابنية الرفيعة يذكر ويونث والواحدة عماده وقال الضحاك
ذات العماد اي ذات الشدة والقوة ماخوذ من قوة الاعمدة بدليل قوله تعالى وقالوا اشد منا قوة
فصل والضمير في مثلها راجع الى القبيلة اي لم يخلق مثل القبيلة في البلاد قوة وشدة وعظم
اجساد وعن الحسن وغيره وفي حرف عبد الله التي لم يخلق مثلها في البلاد وقيل يرجع الى المدينة وقيل
يرجع الى العماد وعلى هذا فالعماد جمع عمد وهما الاساطين والاول اظهر وعليه الاكثر فصل
قال القرطبي روي عن مالك رضي الله عنه ان كتابا وجد بالاسكندرية فلم يدر ما فيه فاذا فيه انا شداد
ابن عاد الذي رفع العماد بنيتها حين لا شيب ولا موت قال مالك ان كان لتمر بهم ماية سنة لا يرون فيها
جنازة وروي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك
الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلث
ماية سنة وكان عمره تسع ماية سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من
الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار فلما تم بناها سار اليها باهل مملكته فلما كان على
مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السما فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في
طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما هناك وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى
كعب فساله فقال ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال
وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل فصل
ذكر الله تعالى ههنا قصة ثلث فرق من الكفار المتقدمين وهم عاد وثمود وقوم فرعون على
سبيل الاجمال حيث قال تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب ولم يبين كيفية ذلك العذاب وبين
في سورة الحاقة ما ابهم في هذه السورة فقال تعالى فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا
بريح صرصر عاتية الى قوله وجاء فرعون ومن قبله والموتفكات بالخاطية قوله وثمود قرا العامة
بمنع الصرف وابن وثاب بصرفه كما تقدم والذي يجوز فيه ما تقدم في التي لم يخلق وجابوا اي قطعوا
ومنه فلان يجوب البلاد اي يقطعها سيرا قال

ولا رايت قلوصا قبلها حملت • ستين وسقا ولا جابت به بلدا •

وجاب الشي يجوبه اي قطعه ومنه سمي جيب القميص لانه جيب اي قطع وخرقه جوبا قوله بالواد
متعلق اما بجابوا اي فيه واما بمحذوف على انه حال من الصخر او من الفاعلين واثبت في الحالين ابن
كثير وورش بخلاف عن قنبل فروي عنه اثباتها في الحالين وروي عنه اثباتها في الوصل خاصة وحذفها
الباقون في الحالين موافقة لخط المصحف ومراعاة للفواصل كما تقدم في يسير فصل قال
ابن عباس كانوا يجوبون البلاد ويجعلون من الجبال بيوتا فقيل اول من نحت من الجبال والصخور
والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعماية مدينة كلها من الحجارة وقوله تعالى بالواد قال مقاتل بوادي القرى
وهو على فرسخ اشقر فقال لا تسرعوا السير فانكم في واد ملعون وقيل الوادي بين جبال وكل منفرج
بين جبال وتلال يكون مسلكا للسيل ومنفذا فهو واد قوله تعالى وفرعون ذي الاوتاد اي
الجنود قال ابن عباس وسمي ذي الاوتاد لكثرة مضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا وقيل
ذي الاوتاد اي ذي الملك الثابت كقوله • في ظل ملك راسخ الاوتاد
وقيل كان يعذب الناس بالاوتاد الى ان يموتوا تجبرا منه وعتوا كما فعل بامراته اسية وماشطتها
قال عبد الرحمن بن زيد كانت صخرة ترفع بالبكرات ثم ياخذ الانسان فيوتد له اوتاد الحديد ثم
يرسل تلك الصخرة عليه وروى قتادة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان تلك الاوتاد كانت
ملاعب يلعبون تحتها قوله الذين طغوا يجوز فيه ما جاز في الذين قبله من الاتباع والقطع
على الذم قال ابن الخطيب يحتمل انه يرجع الضمير الى فرعون خاصة لانه يليه ويحتمل ان يرجع الى
جميع ما تقدم ذكرهم وهو الاقرب واحسن الوجوه في اعرابه ان يكون في محل النصب على الذم
ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا ومجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون
فصل الذين طغوا يعني عادا وثمودا وفرعون طغوا اي تمردوا وعتوا وتجاوزوا
القدر في الظلم والعدوان ثم فسر تعالى طغيانهم بقوله فاكثروا فيها الفساد قال الكلبي القتل
والمعصية لله تعالى قال القفال والجملة ان الفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول

جميع

جميع اقسام البر فالفساد يتناول جميع اقسام الاثم فمن عمل بغير امر الله وحكم في عباده بالظلم فهو
مفسد قوله تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب صب اي افرغ عليهم وانما يقال صب على
فلان خلعة اي القاها عليه قال النابغة

فصب عليه الله احسن صبغة • وكان له بين البرية ناصر •

وقوله تعالى سوط عذاب اي نصيب عذاب وقيل شدته لان السوط كان عندهم نهاية ما يعذب
به قال • الم تر ان الله اظهر دينه • وصب على الكفار سوط عذاب •
والسوط هو الالة المعروفة وقيل سمي سوطا لانه يساط به اللحم عند الضرب اي يختلط قال كعب بن زهير

• كانها خلة قد سيط من دمها • فجع وولع واخلاف وتبديل •

وقال اخر • احارث انا لو تساط دماونا • تزايلن حتى لا يمس دم دما •
وقيل هو في الاصل مصدر ساطه يسوطه سوطا ثم سميت به الالة وقال ابو زيد اموالهم بينهم سويطة
اي مختلطة فهو مساويط فالسوط خلط الشي بعضه ببعض ومنه سمي المسواط وسوطه اي خلطه
ويقال سوط فلان امره قال • فسطها ذميم الراي غير موفق • فلبست على تسويطها بمعاني •
وقال الفراء هي كلمة تقولها العرب لكل نوع من انواع العذاب واصل ذلك ان السوط هو عذابهم الذي
يعذبون به فجري لكل عذاب اذ كان فيه غاية العذاب وقال الزجاج اي جعل سوطهم الذي ضربهم
به العذاب يقال ساط دابته بسوطه اي ضربها بسوطه وعن عمرو بن عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه
الاية قال ان الله تعالى عنده اسواط كثيرة فاخذهم بسوط منها وقال قتادة كل شي عذب الله تعالى
به فهو سوط عذاب واستعمال الصب في السوط استعارة بليغة يتابعه في كلامهم قال القاضي وشبه
نصب السوط الذي يتواتر على المضروب فيهلكه قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد اي يرصد عمل كل
انسان حتى يجازيه به قاله الحسن وعكرمة والمرصاد كالمرصد وهو المكان الذي يترقب فيه الرصد جمع
راصد كحرس فالمرصاد مفعال من رصده كميقات من وقته قال الزمخشري وجوز ابن عطية في المرصاد
ان يكون اسم فاعل قال كانه قيل لبالراصد فعبر ببناء المبالغة ورده ابو حيان بانه لو كان كذلك لم تدخل
عليه الباء اذ ليس هو في موضع دخولها لا زايدة ولا غير زايدة قال شهاب الدين قد وردت زيادتها في
خبر ان كهذه الاية وفي قول امري القيس • فانك مما احدثت بالمجرب •
الا ان هذه ضرورة لا يقاس عليه الكلام فضلا عن افصحه فصل تقدم الكلام في المرصاد
عند قوله تعالى كانت مرصادا وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب بانهم لا يفوتونه كما قيل لبعض
العرب اين ربك فقال بالمرصاد وقال الفراء معناه اليه المصير وقال الزجاج يرصد من كفر به
وعاند طاعته بالعذاب وقال الضحاك يرصد اهل الظلم والمعصية قوله تعالى فاما الانسان
اما مبتدا وفي خبرها وجهان اصحهما انه الجملة من قوله فيقول لقوله تعالى فاما الذين امنوا فيعلمون
كما تقدم والظرف حينئذ منصوب بالخبر لانه في نية التاخير ولا يمنع الفا من ذلك قاله الزمخشري
وغيره والثاني اذا شرطية وجوابها فيقول وقوله تعالى فاكرمه معطوف على ابتلاه والجملة الشرطية
خبر الانسان قاله ابو البقا وفيه نظر لان اما يلزم الفا في الجملة الواقعة خبرا عما بعدها ولا يحذف
الا مع قول مضمر كقوله تعالى واما الذين اسودت كما تقدم الا في ضرورة قال الزمخشري فان قلت
بم اتصل قوله تعالى فاما الانسان قلت بقوله ان ربك لبالمرصاد فكانه قيل ان الله تعالى لا يريد من
الانسان الا الطاعة فاما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة انتهى يعني ما التعليق من حيث
المعنى وكيف عطفت هذه الجملة التفصيلية على ما قبلها مترتبة عليه وقوله لا يريد الا الطاعة على مذهب
ومذهب اهل السنة ان الله تعالى يريد الطاعة وغيرها ولولا ذلك لم يقع لانه لا يدخل في ملكه ما لا
يريد واصلاح العبارة ان يقول ان الله يريد من العبد والانسان من غير حصر ثم قال فان قلت
فكيف توازن قوله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه وقوله تعالى واما اذا ما ابتلاه وحق
التوازن ان يتقابل الواقعان بعد اما واما يقول اما الانسان فكفور واما الملك فشكور واما اذا احسنت
الى زيد فهو محسن اليك فاما اذا اساءت اليه فهو مسي اليك قلت هما متوازنان من حيث ان
التقدير واما هو اذا ما ابتلاه وذلك ان قوله فيقول ربي اكرمن خبر المبتدا الذي هو الانسان
ودخول الفا في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر في نية التاخير كانه قال
فاما الانسان فقايل ربي اكرمني وقت الابتلا فوجب ان يكون فيقول الثاني خبرا لمبتدا واجب

تقديره **فصل** قال ابن عباس المراد بالانسان عتبة بن ربيعة وابا حذيفة
ابن المغيرة وقيل امية بن خلف وقيل ابي بن خلف اذا ما ابتلاه ربه امتحنه واختبره بالنعمة
وما زايدة فيه فاكرمه بالمال ونعمه بما وسع عليه فيقول ربي اكرمني فيفرح بذلك ولا يحمده
واما اذا ما ابتلاه اي يمتحنه بالفقر واختبره فقدر اي ضيق عليه رزقه بجعله على مقدار البلغة
فيقول ربي اهانني اولاني هوانا وهذه صفة الكافر الذي لا يومن بالبعث وانما الكرامة عنده
والهوان بكثرة المال والحظ في الدنيا فاما المومن فالكرامة عنده ان يكرمه الله تعالى بطاعته
وتوفيقه المودي الى حظ الاخرة وان وسع عليه في الدنيا حمده وشكره قال القرطبي الايتان
صفة كل كافر وكثير من المسلمين يظن ان ما اعطاه الله لكرامته وفضيلته عند الله وربما يقول
بجهله لو لم استحق هذا لم يعطني الله وكذا ان قتر عليه يظن ان ذلك لهوانه على الله قوله فقدر عليه
قرا ابن عامر بتشديد الدال والباقون بتخفيفها وهما لغتان بمعنى واحد ومعناهما التضييق قال
القرطبي والاختيار التخفيف لقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقوله تعالى الله يبسط الرزق لمن
يشا ويقدر قال ابو عمرو وقدر بالتخفيف اي قتر مشددا هو ان يعطيه ما يكفيه ولو فعل ذلك ما قال
ربي اهانني قوله اكرمني اهانني قرا نافع باثبات ياءيهما وصلا وحذفهما وقفا من غير خلاف عنه
والبزي عن ابن كثير وابن محيصن ويعقوب اثباتهما في الحالين لانهما اسم فلا يحذف واختلف عن ابي
عمرو في الوصل وروي عنه الاثبات والحذف والباقون يحذفونها في الحالين وعلى الحذف قوله ومن
كا تبع ظاهر عمرو اذا ما انتسبت له انكرني يريد انكرني ولانها وقعت في الموضعين بغير يا والسنة
لا تخالف خط المصحف لانه اجماع الصحابة رضي الله عنهم وقال الزمخشري فان قلت هلا قال
فاهانه وقدر عليه رزقه كما قال فاكرمه ونعمه قلت لان البسط اكرام من الله لعبده بانعامه عليه
متفضلا من غير سابقة واما التقدير فليس باهانة له لان الاخلال بالتفضل لا يكون اهانة كما اذا
اهدي لك زيد هدية تقول اكرمني فاذا لم يهد لك شيا لا يكون مهينا لك واجاب ابن الخطيب عن
هذا السوال بانه في قوله اكرمني صادق وفي قوله اهانني غير صادق فهو ظن ان قلة الدنيا وتقترها
اهانة وهذا جهل واعتقاد فاسد فكيف يحكي الله تعالى ذلك عنه فان قيل لما قال فاكرمه فقد
صح انه اكرمه الله لما حكى عنه انه قال ربي اكرمني ذمه عليه فكيف الجمع بينهما فالجواب ان كلمة الانكار
كلا فلم لا يجوز ان يقال انها مختصة بقوله تعالى ربي اهانني سلمنا ان الانكار عايد اليهما معا لكن
بمعنى الذم لانه اعتقد ان ذلك الاكرام بالاستحقاق او انه لما لم يعترف الا عند سعة الدنيا مع سبق النعم
عليه من الصحة والعقل دل على ان غرضه من ذلك الشكر ليس نفس الشكر بل مجد الدنيا والتكثير
بالاموال والاولاد او لان كلامه يقتضي الاعراض عن الاخرة وانكار البعث كما حكى الله تعالى بقوله
تعالى ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا الى قوله اكفرت بالذي خلقك
من تراب ثم من نطفة قوله كلا ردع للانسان عن تلك المقالة قال ابن عباس رضي الله عنه
المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضا والقدر والسنة
والحكم المنزه عن التعليل وهذا مذهب اهل السنة واما على مذهب المعتزلة فلمصالح خفية لا يطلع
عليها الا هو سبحانه فقد يوسع على الكافر لا لكرامته ويقتر على المومن لا لهوانه وقال الفرا في هذا
الموضع يعني لم يكن للعبد ان يكون هكذا ولكن يحمد الله تعالى على الغنى والفقر قوله تعالى بل لا تكرمون
اليتيم قرا ابو عمرو ويكرمون وما بعده بيا الغيبة حملا على معنى الانسان المتقدم اذ المراد به الجنس
والجنس في معنى الجمع والباقون بالتا في الجميع خطابا للانسان المراد به الجنس على طريقة الالتفات

فصل لما حكى اقوالهم فكانه قال بل لهم فعل اشر من هذا القول وهو ان الله تعالى يكرمهم
بكثرة المال فلا يودون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم فقرعهم بذلك ووبخهم واما ترك اكرام اليتيم فبدفعه
عن حقه واكل ماله فقال مقاتل نزلت في قدامة بن مظعون وكان يتيما في حجر امية بن خلف
وكان يدفعه عن حقه قوله تعالى ولا تحضون على طعام المسكين قرا الكوفيون بتحاضون
والاصل بتتحاضون فحذف احدى التاءين اي لا يحض بعضكم بعضا وروي عن الكسائي تحاضون
بضم التاء وهي قراءة زيد بن علي وعلقمة اي تحاضون انفسكم والباقون يحضون من حضه على كذا
اي اغراه به ومفعوله محذوف اي لا تحضون انفسكم ولا غيرها ويجوز ان لا يقدر اي لا توقعون
الحض قوله على طعام متعلق بتحضون وطعام يجوز ان يكون على اصله من كونه اسما للمطعوم ويكون

على حذف مضاف اي على بذل او على اعطا الطعام وان يكون اسم مصدر بمعنى الاطعام كالعطا
بمعنى الاعطا فلا حذف حينئذ **فصل** اعلم ان ترك اكرام اليتيم على وجوه احدها ترك بره
واليه الاشارة بقوله تعالى وتاكلون التراث اكلا لما التا في التراث بدل من الواو لانه من الوراثة ومثله
يولج ويوراه ويتخمة وقد تقدم كما قالوا تجاه وتخمة وتكاه وتالله ونحو ذلك والتراث ميراث اليتامى
وقوله تعالى اكلا لما اللم الجمع الشديد يقال لممت الشي لما اي جمعته جمعا قال الحطيئة اذا كان لما يتبع
الذم ربه فلا قدس الرحمن تلك الطواحيا ولممت شعثه من ذلك قال النابغة ولست بمستبق اخا لا
تلمه على شعث اي الرجال المهذب واللم الكثير ومنه جمعه لما قال زهير فلما وردن الماء زرقا جمامه
ومنه لجمه بشم وقولهم جا والجما الغفير وذلك وكتيبة ملمومة وحجر ملموم وقولهم ان دارك لمومة اي تلم
الناس وتجمعهم والاكل يلم الثريد فيجمعه لقما ثم ياكله قال الحسن ياكلون نصيبهم ونصيب صاحبهم
فيجمعون نصيب غيرهم الى نصيبهم وقيل ان المال الذي يخلفه الميت بعضه حلال وبعضه شبهة
وبعضه حرام فالوارث يلم الكل اي يجمع البعض الى البعض وياخذ الكل وياكله قال الزمخشري
يجوز ان يكون الذم متوجها الى الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرق جبينه ويسرف
في انفاقه وياكله كلا لما جامعا بين الوان المشتهيات وقال ابن زيد كان اهل الشرك لا يورثون النساء
ولا الصبيان بل ياكلون ميراثهم وتراثهم مع تراثهم قوله تعالى ويحبون المال حبا جما اي كثيرا حرامه
وحلاله والجم الكثير يقال جم الشي يجم جموما فهو جم وجام ومنه جم الماء في الحوض اذا اجتمع وكثر والجمة
المكان الذي يجتمع فيه ماوه والجموم البير الكثير الماء والجموم بالضم المصدر يقال جم الماء يجم جموما اذا كثر
في البير واجتمع والمعنى يحبون المال كثيرا شديدا قوله كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم اي ما هكذا
ينبغي ان يكون الامر فهو ردع لانكبابهم على الدنيا وجمعهم لها قوله تعالى اذا دكت الارض دكا دكا
وجهان احدهما انه مصدر موكد ودكا الثاني تاكيد للاول تاكيدا لفظيا كذا قاله ابن عصفور وليس
المعنى على ذلك والثاني انه نصب على الحال والمعنى مكررا عليها الدك كعلمته الحساب بابا بابا وعلمته
حرفا حرفا وهذا ظاهر قول الزمخشري وكذلك صفا صفا حال ايضا اي مصطفين او ذوي صفوف كثيرة
قال الخليل الدك كسر الحايط والجبل والدكداك رمل متلبد ورجل مدك شديد الوطي على الارض وقال
المبرد الذي حط المرتفع بالبسط واندك سنام البعير اذا افترش في ظهره وناقة دكا لذلك ومنه
الدكان لاستوايه في الانفراش فمعنى الدك على قول الخليل كسر شي على وجه الارض من جبل او حجر حين
زلزلت فلم يبق على ظهرها شي وعلى قول المبرد ومعناه انها استوت في الانفراش فذهبت دورها
وقصورها حتى صارت كالصخرة الملسا وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما
يمد الارض يوم القيمة مد الاديم قال ابن الخطيب وهذا التدكدك لا بد وان يكون متاخرا عن الزلزلة
زلزلة بعد زلزلة فتنكسر الجبال وتنهدم وتمتلي الاغوار وتصير ملسا وذلك عند انتقاص الدنيا
قوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا اي جاء امره وقضاوه قاله الحسن وهو من باب حذف المضاف
وقيل جاءهم الرب بالايات كقوله تعالى الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام اي بظلل وقيل جعل مجي الايات
مجيه تفخيما لشان تلك الايات كقوله تعالى في الحديث يا ابن ادم مرضت فلم تعدني واستسقيتك فلم
تسقني واستطعمتك فلم تطعمني وقيل زالت الشبه وارتفعت الشكوك وصارت المعارف ضرورية كما تزول
الشبه والشكوك عند مجي الشي الذي كان يشك فيه وقيل جاء قهر ربك كما تقول جاءتنا بنو امية اي قهرهم
قال اهل الاشارة ظهرت قدرته واستوت والله تعالى لا يوصف بالتحول من مكان الى مكان واني له
التحول والانتقال ولا مكان له ولا اوان ولا يجري عليه وقت ولا زمان لان في جريان الوقت على الشي تفوت
الاوقات ومن فاته الشي فهو عاجز واما قوله تعالى والملك صفا صفا اي والملايكة صفا بعد صف محدقين
بالجن والانس قوله تعالى وجي يوميذ بجهنم يوميذ منصوب بجي والقايم مقام الفاعل بجهنم
وجوز مكي ان يكون يوميذ قايما مقام الفاعل واما يوميذ الثاني فقيل بدل من اذا دكت والعامل
فيهما يتذكر قاله الزمخشري وهذا مذهب سيبويه وعوامل الفاعل في اذا دكت يقول والعامل في يوميذ
يتذكر قاله ابو البقا **فصل** قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام
معه سبعون الف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير رواه مسلم في صحيحه
عن عبد الله بن مسعود مرفوعا وقال ابي سعيد الخدري لما نزلت وجي يوميذ بجهنم تغير لون
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف في وجهه حتى اشتد على اصحابه ثم قال اقراني جبريل عليه السلام

كلا إذا دكت الأرض دكا دكا الآية وجيء يومئذ بجهنم قال علي رضي الله عنه قلت يا رسول الله كيف يجاء بها قال يؤتى بها تقاد بسبعين ألف زمام يقود بكل زمام سبعون ألف ملك فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع ثم تعرض لي جهنم فتقول ما لي ولك يا محمد إن الله تعالى قد حرم لحمك علي فلا يبقى أحد إلا قال نفسي نفسي إلا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه يقول رب أمتي أمتي وقال ابن الخطيب قال الأصوليون معلوم أن جهنم لا تنتقل من مكانها ومعنى وبرزت وأظهرت حتى رآها الخلق وعلم الكافر أن مصيره إليها قوله تعالى يومئذ يتذكر الإنسان تقدم الكلام في إعراب يومئذ والمعنى يتعظ الكافر ويتوب أو من نعم الدنيا وقيل يتذكر أن ذلك حق لا وأنى له الذكرى أو من أين له الاتعاظ والتوبة وقد فرط فيها في الدنيا وقيل ومن أين له منفعة الذكرى فلا بد من تقدير حذف مضاف وإلا فبين يوم يتذكر وبين وأنى له الذكرى تناف قال الزمخشري قوله وأنى خبر مقدم والذكرى مبتدأ مؤخر وله متعلق بما تعلق به الظرف قوله تعالى يقول يا ليتني قدمت لحياتي أي في حياتي فاللام بمعنى في وقيل أي قدمت عملا صالحا لحياتي أي لحياة لا موت فيها وقيل حياة أهل النار ليست هنيئة فكأنهم لا حياة لهم فالمعنى يا ليتني قدمت من الخير لحياتي في النار فأكون ممن له حياة هنيئة.

فصل استدلت المعتزلة بهذه الآية على أن الاختيار كان في أيديهم وقصدهم وإرادتهم وأنهم ما كانوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصي والجواب أن فعلهم كان معلقا بقصد الله تعالى فبطل قولهم قوله تعالى فيومئذ لا يعذب عذابه أحد قرأ الكسائي لا يعذب ولا يوثق مبنيين للمفعول ورواه أبو قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم بفتح الذال والثاء والباقون قرءوهما مبنيين للفاعل فأما قراءة الكسائي فأسند الفعل فيهما إلى أحد وحذف الفاعل للعلم به وهو الله تعالى والزبانية المتولون العذاب بأمر الله تعالى وأما عذابه ووثاقه فيجوز أن يكون المصدران مضافين للفاعل والضمير لله تعالى ومضافين للمفعول والضمير للإنسان ويكون عذاب واقعا موقع تعذيب والمعنى لا يعذب أحد تعذيبا مثل تعذيب الله تعالى هذا الكافر ولا يوثق أحد توثيقا مثل إيثاق الله إياه بالسلاسل والأغلال أو لا يعذب أحد مثل تعذيب الكافر ولا يوثق مثل إيثاقه لكفره وعناده والوثاق بمعنى الإيثاق كالعطاء بمعنى الإعطاء إلا أن في إعمال اسم المصدر عمل مسماه خلافا مضطربا فنقل عن البصريين المنع وعن الكوفيين الجواز ونقل العكس عن الفريقين ومن الإعمال قوله

أكفرا بعد رد الموت عني • وبعد عطائك المائة الرتاعا •

ومن منع نصب المائة بفعل مضمر وأصرح من هذا قوله فإن كلامها شفاء لما بيا وقال المعنى ولا يحمل عذاب الإنسان أحد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى قاله الزمخشري وأما قراءة الباقين فإنه أسند الفعل لفاعله والضمير في عذابه ووثاقه يحتمل عوده على الباري تعالى بمعنى أنه لا يعذب في الدنيا مثل عذاب الله تعالى يومئذ أحد أي أن عذاب من يعذب في الدنيا ليس كعذاب الله تعالى يوم القيمة كذا قاله أبو عبد الله وقد نظر من حيث إنه يلزم أن يكون يومئذ معمولا للمصدر التشبيهي وهو ممتنع لتقدمه عليه إلا أن يقال يتوسع فيه وقيل المعنى لا يكل عذابه ولا وثاقه لأحد لأن الأمر لله تعالى وحده في ذلك وقيل المعنى أنه في الشدة والفظاعة في حيز لم يعذب أحد قط في الدنيا مثله ورد هذا بأن لا إذا دخلت على المضارع صيرته مستقبلا وإذا كان مستقبلا لم يطابق هذا المعنى ولا يطلق على الماضي إلا بمجاز بعيد وبأن يومئذ المراد به يوم القيامة لا دار الدنيا وقيل المعنى أنه لا يعذب أحد في الدنيا مثل عذاب الله الكافر فيها إلا أن هذا مردود بما ردف قبله ويحتمل عوده على الإنسان بمعنى لا يعذب أحد من الزبانية العذاب مثل ما يعذبون هذا الكافر أو يكون المعنى لا يحمل أحد عذاب الإنسان لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وهذه الأوجه صعبة المراد على طالبها من غير هذا الكتاب وقرأ نافع في رواية وأبو جعفر وشيبة بخلف عنهما وثاقه بكسر الواو والمراد بهذا الكافر المعذب قيل إبليس لعنة الله عليه لأنه أشد الناس عذابا وقال الفراء هو أمية بن خلف قوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة قرأ العامة يا أيتها بتاء التأنيث وقرأ زيد بن علي يا أيها كنداء المذكر ولم يجوز ذلك أحد إلا صاحب البديع وهذه شاهدة له وله وجه وهو أنها لما لم تطابق صفتها تثنية وجمعا جاز أن لا يطابقها تأنيثا تقول يا أيها الرجلان يا أيها الرجال فصل

لما وصف حال من اطمأن إلى الدنيا وصف حال من اطمأن إلى معرفته وعبوديته وسلم أمره إلى الله تعالى قيل هذا كلام الباري تعالى كرامة له كما كلم موسى عليه السلام وقيل هو من قول الملك لأولياء الله قال مجاهد وغيره المطمئنة بثواب الله وعن الحسن رضي الله عنه المؤمنة الموقنة وعن مجاهد أيضا الراضية بقضاء الله وقال مقاتل الآمنة من عذاب الله وفي حرف أبي بن كعب يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة وقيل التي عملت على يقين بما وعد الله تعالى في كتابه وقال ابن كيسان المطمئنة هنا المخلصة وقيل المطمئنة بالإيمان المصدقة بالبعث والثواب وقال ابن زيد المطمئنة التي بشرت بالجنة عند الموت وعند البعث ويوم الجمع قوله تعالى ارجعي إلى ربك راضية مرضية أي ارجعي إلى صاحبك وجسدك قاله ابن عباس وعكرمة وعطاء واختاره الطبري يدل عليه قراءة ابن عباس فادخلي في عبدي على التوحيد وقال الحسن ارجعي إلى ثواب ربك وقال أبو صالح ارجعي إلى الله وهذا عند الموت وقوله تعالى راضية مرضية حالان أي جامعة بين الوصفين لأنه لا يلزم من أحدهما الآخر والمعنى راضية بالثواب مرضية عنك في الأعمال التي عملتها في الدنيا

فصل قال القفال هذا وإن كان أمرا في الظاهر فهو خبر في المعنى والتقدير أن النفس إن كانت مطمئنة رجعت إلى الله تعالى وقال الله تعالى لها فادخلي في عبادي وادخلي جنتي قال ومجيء الأمر بمعنى الخبر كثير في كلامهم كقولهم إذا لم تستح فاصنع ما شئت

فصل قال سعيد بن زيد قرأ رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم يا أيتها النفس المطمئنة فقال أبو بكر رضي الله عنه ما أحسن هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الملك سيقولها لك يا أبا بكر وقال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطائف فجاء طائر لم ير على خلقته طائر قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يدرى من تلاها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية وروى الضحاك أنها نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه حين وقف بئر رومة وقيل نزلت في خبيب ابن عدي الذي صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه إلى المدينة فحول الله وجهه للقبلة قوله تعالى فادخلي في عبادي يجوز أن يكون في جسد عبادي ويجوز أن يكون المعنى في زمرة عبادي وقرأ ابن عباس وعكرمة وجماعة في عبدي والمراد الجنس وتعدي الفعل الأول بفي لأن الظرف ليس بحقيقي نحو ولجت في غمار الناس وتعدى الثاني بنفسه لأن الظرفية متحققة كذا قيل وهذا إنما يأتي على أحد الوجهين وهو أن المراد بالنفس بعض المؤمنين وأنه أمر بالدخول في زمرة عباده وأما إذا كان المراد بالنفس الروح وأنها مأمورة بدخولها في الأجساد فالظرفية متحققة فيه أيضا

فصل قال ابن عباس هذا يوم القيمة وهو قول الضحاك والجمهور على أن المراد بالجنة دار الخلود التي هي سكن الأبرار ودار الصالحين والأخيار ومعنى في عبادي أي في الصالحين كقوله تعالى لندخلنهم في الصالحين قال ابن الخطيب ولما كانت الجنة الروحانية غير متراخية عن الموت في حق السعداء لا جرم قال تعالى فادخلي في عبادي بفاء التعقيب ولما كانت الجنة الجسمانية لا يحصل الكون فيها إلا بعد قيام القيامة الكبرى لا جرم قال تعالى وادخلي جنتي بالواو والله تعالى أعلم روى الثعلبي عن أبي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في ليال عشر غفر له ومن قرأها في سائر الأيام كانت له نورا يوم القيمة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة البلد مكية

وهي عشرون آية واثنتان وثمانون كلمة وثلاث مائة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى لا أقسم بهذا البلد يجوز أن تكون لا زائدة كما تقدم في لا أقسم بيوم القيمة قاله الأخفش أي أقسم لأنه قال بهذا البلد وقد أقسم به في قوله تعالى وهذا البلد الأمين فكيف يجحد القسم وقد أقسم به سبحانه قال الشاعر

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة • وكاد صميم القلب لا يتقطع

أي يتقطع ودخل حرف لا صلة كقوله تعالى ما منعك ألا تسجد وقد قال تعالى في سورة ص ما

منعك ان تسجد وقرا الحسن والاعمش وابن كثير لاقسم من غير الف بعد اللام اثباتا واجاز
الاخفش ايضا ان يكون بمعنى الا وقيل لست بنفي القسم وانما كقول العرب لا وابيك لا فعلت كذا
لا والله ما كان كذا الا والله لا تفعلن كذا او قيل هي نفي صحيح والمعنى لا اقسم بهذا البلد اذا لم تكن
فيه بعد خروجك منه حكاه مكي ورواه ابن ابي نجيح عن مجاهد قال لا رد عليهم وهذا اختيار ابن
العربي لانه قال واما من قال انها رد فهو قول ليس له رد لان يصح به المعنى ويتمكن اللفظ والمراد
فهو رد الكلام من انكر البعث ثم ابتدا القسم واجمعوا على ان المراد بالبلد مكة المشرفة اي اقسم
بالبلد الحرام الذي انت فيه لكرامتك علي وحبي لك قوله تعالى وانت حل بهذا البلد فيه وجهان
احدهما ان الجملة اعتراضية على احد معنيين اما على معنى انه تعالى اقسم بهذا البلد وما بعده على
ان الانسان في كبد واعترض بينهما بهذه الجملة يعني ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك
يستحل بهذا البلد كما يستحل الصيد في غير الحرم واما على معنى انه اقسم ببلده على ان الانسان لا يخلو
من مقاساة الشدايد واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية فقال تعالى وانت حل
به فيما يستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر فحل بمعنى حلال قال معناه الزمخشري
ثم قال فان قلت اين نظير قوله تعالى وانت حل في معنى الاستقبال قلت قوله تعالى انك
ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد يقول لمن تعده الاكرام والحبا انت مكرم محبو
وهو في كلام الله تعالى اوسع لان الاحوال المستقبلة وان تعتبره بالحال محال ان السورة
بالاتفاق مكية وان الهجرة وقت نزولها فما بال الفتح الثاني من الوجهين الاولين ان الجملة
حالية اي لا اقسم بهذا البلد وانت حال بها لعظم قدرك اي لا اقسم بشيء وانت احق بالاقسام
بك منه وقيل المعنى لا اقسم به وانت تستحل فيه اي مستحل اذاك فصل اجمع المفسرون
على ان ذلك البلد مكة وفضلها معروف فانه تعالى جعلها حرما امنا وقال تعالى ومن
دخله كان امنا وجعل مسجده قبلة لاهل المشرق والمغرب وقال تعالى وحيث ما كنتم
فولوا وجوهكم شطره وامر الناس بحج البيت فقال ولله على الناس حج البيت وقال تعالى
واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وقال تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت وقال
تعالى يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق وشرف مقام ابراهيم عليه السلام بقوله
تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وحرم صيده وجعل البيت المعمور بازائه ودحيت الارض من
تحته فهذه الفضايل واكثرها لما اجتمعت في مكة لا جرم اقسم الله تعالى بها فصل
روي منصور عن مجاهد وانت حل قال ما صنعت فيه من شيء فانت في حل وكذا قال ابن
عباس احل له يوم دخل مكة ان يقتل كل من شاء فقتل ابن خطل ومقيس بن صبابة وغيرهما
ولم يحل لاحد من الناس ان يقتل بها احدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال السدي
انت في حل مما قاتلك ان تقتله وروي ابو صالح عن ابن عباس قال احلت له ساعة من
النهار ثم حرمت الى يوم القيامة وذلك فتح مكة قال ابن زيد لم يكن بها احد حلالا غير النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل معناه وانت مقيم فيه وهو محلك اي من اهل مكة نشات
بينهم ويعرفون فضلك وطهارتك لقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم وقيل انت فيه
محسن وانا عنك فيه راضي وذكر اهل اللغة انه يقال رجل حل وحلال ومحل ورجل حرم
وحرام ومحرم وقال قتادة وانت حل به اي لست باثم وقيل معناه انك غير مرتكب في هذا
البلد ما يحرم عليك ارتكابه معرفة منك بحق هذا البيت لا كالمشركين الذين يرتكبون الكفر
بالله تعالى فيه وقال شرحبيل بن سعيد وانت حل بهذا البلد اي حلال اي يحرمون بمكة
ان يقتلوا بها صيدا او يعضدوا بها شجرة مع هذا يستحلون اخراجك وقتلك ففيه تعجب من
جراتهم وشدة عداوتهم قوله تعالى ووالد وما ولد قيل ما معنى وقيل مصدرية اي اقسم
بالشخص وفعله وقال الزمخشري فان قلت هلا قيل ومن ولد قلت فيه ما في قوله والله
اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت اي موضوعا عجيب الشان وقيل ما نافية فيحتاج الى
اضمار موصول به يصح الكلام تقديره والذي ما ولد وان المراد بالوالد من يولد له وبالذي
لم يلد العاقر قال معناه ابن عباس وتلميذه ابن جبير وعكرمة فصل هذا معطوف
على قوله لا اقسم بهذا البلد وقوله تعالى وانت حل بهذا البلد معترض بين المعطوف والمعطوف

عليه قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والحسن وابو صالح والطبري المراد بالوالد
ادم عليه السلام وما ولد اي ما تناسل من ولده اقسم بهم لانهم اعجب ما خلق الله تعالى على وجه
الارض لما فيهم من البيان والنطق والتدبير واخراج العلوم وفيهم الانبيا والدعاة الى الله
تعالى والانصار لدينه وامر الملائكة بالسجود لادم عليه السلام وعلمه الاسما كلها وقد قال
تعالى ولقد كرمنا بني ادم وقيل هو اقسام بادم والصالحين من ذريته واما الصالحون فكانهم
بهائم كما قال تعالى ان هم الا كالانعام بل هم اضل صم بكم عمي فهم لا يرجعون وقيل الوالد
ابراهيم عليه السلام وما ولد ذريته وقيل الوالد ابراهيم واسماعيل وما ولد محمد صلى الله عليه
وسلم لانه اقسم بمكة وابراهيم قال الفرا وصالح ما للناس كقوله ما طاب لكم وقوله تعالى وما
خلق الذكر والانثى وهو الخالق للذكر والانثى قال الماوردي ويحتمل ان الوالد النبي صلى الله
عليه وسلم لتقدم ذكره وما ولد امته لقوله عليه الصلاة والسلام انما انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم
فاقسم به وبامته بعد ان اقسم ببلده مبالغة في تشريفه عليه الصلاة والسلام قوله تعالى
لقد خلقنا الانسان في كبد هذا هو المقسم عليه والكبد المشقة قال الزمخشري واصله من كبد
الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت
المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه واصله كبده اي اصاب كبده قال لبيد يا عين هلا بكيت اربد
اذ قمنا وقام الخصوم في كبد اي في شدة الامر وصعوبة الخطب وقال ابو الاصبع الى ابن عم لو ان
الناس في كبد لظل محتجزا بالنبل يرميني قال القرطبي ومنه تكبد اللبن غلظ وخثر واشتد ومنه
الكبد لانه تغلظ واشتد ويقال كابدت هذا الامر قاسيت شدته فصل الانسان
ها هنا ابن ادم قال ابن عباس والحسن رضي الله عنهما في كبد اي شدة ونصب وعن ابن عباس ايضا
في شدة من حمله وولادته ورضاعه ونبت اسنانه وساير احواله وروي عكرمة عنه قال منتصبا
في بطن امه والكبد الاستوا والاستقامة فهذا امتنان عليه في الحقيقة ولم يخلق الله تعالى دابة
في بطن امها الا منكبة على وجهها الا ابن ادم فانه منتصب انتصابا وهو قول النخعي ومجاهد وغيرهما
قال ابن كيسان منتصبا في بطن امه فاذا اراد الله تعالى ان يخرجه من بطن امه قلب راسه الى
رجل امه وقال الحسن كابد مصايب الدنيا وشدايد الاخرة وقال يمان لم يخلق الله تعالى خلقا
يكابد ما يكابد ابن ادم وهو مع ذلك اضعف الخلق قال بعض العلما اول ما يكابد قطع سرته
ثم اذا قمط قماطا وشد رباطا يكابد الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع ولو فاته ضاع ثم يكابد
نبت اسنانه ثم يكابد الفطام الذي هو اشد من اللطام ثم يكابد الختان والاوجاع ثم المعلم
وصولته والمؤدب وسياسته والاستاذ وهيبته ثم يكابد شغل التزويج وشغل الاولاد والخدم
وشغل المسكن ثم الكبر والهرم وضعف الركب والهرم في مصايب تكثر تعدادها من صداع الراس ووجع
الاضراس ورمد العين وهم الدين ووجع السن والم الاذن ويكابد محنا في المال والنفس من الضرب
والحبس ولا يمضي عليه يوم الا يقاسي فيه شدة ثم يكابد بعد ذلك مشقة الموت ثم بعده مسايلة
الملك وضغطة القبر وظلمته ثم البعث والعرض على الله تعالى الى ان يستقر به القرار اما في الجنة واما
في النار قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد فلو كان الامر اليه ما اختار هذه الشدايد
ودل هذا على ان له خالقا دبره وقضى عليه بهذه الاحوال فليمتثل امره وقال ابن زيد المراد
بالانسان هنا ادم عليه السلام وقوله تعالى في كبد اي في وسط السما وقال الكلبي نزل هذا في
رجل من بني جمح يقال له ابو الاشدين واسمه اسيد بن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا ياخذ
الاديم العكاظي فيجعله تحت قدميه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة حتى يتمزق
الاديم ولا يزول قدمه وكان من اعداء النبي صلى الله عليه وسلم وفيه نزل ايحسب ان لن يقدر عليه
احد يعني لقوته وقال الترمذي في كبد اي مضيعا ما يعنيه مشتغلا بما لا يعنيه قوله تعالى
ايحسب ان لن يقدر عليه احد اي ايظن ابن ادم ان لن يعاقبه الله تعالى قال ابن الخطيب ان فسرنا
الكبد بالشدة والقوة فالمعنى ايحسب الانسان الشديد ان لشدته لا يقدر عليه احد وان فسرناه
بالمحنة والبلا كان المعنى ان الانسان كان في النعمة والقدرة افيظن انه في تلك الحالة لا يقدر عليه
فهو استفهام على سبيل الانكار قوله تعالى يقول اهلكت يجوز ان تكون مستانفة وان يكون
حالا وقرا العامة لبدا بضم اللام وفتح البا وشدد ابو جعفر البا جمع لابد مثل راكع وركع وساجد

وسجد وشاهد وسهد وعنه ايضا سكونها ومجاهد وابن مجاهد وابن ابي الزناد بضمتين
وتقدم الكلام على هذه اللفظة في سورة الجن قال ابو عبيده لبد فعل من التلبيد وهو المال
الكثير بعضه على بعض قال الزجاج فعل للكثرة يقال رجل حطم اذا كان كثير الحطم قال الفرا
واحدته لبدة ولبد جمع وجعل بعضهم واحدا كقثم وحطم وهو في الوجهين للكثرة والمعنى
انفقت مالا كثيرا مجتمعا لان اهل الجاهلية يدعونه مكارم ومفاخر قوله تعالى ايحسب ان
لم يره احد اي ايظن ان لم يعاينه احد بل علم الله ذلك منه وكان كاذبا في قوله اهلكت وقال
ايظن ان لم يره ولا يساله عن ماله من اين كسبه واين انفقه وقال ابن عباس كان ابو الاشدين
يقول انفقت في عداوة محمد مالا كثيرا وهو في ذلك كاذب وقال مقاتل نزلت في الحرث
ابن عامر بن نوفل اذنب فاستفتى النبي صلى الله عليه وسلم فامره ان يكفر فقال لقد ذهب مالي
في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول منه يحتمل
ان يكون استطالة بما انفق فيكون طغيانا منه او اسفا عليه فيكون ندامة منه قال القرطبي
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقرا ايحسب بضم السين في الموضعين وقال الحسن
يقول اتلفت مالا كثيرا فمن يحاسبني به الم يعلم بان الله تعالى قادر على محاسبته وان الله
يرى صنيعه ثم عدد عليه نعمه فقال تعالى الم يعلم بان الله يرى الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا
ينطق به وشفتين ليستر بهما ثغره والمعنى نحن فعلنا ذلك ونحن نقدر على ان نبعثه ونحصي عليه
عمله قوله شفتين الشفة محذوفة اللام والاصل شفهة بدليل تصغيرها على شفيهة وجمعها
على شفاه ونظيره سنة في احدى وشافهته اي كلمته من غير واسطة ولا يجمع بالالف والتاء
استغنا بتكسيرها عن تصحيحها قال القرطبي ويقال شفهات وشفوات والها اقيس والواو
تشبيها بالسنوات قال الازهري يقال هذه شفة في الوصل وشفه بالها والتاء قوله تعالى
وهديناه النجدين يعني الطريقين طريق الخير وطريق الشر روى قتادة قال ذكر لنا ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يقول يا ايها الناس انما هو النجدان نجد الخير ونجد الشر فلم يجعل نجد الشر احب
اليك من نجد الخير فكانه لما وضحت الدلايل جعلت كالطريق المرتفعة العالية لكونها واضحة للعقول
لوضوح الطريق العالي للابصار ونظيره قوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا بعد
قوله فجعلناه سميعا بصيرا وروى عكرمة قال النجدين الثديان وهو قول سعيد بن المسيب
والضحاك وروي عن ابن عباس وعلي رضي الله عنهما لانهما كالطريقين لحياة الولد فقوله النجدين
اما طراق واما على حذف الجار اي اريد بهما الثديان والنجد في الاصل العنق لارتفاعه وقيل الطريق
العالي قال امرؤ القيس • فريقان منهم قاطع بطن نخلة • واخر منهم جازع نجد كبكب •
ومنه سميت نجد لعلوها عن انخفاض تهامة قوله تعالى فلا اقتحم العقبة قال الفرا والزجاج
ذكر لا مرة واحدة والعرب لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضي حتى تعيد لا كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى
وانما افردها لدلالة الكلام على معناه فيجوز ان يكون قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا قايما
مقام التكرير كانه قال فلا اقتحم العقبة ولا امن وقال الزمخشري هي متكررة في المعنى لان معنى فلا
اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا الا ترى انه فسر العقبة بذلك قال ابو حيان ولا يتم
له هذه الا على قراءة فك فعلا ماضيا وقال الزجاج وابو علي وذكره البخاري عن مجاهد ان قوله
تعالى ثم كان من الذين امنوا يدل على ان لا بمعنى ولا يلزم التكرير مع ثم فان كررت لا كقوله فلا
صدق ولا صلى فهو كقوله تعالى لم يسرفوا ولم يقتروا **فصل** المعنى فهلا انفق ماله الذي
يزعم انه انفقه في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم هلا انفقه في اقتحام العقبة فيامن والاقتحام
الرمي بالنفس في شي من غير روية يقال منه تقحم في الامر تقحما اي رمى بنفسه فيه من غير
روية وقحم الفرس فارسه تقحيما على وجهه اذا رماه وتقحيم النفس في الشي ادخالها فيه من غير
روية والقحمة بالضم المهلكة والسنة الشديدة يقال اصابت الاعراب القحمة اذا اصابهم قحط
فدخلوا الريف والقحم صعاب الطريق قال عطا يريد عقبة جهنم وقال مجاهد والضحاك
هي الصراط قال الواحدي وهذا فيه نظر لان من المعلوم ان هذا الانسان وغيره لم يقتحموا عقبة
جهنم ولا جاوزوها وقال ابن العربي قال مجاهد اقتحام العقبة في الدنيا لانه فسره بعد ذلك
بقوله فك رقبة او اطعم في يوم يتيما او مسكينا وهذه الاعمال انما تكون في الدنيا وقال الحسن ومقاتل

هذا مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والشيطان في اعمال البر فالعقبة قوله تعالى
فلا اقتحم العقبة معناه فهلا انفق ماله فيما فيه اقتحام العقبة وقيل معنى قوله تعالى فلا اقتحم
العقبة دعا اي فلا نجا ولا سلم من لم ينفق ماله في كذا وكذا وقيل شبه عظيم الذنوب وثقلها بالعقبة
فاذا اعتق رقبة او عمل صالحا كان مثله كمثل من اقتحم العقبة وهي الذنوب تضره وتوذيه وتثقله
ثم قال تعالى وما ادراك ما العقبة قال سفيان بن عيينة كل شي قال فيه وما ادراك فانه اخبر
به وكل شي قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به والمعنى وما ادراك ما اقتحام العقبة وهذا تعظيم
لالتزام امر الدين والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ليعلمه اقتحام العقبة ثم انه تعالى فسر العقبة
قوله فك رقبة قرا ابو عمرو وابن كثير والكسائي فك فعلا ماضيا ورقبة نصبا او اطعم فعلا ماضيا
والباقون فك برفع الكاف اسما رقبة خفض بالاضافة او اطعام اسم مرفوع ايضا فالقراءة الاولى
الفعل فيها بدل من قوله اقتحم فهو بيان له كانه قيل فلا فك رقبة ولا اطعم والثانية يرتفع فيها
شك على انها خبر مبتدا اي هو فك رقبة او اطعام على معنى الاباحة وفي الكلام حذف مضاف دل عليه
فلا اقتحم تقديره وما ادراك ما اقتحام العقبة فالتقدير اقتحام العقبة فك رقبة او اطعام وانما احتيج
الى تقدير هذا المضاف ليطابق المفسر والمفسر الا ترى ان المفسر بكسر السين مصدر والمفسر بفتح السين وهو
العقبة غير مصدر فلو لم يقدر مضافا لكان المصدر وهو فك مفسرا للعين وهي العقبة وقرا امير
المومنين وابو رجا فك او اطعم فعلين كالتقدم الا انهما نصبا ذا بالالف وقرا الحسن اطعام وذا بالالف
ايضا وعلى هاتين القراءتين مفعول اطعم واطعام يتيما حينئذ بدل منه او نعت له وهو في قراءة
العامة ذي باليا نعتا ليوم على سبيل المجاز وصفا اليوم بالجوع مبالغة كقولهم ليلك قايم ونهارك
صايم والفاعل لاطعام محذوف وهذا احد المواضع التي تطرد فيها حذف الفاعل وحده عند البصريين
فصل بين وجوها من القرب المالية وقال ابن زيد وجماعة من المفسرين معنى الكلام الاستفهام
على معنى الانكار تقديره فلا اقتحم العقبة يقول هلا انفق ماله في فك الرقاب واطعام الضيفان
فيكون خيرا له من انفاقه في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم **فصل** الفك التفريق ومنه
فك القيد والفك الرقبة فرق بينها وبين صفة الرق بايجاد الحرية وابطال العبودية ومنه فك
الرهن وهو ازالته عن المرتهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امرئ مسلم اعتق امرا مسلما كان
فكاكه من النار يجزي بكل عضو منه عضوا منه الحديث وسمي المرقوق رقبة لانه بالرق كالاسير المربوط في رقبته
وسمي عتقها فكا كفك الاسير من الاسر قال
• كم من اسير فككناه بلا ثمن • وجز ناصية كنا مواليها •
قال الماوردي ويحتمل انه اراد فك رقبته وخلاص نفسه باجتناب المعاصي وفعل الطاعات ولا يمنع
الخبر من هذا التاويل وهو اشبه بالصواب **فصل** قال ابو حنيفة رحمه الله العتق افضل
من الصدقة لانه قدم العتق في الاية على الصدقة قال صاحباه الصدقة افضل قوله تعالى
او اطعم في يوم ذي مسغبة اي مجاعة والسغب الجوع والساغب الجايع قال شهاب الدين والمسغبة
الجوع مع التعب وربما قيل في العطش مع التعب قال الراغب يقال منه سغب الرجل يسغب سغبا
وسغوبا فهو ساغب وسغبان والمسغبة مفعلة منه انشد ابو عبيده
• فلو كنت جارا لابن قيس بن عاصم • لبات شبعانا وجارك ساغبا •
فصل اطعام الطعام فضيلة وهو مع السغب الذي هو الجوع افضل وقال النخعي في قوله
تعالى في يوم ذي مسغبة قال في يوم عزيز فيه الطعام قوله تعالى يتيما ذا مقربة اي قرابة
قال الزمخشري المسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال
فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر وهذه الاية تدل على ان الصدقة على القرابة افضل
منها على الاجانب واليتيم قال بعض العلماء اليتيم في الناس من قبل الاب وفي البهايم من قبل الامهات
وقال بعضهم اليتيم الذي يموت ابواه قال قيس بن الملوح
• الى الله اشكو فقد ليلى كما شكى • الى الله فقد الوالدين يتيم •
ويقال يتم الرجل يتما اذا ضعف قوله تعالى او مسكينا ذا متربة اي لا شي له حتى كانه قد لصق بالتراب
من الفقر يقال ترب اي افتقر حتى لصق جلده بالتراب فاما اترب بالالف فمعناه استغنى نحو اثرى
كالتراب وكالثرى قال المفسرون هو الذي ليس له ماوى الا التراب وقال ابن عباس هو المطروح على

الطريق الذي لا نبت له وقال مجاهد الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره وقال قتادة
ذو العيال وقال عكرمة عن ابن عباس ذو المتربة هو البعيد عن وطنه **فصل** احتجوا
بهذه الآية على ان المسكين قد يملك شيئا لانه لو كان المسكين هو الذي لا يملك شيئا البتة لكان تقييده
بقوله ذا متربة تكرير قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا التراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضل
عن العتق والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق ولا يثبت عمل الا به قاله الزمخشري
وقيل المعنى ثم كان في عاقبة امره من الذين وافوا الموت على الايمان لان الموافاة عليه شرط في الانتفاع
بالطاعات وقيل التراخي في الذكر قال المفسرون معناه انه لا يقتحم العقبة من فك رقبة او اطعم
في يوم ذي مسغبة حتى يكون من الذين آمنوا اي صدقوا فان شرط قبول الطاعات الايمان بالله
تعالى فالايمان بعد الانفاق لا ينفع قال تعالى في المنافقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم
الا انهم كفروا بالله وقيل ثم كان من الذين آمنوا اي فعل هذه الاشيا وهو مؤمن ثم بقي على ايمانه حتى
الموافاة ثم كان مع تلك الطاعات من الذين آمنوا ونظيره قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن
وعمل صالحا ثم اهتدى وقيل المعنى ثم كان من الذين يؤمنون بان هذا نافع لهم عند الله تعالى
وقيل اتى بهذه القرب لوجه الله تعالى ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان ثم بمعنى الواو اي وكان
هذا المعتق للرقبة والمطعم في المسغبة من الذين آمنوا قوله وتواصوا بالصبر اي وصى بعضهم
بعضا على طاعة الله تعالى وعن معاصيه وعلى ما اصابهم من البلاء ومن المصائب وتواصوا بالمرحمة
اي بالرحمة على الخلق فانهم اذا فعلوا ذلك رحموا اليتيم والمسكين ثم انه تعالى بينهم فقال تعالى
اولئك اصحاب الميمنة اي الذين يؤتون كتبهم بايمانهم قاله محمد بن كعب وقال يحيى بن سلام
لانهم ميامين على انفسهم وقال ابن زيد لانهم اخذوا من شق آدم الايمن وقال ميمون بن مهران
لان منزلتهم عن اليمين قوله تعالى والذين كفروا باياتنا اي القرآن هم اصحاب المشأمة اي يأخذون
كتبهم بشمائلهم قاله محمد بن كعب وقال يحيى بن سلام لانهم مشائيم على انفسهم وقال ابن زيد لانهم
اخذوا من شق آدم الايسر وقال ميمون لان منزلتهم على اليسار وقال القرطبي ويجمع هذه الاقوال
اصحاب الميمنة هم اصحاب الجنة واصحاب المشأمة اصحاب النار قوله تعالى عليهم نار مؤصدة
قرا ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمز والباقون بالواو وكذا في الهمزة فالقراءة الاولى من آصدت الباب
اي اغلقته اوصده وهو موصد فيكون ويحتمل ان يكون من اوصدت ولكنه همز الواو الساكنة لضمة
ما قبلها كما همز بالسوق والاعناق كما تقدم والقراءة الثانية ايضا تحتمل المادتين ويكون قد
خففت الهمزة لسكونها بعد ضمة وقد نقل القراء عن السوسي الذي قاعدته ابدال مثل هذه الهمزة
انه لا يبدل هذه وعللوا ذلك بالالتباس وايقن انه قد قرا موصده بالواو ومن قاعدته تحقيق
الهمزة والظاهر ان القراءتين من مادتين الاولى من آصد يؤصد كاكرم يكرم والثانية من اوصد
يوصد مثل اوصل يوصل وقال الشاعر

تحن الى جبال مكة ناقتي ... ومن دونها ابواب صنعاء مؤصده

اي مغلقة وقال آخر: قوم تعالج قملا ابناؤهم ... وسلاسلا حلقا وبابا موصدا

وكان ابو بكر راوي عاصم يكره الهمز في هذا الحرف وقال لنا امام يهمز مؤصدة فاشتهي ان اسد
اذني اذا سمعته قال شهاب الدين وكانه لم يحفظ عن شيخه الا ترك الهمزة مع حفظ حفص اياه عنه
وهو اضبط للحرف من ابي بكر على ما نقله القراء وان كان ابو بكر اكبر واتقن واوثق عند اهل الحديث
قال القرطبي واهل اللغة يقولون اوصدت الباب وآصدته اي اغلقته فمن قال اوصدت فالاسم
الوصاد ومن قال آصدت فالاسم الاصاد قال الفراء ويقال من هذا الاصيد وهو الباب المطبق
ومعنى موصده اي مطبقة مغلقة وقيل مبهمة لا يدري ما داخلها وقوله تعالى عليهم نار يجوز ان
تكون جملة مستانفة وان يكون خبرا ثانيا وان يكون الخبر وحده عليهم ونار فاعل به وهو الاحسن
وقيل معنى عليهم نار اي احاطت النار بهم كقوله تعالى احاط بهم سرادقها والله اعلم روى الثعلبي
عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا لا اقسم بهذا البلد
اعطاه الله الامن من غضبه يوم القيامة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وعظم

سورة والشمس مكية

وهي خمسة عشر آية واربع وخمسون كلمة ومائتان وسبعون حرفا والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والشمس وضحاها قد تقدم ان جماعة من اهل الاصول قالوا التقدير ورب الشمس
ورب سائر ما ذكر الى تمام القسم واحتج قوم على بطلان هذا القول بان في جملة هذا القسم والسماء
وما بناها وذلك هو الله تعالى لا يجوز ان يكون المراد منه تعالى ان تقدم قسمه بغيره على قسمه بنفسه
فاذن لا بد من التاويل وهو ان ما مع ما بعده في حكم المصدر فيكون التقدير والسماء وبنائها واعترض
الزمخشري عليه فقال لو كان الامر على هذا الوجه لزم من عطف قوله فالهمها عليه فساد النظم قوله
وضحاها تقدم الكلام على هذه المادة في سورة طه قال المبرد ان الضحى والضحوة مشتقان من الضح
وهو النور فابدلت الالف والواو من الحاء تقول ضحوة وضحوات وضحى فالواو من ضحوة مقلوبة عن
الحاء الثانية والالف في ضحى مقلوبة عن الواو وقال ابو الهيثم الضح نقيض الظل وهو نور الشمس
على وجه الارض واصله الضحى فاستثقلوا الياء مع سكون الواو فقلبوها الفا والضحى مؤنثة يقال ارتفعت
الضحى فوق الصخور وقد تذكر فمن انث ذهب الى انها جمع ضحوة ومن ذكر ذهب الى انه اسم على فعل نحو
صرد ونغر وهو ظرف غير متمكن مثل سحر تقول لقيته ضحى وضحى اذا اردت به ضحى يومك لم تنونه وقال
الفراء الضحى هو النهار كقول قتادة والمعروف عند العرب ان الضحى اذا طلعت الشمس وبعيد ذلك قليلا
فاذا زاد فهو الضحاء بالمد ومن قال الضحى النهار كله فذلك لدوام نور الشمس ومن قال انه نور الشمس
او حر الشمس فنور الشمس لا يكون مع حر الشمس واستدل من قال ان الضحى حر الشمس لقوله تعالى ولا
تضحى اي لا يؤذيك الحر **فصل** قال مجاهد وضحاها اي ضوؤها واشراقها واضاف الضحى الى
الشمس لانه انما يكون بارتفاع الشمس وقال قتادة نهارها وقال السدي حرها وقال اليزيدي
انبساطها وقيل ما ظهر بها من كل مخلوق فيكون القسم بها وبكل مخلوق في الارض حكاه الماوردي قال
ابن الخطيب انما اقسم بالشمس وضحاها لكثرة ما يتعلق به من المصالح فان اهل العالم كانوا كالاموات
في الليل فلما ظهر الصبح في المشرق صار ذلك الضوء كالروح الذي تنفخ فيه الحياة فصارت الاموات
احياء ولا تزال تلك الحياة في القوة والزيادة الى غاية كمالها وقت الضحوة وذلك يشبه
استقرار اهل الجنة قوله تعالى والقمر اذا تلاها اي تبعها وذلك ان سقطت رؤي الهلال قال الليث
يقال تلوت فلانا اذا تبعته وقال ابن زيد اذا غربت الشمس في النصف الاول من الشهر تلاها اخذ
منها يعني ان القمر اخذ من ضوء الشمس وقال الزجاج اذا تلاها اي حين استوى واستدار وكان مثلها
في الضياء والنور وقال قتادة والكلبي معناه ان الشمس اذا غربت فالقمر يتبعها ليلة الهلال في الغروب
وقيل يتلوها في كبر الجرم بحسب الحس في ارتباط مصالح هذا العالم بحركته قوله تعالى والنهار اذا
جلاها الفاعل ضمير النهار وقيل عائد على الله تعالى والضمير المنصوب اما للشمس واما للظلمة واما
للارض ومعنى جلاها اي كشفها فمن قال هي الشمس فالمعنى انه يبين بضوئه جرمها ومن قال هي
الظلمة فهي وان لم يجر لها ذكر كقولك اصبحت باردة اي اصبحت غداتنا باردة وهو قول الفراء والكلبي وغيرهما
ومن قال هي الدنيا والارض وان لم يجر لهما ذكر كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب قوله اذا تلاها وما
بعده فيه اشكال لان اذا ان جعلت شرطا اقتضى جوابا ولا جواب لفظا وتقديره غير صالح وان جعلت محضا
استدعى عاملا وليس هنا عامل الا فعل القسم واعماله مشكل لان فعل القسم حال لانه انشاء واذا
ظرف مستقبل والحال لا يعمل في المستقبل وسيأتي جوابه قريبا ان شاء الله تعالى وبعض اذا وجلاها
وما بعدها اشكال آخر ذكره الزمخشري قال فان قلت الامر في نصب اذا معضل لانك لا تخلو اما ان
تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين وفي نحو قولك مررت امس
بزيد واليوم عمرو واما ان تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه قلت الجواب
فيه ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شأن خلاف شأن الباء حيث ابرز معها
الفعل واضمر فكانت قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما والواوات العواطف نوائب هذه الواو فحقهن
ان يكن عوامل على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها
مقام ضرب الذي هو عاملهما انتهى قال ابو حيان اما قوله في واوات العطف تنصب وتجر
فليس هذا بالمختار على ان يكون حرف العطف عاملا لقيامه مقام العامل بل المختار ان العامل انما

هو العامل في المعطوف عليه ثم اخذ الاستاذ في ذلك وقوله فيمتنع في العطف على عاملين ليس
ما في الاية من العطف على عاملين وانما هو من باب عطف اسمين مجرور ومنصوب على اسمين مجرور
ومنصوب فحرف العطف لم ينب مناب عاملين وذلك نحو قولك امرر بزيد قايما وعمرو جالسا وانشد
سيبويه في كتابه وليس بمعروف لنا ان نردها صحاحا ولا مستنكر ان لعقرا فهذا من عطف مجرور ومرفوع
على مجرور ومرفوع والعطف على عاملين فيه اربعة مذاهب ونسب الجواز الى سيبويه وقوله وفي قولك
مررت امس بزيد واليوم عمرو وهذا المثال مخالف لما في الاية بل وزان ما في الاية مررت بزيد امس
وعمرو اليوم ونحن بخير هذا واما قوله على استكراه فليس كما ذكر بل كلام الخليل على المنع قال الخليل
في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخيرتان ليس
بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان الاسما الى الاسما في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى
بمنزلة البا والتا واما قوله ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فليس هذا الحكم مجمعا عليه
بل اجاز ابن كيسان التصريح بفعل القسم مع الواو فيقول اقسم واحلف والله لزيد قايم واما قوله
والواوات العواطف نوايب عن هذا الى اخره فيبنى على ان حرف العطف عامل لنيابته مناب
العامل وليس هذا بالمختار قال والذي نقول ان الفعل هو تقديره العامل في اذا بعد الاقسام كقوله
تعالى والنجم اذا هوى والليل اذا ادبر والصبح اذا اسفر والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل
اذا يغشى وما اشبهها فاذا ظرف مستقبل لا جايز ان يكون العامل فيه فعل القسم المحذوف لانه فعل انشاي
فهو في الحال فنافى ان يعمل في المستقبل لاختلاف زمان العامل وزمان المعمول ولا جايز ان يكون ثم
مضاف محذوف اقيم المقسم به مقامه اي وطلوع النجم ومجي الليل لانه معمول لذلك الفعل فالطلوع
حال ولا يعمل في المستقبل ضرورة اي زمان العامل زمان المعمول ولا جايز ان يعمل فيه نفس المقسم
به لانه ليس من قبيل ما يعمل لا سيما ان كان جرما ولا جايز ان يكون ثم مضاف محذوف اقيم المقسم
به مقامه اي وطلوع النجم ومجي الليل لانه معمول لذلك الفعل ولا جايز ان يكون ثم مضاف محذوف
اقيم المقسم به مقامه اي وطلوعه اي تقدير محذوف قبل الظرف فيكون قد عمل فيه ويكون ذلك العامل
في موضع الحال وتقديره والنجم كاينا اذا هوى والليل كاينا اذا يغشى لانه يلزم كاينا ان لا يكون منصوبا
بعامل ولا يصح ان يكون معمولا لشي مما فرضناه ان يكون عاملا وايضا فقد يكون المقسم به جثة وظروف
الزمان لا يكون احوالا عن الجثث كما لا يكون اخبارا انتهى ما رد به ابو حيان وما استشكله من امر العامل
في اذا قال شهاب الدين ان المختار ان حرف العطف لا يعمل لقيامه مقام العامل فلا يلزم ان القسم القسم
لانه يختار القول الاخر وقوله ليس ما في الاية من العطف على عاملين ممنوع بل فيه العطف
على عاملين ولكنه فيه غموض وبيان انه من العطف على عاملين ان قوله والنهار اذا جلاها هنا
معمولان احدهما مجرور وهو النهار والاخر منصوب وهو الظرف عطفا على معمول عاملين والعامل
هما في فعل المقسم به الناصب لاذا والواو القسم الجارة فقد تحقق معك عاملان معمولان
فاذا عطفت مجرورا على مجرور وظرفا على ظرف معمولين لعاملين لزم ما قاله ابو القسم وكيف يجهل هذا
مع التامل والتحقيق واما قوله وانشد سيبويه الى اخره فهو اعتراف منه بان من العطف على
عاملين غاية ما في الباب انه استند الى جاه سيبويه واما قوله اجاز ابن كيسان فلا يلزم مذهبه
واما قوله فالمثال ليس كالاية بل وزانها الى اخره فصحيح لما فيه من تقديم الظرف الثاني على
المجرور المعطوف والاية الظرف فيهما متاخر وانما مراد الزمخشري وجود معمولي عاملين وهو
موجود في المثال المذكور الا ان فيه اشكالا اخر وهو انه كالتكرير للمسئلة واما قوله بل كلام الخليل
يدل على المنع الى اخره فليس فيه ورد عليه بالنسبة الى ما قصده بل فيه تقوية لما قاله غايته ما في
الباب انه عبر بالاستكراه عن المنع ولم يفهم المنع وقوله ولا جايز ان يكون ثم مضاف محذوف
الى اخره فاقول بل يجوز تقديره وهو العامل ولا يلزم ما قال من اختلاف الزمانين لانه يجوز
ان يقسم الان بطلوع النجم في المستقبل فالقسم في الحال والطلوع في المستقبل ويجوز ان يقسم
بالشي الذي سيوجد وقوله ولا جايز ان يقدر محذوف قبل الظرف فيكون قد عمل فيه الى اخره
ليس بممنوع بل يجوز ذلك ويكون حالا مقدرة وقوله يلزمه ان لا يكون له عامل ليس كذلك بل له
عامل وهو فعل القسم ولا يضر كونه انشائيا لان الحال مقدرة كما تقدم وقوله وقد يكون المقسم
به جثة جوابه تقدير حينئذ حدث يكون الظرف الزماني حالا عنه وسئل ابن الحاجب عن

هذه

هذه المسئلة فاجاب بنحو ما ذكرناه والله اعلم ولا يخلوا الكلام فيهما من بحث قوله تعالى
والليل اذا يغشاها المفعول المستتر اي يغشى الدنيا بالظلمة فتظلم الافاق فالكنايه ترجع الى
غير مذكور وجي بيغشاها مضارعا دون ما قبله وما بعده مراعاة للفواصل اذ لو اتى به
ماضيا لكان التركيب اذا غشيها فتفوت المناسبة اللفظية بين الفواصل والمقاطع قوله
تعالى والسما وما بناها في ما هذه وجهان احدهما ان ما موصولة بمعنى الذي وبه استشهد
من يجوز وقوعها على العقلا لان المراد به البارى تعالى واليه ذهب الحسن ومجاهد وابو
عبيدة واختاره ابن جرير والثاني مصدرية اي وبنايها واليه ذهب الزجاج والمبرد وهذا
مبنيا على انها مختصة بغير العقلا واعترض على هذا القول بانه يلزم ان يكون القسم بنفس
المصادر بنا السما وطحو الارض وتسوية النفس وليس المقصود الا القسم بفاعل هذه الاشيا
وهو الرب تعالى واجيب عنه بوجهين احدهما يكون على حذف مضاف اي ورب اي وباني
بنا السما ونحوه والثاني انه لا غرو في الاقسام بهذه الاشيا كما اقسم سبحانه وتعالى بالصبح
ونحوه وقال الزمخشري جعلت مصدرية وليس بالوجه لقوله تعالى فالهمها وما يودي
اليه من فساد النظم والوجه ان تكون موصولة وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية
كانه قيل والسما والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وفي
كلامهم سبحان من سخركن لنا انتهى معنى ان الفاعل في فالهمها عايد على الله تعالى فليكن
في بنايها كذلك وحينيذ فيلزم عوده على شي وليس هنا ما يمكن عوده عليه غيرها فيتعين ان
تكون موصولة قال ابو حيان اما قوله وليس بالوجه لقوله تعالى فالهمها يعني من عود الضمير
في فالهمها على الله تعالى فيكون قد عاد على مذكور وهو ما المراد به الذي قال ولا يلزم
ذلك لانا اذا جعلناها مصدرية عاد الضمير على ما يفهم من سياق الكلام ففي بناها ضمير عايد
على الله تعالى اي وبنايها هو اي الله تعالى كما اذا رايت زيدا قد ضرب عمرا فتقول عجبت مما ضرب
عمرا تقديره من ضرب عمرو هو كان حسنا فصيحا جايزا وعود الضمير على ما يفهم من سياق الكلام
كثير وقوله وما يودي اليه من فساد النظم ليس كذلك ولا يودي جعلها مصدرية الى ما ذكر وقوله
وانما اوثرت الى اخره لا يراد بما ولا من الموصولتين معنى الوصفية لانهما لا يوصف بهما مادون من
وقوله وفي كلامهم الى اخره تاوله اصحابنا على ان سبحان علم وما مصدرية ظرفية انتهى قال
شهاب الدين اما ما رد به عليه من كونه يعود على ما يفهم من السياق فليس يصلح ردا لانه اذا
دار الامر بين عوده على ملفوظ به وبين غير ملفوظ به فعوده على الملفوظ به اولى لانه
الاصل واما قوله فلا ينفرد به مادون من فليس مراد الزمخشري انها توصف بها وصفا صريحا بل
مراده انها تقع على نوع من يعقل وعلى صفته ولذلك مثل النحويون لقوله تعالى وانكحوا ما
طاب لكم وقالوا تقديره فانكحوا الطيب من النسا ولا شك ان هذا الحكم منفرد به مادون من
قوله تعالى والارض وما طحاها اي وطحوها وقيل ومن طحاها اي بسطها كذا قاله عامة المفسرين
اي دحاها قال مجاهد والحسن وغيرهما طحاها ودحاها واحد اي من كل جانب والطحو البسط
طحا يطحو طحوا وطحا يطحي طحيا وطحيت اضطجعت عن ابي عمرو وعن ابن عباس طحاها اي قسمها
او قيل خلقها قال الشاعر • ولا تدري جذيمة من طحاها • ولا من ساكن العرش الرفيع
قال الماوردي ويحتمل انه ما خرج منها من نبات وعيون وكنوز لانه حياة لما خلق عليها ويقال
في بعض ايمان العرب لا والقمر الطاحي اي المشرق المرتفع قال ابو عمرو وطحا الرجل اذا ذهب في
الارض فقال ما ادري اين طحا ويقال طحا به قلبه اذا ذهب به في كل شي قال علقمة طحا بك
قلب في الحسان طروب قال ابن الخطيب وانما اخر هذا عن قوله تعالى والسما وما بناها لقوله
تعالى والارض بعد ذلك دحاها قوله تعالى ونفس وما سواها قيل المعنى وتسويتها فما مصدرية
وقيل المعنى ومن سواها وهو الله تعالى قيل المراد بالنفس ادم عليه السلام وقيل كل نفس منفوسة
فما التنكير الا لتعظيمها اي نفس عظيمة وهي نفس ادم عليه السلام واما للتنكير كقوله تعالى علمت
نفس وسوى بمعنى هيا وقال مجاهد سوى خلقها وعدل وهذه الاسما كلها مجرورة على القسم
اقسم الله تعالى بخلقه لما فيه من عجايب الصنعة الدالة عليه سبحانه وتعالى قوله تعالى
فالهمها فجورها اي عرفها طريق الفجور والتقوى قال ابن عباس ومجاهد وعن مجاهد ايضا

عرفها الطاعة والمعصية وعن محمد بن كعب رضي الله عنه اذا اراد الله تعالى بعبده خيرا
الهمه الخير فعمل به واذا اراد به الشر الهمه الشر فعمل به وعن ابن عباس رضي الله عنه قال الهم المؤمن
التقي تقواه والهم الكافر فجوره وعن قتادة بين لها فجورها وتقواها والفجور والتقوى مصدران
في موضع المفعول قال الواحدي الالهام هو ان يوقع الله تعالى في قلب العبد شيئا واذا اوقع في
قلبه شيئا فقد الزمه اياه من قولهم الهم الشيء والتهمه اذا ابتلعه والهمته ذلك الشيء اي ابلعته هذا
هو الاصل ثم استعمل ذلك فيما يقذفه الله تعالى في قلب العبد لانه كالابلاغ قوله قد افلح فيه
وجهان احدهما انه جواب القسم والاصل لقد وانما حذفت لطول الكلام والثاني انه ليس بجواب
وانما جيء به تابعا لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب
القسم في شيء فالجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام قال معناه الزمخشري وقدره غيره
لتبعثن وقيل هو على التقديم والتاخير بغير حذف والمعنى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها
والشمس وضحاها وفاعل زكاها ودساها الظاهر انه ضمير من وقيل ضمير الباري تعالى اي افلح فائز من
زكاها بالطاعة وقد خاب من دساها اي خسرت نفس دسها الله بالمعصية واعترض الزمخشري على صاحب
هذا القول لما ذهب اليه مذهبه قال شهاب الدين والحق انه خلاف الظاهر كما قال الزمخشري بل لما
يرد فيه للاحتياج الى عود الضمير على النفس مقيدة وباضافتها الى ضمير من وقال ابن عباس
خابت نفس اضلها الله واغواها وقيل افلح من زكا نفسه بطاعة الله وخاب وخسر من دس نفسه
في المعاصي قاله قتادة واصل الزكاة النمو والزيادة ومنه زكي الزرع اذا كثر ريعه ومنه تزكية
القاضي الشاهد لانه يرفعه بالتعديل وقيل دساها اغواها وقال

وانت الذي دسست عمرا فاصبحت ❊ حلايله منه اراملا ضيعا

واصله دسسها من التدسيس فكثرت الامثال فابدل من ثالثها حرف علة كما قالوا قصيت اظفاري
واصله قصصت وتقضي البازي والتدسيس الاخفا يعني اخفاها بالفجور وقد نطق بالاصل الشاعر
المتقدم وقال اخر ودسست عمرا في التراب فاصبحت وقال ابن الاعرابي وقد خاب من دساها
اي دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم قال الواحدي فكانه تعالى اقسم على فلاح من طهره وخسارة
من خذله لئلا يظن ان المرء يتولى ذلك من غير قضا سابق فقوله تعالى قد افلح هو جواب
القسم قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها في هذه الباء ثلاثة اوجه احدها انها للاستعانة
مجازا كقولك كتبت بالقلم وبه بدا الزمخشري بمعنى فعلت التكذيب بطغياها كقولك ظلمني بجراته
على الله تعالى الثاني انها للتعدية اي كذبت بما اوعدت به من عذابها ذي الطغيان كقوله
تعالى فاهلكوا بالطاغية قاله ابن عباس رضي الله عنه وكان اسم العذاب الذي جاها الطغوى
لانه طغى عليهم قال ابن الخطيب وهذا لا يبعد لان الطغيان مجاوزة الحد فسمي عذابهم طغوى
لانه كان صيحة مجاوزة للقدر المعتاد الثالث انها للسببية اي بسبب طغيانها وهو خروجها
عن الحد في العصيان قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وقال محمد بن كعب باجمعها وقيل مصدر
وخرج على هذا المخرج لانه اشكل برؤس الاي وقيل الاصل بطغياها الا ان فعلى اذا كانت من
ذوات الياء ابدلت في الاسم واو التفصل بين الاسم والوصف وقرا العامة بطغواها بفتح الطاء
وهو مصدر بمعنى الطغيان وانما قلبت الياء واوا لما تقدم من الفرق بين الاسم والصفة بمعنى
اسم مقرون بانه على بالفتح صفة نحو قريا وصديا ويقلبونها في الاسم نحو تقوى وشروى وكان
الاقرار في الوصف لانه تقام الاسم والياء اخف من الواو فلذلك جعلت في الاثقل وقرا الحسن
ومحمد بن كعب والجحدري وحماد بضم الطاء وهو ايضا كالرجعى والرحمى الا ان هذا شاذ اذ كان
من حقه بقاء الياء على حالها كالسقيا ويائها هذا كله عند من يقول طغيت طغيانا بالياء فاما من
يقول طغوت بالواو فالواو اصل عنده قاله ابو البقاء وقد تقدم الكلام على اللغتين في البقرة
قوله تعالى اذ انبعث اشقاها يجوز في اذ وجهان احدهما ان يكون ظرفا لكذبت والثاني ان
يكون ظرفا للطغوى وانبعث مطاوع بعثت فلانا على الامر فانبعث له واشقاها فاعل كما انبعث
اي نهض والانبعاث الاسراع وفيه وجهان احدهما ان يراد به شخص معين روي ان اسمه قدار
ابن سالف والثاني ان يراد به جماعة قال الزمخشري ويجوز ان يكون جماعة والتسوية في افعل

التفضيل اذا اضيف بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان يجوز ان يقول اشقوها وكان ينبغي
ان يقيد فيقول اذا اضيف الى معرفة لان المضاف الى النكرة حكمه الافراد والتذكير مطلقا كالمقترن
بمن **فصل** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز
عارم منيع في اهله مثل ابي زمعة روي عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له
اتدري من اشقى الاولين قلت الله ورسوله اعلم قال عليه الصلاة والسلام قاتلك قوله تعالى
فقال لهم ان كان المراد باشقاها جماعة فعود الضمير من لهم عليهم واضح وان كان المراد به علما
بعينه فالضمير من لهم يعود على ثمود والمراد برسول الله يعني صالحا وقوله تعالى ناقة الله
منصوب على التحذير انما حذروا ناقة الله فلا تقربوها واضمار الناصب هنا واجب لمكان
العطف فان اضمار الناصب فلا تقربوها لمكان العطف يجب في ثلاثة مواضع احدها ان يكون
المحذر نفس اياك وبابه الثاني انه يوجد فيه عطف الثالث ان يوجد فيه تكرار نحو الاسد والصبي
والصبي والحذر الحذر وقيل ذروا ناقة الله كقوله تعالى فذروها تاكل في ارض الله وقرا زيد بن
علي ناقة الله رفعا على خبر ابتدا مضمر اي هذه ناقة الله فلا تتعرضوا لها قوله وسقياها اي ذروها
وشربها فانهم لما اقترحوا الناقة واخرجها لهم من الصخرة جعل لهم شرب يوم من بئرهم ولها شرب يوم
مكان ذلك فشق عليهم فكذبوه يعني صالحا عليه السلام في وعيدهم بالعذاب ان عقروها فعقروها
اي عقرها الاشقى واضيف الى الكل لانهم رضوا بفعله قال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه
صغيرهم وكبيرهم وانثاهم وقال اخر عقرها اثنان والعرب تقول هذان افضل الناس وهذان
خير الناس وهذه المراة اشقى القوم وهذا لم يقل اشقياها قوله فدمدم الدمدمة قيل الاطباق
يقال دمدمت عليه القبر اي اطبقته عليه اي اهلكهم واطبق عليهم العذاب بذنبهم الذي هو الكفر
والتكذيب والعقر وقال المؤرخ الدمدمة الاهلاك باستئصال وروى الضحاك عن ابن عباس
دمدم عليهم دمر عليهم ربهم بذنبهم اي بجرمهم وقال الفرا دمدم اي ارجف وحقيقة الدمدمة
تضعيف العذاب وترديده يقال دمدمت على الشيء اي اطبقت عليه فاذا كررت الاطباق قلت
دمدمت وفي الصحاح دمدمت الشيء اذا الزقته بالارض وطحطحته قال القشيري وقيل دمدمت
على الميت التراب اي سويته عليه فالمعنى على هذا فجعلهم تحت التراب فسواها اي فسوى عليهم
الارض وعلى الاول فسواها اي فسوى الدمدمة وقيل الدمدمة حكاية صوت الهرة وذلك ان
الصيحة اهلكتهم فاتت على صغيرهم وكبيرهم وقال ابن الانباري دمدم اي غضب والدمدمة
الكلام الذي يزعج الرجل ودمدمت الثوب طليته بالصبغ والباء في بذنبهم للسببية وقرا ابن الزبير
فدهدم بهاءين الدال الى بدل الميم وهي بمعنى القراءة المشهورة قال القرطبي وهما لغتان كقولهم
امتقع لونه واهتقع قوله فسواها الضمير المنصوب يجوز عوده على ثمود باعتبار القبيلة
كما اعاده في قوله تعالى بطغواها ويجوز عوده على الدمدمة والعقوبة اي سواها بينهم فلم
تفلت منهم احد قوله تعالى ولا يخاف عقباها قرا نافع وابن عامر فلا بالفاء والباقون بالواو
ورسمت في مصاحف المدينة والشام بالفاء وفي غيرها بالواو وقد قرا كل بما يوافق رسم مصحفه
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا ولم يخف وهي مؤيدة لقراءة الواو وذكره الزمخشري
فالفاء تقتضي التعقيب وهو ظاهر والواو يجوز ان تكون للحال وان يكون للاستئناف الاخبار قال
القرطبي وروى ابن وهب وابن القسم قالا اخرج الينا مالك رضي الله عنه مصحفا لجده وزعم
انه كتبه في ايام عثمان بن عفان رضي الله عنه حين كتب المصاحف وفيه ولا يخاف بالواو وكذا
هي في مصاحف اهل مكة والعراق بالواو واختاره ابو عبيدة وابو حاتم وضمير الفاعل في يخاف
الظاهر عوده على الرب تبارك وتعالى لانه اقرب مذكور وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة
ومجاهد والهاء في عقباها ترجع الى الفعلة وذلك لانه تعالى يفعل ذلك بحق وكل من فعل فعلا
بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وقيل المراد تحقيق ذلك الفعل والله تعالى اجل من ان
يوصف بذلك وقيل المعنى انه بالغ في الاعذار اليهم مبالغة من لا يخاف عاقبة عذابهم وقيل
يرجع الى رسول الله اي لا يخاف صالح عليه السلام عقبى هذه العقوبة لانذاره اياهم ونجاه الله
تعالى حين اهلكهم وقال السدي والضحاك والكلبي ان الضمير يرجع الى اشقاها اي انبعث
لعقرها والحال انه غير خائف عاقبة هذه الفعلة الشنعا وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنه

ايضا وفي الكلام تقديم وتاخير اي اذا انبعث اشقاها ولا يخاف عقباها وعقبى الشيء خاتمته
روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والشمس
وضحاها فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة الليل مكية

وقيل مدنية وهي احدى وعشرون اية واحدى وسبعون كلمة وثلاثمائة وعشرة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والليل اذا يغشى اي يغطي ولم يذكر مفعولا للعلم به وقيل يغشى النهار وقيل الارض
وقيل الخلائق وقيل يغشى كل شيء بظلمته قال قتادة اول ما خلق الله تعالى النور والظلمة ثم
ميز بينهما فجعل الظلمة ليلا اسود مظلما والنور نهارا مضيا مبصرا قال ابن الخطيب اقسم بالليل الذي
ياوي فيه كل حيوان الى ماواه ويسكن الخلق عن الاضطراب ويغشيهم النوم الذي جعله الله تعالى
راحة لابدانهم وغذا لارواحهم ثم اقسم تعالى بالنهار اذا تجلى لان النهار اذا انكشف بضوئه جاء الوقت
الذي يتحرك فيه الناس لمعاشهم والطير والهوام من مكامنها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش
ولو كان كله نهارا لبطلت الراحة لكن المصلحة في تعاقبهما كما قال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار
خلفة وقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار فقوله تعالى والنهار اذا تجلى اي انكشف وظهر وبان
بضوئه عن ظلمة الليل وقرا العامة تجلى فعلا ماضيا وفاعله ضمير عائد على النهار وعبد الله بن
عمير يتجلى بيا بين اي الشمس وقري على بضم التا وسكون الجيم اي الشمس ايضا ولا بد من عائد
على النهار محذوف اي يتجلى او تجلى فيه قوله تعالى وما خلق يجوز في ما ان تكون بمعنى
من على ما تقدم في سورة والشمس قال الحسن معناه والذي خلق فيكون قد اقسم بنفسه
تعالى وقيل مصدرية وقال الزمخشري والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والانثى
من ماء واحد وقد تقدم هذا القول والاعتراض عليه والجواب عنه في السورة قبلها وقرا ابو
الدردا والذكر والانثى وقرا عبد الله والذي خلق وقرا الكسائي ونقلها ثعلب عن بعض السلف
وما خلق الذكر بجر الذكر قال الزمخشري على انه بدل من محل ما خلق بمعنى وما خلقه اي ومخلوق
الله الذكر وجاز اضمار اسم الله تعالى لانه معلوم بانفراده بالخلق وقيل المعنى وما خلق من الذكر والانثى
فيكون من مضمرة ويكون القسم منه باهل طاعته من اوليائه وانبيائه ويكون قسمه بهم تكرمة لهم
وتشريفا وقال ابو حيان وقد يخرج على توهم المصدر اي وخلق الذكر كقوله تطوف العباة بابوابه
كما طاف بالبيعة الراهب بجر الراهب على توهم النطق بالمصدر اي كطواف الراهب انتهى والذي
يظهر في تخريج البيت ان اصله الراهبي بيا النسب نسبه الى الصفة ثم خفف وهو قليل كقولهم
احمري ودواري وهذا التخريج بعينه في قول امرا القيس فقل في مقيل نحسه متغيب لما استشهد
به الكوفيون على تقديم الفاعل وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان يقرا والنهار اذا تجلى
والذكر والانثى ويسقط وما خلق وفي صحيح مسلم عن علقمة قال قدمنا الشام فاتانا ابو الدردا
فقال فيكم احد يقرا على قراة عبد الله فقرا هذه الاية والليل اذا يغشى قال سمعته يقرا والليل
اذا يغشى والنهار اذا تجلى والذكر والانثى قال وانا والله هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقراها ولكن لا يريدون ان اقرا وما خلق فلا اتابعهم وقال ابن الانباري حدثنا محمد بن يحيى
المروزي بسنده الى عبد الله قال اقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم اني انا الرزاق ذو القوة
المتين قال ابن الانباري كل من هذين الحديثين مردود بخلاف الاجماع له وان حمزة وعاصما
يرويان عن عبد الله بن مسعود فيما عليه جماعة من المسلمين وموافقة الاجماع اولى من الاخذ
بقول واحد يخالف الاجماع **فصل** قيل المراد بالذكر والانثى ادم وحوا عليهما السلام
قاله ابن عباس والحسن والكلبي وقيل جميع الذكور والاناث من جميع الحيوان وقيل كل ذكر وانثى
من الادميين فقط لاختصاصهم بولاية الله تعالى وطاعته قوله تعالى ان سعيكم لشتى هذا
جواب القسم والمعنى ان اعمالكم لمختلفة ويجوز ان يكون محذوفا كما قيل في نظائره المتقدمة
وشتى واحده شتيت مثل مريض ومرضى وانما قيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعضه

ايمان عملكم المتباعد بعضه من بعض بشيء لان بعضه ضلال وبعضه هدى اي فمنكم مومن وبر
وكافر وفاجر ومطيع وعاص وقيل لشتى اي لمختلف الجزا فمنكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار وقيل
لمختلف الاخلاق فمنكم راحم وقاس وحليم وطايش وجواد وبخيل قال المفسرون نزلت هذه الاية
في ابي بكر رضي الله عنه وابي سفيان قوله تعالى فاما من اعطى قال ابن مسعود رضي الله عنه
يعني ابا بكر رضي الله عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى فاما من اعطى اي بذل واتقى
محارم الله التي نهى عنها وصدق بالحسنى اي بالخلف من الله تعالى على عطائه فسنيسره لليسرى قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم غربت شمسه الا وبعث بجنبتيها ملكان يناديان يسمعهما
خلق الله تعالى كلهم الا الثقلين اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا وانزل الله تعالى فاما
من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الايات **فصل** حذف مفعول اعطى ومفعول اتقى ومفعول
صدق المجرور تعالى لان الغرض ذكر هذه الاحداث دون متعلقاتها ولذلك متعلقات البخل والاستغنا
وقوله تعالى فسنيسره للعسرى اما من باب المقابلة لقوله تعالى فسنيسره لليسرى واما فنيسره بمعنى
نهيئه والتهيئة تكون في العسر واليسر **فصل** قال المفسرون فاما من اعطى المعسرين وقال
قتادة اعطى حق الله الواجب وقال الحسن اعطى الصدق من قلبه وصدق بالحسنى اي بلا اله الا الله
وهو قول ابن عباس والضحاك والسلمي رضي الله عنهم وقال مجاهد بالجنة لقوله تعالى للذين احسنوا
الحسنى وقال زيد بن اسلم بالصلاة والزكاة والصوم وقوله تعالى فسنيسره لليسرى اي نرشده لاسباب
الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها وقال زيد بن اسلم لليسرى للجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من نفس منفوسة الا كتب الله تعالى مدخلها فقال القوم يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا فقال عليه
الصلاة والسلام بل اعملوا فكل ميسر اما من كان من اهل السعادة فانه ميسر لعمل اهل السعادة ومن
كان من اهل الشقاوة فانه ميسر لعمل اهل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره
لليسرى قوله تعالى واما من بخل واستغنى اي ضن بما عنده فلم يبذل خيرا وروي عن ابن عباس رضي الله
عنه في قوله فسوف نيسره للعسرى قال سوف احول بينه وبين الايمان بالله وبرسوله وعن ابن عباس
رضي الله عنه قال نزلت في امية بن خلف وعن ابن عباس واما من بخل واستغنى اي بخل بماله واستغنى
عن ربه وكذب بالحسنى اي بالخلف الذي وعده الله تعالى في قوله سبحانه وما انفقتم من شيء فهو يخلفه
وقال مجاهد وكذب بالحسنى اي بالجنة وعنه بلا اله الا الله فسنيسره للعسرى اي نسهل عليه طريقة
العسرى اي الشر وعن ابن مسعود اي للنار وقوله تعالى فسنيسره لليسرى وقوله تعالى فسنيسره للعسرى
يدل على ان التوفيق والخذلان من الله تعالى لان التيسير يدل على الرجحان لزم الوجوب لانه لو استوى
بين الفعل والترك ومع الاستوا لا ترجيح فحال المرجوحية اولى بالامتناع ومتى امتنع احد الطرفين وجب
الاخر اذ لا خروج عن النقيضين اجاب القفال انه من باب تسمية احد الضدين باسم الاخر كقوله تعالى
وجزا سيئة سيئة فسمى الله تعالى الالطاف الراغبة الى الطاعة تيسيرا لليسرى وسمى ترك هذه الالطاف
تيسيرا للعسرى او هو من باب اضافة الفعل الى السبب دون الفاعل كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا او يكون
على سبيل الحكم والاخبار عنه واجيب بان هذا كله عدول عن الظاهر والظاهر من جهتنا وهو المقصود
من الحديث المتقدم ما من نفس منفوسة قال القفال معنى الحديث ان الناس خلقوا للعبادة قال
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهذا ضعيف لانه جواب عن قولهم الا نتكل فقال اعملوا
فكل ميسر لما وافق معلوم الله تعالى **فصل** التانيث في اليسرى والعسرى ان اريد جماعة الاعمال
فظاهر وان اريد عمل من الاعمال باعتبار الخصلة او الفعلة او الطريقة فمن فسر اليسرى بالجنة فتيسيرها
دخولها باكرام وسهولة ومن فسرها بالخير فتيسيره حققته عليه ونشاطه له بخلاف المنافق والمرائي
ودخلت السين في فسنيسره بمعنى الترجي وهذا يفيد القطع من الله تعالى ولان الاعمال بالخواتيم فقد
يعصي المطيع وبالعكس اولان اكثر الثواب يكون في الاخرة وهي متاخرة قوله وما يغني يجوز ان تكون ما
نافية اي لا يغني عنه ماله شيئا وان يكون استفهاما انكاريا اي اي شيء يغني عنه ماله اذا هلك ووقع في جهنم
وتردى اما من الهلاك يقال ردي الرجل يردي ردا اذا هلك قال صرفت الهوى عنهن من خشية الردى
وقال ابو صالح وزيد بن اسلم تردى اي سقط في جهنم ومنه المتردية ويقال ردي من البير وتردى اذا سقط
في بير او نهر او من جبل ويقال ما ادري اين ردي اي اين ذهب ويحتمل ان يكون من تردى بالكفن وهو كناية
عن الموت كقوله

وخطا باطراف الاسنة مضجعي ・ وردا على عيني فضل ردائيا

وقول الاخر • يضيبك مما يجمع الدهر كله • رداآن تلوي فيهما وحنوط •

قوله تعالى ان علينا للهدى اي علينا ان نبين طريق الهدى من طريق الضلال فالهدى بمعنى بيان الاحكام قال الزجاج اي على الله بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وهو قول قتادة وقال الفرا من سلك الهدى فعلى الله سبيله كقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل وقيل معناه ان علينا للهدى والاضلال فترك الاضلال كقوله تعالى بيدك الخير وبيده كل شي وقوله تعالى تقيكم الحر وهي تقي البرد قاله الفرا ايضا وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنه **فصل** لما عرفهم سبحانه انه سيميز بين ما للمحسنين من اليسرى وللمسيئين من العسرى اخبرهم انه قد مضى ما عليه من البيان والدلالة والترغيب والترهيب اي ان الذي يجب علينا في الحكمة اذ خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم وجوه التعبد ونبين المتعبد به قالت المعتزلة ازاحة الاعذار تقتضي انه تعالى كلفهم بما في وسعهم وطاقتهم ايضا فكلمة على للوجوب وايضا فلو لم يستقل العبد بالايجاد لم يكن في نصب الادلة فايدة وجوابهم قد تقدم مرارا والواحدي انه قال معناه ان علينا للهدى والاضلال فحذف المعطوف كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وهو معنى قول ابن عباس رضي الله عنه يريد ارشد اوليائي للعمل بطاعتي واحول بين اعدائي ان يعملوا بطاعتي وهو معنى الاضلال ورد المعتزلة هذا التاويل بقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر وتقدم جوابهم قوله تعالى وان لنا للاخرة والاولى اي لنا كل ما في الدنيا والاخرة فلا يضرنا ترككم الاهتدا بهدانا ولا يزيد في ملكنا اهتداكم بل نفع ذلك وضرره عائدات عليكم ولو شينا لمنعناكم عن المعاصي لكن ذلك يخل بالتكليف بل نمنعكم بالبيان والتعريف والوعد والوعيد ويكون نحن ملك الدارين فليطلب منا سعادة الدارين فالاول اوفق لقول المعتزلة والثاني اوفق لقولنا روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه قال ثواب الدنيا والاخرة وهو كقوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فمن طلبها من غير مالكها فقد اخطا الطريق قوله تعالى فانذرتكم نارا تلظى قد تقدم في البقرة ان البزي يشدد مثل هذه التا والتشديد فيها عسر لالتقا الساكنين فيها على غير حدهما وهو نظير قوله تعالى اذ تلقونه وقد تقدم وقال ابو البقا يقرا بكسر التنوين وتشديد التا وقد ذكر وجهه ولا تيمموا الخبيث انتهى وهذه قراة غريبة ولكنها موافقة للقياس من حيث انه لم يلتق فيها ساكنان وقوله تعالى وقد ذكر وجهه اي الذي قاله في البقرة ولا يفيد هنا شيا البتة فانه قال هناك ويقرا بتشديد التا وقبله الف وهو جمع بين ساكنين وانما سوغ ذلك المد الذي في الالف وقرا ابن الزبير وسفيان وزيد بن علي وطلحة تتلظى بتاين وهو الاصل قال القرطبي وهي قراة عبيد بن عمير ويحيى بن يعمر **فصل** المعنى حذرتكم وخوفتكم نارا تلظى اي تلهب وتوقد وتتوهج فقال تلظت النار تلظيا ومنه سميت جهنم قوله تعالى لا يصلاها اي لا يجد صلاها وحرها الا الاشقى فعل الاشقى والاتقى بمعنى الشقي والتقي ولا تفضيل فيهما لان النار مختصة بالاكثر شقا وتجنبها ليس مختصا بالاكثر تقوى وقيل بل هما على بابهما واليه ذهب الزمخشري فان قلت كيف قال لا يصلاها الا الاشقى وسيجنبها الاتقى وقد علم ان كل شقي يصلاها وكل تقي يجنبها لا يختص بالصلي اشقى الاشقيا ولا بالنجاة اتقى الاتقيا وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا بعينها مخصوصة بالاشقى فما يصنع بقوله وسيجنبها الاتقى فقد علم ان افسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة قلت الاية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المومنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي كان النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كان الجنة لم تخلق الا له وقيل ابو جهل او امية بن خلف وابو بكر رضي الله عنه انتهى فال جوابه الى ان المراد بهما شخصان معينان **فصل** قال المفسرون المراد بالاشقى والشقي الذي كذب نبي الله صلى الله عليه وسلم وتولى اعرض عن الايمان وقال الفرا معناه الا من كان شقيا في علم الله تعالى قال بعضهم الاشقى بمعنى الشقي كقوله لست فيها باوحدي بواحد ووحيد ويوضع افعل بمعنى موضع فعيل نحو قولهم الله اكبر بمعنى كبير وهو اهون عليه بمعنى هين قالت المرجية الاية تدل على ان الوعيد مختص بالكافر والجواب المعارضة بايات الوعيد وايضا فهذا اغرا بالمعاصي وايضا فقوله تعالى بعده وسيجنبها الاتقى يدل على ترك هذا الظاهر لان الفاسق ليس باتقى فالمراد بقوله تعالى نارا تلظى انها مخصوصة من بين النيران

لان

لان النار دركات ولا يلزم من هذا ان الفاسق لا يدخل النار اصلا والمراد لا يصلاها بعد الاستحقاق واجاب الواحدي بان معنى لا يصلاها الا يلزمها وهذه الملازمة لا تثبت الا للكافر قوله وسيجنبها الاتقى اي يبعد عنها الاتقي اي التقي الخايف قال ابن عباس هو ابو بكر رضي الله عنه ثم وصف الاتقى فقال سبحانه الذي يوتي ماله يتزكى اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا ولا يطلب بذلك ريا ولا سمعة بل يتصدق به مبتغيا به وجه الله تعالى قوله يتزكى قرا العامة يتزكى مضارع تزكى والحسن ابن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم تزكى بادغام التا في الزاي وفي هذه الجملة وجهان احدهما في موضع الحال من فاعل يوتي اي يوتيه متزكيا به والثاني انها لا موضع لها من الاعراب على انها بدل من صلة الذي ذكرهما الزمخشري قوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى اي ليس هو يتصدق ليجازي على نعمة وانما يبتغي وجه ربه الاعلى اي المتعالي وتجزى صفة لنعمة اي يجزي الانسان وانما جي به مضارعا مبنيا للمفعول لاجل الفواصل اذ الاصل يجزيها اياه او يجزيه اياها قوله تعالى الا ابتغاء في نصبه وجهان احدهما انه مفعول له قال الزمخشري ويجوز ان يكون مفعولا له على المعنى لان المعنى لا يوتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة وهذا اخذه من قول الفرا فانه قال ونصب على التاويل اي ما اعطيتك ابتغاء جزائك بل ابتغاء وجه الله تعالى والثاني انه منصوب على الاستثناء المنقطع اذ لم يندرج تحت جنس من نعمة وهذه قراة العامة اعني النصب والمد وقرا يحيى برفعه ممدودا على البدل من محل نعمة لان محلها الرفع اما على الفاعلية واما على الابتداء ومن مزيدة في الوجهين والبدل لغة تميم لانهم يجرون المنقطع في غير الايجاب مجرى المتصل وانشد الزمخشري بالوجهين والبدل قول بشر بن ابي خازم • اضحت قفارا خلا ما ان ابين بها • الا الجآذر والظلمان تختلف • وقول القايل في الرفع • وبلدة ليس بها انيس • الا اليعافير والا العيس • وفي التنزيل ما فعلوه الا قليل منهم وقال مكي واجاز الفرا الرفع في ابتغا على البدل من موضع نعمة وهو بعيد قال شهاب الدين كانه لم يطلع عليها قراة واستبعاده هو البعيد فانها لغة فاشية وقرا ابن ابي عبلة ابتغا بالقصر **فصل** روى عطا والضحاك عن ابن عباس قال عذب المشركون بلالا وبلال يقول احد احد فمر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال احد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه يا ابا بكر ان بلالا يعذب في الله تعالى فعرف ابو بكر الذي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف فقال له اتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه ابو بكر رضي الله عنه لانه كانت عنده فنزلت وما لاحد عنده اي عند ابي بكر من نعمة اي من يد ومنة تجزى بل ابتغى ذلك محالا وقال بعضهم لا حاجة الى هذا الاضمار بل حقيقة هذه المسالة ترجع الى ان العبد هل يمكن ان يحب ذات الله او المراد من هذه المحبة ثوابه وكرامته ذكره ابن الخطيب والاعلى من نعت الرب الذي استحق صفات العلو ويجوز ان يكون ابتغا وجه ربه لا لمكافاة نعمة قوله تعالى ولسوف يرضى هذا جواب قسم مضمر والعامة على يرضى مبنيا للفاعل وقرئ ببنايه للمفعول من ارضاه الله تعالى وهو قريب من قوله تعالى في اخر سورة طه لعلك ترضى ومعنى الاية سوف يعطيه في الجنة ما يرضى بان يعطيه اضعاف ما انفق قال ابن الخطيب وعندي فيه وجه اخر وهو ان المراد انه انما طلب رضوان الله تعالى ولسوف يرضى الله عنه قال وهذا اعظم من الاول لان رضى الله الحمل للعبيد من رضاه من ربه والله اعلم روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه الله من العسر ويسر له اليسر قال الثعلبي واذا ثبت نزولها بمكة ضعف تاويلها بقصة ابي الدحداح وقرئ تاويلها بنزولها في حق ابي بكر رضي الله عنه لانه كان بمكة والنفاقه بمكة وقصة ابي الدحداح كانت بالمدينة والله اعلم روي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة واعتق بلالا من ماله

سورة والضحى مكية

وهي احدى عشرة اية واربعون كلمة ومائة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى تقدم الكلام في الضحى والمراد به هنا انما المقابلة
لقوله والليل اذا سجى ولقوله تعالى افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نايمون اوامن
اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون اي نهارا وقال قتادة ومقاتل وجعفر الصادق
اقسم بالضحى الذي كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبليلة المعراج وقيل الضحى هي الساعة
التي خروا فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقال القرطبي يعني عباده الذين
يعبدونه في وقت الضحى وعباده الذين يعبدونه بالليل اذا اظلم وقيل الضحى نور الجنة والليل
ظلمة النار وقيل الضحى نور قلوب العارفين كهيئة النهار والليل سواد قلوب الكافرين كهيئة
الليل اقسم تعالى بهذه الاشيا وقال اهل المعاني فيه وفي امثاله اضمار مجازه ورب الضحى
وسجى معناه سكن قاله قتادة ومجاهد وابن زيد وعكرمة يقال ليلة ساجية اي ساكنة ويقال
للعين اذا سكن طرفها ساجية يقال سجى الشي يسجو سجوا اذا سكن وسجى البحر يسجو سجوا اي سكنت
امواجه وطرف ساج اي فاتر ومنه استعير تسجية الميت اي تغطيته بالثوب قال الراغب وقال
الاعشى • وما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم • وبحرك ساج لا يواري الدعامصا •
وقال الفرا اظلم وقال ابن الاعرابي اشتد ظلامه وقال الشاعر •
• يا حبذا القمرا والليل الساج • وطرق مثل ملا النساج •
وقال الضحاك سجى غطى كل شي قال الاصمعي سجو الليل تغطيته النهار مثل ما يسجى الرجل
بالثوب وعن ابن عباس سجى ادبر وعنه اظلم وقال سعيد بن جبير اقبل وعن مجاهد سجى
استوى والقول الاول اشهر في اللغة اي سكن الناس فيه كما يقال نهار صايم وليل قايم وقيل
سكونه استقرار ظلامه واستواوه وهو من ذوات الواو وانما امیل لموافقة رووس الاي كالضحى
فانه من ذوات الواو ايضا **فصل** قال ابن الخطيب وقدم هنا الضحى وفي السورة التي
قبلها قدم الليل اما لان لكل منهما اثر عظيم في صلاح العالم والليل فضيلة السبق لقوله تعالى
وجعل الظلمات والنور والنهار فضيلة النور فقدم سبحانه هذا تارة وهذا تارة كالركوع
والسجود في قوله تعالى واركعوا واسجدوا وقوله واسجدي واركعي مع الراكعين وقيل قدم
الليل في سورة ابي بكر رضي الله عنه لان ابا بكر سبقه كفر وقدم الضحى في سورة محمد عليه
الصلاة والسلام لانه نور محض ولم يتقدمه ذنب وقيل لما كانت سورة الليل سورة ابا بكر
رضي الله عنه وسورة الضحى سورة محمد صلى الله عليه وسلم والى بكر رضي الله عنه **فصل**
قال ابن الخطيب وذكر الضحى وهو ساعة وذكر الليل بجملته اشارة الى ان ساعة من النهار توازن
جميع الليل كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم يوازن جميع الانبيا عليهم السلام وايضا فالضحى
وقت السرور والليل وقت الوحشة ففيه اشارة الى ان شرور الدنيا اقل من سرورها وان هموم
الدنيا ادوم من سرورها فان الضحى ساعة والليل ساعات يروى ان الله تعالى لما خلق العرش
اظلت غمامة سودا ونادت ماذا امطر فاجيبت ان امطري الهموم والاحزان ماية سنة ثم انكشفت
فامرت مرة اخرى بذلك وهكذا الى ثلاث ماية سنة ثم بعد ذلك اظلت عن يمين العرش غمامة
بيضا ونادت ماذا امطر فاجيبت ان امطري السرور ساعة فلهذا ترى الهموم والاحزان دايمة
والسرور قليل ونادرا وقدم ذكر الضحى لانه يشبه الحياة واخر الليل لانه يشبه الموت قوله تعالى
ما ودعك هذا جواب القسم والعامة على تشديد الدال من التوديع وقرا عروة بن الزبير
وابنه هاشم وابن ابي عبلة وابو حيوة بتخفيفها من قولهم ودعه اي تركه والمشهور في اللغة
الاستغنا عن ودع وورد واسم فاعلهما واسم مفعولهما ومصدرهما بترك وما يصرف منه وقد جا
ودع وورد قال الشاعر • سل اميري ما الذي غيره • عن وصالي اليوم حتى ودعه •
وقال الاخر • وثم ودعنا ال عمرو وعامر • فرايس اطراف المثقفة السمر •
قيل والتوديع مبالغة في الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك قال القرطبي
واستعماله قليل يقال هو يدع كذا اي يتركه قال المبرد ولا يكادون يقولون ودع ولا ور لضعف
الواو اذا قدمت واستغنوا عنها بترك **فصل** وما قلا اي ما ابغضك يقال قلاه يقليه
بكسر العين في المضارع يقول قلاه يقلاه بالفتح قال ايامي لست ابشاه ولا والله اقلاه
لك الله على ذلك لك الله وحذف فلام مراعاة الفواصل مع العلم به وكذا بعد فاوى وما بعده

فصل القلا البغض اي ما ابغضك ربك منذ احبك فان فتحت القاف مددت تقول قلاه يقليه
قلا وقلا كما تقول قريت الضيف اقريه قرا وقرا ويقلاه لغة طي وانشد ثعلب يا رب ام العمر
لا يقلاها اي لا يبغضها ونغل اي يبغض وقال •
• اسيئي بنا او احسني لا ملومة • لدينا ولا مقلية ان تقلت •
وقال امرو القيس ولست بمقلي الخلال ولا قالي ومعنى الاية ما ودعك ربك وما قلا فترك
الكاف لانه راس اية كقوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اي الله **فصل** قال
المفسرون احتبس الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر
يوما وقيل خمسة وعشرين يوما وقال مقاتل اربعين يوما فقال المشركون ان محمدا قلاه ربه
وودعه ولو كان امره من الله تعالى لتابع عليه كما كان يفعل بمن كان قبله من الانبيا فنزلت هذه
الاية وروى البخاري عن جندب بن سفيان قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم
ليلتين او ثلاثا فجات ام جميل امراة ابي لهب لعنها الله عليها فقالت يا محمد اني لارجو ان يكون
شيطانك قد تركك لم اره قربك منذ ليلتين او ثلاث فانزل الله تعالى والضحى والليل اذا سجى
ما ودعك ربك وما قلا وروى ابو عمران الجوني قال ابطا جبريل عليه السلام على النبي صلى الله
عليه وسلم حتى شق عليه نجاه وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو فصلب بين كتفيه وانزل
عليه ما ودعك ربك وما قلا وروي ان خولة كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان
جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث النبي صلى الله عليه وسلم اياما لا ينزل عليه الوحي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خولة ما حدث في بيتي ان جبريل لا ياتيني قالت خولة
لو هيات البيت وكنسته فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فاخذته فالقيته خلف
الجدار فجا نبي الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة
فقال يا خولة دثريني فانزل الله تعالى هذه السورة ولما نزل جبريل عليه السلام سال النبي
صلى الله عليه وسلم عن التاخر فقال اما علمت انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة ولما
سالته اليهود عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف قال صلى الله عليه وسلم ساخبركم غدا ولم
يقل ان شا الله فاحتبس عنه الوحي الى ان نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشي
اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله فاخبره بما سيل عنه وفي هذه القصة نزلت ما ودعك
ربك وما قلى قوله تعالى وللاخرة خير لك الظاهر في هذه اللام انها جواب القسم وكذلك في
ولسوف اقسم الله تبارك وتعالى على اربعة اشيا اثنان منفيان وهما توديعه وقلاه واثنان
مثبتان موكدان وهما كون الاخرة خيرا له من الدنيا وانه سوف يعطيه ما يرضيه وقال الزمخشري
فان قلت ما هذه اللام الداخلة على سوف قلت هي لام الابتدا الموكدة لمضمون الجملة والمبتدا محذوف
تقديره ولانت سوف يعطيك كما ذكرنا في لا اقسم ان المعنى لانا اقسم وذلك انها لا تخلو من ان يكون
لام قسم او ابتدا فلام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التوكيد فبقي ان تكون لام ابتدا ولام
الابتدا واصله ولانت سوف يعطيك ونقل ابو حيان عنه انه قال وخلع من اللام دلالتها على الحال
انتهى وهذا الذي رده المشرزي بخيار منه انها لام القسم قوله لا تدخل على المضارع الا مع نون
التوكيد هذا استثنا النحاة منه صورتين احديهما انه لا يفصل بينها وبين الفعل حرف تنفيس كهذه
الاية وكقولك والله لساعطيك والثانية ان لا يفصل بينهما بمعمول الفعل لقوله تعالى لالى الله
تحشرون ويدل لما قلته ما قال الفارسي ليست هي اللام التي في قولك ان زيدا لقايم بل هي
التي في قولك لاقومن ونابت سوف عن احدى نوني التاكيد فكانه قال وليعطينك وقوله
خلع منها دلالتها على الحال يعني ان لام الابتدا الداخلة على المضارع تخلصه للحال وهنا لا يمكن ذلك
لاجل حرف التنفيس فلذلك خلعت الحالية منها وقال ابو حيان واللام في وللاخرة لام ابتدا
وكدت مضمون الجملة ثم حكى بعض ما تقدم عن الزمخشري وابي علي ثم قال ويجوز عندي
ان تكون اللام في وللاخرة خير وفي ولسوف يعطيك اللام التي يتلقى بها القسم عطفهما على جواب
القسم وهو قوله ما ودعك فيكون قد اقسم على هذه الثلاثة انتهى فظاهر ان اللام في وللاخرة
لام ابتدا غير متلقى بها القسم بدليل قوله ثانيا ويجوز عندي ولا يظهر انقطاع هذه الجملة عن
جواب القسم البتة وكذلك في ولسوف وتقدير الزمخشري مبتدا بعدها لا ينافي كونها جوابا

المقسم اما منع ان يكون جوابا كونها داخلة على المضارع لفظا وتقديرا وقال ابن الخطيب
فان قيل لها معنى الجمع بين حرفي التاكيد والتاخير قلنا معناه ان العطا كاين لا محالة وان
تاخر لما في التاخير من المصلحة **فصل** قال ابن اسحاق معنى قوله وللاخرة خير لك من
الاولى اي ما عندي في مرجعك الي يا محمد خير لك مما عجلت اليك من الكرامة في الدنيا روي علقمة عن
عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اهل بيت اختار الله تعالى
لنا الاخرة على الدنيا وقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى روي عطا عن ابن عباس رضي
الله عنه هو الشفاعة في امته حتى يرضى وهو قول الله تعالى في ابراهيم عليه السلام فمن
تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك
وان تغفر لهم الاية ثم رفع يده وقال امتي امتي وبكى فقال الله تبارك وتعالى الله اكبر اذهب
اكبر يا جبريل اذهب الي محمد صلى الله عليه وسلم فقل انا سنرضيك في امتك ولا نسوك وقال
حرب بن شريح سمعت ابا جعفر محمد بن علي يقول انكم يا معشر اهل العراق تقولون ارجا اية
في القران يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وانا اهل البيت نقول
ارجا اية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل يعطيك ربك من الثواب وقيل من
النصر فترضى وقيل الحوض والشفاعة **فصل** وجه النظم كانه قيل له انقطاع الوحي
لا يكون عزلا عن النبوة بل غايته انه اشارة الموت لا لاستغنا عن الرسالة فانه فهمت منه قرب الموت
فالموت خير لك من الاولى وفهم صلى الله عليه وسلم من الخطاب بقوله ما ودعك ربك وما قلى
تشريفا عظيما فقيل له وللاخرة خير لك من الاولى اي ان الاحوال الاتية خير لك من الماضية
ثم وعد بانه سيزيده على عزه وبيان ان الاخرة خير له صلى الله عليه وسلم بفعل فيها
ما يريد ولانه اشتراها في ملكه وملكه خير مما لا يكون ملكه او لان الكفار يودونك وامتك
في الدنيا واما في الاخرة فهم شهدا على الناس او لان خيرات الدنيا قليلة مقطوعة ولم يقل خير لكم
لان فيهم من الاخرة شر له فلو مزجهم لافتضحوا ثم اخبر الله تعالى عن حاله التي كان عليها قبل الوحي
وذكره نعمه فقال قوله تعالى الم يجدك يتيما فاوي العامة على اوى بالف بعد الهمزة رباعيا
من اواه يؤويه وابو الاشهب فاوى ثلاثيا قال الزمخشري وهو على معنيين امامن اواه بمعنى
اواه سمع بعض الرعاة يقول اين اوي هذه وامامن اوي له اذا رحمه انتهى وعلى الثاني قوله
اواني ولا كفرات ان الله ابه لتفتنى قد طالبت غير منيل اي رحمه لتضيعي ووجه الدلالة من قوله
ابهاو وهذه لانه لو كان من الرباعي المضمومة حرف المضارعة والناسه في الكلمة واما
همزة افعل فحذف وقف على القاعدة ولم تبدل هذه الهمزة كما بدلت في اوي لئلا ينقل بالادغام
ولذلك نص الراعي على ان سويه من قوله تعالى وفصيلته التي تؤويه لا يجوز ابدالها للثقل
فصل قال ابن الخطيب يجدك من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولان
وجد والوجود من الله العلم والمعنى الم يعلمك الله يتيما فاوى قال القرطبي يتيما لا اب لك
قد مات ابوك فاوى اي جعل لك ماوى تاوي اليه عند عمك ابي طالب فكفلك وقيل لجعفر
ابن محمد الصادق لم اوتم النبي صلى الله عليه وسلم من ابويه فقال لئلا يكون لمخلوق عليه حق
وقال مجاهد هو من قول العرب درة يتيمة اذا لم يكن لها نظير فالمعنى الم يجدك يتيما واحدا في
شرفك لا نظير لك فاواك الله باصحاب يحفظونك ويحوطونك **فصل** اورد ابن الخطيب
هنا سؤالا وهو انه كيف يحسن من الجواد ان يمن بنعمه فيقول الم يجدك يتيما فاوى ويؤكد
هذا السؤال ان الله تعالى حكى عن فرعون قوله لموسى الم نربك فينا وليدا في معرض الذم
لفرعون فما كان مذموما من فرعون كيف يحسن من الله تعالى قال والجواب ان ذلك
يحسن اذا قصد بذلك تقوية قلبه ووعده بدوام النعمة ولهذا ظهر الفرق بين هذا الامتنان
وبين امتنان فرعون لان امتنان فرعون معناه فما بالك لا تحدثني وامتنان الله تعالى
زيادة نعمة كانه يقول ما لك تقطع عن رجاك الست شرعت في تربيتك اتظنني تاركا لما
صنعته بل لا بد ان اتم النعمة كما قال تعالى ولاتم نعمتي عليكم فان قيل ان الله تعالى من
عليه بثلاثة اشياء ثم امره بان يذكر نعمة ربه فما وجه المناسبة فالجواب وجه المناسبة ان
يقول قضاء الدين واجب والدين نوعان مالي وانعامي والانعامي يتاكد بالابرار والمالي

يقضى مرة فيتخلص منه الانسان والانعامي يجب عليه قضاؤه طول عمره فاذا تعذر قضاء النعمة
القليلة من منعم هو مملوك فكيف حال النعمة العظيمة من المنعم المالك فكان العبد يقول
الهي اخرجتني من العدم الى الوجود بشرا مستويا طاهر الظاهر نجس الباطن بشارة منك تستر
عيوبي لا تبصر عيوبك كما سترت نجاستي بالجلد الظاهر نجس الباطن فكيف يمكنني قضاء نعمتك
التي لا احصرها فيقول تبارك وتعالى الطريق الى ذلك ان يفعل في حق عبيدي ذلك وكنت عائلا
فاغنيتك فاغن في حق الايتام ذلك ثم اذا فعلت كل ذلك فاعلم انما فعلته بتوفيقي ولطفي وارشادي
فكن ابدا ذاكرا لهذه النعم قوله ووجدك ضالا فهدى اي غافلا عما يراد بك من امر النبوة فهداك اي
ارشدك والضلال هاهنا بمعنى الغفلة لقوله تعالى لا يضل ربي ولا ينسى اي لا يغفل وقال في حق نبيه
صلى الله عليه وسلم وان كنت من قبله لمن الغافلين وقيل معنى قوله تعالى ضالا لم تكن تدري القران
والشرائع فهداك الله الى القران وشرائع الاسلام قاله الضحاك وشهر بن حوشب وغيرهما قال تعالى
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان على ما تقدم في سورة الشورى وقال السدي والكلبي والفرا
وجدك ضالا اي في قوم ضلال فهداهم الله بك او فهداك الى ارشادهم وقيل ووجدك ضالا عن
الهجرة فهداك اليها وقيل ضالا اي ناسيا شانه الاستثناء حين سئلت عن اصحاب الكهف وذي
القرنين والروح فاذكرك لقوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى وقيل ووجدك طالبا
للقبلة فهداك اليها لقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء الاية ويكون الضلال بمعنى الطلب
لان الضال طالب وقيل ووجدك ضائعا في قومك فهداك اليه ويكون الضلال بمعنى المحبة قال تعالى
قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم اي في محبتك قال الشاعر

هذا الضلال اشاب مني المفرقا • والعارضين ولم اكن متحققا •
عجبا لعزة في اختيار قطيعتي • بعد الضلال فحبلها قد اخلقا •

وقيل ضالا في شعاب مكة فهداك ورده الى جدك عبد المطلب وقال كعب رضي الله عنه ان
حليمة لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب فسمعت
عند باب مكة هنيا لك يا بطحاء مكة اليوم يرد اليك النور والدين والبهاء والجمال قالت فوضعته
لاصلح ثيابي فسمعت هدة شديدة فالتفت فلم اره فقلت معشر الناس اين الصبي فقالوا لم نر شيئا
فصحت وامحمداه فاذا شيخ فان يتوكى على عصا فقال اذهبي الى الصنم الاعظم فان شا يرده اليك
ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل راسه وقال يا رب لم تزل منتك على قريش وهذه السعدية تزعم ان
ابنها قد ضل فرده ان شئت فانكب هبل على وجهه وتساقطت الاصنام وقالت اليك عنا ايها الشيخ
هلاكنا على يدي محمد فالقى الشيخ عصاه وارتعد وقال ان لابنك ربا لا يضيعه فاطلبيه على مهل فانحشرت
قريش الى عبد المطلب وطلبوه في جميع مكة فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع
الى الله تعالى ان يرده وقال يا رب رد ولدي محمدا اردده ربي واصطنع عندي يدا فسمعوا مناديا
ينادي من السماء معاشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يضيعه ولا يخذله وان محمدا بوادي تهامة
عند شجرة الموز صلى الله عليه وسلم فسار عبد المطلب هو وورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله عليه
وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان وبالورق وفي رواية فما زال عبد المطلب يردد البيت حتى
اتاه ابو جهل على ناقة ومحمد صلى الله عليه وسلم بين يديه وهو يقول لا تدري ماذا جرى من ابنك
فقال عبد المطلب ولم قال اني انخت الناقة واركبته خلفي فابت الناقة ان تقوم فلما اركبته امامي
قامت الناقة قال ابن عباس رضي الله عنه رده الله تعالى الى جده بيد عدوه كما فعل بموسى
عليه السلام حين حفظه عند فرعون وقال سعيد بن جبير خرج النبي صلى الله عليه وسلم مع
عمه ابي طالب في سفر فاخذ ابليس بزمام ناقته في ليلة ظلما فعدل بها عن الطريق فجا جبريل
عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الهند ورده الى القافلة صلى الله عليه وسلم وقيل ووجدك
ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك جبريل وانت لا تعرف الطريق فهداك الى ساق العرش وقال
بعض المتكلمين اذا وجدت العرب شجرة منفردة في فلاة من الارض ولا شجر معها سموها ضالة فيهتدي
بها الى الطريق فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا اي لا احد على دينك بل انت
وحدك ليس معك احد فهديت بك الخلق الي وقال بعضهم ووجدك مغمورا في اهل الشرك فميزك
عنهم يقال ضل الماء في اللبن ومنه اذا ضللنا في الارض اي لحقنا بالتراب عند الدفن حتى كانا ذهبنا

لا تتمر من حاله وقيل ضالا عن معرفة الله حين كنت طفلا صغيرا كقوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيا فخلق فيك العقل والهداية والمعرفة فالمراد من الضال الخالي عن العلم لا الموصوف بالاعتقاد وقيل قد يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم والمراد قومه فقوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اي وجد قومك ضالا فهداهم بك وقيل الذكان على ما كان القوم عليه لا يظهر لهم في الظاهر الحال فاما الشرك فلا يظن به بل على مواسم القوم في الظاهر اربعين سنة وقال الكلبي والسدي اي وجدك كافرا والقوم كفارا فهداك وتقدم الرد على هذا القول في سورة الشورى قوله تعالى ووجدك عايلا فاغنى العايل الفقير وهذه قراة العامة يقال عال يعيل اي افتقر قال جرير

الله انزل في الكتاب فريضة ، لابن السبيل وللفقير العايل

واعال كثرت عياله قال الشاعر

وما يدري الفقير متى غناه ، وما يدري الغني متى يعيل

وقرا اليماني عيلا بكسر اليا المشددة كسيد وقال ابن الخطيب العايل ذو العيلة ثم اطلق على الفقير وان لم يكن له عيال والمشهور ان المراد به الفقير ويويده ما روي في مصحف عبد الله ووجدك عديما وقوله تعالى فاغنى اي اغناك بخديجة وتربية ابي طالب ولما اختل ذلك اغناه بمال ابي بكر رضي الله عنه ثم لما اختل ذلك امره بالهجرة واغناه باعانة الانصار رضي الله عنهم ثم امره بالجهاد واغناه صلى الله عليه وسلم بالغنايم وقال مقاتل اغناك بما اعطاك من الرزق وقال عطا وجدك فقير النفس فاغنى قلبك وقيل من الحجج والبراهين فاغناك بها قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر اليتيم منصوب بتقهر وبه استدل ابن مالك على انه لا يلزم من تقديم المعمول تقديم العامل الا ترى ان اليتيم منصوب بالمجزوم وقد تقدم على الجازم ولو قدمت على لا لا لامتنع لان المجزوم لا يتقدم على جازمه كالمجرور لا يتقدم على جاره وتقدم ذلك في سورة هود عليه السلام عند قوله تعالى الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وقرا العامة تقهر بالقاف من الغلبة وابن مسعود والشعبي وابراهيم النخعي والاشهب العقيلي بالكاف تقال كهر في وجهه اي عبس وفلان ذو كهرة اي عابس الوجه ومنه الحديث فبابي وامي هو ما كهرني وقال ابو حيان وهي لغة بمعنى قراة الجمهور انتهى والكهر في الاصل ارتفاع النهار مع شدة الحر وقيل القهر الغلبة والكهر الزجر والمعنى لا تسلط عليه بالظلم بل ادفع اليه حقه واذكر يتمك قاله الاخفش وقال مجاهد لا تحتقر وخص اليتيم لانه لا ناصر له غير الله تعالى فغلظ في تاثير العقوبة على ظالمه والمعنى عامله بمثل ما عاملناك به ونظيره واحسن كما احسن الله اليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله فيمن ليس له الا الله

فصل دلت الاية على العطف باليتيم وبره والاحسان اليه قال قتادة كن لليتيم كالاب الرحيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين واشار بالسبابة والوسطى به وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما وكان في نفقته وكفاه مونته كان له حجابا من النار يوم القيمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم من مسح براس يتيم كان له بكل شعرة حسنة

فصل قال ابن الخطيب والحكمة في ان الله تعالى اختار لنبيه اليتيم ان يعرف حرارة اليتيم فيرفق باليتيم وايضا ليشاركه في الاسم فيكرم لاجل ذلك لقوله عليه الصلاة والسلام اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه ووسعوا له في المجلس وايضا ليعتمد من اول عمره على الله تعالى فيتشبه بابراهيم عليه السلام في قوله حسبي من سوالي علمه بحالي وايضا فالغالب ان اليتيم تظهر عيوبه فلما لم يجد وا فيه عيبا لم يجدوا فيه مطعنا وايضا جعله يتيما ليعلم كل احد ان فضيلته ابتدا من الله تعالى لا من التعليم لان من له اب فان اباه يعلمه ويوديه وايضا فاليتيم والفقر نقص في العادة فلو نزه صلى الله عليه وسلم مع هذين الوصفين من اكرم الخلق كان ذلك قلبا للعادة فكان معجزة ظاهرة قوله تعالى واما السايل فلا تنهر اي فلا تزجره يقال نهره وانتهره اذا زجره واغلظ له القول ولكن يرده ردا جميلا قال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السوال يحملون زادنا الى الاخرة وقال ابراهيم النخعي السايل بريد الاخرة يجي الى باب احدكم فيقول هل تبعثون الى اهليكم شي وقيل المراد هنا بالسايل الذي يسال عن الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سالت ربي مسالة وددت اني لم اسالها قلت يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما وسخرت مع داود

الجبال يسبحن واعطيت فلانا كذا فقال الله تعالى الم اجدك يتيما فاويتك الم اجدك ضالا لا فهديتك الم اجدك عايلا فاغنيتك الم اشرح لك صدرك الم اوتك ما لم اوت احدا قبلك خواتيم سورة البقرة الم اتخذك خليلا كما اتخذت ابراهيم خليلا قلت بلى يا رب قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث اخبار متعلق بحدث والفا غير مانعة من ذلك قال مجاهد تلك النعمة التي لا احدثها هو القران والحديث فيه ان يقرا غيره وعن مجاهد ايضا تلك النعمة هي النبوة اي بلغ ما انزل اليك من ربك وقيل تلك النعمة هي ان وفقك الله تعالى فراعيت حق اليتيم والسايل فحدث بها ليقتدي بك غيرك وعن الحسن بن علي رضي الله عنه قال اذا عملت خيرا فحدث ليقتدي به وروي مالك بن نضلة الجشمي قال كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى رث الثياب فقال صلى الله عليه وسلم الك مال قلت نعم يا رسول الله قال اذا اتاك الله مالا فليرى اثره عليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جميل يحب الجمال ويحب ان يرى اثر النعمة على عبده فان قيل ما الحكمة في ان الله تعالى اخر حق نفسه عن حق اليتيم والسايل فالجواب كانه سبحانه وتعالى يقول انا غني وهما محتاجون وحق المحتاج اولى بالتقديم واختار قوله فحدث على قوله فخبر ليكون ذلك حديثا عنده لا ينساه ويعيده مرة اخرى

فصل روي مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه وروي البزي عن ابن كثير بكر القاري عقيب الضحى وروي ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا بلغ اخر الضحى في بين كل سورتين تكبيرة الى ان يختم القران ويفصل بينهما بسكتة وكان المعنى في ذلك ان الوحي تاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال ناس من المشركين قد ودعه صاحبه وقلاه فنزلت هذه السورة فقال الله اكبر قال مجاهد قرات على ابن عباس رضي الله عنه فامرني به واخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكبر في قراة الباقين لانها ذريعة الى الزيادة في القران قال القرطبي القران ثبت نقله بالتواتر سوره واياته وحروفه بغير زيادة ولا نقصان وعلى هذا فالتكبير ليس بقران روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والضحى كان فيمن يرضاه الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يشفع له وكتب الله تعالى له من الحسنات بعدد كل يتيم وسايل والله اعلم

سورة الم نشرح مكية

وهي ثمان ايات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الاستفهام اذا دخل على النفي قرره فصار المعنى قد شرحنا وكذلك عطف عليه الماضي ومثله الم نربك فينا وليدا ولبثت والعامة على جزم الحا بلم وقرا ابو جعفر المنصور بفتحها فقال الزمخشري وقالوا لعله بين الحا واشبعها في مخرجها فظن السامع انه فتحها وقال ابن عطية ان الاصل الم نشرحن بنون الخفيفة ثم ابدلها الفا ثم حذفها تخفيفا كما انشد ابو زيد

من اي يومي من الموت افر ، ايوم لم يقدر ام يوم قدر

بفتح ولم يقدر وكقوله

اضرب عنك الهموم طارقها ، ضربك بالسيف قونس الفرس

بفتح با اضرب انتهى وهذا مبني على جواز توكيد المجزوم بلم وهو قليل جدا كقوله

يحسبه الجاهل ما لم يعلما ، شيخا على كرسيه معمما

فتركب هذه القراة من ثلاثة اصول كلها ضعيفة لان توكيد المجزوم بلم ضعيف وابدالها الفا انما هو في الوقف فاجري الوصل مجرى الوقف خلاف الاصل وحذف الالف ضعيف لانه خلاف الاصل وخرج ابو حيان على لغة خرجها اللحياني في نوادره عن بعض العرب وهو الجزم بلن والنصب بلم عكس المعروف عند الناس وجعله احسن مما تقدم وانشد قول عايشة بنت الاعجم تمدح المختار رضي الله عليه وسلم بطلبه ثار الحسين بن علي رضي الله عنهما وعن بقية اصحابه اجمعين

قد كان سمك الهدى ينهد قائمه ، حتى ابيح له المختار فانعمرا

في كل ما هم امضى رايه قدما ، ولم يشاور في اقدامه احدا

بنصب را يشاور وجعله محتملا للتخريجين شرح الصدر فتحه اي الم نفتح صدرك للاسلام وقال

ابن عباس الم نلين قلبك وعن الحسن في قوله الم نشرح لك صدرك قال ملي حلما وعلما وروي
ان جبريل عليه السلام اتاه وشق صدره واخرج قلبه وغسله وانقاه من المعاصي ثم ملاه علما
وايمانا ووضعه في صدره وطعن القاضي في هذه الرواية من وجوه احدها ان هذه الواقعة انما
وقعت حال صغره صلى الله عليه وسلم وذلك من المعجزات فلا يجوز ان يتقدم ثبوته وثانيها ان تاثير
الغسل في ازالة الاجسام والمعاصي ليست باجرام فلا يكون للغسل فيها وثالثها انه لا يصح ان يملا القلب
علما بل الله تبارك وتعالى يخلق فيه العلوم واجيب عن الاول بان تقدم المعجزات على زمان
البعثة جائز وهو المسمى بالارهاص ومثله في حق الرسول صلى الله عليه وسلم كثير وعن الثاني والثالث
لا يبعد ان يكون حصول ذلك الدم الاسود الذي غسلوه من قلب الرسول صلى الله عليه وسلم علامة لميل
القلب الى المعاصي واحجامه عن الطاعات فاذا ازالوه عنه كان ذلك علامة لمواظبة صاحبه على الطاعات
واحترازه عن الشبهات فكان ذلك كالعلامة للملائكة روي ابن عباس رضي الله عنهما انهم قالوا يا رسول
الله اينشرح الصدر قال نعم قالوا وما علامته قال صلى الله عليه وسلم التجافي عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود والاعتداد للموت قبل نزوله قال القرطبي معنى الم نشرح قد شرحنا ولم نجد وجي
الاستفهام طرف من الجحد واذا وقع جحد على جحد رجع الى التحقيق كقوله تعالى اليس الله باحكم الحاكمين
ومعناه الله احكم الحاكمين وقوله تعالى اليس الله بكاف عبده وقول جرير يمدح عبد الله بن مروان

• الستم خير من ركب المطايا • واندى العالمين بطون راح •

المعنى انتم كذا فان قيل لم قال عز وجل الم نشرح لك صدرك ولم يقل ذكر الصدر ولم يذكر القلب
فالجواب لان محل الوسوسة هو الصدر على ما قال تعالى يوسوس في صدور الناس فازالة
تلك الوسوسة بدواعي الخير هو الشرح فلذلك خص الشرح بالصدر دون القلب وقيل الصدر
حصن القلب فيقصده الشيطان فان وجد مسلكا اغار فيه وبث جنده فيه وبث فيه الهموم
والغموم والحرص فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة فان طرد في
الابتدا حصل الامن وانشرح الصدر فان قيل لم قال الم نشرح لك صدرك ولم يقل الم نشرح
صدرك فالجواب كانه تعالى يقول لام يلام فانت انما تفعل الطاعات لاجلي وانا ايضا جميع
ما افعله لاجلك **فصل** روي عن طاوس وعمر بن عبد العزيز انهما كانا يقولان والضحى
والم نشرح سورة واحدة وكانا يقرانهما في ركعة واحدة ولا يفصلان بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم
وذلك لانهما رايا ان اولها يشبه قوله تعالى الم يجدك يتيما وليس كذلك لان ذلك حالة اغتمامه
صلى الله عليه وسلم بايذا الكفار فهي حالة محنة وضيق وهذه حالة انشراح الصدر وتطييب
القلب فكيف يجتمعان قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك اي حططنا عنك ذنبك وقرا انس
رضي الله عنه وحللنا وحططنا وقرا ابن مسعود وحللنا عنك وقرك وهذه الاية مثل
قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قيل الجميع كانوا قبل النبوة والوزر
الذنب اي وضعنا عنك ما كنت فيه من امر الجاهلية لانه كان صلى الله عليه وسلم في كثير من
مذاهب قومه وان لم يكن عبد صنما ولا وثنا قوله تعالى الذي انقض ظهرك اي اثقله حمله على
النقيض وهو صوت الانتقاص والانفكاك لثقله مثل ما كان يثقله صلى الله عليه وسلم قال
اهل اللغة الحمل ظهر الناقة اذا سمعت له صريرا من شدة الحمل وسمعت نقيض الرحل اي صريره
قال العباس بن مرداس

• وانقض ظهري ما تطويت منهم • وكنت عليهم مشفقا متحننا

وقال جميل

• وحتى تداعت بالنقيض حباله • وهمت بواني زوره ان تحطما

والمعنى اثقل ظهرك حتى سمع نقيضه اي صوته والوزر الحمل الثقيل قال المحاسبي يعني ثقل
الوزر لو لم يعف الله عنه قال وانما وضعت ذنوب الانبيا عليهم السلام بهذا الثقل مع كونها
مغفورة لشدة اهتمامهم بها وندمهم فيها وتحسرهم عليها وقال الحسين بن الفضل يعني الخطا
والسهو وقيل ذنوب امتك اضافها اليه لاشتغال قلبه بها وقال عبد العزيز بن يحيى وابو
عبيدة خففنا عنك اعباء النبوة والقيام بها لا يثقل عليك وقيل كان في الابتدا يثقل عليه
الوحي حتى كاد يرمي نفسه من شاهق الجبل الى ان جاءه جبريل عليه السلام وازال عنه ما كان
يخاف من تغير العقل صلى الله عليه وسلم وقيل عصمناك من احتمال الوزر وحفظناك قبل
النبوة في الاربعين من دناس حتى نزل عليك الوحي وانت مطهر قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك

قال مجاهد يعني بالتاذين وروي الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال يقول الله عز وجل
لا ذكرت الا وذكرت معي في الاذان والاقامة والتشهد ويوم الجمعة على المنابر ويوم الفطر ويوم الاضحى
ويوم عرفة وايام التشريق وعند الجمار وعلى الصفا والمروة وفي خطبة النكاح وفي مشارق الارض ومغاربها
ولو ان رجلا عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار وكل شي ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع
بشي وكان كافرا وقيل اعلينا ذكرك بذكرناك في الكتب المنزلة على الانبيا قبلك وامرناهم بالبشارة
بك ولا دين الا ودينك يظهر عليه وقيل رفعنا ذكرك عند الملائكة في السما والارض عند المومنين
ونرفع في الاخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود وكرايم الدرجات وقيل عام في كل ما ذكروا
قوله فان مع العسر يسرا العامة على سكون السين في الكلم الاربع وابن وثاب وابو جعفر وعيسى
بضمها وفيه خلاف هل هو اصل او فعل من المسكن والالام فالالف واللام في العسر الاول للتعريف
الجنس وفي الثاني للعهد ولذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه لن يغلب عسر يسرين وروي
ايضا مرفوعا انه صلى الله عليه وسلم خرج يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين والسبب فيه ان العرب
اذا اتت باسم ثم اعادته مع الالف واللام كان هو الاول نحو جا الرجل فاكرمت الرجل وقوله تعالى كما
ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول ولو اعادته بغير الف ولام كان غير الاول فقوله
تعالى ان مع العسر يسرا لما اعاد العسر الثاني اعاده بال ولما كان اليسر الثاني غير الاول لم يعده بال
ولما كان اليسر الثاني غير الاول وقال الزمخشري فان قلت ما معنى قول ابن عباس وذكر ما تقدم
قلت هذا عمل على الظاهر وبنا على قوة الرجا وان موعد الله تعالى لا يحمل الا على اوفى ما يحتمله اللفظ
وابلغه والقول فيه انه يحتمل ان تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين
لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما تكرر المفرد في قوله جا زيد زيد وان تكون الاولى
مستانفة بان العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستيناف وانما كان العسر واحدا لانه لا يخلو
اما ان يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لان حكمه حكم زيد في قولك ان مع زيد
مالا ان مع زيد مالا واما ان يكون للجنس الذي يعلمه كل احد فهو هو ايضا واما اليسر فمنكر متناول
لبعض الجنس واذا كان الكلام الثاني مستانفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير بعض الاول بغير
اشكال وقال ابو البقا العسر في الموضعين واحد لان الالف واللام توجب تكرير الاول واما يسرا
في الموضعين فاثنان لان النكرة اذا اريد تكريرها جي بضميرها او بالالف واللام ومن هنا قيل
لن يغلب عسر يسرين وقال الزمخشري ايضا فان قلت ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر
والعسر قلت اراد ان الله تبارك وتعالى يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب
فقرب اليسر المترقب حتى جعله كانه كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية للقلوب وقال
ايضا فان قلت ما معنى هذا التنكير قلت التفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما واي يسر وهو
في مصحف ابن مسعود مرة واحدة فان قلت فاذا ثبت في قراته غير مكرر فلم قال والذي نفسي
بيده لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه لن يغلب عسر يسرين قلت كانه قصد باليسرين
ما في قوله يسرا من معنى التفخيم فتاوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة **فصل**
تعلق هذه الاية بما قبلها هو ان الله تعالى بعث نبيه صلى الله عليه وسلم فعيره المشركون بفقره
حتى قالوا له نجمع لك مالا فاغتم لذلك وظن انهم انما رغبوا عن الاسلام لكونه فقيرا حقيرا عندهم
فعدد الله تعالى عليه منته بقوله تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك اي ما كنت
فيه من امر الجاهلية ثم وعده بالغنا في الدنيا ليزيل عن قلبه ما حصل فيه من التاذي بكونهم عيروه
بالفقر فقال تعالى فان مع العسر يسرا وعطفه بالفا اي لا يحزنك ما عيروك به من الفقر فان مع ذلك
يسرا اجلا عاجلا في الدنيا فانجز ما وعده فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز واليمن ووسع ذات يده حتى
كان يعطي الرجل المايتين من الابل ويهب الهبات السنية ويعد لاهله قوت سنة وهذا وان كان حاصلا
بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد يدخل فيه بعض امته صلى الله عليه وسلم ان شا الله تعالى ثم ابتدا
فضيلا اخر من امر الاخرة فقال ان مع العسر يسرا فهذا شي اخر والدليل على ابتدايه تعديه من فا او واو
وغيرهما من حروف القسم التي يدخل على العطف فهذا وعد عام لجميع المومنين ان مع العسر يسرا للمومنين
يسرا في الاخرة لا محالة وربما اجتمع يسر الدنيا ويسر الاخرة فقوله فاذا فرغت العامة على فتح الرا من
فرغت وهي الفصيحة وقراها ابو السماك مكسورة وهي لغة فيه قال الزمخشري وليست بالفصيحة وقال

الزمخشري فان قلت كيف تعلق قوله تعالى فاذا فرغت فانصب بما قبله قلت لما عدد عليه
نعمه السالفة ووعده نعمه على الشكر والاجتهاد في العبادة عن ابن عباس رضي الله عنه فاذا فرغت
من صلاتك فانصب في الدعا والعامة على فتح الصاد وسكون البا امر من النصب وقري بتشديد
البا مفتوحة امر من الانصباب وكذا قري بكسر الصاد ساكنة البا امر من النصب بسكون الصاد قال
شهاب الدين ولا اظن الاولى الا تصحيفا والثانية الا تحريفا فانما تروى عن الامامية وتفسيرها
فاذا فرغت من النبوة فانصب الخليفة قال ابن عطية وهي قراة ضعيفة شاذة لم تثبت عن
عالم وقال الزمخشري ومن البدع ماروي عن بعض الرافضة انه قرا فانصب بكسر الصاد اي
النصب عليا للامامة ولو صح هذا للرافضي يصح للناصبي ان يقرا هكذا ويجعله امرا بالنصب الذي
هو بغض علي وعداوته قال ابن مسعود اذا فرغت من الفرايض فانصب في قيام الليل وقال الكلبي
اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب اي استغفر لذنبك وللمومنين والمومنات وقال الحسن وقتادة
فاذا فرغت من جهاد عدوك فانصب لعبادة ربك قوله تعالى والى ربك فارغب من الرغبة
وقرا زيد بن علي وابن ابي عبلة فرغّب بتشديد الغين امر من رغّبه بالتشديد اي فرغّب
الناس الى طلب ما عنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من قرا الم نشرح لك صدرك فكانما جاني وانا مغتم ففرج عني والله اعلم

سورة والتين مكية

وقال ابن عباس وقتادة مدنية وهي ثمان ايات واربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والتين والزيتون قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وابراهيم النخعي
وعطا بن ابي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي هو تينكم الذي تاكلون وزيتونكم
الذي تعصرون منه الزيت قال تعالى وشجرة تخرج من طور سينا تنبت بالدهن وصبغ
للاكلين ومن خواص التين انه غذا وفاكهة وهو سريع الهضم لا يمكث في المعدة ويقطع البلغم
ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل والحصى ويسمن البدن ويفتح مسام الكبد والطحال
وروي ابو ذر رضي الله عنه انه اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم سل من تين فاكل منه وقال لاصحابه
كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع
البواسير وتنفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضى التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر
وهو امان من الفالج واما الزيتون فشجرته هي الشجرة المباركة وعن معاذ رضي الله عنه انه
استاك بقضيب من زيتون وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون
من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب البخر وهي سواكي وسواك الانبياء قبلي وعن
ابن عباس رضي الله عنه التين مسجد نوح عليه السلام الذي بني على الجودي والزيتون بيت
المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى وقال ابن زيد التين
مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وقال قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق
والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال قتادة محمد بن كعب رضي الله عنه التين
مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون
بيت المقدس وهذا اختيار الطبري وقيل هما جبلان بالشام يقال لهما طور زيتا وطور تينا
بالسريانية سميا بذلك لانهما ينبتان التين والزيتون قال القرطبي والصحيح الاول لانه الحقيقة
فلا يعدل عنه الى المجاز الا بدليل قوله تعالى وطور سينين الطور جبل وسينين اسم
مكان فاضيف الجبل للمكان الذي هو به قال الزمخشري ونحو سينون يبرون في جواز
الاعراب بالواو والياء والاقرار على اليا وتحريك النون بحركات الاعراب وقال ابو البقا هو
لغة في سينا انتهى وقرا العامة بكسر السين وابن اسحاق وعمرو بن ميمون وابو رجا بفتحها وهي
لغة بكر وتميم وقرا عمر بن الخطاب وعبد الله والحسن وطلحة سينا بالكسر والمد وعمر ايضا
وزيد بن علي بفتحها والمد قال عمرو بن ميمون صليت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه العشا

بمكة فقرا والتين والزيتون وطور سينا وهذا البلد قال وهكذا في قراة عبد الله ورفع
صوته تعظيما للبيت وقرا في الثانية الم تر كيف فعل ربك ولايلاف قريش جمع بينهما ذكره ابن الانباري
وقد تقدم في المومنين وهذه لغات اختلفت في هذا الاسم السرياني على عادة العرب في تلاعبها بالاسما
الاعجمية وقال الاخفش سينين جمع الواحدة سينة وهو غريب جدا غير معروف عند اهل التفسير
وعن مجاهد وطور جبل سينين اي مبارك بالسريانية وهو قول قتادة والحسن وعن ابن عباس سينين
اي حسن بلغة الحبشة وعن عكرمة قال هو الجبل الذي نادي الله تعالى منه موسى عليه السلام وقال
مقاتل والكلبي سينين كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسينا بلغة النبط وقال ابو علي سينين
فعليل فكررت اللام التي هي نون فيه كما كررت في زحليل للمكان الزلق وكرديد للقطعة من التمر وخنذيد
للطويل ولم ينصرف سينين كما لا ينصرف سينا لانه جعل اسما للبقعة او ارض ولو جعل اسما للمكان او
للمنزل واسم مذكر لانصرف لانك سميت مذكرا بمذكر وانما اقسم بهذا الجبل لانه بالشام والارض المقدسة
وقد بارك الله تعالى فيهما قال تعالى الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله ولا يجوز ان يكون
سينين نعتا للطور لاضافته اليه قوله تعالى وهذا البلد الامين يعني مكة والامين هذا
فعيل للمبالغة اي امن من فيه ومن دخله من انس وطير وحيوان ويجوز ان يكون من امن الرجل
بضم الميم امانة فهو امين واما نته حفظه من دخله كما يحفظ الامين ما يوتمن عليه ويجوز ان يكون
بمعنى مفعول من امنه لانه مامون الغوايل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما امنا بمعنى ذا امن
قال القرطبي اقسم الله تعالى بجبل دمشق لانه ماوي عيسى عليه السلام وبجبل بيت المقدس لانه مقام
الانبيا وبمكة لانها اثر ابراهيم ودار محمد عليه الصلاة والسلام قوله تعالى لقد خلقنا الانسان
هذا جواب القسم واراد بالانسان الكافر قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل كلدة بن اسيد فعلى هذا
نزلت في منكري البعث وقيل المراد بالانسان ادم عليه السلام وذريته قوله في احسن تقويم
صفة لمحذوف اي في تقويم احسن تقويم وقال ابو البقا في تقويم في موضع الحال من الانسان
واراد بالتقويم القوام لان التقويم فعل وذاك وصف للخالق لا للمخلوق ويجوز ان يكون التقدير
في احسن قوام التقويم فحذف المضاف ويجوز ان تكون في زايدة اي قومناه احسن تقويم انتهى ه

فصل قال المفسرون احسن تقويم هو اعتداله واستواء شبابه لانه خلق كل شي
منكبا على وجهه وخلق هو مستويا وله لسان ذلق ويد واصابع يقبض بها قال ابن العربي ليس
لله تعالى خلق احسن من الانسان فان الله تعالى خلقه حيا قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا
حكيما وهذه صفات الله تعالى جلت قدرته سبحانه وتعالى وعبر عنها بعض العلما ووقع البيان بقوله
ان الله تعالى خلق ادم عليه السلام على صورته يعني على صفاته المقدم ذكرها وفي رواية على
صورة الرحمن ومن اين تكون للرحمن صورة مشخصة فلم يبق الا ان يكون مضافا وروي ان عيسى
ابن موسى الهاشمي كان يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما انت طالق ثلاثا ان لم تكوني
احسن من القمر فنهضت واحتجبت عنه وقالت طلقتني فبات بليلة عظيمة فلما اصبح غدا الى دار
المنصور فاخبره الخبر فاستحضر الفقها واستفتاهم فقال جميع من حضر قد طلقت الا رجلا
واحدا من اصحاب ابي حنيفة فانه كان ساكتا فقال له المنصور مالك لا تتكلم فقال له الرجل
بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم يا امير المومنين فالانسان احسن الاشيا ولا شي احسن منه فقال المنصور لعيسى
ابن موسى الامر كما قال الرجل فاقبل على زوجتك وارسل المنصور الى زوجته ان اطيعي زوجك فما
طلقك وهذا يدل على ان الانسان احسن خلق الله تعالى ولذلك قالت الفلاسفة انه العالم
الاصغر اذ كل ما في المخلوقات اجمع فيه قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين يجوز في اسفل
سافلين وجهان احدهما انه حال من المفعول والثاني انه صفة لمكان محذوف اي مكانا اسفل سافلين
وقرا عبد الله السافلين معرفا **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه يريد ارذل العمر
وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة قال ابن قتيبة السافلون هم الضعفا الزمنى ومن لم
يستطع حيلة يقول سفل يسفل فهو سافل وهم سافلون كما تقول علا يعلو فهو عال وهم عالون
وعن مجاهد وابي العالية اسفل سافلين الى النار يعني الكافر وقال علي رضي الله عنه ابواب جهنم
بعضها اسفل من بعض فيبدا بالاسفل فيملا وهو اسفل السافلين وعلى هذا التقدير ثم رددناه الى

اسفلا او في اسفل السافلين قوله الا الذين امنوا فيه وجهان احدهما متصل على ان المعنى
رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني اقبح من اقبح خلقه واشوهه صورة وهم اهل
النار فالاتصال على هذا اوضح والثاني انه منقطع على ان المعنى ثم رددناه بعد ذلك التقويم
والتحسين اسفل من سفل في احسن الصورة والشكل حيث ملساه في خلقه فقوس ظهره
وضعف بصره وسمعه والمعنى ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دايم على
طاعتهم وصبرهم على الابتلا بالشيخوخة ومشاق العبادة قال الزمخشري ملخصا وقال اسفل
سافلين على الجمع لان الانسان في معنى جمع قال الفرا ولو قال اسفل سافلين جاز لان
لفظ الانسان واحد ويقول هذا افضل قايم ويقول افضل قايمين لانك تضمر لواحد فان
كان الواحد غير مضمر له رجع اسمه بالتوحيد والجمع كقوله تعالى والذي جا بالصدق وصدق
به اوليك هم المتقون وقوله تعالى واذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم اي لاتعن
به عليهم قوله تعالى فما يكذبك بعد بالدين ما استفهامية في محل رفع بالابتدا والخبر الفعل
بعدها والمخاطب الانسان على طريقة الالتفات توبيخا والزاما للحجة والمعنى فما يجعلك
كاذبا بسبب الدين وانكاره وقد خلقتك في احسن تقويم وانه يردك الى ارذل العمر وينقلك من
حال الى حال فالذي يحملك بعد هذا الدليل يعني انك تكذب اذا كذبت بالجزا لان كل مكذب
بالحق فهو كاذب فاي شي يضطرك الى ان تكون كاذبا بسبب الجزا والبا مثلها في قوله تعالى
على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وقيل المخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا
تكون المعنى فاذا الذي يكذبك فيما تخبر به من الجزا والبعث وهو الدين بعد هذه العبر التي توجب
النظر فيها صحة ما قلت قاله الفرا والاخفش قوله تعالى اليس الله باحكم الحاكمين اي
اتقن الحاكمين صنعا في كل ما خلق واذا ثبتت القدرة والحكمة بهذه الدلالة صح القول بامكان
الحشر ووقوعه اما الامكان فبالنظر الى القدرة واما الوقوع فبالنظر الى الحكمة لان عدم
ذلك يقدح في الحكمة كما قال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا وقيل احكم
الحاكمين قضا بالحق وعدلا بين الخلق والف الاستفهام اذا دخلت على النفي في الكلام صار
ايجابا كقوله الستم خير من ركب المطايا وقيل هذه الاية منسوخة باية السيف وقيل هي باقية
لانه لا تنافي بينهما وكان ابن عباس وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه من قرا سورة والتين
والزيتون فقرا اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين قال
القاضي هذه الاية من اقوى الدلايل على انه تعالى لا يفعل القبيح ولا يخلق افعال العباد مع
ما فيها من السفه والظلم لانه تعالى احكم الحكما فلا يفعل افعال السفها واجيب بالمعارضة بالعلم
والداعي ثم يقول السفيه من قامت السفاهة به لا من خلق السفاهة كان المتحرك من قامت
الحركة به لا من خلقها

سورة العلق مكية

وقيل اول ما نزل من القران في قول ابي موسى وعايشة رضي الله عنها وقيل اول ما نزل الفاتحة
ثم سورة العلق وهي عشرون اية واثنتان وسبعون كلمة وماتان وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اقرا العامة على سكون الهمزة امر من القراة وقرا عاصم في رواية الاعشى براء
مفتوحة وكانه قلب الهمزة الفا كقولهم قرا يقري نحو سعى يسعى فلما امر منه حذف الالف
على حد حذفها من اسع وهذا كقول زهير والا يبد بالظلم يظلم وقد تقدم تحريره
قوله باسم ربك يجوز فيه اوجه احدها ان يكون البا للحال اي اقرا مفتتحا باسم ربك قل
بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرا قاله الزمخشري الثاني ان البا مزيدة والتقدير اقرا اسم ربك
كقوله سود المحاجر لا يقرن بالسور وقيل الاسم صلة اي اذكر ربك قالها ابو عبيدة الثالث ان
البا للاستعانة والمفعول محذوف تقديره اقرا ما يوحى اليك مستعينا باسم ربك الرابع انها
بمعنى على اي اقرا على اسم ربك كما في قوله تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله قاله الاخفش وقد
تقدم في اول الكتاب كيف قدم هذا الفعل على الجار وقدر متاخرا في بسم الله الرحمن الرحيم

ويخرج الناس له فاغنى عن اعادته **فصل** قال اكثر المفسرين هذه السورة اول ما نزل
من القران نزل بها جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قايم على حرا فعلمه خمس ايات من
هذه السورة وقال جابر بن عبد الله اول ما نزل يا ايها المدثر وقال ابو ميسرة الهمداني اول ما نزل
فاتحة الكتاب وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اول ما نزل من القران قل تعالوا اتل ما حرم
ربكم عليكم قال القرطبي والصحيح الاول قالت عايشة رضي الله عنها اول ما جا رسول الله صلى
الله عليه وسلم الرويا الصادقة فجاه الملك فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خرجه البخاري وروت
عايشة رضي الله عنها انها اول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعدها ن والقلم
ثم بعدها يا ايها المدثر ثم بعدها والضحى ذكره الماوردي ومعنى قوله اقرا اي اقرا ما انزل عليك
من القران مفتتحا باسم ربك وهو ان تذكر التسمية في ابتدا كل سورة او اقرا على اسم ربك على
ما تقدم من الاعراب قوله تعالى الذي خلق خلق الانسان يجوز ان يكون خلق الثاني تفسيرا
لخلق الاول يعني ابهمه اولا ثم فسره ثانيا بخلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ويجوز ان يكون حذف
المفعول من الاول تقديره خلق كل شي لانه مطلق فيتناول كل مخلوق وقوله تعالى خلق الانسان
تخصيص بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه ويجوز ان يكون تاكيدا لفظيا فيكون قد
اكد الصلة وحدها كقولك الذي قام زيد والمراد بالانسان الجنس ولذلك قال تعالى من علق
جمع علقة لان كل واحد مخلوق من علقة كما في الاية الاخرى والعلقة الدم الجامد واذا جرى
فهو المسفوح وذكر العلق بلفظ الجمع لانه اراد بالانسان الجمع وكلهم خلقوا من علق بعد النطفة
والعلقة قطعة من دم رطب سميت بذلك لانها تعلق بما تمر عليه لرطوبتها فاذا جفت لم تكن
علقة وخص الانسان بالذكر تشريفا له وقيل اراد ان يبين قدر نعمته عليه بان خلقه من علقة
مهينة حتى صار بشرا سويا عاقلا مميزا وقوله تعالى الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم قريب
من قوله خلق خلق الانسان فاغنى عن اعادته **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل فما
وجه شرعية التسمية في المباح كالاكل فالجواب انه يصرف ذلك الى الله تعالى ليدفع ببركة اسمه الاذى
والضرر او ليدفع شركة الشيطان ولانه ربما استعان بذلك المباح على الطاعة فتصير طاعة وقال
هنا باسم ربك وفي التسمية المعروفة بسم الله الرحمن الرحيم لان الرب من صفات الفعل وهي تستوجب
العبادة بخلاف صفة الذات فافاد الرب هنا معنيين احدهما اي ربيتك فلزمك الفعل فلا تتكاسل
والثاني ان الشروع ملزم للاتمام وقد ربيتك مذ كنت علقة الى الان فلم اضيعك وقال هنا ربك
وقال في موضع اخر الذي اسرى بعبده كانه قال يقول سبحانه هو لي وانا له كقوله صلى الله عليه وسلم
علي مني وانا منه لان النعم واصله مني اليك ولم يصل الي منك خدمة فاقول انا لك ثم لما اتى بالعبادات
وشكر بالطاعات قال سبحان الذي اسرى بعبده فقوله تعالى الذي خلق كالدليل على الربوبية
كانه تعالى يقول الدليل على اني ربك انك لما كنت معدوما بدا بك وصفاتك فخلقتك وربيتك ويحتمل
ان يكون المعنى الذي حصل منه الخلق قوله تعالى اقرا وربك الاكرم فقوله تعالى اقرا تاكيدا وتم
الكلام ثم استانف فقال تعالى وربك الاكرم اي الكريم وقال الكلبي يعني الحليم عن جهل العباد فلم
يعجل بعقوبتهم وقيل اقرا اولا لنفسك والثاني للتبليغ او الاول للتعليم من جبريل عليه السلام والثاني
للتعليم او اقرا في صلاتك وقيل اقرا وربك اي اقرا يا محمد وربك يعينك ويفهمك وان كنت غير قاري
قوله تعالى الذي علم بالقلم يعني الخط والكتابة اي علم الانسان الخط بالقلم قال قتادة القلم
نعمة من الله تعالى عظيمة ولولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش فدل على كمال كرمه سبحانه بانه علم
عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع
العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم وما قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ولا
كتب الله المنزلة الا بالكتابة وسمي قلما لانه يقلم ومنه تقليم الظفر وروى عبد الله بن عمر رضي
الله عنه قال قلت يا رسول الله اكتب ما اسمع منك من الحديث قال نعم فاكتب فان الله تعالى علم
القلم ويروى ان سليمان عليه السلام سال عفريتا عن الكلام فقال ريح لا يبقى قال فما قيده قال الكتابة
وروى مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنه قال خلق الله تعالى اربعة اشيا بيده ثم قال تعالى لسائر الحيوان
كن فكان القلم والعرش وجنة عدن وادم عليه السلام وفيمن علمه بالقلم ثلاثة اقوال احدها قال
كعب الاحبار اول من كتب بالقلم ادم عليه السلام وثانيها قال الضحاك اول من كتب ادريس عليه السلام الثالث

انه جمع من كتب بالقلم لانه ما علم الا بتعليم الله تعالى قال القرطبي الاقلام ثلاثة في الاصل القلم
الاول الذي خلقه الله تعالى بيده وامره ان يكتب والقلم الثاني قلم الملائكة الذي يكتبون به المقادير
والكوائن والاعمال والقلم الثالث اقلام الناس يكتبون بها كلامهم ويصلون بها الى مآربهم وروى
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا نساءكم
الغرف ولا تعلموهن الكتابة قال بعض العلماء حذرهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك لان
في اسكانهن الغرف تطلعا على الرجال وليس في ذلك تحصين لهن ولا تستر وذلك انهن لا يملكن
انفسهن حين يشرفن على الرجال فتحدث الفتنة فحذرهم ان يجعلوا لهن غرفا ذريعة الى الفتنة لقوله
عليه الصلاة والسلام ليس للنساء خير لهن من ان لا يراهن الرجال ولا يرون الرجال وذلك انها
خلقت من اصل الرجل فهمها في الرجل والرجل خلقت فيه الشهوة وجعلت سكنا له فكل واحد منهما
غير مامون على صاحبه وكذلك تعليم الكتابة ربما كانت سببا للفتنة لانها اذا علمت الكتابة كتبت
الى من تهوى والكتابة عين من العيون بها يبصر الشاهد الغائب والخط آثار يده وفيها تعبير
عن الضمير بما لا ينطق به اللسان فهي ابلغ من اللسان فاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ينقطع عنهن اسباب الفتنة تحصينا لهن وطهارة لقلوبهن قوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم
قيل الانسان هنا آدم عليه السلام علمه اسماء كل شيء قال تعالى وعلم آدم الاسماء كلها وقيل
الانسان هنا الرسول عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وعلى هذا
فالمراد بعلم المستقبل لان السورة من اول ما نزل وقيل عام لقوله تعالى والله اخرجكم من بطون
امهاتكم لا تعلمون شيئا ولانه تعالى بين انه خلقه من نطفة وانعم عليه بالنعم المذكورة
ثم ذكر انه اذا زاد عليه في النعم فانه يطغى ويتجاوز الحد في المعاصي واتباع هوى النفس وذلك
وعيد وزجر عن هذه الطريقة قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى الى آخر السورة قيل انه نزل
في ابي جهل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي
في المسجد ويقرا باسم الرب تبارك وتعالى وعلى هذا فليست السورة من اول ما نزل ويجوز ان يكون
خمس آيات من اولها ما نزل اولا ثم نزلت البقية في شان ابي جهل وامر النبي صلى الله عليه وسلم بضم ذلك الى اول السورة
لان تاليف السور انما كان بامر الله تعالى الا ترى ان قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
آخرها نزل ثم هو مضموم الى ما نزل قبله بزمان طويل وكلا بمعنى حقا قاله الجرجاني لانه ليس قبله
ولا بعده شيء يكون كلا ردا له كما قالوا في كلا والقمر فانهم قالوا معناه اي والقمر وقيل انه ردع وزجر
لمن كفر بنعمة الله وطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه وقال مقاتل معناه كلا لا يعلم الانسان ان
الله تعالى هو الذي خلقه من العلقة وعلمه بعد الجهل لانه عند صيرورته غنيا يطغى ويتكبر ويصير
مستغرق القلب في حب الدنيا فلا يتفكر في هذه الاحوال ولا يتامل فيها قوله ان رآه ان مفعول
له اي لرؤيته نفسه مستغنيا وتعدى الفعل هنا الى ضميريه المتصلين لان هذا من خواص هذا
الباب قال الزمخشري ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين
الضميرين واستغنى هو المفعول الثاني قال شهاب الدين والمسالة فيها خلاف ذهب جماعة
الى ان البصرية تعطى حكم العلمية وجعل من ذلك قول عائشة رضي الله عنها لقد رايتنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان وانشد

ولقد اراني للرماح دريئة • من عن يميني تارة وامامي •

وتقدم تحقيقه وقرا قنبل بخلاف عنه ان رآه دون الف بعد الهمزة وهو مقصور من رآه في قراءة العامة
ولا شك ان الحذف في مثله جاء قليلا كقولهم اصاب الناس جهد ولو تر اهل مكة بحذف لام ترى وقول
الآخر وصاني العجاج فيما وصني يريد فيما وصاني ولما روى ابن مجاهد هذه القراءة عن قنبل قال
قرات بها عليه ونسبه فيها الى الغلط ولا ينبغي ذلك لانه اذا ثبتت قراءة ولها وجه وان كان غيره اشهر
منه فلا ينبغي ان يقدم على تغليطه

فصل

قال ابن عباس في رواية ابي صالح لما
نزلت هذه الآية وسمع بها المشركون اتاه ابو جهل فقال يا محمد انك تزعم انه من استغنى طغى فاجعل
لنا جبال مكة ذهبا لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك قال فاتاه جبريل عليه السلام
فقال يا محمد خيرهم في ذلك فان شاءوا فعلنا بهم ما ارادوه فان لم يفعلوا فعلنا بهم كما فعلنا باصحاب
المائدة فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القوم لا يقبلون ذلك فكف عنهم اسفا عليهم وقيل ان رآه استغنى

بالعشيرة والانصار والاعوان وحذف اللام من قوله ان رآه كما يقال انكم لتطغون ان رايتم غناكم
قوله تعالى ان الى ربك الرجعى هذا الكلام واقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا وتحذيرا
من عاقبة الطغيان والمعنى ان مرجع من هذا وصفه الى الله تعالى فيجازيه والرجعى والمرجع
والمرجوع مصادر يقال رجع اليه رجوعا ومرجعا ورجعى على وزن فعلى قوله تعالى ارايت
الذي ينهى عبدا اذا صلى تقدم الكلام على ارايت الذي ينهى وقال الزمخشري هنا فان قلت
ما متعلق ارايت قلت الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين فان قلت فاين جواب
الشرط قلت هو محذوف تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم بان الله يرى وانما حذف
لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني فان قلت كيف صح ان يكون الم يعلم جوابا للشرط قلت كما صح في
قولك ان اكرمتك اتكرمني وان احسن اليك زيد هل تحسن اليه فان قلت فما ارايت الثانية وتوسطها
بين مفعولي ارايت قلت هي زائدة مكررة للتوكيد قال شهاب الدين اعلم ان ارايت لا يكون مفعولها
الثاني الا جملة استفهامية كقوله تعالى قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله اتى امرها ومثله كثير وهنا ارايت
ثلاث مرات وقد صرح بعد الثالثة منها بجملة استفهامية فيكون في موضع المفعول الثاني لها ومفعولها
الاول محذوف وهو ضمير يعود على الذي ينهى عبدا الواقع مفعولا اول لارايت الاولى ومفعول ارايت
الاولى الذي هو الثاني محذوف وهو جملة استفهامية كالجملة الواقعة بعد ارايت الثالثة واما ارايت
الثانية فلم يذكر لها مفعول لا اول ولا ثان حذف الاول لدلالة المفعول من ارايت الاولى عليه وحذف
الثاني لدلالة مفعول ارايت الثالثة عليه فقد حذف الثاني من الاولى والاول من الثالثة والاثنان
من الثانية وليس طلب من ارايت كل من ارايت للجملة الاستفهامية على سبيل التنازع لانه يستدعي اضمارا والجمل
لا تضمر انما تضمر المفردات وانما ذلك من باب الحذف للدلالة واما الكلام على الشرط مع ارايت هذه فقد
تقدم في الانعام وتجويز الزمخشري وقوع جواب الشرط استفهاما بنفسه لا يجوز بل نصوا على
وجوب ذكر الفاء في مثله وان ورد شيء فهو ضرورة قال القرطبي وقيل كل واحد من ارايت بدل من
الاول والم يعلم بان الله يرى الخبر

فصل

قال المفسرون الذي ينهى ابو جهل وقوله تعالى
عبدا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فان ابا جهل قال لئن رايت محمدا لاطان على عنقه ثم انه راى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة فنكص على عقبيه فقالوا له ما لك يا ابا الحكم فقال ان
بيني وبينه خندقا من نار وهولا شديدا قال ابو هريرة رضي الله عنه فانزل الله تعالى هذه
الآيات تعجبا منه وعن الحسن انه امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة وقيل في الكلام حذف
والمعنى آمن هذا الناهي عن الصلاة من العقوبة قوله تعالى ارايت ان كان على الهدى او امر
بالتقوى اي ارايت يا ابا جهل ان كان محمد صلى الله عليه وسلم على هذه الصفة اليس ناهيه عن الصلاة
والتقوى هالكا قوله تعالى ارايت ان كذب وتولى يعني ابا جهل كذب بكتاب الله واعرض
عن الايمان وقال الفراء ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى امر بالتقوى والناهي مكذب
متولي عن الذكر فما اعجب هذا ثم يقول ويله الم يعلم ابو جهل بان الله يرى اي يراه ويعلم فعله
فهو تقريع وتوبيخ قال ابن الخطيب هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التعجب
وفي وجه هذا التعجب وجوه احدها انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعز الاسلام اما بابي جهل
او بعمر فقيل المثل هذا يعز الاسلام وهو ينهى عبدا اذا صلى الثاني انه كان يلقب بابي الحكم فقيل
ايلقب بهذا وهو ينهى عن الصلاة الثالث انه كان يامر وينهى ويعتقد وجوب طاعته ثم انه ينهى عن
طاعة الرب تبارك وتعالى وهذا عين الحماقة والتنكير في عبدا يدل على التعظيم كانه قيل ينهى اشد
الخلق عبودية عن العبادة وهذا عين الجهل ولهذا لم يقل ينهاك وايضا فان هذا يدل على ان هذه
عادته ودابه فهو ابلغ في الذم وايضا فهذا عام في كل من ينهى عن الصلاة روي عن علي رضي الله عنه
انه راى اقواما يصلون قبل صلاة العيد فقال ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك
فقيل له الا تنهاهم فقال اخشى ان ادخل في قوله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى فلم يصرح بالنهي
عن الصلاة وايضا فيه اجلال لمنصب رسول الله صلى الله عليه وسلم بان ينهاه رجل لا سيما مثل
هذا قوله كلا ردع لابي جهل ومنع عن عبادة الله تعالى او كلا لا يصلي ابو جهل الى ان يقتل محمدا صلى
الله عليه وسلم ويطا عنقه وقال مقاتل كلا لا يعلم ان الله يرى وان كان يعلم لكن اذا كان لا ينتفع
بناصيته يوم القيمة ولنسحبنه بها الى النار كقوله تعالى فيؤخذ بالنواصي والاقدام قال المبرد وان كانت

في ابي جهل فهي عظة للناس وتهديد لمن يمنع غيره عن الطاعة قوله لنسفعا الوقف
على هذه النون بالالف تشبيها لها بالتنوين ولذلك تحذف بعد الضمة والكسرة وقفا وتكتب
هنا الفا اتباعا للوقف وروي عن ابي عمرو لنسفعن بالنون الثقيلة والسفع الاخذ والقبض
على الشي بشدة وجذبه يقال سفع بناصيته فرسه قال عمرو بن معدي كرب

قوم اذا سمعوا الصريخ رايتهم ● ما بين ملجم مهره او سافع

وقيل هو الاخذ بلغة قريش وقال الراغب السفع الاخذ بسفعة الفرس اي بسواد ناصيته
وباعتبار السواد قيل للاثافي سفع وبه سفعة غضب اعتبارا بما يعلو من اللون الدخاني
وجه من اشتد به الغضب وقيل للصقر اسفع لما فيه من لمع السواد وامراة سفعا اللون انتهى
وفي الحديث فقامت امراة سفعا الخدين وقيل هو ماخوذ من سفعت النار والشمس اذا غيرت
وجهه الى حال تسويد كما قال اثافي سفعا في معرس مرجل ونوي كجذم الحوض اثلم خاشع قال
القرطبي وقيل السفع الضرب اي لنلطمن وجهه وكله متقارب المعنى يجمع عليه الضرب عند
الاخذ ثم يجر الى جهنم وقرا ابن مسعود لاسفعن اي يقول الله تعالى يا محمد انا الذي اتولى
اهانته كقوله تعالى هو الذي ايدك بنصره هو الذي انزل السكينة والناصية شعر مقدم
الراس وقد يعبر بها عن جملة الانسان وخص الناصية بالذكر على عادة العرب فيمن ارادوا
اذلاله واهانته اخذوا بناصيته قوله بناصية بدل من الناصية بدل نكرة من معرفة قال
الزمخشري وجاز بدلها من المعرفة وهي نكرة لانها وصفت فاستقلت بفائدة قال الزمخشري
شهاب الدين هذا مذهب الكوفيين لا يجيزون ابدال نكرة من غيرها الا بشرط وصفها او كونها
بلفظ الاول ومذهب البصريين لا يشترط شي وانشد واقاه وابيك خير منك اني ليوديني
التحمحم والصهيل وقرا ابو حياة وابن ابي عبلة وزيد بن علي بنصب ناصية كاذبة خاطئة على
الشتم وقرا الكسائي في رواية بالرفع على اضمار هي ناصية ونصب الكذب والخطا اليها مجازا والالف
واللام في الناصية قيل عوض من الاضافة اي بناصيته وقيل الضمير محذوف اي الناصية منه

فصل والمعنى لتاخذن بناصية ابي جهل كاذبة في قولها خاطئة في فعلها والخاطي
معاقب ماخوذ والمخطي غير ماخوذ ووصفت الناصية بالكاذبة الخاطئة كوصف الوجوه بالنظر
في قوله تعالى الى ربها ناظرة وقيل ان صاحبها كاذب خاطي كما يقال نهاره صايم وليله قايم
اي صايم في النهار وقايم في الليل وانما وصف الناصية بالكاذبة لانه كان باعلا الله تعالى في انه
لم يرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وكان باعلا رسوله صلى الله عليه وسلم في انه ساحر او كاذب او ليس بنبي
ووصف الناصية بانها خاطئة بان صاحبها يتمرد على الله تعالى كما قال تعالى لا ياكله الا الخاطئون
قوله فليدع ناديه اما ان يكون على حذف مضاف اي اهل ناديه او على التجوز في نداء النادي
لاشتماله على الناس كقوله تعالى واسال القرية والنادي والندي المجلس المتخذ للحديث قال زهير

● وفيهم مقامات حسان وجوههم ● واندية ينتابها القول والفعل ●

وقالت اعرابية هو سيد ناديه وثمال عافيه وقال تعالى وتاتون في ناديكم المنكر قال ابو
عبيدة ناديه اهل مجلسه ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه اهله والمعنى فليدع عشيرته فليستنصر بهم
قوله تعالى سندع الزبانية قال الزمخشري الزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية
من الزبن وهو الرفع وقيل زبني وكانه نسب الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم امسي واصله زباني فقيل
زبانية على التعويض وقال عيسى بن عمرو والاخفش واحدهم زابن وقيل هو اسم جمع لا واحد له
من لفظه كعباديد وشماطيط وابابيل والحاصل ان المادة تدل على الرفع قال مطاعيم في القصوى
مطاعين في الوغا زبانية غلب عظام حلومها وقال اخر ومتعجب مما يرى من اناتنا ولو زبنته الحرب لم يترمرم
وقال عنترة وقد زبنتنا الحرب وزبناها ومنه الزبون لانه يدفع من بايع الى اخر وقال ابو الليث
السمرقندي رحمه الله ومنه الزابنة في البيع لانهم يعملون بارجلهم كما يعملون بايديهم وقرا العامة
سندع بنون العظمة ولم يرسم بالواو وقد تقدم نظيره يوم يدع الداع وقرا ابن ابي عبلة سيدعى
الزبانية مبنيا للمفعول ورفع الزبانية لقيامها مقام الفاعل فصل قال ابن عباس الملايكة
الغلاظ الشداد وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه السورة وبلغ الى قوله لنسفعا بالناصية
قال ابو جهل انا ادعو قومي حتى يمنعوا عني ربك قال الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية فلما

ذكر الزبانية رجع فزعا فقيل له خشيت منه قال لا ولكن رايت عنده فارسا يهددني بالزبانية
فلا ادري الزبانية وقال الفارسي فخشيت منزلة بالكلية قال ابن عباس رضي الله عنه والله لو دعا
ناديه لاخذته ملايكة العذاب من ساعته خرجه الترمذي بمعناه كلا اي ليس الامر على ما يظنه ابو جهل
لا تطعه فيما دعاك اليه من ترك الصلاة واسجد اي صل لله واقترب اي تقرب الى الله تعالى بالطاعة
والعبادة وقيل المعنى اذا سجدت اقترب من الله بالدعا قال صلى الله عليه وسلم اما الركوع فعظموا
فيه الرب تبارك وتعالى واما السجود فاجتهدوا في الدعا فقمن ان يستجاب لكم وقال صلى الله عليه
وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فالسجود في سجود التلاوة في هذه السورة وقال
ابن العربي والظاهر انه سجود الصلاة لقوله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى قوله كلا لا تطعه
واسجد واقترب لولا ما ثبت في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سجدت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في اذا السماء انشقت وفي اقرا باسم ربك الذي خلق سجدتين وهذا نص ان المراد سجود التلاوة وروى
الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اقرا باسم ربك فكانما قرا المفصل كله

سورة القدر مدنية

في قول اكثر المفسرين وحكى الماوردي عكسه وذكر الواقدي انها اول سورة نزلت بالمدينة وهي خمس
ايات وثلاثون كلمة ومايه واثني عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى انا انزلناه اي القران اضمر للعلم به وفي ليلة القدر يجوز ان يكون ظرفا للانزال
والقران كله كالسورة الواحدة فقال تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران وقال تعالى انا
انزلناه في ليلة مباركة يريد ليلة القدر وقال الشعبي انا ابتدانا انزاله في ليلة القدر وقال ابن
عباس رضي الله عنه نزل به جبريل عليه السلام جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى سما
الدنيا الى بيت العزة واملاه جبريل على السفرة ثم كان جبريل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما وكان
بين اوله واخره ثلاث وعشرون سنة وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نزل القران في
شهر رمضان وفي ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام
الكاتبين في السما الدنيا فنجمته السفرة على جبريل عشرين سنة ونجمه جبريل عليه السلام على النبي صلى الله
عليه وسلم عشرين سنة قال ابن العربي وهذا باطل ليس بين جبريل عليه السلام وبين الله واسطة ولا بين
جبريل عليه السلام ومحمد عليه الصلاة والسلام واسطة وقيل المعنى انزل في شانها وفضلها قلت ظرفا وانما
كقول عمر رضي الله عنه خشيت ان ينزل في قران وقول عايشة رضي الله عنها لانا احقر في نفسي ان ينزل
في قران وسميت ليلة القدر اما التقدير لان الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من امره الى السنة القابلة من
امر الموت والاجل والرزق وغيره ويسلمه الى مدبرات الامور من الملايكة وهم اسرافيل وميكاييل وعزراييل
وجبراييل عليهم السلام وعن ابن عباس ايضا ان الله تعالى يقضي الاقضية في ليلة نصف شعبان ويسلمها
الى اربابها في ليلة القدر واما لضيقها بالملايكة قال الخليل لان الارض تضيق فيها بالملايكة لقوله تعالى
ومن قدر عليه رزقه وقيل سميت بذلك لعظمها وشرفها وقدرها من قولهم لفلان قدر اي شرف
ومنزلة قاله الزهري وغيره وقيل سميت بذلك لان للطاعة فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا وقيل لانه
انزل فيه كتابا ذا قدر على رسول ذي قدر على امة ذات قدر والقدر مصدر والمراد ما يمضيه
الله تعالى من الامور قال تعالى انا كل شي خلقناه بقدر وهو بمعنى القدر الا انه بالتسكين مصدر
وبالفتح اسم وقوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر تقدم الكلام في نظير قوله وما ادراك ما ليلة القدر
ليلة القدر خير من الف شهر بين فضلها وعظمها وفضيلة الزمان انما تكون بكثرة ما يقع فيه من
الفضايل وفي تلك الليلة يقسم الخير الكثير الذي لا يوجد مثله في الف شهر جميع الدهر لان العرب
تذكر الالف لا تريد حقيقتها وانما تريد المبالغة في الكثرة كقوله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة
يعني جميع الدهر وقيل ان العابد فيما مضى كان لا يسمى عابدا حتى يعبد الله تعالى الف شهر فجعل الله
تعالى لامة محمد صلى الله عليه وسلم عبادة ليلة خيرا من الف شهر كانوا يعبدونها وقال ابو بكر الوراق
كان ملك سليمان عليه السلام خمسماية شهر وملك ذي القرنين خمسماية شهر فصار ملكهما الف
فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي

صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرايل لبس السلاح الف شهر فعجب المسلمون من ذلك فنزلت هذه
الآية يعني خير من الف شهر التي لبس السلاح فيها في سبيل الله ونحوه عن ابن عباس رضي الله عنه وقال
مالك بن انس رضي الله عنه اري رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمار الناس فاستقصر اعمار امته فخاف
ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله تعالى ليلة القدر وجعلها خيرا من الف
شهر لساير الامم وقال عكرمة وعروة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اربعة من بني اسرايل فقال عبدوا الله
تعالى ثمانين سنة لم يعصوا الله تعالى طرفة عين ايوب وزكريا وحزقيل بن العجوز ويوشع بن نون
فعجب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد عجبت امتك من عبادة هولا
النفر لم يعصوا الله تعالى طرفة عين فقد انزل الله تعالى عليك خيرا من ذلك ثم قرا انا انزلناه في
ليلة القدر الايات فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى تنزل الملايكة اي تهبط من كل سما
الى الارض ويومنون على دعا الناس الى وقت طلوع الفجر وقوله تعالى والروح فيها يجوز ان يرتفع
الروح بالابتدا والجار بعده الخبر وان يرتفع بالفاعلية عطفا على الملايكة وفيها متعلق بيتنزل
والمراد بالروح جبريل عليه السلام وحكى القشيري ان الروح صنف من الملايكة جعلوا حفظة على
ساير هم وان الملايكة لا يرونهم كما لا نرى نحن الملايكة وقال مقاتل هم اشرف الملايكة واقربهم
من الله تعالى وقيل هم جند من جند الله تعالى غير الملايكة رواه ابن عباس مرفوعا حكاه الماوردي
وقيل الروح خلق عظيم يقوم صفا والملايكة صفا وقيل الروح الرحمة ينزل بها جبريل عليه السلام
مع الملايكة في هذه الليلة على اهلها بدليل قوله تعالى ينزل الملايكة بالروح من امره على من يشا
من عباده اي بالرحمة فيها اي في ليلة القدر قوله باذن ربهم يجوز ان يتعلق بيتنزل وان
يتعلق بمحذوف على انه حال من المرفوع ينزل اي ملتبس باذن ربهم اي بامره وقوله تعالى من كل امر
يجوز في من وجهان احدهما انها بمعنى اللام ويتعلق بيتنزل اي يتنزل من اجل كل امر فقضي الى العام
القابل الثاني انها بمعنى البا اي يتنزل بكل امر فهي للتعدية قاله ابو حاتم وقرا العامة امر واحد
الامور وقرا ابن عباس وعكرمة والكلبي امري مذكر امراة اي من اجل كل انسان قال القرطبي وتاولها
الكلبي على ان جبريل عليه السلام ينزل فيها مع الملايكة فيسلمون على كل امري مسلم فمن بمعنى على وقيل
من اجل كل ملك وهو بعيد وقيل من كل امر محذوف وهذا لا يتم على ظاهره لان سلام مصدر لا يتقدم
عليه معموله وانما المراد انه متعلق بمحذوف يدل عليه هذا المصدر قوله سلام هي فيه وجهان
احدهما ان هي ضمير الملايكة وسلام بمعنى التسليم اي الملايكة ذات تسليم على المومنين من مغيب
الشمس حتى يطلع الفجر وقيل الملايكة يسلم بعضهم على بعض فيها الثاني انه ضمير ليلة القدر وسلام
بمعنى سلامة اي ليلة القدر ذات سلامة فهي مخوف اي ليلة القدر سلامة وخير كلها لا شر فيها
حتى يطلع الفجر قال الضحاك لا يقدر الله تعالى في تلك الليلة الا السلامة وقيل هي ذات سلامة
من ان يوثر فيها شيطان في مومن ومومنة قاله مجاهد وعلى التقديرين يجوز ان يرتفع سلام
على انه خبر مقدم وهي مبتدا موخر وهذا هو المشهور ويجوز ان يرتفع بالابتدا وهي فاعل عند الاخفش
لانه لا يشترط الاعتماد في عمل الوصف وقد تقدم ان بعضهم يجعل الكلام تاما على قوله باذن ربهم
ويتعلق من امر بما بعده وتقدم تاويله وقال ابو الفضل وقيل المعنى هي سلام من كل امر او امري
اي سالمة مسلمة منه ولا يجوز ان يكون سلام هذه اللفظة الظاهرة التي هي المصدر عاملا فيما قبله
لامتناع تقدم معمول المصدر على المصدر كما ان الصلة كذلك لا يجوز تقديمها على الموصول انتهى
وقد تقدم ان معنى ذلك عند هذا القايل ان يتعلق بمحذوف مدلول عليه بسلام فهو تفسير
معنى لا تفسير اعراب وما يروي عن ابن عباس رضي الله عنه ان الكلام تم عند قوله تعالى سلام
ويبتدا بهي على انها خبر مبتدا والاشارة بذلك الى انها ليلة السابع والعشرين لان لفظه وسابعة
وعشرون من كلم هذه السورة فلا ينبغي ان يعتقد صحته لانه الغاز وتبعير لنظم افصح الكلام قوله
حتى مطلع الفجر متعلق بيتنزل او بسلام وفيه اشكال للفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدا الا ان
يتوسع في الجار وقرا الكساي وابن محيصن مطلع بكسر اللام والباقون بالفتح والفتح هو القياس
والكسر سماع وله اخوات يحفظ فيها الكسر مما ضم مضارعه او فتح نحو المشرق والمجزر والمغرب والمسجد
والمسكن والمنسك والمحشر والمسقط قال القرطبي حكي في ذلك الفتح والكسر وعليهما مصدران
والمفتوح مصدر والمكسور مكان خلاف وعلى كل تقدير فالقياس في الفعل مطلقا مما ضمت عين

مضارعه او فتحت فتح العين وانما يقع الفرق في المكسور العين الصحيح نحو يضرب
اختلفوا في تعيين ليلة القدر فالاكثرون على انها ليلة سبع وعشرين لحديث ابي بن كعب انها في
العشر الاواخر وانها ليلة سبع وعشرين وقال صلى الله عليه وسلم من كان متحريا ليلة القدر فليتحرها ليلة
سبع وعشرين وقال ابو بكر الوراق كرر ذكرها ثلاث مرات وهي تسعة احرف فتكون سبعة وعشرين
وقال عبيد بن عمير كنت ليلة السابع والعشرين في البحر فاخذت من مايه فوجدته عذبا سلسا وقال
ابو هريرة وغيره هي في ليالي السنة كلها واليه ذهب ابو حنيفة رضي الله عنه انها رفعت وانما كانت
مرة واحدة قال الخليل من قال ان فضلها لنزول القران يقول انقطعت والجمهور على انها في كل عام
من رمضان ثم اختلفوا فقيل هي ليلة احدى وعشرين واليه قال الشافعي رحمه الله لحديث الما والطين
وقيل ليلة الثالث والعشرين لما روى ابن عمر رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله اني رايت ليلة
القدر في سابعة تبقى فقال النبي صلى الله عليه وسلم اري رويا كم قد تواطات على ثلاث وعشرين
فمن اراد ان يقوم من الشهر شيا فليقم ليلة ثلاث وعشرين وقيل ليلة خمس وعشرين لما روى مسلم
عن ابي سعيد الخدري قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التمسوها في العشر الاواخر
تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى قال مالك رضي الله عنه يريد بالتاسعة ليلة احدى وعشرين
وبالسابعة ليلة ثلاث وعشرين وبالخامسة ليلة خمس وعشرين وقيل سبع وعشرين وقد تقدم
وقيل ليلة تسع وعشرين لقول النبي صلى الله عليه وسلم ليلة القدر التاسعة والعشرون او السابعة
والعشرون وقال الحسن رضي الله عنه ان بقيت الشمس ليلة اربع وعشرين سنة فرايتها
تطلع بيضا لا شعاع لها يعني من كثرة الانوار تلك الليلة وروي عن ابي بكر رضي الله عنه انها في
ليالي الافراد من النصف الاخير من شهر رمضان مستقلة في ليالي الجمع ونظمها محمد الاسيري فقال

ثلاث شروطهن في ليلة القدر • كذا قال شيخ العرب فيها ابو بكر •
فاولها وتر وليلة جمعة • وثالثها النصف الاخير من الشهر •

وقيل هي تنتقل في جميع السنة قالوا والحكمة في اخفايها ليجتهد الناس في احيا جميع الليالي كما اخفى
رضاه بالطاعات حتى يرغبوا في الكل واخفى ساعة الاجابة في الدعا ليبالغوا في كل الساعات
واخفى الاسم الاعظم ليعظموا كل الاسما واخفى الصلاة الوسطى ليحافظوا على الكل واخفى قبول التوبة
ليواظبوا على جميع اقسام التوبة واخفى وقت الموت ليخاف الموت المكلف وكذا اخفى هذه الليلة ليعظموا
جميع ليالي رمضان **فصل** نقل القرطبي عن بعض العلما ان من علق طلاق امراته او عتق
عبده بليلة القدر لم يقع الطلاق والعتق الى مضي سنة من يوم حلف لانه لا يجوز ايقاع الطلاق بالشك
ولم يثبت اختصاصها بوقت فلا ينبغي وقوع الطلاق الا بمضي حول وفي هذا نظر لانه تقدم عن ابي حنيفة
في احد قوليه انها رفعت فعلى هذا لا ينبغي ان يقع شي اصلا لوجود الخلاف في بقايها روى الثعلبي
عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القدر كان كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر

سورة لم يكن مكية

في قول يحيى بن سلام ومدنية في الجمهور وهي ثمان ايات واربع وسبعون كلمة وثلثماية وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين هذه قراءة العامة وخط المصحف وقرا ابن
مسعود رضي الله عنه لم يكن المشركون واهل الكتاب منفكين وهذه قراءة على التفسير قال ابن العربي
وهي جايزة في معرض البيان لا في معرض التلاوة فقد قرا النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح فطلقوهن
لقبل عدتهن وهو تفسير فان التلاوة هو ما كان في خط المصحف وقرى المشركون بالواو نسقا على
الذين كفروا قوله منفكين خبر يكون ومنفكين اسم فاعل من الفك وهي هنا التامة فلذلك لم تحتج
الى خبر وزعم بعضهم انها هنا ناقصة وان الخبر مقدر تقديره منفكين عارفين محمدا صلى الله عليه وسلم
قال ابو حيان وحذف خبر كان لا يجوز اقتصارا ولا اختصارا وجعلوا قوله حيث جوارك حين لبيس
مجيرا اي في الدنيا ضرورة ووجه من منع من ذلك انه قال صار الخبر مطلوبا من جهتين من جهة
كونه مخبرا به وهو احد جزئي الاسناد ومن حيث كونه منصوبا بالفعل وهذا منتقض بمفعولي ظن فان كلا

فان كلا منهما فيه المعنيان المذكوران ومع ذلك يحذفان او احدهما اختصارا او اما لاقتصار ففيه
خلاف وتفصيل تقدم ذكره قوله حتى تاتيهم متعلقة بلم يكن او بمنفكين **فصل** قال
الواحدي هذه الاية من اصعب ما في القران نظما وتفسيرا ولم يبين كيفية الاشكال قال ابن
الخطيب ووجه الاشكال ان تقدير الاية لم يكن الذين كفروا الى ان تاتيهم البينة التي هي الرسول
ثم انه تعالى لم يذكر الشيء المنفك عنه والظاهر ان المراد لم ينفكوا عن كفرهم حتى تاتيهم البينة
التي هي الرسول فانفكوا عنه لان حتى لانتهاء الغاية فهذه الاية تقتضي انهم صاروا منفكين
عن كفرهم عند اتيان الرسول لكن قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يقتضي زيادة كفرهم
عند مجيء الرسول عليه الصلاة والسلام فحينئذ يحصل التناقض والجواب من وجوه احدها وهو احسنها
ما لخصه الزمخشري ان الاول حكاية ما كانوا يقولونه من انه صلى الله عليه وسلم الموعود به لا ننفك
عما نحن عليه من ديننا والثاني اخبار عن الواقع يعني انهم كانوا يعدون اتفاقهم على الحق اذا جاءهم
الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الذي وقع كان خلافه فلما ادعوا وثانيها المعنى لم يكونوا منفكين
عن كفرهم وان جاءتهم البينة ذكره القاضي الا ان حمل حتى على معنى بعيد في اللغة وثالثها المعنى لم يكونوا
منفكين عن ذكر محمد صلى الله عليه وسلم بالمناقب والفضائل حتى اتتهم البينة والمضارع هنا بمعنى
الماضي كقوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين اي تلت اي ما كانوا منفكين عن ذكر مناقبه ثم لما جاءهم
محمد تفرقوا ونظيره فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ورابعها انهم كانوا مستقيمين على الكفر قبل
البينة فلما جاءت البينة تفرقوا ويكفي هذه المغايرة وخامسها كقوله تعالى كان الناس امة واحدة
فبعث الله النبيين الاية اي كان كل منهم جازما بمذهبه ودينه فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم شكوا
في ديانتهم ان قوله تعالى منفكين يشعر بهذا لان الانفكاك من الشيء هو الانفصال عنه فمعناه ان
قلوبهم ما خلت عن تلك العقايد وما انفصلت عن الجزم بصحتها ثم ان بعد المبعث لم يبق الامر
على تلك الحالة **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه اهل الكتاب الذين كانوا بيثرب
وهم قريظة والنضير وبنو قينقاع والمشركون الذين كانوا بمكة وحولها والمدينة وهم مشركو قريش
وقوله تعالى منفكين اي منتهين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الانتهاء
بلوغ الغاية اي لم يكونوا ليبلغوا نهاية اعمارهم فيموتوا حتى تاتيهم البينة وقيل منفكين زائلين اي لم
تكن مدتهم لتزول حتى ياتيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والعرب تقول ما انفككت افعل كذا اي ما
زلت وما انفك فلان قائما اي ما زال قائما واصل الفك الفتح ومنه فك الكتابة وفك الخلخال وقيل
منفكين بارحين اي لم يكونوا ليبرحوا اي يفارقوا الدنيا حتى تاتيهم البينة وقال ابن كيسان اي لم يكن
اهل الكتاب تاركين صفة محمد صلى الله عليه وسلم ويسمونه الامين في كتابهم حتى بعث صلى الله عليه وسلم
فلما بعث صلى الله عليه وسلم حسدوه وجحدوه كقوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ولهذا قال تعالى
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فعلى هذا قوله تعالى والمشركون اي ما كانوا
يقولون في محمد صلى الله عليه وسلم ويسمونه الامين يعني حتى تاتيهم البينة على لسانه وبعث اليهم صلى الله عليه
وسلم فحينئذ عادوه وقال بعض اللغويين منفكين هالكين اي هالكين من قولك انفك صلا المراة عند
الولادة وهو ان ينفصل فلا تلتئم فيهلك والمعنى لم يكونوا معذبين ولا هالكين الا بعد قيام الحجة
عليهم بارسال الرسل وانزال الكتب **فصل** قال قوم المراد بالمشركين من اهل الكتاب فمن
اليهود من قال عزير ابن الله ومن النصارى من قال المسيح هو الله ومنهم من قال هو ابنه ومنهم من
قال هو ثالث ثلاثة كذبوا فيما قالوا على الله تعالى وان الله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له ولا
ولد له ولا مثل له ولا ضد له ولا ند له ولا شبه له ولا صاحبة له ولا زوجة له ولا وزير له ولا حاجب له ولا
بواب له وهو سبحانه كما قال تعالى في كتابه المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم قل هو الله احد الله الصمد
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وقيل المشركون وصفوا اهل الكتاب ايضا لانهم لم ينتفعوا بكتابهم
وتركوا التوحيد فالنصارى مثلثة وعامة اليهود مشبهة والكل شرك وهو كقولك جاءني العقلاء
والظرفاء وانت تريد اقواما بعينهم تصفهم بالامرين قال تعالى الراكعون الساجدون الامرون
بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وهذا وصف لطايفة واحدة فالمعنى
على هذا من اهل الكتاب المشركين وقيل اهل الكتاب كانوا مومنين ثم كفروا بعد انبيائهم والمشركون
ولدوا على الفطرة ثم كفروا وحق بلغوا قال والمشركين وقيل الكفر هنا هو الكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم

اي

اي لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى الذين هم اهل الكتاب ولم
يكن المشركون الذين هم عبدة الاوثان من العرب وغيرهم وهم الذين ليس لهم كتاب منفكين قال
القشيري وفيه بعد لان الظاهر من قوله تعالى حتى تاتيهم البينة رسول من الله ان هذا الرسول هو محمد
صلى الله عليه وسلم فيبعد ان يقال لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد كانوا من قبل معظمين
له منتهين عن هذا الكفر الى ان يبعث الله تعالى لهم محمدا ويبين لهم الايات فحينئذ يومن قوم وقرى
الاعمش وابراهيم والمشركون رفعا عطفا على الذين كفروا قال القرطبي والقراة الاولى ابين لان الرفع
يصير فيه الصنفان كلهم من غير اهل الكتاب وفي حرف ابي فما كان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
منفكين قال ابن الخطيب فان قيل لم قال كفروا بلفظ الفعل وذكر المشركين باسم الفاعل فالجواب ان
اهل الكتاب ما كانوا كافرين من اول الامر لانهم كانوا مصدقين بالتورية والانجيل وبمبعث محمد صلى الله
عليه وسلم بخلاف المشركين فانهم ولدوا على عبادة الاوثان وذلك يدل على الثبات على الكفر قوله
تعالى حتى تاتيهم البينة قيل المراد بالبينة محمد صلى الله عليه وسلم لانه في نفسه بينة وحجة ولذلك
سماه الله تعالى سراجا منيرا ولقوله تعالى رسول من الله وهو رفع على البدل من البينة ولان اللام في
البينة للتعريف اي هو الذي سبق ذكره في التورية والانجيل على لسان موسى وعيسى وقد يكون
التعريف للتفخيم اذ هو البينة التي لا مزيد عليها او البينة كل البينة وكذا التنكير وقد جمعها الله تعالى
ههنا في حق الرسول اي هو رسول واي رسول صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله تعالى حتى
اثنى على نفسه فقال سبحانه وتعالى ذو العرش المجيد ثم قال سبحانه فعال لما يريد فنكر بعد التعريف
وقال ابو مسلم المراد من البينة مطلق الرسل فقوله تعالى حتى تاتيهم البينة اي تاتيهم رسل من ملائكة
الله يتلوا عليهم صحفا مطهرة نظيره بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفا منشرة وقال قتادة وابن
زيد البينة هي القران لقوله تعالى اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى قوله رسول العامة على رفعه
بدلا من البينة اما بدل اشتمال واما بدل كل من كل على سبيل المبالغة جعل الرسول صلى الله عليه وسلم
نفس البينة او على حذف مضاف اي بينة رسول وقال الفرا رفع على خبر ابتدا مضمر اي هي رسول
او هو رسول من الله لان البينة قد تذكر فيقال بينتي فلان وقرا عبد الله وابي رسولا على الحال
من البينة وقال القرطبي النصب على القطع وقوله من الله يجوز تعلقه بنفس رسول او بمحذوف
على انه صفة لرسول وجوز ابو البقا ثالثا وهو ان يكون حالا من صحفا والتقدير يتلو صحفا مطهرة
منزلة من الله تعالى يعني كانت صفة في الاصل للنكرة فلما تقدمت عليها نصبت حالا قوله يتلوا
يجوز ان يكون صفة لرسول ويتلو اي يقرا فيقال تلا يتلو تلاوة صحفا جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب
مطهرة قال ابن عباس من الزور والشك والنفاق والضلالة وقال قتادة من الباطل وقيل من
الكذب والشبهات والكفر والمعنى واحد اي يقرا ما يتضمن الصحف من المكتوب بدليل انه كان يتلو عن ظهر قلبه
لا عن كتاب لانه كان اميا لا يكتب ولا يقرا ومطهرة من نعت الصحف كقوله تعالى في صحف مكرمة مرفوعة
مطهرة فالمطهرة نعت للصحف في الظاهر وهو نعت لما في الصحف من القران وقيل مطهرة لا يمسها
الا المطهرون كما تقدم في سورة الواقعة وقيل الصحف المطهرة هي التي عند الله تعالى في ام
الكتاب الذي منه نسخ ما انزل على الانبيا صلوات الله عليهم من الكتب لقوله تعالى بل هو قران
مجيد في لوح محفوظ قوله فيها كتب يجوز ان تكون جملة صفة لصحفا او حالا من ضمير مطهرة
وان يكون الوصف او الحال الجار والمجرور فقط وكتب فاعل به وهو الاحسن والمراد بالكتب الايات
المكتوبة في الصحف والقيمة المستقيمة المحكمة من قول العرب قام يقوم اذا استوى وصح وقال صاحب
النظم الكتب بمعنى الحكم لقوله تعالى لاغلبن انا ورسلي ومنه حديث العسيف لاقضين بينكما بكتاب
الله ثم قضى بالرجم وليس ذكر الرجم مسطورا في الكتاب وقيل الكتب القيمة هي القران سمي كتبا
لانه يشتمل على انواع من البيان قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اي من اليهود والنصارى
خص اهل الكتاب بالتفريق دون غيرهم وان كانوا مجموعين مع الكافرين لانهم يظنون بهم علم
فان تفرقوا كان غيرهم ممن لا كتاب له ادخل في هذا الوصف وقوله تعالى الا من بعد ما جاءتهم البينة
اي اتتهم البينة الواضحة والمعنى محمد صلى الله عليه وسلم اي بالقران موافقا للذي في ايديهم من
الكتاب بنعته وصفته وذلك انهم كانوا مجتمعين على نبوته فلما بعث صلى الله عليه وسلم جحدوا
نبوته وتفرقوا فمنهم من كفر بغيا وحسدا وقيل البينة البيان الذي في كتبهم انه نبي مرسل قال العلماء من

اول السورة الى قوله تعالى يتم حكمها بمن امن من اهل الكتاب والمشركين وقوله تعالى وما
تفرق حكم فيمن لم يومن من اهل الكتاب بعد قيام الحجة قوله تعالى وما امروا يعني هولاء
الكفار في التوراة والانجيل الا ليعبدوا الله اي يوحدوه واللام في ليعبدوا بمعنى ان كقوله تعالى
يريد الله ليبين لكم اي ان يبين ويريدون ان يطفئوا نور الله قوله تعالى مخلصين له الدين
العامة على كسر اللام اسم فاعل وانتصب به الدين والحسن بفتحها على انهم يخلصون هم انفسهم في نياتهم
وانتصب الدين على احد وجهين اما اسقاط الخافض اي في الدين واما على المصدر من معنى ليعبدوا
كانه قيل ليدينوا الدين او ليعبدوا العبادة فالتجوز اما في الفعل واما في المصدر وانتصاب مخلصين
على الحال من فاعل يعبدوا وقوله حنفا حال ثانية او حال من الحال قبلها اي من الضمير المستكن
فيها وقوله وما امروا ايام وايه الا ليكذا او ما امروا الا ان يعبدوا اي بان يعبدوا وتقدم تحرير مثله
في قوله تعالى فامرنا لنسلم لرب العالمين في سورة الانعام **فصل** قال المفسرون المعنى
وما امر هولاء الكفار في التوراة والانجيل الا ليعبدوا الله اي يوحدونه واللام بمعنى ان كقوله
تعالى يريد الله ليبين لكم ومنه قوله تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اي العبادة
وفي هذا دليل على وجوب النية في العبادات فان الاخلاص من عمل القلب وهو ان يراد به وجه
الله لا غيره وقوله تعالى حنفا اي مايلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وكان ابن عباس
رضي الله عنه يقول حنفا على دين ابراهيم عليه السلام ويقال الحنيف من اختتن وحج قاله
سعيد بن جبير وقال اهل اللغة اصله انه تحنف الى الاسلام اي مال اليه قوله تعالى ويقيموا
الصلاة اي يصلوها في اوقاتها ويوتوا الزكاة اي يعطوها عند محلها قوله تعالى وذلك دين
القيمة اي الامة او الملة القيمة اي المستقيمة والقيمة نعت لموصوف محذوف وقيل وذلك
اشارة الى الدين اي ذلك الدين امروا به اي الدين المستقيم او يقال دين الامة القيمة بالحق اي
القايمة بالحق وقال محمد بن الاشعث الطالقاني الكتب القيمة لانها قد تقدمت في المذكر
قال تعالى فيها كتب قيمة فلما اعادها اعادها مع الالف واللام العهدية كقوله تعالى فعصى فرعون
الرسول وهو حسن وقرا عبد الله وذلك الدين القيمة والتانيث حينيذ اما على تاويل الدين
بالملة كقوله سايل بني اسد ما هذه الصوت بتاويل الصيحة واما على انها تاء المبالغة كعلامة
وقال الخليل القيمة جمع القيم والقيم والقايم واحد وقال الفرا اضاف الدين الى القيمة
وهو نعته لاختلاف اللفظين وعنه ايضا هو من باب اضافة الشي الى نفسه ودخلت الها للمدح
قوله تعالى ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين كما مر في اول السورة وقوله تعالى في
نار هذا هو الخبر وخالدين حال من الضمير المستكن في الخبر اوليك هم شر البرية قرا نافع وابن ذكوان
البرية بالهمز في الحرفين والباقون بيا مشددة واختلف في ذلك الهمز فقيل هو الاصل من
برا الله الخلق ابتداه واخترعه قال تعالى من قبل ان نبراها فهي فعيلة بمعنى مفعولة وانما
خففت والتزم تخفيفها عند عامة العرب وقد نقدم ان العرب التزمت غالبا تخفيف الفاظ منها
الذرية والنبي والبرية قال القرطبي ولتشديد اليا عوض من الهمز وقيل البرية دون همز مشتقة
من البرا وهو التراب فهي اصل بنفسها فالقراتان مختلفتا الاصل متفقتا المعنى الا ان ابن عطية
غض من هذا فقال وهذا الاشتقاق يجعل الهمز خطا وهو اشتقاق غير مرضي انتهى يعني انه
اذا قيل انها مشتقة من البرا وهو التراب فمن اين جي بالهمزة في القراة الاخرى قال شهاب
الدين وهذا غير لازم لانهما قراتان مستقلتان لكل منهما اصل مستقل فتلك من برا اي خلق
وهذه من البرا لانهم خلقوا منه والمعنى بالقراتين شي واحد وهو جميع الخلق ولا يلتفت الى
من ضعف الهمز من النحاة والقرا لثبوته متواترا قال القشيري ومن قال البرية من البرا
وهو التراب قال لا تدخل الملايكة تحت هذه اللفظة وقيل البرية من بريت القلم اي قدرته
فتدخل فيه الملايكة ولكنه قول ضعيف لانه يجب منه تخطية من همز وقوله تعالى شر البرية اي شر
الخليقة فقيل يحتمل ان يكون على التعميم وقيل هم شر البرية الذين كانوا في عصر النبي صلى
الله عليه وسلم كقوله تعالى واني فضلتكم على العالمين اي على عالمي زمانهم ولا يبعد ان يكون في كفار
الامم قبل من هو شر منهم مثل فرعون وعاقر ناقة صالح وكذا قوله تعالى خير البرية اما على
التعميم وخير برية عصرهم وقد استدل بقراة الهمز من فضل بني ادم على الملايكة وقال ابو هريرة

رضي الله عنه المومن اكرم على الله تعالى من بعض الملايكة الذين عنده وقرا العامة خير البرية
مقابلا لشر وعامر بن عبد الواحد خيار البرية وهو جمع خير نحو جياد وطياب في جمع جيد وطيب
قال الزمخشري قال ابن الخطيب وقدم الوعيد على الوعد لانه كالدوا والوعد كالغذا والدوا اذا
بقي البدن استعمل الغذا فينتفع به البدن ولان الانسان اذا وقع في شدة رجع الى الله تعالى فاذا
نال الدنيا عرض قوله تعالى جزاوهم عند ربهم اي ثوابهم عند خالقهم ومالكهم جنات عدن
قال ابن الخطيب قال بعض الفقهاء من قال لا شي لي على فلان فانه ينفي على الدين وله ان يدعي الوديعة
وان قال لا شي لي عنده انصرف الى الوديعة دون الدين وان قال لا شي لي قبله انصرف اليهما معا
فقوله تعالى عند ربهم يفيد انها اعيان مودعة عنده والعين اشرف من الضمان لدين والضمان
انما يرغب فيه خوف الهلاك وهو محال في حقه تعالى وتقدم الكلام على نظيره قوله تعالى
تجري من تحتها الانهار والجنات البساتين والعدن الاقامة يقال عدن بالمكان يعدن عدونا
اي اقام ومعدن الشي مركزه ومستقره وقيل جنات عدن بطنان الجنة اي وسطها قوله تعالى
خالدين فيها حال عاملها محذوف اي ادخلوها او اعطوها ولا يجوز ان يكون حالا من هم في جزاوهم
لئلا يلزم الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي على ان بعضهم اجازه مرهم واعتذر بان المصدر هنا
غير مقدر بحرف مصدري قاله ابو البقا وهو تحبيد واما عند فيجوز ان يكون حالا من جزاوهم
وان يكون ظرفا له وابدا ظرف زمان منصوب بخالدين اي لا يظعنون ولا يموتون قوله تعالى رضي
الله عنهم يجوز ان يكون دعا مستانفا وان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا باضمار قد عند من
يلتزم ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما ورضوا عنه اي رضوا بثواب الله تعالى قوله تعالى ذلك
لمن خشي ربه اي ذلك المذكور من استقرار الجنة مع الخلود ورضي الله عنه لمن خشي ربه اي خاف
ربه فانتهى عن معصيته روي انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب
ان الله تعالى امرني ان اقرا عليك لم يكن الذين كفروا قال وسماني لك قال عليه الصلاة والسلام
نعم فبكى خرجه البخاري ومسلم قال القرطبي وفيه من الفقه قراة العالم على المتعلم قال بعضهم
انما قرا النبي صلى الله عليه وسلم على ابي ليعلم الناس التواضع لئلا يانف احد من التعلم والقراة على
من دونه في المنزلة وقيل لان ابيا كان اسرع اخذا لالفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد بقراته
عليه ان ياخذ الفاظه ويقرا كما سمع منه صلى الله عليه وسلم ويعلم غيره وفيه فضيلة عظيمة لابي
رضي الله عنه اذ امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقرا عليه رضي الله عنه وعن بقية
الصحابة اجمعين

سورة الزلزلة مكية

في قول ابن عباس وقتادة ومكية وفي قول ابن مسعود وعطا وجابر مدنية وهي ثمان ايات
وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسع واربعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها اذا شرط وجوابه محذوف وهو قوله تعالى اذا زلزلت
الارض زلزالها الناصب لها عند الجمهور وجوز ابو البقا ان يكون العامل فيها مصدر وغيرهم يجعل
العامل فيها ما بعدها وبسها وان كان معمولا لها بالاضافة تقديرا واختاره مكي وجعل ذلك نظير
من وما يعني انهما يعملان فيما بعدهما الجزم وما بعدهما يعمل فيهما النصب ولو مثل باي لكان اوضح
وقيل العامل فيها مقدر اي يحشرون وقيل اذكر وحينئذ يخرج عن الظرفية والشرط ووجه
المناسبة بين اول هذه السورة واخر السورة المتقدمة انه تعالى لما قال وهم عند ربهم فكان
المكلف قال ومتى يكون ذلك فقيل له اذا زلزلت الارض فالعاملون كلهم يكونون في الخوف وانت
في ذلك الوقت تنال جزاءك وتكون امنا لقوله تعالى وهم من فزع يومئذ امنون وقيل لما ذكر في
السورة المتقدمة وعيد الكافر ووعد المومن اراد ان يزيد في وعيد الكافر فقال كذا جاريه
حين يقول الكافر السابق ذكره فالارض تزلزل نظيره يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فذكر
سبحانه الطايفتين وذكر ما لكل طايفة ثم جمع بينهما في اخر السورة بذكر الذرة من الخير فان قيل
اذا للوقت فكيف وجه البداية لها في السورة فالجواب انهم كانوا يسالون عن الساعة فقال تعالى
اذا زلزلت الارض زلزالها فانه تعالى يقول لا سبيل الى تعيينها بحسب وقتها ولكن اعينه بحسب علاماته

اراد تعالى ان يخبر المكلفين ان الارض تحدث وتشهد يوم القيمة مع انها في هذه الساعة جماد
فكانه لما قيل متى يكون ذلك فقال تعالى اذا زلزلت الارض **فصل** روي عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنه انه كان يقول النفخة الاولى تزلزلها وهو قول مجاهد بقوله تعالى يوم ترجف الراجفة
تتبعها الرادفة ثم تزلزل ثانية فتخرج موتاها وهي الاثقال وذكر المصدر للتاكيد ثم اضيف الى
الارض كقولك لاعطينك عطيتك اي عطيتي لك وحسن ذلك لموافقة روس الاي وهو مصدر مضاف
لفاعله والمعنى زلزالها الذي يستحقه وتقتضيه جرمها وعظمها قال الزمخشري ونحوه اكرم التقي
الزاهد واهن الفاسق اهانته او زلزالها كله بكسر الزاي من الزلزال والجحدري وعيسى بفتحها
فقيل هما مصدران بمعنى وقيل المكسور مصدر والمفتوح قال الزمخشري وليس في الابنية فعلال
يعني غالبا والا فقد ورد ناقة خزعال قال القرطبي والزلزال بالفتح مصدر كالوسواس
والقلقال والجرجار قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها قال ابو عبيدة والاخفش اذا
كان الميت في بطن الارض هو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها وقال ابن عباس ومجاهد
اثقالها موتاها يخرجهم في النفخة الثانية ومنه قيل للانس والجن الثقلان وقيل اثقالها
كنوزها ومنه الحديث تلقي الارض افلاذ كبدها امثال صفوان من الذهب والفضة قوله
تعالى وقال الانسان اي ابن ادم الكافر وقال ابن عباس هو الاسود بن عبد الاسد وقيل
اراد كل انسان لشاهد ذلك عند قيام الساعة في النفخة الاولى من مومن وكافر قوله ما لها ابتدا
وخبر وهذا يرد قول من قال ان الحال في نحو قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين لازمة
لئلا يصير الكلام غير مفيد فانه لا حال هنا ومعنى ما لها اي ما لها زلزلت وقيل ما لها اخرجت
اثقالها وهي كلمة تعجب اي لاي شي زلزلت ويجوز ان يحيي الله الموتى بعد وقوع النفخة الاولى
ثم تتحرك الارض فتخرج الموتى وقد راوا الزلزلة وانشقاق الارض عن الموتى احيا فيقولون من
الهول ما لها كانهم يخاطبون انفسهم تعجبا قوله تعالى يومئذ اي يوم اذا زلزلت والعامل في
يومئذ تحدث ان جعلت اذا منصوبة بما بعدها او بمحذوف وان جعلت العامل فيها تحدث كان
يومئذ بدلا منها فالعامل فيه العامل فيها او شي اخر لانه على تكرير العامل وهو خلاف مشهور
فصل معنى تحدث اي تخبر الارض عما عمل عليها من خير او شر يومئذ ثم قيل هو من قول
الله تعالى وقيل من قول الانسان اي يقول الانسان ما لها تحدث اخبارها متعجبا روى الترمذي
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يومئذ تحدث
اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد
او امة بما عمل على ظهرها يقول عمل يوم كذا وكذا وكذا قال فهذه اخبارها قال الماوردي قوله
تعالى تحدث اخبارها فيه ثلاثة اقاويل احدها تحدث اخبارها باعمال العباد على ظهرها قاله ابو
هريرة رضي الله عنه ورواه مرفوعا وهو قول من زعم انها زلزلة القيامة الثاني قال يحيى بن سلام
تحدث اخبارها بما اخرجت من اثقالها وهو قول من زعم انها زلزلة اشراط الساعة الثالث قال
ابن مسعود انها تحدث بقيام الساعة اذا قال الانسان ما لها فيخبر ان امر الدنيا قد انقضى وامر
الاخرة قد اتى فيكون ذلك منها جوابا لهم عند سوالهم ووعيدا للكافر وانذارا للمومن وفي حديثها
باخبارها ثلاثة اقوال الاول ان الله تعالى يقلبها حيوانا ناطقا فتتكلم بذلك الثاني ان الله
تعالى يحدث فيها الكلام الثالث انه يكون منها بيان يقوم مقام الكلام قال الطبري تبين
اخبارها بالرجفة والزلزلة واخراج الموتى قوله بان ربك متعلق بتحدث اي تحدث ويجوز
ان يتعلق بنفس اخبارها وقيل البا زايدة وان وما في حيزها بدل من اخبارها وقيل البا سببية
اي بسبب ايحا الله اليها وقال الزمخشري ابن مفعولا تحدث قلت حذف اولهما والثاني اخبارها
واصله تحدث الخلق اخبارها الا ان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق تعظيما لليوم
فان قلت بم تعلقت البا في قوله بان ربك قلت بتحدث لان معناه تحدث اخبارها بسبب ايحا
ربك ويجوز ان يكون المعنى يحدث ربك بتحديث ان ربك اوحى لها لانك تقول اخبارها على ان
تحديثها وان ربك اوحى لها تحديث باخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بان نصحتني في
الدين قال ابو حيان وهو كلام فيه عفش ينزه القران عنه قال شهاب الدين واي عفش فيه
صحته ووضاحته ولكنه لما طال تقديره من جهة افادة هذا المعنى الحسن جعله عفشا وحاشاه

نثر

ثم قال الزمخشري ويجوز ان يكون بان ربك بدلا من اخبارها كانه قيل يومئذ تحدث باخبارها
بان ربك اوحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا قال ابو حيان واذا كان الفعل يتعدى
تارة بحرف جر وتارة يتعدى بنفسه وحرف الجر ليس بزايد فلا يجوز في تابعه الا الموافقة في الاعراب
فلا يجوز استغفرت الذنب العظيم بنصب الذنب وجر العظيم لجواز انك تقول استغفرت من الذنب العظيم
بنصب العظيم وكذلك في اخترت فلو كان حرف الجار زايدا جاز الاتباع على موضع الاسم بشروط مذكورة
في كتب النحو يقول ما رايت من رجل عاقلا لان من زايدة ومن رجل عاقل على اللفظ ولا يجوز نصب
رجل وجر عاقل على جواز مراعاة دخول من وان ورد شي من ذلك فبابه الشعر انتهى قال شهاب الدين
ولا ادري كيف يلزم الزمخشري ما الزمه به من جميع المسايل التي ذكرها قال الزمخشري يقول ان هذا
بدل مما قبله ثم ذكر سوغ دخول البا في البدل وهو ان المبدل قد يجوز دخول البا عليه فلو حل البدل
محل المبدل منه ومعه البا لكان جايزا لان العامل يتعدى به وذكر مسوغا لخلو المبدل منه من البا فقال
لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا واما كونه ممنوعا ان يقول استغفرت الذنب العظيم بنصب
الذنب وجر العظيم الى اخره فليس في كلام الزمخشري شي منه البتة ونظيره ما قاله الزمخشري في باب
استغفر ان يقول استغفر الله ذنبا من شتمني زيدا فقولك من شتمني بدل من الذنب وهذا جايز
لا محالة قوله اوحى لها في هذه اللام اوجه احدها انها بمعنى الى وانما اوثرت على الى لموافقة
الفواصل والمعنى اوحى لها انها تحدث اخبارها بوحي الله تعالى اي اليها والعرب تضع لام الصفة موضع
الى قال العجاج يصف الارض • اوحى لها القرار فاستقرت • وشدها بالراسيات الثبت •
قال ابو عبيدة الثاني على اصلها واوحى يتعدى باللام تارة وبالى اخرى ومنه البيت الثالث
ان اللام على بابها من العلة والموحى اليه محذوف وهو الملك يكذا تقديره اوحى الى الملك يكذا لاجل
الارض اي لاجلها يفعلون فيها قال الثوري تحدث اخبارها بما كان عليها من الطاعات والمعاصي
وما عمل على ظهرها من خير وشر قوله يومئذ ما بدل من يومئذ قبله واما منصوب بيصدر واما
منصوب باذكر مقدرا وقوله تعالى اشتاتا حال من الناس وهو جمع شت اي متفرقين في الامن والخوف
والبياض والسواد والصدر عند الورود يقال للوارد الجاي والصادر المنصرف ومنه طواف الصدر
فقيل يصدرون عن موضع الحساب فريق الى جهة اليمين الى الجنة وفريقا الى موقف جهة الشمال
الى النار لقوله تعالى يومئذ يتفرقون يومئذ يصدعون وعن ابن عباس رضي الله عنه اشتاتا
متفرقين على قدر اعمالهم اهل الايمان على حدة واهل كل دين على حدة وقيل هذا الصدر انما هو
عند النشور يصدرون اشتاتا من القبور الى موقف الحساب ليروا اعمالهم في كتبهم او ليروا جزا
اعمالهم فانهم وردوا القبور فدفنوا فيها ثم صدروا عنها وقوله تعالى اشتاتا اي يبعثون من اقطار
الارض فعلى هذا قوله تعالى ليروا متعلق بيصدر وعلى القول الاول فيه تقديم وتاخير اي تحدث
اخبارها بان ربك اوحى لها ليروا اعمالهم واعترض قوله يومئذ يصدر الناس اشتاتا متفرقين عن موقف
الحساب وعلى هذا متعلق باوحى وقرا العامة ببنايه للمفعول وهو من روية البصر فتعدى بالهمزة الى
ثان وهو اعمالهم اي ليريهم الله اعمالهم وقرا الحسن والاعرج وقتادة وحماد بن سلمة ونصر بن عاصم وطلحة
ويروى عن نافع بفتحها قال الزمخشري وهي قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا للفاعل والمعنى
جزا اعمالهم قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال ابن عباس
رضي الله عنه من يعمل من الكفار خيرا يره في الدنيا ولا يثاب عليه في الاخرة ومن يعمل مثقال ذرة
من شر عوقب عليه في الاخرة مع عقاب الشرك ومن يعمل مثقال ذرة من شر من المومنين يره في الدنيا
ولا يعاقب عليه في الاخرة اذا مات ويتجاوز عنه وان عمل مثقال ذرة من خير يقبل منه ويضاعف
في الاخرة وفي بعض الحديث ان الذرة لا زنة لها وهذا مثل ضربه الله تعالى انه لا يغفل عن عمل ابن
ادم صغيرة ولا كبيرة وهو كقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقد تقدم ان الذر لا وزن له
وذكر بعض اهل اللغة ان الذر ان يضرب الرجل بيده على الارض فما علق من التراب فهو الذر وكذا
قال ابن عباس رضي الله عنه اذا وضعت يدك على الارض ورفعتها فكل واحدة مما لزق من التراب
ذرة وقيل الذرة النملة الصغيرة واصغر ما يكون اذا مضى عليها حول قال امرؤ القيس
• من القاصرات الطرف لو دب محول • من الذر فوق الاتب منها لاثرا •
وقال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى ثوابه في الدنيا وفي نفسه

وماله واهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة من
مومن يري عقوبته في الدنيا في ماله ونفسه واهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له
عند الله شر وذكر ليلة فاروي انس رضي الله عنه ان هذه الاية نزلت على النبي صلى الله عليه
وسلم وابو بكر ياكل فامسك وقال يا رسول الله وانا لنري ما عملنا من خير وشر قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ما رايت في الدنيا
مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر لكم مثاقيل ذر الخير حتى يعطوه يوم القيامة قال ابو ادريس
ان مصداقه من كتاب الله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وقال
مقاتل نزلت في رجلين وذلك انه لما نزل ويطعمون الطعام على حبه كان احدهما ياتيه السايل
فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة والجوزة وكان الاخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة
والنظرة ويقول انما اوعد الله تعالى النار على الكباير فنزلت هذه الاية ترغبهم في القليل
من الخير يعطوه فانه يوشك ان يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكثر ولهذا قال
النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة **فصل**
قوله تعالى يره جواب الشرط في الموضعين وقرا هشام بسكون هاء يره وصلا في الحرفين وباقي السبعة
بضمها موصولة بواو وصلا وساكنة وقفا كسايرها الكناية ونقل ابو حيان عن هشام وابي بكر
سكونهما وعن ابي عمرو ضمها مشبعة وبا في السبعة باشباع الاولى وسكون الثانية انتهى وكان
ذلك لاجل الوقف على اخر السورة غالبا اما لو وصلوا اخرها باول العاديات كان الحكم الاشباع
هذا مقتضى اصولهم وهو المنقول وقرا العامة يره مبنيا للفاعل فيهما وقرا ابن عباس والحسن
والحسين ابنا علي بن ابي طالب وزيد بن علي وابو حيوة وعاصم والكسائي في رواية الجحدري
والسلمي وعيسى وابن عمر رضي الله عنهم بضم الياء اي يريه الله اياه قال القرطبي والاول الاختيار
لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية وقرا عكرمة يراه بالالف اما على تقدير
الجزم بحذف الحركة المقدرة واما على توهم ان من موصولة وتقدم هذا في اواخر يوسف ومعنى يره اي
يري جزاءه لان ما عمله قد مضى وعدم وحكى الزمخشري ان اعرابيا قرا اخر خيرا يره فقيل له قدمت
واخرت فانشد خذا بطن هرشى او قفاها فانه كلا جانبي هرشى لهن طريق انتهى يريد ان التقديم
والتاخير سواء وهذا لا يجوز البتة فانه خطا فلا يعتد به قراءة وفي نصب خيرا وشرا وجهان اظهرهما
انهما تمييز فانه مقدار والثاني انهما بدلان من مثقال **فصل** قال ابن مسعود رضي الله
عنه هذه احكم اية في القران واصدق وقد اتفق العلماء على عموم هذه الاية القايلون بالعموم
ومن لم يقل به قال كعب الاحبار رضي الله عنه لقد انزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم
ايتين احصتا ما في التوراة والانجيل والزبور والصحف فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي هذه الاية الجامعة الفاذة روي
مالك في الموطا ان مسكينا استطعم عايشة رضي الله عنها وبين يديها عنب فقالت لانسان
خذ حبة فاعطه اياها فجعل ينظر اليها ويعجب فقالت عايشة اتعجب كم تري في هذه الحبة من
مثقال ذرة روي الترمذي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا اذا زلزلت عدلت له نصف القران ومن قرا قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفوا احد عدلت له بثلث القران وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرا القران كله صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة والعاديات مكية

في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطا ومدنية في قول ابن عباس وانس بن مالك
وقتادة وهي احدي عشرة اية واربعون كلمة وماية وثلاثة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والعاديات جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة والياء عن
واو لكسر ما قبلها نحو الغازيات من الغزو ويقال عدا يعدو فهو عاد واعدوا فهو عاد وهي عادية وقد تقدم
هذا في سورة المومنين قال عامة المفسرين يريد الافراس تعدوا في سبيل الله تعالى قوله ضبحا

فيه اوجه احدها انه مصدر موكد لاسم الفاعل فان الضبح نوع من السير والعدو كالضبع يقال ضبح
الفرس وضبع اذا عدا بشدة اخذا من الضبع وهو الذراع لانه يمده عند العدو وكان الحايد ل من
الطين والي هذا ذهب ابو عبيدة والمبرد قال الضبح من اصابعها في السير وقال عنترة والخيل تكدح
في حياض الموت ضبحا الثاني انه مصدر في موضع الحال اي ضابحات او ذوي ضبح والضبح صوت يسمع
من صدور الخيل عند العدو ليس بصهيل وعن ابن عباس رضي الله عنه انه حكاه فقال اح اح وقال
قتادة تضبح اذا عدت اي تحمحم وقال الفرا الضبح صوت انفاس الخيل اذا عدون وقيل كانت
تكعم لئلا تصهل فيعلم العدو بهم فكانت تتنفس في هذه الحال بقوة ونقل عن ابن عباس رضي الله عنه
انه لم يضبح من الحيوانات غير الخيل والكلب والثعلب وهذا ينبغي ان لا يصح عنه لانه روي عنه
قال سئلت عنها ففسرتها بالخيل وكان علي رضي الله عنه تحت سقاية زمزم فسال فذكرها قلت فدعاني
فلما وقفت على راسه قال تفتي الناس بغير علم والله ان اول غزوة في الاسلام وهي بدر ولم يكن
معنا الا فرسان فرس المقداد وفرس الزبير فكيف تكون العاديات ضبحا انما العاديات ضبحا الابل
والله ان كانت الابل من عرفة الي مزدلفة ومن مزدلفة الي منى يعني ابل الحاج قال ابن عباس فرجعت
الي قول علي رضي الله عنه وبه قال ابن مسعود وعبيد بن عمير ومحمد بن كعب والسدي رضي
الله عنهم ومنه قول صفية بنت عبد المطلب

فلا والعاديات غداة جمع ... بايديها اذا سطع الغبار

الا ان الزمخشري قال بعد ذلك فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير المشافر
والحافر للانسان والشفتان للمهر ونقل غيره ان الضبح يكون في الابل والاسود من الحيات والبوم
والصدي والارنب والثعلب والفرس وانشد ابو حنيفة رضي الله عنه

حنانة من نشم او تالب ... تضبح في الكف ضباح الثعلب

قال شهاب الدين وهذا عندي من الاستعارة ونقل اهل اللغة ان اصل الضبح في الثعلب
فاستعير للخيل وهو من ضبحته النار اذا غيرت لونه ولم تبالغ والضبح لون يضرب الي السواد قليلا والضبح
ايضا الرماد الثالث من اوجه النصب ان يكون منصوبا بفعل مقدر اي يضبح ضبحا وهذا الفعل حال
من العاديات الرابع انه منصوب بالعاديات وان كان المراد به الصوت قال الزمخشري كانه قيل
والضابحات فلا ينبغي ان يعترض به انتهى قال شهاب الدين لم يقل الزمخشري انه بمعناه وانما جعله منصوبا
به لانه لازم له لا يفارقه فكانه ملفوظ به وقوله كانه قيل تفسير التلازم لا انه هو وقال ابن العربي
اقسم الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال يس والقران الحكيم واقسم بحياته فقال تعالى لعمرك انهم لفي
سكرتهم يعمهون واقسم بخيله وصهيلها وغبارها وقدح حوافرها النار من الحجر فقال عز وجل والعاديات
ضبحا وقال الشعبي تمارى علي وابن عباس رضي الله عنهما في العاديات فقال علي هي الابل تعدو
في الحج وقال ابن عباس هي الخيل الا تراه يقول فاثرن به نقعا فهل تثير الا بحوافرها وهل تضبح الابل
فقال علي رضي الله عنه ليس كما قلت لقد رايتنا يوم بدر وما معنا الا فرس ابلق فرس المقداد وفرس
لمرثد بن ابي مرثد وعلى هذا القول فالموريات قدحا اي الحافر يرمي بالحجر من شدة العدو ويضرب
به حجارة اخري به فتوري النار او يكون المعنى الذين يركبون الابل وهم الحجيج اذا اوقدوا نيرانهم
بالمزدلفة وقوله تعالى فالمغيرات صبحا والاغارة سرعة السير وهم يدفعون صبيحة يوم النحر مسرعين
الي منى فوسطن به جمعا يعني مزدلفة لانها تسمى جمعا لاجتماع الحج بها وعلى هذا التقدير فوجه
القسم بها ما تقدم ذكره من المنافع الكثيرة في قوله تعالى افلا ينظرون الي الابل كيف خلقت وايضا
الغرض بذكر ابل الحج الترغيب في الحج كانه تعالى يقول جعلت الابل مقسما بها فكيف اضيع عملك وفيه تعريض
لمن رغب عن الحج فان الكنود هو الكفور والذي لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك كما في قوله تعالى
ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين ومن قال هي
الخيل وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعطا واكثر المحققين ان النبي صلى الله عليه
وسلم بعث سرية الي اناس من بني كنانة فابطا عليه خبرها وكان استعمل عليها المنذر بن عمرو
الانصاري وكان احد النقبا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت هذه السورة اخبارا للنبي صلى
الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم فالمراد الخيل التي عدوا عليها المومنون وعلى هذا
القول فالسورة مدنية لان الاذن في القتال انما كان بالمدينة قوله تعالى فالموريات قدحا

قالت عكرمة وعطا والضحاك هي الخيل حين توري النار بحوافرها وهي سنابكها وقدحا يجوز ان
يكون مصدرا مؤكدا لان الايرا القدح يقال قدح فاوري وقدح فاصلد ويجوز ان يكون حالا
فالمعنى قادحات اي صاكات بحوافرها ما توري النار يقال قدحت الحجر بالحجر اي صككته به وقال
الزمخشري يا انتصب بما انتصب به ضبحا وكان جوز في نصبه ثلاثة اوجه النصب باضمار فعل والنصب باسم
الفاعل قبله لانه ملازمه والنصب على الحال وتسمى تلك النار التي تخرج من الحوافر نار الحباحب قال
يقد والسلوقي المضاعف نسجه ويوقد بالصفاح نار الحباحب **فصل** روي ابن عباس
رضي الله عنه اورت بحوافرها غبارا وهذا يخالف ما روي عنه في قدح النار وانما هذا في الابل
وروي ابن ابي نجيح عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى فالموريات قدحا قال هي في القتال
وهو في الحج قال ابن مسعود هي الابل تطأ الحصى فتخرج منها النار واصل القدح الاستخراج ومنه
قدحت العين اذا اخرجت منها الما الفاسد واقتدحت الزند واقتدحت المرق غرفته وركي قدوح
تغرف باليد والقديح ما يبقى في اسفل القدر فيغرف بجهد والقدحة ما يخرج به النار والقداحة
والقداح الحجر الذي يوري النار يقال وري الزند بالفتح يري وريا اذا خرجت ناره وفيه لغة
اخرى وروي الزند بالكسر يري فيهما وقد مضى في سورة الواقعة وقيل هذه الايات في الخيل ولكن
ايراها ان يهيج الحرب بين اصحابها وبين عدوهم كما قال تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله
ومنه يقال للحرب اذا التحمت حمي الوطيس روي معناه عن بن عباس رضي الله عنه وعن قتادة
وابن عباس ان الموريات قدحا مكر الرجال في الحرب وهو قول مجاهد وزيد بن اسلم والعرب تقول
اذا اراد ان الرجل يمكر بصاحبه والله لامكرن بك ثم لاورين لك وعن ابن عباس ايضا هم الذين يغزون
فيورون نيرانهم بالليل لحاجتهم وطعامهم وعنه ايضا انها نيران المجاهدين اذا كثرت نارها ارهابا ليظنهم
العدو كثيرا وقيل هي افكار الرجال توري النار من عظيم ما تتكلم به ويظهر بها من الحجج واقامة
الدلايل وايضاح الحق وابطال الباطل قال القرطبي وهذه الاقوال مجاز لقولهم فلان يوري زناد
الضلالة والاول الحقيقة وان الخيل من شدة عدوها تقدح النار بحوافرها قال مقاتل تسمى تلك
النار نار ابي حباحب وابو حباحب شيخ من مضر في الجاهلية من ابخل الناس وكان لا يوقد نارا لخبز
ولا غيره حتى تنام العيون فيوقد نويرة تقد مرة وتخمد اخرى فان استيقظ لها احد اطفاها كراهية
ان ينتفع بها احد فشبهت العرب هذه النار بناره لانه لا ينتفع بها وكذلك اذا وقع السيف على البيضة
فاقتدحت نارا فكذلك يسمونها قال النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتايب •

تقد السلوقي المضاعف نسجه • ويوقد بالصفاح نار الحباحب •

قوله تعالى فالمغيرات صبحا ظرف اي التي تغير وقت الصبح يقال اغار يغير اغارة اذا رغب
عدوه لنهب او قتل او اسر قال فليت لي بهم قوما اذا ركبوا شنوا الاغارة فرسانا وركبانا
وغار لغيه واغار وغار ايضا نزل الغور وهو المنهبط من الارض قوله فاثرن عطف الفعل على
الاسم لان الاسم في تاويل الفعل لوقوعه صلة لال قال الزمخشري معطوف على الفعل الذي وضع
اسم الفاعل موضعه يعني في الاصل ان الاصل واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن قوله به في
الها اوجه احدها انه ضمير الصبح اي فاثرن في وقت الصبح غبارا وهذا احسن لانه مذكور بالصريح الثاني
انه عايد على المكان وان لم يجر له ذكر لان الاشارة لا بد لها من مكان والسياق والعقل يدلان عليه
واذا علم المعنى جاز ان يكنى عما لم يجر له ذكر بالصريح كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب وفي عبارة
الزمخشري وقيل الضمير لمكان الغارة وهذا على تلك اللغة وان فالصحيح ان يقول الاغارة هو
الثالث انه ضمير العدو الذي دل عليه والعاديات وقرا العامة بتخفيف الثا اثارت اذا اثرت وفرقه
مع نقاع وقرا ابو حيوة وابن ابي عبلة بتشديدها وخرجها الزمخشري على وجهين الاول بمعنى
فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار والثاني انه قلب ثورن الي وثرن وقلب الواو
همزة انتهى يعني الاصل ثورن من ثور يثور بالتشديد عداه بالتضعيف كما يعدي بالهمزة في
قولك اثاره ثم قلب الكلمة بان جعل العين وهي الواو موضع الفا وهو الثا فصارت وثرن ووزنها
حينئذ عفلن ثم قلب الواو وهذه فصار اثرن وهذا بعيد جدا وعلى تقدير التسليم فقلب الواو المفتوحة
همزة لا ينقاس انما جات منه الفاظ كاحد واناه وانتقع الغبار انتشر

تخرجن من مستطار النقع دامية • كان اذنابها اطراف اقلام •

وقال ابن رواحة عدمت بنيتي ان لم تروها تثير النقع من كنفي كداء وقال ابو عبيدة النقع رفع
الصوت قال لبيد فمتى ينقع صراخ صادق يحلبوها ذات جرس وزجل ويروى يجلبوها يقول
حين سمعوا صراخا اجلبوا الحرب اي جمعوا لها وقوله ينقع صراخ يعني رفع الصوت قال الزمخشري
ويجوز ان يراد بالنقع الصياح من قول عمر ان لم يكن نقع ولا لقلقة وقول لبيد فمتى ينقع صراخ
صادق اي هيجن في المغار عليهم صياحا قال ابو عبيدة وعلى هذا رايت قول اكثر اهل العلم انتهى فعلى
هذا تكون الباء بمعنى في ويعود الضمير على المكان الذي فيه الاغارة كما تقدم وقال الكسائي قوله نقع
ولا لقلقة النقع صفة الطعام يعني في المأتم يقال منه نقعت انقع نقعا قال ابو عبيدة ذهب بالنقع
الى النقيعة وانما النقيعة عند غيره من العلماء صنعة الطعام عند القدوم من سفر لا في المأتم وقال
بعضهم يريد بالنقع وضع التراب على الراس فذهب الى ان النقع هو التراب قال القرطبي ولا احسب
عمر ذهب الى هذا ولا خافه منهن وكيف يبلغ خوفه ذا وهو يكره لهن القيام فقال يسفكن من
دموعهن وهن جلوس وقال بعضهم النقع شق الجيوب قال وهو الذي لا ادري ما هو من الحديث
ولا اعرفه وليس النقع عندي في هذا الحديث الا الصوت الشديد واما اللقلقة فشدة الصوت ولم
اسمع فيه اختلافا وقال محمد بن كعب القرظي النقع ما بين مزدلفة ومنى وقيل انه طريق الوادي ولعله
يرجع الى الغبار المثار من هذا الموضع وفي الصحاح النقع الغبار والجمع نقاع والنقع محبس الما وكذلك
ما اجتمع في البير منه وفي الحديث انه نهى ان يمنع نقع البير والنقع الارض الحرة الطين يستنقع فيها الما
والجمع نقاع وانقع مثل بحار وبحور بحربه قوله فوسطن العامة على تخفيف السين اي توسطن وفي الها
به اوجه احدها انها للصبح والثاني انها للنقع اي وسطن النقع الجمع اي جعلنا الغبار وسط الجمع فالبا
للتعدية وعلى الاول هي ظرفية الثالث ان البا للحالية اي فتوسطن ملتبسات بالنقع اي بالغبار جمعا من
جموع الاعدا وقيل البا مزيدة نقله ابو البقا وجمعا على هذه الاوجه مفعول به الرابع ان المراد بجمع
المزدلفة وهي تسمى جمعا والمراد ان الابل تتوسط جمعا الذي هو المزدلفة كما مر عن امير المومنين رضي الله
عنه فالمراد بالجمع مكان لا جماعة الناس كقول صفية والعاديات غداة جمع وقول بشر بن ابي خازم

فوسطن جمعهم وافلت حاجب • تحت العجاجة في الغبار الاقتم •

وجمعا على هذا منصوب على الظرف وعلى هذا فيكون الضمير في به اما الوقت اي في وقت الصبح
واما النقع وتكون البا للحال اي ملتبسات بالنقع الا انه يشكل نصب الظرف المختص اذ كان حقه
ان يتعدى اليه بفي وقال ابو البقا ان جمعا حال وسبقه اليه مكي وفيه بعد اذ المعنى على ان
الخيل توسطت جمع الناس وقرا علي وزيد بن علي وقتادة وابن ابي ليلى بتشديد السين وهما
لغتان بمعنى واحد وقال الزمخشري التشديد للتعدية والبا مزيدة للتاكيد كقوله تعالى
واوتوا به متشابها وهي مبالغة في وسطن انتهى وقوله وهي مبالغة تناقض قوله اولا للتعدية
لان التشديد للمبالغة لا يكسب الفعل مفعولا اخر يقول ذبحت الغنم مخففا ثم يبالغ فيقول
ذبحتها مثقلا وهذا على رايه وقد جعله متعديا بنفسه بدليل جعله البا مزيدة فلا يكون للمبالغة
فصل المعنى فوسطن بركبانهن العدو اي الجمع الذي اغاروا عليهم وقال ابن مسعود
فوسطن به جمعا يعني مزدلفة وسميت جمعا لاجتماع الناس بها ويقال وسطت القوم اسطهم
وسطا وسطه اي صرت وسطهم وقد اكثر الناس في وصف الخيل وهذا الذي ذكره الله تعالى
احسن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير وقال ايضا ظهورها حرز
وبطونها كنز ويروى ان بنت امرى القيس اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هل
انزل عليك ربك في صفة الخيل كلاما افصح مما قال ابي فقال عليه الصلاة والسلام وما قال
جدك فقالت • مكر مفر مقبل مدبر معا • كجلمود صخر حطه السيل من علي •
فقال عليه الصلاة والسلام والعاديات ضبحا الايات فاسلمت قوله تعالى ان الانسان لربه
لكنود هذا هو المقسم عليه ولربه متعلق بالخبر وقدم للفواصل والكنود الجحود وقيل الكفور للنعم
وانشد كنود لنعما الرجال ومن يكن كنودا لنعما الرجال يبعد وعن ابن عباس رضي الله عنه هو
بلسان كندة وحضرموت العاصي وبلسان ربيعة ومضر الكفور وبلسان كنانة البخيل وانشد ابو زيد

ان نفسي لم تطب منك نفسا • غير اني امسي بدين كنود •

وقيل لسان الجاحد وقيل انما سميت كندة لانها جحدت اباها وقيل الكنود من كند اذا قطع كانه
يقطع ما ينبغي ان يواصله من الشكر ويقال كند الحبل اذا قطعه قال الاعشى يعطي عطا وصلب
الفواد وصول حبال وكنادها فهذا يدل على القطع ويقال كند يكند كنودا اي كفر النعمة وجحدها
فهو كنود وامراة كنود ايضا وكند مثله قال الاعشى احدث لها تحدث لوصلك انها كند لوصل
الزاير المعتاد اي كفور للمواصلة روي ابو امامة الباهلي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الكنود الذي ياكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده خرجه الحكيم الترمذي في نوادر
الاصول وقال الحسن الكنود اللوام لربه يعد المحن والمصايب وينسى النعم والراحات وهو
كقوله تعالى واما اذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانني كلا واعلم ان الكنود لا
يخرج ان يكون كفرا او فسقا وكيف ما كان فلا يمكن حمله على كل الناس فلا بد من صرفه الى كافر معين
وان حملناه على الكل فالمعنى ان طبع الانسان يحمله على ذلك الا اذا عصمه الله بلطفه وتوفيقه
قال ابن عباس رضي الله عنه الانسان هنا الكافر يقول انه لكنود ومنه الارض الكنود التي لا تنبت
شيا وقال الضحاك نزلت في الوليد بن المغيرة وقال ابو بكر الواسطي الكنود الذي ينفق نعم الله
في معاصي الله وقال ذو النون المصري الهلوع والكنود هو الذي اذا اصابه الشر جزع واذا مسه
الخير منع وقيل هو الحقود الحسود قال القرطبي وكل هذه الاقوال ترجع الى معنى الكفران والجحود
وقال ابن عباس رضي الله عنه نزلت في قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشي وقوله افلا يعلم
اذا بعثر ما في القبور ولا يليق الا بالكافر المنكر لذلك قوله تعالى وانه على ذلك لشهيد اي وان
الله تعالى على ذلك من ابن ادم لشهيد قاله ابن عباس ومجاهد واكثر المفسرين وقال الحسن وقتادة
ومحمد بن كعب وانه وان الانسان لشاهد على نفسه بما يصنع لقوله تعالى بعد ذلك وانه لحب الخير
لشديد والاول اولى لانه كالوعيد والزجر له عن المعاصي قوله تعالى وانه لحب الخير اللام متعلقة
بلشديد وفيه وجهان احدهما انها المعدية والمعنى وانه لقوي مطيق لحب الخير اي المال يقال هو
شديد لهذا الامر اي مطيق له ويقال لشديد اي بخيل ويقال للبخيل شديد ومتشدد قال
طرفة يقال اعتامه واعتماه اي اختاره والفاحش البخيل ايضا قال تعالى ويامركم بالفحشا اي
البخل قال ابن زيد سمى الله تعالى المال خيرا وعلى ان يكون شرا وخيرا ولكن الناس يعدونه خيرا
فسماه الله تعالى خيرا لذلك قال تعالى ان ترك خيرا كما سمى الجهاد سوا فقال تعالى فانقلبوا
بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء على ما سمته الناس الثاني ان اللام للعلة اي وانه لاجل حب
المال لبخيل وقيل اللام بمعنى على وقال الفرا اصل نظم الاية ان يقال وانه لشديد الحب للخير
فلما قدم الحب قال لشديد وحذف من اخره ذكر الحب لانه قد جرى ذكره ولروس الاي كقوله تعالى
في يوم عاصف والعصوف للريح لا لليوم كانه قال في يوم عاصف الريح قوله تعالى افلا يعلم
لما عدد عليه قبايح افعاله خوفه فقال تعالى افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور في اذا اوجه احدها نصب
نقله مكي عن المبرد وتقدم تحريره في السورة قبلها قال القرطبي العامل في اذا ولا يعمل فيه خبر
ان فعل اللام بينهما لان موضع اللام الابتدا وانما دخلت في الخبر ان على المبتدا والثاني انه ما دل
عليه خبران اي اذا بعثر جوزي والثالث انه يعلم واليه ذهب الحوفي وابو البقا ورده مكي قال لان
الانسان لا يراد منه العلم والاعتبار ذلك الوقت وانما يعتبر في الدنيا ويعلم قال ابو حيان وليس
بمتضح لان المعنى افلا يعلم الان وكان قبل ذلك ومفعول يعلم محذوف وهو العامل في الظرف
اي فلا يعلم مالدا اذا بعثر انتهى فجعلها متعدية في ظاهر قوله الى واحد وعلى هذا فقد يقال
لها عاملة في اذا على سبيل ان اذا مفعول به لا ظرف اذ التقدير افلا يعرف اذا وقت بعثرت
القبور ويعني ان يقر بالبعث ووقته واذا قد تصرفت وخرجت عن الظرفية ولذلك شواهد
تقدم ذكرها الرابع ان العامل فيها محذوف وهو مفعول يعلم كما تقدم وقرا العامة بعثر بالعين
مبنيا للمفعول والموصول قايم مقام الفاعل وابن مسعود وبالحا قال الفرا سمعت بعض اعراب
بني اسد يقرا بحثر بالحا وحكاه الماوردي عن ابن مسعود وقرا الاسود بن زيد ومحمد بن
معدان بحث من البحث ونصر بن عاصم بعثر مبنيا للفاعل وهو الله او الملك **فصل** المعنى
افلا يعلم ابن ادم اذا بعثر اي اثير وقلب وبحث فاخرج ما فيها قال ابو عبيدة بعثرت المتاع جعلت
اسفله اعلاه قال محمد بن كعب ذلك حين يبعثون فان قيل لم قال بعثر ما في القبور ولم يقل من في

القبور ثم انه تعالى لما قال ما في القبور فلم قال ان ربهم بهم يومئذ لخبير فالجواب عن
الاول ان ما في الارض غير المكلفين اكثر فاخرج الكلام على الاغلب او انهم حال ما يبعثرون
لا يكونون احيا عقلا بل يصيرون لذلك بعد البعث فلذلك كان الضمير الاول ضمير غير العقلا والضمير
الثاني ضمير العقلا قوله تعالى وحصل ما في الصدور قرا العامة حصل مبنيا للفاعل وروي عن
ابن يعمر وعبيد بن عمير وسعيد بن جبير ونصر ايضا حصل خفيف الصاد مبنيا للفاعل بمعنى جمع
ما في المصحف محصلا والتحصيل جمع الشي والحصول اجتماعه والاسم الحصيلة قال لبيد

وكل امري يوما سيعلم سعيه • اذا حصلت عند الاله الحواصل

التحصيل التمييز ومنه قيل للمنخل محصل وحصل الشي مخففا ظهر واستبان وعليها القراة الاخيرة
وقال المفسرون وحصل ما في الصدور اي ميز ما فيها من خير وشر وقال ابن عباس ابرز قال ابن
الخطيب وخص اعمال القلوب لانه لولا البواعث والارادات لما حصلت اعمال الجوارح قوله ان ربهم
العامة على كسر الهمزة لوجود اللام في خبرها والظاهر انها معلقة ليعلم فهي في محل نصب ولكن لا يعمل
في اذا خبرها لما تقدم بل يقدر له عامل من معناه كما تقدم ويدل على انها معلقة للعلم لا مستانفة
قراة ابي السمال وغيره ان ربهم بهم يومئذ خبير بالفتح واسقاط اللام فانها في هذه القراة سادة
مسد مفعولها وحكي عن الحجاج الخبيث الروح انه لما فتح همزة ان استدرك على نفسه فتعمد سقوط
اللام وهذا ان صح كفر ولا يقال انها قراة ثابتة كما نقل عن ابن السمال فلا يكفر لانه لو قراها كذلك ناقلا
لها لم يمنع منه ولكنه اسقط اللام عمدا لاصلاح لسانه واجمعت القرا على ان من زاد حرفا في القران
او نقصه عمدا فهو كافر قال شهاب الدين وانما قلت ذلك لاني رايت ابا حيان قال وقرا ابو السمال
والحجاج ولا يحفظ عن الحجاج الا هذا الاثر السو والناس ينقلونه عنه كذلك وهو اقل من ان ينقل
عنه وبهم ويومئذ متعلقان بالخبر واللام غير مانعة من ذلك وقدم لاجل الفاصلة ومعنى خبير اي
عالم لا يخفى عليه منهم خافية وهو عالم بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى انه يجازيهم في ذلك
اليوم روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العاديات
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا والله تعالى اعلم وهو حسبي وكفى

سورة القارعة مكية

وهي احدى عشرة اية وست وثلاثون كلمه ومايه واثنان وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى القارعة ما القارعة كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة وكقوله واصحاب اليمين ما
اصحاب اليمين وقد تقدم ما نقله مكي انه يجوز رفع القارعة بفعل مضمر ناصب ليوم وقيل ستاتيكم
القارعة وقيل القارعة مبتدا وما بعده الخبر وقيل معنى الكلام على التحذير قال الزجاج والعرب
تحذر وتغري بالرفع كالنصب وانشد لجرير ان قوما اذا قال اخوا النجدة السلاح وقد تقدم ذلك
في قوله تعالى ناقة الله فيمن رفعه ويدل على ذلك قراة عيسى القارعة ما القارعة باضمار فعل
اي احذروا القارعة وما زايدة والقارعة الثانية تاكيد لها وهي تاكيد لفظي والقرع الضرب بشدة
واعتماد والمراد بالقارعة القيامة لانها تقرع الخلايق باهوالها وافزاعها واهل اللغة يقولون
تقول العرب قرعتهم القارعة نقرتهم الفاقرة اذا وقع بهم امر فظيع قال تعالى ولا يزال الذين
كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة وهي الشديدة من شدايد الدهر وقوله تعالى ما القارعة استفهام
على جهة التعظيم والتفخيم لشانها كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة واختلفوا في سبب تسمية القيامة
بالقارعة فقيل المراد بالقارعة الصيحة التي يموت منها الخلايق لانها تقرع اسماعهم وقيل ان
الاجرام العلوية والسفلية يصطكان فيموت العالم بسبب تلك القرعة فلذلك سميت القيامة
بالقارعة وقيل تقرع الناس بالاهوال كانشقاق السموات وانفطارها وتكوير الشمس والقمر وانتثار
الكواكب ودك الجبال ونسفها وطي الارض وقيل لانها تقرع اعدا الله بالعذاب قوله تعالى وما
ادراك ما القارعة اي لا علم لك بكنهها لانها في الشدة بحيث لا يبلغها وهم احد وعلى هذا يكون
اخر السورة مطابقا لاولها فان قيل ها هنا قال وما ادراك ما القارعة وقال تعالى في اخر

السورة فأمه هاوية فالجواب ان الفرق ان كونها قارعة امر محسوس وكونها هاوية ليس كذلك فظهر الفرق قوله يوم يكون في ناصب يوم اوجه احدها مضمر يدل عليه القارعة اي تفزعهم يوم يكون وقيل تقديره تاتي القارعة يوم الثاني انه اذكر مقدرا فهو مفعول به لا ظرف الثالث انه القارعة قاله ابن عطية وابو البقا ومكي قال ابو حيان فان كان عنى ابن عطية اللفظ الاول فلا يجوز للفصل بين العامل وهو في صلة ال والمعمول باجنبي وهو الخبر وان جعل القارعة علما للقيامة فلا يعمل ايضا وان عنى الثاني والثالث فلا يلتئم الظرف معه الرابع انه فعل مقدر رافع للقارعة الاولى كانه قيل ما هي القارعة يوم يكون قاله مكي وعلى هذا فيكون ما بينهما اعتراضا وهو بعيد جدا منافر لنظم الكلام وقرا زيد بن علي يوم بالرفع خبر المبتدا محذوف اي وقتها يوم يكون قوله كالفراش يجوز ان يكون خبر الناقصة وان يكون حالا من فاعل التامة اي يوجدون ويحشرون شبه الفراش وهو طاير معروف قال قتادة الفراش الطير الذي يساقط في النار والسراج الواحدة فراشة وقال الفرا هو الهمج من البعوض والجراد وغيرهما وبه يضرب المثل في الطيش والهوج يقال اطيش من فراشة وانشد

فراشة الحلم فرعون العذاب وان • تطلب نداه فكلب دونه كلب

وقال اخر

وقد كان اقوام رددت عليهم قلوبهم • وكانوا كالفراش من الجهل

وقال اخر

طويش من نفر اطياش • اطيش من طاير الفراش

والفراشة الماء القليل في الاناء وفراشة القفل لشبهها بالفراشة وروي مسلم عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثلكم كمثل رجل اوقد نارا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها وانا اخذ بحجزكم عن النار وانتم تفلتون من يدي وفي تشبيه الناس بالفراش مبالغات شتى منها الطيش الذي يلحقهم وانتشارهم في الارض وركوب بعضهم بعضا والكثرة والضعف والذلة والمجي من غير ذهاب والقصد الى الداعي من كل جهة والتطاير الى النار قال جرير • ان الفرزدق ما علمت وقومه • مثل الفراش غشين نار المصطلي والمبثوث المتفرق وقال تعالى في موضع اخر كانهم جراد منتشر فاول حالهم كالفراش لا وجه له يتحير في كل وجه ثم يكون كالجراد لان لها وجها يقصده والمبثوث المتفرق وقال تعالى في موضع اخر كانهم جراد منتشر المنشور وانما ذكر على اللفظ كقوله تعالى اعجاز نخل منقعر ولو قال المبثوثة فهو كقوله تعالى اعجاز نخل خاوية قال ابن عباس والفرا كالفراش المبثوث كغوغا الجراد يركب بعضها بعضا يجول بعضهم في بعض اذا انبعثوا فان قيل كيف يشبه الشي الواحد بالصغير والكبير معا لانه شبههم بالجراد المنتشر والفراش المبثوث فالجواب اما التشبيه بالفراش فبذهاب كل واحد الى غير جهة الاخر واما التشبيه بالجراد فبالكثرة والتتابع او يكون كبارا ثم يصير صغارا قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش اي الصوف الذي ينفش باليد اي يصير هبا وتزول كقوله تعالى في موضع اخر هبا منبثا قال اهل اللغة العهن الصوف المصبوغ وقد تقدم قوله تعالى فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية في الموازين قولان احدهما انه جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله تعالى وهذا قول الفرا ونظيره قولك له عندي درهم بميزان درهمك وداري بميزان دارك ووزن دارك اي حذاوها والثاني قال ابن عباس انه جمع ميزان لها لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال وقد تقدم القول في الميزان في سورة الاعراف والكهف والانبيا وانه له كفة ولسان يوزن فيها الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيات ثم قيل انه ميزان واحد بيد جبريل عليه السلام يزن به اعمال بني ادم فعبر عنه بلفظ الجمع وقيل موازين لكل حادثة ميزان وقيل الموازين الحجج والدلايل قاله عبد العزيز بن يحيى واستشهد بقول الشاعر

قد كنت قبل لقايكم ذا مرة • عندي لكل مخاصم ميزانه

ومعنى عيشة راضية اي عيش مرضي يرضاه صاحبه وقيل عيشة راضية اي فاعلة للرضى وهو اللين والانقياد فالعيشة كلمة تجمع النعم التي في الجنة فهي فاعلة للرضى كالفرش المرفوعة وارتفاعها مقدار مائة عام فاذا دنا منها ولي الله اتضعت حتى يستوي عليها ثم ترتفع وكذلك فروع الشجرة تتدلى من ارتفاعها للولي فاذا تناول منها ترتفع لقوله تعالى قطوفها دانية وحيث ما مشى من مكان الى مكان جرى معه نهر حيث شا قوله تعالى واما من خفت موازينه اي رجحت سياته على حسناته

قال

قال مقاتل بن حيان انما رجحت الحسنات لان الحق ثقيل والباطل خفيف قوله تعالى فامه هاوية اي هالكة وهذا مثل يقولون لمن هلك موت امه لانه اذا هلك سقطت امه ثكلا وحزنا وعليه قوله هوت امه ما يبعث الصبح غاديا • وماذا يرد الصبح حين يؤوب فكانه قال تعالى ومن خفت موازينه فقد هلك وقيل الهاوية من اسما النار وكانها النار العميقة يهوي اهل النار فيها والمعنى فماواه النار وقيل للماوي على سبيل التشبيه بالام كما ياوي الى امه قاله ابن زيد ومنه قول بن ابي الصلت فالارض معقلنا وكانت امنا فيها مقامنا وفيها مولدنا ويروى ان الهاوية اسم الباب الاسفل من النار وقال عكرمة لانه يهوي فيها على ام راسه وذكره الاخفش والكلبي وقتادة والمهوي والمهواه ما بين الجبلين ونحو ذلك وتهاوى القوم في المهواة اذا سقط بعضهم في اثر بعض وقرا طلحة فامه بكسر الهمزة نقل ابن خالويه عن ابن دريد انها لغة والنحويون لا يجيزون ذلك الا اذا تقدمها كسرة او يا وقد تقدم تحقيق ذلك في سورة النسا قوله تعالى وما ادراك ما هيه الاصل ما هي فدخلت الها للسكت وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابن محيصن ما هي لغيرها في الوصل ووقفوا بها وقد تقدم في سورة الحاقة وما هي مبتدا وخبر سادّ ان مسد المفعولين لادراك وهو من التعليق وهي ضمير الهاوية ان كانت الهاوية كما قيل اسما للدرك من دركات النار والا عادت على الداهية المفهومة من الهاوية قوله نار حامية نار خبر مبتدا مضمر اي هي نار شديدة الحر وروى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التي يوقد ابن ادم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم قالوا انها لكافية يا رسول الله قال عليه الصلاة والسلام فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها وروى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القارعة ثقل الله بها موازينه يوم القيمة

سورة التكاثر مكية

في قول الجميع وروى البخاري انها مدنية وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الهاكم التكاثر الهاكم شغلكم قال امرؤ القيس فالهيتها عن ذي تمائم محول اي شغلكم المباهاة بكثرة الاموال والعدد عن طاعة الله تعالى حتى متم والالهاء الصرف الى اللهو واللهو الانصراف الى ما يدعو اليه الهوى وقيل الهاكم اي انساكم التكاثر اي من الاموال والاولاد قاله ابن عباس والحسن وقال قتادة اي التفاخر بالقبايل والعشاير وقال الضحاك الهاكم التشاغل بالمعاش والتجارة يقال لهيت عن كذا بالكسر الهى لهيا ولهيانا اذا سلوت عنه وتركت ذكره والهاه اي شغله ولهاه به يلهيه اي علله والتكاثر والمتكاثر قال قتادة ومقاتل وغيرهما نزلت في اليهود حين قالوا نحن اكثر من بني فلان وبني فلان اكثر من بني فلان الهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقال ابن زيد نزلت في فخذ من الانصار وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي نزلت في حيين من قريش بني عبد مناف وبني سهم تعادوا وتكاثروا بالسادة والاشراف في الاسلام فقال كل حي منهم نحن اكثر سيدا واعز عزا واعظم نفرا فكثر بنو عبد مناف سهما ثم تكاثروا بالاموات فكثرتهم فنزلت الهاكم التكاثر باحيائكم فلم ترضوا حتى زرتم المقابر مفتخرين بالاموات وعن عمرو بن دينار حلف ان هذه السورة نزلت في التجار وعن قتادة نزلت في اهل الكتاب والاية تعم جميع ما ذكر وروى ابن شهاب عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان لابن ادم واديا من ذهب احب ان يكون له واديان ولن يملا فاه الا التراب ويتوب الله على من تاب قال ثابت عن انس قال كنا نرى هذا من القران حتى نزلت الهاكم التكاثر رواه البخاري قال ابن العربي وهذا نص صريح غاب عن اهل التفسير وقرا ابن عباس االهاكم على الاستفهام التقرير والانكار وتقدم في هذا المدمج التسهيل ونقل فيه تحقيق الهمزتين من غير مد قوله حتى زرتم حتى غاية لقوله الهاكم وهو عطف عليه والمعنى حتى اتاكم الموت فصرتم في المقابر زوارا ترجعون منها كرجوع الزاير الى منزله من جنة او نار يقال لمن مات قد زار قبره وقيل الهاكم التكاثر حتى عددتم الاموات كما تقدم وقيل هذا وعيد اي اشتغلتم بمفاخرة الدنيا حتى تزوروا المقابر فترون ما ينزل بكم من عذاب الله والمقابر جمع مقبرة وجمع مقبرة بفتح الباء وضمها والقبور جمع القبر وسمي سعيد المقبري لانه كان يسكن المقابر وقبرت الميت اقبره واقبره قبرا اي دفنته واقبرته اي امرت بان يقبر **فصل** قال المفسرون معنى الاية الهاكم حرصكم على تكثير اموالكم عن طاعة

ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك قال ابن الخطيب فان قيل شان الزايرات ينصرف قريبا والاموات يلازمون القبور فكيف يقال انذار القبر وايضا فقوله جل ذكره حتى زرتم المقابر اخبار عن الماضي فكيف يحمل على المستقبل فالجواب عن الاول ان سكان القبور لا بد ان ينصرفوا منها وعن الثاني اما ان المراد من كان مشرفا على الموت للكبر او غيره كما يقال انه على شفير قبره واما ان المراد من تقدمهم كقوله تعالى ويقتلون النبيين وقال ابو مسلم ان الله تعالى تكلم بهذه السورة يوم القيمة تعيير للكفار وهم في ذلك الوقت قد تقدمت منهم زيارة القبور

فصل قال القرطبي لم يات في التنزيل ذكر المقابر الا في هذه السورة وفيه نظر لانه تعالى قال في سورة اخرى ثم اماته فاقبره واعلم ان زيارة القبور من اعظم الادوية للقلب القاسي لانها تذكر الموت والاخرة وذلك يحمل على قصر الامل والزهد في الدنيا وترك الرغبة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد في الدنيا وتذكر الاخرة وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور قال بعض اهل العلم كان هذا قبل ترخيصه في زيارة القبور فلما رخص دخل في الرخصة الرجال والنسا وقال بعضهم انما كره زيارة القبور للنسا لقلة صبرهن وكثرة جزعهن وقال بعضهم زيارة القبور للرجال متفق عليه واما النسا فمختلف فيه واما الشواب فحرام عليهن الخروج واما القواعد فيباح لهن ذلك وجايز لجميعهن ذلك اذا انفردن بالخروج عن الرجال بغير خلاف لعدم خشية الافتتان

فصل ينبغي لمن زار القبور ان يتادب باداتها ويحضر قلبه في اتيانها ولا يكون حظه منها التطواف فقط فان هذه حالة تشاركه فيها البهيمة بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى واصلاح فساد قلبه ونفع الميت بما يتلوه عنده من القران والدعا ويتجنب المشي على القبور والجلوس عليها ويسلم اذا دخل المقابر واذا وصل الى قبر ميته الذي يعرفه سلم عليه ايضا واتاه من تلقاء وجهه لانه في زيارته كمخاطبته حيا ثم يعتبر بمن صار تحت التراب وانقطع عن الاهل والاحباب ويتامل الزاير حال من مضى من اخوانه انه كيف انقطعت امالهم ولم تغن عنهم اموالهم ومحى التراب محاسن وجوههم وتفرقت في القبور اجزاوهم وترمل من بعدهم نساوهم وشمل ذل اليتيم اولادهم وانه لا بد صاير الى مصيرهم وان حاله كحالهم ومآله كمآلهم

قوله تعالى كلا قال الفرا اي ليس الامر على ما انتم عليه من التفاخر والتكاثر والتمام على هذا كلا سوف تعلمون اي سوف تعلمون عاقبة هذا قوله تعالى ثم كلا سوف تعلمون جعله ابن مالك من التوكيد مع توسط حرف العطف وقال الزمخشري والتكرير تاكيد للردع والرد عليهم وثم دالة على ان الانذار الثاني ابلغ من الاول واشد كما يقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل انتهى ونقل عن علي رضي الله عنه كلا سوف تعلمون في الدنيا ثم كلا سوف تعلمون في الاخرة فعلى هذا يكون غير مكرر لحصول التغاير بينهما لاجل تغاير المتعلقين وثم على بابها من المهلة وحذف متعلق العلم في الافعال الثلاثة لان الغرض الفعل لا متعلقه وقال الزمخشري والمعنى لو تعلمون الخطا فيما انتم عليه اذا عاينتم ما انتم عليه انتهى فقدر له مفعولا واحدا كانه جعله بمعنى عرف

فصل قال ابن عباس كلا سوف تعلمون ما ينزل بكم من العذاب في القبور ثم كلا سوف تعلمون في الاخرة اذا حل بكم العذاب فالتكرار للحالين وروي زر بن حبيش عن علي رضي الله عنه قال كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة فاشار الى ان قوله تعالى كلا سوف تعلمون في القبور وقيل كلا سوف تعلمون اذا نزل بكم الموت وجاتكم رسل ربكم بنزع ارواحكم ثم كلا سوف تعلمون في القيامة انكم تعذبون وعلى هذا تضمنت احوال القيامة من بعث وحشر وعرض وسوال الى غير ذلك من اهوال القيامة وقال الضحاك كلا سوف تعلمون ايها الكافرون وكذلك كان يقروها الاولى بالياء والثانية بالتا فالاول وعيد والثاني وعد قوله كلا لو تعلمون جواب لو محذوف اي لفعلتم ما يوصف وقيل التقدير لرجعتم عن كفركم قال ابن الخطيب وجواب لو محذوف وليس لترون جوابها لان هذا مثبت وجواب لو يكون منفيا ولانه عطف عليه قوله ثم لتسالن وهو مستقبل لا بد من وقوعه وحذف جواب لو كثير قال الاخفش التقدير لو تعلمون علم اليقين ما الهاكم وقيل لو تعلمون لماذا خلقتم لاشتغلتم وحذف الجواب افخم لانه يذهب

الوهم معه كل مذهب قال تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون وقال تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم واعاد كلا وهو زجر وتنبيه لانه عقب كل واحد بشي اخر كانه قال لا تفعلوا انكم تندمون لا تفعلوا فانكم تستوجبون العقاب وعلم اليقين مصدر قيل واصله العلم اليقين فاضيف الموصوف الى صفته وقيل لا حاجة الى ذلك لان العلم يكون يقينا وغير يقين فاضيف اليه اضافة العام للخاص وهذا يدل على ان اليقين اخص

فصل قال المفسرون اضاف العلم الى اليقين لقوله تعالى لهو حق اليقين قال قتادة اليقين هنا الموت وعنه ايضا البعث لانه اذا جا زال الشك اي لو تعلمون علم البعث او علم الموت فعبر عن الموت باليقين كقولك علم الطب وعلم الحساب والعلم اشرف البواعث على العمل فاذا كان بحيث يكمل العمل كان تذكرة وموعظة وان كان بعد فوات العمل كان حسرة وندامة وفيها تهديد عظيم للعلما الذين لا يعملون بعلمهم قوله تعالى لترون الجحيم جواب قسم مقدر اي لترون الجحيم في الاخرة والخطاب للكفار وقيل عام كقوله تعالى وان منكم الا واردها فهو للكفار مقر وللمومنين ممر وقرا ابن عامر والكسايي لترون مبنيا للمفعول وهي منقول من راي الثلاثي الى راي اي اريته الشي فالت مفعولا اخر فقام الاول مقام الفاعل وبقي الثاني منصوبا والباقون مبنيا للفاعل جعلوه غير منقول فتعدي لواحد فقط فان الروية بصرية وامير المومنين وعاصم وابن كثير في رواية عنهما بالفتح في الاولى والضم في الثانية يعني لترونها ومجاهد وابن ابي عبلة والاشهب بضمهما وهما والعامة على ان الواوين لا يهمزان لان حركتهما عارضة وقد نص مكي وابو البقا على عدم جوازه وعللا بعروض الحركة وقرا الحسن وابو عمرو بخلاف عنهما بهمز الواوين استثقالا لضمة الواو وقال الزمخشري وهي مستكرهة يعني لعروض الحركة عليها الا انهم قد همزوا اما هو اول لعدم الهمز من هذه الواو نحو اشتروا الضلالة همزوا واشتروا وبعضهم مع انها حركة عارضة وتزول في الوقف وحركة هذه الواو وان كانت عارضة الا انها غير زايلة في الوقف فهي اولي بهمزها وقوله ثم لترونها عين اليقين هذا مصدر موكد كانه قيل روية اليقين نفيا لتوهم المجاز في الروية الاولى وقال ابو البقا لان راي وعاين بمعني

فصل معني الكلام لترون الجحيم بابصاركم على البعد ثم لترونها عين اليقين اي مشاهدة وقيل هو اخبار عن دوام بقايهم في النار اي في روية دايمة متصلة والخطاب للكفار وقيل لو تعلمون علم اليقين معناه لو تعلمون اليوم في الدنيا علم اليقين بما امامكم بما وصفت لترون الجحيم بعيون قلوبكم فان علم اليقين يريك الجحيم بعين فوادك وهو ان تصور لك تارات القيامة ثم لترونها عين اليقين اي عند المعاينة بعين الراس فتراها يقينا لا تغيب عن عينك ثم لتسالن يوميذ عن النعيم في موقف السوال والعرض قال الحسن لا يسال عن النعيم الا اهل النار لان ابا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية قال يا رسول الله صلى الله عليك ارايت اكلة اكلتها معك في بيت ابي الهيثم بن التيهان من خبز شعير ولحم وبسر وما عذب ايكون من النعيم الذي يسال عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ذلك للكفار ثم قرا عليه الصلاة والسلام وهل يجازي الا الكفور ولان ظاهر الاية يدل على ذلك لان الكفار الهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال بشكره فالله تعالى يسالهم عنها يوم القيمة حتى يظهر لهم ان الذي ظنوه لسعادتهم كان من اعظم الاسباب لشقاوتهم وقيل السوال عام في حق المومن والكافر لقوله صلى الله عليه وسلم اول ما يسال العبد يوم القيمة عن النعيم فيقال له الم نصحح جسمك الم نروك من الما البارد وقيل الزايد مما لا بد منه وقيل غير ذلك قال ابن الخطيب والاولى على جميع النعم لان الالف واللام تفيد الاستغراق وليس صرف اللفظ الى البعض اولى من صرفه الى الباقي فيسال عنها هل شكر فيها ام كفرها واذا قيل ان هذا السوال للكفار فقيل السوال في موقف الحساب وقيل بعد دخول النار فيقال لهم اعاجل بكم هذا العذاب لاستغنايكم في الدنيا بالنعيم عن العمل الذي ينجيكم من هذه النار ولو صرفتم عمركم الى طاعة ربكم لكنتم اليوم من اهل النجاة

سورة والعصر مكية

وروي ابن عباس وقتادة انها مدنية وهي ثلاث ايات واربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والعصر قرا العامة بسكون الصاد وسلام والعصر بكسرها والصبر بكسر البا قال ابن عطية وهذا لا يجوز الا في الوقف انتهى ونقل هذه القراة جماعة كالهذلي وابي الفضل الرازي وابن

خالويه قال الهذلي والعصر والصبر والفجر والوتر بكسرها نقل الساكن في هذه كلها هرون وابن
موسى عن أبي عمرو والباقون بالاسكان كالجماعة انتهى فهذا اطلاق منه لهذه القراءة في حالتي الوقف
والوصل وقال ابن خالويه والصبر بنقل حركة الراء الى الباء لئلا يحتاج ان يأتي ببعض الحركة في الوقف
ولا الى ان يسكن فيجمع بين ساكنين وذلك لغة شائعة وليست بشاذة بل مستفيضة وذلك دلالة على
الاعراب وانفصال من التقاء الساكنين وتأديه حق الموقوف عليه من السكون انتهى فهذا يؤذن بما ذكر ابن
عطية انه كان ينبغي ان يسروا على ذلك تواصطفا فالرجل بريد بالرجل وقال احرانا جربر كنيتي ابو
عمرو اضرب بالسيف وسعد بالعصر والنقل جايز في الضمة كقوله تعالى اوجبا لعمرو ولم يشروط والعصر
الليلة واليوم قال ولن يلبث العصران يوم وليلة اذا طلبا ان يدركا ما تيمما قال ابن عباس
وغيره والعصر الدهر ومنه قول الشاعر

سبيل الهوى وعر وبحر الهوى غمر • ويوم الهوى شهر وشهر الهوى دهر

اقسم الله تعالى بالعصر لما فيه من الاعتبار للناظر بتصرف الاحوال وتبدلها وما فيها من الادلة على
الصانع والعصران ايضا الغداة والعشي قال واطل العصر بي حتى عسليني وموضي بنصف الدين
والانف راغم تقول اذا جاني اول النهار وعدية اخره وقيل انه العشي وهو ما بين الزوال والغروب
قاله الحسن وقتادة ومنه قول الشاعر • يروح بنا عمرو وقد قصر العصر
وفي الروحة الاولى الغنيمة والاجر وعن قتادة هو اخر ساعة من النهار فاقسم سبحانه بآخره كما اقسم في
النهار كما اقسم بالضحى وهو احد طرفي النهار قاله ابو العالية ومسلم وقيل اقسم تعالى بصلاة العصر وهي الوسطى
لانها افضل الصلوات قاله مقاتل يقال اذنت للعصر اي لصلاة العصر وصليت العصر اي صلاة العصر
وقال صلى الله عليه وسلم الصلاة الوسطى صلاة العصر وقيل اقسم بعصر النبي صلى الله عليه وسلم لفضله
بتجديد النبوة فيه وقيل معناه ورب العصر **فصل** قال مالك رضي الله عنه من
حلف ان لا يكلم الرجل عصرا لم يكلمه سنة قال ابن العربي انما حمل مالك رضي الله عنه يمين الحالف ان لا
يكلم الرجل عصرا على السنة لانه اكثر ما قيل فيه وذلك على اصله في تغليظ المعنى في الايمان وقال
الشافعي رحمه الله يبر بساعة الا ان يكون له نية وبه اقول الا ان يكون الحالف عربيا فيقال له ما اردت
فاذا فسره بما يحتمله قبل منه الا ان يكون الاقل قوله تعالى ان الانسان لفي خسر هذا جواب
القسم والمراد به العموم بدليل الاستثناء وهو من جملة ادلة العموم وقال ابن عباس في رواية
ابي صالح المراد به الكافر وقال في رواية الضحاك يريد جماعة من المشركين الوليد بن المغيرة والعاص
بن وائل والاسود بن عبد المطلب بن اسد بن عبد العزى والاسود بن عبد يغوث وقوله تعالى
لفي خسر اي لفي غبن وقال الاخفش لفي هلكة وقال الفراء لفي عقوبة ومنه قوله تعالى وكان
عاقبة امرها خسرا وقال ابن زيد لفي شر وقيل لفي نقص وقرأ العامة لفي خسر بسكون السين وروى
ابن علي وابن هرمز وعاصم في رواية وزاد القرطبي الاعرج وطلحة وعيسى الثقفي بضمها وهي كالعسر
واليسر وقد تقدم في البقرة والوجه فيهما الاتباع ويقال خسر وخسر مثل عسر وعسر وكان علي
رضي الله عنه يقرؤها والعصر ونوائب الدهر ان الانسان لفي خسر وانه فيه الى اخر الدهر وقال ابراهيم
ان الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وضعف وتراجع الا المؤمنين فانه يكتب لهم اجورهم التي
كانوا يعملونها في حال شبابهم ونظيره قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه
اسفل سافلين قال وقراءتنا والعصر ان الانسان لفي خسر وانه في اخر الدهر والصحيح ما عليه الامة
والمصاحف وقيل المعنى ان الانسان لا ينفك عن تضييع عمره لان كل ساعة تمر بالانسان فان كانت
في معصية فالخسر ظاهر وكذلك ان مرت في مباح وان مرت في طاعة فكان يمكن ان يأتي بها
على وجه الكمال اي من الخشوع والاخلاص وترك الاعلى والاتيان بالادنى نوع خسران والخسر
والخسران مصدران وتنكير الخسر اما للتعظيم واما للتحقير بالنسبة الى خسر الشيطان والاول اظهر
وافرد الخسر مع كثرة انواعه لان الخسر الحقيقي هو حرمانه عن خدمة ربه سبحانه وما عدا ذلك فكالعدم
وفيه مبالغات دخول ان واللام واحاطة الخسر به اي هو في طريق خسر او سبب خسر قوله تعالى
الا الذين امنوا استثنى من الانسان اذ المراد به الجنس على الصحيح وعملوا الصالحات اي ادوا الفرائض
المفترضة عليهم وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابي بن كعب رضي الله عنه قرأت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم والعصر ثم قلت ما تفسيرها يا نبي الله صلى الله عليك وسلم قال والعصر

قسم

قسم من الله اقسم ربك باخر النهار ان الانسان لفي خسر ابو جهل الا الذين امنوا ابو بكر وعملوا الصالحات
عمر وتواصوا بالحق عثمان وتواصوا بالصبر علي رضي الله عنهم اجمعين وهكذا خطب ابن عباس على
المنبر وقوفا عليه ومعنى تواصوا اي تحابوا اوصى بعضهم بعضا وحث بعضهم بعضا بالحق اي بالتوحيد
كذا روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه وقال قتادة بالحق اي بالقران وقال السدي الحق هنا
الله تعالى وتواصوا بالصبر على طاعة الله والصبر عن معاصيه روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر ختم الله له بالصبر وكان من اصحاب الحق يوم القيمة

سورة الهمزة مكية

وهي تسع ايات وثلاث وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة الويل لفظ الذم والسخط وهي كلمة مكروه وقد تقدم الكلام
في الويل ومعناه الخزي والعذاب والهلكة وقيل واد في جهنم لكل همزة اي كثير الهمز وكذلك اللمزة
الكثير اللمز وتقدم معنى في سورة ن واللمز في سورة براءة والعامة على فتح ميمها على ان المراد
الشخص الذي كثر منه ذلك الفعل قال زياد الاعجم

تدلي اموري اذا لاقيتني كذبا • وان اغيب فانت الهامز اللمزه

وقرأ ابو جعفر والاعرج بالسكون وهو الذي يهمز ويلمز اي يأتي بما يهمز به ويلمز كالضحكة لمن يكثر ضحكه
والضحكة لمن يأتي بما يضحك منه وهو مطرد يعني ان فعلة بفتح العين لمن يكثر منه الفعل وبسكونها
لمن يكون الفعل بسببه قال ابن عباس هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبراء العيب
فعلى هذا هما بمعنى وقال صلى الله عليه وسلم شرار عباد الله تعالى المشاؤون بالنميمة المفرقون بين
الاحبة الباغون للبراء العيب وعن ابن عباس رضي الله عنه الهمزة القتات واللمزة المغتاب القتات
هو النمام يقال قت الحديث يقته اذا زوره وهيأه وسواه وقيل النمام الذي يكون مع القوم يتحدثون
فينم عليهم والقتات الذي يستمع على القوم وهم لا يعلمون ثم ينم والقتات الذي يسأل عن الاخبار ثم
ينمها نقله ابن الاثير وقال ابو العالية والحسن ومجاهد وعطاء بن ابي رباح الهمزة الذي يغتاب ويطعن
في وجه الرجل واللمزة الذي يغتابه من خلفه وهذا اختيار النحاس قال ومنه قوله تعالى ومنهم
من يلمزك في الصدقات وقال مقاتل ضد هذا القول ان الهمزة الذي يغتاب بالغيبة واللمزة الذي
يغتاب في الوجه وقال قتادة ومجاهد الهمزة الطعان في انسابهم وقال ابن زيد الهامز الذي يهمز
الناس بيده ويضربهم واللمز الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقال ابن كيسان الهمزة الذي يؤذي
جلساءه بسوء اللفظ واللمزة الذي يكسر عينه ويشير برأسه ويومي بعينه ويرمز بحاجبه وقرأ عبد الله بن مسعود
وابو وائل والنخعي والاعمش ويل للهمزة اللمزة واصل الهمز الكسر والعض على الشيء بعنف ومنه همزه
همز راسه وهمز الجوز بكفه كسره وقيل اصل الهمز واللمز الرفع والضرب لمزه يلمزه لمزا اذا ضربه
ودفعه وكذلك همزه اي دفعه وضربه قال الراجز ومن همزنا راسه تهشما وبعدا اوقى
البركعة القيام على الاربع وبركعه فتبركع اي صرعه فوقع على استه قاله في الصحاح **فصل**
روى الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في الاخنس بن شريق كان يلمز الناس ويعيبهم مقبلين
ومدبرين وقال ابن جريج نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورائه
ويطعن فيه في وجهه وقيل نزلت في ابي بن خلف وقيل في جميل بن عامر الثقفي وقيل انها عامة
من غير تخصيص وهو قول الاكثرين قال مجاهد ليست بخاصة لاحد بل لكل من كانت هذه صفته
وقال الفراء يجوز ان يذكر الشيء العام ويقصد به الخاص اذ قال لا ازورك ابدا فيقول من لم يزرني فلست
بزائره يعني ذلك القائل **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل لم قال ههنا ويل منكرا وفي
موضع اخر ولكم الويل معرفا فالجواب لانه ثمة قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فقال ولكم الويل وههنا
نكر حتى لا يعلم كنهه الا الله تعالى وقيل في ويل انها كلمة تقبيح وويس استصغار وويح ترحم فنبه
بهذا على قبح هذا الفعل قوله تعالى الذي جمع قرأ ابن عامر والاخوان بتشديد الميم على المبالغة
والتكثير والا نبوا فق عدده والباقون مخففا وهي محتملة للتكثير وعدمه وقوله تعالى وعدده

العامة على تثقيل الميم الاولى وهي ايضا للمبالغة وقرا الحسن والكلبي بتخفيفها وفيه اوجه احدها
ان المعنى جمع مالا وعدد ذلك المال اي وجمع عدده اي احصاه والثاني ان المعنى وجمع عدد نفسه
من عشيرته واقاربه وعدده وعلى هذين التاويلين اسم معطوف على مالا اي وجمع عدد المال او عدد
نفسه الثالث ان عدده فعل ماض بمعنى عده الا انه شذ في اظهاره كما شذ في قوله الى اجود لاقوام وان
ضنوا اي ضنوا وبخلوا فاظهر التضعيف والذي بدل من كل او نصب على الذم وانما وصفه تعالى بهذا الوصف
لانه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز وهو اعجابه بما جمع من المال وظنه ان الفضل فيه فلاجل
ذلك يستنقص غيره **فصل** قال المفسرون جمع مالا وعدده اي اعده لنوائب الدهر مثل كرم واكرم
وقيل احصى عدده قاله السدي وقال الضحاك اي اعد ماله لمن يرثه من اولاده وقيل فاخر بعدده
وكثرته والمقصود الذم على امساك المال عن سبيل الطاعة كقوله تعالى مناع للخير وقوله تعالى وجمع
فاوعى قوله يحسب يجوز ان يكون مستانفة وان يكون حالا من فاعل جمع واخلده بمعنى يخلده
فاوقع الماضي موقع المضارع وقيل هو على اصله اي اطال عمره قال السدي يظن ان ماله اخلده اي
يبقيه حيا لا يموت وقال عكرمة اي يزيد في عمره وقيل احياه فيما مضى وهو ماض بمعنى المستقبل
يقال هلك والله فلان ودخل النار اي يدخل النار قوله لينبذن جواب قسم مقدر وقرا علي والحسن
رضي الله عنهما بخلاف عنه ومحمد بن كعب ونصر بن عاصم ومجاهد وحميد وابن محيصن وابو عمرو في
رواية لينبذان بالف التثنية اي لينبذان اي هو وماله وعن الحسن ايضا لينبذن بضم الذال وهو مسند
لضمير جماعة اي ليطرحن الهمزة واللمزة والمال وجامعه جميعا وقرا الحسن ايضا لينبذن على
معنى لينبذن ماله وعنه ايضا بالنون اي لننبذنه على اخبار الله تعالى عن نفسه انه ينبذ صاحب
المال في الحطمة وهي نار الله سميت بذلك لانها تكسر كل ما يلقى فيها وتحطمه وتهشمه والحطمة الكثير
الحطم ويقال رجل حطمة اي اكول وحطمته كسرته والحطام منه قال لقد لفها الليل بسواق حطم
وقال اخر انا الاحطمنا بالقضيب مصعبا يوم كسرنا انفه ليغضبا حكى الماوردي عن الكلبي ان الحطمة
هي الطبقة السادسة من طبقات جهنم وحكى القشيري عنه الحطمة الدرجة الثانية من درج النار
وقال الضحاك هي الدرك الرابع وقال ابن زيد اسم من اسماء جهنم قوله تعالى وما ادراك ما الحطمة
تعظيم لشانها وتفخيم لامرها ثم فسرها ما هي فقال نار الله الموقدة اي هي نار الله التي اوقد عليها الف
عام حتى احمرت والف عام حتى ابيضت والف عام حتى اسودت قوله التي تطلع يجوز ان تكون تابعة
لنار الله وان تكون مقطوعة قال محمد بن كعب تاكل النار جميع اجسادهم حتى اذا بلغت الفؤاد خلقوا
خلقا جديدا فرجعت تاكلهم وكذا روى خالد بن ابي عمران عن النبي صلى الله عليه وسلم ان النار تاكل
اهلها حتى اذا اطلعت على افئدتهم انتهت ثم اذا صدروا تعود فذلك قوله تعالى نار الله الموقدة التي
تطلع على الافئدة وخص الافئدة لان الالم اذا صار الى الفؤاد مات صاحبه اي انهم في حال من يموت
ولا يموتون كقوله تعالى لا يموت فيها ولا يحيى فهم احياء في معنى الاموات وقيل معنى تطلع على
الافئدة اي تعلم مقدار ما يستحقه كل واحد منهم من العذاب يقال اطلع فلان على كذا اي علمه
قوله تعالى انها عليهم موصدة اي مطبقة عليهم قاله الحسن والضحاك وقد تقدم في سورة البلد
وقيل مغلقة بلغة قريش يقولون اصدت الباب اذا اغلقته قاله مجاهد ومنه قول عبد الله بن
قيس بن الرقيات ان في القصر لو دخلنا غزالا مصفقا موصدا عليه الحجاب قوله في عمد قرا الاخوان
وابو بكر بضمتين جمع عمود نحو رسول ورسل وقيل جمع عماد نحو كتاب وكتب وروي عن ابي عمرو
الضم والسكون وهو تخفيف لهذه القراءة والباقون عمد بفتحتين فقيل اسم جمع لعمود وقيل بل هو
جمع له قاله الفراء كاديم وادم وقال ابو عبيدة وهو جمع عماد وفي عمد يجوز ان تكون حالا من
الضمير في عليهم اي موثقين وان يكون خبر المبتدا مضمر اي هم في عمد وان تكون صفة لموصدة قاله
ابو البقاء يعني فتكون النار داخل العمد وقال القرطبي الفاء بمعنى الباء اي موصدة بعمد ممددة قاله
ابن مسعود وهي في قراءته بعمد ممددة قال الجوهري العمود عمود البيت وجمع القلة اعمدة
وجمع الكثرة عمد وعمد وقرئ بهما في قوله تعالى في عمد ممددة وقال ابو عبيدة العمود كل مستطيل
من خشب او حديد وقيل اصل البناء مثل العماد عمدت الشيء فانعمد اي اقمته بعماد يعتمد عليه واعمدته
جعلت تحته عمدا **فصل** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يبعث
عليهم ملائكة باطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار فتطبق عليهم بتلك الاطباق وتشد

تلك

تلك المسامير وتمد تلك العمد فلا يبقى فيها خلل يدخل منه روح ولا يخرج منه غم فيكون
كلامهم فيها زفير وشهيق فذلك قوله تعالى انها عليهم موصدة في عمد ممددة وقال قتادة
عمد يعذبون بها واختاره الطبري وقال ابن عباس ان العمد الممددة اغلال في اعناقهم وقال
ابو صالح قيود في ارجلهم وقال القشيري العمد اوتاد الاطباق وقيل المعنى في دهور ممدودة لا انقطاع
لها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا ويل لكل همزة اعطي من الاجر حسنات بعدد من
استهزا بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة الفيل مكية

وهي خمس ايات وعشرون كلمة وستة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل هذه قراءة الجمهور اعني فتح الراء وحذف الالف للجزم وقرا السلمي
تر بسكون الراء وهمزة مفتوحة وهو الاصل وكيف معلقة للرؤية وهي منصوبة بفعل بعدها
لا بالم تر كيف من معنى الاستفهام **فصل** المعنى الم تخبر وقيل الم تعلم وقال ابن عباس الم تسمع
واللفظ استفهام والمعنى تقرير والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه عام اي الم تروا ما فعلت
باصحاب الفيل اي قد رايتم ذلك وعرفتم موضع منتي عليكم فما لكم لا تؤمنون **فصل** الفيل معروف
والجمع افيال وفيول وفيلة قال ابن السكيت ولا تقل افيلة وصاحبه فيال قال سيبويه يجوز ان
يكون اصل فيل فعلا فكسر من اجل الياء كما قالوا ابيض وبيض وقال الاخفش هذا لا يكون في الواحد انما
يكون في الجمع ورجل فيل الراي اي ضعيف الراي والجمع افيال ورجل فال اي ضعيف الراي مخطئ الفراسة
وقد فال الراي يفيل فيولة وفيل رايه تفييلا اي ضعفه فهو فيل الراي **فصل** روي ان
ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن بنى كنيسة بصنعاء لم ير مثلها وسماها القليس واراد ان يصرف اليها
الحاج فخرج رجل من بني كنانة مختفيا وجعل يبول ويتغوط في تلك الكنيسة ليلا فاغضبه ذلك وقيل
اججت نارا فحملتها الريح فاحرقتها فقال من صنع هذا فقيل له رجل من اهل البيت الذي يحج العرب اليه فحلف
ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما وثمانية اخرى وقيل اثنا عشر
وقيل الف وبعث رجلا الى بني كنانة يدعوهم الى حج تلك الكنيسة فقتلت بنو كنانة ذلك الرجل فزاد
ذلك ابرهة غضبا وحنقا فصار يهدم الكعبة فلما بلغ قريبا من مكة خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث
اموال تهامة ليرجع فابى وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك واذا وجهوه الى اليمن او الى سائر
الجهات هرول ثم ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليهم بسببها فلما راه ابرهة عظم في عينه
وكان رجلا جسيما وقيل له هذا سيد قريش وصاحب عير مكة فنزل ابرهة عن سريره وجلس معه على
بساطه ثم قال لترجمانه قل له حاجتك فلما ذكر حاجته قال لقد سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذي
هو دينك ودين ابائك لا تكلمني فيه والهاك عنه ذود لم احبسها لك فقال له عبد المطلب انا رب الابل
وان للبيت ربا سيمنعه ثم رجع واتى البيت فاخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون
الله تبارك وتعالى ويستنصرونه على ابرهة وجنده فقال عبد المطلب لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع
حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك ان يدخلوا البيت الحرام فامر لهم ما قد بدا لك غيره
يارب لا ارجو سواكا يارب فامنع منهم حماكا ان عدو البيت من عاداكا انهم لم يقهروا قواكا فالتفت وهو يدعو
فاذا هو بطير من ناحية اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية وكان مع كل طير
حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة قال الراوي فارسل عبد المطلب
حلقة باب الكعبة ثم انطلق هو ومن معه من قريش الى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما يفعل
ابرهة اذ دخل مكة فارسل الله عليهم طيرا من البحر امثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر ثلاثة احجار
فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فهلكوا في كل طريق ومنهل
وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه راى من تلك الاحجار عند ام هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع
الظفاري قال الراوي ولم يصب كلهم اصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التي منها جاءوا وروي
ان ابرهة تساقطت انامله وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانقلب هو ووزيره ابو
يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى قدموا صنعاء وهو مثل فرخ الطائر وقيل قدموا على النجاشي فقص
عليه القصة فلما تمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه **فصل** حكى الماوردي ان النبي صلى الله عليه

وسلم قال ولدت عام الفيل وروي انه صلى الله عليه وسلم قال يوم الفيل وقال في كتاب
اعلام النبوة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول وكان بعد
الفيل بخمسين يوما وافق من شهور الروم العشرين من اشباط في السنة الثانية عشر من ملك هرمز
ابن انوشروان قال وحكى ابو جعفر الطبري ان مولده كان صلى الله عليه وسلم كان لاثنين واربعين سنة
من ملك انوشروان وقد قيل انه صلى الله عليه وسلم حملت به امه امنة في يوم عاشورا من شهر
المحرم حكاه ابن شاهين ابو حفص في فضايل يوم عاشورا وولد يوم الاثنين لاثني عشر ليلة خلت
من شهر رمضان فكانت مدة حمله صلى الله عليه وسلم ثمانية اشهر كاملا ويومين من التاسع وقال ابن
العربي قال ابن وهب عن مالك ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل قيس بن مخرومه
ولدت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل وقال عبد الملك بن مروان لعتاب بن اسيد انت
اكبر ام النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكبر مني وانا اسن منه وولد النبي صلى الله
عليه وسلم عام الفيل وانا ادركت سايسه وقايده اعميين مقعدين يستطعمان الناس **فصل** قال
بعض العلما كانت قصة الفيل ما يعد من معجزاته صلى الله عليه وسلم وان كانت قبله وقبل التحدي
لانها كانت توكيدا لامره وتمهيدا لشانه ولما تلى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة كان
بمكة عدد كثير ممن شهد تلك الواقعة ولهذا قال الم تر ولم يكن بمكة احد الا وقد راى قايد الفيل وسايقه
اعميين يتكففان الناس قالت عايشة رضي الله عنها مع حداثة سنها لقد رايت قايد الفيل وسايقه
اعميين يستطعمان قوله تعالى الم يجعل كيدهم في تضليل اي في ابطال وتضييع والكيد هو ارادة مضرة
بالغير لانهم ارادوا ان يكيدوا قريشا بالقتل والسبي والبيت بالتخريب والهدم قالت المعتزلة اضافة
الكيد اليهم دليل على انه تعالى لا يرضى بالقبيح اذ لو رضي لاضافه الى ذاته قوله تعالى وارسل
عليهم طيرا ابابيل قال النحاة ابابيل نعت لطير لانه اسم جمع وابابيل قيل لا واحد له كاساطير وعباديد
وقيل واحده ابول كعجول وقيل ابال وقيل ابيل مثل سكين وحكى الرقاشي انه جمع اباله بالتشديد
وحكى الفرا ابالة مخففة **فصل** الابابيل الجماعات شيا بعد شي قال طريف وجاء والصوله
عليه ابابيل من الطير تنعب وقد يستعار لغير الطير كقوله

كادت تهد من الاصوات راحلتي • اذ سالت الارض بالجرد الابابيل

قال ابو عبيدة ابابيل جماعات في تفرقة يقال جات الخيل ابابيل من هنا وههنا قال سعيد بن
جبير كانت طيرا من السما لم ير مثلها وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول انها طير بين السما والارض تعشش وتفرخ وعن ابن عباس رضي الله
عنه كان لها خراطيم الطير واكف كاكف الكلاب وقال عكرمة كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها
روس كروس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده وقالت عايشة رضي الله عنها هي اشبه شي بالخطاطيف
وقيل بل كانت اشبه بالوطاوط وقيل انها العنقا التي تضرب بها الامثال قال النحاس وهذه الاقوال
متفقة المعنى لانه حقيقة المعنى انها جماعات عظام يقال فلان يوبل على فلان اي يعظم عليه ويكثر وهو
مشتق من الابل **فصل** قال ابن الخطيب هذه الاية رد على الملحدين جدا لانهم ذكروا في الزلازل
والرياح والصواعق والخسف وساير الاشيا التي عذب الله تعالى بها الامم اعذارا ضعيفة اما هذه
الواقعة فلا يجري فيها تلك الاعذار وليس في شي من الطبايع ان تقصد طير امعها حجارة فتقصد
قوما دون قوم فتقتلهم ولا يمكن ان يقال انه كساير الاحاديث الضعيفة لانه لم يكن بين عام الفيل
ومبعث الرسول الا نيف واربعون سنة ويوم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد بقي جمع
شاهدوا تلك الواقعة فلا يجري فيها تلك الاعذار ولو كان النقل ضعيفا لكذبوه فعلمنا انه لا سبيل
للطعن فيه قوله تعالى ترميهم بحجارة ترميهم صفة لطير وقرا العامة ترميهم بالتانيث وابو
حنيفة وابو يعمر وعيسى وطلحة بالياء من اسفل وهما واضحتان لان اسم الجمع يذكر ويونث ومن
التانيث قوله كالطير يسجو من الشوبوب ذي البرد وقيل الضمير لربك اي ترميهم ربك بحجارة من
سجيل صفة لحجارة والسجيل قال الجوهري قالوا حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها
اسما القوم لقوله لنرسل عليهم حجارة من طين وقال عبد الرحمن بن ابزي من سجيل اي من السما
وهي الحجارة التي نزلت على قوم لوط وقيل من الجحيم وهي سجين ثم ابدلت اللام نونا كما قالوا اصيلال
اصيلان قال ابن مقبل ضربا تواصت به الابطال سجيلا وانما هو سجينا وقال الزجاج من سجيل اي مما

كتب

كتب عليهم ان يعذبوا به مشتقا من السجل وقد تقدم القول في السجيل في سورة هود قال عكرمة
كان اذا اصابهم ب اخرجهم الجدري ولم ير قبل ذلك اليوم وقال ابن عباس رضي الله عنه
كان الحجر اذا وقع على احدهم نفط جلده وكان ذلك اول الجدري قال يونس وابو عبيدة والسجيل عند
العرب الشديد الصلب قال وزعم بعض المفسرين انهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة
وانهما سنج وجيل فالسنج الحجر والجيل الطين اي من هذين الجنسين الحجر والطين قال ابو اسحاق وحدثني
يعقوب بن عتبة انه اول ما رايت الحصبة بارض العرب ذلك وانه اول ما راي بها مرائر الحرمل
والحنظل والعشار ذلك العام قوله تعالى فجعلهم كعصف ماكول كعصف هو المفعول الثاني للجعل
بمعنى التصيير وفيه مبالغة حسنة وهو انه لم يكتف ان جعلهم اهون شي من الزرع وهو ما لا يجدي طايلا
حتى جعلهم رجيعا والمعنى جعل الله تعالى اصحاب الفيل كورق الزرع اذا اكله الدواب فرمت به اسفل
قاله ابن زيد وغيره والعصف جمع واحده عصفة وعصافة وعصيفة وادخل الكاف في كعصف
التشبيه مع مثل كقوله تعالى ليس كمثله شي ومعنى ماكول ان المراد به قشر البر يعني الغلاف الذي
يكون فيه حبة القمح روي ان الحجر كان يقع على احدهم فيخرج كل ما في جوفه فيبقى كقشر الحنطة اذا خرج
منه الحبة قال ابن اسحاق لما رد الله تعالى الحبشة عن مكة عظمت العرب قريشا وقالوا اهل الله قاتل
الله عنهم وكفاهم مونة عدوهم فكان ذلك نعمة من الله عليهم روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل عافاه الله تعالى ايام حياته من المسخ والعدو

سورة قريش مكية

في قول الجمهور مدنية في قول الضحاك والكلبي وهي اربع ايات وسبع عشرة كلمة وثلاث وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى لايلاف قريش في متعلق هذه الاية اوجه احدها انه ما في السورة قبلها من قوله
تعالى فجعلهم كعصف قال الزمخشري وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت
بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل وعن عمر رضي الله عنه
انه قراهما في الثانية من صلاة المغرب وفي الاولى بسورة التين انتهى والى هذا ذهب الاخفش الا انه
الحوفي ورد هذا القول جماعة بانه لو كان كذلك لكان لايلاف بعض السورة الم تر وفي اجماع الجميع
على الفصل بينهما ما يدل على عدم ذلك الثاني انه مضمر تقديره فعلنا ذلك اي اهلاك اصحاب الفيل
لايلاف قريش اي لتالف قريش او لتتفق قريش او لكي تامن قريش فتولف رحلتيها وقيل تقديره
اعجبوا الثالث انه قوله تعالى فليعبدوا الا انه لما فيه فانها اظهر نعمة عليهم قال الزمخشري وهو قول الخليل
قبله وقراة ابن عامر لالاف دون يا بعد اللام الثانية وهو ايلاف فهم ومن غريب ما اتفق في هذين
الحرفين ان القرا اختلفوا في سقوط اليا وثبوتها في الاول مع اتفاق المصاحف على اثباتها خطا واتفقوا
على اثبات اليا في الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها فيه خطا وهذا دليل على ان القرا متبعون
الاثر والرواية لا مجرد الخط فاما قراة ابن عامر ففيها وجهان احدهما انه مصدر لالف ثلاثيا يقال
الفته الافا نحو كتبته كتابا يقال الفته الفا والافا وقد جمع الشاعر بينهما في قوله زعمتم ان اخوتكم
قريش لهم الف وليس لكم الاف والثاني انه مصدر الف رباعيا نحو قاتل قتالا وقال الزمخشري اي
لمؤالفة قريش واما قراة الباقين فمصدر الف رباعيا بزنة اكرم يقال الفته او لفه ايلافا قال الشاعر

من المولفات الرمل ادماء حره • شعاع الضحى في متنها يتوضح

وقرا عاصم في رواية لايلافهم بهمزتين الاولى مكسورة والثانية مكسورة وهي شاذة لانه يجب في
مثله ابدال الثانية حرفا مجانسا كايمان وروي عنه ايضا بهمزتين مكسورتين بعدهما يا ساكنة
وخرجت على انه اشبع كسر الهمزة الثانية فتولد منها يا وهذه اشد من الاولى ونقل ابو البقا اشد
منها فقال بهمزة مكسورة بعدها يا ساكنة بعدها همزة مكسورة وهي بعيد ووجهها انه اشبع
الكسرة فنشات اليا وقصد بذلك الفصل بين الهمزتين كالالف في ااندرتهم وقرا ابو جعفر لالف
قريش بزنة قرد وقد تقدم انه مصدر لالف كقوله لهم الف وليس لكم الاف وعنه ايضا وعن ابن
كثير الفهم وهي ساكنة اللام بغير يا وهي قراة مجاهد وحميد وروت اسما رضي الله عنها انها سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقرأ الفهم وهو مروي ايضا عن ابن عباس رضي الله عنه وغيره وعنه
ايضا وعن ابن عامر الافهم مثل كتابهم وعنه ايضا ليلاف بياء ساكنة بعد اللام وذلك انه لما ابدل الثانية
حذف الاولى على غير قياس وقرأ عكرمة ليألف قريش فعلا مضارعا وعنه ليألف على الامر واللام
مكسورة وعنه فتحها مع الامر وهي لغية **فصل** قد تقدم ان هذه السورة متصلة بما قبلها
في المعنى اي اهلكت اصحاب الفيل لايلاف قريش اي لتأليف قريش او ليتفق قريش او لتأمن قريش
فتؤلف رحلتيها قال ابن الخطيب فان قيل انما كان الاهلاك لكفرهم قلنا جزاء الكفر يكون يوم
القيامة تجزى كل نفس بما كسبت ولان كفرهم مشترك بينهم وبين غيرهم سلمناه لكن لا يمتنع ان يكون
للامرين معا سلمناه لكن تكون اللام لام العاقبة او يكون المعنى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل
لايلاف قريش اي كل ما تضمنته السورة لايلافهم او تكون اللام بمعنى الى اي فعلنا هذه النعم مضافا الى
نعمة ايلاف قريش وقال الكسائي والاخفش اللام في قوله تعالى لايلاف قريش لام التعجب اي
اعجبوا لايلاف قريش نقله القرطبي قال الفراء هذه السورة متصلة بالسورة الاولى لانه ذكر
اهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما فعل بالحبشة ثم قال جل وعلا لايلاف قريش اي فعلنا ذلك
باصحاب الفيل نعمة منا على قريش وذلك ان قريشا كانت تخرج في تجارتها فلا تغار عليها في الجاهلية
يقولون هم اهل بيت الله تعالى حتى جاء صاحب الفيل ليهدم الكعبة فاهلكه الله تعالى فذكرهم
نعمته اي فجعل الله تعالى ذلك لايلاف قريش اي ليألفوا الخروج ولا يجترأ عليهم قاله مجاهد وابن
عباس في رواية سعيد بن جبير عنه قال ابن عباس لايلاف قريش قال نعمتي على قريش ايلافهم
رحلة الشتاء والصيف قال كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف وعلى هذا القول يجوز الوقف
على رؤوس الآي وان لم يكن الكلام تاما قال ابن الخطيب والمشهور انهما سورتان ولا يلزم من
التعلق الاتحاد لان القرآن كسورة واحدة قال الخليل ليست متصلة كانه قال ألف الله قريشا
ايلافا فليعبدوا رب هذا البيت واللام متعلقة بقوله تعالى فليعبدوا وهؤلاء رب هذا البيت
لايلافهم رحلة الشتاء والصيف للاجتياز وعمل ما بعد الفاء على ما قبلها لانها زائدة غير عاطفة
كقولك زيدا فاضرب واما مصحف ابي فمعارض باطباق الكل على الفصل بينهما واما قراءة عمر رضي
الله عنه فالامام قد يقرأ سورتين قال ابن العربي وليست المواقف التي تنزع بها القراء شرعا عم
مرويا وانما ارادوا به تعليم الطلبة المعاني فاذا علموها وقفوا حيث شاؤوا ولا دليل على ما قالوه بحال
ولكني اعتمد الوقف على التمام كراهية الخروج عنهم قال القرطبي رحمه الله واجمع المسلمون على ان
الوقف عند قوله تعالى كعصف مأكول ليس بقبيح وكيف يقال بقبحه وهذه السورة تقرأ
في الركعة الاولى والتي بعدها في الركعة الثانية ولا يمتنع الوقف في اعجاز الآيات سواء تم
الكلام ام لا **فصل** قريش اسم القبيلة قيل هم ولد النضر بن كنانة وكل من ولده النضر
فهو قرشي دون كنانة وهو الصحيح وقيل هم ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة فمن لم يلده
فهر فليس بقرشي فوقع الوفاق على ان بني فهر قرشيون وعلى ان كنانة ليسوا بقرشيين
ووقع الخلاف في النضر ومالك واختلف في اشتقاقه على اوجه احدها انه من التقرش وهو
التجمع سموا بذلك لاجتماعهم بعد افتراقهم قال ابونا قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل
من فهر والثاني انه من القرش وهو الكسب كانت قريش تجارا يقال قرش يقرش اي اكتسب الثالث
انه من التفتيش يقال قرش يقرش عني اي فتش وكانت قريش يفتشون على ذوي الخلات
فيسدوا خلتهم قال الشاعر ⁂ ايها الشامت المقرش عنا عند عمرو وهل له ابقاء
الرابع ان معاوية سأل ابن عباس لم سميت قريش قريشا فقال سميت بدابة في البحر يقال
لها القرش من اقوى دوابه تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وانشد قول تبع وقريش هي التي تسكن
البحر بها سميت قريش قريشا تأكل الغث والسمين ولا تترك لذي الجناحين ريشا هكذا
في البلاد حي قريش يأكلون البلاد اكلا كميشا ولهم آخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والخموشا
ثم قريش اما ان يكون مصغرا من مزيد على الثلاثة فيكون تصغيره تصغير ترخيم فقيل
الاصل مقرش وقيل قارش واما ان يكون مصغرا من ثلاثي نحو القرش واجمعوا على صرفها
مرادا به الحي ولو اريد به القبيلة لامتنع من الصرف لقوله عليه
غلب المساميح الوليد سماحة ⁂ وكفى قريش المعضلات وسادها

قال

قال سيبويه في معد وقريش وثقيف وكينونة هذه للاحياء اكثر وان جعلتها اسماء للقبائل فهو
جائز حسن قوله ايلافهم قوله للاول تأكيدا لفظيا واعربه ابو البقاء بدلا قوله رحلة مفعول به بالمصدر
والمصدر مضاف لفاعله اي لان ألفوا رحلة والاصل رحلتي الشتاء والصيف ولكنه افرد لأمن اللبس
كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا قاله الزمخشري وفيه نظر لان سيبويه يجعل هذا ضرورة كقوله
حمامة بطن الواديين ترنمي قال الليث الرحلة اسم لارتحال القوم للمسير وقيل رحلة اسم جنس وكانت
لهم اربع رحل وجعله بعضهم غلطا وليس كذلك قال القرطبي ورحلة نصب بالمصدر اي ارتحالهم
رحلة او بوقوع ايلافهم عليه او على الظرف ولو جعلتها في محل الرفع على معنى هما رحلتا الشتاء والصيف
لجاز وقرأ العامة بكسر الراء وهي مصدر وابو السمال بضمها وهي الجهة التي يرحل اليها والشتاء واحد
لقولهم شتوة وشتا يشتو شتوا والى النسب اليه فقالوا فيه شتوي والقياس شتائي او شتاوي
ككسائي وكساوي **فصل** قال مجاهد في قوله تعالى ايلافهم رحلة الشتاء والصيف قال
لا يشق عليهم رحلة الشتاء والصيف منة على قريش وقال الهروي وغيره كان اصحاب الايلاف
اربعة اخوة هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل بنو عبد مناف فاما هاشم فانه كان يؤلف ملك
الشام اي اخذ منه عهدا يأمن به في تجارته الى الشام واخوه عبد شمس كان يؤلف الى الحبشة والمطلب
الى اليمن ونوفل الى فارس ومعنى يؤلف يجير فكان هؤلاء الاخوة يسمون المجيرين فكان تجار قريش
يختلفون الى الامصار بحبلهم ولا يتعرض لهم احد قال الازهري الايلاف شبه الاجارة بالخفارة يقال
ألف يؤلف وألف يؤلف اذا اجار الحمائل بالخفارة والحمائل جمع حمولة والمعنى ان قريشا كانوا سكان الحرم
ولم يكن زرع ولا ضرع وكانوا يميرون في الشتاء والصيف آمنين والناس يتخطفون من حولهم فكانوا
اذا عرض لهم عارض قالوا نحن حرم الله فلا يتعرض لهم احد وكانت احدى الرحلتين الى اليمن في الشتاء لانها
بلاد حامية والرحلة الاخرى في الصيف الى الشام لانها بلاد باردة وقال ابن عباس كانوا يشتون
بمكة ويصيفون بالطائف لهوائها وهذا من اجل النعم ان يكون للقوم ناحية حر تدفع عنهم برد
الشتاء وناحية باردة تدفع عنهم حر الصيف فذكرهم الله تعالى هذه النعمة **فصل** قال
مالك رضي الله عنه الشتاء نصف السنة والصيف نصفها وقال قوم الزمان اربعة اقسام
شتاء وربيع وصيف وخريف وقيل شتاء وصيف وقيظ وخريف قال القرطبي والذي قاله مالك اصح لان
الله تعالى قسم الزمان قسمين ولم يجعل لهما ثالثا قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت امرهم
تعالى بعبادته وتوحيده لاجل ايلافهم رحلتين وتقدم الكلام على الفاء والبيت الكعبة وفي
تعريف نفسه لهم بانه تعالى رب هذا البيت وجهان احدهما انه كانت لهم اوثان فميز نفسه تعالى عنها
الثاني لانهم شرفوا بالبيت على سائر العرب فذكر لهم ذلك تذكيرا للنعمة وقيل المعنى فليعبدوا رب هذا
البيت الذي اطعمهم من جوع اي من اجل جوع وآمنهم من اجل خوف والتنكير للتعظيم اي من جوع عظيم
وخوف عظيم وقال ابو البقاء ويجوز ان تكون في موضع الحال من مفعول اطعمهم واخفى نون من في
الخاء نافع في رواية وكذلك في العين وهي لغة حكاها سيبويه **فصل** قال ابن عباس رضي
الله عنه بدعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام حيث قال رب اجعل هذا البلد آمنا وارزقهم من الثمرات
وقال ابن زيد كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبي بعضهم بعضا فأمنت قريش من ذلك لمكان
الحرم وقيل شق عليهم السفر في الشتاء والصيف فالقى الله تعالى في قلوب الحبشة ان يحملوا اليهم
طعاما في السفن فخافت قريش منهم وظنوا انهم قدموا لحربهم فخرجوا اليهم متحرزين فاذا هم قد
جلبوا اليهم الطعام واعانوهم بالاقوات فكان اهل مكة يخرجون الى جدة بالابل والحمر فيشترون
الطعام على مسيرة ليلتين وقيل ان قريشا لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم
اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد القحط فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام واخصب اهلها
وقال الضحاك والربيع وشريك وسفيان وآمنهم من خوف اي من خوف الحبشة مع الفيل وقال
علي رضي الله عنه وآمنهم من ان تكون الخلافة الا فيهم وقيل كفاهم اخذ الايلاف من الملوك روى الثعلبي
عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لايلاف قريش اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة الدين مكية

وتسمى الماعون مكية في قول عطا وجابر وواحد وفي قول ابن عباس رضي الله عنه ومدنية في قول له
اخر وقول قتادة وغيره وهي سبع ايات وخمس وعشرون كلمة ومايه وثلثة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ارايت الذي يكذب بالدين اي بالجزا والحساب قرا الكسائي اريت بسقوط الهمزة ه
وتقدم تحقيقه في الانعام وقال الزمخشري وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع م
ولم يصح عن العرب ريت اوسمعت براع ردفي الضرع مانزل في العلاب وفي رايت هذه وجهان ه
احدهما انها بصرية فيتعدي لواحد وهو الموصول كانه قال ابصرت المكذب والثاني انها بمعنى
اخبرني فيتعدي لاثنين فقدره الحوفي اليس مستحقا للعذاب والزمخشري من هو ويدل على ذلك
قراة عبد الله ارايتك بكاف الخطاب والكاف لا تلحق البصرية قال القرطبي وفي الكلام حذف والمعنى
ارايت الذي يكذب بالدين امصيب هو ام مخطي **فصل** نقل ابو صالح عن ابن عباس
رضي الله عنه قال نزلت في العاص بن وايل السهمي وهو قول الكلبي ومقاتل وروي الضحاك
عنه قال نزلت في رجل من المنافقين وقال السدي نزلت في الوليد بن المغيرة وقيل في ابي جهل
وعن الضحاك في عمرو بن عايذ وقال ابن جريج في ابي سفيان وكان ينحر في كل اسبوع جزورا
فطلب منه يتيم شيا فقرعه بعصاة فانزل الله تعالى هذه السورة قال ابن الخطيب وقيل انه
عام في كل مكذب بيوم الدين قوله فذلك فيه وجهان احدهما ان الفا جواب شرط مقدر اي ان
ملته او ان طلبت علمه فذلك والثاني انها عاطفة فذلك عطف على الذي يكذب اما عطف ذات على ذات
او صفة على صفة ويكون جواب ارايت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كانه قيل اخبرني وما تقول
فيمن يكذب بالجزا وفيمن يوذي اليتيم ولا يطعم المسكين انعم ما يصنع فعلى الاول تكون اسم الاشارة
في محل رفع بالابتدا والخبر الموصول بعده واما على انه خبر لمبتدا مضمر اي فهو ذلك والموصول نعته
على الثاني يكون منصوبا لنسقه على ما هو منصوب الا ان ابا حيان رد الثاني فقال فجعل ذلك
في موضع نصب عطفا على المفعول وهو تركيب غريب كقولك اكرمت الذي يزورنا فذلك الذي
يحسن الينا فكلمتنا در الى الذهن فذلك مرفوع بالابتدا وعلى تقدير النصب يكون التقدير اكرمت
الذي يزورنا فاكرمت ذلك الذي يحسن الينا فاسم الاشارة في هذا التقدير غير متمكن تمكن ما هو
فصيح اذ لا حاجة ان يشار الى الذي يزورنا بل الفصيح اكرم الذي يزورنا فالذي يحسن الينا واما
قوله فذلك اما عطف ذات على ذات فلا يصح لان فذلك اشارة الى الذي يكذب فليسا بذاتين
لان المشار اليه بذلك واحد واما تقديره انعم ما يصلح فهمزة الاستفهام لا نعلم دخولها على نعم ولا بيس
لانهما انشا والاستفهام لا يدخل الا على الخبر انتهي والجواب عن قوله فاسم الاشارة غير متمكن الى اخره
ان الفرق بينهما ان في الاية الكريمة استفهاما وهو ارايت فحسن ان يعتبر ذلك المستفهم عنه بخلاف المثال
الذي مثل به فمن ثم حسن التركيب المذكور وعن قوله لان فذلك اشارة الى القايم لا الى زيد وان كان
يجوز ان يكون اشارة اليه وعن قوله فلا يسمى جوابا ان النحاة يقولون جواب الاستفهام وهذا قد تقدم
استفهام محض ذلك وعن قوله فالاستفهام لا يدخل الا على الخبر بالمعارضة بقوله فهل عسيتم فان عسى
انشا فما كان جوابا له فهو جواب لنا **فصل** قال ابن الخطيب هذا اللفظ وان كان في
صورة الاستفهام لكن الغرض منه المبالغة في التعجب كقولك ارايت فلانا ماذا ارتكب ثم قيل
انه خطاب للرسول عليه الصلاة والسلام وقيل خطاب لكل عاقل قوله يدع اليتيم قرا العامة
بضم الدال وتشديد العين من دعه اي دفعه وامير المومنين والحسن وابو رجا يدع بفتح الدال
وتخفيف العين اي يترك ويهمل **فصل** قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه فذلك
الذي يدع اليتيم اي دفعه عن حقه قال تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا وقال قتادة يقهره
ويظلمه وقد تقدم في سورة النسا انهم كانوا لا يورثون النسا ولا الصغار ويقولون انما يحوز المال
من يطعن بالسنان ويضرب بالحسام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما من المسلمين حتى
يستغني فقد وجبت له الجنة قوله تعالى ولا يحض على طعام المسكين اي لا يامر به من اجل بخله
وتكذيبه بالجزا والحساب وقرا زيد بن علي ولا يحاض من المحاضة وقد تقدم في الفجر قال القرطبي
وليس الذم عاما حتى يتناول من تركه عجزا ولكنهم كانوا يبخلون ويعتذرون لانفسهم يقولون

الطعم من لو يشا الله اطعمه فنزلت هذه الاية فيهم فيكون معنى الاية لا يفعلون به ولا يحثون
عليه بان عسروا قوله فويل مبتدا ومعناه عذاب لهم وقوله للمصلين خبر والفا للتسبب اي تسبب عن
هذه الصفات الذميمة الدعا عليهم بالويل قال الزمخشري بعد قوله كانه قيل اخبرني وما تقول
فيمن يكذب بالدين انعم ما يصنع ثم قال الله تعالى فويل للمصلين اي اذا علم انه مسي فويل للمصلين على
معنى فويل لهم الا انه وضع نفسهم موضع ضميرهم لانهم كانوا مع التكذيب وما اضيف اليهم ساهين عن
الصلاة مرايين غير مزكين اموالهم فان قلت كيف جعلت المصلين قايما مقام ضمير الذي يكذب وهو
واحد قلت معناه الجمع لان المراد به الجنس قال ابو حيان واما وضعه المصلين موضع الضمير وان المصلين
جمع لان ضمير الذي يكذب معناه الجمع فتكلف واضح ولا ينبغي ان يحمل القران الا على ما عليه الظاهر وعادة
هذا الرجل التحامل على الزمخشري حتى يجعل حسنه قبيحا وكيف يرد ما قاله وفيه ارتباط الكلام بعضه ببعض
وجعله شيا واحدا وما تضمنه من المبالغة في الوعيد في ابراز وصفهم الشنيع ولا شك ان الظاهر من
الكلام ان السورة كلها في وصف قوم جمعوا بين هذه الاوصاف كلها من التكذيب بالدين ودع اليتيم
وعدم الحض على طعام المسكين والسهو في الصلاة والمراه ومنع الخير قوله الذين هم يجوز ان تكون
مرفوع المحل وان تكون منصوبة وان يكون تابعا للمصلين وان تكون تابعا للموصول الاول وقوله
يراون اصله يرايون كيقابلون ومعنى المراة ان المراي يري الناس عمله وهم يرون الثنا عليه فالمفاعلة
فيها واضحة وقد تقدم تحقيقه **فصل** في اتصال هذه الاية بما قبلها وجوه الاول انه
لما كان ايذا اليتيم والمنع من بذل طعام المسكين دليلا على النفاق لان هاتين الخصلتين معاملة مع
المخلوق اما الصلاة فانها معاملة مع الخالق الثاني انه يقال لما ذكرها تين الخصلتين مع التكذيب بيوم
الدين قال المصلي الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر فقال ويل لمن هذه الصلاة كيف لا ينهاه عن هذه
الافعال المنكرة الثالث كانه يقول اقدامه على ايذا اليتيم وتركه للحث على طعام المسكين وتقصيره في
الشفقة على خلق الله عز وجل وسهوه في الصلاة تقصيره في التعظيم لامر الله تعالى فلما وقع التقصير
في الامرين كملت شقاوته **فصل** قال ابن عباس هو المصلي الذي اذا صلى لم يرج لها ثوابا
وان تركها لم يخش لها عقابا وعنه ايضا قال الذين يوخرونها عن اوقاتها قال سعيد بن ابي وقاص
رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون
قال النبي صلى الله عليه وسلم الذين يوخرون الصلاة عن وقتها تهاونا بها وقيل لا يتمون ركوعها
ولا سجودها وقال ابراهيم هو الذي يلتفت في سجوده وقال قطرب هو ان لا يقرا ولا يذكر الله وفي
قراة عبد الله الذين هم عن صلاتهم لاهون وعن ابن عباس ايضا هم المنافقون يتركون الصلاة سرا
ويصلونها علانية واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى الاية وهذا يدل على انها في المنافقين
قوله الذين هم يراون ورواه ابن وهب عن مالك رضي الله عنه **فصل** قال ابن عباس
ولو قال في صلاتهم ساهون لكانت في المومنين وقال عطا الحمد لله الذي قال عن صلاتهم
ساهون ولم يقل في صلاتهم فدل على ان الاية في المنافقين قال الزمخشري فان قلت اي فرق
بين قوله تعالى عن صلاتهم وبين قولك في صلاتهم قلت معنى انهم ساهون عنها سهو ترك
لها وقلة الالتفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة الشياطين من المسلمين ومعنى في ان السهو
يعتريهم فيها وسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه انسان وكان النبي صلى الله
عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره قال ابن الخطيب قال كثير من العلما انه صلى
الله عليه وسلم ما سهي لكن اذن الله تعالى له في ذلك الفعل ليفيد التشريع في فعل الساهي ثم بتقدير
وقوع السهو منه فالسهو على اقسام احدها سهو الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه وذلك
جبر بالسنن تارة وبالسنن والنوافل تارة والثاني ما يكثر في الصلاة من الغفلة وعدم استحضار
النية وهذا يقع كثيرا الثالث ترك الصلاة لا الى قضا والاخراج عن الوقت ومن ذلك صلاة
المنافق لانه يستهزي بالدين والفرق بين المنافق والمراي ان المنافق يبطن الكفر ويظهر الايمان
والمراي انما يظهر زيادة الخشوع ليعتقد من يراه دينه او يقال ان المنافق لا يصلي سرا والمراي
تكون صلاته عند الناس قال ابن العربي السلامة عن السهو محال قوله تعالى الذين هم يراون
اي يري الناس انه طاعة وهو يصلي تقية كالفاسق يري انه يصلي عبادة وهو يصلي ليقال
انه يصلي وحقيقة الريا طلب ما في الدنيا بالعبادة واصله المنزلة في قلوب الناس وهو من وجوه

اولها تحسين السمت يريد بذلك الجاه والثنا وثانيها الريا بالثياب القصار والخشنة ليتشبه بالزهاد وثالثها اظهار السخط على الدنيا واظهار الوعظ والتاسف على فوات الخير والطاعة ورابعها اظهار الصلاة والصدقة وتحسين الصلاة لاجل رؤية الناس وغير ذلك مما يطول ذكره **فصل** لا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل المفروض لان حق الفرايض الاعلان واشهارها لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرايض الله تعالى لانها اعلام الاسلام وشرايع الدين وتاركها مستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة باظهارها واما التطوع فحقه ان يخفى لانه مما يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا للاقتدا به كان جميلا وان قصد باظهاره ان تراه الاعين وتثني عليه بالصلاح فهو الريا قوله تعالى ويمنعون الماعون في الماعون اوجه احدها انه فاعول من المعن وهو الشي القليل يقال ماله معن اي قليل قاله قطرب الثاني انه اسم مفعول من اعانه يعينه والاصل معووف وكان من حقه على هذا ان يقال معون كمقول ومصون اسم مفعول من قال وصان ولكنه قلبت الكلمة بان قدمت عينها قبل فاؤها فصار موعون ثم قلبت الواو الفا كقوله تابه وصامه في توبه وصومه فوزنه الان مفعول وفي هذا الوجه شذوذ من ثلاثة اوجه اولها كون مفعول جاء من افعل وحقه ان يكون على مفعل كمكرم فيقال معان كمقام واما مفعول فاسم مفعول الثلاثي الثاني القلب وهو خلاف الاصل الثالث قلب حرف العلة الفا وان لم يتحرك وقياسه على نابه وصامه بعيد لشذوذ المقيس عليه وقد يجاب عن الثالث بان الواو متحركة في الاصل قبل القلب فانه يزنه معووف الوجه الثالث ان اصله معونة والالف عوض من الها وزنه مفعل كملوم ووزنه بعد الزيادة مافعل **فصل** اختلف اقوال المفسرين في الماعون واحسنها انه كل ما يستعان به وينتفع به كالفاس والدلو والمقدحة قال الاعشى باجود منه بماعونه اذا ما سماوهم لم تغم ولم يذكر المفعول الاول للمنع اما للعلم به اي يمنعون الناس او الطالبين واما لان الغرض ذكر ما يمنعونه لا من يمنعونه تنبيها على خساستهم وضنتهم بالاشيا التافهة المستقبح منعها عند كل احد فان قيل هذه الاية تدل على التهديد والتعظيم بالسهو عن الصلاة والريا ومنع الماعون وذلك من باب الذنوب ولا يصير المرء به منافقا فلم حكم الله تعالى بمثل هذا الوعيد على هذا الفعل فالجواب من وجوه الاول قال ابن الخطيب المراد بالمصلين هنا المنافقون الذين ياتون لهذه الافعال وعلى هذا التقدير دلت الاية على ان الكافر له مزيد عقوبة على فعل محظورات الشرع وتركه واجبات الشرع وذلك يدل على ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام الثاني قيل لعكرمة من منع شيا من المتاع كان له الويل فقال لا ولكن من جمع ثلثهن فله الويل يعني ترك الصلاة وفعل الريا والبخل بالماعون روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ارايت الذي يكذب بالدين غفر الله تعالى له ان كان مؤديا للزكاة

سورة الكوثر مكية

في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل مدنية في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وهي ثلاث ايات وعشر كلمات واثنان واربعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قرا الحسن وابن محيصن وطلحة والزعفراني انطيناك بالنون قال الرازي والتبريزي ابدل من العين نونا فان عنيت البدل الصناعي فليس بمسلم لان كل مادة مستقلة بنفسها بدليل كمال تصريفها وان عنيتا بالبدل ان هذه وقعت موقع هذه لغة فقريب ولا شك انها لغة ثابتة قال التبريزي هي لغة العرب العاربة من اولي قريش وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم اليد العليا المنطية واليد السفلى المنطاة وقال الاعشى

جيادك خير جيا دالملوك • تصان الجلال وتنطى الحلولا

قال القرطبي ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم قراءة وهي لغة في العطا انطيته اعطيته والكوثر فوعل من الكثرة وصف مبالغة في المفرط الكثرة مثل النوفل من النفل والجوهر من الجهر والعرب تسمي كل كثير في العدد والقدر والخطر كوثرا قال

وانت كثير يا ابن مروان طيب • وكان ابوك ابن الفضايل كوثرا

قيل

قيل لعجوز رجع ابنها من السفر بم اب ابنك فقالت اب بكوثر اي بخير كثير والكوثر من الرجال السيد الكثير الخير والكوثر العدد الكثير من الاصحاب والاشياع والكوثر من الغبار الكثير وقد تكوثر وقال الشاعر وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا **فصل** اختلفوا في الكوثر الذي اعطيه النبي صلى الله عليه وسلم فقيل نهر في الجنة رواه البخاري وغيره وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت وتربته اطيب من المسك وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج وقال عطا هو حوض النبي صلى الله عليه وسلم في الموقف وفيه احاديث كثيرة وقال عكرمة الكوثر النبوة والكتاب وقال الحسن هو القران وقال المغيرة الاسلام وقال الحسين بن الفضل هو تيسير القران وتخفيف الشرايع وقال ابو بكر بن عياش ويمان ابن رياب هو كثرة الاصحاب والاتباع والامة وقال ابن كيسان هو الايثار وحكى الماوردي انه رفعة الذكر وقيل الشفاعة وقال هلال بن يساف هو لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل الصلوات الخمس وقيل الفقه في الدين وقيل غير ذلك قال القرطبي واصح الاقوال الاول والثاني لانه ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم نص في الكوثر **فصل** قال ابن الخطيب هذه السورة كالمقابلة للتي قبلها فانه ذكر في الاول البخل وترك الصلاة والريا ومنع الماعون وذكر هنا في مقابلة البخل انا اعطيناك الكوثر وفي مقابلة ترك الصلاة قوله فصل اي دم على الصلاة وفي مقابلة الريا قوله تعالى لربك اي لرضاه خالصا وفي مقابلة منع الماعون قوله وانحر اي تصدق بلحم الاضاحي ثم ختم السورة سبحانه وتعالى بقوله ان شانئك هو الابتر اي ان المنافق الذي اتى بتلك الافعال القبيحة سيموت ولا يبقى له اثر واما انت فيبقى لك في الدنيا الذكر الجميل وفي الاخرة الثواب الجزيل قوله تعالى فصل لربك وانحر قال ابن عباس رضي الله عنه اقم الصلاة المفروضة عليك وقال قتادة وعطا وعكرمة فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقال انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم ينحر ثم يصلي فامر ان يصلي ثم ينحر وقال سعيد بن جبير صل لربك صلاة الصبح المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى وقال سعيد بن جبير ايضا نزلت في الحديبية حين حصر النبي صلى الله عليه وسلم عن البيت فامره الله تعالى ان يصلي وينحر البدن وينصرف قال ابن العربي اما من قال ان المراد بقوله تعالى فصل الصلوات الخمس فلانها ركن العبادات وقاعدة الاسلام واعظم دعايم الدين واما من قال انها صلاة الصبح بالمزدلفة فلانها مقرونة بالنحر وهو في ذلك اليوم ولا صلاة فيه قبل النحر غيرها فخصها من جملة الصلاة لاقترانها بالنحر قال القرطبي واما من قال انها صلاة العيد فذلك بغير مكة اذ ليس بمكة عيد باجماع فيما حكاه ابو بكر رضي الله عنه **فصل** الفا في قوله فصل للتعقيب والتسبب اي تسبب عن هذه المنة العظيمة وعقبها امرك بالتخلي بعبادة المنعم عليك وقصدك اليه بالنحر لا كما تفعل قريش من صلاتها ونحرها للاصنام واما قوله جل ذكره وانحر قال علي رضي الله عنه ومحمد بن كعب القرظي المعنى ضع اليمنى على اليسرى حذا النحر في الصلاة وعن علي رضي الله عنه ايضا ان معناه ان ترفع يديه في التكبير الى نحره وهو مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفرا والكلبي وابي الاحوص قال الفرا سمعت بعض العرب تقول منازلنا تتناحر اي تتقابل نحر هذا بنحر هذا اي قبالته وقال ابن الاعرابي هو انتصاب الرجل في الصلاة بازاء المحراب من قولهم منازلهم تتناحر اي تتقابل وعن عطا امره ان يستوي بين السجدتين جالسا حتى يبدو نحره وقال محمد بن كعب القرظي يقول ان ناسا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله تعالى وقد اعطيناك الكوثر فلا تكن صلاتك ونحرك الا لله تعالى والنحر في الابل بمنزلة الذبح في البقر والغنم قوله تعالى ان شانئك هو الابتر يجوز ان يكون هو مبتدا والابتر خبره والجملة خبر ان وان يكون فصلا وقال ابو البقا او توكيد وهو غلط لان المظهر لا يؤكد بالمضمر والابتر الذي لا عقب له وهو في الاصل الشي المقطوع من بتره اي قطعه وحمار ابتر لا ذنب له ورجل اباتر بضم الهمزة قاطع رحم قال ليئم نبتت في اللوم خنزوانه على قطع ذي القربى اذ راه باتر ويبتر هو بالكسر انقطع ذنبه قال اهل اللغة الابتر من الرجال من لا ولد له ومن الدواب الذي لا ذنب لها وكل من انقطع من الخير اثره فهو ابتر والبتر القطع بترت الشي بترا قطعته قبل الاتمام والانبتار الانقطاع والباتر السيف القاطع وفي الحديث ما هذه البتيرا او تر بركعة فانكر عليه ابن مسعود رضي الله عنه وخطبة زياد البترا لم يذكر الله عز وجل ولا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم وكان للنبي صلى الله عليه وسلم درع يقال لها البترا سميت بذلك لقصرها وقال ابن

السكيت الابتران الفرد العبد سميا بذلك لقلة والتربة فرقة من الزيدية تبرا الي المغيرة ابن سعد وبعيد الابتر وقرا العامة شانيك بالالف اسم فاعل بمعنى الحال او الاستقبال او الماضي وقرا ابن عباس شنيك بغير الف فقيل يجوز ان يكون بناء مبالغة كفعال ومفعال وقد انشد سيبويه وانشد حقارا امور الايصير وامن ما ليس منجيه من الاقدار وقول زيد الخيل

اتاني انهم مزقون عرضي • جحاش الكرملين لها فديد •

فان كان بمعنى الحال او الاستقبال فاضافته لمفعوله من نصب وان كان بمعنى المضي فهي لامن نصب وقيل يجوز ان يكون مقصورا من فاعل كقولهم برو وبار وبرد وبارد **فصل** اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى ان شانيك هو الابتر فقيل هو العاص بن وايل وكانت العرب تسمي من له بنون وبنات ثم مات البنون وبقي البنات ابتر فقيل ان العاصي وقف مع النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه فقال له جمع من صناديد قريش مع من كنت واقفا فقال مع ذلك الابتر وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من خديجة رضي الله عنها فانزل الله عز وجل ان شانيك هو الابتر اي المقطوع ذكره من خير الدنيا والاخرة وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كان اهل الجاهلية اذا مات ابن الرجل قالوا بتر فلان فلما توفي ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ابو جهل الي اصحابه فقال بتر محمد فانزل الله عز وجل ان شانيك هو الابتر يعني اباجهل وقال شمر بن عطية هو عقبة بن ابي معيط وقال السدي وابن زيد ان قريشا كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده فقد بتر فلان فلما مات لرسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم بمكة وابراهيم بالمدينة قالوا بتر محمد فليس له من يقوم بامره من بعده فنزلت هذه الاية وقيل لما اوحى الله تعالى الي رسوله صلى الله عليه وسلم دعا قريشا الي الايمان قالوا ابتر منا محمد اي خالفنا وانقطع عنا واخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم انهم هم المبترون قاله عكرمة وشهر بن حوشب **فصل** قال اهل العلم قد احتوت هذه السورة على كونها اقصر سورة في القران على معان بليغة واساليب بديعة منها دلالة استهلال السورة على انه تعالى اعطاه كثيرا من كثير ومنها اسناد الفعل للمتكلم المعظم نفسه ومنها ايراده بصيغة الماضي تحقيقا لوقوعه كاتى امر الله ومنها تاكيد الجملة بان ومنها بناء الفعل على الاسم ليفيد بالاسناد مرتين ومنها الاتيان بصيغة تدل على مبالغة الكثرة ومنها حذف الموصوف بالكوثر لان في حذفه من فرط الشياع والابهام ما ليس في اثباته ومنها تعريفه بال الجنسية الدالة على الاستغراق ومنها فاء التعقيب الدالة على السبب كما تقدم فان الانعام سبب للشكر والعبادة ومنها التعريض بمن كانت صلاته ونحره لغير الله تعالى ومنها ان الامر بالصلاة اشارة الي الاعمال الدينية التي الصلاة قوامها وافضلها والامر بالنحر اشارة الي الاعمال البدنية التي النحر اسناها ومنها حذف متعلق الخبر اذ التقدير فصل لربك وانحر له ومنها مراعاة السجع فانه من صناعة البديع العاري عن التكلف ومنها قوله جل ذكره لربك في الاتيان بهذه الصفة دون سائر صفاته الحسنى دلالة على انه المربي والمصلح بنعمه فلا يلتمس كل خير الا منه ومنها الالتفات من ضمير المتكلم الي الغايب في قوله تعالى لربك ومنها جعل الامر بترك الامتثال بشانيه للاستيناف وجعله خاتمة للاعراض عن الثاني ولم يسمه ليشمل كل من اتصف والعياذ بالله بهذه الصفة القبيحة وان كان المراد به شخصا معينا لعنه الله تعالى ومنها التنبيه بذكر هذه الصفة القبيحة على انه لم يتصف الا بمجرد قيام الصفة به من غير ان يوثر في من يشنوه شيئا البتة لان من يشنا شخصا يوثر فيه مشناه شيئا ومنها تاكيد الجملة بان المؤذنة بتاكيد الخبر ولذلك يتلقى بها القسم وتقدير القسم يصلح ههنا ومنها الاتيان بضمير الفصل المؤذن بالاختصاص والتاكيد ان جعلنا هو فصلا وان جعلناه مبتدا فلذلك يفيد التاكيد اذ يصير الاسناد مرتين ومنها تعريف الابتر بال المؤذنة بالخصوصية بهذه الصفة كانه قيل الكامل في هذه الصفة ومنها اقباله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم بالخطاب من اول السورة الي اخرها روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة انا اعطيناك الكوثر سقاه الله تعالى من انهار الجنة واعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في كل عيد ويقربون من اهل الكتاب والمشركين وعن مكحول رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم من قرا انا اعطيناك الكوثر كان له ما بين المشرق والمغرب العبره على كل بعير كراريس كل كراسة مثل الدنيا وما فيها كتبت الله له بدقة الشعر ليس فيها الا صفة قصوره ومنازله في الجنة

سورة الكافرين مكية

في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك وهي ست ايات وستة وعشرون كلمة واربعة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قل يا ايها الكافرون قال ابن الخطيب هذه السورة تسمى سورة المنابذة وسورة الاخلاص والمقشقشة روى الترمذي من حديث انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها تعدل ثلث القران وروى ابن الانباري عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ايها الكافرون تعدل ربع القران وخرج الحافظ عبد الغني بن سعيد عن ابن عمر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه صلاة الفجر في سفر فقرا قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ثم قال صلى الله عليه وسلم قرات بكم ثلث القران وربعه قال فوالله لقد كنت غير كثير المال اذا سافرت الوت ابدلهم واقلهم زادا فمنذ قراتهن صرت من احسنهم هيئة واكثرهم زادا حتى ارجع قال ابن الخطيب والوجه في انها تعدل ربع القران هو ان القران مشتمل على الامر بالمامورات والنهي عن المحظورات وكل واحد منهما ينقسم الي ما يتعلق بالقلوب والي ما يتعلق بالجوارح وهذه السورة مشتملة على النهي عن المحرمات المتعلقة بافعال القلوب فيكون ربع القران وخرج ابن الانباري عن نوفل بن فروة الاشجعي قال جاء رجل الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال اوصني قال اقرا عند منامك قل يا ايها الكافرون فانها براءة من الشرك وقال ابن عباس رضي الله عنه ليس في القران اشد غيظا لابليس لعنه الله عليه منها لانها توحيد وبراءة من الشرك وقال الاصمعي كان يقال لقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد الصمد المقشقشتان اي انهما يبرئان من النفاق وقال ابو عبيد رضي الله عنه كما تقشقش الهنا الجرب فتبريه قال ابن السكيت يقال للقرح والجدري اذا يبس وتفرق وللجرب في الابل اذا اقبل قد توسف جلده وتقشر جلده وتقشقش فان قيل قال ابن عباس رضي الله عنه سبب نزولها ان الوليد بن المغيرة والعاص بن وايل والاسود بن عبد المطلب وامية ابن خلف لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد فلنعبد ما تعبد ونعبد ما تعبد ونشترك نحن وانت في امرنا كله فان كان الذي جئت به خيرا مما بايدينا كنا قد شركناك في امرنا واخذت حظك منه فانزل الله تعالى قل يا ايها الكافرون ونزل قوله تعالى قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون فعدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الي المسجد الحرام وفيه الملا من قريش فقام صلى الله عليه وسلم فقراها عليهم حتى فرغ من السورة فايسوا منه عند ذلك وروى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو استلمت بعض هذه الالهة لصدقناك فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم بهذه السورة فايسوا منه واذوه واذوا اصحابه فان قيل لم وصفهم في هذه السورة بالكافرين وفي السورة الاخرى بالجاهلين كما تقدم فالجواب لان هذه السورة بتمامها نزلت فيهم فتكون المبالغة فيها اشد فنولع فيها بالوصف الاشنع وهو الكفر لانه مذموم مطلقا والجهل كالشجرة والكفر كالثمرة فقد لا يذم عند التقييد كقوله صلى الله عليه وسلم علم الانساب علم لا ينفع وجهل لا يضر فان قيل قال في سورة التحريم يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا قل وههنا جل وعز ذكر قل وذكره باسم الفاعل فالجواب انه في سورة التحريم انما يقال لهم يوم القيامة وثم لا يكون رسولا اليهم فازال الواسطة ويكونون في ذلك الوقت مطيعين لا كافرين فلذلك ذكره بلفظ الماضي واما ههنا فكانوا موصوفين بالكفر وكان الرسول صلى الله عليه وسلم رسولا اليهم فقال تعالى قل يا ايها الكافرون فان قيل هذا خطاب مع الكل وكان فيهم من يعبد الله تعالى كاليهود والنصارى فلا يجوز ان يقال لهم لا اعبد ما تعبدون ولا يجوز ايضا ان يكون قوله ولا انتم عابدون ما اعبد خطابا مع الكل لان في الكفار من امن فصيدا احد فالجواب ان هذا الخطاب مشافهة مع اقوام مخصوصين وهم الذين قالوا نعبد الهك سنة وتعبد

المناسبة وايضا لو حملنا الخطاب على العموم دخله التخصيص واذا حملناه على خطاب المشافهة
لم يلزم ذلك **فصل** قال القرطبي الالف واللام ترجع الى معنى المعهود وان كانت للجنس
من حيث كانت لانها مخاطبة لما سبق في علم الله تعالى انه سيموت على كفره ففيه من الخصوص الذي
جاء بلفظ العموم ونحوه عن الماوردي نزلت جوابا وعتابا للكافرين معينين لا جميع الكافرين
لان منهم من امن فعبد الله تعالى ومنهم من مات على كفره وهم المخاطبون بهذا القول وهم المذكورون
فصل قال ابن الانباري وقرا من طعن في القران قل للذين كفروا لا اعبد ما تعبدون
وزعم ان ذلك هو الصواب وذلك افتراء على رب العالمين وتضعيف لمعنى هذه السورة وابطال ما قصد
الله من ان يذل نبيه المشركون بخطابه اياهم بهذا الخطاب الذي والزمهم ما يانف منه كل ذي
لب وحجى وذلك ان الذي يدعيه من اللفظ الباطل قراءتنا تشتمل عليه في المعنى وتزيد تاويله
ليس عندهم في باطلهم وتحويفهم فمعنى قراءتنا قل للذين كفروا يا ايها الكافرون دليل صحة هذا ان
العربي اذا قال لمخاطبه قل لزيد اقبل الينا فمعناه قل لزيد يا زيد اقبل الينا فقراءتنا احسن لفظا
وابلغ معنى اذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعتمدهم في ناديهم فيقول لهم يا ايها الكافرون وهو يعلم
انهم يغضبون من ان ينسبوا الى الكفر ويدخلوا في جملة اهله الا وهو محروس ممنوع من ان يبسط
عليه صلى الله عليه وسلم يدا او يقع به من جهتهم اذية فمن لم يقرا قل يا ايها الكافرون كما انزلها الله
اسقط اية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسبيل اهل الاسلام ان يسارعوا الى مثلها ولا يتعمدوا
بينهم باحراز الفضايل عند الذي منحه الله تعالى وشرفه بها **فصل** قال ابن الخطيب
روي عن علي رضي الله عنه انه يا ندا النفس واي ندا القلب وما ندا الروح وقيل وما ندا الغايب
واي للحاضر وها للتنبيه كانه عز وجل يقول ادعوك ثلاثا ولا تجيبني غيره وقوله تعالى لا اعبد
ما تعبدون ما في هذه السورة يجوز فيها وجهان احدهما بمعنى الذي فان كان المراد الاصنام
كما في الاولى والثانية فالامر واضح لانهم غير عقلاء وما اصلها ان تكون لغير العقلاء واذا اريد
الباري تعالى كما في الثانية والرابعة فاستدل به من جوز وقوعها على اولي العلم ومن منع
جعلها مصدرية والتقدير ولا انتم عابدون عبادتي اي مثل عبادتي وقال ابو مسلم ما في
الاولين بمعنى الذي والمقصود المعبود وما في الاخرين مصدرية اي لا اعبد عبادتكم المبنية
على الشك وترك النظر ولا انتم تعبدون مثل عبادتي المبنية على اليقين فيحصل من مجموع
ذلك ثلاثة اقوال انها كلها بمعنى الذي او مصدرية او الاوليان بمعنى الذي والثانية والرابعة
مصدرية لكان حسنا لاجل ان لا يلزم وقوع ما على اولي العلم وهو مقتضى قول من يمنع وقوعها
على اولي العلم كما تقدم **فصل** اختلفوا في التكرار هاهنا هل هو للتاكيد ام لا واذا لم يكن
للتاكيد فقوله ولا انا عابد ما عبدتم تاكيد لقوله ولا انتم عابدون ما اعبد والامثلة بناي الا
ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين في سورتيهما وكلا سوف تعلمون وكلا سيعلمون ثم كلا
سيعلمون وفي الحديث فلا اذن ثم لا اذن انما فاطمة بضعة مني وقال الشاعر هلا سالت
جموع كندة يوم ولوا اين اينا وقوله يا علقمة يا علقمة يا علقمة خير تميم كلها واكرمه وقوله

الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي	ثلاث تحيات وان لم تكلم
يا جعفر يا جعفر يا جعفر	ان اك دحداحا فانت اقصر
يا ال بكر انشروا لي كليبا	يا ال بكر اين اين الفرار

وقوله وقوله

قالوا والقران جاء على اساليب كلام العرب وفايدة التاكيد هنا قطع اطماع الكفار وتحقيق
الاخبار بموافاتهم على الكفر وانهم لا يسلمون ابدا وقيل هذا مطابقة لقولهم نعبد الهتنا ونعبد
الهك فيجري على هذا ابدا سنة وسنة فاجيبوا عن كل ما قالوه بضده اي ان هذا لا يكون ابدا
وقال جماعة ليس للتوكيد فقال الاخفش لا اعبد الساعة ما تعبدون ولا انتم عابدون السنة
ما اعبد ولا انا عابد في المستقبل ما عبدتم ولا انتم عابدون في المستقبل ما اعبد فزال التوكيد
اذ قد تقيدت كل جملة بزمان غير الزمان الاخر انتهى وفيه نظر كيف تقيد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بنفي عبادته لما تعبدون بزمان هذا ما لا يصح وفي اسباب النزول انهم سالوه ان
تعبد الهتهم سنة فنزلت فكيف يستقيم هذا وجعل ابو مسلم التغاير بما تقدم عنه وهو كون
ما في الاولين بمعنى الذي وفي الاخرين مصدرية وفيه نظر ايضا من حيث ان التكرار

انما هو من حيث المعنى وهذا موجود كيف قدر ما وقال ابن عطية لما كان قوله لا اعبد محتملا ان
يراد به الان ويبقى المستقبل منتظرا ما يكون فيه جاء البيان بقوله ولا انا عابد ما عبدتم ابدا وما
حييت ثم جاء قوله ولا انتم عابدون ما اعبد الثاني حتما عليهم انهم لا يومنون ابدا كالذي كشف
الغيب كما قيل لنوح عليه السلام انه لن يومن من قومك الا من قد امن فهذا معنى الترديد في هذه
السورة وهو بارع الفصاحة وليس بتكرار فقط بل فيه ما ذكرته وقال الزمخشري لا اعبد اريد
به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على المضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على
مضارع في معنى الحال والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم عابدون
فيه ما اطلبه منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف فيما عبدتم
فيه يعني ما عهد مني قط عبادة صنم في الجاهلية فكيف يرجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون
ما اعبد وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته فان قلت فهلا قيل ما عبدت قلت لانهم كانوا
يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الا الله تعالى في ذلك الوقت فان قلت فلم
جاء على ما دون من قلت لان المراد الصفة كانه قيل لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان
ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي انتهى يعني بقوله لان الصفة يعني انه اريد
بها الوصف وقد تقدم تحقيق هذا في سورة والشمس وضحاها واعترض ابو حيان عليه والجواب
عنه واصله سورة النساء عند قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وناقشه ابو حيان هنا فقال
اما حصره في قوله لان لا لا تدخل وفي قوله لان ما لا تدخل فليس بصحيح بل ذلك غالب فيهما لا متحتم
وقد ذكر النحاة دخول لا على المضارع يراد به الحال ودخول ما على المضارع يراد به الاستقبال وذلك
مذكور في المبسوطات من كتب النحو ولذلك لم يذكر سيبويه ذلك باداة الحصر انما قال ويكون لا
نفيا لقوله يفعل ولم يقع الفعل قال واما ما فهي نفي لقوله هو يفعل اذا كان في حال الفعل فذكر
الغالب فيهما واما في قوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم فلا يفسر بالماضي انما يفسر بالحال او الاستقبال
وليس مذهبه في اسم الفاعل مذهب الكسائي وهشام من جواز اعماله ماضيا واما قوله ولا انتم عابدون
ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته فعابدون قد اعمله فيما تعبد فلا يفسر بالماضي
واما قوله وهو لم يكن الى اخره فسوء ادب على منصب النبوة وعن صحيح لانه صلى الله عليه وسلم لم يزل
موحدا لله تعالى منزها له عن كل ما لا يليق بجلاله سبحانه يقف على مشاعر ابراهيم عليه السلام
ويحج البيت وهذه عبادة واي عبادة واعظم من توحيد الله تعالى ونبذ اصنامهم ومعرفة الله تعالى
اعظم العبادات قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال المفسرون الا ليعرفون
فسمى المعرفة بالله تعالى عبادة انتهى قال شهاب الدين ويجاب عن الاول انه بنى امره على الغالب
فلذلك اتى بالحصر واما ما حكاه عن سيبويه فظاهر معه حتى يقوم دليل على غيره وعن اعماله
اسم الفاعل مفسرا بالماضي بانه على حكاية الحال كقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه وقوله تعالى
والله مخرج ما كنتم تكتمون ونحوه واما في قوله كان صلى الله عليه وسلم موحدا منزها لله تعالى
فسلم ذلك وقوله وهذه اعظم العبادات فسلم ايضا ولكن المراد في الاية عبادة مخصوصة وهي الصلاة
المخصوصة لانها مقابلة لما كان المشركون يفعلونه من سجودهم لاصنامهم وصلاتهم لها مقابلة هذا
صلى الله عليه وسلم بصلاته لله تبارك وتعالى ولكن يبقى كلام الزمخشري يفهم انه صلى الله عليه
وسلم لم يكن متعبدا قبل المبعث وهو مذهب ساقط الاعتبار لان الاحاديث الصحيحة ترده وهي
كان يتحنث كان يتعبد كان يصوم كان يطوف كان يقف صلى الله عليه وسلم ولم ينقل خلافه الا
شذوذ من الناس وفي الجملة فالمسالة خلافية واذا كان متعبدا فباي شرع كان يتعبد قبل
شريعته بنوح عليه السلام وقيل ابراهيم عليه السلام وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين وذلك مذكور في الاصول ثم قال ابو حيان والذي اختاره في هذه الجمل انه نفى عبادته
في المستقبل لان الغالب في لا ان ينفي المستقبل ثم عطف عليه ولا انتم عابدون ما اعبد نفيا للمستقبل
على سبيل المقابلة ثم قال صلى الله عليه وسلم ولا انا عابد ما عبدتم نفيا للحال لان اسم الفاعل العامل
الحقيقة فيه دلالته على الحال ثم عطف عليه ولا انتم عابدون ما اعبد نفيا للحال على سبيل المقابلة
فانتظم المعنى انه صلى الله عليه وسلم لا يعبد ما تعبدون حالا ولا مستقبلا وهم كذلك اذ ختم
الله تعالى بموافاتهم على الكفر ولما قال صلى الله عليه وسلم لا اعبد ما تعبدون فاطلق ما على

الاصنام قابل الكلام بما في قوله ما اعبد وان كان المراد الله تعالى لان المقابلة سوغ فيها ما لا
يسوغ في الانفراد وهذا على مذهب من يقول ان ما لا يقع على احاد اولي العلم اما من يجوز ذلك
وهو مذهب سيبويه فلا يحتاج الى الاستعذار بالتقابل قال القرطبي كانوا يعبدون الاوثان
فاذا ملوا وثنا وسئموا العبادة له رفضوه ثم اخذوا وثنا غيره بشهوة نفوسهم فاذا مروا
بحجارة تعجبهم القوا هذه ورفعوا تلك فعظموها ونصبوها الهة يعبدونها فامر ان يقول لا اعبد
ما تعبدون اليوم من هذه الالهة التي بين ايديكم ثم قال صلى الله عليه وسلم ولا انتم عابدون
ما اعبد انما تعبدون الوثن الذي اتخذتموه وهو عندكم الان ولا انا عابد ما عبدتم بالامس
من الالهة التي رفضتموها واقبلتم على هذه ولا انتم عابدون ما اعبد فاني اعبد الهي قوله
تعالى لكم دينكم ولي دين اي لها نبين الجملتين الاثنا بيبن بعد جملة منفية لانه لما كان الاهم
انتفاوه صلى الله عليه وسلم الى خطابه بقوله لكم دينكم ولي دين مهادنة لهم ثم نسخ ذلك الامر
بالقتال وفتح اليا من لي نافع وهشام وحفص والبزي بخلاف عنه واسكنها الباقون وحذف
ياء الاضافة من ديني وقفا ووصلا السبعة وجمهور القراء واثبتها في الحالين سلام ويعقوب قالوا
لانها اسم مثل الكاف في دينكم والتا في وقت وتقدم ايضاحه في الكلام **فصل** في
الكلام معنى التهديد كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي ان رضيتم بدينكم فقد رضينا بديننا
ونسخ هذا بالامر بالقتال وقيل السورة منسوخة وقيل ما نسخ منها شيء لانها خبر ومعنى لكم دينكم
اي جزاء دينكم ولي دين جزاء ديني وسمى دينهم لانهم اعتقدوه وقيل المعنى لكم جزاوكم ولي جزائي
لان الدين الجزاء وقيل الدين العقوبة من اصنامكم فانا لا اخشى عقوبة الاصنام لانها جمادات
واما انتم فيحق عليكم حملا ان تخافوا عقوبة جبار السموات والارض وقيل الدين الدعا لقوله
تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين اي لكم دعاوكم وما دعا الكافرين الا في ضلال ولي امارتي
فيقول سبحانه وتعالى ادعوني استجب لكم اجيب دعوة الداعي اذا دعان وقيل الدين العادة
قال الشاعر • يقول لها ادرت رضي • اهذا دينه ابدا ودبني •
والمعنى لكم عادتكم الماخوذة من اسلافكم ومن الشيطان ولي عادتي من ربي قال
ابن الخطيب جرت العادة بان يتمثلوا بهذه الاية عند المتاركة وذلك غير جائز لان القران انزل
ليتدبر فيه ويعمل بموجبه لا ليتمثل به والله اعلم

سورة النصر مدنية بالاجماع

وتسمى سورة التوديع وهي ثلث ايات وست عشرة كلمة وسبعة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح عليك وعلى امتك والمقصود اذا جاء هذان الفعلان من
غير نظر الى متعلقيهما كقوله تعالى امات واحيى وال في الفتح عوض من الاضافة اي وفتحه عند
الكوفيين والعائد محذوف عند البصريين اي والفتح منه للدلالة على ذلك والعامل في اذا اما
جاء وهو قول مكي واليه ذهب ابو حيان ونصره في موضع وقد تقدم ذلك واما فسبح واليه
نحا الزمخشري والحوفي والتقدير فسبح بحمد ربك اذا جاء ورده ابو حيان بان ما بعد فا الجواب
لا يعمل فيما قبلها وفيه بحث تقدم بعضه في سورة والضحى **فصل** النصر العون ماخوذ
من قولهم قد نصر الغيث الارض اذا اعان على نباتها قال الشاعر
• اذا انسلخ الشهر الحرام فودعي • بلاد تميم وانصري ارض عامر •
ويروي • اذا دخل الشهر الحرام فودعي • بلاد تميم وانصري ارض عامر •
يقال نصره على عدوه ينصره نصرا اي اعانه والاسم النصرة واستنصره على عدوه اي سال ان ينصره عليه
وتناصروا نصر بعضهم بعضا ثم قيل المراد بهذا النصر نصر الرسول صلى الله عليه وسلم على قريش قاله
الطبري وقيل نصره على من قاتله من الكفار وان عاقبة النصر كانت له واما الفتح فهو فتح مكة قاله
الحسن ومجاهد وغيرهما وقال ابن عباس وسعيد بن جبير هو فتح المداين والقصور وقيل فتح
ساير البلاد وقيل ما فتحه عليه من العلوم واذا بمعنى قد جاء نصر الله لان نزولها بعد الفتح ويجوز
ان يكون معناه اذا جاءك **فصل** قال ابن الخطيب الفرق بين النصر والفتح ان الفتح

هو

هو تحصيل المطلوب الذي كان متعلقا والنصر كالسبب للفتح فلهذا بدا بذكر النصر وعطف الفتح عليه
او يقال النصر كمال الدين والفتح اقبال الدنيا الذي هو تمام النعمة كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي والنصر الظفر في الدنيا والفتح في الجنة **فصل** قال ابن الخطيب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان ابدا منصورا بالدلايل والمعجزات فما المعنى بتخصيص لفظ النصر بفتح مكة
والجواب ان المراد من هذا النصر الموافق للطبع فان قيل النصر لا يكون الا من الله تعالى قال جل ذكره
وما النصر الا من عند الله فما فايدة التقييد بقوله تعالى نصر الله فالجواب معناه لا يليق الا بالله كما
يقال هذه صنعة زيد اذا كان مشهورا فالمراد هذا هو الذي سالتموه فان قيل لم وصف النصر بالمجيء
وحقيقته اذا وقع نصر الله فما الفايدة في ترك الحقيقة وذكر المجاز فالجواب ان الامور مرتبطة
باوقاتها والله سبحانه قدر لحدوث كل محدث اسبابا معينة واوقاتا مقدرة يستحيل فيها التقدم
والتاخر والتبديل والتغيير فاذا حضر ذلك الوقت وجاء ذلك الزمان حضر معه ذلك الاثر واليه
الاشارة بقوله تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم فان قيل الذين اعانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على فتح مكة هم الصحابة رضي الله عنهم ثم انه تعالى سمى نصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم نصر الله
فما السبب في اضافة النصر اليه فالجواب ان النصر وان كان على يد الصحابة لكن لا بد لهم من داع وباعث
وهو من الله تعالى فان قيل فعلى هذا التقدير الذي ذكرتم يكون فعل العبد متقدما على فعل الله وهو
خلاف قوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم فجعل نصر العبد مقدما على نصره لنا فالجواب انه لا امتناع في
ان يكون فعل العبد سببا لفعل اخر يصدر عن الله تعالى فان اسباب الحوادث ومسبباتها على ترتيب
عجيب يعجز عن ادراكها العقول البشرية قوله تعالى ورايت الناس يدخلون رايت يحتمل ان يكون
معناه ابصرت وان يكون معناه علمت فان كان معناه ابصرت كان يدخلون في محل النصب على الحال
والتقدير ورايت الناس يدخلون حال دخولهم في دين الله افواجا وان كان معناه وعلمت كان يدخلون
مفعولا ثانيا لعلمت والتقدير علمت الناس داخلين في دين الله وفي عبارة الزمخشري ان كان
بمعنى ابصرت وعرفت وناقشه ابو حيان بان رايت لا يعرف كونها بمعنى عرفت قال فيحتاج في ذلك
الى اثبات وقرا العامة يدخلون مبنيا للفاعل وابن كثير في رواية مبنيا للمفعول وفي دين الله ظرف
مجازي وهو مجاز فصيح بليغ هنا قوله افواجا حال من فاعل يدخلون قال مكي وقياسه افوج الا
ان الضمة تستثقل في الواو فشبهوا فعلا يعني بالسكون بفعل يعني بالفتح فجمعوه جمعه انتهى اي ان فعلا
بالسكون قياسه افعل كفلس وافلس الا انه استثقلت الضمة على الواو فجمعوه جمع فعل بالتحريك نحو
جمل واجمال لان فعلا بالسكون على افعال ليس بقياس اذا كان فعل صحيحا نحو فرخ وافراخ وزند
وازناد وورد منه الفاظ كثيرة ومع ذلك فلم يقيسوه وقد قال الحوفي سيما من هذا **فصل**
ظاهر لفظ الناس للعموم فيدخل كل الناس افواجا اي جماعات فوجا بعد فوج وذلك لما فتحت قالت
العرب اما اذا ظفر محمد صلى الله عليه وسلم باهل الحرم وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل فليس
لكم به يدان فكانوا يسلمون افواجا افواجا امة بعد امة قال الضحاك والامة اربعون رجلا وقال
عكرمة ومقاتل اراد بالناس اهل اليمن وذلك انه ورد من اليمن سبع ماية انسان مومنين طايعين
بعضهم يوذنون وبعضهم يقرؤن القران وبعضهم يهللون فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وبكى عمر
وابن عباس رضي الله عنهما وروي عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرا اذا جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن رقيقة افيدتهم لينة طباعهم سخية قلوبهم عظيمة
خشيتهم فدخلوا في دين الله افواجا وروي مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افيدة الفقه يمان والحكمة يمانية وقال صلى
الله عليه وسلم اني لاجد نفس ربكم من قبل اليمن وفيه تاويلان احدهما انه الفرج لتتابع اسلامهم افواجا
الثاني ان الله تعالى نفس الكرب عن نبيه صلى الله عليه وسلم باهل [illegible] اليمن وهم اهل
الاخبار وروي جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الناس دخلوا في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا ذكره الماوردي قال ابن الخطيب
كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعدما كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين ودين الله
هو الاسلام لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
واضافة الدين الى الاسم الدال على الالهية اشارة الى انه يجب ان يعبد لكونه الها وللدين اسما اخر قال

تعالى فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ومنها الصراط قال
تعالى صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ومنها كلمة الله ومنها النور يريدون ليطفئوا نور
الله بافواههم ومنها الهدى قال تعالى هدى الله يهدي به من يشا من عباده ومنها العروة الوثقى
ومن يومن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ومنها الحبل الوثيق واعتصموا بحبل الله ومنها صبغة الله
ومنها فطرة الله **فصل** قال جمهور الفقها واكثر المتكلمين ايمان المقلد صحيح واحتجوا بهذه الاية
قالوا انه تعالى حكم بصحة ايمان اوليك الافواج وجعله من اعظم المنن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
ولو لم يكن ايمانهم صحيحا لما ذكره في هذا المعرض ثم انا نعلم قطعا انهم ما كانوا يعرفون حدوث الاجساد
بالدليل واثبات كونه تعالى منزها عن الجسمية والمكان والحيز ولا اثبات كونه تعالى عالما بجميع المعلومات
التي لا نهاية لها ولا اثبات الصفات والتنزيه بالدليل والعلم بان اوليك الاعراب ما كانوا عالمين بهذه
الدقايق ضروري فعلمنا ان ايمان المقلد صحيح لا يقال انهم كانوا عالمين باصول دلايل هذه المسايل لان
اصول هذه الدلايل ظاهرة بل كانوا جاهلين بالتفاصيل لانا نقول ان الدليل لا يقبل الزيادة والنقصان
فان الدليل اذا كان مثلا من عشر مقدمات فمن علم تسعة منها وكان في المقدمة العاشرة مقلدا كان في
النتيجة مقلدا لا محالة **قوله** تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره بحمد ربك حال اي ملتبسا بحمده وتقدم
تحقيق ذلك في سورة البقرة عند قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك قال ابن الخطيب انه تعالى امره صلى
الله عليه وسلم بالتسبيح ثم بالحمد ثم بالاستغفار والفايدة فيه ان تاخير النصر سنين مع ان محمدا صلى الله عليه
وسلم كان على الحق مما يثقل على القلب ويقع في القلب اني اذا كنت على الحق فلم لا تنصرني ولم سلطت
على هولاء الكفار فلاجل الاعتذار عن هذا الخاطر امر بالتسبيح اما على قولنا فالمراد من هذا التنزيه انه
تعالى منزه عن ان يستحق عليه احد شيا بل كل ما يفعله فانما يفعله بحكم المشية الالهية فله ان يفعل
ما يشا كما يشا ففايدة التسبيح تنزيه الله تعالى عن ان يستحق عليه احد شيا واما على قول المعتزلة
ففايدة التنزيه هو ان يعلم العبد ان تنزيه الله عما لا ينبغي بسبب المصلحة لا بسبب ترجيح الباطل
على الحق ثم اذا فرغ العبد من تنزيه الله عز وجل فحينيذ يشتغل بحمده على ما اعطاه من الاحسان والبر
ثم حينيذ يشتغل بالاستغفار لذنوب نفسه **فصل** قال المفسرون فسبح بحمد ربك
واستغفره اي اذا صليت فاكثر من ذلك وقيل معنى سبح صل قاله ابن عباس رضي الله عنه وقوله بحمد
ربك حامدا له على ما اتاك من الظفر والفتح واستغفره اي سل الله الغفران وقيل فسبح المراد به التنزيه
اي نزهه عما لا يجوز عليه مع شكرك له ربا وبالاستغفار مداومة الذكر وروي في الصحيحين عن عايشة رضي
الله عنها قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد ان نزلت عليه سورة اذا جا نصر الله
والفتح الا يقول فيها سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي وقالت ام سلمة رضي الله عنها كان النبي صلى الله
عليه وسلم اخر امره لا يقوم ولا يقعد ولا يجي ولا يذهب الا قال سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه
قال فاني امرت بها ثم قرا اذا جا نصر الله والفتح الى اخرها وقال عكرمة رضي الله عنه لم يكن النبي صلى
الله عليه وسلم قط اشد اجتهادا في امور الاخرة ما كان عند نزولها وقال مقاتل لما نزلت قراها النبي
صلى الله عليه وسلم على اصحابه وفيهم ابو بكر وعمر وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهم ففرحوا واستبشروا
وبكا العباس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انه لكما تقول فعاش
بعدها ستين يوما ما روي فيها ضاحكا مستبشرا وقيل نزلت في منى بعد ايام التشريق في حجة الوداع
فبكى عمر والعباس رضي الله عنهما فقيل لهما هذا يوم فرح فقالا بل فيه نعي النبي صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقتما نعيت الي نفسي وروى البخاري وغيره عن ابن عباس قال
كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ياذن لاهل بدر وياذن لي معهم قال فوجد بعضهم من ذلك فقالوا
ياذن لهذا الفتى معنا ومن ابنايا من هو مثله فقال عمر رضي الله عنه انه من قد علمتم قال فاذن
لهم ذات يوم واذن لي معهم فسالهم عن هذه السورة اذا جا نصر الله والفتح فقالوا امر الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب اليه فقال ما تقول يا ابن عباس قلت ليس كذلك
بل اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حضور اجله فقال اذا جا نصر الله والفتح فذلك علامة موتك
فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر رضي الله عنه تلوموني عليه وفي رواية فقال عمر رضي
الله عنه اني لا اعلم منها الا ما تقول **فصل** فان قيل فما ذا يغفر للنبي صلى الله عليه وسلم
حتى يومر بالاستغفار فالجواب كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعايه رب اغفر لي خطيتي واسرافي

وجهلي واسرافي في امري كله وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اعلنت وما اسررت
انت المقدم وانت الموخر انك على كل شي قدير وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستقصر نفسه لعظم ما انعم الله
عليه ويرى قصوره عن القيام بحق ذلك وقيل حسنات الابرار سيات المقربين وقيل يحتمل ان يكون المعنى
كن متعلقا به سايلا راغبا متضرعا على رؤية التقصير في ادا الحقوق وقيل الاستغفار تعبد يجب اتيانه
لا للمغفرة بل تعبدا وقيل معنى واستغفره اي استغفر لامتك انه كان توابا على المسبحين والمستغفرين
يتوب عليهم ويرحمهم ويقبل توبتهم واذا كان عليه الصلاة والسلام وهو معصوم يومر بالاستغفار فما ظنك
بغيره **فصل** تقدم تفسير الحمد واما تفسير قوله تعالى فسبح بحمد ربك ففيه وجوه الاول قال
الزمخشري اي قل سبحان الله والحمد لله تعجبا مما اراك من عجيب انعامه اي اجمع بينهما كقولك الما باللبن
اي اجمع بينهما خلطا ومشربا الثاني ان التسبيح داخل في الحمد لانك اذا حمدت ربك فقد سبحته بواسطة
لان الثنا عليه والشكر له يتضمن تنزيهه عن النقايص ولذلك جعل الحمد مفتاح القران فمعنى سبح بحمد
ربك اي سبحه بواسطة ان تحمده اي سبحه بهذا الطريق الثالث ان يكون حالا اي سبحه مقدرا ان تحمد
التسبيح كانك تقول لا يتاتى لك بينهما لفظا فاجمعهما نية كما تنوي الصلاة بنية النحر مقدرا انك تنحر
بعدها فيجتمع لك الثواب في تلك الحالة كذا ههنا الرابع ان هذه البا كهي في قولك فعلت هذا بفضل الله
اي بحمد الله اي انه الذي هداك وارشدك لا بحمد غيره كقوله صلى الله عليه وسلم الحمد لله على الحمد الخامس قال
السدي بحمد ربك اي بامر ربك السادس ان يكون البا زايدة والتقدير سبح حمد ربك اي اظهر محامد ربك عن
الريا والسمعة او اختر له اظهر المحامد وازكاها واحسنها او ايت بالتسبيح بدلا عن الحمد الواجب عليك لان الحمد
انما يجب في مقابلة النعم ونعم الله تعالى غير متناهية فحمدها لا يكون في وسع البشر فكانه تعالى يقول
انت عاجز عن الحمد فايت بالتسبيح والتنزيه بدلا عن الحمد السابع فيه اشارة الى ان التسبيح والحمد لا يتاخر
احدهما عن الاخر ولا يمكن ان يوتى بهما معا ونظيره من ثبت له حق الشفعة وحق الرد بالعيب وجب ان يقول
اخترت الشفعة برد ذلك المبيع كذا ههنا قال فسبح بحمد ربك ليقع معا فيصير حامدا مسبحا في وقت
واحد معا فان قيل التوبة مقدمة على جميع الطاعات ثم الحمد مقدم على التسبيح لان الحمد على النعم والنعم
سابقة فالاستغفار سابق فلم التسبيح فالجواب لعله بدا بالاشرف تنبيها على ان النزول من الخالق الى
الخلق اشرف من الصعود من الخلق الى الخالق او نبه بذلك على التسبيح والحمد الصادر عن العبد اذا
قابلا جلال الحق وعزته استوجبا الاستغفار او لان التسبيح والحمد اشارة الى تعظيم امر الله والاستغفار
اشارة الى الشفقة على خلق الله تعالى فالاول كالصلاة والثاني كالزكاة فكما ان الصلاة مقدمة على
الزكاة فكذا ههنا فان قيل قوله تعالى كان توابا يدل على الماضي وحاجتنا الى قبوله في المستقبل وايضا
قال سبحانه غفارا الا قال تعالى في سورة نوح عليه السلام وايضا قال تعالى نصر من الله وقال في دين
الله وقال بحمد ربك ولم يقل بحمد الله فالجواب عن الاول ان هذا ابلغ كانه يقول ان ثبت على من هو اقبح
فعلا منهم كاليهود فانهم بعد ظهور المعجزات العظيمة كفلق البحر ونتق الجبل ونزول المن والسلوى عصوا ربهم
واتوا بالقبايح ولما تابوا قبلت توبتهم فاذا كنت قابلا لتوبة اوليك وهم دونكم فلان اقبل توبتكم وانتم خير امة
اخرجت للناس اولى نزعت في توبة العصاة والنزوع ملزم او هو اشارة الى تخفيف جنايتهم اي لستم اول
من جنى والمصيبة اذا عمت خفت او كما قيل لما احسن الله فيما مضى لذلك يحسن فيما بقي والجواب عن الثاني
لعله خص هذه الامة بزيد الشرف لانه لا يقال في صفات العبد غفار ويقال تواب اذا كان اتيا بالتوبة
فكانه تعالى يقول كنت لي سميا من اول الامر انت مومن وانا مومن وان اختلف المعنى فصرت فثبت حتى صرت
سميا في اخر الامر فانت تواب وانا تواب ثم التواب في حق الله تعالى انه يقبل التوبة كثيرا فيجب على العبد
ان يكون اتيانه بالتوبة كثيرا وانه انما قال توابا لان القايل قد يقول استغفر الله وليس بتايب بل يقول
لقوله المستغفر بلسانه المصر بقلبه كالمستهزي فان قيل قد يقول اتوب وليس بتايب قلنا فاذا يكون كاذبا
لان التوبة اسم للرجوع او الندم بخلاف الاستغفار فانه لا يكون كاذبا فيه فيكون تقدير الكلام واستغفره
بالتوبة وفيه تنبيه على ان خواتيم الاعمال يجب ان تكون بالتوبة والاستغفار فكذا خواتيم الاعمار
والجواب عن الثالث انه راعى العدل فذكر اسم الذات مرتين وذكر اسم الفعل مرتين احدهما الرب والثاني
التواب فلما كانت التربية تحصل اولا والتوبة اخر الاجرام ذكر اسم الرب اولا واسم التوبة اخرا **فصل**
قال ابن عمر رضي الله عنه نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ثم نزلت اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي فعاش بعدها صلى الله عليه وسلم خمسين يوما ثم نزل لقد جاكم رسول من انفسكم فعاش بعدها صلى الله

عليه وسلم خمسة وثلاثين يوما ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها صلى الله عليه وسلم احد وعشرين يوما وقال مقاتل سبعة ايام وقيل غير ذلك

فصل قال ابن الخطيب اتفق الصحابة رضي الله عنهم على ان هذه السورة دلت على نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قيل كيف دلت السورة على هذا المعنى فالجواب من وجوه احدها قال بعضهم انما عرفوا ذلك لما روي انه صلى الله عليه وسلم خطب عقيب السورة وذكر التخيير وثانيها انه لما ذكر حصول النصر والفتح ودخول الناس في الدين افواجا دل ذلك على حصول التمام والكمال وذلك يستعقبه الزوال كما قيل اذا تم شيء بدا نقصه توقع زوالا اذا قيل تم وثالثها انه جل ذكره امره بالتسبيح والحمد والاستغفار مطلقا واشتغاله صلى الله عليه وسلم به ذلك يمنعه من الاشتغال بامر الامة فكان هذا كالتنبيه على ان امر التبليغ قد تم وكمل وذلك يوجب الموت لو بقي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لكان كالمعزول عن الرسالة وانه غير جائز ورابعها قوله تعالى واستغفر تنبيه على قرب الاجل كانه يقول قرب الاجل ودنا الرحيل فتاهب للامر ونبه به على ان سبيل العاقل اذا قرب اجله يستكثر من التوبة وخامسها كانه قيل كان منتهى مطلوبك في الدنيا هذا الذي وجدته وهو النصر والفتح والاستيلاء والله تعالى وعدك بقوله تعالى وللاخرة خير لك من الاولى فلما وجدت اقصى مرادك في الدنيا فانتقل الى الاخرة لتفوز بتلك السعادات العالية روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النصر فكانما شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة تبت مكية

وهي خمس ايات وثلاث وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى تبت يدا ابي لهب وتب اي خسرت وتقدم تفسير هذه المادة في سورة غافر عند قوله الا في تبات واسند الفعل الى اليدين مجازا لان اكثر الافعال تزاول بهما وان كان المراد جملة المدعو عليه وقوله وتب دعاء وتب اخباري اي قد وقع ما دعي به عليه كقول الشاعر

جزاني جزاه الله شر جزائه · جزا الكلاب العاديات وقد فعل

ويؤيده قراءة عبد الله وقد تب والظاهر ان كليهما دعاء ويكون في هذا شبه من مجي العام بعد الخاص لان اليدين بعض وان كان حقيقة اليدين غير مراد وقيل كلاهما اخبار اراد بالاول هلاك عمله وبالثاني هلاك نفسه وانما عبر باليدين لان الاعمال غالبا تزاول بهما وقيل المراد باليدين نفسه وقد يعبر باليد عن النفس كقوله تعالى بما قدمت يداك اي نفسك وهذا مهيع كلام العرب يعبر ببعض الشيء عن كله يقولون اصابه يد الدهر ويد المنايا والرزايا اي صابه كل ذلك قال الشاعر لما اكبت يد الرزايا عليه نادى الا مجير وقال ابن الخطيب وباليدين اما لانه كان يرمي النبي صلى الله عليه وسلم بالحجارة وقيل المراد دينه ودنياه واولاه وعقباه او المراد باحدهما جر المنفعة وبالاخرى دفع المضرة او لان اليمنى سلاح والاخرى جنة وقيل يعني بماله وبنيه وتب هو بنفسه وقيل تب يعني ولده عتبة وهو الذي دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك لشدة عداوته فافترسه الاسد وقرا العامة لهب بفتح الهاء وابن كثير باسكانها فقيل لغتان بمعنى نحو النهر والنهر والشعر والشعر والنفر والنفر والضجر والضجر وقال الزمخشري وهو من تغيير الاعلام كقوله شمس بن مالك بالضم يعني ان الاصل بفتح الشين فغير الى الضم ويشير بذلك لقول الشاعر

واني لمهد من ثنائي فقاصد · به لابن عم الصدق شمس بن مالك

وجوز ابو حيان في شمس ان يكون منقولا من شمس الجمع من قولهم اذناب خيل شمس فلا يكون في شمس ان يكون منقولا من التغيير في شيء وكني بذلك ابو لهب اما لالتهاب وجنته وكان مشرق الوجه احمر واما لما يؤول اليه من لهب جهنم كقولهم ابو الخير وابو الشر لصدورهما منه واما لان الكنية اغلب من الاسم او لانها انقص منه ولذلك ذكر الانبيا عليهم السلام باسمائهم دون كناهم او لقبح اسمه لان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى الكنية لان الله تعالى لم يضف العبودية في كتابه الى صنم وقيل اسمه ابو لهب كما سمي ابو سفيان وابو طالب وقال الزمخشري فان قلت لم كناه والكنية تكرمة ثم ذكر ثلاثة اجوبة اما لشهرته بكنيته واما لقبح اسمه كما تقدم واما التجانس فقوله نارا ذات لهب لان مآله الى لهب جهنم انتهى

وهذا يقتضي ان الكنية اشرف واكمل لا انقص وهو عكس قول تقدم انفا وقرئ يدا ابو لهب بالواو في مكان الجر قال الزمخشري كما قيل علي بن ابو طالب ومعوية بن ابو سفيان لئلا يتغير منه شيء فيشكل على السامع ولفليتة بن عاصم امير مكة ابنان احدهما عبد الله بالجر والاخر عبد الله بالنصب ولم يختلف القراء في قوله ذات لهب انها بالفتح والفرق انها فاصلة فلو سكنت زال التشاكل قوله

فصل قال قتادة تبت خسرت وقال ابن عباس خابت وقال عطا ضلت وقال ابن جبير هلكت وقال يمان بن رئاب صفرت من كل خير وحكى الاصمعي عن ابي عمرو بن العلا انه لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه سمع الناس هاتفا يقول

لقد خلوك وانصرفوا فابوا ولا رجعوا · ولم يوفوا بنذرهم فتبا للذي صنعوا

فصل روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف فقالوا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا اليه فقال صلى الله عليه وسلم يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب فاجتمعوا اليه فقال عليه الصلاة والسلام ارايتم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك اما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة وفي رواية لما سمعت امراته ما نزل في زوجها وفيها من القران اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه ابو بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليه اخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى الا ابا بكر فقالت يا ابا بكر ان صاحبك قد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله اني لشاعرة مذمما عصينا وامره ابينا ودينه قلينا ثم انصرفت فقال ابو بكر يا رسول الله اما تراها راتك قال صلى الله عليه وسلم ما راتني لقد اخذ الله تعالى بصرها عني وكانت قريش انما تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونه وكان صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون لما صرف الله عني من اذى الكفار قريش يسبون ويهجون مذمما وانا محمد رسول الله وحكى ابو عبد الرحمن بن زيد ان ابا لهب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماذا اعطى ان امنت بك يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم كما يعطى المسلمون فقال ما لي عليهم فضل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واي شيء تبتغي قال تبا لهذا من دين اكون انا وهولاء سوا فانزل الله تعالى فيه تبت يدا ابي لهب وتب وحكى عبد الرحمن بن كيسان انه كان اذا وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وفد انطلق اليهم ابو لهب فيسالونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون انت اعلم به منا فيقول لهم ابو لهب انه كذاب ساحر فيرجعون عنه ولا يلقونه فاتى وفد ففعل مثل ذلك فقالوا لا ننصرف حتى نراه ونسمع كلامه فقال لهم ابو لهب انا لم نزل نعالجه فتبا له وتعسا فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتاب لذلك فنزلت هذه السورة وقيل ان ابا لهب اراد ان يرمي النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر فمنعه الله تعالى من ذلك فنزلت تبت يدا ابي لهب اراد ان يرمي النبي صلى الله عليه وسلم للمنع من ذلك الذي وقع منه

فصل قال ابن الخطيب من فسر التب بالهلاك فلقوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب اي في هلاك ومن فسره بالخسران فلقوله تعالى وما زادوهم غير تتبيب اي تخسير ومن فسره بالخيبة قال ابن عباس رضي الله عنه لانه كان يدفع القوم عنه صلى الله عليه وسلم بانه ساحر فينصرفون عنه قبل لقائه لانه كان شيخ القبيلة اسنه فكان لا يتهم فلما نزلت هذه السورة وسمع بها غضب واظهر العداوة الشديدة وصار متهما فلم يقبل قوله في الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فكانه قد خاب سعيه ولعله انما ذكر التب لانه كان يضرب بيده على يد الوافد عليه فيقول انصرف راشدا فانه مجنون فان المعتاد ان من يصرف انسانا يضع يده على كتفه ويدفعه عن ذلك الموضع ومن فسر التب بقوله علت فلانه كان يعتقد ان يده العليا وانه يخرجه من مكة ويذله ومن فسره بصفرت فلان يده خلت من كل خير

فصل ابو لهب اسمه عبد العزى بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وامراته العورا ام جميل اخت ابي سفيان بن حرب وكلاهما كان شديد العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم قال طارق بن عبد الله المحاربي اني بسوق ذي المجاز واذا انا بانسان يقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا واذا رجل خلفه

برميه فذا دمي ساقيه وعرقوبيه بحجر ويقول انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا محمد
يزعم انه نبي وهذا عمه ابو لهب يزعم انه كذاب وروي عطا عن انس رضي الله عنه قال قال ابو لهب سحركم
محمد ان احدنا ليأكل الجذعة ويشرب العسل واللبن ولا يشبع وان محمدا قد اشبعكم من فخذ شاة واروا كم من
عسل ولبن قوله ما اغنى يجوز في ما النفي وان الاستفهام فعلى الاستفهام يكون منصوب المحل بما بعدها التقدير
اي شي اغنى المال وقدم لكونه له صدر الكلام وقوله تعالى وما كسب يجوز في ما هذه ان تكون بمعنى الذي
فالعايد محذوف وان تكون مصدرية اي وكسبه وان تكون استفهامية بمعنى واي شي كسب اي لم يكسب
شيا قاله ابو حيان يحتمل الاستفهام بمعنى النفي فعلى هذا يجوز ان تكون نافية ويكون المعنى على ما ذكر وهو
غير ظاهر وقرا ابن مسعود والاعمش وما اكتسب فصل المعنى ما دفع عنه عذاب الله ما جمع من
المال ولا من الكسب من جاه وقال مجاهد وما كسب من ولده ولد الرجل من كسبه وقال ابو الطفيل جا بنوا ابي لهب
يختصمون عند ابن عباس رضي الله عنه فاقتتلوا فقام ليحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع على الفراش
فغضب ابن عباس وقال اخرجوا عني الكسب الخبيث يعني ولد ابي لهب وقال صلى الله عليه وسلم ان
اطيب ما اكل الرجل من كسبه وقال ابن عباس رضي الله عنه لما انذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيرته
بالنار قال ابو لهب ان كان ما يقول ابن اخي حقا فاني افدي نفسي ومالي وولدي فنزل ما اغنى عنه ماله
وما كسب وقال الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعني كيده وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى سيصلى نارا ذات لهب قرا العامة سيصلى بفتح اليا واسكان الصاد وتخفيف اللام اي
يصلى هو بنفسه وابو حياة وابن مقسم وعباس في اختياره قال القرطبي قال اشهب العقيلي وابو السماك
العدوي ومحمد بن السميقع بضم اليا وفتح الصاد والتشديد والمعنى سيصليه الله عز وجل من قوله
ويصليه نارا وقرا الحسن وابن ابي اسحق وابو رجا والاعمش ورواها محبوب عن اسماعيل عن ابي رضي
الله عنه وعن ابي بكر عن عاصم بضم اليا ومعنى ذات لهب اي ذات اشتعال وتلهب وقد تقدم القول
فيه في سورة والمرسلات قوله تعالى وامراته حمالة الحطب قرا العامة بالرفع على انها جملة من مبتدا
وخبر سيقت للاخبار بذلك وقيل وامراته عطف على الضمير في سيصلى سوغه الفصل بالمفعول وحمالة
الحطب على هذا فيها وجه كونها نعتا لامراته وجاز ذلك لان الاضافة حقيقية ان المراد المضي او كونها
بيانا او كونها بدلا لانها قريب من الجوامد لتمحض اضافتها وكونها خبر لمبتدا مضمر اي هي حمالة وقرا عباس
وسوسه على التصغير الا انه اقر الهمزة تارة وابدلها يا وادغم فيها اخرى وقرا العامة حمالة بالرفع وعاصم
بالنصب فقيل على الذم وقد اتى بجميل من سب ام جميل قاله الزمخشري وكانت تكنى ام جميل لعنها الله
وقيل نصب على الحال من امراته اذا جعلناها مرفوعة بالعطف على الضمير ويضعف جعلها حالا عند
الجمهور من الضمير في الجار بعدها اذا جعلناها لامراته لتقدمها على العامل المعنوي واستشكل بعضهم
الحالية لما تقدم من ان المراد به المضي فيتعرف بالاضافة فكيف يكون حالا عند الجمهور ثم اجاب
بان المراد الاستقبال لانه ورد انها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب النار كما كانت تحمل الحطب في الدنيا
وفي قوله تعالى حمالة الحطب قولان احدها هو حقيقة قال قتادة كانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم
بالفقر ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل وقال ابن زيد والضحاك
كانت تحمل العضاه والشوك بالليل فتطرحه على طريق النبي صلى الله عليه وسلم فكان النبي صلى الله عليه
وسلم يطاه كما يطا الحرير وقال مرة الهمداني كانت ام جميل لعنها الله تاتي في كل يوم باباله من الحسك
فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هي ذات ليلة حاملة حزمة عيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها
الملك من خلفها فاهلكها القول الثاني انه مجاز عن المشي بالنميمة ورمي الفتن بين الناس قال
ان بني الادرم حمالو الحطب هو الرشاه في الرض وفي الغضب عليهم اللعنة تترا والحرب وقال اخر

من البيض لم تصطد على ظهر لامة ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب

وجعله رطبا تنبيها على تدخينه وهو قريب من ترشيح المجاز يعني لم تمش بالنمام وقال سعيد
ابن جبير حمالة الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحتطب على ظهره قال تعالى يحملون اوزارهم
على ظهورهم وقرا ابو قلابة حاملة الحطب على وزن فاعله وهي محتملة لقراة العامة وقرا ابن عباس
حمالة للحطب بالتنوين وجر المفعول بلام زايدة تقوية للعامل كقوله تعالى فعال لما يريد
وابو عمرو في رواية وامراته باختلاس الهاء دون اشباع قوله تعالى في جيدها حبل يجوز ان
يكون في جيدها خبرا لامراته وحبلا فاعلا به وان يكون حالا من امراته على كونها فاعله وحبل

مرفوع به ايضا وان يكون خبرا مقدما وحبل مبتدا موخر والجملة حالية او خبر ثان والجيد العنق ويجمع
على اجياد قال امرو القيس وجيد كجيد الريم ليس بفاحش اذا هي نصته ولا بمعطل ومن مسد صفة لحبل والمسد
ليف المقل وقيل الليف مطلقا وقيل الحبل يجر باليمن قال النابغة معروفة لدحيص الحمص بان لها
صريف صريف المعو بالمسد وقد يكون من جلود الابل واوبارها قال ومسد امر من ايانق ليس بانياب
ولا حقايق وجمع المسد امساد وقال ابو عبيدة هو حبل يكون من صوف وقال الحسن هي حبال من
شجر ينبت باليمن يسمى المسد وكانت تفتل فصل قال الضحاك وغيره هذا في الدنيا وكانت
تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وهي تحتطب في حبل تجعله في جيدها من ليف فخنقها الله تعالى به
فاهلكها وهو في الاخرة حبل من نار وعن ابن عباس حبل من مسد قال سلسلة ذرعها سبعون ذراعا
وهو قول مجاهد وعروة بن الزبير يدخل فيها ويخرج من اسفلها ويلوي سايرها على عنقها وقال قتادة
حبل من مسد قال قلادة من ودع وقال الحسن انما كان خرزا في عنقها وقال سعيد بن المسيب كانت
لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت واللات والعزى لانفقنها في عداوة محمد ويكون ذلك عذابا في
جيدها يوم القيامة وقيل ان ذلك اشارة الى الخذلان يعني انها مربوطة عن الايمان بما سبق لها من الشقا
كالمربوط في جيده بحبل من مسد والمسد الفتل فقال مسد حبله يمسده مسدا اي اجاد فتله قال
يمسد اعلى لحمه ويارمه يقول ان البقل يقوي ظهر الحمار وقال ابن الخطيب وقيل المسد يكون من
الحديد وظن من ظن ان المسد لا يكون من الحديد مطلقا خطا لان المسد هو المفتول سوا كان من
الحديد او من غيره ورجل ممسود اي مجدول الخلق وجارية حسنة المسد والعصب والجدل والارم
وهي ممسودة ومعصوبة ومجدولة ومارومة والمساد على فعال لغة في المساب وهو نحي السمن وسقا
العسل قال كل ذلك الجوهري فان قيل ان كان ذلك حبلها فكيف يبقى ابدا في النار فصل
تضمنت هذه الايات الاخبار عن الغيب من ثلثة اوجه احدها الاخبار عنه بالتباب والخسار وقد
كان ذلك وثانيها الاخبار عنه بعدم الانتفاع بماله وولده وقد كان ذلك وثالثها الاخبار بانه
من اهل النار وقد كان ذلك لانه مات على الكفر هو وامراته ففي ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم فامراته
خنقها الله تعالى بحبلها لعنها الله وابو لهب رماه الله في البالي بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال فمات
واقام ثلثة ايام لم يدفن حتى انتن ثم ان ولده غسله بالما قذفا من بعيد مخافة عدوى العدسة وكانت
قريش تتقيها كما تتقى الطاعون ثم احتملوه الى اعلا مكة فاسندوه الى جدار ثم وضعوا عليه الحجارة فصل
احتج اهل السنة على تكليف ما لا يطاق بانه تعالى كلف ابا لهب بالايمان بتصديق الله تعالى في كل
ما اخبر عنه ومما اخبر عنه انه لا يومن وانه من اهل النار فقد صار مكلفا بانه لا يومن وهذا تكليف
بالجمع بين النقيضين وهو محال وذلك مذكور في اصول الفقه ذكر الثعلبي عن ابي رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار
واحدة

سورة الاخلاص مكية

في قول ابن مسعود والحسن وعطا وعكرمة وجابر ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك
والسدي رضي الله عنهم من قرا وهي اربع ايات وخمس عشرة كلمة وسبعة واربعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قل هو الله احد في هو وجهان احدهما انه ضمير عايد على ما يفهم من السياق فانه يروى في
سبب النزول انهم قالوا صف لنا ربك وانسبه وقيل قالوا له الخاص هو ام حديد فنزلت وحينئذ
يجوز ان يكون الله مبتدا واحد خبره والجملة خبر الاول ويجوز ان يكون الله بدلا واحد الخبر ويجوز
ان يكون الله خبرا اول واحد خبرا ثانيا ويجوز ان يكون احد خبر لمبتدا محذوف اي هو احد والثاني
ضمير الشان لانه موضع تعظيم الجملة بعده خبره مفسرة وهمزة احد بدل من واو لانه من الوحدة
وابدال الهمزة من الواو المفتوحة قليل منه امراة اناة من الوناة وهو الفتور وتقدم الفرق بين احد
هذا غير مقلوبة بل اصل بنفسها كالمراد به العموم والاول هو المعروف وفرق ثعلب بين واحد وبين
احد بان الواحد يدخله العدد والجمع والاثنان واحد لا يدخله ذلك ويقال الله احد ولا يقال
زيد احد لان لله تعالى هذه الخصوصية وزيد له حالات شتى ورد عليه ابو حيان بانه يقال

احد وعشرون ونحوه فقد دخله العدد وانتهى وقال مكي ان احدا اصله واحد ابدلت الواو همزة فاجتمع الفان لان الهمزة تشبه الالف فحذفت احديهما تخفيفا وقرا عبد الله والجحدري الله احد دون قل وقرا النبي صلى الله عليه وسلم احد بغير قل هو وقرا الاعمش قل هو الله الواحد وقرا العامة بتنوين احد وهو الاصل وزيد بن علي وابان بن عثمان وابن ابي اسحاق والحسن وابو السمال وابو عمرو في رواية في عدد كثير بحذف التنوين للحفة ولالتقاء الساكنين كقوله

عمرو الذي هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسنتون عجاف •

وقوله ولا ذاكر الله الا قليلا قوله تعالى الصمد الذي يصمد اليه في الحاجات والصمد فعل بمعنى مفعول كالقبض والنقض وهو السيد الذي يصمد اليه اي يقصد في الحوائج ولا يقدر على قضائها الا هو وانشد

الا بكر الناعي بخيري بني اسد • بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد •

وقال اخر علوته بحسام ثم قلت له • خذها حذيت فانت السيد الصمد •

وقيل الصمد الذي لا جوف له ومنه قوله

وشهاب حروب لا تزال جياده • عوابس يعلكن الشكيم المصمد •

وقال ابن ابي كعب رضي الله عنه تفسيره ما بعده من قوله عز وجل لم يلد ولم يولد وهذا يشبه ما قالوه من تفسير الهلوع والاحسن في هذه الجملة ان تكون مستقلة بفائدة هذا الخبر ويجوز ان يكون الصمد صفة والخبر في الجملة بعده كذا قيل وهو ضعيف من حيث السياق فان السياق يقتضي الاستقلال باخبار كل جملة قال القرطبي رحمه الله لانه ليس كل شي يولد الا يموت وليس شي يموت الا يورث وقيل الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وقال ابو هريرة رضي الله عنه انه المستغني عن كل احد والمحتاج اليه كل احد وقال السدي انه المقصود في الرغبات والمستعان به في المصائب وقال الحسين بن الفضل انه الذي يفعل ما يشا ويحكم ما يريد وقال مقاتل رضي الله عنه انه الكامل الذي لا عيب فيه قال القرطبي والصحيح من هذه الاقوال ما اشهد له الاشتقاق وهو القول الاول ذكره الخطابي **فصل** قال ابن الخطيب ونكر لفظ احد لان الذي يعرفه الخلق من الموجودات محسوس وكل محسوس منقسم فاما ما لا ينقسم فلا يعرف وعرف الصمد لانه الذي يقصد في الحوائج وذلك معلوم عند الخلق وقدم لم يلد وان كان العرف سبق المولودية لانه الاهم لقولهم ولد الله وقوله جل ذكره ولم يولد كالحجة على انه لم يلد وجاها لم يلد وفي سورة الاسرا لم يتخذ ولدا لان من النصارى من يقول عيسى ولد الله حقيقة ومنهم من يقول ان الله اتخذه ولدا تشريفا فنفي الامرين **فصل** قال القرطبي وقد اسقط من هذه السورة من ابعده الله واخزاه وقرا الله الواحد الصمد في الصلاة والناس يسمعون فاسقط قل هو وزعم انه ليس من القران وغير لفظ احد وادعى ان هذا هو الصواب والذي عليه الناس هو الباطل فابطل معنى الاية لان اهل التفسير قالوا نزلت جوابا لاهل الشرك لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك امن ذهب ام من نحاس ام من حديد فقال الله تعالى ردا عليهم قل هو الله احد ففي قوله تعالى هو دلالة على موضع الرد ومكان الجواب فاذا سقط بطل معنى الاية وصح الافترا على الله تعالى والتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي عن ابي بن كعب رضي الله عنه ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله تعالى قل هو الله احد الله الصمد والصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس بشي يولد الا سيموت وليس شي يموت الا يورث وان الله تعالى لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا احد قال لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شي وروى ابو العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم فقالوا انسب لنا ربك فاتاه جبريل عليه السلام بهذه السورة قل هو الله احد قال الترمذي وهذا اصح قال القرطبي ففي هذا الحديث اثبات لفظ قل هو الله احد وعن عكرمة نحوه وقال ابن عباس لم يلد كما ولدت مريم ولم يولد كما ولد عيسى وعزير وهو رد على النصارى وعلى من قال عزير بن الله ولم يكن له كفوا احد ولم يكن له مثل وفيه تقديم وتاخير ولم يكن له كفوا مقدم خبر كان على اسمها لينساق اواخر الاي **فصل** قال ابن الخطيب دل العقل على استحالة كونه تعالى والدا او ولدا والاحدية والصمدية يوجبان نفي كونه تعالى والدا ومولودا وذكرها بعدهما كما ذكر النتيجة بعد الدليل قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد في نصب كفوا وجهان احدهما انه خبر يكن واحد اسمها وله متعلق بالخبر ولم يكن له كفوا له كما تقدم وقدر والمبرد

على سيبويه بهذه الاية من حيث انه يزعم انه اذا تقدم الظرف كان هو الخبر وهنا لم يجعله خبرا مع تقدمه وقد رد على المبرد بوجهين احدهما ان سيبويه لم يحتم ذلك بل جوزه والثاني انا لا نسلم ان الظرف هنا ليس بخبر بل هو خبر ونصب كفوا على الحال على ما سياتي بيانه وقال الزمخشري الكلام العربي الفصيح ان يوخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه في كتابه على ذلك فما باله مقدما في افصح كلام واعرابه قلت هذا الكلام انما سيق لنفي المكافاة عن ذات الباري وهذا المعنى مصبه ومركزه هو الظرف فكان لذلك اهم شي واعناه واحقه بالتقدم واحراه والثاني ان ينتصب على الحال من احد لانه كان صفته فلما تقدم عليه نصب حالا وله هو الخبر قاله مكي وابو البقا وغيرهما ويجوز ان يكون حالا من الضمير المستكن في الجار لوقوعه خبرا قال ابو حيان بعد ان حكى كلام الزمخشري ومكي وهذه الجملة ليست من هذا الباب وذلك ان قوله تعالى لم يكن له كفوا احد ليس الجار والمجرور فيه تاما انما هو ناقص لا يصلح ان يكون خبرا لكان بل هو متعلق بكفوا وتقدم على كفوا للاهتمام به اذ فيه ضمير الباري تعالى وتوسط الخبر وان كان الاصل التاخير لان تاخير الاسم هو فاصلة فحسن ذلك وعلى هذا الذي قررناه يبطل اعراب مكي وغيره ان له خبر وكفوا حال من احد لانه ظرف ناقص ولا يصلح ان يكون خبرا وبذلك يبطل سوال الزمخشري وجوابه وسيبويه انما تكلم في الظرف الذي يصلح ان يكون خبرا وان لا يكون قال سيبويه وتقول ما كان فيها احد خير منك وما كان منك فيها وليس احد فيها خير منك اذا جعلت فيها مستقرا ولم تجعله على قولك فيها زيد قائم اجريت الصفة على الاسم قال جعلته على فيها قائم نصبت فتقول ما كان فيها احد خيرا منك وما كان احد خيرا منك فيها الا انك اذا اردت الالغا فكلما اخرت الملغى فهو احسن واذا اردت ان يكون مستقرا فكلما قدمته كان احسن والتقديم والتاخير والالغا والاستقرار عربي كثير كما قال تعالى ولم يكن له كفوا احد وقال ما دام فيهن فصيل حيا انتهى كلام سيبويه قال ابو حيان فانت ترى كلامه وتمثيله بالظرف الذي لا يصلح ان يكون خبرا ومعنى قوله مستقرا اي خبرا للمبتدا لو كان فان قلت قد مثل بالاية قلت هذا الذي اوقع مكيا والزمخشري وغيرهما فيما وقعوا فيه فانما اراد سيبويه ان الظرف التام وهو في قوله ما دام فيهن فصيل حيا اجري فضلة لا خبرا كما ان له في الاية اجري فضلة فجعل الظرف القابل ان يكون خبرا كالظرف الناقص لو تم يستعمل خبرا ولا يشك لاحد انه صحيح انه لا ينعقد كلام من لم يكن احد بل لو تاخر كفوا وارتفع على الصفة وجعل له خبرا لم ينعقد منه كلام بل انت ترى ان النفي لم يتسلط الا على الخبر الذي هو كفوا والمعنى لم يكن له احد مكافيه انتهى ما قاله ابو حيان قال شهاب الدين قوله ولا يشك اي اخرم بتهويل على الناظر والا فقوله هذا الظرف ناقص ممنوع لان الظرف الناقص عبارة عما لم يكن في الاخبار به فايدة كالمقطوع عن الاضافة ونحوه في دار رجل وقد نقل سيبويه الامثلة المتقدمة نحو ما كان فيها احد خيرا منك وما الفرق بين هذا وبين الاية الكريمة وكيف يقول هذا وقد قال سيبويه في اخر كلامه والتقديم والتاخير والالغا والاستقرار عربي جيد كثير **فصل** قرا العامة كفوا بضم الكاف والفا وسهل الهمزة الاعرج وسيبويه ونافع في رواية واسكن الفا حمزة ويبدل الهمزة واوا وقفا خاصة وابدلها حفص واوا مطلقا والباقون بالهمز مطلقا قال القرطبي وتقدم في البقرة ان كل اسم على ثلاثة احرف وله مضموم فانه يجوز فيه الضم والاسكان الا قوله تعالى اتتخذنا هزوا وقرا سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس كفا بالكسر والمد اي لا مثل له وانشد النابغة

لا تقذفني بركن لا كفا له •

وقرا نافع في رواية كفا بالكسر وفتح الفا من غير مد كانه نقل حركة الهمزة وحذفها والكفو النظير يقول هنا كفوك اي نظيرك والاسم الكفاة بالفتح قال ابن الخطيب والتحقيق انه تعالى لما اثبت الاحدية والصمدية ونفي الوالدية والمولودية ختم السورة بان شيا من الموجودات يمتنع ان يساويه في شي من صفات الجلال والعظمة لانفراده سبحانه بوجوب الوجود **فصل** روي ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بداني وليس باول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد لم الد ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد **فصل** في فضايل هذه السورة وروي البخاري عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رجلا سمع رجلا يقرا قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جا النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القران لان القران انزل اثلاثا ثلثا احكام وثلثا وعد

ووعيد وثلثا اسما وصفات تجمعت هذه السورة احداها ثلث وهو الاسما والصفات وقيل لان
اسم الصمد لا يوجد في غيرها من القران وروي مسلم عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلي الله عليه
وسلم بعث رجلا علي سرية فكان يقرا في صلاته ثم فيختم بقل هو الله احد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول
الله صلي الله عليه وسلم فقال سلوه لاي شي يصنع ذلك فسالوه فقال لانها صفة الرحمن عز وجل فانا
احب ان اقراها فقال النبي صلي الله عليه وسلم اخبروه ان الله تعالي يحبه وروي الترمذي عن انس بن مالك
رضي الله عنه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم سمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال رسول الله صلي الله
عليه وسلم وجبت قلت ما وجبت قال الجنة وروي انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم من قرا قل هو الله احد خمسين مرة غفرت ذنوبه وروي سعيد بن المسيب رضي الله عنه ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم قال من قرا قل هو الله احد احدى عشر مرة بني الله تعالي له قصرا في الجنة ومن
قراها عشرين مرة بني الله له قصرين في الجنة ومن قراها ثلاثين مرة بني الله له ثلاث قصور في الجنة
فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذن تكثر قصورنا فقال عليه الصلاة والسلام اوسع من ذلك
وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا قل هو الله احد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره
وامن من ضغطة القبر وحملته الملايكة يوم القيامة باكفها حتي يجيزونه الصراط الي الجنة فصل
في اسمايها قال ابن الخطيب سورة التفريد وسورة التجريد وسورة التوحيد وسورة الاخلاص
وسورة النجاة وسورة الولاية وسورة النسبة لقولهم انسب لنا ربك وسورة المعرفة وسورة الجمال
وسورة البراءة لانها تبري من النفاق وسورة الاساس وسورة المحضر لان الملايكة تحضر لسماعها وسورة
المانعة والمنفرة لانها تنفر الشيطان وسورة النور لانها تنور القلب والله نور السموات والارض والله اعلم

سورة الفلق مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر ومدنية في قول ابن عباس وقتادة وهي خمس ايات وثلاث وعشرون كلمة واربعة
وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالي قل اعوذ برب الفلق هذه السورة وسورة الناس والاخلاص نزلت علي رسول الله
صلي الله عليه وسلم حين سحرته اليهودية وقيل ان المعوذتين كان يقال لهما المقشقشتان اي يبريان
من النفاق وزعم ابن مسعود رضي الله عنه انهما دعا وليستا من القران وخالف به الاجماع من الصحابة
واهل البيت قال ابن قتيبة لم يكتب عبد الله بن مسعود في مصحفه المعوذتين لانه كان يسمع رسول
الله صلي الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما فقدرهما بمنزلة اعوذ بكلمات الله
التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة قال ابن الانباري وهذا مردود علي ابن قتيبة لان
المعوذتين من كلام رب العالمين المعجز لجميع المخلوقين واعيذكما بكلمات الله التامة من كل عين
لامة قول البشر وكلام الخالق الذي هو اية وحجة لمحمد صلي الله عليه وسلم علي جميع الكافرين لا يلتبس
بكلام الادميين علي مثل عبد الله بن مسعود الفصيح اللسان العالم باللغة العارف باجناس الكلام
وقال بعض الناس لم يكتب عبد الله المعوذتين لانه امن عليهما من النسيان فاسقطهما وهو يحفظهما
كما اسقط فاتحة الكتاب من مصحفه وما يشك في حفظه واتقانه لها فرد هذا القول علي قايله واحتج
عليه بانه قد كتب اذا جاء نصر الله والفتح وانا اعطيناك الكوثر وقل هو الله احد وهن يجري مجري
المعوذتين في انهن غير طوال والحفظ لهن اسرع والنسيان مامون وكلهن يخالف فاتحة الكتاب
اذ الصلاة لا تتم الا بقراءتها وسبيل كل ركعة ان تكون المقدمة فيها قبل قراءة ما بعدها فاسقط فاتحة
الكتاب من المصحف علي معني الثقة بحفظها والامن من نسيانها صحيح وليس من السور ما يجري
في هذا المعني مجراها ولا يسلك به طريقها فصل تقدم الكلام في الاستعاذة والفلق هو
الصبح وهو فعل بمعني مفعول كالقبض اي مقبوض وفي حديث الرؤيا مثل فلق الصبح قال الشاعر

يا ليلة لم انمها بت مرتفقا * ارعي النجوم الي ان نور الفلق

وقال ذو الرمة

حتي اذا ما انجلا عن وجهه فلق * هاديه في اخريات الليل منتصب

يصف الثور الوحشي يعني بالفلق هنا الصبح بعينه وقيل هو جب في جهنم وقيل المطمين من
الارض وجمعه فلقان مثل خلق وخلقان وربما قالوا ذلك بفالق كذا وكذا يريدون المكان المنحدر

بين الربوتين وقيل الفلق الجبال والصخور تنفلق بالمياه اي تتشقق وقيل هو التفليق بين
الجبال لانها تتشقق من خوف الله تعالي قال زهير

ما زلت ارمقهم حتي اذا هبطت * ايدي الركاب بهم من راكس فلقا

الراكس بطن الوادي وكذلك هو في قول النابغة و ووي راكس فالضواجع والراكس ايضا الهادي
وهو الثور وسط البيدر يدور عليه الثيران في الدياسة وقيل الفلق الرحم يتفلق بالحيوان وقيل انه
كل ما انفلق عن جميع ما خلق من الحيوان كله قال وسوس يدعو مخلصا رب الفلق سرا وقد اذن
بادمن عفرة ذهب قال القرطبي وهذا قول يشهد له الاشتقاق فان الفلق الشق فلقت الشي فلقا
شققته والتفليق مثله يقال فلقته فانفلق وتفلق فكلما انفلق عن شي من حيوان وصبح وحب
ونوي فهو فلق قال تعالي فالق الاصباح وقال فالق الحب والنوي والفلق ايضا
مقطرة السجان فاما الفلق بكسر اللام فالداهية والامر العجيب يقال منه افلق الرجل وافتلق وشاعر
مفلق وقد جا بالفلق قال الشاعر واعجبا من هذه الفليقة هل تذهبن القوبا الريقة والفلق ايضا
القضيب يشق باثنين فيعمل منه قوسان يقال لكل منهم فلق وقولهم جا بعلق فلق وهي الداهية
الاخري يقال منه افلقت واعلقت اي جيت بعلق فلق ومر يفتلق في عدوه اي ياتي بالعجب من شدته
قوله من شر ما خلق متعلق باعوذ والعامة علي اضافة شر الي ما وقرا عمرو بن فايد بتنوينه وقال ابن
عطية وعمرو بن عبيد وبعض المعتزلة الذين يرون ان الله تعالي لم يخلق الشر من شر بالتنوين ما خلق
علي النفي وهي قراءة مردودة مبنية علي مذهب باطل انتهي ولا يتعين ان تكون ما نافية بل يجوز ان تكون
موصولة بدلا من شر علي حذف مضاف اي من شر شر ما خلق عم اولا ثم خصص ثانيا وقال ابو البقا
وما علي هذا بدل من شر او زايدة ولا يجوز ان تكون نافية لان النافية لا يتقدم عليها ما في حيزها فلذلك
لم يجز ان يكون التقدير ما خلق من شر ثم هو فاسد المعني وهو رد حسن صناعي ولا يقال ان من شر
متعلق باعوذ وحذف مفعول خلق لانه خلاف الاصل وقد احكي هذا القايل ورده بما تقدم وما
مصدرية او بمعني الذي فصل روي عطا عن ابن عباس يريد ابليس خاصة لان الله تبارك
وتعالي لم يخلق اشر منه وان السورة انما نزلت في الاستعاذة من السحر وذلك انما يتم بابليس وجنوده
لعنهم الله وقيل جهنم وما خلق فيها وقيل عام اي من شر كل ذي شر خلقه الله وقيل ما خلق الله
من الامراض والاسقام والقحط وانواع المحن قال الجبايي والقاضي هذا التعبير باطل لان فعل
الله تعالي لا يجوز ان يوصف بكونه شرا لان الذي امرنا بالتعوذ منه هو الذي امر به وذلك متناقض
لان افعاله تعالي كلها حكمة وصواب فلا يجوز ان يقال انها شر وايضا فلان فعل الله تعالي لو كان
شرا لوصف فاعله بانه شر وتعالي الله عن ذلك والجواب عن الاول انه لا امتناع في قوله اعوذ بك
منك كما ورد وعن الثاني ان الانسان لما تالم وصف بالالم شر لقوله تعالي وجزاء سيئة
سيئة مثلها وقوله تعالي فمن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي عليكم وعن الثالث
ان اسما الله تعالي توقيفية لا اصطلاحية وومما يدل علي جواز تسمية الامراض والاسقام بانها
شرور قوله تعالي اذا مسه الشر جزوعا قوله تعالي ومن شر غاسق اذا وقب الغاسق اذا منصوب
باعوذ اي اعوذ بالله من هذا في وقت كذا وكذا قيل الليل والغسق هو اول ظلمة الليل يقال منه
غسق الليل يغسق اي يظلم قال قيس بن الرقيات ان هذا الليل قد غسقا واشتكيت الهم والارقا
وهذا قول ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم ووقب علي هذا اظلم وقال قتادة
ذهب وقال يمان بن رباب سكن وقيل دخل ووقب العذاب علي الكافرين نزل قال وقب العذاب
عليهم فكانهم لحقتهم نار السموم فاحصدوا وقال الزجاج قيل الليل غاسق لانه ابرد من النهار
والغاسق البارد والغسق البرد ولان في الليل تخرج السباع من اجامها والهوام من اماكنها وتنبعث
اهل الشر علي العبث والفساد فاستعير من الليل قال الشاعر

يا طيف هند لقد ابقيت لي ارقا * اذ جيتنا طارقا والليل قد غسقا

اي اظلم واعتكر وقيل الغاسق الثريا لانها اذا سقطت كثرت الاسقام والطواعين واذا طلعت
ارتفع ذلك قاله عبد الرحمن بن زيد وقال ابن شهاب هو الشمس اذا غربت وقال القتبي هو القمر
اذا وقب اذا دخل في ساهوره وهو كالغلاف اذا خسف به وكل شي اسود فهو غسق قال قتادة
اذا وقب اذا غاب قال القرطبي وهو اصح لما روي الترمذي عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلي الله عليه

عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عايشة استعيذي بالله من شر هذا هو الغاسق اذا وقب حديث صحيح
وقيل الغاسق الحية اذا لدغت وكان الغاسق نابها لان السم يغسق منه اي يسيل يقال غسقت العين
تغسق غسقا اذا سالت بالماء وسمي الليل غاسقا لانصباب ظلامه على الارض ووقب نابها اذا دخل
في الملدوغ وقيل الغاسق كل ما هجم بضرره كائنا ما كان من قولهم غسقت القرحة اذا جرى صديدها قال
ابن الخطيب وعندي فيه وجه اخر انه صح ان القمر في جرمه غير مستنير بل هو مظلم فهذا هو المراد من
كونه غاسقا واما وقوبه فهو المحاق في اخر الشهر والمنجمون يقولون انه في اخر الشهر منحوس قليل
القوة لانه لا يزال نوره بسبب ذلك يزداد نحوسته فان السحرة انما يشتغلون بالسحر المورث للتمريض
في هذا الوقت وهذا مناسبة بسبب نزول السورة فانها نزلت لاجل انهم سحروا النبي صلى الله عليه
وسلم للتمريض قوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد النفاثات جمع نفاثة مثال مبالغة
من نفث اي نفخ واختلف فيه فقال ابو الفضل يشبه النفخ من الفم بالرقية ولا شي معه فاذا كان
بريق فهو التفل وانشد عنتره • فان يبرا فلم انفث عليه • وان يفقد فحق له الفقود •
وقال الزمخشري نفخ بريق معه وقرا الحسن النفاثات بضم النون وهو اسم كالنفاخ ويعقوب
وعبد الرحمن بن سابط وعيسى بن عمرو وعبد الله بن القاسم النافثات وهي محتملة لقراة العامة والحسن
ايضا وابو الربيع والنفثات دون الف كالحاذر والحذر ونكر غاسق وحاسد لانه قد يتخلف الضرر
فيهما فالتنكير للتبعيض وعرف النفاثات اما للعهد كما يروى في التفسير واما للمبالغة في الشر فصل
قال المفسرون يعني الساحرات اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها قال ابو عبيده
النفاثات من بنات لبيد بن اعصم اليهودي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم يشبه النفخ كما يفعل من يرقي
قال الشاعر اعوذ بربي من النافثات ومن عضه العاضه المعضه وقال متمم بن نويره
• نفثت في الخيط شبيه الرقي من خشية الجنة والحاسد •

فصل روى النسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد اشرك ومن تعلق شيا وكل اليه واختلف
في النفث عند الرقى فمنعه قوم واجازه اخرون قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا
يعقد وقال ابراهيم كانوا يكرهون النفث من الرقى والصحيح الجواز فان النبي صلى الله عليه وسلم
كان ينفث في الرقية وروى محمد بن حاطب ان يده احترقت فاتت به النبي صلى الله عليه وسلم فجعل
ينفث عليها ويتكلم بكلام زعم انه يحفظ وروى ان قوما لدغ رجل منهم فاتوا اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم فقالوا هل فيكم من راق قالوا لا حتى تجعلوا لنا شيا فجعلوا لهم قطيعا من الغنم
فجعل رجل منهم يقرا فاتحة الكتاب ويرقي ويتفل حتى برا فاخذوا فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريكم انها رقية خذوا واضربوا لي معكم بسهم واما ما روي عن
عكرمة فكانه ذهب فيه الى النفث في العقد مما يستفاد منه بخلاف النفث بلا عقد قال ابن
الخطيب هذه الصناعة انما تعرف بالنسا لانهن يعقدن في الخيط وينفثن وذلك لان الاصل الاعظم
ربط القلب بذلك الامر واحكام الهمة والوهم فيه وذلك انما يتاتى من النسا لقلة علمهن وشدة
شهوتهن فلا جرم كان هذا العمل منهن قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد قد تقدم في معنى
الحسد وانه تمني زوال نعمة المحسود وان لم يصر للحاسد مثلها والمنافسة وهي تمني مثلها وان لم
تزل عن المحسود وهي الغبطة فالحسد شر مذموم والمنافسة مباحة قال صلى الله عليه وسلم
المومن يغبط والمنافق يحسد وقال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين يريد الغبطة
قال ابن عباس وعايشة رضي الله عنهما كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدنت اليه اليهود حتى اخذ شيا من الواحي احد مشاطة راس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة اسنان من
مشطه فاعطاه اليهود فسحروه فيها صلى الله عليه وسلم وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من
اليهود فصل هذه السورة دالة على ان الله تعالى خلق كل شر وامر نبيه صلى الله عليه
وسلم ان يتعوذ من جميع الشرور فقال عز وجل من شر ما خلق وذلك خاتمة ذلك الحسد تنبيها
على عظمه وكثرة شره والحاسد عدو نعمة الله تعالى قال بعض الحكما الحاسد بارز ربه من خمسة
اوجه احدها انه ابغض كل نعمة ظهرت على غيره وثانيها انه ساخط لقسمة ربه كانه يقول لم قسمت
لي هذه القسمة وثالثها انه ضاد فعل الله تعالى اي ان فضل الله يوتيه من يشا وهو يبخل بفضل

الله ورابعها انه خذل اوليا الله تعالى او يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم وخامسها انه اعان عدو
الله ابليس وقيل الحاسد لا ينال في المجالس الا ندامة ولا ينال عند الملايكة الا لعنة وبغضا ولا ينال في
الخلوة الا جزعا ولا ينال في الاخرة الا حزنا واحتراقا ولا ينال من الله العظيم الا بعدا ومقتا وقال صلى
الله عليه وسلم ثلاثة لا يستجاب دعاوهم اكل الحرام ومكثر الغيبة ومن كان في قلبه غل او حسد للمسلمين روى
الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا المعوذتين فكانما قرا
الكتب التي انزلها الله تعالى كلها وعن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبرك بافضل
ما تعوذ به المتعوذون قلت بلى يا رسول الله قال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس والله اعلم

سورة الناس مكية وهي ست ايات وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قل اعوذ برب الناس قرى قل اعوذ بحذف الهمزة ونقلها الى اللام ونظيره فخذ
اربعة واجمع القرا على ترك الامالة في الناس وروي عن الكسائي الامالة في الناس اذا كان في
موضع الخفض ومعنى رب الناس اي مالكهم ومصلح امورهم وانما ذكر لفظ رب الناس وان كان ربا
لجميع الخلق لامرين احدهما لان الناس يعظمون فاعلم بذكرهم انه رب لهم وان عظموا والثاني لانه
امر بالاستعاذة من شرهم فاعلم بذكرهم انه هو الذي يعيذهم وانما قال سبحانه ملك الناس اله الناس لان في
الناس ملوكا فذكر تعالى انه ملكهم وفي الناس من يعبد غيره فذكر انه الههم ومعبودهم وانه الذي يجب
ان يستعاذ به ويلجا اليه دون الملوك والعظما قوله تعالى ملك الناس اله الناس يجوز ان يكونا
وصفين لرب الناس وان يكونا بدلين وان يكونا عطف بيان قال الزمخشري فان قلت ملك الناس
اله الناس ما هما من رب الناس قلت عطف بيان كقولك سيرة ابي حفص عمر الفاروق بين الذي يملك
الناس ثم زيد بيانا لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من
دون الله وقد يقال ملك الناس ثم الملك قد يكون الها وقد لا يكون فلا جرم بينه بقوله تعالى اله
الناس لان الاله خاص لا شركة فيه فجعل غاية البيان واعترض ابو حيان بان البيان بالجوامد
ويجاب عنه بان هذا جار مجرى الجوامد وقد تقدم في الرحمن الرحيم اول الفاتحة تقريره وقال
الزمخشري فان قلت لم قيل برب الناس مضافا اليهم خاصة قلت لان الاستعاذة وقعت من شر
الوسواس في صدور الناس فكانه قيل اعوذ من شر الوسواس الى الناس بربهم الذي يملك امرهم
ثم قال فان قلت فهلا اكتفى باظهار المضاف اليه مرة واحدة قلت لان عطف البيان للبيان فكان مظنة
للاظهار فلهذا كرر لفظ الناس لان عطف البيان يحتاج الى مزيد الاظهار ولان التكرير يقتضي
مزيد شرف الناس ولهم اشرف مخلوقاته وقال ابن الخطيب وانما بدا بذكر الرب تعالى وهو اسم لمن
قام بتدبيره واصلاحه من اوايل نعمه الى ان رباه واعطاه العقل فحينيذ عرف بالدليل انه مملوك وهو
ملك فثنى بذكر الملك ثم لما علم ان العبادة لازمة له وعرف وعرف انه معبود يستحق لتلك العبادة
عرف بانه اله فلهذا اختتم به قال ابن الخطيب ولم يقرا في المشهور هنا مالك بالالف كما قري به في الفاتحة
لان معنى المالك هو الرب فيلزم التكرار وقري به في الفاتحة لاختلاف المضاف فيه فلا تكرار قوله
تعالى من شر الوسواس قال الزمخشري اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر
فوسواس بالكسر كالزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كانه وسوسة في نفسه لانها صنعته
وشغله او اريد ذو الوسواس انتهى وقد مضى الكلام معه في ان المكسور مصدر والمفتوح اسم في
الزلزلة فليراجع والوسوسة حديث النفس يقال وسوست اليه نفسه وسوسة ووسوسة
بكسر الواو وقال القرطبي ويقال لهمس الصايد واصوات الكلاب وللحلي وسواس قال ذو الرمة
• فبات يشيزه ثاد ويسهره تذوب الريح والوسواس والهضب •
وقال الاعشى تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل قوله الخناس اي
الرجاع لانه اذا ذكر الله عز وجل خنس وهو مثال مبالغة من الخنوس قال القرطبي ووصف بالخناس
لانه كثير الاختفا ومنه قوله تعالى فلا اقسم بالخنس يعني النجوم لاختفايها بعد ظهورها وقيل لانه
يخنس اذا ذكر الله تعالى اي يتاخر وفي الخبر ان الشيطان جاثم على قلب ابن ادم فاذا غفل وسوس
واذا ذكر الله تعالى خنس اي تاخر يقال خنسه فخنس اي اخرته فتاخر واخنسته ايضا وتقدم

الكلام على هذه المادة في إذا الشمس كورت قوله تعالى الذي يوسوس يجوز جره نعتا وبدلا وبيانا لجريانه مجرى الجوامد ونصبه ورفعه على القطع **فصل** قال مقاتل إن الشيطان في صورة خنزير يجري من ابن آدم مجرى الدم في عروقه سلطه الله على ذلك فذلك قوله تعالى الذي يوسوس في صدور الناس وقال صلى الله عليه وسلم إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم رواه البخاري ومسلم وقال القرطبي ووسوسته هو الدعاء إلى طاعته حتى يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع صوت قوله من الجنة فيه أوجه أحدها أنه بدل من شر بإعادة العامل أي من شر الجنة الثاني أنه بدل من ذي الوسواس لأن الموسوس من الجن والإنس الثالث أنه حال من الضمير في يوسوس حال كونه من هذين الجنسين الرابع أنه بدل من الناس وجعل من تبيينا وأطلق على الجن اسم الناس لأنهم يتحركون في مرادهم قال أبو البقاء إلا أن الزمخشري أبطله فقال بعد أن حكاه واستدلوا بنفر ورجال وما أحقه لأن الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس ناسا لظهورهم من الإيناس وهو الإبصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلتين وصح وثبت لم يكن مناسباة لفصاحة القرآن وبعده من التصنع وأجود منه أن يراد بالناس الناسي كقوله يوم يدع الداعي وكما قرئ من حيث أفاض الناس ثم بين بالجنة والناس لأن الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله تعالى يعني أنه اجتزأ بالكسرة عن الياء والمراد اسم الفاعل وتقدم تحقيق هذا في البقرة الخامس أنه بيان للذي يوسوس على أن الشيطان ضربان جني وإنسي كما قال شياطين الجن والإنس وعن أبي ذر أنه قال لرجل هل استعذت من شياطين الإنس والجن السابع أن والناس عطف على الوسواس أي من شر الوسواس والناس ولا يجوز عطفه على الجنة لأن الناس لا يوسوسون في صدور الناس إنما يوسوس الجن فلما استحال المعنى حمل على العطف على الوسواس قاله مكي وفيه بعد كثير للبس الحاصل وقد تقدم أن الناس يوسوسون أيضا بمعنى يليق بهم الثامن أن من الجنة حال من الناس أي كائنين من القبيلتين قاله أبو البقاء ولم يبين أي الناس المتقدم أنه صاحب الحال وعلى كل تقدير فلا يصح معنى الحالية في شيء منهما لأن الأول وإما بعده ثم قال وقيل هو معطوف على الجنة يريد والناس الأخير معطوف على الجنة وهذا الكلام يستدعي تقدير شيء قبله وهو أن يكون الناس عطفا على غير الجنة وفي الجملة فهو كلام يتسامح فيه **فصل** قال الحسن هما شيطانان أما شيطان الجن وإنس وعن أبي ذر أنه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الإنس فقال أومن الإنس شياطين قال نعم لقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن فتعوذ بالله من شياطين الجن والإنس وذهب قوم إلى أن المراد بالناس هنا الجن سموا بذلك ناسا كما سموا رجالا في قوله تعالى وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن وكما سموا نفرا في قوله تعالى قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن وكما سموا قوما ونقل الفراء عن بعض العرب أنه قال وهو يحدث جاء قوم من الجن فوقفوا فقيل من أنتم فقالوا أناس من الجن فعلى هذا يكون والناس عطفا على الجنة كما تقدم ويكون التكرير لاختلاف اللفظين والجن جمع جني كما يقال إنس وإنسي والهاء لتأنيث الجماعة وقيل إن إبليس يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الناس فعلى هذا يكون في صدور الناس عام في الجميع ومن الجنة والناس بيان لما يجتنه والناس وهو حديث النفس قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به والله أعلم بالصواب تم الجزء الثالث من كتاب

اللباب في علوم الكتاب تفسير الإمام الجليل ابن عادل

الحنبلي تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته على

يد أفقر العباد وأحوجهم إلى الله تعالى أحمد بن

محمد النخاجي غفر الله له ولوالديه ولمن طالع

في هذا التفسير المبارك ودعا له بالمغفرة

وكان الفراغ من كتابته يوم الأحد

المبارك تاسع شوال سنة ١١١٧

تم الكتاب تكاملت — لنعم السرور لصاحبه

وإن تجد عيبا فسد الخللا جل — من لا فيه عيب وعلا والحمد

وعفى الإله بجوده — وبفضله عن كاتبه

لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده [illegible]